المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم الكتاب والسنة

ترجيحات ابن جُزَيّ الكلبي في تفسيره

عرضاً ومناقشة

من أول سورة آل عمران حتى نهاية سورة المائدة

رسالة مقدمة إلى قسم الكتاب والسنة لنيل درجة الدكتوراه

إعداد الطالب:
عبد العزيز بن إبراهيم بن محمد اليحيى
الرقم الجامعي ٤٢٥٧٠٠٦٦

إشراف فضيلة الأستاذ الدكتور:
وصي الله بن محمد عباس

الجزء الأول

العام الجامعي ١٤٣٠ - ١٤٣١ هـ

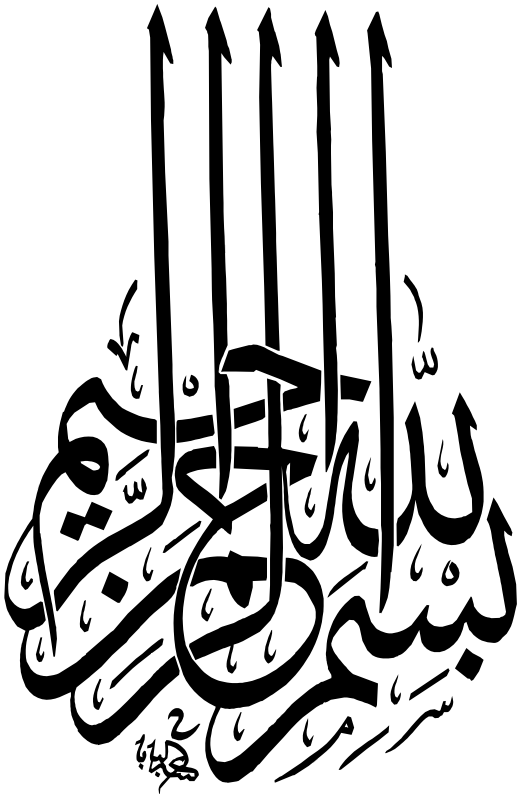

ملخص الرسالة

عنوان الرسالة: ترجيحات ابن جزي الكلبي في تفسيره عرضاً ومناقشة من أول سورة آل عمران حتى نهاية سورة المائدة. (دكتوراه).

إعداد الطالب: عبد العزيز بن إبراهيم بن محمد اليحيى.

إشراف فضيلة الأستاذ الدكتور: وصي الله بن محمد عباس.

تناولت الرسالة ترجيحات ابن جزي الكلبي في تفسيره " التسهيل لعلوم التنزيل" في القدر المحدّد، وناقشتها وقارنتها بأقوال جمع من المفسرين المتقدمين والمتأخرين، مع بيان أدلتهم، ثم الوصول إلى القول الراجح بناء على النظر في الأدلة والقواعد.

وتتألف الرسالة من تمهيد وبابين:

التمهيد: وفيه التعريف بحياة ابن جزي الكلبي وتفسيره بإيجاز.

الباب الأول: منهج ابن جزي في الترجيح في التفسير:

وفيه فصلان:

الفصل الأول: صيغ الترجيح وأساليبه عند ابن جزي .

الفصل الثاني: وجوه الترجيح عند ابن جزي .

الباب الثاني: عرض ترجيحات ابن جزي في تفسيره ومناقشتها مرتبة حسب السور.

وخلصت الرسالة إلى الآتي:

١- امتاز تفسير ابن جزي بميزتين مهمتين هما: تلخيص الأقوال، وتحقيق المسائل.

٢- أجاد ابن جزي في التأصيل لقواعد الترجيح بين أقوال المفسرين، وتطبيقها في تفسيره.

٣- كان الصواب حليف ابنَ جزي في أكثر ترجيحاته، وجانبه في بعضها، وقسم ثالث كان ترجيح ابن جزي صحيحاً لكن لا تقصر الآية عليه؛ بل تعمُّه مع غيره من الأقوال.

٤- غالب ترجيحات ابن جزي الكلبي رحمه الله موافقة لقول جمهور المفسرين.

والله ولي التوفيق.

Thesis Summery

Title of Dissertation: Preponderances of Ibn Juzai' Al-Kalbi from Surat Al-Imran to the end of Surat An-Nisa (Ph.D)

Prepared By
Abdulaziz Bin Ibrahim Bin Mohammad Alyahya
Under the supervision of
Sheik, Dr. Wasiullah Bin Mohammad Abbas

This study discussed preponderances of Ibn Juzai' Al-Kalbi in commentary on the light of his book titled (Al-Tasheel li'olom Al-Tanzeel) and compared them with a number of opinions of early and late commentators. The study tackled the evidences for views held by those commentators. After that, I elucidated the outweighing opinion on the generally accepted aspect and rules of preponderance

The topic begins with an a preamble and two chapters:

The preamble provides a brief translation for Ibn Juzayy al-Kalbi.

Chapter one: This chapter, which covers the method of Ibn Juzai' in preponderance, comprises two sections.

Section one: It is titled formulas and styles of preponderance as adopted by Ibn Juzai'.

Section two: It is named the aspects of preponderance as viewed by Ibn Juzai'.

Chapter two: This includes detailing as well as perusal of Ibn Juzai's preponderances in commentary, from Surat Al-Imran to the end of Surat An-Nisa

The research has come and ended with the important results and recommendations as follows :

1. The scientific value that distinguishes Ibn Juzayy al-Kalbi in interpretation
2. Ibn Juzai' did well in investigating the origin an source of outweighing the opinions of commentators and excelled in presenting its problems via his explanation .
3. Ibn Juzai' was always correct in most of his preponderance; and that he made only few mistakes.
4. The overwhelming researcher's preponderance agreed with the greater part of those of most of the commentators who came after hen.

المُقَدِّمَـة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ [النساء: ١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠ – ٧١] .

أما بعد:

فإن الاشتغال بكتاب الله قراءة وتدبّراً وتفسيراً واستنباطاً وعملاً خيرُ ما بُذلت له الأوقات، وأُفنيت فيه الأعمار، وتنافس فيه الموفَّقون الأخيار، فالقرآن الكريم هو الحبل المتين، والسراج المنير، لا تنقضي عجائبه، ولا تنضب فوائده، ولا يَخْلَق على كثرة الردّ ﴿ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ﴾ [فصلت: ٤٢] ولقد كان موضع العناية من هذه الأمة منذ نزوله على النبي الكريم صلوات ربي وسلامه عليه إلى يومنا هذا، فكتب العلماء في تفسيره، وأحكامه، وأسباب نزوله، وناسخه ومنسوخه، وغريبه، ومشكله، وسائر علومه مؤلفاتٍ كثيرة تجل عن الحصر.

ومن أولئكم العلماء: الإمام العلامة محمد بن جُزَيّ الغرناطي الكلبي (ت ٧٤١) الذي ألّف تفسيره النفيس "التسهيل لعلوم التنزيل" وجعل تحقيق أقوال المفسرين والتمييز بين صحيحها من سقيمها هدفاً له في التأليف فقال: "وصنفت هذا الكتاب في تفسير القرآن العظيم وسائر ما يتعلق به من العلوم، وسلكت مسلكاً نافعاً، إذ جعلته وجيزاً جامعاً، قصدت به أربع فوائد...الفائدة الرابعة: تحقيق أقـــوال المفسرين

السقيم منها والصحيح، وتمييز الراجح من المرجوح "[1]، فجاء كتابه محرَّراً عظيم الفائدة على صغر حجمه.

وقد رأيت – بعد الاستخارة والاستشارة – أن أكتب رسالة الدكتوراه حول تفسيره بعنوان: **"ترجيحات ابن جُزَيّ الكلبي في تفسيره، عرضاً ومناقشة، من أول سورة آل عمران إلى نهاية سورة المائدة".**

ودفعني لاختيار الموضوع أسباب أهمها:

١– مكانة ابن جُزَيّ وشهرته، وإتقانه لعلوم مختلفة، فهو إمام، مقرئ، حافظ للتفسير، فقيه، عالم بالأصول واللغة، وقد أثنى عليه غير واحد من العلماء في ذلك، وقد أفرد في القراءات والحديث والفقه والأصول عدداً من المؤلفات، أضف إلى ذلك تأخر زمن ابن جُزَيّ عن سابقيه من أئمة التفسير، الأمر الذي مكّنه من الاطلاع على كتبهم وسبر أقوالهم.

٢– عناية ابن جُزَيّ بتحقيق أقوال المفسرين والترجيح بينها، وقد عَدَّ هذا الأمر مقصداً من مقاصد تأليف كتابه.

٣– القيمة العلمية لكتاب التسهيل، ويظهر ذلك من خلال المقدمتين اللتين كتبهما ابن جُزَيّ في أول تفسيره، ومن خلال منهجه في تصنيف كتابه .

٤– الاشتغال بفهم كتاب الله وتدبّره، والعيش بين آياته ودرره.

٥– تنوّع العلوم التي يحصلها الباحث من خلال دراسة الترجيحات، والوقوف على مصادر ومراجع متعددة في فنون مختلفة كالتفسير والحديث والعقيدة والفقه واللغة والأصول.

٦– تنمية الملكة العلمية للباحث، حيث يقوم بمناقشة الأقوال والموازنة بينها والترجيح المبني على الدليل، وقد وجدت أثر ذلك جلياً خلال البحث، فقد كنت بعد قراءة المسألة في تفسير ابن جُزَيّ وقبل القراءة في كتب التفسير أتأمل آية المسألة وسياقها،

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ١/١٠.

وأتأمل الأقوال، وأقلِّب النظر باحثاً عن دليل أو تعليل يرجّح قولاً أو يُضعِّف آخر، وأُسجّل ما خطر لي، رغبة في تنمية ملكة الاستنباط والنقد والترجيح، ثم أنظر في كتب التفسير، فكثيراً ما كنت أجد في كتب التفسير ما يؤيد ما سجلّت بحمد الله وفضله، فأستبشر لذلك وأفرح به وأحمد الله على التوفيق، وأَنسِب الدليل أو المناقشة لمن وجدته لديه ولا أنسبها لنفسي احتراماً له ولسبقه، وحسبي موافقتُهم والسيرُ على طريقتهم والتمرّن على ذلك، وما لم أجده منها فإني أضيفه عند الترجيح. وقسم ثالث مما سجلته تبين لي بعد الاطلاع على كلام المفسرين ضعفه أو خطؤه، فتركته مستفيداً تقويم الطريقة وترشيد المسلك بعرضه على كلام الأئمة(١).

مجال الدراسة وحدودها:

أ- مجال الدراسة:

عرض ترجيحات ابن جُزَيّ في تفسيره، ودراستها ومقارنتها بأقوال جمع من المفسرين المتقدمين والمتأخرين، ثم الخلوص إلى القول الراجح في المسألة بحسب وجهة نظر الباحث.

ب- حدود الدراسة:

ترجيحات ابن جُزَيّ في التفسير الواردة في كتابه "التسهيل لعلوم التنزيل" من أول سورة آل عمران إلى نهاية سورة المائدة.

الدراسات السابقة:

بعد البحث والسؤال والرجوع إلى قواعد البيانات المختلفة، لم أجد أيّ دراسة عُنيت باستقصاء ترجيحات ابن جُزَيّ في التفسير ودراستها ومناقشتها.

---

(١) وقد كان العلامة ابن عثيمين / يوصي بهذه الطريقة ويؤكِّد عليها، ومما قاله في ذلك في إجابة على سؤال حول كتب التفسير التي ينصح بها: " أرى أن يفسر الآية هو بنفسه أولاً – أي يكرر في نفسه أن هذا هو معنى الآية – ثم بعد ذلك يراجع ما كتبه العلماء فيها؛ لأن هذا يفيده أن يكون قويّاً في التفسير غير عالة على غيره، وكلام الله عز وجل منذ بُعث الرسول > إلى اليوم بلسان عربي مبين. وإن كان يجب الرجوع إلى تفسير الصحابة؛ لأنهم أدرى الناس بمعانيه، ثم إلى كتب المفسرين التابعين، لكن مع ذلك لا أحد يستوعب كلام الله عز وجل. فالذي أرى أن الطريقة المثلى أن يكرر الإنسان تفسير الآية في نفسه، ثم بعد ذلك يراجع كلام المفسرين فإذا وجده مطابقاً فهذا مما يُمكِّنه من تفسير القرآن وييسره له، وإن وجده مخالفاً رجع إلى الصواب". كتاب العلم: ١٣٦.

وقد وقفت على رسالة جامعية بعنوان: " قواعد الترجيح عند ابن جُزَيّ في تفسيره"[1] تحدّث فيها الباحث مشكوراً عن منهج ابن جُزَيّ في الترجيح بين أقوال المفسرين والقواعد التي أعملها في ذلك، ولم يتعرض في رسالته لتتبع واستقصاء مسائل الترجيح ودراستها[2].

خطة البحث:

يتألف البحث من مقدمة، وتمهيد، وبابين، وخاتمة، وفهارس.

المقدمة: وبيّنت فيها أسباب اختيار الموضوع، ومجال الدراسة وحدودها، والدراسات السابقة، وخطة البحث، ومنهج الكتابة فيه.

التمهيد: في التعريف بابن جُزَيّ الكلبي وتفسيره بإيجاز:

وفيه ثمانية مباحث:

المبحث الأول : اسمه وكنيته.

المبحث الثاني : مولده وحياته العلمية وثناء العلماء عليه.

المبحث الثالث : شيوخه وتلاميذه.

المبحث الرابع : مصنفاته.

المبحث الخامس : مذهبه.

المبحث السادس: وفاته.

المبحث السابع : القيمة العلمية لتفسيره "التسهيل لعلوم التنزيل".

المبحث الثامن : منهج ابن جُزَيّ في تفسيره.

الباب الأول: منهج ابن جُزَيّ في الترجيح:

---

(١) للباحث: عبد الله بن حمد الجمعان، وهي عبارة عن بحث تكميلي مقدم استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التفسير والحديث، كلية التربية، جامعة الملك سعود، ١٤٢١.

(٢) وقد أفدت من هذه الرسالة كما أفدت من عدد من الدراسات التي عُقدت حول تفسير ابن جزي، وستأتي الإشارة إلى الدراسات حول التفسير في مبحث: " القيمة العلمية لتفسير ابن جزي".

وفيه فصلان:

الفصل الأول: صيغ الترجيح وأساليبه عند ابن جُزَيّ.

وفيه تمهيد وخمسة مباحث :

التمهيـــد : في معنى الترجيح وموضعه.

المبحث الأول : ترجيح القول بصيغة (أفعل) التفضيل.

المبحث الثاني : التنصيص على تصحيح القول أو تصويبه.

المبحث الثالث : تقديم القول الراجح على المرجوح في الذكر.

المبحث الرابع : التصريح باسم قائل القول إذا كان ممن يُقتدى به من الصحابة.

المبحث الخامس: التنصيص على خطأ القول أو ضعفه.

الفصل الثاني : وجوه الترجيح عند ابن جُزَيّ :

وفيه اثنا عشر مبحثاً :

المبحث الأول : الترجيح بالنظائر القرآنية.

المبحث الثاني : الترجيح بالسنة النبوية.

المبحث الثالث : الترجيح بقول جمهور المفسرين.

المبحث الرابع : الترجيح بأقوال الصحابة رضوان الله عليهم.

المبحث الخامس : الترجيح باللغة.

المبحث السادس : الترجيح بدلالة السياق.

المبحث السابع : الترجيح بدلالة الظاهر.

المبحث الثامن : الترجيح بتقديم الحقيقة على المجاز.

المبحث التاسع : الترجيح بتقديم العموم على الخصوص.

المبحث العاشر : الترجيح بتقديم الإطلاق على التقييد.

المبحث الحادي عشر : الترجيح بتقديم الاستقلال على الإضمار.

المبحث الثاني عشر : الترجيح بحمل الكلام على ترتيبه.

الباب الثاني: عرض ترجيحات ابن جُزَيّ في تفسيره ومناقشتها مرتبة حسب السور:

أولاً: ترجيحاته في سورة آل عمران.

ثانياً: ترجيحاته في سورة النساء.

ثالثاً: ترجيحاته في سورة المائدة.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج.

الفهارس العامة

١- فهرس الآيات القرآنية.

٢- فهرس الأحاديث النبوية.

٣- فهرس الآثار.

٤- فهرس الأعلام المترجم لهم.

٥- فهرس الكلمات والمصطلحات المشروحة.

٦- فهرس المصادر والمراجع.

٧- فهرس الموضوعات.

منهج البحث :

١- تتبعت مواضع الخلاف في التفسير التي رجّح فيها ابن جُزَيّ وفق الصيغ والأساليب التي نصَّ عليها في مقدمة كتابه.

٢- جعلت كلَّ موضعٍ مسألة، ورتّبتها حسب ترتيب ابن جُزَيّ لها، وهو على ترتيب المصحف.

٣- وضعت لكل مسألة عنواناً أُصدّر به الصفحة يُبين عن موضوعها ومضمونها.

٤- ذكرت آية المسألة برواية حفص عن عاصم، وقد أذكر معها آية أخرى إذا كان لها تعلّق بالمسألة، ملتزماً الرسم العثماني في كتابة الآيات، وإذا احتجت إلى إيراد بعض القراءات ضبطتها وفق تلك القراءة.

وإذا كان في الآية أكثر من مسألة فلا أكرر ذكر الآية؛ بل أُصدّر الصفحة بها، ثم

أقول: وفيها مسألتان أو ثلاث مسائل..

٥- عرضت ترجيح ابن جُزَيّ في المسألة بنصّه - غالباً – إبرازاً للصيغ والأساليب التي استعملها في الترجيح، وليطلع القارئ على نَصِّ كلامه.

٦- صوّبت الأخطاء التي وقفت عليها في المطبوع، من مخطوطتين لتفسيره، وجعلت ما صوّبته بين معقوفين [ ] مع الإشارة إليه في موضعه.

٧- ناقشت كل مسألة على حدة تحت عنوانَيّ: الدراسة، والترجيح، وفق ما يلي:

- بدأت بالقول الذي بدأ به ابن جُزَيّ - غالباً – بغية توافق الترتيب في عرض المسألة ليكون أسهل على القارئ في فهم الأقوال في المسألة، ولأن ابن جُزَيّ يبدأ غالباً بالقول الراجح لديه.
- نسبت القول إلى جملة ممن قال به من السلف محيلاً على كتب الرواية، وعددٍ ممن قال به من المفسرين المتقدمين والمتأخرين عن ابن جُزَيّ.
- ذكرت أدلة القول إن وجدت.
- أوردت بعد ذلك الأقوال الأخرى، وصنعت بها كالقول الأول.
- ذكرت ما نوقشت به الأقوال والأدلة، وما أُجيب به عنها.
- درست الأقوال والأدلة، وسعيت إلى الجمع بينها ما أمكن، وإلا عدلت إلى الترجيح مبيِّناً وجه رجحانه، مبتغياً إصابة الحق، مجتهداً - وسْعِي - في اتباع الأدلة.

٨- حرصت عند دراسة المسائل على أمور، من أهمها أمران:

أ – تأمل المسألة المراد بحثها واستنباط الأدلة قبل القراءة في كتب التفسير رغبة في إضافة جديد في أدلة القول الراجح من ناحية، وتنمية للملكة العلمية من ناحية أخرى كما سبق وصفه في أسباب اختيار الموضوع.

ب – حسن التعامل مع أقوال المفسرين بالتأني في فهمها والدقة في تصنيفِها وعزوِها، وتوجيه ما يحتاج منها إلى توجيه.

٩- التزمت الترتيب الزمني للوفيات عند ذكر العلماء أو مصنفاتهم في المتن أو

الحاشية، وقد أُخالف ذلك لعلة يقتضيها المقام لا تخفى على المتأمّل، كأن يكون النص المنقول لمتأخر ونحو ذلك.

١٠– عزوت الآيات القرآنية إلى سورها.

١١– عزوت القراءات القرآنية إلى من قرأ بها، ووثقتها من كتب القراءات المعتبرة.

١٢– خرّجت الأحاديث النبوية، فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت به، وإلا خرّجته من بقية كتب الحديث بحسب الطاقة، وأتبعه بذكر كلام الأئمة في الحكم على الحديث.

١٣– ترجمت للأعلام غير المشهورين، على أن الشهرة أمر نسبي، والعنايةُ بقراءة مثل هذا البحث – عادة – من المتخصصين، و لم ألتزم الترضيَ عن الأصحاب رضوان الله عليهم، والترحمَ على العلماء التابعين لهم بإحسان عند ذكرهم؛ لأن التزام ذلك يطول، وقد جرت عادة العلماء في مؤلفاتهم بعدم التزام ذلك، رحمهم الله جميعاً وجمعنا بهم في الفردوس الأعلى.

١٤– لم ألتزم عند ذكر التواريخ الإشارة إلى كونها بالهجري؛ لأن هذا هو الأصل في تأريخ المسلمين، وإذا أشرت للتاريخ الميلادي ميّزته.

١٥– وثّقت النصوص المنقولة من مصادرها الأصلية.

١٦– شرحت الغريب، وضبطت ما يُشكل، وعرّفت بالمصطلحات والفِرَق والبلدان غير المعروفة.

١٧– نسبت الأبيات الشعرية إلى قائليها، وعزوتها إلى مصادرها.

١٨– اعتنيت بعلامات الترقيم، والقواعد الإملائية والنحوية.

١٩– اختزلت أسماء المصادر والمراجع عند الإحالة إليها، معتمداً على طبعة واحدة لكل مصدر ومرجع، وإذا رجعت لغيرها نبّهت عليه في موضعه، والمعوّل عليه في معرفة المعلومات الكاملة للمصدر والمرجعِ الفهرسُ المختص بها.

٢٠– ما اشتبه من أسامي الكتب فإني أميّزه عند الإحالة إليه بما يُزيل الاشتباه بنسبته إلى مؤلفه، أو ذكره مع مؤلفات في الفن لا يقع فيها الاشتباه، ونحو ذلك، وحيث

أَحلت على البحر المحيط فهو لأبي حيّان، وإذا أحلت للبحر المحيط للزركشي نبّهت عليه.

وفي الختام أشكر الله الكريم تعالى وأثني عليه الخير كله أن هداني لدينه القويم، ووفقني لخدمة كتابه العظيم، وسلك بي سبيل العلم والتعليم، ويسر وأعان على إتمام هذا العمل.

ثم الشكر مقرون لمن قرن الله شكرهما بشكره ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾ [لقمان: ١٤] ربياني صغيراً، وعلماني وشجعاني كبيراً، فاللهم أحسن إليهما، وافسح في أجلهما، وبارك في عمرهما، واجزهما عني خيراً، ووفقني لبرّهما والقيام بحقهما.

وأشكر جامعة أم القرى ممثلة في كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة أن أتاحت لي فرصة مواصلة الدراسة، والنهل من معين أساتذتها الفضلاء في هذا القسم.

وأخصُّ بالشكر والتقدير شيخي الكريم فضيلة الأستاذ الدكتور وصي الله بن محمد عباس على تفضله بالإشراف على هذا البحث وتصويبه وتقويم خلله، وكريم خلقه، فلقد كان نعم المشرف علماً وفضلاً وخلقاً، فتح لي قلبه قبل بابه، وكان لرعايته الأبوية وعنايته العلمية وتوجيهاته القيّمة كبيرُ الأثر عليّ وعلى هذا البحث، فله مني وافر الشكر والدعاء بأن يرفع الله قدره، ويجزيه عني خيراً، ويبارك في علمه وعمره وذريته.

والشكر موصول للشيخين الفاضلين والأستاذين الكريمين: فضيلة شيخي الأستاذ الدكتور: أمين محمد عطية باشا الذي سعدت بالتتلمذ على يديه في السنة المنهجية وبالتواصل معه بعدها مسترشداً ومستنيراً فأفدت من علمه وفضله كثيراً، وفضيلة الأستاذ الدكتور: عادل بن علي الشدي ذي الجهود المشكورة في نصرة المصطفى ﷺ، أشكرهما على قبول مناقشة هذا البحث وتقويمه، وأسأل الله أن يسدِّدهما وينفعني بعلمهما، ويجعل ذلك في موازين حسناتهما.

واصلاً ثنائي وشكري لكل من أعان أو دعا، وأخصّ بالشكر الأخوة النبلاء: د. محمد الغامدي، و د. إبراهيم الغامدي، و د. عبد الحي المحمدي، وعبد الله الجمعان حيث أتحفوني بما احتجته من بحوثهم حول تفسير ابن جزي، والأساتذة الفضلاء: د. محمد المديفر، و د. مساعد الطيار، و د. محمد السيف فقد أفدت منهم في عدد من المواضع.

ومسك ختام الشكر لزوجتي العزيزة وأولادي الذين حملوا معي همّ البحث وشـــجعوا وأعانوا فجزاهم الله خيراً ووفقهم وأسعدهم في الدنيا والآخرة.

وبعد.. فإني قد اجتهدت وبذلت وسعي، ولا أدعي مقاربة الكمال فضلاً عن بلوغه، بل هو جهد مقل، قليل البضاعة، كليل الذهن، فما كان فيه من صواب فمن الله تعالى، فله الفضل والشكر وأسأله المزيد، وما كان فيه من خطأ فمن نفسي والشيطان، وأستغفر الله العظيم.

والمأمول ممن قرأه إن انتفع منه أن يذكرني بدعوة صالحة، وإن وجد عيباً وخلـــلاً – وهو لا محالة واجد – "فليوسع العذر إنَّ اللبيب من عذر، والمنصف من اغتفر قليل خطأ المرء في كثير صوابه"[1].

وإن تجد عيباً فسُدَّ الخللا فجلَّ من لا عيب فيه وعلا[2].

وإلى ربي الكريم أرغب – قبل ذلك وبعده – أن ينفعني بما كتبت، وينفع به، ويضع له القبول، ويجعله خالصاً لوجهه تعالى، ذخراً لي يوم ألقاه، وأسأله التوفيق في القـــول والعمل، والحمد لله رب العالمين.

كتبه

عبد العزيز بن إبراهيم بن محمد اليحيى

ربيع الأول ١٤٣١

للتواصل: **yasera33@hotmail.com**

جوال: ٠٥٠٤٨٩٤٩٧٠

(١) مقتبس من كلام ابن رجب في مقدمة القواعد: ٣.

(٢) البيت للقاسم الحريري في ملحة الإعراب: ٨٧.

التمهيد : التعريف بابن جُزَيّ وتفسيره بإيجاز:

وفيه ثمانية مباحث:

المبحث الأول : اسمه وكنيته.

المبحث الثاني : مولده وحياته العلمية وثناء العلماء عليه.

المبحث الثالث : شيوخه وتلاميذه .

المبحث الرابع : مصنفاته.

المبحث الخامس : مذهبه.

المبحث السادس : وفاته.

المبحث السابع : القيمة العلمية لتفسيره " التسهيل لعلوم التنزيل".

المبحث الثامن : منهج ابن جزي في تفسيره.

المبحث الأول :
اسمه وكنيته

محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمن بن يوسف بن جُزَيّ الكلبي[1].

وجُزَيّ: بالتصغير بضم الجيم وفتح الزاي وتشديد الياء بلا همز[2].

ويُكنى بأبي القاسم.

وقد ورد النهي عن التكني بهذه الكنية كما في المتفق عليه من حديث أبي هُرَيْرَةَ أن النبي ﷺ قال: "تَسَمَّوْا بِاسْمِي ولا تَكْتَنُوا بِكُنْيَتِي"[3]، وأجاب ابن جُزَيّ في كتابه القوانين الفقهية بأن النهي عن هذه الكنية إنما هو في حياة النبي > خاصة، فقال: "ورد النهي عن بعض الأسماء ، فمنها التكنية بأبي القاسم، وإنما مُنع ذلك في حياة رسول الله > خاصة؛

---

(١) ينظر ترجمته في: الإحاطة في أخبار غرناطة: ١٠/٣، أوصاف الناس في التواريخ والصلات: ٢٧، الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة: ٤٦، ثلاثتها لتلميذ ابن جُزَيّ لسان الدين ابن الخطيب، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب لابن فرحون: ٢٩٦، غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري: ٨٣/٢، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر: ٨٨/٥، طبقات المفسرين للداوودي: ٣٥٧، درَّة الحجال في غُرّة أسماء الرجال لابن القاضي المكناسي: ١٩٤، نيل الابتهاج بتطريز الديباج لأحمد التنبكتي: ٥٠/٢، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب للمقري: ٥١٦/٥، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية لمحمد بن مخلوف: ٣٠٦/١، الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي لمحمد ابن الحسن الفاسي: ٢٨٢/٢، فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات للكتاني: ٣٠٦/١، الأعلام للزركلي: ٣٢٥/٥، معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة: ١٠٣/٣، الفتح المبين في طبقات الأصوليين لعبد الله المراغي: ١٥٤/٢، ابن جُزَيّ ومنهجه في التفسير لعلي الزبيري: ١٣٩/١، ترجيحات ابن جُزَيّ الكلبي في التفسير (من أول الفاتحة إلى نهاية سورة البقرة) لمحمد الغامدي: ٢٠/١، وأوسع تراجمه عند لسان الدين ابن الخطيب من المتقدمين، وعلي الزبيري من المعاصرين .

(٢) ينظر: الأعلام: ٣٢٥/٥، ابن جُزَيّ ومنهجه في التفسير: ١٤٢/١.

(٣) أخرجه البخاري: ٥٢/١ (رقم ١١٠) ومسلم: ١٦٨٤/٣ (رقم ٢١٣٤).

لأن أبا بكر الصديق وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما قد كنّى كل واحد منهما ولده أبا القاسم بعد ذلك"[1].

وفي سنن أبي داود والترمذي وغيرهما عن علي بن أبي طالب ط قال: قلت يا رسول الله إن وُلِد لي من بعدك ولد أُسَمّيه باسمك وأُكنيه بكنيتك؟ قال: "نعم"[2].

(١) القوانين الفقهية: ٤٤٦.

(٢) أخرجه أبو داود واللفظ له: ٢٩٢/٤ (رقم ٤٩٦٧) والترمذي: ١٣٧/٥ (رقم ٢٨٤٣) وأحمد: ٩٥/١، والبيهقي في سننه: ٣٠٩/٩، قال الترمذي: حَدِيث صحيح.
وقد اختلف العلماء في التكنّي بأبي القاسم على أقوال أشهرها ثلاثة:
الأول: المنع مطلقاً سواء كان اسمه محمداً أم لا .
الثاني: الجواز مطلقاً ويختص النهي بحياته ﷺ .
الثالث: لا يجوز لمن اسمه محمد، ويجوز لغيره. ينظر: فتح الباري: ٥٧٢/١٠.

المبحث الثاني:
مولده وحياته العلمية وثناء العلماء عليه

ولد ابن جُزَيّ يوم الخميس تاسع ربيع الثاني عام ثلاثة وتسعين وستمائة (٦٩٣) بمدينة غرناطة في الأندلس[١] .

ونشأ وتربى في بيت عريق في النبل والفضل والعلم، قال ابن الخطيب: " قريع أصالة قديمة، وبارق ديمة "[٢] .

ويقول المقري في نفح الطيب: " وبيت بني جُزَيّ بيت كبير مشهور بالمغرب والأندلس"[٣].

وكان جدّه يحيى بن عبد الرحمن قاضياً وله رياسة وانفراد في التدبير في ناحيته[٤] .

وكان والده أحمد بن محمد من أهل الفضل وله طلب وسماع، قال عنه ابن حجر في الدرر الكامنة: " كان من أهل الأصالة والذكاء، وإليه النظر في أمر الغنائم ببلده، وكان محموداً، وله طلب وسماع"[٥] .

وكانت الأندلس زاخرة بالعلماء، فنشأ ابن جُزَيّ في هذه البيئة العلمية، وحُبِّب إليه العلم من صغره فجدَّ واجتهد، فأخذ العربية والفقه والحديث والقرآن عن الحافظ العلامة المفسِّر المؤرِّخ النحوي أبي جعفر بن الزبير الغرناطي، وتلقى القراءات عن إمام القراءات المحدث الفقيه أبي عبد الله بن الكماد، ولازم المحدث المتبحر في علوم الرواية والإسناد أبا عبد الله بن رشيد وغيرهم من العلماء، وكان همّه الشاغل الطلب والترقي في علوم الشريعة كما يحكي عن نفسه في أبيات يقول فيها:

---

(١) ينظر: نفح الطيب: ٥١٦/٥، معجم المؤلفين: ١٠٣/٣، ابن جُزَيّ ومنهجه في التفسير: ١٦٩/١.

(٢) الكتيبة الكامنة: ٤٦.

(٣) ٢٨٢/٧.

(٤) أشار لذلك ابن جُزَيّ في القوانين الفقهية: ٤٣٤، وابن الخطيب في الإحاطة: ١٠/٣.

(٥) ٣٢٦/١.

لكل بني الدنيا مـــراد ومقصـــــد وإن مـــــرادي صـــــحة وفـــــراغ
لأبلغ في علم الشـــريعة مبلغـــــاً يكـــون بـــه لي للجنـــان بـــلاغ
وفي مثل هذا فلينافس أولو النـــهى وحسبي من الدنيا الغـــرور بـــلاغ
فما الفوز إلا في نعيـــم مؤبّـــــد به العيش رغد والشراب يســـاغ[1]

فعكف على العلم وتفرّغ له حتى حصّل علماً كثيراً، وبرز وهو صغير، قال ابن الخطيب: " تقدم خطيباً بالمسجد الأعظم من بلده على حداثة سنّه ، فاتُّفِق على فضله"[2].

وقال المراغي عن خطابته: ملك الأفئدة بحسن أسلوبه وبراعة منطقه، فقد كان مفوهاً ممتع المحاضرة، يصل وعظه إلى القلوب[3] .

ظلَّ ابن جُزَيّ ملازماً للعلم والتعليم طيلة حياته، فرّغ لهما نفسه وبذل لهما نفيس وقته، يقول ابن جُزَيّ في مقدمة تفسيره: "وأن الله أنعم عليّ بأن شغلني بخدمة القرآن وتعلّمه وتعليمه، وشغفني بتفهم معانيه وتحصيل علومه"[4]، وساعده على ذلك أن يسّر له ضياعاً تُدِرّ عليه، قال ابن الخطيب: "وفرغ للعلم من جميع أعماله، وتفيأ رياض دواوينه عن يمينه وشماله، واقتصر على طلب كماله، مع وفور ضياعه ونمو ماله، فدوّن الكثير وصنَّف، وقرّط المسامع وشنَّف" [5].

وقد أَتْبَع ابنُ جُزَيّ رحمه الله العلمَ بالعمل فهو ثمرته، فكان عالماً عاملاً معروفاً بذلك، قال تلميذه الحضرمي: "وشهرته ديناً وعلماً أغنت عن التعريف به"[6]، أشغل نفسه بالأعمال الصالحة من تدريس ودعوة وخطابة وإفتاء وتأليف وجهاد في سبيل الله.

---

(١) ينظر: الإحاطة: ١٠/٣، الديباج المذهب: ٢٩٦/١.
(٢) الإحاطة: ١٠/٣، وينظر: أوصاف الناس في التواريخ والصلات: ٢٧.
(٣) الفتح المبين:١٥٤/٢ بتصرف يسير.
(٤) التسهيل لعلوم التنزيل: ١٠/١.
(٥) أوصاف الناس في التواريخ والصلات: ٢٧.
(٦) نيل الابتهاج: ٥٠/٢.

ومن شعره في العمل بالعلم والتجافي عن الملذات المحرمة:

وقائلـــة لم هجـــرت التصـــابي ... وســـنّك في عنفـــوان الشـــباب
يمـــر زمـــان الصـــبا ضـــائعاً ... ولم تلْـــه فيـــه ببـــيض الكعـــاب
ولم تـــدر لـــذة طيـــب الهـــوى ... ولم ترو من سلسبيل الرُّضـــاب[1]
فقلـــت أبى العلـــم إلا التقـــى ... وهجر المعاصي ووصـــل المتـــاب
ومن لم يفـــده طـــلاب العلـــوم ... رجاء الثواب وخـــوف العقـــاب
فخـــير لـــه الجهـــل مـــن علمـــه ... وأنجى له مـــن ألـــيم العـــذاب[2]

وقال:

وكم من صفحة كالشمس تبـــدو ... فيُسلي حســـنُها قلـــبَ الحـــزين
غضضت الطرف عن نظري إليهـــا ... محافظة علـــى عرضـــي وديـــني[3]

ولهذا وذلك فقد بلغ ابن جُزَيّ مكانة رفيعة في العلم، يُبين عنها ثناء العلماء عليه:

قال تلميذه ابن الخطيب: " كان رحمه الله على طريقة مثلى من العكوف على العلم، والاقتصاد على الاقتيات من حرّ النَشَب[4]، والاشتغال بالنظر والتقييد والتدوين، فقيهاً حافظاً، قائماً على التدريس، مشاركاً في فنون من العربية والفقه والأصول والقراءات والحديث والأدب، حُفَظَة للتفسير، مستوعباً للأقوال، جمّاعة للكتب، ملوكي الخزانة، حسن المجلس، ممتع المحاضرة، قريب الغور، صحيح الباطن"[5] .

وقال تلميذه الحضرمي في فهرسته: " شيخنا الفقيه الجليل الأستاذ المقرئ الخطيب العالم المتفنن المصنِّف الحسيب الماجد المثيل الصدر المعظم الفاضل الشهيد" وقال: " كان

(١) الرُّضاب بالضم: الريق. ينظر: مختار الصحاح: (رضب).
(٢) الكتيبة الكامنة: ٤٦.
(٣) الإحاطة: ١٢/٣، نفح الطيب: ٥١٦/٥.
(٤) النَشَب بفتحتين المال والعقار. ينظر: مختار الصحاح: (نشب).
(٥) الإحاطة: ١٠/٣.

رجلاً ذا مروءة كاملة، حافظاً متفنناً، ذا أخلاق فاضلة وديانة وعفة وطهارة"[١].

وقال ابن الجزري: " إمام مقرئ عارف"[٢] .

وقال ابن مخلوف: " الإمام الحافظ العمدة المتفنن"[٣] .

وقال الكتاني: " الإمام العالم الحافظ المدرس الشهير"[٤] .

وقال المراغي: " نبغ في علوم شتى فكان فقيهاً مالكياً محدّثاً أصولياً مقرئاً متكلماً أديباً نحوياً لغوياً"[٥] .

وقال الزركلي: " فقيه، من العلماء بالأصول واللغة"[٦] .

(١) نيل الابتهاج: ٢/٥٠.

(٢) غاية النهاية في طبقات القراء: ٢/٨٣.

(٣) شجرة النور الزكية: ١/٣٠٦.

(٤) فهرس الفهارس والأثبات: ١/١٠٦.

(٥) الفتح المبين: ٢/١٥٤.

(٦) الأعلام: ٥/٣٢٥.

المبحث الثالث: شيوخه وتلاميذه

شيوخه:

تلقى ابن جُزَيّ العلم عن عدد من العلماء، من أبرزهم:

١- أبو جعفر بن الزبير الغرناطي:

أحمد بن إبراهيم بن الزبير بن محمد الثقفي الغرناطي، الإمام الحافظ العلامة المفسِّر المؤرِّخ النحوي شيخ القراء والمحدثين بالأندلس، وبه تخرّج العلامة أبو حيان الأندلسي، كان قائماً بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قامعاً لأهل البدع، معظَّماً عند الخاصة والعامة، امتدحه ابن جُزَيّ في أول تفسيره فقال: "ثم خُتِم علم القرآن بالأندلس وسائر المغرب بشيخنا الأستاذ أبو جعفر بن الزبير، فلقد قطع عمره في خدمة القرآن، وآتاه الله بسطة في علمه وقوة في فهمه، وله فيه تحقيق ونظر دقيق"[(١)] وقال عنه أبو حيان: "كان محرَّر اللغة، وكان أفصح عالم رأيته".

من مصنفاته: " ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنْزيل" و "البرهان في تناسب سور القرآن" و " الإعلام فيمن ختم به القطر الأندلسى من الأعلام" توفي سنة ٧٠٨ رحمه الله، أخذ عنه ابن جُزَيّ العربية والفقه والحديث والقرآن[(٢)].

وقد صرّح ابن جُزَيّ بذكر اسمه في مواضع من تفسيره مستفيداً منه ناقلاً رأيه[(٣)].

٢- أبو عبد الله بن رشيد:

محمد بن عمر بن محمد بن رشيد الفهري، الخطيب المحدث المتبحر في علوم الرواية والإسناد، فريد عصره جلالة وعدالة وحفظاً وأدباً وسمتاً وهدياً، واسع السماع، عالي

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ١/٢٠.

(٢) ينظر: تذكرة الحفاظ: ١٤٨٤/٤، الإحاطة: ١١/٣، البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة: ٥١، الدرر الكامنة: ٩٦/١، طبقات المفسرين للداوودي: ٢٥، البدر الطالع: ٣٣/١.

(٣) ينظر مثلاً: التسهيل لعلوم التنزيل: ٥٤/١، ٦٠، ١٩٥، ١٩/٢، ٥٢، ١٧٤ (ط دار الكتاب العربي).

الإسناد، متضلّع من العربية واللغات والعروض، فقيه أصيل النظر، ذاكر للتفسير، ريّان من الأدب، حافظ للأخبار والتواريخ، عارف بالقراءات، حسن الخلق، كثير التواضع.

من مصنفاته: "تلخيص القوانين" في النحو، و "السنن الأبين، والمورد الأمعن في المحاكمة بين الإمامين – البخاري ومسلم – في السند المعنعن" و " ترجمان التراجم على أبواب البخاري" ولم يكمله، و "إيضاح المذاهب فيمن يطلق عليه اسم الصاحب"، قال ابن حجر: "وصنف الرحلة المشرقية في ست مجلدات، وفيه من الفوائد شيء كثير، وقفت عليه وانتخبت منه". توفي سنة ٧٢١[١] .

ذكر ابن الخطيب أن ابن جُزَيّ لازمه في الطلب[٢].

وقد أفاد منه ابن جُزَيّ في تفسيره[٣].

٣- ابن الكماد:

محمد بن أحمد بن داود بن موسى اللخمي أبو عبد الله ، إمام في القراءات يُرحل إليه، محدث، فقيه، قديم السماع والرحلة، وله باع في العربية واللغة والأدب، كان من جلة الفضلاء زهدا وقناعة، مع دماثة خلق ولين جانب، تصدَّر للإقراء بغرناطة وغيرها، وتخرَّج على يديه عدد من العلماء.

من مصنفاته: " الممتع في تهذيب المقنع" في القراءات، توفي سنة ٧١٢، أخذ عنه ابن جُزَيّ القراءات [٤].

وقد أفاد منه ابن جُزَيّ في تفسيره، ووصفه بالأستاذ الصالح[٥].

---

(١) ينظر: الإحاطة: ١٠٢/٣، الديباج المذهب: ٣١٠، الدرر الكامنة: ٣٦٩/٥، طبقات المفسرين للداوودي: ٤٤٦، الأعلام: ٣١٤/٦.

(٢) ينظر: الإحاطة: ١١/٣.

(٣) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: ٢٥٢/١.

(٤) ينظر: الإحاطة: ٤٣/٣، الديباج المذهب: ٢٩٨، غاية النهاية: ٨٣/٢، الدرر الكامنة: ٤٤/٥.

(٥) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: ٣٦٣/٢.

ومن شيوخ ابن جُزَيّ كذلك: الشيخ الوزير أبو محمد عبد الله بن أحمد بن المؤذن ، والراوية المسن أبو الوليد الحضرمي، والشيخ الراوية أبو زكريا البرشاني، والراوية الخطيب أبو عبد الله محمد بن محمد ابن =

تلاميذه[1]:

لما كان ابن جُزَيّ بهذه المكانة العلمية التي سبقت الإشارة إليها في ثناء العلماء عليه، وكان متفرّغاً للعلم والتعليم، ممتع المحاضرة بارع المنطق، مع حسن خلق ورفق في التعامل توافد عليه الطلاب للتلقي عنه والتتلمذ على يديه، وكان من أشهرهم:

١- لسان الدين ابن الخطيب:

محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني الغرناطي، أبو عبد الله، وزير مؤرِّخ أديب شاعر كاتب، كان يُلقّب بذي الوزارتين: القلم والسيف، ويُلقّب بذي العُمْرين؛ لاشتغاله بالتصنيف في الليل وبتدبير المملكة في النهار، له نحو ستين مصنفا، منها: " الإحاطة في أخبار غرناطة" و"الكتيبة الكامنة في شعراء المائة الثامنة" و" طرفة العصر في دولة بنى نصر" و"إعلام الأعلام فيمن بويع من ملوك الإسلام قبل الاحتلام" وديوان شعر في مجلدين، توفي سنة ٧٧٦[2].

٢- ابن الخشاب:

محمد بن محمد بن يوسف الأنصاري الغرناطي، شيخ غرناطة والمصدّر بجامعها، مقرئ كاتب، ولي قضاء بعض المواضع، توفي سنة ٧٧٤[3].

٣- أبو عبد الله الشديِّد:

محمد بن قاسم بن أحمد بن إبراهيم الجياني الأنصاري، من أهل الطلب والذكاء

= علي الأنصاري ، والقاضي أبو المجد بن أبى على بن أبى الأحوص ، والقاضي أبو عبد الله بن برطال ، والشيخ الوزير ابن أبى عامر بن ربيع ، والخطيب أبو عبد الله الطنجالي ، والأستاذ النظار المتفنن أبو القاسم بن عبد الله بن الشاط. ينظر: الإحاطة: ١١/٣، نفح الطيب: ٥١٦/٥، الديباج المذهب: ٢٩٥.

(١) ينظر: الإحاطة: ١٠/٣، ١٥٠، غاية النهاية: ٨٣/٢، شجرة النور الزكية: ٣٠٦/١، فهرس الفهارس والأثبات: ٣٠٦/١.

(٢) ينظر: نفح الطيب للمقري: ٧/٥، الدرر الكامنة: ٢١٣/٥، هدية العارفين: ١٦٧/٦، الأعلام: ٢٣٥/٦، وعلى اسمه صنّف المقري كتابه: "نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذِكْر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب".

(٣) ينظر: غاية النهاية: ٢٥٧/٢، الأعلام: ٤٠/٧.

والوعظ والظرف، اضطلع بحمل كتاب الله وعُني بالقراءات وكان طيب النغمة حسن الصوت فاشتهر بذلك حتى سمّاه ابن الخطيب "بلبل دوح السبع المثاني" توفي بعد ٧٧٥[١].

كما تلقى عن ابن جُزَيّ أبناءه الثلاثة وهم:

٤- محمد: أبو عبد الله، الكاتب الشاعر ذو الرأي السديد، أعجوبة في النثر والنظم على حداثة سنه، فقيه، بصير بالحديث والأصول، قال عنه ابن الخطيب: "شمس في سماء البلاغة بازغة، وحجة على بقاء هذه الفطرة العربية بالمغربية بالغة، ونعمة على هذه الطريقة سابغة، ونادرة فيها ونابغة" له كتاب: "تاريخ غرناطة" وهو الذي أملى عليه ابن بطوطة رحلته فكتبها، توفي سنة ٧٥٧ وعمره ٣٦ سنة[٢] .

٥- أحمد: أبو بكر القاضي، من أهل الفضل والتراهة، له مشاركة حسنة في فنون من فقه وعربية وأدب ورواية وحفظ، ولي قضاء غرناطة وغيرها، وله تقييد في الفقه على كتاب والده "القوانين الفقهية" ورجز في الفرائض[٣].

٦- عبد الله: أبو محمد، إمام علامة فقيه أديب حافظ ، قائم على فن العربية ، جيد النظم، مطواع القريحة، نبيل الباطن، قعد للإقراء ببلده غرناطة معيداً ومستقلاً، ثم تقدم للقضاء، قال عنه ابن الخطيب: "خزانة تنفق الأدب إذا كسد، وتصلح من أدواته ما فسد.. وشعره وان شغلته عنه شواغل الفنون، مظنة اللؤلؤ المكنون"[٤].

---

(١) ينظر: الإحاطة: ١٤٨/٣، ٣٦٧/٢، الدرر الكامنة: ٤٠١/٥.

(٢) ينظر: الكتيبة الكامنة: ٢٢٣، شجرة النور الزكية: ٣٠٦/١، الأعلام: ٣٧/٧.

(٣) ينظر: الإحاطة: ٥٢/١، الديباج المذهب: ٤١، نفح الطيب: ٥١٧/٥، كان حيّاً وقت ترجمة ابن الخطيب له، و لم يذكر المقري سنة وفاته.

(٤) ينظر: الإحاطة: ٢٩٨/٣، الكتيبة الكامنة: ٩٦، نفح الطيب: ٥٣٩/٥، كان حيّاً وقت ترجمة ابن الخطيب له، و لم يذكر المقري سنة وفاته.

المبحث الرابع: مصنفاته

ورّث ابن جُزَيّ علماً يُنتفع به من خلال تدريسه وتصنيفه، فقد كان عاكفاً على العلم مفرّغاً نفسه له، فصنّف في فنون مختلفة كالتفسير والقراءات والحديث والفقه والأصول وغيرها، على الرغم من قصر عمره رحمه الله.

ومصنفاته التي ذكرتها كتب التراجم هي:

١- التسهيل لعلوم التنزيل:

وهو كتاب التفسير الذي يقوم هذا البحث على دراسة قسم من ترجيحاته[١].

وسيأتي مزيد تعريف به في المبحث السابع والثامن.

٢- المختصر البارع في قراءة نافع[٢].

٣- أصول القراء الستة غير نافع[٣] .

---

(١) ذكر تفسيرَ ابنِ جُزَيّ "التسهيل" محمدُ بن محمد بن علي المجاري في برنامجه (ص ٨٥) عند حديثه عن شيخه عبد الله بن الإمام أبي القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن جُزَيّ الكلبي قال: " وشرعت عليه في قراءة التفسير المسمى بكتاب التسهيل لعلوم التنزيل من تأليف السيد والده المذكور".
وذكر كذلك " التسهيلَ" ضمن مؤلفات ابن جزي: إسماعيل باشا في إيضاح المكنون: ٢٨٨/٣، والكتانيُ في فهرس الفهارس والأثبات: ٣٠٦/١، والزركليُ في الأعلام: ٣٢٥/٥، وأشار ابن الخطيب في الإحاطة: ١١/٣ إلى أن له مؤلفاً في التفسير .
وقد طبع الكتاب طبعات متعددة – أشرت إلى بعضها في فهرس المصادر – تكثر فيها الأخطاء الطباعية، ويعمل حالياً الأخ الدكتور سامي الجهني سلمه الله – الذي كتب رسالته الماجستير في تخريج الأحاديث والآثار في تفسير ابن جُزَيّ من أوله إلى نهاية سورة النور - على تحقيقه وطباعته طبعة سليمة النص مخرّجة الأحاديث، أسأل الله أن يوفقه ويكلل جهوده بالنجاح والقبول.

(٢) ذكره ابن الخطيب في الإحاطة: ١١/٣، وابن حجر في الدرر: ٨٩/٥، وعمر رضا كحالة في معجم المؤلفين: ١٠٣/٣ وغيرهم، وقد ظل الكتاب مخطوطاً إلى وقت قريب حتى طبع مؤخراً بتحقيق: محمد الطبراني، ومراجعة: د. توفيق العبقري، نشر مكتبة أولاد الشيخ بمصر.

(٣) ذكره ابن الخطيب في الإحاطة: ١١/٣، وابن فرحون في الديباج المذهب: ٢٩٦، وابن مخلوف في شجرة النور الزكية: ٣٠٦/١ وغيرهم.

٤- الأنوار السَّنيَّة في الألفاظ السُّنية:

وهو كتاب مختصر في الأحاديث النبوية في العقيدة والأحكام والآداب والرقائق، ألّفه لابنه أحمد ليحفظه، وقد التزم فيه ابن جُزَيّ الاقتصار على الصحيح من الأحاديث[١].

٥- الدعوات والأذكار المخرَّجة من صحيح الأخبار:

وقد أشار إليه ابن جُزَيّ في آخر كتابه القوانين الفقهية فقال: " أفضل الدعاء ما ورد في القرآن والحديث، وقد استوفينا في كتاب (الدعوات والأذكار) ما ورد عن رسول الله < في الكتب الخمسة من الذكر والدعاء وما يتعلق بهما، ونذكر هنا طرفا من ذلك.."[٢].

٦- وسيلة المسلم في تهذيب صحيح مسلم[٣].

٧- القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية والتنبيه على مذهب الشافعية والحنفية والحنبلية:

هكذا وردت تسميته في كتب التراجم[٤]، وربما سُمّي بـ (قوانين الأحكام الشرعية ومسائل الفروع الفقهية) لقول ابن جُزَيّ في مقدمته: " أما بعد: فهذا كتاب في قوانين

---

(١) والكتاب مطبوع، وقد شرحه الحافظ أبو عبد الله محمد بن عبد الملك القيسي (ت ٨٣٤) بشرح سماه: "مناهج الأخبار في تفسير أحاديث كتاب الأنوار" وشرحه الإمام علي القلصادي الغرناطي (ت ٨٩١) بشرح سماه: "لب الأزهار شرح أحاديث الأنوار" قال الكتاني: والثاني عندي.
ينظر: الإحاطة: ١١/٣، فهرس الفهارس والأثبات: ٣٠٦/١، الأعلام: ٣٢٥/٥، ابن جُزَيّ ومنهجه في التفسير: ٢٢٧/١.

(٢) القوانين الفقهية: ٤٤٠. كما ذكر الكتاب كثير ممن ترجم له كابن الخطيب في الإحاطة: ١١/٣، وابن فرحون في الديباج: ٢٩٥ وغيرهما.

(٣) ذكره ابن الخطيب في الإحاطة: ١١/٣، وابن حجر في الدرر: ٨٩/٥، وابن مخلوف في شجرة النور الزكية: ٣٠٦/١ ، والكتاني في فهرس الفهارس والأثبات: ٣٠٦/١ وغيرهم.

(٤) ينظر مثلاً: الإحاطة: ١١/٣، الديباج المذهب: ٢٩٥، ، الأعلام: ٣٢٥/٥.

الأحكام الشرعية ومسائل الفروع الفقهية.."[1] .

وهو كتاب في الفقه المقارن من غير ذكر الأدلة غالباً مع التركيز على المذهب المالكي، وختمه بكتاب جامع موجز في السيرة والتاريخ والآداب والرقائق.

وقد ذكر ابن جُزَيّ أن كتابه يمتاز بثلاث مميزات:

الأولى: أنه جمع بين تمهيد المذهب وذكر الخلاف العالي، بخلاف غيره من الكتب؛ فإنها في المذهب خاصة أو في الخلاف العالي خاصة .

الثانية: حسن التقسيم والترتيب، والتهذيب والتقريب. قال: "فكم فيه من تقسيم قسيم وتفصيل أصيل يقرب البعيد ويليّن الشريد".

الثالثة: الجمع بين الإيجاز والبيان على أنهما قلما يجتمعان، قال: "فجاء بعون الله سهل العبارة، لطيف الإشارة، تام المعاني، مختصر الألفاظ، حقيقاً بأن يلهج به الحفاظ"[2].

٨- تقريب الوصول إلى علم الأصول:

ألّفه لابنه محمد لينشط لدرسه وفهمه ويضرب بهذا العلم بسهم.

وهو كتاب مختصر في أصول الفقه، يمتاز – كما يقول محققه – بحسن التقسيم والتبويب، ودقة الترتيب والتهذيب، ولطافة التنقيح والتقريب، وعمق الغوص ورقيّ الأسلوب، وظهور توجيهاته وقوة تعريفاته وإصابة ترجيحاته[3] .

٩- النور المبين في قواعد عقائد الدين:

وقد أشار إليه ابن جُزَيّ في آخر كتابه القوانين الفقهية فقال عن البراهين الدالة على التوحيد: " وقد تضمّنها القرآن المبين، وبسطناها في كتاب (النور المبين)"[4] .

---

(١) القوانين الفقهية: ٢٠.

(٢) القوانين الفقهية: ٢١. والكتاب مطبوع متداول.

(٣) ينظر: مقدمة تحقيق تقريب الوصول إلى علم الوصول للدكتور محمد المختار بن العلامة المفسّر محمد الأمين الشنقيطي: ٦.
وينظر: الإحاطة: ١١/٣، نفح الطيب: ٥١٦/٥، ابن جُزَيّ ومنهجه في التفسير: ٢٣٠/١.

(٤) القوانين الفقهية: ٤٤٩. وذكر الكتاب كذلك ابن الخطيب في الإحاطة: ١١/٣، وابن فرحون في الديباج: ٢٩٥ وغيرهما.

١٠- الفوائد العامة في لحن العامة[١].

١١- فهرسة ابن جُزَيّ:

ذكر ابن الخطيب بأنها كبيرة، واشتملت على جملة من أهل المشرق والمغرب[٢].

(١) ذكره ابن الخطيب في الإحاطة: ١١/٣، وابن حجر في الدرر: ٨٩/٥، والمقري في نفح الطيب: ٥١٦/٥ وغيرهم.

(٢) ينظر: الإحاطة: ١١/٣.

المبحث الخامس: مذهبه

أولاً: مذهبه العقدي(١):

وافق ابن جُزَيّ مذهب السلف في مسائل كثيرة منها:

١- مسألة مآل عصاة المؤمنين يوم القيامة:

فقد قرر بأنهم تحت مشيئة الله، إن شاء عذبهم، وإن شاء غفر لهم، وردّ على الفرق المخالفة من الخوارج والمعتزلة والمرجئة، فقال عند قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾ [النساء]: " هذه الآية هي الحاكمة في مسألة الوعيد، وهي المبيِّنة لما تعارض فيها من الآيات وهي الحجة لأهل السنة، والقاطعة بالخوارج والمعتزلة والمرجئة، وذلك أن مذهب أهل السنة أن العصاة من المؤمنين في مشيئة الله إن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم، وحجتهم هذه الآية فإنها نص في هذا المعنى.

ومذهب الخوارج أن العصاة يعذبون ولا بد سواء كانت ذنوبهم صغائر أو كبائر، ومذهب المعتزلة أنهم يعذبون على الكبائر ولا بد، ويردّ على الطائفتين قوله ﴿ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ ﴾ .

ومذهب المرجئة أن العصاة كلهم يغفر لهم ولا بد، وأنه لا يضر ذنب مع الإيمان، ويردّ عليهم قوله ﴿لِمَن يَشَآءُ ﴾ فإنه تخصيص لبعض العصاة"(٢) .

٢- وفي مسألة الرؤية:

أثبت رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة، فقال عند قوله تعالى: ﴿ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ

---

(١) ينظر: ابن جُزَيّ ومنهجه: ٥٧٨/١، المفسرون بين التأويل والإثبات: ٩٠٠/٢، ترجيحات ابن جُزَيّ الكلبي في التفسير لمحمد الغامدي: ٢٠/١، ترجيحات ابن جُزَيّ الكلبي في التفسير لإبراهيم الغامدي: ٢٩/١.

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل: ١٩٥/١.

رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [القيامة] : " هذا من النظر بالعين، وهو نص في نظر المؤمنين إلى الله تعالى في الآخرة، وهو مذهب أهل السنة، وأنكره المعتزلة وتأولوا ناظرة بأن معناها منتظرة، وهذا باطل؛ لأن نظر بمعنى انتظر يتعدى بغير حرف جر، تقول: نظرتك، أي انتظرتك، وأما المتعدي بـــ إلى فهو من نظر العين.."[1] .

٣- وفي باب الشفاعة:

أثبت الشفاعة بشروطها، وجمع بين الآيات المثبتة لها، والآيات النافية لها وفق مذهب أهل السنة والجماعة، وردّ على المعتزلة[2] .

٤- وفي مسألة زيادة الإيمان ونقصانه:

أثبت أن الإيمان يزيد وينقص[3].

٥- في باب صفات الله تعالى:

أثبت استواء الله على عرشه استواء يليق بجلاله من غير تكييف، فقال عند قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ [الأعراف: ٥٤] " والقول الحق الإيمان به من غير تكييف؛ فإن السلامة في التسليم، ولله در مالك بن أنس في قوله للذي سأله عن ذلك: الاستواء معلوم، والكيفية مجهولة، والسؤال عن هذا بدعة"[4] .

وأثبت صفة الحياء لله تعالى، فقال عند قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾ [البقرة: ٢٦] : " ﴿ لَا يَسْتَحْيِۦٓ ﴾ تأول قوم أن معناه: لا يترك؛ لأنهم زعموا أن الحياء مستحيل على الله؛ لأنه عندهم انكسار يمنع من الوقوع في أمر،

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ٤٣٥/٢، وينظر: القوانين الفقهية: ٣٧، فقد قرر فيه ذلك أيضاً.

(٢) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: ٨٣/١، ١٣١، القوانين الفقهية: ٣٦.

(٣) لكن خالف مذهب السلف من وجه آخر سيأتي ذكره.

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل: ٢٩٠/١.

وقول مالك أخرجه البيهقي في الاعتقاد: ١١٦، وصحح الذهبي إسناده في العلو للعلي الغفار: ١٣٨.

وليس كذلك؛ وإنما هو كرم وفضيلة تمنع من الوقوع فيما يعاب.."[1] .

وأثبت صفة العجب لله تعالى، وردّ على من قال بأن العجب مستحيل على الله تعالى، وذلك عند قوله تعالى: ﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴾ [الصافات: ١٢] على قراءة الضم (عجبتُ)[2]:

قال ابن جُزَيّ: "وأشكل ذلك على من يقول إن التعجب مستحيل على الله، فتأولوه بمعنى أنه جعله على حال يتعجب منها الناس، وقيل تقديره: قل يا محمد عجبتُ... وإنما جعلوه مستحيلاً على الله لأنهم قالوا إن التعجب استعظام خفي سببه، والصواب أنه لا يلزم أن يكون خفي السبب؛ بل هو لمجرد الاستعظام، فعلى هذا لا يستحيل على الله"[3] .

كما أثبت لله تعالى الحياة، والقدرة، والإرادة، والعلم، والسمع، والبصر، والكلام[4].

وقد خالف ابن جُزَيّ غفر الله له مذهب السلف في مسائل، وتردد في أخرى، فمن ذلك:

١– في باب الإيمان:

عرّف الإيمان بأنه التصديق، فقال: " أما الإيمان فمعناه في اللغة: التصديق مطلقاً، ومعناه في الشريعة: التصديق بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر"[5].

وقال عند قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ [البقرة: ٢٥] :

" دليل على أن الإيمان خلاف العمل؛ لعطفه عليه، خلافاً لمن قال: الإيمان اعتقاد وقول وعمل"[6] .

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ١/٧٧.

(٢) وهي قراءة الكسائي وحمزة وخلف.

ينظر: البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة: ٢/٢٣٣.

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل: ٢/١٨٩.

(٤) ينظر: القوانين الفقهية: ٢٧– ٢٩ إلا أنه قال في صفة الكلام بأن الله تعال يتكلم بلا حرف ولا صوت.

(٥) القوانين الفقهية: ٣٨.

(٦) التسهيل لعلوم التنزيل: ١/٧٧.

أما مسألة زيادة الإيمان ونقصانه فقد وافق ابن جُزَيّ مذهب السلف في إثبات أن الإيمان يزيد وينقص؛ لكن خالفهم من وجه آخر، حيث قرّر أن معنى ذلك قوة اليقين والتصديق، وأنه لا يزيد بالعمل، وهو مبني على رأيه في عدم دخول الأعمال في مسمى الإيمان .

قال عند قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا ﴾ [الأنفال: ٢] :

" ﴿ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا ﴾ أي قوي تصديقهم ويقينهم، خلافاً لمن قال: إن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، وإن زيادته إنما هي بالعمل"(١) .

ومذهب السلف أن الإيمان قول وعمل واعتقاد، وأنه يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وقوة اليقين والتصديق مما تشملها زيادة الإيمان، ولا تُقصر عليها(٢).

٢- صفة الوجه:

تردد بين كونها من المتشابه الذي يجب التسليم له من غير تكييف، وبين وتأويلها، فقال مرة: " وأما قوله ﴿ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾ [القصص: ٨٨] ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ﴾ [الرحمن: ٢٧] فهو من المتشابه الذي يجب التسليم له من غير تكييف، ويردّ علمه إلى الله"(٣) .

وفي موضع آخر ذهب إلى التأويل فقال: " ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الرحمن] الوجه هنا: عبارة عن الذات"(٤).

٣- صفة اليد:

عند قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ﴾ [ص: ٧٥] قال: "الضمير

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ١/٣٢٠.

(٢) ينظر: الإيمان للعدني: ٩٤، السنة لابن أبي عاصم: ٢/٦٤٥، السنة لعبد الله بن الإمام أحمد: ١/٣٠٧، الشريعة للآجري: ٢/٥٨٤، زيادة الإيمان ونقصانه لعبد الرزاق البدر: ٣٧، ٤٩، ١٢٣، ١٥١.

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل: ١/٩٥.

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل: ٢/٣٢٩.

في ﴿ قَالَ ﴾ لله عز وجل، ﴿بِيَدَيَّ﴾ من المتشابه الذي ينبغي الإيمان به وتسليم علم حقيقته إلى الله، وقال المتأولون هو عبارة عن القدرة"[1] .

وعند قوله تعالى﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ [المائدة: ٦٤] أوّل صفة اليدين فقال: "عبارة عن إنعامه وجوده"[2] .

وأختم الحديث عن معتقده بذكر كلامه في القوانين الفقهية، قال ابن جُزَيّ:

"تنبيه: ورد في القرآن والحديث ألفاظ يوهم ظاهرها التشبيه كقوله تعالى ﴿ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥ ﴾ [طه] و﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ [المائدة: ٦٤] وكحديث نزول الله كل ليلة إلى سماء الدنيا[3] وغير ذلك، وهي كثيرة تفرق الناس فيها ثلاث فرق:

الفرقة الأولى: السلف الصالح من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين، آمنوا بها، ولم يبحثوا عن معانيها، ولا تأوّلوها؛ بل أنكروا على من تكلم فيها ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾ [آل عمران: ٧] وهذه طريقة التسليم التي تعود إلى السلامة، وبها أخذ مالك والشافعي وأكثر المحدثين.

الفرقة الثانية: قوم حملوها على ظاهرها، فلزمهم التجسيم، ويُعزى ذلك إلى الحنبلية وبعض المحدثين.

الفرقة الثالثة: قوم تأوّلوها وأخرجوها عن ظاهرها إلى ما تقتضيه أدلة العقول، وهم

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ٢/٢١٣.

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل: ١/٢٣٨.

واعتبار آيات الصفات من المتشابه إن أُريد به تشابه الحقيقة والكيفية فهو صحيح، فلا يعلم كنه صفاته وكيفيتها إلا الله تعالى. وهو ظاهر عبارة ابن جُزَيّ في النصين الأولين في صفتي الوجه واليد.

وإن أُريد به تشابه المعنى فغير صحيح؛ لأن الله خاطبنا بما نعلم معناه. ينظر: تفسير سورة آل عمران لابن عثيمين: ١/٣٦.

(٣) متفق عليه من حديث أبي هريرة: البخاري: ١/٣٨٤ (رقم ١٠٩٤) ومسلم: ١/٥٢١ (رقم ٧٥٨).

أكثر المتكلمين، والله أعلم"[1] .

ثانياً: مذهبه الفقهي:

ابن جُزَيّ من فقهاء المذهب المالكي وأعيانهم، ترجمت له كتب طبقات المالكية، فترجم له ابن فرحون في كتابه: "الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب" وابن مخلوف في "شجرة النور الزكية في طبقات المالكية"[2].

وقد ألّف ابن جُزَيّ في بيان مذهب المالكية كتابه " القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية والتنبيه على مذهب الشافعية والحنفية والحنبلية" قال في مقدمته: " أما بعد فهذا كتاب قوانين الأحكام الشرعية ومسائل الفروع الفقهية، على مذهب إمام المدينة أبي عبد الله مالك بن أنس الأصبحي رضي الله عنه؛ إذ هو الذي اختاره أهل بلادنا بالأندلس وسائر المغرب... ثم زدنا إلى ذلك التنبيه على كثير من الاتفاق والاختلاف الذي بين الإمام المسمّى وبين الإمام أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، والإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت، والإمام أبي عبد الله بن حنبل، لتكمل بذلك الفائدة ويعظم الانتفاع؛ فإن هؤلاء الأربعة هم قدوة المسلمين في أقطار الأرض وأولو الأتباع والأشياع، وربما نبّهت على مذهب غيرهم من أئمة المسلمين "[3] .

وقال: "واعلم أن هذا الكتاب ينيف على سائر الكتب بثلاث فوائد:

الفائدة الأولى: أنه جمع بين تمهيد المذهب وذكر الخلاف العالي، بخلاف غيره من الكتب فإنها في المذهب خاصة، أو في الخلاف العالي خاصة"[4].

---

(١) القوانين الفقهية: ٣٢. والسلف آمنوا بصفات الله وعرفوا معانيها، ولم يبحثوا عن كيفيتها وحقيقتها، فحملوا النصوص على ظاهرها من غير تأويل ولا تمثيل ولا تكييف كما قال تعالى﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١] فسلّموا للنصوص مع علمهم بمعانيها، قال الإمام مالك: "الاستواء معلوم، والكيف مجهول" ولا يلزم من الإثبات التمثيل والتجسيم، والله أعلم.

(٢) ينظر: الديباج المذهب: ٢٩٦، شجرة النور الزكية: ٣٠٦/١.

(٣) القوانين الفقهية: ٢٠.

(٤) المرجع السابق: ٢١.

فقصد من تأليفه تقرير المذهب المالكي أولاً، والتنبيه على الخلاف الفقهي ثانياً.

ولم يكن رحمه الله متعصباً للمذهب المالكي، فتراه مهذّب العبارة متخلقاً بأخلاق العلماء عند إيراد الخلاف، قال في مقدمة كتابه الآنف بعد أن بيّن أنه يورد أقوال الأئمة المجتهدين: "رضي الله عنهم أجمعين فإن كل واحد منهم مجتهد في دين الله، ومذاهبهم طرق موصلة إلى الله"[1]، وتراه يصرّح بتخطئة المذهب إذا خالف الدليل[2] .

(١) المرجع السابق: ٢٠.

(٢) ينظر مثلاً: التسهيل لعلوم التنزيل: ١/ ٨٧، ٢٤١، ٢/٤٧، ٥٠١، وينظر: ابن جُزَيّ ومنهجه: ٢/٧١٩.

المبحث السادس: وفاته

بعد حياة حافلة بالعلم والتعليم والدعوة والخطابة والإفتاء والتأليف والجهاد، لقي ابن جُزَيّ ربه مجاهداً في سبيله تعالى في معركة طريف التي وقعت بين المسلمين والنصارى في الأندلس[1]، ضحى يوم الاثنين السابع من جمادى الأولى عام واحد وأربعين وسبعمائة (٧٤١) وقد كان يحرّض المؤمنين في هذا اليوم على القتال ويشحذ الهمم ويُثبّت الأفئدة.

وكان مما أنشده في ذلك اليوم متمنياً الشهادة في سبيل الله:

قصدي المؤمَّلُ في جهري وإسراري ومطلبي من إلهي الواحد الباري
شهادةٌ في سبيل الله خالصة تمحو ذنوبي وتنجيني من النار
إن المعاصي رجس لا يُطهّرها إلا الصوارمُ في أيمان كفار

ثم قال : " أرجو أن يعطيني الله ما سألته في هذه الأبيات "[2].

وقد بارك الله في حياته فمات وعمره ٤٨ سنة فحسب، وبلغ مكانة عالية في العلم وانتفع الناس بمؤلفاته وجعل الله له ذكراً حسناً، رحمه الله وتقبّله شهيداً، وأسكنه بحبوحة الجنان، ونسأل الله أن يبارك في أعمالنا وأعمارنا.

---

(١) وانتهت المعركة بهزيمة المسلمين – والله المستعان – عن طريق مكيدة دبّرها الأعداء، حيث تمكن قسم من جيش النصارى من دخول بلدة طريف ليلاً وكمنوا بها، ولما التقى الجمعان في الصباح برز الجيش الكامن إلى معسكر السلطان وحريمه فقتلوا وأسروا، واختل جيش المسلمين وهُزموا، قال المقري: "وبالجملة فهذه الواقعة من الدواهي المعضلة الداء والأرزاء التي تضعضع لها ركن الدين بالمغرب وقرّت بذلك عيون الأعداء" .

ينظر: تاريخ ابن خلدون: ٣٤٦/٧، نفح الطيب: ١٥/٥.

(٢) ينظر: الكتيبة الكامنة: ٤٦، درة الحجال: ١٩٤، نيل الابتهاج: ٥٠/٢.

المبحث السابع:
القيمة العلمية لتفسيره "التسهيل لعلوم التنزيل"

يمكن تلمس القيمة العلمية لهذا التفسير من خلال النقاط الآتية:

١ – الأهداف التي رسمها ابن جُزَيّ لنفسه في تفسيره، وعلى رأسها تلخيص التفسير وتمحيصه وتحقيق الأقوال فيه وبيان الراجح من المرجوح، قال أبو القاسم بن جُزَيّ في مقدمة كتابه: "وصنفت هذا الكتاب في تفسير القرآن العظيم وسائر ما يتعلق به من العلوم، وسلكت مسلكاً نافعاً؛ إذ جعلته وجيزاً جامعاً، قصدت به أربع مقاصد تتضمن أربع فوائد:

الفائدة الأولى: جمع كثير من العلم في كتاب صغير الحجم، تسهيلاً على الطالبين وتقريباً على الراغبين، فلقد احتوى هذا الكتاب على ما تضمنته الدواوين الطويلة من العلم، ولكن بعد تلخيصها، وتمحيصها، وتنقيح فصولها، وحذف حشوها وفضولها، ولقد أودعته من كل فن من فنون علم القرآن اللباب المرغوب فيه دون القشر المرغوب عنه، من غير إفراط ولا تفريط، ثم إني عزمت على إيجاز العبارة وإفراط الاختصار وترك التطويل والتكرار.

الفائدة الثانية: ذكر نكت عجيبة وفوائد غريبة قلّما توجد في كتاب؛ لأنها من نبات صدري وينابيع ذكري، ومما أخذته عن شيوخي رضي الله عنهم، أو مما التقطته من مستظرفات النوادر الواقعة في غرائب الدفاتر.

الفائدة الثالثة: إيضاح المشكلات؛ إما بحل العقد المقفلات، وإما بحسن العبارة، ورفع الاحتمالات، وبيان المجملات.

الفائدة الرابعة: تحقيق أقوال المفسرين السقيم منها والصحيح، وتمييز الراجح من المرجوح"[(١)] .

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ١/١٠.

٢- اشتمل تفسيره على مقدمتين علميتين نافعتين:

الأولى: في علوم القرآن وأصول التفسير وقواعده.

وقسّمها على اثني عشر باباً، تحدّث فيها عن نزول القرآن، والمكي والمدني، والناسخ والمنسوخ، والمعاني والعلوم التي تضمنها القرآن، والعلوم المتعلّقة بالقرآن، وأسباب الخلاف بين المفسرين، ووجوه الترجيح بين الأقوال، وطبقات المفسرين، والقراءات، والوقف والابتداء، والبلاغة وأدوات البيان، وإعجاز القرآن، وفضله[١].

الثانية: في تفسير الألفاظ التي يكثر دَوْرها في القرآن أو تقع في موضعين فأكثر، من الأسماء والأفعال والحروف.

وهي بمنزلة معجم موجز لألفاظ القرآن يقع في تسع عشرة صفحة، مرتبة على حروف المعجم.

وإنما جمعها في أول تفسيره في موضع واحد لثلاث فوائد:

أ- تسهيلاً لحفظها.

ب- ليكون هذا الباب كالأصول الجامعة لمعاني التفسير.

ج- الاختصار، فيستغني بذكرها في هذا الموضع عن التكرار؛ إلا لحاجة[٢].

٣- مؤلفه إمام حافظ للتفسير مطّلع على الأقوال، وصفه ابن الخطيب وابن فرحون بأنه "حُفَظَة للتفسير مستوعباً للأقوال"[٣] ، وقال ابن الخطيب: " رحل في علم التفسير إلى كل طيّة، وركض في أغراضه كل مطيّة"[٤].

فقد بذل وقته لتعلم القرآن وتعليمه، وخالطت محبة تحصيل علومه شغاف قلبه، يقول ابن جُزَيّ عن نفسه في مقدمة تفسيره: "وأن الله أنعم عليّ بأن شغلني بخدمة القرآن

---

(١) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: ١/١٢- ٢٧.

(٢) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: ١/٢٨- ٤٦.

(٣) الإحاطة: ٣/١٠، الديباج المذهب: ٢٩٥.

(٤) أوصاف الناس: ٢٧.

والطيَّة: الناحية. ومضى لطيته: أي لوجهه الذي يريده ولنيته التي انتواها. ينظر: لسان العرب: (طوي).

وتعلّمه وتعليمه، وشغفني بتفهّم معانيه وتحصيل علومه، فاطّلعت على ما صنف العلماء رضي الله عنهم في تفسير القرآن من التصانيف المختلفة الأوصاف المتباينة الأصناف.."[1].

كما أنه إمام في القراءات، فقيه، حافظ للسنة، عالم بالأصول واللغة – كما سبق في ثناء العلماء عليه – وقد أفرد في القراءات والحديث والفقه والأصول عدداً من المؤلفات.

وهذا الثراء المعرفي جعل بعض من ترجم له يصفه بأنه عالم متفنن[2]، ولا بد أن ينعكس أثر ذلك كله على تفسيره.

٤- ظهور شخصيته وكثرة ترجيحاته، وعنايته الجيدة بالتفسير بالمأثور واللغة كما تدلّ على ذلك الدراسات العلمية التي عُقدت حول تفسيره في الفقرة التالية.

٥- ومما يشير إلى أهمية "التسهيل لعلوم التنزيل" عناية الأقسام العلمية في الجامعات بهذا التفسير، فقد خصّصت عدداً من رسائل الدكتوراه والماجستير لدراسته، ومنها:

١- مشروع دراسة ترجيحات ابن جُزَيّ في تفسيره، بجامعة أم القرى، ويضم خمس رسائل دكتوراه، وعدداً من رسائل الماجستير.

٢- تخريج الأحاديث والآثار في كتاب التسهيل لعلوم التنزيل، لسامي بن مساعد الجهني، رسالة ماجستير بجامعة أم القرى.

٣- قواعد الترجيح عند ابن جُزَيّ في تفسيره دراسة تطبيقية، لعبد الله بن حمد الجمعان، بحث تكميلي للحصول على الماجستير بجامعة الملك سعود.

٤- ابن جُزَيّ ومنهجه في التفسير، لعلي بن محمد الزبيري، رسالة ماجستير بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية.

٥- الإمام ابن جُزَيّ الكلبي وجهوده في التفسير من خلال "التسهيل لعلوم التنزيل" لعبد الحميد محمد ندا، رسالة ماجستير في جامعة الأزهر.

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ١/١٠.

(٢) وصفه بذلك تلميذه الحضرمي، وابن مخلوف. ينظر: نيل الابتهاج: ٢/٥٠، شجرة النور الزكية: ١/٣٠٦.

٦- التسهيل لعلوم التنزيل لابن جُزَيّ الكلبي، دراسة نحوية، لطاهر عبد الحي محمد شبانة، رسالة دكتوراه في جامعة القاهرة.

وهذه الدراسات المتنوعة من جامعات متعدّدةٍ عريقةٍ في العلم والمعرفة تعطي دلالة واضحة على أهمية هذا التفسير.

المبحث الثامن:
منهج ابن جزي في تفسيره

يمكن إجمال معالم منهجه في النقاط التالية:

١- جعل ابن جزي الاختصار هدفاً له في تفسيره، فأراد أن يكون كتابه صغير الحجم عظيم النفع، يلخّص الأقوال، وينقّح الفصول[١]، لذا لم يُفسر ابن جزي كل كلمات الآية؛ بل يكتفي بما يرى أنه بحاجة للتوضيح والبيان.

٢- جمع ابن جزي بين التفسير بالمأثور والرأي، ففسر القرآن بالقرآن والسنة وأسباب النزول وأقوال الصحابة والتابعين ولغة العرب.

٣- له عناية جيدة بالقراءات، فهو إمام في ذلك، وله فيها كتابان هما: " أصول القراء الستة غير نافع" و "المختصر البارع في قراءة نافع" ولا يذكر منها إلا ما كان لذكره فائدة في المعنى أو الإعراب أو غيره كما نصّ عليه، وقد بنى تفسيره على قراءة نافع فيجدر تنبّه قارئ تفسيره لذلك[٢]، أما القراءات الشاذة فقلّ أن يوردها.

٤- يورد كثيراً من الأحاديث وأسباب النزول بالمعنى من غير التزام بألفاظها، وقلّ أن يحكم عليها أو يُبيِّن مَن أخرجها ، وتصديره للحديث بصيغة التمريض "روي" لا يعني تضعيفه له، فكثيراً ما يُصدّر بها الأحاديث الصحاح مما في الصحيحين وغيرها[٣].

٥- له عناية جيدة باللغة والإعراب، وقد تحدّث في أول كتابه في المقدمة الثانية عن تفسير الألفاظ التي يكثر دَوْرها في القرآن أو تقع في موضعين فأكثر، من الأسماء والأفعال والحروف، وهي بمنزلة معجم موجز لألفاظ القرآن يقع في تسع عشرة

---

(١) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: ١/١٠.

(٢) ينظر: السابق: ١/١٦.

(٣) ينظر: تخريج الأحاديث والآثار في كتاب التسهيل لعلوم التنزيل: ١/٢٧، وما بعدها.

صفحة، مرتبة على حروف المعجم، واستغنى بذكرها في هذا الموضع عن تكرار تفسيرها عند وورودها في الآيات المفسرة، طلباً للاختصار، كما كان استشهاده على اللغة بالشعر قليلاً جداً للسبب ذاته.

٦- لا يَذكر ابنُ جزي عند ترجيحه أدلة على القول الراجح غالباً، وإن فعل فإنه لا يستوعب غالباً، لكنه - وإن لم يذكر الأدلة - يسير وفق القواعد المعتبرة في الترجيح بين الأقوال، وإنما يُغْفِل ذكرها اختصاراً تبعاً للمنهج الذي اختطّه لنفسه في تأليف كتابه.

٧- وتحسن الإشارة إلى أن تفسيريّ ابن عطية والزمخشري من أهم مصادر ابن جزي في تفسيره، وقد أفاد منهما كثيراً في كتابه، وإفادته من الأول أكثر من الثاني، وقد أثنى في أول كتابه على تفسير ابن عطية فقال: " وأما ابن عطية فكتابه في التفسير أحسن التآليف وأعدلها؛ فإنه اطّلع على تآليف من كان قبله فهذّبها ولخّصها، وهو مع ذلك حسن العبارة، مسدّد النظر، محافظ على السنة"[(١)]. كما أثنى على تفسير الزمخشري وحذّر من اعتزالياته فقال: "الزمخشري مسدد النظر، بارع في الإعراب، متقن في علم البيان، إلا أنه ملأ كتابه من مذهب المعتزلة وشرهم، وحمل آيات القرآن على طريقتهم، فتكدر صفوه، وتمرّر حلوه، فخذ منه ما صفا ودع ما كدر"[(٢)]. ومع هذا فقد كان لابن جزي شخصيته المستقلة فإنه له ترجيحاً واضحاً في كثير من المسائل التي يذكر ابن عطية أو الزمخشري الخلاف فيها من غير ترجيح.

ولعل فيما سيأتي من الأمثلة في ثنايا البحث ما يغني عن التمثيل لهذه النقاط في هذا الموضع[(٣)].

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ١/٢٠.

(٢) المرجع السابق: ١/٢١.

(٣) للاستزادة في منهج ابن جزي في تفسيره ينظر: ابن جُزَيّ ومنهجه: ١/٣٦١ وما بعدها، قواعد الترجيح عند ابن جزي في تفسيره: ٥٦، ترجيحات ابن جُزَيّ الكلبي في التفسير لمحمد الغامدي: ١/٤١.

الباب الأول:

منهج ابن جُزَيّ في الترجيح في التفسير

وفيه فصلان:

الفصل الأول : صيغ الترجيح وأساليبه عند ابن جُزَيّ.

الفصل الثاني: وجوه الترجيح عند ابن جُزَيّ.

الفصل الأول : صيغ الترجيح وأساليبه عند ابن جُزَيّ :

وفيه تمهيد وخمسة مباحث :

التمهيد : في معنى الترجيح وموضعه.

المبحث الأول : ترجيح القول بصيغة (أفعل) التفضيل.

المبحث الثاني : التنصيص على تصحيح القول أو تصويبه.

المبحث الثالث : تقديم القول الراجح على المرجوح في الذِّكر.

المبحث الرابع : التصريح باسم قائل القول إذا كان ممن يقتدى به من الصحابة.

المبحث الخامس : التنصيص على خطأ القول أو ضعفه.

تمهيد: في معنى الترجيح وموضعه

الترجيح في اللغة:

قال ابن فارس: "الراء والجيم والحاء: أصل واحد يدل على رزانة وزيادة، يقال رجح الشيء وهو راجح: إذا رَزَن"(١) .

ويقال رجح الميزان، أي: مال، وأرجحه: أثقله حتى مال، وراجَحْتُه فرجحته: كنت أوزَن منه، و رَجَح في مجلسه: ثَقُل فلم يَخِفّ(٢).

ورجَّحه، أي: أرجَحَه وفضَّله وقوَّاه(٣) .

فمادة رجح تدور على الزيادة والفضل والثقل والرزانة.

الترجيح في الاصطلاح:

عُرِّف الترجيح في كتب أصول الفقه بأنه: تقوية إحدى الأمارتين على الأخرى ليُعمل بها(٤) .

وقيل: هو وفاءُ أحد الظَّنَّين على الآخر(٥)، وقيل غير ذلك(٦) .

ويمكن تعريف الترجيح في التفسير بأنه: تقديم أحد الأقوال في معنى الآية لمزية معتبرة فيه تجعله أولى من غيره، وفق صيغ وأساليب معتمدة(٧) .

---

(١) معجم مقاييس اللغة: (مادة: رجح).

(٢) ينظر: العين، الصحاح، لسان العرب، القاموس المحيط: (مادة: رجح).

(٣) المعجم الوسيط: (مادة: رجح).

(٤) الإبهاج في شرح المنهاج: ٢٠٨/٣.

(٥) المحصول لابن العربي: ١٤٩.

(٦) ينظر: المحصول للرازي: ٥٢٩/٥، التحبير شرح التحرير: ٤١٤١/٨.

(٧) ينظر: ترجيحات ابن جُزَيّ الكلبي في التفسير (من أول الفاتحة إلى نهاية سورة البقرة): ٥٠/١.

موضع الترجيح:

بيّن ابن جُزَيّ / أن اختلاف الأقوال في التفسير على أنواعٍ ثلاثة، وأن محل الترجيح هو في النوع الثالث منها، فقال:

" اعلم أن التفسير منه متفق عليه، ومختلف فيه.

ثم إن المختلف فيه على ثلاثة أنواع:

الأول: اختلاف في العبارة مع اتفاق في المعنى، فهذا عدَّه كثير من المؤلفين خلافاً، وليس في الحقيقة بخلافٍ لاتفاق معناه، وجعلناه نحن قولاً واحداً، وعبَّرنا عنه بأحد عبارات المتقدمين، أو بما يقرب منها، أو بما يجمع معانيها .

الثاني: اختلاف في التمثيل لكثرة الأمثلة الداخلة تحت معنى واحد، وليس مثال منها على خصوصه هو المراد، وإنما المراد المعنى العام التي تندرج تلك الأمثلة تحت عمومه، فهذا عدَّه أيضاً كثير من المؤلفين خلافاً، وليس في الحقيقة بخلاف؛ لأن كل قول منها مثال وليس بكل المراد، ولم نُعدّه نحن خلافاً، بل عبّرنا عنه بعبارة عامة تدخل تلك تحتها، وربما ذكرنا بعض تلك الأقوال على وجه التمثيل مع التنبيه على العموم المقصود.

الثالث: اختلاف المعنى، فهذا هو الذي عددناه خلافاً ورجّحنا فيه بين أقوال الناس حسبما ذكرناه في خطبة الكتاب"[1] .

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ١٦/١.

وقسّم شيخ الإسلام ابن تيمية الاختلاف في التفسير بين السلف إلى قسمين:

الأول: اختلاف تضاد، وهو أن تكون الأقوال متنافية، وهو قليل.

الثاني: اختلاف تنوع،وهو أكثر الخلاف في التفسير، وذكر له أقساماً منها ما ذكر ابن جُزَيّ في النوعين الأولين، ومنها النوع الثاني الآتي في تقسيم ابن عثيمين. ينظر: مقدمة في أصول التفسير: ١٧، وينظر: اقتضاء الصراط المستقيم: ٣٨.

وقسّم ابن عثيمين الاختلاف الوارد في التفسير المأثور على ثلاثة أقسام :

الأول : اختلاف في اللفظ دون المعنى.

الثاني : اختلاف في اللفظ والمعنى، والآية تحتمل المعنيين لعدم التضاد بينهما، فتحمل الآية عليهما، وتُفسر بهما.

الثالث : اختلاف اللفظ والمعنى، والآية لا تحتمل المعنيين معاً للتضاد بينهما، فتحمل الآية على الأرجح منهما بدلالة السياق أو غيره . ينظر: شرح أصول في التفسير لابن عثيمين: ١٠٣.

فبيّن ابن جُزَيّ أن محل الترجيح هو في الأقوال المختلفة في المعنى.

واختلاف المعنى أنواع:

منه: أن تكون الأقوال متنافية، بحيث إذا قيل بأحدها انتقض الآخر، فهذا يدخله الترجيح، وهو اختلاف التضاد.

ومنه: أن تكون الأقوال صحيحة لا تعارض بينها والآية تحتملها، فتحمل الآية عليها جميعاً[1] .

ومنه: أن تكون الأقوال – كالسابق – صحيحة لا تعارض بينها والآية تحتملها، غير أن بعضها أولى من بعض، لكون القرآن أو السنة تشهد له، أو اللغة، أو قرائن في السياق أو غيرها من دلائل الترجيح، فيُرجَّح هذا القول، ولا يلزم من ترجيحه اطّراح ما سواه؛ بل هو من باب تقديم الأولى، فكل الأقوال لها وجه في الآية، وعمل المفسرين شاهد على الترجيح في هذا النوع.

ومنه: أن تكون الأقوال لا تعارض بينها، لكن بعضها مُعارِض لدلالات القرآن أو السنة أو الإجماع، فهذا يُجب ردّه[2] .

ومنه: أن تكون بعض الأقوال صحيحة بذاتها، لكن الآية لا تحتملها، ككثير من الأقوال في التفسير الإشاري، فهذه تُردّ تفسيراً للآية، وإن كان معناها صحيحاً بذاته.

---

(١) وقد أشار لهذين النوعين ابن تيمية وابن عثيمين، كما في الحاشية السابقة. وينظر: فصول في أصول التفسير: ٥٧.

(٢) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: ٤٢/١ وما بعدها. وينظر: المبحث الخامس من هذا الفصل.

المبحث الأول :
ترجيح القول بصيغة (أفعل) التفضيل

وهي من أصرح صيغ الترجيح وأكثرها استعمالاً عند العلماء، وقد نصَّ ابن جُزَيّ في مقدمة كتابه على استعمال هذه الصيغة فقال: " ثم ما أقول إن غيره أرجح، أو أقوى، أو أظهر، أو أشهر"(١) .

ومن الأمثلة على ذلك في تفسيره:

١ – في قول الله تعالى: ﴿ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ﴾ [النساء: ١٠٢] .

ذكر الخلاف في الطائفة المأمورة بأخذ الأسلحة في قوله ﴿ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ ﴾ فقال: "اختلفوا في المأمور بأخذ الأسلحة، فقيل: الطائفة المصلية .

وقيل: الحارسة، والأول أرجح؛ لأنه قد قال بعد ذلك في الطائفة الأخرى ﴿وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ﴾ "(٢) .

٢ – عند قول الله تعالى: ﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴾ [النساء: ٨٥].

قال ابن جُزَيّ عن المراد بالشفاعة: " هي الشفاعة في مسلم لتفرج عنه كربة، أو تدفع مظلمة، أو يجلب إليه خيراً، والشفاعة السيئة بخلاف ذلك.

وقيل: الشفاعة الحسنة هي الطاعة، والشفاعة السيئة هي المعصية. والأول أظهر"(٣).

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ١/١٠.

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل: ١/٢٠٧.

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل: ١/٢٠٢.

٣- وعند بيان مرجع اسم الإشارة ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ في قول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ هَدۡيَۢا بَٰلِغَ ٱلۡكَعۡبَةِ أَوۡ كَفَّٰرَةٞ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوۡ عَدۡلُ ذَٰلِكَ صِيَامٗا ﴾ [المائدة: ٩٥].

قال : " تحتمل الإشارة بـــ ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ أن تكون إلى الطعام، وهو أحسن لأنه أقرب، أو إلى الصيد"[١] .

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ١/٢٤٥.

المبحث الثاني
التنصيص على تصحيح القول أو تصويبه

الترجيح بهذه الطريقة من أشهر طرق الترجيح عند العلماء، وقد سلكها ابن جُزَيّ في الترجيح بين الأقوال في تفسيره وإن لم ينصَّ عليها في المقدمة.

ومن الأمثلة على ذلك:

١- عند قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٨﴾ ﴾.

قال ابن جُزَيّ: " الآية خطاب للوارثين أُمروا أن يتصدقوا من الميراث على قرابتهم وعلى اليتامى وعلى المساكين، فقيل: إن ذلك على الوجوب .

وقيل: على الندب وهو الصحيح"[(١)] .

٢- وفي قول الله تعالى: ﴿ وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْـًٔا أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾ ﴾[النساء] .

ذكر ابن جُزَيّ ثلاثة أقوال في المسألة، ورجح الثالث منها:

الأول : أن الآية منسوخة بقوله في البقرة ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ ﴾ [البقرة: ٢٢٩] .

الثاني : أنها ناسخة .

الثالث: أنها غير ناسخة ولا منسوخة. قال: وهو الصحيح؛ فإن جواز الفدية على وجه، ومنعها على وجه، فلا تعارض ولا نسخ[(٢)].

٣- وعند قوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [فاطر] .

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ١/١٧٩.

(٢) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: ١/١٨٤.

قال: " ﴿أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾ قيل: هو عذاب النار .

وقيل: أهوال القيامة .

وقيل: هموم الدنيا .

والصواب العموم في ذلك كله" [1].

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ١٧٦/٢.

المبحث الثالث:
تقديم القول الراجح على المرجوح في الذِّكر

نصَّ ابن جُزَيّ في مقدمة تفسيره على هذه الطريقة في الترجيح فقال: " ثم ما أُقدِّم غيره عليه إشعاراً بترجيح المتقدِّم"(١) .

وله في ذلك أسلوبان:

الأول: ذكر القول الراجح بصيغة الجزم، وحكاية الأقوال الأخرى بلفظ الخروج من العهدة: (قيل).

وهذا الأسلوب في الترجيح كثير جداً في كتابه؛ بل هو أكثر الطرق استعمالاً لديه .

ومن الأمثلة عليه:

١- عند قول الله تعالى: ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [آل عمران] .

قال ابن جُزَيّ: " الطوع للمؤمنين، والكره للكافر إذا عاين الموت .

وقيل: عند أخذ الميثاق المتقدم .

وقيل: إقرار كل كافر بالصانع هو إسلامه كرها"(٢).

٢- في قول الله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾[آل عمران: ١١٠] .

قال: " كان هنا هي التي تقتضي الدوام كقوله: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[النساء: آية ٩٦].

وقيل: كنتم في علم الله .

وقيل: كنتم فيما وُصِفتم به في الكتب المتقدمة.

وقيل: كنتم بمعنى أنتم"(٣) .

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ١٠/١.

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل: ١٥٨/١.

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل: ١٦٢/١.

٣– عند قول الله تعالى: ﴿ وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ ﴾ [المائدة: ٨٩] .

قال : " أي احفظوها فبرُّوا فيها ولا تحنثوا .

وقيل: احفظوها بأن تُكفِّروها إذا حنثتم .

وقيل: احفظوها ألا تنسوها تهاوناً بها"[١] .

الثاني: ذكر جميع الأقوال بصيغة الجزم:

ومن أمثلته:

١– عند قوله تعالى ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَ ﴾ [النساء: ٧٩].

ذكر الخلاف هل هذا الكلام تقرير من الله أم حكاية لكلام المنافقين؟ ورجّح الأول بتقديمه بالذكر فقال: " فيه تأويلان: أحدهما نسبة الحسنة إلى الله والسيئة إلى العبد تأدباً مع الله في الكلام، وإن كان كل شيء منه في الحقيقة، وذلك كقوله عليه الصلاة والسلام "**والخير كله بيديك والشر ليس إليك**"[٢]، وأيضاً فنسبة السيئة إلى العبد لأنها بسبب ذنوبه لقوله ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ ﴾ [الشورى: ٣٠] فهي من العبد بتسببه فيها، ومن الله بالخلقة والاختراع.

والثاني: أن هذا من كلام القوم المذكورين قبل[٣]، والتقدير: يقولون كذا، فمعناها كمعنى التي قبلها"[٤].

٢– في قول الله تعالى: ﴿ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥ ﴾ [المائدة: ٦٧].

ذكر قولين، ورجّح الأول بتقديمه بالذِّكر فقال: " هذا وعيد على تقدير عدم التبليغ، وفي ارتباط هذا الشرط مع جوابه قولان:

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ١/٢٤٢.

(٢) أخرجه مسلم: ١/٥٣٥ (رقم ٧٧١).

(٣) يعني المنافقين الذي قال عنهم في الآية التي قبلها ﴿ وَإِن تُصِبۡهُمۡ حَسَنَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِكَۚ قُلۡ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلۡقَوۡمِ لَا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ حَدِيثٗا ٧٨ ﴾.

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل: ١/٢٠٠.

أحدهما: أن المعنى إن تركت منه شيئاً فكأنك لم تبلغ شيئاً، وصار ما بلغت لا يُعتدُّ به، فمعنى إن لم تفعل: إن لم تستوف التبليغ على الكمال .

والآخر: أن المعنى إن لم تبلِّغ الرسالة وجب عليك عقاب من كتمها، ووضع السبب موضع المسبب"[1] .

أما إذا ذكر ابن جُزَيّ الأقوال كلها بلفظ: (قيل) فليس تقديم أحدها على الآخر ترجيحاً للمتقدِّم؛ لأن هذا اللفظ يُصدِّر به ابنُ جُزَيّ الأقوال التي يريد الخروج من عهدتها، كما نصّ عليه في المقدمة فقال: " أو بالقول فيه: قيل كذا، قصداً للخروج من عهدته"[2] ، وما خرج عن عهدته فليس راجحاً لديه، ولا طريقة لعرض الخلاف الذي يريد الخروج من عهدةِ أقوالِه كلها – حيث لم يتبين له الراجح منها – إلا بتقديم أحدها على البقية في الذِّكر، والله أعلم.

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ١/٢٣٨.

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل: ١/١٠.

المبحث الرابع:
التصريح باسم قائل القول إذا كان ممن يقتدى به من الصحابة

بيّن ابن جُزَيّ / أن تصريحه باسم قائل القول في كتابه له حالتان:

الأولى: أن يكون مراده نصرة القول، وهذا إذا كان قائله ممن يُقتدى به من صحابة النبي > ورضي عنهم .

الثانية: أن يكون مراده الخروج من عهدة القول بنسبته إلى قائله، وهذا فيما عدا الحالة الأولى[1].

ومن الأمثلة على استعماله لهذه الصيغة في الترجيح:

١- عند قوله تعالى: ﴿ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ [النساء: ٦].

قال ابن جُزَيّ: " قال عمر بن الخطاب: المعنى أن يستسلف الوصي الفقير من مال اليتيم فإذا أيسر رده[2].

وقيل: المراد أن يكون له أجرة بقدر عمله وخدمته"[3].

فرجّح ابن جُزَيّ القول الأول؛ حيث هو قول من يقتدى به من الصحابة، وأيضاً قدّمه في الذِّكر، وكلاهما من أساليب الترجيح لديه. وهكذا في المثالين التاليين.

٢- وفي قول الله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا ﴾ [النساء: ٤٧].

قال عن المراد بطمس الوجوه: " قال ابن عباس: طمسها أن تزال العيون منها وترد في القفا، فيكون ذلك رداً على الدبر [4].

---

(١) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: ١/١٠، ١٩.

(٢) أخرجه الطبري: ٤/٣١٧، وابن المنذر: ٥٧٤ في تفسيريهما.

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل: ١/١٧٩.

(٤) أخرجه الطبري: ٥/١٤٧، وابن أبي حاتم: ٣/٩٦٨ في تفسيريهما.

وقيل: طمسها محو تخطيط صورها من أنف أو عين أو حاجب حتى تصير كالأدبار في خلوها عن الحواس"[1] .

٣- وفي تفسير قوله تعالى ﴿ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾ [النساء: ١٤١] .

قال: " قال علي بن أبي طالب[2] وغيره: ذلك في الآخرة .

وقيل: السبيل هنا الحجة البالغة"[3].

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ١/١٩٥.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره: ١/١٧٥، والطبري في التفسير: ٥/٣٨٦، وابن أبي حاتم في التفسير: ٤/١٠٩٥، والحاكم في المستدرك وصححه: ٢/٣٣٨.

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل: ١/٢١٤.

المبحث الخامس:

التنصيص على خطأ القول أو ضعفه

وقد جعلهما ابن جُزَيّ على مرتبتين:

الأولى : تخطئة القول أو إبطاله.

الثانية : تضعيف القول أو استبعاده.

قال عن مراتب الأقوال لديه: " فأدناها ما أصرح بأنه خطأ أو باطل، ثم ما أقول فيه إنه ضعيف أو بعيد"[1] .

والتخطئة أو التضعيف للأقوال تُعتبر ترجيحاً للقول المتبقي، فإذا كان في المسألة قولان وضعَّف المفسرُ أحدَ القولين انحصر الصواب في الآخر، وكذلك إذا كان في المسألة ثلاثة أقوال وضعَّف المفسرُ قولين منها انحصر الصواب في الثالث[2] .

ومن الأمثلة على ذلك:

١ – في قول الله تعالى: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ [النساء : ٣].

قال ابن جُزَيّ: " والمعنى انكحوا اثنتين أو ثلاثاً أو أربعاً، وفي ذلك منع لما كان في الجاهلية من تزوّج ما زاد على الأربع .

وقال قوم لا يُعبأ بقولهم: إنه يجوز الجمع بين تسع؛ لأن مثنى وثلاث ورباع يجمع فيه تسعة، وهذا خطأ.."[3].

٢ – عند قوله تعالى ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾. [المائدة: ٣٢] .

قال ابن جُزَيّ عن متعلَّق قوله ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ﴾ : " يتعلق بـــ ﴿كَتَبْنَا﴾ .

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ١/١٠.

(٢) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: ١/٣٥.

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل: ١/١٧٨.

وقيل: بـــ ﴿ٱلنَّدِمِينَ﴾ وهو ضعيف"[1] .

٣- وفي قوله تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣٤﴾ ﴾[المائدة] .

قال: " **قيل**: هي في المشركين، وهو ضعيف؛ لأن المشرك لا يختلف حكم توبته قبل القدرة عليه وبعدها .

وقيل: هي في المحاربين من المسلمين، وهو الصحيح"[2] .

٤- وفي قوله تعالى: ﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ ﴾[المائدة] ذكر ابن جزي وجهين في إعراب ﴿ يومَ﴾ على قراءة فتح الميم[3]، واستبعد الأول فقال:

" فيه وجهان: أحدهما أن يكون ﴿ **يومَ**﴾ ظرف لـــ ﴿ قَالَ ﴾ ، فعلى هذا لا تكون الجملة معمول القول، وإنما معموله ﴿هَٰذَا ﴾ خاصة، والمعنى: قال الله هذا القصص أو الخبر في يوم، وهذا بعيد مزيل لرونق الكلام .

والآخر: أن يكون ﴿ هَٰذَا ﴾ مبتدأ و﴿ **يومَ**﴾ في موضع خبره، والعامل فيه محذوف تقديره: هذا واقع يوم ينفع الصادقين صدقهم"[4] .

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ١/٢٢٨.

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل: ١/٢٣٠.

(٣) في الآية قراءتان:

الأولى: ﴿ **يومَ**﴾ بنصب الميم، وهي قراءة نافع.

الثانية: ﴿يَوۡمُ﴾ برفع الميم، وهي قراءة الباقين.

ينظر: الحجة لأبي علي الفارسي: ٢/٤٥٧، الكشف: ١/٤٦١، البدور الزاهرة: ١/٣١١

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل: ١/٢٥٢.

الفصل الثاني : وجوه الترجيح عند ابن جُزَيّ:
وفيه اثنا عشر مبحثاً :

المبحث الأول : الترجيح بالنظائر القرآنية .

المبحث الثاني : الترجيح بالسنة النبوية .

المبحث الثالث : الترجيح بقول جمهور المفسرين .

المبحث الرابع : الترجيح بأقوال الصحابة .

المبحث الخامس : الترجيح باللغة .

المبحث السادس : الترجيح بدلالة السياق.

المبحث السابع : الترجيح بدلالة الظاهر .

المبحث الثامن : الترجيح بتقديم الحقيقة على المجاز.

المبحث التاسع : الترجيح بتقديم العموم على الخصوص .

المبحث العاشر : الترجيح بتقديم الإطلاق على التقييد .

المبحث الحادي عشر : الترجيح بتقديم الاستقلال على الإضمار.

المبحث الثاني عشر : الترجيح بحمل الكلام على ترتيبه .

المبحث الأول :
الترجيح بالنظائر القرآنية

قال ابن جُزَيّ / في ذكر وجوه الترجيح بين أقوال المفسرين:

" وأما وجوه الترجيح فهي اثنا عشر:

الأول: تفسير بعض القرآن ببعض، فإذا دلّ موضعٌ من القرآن على المراد بموضعٍ آخر حملناه عليه، ورجّحنا القول بذلك على غيره من الأقوال"(١) .

والترجيح بهذا الوجه مقرّر عند العلماء، فتفسير القرآن بالقرآن من أحسن طرق التفسير، قال ابن تيمية: "فإن قال قائل: فما أحسن طرق التفسير؟ فالجواب: إن أصح الطرق في ذلك أن يُفسر القرآن بالقرآن، فما أُجمل في مكان فانه قد فُسِّر في موضع آخر، وما اختُصر في مكان فقد بُسط في موضع آخر"(٢).

ومن أمثلة ترجيحه بهذا الوجه في تفسيره:

١ – عند قول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾ [النساء: ٢٢] .

قال: " أي إلا ما فعلتم في الجاهلية من ذلك وانقطع بالإسلام فقد عفا عنه فلا تؤاخذون به، ويدلُّ على هذا قوله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء: ٢٣] بعد قوله ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ في المرأة الأخرى في الجمع بين الأختين، قال ابن عباس: كانت العرب تحرّم كل ما حرمته الشريعة إلا امرأة الأب والجمع بين الأختين.

وقيل: المعنى إلا ما قد سلف فانكحوه إن أمكنكم، وذلك غير ممكن، فالمعنى المبالغة في التحريم"(٣) .

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ١٩/١.

(٢) مقدمة في أصول التفسير: ٥٧. وينظر في تقرير هذا الوجه: قواعد الترجيح عند المفسرين: ٣١٢/١.

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل: ١٨٥/١، ورجح ابن جزي القول الأول لأنه بدأ به كما سبق بيانه في الفصل الماضي. وقول ابن عباس أخرجه الطبري في التفسير: ٣٩٣/٤، وابن المنذر في التفسير: ٦١٨.

٢- عند قول الله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [المائدة: ٧٧].

قال ابن جُزَيّ: " **قيل**: هم أئمتهم في دين النصرانية، كانوا على ضلال في عيسى، وأضلوا كثيراً من الناس، ثم ضلوا بكفرهم بمحمد ﷺ .

وقيل: هم اليهود .

والأول أرجح لوجهين: أحدهما أن الضلال وصف لازم للنصارى، ألا ترى قوله تعالى ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ .

والآخر: أنه يبعد نهي النصارى عن اتباع اليهود مع ما بينهم من الخلاف والشقاق"(١).

٣- وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا** ﴾[النساء: ٤٩].

قال: "هم اليهود لعنهم الله، وتزكيتهم: قولهم:﴿ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ﴾ [المائدة:١٨] .

وقيل: مدحهم لأنفسهم"(٢).

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ١/٢٤٠.

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل: ١/١٩٦.

المبحث الثاني:
الترجيح بالسنة النبوية

قال ابن جُزَيّ /: " الثاني: حديث النبي < ، فإذا ورد عنه عليه السلام تفسير شيء من القرآن عوَّلنا عليه، لا سيما إن ورد في الحديث الصحيح"(١) .

فالسنة شارحة للقرآن وموضحة له، ولا أحد من الناس أعلم بكلام الله تعالى من رسوله > الذي نزل عليه هذا الكتاب، قال ابن تيمية بعد ذكره لتفسير القرآن بالقرآن: "فان أعياك ذلك فعليك بالسنة فإنها شارحة للقرآن وموضحة له"(٢).

وقال ابن عطية بعد أن أورد تفسيراً للنبي > : " وهذا التأويل الذي لا نظر لأحد معه؛ لأنه مستوفٍ للصلاح صادر عن النبي >"(٣).

ومن أمثلة ترجيحه بهذا الوجه:

١ – في قول الله تعالى: ﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ۖ وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ ﴾. [النساء: ٨٩-٩٠].

ذكر ابن جُزَيّ / قولين في معنى ﴿ يَصِلُونَ ﴾ ورجّح الأول منهما، وضعّف الثاني مستدلاً بالسنة فقال : " معنى ﴿ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ ﴾ ينتهون إليهم ويدخلون فيما دخلوا فيه من المهادنة.

وقيل معنى يصلون: أي ينتسبون. وهذا ضعيف جداً بدليل قتال رسول الله < لقريش وهم أقاربه وأقارب المؤمنين؛ فكيف لا يقاتل أقارب الكفار المعاهدين؟ "(٤) .

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ١/١٩.

(٢) مقدمة في أصول التفسير: ٥٧.

(٣) المحرر الوجيز: ٢/٢٤٩، وينظر أيضاً في اعتماد الحديث الصحيح في الترجيح بين الأقوال: قواعد الترجيح عند المفسرين: ١/١٩١، ٢٠٦.

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل: ١/٢٠٣. قال ابن جُزَيّ: "وكان ذلك في أول الإسلام ثم نسخ بالقتال في أول سورة براءة".

٢- عند قول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ [آل عمران] .

ذكر ابن جُزَيّ قولين للمفسرين في المراد بالرباط في الآية، ورجّح الأول مستشهداً بالسنة النبوية فقال: " أقيموا في الثغور مرابطين خيلكم مستعدين للجهاد .

وقيل : هو مرابطة العبد فيما بينه وبين الله ، أي معاهدته على فعل الطاعة وترك المعصية.

والأول أظهر، قال ﷺ "رباط يوم في سبيل الله خير من صيام شهر وقيامه"[١] "[٢].

٣- وفي قول الله تعالى في قصة ابني آدم عليه السلام حكاية عن المقتول منهما: ﴿ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾[المائدة] .

قال ابن جُزَيّ: " ﴿ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ ﴾ معناه: بإثم قتلي لك لو قتلتك، وبإثم قتلك لي، وإنما يحمل القاتل الإثمين لأنه ظالم، فذلك مثل قوله ﷺ "المتسابان ما قالا فهو على البادىء"[٣].

وقيل: ﴿ بِإِثۡمِي ﴾ أي: تحمل عني سائر ذنوبي؛ لأن الظالم تجعل عليه في القيامة ذنوب المظلوم، ﴿ وَإِثۡمِكَ ﴾ أي: في قتلك لي، وفي غير ذلك من ذنوبك" [٤].

---

(١) أخرجه مسلم: ١٥٢٠/٣ (رقم ١٩١٣) بلفظ: يوم وليلة.

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل : ١٧٥/١ .

(٣) أخرجه مسلم: ٢٠٠٠/٤ رقم ٢٥٨٧.

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل: ٢٢٨/١.

المبحث الثالث:

الترجيح بقول جمهور المفسرين

قال ابن جُزَيّ /: " الثالث: أن يكون القول قول الجمهور وأكثر المفسرين؛ فإن كثرة القائلين بالقول يقتضي ترجيحه"[(١)] .

والترجيح بهذا الوجه ليس على إطلاقه، قال ابن حزم: " ولا معنى لكثرة القائلين بالقول وقلّتهم، وقد أفردنا أجزاء ضخمة فيما خالف فيه أبو حنيفة ومالك والشافعي جمهورَ العلماء، وفيما قاله كل واحد منهم مما لا يُعرف أحد قال به قبله... ولم يأت قط نصٌّ ولا إجماع ولا نظر صحيح بترجيح ما كثر القائلون به على ما قلّ القائلون به"[(٢)].

وإنما يُعمل بالترجيح بكثرة القائلين في بعض الحالات:

منها: ما كان من قبيل الخبر والرواية، فرواية الأكثر من وجوه الترجيح حينئذ؛ لأنهم أبعد عن الخطأ والوهم[(٣)]، قال الشنقيطي: " وقد تقرر في الأصول أن كثرة الرواة من المرجحات... والقول بعدم الترجيح بالكثرة ضعيف"[(٤)] .

ومنها: عند اشتباه المسألة وتساوي الأدلة، كما صنع عمر رضي الله عنه في مسألة الطاعون فقد استشار الصحابة وأخذ برأي الأكثر لما اشتبه عليه الأمر، قال النووي: "وكان رجوع عمر رضي الله عنه لرجحان طرف الرجوع لكثرة القائلين، وأنه أحوط"[(٥)].

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ١٩/١.

(٢) المحلى: ٢٧٣/٩.

(٣) ينظر: روضة الناظر: ٣٨٧، البحر المحيط في أصول الفقه: ٤٥٢/٤، التقييد والإيضاح: ٢٨٦، تدريب الراوي: ١٩٨/٢.

(٤) أضواء البيان: ١٦٦/١.

(٥) شرح صحيح مسلم: ٢٠٩/١٤. وقصة استشارة عمر للصحابة في شأن الطاعون أخرجها البخاري: ٢١٦٣/٥ (رقم ٥٣٩٧) ومسلم: ١٧٤٠/٤ (رقم ٢٢١٩).

ومن أمثلة ترجيح ابن جُزَيّ بهذا الوجه في تفسيره:

١ – عند قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِي ٱلْمَسَٰجِدِ ﴾ [البقرة: ١٨٧] .

قال ابن جُزَيّ: " قال الجمهور: المباشرة هنا الجماع فما دونه .

وقيل: الجماع فقط"(١).

٢ – وفي قول الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ﴾ [المائدة: ١١٦] .

قال ابن جُزَيّ: " قال ابن عباس والجمهور: هذا القول يكون من الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق ليرى الكفار تبرئة عيسى مما نسبوه إليه، ويعلمون أنهم كانوا على باطل .

وقال السدي: لما رفع الله عيسى إليه قالت النصارى ما قالوا وزعموا أن عيسى أمرهم بذلك، وسأل الله حينئذ عن ذلك فقال ﴿ سُبْحَٰنَكَ ﴾ الآية"(٢).

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ١١٢/١، ورجّح ابن جُزَيّ القول الأول قول الجمهور حيث بدأ به، وهو أحد أساليب الترجيح لديه كما سبق بيانه بالفصل الأول.

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل: ٢٥١/١، وقول ابن عباس نسبه إليه ابن عطية: ٢٦٢/٢، وابن الجوزي: ٢٨٢/٢ في تفسيريهما، و لم أجده مسنداً.

أما قول السدي: فأخرجه الطبري: ١٦١/٧، و ابن أبي حاتم: ١٢٥٣/٤ في تفسيريهما.

المبحث الرابع:
الترجيح بأقوال الصحابة

قال ابن جُزَيّ /: " الرابع: أن يكون القول قول من يُقتدى به من الصحابة، كالخلفاء الأربعة، وعبد الله بن عباس؛ لقول رسول الله < : "اللهم فقهه في الدين وعلِّمه التأويل"[1].

فالصحابة أعلم من غيرهم بتفسير القرآن؛ لأنهم شاهدوا التنزيل ، وعايشوا أسبابه وعرفوا أحوال نزوله، وهم أهل اللسان والفصاحة ، مع سلامة مقاصدهم وحسن فهومهم.

قال ابن تيمية: "وحينئذٍ إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة؛ فإنهم أدري بذلك لما شاهدوه من القرآن والأحوال التي اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح، لا سيما علماؤهم وكبراؤهم، كالأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين مثل عبد الله بن مسعود"[2].

وقال ابن القيم: " لا ريب أن أقوالهم في التفسير أصوب من أقوال من بعدهم"[3].

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ١٩/١.

وحديث "اللهم فقهه في.." أخرجه أحمد: ٢٦٦/١، وإسحاق بن راهويه في مسنده: ٢٣٠/٤، وابن حبان في صحيحه: ٥٣١/١٥، والطبراني في المعجم الكبير: ٢٣٧/١٠، والحاكم في المستدرك: ٦١٥/٣، وأبو نعيم في الحلية: ٣١٦/١، قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال محققو مسند أحمد (٢٢٥/٤ ط مؤسسة الرسالة) إسناده قوي على شرط مسلم.

وأخرجه البخاري: ٦٦/١ (رقم ١٤٣) بلفظ: " اللهم فقهه في الدين" و ٤١/١ (رقم ٧٥) بلفظ: " اللهم علّمه الكتاب".

(٢) مقدمة في أصول التفسير: ٥٩.

(٣) إعلام الموقعين: ١٥٣/٤. وينظر في تقديم قول الصحابي على غيره في التفسير: قواعد التفسير للدكتور خالد السبت: ١٨٦/١.

ومن أمثلة هذا الوجه في تفسيره:

١- عند قول الله تعالى: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾[آل عمران] .

قال ابن جُزَيّ في المراد بعرض الجنة: " قال ابن عباس: تقرن السموات والأرض بعضها إلى بعض كما تقرن الثياب فذلك عرض الجنة، ولا يعلم طولها إلا الله[(١)] .

وقيل: ليس العرض هنا خلاف الطول؛ وإنما المعنى سعتها كسعة السموات والأرض"[(٢)].

٢- وعند قوله تعالى: ﴿ وَلَن يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لِلۡكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ سَبِيلًا ﴾ [النساء:١٤١] .

قال ابن جُزَيّ: " قال علي بن أبي طالب وغيره: ذلك في الآخرة .

وقيل: السبيل هنا الحجة البالغة"[(٣)].

٣- في قول الله تعالى: ﴿فَمَا ٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهِۦ مِنۡهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةٗ ﴾ [النساء:٢٤] . قال ابن جُزَيّ: " قال ابن عباس وغيره: معناها إذا استمتعتم بالزوجة ووقع الوطء فقد وجب إعطاء الأجر، وهو الصداق كاملاً .

وقيل: إنها في نكاح المتعة "[(٤)] .

---

(١) أخرجه الطبري: ١١٧/٤، من غير العبارة الأخيرة " ولا يعلم طولها إلا الله" من طريق السدي قال قال ابن عباس، قال ابن حجر في العجاب ٢١٢/١ عن السدي: " وهو كوفي صدوق، لكنه جمع التفسير من طرق: منها عن أبي صالح عن ابن عباس، وعن مرة بن شراحيل عن ابن مسعود، وعن ناس من الصحابة وغيرهم، وخلط روايات الجميع فلم تتميز رواية الثقة من الضعيف، ولم يلق السدي من الصحابة إلا أنس بن مالك" .

وقد ذكر هذه العبارة عن ابن عباس " ولا يعلم طولها إلا الله" عدد من المفسرين كابن عطية: (٥٠٨/١) والقرطبي: (١٣١/٤) ولعل المؤلف نقلها من ابن عطية فكثيراً ما ينقل منه.

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل: ١٦٥/١، رجّح ابن جُزَيّ قول ابن عباس لأنه قدّمه في الذكر، ولأنه قول من يقتدى به من الصحابة. وهكذا المثالين التاليين. ينظر: الباب الأول: الفصل الأول: ٥٣، ٥٦.

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل:٢١٤/١.وقول علي رضي الله عنه سبق تخريجه قريبا في الفصل الأول،المبحث الرابع.

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل: ١٨٧/١، وقول ابن عباس أخرجه الطبري: ١٧/٥، وابن المنذر: ٦٤٣، وابن أبي حاتم: ٩١٩/٣ في تفاسيرهم.

المبحث الخامس:
الترجيح باللّغة

قال ابن جُزَيّ / : " الخامس : أن يدلَّ على صحة القول كلام العرب من اللغة [أو] الإعراب أو التصريف أو الاشتقاق"(١) .

وذلك لأن القرآن نزل بلغة العرب وأساليب كلامهم، قال الشاطبي: " لا بد في فهم الشريعة من اتباع معهود الأميين وهم العرب الذين نزل القرآن بلسانهم، فإن كان للعرب في لسانهم عرف مستمر فلا يصح العدول عنه في فهم الشريعة، وإن لم يكن ثمّ عرف فلا يصح أن يجري في فهمها على ما لا تعرفه، وهذا جارٍ في المعاني والألفاظ والأساليب"(٢) .

ومن الأمثلة على ترجيحه بهذا الوجه:

١- في قول الله تعالى: ﴿ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ ﴾ [النساء : ٣].

قال ابن جُزَيّ: " والمعنى انكحوا اثنتين أو ثلاثاً أو أربعاً، وفي ذلك منع لما كان في الجاهلية من تزوج ما زاد على الأربع .

وقال قوم لا يُعبأ بقولهم: إنه يجوز الجمع بين تسع؛ لأن مثنى وثلاث ورباع يجمع فيه تسعة، وهذا خطأ؛ لأن المراد التخيير بين تلك الأعداد لا الجمع، ولو أراد الجمع لقال تسع ولم يعدل عن ذلك إلى ما هو أطول منه وأقل بياناً..."(٣).

٢- وعند قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١٦﴾ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ١٩/١. وما بين المعقوفين تصحيح من مخطوطة (أ) ل: ٧-أ .

(٢) الموافقات: ٨٢/٢. وينظر في تقرير هذا الوجه: قواعد الترجيح عند المفسرين: ٣٦٩/٢، ٥١١، ٦٤٥.

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل: ١٧٨/١.

أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ [آل عمران] .

قال عن مرجع الضمير في ﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ ﴾: " الضمير للكفار، أو المنافقين، أو لأصحاب الحرث.

والأول أرجح؛ لأن قوله ﴿ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴾ فعل حال يدل على أنه للحاضرين"[1].

٣- وعند تفسيره للمراد بـــ ﴿ مِّمَّا ٱكۡتَسَبُواْ ﴾ و﴿ مِّمَّا ٱكۡتَسَبۡنَۚ ﴾ في قول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوۡاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبُواْۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبۡنَۚ ﴾ [النساء: ٣٢] .

قال " أي: من الأجر والحسنات.

وقيل: من الميراث. ويردّه لفظ الاكتساب"[2] .

٤- وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ ﴾ [المائدة: ٦] عرض ابن جُزَيّ لمعنى الباء في هذا الموضع، فردَّ بعض الأقوال مستنداً إلى اللغة.

قال : " اختُلف في هذه الباء، فقال قوم: إنها للتبعيض، وبَنوا على ذلك جواز مسح بعض الرأس، وهذا القول غير صحيح عند أهل العربية .

وقال القرافي: إنها باء الاستعانة التي تدخل على الآلات، وأن المعنى امسحوا أيديكم برؤوسكم، وهذا ضعيف؛ لأن الرأس على هذا ماسح لا ممسوح، وذلك خلاف المقصود. وقيل: إنها زائدة، وهو ضعيف؛ لأن هذا ليس موضع زيادتها .

والصحيح عندي: أنها باء الإلصاق التي توصل الفعل إلى مفعوله؛ لأن المسح تارة يتعدى بنفسه، وتارة بحرف الجر كقوله ﴿ فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ ﴾ وكقوله ﴿ فَطَفِقَ مَسۡحَۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلۡأَعۡنَاقِ ﴾ [سورة ص: ٣٣] "[3].

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ١/١٦٣.

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل: ١/١٩٠.

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل: ١/٢٢٤.

المبحث السادس:
الترجيح بدلالة السياق

قال ابن جُزَيّ /: " السادس: أن يشهد بصحة القول سياق الكلام، ويدل عليه ما قبله أو ما بعده"(١) .

وسياق الكلام – وهو ما قبله وما بعده – من أقوى الطرق لفهم المراد من الكلام، قال الطبري معلّلاً لأحد ترجيحاته: " وإنما قلنا ذلك أولى الأقوال في هذه الآية بالصواب؛ لأن الآيات قبلها وبعدها فيهم نزلت، فأولى أن تكون هي في معنى ما قبلها وبعدها إذ كانت في سياق واحد"(٢) .

وقال ابن القيم: " السياق يرشد إلى تبيين المجمل، وتعيين المحتمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام، وتقييد المطلق، وتنوع الدلالة، وهذا من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم، فمن أهمله غلط في نظره وغالط في مناظرته"(٣).

ومن الأمثلة على ترجيح ابن جُزَيّ بهذا الوجه:

١ – في قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [آل عمران].

قال ابن جُزَيّ: " عمران والد مريم أم عيسى × .

وقيل: إن عمران هنا هو والد موسى، وبينهما ألف وثمانمائة سنة .

والأظهر أن المراد هنا والد مريم؛ لذكر قصتها بعد ذلك"(٤) .

٢ – وعند قول الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ١/١٩.

(٢) تفسير الطبري: ٣/٤٠٠.

(٣) بدائع الفوائد: ٤/٨١٥. وينظر في تقرير هذا الوجه: البحر المحيط في أصول الفقه: ٤/٣٥٧، قواعد الترجيح عند المفسرين: ١/١٢٥.

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل: ١/١٤٩.

فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ﴾ [النساء: ٧٧] .

قال ابن جُزَيّ: " قيل: هي في قوم من الصحابة، كانوا قد أُمروا بالكف عن القتال قبل أن يفرض الجهاد، فتمنوا أن يؤمروا به، فلما أُمروا به كرهوه، لا شكاً في دينهم ولكن خوفاً من الموت.

وقيل: هي في المنافقين، وهو أليق في سياق الكلام"(١) .

واستدلَّ له ابن جُزَيّ أيضاً بقول الله تعالى في الآية الثانية: ﴿ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ ﴾ [النساء: ٧٨] قال: " وهذا يدل على أنها في المنافقين؛ لأن المؤمنين لا يقولون للنبي > إن السيئات من عنده"(٢) .

٣- وعند قوله تعالى: ﴿ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى ٱلنَّاسَ ۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ ﴾[الدخان: ١٠ – ١٢] .

قال " ﴿ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ يحتمل أن يكون من كلام الله تعالى، أو من قول الناس لّما أصابهم الدخان، وهذا أظهر؛ لأن ما بعده من كلامهم باتفاق فيكون الكلام متناسقاً"(٣)

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ١/١٩٩.
(٢) التسهيل لعلوم التنزيل: ١/٢٠٠.
(٣) التسهيل لعلوم التنزيل: ٢/٢٦٧.

المبحث السابع:
الترجيح بدلالة الظاهر

قال ابن جُزَيّ /: " السابع: أن يكون ذلك المعنى المتبادر إلى الذهن؛ فإن ذلك دليل على ظهوره ورجحانه"(١) .

والمراد بالظاهر: هو ما ذكره ابن جُزَيّ بأنه المعنى المتبادر إلى الذهن(٢).

فالأصل أن يحمل كلام الله تعالى على ظاهره، فـ " لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن، إلا بدليل يجب الرجوع إليه"(٣) .

قال الطبري معلّلاً لأحد ترجيحاته مقرراً هذه القاعدة: " ظاهر الكلام بالذي اخترنا من القول أشبه، وإذا تُنوزِع في تأويل الكلام كان أولى معانيه به أغلبه على الظاهر، إلا أن يكون من العقل أو الخبر دليل واضح على أنه معنيّ به غير ذلك"(٤).

وقال الشنقيطي: " وقد أجمع جميع المسلمين على أن العمل بالظاهر واجب حتى يرد دليل شرعي صارف عنه إلى المحتمل المرجوح"(٥) .

ومن الأمثلة على هذا الوجه في تفسيره :

١ – ما جاء عند قول الله تعالى: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ﴾[المائدة: ٧٥] .

فقد ذكر ابن جُزَيّ / قولين في المراد بقوله ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾ :

الأول: استدلال على أنهما ليسا بإلهين لاحتياجهما إلى الغذاء الذي لا يحتاج إليه إلا

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ١/١٩.

(٢) ينظر: قواعد الترجيح: ١/١٣٧.

(٣) السابق.

(٤) تفسير الطبري: ٨/١١٠.

(٥) أضواء البيان: ٧/٢٦٩. وينظر في تقرير هذا الوجه أيضاً: الرسالة: ٣٤١، الكفاية في علم الرواية: ٣٨٩، الانتصار في الرد على المعتزلة: ١/٢٨٠.

مُحدَث مُفتقِر، ومن كان كذلك فليس بإله.

الثاني: أنه عبارة عن الاحتياج إلى الغائط.

وتعقّب الثاني بأن فيه إخراجاً للفظ عن ظاهره فقال: " ولا ضرورة تدعو إلى إخراج اللفظ عن ظاهره؛ لأن الحجة قائمة بالوجهين"(١).

٢- عند قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا ﴾ [الكهف: ٨٢] قال:

"قيل: إنه الأب السابع، وظاهر اللفظ أنه الأقرب"(٢).

٣- وفي قوله تعالى: ﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴾ [الأنبياء: ١١] (٣).

ذكر ابن جُزَيّ القول الأول في المراد بالقرية بأنها قرية حَضُور في اليمن(٤)، ثم قال:

"وظاهر اللفظ أنه على العموم؛ لأن (كم) للتكثير، فلا يريد قرية معينة"(٥).

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ٢٤٦/١ (ط دار الكتب العلمية).

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل: ٤٧٣/١.

(٣) ينظر: قواعد الترجيح عند ابن جزي في تفسيره: ٢١٢.

(٤) حَضُور: بالفتح ثم الضم وسكون الواو: بلدة باليمن من أعمال زبيد، سميت بحضور بن عدي بن مالك ابن زيد بن سدد بن حمير بن سبأ. ينظر: معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع: ٨٧/٢، معجم البلدان: ٢٧٢/٢.

(٥) المرجع السابق: ١٩/٢.

المبحث الثامن
الترجيح بتقديم الحقيقة على المجاز

قال ابن جُزَيّ / في ذكر وجوه الترجيح بين الأقوال:

" **الثامن:** تقديم الحقيقة على المجاز؛ فإن الحقيقة أولى أن يحمل عليها اللفظ عند الأصوليين"(١) .

والمجاز: هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة بينهما. أما الحقيقة فبعكسه: فهي اللفظ المستعمل فيما وضع له(٢).

والأصل حمل نصوص الشريعة على الحقيقة، قال أبو جعفر النحاس: "ولا يحمل الشيء على المجاز ومعناه صحيح على الحقيقة"(٣) .

وقال الحافظ ابن عبد البر: "وحمل كلام الله تعالى وكلام نبيه < على الحقيقة أولى بذوي الدين والحق؛ لأنه يقص الحق، وقوله الحق تبارك وتعالى علواً كبيراً"(٤).

ومن الأمثلة على ذلك في تفسيره:

١ – عند قول الله تعالى: ﴿ وَءَاتُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ﴾ [النساء: ٢] .

بيّن أن الخطاب في الآية للأوصياء، ثم قال: "فالمراد أن يُؤتوا اليتامى من أموالهم ما يأكلون ويلبسون في حال صغرهم، فيكون اليتيم على هذا حقيقة.

وقيل: المراد دفع أموالهم إليهم إذا بلغوا، فيكون اليتيم على هذا مجازاً؛ لأن اليتيم قد

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ١/١٩.

(٢) ينظر: روضة الناظر: ٦٤، التسهيل لعلوم التنزيل: ١/٢٤، قواعد الترجيح: ٢/٣٨٨.

(٣) إعراب القرآن:١٠٠٩.

(٤) التمهيد: ٥/١٦. وينظر في تقرير هذا الوجه: قواعد الترجيح: ٢/٣٨٧.
وفي وقوع المجاز في القرآن الكريم خلاف مشهور. ينظر في ذلك: البرهان في علوم القرآن: ٢/٢٥٥، الإتقان: ٢/٧٥٣، معالم أصول الفقه: ١١٦.

كبر"[1].

٢- عند قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴾ [النجم: ٤٤].

قال: " يعني الحياة المعروفة والموت المعروف .

وقيل: أحيا بالإيمان وأمات بالكفر، والأول أرجح؛ لأنه حقيقة"[2] .

٣- وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [نوح: ٢٨].

قال ابن جُزَيّ " ﴿ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا ﴾ قيل: بيته المسجد .

وقيل: السفينة .

وقيل: شريعته، سماها بيتاً استعارة، وهذا بعيد .

وقيل: داره، وهذا أرجح؛ لأنه الحقيقة"[3] .

وقد يُقدِّم ابنُ جُزَيّ المجاز على الحقيقة في بعض الحالات، قال ابن جُزَيّ: " وقد يترجَّح المجاز إذا كثر استعماله حتى يكون أغلب استعمالاً من الحقيقة، ويُسمى مجازاً راجحاً والحقيقة مرجوحة... وقد يكون المجاز أفصح وأبرع فيكون أرجح"[4] .

ومن أمثلة ذلك:

١- عند قوله تعالى: ﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ﴾ [الدخان: ٢٩][5].

قال: "فيه ثلاثة أقوال: **الأول**: أنه عبارة عن تحقيرهم، وذلك أنه إذا مات رجل خطير قالت العرب في تعظيمه بكت عليه السماء والأرض على وجه المجاز والمبالغة، فالمعنى أن هؤلاء ليسوا كذلك لأنهم أحقر من أن يبالى بهم.

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ١/١٧٧.

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل: ٢/٣٢٠.

(٣) السابق: ٢/٤١٦.

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل: ١/١٩.

(٥) ينظر: قواعد الترجيح عند ابن جزي في تفسيره: ٢٢٦.

الثاني: قيل إذا مات المؤمن بكى عليه من الأرض موضع عبادته ومن السماء موضع صعود عمله، فالمعنى أن هؤلاء ليسوا كذلك لأنهم كفار أو ليس لهم عمل صالح.

الثالث: أن المعنى ما بكى عليهم أهل السماء ولا أهل الأرض.

والأول أفصح، وهو مترع معروف في كلام العرب"[1] .

٢- في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا ١٠﴾[النساء] .

قال ابن جُزَيّ: " ﴿إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗا﴾ أي: أكلهم لمال اليتامى يؤول إلى دخولهم النار .

وقيل: يأكلون النار في جهنم"[2] فلم يرجّح القول الثاني الذي حمل اللفظ على حقيقته.

٣- في تفسير قوله تعالى: ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾ [البقرة: ٧] .

قال: " ﴿ خَتَمَ ﴾ الآية تعليل لعدم إيمانهم، وهو عبارة عن إضلالهم، فهو مجاز.

وقيل: حقيقة وأن القلب كالكف ينقبض مع زيادة الضلال أصبعاً أصبعاً حتى يختم عليه. والأول أبرع"[3] .

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ٢٦٨/٢.

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل: ١٨٠/١.

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل: ٧٠/١.

المبحث التاسع:
الترجيح بتقديم العموم على الخصوص

قال ابن جُزَيّ /: " التاسع: تقديم العمومي على الخصوصي، فإن العمومي أولى لأنه الأصل؛ إلا أن يدل دليل على التخصيص"(١).

والعام: هو اللفظ المستغرق لجميع ما يصلح له بحسب وضعٍ واحد(٢).

والتخصيص: هو قصر العام على بعض أجزائه(٣).

ويجب حمل نصوص الشريعة على العموم، ما لم يرد دليل يقضي بتخصيصها، قال الشافعي: "ولا يقال بخاصٍ في كتاب الله ولا سنة إلا بدلالة فيهما أو في واحد منهما"(٤) .

وقال الطبري: " وليس لأحد أن يجعل خبراً جاء الكتاب بعمومه في خاص مما عمَّه الظاهر بغير برهان من حجة خبر أو عقل"(٥).

ومن الأمثلة على هذا الوجه:

١- عند قول الله تعالى: ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾ ﴾[النساء] .

قال ابن جُزَيّ: " معناها: إن كرهتم النساء لوجه فاصبروا عليه، فعسى أن يجعل الله الخير في وجه آخر.

وقيل: الخير الكثير الولد.

والأحسن العموم"(١) .

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ١٩/١.

(٢) ينظر: المحصول في علم الأصول: ٥١٣/٢، قال الرازي: وقولنا: بحسب وضع واحد: احتراز عن اللفظ المشترك، أو الذي له حقيقة ومجاز؛ فإن عمومه لا يقتضي أن يتناول مفهوميه معاً.

(٣) ينظر: التحبير شرح التحرير: ٢٥٠٩/٦، وينظر: رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب: ٢٢٧/٣.

(٤) الرسالة: ٢٠٧، وينظر: ٣٤١.

(٥) تفسير الطبري: ٨٥/٩. وينظر أيضاً في تقرير هذا الوجه الترجيحي: شرح الكوكب المنير: ٢٩٥/١، قواعد الترجيح: ٥٢٧/٢.

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ١٨٤/١.

٢- وعند حديثه عن المراد بـ ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ في قول الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾﴾ [النساء] .

ذكر ثلاثة أقوال ورجّح القول بالعموم فقال:

" هم هنا الزناة عند مجاهد.

وقيل: المجوس لنكاحهم ذات المحارم.

وقيل: عام في كل متبع شهوة، وهو أرجح"(١).

٣- وفي قول الله تعالى: ﴿وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضٗا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يُصۡلِحَا بَيۡنَهُمَا صُلۡحٗاۚ وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞ﴾ [النساء: ١٢٨].

قال عن المراد بالصلح: " لفظ عام يدخل فيه صلح الزوجين وغيرهما .

وقيل: معناه صلح الزوجين خير من فراقهما"(٢) .

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ١/١٨٨.

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل: ١/٢١٢.

المبحث العاشر
الترجيح بتقديم الإطلاق على التقييد

قال ابن جُزَيّ / في وجوه الترجيح بين الأقوال:

" **العاشر**: تقديم الإطلاق على التقييد؛ إلا أن يدل دليل على التقييد"(١).

والمطلق: هو اللفظ الدال على مدلول شائع في جنسه.

والمقيّد: ما كان من الألفاظ دالاً على وصف مدلوله المطلق بصفة زائدة عليه(٢).

والأصل أن يحمل الكلام على إطلاقه، ما لم يرد دليل على التقييد، قال السيوطي: "قال العلماء: متى وجد دليل على تقييد المطلق صير إليه، وإلا فلا؛ بل يبقى المطلق على إطلاقه، والمقيّد على تقييده؛ لأن الله تعالى خاطبنا بلغة العرب"(٣).

وقال الرازي معلّلاً لأحد ترجيحاته: " لأن اللفظ مطلق فتخصيصه ببعض الجهات دون البعض ترجيح من غير مرجِّح وهو غير جائز"(٤) .

ومن الأمثلة على هذا الوجه في تفسيره :

١ – عند قوله تعالى: ﴿ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَاۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: ٧٣].

قال ابن جُزَيّ: " ﴿ بِبَعْضِهَا ﴾ مطلقاً .

وقيل الفخذ.

وقيل اللسان.

وقيل الذنب"(٥) .

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ١/١٩.

(٢) ينظر: الإحكام في أصول الأحكام: ٣/٥، ٦.

(٣) الإتقان: ٢/٧٣٦.

(٤) تفسير الرازي: ٢/١٢٣٤. وينظر في تقرير هذا الوجه: أبجد العلوم: ٢/٥١٠، قواعد الترجيح: ٢/٥٥٥.

(٥) التسهيل لعلوم التنزيل: ١/٨٧.

٢- وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ وَيُخۡزِهِمۡ وَيَنصُرۡكُمۡ عَلَيۡهِمۡ وَيَشۡفِ صُدُورَ قَوۡمٖ مُّؤۡمِنِينَ ﴾ [التوبة: ١٤] .

قال: " ﴿قَوۡمٖ مُّؤۡمِنِينَ ﴾ قيل: إنهم خزاعة، والإطلاق أحسن"(١) .

٣- وعند قوله تعالى: ﴿ وَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ أَنۡ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسۡتَـٔۡذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوۡلِ مِنۡهُمۡ وَقَالُواْ ذَرۡنَا نَكُن مَّعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ﴾ [التوبة: ٨٦] .

قال ابن جُزَيّ: " ﴿ وَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ ﴾ قيل: يعني براءة، والأرجح أنه على الإطلاق"(٢).

(١) السابق: ١/٣٣٣.

(٢) السابق: ١/٣٤٥.

المبحث الحادي عشر:
الترجيح بتقديم الاستقلال على الإضمار

قال ابن جُزَيّ / في بيان وجوه الترجيح بين الأقوال:

" الحادي عشر: تقديم الاستقلال على الإضمار؛ إلا أن يدل دليل على الإضمار"(١).

فالأصل في الكلام أن يكون مستقلاً غيرَ مفتقرٍ لإضمارِ محذوف؛ إلا إذا قامت قرينة على الحذف، فإذا دار الخلاف بين الاستقلال والإضمار حُمل الكلام على الاستقلال؛ لأنه الأصل(٢) ، قال أبو حيان: " متى أمكن حمل الكلام على غير إضمار ولا افتقار، كان أولى أن يسلك به الإضمار والافتقار، وهكذا تكون عادتنا في إعراب القرآن، لا نسلك فيه إلا الحمل على أحسن الوجوه، وأبعدها من التكلف، وأسوغها في لسان العرب"(٣) .

وقال الزركشي: " إذا دار الأمر بين الحذف وعدمه كان الحمل على عدمه أولى؛ لأن الأصل عدم التغيير"(٤).

ومن أمثلة هذا الوجه في تفسيره:

١ – عند قوله تعالى:﴿ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾[البقرة] ذكر ابن جُزَيّ ثلاثة أقوال في المراد بالفرقان في هذا الموضع، وضعّف القول الثالث اعتماداً على هذا الوجه، فقال:

" وقيل: آتينا موسى التوراة، وآتينا محمداً الفرقان، وهذا بعيد؛ لما فيه من الحذف من غير دليل عليه"(١) .

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ١/١٩.

(٢) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: ٢/٤٢١.

(٣) البحر المحيط: ١/١٥٩.

(٤) البرهان في علوم القرآن: ٣/١٠٤.

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ١/٨٤.

٢- وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢ ﴾ [مريم] قال ابن جُزَيّ: "نصب ﴿ عَبْدَهُۥ ﴾ على أنه مفعول لرحمة؛ فإنها مصدر أُضيف إلى الفاعل ونصب المفعول.

وقيل: هو مفعول بفعل مضمر، تقديره: رحمة عبده، وعلى هذا يوقف على ما قبله، وهذا ضعيف، وفيه تكلف الإضمار من غير حاجة إليه، وقطع العامل عن العمل بعد تهيئته له"(١) .

٣- وفي قول الله تعالى: ﴿ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ ۝١٩ ﴾ [الزمر]

قال ابن جُزَيّ: " فيها وجهان:

أحدهما أن يكون الكلام جملة واحدة، تقديره: أفمن حق عليه كلمة العذاب أأنت تنقذه، فموضع ﴿ مَن فِى ٱلنَّارِ ﴾ موضع المضمر، والهمزة في قوله ﴿أَفَأَنتَ ﴾ هي الهمزة التي في قوله ﴿أَفَمَنْ﴾ وهي همزة الإنكار، كُررت للتأكيد .

والثاني: أن يكون التقدير: أفمن حق عليه كلمة العذاب تتأسف عليه، فحذف الخبر ثم استأنف قوله ﴿أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ ﴾ وعلى هذا يوقف على ﴿ٱلْعَذَابِ ﴾ والأول أرجح؛ لعدم الإضمار"(٢) .

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ١/٤٧٧.

(٢) المرجع السابق: ٢/٢١٩.

المبحث الثاني عشر
الترجيح بحمل الكلام على ترتيبه

قال ابن جُزَيّ / في وجوه الترجيح:

" **الثاني عشر**:حمل الكلام على ترتيبه؛ إلا أن يدل دليل على التقديم والتأخير"(١) .

وذلك لأن الترتيب هو الأصل في الكلام، والتقديم والتأخير خلاف الأصل، فلا يحمل الكلام على خلاف الأصل إلا بدليل، قال ابن جرير الطبري: " ولا وجه لتقديم شيء من كتاب الله عن موضعه أو تأخيره عن مكانه إلا بحجة واضحة"(٢) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: " والتقديم والتأخير على خلاف الأصل، فالأصل إقرار الكلام على نظمه وترتيبه لا تغيير ترتيبه"(٣).

ومن أمثلة ترجيحه بهذا الوجه في تفسيره:

١– عند قوله تعالى: ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾[المائدة] ذكر ابن جُزَيّ الخلاف في العامل في ﴿ أَرْبَعِينَ ﴾ فرجّح القول الأول وضعّف الثاني معملاً هذه القاعدة، فقال: " العامل في ﴿ أَرْبَعِينَ ﴾ ﴿مُحَرَّمَةٌ﴾ على الأصح، فيجب وصله معه .

وقيل: العامل فيه ﴿يَتِيهُونَ ﴾. فعلى هذا يجوز الوقف على قوله ﴿مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ﴾ وهذا ضعيف؛ لأنه لا حامل على تقديم المعمول هنا، مع أن القول الأول أكمل معنى؛ لأنه بيان لمدة التحريم والتيه"(٤) .

٢– عند قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ ﴾ [الرعد] .

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ١٩/١.

(٢) تفسير الطبري: ٨١/١٣.

(٣) مجموع الفتاوى: ٢١٨/١٦. وينظر في تقرير العلماء لهذا الوجه: قواعد الترجيح: ٤٥١/٢.

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل: ٢٢٨/١.

قال ابن جُزَيّ: " ﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾ قال الفراء: لكل كتاب أجل بالعكس[1]، وهذا لا يلزم؛ بل المعنى صحيح من غير عكس، أي لكل أجل كتاب كتبه الله في اللوح المحفوظ"[2] .

٣– في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَٱلۡإِيمَٰنَ لَقَدۡ لَبِثۡتُمۡ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡبَعۡثِۖ فَهَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡبَعۡثِ وَلَٰكِنَّكُمۡ كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٥٦ ﴾ [الروم] .

قال ابن جُزَيّ: " ﴿ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾ يعني اللوح المحفوظ، أو علم الله، والمجرور على هذا يتعلق بقوله ﴿ لَبِثۡتُمۡ ﴾.

وقيل: يعني القرآن، فعلى هذا يتعلق هذا المجرور بقوله ﴿ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ ﴾ وفي الكلام تقديم وتأخير وتقديره على هذا: قال الذين أوتوا العلم في كتاب الله، أي العلماء بكتاب الله"[3].

٤– عند قوله تعالى:﴿ وَقَالَ رَجُلٞ مُّؤۡمِنٞ مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَكۡتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ ﴾ [غافر: ٢٨] .

قال ابن جُزَيّ: "روي أن هذا الرجل المؤمن كان ابن عم فرعون، فقوله ﴿ مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ ﴾ صفة للمؤمن.

وقيل: كان من بني إسرائيل، فقوله ﴿ مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ ﴾ على هذا يتعلق بقوله ﴿ يَكۡتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ ﴾ والأول أرجح؛ لأنه لا يُحتاج فيه إلى تقديم وتأخير.."[4] .

---

(١) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٣٧٣/١.

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل: ٤٠٦/١.

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل: ١٣٦/٢.

(٤) السابق: ٢٣٠/٢.

للاستزادة من وجوه الترجيح عند ابن جُزَيّ وأمثلتها: ينظر: قواعد الترجيح عند ابن جُزَيّ في تفسيره: ١٦٥ وما بعدها، ترجيحات ابن جُزَيّ الكلبي في التفسير (من أول الفاتحة إلى نهاية سورة البقرة): ٧٥/١ وما بعدها، ترجيحات ابن جُزَيّ الكلبي في التفسير (من أول الأنعام إلى آخر سورة يوسف): ٧٨/١ وما بعدها.

الباب الثاني:

عرض ترجيحات ابن جُزَيّ في تفسيره ومناقشتها
من أول سورة آل عمران حتى نهاية سورة المائدة

أولاً

ترجيحات ابن جُزَيّ في سورة آل عمران

مسألة: المراد بـــ ﴿ٱلْفُرْقَانَ﴾ في الآية.

قال الله تعالى: ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤﴾ ﴾.

ذكر ابن جُزَيّ / ثلاثة أقوال في المسألة، ورجَّح الأول واستبعد الثالث فقال:

" يعني القرآن، وإنما كرّر ذكره ليصفه بأنه الفارق بين الحق والباطل، ويحتمل أن يكون ذكره أولاً على وجه الإثبات لإنزاله لقوله ﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ ثم ذكره ثانياً على وجه الامتنان بالهدى به، كما قال في التوراة والإنجيل ﴿ هُدًى لِّلنَّاسِ ﴾ فكأنه قال: وأنزل الفرقان هدى للناس، ثم حذف ذلك لدلالة الهدى الأول عليه، فلما اختلف قصد الكلام في الموضعين لم يكن ذلك تكراراً .

وقيل الفرقان هنا: كل ما فرّق بين الحق والباطل من كتاب وغيره .

وقيل: هو الزبور، وهذا بعيد"[1].

الدراسة:

اختلف المفسرون في المراد بالفرقان في الآية على أقوال:

القول الأول:

أنه القرآن .

وهذا قول قتادة، والربيع بن أنس[2] ، وابن عطية، والقرطبي، والشوكاني، وابن عاشور، وهو ظاهر كلام السعدي[3].

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ١٤٤/١، رجّح ابن جزي الأول حيث قدّمه في الذكر كما نصّ على ذلك في مقدمة تفسيره (١٠/١) بقوله: " ثم ما أقدّم غيره عليه إشعاراً بترجيح المتقدم". وينظر: الباب الأول: الفصل الأول: صيغ الترجيح وأساليبه عند ابن جزي: ٥٣.

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ١٩٦/٣، تفسير ابن المنذر: ١١٥، تفسير ابن أبي حاتم: ٥٨٨/٢.

(٣) ينظر: المحرر الوجيز: ٣٩٩/١، الجامع لأحكام القرآن: ٦/٤، فتح القدير: ٣٩٥/١، التحرير والتنوير: ١١/٣، تفسير السعدي: ٢٠٧/١.

وتُعقِّب هذا القول بأن القرآن قد ذكره الله من قبل بقوله ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ فلا وجه للتكرار، وبأن التوراة والإنجيل فيهما تفريق بين الحق والباطل أيضاً[1] .

وأُجيب بما قاله ابن جُزَيّ آنفاً، وكذلك كرّره تشريفاً له وتنويهاً بفضله وتعظيماً لشأنه، أو أعاد ذكره ليبين أنه أنزله بعد التوراة والإنجيل ليجعله فرقاً بين ما اختلف فيه اليهود والنصارى من الحق والباطل، أو ليُوصَل الكلام به في قوله : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ الآية، أي بآياته في القرآن[2].

قال ابن عاشور: وصف الله القرآن بالفرقان، ووصف التوراة والإنجيل بالهدى، وفي ذلك تفضيل لهديه على هدى التوراة والإنجيل؛ لأنّ التفرقة بين الحق والباطل أعظم أحوال الهدي، لما فيها من البرهان وإزالة الشبهة[3] .

القول الثاني:

أنه كل ما فرّق بين الحق والباطل من كتاب وغيره.

وبه قال بعض المفسرين[4] ، وهو ظاهر كلام الطبري حيث قال "وأنزل الفصل بين الحق والباطل فيما اختلفت فيه الأحزاب وأهل الملل في أمر عيسى وغيره، وقد بيّنا فيما مضى أن الفرقان إنما هو الفُعلان من قولهم: فرق الله بين الحق والباطل: يفصل بينهما بنصره بالحق على الباطل، إما بالحجة البالغة، وإما بالقهر والغلبة بالأيدي والقوة"[5] .

قال ابن عطية: " فيدخل في هذا التأويل طوفان نوح، وفرق البحر لغرق فرعون، ويوم بدر، وسائر أفعال الله تعالى المفرّقة بين الحق والباطل، فكأنه تعالى ذكر الكتاب

---

(١) ينظر: تفسير الطبري: ١٩٧/٣، تفسير سورة آل عمران لابن عثيمين: ١١/١.

(٢) ينظر: الكشاف: ٢٥٨/١، تفسير الرازي: ١٥٣٣/٣، فتح القدير: ٣٩٥/١، التحرير والتنوير: ١١/٣.

(٣) التحرير والتنوير: ١١/٣.

(٤) ينظر: المحرر الوجيز: ٣٩٩/١.

(٥) تفسير الطبري: ١٩٦/٣.

العزيز، ثم التوراة والإنجيل، ثم كل أفعاله ومخلوقاته التي فرّقت بين الحق والباطل، كما فعلت هذه الكتب"[1] .

وقال الزجاج، والبغوي، وابن كثير بأن الفرقان هو المفرّق بين الحق والباطل[2].

فيحتمل أنهم أرادوا هذا القول بأنه كل ما يفرّق بين الحق والباطل، ويحتمل أنهم قصدوا تعريفه لا تعيين المراد به.

القول الثالث:

أنه أراد الكتاب الرابع وهو الزبور ، كما قال تعالى: ﴿ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾ [النساء: ١٦٣].

ذكره الزمخشري وجهاً محتملاً في الآية، وعقّب بأنه ظاهر[3].

وذكره أيضاً وجهاً محتملاً أبو حيّان، وأبو السعود[4].

واستبعده الرازي لأن الزبور ليس فيه شيء من الشرائع والأحكام؛ بل ليس فيه إلا المواعظ، ووصف التوراة والإنجيل مع اشتمالهما على الدلائل وبيان الأحكام بالفرقان أولى من وصف الزبور بذلك[5] .

القول الرابع:

المراد: الكتب الثلاثة التي ذكرها الله القرآن والتوراة والإنجيل.

ذكر وجهاً في الآية الزمخشري، وأبو حيّان، وأبو السعود، واختاره ابن عثيمين[6].

ويرِد عليه ما يرد على القول الأول من التكرار، ويجاب عنه بما أُجيب هناك من أنه أعاد ذكرها ليصفها بوصف خاص لم يذكره فيما سبق، وهو الفرق بين الحق والباطل،

---

(١) المحرر الوجيز: ٣٩٩/١.

(٢) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٣١٧/١، معالم التنزيل: ٣٢١/١، تفسير القرآن العظيم: ٥/٢.

(٣) ينظر: الكشاف: ٢٥٨/١.

(٤) ينظر: البحر المحيط: ٣٩٤/٢، إرشاد العقل السليم: ٣٣٣/١.

(٥) تفسير الرازي: ١٥٣٣/٣.

(٦) ينظر: الكشاف: ٢٥٨/١، البحر المحيط: ٣٩٤/٢، إرشاد العقل السليم: ٣٣٣/١، تفسير سورة آل عمران لابن عثيمين: ١١/١.

وعُطِف عليها تنزيلاً لتغاير الصفات منزلة تغاير الذوات[1].

القول الخامس:

المراد به: جنس الكتب السماوية؛ لأنها كلها فرقان بين الحق والباطل.

وهو قول الواحدي، والسيوطي[2] .

فذِكْره بعد هذه الكتب الثلاثة ليعم ما عداها، وهو كقوله: ﴿ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبٗا ﴾ إلى قوله ﴿ وَفَٰكِهَةٗ ﴾ [عبس: ٢٧ – ٣١] والعنب من الفاكهة[3].

القول السادس:

المراد: المعجزات التي قرنها الله تعالى بإنزال هذه الكتب.

وهو قول الرازي، وعلّل له بأنها تفرِّق بين دعوى الصادق ودعوى الكاذب، فلما ذكر الله تعالى أنه أنزل الكتاب بالحق، وأنه أنزل التوراة والإنجيل من قبل ذلك، بيّن تعالى أنه أنزل معها من المعجزات ما يدل على صحتها، ويفيد الفرق بينها وبين سائر الكتب المختلفة[4].

الترجيح:

الراجح هو القول الثاني، فهو أشمل الأقوال وأعمها، وقد جاء إطلاق الفرقان في القرآن على وجوه متعددة[5]:

منها: القرآن كما في قوله تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان: ١] .

ومنها: التوراة كما في قوله: ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى وَهَٰرُونَ ٱلۡفُرۡقَانَ وَضِيَآءٗ وَذِكۡرٗا

(١) ينظر: إرشاد العقل السليم: ٣٣٣/١، وينظر: أضواء البيان: ٣٧/١.

(٢) ينظر: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ١٩٨/١، تفسير الجلالين: ٥٠.

(٣) ينظر: تفسير الجلالين: ٥٠، إرشاد العقل السليم: ٣٣٣/١.

(٤) ينظر: تفسير الرازي: ١٥٣٣/٣.

(٥) ينظر: الوجوه والنظائر للدامغاني: ٥٨٤، نزهة الأعين النواظر: ٢١٤، التسهيل لعلوم التنزيل: ٣٢٥/١، أضواء البيان: ٣٧/١.

لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [الأنبياء: ٤٨] .

وسمّى الله يوم بدر يوم الفرقان كما في قوله: ﴿يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ﴾ [الأنفال: ٤١].

ووعد الله من اتقاه أن يهب له من المعرفة والهدى ما يفرّق به بين الحق والباطل، كما في قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا ﴾ [الأنفال: ٢٩].

ولّما كان الأمر بهذه المثابة من تعدد المراد بالفرقان في القرآن، وفي الكل تفريق بين الحق والباطل، فالأولى حمله هنا على العموم؛ إذ لا دليل على تخصيصه في هذا الموضع بنوع منه دون آخر، فهو كل ما فرّق بين الحق والباطل من كتاب وغيره، والله تعالى أعلم.

قال الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٌ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾.

وفيهما مسألتان:

المسألة الأولى: قوله تعالى ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلۡعِلۡمِ ﴾ **مستأنف أم معطوف على ما قبله؟.**

ذكر ابن جُزَيّ / قولين في المسألة، ورجَّح الأول منهما فقال :

" مبتدأ مقطوع مما قبله، والمعنى أن الراسخين لا يعلمون تأويل المتشابه، وإنما يقولون آمنا به على وجه التسليم والانقياد والاعتراف بالعجز عن معرفته .

وقيل: إنه معطوف على ما قبله، وأن المعنى أنهم يعلمون تأويله .

وكلا القولين مروي عن ابن عباس، والقول الأول قول أبي بكر الصديق وعائشة وعروة بن الزبير، وهو أرجح"[1] .

الدراسة:

اختلف المفسرون في المسألة على قولين:

القول الأول:

قوله تعالى ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلۡعِلۡمِ ﴾ مستأنف مقطوع مما قبله، والمعنى أن الراسخين لا يعلمون تأويل المتشابه، وإنما يقولون آمنا به على وجه التسليم والانقياد والاعتراف بالعجز عن معرفته.

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ١/١٤٥، وسيأتي ذكر أقوال الصحابة والتابعين عند عرض القولين، عدا قول أبي بكر فإني لم أجده.

وهذا قول عائشة، وابن عباس، وعروة بن الزبير، وعمر بن عبد العزيز، ومالك ابن أنس[١] .

وهو قول الجمهور[٢]، وممن قال به أيضاً الفراء، وابن جرير الطبري، والواحدي، والراغب الأصفهاني، وأبو المظفر السمعاني، والرازي، والسيوطي، والشوكاني، والشنقيطي[٣] .

واستدلوا بعدد من الأدلة، منها[٤]:

١- قراءة ابن مسعود: (وإن حقيقة تأويله إلا عند الله والراسخون في العلم يقولون)[٥]، وفي قراءة ابن عباس: (وما يعلم تأويله إلا الله ويقول الراسخون في العلم)[٦].

٢- قوله ﴿ **فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦ** ﴾ يدل على أن طلب تأويل المتشابه مذموم.

---

(١) ينظر: تفسير الطبري: ٢١٤/٣، تفسير ابن المنذر: ١٣٠، تفسير ابن أبي حاتم: ٥٩٩/٢.

(٢) ينظر: معالم التنزيل: ٣٢٤/١، الجامع لأحكام القرآن: ١٢/٤.

(٣) ينظر: معاني القرآن للفراء: ١٣٧/١، تفسير الطبري: ٢١٤/٣، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ١٩٩/١، تفسير الراغب: ٤٢٤/١، تفسير السمعاني: ٢٩٦/١، تفسير الرازي: ١٥٤٧/٣، تفسير الجلالين: ٥٠، فتح القدير: ٣٩٩/١، أضواء البيان: ١٨٩/١.

(٤) ينظر: تفسير الطبري: ٢١٦/٣، معاني القرآن للنحاس: ١٢٣/١، تفسير السمعاني: ٢٩٦/١، تفسير الرازي: ١٥٤٧/٣، الجامع لأحكام القرآن: ١٢/٤، مجموع الفتاوى: ٣٩٢/١٧، البحر المحيط: ٤٠١/٢، أضواء البيان: ١٨٩/١.

(٥) أخرجها ابن أبي داود في المصاحف: ١٧٥ عن الأعمش قال في قراءة عبد الله، والأعمش لم يدرك ابن مسعود.
وذكرها الطبري في التفسير ٢١٦/٣ بلا إسناد، قال ابن تيمية في الفتاوى ٤٠٧/١٧: ليس لها إسناد يعرف حتى يحتج بها.

(٦) أخرجها عبد الرزاق في التفسير: ١١٦/١، وابن المنذر في التفسير: ١٣٠، قال ابن حجر في الفتح ٢١٠/٨: إسنادها صحيح. وجاء عن ابن عباس أنه قال بالقول الثاني في المسألة فقد روى الطبري عنه ٢١٥/٣ أنه قال: "أنا ممن يعلم تأويله" وهو صحيح عنه. ينظر: تخريج الأحاديث والآثار: ٢٥٧/١.

٣- التأويل في كلام العرب ما يؤول إليه معنى الكلام ويرجع، فيُراد به حقيقة الشيء، وهذا هو معنى التأويل الغالب في القرآن فيحمل عليه.

٤- ﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ لو كانوا يعلمون تأويله ما كان لقولهم هذا معنى.

٥- قولهم ﴿كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ أي المحكم والمتشابه، فلو كان كله عندهم سواء لكان كله محكماً، ولم يُنسب شيء منه إلى المتشابه.

٦- ولأن لفظة " أما " لتفصيل الجمل فذِكْره لها في ﴿ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ مع وصفه إياهم باتباع المتشابه وابتغاء تأويله يدل على قسم آخر يخالفهم في هذه الصفة وهم الراسخون في العلم، ولو كانوا يعلمون تأويله لم يخالفوا القسم الأول في ابتغاء التأويل.

٧- أنه تعالى إذا نفى عن الخلق شيئاً وأثبته لنفسه لا يكون له في ذلك الإثبات شريك كقوله: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥] وقوله: ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأعراف: ١٨٧] فالمطابق لذلك أن يكون قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ معناه: أنه لا يعلمه إلا هو وحده.

٨- ولأنه تعالى قال: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ﴾ ولو كانت الواو واو عطف مفرد على مفرد، لا واو الاستئناف التي تعطف جملة على جملة لقال: ويقولون.

القول الثاني:

هو معطوف على ما قبله، والمعنى أن الراسخين في العلم يعلمون تأويل المتشابه .

وهذا قول ابن عباس، ومجاهد، والضحاك، ومحمد بن جعفر بن الزبير[١]، والربيع ابن أنس[٢]، وابن قتيبة، وأبي جعفر النحاس، ، ومكي بن أبي طالب، والزمخشري،

---

(١) محمد بن جعفر بن الزبير بن العوام القرشي المدني، أخرج له البخاري، كان من فقهاء أهل المدينة وقرائهم، قال النسائي هو ثقة، مات من عشر ومائة إلى عشرين ومائة.

ينظر: الثقات: ٣٩٤/٧، التعديل والتجريح: ٦٢٢/٢، التحفة اللطيفة: ٤٦٥/٢.

(٢) ينظر: فضائل القرآن لأبي عبيد: ١٠٠، تفسير الطبري: ٢١٥/٣، تفسير ابن المنذر: ١٣١، تفسير ابن أبي حاتم: ٥٩٩/٢.

والبيضاوي، وأبي السعود، وابن عاشور[1] .

واستدلوا بأدلة منها[2]:

١– أن الله لم يترل شيئاً من القرآن إلا لينفع به عباده،ويدلّ به على معنى أراده، وقد أمر الله بتدبر القرآن بقوله: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ [النساء: ٨٢]. ولم يستثن شيئاً لا يُتدبر، ولا قال: ولا تدبروا المتشابه، والتدبر بدون الفهم ممتنع.

٢– لا يسوغ لأحد أن يقول إن رسول الله < خفي عليه معنى بعض ما أُنزل إليه، فإذا جاز أن يعرفه الرسول مع قوله ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ جاز أن يعرفه الربانيون من صحابته والمفسرون من أمته.

٣– ما في القرآن آية إلا وقد تكلم الصحابة والتابعون لهم بإحسان في معناها، قال ابن قتيبة: " لم نرَ المفسرين توقفوا عن شيء من القرآن فقالوا هذا متشابه لا يعلمه إلا الله؛ بل أَمَرُّوه على التفسير، حتى فسروا الحروف المقطعة في أوائل السور"[3] .

٤– دعاء النبي < لابن عباس: "اللهم فقهه في الدين وعلّمه التأويل"[4]، فقد دعا له بعلم التأويل مطلقاً.

---

(١) ينظر: تأويل مشكل القرآن: ٦٦، معاني القرآن للنحاس: ١٢٣/١، مشكل إعراب القرآن: ١٤٩/١، الكشاف: ٢٦٠/١، أنوار التنزيل: ٨/٢، إرشاد العقل السليم: ٣٣٧/١، التحرير والتنوير: ٢٤/٣، وجوّز السمين الحلبي كلا القولين. ينظر: الدر المصون: ٢٩/٣.

(٢) ينظر: تأويل مشكل القرآن: ٦٦، معاني القرآن للنحاس: ١٢٣/١، مجموع الفتاوى: ٣٩٣/١٧ – ٤٠٣، البرهان في علوم القرآن: ٧٣/٢، التحرير والتنوير: ٢٤/٣.

(٣) تأويل مشكل القرآن: ٦٧.

(٤) أخرجه أحمد: ٢٦٦/١، وإسحاق بن راهويه في مسنده: ٢٣٠/٤، وابن حبان في صحيحه: ٥٣١/١٥، والطبراني في المعجم الكبير: ٢٣٧/١٠، والحاكم في المستدرك: ٦١٥/٣، وأبو نعيم في الحلية: ٣١٦/١، قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال محققو مسند أحمد (٢٢٥/٤ ط مؤسسة الرسالة) إسناده قوي على شرط مسلم.
وأخرجه البخاري: ٦٦/١ (رقم ١٤٣) بلفظ: " اللهم فقهه في الدين" و ٤١/١ (رقم ٧٥) بلفظ: "اللهم علّمه الكتاب".

٥- لو لم يكن للراسخين في العلم حظ من المتشابه إلا أن يقولوا ﴿ ءَامَنَّا بِهِۦ ﴾ لم يكن لهم فضل على الجاهل؛ لأن الكل قائلون ذلك "فلو كان المراد مجرد الوصف بالإيمان لم يخص الراسخين؛ بل قال: والمؤمنون يقولون آمنا به، فإن كل مؤمن يجب عليه أن يؤمن به، فلما خص الراسخين في العلم بالذكر عُلم أنهم امتازوا بعلم تأويله فعلموه لأنهم عالمون وآمنوا به لأنهم يؤمنون، وكان إيمانهم به مع العلم أكمل في الوصف.. ونظير هذا قوله في الآية الأخرى ﴿ لَّـٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ﴾ [النساء: ١٦٢] فلما وصفهم بالرسوخ في العلم وأنهم يؤمنون قرن بهم المؤمنين، فلو أُريد هنا مجرد الإيمان لقال: والراسخون في العلم والمؤمنون يقولون آمنا به، كما قال في تلك الآية لما كان مراده مجرد الإخبار بالإيمان جمع بين الطائفتين"(١) .

٦- ختم الآية بقوله ﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾ يُشعر أن هنا تذكراً يختص به أولوا الألباب، وهو التذكّر بما يدلّهم على تأويل المتشابه.

٧- التشابه أمر نسبي، فما يكون مشتبهاً عند زيد قد يكون واضحاً عند غيره.

٨- المتشابه قد يكون في آيات الأمر والنهي كما يكون في آيات الخبر، والأولى أجمع العلماء على معرفة الراسخين لمعناها فكذلك الأخرى.

٩- أن الله قال ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ﴾ ثم قال ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ ﴾ الآية، ثم قال ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ ﴾ [الحشر: ٨-١٠] فهذا عطف مفرد على مفرد، والفعل ﴿ يَقُولُونَ ﴾ حال من المعطوف فقط، وهو نظير آية المسألة.

الترجيح:

التأويل يطلق في القرآن ويراد به معنيان:

---

(١) مجموع الفتاوى: ٣٩٣/١٧.

الأول: حقيقة الشيء وما يؤول إليه، ومنه قوله تعالى: ﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ يَوۡمَ يَأۡتِي تَأۡوِيلُهُۥ ﴾ [الأعراف: ٥٣] وقوله: ﴿ بَلۡ كَذَّبُواْ بِمَا لَمۡ يُحِيطُواْ بِعِلۡمِهِۦ وَلَمَّا يَأۡتِهِمۡ تَأۡوِيلُهُۥۚ ﴾ [يونس: ٣٩].

الثاني: التفسير والبيان، ومنه قوله تعالى: ﴿ نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ ﴾ [يوسف: ٣٦][(١)] .

فالقول الأول صحيح على اعتبار المعنى الأول للتأويل مما استأثر الله بعلمه، فالراسخون في العلم لا يعلمون تأويله.

والقول الثاني صحيح على اعتبار المعنى الثاني للتأويل بأنه التفسير، فالراسخون في العلم يعلمون تأويله، ومنه حديث: "اللهم فقهه في الدين وعلّمه التأويل".

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: " وكلا القولين حق باعتبار، فإن لفظ التأويل يُراد به التفسير ومعرفة معانيه، والراسخون في العلم يعلمون تفسير القرآن..

وقد يُعنى بالتأويل ما استأثر الله بعلمه من كيفية ما أخبر به عن نفسه وعن اليوم الآخر ووقت الساعة ونزول عيسى ونحو ذلك، فهذا التأويل لا يعلمه إلا الله"[(٢)].

وبنحوه قال السعدي، وابن عثيمين[(٣)] .

وعلى هذا الجمع يُحمل تعدّد الروايات عن ابن عباس، وقد جاء عنه أنه قال في ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾: " تأويله يوم القيامة لا يعلمه إلا الله"[(٤)] ، فصرّح بأن الذي لا يعلمه الراسخون هو المعنى الأول للتأويل.

وجاء عن الضحاك – من أصحاب القول الثاني – أنه قال: " الراسخون يعلمون

---

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٢/٤، تفسير القرآن العظيم: ١١/٢، أضواء البيان: ١٨٩/١.
أما التأويل الذي هو: صرف اللفظ عن ظاهره إلى ما يخالف ذلك لدليل يقترن به، فلا يصح حمل معنى التأويل في القرآن عليه، لأنه تعريف اصطلاحي للمتأخرين لم يكن معروفاً وقت نزول القرآن، وإنما اصطُلح عليه بعد نزوله بقرون كما قال ابن تيمية. ينظر: الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح: ٧٣/٤، مجموع الفتاوى: ٣٦٧/١٧، ٤٠١.

(٢) الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح: ٧٢/٤.

(٣) ينظر: تفسير السعدي: ٢٠٨/١، تفسير سورة آل عمران: ٣٥/١.

(٤) تفسير ابن أبي حاتم: ٢٩٧/٢.

تأويله، لو لم يعلموا تأويله لم يعلموا ناسخه من منسوخه، و لم يعلموا حلاله من حرامه، ولا محكمه من متشابهه"[1] ، فمثّل للتأويل بالمعنى الثاني له.

وقال ابن عطية: " وهذه المسألة إذا تُؤمِّلت قرب الخلاف فيها من الاتفاق" ثم ذكر ما ملخصه أن المتشابه نوعان: نوع انفرد الله بعلمه، ونوع يمكن وصول الخلق إليه، فيكون الراسخون ابتداءً بالنظر إلى الأول، وعطفاً بالنظر إلى الثاني[2] ، والله أعلم.

(١) السابق: ٢/٢٩٩.

(٢) ينظر: المحرر الوجيز: ١/٤٠٣، التسهيل لعلوم التنزيل: ١/١٤٥.

المسألة الثانية: قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ﴾ **من كلام الراسخين أم مستأنف؟.**

ذكر ابن جُزَيّ / قولين في المسألة، ورجَّح الأول منهما فقال :

" حكاية عن الراسخين .

ويحتمل أن يكون منقطعاً على وجه التعليم .

والأول أرجح لاتصال الكلام"[1] .

الدراسة:

اختلف المفسرون في المسألة:

القول الأول:

أن هذه المقالة من تمام قول الراسخين.

وهو قول الطبري، وابن الجوزي، والرازي، والقرطبي، والبيضاوي، وابن كثير، وأبي السعود، والسعدي[2].

علّل له ابن جُزَيّ بأن الكلام متّصل بما قبله.

وقال الرازي بأن الله كما حكى عن الراسخين أنهم ﴿ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ ﴾ حكى عنهم أنهم يقولون ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ﴾ وحذف (يقولون) لدلالة الأول عليه، كما في قوله ﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا ﴾ [آل عمران: ١٩١][3] .

القول الثاني:

أنه استئناف على وجه التعليم.

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ١/١٤٥.

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ٣/٢١٩، زاد المسير: ١/٢٨٩، تفسير الرازي: ٣/١٥٥٠، الجامع لأحكام القرآن: ٤/١٤، أنوار التنزيل: ٢/١٠، تفسير القرآن العظيم: ٢/١٣، إرشاد العقل السليم: ١/٣٣٧، تفسير السعدي: ١/٢٠٩.

(٣) تفسير الرازي: ٣/١٥٥٠.

وبه قال ابن عاشور[1] ، وذكره وجهاً محتملاً في الآية ابن عطية وأبو حيان[2] .

فالله لما ذكر أهل الزيغ وذكر نقيضهم، وظهر ما بين الحالتين من التفاوت، وفي ذلك عبرة ومثار لهواجس الخوف من سوء المصير إلى حال الذين في قلوبهم زيغ، عقّب بأن علّم عباده هذا الدعاء[3] .

الترجيح:

الراجح – والله أعلم- هو القول الأول الذي رجّحه ابن جُزَيّ؛ لتوجّه ما علّلوا به؛ ولأن قوله: ﴿ بَعْدَإِذْ هَدَيْتَنَا ﴾ يُشعر به، فالهداية المذكورة في سباق الآية هي هداية الراسخين تجاه الآيات المتشابهات من القرآن.

وعلى أيٍّ من القولين ينبغي للمسلم أن يلهج بهذا الدعاء ليُثبّته الله على الحق، وألا يركن إلى عقله وعلمه غافلاً عن ربه فيكِله الله إلى نفسه فيهلك، وإذا كان الراسخون في العلم إذا رأوا مواقف وآراء أهل الزيغ والشبهات تضرعوا إلى الله بهذا الدعاء فغيرهم من باب أولى، ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾.

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٩/٣.

(٢) ينظر: المحرر الوجيز: ٤٠٤/١، البحر المحيط: ٤٠٢/٢، وينظر: أنوار التنزيل: ١٠/٢.

(٣) ينظر: المحرر الوجيز: ٤٠٤/١، التحرير والتنوير: ٢٩/٣.

قال الله تعالى: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَاۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿١٣﴾ ﴾.

وفيهما ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: المعنيّ بقوله ﴿سَتُغْلَبُونَ﴾ .

قال ابن جُزَيّ /:

" قرىء بتاء الخطاب ليهود المدينة، وقيل: لكفار قريش .

وقرىء بالياء إخباراً عن يهود المدينة، وقيل: عن قريش[1] .

وهو صادق على كل قول، أما اليهود فغلبوا يوم قريظة والنضير وقينقاع، وأما قريش ففي بدر وغيرها .

والأشهر أنها في بني قينقاع؛ لأن رسول الله < دعاهم إلى الإسلام بعد غزوة بدر فقالوا له: لا يغرنك أنك قتلت نفراً من قريش لا يعرفون القتال فلو قاتلتنا لعرفت أنا نحن الناس فنزلت الآية، ثم أخرجهم رسول الله < من المدينة"[2] .

بيّن ابن جُزَيّ أن التهديد في الآية ﴿سَتُغْلَبُونَ﴾ وإن كان صادقاً على كلا القولين من حيث الواقع؛ إلا إن الخطاب في الأصل ليهود المدينة بني قينقاع[3]، فهم المعنيّون به

---

(١) قرأ حمزة والكسائي وخلف بالياء: (سيغلبون ويحشرون) وقرأ باقي العشرة بالتاء: ﴿ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ ﴾.

ينظر: النشر في القراءات العشر: ١٧٩/٢، البدور الزاهرة: ٢١٦/١.

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل: ١٤٥/١، وسيأتي تخريج سبب النزول.

(٣) في المدينة ثلاث قبائل من اليهود: بنو قينقاع، وديارهم داخل المدينة، وبنو النضير وبنو قريظة، وديارهما بضواحي المدينة. ينظر: الرحيق المختوم: ٢١٢.

ابتداء، معبّراً عن ترجيحه بعبارة " والأشهر" وهي إحدى عبارات الترجيح لديه، مستدلاً بسبب النزول.

الدراسة:

القول الأول:

المعنيّ بالتهديد في الآية يهود المدينة.

وبه قال الطبري، ومكي بن أبي طالب، والسيوطي، وأبو السعود[1] .

واستدلوا بما رواه ابن عباس في سبب نزول الآية، قال: " لما أصاب رسول الله قريشاً يوم بدر فقدم المدينة جمع يهود في سوق بني قينقاع فقال: (يا معشر يهود أسلموا قبل أن يصيبكم مثل ما أصاب قريشاً) فقالوا يا محمد: لا تغرنك نفسك، إنك قتلت نفراً من قريش كانوا أغماراً[2] لا يعرفون القتال، إنك والله لو قاتلتنا لعرفت أنا نحن الناس وأنك لم تأت مثلنا، فأنزل الله عز وجل في ذلك من قولهم ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغۡلَبُونَ وَتُحۡشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَۚ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴿١٢﴾ ﴾ إلى قوله ﴿ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿١٣﴾ ﴾ "[3] .

القول الثاني:

المعنيّ بالتهديد مشركو قريش.

---

(١) ينظر: تفسير الطبري: ٢٢٥/٣، الكشف عن وجوه القراءات السبع: ٣٧٩/١، تفسير الجلالين: ٥١، إرشاد العقل السليم: ٣٤٠/١.

(٢) أغمار: جمع غُمر بضم الغين فسكون الميم، وهو الجاهل الغِرّ الذي لم يُجرِّب الأمور.
ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ٣٤٥/٣.

(٣) أخرجه أبو داود: ١٥٤/٣ (رقم ٣٠٠١) وابن هشام في السيرة: ٣١٤/٣، والطبري في التفسير: ٢٢٥/٣، والبيهقي في الكبرى: ٣١٤/٣، والضياء المقدسي في الأحاديث المختارة: ٣٥٢/١٠ من طريق ابن اسحاق عن محمد بن أبي محمد عن سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس به، ومحمد بن أبي محمد مجهول كما في تقريب التهذيب: ٥٠٥، وقد ضعّف الحديث الألباني. ينظر: ضعيف أبي داود: ٢٣٩ (رقم ٣٠٠١) وينظر: تخريج الأحاديث والآثار في كتاب التسهيل لعلوم التنزيل للدكتور سامي الجهني: ٢٥٩/١، المحرر في أسباب نزول القرآن: ٣٠٤/١.

وهو قول الزمخشري، وابن عاشور[1] .

واحتج له ابن عاشور بأن الله قال في الآية التالية ﴿ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ ﴾ وهذا مما شاهده المشركون يوم بدر[2].

وذهب عدد من العلماء كأبي علي الفارسي، والواحدي، والراغب الأصفهاني، وأبي حيان إلى حمل الآية على يهود المدينة وكفار قريش[3].

واستدلوا بقوله تعالى: ﴿ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [البقرة: ١٠٥] وقوله ﴿ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ ﴾ [البينة] حيث أطلق الذين كفروا عليهما[4].

وقيل: بأن المراد بالذين كفروا اليهود، والإخبار بقوله (سيغلبون) بالياء عن قريش[5].

الترجيح:

حيث لم يصح سبب النزول فالراجح – والله أعلم – هو القول الثاني بأن المراد كفار قريش، وذلك لوجوه:

الأول: أن الله صدّر الحديث عن الذين كفروا بقوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ ﴿١٠﴾ ﴾ [آل عمران] ، والمفاخرة بالأموال والأولاد من شأن المشركين لا الكتابيين، كما في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [سبأ] [6].

الثاني: ما قاله ابن عاشور بأن الله قال في الآية التالية ﴿ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ ﴾

---

(١) ينظر: الكشاف: ٢٦١/١، التحرير والتنوير: ٣٤/٣.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ٣٤/٣.

(٣) ينظر: الحجة في علل القراءات السبع: ٢٥٨/٢، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٢٠٠/١، تفسير الراغب: ٤٤١/١، البحر المحيط: ٤٢٠/٢.

(٤) ينظر: الحجة في علل القراءات السبع: ٢٥٩/٢.

(٥) ينظر: الحجة في علل القراءات السبع: ٢٥٩/٢، الجامع لأحكام القرآن: ١٧/٤.

(٦) ينظر: المحرر في أسباب نزول القرآن: ٣٠٤/١.

وهذا مما شاهده المشركون يوم بدر[1].

وقراءة التاء: (ترونهم)[2] على الخطاب أدلّ في هذا المعنى فإن اليهود لم يحضروا غزوة بدر فكيف يقال لهم: (ترونهم)؟ والرؤية هنا بصرية كما هو مصرّح به في الآية ﴿رَأْىَ ٱلْعَيْنِ﴾.

الثالث: أن الغالب في إطلاق (الذين كفروا) في القرآن على المشركين لا أهل الكتاب، وحمل كلام الله على المعهود من استعماله أولى من الخروج به عن ذلك كما هو مقرر في قواعد الترجيح بين الأقوال[3] .

وكون الخطاب لكفار قريش لا يعني تخصيص حكم الآية بهم؛ بل حكمها عام في كل الكفار المحاربين، كما يُشعر به ختم الآية الثانية بقوله ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿١٣﴾﴾ وكما يشهد له آيات الوعد بنصر المؤمنين على الكافرين كقوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾﴾ [غافر: ٥١] والله أعلم.

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٣٤/٣.

(٢) في ﴿يَرَوْنَهُم﴾ قراءتان:
الأولى: بتاء الخطاب: (ترونهم) وهي قراءة نافع وأبي جعفر ويعقوب.
الثانية: بالياء ﴿يَرَوْنَهُم﴾ وهي قراءة باقي العشرة.
ينظر: النشر في القراءات العشر: ١٧٩/٢، البدور الزاهرة: ٢١٧/١.

(٣) ينظر في تقرير هذه القاعدة: قواعد الترجيح عند المفسرين: ١٧٢/١.

المسألة الثانية: الخطاب في ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ ﴾ .

قال ابن جُزَيّ /:

" قيل: خطاب للمؤمنين .

وقيل: لليهود .

وقيل: لقريش .

[والأرجح] أنه لبني قينقاع الذين قيل لهم ﴿ سَتُغْلَبُونَ ﴾ ففيه تهديد لهم وعبرة كما جرى لغيرهم"[1] .

الدراسة:

اختلف المفسرون في المسألة على أقوال:

القول الأول:

الخطاب للمؤمنين .

ذكره وجهاً محتملاً في الآية ابن عطية والقرطبي[2] .

وبه قال مكي بن أبي طالب على قراءة التاء: (ترونهم)، وأبو المظفر السمعاني على قراءة الياء ﴿ يَرَوْنَهُم ﴾ [3].

فالآية تثبيت لنفوس المؤمنين حتى يُقدموا على قتال الكفار ولو كانوا أكثر عدداً منهم[4].

القول الثاني:

الخطاب ليهود المدينة.

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ١٤٦/١، وما بين المعقوفين كُتب في المطبوع: "والأول أرجح" والتصحيح من مخطوطة (أ) ل: ٣٠-أ ، وبه تستقيم العبارة.

(٢) ينظر: المحرر الوجيز: ٤٠٦/١، الجامع لأحكام القرآن: ١٨/٤ .

(٣) ينظر: الكشف عن وجوه القراءات السبع: ٣٨٠/١، تفسير السمعاني: ٢٩٩/١.

ومضى ذكر القراءات في ﴿ يَرَوْنَهُم ﴾ في المسألة الأولى.

(٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٨/٤ .

وهو قول الطبري، والرازي، وابن كثير، وأبي السعود[1] .

وبه قال مكي على قراءة الياء ﴿يَرَوْنَهُم﴾[2] ، والسمعاني، والبغوي على قراءة (تروهم)[3].

فالخطاب ليهود المدينة – أو لبني قينقاع خاصة – الذين قيل لهم في الآية المتقدّمة ﴿سَتُغْلَبُونَ﴾ فذكر الله في هذه الآية ما يدل على صحة الحكم بهزيمتهم[4].

القول الثالث:

الخطاب لمشركي قريش.

وهو قول الزمخشري، والنسفي، وابن عاشور[5] .

وعلّل له ابن عاشور بأن المقام للمحاجّة، فأعقب الإنذار والوعيد المتقدّم بقوله ﴿سَتُغْلَبُونَ﴾ بإقامة الحجة، فيكون من جملة القول الذي قاله لهم.

الترجيح:

الظاهر–والله أعلم– أن الخطاب لكفار قريش المخاطبين بالآية السابقة ﴿سَتُغْلَبُونَ﴾ فهذه الآية كالحجة على هزيمتهم مستقبلاً بذكر شاهد واقعي "غزوة بدر" ، وإلحاق الآية بمعنى ما قبلها أولى من الخروج بها إلى خطاب مَن لم يجر لهم ذكر .

---

(١) ينظر: تفسير الطبري: ٢٢٦/٣، تفسير الرازي: ١٥٥٨/٣، تفسير القرآن العظيم: ١٧/٢، إرشاد العقل السليم: ٣٤١/١.

(٢) ينظر: الكشف عن وجوه القراءات السبع: ٣٨١/١.

(٣) ينظر: تفسير السمعاني: ٢٩٩/١، معالم التنزيل: ٣٢٨/١.

(٤) ينظر: تفسير الرازي: ١٥٥٨/٣، التسهيل لعلوم التنزيل: ١٤٦/١.

(٥) ينظر: الكشاف: ٢٦١/١، تفسير النسفي: ١٤٤/١، التحرير والتنوير: ٣٤/٣، ٣٥، مع تجويز ابن عاشور للقول الأول.

المسألة الثالثة: الفاعل والمفعول على قراءة الياء ﴿يَرَوْنَهُم﴾ .

رجّح ابن جُزَيّ / أن " الفاعل في ﴿يَرَوْنَهُم﴾ المؤمنون، والمفعول به هم المشركون، والضمير في ﴿مِّثْلَيْهِمْ﴾ للمؤمنين".

وذكر القول الآخر في المسألة بأن "الفاعل في يروهم ضمير المشركين، والمفعول ضمير المؤمنين، وأن الضمير في مثليهم يحتمل أن يكون للمؤمنين [أو المشركين] والمعنى على هذا أن الله كثّر عدد المسلمين في أعين المشركين حتى حسب الكفار المؤمنين مثلي الكافرين أو مثلي المؤمنين، وهم أقل من ذلك، وإنما كثّرهم الله في أعينهم ليرهبوهم".

وتعقّبه بقوله "ويرد هذا قوله تعالى ﴿وَيُقَلِّلُكُمْ فِيٓ أَعْيُنِهِمْ﴾"[1] [الأنفال: ٤٤].

الدراسة:

القول الأول:

الفاعل في ﴿يَرَوْنَهُم﴾ المؤمنون، والمفعول به هم المشركون، والضمير في ﴿مِّثْلَيْهِمْ﴾ للمؤمنين، والمعنى: يرى المؤمنون الكافرين مِثْلَي المؤمنين.

وهو قول الجمهور[2] ، وممن قال به ابن مسعود، وابن عباس[3]، والطبري، ومكي ابن أبي طالب، والواحدي، والراغب الأصفهاني، والسمعاني، وابن عثيمين[4] .

واستدلوا بآيتي الأنفال: ﴿ إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ﴾ [الأنفال: ٤٣] ﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِيٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِيٓ أَعْيُنِهِمْ ﴾ [الأنفال: ٤٤] فالكفار كانوا

---

(١) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: ١٤٦/١، وما بين المعقوفين تصحيح من مخطوطتي (أ) ل:٣٠-أ ، و(ب) ل: ٨٤-أ .

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٨/٤.

(٣) ينظر: تفسير الطبري: ٢٢٩/٣، تفسير ابن أبي حاتم: ٦٠٦/٢.

(٤) ينظر: تفسير الطبري: ٢٢٨/٣، ٢٣١، الكشف: ٣٨٠/١، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٢٠١/١، تفسير الراغب: ١/ ٤٤٤، تفسير السمعاني: ٢٩٨/١، تفسير سورة آل عمران: ٧٩/١.

ثلاثة أمثال المؤمنين، لكن الله قللّهم في أعين المؤمنين حتى رأوهم مثليهم ليتجاسروا على قتالهم إذا ظهر لهم أنهم على ما أُخبروا به من قتال الواحد للاثنين في قوله تعالى: ﴿ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ [الأنفال:٦٦][(١)] .

وتُعقِّب هذا القول بأن قراءة (تروهم) بالتاء، لا تساعد عليه، فلو كان كذلك لقال: مثليكم[(٢)] .

قال النحاس مجيباً عنه: " وذا لا يلزم، ولكن يجوز أن يكون مثلي أصحابكم"[(٣)] .

وأجاب مكي بأن الكلام جرى على الخروج من الخطاب إلى الغيبة، وهو في القرآن وكلام العرب كثير، كقوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ ﴾ [يونس:٢٢][(٤)] .

أيضاً هذا التعقّب من بعض أصحاب القول الثاني يلزمهم مثله على هذه القراءة في قولهم بأن المعنى يرى المشركون المؤمنين مِثْلَي عدد المشركين.

القول الثاني:

الفاعل في ﴿ يَرَوْنَهُم ﴾ المشركون، والمفعول به هم المؤمنون.

وهو قول الزمخشري، والرازي، وأبي السعود، وابن عاشور[(٥)] .

والمعنى: يرى المشركون المؤمنين مِثْلَي عدد المشركين أو مثلي عدد المؤمنين، أراهم الله إياهم كذلك ليهابوهم ويجبنوا عن قتالهم، وكان ذلك مدداً من الله للمؤمنين كما أمدهم

---

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٨/٤، الكشف: ٣٨٠/١، تفسير السمعاني: ٢٩٨/١، التسهيل لعلوم التنزيل: ١٤٦/١.

(٢) ينظر: الكشاف: ٢٦١/١، الجامع لأحكام القرآن: ١٨/٤.

(٣) معاني القرآن للنحاس: ١٢٦/١.

(٤) الكشف: ٣٨٠/١، وينظر: البحر المحيط: ٤١١/٢.

(٥) ينظر: الكشاف: ٢٦١/١، تفسير الرازي: ١٥٥٩/٣، إرشاد العقل السليم: ٣٤٣/١، التحرير والتنوير: ٣٦/٣.

بالملائكة[1] .

واستدل له الزمخشري بقراءة (ترونهم) بالتاء، أي ترون يا مشركي قريش المسلمين مثلي فئتكم الكافرة أو مثلي أنفسهم.

كما استدلوا له بأن الله تعالى جعل هذه الحالة آية للكفار فقال:﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ ﴾ فوجب أن تكون هذه الحالة مما يشاهدها الكافر حتى تكون حجة عليه، أما لو كانت هذه الحالة حاصلة للمؤمن لم يصح جعلها حجة على الكافر[2] .

وتعقّب الطبري وابن عطية وابن جُزَيّ هذا القول بأنه مخالف لقوله تعالى: ﴿ وَيُقَلِّلُكُمْ فِيٓ أَعْيُنِهِمْ ﴾ [الأنفال: ٤٤] [3] .

وأُجيب بأنهم قُلّلوا في أعينهم في حال، وكُثّروا في حال أخرى فلا تعارض، ونظيره من المحمول على اختلاف الأحوال قوله تعالى ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾ ﴾ [الرحمن] وقوله تعالى ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الصافات][4] .

قال ابن عاشور: " هذه الرؤية غير الرؤية المذكورة في الأنفال بقوله : ﴿وَيُقَلِّلُكُمْ فِيٓ أَعْيُنِهِمْ ﴾ فإنّ تلك يناسب أن تكون وقعت قبل التلاحم حتى يستخفّ المشركون بالمسلمين فلا يأخذوا أُهبتهم للقائهم، فلمّا لاَقوهم رأوهم مثلي عددهم فدخلهم الرعْب والهزيمة، وتحققوا قلّة المسلمين بعد انكشاف الملحمة، فقد كانت إرادة القلّة وإرادة الكثرة سببي نصر للمسلمين بعجيب صنع الله تعالى"[5] .

الترجيح:

القولان محتملان احتمالاً قوياً، والأقرب – والله أعلم – في قراءة الياء ﴿ يَرَوْنَهُم ﴾

(١) ينظر: الكشاف: ٢٦١/١، تفسير الرازي: ١٥٥٩/٣.

(٢) السابق.

(٣) ينظر: تفسير الطبري: ٣/ ٢٣١، المحرر الوجيز: ٤٠٧/١، التسهيل لعلوم التنزيل: ١٤٦/١.

(٤) ينظر: الكشاف: ٢٦١/١.

(٥) التحرير والتنوير: ٣٦/٣.

هو القول الأول بأن الفاعل في ﴿ يَرَوْنَهُم ﴾ هم المؤمنون، والمفعول به هم المشركون، والمعنى: يرى المؤمنون الكافرين مِثْلَي المؤمنين.

بدليل آية الأنفال ﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا ﴾ والقرآن يفسر بعضه بعضاً.

أما على قراءة التاء (تروهم) فلا يبعد أن يكون الفاعل هم المشركون، والمفعول به هم المؤمنون، أي ترون أيها المشركون المؤمنين مثلي عدد المؤمنين، وذلك لوجهين:

الأول: أن (تروهم) خطاب، والخطاب في الآية للمشركين كما مرّ في المسألة الأولى.

الثاني: أن القراءة الأولى بالياء ﴿يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ ﴾ جرت على نسق واحد في الكلام وهو الغَيْبة، فالأولى حمل القراءة الثانية (تروهم مثليهم) على نسق واحد وهو الخطاب، فليس فيها التفات من الخطاب للغيبة كما أن القراءة الأولى لا التفات فيها من الغيبة للخطاب.

وحينئذٍ يحمل قوله تعالى: ﴿وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ ﴾ [الأنفال: ٤٤] على ما سبق بأنهم قُلّلوا في أعينهم في حال، وكُثّروا في حال أخرى، نصرة للمؤمنين وخذلاناً للكافرين.

وإذا صح هذا الترجيح فتكون الآية والعبرة في غزوة بدر من وجوه:

الأول: تقليل الكفار في أعين المؤمنين حتى رأوهم مثلي المؤمنين، تقوية لقلوبهم.

الثاني: تكثير المؤمنين في أعين الكفار حتى رأوهم مثلي المؤمنين في حال، وتقليلهم في حال أخرى بحسب المصلحة.

الثالث: انتصار المؤمنين على الكافرين رغم قلة عدد جيش المؤمنين وكثرة جيش الكافرين.

ففي هذه الوجوه آية ودلالة بيّنة لمن تأملها بتجرّد بأن الإسلام دين منصور من الله تعالى، وأن جيوش الكفر ستُغلب وتُقهر ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ ﴾ [المجادلة].

قال الله تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ﴾ .

وفيها مسألتان:

المسألة الأولى: معنى ﴿ٱلْمُقَنطَرَةِ﴾ .

ذكر ابن جُزَيّ / قولين في المسألة، ورجَّح الأول منهما فقال :

" مبنيّة من لفظ [القنطار للتأكيد كقولهم ألفٌ] مؤلَّفة .

وقيل: المضروبة دنانير أو دراهم"[1] .

الدراسة:

القول الأول:

﴿ٱلْمُقَنطَرَةِ﴾ مبنيّة من لفظ القنطار للتأكيد كقولهم ألفٌ مؤلَّفة .

وهو قول الزمخشري، والرازي، والبيضاوي، وأبي حيان، وأبي السعود[2].

وقال أبو عبيدة: ﴿ٱلْمُقَنطَرَةِ﴾ مُفَنْعَلة، مثل قولك: ألف مؤلف[3] .

وقال ابن قتيبة، والنحاس، ومحمد بن أبي بكر الرزي[4]: المكمَّلة، كما تقول ألفٌ مؤلفة، وبدرةٌ مُبدّرة[5] .

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ١٤٧/١، وما بين المعقوفين من مخطوطتي (أ) ل: ٣٠-أ ، و (ب) ل:٨٤-أ .

(٢) ينظر: الكشاف: ٢٦٣/١، تفسير الرازي: ١٥٦٦/٣، أنوار التنزيل: ٥/٢، البحر المحيط: ٤١٥/٢، إرشاد العقل السليم: ٣٤٥/١.

(٣) مجاز القرآن: ٨٨/١، ونقل الأزهري في تهذيب اللغة (مادة: قنطر) قوله وزاد: أي، متممة.

(٤) محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، صاحب مختار الصحاح، من تصانيفه أسئلة القرآن وأجوبتها في مجلد، روضة الفصاحة ،كنوز البراعة في شرح المقامات للحريري، توفى سنة ٦٦٠. ينظر: هدية العارفين: ١٢٧/٦.

(٥) ينظر: القرطين: ٩٨/١، معاني القرآن للنحاس: ١٢٨/١، تفسير غريب القرآن العظيم: ٢٣٨.
قال الفيروز آبادي: المقنطر: المكمّل. (القاموس المحيط: مادة: قنطر).

وقال الراغب الأصفهاني: المجموعة قنطاراً قنطاراً، كقولك دراهم مدرهمة، ودنانير مدنَّرة[1] .

وقال ابن عطية: هي إشارة إلى حضور المال وكونه عتيداً، فذلك أشهى في أمره[2] .

وهي أقوال متقاربة تندرج تحت هذا القول، فالمقنطرة مبينة من القنطار، كما يقال: ألفٌ مؤلفة، وبدرةٌ مُبدّرة، وإبلٌ مؤبَّلة، ودراهم مدرهمة، ودنانير مدنَّرة اشتقوا منها وصفاً للتوكيد على كمالها وتمامها واجتماعها، ومن كمالها ما قال ابن عطية بأنها مال حاضر بيد صاحبه.

القول الثاني:

﴿ٱلْمُقَنطَرَةِ﴾ المضروبة دنانير أو دراهم.

وهو قول السدي[3] .

وهو تفسير على المعنى يرجع إلى القول الأول، فمن كمال القناطير أن تضرب دنانير أو دراهم فذلك أسرع وأيسر في انتفاع صاحبها من الذهب والفضة غير المضروبة.

وعليه فالخلاف في المسألة خلاف تنوع، والمعنى واحد أو متقارب، والله تعالى أعلم.

---

(١) المفردات: ٤٠٨.

(٢) المحرر الوجيز: ٤٠٩/١. وعُرّفت المقنطرة في المعجم الوسيط (مقنطرة) بأنها: المكدّسة.

(٣) ينظر: تفسير الطبري: ٢٣٦/٣، تفسير ابن أبي حاتم: ٦٠٩/٢.

المسألة الثانية: المراد بـ ﴿ٱلْمُسَوَّمَةِ﴾ في قوله ﴿وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ﴾.

ذكر ابن جُزَيّ / ثلاثة أقوال في المسألة، ورجَّح الأول منها فقال:

" الراعية، من قولهم سام الفرس وغيره: إذا جال في المسارح .

وقيل: المعلمة في وجوهها شِيات"[(١)]، فهي من السِّمات بمعنى العلامات.

وقيل: المعدّة للجهاد"[(٢)] .

الدراسة:

اختلف العلماء في المسألة على أقوال:

القول الأول:

أي: الراعية.

وهو قول ابن عباس، وسعيد بن جبير، ومجاهد، والحسن، والربيع[(٣)] ، ومكي بن أبي طالب، والواحدي، وابن الجوزي، وابن عاشور[(٤)] .

يقال: أسمت الدابة وسوّمتها: إذا أرسلتها في مسارحها للرعي، كما يقال: أقمت الشيء وقوّمته ، وأجدته وجوّدته، ومنه إبل سائمة أي راعية، ومنه قوله تعالى ﴿ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴾ [النحل: ١٠][(٥)].

قال الرازي: "والمقصود أنها إذا رعت ازدادت حسناً"[(٦)] .

وقال ابن عاشور: "مادة فعَّل للتكثير، أي التي تترك في المراعي مُدداً طويلة، وإنّما

---

(١) الشِّيَةُ : كل لونٍ يُخالِفُ مُعظم لون الفرس وغيرِه. ينظر: الصحاح: (وشى).

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل: ١٤٧/١.

(٣) ينظر: تفسير الطبري: ٢٣٧/٣، تفسير ابن المنذر: ١٤١، تفسير ابن أبي حاتم: ٦١٠/٢.

(٤) ينظر: تفسير المشكل من غريب القرآن: ٤٨، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٢٠١/١، تذكرة الأريب في تفسير الغريب: ٨٩/١، التحرير والتنوير: ٤٠/٣.

(٥) ينظر: معاني القرآن للنحاس: ١٢٨/١، المفردات في غريب القرآن: ٢٢٥، تفسير الرازي: ١٥٦٦/٣.

(٦) تفسير الرازي: ١٥٦٦/٣.

يكون ذلك لسعة أصحابها وكثرة مراعيهم، فتكون خيلهم مكرمة في المروج والرياض"[1].

القول الثاني:

أي : المعلمة.

وبه قال ابن عباس، ومكحول، وقتادة[2] ، وأبو عبيدة، والطبري، والزجاج[3] .

فهو من السُّومة بمعنى العلامة[4]، ومنه قوله تعالى: ﴿ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ﴾ [الفتح: ٢٩] فهي معلمة بالشِّيه أو الغُرّ والتحجيل، أو غير ذلك[5].

ومنه كذلك قوله تعالى: ﴿ يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾ [آل عمران : ١٢٥].

القول الثالث:

أي: الحسان.

وهو قول مجاهد، وعكرمة، والسدي[6]، والنحاس، والسيوطي[7] .

وهو قريب من القول الثاني؛ فالمراد أنها معلمة بما يزيدها حسناً وبهاءً.

---

(١) التحرير والتنوير: ٣/٤٠.

(٢) ينظر: تفسير عبد الرزاق: ١/١١٧، تفسير الطبري: ٣/٢٣٧، تفسير ابن المنذر: ١٤١، تفسير ابن أبي حاتم: ٢/٦١٠.

(٣) ينظر: مجاز القرآن: ١/٨٩، تفسير الطبري: ٣/٢٣٩، معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ١/٣٢٤، مع تجويز تجويز أبي عبيدة والزجاج للقول الأول.

(٤) السُّومة بالضم هي العلامة. ينظر: مقاييس اللغة، مختار الصحاح: (سوم).

(٥) ينظر: تفسير الرازي: ٣/١٥٦٦، والغرة بالضم: بياض في جبهة الفرس فوق الدرهم، و التحجيل : بياض يكون في قوائم الفرس كلها أو ثلاث منها . ينظر: لسان العرب، مختار الصحاح: (حجل – غرر) .

(٦) ينظر: تفسير عبد الرزاق: ١/١١٧، تفسير الطبري: ٣/238، تفسير ابن المنذر: ١٤١، تفسير ابن أبي حاتم: ٢/٦١٠.

(٧) ينظر: معاني القرآن للنحاس: ١/١٢٨ ، تفسير الجلالين: ٥١، مع تجويز النحاس للقول الأول.

القول الرابع:

أي: المعدّة للجهاد.

وهو قول ابن زيد[1] .

قال الطبري: وهو تأويل عن معنى المسومة بمعزل[2] .

الترجيح:

الأقوال الثلاثة الأولى صحيحة ولا تعارض بينها، فتحمل عليها الآية، وبه يُشعر تعدد المرويات عن ابن عباس ومجاهد؛ بل جاء عن ابن عباس عند ابن أبي حاتم الجمع بين بعضها فقال: " الخيل المسومة: الراعية، والمطهّمة الحسان"[3] .

أما القول الرابع فهو بعيد كما قال الطبري، ويردّه أيضاً أن المراد في الآية الحديث عن الشهوات ومتاع الحياة الدنيا، وما أُعدَّ للجهاد ليس كذلك، والله تعالى أعلم.

---

(١) ينظر: تفسير الطبري: ٣/٢٣٩.

(٢) المرجع السابق.

(٣) تفسير ابن أبي حاتم: ٢/٦١٠، قال في لسان العرب (مادة: طهم) : المطهم من الناس والخيل: الحسن التام كل شيء منه على حدته، فهو بارع الجمال.

مسألة: معنى ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ ﴾ في الآية.

قال الله تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾.

ذكر ابن جُزَيّ / قولين في المسألة، ورجَّح الأول منهما فقال :

" شهادة من الله سبحانه لنفسه بالوحدانية .

وقيل: معناها إعلامه لعباده بذلك"[1] .

الدراسة:

اختلف المفسرون في المسألة على أقوال:

القول الأول:

شهادة من الله سبحانه لنفسه بالوحدانية .

وهو قول الطبري، والسمرقندي، وابن كثير، والسعدي[2] .

القول الثاني:

معناها: إعلامه تعالى لعباده بهذا الأمر الحق.

وهو قول البغوي، وابن عطية، وابن الجوزي، والقرطبي، والخازن، والشوكاني[3].

وبه قال أيضاً الزجاج، والواحدي، والراغب الأصفهاني، والزمخشري، والبيضاوي، وأبو حيان، والسيوطي، وأبو السعود، وابن عاشور وزادوا القول إيضاحاً فقالوا:

أي: بيّن الله تعالى وحدانيته بنصْب الدلائل الكونية في الآفاق والأنفس، وإنزال

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ١٤٧/١.

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ٢٤٦/٣، ٢٤٧، بحر العلوم: ٢٢٥/١، تفسير القرآن العظيم: ٢٤/٢، تفسير السعدي: ٢١١/١.

(٣) ينظر: معالم التنزيل: ٣٣٢/١، المحرر الوجيز: ٤١٢/١، كشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي: ٩٦/٤، الجامع لأحكام القرآن: ٢٨/٤، لباب التأويل: ٣٢٩/١، فتح القدير: ٤١٢/١.

الآيات الشرعية[1] .

الترجيح:

القولان صحيحان ولا تعارض بينهما، فالله تعالى شهد لنفسه بالوحدانية، وأعلم عباده بوحدانيته قولاً صريحاً، وأعلمهم وبيّنه لهم كذلك من طريق أفعاله وأقواله التي تدل من تأمل فيها بصدق وتجرّد على وحدانيته تعالى.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: " وكل هذه الأقوال وما في معناها صحيحة، وذلك أن الشهادة تتضمن كلام الشاهد وقوله وخبره عما شهد به، وهذا قد يكون مع أن الشاهد نفسه يتكلم بذلك ويقوله ويذكره، وإن لم يكن معلماً به لغيره ولا مخبراً به لسواه، فهذه أول مراتب الشهادة، ثم قد يخبره ويعلمه بذلك فتكون الشهادة إعلاماً لغيره وإخباراً له، ومن أخبر غيره بشيء فقد شهد به سواء كان بلفظ الشهادة أو لم يكن، كما قال تعالى: ﴿ وَجَعَلُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُواْ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴾ [الزخرف: ١٩] " وقال: " وشهادة الرب وبيانه وإعلامه يكون بقوله تارة، وبفعله تارة"[2]، والله تعالى أعلم.

---

(١) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٣٢٥/١، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٢٠٢/١، المفردات في غريب القرآن: ٢٧٢، الكشاف: ٢٦٣/١، أنوار التنزيل: ١٧/٢، البحر المحيط: ٤١٩/٢، تفسير الجلالين: ٥٢، إرشاد العقل السليم: ٣٤٧/١، التحرير والتنوير: ٤٤/٣.

(٢) مجموع الفتاوى: ١٦٨/١٤، ١٧٤، ومثله قال ابن القيم. ينظر: بدائع التفسير: ٢١٧/١.

مسألة: المراد بـــ ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ في الآية.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿١٩﴾﴾.

ذكر ابن جُزَيّ / ثلاثة أقوال في المسألة، ورجَّح الأول منها فقال :

" الآية في اليهود .

وقيل: في النصارى .

وقيل: فيهما"[1] .

الدراسة:

اختلف المفسرون في المسألة على أقوال:

القول الأول:

المراد بالآية اليهود.

وهذا قول الربيع بن أنس[2] ، والواحدي[3] .

القول الثاني:

المراد النصارى.

وهو قول محمد بن جعفر بن الزبير، واختاره الطبري[4] .

القول الثالث:

اليهود والنصارى كلاهما.

وهو قول أكثر المفسرين، وممن قال به مقاتل بن سليمان، والسمعاني، والزمخشري،

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ١٤٧/١.

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ٢٤٩/٣.

(٣) ينظر: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٢٠٢/١.

(٤) ينظر: تفسير الطبري: ٢٥٠/٣.

والقرطبي، وأبو حيان، والسيوطي، وأبو السعود، والشوكاني، وابن عاشور، وابن عثيمين[1]، وهو ظاهر كلام ابن كثير، والسعدي[2] .

الترجيح:

الراجح – والله أعلم – هو القول الثالث؛ فاللفظ يعمهما ولا دليل على تخصيصه بأحدهما.

(١) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ١٦١/١، تفسير السمعاني: ٣٠٣/١، الكشاف: ٢٦٦/١، الجامع لأحكام القرآن: ٢٩/٣، البحر المحيط: ٤٢٧/٢، تفسير الجلالين: ٥٢، إرشاد العقل السليم: ٣٤٩/١، فتح القدير: ٤١٣/١، التحرير والتنوير: ٥٤/٣، تفسير سورة آل عمران لابن عثيمين: ١٢٥/١.

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٢٥/٢، تفسير السعدي: ٢١٢/١.

مسألة: المراد بـــ ﴿كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ الذي دعوا إلى التحاكم إليه.

قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾.

ذكر ابن جُزَيّ / قولين في كتاب الله الذي دعوا إلى التحاكم إليه:

الأول: أنه التوراة.

الثاني: أنه القرآن.

ورجَّح الأول مستشهداً بقول ابن عباس الآتي في سبب نزول الآية[1] .

الدراسة:

اختلف المفسرون في المسألة على قولين:

القول الأول:

أنه التوراة.

وهو قول أكثر المفسرين[2] ، وممن قال به مقاتل بن سليمان، والطبري، والواحدي، والزمخشري، وابن عطية، والقرطبي، ونظام الدين النيسابوري[3]، وأبو حيان، وأبو السعود، والشوكاني، والألوسي[4] .

---

(١) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: ١٤٨/١.

(٢) ينظر: زاد المسير: ٢٩٨/١، تفسير الرازي: ١٥٨٥/٣.

(٣) حسن بن محمد القمي النيسابوري، قال الأدنه وي: "العالم الفاضل العلامة الشيخ نظام الدين، وكان يعرف بنظام الأعرج، صنف غرائب القرآن ورغائب الفرقان في التفسير، وهو مؤلف جليل القدر والشأن" وله: "شرح الشافية" في الصرف، توفي سنة ٧٢٨.
ينظر: بغية الوعاة: ٥٢٥/١، طبقات المفسرين للأدنه وي: ٤٢٠، كشف الظنون: ١١٩٥/٢.

(٤) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ١٦٣/١، تفسير الطبري: ٢٥٥/٣، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٢٠٤/١، الكشاف: ٢٦٨/١، المحرر الوجيز: ٤١٦/١، الجامع لأحكام القرآن: ٣٣/٤، غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ١٣٢/٢، البحر المحيط: ٤٣٤/٢، إرشاد العقل السليم: ٣٥١/١، فتح القدير: ٤١٦/١، روح المعاني: ١١٠/٣.

واستدلوا بعدد من الأدلة:

١- سبب النزول المروي عن ابن عباس ب قال: "دخل رسول الله بيت المِدْرَاس[١] على جماعة من يهود، فدعاهم إلى الله، فقال له نعيم بن عمرو والحارث ابن زيد: على أيّ دين أنت يا محمد؟ فقال: (على ملة إبراهيم ودينه) فقالا: فإن إبراهيم كان يهودياً، فقال لهما رسول الله: (فهلموا إلى التوراة فهي بيننا وبينكم) فأبوا عليه، فأنزل الله عز وجل ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ إلى قوله ﴿مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾"[٢] .

٢- ولأنه تعالى عجّب رسوله > من تمردهم وإعراضهم، والعجب إنما يحصل إذا تمردوا عن حكم الكتاب الذي يعتقدون صحته[٣].

٣- أن هذا هو المناسب لما قبل الآية؛ وذلك لأنه تعالى لما بيّن أنه ليس عليه إلا البلاغ، وصبّره على ما قالوه في تكذيبه مع ظهور الحجة؛ بيّن أنهم إنما استعملوا طريق المكابرة في نفس كتابهم الذي أقروا بصحته، فهذا يدل على أنهم في غاية التعصب والبعد عن قبول الحق[٤].

قال القرطبي: "وكان عليه السلام عالماً بما لم يُغيّر منها، فلذلك دعاهم إليها وإلى

---

(١) المِدْرَاس: هو البيت الذي يدرسون فيه. ينظر: تاج العروس: (درس).

(٢) أخرجه الطبري في التفسير: ٢٥٥/٣ من طريق ابن اسحاق عن محمد بن أبي محمد عن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس به، وابن المنذر في التفسير ١٥٤ عن ابن اسحاق مرسلاً، وابن أبي حاتم في التفسير: ٦٢٢/٢ من طريق ابن اسحاق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة مرسلاً. وهو ضعيف لجهالة محمد بن أبي محمد. ينظر: تقريب التهذيب: ٥٠٥، الاستيعاب في بيان الأسباب: ٢٣٧/١، تخريج الأحاديث والآثار في كتاب التسهيل لعلوم التنزيل للدكتور سامي الجهني: ٢٦٣/١، وصنيع الطبري يشعر بضعفه لديه فإنه عندما علّل لترجيحه للقول الأول لم يُشر إليه، وأيضاً فإن في متنه علّة فإن الله قال: (ليحكم بينهم) فالحكم بين اليهود أنفسهم لا بينهم وبين غيرهم، ولو كان على هذا السبب لقال والله أعلم: ليحكم بينكم وبينهم. وينظر: الكشاف: ٢٦٨/١.

(٣) ينظر: تفسير الطبري: ٢٥٦/٣، تفسير الرازي: ١٥٨٥/٣، غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ١٣٢/٢.

(٤) ينظر: تفسير الرازي: ١٥٨٥/٣.

الحكم بها"[1] .

القول الثاني:

أنه القرآن.

وهو قول قتادة وابن جريج[2] .

وهو ظاهر كلام السعدي، وبه قال ابن عاشور مع تجويزه للأول[3] .

قال ابن عاشور: " فهو غير الكتاب المراد في قوله : ﴿ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ كما يُنبىء به تغيير الأسلوب... ويجوز أن يكون كتاب الله عين المراد من الكتاب، وإنّما غيّر اللفظ تفنّناً وتنويهاً بالمدعوّ إليه"[4] .

الترجيح:

الراجح – والله أعلم – هو القول الأول الذي رجّحه ابن جُزَيّ وعليه جمهور المفسرين، وذلك أن الآية تعْجيبٌ من حالهم وتعييرٌ لهم على صنيعهم، وهذا القول أبلغ في التعجيب والتعيير.

قال الطبري: "وإنما قلنا إن ذلك الكتاب هو التوراة؛ لأنهم كانوا بالقرآن مكذبين، وبالتوراة بزعمهم مصدقين، فكانت الحجة عليهم بتكذيبهم بما هم به في زعمهم مقرون أبلغ، وللعذر أقطع"[5].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن: ٣٤/٤.

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ٢٥٦/٣، تفسير ابن المنذر: ١٥٤، تفسير ابن أبي حاتم: ٦٢٢/٢.

(٣) ينظر: تفسير السعدي: ٢١٣/١، التحرير والتنوير: ٦٥/٣.

(٤) التحرير والتنوير: ٦٥/٣.

(٥) تفسير الطبري: ٢٥٦/٣.

مسألة: معنى ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ في قول الله تعالى: ﴿تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾﴾.

ذكر ابن جُزَيّ / قولين في المسألة، ورجَّح الأول منهما فقال :

" بغير تضييق.

وقيل: بغير محاسبة"(١) .

الدراسة:

اختلف المفسرون في المسألة على أقوال:

القول الأول:

المعنى: بغير تضييق على من تجود عليه؛ بل تبسطه له، وتوسعه عليه.

وهو قول الزجاج، والنحاس، والواحدي، والسمعاني، والبغوي، وابن الجوزي، ومحمد بن أبي بكر الرازي، والقرطبي، والشوكاني(٢).

قال الزجاج: " وهذا مستعمل في اللغة، يقال للذي ينفق موسعاً، فلان ينفق بغير حساب، أي يوسع على نفسه، وكأنه لا يحسب ما أنفقه إنفاقاً"(٣).

وقال الربيع بن أنس: " لا يخرجه بحساب، يخاف أن ينقص ما عنده، إن الله لا ينقص ما عنده"(٤) وهو قريب من هذا القول ، ويحتمل أن يكون بمعنى القول التالي.

القول الثاني:

إنه تعالى يعطي من يشاء من خلقه فيجود عليه بغير محاسبة منه لمن أعطاه؛ لأنه

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ١٤٩/١.

(٢) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ٣٣٣/١، معاني القرآن: ١٣٣/١، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٢٠٥/١، تفسير السمعاني: ٣٠٨/١، معالم التنزيل: ٣٣٨/١، زاد المسير: ٣٠١/١، تفسير غريب القرآن: ١٠١، الجامع لأحكام القرآن: ٣٧/٤، فتح القدير: ٤١٨/١.

(٣) معاني القرآن وإعرابه: ٣٣٣/١، وينظر: معاني القرآن للنحاس: ١٣٣/١.

(٤) تفسير الطبري: ٢٦٦/٣، تفسير ابن أبي حاتم: ٢٢٨/٢.

لا يخاف دخول انتقاص في خزائنه، وهو قول الطبري[١].

وقريب منه القول بأن المعنى: بغير عوض؛ لأن المحاسبة إنما تكون مع المعاوضة، فإن من لا يريد المعاوضة لا يحاسب، وهو قول ابن عثيمين[٢] .

فهو عطاء من غير معاوضة ولا استحقاق؛ بل على سبيل التفضل.

القول الثالث:

تعطي من تشاء عطاء لا يستطيع أن يَعُدَّه ولا يحصيه من كثرته، وهو قول ابن كثير[٣].

أو تعطي من تشاء عطاء لا يستطيع الخلق عدّه وإحصاؤه[٤].

وهو قريب من القول الأول؛ إلا أن الأول جعل الحساب من الله، وهذا جعل الحساب من الخلق.

القول الرابع:

ترزق من تشاء بغير حساب من أحد لك، فالله تعالى لا مُعقّب لحكمه، يعطي من يشاء ما يشاء لا يحاسبه على ذلك أحد[٥].

القول الخامس:

يعطي المؤمن ولا يحاسبه عليه، لأن المؤمن لا يأخذ من الدنيا إلا قدر ما يجب وكما يجب وفي وقت ما يجب، ولا ينفق إلا كذلك، ويحاسب نفسه فلا يحاسبه الله حساباً يضره[٦].

---

(١) ينظر: تفسير الطبري: ٢٦٦/٣.

(٢) ينظر: تفسير سورة آل عمران لابن عثيمين: ١٦٥/١، وينظر: المفردات: ١٢٤، تفسير الرازي: ١٦٠٢/٣، وعمدة الحفاظ: ٤٦٣/١.

(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٢٩/٢.

(٤) ينظر: المفردات: ١٢٤، وعمدة الحفاظ: ٤٦٣/١.

(٥) ينظر: المحرر الوجيز: ٤١٨/١، تفسير الرازي: ١٦٠٢/٣.

(٦) ينظر: المفردات: ١٢٤، وعمدة الحفاظ: ٤٦٣/١.

الترجيح:

الأقوال الأربعة الأولى صحيحة، واللفظ يحتملها بلا تعارض، فتحمل الآية عليها كلها، فالمعنى: ترزق من تشاء بغير تضييق عليه؛ بل تبسطه له، وتوسعه عليه، بغير محاسبة ومعاوضة منك لمن أعطيته ولا استحقاق؛ بل تعطيه على سبيل التفضل والجود، وتعطي من تشاء عطاء لا يستطيع هو ولا غيره أن يَعُدَّه ولا يحصيه من كثرته، ففضلك عظيم وخزائنك ملأى لا تغيظها النفقة، وترزق من تشاء ما تشاء بغير حساب من أحد لك، لا مُعقّب لحكمك، ولا رادّ لفضلك، نسأل الله الكريم من واسع فضله.

أما القول الخامس فهو معارض بحديث: " لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يوم الْقِيَامَةِ حتى يُسْأَلَ عن عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ من أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ"(١) فلا بد من الحساب إذن حتى وإن اتقى الله في كسبه وإنفاقه.

وإن أُريد به أن المؤمن يحاسب حساباً يسيراً كما في قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾[الإنشقاق: ٧، ٨] فهو معنى صحيح في ذاته، لكن تفسير الآية به بعيد؛ إذ السياق في الحديث عن قدرة الله تعالى على تغيير الأحوال وتبديل القوى والأرزاق فقد قال قبلها ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ والأقوال السابقة أقرب لهذا السياق، والله أعلم.

(١) رواه الترمذي: ٦١٢/٤ رقم (٢٤١٧) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

مسألة: العامل في ﴿يَوْمَ تَجِدُ﴾ .

قال الله تعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾﴾ .

ذكر ابن جُزَيّ / أربعة أقوال في المسألة، ورجَّح الأول منها فقال :

" منصوب على الظرفية، والعامل فيه فعل مضمر تقديره: اذكروا أو خافوا .

وقيل: العامل فيه: قدير .

وقيل: المصير .

وقيل: يحذّركم"[1] .

الدراسة:

القول الأول:

العامل فيه فعل مضمر تقديره: اذكروا أو خافوا .

وهو قول العكبري[2]، والسيوطي، وابن عثيمين[3] .

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ١٤٩/١.

(٢) أبو البقاء عبد الله بن الحسين العُكْبَري المقرئ الفرضي النحوي الحاسب الضرير، صنف في التفسير والفقه والنحو والحساب، وكان الغالب عليه علم النحو وصنف فيه مصنفات مفيدة، واشتغل عليه خلق كثير وانتفعوا به واشتهر اسمه في البلاد في حياته وبعد صيته، ولم يكن في عصره في آخر عمره مثله في فنونه، توفي سنة ٦١٦.

والعُكْبَري: نسبة إلى عُكْبَرا، وهي بليدة على دجلة فوق بغداد بعشرة فراسخ.

ينظر: إنباه الرواة: ١١٦/٢، وفيات الأعيان: ١٠٠/٣، مرآة الجنان: ٣٢/٤، طبقات المفسرين للداوودي: ١٦٢.

(٣) ينظر: التبيان في إعراب القرآن: ١٨٤، تفسير الجلالين: ٥٤، تفسير سورة آل عمران: ١٨٢/١.

وجوّزه مكي بن أبي طالب، والزمخشري، والرازي، والقرطبي[1] .

وذلك لأن القرآن إنما أُنزل للذكر فكأنه قيل: اذكروا يوم كذا؛ ولأنه في غير موضع من القرآن: واتقوا يوم كذا وحين كذا[2] .

وتُعقّب بأن فيه تقدير محذوف، والتقدير خلاف الأصل[3] .

القول الثاني:

العامل فيه: ﴿قَدِيرٌ﴾ في الآية قبلها، أي: قدير في ذلك اليوم العظيم.

وبه قال أبو بكر بن الأنباري[4] ، وجوّزه مكي بن أبي طالب[5] .

وضعّفه أبو حيان بأن قدرة الله على كل شيء لا تختص بيوم دون يوم؛ بل هو تعالى متصف بالقدرة دائماً[6] .

وأُجيب بأنه لا يلزم من ذلك تقييد قدرته بزمان؛ لأنه إذا قدر في ذلك اليوم الذي يُسْلَب فيه كلُّ أحدٍ قدرته، فلأنْ يقدرَ في غيره بطريق الأولى[7] .

قال الرازي: " خُصَّ هذا اليوم بالذكر، وإن كان غيره من الأيام بمنزلته في قدرة الله تعالى تفضيلاً له لعظم شأنه، كقوله ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾"[8] .

القول الثالث:

منصوب بالمصير في قوله ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾ أي: وإلى الله المصير يوم تجد.

---

(١) ينظر: مشكل إعراب القرآن: ١/١٥٥، الكشاف: ١/٢٧٠، تفسير الرازي: ٣/١٦٠٧، الجامع لأحكام القرآن: ٤/٢٨.

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ٣/٢٧٠.

(٣) ينظر: البحر المحيط: ٢/٤٤٤، الدر المصون: ٣/١١٤.

(٤) ينظر: الدر المصون: ٣/١١٤.

(٥) ينظر: مشكل إعراب القرآن: ١/١٥٥.

(٦) البحر المحيط: ٢/٤٤٤.

(٧) الدر المصون: ٣/١١٤، اللباب: ٥/١٤٨، روح المعاني: ٣/١٢٧.

(٨) تفسير الرازي: ٣/١٦٠٧.

ذكره وجهاً جائزاً في الآية الزجاج، والنحاس، ومكي[1] .

وضُعّف بالفصل بين المصدر ومعمولِه بكلام طويل[2] .

القول الرابع:

العامل فيه ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ﴾ في الآية السابقة، أي: ويحذركم الله نفسه في ذلك اليوم.

وهو قول الطبري، والزجاج، والنحاس، والقرطبي، والشوكاني[3] .

وضُعّف بطول الفصل بينه وبين العامل من جهة اللفظ.

أما من جهة المعنى: فالتخويف لا يقع في ذلك اليوم؛ لأنه ليس زمانَ تكليف؛ والتخويف موجود، واليوم موعود ، فلا يصح له العمل فيه[4] .

القول الخامس:

أنه منصوب بقوله بعدها ﴿تَوَدُّ﴾.

وهو قول الزمخشري، وأبي حيان، والسمين الحلبي[5] .

الترجيح:

الراجح هو القول الأول الذي رجحه ابن جُزَيّ، وذلك لوجهين:

الأول: لكثرة مثل هذا الحذف الذي يدلّ عليه السياق في القرآن[6].

الثاني: أنه استئناف، والاستئناف أغزر فائدة لمعنى الآيات من جعله متعلّقاً بما قبله؛ إذ

---

(١) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٣٣٥/١، إعراب القرآن للنحاس: ١٢٨، مشكل إعراب القرآن: ١٥٥/١.

(٢) ينظر: الدر المصون: ١١٤/٣، وينظر: التحرير والتنوير: ٧٧/٣.

(٣) ينظر: تفسير الطبري: ٢٧٠/٣، معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٣٣٥/١، إعراب القرآن للنحاس: ١٢٨، الجامع لأحكام القرآن: ٣٨/٤، فتح القدير: ٤٢١/١.

(٤) ينظر: البحر المحيط: ٤٤٤/٢، اللباب في علوم الكتاب: ١٤٨/٥.

(٥) ينظر: الكشاف: ٢٧٠/١، البحر المحيط: ٤٤٤/٢، الدر المصون: ١١٥/٣.

(٦) قاله الرازي وابن عثيمين في مسألة مشابهة ستأتي قريباً. ينظر: تفسير الرازي: ١٦١٥/٣، تفسير سورة آل عمران: ٢١٢/١.

في التعلّق نوع تقييد لمعنى ما قبله، والتقييد بمثله وإن كان وارداً في القرآن كقوله ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ وقوله ﴿ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّخَبِيرٞ ﴿١١﴾ ﴾ [العاديات] إلا أنه قليل(١)، وحمل الآية على الأسلوب الكثير، والمعنى الأغزر أولى.

والعلماء يُرجّحون بغزارة الفائدة، قال الرازي في المحصول: " وكلام الله تعالى متى أمكن حمله على ما هو أكثر فائدة وجب ذلك"(٢) .

وقال النووي معلّلاً لترجيحه في إحدى المسائل " الظاهر المختار ما ذكرناه أولاً؛ لأنه أكثر فائدة"(٣)، والله أعلم.

---

(١) والمراد بالتقييد هنا: تقييد المعنى في موضع بعينه لا في كل القرآن، فقوله ﴿ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّخَبِيرٞ ﴿١١﴾ ﴾ لا يعني قطعاً حصر مدلول هذا الاسم العظيم في غير هذا الموضع بهذه الآية، فالله خبير بعباده في كل وقت؛ وإنما نُصّ على يوم القيامة لمناسبته لسياق الآيات ومقصودها في هذا الموضع، والله تعالى أعلم.

(٢) المحصول: ٤٠٦/٢.

(٣) شرح صحيح مسلم: ١٨٠/١٠. وانظر نماذج من الترجيح بكثرة الفائدة في : اللمع في أصول الفقه: ١٩١، قواطع الأدلة: ٢٣٧/٢، إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام: ٤٣/٢، الإبهاج في شرح المنهاج: ٣٥٦/٢، تحقيق المراد: ١١٦، التمهيد في تخريج الفروع على الأصول: ٥٠٩.

مسألة: المراد بعمران في قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾.

ذكر ابن جُزَيّ / قولين في المسألة، ورجَّح الأول منهما مستدلاً بلحاق الآية فقال:

" عمران والد مريم أم عيسى × .

وقيل: إن عمران هنا هو والد موسى، وبينهما ألف وثمانمائة سنة .

والأظهر أن المراد هنا والد مريم لذكر قصتها بعد ذلك"[1] .

الدراسة:

اختلف العلماء في المسألة على قولين:

القول الأول:

عمران هنا هو والد مريم أم عيسى × .

وهو قول السهيلي[2]، وأبي حيان، وابن كثير، والبقاعي، وأبي السعود، والألوسي، وابن عاشور[3].

واستدلوا بعدد من الأدلة:

الأول: أن الله ذكر قصة مريم عقيب هذه الآية فقال: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ ﴾ فكأن المقصود بذكر عمران

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ١٤٩/١.

(٢) عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي، الحافظ العلامة البارع، صاحب التصانيف المؤنَّقة منها: كتاب الروض الأُنف في شرح سيرة سيدنا رسول الله >، كان إماما في لسان العرب يتوقد ذكاءً، أخذ الناس عنه العلم وانتفعوا به، توفي سنة ٥٨١.

ينظر: تذكرة الحفاظ: ١٣٤٨/٤، الديباج المذهب: ١٥١.

(٣) ينظر: التعريف والإعلام فيما أبهم في القرآن من الأسماء الأعلام للسهيلي: ٧٤، البحر المحيط: ٤٥٣/٢، تفسير القرآن العظيم: ٣٣/٢، نظم الدرر: ٦٨/٢، إرشاد العقل السليم: ٣٥٨/١، روح المعاني: ١٣١/٣، التحرير والتنوير: ٨٤/٣.

في آية المسألة التمهيد لذكر مريم وابنها عيسى عليهما السلام[1].

فالله ذكر في هذه الآية أنه اصطفى آل عمران، ثم ذكر بعد بضع آيات أنه اصطفى مريم بقوله ﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ فكان قوله ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ ﴾ كالشرح لكيفية الاصطفاء المذكور في آية المسألة[2] .

الثاني: لأن الكلام سيق للنصارى الذين يحتجون على ألوهية عيسى ﷺ بالخوارق التي ظهرت على يده، فبين الله تعالى أن ذلك باصطفاء منه، لا لكونه شريكاً له[3].

الثالث: لأن السورة تسمى آل عمران، ولم تشرح قصة عيسى ومريم في سورة أبسط من شرحها في هذه السورة، وأما موسى وهارون فلم يذكر من قصتهما فيها طرف، فدل ذلك على أن عمران المذكور هو أبو مريم[4].

الرابع: أن الله قال في الآية ﴿ وَءَالَ عِمْرَٰنَ ﴾ ثم قال بعدها ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ ﴾ فصار نظير تكرار الاسم في جملتين، فيسبق الذهن إلى أن الثاني هو الأول، نحو أكرم زيداً، إن زيداً رجل فاضل، وإذا كان المراد بالثاني غير الأول، كان في ذلك إلباس على السامع[5].

القول الثاني:

عمران هنا هو والد موسى وهارون عليهما السلام.

وهو قول مقاتل بن سليمان، والواحدي، والزمخشري، والبيضاوي، والسيوطي[6].

---

(١) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: ١٤٩/١، إرشاد العقل السليم: ٣٥٨/١،، التحرير والتنوير: ٨٤/٣.

(٢) ينظر: البحر المحيط: ٤٥٢/٢، روح المعاني: ١٣١/٣.

(٣) ينظر: تفسير الرازي: ١٦١٤/٣، غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ١٤٤/٢، تفسير سورة آل عمران لابن عثيمين: ٢٠٦/١.

(٤) ينظر: روح المعاني: ١٣١/٣.

(٥) ينظر: البحر المحيط: ٤٥٢/٢، روح المعاني: ١٣١/٣.

(٦) ينظر: تفسير مقاتل: ١٦٥/١، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٢٠٧/١، الكشاف: ٢٧٢/١، أنوار

واستدل له الزمخشري بأن موسى يقرن بإبراهيم عليهما السلام كثيراً بالذكر.

الترجيح:

الراجح – والله أعلم – هو القول الأول لقوة ما ذكروه من أدلة، لاسيما السياق سباقاً ولحاقاً، وتسمية السورة بآل عمران مع عدم ذكر شيء من أخبار موسى وهارون عليهما السلام.

وأنت إذا نظرت في السور التي سُمِّيت بأسماء أعلام كسورة هود، ويوسف، وإبراهيم، ومريم، ومحمد، ونوح وجدتها تذكر طرفاً من قصصهم وأخبارهم بشكل غير مقتضب؛ فيبعد أن تَشُذّ سورة آل عمران عن ذلك فتسمى بهذا الاسم ثم لا يذكر فيها شيء من أخبار من سمّيت باسمه، فالظاهر أنه عمران والد مريم أم عيسى × فقد حكى الله قصتهم مفصّلة في هذه السورة.

التنزيل: ٢/٢٩، مفحمات الأقران في مبهمات القرآن للسيوطي: ٦٠.

مسألة: العامل في ﴿ إِذْ قَالَتِ ﴾ .

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ ﴾ .

ذكر ابن جُزَيّ / ثلاثة أقوال في المسألة، ورجَّح الأول منها فقال :

" العامل فيه محذوف، تقديره: اذكروا .

وقيل: ﴿عَلِيمٌ ﴾ .

وقال الزجاج: العامل فيه معنى الاصطفاء"[1] .

الدراسة:

القول الأول:

العامل فيه محذوف، تقديره: اذكروا، أو اذكر يا محمد إذ قالت امرأة عمران.

وهو قول المبرد[2] ، والسيوطي، وأبي السعود، والألوسي، وابن عثيمين[3] ،وجوّزه ابن عاشور[4] .

فهو استئناف لتقرير اصطفاء آل عمران، وبيان قصتهم.

وإنما حذف العامل لدلالة السياق عليه، وهو كثير في القرآن[5].

القول الثاني:

العامل فيه قوله ﴿سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ .

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ١/١٥٠.

(٢) ينظر: المحرر الوجيز: ١/٤٢٤، تفسير الرازي: ٣/١٦١٥، الدر المصون: ٣/١٢٩.

(٣) ينظر: تفسير الجلالين: ٥٤، إرشاد العقل السليم: ٣٥٩، روح المعاني: ٣/١٢٣، تفسير سورة آل عمران: ١/٢١٢.

(٤) ينظر: التحرير والتنوير: ٣/٨٥.

(٥) ينظر: تفسير الرازي: ٣/١٦١٥، تفسير سورة آل عمران: ١/٢١٢.

وهو قول الطبري، وظاهر كلام الزمخشري[١] .

وذكره وجهاً في الآية أبو البركات بن الأنباري[٢]، والسمين الحلبي[٣] .

والمعنى: والله سميع عليم بقول امرأة عمران.

وتعقّبه أبو حيان بأن اتصاف الله تعالى بسميع وعليم لا يتقيّد بذلك الوقت[٤] .

القول الثالث:

العامل فيه معنى الاصطفاء.

والمعنى: واصطفى آل عمران إذ قالت امرأة عمران.

وهو قول الزجاج[٥] .

وتُعقِّب بأن الله تعالى قرن اصطفاء آل عمران باصطفاء آدم ونوح، ولما كان اصطفاؤه تعالى آدم ونوحاً قبل قول امرأة عمران استحال أن يقال: إن هذا الاصطفاء مقيد بذلك الوقت الذي قالت امرأة عمران هذا الكلام فيه[٦] .

قال ابن عاشور: " لا يجوز تعلّقها بـــ اصطفى؛ لأنّ هذا خاص بفضل آل عمران، ولا علاقة له بفضل آدم ونوح وآل إبراهيم"[٧] .

وأُجيب بأنه على قول الزجاج يكون قوله ﴿وَءَالَ عِمۡرَٰنَ﴾ من باب عطف الجمل لا من باب عطف المفردات، لأنه إن جُعل من باب عطف المفردات لزم أن يكون العامل

---

(١) ينظر: تفسير الطبري: ٢٧٥/٣، الكشاف: ٢٧٢/١، البحر المحيط: ٤٥٥/٢.

(٢) أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله بن الأنباري، النحوي، كان إماما ثقة صدوقا غزير العلم ورعا زاهدا تقيا عفيفا، لا يقبل من أحد شيئا، وكان خشن العيش خشن المأكل، لم يتلبس من الدنيا بشيء، مصنفاته تربو على السبعين، توفي سنة سبع وسبعين وخمسمائة.

ينظر: إنباه الرواة: ١٦٩/٢، فوات الوفيات: ٦٣٦/١.

(٣) ينظر: البيان في إعراب غريب القرآن: ١٧٩، الدر المصون: ١٢٩/٣.

(٤) ينظر: البحر المحيط: ٤٥٦/٢.

(٥) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٣٣٧/١.

(٦) تفسير الرازي: ١٦١٥/٣.

(٧) التحرير والتنوير: ٨٥/٣.

فيه: اصطفى آدم، ولا يسوغ ذلك لتغاير الزمان كما قالوا، فلذلك يُقدّر عامل محذوف، والتقدير: واصطفى آل عمران إذ قالت[1] .

الترجيح:

الراجح – والله أعلم – هو القول الأول لوجوه:

الأول: لكثرة مثل هذا الحذف في القرآن.

الثاني : أنه استئناف، والاستئناف أغزر فائدة لمعنى الآيات من جعله متعلّقاً بما قبله؛ إذ في التعلّق نوع تقييد لمعنى ما قبله.

الثالث: ولأن جعل قوله ﴿عَلِيمٌ﴾ مرتبط بما قبله أولى؛ لمناسبة ختم الآية به؛ فإن الله تعالى لما ذكر الذين اصطفاهم بيّن أنه ﴿عَلِيمٌ﴾ بمن يصطفيه، فإنما اختارهم سبحانه على علم، وهذا أولى وأكمل من جعل مدلول هذا الاسم متعلّق بقول امرأة عمران.

(١) ينظر: البحر المحيط: ٢/٤٥٥، الدر المصون: ٣/١٢٩.

مسألة: المشار إليه بـــ ﴿هُنَالِكَ﴾ .

قال الله تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣٧) هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ (٣٨)﴾

رجّح ابن جُزَيّ / أن "هنالك" في هذا الموضع للزمان فقال :

" ﴿هُنَالِكَ﴾ إشارة إلى مكان، وقد يُستعمل في الزمان، وهو الأظهر هنا، أي: لما رأى زكريا كرامة الله تعالى لمريم سأل من الله الولد"(١) .

الدراسة:

اختلف العلماء في المسألة على قولين:

القول الأول:

أنها إشارة للزمان، أي في ذلك الوقت دعا ربه.

وهو ظاهر كلام ابن عباس(٢) .

وهو اختيار ابن عطية، وأبي البركات بن الأنباري، والعكبري(٣) .

القول الثاني:

أنها إشارة للمكان، أي في ذلك المكان الذي رأى فيه من أمر مريم ما رأى دعا ربه.

اختاره السمين الحلبي، وابن عادل، والألوسي(٤) .

وذكر القولين وجهين محتملين في معنى الآية الزمخشري، والرازي، والبيضاوي، وأبو السعود، والشوكاني، وابن عثيمين(١) .

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ١/١٥١.

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ٣/٢٩٠.

(٣) ينظر: المحرر الوجيز: ١/٤٢٧، البيان في إعراب غريب القرآن: ١٨٠، التبيان في إعراب القرآن: ١٨٦.

(٤) ينظر: الدر المصون: ٣/١٤٧، اللباب في علوم الكتاب: ٥/١٨٧، روح المعاني: ٣/١٤٤.

(١) ينظر: الكشاف: ١/٢٧٥، تفسير الرازي: ٣/١٦٢٣، أنوار التنزيل: ٢/٣٥، إرشاد العقل السليم: =

الترجيح:

كون الإشارة للزمان ظاهرٌ ؛ فإن زكريا عليه السلام دخل عليها في مكانها المحراب مراراً، ولم يذكر الله عنه أنه دعاه في أيٍّ منها ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾ فلما دار بينه وبينها هذا الحوار ﴿يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ ورأى هذه الكرامة لها من الله تعالى، هنالك وفي ذلك الوقت طمع في كرامة أخرى له فدعا ربه، فالقضية كما يظهر من سياقها مرتبطة بحدث، فالذي هيّجه على الدعاء الحدث لا المكان، فالأَولى جعل الإشارة للزمان.

ثم مع ذلك يحتمل أن يكون دعا ربه في ذلك الوقت والمكان ذاته، فيكون إشارة للزمان والمكان في آنٍ واحد، وبه تُشعر عبارة الزجاج والنحاس، قال الزجاج: "والمعنى: في ذلك المكان من الزمان ومن الحال دعا زكريا ربه"[1] ، والله تعالى أعلم[2]

= ٣٦٣/١، فتح القدير: ٤٢٧/١، تفسير سورة آل عمران لابن عثيمين: ٢٣٢/١. وينظر: البحر المحيط: ٤٦٢/٢.

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٢٤٠/١، وينظر: إعراب القرآن للنحاس: ١٣١.

(٢) ويستفاد من الآية: أن من رأى ما تعجّب وتأثّر به من لطف الله ورحمته ببعض عباده، فينبغي أن يبادر إلى دعاء الله وسؤاله من فضله وهو على تلك الحال من التأثر، لعل الله أن يجيب دعوته كما أجاب عبده زكريا عليه السلام، فإن قوة الرجاء سبب لإجابة الدعاء.

ويستفاد منها: أنه يحسن أن يُذكَّر المبتلى ببعض الأخبار والقصص في رحمة الله ولطفه بعباده لينشط على الدعاء ويُعْظِمَ بالله الرجاء.

مسألة: المراد بالحَصُور في الآية.

قال الله تعالى: ﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾.

ذكر ابن جُزَيّ / قولين في المسألة، ورجَّح الأول منهما فقال :

" أي لا يأتي النساء، فقيل خلقه الله كذلك، وقيل كان يمسك نفسه .

وقيل: الحصور الذي لا يأتي الذنوب"[1] .

الدراسة:

اختلف العلماء في المسألة:

القول الأول:

حصوراً: أي لا يأتي النساء.

وهذا مروي ابن مسعود، وابن عباس، وسعيد بن المسيب، وسعيد بن جبير، ومجاهد، والضحاك، وقتادة، والسدي، وابن زيد[2] .

وهو قول الفراء، وأبي عبيدة، والطبري، والزجاج، والنحاس، والواحدي، والراغب الأصفهاني، والزمخشري، والقرطبي، وابن عاشور[3] .

وأصحاب هذا القول متفقون على هذا المعنى، ثم اختلفوا في سبب عدم إتيانه للنساء، فقيل خلقه الله كذلك لا قدرة على الجماع، وقيل كان يمسك نفسه عنهن مع قدرته، وقد حكى ابن جُزَيّ القولين و لم يُرجّح.

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ١/١٥١.

(٢) ينظر: تفسير عبد الرزاق: ١/١٢٠، تفسير الطبري: ٣/٢٩٨، تفسير ابن المنذر: ١٩٠، تفسير ابن أبي حاتم: ٢/٦٤٣.

(٣) ينظر: معاني القرآن للفراء: ١/١٥١، مجاز القرآن: ١/٩٢، تفسير الطبري: ٣/٢٩٨، معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ١/٣٤٢، معاني القرآن للنحاس: ١/١٣٦، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ١/٢٠٩، المفردات: ١٢٨، الكشاف: ١/٢٧٦، الجامع لأحكام القرآن: ٤/٥٠، التحرير والتنوير: ٣/٩٣.

واختار جماعة من المفسرين كالرازي والقرطبي وغيرهما الثاني بأنه كان يمسك نفسه عنهن مع قدرته على الجماع؛ لأن الكلام خرج مخرج الثناء، وهذا أقرب لاستحقاق الثناء؛ ولأنه أبعد عن إلحاق الآفة بالأنبياء[1] .

القول الثاني:

الحصور: الذي لا يأتي الذنوب.

ذكره النحاس وابن عطية والقرطبي وأبو حيان قولاً في الآية[2] .

وبه قال القاضي عياض، والسعدي[3] .

وقال البيضاوي وأبو حيان وأبو السعود بأن الحصور الذي حبس نفسه عن الشهوات، شهوة النساء وغيرها[4] .

وقال ابن عثيمين بأنه الحاصر لنفسه عن أراذل الأخلاق[5] .

وهي أقوال متقاربة، وبعضها أعم من بعض.

الترجيح:

أصل الحصر في اللغة: الحبس والمنع، ومنه حصر العدو، والحصر في الكلام، وأحصره المرض إذا منعه[6].

والحصور يقال تارة بمعنى الفاعل فهو حاصر لنفسه، ويقال تارة بمعنى المفعول فهو

---

(١) ينظر: تفسير الرازي: ١٦٢٧/٣، الجامع لأحكام القرآن: ٥٠/٤، تفسير السمعاني: ٣١٦/١، معالم التنزيل: ٣٤٩/١.

(٢) ينظر: معاني القرآن للنحاس: ١٣٦/١، المحرر الوجيز: ٤٣٠/١، الجامع لأحكام القرآن: ٥٠/٤، البحر المحيط: ٤٦٧/٢.

(٣) ينظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى: ١١٦/١، تفسير السعدي: ٢١٩/١.

(٤) ينظر: أنوار التنزيل: ٣٦/٢، البحر المحيط: ٤٦٨/٢، إرشاد العقل السليم: ٣٦٤/١.

(٥) ينظر: تفسير سورة آل عمران: ٢٣٥/١.

(٦) ينظر: معجم مقاييس اللغة: (حصر) تفسير الطبري: ٢٩٨/٣، معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٣٤٢/١.

محصور عن الشيء[1] .

والراجح – والله أعلم – في المراد بالآية أنه حصر نفسه، وحصره الله عن جميع ما يخل بمراتب الكمال من المحرمات وغيرها كالمكروهات، فهو فعول بمعنى فاعل باعتبار حصر يحيى × لنفسه، وفعول بمعنى مفعول باعتبار حصر الله له، فهو محفوظ بحفظ الله، وهو كقوله تعالى عن يوسف × : ﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ [يوسف: ٢٤] وقوله ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [التكوير: ٢٩].

وهذا أرجح لوجهين:

١– أنه أعم، والأصل حمل النصوص على العموم إلا بدليل على التخصيص.

٢– أن السياق في مدح يحيى × والثناء عليه، وهذا أكمل في المدح.

ويوجَّه القول بأنه لا يأتي النساء مع قدرته عليهن، بأن المراد لا يأتيهن على وجهٍ محرّم؛ إلا أن يكون اعتزال النساء عامة – وإن كان على وجه جائز– في شريعتهم هو الأكمل والأفضل فيحمل عليه حينئذ، فيكون حصر نفسه وحصره الله من النكاح المخل بمراتب الكمال، لكن هذا الوجه بعيد؛ فقد قال الله عن أفضل خلقه: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً ﴾ [الرعد: ٣٨].

قال ابن كثير بعد أن ذكر قول القاضي عياض: " والمقصود أن مدح يحيى بأنه حصور ليس أنه لا يأتي النساء؛ بل معناه كما قاله هو وغيره: أنه معصوم عن الفواحش والقاذورات، ولا يمنع ذلك من تزويجه بالنساء الحلال وغشيانهن وإيلادهن؛ بل قد يفهم وجود النسل له من دعاء زكريا المتقدم حيث قال : ﴿ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ﴾ [آل عمران: ٣٨] كأنه قال: ولداً له ذرية ونسل وعَقِب"[2] .

أما القول بأنه لا يأتي النساء لأنه لا قدرة له عليهن، فهو بعيد عن سياق الآية في

---

(١) ينظر: تفسير الراغب الأصفهاني: ١/٥٤٠.

(٢) تفسير القرآن العظيم: ٢/٣٩.

مدحه × [1].

(١) وجاء في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله < : "ما من عبد يلقى الله إلا ذا ذنب، إلا يحيى بن زكريا فإن الله يقول ﴿ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا ﴾ قال: "وإنما ذكره مثل هدبة الثوب" أخرجه الطبري في التفسير (٢٩٩/٣) وابن أبي حاتم في التفسير (٦٤٣/٢) وابن المنذر في التفسير (١٩١)، قال عنه ابن كثير في تفسيره (٣٨/٣) غريب جداً وفي صحته نظر.

مسألة: سبب قول زكريا × لما بُشِّر بالولد ﴿ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ ﴾ [آل عمران: ٤٠] .

ذكر ابن جُزَيّ / قولين في جواب ذلك، ورجَّح الأول منهما فقال :

" تعجب واستبعاد أن يكون له ولد مع شيخوخته وعقم امرأته، ويقال: كان له تسع وتسعون سنة، ولامرأته ثمان وتسعون سنة؛ فاستبعد ذلك في العادة مع علمه بقدرة الله تعالى على ذلك، فسأله مع علمه بقدرة الله واستبعده لأنه نادر في العادة .

وقيل: سأله وهو شاب، وأجيب وهو شيخ؛ ولذلك استبعده "[1] .

الدراسة:

سأل زكريا × ربه تعالى أن يرزقه ولداً يرثه النبوة والعلم، فلما أجاب الله دعاءه وبشرته الملائكة بالولد قال: ﴿رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ ﴾ فما وجه قوله هذا مع كونه سأل الله الولد من قبل؟

وقد أجاب العلماء عن ذلك بأجوبة كثيرة :

الجواب الأول:

ما ذكره ابن جُزَيّ، ومن قبله الزمخشري بأنه تعجب واستبعاد من حيث العادة، مع علمه وإيمانه بقدرة الله تعالى وإلا لما دعاه وسأله الولد ابتداء، فتعجبه واستبعاده بمقتضى العادة البشرية؛ إذ يندر أن يقع مثل ذلك للناس فهو قد بلغ من الكبر عتيّا وزوجته عاقر لا تلد، وهذا كقول مريم عليها السلام ﴿ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ﴾[آل عمران: ٤٧][2].

الجواب الثاني:

أنه قال ذلك استعظاماً وتعجباً من قدرة الله تعالى.

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ١/١٥١.

(٢) ينظر: الكشاف: ١/٢٧٦، و التسهيل لعلوم التنزيل: ١/١٥١.

وهو قول ابن كثير، وزكريا الأنصاري[1]، والشوكاني، والشنقيطي[2].

وهو قريب من القول الأول بل قد يؤول إليه[3] ، لكنه أحسن عبارة مع مقام الأنبياء؛ إذ لم يذكروا لفظ الاستبعاد في العادة.

الجواب الثالث:

أنه كان بين دعائه وبين البشارة بالولد زمناً طويلاً فنسي دعاءه السابق فلذلك استبعده.

وذكر بعض المفسرين أنه كان بين سؤاله والبشارة بالولد أربعين سنة، وقيل: ستين سنة، وقيل: سأل وهو شاب، وأجيب وهو شيخ كبير[4] .

وضعّف هذا الجواب ابن عطية[5] .

ويدل على ضعفه قول الله تعالى عن زكريا ×: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا ﴾ [سورة مريم: ٤] ففيه التصريح بأنه إنما سأل الله على كِبَر.

أيضاً يدل على ضعفه أن الله أتى بفاء التعقيب لبيان سرعة إجابة دعوته في موضعين، قال تعالى في سورة آل عمران: ﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ ﴾[آل عمران: ٣٩] ،وقال في سورة الأنبياء : ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ ﴾ [الأنبياء: ٩٠] .

---

(١) زكريا بن محمد الأنصاري الشافعي المصري، مفتي الشافعية العالم الفاضل القاضي، صنف حاشية على تفسير البيضاوي في سفر واحد سماها: فتح الجليل ببيان خفي أنوار التنزيل، توفي سنة ٩١٠ وقيل ٩٢٦. ينظر: طبقات المفسرين للأدنه وي: ٣٦٢، كشف الظنون: ١٢٣٢/٢.

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٣٩/٢ ، وفتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن للأنصاري: ٨٦، وفتح القدير: ٤٢٨/١ ،وأضواء البيان: ٢٨٢/٢، ودفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب للشنقيطي: ٤٩ .

(٣) ينظر: البحر المحيط: ٤٦٩/٢.

(٤) ينظر: تفسير الرازي: ١٦٢٨/٣ ، والجامع لأحكام القرآن: ٥١/٤ ، والبحر المحيط: ٤٦٩/٢، والتسهيل لعلوم التنزيل: ١٥١/١.

(٥) ينظر: المحرر الوجيز: ٤٣١/١.

الجواب الرابع:

أنه قال ذلك بسبب وسوسة الشيطان له بأن الصوت الذي سمعه ليس من الله، بل من الشيطان فقال ذلك مستثبتاً في أمره، ليتقرر عنده بآية تدل على أنه صوت الملائكة لا صوت الشياطين، ولذلك قال بعدها: ﴿ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۚ ﴾.

وهو قول ابن عباس، وعكرمة، والسدي[1].

قال ابن عباس: " لما سمع النداء جاءه الشيطان فقال له: يا زكريا إن الصوت الذي سمعت ليس من الله، إنما هو من الشيطان سخر بك، ولو كان من الله أوحاه إليك كما يوحي إليك غيره من الأمر، فشك مكانه، وقال ﴿ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ ﴾ يقول: من أين يكون ﴿ وَقَدۡ بَلَغَنِيَ ٱلۡكِبَرُ وَٱمۡرَأَتِي عَاقِرٞۖ ﴾ "[2].

وهو قول الطبري مع تجويزه للجواب الخامس[3] .

قال ابن عاشور مضعّفا هذا القول : " وعندي في هذا نظر ؛ لأنّ الأنبياء لا يلتبس عليهم الخطاب الوارد عليهم من الله ويعلمونه بعلم ضروري"[4] .

وما قاله ابن عاشور وجيه، وظاهر هذه القصة أنها مما نقل عن بني اسرائيل.

ويشهد لضعف هذا القول أيضاً: أن زكريا عليه السلام قال: ﴿ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ ﴾ فخاطب ربه تعالى، ولو كان شاكاً كما قالوا لخاطب مصدر الصوت ولم يخاطب ربه.

الجواب الخامس:

أن استفهامه استفهام استعلام واستخبار عن كيفية وطريقة حدوث ذلك؛ لأنه لا يدري هل يأتيه الله بالولد من زوجه العاقر، أو يأمره بأن يتزوج شابة، أو يردّهما شابين.

وقد ذكر هذا الجواب كثير من المفسرين[1]، واستحسنه ابن عطية فقال: " هذا تأويل

---

(١) ينظر: تفسير الطبري: ٣٠٢/٣، وتفسير ابن أبي حاتم: ٦٤٤/٢، والمستدرك على الصحيحين: ٦٤٥/٢.

(٢) المستدرك على الصحيحين: ٦٤٥/٢. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

(٣) ينظر: تفسير الطبري: ٣٠٢/٣.

(٤) التحرير والتنوير: ٩٤/٣.

(١) ينظر مثلاً: معاني القرآن للنحاس: ٣٩٥/١، والنكت والعيون: ٣٩١/١ ، وتفسير السمعاني: ٣١٦/١،=

حسن يليق بزكريا عليه السلام"[1].

وممن قال به الواحدي، والسعدي، وهو ظاهر كلام ابن عاشور مع القول الثاني، وجوّزه الطبري[2] .

الجواب السادس:

أنه قاله على سبيل التواضع.

والمعنى : بأي منزلة استوجبت البشارة بالولد وأنا على هذا الكبر وزوجتي عاقر[3].

الجواب السابع:

أنه من باب طلب التلذذ بسماع البشارة مرة أخرى.

قال الرازي: " العبد إذا كان في غاية الاشتياق إلى شيء فطلبه من السيد ، ثم إن السيد يعده بأنه سيعطيه بعد ذلك ، فالتذَّ السائل بسماع ذلك الكلام ، فربما أعاد السؤال ليعيد ذلك الجواب، فحينئذ يلتذّ بسماع تلك الإجابة مرة أخرى ، فالسبب في إعادة زكريا هذا الكلام يحتمل أن يكون من هذا الباب"[4] .

الجواب الثامن:

أنه قاله تثبتاً .

وهو قول ابن عثيمين، وعلّل له: " بأن الإنسان ناقص في الإدراك والعلم، يحتاج إلى شيء يثبت له الأمور. وإبراهيم ﷺ لا شك أنه يؤمن إيماناً كاملاً بأن الله يحيي الموتى ومع ذلك قال: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ

= ومعالم التنزيل: ٣٤٩/١ ، وزاد المسير: ٣١٢/١، ودفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب للشنقيطي: ٤٩.

(١) المحرر الوجيز: ٤٣١/١.

(٢) ينظر: الوجيز: ٢٠٩/١، وتفسير السعدي: ٢١٩/١، والتحرير والتنوير: ٩٣/٣، وتفسير الطبري: ٣٠٢/٣.

(٣) ينظر: معاني القرآن للنحاس: ٣٩٥/١، وتفسير السمعاني: ٣١٦/١، والجامع لأحكام القرآن: ٥١/٤.

(٤) تفسير الرازي: ١٦٢٩/٣.

قَلْبِي ﴾ [البقرة: ٢٦٠] ، لأنه ليس الخبر كالمعاينة"[١].

وهو قريب من الجواب الرابع في طلب التثبت إلا أن سبب التثبت يختلف، فالمراد بالتثبت في هذا القول زيادة الاطمئنان مع وجود التصديق؛ أما في الجواب الرابع فهو تثبت بسبب الشك.

الترجيح:

أظهر هذه الأجوبة – والله أعلم – هو الجواب الثاني، والخامس ، والثامن، ولا تعارض بينها، فهو استفهام تعجب من قدرة الله تعالى على خرق العادات من ناحية، واستفهام استعلام عن الكيفية والطريقة التي سيأتيه الله الولد بها لزيادة الاستيضاح والتثبت المراد به الاطمئنان من ناحية أخرى كما فعل إبراهيم عليه السلام.

وبقية الأجوبة – عدا الجواب الأول إذ هو قريب جدا من الثاني – إما لا يسلم من معارضة كما بيّنته، وهو الجواب الثالث والرابع ، وإما لا يخلو من تكلف، وظاهر السياق لا يدل عليه كما في الجواب السادس والسابع.

(١) تفسير سورة آل عمران: ١/٢٤٤.

مسألة: المراد بالأقلام في قوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾.

ذكر ابن جُزَيّ / قولين في المسألة، ورجَّح الأول منهما فقال :

" أي: أزلامهم وهي قداحهم .

وقيل: الأقلام التي كانوا يكتبون بها التوراة، اقترعوا بها على كفالة مريم حرصاً عليها وتنافساً في كفالتها"[(١)] .

الدراسة:

اختلف العلماء في المسألة على أقوال:

القول الأول:

الأقلام هنا: هي السهام والقداح، فالمعنى إذ يلقون سهامهم[(٢)].

وهو قول قتادة، وعطاء[(٣)].

وممن اختاره من المفسرين: الطبري، والسمعاني، والبغوي، والزمخشري[(٤)] .

ومن أهل المعاني والغريب: أبو عبيدة، والزجاج، والراغب الأصفهاني، ومحمد بن أبي بكر الرازي، وعبد الباقي اليماني[(٥)][(٦)] .

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ١٥٢/١.

(٢) الأزلام هي القِداح وهي السهام التي تُجال بين القوم عند الاقتراع، وتسمى أيضاً الأقلام. ينظر: المحيط في اللغة، والصحاح، ومعجم مقاييس اللغة، والمحكم والمحيط الأعظم، المواد التالية (ز لم، قدح، قلم) وغريب الحديث للخطابي: ٢٥٤/٢.

(٣) ينظر: تفسير الطبري: ٣١٣/٣ ، وتفسير ابن أبي حاتم:٦٤٩/٣.

(٤) ينظر: تفسير الطبري: ٣١٣/٣، وتفسير السمعاني: ٣١٨/١، ومعالم التنزيل: ٣٥٢/١، والكشاف: ٢٧٧/١.

(٥) عبد الباقي بن عبد المجيد بن عبد الله اليماني، الإمام الأديب البارع، من أعيان الأدباء نظما ونثرا، أقام باليمن مدة وولي الوزارة، ثم عُزل وصودر، ثم استقر بالقدس ودرّس بها، له تواليف منها: مطرب السمع في شرح حديث أم زرع، ومنها لقطة العجلان المختصر من وفيات الأعيان، توفي بالقاهرة سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة. ينظر: طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة: ٢٦/٣، الدرر الكامنة: ١٠٢/٣.

(٦) ينظر: مجاز القرآن: ٩٣/١، ومعاني القرآن وإعرابه: ٣٤٦/١، والمفردات: ٤١٢، وتفسير غريب القرآن لمحمد بن أبي بكر الرازي: ٤٦٦، والترجمان عن غريب القرآن لعبد الباقي اليماني: ٨٥.

قال الزجاج: " وهي قداح جعلوا عليها علامات يعرفون بها أيهم يكفل مريم على جهة القرعة، وإنما قيل للسهم القلم لأنه يُقْلَم أي يُبْرى، وكل ما قطعت منه شيئاً بعد شيء فقد قلمته، من ذلك القلم الذي يكتب به؛ إنما سُمّي لأنه قد قُلم مرة بعد مرة، ومن هذا قلّمت أظافري" [(١)].

وقال الراغب الأصفهاني: " أصل القَلْم: القص من الشيء الصلب كالظفر، وكعب الرمح، والقصب...وخُص ذلك بما يكتب به، وبالقدح الذي يضرب به، وجمعه أقلام"[(٢)].

وأورد النحاس والقرطبي على هذا القول اعتراضاً غير مجزوم به فقالا: " فأما أن تكون الأقلام القداح فبعيد؛ لأن هذه هي الأزلام التي نهى الله عز وجل عنها، إلا أنه يجوز أن يكونوا فعلوا ذلك على غير الجهة التي كانت الجاهلية تفعلها"[(٣)] .

القول الثاني:

الأقلام المعروفة التي يكتب بها.

وهو قول ابن جريج، وعزاه السيوطي لمجاهد[(٤)].

واختاره النحاس، وابن الجوزي، والقرطبي، وأبو حيان، والشوكاني، وابن عاشور[(٥)].

ونسبه الرازي للجمهور[(٦)].

وعيّنها أكثر هولاء المفسرين بالأقلام التي يكتب بها التوراة، وأطلقها آخرون.

قال ابن عاشور: " فكان أهل الجاهلية يستقسمون بالأزلام، وجعل اليهود الاقتراع

---

(١) معاني القرآن وإعرابه: ٣٤٦/١.

(٢) المفردات في غريب القرآن :٤١٢/١.

(٣) إعراب القرآن: ٣٧٦/١، والجامع لأحكام القرآن: ٥٥/٤.

(٤) ينظر: تفسير ابن أبي حاتم:٦٤٩/٣، والدر المنثور: ٥٤٤/٣ عند عبد بن حميد.

(٥) ينظر: إعراب القرآن: ٣٧٦/١، وتذكرة الأريب في تفسير الغريب لابن الجوزي: ٩١/١، والجامع لأحكام القرآن: ٥٥/٤، والبحر المحيط: ٤٧٩/٢، وفتح القدير: ٤٢٩/١، والتحرير والتنوير: ٩٦/٣.

(٦) ينظر: تفسير الرازي: ١٦٣٥/٣.

بالأقلام التي يكتبون بها التوراة في المِدراس رجاء أن تكون بركتها مرشدة إلى ما هو الخير. وليس هذا من شعار الإسلام، وليس لإعْمال القرعة في الإسلام إلاّ مواضع تمييز الحقوق المتساوية من كل الجهات"[١].

ونقل الرازي عن بعض العلماء قوله: " وقوع لفظ القلم على هذه الأشياء وإن كان صحيحاً نظراً إلى أصل الاشتقاق؛ إلا أن العرف الظاهر أوجب اختصاص القلم بهذا الذي يكتب به ، فوجب حمل لفظ القلم عليه"[٢] .

القول الثالث:

أن المراد: عِصيّهم.

وهو قول الربيع بن أنس[٣] .

قال ابن عطية معلقاً على الأقوال في المسألة: " وهذه كلها تُقلم"[٤] .

الترجيح:

الراجح – والله أعلم – هو أحد القولين الأولين، فأنت إذا لحظت معنى الإلقاء وعادة العرب في إلقاء القداح – ولعل الله خاطبهم بما يعرفون من الإلقاء – مع صحة تسمية القداح أقلاماً في اللغة تقوّى القول الأول.

وإذا نظرت إلى لفظ الأقلام، وكون الغالب على إطلاقه لدى الناس لأقلام الكتابة تقوّى القول الثاني، وإليه أميل حملاً للفظ على الأغلب من استعماله، ولأنه المراد في إطلاق القرآن في غير هذا الموضع[٥]، مع وضوح معنى الآية لدى المخاطبين بأنه إلقاء

---

(١) التحرير والتنوير: ٣/٩٦.

(٢) تفسير الرازي: ٣/١٦٣٥.

(٣) ينظر: تفسير ابن أبي حاتم:٣/٦٤٩.

(٤) المحرر الوجيز: ١/٤٢٥.

(٥) وهو قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ﴾ (لقمان: ٢٧) وقوله: ﴿ نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ (القلم: ١) وقوله: ﴿ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ ﴾ (العلق). وهذه هي كل المواضع التي ورد فيها ذكر القلم.

اقتراع.

ولو صح ما ذكره ابن عاشور بأن اليهود جعلت من عادتها عند الاقتراع[1] الاقتراعَ بالأقلام التي يكتبون بها التوراة في المِدراس رجاء أن تكون بركتها مرشدة إلى ما هو الخير فهو مرجح آخر للقول الثاني، لكن بعيد جدا أن يصنع ذلك زكريا× فهو مخالف للتوحيد من جهة تخصيص أقلام التوراة عند الاقتراع اعتقاداً أن بركتها ستكشف الأحق بالقرعة.

وعلى كلٍ فمعنى الآية واضح لا يتغيّر على أيٍ من الأقوال المذكورة، فالمقصود أنهم تنازعوا أيهم يكفل مريم ورضوا بالقرعة للفصل بينهم.

(١) هكذا فهمت من قوله بأنها عادة اليهود عند الاقتراع.

مسألة: المراد بالكهل في قول الله تعالى عن عيسى ×: ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾﴾.

ذكر ابن جُزَيّ / قولين في المسألة، ورجَّح الأول منهما فقال :

" ويكلمهم أيضا كبيراً، ففيه إعلام بعيشه إلى أن يبلغ سن الكهولة.

وأوله ثلاث وثلاثون سنة.

وقيل: أربعون "[1].

الدراسة:

بيّن ابن جُزَيّ أن معنى كهلاً: كبيراً ، ثم ذكر الخلاف في أول سن الكهولة فذكر قولين في ذلك.

وقد اختلف أهل التفسير، وأهل اللغة في تعريف الكهل وتحديد عمره، فذكر بعضهم أوصافه، وذكر بعضهم عمره، وجمع آخرون في التعريف بين الوصف والعمر.

وسأورد أقوالهم مرتبة على الوفاة ثم أعود لتوجيهها:

فقال ابن عباس: ﴿وَكَهْلًا﴾ يعني: " إذا اجتمع"[2].

وقال مجاهد: "الكهل: الحليم"[3].

واعترض النحاس على قول مجاهد فقال: " هذا لا يعرف في اللغة، وإنما الكهل عند أهل اللغة من ناهز الأربعين، وقال بعضهم يقال له حدث إلى ست عشرة سنة، ثم شاب إلى اثنتين وثلاثين سنة، ثم يكتهل في ثلاث وثلاثين"[4].

وذكر أبو حيّان وابن حجر بأن الأمر ليس كما فهم النحاس؛ بل هو تفسير باللازم؛

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ١٥٣/١.

(٢) ينظر: تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٣٤٨/٤٧.

(٣) ينظر: تفسير ابن أبي حاتم: ٦٥٢/٢.

(٤) إعراب القرآن: ٣٧٨/١.

لأن الكهل يقوى عقله وإدراكه وتجربته[١].

وقال الخليل بن أحمد في تعريف الكهل: " الذي جاوز الثلاثين، ورأيت له بَجالة"[٢].

وقال ابن الأعرابي[٣]: هو ابن ثلاث وثلاثين سنة[٤] .

وذكر الطبري بأنه: فوق الغلام ودون الشيخ. ومثله قال السمعاني، والقرطبي، وزاد السمعاني: وهو ابن أربع وثلاثين[٥] .

وقال ابن عزيز السجستاني: " الذي انتهى شبابه، وجاوز الثلاثين، ووَخَطَه الشيب"[٦].

وقال النحاس: "يقال اكتهل النبات إذا تم، والكهل: ابن الأربعين أو ما قاربها"[٧].

وقال الأزهري: بأنه من استكمل ثلاثاً وثلاثين سنة، وقال: " وقيل له حينئذٍ كَهْل لانتهاء شبابه وكمالِ قوَّتِه، وكذلك يقال للنّبات إذا تمَّ طوله: قد اكتَهل، وقال الأعشى[٨] يصفُ نباتاً :

---

(١) ينظر: البحر المحيط : ٤٨٣/٢، وفتح الباري: ٤٨٢/٦.

(٢) العين: (كهل) .

(٣) ابن الأعرابي: أبو زيد سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري ، الإمام ، العلامة ، حجة العرب ، من أئمة الأدب واللغة ، كان يرى رأي القدرية ، قال ابن الأنباري : كان سيبويه إذا قال : سمعت الثقة. عنى أبا زيد . توفي سنة ٢١٥هـ . (انظر : سير أعلام النبلاء : ٤٩٤/٩ ، والأعلام: ٩٢/٣) .

(٤) ينظر: تهذيب اللغة للأزهري: (كهل).

(٥) ينظر: تفسير الطبري: ٣١٨/٣، وتفسير السمعاني: ٣٢٠/١، والجامع لأحكام القرآن: ٥٨/٤.

(٦) نزهة القلوب في تفسير الغريب: ٣٧٩. ووخطه الشيب: أي : خالطه. ينظر: الصحاح: (وخط). وقال الألوسي: ويقال لمن لاحت فيه أمارات الكبر وخطه الشيب. ينظر: روح المعاني: ١٦٣/٣.

ومعنى جاوز الثلاثين – حسب فهمي- أي: تعّدى مرحلة الثلاثين ووصل الأربعين سنة لأنه قال: ووخطه الشيب، وهذا لا يحصل في الغالب إلا في عمر الأربعين.

(٧) معاني القرآن: ١٣٩/١.

(٨) ينظر: ديوان الأعشى الكبير: ٢٨٠.

يُضاحِكُ الشمسَ منها كوكبٌ شَرِقٌ مُؤَزَّرٌ بِعَميمِ النَّبْتِ مُكْتَهِلُ "[1] .

وقال ابن فارس: " الكاف والهاء واللام أصل يدل على قوة في الشيء، أو اجتماع جبلة، من ذلك الكاهل ما بين الكتفين سُمي بذلك لقوته، ويقولون للرجل المجتمع إذا وخطه الشيب: كهل، وامرأة كهل"[2].

وقال الجوهري في الصحاح: " الكهل من الرجال: الذي جاوز الثلاثين ووخطه الشيب، واكتهل النبات: أي تم طوله، وظهر نوره" ومثله قال صاحب المصباح المنير[3].

وقال الراغب والسمين الحلبي: " الكهل: من وَخَطَه الشيب"، وكذا قال صاحب اللسان وزاد: ورأيت له بجالة[4].

وقال ابن عطية: " الكهولة من الأربعين إلى الخمسين"[5] .

وقال الرازي: " الكهل في اللغة: ما اجتمع قوته، وكمل شبابه، وهو مأخوذ من قول العرب: اكتهل النبات إذا قوي"[6] .

وقال ابن الأثير: " مَن زاد على الثلاثين سنة إلى الأربعين"[7].

وقال ابن عادل: " والكهل : هو مَنْ بلغ سِنَّ الكُهُولة ، وأولها ثلاثون . وقيل : اثنان وثلاثون . وقيل : ثلاث وثلاثون. وقيل : أربعون .

---

(١) تهذيب اللغة: (كهل) وشرح الأزهري البيت فقال: "قوله : يُضاحِكُ الشمسَ ، معناه يَدُور معها، ومُضاحكتُه إيَّاها حَسْنٌ له ونَضْرَة ، والكوكَبُ: مُعظم النبات ، والشَّرق الرَّيَّان الممتلِئُ ماءً ، والمؤَزَّر: الذي صار النَّبات كالإزار له ، والعَميم: النّبات الكَثِيف الحسَن". وقال الرازي: أراد بالمكتهل: المتناهي في الحسن. ينظر: تفسير الرازي: ١٦٤١/٣.

(٢) معجم مقاييس اللغة: (كهل).

(٣) الصحاح للجوهري، والمصباح المنير للفيومي: (كهل).

(٤) المفردات: ٤٤٤. وعمدة الحفاظ: ٥٠٦/٣. ولسان العرب: (كهل).

(٥) المحرر الوجيز: ٢٥٧/٢.

(٦) تفسير الرازي: ١٦٤١/٣.

(٧) النهاية في غريب الحديث والأثر: ١٨٤/٣.

وآخرها : خمسون . وقيل : ستون . ثم يدخل في سن الشَّيْخُوخَةِ "[1] .

وقال الشوكاني والألوسي: هو ما بين الشاب والشيخ[2] .

الترجيح:

من خلال عرض أقوال العلماء يتبين أن أصل كلمة كهل يدل على : اجتماع وتمام وقوة .

والرجل الكهل هو: المجتمع التام القوي.

وأقوال العلماء الآنفة في تقدير عمره ووصف حاله كلها داخلة تحت هذا الأصل، فلعل من لحظ منهم توافر هذه الأوصاف في جسد الإنسان قال بأن عمر الكهل ثلاثين سنة أو بعدها بقليل.

ومن لحظ منهم توافر هذه الأوصاف في جسد الإنسان وعقله كليهما قال بأن عمر الكهل أربعين سنة أو ما قاربها، أو وصفوه بوصف يشعر بذلك كقولهم: وخطه الشيب ورأيت عليه بَجالة؛ فإن هذا لا يكون إلا في الأربعين ونحوها غالباً.

وتوجيه آخر لأقولهم: أنه لا يبعد أن يكون معنى الاجتماع الذي دل عليه أصل الكلمة يشير إلى اجتماع حال الرجل عموماً، ومن ذلك اجتماع تمام القوة البدنية والعقلية لدى الإنسان، وهذا يكون بين سن الثلاثين والخمسين؛ فإن الرجل قبل الثلاثين لديه قوة بدنية و لم يكتمل عقله بعد، وهو بعد الخمسين لديه قوة عقلية ناضجة لكن جسده دبّ فيه الضعف، ومن ثَمّ أُطلق على هذه المرحلة وصف الكهولة، فمن لحظ من العلماء بداية اجتماعهما قال بأن سن الكهل ثلاثين أو بعدها بقليل، ومن لحظ تمام اجتماعهما وكماله قال بأنه في الأربعين ونحوها أو وصفه بما يدل على هذا العمر. والله أعلم.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب: ٢٣٠/٥.

(٢) ينظر: فتح القدير: ٤٣٢/١، وروح المعاني: ١٦٣/٣.

مسألة: المراد بالكتاب في قوله تعالى عن عيسى × : ﴿ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ ﴾.

ذكر ابن جُزَيّ / قولين في المسألة، ورجَّح الأول منهما فقال :

" الكتاب هنا: جنس.

وقيل: الخط باليد"[1] .

الدراسة:

اختلف المفسرون في المسألة على أقوال:

القول الأول:

المراد بالكتاب هنا: جنس الكتاب[2].

قال ابن عاشور: " والكتاب مراد به الكتاب المعهود...ويجوز أن يكون الكتاب بمعنى الكتابة"[3].

ونقل الألوسي عن كثير من المفسرين أن المراد جنس الكتب الإلهية[4].

وقال بعضهم: بأن المراد كتابٌ مترّل لم يعيّن. وردّه ابن عطية وقال: " هذه دعوى لا حجة عليها"[5].

القول الثاني:

الكتاب : أي الكتابة والخط باليد.

وهو قول ابن عباس، وابن جريج[6] ، والطبري، والواحدي، والسمعاني، والبغوي،

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ١٥٣/١.

(٢) ينظر: زاد المسير: ٣١٨/١، والجامع لأحكام القرآن: ٦٠/٤، والبحر المحيط: ٤٨٤/٢.

(٣) التحرير والتنوير: ١٠٠/٣.

(٤) ينظر: روح المعاني: ١٦٦/٣.

(٥) ينظر: المحرر الوجيز: ٤٣٨/١.

(٦) ينظر: تفسير الطبري: ٣٢١/٣، وتفسير ابن أبي حاتم: ٦٥٣/٢.

وابن عطية، والرازي، وابن كثير، والسيوطي، والشوكاني[1] .

قال ابن عطية: " فهو مصدر كتب يكتب ".

وجمع ابن عثيمين بين القولين فذكر بأنه لا تنافي بينهما، علّمه الكتابة فكتب، وعلّمه الكتب السابقة، وعلّمه التوراة والإنجيل. وعطف التوراة من باب عطف الخاص على العام لشرفه[2].

الترجيح:

ما قاله ابن عثيمين رحمه الله هو الظاهر – والله أعلم – فاللفظ يحتمل القولين ولا تعارض بينهما.

(١) ينظر: تفسير الطبري: ٣٢١/٣، والوجيز: ٢١١/١ ، وتفسير السمعاني: ٣٢٠/١، ومعالم التنزيل: ٣٥٣/١، والمحرر الوجيز: ٤٣٨/١، وتفسير الرازي: ١٦٤٣/٣، وتفسير القرآن العظيم: ٤٤/٢ ، وتفسير الجلالين: ٥٦، وفتح القدير: ٤٣٣/١.

(٢) ينظر: تفسير سورة آل عمران: ٢٧٧/١.

مسألة: المراد بالشاهدين في قول الله تعالى حكاية عن الحواريين:﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾.

ذكر ابن جُزَيّ / قولين في المسألة، ورجَّح الأول منهما فقال :

" أي مع الذين يشهدون بالحق من الأمم.

وقيل : مع أمة محمد > لأنهم يشهدون على الناس"[1] .

الدراسة:

اختلف المفسرون في المسألة على أقوال:

القول الأول:

المراد: مع الذين يشهدون بالحق من الأمم، ويشهدون لك بالوحدانية ولرسلك صلوات الله عليهم بالصدق.

وهو قول كثير من المفسرين كالطبري، والزجاج، والواحدي، والبغوي، وابن عطية، والسيوطي، والسعدي، وابن عاشور، وابن عثيمين[2] .

القول الثاني:

مع أمة محمد > لأنهم يشهدون على الناس.

قال ابن عباس: " مع محمد > وأمته، شهدوا له بالبلاغ، وشهدوا للرسل أنهم قد بلغوا"[3].

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ١٥٤/١.

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ٣٣٧/٣ ، ومعاني القرآن وإعرابه: ٣٥٢/١، والوجيز: ٢١٢/١، ومعالم التنزيل: ٣٥٨/١، والمحرر الوجيز: ٤٤٣/١ ، وتفسير الجلالين: ٥٧ ، وتفسير السعدي: ٢٢١/١ ، والتحرير والتنوير: ١٠٦/٣ ، وتفسير سورة آل عمران لابن عثيمين: ٣٠٧/١ .

(٣) ينظر: تفسير ابن المنذر: ٢١٨ ، وتفسير ابن أبي حاتم: ٦٦٠/٢، والمستدرك على الصحيحين: ٣٤٣/٢ واللفظ له وقال: صحيح الإسناد.

واختاره الألوسي، وهو ظاهر كلام القرطبي، واكتفى ابن كثير في بيان الآية بإيراد قول ابن عباس[1].

قال الرازي: " لأنهم هم المخصوصون بأداء الشهادة، قال الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾"[2].

قال ابن عثيمين: "فالشهادة المطلقة ليست لأحد إلا لأمة محمد > لأنهم آخر الأمم، فهم شهداء على جميع الرسل وعلى جميع الأمم، والشهداء الذين كانوا من قبلهم ليسوا شهداء إلا على من سبقهم فقط"[3] .

القول الثالث:

المراد: اجعلنا من الفرقة التي شهدت مع الملائكة لك بالوحدانية كما في قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران: الآية: ١٨].

وهو قول البقاعي [4]. فهو سؤال لله أن يجعلهم من أهل العلم العارفين به.

وهذا القول يرجع للقول الأول عند من يرى أن المراد بأهل العلم في الآية هم المؤمنون كلهم.

القول الرابع:

المراد: مع الأنبياء صلوات الله عليهم.

لأن كل نبي شاهد على أمته، كما قال تعالى: ﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [الأعراف: آية: ٦] [5].

---

(١) ينظر: روح المعاني: ١٧٧/٣ ، والجامع لأحكام القرآن: ٦٣/٤ ، وتفسير القرآن العظيم: ٤٦/٢ .

(٢) تفسير الرازي: ١٦٥٢/٣، والآية من سورة البقرة: ١٤٣.

(٣) ينظر: تفسير سورة آل عمران لابن عثيمين: ٣٠٦/١.

(٤) ينظر: نظم الدرر: ٩٧/٢، وتفسير الرازي: ١٦٥٣/٣.

(٥) ينظر: الكشاف: ٢٨٠/١، وزاد المسير: ٣٢١/١، والبحر المحيط: ٤٩٥/٢.

الترجيح:

الراجح – والله أعلم – هو القول الأول لوجهين:

١. تناسبه مع موضوع الآية فقد قالوا قبل دعائهم بأن يكونوا مع الشاهدين: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ﴾ وتناسب آخر مع قولهم لعيسى × في الآية التي قبلها: ﴿قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾﴾ فأشهدوا عيسى × على إسلامهم ثم سألوا الله أن يكتبهم مع الشاهدين له بصدق رسالته.

٢. أنه الأقرب لعموم الآية؛ فإن في الأقوال الباقية تعْييناً يفتقر للدليل، وإن كان بعضها محتملا كالقول الثاني؛ إذ يحتمل أن عيسى × لما بشّرهم بنبينا محمد > أخبرهم بهذه المزية لأمته فسألوا الله أن يكونوا معهم من الشاهدين، لكنه يبقى احتمالاً يحتاج للدليل للجزم به.

أما القول بأن هذه الأمة هي المخصوصة بأداء الشهادة فلا يُسلّم؛ إذ لا دليل على التخصيص بل وردت الأدلة بإثبات الشهادة لغيرهم كما في أدلة القول الثالث والرابع، وتعبير ابن عثيمين / أدق فالشهادة المطلقة لهذه الأمة لا أنها مخصوصة بأداء الشهادة دون غيرها.

ويكون معنى الآية على ذلك أنهم سألوا الله أن يكتبهم مع الشاهدين بالحق من الأمم في الدنيا والآخرة، فهو دعاء بأن ينالوا شرف حمل شهادة الحق وأداءها، وفيه ضمناً طلب الثبات على الحق حتى الممات على حالة ترضي الله تعالى.

مسألة: المراد بـ ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ﴾ في قوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾.

ذكر ابن جُزَيّ / قولين في المسألة :

الأول : أنهم المسلمون .

الثاني : هم النصارى ، والذين كفروا اليهود ؛ وعلى هذا القول فالآية مخبرة عن عزة النصارى على اليهود ، وإذلالهم لهم . ورجَّح القول الأول(١).

الدراسة:

القول الأول:

هم المسلمون .

وإليه ذهب النعمان بن بشير ، والربيع بن أنس ، والحسن ، وقتادة ، وابن جريج(٢) ، والطبري، والواحدي، والزمخشري، والرازي، والقرطبي، وأبو حيان، وابن كثير(٣).

والظاهر أن هؤلاء المفسرين – عدا القرطبي(٤)– يقصرون المراد في الآية بعد الإسلام على المسلمين فقط ، أما قبله فالنصارى الموحدون داخلون في الآية .

قال الرازي: " فأما الذين اتبعوا المسيح عليه السلام ؛ فهم الذين كانوا يؤمنون بأنه عبد الله ورسوله، وأما بعد الإسلام فهم المسلمون "(٥).

---

(١) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل: ١٥٤/١.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٣٤١/٣ ، وتفسير ابن أبي حاتم: ٦٦٢/٢ .

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٣٤١/٣ ، : الوجيز : ٢١٣/١ ، الكشاف: ٣٩٤/١ ، تفسير الرازي: ٦١/٨ ، الجامع لأحكام القرآن:٦٦/٤ ، البحر المحيط: ٤٩٧/٢ ، تفسير القرآن العظيم: ٤٨/٢ .

(٤) حيث جعل الخطاب لنبينا محمد ﷺ أي: اتبعوك يا محمد .

(٥) تفسير الرازي: ٦١/٨ . وبنحوه قال السعدي وابن عثيمين. انظر: تفسير السعدي:٢٤٨/١، وتفسير سورة آل عمران لابن عثيمين:٣٢٣/١ .

واستدلوا لصحة ما ذهبوا إليه بالأدلة الآتية[1] :

١) أن المسلمين وافقوه على دين التوحيد ، واتبعوه في أصل الإسلام ، وإن اختلفت الشرائع .

٢) قال ابن كثير: " لما بعث الله محمدا > كان من آمن به يؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله ، على الوجه الحق، فكانوا هم أتباع كل نبي على وجه الأرض؛ إذ قد صدقوا الرسول النبي الأمي، خاتم الرسل، وسيد ولد آدم على الإطلاق، الذي دعاهم إلى التصديق بجميع الحق، فكانوا أولى بكل نبي من أمته الذين يزعمون أنهم على ملته وطريقته، مع ما قد حرفوا وبدلوا "[2].

٣) أن النصارى وإن أظهروا من أنفسهم موافقة عيسى عليه السلام ؛ فهم يخالفونه أشد المخالفة؛ من حيث أن صريح النقل والعقل يدل على أنه لا يرضى بشيء مما يقوله هؤلاء الجهال، فوالله ما اتبعه حقا من ادعاه ربا ، وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم– "وَالَّذِي نَفْسِي بيده لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمْ ابن مَرْيَمَ حَكَمًا مُقْسِطًا فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ وَيَقْتُلَ الْخِنْزِيرَ وَيَضَعَ الْجُزَيَّةَ وَيَفِيضَ الْمَالُ حتى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ "[3].

٤) الأدلة المؤكدة لانتصار أهل الإسلام على من عداهم من أهل الأديان، وهي كثيرة مشهورة، ومنها على سبيل المثال قول الحق تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا

---

(١) انظر: تفسير السمعاني: ٣٢٥/١، والكشاف: ٣٩٤/١، وتفسير الرازي: ٦١/٨، وتفسير القرآن العظيم: ٤٨/٢، وفتح القدير: ٣٤٥/١ .

(٢) تفسير القرآن العظيم: ٤٨/٢ .

(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري: ٧٧٤/٢ (رقم ٢١٠٩) ومسلم: ١٣٥/١ (رقم ١٥٥).

يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [النور] .

القول الثاني:

هم النصارى فوق اليهود .

قال ابن زيد: " النصارى فوق اليهود إلى يوم القيامة، فليس بلد فيه أحد من النصارى إلا وهم فوق يهود في شرق ولا غرب، هم في البلدان كلها مستذلون"(١).

وذهب الحسن البصري إلى أن النصارى فوق الكفار، والمسلمون فوق الجميع، فقال: " جعل الذين اتبعوه فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة، قال: المسلمون من فوقهم "(٢).

ولعله مراد البيضاوي، والسيوطي؛ حيث قالا بأن المراد : من آمن بنبوته من المسلمين والنصارى(٣).

قال الشوكاني : " وعلى كل حال فغلبة النصارى لطائفة من الكفار، أو لكل طوائف الكفار، لا ينافي كونهم مقهورين مغلوبين بطوائف المسلمين، كما تفيده الآيات الكثيرة؛ بأن هذه الملة الإسلامية ظاهرة على كل الملل، قاهرة لها، مستعلية عليها" (٤).

الترجيح:

الراجح – والله أعلم – أن الخطاب في الآية لعيسى عليه السلام بدليل سياق الآية؛ فهي في عيسى لا محمد عليهما سلام الله، وهو رأي جمهور المفسرين كما سبق .

والمراد بالذين اتبعوه هم النصارى الموحدون قبل الإسلام، أما بعده فإن أتباعه حقا هم المسلمون؛ لأن الأتّباع الحق لعيسى عليه السلام يقتضي الإيمان بنبينا ﷺ واتّباعه؛ فقد بشّر عيسى عليه السلام بنبينا محمد ﷺ كما قال الله تعالى في سورة الصف :﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ

(١) تفسير الطبري:٣/٣٤٢ .

(٢) المرجع السابق.

(٣) انظر: أنوار التنزيل:١/١٦٢، وتفسير الجلالين: ٥٧ .

(٤) فتح القدير: ١/٣٤٥ .

يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُ ﴾ [الصف: ٦].

وإذا صح لديهم كونه رسولا لزمهم تصديقه فيما أخبر؛ وقد أخبر بأن دينه ناسخ لسائر الأديان، وأن الله لا يقبل إلا الإسلام، قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥] .

ولا يمنع أن يكون للنصارى شيء من النصر والفوقية على غير المسلمين ممن كفر بعيسى عليه السلام بقدر اتِّباعهم لدين المسيح .

قال ابن القيم: " لما كان للنصارى نصيب ما من اتباعه كانوا فوق اليهود إلى يوم القيامة، ولما كان المسلمون أتبع له من النصارى كانوا فوق النصارى إلى يوم القيامة "[1].

(١) بدائع التفسير: ٢٣١/١ .

مسألة: الخطاب في قوله ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾.

ذكر ابن جُزَيّ / قولين في المسألة، ورجَّح الأول منهما فقال :

" خطاب لنصارى نجران .

وقيل : اليهود "[1].

الدراسة:

اختلف المفسرون في المسألة على أقوال:

القول الأول:

الخطاب لنصارى نجران.

وهو قول محمد بن جعفر بن الزبير، والسدي، وابن زيد[2] .

واختاره الرازي، ونظام الدين النيسابوري، وابن عاشور[3].

وذكر ابن عطية، وأبو حيان ما مفهومه بأن الخطاب في الأصل لنصارى نجران، لكن اللفظ عام يتناول نصارى نجران وسائر النصارى واليهود[4].

واستدل الرازي وأبو حيان وغيرهما لهذا القول بالسياق؛ فالآيات السابقة في نصارى نجران، وهذه الآية من تمام قصتهم[5].

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ١/١٥٥.

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ٣/٣٥٢.

(٣) ينظر: تفسير الرازي: ٣/١٦٧٢ ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان: ٢/١٨٠ ، والتحرير والتنوير: ٣/١١٦ .

(٤) ينظر: المحرر الوجيز: ١/٤٤٨، والبحر المحيط: ٢/٥٠٦.

(٥) ينظر: تفسير الرازي: ٣/١٦٧٢ ، والبحر المحيط: ٢/٥٠٦، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان: ٢/١٨٠، وفتح القدير: ١/٤٤١.

قال الرازي: " وعندي أن الأقرب حمله على النصارى، لما بينا أنه لما أورد الدلائل عليهم أولاً ، ثم باهلهم ثانياً ، فعدل في هذا المقام إلى الكلام المبني على رعاية الإنصاف، وترْك المجادلة وطلبِ الإفحام والإلزام. ومما يدل عليه أنه خاطبهم ههنا بقوله تعالى : ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ وهذا الاسم من أحسن الأسماء وأكمل الألقاب حيث جعلهم أهلاً لكتاب الله، ونظيره ما يقال لحافظ القرآن يا حامل كتاب الله ، وللمفسر يا مفسر كلام الله ، فإن هذا اللقب يدل على أن قائله أراد المبالغة في تعظيم المخاطب وفي تطييب قلبه ، وذلك إنما يقال عند عدول الإنسان مع خصمه عن طريقة اللجاج والنزاع إلى طريقة طلب الإنصاف"[1] .

وقال ابن عاشور في الاستدلال لهذا القول بأنهم النصارى: " لأنهم هم الذين اتخذوا المخلوق ربّاً وعبدوه مع الله"[2] .

القول الثاني:

الخطاب لليهود[3].

القول الثالث:

الخطاب لليهود والنصارى.

وهو قول الطبري، والواحدي، والسمعاني، وابن كثير، والسيوطي، والشوكاني، وابن عثيمين[4] .

قال الطبري: " وإنما قلنا عنى بقوله: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ أهل الكتابين؛ لأنهما جميعاً من

---

(١) تفسير الرازي: ١٦٧٢/٣. وفي بعض كلامه عبارات لو تركها لكان أولى وأليق بهذا المقام مثل: رعاية الإنصاف، طريقة اللجاج؛ فقد تشعر بأن القرآن لم يراع الأولى ووقع في الثانية.

(٢) التحرير والتنوير: ١١٦/٣ .

(٣) ينظر: النكت والعيون: ٣٩٩/١، والكشاف: ٢٨٣/١، والجامع لأحكام القرآن: ٦٨/٤. ونسبه ابن الجوزي في زاد المسير: ٣٢٥/١ لقتادة وابن جريج والربيع بن أنس.

(٤) ينظر: تفسير الطبري: ٣٥٣/٣، والوجيز: ٢١٥/١، وتفسير السمعاني: ٣٢٨/١ ، وتفسير القرآن العظيم: ٥٥/٢، وتفسير الجلالين: ٥٨ ، وفتح القدير: ٤٤١/١، وتفسير سورة آل عمران: ٣٦٩/١ .

أهل الكتاب ولم يخصص جل ثناؤه بقوله: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ بعضاً دون بعض، فليس بأن يكون موجهاً ذلك إلى أنه مقصود به أهل التوراة بأولى منه بأن يكون موجهاً إلى أنه مقصود به أهل الإنجيل، ولا أهل الإنجيل بأولى أن يكونوا مقصودين به دون غيرهم من أهل التوراة، وإذ لم يكن أحد الفريقين بذلك بأولى من الآخر لأنه لا دلالة على أنه المخصوص بذلك من الآخر، ولا أثر صحيح؛ فالواجب أن يكون كل كتابي معنياً به؛ لأن إفراد العبادة لله وحده وإخلاص التوحيد له واجب على كل مأمور منهي من خلق الله، وأهل الكتاب يعم أهل التوراة وأهل الإنجيل، فكان معلوماً بذلك أنه عني به الفريقان جميعاً"[1] .

وقال الشوكاني: " وهو ظاهر النظم القرآني، ولا وجه لتخصيصه بالبعض؛ لأن هذه دعوة عامة لا تختص بأولئك الذين حاجوا الرسول > "[2] .

الترجيح:

الراجح – والله أعلم – هو القول الأخير لقوة ما ذكروه، ولأن السباق يدل على أنه خطاب للنصارى، واللحاق يدل على أنه خطاب لليهود والنصارى فقد قال الله تعالى في الآية التي بعدها: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٦٥﴾﴾ وقال أيضاً بعدها: ﴿ مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ فقد ذكرهما الله في هاتين الآيتين، ولو كان الخطاب فيهما للنصارى خاصة لما احتاج لذكر اليهود وكتابهم.

ولما كان سباق الآية يدل على أمر، ولحاقها يدل على آخر فالآية محتملة لهما، ولفظ الآية عام فيحمل عليه؛ إذ لا دليل على تخصيص الخطاب بأحدهما.

أما قول ابن عاشور بأنهم النصارى؛ لأنهم هم الذين اتخذوا المخلوق ربّاً وعبدوه مع

---

(١) تفسير الطبري: ٣/٣٥٣.

(٢) فتح القدير: ١/٤٤١.

الله، فيجاب عنه بما سبق من الوجوه المرجّحة للعموم، وبقول الله تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ﴾ [التوبة: ٣١] ، وفسر النبي > عبادتهم لأحبارهم ورهبانهم بأنها طاعتهم في تحليل الحرام وتحريم الحلال(١)، وهو أمر يقع فيه اليهود والنصارى سواء.

(١) الحديث أخرجه الترمذي: ٢٧٨/٥ (رقم ٣٠٩٥) والطبراني في الكبير: ٩٢/١٧، والبيهقي في السنن: ١١٦/١٠، وحسنه بعض أهل العلم كشيخ الإسلام في مجموع الفتاوى: ٦٧/٧، والألباني في صحيح سنن الترمذي: ٢٤٧/٣، وقال عبد القادر الأرناؤوط في تخريجه لكتاب التوحيد للإمام محمد ابن عبد الوهاب (١٣٦): "وفي الباب عن حذيفة موقوفاً وبه يقوى" وقول حذيفة أخرجه البيهقي في السنن: ١١٦/١٠. وينظر: الدر النضيد في تخريج كتاب التوحيد للعصيمي: ١٣٠.

قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾.

وفيها مسألتان:

المسألة الأولى: معنى ﴿رَبَّٰنِيِّـۧنَ﴾ .

ذكر ابن جُزَيّ / قولين في المسألة، ورجَّح الأول منهما فقال :

" جمع رباني، وهو العالم .

وقيل الرباني: الذي يُربّي الناس بصغار العلم قبل كباره"[1] .

الدراسة:

اختلف العلماء في معنى ﴿رَبَّٰنِيِّـۧنَ﴾ على أقوال:

فقال مجاهد والحسن: فقهاء[2] .

وقال ابن عباس، وسعيد بن جبير، والضحاك، والحسن في رواية، وقتادة: علماء فقهاء[3] .

وقال ابن عباس في رواية: فقهاء معلمين[4] .

وقال مجاهد في رواية: الفقهاء والعلماء وهم فوق الأحبار[5] .

وقال ابن مسعود، وأبو رزين[6]، والحسن في رواية: حكماء علماء[7].

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ١/١٥٧.

(٢) تفسير الطبري: ٣/٣٨٠.

(٣) ينظر: سنن الدارمي: ١/١٠٧، تفسير الطبري: ٣/٣٨٠، تفسير ابن أبي حاتم: ٢/٦٩١.

(٤) ينظر: تفسير ابن المنذر: ٢٦٧، تفسير ابن أبي حاتم: ٢/٦٩١.

(٥) تفسير الطبري: ٣/٣٨٠.

(٦) مسعود بن مالك أبو رزين الأسدي الكوفي، ثقة فاضل،كان عالما فهما، أخرج له البخاري ومسلم، يقال: إنه شهد صفين مع علي، مات سنة خمس وثمانين. ينظر: تهذيب الكمال: ٢٧/٤٧٧، تقريب التهذيب: ٥٢٨.

(٧) ينظر: تفسير الطبري: ٣/٣٨٠، تفسير ابن المنذر: ٢٦٨.

وقال مجاهد في رواية: فقهاء علماء حكماء[1].

وقال ابن عباس في رواية: حلماء علماء أتقياء[2] .

وقال سعيد بن جبير في رواية: حكماء أتقياء [3].

وقال ابن زيد: الربانيون الذين يربون الناس، ولاة هذا الأمر، يربونهم يلونهم، وقرأ: ﴿ لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ ﴾ [المائدة: آية ٦٣] قال: الربانيون الولاة، والأحبار العلماء[4].

وقال البخاري: ويقال الرباني: الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره[5] .

وقال الحسن في رواية: كونوا أهل عبادة، وأهل تقوى لله[6] . وبه قال مقاتل ابن سليمان، والسمرقندي، والسمعاني، والزمخشري[7] فكأن المعنى: كونوا على دين الرب ومراده وتمسّكوا به.

وقال البقاعي، والسيوطي، وأبو السعود: كونوا علماء عاملين[8] .

وقال ابن الأعرابي، والشوكاني، وابن عثيمين: كونوا علماء عاملين معلمين[9] .

وقال ابن عاشور: أي كونوا منسوبين للربّ وهو الله تعالى؛ لأنّ النسب إلى الشيء إنما يكون لمزيد اختصاص المنسوب بالمنسوب إليه، ومعنى ذلك أن يكونوا مخلصين لله دون غيره[1] .

---

(١) تفسير مجاهد: ١/١٢٩.

(٢) تفسير ابن أبي حاتم: ٢/٦٩١.

(٣) تفسير الطبري: ٣/٣٨١.

(٤) تفسير الطبري: ٣/٣٨١.

(٥) صحيح البخاري: ١/٣٧. قال ابن حجر: " والمراد بصغار العلم ما وضح من مسائله، وبكباره ما دق منها". (الفتح: ١/١٦٢).

(٦) تفسير ابن أبي حاتم: ٢/٦٩٢.

(٧) ينظر: تفسير مقاتل: ١/١٧٨، وبحر العلوم: ١/ ٢٥١، تفسير السمعاني: ١/٣٣٥، الكشاف: ١/٢٨٨.

(٨) ينظر: نظم الدرر: ٢/١١٨، تفسير الجلالين: ٦٠، إرشاد العقل السليم: ١/٣٨٥.

(٩) ينظر: تهذيب اللغة: (رب)، فتح الباري: ١/١٦٢، فتح القدير: ١/٤٤٩، تفسير سورة آل عمران لابن عثيمين: ١/٤٥٣.

(١) التحرير والتنوير: ٣/١٤٠.

الترجيح:

هذا اختلاف تنوع في غالبه؛ فالرباني منسوب للرب تعالى باعتباره العالم بربه وبشرعه، المتألّه له، المتمسك بطاعته، المخلص له في كل أعماله.

وتحته تندرج الأقوال بأنهم فقهاء، علماء، عاملون، أتقياء، أهل عبادة وتقوى، مخلصون لله تعالى.

وهو منسوب أيضاً إلى الرَّبَّان، من ربّه يربّه فهو ربّان، إذا أصلحه ودبّره وربّاه، ففيه تربية وإصلاح وتدبير، فهو معلّم، ومصلح، ومُرَبّ، ومدبّر.

وتحته تندرج الأقوال بأن الرباني: حكيم، حليم، معلم، يربي الناس بصغار العلم قبل كباره.

فهو منسوب إلى الرب تعالى باعتبار، ومنسوب إلى الإصلاح والتربية باعتبار، ولا تعارض بينهما؛ بل بذلك تُشعر كثير من أقوال السلف السابقة كقولهم: حكماء علماء، وفقهاء معلمون، وحكماء أتقياء، وحلماء أتقياء[1].

---

(١) اختلفوا في نسبة الرباني: **فقيل**: هو منسوب إلى الرب تعالى، وزيدت الألف والنون مبالغة كما قالوا لحياني وشعراني ورقباني لكثيف اللحية والشعر وغليظ الرقبة، وهو قول سيبويه والزمخشري وغيرهما.
وقيل: هو من الربان، ومنه قول علقمة بن عبدة:

وكنتَ امرأً أفضت إليك ربابتي وقبلك ربّتني فضِعْتُ رُبُوب

يعني بقوله "ربتني" ولِيَ أمري والقيام به قبلك من يربّه ويصلحه فلم يصلحوه ولكنهم أضاعوني فضعت، وزيدت فيه النون كما زيدت في غضبان وعطشان، ثم نُسب إليه رباني، وهو قول المبرد، والطبري.
وقيل: هو منسوب إليهما فنسب إلى الرب باعتبار، ونسب إلى الربان باعتبار، وهو قول ابن عثيمين، وبه يشعر كلام السمين الحلبي.
وقيل: بأن الكلمة ليست عربية؛ بل عبرية أو سريانية، وهو قول أبي عبيد القاسم بن سلام،ومال إليه الراغب الأصفهاني، وكذا أبو عبيدة في المجاز حيث قال: لم يعرفوا الربانيين، وتعقب السمين الحلبي هذا القول وضعفه فقال: " لأنا متى وجدنا لفظاً موافقاً للأصول اشتقاقاً ومعنى فأيّ معنى إلى ادّعاء السريانية فيه". قال الرازي: "وسواء كانت عربية أو عبرانية ، فهي تدل على الإنسان الذي علم وعمل بما علم ، واشتغل بتعليم طرق الخير".
ويقال أيضاً: سواء كانت نسبة الربانيين للرب تعالى أو للربان فيمكن توجيه الأقوال على مقتضى أيٍّ =

والرباني إذن عالم له مواصفات خاصة؛ ولذا قال مجاهد: " وهم فوق الأحبار" فهو عالم عامل بعلمه، متأله لربه تعالى، تقي، مخلص، معلم، مربٍّ، مصلح، حليم، حكيم، ومن حكمته أنه يراعي التدرج في تعليمه وإصلاحه فيربي الناس على صغار العلم قبل كباره .

قال الطبري: " الرباني: الجامع إلى العلم والفقه البصر بالسياسة والتدبير والقيام بأمور الرعية وما يصلحهم في دنياهم ودينهم"[(١)].

وقال ابن عطية: "فجملة ما يقال في الرباني أنه العالم بالرب والشرع، المصيب في التقدير من الأقوال والأفعال التي يحاولها في الناس"[(٢)].

وقال أبو حيان بعد حكايته لكثير من أقوال السلف: " وهذه أقوال متقاربة"[(٣)] .

= من النسبتين، فالطبري مثلاً يرى بأنهم منسوبون للربان ووجّه كـــل الأقوال التي أوردها بناء على ذلك فقال: " فإذا كان الأمر في ذلك على ما وصفنا، وكان الربان ما ذكرنا، والرباني هو المنسوب إلى من كان بالصفة التي وصفت، وكان العالم بالفقه والحكمة من المصلحين يرب أمور الناس بتعليمه إياهم الخير ودعائهم إلى ما فيه مصلحتهم، وكان كذلك الحكيم التقي لله، والولي الذي يلي أمور الناس على المنهاج الذي وليه المقسطون من المصلحين أمور الخلق بالقيام فيهم بما فيه صلاح عاجلهم وآجلهم وعائدة النفع عليهم في دينهم ودنياهم؛ كانوا جميعا مستحقين أنهم ممن دخل في قوله عز وجل ﴿ **وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ** ﴾ فالربانيون إذاً هم عماد الناس في الفقه والعلم وأمور الدين والدنيا، ولذلك قال مجاهد: وهم فوق الأحبار؛ لأن الأحبار هم العلماء".

(ينظر: مجاز القرآن: ٩٧/١، تفسير الطبري: ٣٨١/٣، معاني القرآن للزجاج: ٣٦٧/١، معاني القرآن للنحاس: ١٤٨/١، تهذيب اللغة: (رب) المفردات: ١٩٠، الكشاف: ٢٨٨/١، المحرر الوجيز: ٤٦٢/١، تفسير الرازي: ١٦٩٥/٣، الجامع لأحكام القرآن: ٧٩/٤، عمدة الحفاظ: ٦٣/٢ ، لسان العرب: (رب).

(١) تفسير الطبري: ٣٨٢/٣.

(٢) المحرر الوجيز: ٤٦٢/١.

(٣) البحر المحيط: ٥٣٠/٢.

المسألة الثانية: إلى مَنْ الإشارة في قوله تعالى: ﴿ مَاكَانَ لِبَشَرٍ ﴾ ؟.

ذكر ابن جُزَيّ / قولين في المسألة، ورجَّح الأول منهما فقال :

" الإشارة إلى عيسى عليه السلام، ردٌ على النصارى الذين قالوا إنه الله .

وقيل: إلى محمد < لأن اليهود قالوا له: يا محمد تريد أن نعبدك كما عبدت النصارى عيسى، فقال: معاذ الله ما بذلك أمرت ولا إليه دعوت"[(١)].

الدراسة:

اختلف المفسرون في المسألة على قولين:

القول الأول:

الإشارة لعيسى × ؛ لأن النصارى كانوا يدّعون أنه أمرهم أن يعبدوه ويتخذوه رباً [(٢)].

وهذا قول مقاتل بن سليمان، والنقاش[(٣)]، والنيسابوري، وابن عاشور[(٤)]، وهو ظاهر كلام الزمخشري، والرازي، والبيضاوي، والنسفي، والشوكاني، وبه اكتفى القرطبي[(٥)].

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ١٥٧/١، وسيأتي تخريج الحديث.

(٢) ينظر: تفسير السمعاني: ٣٣٥/١، معالم التنزيل: ٣٧٤/١، تفسير الرازي: ١٦٩٣/٣.

(٣) أبو بكر محمد بن الحسن النقاش ، مفسر ، مقرئ ، واسع الرحلة ، له كتاب كبير في التفسير نحواً من أربعين مجلداً ، وله كتاب " القراءات بعللها " و " السبعة " و " الإشارة في غريب القرآن " والمعاجم الثلاثة ، أكبر وأوسط وأصغر ، والأكبر في معرفة المقرئين ، قال الذهبي : هو في القراءات أقوى منه في الروايات... ولو تثبّت في النقل لصار شيخ الإسلام ، توفي سنة ٣٥١.
ينظر: سير أعلام النبلاء :٥٧٣/١٥.

(٤) ينظر: تفسير مقاتل: ١٧٨/١، غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ١٩٤/٢، التحرير والتنوير: ١٣٨/٣، ونسبه إلى النقاش ابن عطية وأبو حيان في تفسيريهما. ينظر: المحرر الوجيز: ٤٦١/١، البحر المحيط: ٥٢٨/٢.

(٥) ينظر: الكشاف: ٢٨٨/١، تفسير الرازي: ١٦٩٣/٣، أنوار التنزيل: ٥٦/٢، تفسير النسفي: ١٦٢/١، فتح القدير: ٤٤٩/١، الجامع لأحكام القرآن: ٧٨/٤.

ويشهد له السياق؛ فإنه تعالى لما بيّن في الآية التي قبلها أن عادة علماء أهل الكتاب التحريف والتبديل ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ أتبعه بما يدل على أن من جملة ما حرّفوه ما زعموا أن عيسى × كان يدّعي الألوهية ، وأنه كان يأمر قومه بعبادته[1].

القول الثاني:

الإشارة لنبينا محمد > .

وهو قول الواحدي[2]، ونُسب إلى ابن عباس وعطاء والربيع وابن جريج[3].

ودليله سبب النزول المروي عن ابن عباس قال: " قال أبو رافع القرظي – حين اجتمعت الأحبار من اليهود والنصارى من أهل نجران عند رسول الله > ودعاهم إلى الإسلام–: أتريد يا محمد أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى بن مريم؟ فقال رجل من أهل نجران – نصراني يقال له الرئيس–: أوَ ذاك تريد منا يا محمد وإليه تدعونا؟ أو كما قال، فقال رسول الله > : "معاذ الله أن نعبد غير الله، أو نأمر بعبادة غيره، ما بذلك بعثني ولا بذلك أمرني" أو كما قال، فأنزل الله عز وجل في ذلك من قولهم ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ﴾إلى قوله﴿ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ "[4] .

---

(١) ينظر: تفسير الرازي: ١٦٩٣/٣.

(٢) ينظر: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٢٢٠/١.

(٣) ينظر: تفسير الثعلبي: ١٠١/٣، معالم التنزيل: ٣٧٤/١، زاد المسير: ٣٣٦/١، المحرر الوجيز: ٤٦١/١، البحر المحيط: ٥٢٨/٢.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره: ٣٧٨/٣، والبيهقي في دلائل النبوة: ٣٨٤/٥، من طريق ابن إسحاق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس، وسنده ضعيف لجهالة شيخ ابن إسحاق. ينظر: الاستيعاب في بيان الأسباب: ٢٦٨/١، وتخريج الأحاديث والآثار في كتاب التسهيل لعلوم التنزيل للدكتور سامي الجهني: ٢٧٢/١.

الترجيح:

الراجح – والله أعلم – هو القول الأول؛ فإن السياق يشهد له كما سبق بيانه، مع ضعف إسناد دليل القول الثاني.

وسواء كانت الإشارة لعيسى أم لمحمد عليهما صلاة الله وسلامه؛ فإن حكم الآية عام يشمل جميع الأنبياء عليهم السلام فهم متزّهون عن أن يدعو أحداً لعبادتهم من دون الله، فإن هدفهم الذي امتلأت به قلوبهم هو تعبيد الناس لله تعالى لا تحقيق مصالح شخصية ومكاسب دنيوية[1].

(١) ويستفاد من ذلك أنه كلما كان الداعية أقرب لنور الوحي وميراث النبوة كان أبعد عن أن يتّخذ الدعوة وسيلة لتحقيق أهدافه ومصالحه الدنيوية.

مسألة: معنى الإسلام طوعاً وكرهاً.

قال الله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ .

ذكر ابن جُزَيّ / ثلاثة أقوال في المسألة، ورجَّح الأول منها فقال :

" الطوع للمؤمنين، والكره للكافر إذا عاين الموت .

وقيل: عند أخذ الميثاق المتقدم .

وقيل: إقرار كل كافر بالصانع هو إسلامه كرها"[1].

الدراسة:

اختلف المفسرون في المسألة على أقوال:

القول الأول:

المؤمن يسلم طوعاً، والكافر يسلم إذا عاين الموت.

وهذا قول قتادة، ولفظه: " وأما الكافر أسلم حين رأى بأس الله ﴿ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ﴾[غافر: ٨٥] "[2] أي: العذاب المؤدي للموت، وهو قول الواحدي[3] .

وتعقّبه ابن عطية بأنه يلزم عليه أن كل كافر يفعل ذلك، وهذا غير موجود إلا في أفراد[4].

القول الثاني:

المراد عند أخذ الميثاق، بعضهم أسلم طوعاً، وبعضهم أسلم كرهاً.

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ١/١٥٨.

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ٣/٣٩٢، تفسير ابن أبي حاتم: ٢/٦٩٦.

(٣) ينظر: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ١/٢٢١.

(٤) ينظر: المحرر الوجيز: ١/٤٦٦.

وهو قول ابن عباس[1].

القول الثالث:

إقرار الكفار بتوحيد الربوبية هو إسلامهم كرهاً.

وبه قال ابن عباس أيضاً، ومجاهد، وأبو العالية[2] .

قال مجاهد: هو كقوله: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ [الزمر: ٣٨].

القول الرابع:

المؤمن يسجد طائعاً، والكافر يسجد ظله وهو كاره.

وبه قال مجاهد أيضاً[3].

ويشهد له[4] قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴾ [النحل: ٤٨] ، وقوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴾ [الرعد: ١٥] .

القول الخامس:

المؤمن أسلم طائعاً، والكافر أسلم مخافة السيف.

وهو قول عكرمة، والحسن[5] .

واختاره الشوكاني[6] .

وقال الزمخشري: " كرهاً بالسيف، أو بمعاينة ما يُلجىء إلى الإسلام كنتق الجبل على

---

(١) ينظر: تفسير الطبري: ٣٩٢/٣.

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ٣٩١/٣، تفسير ابن أبي حاتم: ٦٩٦/٢.

(٣) ينظر: تفسير الطبري: ٣٩٢/٣.

(٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٨٢/٤، البحر المحيط: ٥٣٨/٢.

(٥) ينظر: تفسير الطبري: ٣٩١/٣، تفسير ابن أبي حاتم: ٦٩٦/٢.

(٦) ينظر: فتح القدير: ٤٥٢/١.

بني اسرائيل، وإدراك الغرق فرعون، والإشفاء على الموت"[1] ، فجمع بين هذا القول والقول الأول.

وبنحو ما قال الزمخشري قال السيوطي، وأبو السعود، وابن عاشور[2] .

القول السادس:

المؤمن مستسلم بقلبه وقالبه لله، والكافر مستسلم لله كرهاً؛ فإنه تحت تسخير الله وقهره وسلطانه العظيم الذي لا يخالف ولا يمانع.

وهذا قول الشعبي[3] .

واختاره القرطبي، وابن كثير، وابن عثيمين[4] .

وجوّزه الزجاج وقال: "قوله :﴿ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ يدل على تصديق هذا القول؛ لأن المعنى: إنه بدأكم على إرادته شئتم أم أبيتم، وهو يبعثكم كما بدأكم"[5] .

فالإسلام كرهاً على هذا القول هو الاستسلام الكوني لتدبير الله وحكمه.

الترجيح:

الظاهر – والله أعلم – رجحان القول الأخير؛ لكونه يناسب عموم الآية في كل الكفار، ولسلامته من المعارضة؛ فالقول الأول والخامس يُعترض عليه بأنه تخصيص لعموم الآية فليس كل الكفار كذلك، والقول الثاني يحتاج لدليل يثبت التفريق بين الناس في الإيمان عند الميثاق،

قال ابن عثيمين / في بيان معنى الإسلام في الآية والاستدلال لذلك: هو الإسلام

---

(١) الكشاف: ٢٩٠/١.

(٢) ينظر: تفسير الجلالين: ٦٠، إرشاد العقل السليم: ٣٨٧/٢، التحرير والتنوير: ١٤٦/٣ إلا أن ابن عاشور ذكر أن الإكراه على الإسلام قبل نزول آية (لا إكراه في الدين) البقرة: ٢٥٦.

(٣) ينظر: تفسير الطبري: ٣٩٣/٣، تفسير ابن أبي حاتم: ٦٩٦/٢.

(٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٨٢/٤، تفسير القرآن العظيم: ٦٩/٢، تفسير سورة آل عمران لابن عثيمين: ٤٦٧/١.

(٥) معاني القرآن وإعرابه: ٣٦٩/١.

الكوني لا الإسلام الشرعي؛ لأن الإسلام الشرعي ليس فيه إكراه ؛ ولأن الإسلام الشرعي لا يعم من في السماء والأرض، وقد قال الله ذلك لإقامة الحجة على من لم يسلم لله شرعاً فكأنه قال: لقد أسلمت لله كوناً فيجب أن تسلم له شرعاً[1].

(١) ينظر: تفسير سورة آل عمران لابن عثيمين: ٤٦٦/١ .

مسألة: نزول قوله تعالى: ﴿ كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ إلى قوله: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾ ﴾.

ذكر ابن جُزَيّ / قولين في المسألة، ورجَّح الأول منهما فقال :

" نزلت في الحارث بن سويد[1] وغيره، أسلموا ثم ارتدوا ولحقوا بالكفار، ثم كتبوا إلى أهلهم هل لنا من توبة؟ فنزلت الآية إلى قوله ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ ﴾ فرجعوا إلى الإسلام .

وقيل: نزلت في اليهود والنصارى شهدوا بصفة النبي < وآمنوا به، ثم كفروا به لما بعث"[2].

الدراسة:

أخرج النسائي وأحمد وغيرهما عن ابن عباس ك قال: " كان رجل من الأنصار أسلم، ثم ارتد ولحق بالشرك، ثم ندم فأرسل إلى قومه أرسلوا إلى رسول الله < هل لي من توبة؟ فجاء قومه إلى رسول الله < فقالوا: إن فلانا قد ندم، وإنه أمرنا أن نسألك هل له من توبة؟ فنزلت ﴿ كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ﴾ إلى قوله: ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾ ﴾ فأرسل إليه قومه فأسلم"[3].

---

(١) الحارث بن سويد بن الصامت الأنصاري الأوسي، أسلم ثم ارتد ثم أسلم، شهد غزوة أحد. (ينظر: الإصابة: ٥٧٦/١) ولما أسلم بعد ردّته حسن إسلامه. (ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ٣٠٠/١).

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل: ١٥٨/١.

(٣) أخرجه النسائي: ١٠٧/٧ (٤٠٦٨) وأحمد: ٢٤٧/١، والطبري في تفسيره: ٣٩٥/٣، وابن أبي حاتم في تفسيره: ٢٩٩/٢، والطحاوي في شرح مشكل الآثار: ٣٠٧/٧، وابن حبان في صحيحه: ٣٢٩/١٠، والحاكم في المستدرك: ١٥٤/٢، والبيهقي في الكبرى: ١٩٧/٨، والواحدي في أسباب النزول: ١١٧. قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وصححه الألباني في الصحيحة: ١٨٤/٧ (رقم:٣٠٦٦) وصححه الدكتور سامي الجهني في تخريج الأحاديث والآثار في كتاب التسهيل لعلوم التنزيل: ٢٧٢/١، ومؤلفا الاستيعاب في بيان الأسباب: ٢٦٩/١.

وقد جاء تسمية الرجل بالحارث بن سويد في مرسل عن مجاهد أنه قال: "جاء الحارث بن سويد فأسلم مع النبي < ثم كفر الحارث فرجع إلى قومه.."[1] فذكر نحوه.

أما القول بأنها نزلت في اليهود والنصارى فقد رواه الطبري وابن أبي حاتم عن ابن عباس ك قال: " هم أهل الكتاب عرفوا محمدا < ثم كفروا به" ولا يصح عنه[2].

وعليه فالصحيح أن الآية نزلت في الحارث بن سويد.

(١) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره: ١/١٢٥، ومن طريقه الطبري في تفسيره: ٣/٣٩٦ وابن المنذر أيضاً في تفسيره: ٢٨١، والواحدي في أسباب النزول: ١١٧، وقال الألباني في الصحيحة (٧/١٨٥): "رجال إسناده ثقات فهو مرسل صحيح". وينظر أيضا في تسميته بالحارث بن سويد: غوامض الأسماء المبهمة الواقعة في متون الأحاديث المسندة لابن بشكوال: ٦/٣٧٣، أما كون الآية نزلت في الحارث بن سويد وغيره من المرتدين فلم يرد بذلك سبب صحيح بل الصحيح نزولها في الحارث وحده. ينظر: الاستيعاب في بيان الأسباب: ١/٢٧١.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره: ٣/٣٩٧، وابن أبي حاتم في تفسيره: ٢/٦٩٩ عن محمد بن سعد العوفي قال حدثني أبي قال حدثني عمي قال حدثني أبي عن أبيه عن ابن عباس به. وهو ضعيف فهو مسلسل بالعوفيين الضعفاء. (ينظر: تخريج الأحاديث والآثار في كتاب التسهيل لعلوم التنزيل: ١/٢٧٣).

مسألة: مرجع الضمير في ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا ﴾.

وذلك في قول الله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ .

ذكر ابن جُزَيّ / قولين في المسألة، ورجَّح الأول فقال :

" الضمير عائد على اللعنة .

وقيل: على النار – وإن لم تكن ذكرت– لأن المعنى يقتضيها"[(١)] .

الدراسة:

اختلف المفسرون في المسألة على قولين:

القول الأول: الضمير يعود على اللعنة، أي: خالدين في اللعنة.

وهو قول الرازي، والنسفي، وأبي حيان، والسمين الحلبي، وابن عادل، وابن عثيمين[(٢)].

وعلل له أبو حيان بأنه لم يتقدم ما يعود عليها في اللفظ إلا اللعنة[(٣)].

القول الثاني:

الضمير يعود على النار.

وهي – وإن لم تكن ذكرت– فإن المعنى يقتضيها.

وهو ظاهر كلام ابن عطية[(٤)]، وينسب لابن عباس[(٥)].

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ١/١٥٦.

(٢) ينظر: تفسير الرازي: ٣/١٧١١، تفسير النسفي: ١/١٦٥، البحر المحيط: ١/٦٣٦، الدر المصون: ٣/٣٠٤، اللباب: ٥/٣٧٧، تفسير سورة آل عمران لابن عثيمين: ١/٥٠٦.

(٣) ينظر: البحر المحيط: ١/٦٣٦.

(٤) ينظر: المحرر الوجيز: ١/٤٦٩.

(٥) ينظر: تفسير الرازي: ٣/١٧١١.

ويشهد لهذا القول كثرة ما ورد في القرآن من قوله تعالى ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا ﴾ وهو عائد على النار[1].

الترجيح:

المعنيان متلازمان؛ فإنهم إذا خُلّدوا في اللعنة استلزم ذلك تخليدهم في النار، فإن اللعن من الله هو الطرد والإبعاد عن رحمته، ومن طُرد عن رحمة الله يوم القيامة فمصيره النار، فليس ثَمّ إلا جنة أو نار، فهم خالدون في اللعنة وفيما تُوجبه من العذاب.

قال النحاس: "أي في اللعنة، والمعنى: في عذاب اللعنة"[2] .

وقال السعدي: " خالدين في اللعنة والعذاب"[3] ، والله أعلم.

(١) ينظر: البحر المحيط: ٦٣٦/١.

(٢) معاني القرآن: ١٥٠/١.

(٣) تفسير السعدي: ٢٢٨/١.

مسألة: المراد بمقام إبراهيم ×.

قال الله تعالى: ﴿ فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنٗاۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾.

ذكر ابن جُزَيّ / ثلاثة أقوال في المسألة:

الأول: المقام هو الحجر المعروف الذي قام عليه إبراهيم × حين رفع القواعد من البيت.

الثاني : أنه البيت كله .

الثالث: مكة كلها.

ورجَّح القول الأول[1] .

الدراسة:

اختلف المفسرون في المسألة على أقوال:

القول الأول:

المقام هو الحجر المعروف الذي قام عليه إبراهيم × حين رفع القواعد من البيت.

وهو قول جمهور المفسرين[2] ، وممن قال به ابن عباس، وقتادة، والربيع[3]، والطبري، والجصاص، والماوردي، والواحدي، والسمعاني، والبغوي، والزمخشري، والرازي، والقرطبي، والخازن، وابن كثير، والسيوطي، وأبو السعود، والشوكاني[4] .

---

(١) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: ١/١٦٠.

(٢) ينظر: المحرر الوجيز: ١/٤٧٦، البحر المحيط: ٣/١١.

(٣) ينظر: أخبار مكة للأزرقي: ٢/٢٩، تفسير الطبري: ١/٦١٩، ٤/١٨.

(٤) ينظر: تفسير الطبري: ١/٦١٩، ٤/١٨، أحكام القرآن للجصاص: ٢/٢٦، النكت والعيون: ١/٤١١، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ١/١٣٠، ٢٢٤، تفسير السمعاني: ١/٣٤٢، معالم التنزيل: ١/٣٨٥، الكشاف: ١/١٤٢، ٢٩٦، تفسير الرازي: ٣/١٧٢٦، الجامع لأحكام القرآن: ٢/٧٧، ٤/٩٠، لباب التأويل: ١/٣٨٤، تفسير القرآن العظيم: ٢/٧٩، تفسير الجلالين: ٦٢، إرشاد العقل السليم: ٢/٦، فتح القدير: ١/١٧٧.

واستدلوا[1] بحديث جابر بن عبد الله ب في وصف حجة النبي > قال: " حتى إذا أَتَيْنَا الْبَيْتَ معه اسْتَلَمَ الرُّكْنَ فَرَمَلَ ثَلَاثًا، وَمَشَى أَرْبَعًا، ثُمَّ نَفَذَ إلى مَقَامِ إبراهيم عليه السَّلَام فَقَرَأَ ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾[البقرة: ١٢٥] فَجَعَلَ الْمَقَامَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَيْتِ"[2] .

القول الثاني:

البيت كله مقام إبراهيم؛ لأنه بناه وقام في جميع أنحاءه[3].

القول الثالث:

الحرم كله مقام إبراهيم.

وهو قول ابن عباس، ومجاهد[4].

القول الرابع:

الحج كله مقام إبراهيم.

وهو قول سعيد بن جبير، ومجاهد، وعطاء بن أبي رباح[5].

واختاره السعدي، وابن عثيمين؛ لأنه أعم من تفسيره بالمقام المعروف، واللفظ يحتمله[6].

القول الخامس:

مكة كلها مقام إبراهيم[7].

الترجيح:

الراجح – والله أعلم – هو القول الأول؛ بدلالة حديث جابر فهو نص في المسألة،

---

(١) ينظر: تفسير الطبري: ٦١٩/١، ١٨/٤، الجامع لأحكام القرآن: ٧٧/٢، ٩٠/٤.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: ٨٨٧/٢ (رقم ١٢١٨) .

(٣) ذكره ابن عطية وأبو حيان من غير نسبة لقائله. ينظر: المحرر الوجيز: ٤٧٦/١، البحر المحيط: ١١/٣.

(٤) ينظر: تفسير الطبري: ٦١٩/١، ١٨/٤، تفسير ابن أبي حاتم: ٧١١/٣.

(٥) ينظر: أخبار مكة للفاكهي: ٤٤٥/١، تفسير الطبري: ٦١٩/١، ١٨/٤، تفسير ابن أبي حاتم: ٧١١/٣.

(٦) ينظر: تفسير السعدي: ٩١/١، ٢٣٠، تفسير سورة آل عمران لابن عثيمين: ٥٤٩/١.

(٧) ذكره ابن عطية وأبو حيان من غير نسبة لمن قال به.ينظر: المحرر الوجيز: ٤٧٦/١، البحر المحيط: ١١/٣.

ولو كان المقام غير ذلك لصلى النبي > في أي موضع من الحرم، والقرآن يُفسّر بعضه بعضاً.

ومرجّح آخر ذكره الطبري فقال: " ولو لم يكن على صحة ما اخترنا في تأويل ذلك خبر عن رسول الله؛ لكان الواجب فيه من القول ما قلنا، وذلك أن الكلام محمول معناه على ظاهره المعروف دون باطنه المجهول، حتى يأتي ما يدل على خلاف ذلك مما يجب التسليم له"[1] .

(١) تفسير الطبري: ١/٦٢٠.

مسألة: المراد بحبل الله في الآية.

قال الله تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾.

ذكر ابن جُزَيّ / قولين في المسألة، ورجَّح الأول منهما فقال :

"المراد به هنا: القرآن .

وقيل : الجماعة"[1] .

الدراسة:

ذهب إلى القول الأول ابن مسعود، والضحاك، وقتادة، والسدي[2].

قال ابن القيم: وهو قول كثير من أهل التفسير[3].

ويُستدل له بما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه أن النبي ﷺ قال: " ألا وَإِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ أَحَدُهُمَا كِتَابُ اللَّهِ عز وجل هو حَبْلُ اللَّهِ من اتَّبَعَهُ كان على الْهُدَى وَمَنْ تَرَكَهُ كان على ضَلَالَةٍ "[4].

وذهب ابن مسعود أيضاً إلى القول الثاني، فقال: " حبل الله: الجماعة "[5].

وقال مجاهد، وعطاء، وقتادة : حبل الله: عهد الله وأمره[6].

---

(١) انظر: التسهيل: ١/١٦١ .

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٤/٤٣ .

(٣) بدائع التفسير: ١/٢٣٨ ، ونسبه العظيم أبادي في عون المعبود: ٨/٣٤٨ إلى جمهور المفسرين .

(٤) أخرجه مسلم عن زيد بن أرقم ﷺ : ٤/١٨٧٤ (رقم ٢٤٠٨).

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٤/٤٣، وتفسير ابن أبي حاتم: ٣/٧٢٣ .

(٦) انظر: تفسير عبد الرزاق: ١/١٢٩، وتفسير الطبري: ٤/٤٣، وتفسير ابن أبي حاتم: ٣/٧٢٤ .

وتُسمى العهود والمواثيق حبالاً[1]، وذلك كقوله تعالى: ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [آل عمران: ١١٢] أي بعهد وذمة[2].

وقال أبو العالية: اعتصموا بالإخلاص لله وحده[3].

وقال الحسن: حبل الله: طاعته[4].

وقال ابن زيد: الحبل: الإسلام، وقرأ: ﴿ وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾[5].

الترجيح:

هذه الأقوال متقاربة متداخلة، وبه يُشعر تعدد الرواية عن ابن مسعود، ومعنى الآية يشمل الأقوال كلها؛ فإن الحبل هو السبب الذي يوصل به إلى البغية والحاجة، ومنه الحبل المعروف لأنه يوصل للمقصود[6]، ويكون المعنى: استمسكوا بحبله الذي أوصله إليكم، وجعله سببا لرضاه، وهو دينه وكتابه، وما فيه من العهود والأوامر كالأمر بطاعته والإخلاص له ولزوم الجماعة.

وإلى هذا ذهب جمع من المفسرين:

قال ابن عطية بعد أن ساق عددا من الأقوال في الآية: " وقيل غير هذا؛ مما كله قريب بعضه من بعض "[7].

وقال القرطبي: " والمعنى كله متقارب متداخل "[8].

وقال الطبري في معنى الآية: " تمسكوا بدين الله الذي أمركم به، وعهده الذي عهده

---

(٢) انظر: لسان العرب: مادة: حبل .

(٢) انظر: المحرر الوجيز: ٤٨٣/١، وتفسير القرآن العظيم: ٨٩/٢ .

(٣) انظر : تفسير الطبري: ٤٤/٤، وتفسير ابن أبي حاتم: ٧٢٤/٣ .

(٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ٧٢٤/٣ .

(٥) انظر : تفسير الطبري: ٤٤/٤ .

(٦) انظر: تفسير الطبري: ٤٢/٤، وتفسير السمعاني:٣٤٦/١

(٧) المحرر الوجيز: ٤٨٤/١ .

(٨) الجامع لأحكام القرآن: ١٠٢/٤ .

إليكم في كتابه من الألفة، والاجتماع على كلمة الحق، والتسليم لأمر الله"[1].

وقال الرازي : " المراد من الحبل ههنا: كل شيء يمكن التوصل به إلى الحق في طريق الدين، وهو أنواع كثيرة، فذكر كل واحد من المفسرين واحداً من تلك الأشياء"[2].

(١) تفسير الطبري: ٤/٤٢ .

(٢) تفسير الرازي: ٨/١٤٢. وانظر: تفسير السمعاني:١/٣٤٦، وفتح الباري:١٣/٢٤٥،وتفسير السعدي: ١/٢٦٠.

قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ .

في الآية الثانية مسألتان:

المسألة الأولى: العامل في ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ ﴾.

ذكر ابن جُزَيّ / قولين في المسألة، ورجَّح الأول منهما فقال :

" العامل فيه محذوف .

وقيل: عذاب عظيم"[1] .

الدراسة:

القول الأول:

العامل فيه محذوف، تقديره: اذكروا يوم تبيض وجوه.

ذكره وجهاً في الآية الزمخشري، وأبو البركات بن الأنباري، والرازي، وأبو السعود، والألوسي، وابن عاشور[2] .

وبه قال الشوكاني، ومحي الدين الدرويش، ومحمد الأمين الهرري[3] .

فالجملة مستأنفة لبيان حال الفريقين، خوطب بها المؤمنون تحذيراً لهم عن عاقبة التفرّق بعد مجيء البينات، وترغيباً في الاتفاق على التمسك بالدين[4] .

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ١٦٢/١.

(٢) ينظر: الكشاف: ٣٠٥/١، البيان في إعراب غريب القرآن: ١٨٩، تفسير الرازي: ١٧٤٨/٣، إرشاد العقل السليم: ١٥/٢، روح المعاني: ٢٥/٤، التحرير والتنوير: ١٨٤/٣.

(٣) ينظر: فتح القدير: ٤٦٧/١، إعراب القرآن الكريم وبيانه: ٤٢٣/١، حدائق الروح والريحان: ٦٦/٥.

(٤) إرشاد العقل السليم: ١٥/٢، إعراب القرآن الكريم وبيانه: ٤٢٣/١.

القول الثاني:

العامل ﴿ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ أي: وعذاب عظيم كائن لهم يوم تبيض وجوه.
وهو قول أبي حيان[1] .

الترجيح:

القولان محتملان، والأول أولى لكثرة مثل هذا الحذف في القرآن، ولأنه استئناف، والاستئناف أغزر فائدة وأبعد عن التقييد، والله أعلم[2].

(١) ينظر: البحر المحيط: ٣/٢٥.

(٢) للاستزادة ينظر ما سبق في مسألة العامل في ﴿ يَوْمَ تَجِدُ ﴾ : ١/١٢٧.

المسألة الثانية: الخطاب في قوله ﴿أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾.

ذكر ابن جُزَيّ / ثلاثة أقوال في المسألة، ورجَّح الأول منها فقال :

" الخطاب لمن ارتد عن الإسلام .

وقيل: للخوارج .

وقيل: لليهود؛ لأنهم آمنوا بصفة النبي > المذكورة في التوراة ثم كفروا به لما بعث"(١).

الدراسة:

اختلف المفسرون في المراد بالذين اسودّت وجوههم في الآية، وتبعاً له الخطاب في قوله تعالى: ﴿أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ على أقوال:

القول الأول:

أنهم: المرتدون عن الإسلام.

قال قتادة: " لقد كفر أقوام بعد إيمانهم كما تسمعون"(٢)، ففسر الإيمان والكفر بمعانيهما المتبادرة للذهن عند الإطلاق.

القول الثاني:

هم اليهود؛ حيث آمنوا بصفة النبي > المذكورة في التوراة ثم كفروا به لما بعث.

وهو قول الضحاك(٣).

القول الثالث:

هم اليهود والنصارى.

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ١٦٢/١.

(٢) تفسير الطبري: ٥٣/٤، وينظر: المحرر الوجيز: ٤٨٧/١، الجامع لأحكام القرآن: ١٠٨/٤ فقد جعلا قوله في المرتدّين.

(٣) ينظر: تفسير ابن أبي حاتم: ٧٢٩/٣.

قال عكرمة: " هي في أهل الكتاب، كانوا مصدقين بأنبيائهم، مؤمنين بهم، مصدقين بمحمد > مؤمنين به، فلما بعث الله محمداً كفروا"[1] .

وهو قول الزمخشري، وابن عاشور[2] ، ونسبه الثعلبي لأكثر المفسرين[3] .

قال ابن عاشور: " سياق الكلام ولفظه يقتضيه؛ فإنه مسوق لوعيد أولئك"[4] .

القول الرابع:

هم المنافقون.

قال الحسن: " أعطوا كلمة الإيمان بألسنتهم، وأنكروها بقلوبهم"[5].

القول الخامس:

هم الكفار عموماً.

وهو قول أبيّ بن كعب، وابن جريج[6] .

قال أبيّ بن كعب: " هو الإيمان الذي كان قبل الاختلاف في زمان آدم حين أخذ منهم عهدهم وميثاقهم وأقروا كلهم بالعبودية، وفطرهم على الإسلام فكانوا أمة واحدة مسلمين، يقول: أكفرتم بعد إيمانكم، يقول: بعد ذلك الذي كان في زمان آدم"[7].

فكفْرهم بعد الإيمان هو كفرهم بعد إيمانهم الفطري كما في حديث أبي هريرة ط المتفق عليه أن رسول اللَّهِ > قال: "ما من مَوْلُودٍ إلا يُولَدُ على الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أو ينصرانه أو يُمَجِّسَانِهِ"[8] وفي رواية لمسلم: " ما من مَوْلُودٍ يُولَدُ إلا وهو على الْمِلَّةِ"[1]،

---

(١) تفسير ابن المنذر: ٣٢٦.

(٢) ينظر: الكشاف: ٣٠٦/١، التحرير والتنوير: ١٨٥/٣.

(٣) ينظر: تفسير الثعلبي: ١٢٣/٣.

(٤) التحرير والتنوير: ١٨٥/٣.

(٥) تفسير الطبري: ٥٤/٤، تفسير ابن أبي حاتم: ٧٢٩/٣.

(٦) ينظر: تفسير الطبري: ٥٤/٤، تفسير ابن المنذر: ٣٢٨، تفسير ابن أبي حاتم: ٧٢٩/٣.

(٧) تفسير الطبري: ٥٤/٤، تفسير ابن المنذر: ٣٢٨، تفسير ابن أبي حاتم: ٧٢٩/٣.

(٨) متفق عليه: أخرجه البخاري: ٤٥٦/١ برقم (١٢٩٣) ومسلم: ٢٠٤٧/٤ برقم (٢٦٥٨).

(١) مسلم: ٢٠٤٨/٤ برقم (٢٦٥٨).

وكفرهم بعد إيمانهم حين أخذ الله عليهم الميثاق كما في قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْۖ قَالُواْ بَلَىٰۛ شَهِدْنَآۛ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: آية ١٧٢] .

وهذا قول كثير من المفسرين كالطبري، والثعلبي، والواحدي، والسيوطي، والسعدي، والشنقيطي، وابن عثيمين[١]، وهو ظاهر كلام ابن كثير والقرطبي [٢].

وعلّل الطبري لترجيحه بأن الله جل ثناؤه "جعل جميع أهل الآخرة فريقين: أحدهما سوداء وجوهه، والآخر بيضاء وجوهه، فمعلوم إذ لم يكن هنالك إلا هذان الفريقان أن جميع الكفار داخلون في فريق من سوّد وجهه، وأن جميع المؤمنين داخلون في فريق من بيّض وجهه، فلا وجه إذاً لقول قائل عنى بقوله ﴿أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ بعض الكفار دون بعض وقد عمّ الله جل ثناؤه الخبر عنهم جميعهم، وإذا دخل جميعهم في ذلك، ثم لم يكن لجميعهم حالة آمنوا فيها ثم ارتدوا كافرين بعد إلا حالة واحدة كان معلوماً أنها المرادة بذلك"[٣].

القول السادس:

هم أهل الأهواء والبدع.

وبه قال ابن عباس[٤]، ومالك بن أنس[٥].

علّق عليه ابن عطية بأنه إن كان كذلك ففي المجلحين منهم[٦] القائلين ما هو كفر[١].

---

(١) ينظر: تفسير الطبري: ٥٤/٤، تفسير الثعلبي: ١٢٣/٣، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٢٢٦/١، تفسير الجلالين: ٦٣، تفسير السعدي: ٢٣٢/١، أضواء البيان: ٢٠٦/١، تفسير سورة آل عمران لابن عثيمين: ٢٨/٢.

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٩٢/٢، الجامع لأحكام القرآن: ١٠٨/٤.

(٣) تفسير الطبري: ٥٤/٤.

(٤) ينظر: تفسير ابن أبي حاتم: ٧٢٩/٣، تاريخ جرجان: ١٣٢، تاريخ بغداد: ٣٧٩/٧.

(٥) ينظر: المحرر الوجيز: ٤٨٧/١، الجامع لأحكام القرآن: ١٠٨/٤.

(٦) التجليح: الإقدام الشديد، والمُجالِح: المكابر. ينظر: الصحاح: (جلح).

(١) ينظر: المحرر الوجيز: ٤٨٨/١.

ويحتمل أنهم تأولوا قول الله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ﴾[الزمر: آية ٦٠] [١] على اعتبار أن أهل الأهواء والبدع كذبوا على الله بإدخالهم في شرعه ما ليس منه زاعمين أنه من شرع الله وأنه تعالى أمر به.

أو لعلّهم أرادوا أن لهم نصيباً من الوعيد في الآية بقدر بدعتهم وإن لم تصل للكفر.

القول السابع:

قال أبو أمامة الباهلي[٢] بأنهم الخوارج[٣] .

وقد أخرج الترمذي وغيره عن أبي غالب أن أبا أمامة رأى رؤوسا مَنْصُوبَةً على دَرَجِ مَسْجِدِ دِمَشْقَ، فقال أبو أُمَامَةَ: كِلابُ النَّارِ شَرُّ قَتْلَى تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ خَيْرُ قَتْلَى من قَتَلُوهُ. ثُمَّ قَرَأَ ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ إلى آخِرِ الْآيَةِ. قلت لِأَبِي أُمَامَةَ: أنت سَمِعْتَهُ من رسول اللَّهِ < قال: لو لم أسمعه إلا مَرَّةً أو مَرَّتَيْنِ أو ثَلَاثًا أو أَرْبَعًا حتى عَدَّ سَبْعًا ما حَدَّثْتُكُمُوهُ"[٤].

ويحتمل أن أبا أمامة سمع الحديث والتفسير من النبي < ، ويحتمل أنه سمع الحديث من النبي < أما التفسير فمن أبي أمامة كما هو ظاهر رواية ابن المنذر والطبراني والحاكم[٥] فقد جاء فيها: "لَمَّا أُتِيَ برؤوس الأَزَارِقَة[١] فَنُصِبَتْ على دَرَجِ دِمَشْقَ جاء أبو أُمَامَةَ فلما

---

(١) ينظر: تفسير الثعلبي: ١٢٣/٣.

(٢) أبو أمامة الباهلي: صدي بن عجلان، سكن مصر ثم انتقل منها إلى حمص فسكنها ومات بها، روى عن النبي < وعن عمر وعثمان وعلي وأبي عبيدة ومعاذ، وأكثر حديثه عند الشاميين، توفي سنة ست وثمانين، قيل: هو آخر من مات بالشام من أصحاب رسول الله < .
ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ١٦٠٢/٤، الإصابة: ٤٢٠/٣.

(٣) ينظر: تفسير الطبري: ٥٤/٤، تاريخ دمشق: ٣٦٧/١٢.

(٤) أخرجه الترمذي: برقم (٣٠٠٠) وأحمد: ٢٦٩/٥، وابن المنذر في تفسيره: ٣٢٦، والطبراني في الكبير: ٢٢٦/٨، والحاكم في المستدرك: ١٦٣/٢. قال الترمذي: حديث حسن، وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه، وقال الألباني في تحقيقه لمشكاة المصابيح (١٠٥٥/٢): إسناده حسن.

(٥) انظر التخريج السابق.

(١) فرقة من الخوارج، وهم أتباع نافع بن الأزرق الحنفي. ينظر: الفرق بين الفرق: ٨٧، ومنهاج السنة لابن تيمية: ١١/٥.

رَآهُمْ دَمِعَتْ عَيْنَاهُ، ثُمَّ قال: كِلابُ النَّارِ كِلابُ النَّارِ هَؤُلاءِ شَرُّ قَتْلَى تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ، وَخَيْرُ قَتْلَى تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ الَّذِينَ قَتَلَهُمْ هَؤُلاءِ. قلت: فما شَأْنُكَ دَمِعَتْ عَيْنَاكَ؟ قال: رَحْمَةً لهم، إِنَّهُمْ كَانُوا من أَهْلِ الإِسْلامِ، قال قلت: أَبِرَأْيِكَ قُلْتَ كِلابَ النَّارِ أَمْ شيئا سَمِعْتَهُ من رسول اللَّهِ < ؟ قال إِنِي إِذًا لَجَرِيءٌ بَلْ شيئا سَمِعْتُهُ من رسول اللَّهِ < غير مَرَّةٍ وَلا ثِنْتَيْنِ وَلا ثَلاثٍ فَعَدَّدَ مِرَارًا، ثُمَّ تَلا ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ حتى بَلَغَ ﴿ فَفِي رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ وَتَلا ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ ﴾ حتى بَلَغَ ﴿ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [آل عمران: آية ٧] " فجاء استشهاده بالآية بعد روايته للحديث، فكأن الاستشهاد من أبي أمامة والله أعلم.

القول الثامن:

قال السدي: "هذا من كَفَر من أهل القبلة حين اقتتلوا"(١).

ولعله يشير لحديث عبد الله بن مسعود ط أن النبي < قال "سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ"(٢) والمراد به الكفر الأصغر غير المخرج من الملة، وسُمّي كفراً لأن قتل المسلم من شأن الكفار وعملهم(٣)، فأراد السدي أن مرتكب الكفر الأصغر – بقتل المسلم بغير حق – له نصيب من سواد الوجه ومن التوبيخ بقدر ذنبه فيقال له يوم القيامة: أكفرت بعد إيمانك.

الترجيح:

الظاهر – والله أعلم – أن الآية في الكفار عموماً لقوة ما احتج به الطبري، فيكون الخطاب شاملاً لكل الكفار بما فيهم اليهود والنصارى والمرتدون والمنافقون.

والآثار الواردة عن السلف في أن الآية في أهل البدع والأهواء أو في قتال المسلمين تُحمل على أنهم أرادوا أن لهم نصيباً من الوعيد في الآية بقدر بدعتهم وذنبهم، أو بما سبق

---

(١) تفسير الطبري: ٥٤/٤، تفسير ابن أبي حاتم: ٧٢٩/٣.

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري: ٢٧/١ رقم (٤٨) ومسلم: ٨١/١ رقم (٦٤).

(٣) ينظر: فتح الباري: ١١٢/١.

توجيهه[1].

قال القرطبي: "فمن بدّل أو غيّر أو ابتدع في دين الله مالا يرضاه الله و لم يأذن به الله فهو من المطرودين عن الحوض المبتَعِدين منه المسوّدي الوجوه، وأشدهم طردا وإبعاداً من خالف جماعة المسلمين وفارق سبيلهم كالخوارج على اختلاف فرقها، والروافض على تباين ضلالها، والمعتزلة على أصناف أهوائها، فهؤلاء كلهم مبدّلون ومبتدعون، وكذلك الظلمة المسرفون في الجور والظلم وطمس الحق وقتل أهله وإذلالهم والمعلنون بالكبائر المستخفون بالمعاصي، وجماعة أهل الزيغ والأهواء والبدع كلٌّ يخاف عليهم أن يكونوا عنوا بالآية... ولا يخلد في النار إلا كافر جاحد ليس في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان"[2].

وقال ابن عثيمين: من فيه خصلة من خصال الكفر فله من عذاب الكافرين بقدرها؛ فالقاعدة أن الحكم المعلّق بوصف يقوى ويضعف بحسب ذلك الوصف[3].

أما الخوارج فمن يرى كفرهم فظاهرٌ دخولهم في الآية.

ومن يرى عدم تكفيرهم – وهو قول أكثر العلماء[4] – فيحمل تفسيره للآية -إن فسرها بالخوارج- على ما سبق بيانه حيث جمع الخوارج بين البدعة وقتل المسلمين.

قال شيخ الإسلام: " والخوارج كانوا من أظهر الناس بدعة وقتالا للأمة وتكفيرا لها، و لم يكن في الصحابة من يُكفّرهم لا علي بن أبي طالب ولا غيره؛ بل حكموا فيهم بحكمهم في المسلمين الظالمين المعتدين"[1].

وقال في موضع آخر: " ومع هذا فالصحابة رضي الله عنهم والتابعون لهم بإحسان لم

---

(١) وإذا صح هذا المحمل فهو يدل على أن السلف كانوا يستشهدون بالآيات الواردة في الكفار على بعض المسلمين على اعتبار أن لهم نصيباً من الآية لا على أنهم المراد بالآية فحسب.

(٢) الجامع لأحكام القرآن: ١٠٨/٤.

(٣) ينظر: تفسير سورة آل عمران لابن عثيمين: ٣٣/٢.

(٤) ينظر: مجموع الفتاوى: ٣٥٢/٣، ٢١٧/٧، منهاج السنة: ٢٤٧/٥، الخوارج للدكتور ناصر العقل: ٥١، فرق تنتسب للإسلام للدكتور غالب عواجي: ١٥٧/١.

(١) مجموع الفتاوى: ٢١٧/٧.

يكفروهم، ولا جعلوهم مرتدين، ولا اعتدوا عليهم بقول ولا فعل؛ بل اتقوا الله فيهم وساروا فيهم السيرة العادلة"[1].

(١) منهاج السنة: ٥/٢٤٧ وذكر فيه الآثار التي تدل على عدم تكفير الصحابة لهم.

قال الله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾.

وفيها مسألتان:

المسألة الأولى: الخطاب في الآية.

ذكر ابن جُزَيّ / قولين في المسألة، ورجَّح الأول فقال :

" الخطاب لجميع المؤمنين .

وقيل: للصحابة خاصة"[1] .

الدراسة:

اختلف العلماء في المسألة على أقوال:

القول الأول:

الخطاب لجميع المؤمنين، فالمراد أن أمة محمد > هي خير الأمم، فهذه الخيرية تشمل أول هذه الأمة وآخرها.

وهذا قول أبيّ بن كعب، وأبي هريرة، والحسن، والربيع[2].

وإليه ذهب الطبري، والواحدي، والزمخشري، وابن كثير، والسيوطي، والشوكاني، والسعدي، وابن عثيمين، وهو ظاهر كلام الزجاج[3] .

قال أبو هريرة: "خير الناس للناس، تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم حتى يدخلوا في

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ١/١٦٢.

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ٤/٥٧، وتفسير ابن أبي حاتم: ٣/٧٢٣.

(٣) ينظر: تفسير الطبري: ٤/٥٩، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ١/٢٢٧، الكشاف: ١/٣٠٧، تفسير القرآن العظيم: ٢/٩٣، تفسير الجلالين: ٦٤، فتح القدير: ١/٤٦٩، تفسير السعدي: ١/٢٣٣، تفسير سورة آل عمران لابن عثيمين: ٢/٤٧، ومعاني القرآن وإعرابه: ١/٣٨٣.

الإسلام"[1].

واستدلوا بما رواه الترمذي والحاكم وغيرهما من أن النبي > قال: "إِنَّكُمْ تَتِمُّونَ سَبْعِينَ أُمَّةً أَنْتُمْ خَيْرُهَا وَأَكْرَمُهَا على اللَّهِ"[2] .

قال أبو السعود: " وظاهرٌ أن المراد بكل أمة أوائلهم وأواخرهم لا أوائلهم فقط، فلا بد أن تكون أعقاب هذه الأمة أيضا داخلة في الحكم"[3] .

وبما رواه علي بن أبي طالب ط أن رسول اللَّهِ > قال: " أُعْطِيتُ ما لم يُعْطَ أَحَدٌ مِنَ الأَنْبِيَاءِ، فَقُلْنَا يا رَسُولَ اللَّهِ ما هو؟ قال: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَأُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الأَرْضِ، وَسُمِّيتُ أَحْمَدَ، وَجُعِلَ التُّرَابُ لِي طهور، وَجُعِلَتْ أمتي خَيْرَ الأُمَمِ"[4] .

وبحديث أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّهُ سمع رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقول: "نَحْنُ الْآخِرُونَ السَّابِقُونَ يوم الْقِيَامَةِ بَيْدَ أَنَّهُمْ أُوتُوا الْكِتَابَ من قَبْلِنَا"[5] .

وبقولِ الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: آية ١٤٣].

وجعل بعض هولاء العلماء قوله تعالى في هذه الآية ﴿ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ شرطاً في خيرية هذه الأمة لا ثناءً عليها فحسب[6]، وهو رأي الزجاج، والشوكاني، وابن عثيمين.

---

(١) أخرجه البخاري: ١٦٦٠/٤ برقم: (٤٢٨١).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره: ٤٥/١ عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده، ومن طريقه كل من الترمذي وحسنه: ٢٢٦/٥ برقم (٣٠٠١)، والطبري في التفسير: ٥٩/٤ ، وابن أبي حاتم في التفسير: ٧٣٢/٣، والحاكم في المستدرك: ٩٤/٤ وقال:صحيح الإسناد، وقال ابن حجر في فتح الباري (٢٢٥/٨): حديث حسن صحيح.

(٣) إرشاد العقل السليم: ١٧/٢.

(٤) أخرجه أحمد: ٩٨/١، وحسّن إسناده ابن كثير في تفسيره: (٩٤/٢) وابن حجر في الفتح: (٢٢٥/٨) والسيوطي في الدر المنثور: (٧٢٧/٣).

(٥) متفق عليه: أخرجه البخاري: ٢٩٩/١ برقم (٨٣٦) ومسلم: ٥٨٥/٢ برقم (٨٥٥).

(٦) ينظر: زاد المسير: ٣٥٦/١.

قال مجاهد: "كنتم خير الناس للناس على هذا الشرط أن تأمروا بالمعروف وتنهوا عن المنكر وتؤمنوا بالله"(١)، وكلام أبي هريرة السابق يحتمل الشرط، ويحتمل الثناء.

واستدلوا بأنَّ ذكر الحكم مقروناً بالوصف المناسب له يدل على كون ذلك الحكم معللاً بذلك الوصف، فههنا حكم تعالى بثبوت وصف الخيرية لهذه الأمة، ثم ذكر بعده الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان، فوجب كون تلك الخيرية معللة بهذه العبادات(٢).

وذهب ابن كثير إلى التفصيل فقال: " الصحيح أن هذه الآية عامة في جميع الأمة كل قرن بحسبه، وخير قرونهم الذين بُعث فيهم رسول الله > ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم" إلى أن قال: "فمن اتصف من هذه الأمة بهذه الصفات دخل معهم في هذا المدح... ومن لم يتصف بذلك أشبه أهل الكتاب الذين ذمهم الله بقوله: ﴿ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ﴾الآية[المائدة: آية ٧٩] ولهذا لما مدح تعالى هذه الأمة على هذه الصفات شرع في ذم أهل الكتاب وتأنيبهم فقال تعالى ﴿ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا ﴾ "(٣).

وقوله يُفيد بأن الخيرية ثابتة لهذه الأمة بمجملها، أما أفرادها فإنما يدخل في هذا الوصف من اتصف بما ذكر الله في الآية.

القول الثاني:

الخطاب في الآية للصحابة.

إما للصحابة عامة، وهو قول الضحاك(٤) .

وإما لبعض الصحابة، وهو قول ابن عباس.

قال ابن عباس: " هم الذين هاجروا مع رسول الله > إلى المدينة"(١).

---

(١) ينظر: الناسخ والمنسوخ لأبي عبيد: ٤٦٥، تفسير الطبري: ٥٨/٤.

(٢) ينظر: تفسير الرازي: ١٧٥٧/٣، تفسير سورة آل عمران لابن عثيمين: ٤٧/٢.

(٣) تفسير القرآن العظيم: ٩٤/٢، ١٠٣، وقد ساق خلال هذه الصفحات أحاديث كثيرة في فضل هذه الأمة والثناء عليها.

(٤) ينظر: تفسير الطبري: ٥٨/٤.

وقد روي عن عمر بن الخطاب ط أنه قال في هذه الآية: " تكون لأولنا ولا تكون لآخرنا"[٢] وروي عنه أنه قال بأنها: " في خاصة من أصحاب رسول الله > ومن صنع مثل صنيعهم"[٣] وظاهرهما التعارض، لكن لا يثبتان عنه فلا حاجة للجمع بينهما.

القول الثالث:

أنهم أهل بيت النبي >.

وهو قول أبي جعفر[٤] .

القول الرابع:

الخطاب في الأصل للصحابة، وحكمه عام للأمة كلها.

وهو قول أبي السعود، والألوسي[٥] .

الترجيح:

الظاهر – والله أعلم – أن الخطاب لجميع المؤمنين لوجوه:

الأول: الأصل العموم، والتخصيص يحتاج إلى دليل.

الثاني: ما ذكره أصحاب القول الأول من أدلة توضح بأن المراد عموم الأمة.

الثالث: قوله تعالى في آخر الآية: ﴿وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ يُشعر بالمقارنة بين أمّتين: الأمة الإسلامية التي هذه صفاتها، والأمة الكتابية التي منها المؤمنون وأكثرها الفاسقون.

---

(١) أخرجه أحمد: ٣١٩/١، والنسائي في الكبرى: ٣١٣/٦، والطبري في تفسيره: ٥٧/٤ وغيرهم.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره: ٥٨/٤، وابن أبي حاتم في التفسير: ٧٣٢/٣، عن السدي عمن حدّثه عن عمر. وفيه راو مبهم فهو ضعيف.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره: ٥٧/٤، وابن أبي حاتم في التفسير: ٧٣٢/٣، عن السدي قال قال عمر بن الخطاب. وفيه انقطاع بين السدي وعمر فهو ضعيف.

(٤) ينظر: تفسير ابن أبي حاتم: ٧٣٢/٣.

(٥) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ٣٨٣/١، إرشاد العقل السليم: ١٧/٢، روح المعاني: ٢٧/٤ لكن قال الألوسي بأن الخطاب للصحابة أو بعضهم.

وتُحمل الآثار السابقة عن السلف في الآية على التمثيل والتنبيه على فضل الصحابة وآل البيت.

وما قاله ابن كثير مُتّجه وبه تجتمع الأدلة، فالخيرية ثابتة لهذه الأمة بمجملها، وهي خيرية متفاوتة فالصحابة خير ممن بعدهم، والقرون الأولى خير من غيرها، وكلما كانت الأمة أقرب للصفات المذكورة في الآية فخيريتها أقوى، ومهما ضعفت الخيرية في هذه الأمة في وقت من الأوقات فإنها لا تضعف ضعفاً يوجب خيرية غيرها عليها كما تفيده عموم الأدلة السابقة.

وأفراد هذه الأمة كذلك تقوى الخيرية لديهم وتضعف بحسب اتصافهم بهذه الصفات، وأدنى المسلمين فيها خير – بلا شك – ممن لا يؤمن بالله تعالى.

قال الشوكاني: " فيه دليل على أن هذه الأمة الإسلامية خير الأمم على الإطلاق، وأن هذه الخيرية مشتركة ما بين أول هذه الأمة وآخرها بالنسبة إلى غيرها من الأمم، وإن كانت متفاضلة في ذات بينها كما ورد في فضل الصحابة على غيرهم"(١).

(١) فتح القدير: ١/٤٦٩.

المسألة الثانية: معنى ﴿كُنتُمْ﴾ .

ذكر ابن جُزَيّ / أربعة أقوال في المسألة، ورجَّح الأول منها فقال :

" كان هنا هي التي تقتضي الدوام كقوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: آية ٩٦].

وقيل: كنتم في علم الله .

وقيل: كنتم فيما وُصِفتم به في الكتب المتقدمة.

وقيل: كنتم بمعنى أنتم"[1] .

الدراسة:

اختلف العلماء في المسألة على أقوال:

القول الأول:

كان هنا هي التي تدل على الدوام والاستمرار.

وهو قول ابن عطية، وأبي حيّان، وظاهر كلام البيضاوي وأبي السعود والألوسي[2].

فكان تدل على الماضي بأصل وضعها اللغوي، وتدل أيضاً في هذا الموضع على الدوام والاستمرار، فالمعنى كنتم ولا زلتم وستزالون خير أمة.

وقد مثّلوا لدلالة كان على الماضي والدوام بآية النساء التي ذكرها ابن جُزَيّ، وبالآيات التي فيها صفات الله تعالى كقوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[النساء: آية ١٥٨] ونحوها، وبآيات أخرى كقوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا﴾[الإسراء: آية ٢٧] فالشيطان كان ولا يزال وسيزال لربه كفورا، وكقوله تعالى عن الزنا ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: آية ٣٢].

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ١٦٢/١.

(٢) ينظر: المحرر الوجيز: ٤٨٩/١، البحر المحيط: ٣٠/٣، أنوار التنزيل: ١٧٥/١، إرشاد العقل السليم: ١٧/٢، روح المعاني: ٢٧/٤.

القول الثاني:

كنتم في علم الله خير أمة. وهو قول السيوطي[١] .

أو كنتم في تقدير الله وحكمه خير أمة. وهو قول الراغب الأصفهاني[٢] .

أو كنتم في اللوح المحفوظ خير أمة. وهو قول الواحدي، وجوّزه النحاس[٣] .

وهي أقوال متقاربة أو بمعنى واحد.

القول الثالث:

كنتم فيما وُصِفتم به في الكتب المتقدمة خير أمة[٤] .

القول الرابع:

يقال لهم يوم القيامة: كنتم خير أمة.

ذكره أبو حيّان وأعلّه بأنه بعيد عن سياق الكلام[٥] ، وهو كما قال.

وكان على هذه الأقوال الأربعة هي الناقصة.

القول الخامس:

كنتم بمعنى أنتم خير أمة.

وهو قول الفراء، وابن قتيبة، والطبري، والبغوي، وابن الجوزي[٦].

وجوّزه النحاس في "إعراب القرآن"[٧] .

وعليه فكان هنا زائدة.

---

(١) ينظر: تفسير الجلالين: ٦٤، وانظر: المحرر الوجيز: ٤٨٩/١.

(٢) ينظر: المفردات: ٤٢١.

(٣) ينظر: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٢٢٧/١، إعراب القرآن: ١٤٩.

(٤) ينظر: الكشاف: ٣٠٧/١، المحرر الوجيز: ٤٨٩/١، تفسير الرازي: ١٧٥٥/٣، الجامع لأحكام القرآن: ١٠٩/٤.

(٥) ينظر: البحر المحيط: ٣٠/٣، الدر المصون: ٣٤٩/٣.

(٦) ينظر: معاني القرآن: ١٦١/١، تأويل مشكل القرآن: ١٨٠، تفسير الطبري: ٦٠/٤، معالم التنزيل: ٤٠٣/١، تذكرة الأريب لابن الجوزي: ٩٦/١.

(٧) ينظر: إعراب القرآن: ١٤٩.

واستدل الفراء بقوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ﴾[الأعراف: آية ٨٦] مع قوله: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾[الأنفال: ٢٦] فوضع أنتم مكان كنتم، فإضمار كان في مثل هذا وإظهارها سواء(١).

واستدل الطبري بقول النبي > : "إِنَّكُمْ تَتِمُّونَ سَبْعِينَ أُمَّةً أَنْتُمْ خَيْرُهَا وَأَكْرَمُهَا على اللَّهِ"(٢) فوضع أنتم مكان كنتم أيضاً.

وضعّف العكبري وأبو حيّان هذا القول لأن كان لا تزاد في أول الجملة، ولا عمل لها(٣).

القول السادس:

كنتم: أي : خُلقتم ووُجدتم خير أمة.

وهو قول البقاعي، وجوّزه الطبري.

وعليه فكان هنا تامة بمعنى الوقوع والحدوث(٤).

القول السابع:

قال الزمخشري: " كان عبارة عن وجود الشيء في زمان ماض على سبيل الإبهام، وليس فيه دليل على سابق عدم، ولا على انقطاع طارىء، ومنه قوله تعالى ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[النساء: آية ٩٦] ومنه قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ كأنه قيل: وجدتم خير أمة"(٥)،

---

(١) ينظر: معاني القرآن: ١٦١/١، وذكر هذا الاستدلال الطبري في تفسيره: ٦٠/٤ فلعله نقله منه. ومما قال الطبري: " فإدخال كان في مثل هذا وإسقاطها بمعنى واحد؛ لأن الكلام معروف معناه".

(٢) مرَّ تخريجه في المسألة السابقة.

(٣) ينظر: التبيان في إعراب القرآن: ٢٨٤/١، البحر المحيط: ٣٠/٣.

(٤) ينظر: نظم الدرر: ١٣٥/٢، تفسير الطبري: ٦٠/٤، تفسير الرازي: ١٧٥٥/٣، الجامع لأحكام القرآن: ١٠٩/٤.

(٥) الكشاف: ٣٠٦/١.

وبه عبّر أيضاً ابن عاشور[1].

علّق عليه أبو حيّان بأن: "قوله: كأنه قال وجدتم خير أمة، هذا يعارض أنها مثل قوله: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ لأن تقديره وجدتم خير أمة يدل على أنها تامة، وأن خير أمة حال، وقوله: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا ﴾ لا شك أنها هنا الناقصة فتعارضا"[2] .

وأجاب السمين الحلبي بأن لا تعارض فقول الزمخشري تفسير معنى لا إعراب[3].

القول الثامن:

كان بمعنى صار، أي: صرتم خير أمة[4] .

وضعّفه محمد رشيد رضا[5] ، وعُلِّل لضعفه أنَّ صار تدل على عدم سابق، كما تقول :صار زيد عالمًا يعني بعد أن كان جاهلا، وعلى هذا فهذه الأمة لم تكن خير الأمم، ثم صارت بعد هي خير الأمم[6].

ولأنه أيضاً يُخرج كان عن معناها الأصلي مع إمكان حملها عليه.

وقد انتقد ابن عاشور بعض الأقوال السابقة فقال: "ومن الحيرة التجاء جمع من المفسرين إلى جعل الإخبار عن المخاطبين بكونهم فيما مضى من الزمان أمة بمعنى كونهم كذلك في علم الله تعالى وقَدَره، أو ثبوت هذا الكون في اللوح المحفوظ، أو جعل كان بمعنى صار"[7] .

الترجيح:

هذه الأقوال – عدا الرابع والثامن – متقاربة المعنى، والقول الأول أولى بالترجيح

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ١٨٨/٣.

(٢) البحر المحيط: ٣٠/٣.

(٣) ينظر: الدر المصون: ٣٤٨/٣.

(٤) ينظر: التبيان في إعراب القرآن: ٢٨٤/١، البحر المحيط: ٣٠/٣، التحرير والتنوير: ١٨٨/٣.

(٥) ينظر: تفسير المنار: ٥١/٤.

(٦) ينظر: أقوال ابن قتيبة في التفسير للدكتور علي العتري: ٣٣٠/١.

(٧) التحرير والتنوير: ١٨٩/٣.

لوجهين:

الأول : إبقاء كان على أصلها فهي الناقصة من حيث الإعراب.

الثاني : إبقاء كان على أصلها من حيث الدلالة اللغوية، فدلّت على الماضي بأصل وضعها اللغوي باعتبارها فعلاً من الأفعال الماضية، ودلّت مع ذلك على الدوام والاستمرار في هذا الموضع لجوازه لغة ولثبوته شرعاً كما تدل عليه الآيات والأحاديث المذكورة في المسألة السابقة[1] .

أما قول الفراء والطبري ومن وافقهما فيجاب عنه بأن الأصل عدم الزيادة في كلام الله فلكل كلمة أو حرف دلالته الخاصة.

والحديث الذي استدل به الطبري لا يعارض القول الأول؛ بل يؤكّده فهو يفيد مع الأدلة الأخرى أن هذه الأمة كانت ولا زالت وستزال خير أمة، وفي تفسير "كنتم" بـــ "أنتم" تجريد لكان التي عبّر بها القرآن من معناها اللغوي أو بعضه، بخلاف القول الأول فقد أعمل النصين معاً.

---

(١) عند القول الأول: الخطاب في الآية لجميع المؤمنين.

مسألة: مرجع الضمير في ﴿وَمَاظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ﴾ .

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١٦﴾ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَثَلِ رِيحٖ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتۡ حَرۡثَ قَوۡمٖ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَأَهۡلَكَتۡهُۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنۡ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿١١٧﴾﴾.

ذكر ابن جُزَيّ / ثلاثة أقوال في المسألة، ورجَّح الأول منها فقال :

" الضمير للكفار، أو المنافقين، أو لأصحاب الحرث.

والأول أرجح؛لأن قوله ﴿أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ فعل حال يدل على أنه للحاضرين"[1].

الدراسة:

اختلف المفسرون في المسألة على أقوال:

القول الأول:

الضمير للكفار، فالمعنى: وما ظلم الله الكفار بعدم قبول نفقاتهم ولا انتفاعهم بها.

وهو قول الطبري، وابن عطية، والرازي، وأبي حيان، والسيوطي، والشوكاني، وابن عاشور، وابن عثيمين[2] .

وعلّل ابن عطية له: بأن الكفار هم القوم الذين ذُكروا ليُرَدَّ عليهم وليُبيّن ظلمهم.

كما علّل – هو وابن جُزَيّ – بأن قوله: ﴿أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ يدل على فعل الحال للحاضرين[3].

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ١٦٣/١.

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ٧٨/٤، والمحرر الوجيز: ٤٩٥/١ ، وتفسير الرازي: ١٧٧٣/٣ ، والبحر المحيط: ٤١/٣ ، وتفسير الجلالين: ٦٥ ، وفتح القدير: ٤٧٣/١، والتحرير والتنوير: ١٩٩/٣، وتفسير سورة آل عمران: ٨٩/٢ .

(٣) ينظر: المحرر الوجيز: ٤٩٥/١، والتسهيل لعلوم التنزيل: ١٦٣/١.

القول الثاني:

الضمير للمنافقين[1].

القول الثالث:

الضمير لأصحاب الحرث، فالمعنى: وما ظلم الله أصحاب الحرث بإهلاك حرثهم.

ذكره وجهاً محتملاً في الآية الزمخشري، والألوسي[2] .

وضعّفه ابن عطية: لأنهم لم يذكروا ليردّ عليهم ولا ليبين ظلمهم[3] .

وقال أبو السعود أيضاً: " ويأباه أنه قد مرّ التعرض له تصريحاً"[4] .

الترجيح:

الراجح هو القول الأول لقوة أدلتهم، وتوجّه ما أعلّوا به القول الثالث، وعلى القول الثالث يكون قوله ﴿ **أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ** ﴾ تأكيداً لقوله: ﴿ **ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ** ﴾ وحمل الكلام على التأسيس – كما في القول الأول – أولى من حمله على التأكيد.

أما القول الثاني فإن كان المراد به التمثيل لصنف من أصناف الكفار – وهو الظاهر– فهو صحيح.

وإن كان المراد به التخصيص فلا يصح؛ إذ سياق الآيات في الحديث عن الكفار. والله أعلم.

---

(١) ينظر: النكت والعيون: ٤١٨/١، وزاد المسير: ٣٦٠/١، وتفسير الرازي: ١٧٧٣/٣، وإرشاد العقل السليم: ٢٢/٢.

(٢) ينظر: الكشاف: ٣١٠/١ ، وروح المعاني: ٣٧/٤ .

(٣) ينظر: المحرر الوجيز: ٤٩٦/١.

(٤) تفسيره: ٢٢/٢.

مسألة: معنى الأمر في ﴿قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ﴾ .

قال الله تعالى: ﴿ هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ ﴾ .

ذكر ابن جُزَيّ / قولين في المسألة:

الأول : أنه للتقريع والإغاظة.

الثاني : للدعاء.

ورجَّح الأول[1] .

الدراسة:

اختلف العلماء في المسألة على قولين :

القول الأول:

أنه للتقريع والإغاظة، والمعنى: سترون من عز الإسلام وذل الكفر ما يسوؤكم فلتموتوا بغيظكم.

قال ابن كثير: " أي مهما كنتم تحسدون عليه المؤمنين ويغيظكم ذلك منهم، فاعلموا أن الله متم نعمته على عباده المؤمنين، ومكمل دينه، ومُعلٍ كلمته، ومظهر دينه، فموتوا أنتم بغيظكم"[2].

وهو قول الثعلبي، والكفوي[3]، وظاهر كلام البغوي وابن الجوزي والسيوطي والسعدي[4].

---

(١) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: ١٦٣/١.

(٢) تفسير القرآن العظيم: ١٠٨/٢.

(٣) أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، من قضاة الأحناف، ولي القضاء في "كفة" بتركيا، وبالقدس، وببغداد، وعاد إلى استانبول فتوفي بها سنة ١٠٩٤.
ينظر: إيضاح المكنون: ٣٨٠/٤، الأعلام: ٣٨/٢.

(٤) ينظر: تفسير الثعلبي: ١٣٦/٣، الكليات للكفوي: ١٨٠، معالم التنزيل: ٤٠٩/١، زاد المسير: ٣٦٢/١، تفسير الجلالين: ٦٥، تفسير السعدي: ٢٣٦/١.

القول الثاني:

أنه للدعاء، فهو أمر من الله للنبي > أن يدعو عليهم بأن يهلكهم الله مما بهم من الغيظ على المؤمنين قبل أن يروا ما يتمنون لهم من العنت[1].

وبه قال كثير من المفسرين[2] كالطبري، والواحدي، والزمخشري، والرازي، والبيضاوي، والخازن، وأبي السعود، والشوكاني، وابن عاشور، وابن عثيمين[3] .

وعلى هذا القول يحتمل أن تكون الباء في ﴿ بِغَيْظِكُمْ ﴾ للمصاحبة فيكون دعاء عليهم بأن يبقى معهم الغيظ إلى أن يموتوا، ويحتمل أن تكون للسببية فيكون دعاء عليهم بأن يعجل الله لهم الموت بسبب الغيظ[4].

قال ابن عاشور في توجيه هذا القول: " لم يقصد به مخاطبون معيَّنون؛ لأنَّه دعاء على الذين يعضّون الأنامل من الغيظ، وهم يفعلون ذلك إذا خلوا ، فلا يتصوّر مشافهتهم بالدّعاء على التَّعيين ولكنَّه كلام قصد إسماعه لكلّ من يعلم من نفسه الاتّصاف بالغيظ على المسلمين" [5].

ونقل أبو حيّان عن بعض أشياخه أنه نقد هذا القول وقال: " ليس بدعاء؛ لأنه لو أمره بالدعاء لماتوا جميعهم على هذه الصفة؛ فإن دعوته لا ترد، وقد آمن منهم بعد هذه الآية كثير، وليس بخبر لأنه لو كان خبرا لوقع على حكم ما أخبر به، يعني ولم يؤمن أحد بعد، وإنما هو أمر معناه التوبيخ والتقريع كقوله : ﴿ ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡۖ ﴾ [فصلت: آية ٤٠]، إذا لم

---

(١) ينظر: تفسير الطبري: ٨٧/٤، والأمر للنبي > أمر لأمته.

(٢) ينظر: المحرر الوجيز: ٤٩٨/١، الجامع لأحكام القرآن: ١١٧/٤، البحر المحيط: ٤٤/٣.

(٣) ينظر: تفسير الطبري: ٨٧/٤، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٢٢٩/١، الكشاف: ٣١١/١، تفسير الرازي: ١٧٧٨/٣، أنوار التنزيل: ١٧٧/١، لباب التأويل: ٤١٠/١، إرشاد العقل السليم، ٢٣/٢، فتح القدير: ٤٧٥/١، التحرير والتنوير: ٢٠٣/٣، تفسير سورة آل عمران لابن عثيمين: ١٠٢/٢.

(٤) ينظر: تفسير سورة آل عمران لابن عثيمين: ١٠٢/٢ ورجَّح الثاني لأنه أشد في التحدي.

(٥) التحرير والتنوير: ٢٠٣/٣.

تستحي فاصنع ما شئت"[1].

وتعقّبه ابن عادل الحنبلي فقال: "وهذا – الذي قاله– ليس بشيء؛ لأن مَنْ آمن منهم لم يدخل تحت الدعاء – إن قُصِد به الدعاء – ولا تحت الخبر إن قُصِد به الإخبار"[2].

ويجاب أيضاً بأنه قد يكون المرادُ بالدعاء والخبر جُملتَهم وفئتَهم لا أفراداً بأعيانهم.

الترجيح:

يحتمل أن تكون الآية شاملة للقولين، فيكون المراد الدعاء عليهم وتقريعهم وإغاظتهم في آنٍ واحد، أو يقول ذلك على وجه الدعاء أحياناً، ويقوله على وجه التقريع والإغاظة أحياناً.

فإن كان هذا الجمع ممتنعاً فالراجح – والله أعلم – هو القول الأول لكونه أنسب للسياق وأقرب لمراد الآية؛ فإنهم يُبدون الموافقة والمودة للمؤمنين ظاهراً، ويعضّون الأنامل عليهم من الغيظ سرّاً، فناسب أن يقول لهم قولاً يراد به زيادة غيظهم وتقريعهم وتبّكيتهم، ولما يتضمنه هذا القول من البشارة من الله بعز الإسلام وذل الكفار والمنافقين، وتفاؤل قائله من المؤمنين بذلك.

---

(١) البحر المحيط: ٣/٤٥.

(٢) اللباب في علوم الكتاب: ٥/٤٩٩.

مسألة: مُتعلَّق ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ .

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ .

ذكر ابن جُزَيّ / قولين في المسألة، ورجَّح الأول فقال :

" متعلق بنصركم، أو باتقوا.

والأول أظهر"[1] .

الدراسة:

اختلف المفسرون في المسألة على أقوال:

القول الأول:

أنه متعلِّق بـــ :﴿نَصَرَكُمُ﴾.

والمعنى: لتشكروا الله على ما مَنّ به عليكم من النصر على أعدائكم.

وهو قول الطبري، والسعدي[2].

القول الثاني:

أنه متعلِّق بـــ: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾.

والمعنى: لتشكروا الله بالتقوى.

وهو ظاهر قول ابن اسحاق[3]، والواحدي[4].

القول الثالث:

أنه متعلِّق بإنعامٍ مرجوٍّ أن يقع، فكأنه قيل: لعل الله ينعم عليكم نعمة أخرى فتشكرونها، ووضع الشكر موضع الإنعام لأنه سببه.

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ١/١٦٤.

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ٤/٩٦، وتفسير السعدي: ١/٢٣٧.

(٣) ينظر: تفسير الطبري: ٤/٩٦.

(٤) ينظر: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ١/٢٣٠.

ذكره وجهاً في الآية الزمخشري، وابن عطية، والرازي، والبيضاوي، وأبو حيّان، وابن عادل، وأبو السعود، والألوسي[1] .

الترجيح:

القولان الأولان صحيحان، ولا تعارض بينهما؛ فإن النصر سبب الشكر، والتقوى وسيلة الشكر، فهو من حيث السبب والعلّة متعلّق بالنصر، ومن حيث الوسيلة والطريقة متعلّق بالتقوى.

ولذا جمع بينهما عدد من المفسرين كالزمخشري، والرازي، والبيضاوي، وابن عادل، وأبي السعود فقالوا: ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ بتقواكم ما أنعم به عليكم من نصرته[2] .

أما القول الثالث فبعيد لمخالفته المعنى الظاهر المتبادر إلى الذهن من الكلام، ولا دليل على صرفه إليه، والأصل حمل الكلام على ظاهره[3] .

قال ابن جُزَيّ في بيان وجوه الترجيح عند المفسرين: " السابع: أن يكون ذلك المعنى المتبادر إلى الذهن، فإن ذلك دليل على ظهوره ورجحانه"[4] . والله أعلم.

---

(١) ينظر: الكشاف: ٣١٤/١، المحرر الوجيز: ٥٠٢/١، تفسير الرازي: ١٧٨٥/٣، أنوار التنزيل: ١٧٨/١، البحر المحيط: ٥١/٣، اللباب في علوم الكتاب: ٥١٥/٥، إرشاد العقل السليم: ٢٧/٢، روح المعاني: ٤٤/٤.

(٢) ينظر: الكشاف: ٣١٤/١، تفسير الرازي: ١٧٨٥/٣، أنوار التنزيل: ١٧٨/١، اللباب في علوم الكتاب: ٥١٥/٥، إرشاد العقل السليم: ٢٧/٢، وعدّوه أحد الأوجه المحتملة في الآية، وقدّموه عند إيرادها.

(٣) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: ١٣٧/١.

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل: ١٩/١.

قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا۟ خَآئِبِينَ ﴿١٢٧﴾ ﴾ .

فيها مسألتان:

المسألة الأولى: الوعد بإمداد المؤمنين بالملائكة هل كان في غزوة بدر أم أحد؟.

ذكر ابن جُزَيّ / قولين في المسألة، ورجَّح الأول منهما فقال :

" كان هذا القول يوم بدر .

وقيل: يوم أحد؛ فالعامل في إذ[1] على الأول محذوف، وعلى الثاني بدل من ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ ﴾ [آل عمران:١٢١] " [2] .

الدراسة:

اختلف العلماء في المسألة على أقوال:

القول الأول:

أن الوعد بإمداد المؤمنين بالملائكة في هذه الآيات كان في غزوة بدر[3].

وهو قول الشعبي، والحسن، وقتادة، والربيع بن أنس[1] ، والطبري، والماوردي،

---

(١) في قوله تعالى: ﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾.

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل: ١/١٦٤.

(٣) أصحاب هذا القول متفقون أن هذا الوعد كان في بدر، لكن اختلفوا هل تحقق الإمداد بالملائكة أم لا؟ وعامتهم يرون تحقق الوعد، ثم اختلفوا بكم مُدوا؟ بألف أو ثلاثة آلاف أو خمسة آلاف.

والواحدي، وابن الجوزي، وأبي حيان، وابن كثير، وابن حجر، والسيوطي، وأبي السعود، والشوكاني، وابن عاشور، والشقيطي[٢] .

ونسبه لجمهور المفسرين ابن عطية، والرازي، وأبو حيان، وابن عاشور[٣] .

واستدلوا بعدد من الأدلة:

الأول : أن قلة العَدد والعُدد كان يوم بدر ، فكانوا إلى تقوية قلوبهم بالوعد أحوج .

الثاني : ولأنّ الوعد بإنزال ثلاثة آلاف من الملائكة كان مطلقاً غير مشروط بشرطٍ فوجب حصوله، وإنما حصل يوم بدر لا يوم أحد[٤].

قال أبو حيان: "تظاهرت الروايات وتظافرت على أن الملائكة حضرت بدراً وقاتلت"[٥] .

وقال الرازي – في معرض سياقه لأدلة أصحاب هذا القول – : " وليس لأحد أن يقول إنهم نزلوا[٦] لكنهم ما قاتلوا؛ لأن الوعد كان بالإمداد بثلاثة آلاف من الملائكة، وبمجرد الإنزال لا يحصل الإمداد؛ بل لا بد من الإعانة، والإعانة حصلت يوم بدر ولم تحصل يوم أحد"[٧].

الثالث: أن الله تعالى قال: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ﴾ ثم قال في الآية التي

---

(١) ينظر: تفسير الطبري: ٩٨/٤، تفسير ابن أبي حاتم: ٧٥٢/٣.

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ٩٨/٤، النكت والعيون: ٤٢١/١، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٢٣٠/١، زاد المسير: ٣٦٤/١، البحر المحيط: ٥٢/٣، تفسير القرآن العظيم: ١١٢/٢، فتح الباري: ٢٨٥/٧، تفسير الجلالين: ٦٦، إرشاد العقل السليم: ٣١/٢، فتح القدير: ٤٧٧/١، التحرير والتنوير: ٢٠٧/٣، دفع إيهام الإضطراب عن آيات الكتاب: ٦٩.

(٣) ينظر: المحرر الوجيز: ٥٠٢/١، تفسير الرازي: ١٧٨٥/٣، البحر المحيط: ٥٢/٣، التحرير والتنوير: ٢٠٧/٣.

(٤) ينظر: تفسير الرازي: ١٧٨٦/٣، البحر المحيط: ٥٢/٣.

(٥) البحر المحيط: ٥٢/٣.

(٦) يعني يوم أحد.

(٧) تفسير الرازي: ١٧٨٦/٣.

تليها: ﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴾ فظاهر هذا الكلام يقتضي أن الله تعالى نصرهم ببدر حينما وعد الرسول > المؤمنين بذلك، وهذا يقتضي أن الوعد كان في بدر(١) .

قال ابن عاشور: " وهو الذي يقتضيه السياق"(٢).

الرابع: تشابه سياق آيات الأنفال الصريحة في كون المدد كان ببدر بسياق هذه الآيات، قال تعالى في الأنفال: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾.

قال ابن كثير: "وهذا السياق شبيه بهذا السياق في سورة آل عمران؛ فالظاهر أن ذلك كان يوم بدر كما هو المعروف من أن قتال الملائكة إنما كان يوم بدر" (٣).

الخامس: أن قوله عز وجل: ﴿ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا۟ خَآئِبِينَ ﴿١٢٧﴾ ﴾ صريح في أنه قد وقع الإمداد الموعود، وأنه آتى ثمرته، وأن الله تعالى نصرهم، وهذا إنما حصل في بدر لا أحد(٤).

القول الثاني:

أن الوعد بإمداد المؤمنين بالملائكة في هذه الآيات كان في غزوة أحد.

وإليه ذهب الضحاك، وابن زيد(٥) ، ومقاتل بن سليمان، والبقاعي، ومحمد رشيد رضا، وابن عثيمين، وهو ظاهر كلام شيخ الإسلام ابن تيمية(٦) .

---

(١) ينظر: تفسير الرازي: ١٧٨٦/٣.

(٢) التحرير والتنوير: ٢٠٧/٣.

(٣) تفسير القرآن العظيم: ١١٢/٢.

(٤) ينظر: إرشاد العقل السليم: ٣١/٢.

(٥) ينظر: تفسير الطبري: ١٠٢/٤، وعزاه ابن كثير في تفسيره أيضا (١١٣/٢) لعكرمة والزهري.

(٦) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ١٩٠/١، نظم الدرر: ١٤٩/٢، تفسير المنار: ٩٥/٤، تفسير سورة آل عمران لابن عثيمين: ١٣١/٢، مجموع فتاوى شيخ الإسلام: ٣٧/١٥، ٣٨.

ويرى بعض أصحاب هذا القول أنه مع هذا الوعد لم يمدّهم الله بالخمسة آلاف؛ لأنهم لم يصبروا واستبقوا إلى طلب الغنائم، ومِنْ شرط الإمداد الصبر.

وقال آخرون منهم: لم يُمَدّوا بالخمسة آلاف ولا بالثلاثة آلاف[1] .

واستدلوا بعدد من الأدلة:

الأول: أن يوم بدر إنما أمدهم الله بألف من الملائكة كما في آية الأنفال الآنفة، وهنا ذكر أنهم ثلاثة آلاف وخمسة آلاف، وهذا يدل على أن المذكور هنا في أحد لا بدر[2].

الثاني: أن الكفار يوم بدر كانوا ألفاً فوعد الله المؤمنين أن يمدّهم بألف من الملائكة مقابل عدد الكفار، وفي أحد كان عدد الكفار ثلاثة آلاف فوعدوا بثلاثة آلاف من الملائكة مقابل عدد الكفار كذلك[3] .

الثالث: أنه تعالى قال في هذه الآية ﴿ **بَلَىٰٓ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ** ﴾ والمراد ويأتوكم أعداؤكم من فورهم، ويوم أحد هو اليوم الذي كان يأتيهم الأعداء، فأما يوم بدر فالأعداء ما أتوهم؛ بل هم ذهبوا إلى الأعداء[4].

الرابع: الذي في بدر كان الوعد غير مشروط كما في آية الأنفال، وفي هذه الآيات الوعد مشروط، فدلّ هذا على أنه ليس في بدر[5] .

الخامس: قول سَعْدِ بن أبي وَقَّاصٍ رضي الله عنه: "رأيت رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يوم أُحُدٍ وَمَعَهُ رَجُلَانِ يُقَاتِلَانِ عنه عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بِيضٌ كَأَشَدِّ الْقِتَالِ ما رَأَيْتُهُمَا قَبْلُ ولا بَعْدُ"[6].

---

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ١١٣/٢، التحرير والتنوير: ٢٠٧/٣.

(٢) ينظر: تفسير الرازي: ١٧٨٥/٣، تفسير سورة آل عمران لابن عثيمين: ١٣١/٢.

(٣) ينظر: تفسير الرازي: ١٧٨٥/٣، البحر المحيط: ٥٢/٣.

(٤) ينظر: تفسير الرازي: ١٧٨٦/٣.

(٥) ينظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام: ٣٧/١٥، تفسير سورة آل عمران لابن عثيمين: ١٣٣/٢.

(٦) متفق عليه: أخرجه البخاري: ١٤٨٩/٤ (رقم ٣٨٢٨) ومسلم: ١٨٠٢/٤ (رقم ٢٣٠٦).

أما عدم إمداد المؤمنين بالملائكة في أحد مع الوعد به **فأجيب عنه** بأن " إنزال خمسة آلاف من الملائكة كان مشروطاً بشرط أن يصبروا ويتقوا في المغانم، ثم أنهم لم يصبروا و لم يتقوا في المغانم؛ بل خالفوا أمر الرسول > ، فلما فات الشرط لا جرم فات المشروط، وأما إنزال ثلاثة آلاف من الملائكة فإنما وعد الرسول بذلك للمؤمنين الذين بوَّأهم مقاعد للقتال وأمرهم بالسكون والثبات في تلك المقاعد، فهذا يدل على أنه > إنما وعدهم بهذا الوعد بشرط أن يثبتوا في تلك المقاعد، فلما أهملوا هذا الشرط لا جرم لم يحصل المشروط"[(١)].

وعلق أبو حيان على الجواب عن عدم الإمداد بالثلاثة آلاف بقوله: " ولا خفاء بضعف هذا الجواب"[(٢)] .

وأجاب أصحاب القول الأول عن أدلة هذا القول بالآتي:

أما الدليل الأول فالجواب عنه من وجهين:

الأول: لا مانع أن يكون وعدهم بألف أولاً، ثم صارت ثلاثة آلاف، ثم صارت خمسة آلاف[(٣)] .

قال قتادة والربيع بن أنس: " أمدهم بألف، ثم صاروا ثلاثة آلاف، ثم صاروا خمسة آلاف"[(٤)].

الثاني: أن آية الأنفال لم تقتصر على الألف؛ بل أشارت إلى الزيادة المذكورة في آل عمران، كما في قراءة (بألف من الملائكة مردَفين) بفتح الدال على صيغة المفعول[(٥)]،

---

(١) تفسير الرازي: ١٧٨٦/٣.

(٢) البحر المحيط: ٥٢/٣.

(٣) ينظر: تفسير الرازي: ١٧٨٧/٣، البحر المحيط: ٥٢/٣ ، دفع إيهام الإضطراب: ٦٩.

(٤) ينظر: تفسير الطبري: ١٠١/٤، تفسير ابن أبي حاتم: ٧٥٢/٣.

(٥) ينظر: دفع إيهام الإضطراب: ٦٩، التحرير والتنوير: ٢٠٧/٣. والقراءة لنافع وأبي جعفر، ينظر: النشر في القراءات العشر: ٢٠٧/٢، البدور الزاهرة: ٣٧٢/١.

قال ابن كثير: " بمعنى يَرْدَفهم غيرهم ويتبعهم ألوف أُخَر"[1] .

أما الدليل الثاني فهو تقريب حسن، ولكنه لا يوجب أن لا يكون الأمر كذلك، بل الله تعالى قد يزيد وقد ينقص في العدد بحسب ما يريد[2] .

أما الدليل الثالث فإن المشركين لما سمعوا أن الرسول > وأصحابه قد تعرضوا للعير ثار الغضب في قلوبهم، واجتمعوا، وقصدوا النبي > ثم إن الصحابة لما سمعوا ذلك خافوا فأخبرهم الله تعالى: أنهم إن يأتوكم من فورهم يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة[3].

أما الدليل الرابع فيجاب عنه بأن لا تعارض بين الأمرين؛ لكون الشرط متعلّق بعددٍ، وهو الخمسة آلاف، وعدم الاشتراط متعلّق بعدد آخر وهو الألف والثلاثة آلاف.

أما الدليل الخامس: فلعله مختص بالنبي > خصه بملكين يقاتلان عنه، ولا يكون هذا إمدادا للصحابة[4]؛ لأنهم لو مُدّوا لعُرِف ذلك واشتهر كما اشتهر في بدر، والله أعلم.

القول الثالث:

التفريق بين الآيتين؛ فالآية الأولى: ﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴾ في غزوة بدر، والآية الثانية: ﴿ بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾ في غزوة أحد.

وهو قول مجاهد[5] .

الترجيح:

---

(١) تفسير القرآن العظيم: ٢/١١٢.

(٢) ينظر: تفسير الرازي: ٣/١٧٨٧.

(٣) ينظر: تفسير الرازي: ٣/١٧٨٧.

(٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٤/١٢٥، والذي في تفسيره أن قول سعد في يوم بدر، فلعله خطأ طباعي؛ إذ الثابت في الصحيحين أنه في أحد كما سبق تخريجه.

(٥) ينظر: تفسير مجاهد: ١/١٣٥، وذكره عنه أيضاً ابن الجوزي في زاد المسير: ١/٣٦٣.

الراجح – والله أعلم – هو القول الأول؛ لقوة ما استدلوا به.

ولأن الوعد بالثلاثة آلاف كان غير مشروط فلِمَ لم يتزلوا في أحد؟ إذ لو نزلوا لكان لهم أثر ولعُرِف ذلك واشتهر كما اشتهر ببدر، والقول بأنهم نزلوا ولم يقاتلوا ضعيف، وتفريق بلا دليل؛ فإن الصحابة وعدوا بمثل ذلك في بدر في آيات يُشابه سياقها هذه الآيات فتزلت الملائكة وقاتلت.

أما القول بأن الرسول > وعد بذلك المؤمنين الذين بوَّأهم مقاعد للقتال وأمرهم بالسكون والثبات في تلك المقاعد فلا دليل على ربط الوعد بذلك، إنما هي قرينة يؤخذ بها لو لم تُعارض بما هو أصرح منها وأقوى؛ بل في ذكر الشروط صراحة في الوعد بخمسة آلاف ما يُضعف هذه القرينة، فلو كان كما قالوا لذكر الشرط عند الثلاثة آلاف صراحة كما ذكره عند الخمسة، وعلى التسليم بصحة هذه القرينة فيناقش بأن الملائكة لم تنزل حتى قبل أن يخالف بعض الصحابة أمر النبي > فدل هذا على بطلان الاستدلال بذلك.

المسألة الثانية: معنى ﴿فَوْرِهِمْ﴾ في قوله تعالى: ﴿ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا ﴾ .

ذكر ابن جُزَيّ / قولين في المسألة، ورجَّح الأول منهما فقال :

" الفور: السرعة، أي: من ساعتهم .

وقيل المعنى: من سفرهم"(١) .

الدراسة:

اختلف المفسرون في المسألة على أقوال:

القول الأول:

المعنى: من وقتهم وساعتهم هذه.

وهو قول الزمخشري، ومحمد بن أبي بكر الرازي، والسمين الحلبي، والبقاعي، والسيوطي، وأبي السعود، والشوكاني، والألوسي(٢).

قال الزمخشري: "من قولك قفل من غزوته وخرج من فوره إلى غزوة أخرى، وجاء فلان ورجع من فوره، ومنه قول أبي حنيفة رحمه الله: الأمر على الفور لا على التراخي، وهو مصدر من فارت القدر: إذا غلت؛ فاستعير للسرعة، ثم سميت به الحالة التي لا ريث فيها ولا تعريج على شيء من صاحبها فقيل خرج من فوره كما تقول خرج من ساعته لم يلبث، والمعنى أنهم إن يأتوكم من ساعتهم هذه"(٣).

وذكر الفخر الرازي بأن المعنى: حِدّة مجيء العدو وحرارته وسرعته(٤).

وذكر ابن عاشور بأنه المبادرة السريعة(١).

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ١/١٦٤.

(٢) ينظر: الكشاف: ١/٣١٤، تفسير غريب القرآن العظيم: ٢٣٥، عمدة الحفاظ: ٣/٣٠٢، نظم الدرر: ٢/١٤٩، تفسير الجلالين: ٦٦، إرشاد العقل السليم: ٢/٨٠، فتح القدير: ١/٤٧٧، روح المعاني: ٤/٥٤.

(٣) الكشاف: ١/٣١٤.

(٤) تفسير الرازي: ٣/١٧٩٠ .

وهو معنى قريب من هذا القول؛ بل هو أدق في التعبير وأقرب إلى مراد الآية؛ فإنه يبعد ربط المدد بمجيء العدو بساعة ووقت محدد لو تأخر العدو عنه لم يحصل المدد؛ لذا فالظاهر أن مراد أصحاب هذا القول هو ما ذكره الفخر الرازي وابن عاشور لكنهم عبّروا بلفظ مختلف، كما تدل عليه عبارة ابن جُزَيّ حيث عبّر بالسرعة والساعة، والله أعلم.

القول الثاني:

أي: من سفرهم ووجههم هذا.

وهو قول ابن عباس، وعكرمة، والحسن، وقتادة، والسدي، والربيع بن أنس[٢] .

وبه قال أيضاً الزجاج، وابن عزيز السجستاني، وابن الجوزي، والقرطبي، ومحمد ابن إسماعيل الصنعاني، والسعدي[٣] . ونسبه السمعاني والبغوي لأكثر المفسرين[٤] .

وذكر ابن عطية أن المعنى: من نهضتهم هذه؛ فإن الفور: النهوض المسرع للشيء، مأخوذ من فور القدر والماء ونحوه[٥] . وهو قريب من هذا القول أو يؤول إليه.

القول الثالث:

أي: من غضبهم هذا.

وهو قول مجاهد، وعكرمة، وأبي صالح مولى أم هانئ[٦][٧] .

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٣/٢١٠.

(٢) ينظر: تفسير عبد الرزاق: ١/١٣٠، تفسير الطبري: ٤/١٠٣، تفسير ابن أبي حاتم: ٣/٧٥٣.

(٣) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ١/٣٩٢، نزهة القلوب: ٣٥١، تذكرة الأريب: ١/٩٨، الجامع لأحكام القرآن: ٤/١٢٦، تفسير غريب القرآن: ٢٤٦، تفسير السعدي: ١/٢٣٧.

(٤) ينظر: تفسير السمعاني: ١/٣٥٣، معالم التنزيل: ١/٤١٤.

(٥) ينظر: المحرر الوجيز: ١/٥٠٤.

(٦) أبو صالح مولى أم هانئ، اسمه : باذام ، ويُقال : باذان ، ويُقال : ذكوان، أخرج له الأربعة، قال ابن حجر: ضعيف يرسل، من الثالثة. ينظر: التاريخ الكبير: ٢/١٤٤، تهذيب الكمال: ٣٣/٤٢٣، تقريب التهذيب: ١٢٠.

(٧) ينظر: الأسامي والكنى للإمام أحمد بن حنبل: ٤١، تفسير الطبري: ٤/١٠٣، تفسير ابن أبي حاتم: ٣/٧٥٣، الكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي: ٢/٧٠.

قال عكرمة: " فورهم ذلك كان يوم أحد، غضبوا ليوم بدر مما لقوا"[١] .

وعلّق عليه ابن عطية: " وهذا تفسير لا يخص اللفظة، قد يكون الفور لغضب ولطمع ولرغبة في أجر"[٢] .

وما قاله ابن عطية غير مُسلَّم؛ فإن الفور يطلق على الغضب، قال الجوهري: "وفار فائره لغة في ثار ثائره إذا جاش غضبه"[٣] كما سيأتي مزيد نقل عن أهل اللغة في ذلك.

القول الرابع:

أي: من وجههم وغضبهم. وهو قول الضحاك[٤] .

الترجيح:

الفور: كلمة تدل على غليان وجياش.

قال الخليل بن أحمد: " الفور: فور القدر، والنار، والدخان، والغضب.

وجاء القوم من فورهم: أي جاشوا للحرب فأقبلوا من وجههم ذلك، وكل جائش فائر"[٥].

وقال ابن فارس: " الفاء والواو والراء كلمة تدل على غليان، ثم يقاس عليها، فالفور: الغليان، يقال: فارت القدر تفور فورا...وفار غضبه إذا جاش، ومما قيس على هذا قولهم فعله من فوره: أي في بدء أمره قبل أن يسكن"[٦].

وقال ابن سيده[٧]: " والفائِرُ المُنْتَشِرُ الغَضَبِ من الدَّوَابِّ وغَيْرِها، وفارَ فائِرُه انْتَشَرَ

---

(١) تفسير الطبري: ١٠٤/٤.

(٢) المحرر الوجيز: ٥٠٤/١.

(٣) الصحاح: مادة (فور).

(٤) ينظر: تفسير الطبري: ١٠٣/٤، تفسير ابن أبي حاتم: ٧٥٣/٣.

(٥) العين: مادة (فور).

(٦) مقاييس اللغة: مادة (فور).

(٧) علي بن إسماعيل بن سيده أبو الحسن، إمام في اللغة، حافظ لها، حجة في نقلها، قال صاحب المُغْرِب: "لا يعلم بالأندلس أشد اعتناء من هذا الرجل باللغة، ولا أعظم تواليف" وقال أبو عمر الطلمنكي: أتوني بمرسية ليسمعوا مني غريب المصنف، فقلت: انظروا من يقرأ لكم، فأتوني برجل أعمى يُعرف =

غَضَبُه"[1].

وقال الراغب الأصفهاني: " ويقال فعلت كذا من فوري: أي في غليان الحال"[2] .

وعليه فكل المعاني التي ذكرها المفسرون صحيحة لا تعارض بينها لغة.

أما من حيث المعنى السياقي فإن هذه المسألة لها ارتباط بالمسألة السابقة؛ فمن قال بأن المعنى: من غضبهم هذا فهو صحيح؛ والغضب في غزوة أحد التي كانت انتقاماً لهزيمتهم في بدر أظهر منه في غزوة بدر، فإنهم في بدر مع الغضب ذهبوا لساحة المعركة بطراً ورئاء الناس كما قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾[الأنفال: آية: ٤٧] .

ومن قال بأن المعنى: يأتوكم مسرعين مبادرين فهو صحيح؛ وخروج الكفار كذلك كان في بدر أظهر منه في أحد، فقد كان أصل خروجهم على وجه السرعة والمبادرة لإنقاذ تجارتهم[3].

أما من قال بأن المعنى: من سفرهم ووجههم هذا فهو صحيح يتناسب مع كلا القولين السابقين، فإنه سفرهم ووجهم الذي جاشوا فيه للحرب.

ويكون المعنى المناسب للسياق – بناء على الترجيح في المسألة السابقة- يأتوكم من سفرهم هذا الذي جاشوا فيه للحرب مبادرين مسرعين، والله أعلم.

= بابن سيده فقرأه كله من حفظه، توفي سنة ٤٥٨.

ينظر: المغرب في حلى المغرب: ٢/٢٥٩، العبر: ٣/٢٤٥، الديباج المذهب: ٢٠٤، البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة: ١٤٨.

(١) المحكم والمحيط الأعظم: مادة (فور). وفيه فائدة في سبب تسمية الفار الحيوان المعروف بهذا الاسم.

(٢) المفردات في غريب القرآن: ٣٨٨.

(٣) أما تفسير الفور بالوقت والساعة فقد سبق توجيهه في القول الأول.

مسألة: المراد بعرض الجنة.

قال الله تعالى: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾.

ذكر ابن جُزَيّ / قولين في المسألة، ورجَّح الأول فقال :

" قال ابن عباس: تقرن السموات والأرض بعضها إلى بعض كما تقرن الثياب فذلك عرض الجنة، ولا يعلم طولها إلا الله[1] .

وقيل: ليس العرض هنا خلاف الطول؛ وإنما المعنى سعتها كسعة السموات والأرض"[2].

الدراسة:

اختلف المفسرون في المراد بالعرض هنا هل هو العرض الذي يقابل الطول أم لا؟ :

القول الأول:

المراد العرض الذي يقابل الطول.

وهو قول الجمهور[3] ، وممن قال به من المفسرين: السمين الحلبي، والبقاعي،

---

(١) أخرجه الطبري: ١١٧/٤، من غير العبارة الأخيرة " ولا يعلم طولها إلا الله" من طريق السدي قال قال ابن عباس، قال ابن حجر في العجاب ٢١٢/١ عن السدي: " وهو كوفي صدوق، لكنه جمع التفسير من طرق: منها عن أبي صالح عن ابن عباس، وعن مرة بن شراحيل عن ابن مسعود، وعن ناس من الصحابة وغيرهم، وخلط روايات الجميع فلم تتميز رواية الثقة من الضعيف، ولم يلق السدي من الصحابة إلا أنس بن مالك" .

وقد ذكر هذه العبارة عن ابن عباس " ولا يعلم طولها إلا الله" عدد من المفسرين كابن عطية والقرطبي، ولعل المؤلف نقلها من ابن عطية فكثيرا ما ينقل منه.

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل: ١٦٥/١، وترجيح ابن جزي للقول الأول حيث ذكر قول من يقتدى به من الصحابه وقدّمه في الذكر. ينظر: الباب الأول: الفصل الأول: ٥٣، ٥٦.

(٣) ينظر: المحرر الوجيز: ٥٠٨/١ ، الجامع لأحكام القرآن: ١٣١/٤، البحر المحيط: ٦٢/٣.

والسعدي، وابن عثيمين[1]، وهو ظاهر كلام الطبري، وابن عطية، والقرطبي[2].

قال ابن عباس: " تقرن السموات السبع، والأرضون السبع، كما تقرن الثياب بعضها إلى بعض فذاك عرض الجنة"[3].

وقال أكثر هولاء العلماء بأن طول الجنة أكثر من عرضها، وإنما ذكر العرض من باب التنبيه بالأدنى على الأعلى، فإذا كان عرضها كذلك فما ظنك بطولها، ومثله قوله تعالى: ﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشِۭ بَطَآئِنُهَا مِنۡ إِسۡتَبۡرَقٖۚ ﴾[الرحمن: ٥٤] فإذا كانت البطانة كذلك فما الظن بظاهرها؛ فإن العادة قاضية أن الظِّهارة أنفس من البطانة، فخص العرض بالذكر لأنه يدل متى ذكر على الطول، والطول إذا ذكر لا يدل على قدر العرض؛ بل قد يكون الطويل يسير العرض كالخيط ونحوه[4].

وقال بعض العلماء – واختاره ابن عثيمين – أن عرض الجنة كطولها؛ لأنها قبة تحت العرش، والشيء المقبّب والمستدير عرضه كطوله.

قال ابن كثير: "وقد دل على ذلك ما ثبت في الصحيح: (**إذا سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس فإنه أعلى الجنة، وأوسط الجنة، ومنه تفجر أنهار الجنة، وسقفها عرش الرحمن**)"[5][6].

القول الثاني:

ليس العرض هنا خلاف الطول؛ فالعرض كناية عن السعة من غير نظر إلى طول أو عرض.

---

(١) ينظر: عمدة الحفاظ: ٦٦/٣، نظم الدرر: ١٥٧/٢، تفسير السعدي: ٢٤٣/١، تفسير سورة آل عمران لابن عثيمين: ١٦٩/٢.

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ١١٧/٤، المحرر الوجيز: ٥٠٧/١ ، الجامع لأحكام القرآن: ١٣١/٤.

(٣) تفسير الطبري: ١١٧/٤ وقد مر آنفاً الكلام عليه. وروي عن سعيد بن جبير نحو ما قال ابن عباس. ينظر: تفسير ابن أبي حاتم: ٧٦٢/٣.

(٤) ينظر: المحرر الوجيز: ٥٠٨/١، عمدة الحفاظ: ٦٦/٣.

(٥) أخرجه البخاري: ١٠٢٨/٣ (رقم ٢٦٣٧).

(٦) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ١١٧/٢.

وهو قول ابن قتيبة، وابن عزيز السجستاني، والسمعاني، والألوسي، وابن عاشور[1] ، وهو ظاهر كلام البغوي[2] .

وهذا كما يقال بلاد عريضة، ودعوى عريضة، أي: واسعة[3].

قال النحاس: وذلك معروف في اللغة[4].

وبعض هولاء العلماء – كالسمعاني - قال بأن سعتها كسعة السموات والأرض.

وبعضهم – كالألوسي وابن عاشور – ذهب إلى أنه تعبير يدل على المبالغة في السعة من غير تحديد بسعة السموات والأرض، وذلك أنها لما كانت الجنة من الاتساع والانفساح في غاية قصوى حسن التعبير عنها بعرض السموات والأرض مبالغة؛ لأنهما أوسع مخلوقات الله سبحانه فيما يعلمه عباده، ولم يقصد بذلك التحديد[5].

الترجيح:

الراجح هو القول الأول – قول الجمهور - حملاً للفظ على الحقيقة؛ فإن القول الثاني جعل العرض كناية عن السعة، وهو وإن كان معروفا في كلام العرب إلا أن حمل اللفظ على الحقيقة أولى ما دام المعنى يتم به.

قال ابن فارس: " العين والراء والضاد بناء تكثر فروعه، وهي مع كثرتها ترجع إلى أصل واحد، وهو العرض الذي يخالف الطول، ومن حقق النظر ودققه علم صحة ما قلناه"[6].

والآية تدل على أن عرض الجنة أقل من طولها؛ إذ الأصل أن العرض أقل من الطول،

---

(١) ينظر: القرطين: ١٠٤/١، نزهة القلوب: ٣٢٤، تفسير السمعاني: ٣٥٧/١، روح المعاني: ٥٦/٤، التحرير والتنوير: ٢٢٠/٣.

(٢) ينظر: معالم التنزيل: ٤١٧/١.

(٣) ينظر: زاد المسير: ٣٧٠/١، تفسير الرازي: ١٨٠٣/٣.

(٤) معاني القرآن: ١٦٤/١.

(٥) وينظر: فتح القدير: ٢٤٣/١.

(٦) معجم مقاييس اللغة: (عرض).

ويشهد لذلك أن الآية سيقت للترغيب في الجنة وبيان عظمها وسعتها فنبّه تعالى بالأدنى على الأعلى، وما استدل به ابن كثير – إن كان فيه دلالة على استدارة الجنة – يجاب عنه بأنه قد يكون الشيء مستديراً وعرضه أقل من طوله كما في المستدير البيضاوي، فلا تعارض إذن، والله أعلم(١).

(١) للفائدة: قال ابن عثيمين: الآية لا تدل على أن الجنة ملأت السموات والأرض وصارت في محلهما؛ بل تدل على أن عرضها عرض السموات والأرض وإن كانت هي فوقهم، ولذلك نقول: إن الجنة فوق السموات والأرض كلها" واستدل بحديث أبي هريرة السابق الذي ذكره ابن كثير. (تفسير سورة آل عمران لابن عثيمين: ١٦٩/٢) ويستحضر في هذا المسألة أن السموات والأرض ليست الكون كله ؛ بل هي – مع عظمها- جزء صغير جداً بجانب الكرسي والعرش. (للاستزادة ينظر : المحرر الوجيز: ٥٠٧/١، الجامع لأحكام القرآن: ١٣١/٤، تفسير القرآن العظيم: ١١٨/٢).

قال الله تعالى: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ ﴾ .

وفيها مسألتان:

المسألة الأولى: الخطاب في الآية.

ذكر ابن جُزَيّ / قولين في المسألة، ورجَّح الأول منهما فقال :

" خطاب للمؤمنين تأنيساً لهم.

وقيل: للكافرين تخويفاً لهم"[1].

الدراسة:

اختلف المفسرون في المسألة على قولين:

القول الأول:

الخطاب في الآية للمؤمنين تأنيساً لهم على ما أصابهم يوم أحد.

وهو قول الطبري، والبغوي، وابن عطية، والقرطبي، وأبي حيّان، وابن كثير، وابن عادل الحنبلي، والسيوطي، وابن عاشور، وابن عثيمين[2].

قال ابن اسحاق: إن الله قال ذلك تعزية للمؤمنين، وتعريفاً لهم فيما صنعوا وما هو صانع بهم[3] .

القول الثاني:

الخطاب في الآية للكافرين تخويفاً لهم.

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ١/١٦٥.

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ٤/١٢٦ ، ومعالم التنزيل: ١/٤٢٣ ، والمحرر الوجيز: ١/٥١١ ، والجامع لأحكام القرآن: ٤/١٣٩، والبحر المحيط: ٣/٦٦ ، وتفسير القرآن العظيم: ٢/١٢٦ ، واللباب في علوم الكتاب: ٥/٥٤٨ ، وتفسير الجلالين: ٦٧، والتحرير والتنوير: ٣/٢٢٦ ، وتفسير ابن عثيمين: ٢/١٩٨.

(٣) ينظر: تفسير الطبري: ٤/١٢٦.

وهو قول النقاش[1] .

وعلّق عليه ابن عطية بقوله: " وذلك قلق "[2] .

وذكر البغوي والقرطبي عن مجاهد أنه قال: " قد خلت من قبلكم سنن بالهلاك فيمن كذَّب قبلكم"[3] فجعل الخطاب للكفار أيضاً.

الترجيح:

سياق الآية سباقاً ولحاقاً يدل على أن الخطاب في الآية للمؤمنين فالآيات قبلها في غزوة أحد كانت خطاباً للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين: ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَـٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[آل عمران: ١٢١] ﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾[آل عمران: ١٢٦] ونحوها من الآيات، كما أن لحاق الآية يدل على ذلك فقد قال الله بعدها: ﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[آل عمران: ١٣٩] .

ومع هذا فلا مانع أن يكون الخطاب في الآية للجميع؛ إذ لا تعارض بين القولين، ويشهد لذلك أن الله قال في الآية التي تليها: ﴿ هَـٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ على القول بأن الإشارة بـــ ﴿ هَـٰذَا ﴾ لما ذكره الله في آية المسألة من سننه في نصر المؤمنين وعقاب الكافرين[4]، فقد جعل الله ذلك بياناً للناس جميعاً مؤمنهم وكافرهم ولكن إنما يهتدي ويتعظ المؤمنون فحسب، والله أعلم.

---

(١) ينظر: المحرر الوجيز: ٥١١/١ ، والبحر المحيط: ٦٦/٣.

(٢) المحرر الوجيز: ٥١١/١.

(٣) معالم التنزيل: ٤٢٣/١ ، والجامع لأحكام القرآن: ١٣٩/٤.

(٤) وقيل: الإشارة إلى القرآن. ينظر في القولين: زاد المسير: ٣٧٣/١.

المسألة الثانية: المراد بالنظر في قوله تعالى ﴿ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ ﴾.

ذكر ابن جُزَيّ / قولين في المسألة:

الأول: أنه من نظر العين.

الثاني: أنه النظر بالفكر.

ورجَّح الأول[1].

الدراسة:

اختلف المفسرون في المراد بالنظر في الآية على أقوال:

القول الأول:

أنه من نظر العين، فيسيرون إلى ديار الأمم المكذبة ويشاهدون ما حلّ بهم من العقوبة ليعتبروا.

وهو قول الطبري، والواحدي[2].

ونسبه للجمهور ابن عطية ، وابن جُزَيّ الكلبي، وأبو حيان [3] .

القول الثاني:

أنه نظر بالفكر والقلب، فينظرون في أخبارهم ويتفكرون فيما حلّ بهم.

وهو قول بعض المفسرين[4]، واختاره الراغب الأصفهاني في تفسيره[5] .

القول الثالث:

أن النظر يكون بالعين ويكون بالفكر، فينظرون بالبصر والبصيرة أو بالبصيرة.

وهو قول ابن عثيمين، وظاهر كلام السعدي وابن عاشور[6] .

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ١/١٦٥.

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ٤/١٢٧، والوجيز: ١/٢٣٣.

(٣) ينظر: المحرر الوجيز: ١/٥١٢، والتسهيل لعلوم التنزيل: ١/١٦٥، والبحر المحيط: ٣/٦٦ .

(٤) ينظر: المحرر الوجيز: ١/٥١٢، وزاد المسير: ١/٣٧٣، والبحر المحيط: ٣/٦٦.

(٥) تفسير الراغب الأصفهاني: ٢/٨٧١.

(٦) ينظر: تفسير السعدي: ١/٢٤٤، والتحرير والتنوير: ٣/٢٢٦ وتفسير سورة آل عمران لابن عثيمين: ٢/٢٠٠.

قال ابن عثيمين: " انظروا بعين البصر وبعين البصيرة جميعاً، فإن وصل إلى مكان هؤلاء الأمم فالنظر يكون بعين البصر وبعين البصيرة، وإن لم يصل ولكنه فكّر بقلبه فالنظر يكون بعين البصيرة"(١).

الترجيح:

الراجح – والله أعلم- هو القول الأخير حملاً للفظ على عمومه، ولأنه لا تعارض بين القولين، ومن القواعد المقررة أن الأصل حمل نصوص الشرع على العموم إلا بدليل يدل على التخصيص(٢)، ولأن نظر القلب واعتباره واتعاظه هو المقصود من نظر العين فيبْعُد أن لا يكون مراداً إن لم يحصل نظر بالعين.

(١) تفسير سورة آل عمران لابن عثيمين: ٢/٢٠٠.

(٢) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: ٢/٥٢٧.

مسألة: المراد بالقرح الثاني في قول الله تعالى: ﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾[آل عمران: الآية: ١٤٠] .

ذكر ابن جُزَيّ / قولين في المسألة، ورجَّح الأول فقال :

" إن مسكم قتل أو جراح في أحد فقد مس الكفار مثله في بدر.

وقيل:قد مس الكفار يوم أحد مثل ما مسكم فيه، فإنهم نالوا منكم ونلتم منهم"[١] .

الدراسة:

اختلف المفسرون في المسألة على قولين:

القول الأول:

إن مسكم أيها المسلمون قرح في أحد فقد مس المشركين قرح مثله في بدر.

قال الحسن البصري: " إن يقتلوا منكم يوم أحد فقد قتلتم منهم يوم بدر"[٢] .

وهو قول كثير من المفسرين، وممن قال به مقاتل بن سليمان، والسمرقندي، والثعلبي، والماوردي، والسمعاني، والبغوي، والزمخشري، وابن عطية، والقرطبي، والشوكاني، والألوسي، وابن عاشور[٣].

قال الشوكاني: " وهذا أولى لأن ما أصابه المسلمون من الكفار في هذا اليوم – أي أحد – لم يكن مثل ما أصابوه منهم فيه"[٤].

واستدلوا أيضاً بلِحاق الآية حيث عقّب الله بعدها بقوله: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ١/١٦٥.

(٢) تفسير الطبري: ٤/١٣٢ ، وتفسير ابن أبي حاتم: ٣/٧٧٢.

(٣) ينظر تفاسيرهم: مقاتل بن سليمان: ١/١٩٣، والسمرقندي: ١/٢٧٧، والثعلبي: ٣/١٧٢، والماوردي: ١/٤٢٦، والسمعاني: ١/٣٦١، والبغوي: ١/٤٢٤، والزمخشري: ١/٣٢٠، وابن عطية: ١/٥١٣، والقرطبي: ٤/١٤٠، والشوكاني: ١/٤٨٤، والألوسي: ٤/٦٧، وابن عاشور: ٣/٢٢٩.

(٤) فتح القدير: ١/٤٨٤.

بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [1] فكأنه قال يوم لكم ويوم لهم، فيومكم يمسهم قرح ويومهم يمسكم قرح.

قال ابن عاشور: " وهو هنا - أي القرح - مستعمل في غير حقيقته ، بل هو استعارة للهزيمة التي أصابتهم ، فإنّ الهزيمة تُشبّه بالثلمة وبالانكسار ، فشبّهت هنا بالقرح حين يصيب الجسد ، ولا يصحّ أن يراد به الحقيقة لأنّ الجراح التي تصيب الجيش لا يعبأ بها إذا كان معها النصر ، فلا شكّ أنّ التسلية وقعت عمّا أصابهم من الهزيمة"[2] .

القول الثاني:

إن مسكم أيها المسلمون قرح في أحد فقد مس المشركين قرح مثله في أحد.

ذكره عدد من المفسرين و لم ينسبوه لأحد[3].

وتكون المثلية في الآية باعتبار كثرة القتلى في الجملة من الفريقين[4] ، أو لأن المثلية تصدق بأدنى مشابهة[5] .

الترجيح:

الراجح – والله أعلم- هو القول الأول لقوة أدلته، ولأنك إن فسرت القرح هنا بالهزيمة فإن المشركين إنما هُزموا في بدر لا أحد.

وإن فسرته بالقتل والجراح فإن التماثل في القتلى إنما هو بين قتلى المسلمين في أحد وقتلى المشركين في بدر؛ فقد قتل من المسلمين سبعون في أحد، ومن المشركين سبعون في بدر، أما قتلى المشركين في أحد فقد كانوا بضعاً وعشرين رجلاً[1] ، والأصل في المثلية

---

(١) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ١٩٣/١، والتحرير والتنوير: ٢٢٩/٣.

(٢) التحرير والتنوير: ٢٢٩/٣.

(٣) ينظر: الكشاف: ٣٢٠/١، وتفسير الرازي: ١٨١٤/٣، والبحر المحيط: ٦٧/٣، وروح المعاني: ٦٧/٤، وأضواء البيان: ٢٠٨/١.

(٤) ينظر: روح المعاني: ٦٧/٤.

(٥) ينظر: البحر المحيط: ٦٧/٣.

(١) ينظر: صحيح البخاري: حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما (رقم: ٢٨٧٤)، وتاريخ الطبري: ٤٦/٢، والبداية والنهاية: ١٧٣/٥، ٤٤٥، ٤٤٧ (ط: دار هجر).

التساوي؛ فإن مِثْل: كلمة تسوية[1] ، قال ابن فارس: " الميم والثاء واللام أصل صحيح يدل على مناظرة الشيء للشيء، وهذا مثل هذا، أي: نظيره"[2].

(١) ينظر: الصحاح: (مثل).

(٢) معجم مقاييس اللغة: (مثل).

مسألة: معنى التمحيص في قول الله تعالى: ﴿ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ ﴾ .

ذكر ابن جُزَيّ / قولين في المسألة، ورجَّح الأول فقال :

" أي [يُطَهِّر] .

وقيل: يميّز .

وهو معطوف على ما تقدم من التعليلات لقصة أحد، والمعنى أن إدالة الكفار على المسلمين إنما هي لتمحيص المؤمنين، وأن نصر المؤمنين على الكفار إنما هو ليمحق الله الكافرين، أي يهلكهم" (١).

الدراسة:

اختلف المفسرون في المسألة:

القول الأول:

يبتلي الله الذين آمنوا ويختبرهم حتى يتميّز الصادق من غيره.

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ١/١٦٥. وما بين المعقوفين تصحيح من مخطوطة (أ) ل: ٣٣-ب.
وفي مخطوطة (ب) ل: ٩٥-أ ، ومثلها المطبوع (طبعة دار الأرقم، وطبعة المكتبة العصرية، وطبعة دار الكتب العلمية، وطبعة دار الكتاب العربي) كتبت العبارة هكذا: " أي: يظهر " فلعله تصحيف من: يُطهِّر، من التطهير والتنقية؛ فإني لم أرَ أحدا من أهل التفسير واللغة ممن ستأتي الإشارة إليهم ذكر هذا القول في كتابه، (كما راجعت أيضاً تفسير ابن أبي زمنين، وتفسير الثعلبي، والنكت والعيون، وتفسير الراغب الأصفهاني، وأنوار التنزيل، وتفسير النسفي، ولباب التأويل، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان، ونظم الدرر، وتفسير الثعالبي، واللباب في علوم الكتاب، وإرشاد العقل السليم، وحدائق الروح والريحان للهرري، وتاج العروس للزبيدي و لم أرَ من ذكره) .
فإن لم يكن تصحيفاً فلعله تفسير باللازم فإنه إذا طهّر المؤمنين ونقّاهم من ذنوبهم ومن المنافقين نصرهم وأظهرهم، ويشهد له المقابلة بين محق الكافرين وتمحيص المؤمنين، فكأنه قال: ولتكون العاقبة بعد مداولة الأيام بين الناس نصر المؤمنين وإهلاك الكافرين.

وبه قال ابن عباس، ومجاهد، والحسن، والسدي، وابن إسحاق[١] ، والطبري، ومكي ابن أبي طالب، وعبد الباقي اليماني، والشوكاني[٢].

القول الثاني:

يخلّص الله الذين آمنوا وينقّيهم ويطهّرهم من الذنوب.

وهو قول الفراء، والزجاج، والواحدي، والبغوي، ومحمود النيسابوري[٣]، والرازي، وابن كثير، والسيوطي، والألوسي، وابن عاشور[٤] .

وقال السمين الحلبي: " معنى التمحيص في الآية التزكية والتطهير مما يغاير الإيمان"[٥].

وقد أضاف في قوله هذا معنى جديدا بتطهير المؤمنين مما يغاير الإيمان كضعف التوكل على الله، أو التعلق بالأسباب المادية، أو العُجب ونحو ذلك.

ومن أقوال العلماء أيضاً في معنى الآية:

قال النحاس والقرطبي: المعنى: يبتلي الله المؤمنين ليثيبهم ويخلصهم من ذنوبهم[٦] .

وقال الراغب: " التمحيص ههنا كالتزكية والتطهير ونحو ذلك من الألفاظ"[١]

---

(١) ينظر: تفسير الطبري: ١٣٧/٤، وتفسير ابن المنذر: ٣٩٨، وتفسير أبي حاتم: ٧٧٤/٣.

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ١٣٧/٤، والمشكل من غريب القرآن: ٥٢، والترجمان عن غريب القرآن: ٩٠، وفتح القدير: ٤٨٥/١.

(٣) محمود بن أبي الحسن بن الحسين النيسابوري الغزنوي، قال ياقوت الحموي: "كان عالماً بارعاً مفسراً لغوياً فقيهاً متفنناً فصيحاً، له تصانيف ادّعى فيها الإعجاز، منها كتاب خلق الإنسان، وجمل الغرائب في تفسير الحديث، وإيجاز البيان في معاني القرآن وغير ذلك" توفي بعد ٥٥٣.
ينظر: معجم الأدباء: ٤٨٨/٥، طبقات المفسرين للأدنه وي: ٤٢٤.

(٤) ينظر: معاني القرآن للفراء: ١٦٦/١، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٣٩٦/١، والوجيز: ٢٣٤/١، ومعالم التنزيل: ٤٢٥/١، وإيجاز البيان عن معاني القرآن للنيسابوري: ٢٠٨، وتفسير الرازي: ١٨١٧/٣، وتفسير القرآن العظيم: ١٢٧/٢، وتفسير الجلالين: ٦٨، وروح المعاني: ٦٩/٤، والتحرير والتنوير: ٢٣٣/٣.

(٥) عمدة الحفاظ: ٨٣/٤.

(٦) معاني القرآن: ١٦٧/١، والجامع لأحكام القرآن: ١٤١/٤.

(١) المفردات: ٤٦٦.

فجعله عاماً ولم يقيّده بتزكية أو تطهير معيّن.

وقال الزمخشري: " إن كانت الدولة على المؤمنين فللتمييز والاستشهاد والتمحيص"[١].

وقال ابن عطية: " يمحص الله المؤمنين إذا أدال عليهم بأنه ينقّي المتشهدين من ذنوبهم، وينقّي الأحياء من منافقهم؛ إذ يميّزهم"[٢] .

وقال أبو حيان: " المعنى أن الدولة إن كانت للكافرين على المؤمنين كانت سبباً لتمييز المؤمن من غيره ، وسبباً لاستشهاد من قتل منهم ، وسبباً لتطهير المؤمن من الذنب"[٣].

وقال السعدي وابن عثيمين بأن المعنى: تنقيتة المؤمنين من الذنوب، ومن غيرهم بحيث يتبين المؤمن النقي الصافي الإيمان[٤] .

الترجيح:

أصل المحص في اللغة: تخليص الشيء وتنقيته.

قال ابن فارس: " الميم والحاء والصاد أصل واحد صحيح يدل على تخليص شيء وتنقيته، ومحَصَه محْصَاً خلّصه من كل عيب، ومحص الله العبد من الذنب طهره منه ونقاه"[٥].

وقال الجوهري في الصحاح: " محَصت الذهب بالنار إذا خلّصته مما يشوبه، والتمحيص: الابتلاء والاختبار"[٦] .

وعليه فأقوال المفسرين السابقة كلها صحيحة، والمعنى بأن مداولة الأيام بين الناس

---

(١) الكشاف: ٣٢١/١.

(٢) المحرر الوجيز: ٥١٥/١.

(٣) البحر المحيط: ٦٩/٣.

(٤) ينظر: تفسير السعدي: ٢٤٦/١، وتفسير سورة آل عمران: ٢٢٧/٢.

(٥) مقاييس اللغة: (محص) وينظر أيضا: معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٣٩٦/١، والمفردات: ٤٦٦.

(٦) الصحاح: (محص).

ومس القرح للمؤمنين إنما هو لتخليصهم وتنقيتهم من ذنوبهم، ومما ينافي الأيمان أو ينقصه من الاعتقادات والأعمال، ومن المنافقين، وليتبين المؤمن الصادق من غيره، وطريق ذلك غالباً الابتلاء والاختبار كما دلّ عليه سياق الآيات[1].

(١) وتفسير التمحيص بالابتلاء الذي هو تفسير السلف إما أنه تفسير على اللفظ كما في الصحاح، وإما أنه تفسير باللازم فالابتلاء لازم للتمحيص غالباً، وقد فرّق الله بين الابتلاء والتمحيص في قولـــه تعالى: ﴿وَلِيَبْتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ﴾ (آل عمران: الآية: ١٥٤) .

مسألة: المراد بتمني الموت في قول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ ﴾.

ذكر ابن جُزَيّ / قولين في المسألة، ورجَّح الأول فقال :

" خوطب به قوم فاتتهم غزوة بدر فتمنوا حضور قتال الكفار مع النبي > ليستدركوا ما فاتهم من الجهاد؛ فعلى هذا إنما تمنوا الجهاد وهو سبب الموت.

وقيل: إنما تمنوا الشهادة في سبيل الله" [1].

الدراسة:

اختلف المفسرون في المسألة على قولين:

القول الأول:

أنهم تمنوا سبب الموت وهو الجهاد في سبيل الله.

وهو قول الطبري، والواحدي، والسمعاني، والبغوي، وابن الجوزي، وابن كثير، وابن عاشور مع تجويزه للقول الثاني[2] .

واستدلوا بسبب النزول فقد قال مجاهد: "غاب رجال عن بدر فكانوا يتمنون مثل يوم بدر أن يلقوه فيصيبوا من الخير والأجر مثل ما أصاب أهل بدر، فلما كان يوم أحد ولّى من ولّى، فعاتبهم الله على ذلك"[3].

وقال قتادة: " أناس من المؤمنين لم يشهدوا يوم بدر والذي أعطى الله أهل بدر من الفضل والشرف والأجر، فكانوا يتمنون أن يرزقوا قتالا فيقاتلوا، فسيق إليهم القتال حتى

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ١/١٦٥.

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ٤/١٣٩، والوجيز: ١/٢٣٤، وتفسير السمعاني: ١/٣٦٢ ، ومعالم التنزيل: ١/٤٢٦ ، وزاد المسير: ١/٣٧٦، وتفسير القرآن العظيم: ٢/١٢٧ ، والتحرير والتنوير: ٣/٢٣٥ .

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره: ٤/١٣٩، وابن المنذر في تفسيره: ٤٠٠، وعزاه ابن حجر في العجاب في بيان الأسباب: ٢/٧٦١ للفريابي وعبد بن حميد. قالا في الاستيعاب في بيان الأسباب (١/٣٠٠): هذا مرسل صحيح الإسناد إلى مجاهد.

كان في ناحية المدينة يوم أحد، فقال الله عز وجل كما تسمعون"[1].

وقال الحسن: " بلغني أن رجالا من أصحاب النبي > كانوا يقولون لئن لقينا مع النبي > لنفعلن ولنفعلن، فابتلوا بذلك، فلا والله ما كلهم صدق فأنزل الله عز وجل: ﴿ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾"[2].

القول الثاني:

أنهم تمنوا الشهادة في سبيل الله.

وهذا قول ابن اسحاق[3] ، والزمخشري، والقرطبي، والسيوطي، والشوكاني، والألوسي مع تجويزه للقول الأول، والسعدي، وابن عثيمين[4].

قال الشوكاني:"وقد ورد النهي عن تمني الموت فلا بد من حمله هنا على الشهادة"[5].

وضعّف أبو المظفر السمعاني هـــذا القول بحجة أنه لا يجوز أن يتمنى الموت بقتل الكافر إياه[6] .

وأجيب بأن قصد متمني الشهادة متّجه إلى نيل كرامة الشهداء لا غير، ولا يذهب ذهنه إلى ذلك المتضمن، كما أن من يشرب دواء الطبيب النصراني قاصد إلى حصول المأمول من الشفاء ولا يخطر بباله أن فيه جر منفعة وإحسان إلى هذا الطبيب وتنفيقاً لصناعته، فتمنى الموت في سبيل الله يرجع من المسلمين إلى تمنى ثواب الشهادة المبنية على الثبات والصبر على الجهاد لا إلى قتل الكفار لهم[1].

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره: ١٣٩/٤، وعزاه ابن حجر في العجاب في بيان الأسباب: ٧٦٢/٢ لعبد ابن حميد. قال مؤلفا الاستيعاب في بيان الأسباب (٣٠٠/١): هذا مرسل حسن الإسناد.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره: ١٤٠/٤. وحسّن إسناده مؤلفا الاستيعاب في بيان الأسباب (٣٠١/١).

(٣) ينظر: تفسير الطبري: ١٤٠/٤.

(٤) ينظر: الكشاف: ٣٢٢/١ ، والجامع لأحكام القرآن: ١٤٢/٤ ، وتفسير الجلالين: ٦٨ ، وفتح القدير: ٤٨٥/١، و روح المعاني: ٧١/٤، وتفسير السعدي: ٢٤٧/١، وتفسير سورة آل عمران: ٢٣٤/٢ .

(٥) ينظر: تفسيره: ٤٨٥/١.

(٦) ينظر: تفسير السمعاني: ٣٦٢/١.

(١) ينظر: الكشاف: ٣٢٢/١ ، والمحرر الوجيز: ٥١٥/١، والجامع لأحكام القرآن: ١٤٢/٤ ، وروح المعاني: ٧١/٤.

وقد ورد في الحديث أن النبي > قال: " وَلَوَدِدْتُ أَنِّي أُقْتَلُ في سَبِيلِ اللَّهِ، ثُمَّ أُحْيَا ثُمَّ أُقْتَلُ، ثُمَّ أُحْيَا ثُمَّ أُقْتَلُ "(١) ، وفي الحديث الآخر أَنَّ النبي > قال: "من سَأَلَ اللَّهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ بَلَّغَهُ الله مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ وَإِنْ مَاتَ على فِرَاشِهِ"(٢) وهما صريحان في تمني الشهادة في سبيل الله.

الترجيح:

القول الأول يؤيده سبب النزول، وهو وإن كان مرسلاً إلا أن طرقه متعدّدة، وبأسانيد بعضها صحيح وبعضها حسن إلى قائليها فيكون مقبولاً.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: " والمراسيل إذا تعدّدت طرقها، وخلت عن المواطأة قصداً أو الاتفاق بغير قصد كانت صحيحة قطعاً؛ فإن النقل إما أن يكون صدقاً مطابقاً للخبر، وإما أن يكون كذباً تعمد صاحبه الكذب أو أخطأ فيه، فمتى سلم من الكذب العمد والخطأ كان صدقاً بلا ريب"(٣) .

أما القول الثاني فهل تشمله الآية؟

يحتمل أن لا تشمله الآية فقد دلّ سبب النزول على خلافه؛ فتُحمل الآية على القول الأول فحسب؛ لأن الآية تحكي حادثة عين شرح المرادَ بها سببُ النزول.

ويحتمل أن تشمله الآية لأن الله سمّى سبب الموت موتاً، ومن جاهد في سبيل الله صادقاً فقد عرّض نفسه للموت في كل لحظة وطابت نفسه بذلك؛ فكأنه تمنى الشهادة في سبيل الله، ويشهد لذلك قراءة (**قاتلوا**)(١) في قوله تعالى: ﴿ **وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾** ﴾[سورة محمد: ٤-٦] فقد جعل

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري: ٢٢/١ (رقم ٣٦) ومسلم: ١٤٩٥/٣ (رقم ١٨٧٦).

(٢) أخرجه مسلم: ١٥١٧/٣ (رقم ١٩٠٩).

(٣) مقدمة في أصول التفسير: ٣٦.

(١) قرأ أبو عمرو وحفص ويعقوب بضم القاف وكسر التاء، وقرأ الباقون بفتحهما وألف بينهما. (ينظر: النشر في القراءات العشر: ٢٧٩/٢، والبدور الزاهرة: ٣٠٣/٢).

جزاءهما واحداً.

والاحتمال الأول هو الأقرب في تفسير الآية.

أما الاحتمال الثاني فهو من فوائد الآية، وباب الفوائد أوسع من باب التفسير، والله أعلم.

مسألة: معنى ﴿رِبِّيُّونَ﴾.

قال الله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ﴾[آل عمران: ١٤٦].

ذكر ابن جُزَيّ / قولين في المسألة، ورجَّح الأول منهما فقال :

" علماء، مثل ربانيين .

وقيل: جموع كثيرة"[(١)] .

الدراسة:

اختلف المفسرون في المسألة على أقوال:

القول الأول:

أن الرِّبيين كالرَّبانيين.

فهم منسوبون للرب تعالى، واختلفت عباراتهم في ذلك فقالوا هم: العلماء، أو العلماء الصابرون، أو الأتقياء الصابرون، أو المتعبدون للرب ونحو ذلك من التعبير بجزء من المعنى، وكلها ترجع إلى القول بأنهم بمعنى الربانيين.

وهو قول ابن عباس، والحسن، وابن المبارك[(٢)] ، والأخفش، والراغب الأصفهاني، والزمخشري، والبيضاوي، والنسفي، والسمين الحلبي، والبقاعي، وأبي السعود، وابن عاشور[(٣)].

نوقش: بأنه لو كان منسوباً للرب تعالى لكان بفتح الراء (رَبيون).

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ١/١٦٦.

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ٤/١٤٩، تفسير ابن أبي حاتم: ٣/٧٨٠، الجهاد لابن المبارك: ٩٩.

(٣) ينظر: معاني القرآن للأخفش: ٣٥٥، المفردات: ١٩١، الكشاف: ١/٣٢٤، أنوار التنزيل: ١/١٠٠، تفسير النسفي: ١/١٨٣، عمدة الحفاظ: ٢/٦٥، نظم الدرر: ٢/١٦٣، إرشاد العقل السليم: ٢/٤٤، التحرير والتنوير: ٣/٢٤٤.

وأُجيب: بأن العرب إذا نسبت شيئاً إلى شيء غيّرت حركته، كما يقال : بِصري في النسب إلى البصرة ، ودُهري في النسبة إلى الدهر.

وكما تقول في النسبة لبني أُمية: الأَمويين- بفتح الهمزة - فيجوز في راء ربِّي الفتح على القياس، والكسر على أنه من تغييرات النسب(١).

وقيل بأن رِبِّي كُسرت راؤه إتباعاً للكسرة والياء اللتين بعد الراء(٢).

وقرأ ابن عباس (رَبيون) بفتح الراء(٣) وهي لغة تميم(٤).

القول الثاني:

معنى ربيين كثير، أي: جموع كثيرة.

وبه قال ابن عباس، ومجاهد، والضحاك، والحسن، وعطاء، وقتادة، والسدي، وابن إسحاق(٥) ، وأبو عبيدة، والطبري، والنحاس، ومكي، والواحدي، والبغوي، والقرطبي، والسيوطي، والألوسي(٦).

والرِّبَّة هي الجماعة، فهم منسبون إلى الرِّبَّة، ويقال للخرقة التي يجمع فيها القدح رِبَّة ورُبَّة، والرِباب قبائل تجمعت(٧).

---

(١) ينظر: تهذيب اللغة: (رب) المحرر الوجيز: ٥٢١/١، تفسير الرازي: ١٨٢٤/٣، تبصير المنتبه بتحرير المشتبه لابن حجر: ٦٢٥/٢، التحرير والتنوير: ٢٤٤/٣، تفسير سورة آل عمران لابن عثيمين: ٢٥٩/٢.

(٢) ينظر: المحرر الوجيز: ٥٢١/١.

(٣) ينظر: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات لابن جني: ٢٧٢/١، زاد المسير: ٣٧٩/١، المحرر الوجيز: ٥٢١/١، الجامع لأحكام القرآن: ١٤٨/٤، فتح الباري: ٢٠٨/٨.

(٤) ينظر: البحر المحيط: ٨٠/٣.

(٥) ينظر: تفسير الطبري: ١٤٩/٤، تفسير ابن أبي حاتم: ٧٨٠/٣ .

(٦) ينظر: مجاز القرآن: ١٠٤/١، تفسير الطبري: ١٤٩/٤، معاني القرآن: ١٦٩/١، تفسير المشكل من غريب القرآن: ٥٣، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٢٣٦/١، شرح السنة للبغوي: ٣٧/١١، الجامع لأحكام القرآن: ١٤٨/٤، تفسير الجلالين: ٦٨، روح المعاني: ٨٣/٤.

(٧) ينظر: معاني القرآن للنحاس: ١٦٩/١ ، تهذيب اللغة: (رب)، لسان العرب: (رب) وينظر: تفسير الطبري: ١٤٩/٤.

ووصف القرطبي هذا القول بأنه أعرف في اللغة[١] .

قال الزجاج: " وكلا القولين حسن جميل"[٢].

القول الثالث:

هم الألوف.

وهذا قول ابن مسعود[٣]، والفراء[٤] .

وهو قريب من القول السابق.

القول الرابع:

هم الأتباع.

قال ابن زيد: " الربيون الأتباع، والربانيون الولاة"[٥].

علق عليه ابن عطية: كأن هذا من حيث إنهم مربوبون[٦] .

يعني به تفسير ابن زيد للربانيين حيث قال: "الربانيون الذين يربّون الناس، ولاة هذا الأمر، يربونهم يلونهم"[٧].

وجمع السعدي بين هذه الأقوال فقال بأن المعنى: " جماعات كثيرون من أتباعهم الذين قد ربّتهم الأنبياء بالإيمان والأعمال الصالحة"[٨].

الترجيح:

القولان الأولان كلاهما قويّ محتمل، والقول الأول أظهر لوجهين:

---

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٤٨/٤.

(٢) ينظر: معاني القرآن: ٤٠٠/١.

(٣) ينظر: تفسير الطبري: ١٥٠/٤، تفسير ابن أبي حاتم: ٧٨٠/٣ .

(٤) ينظر: معاني القرآن: ١٦٧/١.

(٥) تفسير الطبري: ١٥١/٤.

(٦) المحرر الوجيز: ٥٢١/١.

(٧) تفسير الطبري: ٣٨١/٣.

(٨) تفسير السعدي: ٢٤٩/١.

الأول: الآية سيقت للاقتداء بهم – بعد هزيمة أحد – وتفسير اللفظ بالربانيين ألصق بمعنى الاقتداء والاهتداء.

الثاني: لفظ الجموع يوحي بالكثرة، فيكون قوله ﴿كَثِيرٌ﴾ أشبه بتأكيد المعنى المستفاد من الجموع، وحمل المعنى على التأسيس أولى من حمله على التأكيد، والله أعلم[1].

(١) أما جمع السعدي فيحتاج لمزيد تأمل.

مسألة: المراد بالذين كفروا في الآية.

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾﴾ .

ذكر ابن جُزَيّ / ثلاثة أقوال في المسألة، ورجَّح الأول منها فقال :

" هم المنافقون الذين قالوا في قضية أحد ما قالوا .

وقيل: مشركو قريش .

وقيل: اليهود"[1].

الدراسة:

اختلف المفسرون في المسألة على أقوال:

القول الأول:

هم المنافقون.

وهو قول مقاتل بن سليمان، والسمرقندي[2].

وقال ابن عطية: "الإشارة بقوله ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ إلى المنافقين الذين جنبوا المسلمين[3] وقالوا في أمر أحد لو كان محمد نبياً لم يهزم، والذين قالوا قد قتل محمد فلنرجع إلى ديننا الأول، إلى نحو هذه الأقوال، ثم اللفظ يقتضي كل كافر كان في ذلك الوقت ويكون إلى يوم القيامة نهى الله المؤمنين عن طاعتهم"[4].

القول الثاني:

هم مشركو قريش.

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ١/١٦٦.

(٢) ينظر: تفسير مقاتل: ١/١٩٦، وبحر العلوم: ١/٢٨٠.

(٣) كذا كُتبت ولعله تصحيف والصواب: جبّنوا المسلمين، من إشاعة الجبن في صفوف المسلمين.

(٤) المحرر الوجيز: ١/٥٢٢.

وهو قول السدي[1] .

وقال القرطبي والشوكاني: هم مشركو العرب[2] .

القول الثالث:

هم اليهود والنصارى.

وهو قول ابن جريج[3].

واختاره الطبري، والثعلبي، والسمعاني، والبغوي، والخازن[4] .

وذلك لأنهم كانوا يلقون الشُبَه على المسلمين، ويقولون: لو كان نبياً حقاً لما غُلب، ولما أصابه وأصحابه ما أصابهم ، وإنما هو رجل حاله كحال غيره من الناس، يوماً له ويوماً عليه[5] .

ويشهد لهذا القول قول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ كَٰفِرِينَ ﴾ [آل عمران: آية ١٠٠] .

القول الرابع:

هم اليهود[6] .

والتعليل له كسابقه.

القول الخامس:

هم اليهود والمشركون.

وهو قول الواحدي[7] .

---

(١) ينظر: تفسير الطبري: ١٥٥/٤، تفسير ابن أبي حاتم: ٧٨٤/٣.

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٤٩/٤، فتح القدير: ٤٩٠/١.

(٣) ينظر: تفسير الطبري: ١٥٥/٤، تفسير ابن أبي حاتم: 785/٣.

(٤) ينظر: تفسير الطبري: ١٥٥/٤، وتفسير الثعلبي: ١٨٣/٣، تفسير السمعاني: ٣٦٥/١، معالم التنزيل: ٤٣١/١، لباب التأويل: ٤٣٢.

(٥) ينظر: البحر المحيط: ٨٢/٣.

(٦) ينظر: تفسير الرازي: ١٨٢٧/٣.

(٧) ينظر: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٢٣٦/١.

القول السادس:

الآية عامة في جميع الكفار لأن اللفظ عام.

وهو قول الرازي، وابن كثير، والبقاعي، والسعدي، وابن عثيمين[1] .

الترجيح:

الراجح – والله أعلم – هو القول الأخير، فيدخل في الذين كفروا اليهود والنصارى والمشركون والمنافقون وسائر طوائف الكفر سواء كان كفرهم ظاهراً أو باطناً.

وذلك لوجهين:

الأول: لفظ ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ عام، ولا مخصص له.

الثاني: التعليل بقوله تعالى ﴿ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴾ منطبق على جميع الكفار بلا استثناء.

وورد هذه الآية في ثنايا قصة أحد يُشعر بأن أول الداخلين في هذا الوصف هم المنافقون الذين ما فتئوا منذ ذلك الوقت[2] إلى يومنا هذا يُخذّلون المؤمنين، ويوهنون عزائمهم، ويبثون الرعب في قلوبهم، ويدلّون على عوراتهم، ويسعون لشق الصف وبث الخلاف والفرقة، ويعظّمون الكافرين ويُعلون من شأنهم، لا سيما وهم يُظهرون كل ذلك بقالب النصح والشفقة ودعوى الحرص على المصلحة العامة ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾[البقرة: آية ١١] ﴿ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾[التوبة: ١٠٧] .

وفي الآية دليل على أن من شابهت أفعالُه ومواقُفه الكفارَ وظهرت عليه علامات النفاق فيجب الحذر منه والنأي عن الأخذ بمشورته وإن أُجري عليه في الظاهر أحكام

---

(١) ينظر: تفسير الرازي: ١٨٢٧/٣، تفسير القرآن العظيم: ١٣١/٢، نظم الدرر: ١٦٥/٢، تفسير السعدي: السعدي: ٢٤٧/١، تفسير سورة آل عمران لابن عثيمين: ٢٨٠/٢.

(٢) وأقوالهم في غزوة أحد مشهورة أشار لها القرآن في سورة آل عمران في الآيات: ١٥٤، ١٥٦، ١٦٧، ١٦٨ وغيرها.

المسلمين، ومن علمنا صدق إسلامه لكنه متأثر بالكفار ومقولاتهم فيجب أن يُطَّرح من رأيه ومشورته بقدر تأثره بهم، حتى وإن علمنا إخلاصه في النصح والمشورة فالخلل في رأيه لا إخلاصه.

مسألة: معنى قراءة ﴿ يُغَلَّ ﴾ .

قال الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ ﴾ .

ذكر ابن جُزَيّ / قولين في معنى هذه القراءة، ورجَّح الأول فقال :

" أي ليس لأحد أن يَغُل نبياً، أي يخونه في المغانم، وخص النبي بالذكر وإن كان ذلك محظوراً من الأمر لشنعة الحال مع النبي؛ لأن المعاصي تعظم بحضرته .

وقيل: معنى هذه القراءة أن يوجد غالاً، كما تقول أحمدت الرجل: إذا أصبته محموداً، فعلى هذا القول يرجع معنى هذه القراءة إلى معنى فتح الياء"[1].

الدراسة:

لهذه اللفظة من الآية قراءتان:

الأولى: ﴿ يَغُلَّ ﴾ بفتح الياء وضم الغين، وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وعاصم.

الثانية: ﴿ يُغَلَّ ﴾ بضم الياء وفتح الغين، وهي قراءة بقية العشرة[2].

وقد اختلف العلماء في معنى القراءة الثانية على أقوال:

القول الأول:

ما كان لنبي أن يَغُلَّه أصحابه، أي يخونوه في المغانم، فـــ ﴿ يُغَلَّ ﴾ هنا بمعنى: يُخان.

وهذا قول الحسن، وقتادة، والربيع[3] ، وأبي عبيدة، والرازي، والشوكاني، وابن

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ١/١٧٠. والغلول: هو أخذ شيء من الغنيمة خفية. (ينظر: المحرر الوجيز: ١/٥٣٥، تفسير الرازي: ٣/١٨٦٢). ويطلق أيضاً: على الخيانة في المال مطلقاً وإن لم يكن من مال غنيمة الحرب. (ينظر: تفسير السعدي: ١/٢٥٦، التحرير والتنوير: ٣/٢٧٤).

(٢) ينظر: البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة للنشار: ١/٢٥٢، وينظر أيضا: السبعة في القراءات لابن مجاهد: ٢١٨، التيسير في القراءات السبع لأبي عمرو الداني: ٩١.

(٣) ينظر: تفسير عبد الرزاق: ١/١٣٧، تفسير الطبري: ٤/١٩٦، تفسير ابن أبي حاتم: ٣/٨٠٤.

عاشور، وابن عثيمين[1] .

وذكره وجهاً محتملاً في معنى القراءة: أبو عبيد، والزجاج، والنحاس، وأبو علي الفارسي[2] ، وهو قول جمهور أهل العلم[3].

فالآية في معنى نهي الناس عن الغلول في الغنائم والتوعد عليه[4]، فهو نفي بمعنى النهي.

أو هو نفي أن يُغَل شرعاً، لا نفي أن يُغَل قدراً، فقد يقع ذلك قدراً[5] .

قال ابن العربي: ما كان لنبي أن يخان، ولا يعلم بذلك، فإن النبي > إذا خانه أحد أطلعه الله سبحانه عليه[6] ، فجعل النفي على بابه.

وقد أورد بعض أهل العلم على هذا القول إشكالاً، وهو أنه يفهم منه أن لهم أن يخونوا غير النبي![7] .

وأُجيب بأن تخصيص النبي > بالذكر – وإن كان الغلول منهياً عنه دائماً- تعظيماً لأمر خيانته على خيانة غيره؛ فهي معه أشد وقعاً، وأعظم وزراً، كالمعصية في المكان الشريف والمكان المعظّم، وهو كقوله تعالى: ﴿ فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ ﴾ [الحج: ٣٠] ؛ وإن كان الرجس كله محظوراً[8].

القول الثاني:

ما كان لنبي أن يوجد غالاً.

أو بعبارة أخرى: ما كان لنبي أن يُلفى متلبّساً بغلول.

---

(١) ينظر: مجاز القرآن:١٠٧/١، تفسير الرازي: ١٨٦٢/٣، فتح القدير: ٤٩٧/١، التحرير والتنوير: ٢٧٤/٣، تفسير سورة آل عمران لابن عثيمين: ٣٨٥/٢.

(٢) ينظر: غريب الحديث لأبي عبيد: ٢٠٠/١، معاني القرآن وإعرابه: ٤٠٦/١، معاني القرآن: ١٧٣/١، الحجة في علل القراءات السبع لأبي علي الفارسي: ٣١٧/٢.

(٣) ينظر: المحرر الوجيز: ٥٣٦/١، الجامع لأحكام القرآن: ١٦٥/٤.

(٤) ينظر: الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب: ٤٠٥/١، المحرر الوجيز: ٥٣٦/١.

(٥) ينظر: أحكام القرآن لابن العربي: ٣٢٤/١، تفسير سورة آل عمران لابن عثيمين: ٣٨٥/٢.

(٦) ينظر: أحكام القرآن: ٣٢٤/١.

(٧) ينظر: تفسير الطبري: ١٩٧/٤.

(٨) ينظر: أحكام القرآن: ٣٣١/٢ ، الحجة في علل القراءات السبع: ٣١٧/٢، المحرر الوجيز: ٥٣٦/١، الجامع لأحكام القرآن: ١٦٥/٤، التسهيل لعلوم التنزيل: ١٧٠/١، البحر المحيط: ١٠٦/٣.

وهو قول الزمخشري[1] .

وذكره وجهاً محتملاً في معنى القراءة النحاس، ومكي بن أبي طالب، وابن زنجلة[2].

وهذا كما تقول أحمدت الرجل إذا وجدته محموداً، وأحمقته وأجْبنته وأبخلته إذا وجدته أحمقاً وجباناً وبخيلاً، فهو نفي أن يكون الغلول من صفات الأنبياء عليهم السلام؛ فيرجع معنى هذه القراءة إلى معنى القراءة الأولى على هذا القول[3].

القول الثالث:

ما كان لنبي أن يُتّهم بالغلول، أي يقال له غللت ويُخَوَّن.

وهو قول الراغب الأصفهاني، والسيوطي، وظاهر كلام مكي[4].

وبه قال بعض من قرأ بهذه القراءة من قراء المدينة والكوفة[5] .

وذكره وجهاً محتملاً الفراء، وأبو عبيد القاسم بن سلام، والزجاج، وأبو علي الفارسي[6].

وهذا كما تقول: أكْفرته، إذا نسبته للكفر.

قال بعضهم:لا يصح هذا الوجه؛ لأنه لو أراد يُخَوّن لقال: يُغلّل كما يقال يُفَسّق[7] .

لكن ذكر الطبري وغيره في توجيه هذا القول: وكأن القائلين به وجهوا قوله ﴿ يُغَلَّ ﴾ إلى أنه مراد به يغلل، ثم خففت العين من يُفَعّل فصارت يفعل، كما في قوله ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ ﴾ قرئ ﴿ يُكْذِبونك ﴾ [الأنعام: ٣٣] [1].

---

(١) الكشاف: ٣٣١/١.

(٢) ينظر: معاني القرآن: ١٧٣/١، الكشف لمكي بن أبي طالب: ٤٠٥/١، حجة القراءات لابن زنجلة: ١٧٩، وكذلك ذكره وجها محتملا أبو حفص عمر النسفي (ت ٥٣٧هـ) في طلبة الطلبة في الاصطلاحات الفقهية: ١٨٧.

(٣) ينظر: معاني القرآن: ١٧٣/١، الكشاف: ٣٣١/١، روح المعاني: ١٠٩/٤.

(٤) ينظر: المفردات: ٣٦٥، تفسير الجلالين: ٧١، الكشف: ٤٠٥/١.

(٥) ينظر: معاني القرآن للفراء: ١٧٢/١، تفسير الطبري: ١٩٨/٤.

(٦) ينظر: معاني القرآن للفراء: ١٧٢/١، غريب الحديث لأبي عبيد: ٢٠٠/١، معاني القرآن وإعرابه: ٤٠٦/١، الحجة في علل القراءات السبع: ٣١٧/٢.

(٧) ينظر: معاني القرآن: ١٧٣/١، زاد المسير: ٣٩٣/١.

(١) ينظر: تفسير الطبري: ١٩٨/٤، معاني القرآن للفراء: ١٧٢/١. والقراءة الثانية قراءة: نافع والكسائي. (ينظر: البدور الزاهرة: ٣١٦/١) .

الترجيح:

الراجح هو القول الأول؛ لأن الله قال بعدها ﴿ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ﴾ فتوعّد الغالّ على غلوله، ولو كان المراد النهي عن أن يُتّهم النبي > بالغلول –كما في القول الثالث– لأعقبه بالوعيد على التهمة وسوء الظن لا بالوعيد على الغلول(١).

أما القول الثاني فهو خلاف المعنى المتبادر إلى الذهن، ولذا لم يقل به أحد من السلف – فيما أعلم – وجمهور العلماء على خلافه، والله أعلم(٢).

---

(١) استفدت هذا التعليل من الطبري، لكن الطبري ساقه مستدلاً به على ترجيح القراءة الأولى على الثانية. ينظر: تفسير الطبري: ١٩٨/٤.

(٢) وقد أخرج أبو داود (٣١/٤ برقم ٣٩٧١) عن ابن عباس رضي الله عنهما: " نَزَلَتْ هذه الْآيَةُ (وما كان لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ) في قَطِيفَةٍ حَمْرَاءَ فُقِدَتْ يوم بَدْرٍ فقال بَعْضُ الناس لَعَلَّ رَسُولَ اللَّهِ > أَخَذَهَا فَأَنْزَلَ الله عز وجل (وما كان لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ) إلى آخِرِ الْآيَةِ" قال أبو دَاوُد (يَغُلَّ) مَفْتُوحَةُ الْيَاء. ورواه أيضاً الترمذي: (٢٣٠/٥ برقم ٣٠٠٩) والطبري في التفسير (١٩٦/٤) وابن المنذر في التفسير (٤٧٠) والواحدي في أسباب النزول: (١٣٠) وغيرهم، وفيه خصيف الجزري، قال ابن حجر في التقريب (١٩٣): "صدوق سيئ الحفظ، خلط بأخرة" وضعف الحديث المناوي في الفتح السماوي (٤١٤/١)، وأُعلّ كذلك بالاضطراب في إسناده، والحمل فيه على خصيف فمرة يرويه عن مقسم عن ابن عباس، ومرة عن عكرمة عن ابن عباس، ومرة عن عكرمة أو غيره عن ابن عباس، ومرة عن مقسم مرسلا، قال الإمام أحمد: "خصيف شديد الاضطراب في المسند" (تهذيب التهذيب: ١٢٤/٣) وقد أعلّ متنه ابن عاشور في تفسيره: (٢٧٤/٤) بأن القطيفة فقدت في غزوة بدر بينما الآية نزلت في غزوة أحد فلا يستقيم جعله سببا لنزول الآية لبعد ما بين الغزوتين، والله أعلم. (وينظر: المحرر في أسباب نزول القرآن للدكتور خالد المزيني: ٣٢٥/١، تخريج الأحاديث والآثار في كتاب التسهيل لعلوم التنزيل: ٢٩٦/١)،
وأضف على ضعفه كونَه وارداً على القراءة الأولى بفتح الياء فلا يُستدل به على القراءة الثانية لأنها لم تنزل بسببه، ومن ذكر هذا السبب من العلماء الذين أشرت إلى كتبهم في هذه المسألة فإنما يذكره على القراءة الأولى، و لم أرَ أحداً منهم استدل بهذا السبب على ترجيح أحد الأقوال في معنى القراءة الثانية مع كونه – لو صح – ظاهر الدلالة للقول الثالث والثاني؛ مما يشهد لما ذكرت أنه لا يستدل به على القراءة الثانية، والله أعلم.

مسألة: معنى ﴿ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ ﴾.

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾.

ذكر ابن جُزَيّ – رحمه الله – قولين في معنى الآية ورجَّح الأول منهما، فقال:

" أي يخوفكم أيها المؤمنون أولياءه ، وهم الكفار ؛ فالمفعول الأول محذوف، ويدل عليه قوله :﴿ فَلَا تَخَافُوهُمْ ﴾وقرأ ابن مسعود ،وابن عباس :(يخوفكم أولياءه).

وقيل: المعنى يخوف المنافقين وهم أولياؤه من كفار قريش ؛ فالمفعول الثاني على هذا محذوف "[1] .

الدراسة:

ذهب إلى القول الأول ابن عباس ، وإبراهيم النخعي ، ومجاهد ، وعكرمة ، وقتادة[2] .

وهو قول جمهور المفسرين[3]؛ بل حكى ابن القيم الإجماع عليه[4].

وممن قال به من المفسرين: الطبري، والسمرقندي، والواحدي، والزمخشري، وابن تيمية، وابن كثير، والسيوطي[5]، وغيرهم .

واستدلوا لصحة ما ذهبوا إليه بأدلة منها[6] :

١) قراءة ابن مسعود ، وابن عباس : (يخوفكم أولياءَه)[7] أي : يخوفكم أيها المؤمنون أولياءَه الكفار .

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل : ١٧٢/١ .

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٢٩/٤ ، وتفسير ابن أبي حاتم: ٨٢٠/٣ .

(٣) انظر: مجموع الفتاوى: ٢٠٣/٤ .

(٤) انظر: بدائع التفسير: ٢٥٧/١ .

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٢٢٩/٤ ، بحر العلوم: ٣١٧/١ ، الوجيز: ٢٤٤/١ ، الكشاف: ٤٧١/١ ، مجموع الفتاوى: ٢٠٤/٤ ، تفسير القرآن العظيم:١٧٢/٢ ، تفسير الجلالين : ٧٣ .

(٦) انظر: المحرر الوجيز: ٥٤٤/١ ، وتفسير الرازي: ٨٣/٩ ، ومجموع الفتاوى: ٢٠٤/١٤ ، والتسهيل لعلوم التنزيل: ١٧٢/١ ، وتفسير القرآن العظيم :١٧٢/٢ .

(٧) قراءة ابن عباس أخرجها ابن أبي داود في المصاحف: ١٩١، وابن أبي حاتم في التفسير: ٨٢٠/٣. وقراءة ابن مسعود ذكرها الزمخشري: ٤٧١/١، وأبو حيان: ١٢٥/٣ في تفسيريهما.

٢) نظير هذا المعنى قول الله تعالى لنبيه ﷺ : ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾[الزمر : ٣٦] .

٣) سياق الآيات وموضوعها ؛ فإن الله تعالى قال قبلها: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ...﴾[آل عمران : ١٧٣،١٧٤] ، فالمراد تخويف المؤمنين .

وذهب إلى القول الثاني السدي فقال: " ذكر أمر المشركين وعظمهم في أعين المنافقين"(١).

الترجيح:

الظاهر – والله أعلم – رجحان القول الأول الذي ذهب إليه عامة المفسرين ورجَّحه ابن جُزَيّ – رحمه الله – لقوة أدلته ، وظهور حجته .

(١) انظر: تفسير الطبري : ٤/٢٣٠ .

مسألة: معنى ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ﴾ .

قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ هُوَ خَيۡرٗا لَّهُمۖ بَلۡ هُوَ شَرّٞ لَّهُمۡۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ﴾ [آل عمران: آية ١٨٠] .

ذكر ابن جُزَيّ / قولين في المسألة، ورجَّح الأول فقال :

" أي يلزمون إثم ما بخلوا به .

وقيل: يُجعل ما بخلوا به حيّة يطوّقها في عنقه يوم القيامة"(١) .

الدراسة:

الخلاف في هذه المسألة له علاقة بخلاف المفسرين في المراد بالذي يبخلون به في هذه الآية، فيحسن إيراده أولاً، وقد اختلفوا في ذلك على أقوال:

القول الأول:

أنهم يبخلون بالمال، كالبخل بالزكاة ونحو ذلك.

وهو قول أكثر المفسرين(٢)، وممن ذهب إليه الحسن والسدي(٣) ، ومقاتل ابن سليمان، والطبري، والبغوي، وابن كثير، وابن عاشور(٤)، وهو ظاهر كلام ابن جُزَيّ(٥) .

القول الثاني:

المراد اليهود بخلوا أن يُبيّنوا للناس ما أُنزل في التوراة من نبوة محمد > .

وبه قال ابن عباس، ومجاهد(٦)، والزجاج(١) .

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ١/١٧٣.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ٣/٢٩٥.

(٣) ينظر: تفسير الطبري: ٤/٢٣٨، تفسير ابن أبي حاتم: ٣/٨٢٦.

(٤) ينظر: تفسير مقاتل: ١/٢٠٦، تفسير الطبري: ٤/٢٣٨، معالم التنزيل: ١/٤٥٥، تفسير القرآن العظيم: ٢/١٧٥، التحرير والتنوير: ٣/٢٩٥.

(٥) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: ١/١٧٣.

(٦) ينظر: تفسير الطبري: ٤/٢٣٨، تفسير ابن أبي حاتم: ٣/٨٢٧.

(١) ينظر: معاني القرآن: ١/٤١٣.

واختار السعدي كونه عاماً في البخل في كل ما يجب بذله من مال أو علم أو جاه أو غيره[1] .

ثم اختلفوا في هذه المسألة: معنى ﴿ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ على أقوال:

القول الأول:

أي: سيُلزمون إثم وعقاب ما بخلوا به إلزام الطوْق يوم القيامة.

وهو قول الزمخشري، وأبي حيان[2] .

والعرب تقول: تقلّدها طوق الحمامة، إذا جاء بما يُسَبُّ به ويذم، ويعبّرون عن تأكيد الإلزام بالشيء بتصييره في العنق، ومنه يقال: جعلت هذا الأمر في عنقك، قال تعالى: ﴿ وَكُلَّ إِنسَـٰنٍ أَلْزَمْنَـٰهُ طَـٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ﴾ [الإسراء: آية ١٣] [3] .

ويحتمل أن يكون: سيحملون عقاب ما بخلوا به من الطاقة وليس من التطويق، كما قال تعالى عن الصوم: ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ﴾ [البقرة: آية ١٨٣] أي يكلفونه ولا يطيقونه[4].

القول الثاني:

يُجعل ما بخلوا به حيّة يُطَوّقها في عنقه يوم القيامة.

وهذا قول ابن مسعود، والسدي [5]، ومقاتل بن سليمان، والطبري، والواحدي، والبغوي، وابن كثير، والسيوطي، وأبي السعود، وابن عثيمين[6].

---

(١) ينظر: تفسير السعدي: ٢٦٣/١.

(٢) ينظر: الكشاف: ٣٤١/١، البحر المحيط: ١٣٤/٣.

(٣) ينظر: الكشاف: ٣٤١/١، تفسير الرازي: ١٩٠١/٣.

(٤) ينظر: المحرر الوجيز: ٥٤٧/١، تفسير الرازي: ١٩٠١/٣، فتح القدير: ٥٠٩/١.

(٥) ينظر: تفسير الطبري: ٢٣٨/٤، تفسير ابن أبي حاتم: ٨٢٧/٣.

(٦) ينظر: تفسير مقاتل: ٢٠٦/١، تفسير الطبري: ٢٣٨/٤، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٢٤٥/١، معالم التنزيل: ٤٥٥/١، تفسير القرآن العظيم: ١٧٥/٢، تفسير الجلالين: ٧٣، إرشاد العقل السليم: ٧٣/٣، تفسير سورة آل عمران لابن عثيمين: ٤٨٣/٢.

واستدلوا بحديث أبي هريرة ط قال قال رسول اللَّهِ < : "من آتَاهُ الله مَالًا فلم يُؤَدِّ زَكَاتَهُ مُثِّلَ له مَالُهُ شُجَاعًا أَقْرَعَ له زَبِيبَتَانِ يُطَوَّقُهُ يوم الْقِيَامَةِ يَأْخُذُ بِلِهْزِمَتَيْهِ يَعْنِي بِشِدْقَيْهِ يقول أنا مَالُكَ أنا كَنْزُكَ ثُمَّ تَلَا هذه الْآيَةَ ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ إلى آخِرِ الْآيَةِ"(١) .

القول الثالث:

يُجعل ما بخلوا به طوقاً من نار.

وهو قول إبراهيم النخعي(٢).

قال الرازي: "ونظيره قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ﴾"(٣).

القول الرابع:

قال مجاهد: " سيكلفون أن يأتوا بمثل ما بخلوا به من أموالهم يوم القيامة"(٤).

وعلى هذا التأويل يكون من الطاقة لا من التطويق.

الترجيح:

تفسير البخل هنا بالبخل بالمال الواجبِ بذْله ظاهرُ الدخول في الآية لحديث أبي هريرة السابق.

وعليه يكون معنى: ﴿ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ ما ذكره أصحاب القول الثاني بأن يُجعل ما بخلوا به حيّة يُطَوّقها في عنقه يوم القيامة، لكون الحديث نصاً في بيان معنى التطويق.

---

(١) أخرجه البخاري: ١٦٦٣/٤ رقم (٤٢٨٩).

(٢) ينظر: سنن سعيد بن منصور (تحقيق: د. سعد الحميّد): ١١٣٤/٣، تفسير الطبري: ٢٣٨/٤، تفسير ابن المنذر: ٥١٣، تفسير ابن أبي حاتم: ٨٢٧/٣.

(٣) تفسير الرازي: ١٩٠١/٣، والآية من سورة التوبة: ٣٥.

(٤) تفسير الطبري: ٢٣٩/٤، تفسير ابن المنذر: ٥١٣.

أما آية التوبة فلا يُفسَّر بها معنى التطويق في هذه الآية مع وجود الحديث الصريح؛ فالتطويق هو تطويق الحيّة له، ويعذّب بعذاب آخر بأن يُحمى على الذهب والفضة فتكوى بها جبهته وجنبه وظهره.

أما دخول كتمان العلم الواجب نشره - ككتمان اليهود لنبوة محمد > - في المراد بالبخل في الآية فمحتمل وليس ببعيد؛ لعموم ما يشمله فضل الله، ولا دليل صريح على تخصيصه بالمال، والعلم من فضل الله تعالى ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ [النساء: آية ١١٣] (١) ﴿وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النساء:آية٣٧] وتعدد الروايات عن مجاهد يُشعر بأنه يقول بالعموم.

قال الرازي: "واعلم أن تفسير هذا البخل بكتمان دلائل نبوة محمد > غير بعيد، وذلك لأن اليهود والنصارى موصوفون بالبخل في القرآن مذمومون به. قال تعالى في صفتهم: ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴾[النساء: آية ٥٣] وقال أيضا فيهم : ﴿ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ ﴾ [النساء: آية ٣٧] وأيضاً ذكر عقيب هذه الآية قوله : ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ﴾ [آل عمران: ١٨١] وذلك من أقوال اليهود، ولا يبعد أيضاً أن تكون الآية عامة في البخل بالعلم ، وفي البخل بالمال"(٢).

وقال ابن كثير بعد أن ذكر القول الثاني في المراد بالبخل: " والصحيح الأول، وإن دخل هذا في معناه، وقد يقال إن هذا أولى بالدخول، والله سبحانه وتعالى أعلم"(٣).

وليس في حديث أبي هريرة ما يمنع من هذا العموم، فليس فيه ما يقتضي حصر البخل في الآية بالبخل بالمال، لكنه صريح في دخول مانع الزكاة في الآية، وصريح في كيفية تطويقه يوم القيامة.

وإذا دخل البخل بالعلم في الآية فحينئذٍ معنى ﴿سَيُطَوَّقُونَ ﴾ لمن بخل بالعلم الواجب:

---

(١) ينظر: تفسير الرازي: ١٨٩٩/٣.

(٢) تفسير الرازي: 1901/٣.

(٣) تفسير القرآن العظيم: ١٧٥/٢.

- تفسيره بأنه من التطويق أولى من تفسيره بأنه من الطاقة لكون النبي > فسّرها في مانع الزكاة بذلك.
- التطويق حقيقي؛ فالأصل حمل الكلام على حقيقته، ويحتمل حينئذٍ أنه يطوّق بحيّة كمانع الزكاة، ويحتمل تطويقه بغير ذلك، والله أعلم.

مسألة: موصوف الاسم الموصول في قوله ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيۡنَآ ﴾ .

قال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيۡنَآ أَلَّا نُؤۡمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأۡتِيَنَا بِقُرۡبَانٖ تَأۡكُلُهُ ٱلنَّارُۗ قُلۡ قَدۡ جَآءَكُمۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِي بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِي قُلۡتُمۡ فَلِمَ قَتَلۡتُمُوهُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٨٣ ﴾.

رجّح ابن جُزَيّ / أن قوله ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ﴾ صفة للذين في قوله ﴿ لَّقَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُ ﴾ [آل عمران: ١٨١] وليس صفة للعبيد في قوله ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴾ [آل عمران: ١٨٢] (١) .

الدراسة:

القول الأول:

أن قوله ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ﴾ صفة للذين في قوله ﴿ لَّقَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُ ﴾.

وهو قول ابن عطية، وأبي حيّان، والسيوطي(٢) .

وذكره وجهاً جائزاً في الآية السمين الحلبي، وابن عادل(٣) .

القول الثاني:

أنه صفة للعبيد في قوله ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴾ أي: ليس بظلام للعبيد الذين قالوا كذا وكذا.

---

(١) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: ١/١٧٣.

(٢) ينظر: المحرر الوجيز: ١/٥٤٩ ، البحر المحيط: ٢/١٣٧، تفسير الجلالين: ٧٤ .

(٣) ينظر: الدر المصون: ٣/٥١٦، اللباب في علوم الكتاب: ٦/٩٢.

وهو قول الزجاج[1] .

وذكره القرطبي وجهاً في الآية[2] .

الترجيح:

الراجح – والله أعلم – هو القول الأول، فهو أكمل وأتم في المعنى، بخلاف الثاني ففيه تخصيص نفي الظلم عن الله بعبيدٍ بعينهم، وقد تعقّب ابن عطية وابن سيده وأبو حيان القول الثاني بأنه مفسدٌ للمعنى والرصف[3].

(١) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٤١٤/١، وينظر: تفسير الرازي: ١٩٠٧/٣.

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٨٨/٤.

(٣) ينظر: المحرر الوجيز: ٥٤٩/١، إعراب القرآن لابن سيده: ، البحر المحيط: ١٣٧/٢.

مسألة: المراد بقول الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ ﴾ [آل عمران : ١٩١].

ذكر ابن جُزَيّ – رحمه الله – قولين في الآية ورجَّح الأول فقال :

" أي يذكرون الله على كل حال؛ فكأن هذه الهيآت حصر لحال بني آدم.

وقيل: إن ذلك في الصلاة، يصلون قياماً؛ فإن لم يستطيعوا صلوا قعوداً؛ فإن لم يستطيعوا صلوا على جنوبهم "[1] .

الدراسة:

القول الأول:

المراد بالآية أنهم يذكرون الله على كل حال.

وهذا قول قتادة، وابن جريج[2] والطبري، والزمخشري، والرازي، وابن القيم ، وابن كثير، والبيضاوي ، والسيوطي، وأبي السعود، والشوكاني، وصديق حسن خان ، والطاهر ابن عاشور، وابن عثيمين[3] .

ونسبه الثعلبي والبغوي لجمهور المفسرين[4].

واستدلوا لذلك[5]:

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ١٧٤/١ .

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٦٠/٤، وتفسير ابن المنذر: ٥٣٣ .

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٢٦٠/٤ ، الكشاف: ٤٨٢/١ ، تفسير الرازي: ١١١/٩، بدائع التفسير: ٢٦٠/١ ، تفسير القرآن العظيم: ١٨٤/٢، أنوار التنزيل: ١٩٥/١، تفسير الجلالين: ٧٥، إرشاد العقل السليم: ١٢٩/٢، فتح القدير: ٤١٠/١، فتح البيان: ٥٧٤/١، التحرير والتنوير: ٣٠٨/٣، تفسير سورة آل عمران: ٥٤١/١.

(٤) انظر: الكشف والبيان: ٢٣١/٣، ومعالم التنزيل: ٤٦٥/١ .

(٥) انظر: معالم التنزيل: ٤٦٥/١، وتفسير الرازي: ١١٠/٩، والتسهيل لعلوم التنزيل: ١٧٤/١، والبحر المحيط: ١٤٥/٣.

١) بأن هذه الآية نظير قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾[النساء: ١٠٣].

والمعنى: إذا فرغتم من الصلاة فاذكروا الله على أية حال.

٢) ولأن هذه الهيئات الثلاثة هي غالب ما يكون عليها المرء؛ فاستعملت والمراد بها جميع الأحوال.

قال ابن جُزَيّ: "فكأن هذه الهيآت حصر لحال بني آدم "[١].

قال أبو حيان : "هذه الهيئات الثلاثة هي غالب ما يكون عليها المرء؛ فاستعملت والمراد بها جميع الأحوال كما قالت عائشة: "كان رسول الله ﷺ يَذْكُرُ اللَّهَ على كل أَحْيَانِهِ "[٢].

القول الثاني:

الآية في الصلاة فيصلون قياماً؛ فإن لم يستطيعوا صلوا قعوداً؛ فإن لم يستطيعوا صلوا على جنوبهم.

قال ابن مسعود: " إنما هذه في الصلاة، إذا لم تستطع قائماً فقاعداً، وإن لم تستطع قاعداً فعلى جنب"[٣].

وحكاه البغوي عن علي بن أبي طالب، وابن عباس، والنخعي، وقتادة[٤].

واختاره من المفسرين السمرقندي، والواحدي، والسمعاني[٥].

واستدلوا بحديث عمران بن حصين ط أن رسول الله ﷺ قال: "صَلِّ قَائِمًا فَإِنْ لم تَسْتَطِعْ فَقَاعِدًا فَإِنْ لم تَسْتَطِعْ فَعَلَى جَنْبٍ "[٦].

---

(١) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل: ١/١٧٤.

(٢) انظر: البحر المحيط: ٣/١٤٥. والحديث أخرجه الإمام مسلم: ١/٢٨٢ (رقم ٣٧٣).

(٣) تفسير ابن أبي حاتم: ٣/٨٤١.

(٤) انظر: معالم التنزيل: ١/٤٦٥.

(٥) انظر: بحر العلوم: ١/٣٢٣، الوجيز: ١/٢٤٨، تفسير السمعاني: ١/٣٨٨.

(٦) أخرجه البخاري: ١/٣٧٦ (رقم ١٠٦٦).

وبقول الله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾[النساء: ١٠٣] على أن المعنى: شرعتم في أداء الصلاة[(١)].

الترجيح:

الراجح – والله تعالى أعلم – هو القول الأول حملاً للنص على عمومه حتى يرد دليل بالتخصيص.

وما ذكره أصحاب القول الثاني من أدلة فإنها لا تقوى على التخصيص؛ بل الصلاة إحدى الصور الداخلة في عموم الذكر.

قال السعدي: "وهذا يشمل جميع أنواع الذكر بالقول والقلب، ويدخل في ذلك الصلاة قائما، فإن لم يستطع فقاعدا، فإن لم يستطع فعلى جنب"[(٢)].

ولعله تفسير بالمثال من أصحاب القول الثاني وتنويه بنوع من أهم أنواع الذكر، وتنبيه على صورة من أولى الصور دخولاً في معنى الآية لدلالة الدليل الشرعي عليها، والله أعلم.

---

(١) انظر: المحرر الوجيز: ١/٥٥٤.

(٢) تفسير السعدي: ١/٢٧٠.

مسألة: المراد بالرباط في الآية.

قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾.

ذكر ابن جُزَيّ / قولين في المسألة، ورجَّح الأول فقال :

" أقيموا في الثغور مرابطين خيلكم مستعدين للجهاد .

وقيل : هو مرابطة العبد فيما بينه وبين الله ، أي معاهدته على فعل الطاعة وترك المعصية.

والأول أظهر ، قال ﷺ "رباط يوم في سبيل الله خير من صيام شهر وأما قوله في انتظار الصلاة "فذلكم الرباط"[٢] فهو تشبيه بالرباط في سبيل الله لعظم أجره"[٣].

الدراسة:

القول الأول:

هو الرباط في سبيل الله في الثغور[٤] .

وهو قول جمهور المفسرين[٥] .

وممن قال به عمر بن الخطاب ، والضحاك ، والحسن البصري ، وقتادة ، ومحمد ابن

---

(١) أخرجه مسلم: ١٥٢٠/٣ (رقم ١٩١٣) بلفظ: يوم وليلة.

(٢) أخرجه مسلم: ٢١٩/١ (رقم ٢٥١) .

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل : ١٧٥/١ .

(٤) قال الطبري : "وأرى أن أصل الرباط : ارتباط الخيل للعدو كما ارتبط عدوهم لهم خيلهم، ثم استعمل ذلك في كل مقيم في ثغر يدفع عمن وراءه من أراده من أعدائهم بسوء ويحمي عنهم من بينه وبينهم ممن بغاهم بشر كان ذا خيل قد ارتبطها أو ذا رجلة لا مركب له " (تفسير الطبري : ٤/ ٢٧٦)

(٥) انظر : المحرر الوجيز : ٥٥٩/١ ، والجامع لأحكام القرآن : ٢٠٦/٤.

كعب القرظي[1] ، وزيد بن أسلم ، وابن جريج[2]، والطبري، والسمعاني، والزمخشري، وابن عطية، والسعدي[3] .

واستدلوا لهذا القول بأدلة وشواهد منها[4] :

١- قول الله تعالى : ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ [الأنفال : ٦٠] على أن من معانيه هنا المرابطة ؛ وهي صريحة في مرابطة الجهاد .

٢- أحاديث فضل الرباط في سبيل الله وهي كثيرة ، ومنها ما رواه البخاري عن سهل بن سعد الساعدي ط [5] أن رسول الله > قال : " رِبَاطُ يَوْمٍ في سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ من الدُّنْيَا وما عليها "[6] ، وفي صحيح مسلم عن سلمان قال : سمعت رسول الله > يقول :" رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ من صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ، وَإِنْ مَاتَ جَرَى عليه عَمَلُهُ الذي كان يَعْمَلُهُ، وأُجْرِيَ عليه رِزْقُهُ، وَأَمِنَ الْفَتَّانَ"[7].

٣- أن هذا المعنى هو الأغلب المعروف من استعمال الناس ، قال ابن جرير :

---

(١) محمد بن كعب القرظي، ولد في حياة رسول الله > ، له روايات كثيرة عن جماعة من الصحابة، وكان عالما بتفسير القرآن صالحا عابدا، قال عون بن عبد الله: "ما رأيت أعلم بتأويل القرآن من القرظي" جلس للتحديث في المسجد فانهدم السقف فمات مع أصحابه في سنة تسعين رحمهم الله.
ينظر: المعرفة والتاريخ: ٣١٢/١، البداية والنهاية: ٢٥٧/٩، طبقات المفسرين للأدنه وي: ١٠.

(٢) انظر : تفسير الطبري: ٢٧٣/٤ ، وتفسير ابن أبي حاتم : ٨٥٠/٣ .

(٣) انظر : : تفسير الطبري: ٢٧٥/٤ ، تفسير السمعاني :٣٩١/١ ، الكشاف : ٤٨٩/١ ، المحرر الوجيز : ٥٥٩/١ ، تفسير السعدي : ٣٠٨/١ .

(٤) انظر : تفسير الطبري : ٢٧٦/٤ ،والكشاف : ٤٨٩/١ و٢٢٠/٢، وتفسير القرآن العظيم: ٢/ ١٩٥ .

(٥) سهل بن سعد بن مالك الأنصاري الساعدي، مات النبي > وهو ابن خمس عشرة سنة، وهو آخر من مات بالمدينة من الصحابة، مات سنة ثمان وثمانين، وقيل بعدها.
ينظر: التاريخ الكبير: ٩٧/٤، الإصابة: ٢٠٠/٣.

(٦) أخرجه البخاري: ١٠٥٩/٣ (رقم ٢٧٣٥).

(٧) أخرجه مسلم: ١٥٢٠/٣ (رقم ١٩١٣).
والمراد بالفتان: فتّان القبر. ينظر: الديباج على مسلم: ٥٠٧/٤.

" وإنما قلنا : معنى ﴿ وَرَابِطُواْ ﴾ ورابطوا أعداءكم وأعداء دينكم ؛ لأن ذلك هو المعنى المعروف من معاني الرباط ، وإنما توجه الكلام إلى الأغلب المعروف في استعمال الناس من معانيه دون الخفي ، حتى يأتي بخلاف ذلك ما يوجب صرفه إلى الخفي من معانيه حجة يجب التسليم لها من كتاب ، أو خبر عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، أو إجماع من أهل التأويل "[1]

القول الثاني:

هو مرابطة العبد على فعل الطاعة وترك المعصية.

وبه قال سعيد بن جبير ، والحسن ، ومحمد بن كعب القرضي ، وزيد بن أسلم[2] .

قال زيد بن أسلم : "رابطوا على دينكم " .

وقال سعيد بن جبير : "يعني فيما أمركم ونهاكم" .

ومنه انتظار الصلاة إلى الصلاة ، قال أبو سلمة بن عبد الرحمن[3] : "لم يكن في زمان زمان النبي صلى الله عليه وسلم غزو يرابط فيه ، ولكنه انتظار الصلاة خلف الصلاة "[4] .[4]

ويشهد له[5] قول النبي ﷺ : " وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط ، فذلكم الرباط ، فذلكم الرباط " [6].

---

(١) تفسير الطبري : ٢٧٦/٤ .

(٢) انظر : تفسير ابن أبي حاتم : ٨٥٠/٣ .

(٣) أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى المدني، الحافظ، اسمه كنيته، من كبار أئمة التابعين غزير العلم العلم ثقة عالم عابد زاهد، قال الزهرى: أربعة وجدتهم بحورا، عروة بن الزبير، وابن المسيب، وأبو سلمة، وعبيد الله بن عبد الله، توفي سنة أربع وتسعين.
ينظر: طبقات ابن سعد: ١٥٥/٥، مشاهير علماء الأمصار: ٦٤، تذكرة الحفاظ: ٦٣/١.

(٤) انظر : تفسير الطبري : ٤/ ٢٧٥ .

(٥) انظر : تفسير السمعاني :٣٩١/١ ، والجامع لأحكام القرآن : ٢٠٦/٢ .

(٦) سبق تخريجه آنفاً.

القول الثالث:

ذهب الرازي، والقرطبي ، والبيضاوي، وابن عثيمين[1] إلى حمل الآية على العموم فتشمل كلا القولين.

وحكايةُ قولين في الآية عن بعض مفسري السلف قد تُشعر بذهابهم للعموم.

الترجيح:

لكل من القول الأول والقول الثالث وجهاً قوياً في الاستدلال؛ غير أن القول الأول الذي رجحه ابن جُزَيّ هو الأظهر – والله أعلم – لوجهين :

١– أكثر النصوص الشرعية في الرباط – وقد مر بعضها قريبا في أدلة القول الأول – إنما هي في المرابطة في الجهاد في سبيل الله ، وحمل النص الشرعي على المعنى الغالب استعماله في النصوص الشرعية أولى .

٢– أن هذا المعنى هو الأغلب المعروف من استعمال الناس كما قال ابن جرير .

أما الاحتجاج بأنه لم يكن في زمن النبي صلى الله عليه وسلم غزو يرابط فيه فلا يسلّم ؛ فإن أقل الرباط يوم كما جاء صريحا في الأحاديث السابقة ، قال ابن حجر : "وما احتج به أبو سلمة لا حجة فيه ، ولا سيما مع ثبوت حديث الباب "[2] .

*****

(١) انظر : تفسير الرازي ١٢٧/٩ ، الجامع لأحكام القرآن : ٢٠٦/٢ ، أنوار التنزيل : ١/ ١٩٨، تفسير سورة آل عمران لابن عثيمين : ٢ /٦٠٣ .

(٢) فتح الباري : ٨٦/٦ . ويعني بحديث الباب حديث سهل بن سعد الساعدي السابق ذكره.

ثانياً
ترجيحات ابن جُزَيّ في سورة النساء

قال الله تعالى: ﴿ وَءَاتُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰٓ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلۡخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِۖ وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَهُمۡ إِلَىٰٓ أَمۡوَٰلِكُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبٗا كَبِيرٗا ﴿٢﴾ ﴾ .

وفيها أربع مسائل:

المسألة الأولى: الخطاب في قوله ﴿ وَءَاتُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰٓ أَمۡوَٰلَهُمۡ ﴾.

ذكر ابن جُزَيّ / قولين في المسألة، ورجَّح الأول منهما فقال :

" خطاب للأوصياء .

وقيل: للعرب الذين لا يُورّثون الصغير مع الكبير، أُمروا أن يورثوهم "[1].

الدراسة:

اختلف المفسرون في المسألة على أقوال:

فقيل: الخطاب للأوصياء.

وهو قول سعيد بن جبير[2]، ومقاتل بن سليمان، والطبري[3].

وقيل: للأولياء والأوصياء.

وهو قول الواحدي، والبغوي، وابن الجوزي، والقرطبي، وأبي السعود، والشوكاني، والألوسي[4] .

وهما متقاربان؛ إذ المراد أن الخطاب لكل من أُوكل إليه التصرف بمال اليتيم سواء كان ولياً أو وصياً.

وقيل: الخطاب للعرب الذين لا يُورّثون الصغير مع الكبير، أُمروا أن يورثوهم.

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ١/١٧٧.

(٢) ينظر: تفسير ابن أبي حاتم: ٣/٨٥٤.

(٣) ينظر: تفسير مقاتل: ١/٢١٣، تفسير الطبري: ١/٢٨٤.

(٤) ينظر: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ١/٢٥١، معالم التنزيل: ١/٤٧١، زاد المسير: ٢/٥، الجامع لأحكام القرآن: ٥/٧، إرشاد العقل السليم: ٢/٩٣، فتح القدير: ١/٥٢٧، روح المعاني: ٤/١٨٥.

وهذا قول ابن زيد[1].

وقيل: الخطاب عام لكل من عنده مال لليتامى، سواء كان وصياً عليهم، أو ولياً، أو ممن يتولى قسمة الميراث، أو ممن أخذ أموالهم بغير حق[2].

الترجيح:

الراجح هو القول الأخير فالأصل العموم.

والأولياء والأوصياء – بلا شك – يدخلون في الخطاب دخولاً أولياً لتمكّنهم من أموال الأيتام وائتمانهم عليها؛ ولذا أتبعه بالنهي عن أعمال يفعلها بعض الأولياء والأوصياء فقال: ﴿ وَءَاتُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰٓ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلۡخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِۖ وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَهُمۡ إِلَىٰٓ أَمۡوَٰلِكُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبٗا كَبِيرٗا ۝٢ ﴾ والله تعالى أعلم.

(١) ينظر: تفسير الطبري: ٢٨٤/١، وينظر: المحرر الوجيز: ٥/٢، البحر المحيط: ١٦٨/٣.

(٢) ينظر: تفسير آيات الأحكام في سورة النساء للدكتور سليمان اللاحم: ٦٣/١ والقول له.

المسألة الثانية: المراد بإيتاء اليتامى أموالهم.

بعد أن رجّح ابن جُزَيّ / أن الخطاب في الآية للأوصياء ذكر – بناء عليه – قولين في المراد بإيتاء اليتامى أموالهم في الآية، ورجَّح الأول منهما فقال :

" وعلى القول بأن الخطاب للأوصياء فالمراد أن يُؤْتُوا اليتامى من أموالهم ما يأكلون ويلبسون في حال صغرهم، فيكون اليتيم على هذا حقيقة.

وقيل: المراد دفع أموالهم إليهم إذا بلغوا، فيكون اليتيم على هذا مجازاً؛ لأن اليتيم قد كبر"(١).

الدراسة:

اختلف المفسرون في المسألة على قولين:

القول الأول:

المراد أن يُعطى اليتامى من أموالهم ما يأكلون ويلبسون في حال صغرهم قبل البلوغ، فيكون اليُتم على هذا حقيقة.

ذكره وجهاً في الآية ابن الفَرس الأندلسي(٢)، وجوّزه الشوكاني(٣).

واعتبره ابن العربي والقرطبي أحد المعاني المرادة من الآية(٤).

وعلى هذا القول في الآية تقدير "من" أي: آتوهم من أموالهم ما يكفيهم.

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ١/١٧٧.

(٢) عبد المنعم بن محمد بن عبدالرحيم الخزرجي، من أهل غرناطة، يعرف بابن الفَرَس، قال ابن الأبّار وابن فرحون: كان محققا للعلوم على تفاريعها، وأخذ في كل فن منها، وتقدّم في حفظ الفقه والبصر بالمسائل مع المشاركة في صناعة الحديث والعكوف عليها، ألّف كتابا في أحكام القرآن جليل الفائدة من أحسن ما وضع في ذلك ، توفي سنة: ٥٩٧.

ينظر: التكملة لكتاب الصلة: ٣/١٢٨، تاريخ الإسلام: ٤٢/٣٠٦، الديباج المذهب: ٢١٨.

(٣) ينظر: أحكام القرآن لابن الفرس: ٢/٤٢، فتح القدير: ١/٥٢٧.

(٤) ينظر: أحكام القرآن لابن العربي: ١/٣٣٣، الجامع لأحكام القرآن: ٥/٨.

القول الثاني:

المراد دفع أموالهم إليهم بعد البلوغ وإيناس الرشد منهم، كما في الآية الأخرى: ﴿ وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ ﴾ [سورة النساء: ٦].

وهو قول الطبري، والزجاج، والجصاص، والواحدي، والسمعاني، والبغوي، وابن الفَرس، وابن كثير، والسعدي، والشنقيطي(١) .

وسمّاهم يتامى – وإن كانوا لا يُسَمّون بذلك بعد البلوغ إجماعاً(٢) – حكاية للحال التي كانوا عليها لقرب عهدهم باليتم، كما تسمى الناقة عشراء بعد وضعها، وهو كقوله تعالى: ﴿ وَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴾ [الأعراف: ١٢٠] ، أي الذين كانوا سحرة قبل السجود، فلا سحر مع السجود، وأيضاً سمى الله تعالى مقاربة انقضاء العدة بلوغ الأجل في قوله : ﴿ فَإِذَا بَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمۡسِكُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ فَارِقُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٍ ﴾ [الطلاق: ٢] ، والمعنى مقاربة بلوغ الأجل، وقد كانت قريش تسمي النبي > يتيم أبي طالب حتى بعد أن كبر(٣).

وفي تسميتهم باليتامى بعد بلوغهم – لقرب عهدهم به – إشارة وتحضيض على سرعة إعطائهم أموالهم فور بلوغهم وإيناس الرشد منهم بلا تأخير أو مماطلة(٤).

والأمر بإيتاء اليتيم ماله بعد البلوغ وإيناس الرشد منه يتضمن الأمر بحفظ ماله ليؤديه له كاملاً غير منقوص عند استحقاقه.

---

(١) ينظر: تفسير الطبري: ٢٨٥/٤، معاني القرآن وإعرابه: ٦/٢، أحكام القرآن للجصاص: ٦١/٢، تفسير السمعاني: ٣٩٤/١، معالم التنزيل: ٤٧١/١، أحكام القرآن لابن الفرس: ٤٢/٢، تفسير القرآن العظيم: ٢٠٧/٢، تفسير السعدي: ٢٧٤/١، أضواء البيان: ٢٢٠/١.

(٢) حكى الإجماع الشنقيطي في أضواء البيان: ٢٢٠/١.

(٣) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ٦/٢، أحكام القرآن للجصاص: ٦١/٢، المحرر الوجيز: ٥/٢، تفسير الرازي: ١٩٤٦/٣، الجامع لأحكام القرآن: ٨/٥.

(٤) ينظر: الكشاف: ٣٥٥/١.

الترجيح:

القولان صحيحان ولا تعارض بينهما، فهو أمر بإجراء النفقة على اليتيم من ماله قبل بلوغه، وأمر أن يدفع إليه ماله كاملاً بلا مماطلة فور بلوغه وإيناس الرشد منه.

قال القرطبي: " وإيتاء اليتامى أموالهم يكون بوجهين : أحدهما: إجراء الطعام والكسوة ما دامت الولاية؛ إذ لا يمكن إلا ذلك لمن لا يستحق الأخذ الكلي والاستبدادَ كالصغير والسفيه الكبير.

الثاني: الإيتاء بالتمكّن وإسلام المال إليه، وذلك عند الابتلاء والإرشاد"[1].

وليس في الآية الثانية ﴿ وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ ﴾ تكرار لمعنى الآية الأولى ﴿ وَءَاتُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰٓ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ ﴾ ؛ إذ في الثانية بيان لشروط إيتاء اليتامى أموالهم المأمور به في الآية الأولى[2]، كما تضمنت الآية الأولى الأمر بالإنفاق على الأيتام من أموالهم حال يُتمهم، ففيها زيادة من هذا الوجه، والله أعلم.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن: ٨/٥، وهو قول ابن العربي أيضاً، ينظر: أحكام القرآن: ٣٣٣/١.

(٢) ينظر: الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال لابن المنيّر الاسكندراني: ٣٥٥/١.

المسألة الثالثة: المراد بتبدّل الخبيث بالطيب في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ﴾ .

ذكر ابن جُزَيّ / قولين في المسألة، ورجَّح الأول منهما فقال :

" كان بعضهم يُبدّل الشاة السمينة من مال اليتيم بالمهزولة من ماله، والدرهم الطيب بالزائف، فنهوا عن ذلك .

وقيل: المعنى لا تأكلوا أموالهم وهو الخبيث، وتدعوا مالكم وهو الطيب"(١) .

الدراسة:

اختلف المفسرون في المراد بالآية على أقوال:

القول الأول:

المراد: أخذ الجيد من مال اليتيم، وإعطاءه الرديء مكانه.

وبه قال سعيد بن المسيب، وإبراهيم النخعي، والضحاك، والسدي، والزهري(٢)، والطبري، والواحدي، وابن العربي، والقرطبي، والسيوطي، والشوكاني(٣) .

وهو قول ابن جُزَيّ الكلبي.

قال السدي: "كان أحدهم يأخذ الشاة السمينة من غنم اليتيم ويجعل مكانها الشاة المهزولة ويقول شاة بشاة، ويأخذ الدرهم الجيد ويطرح مكانه الزيف ويقول درهم بدرهم"(٤) .

فالتبدّل على هذا القول حقيقي بأخذ شيء مكان شيء آخر(٥).

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ١/١٧٧.

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ٤/٢٨٤، تفسير ابن أبي حاتم: ٣/٨٥٥، وينظر: تفسير الثوري: ٨٦.

(٣) ينظر: تفسير الطبري: ٤/٢٨٥، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ١/٢٥١، أحكام القرآن: ١/٣٣٣، الجامع لأحكام القرآن: ٥/٨، تفسير الجلالين: ٧٧، فتح القدير: ١/٥٢٧.

(٤) تفسير الطبري: ٤/٢٨٤، تفسير ابن أبي حاتم: ٣/٨٥٥.

(٥) ينظر في تعريفه: تفسير الطبري: ٤/٢٨٥، الصحاح، معجم مقاييس اللغة: (بدل) ، المفردات: ٥٠. قال الراغب: " الإبدال والتبديل والتبدل والاستبدال: جعل شيء مكان آخر".

أما الخبيث والطيب فهما على المعنى اللغوي لا الشرعي، فالخبيث بمعنى الرديء، والطيب بمعنى الجيد[١] ، لكنه يؤول إلى المعنى الشرعي فهو جعل الحرام مكان الحلال.

القول الثاني:

لا تأكلوا مال اليتامى وهو الخبيث، وتدعوا مالكم وهو الطيب.

وهو قول سعيد بن جبير[٢]، ومقاتل بن سليمان، والسمرقندي، والسمعاني، وابن عاشور[٣]، وظاهر كلام الفراء، والزجاج[٤].

وقال مجاهد وأبو صالح: " لا تعجل بالرزق الحرام قبل أن يأتيك الحلال الذي قُدِّر لك"[٥].

وتعقّب الطبري قولهما بأنه خلاف السياق "فالله جل ثناؤه إنما ذكر ذلك في قصة أموال اليتامى وأحكامها فلا يكون قولهما من جنس حكم أول الآية"[٦]، وكأنه / فهم أن قولهما عام ليس في أموال الأيتام، فردّ عليه بأن السياق لا يدل عليه، والظاهر أنهما أرادا: لا تعجل بأخذ الرزق الحرام من مال اليتيم قبل أن يأتيك الحلال الذي قُدِّر لك، وهكذا – أعني ربطه بمال اليتيم – جعله ابن عطية والقرطبي في تفسيريهما[٧]، ويؤيّده ما جاء في كتاب تفسير مجاهد أنه قال: " لا تتبدلوا الحرام من أموال اليتامى بالحلال من أموالكم"[٨].

وعليه فيكون قول مجاهد وأبي صالح موافقاً لهذا القول.

---

(١) ينظر: البحر المحيط: ١٦٨/٣.

(٢) ينظر: تفسير ابن أبي حاتم: ٨٥٥/٣.

(٣) ينظر: تفسير مقاتل: ٢١٣/١، بحر العلوم: ٣٠٤/١، تفسير السمعاني: ٣٩٥/١، التحرير والتنوير: ١٣/٤.

(٤) ينظر: معاني القرآن للفراء: ١٧٨/١، معاني القرآن وإعرابه: ٧/٢.

(٥) تفسير الطبري: ٢٨٥/٤، تفسير ابن أبي حاتم: ٨٥٥/٣.

(٦) ينظر: تفسير الطبري: ٢٨٦/٤.

(٧) ينظر: المحرر الوجيز: ٥/٢، الجامع لأحكام القرآن: ٨/٥.

(٨) تفسير مجاهد: ١٤٣/١.

القول الثالث:

كان أهل الجاهلية لا يورثون النساء، ولا يورثون الصغار، يأخذ الميراث الأكبر، فنصيبه من الميراث طيب وهذا الذي أخذه خبيث.

وهو قول ابن زيد[1] .

وتعقبه الطبري والقرطبي والشوكاني بأن معنى التبدل لا يدل عليه.

قال الطبري: " تبدّل الشيء بالشيء في كلام العرب أخذ شيء مكان آخر غيره يعطيه المأخوذ منه أو يجعله مكان الذي أخذ، فإذا كان ذلك معنى التبديل والاستبدال فمعلوم أن الذي قاله ابن زيد من أن معنى ذلك هو أخذ أكبر ولد الميت جميع مال ميته ووالده دون صغارهم إلى ماله قول لا معنى له؛ لأنه إذا أخذ الأكبر من ولده جميع ماله دون الأصاغر منهم فلم يستبدل مما أخذ شيئا، فما التبدل الذي قال جل ثناؤه ﴿وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ﴾ ولم يبدل الآخذ مكان المأخوذ بدلاً؟"[2].

وهذا القول يرجع للقول الثاني، فالمعنى لا تأكلوا مال اليتامى وهو الخبيث، وتدعوا مالكم وهو الطيب، سواء كان ذلك عن طريق أخذ أموالهم مباشرة أو التحايل عليهم كحرمانهم من الميراث أو بعضه، أو الربح على اليتيم وغبنه في البيع والشراء ونحو ذلك.

الترجيح:

القولان محتملان، ولكل منهما وجه قوي، فالقول الأول يتأيّد بوجهين:

الأول: حمل التبدل على الحقيقة.

الثاني: أن الله قال بعدها: ﴿ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ﴾ والقول الثاني بمعنى هذا النهي، فيكون تأكيدا للنهي الأول، أما على القول الأول فلكل جملة معنى مستقل، والحمل على التأسيس أولى من التأكيد.

لكن يمكن مناقشة الأول بأن التبدل على القول الثاني حقيقي أيضاً؛ فهو تبدل طريق

---

(١) ينظر: تفسير الطبري: ٤/٢٨٥.

(٢) تفسير الطبري: ٤/٢٨٥.

بآخر، ومسلك بآخر، فهو نهي عن أن يتبدل الطريق الحرام بالطريق الحلال الذي يسير عليه المسلم أصلاً، كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [البقرة : ١٠٨]، فالمعنى لا تتبدلوا الطريق الحرام في التعامل مع أموال اليتامى بالطريق الحلال الذي أمركم به.

ويجاب عن الثاني بأحد وجهين:

الأول: أن بينهما فرقاً فقوله﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ﴾ نهي ضم أموال اليتامى إلى أموالهم والأكل والانتفاع من المالَين جميعاً عن طريق خلط نفقتهم بنفقة اليتامى أو غيره كما سيأتي، أما قوله ﴿ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ﴾ فهو نهي عن أخذ مال اليتيم بدل ماله.

الثاني: أن النهي عن تبدل الخبيث بالطيب عام يشمل تبدل شيء مكان شيء كأخذ الجيد من مال اليتيم، وإعطاءه الرديء مكانه، ويشمل أكل أموال اليتامى بلا عوض، ثم خص الله الثاني بالذكر لكثرته، ولكونه أشنع من الأول.

ويتقوى القول الثاني بوجهين:

الأول: كونه أعم في المعنى، فهو شامل للقول الأول.

الثاني: فسر الخبيث والطيب بالمعنى الشرعي، بخلاف الأول فقد فسره بالمعنى اللغوي، والمعنى الشرعي مقدّم على اللغوي[1].

لذا فالأقرب هو القول الثاني، والله تعالى أعلم.

---

(١) ينظر في تقديم الحقيقة الشرعية على الحقيقة اللغوية: قواعد الترجيح عند المفسرين: ٢/٤٠١.

المسألة الرابعة: معنى قول الله تعالى ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَهُمۡ إِلَىٰٓ أَمۡوَٰلِكُمۡۚ ﴾.

ذكر ابن جُزَيّ / قولين في المسألة، ورجَّح الأول منهما فقال :

" المعنى: نهي أن يأكلوا أموال اليتامى مجموعة إلى أموالهم .

وقيل: نهي عن خلط أموالهم بأموال اليتامى، ثم أباح ذلك بقوله: ﴿ وَإِن تُخَالِطُوهُمۡ فَإِخۡوَٰنُكُمۡۚ ﴾ [البقرة: ٢٢٠]"(١).

الدراسة:

اختلف المفسرون في المسألة على أقوال:

القول الأول:

نهي أن يأكلوا أموال اليتامى مجموعة إلى أموالهم .

وهو قول الزجاج، والواحدي(٢)، وظاهر كلام قتادة(٣) والنحاس والبغوي وابن العربي(٤).

القول الثاني:

نهي عن خلط أموالهم بأموال اليتامى.

وهذا قول مجاهد، والسدي(٥)، والطبري، وظاهر كلام الزمخشري والبيضاوي(٦).

قال الحسن: " لما نزلت هذه الآية في أموال اليتامى كرهوا أن يخالطوهم وجعل ولي اليتيم يعزل مال اليتيم عن ماله، فشكوا ذلك إلى النبي < فأنزل الله ﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡيَتَٰمَىٰۖ

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ١/١٧٧.

(٢) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ٢/٧، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ١/٢٥١.

(٣) ينظر: تفسير ابن المنذر: ٥٥١.

(٤) ينظر: معاني القرآن: ١/١٨٧، معالم التنزيل: ١/٤٧٢، أحكام القرآن: ١/٣٣٣.

(٥) ينظر: تفسير الطبري: ٤/٢٨٦، تفسير ابن أبي حاتم: ٣/٨٥٦.

(٦) ينظر: تفسير الطبري: ٤/٢٨٦، الكشاف: ١/٣٥٦، أنوار التنزيل: ٢/١٤١.

﴿ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ ۚ ﴾ [البقرة:٢٢٠] قال: فخالطوهم واتقوا"(١).

والفرق بين القول الأول والثاني، أن الآية على الثاني ناهية عن خلط الأموال عند الإنفاق، فإن العرب كانت تخلط نفقتها بنفقة أيتامها، ثم يأكلون وينتفعون منها هم والأيتام جميعاً فنهوا عن ذلك، ثم أباحه الله بآية البقرة(٢).

أما على الأول فالآية ناهية عن أكل أموال اليتامى مجموعة إلى أموالهم مطلقاً سواء أُنفق على الأيتام منها أو لا، فكأنه أراد بقوله ﴿ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ ۚ ﴾ التنبيه على استغنائهم عنها بما لديهم من مال فما الذي يحوجهم إلى أكل أموال الأيتام مع أموالهم؟(٣).

القول الثالث:

نهي عن أن يخلطوا أموال اليتامى بأموالهم لتصير في ذمتهم فيأكلوا أرباحها.

وهو قول الماوردي(٤).

الترجيح:

الأقوال كلها صحيحة، فالآية ناهية عن ضم أموال الأيتام إلى أموالهم في الأكل والانتفاع والتموّل بأي وجه كان، سواء عن طريق الأخذ المباشر منها، أو خلط النفقة، أو ضمها لماله والانتفاع بأرباحها دون اليتيم، أو غير ذلك.

وهذا النهي العام مخصوص بما ورد في آيـــة البقرة الآنفة، وما ورد في آيـــة النساء: ﴿ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ ۚ ﴾ [النساء: ٦] والله أعلم.

---

(١) أخرجه الطبري في التفسير: ٢٨٦/٤، وهو مرسل. وقد جاء في مرويات أخرى بعضها حسن أن آية البقرة نزلت بعد تحرج الصحابة عن أموال الأيتام بعد النهي عنها في غير آية المسألة. (ينظر: الاستيعاب في بيان الأسباب: ١٦٤/١).

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٩/٥.

(٣) وينظر: البحر المحيط: ١٦٨/٣.

(٤) ينظر: النكت والعيون: ٤٤٨/١.

قال الله تعالى: ﴿ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ ﴿٣﴾ ﴾ .

وفيها مسألتان:

المسألة الأولى: منع الجمع بين أكثر من أربع زوجات.

ذكر ابن جُزَيّ / قولين في المسألة، فقرّر الأول، وأبطل الثاني فقال :

" والمعنى انكحوا اثنتين أو ثلاثاً أو أربعاً، وفي ذلك منع لما كان في الجاهلية من تزوج ما زاد على الأربع .

وقال قوم لا يُعبأ بقولهم: إنه يجوز الجمع بين تسع لأن مثنى وثلاث ورباع يجمع فيه تسعة، وهذا خطأ؛ لأن المراد التخيير بين تلك الأعداد لا الجمع، ولو أراد الجمع لقال تسع و لم يعدل عن ذلك إلى ما هو أطول منه وأقل بياناً، وأيضاً قد انعقد الإجماع على تحريم ما زاد على الرابعة"(١).

الدراسة:

انعقد الإجماع على تحريم جمع الرجل بين أكثر من أربع زوجات في عصمته.

وقد حكى الإجماع على ذلك عدد من العلماء كالثعلبي، والماوردي، وابن حزم، والبغوي، والرازي، وابن قدامة، والقرطبي، وابن جزي، وأبي حيّان، وابن كثير، وابن عاشور(٢).

ويدل عليه حديث ابن عمر قال: "أَسْلَمَ غَيْلاَنُ بْنُ سَلَمَةَ الثقفي وَتَحْتَهُ عَشْرُ نِسْوَةٍ

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ١/١٧٨.

(٢) ينظر: تفسير الثعلبي: ٣/٢٤٧، الحاوي الكبير للماوردي: ٩/١٦٦، المحلى لابن حزم: ٩/٤٤١، معالم التنزيل: ١/٤٧٣، تفسير الرازي: ٣/١٩٥٢، المغني لابن قدامة: ٦/٦٤، الجامع لأحكام القرآن: ٥/١٣، التسهيل لعلوم التنزيل: ١/١٧٨، البحر المحيط: ٣/١٧١، تفسير القرآن العظيم: ٢/٢٠٩، التحرير والتنوير: ٤/١٧.

في الْجَاهِلِيَّةِ، وَأَسْلَمْنَ معه، فَأَمَرَهُ النبي > أَنْ يَخْتَارَ مِنْهُنَّ أَرْبَعاً"[1].

ووجه الدلالة أنه لو كان يجوز الجمع بين أكثر من أربع لسوغ له رسول الله > أن يمسكهن وقد أسلمن معه، فلما أمره باختيار أربع منهن دل على أنه لا يجوز الجمع بين أكثر من أربع بحال[2].

قال ابن قدامة وابن كثير: فإذا كان هذا في الدوام ففي الاستئناف بطريق الأولى والأحرى[3].

والمراد بالآية التخيير فالواو على وجه البدل لا الجمع، كأنه قال وثُلاث بدلاً من مثنى، ورباع بدلاً من ثلاث [4].

وشذّ عن الإجماع قوم لا يُعبأ بقولهم كما قال ابن الفرس وابن جزي[5]، فقالوا: يجوز للرجل أن يجمع في عصمته بين تسع زوجات فالواو للجمع ، ومجموع العدد المذكور بالآية تسعة، ولأن النبي > جمع بين تسع نساء . وهذا قول لبعض الرافضة[6]،

---

(١) أخرجه الترمذي: ٤٣٥/٣ (رقم ١١٢٨)، وابن ماجه: ٦٢٨/١ (رقم ١٩٢٨) ، وأحمد: ١٤/٢، وابن حبان: ٤٦٣/٩، والبيهقي في الكبرى: ١٤٩/٧، والحاكم في المستدرك: ٢٠٩/٢، وقال ابن كثير في تفسيره (٢١١/٢) عن إسناد أحمد: رجاله ثقات على شرط الصحيحين، وقد أطال ابن حجر الكلام عليه في تلخيص التحبير: (١٦٩/٣)، وإجماع العلماء على التحريم كاف في الدلالة.

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٢١١/٢.

(٣) ينظر: المغني: ٦٤/٦، تفسير القرآن العظيم: ٢١١/٢.

(٤) ينظر: أحكام القرآن للجصاص: ٦٩/٢، الجامع لأحكام القرآن: ١٣/٥.

(٥) ينظر: أحكام القرآن لابن الفرس: ٥٠/٢.

(٦) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ٩/٢، المحلى: ٤٤١/٩، المبسوط للسرخسي: ١٦٠/٥، الجامع لأحكام القرآن: ١٣/٥، تفسير القرآن العظيم: ٢٠٩/٢، وقال آخرون من الرافضة: بعدم جواز الجمع بين أكثر من أربع زوجات، وقرر ذلك عدد من مفسريهم كالطبرسي في مجمع البيان في تفسير القرآن، والطوسي في التبيان الجامع لعلوم القرآن، والفيض الكاشاني في الصافي في تفسير كلام الله الوافي، والجنابذي في بيان السعادة في مقامات العبادة، والطبطبائي في الميزان في تفسير القرآن، بل حكى الطوسي في التبيان الإجماع عليه. إلا إنهم يعتبرون زواج المتعة غير محدد بعدد كملك اليمين فللرجل أن يتزوج أكثر من أربع إذا كان زواج متعة كما ذكره الفيض الكاشاني. (ينظر تفسير آية ٣ من سورة النساء في موقع مؤسسة آل البيت الملكية للفكر الإسلامي في الأردن http://www.altafsir.com/IndexArabic.asp ففيه عرض كامل لهذه التفاسير مرتبة على الآيات).

وبعض أهل الظاهر[1]، والقاسم بن إبراهيم[2].

وقال ابن قدامة بعد أن حكى هذا القول: "وليس بشيء لأنه خرق للإجماع، وترك للسنة"[3].

وقد ردّ العلماء على هذا القول بعدة أوجه:

الأول: لو كان المراد ما قالوا لكان عياً في الكلام؛ فإن التسعة وضعت لهذا العدد كله، ولو كان المراد تسعاً لم يعدل عن اللفظ المختصر غير الموهم وهو التسع إلى لفظ غير مختصر وموهم وهو مثنى وثلاث ورباع[4].

الثاني: لو كان المراد تسعاً لقال: فإن خفتم ألا تعدلوا فثمان، ليعدل إلى أقرب الأعداد إليه؛ لأنه قد لا يقدر على التسع ويقدر على الثمان[5].

الثالث: على مقتضى قولهم لا يحل لأحد أن ينكح إلا تسعاً أو واحدة؛ لأن الله قال: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُواْ فَوَٰحِدَةً ﴾ فخيّرهم بين تسع وواحدة[6]، وهذا باطل.

الرابع: أن مثنى معناه في اللغة اثنين اثنين على التفريق لا اثنين فقط، وكذا ثُلاث

---

(١) نسبه لهم القرطبي، (ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٣/٥) وقد سبق ذكر حكاية ابن حزم للإجماع، وقال ابن عاشور معلقاً على قول القرطبي: وليس هذا قول لداوود الظاهري ولا لأصحابه. (ينظر: التحرير والتنوير: ١٧/٤).

(٢) ينظر: الحاوي الكبير: ١٦٦/٩، المغني: ٦٤/٦.
والقاسم بن إبراهيم بن صاحب صعدة من الزيدية، واليه ينتسب الزيدية القاسمية، وله من الكتب:كتاب الأشربة، كتاب الإمامة، كتاب سياسة النفس، كتاب الرد على الرافضة.
ينظر: الفهرست: ٢٧٤/١ مع الحاوي الكبير: ١٦٦/٩.

(٣) المغني: ٦٤/٦.

(٤) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٩/٢، معاني القرآن للنحاس: ١٨٩/١، تفسير السمعاني: ٣٩٦/١، أحكام القرآن لابن الفرس: ٥٠/٢، التسهيل لعلوم التنزيل: ١٧٨/١.

(٥) ينظر: الحاوي: ١٦٦/٩، وينظر: تفسير الطبري: ٢٩٦/٤.

(٦) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٩/٢، معاني القرآن للنحاس: ١٨٩/١، الحاوي: ١٦٦/٩.

ورباع[1].

قال ابن العربي: فعلى مقتضى قولهم يباح نكاح ثمان عشرة امرأة؛ لأن مثنى عند العرب اثنين مرتين، ومثله ثلاث ورباع.

الخامس:المقام مقام امتنان وإباحة، فلو كان يجوز الجمع بين أكثر من أربع لذكره[2].

السادس: مخالفته للإجماع والسنة كما سبق بيانه[3].

السابع: قال القرطبي: "لم يسمع عن أحد من الصحابة ولا التابعين أنه جمع في عصمته بين أكثر من أربع"[4].

وقال السرخسي: "لم ينقل عن أحد في حياة الرسول > ولا بعده إلى يومنا هذا أنه جمع بين أكثر من أربع نسوة نكاحاً"[5]، فلو كان جائزاً لفعلوه.

أما استدلالهم بزواج الرسول > فلا يصح؛ لأن ذلك من خصوصياته > بالإجماع[6] كما خُص بأن ينكح بغير صداق، وألا تُنكح أزواجه من بعده[7]، والله أعلم.

---

(١) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٩/٢، معاني القرآن للنحاس: ١٨٩/١، أحكام القرآن لابن العربي: ٣٣٧/١.

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٢٠٩/٢.

(٣) بل حكى الإجماع بعض مفسري الرافضة كما بينته آنفاً.

(٤) الجامع لأحكام القرآن: ١٣/٥.

(٥) المبسوط: ١٦٠/٥.

(٦) ينظر: تفسير الثعلبي: ٢٤٧/٣، معالم التنزيل: ٤٧٣/١، التحرير والتنوير: ١٧/٤.

(٧) ينظر: أحكام القرآن لابن الفرس: ٥٠/٢.

المسألة الثانية: معنى ﴿تَعُولُوا﴾ .

ذكر ابن جُزَيّ / قولين في المسألة، ورجَّح الأول منهما فقال :

" الإشارة إلى الاقتصار على الواحدة، والمعنى أن ذلك أقرب إلى أن لا تعولوا.

ومعنى تعولوا: تميلوا .

وقيل: يكثر عيالكم"[1] .

الدراسة:

اختلف العلماء في المسألة على قولين:

القول الأول:

المعنى: ذلك أدنى ألا تميلوا عن الحق، وتجوروا.

وهذا قول عائشة، وابن عباس، وإبراهيم النخعي، ومجاهد، وعكرمة، والحسن، وقتادة، والسدي، وأبي مالك[2]، والربيع[3].

وهو قول جمهور العلماء[4].

وممن قال به أيضاً الفراء، وأبو عبيدة، وابن قتيبة، والطبري، والزجاج، والراغب، والسمعاني، والبغوي، والزمخشري، وابن العربي، وابن القيم، والسمين الحلبي، وابن كثير، وابن عاشور[5].

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ١/١٧٨.

(٢) أبو مالك غزوان الغفاري ، كوفي، مشهور بكنيته، روى عن ابن عباس، قال ابن حجر: ثقة من الثالثة. ينظر: تهذيب الكمال: ٢٣/١٠٠، الكاشف: ٢/١١٦، تقريب التهذيب: ٤٤٢.

(٣) ينظر: تفسير الطبري: ٤/٢٩٧، تفسير ابن أبي حاتم: ٣/٨٦٠.

(٤) ينظر: تفسير الثعلبي: ٣/٢٤٨، تفسير الرازي: ٣/١٩٥٤، تفسير القرآن العظيم: ٢/٢١٢.

(٥) ينظر على التوالي: معاني القرآن: ١/١٧٩، مجاز القرآن: ١/١١٧، غريب الحديث لابن قتيبة: ١/٣٤٤، تفسير الطبري: ٤/٢٩٧، معاني القرآن وإعرابه: ٢/٩، المفردات: ٣٥٦، تفسير السمعاني: ١/٣٩٦، معالم التنزيل: ١/٤٧٤، الكشاف: ١/٣٥٩، أحكام القرآن: ١/٣٣٩، تحفة الودود في أحكام المولود: ١٧، عمدة الحفاظ: ٣/١٧٠، تفسير القرآن العظيم: ٢/٢١٢، التحرير والتنوير: ٤/٢٠.

يقال عال الميزان فهو عائل، أي مائل، وعال الحاكم فهو يعول: مال وجار، وعُلت عليّ: جُرت عليّ، ومنه عول الفرائض لأن سهامها إذا زادت مالت على أهل الفريضة جميعهم فتنقصهم(١)، ومنه قول أبي طالب في قصيدته اللامية:

بميزان قسط وزنه غير عائلِ(٢)

ومنه قول عثمان بن عفان رضي الله عنه في كتابه إلى أهل الكوفة في شيء عاتبوه عليه: "إني لست بميزان لا أعول"(٣).

القول الثاني:

المعنى: ذلك أدنى ألا يكثر عيالكم، أو ألا يكثر من تعولون.

وهو قول زيد بن أسلم(٤)، والشافعي(٥).

ويروى نحوه في المعنى عن ابن زيد، وسفيان بن عيينة(٦).

وغلّط أكثرُ العلماء(٧) هذا القول لفظاً ومعنى :

أما اللفظ: فلأنه يقال : عال يعول إذا جار، وعال يعيل إذا افتقر، وأعال يعيل إذا كثر عياله، وهو سبحانه قال : ﴿تَعُولُواْ﴾ ولم يقل تعيلوا.

---

(١) ينظر: مجاز القرآن: ١١٧/١، تفسير الطبري: ٢٩٨/٤، الصحاح، المغرب في ترتيب المعرب: (عول).

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ٢٩٨/٤، فقد رواه بسنده عن عكرمة أن أبا طالب قاله.
وللبيت رواية ثانية ذكرها الطبري والجوهري في الصحاح (عول):
بميزان صدق لا يُغِلُّ شعيرة له شاهد من نفسه غير عائل.
ورواية ثالثة مذكورة في ديوان أبي طالب (ص ٦٣):
بميزانِ قِسْطٍ لا يَغيضُ شَعيرةً له شاهدٌ مِن نفسهِ حقُّ عادلِ

(٣) أخرجه الطبري في التفسير ٢٩٨/٤.

(٤) ينظر: تفسير ابن أبي حاتم: ٨٦٠/٣، سنن البيهقي: ٤٦٦/٧.

(٥) ينظر: الأم : ٧٤/٥، ١٠٦، أحكام القرآن للشافعي: ٢٦٠/١.

(٦) ينظر: تفسير الطبري: ٢٩٩/٤، تفسير ابن أبي حاتم: ٨٦٠/٣. وانظر: تفسير القرآن العظيم: ٢١٢/٢ فقد جعل ابن كثير أقوال هولاء العلماء الأربعة قولا واحدا، وكذا ابن عطية إلا أنه لم يذكر قول سفيان. ينظر: المحرر الوجيز: ٨/٢.

(٧) ينظر: الفتاوى الكبرى لابن تيمية: ٥٤٠/٣.

وحكى الزجاج والجصاص تخطئة هذا القول عند جميع أهل اللغة[1].

وأما المعنى: فإن كثرة النفقة والعيال يحصل بالتسري كما يحصل بالزوجات ، ومع هذا فقد أباح مما ملكت اليمين ما شاء الإنسان بغير عدد؛ لأن المملوكات لا يجب لهن قسم، ولا يستحققن على الرجل وطئاً[2].

وأيضاً فإن الآية في النساء وما يحل منهن من العدد، والعدل بينهن وعدم الجور، فليس لتأويلها بألا يكثر العيال معنى[3].

قال ابن القيم: "سياق الآية إنما هو في نقلهم مما يخافون الظلم والجور فيه إلى غيره، فإنه قال في أولها ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ﴾ فدلهم سبحانه على ما يتخلصون به من ظلم اليتامى، وهو نكاح ما طاب لهم من النساء البوالغ، وأباح لهم منهن أربعاً، ثم دلهم على ما يتخلصون به من الجور والظلم في عدم التسوية بينهن فقال ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ ثم أخبر سبحانه أن الواحدة وملك اليمين أدنى إلى عدم الميل والجور، وهذا صريح في المقصود"[4].

وأجيب عن الاعتراض على اللفظ: بأن اللفظ صحيح لغة فقد ذكر الأزهري عن ثعلب أنه روى من طريق الفراء عن الكسائي أنه قال: "سمعت كثيراً من العرب يقول عال الرجل إذا كثر عياله، ثم قال وأعال أكثر من عال".

قال الأزهري معلقاً: "وإذا قال مثل الكسائي في كثرته وثقته في عال أنه يكون بمعنى كثر عياله، ولم يخالفه الفراء ولا أحمد بن يحيى[5] فهو صحيح، ولغات العرب كثيرة، والشافعي لم يقل ما قاله حتى حفظه"[1].

---

(١) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ٩/٢، وأحكام القرآن: ٧٢/٢، وانظر: معاني القرآن للنحاس: ١٨٩/١، زاد المسير: ٨/٢.

(٢) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ٩/٢، وأحكام القرآن: ٧٢/٢، الفتاوى الكبرى لابن تيمية: ٥٤٠/٣، تحفة الودود: ١٩، تفسير القرآن العظيم: ٢١٢/٢.

(٣) ينظر: معاني القرآن للنحاس: ١٨٩/١، أحكام القرآن لابن العربي: ٣٣٩/١.

(٤) تحفة الودود: ١٨.

(٥) يعني ثعلب.

(١) ينظر: الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي: ٣٥١، وانظر: تهذيب اللغة : (عول).

وقد صرح ثعلب بأنه لغة عند العرب كما رواه البيهقي عنه[1]، وكذا قال ابن الأعرابي بأنه لغة[2].

وقال أبو عمرو الدوري: هي لغة حمير[3].

وقال أبو حاتم: كان الشافعي أعلم منا بلغات العرب، ولعله لغة[4] .

أيضاً فإن الكسائي حكاه عن كثير من العرب لا عن بعضهم، ومن حفظ حجة على من لم يحفظ.

وأيضاً فلِمَ لا يقبل قول الشافعي ومن قاله من السلف على أنه لغة عند العرب كما يُقبل قول غيرهم من نَقَلة اللغة؟ لاسيما وهم لم يفسروا كلام الله إلا بعد معرفتهم بكلام العرب[5].

وأجيب عن الاعتراض على المعنى بأن : السراري مال يتصرف بالبيع، وليس لهن من الحقوق مثل الزوجات الحرائر، وله أن يَعزل عند الجماع بغير إذنهن فلا يكثر أولاده، وله تكليفهن بالكسب فينفقن على أنفسهن بخلاف الزوجات[6] .

وذهب بعض العلماء إلى توجيه هذا القول ليعود إلى القول الأول فقالوا بأنه عبّر عن المسبب بالسبب لأن كثرة العيال قد ينشأ عنه الجور بين الزوجات[7].

أو هو من عال الرجل أهله يعولهم إذا مالَهم وأنفق عليهم، فعبّر أصحاب هذا القول بكثرة العيال كناية عن العول؛ لأن العول يستلزم وجود العيال، فكأنهم أرادوا: ذلك أدنى ألا تكونوا ممن يعول قوماً[1].

---

(١) سنن البيهقي: ٤٦٦/٧.

(٢) ينظر: المحرر الوجيز: ٨/٢.

(٣) ينظر: تفسير الثعلبي: ٢٤٨/٣، وذكر أنه إمام اللغة بلا مدافع.

(٤) ينظر: معالم التنزيل: ٣٥٩/١، الجامع لأحكام القرآن: ١٦/٤، وانظر: الكشاف: ٣٥٩/١،

(٥) وينظر: التفسير اللغوي للقرآن الكريم للدكتور مساعد الطيار: ٥٦٠، ففيه زيادة بسط لمسألة قبول تفسير السلف اللغوي.

(٦) ينظر: الكشاف: ٣٥٩/١، المحرر الوجيز: ٨/٢، تفسير الرازي: ١٩٥٥/٣.

(٧) ينظر: تفسير الرازي: ١٩٥٥/٣، البحر المحيط: ١٧٣/٣، عمدة الحفاظ: ١٧٠/٣.

(١) ينظر: نزهة القلوب: ١٥٥، الكشاف: ٣٥٩/١، التحرير والتنوير: ٢٠/٤.

الترجيح:

القول الثاني وإن كان له وجه في العربية إلا أن الراجح هو القول الأول لوجوه:

الأول: المشهور من لغة العرب هو الأول، وحمل كلام الله تعالى على المعروف المشهور من لغة العرب أولى كما هو مقرر في قواعد الترجيح.

الثاني: أن كثرة العيال مأمور بها شرعاً كما في حديث معقل بن يسار أن النبي > قال: " تَزَوَّجُوا الْوَدُودَ الْوَلُودَ فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمْ الْأُمَمَ"(١).

الثالث: سياق الآية وموضوعها في النساء وما يحل منهن من العدد، والعدل بينهن وعدم الجور، وإدخال الكلام في معاني ما قبله أولى.

وعلى القول الثاني يكون المعنى: فإن خفت أيها المؤمن ألا تعدل بين النساء فانكح واحدة أو ما ملكت يمينك ذلك أقرب ألا يكثر عيالك أو ألا تكثر نفقاتك، وهو معنى بعيد غريب عن موضوع الآية، والله تعالى أعلم.

---

(١) أخرجه أبو داود: ٢/٢٢٠ رقم (٢٠٥٠) والنسائي: ٣/٢٧١ رقم (٥٣٤٢) وابن حبان في صحيحه: ٩/٣٦٣، والحاكم في مستدركه: ٢/١٧٦، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٢٩٤٠) وفي إرواء الغليل: رقم (١٧٨٤) وينظر: تحفة الودود: ١٩.

قال الله تعالى: ﴿ وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴿٤﴾ ﴾.

وفيها مسألتان:

المسألة الأولى: الخطاب في الآية.

ذكر ابن جُزَيّ / ثلاثة أقوال في المسألة، ورجَّح الأول منها فقال :

" خطاب للأزواج .

وقيل: للأولياء؛ لأن بعضهم كان يأكل صداق وليته .

وقيل: نهي عن الشغار"[(١)].

الدراسة:

اختلف العلماء في المسألة على أقوال:

القول الأول:

الخطاب في الآية للأزواج.

وهذا قول قتادة، وابن زيد، وابن جريج[(٢)] .

وهو قول الجمهور[(٣)] ، وممن اختاره الطبري، والثعلبي، والواحدي، والسمعاني، والبغوي، والزمخشري، وابن العربي، والقرطبي، والشوكاني، والألوسي[(٤)].

واحتجوا بأن الخطاب في الآية التي قبلها للناكحين وهذا معطوف عليه[(٥)].

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ١/١٧٨.

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ٤/٣٠٠، تفسير ابن أبي حاتم: ٣/٨٦٠، ٨٦١، وينظر: المحرر الوجيز: ٢/٨.

(٣) ينظر: زاد المسير: ٢/٨، أحكام القرآن لابن الفرس: ٢/٥٥.

(٤) ينظر: تفسير الطبري: ٤/٣٠٠، تفسير الثعلبي: ٣/٢٤٩، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ١/٢٥٢، تفسير السمعاني: ١/٣٩٧، معالم التنزيل: ١/٤٧٥، الكشاف: ١/٣٦٠، أحكام القرآن: ١/٣٤١، الجامع لأحكام القرآن: ٥/١٧، فتح القدير: ١/٥٣١، روح المعاني: ٤/١٩٨.

(٥) ينظر: تفسير الثعلبي: ٣/٢٤٩، زاد المسير: ٢/٨، تفسير الرازي: ٣/١٩٥٦، الجامع لأحكام القرآن: ٥/١٧.

قال الطبري: " وذلك أن الله تبارك وتعالى ابتدأ ذكر هذه الآية بخطاب الناكحين النساء، ونهاهم عن ظلمهن والجور عليهن، وعرفهم سبيل النجاة من ظلمهن، ولا دلالة في الآية على أن الخطاب قد صُرف عنهم إلى غيرهم، فإذا كان ذلك كذلك فمعلوم أن الذين قيل لهم ﴿ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ﴾ هم الذين قيل لهم ﴿ وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ ﴾ وأن معناه وآتوا من نكحتم من النساء صدقاتهن نحلة؛ لأنه قال في الأول ﴿ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ و لم يقل فأنْكِحوا "[1].

القول الثاني:

الخطاب للأولياء.

وهو قول أبي صالح[2]، والفراء[3]، وجماعة من العلماء[4].

وذلك أن من عادة بعض العرب أن يأكل ولي المرأة مهرها، فدفع الله ذلك بالإسلام[5].

القول الثالث:

الآية نهي عن نكاح الشغار.

وهو قول حضرمي[6] وذلك أنه كان من أولياء النساء من يعطي أخته للرجل على أن يعطيه الآخر أخته، على أن لا كثير مهر بينهما، أو لا مهر بينهما أصلاً، فنهوا عن ذلك[7].

---

(١) تفسير الطبري: ٣٠١/٤.

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ٣٠٠/٤، تفسير ابن أبي حاتم: ٨٦٠/٣.

(٣) ينظر: معاني القرآن: ١٧٩/١.

(٤) قاله الثعلبي. ينظر: تفسيره: ٢٤٩/٣.

(٥) ينظر: تفسير الطبري: ٣٠٠/٤، المحرر الوجيز: ٨/٢، الجامع لأحكام القرآن: ١٧/٥.

(٦) ينظر: تفسير الطبري: ٣٠١/٤، يرويه عنه سليمان التيمي.

وحضرمي هو: حضرمي بن لاحق التميمي اليمامي، فقيه، أخرج له أبو داود والنسائي، يروي عن ابن المسيب وأبي صالح السمان، ويروي عن ابن عباس مرسلاً، وعنه: سليمان التيمي وغيره.

ينظر: الإكمال لابن ماكولا: ٣٢٤/٧، تهذيب الكمال: ٥٥٣/٦، ٦/١٢، تاريخ الإسلام: ٣٤٤/٧.

(٧) ينظر: تفسير الطبري: ٣٠١/٤، زاد المسير: ٨/٢.

وهو يعود للقول السابق.

الترجيح:

الأقوال كلها صحيحة ولا تعارض بينها، فالخطاب للأزواج، ويدخلون فيه دخولاً أولياً لما ذكره أصحاب القول الأول، وهو للأولياء أيضاً ألا يأكلوا مهور مولياتهم بشكل مباشر أو غير مباشر كما في نكاح الشغار، خاصة وقد نزل القرآن في وقت كان بعض العرب يظلم النساء بصور شتى، منها منعهن من الميراث، ومنها أكل مهورهن، ولا دليل يمنع من حمل الخطاب على العموم.

قال ابن عطية: " والآية تتناول هذه الفرق الثلاث"[1]، والله تعالى أعلم.

(١) المحرر الوجيز: ٢/٨.

المسألة الثانية: معنى ﴿نِحْلَةً﴾ .

ذكر ابن جُزَيّ / قولين في المسألة، ورجَّح الأول منهما فقال :

" أي: عطية منكم لهن، أو عطية من الله.

وقيل: معنى نحلة: أي شرعة وديانة"[١] .

الدراسة:

اختلف العلماء في المسألة على قولين:

القول الأول:

نحلة: أي عطية.

وهو قول الفراء، وابن عزيز السجستاني، والراغب الأصفهاني، وابن عطية، وابن العربي، والقرطبي، والسمين الحلبي، وابن عاشور[٢].

وقال أبو عبيدة، ومكي، والسعدي: "عن طيب نفس"[٣] أي: عطية عن طيب نفس[٤].

قال الخليل بن أحمد: " النحل إعطاؤك إنساناً شيئا بلا استعاضة، ونحل المرأة مهرها ويقال أعطيتها مهرها نحلة إذا لم ترد عوضاً"[٥].

والمعنى: وآتوا النساء مهورهن عطية من الله تعالى؛ وذلك لأن الله جعل الصداق على الرجال و لم يجعل على النساء شيئاً[٦].

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ١/١٧٨.

(٢) ينظر: معاني القرآن: ١/١٧٩، نزهة القلوب: ٤٦١، المفردات: ٤٨٧، المحرر الوجيز: ٢/٩، أحكام القرآن: ١/٣٤٢، الجامع لأحكام القرآن: ٥/١٨، عمدة الحفاظ: ٤/١٧٤، التحرير والتنوير: ٤/٢٢.

(٣) ينظر: مجاز القرآن: ١/١١٧، تفسير المشكل من غريب القرآن: ٥٧، تفسير السعدي: ١/٢٧٦.

(٤) ينظر: زاد المسير: ٢/٩. وبه قال السيوطي: "عطية عن طيب نفس" (تفسير الجلالين: ٧٧).

(٥) العين: (نحل) وينظر: الصحاح، ومعجم مقاييس اللغة: (نحل).

(٦) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ٢/١٠، الجامع لأحكام القرآن: ٥/١٨.

أو: وآتوا النساء مهورهن عطية منكم لهن، وسمّاه نحلة "لأن النحلة هي العطية، وليس يكاد يفعلها الناحل إلا متبرعاً بها، طيبة بها نفسه، فأمروا بإيتاء النساء مهورهن بطيبة من أنفسهم كالعطية التي يفعلها المعطي بطيبة من نفسه"[(١)].

أو هو إشارة إلى أن منافع النكاح مشتركة بين الزوجين، فالمهر ليس عوضاً عن البضع، فكل من الزوجين يستمتع بصاحبه، والنحلة هي العطية بلا عوض[(٢)].

قال ابن عاشور: "سمّيت الصدُقات نحلة إبعاداً للصدقات عن أنواع الأعواض، وتقريباً بها إلى الهدية ؛ إذ ليس الصداق عوضاً عن منافع المرأة عند التحقيق، فإنّ النكاح عقد بين الرجل والمرأة قُصد منه المعاشرة، وإيجاد آصرة عظيمة، وتبادل حقوق بين الزوجين، وتلك أغلى من أن يكون لها عوض مالي، ولو جُعل لكان عوضُها جزيلاً ومتجدّداً بتجدّد المنافع وامتداد أزمانها شأن الأعواض كلّها، ولكنّ الله جعله هدية واجبة على الأزواج إكراماً لزوجاتهم، وإنّما أوجبه الله لأنّه تقرّر أنّه الفارق بين النكاح وبين المخادنة والسفاح"[(٣)].

القول الثاني:

نحلة أي: شرعة وديانة.

وهو قول ابن الأعرابي[(٤)]، والسمعاني[(٥)].

يقال فلان ينتحل كذا إذا كان يتدين به، وما نحلتك؟ أي: ما دينك؟[(١)].

---

(١) أحكام القرآن للجصاص: ٢/٧٣، وقول أبي عبيدة ومكي والسيوطي والسعدي فيه هذا الملمح، وقال بعض العلماء: لا تكون نحلة إلا إذا كانت بطيب نفس، أما ما أُكره عليه فلا يكون نحلة. ينظر: معاني القرآن للنحاس: ١/١٩٠، وقال السمين الحلبي: اشتقاق النِّحلة مما يخرجه النحل من العسل، فالمعنى: أعطوهن إياه حلواً سهلاً. ينظر: عمدة الحفاظ: ٤/١٧٤.

(٢) ينظر: أحكام القرآن لابن الفرس: ٢/٥٤، تفسير الرازي: ٣/١٩٥٧، قال ابن الفرس: وفي الآية رد لقول من يرى الصداق عوضاً من البضع.

(٣) التحرير والتنوير: ٤/٢٢.

(٤) ينظر: تهذيب اللغة: (نحل) ، البحر المحيط: ٣/١٧٤.

(٥) ينظر: تفسير السمعاني: ١/٣٩٧، وذكر هذا القول عدد من العلماء كالزجاج والنحاس وابن عزيز وابن عطية وغيرهم.

(١) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ٢/١٠، معاني القرآن للنحاس: ١/١٩٠، نزهة القلوب: ٤٦١، الصحاح: (نحل).

والمعنى: وآتوا النساء مهورهن ديانة.

وروي عن عائشة، وقتادة، وابن جريج، وابن زيد أنهم قالوا نحلة أي: فريضة[١].

وهو بمعنى هذا القول.

قال النحاس: " والمعنى واحد؛ لأن الفرض مُتعبّد به"[٢].

وقال الجصاص: "كأنهم ذهبوا إلى نِحلة الدين، وأن ذلك فرض فيه"[٣].

الترجيح:

القولان صحيحان ولا تعارض بينهما فيحمل المعنى عليهما جميعاً، وهذا من بلاغة القرآن أنْ ذكر لفظاً واحداً يحمل معنيين صحيحين، لكل واحد منهما فائدة، فمعنى العطية سبقت الإشارة إلى لطائفه، ومعنى الديانة والفريضة فيه إشارة إلى احتساب الأجر عند دفع المهر، وإلى كونه واجباً[٤].

قال ابن القيم في تقرير هذا الأصل: " وهذا هو المعهود من ألفاظ القرآن كلها أنها تكون دالة على جملة معان، فيعبر هذا عن بعضها، وهذا عن بعضها، واللفظ يجمع ذلك كله"[٥].

وقال الشنقيطي في تقريره أيضاً: تقرر عند العلماء أن الآية إن كانت تحتمل معاني كلها صحيحة تعين حملها على الجميع[٦].

وقد جمع الطبري بين القولين فقال: عطية واجبة، وفريضة لازمة[١].

وقال ابن كثير: " ومضمون كلامهم أن الرجل يجب عليه دفع الصداق إلى المرأة

---

(١) ينظر: تفسير الطبري: ٤/٣٠٠، تفسير ابن أبي حاتم: ٣/٨٦١.

(٢) معاني القرآن للنحاس: ١/١٩٠.

(٣) أحكام القرآن: ٢/ ٧٣.

(٤) وجوب دفع الزوج المهر للزوجة مجمع عليه بين العلماء. ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٤/١٨.

(٥) جلاء الأفهام: ٣٠٨.

(٦) أضواء البيان: ٢/٢٥٩.

(١) تفسير الطبري: ٣/٣٠٠.

حتماً، وأن يكون طيب النفس بذلك كما يمنح المنيحة ويعطى النِحْلة طيباً بها، كذلك يجب أن يعطى المرأة صداقها طيباً بذلك"[1].

ومعنى الآية إذا كان الخطاب للأزواج واضح من خلال ما سبق.

أما معناها إذا كان الخطاب للأولياء: وآتوا النساء مهورهن شرعة وديانة، عطية من الله لهن لا حق لكم فيها، والله تعالى أعلم.

(١) تفسير القرآن العظيم: ٢/٢١٣.

مسألة: معنى قراءة ﴿ قِيَمًا ﴾ في قول الله تعالى: ﴿ وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا ﴾ [النساء: ٥].

ذكر ابن جُزَيّ / قولين في المسألة، ورجَّح الأول منهما فقال :

" جمع قيمة.

وقيل: بمعنى قياماً بألف، أي تقوم بها معايشكم"[١] .

الدراسة:

للقراء العشرة في الآية قراءتان:

الأولى: ﴿ قِيَمًا ﴾ بلا ألف، وهي قراءة نافع وابن عامر.

الثانية: ﴿ قِيَمًا ﴾ بالألف، وهي قراءة الباقين[٢] .

وقد اختلف العلماء في معنى القراءة الأولى على قولين:

القول الأول:

أنها جمع قيمة، أي: جعل الله المال قيمة وثمناً للأشياء[٣].

وهو قول ابن عطية والسيوطي[٤].

قالوا: وهو كـــ ديمة ودِيَم، وحيلة وحِيَل[٥].

القول الثاني:

أنها بمعنى القراءة الثانية قياماً، أي: جعل الله المال تقوم به معايشكم.

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ١/١٧٨.

(٢) ينظر: النشر في القراءات العشر: ٢/١٨٦، البدور الزاهرة: ١/٢٦٣.

(٣) ينظر: الحجة لابن خالويه: ١١٩، الكشف عن وجوه القراءات السبع: ١/٤١٦، الجامع لأحكام القرآن: ٥/٢٢.

(٤) ينظر: المحرر الوجيز: ٢/١٠، تفسير الجلالين: ٧٧. ونسبه أبو حيان للبصريين عدا الأخفش. ينظر: البحر المحيط: ٣/١٧٨، ولم يتعرض الأخفش في معاني القرآن للمسألة.

(٥) ينظر: الحجة في علل القراءات السبع: ٢/٣٤٢، المحرر الوجيز: ٢/١٠.

وهو قول الكسائي، والفراء، والطبري، وأبي علي الفارسي، والثعلبي، والراغب، والزمخشري، والبيضاوي، وأبي السعود، وابن عاشور[١].

قال الطبري: "قياماً وقيماً وقواماً في معنى واحد، وإنما القيام أصله القوام غير أن القاف التي قبل الواو لما كانت مكسورة جعلت الواو ياء لكسرة ما قبلها، كما يقال صمت صياماً"[٢].

وقوام الشيء: عماده، فهو اسم لما يقوم به الشيء، يقال: فلان قيام أهله، وهو الذي يقيم شأنهم[٣].

وخطّأ أبو علي الفارسي القول الأول مستدلاً بقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ﴾ [الأنعام: ١٦١][٤] ولا يصح معنى القيمة فيها؛ إذ القيمة هي معادلته الشيء ومقاومته، والإسلام لا يعدله شيء، ومثله قوله تعالى: ﴿ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ ﴾ [المائدة: ٩٧] وفي قراءة: ﴿ قِيَمًا ﴾[٥] لا يصح حملها على القيمة، فتعيّن حملهما على معنى القوام والقيام فكذلك هنا يحمل عليه[٦].

وأجيب: بأنه لا يلزم من عدم صحة معناه في الآيتين المذكورتين ألا يصح هنا؛ إذ معناه هنا لائق، وهناك معنى آخر يليق بالآيتين[٧].

---

(١) ينظر: الحجة لابن خالويه: ١١٩، معاني القرآن للفراء: ١٨٠/١، تفسير الطبري: ٣٠٩/٤، الحجة في علل القراءات السبع: ٣٤٢/٢، تفسير الثعلبي: ٢٥٣/٣، المفردات: ٤١٧، الكشاف: ٣٦١/١، أنوار التنزيل: ١٤٨/٢، إرشاد العقل السليم: ٩٩/٢، التحرير والتنوير: ٢٦/٤.

(٢) تفسير الطبري: ٣٠٩/٤. وينظر: الحجة لابن خالويه: ١١٩، فقد نقل عن الكسائي بأنها ثلاث لغات بمعنى واحد.

(٣) ينظر: العين، والصحاح: (قوم)، المفردات: ٤١٧.

(٤) وهي قراءة ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي وخلف بكسر القاف وفتح الياء مخففة، وقرأ باقي العشرة بفتح القاف وكسر الياء مع التشديد (قَيِّماً). ينظر: البدور الزاهرة: ٣٤٣/١.

(٥) وهي قراءة نافع وابن عامر. ينظر: النشر في القراءات العشر: ١٨٦/٢.

(٦) ينظر: الحجة في علل القراءات السبع: ٣٤٢/٢، الكشف عن وجوه القراءات السبع: ٤١٦/١.

(٧) ينظر: البحر المحيط: ١٧٨/٣، الدر المصون: ٥٨٢/٣.

الترجيح:

الراجح – والله أعلم – هو القول الثاني لوجهين:

الأول: يؤيده معنى ﴿ قِيَمًا ﴾ في الآيتين السابقتين كما قال أبو علي الفارسي، وحمل اللفظ عند الاحتمال على المعنى المعهود في القرآن أولى[1] .

الثاني: المعنى على القول الثاني أفخم وأبلغ؛ لأنه مصدر، والإخبار عن الأموال بالمصدر يشعر بالمبالغة في المعنى المراد، بخلاف القول بأنه جمع قيمة فليس فيه إيذان بهذا المعنى الجليل[2].

على أن معنى القول الأول يرجع للقول الثاني كما ذكر الزجاج فقال: وهذا يرجع للثاني، فالمعنى: جعلها الله قيمة الأشياء فبها يقوم أمركم[3]، لكن القول الثاني أرجح من حيث كونه أبلغ وأجزل، والله أعلم.

---

(١) ينظر في تقرير هذه القاعدة: قواعد الترجيح: ١/١٧٢.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ٤/٢٦.

(٣) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ٢/١٢، لسان العرب: (قوم).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَأۡكُلُوهَآ إِسۡرَافٗا وَبِدَارًا أَن يَكۡبَرُواْۚ وَمَن كَانَ غَنِيّٗا فَلۡيَسۡتَعۡفِفۡۖ وَمَن كَانَ فَقِيرٗا فَلۡيَأۡكُلۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِذَا دَفَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡ فَأَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا ٦ ﴾.

فيها خمس مسائل:

المسألة الأولى: هل الدِّين شرط في الرشد في قوله تعالى: ﴿ فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ ﴾؟.

ذكر ابن جُزَيّ / قولين في المسألة، ورجَّح الأول منهما فقال :

" الرشد هو: المعرفة بمصالحه وتدبير ماله، وإن لم يكن من أهل الدين.

واشترط قوم الدين"[1] .

الدراسة:

اختلف العلماء هل الدِّين داخل في معنى الرشد في الآية على قولين:

القول الأول:

الرشد المراد في هذه الآية هو حسن تدبير المال.

و لم يشترطوا الصلاح في الدين.

وهذا قول ابن عباس، ومجاهد، والسدي[2] .

وبه قال أيضاً مالك[3] ، والطبري، والنحاس، والواحدي، وابن الفرس، وابن قدامة، والشوكاني، والألوسي، والسعدي، وابن عاشور، وهو ظاهر كلام ابن العربي[4].

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ١/١٧٩.

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ٤/٣١٤، تفسير سفيان الثوري: ٨٨.

(٣) ينظر: أحكام القرآن لابن العربي: ١/٣٤٧.

(٤) ينظر: تفسير الطبري: ٤/٣١٥، معاني القرآن: ١/١٩١، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ١/٢٥٣، أحكام القرآن لابن الفرس: ٢/٦١، المغني: ٤/٢٩٥، فتح القدير: ١/٥٣٧، تفسير السعدي: ١/٢٧٧، التحرير والتنوير: ٤/٣٢، أحكام القرآن لابن العربي: ١/٣٤٧، وبعض أصحاب هذا القول قال هو: العقل وإصلاح المال. وهما بمعنى واحد؛ فإنه لا يكون حسَن التدبير لماله حتى يكون عاقلاً.

ولم يشترط كذلك الصلاح في الدين أبو حنيفة والجصاص[1].

واستدلوا بدليلين:

الأول: أن الله نكّر ﴿ رُشْدًا ﴾ وهو ينطبق على نوع من الرشد، وهو الرشد في المال، وإلا فأنواع الرشد متعددة، منها الرشد في سياسة الأمة، والرشد في الدعوة إلى الحق وغيرها[2].

الثاني: إجماع العلماء على مسألة مشابهة.

قال الطبري: " وأولى هذه الأقوال عندي بمعنى الرشد في هذا الموضع العقل وإصلاح المال؛ لإجماع الجميع على أنه إذا كان كذلك لم يكن ممن يستحق الحجر عليه في ماله وحَوْز ما في يده عنه وإن كان فاجراً في دينه، وإذ كان ذلك إجماعاً من الجميع فكذلك حكمه إذا بلغ وله مال في يدي وصيّ أبيه أو في يد حاكم قد ولي ماله لطفولته، واجب عليه تسليم ماله إليه إذا كان عاقلا بالغاً مصلحاً لماله غير مفسد...وفي إجماعهم على أنه غير جائز حيازة ما في يده في حال صحة عقله وإصلاح ما في يده الدليل الواضح على أنه غير جائز منع يده مما هو له في مثل ذلك الحال، وإن كان قبل ذلك في يد غيره لا فرق بينهما، ومن فرّق بين ذلك عُكس عليه القول في ذلك، وسُئل الفرق بينهما من أصل أو نظير، فلن يقول في أحدهما قولاً إلا أُلزم في الآخر مثله"[3].

وحكى أبو جعفر النحاس الإجماع أيضاً على عدم الحجر على الكبير العاقل المصلح لماله[4] .

القول الثاني:

الرشد هنا هو الصلاح في الدين وإصلاح المال.

---

(١) ينظر: أحكام القرآن للجصاص: ٢/٨٠، وفسرا الرشد بأنه العقل فحسب.

(٢) ينظر: أحكام القرآن للجصاص: ٢/٨٠، الكشاف: ١/٣٦٢، التحرير والتنوير: ٤/٣٢.

(٣) تفسير الطبري: ٤/٣١٥. ويطلق الطبري كثيرا الإجماع على قول الجمهور.

(٤) ينظر: معاني القرآن: ١/١٩١.

وبه قال ابن عباس أيضاً، وسعيد بن جبير، والحسن[1]، والشافعي، والكيا الهراسي، والبغوي، والرازي، والسيوطي، واكتفى به ابن كثير[2].

واستدلوا بأن:

١- الفاسق لا يوثق على دينه فكيف يوثق على ماله.

٢- وبأن الرشد هو إصابة الخير، والمفسد في دينه لا يكون مصيباً للخير.

٣- وبأن الله قال: ﴿ وَمَآ أَمۡرُ فِرۡعَوۡنَ بِرَشِيدٖ ﴾ [هود: ٩٧] فنفى عنه الرشد؛ لأنه ما كان يراعي مصالح الدين[3].

ويشهد له كثرة إطلاق الرشد في القرآن على الرشد في الدين.

وأجاب ابن العربي عن الأول بأن العيان يرده فإننا نشاهد المتهتك في المعاصي حافظاً لماله؛ فإن غرض الحفظين مختلف، أما غرض حفظ الدين فخوف الله سبحانه، وأما غرض الدنيا فخوف فوات الحوائج والمقاصد وحرمان اللذات التي تنال به[4].

الترجيح:

الراجح – والله أعلم – هو القول الأول؛ فإن الرشد في اللغة هو استقامة الطريق، قال ابن فارس: " الراء والشين والدال أصل واحد يدل على استقامة الطريق... والرُّشد والرَّشد خلاف الغيّ"[5] ، ورشد كل شيء بحسبه، وسياق الآية سباقاً ولحاقاً في الأموال، فاقتضى ذلك تخصيص الرشد بما سيق لأجله، وهو استقامة طريق اليتيم البالغ في المال، وللإجماع الذي حكاه ابن جرير والنحاس على عدم الحجر على الكبير العاقل المصلح لماله

---

(١) ينظر: تفسير الطبري: ٣١٤/٤، تفسير ابن أبي حاتم: ٨٦٦/٣.

(٢) ينظر: أحكام القرآن للشافعي: ١٣٨/١، أحكام القرآن للكيا الهراسي: ٣٢٨/١، معالم التنزيل: ٤٧٨/١، تفسير الرازي: ١٩٦٤/٣، تفسير الجلالين: ٧٨، تفسير القرآن العظيم: ٢١٦/٢.

(٣) ينظر: أحكام القرآن للكيا الهراسي: ٣٢٨/١، أحكام القرآن لابن العربي: ٣٤٧/١ ، تفسير الرازي: ١٩٦٤/٣.

(٤) أحكام القرآن: ٣٤٧/١.

(٥) معجم مقاييس اللغة: (رشد) وينظر: المفردات: ٢٠٢.

بسبب عدم صلاحه في الدين، فهذا مثله.

ثم إن اليتيم البالغ يختبر مرات عديدة قبل دفع المال إليه كاملاً، فلو سُلّم له بعض ماله فاستعمله في المنكرات وفيما لا ينفع فلا يُسلّم بقية المال؛ لأنه أساء التصرف، فليس رشيداً في تدبير المال، فتبين أن عدم الصلاح في الدين إذا تبعه سوء تدبير المال فلا يدفع له المال، أما إذا كان غير صالح في دينه لكنه حسن التصرف في المال فيدفع له ماله كاملاً بعد بلوغه واختباره. والله أعلم.

المسألة الثانية في الآية: اشتراط البلوغ والرشد في دفع المال لليتيم.

ذكر ابن جُزَيّ / قولين في المسألة، وضعّف الثاني لأنه مخالف للقرآن فقال :

" واعتبر مالك البلوغ والرشد، وحينئذ يدفع المال .

واعتبر أبو حنيفة البلوغ وحده ما لم يظهر سفه، وقوله مخالف للقرآن"(١).

الدراسة:

اختلف العلماء في المسألة على قولين:

القول الأول:

يشترط في دفع مال اليتيم إليه أن يكون بالغاً رشيداً يحسن التصرف في المال.

وهو قول جمهور العلماء(٢).

فالرشد عندهم هو حسن التصرف في المال، واختلفوا في اعتبار الصلاح في الدين من الرشد أم لا؟(٣) وكلهم متفقون على أنه لا يكون رشيداً حتى يكون حسن التصرف في المال.

واستدلوا بقول الله تعالى: ﴿وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡ﴾ فعلّق دفع المال إليه على شرطين هما البلوغ، وإيناس الرشد، فلا يثبت الحكم بدونهما، فإذا كان غير رشيد فلا يدفع إليه المال حتى وإن كبر وشاخ(٤).

القول الثاني:

قال أبو حنيفة: لا يدفع إليه المال حتى يكون بالغاً رشيداً غير سفيه.

فاشترط البلوغ والرشد لكنه خالف مذهب الجمهور من وجهين:

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ١/١٧٩.

(٢) ينظر: المغني: ٤/٢٩٦، الجامع لأحكام القرآن: ٥/٢٦، البحر المحيط: ٣/١٧٩.

(٣) كما سبق في المسألة الأولى.

(٤) ينظر: المغني: ٤/٢٩٦، الجامع لأحكام القرآن: ٥/٢٦، أضواء البيان: ١/٢٢٠.

الأول: يرى أن الرشيد هو غير السفيه، فمن كان عاقلاً لم يظهر منه سفه فهو رشيد وإن لم يحسن التصرف في المال.

الثاني: إذا كان سفهياً فلا يدفع إليه ماله حتى يبلغ خمساً وعشرين سنة، فإذا بلغها دفع إليه ماله، حتى وإن استمر معه السفه[1].

واستدل الجصاص للأول بأنه إذا كان اسم الرشد يقع على العقل، ومعلوم أن الله تعالى شرط رشداً منكوراً ولم يشرط سائر ضروب الرشد، اقتضى ظاهر ذلك أن حصول هذه الصفة له بوجود العقل موجباً لدفع المال إليه ومانعاً من الحجر عليه[2].

أما الثاني فدليله قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُواْ﴾ ففيه دلالة على أنه إذا صار في حد الكبر استحق المال إذا كان عاقلا من غير شرط إيناس الرشد؛ لأنه إنما شرط إيناس الرشد بعد البلوغ، فلا يجوز للولي إمساك ماله بعد ما يصير في حد الكبر، وحد الكبر في ذلك خمساً وعشرين سنة؛ لأن مثله يكون جَدّاً، ومحال أن يكون جَدّاً ولا يكون في حد الكبر، ولأنه إذا أمكن أن يكون جداً في هذه السن ولم يؤنس رشده فقد انقطع رجاء التأديب فلا معنى لمنع المال منه[3].

وأجاب العلماء على أدلتهم:

أما الأول فإن الآية في رعاية المال وحفظه فوجب حمل الرشد على الرشد في التصرف في المال[4].

وأما الثاني فيجاب عنه: بأن قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُواْ﴾ من باب المطلق والمقيد، فهو مقيد بالرشد كما في أول الآية، قال القرطبي: والمطلق يرد إلى المقيد باتفاق أهل الأصول[5].

---

(١) ينظر: أحكام القرآن للجصاص: ٦٢/٢، ٨٠، ٨١، المبسوط: ١٦١/٢٤، بدائع الصنائع: ١٧٠/٧. وقال: أبو يوسف ومحمد بن الحسن لا يدفع إليه إذا بلغ خمساً وعشرين سنة إذا لم يؤنس منه الرشد.

(٢) ينظر: أحكام القرآن للجصاص: ٨٠/٢.

(٣) ينظر: أحكام القرآن للجصاص: ٨١/٢، المبسوط: ١٦٢/٢٤.

(٤) ينظر: تفسير الرازي: ١٩٦٥/٣.

(٥) الجامع لأحكام القرآن: ٢٧/٥.

ولأنه مُبذِّر لماله فلا يجوز دفعه إليه كمن له دون ذلك، وما أوجب الحجر قبل خمس وعشرين يوجبه بعدها.

وقد الله تعالى ﴿فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ﴾ [البقرة: ٢٨٢] فأثبت الولاية على السفيه، ولم يحدد عمراً معيناً.

وما ذكروه من كونه جداً ليس تحته معنى يقتضي الحكم، ولا له أصل يشهد له في الشرع، قال ابن العربي: وما يغني كونه جداً إذا لم يكن ذا جَدٍّ[1].

ثم هو متصور فيمن له دون هذه السن، فإن المرأة تكون جدة لإحدى وعشرين سنة، فقياسهم منتقض بمن يمكن أن يكون جداً وله دون خمس وعشرين سنة[2].

الترجيح:

الراجح هو القول الأول لقوة ما استدلوا به؛ فإن الآية صريحة في اشتراط البلوغ والرشد، ويحمل الرشد على ما سيقت الآية لأجله، وهو الرشد في المال بحسن التصرف فيه.

وما ذكروه من الأدلة لتحديد خمس وعشرين سنة ثم يدفع المال إليه وإن كان سفيهاً لا يسلّم لما سبق إيراده من أجوبة العلماء، والله أعلم.

---

(١) أحكام القرآن: ٣٤٧/١، والجد الثانية: بمعنى البخت والحظ.

(٢) ينظر في هذه الأجوبة: المغني: ٢٩٦/٤، أحكام القرآن لابن العربي: ٣٤٧/١، تفسير الرازي: ١٦٥/٣، الجامع لأحكام القرآن: ٢٦/٥.

المسألة الثالثة: هل قول الله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ محكم أم منسوخ؟.

رجّح ابن جُزَيّ / أن الآية محكمة لا منسوخة[1].

الدراسة:

اختلف العلماء في المسألة على قولين:

القول الأول:

الآية محكمة.

وإليه ذهب عامة أهل العلم[2].

القول الثاني:

الآية منسوخة[3].

قال الضحاك: نسختها ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾﴾ [النساء: ١٠][4].

وذكر ابن العربي والقرطبي عن زيد بن أسلم مثله[5].

وقال أبو يوسف – صاحب أبي حنيفة –: " لعل هذه الآية منسوخة بقوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾ [النساء: ٢٩] "[6].

---

(١) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: ١/١٧٩.

(٢) وسيأتي ذكر القائلين به في المسألة التالية.

(٣) ذكر هذا القول عدد من العلماء كابن العربي في أحكام القرآن: ١/٣٤٩، وابن الفرس في أحكام القرآن: ٢/٦٥، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن: ٥/٢٩، وأبو عبيد وأبو داود والنحاس وابن الجوزي في كتبهم في الناسخ والمنسوخ.

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور: ٤/٢٤٠ لأبي داود في ناسخه.

(٥) ينظر: أحكام القرآن لابن العربي: ١/٣٤٩، الجامع لأحكام القرآن: ٥/٢٩.

(٦) ينظر: الناسخ والمنسوخ للنحاس: ٢٩٥، مختصر اختلاف الفقهاء: ٥/٧٨، أحكام القرآن للجصاص: ٢/٨٢.

قال ابن العربي: " من قال إنه منسوخ فهو بعيد لا أرضاه؛ لأن الله تعالى يقول ﴿ فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ وهو الجائز الحسن، وقال ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا ﴾ فكيف ينسخ الظلم المعروف؟ بل هو تأكيد له في التجويز؛ لأنه خارج عنه مغاير له، وإذا كان المباح غير المحظور لم يصح دعوى نسخ فيه، وهذا أبين من الإطناب"(١).

وروي عن ابن عباس أنها منسوخة، وعبارته: " ﴿ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ قال: نسخ من ذلك الظلم والاعتداء، فنسخها ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ [النساء: ١٠]"(٢) وهذا يدل على أنه لم يرد النسخ بالمعنى الاصطلاحي(٣)؛ بل مراده ما هو أعم منه مما يشمل بيان المجمل وتقييد المطلق ونحوه على طريقة السلف في معنى النسخ.

الترجيح:

الآية محكمة غير منسوخة؛ إذ لا دليل على النسخ، وما ورد عن مفسري السلف محمول كله أو بعضه على أن مرادهم التقييد أو البيان والإيضاح، قال الزرقاني: " السلف لم يكونوا يقصدون بالنسخ هذا المعنى الاصطلاحي؛ بل كانوا يقصدون به ما هو أعم منه مما يشمل بيان المجمل وتقييد المطلق ونحوها"(٤).

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي: ٣٤٩/١.

(٢) الناسخ والمنسوخ لأبي عبيد: ٣٧٢، تفسير ابن المنذر: ٥٧٢، الناسخ والمنسوخ للنحاس: ٢٩٥، نواسخ القرآن لابن الجوزي: ١١٤.

(٣) ينظر في تعريفه عند الأصوليين: المستصفى في علوم الأصول للغزالي: ٨٦، الإحكام في أصول الأحكام للآمدي: ١١٤/٣.

(٤) مناهل العرفان في علوم القرآن: ١٨٢/٢.

المسألة الرابعة: المراد بقوله تعالى ﴿وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ .

ذكر ابن جُزَيّ / قولين في المسألة، ورجَّح الأول منهما فقال :

" قال عمر بن الخطاب: المعنى أن يستسلف الوصي الفقير من مال اليتيم فإذا أيسر رده.

وقيل: المراد أن يكون له أجرة بقدر عمله وخدمته"(١).

الدراسة:

اختلف العلماء في المراد بالأكل بالمعروف في الآية على أقوال:

القول الأول:

أنه الأكل على وجه القرض، فإذا كان ولي اليتيم فقيراً فله أن يقترض من مال اليتيم بقدر حاجته، فإذا أيسر ردّه.

وهذا قول عمر بن الخطاب، وابن عباس، وعبيدة السلماني(٢)، وأبي العالية، وسعيد ابن جبير، والشعبي، ومجاهد(٣) .

واختاره الطبري(٤)، وهو أحد قولي الشافعي(٥).

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "إني أنزلت مال الله تعالى مني بمنزلة مال اليتيم،

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ١/١٧٩، وترجيح ابن جُزَيّ للقول الأول حيث ذكر قول من يقتدى به من الصحابة وقدّمه في الذكر. ينظر: الباب الأول: الفصل الأول: ٥٣، ٥٦.

(٢) عبيدة بن عمرو السلماني، أحد الأئمة، أسلم قبل وفاة النبي < بسنتين و لم يره فهو تابعي وحديثه مرسل، وكان أحد أصحاب عبد الله بن مسعود الذين يُقرِئون ويُفتون، قال ابن عيينة: "كان يوازي شريحا في العلم والقضاء" (ت ٧٢).

ينظر: معرفة الثقات: ٢/١٢٤، الكاشف: ١/٦٩٤، جامع التحصيل: ٢٣٤.

(٣) ينظر: تفسير الطبري: ٤/٣١٨، تفسير ابن المنذر: ٥٧٤، تفسير ابن أبي حاتم: ٣/٨٦٩.

(٤) ينظر: تفسير الطبري: ٤/٣٢٤.

(٥) ينظر: الحاوي الكبير: ٥/٣٦٥.

إن استغنيت استعففت، وإن افتقرت أكلت بالمعروف، فإذا أيسرت قضيت"[1].

واستدلوا بلحاق الآية: ﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ﴾ فهو دفع ما يستقرضه الولي من مال اليتيم[2].

علق عليه ابن عطية بأن اللفظ يعم هذا وسواه[3].

وذكر الطبري بأن والي اليتيم ليس مالكاً لمال اليتيم بالإجماع فلا يحل له حينئذ أن يأكل شيئاً منه إلا على وجه القرض[4].

القول الثاني:

للولي إذا حتاج أن يأكل من مال اليتيم بالمعروف، ولا يقضيه إذا أيسر.

وهذا قول عائشة، وإبراهيم النخعي، والحسن، وعطاء، ومكحول، وابن زيد[5].

وإليه ذهب جمهور الفقهاء[6]، وهو قول المالكية[7]، والقول الثاني للشافعي[8] والصحيح عند أصحابه[9]، ورواية عن أحمد[10]، واختاره الواحدي، وابن العربي، وابن قدامة، والقرطبي، وأبو حيان، والشوكاني[11]، وهو ظاهر كلام البغوي وابن الفرس والرازي[12].

---

(١) أخرجه الطبري: ٣١٧/٤، وابن المنذر: ٥٧٤ في تفسيريهما. وصحح إسناده ابن كثير في تفسيره: ٢١٦/٢.

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ٣١٩/٤.

(٣) ينظر: المحرر الوجيز: ١١/٢.

(٤) ينظر: تفسير الطبري: ٣٢٤/٤.

(٥) ينظر: تفسير الطبري: ٣١٨/٤، تفسير ابن المنذر: ٥٧٢، تفسير ابن أبي حاتم: ٨٦٩/٣.

(٦) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢٩/٥، فتح القدير: ٥٣٨/١.

(٧) ينظر: أحكام القرآن لابن الفرس: ٦٧/٢، التحرير والتنوير: ٣٥/٤.

(٨) ينظر: الحاوي الكبير: ٣٦٥/٥.

(٩) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٢١٦/٢.

(١٠) ينظر: المغني: ١٦٦/٤، زاد المسير: ١٢/٢.

(١١) ينظر: الوجيز للواحدي: ٢٥٣/١، أحكام القرآن لابن العربي: ٣٤٩/١، المغني: ١٦٦/٤، الجامع لأحكام القرآن: ٢٩/٥، البحر المحيط: ١٨١/٣، فتح القدير: ٥٣٨/١، نيل الأوطار: ٣٧٤/٥.

(١٢) ينظر: معالم التنزيل: ٤٧٩/١، أحكام القرآن لابن الفرس: ٦٥/٢، تفسير الرازي: ١٩٦٦/٣.

واستدلوا بعدد من الأدلة(١):

١- حديث عبدالله بن عمرو ك أَنَّ رَجُلًا أتى النبي < فقال: إني فَقِيرٌ ليس لي شَيْءٌ وَلِي يَتِيمٌ، قال فقال: "كُلْ من مَالِ يَتِيمِكَ غير مُسْرِفٍ ولا مُبَادِرٍ ولا مُتَأَثِّلٍ"(٢).

٢- ولأنه ناظر في مصلحة غيره مثل الإمام، وقد أجمعت الأمة أن الإمام لا يجب عليه غرم ما أكل بالمعروف؛ لأن الله فرض سهمه في مال الله.

٣- قوله تعالى في الآية ﴿ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا ﴾ مشعر بأن له أن يأكل بقدر الحاجة.

٤- الإذن بالأكل يدل إطلاقه على عدم وجوب الرد عند التمكن، ومن ادّعى الوجوب فعليه الدليل.

واختلف أصحاب هذا القول في مقدار الأكل(٣):

فقالت عائشة وعطاء والواحدي وابن العربي والسيوطي، وهو قول المالكية، والقول الثاني للشافعي والصحيح عند أصحابه، ورواية عن الإمام أحمد: يأكل بقدر عمله وقيامه عليه؛ فكما أن عليه النظر فله الأكل فجرى مجرى الأجرة.

وقال النخعي والحسن ومكحول وابن زيد وأبو حيان والشوكاني : يأكل بقدر حاجته، وإن كان أكثر من عمله.

وقال ابن قدامة: له أقل الأمرين من أجرته أو قدر كفايته؛ لأنه يستحقه بالعمل والحاجة جميعاً، فلم يجز إلا ما وجدا فيه.

ناقش الطبري الأول بأن الأكل بمقدار الأجرة ليس مخصوصاً باليتيم ولا بالفقير، فكل أجير له أجرة معلومة سواء كان فقيراً أم غنياً.

---

(١) ينظر: أحكام القرآن لابن الفرس: ٦٥/٢، تفسير الرازي: ١٩٦٦/٣، الجامع لأحكام القرآن: ٢٩/٥، نيل الأوطار: ٣٧٤/٥.

(٢) أخرجه أبو داود: ١١٥/٣ (رقم ٢٨٧٢) والنسائي: ٢٥٦/٦ (رقم ٣٦٦٨) وأحمد: ٢١٥/٢، قال ابن حجر في الفتح: (٢٤١/٨) إسناده قوي، وحسنه الألباني في إرواء الغليل: ٢٧٧/٥. ومعنى متأثل: أي غير متخذ منه أصل مال. (ينظر: عون المعبود: ٥٣/٨).

(٣) ينظر: مراجع هذا القول في الصفحة السابقة.

وناقش الثاني بأن العلماء لم يرخصوا لوالي مال المجنون والمحجور أن يأكل منه شيئاً ليس قرضاً ولا عوضاً عن عمله، فما الفرق بين أموالهم وأموال اليتامى وكلهم ولاة على الأموال؟[1].

القول الثالث:

الأكل بالمعروف هو كالانتفاع بألبان المواشي والأكل من الثمرة واستخدام العبيد وركوب الدواب إذا لم يُضِرّ بأصل المال، فأما أعيان الأموال وأصولها كالذهب والفضة فليس للولي أخذ شيء منها.

وهو قول ابن عباس، وأبي العالية، والشعبي[2].

وهذا يحتمل أن يكون قولاً آخر لهم، ويحتمل أنه مكمل للقول الأول فيباح للولي الفقير الأخذ والانتفاع بالأشياء اليسيرة إذا لم يضر بالمال، أما الأخذ من أصل المال كالذهب والفضة فلا يأخذ منه إلا على وجه القرض[3] .

القول الرابع:

ليس له الأكل مطلقاً، لا على وجه القرض ولا غيره.

وهو قول الأحناف[4]، واختاره الجصاص، والكيا الهراسي[5].

واستدلوا بقوله تعالى: ﴿ وَءَاتُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْۖ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِۖ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾ ﴾ [النساء: ٢] وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًاۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾ ﴾ [النساء: ١٠] وقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْۚ ﴾ [النساء:٢٩] ونحوها، فهذه آيات محكمة، وآية المسألة محتملة لعدد من الوجوه فوجب ردها

---

(١) ينظر: تفسير الطبري: ٤/٣٢٤.

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ٤/٣٢١، تفسير ابن المنذر: ٥٧٣، وينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٥/٢٩.

(٣) ينظر: تفسير الرازي: ٣/١٩٦٦.

(٤) ينظر: أحكام القرآن للجصاص: ٢/٨١.

(٥) ينظر: أحكام القرآن للجصاص: ٢/٨١، أحكام القرآن للكيا الهراسي: ١/٣٢٩.

للمحكم فلا يأخذ من مال اليتيم شيئاً[1].

وأجاب الرازي بأن هذه آيات عامة وآية المسألة خاصة، والخاص يُرد إلى العام، ثم إن الآيات نهت عن الأكل ظلماً وبالباطل وهذا ليس منه، وهل التراع إلا فيه[2].

وروي عن ابن عباس أنه قال: ليأكل الفقير من ماله هو، يقوت على نفسه حتى لا يحتاج إلى مال اليتيم[3].

وهو بمعنى هذا القول، والسياق يردّه.

القول الخامس:

يأكل من الأرباح، أما أصل المال فلا يأخذ منه شيئاً لا قرضاً ولا غيره.

ذكره القرطبي عن أبي قلابة[4][5]

وهو تقييد يحتاج لدليل.

الترجيح:

الظاهر – والله أعلم – رجحان القول بأن للولي الفقير أن يأكل من مال اليتيم بالمعروف من غير أن يرده إذا أيسر، والمعروف هو أن يأكل بقدر حاجته غير مسرف وغير مضر باليتيم فيراعي حاجته ويراعي حاجة اليتيم لماله؛ لدلالة ظاهر الآية على جواز الأكل بالمعروف من غير قيد، ولحديث عبد الله بن عمرو، ولأن بقية الأقوال لا تسلم من مناقشة. فالقول الأول يناقش بأن الله أطلق الأكل ولم يشرط القضاء، فمن شرط فعليه

---

(١) ينظر: المراجع السابقة.

(٢) ينظر: تفسير الرازي: ١٩٦٦/٣.

(٣) ينظر: تفسير ابن أبي حاتم: ٨٦٩/٣.

(٤) عبدالله بن زيد الجرمي الأزدي البصري، أبو قلابة، أحد الأئمة الأعلام، من عبّاد أهل البصرة وزهادهم،، قال أيوب: "ما أدركت أعلم منه بالقضاء، طُلب له فهرب حتى أتى اليمامة" من أقوال أبي قلابة: " إذا أحدث الله لك علماً فأحدث له عبادة، ولا يكن همك أن تحدّث به الناس، فلعل غيرك ينتفع ويستغني وأنت في الظلمة تتعثر". مات بالشام سنة أربع ومائة، وقيل: بعدها.

ينظر: رجال صحيح مسلم: ٣٦٣/١، المنتظم: ٩١/٧، البداية والنهاية: ٢٣١/٩، طبقات الحفاظ: ٤٣.

(٥) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢٩/٥.

الدليل[1].

ومن قال يأكل بقدر عمله يناقش بأن الله قيّده بالفقر ولو كان كذلك لكان الفقير والغني فيه سواء لأنه أجرة مقابل العمل، وبه يجاب عن قول ابن قدامة.

والقول الثالث يناقش بأنه تخصيص للآية ببعض الأكل دون بعض بلا دليل، وليس كل الأيتام كذلك، فما يصنع الولي الفقير إذا كان يتيمه يملك أموالاً طائلة ليس فيها مواش ولا ثمار، إلا أن يحمل قولهم على التمثيل بأن يأكل ما يسد حاجته ولا يضر باليتيم.

والقولان الرابع والخامس سبقت الإجابة عليهما.

أما قول الطبري ما الفرق بين ولي اليتيم وولي المجنون والمحجور؟ فيجاب بأنه قياس مقابل النص فلا يصح، والآية نص في التفريق، ثم إنه كثيراً ما يكون اليتيم في حجر وليه يسكن ويأكل معه ويتربى مع أولاده، فيكون وليّه مالياً وتربوياً واجتماعياً، فهل يسوغ أن يأكل اليتيم غير طعامهم ويلبس غير لباسهم وهم تحت سقف بيت واحد؟ وهل يحتاج الولي ويستحق الزكاة ويتكفف الناس ومال يتيمه الذي أحسن إليه أعظم الإحسان بين يديه؟ فهل جزاء الإحسان إلا الإحسان.

وربما كان في قوله تعالى﴿ فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ ﴾ ﴿ فَإِذَا دَفَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡ فَأَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا ﴾ إشارة لما ذكرت بأن الولي الفقير يأخذ من المال مراعياً حاجته وحاجة اليتيم لماله؛ ففيها – والله أعلم- أنه مع إباحة أكل الولي الفقيرِ من مال يتيمه بالمعروف إشارة إلى أن هناك مالاً يبقى لليتيم ويدفع إليه عند بلوغه وإيناس الرشد منه، ويُشْهَد على ذلك قطعاً للنزاع والخلاف مستقبلاً، ولا يكون النزاع والخلاف عادة إلا على مال غير يسير.

---

(١) ووجه آخر يتأمل: أن فليستعفف وفليستسلف، بينهما تناسب بلاغي، فلما عدل عنه إلى لفظ الأكل دل على أن القرض غير مراد، والله أعلم.

المسألة الخامسة: هل الأمر في قول الله تعالى: ﴿ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾ ﴾ للندب أم الوجوب؟.

ذكر ابن جُزَيّ / قولين في المسألة، ورجَّح الأول منهما فقال :

" هو ندب.

وقيل: فرض"[1] .

الدراسة:

اختلف المفسرون في المسألة على قولين:

القول الأول:

الأمر بالإشهاد على دفع المال لليتيم للندب.

وهو قول الشافعي، والسمرقندي، والثعلبي، والسمعاني، والبغوي، والخازن، وابن عادل، والسيوطي، والألوسي[2] .

علّل له الشافعي بأن " قوله ﴿ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾ كالدليل على الإرخاص في ترك الإشهاد، لأن الله عز وجل يقول: ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾ أي: إن لم يُشهِدوا، والله أعلم"[3] .

القول الثاني:

الأمر بالإشهاد في الآية للوجوب.

وهو قول الرازي، والقرطبي، ونظام الدين النيسابوري، وأبي حيان[4] .

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ١/١٧٩.

(٢) ينظر: أحكام القرآن للشافعي: ٢/١٢٨، بحر العلوم: ١/٣١٨، تفسير الثعلبي: ٣/٢٦٠، تفسير السمعاني: ١/٣٩٩، معالم التنزيل: ١/٤٨١، لباب التأويل: ١/٤٨٢، اللباب في علوم الكتاب: ٦/١٩٢، تفسير الجلالين: ٧٨، روح المعاني: ٤/٢٠٨.

(٣) أحكام القرآن للشافعي: ٢/١٢٨.

(٤) ينظر: تفسير الرازي: ٣/١٩٦٨، الجامع لأحكام القرآن: ٥/٣٠، غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ٢/٣٥٥، البحر المحيط: ٣/١٨٢.

عُلّل له بأن المصالح تقتضي الوجوب دفعاً للخلاف الذي قد ينشأ بين الولي واليتيم إذا لم يُشهد، ولأنه لو ادّعى اليتيم بأن الولي لم يدفع إليه المال لم يُصَدَّق قول الولي بالدفع له إلا ببيّنة عند كثير من العلماء[1].

وذكر ابن عاشور بأن الأمر هنا يحتمل الوجوب ويحتمل الندب، فإن لوحظ ما فيه من الاحتياط لحقّ الوصيّ كان الإشهاد مندوباً؛ لأنّه حقه فله أن لا يفعله، وإن لوحظ ما فيه من تحقيق مقصد الشريعة من رفع التهارج والخصومات، كان الإشهاد واجباً، وللشريعة اهتمام بتوثيق الحقوق لأنّ ذلك أقوم لنظام المعاملات[2] .

الترجيح:

الراجح هو القول الثاني؛ فالأصل في الأمر الوجوب، ولا صارف له عن ذلك، ويؤيده المصالح المترتبة عليه القاضية على الخلاف.

وأما الاستدلال بقوله تعالى ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴾ فهو قرينة محتملة لا تقوى على معارضة الأصل؛ والمعنى أعم من ذلك، فكفى بالله حسيباً على كل أعمالكم مع اليتامى وقت الولاية عليهم وبعدها، والله أعلم.

---

(١) ينظر: الكشاف: ٣٦٤/١، أحكام القرآن لابن الفرس: ٦٨/٢، تفسير الرازي: ١٩٦٨/٣، الجامع لأحكام القرآن: ٣٠/٥، غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ٣٥٥/٢، البحر المحيط: ١٨٢/٣.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ٣٦/٤.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٨﴾ ﴾.

فيها مسألتان:

المسألة الأولى: هل الآية محكمة أو منسوخة؟.

رجّح ابن جُزَيّ / أن الآية محكمة لا منسوخة[1].

الدراسة:

اختلف العلماء في المسألة على قولين:

القول الأول:

الآية محكمة.

وهو قول عائشة، وأبي موسى الأشعري، وعبيدة السلماني، وسعيد بن جبير، والنخعي، والشعبي، ومجاهد، والحسن، والزهري، وابن زيد[2].

وهو قول أكثر أهل العلم[3].

وممن ذهب إليه أيضاً الشافعي، والطبري، والزجاج، والنحاس، والواحدي، والكيا الهراسي، والبغوي، والزمخشري، وابن العربي، والقرطبي، وأبو حيان، والشوكاني، والسعدي، والزرقاني، وابن عاشور[4].

---

(١) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: ١/١٧٩.

(٢) ينظر: الناسخ والمنسوخ لأبي عبيد: ٢٨، تفسير الطبري: ٤/٣٢٧، تفسير ابن أبي حاتم: ٣/٨٧٤، الناسخ والمنسوخ للنحاس: ٣٠٢، نواسخ القرآن: ١١٥.

(٣) ينظر: معاني القرآن للنحاس: ١/١٩٢، زاد المسير: ٢/١٤، التحرير والتنوير: ٤/٤٠.

(٤) ينظر: أحكام القرآن للشافعي: ١/١٤٧، تفسير الطبري: ٤/٣٣٤، معاني القرآن وإعرابه: ٢/١٤، معاني القرآن للنحاس: ١/١٩٢، الناسخ والمنسوخ للنحاس: ٣٠٢، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ١/٢٥٣، أحكام القرآن للكيا الهراسي: ١/٣٣٤، معالم التنزيل: ١/٤٨٢، الكشاف: ١/٣٦٥، أحكام القرآن لابن العربي: ١/٣٥٣، الجامع لأحكام القرآن: ٥/٣٣، البحر المحيط: ٣/١٨٤، فتح القدير: ١/٥٤٠، تفسير السعدي: ١/٢٧٨، مناهل العرفان: ٢/١٨٨، التحرير والتنوير: ٤/٤٠.

قال ابن عباس: " هي محكمة وليست بمنسوخة"[1].

وقال الحسن: "لم تنسخ، كانوا يحضرون فيُعْطَون الشيء والثوب الخلِق"[2]، وهذا حكاية لفعل السلف في وقته.

وعلّلوا بأنه لا يُلجأ إلى القول بالنسخ إلا إذا تعارض الدليلان على وجه لا يمكن الجمع بينهما، ولا تعارض بين هذه الآية وآية المواريث، فالمراد بالأقارب هنا الأقارب غير الوارثين بقرينة قوله: ﴿ٱلْقِسْمَةَ﴾ والوارثون هم المقسوم لهم[3].

وقال بعض أهل العلم: لا يجوز أن يكون ههنا نسخ؛ لأن الذي يقول إنها منسوخة لا يخلو أمره من إحدى جهتين:

إما أن يقول كانت ندباً ثم نسخت، وهذا محال؛ لأن الندب إلى الخير نسْخُه يعني: لا تفعلوا الخير وهذا من المحال .

أو يقول كانت واجبة فنسخت، وهذا أيضاً لا يكون؛ لأن قائله يقول: إنه كان إذا حضر أولو القربى واليتامى والمساكين أعْطَوهم ولم يُعْطوا العصبة فنُسخ ذلك بالفرض، وهذا لم يُعرف قط في جاهلية ولا إسلام[4] .

القول الثاني:

الآية منسوخة بآية المواريث:﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوْلَٰدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ﴾ الآية [النساء: ١١].

وهو قول أبي مالك، وسعيد بن المسيب، وعكرمة، والضحاك[5]، ورواية أخرى عن

---

(١) أخرجه البخاري: ١٦٦٩/٤ رقم ٤٣٠٠.

(٢) تفسير الطبري: ٣٣٤/٤، تفسير ابن أبي حاتم: ٨٧٤/٣.

(٣) ينظر: تفسير الطبري: ٣٣٠/٣، الجامع لأحكام القرآن: ٣٣/٥، فتح القدير: ٥٤٠/١، تفسير السعدي: ٢٧٨/١.

(٤) ينظر: الناسخ والمنسوخ للنحاس: ٣٠٤.

(٥) ينظر: الناسخ والمنسوخ لأبي عبيد: ٢٨، تفسير الطبري: ٣٢٧/٤، تفسير ابن أبي حاتم: ٨٧٤/٣، الناسخ والمنسوخ للنحاس: ٣٠٢، نواسخ القرآن: ١١٥.

ابن عباس[1].

الترجيح:

الآية محكمة غير منسوخة؛ إذ لا تعارض بين الآيتين فالأولى في الأقارب غير الوارثين واليتامى والمساكين إذا حضروا قسمة الميراث للوارثين أن يُعطوا منه، والثانية في بيان الوارثين وأنصبتهم على التحديد، فلكل موضوع لا يتعارض مع الآخر، ولعل مراد السلف بالنسخ هنا النسخ من وجوب الإعطاء إلى الندب، أو بيان ما أُجمل في الآية الأولى من كيفية القسمة، فالسلف يطلقون على بيان المجمل نسخاً كما ذكر الزرقاني[2]، والله تعالى أعلم.

(١) عند الطبري من طريق العوفيين، وعند ابن أبي حاتم وابن الجوزي من طريق عطاء، وعند النحاس من طريق مجاهد. ينظر: تفسير الطبري: ٣٢٧/٤، تفسير ابن أبي حاتم: ٨٧٤/٣، الناسخ والمنسوخ للنحاس: ٣٠٢، نواسخ القرآن: ١١٥، والقول الأول عنه بأن الآية محكمة رواه البخاري عنه كما سبق فتُقدّم رواية البخاري، أو يُحمل قوله بالنسخ على معنى النسخ من الوجوب إلى الندب، أو على معنى بيان ما أُجمل في الآية الأولى.

(٢) ينظر: مناهل العرفان: ١٨٢/٢، ١٨٣.

المسألة الثانية: الأمر في الآية بإعطاء ذوي القربى واليتامى والمساكين إذا حضروا قسمة الميراث للوجوب أو للندب؟.

ذكر ابن جُزَيّ / قولين في المسألة، ورجَّح الثاني منهما فقال :

" الآية خطاب للوارثين أُمروا أن يتصدقوا من الميراث على قرابتهم وعلى اليتامى وعلى المساكين، فقيل: إن ذلك على الوجوب .

وقيل: على الندب وهو الصحيح"(١) .

الدراسة:

اختلف العلماء في المسألة على قولين:

القول الأول:

الأمر في الآية للوجوب.

وهو قول عبيدة السلماني، ومجاهد، وابن سيرين(٢).

قال مجاهد: "هي واجبة على أهل الميراث ما طابت به أنفسهم" وقال: "ما طابت به الأنفس، حقاً واجباً"(٣).

ومراده: أن الإعطاء واجب، أما مقدار العطاء فبحسب ما تطيب به النفس، وقد حكى الرازي الإجماع على أن العطاء لا تقدير فيه(٤).

وعن ابن سيرين أن عبيدة السلماني قسم ميراث أيتام فأمر بشاة فاشتريت من مالهم، وبطعام فصنع، وقال: لولا هذه الآية لأحببت أن يكون من مالي(٥).

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ١/١٧٩.

(٢) ينظر: الناسخ والمنسوخ لأبي عبيد: ٢٨، تفسير الطبري: ٤/٣٢٨، تفسير ابن أبي حاتم: ٣/٨٧٥، الناسخ والمنسوخ للنحاس: ٣٠٥، وذكر القول بالوجوب كثير من المفسرين كالطبري، وابن عطية، والرازي، والقرطبي وغيرهم.

(٣) ينظر: تفسير الطبري: ٤/٣٢٨، تفسير ابن أبي حاتم: ٣/٨٧٥، الناسخ والمنسوخ للنحاس: ٣٠٥.

(٤) ينظر: تفسير الرازي: ٣/١٩٧١.

(٥) ينظر: تفسير الطبري: ٤/٣٣٤، تفسير ابن أبي حاتم: ٣/٨٧٤.

فالأمر في الآية للوجوب، ولا يصار إلى الندب إلا لقرينة[1]

القول الثاني:

الأمر في الآية للندب.

وإليه ذهب أكثر أهل العلم[2].

وهو ظاهر كلام سعيد بن جبير، والحسن، والسدي[3].

وبه قال النحاس، والجصاص، والثعلبي، والواحدي، والكيا الهراسي، والبغوي، والزمخشري، وابن العربي، وابن الجوزي، والقرطبي، والبيضاوي، والنسفي، والخازن، والشوكاني [4].

واحتجوا بأنه:

١– لو كان لهؤلاء حق معين لبيّن الله تعالى قدر ذلك الحق كما في سائر الحقوق، وحيث لم يبيّن علمنا أنه غير واجب[5].

٢– ولأنه لو كان واجباً لكان استحقاقاً في التركة ومشاركة في الميراث، فيكون لأحد الجهتين معلوم وللآخر مجهول، وذلك مناقض للحكمة وسبب للتنازع والتقاطع، فالمقصود من إعطاء الأقارب غير الوارثين الصلة، وعدم التقدير مع وجوبه سبب للمنازعة والمشاحنة والقطيعة[1].

---

(١) ينظر: فتح القدير: ١/٥٤٠.

(٢) ينظر: معاني القرآن للنحاس: ١/١٩٢، زاد المسير: ٢/١٤.

(٣) ينظر: تفسير الطبري: ٤/٣٣٢، وينظر: المحرر الوجيز: ٢/١٢، أحكام القرآن لابن الفرس: ٢/٧٢.

(٤) ينظر: معاني القرآن: ١/١٩٢، أحكام القرآن للجصاص: ٢/٩٢، تفسير الثعلبي: ٣/٢٦٢، أحكام القرآن للكيا الهراسي: ١٣٣٤، معالم التنزيل: ١/٤٨٢، الكشاف: ١/٣٦٥، أحكام القرآن لابن العربي: ١/٣٥٣، نواسخ القرآن لابن الجوزي: ١١٥، الجامع لأحكام القرآن: ٥/٣٣، أنوار التنزيل: ٢/١٥٢، تفسير النسفي: ١/٢٠٦، لباب التأويل: ١/٤٨٣، فتح القدير: ١/٥٤٠.

(٥) ينظر: الكشاف: ١/٣٦٥، تفسير الرازي: ٣/١٩٧١.

(١) ينظر: أحكام القرآن لابن العربي: ١/٣٥٣، الجامع لأحكام القرآن: ٥/٣٣.

٣- ولأنه لو كان واجباً لتوفرت الدواعي على نقله لشدة حرص الفقراء والمساكين على تقديره، ولو كان ذلك لنقل على سبيل التواتر، ولما لم يكن الأمر كذلك علمنا أنه غير واجب[١].

الترجيح:

الأصل في الأمر الوجوب، لكن دلت القرائن التي ذكرها أصحاب القول الثاني على أنه للندب، فالراجح هو القول الثاني، والله أعلم.

(١) تفسير الرازي: ٣/١٩٧١.

مسألة: المراد بقول الله تعالى:﴿ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾ ﴾ .

ذكر ابن جُزَيّ / قولين في المسألة، ورجَّح الأول منهما فقال :

" معناها الأمر لأولياء اليتامى أن يحسنوا إليهم في حفظ أموالهم، فيخافوا الله على أيتامهم كخوفهم على ذريتهم لو تركوهم ضعافاً، ويقدّروا ذلك في أنفسهم حتى لا يفعلوا خلاف الشفقة والرحمة .

وقيل: الذين يجلسون إلى المريض فيأمروه أن يتصدق بماله حتى يجحف بورثته، فأمروا أن يخشوا على الورثة كما يخشوا على أولادهم"[1] .

الدراسة:

اختلف المفسرون في المراد بالآية على أقوال:

القول الأول:

المراد: أولياء اليتامى، أُمروا أن يحسنوا إليهم في حفظ أموالهم، فيخافوا الله على أيتامهم كخوفهم على ذريتهم لو تركوهم ضعافاً، ويقدّروا ذلك في أنفسهم حتى لا يفعلوا خلاف الشفقة والرحمة.

وهو قول ابن عباس[2]،والزمخشري، والنسفي، وابن كثير، والبقاعي، والشوكاني[3] .

وقال به ابن عاشور وزاد: بأن المراد مع أولياء اليتامى كل من له علاقة بأموال الضعاف من النساء والصبيان كالذين يَحْرِمون النساء من ميراثهن[1] .

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ١/١٧٩.

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ٤/٣٣٧.

(٣) ينظر: الكشاف: ١/٣٦٦، تفسير النسفي: ١/٢٠٦، تفسير القرآن العظيم: ٢/٢٢٢، نظم الدرر: ٢/٢١٩، فتح القدير: ١/٥٤٠.

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٤/٤١.

ويشهد لهذا القول أن الآية التي بعدها في تهديد آكلي أموال اليتامى ظلماً: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا ﴿١٠﴾﴾[1] .

كما جرى قبلها بآيات الحديث عن أموال اليتامى والأمر بحفظها وبعض أحكامها[2].

القول الثاني:

المراد: الذين يجلسون إلى المريض فيأمروه أن يتصدق بماله حتى يجحف بورثته، فأُمروا أن يخشوا على الورثة كما يخشوا على أولادهم فلا يُضِرّون بهم.

وبه قال ابن عباس، وسعيد بن جبير، ومجاهد، والضحاك، وقتادة، والسدي[3]، ومقاتل بن سليمان، والطبري، والسمرقندي، والواحدي، والسمعاني، والبغوي، والرازي[4].

وهو قول جمهور المفسرين[5] .

واستدل له الطبري بقول الله قبلها: ﴿ وَإِذَا حَضَرَ ٱلۡقِسۡمَةَ أُوْلُواْ ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينُ فَٱرۡزُقُوهُم مِّنۡهُ وَقُولُواْ لَهُمۡ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ﴿٨﴾ ﴾ وهي في قسمة الوصية[6]، وهذه الآية متممة لها في الحديث عن الوصية، قال:" فإلحاق حكمه بحكم ما قبله أولى مع اشتباه معانيهما من صرف حكمه إلى غيره بما هو له غير مشبه"[1].

---

(١) وينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٥/٣٥، تفسير القرآن العظيم: ٢/٢٢٢.

(٢) ينظر: تفسير الرازي: ٣/١٩٧٣.

(٣) ينظر: تفسير الطبري: ٤/٣٣٥، تفسير ابن أبي حاتم: ٣/٨٧٧.

(٤) ينظر: تفسير مقاتل: ١/٢١٧، تفسير الطبري: ٤/٣٣٧، بحر العلوم: ١/٣٠٩، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ١/٢٥٤، تفسير السمعاني: ١/٤٠٠، معالم التنزيل: ١/٤٨٣، تفسير الرازي: ٣/١٩٧٣.

(٥) ينظر: تفسير الثعلبي: ٣/٢٦٣.

(٦) وأكثر العلماء على أنها في قسمة الميراث بعد موت المورث. ينظر: زاد المسير: ٢/١٤.

(١) تفسير الطبري: ٤/٣٣٨.

القول الثالث:

بعكس القول الثاني، فالمراد: نهي لحاضري الموصي أن يمنعوه من الوصية لأقاربه والمساكين، وأن يأمروه بالاقتصار على ولده، فيتضرر بذلك أقاربه والمساكين، فقيل لهم كما كنتم تخشون على ذريتكم وتُسرون بأن يحسن إليهم؛ فكذلك فسددوا القول في جهة المساكين والأقارب، واتقوا الله في ضرهم.

وهو قول مقسم[1]، وحضرمي[2] .

ويشهد له أن الآية التي قبله في الحث على إعطاء ذوي القربى واليتامى والمساكين من الميراث إذا حضروا القسمة، وهذه في الحث على ما قبل ذلك، وهو الوصية لهم، ونهي عن منع الموصي عن ذلك، فهي متممة لما ابتدأ الله به من الإحسان إليهم.

الترجيح:

الأقوال كلها محتملة، ولها ما يؤيدها فالقول الأول يشهد له ما ذكروه.

والقول الثاني يؤيده ما قال الطبري، وسواء كانت الآية التي استدل بها في قسمة الوصية أم الميراث، فدلالتها على القول باقية، فموضوعها في المال بعد الوفاة وصية أو إرثاً، فكأنه لما أمر بإعطاء ذوي القربى واليتامى والمساكين ومراعاة حالهم نهى عن ضده، وهو مراعاتهم عند الوصية وإغفال الورثة.

والقول الثالث يؤيده ما ذكرت سابقاً.

فالأقوال كلها محتملة، ولذا حملها بعض المفسرين على العموم[1].

لكن يشهد للقولين الثاني والثالث السياق القريب سباقاً ولحاقاً فقد جاءت هذه الآية

---

(١) مِقسم بن بُجرة أو ابن نَجدة النخعي، أبو القاسم، مولى عبد الله بن الحارث، ويقال له مولى ابن عباس للزومه له، صدوق وكان يرسل، أسلم في حياة النبي > وبايع معاذاً باليمن، شهد فتح مصر، وقاتل أهل الردة، أخرج له البخاري وغيره، مات سنة إحدى ومائة.

ينظر: الهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسداد: ٧٣٣/٢، التقريب: ٥٤٥، الإصابة: ٢٠٤/٦.

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ٣٣٧/٤، وينظر: المحرر الوجيز: ١٣/٢.

(١) ينظر: أحكام القرآن لابن العربي: ٣٥٣/١، وهو ظاهر كلام الجصاص في أحكام القرآن: ٩٣/٢.

وسط الآيات المعنية بالميراث والوصية.

وختم الآية بقوله ﴿ فَلْيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ مشعر أنها فيما يقوله حاضري الوصية للموصي؛ إذ لو كان المراد حفظ مال الأيتام لقال: فليتقوا الله وليفعلوا فعلاً سديداً، فلما ختم الآية بـــ ﴿ وَلْيَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ دلّ على أنها في القول لا الفعل.

ولهذا فالقولان الثاني والثالث أقرب والله أعلم، وعموم ألفاظ الآية يشملهما مع اختلافهما بحسب اختلاف أحوال ورثة الموصي؛ فكأن العموم مراد ليشمل الحالين.

قال ابن عطية: " وهذان القولان لا يطّرد واحد منهما في كل الناس؛ بل الناس صنفان يصلح لأحدهما القول الواحد، وللآخر القول الثاني، وذلك أن الرجل إذا ترك ورثة مستقلين بأنفسهم أغنياء حسن أن يندب إلى الوصية ويحمل على أن يقدم لنفسه، وإذا ترك ورثة ضعفاء مقلّين حسن أن يندب إلى الترك لهم والاحتياط؛ فإن أجره في قصد ذلك كأجره في المساكين، فالمراعى إنما هو الضعف فيجب أن يمال معه"[1] .

(١) المحرر الوجيز: ١٣/٢، قال القرطبي: وهذا التفصيل صحيح. ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٣٦/٥.

مسألة: معنى ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾﴾.

ذكر ابن جُزَيّ / قولين في المسألة، ورجَّح الأول منهما فقال :

" أي: أكلهم لمال اليتامى يؤول إلى دخولهم النار .

وقيل: يأكلون النار في جهنم"[1] .

الدراسة:

اختلف المفسرون في المسألة على قولين:

القول الأول:

أي: أكلهم لمال اليتامى يؤول إلى دخولهم النار، فهم يأكلون ما يصيرون به إلى النار.

وهو قول النحاس، والثعلبي، والواحدي، والراغب الأصفهاني، والزمخشري، والسيوطي، والشوكاني[2] .

لما كان ما يأكلون يؤديهم إلى النار كانوا بمنزلة من يأكل النار، والعرب تقول للشيء الذي يؤدى إلى الشيء: هذا كذا لما يؤدى إليه، مثل قولهم: هذا الموت،أي يؤدي إليه[3] .

القول الثاني:

أنهم يأكلون النار حقيقة يوم القيامة.

وهذا قول السدي، وعبيد الله بن أبي جعفر[4][5]، ومقاتل بن سليمان، والطبري،

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ١/١٨٠.

(٢) ينظر: معاني القرآن: ١/١٩٣، تفسير الثعلبي: ٣/٢٦٣، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ١/٢٥٤، المفردات في غريب القرآن: ٢٩، الكشاف: ١/٣٦٧، تفسير الجلالين: ٧٨، فتح القدير: ١/٥٤١.

(٣) ينظر: معاني القرآن للنحاس: ١/١٩٣، تفسير الثعلبي: ٣/٢٦٣.

(٤) عبيد الله بن أبي جعفر القرشي الأموي مولاهم المصري، عالم فقيه عابد زاهد، أخرج له البخاري وغيره، توفي سنة ١٠٦، وقيل: ١٠٢.
ينظر: التعديل والتجريح: ٢/٨٩٤، تذكرة الحفاظ: ١/١٣٦، لسان الميزان: ٧/٢٩٧.

(٥) ينظر: تفسير الطبري: ٤/٣٣٩، تفسير ابن أبي حاتم: ٣/٨٧٩.

وابن كثير[1] .

الترجيح:

الراجح هو القول الثاني لوجهين:

الأول: الأصل حمل الكلام على الحقيقة، ولا يُعدل به عنها وله فيها محمل صحيح[2].

الثاني : ذكر صور العذاب بالتفصيل أوقع في النفس، وأبلغ في التأثير، وأشد في التنفير من ذكر صورة واحدة مجملة هي دخول النار، وله أمثلة في نصوص الشريعة، منها قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [التوبة: ٣٤ – ٣٥] وقوله تعالى: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [آل عمران: ١٨٠] وقد ثبت في الصحيح من حديث أبي هريرة ط قال قال رسول اللَّهِ < : "من آتَاهُ الله مَالًا فلم يُؤَدِّ زَكَاتَهُ مُثِّلَ له مَالُهُ شُجَاعًا أَقْرَعَ له زَبِيبَتَانِ يُطَوَّقُهُ يوم الْقِيَامَةِ يَأْخُذُ بِلِهْزِمَتَيْهِ يَعْنِي بِشِدْقَيْهِ يقول أنا مَالُكَ أنا كَنْزُكَ ثُمَّ تَلَا هذه الْآيَةَ ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ إلى آخِرِ الْآيَةِ"[3] ففسره < بالتطويق الحقيقي[4]، والله تعالى أعلم.

---

(١) ينظر: تفسير مقاتل: ٢١٧/١، تفسير الطبري: ٣٣٩/٤، تفسير القرآن العظيم: ٢٢٣/٢، وكلام القرطبي وأبي حيان يحتمله، ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٣٦/٥، البحر المحيط: ١٨٧/٣.

(٢) ينظر في تقرير هذه القاعدة: قواعد الترجيح: ٣٨٧/٢.

(٣) أخرجه البخاري: ١٦٦٣/٤ (رقم٤٢٨٩).

(٤) ومثله ما جاء في عذاب المسبل، والزاني، ومن يكذب الكذبة فتبلغ الآفاق ونحوهم؛ إذ من عذابهم أن يعذّبوا بعذاب خاص فيما عصوا الله فيه من جوارحهم، وهنا يُعذب آكل مال اليتيم ظلماً بأكل النار حقيقة يوم القيامة.

وعبّر بالأكل وإن كان يشمل الانتفاع بمال اليتيم ظلماً على أي وجه كان لأنه – كما قال ابن عطية في تفسيره: ١٤/٢ – هو المقصود وبه أكثر الإتلاف للأشياء.

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗاۖ وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ﴿١٩﴾ ﴾.

فيها مسألتان:

المسألة الأولى: معنى ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗا﴾.

ذكر ابن جُزَيّ / ثلاثة أقوال في المسألة، ورجَّح الأول منها فقال:

" قال ابن عباس: (كانوا في الجاهلية إذا مات الرجل كان أولياؤه أحق بامرأته إن شاؤوا تزوجها أحدهم، وإن شاؤوا زوّجوها من غيرهم، وإن شاؤوا منعوها التزوج، فنزلت الآية في ذلك)[1]، فمعنى الآية على هذا لا يحل لكم أن تجعلوا النساء يُورَثن عن الرجال كما يورث المال.

وقيل: الخطاب للأزواج الذين يمسكون المرأة في العصمة ليرثوا مالها من غير غبطة بها.

وقيل: الخطاب للأولياء الذين يمنعون وليّاتهم من التزوج ليرثوهن دون الزوج"[2] .

الدراسة:

اختلف المفسرون في المسألة على أقوال:

القول الأول:

أي: لا يحل لكم أن تجعلوا النساء يُورَثن عن الرجال كما يُورَث المال.

وهو قول ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، والضحاك، والحسن، وعمرو بن دينار،

---

(١) أخرجه البخاري: ٤/١٦٧٠ (رقم ٤٣٠٣).

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل: ١/١٨٣، رجّح ابن جُزَيّ القول الأول حيث ذكر قول من يقتدى به من الصحابة، وقدّمه في الذكر . ينظر: الباب الأول: الفصل الأول.

والسدي، وزيد بن أسلم وابنه، وأبي مجلز[١]، ومقسم[٢].

وبه قال جمهور المفسرين[٣] ، وممن قال به الطبري، والواحدي، والسمعاني، والزمخشري، وابن القيم، والسيوطي، وأبو السعود، والشوكاني، والسعدي، وابن عاشور[٤].

واستدلوا بسبب النزول الآنف ذكره عن ابن عباس[٥] .

فالآية منعٌ لما كان يُصنع في الجاهلية من جعل حق الزوجية حقاً موروثاً ينتقل إلى الوارث كسائر حقوقه، فقد كانت هذه شبهتهم أن حق الزوجية انتقل إليهم من مورِّثهم، فأبطل الله ذلك وحكم بأن الزوجية لا تنتقل بالميراث إلى الوارث؛ بل إذا مات الزوج كانت المرأة أحق بنفسها، ولم يرث نكاحها أحد، فليس النكاح كالمال فينتقل بالميراث[٦].

قال ابن عطية عن هذه العادة الجاهلية: " كانت هذه السيرة في الأنصار لازمة، وكانت في قريش مباحة مع التراضي"[٧] .

القول الثاني:

الخطاب للأزواج الذين يمسكون المرأة في العصمة ليرثوا مالها من غير غبطة بها.

---

(١) أبو مِجْلَز: لاحق بن حميد السدوسي البصري، إمام ثقة فقيه عابد، يروي عن ابن عمر وابن عباس وأنس رضي الله عنهم، توفي سنة ١٠٦.
ينظر: حلية الأولياء: ١١٢/٣، الأنساب: ٢٣٦/٣، الكاشف: ٣٥٩/٢.

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ٣٧٧/٤، تفسير ابن المنذر: ٦١١، تفسير ابن أبي حاتم: ٩٠٢/٣.

(٣) ينظر: زاد المسير: ٢٦/٢.

(٤) ينظر: تفسير الطبري: ٣٧٧/٤، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٢٥٧/١، تفسير السمعاني: ٤٠٩/١، الكشاف: ٣٨٦/١، بدائع التفسير: ٢٦٩/١، تفسير الجلالين: ٨٠، إرشاد العقل السليم: ١١٣/٢، فتح القدير: ٥٥٥/١، تفسير السعدي: ٢٩٢/١، التحرير والتنوير: ٦٧/٤، مع تجويز ابن عاشور للقولين التاليين.

(٥) ينظر: فتح القدير: ٥٥٥/١.

(٦) ينظر: بدائع التفسير: ٢٦٩/١، تفسير الطبري: ٣٨٠/٤.

(٧) المحرر الوجيز: ٢٦/٢.

فالموروث المال لا المرأة نفسها.

ذكره قولاً في الآية ابن عطية، والقرطبي، وأبو حيان ، وجوّزه ابن عاشور[1] .

وضعّفه الشوكاني؛ إذ " فيه تعسّف ظاهر، مع مخالفته لسبب نزول الآية"[2].

القول الثالث:

الخطاب للأولياء الذين يمنعون وليّاتهم من التزوج حتى يمتْن ليرثوهن دون الزوج.

فالموروث كذلك المال لا المرأة نفسها.

ذكره قولاً في الآية الزمخشري، وابن عطية، ، وأبو حيان ، وأبو السعود، وجوّزه ابن عاشور[3] .

وروي عن ابن عباس أنه قال: " كان الرجل إذا مات وترك جارية ألقى عليها حميمه ثوبه فمنعها من الناس، فإن كانت جميلة تزوجها، وإن كانت قبيحة حبسها حتى تموت فيرثها"[4] وقوله قريب من القول الأول، فالولي هو قريب الزوج لا وليها من أهلها، فهو يرث حق الزواج بها إن شاء تزوجها، وإن شاء أمسكها حتى تموت فيرث مالها، فوراثته لمالها فرع عن وراثته لحق الزواج بها.

الترجيح:

الراجح هو القول الأول الذي رجحه ابن جُزَيّ وعليه جمهور المفسرين، بدليل سبب النزول الصحيح؛ فإنه موضح للمقصود. والله تعالى أعلم.

---

(١) ينظر: المحرر الوجيز: ٢٦/٢، الجامع لأحكام القرآن: ٦٣/٥، البحر المحيط: ٢١١/٣، التحرير والتنوير: ٦٨/٤.

(٢) فتح القدير: ٥٥٥/١.

(٣) ينظر: الكشاف: ٣٨٦/١، المحرر الوجيز: ٢٦/٢، البحر المحيط: ٢١١/٣، إرشاد العقل السليم: ١١٣/٢، التحرير والتنوير: ٦٨/٤.

(٤) تفسير الطبري: ٣٨٠/٤، تفسير ابن أبي حاتم: ٩٠٢/٣، وينظر: المحرر الوجيز: ٢٦/٢.

المسألة الثانية: المراد بقوله ﴿وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾.

ذكر ابن جُزَيّ / قولين في المسألة، ورجَّح الأول منهما فقال :

" معناها: إن كرهتم النساء لوجه فاصبروا عليه ، فعسى أن يجعل الله الخير في وجه آخر.

وقيل: الخير الكثير الولد.

والأحسن العموم، وهذا معنى قوله < : لا يفرك مؤمن مؤمنة إن سخط منها خلقاً رضي آخر"[1] .

الدراسة:

القول الأول:

إن كرهتم النساء لوجه فاصبروا عليه، فعسى أن يجعل الله الخير في وجه آخر.

فالآية لم تُحدّد الخير بنوع معيّن، فقد يجعل الله له فيها خيراً من ولد صالح، أو يُبَدِّل الكره محبة ورغبة فتكون سبباً لسعادته، أو غير ذلك من أنواع الخير.

وهو ظاهر عبارات كثير من العلماء في الآية كالشافعي، والطبري، والزمخشري، وابن عطية، وابن العربي، والقرطبي، والنيسابوري، وأبي حيان، وابن كثير، والشوكاني، والألوسي، والسعدي، وابن عاشور[2] .

قال ابن عاشور: " وهذه حكمة عظيمة؛ إذ قد تكره النفوس ما في عاقبته خير، فبعضه يمكن التوصّل إلى معرفة ما فيه من الخير عند غوص الرأي، وبعضه قد علم الله أنّ فيه خيراً لكنّه لم يظهر للناس... والمقصود من هذا الإرشادُ إلى إعماق النظر وتغلغل الرأي

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ١/١٨٤. وسيأتي تخريج الحديث.

(٢) ينظر: أحكام القرآن للشافعي: ١/٢١٥، تفسير الطبري: ٤/٣٨٦، الكشاف: ١/٣٧٦، المحرر الوجيز: ٢/٢٨، أحكام القرآن لابن العربي: ١/٣٨٥، الجامع لأحكام القرآن: ٥/٦٥، غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ٢/٣٧٦، البحر المحيط: ٣/٢١٤، تفسير القرآن العظيم: ٢/٢٤٣، فتح القدير: ١/٥٥٦، روح المعاني: ٤/٢٤٣، تفسير السعدي: ١/٢٩٣، التحرير والتنوير: ٤/٧١.

في عواقب الأشياء، وعدم الاغترار بالبوارق الظاهرة، ولا بميل الشهوات إلى ما في الأفعال من ملائم، حتّى يسبره بمسبار الرأي، فيتحقّق سلامة حسن الظاهر من سُوء خفايا الباطن"[1] .

وفي الحديث الصحيح عن أبي هُرَيْرَةَ قال قال رسول اللَّهِ < "لَا يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مؤمنة إن كَرِهَ منها خُلُقًا رضى منها آخَرَ"[2] .

وقد مثّل السعدي لبعض أنواع الخير الحاصل بالصبر، فمن ذلك امتثال أمر الله وقبول وصيته التي فيها سعادة الدنيا والآخرة، ومنها أن إجباره نفسه مع عدم محبته لها فيه مجاهدة النفس والتخلق بالأخلاق الجميلة، وربما أن الكراهة تزول وتخلفها المحبة كما هو الواقع في ذلك، وربما رزق منها ولداً صالحاً نفع والديه في الدنيا والآخرة، ثم قال: وهذا كله مع الإمكان في الإمساك، وعدم المحذور [3].

القول الثاني:

الخير الكثير: الولد الصالح.

وهو قول ابن عباس، والسدي[4] ، والواحدي، والسيوطي، وأبي السعود[5] .

القول الثالث:

المعنى: إن كرهتموهن ورغبتم في فراقهن، فقد يجعل الله في تلك المفارقة لهن خيراً كثيراً، وذلك بأن تتزوج غيره فيجعل الله له فيها خيراً كثيراً.

وهو مروي عن الحسن، قال: " عسى أن يطلقها فتتزوج غيره، فيجعل الله له فيها خيراً كثيراً"[1].

---

(١) التحرير والتنوير: ٤/٧١.

(٢) أخرجه مسلم: ٢/١٠٩١ (رقم ١٤٦٩). وقوله: لا يفرك: أي لا يبغض. قال بعضهم: الفَرْك: البغض بين الزوجين خاصة. ينظر: مشارق الأنوار على صحاح الآثار: ٢/١٥١، والديباج على مسلم: ٤/٨٠.

(٣) تفسير السعدي: ١/٢٩٣.

(٤) ينظر: تفسير الطبري: ٤/٢٠، تفسير ابن أبي حاتم: ٣/٩٠٥. وينظر: النكت والعيون: ١/٤٦٦.

(٥) ينظر: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ١/٢٥٧، تفسير الجلالين: ٨٠، إرشاد العقل السليم: ٢/١١٤.

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور: ٤/٢٩٢ لعبد بن حميد.

وذلك كقوله تعالى: ﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾ ﴾ [النساء: ١٣٠][1] .

وتُعقِّب بأنه بعيد؛ لأن سياق الآية في الحث على الصبر والاستمرار على الصحبة، فكيف يريد بذلك المفارقة؟[2] .

الترجيح:

الراجح هو القول الأول؛ فإن الله لم يُعيّن خيراً دون آخر، ويُحمل القول الثاني على التمثيل.

قال أبو حيان في التعليق على القول الثاني: وهو على سبيل التمثيل لا الحصر[3].

وما تُعقّب به القول الثالث وجيه، فالسياق يردّه، لكن معناه بذاته -لا تفسيراً للآية- صحيح، فينبغي للزوج أن يصبر ولا يتعجّل بالطلاق فعسى أن يكره شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً، فإن شق عليه الصبر، وغلب على ظنه عدم الوفاق، وخشي من وقوع مفاسد كالتقصير في الواجبات الزوجية، والإخلال بإعفاف نفسه وزوجه، ونشوء الأبناء على المشاكل والخصام فقد جعل الله له في الطلاق مخرجاً، ووعد كلاً منهما بأن يغنيه من فضله كما في آية النساء الآنفة، والله واسع الفضل، حكيم بتشريعه للطلاق، والله تعالى أعلم وأحكم.

---

(١) ينظر: تفسير الرازي: ٤/٢٠٢٠.

(٢) ينظر: تفسير الرازي: ٤/٢٠٢٠، البحر المحيط: ٣/٢١٤.

(٣) البحر المحيط: ٣/٢١٤.

مسألة: النسخ والإحكام في الآية.

قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾﴾.

ذكر ابن جُزَيّ / ثلاثة أقوال في المسألة، ورجَّح الثالث منها:

الأول : أن الآية منسوخة بقوله في البقرة ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٢٩].

الثاني : أنها ناسخة .

والصحيح أنها غير ناسخة ولا منسوخة؛ فإن جواز الفدية على وجه، ومنعها على وجه، فلا تعارض ولا نسخ(١).

الدراسة:

اختُلِفَ في المسألة على أقوال:

القول الأول:

هذه الآية منسوخة بقوله تعالى في البقرة ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٢٩].

وهو قول ابن زيد(٢) .

وعدّه ابن عطية من شواذ الأقوال(٣) .

القول الثاني:

الآية محكمة، وهي ناسخة لآية البقرة.

وهو قول بكر بن عبد الله المزني(٤)، رواه عنه الطبري وابن الجوزي (٥)، وحكاه قولاً

---

(١) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: ١/١٨٤.

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ٤/٣٩٢.

(٣) ينظر: المحرر الوجيز: ٢/٣٠.

(٤) بكر بن عبد الله المزني، أبو عبد الله البصري، ثقة ثبت جليل، من المتعبدين وأهل الفضل في الدين، وممن لزم التواضع الشديد، مات سنة ست ومائة. ينظر: مشاهير علماء الأمصار: ٩٠، التقريب: ١٢٧.

(٥) ينظر: تفسير الطبري: ٢/٥٦٦، نواسخ القرآن: ٨٨.

له عدد من العلماء كالنحاس، والجصاص، وابن عبد البر، والقرطبي، وأبي حيان، فيرى أنها ناسخة لآية البقرة، ولا يجوز أن يأخذ الرجل من زوجته شيئاً مما آتاها إذا أرادت الخلع[١].

وضُعِّف قوله واعتُبِر من شواذ الأقوال، قال النحاس: " هذا قول شاذ خارج عن الإجماع، وليس إحدى الآيتين رافعة للأخرى فيقع النسخ"[٢].

وقال الجصاص: " وهو قول شاذ يردّه ظاهر الكتاب والسنة واتفاق السلف"[٣] .

وقال أبو حيان: " وضُعِّف قوله بإجماع الأمة على إجازة الفدية ، وبأن المعنى المقترن بآية الفدية غير المعنى الذي في آية إرادة الاستبدال"[٤].

وحكى ابن عبد البر كذلك إجماع العلماء على إجازة الخلع بالصداق الذي أصدقها إذا لم يكن مُضرًّاً بها، وخافا ألا يقيما حدود الله[٥].

القول الثالث:

الآية محكمة، وهي غير ناسخة ولا منسوخة.

وهو قول الطبري، والنحاس، وابن عطية، وابن العربي، والشوكاني، وابن عاشور[٦]، وهو ظاهر صنيع كثير من المفسرين[٧].

فهذه الآية تبين أنه لا يجوز للرجل إذا أراد طلاق زوجته من غير نشوز منها، ولا ريبة أتت بها أن يأخذ شيئاً مما آتاها، وآية البقرة تبين أنه يجوز أخذ المال مقابل الخلع إذا

---

(١) ينظر: الناسخ والمنسوخ للنحاس: ٢٢٧، أحكام القرآن للجصاص: ٤٧٤/١، التمهيد: ٣٧٥/٢٣، الجامع لأحكام القرآن: ٦٧/٥، البحر المحيط: ٢١٥/٣.

(٢) الناسخ والمنسوخ للنحاس: ٢٢٧.

(٣) أحكام القرآن للجصاص: ٤٧٤/١.

(٤) البحر المحيط: ٢٠٩/٢.

(٥) ينظر: التمهيد: ٣٦٨/٢٣. وإنما وقع الخلاف في الخلع على أكثر مما أعطاها.

(٦) ينظر: تفسير الطبري: ٣٩٢/٤، الناسخ والمنسوخ للنحاس: ٢٢٧، المحرر الوجيز: ٣٠/٢، أحكام القرآن لابن العربي: ٣٨٩/١، الجامع لأحكام القرآن: ٦٧/٥، فتح القدير: ٥٥٦/١، التحرير والتنوير: ٧٤/٤.

(٧) كالواحدي، والسمعاني، والبغوي، والزمخشري، والرازي، وابن كثير، والسيوطي، وغيرهم، فإنهم قرروا معنى الآية ولم يذكروا أن فيها ناسخاً أو منسوخاً.

كانت المرأة هي المريدة للطلاق وكان النشوز من قبلها، فلا نسخ ولا تعارض[1].

الترجيح:

الراجح هو القول الأخير؛ إذ لا تعارض بين الآيتين، وكل آية تحمل على وجه مستقل -كما سبق بيانه آنفاً- ولا يصار إلى القول بالنسخ مع إمكان الجمع.

قال الطبري: " وليس في حكم إحدى الآيتين نفي حكم الأخرى، وإذا كان ذلك كذلك لم يجز أن يحكم لإحداهما بأنها ناسخة وللأخرى بأنها منسوخة إلا بحجة يجب التسليم لها"[2] .

وقال ابن العربي: " إنما يكون النسخ عند تعذر الجمع، والجمع ممكن، وبه يتم البيان، وتستمر في سبلها الأحكام"[3] ، والله تعالى أعلم.

(١) ينظر: تفسير الطبري: ٣٩٢/٤، نواسخ القرآن: ٨٩.

(٢) تفسير الطبري: ٣٩٢/٤.

(٣) أحكام القرآن لابن العربي: ٣٨٩/١.

مسألة: المراد بـــ ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ في الآية.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾﴾.

ذكر ابن جُزَيّ / قولين في المسألة، ورجَّح الأول منهما فقال :

" أي إلا ما فعلتم في الجاهلية من ذلك وانقطع بالإسلام فقد عفا عنه فلا تؤاخذون به، ويدل على هذا قوله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٢٣] بعد قوله ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ في المرأة الأخرى في الجمع بين الأختين، قال ابن عباس: كانت العرب تحرّم كل ما حرمته الشريعة إلا امرأة الأب والجمع بين الأختين.

وقيل: المعنى إلا ما قد سلف فانكحوه إن أمكنكم، وذلك غير ممكن، فالمعنى المبالغة في التحريم"[(١)] .

الدراسة:

القول الأول:

أي: إلا ما فعلتم في الجاهلية من ذلك فقد عفا عنه فلا تؤاخذون به.

وهو قول الطبري، والجصاص، والواحدي، وابن العربي، والرازي، والخازن، ونظام الدين النيسابوري، وأبي حيان، والسيوطي[(٢)] .

واستدل ابن جُزَيّ على أن المراد بيان العفو عما مضى بقوله تعالى في الآية التي تليها ﴿وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ فختَمَها

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ١/١٨٥، وقول ابن عباس أخرجه الطبري في التفسير: ٤/٣٩٣، وابن المنذر في التفسير: ٦١٨.

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ٤/٣٩٣، أحكام القرآن للجصاص: ٢/١٥٣، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ١/٢٥٨، أحكام القرآن لابن العربي: ١/٣٩٠، تفسير الرازي: ٤/٢٠٢٩، لباب التأويل: ١/٥٠١، غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ٢/٣٨٠، البحر المحيط: ٣/٢١٧، تفسير الجلالين: ٨١.

بذكر المغفرة والرحمة.

فما سلف فهو معفو عنه لا أنهم مُقَرُّون على الاستمرار عليه[1] .

القول الثاني:

إلا ما قد سلف: أي إلا من مات من أزواج آبائكم، فانكحوه إن أمكنكم فلا يحل لكم غيره، وذلك غير ممكن، فالمعنى المبالغة في التحريم.

وهو وقول الزمخشري، وأبي السعود، والألوسي[2] .

فالمراد التعليق بالمحال مبالغة في التحريم ، ونظيره ﴿ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ﴾ [الأعراف: ٤٠][3] .

وتعقبه ابن عاشور بأنه وجه بعيد في آيات التشريع[4] .

الترجيح:

الراجح – والله أعلم – هو القول الأول لوجوه :

الأول: للقرينة التي ذكرها ابن جُزَيّ في الآية الثانية.

الثاني: لأنه المعنى المتبادر للذهن، بخلاف القول الثاني فإنه لا يكاد يتبادر للذهن، فالمقام مقام بيان وتشريع لا مقام تحدّ وتعجيز، ولو ورد هذا الأسلوب في سياق محاجة المعاندين لكان للمعنى الثاني وجه.

الثالث: أنه أغزر فائدة؛ إذ يفيد المعنى الآتي.

فالمراد من هذه الجملة بيان عفو الله عن ما سلف من هذا النكاح، ومن عفوه ورحمته بعباده أن الأولاد والمواريث ونحوها المبنية على هذا النكاح فيما سلف صحيحة، فلم يبطل الله ما ترتب على هذا النكاح من أنساب؛ بل أقرها وعفا عنها، ونهاهم عن هذا النكاح ابتداء أو استدامة؛ فإن الله لا يقر الاستمرار على ما كان فاحشة ومقتاً.

---

(١) ينظر: تفسير الطبري: ٣٩٣/٤، أحكام القرآن للجصاص: ١٥٣/٢.

(٢) الكشاف: ٣٧٨/١، إرشاد العقل السليم: ١١٥/٢، روح المعاني: ٢٤٨/٤.

(٣) ينظر: المراجع السابقة.

(٤) ينظر: التحرير والتنوير: ٧٥/٤.

ومن شواهد عدم الإقرار على النكاح المحرم في الإسلام ما جاء في حديث ابن عمر قال: "أَسْلَمَ غَيْلاَنُ بْنُ سَلَمَةَ الثقفي وَتَحْتَهُ عَشْرُ نِسْوَةٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَأَسْلَمْنَ معه، فَأَمَرَهُ النبي < أَنْ يَخْتَارَ مِنْهُنَّ أَرْبَعاً"(١) فنهاه عن الاستمرار على نكاح ما زاد عن الأربع.

وقول ابن عباس رضي الله عنهما: "كانت العرب تحرّم كل ما حرمته الشريعة إلا امرأة الأب، والجمع بين الأختين" يكشف الحكمة من قوله ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ في الموضعين بخلاف سائر المحرمات في النكاح، فإنه ذكرها ليفيد هذا المعنى.

قال ابن القيم: " لما نهى سبحانه عن نكاح منكوحات الآباء، أفاد ذلك أن وطأهن بعد التحريم لا يكون نكاحاً البتة؛ بل لا يكون إلا سفاحاً فلا يترتب عليه أحكام النكاح من ثبوت الفراش ولحوق النسب، بل الولد فيه يكون ولد زنية، وليس هذا حكم ما سلف قبل التحريم؛ فإن الفراش كان ثابتاً فيه والنسب لاحق، فأفاد الاستثناء فائدة جليلة عظيمة، وهي أن ولد من نكح ما نكح أبوه قبل التحريم ثابت النسب وليس ولد زنا"(٢).

(١) أخرجه الترمذي: ٤٣٥/٣ رقم ١١٢٨، وابن ماجه: ٦٢٨/١ رقم ١٩٢٨، وأحمد: ١٤/٢، وابن حبان: ٤٦٣/٩، والبيهقي في الكبرى: ١٤٩/٧، والحاكم في المستدرك: ٢٠٩/٢، وقال ابن كثير في تفسيره (٢١١/٢) عن إسناد أحمد: رجاله ثقات على شرط الصحيحين.

(٢) بدائع الفوائد: ٥٧٥/٣، و ذكر نحوه ابن عاشور. ينظر: التحرير والتنوير: ٧٥/٤ .

مسألة: المراد بقوله ﴿فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ .

قال الله تعالى: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ ۚ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾﴾.

ذكر ابن جُزَيّ / قولين في المسألة، ورجَّح الأول منهما فقال :

" قال ابن عباس وغيره: معناها إذا استمتعتم بالزوجة ووقع الوطء فقد وجب إعطاء الأجر، وهو الصداق كاملاً .

وقيل: إنها في نكاح المتعة، وهو النكاح إلى أجل من غير ميراث، وكان جائزاً في أول الإسلام فنزلت هذه الآية في وجوب الصداق فيه، ثم حُرِّم عند جمهور العلماء"[(١)] .

الدراسة:

اختلف المفسرون في الآية هل المراد بها النكاح المعروف أو نكاح المتعة على قولين:

القول الأول:

المراد: الاستمتاع بالنساء في النكاح المعروف، والمعنى إذا استمتعتم بالزوجات فقد وجب إعطاء الأجر، وهو الصداق كاملاً .

وهو قول جمهور العلماء[(٢)] ، وممن قال به ابن عباس، ومجاهد، والحسن، وابن زيد[(٣)]،

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ١/١٨٧. ورجّح ابن جُزَيّ القول الأول حيث ذكر قول من يقتدى به من الصحابة، وقدّمه في الذكر . ينظر: الباب الأول: الفصل الأول.

(٢) ينظر: زاد المسير: ٢/٣٥، تفسير الرازي: ٤/٢٠٥١.

(٣) ينظر: تفسير عبد الرزاق: ١/١٥٤، تفسير الطبري: ٥/١٧، تفسير ابن المنذر: ٦٤١، تفسير ابن أبي حاتم: ٣/٩١٩.

والطبري، والزجاج، والنحاس، والجصاص، والواحدي، وابن العربي، وابن الجوزي، وابن كثير، والسيوطي، والألوسي، والسعدي، والشنقيطي[1] .

قال ابن عباس: " إذا تزوج الرجل منكم المرأة، ثم نكحها مرة واحدة فقد وجب صداقها كله ، والاستمتاع هو النكاح، وهو قوله ﴿ وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً ﴾ [النساء: ٤]"[2].

فالمراد الاستمتاع بالمرأة بالنكاح المعروف، فإذا استمتع الرجل بزوجته بالجماع أو بالدخول بها – على خلاف – فقد وجب لها الصداق كاملاً.

واستدلوا لهذا القول بأدلة، من أحسنها ما قال الشنقيطي في تفسيره:

" يعني : كما أنكم تستمتعون بالمنكوحات فأعطوهن مهورهن في مقابلة ذلك، وهذا المعنى تدل له آيات من كتاب الله كقوله تعالى : ﴿ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ﴾ [النساء: ٢١] فإفضاء بعضهم إلى بعض المصرّح بأنه سبب لاستحقاق الصداق كاملاً هو بعينه الاستمتاع المذكور هنا في قوله : ﴿فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ ﴾ وقوله : ﴿ وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً ﴾ [النساء: ٤] وقوله : ﴿ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا ﴾ الآية [البقرة: ٢٢٩] فالآية في عقد النكاح لا في نكاح المتعة... وسياق الآية يدل دلالة واضحة على أنها في عقد النكاح كما بيّنا لا في نكاح المتعة؛ لأنه تعالى ذكر المحرمات التي لا يجوز نكاحها بقوله تعالى : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ ﴾ الخ الآية [النساء: ٢٣] ثم بيّن أن غير تلك المحرمات حلال بالنكاح بقوله : ﴿ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُواْ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ ﴾ ثم بيّن أن من نكحتم منهن واستمتعتم بها

---

(١) ينظر: تفسير الطبري: ١٩/٥، معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٣١/٢، معاني القرآن للنحاس: ٢٠٣/١، أحكام القرآن للجصاص: ١٨٤/٢، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٢٥٩/١، أحكام القرآن لابن العربي: ٤١٠/١، زاد المسير: ٣٥/٢، تفسير القرآن العظيم: ٢٥٨/٢، تفسير الجلالين: ٨٢، روح المعاني: ٥/٥، تفسير السعدي: ٢٩٦/١، أضواء البيان: ٢٣٦/١.

(٢) تفسير الطبري: ١٧/٥، تفسير ابن المنذر: ٦٤٣، تفسير ابن أبي حاتم: ٩١٩/٣.

يلزمكم أن تعطوها مهرها مرتباً لذلك بالفاء على النكاح بقوله:﴿فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ﴾ كما بيّناه واضحاً"[1].

واستدل الجصاص بقوله تعالى في الآية: ﴿مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ﴾ والإحصان لا يكون إلا في نكاح صحيح؛ لأن الواطئ بالمتعة لا يكون محصناً ولا يتناوله هذا الاسم[2].

القول الثاني:

المراد بالآية: نكاح المتعة، وهو أن ينكح امرأة إلى مدة معلومة بشيء معلوم، فإذا انقضت تلك المدة بانت منه بغير طلاق، ويستبرئ رحمها، وليس بينهما ميراث، وكان جائزاً في أول الإسلام فنزلت هذه الآية في وجوب الصداق فيه[3] .

وهو قولٌ لابن عباس ومجاهد أيضاً، والسدي[4] ، ومقاتل بن سليمان[5] ، ونسبه القرطبي والشوكاني للجمهور[6] .

وقرأ أبيّ بن كعب وابن عباس: (فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى)[7].

قال ابن العربي: لم يصح ذلك عنهما[8] .

وعلّق عليها الطبري بأنها قراءة بخلاف ما جاءت به مصاحف المسلمين، وغير جائز لأحد أن يُلحق في كتاب الله تعالى شيئاً لم يأت به الخبر القاطع العذرَ عمن لا يجوز

---

(١) أضواء البيان: ٢٣٦/١ ، ٢٣٨ بتصرف يسير، وينظر: تفسير الطبري: ١٩/٥، معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٣١/٢، زاد المسير: ٣٥/٢، روح المعاني: ٥/٥.

(٢) أحكام القرآن للجصاص: ١٨٦/٢.

(٣) ينظر: لباب التأويل: ٥٠٦/١.

(٤) ينظر: تفسير الطبري: ١٨/٥، تفسير ابن المنذر: ٦٤١.

(٥) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٢٤/١.

(٦) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٨٥/٥، فتح القدير: ٥٦٦/١.

(٧) قراءة أبيّ أخرجها ابن أبي داود في المصاحف: ١٦٤، والطبري في التفسير: ١٨/٥، وعبد بن حميد كما في الدر المنثور: ٣٢٨/٤.

وقراءة ابن عباس أخرجها هولاء ، وأخرجها أيضاً عبد الرزاق في المصنف: ٤٩٨/٧، وأبو عبيد في فضائل القرآن: ٥٠/٢، وابن المنذر في التفسير: ٦٤٢.

(٨) أحكام القرآن لابن العربي: ٤١٠/١.

خلافه[1].

قال الألوسي: القول بأن الآية نزلت في المتعة غلط؛ لأن نظم القرآن يأباه[2].

ولو قيل بأن التعبير بلفظ الأجور في الآية ﴿فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ يدل على أن المقصود الأجرة في نكاح المتعة؛ لأن الصداق لا يسمى أجراً، فالجواب أن القرآن سمّى الصداق أجراً في موضع لا نزاع فيه، وهو قوله تعالى ﴿فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ٢٥] أي : مهورهن بلا نزاع، ومثله قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ [المائدة: ٥] أي: مهورهن[3].

الترجيح:

القولان محتملان، والراجح – والله أعلم – هو القول الأول لقوة ما استدلوا به؛ فإن السياق يشهد له، فإنه بعد أن بيّن المحرمات في النكاح قال ﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ ۚ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ فقوله ﴿فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ توضيح لابتغاء النكاح بالمال وبيان متى يجب إعطاء الزوجة هذا المال، فبيّن تعالى أنه يجب بعد الاستمتاع بها.

قال الزجاج: "المتاع في اللغة كل ما انتفع به فهو متاع، وقوله عز وجل في غير هذا الموضع ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ﴾ [البقرة: ٢٣٦] ليس بمعنى زوّجوهن المُتَع، إنما المعنى أعطوهن ما يستمتعن به"[4] ، فدلالة لفظ الاستمتاع على نكاح المتعة هنا ظنية، والأصل في النكاح إذا أُطلق أن ينصرف للزواج المعهود، وصرفه لغيره لدلالة ظنية غير سديد؛ فإن من القواعد المقرّرة في التفسير أن حمل معاني كلام الله على الغالب من أسلوب القرآن

(١) تفسير الطبري: ١٨/٥.
(٢) روح المعاني: ٥/٥.
(٣) أضواء البيان: ٢٣٦/١.
(٤) معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٣١/٢.

ومعهود استعماله أولى من الخروج به عن ذلك[1] .

هذا بالنسبة لدلالة الآية على أيِّ النكاحين؟ وهو المراد من بحث هذه المسألة[2].

أما بالنسبة لحكم نكاح المتعة فإنه كان مباحاً بلا خلاف ، ثم حُرّم، ثم أُبيح، ثم حُرّم، فأُبيح وحُرّم مرتين أو أكثر، واستقر الأمر على التحريم، فهو نكاح محرم عند عامة أهل العلم، وحُكي التحريم إجماعاً[3] ، وفي حديث سبرة الجهني في صحيح مسلم التصريح بالنهي عنه إلى يوم القيامة، قال: " نهى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عن الْمُتْعَةِ، وقال: ألا إِنَّهَا حَرَامٌ من يَوْمِكُمْ هذا إلى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ كان أَعْطَى شيئاً فلا يَأْخُذْهُ" وفي رواية: " نهى يوم الْفَتْحِ عن مُتْعَةِ النِّسَاءِ"[4] ، والله تعالى أعلم.

(١) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: ١/١٧٢.

(٢) لذا لا يلزم أن من يذهب للقول الثاني في هذه المسألة يرى جواز المتعة، فإنه قد يرى أن الآية في نكاح المتعة ثم يقول بتحريمها لأدلة أخرى، وكذلك العكس، فبحث المفسرين هنا هو في دلالة الآية لا في حكم نكاح المتعة.

(٣) ينظر: شرح صحيح مسلم للنووي: ١٧٩/٩، الجامع لأحكام القرآن: ٨٧/٥، شرح الزرقاني على موطأ مالك: ١٩٩/٣.

(٤) أخرجه مسلم: ١٢٠٧/٢ (رقم ١٤٠٦).

مسألة: معنى قراءة ﴿ أَحْصَنَّ﴾ .

قال الله تعالى:﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُمْ ۚ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ ۚ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ ۚ وَأَن تَصْبِرُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٥﴾ ﴾.

ذكر ابن جُزَيّ / قولين في معنى قراءة الفتح، ورجَّح الأول منهما فقال :

" أسلمن.

وقيل: تزوجن"[1].

الدراسة:

لقوله تعالى: ﴿أُحْصِنَّ ﴾ قراءتان:

الأولى: ﴿ أَحْصَنَّ﴾ بفتح الهمزة والصاد، وهي قراءة حمزة، والكسائي، وخلف، وشعبة.

الثانية: ﴿أُحْصِنَّ ﴾ بضم الهمزة وكسر الصاد، وهي قراءة بقية العشرة[2].

وقد اختلف العلماء في معنى القراءة الأولى قراءة الفتح على قولين:

القول الأول:

أي: أسلمن، فالإحصان هنا الإسلام.

وهو قول ابن مسعود، والنخعي، والشعبي[3].

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ١/١٨٨.

(٢) ينظر: النشر: ٢/١٨٧، البدور الزاهرة: ١/٢٦٨.

(٣) ينظر: تفسير الطبري: ٥/٢٩، ٣١، وينظر: تفسير القرآن العظيم: ٢/٢٦١.

واختاره الشافعي – في أحد قوليه- والطبري، وأبو علي الفارسي، والقرطبي[1]، وهو ظاهر كلام مكي بن أبي طالب، والشوكاني[2] .

ونسبه الكيا الهراسي لأكثر العلماء[3] .

وذلك لأنه يجب على الأمة الحد إذا زنت وإن لم تكن متزوجة كما دلت عليه السنة[4] في حديث أبي هُرَيْرَةَ ط أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ > سُئِلَ عن الْأَمَةِ إذا زَنَتْ ولم تُحْصِنْ قال: "إن زَنَتْ فَاجْلِدُوهَا، ثُمَّ إن زَنَتْ فَاجْلِدُوهَا، ثُمَّ إن زَنَتْ فَبِيعُوهَا وَلَوْ بِضَفِيرٍ"[5].

القول الثاني:

أي: تزوجن، فالإحصان هنا الزواج.

وهو قول ابن عباس، وسعيد بن جبير، ومجاهد، والحسن، وقتادة[6] ، والقول الآخر للشافعي، وابن عبد البر، والسمعاني، والبغوي، والبيضاوي، والخازن، وابن كثير، والسيوطي، وأبي السعود، وابن عاشور، والشنقيطي[7] ، ومال إليه ابن الفرس، وأبو حيان[8].

واستدلوا:

١- بأن الله ذكر الإيمان قبل ذلك فقال ﴿ مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ فهن مؤمنات

---

(١) ينظر: أحكام القرآن للشافعي: ٣٠٨/١، تفسير الطبري: ٢٨/٥، الحجة في علل القراءات السبع: ٣٥٨/٢، الجامع لأحكام القرآن: ٩٤/٥.

(٢) ينظر: الكشف: ٤٢٥/١، فتح القدير: ٥٦٨/١.

(٣) ينظر: أحكام القرآن للكيا الهراسي: ٤٣٤/١.

(٤) ينظر: أحكام القرآن للشافعي: ٣٠٩/١، الكشف: ٤٢٥/١.

(٥) متفق عليه: أخرجه البخاري: ٧٥٦/٢ رقم ٢٠٤٦، ومسلم: ١٣٢٩/٣، رقم ١٧٠٣.

(٦) ينظر: تفسير الطبري: ٣١/٥، تفسير ابن المنذر: ٦٥٢، تفسير ابن أبي حاتم: ٩٢٣/٣، وينظر: تفسير القرآن العظيم: ٢٦٢/٢.

(٧) ينظر: أحكام القرآن للشافعي: ٣١٢/١، التمهيد: ١٠٤/٩، تفسير السمعاني: ٤١٦/١، معالم التنزيل: ٥٠٩/١، أنوار التنزيل: ١٧٤/٢، لباب التأويل: ٥١٠/١، تفسير القرآن العظيم: ٢٦٢/٢، تفسير الجلالين: ٨٢، إرشاد العقل السليم: ١٢٦/٢، التحرير والتنوير: ٩٥،٩٤/٤، أضواء البيان: ٢٣٩/١.

(٨) ينظر: أحكام القرآن لابن الفرس: ١٥٣/٢، البحر المحيط: ٢٣٤/٣.

ابتداء مما يغني عن ذكره ثانية، فوجب حمل قوله ﴿ أَحْصَنَّ﴾ على معنى آخر يفيد معنى جديداً[1].

واستحسن ابن عاشور هذا الدليل وقال: " وهو تدقيق، وإن أباه ابن عطية"[2].

٢– أن المسلمة داخلة تحت قوله: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ﴾[النور: ٢] فتناولها عموم هذا الخطاب؛ مما يغني عن النص عليه[3].

٣– سؤال الصحابة عن الأمة إذا زنت و لم تحصن في حديث أبي هريرة يقتضي أنهم فهموا من القرآن أن معنى ﴿ أَحْصَنَّ﴾ تزوجن، وجواب النبي **<** على ذلك يقتضي تقرير المعنى[4].

قال ابن عبد البر: "ظاهر قول الله عز وجل يقضي أن لا حَدَّ على الأمة وإن كانت مسلمة إلا بعد التزويج، ثم جاءت السنة بجلدها وإن لم تحصن، فكان ذلك زيادة بيان"[5].

وقال الشنقيطي: " مفهوم هذه الآية فيه إجمال وقد بينته السنة الصحيحة، وإيضاحه أن تعليق جلد الخمسين المذكور في الآية على إحصان الأمة يفهم منه أن الأمة التي لم تحصن ليست كذلك فقط، فيحتمل أنها لا تجلد، ويحتمل أنها تجلد أكثر من ذلك أو أقل، أو ترجم، إلى غير ذلك من المحتملات، ولكن السنة الصحيحة دلت على أن غير المحصنة من الإماء كذلك، لا فرق بينها وبين المحصنة"[1].

والحكمة في التعبير بلفظ الإحصان في الآية التنبيه على أن المملوكة وإن كان محصنة

---

(١) ينظر: التمهيد: ١٠٤/٩، أحكام القرآن لابن العربي: ٤٢٤/١، أحكام القرآن لابن الفرس: ١٥٣/٢، تفسير القرآن العظيم: ٢٦١/٢.

(٢) التحرير والتنوير: ٩٤/٤.

(٣) ينظر: أحكام القرآن لابن العربي: ٤٢٤/١.

(٤) ينظر: المحرر الوجيز: ٣٩/٢، البحر المحيط: ٢٣٣/٣، أضواء البيان: ٢٣٩/١.

(٥) التمهيد: ١٠٤/٩.

(١) أضواء البيان: ٢٤٠/١.

بالتزويج فلا رجم عليها، إنما حدها الجلد بخلاف الحرة[1].

نوقش الدليل الأول: بأن قوله ﴿ مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ إنما هو في شأن النكاح، وقد استأنف ذكر حكم آخر غيره وهو الحد، فجاز استئناف ذكر الإسلام، فيكون تقديره: فإذا كن مسلمات فأتين بفاحشة فعليهن كذا، وهذا لا يدفعه أحد[2].

وأجاب أبو حيان بأن كلامهم ليس بظاهر؛ لأن أسلمن فعل دخلت عليه أداة الشرط، فهو مستقبل مفروض التجدد والحدوث فيما يستقبل، فلا يمكن أن يعبر به عن الإسلام، لأن الإسلام متقدم سابق لهن. ثم إنه شرط جاء بعد قوله تعالى : ﴿ فَٱنكِحُوهُنَّ ﴾ فكأنه قيل: فإذا أحصن بالنكاح فإن أتين بفاحشة[3] .

الترجيح:

الظاهر – والله أعلم – رجحان القول الثاني؛ لأنه سبق بيان إيمانهن في قوله: ﴿ مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ مما يغني عن تكراره.

وقد قال الله تعالى بعد ذلك ﴿ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ ۚ وَأَن تَصْبِرُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ فهو حديث واحد متصل بعضه ببعض، وهو الحديث عن نكاح الإماء المؤمنات، فلا حاجة حينئذ لتكرار ذكر الإيمان وقد ذكره من قبل ما دام المتحَدَّث عنه واحداً وإن تعددت الأحكام المتعلقة به، وحمل المعنى على التأسيس أولى من حمله على التأكيد.

---

(١) ينظر: معالم التنزيل: ٥٠٩/١، أحكام القرآن للجصاص: ٢١٢/٢، وجمهور العلماء كما ذكر ابن كثير: (٢٦١/٢) يرون أن الأمة إذا زنت فعليها خمسون جلدة، سواء كانت مسلمة أو كافرة، متزوجة أو بكراً. فلا يعملون بمفهوم الآية على كلا القولين.

(٢) ينظر: أحكام القرآن للجصاص: ٢١٢/٢، تفسير الطبري: ٢٩/٥، المحرر الوجيز: ٣٩/٢، تفسير الرازي:٢٠٦٤/٤.

(٣) البحر المحيط: ٢٣٣/٣.

مسألة: المراد بـ ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ في قول الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾﴾.

ذكر ابن جُزَيّ / ثلاثة أقوال في المسألة، ورجَّح الأخير منها فقال:

" وهم هنا الزناة عند مجاهد.

وقيل: المجوس لنكاحهم ذات المحارم.

وقيل: عام في كل متبع شهوة، وهو أرجح"(١).

الدراسة:

اختلف المفسرون في المسألة على أقوال:

القول الأول:

هم الزناة.

وهو قول مجاهد(٢)، واختاره الشوكاني(٣) .

القول الثاني:

هم المجوس لنكاحهم ذوات المحارم(٤).

القول الثالث:

هم اليهود، وكانوا يريدون من المسلمين اتباع شهواتهم في إباحة نكاح الأخوات من الأب.

وهو قول مقاتل بن حيّان(١)، ومقاتل بن سليمان(٢).

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ١/١٨٨.

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ٥/٣٧، تفسير ابن أبي حاتم: ٣/٩٢٥.

(٣) ينظر: فتح القدير: ١/٥٧٠.

(٤) حكاه قولاً في الآية عدد من المفسرين و لم ينسبوه لأحد. ينظر: الكشاف: ١/٣٨٥، تفسير الرازي: ٤/٢٠٦٧، البحر المحيط: ٣/٢٣٦، لباب التأويل: ١/٥١٢.

(١) ينظر: تفسير ابن أبي حاتم: ٣/٩٢٥، وينظر: تفسير السمعاني: ١/٤١٨.

(٢) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ١/٢٢٥.

القول الرابع:

هم اليهود والنصارى.

وهو قول السدي[1] .

القول الخامس:

الآية عامة في كل من يتبع الشهوات، ويقدمها على طاعة ربه.

وبه قال الطبري، والواحدي، والقرطبي، والبيضاوي، والنسفي، وأبو حيّان، وابن كثير، والسعدي[2].

وذلك لأن لفظ الآية عام فيحمل على العموم[3].

وبالعموم قال أيضاً ابن زيد[4]، وابن عاشور[5]، إلا أنهما حملا الآية على غير المسلمين كما هو ظاهر كلامهما.

الترجيح:

الآية عامة في كل من يتبع الشهوات، ويقدمها على طاعة ربه.

وتُحمل بقية الأقوال على التمثيل.

وفي الآية إشارة لأوصاف المراد بذلك:

فقوله ﴿ أَن تَمِيلُواْ مَيْلًا عَظِيمًا ﴾ يدل على أنها شهوات ومعاص كبيرة، فإن الشهوات والمعاصي الصغيرة لا يودُّ أصحابها الميل العظيم.

---

(١) ينظر: تفسير الطبري: ٣٧/٥، تفسير ابن أبي حاتم: ٩٢٥/٣.

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ٣٨/٥، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٢٦١/١، الجامع لأحكام القرآن: ٩٨/٥، ٩٨/٥، أنوار التنزيل: ١٧٥/٢، تفسير النسفي: ٢١٧/١، البحر المحيط: ٢٣٦/٣، تفسير القرآن العظيم: ٢٦٧/٢، تفسير السعدي: ٢٩٩/١.

(٣) ينظر: تفسير الطبري: ٣٨/٥.

(٤) ينظر: تفسير الطبري: ٣٧/٥، وحمل ابن عطية والقرطبي كلامه على العموم مطلقاً من غير تقييد بغير المسلمين. ينظر: المحرر الوجيز: ٤٠/٢، الجامع لأحكام القرآن: ٩٨/٥.

(٥) ينظر: التحرير والتنوير: ٩٨/٤.

وقوله ﴿ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ ﴾ فعل مضارع مضعّف يدل على الاستمرار والتكرار، فهم مصرّون على اقتراف المعاصي الكبيرة مرة بعد أخرى لا يُنيبون ولا يرعوون.

وقال ﴿ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ ﴾ ولم يقل (يفعلون الشهوات) ليدل على أن شهواتهم وأهوائهم هي التي تقودهم، وهم يتّبعونها ويلهثون وراءها.

فمن انطبقت عليه هذه الأوصاف فهو داخل في معنى الآية مسلماً كان أو كافراً. والله أعلم.

مسألة: المراد بضعف الإنسان في قول الله تعالى: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا ٢٨ ﴾.

قال ابن جُزَيّ / :

" قيل معناه لا يصبر [عن] النساء، وذلك مقتضى سياق الكلام .

واللفظ أعم من ذلك"(١).

فبيّن أن القول الأول وإن كان يدل عليه السياق؛ إلا أن المعنى لا يقتصر عليه فاللفظ أعم منه.

الدراسة:

اختلف المفسرون في المسألة على أقوال:

القول الأول:

أنه الضعف في أمر النساء فلا يصبر عنهن.

وهذا قول طاووس بن كيسان، وابن زيد(٢)، ومقاتل بن سليمان، والطبري، والسمرقندي، وابن أبي زمنين(٣)، والماوردي، والواحدي، والخازن(٤).

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ١٨٨/١، وما بين المعقوفين في المطبوع: على، والتصحيح من مخطوطة (أ) ل:٣٧-ب.

(٢) ينظر: تفسير عبد الرزاق: ١٥٤/١، تفسير الطبري: ٣٨/٥ ، تفسير ابن أبي حاتم: ٩٢٦/٣.

(٣) محمد بن عبد الله بن عيسى المري، الإمام المعروف بابن أبي زمنين، كان عارفا بمذهب مالك بصيرا به ومن الراسخين في العلم، متفننا في الأدب والشعر، مقتفيا لآثار السلف مع الزهد والنسك وصدق اللهجة والإقبال على الطاعة، له: المنتخب في الأحكام، أصول السنة، قدوة القارئ، حياة القلوب في الزهد، قال الذهبي: ومن كتبه اختصار المدونة ليس لأحد مثله، توفي سنة ٣٩٩.
ينظر: ترتيب المدارك: ٢٥٩/٢، العبر: ٧٣/٣، طبقات المفسرين للسيوطي: ١٠٤، شذرات الذهب: ١٥٦/٣.

(٤) ينظر: تفسير مقاتل: ٢٢٥/١، تفسير الطبري: ٣٨/٥، بحر العلوم: ٣٢٣/١، تفسير ابن أبي زمنين: ٣٦٣/١، النكت والعيون: ٤٧٤/١، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٢٦١/١، لباب التأويل: ٥١٢/١.

ونسبه الثعلبي لأكثر المفسرين[١].

قال طاووس: " في أمور النساء، ليس يكون الإنسان في شيء أضعف منه في النساء"[٢].

ويدل عليه السياق قبله ففيه الترخيص في نكاح الإماء بشروطه[٣].

القول الثاني:

أنه الضعف أمام الهوى والشهوات.

وهذا أعم من الأول، فلم يقصره على شهوة معينة.

وهو قول الزجاج، والرازي، والقرطبي، والسيوطي، والشوكاني[٤] .

وقال ابن كثير: ضعيف في نفسه، وضعيف في عزمه وهمته[٥] .

وقال الزمخشري، والبيضاوي، والنسفي، وأبو السعود: لا يصبر عن الشهوات، ولا على مشاق الطاعات[٦]، وبنحوه قال ابن عاشور[٧] .

وهي بمعنى هذا القول.

---

(١) ينظر: تفسير الثعلبي: ٢٩١/٣.

(٢) تفسير الطبري: ٣٨/٥، وقد نقل الثعلبي (٢٩١/٣) والقرطبي: (٩٨/٥) وغيرهما في تفسير هذه الآية عن بعض السلف أقوالاً في التحذير من فتنة النساء يحسن إيرادها: قال سعيد بن المسيب: ما أيس الشيطان من بني آدم إلاّ أتاه من قِبل النساء، وقد أتى عليَّ ثمانون سنة وذهبت إحدى عينيّ وأنا أعشى بالأخرى، وأن أخوف ما أخاف عليّ فتنة النساء .

وقال عبادة بن الصامت: ألا ترونني لا أقوم إلاّ رفدا، ولا آكل إلاّ ما لُوِّق لي – يعني لُيّن لي- وقد مات صاحبي منذ زمان – قال القرطبي: يعني ذكره- وما يسرني أني خلوت بامرأة لا تحل لي وأن لي ما تطلع عليه الشمس مخافة أن يأتيني الشيطان فيحركه عليّ، إنه لا سمع له ولا بصر.

(٣) ينظر: آية ٢٥ من سورة النساء.

(٤) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ٣٦/٢، تفسير الرازي: ٢٠٦٨/٤، الجامع لأحكام القرآن: ٩٨/٥، تفسير الجلالين: ٨٣، فتح القدير: ٥٧٠.

(٥) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٢٦٧/٢.

(٦) ينظر: الكشاف: ٣٨٥/١، أنوار التنزيل: ١٧٦/٢، تفسير النسفي: ٢١٨/١، إرشاد العقل السليم: ١٢٧/٢.

(٧) ينظر: التحرير والتنوير: ٩٩/٤.

القول الثالث:

أنه الضعف في أصل الخِلْقة، فقد خُلق من ماء مهين.

قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ﴾ [الروم: ٥٤][(١)].

واعترض عليه أبو السعود بأن المقام لا يساعده "فإن الجملة اعتراض تذييلي مسوق لتقرير ما قبله من التخفيف بالرخصة في نكاح الإماء، وليس لضعف البنية مدخل في ذلك، وإنما الذي يتعلق به التخفيف في العبادات الشاقة"[(٢)].

القول الرابع:

أنه الضعف في كل شيء.

وبه قال الثعلبي، والسعدي[(٣)] .

وقال ابن القيم بعد أن أورد الأقوال الثلاثة الأولى: "والصواب أن ضعفه يعم هذا كله، وضعفه أعظم من هذا وأكثر؛ فإنه ضعيف البُنية، ضعيف القوة، ضعيف الإرادة، ضعيف العلم، ضعيف الصبر، والآفات إليه مع هذا الضعف أسرع من السيل في صبب الحدور، فبالاضطرار لا بد له من حافظ معين يقويه ويعينه وينصره ويساعده، فإن تخلى عنه هذا المساعد المعين فالهلاك أقرب إليه من نفسه"[(٤)].

وقوله يَحتمِل أنه أراد أن الآية عامة في ضعف الإنسان في كل شيء، ويحتمل أنه أراد شمول الآية للأقوال الثلاثة الأولى ثم وضح أن ضعف الإنسان في كل شيء مستفاد من الواقع المشاهد استطراداً لا تفسيراً، والأول ألصق بكلامه.

وقال ابن عطية: " المقصد الظاهر بهذه الآية أنها في تخفيف الله تعالى ترك نكاح الإماء بإباحة ذلك، وأن إخباره عن ضعف الإنسان إنما هو في باب النساء، أي لما علمنا

---

(١) ينظر: تفسير الثعلبي: ٢٩١/٣، زاد المسير: ٣٩/٢، إرشاد العقل السليم: ١٢٧/٢، ونسبوه للحسن البصري.

(٢) إرشاد العقل السليم: ١٢٧/٢.

(٣) ينظر: تفسير الثعلبي: ٢٩١/٣، تفسير السعدي: ٢٩٩/١.

(٤) طريق الهجرتين: ١٨٥.

ضعفكم عن الصبر عن النساء خففنا عنكم بإباحة الإماء...ثم بعد هذا المقصد تخرج الآية في مخرج التفضل لأنها تتناول كل ما خفف الله تعالى عن عباده وجعله الدين يسراً، ويقع الإخبار عن ضعف الإنسان عاماً، حسبما هو في نفسه ضعيف يستميله هواه في الأغلب"[1].

وقوله يحتمل أنه أراد عموم ضعف الإنسان في كل شيء، ويحتمل أنه أراد ضعفه أمام أهوائه عامة لا شهوة النساء فحسب.

الترجيح:

شهوة النساء من أوائل ما يدخل في المعنى لدلالة السياق عليه، ثم السياق وموضوع الآيات يدل على أعم من ذلك فالمراد ضعف الإنسان في صبره وعزمه أمام الهوى والشهوة، وضعفه عن الصبر على مشاق الأوامر والنواهي، لذلك خفف الله عنه.

ثم هل يقتضي عموم اللفظ عموم ضعف الإنسان في كل شيء؟

هذا محل نظر، فقد يقال به؛ إذ لا تعارض بين المعنيين، والمعنى السياقي داخل في العموم.

وقد يقال بأن العموم مقيّد بما سيقت الآيات لأجله، وكون الإنسان ضعيفاً في جوانب أخرى غير ما ذُكر في القولين الأولين مستفاد من أدلة شرعية أو حسية أخرى لا من الآية، والله تعالى أعلم.

---

(١) المحرر الوجيز: ٢/٤٠.

مسألة :المشار إليه بقوله عز وجل: ﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا ﴾ .

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ ﴾.

ذكر ابن جُزَيّ / ثلاثة أقوال في المسألة، ورجَّح الأول منها فقال :

" إشارة إلى القتل؛ لأنه أقرب مذكور .

وقيل: إليه، وإلى أكل المال بالباطل .

وقيل: إلى كل ما تقدم من المنهيات من أول السورة"(١).

الدراسة:

اختلف المفسرون في المسألة على أقوال:

القول الأول:

أنه إشارة إلى القتل.

وهو قول عطاء(٢)، والزمخشري، وابن العربي، والنسفي، والخازن، والسمين الحلبي(٣).

وذلك لأنه أقرب مذكور(٤)، قال الخازن: " يعني ما سبق ذكره من قتل النفس المحرمة؛ لأن الضمير يعود إلى أقرب المذكورات"(٥).

ولأن عَوده إليه يقين، وما عداه فمحتمل يتوقف على الدليل(١).

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ١/١٨٩.

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ٥/٤٥.

(٣) ينظر: الكشاف: ١/٣٨٦، أحكام القرآن لابن العربي: ١/٤٣٠، تفسير النسفي: ١/٢١٨، لباب التأويل: ١/٥١٣، الدر المصون: ٣/٦٦٤.

(٤) ينظر: المحرر الوجيز: ٢/٤٢، التسهيل لعلوم التنزيل: ١/١٨٩.

(٥) لباب التأويل: ١/٥١٣.

(١) ينظر: أحكام القرآن لابن العربي: ١/٤٣٠.

القول الثاني:

الإشارة إلى القتل، وإلى أكل المال بالباطل .

وبه قال سعيد بن جبير(١) ، ومقاتل بن سليمان، والزجاج، والواحدي، وأبو حيان، والسعدي، وابن عاشور(٢).

وذلك لأن النهي عنهما جاء مُتّسقاً مسروداً، ثم ورد الوعيد حسب النهي(٣).

القول الثالث:

الإشارة إلى كل ما نهى الله عنه من قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗاۖ ﴾ [النساء: ١٩] إلى هذا الموضع.

وهو قول الطبري(٤) .

واستَدل له بأن كل فصل نهى الله عنه من أول السورة قد قرنه بالوعيد، إلا من قوله: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗاۖ ﴾ فإنه لا وعيد بعده إلا قوله: ﴿ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ عُدۡوَٰنٗا وَظُلۡمٗا ﴾ فتكون الإشارة إليها(٥).

وتعقبه أبو حيان بأنه " بعيد جداً؛ لأن كل جملة قد استقلت بنفسها، ولا يظهر لها تعلق بما بعدها إلا تعلق المناسبة"(٦) .

ويجاب أيضاً بأنه لا يلزم أن كل نهي يعقبه وعيد بعده كما هو واضح في جملة من المنهيات في السورة بعد هذه الآية، فإذا صح ذلك في المنهيات بعدها فكذلك في المنهيات قبلها، فلا يكون حينئذ هذا التعليل مسوّغاً للعدول بالإشارة عن أقرب مذكور.

---

(١) ينظر: تفسير ابن أبي حاتم: ٩٢٨/٣.

(٢) ينظر: تفسير مقاتل: ٢٢٦/١، معاني القرآن وإعرابه: ٣٦/٢، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٢٦١/١، البحر المحيط: ٢٤٢/٣، تفسير السعدي: ٣٠١/١، التحرير والتنوير: ١٠٢/٤.

(٣) ينظر: المحرر الوجيز: ٤٢/٢، الجامع لأحكام القرآن: ١٠٣/٥، البحر المحيط: ٢٤٢/٣.

(٤) ينظر: تفسير الطبري: ٤٦/٥.

(٥) ينظر: المرجع السابق.

(٦) البحر المحيط: ٢٤٢/٣.

القول الرابع:

الإشارة إلى كل ما تقدم من المنهيات من أول السورة.

وبه يُشعر كلام السمعاني، والبغوي[1].

ونسبه ابن الجوزي، والرازي لابن عباس[2].

واستدرك ابن العربي على هذا القول وسابقه بما ذكر أنها دقيقة أغفلها العلماء؛ وذلك أن هذه الآية لا نعلم هل كان نزولها بعد استقرار ما سبقها من أول السورة إلى هنا مترلاً مكتوباً، أم نزل جميعه بعد نزولها؟ وإذا علمنا أن ذلك كله تقدم نزولاً وكتابة لا يقتضي قوله ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ الإشارة إلى جميع ما تقدم من أول السورة دون جميع ما تقدم من أول القرآن من ممنوع محرم[3].

الترجيح:

الظاهر أن الإشارة تعود إلى أقرب مذكور ، وهو هنا إما القتل، أو القتل وأكل المال بالباطل، والثاني أقرب لأن النهي عنهما جاء في آية واحدة مُتّسقاً مسروداً، ثم ورد الوعيد حسب النهي، وهو كقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ ﴾ [الفرقان] ، فتلحظ أن الوعيد فيها يعود على الأعمال الثلاثة المذكورة: الشرك والقتل والزنا؛ لأن النهي عنها جاء مُتّسقاً مسروداً، ولو جعلتَ الوعيد يعود على الزنا فحسب؛ لكان موافقاً لقول الخوارج والمعتزلة بتخليد صاحب الكبيرة في النار، فهذه الآية كتلك، والله تعالى أعلم.

---

(١) ينظر: تفسير السمعاني: ٤١٩/١، معالم التنزيل: ٥١٢/١.

(٢) ينظر: زاد المسير: ٤٠/٢، تفسير الرازي: ٢٠٧٢/٤، وذكر هذا القول من غير نسبة عدد من المفسرين كالطبري، وابن عطية، وابن العربي، والقرطبي، وغيرهم.

(٣) ينظر: أحكام القرآن لابن العربي: ٤٣٠/١.

مسألة: المراد بـ ﴿مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟﴾ و﴿مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ﴾ في الآية.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾﴾ .

ذكر ابن جُزَيّ / قولين في المراد بذلك، ورجَّح الأول منهما فقال :

" أي: من الأجر والحسنات.

وقيل: من الميراث. ويردّه لفظ الاكتساب"[1] .

الدراسة:

اختلف المفسرون في المراد بها:

القول الأول:

أي نصيب من الأجر والثواب على الطاعات، والإثم والعقاب على المعاصي، فكل له جزاء على عمله بحسبه إن خيراً فخير، وإن شراً فشرّ.

وهو قول قتادة، ومقاتل بن حيان[2] .

قال قتادة: "المرأة تُجزى بحسنتها عشر أمثالها كما يُجزى الرجل".

واختاره الطبري، والسمعاني، والبغوي، وابن عطية، وابن كثير[3].

وجعله بعض المفسرين شاملاً لعمل الآخرة والدنيا، فكل له جزاء مقدّر على عمله

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ١/١٩٠.

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ٥/٦٠ ، وتفسير ابن أبي حاتم: ٣/٩٣٦.

(٣) ينظر: تفسير الطبري: ٥/٦١، وتفسير السمعاني: ١/٤١٢ ، ومعالم التنزيل: ١/٥١٧ ، والمحرر الوجيز: ٢/٤٥ ، وتفسير القرآن العظيم: ٢/٢٨٧ .

الأخروي والدنيوي بحسب عمله[1].

القول الثاني:

أي من الميراث، فللرجال نصيب مقدر من الميراث وللنساء نصيب مقدر من الميراث.

وهو قول ابن عباس[2].

وضعّف هذا القول الطبري، وابن عطية، وابن جُزَيّ معلِّلين بأن لفظ الاكتساب يرده، فالكسب العمل، وليس الميراث مما اكتسبه الوارث بعمله.

وذكر الطبري بأنه لو كان المراد الميراث لقال: للرجال نصيب مما لم يكتسبوا وللنساء نصيب مما لم يكتسبن[3].

لكن قال الثعلبي والرازي والقرطبي في توجيه هذا القول: والاكتساب على هذا القول بمعنى الإصابة والإحراز[4] .

وقال أبو حيّان: " وقيل: يُعبر بالكسب عن الإصابة ، كما روي أنّ بعض العرب أصاب كنزاً فقال له ابنه: بالله يا أبة أعطني من كسبك نصيباً، أي مما أصبت . ومنه قول خديجة رضي الله عنها : وتُكْسِب المعدوم"[5] .

وقال ابن عاشور: " الاكتساب: السعي للكسب، وقد يستعار لحصول الشيء ولو بدون سعي وعلاج"[6] .

وقال الجوهري: " أصل الكسب: الجمع"[7].

وقال ابن فارس: "الكاف والسين والباء: أصل صحيح يدل على ابتغاء وطلب

---

(١) ينظر: تفسير الرازي: ٢٠٨٠/٤ ، وتفسير السعدي: ٣٠٢/١ ، والتحرير والتنوير: ١٠٧/٤ .

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ٦٠/٥ ، وتفسير ابن أبي حاتم: ٩٣٦/٣.

(٣) ينظر: تفسير الطبري: ٦١/٥، المحرر الوجيز: ٤٥/٢.

(٤) ينظر: تفسير الثعلبي ٣٠٠/٣ ، وتفسير الرازي ٢٠٨٠/٤ ، الجامع لأحكام القرآن: ١٠٨/٥ .

(٥) البحر المحيط: : ٢٤٥/٣، وقول خديجة أخرجه البخاري: ٤/١ (رقم ٣) ومسلم: ١٤١/١ (رقم ١٦٠).

(٦) التحرير والتنوير: ١٠٧/٤.

(٧) الصحاح: (كسب).

وإصابة"[1].

وذهب بعض المفسرين إلى أن الآية تشمل القولين، وهو قول البقاعي[2] .

الترجيح:

الظاهر – والله أعلم – أن الآية تشمل القولين -كما قال البقاعي- في أمر الآخرة والدنيا، وفي الميراث، فاللفظ يحتملها ولا تعارض بينها، ويشهد لذلك ما رواه الترمذي وأحمد – واللفظ له- وغيرهما عن أم سلمة ك أنها قالت: " يا رَسُولَ اللَّهِ يَغْزُو الرِّجَالُ وَلاَ نَغْزُو، وَلَنَا نِصْفُ الْمِيرَاثِ ؛ فأنزل الله: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾"[3] فأم سلمة سألت عن أمرين أحدهما الميراث، وجملة ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُواْ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ﴾ مرتبطة بما قبلها فهما في سياق واحد؛ فإدخال الميراث في معنى الآية يدل عليه السياق مع سبب النزول.

أما تضعيف الطبري وابن عطية وابن جُزَيّ لتفسير الآية بالميراث فيجاب عنه بأن لذلك وجهاً في العربية كما في النقولات السابقة عن العلماء، وابن عباس ب عربي فصيح

---

(١) معجم مقاييس اللغة: (كسب).

(٢) ينظر: نظم الدرر: ٢٤٩/٢.

(٣) أخرجه الترمذي: ٢٣٧/٥ (رقم ٣٠٢٢) وأحمد: ٣٢٢/٦، وأبو يعلى في مسنده: ٣٩٣/١٢، والطبري في التفسير: ٥٨/٥، وابن أبي حاتم في التفسير: ٩٣٥/٣، والحاكم في المستدرك: ٣٣٥/٢، والبيهقي في سننه: ٢١/٩، من طريق مجاهد عن أم سلمة، قال الترمذي: مجاهد عن أم سلمة مرسل، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين إن كان سمع مجاهد من أم سلمة، وقال مؤلفا الاستيعاب في بيان الأسباب ٣٨١/١: "سنده صحيح فمجاهد أدرك أم سلمة فقد ولد سنة ٢١ وماتت أم سلمة سنة ٦٠، وهو لم يتهم بالتدليس فإمكان اللقاء حاصل يقيناً" ونقلا عن ابن حجر أنه حسّن الحديث وقال: "مجاهد قد ثبت سماعه من علي ط وهو أقدم موتاً من أم سلمة بعشرين سنة" ولم أجد قول ابن حجر في مظانه.

وينظر: في ولادة مجاهد: الثقات لابن حبان: ٤١٩/٥، تهذيب الكمال: ٢٣٤/٢٧، ووفاة أم سلمة: الكاشف: ٥١٩/٢، تهذيب التهذيب: ٤٨٣/١٢.

يُحتج بعربيته وبفهمه لأساليب العرب في كلامها إذا كانت الرواية عنه في رتبة القبول كما في هذا الموضع[1].

(١) أخرج تفسير ابن عباس هذا الطبري في التفسير (٦٠/٥) وابن أبي حاتم في تفسيره (٩٣٦/٣). قال ابن أبي حاتم حدثني أبي حدثنا أبو صالح حدثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عنه. قال ابن حجر عن هذا الطريق : " وعلي صدوق لم يلق ابن عباس لكنه إنما حمل عن ثقات أصحابه؛ فلذلك كان البخاري وابن أبي حاتم وغيرهما يعتمدون على هذه النسخة". (العجاب في بيان الأسباب لابن حجر: ٢٠٧/١). وقال أيضا في فتح الباري (٤٣٨/٨) : "وهذه النسخة كانت عند أبي صالح كاتب الليث رواها عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن بن عباس وهي عند البخاري عن أبي صالح وقد اعتمد عليها في صحيحه هذا كثيراً على ما بيناه في أماكنه، وهي عند الطبري وابن أبي حاتم وابن المنذر بوسائط بينهم وبين أبي صالح". واعتبر السيوطي هذا الطريق من الطرق الجيدة عن ابن عباس. (ينظر: الإتقان ١٢٣٠/٢).

مسألة: تقدير المحذوف في ﴿ وَلِكُلٍّ ﴾ .

قال الله تعالى: ﴿ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ ۚ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾ ﴾.

ذكر ابن جُزَيّ / قولين في المسألة، ورجَّح الأول منهما فقال :

" في معناه وجهان: أحدهما: لكل شيء من الأموال جعلنا موالي يرثونه، فـــ ما ترك على هذا بيان لـــ كل.

والآخر: لكل أحد جعلنا موالي يرثون مما ترك الوالدان والأقربون، فـــ ما ترك على هذا يتعلق بفعل مضمر "[1].

الدراسة:

إذا جاءت (كل) مفردة فلا بدّ أن يكون في الكلام حذف[2]، وقد اختُلِف في تقدير المحذوف هنا هل هو مال أو إنسان؟.

القول الأول:

المحذوف يُقدّر بـــ مال، فيكون المعنى: لكل مال مما ترك الوالدان والأقربون جعلنا موالي يرثونه.

وهو ظاهر كلام ابن عطية[3] ، وذكره وجهاً محتملاً في الآية الزمخشري، والرازي، والعكبري، والبيضاوي، والسمين الحلبي، وأبو السعود، وابن عاشور[4] .

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل:١/١٩٠، رجّح الأول لأنه قدّمه في الذكر.ينظر: الباب الأول: الفصل الأول:٥٣. قال ابن جُزَيّ : والموالي هنا الورثة والعصبة.

(٢) ينظر: إعراب القرآن للنحاس: ١٨٢.

(٣) ينظر: المحرر الوجيز: ٢/٤٦.

(٤) ينظر: الكشاف: ١/٣٨٧، تفسير الرازي: ٤/٢٠٨٢، التبيان في إعراب القرآن: ٢٤٧، أنوار التنزيل: ٢/١٨٣، الدر المصون: ٤/٦٦٨، إرشاد العقل السليم: ٢/١٣١، التحرير والتنوير: ٤/١٠٨، وبهذا الوجه بدأ الزمخشري، والبيضاوي، وأبو السعود.

علّق عليه أبو حيان بأن فيه على هذا التقدير الفصل بين الصفة والموصوف بالجملة المتعلقة بالفعل الذي فيها المجرور، وهو نظير قولك: بكل رجل مررت تميمي، وفي جواز ذلك نظر[1] .

وأجاب السمين بأنه قد وُجِد الفصل بين الموصوف وصفته بالجملة العاملة في المضاف إلى الموصوف، كقوله تعالى : ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [الأنعام: ١٤] فـ «فاطر » صفة لـ « الله » ، وقد فُصل بينهما بـ « أتخذ » العامل في « غير » فهذا أولى[2] .

القول الثاني:

المحذوف يُقدّر بـ أحد أو إنسان، فيكون المعنى: لكل أحد جعلنا موالي يرثون مما ترك الوالدان والأقربون لهم من المال.

وهو قول الطبري، والنحاس، والثعلبي، والسمعاني، وأبي البركات بن الأنباري، والقرطبي، والخازن، وابن كثير، والسيوطي، والشوكاني، والسعدي[3] .

و (ما ترك) على هذا يتعلق بفعل مضمر، أي: يرثون مما ترك.

الترجيح:

الوجهان جائزان، والثاني أولى، فعلى الأول يكون في الكلام تقديم وتأخير، وهو وإن كان أسلوباً من أساليب العرب في الكلام؛ إلا أن الأصل هو الترتيب، ومن القواعد المقرّرة في الترجيح أن القول بالترتيب مقدم على القول بالتقديم والتأخير[4]، والله تعالى أعلم.

---

(١) البحر المحيط: ٣/٢٤٦.

(٢) الدر المصون: ٤/٦٦٨.

(٣) ينظر: تفسير الطبري: ٥/٦٢، إعراب القرآن للنحاس: ١٨٢، تفسير الثعلبي: ٣/٣٠٠، تفسير السمعاني: ١/٤٢٢، البيان في إعراب غريب القرآن: ٢١٩، الجامع لأحكام القرآن: ٥/١٠٨، لباب التأويل: ١/٥١٧، تفسير القرآن العظيم: ٢/٢٨٨، تفسير الجلالين: ٨٣، فتح القدير: ١/٥٨٠، تفسير السعدي: ١/٣٠٢.

(٤) ينظر في تقرير القاعدة: قواعد الترجيح عند المفسرين: ٢/٤١٥.

مسألة: المراد بـ ﴿وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ﴾ .

قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا ٣٤﴾.

ذكر ابن جُزَيّ / قولين في المسألة، ورجَّح الأول منهما فقال :

" الهجران هنا: هو ترك مضاجعتها .

وقيل: ترك الجماع إذا ضاجعها"[1] .

الدراسة:

اختلف المفسرون في المسألة على أقوال:

القول الأول:

ترك مضاجعتها، فلا يجمعها وإياه فراش واحد، ولا يجامعها حتى ترجع عن نشوزها.

وهذا قول النخعي، والشعبي، ومجاهد، والحسن، وقتادة، ومحمد بن كعب القرظي[2]، والزجاج، والواحدي، والقرطبي، والسيوطي، والشوكاني، والسعدي[3]، وهو ظاهر كلام ابن العربي[4].

قال القرطبي: " ويعضده ﴿وَٱهۡجُرُوهُنَّ﴾ من الهجران وهو البعد، يقال: هجره، أي تباعد ونأى عنه، ولا يمكن بُعدها إلا بترك مضاجعتها...فإن الزوج إذا أعرض عن فراشها فإن كانت محبة للزوج فذلك يشق عليها فترجع للصلاح، وإن كانت مبغضة فيظهر النشوز منها، فيتبين أن النشوز من قِبلها"[5] .

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ١/١٩٠.

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ٥/٧٧.

(٣) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ٢/٣٩، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ١/٢٦٣، الجامع لأحكام القرآن: ٥/١١٢، تفسير الجلالين: ٨٤، فتح القدير: ١/٥٨١، تفسير السعدي: ١/٣٠٣.

(٤) ينظر: أحكام القرآن لابن العربي: ١/٤٣٦، وينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٥/١١٢.

(٥) الجامع لأحكام القرآن: ٥/١١٢. وينظر: معاني القرآن وإعرابه: ٢/٣٩، تفسير الرازي: ٤/٢٠٨٧.

القول الثاني:

ترك جماعها، وإن ضاجعها.

وبه قال ابن عباس، وسعيد بن جبير، والضحاك[١] ، ومقاتل بن سليمان، وأبو السعود، والألوسي[٢] .

و"في" على هذين القولين للظرفية على بابها[٣] .

القول الثالث:

ترك الكلام لا ترك الجماع.

وهو قول لابن عباس أيضاً، والسدي[٤].

قال ابن عباس: "يعظها فإن هي قبلت وإلا هجرها في المضجع ولا يكلمها، من غير أن يذر نكاحها، وذلك عليها شديد"[٥].

وقال السدي: "يرقد عندها ويوليها ظهره، ويطؤها ولا يكلمها"[٦].

فيحتمل أنهما جعلا ﴿ فِي ﴾ للسببية، فالمعنى: اهجروهن بسبب المضاجع، أي بسبب تخلفهن عن المضاجعة[٧]، فتعامل المرأة الناشز بنقيض قصدها ويحمل الهجر على هجر الكلام؛ لأن الرجل لو هجر جماعها لكان هذا عين مرادها.

ويحتمل أنهما أرادا ترك الكلام معها في المضجع فيكون نوعاً من الهجر في المضجع، و"في" للظرفية، وهذا الاحتمال أظهر من الأول.

القول الرابع:

الإغلاظ لها بالكلام.

---

(١) ينظر: تفسير الطبري: ٧٩/٥، تفسير ابن أبي حاتم: ٩٤٢/٣.

(٢) ينظر: تفسير مقاتل: ٢٢٨/١، إرشاد العقل السليم: ١٣٣/٢، روح المعاني: ٢٥/٥.

(٣) ينظر: المحرر الوجيز: ٤٨/٢، الدر المصون: ٦٧٢/٣.

(٤) ينظر: تفسير الطبري: ٧٨/٥.

(٥) تفسير الطبري: ٧٨/٥.

(٦) المرجع السابق.

(٧) ينظر: تفسير الطبري: ٧٨/٥، الدر المصون: ٦٧٢/٣، روح المعاني: ٢٥/٥.

وهو قول لابن عباس أيضاً، وعكرمة[1].

و﴿فِي﴾ على هذا القول كسابقه إما للظرفية وهو أولى أو للسببية.

وضعّف ابن العربي هذا القول لأن الله سبحانه رفع التثريب عن الأمَة إذا زنت[2] وهو العقاب بالقول، فكيف يأمر مع ذلك بالغلظة على الحرة؟[3].

وفي استدلاله نظر فإن الإغلاظ في الكلام غير التثريب، إذ التثريب هو التقريع والتوبيخ والتعيير[4] أما الإغلاظ فهو ضد التلطف.

القول الخامس:

المعنى: اربطوهن بالهِجار كما يربط البعير به[5].

والمراد بالمضاجع البيوت التي يضاجعن أزواجهن بها.

وهو قول الطبري[6].

قال ابن عطية والقرطبي: فيه نظر[7].

وضعّفه ابن العربي، والزمخشري، والألوسي[8].

---

(١) تفسير الطبري: ٨٠/٥، وفي الإسناد عن ابن عباس راو لم يسم.

(٢) يشير لحديث أبي هُرَيْرَةَ المتفق عليه رضي الله عنه قال سمعت النبي < يقول "إذا زَنَتْ أَمَةُ أَحَدِكُمْ فَتَبَيَّنَ زِنَاهَا فَلْيَجْلِدْهَا الْحَدَّ ولا يُثَرِّبْ عليها". (أخرجه البخاري: ٧٧٧/٢، رقم ٢١١٩، ومسلم: ١٣٢٨/٣، رقم ١٧٠٣).

(٣) ينظر: أحكام القرآن لابن العربي: ٤٣٦/١.

(٤) ينظر في معناه: الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي للأزهري: ٣٨٤/١، تفسير غريب ما في الصحيحين للحميدي: ٣٢١.

(٥) الهِجار: حبل يُشَدّ به البعير. ينظر: الصحاح: (هجر).

(٦) ينظر: تفسير الطبري: ٨١/٥.

(٧) ينظر: المحرر الوجيز: ٤٨/٢، الجامع لأحكام القرآن: ١١٢/٥.

(٨) ينظر: أحكام القرآن لابن العربي: ٤٣٦/١، الكشاف: ٣٨٩/١، روح المعاني: ٢٥/٥، واعتبرها ابن العربي هفوة من الطبري.

الترجيح:

الأقوال الأربعة الأولى كلها صحيحة، ولا تعارض بينها، فللزوج أن يهجر زوجته الناشز كلياً في المضجع فلا ينام معها في فراش واحد، وله أن يهجرها جزئياً فينام معها لكن لا يجامعها أو لا يكلمها أو يهجر الكلام الرقيق اللطيف ويتكلم معها بشيء من القسوة والغلظة، وهذا موكول للزوج يتّبع فيها الأصلح بحسب الحالة التي يُعايشها، وذلك لأن الله أطلق الهجر ولم يُحدّد هجراً دون آخر، وجاء ذلك في سياق علاج النشوز، والطبيب يزيد في جرعة الدواء أو ينقص بحسب حالة المريض.

والله أرشد إلى الهجر في معالجة نشوز الزوجة ولم يقيّده إلا بقيد واحد، وهو أن يكون الهجر في المضجع، فتُحمل " في" في الآية على الظرفية على بابها، فالقول الذي يحملها على المعنى الغالب استعماله فيها أولى من القول الذي يخرجها عنه بلا قرينة، وعليه فيكون الهجر في المضجع بعيداً عن الأبناء.

ووجه آخر أيضاً مؤيد لحمل " في" في الآية على الظرفية لا السببية، وهو أن سياق الكلام واحد، وهو معالجة النشوز، وقد ذكر الله ثلاث خطوات لعلاجه، وهي الوعظ والهجر في المضاجع والضرب، وعلى القول بأنها للسببية فإن الله ذكر نوع النشوز عند الخطوة الثانية وهو النشوز بسبب المضجع وذكر علاجه وهو الهجر، ولم يذكر نوعه عند الوعظ ولا الضرب، وهو بعيد ففيه إخراج للكلام عن أن يكون على نسق واحد بلا دليل.

وفي تحديد الهجر في المضجع لفتة تربوية، وهي تضييق دائرة المشكلة ومعالجتها بعيداً عن أنظار الأبناء، حفاظاً على جو الترابط العام للأسرة أمامهم، وحتى لا تكبر المشكلة ويتحزّب الأبناء بعضهم مع الأب وبعضهم مع الأم مما يُعقّد المشكلة ويُفكك الأسرة، وحتى لا يُظلم الأبناء بإقحامهم في مشكلة لم يصنعوها.

فإن قيل: لِمَ قيّد الله تعالى الهجر في المضاجع، ولم يقيّد الضرب بهذا القيد وهو أعظم منه؟.

فيجاب بأنه من باب التنبيه بالأدنى على الأعلى فيدخل فيه من باب أولى، والله أعلم.

أما القول الخامس فقد فسر الهجر بخلاف المعنى الغالب استعماله في النصوص الشرعية بلا موجب للعدول عنه ، وحمل كلام الله تعالى على المعنى الغالب استعماله في النصوص الشرعية أولى[1].

(١) قال الراغب في معنى الهجر في القرآن: مفارقة الإنسان غيره إما بالبدن أو باللسان أو بالقلب. ينظر: المفردات في غريب القرآن: ٥١٤.

مسألة: مرجع الضميرين في ﴿إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآ﴾ .

قال الله تعالى: ﴿ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ بَيۡنِهِمَا فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرٗا ٣٥ ﴾.

ذكر ابن جُزَيّ / ثلاثة أقوال في المسألة، ورجَّح الأول منها فقال :

" الضمير في ﴿ يُرِيدَآ ﴾ للحكمين وفي ﴿بَيۡنَهُمَآ ﴾ للزوجين على الأظهر .

وقيل: الضميران للزوجين .

وقيل: للحكمين"[1] .

الدراسة:

اختلف المفسرون في مرجع الضميرين على أقوال:

القول الأول:

الضمير في ﴿ **يُرِيدَآ** ﴾ للحكمين وفي ﴿ **بَيۡنَهُمَآ** ﴾ للزوجين.

أي: إن قصد الحكمان إصلاح ذات البين وكانت نيتهما صادقة في الإصلاح بارك الله في سعيهما وأوقع بين الزوجين الوفاق والألفة وألقى في نفوسهما المودة والرحمة.

وهو قول كثير من المفسرين كالواحدي، والبغوي، والزمخشري، وابن عطية، والعكبري، والبيضاوي، وابن تيمية، والثعالبي، والأيجي[2]، وأبي السعود، وصديق حسن

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ١/١٩١.

(٢) معين الدين محمد بن عبد الرحمن بن محمد الحسني الحسيني الأيجي، عالم فاضل، من كتبه "بيان المعاد الجسماني والروح" و "جامع البيان في تفسير القرآن" ذكر في مقدمته أنه ألفه في سنتين وثلاثة أشهر حين بلغ عمره الأربعين، توفي سنة ست وتسعمائة.

ينظر: طبقات المفسرين للأدنه وي: ٣٧٣، الأعلام: ٦/١٩٥، تفسيره: ٣٤.

خان، وظاهر كلام أبي حيّان[1].

القول الثاني:

الضميران للزوجين .

أي إن أراد الزوجان الإصلاح وزوال الشقاق أوقع الله بينهما الألفة والوفاق.

وهو قول الثعلبي[2] .

القول الثالث:

الضميران للحكمين.

أي: إن قصد الحكمان إصلاح ذات البين وكانت نيتهما صادقة في الإصلاح وفق الله بين الحكمين حتى يتفقا على ما فيه خير للزوجين.

وهو قول ابن عباس، وسعيد بن جبير، ومجاهد، والضحاك، والسدي[3] .

قال ابن عباس ب : " وذلك الحكمان، وكذلك كل مصلح يوفقه الله للحق والصواب".

واختاره الطبري، وابن عاشور[4] ، ونسبه ابن الجوزي والقرطبي للجمهور[5] .

قال ابن عاشور: " لأنّهما المسوق لهما الكلام".

---

(١) ينظر: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٢٦٣/١ ، ومعالم التنزيل: ٥١٢/١ ، والكشاف: ٣٩١/١ ، والمحرر الوجيز: ٤٩/٢ ، والتبيان في إعراب القرآن للعكبري: ٣٥٥/١، وأنوار التنزيل: ٢١٤/١ ، ومجموع الفتاوى: ٣٨٦/٣٥، وتفسير الثعالبي: ٣٧١/١ ، وتفسير الأيجي: ١٩٢، وإرشاد العقل السليم: ١٣٤/٢، وتفسير صديق حسن: ٧٠/٢، والبحر المحيط: ٢٥٤/٣.

(٢) ينظر: تفسير الثعلبي: ٣٠٣/٣، وانظر: الكشاف: ٣٩١/١، والجامع لأحكام القرآن: ١١٥/٥.

(٣) ينظر: تفسير عبد الرزاق: ١٥٩/١، ومصنف بن أبي شيبة: ١٦٨/٤،وتفسير الطبري: ٩٣/٥ ، وتفسير ابن المنذر: ٦٩٩ ، وتفسير ابن أبي حاتم: ٩٤٦/٣، وسنن البيهقي: ٣٠٦/٧ .

(٤) ينظر: تفسير الطبري: ٩٣/٥، والتحرير والتنوير: ١٢١/٤.

(٥) ينظر: زاد المسير: ٤٩/٢، والجامع لأحكام القرآن: ١١٥/٥.

القول الرابع:

الضمير في ﴿ يُرِيدَآ ﴾ للزوجين وفي ﴿بَيْنَهُمَآ﴾ للحكمين.

أي: إن يرد الزوجان إصلاحاً يوفق الله بين الحكمين حتى يتفقا على ما فيه خير للزوجين[1].

الترجيح:

الظاهر – والله أعلم – أن الضمير الأول ﴿ يُرِيدَآ ﴾ للحكمين كما هو قول عامة المفسرين؛ لأن الأصل عَود الضمير إلى أقرب مذكور، وهو هنا الحكمان.

أما الضمير الثاني ﴿ بَيْنَهُمَآ ﴾ فيحتمل أنه للزوجين لأن المراد إصلاح حالهما، وإزالة الشقاق بالتوفيق بينهما؛ فالحديث في الأصل عنهما.

ويحتمل أنه للحكمين كما هو قول السلف وجمهور المفسرين، وهذا هو الأقرب لوجهين:

الأول: توحيد مرجع الضمائر في السياق الواحد أولى من تفريقها كما هو مقرر في قواعد الترجيح[2] .

الثاني: الراجح أن الحكمين قاضيان لا وكيلان ومصلحان فحسب؛ بل لهما حق التفريق بين الزوجين إذا رأيا أن الأصلح التفريق بينهما، وهذا قول جمهور العلماء،

---

(١) ينظر: المحرر الوجيز: ٤٩/٢، وتفسير الرازي: ٧٦/١٠ ، والبحر المحيط: ٣٥٤/٣.

(٢) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: ٦١٣/٢.

ولا يُعلم بين الصحابة خلاف في ذلك كما يقول ابن القيم[1].

فإذا كان الراجح أنهما قاضيان؛ فقد يرى الحكمان وهما صادقان مريدان للحق بأن الأصلح لحال الزوجين التفريق بينهما، وحينئذٍ لا يسمى ذلك توفيقاً بين الزوجين؛ لأن التوفيق بينهما يقتضي استمرار الحياة الزوجية بينهما مع الألفة والمودة وزوال الخلاف، ولكن يسمى هذا توفيقاً للزوجين بأن هدى الله الحكمين للحق في شأنهما، فهو توفيق للزوجين لا توفيق بينهما، ولفظ الآية: ﴿يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ﴾ مما يدل على أن حمل الضمير هنا على الزوجين بعيد.

---

(١) ينظر: زاد المعاد: ١٩١/٥، مجموع الفتاوى: ٣٨٦/٣٥.

قال ابن القيم في الإستدلال لهذا القول: " فالله تعالى قد نصبهما حكمين، وجعل نصبهما إلى غير الزوجين، ولو كانا وكيلين لقال فليبعث وكيلا من أهله ولتبعث وكيلا من أهلها.

وأيضا فلو كانا وكيلين لم يختصا بأن يكونا من الأهل.

وأيضا فإنه جعل الحكم إليهما فقال: (إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما) والوكيلان لا إرادة لهما إنما يتصرفان بإرادة موكليهما.

وأيضا فإن الوكيل لا يسمى حكما في لغة القرآن ولا في لسان الشارع ولا في العرف العام ولا الخاص.

وأيضا فالحَكم مَن له ولاية الحكم والإلزام وليس للوكيل شيء من ذلك.

وأيضا فإن الحكم أبلغ من حاكم ؛ لأنه صفة مشبهة باسم الفاعل دالة على الثبوت، ولا خلاف بين أهل العربية في ذلك؛ فإذا كان اسم الحاكم لا يصدق على الوكيل المحض فكيف بما هو أبلغ منه.

وأيضا فإنه سبحانه خاطب بذلك غير الزوجين، وكيف يصح أن يوكل عن الرجل والمرأة غيرهما، وهذا يحوج إلى تقدير الآية هكذا: وإن خفتم شقاق بينهما فمروهما أن يوكلا وكيلين وكيلا من أهله ووكيلا من أهلها، ومعلوم بُعد لفظ الآية ومعناها عن هذا التقدير وأنها لا تدل عليه بوجه؛ بل هي دالة على خلافه وهذا بحمد الله واضح"

إلى أن قال: "فهذا عثمان وعلي وابن عباس ومعاوية جعلوا الحكم إلى الحكمين ولا يعرف لهم من الصحابة مخالف وإنما يعرف الخلاف بين التابعين فمن بعدهم والله أعلم". (زاد المعاد: ١٩٠/٥).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ﴾.

فيها مسألتان:

الأولى: المراد بـــ ﴿ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ ﴾.

الثانية: المراد بـــ ﴿ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ ﴾.

ذكر ابن جُزَيّ / قولين في المسألتين ورجَّح الأول منهما فقال :

" قال ابن عباس: الجار ذي القربى هو القريب النسب، والجار الجنب هو الأجنبي .

وقيل: ذي القربى القريب المسكن منك، والجنب البعيد المسكن عنك"[(١)].

الدراسة:

اختلف العلماء في المسألتين على أقوال:

القول الأول:

المراد بالجار ذي القربى: هو الجار القريب النسب.

والجار الجنب: هو الجار الذي ليس بينك وبينه قرابة.

وهذا قول ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، والضحاك، وقتادة، وابن زيد[(٢)] .

وبه قال أيضاً مقاتل بن سليمان، والفراء، وأبو عبيدة، والطبري، والنحاس، والسمرقندي، والواحدي، والبغوي، وابن الجوزي، والسعدي، وابن عاشور[(٣)] ، وهو

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ١/١٩١، رجّح ابن جُزَيّ الأول حيث أورد قول من يُقتدى به من الصحابة وقدّمه في الذكر. ينظر: الباب الأول: الفصل الأول: ٥٣، ٥٦.

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ٥/٩٥، ٩٧، تفسير ابن أبي حاتم: ٣/٩٤٨.

(٣) ينظر: تفسير مقاتل: ١/٢٢٩، معاني القرآن للفراء: ١/١٨٧، مجاز القرآن: ١/١٢٦، تفسير الطبري: ٥/٩٦، ٩٧، معاني القرآن للنحاس: ١/٢١٠، بحر العلوم: ١/٣٢٨، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ١/٢٦٤، معالم التنزيل: ١/٥٢٢، تذكرة الأريب: ١/١١٦، تفسير السعدي: ١/٣٠٥، التحرير والتنوير: ٤/١٢٤.

ظاهر كلام الراغب الأصفهاني والقرطبي[1].

وهو قول أكثر أهل العلم[2] .

فهذا الجار له حقّان: حق الجوار، وحق القرابة.

القول الثاني:

المراد بالجار ذي القربى: القريب المسكن منك.

والجنب: البعيد المسكن عنك.

وهو قول الزمخشري، والخازن، والشوكاني، والألوسي[3] .

واستبعده ابن عاشور لأن "القربى" لا تعرف في القرب المكاني[4] .

القول الثالث:

المراد بالجار ذي القربى: المسلم.

والجنب: اليهودي والنصراني.

وهو قول نوف الشامي[5][6].

فهي عنده قرابة الإسلام، وأجنبية الكفر[7].

الترجيح:

الراجح – والله أعلم- هو القول الأول؛ لأن " القربى" في المتعارف عليه من كلام العرب، وفي النصوص الشرعية تعني قرابة الرحم فتُفسّر بها.

---

(١) ينظر: المفردات في غريب القرآن: ١٠٦، ٤٠٠، الجامع لأحكام القرآن: ١٢٠/٥.

(٢) ينظر: فتح الباري: ٤٤١/١٠.

(٣) ينظر: الكشاف: ٣٩١/١، لباب التأويل: ٥٢٣/١، فتح القدير: ٥٨٥/١، روح المعاني: ٢٨/٥.

(٤) ينظر: التحرير والتنوير: ١٢٤/٤.

(٥) نوف بن فضالة البكالي الشامي، ابن امرأة كعب، يروي عن عبد الله بن عمرو قال أبو عمران الجوني: كان أحد العلماء.

ينظر: الأسماء المفردة: ٩٨، الجرح والتعديل: ٥٠٥/٨.

(٦) ينظر: تفسير الطبري: ٩٧/٥، تفسير ابن أبي حاتم: ٩٤٨/٣.

(٧) ينظر: المحرر الوجيز: ٥٠/٢، البحر المحيط: ٢٥٤/٣.

والجنب في كلام العرب يعني البعيد[1]، فيحتمل اللفظ البعد في النسب أو البعد في المكان أو البعد في الدين، كلّه محتمل؛ لكن لما كان المراد بالجار ذي القربى قرابة النسب وكان الجار الجنب مقابلاً له فيحمل حينئذ على البعد في النسب، فهو الجار الذي ليس بينك وبينه قرابة.

قال الطبري: " تأويل كتاب الله تبارك وتعالى غير جائز صرفه إلا إلى الأغلب من كلام العرب الذين نزل بلسانهم القرآن المعروف فيهم، دون الأنكر الذي لا تتعارفه، إلا أن يقوم بخلاف ذلك حجة يجب التسليم لها، وإذا كان ذلك كذلك، وكان معلوماً أن المتعارف من كلام العرب إذا قيل فلان ذو قرابة، إنما يعني به إنه قريب الرحم منه دون القرب بالدين، كان صرفه إلى القرابة بالرحم أولى من صرفه إلى القرب بالدين"[2].

(١) ينظر: تفسير الطبري: ٥/٩٧، معجم مقاييس اللغة: (جنب).

(٢) تفسير الطبري: ٥/٩٦.

مسألة: مَنْ المراد بقول الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾ ﴾ ؟.

ذكر ابن جُزَيّ / ثلاثة أقوال في المسألة، ورجَّح الأول منها فقال :

" الآية في المنافقين الذين كانوا ينفقون في الزكاة والجهاد رياء ومصانعة .

وقيل: في اليهود .

وقيل: في مشركي مكة الذين أنفقوا أموالهم في حرب المسلمين"[1] .

الدراسة:

اختلف المفسرون في المسألة على أقوال:

القول الأول:

هم المنافقون.

وهو قول الجمهور[2] .

وبه قال الطبري، والزجاج، والواحدي، وابن عطية، والرازي[3] .

وذلك لأن الله قال: ﴿ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ ﴾ والرياء ضرب من النفاق[4].

القول الثاني:

أنهم اليهود.

وهو قول مجاهد[5] ، ومقاتل بن سليمان، والثعلبي، والبغوي، والخازن[6].

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ١/١٩١.

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٥/١٢٦، البحر المحيط: ٣/٢٥٨.

(٣) ينظر: تفسير الطبري: ٥/١٠٦، معاني القرآن وإعرابه: ٢/٤٢، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ١/٢٦٤، ١/٢٦٤، المحرر الوجيز: ٢/٥٢، تفسير الرازي: ٤/٢٠٩٥.

(٤) ينظر: تفسير الرازي: ٤/٢٠٩٥، الجامع لأحكام القرآن: ٥/١٢٦.

(٥) ينظر: تفسير ابن أبي حاتم: ٣/٩٥٣.

(٦) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ١/٢٢٩، تفسير الثعلبي: ٣/٣٠٧، معالم التنزيل: ١/٥٢٦، لباب التأويل: ١/٥٢٥.

وضعّفه الطبري لأن الله قال ﴿ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ﴾ واليهود توحد الله، وتصدّق بالبعث والمعاد[1].

وأجاب ابن عطية بأن مراد من قال بهذا القول أن اليهود لم يؤمنوا على ما ينبغي فكان إيمانهم باليوم الآخر كلا إيمان، من حيث إنه لا ينفعهم[2].

القول الثالث:

أنها في مشركي مكة الذين أنفقوا أموالهم في حرب المسلمين.

ذكره عدد من المفسرين كالثعلبي، والزمخشري، وابن الجوزي، وغيرهم[3] .

واختاره أبو السعود[4].

واستبعده ابن عاشور لأن أهل مكة قد انقطع الجدال معهم بعد الهجرة[5] .

القول الرابع:

أنها في المنافقين، والمشركين.

وهو قول ابن عاشور[6].

وكأنه يريد عموم المشركين لا مشركي مكة.

الترجيح:

الأقوال كلها صحيحة لا تعارض بينها، فالآية في كل من اتصف بهاتين الصفتين: ﴿يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ ﴾ ﴿ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ﴾ من المنافقين، والمشركين، واليهود، والنصارى، وغيرهم.

وما أجاب به ابن عطية على الطبري صحيح، يشهد له قول الله تعالى عن اليهود:

---

(١) ينظر: تفسير الطبري: ١٠٦/٥.

(٢) ينظر: المحرر الوجيز: ٥٢/٢، البحر المحيط: ٢٥٨/٣.

(٣) ينظر: تفسير الثعلبي: ٣٠٧/٣، الكشاف: ٣٩٢/١، زاد المسير: ٥٢/٢.

(٤) ينظر: إرشاد العقل السليم: ١٣٦/٢.

(٥) ينظر: التحرير والتنوير: ١٢٦/٤.

(٦) المرجع السابق.

﴿ وَلَوۡ كَانُواْ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمۡ أَوۡلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴾ [المائدة: ٨١] وهي في اليهود كما يدل عليه سياق الآيات، فنفى عنهم الإيمان، لأنه ليس الإيمان المُنجي يوم القيامة.

فالآية شاملة لكل من اتصف بهذين الوصفين، والمنافقون – لا شك – يدخلون فيها دخولاً أوّلياً؛ إذ النفاق الذي ارتضوه مسلكاً في الحياة قائم على الرياء والمصانعة، بخلاف بقية الأصناف فإن الرياء ليس ملازماً لهم؛ بل يفعلونه أحياناً كما صنعت قريش في بدر حيث خرجوا وأنفقوا الأموال ﴿ بَطَرٗا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ﴾ [الأنفال: ٤٧] ، وبهذه الآية يجاب عما قال ابن عاشور رحمه الله فقد ذكر الله فيها كفار قريش بعد الهجرة، والله تعالى أعلم.

قال تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾ ﴾[1].

في الآية الثانية مسألتان:

المسألة الأولى: المراد بـ ﴿لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ ﴾.

قال ابن جُزَيّ / :

" أي يتمنون أن يدفنوا فيها، ثم تُسوى بهم كما تُسوى بالموتى.

وقيل: يتمنون أن يكونوا سواء مع الأرض، كقوله ﴿ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴾ [النبأ: ٤٠] وذلك لما يرون من أهوال يوم القيامة"[2].

الدراسة:

اختلف المفسرون في معنى الآية على أقوال، حاصلها أربعة:

القول الأول:

أن الكافرين يوم القيامة يتمنون أن يدفنوا في الأرض، ثم تُسوى بهم كما تسوى بالأموات.

قال ابن عباس: " يعني تسوى الأرض بالجبال عليهم".

وقال قتادة: " ودّوا لو انخرقت بهم الأرض فساخوا فيها".

---

(١) ورد في قوله تعالى: ﴿لَوْ تُسَوَّىٰ ﴾ ثلاث قراءات:

فقرأ ابن كثير وعاصم وأبو عمرو: ﴿لَوْ تُسَوَّىٰ ﴾ مضمومة التاء خفيفة السين.

وقرأ نافع وابن عامر: (لو تَسَّوَّى) مفتوحة التاء مشددة السين.

وقرأ حمزة والكسائي: (لو تَسَوَّى) مفتوحة التاء خفيفة السين والواو ممالة.

ومعنى القراءات واحد إلا أن القراءة الأولى لم يُسَمّ الفاعل.

ينظر: الحجة في عل القراءات السبع: ٣٦٦/٢، والكشف عن وجوه القراءات السبع: ٤٢٩/١، وانظر أيضا: المحرر الوجيز: ٥٥/٢، واللباب في علوم الكتاب: ٣٨٩/٦، وأضواء البيان: ٢٤١/١.

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل: ١٩٢/١.

وقال ابن جريج: " تنشق لهم فيدخلون فيها فتسوى عليهم"[1] .

وحاصل أقوالهم أنهم يتمنون أن يدخلوا في الأرض حتى تعلوهم.

وذهب إلى هذا القول أبو عبيدة ، والزمخشري ، وابن كثير ، والقاسمي[2] .

قال القاسمي في توجيه هذا القول: " ﴿ تُسَوَّىٰ ﴾ بمعنى تجعل مستوية، والباء للملابسة، أي تسوى الأرض ملتبسة بهم، وقيل: الباء بمعنى: على".

واستدل ابن كثير والقاسمي لهذا القول بآية النبأ ﴿ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًا ﴾ .

القول الثاني:

أنهم يتمنون أن يكونوا سواء مع الأرض، فيصيروا تراباً مثلها.

ونسبه ابن عاشور للجمهور[3]، وممن قال به الطبري، والزجاج، والنحاس، والواحدي ، والسيوطي ، والشنقيطي[4].

واستدلوا بآية النبأ ﴿ يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًا ﴿٤٠﴾ ﴾ فإنها موضحة لمعنى هذه الآية[5] .

قال ابن عطية في توجيه هذا القول: " فجاء اللفظ على أن الأرض هي المستوية معهم، والمعنى: إنما هو أنهم يستوون مع الأرض، ففي اللفظ قلب يُخرَّج على نحو اللغة التي حكاها سيبويه: أدخلت القلنسوة في رأسي، وأدخلت فمي في الحجر وما جرى

(١) ينظر: تفسير الطبري: ١١٤/٥، وتفسير ابن المنذر: ٧١٣، وتفسير ابن أبي حاتم: ٩٥٧/٣.

(٢) ينظر: مجاز القرآن: ١٢٨/١، الكشاف: ٣٩٣/١، تفسير القرآن العظيم: ٣٠٧/٢، محاسن التأويل: ١٢٠/٣.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير: ١٣٢/٤.

(٤) ينظر: تفسير الطبري: ١١٤/٥، معاني القرآن وإعرابه: ٤٤/٢، معاني القرآن للنحاس: ٢١٢/١، الوجيز: ٢٦٥/١، تفسير الجلالين: ٨٥، أضواء البيان: ٢٤١/١.

(٥) ينظر: معاني القرآن للنحاس: ٢١٢/١، والتحرير والتنوير: ١٣٢/٤، وأضواء البيان: ٢٤١/١.

مجراه"[1] .

وجاز ذلك لأنه لا يلتبس على السامع [2].

القول الثالث:

المراد أنهم يتمنون لو تعدل بهم الأرض. أي: يؤخذ ما عليها منهم فدية.

حكاه عدد من المفسرين و لم ينسبوه لأحد[3] .

واستُدِل له بقول الله تعالى: ﴿ يَوَدُّ ٱلۡمُجۡرِمُ لَوۡ يَفۡتَدِي مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِئِذِۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِي تُـٔۡوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴾[المعارج] [4] .

القول الرابع:

أنهم يودّون أنهم لم يبعثوا، أو لم يخلقوا، وكأنهم والأرض سواء[5] .

وهذا القول فيه عدول عن الاستواء الحقيقي بالأرض إلى المجاز بلا دليل يوجب ذلك.

وللإمام ابن عاشور كلام نفيس في الجمع بين بعض الأقوال السابقة قال فيه:

" سَوَّاه إذا جعله سَواءً لشيءٍ آخر، أي مماثلا ؛ لأنّ السواء المثل...والمماثلة المستفادة من التسوية تحتمل أن تكون مماثلة في الذات ، فيكون المعنى أنّهم يصيرون تُراباً مثل الأرض لظهور أن لا يقصد أن تصير الأرض ناساً ، فيكون المعنى على هذا هو معنى قوله تعالى : ﴿وَيَقُولُ ٱلۡكَافِرُ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا ﴾ وهذا تفسير الجمهور... ويحتمل أن تكون مماثلة في المقدار ، فقيل : يودّون أنّهم لم يبعثوا وبَقُوا مستوين مع الأرض في بطنها ، وقيل : يودّون أن يُدفنوا حينئذ كما كانوا قبل البعث. والأظهر عندي : أنّ المعنى التسويةُ في البروز والظهور ، أي أن ترتفع الأرض فتُسَوَّى في الارتفاع بأجسادهم ، فلا يظهروا ، وذلك

---

(١) ينظر: المحرر الوجيز: ٥٥/٢. وانظر: اللباب في علوم الكتاب: ٣٨٩/٦.

(٢) ينظر: الحجة في عل القراءات السبع: ٣٦٧/٢.

(٣) ينظر: تفسير الثعلبي: ٣١١/٣ ، والبحر المحيط: ٣٦٣/٣ ، وروح المعاني: ٣٤/٥ .

(٤) ينظر: تفسير الثعلبي: ٣١١/٣.

(٥) ينظر: إرشاد العقل السليم: ١٣٨/١.

كناية عن شدّة خوفهم وذلّهم ، فينقبضون ويتضاءلون حتّى يودّوا أن يصيروا غير ظَاهرين على الأرض"[1].

الترجيح:

الظاهر – والله أعلم – أن الآية تحتمل القولين الأولين كما قال ابن عاشور؛ لاحتمال لفظ التسوية في اللغة لذلك.

قال ابن سيده: " اسْتَوَت به الأرض وتَسَوَّتْ، وسوِّيَت عليه كُلُّه هَلَك فيها"[2] .

وكلا القولين الأولين ذكر صورة من صور الهلاك في الأرض؛ غير أن القول الثاني أولى بالترجيح لوجهين:

١. تصريح آية النبأ بصورة الهلاك التي يتمناها الكافر ﴿يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا﴾.

٢. أنه أبلغ في ذلهم وهوانهم، وحمل ألفاظ القرآن على المعنى الأبلغ والأجزل أولى، فلا يُصار إلى المعنى الأدنى مع إمكان حمله على المعنى الأعلى.

وسواء ترجح القول الأول أم الثاني فهما قولان متقاربان؛ فالكافر يتمنى أن يكون تراباً عاجلاً، أو يتمنى أن يندس في التراب حتى يتحول إلى ترابٍ آجلاً؛ مما يرى من أهوال يوم القيامة، وما يلحقه من الذل والخزي والهوان نسأل الله السلامة والعافية، وأن يتوفانا على الإسلام، ويجعلنا ممن يدخلون الجنة بسلام آمنين.

---

(١) التحرير والتنوير: ١٣١/٤.

(٢) المحكم والمحيط الأعظم: ٦٤١/٨، وانظر: تاج العروس: ٣٣٣/٣٨.

المسألة الثانية: هل قوله تعالى ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ مستأنف أم متصل بما قبله؟.

ذكر ابن جُزَيّ / قولين في المسألة، ورجَّح الأول منهما:

الأول: أنه استئناف، فهو إخبار أنهم لا يكتمون يوم القيامة عن الله شيئاً.

الثاني: أن قوله ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ﴾ عطف على ﴿تُسَوَّى﴾ أي: يتمنون أن لا يكتموا، لأنهم إذا كتموا افتضحوا[1] .

الدراسة:

القول الأول:

أنه استئناف، فهو إخبار أنهم لا يقدرون أن يكتموا الله حديثاً يوم القيامة.

وهو قول الزمخشري، وابن عطية، والبيضاوي، والنسفي، وابن كثير، والسعدي[2] ، وظاهر كلام السيوطي والشنقيطي[3] .

فلا يقدرون أن يكتموا الله حديثاً يوم القيامة لأن جوارحهم تنطق بذلك، كما قال الله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [يس: ٦٥] قال ابن عباس: "﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ بجوارحهم"[4] ، أو هو إخبار أن الكتم لا ينفع وإن كتموا؛ لأن ما عملوا ظاهر عند الله تعالى، ويعلم جميع أسرارهم وأحاديثهم، فكيف يقدرون على كتمانه؟ [5] .

---

(١) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: ١/١٩٢.

(٢) ينظر: الكشاف: ١/٣٩٣، المحرر الوجيز: ٢/٥٥، أنوار التنزيل: ٢/١٩١، تفسير النسفي: ١/٢٢٣، تفسير القرآن العظيم: ٢/٣٠٧، تفسير السعدي: ١/٣٠٧.

(٣) ينظر: تفسير الجلالين: ٨٥، أضواء البيان: ١/٢٤١.

(٤) تفسير ابن المنذر: ٧١٤، تفسير ابن أبي حاتم: ٣/٩٥٧، ونحوه عنه عند البخاري في صحيحه: ٤/١٨١٥ (رقم ٤٥٣٧) معلقاً.

(٥) ينظر: المحرر الوجيز: ٢/٥٥، تفسير الرازي: ٤/٢١٠١، الجامع لأحكام القرآن: ٥/١٣٠، أضواء البيان: ١/٢٤١.

القول الثاني:

أن الكلام متصل بما قبله، وقوله ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ﴾ عطف على ﴿تُسَوَّى﴾ .

وهو قول الفراء[1] .

وذكره قولاً في الآية ابن عطية، وابن الجوزي، والرازي، والقرطبي، وأبو حيان وغيرهم[2] .

فالمعنى: يومئذ يود الذين كفروا أن تسوى بهم الأرض وأنهم لم يكتموا الله حديثاً، وهذا على جهة الندم على كذبهم على الله حين قالوا ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣] ، فيفْدون كتمانهم بأن تسوى بهم الأرض ، أو يتمنون أن تسوى بهم الأرض، ويتمنون ألا يكتموا الله حديثاً؛ لأنهم إذا كتموا افتضحوا[3].

الترجيح:

الراجح – والله أعلم – هو القول الأول الذي رجحه ابن جزي، يشهد له قول النبي > : " أُتِيَ اللهُ بِعَبْدٍ من عِبَادِهِ آتَاهُ اللهُ مَالًا، فقال له مَاذَا عَمِلْتَ فِي الدُّنْيَا ؟ قال: ولا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا، قال يا رَبِّ آتَيْتَنِي مَالَكَ فَكُنْتُ أُبَايِعُ الناس، وكان من خُلُقِي الْجَوَازُ فَكُنْتُ أَتَيَسَّرُ على الْمُوسِرِ وَأُنْظِرُ الْمُعْسِرَ، فقال الله أنا أَحَقُّ بِذَا مِنْكَ تَجَاوَزُوا عن عَبْدِي"[4]، فقد استشهد النبي > بالآية في سياق التقرير لما تضمنته، وهذا يؤكد الاستئناف؛ إذ لو كان الكلام متصلاً بما قبله لما كان للاستشهاد به هنا موضع.

أما ما ورد من كتمان الكفار لشركهم حين قالوا ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣] فقد أجاب العلماء عنها بأجوبة من أحسنها أن ذلك " يكون في بعض مواضع القيامة

---

(١) ينظر: معاني القرآن للفراء: ١٨٨/١.

(٢) ينظر: ينظر: المحرر الوجيز: ٥٥/٢، زاد المسير: ٥٤/٢، تفسير الرازي: ٢١٠١/٤، الجامع لأحكام القرآن: ١٣٠/٥، البحر المحيط: ٢٦٣/٣.

(٣) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٤٤/٢، المحرر الوجيز: ٥٥/٢، زاد المسير: ٥٤/٢، التسهيل: ١٩٢/١.

(٤) أخرجه مسلم: ١١٩٥/٣ (رقم ١٥٦٠).

حين يظنون أن جحودهم ينفعهم من عذاب الله، فإذا عرفوا الحقائق وشهدت عليهم جوارحهم، حينئذ ينجلي الأمر، ولا يبقى للكتمان موضع ولا نفع ولا فائدة"[1] فيعترفون بألسنتهم بما عملوا ، قال ابن عباس: " إنه يوم طويل فيه مواقف كثيرة، فيأتي عليهم ما شاء الله وهم لا ينطقون، ثم يؤذن لهم فيختصمون، ثم يأتي عليهم حال فيجحدون شركه ويظنون أن ذلك ينفعهم، فيختم الله على ألسنتهم وتنطق جوارحهم فتشهد عليهم بأعمالهم، ثم تنطق ألسنتهم فتقر بما عملوا فلا يكتمون الله حديثا فيقولون ﴿ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ ﴾ [الملك: ٩] "[2]، وبه تجتمع الأدلة، والله تعالى أعلم.

(١) تفسير السعدي: ٣٠٧/١، وينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: ١٩٢/١، ٢٥٧، دفع إيهام الاضطراب: ٨٢.
(٢) تفسير مجاهد: ٧١٧/٢.

مسألة: معنى (أو) في قوله ﴿ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ ﴾ .

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِى سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُواْ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾ ﴾ .

رجّح ابن جُزَيّ / أن (أو) للتفصيل والتنويع على بابها لوجهين:

الأول: أن جعلها بمعنى الواو إخراج لها عن أصلها، وذلك ضعيف .

والآخر: إن كانت على بابها كان فيها فائدة إباحة التيمم للحاضر الصحيح إذا عدم الماء، وإذا كانت بمعنى الواو لم تعط هذه الفائدة[1] .

الدراسة:

اختلف المفسرون في المسألة على قولين:

القول الأول:

(أو) للتفصيل والتنويع على أصلها وبابها.

وهو قول النحاس، وابن العربي، والقرطبي، وابن تيمية[2] ، وظاهر كلام الزمخشري، وأبي السعود[3] .

وأخذ ابن جُزَيّ وغيره من الآية جواز التيمم في الحضر لغير المريض إذا لم يجد المرء الماء، حيث ذكر الله في أول الآية المرض والسفر، ثم ذكر الإحداث دون مرض ولا سفر، ثم قال بعد ذلك كله ﴿ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً ﴾ فيرجع قوله ﴿ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً ﴾ إلى المرض، وإلى

---

(١) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: ١/١٩٤.

(٢) ينظر: معاني القرآن للنحاس: ١/٢١٤، إعراب القرآن للنحاس: ١٨٦، أحكام القرآن لابن العربي: ١/٤٦٠، الجامع لأحكام القرآن: ٥/١٤٢، مجموع الفتاوى: ٢١/٣٨٤-٣٨٦.

(٣) ينظر: الكشاف: ١/٣٩٩، إرشاد العقل السليم: ٢/١٤٠.

السفر، وإلى من أحدث في غير مرض ولا سفر، فيجوز التيمم لمن عدم الماء في غير مرض ولا سفر[1].

القول الثاني:

(أو) بمعنى الواو. أي: وإن كنتم مرضى أو على سفر وجاء أحد منكم..

وهو قول الفراء[2]، والجصاص، وابن الجوزي[3] .

واحتجوا بأن جعل (أو) على بابها يقتضى أن المرض والسفر حدث يوجب الوضوء كالغائط لعطفه عليها، أو لكان وجوب الطهارة على المريض والمسافر غير متعلِّق بالحدث[4].

وأُجيب بأنه لا يلزم ففي الكلام حذف، والمعنى وإن كنتم مرضى لا تقدرون على مس الماء أو على سفر ولم تجدوا ماء واحتجتم إلى الماء فتيمموا[5].

قال النحاس: والحذاق من أهل العربية لا يجيزون أن تكون أو بمعنى الواو لاختلافهما، فلـــ أو معناها، وللواو معناها[6].

الترجيح:

الراجح هو القول الأول لوجوه:

الأول: الأصل في (أو) أنها للتنويع، وحملها على أصلها والأغلب من معانيها أولى من حملها على المعنى القليل الاستعمال.

---

(١) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: ١/١٩٣.

(٢) حكاه السمعاني في تفسيره عنه: ١/٤٣١، ولم أجده في معاني القرآن للفراء في تفسير هذه الآية وآية المائدة: ٦.

(٣) ينظر: أحكام القرآن للجصاص: ٢/٤٦٢، زاد المسير: ٢/٥٧.

(٤) ينظر: أحكام القرآن للجصاص: ٢/٤٦٢، زاد المسير: ٢/٥٧، أحكام القرآن لابن الفَرَس: ٢/١٩٦، التسهيل لعلوم التنزيل: ١/١٩٣.

(٥) ينظر: معاني القرآن للنحاس: ١/٢١٤، الجامع لأحكام القرآن: ٥/١٤٢، التسهيل لعلوم التنزيل: ١/١٩٢.

(٦) معاني القرآن: ١/٢١٤، وإعراب القرآن للنحاس: ١٨٦.

الثاني: لو كانت (أو) بمعنى الواو لكان المعنى أن التيمم لا يباح إلا بشرطين: المرض أو السفر مع المجيء من الغائط أو ملامسة النساء، قال ابن تيمية: " فيلزم من هذا أن لا يباح مع الاحتلام ولا مع الحدث بلا غائط كحدث النائم ومَنْ خرجت منه الريح؛ فإن الحكم إذا عُلِّق بشرطين لم يثبت مع أحدهما، وهذا ليس مراداً قطعاً؛ بل هو ضد الحق لأنه إذا أُبيح مع الغائط الذي يحصل بالاختيار فمع الخفيف وعدم الاختيار أولى"(١).

الثالث: أن (أو) ذُكرت في الآية ثلاث مرات، الأولى والثالثة للتنويع والتفصيل على بابها، وجرى الخلاف في الثانية، فحمْلُها على معنى ما قبلها وما بعدها أولى من تخصيصها بمعنى آخر يخالف ذلك ويُخرجها عن معنى ما قبلها وما بعدها.

وعليه فالآية تُفيد ما قال ابن جُزَيّ من إباحة التيمم للحاضر الصحيح إذا لم يجد الماء؛ لأن (أو) للتنويع، والله تعالى أعلم.

---

(١) مجموع الفتاوى: ٣٨٤/٢١.

مسألة: المراد بـــ ﴿ نَّطۡمِسَ وُجُوهٗا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدۡبَارِهَآ ﴾ .

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلۡنَا مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبۡلِ أَن نَّطۡمِسَ وُجُوهٗا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدۡبَارِهَآ أَوۡ نَلۡعَنَهُمۡ كَمَا لَعَنَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلسَّبۡتِۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولٗا ٤٧ ﴾.

ذكر ابن جُزَيّ / قولين في المسألة، ورجَّح الأول منهما فقال :

" قـــال ابن عباس : طمسها أن تزال العيون منها وترد في القفا، فيكون ذلك رداً على الدبر .

وقيل: طمسها محو تخطيط صورها من أنف أو عين أو حاجب حتى تصير كالأدبار في خلوها عن الحواس"(١) .

الدراسة:

اختلف المفسرون في المسألة على أقوال:

القول الأول:

قال ابن عباس: " طمسها أن تعمى ﴿ فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدۡبَارِهَآ ﴾ يقول: أن نجعل وجوههم من قبل أقفيتهم فيمشون القهقرى، ونجعل لأحدهم عينين في قفاه"(٢).

وقال عطية العوفي(٣): "نجعلها في أقفائها فتمشي على أعقابها القهقرى"(٤).

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ١/١٩٥.

(٢) تفسير الطبري: ٥/١٤٧، تفسير ابن أبي حاتم: ٣/٩٦٨.

(٣) عطية بن سعد العوفي، أبو الحسن، كوفي تابعي، رَوَى عن عبد الله بن عباس، وأبي سعيد الخدري وغيرهما. قال النسائي: "ضعيف" وقال ابن حجر: "صدوق يخطىء كثيراً وكان شيعياً مدلساً" وقال الذهبي: "ضعّفوه" وقال "يُروى أن الحجاج ضربه أربعمائة سوطٍ، على أن يلعن علياً ، فلم يفعل ، وكان شيعياً رحمه الله" توفي سنة ١١١. ينظر: الضعفاء للنسائي: ٨٥، الكاشف: ٢/١٤٠، تاريخ الإسلام: ٧/٤٢٤، التقريب: ٣٩٣. ولعل المراد بوصفه بالتشيعِ التشيعُ الخفيف.

(٤) تفسير الطبري: ٥/١٤٧.

وقال قتادة في ﴿ فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدۡبَارِهَآ ﴾ "نحوّل وجوهها قِبَل ظهورها"[1].

قال الطبري: "وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال معنى قوله ﴿نَّطۡمِسَ وُجُوهٗا﴾ من قبل أن نطمس أبصارها ونمحو آثارها فنسوّيها كالأقفاء، فنردها على أدبارها، فنجعل أبصارها في أدبارها، يعني بذلك فنجعل الوجوه في أدبار الوجوه، فيكون معناه فنحوّل الوجوه أقفاء، والأقفاء وجوهاً فيمشون القهقرى كما قال ابن عباس وعطية ومن قال ذلك"[2].

وكلام عطية وقتادة يحتمل أن رد الوجوه إلى القفا هو الطمس، ويحتمل أنها تطمس أولاً ثم ترد إلى القفا مطموسة.

القول الثاني:

المراد: من قبل أن نطمس وجوهاً فلا نبقي لها سمعاً ولا بصراً ولا أنفاً فتكون كخف البعير وحافر الدابة، ومع ذلك نردّها إلى ناحية الأدبار.

وهو قول الواحدي، والشوكاني، وظاهر كلام السعدي، وذكره ابن كثير وجهاً محتملاً في الآية[3].

وهو قريب من القول الأول إلا أنه أصرح منه بجعْلهما أمرين: طمس الوجوه، ثم ردها إلى القفا مطموسة.

القول الثالث:

طمسها محو تخطيط صورها من أنف وعين وحاجب حتى تصير كالأدبار في خلوها عن الحواس.

---

(١) تفسير الطبري: ١٤٧/٥، تفسير ابن المنذر: ٧٣٦.

(٢) تفسير الطبري: ١٤٨/٥.

(٣) ينظر على التوالي: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٢٩٧/١، فتح القدير: ٥٩٩/١، تفسير السعدي: ٣١٢/١، تفسير القرآن العظيم: ٣٢٤/٢.

وهو قول أبي بكر السجستاني، والزمخشري، وابن الجوزي، والنسفي، والسيوطي[١].

القول الرابع:

المراد: نُعميها عن الحق، ونردّها على أدبارها في الضلالة والكفر.

وهو قول مجاهد، والضحاك، والحسن، والسدي[٢] ، ومقاتل بن سليمان، والسمرقندي[٣].

فيكون طمس الوجه مجازاً، والمراد طمس القلوب والبصائر[٤].

وضعّفه الطبري بأن الله تعالى خاطبهم بهذه الآية وهم كفار، فما وجه ردّ من هو في الضلالة فيها، وإنما يُردّ في الشيء من كان خارجاً منه، فأما من هو فيه فلا وجه لأن يقال يَردّه فيه[٥].

الترجيح:

أصل الطمس في اللغة: المحو، قال ابن فارس: " الطاء والميم والسين أصل يدل على محو الشيء ومسحه"[٦].

فمعنى الآية: من قبل أن نطمس وجوهاً فلا نبقي لها سمعاً ولا بصراً ولا أنفاً فتكون كخف البعير وحافر الدابة، ثم مع ذلك نردّها إلى ناحية الأدبار، فتكون الوجوه المطموسة في الأقفاء، والأقفاء مكان الوجوه.

وذلك لوجهين:

الأول: حمل الطمس والأدبار على الحقيقة، فالأصل حمل الكلام على الحقيقة، ولا

---

(١) ينظر: نزهة القلوب: ٤٤٤، الكشاف: ٣٩٨/١، تذكرة الأريب: ١١٨/١، تفسير النسفي: ٢٢٥/١، تفسير الجلالين: ٨٦، وكلام أبي عبيدة في مجازه يحتمله (١٢٩/١).

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ١٤٧/٥، تفسير ابن أبي حاتم: ٩٦٨/٣.

(٣) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٣٣/١، بحر العلوم: ٣٣٣/١.

(٤) ينظر: زاد المسير: ٦٢/٢، تفسير الرازي: ٢١١٣/٣.

(٥) تفسير الطبري: ١٤٨/٥.

(٦) معجم مقاييس اللغة: (طمس) وينظر: مختار الصحاح: (طمس) والمفردات في غريب القرآن: ٣١٠.

يُعدل به عنها وله فيها محمل صحيح[1].

ويشهد لحمل الكلام على الحقيقة قوله تعالى في الآية: ﴿ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ فهدّدهم بالمسخ الجزئي وهو طمس الوجوه وردها إلى الأدبار، أو بالمسخ الكلي بأن يقلبهم قردة كما قلب أصحاب السبت ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴾ [البقرة: ٦٥] وتدرّج في التهديد من الأدنى للأعلى.

الثاني: حمل قوله ﴿ فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ ﴾ على التأسيس فيفيد معنى جديداً أولى من حمله على أن يكون كالتأكيد لقوله ﴿نَّطْمِسَ وُجُوهًا ﴾ .

والتأسيس هنا بأن يكون الرد على الأدبار بعد الطمس، أما على التأكيد فالرد على الأدبار هو الطمس ذاته.

والله تعالى أعلم.

---

(١) ينظر في تقرير هذه القاعدة: قواعد الترجيح: ٣٨٧/٢. والقول الثالث حمل الطمس على حقيقته ولم يحمل الأدبار على حقيقتها.

مسألة: المراد بقوله ﴿وَيَغْفِرُ مَادُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ .

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾ .

قال ابن جُزَيّ /:

" هذه الآية هي الحاكمة في مسألة الوعيد، وهي المبيِّنة لما تعارض فيها من الآيات وهي الحجة لأهل السنة، والقاطعة بالخوارج والمعتزلة والمرجئة، وذلك أن مذهب أهل السنة أن العصاة من المؤمنين في مشيئة الله إن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم، وحجتهم هذه الآية فإنها نصّ في هذا المعنى.

ومذهب الخوارج أن العصاة يعذبون ولا بد سواء كانت ذنوبهم صغائر أو كبائر، ومذهب المعتزلة أنهم يعذبون على الكبائر ولا بد، ويردّ على الطائفتين قوله ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ .

ومذهب المرجئة أن العصاة كلهم يغفر لهم ولا بد، وأنه لا يضر ذنب مع الإيمان، ويردّ عليهم قوله ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ فإنه تخصيص لبعض العصاة"[1] .

الدراسة:

اختُلف في المسألة على أقوال:

القول الأول:

أي: يغفر ما دون الشرك من الذنوب لمن يشاء من عباده المؤمنين، فمن مات ولم يتب منها فهو تحت مشيئة الله تعالى إن شاء غفر له وإن شاء عذّبه.

واستدلوا بهذه الآية فهي صريحة في أن ما دون الشرك واقع تحت المشيئة، وجمعاً بين نصوص الوعد والوعيد.

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ١/١٩٥.

وهو قول أهل السنة[1].

قال الطبري في تفسير الآية: "إن الله لا يغفر الشرك به والكفر، ويغفر ما دون ذلك الشرك لمن يشاء من أهل الذنوب والآثام"[2] .

القول الثاني:

أي: يغفر ما دون الشرك من الذنوب لمن يشاء من عباده المؤمنين، وهم التائبون من الذنوب، أما من لم يتب فلا يغفر الله له الكبائر؛ بل لا بدّ أن يعذّبه عليها.

واستدلوا بآيات الوعيد كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا ﴿١٠﴾ ﴾ [النساء] وقوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٢٣﴾ ﴾ [النور: ٢٣] ونحوها من الآيات، فقد توعد من لم يتب، والله لا يخلف الميعاد.

وحملوا آية المسألة على التائب، فقالوا ﴿لِمَن يَشَآءُ ﴾ هو التائب.

وهو قول الخوارج والمعتزلة[3] .

قال ابن جزي: ويردّ عليهم قوله ﴿ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ ﴾ . أي: فهذا شامل للكبائر لأنها دون الشرك، ولا دليل على التخصيص.

أما تأوّلهم لهذه الآية بأنها في التائب فأُجيب عنه بأنه لو كان المراد التائب لما كان للتفصيل المذكور بقوله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ معنى؛ لأن التائب من الشرك مغفور له بالإجماع، فإذا كان قوله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ ﴾ في غير

---

(١) ينظر: تفسير الطبري: ١٥١/٥، اعتقاد أئمة الحديث: ٦٤، التبصير في الدين: ١٧٣، النبوات لابن تيمية: ١٠٦، تفسير القرآن العظيم: ٣٢٥/٢، شرح العقيدة الطحاوية: ٥٢٤/٢.

(٢) تفسير الطبري: ١٥١/٥.

(٣) ينظر: الكشاف: ٣٩٩/١، مقالات الإسلاميين: ٨٦، الإبانة عن أصول الديانة: ١٧، الفرق بين الفرق: ٧٨، ١١٣، الفصل في الملل: ٣٧/٤، التبصير في الدين: ٦٥.
وقالت طائفة من الخوارج بأن العصاة يعذبون ولا بد سواء كانت ذنوبهم صغائر أو كبائر. ينظر: الفصل في الملل: ٣٧/٤.

التائب من الشرك، فكذلك قوله ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ في غير التائب من العصيان، ليكون أول الآية وآخرها على نسق واحد[1] .

وأما آيات الوعيد فمقيّدة بنصوص أخرى، وإخلاف الوعيد كرم، وقد قال الله: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود: ١١٤] وهؤلاء عكسوا فقالوا: إن السيئات يذهبن الحسنات[2].

القول الثالث:

أي: يغفر الذنوب لمن يشاء، وهم المؤمنون، فعصاة المؤمنين كلهم مغفور لهم ولا بد، فلا يضر مع الإيمان ذنب.

واستدلوا بقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الأعراف] ومن قال لا إله إلا الله فهو محسن فرحمة الله قريب منه، ومَنْ رحمه الله فلا يُعذّب، ونحوها من آيات الوعد.

وبقوله تعالى: ﴿لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾﴾ [الليل] فالوعيد للكفار لا المؤمنين، وكما أن الكفر محبط لكل حسنة فالإيمان محبط لكل سيئة، والرحمة والعفو أولى بالرحمن تعالى.

وهو قول بعض المرجئة[3].

قال ابن جزي: "ويردّ عليهم قوله ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ فإنه تخصيص لبعض العصاة"[4].

وتأولت المرجئة هذه الآية بأن معنى ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ أي لمن يشاء أن يؤمن، لا من يشاء أن يغفر له، فمن شاء الله أن يؤمن فقد غفر له.

---

(١) ينظر: المحرر الوجيز: ٦٤/٢، معالم أصول الدين للرازي: ١٣١، الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال: ٣٩٩/١، التسهيل لعلوم التنزيل: ١٩٥/١.

(٢) ينظر: الفصل في الملل: ٤١/٤.

(٣) ينظر: مقالات الإسلاميين: ١٤٧، التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع: ٤٣، الفصل في الملل: ٣٧/٤، المحرر الوجيز: ٦٤/٢، وهو قول بعض المرجئة لا كلهم كما في المراجع الثلاثة الأولى.

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل: ١٩٥/١.

وأُجيب عن تأوّلهم لآية المسألة بأنه بعيد لا يقتضيه اللفظ، فإن الشرك أيضاً مغفور لمن شاء الله أن يؤمن فلا يكون للتقسيم في الآية فائدة[1].

قال ابن حزم: "ويقال لمن أسقط آيات الوعيد جملة وقال إنها كلها إنما جاءت في الكفار إن هذا باطل؛ لأن نص القرآن بالوعيد على الفارِّ من الزحف ليس إلا على المؤمن بيقين بنص الآية في قوله تعالى ﴿ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥ ﴾ [الأنفال: ١٦] ولا يمكن أن يكون هذا في كافر أصلاً"[2] .

الترجيح:

الحق الذي لا مرية فيه هو القول الأول قول أهل السنة؛ فإن الخوارج والمعتزلة أعملت أدلة الوعيد، وأغفلت أدلة الوعد، والمرجئة عكست فأعملت نصوص الوعد، وأغفلت نصوص الوعيد، وأهل السنة أعملهما جميعاً، فإن الشريعة جاءت بهذا وهذا، فكلها حق من عند الله، وما كان من عند الله فلا اختلاف فيه ولا تعارض ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [النساء] فقيّدوا المطلق، وخصّصوا العام، وبيّنوا المجمل، وردّوا المتشابه إلى المحكم، عملاً بالأدلة كلها، والوعد أو الوعيد معلّق بتوافر الشروط وانتفاء الموانع استناداً إلى مجموع النصوص لا آحادها.

قال ابن تيمية: "دل على فساد قول الطائفتين قول الله تعالى في آيتين من كتابه، وهو قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ فأخبر تعالى أنه لا يغفر الشرك، وأخبر أنه يغفر ما دونه لمن يشاء، ولا يجوز أن يراد بذلك التائب كما يقوله من يقوله من المعتزلة؛ لأن الشرك يغفره الله لمن تاب وما دون الشرك يغفره الله أيضا للتائب فلا تعلق بالمشيئة، ولهذا لما ذكر المغفرة للتائبين قال تعالى ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الزمر] فهنا عمم المغفرة وأطلقها، فإن الله يغفر للعبد أي ذنب تاب منه، فمن تاب من الشرك

---

(١) ينظر: المحرر الوجيز: ٦٥/٢، التسهيل لعلوم التنزيل: ١٩٦/١.

(٢) الفصل في الملل: ٤١/٤.

غفر الله له، ومن تاب من الكبائر غفر الله له، وأيُّ ذنب تاب العبد منه غفر الله له، ففي آية التوبة عمّم وأطلق، وفي تلك الآية خصص وعلّق، فخص الشرك بأنه لا يغفره وعلّق ما سواه على المشيئة"[1] .

(١) مجموع الفتاوى: ١٨٤/١١. ومراده بآية التوبة الآية التي دلت على قبول الله لتوبة العبد مهما كانت ذنوبه وهي آية الزمر الآنفة.

قال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ ﴾.

فيها مسألتان:

المسألة الأولى: المراد بتزكية اليهود أنفسَهم في الآية.

ذكر ابن جُزَيّ / قولين في المسألة ورجَّح الأول منهما فقال :

" هم اليهود لعنهم الله، وتزكيتهم: قولهم: ﴿ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ﴾ [المائدة: ١٨] .

وقيل: مدحهم لأنفسهم"(١).

الدراسة:

اختلف المفسرون في المراد بتزكية اليهود أنفسهم في هذه الآية على أقوال(٢):

القول الأول:

تزكيتهم أنفسهم هو قولهم: ﴿ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ﴾ وقولهم: ﴿ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ﴾[البقرة: ١١١] .

وهو قول الحسن، وقتادة، وابن زيد(٣) .

واختاره الزمخشري، والبيضاوي ، والسيوطي، وهو ظاهر كلام الشنقيطي(٤).

واقتصر بعض أصحاب هذا القول – قتادة والبيضاوي والسيوطي- على الآية الأولى.

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ١٩٦/١.

(٢) قال الراغب عن معنى تزكية الإنسان لنفسه في القرآن: "وتزكية الإنسان نفسه ضربان : **أحدهما** بالفعل وهو محمود، وإليه قصد بقوله ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴾ [الشمس: ٩] وقوله ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴾ [الأعلى: ١٤] **والثاني** : بالقول كتزكية العدل غيره، وذلك مذموم أن يفعل الإنسان بنفسه وقد نهى الله تعالى عنه فقال: ﴿ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ﴾ [النجم: ٣٢] ". المفردات: ٢١٩. والثاني هو المراد بالبحث في هذه المسألة.

(٣) ينظر: تفسير عبدالزاق: ١٦٤/١، وتفسير الطبري: ١٥٢/٥، وتفسير ابن أبي حاتم: ٩٧٢/٣.

(٤) ينظر: تفسير الكشاف: ٣٩٩/١، أنوار التنزيل: ٢١٨/١، تفسير الجلالين: ٨٦، أضواء البيان: ٢٤٤/١.

القول الثاني:

مدحهم لأنفسهم بثناء بعضهم على بعض.

وهو قول ابن مسعود[1] .

قال القرطبي: " وهذا أحسن ما قيل؛ فإنه الظاهر من معنى الآية"[2].

القول الثالث:

هو قولهم لا ذنوب لنا ونحن كالأطفال يوم ولادتهم.

وهو قول الضحاك، والسدي[3] .

قال الضحاك: "قالت يهود ليست لنا ذنوب إلا كذنوب أولادنا يوم يولدون، فإن كانت لهم ذنوب فإن لنا ذنوباً؛ فإنما نحن مثلهم".

ورجَّح الطبري هذا القول مع القول الأول؛ لإخبار الله عنهم أنهم كانوا يقولونه، ولإخبار الله عنهم أنهم إنما كانوا يزكون أنفسهم دون غيرها[4].

القول الرابع:

قولهم إن أبناءنا الذين توفّوا سيشفعون لنا ويزكوننا.

وهو قول ابن عباس[1].

---

(١) ينظر: تفسير الطبري: ١٥٤/٥، ونسبه قولاً في الآية لابن مسعود البغويُ ٥٤٥/١ وابنُ عطية ٦٥/٢ والقرطبيُ ١٥٩/٥ وظاهر كلام ابن مسعود عند الطبري أنه استشهاد منه بالآية على الرجل يمدح أخاه بغير حق لأجل الدنيا سواء كان من اليهود أو من غيرهم، حيث قال: " إن الرجل ليغدو بدينه ثم يرجع وما معه منه شيء، يلقى الرجل ليس يملك له نفعا ولا ضراً، فيقول والله إنك لذيت وذيت، ولعله أن يرجع ولم يحل من حاجته بشيء، وقد أسخط الله عليه، ثم قرأ ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ﴾ الآية" واعتبره الطبري وغيره تفسيراً لمعنى تزكية اليهود لأنفسهم في الآية.

(٢) الجامع لأحكام القرآن: ١٥٩/٥.

(٣) ينظر: تفسير الطبري: ١٥٣/٥.

(٤) ينظر: تفسير الطبري: ١٥٤/٥ و ١٥٧/٥.

(١) ينظر: تفسير الطبري: ١٥٤/٥.

القول الخامس:

هو تقديمهم أطفالهم لإمامتهم في الصلاة؛ لأنهم لا ذنوب عليهم.

وهو قول مجاهد وعكرمة[١].

قال مجاهد: " كانوا يقدمون صبيانهم في الصلاة فيؤمونهم يزعمون أنهم لا ذنوب لهم، فتلك التزكية".

وردَّ الطبري هذا القول فقال: "وأما الذين قالوا معنى ذلك تقديمهم أطفالهم للصلاة فتأويل لا تدرك صحته إلا بخبر حجة يوجب العلم"[٢].

واستبعد ابن عطية والقرطبي هذا القول فقالا: " وهذا يبعد من مقصد الآية"[٣].

الترجيح:

الظاهر – والله أعلم – أن الآية يُقصد بها كل تزكية من اليهود لأنفسهم فيها افتراء على الله؛ لأن الله تعالى قال في الآية التي بعدها: ﴿ ٱنظُرۡ كَيۡفَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثۡمٗا مُّبِينٗا ﴾ [النساء: ٥٠] [٤] فبيّن أن تزكيتهم لأنفسهم تتضمن افتراء على الله، وذلك كقولهم: ﴿ نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ﴾ وقولهم: ﴿ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ ﴾ وقولهم: ﴿ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَةٗ ﴾ [البقرة: ٨٠] ونحو ذلك، فالله تعالى وصف فعلهم المذموم بأنه: تزكية، وبأنهم زكّوا أنفسهم ولم يزكّهم غيرهم، وبأنه تضمن افتراء على الله تعالى، فالقول الصحيح في الآية ما تضمن هذه الثلاثة أوصاف[٥].

قال ابن عاشور في معنى الآية: " تَعْجِيب من حال اليهود إذ يقولون: ﴿ نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ﴾ وقالوا: ﴿ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا ﴾ ونحو ذلك من إدلالهم الكاذب"[٦].

---

(١) ينظر: تفسير الطبري: ١٥٣/٥، وتفسير ابن المنذر: ٧٤٠، وتفسير أبي حاتم: ٩٧٢/٣.

(٢) تفسير الطبري: ١٥٤/٥.

(٣) ينظر: المحرر الوجيز: ٦٥/٢ والجامع لأحكام القرآن: ١٥٩/٥.

(٤) انظر في تعلق الآيتين ببعض: التسهيل لعلوم التنزيل: ١٩٦/١، وتفسير السعدي: ٣١٤/١.

(٥) ولم يصح في سبب نزول الآية شيء. انظر: الاستيعاب في بيان الأسباب: ٤٠٣/١-٤٠٥.

(٦) التحرير والتنوير: ١٥٤/٤.

المسألة الثانية: معنى ﴿فَتِيلًا﴾ .

ذكر ابن جُزَيّ / قولين في المسألة، ورجَّح الأول منهما فقال :

" الفتيل هو الخيط الذي في شق نواة التمرة .

وقيل: ما يخرج بين أصبعيك وكفيك إذا فتلتهما"[(١)].

الدراسة:

اختلف العلماء في المسألة على قولين:

القول الأول:

الفتيل هو الخيط الذي في شق نواة التمرة .

وبه قال ابن عباس، ومجاهد، والضحاك، وعطاء بن أبي رباح، وقتادة، وابن زيد[(٢)] ، وأبو عبيدة، وأبو بكر السجستاني، والثعلبي، والبغوي، والخازن، وابن التركماني[(٣)]، والشوكاني، وابن عاشور[(٤)] .

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ١٩٦/١، قال ابن جزي: فعبّر بأقل الأشياء تنبيهاً على الأكثر، وقال أيضا: هو تمثيل وعبارة عن أقل الأشياء فيدل على الأكثر بطريق الأولى. ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: ١٩٦/١، ٤٥١.

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ١٥٦/٥، تفسير ابن أبي حاتم: ٩٧٢/٣.

(٣) علاء الدين علي بن عثمان بن إبراهيم المارديني الحنفي، المعروف بابن التركماني، فقيه، أصولي، لغوي، تولى قضاء القضاة بالديار المصرية في آخر عمره، من مصنفاته: الكفاية في مختصر الهداية، وشرح الهداية، ومقدمة في أصول الفقه، قال ابن حجر: "واختصر كتاب ابن الصلاح اختصاراً حسناً، سمعت شيخنا العراقي يقول: إنه أوفى بمقصوده. قال: ولا نعلم أحداً ساواه فِي ذلك" توفي بالطاعون سنة ٧٥٠.
ينظر: الجواهر المضية في طبقات الحنفية: ٣٦٦/١، الوفيات لابن رافع السلامي: ١١٧/٢، رفع الإصر عن قضاة مصر: ٢٧٧، النجوم الزاهرة: ٢٤٦/١٠.

(٤) ينظر: مجاز القرآن: ١٢٩/١، نزهة القلوب: ٣٥١، تفسير الثعلبي: ٣٢٦/٣، معالم التنزيل: ٥٤٦/١، لباب التأويل: ٥٤٥/١، بهجة الأريب لابن التركماني: ١٧٤/١، فتح القدير: ٦٠٢/١، التحرير والتنوير: ١٥٤/٤.

القول الثاني:

هو ما يخرج بين أصبعيك وكفيك إذا فتلتهما.

وهو قول ابن عباس أيضاً، وأبي مالك، والسدي[١]، والفراء، والرازي[٢]

الترجيح:

القولان صحيحان ولا تعارض بينهما، فالفتيل يطلق على هذا وهذا.

قال ابن فارس: "الفاء والتاء واللام أصل صحيح يدل على لِيّ شيء، من ذلك فتلت الحبل وغيره، والفتيل: ما يكون في شق النواة كأنه قد فُتِل"[٣].

فالفتيل فعيل بمعنى مفعول أي مفتول، وسُمّي ما يكون في شق النواة فتيلاً لكونه على هيئة المفتول، يضرب به المثل على الشيء الحقير[٤]، والمراد أن الله لا يظلمهم شيئاً قليلاً ولا كثيراً.

قال ابن جرير الطبري: " وأصل الفتيل المفتول، صُرف من مفعول إلى فعيل، كما قيل صريع ودهين، من مصروع ومدهون، وإذ كان ذلك كذلك، وكان الله جل ثناؤه إنما قصد بقوله ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ الخبر عن أنه لا يظلم عباده أقل الأشياء التي لا خطر لها فكيف بما له خطر، وكان الوسخ الذي يخرج من بين أصبعي الرجل، أو من بين كفيه إذا فتل إحداهما على الأخرى، كالذي هو في شق النواة وبطنها، وما أشبه ذلك من الأشياء التي هي مفتولة مما لا خطر له ولا قيمة، فواجب أن يكون كل ذلك داخلاً في معنى الفتيل، إلا أن يخرج شيئاً من ذلك ما يجب التسليم له مما دل عليه ظاهر التنزيل"[٥].

وقال ابن كثير: " وكلا القولين متقارب"[٦] ، والله تعالى أعلم.

---

(١) ينظر: تفسير الطبري: ١٥٥/٥، تفسير ابن أبي حاتم: ٩٧٣/٣.

(٢) ينظر: معاني القرآن: ١٩٠/١، تفسير الرازي: ٢١١٩/٤.

(٣) معجم مقاييس اللغة: (فتل).

(٤) ينظر: المفردات في غريب القرآن: ٣٧٣، المحرر الوجيز: ٦٦/٢، عمدة الحفاظ: ٢٣٦/٣.

(٥) تفسير الطبري: ١٥٧/٥.

(٦) تفسير القرآن العظيم: ٣٣٣/٢.

قال الله تعالى: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ ﴾.

قال ابن جُزَيّ /:

"وصفهم بالحسد مع البخل، والناس هنا: يراد بهم النبي صلى الله عليه وسلم وأمته، والفضل: النبوة، **وقيل**: النصر والعزة.

وقيل: الناس العرب، والفضل كون النبي صلى الله عليه وسلم منهم"[1] .

ذكر ابن جُزَيّ في هذه الآية مسألتين:

الأولى: المراد بالناس الذين حسدهم اليهود.

الثانية: المراد بالفضل الذي حسدهم اليهود عليه.

الدراسة:

المسألة الأولى:

اختلف فيها المفسرون على أقوال:

القول الأول:

الناس هنا: النبي > والمؤمنون.

وهو قول الجصاص، والزمخشري ، والسعدي[2] ، وهو ظاهر كلام الطبري[3].

واستدل الطبري لإدخال الذين آمنوا في المراد بالناس بسياق الآيات؛ حيث عاب الله على اليهود قولهم عن المشركين: ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ ﴾ قال: "فإلحاق قوله ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ بذمهم على ذلك، وتقريظ الذين آمنوا الذين قيل فيهم ما قيل أشبه وأولى، ما لم يأت دلالة على انصراف معناه عن معنى

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ١/١٩٦.

(٢) ينظر: أحكام القرآن: ٣/١٧١، الكشاف: ١/٤٠١، تفسير السعدي: ١/٣١٥.

(٣) ينظر: تفسير الطبري: ٥/١٦٧.

ذلك".

واستدل الجصاص بحال اليهود مع العرب قبل البعثة فقال بعد أن ساق هذا القول:

"وهذا أولى؛ لأن أول الخطاب في ذكر اليهود، وقد كانوا قبل ذلك يقرؤون في كتبهم مبعث النبي > وصفته وحال نبوته، وكانوا يوعدون العرب بالقتل عند مبعثه؛ لأنهم زعموا أنهم لا يتبعونه، وكانوا يظنون أنه يكون من بني إسرائيل، فلما بعثه الله تعالى من ولد إسماعيل حسدوا العرب، وأظهروا الكفر به، وجحدوا ما عرفوه، قال الله تعالى: ﴿ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ ﴾ [البقرة: ٨٩] ، وقال الله تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم ﴾[البقرة: ١٠٩] ، فكانت عداوة للعرب ظاهرة بعد مبعث النبي > حسدا منهم لهم أن يكون النبي > مبعوثا منهم، فالأظهر من معنى الآية حسدهم للنبي > وللعرب".

القول الثاني:

المراد بالناس: العرب.

قال قتادة: " أولئك اليهود حسدوا هذا الحي من العرب على ما آتاهم الله من فضله"[1].

القول الثالث:

المراد بالناس: النبي > خاصة.

وهو قول ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، وأبي مالك، والسدي[2]، والزجاج ، والواحدي، وابن كثير ، والألوسي ، والشنقيطي[3] . ونسبه الرازي للجمهور[1] .

---

(١) تفسير الطبري: ١٦٧/٥.

(٢) ينظر: غريب الحديث للحربي: ٩٦٤/٣ وتفسير الطبري: ١٦٦/٥ ، وتفسير ابن أبي حاتم: ٩٧٨/٣.

(٣) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ٥٢/٢، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٢٦٩/١، تفسير القرآن العظيم: ٣٣٦/٢، روح المعاني: ٥٧/٥، أضواء البيان: ١٦٣/٩.

(١) ينظر: تفسير الرازي: ٢١٢٣/٤.

فالناس هنا عام أريد به الخصوص ، وهو النَّبي صلى الله عليه وسلم، كما في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ ﴾[آل عمران: ١٧٣] ، فالناس الأولى عام أريد به خصوص رجل واحد ، وهو نعيم بن مسعود الأشجعي[1] .

(١) ينظر: أضواء البيان: ١٦٣/٩. وسيأتي الترجيح في المسألة التالية.

المسألة الثانية: المراد بالفضل الذي حسدهم اليهود عليه.

اختلف فيها المفسرون على أقوال:

القول الأول:

الفضل هو: النبوة.

وهو قول قتادة، وأبي مالك، وابن جريج[١].

واختاره الطبري[٢]، والزجاج ، وابن كثير[٣] .

القول الثاني:

الفضل: للنبي > هو النبوة، وللمؤمنين: الإيمان به >[٤] .

القول الثالث:

الفضل: النصر والعزة، وهو قول الزمخشري[٥] .

القول الرابع:

الفضل على القول بأن المراد بالناس العرب: كون النبي > منهم[٦].

القول الخامس:

هو تحليل الزوجات للنبي > فيما زاد على الأربع.

وهو قول الضحاك، والسدي[٧].

وقال مقاتل بن حيان بأنه قوة النبي > في الجماع[٨] .

---

(١) ينظر: تفسير الطبري: ١٦٧/٥ ، وتفسير ابن أبي حاتم: ٩٧٨/٣.

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ١٦٧/٥. وقال: "فضَّل الله بها محمدا، وشرّف بها العرب إذ آتاها رجلا منهم دون غيرهم" فجعل الفضل للنبي > وللعرب بناء على تفسيره للمراد بالناس.

(٣) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ٥٢/٢، تفسير القرآن العظيم: ٣٣٦/٢.

(٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٦٢/٥، والتحرير والتنوير: ١٥٧/٤.

(٥) ينظر: تفسير الكشاف: ٤٠١/١.

(٦) ينظر: المحرر الوجيز: ٦٨/٢، وزاد المسير: ٦٧/٢.

(٧) ينظر: تفسير الطبري: ١٦٧/٥ ، وتفسير ابن أبي حاتم: ٩٧٨/٣.

(٨) ينظر: تفسير ابن أبي حاتم: ٩٧٩/٣.

واستبعد الرازي قصر الآية عليه[1].

واختاره مع القول الأول الواحدي ، والسيوطي[2].

الترجيح:

الظاهر – والله أعلم – أن المراد بالناس النبي > والمؤمنون معه – وعامّتُهم في ذلك الوقت من العرب – لقوة ما استدل به أصحاب القول الأول من السياق، وحال اليهود مع العرب قبل البعثة وبعدها، ولأن منشأ حسد اليهود كون النبي > عربياً فهو حسد سببه وصفان مجتمعان: النبوة والعربية، لذا فهو حسد له ولأصحابه العرب المؤمنين به.

أما الفضل فهو النبوة لمحمد > .

ولأصحابه: الإيمان والهدى، وكون خاتم النبيين منهم، وكونهم أصحابه وأنصاره.

ولوازم ذلك للنبي > وأصحابه من النصر والعز والتمكين، وشرف الدنيا والآخرة.

أما تفسير الفضل للنبي > بالزواج فلم يصح في نزوله شيء يوجب المصير إليه[3]، وهو بجانب هذه المعاني أمر يسير لا تكاد تنصرف إليه القلوب عند الحسد، وحمل الآية على الظاهر المشهور الجليل من المعاني أولى.

قال ابن القيم عن القرآن: "فكما أن ألفاظه ملوك الألفاظ وأجلّها وأفصحها ... فكذلك معانيه أجلّ المعاني وأعظمها وأفخمها"[4].

---

(١) ينظر: تفسير الرازي: ٤/٢١٢٤.

(٢) ينظر: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ١/٢٦٩، تفسير الجلالين: ٨٧.

(٣) انظر: الاستيعاب في بيان الأسباب: ١/٤١٠.

(٤) بدائع الفوائد: ٣ / ٥٣٨.

مسألة: المراد بتبديل جلود الكفار في النار في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴿٥٦﴾ ﴾.

ذكر ابن جُزَيّ / ثلاثة أقوال في الآية، واستبعد القول الثالث منها فقال :

" **قيل**: تُبَدَّل لهم جلود بعد جلود أخرى؛ إذ نفوسهم هي المعذبة.

وقيل: تبديل الجلود تغيير صفاتها بالنار.

وقيل: الجلود السرابيل، وهو بعيد"[1] .

الدراسة:

اختلف المفسرون في المراد بتبديل جلود الكفار في الآية على ثلاثة أقوال:

القول الأول:

المراد يبدّلون جلودا أخرى غير جلودهم الأولى، فكلما نضجت جلود الكفار في النار خلق الله لهم جلودا جديدة غير الأولى ليذوقوا العذاب، فهو تبديل لذات الجلد، وليس تجديدا وإعادة لجلده الأول.

وهو قول القرطبي، وأبي حيان، والشوكاني[2] ، وظاهر كلام الطبري[3]، وبه قال الزجاج مع تجويزه للقول الثاني[4].

قال ابن عمر ك : "إذا احترقت جلودهم بدلناهم جلودا بيضاً أمثال القراطيس".

وقال قتادة: "كلما احترقت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها" ومثله عن الضحاك[1].

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ١٩٧/١. والسرابيل: قال ابن جزي: جمع سربال وهو القميص. ينظر: التسهيل: ٣٦/١.

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٦٤/٥ ، والبحر المحيط: ٢٨٥/٣ ، وفتح القدير: ٦٠٥/١ .

(٣) ينظر: تفسير الطبري: ١٧١/٥.

(٤) ينظر: معاني القرآن: ٥٣/٢.

(١) ينظر: تفسير الطبري: ١٧١/٥، وتفسير ابن المنذر: ٧٥٩.

وأقوال السلف هذه تحتمل هذا القول وتحتمل القول الثاني، وقول ابن عمر أقربها لهذا القول، أما قول قتادة والضحاك فهو تعبير بلفظ الآية فيجري عليه الخلاف.

واستدلوا لهذا القول بأن لفظ التبديل يقتضي المغايرة ، وأكّد الله ذلك بقوله: ﴿ جُلُودًا غَيْرَهَا ﴾.

قال أبو حيان: " والتبديل على معنيين : تبديل في الصفات مع بقاء العين ، وتبديل في الذوات بأن تذهب العين وتجيء مكانها عين أخرى ، يقال : هذا بدل هذا . والظاهر في الآية هذا المعنى الثاني، وأنه إذا نضج ذلك الجلد وتهرَّى وتلاشى جيء بجلد آخر مكانه، ولهذا قال :﴿ جُلُودًا غَيْرَهَا ﴾"(١).

وقول ابن جُزَيّ / " إذ نفوسهم هي المعذبة" يشير به إلى الإجابة عن الاعتراض على هذا القول بأن تبديل ذوات الجلود يلزم منه تعذيب جلود جديدة لم تذنب.

وقد ذكر الإمام أحمد هذا الاعتراض عن الزنادقة في كتابه: (الرد على الزنادقة والجهمية) وكذلك ذكره القرطبي عنهم، وقال الألوسي عنه: " وعندي أن هذا السؤال مما لا يكاد يسأله عاقل فضلا عن فاضل"(٢).

وأجاب المفسرون عن ذلك بأجوبة حاصلها: أن الألم يصل إلى النفوس؛ لأنها هي التي تُحس، فالجلود وسيلة لإيصال العذاب لنفوسهم التي تتألم به، بدليل أن الجلد متى تعرى عن الروح لم يلحقه ألم ، فعُلِم أن المقصود بالألم الروح دون الجلود؛ ، ولهذا قال الله تعالى: ﴿لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ ﴾ ولو أراد الجلود لقال: ليذقن العذاب(٣).

القول الثاني:

المراد: تُعاد جلودهم الأولى جديدة غير محترقة كما كانت من قبل، فهو تبديل

---

(١) البحر المحيط: ٢٨٥/٣ ، وينظر: فتح القدير: ٦٠٥/١ ، والتحرير والتنوير: ١٥٩/٤.

(٢) روح المعاني: ٥ /٥٨، وانظر: الرد على الزنادقة والجهمية لأحمد بن حنبل: ٧، والجامع لأحكام القرآن: ١٦٥/٥.

(٣) ينظر: تفسير الطبري: ١٧٢/٥، وتفسير الراغب الأصفهاني: ١٢٧٩/٢، ومعالم التنزيل: ٥٤٩/١، وزاد المسير:٦٨/٢، والجامع لأحكام القرآن: ١٦٤/٥ .

لصفات الجلد لا تبديل لعينه وذاته.

قال الحسن : "كلما انضجتهم وأكلت لحومهم قيل لهم : عودوا فعادوا"(١).

وهو قول الإمام أحمد بن حنبل، والواحدي، والنسفي، والبقاعي، والسيوطي(٢).

قال القرطبي في عرض أدلة هذا القول: " وهذا كما تقول للصائغ : صغ لي من هذا الخاتم خاتما غيره فيكسره ويصوغ لك منه خاتما فالخاتم المصوغ هو الأول إلا أن الصياغة تغيرت والفضة واحدة، وهذا كالنفس إذا صارت ترابا وصارت لا شيء ثم أحياها الله تعالى، وكعهدك بأخ لك صحيح ثم تراه بعد ذلك سقيماً مدْنفاً فتقول له: كيف أنت؟ فيقول: أنا غير الذي عهدت، فهو هو ولكن حاله تغيرت، فقول القائل: أنا غير الذي عهدت، وقوله تعالى : ﴿غَيْرَهَا﴾ مجاز، ونظيره قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ ﴾ [إبراهيم: ٤٨] وهي تلك الأرض بعينها إلا أنها تُغيّر آكامها وجبالها وأنهارها وأشجارها، ويُزاد في سعتها، ويُسوّى ذلك منها "(٣).

وردّ الشوكاني هذا القول فقال: " ويأبى ذلك معنى التبديل" ومثله قال القاسمي(٤).

القول الثالث:

المراد بالجلود: السرابيل من قطران فكلما احترقت بُدلوا سرابيل أخرى.

وإنما سميت جلوداً للزومها جلودهم على المجاورة، كما يقال للشيء الخاص بالإنسان

---

(١) ينظر: تفسير ابن أبي حاتم: ٩٨٣/٣.

(٢) ينظر: الرد على الزنادقة والجهمية لأحمد بن حنبل: ٧، والوجيز: ٢٦٩/١، وتفسير النسفي: ٢٢٨/١، ونظم الدرر: ٢٦٩/٢، وتفسير الجلالين: ٨٧.

(٣) الجامع لأحكام القرآن: ١٦٥/٥، وذكر هذه الأدلة أو بعضها كثير من المفسرين. ينظر: تفسير الطبري: ١٧٢/٥، وتفسير السمعاني: ٤٣٨/١، ومعالم التنزيل: ٥٤٩/١، والمحرر الوجيز: ٦٩/٢، وزاد المسير: ٦٨/٢.

(٤) فتح القدير: ٦٠٥/١، وينظر محاسن التأويل: ١٨٢/٣.

هو جلدة ما بين عينيه ووجهه لخصوصه به، فكذلك سرابيل القطران التي ذكرها الله ﴿ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴾ لما صارت لهم لباسا لا تفارق أجسامهم جعلت لهم جلودا[1] .

وضعّف هذا القول كثير من المفسرين.

قال الرازي:"السرابيل من القطران لا توصف بالنضج ، وإنما توصف بالاحتراق"[2].

وقال ابن كثير: " وهو ضعيف؛ لأنه خلاف الظاهر"[3] .

وقال الشوكاني: " ولا موجب لترك المعنى الحقيقي ها هنا وإن جاز إطلاق الجلود على السرابيل مجازاً"[4].

واستبعد هذا القول أيضاً الجصاص، وأبو حيان[5].

الترجيح:

الظاهر – والله أعلم – أن القول الثالث ضعيف كما قالوا وعلّلوا.

أما القول الأول والثاني فهما قولان محتملان، والقول الأول أولى حملاً لألفاظ الآية على الحقيقة كما هو مقرر في قواعد الترجيح[6]، ولأن الله أكّد التبديل بقوله ﴿ جُلُودًا غَيْرَهَا ﴾ ولو شاء لقال : كلما نضجت جلودهم بدلناها ليذوقوا العذاب، بلا تأكيد.

أما قولهم بأنه تبديلُ صفات كما في قوله تعالى ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ ﴾ فيجاب عنه بأن المفسرين مختلفون فيها، والأصل حملها أيضاً على الحقيقة وهي تبديل

---

(١) تفسير الطبري: ١٧٢/٥،والجامع لأحكام القرآن: ١٦٥/٥.

(٢) تفسير الرازي: ٢١٢٥/٤.

(٣) تفسير القرآن العظيم: ٣٣٧/٢.

(٤) فتح القدير: ٦٠٥/١.

(٥) ينظر: أحكام القرآن: ١٧٢/٣، والبحر المحيط: ٢٨٥/٣.

(٦) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: ٣٨٧/٢.

ذات الأرض، ولا تصرف عنه إلا بدليل، فإذا صح الدليل انصرف المعنى إلى تبديل الصفات لوجود الدليل لا لجوازه في اللغة فحسب، ولا دليل في مسألتنا هذه يَقوى على صرف تبديل الجلود من تبديل الذات إلى تبديل الصفات(١).

(١) **إشارات:**

١– يشير العلم الحديث إلى إعجاز هذه الآية حيث إن الجلد هو مركز الإحساس بخلاف اللحم، والجلد إذا احترق توقف الشعور بالألم، فجاء لفظ الآية دقيقاً معجزا فبيّن الله تعالى أنه كلما نضجت جلودهم بدّلهم جلودا غيرها. ولم يقل جلودهم ولحومهم، وعلّل الله تعالى هذا التبديل بعلة صريحة: ليذوقوا العذاب، فسبحان الله العليم الخبير القادر الحكيم. ينظر: موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة: ١٥٤، والموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن الكريم والسنة النبوية: ٢٩٧.

٢– لا يصح أن يستدل للقول الثاني باعتراض الزنادقة فلم أرَ أحداً من المفسرين ممن أشرت إلى كتبهم في الحواشي ذكره دليلا للقول الثاني، ولو قال بذلك أحد من أهل العلم للزمه أن يجيب على حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي > قال: " ما بين منكبي الكافر في النار مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع" (متفق عليه: أخرجه البخاري: ٢٣٩٨/٥ رقم ٦١٨٥، ومسلم واللفظ له: ٢١٨٩/٤ رقم ٢٨٥٢) وفي الحديث الآخر قال: " ضِرْسُ الْكَافِرِ أو نَابُ الْكَافِرِ مِثْلُ أُحُدٍ، وَغِلَظُ جِلْدِهِ مَسِيرَةُ ثَلَاثٍ" (أخرجه مسلم: ٢١٨٩/٤ رقم ٢٨٥١) فإن المقدار الزائد من جسمه، وجلده، وضرسه هو مقدار جديد لم يذنب؟.

وهذا يؤكّد ما قاله العلماء بأن المراد بالعذاب هو نفوسهم، وتعذيب الجلود وسيلة لإيصال العذاب للنفوس، ولايظلم ربك أحداً. نسأل الله العفو والعافية والنجاة من النار.

مسألة: معنى ﴿ظَلِيلًا﴾.

قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَنُدۡخِلُهُمۡ ظِلّٗا ظَلِيلًا ٥٧ ﴾.

ذكر ابن جُزَيّ / قولين في الآية ورجَّح الأول منهما فقال :

"﴿ظَلِيلًا﴾ صفة من لفظ الظل للتأكيد[1] ، أي: دائماً لا تنسخه الشمس.

وقيل: نفي الحر والبرد"[2] .

الدراسة:

القول الأول:

أي ظل دائم لا تنسخه الشمس، ولا ينتقل كما يفعل ظل الدنيا.

وهو قول الواحدي ، والبيضاوي ، والسيوطي[3] .

القول الثاني:

أي ظل يُظِلُّ ويقِي من الحر والبرد.

وليس كل ظل يقي الحر والبرد، فبيّن تعالى أن ظل الجنة يقي من الحر والبرد، وهو كقوله تعالى:﴿ وَظِلّٖ مَّمۡدُودٖ ﴾ [الواقعة: ٣٠] ، لأنه ليس كل ظل ممدود[4] .

وهو قول الطبري، والزجاج، والنحاس، والسمعاني، والسمين الحلبي، والشوكاني[5].

---

(١) وهو كقولهم: ليلٌ أليَل، وشمسٌ شامس. (ينظر: الكشاف: ٤٠١/١، وأنوار التنزيل: ٢٢٠/١).

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل: ١٩٧/١.

(٣) ينظر: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز:٢٧٠/١، أنوار التنزيل: ٢٢٠/١، تفسير الجلالين: ٨٧.

(٤) ينظر: تفسير الطبري: ١٧٣/١، ومعاني القرآن للزجاج: ٥٣/٢.

(٥) ينظر: تفسير الطبري: ١٧٣/١، معاني القرآن وإعرابه: ٥٣/٢، معاني القرآن للنحاس: ٢٢٠/١، تفسير السمعاني: ٤٣٩/١، عمدة الحفاظ: ٧/٣، فتح القدير: ٦٠٥/١.

قال ابن عاشور: "ووُصف بالظليل وصفاً مشتقّاً من اسم الموصوف للدلالة على بلوغه الغاية في جنسه"[1] .

الترجيح:

القولان صحيحان لا تعارض بينهما؛ فظل الجنة دائم كما أخبر الله تعالى عنه: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا﴾ [الرعد: ٣٥]، وقال: ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾[الإنسان: ١٣] ، وهو ظل تام المنافع، مكتمل الأوصاف، قد بلغ غاية الحسن، يقي من الحر والبرد؛ فذلك من تمام نعيم الجنة -نسأل الله أن يجعلنا من أهلها- واللغة تحتمل ذلك كله[2].

وقد جمع عدد من المفسرين بين القولين كالبغوي، والزمخشري، والبقاعي، والألوسي[3] فقالوا: دائم لا تنسخه الشمس، ويقي من الحرّ والبرد[4].

---

(١) التحرير والتنوير: ١٥٩/٤.

(٢) ينظر: تهذيب اللغة، الصحاح، معجم مقاييس اللغة، المحكم والمحيط الأعظم: مادة (ظل، ظلل).

(٣) ينظر: معالم التنزيل: ٥٥٠/١، الكشاف: ٤٠١/١، نظم الدرر: ٢٧٠/٢، روح المعاني: ٦٠/٥.

(٤) وذهب الراغب الأصفهاني والرازي إلى أن الظل كناية عن الراحة ورغد العيش والنعمة الدائمة، كما يقال: أنا في ظلك، وذلك أن بلاد العرب كانت في غاية الحرارة فكان الظل عندهم أعظم أسباب الراحة، أما الظليل فهو مبالغة في تمام وكمال هذا المعنى. ينظر: تفسير الراغب: ١٢٨١/٢، المفردات: ٣١٧، تفسير الرازي: ٢١٢٧/٤.

وهو عدول عن الحقيقة إلى المجاز، والأصل حمل ألفاظ الكتاب والسنة على الحقيقة إلا بدليل، ولا دليل هنا يقوى على العدول عن الحقيقة، ولذا فأكثر المفسرين على حمل الظل على حقيقته.

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩ ﴾.

فيها ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: المراد بـ ﴿وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾ في الآية.

ذكر ابن جُزَيّ / قولين في المسألة، ورجَّح الأول منهما فقال :

" هم الولاة.

وقيل: العلماء .

نزلت في عبد الله بن حذافة بعثه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في سرية"[1] .

الدراسة:

اختلف أهل العلم في المسألة على أقوال:

القول الأول:

هم الولاة والأمراء.

وهذا قول أبي هريرة، وابن عباس، وابن زيد[2]، والشافعي، والطبري، والنحاس، والكيا الهراسي[3] .

قال ابن عطية والقرطبي: وهو قول الجمهور[4] .

وقال مقاتل بن سليمان، ووكيع: هم أصحاب السرايا على عهد رسول الله > [5].

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ١/١٩٦.

(٢) ينظر: مصنف ابن أبي شيبة: ٦/٤١٦، تفسير الطبري: ٥/١٧٨، تفسير ابن أبي حاتم: ٣/٩٨٨، السنة للخلال: ١/١٠٦.

(٣) ينظر: أحكام القرآن للشافعي: ١/٢٩، تفسير الطبري: ٥/١٨٠، معاني القرآن للنحاس: ١/٢٢١، أحكام القرآن للكيا الهراسي: ١/٤٧٢.

(٤) ينظر: المحرر الوجيز: ٢/٧٠، الجامع لأحكام القرآن: ٥/١٦٧.

(٥) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ١/٢٣٧، نسخة وكيع عن الأعمش: ٧٧.

وهو يرجع إلى هذا القول فإنهم من الأمراء وطاعتهم من طاعة الولاة.

وقولهم: " على عهد رسول الله > " يراد به التمثيل.

واستدل أصحاب هذا القول بعدد من الأدلة:

١- الأحاديث التي فيها الأمر بطاعة الولاة كحديث أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ > قال: "من أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ، وَمَنْ أَطَاعَ أَمِيرِي فَقَدْ أَطَاعَنِي وَمَنْ عَصَى أَمِيرِي فَقَدْ عَصَانِي"(١) .

وكحديث أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله > : " اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَإِنْ اسْتُعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيبَةٌ "(٢) وغيرها.

٢- أن الله أمر الولاة في الآية التي قبلها بالعدل في الأحكام ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِ ﴾ [النساء: ٥٨] ثم أمر الرعية في هذه الآية بطاعة الولاة، ففيه تناسب بين الآيتين.

٣- الآية نزلت في طاعة أمراء السرايا، قال ابن عباس: "نَزَلَتْ في عبد اللَّهِ بن حُذَافَةَ ابن قَيْسِ بن عَدِيٍّ إِذْ بَعَثَهُ النبي > في سَرِيَّةٍ"(٣) .

قال الشافعي: "من كان حول مكة من العرب لم يكن يعرف إمارة، وكانت تأنف أن تعطى بعضها بعضاً طاعة الإمارة، فلما دانت لرسول الله > بالطاعة لم تكن ترى ذلك يصلح لغير رسول الله > فأمروا أن يطيعوا أولي الأمر الذين أمرهم رسول الله > لا طاعة مطلقة؛ بل طاعة يستثنى فيها لهم وعليهم، قال تعالى ﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾"(٤).

٤- قوله تعالى: ﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ يدل أن المراد الأمراء إذ

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري: ٢٦١١/٦ (رقم ٦٧١٨) ومسلم: ١٤٦٦/٣ (رقم: ١٨٣٥).

(٢) أخرجه البخاري: ٢٦١٢/٦ (رقم ٦٧٢٣).

(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري: ١٦٧٤/٤ رقم ٤٣٠٨، ومسلم: ١٤٦٥/٣ رقم (١٨٣٤).

(٤) أحكام القرآن للشافعي: ٢٩/١.

ليس للمقلد أن ينازع المجتهد في حكمه بخلاف المرؤوس مع أميره[1].

أُجيب عن الدليل الرابع: بأن الخطاب لأولي الأمر على طريقة الالتفات، أي: فإن تنازعتم أيها العلماء في شيء فردوه إلى الله والرسول[2].

وذهب الزمخشري، وأبو السعود إلى أن المراد بأولي الأمر: أمراء الحق؛ لأن أمراء الجورِ اللهُ ورسولُه بريئان منهم، فلا يُعطَفون على الله ورسوله في وجوب الطاعة لهم، وإنما يجمع بين الله ورسوله والأمراء الموافقين لهما في إيثار العدل واختيار الحق والأمر بهما والنهي عن أضدادهما، كالخلفاء الراشدين ومن تبعهم بإحسان[3].

القول الثاني:

هم العلماء.

وهذا قول جابر بن عبدالله، وابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، والضحاك، والحسن، وعطاء بن السائب، وأبي العالية[4].

قال ابن العربي: وبه قال أكثر التابعين[5] .

وبه قال أيضاً مالك، والطحاوي، والواحدي، وأبو القاسم الأصبهاني[6]،

---

(١) ينظر في هذه الأدلة: تفسير الطبري: ١٨٠/٥، شرح صحيح البخاري لابن بطال: ٢١٠/٨، أحكام القرآن للكيا الهراسي: ٤٧٢/١، تفسير الرازي: ٢١٣٤/٤، أنوار التنزيل: ٢٠٦/٢، روح المعاني: ٦٦/٥.

(٢) ينظر: أحكام القرآن للجصاص: ٢٦٤/٢، روح المعاني: ٦٦/٥.

(٣) ينظر: الكشاف: ٤٠٢/١، إرشاد العقل السليم: ١٥٤/٢.

(٤) ينظر: تفسير الطبري: ١٧٩/٥، تفسير ابن أبي حاتم: ٩٨٩/٣، شرح مشكل الآثار للطحاوي: ١٨٢/٤، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي: ٧٢/١.

(٥) ينظر: أحكام القرآن لابن العربي: ٤٦٨/١،

(٦) إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي، أبو القاسم، الحافظ الكبير الملقب بقوام السنة، إمام في التفسير والحديث واللغة والأدب، كان يحضر مجلس إملائه الأئمة الحفاظ والمسندون، قيل: ما دخل بغداد بعد أحمد بن حنبل أفضل ولا أحفظ منه، من مصنفاته: التفسير الكبير ثلاثون مجلداً سماه الجامع، والإيضاح في التفسير أربع مجلدات، والموضح في التفسير ثلاث مجلدات، والمعتمد في التفسير عشر مجلدات، وإعراب القرآن، وشرح البخاري، وشرح مسلم، توفي سنة ٥٣٥.
ينظر: التدوين في أخبار قزوين: ٣٠١/٢، التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد: ٢١٠، طبقات الشافعية: ٣٠١/١، طبقات المفسرين للسيوطي: ٣٧.

ونظام الدين النيسابور[1]، وهو ظاهر كلام الزجاج[2].

واستدلوا: بقول الله تعالى: ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾ [النساء: ٨٣] والعلماء هم المستنبطون المستخرجون للأحكام.

وبقوله تعالى ﴿ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ وإنما يعرف الرد إلى الله ورسوله العلماء، فأعمال الأمراء موقوفة على فتاوى العلماء، فالعلماء في الحقيقة أمراء الأمراء؛ لأن أمرهم ينفذ عليهم وإليهم المرجع[3] .

أقوال أخرى:

قال مجاهد: "هم أصحاب النبي ﷺ "[4] .

وقال عكرمة: " أبو بكر وعمر" [5] .

قال ابن عطية: "وفي هذا التخصيص بُعد"[6] .

والظاهر أنهما أرادا التمثيل، سيما وقد قالا في روايات أخرى -كما سبق- بأنهم: العلماء.

وقال البيضاوي: بأنهم أمراء المسلمين ويندرج فيهم الخلفاء والقضاة وأمراء السرية[1].

---

(١) ينظر على التوالي: الجامع لأحكام القرآن: ١٦٧/٥، شرح مشكل الآثار: ١٨٢/٤، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٢٧١/١، الحجة في بيان المحجة: ٢٩٦/١، غرائب القرآن: ٢٢٥/١.

(٢) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ٥٤/٢.

(٣) ينظر: تفسير الطبري: ١٨٠/٥، أحكام القرآن للجصاص: ٢٦٤/٢، معالم التنزيل: ٥٥١/١، تفسير الرازي: ٢١٣٤/٤، الجامع لأحكام القرآن: ١٦٧/٥، غرائب القرآن: ٢٢٥/١، روح المعاني: ٦٦/٥.
ويحسن التنبه إلى أن من قال بأنهم العلماء فلا يعني أن الأمراء لا تجب طاعتهم، فإن طاعتهم مستفادة من أدلة أخرى مشهورة معلومة وقد مرَّ ذكر بعضها، لكنه يناقش المراد بهم في هذه الآية: أهم الأمراء أم العلماء؟.

(٤) تفسير الطبري: ١٨٠/٥.

(٥) تفسير الطبري: ١٨٠/٥، تفسير ابن أبي حاتم: ٩٨٩/٣.

(٦) المحرر الوجيز: ٧٠/٢.

(١) ينظر: أنوار التنزيل: ٢٠٦/٢.

وقال الشوكاني: هم الأئمة والسلاطين والقضاة، وكل من كانت له ولاية شرعية[1].

وهما قريبان من القول الأول إلا أنهما أعم منه، وأعم منهما ما قال أبو حيّان والعيني: بأنها عامة في كل مَن ولي أمر شيء ولاية صحيحة[2].

ومُثِّل له بالمرأة يجب عليها طاعة زوجها، والعبد مع سيده، والولد مع والديه، واليتيم مع وصيّه فيما يرضى الله وله فيه مصلحة[3].

وقال ابن عاشور: " فأولو الأمر هنا: هم من عدا الرسول من الخليفة إلى والي الحسبة، ومن قواد الجيوش، ومن فقهاء الصحابة والمجتهدين إلى أهل العلم في الأزمنة المتأخّرة، وأولو الأمر هم الذين يطلق عليهم أيضاً أهل الحلّ والعقد"[4] .

الترجيح:

دخول الولاة والأمراء في الآية ظاهر لقوة ما استدل به أصحاب القول الأول.

أما تخصيص الآية بأمراء الحق لا أمراء الجور كما قال الزمخشري وأبو السعود فلا يُسَلّم؛ إذ الآية عامة ومن ادّعى التخصيص فعليه الدليل؛ لكنهم وغيرهم لا يطاعون في معصية الله تعالى إجماعاً[5] لقول النبي > في المتفق عليه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: "على الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ إلا أَنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيَةٍ؛ فَإِنْ أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فلا سَمْعَ ولا طَاعَةَ "[6] ، وقد جاء النص صريحاً بطاعة الأمراء وإن جاروا كما في صحيح مسلم أن النبي > قال: " خِيَارُ أَئِمَّتِكُمْ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ وَتُصَلُّونَ عليهم، وَشِرَارُ أَئِمَّتِكُمْ الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ، قِيلَ يا رَسُولَ اللَّهِ: أَفَلَا نُنَابِذُهُمْ بِالسَّيْفِ؟ فقال: لَا ما أَقَامُوا فِيكُمْ الصَّلَاةَ، وإذا رَأَيْتُمْ من

(١) فتح القدير: ٦٠٧/١.

(٢) ينظر: البحر المحيط: ٢٩٠/٣، عمدة القاري: ١٧٦/١٨.

(٣) ينظر: البحر المحيط: ٢٩٠/٣.

(٤) التحرير والتنوير: ١٦٦/٤.

(٥) حكى الإجماع الشنقيطي في أضواء البيان: ٣٢٩/٧.

(٦) متفق عليه: أخرجه البخاري: ٢٦١٢/٦ (رقم ٦٧٢٥) ومسلم: ١٤٦٩/٣ (رقم ١٨٣٩).

وُلَاتِكُمْ شيئاً تَكْرَهُونَهُ فَاكْرَهُوا عَمَلَهُ ولا تَنْزِعُوا يَدًا من طَاعَةٍ "[1] .

أما العلماء فدخولهم في الآية محتمل احتمالاً قوياً لما ذكره أصحاب القول الثاني، ولأن الاسم يتناولهم جميعاً فالأمراء يَلُون أمر الحكم، والعلماء يلون أمر الدين وحفظ الشريعة[2]، ولا يصلح دين الناس ودنياهم إلا بطاعتهم، قال سهل بن عبد الله[3]: "لا يزال الناس بخير ما عظَّموا السلطان والعلماء، فإذا عظَّموا هذين أصلح الله دنياهم وأخراهم، وإذا استخفّوا بهذين أفسد دنياهم وأخراهم"[4].

وإلى شمول الآية للأمراء والعلماء ذهب جماعة من العلماء المحققين كابن العربي، والقرطبي، وشيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم، وابن كثير، والشنقيطي[5]، ومال إليه الألوسي، وجوّزه الجصاص[6].

قال ابن القيم: " والصحيح أنها متناولة للصنفين جميعاً؛ فإن العلماء والأمراء ولاة الأمر الذي بعث الله به رسوله، فإن العلماء ولاته حفظاً وبياناً وذباً عنه ورداً على من ألحد فيه وزاغ، وقد وكّلهم الله بذلك فقال تعالى: ﴿ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴾ [الأنعام: ٨٩] فيالها من وكالة أوجبت طاعتهم، والانتهاء إلى أمرهم، وكون الناس تبعاً لهم.

والأمراء ولاته قياماً وعناية وجهاداً وإلزاماً للناس به، وأخذهم على يد من خرج عنه.

---

(١) أخرجه مسلم: ١٤٨١/٣ (رقم ١٨٥٥) ، وينظر: شرح العقيدة الطحاوية: ٥٤٠/٢.

(٢) ينظر: أحكام القرآن للجصاص: ٢٦٤/٢.

(٣) سهل بن عبد الله بن يونس التستري ، أبو محمد، زاهد متصوف واعظ، قال أبو نعيم الأصبهاني: "عامة كلامه في تصفية الأعمال وتنقية الأحوال عن المعايب والأعلال" من أقواله: أشدُّ شيء على النفس الإخلاص؛ لأنه ليس لها فيه نصيب. توفي سنة ثلاث وثمانين ومائتين.
ينظر: حلية الأولياء: ١٩٠/١٠، صفة الصفوة: ٦٤/٤، نزهة الألباب: ٣٨٠/١.

(٤) الجامع لأحكام القرآن: ١٦٨/٥.

(٥) ينظر: أحكام القرآن لابن العربي: ٤٦٨/١، الجامع لأحكام القرآن: ١٦٧/٥، منهاج السنة النبوية: ١٠٧/٤ والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: ٢٣٨/٢، بدائع التفسير: ٢٧٨/١، تفسير القرآن العظيم: ٣٤٥/٢، أضواء البيان: ٣٢٩/٧.

(٦) ينظر: روح المعاني: ٦٦/٥، أحكام القرآن للجصاص: ٢٦٤/٢.

وهذان الصنفان هما الناس، وسائر النوع الإنساني تبع لهما ورعية"[1] .

وقال ابن العربي: "والصحيح عندي أنهم الأمراء والعلماء جميعاً، أما الأمراء فلأن أصل الأمر منهم والحكم إليهم، وأما العلماء فلأن سؤالهم واجب متعين على الخلق، وجوابهم لازم، وامتثال فتواهم واجب... لا سيما وقد قدمنا أن كل هؤلاء حاكم وقد سماهم الله تعالى بذلك فقال ﴿ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ ﴾ [المائدة: ٤٤] فأخبر تعالى أن النبي < حاكم، والرباني حاكم، والحبر حاكم"[2].

وإذا جمعت بين ما قاله أصحاب القول الأول بأن الله أمر الولاة في الآية التي قبلها بالعدل في الأحكام ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ ﴾ [النساء: ٥٨] ثم أمر الرعية في هذه الآية بطاعة الولاة، وبين الآية التي ذكرها ابن العربي، وفيها تسمية الرباني حاكماً، والحبر حاكماً تقوى لديك دخول العلماء في الآية، والله تعالى أعلم[3].

---

(١) بدائع التفسير: ١/٢٧٨.

(٢) أحكام القرآن لابن العربي: ١/٤٦٨.

(٣) وأما ما قال أبو حيان والعيني بأنها عامة في كل من ولي شيئاً ولاية صحيحة فمحل نظر وتأمل.

المسألة الثانية: مرجع الشرط ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ .

ذكر ابن جُزَيّ / احتمالين في المسألة، ورجَّح الأول منهما فقال :

" يحتمل أن يكون هذا الشرط راجعاً إلى قوله ﴿ فَرُدُّوهُ ﴾ .

أو: إلى قوله ﴿أَطِيعُواْ﴾ والأول أظهر؛ لأنه أقرب إليه"[1].

الدراسة:

القول الأول:

الشرط في قوله ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ يرجع إلى قوله ﴿ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾.

وهو قول أبي حيان، وابن كثير، وأبي السعود، والشوكاني، والألوسي، والسعدي، ومحمد الأمين الهرري[2]، وظاهر كلام الطبري والقرطبي[3] .

وعلّلوا له بأمرين:

الأول: أنه أقرب إليه كما قال ابن جزي.

الثاني : أن الرد إلى الله ورسوله عند التنازع هو المحتاج إلى التحذير من المخالفة[4].

ويستفاد منه أن ردَّ الحكم في مسائل التراع إلى الكتاب والسنة شرط في الإيمان[5].

القول الثاني:

يرجع الشرط إلى قوله ﴿أَطِيعُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ ﴾ .

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ١٩٧/١.

(٢) ينظر: البحر المحيط: ٢٩١/٣، تفسير القرآن العظيم: ٣٤٥/٢، إرشاد العقل السليم: ١٥٥/٢، فتح القدير: ٤٠٣/١، روح المعاني: ٦٧/٥، تفسير السعدي: ٣١٧/١، حدائق الروح والريحان: ١٦٩/٦.

(٣) تفسير الطبري: ١٨١/٥، الجامع لأحكام القرآن: ١٦٩/٥.

(٤) إرشاد العقل السليم: ١٥٥/٢، روح المعاني: ٦٧/٥.

(٥) ينظر: بدائع التفسير: ٢٧٩/١، تفسير السعدي: ٣١٧/١، وينظر: تفسير القرآن العظيم: ٣٤٥/٢.

ذكره احتمالاً في المسألة الرازي، وابن عادل[1].

الترجيح:

الراجح هو القول الأول لقوة ما استدلوا به.

ويؤيده اللحاق فقد قال الله بعدها: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ٦٠] ففيها أن من مقتضيات الإيمان التحاكم إلى الله ورسوله عند التنازع، وأن التحاكم إلى غيرهما ينافي الإيمان، والله أعلم.

(١) ينظر: تفسير الرازي: ٤/٢١٤٠، اللباب: ٦/٤٥١.

المسألة الثالثة: معنى قوله تعالى ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾.

ذكر ابن جُزَيّ / قولين في المسألة، ورجَّح الأول منهما فقال :

" أي: مآلاً وعاقبة.

وقيل: أحسن نظراً منكم"[1] .

الدراسة:

اختلف المفسرون في المسألة على قولين:

القول الأول:

أي: أحسن مآلاً وعاقبة.

وهو قول مجاهد، وقتادة، والسدي، وابن زيد[2] ، والطبري، والواحدي، والسمعاني، والبغوي، والزمخشري، والرازي، وابن كثير، والسيوطي، وأبي السعود[3] .

وبه قال أيضاً الزجاج، والنحاس، والقرطبي مع تجويزهم للقول الثاني[4] .

من آل يؤول إلى كذا: إذا رجع[5]، فالردّ إلى الله ورسوله عند التنازع أحسن عاقبة ومآلاً ومرجعاً.

القول الثاني:

أي: أحسن نظراً وتأويلاً من تأويلكم.

ذكره قولاً في الآية الزمخشري وابن عطية وأبو حيان[1].

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ١٩٧/١.

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ١٨٢/٥، تفسير ابن المنذر: ٧٦٩، تفسير ابن أبي حاتم: ٩٩٠/٣.

(٣) ينظر: تفسير الطبري: ١٨٢/٥، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٢٧١/١، تفسير السمعاني: ٤٤١/١، معالم التنزيل: ٥٥٤/١، الكشاف: ٤٠٣/١، تفسير الرازي: ٢١٤٠/٤، تفسير القرآن العظيم: ٣٤٦/٢، تفسير الجلالين: ٨٧، إرشاد العقل السليم: ١٥٥/٢.

(٤) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ٥٥/٢، معاني القرآن للنحاس: ٢٢٢/١، الجامع لأحكام القرآن: ١٧٠/٥.

(٥) ينظر: تفسير الطبري: ١٨٢/٥، المفردات في غريب القرآن: ٤٠، مقاييس اللغة: مادة (أول).

(١) ينظر: الكشاف: ٤٠٣/١، المحرر الوجيز: ٧١/٢، البحر المحيط: ٢٩١/٣.

وجوّزه وجهاً في الآية الزجاج، والنحاس، والقرطبي[1] .

الترجيح:

القولان صحيحان ولا تعارض بينهما.

والتأويل يطلق على ما يؤول إليه الشيء: أي يرجع ويصير كما سبق.

ويطلق على التفسير، قال في اللسان: " أوّل الكلام وتأوَّله: دبّره وقدّره، وأوّله وتأوّله: فسّره"[2].

وقال الجوهري: "التأويل: تفسير ما يؤول إليه الشيء"[3].

فالمؤوِّل ينظر في الأمر ويتأمله ليُفَسّر ويبين ما يؤول إليه.

والردّ إلى الله ورسوله عند التنازع أحسن عاقبة ومآلاً ومرجعاً، وأحسن نظراً وتأويلاً من تأويلكم.

وأما إن كان مراد أصحاب القول الثاني التأويل بمعناه الاصطلاحي عند المتأخرين الذي هو صرف اللفظ عن ظاهره إلى ما يخالف ذلك لدليل يقترن به، فقد انتقده ابن تيمية بقوله: " وهو تفسير له بالاصطلاح الحادث لا بلغة القرآن، فأما قدماء المفسرين فلفظ التأويل والتفسير عندهم سواء كما يقول ابن جرير: القول في تأويل هذه الآية، أي في تفسيرها"[4] وهو كما قال رحمه الله، والله تعالى أعلم.

---

(١) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ٥٥/٢، معاني القرآن للنحاس: ٢٢٢/١، الجامع لأحكام القرآن: ١٧٠/٥.

(٢) لسان العرب: مادة (أول).

(٣) الصحاح: مادة (أول).

(٤) مجموع الفتاوى: ٣٦٧/١٧، الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح: ٧٣/٤.

مسألة: معنى:﴿ ثُبَاتٍ ﴾.

قال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعٗا ﴿٧١﴾ ﴾.

ذكر ابن جُزَيّ – رحمه الله – قولين في الآية ورجَّح الأول فقال :

" أي اخرجوا للجهاد جماعات متفرقين، وذلك كناية عن السرايا.

وقيل: إن [الثُبَة] ما فوق العشرة، ووزنها فعَلة بفتح العين، ولامها محذوفة "[1] .

الدراسة:

القول الأول:

اخرجوا للجهاد جماعة بعد جماعة متفرقين.

قال ابن عباس في معنى ثُبات : "عصباً، يعني: سرايا متفرقين".

وقال أيضا: "عصباً وفرقا".

وقال مجاهد: فرقاً قليلاً قليلاً.

وقال قتادة: الثُبَات: الفرق.

ونحو ذلك عن الضحاك والسدي[2].

قال أبو عبيدة: " واحدها ثُبَة، ومعناها: جماعات في تفرقة...وتصديق ذلك: ﴿ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعٗا ﴾ "[1] .

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ١٩٩/١. وما بين المعقوفين كتب في المطبوع: "الثبتة" ويظهر أنه خطأ طباعي لأن مفرد ثبات: ثبة، كما في كلام أهل اللغة وغيرهم مما سأُورد بعضه في دراسة المسألة، ولأن ابن جُزَيّ قال بعدها:"وزنها فعَلة بفتح العين، ولامها محذوفة" وهذا ينطبق على الثُبَة لا الثبتة.

كما كتبت الكلمة في المخطوط: مخطوطة (أ) ل: ٣٩-ب ، ومخطوطة (ب) ل: ١١٦-ب : " الثبات" ويظهر أنه تصحيف أيضاً لقول ابن جُزَيّ السابق "وزنها فعَلة بفتح العين، ولامها محذوفة" وهذا ينطبق على المفرد لا الجمع، والله أعلم.

(٢) انظر أقوالهم في: تفسير الطبري: ١٩٧/٥، وتفسير ابن المنذر: ٧٨٤، وتفسير ابن أبي حاتم: ٩٩٨/٣.

(١) مجاز القرآن: ١٣٢/١.

وقال الطبري: " وهي جمع ثبة، والثبة العصبة، ومعنى الكلام: فانفروا إلى عدوكم جماعة بعد جماعة متسلحين. ومن الثبة قول زهير:

وقد أغدوا علـــى ثُبـــةٍ كـــرام نَشاوى واجدين لمـــا نشـــاء[1]"

وبنحو ذلك قال الفراء ، والزجاج، والنحاس، والراغب الأصفهاني ، والزمخشري ، وابن عطية ، والقرطبي[2] ، وغيرهم.

وحكى الرازي إجماع أهل اللغة على أن معنى الثُبات الجماعات المتفرقة فقال: "قال جميع أهل اللغة: الثُبات جماعات متفرقة"[3] .

القول الثاني:

الثُبة: هي الجماعة فوق العشرة.

قال ابن عباس:" عشرة فما فوق ذلك"[4].

واختاره ابن عادل ، والألوسي[5] .

الترجيح:

الظاهر – والله تعالى أعلم- أن معنى الآية يشمل القولين؛ فإن قول ابن عباس الثاني بأنهم عشرة فما فوق هو بمعنى قوله الأول بأنهم العصبة؛ فإن العصبة من الرجال في اللغة كما قال الجوهري في الصحاح، والفيروز آبادي في القاموس هم: "مابين العشرة إلى الأربعين"[1] .

---

(١) تفسير الطبري: ١٩٧/٥.

والبيت لزهير بن أبي سلمى، انظر: ديوانه: ١١ . ونشاوى بمعنى: سُكارى.

(٢) ينظر: معاني القرآن للفراء: ١٩٢/١، معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٦١/٢، معاني القرآن للنحاس: ٢٢٤/١، المفردات: ٨٤، الكشاف: ٤٠٩/١، المحرر الوجيز: ٧٧/٢، الجامع لأحكام القرآن: ١٧٧/٥.

(٣) ينظر: تفسير الرازي: ٢١٦٠/٤.

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور(٥٣٣/٤) للطستي.

(٥) ينظر: اللباب: ٤٨٦/٦، روح المعاني: ٧٩/٥.

(١) ينظر: الصحاح، والقاموس المحيط: (عصب).

وذلك داخل في معنى الجماعة، فيحمل القول بأنها العصبة على التفسير بالمثال، ويشهد لذلك أن ابن عباس قال في التفسير الأول:"عصباً، يعني:سرايا متفرقين" وقال مرة: "عصباً وفرقا" فذكر العصبة، والسرية، والفرقة. وكله تمثيل فإن بين العصبة والسرية فرقا في العدد(١).

ولذا لم يعُدّه عامة المفسرين خلافاً فعبّروا عن الثُبة بالجماعة والعصبة والسرية والفرقة؛ لأن ذلك داخل في المعنى اللغوي بأن الثُبات "جماعات في تفرقة"(٢).

وسياق الآية في التخيير بين النفير ثباتٍ أو جميعاً مراعاةً لمصلحة الحرب يدل على عدم تقييد النفير ثباتٍ بعدد معين ما دام يشمل كل فرقة منهم اسم الجماعة.

(١) قال في اللسان:(سرا) والمعجم الوسيط: (سرى): السرية: قطعة من الجيش ما بين خمسة أنفس إلى ثلاثمائة.

(٢) ينظر: تهذيب اللغة للأزهري: (ثوب) . وتقدم قول الرازي قريبا.

مسألة: بيان معنى ﴿ لَّيُبَطِّئَنَّ ﴾.

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعٗا ﴿٧١﴾ وَإِنَّ مِنكُمۡ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنۡ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَالَ قَدۡ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ إِذۡ لَمۡ أَكُن مَّعَهُمۡ شَهِيدٗا ﴿٧٢﴾ ﴾.

ذكر ابن جُزَيّ – رحمه الله – قولين في الآية ورجَّح الأول فقال :

" معناه: يبطّىء غيره، يثبطه عن الجهاد ويحمله على التخلف عن الغزو.

وقيل: يُبطىء يتخلف هو عن الغزو ويتثاقل"[1].

الدراسة:

اختلف المفسرون في معنى ﴿ لَّيُبَطِّئَنَّ ﴾ على قولين:

القول الأول:

أن المعنى يُبطّىء غيره، يُثبّطه عن الجهاد ويحمله على التخلف عن الغزو.

وبه قال ابن جريج[2]، والطبري، وابن عطية، والثعالبي، والشوكاني[3].

ونسبه لأكثر المفسرين الرازي وأبو حيان[4].

فجعلوا الفعل متعدياً بالتشديد من "بطّأ" أو بالهمزة من" أبطأ"[5].

قال أبو حيان: " وعلى التعدي أكثر المفسرين"[6].

وهو ديدن المنافقين في تثبيط المسلمين عن الجهاد كما فعل عبد الله بن أبيّ في غزوة أحد[1].

---

(١) التسهيل: ١٩٩/١.

(٢) ينظر: تفسير الطبري:١٩٨/٥.

(٣) ينظر: تفسير الطبري:١٩٨/٥، المحرر الوجيز: ٧٧/٢، تفسير الثعالبي: ٢٦١/٢، فتح القدير: ٦١٣/١.

(٤) ينظر: تفسير الرازي: ١٥٥/٤ والبحر المحيط: ٢٠٣/٣ وحدائق الروح والريحان: ٢٠٣/٦.

(٥) ينظر: المفردات: ٦٢ و عمد الحفاظ: ٢٢٦/١.

(٦) ينظر: البحر المحيط: ٢٠٣/٣.

(١) ينظر: معالم التنزيل: ٥٦٠/١ والكشاف: ٤٠٩/١.

القول الثاني:

معنى الآية: يتأخر ويتخلف هو عن الغزو والجهاد ويتثاقل.

وبه قال مقاتل بن حيان[1]، والثعلبي ، والواحدي، والسمعاني، والبغوي، والزمخشري، والنسفي[2] وغيرهم.

قالوا والتبطئة بمعنى الإبطاء، وفائدة التشديد بيان تكرر الفعل منه، فيُكثِر التثبط في نفسه[3].

وأكثر المفسرين -ومنهم أصحاب القول الأول- على أن المراد بالآية المنافقين[4] .

واستدلوا على ذلك بأدلة[5] :

١- أنه تعالى حكى عن هؤلاء المبطئين أنهم يقولون عند مصيبة المؤمنين: ﴿فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا﴾ فيعدّ قعوده عن القتال نعمة من الله تعالى ، ومثل هذا الكلام إنما يليق بالمنافقين لا بالمؤمنين.
قال القرطبي: "وهذا لا يصدر إلا من منافق، لا سيما في ذلك الزمان الكريم، بعيد أن يقوله مؤمن".

٢- فرح المنافقين بمصيبة المؤمنين المذكور في هذه الآية هو كقوله تعالى:﴿ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا ﴾ [آل عمران: ١٢٠] .

٣- أن النبي > قال عن المنافقين عند تخلفهم عن صلاة العشاء: " **وَلَوْ عَلِمَ أَحَدُهُمْ أَنَّهُ يَجِدُ عَظْمًا سَمِينًا لَشَهِدَهَا** "[6] أي : لو لاح شيء من الدنيا

---

(١) ينظر: تفسير ابن أبي حاتم: ٩٩٩/٣.

(٢) ينظر: تفسير الثعلبي: ٣٤٣/٣، الوجيز: ٢٧٤/١، تفسير السمعاني: ٤٤٧/١، معالم التنزيل: ٥٦٠/١، الكشاف: ٤٠٩/١، تفسير النسفي: ٢٣٢/١.

(٣) ينظر: المفردات: ٦٢ وتفسير الرازي: ٢١٦٤/٤.

(٤) ينظر: تفسير الثعلبي: ٣٤٣/٣.

(٥) ينظر: تفسير الرازي: ٢١٦٤/٤، والجامع لأحكام القرآن: ١٧٨/٥، والبحر المحيط:٣٠٢/٣، والتحرير والتنوير: ١٨٤/٤، وأضواء البيان: ٢٤٦/١.

(٦) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أخرجه البخاري: ٢٣١/١ (رقم ٦١٨) ، ومسلم: ٤٥١/١ (٦٥١).

يأخذونه وكانوا على يقين منه لبادروا إليه، وهو معنى قوله تعالى: ﴿ وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ ﴾ أي غنيمة وفتح ﴿لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٧٣] .

٤- أن الله أخبر عنهم بمثل فعلهم هذا صراحة في آخر هذه السورة فقال:﴿ بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ إلى قوله:﴿ الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النساء: ١٣٨- ١٤١].

أما قوله تعالى في هذه الآية: ﴿ وَإِنَّ مِنكُمْ ﴾ فذلك باعتبار الظاهر، أو الجنس، أو النسب.

وقال جماعة من المفسرين بأن المراد بالآية ضعفاء الإيمان من المؤمنين[١].

واختاره السعدي[٢] .

واستدلوا بعدد من الأدلة[٣] :

١- قوله تعالى:﴿ وَإِنَّ مِنكُمْ ﴾ والخطاب في الآية للمؤمنين فإنه قال في صدر الآية الأولى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ أما المنافقين فليسوا من المؤمنين كما قال الله عنهم في آية التوبة:﴿ وَمَا هُم مِّنكُمْ ﴾ [التوبة: ٥٦] .

٢- قوله في آخر الآية: ﴿كَأَن لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ ﴾ فإن الكفار من المشركين والمنافقين؛ قد قطع الله بينهم وبين المؤمنين المودة.

٣- أن ضعفاء الإيمان هولاء هم الذين أرادهم الله بقوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ

(١) ينظر: زاد المسير: ٢/٧٨، وتفسير الرازي: ٤/١٥٤، والتحرير والتنوير: ٤/١٨٤.

(٢) ينظر: تفسير السعدي: ١/٣٢٢.

(٣) ينظر: تفسير الرازي: ٤/٢١٦٤، والجامع لأحكام القرآن: ٥/١٧٨، ومحاسن التأويل: ٣/٢٢٨، وتفسير السعدي: ١/٣٢٢.

ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٞ ﴾ [التوبة: ٣٨] .

٤- قال السعدي: " وأيضا: فإن هذا هو الواقع؛ فإن المؤمنين على قسمين: صادقون في إيمانهم ، أوجب لهم ذلك كمال التصديق والجهاد . وضعفاء دخلوا في الإسلام ، فصار معهم إيمان ضعيف ، لا يقوى على الجهاد كما قال تعالى: ﴿ قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ ﴾ [الحجرات: ١٤ وما بعدها] إلى آخر الآيات"[(١)] .

أما قوله تعالى عنه عند مصيبة المؤمنين: ﴿ قَالَ قَدۡ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ إِذۡ لَمۡ أَكُن مَّعَهُمۡ شَهِيدٗا ﴾ فهذا من ضعف عقله وإيمانه.

وقال بعض المفسرين: بأن الآية تشمل المنافقين وضعفاء الإيمان جميعاً[(٢)] .

الترجيح:

لكل قول حظ معتبر من الدليل والتعليل، والراجح – والله تعالى أعلم – هو القول بالعموم، فالمراد بالآية المنافقون وضعفاء الإيمان جميعاً؛ إذ لا تعارض بينهما ويمكن حمل الآية عليهما.

أما المنافقون فدخولهم في الآية ظاهر لوجوه:

- لقوة ما ذكره أصحاب القول الأول من أدلة.
- ولمناسبة أمر الله للمؤمنين بأخذ الحذر في الآية الأولى؛ فكأنه قال خذوا حذركم من العدو الخارجي، ومن العدو الداخلي الذي هذه بعض صفاته.
- وللحديث عن المنافقين في آيات قريبة قبلها وبعدها[(٣)].

---

(١) ينظر: تفسير السعدي: ٣٢٢/١.

(٢) ينظر: تفسير حدائق الروح والريحان: ٢٠٢/٦.

(٣) ينظر: سورة النساء: الآيات:٨١،٦١، ٨٨ وغيرها.

ويكون المعنى بأن هؤلاء المنافقين يُبْطئون ويتأخرون ويتثاقلون هم عن الجهاد في سبيل الله، ويبطِّئون ويثبّطون غيرهم كذلك عن الجهاد، فإن اللفظة تحتمل كلا المعنين ولا تعارض بينهما، ومن أخّر غيره عن الجهاد فلأَنْ يتأخر هو من باب أولى، والتاريخ والواقع يشهد عليهم بذلك، كفى الله المسلمين شرهم ومكرهم.

قال ابن كثير:" ويحتمل أن يكون المراد أنه يتباطأ هو في نفسه ويبطّئ غيره عن الجهاد كما كان عبد الله بن أبي سلول قبحه الله يفعل، يتأخر عن الجهاد ويثبط الناس عن الخروج فيه "(١).

ويكون قوله تعالى في الآية: ﴿ وَإِنَّ مِنكُمْ ﴾ أنهم منهم باعتبار الظاهر، أو الجنس، أو النسب كما قال أصحاب القول الأول.

أما القول بأن الله قد قطع المودة بين المؤمنين والمنافقين فلا يسلّم ؛ لأن المنافقين يعاملون بحسب ما يظهرونه من الإيمان، فهم في الظاهر مؤمنون؛ لذا كان بينهم وبين المؤمنين مودة اقتضاها تظاهرهم بالإيمان.

أما شمول الآية لضعفاء الإيمان فلما ذكره أصحاب القول الثاني من أدلة؛ سيما قوله تعالى:﴿ وَإِنَّ مِنكُمْ ﴾ والخطاب في الآية للمؤمنين، فلا يوجد ما يمنع دخول ضعفاء الإيمان في الآية؛ إذ لهم من الأفعال – لا المعتقدات- ما يشبه أفعال المنافقين لضعف إيمانهم، وقلة يقينهم، وغلبة الهوى، وحب الدنيا كما قال تعالى: ﴿ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ . [الأحزاب: ٦٠](٢).

أما قوله تعالى ﴿ فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَىَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴾ فهو فرح بنجاته وسلامته الشخصية فحسب، وليس في الآية ما يدل على فرحه بمصاب

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٣٥٧/٢.

(٢) وذلك على القول بأن الذين في قلوبهم مرض في الآية هم الزناة وأهل الفجور كما في قوله ﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ ﴾ [الأحزاب: ٣٢] . ينظر: زاد المسير: ٢٢٤/٦، التسهيل لعلوم التنزيل: ١٥٩/٢.

المسلمين، بل لغلبة حب الدنيا على قلبه، وخوفه وجبنه، واختلال الموازين لديه عدّ سلامته نعمة من الله ونسي مصاب المسلمين ورابطة الأخوة، ولهذا عاتبه الله بقوله: ﴿كَأَن لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ﴾ فهو عتاب وتذكير له بما نسيه، أو ذَكَره ولم يعطه حقه؛ من الإخوة والمودة بين المؤمنين التي تقتضي التألم لمصابهم. ويكون معنى ﴿شَهِيدًا﴾ في الآية: حاضراً.

ومعنى ﴿لَّيُبَطِّئَنَّ﴾ في حق ضعفاء الإيمان: أي يتأخرون ويتثاقلون هم عن الجهاد.

وهل يُبَطِّئ ضعيف الإيمان غيره عن الجهاد ؟ الأصل أنه إذا تثاقل فإنما يتثاقل بنفسه دون أن يُبَطِّئ ويؤخر غيره، لكن قد يَصدر ذلك منه أحياناً لا على وجه بغض الدين والرغبة في ضعف المسلمين فهذا شأن المنافقين؛ وإنما على وجه الشفقة على ابن له أو قريب من القتل أو الأسْر، أو على وجه الرغبة أن لا يكون وحيداً في التخلف فيتوجه اللوم إليه وحده، ونحو ذلك. والله أعلم.

مسألة: المراد بـــ ﴿ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمۡ كُفُّوٓاْ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾.

قال الله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمۡ كُفُّوٓاْ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقِتَالُ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَخۡشَوۡنَ ٱلنَّاسَ كَخَشۡيَةِ ٱللَّهِ أَوۡ أَشَدَّ خَشۡيَةٗۚ وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبۡتَ عَلَيۡنَا ٱلۡقِتَالَ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖۗ قُلۡ مَتَٰعُ ٱلدُّنۡيَا قَلِيلٞ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظۡلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾﴾.

ذكر ابن جُزَيّ / قولين في المسألة، ورجَّح الثاني منهما فقال:

" قيل: هي في قوم من الصحابة، كانوا قد أُمروا بالكف عن القتال قبل أن يفرض الجهاد، فتمنوا أن يؤمروا به، فلما أُمروا به كرهوه، لا شكاً في دينهم ولكن خوفاً من الموت.

وقيل: هي في المنافقين، وهو أليق في سياق الكلام"[1] .

واستدل له ابن جُزَيّ أيضاً بقول الله تعالى في الآية الثانية: ﴿وَإِن تُصِبۡهُمۡ حَسَنَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِكَۚ﴾ قال: " وهذا يدل على أنها في المنافقين؛ لأن المؤمنين لا يقولون للنبي > إن السيئات من عنده"[2] .

الدراسة:

اختلف المفسرون في المسألة على أقوال:

القول الأول:

هم قوم من الصحابة، كانوا قد أُمروا بالكف عن القتال قبل أن يفرض الجهاد، فتمنوا أن يؤمروا به، فلما أُمروا به كرهه فريق منهم، لا شكاً في دينهم ولكن خوفاً من الموت.

وهو قول ابن عباس، وعكرمة، وقتادة، والسدي[3] .

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ١/١٩٩.

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل: ١/٢٠٠.

(٣) ينظر: تفسير الطبري: ٥/٢٠٣، تفسير ابن المنذر: ٧٩٣، تفسير ابن أبي حاتم: ٣/١٠٠٤.

وبه قال جمهور المفسرين[1] كالطبري، والواحدي، والزمخشري، وابن كثير، والسيوطي، وأبي السعود، وابن عاشور، والسعدي[2] .

واستدلوا بالآتي:

١– سبب النزول فعن ابن عباس أن عبد الرحمن بن عوف وأصحاباً له أتوا النبي < فقالوا: يا نبي الله كنا في عز ونحن مشركون، فلما آمنا صرنا أذلة، فقال : "إني أمرت بالعفو فلا تقاتلوا القوم" فلما حوّله الله إلى المدينة أمره الله بالقتال فكفوا ، فأنزل الله ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ الآية"[3] .

٢– قوله ﴿ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ ﴾ فالذين يحتاج الرسول أن يقول لهم: كفوا عن القتال هم الراغبون في القتال، والراغبون في القتال هم المؤمنون لا المنافقون.

٣– أن الله قال: ﴿ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾ فبين أنهم يخشون الله، وإنما يخشى الله المؤمنون[4].

والمراد بالزكاة في الآية مواساة الفقراء لا الزكاة المعروفة ذات النُصُب والشروط، فإنها لم تفرض إلا بالمدينة[5].

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ١٨٩/٤.

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ٢٠٣/١، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٢٧٥/١، الكشاف: ٤١١/١، تفسير القرآن العظيم: ٣٥٩/٢، تفسير الجلالين: ٩٠، إرشاد العقل السليم: ١٦٥/٢، التحرير والتنوير: ١٨٩/٤، تفسير السعدي: ٣٢٥/١.

(٣) أخرجه النسائي: ٢/٦ (رقم ٣٠٨٦) وابن جرير الطبري في تفسيره: ٢٠٣/٥، والحاكم في مستدركه: ٧٦/٢، والبيهقي في سننه: ١١/٩. قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط البخاري و لم يخرجاه، قال الألباني في صحيح سنن النسائي ٣٦٥/٢ (رقم ٣٠٨٦): صحيح الإسناد، وقال مؤلفا الاستيعاب في بيان الأسباب (٤٣٥/١) : صحيح، ورجاله ثقات رجال مسلم، وقال الدكتور سامي الجهني في تخريج الأحاديث والآثار في كتاب التسهيل لعلوم التنزيل (٣٦٤/١): صحيح، رجاله كلهم ثقات رجال الصحيح.

(٤) ينظر في الأدلة: المحرر الوجيز: ٧٩/٢، تفسير الرازي: ٢١٦٧/٤، إرشاد العقل السليم: ١٦٥/٢، التحرير والتنوير: ١٨٩/٤.

(٥) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٣٥٩/٢، تفسير السعدي: ٣٢٥/١.

القول الثاني:

المراد بهم المنافقون، أسلموا ظاهراً قبل فرض القتال، فما فرض كرهوه.

ذكره الثعلبي، والسمعاني، وابن عطية[1] .

واختاره الرازي، والشوكاني، ومال إليه القرطبي[2] .

واستدلوا بعدد من الأدلة:

١- أنه تعالى قال في وصفهم : ﴿يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ﴾ ومعلوم أن هذا الوصف لا يليق إلا بالمنافق، لأن المؤمن لا يجوز أن يكون خوفه من الناس أشد من خوفه من الله تعالى .

٢- أنه تعالى حكى عنهم أنهم قالوا ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ ﴾ والاعتراض على الله لا يليق بالمؤمنين.

٣- ﴿ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ﴾ ويبعد صدوره من مؤمن يعلم أن الآجال محدودة.

٤- قول الله تعالى في الآية الثانية: ﴿ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ ﴾ والمؤمنون لا يقولون للنبي > إن السيئات من عنده[3].

القول الثالث:

المراد: اليهود.

وهذا قول مجاهد[4].

"وعليه تكون الآية مثالاً ضربه الله للمسلمين الذين أوجب عليهم القتال، تحذيراً لهم

---

(١) ينظر: تفسير الثعلبي: ٣٤٥/٣، تفسير السمعاني: ٤٤٩/١، المحرر الوجيز: ٧٩/٢.

(٢) ينظر: تفسير الرازي: ٢١٦٧/٤، فتح القدير: ٦١٦/١، الجامع لأحكام القرآن: ١٨١/٥.

(٣) ينظر في الأدلة: تفسير الثعلبي: ٣٤٥/٣، المحرر الوجيز: ٧٩/٢، تفسير الرازي: ٢١٦٧/٤، الجامع لأحكام القرآن: ١٨١/٥، التسهيل لعلوم التنزيل: ٢٠٠/١، فتح القدير: ٦١٦/١.

(٤) ينظر: تفسير الطبري: ٢٠٣/٥، تفسير ابن المنذر: ٧٩٣، تفسير ابن أبي حاتم: ١٠٠٤/٣.

في الوقوع في مثل ذلك ، فيكون على طريقة قوله : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ٢٤٦] الآية"[(١)].

الترجيح:

الراجح – والله أعلم – هو القول الأول؛ بدليل سبب النزول الصحيح الصريح.

مع التنبُّه إلى أن الذين بدر منهم هذا الموقف إنما هم فريق منهم لا كلهم بنص القرآن ﴿ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ﴾ وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه من العشرة المبشرين بالجنة، وممن شهد بدراً فحاشاه أن يكون من هذا الفريق.

وهذا الفريق يظهر أنه ممن لم يرسخ الإيمان في قلوبهم، فأهل الإيمان يتفاضلون في إيمانهم، فقالوا ذلك خوفاً وجبناً لا اعتقاداً، وبين ضعفاء الإيمان والمنافقين شيء من التشابه في بعض المواقف كما في قوله تعالى: ﴿ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الأحزاب: ٦٠][(٢)]، وقوله ﴿ وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَىَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ٧٢] والمراد بهم في الآية الأخيرة المنافقون وضعفاء الإيمان على الصحيح كما سبق بيانه في المسألة السابقة.

وقولهم ﴿ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ ﴾ ليس على وجه الاعتراض؛ بل خشية من القتل وحبّاً في الحياة، يدل عليه أن الله أشار إلى سبب هذا القول بقوله: ﴿ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ﴾ فهي مقالة مخافة لا مخالفة، وهو خوف بمقتضى الطبيعة البشرية لا كراهية للشرع وتكذيباً[(٣)] .

---

(١) التحرير والتنوير: ١٩١/٤.

(٢) ينظر التعليق على الآية في المسألة السابقة.

(٣) ينظر: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٢٧٥/١، تفسير الرازي: ٢١٦٧، الجامع لأحكام القرآن: ١٨١/٥.

وأما قولهم ﴿ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ﴾ فليس المراد إلى أن يموتوا ميتة طَبَعية، بل المعنى على هذا القول محمول على طلب تأخير الأمر بالقتال إلى أجل آخر يكو الإسلام فيه أظهر، وأتباعه أكثر كقوله تعالى:﴿ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [المنافقون:١٠][(١)].

وأما قول الله تعالى في الآية الثانية: ﴿ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ ﴾ فالسياق يدل على أنها فرقة واحدة، وسبب النزول يدل على أن الآية الأولى في المؤمنين، وقولهم هذا لا يليق بالمؤمنين فهو من أقوال المنافقين، فيُقدم سبب النزول لأن السياق قرينة وسبب النزول نص فهو أقوى في الدلالة، ويحمل على أنه ابتداءٌ بذكر بعض أعمال المنافقين لمناسبة التشابه بين هذه الفرقة والمنافقين في الخشية من القتال.

وقال ابن عاشور في تعليل عود الضمير في الآية الثانية إلى المنافقين " لأنّهم معلومون من المقام، ولسبق ذكرهم في قوله : ﴿ وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ ﴾ وتكون الجملة معطوفة عطف قصّة على قصّة، فإنّ ما حكي في هذه الآية لا يليق إلاّ بالمنافقين، ويكون الغرض انتقل من التحريض على القتال إلى وصف الذين لا يستجيبون إلى القتال لأنّهم لا يؤمنون بما يبلّغهم النبي < من وعد الله بنصر المؤمنين"[(٢)] .

(١) ينظر: الكشاف: ٤١١/١، زاد المسير: ٨١/٢، إرشاد العقل السليم: ١٦٥/٢.

(٢) التحرير والتنوير: ١٩٢/٤.

قال الله تعالى: ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾ ﴾.

في الآية الأولى مسألتان:

المسألة الأولى: هل قوله تعالى ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ تقرير من الله أم حكاية لكلام المنافقين؟.

ذكر ابن جُزَيّ / قولين في المسألة، ورجَّح الأول منهما فقال :

" فيه تأويلان: أحدهما نسبة الحسنة إلى الله والسيئة إلى العبد تأدباً مع الله في الكلام، وإن كان كل شيء منه في الحقيقة، وذلك كقوله عليه الصلاة والسلام "**والخير كله بيديك والشر ليس إليك**"(١) وأيضاً فنسبة السيئة إلى العبد لأنها بسبب ذنوبه لقوله ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾ [الشورى: ٣٠] فهي من العبد بتسببه فيها، ومن الله بالخلقة والاختراع.

والثاني: أن هذا من كلام القوم المذكورين قبل، والتقدير: يقولون كذا، فمعناها كمعنى التي قبلها"(٢).

الدراسة:

اختلف المفسرون في المسألة على قولين:

القول الأول:

أنه تقرير من الله تعالى أن ما يصيب العبد من نعمة وخير فمن الله بفضله ورحمته،

---

(١) أخرجه مسلم: ١/٥٣٥ (رقم ٧٧١).

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل: ١/٢٠٠، رجح ابن جُزَيّ الأول حيث قدّمه في الذكر. ينظر: ٥٣.

وما يصيبه من بلاء وسوء فمن نفسه.

وهـــذا قول ابن عباس ، والضحاك ، والحسن ، وقتادة ، والسدي ، وابن جريج ، وابن زيد(١).

وهو قول عامة المفسرين كالطبري، والزجاج، والنحاس، والثعلبي، والسمعاني، والبغوي، والزمخشري، والقرطبي، وابن القيم، وابن كثير، وأبي السعود، والسعدي، وغيرهم(٢).

والحسنة والسيئة كلها من الله كما قال تعالى في الآية الأولى: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ فتضاف إلى الله إضافة خلق وإيجاد، وأضيفت السيئة للمخلوق -وإن كان الله خالقها كذلك- على جهة السبب والموجب، أي بسبب ذنب العبد وما كسب حصل له السوء والبلاء والمصيبة كما قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾ [الشورى: ٣٠] وقال: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٥] وتنسب للعبد كذلك على وجه التأدب مع الله تعالى كما في قول إبراهيم عليه السلام: ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ [الشعراء: ٨٠] وإن كان المرض والشفاء منه تعالى، والخطاب في الآية للنبي ﷺ والمراد العموم(٣).

القول الثاني:

هذا من كلام القوم المذكورين قبل، وهم المنافقون أو اليهود.

والمعنى فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً يقولون ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ

---

(١) ينظر: تفسير الطبري: ٢٠٨/٥، تفسير ابن المنذر: ٨٠٠، تفسير ابن أبي حاتم: ١٠١٠/٣.

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ٢٠٨/٥، معاني القرآن وإعرابه: ٦٥/٢، معاني القرآن للنحاس: ٢٢٦/١، تفسير الثعلبي: ٣٤٧/٣، تفسير السمعاني: ٤٥٠/١، معالم التنزيل: ٥٦٥/١، الكشاف: ٤١٣/١، الجامع لأحكام القرآن: ١٨٤/٥، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر لابن القيم: ١٥٩، تفسير القرآن العظيم: ٣٦٤/٢، إرشاد العقل السليم: ١٦٨/٢، تفسير السعدي: ٣٢٨/١.

(٣) ينظر: المحرر الوجيز: ٨٢/٢، الجامع لأحكام القرآن: ١٨٤/٥، التسهيل لعلوم التنزيل: ٢٠٠/١، شفاء العليل: ١٦٠.

﴿وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفۡسِكَ﴾ ففي الكلام حذف تقديره: يقولون. فمعناها كمعنى قولهم في الآية الأولى.

ذكره عدد من المفسرين كالثعلبي وابن الجوزي وابن عطية والقرطبي وأبي حيان، ولم ينسبوه لأحد بعينه[1] .

الترجيح:

الراجح هو القول الأول لوجهين:

الأول: دلالة السياق، سباقاً ولحاقاً فقد قال الله تعالى قبلها: ﴿قُلۡ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾ وقال بعدها: ﴿وَأَرۡسَلۡنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولٗا﴾ فهو من كلام الله ابتداء، والأصل اتصال الكلام في نسق ما قبله وما بعده، ولا يُخرج عن نسقه إلا بدليل.

الثاني: على القول الثاني في الكلام حذف، والقول بالاستقلال مقدم على القول بالإضمار كما هو مقرر في قواعد الترجيح[2].

قال ابن جُزَيّ في مقدمة تفسيره في بيان وجوه الترجيح بين الأقوال: "الحادي عشر: تقديم الاستقلال على الإضمار، إلا أن يدل دليل على الإضمار"[3] .

فالكلام في الآية تقرير من الله تعالى لهذا المعنى المذكور في القول الأول، والفرق بينه وبين قول هؤلاء القوم من المنافقين واليهود ﴿وَإِن تُصِبۡهُمۡ حَسَنَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِكَۚ﴾ أنهم قالوه على جهة التشائم والتطير، وأن ما يصيبهم من شر هو بسبب النبي < كما كان قوم فرعون يقولون لموسى عليه السلام ﴿فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓۗ﴾ [الأعراف: ١٣١]

---

(١) ينظر: تفسير الثعلبي: ٣٤٧/٣، زاد المسير: ٧٩/٢، المحرر الوجيز: ٨٢/٢، الجامع لأحكام القرآن: ١٨٤/٥، البحر المحيط: ٣٦٤/٣.

(٢) ينظر في تقريره: قواعد الترجيح عند المفسرين: ٤٢١/٢.

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل: ١٩/١.

أما هذه الآية فتقرر أمراً آخر سبق شرحه، وفيها أن ما أصابهم من بلاء إنما هو من عند أنفسهم بسبب ذنوبهم فلا يلوموا غيرهم زوراً وبهتاناً، والله تعالى أعلم[1].

(١) ولعل الدافع للقول الثاني عند أصحابه حتى لا يحتج القدرية – نفاة القدر القائلون بأن الله لم يشأ المعاصي و لم يخلقها بل العبد يخلق فعل نفسه- بالآية حيث أضاف الله السيئة للعبد. وليس في الآية دليل لهم، قال السمعاني:"واعلم أنه ليس في الآية متعلق لأهل القدر أصلا؛ فإن الآية فيما يصيب الناس من النعم والمحن، لا في الطاعات والمعاصي ؛ إذ لو كان المراد ما توهموا ، لقال : ما أصبت من حسنة فمن الله وما أصبت من سيئة ؛ فلما قال: ما أصابك من حسنة وما أصابك من سيئة ؛ دل أنه أراد: ما يصيب العباد من النعم والمحن، لا في الطاعات والمعاصي، وحكى عبد الوهاب بن مجاهد ، عن مجاهد ، أن ابن عباس قرأ : (وما أصابك من سيئة فمن نفسك وأنا كتبتها عليك) وكذا حكى عن ابن مسعود أنه قرأ كذلك ، وهو معروف عن ابن عباس، وهو يؤيد قولنا: إن المراد : بذنب نفسك" (تفسير السمعاني: ٤٥١/١ وقول مجاهد في قراءة ابن عباس وابن مسعود أخرجه ابن المنذر في تفسيره: ٨٠٠).

وقد حكى ابن القيم إجماع السلف على تفسير الحسنة والسيئة في الآية بالنعمة والمصيبة لا بالطاعة والمعصية، واستدل له بمثل ما قال السمعاني، واستشهد بآيات كثيرة وأطال في الرد عليهم (ينظر: شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل: ١٥٩ وما بعدها، وينظر: تفسير الثعلبي: ٣٤٧/٣، معالم التنزيل: ٥٦٥/١، الجامع لأحكام القرآن: ١٨٤/٥).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: " العباد فاعلون حقيقة، والله خالق أفعالهم... وللعباد القدرة على أعمالهم، ولهم إرادة، والله خالقهم وخالق قدرتهم وإرادتهم، كما قال الله تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٨، ٢٩] " (العقيدة الواسطية ٣٨). فأثبت الله للعباد مشيئة مربوطة بمشيئة الله تعالى، والمعاصي لا تقع إلا بإرادته سبحانه، فهو أرادها كوناً لا شرعاً، ولا تلازم بين الإرادتين إذ الإرادة الشرعية يكون معها المحبة، بخلاف الكونية فلا يلزم منها المحبة فقد يريد مالا يحبه لحكمة كالشرك والمعاصي فإنها لم تقع إلا بإرادته وإذنه؛ لكنه لا يحبها، وهل يقع في الكون مالا يريد الله تعالى؟. (ينظر: العقيدة الواسطية مع شرحها للشيخ صالح الفوزان: ١٥٥ وما بعدها). والكلام عن هذه المسألة وتفصيلها محله كتب العقيدة، والمراد هنا بيان لمن الكلام في هذه الآية، والله أعلم.

المسألة الثانية: معنى ﴿مُّشَيَّدَةٍ﴾ في قوله: ﴿وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾.

ذكر ابن جُزَيّ / عدة أقوال في الآية ورجَّح الأول منها فقال :

" أي: في حصون منيعة.

وقيل: المشيَّدة المطوَّلة.

وقيل: المبنية بالشِّيْد وهو الجص"[1].

الدراسة:

اختلف المفسرون وأهل المعاني في معنى ﴿مُّشَيَّدَةٍ﴾ في الآية على أربعة أقوال:

القول الأول:

أنها المنيعة .

وهو قول الضحاك، وقتادة[2] .

واختاره الطبري[3] ، ونسبه ابن عطية والقرطبي للجمهور[4] .

القول الثاني:

أنها المرفوعة المطوّلة.

وهو قول أبي عبيدة، وابن عزيز السجستاني، وعبدالباقي اليماني من أهل المعاني[5]. والواحدي، والبغوي، والزمخشري من المفسرين[6] .

القول الثالث:

أنها المبنية بالشِّيْد وهو الجص.

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ١/٢٠٠.

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ٥/٢٠٥ ، وتفسير ابن المنذر: ٧٩٧ ، وتفسير ابن أبي حاتم: ٣/١٠٠٨.

(٣) ينظر: تفسير الطبري: ٥/٢٠٥.

(٤) ينظر: المحرر الوجيز: ٢/٨١ ، والجامع لأحكام القرآن: ٥/١٨٢ .

(٥) ينظر: مجاز القرآن: ١/١٣٢، ونزهة القلوب: ١٤٨، والترجمان عن غريب القرآن: ٩٧.

(٦) ينظر: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ١/٢٧٦ ، ومعالم التنزيل: ١/٥٦٤ ، والكشاف: ١/٤١٣ .

وهو قول السمين الحلبي[1] .

قال عكرمة: المجصَّصة[2].

وقوله يحتمل أنه أراد به المبنية بالجص، ويحتمل أنه أراد القول الآتي.

القول الرابع:

أنها المزيّنة والمحسّنة بالجص أو غيره[3].

الترجيح:

قال ابن فارس: " شيد: الشين والياء والدال أصل واحد يدل على رفع الشيء، يقال شِدْت القصر أشِيده شَيْدا، وهو قصر مشيد: أي معمول بالشيد، وسمي شيدا لأن به يرفع البناء يقال قصرٌ شيد: أي مطوّل"[4].

وقال ابن منظور: "الشيد بالكسر: كل ما طُلي به الحائط... وبالفتح: المصدر، تقول: شاده يشيده شيدا : جصّصه . وبناء مشيد: معمول بالشيد. وكل ما أحكم من البناء فقد شيد. وتشييد البناء : إحكامه ورفعه"[5].

ويتلخص من ذلك أن المعنى اللغوي للكلمة يدور على أربعة معان:

- رفع الشيء.
- إحكام البناء.
- أن يكون البناء معمولاً بالشيد.
- التزيين بالطلاء.

فجميع الأقوال في الآية تدل عليها اللغة، وبعض الأقوال بينها تلازم كالقول الثاني

---

(١) ينظر: عمدة الحفاظ: ٣٥٧/٢.

(٢) ينظر: تفسير ابن المنذر: ٧٩٧ ، وتفسير ابن أبي حاتم: ١٠٠٨/٣.

(٣) ينظر: المحرر الوجيز: ٨١/٢ ، والبحر المحيط: ٣١١/٣ ، وعمدة الحفاظ: ٣٥٧/٢، والتبيان في تفسير غريب القرآن لابن الهائم: ١٤٠.

(٤) مقاييس اللغة: مادة (شيد).

(٥) لسان العرب: مادة (شيد).

بأنها الرفيعة لازمه غالباً أن تكون منيعة، ولذا جمع ابن كثير بين المعنين فقال بأن المعنى: "حصينة منيعة، عالية رفيعة"[(١)]، ومثله قال السعدي[(٢)]. فهما قولان صحيحان.

أما القول الثالث بأنها المبنية بالشيد فيلتقي مع القول الثاني بأنها المطولة كما قال الراغب الأصفهاني[(٣)]، ووضّح ذلك ابن عاشور فقال: " لأنهم إذا أطالوا البناء بنوه بالجص"[(٤)]. فيكون قولاً صحيحاً أيضاً بهذا الاعتبار.

أما القول الرابع وإن كانت اللغة تحتمله فإن كان المراد به أن البناء المزيّن يكون منيعاً حصيناً من باب أولى لأن عناية أهله بالتحصين والمنعة أحرى فصحيح. وإن أريد به التزيين والتحسين فحسب فبعيد؛ لأن سياق الآيات عن الذين خافوا القتال خشية الموت، فبيّن لهم الله أن الموت إذا جاء أجله أدرك صاحبه ولو كان في بروج مشيدة، ومعنى المنعة والتحصين هنا أبلغ وأولى من التزيين والتحسين، والله أعلم.

(١) تفسير القرآن العظيم: ٢/٢٦٠.

(٢) ينظر: تفسير السعدي: ١/٣٢٦.

(٣) ينظر: المفردات: ٢٧٤.

(٤) التحرير والتنوير: ٤/١٩٢.

مسألة: المراد بـــ ﴿ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡ﴾.

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٨٣﴾ ﴾.

ذكر ابن جُزَيّ / قولين في المسألة، ورجَّح الأول منهما:

الأول: الذين يستنبطونه طائفة من المسلمين من الذين سمعوا الأخبار فردّوها إلى الرسول وإلى أُولي الأمر منهم، واستخرجوا خبرها منهم، فالاستنباط: الاستخراج، ومعناه هنا: سؤال الذين أذاعوه للرسول عليه الصلاة والسلام ولأولي الأمر.

والضمير المجرور في قوله ﴿يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡ﴾ يعود على الرسول وأولي الأمر.

الثاني: الذين يستنبطونه هو أولو الأمر، كما جاء في الحديث عن عمر ط " أنه سمع أن رسول الله < طلق نساءه، فدخل عليه فقال: أطلقت نساءك؟ فقال: " لا " فقام على باب المسجد فقال: إن رسول الله < لم يطلق نساءه، فأنزل الله هذه الآية، قال: وأنا الذي استنبطته"[1]، فعلى هذا الذين يستنبطونه هم أولو الأمر، والضمير المجرور يعود عليهم، واستنباطه على هذا هو: سؤالهم عنه النبي < أو بالنظر والبحث[2].

الدراسة:

اختلف المفسرون في المسألة:

القول الأول:

الذين يستنبطونه طائفة من المسلمين من الذين سمعوا الأخبار فردّوها إلى الرسول وإلى

---

(١) أخرجه مسلم مطولاً: ٢/١١٠٥ (رقم ١٤٧٩) .
وأخرجه البخاري مطولاً ومختصراً: ٥/١٩٩٢، ١٩٩٧ وغيرها (رقم ٤٨٩٥، ٤٩٠٧) ومسلم: ٢/١١١١ (رقم ١٤٧٩) بلا قوله: " فأنزل الله هذه الآية، قال: وأنا الذي استنبطته".

(٢) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: ١/٢٠١، وفسر ابن جُزَيّ (أولي الأمر) هنا بأنهم كبراء الصحابة وأهل البصائر منهم.

أولي الأمر منهم، واستخرجوا خبرها منهم، فالاستنباط هنا هو: سؤال الذين أذاعوه للرسول عليه الصلاة والسلام ولأولي الأمر، فسؤالهم عنها هو الاستنباط؛ لأن الاستنباط هو الاستخراج، والضمير المجرور في قوله ﴿ يَسْتَنْبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾ يعود على الرسول وأولي الأمر.

وبه قال مجاهد[1]، والزجاج، والواحدي، والسمعاني، والسيوطي، وأبو السعود[2].

القول الثاني:

الذين يستنبطونه هم أولو الأمر، والضمير المجرور في قوله ﴿ يَسْتَنْبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾ يعود عليهم، واستنباطه على هذا هو: بالنظر والبحث، أو سؤالهم عنه النبي < .

وهو قول ابن زيد[3] ، والطبري، والبغوي، والرازي، والنسفي، والشوكاني، والسعدي، وابن عاشور[4]،وهو ظاهر كلام الزمخشري، والبيضاوي[5] ،وذكره احتمالاً في الآية ابن عطية[6].

فأولي الأمر على هذا منهم من يستنبط، ومنهم من لا يستنبط[7].

وذكر ابن عطية وجهاً آخر في عود الضمير المجرور في قوله ﴿ يَسْتَنْبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾

---

(١) ينظر: تفسير الطبري: ٢١٥/٥، تفسير ابن أبي حاتم: ١٠١٦/٣.

(٢) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ٦٧/٢، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٢٧٨/١، تفسير السمعاني: ٤٥٣/١، تفسير الجلالين: ٩١، إرشاد العقل السليم: ١٧٠/٢. وكلام ابن كثير وأبي حيان يحتمله. ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٣٦٧/٢، البحر المحيط: ٣١٩/٣-٣٢٠.

(٣) ينظر: تفسير الطبري: ٢١٥/٥.

(٤) ينظر: تفسير الطبري: ٢١٥/٥، معالم التنزيل: ٥٦٧/١، تفسير الرازي: ٢١٧٩/٤، تفسير النسفي: ٢٣٦/١، فتح القدير: ٦٢٠/١، تفسير السعدي: ٣٣٠/١، التحرير والتنوير: ٢٠٢/٤-٢٠٣، وكلام القرطبي يحتمل هذا القول. ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٨٨/٥.

(٥) ينظر: الكشاف: ٤١٥/١، أنوار التنزيل: ٢٢٦/٢.

(٦) المحرر الوجيز: ٨٤/٢.

(٧) تفسير الرازي: ٢١٨٠/٤.

فقال: "ويحتمل أن يعود على الجماعة كلها، أي لعلمه البحثة من الناس"[1] فيكون راجعاً إلى جماعة المسلمين العلماء والأمراء وغيرهم، أي: لعلم حقيقة الخبر أهل الاستنباط من المسلمين.

الترجيح:

الراجح – والله أعلم – هو القول الثاني لوجهين:

الأول: أصل الاستنباط: الاستخراج[2]، لكنه استخراج شيء مستتر يحتاج في استخراجه إلى معالجة بدنية أو ذهنية، قال الطبري: " وكل مستخرج شيئاً كان مستتراً عن أبصار العيون، أو عن معارف القلوب، فهو له مستنبط، يقال استنبطت الرَّكِيّة إذا استخرجت ماءها"[3] وهذا المعنى ألصق بالقول الثاني من الأول؛ فإن أولي الأمر وأهل الرأي يعالجون الخبر الوارد ويستنبطون – أو بعضهم– منه لفطنتهم وخبرتهم وتجاربهم حقيقته ومغزاه وصحته من عدمها، بخلاف القول الأول فإنه جعل مجرد السؤال عن الخبر استنباطاً.

الثاني: لو كان المراد ما قال أصحاب القول الأول لقال والله أعلم: ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلموه؛ فإنهم بمجرد ردهم الخبر إليهم سيخبرونهم بحقيقته، ولا يحتاج ذلك إلى طائفة مخصوصة تتولى استخراج الأخبار من أولي الأمر والبصيرة، فالردُّ: إرجاع الشيء، قال ابن فارس: "الراء والدال، أصل واحد مطّرد منقاس، وهو رجع الشيء"[4] وهؤلاء لم يؤمروا برد الخبر وإرجاعه إلى الرسول وإلى أولي الأمر إلا ليعرفوا منهم حقيقة الخبر والموقف الصحيح منه[5].

---

(١) المحرر الوجيز: ٨٤/٢.

(٢) ينظر: معاني القرآن للنحاس: ٢٢٨/١، الصحاح: (نبط).

(٣) تفسير الطبري: ٢١٥/٥. والركية: البئر. ينظر: الصحاح: (ركى).

(٤) مقاييس اللغة: (رد).

(٥) فائدة: قال السعدي رحمه الله في ذكر بعض فوائد الآية: " وفي هذا دليل لقاعدة أدبية، وهي أنه إذا حصل بحث في أمر من الأمور، ينبغي أن يولى من هو أهل لذلك، ويجعل إلى أهله، ولا يتقدم بين =

مسألة: المراد بالشفاعة في قول الله تعالى: ﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾ ﴾.

ذكر ابن جُزَيّ / قولين في الآية ورجَّح الأول فقال :

" هي الشفاعة في مسلم لتفرج عنه كربة، أو تدفع مظلمة، أو يجلب إليه خيرا.

والشفاعة السيئة بخلاف ذلك.

وقيل: الشفاعة الحسنة هي الطاعة، والشفاعة السيئة هي المعصية. والأول أظهر"(١).

الدراسة:

اختلف المفسرون في المراد بالآية على أقوال كثيرة:

القول الأول:

هي الشفاعة في مسلم لتفرج عنه كربة، أو تدفع مظلمة، أو يجلب إليه خيرا.

والشفاعة السيئة بخلاف ذلك كالشفاعة فيما يضر، أو في مالا يجوز في الدين.

وبه قال مجاهد، والحسن، وابن زيد(٢)، والنسفي ، والبقاعي ، والسيوطي(٣)، وهو ظاهر كلام الزمخشري(٤) .

قال الحسن: "من يَشفع شفاعة حسنة كان له أجرها وإن لم يُشَفَّع؛ لأن الله يقول: ﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ﴾ و لم يقل يُشَفَّع"(٥).

= أيديهم فإنه أقرب إلى الصواب وأحرى للسلامة من الخطأ.

وفيه: النهي عن العجلة والتسرع لنشر الأمور من حين سماعها، والأمر بالتأمل قبل الكلام والنظر فيه؛ هل هو مصلحة فيقدم عليه الإنسان أم لا فيحجم عنه" تفسير السعدي: ١/٣٣٠.

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ١/٢٠٢.

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ٥/٢٢٠، وتفسير ابن المنذر: ٨١٢ ، وتفسير ابن أبي حاتم: ٣/١٠١٩.

(٣) ينظر: تفسير النسفي: ١/٢٣٧، نظم الدرر: ٢/٢٩٠، تفسير الجلالين: ٩١.

(٤) ينظر: الكشاف: ١/٤١٦.

(٥) تفسير ابن المنذر: ٨١٢.

القول الثاني:

الشفاعة الحسنة هي الطاعة، والشفاعة السيئة هي المعصية.

قال الأزهري: " أي من يكتسب حسنةً يكن له نصيبٌ منها ، ومَن يشفع شفاعةً سيئة يكن له كِفلٌ منها"[١] .

وجعل أصل الشفع في اللغة: الزيادة، فالمعنى: من يزد عملاً إلى عمله[٢] .

وبمثله في معنى الآية قال السمين الحلبي ، والفيروز آبادي، والكفوي[٣] .

ويكون معنى "مِن" في قوله ﴿مِّنْهَا﴾ للسببيّة، أي: نصيب أو كفل بسببها.

القول الثالث:

قال ابن عباس رضي الله عنهما: " الشفاعة الحسنة: هي الإصلاح بين الناس، والشفاعة السيئة: هي المشي بالنميمة بين الناس"[٤] .

القول الرابع:

قال الحسن: "الشفاعة الحسنة هي في البر والطاعة، والشفاعة السيئة في المعاصي"[٥].

قال الشوكاني: "الشفاعة الحسنة هي في البر والطاعة، والشفاعة السيئة في المعاصي، فمن شفع في الخير لينفع، فله نصيب منها، أي من أجرها، ومن شفع في الشر كمن يسعى بالنميمة والغيبة كان له كفل منها" [٦].

وهما قولان قريبان من القول الأول، وقول الحسن وإن كان في لفظه يشابه القول الثاني؛ إلا أن بينهما فرقاً، فظاهر قول الحسن والشوكاني أنه في الشفاعة بين الناس[٧]؛ أما القول الثاني فقد عدّ عمل الطاعات والمعاصي ذاته هو الشفاعة؛ لأنه زيادة في الخير أو

---

(١) تهذيب اللغة: (شفع).

(٢) ينظر: الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي: ١٣٢.

(٣) ينظر: عمد الحفاظ: ٣٢٠/٢، القاموس: (شفع)، الكليات: ٥٣٦.

(٤) ذكره عنه السمعاني والبغوي. ينظر: تفسير السمعاني: ٤٥٥/١، ومعالم التنزيل: ٥٦٨/١.

(٥) ذكره عنه ابن عطية. ينظر: المحرر الوجيز: ٨٦/٢.

(٦) ينظر: فتح القدير: ٦٢١/١.

(٧) وانظر: البحر المحيط: ٣٢١/٣ فقد اعتبر كلام الحسن بمعنى كلام الزمخشري.

الشر، وأصل الشفاعة الزيادة.

القول الخامس:

أن الشفاعة هنا هي الشفاعة في الجهاد؛ لأن سياق الآيـــات عن الجهاد والتحريض عليه.

قال الطبري: "من يَصِر يا محمد شفعاً لوِتر أصحابك فيشفعهم في جهاد عدوهم وقتالهم في سبيل الله وهو الشفاعة الحسنة...ومن يشفع وِتر أهل الكفر بالله على المؤمنين به فيقاتلهم معهم وذلك هو الشفاعة السيئة"(١).

واستدل الطبري لاختياره بالسياق فقال: " وإنما اخترنا ما قلنا من القول في ذلك؛ لأنه في سياق الآية التي أمر الله نبيه > فيها بحض المؤمنين على القتال، فكان ذلك بالوعد لمن أجاب رسول الله > والوعيد لمن أبى إجابته أشبه منه من الحث على شفاعة الناس بعضهم لبعض التي لم يجر لها ذكر قبل ولا لها ذكر بعد"(٢).

قال الألوسي معلقاً على قول الطبري: " أمر الارتباط عليه ظاهر ولا بأس به؛ غير أن الجمهور على خلافه"(٣).

وذكر الرازي وجهين آخرين في الشفاعة في الجهاد فقال:

"**الأول** : أن المراد منها تحريض النبي > إياهم على الجهاد ، وذلك لأنه إذا كان عليه الصلاة والسلام يأمرهم بالغزو فقد جعل نفسه شفعا لهم في تحصيل الأغراض المتعلقة بالجهاد، وأيضا فالتحريض على الشيء عبارة عن الأمر به لا على سبيل التهديد، بل على سبيل الرفق والتلطف، وذلك يجري مجرى الشفاعة .

الثاني : أن المراد منه ما ذكرنا(٤) من أن بعض المنافقين كان يشفع لمنافق آخر في أن يأذن له الرسول > في التخلف عن الجهاد ، أو المراد به أن بعض المؤمنين كان يشفع

---

(١) ينظر: تفسير الطبري: ٥/٢٢٠.

(٢) المرجع السابق.

(٣) ينظر: روح المعاني: ٥/٩٧.

(٤) قال : يجوز أن يقال أن بعض المنافقين... فذكره على وجه الاحتمال.

لمؤمن آخر عند مؤمن ثالث في أن يحصل له ما يحتاج إليه من آلات الجهاد"[1] .

القول السادس:

الشفاعة الحسنة هي الدعاء للمسلم؛ لأنها في معنى الشفاعة إلى الله.

ولقول النبي > "دَعْوَةُ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ مُسْتَجَابَةٌ، عِنْدَ رَأْسِهِ مَلَكٌ مُوَكَّلٌ كُلَّمَا دَعَا لِأَخِيهِ بِخَيْرٍ قال الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِهِ آمِينَ وَلَكَ بِمِثْلٍ "[2] فهذا هو النصيب في الآية.

والدعاء على المسلم شفاعة سيئة[3] .

القول السابع:

أن معنى الآية: من انضم إلى غيره وعاونه، وصار شفعا له أو شفيعا في فعل الخير والشر، فعاونه وقوّاه وشاركه في نفعه وضره، ومنه الشفاعة للمظلومين وأصحاب الحاجات.

وهو قول الراغب الأصفهاني ، وابن القيم، والسعدي[4] وظاهر كلام ابن كثير[5].

قال ابن القيم: "فدخل في حكم الآية كل متعاونين على خير أو شر بقول أو عمل، ونظيرها قوله تعالى:﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ ﴾ [المائدة: ٢] ".

الترجيح:

الظاهر – والله تعالى أعلم – أن هذه الأقوال كلها صحيحة – وبعضها متقارب متداخل– فمعنى الشفاعة يشملها؛ إذ أن الشفع في اللغة هو الضم إلى المثل والزيادة[1] ،

---

(١) ينظر: تفسير الرازي: ٤/٢١٨٦.

(٢) أخرجه مسلم: ٤/٢٠٩٤ (رقم ٢٧٣٣).

(٣) ينظر: الكشاف: ١/٤١٦، زاد المسير: ٢/٩٢، تفسير الرازي: ٤/٢١٨٧، الجامع لأحكام القرآن: ٥/١٩٠.

(٤) ينظر: المفردات: ٢٦٦، بدائع التفسير: ١/٢٨٨، تفسير السعدي: ١/٣٣١.

(٥) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٢/٣٦٩.

(١) ينظر: تهذيب اللغة: (شفع)، والزاهر في غريب ألفاظ الشافعي للأزهري: ١٣٢، والمفردات: ٢٦٦، وعمدة الحفاظ: ٢/٣٢٠.

والشافع: المعين[1]، وهو معنى شامل لكل الأقوال؛ غير أن أولى الأقوال دخولاً في الآية هو:

١. القول بأن ذلك في الشفاعة في الجهاد لدلالة السياق عليه؛ فالآية التي قبلها هي قوله تعالى: ﴿ فَقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ۚ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴿٨٤﴾ ﴾.

٢. والقول بأنها شفاعةُ ووساطةُ الخلق بعضهم لبعض في قضاء الحوائج؛ وذلك لكون كثير من النصوص الشرعية يراد بها هذا المعنى كقوله تعالى: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] ، وقوله تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴾ [طه: ١٠٩] ، وقوله تعالى: ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴾[المدثر: ٤٨]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾ [الأنبياء: ٢٨]، وقول النبي > في حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه " اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا وَيَقْضِي الله على لِسَانِ نَبِيِّهِ ﷺ ما شَاءَ"[2]، وقوله أيضاً > لأسامة بن زيد ب لما شفع في المخزومية: "أَتَشْفَعُ في حَدٍّ من حُدُودِ اللَّهِ"[3] وغيرها، وقد تكون شفاعة حسنة أو سيئة بحسب وصفها، فمن شفع بالخير وفيما يجوز في الدين فهي شفاعة حسنة، ومن شفع في الشر والضرر ومالا يجوز في الدين فهي شفاعة سيئة.

قال الطبري بعد أن أورد قوله والقول الأول مقتصراً في ذكر الخلاف عليهما: " وغير مستنكر أن تكون الآية نزلت فيما ذكرنا، ثم عمَّ بذلك كل شافع بخير أو شر"[1] .

---

(١) ينظر: العين: (شفع).

(٢) أخرجه البخاري: ٥٢٠/٢ (رقم ١٣٦٥).

(٣) متفق عليه من حديث عائشة رضي الله عنها، أخرجه البخاري: ١٢٨٢/٣ (رقم: ٣٢٨٨) ومسلم: ١٣١٥/٣ (رقم ١٦٨٨).

(١) ينظر: تفسير الطبري: ٢٢٠/٥.

وقال ابن عطية بعد أن حكى الخلاف في الآية على ثلاثة أقوال، هي القول الأول، والرابع – قول الحسن- وقول الطبري: " وهذا كله قريب بعضه من بعض"[1] .

وقال ابن العربي بعد أن حكى الخلاف في الآية على ثلاثة أقوال أيضاً هي القول الأول، والثاني، وقول الطبري: " والصحيح عندي أن الآية عامة في كل ذلك"[2].

(١) ينظر: المحرر الوجيز: ٢/٨٦.

(٢) أحكام القرآن: ١/٤٧٨.

قال الله تعالى: ﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ۖ وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَٰتِلُوكُمْ أَوْ يُقَٰتِلُواْ قَوْمَهُمْ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَٰتَلُوكُمْ ۚ فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾ ﴾.

في الآية الثانية مسألتان:

المسألة الأولى: معنى ﴿يَصِلُونَ﴾.

ذكر ابن جُزَيّ / قولين في المسألة، ورجَّح الأول منهما وضعّف الثاني فقال :

" معنى ﴿يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ﴾ ينتهون إليهم ويدخلون فيما دخلوا فيه من المهادنة.

وقيل معنى يصلون: أي ينتسبون. وهذا ضعيف جداً بدليل قتال رسول الله < لقريش وهم أقاربه وأقارب المؤمنين؛ فكيف لا يقاتل أقارب الكفار المعاهدين؟ "[1] .

الدراسة:

اختلف العلماء في المسألة على قولين:

القول الأول:

أي: يتّصلون ويلتحقون بهم ويلجأون إليهم ويدخلون فيما دخلوا فيه من المهادنة.

وبه قال أكثر العلماء كالسدي، وابن زيد[2]، والفراء، والطبري، والزجاج،

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ٢٠٣/١. قال ابن جزي: "وكان ذلك في أول الإسلام ثم نسخ بالقتال في أول سورة براءة" وقال ابن عطية: "كان هذا الحكم في أول الإسلام قبل أن يستحكم أمر الطاعة من الناس، فكان رسول الله < قد هادن من العرب قبائل، كرهط هلال بن عويمر الأسلمي، وسراقة بن مالك بن جعشم، وخزيمة ابن عامر بن عبد مناف، فقضت هذه الآية بأنه من وصل من المشركين الذين لا عهد بينهم وبين النبي < إلى هؤلاء أهل العهد فدخل في عدادهم وفعل من الموادعة فلا سبيل عليه، قال عكرمة والسدي وابن زيد ثم لما تقوى الإسلام وكثر ناصروه نسخت هذه والتي بعدها بما في سورة براءة". المحرر الوجيز: ٨٩/٢.

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ٢٣٣/٥.

والنحاس، والواحدي، والزمخشري، وابن عطية، وابن العربي، والقرطبي، وأبي حيان، والشوكاني، والسعدي[1] .

القول الثاني:

أي: ينتسبون.

وهو قول أبي عبيدة[2] ، وابن الأعرابي[3] ، وغلام ثعلب[4]، وابن الجوزي[5].

فهو من اتصال النسب، واستشهدوا بقول الأعشى:

إذا اتَّصلتْ قالت أَبَكْرَ بن وائلٍ وَبَكْرٌ سَبَتها والأُنُوفُ رَوَاغِمُ[6] .

أي: انتسبت.

وقد خطّأ هذا القول كثير من العلماء كالطبري والنحاس وابن عطية والرازي وابن جُزَيّ والشوكاني وغيرهم؛ لأن النسب لا يمنع من القتال، فقد قاتل رسول الله < وأصحابه قريشاً وهم أقاربه وأقارب المؤمنين؛ فكيف لا يقاتل أقارب الكفار المعاهدين؟.

---

(١) ينظر: معاني القرآن للفراء: ١/١٩٥، تفسير الطبري: ٥/٢٣٣، معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٢/٧٢، معاني القرآن للنحاس: ١/٢٣٢، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ١/٢٨٠، الكشاف: ١/٤١٩، المحرر الوجيز: ٢/٨٩، الجامع لأحكام القرآن: ٥/١٩٩، البحر المحيط: ٣/٣٢٨، فتح القدير: ١/٦٢٥، تفسير السعدي: ١/٣٣٤.

(٢) ينظر: مجاز القرآن: ١/١٣٦، وينظر: تفسير ابن المنذر: ٨٢٣، معاني القرآن للنحاس: ١/٢٣٢.

(٣) ينظر: تهذيب اللغة: (وصل).

(٤) محمد بن عبد الواحد، أبو عمر الزاهد، المعروف بغلام ثعلب، من أئمة اللغة وأكابر أهلها وأحفظهم لها، قال أبو علي التنوخي: "أملى من حفظه ثلاثين ألف ورقة في اللغة فيما بلغني، وكان لسعة حفظه يطعن عليه بعض أهل الأدب ولا يوثقونه في علم اللغة" (ت: ٣٤٥).
ينظر: معجم الأدباء: ٥/٣٦٠، سير أعلام النبلاء: ١٥/٥٠٨، لسان الميزان: ٥/٢٦٨.

(٥) ينظر: ياقوته الصراط لغلام ثعلب: ٢٠١، وتذكرة الأريب: ١/١٢٣، وفسرها الراغب على هذا القول في مفرداته: ص ٥٤٠ فقال: " أي ينسبون ، يقال فلان متصل بفلان إذا كان بينهما نسبة أو مصاهرة" لكنه في تفسيره ذهب إلى القول الأول. ينظر: تفسير الراغب: ٢/١٣٨١.

(٦) البيت في ديوانه: ٣٤٣.

وحكى الشوكاني الإجماع على أن النسب لا يمنع من القتال[1] .

فإن قيل: إنما قاتلهم بعد نسخ هذه الآية.

فيجاب: بأن الناسخ لها سورة براءة، وقد نزلت بعد فتح مكة وإسلام قريش[2].

قال أبو جعفر النحاس معلقاً على هذا القول: "وهذا غلط عظيم؛ لأنه يذهب إلى أن الله عز وجل حظر أن يقاتل أحد بينه وبين المسلمين نسب، والمشركون قد كان بينهم وبين السابقين الأولين أنساب، وأشد من هذا الجهلِ الاحتجاجُ بأن ذلك كان ثم نسخ؛ لأن أهل التأويل مجمعون على أن الناسخ له براءة، إنما نزلت براءة بعد الفتح وبعد أن انقطعت الحروب"[3].

ويحتمل أن أصحاب هذا القول أرادوا مطلق الانتساب لا النسب، فيكون بمعنى القول الأول، أي انتسبوا إليهم في حِلْفهم ومهادنتهم ودخلوا معهم[4].

الترجيح:

الراجح هو القول الأول؛ فإن حمل المعنى على النسب ضعيف جداً لما سبق ذكره، والله تعالى أعلم.

---

(١) ينظر: تفسير الطبري: ٢٣٤/٥، معاني القرآن للنحاس: ٢٣٢/١، المحرر الوجيز: ٨٩/٢، تفسير الرازي: ٢١٩٩/٤، التسهيل لعلوم التنزيل: ٢٠٣/١، فتح القدير: ٦٢٥/١.

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ٢٣٤/٥، المحرر الوجيز: ٨٩/٢، الجامع لأحكام القرآن: ١٩٩/٥.

(٣) الناسخ والمنسوخ له: ٣٤١.

(٤) ينظر: أحكام القرآن للجصاص: ٢٧٥/٢، تهذيب اللغة: (وصل).

المسألة الثانية: المعطوف عليه بـــ أو في قوله ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوۡ جَآءُوكُمۡ حَصِرَتۡ صُدُورُهُمۡ أَن يُقَٰتِلُوكُمۡ أَوۡ يُقَٰتِلُواْ قَوۡمَهُمۡ﴾.

ذكر ابن جُزَيّ / قولين في المسألة، ورجَّح الأول منهما فقال :

" ﴿أَوۡ جَآءُوكُمۡ حَصِرَتۡ صُدُورُهُمۡ﴾ عطف على ﴿يَصِلُونَ﴾ أو على صفة ﴿قَوۡمِۭ﴾ وهي ﴿بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾ والمعنى يختلف باختلاف ذلك، والأول أظهر"[1] .

الدراسة:

اختلف المفسرون في المسألة على قولين:

القول الأول:

قوله ﴿أَوۡ جَآءُوكُمۡ حَصِرَتۡ صُدُورُهُمۡ﴾ معطوف على ﴿يَصِلُونَ﴾.

والمعنى: أو إلا الذين جاؤوكم حصرت صدورهم، فيكون المستثنى صنفين من الناس: أحدهما: الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق، والآخر: الذين جاؤوكم حصرت صدورهم عن قتالكم وقتال قومهم.

وهو قول الطبري، والزمخشري، وابن عطية، والرازي، والسمين الحلبي، وابن كثير، والسعدي، وابن عاشور[2] ، وظاهر كلام ابن العربي[3] .

واستدلوا بوجهين:

الأول: أن الله قال: ﴿فَإِنِ ٱعۡتَزَلُوكُمۡ فَلَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ وَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سَبِيلَۢا ۝٩٠﴾ بعد قوله في الآية الأولى ﴿فَخُذُوهُمۡ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ﴾ فدلّ على

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ٢٠٣/١.

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ٢٣٤/٥، الكشاف: ٤٢٠/١، المحرر الوجيز: ٩٠/٢، تفسير الرازي: ٢٢٠٠/٤، الدر المصون: ٦٤/٤، تفسير القرآن العظيم: ٣٧٣/٢، تفسير السعدي: ٣٣٤/١، التحرير والتنوير: ٢١٣/٤.

(٣) ينظر: أحكام القرآن لابن العربي: ٤٨٥/١.

أن السبب الموجب لترك التعرض لهم هو تركهم للقتال، وهذا إنما يتمشى على هذا القول، وأما على القول الثاني فالسبب الموجب لترك التعرض لهم هو الاتصال بمن ترك القتال.

الثاني: جعل ترك القتال موجباً لترك التعرض لهم أولى من جعل الاتصال بمن ترك القتال سبباً قريباً لترك التعرض لهم، لأنه على التقدير الأول يكون ترك القتال سبباً قريباً لترك التعرض، وعلى السبب الثاني يصير سبباً بعيداً[1].

القول الثاني:

أنه معطوف على صفة ﴿قَوْمٍ﴾ وهي ﴿بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَقٌ﴾ .

والمعنى: إلا الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق، أو يصلون إلى قوم جاؤوكم حصرت صدورهم عن قتالكم وقتال قومهم، فيكون المستثنى صنفاً واحداً.

وهو قول النحاس، والواحدي، والسمعاني، والبغوي[2] .

الترجيح:

الراجح هو القول الأول الذي رجحه ابن جزي؛ لقوة ما استدلوا به، فلحاق الآية قد وضّح المراد بالعطف هنا، والله تعالى أعلم.

---

(١) ينظر: تفسير الرازي: ٤/٢٢٠٠، الكشاف: ١/٤٢٠، البحر المحيط: ٣/٣٢٨.

(٢) ينظر: معاني القرآن للنحاس: ١/٢٣٢، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ١/٢٨٠، تفسير السمعاني: ١/٤٦٠، معالم التنزيل: ١/٥٧٣.

مسألة: معنى ﴿ٱلْفِتْنَةِ﴾ .

في قول الله تعالى: ﴿سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا۟ قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا۟ فِيهَا ۚ فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوٓا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿٩١﴾﴾.

ذكر ابن جُزَيّ / قولين في المسألة، ورجَّح الأول منهما فقال :

" والفتنة هنا: الكفر على الأظهر .

وقيل: الاختبار"[1] .

الدراسة:

اختلف المفسرون في المسألة على قولين:

القول الأول:

الفتنة هنا: الكفر.

وهذا قول مجاهد، والسدي[2]، والجصاص، والثعلبي، والواحدي، والسمعاني، والبغوي، وابن الجوزي، والقرطبي، وابن عاشور[3].

القول الثاني:

الفتنة هي الاختبار والابتلاء.

وإليه ذهب قتادة، وأبي العالية[4]، والطبري، وابن عطية[5] .

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ٢٠٣/١.

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ٢٣٨/٥، تفسير ابن أبي حاتم: ١٠٢٩/٣.

(٣) ينظر: أحكام القرآن للجصاص: ٢٧٨/٢، تفسير الثعلبي: ٣٥٧/٣، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٢٨١/١، تفسير السمعاني: ٤٦١/١، معالم التنزيل: ٥٧٤/١، زاد المسير: ٩٦/٢، الجامع لأحكام القرآن: ٢٠٠/٥، التحرير والتنوير: ٢١٤/٤.

(٤) ينظر: تفسير الطبري: ٢٣٨/٥، تفسير ابن أبي حاتم: ١٠٢٩/٣.

(٥) ينظر: تفسير الطبري: ٢٣٨/٥، المحرر الوجيز: ٩١/٢.

قال الطبري: " وذلك أن الفتنة في كلام العرب: الاختبار، والإركاس: الرجوع"[1].

الترجيح:

القولان صحيحان ولا تعارض بينهما، فهم يختبرون ليُظهروا الكفر بالله، فينتكسون ويقعون فيه، أو هم يُرَدّون إلى الكفر على وجه الاختبار فينتكسون ويقعون فيه، والمعنى واحد.

وقد جمع بينهما الماوردي وأبو حيان فقالا: الفتنة هنا: المحنة في إظهار الكفر[2] .

والفتنة في اللغة: الابتلاء والاختبار، قال ابن فارس: "الفاء والتاء والنون أصل صحيح يدل على ابتلاء واختبار، من ذلك الفتنة"[3] ، وقد جاءت بهذا المعنى في بعض الآيات كقوله تعالى: ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ [العنكبوت: ٢] وقوله : ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ [الأنفال: ٢٨] وجاءت في آيات أخرى بمعنى الكفر كقوله تعالى: ﴿ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۚ ﴾ [البقرة: ١٩١][4]، وكأنه من تسمية الشيء بمقصوده وغايته، والله تعالى أعلم.

---

(١) تفسير الطبري: ٢٣٨/٥، وقال الزجاج: اركسوا: انتكسوا، وقال ابن فارس: "الراء والكاف والسين أصل واحد: وهو قلب الشيء على رأسه، وردّ أوله على آخره" والمعنى واحد أو متقارب. ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٧٣/٢، مقاييس اللغة: (ركس).

(٢) النكت والعيون: ٥١٤/١، البحر المحيط: ٣٣٢/٣.

(٣) مقاييس اللغة: (فتن) وينظر: الصحاح: (فتن).

(٤) ينظر: نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر لابن الجوزي: ٢٢٤.

مسألة: نوع الاستثناء في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا﴾.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟﴾ [النساء: ٩٢] .

ذكر ابن جُزَيّ / قولين في المسألة، ورجَّح الثاني منهما فقال :

" قيل: إن الاستثناء هنا منقطع، والمعنى لا يحل لمؤمن أن يقتل مؤمناً بوجهٍ لكن الخطأ قد يقع .

والصحيح أنه متصل، والمعنى لا ينبغي لمؤمن ولا يليق به أن يقتل مؤمناً إلا على وجه الخطأ من غير قصد ولا تعد؛ إذ هو مغلوب فيه"[(١)] .

الدراسة:

القول الأول:

الاستثناء منقطع.

وإليه ذهب الجمهور[(٢)]، وممن قال به الطبري، والزجاج، والنحاس، ومكي بن أبي طالب، والسمعاني، والبغوي، وابن الجوزي، وأبو البركات بن الأنباري، والعكبري، والخازن، وأبو حيان[(٣)] .

والمعنى: لا يحل لمؤمن أن يقتل مؤمناً بوجهٍ لكن الخطأ قد يقع، وليس هو مما أباحه

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ٢٠٣/١.

(٢) ينظر: البحر المحيط: ٣٣٤/٣.

(٣) ينظر: تفسير الطبري: ٢٤٠/٥، معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٧٣/٢، إعراب القرآن للنحاس: ٢٠٠، مشكل إعراب القرآن: ٢٠٥/١، تفسير السمعاني: ٤٦١/١، معالم التنزيل: ٥٧٥/١، زاد المسير: ٩٨/٢، البيان في إعراب غريب القرآن: ٢٢٨، التبيان في إعراب القرآن: ٢٦٣، لباب التأويل: ٥٧٣/١، البحر المحيط: ٣٣٤/٣.

الله[1] .

قال العكبري: " استثناء ليس من الأول؛ لأن الخطأ لا يدخل تحت التكليف، والمعنى: لكن إن قتل خطأ فحكمه كذا "[2] .

القول الثاني:

الاستثناء متصل.

وهو قول ابن عطية، وابن عاشور[3] .

والمعنى ينتفي قتْلُ المؤمن مؤمناً في كلّ حال إلاّ في حال عدم القصد، كأنه قال: ما وُجد ولا ساغ لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا على وجه الخطأ[4].

الترجيح:

القولان محتملان، وقول الجمهور أقرب – والله أعلم – ونظائره كثيرة في القرآن كقوله تعالى: ﴿ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ ﴾ [النساء: ٢٩] وقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ ﴾ [النجم: ٣٢] وقوله: ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾ ﴾ [الواقعة: ٢٥ – ٢٦][5].

(١) ينظر: تفسير الطبري: ٢٤٠/٥، التسهيل لعلوم التنزيل: ٢٠٣/١.

(٢) التبيان في إعراب القرآن: ٢٦٣.

(٣) ينظر: المحرر الوجيز: ٩٢/٢، التحرير والتنوير: ٢١٦/٤.

(٤) ينظر: المحرر الوجيز: ٩٢/٢، التحرير والتنوير: ٢١٦/٤.

(٥) ينظر: تفسير الرازي: ٢٢٠٣/٤.

مسألة: المراد بالسعة في قول الله تعالى: ﴿ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ﴾ [النساء: ١٠٠]..

ذكر ابن جُزَيّ / قولين في المسألة، ورجَّح الأول منهما فقال :

" أي اتساع في الأرض .

وقيل: في الرزق"[١] .

الدراسة:

اختلف المفسرون في المسألة:

القول الأول:

أي: اتساع في الأرض .

قال الإمام مالك: سعة البلاد[٢] .

واختاره ابن عطية والقرطبي[٣] ، وقالا: هذا أشبه بفصاحة العرب؛ فإن بسعة الأرض وكثرة البلاد تكون السعة في الرزق، واتساع الصدر لهمومه وفكره، وغير ذلك من وجوه الفرح.

قال ابن عطية: وهذا المعنى ظاهر من قوله﴿ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً ﴾ [النساء: ٩٧][٤].

القول الثاني:

المراد: سعة الرزق.

وبه قال ابن عباس، والضحاك، والربيع[٥] ، ومقاتل بن سليمان، والسمرقندي،

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ٢٠٦/١.

(٢) تفسير ابن أبي حاتم: ١٠٥٠/٣.

(٣) ينظر: المحرر الوجيز: ١٠١/٢، الجامع لأحكام القرآن: ٢٢٣/٥.

(٤) ينظر: المحرر الوجيز: ١٠١/٢، الجامع لأحكام القرآن: ٢٢٣/٥.

(٥) ينظر: تفسير الطبري: ٢٨٣/٥، تفسير ابن أبي حاتم: ١٠٥٠/٣.

والواحدي، والخازن، وابن كثير، والسيوطي، وأبو السعود[1]، وهو قول جمهور المفسرين[2] .

وقال الرازي وابن عاشور: سعة في العيش[3] ، وهو بمعنى هذا القول أو أعم منه.

الترجيح:

لا تعارض بين القولين، فمن يهاجر في سبيل الله سيجعل الله له سعة تعوضه عن ما تركه وفاته في بلاده، سعة البلاد وما يتبعها من توفر البدائل والقدرة على إقامة الشعائر وتعدد الفرص الدنيوية، وسعة في الرزق والعيش، وكلاهما مراد والله أعلم؛ مع تلازمهما في أحيان كثيرة، أما سعة البلاد فقد ذكرها الله في آية النساء التي استدل بها ابن عطية، وفي قوله: ﴿ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ [العنكبوت: ٥٦] وفي الزمر[4] .

وأما سعة الرزق فقد ورد في آيات أخرى ذكر السعة بمعنى السعة في الرزق كقوله تعالى: ﴿ لِيُنفِقۡ ذُو سَعَةٖ مِّن سَعَتِهِۦۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيۡهِ رِزۡقُهُۥ فَلۡيُنفِقۡ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُۚ ﴾ [الطلاق: ٧] وقوله ﴿ وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤۡتُوٓاْ أُوْلِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ ﴾ [النور: ٢٢] فإذا استصحبتَ إرادة هذا المعنى في مواضع من القرآن مع كون هذه الآية وردت في الترغيب في الهجرة في سبيل الله التي من أعظم معوقاتها الخوف من الوقوع في المشقة والضيق والفقر وفقدان المصالح الدنيوية الحاصلة له في بلده، ترجّح لك أن سعة الرزق مقصودة هنا كما قال الجمهور، وهو كقول الله تعالى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ ﴾ [الطلاق: ٢ – ٣].

---

(١) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٥٢/١، بحر العلوم: ٣٥٧/١، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٢٨٤/١، لباب التأويل: ٥٨٣/١، تفسير القرآن العظيم: ٣٩٢/٢، تفسير الجلالين: ٩٤، إرشاد العقل السليم: ١٨٨/٢.

(٢) ينظر: زاد المسير: ١٠٧/٢.

(٣) ينظر: تفسير الرازي: ٢٢٣٤/٤، التحرير والتنوير: ٢٣٧/٤.

(٤) آية ١٠.

قال الطبري: " وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال إن الله أخبر أن من هاجر في سبيله يجد في الأرض مضطرباً ومتسعاً، وقد يدخل في السعةِ السعةُ في الرزق والغنى من الفقر، ويدخل فيه السعة من ضيق الهم والكرب الذي كان فيه أهل الإيمان بالله من المشركين بمكة، وغير ذلك من معاني السعة التي هي بمعنى الرَّوْح والفرج من مكروه ما كره الله للمؤمنين بمقامهم بين ظهري المشركين وفي سلطانهم، ولم يضع الله دلالة على أنه عنى بقوله ﴿وَسَعَةً﴾ بعض معاني السعة التي وصفنا، فكل معاني السعة هي التي بمعنى الرَّوْح والفرج مما كانوا فيه من ضيق العيش، وغم جوار أهل الشرك، وضيق الصدر بتعذر إظهار الإيمان بالله وإخلاص توحيده وفراق الأنداد والآلهة؛ داخل في ذلك"(١) .

وقال الشوكاني بعد حكاية القولين: " ولا مانع من حمل السعة على ما هو أعم من ذلك"(٢) .

وقال السعدي: " فالمُرَاغَم مشتمل على مصالح الدين، والسعة على مصالح الدنيا، وذلك أن كثيراً من الناس يتوهّم أن في الهجرة شتاتاً بعد الألفة ، وفقرا بعد الغنى ، وذلاً بعد العز، وشدة بعد الرخاء، والأمر ليس كذلك"(٣).

(١) تفسير الطبري: ٥/٢٨٤.
(٢) فتح القدير: ١/٦٣٧.
(٣) تفسير السعدي: ١/٣٤٣.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسْلِحَتَكُمْ ۖ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾﴾.

فيها ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: الطائفة المأمورة بأخذ الأسلحة في قوله ﴿وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ﴾.

ذكر ابن جُزَيّ / قولين في المسألة، ورجَّح الأول منهما فقال :

" اختلفوا في المأمور بأخذ الأسلحة، فقيل: الطائفة المصلية .

وقيل: الحارسة، والأول أرجح؛ لأنه قد قال بعد ذلك في الطائفة الأخرى ﴿وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾ "[1] .

الدراسة:

اختلف العلماء في المسألة على قولين:

القول الأول:

أنها الطائفة المصلية.

وهو قول أكثر أهل العلم[2] ، وممن قال به السمرقندي، وابن العربي، والبيضاوي، وأبو حيان، والسيوطي، وأبو السعود، والشوكاني، وهو ظاهر كلام ابن عاشور[3] .

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ٢٠٧/١.

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢٣٨/٥.

(٣) ينظر: بحر العلوم: ٣٥٩/١، أحكام القرآن لابن العربي: ٥٠٦/١، أنوار التنزيل: ٢٤٦/٢، البحر المحيط: ٣٥٤/٣، تفسير الجلالين: ٩٥، إرشاد العقل السليم: ١٩١/٢، فتح القدير: ٦٤٠/١، التحرير والتنوير: ٢٤١/٤.

واستدلوا بالآتي [1]:

١- إنما يحتاج إلى الأمر بأخذ السلاح من كان في الصلاة؛ لأنه يظن أن ذلك ممنوع منه حال الصلاة، أما الطائفة القائمة بإزاء العدو فلا بد أن تكون قائمة بأسلحتها؛ فإن حملها للسلاح مفهوم بداهة من تقسيمهم طائفتين.

٢- ولأنه أقرب للاحتياط، وأرهب للعدو.

٣- قال ابن جزي: لأن الله قال بعد ذلك في الطائفة الأخرى ﴿وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾ [2].

القول الثاني:

أنها الطائفة الحارسة.

وإليه ذهب ابن عباس[3] ، والنحاس، والجصاص، والواحدي[4] .

وذلك لأنها هي التي تحرس الطائفة المصلية، ولأن من في الصلاة غير مقاتل[5] .

وذهب ابن عطية إلى أن لفظ الآية يتناول الكل[6] .

الترجيح:

الراجح هو القول الأول الذي رجّحه ابن جُزَيّ وعليه أكثر أهل العلم لقوة ما

---

(١) ينظر: تفسير الرازي: ٢٢٤٢/٤، الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال: ٤٢٩/١، التسهيل لعلوم التنزيل: ٢٠٧/١، فتح القدير: ٦٤٠/١، تفسير آيات الأحكام في سورة النساء: ٩٢٥/٢.

(٢) ولم يتبين لي وجه الاستدلال؛ فإن كان أراد أن الطائفة الأخرى مأمورة بأخذ السلاح حين صلاتها فكذلك تكون الأولى مأمورة بأخذه كالثانية، فهو محل خلاف فيمن عنى الله بأخذ السلاح كما في الطائفة الأولى، فلا يكون دليلاً فالخلاف في الموضعين واحد. ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢٣٨/٥.

(٣) ينظر: تفسير الطبري: ٢٩٩/٥.

(٤) ينظر: معاني القرآن للنحاس: ٢٤١/١، أحكام القرآن للجصاص: ٣٢٣/٢، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٢٨٥/١.

(٥) ينظر: ما سبق مع أحكام القرآن لابن الفَرَس: ٢٧٧/٢، الجامع لأحكام القرآن: ٢٣٨/٥.

(٦) ينظر: المحرر الوجيز: ١٠٥/٢، وذكره الرازي في تفسيره : ٢٢٤٢/٤ وجهاً محتملاً في الآية.

استدلوا به؛ ولأن الحديث عن الطائفة المصلية، فالأولى أن يعود الضمير عليها.

قال أبو حيّان: والظاهر أنّ الضمير في ﴿ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ ﴾ عائد على طائفة؛ لقربها من الضمير، ولكونه لها فيما بعدها في قوله : ﴿ فَإِذَا سَجَدُواْ ﴾ [1].

أما أمر الطائفة الأخرى بأخذ السلاح فهو مفهوم من سياق الآية فإن قيامها بإزاء العدو يقتضي ذلك، ويستفاد الأمر به كذلك من قوله ﴿ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ ﴾ من باب القياس؛ فإنه إذا كانت الطائفة المصلية مأمورة بأخذ السلاح في صلاة الخوف فغيرها من باب أولى، والله تعالى أعلم.

(١) البحر المحيط: ٣/٣٥٤.

المسألة الثانية: قوله تعالى ﴿ فَإِذَا سَجَدُواْ ﴾ هل هو السجود في الركعة الأولى أم الركعة الثانية ركعة القضاء؟.

ذكر ابن جُزَيّ / قولين في المسألة، ورجَّح الأول منهما فقال :

" الضمير في قوله ﴿فَإِذَا سَجَدُواْ ﴾ للمصلين .

والمعنى: إذا سجدوا معك في الركعة الأولى .

وقيل: إذا سجدوا في ركعة القضاء"(١) .

الدراسة:

اختلف العلماء في المراد بسجود الطائفة المصلية مع الإمام في الآية، هل هو السجود في الركعة الأولى أم الركعة الثانية ركعة القضاء؟ على قولين:

القول الأول:

المراد به السجود في الركعة الأولى.

وبه قال جابر بن عبد الله، وابن عمر، وابن عباس، وسعيد بن جبير(٢) ، والسمرقندي، والجصاص، وأبو السعود، والألوسي(٣) .

فإذا انتهت هذه الطائفة من السجود مع الإمام في الركعة الأولى فإنها تنصرف للحراسة(٤) .

قال الجصاص: قوله ﴿فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ ﴾ موافق لقولنا؛ ففيه الأمر لهم أن يكونوا بعد السجود من ورائهم، وعلى القول الآخر لا يكونون من ورائهم إلا

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ٢٠٨/١.

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ٢٩٤/٥، مع ٢٩٠/٥، ٢٩٩.

(٣) ينظر: بحر العلوم: ٣٥٩/١، أحكام القرآن للجصاص: ٣٢٢/٢، ٣٢٣، إرشاد العقل السليم: ١٩١/٢، روح المعاني: ١٣٥/٥.

(٤) وهل تُكمل بقية صلاتها بعد الحراسة أم لا؟ قولان لأصحاب هذا القول، وقد ذكر ابن جُزَيّ الخلاف ولم ولم يُرجِّح، قال: " ثم يحتمل بعد ذلك أن يقضوا بقية صلاتهم أو لا يقضونها".

بعد القضاء[1] .

القول الثاني:

المراد به السجود في الركعة الثانية ركعة القضاء.

وهو قول الشافعي ، والطبري،وابن الفرس، وابن تيمية، والسعدي، وابن عاشور[2] ، وظاهر كلام السمعاني، والبغوي، والخازن، وأبي حيان، والسيوطي[3].

فإذا صلّى الإمام بهم الركعة الأولى فإنه يقوم وينتظر، ويتمّون هم الركعة الثانية وحدهم ويسلّمون وينصرفون للحراسة، فالمعنى: سجدوا ما عليهم من السجود كله، فهو بمعنى أتموا صلاتهم، وعبّر عن الصلاة بالسجود ليدل على فضل السجود، وأنه ركن من أركانها[4] .

واستدلوا بأن قوله تعالى: ﴿وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا۟ فَلْيُصَلُّوا۟ مَعَكَ﴾ يدل بمفهومه أن الطائفة الأولى قد صلّت وانقضت صلاتها عند إتيان الطائفة الثانية للصلاة[5] .

قال الطبري: " وإذ كان ذلك كذلك، ولم يكن في الآية أمر من الله عز ذكره للطائفة الأولى بتأخير قضاء ما بقي عليها من صلاتها إلى فراغ الإمام من بقية صلاته، ولا على المسلمين الذين بإزاء العدو في اشتغالها بقضاء ذلك ضرر، لم يكن لأمرها بتأخير ذلك وانصرافها قبل قضاء باقي صلاتها عن موضعها معنى"[1].

---

(١) ينظر: أحكام القرآن للجصاص: ٣٢٣/٢.

(٢) ينظر: اختلاف الحديث للشافعي: ٥٢٦، تفسير الطبري: ٣٠١/٥، أحكام القرآن لابن الفَرَس: ٢٧٥/٢، مجموع الفتاوى: ٦/١٤، تفسير السعدي: ٣٤٦/١، التحرير والتنوير: ٢٤٢/٤.

(٣) ينظر: تفسير السمعاني: ٤٧٣/١، معالم التنزيل: ٥٩٢/١، لباب التأويل: ٥٨٨/١، البحر المحيط: ٣٥٤/٣، تفسير الجلالين: ٩٥.

(٤) ينظر: اختلاف الحديث: ٥٢٦، المحرر الوجيز: ١٠٧/٢، الجامع لأحكام القرآن: ٢٣٨/٥، تفسير السعدي: ٣٤٦/١.

(٥) اختلاف الحديث للشافعي: ٥٢٦، أحكام القرآن لابن الفَرَس: ٢٧٥/٢، تفسير الرازي: ٢٢٤١/٤.

(١) تفسير الطبري: ٣٠٢/٥.

الترجيح:

ألفاظ الآية تحتمل القولين، وقد جاء في السنة ما يشهد لكلٍ منهما.

فمما يشهد للقول الأول ما أخرجه الشيخان عن ابن عمر ب قال: "صلى رسول اللَّهِ ﷺ صَلَاةَ الْخَوْفِ بِإِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ رَكْعَةً، وَالطَّائِفَةُ الْأُخْرَى مُوَاجِهَةُ الْعَدُوِّ، ثُمَّ انْصَرَفُوا وَقَامُوا فِي مَقَامِ أَصْحَابِهِمْ مُقْبِلِينَ على الْعَدُوِّ، وَجَاءَ أُولَئِكَ ثُمَّ صلى بِهِمْ النبي ﷺ رَكْعَةً، ثُمَّ سَلَّمَ النبي ﷺ ، ثُمَّ قَضَى هَؤُلَاءِ رَكْعَةً وَهَؤُلَاءِ رَكْعَةً"(١) .

ومما يشهد للقول الثاني ما أخرجه الشيخان من حديث صَالِحِ بن خَوَّاتٍ عَمَّنْ صلى مع رسول اللَّهِ ﷺ يوم ذَاتِ الرِّقَاعِ صَلَاةَ الْخَوْفِ: " أَنَّ طَائِفَةً صَفَّتْ معه وَطَائِفَةٌ وِجَاهَ الْعَدُوِّ، فَصَلَّى بِالَّذِينَ معه رَكْعَةً، ثُمَّ ثَبَتَ قَائِمًا وَأَتَمُّوا لِأَنْفُسِهِمْ، ثُمَّ انْصَرَفُوا فَصَفُّوا وِجَاهَ الْعَدُوِّ، وَجَاءَتْ الطَّائِفَةُ الْأُخْرَى فَصَلَّى بِهِمْ الرَّكْعَةَ التي بَقِيَتْ، ثُمَّ ثَبَتَ جَالِسًا وَأَتَمُّوا لِأَنْفُسِهِمْ، ثُمَّ سَلَّمَ بِهِمْ"(٢).

والقول الثاني أقرب – والله أعلم – لألفاظ الآية لوجهين:

الأول: ما استدلوا به بأن قوله تعالى: ﴿ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا۟ فَلْيُصَلُّوا۟ مَعَكَ ﴾ يدل بمفهومه أن الطائفة الأولى قد صلّت وانقضت صلاتها عند إتيان الطائفة الثانية للصلاة.

الثاني: أن الله تعالى قال: ﴿ فَإِذَا سَجَدُوا۟ ﴾ ولو كان المراد السجود في الركعة الأولى لقال والله أعلم: فإذا سجدتم، بضمير المخاطب لأن النبي ﷺ معهم، فلما عدل عن ضمير المخاطب إلى الغائب دلّ على أنه سجودٌ لهم لم يشاركهم فيه النبي ﷺ وهو سجود الركعة الثانية.

أما ما قال الجصاص فيجاب بما سبق من قول الطبري، ويجاب أيضاً بأنه لا دليل على أن قوله ﴿ فَلْيَكُونُوا۟ مِن وَرَآئِكُمْ ﴾ بعد سجود الركعة الأولى؛ فإن الآية تحتمل أن

---

(١) أخرجه البخاري: ٣١٩/١ (رقم ٩٠٠) ومسلم واللفظ له: ٥٧٤/١ (رقم ٨٣٩).

(٢) أخرجه البخاري: ١٥١٣/٤ (رقم ٣٩٠٠) ومسلم واللفظ له: ٥٥٧/١ (رقم ٨٤٢).

يكون بعد سجود الركعة الثانية[1].

(١) لصلاة الخوف صفات متعددة وردت بها السنة، قال الإمام أحمد: "لا أعلم أنه روي في صلاة الخوف إلا حديث ثابت، وهي كلها صحاح ثابتة، فعلى أي حديث صلى منها المصلي صلاة الخوف أجزأه إن شاء الله" (ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢٣٤/٥، تنقيح تحقيق أحاديث التعليق: ١٠١/٢).

وقال الشوكاني: " وقد وردت صلاة الخوف في السنة المطهرة على أنحاء مختلفة وصفات متعددة، وكلها صحيحة مجزئة، مَن فعل واحدة منها فقد فعل ما أُمر به، ومن ذهب من العلماء إلى اختيار صفة دون غيرها فقد أبعد عن الصواب" (فتح القدير: ٦٤١/١).

وقال الطبري بعد أن رجّح القول الثاني في معنى الآية: " غير أن الأمر وإن كان كذلك؛ فإنا نرى أن من صلاها من الأئمة فوافقت صلاته بعض الوجوه التي ذكرناها عن رسول الله أنه صلاها فصلاته مجزئة عنه تامة؛ لصحة الأخبار بكل ذلك عن رسول الله، وأنه من الأمور التي علّم رسول الله أمته ثم أباح لهم العمل بأي ذلك شاؤوا" (تفسير الطبري: ٣٠٢/٥، وللاستزادة ينظر: التمهيد: ٢٦٤/١٥، أحكام القرآن لابن العربي: ٥٠٢/١).

وما قال الطبري مُتّجه، فإن القول الثاني وإن كان أقرب في معنى الآية فقد ثبتت في السنة صفات أخرى، وإباحة العمل بها جميعاً كما هو مذهب هؤلاء الأئمة أولى من الاقتصار على صفة واحدة وترك ما عداها، والمراد بترجيح القول الثاني بيان الراجح في معنى الآية لا ترجيح صفة على أخرى، والله أعلم.

المسألة الثالثة: وقت وقوع العذاب المهين على الكفار في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾.

عرض ابن جُزَيّ / للمسألة، ورجَّح أنه في الآخرة فقال:

" ﴿إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ إن قيل كيف طابق الأمر بالحذر للعذاب المهين؟ فالجواب: أن الأمر بالحذر من العدو يقتضي توهّم قوتهم وعزتهم، فنفى ذلك الوهم بالإخبار أن الله يهينهم ولا ينصرهم لتقوى قلوب المؤمنين قال ذلك الزمخشري، وإنما يصح ذلك إذا كان العذاب المهين في الدنيا، والأظهر أنه في الآخرة"(١).

الدراسة:

اختلف المفسرون في المسألة على قولين:

القول الأول:

أنه في الدنيا، فيُحِلُّ الله بهم عذابه على أيدي المؤمنين بالهزيمة والقتل والأسر.

وهو قول أبي السعود، والألوسي، ورشيد رضا، والمراغي، وابن عاشور، ومحمد الأمين الهرري(٢)، وظاهر كلام الزمخشري، والرازي، والبيضاوي، ونظام الدين النيسابوري، وابن عادل(٣) .

واستدلوا بأنه لما أمر بالحذر من العدو وهذا يوهم قوته ناسب أن ينفي هذا الوهم بإخبارهم أن الله يهين عدوهم ويخذله وينصرهم عليه لتقوى قلوبهم، وهو كقوله ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١٤] (٤).

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ٢٠٨/١.

(٢) ينظر: إرشاد العقل السليم: ١٩٢/٢، روح المعاني: ١٣٧/٥، تفسير المنار: ٣١٦/٥، تفسير المراغي: ٣٠٢/٢، التحرير والتنوير: ٢٤٣/٤، حدائق الروح والريحان: ٣٢٧/٦.

(٣) ينظر: الكشاف: ٤٣٠/١، تفسير الرازي: ٢٢٤٤/٤، أنوار التنزيل: ٢٤٧/٢، غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ٤٨٩/٢، اللباب في علوم الكتاب: ٦١٣/٦.

(٤) ينظر: الكشاف: ٤٣٠/١، تفسير المنار: ٣١٦/٥، التحرير والتنوير: ٢٤٣/٤، حدائق الروح والريحان: ٣٢٧/٦.

القول الثاني:

أنه في الآخرة وهو عذاب جهنم.

وهو قول الطبري[1].

الترجيح:

القولان صحيحان ولا تعارض بينهما، فالله يعذّبهم في الدنيا على أيدي أوليائه إذا أخذوا بأسباب النصر، وهو عذاب مناسب لموضوع الآية؛ وختْم الآية به يشعر بالوعد بنصر المؤمنين وهزيمة الكافرين وعذابهم على أيديهم، ويعذبهم الله كذلك العذاب الأكبر يوم القيامة في جهنم وساءت مصيراً، والله تعالى أعلم.

(١) ينظر: تفسير الطبري: ٣٠٣/٥. وكثير من المفسرين كابن أبي حاتم، والثعلبي، والسمعاني، والبغوي، وابن عطية، وابن العربي، وابن الجوزي، وابن الفرس، والقرطبي، وابن كثير، وأبي حيان، والسيوطي في الدر المنثور، والشوكاني لم يتعرضوا لهذه المسألة في تفسير الآية.

مسألة: المراد بقول الله تعالى :﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ﴾ [النساء: ١٠٣].

ذكر ابن جُزَيّ – رحمه الله – قولين في الآية ورجَّح الأول فقال :

"أي إذا فرغتم من الصلاة فاذكروا الله بألسنتكم، وذكر القيام والقعود وعلى الجنوب ليعمَّ جميع أحوال الإنسان.

وقيل: المعنى إذا تلبستم بالصلاة فافعلوها قياما؛ فإن لم تقدروا فقعودا؛ فإن لم تقدروا فعلى جنوبكم"(١) .

الدراسة:

القول الأول:

أن معنى الآية: إذا فرغتم من صلاة الخوف فاذكروا الله بالقلب واللسان على أي حال كنتم.

وهو قول جمهور المفسرين(٢)، وممن ذهب إليه الطبري، والسمعاني، والقرطبي، وأبو حيان، وابن كثير، وأبو السعود، والشوكاني، والألوسي، وصديق حسن خان، والسعدي(٣).

واستدلوا بالآتي(٤):

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ٢٠٨/١ .

(٢) انظر: المحرر الوجيز: ١٠٧/٢، وزاد المسير: ١١١/٢، والجامع لأحكام القرآن: ٢٣٩/٥، والبحر المحيط: ٣٥٦/٣.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٥٩٣/١، : تفسير السمعاني: ٤٧٤/١، الجامع لأحكام القرآن: ٢٣٩/٥، البحر المحيط:٣٥٦/٣، تفسير القرآن العظيم: ٤٠٤/٢، إرشاد العقل السليم: ١٩٢/٢، فتح القدير: ٥١٠/١، فتح البيان: ١٤٢/٢، تفسير السعدي: ٣٤٨/١.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٥٩٣/١ ، الوجوه والنظائر للدامغاني:٦١١ والجامع لأحكام القرآن: ٢٣٩/٥، تفسير القرآن العظيم:٤٠٤/٢، إرشاد العقل السليم: ١٩٢/٢، فتح القدير: ٥١٠/١، تفسير السعدي: ٣٤٨/١.

١) أن ﴿ قَضَيْتُمُ ﴾ في الآية بمعنى فرغتم ، ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ ﴾[البقرة: ٢٠٠]، وقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾ [الجمعة: ١٠] .

٢) أن الإكثار من ذكر الله، ودعائه، والتضرع إليه في حال القتال مأمور به كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الأنفال: ٤٥] ، فهذه الآية نظيرة هذه إذ كلاهما في سياق الحديث عن القتال.

قال ابن كثير – رحمه الله – في مناسبة الأمر بالذكر بعد صلاة الخوف:

"يأمر الله تعالى بكثرة الذكر عقيب صلاة الخوف وإن كان مشروعا مرغبا فيه أيضا بعد غيرها، ولكن ها هنا آكد؛ لما وقع فيها من التخفيف في أركانها، ومن الرخصة في الذهاب فيها والإياب وغير ذلك مما ليس يوجد في غيرها"(١).

وقال السعدي: " الخوف يوجب قلق القلب وخوفه وهو مظنة لضعفه، وإذا ضعف القلب ضعف البدن عن مقاومة العدو، والذكر لله والإكثار منه من أعظم مقويات القلب"(٢).

٣) قال الرازي: "حمل لفظ الذكر على الصلاة مجاز فلا يصار إليه إلا لضرورة"(٣).

القول الثاني:

أي: إذا تلبستم بالصلاة فافعلوها قياما؛ فإن لم تقدروا فقعودا؛ فإن لم تقدروا فعلى جنوبكم . وبه قال الزمخشري(٤).

---

(١) تفسير القرآن العظيم:٢/٤٠٤.

(٢) تفسير السعدي: ١/٣٤٨.

(٣) تفسير الرازي: ١١/٢٣.

(٤) انظر: الكشاف: ١/٤٣٠.

فيصلي حسبما يقتضيه الحال عند ملاحمة القتال، فهي مثل قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ﴾ [البقرة: ٢٣٩] [(١)] .

وقال البغوي وابن عادل: أي إذا فرغتم من صلاة الخوف ﴿ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ﴾ أي: صلوا لله قياماً في حال الصحة، وقعوداً في حال المرض، وعلى جنوبكم عند الجرح والزمانة[(٢)][(٣)].

الترجيح:

الراجح – والله أعلم – هو القول الأول الذي رجحه ابن جُزَيّ وجمهور المفسرين -رحمهم الله – وذلك:

- لورود الأمر بالإكثار من ذكر الله والالتجاء إليه عند القتال كما في آية الأنفال السابقة؛ فيحمل معنى الذكر في هذه الآية على معناه في سورة الأنفال لا سيما مع اتحاد الموضوع في الآيتين.
- أن لفظ " **قضى** " لم يقترن بالصلاة إلا في موضعين من القرآن؛ هذه الآية أحدهما، والموضع الآخر آية الجمعة[(٤)]: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾ [الجمعة: ١٠]، ولا يمكن حملها في آية الجمعة إلا على معنى الانتهاء من الصلاة والفراغ منها؛ فلا يصح أن يكون المعنى إذا شرعتم في الصلاة فانتشروا في الأرض، ولما كانت آية النساء محتملة لمعنى الفراغ من الصلاة، ومعنى الشروع فيها؛ فتُحمل على المعنى المصرَّح به في آية الجمعة وهو الفراغ من الصلاة. والله تعالى أعلم.

---

(١) انظر: فتح القدير: ١/٥١٠.

(٢) الزَّمَانة: العاهة. ينظر: لسان العرب (زمن).

(٣) انظر: معالم التنزيل: ١/٥٩٣، اللباب: ٦/٦١٣.

(٤) انظر: المعجم المفهرس: ٦٥٥، (قضى).

مسألة: الخطاب في قوله تعالى ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ ﴾ .

قال تعالى: ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ ﴾.

ذكر ابن جُزَيّ / قولين في المسألة، ورجَّح الأول منهما فقال :

" الخطاب للمسلمين .

وقيل: للمشركين، أي لا يكون ما تتمنون، ولا ما يتمنى أهل الكتاب؛ بل يحكم الله بين عباده ويجازيهم بأعمالهم"(١) .

الدراسة:

اختلف المفسرون في المسألة على قولين:

القول الأول:

الخطاب للمسلمين.

وبه قال ابن عباس، ومسروق، وأبو صالح السمان(٢)، والضحاك، وقتادة، والسدي(٣)، ومقاتل بن سليمان، والسمرقندي، وابن أبي زمنين، والزمخشري، والبيضاوي، وابن تيمية، وأبو السعود، والألوسي، والسعدي، وابن عاشور(٤) .

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ٢١١/١.

(٢) ذكوان أبو صالح السمان الزيات المدني، كان يجلب الزيت إلى الكوفة، شهد الدار زمن عثمان، ثقة ثبت، من أجلِّ الناس وأوثقهم، كثير الحديث ، روى عنه الأعمش عنه ألف حديث، مات سنة إحدى ومائة. ينظر: الكاشف: ٣٨٦/١، تقريب التهذيب: ٢٠٣، إسعاف المبطأ: ٩.

(٣) ينظر: تفسير الطبري: ٣٣٥/٥، تفسير ابن أبي حاتم: ١٠٧٠/٤، وينظر: المحرر الوجيز: ١١٦/٢، البحر المحيط: ٣٧١/٣.

(٤) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٥٨/١، بحر العلوم: ٣٦٦/١، تفسير ابن أبي زمنين: ٤٠٨/١، الكشاف: ٤٣٦/١، أنوار التنزيل: ٢٥٧/٢، مجموع الفتاوى: ٤٢٧/١٤، إرشاد العقل السليم: ١٩٩/٢، روح المعاني: ١٥١/٥، تفسير السعدي: ٣٦٢/١، التحرير والتنوير: ٢٦١/٤، وذكر الزمخشري وابن عاشور أن القول الثاني محتمل.

وهو قول أكثر المفسرين[1].

فالمعنى ليس الأمر بأمانيكم أيها المسلمون، ولا أماني أهل الكتاب.

قال قتادة: " ذُكر لنا أن المسلمين وأهل الكتاب افتخروا، فقال أهل الكتاب: نبينا قبل نبيكم، وكتابنا قبل كتابكم، ونحن أولى بالله منكم، وقال المسلمون: نحن أولى بالله منكم نبينا خاتم النبيين، وكتابنا يقضى على الكتب التي كانت قبله، فأنزل الله ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ ﴾ إلى قوله ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ﴾ [النساء: ١٢٥] فأفلج الله حجة المسلمين على من ناوأهم من أهل الأديان"[2].

واستدل ابن تيمية لهذا القول بعدد من المرجحات فقال بعد حكاية القولين:

" والأول أشهر في النقل، وأظهر في الدليل؛ لأن السورة مدنية بالاتفاق فالخطاب فيها مع المؤمنين كسائر السور المدنية.

وأيضاً فإنه قد استفاض من وجوه متعددة أنه لما نزل قوله تعالى ﴿ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ ﴾ شق ذلك على أصحاب النبي > حتى بيّن لهم النبي > أن مصائب الدنيا من الجزاء وبها يُجزَيّ المؤمن[3]، فعُلِم أنهم مخاطبون بهذه الآية لا مجرد الكفار.

وأيضاً قوله بعد هذا ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾ [النساء: ١٢٤] الآية، وقوله ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا ﴾ يدل على أن هناك تنازعاً في تفضيل الأديان لا مجرد إنكار عقوبة بعد الموت.

وأيضاً فما قبلها وما بعدها خطاب مع المؤمنين وجواب لهم، فكان المخاطب في هذه

---

(١) ينظر: زاد المسير: ١٢٦/٢.

(٢) أخرجه الطبري في التفسير: ٣٣٥/٥، وعزاه السيوطي في الدر المنثور: (٣٣/٥) لابن المنذر وعبد ابن حميد، وقال مؤلفا الاستيعاب في بيان الأسباب (٥٠٦/١): هذا مرسل صحيح الإسناد.

(٣) منها حديث أبي هُرَيْرَةَ قال لَمَّا نَزَلَتْ (من يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ) بَلَغَتْ من الْمُسْلِمِينَ مَبْلَغًا شَدِيدًا، فقال رسول اللَّهِ > : "قَارِبُوا وَسَدِّدُوا فَفِي كل ما يُصَابُ بِهِ الْمُسْلِمُ كَفَّارَةٌ، حتى النَّكْبَةِ يُنْكَبُهَا، أو الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا" أخرجه مسلم: ١٩٩٣/٤ (رقم ٢٥٧٤).

الآية هو المخاطب فى بقية الآيات"[1] .

وعلّل الزمخشري لهذا القول بأنه لا يتمنى وعد الله إلا من آمن به، وكذلك ذكر أهل الكتاب معهم لمشاركتهم لهم في الإيمان بوعد الله[2].

القول الثاني:

الخطاب للمشركين.

وبه قال مجاهد، والطبري، والواحدي، والنسفي، والبقاعي[3].

قال مجاهد: "قالت قريش لن نبعث ولن نعذب"[4].

وعلّل له الطبري بأن المسلمين لم يجر لأمانيهم ذكر فيما مضى من الآي، وإنما جرى ذكر أماني نصيب الشيطان المفروض، وذلك في قوله ﴿ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ ﴾ [النساء: ١١٩] وقوله ﴿ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ﴾ [النساء: ١٢٠] فإلحاق معنى قوله ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ ﴾ بما قد جرى ذكره قبل أحق وأولى[5].

الترجيح:

الراجح – والله أعلم – هو القول الأول لقوة ما ذكره ابن تيمية من الأدلة.

ويعضد ذلك سبب النزول الذي ذكره قتادة فإنه قد ورد مثله عن مسروق وأبي صالح السمان[6]، وهي وإن كانت مراسيل؛ إلا أن طرقها متعددة وأسانيده إلى قائليها

---

(١) مجموع الفتاوى: ١٤/٤٢٧.

(٢) الكشاف: ١/٤٣٦، ويشير إلى وعد الله المذكور في الآية التي قبلها ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴾ .

(٣) ينظر: تفسير الطبري: ٥/٣٣٨، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ١/٢٩١، تفسير النسفي: ١/٢٥٠، نظم الدرر: ٢/٣٢٢، ٣٢٣.

(٤) تفسير الطبري: ٥/٣٣٧، تفسير ابن أبي حاتم: ٤/١٠٧٠.

(٥) تفسير الطبري: ٥/٣٣٨، وينظر: الكشاف: ١/٤٣٦.

(٦) أخرجهما الطبري في التفسير: ٥/ ٣٣٥، وأخرج قول أبي صالح كذلك ابن أبي حاتم في التفسير: ٤/١٠٧٠، وعزاه السيوطي في الدر المنثور: (٥/٣٣) لابن المنذر وعبد بن حميد، وقال مؤلفا الاستيعاب في بيان الأسباب (١/٥٠٦): هذان مرسلان صحيحا الإسناد.

صحيحة، قال ابن تيمية: " والمراسيل إذا تعددت طرقها، وخلت عن المواطأة قصداً أو الاتفاق بغير قصد، كانت صحيحة قطعاً؛ فإن النقل إما أن يكون صدقاً مطابقاً للخبر، وإما أن يكون كذباً تعمد صاحبه الكذب، أو أخطأ فيه، فمتى سلم من الكذب العمد والخطأ كان صدقاً بلا ريب"[1] .

والخطاب في الآية وإن كان للمسلمين فحكمها عام؛ فإن دخول غير أهل الكتب السماوية في الحكم من باب أولى. والله أعلم.

(١) مقدمة في أصول التفسير: ٣٦.

مسألة: المراد بالصلح في الآية.

قال الله تعالى: ﴿ وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضٗا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يُصۡلِحَا بَيۡنَهُمَا صُلۡحٗاۚ وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞۗ وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ وَإِن تُحۡسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ١٢٨ ﴾.

ذكر ابن جُزَيّ / قولين في المسألة، ورجَّح الأول منهما فقال :

" لفظ عام يدخل فيه صلح الزوجين وغيرهما .

وقيل: معناه صلح الزوجين خير من فراقهما، فخير على هذا للتفضيل، واللام في الصلح للعهد"[1] .

الدراسة:

اختلف المفسرون في المسألة على قولين:

القول الأول:

المراد الصلح بين الزوجين.

وبه قال ابن عباس[2]، والطبري، والزجاج، والنحاس، والثعلبي، والبغوي، والرازي، والخازن، وأبو حيان، وابن كثير، والبقاعي، والسيوطي، والألوسي[3].

فالمعنى أن صلح الزوجين خير من الفراق والطلاق على قول أكثر هؤلاء العلماء، أو خير من النشوز والإعراض على قول أبي حيان، أو خير منها كلها -الفراق والنشوز

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ٢١٢/١.

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ٣٥٦/٥، وظاهر المروي عن السلف أنهم يجعلون الآية كلها في أمر الزوجين. ينظر مروياتهم في تفسير الطبري: ٣٥٦/٥، تفسير ابن أبي حاتم: ١٠٨١/٣، والدر المنثور: ٦٨/٥.

(٣) ينظر: تفسير الطبري: ٣٥٦/٥، معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٩٤/٢، معاني القرآن للنحاس: ٢٥٠/١، تفسير الثعلبي: ٣٩٥/٣، معالم التنزيل: ٦٠٧/١، تفسير الرازي: ٢٢٧٦/٤، لباب التأويل: ٦٠٦/١، البحر المحيط: ٣٧٩/٣، تفسير القرآن العظيم: ٤٢٧/٢، ٤٣٠، نظم الدرر: ٣٢٩/٢، تفسير الجلالين: ٩٩، روح المعاني: ١٦٢/٥.

والإعراض- على قول السيوطي، وإنما حُذف للعلم به كما قيل في: الله أكبر، أي الله أكبر من كل شيء[1] .

و"خير" على هذا للتفضيل، والألف واللام في الصلح للعهد، يعني به ﴿صُلْحًا﴾ المذكور في الآية، وهو كقوله تعالى : ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ﴾ [المزمل: ١٥ – ١٦] [2].

وعلّل له الرازي بأن حمل اللفظ على المعهود السابق أولى من حمله على العموم، وذلك لأنا إنما حملناه على الاستغراق ضرورة أنا لو لم نقل ذلك لصار مجملاً ويخرج عن الإفادة، فإذا حصل هناك معهود سابق اندفع هذا المحذور فوجب حمله عليه[3].

القول الثاني:

الصلح لفظ عام يشمل الصلح بين الزوجين وغيرهما.

وهو قول ابن عطية، والقرطبي، والسعدي، وابن عاشور، وظاهر كلام الزركشي[4].

وجوّزه الجصاص، وذكره احتمالاً في الآية الزمخشري، والنيسابوري [5].

قال ابن عطية: ﴿وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ لفظ عام مطلق يقتضى أن الصلح الحقيقي الذي تسكن إليه النفوس ويزول به الخلاف خير على الإطلاق، ويندرج تحت هذا العموم أن صلح الزوجين على ما ذكرنا خير من الفرقة[6].

فالصلح الحقيقي في كل شيء خير، إلا ما خالف الشرع فأحلَّ حراماً أو حرّم حلالاً

---

(١) ينظر: معاني القرآن للنحاس: ١/٢٥٠.

(٢) ينظر: البحر المحيط: ٣/٣٧٩.

(٣) ينظر: تفسير الرازي: ٤/٢٢٧٦.

(٤) ينظر على التوالي: المحرر الوجيز: ٢/١٢٠، الجامع لأحكام القرآن: ٥/٢٦٠، تفسير السعدي: ١/٣٦٥، التحرير والتنوير: ٤/٢٦٧، البرهان في علوم القرآن: ٤/١٠٠.

(٥) ينظر: أحكام القرآن للجصاص: ٢/٣٥٥، الكشاف: ١/٤٣٩، غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ٢/٥٠٩.

(٦) المحرر الوجيز: ٢/١٢٠.

فإنه لا يكون صلحاً، وإنما يكون جوراً[1].

و"خير" أي الصلح خير عظيم[2] ، أو هو خير من الخيور كما أن الخصومة شر من الشرور، أو خير من الخصومة في كل شيء[3] .

وعلّل ابن عاشور لهذا القول بأنّ المقصود إثبات أنّ ماهية الصلح خير للناس، فهو تذييل للأمر بالصلح والترغيب فيه، وليس المقصود أنّ الصلح المذكورَ آنفاً وهو الخلع، خير من النزاع بين الزوجين، لأنّ هذا وإنّ صحّ معناه؛ إلاّ أنّ فائدة الوجه الأوّل أوفر، ولأنّ فيه التفادي عن إشكال تفضيل الصلح على النزاع في الخيرية مع أنّ النزاع لا خير فيه أصلاً[4].

الترجيح:

لكلٍ من القولين ما يؤيده، فيدل على أنها في الصلح بين الزوجين:

١– السياق سباقاً ولحاقاً فإنه في شؤون الزوجية.

٢– قاعدة: الاسم إذا ذكر مرتين والأول نكرة والثاني معرفة فالثاني هو الأول.

ذكر هذه القاعدة ابن هشام في مغني اللبيب عن كثير من النحاة، قال: "الباب السادس: في التحذير من أمور اشتهرت بين المعربين والصواب خلافها" والزركشي في البرهان، وبيّنا أنها ليست على إطلاقها ففي القرآن ما ينقضها كقوله تعالى﴿ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ ﴾ [النحل: ٨٨] والشيء لا يكون فوق نفسه، وقوله﴿ وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ﴾ [هود: ٣] والفضل الأول العمل، والثاني الثواب[5] ، وقال ابن عاشور: " والحقّ أنّه لا يُختلف في ذلك إذا قامت قرينة على أنّ الكلام لتعريف الجنس لا لتعريف العهد كما هنا"[1] .

---

(١) ينظر: تفسير السعدي: ٣٦٥/١.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٦٨/٤.

(٣) ينظر: الكشاف: ٤٣٩/١، البحر المحيط: ٣٧٩/٣.

(٤) التحرير والتنوير: ٢٦٧/٤.

(٥) ينظر: مغني اللبيب: ٨٦١، البرهان في علوم القرآن: ١٠٠/٤.

(١) التحرير والتنوير: ٢٦٨/٤.

ويؤيد القول بالعموم مع ما قاله ابن عاشور:

١- قاعدة: يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص[١].

٢- قاعدة: إذا كان أول الكلام خاصاً، وآخره بصيغة العموم، فإن خصوص أوله لا يكون مانعاً من عموم آخره[٢] .

٣- الترغيب في الإصلاح بين الناس في مواضع أخرى كقوله تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٤] وغيرها[٣] فبيّن أن الإصلاح خير، والإصلاح بين الناس والصلح من باب واحد وهو "إزالة النِّفار بين الناس"[٤]، فكأن قوله تعالى ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ ترغيب وتأكيد لما استقر الأمر به في مواضع أخرى.

فالقولان محتملان احتمالاً قوياً، وإن كان من حملها على الصلح بين الزوجين لا يلزم من قوله أنه يمنع العموم، فقد يقول به وقد يمنعه.

و لم يتبين لي أيّ القولين أرجح، مع القول بأن الصلح عموماً خير كما بينته في الدليل الثالث، لكنّ العموم مستفاد من أدلة أخرى، وهل يستفاد العموم من آية المسألة؟ هذا محل النظر، والله تعالى أعلم.

---

(١) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: ٥٢٧/٢.

(٢) ينظر: قواعد التفسير للدكتور خالد السبت: ٥٨٦/٢.

(٣) انظر المواضع الأخرى في: البقرة: ٢٢٤، الحجرات: ٩، ١٠.

(٤) المفردات في غريب القرآن: ٢٨٩.

مسألة: الخطاب في الآية.

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ ﴾.

ذكر ابن جُزَيّ / ثلاثة أقوال في المسألة، ورجَّح الأول منها فقال :

" خطاب للمسلمين، معناه: الأمر بأن يكون إيمانهم على الكمال بكل ما ذكر، أو يكون أمراً بالدوام على الإيمان .

وقيل: خطاب لأهل الكتاب الذين آمنوا بالأنبياء المتقدمين، معناه: الأمر بأن يؤمنوا مع ذلك بمحمد ﷺ .

وقيل: خطاب للمنافقين، معناه: الأمر بأن يؤمنوا بألسنتهم وقلوبهم"[1].

الدراسة:

اختلف المفسرون في المسألة على أقوال:

القول الأول:

الخطاب للمسلمين.

وهو قول أكثر المفسرين[2].

وإليه ذهب الزجاج، والواحدي، والزمخشري، والقرطبي، وأبو حيان، وابن كثير، والسيوطي، والألوسي، والسعدي[3] .

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ٢١٣/١.

(٢) ينظر: تفسير السمعاني: ٤٩٠/١، تفسير الرازي: ٢٢٨٣/٤.

(٣) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٩٧/٢، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٢٩٥/١، الكشاف: ٤٤٢/١، الجامع لأحكام القرآن: ٢٦٦/٥، البحر المحيط: ٣٨٦/٣، تفسير القرآن العظيم: ٤٣٥/٢، تفسير الجلالين: ١٠٠، روح المعاني: ١٦٩/٥، تفسير السعدي: ٣٧٠/١.

ومعناه الأمر بأن يكون إيمانهم على الكمال بكل ما ذكر، أو هو أمر بالدوام والثبات على الإيمان، أو كلاهما.

قال ابن كثير: "يأمر تعالى عباده المؤمنين بالدخول في جميع شرائع الإيمان وشُعَبه وأركانه ودعائمه، وليس هذا من باب تحصيل الحاصل؛ بل من باب تكميل الكامل وتقريره وتثبيته والاستمرار عليه، كما يقول المؤمن في كل صلاة ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾ أي بصّرنا فيه، وزدنا هدى، وثبّتنا عليه"(١) .

واحتجوا بأن لفظ المؤمن لا يتناول عند الإطلاق إلا المسلم(٢) .

القول الثاني:

الخطاب لأهل الكتاب الذين آمنوا بالأنبياء المتقدمين، ومعناه: الأمر بأن يؤمنوا مع ذلك بمحمد ﷺ .

وهذا قول الضحاك(٣) ، والطبري، وجوّزه ابن عاشور(٤) .

وذلك لأنهم آمنوا ببعض الكتب والرسل وكفروا ببعض فأمروا بالإيمان بالجميع(٥) .

القول الثالث:

الخطاب للمنافقين، ومعناه: الأمر بأن يؤمنوا باطناً كما آمنوا ظاهراً.

ذكره الماوردي، وابن الجوزي، وابن عطية، والرازي، وأبو حيان وغيرهم، ولم ينسبوه لأحد، وجوّزه ابن عاشور(٦).

---

(١) تفسير القرآن العظيم: ٢/٤٣٥.

(٢) ينظر: تفسير الرازي: ٤/٢٢٨٣، البحر المحيط: ٣/٣٨٦.

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور: ٥/٧٦ لابن المنذر.

(٤) ينظر: تفسير الطبري: ٥/٣٧٨، التحرير والتنوير: ٤/٢٧٩.

(٥) الكشاف: ١/٤٤٢.

(٦) ينظر: النكت والعيون: ١/٥٣٦، زاد المسير: ٢/١٣٥، المحرر الوجيز: ٢/١٢٤، تفسير الرازي: ٤/٢٢٨٣، البحر المحيط: ٣/٣٨٦، التحرير والتنوير: ٤/٢٧٩.

الترجيح:

الراجح – والله أعلم – هو القول الأول؛ فإنه يترجّح بما استدلوا به، وبوجوه أخرى:

الأول: الأصل في هذا الخطاب ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ في القرآن أنه للمسلمين.

الثاني: السياق؛ فالخطاب في الآية التي قبلها للمسلمين ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ﴾.

الثالث: التناسب بين هذه الآية والتي قبلها على هذا القول؛ إذ أنه لما أمر المسلمين في الآية السابقة بالعدل وأن يشهدوا بالحق ولو على أنفسهم، أتبعه بما يدل على أن هذا الخلق العظيم متأصِّل في المسلمين قولاً وفعلاً، وأنه من جملة اعتقادهم فلا يصح إيمان المسلم إلا بأن يؤمن بالكتب والرسل جميعاً بما فيها التوراة والإنجيل كتابَيّ اليهود والنصارى – أعني الإيمان بما لم يُحَرَّف ويُبَدَّل منها – مع أنهم يناصبون المسلمين العداء ولا يؤمنون بقرآنهم ولا رسولهم محمد ﷺ.

مسألة: معنى قوله تعالى ﴿ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾ .

قال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾ ﴾.

ذكر ابن جُزَيّ / قولين في المسألة، ورجَّح الأول منهما فقال :

" قال علي بن أبي طالب وغيره: ذلك في الآخرة .

وقيل: السبيل هنا الحجة البالغة"(١).

الدراسة:

اختلف المفسرون في المسألة على أقوال:

القول الأول:

أنه في الآخرة، والمعنى: لن يجعل الله للكافرين يوم القيامة على المؤمنين سبيلاً.

وهذا قول علي بن أبي طالب، وابن عباس، وأبي مالك(٢).

وإليه ذهب الطبري، والواحدي(٣).

جاء رجل إلى علي بن أبي طالب فقال: كيف هذه الآية ﴿ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾؟ فقال علي: ادنه ﴿ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ ﴾ يوم القيامة ﴿ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾ (٤).

فاستدل رضي الله عنه بأنها معطوفة على الحكم بينهم يوم القيامة.

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ٢١٤/١.

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ٣٨٤/٥، تفسير ابن أبي حاتم: ١٠٩٥/٤.

(٣) ينظر: تفسير الطبري: ٣٨٤/٥، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٢٩٧/١.

(٤) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره: ١٧٥/١، والطبري في التفسير: ٣٨٦/٥، وابن أبي حاتم في التفسير: ١٠٩٥/٤، والحاكم في المستدرك وصححه: ٣٣٨/٢.

قال ابن عطية: "وبهذا قال جميع أهل التأويل"[1] ، ولا يصح ذلك فإن في الآية أقوالاً أخرى سيأتي ذكرها.

وتعقّب ابن العربي هذا القول فقال بأنه " ضعيف لعدم فائدة الخبر فيه، وإن أوهم صدر الكلام معناه لقوله ﴿ فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ ﴾ فأخّر الحكم إلى يوم القيامة، وجعل الأمر في الدنيا دُوَلَةً تُغْلَب الكفار تارة وتَغلِب أخرى، بما رأى من الحكمة وسبق من الكلمة، ثم قال ﴿ وَلَن يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لِلۡكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ سَبِيلًا ﴾ فتوهم من توهم أن آخر الكلام يرجع إلى أوله، وذلك يسقط فائدته"[2] .

القول الثاني:

أنه في الدنيا، والمراد سبيل الحجة، فلا يظهر الكافرون على المؤمنين بحجة عقلية ولا شرعية؛ بل يبطل الله حجتهم ويدحضها فلله الحجة البالغة.

ذكر هذا القول السمعاني، وابن الجوزي، والقرطبي، والرازي وغيرهم[3] .

قال الشنقيطي: ويبيّنه قوله تعالى ﴿ وَلَا يَأۡتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَأَحۡسَنَ تَفۡسِيرًا ﴾[4] [الفرقان: ٣٣] .

وقال السدي[5] ومقاتل بن سليمان[6] في تفسير الآية: حجة.

فيحتمل أنهما أرادا هذا القول، أو القول الأول فيكون: حجة في الآخرة، أو كلاهما فيكون: لن يجعل الله لهم على المؤمنين حجة في الدنيا ولا الآخرة.

---

(١) المحرر الوجيز: ١٢٦/٢.

(٢) أحكام القرآن لابن العربي: ٥٢٠/١.

(٣) ينظر: تفسير السمعاني: ٤٩٣/١، زاد المسير: ١٣٩/٢، الجامع لأحكام القرآن: ٢٦٩/٥، تفسير الرازي: ٢٢٩٠/٤.

(٤) أضواء البيان: ٣١٩/١.

(٥) ينظر: تفسير الطبري: ٣٨٧/٥، تفسير ابن أبي حاتم: ١٠٩٥/٤.

(٦) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٦٥/١.

القول الثالث:

أن الله لا يجعل للكافرين سبيلاً مستقرة يمحو بها دولة المؤمنين، ويذهب آثارهم، ويستبيح بيضتهم؛ بل وإن غلب الكفار في وقت فإن الدائرة تكون عليهم، والعاقبة للمتقين.

وهو ظاهر كلام السمرقندي، والسيوطي، والسعدي[1] .

قال ابن كثير: " ويحتمل أن يكون المعنى ﴿ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾ أي في الدنيا بأن يُسلطوا عليهم استيلاء استئصال بالكلية، وإن حصل لهم ظفر في بعض الأحيان على بعض الناس فإن العاقبة للمتقين في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴾ [غافر: ٥١ – ٥٢] وعلى هذا فيكون رداً على المنافقين فيما أمّلوه ورجوه وانتظروه من زوال دولة المؤمنين، وفيما سلكوه من مصانعتهم الكافرين خوفاً على أنفسهم منهم إذا هم ظهروا على المؤمنين فاستأصلوهم"[2] .

ويدل على هذا المعنى[3] ما ثبت في صحيح مسلم أن النبي > قال : "وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَأَنْ لَا يُسَلِّطَ عليهم عَدُوًّا من سِوَى أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَإِنَّ رَبِّي قال يا محمد إني إذا قَضَيْتُ قَضَاءً فإنه لَا يُرَدُّ، وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لِأُمَّتِكَ أَنْ لَا أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَأَنْ لَا أُسَلِّطَ عليهم عَدُوًّا من سِوَى أَنْفُسِهِمْ يَسْتَبِيحُ بَيْضَتَهُمْ وَلَوْ اجْتَمَعَ عليهم من بِأَقْطَارِهَا، أو قال من بين أَقْطَارِهَا، حتى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا وَيَسْبِي

---

(١) ينظر: بحر العلوم: ٣٧٥/١، تفسير الجلالين: ١٠١، تفسير السعدي: ٣٧٣/١. وأشار إلى هذا القول أو قريب منه الزجاج، والنحاس، وابن العربي، والقرطبي، وابن القيم. ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٩٩/٢، معاني القرآن للنحاس: ٢٥٤/١، أحكام القرآن لابن العربي: ٥٢٠/١، الجامع لأحكام القرآن: ٢٦٩/٥، بدائع التفسير: ٣٠٣/١.

(٢) تفسير القرآن العظيم: ٤٣٨/٢.

(٣) ينظر: أحكام القرآن لابن العربي: ٥٢٠/١، الجامع لأحكام القرآن: ٢٦٩/٥، أضواء البيان: ٣١٩/١.

بَعْضُهُمْ بَعْضًا"[1].

القول الرابع:

لن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً منه تعالى يغلبونهم به، وإنما قد يكون لهم سبيل على المؤمنين بسبب تقصيرهم وذنوبهم فيتسلطون عليهم لذلك، كما قال تعالى ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾ [الشورى: ٣٠].

قال ابن العربي: وهو نفيس جداً[2] .

وهو قول ابن القيم، وابن عاشور، ومال إليه القرطبي وأبو حيان[3] .

وعلّل له ابن عاشور بأن هذا الوعد جاء لتثبيت المؤمنين وتقوية قلوبهم، بعد أن ذكر تألّب الأعداء الخارجيين والداخليين عليهم فطمأنهم الله بأنه لا يجعل للكافرين – وإن تألّبت عصاباتهم واختلفت مناحي كفرهم- سبيلاً عليهم[4].

الترجيح:

الأقوال كلها صحيحة، فالله لن يجعل للكافرين على المؤمنين سبيلاً حسياً بأن يغلبهم الكفار، ولا سبيلاً معنوياً بأن تكون حجة الكفار فوق حجتهم، لا في الدنيا ولا في الآخرة، حملاً للآية على عمومها، وبقرينة — في سبيل الحجة – أن هذا الوعد كالتعقيب لذكر الحكم ﴿فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ﴾ وإنما يكون الحكم بعد سماع حجج الفريقين، فبعد أن ذكر الحكم بينهم ذكر نتيجته، وأنه سيكون لصالح المؤمنين فقال ﴿ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾ وهو كقوله تعالى ﴿ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ

---

(١) أخرجه مسلم: ٤/٢٢١٥ (رقم: ٢٨٨٩).

(٢) أحكام القرآن لابن العربي: ١/٥٢١.

(٣) ينظر على التوالي: بدائع التفسير: ١/٣٠٣، التحرير والتنوير: ٤/ ٢٨٦، الجامع لأحكام القرآن: ٥/٢٦٩، البحر المحيط: ٣/٣٩١.

(٤) ينظر: التحرير والتنوير: ٤/٢٨٦.

﴿ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [آل عمران: ٥٥ – ٥٧] .

أما في السبيل الحسي فلعموم الآية كما سبق، وللقرائن التي ذكرها ابن كثير وابن عاشور، فالله سبحانه وتعالى لن يجعل للكافرين على المؤمنين سبيلاً مستقرة يمحو بها دولة المؤمنين، ويُذهب آثارهم، ويستبيح بيضتهم كما دل عليه الحديث؛ ولا سبيلاً منه تعالى مؤقتة يغلِب الكفارُ بها المؤمنين؛ إلا يكون ذلك من عند أنفسهم بسبب ذنوبهم.

قال ابن القيم: " فالآية على عمومها وظاهرها؛ وإنما المؤمنون يصدر منهم من المعصية والمخالفة التي تضاد الإيمان ما يصير به للكافرين عليهم سبيل بحسب تلك المخالفة، فهم الذين تسببوا إلى جعل السبيل عليهم، كما تسببوا إليه يوم أحد بمعصية الرسول"[1] .

(١) بدائع التفسير: ٣٠٣/١.

مسألة: المراد بجهر المظلوم بالسوء في الآية .

قال الله تعالى: ﴿ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾ ﴾.

ذكر ابن جُزَيّ / ثلاثة أقوال في المسألة، ورجَّح الأول منها فقال :

" ﴿إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ﴾ أي إلا جهر المظلوم فيجوز له من الجهر أن يدعو على من ظلمه .

وقيل: أن يذكر ما فُعل به من الظلم .

وقيل: أن يَرُدَّ عليه بمثل مظلمته إن كان شتمه"[1] .

الدراسة:

اختلف المفسرون في المسألة على أقوال:

القول الأول:

هو أن يجهر بالدعاء على ظالمه.

وهو قول ابن عباس، وقتادة[2] .

وقال الحسن البصري: " هو الرجل يظلم الرجل فلا يدع عليه، ولكن ليقل: اللهم أعني عليه، اللهم استخرج لي حقي، اللهم حُل بينه وبين ما يريد، ونحوه من الدعاء"[3]، والدعاء على قول الحسن دعاء مدافعة واستخراج حقٍ لا دعاء عليه.

القول الثاني:

هو أن يذكر ما فُعل به من الظلم .

وبه قال الزجاج، والواحدي، والشوكاني[4].

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ٢١٤/١.

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ٥/٦، تفسير ابن أبي حاتم: ١١٠٠/٤.

(٣) تفسير الطبري: ٥/٦.

(٤) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ١٠٢/٢، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٢٩٨/١، فتح القدير: ٦٦٩/١.

قال مجاهد: " هو الرجل يستضيف الرجل فلا يُضيفه، فقد أُذن له أن يذكر منه ما صنع به، أي لم يُقرني و لم يُضيّفني"(١)، وهو تفسير بالمثال.

ويشهد له قول النبي > : " لَيُّ الْوَاجِدِ يُحِلُّ عِرْضَهُ وَعُقُوبَتَهُ"(٢) فأبيح للمظلوم من عرض المماطل أن يقول فيه: فلان مطلني، أو يمطل الناس ويحبس حقوقهم ونحو ذلك(٣).

وذهب كثير من المفسرين كالطبري، والبغوي، والزمخشري، وابن العربي، والنسفي، والسيوطي، وأبي السعود، والألوسي ، وابن عاشور إلى الجمع بين القولين فقالوا: يخبر عن ظلم الظالم، ويدعو عليه(٤).

قال الطبري في معنى الآية: لا يحب الله أيها الناس أن يجهر أحد لأحد بالسوء من القول إلا من ظُلم فلا حرج عليه أن يخبر بما أُسيء إليه، وإذا كان ذلك معناه دخل فيه إخبار من لم يُقْرَ أو أُسيء قِرَاه، أو نيل بظلم في نفسه، أو ماله عنوة من سائر الناس، وكذلك دعاؤه على من ناله بظلم أن ينصره الله عليه؛ لأن في دعائه عليه إعلاماً منه لمن سمع دعاءه عليه بالسوء له(١) .

---

(١) تفسير مجاهد: ١٧٩/١، تفسير الطبري: 7/٦، تفسير ابن أبي حاتم: ١١٠٠/٤، تاريخ أصبهان: ١٤٦/١، وعند الطبري في رواية أخرى عنه أن مجاهد ذكر أن الآية نزلت بسبب ذلك، وهو مرسل.

(٢) أخرجه أبو داود: ٣١٣/٣ (رقم ٣٦٢٨) والنسائي: ٣١٦/٧ (رقم ٤٦٩٠) وابن ماجه: ٨١١/٢ (رقم ٢٤٢٧) وأحمد: ٢٢٢/٤، وابن حبان في صحيحه: ٤٨٦/١١، والحاكم في المستدرك: ١١٥/٤ وقال: صحيح الإسناد و لم يخرجاه، قال ابن مفلح في الآداب الشرعية ٢٦٤/١: إسناده حسن، وقال ابن كثير في تحفة الطالب ٣٦٣: إسناده جيد.
واللي: المطل والتسويف، والواجد: الغني، أي: مماطلة القادر على قضاء دينه يحل عرضه وعقوبته. ينظر: التمهيد: ٢٨٧/١٨، عون المعبود: ٤١/١٠.

(٣) ينظر: أحكام القرآن لابن العربي: ٥٢٤/١، الجامع لأحكام القرآن: ٤/٦، فتح القدير: ٦٦٩/١، التحرير والتنوير: ٢٩٥/٤.

(٤) ينظر: تفسير الطبري: ٨/٥، معالم التنزيل: ٦١٦/١، الكشاف: ٤٤٧/١، أحكام القرآن لابن العربي: ٥٢٤/١، تفسير النسفي: ٢٥٧/١، تفسير الجلالين: ١٠٢، إرشاد العقل السليم: ٢١٤/٢، روح المعاني: ٢/٦، التحرير والتنوير: ٢٩٥/٤، لكن ذكر ابن العربي أنه يدعو عليه بما قال الحسن إذا كان الظالم مؤمناً، فأما إن كان كافراً فيدعو عليه بالهلاك وبما شاء.

(١) تفسير الطبري: ٨/٦.

القول الثالث:

هو أن يرد عليه بمثل مظلمته إن كان شتمه.

قال السدي: " إن الله لا يحب الجهر بالسوء من أحد من الخلق، ولكن من ظُلم فانتصر بمثل ما ظُلم فليس عليه جناح"[1] .

ويدل عليه قوله تعالى:﴿ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ ﴾ [الشورى: ٤١][2].

قال ابن عطية بعد حكاية هذه الأقوال: " فهذه الأقوال على أربع مراتب:

قول الحسن دعاء في المدافعة وتلك أقل منازل السوء من القول.

وقول ابن عباس الدعاء على الظالم بإطلاقٍ في نوع الدعاء .

وقول مجاهد ذكر الظلامة والظلم.

وقول السدي الانتصار بما يوازي الظلامة"[3] .

الترجيح:

الظاهر – والله أعلم – في معنى الآية أن للمظلوم أن يجهر بالدعاء على من ظلمه، وأن يخبر عن ما وقع عليه من الظلم ولا يزيد بذكر غير مظلمته؛ لعموم الآية، وله أن يرد عليه بمثل مظلمته إن كان شتمه، فيشتمه كما شتمه من غير أن يعتدي؛ لعموم الآية، ولقول النبي > "الْمُسْتَبَّانِ ما قالا فَعَلَى الْبَادِئِ ما لم يَعْتَدِ الْمَظْلُومُ"[4]، وحينئذ إذا شتمه كما شتمه فلا يحل له أن يعمل بالقولين الأولين فيجهر بالدعاء عليه أو يخبر بأن فلاناً ظلمه؛ لأنه استوفى حقه منه، والزيادة لا تحل له فهي من الاعتداء المنهي عنه.

وقيّد بعض العلماء الشتم ألا يقذه إذا قذفه[1]، وإذا افترى عليه فلا يفتري عليه[2].

---

(١) تفسير الطبري: ٧/٦.

(٢) ينظر: أحكام القرآن للجصاص: ٣٦٥/٢.

(٣) المحرر الوجيز: ١٢٩/٢.

(٤) أخرجه مسلم: ٢٠٠٠/٤ رقم ٢٥٨٧.

(١) ينظر: تفسير السمعاني: ٤٩٦/١، الجامع لأحكام القرآن: ٤/٦.

(٢) ينظر: أحكام القرآن للجصاص: ٣٦٥/٢، تفسير القرآن العظيم: ٤٤٣/٢.

وأما تقييد الدعاء بما قال الحسن فغير ظاهر؛ لأنه لا يسمى دعاء عليه حينئذٍ، ولأن النصوص المشهورة في اتقاء دعوة المظلوم وأنها مستجابة مطلقة غير مقيدة، ولو لم يكن للمظلوم أن يدعو على ظالمه لما استجيبت ولما نصرها الله، بل في هذه الآية معنى زائد على مجرد الدعاء، وهو الجهر بالدعاء على الظالم عند الناس.

وهذه الآية مقيدة بالنصوص الأخرى كقوله تعالى ﴿ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ [البقرة: ١٩٤] وقوله ﴿ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الشورى: ٤٠] .

قال ابن تيمية: " المظلوم له أن يذكر ظالمه بما فيه، إما على وجه دفع ظلمه واستيفاء حقه...أو يذكر ظالمه على وجه القصاص من غير عدوان، ولا دخول في كذب ولا ظلم الغير، وترك ذلك أفضل"(١) .

(١) مجموع الفتاوى: ٢٨/٢٣٠.
وقد سئل الشيخ ابن عثيمين رحمه الله عن حكم غيبة المرأة لابنها.
فأجاب: " إن كان على سبيل التشكي من أنه عقّها مثلاً فليس بغيبة لكل أحد للأم وغير الأم، لقوله تعالى: ﴿ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ﴾ وإن كان بغير ذلك فقد يقع غيبة". ينظر: ثمرات التدوين من مسائل شيخنا ابن عثيمين للدكتور أحمد القاضي: ١٣١.

مسألة: المراد بقوله ﴿وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ .

قال الله تعالى عن اليهود :﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ ﴾.

ذكر ابن جُزَيّ / قولين في المسألة، ورجَّح الأول منهما:

الأول: أن الله ألقى شَبَه عيسى × على رجل فقتلوه ظناً منهم أنه عيسى ×.

الثاني: أن معناه شُبِّه لهم الأمر: أي خلط لهم القوم الذين حاولوا قتله؛ بأن قتلوا رجلاً آخر وصلبوه، ومنعوا الناس أن يقربوا منه حتى تغيّر بحيث لا يُعرف، وقالوا للناس هذا عيسى، و لم يكن عيسى، فاعتقد الناس صدقهم، وكانوا متعمدين للكذب[1].

الدراسة:

اختلف المفسرون في المسألة:

القول الأول:

أن الله ألقى شبه عيسى × على رجل فقتلوه ظناً منهم أنه عيسى ×.

وبه قال ابن عباس، ووهب بن منبه، ومجاهد، وقتادة[2] ، والطبري، والواحدي، والسمعاني، والبغوي، وأبو الحسن السخاوي، والقرطبي، وابن كثير، والسيوطي، والشوكاني[3] .

---

(١) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: ٢١٦/١، ورجّح ابن جُزَيّ الأول حيث قدّمه في الذكر. ينظر: الباب الأول: الفصل الأول: ٥٣.

(٢) ينظر: تفسير عبد الرزاق: ١٧٧/١، تفسير الطبري: ١٨/٦، تفسير ابن أبي حاتم: ١١١٠/٤.

(٣) ينظر: تفسير الطبري: ٢١/٦، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٣٠١/١، تفسير السمعاني: ٤٩٩/١، معالم التنزيل: ٦١٨/١، تفسير السخاوي: ٢٠٨/١، الجامع لأحكام القرآن: ٨/٦، تفسير القرآن العظيم: ٤٤٩/٢، تفسير الجلالين: ١٠٣، فتح القدير: ٦٧٢/١، إلا أن وهب بن منبه والطبري قالا بأن الشبه أُلقي على جميع الحواريين الذين كانوا معه في البيت لا على رجل واحد، فقتل اليهود رجلاً منهم على أنه هو عيسى عليه السلام.

القول الثاني:

أن معناه شُبّه لهم الأمر: أي خلط لهم القوم الذين حاولوا قتله؛بأن قتلوا رجلاً آخر وصلبوه، ومنعوا الناس أن يقربوا منه حتى تغير بحيث لا يُعرف، وقالوا للناس هذا عيسى، و لم يكن عيسى، فاعتقد الناس صدقهم، وكانوا متعمدين للكذب.

ذكره قولاً في الآية ابن عطية، والرازي، وأبو السعود، واختاره أبو حيّان[1] .

وذكره ابن عاشور وجهاً محتملاً في الآية[2] .

الترجيح:

الراجح – والله أعلم – هو القول الأول الذي عليه السلف وأكثر المفسرين، وذلك لوجوه:

الأول: أن الضمائر في قوله ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ ﴾ لمدّعي قتله من اليهود، فجعل الضمير الذي يليها في قوله ﴿وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ يرجع إليهم، أولى من جعله يعود إلى غيرهم من سائر اليهود.

الثاني: أنه المعنى المتبادر للذهن، قال ابن جُزَيّ في وجوه الترجيح بين الأقوال في المقدمة الأولى التي عقدها في أول كتابه: " السابع : أن يكون ذلك المعنى المتبادر إلى الذهن؛ فإن ذلك دليل على ظهوره ورجَّحانه"[3] .

ووجه ثالث يُتَأمّل: أن قوله ﴿ شُبِّهَ لَهُمْ﴾ ألصق بالقول الأول، فلو كان على القول الثاني لقال والله أعلم: شُبّه عليهم.

*****

(١) ينظر: المحرر الوجيز: ١٣٣/٢، تفسير الرازي: ٢٣٠٤/٤، البحر المحيط: ٤٠٥/٣، إرشاد العقل السليم: ٢١٧/٢.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ٣٠٦/٤، وقال بأن كبراءهم اختلقوا لهم الخبر، و لم يذكر بأنهم قتلوا رجلاً آخر.

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل: ١٩/١.

ثالثاً

ترجيحات ابن جُزَيّ في سورة المائدة

مسألة: المراد ببهيمة الأنعام في الآية.

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ ١﴾.

ذكر ابن جُزَيّ / قولين في المسألة، ورجَّح الأول منهما فقال :

" هي الإبل والبقر والغنم، وإضافة البهيمة إليها من باب إضافة الشيء إلى ما هو أخص منه؛ لأن البهيمة تقع على الأنعام وغيرها، قال الزمخشري: هي الإضافة التي بمعنى من كخاتم من حديد، أي البهيمة من الأنعام[1] .

وقيل: هي الوحش كالظباء وبقر الوحش .

والمعروف من كلام العرب أن الأنعام لا تقع إلا على الإبل والبقر والغنم، وأن البهيمة تقع على كل حيوان ما عدا الإنسان"[2] .

الدراسة:

اختلف المفسرون في المسألة على أقوال:

القول الأول:

أنها الإبل والبقر والغنم.

وهو قول الحسن[3] ، والطبري، والنحاس، والزمخشري، وابن العربي، وابن الجوزي، والنسفي، والسيوطي، وابن عاشور[4]، وهو ظاهر كلام القرطبي، والشوكاني،

---

(١) ينظر: الكشاف: ٤٦٢/١.

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل: ٢١٩/١.

(٣) ينظر: تفسير الطبري: ٦٢/٦.

(٤) ينظر: تفسير الطبري: ٦٣/٦، معاني القرآن للنحاس: ٢٦٥/١، الكشاف: ٤٦٢/١، أحكام القرآن لابن العربي: ١١/٢، تذكرة الأريب: ١٣٥/١، تفسير النسفي: ٢٦٦/١، تفسير الجلالين: ١٠٦، التحرير والتنوير: ١٢/٥.

والشنقيطي[1].

والبهيمة: اسم لكل ذي أربع قوائم من دواب البر والبحر[2]، أو هي اسم لكل ما لا نطق له[3] فتشمل كل حيوان عدا الإنسان، ثم خُصت في التعارف بما عدا السباع على الأول، وبما عدا السباع والطير على الثاني[4] ، سميت بذلك لإبهامها من جهة نقص نطقها وفهمها، وعدم تمييزها وعقلها[5].

واستدل أصحاب هذا القول[6]:

١- بقول الله تعالى﴿ وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۚ لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٞ وَمَنَٰفِعُ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ٥ وَلَكُمۡ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسۡرَحُونَ ﴾ إلى قوله﴿ وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗۚ وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ [النحل: ٥ – ٨] ففصل جنس الأنعام عن غيرها من الحيوان.

٢- قوله تعالى في سورة الأنعام:﴿وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ حَمُولَةٗ وَفَرۡشٗاۚ كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ١٤٢ ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖۖ مِّنَ ٱلضَّأۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡمَعۡزِ ٱثۡنَيۡنِۗ ﴾ إلى قوله﴿ وَمِنَ ٱلۡإِبِلِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ ٱثۡنَيۡنِۗ ﴾ [الأنعام: ١٤٢ – ١٤٤] فبيّن أن الأنعام هي هذه الثمانية أزواج، وهي الإبل والبقر والغنم.

٣- واستدل الطبري وابن جُزَيّ بأن الأنعام في كلام العرب اسم للإبل والبقر والغنم خاصة.

وإضافة بهيمة إلى الأنعام من إضافة العام للخاصّ، وهي إضافة بيانية بمعنى (من)

---

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢٤/٦، فتح القدير: ٧/٢، أضواء البيان: ٣٢٦/١.

(٢) ينظر: لسان العرب: (بهم) الكشاف: ٤٦٢/١.

(٣) ينظر: تهذيب اللغة: (بهم) معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ١١٣/٢، المفردات في غريب القرآن: ٧٤.

(٤) ينظر: المفردات في غريب القرآن: ٧٤، عمدة الحفاظ: ٢٧٢/١، التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي: ١٤٧.

(٥) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ١١٣/٢،المحرر الوجيز: ١٤٤/٢، الجامع لأحكام القرآن: ٢٤/٦.

(٦) ينظر: تفسير الطبري: ٦٣/٦، تفسير الثعلبي: ٧/٤، أحكام القرآن لابن العربي: ١١/٢، تفسير الرازي: ٢٣٢٣/٤، الجامع لأحكام القرآن: ٢٤/٦.

كقولهم: ذبابُ النحل، وشجر الأراك، وخاتم حديد، ومدينة بغداد، فالمراد الأنعام خاصّة، لأنَّها غالب طعام الناس[1].

قال ابن عاشور: وإنما ذكرت (بهيمة) هنا لدفع توهّم أن يراد من الأنعام خصوص الإبل لغلبة إطلاق اسم الأنعام عليها، فذكرت (بهيمة) لشمول أصناف الأنعام الأربعة: الإبل والبقر والغنم والمعز [2] .

القول الثاني:

بهيمة الأنعام هي وحش الأنعام كالظباء، وبقر الوحش، والحُمُر الوحشية.

وهو قول الكلبي، والفراء، وابن الفرس[3].

قال الزمخشري: " كأنهم أرادوا ما يماثل الأنعام ويدانيها من جنس البهائم في الاجترار وعدم الأنياب، فأضيفت إلى الأنعام لملابسة الشبه"[4] .

واستدلوا بالاستثناء في قوله ﴿ غَيْرَ مُحِلِّي ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ﴾ والصيد لا يكون من الإبل والبقر والغنم؛ ولأنه تعالى أراد أن يعلمنا بأنها تحل لنا كما تحل الأنعام، فلذلك سماها بهيمة الأنعام[5] .

وأُجيب بأنه لو كان المراد ببهيمة الأنعام الوحش وهو صيد لما أعاد ذكره بقوله ﴿ غَيْرَ مُحِلِّي ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ﴾ ولقال: غير محليه وأنتم حرم[6] .

وبأن الله قال ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْتُلُواْ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ ﴾ [المائدة: ٩٥] فجعل الصيد والنعم صنفين[1] .

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ١٢/٥، وينظر: الكشاف: ٤٦٢/١، البحر المحيط: ٤٢٩/٣.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ١٢/٥، وينظر: روح المعاني: ٤٩/٦.

(٣) ينظر: تفسير الثعلبي: ٧/٤، معاني القرآن للفراء: ٢٠٥/١، أحكام القرآن لابن الفرس: ٣٠٢/٢.

(٤) الكشاف: ٤٦٢/١.

(٥) ينظر: تفسير الطبري: ٦٣/٦، المحرر الوجيز: ١٤٤/٢، أحكام القرآن لابن الفرس: ٣٠٢/٢.

(٦) ينظر: تفسير الطبري: ٦٤/٦.

(١) ينظر: أحكام القرآن لابن العربي: ١١/٢.

القول الثالث:

أنها الإبل والبقر والغنم مع وحش الأنعام كالظباء، وبقر الوحش، والحمر الوحشية.

وهو قول ابن قتيبة، والزجاج، والسمرقندي، وظاهر كلام مقاتل بن سليمان، والكيا الهراسي، والسعدي[1].

قالوا: ولا يدخل فيها الحافر؛ لأن الأنعام مأخوذ من نعومة الوطء ولينه، وبدليل آيات النحل المذكورة في أدلة القول الأول فقد فصل الله بين الأنعام وذوات الحافر[2] .

واستدلوا لدخول الوحش في الأنعام بالاستثناء في قوله ﴿غَيْرَ مُحِلِّي ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾.

وقال البيضاوي وأبو السعود بأن الأنعام هي الإبل والبقر والغنم، وأُلحق بها الظباء وبقر الوحش ونحوها[3] .

القول الرابع:

هي أجنّة الأنعام التي توجد في بطون أمهاتها بعد الذبح.

وهو قول عمار بن ياسر، وابن عمر[4].

قال عمار بن ياسر: " إنما أنزلت فيما أُبهم عليه الرحم، إذا تم خلقه ونبت شعره فذكاته ذكاة أمه"[5] ، فجعل البهيمة هنا من إبهام الرحم.

الترجيح:

الراجح – والله أعلم – هو القول الأول لوجوه:

الأول: دلالة آيات سورتي الأنعام والنحل على أن المراد بالأنعام الإبل والبقر والغنم.

الثاني: قوله تعالى في سورة الحج ﴿لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٍ

---

(١) ينظر: القرطين: ١٣٧/١، معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ١١٣/٢، بحر العلوم: ٣٨٩/١، تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٧٦/١، أحكام القرآن للكيا الهراسي: ١١/٢، تفسير السعدي: ٣٩٠/١.

(٢) ينظر: أحكام القرآن للجصاص: ٣٧٣/٢، أحكام القرآن للكيا الهراسي: ١١/٢.

(٣) ينظر: أنوار التنزيل: ٢٨٩/٢، إرشاد العقل السليم: ٢٣٣/٢.

(٤) ينظر: التاريخ الكبير للبخاري: ٢٢٣/١، تفسير الطبري: ٦٣/٦.

(٥) التاريخ الكبير للبخاري: ٢٢٣/١، سنن البيهقي: ٣٣٦/٩.

مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴾ [الحج: ٢٨] وقوله ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۗ ﴾ [الحج: ٣٤] والمراد ببهيمة الأنعام فيها هذه الأصناف الثلاثة وحدها[١]، والقرآن يفسر بعضه بعضاً.

الثالث: الدلالة اللغوية، فإطلاق الأنعام عند العرب إما أنه للإبل والبقر والغنم خاصة كما قال الطبري وابن جزي، أو هي غالب إطلاقهم.

قال الجوهري: " والنعم واحد الأنعام، وهي المال الراعية، وأكثر ما يقع هذا الاسم على الإبل"[٢] .

وقال الراغب: " والنعم مختص بالإبل ، وجمعه أنعام، وتسميته بذلك لكون الإبل عندهم أعظم نعمة، لكن الأنعام تقال للإبل والبقر والغنم، ولا يقال لها أنعام حتى يكون في جملتها الإبل"[٣] .

وقال عبد الباقي اليماني: الأنعام أصلها للإبل، ثم تستعمل للبقر والشاء، ولا يدخل فيها الحافر[٤] .

وقال ابن الأعرابي: النعم الإبل خاصة، والأنعام الإبل والبقر والغنم[٥] .

وسواء كانت الأنعام تطلق على الإبل والبقر والغنم خاصة أو هو الأغلب من كلام العرب؛فإنه مرجح لهذا القول؛ فحمل كلام الله على الأغلب من كلام العرب أولى، قال ابن جرير الطبري في تقرير هذه القاعدة في موضع آخر: " وكتاب الله يوجه تأويله إلى الأغلب في كلام من نزل بلسانه، حتى يدل على أنه معنيٌ به غير ذلك من الوجوه التي

---

(١) لم يذكر الطبري والرازي والقرطبي خلافاً في ذلك. ينظر: تفسير الطبري: ١٧٣/١٧، تفسير الرازي: ٤٧٧١/٨، الجامع لأحكام القرآن: ٣٠/١٢.

(٢) الصحاح: (نعم).

(٣) المفردات في غريب القرآن: ٥٠١.

(٤) ينظر: الترجمان عن غريب القرآن: ١٠١.

(٥) المحكم والمحيط الأعظم: (نعم).

ذكرت دليل يجب التسليم له"[1].

وإذا صح هذا التفسير فيحمل قوله ﴿غَيْرَ مُحِلِّي ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾ على ما قال الطبري أن معنى الآية: " يا أيها الذين آمنوا أوفوا بعقود الله التي عقد عليكم مما حرم وأحل، لا محلين الصيد في حرمكم، ففيما أحل لكم من بهيمة الأنعام المذكاة دون ميتتها متسع لكم ومستغنى عن الصيد في حال إحرامكم"[2] أو على غيره من الأوجه الصحيحة، والله تعالى أعلم.

(١) تفسير الطبري: ١٤٩/٥.

(٢) تفسير الطبري: ٦٤/٦.

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٦ ﴾ .

وفيها مسألتان:

المسألة الأولى: معنى الباء في قوله ﴿وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ﴾ .

ذكر ابن جُزَيّ / أربعة أقوال في المسألة، ورجَّح الرابع فقال:

" اختُلف في هذه الباء، فقال قوم: إنها للتبعيض، وبَنوا على ذلك جواز مسح بعض الرأس، وهذا القول غير صحيح عند أهل العربية .

وقال القرافي: إنها باء الاستعانة التي تدخل على الآلات، وأن المعنى امسحوا أيديكم برؤوسكم، وهذا ضعيف؛ لأن الرأس على هذا [ماسح] لا ممسوح، وذلك خلاف المقصود. وقيل: إنها زائدة، وهو ضعيف؛ لأن هذا ليس موضع زيادتها .

والصحيح عندي: أنها باء الإلصاق التي توصل الفعل إلى مفعوله؛ لأن المسح تارة يتعدى بنفسه، وتارة بحرف الجر كقوله ﴿فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ﴾ وكقوله ﴿فَطَفِقَ مَسۡحَۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلۡأَعۡنَاقِ﴾ [ص: ٣٣] "[1].

الدراسة:

القول الأول:

الباء للتبعيض.

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ١/٢٢٤. وما بين المعقوفين تصحيح من مخطوطة: (أ) ل: ٤٤-ب.

وبه قال الجصاص[١].

قال ابن الفرس: وهو قول أكثر من يرى جواز مسح بعض الرأس[٢].

وتُعقِّب بأن مجيء الباء للتبعيض غير صحيح عند أهل العربية، قاله ابن العربي والعكبري وابن جزي[٣] ، قال العكبري: " قال من لا خبرة له بالعربية الباء في مثل هذا للتبعيض، وليس بشيء يعرفه أهل النحو".

وهذا النقل عن أهل العربية والنحو ليس بدقيق فقد نقل ابن هشام عن عدد من اللغويين والنحاة كالأصمعي وابن قتيبة وابن مالك إثبات معنى التبعيض للباء [٤] ، كما ذكر أيضاً هذا المعنى للباء الزبيديُ في تاج العروس[٥]، والزركشي والسيوطي في علوم القرآن[٦] .

وتعليق أبي حيان على القول بالتبعيض أدق حيث قال: " وكونها للتبعيض ينكره أكثر النحاة"[٧] .

القول الثاني:

هي باء الاستعانة التي تدخل على الآلات، والمعنى: امسحوا أيديكم برؤوسكم.

---

(١) ينظر: أحكام القرآن للجصاص: ٤٢٨/٢.

(٢) ينظر: أحكام القرآن لابن الفَرَس: ٣٦٩/٢. واختلف العلماء في المقدار الواجب مسحه من الرأس: فقال أبو حنيفة: ربع الرأس، وفي رواية: مقدار ثلاث أصابع، وقال مالك وأحمد: كله، وفي رواية عن أحمد: أكثره، وقال الشافعي: أقل ما يقع عليه اسم المسح فمن مسح شيئاً من رأسه أجزأه. ينظر: أحكام القرآن للشافعي: ٤٤/١، أحكام القرآن للجصاص: ٤٢٨/٢، أحكام القرآن لابن العربي: ٥٧/٢، زاد المسير: ١٧٨/٢.

(٣) ينظر: أحكام القرآن لابن العربي: ٥٩/٢، التبيان في إعراب القرآن: ٢٨٧، التسهيل لعلوم التنزيل: ٢٢٤/١. وضعّف القول بالتبعيض أيضاً السمين الحلبي في الدر المصون: ٢٠٩/٤.

(٤) ينظر: مغني اللبيب: ١٤٢/١، وينظر قول ابن قتيبة في: تأويل مشكل القرآن: ٣٠١، وابن مالك في ألفيته: ٢٦.

(٥) ينظر: تاج العروس: ٣٩٨/٤٠ (الباء).

(٦) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٢٥٧/٤، الإتقان: ٥٠٣/١.

(٧) البحر المحيط: ٤٥١/٣.

وبه قال القرافي، والزركشي[1] .

قال الزركشي: " فإن مسح يتعدّى إلى مفعول وهو المزال عنه، وإلى آخر بحرف الجر وهو المزيل، فيكون التقدير: فامسحوا أيديكم برؤوسكم"[2] .

وضعّفه ابن جزي؛ لأن الرأس على هذا ماسح لا ممسوح، وذلك خلاف المقصود.

وهو كما قال.

القول الثالث:

الباء: زائدة.

وهو قول القرطبي، وظاهر كلام أبي البقاء العكبري، والبيضاوي، وأبي السعود[3] .

وتُعقِّب بأن زيادتها في هذا الموضع غير معروف في كلام العرب، وبأنّا متى أمكننا استعمالها على وجه الفائدة لم يجز لنا إلغاؤها، فلا يصار إلى الحكم بزيادتها مع إمكان إعمالها[4] .

القول الرابع:

الباء: للإلصاق.

وهو قول الزمخشري، وابن الفرس، والنسفي، وابن هشام وابن كثير، والسيوطي، وابن عاشور[5] .

فهي لإلصاق الفعل بالمفعول به، والمعنى: اجعلوا المسح ملاصقاً برؤوسكم، قال ابن جزي: " لأن المسح تارة يتعدى بنفسه، وتارة بحرف الجر كقوله ﴿ **فَٱمۡسَحُواْ**

---

(١) ينظر: الذخيرة للقرافي: ٢٦٠/١، البرهان في علوم القرآن: ٢٥٧/٤.

(٢) البرهان في علوم القرآن: ٢٥٧/٤.

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٥٩/٦، التبيان في إعراب القرآن: ٢٨٧، أنوار التنزيل: ٢٩٩/٢، إرشاد العقل السليم: ٢٤٢/٢.

(٤) ينظر: أحكام القرآن للجصاص: ٤٢٨/٢، أحكام القرآن للهراسي: ٣٨/٣، أحكام القرآن لابن الفَرَس: ٣٦٩/٢، التسهيل لعلوم التنزيل: ٢٢٤/١.

(٥) ينظر: الكشاف: ٤٦٩/١، أحكام القرآن لابن الفَرَس: ٣٦٩/٢، تفسير النسفي:٢٧١/١، مغني اللبيب: ١٤٣/١، تفسير القرآن العظيم: ٤٩/٣، تفسير الجلالين: ١٠٨، التحرير والتنوير: ٢٠١/٤.

بِوُجُوهِكُمْ ﴾ وكقوله ﴿ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴾ [ص: ٣٣] "[١].

فأشار هنا وكذا قوله ﴿ فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ ﴾ إلى مباشرة العضو بالمسح، أما في غسل الوجوه فقال ﴿ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ ﴾ بلا باء؛ لدلالة الغسل على المباشرة، وهذا كما تتعين المباشرة في قولك: أمسكت به، وتحتملها في قولك: أمسكته[٢].

الترجيح:

الراجح هو القول الأخير الذي رجحّه ابن جزي، وذلك أن أصل حرف الباء للإلصاق، وهو أكثر معانيها استعمالاً وأشهرها[٣]، وحمل كلام الله على الأشهر من كلام العرب أولى كما هو مقرر في قواعد الترجيح[٤].

وحينئذٍ فليس في الآية دليل على أيٍّ من الأقوال في مقدار المسح للرأس، قال الزمخشري: " المراد إلصاق المسح بالرأس، وماسح بعضه ومستوعبه بالمسح كلاهما مُلصِق للمسح برأسه"[٥] ، والله أعلم[٦].

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ٢٢٤/١.

(٢) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٢٥٣/٤.

(٣) ينظر في ذلك: البرهان في علوم القرآن: ٢٥٧/٤، الإتقان: ٥٠٢/١، تاج العروس: ٣٩٨/٤٠ (الباء).

(٤) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: ٣٦٩/٢.

(٥) الكشاف: ٤٦٩/١.

(٦) وإنما يستفاد تحديد المقدار من السنة.

وقد عرض ابن جُزَيّ – قبل ذكره لهذه المسألة – لمقدار ما يجزئ من المسح و لم يُرجّح.

المسألة الثانية: المراد بـ ﴿ٱلْكَعْبَيْنِ﴾ .

قال ابن جُزَيّ / :

" اختُلف في الكعبين: هل هما اللذان عند معقد الشراك أو العظمان الناتئان في طرف الساق؟ وهو أظهر؛ لأنه ذكرهما بلفظ التثنية، ولو كان اللذان عند معقد الشراك لذكرهما بلفظ الجمع كما ذكر المرافق؛ لأنه على ذلك في كل رجل كعب واحد"[(١)] .

الدراسة:

القول الأول:

الكعبان: هما العظمان الناتئان في طرف الساق من جانبي القدم.

وهو قول جمهور العلماء[(٢)] ، وممن قال به مالك[(٣)]، والشافعي[(٤)] ، والطبري، والزجاج، والنحاس، والجصاص، والسمعاني، والكيا الهراسي، وابن عطية، وابن العربي، وابن الجوزي، وابن الفرَس، والقرطبي، وابن كثير[(٥)] .

واستدلوا بالآتي[(٦)]:

١- ما رواه النعمان بن بشير ك قال: أَقْبَلَ رسول اللَّهِ > بِوَجْهِهِ على الناس فقال:

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ٢٢٤/١.

(٢) ينظر: المحرر الوجيز: ١٦٤/٢، تفسير الرازي: ٢٣٥٦/٤.

(٣) ينظر: تفسير الطبري: ١٦٥/٦، وينظر: أحكام القرآن لابن الفَرَس: ٣٨٢/٢.

(٤) ينظر: : تفسير الطبري: ١٦٥/٦، أحكام القرآن للشافعي: ٤٤/١.

(٥) ينظر: تفسير الطبري: ١٦٥/٦، معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ١٢٤/٢، معاني القرآن للنحاس: ٢٧٤/١، أحكام القرآن للجصاص: ٤٣٦/٢، تفسير السمعاني: ١٨/٢، أحكام القرآن للكيا الهراسي: ٤٢/٢، المحرر الوجيز: ١٦٤/٢، أحكام القرآن لابن العربي: ٦٩/٢، زاد المسير: ١٧٩/٢، أحكام القرآن لابن الفَرَس: ٣٨٢/٢، الجامع لأحكام القرآن: ٦٥/٦، تفسير القرآن العظيم: ٥٩/٣.

(٦) ينظر: أحكام القرآن للجصاص: ٤٣٦/٢، أحكام القرآن للكيا الهراسي: ٤٢/٢، أحكام القرآن لابن العربي: ٦٩/٢، تفسير الرازي: ٢٣٥٦/٤، الجامع لأحكام القرآن: ٦٥/٦، التسهيل لعلوم التنزيل: ٢٢٤/١، تفسير القرآن العظيم: ٥٩/٣.

"أَقِيمُوا صُفُوفَكُمْ ثَلاَثاً، والله لَتُقِيمُنَّ صُفُوفَكُمْ أو لَيُخَالِفَنَّ الله بين قُلُوبِكُمْ" قال فَرَأَيْتُ الرَّجُلَ يُلْزِقُ كَعْبَهُ بِكَعْبِ صَاحِبِهِ، وَرُكْبَتَهُ بِرُكْبَتِهِ، وَمَنْكِبَهُ بِمَنْكِبِهِ "[1] .

قال ابن خزيمة: " وفي هذا الخبر ما نفى الشك والارتياب أن الكعب هو العظم الناتئ الذي في جانب القدم الذي يمكن القائم في الصلاة أن يُلزقه بكعب من هو قائم إلى جنبه في الصلاة"[2].

وقال ابن كثير: "فليس يمكن أن يُلزق كعبه بكعب صاحبه؛ إلا والمراد به العظم الناتئ في الساق، حتى يحاذي كعب الآخر، فدلّ ذلك على ما ذكرناه"[3].

٢- ولأن الله قال ﴿إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾ فذكرهما بلفظ التثنية، ولو كان الكعب ما قاله أصحاب القول الثاني لكان في كل رجل كعباً واحداً، فكان ينبغي أن يقال: وأرجلكم إلى الكعاب، كما أنه لما كان في كل يد مرفقاً واحداً قال ﴿وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ﴾ .

٣- ولأن الكعب في كلام العرب مأخوذ من العلو، ومنه سُميت الكعبة، وكعبت المرأة إذا فلك ثديها.

القول الثاني:

الكعب: هو مفصل القدم الذي يقع عليه عقد شِراك النعل على ظهر القدم.

وهو قول محمد بن الحسن من الأحناف[4]، وابن القاسم من المالكية[5] .

وذلك لأن المفصل يسمى كعباً، ومنه كعوب الرمح: مفاصله[6] .

---

(١) أخرجه أبو داود: ١/١٧٨ (٦٦٢) وأحمد: ٤/٢٧٦، وابن خزيمة: ١/٨٢، وصححه ابن خزيمة حيث أخرجه في صحيحه الذي التزم فيه الصحة. ينظر: علوم الحديث لابن الصلاح: ٢١.

(٢) صحيح ابن خزيمة: ١/٨٢.

(٣) تفسير القرآن العظيم: ٣/٥٩.

(٤) ينظر: أحكام القرآن للجصاص: ٢/٤٣٦، الجامع لأحكام القرآن: ٦/٦٥.

(٥) ينظر: أحكام القرآن لابن العربي: ٢/٦٩.

(٦) ينظر: تفسير الرازي: ٤/٢٣٥٦.

الترجيح:

الراجح هو القول الأول لقوة ما استدلوا به.

والكعب وإن كان يطلق في اللغة على المفصل، وعلى العظمين الناتئين[١] ، إلا أن الأشهر إطلاقه على العظمين الناتئين[٢]، قال ابن فارس: " الكاف والعين والباء أصل صحيح يدل على نتوٍّ وارتفاعٍ في الشيء، من ذلك الكعب كعب الرجل، وهو عظم طرفي الساق عند ملتقى القدم والساق "[٣] ، والواجب حمل كتاب الله على الأشهر من كلام العرب، ولذا فعامة العلماء على أن هذا المعنى هو المراد بالكعبين في آية الوضوء؛ بل قال الشافعي: "لم أعلم مخالفاً في أن الكعبين اللذين ذكرهما الله في كتابه في الوضوء هما الناتئان، وهما مجمع فصل الساق والقدم"[٤]، وحكى ابن عطية وابن الفرَس الإجماع على هذا المعنى في الوضوء[٥]، والله تعالى أعلم.

(١) ينظر: لسان العرب: (كعب).

(٢) ينظر: أحكام القرآن لابن العربي: ٢/٦٩.

(٣) معجم مقاييس اللغة: (كعب).

(٤) تفسير الطبري: ٦/١٦٥، أحكام القرآن للشافعي: ١/٤٤.

(٥) ينظر: المحرر الوجيز: ٢/١٦٤، أحكام القرآن لابن الفَرَس: ٢/٣٨٢.

مسألة: الخطاب في ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ﴾ .

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٢﴾﴾.

ذكر ابن جُزَيّ / قولين في المسألة، ورجَّح الأول منهما فقال :

" الخطاب لبني إسرائيل .

وقيل: للنقباء"[1] .

الدراسة:

اختلف المفسرون في المسألة على قولين:

القول الأول:

الخطاب لبني اسرائيل.

وهو قول جمهور المفسرين[2]، وممن قال به الطبري، والثعلبي، وابن عطية، وأبو حيان، والشوكاني، وابن عاشور[3] .

والمعنى: قال الله إني معكم إني وفيتم بالميثاق الذي أخذته عليكم[4] .

واستدلوا بدليلين:

الأول: السياق فقد قال الله ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ فالحديث عنهم.

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ٢٢٥/١.

(٢) ينظر: زاد المسير: ١٨٤/٢.

(٣) ينظر: تفسير الطبري: ١٨١/٦، تفسير الثعلبي: ٣٧/٤، المحرر الوجيز: ١٦٨/٢، البحر المحيط: ٤٦٠/٣، فتح القدير: ٢٨/٢، التحرير والتنوير: ٦٠/٥.

(٤) ينظر: تفسير الطبري: ١٨١/٦، التحرير والتنوير: ٦٠/٥.

الثاني: لانسحاب الأحكام التي بعد هذه الجملة على جميع بني إسرائيل، وهي قوله ﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ﴾ الآية، فإلحاق قوله ﴿وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ﴾ بأن يكون ندباً للقوم جميعاً، وحضاً لهم على الوفاء بالميثاق أحق وأولى من أن يكون ندباً لبعض وحضاً لخاص دون عام[1] .

القول الثاني:

الخطاب للنقباء.

وهو قول الربيع[2] ، والسمرقندي، والرازي، والخازن، والسعدي[3] .

وذلك لأن الضمير يعود إلى أقرب مذكور، وهو هنا النقباء[4] .

الترجيح:

الراجح – والله أعلم – هو القول الأول لوجوه:

الأول: السياق سباقاً ولحاقاً حديث عن بني اسرائيل كلهم وخطاب لهم، فحمله عليهم أولى.

الثاني: توحيد مرجع الضمائر في السياق الواحد أولى من تفريقها، والضمائر في الآية هي لبني اسرائيل لا النقباء إلا هذا الموضع الذي جرى فيه الخلاف.

وهذه القاعدة مقدمة على قاعدة: عود الضمير إلى أقرب مذكور عند التعارض، لأنها أكمل في تناسق النظم القرآني[5].

الثالث: القول الأول أعم، فهو شامل للثاني.

---

(١) ينظر: تفسير الطبري: ١٨١/٦، البحر المحيط: ٤٦٠/٣.

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ١٨١/٦.

(٣) ينظر: بحر العلوم: ٤٠٠/١، تفسير الرازي: ٢٣٧٦/٤، لباب التأويل: ٢٦/٢، تفسير السعدي: ٤٠٥/١.

(٤) ينظر: تفسير الرازي: ٢٣٧٦/٤، لباب التأويل: ٢٦/٢.

(٥) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: ٦٦/١، ٦١٣/٢.

مسألة: معنى ﴿خَآئِنَةٍ﴾ في الآية.

قال الله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾﴾.

ذكر ابن جُزَيّ / قولين في المسألة، ورجَّح الأول منهما فقال :

" أي على خيانة، فهو مصدر كالعاقبة .

وقيل: على طائفة خائنة .

وهو إخبار بأمر مستقبل"(١).

الدراسة:

القول الأول:

المعنى: على خيانة، فهو مصدر.

وهو قول قتادة(٢)، والطبري، والزجاج، والسمرقندي، والواحدي، والبغوي، والسيوطي، والشوكاني، والسعدي، وابن عاشور(٣) .

ونظيره كثير كقولهم قائلة بمعنى قيلولة، وكقوله تعالى ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ﴾ [الحاقة: ٥] أي بالطغيان، وقوله ﴿لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً﴾ [الغاشية: ١١] أي لغواً، وتقول العرب: سمعت راغية الإبل، وثاغية الشاء، يعنون رغاءها، وثغاءها(٤).

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ٢٢٥/١.

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ١٨٧/٦.

(٣) ينظر: تفسير الطبري: ١٨٧/٦، معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ١٢٩/٢، بحر العلوم: ٤٠٠/١، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٣١٢/١، معالم التنزيل: ٦٥٢/١، تفسير الجلالين: ١٠٩، فتح القدير: ٢٩/٢، تفسير السعدي: ٤٠٧/١، التحرير والتنوير: ٦٣/٥.

(٤) معاني القرآن للنحاس: ٢٧٧/١، المحرر الوجيز: ١٧٩/٢، البيان في إعراب غريب القرآن لابن الأنباري: ٢٤٥، تفسير الرازي: ٢٣٧٨/٤، الجامع لأحكام القرآن: ٧٧/٦.

ومنه قوله تعالى: ﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴾ [غافر: ١٩] [(١)] .

القول الثاني:

أي: على طائفة خائنة .

وهو قول الراغب الأصفهاني، والعكبري[(٢)].

وذكره وجهاً محتملاً في الآية الزجاج، والثعلبي، والزمخشري، وأبو حيان[(٣)].

فهي صفة لموصوف محذوف[(٤)].

الترجيح:

الراجح هو القول الأول، فآية غافر تشهد له، ولأن القول بالاستقلال مقدم على القول بالإضمار[(٥)] ، والله تعالى أعلم.

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٦٣/٥.

(٢) ينظر: المفردات في غريب القرآن: ١٦٧، التبيان في إعراب القرآن: ٤٢٧/١.

(٣) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ١٢٩/٢، تفسير الثعلبي: ٣٨/٤، الكشاف: ٤٧٤/١، البحر المحيط: ٤٦٢/٣.

(٤) البيان في إعراب غريب القرآن: ٢٤٥، تفسير الرازي: ٢٣٧٨/٤، الجامع لأحكام القرآن: ٧٧/٦.

(٥) ينظر في تقرير هذه القاعدة: قواعد الترجيح عند المفسرين: ٤١٢/٢.

مسألة: معنى البُنوّة التي ادّعاها اليهود والنصارى بقولهم ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ﴾.

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾.

ذكر ابن جُزَيّ / قولين في المسألة، ورجَّح الأول منهما فقال :

" أي قالت كل فرقة عن نفسها إنهم أبناء الله وأحباؤه.

والبنوة هنا: بنوة الحنان والرأفة .

وقال الزمخشري: المعنى نحن أشياع أبناء الله عندهم، وهما المسيح وعُزير، كما يقول حشم الملوك: نحن الملوك"[1].

الدراسة:

اليهود والنصارى لا يدّعون أنهم أبناء الله بنوّة حقيقية[2]، فما المراد بقولهم في الآية؟ اختلف المفسرون في ذلك على أقوال:

القول الأول:

المراد: بنوة الحنان والرأفة، أي قالوا: الله كالأب لنا في الحنو والعطف، ونحن كالأبناء في القرب والمنزلة.

وهو قول السمرقندي، والسمعاني، وابن عطية، وأبي حيان، والسيوطي، والألوسي، والسعدي[3] .

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ٢٢٦/١، وقول الزمخشري في تفسيره: ٤٧٦/١.

(٢) ينظر: تفسير الرازي: ٢٣٨٢/٤، غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ٥٧٠/٢، تفسير السعدي: ٤٠٩/١. وينظر: تفسير القرآن العظيم: ٦٩/٣.

(٣) ينظر: بحر العلوم: ٤٠٣/١، تفسير السمعاني: ٢٤/٢، المحرر الوجيز: ١٧٢/٢، البحر المحيط: ٤٦٥/٣، تفسير الجلالين: ١١١، روح المعاني: ١٠٠/٦، تفسير السعدي: ٤٠٩/١.

قال ابن كثير: " ونقلوا عن كتابهم أن الله تعالى قال لعبده إسرائيل: (أنت ابني بكري) فحملوا هذا على غير تأويله وحرفوه، وقد رد عليهم غير واحد ممن أسلم من عقلائهم، وقالوا هذا يطلق عندهم على التشريف والإكرام، كما نقل النصارى من كتابهم أن عيسى قال لهم: (إني ذاهب إلى أبي وأبيكم) يعني ربي وربكم"(١).

وقال ابن عاشور: " وقد وقع في التّوراة والإنجيل التعبير بأبناء الله ؛ ففي سفر التثنية أوّل الفصل الرابع عشر قول موسى (أنتُم أولاد للربّ أبيكم) وأمّا الأناجيل فهي مملوءة بوصف الله تعالى بأبي المسيح، وبأبي المؤمنين به، وتسمية المؤمنين أبناءَ الله في متّى في الإصحاح الثّالث (وصوت من السماء قائلاً هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت) وفي الإصْحاح الخامس (طوبى لصانعي السلام لأنّهم أبناءَ الله يُدعون) وفي الإصحاح السادس (وأبوكم السماوي يقُوتها) وفي الإصحاح العاشر (لِأنْ لستم أنتم المتكلّمين بل روح أبيكم الّذي يتكلّم فيكم) وكلّها جائية على ضرب من التشبيه فتوهّمها دهماؤهم حقيقة فاعتقدوا ظاهرها"(٢).

وقال ابن عطية في التعليق على قول الله لإسرائيل: " ولو صح ما رووا لكان معناه بكراً في التشريف أو النبوة ونحوه"(٣).

القول الثاني:

المراد: نحن أشياع أبناء الله عندهم، حيث زعمت اليهود أن عزيراً ابن الله، وزعمت النصارى أن المسيح ابن الله، وهم أشياع أبناء الله.

وهو قول الزمخشري، وابن الجوزي، وأبي السعود(٤) .

---

(١) تفسير القرآن العظيم: ٦٩/٣، وينظر: تفسير السمعاني: ٢٢/٢، المحرر الوجيز: ١٧٩/٢، زاد المسير: ١٨٥/٢.

(٢) التحرير والتنوير: ٧٢/٥، وقوله: " فتوهّمها دهماؤهم حقيقة فاعتقدوا ظاهرها" يحتمل أنه أراد أنهم توهموا أنها بنوة الرأفة والعطف فيكون موافقا للقول الأول، ويحتمل أن مراده أنهم توهموا أنها بنوة حقيقية، ولا أظنه مراده لأنهم لا يقولون بذلك كما سبق نقله عن الرازي والنيسابوري والسعدي.

(٣) المحرر الوجيز: ١٧٢/٢.

(٤) ينظر: الكشاف: ٤٧٦/١، تذكرة الأريب: ١٣٩/١، إرشاد العقل السليم: ٢٥٣/٢.

وهو كقول أقارب الملك وحشمه إذا فاخروا إنساناً آخر: نحن ملوك الدنيا، ونحن سلاطين العالم، وغرضهم منه كونهم مختصين بذلك الشخص الذي هو الملك والسلطان، ولذلك قال مؤمن آل فرعون: لكم الملك اليوم[1].

القول الثالث:

المراد: نحن أبناء رسل الله.

ذكره الواحدي، والرازي، والقرطبي، والنيسابوري[2] .

الترجيح:

لا تعارض بين القولين الأول والثاني، فيحتمل أن مرادهم المعنيان كلاهما، على أن القول الأول ألصق بما ذكر العلماء عنهم من النصوص والمقولات التي ينسبونها لله تعالى.

وليس في هذه النصوص والمقولات دلالة على مرادهم قطعاً؛ لأن الله أنكر عليهم قولهم، والظاهر أنها مما وقع في كتبهم من التحريف والتبديل، أو تحمل على ما قال العلماء آنفاً.

أما القول الثالث فبعيد؛ لأن الله بيّن كفر والد إبراهيم عليه السلام، وابن نوح عليه السلام ولم تنفعهم قرابة النسب، واليهود والنصارى أهل كتاب لا يخفى عليهم ذلك، مع ما فيه من بعد عن ظاهر اللفظ. والله تعالى أعلم.

---

(١) ينظر: الكشاف: ٤٧٦/١، تفسير الرازي: ٢٣٨٢/٤.

(٢) ينظر: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٣١٤/١، تفسير الرازي: ٢٣٨٢/٤، الجامع لأحكام القرآن: ٨٠/٦، غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ٥٧٠/٢.

مسألة: مُتعَلَّق الخوف في قوله ﴿يَخَافُونَ﴾ .

قال الله تعالى: ﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمَا ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ فَإِذَا دَخَلۡتُمُوهُ فَإِنَّكُمۡ غَٰلِبُونَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾.

ذكر ابن جُزَيّ / قولين في المسألة، ورجَّح الأول منهما فقال :

" أي: يخافون الله .

وقيل: يخافون الجبارين، ولكن الله أنعم عليهما بالصبر والثبوت لصدق إيمانهما"[(١)] .

الدراسة:

القول الأول:

المراد: يخافون الله.

وهو قول أكثر المفسرين[(٢)] كالطبري، والسمرقندي، والثعلبي، والبغوي، والزمخشري، وابن عطية، والرازي، والخازن، وابن القيم، وابن كثير، والشوكاني، والسعدي[(٣)] .

فهما رجلان يخافان الله، وأنعم الله عليهما بالثبات ورباطة الجأش، ويؤيد هذا القول قراءة: (يخافون الله أنعم الله عليهما)[(٤)].

القول الثاني:

المراد: يخافون الجبارين.

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ٢٢٧/١.

(٢) ينظر: بدائع التفسير: ٣١٧/١.

(٣) ينظر: تفسير الطبري: ٢١١/٦، بحر العلوم: ٤٠٦/١، تفسير الثعلبي: ٤٣/٤، معالم التنزيل: ٦٥٧/١، الكشاف: ٤٧٧/١، المحرر الوجيز: ١٧٥/٢، تفسير الرازي: ٢٣٨٨/٤، لباب التأويل: ٣٢/٢، بدائع التفسير: ٣١٧/١، تفسير القرآن العظيم: ٧٦/٣، فتح القدير: ٨٤/٢، تفسير السعدي: ٤١١/١.

(٤) ينظر: تفسير الطبري: ٢١٣/٦، المحرر الوجيز: ١٧٥/٢، والقراءة أخرجها عبدالرزاق في تفسيره: ١٨٦/١، والطبري في الموضع السابق عن قتادة أنه قال في بعض الحروف وذكرها. ونسبها ابن عطية في الموضع السابق لعبد الله بن مسعود.

ذكره الماوردي، وابن الجوزي، وأبو حيان، وغيرهم[1] .

وبه قال مقاتل بن سليمان، والقرطبي[2] .

فالمعنى: يخافون الجبارين كما خاف غيرهم، ولكن الله أنعم عليهما بالصبر والثبات لصدق إيمانهما، فلم يمنعهما خوفهما من قول الحق.

الترجيح:

القولان محتملان، والقول الأول أقرب والله أعلم؛ لأن المقام مقام مدح، وإنما يمدح بالخوف من الله تعالى، وقوله ﴿ يَخَافُونَ ﴾ كالتوطئة لقوله ﴿ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ﴾ إذْ وضح سبب إنعامه عليهم ليحتذيه من يريد الإنعام، فكأنه قال إنما انعمت عليهما بالثبات ورباطة الجأش لأنهما خافا مني في السر فلم أُخفْهما من خلقي مهما عظمت قوتهم واشتد جبروتهم، وهو كقوله تعالى: ﴿ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٧٥] فمن عظم خوف الخالق تعالى في قلبه ضَعُفَ خوفه من خلقه.

---

(١) ينظر: النكت والعيون: ٢/٢٦، زاد المسير: ٢/١٩٤، البحر المحيط: ٣/٤٧٠.

(٢) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ١/٢٩٢، الجامع لأحكام القرآن: ٦/٨٤.

قال الله تعالى حكاية عن موسى × : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ .

وفيها مسألتان:

المسألة الأولى: إعراب ﴿ أَخِي ﴾ .

ذكر ابن جُزَيّ / ثلاثة أقوال في المسألة ، ورجَّح الأول منها فقال :

" إعراب أخي: عطف على ﴿ نَفۡسِي ﴾ لأن أخاه هارون كان يطيعه .

وقيل: عطف على الضمير في ﴿ لَآ أَمۡلِكُ ﴾ أي: لا أملك أنا إلا نفسي، ولا يملك أخي إلا نفسه .

وقيل: مبتدأ، وخبره محذوف، أي: أخي لا يملك إلا نفسه"[1] .

الدراسة:

القول الأول:

أن ﴿ أَخِي ﴾ منصوب عطفاً على ﴿ نَفۡسِي ﴾ .

وهو قول الطبري، والنحاس، ومكي بن أبي طالب، والقرطبي، وأبي حيان، والسمين الحلبي، وابن عادل، وأبي السعود، والألوسي[2] .

والمعنى: لا أملك إلا أخي مع ملكي لنفسي دون غيرنا[3].

وعلّل له ابن جُزَيّ وغيره بأن أخاه هارون كان يطيعه، فلذلك أخبر أنه يملكه[4] .

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ٢٢٧/١.

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ٢١٧/٦، إعراب القرآن للنحاس: ٢٢٩، مشكل إعراب القرآن: ٢٢٣/١، الجامع لأحكام القرآن: ٨٥/٦، البحر المحيط: ٤٧١/٣، الدر المصون: ٢٣٤/٤، اللباب في علوم الكتاب: ٢٧٥/٧، إرشاد العقل السليم: ٢٥٧/٢، روح المعاني: ١٠٨/٦.

(٣) الدر المصون: ٢٣٤/٤.

(٤) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ١٣٣/٢، المحرر الوجيز: ١٧٦/٢، التسهيل لعلوم التنزيل: ٢٢٧/١.

القول الثاني:

أنه مرفوع عطفاً على الضمير المستتر في ﴿ لَآ أَمۡلِكُ ﴾ أي: لا أملك أنا إلا نفسي، ولا يملك أخي إلا نفسه .

ذكره وجهاً جائزاً في الآية النحاسُ ومكي وأبو البركات بن الأنباري والقرطبي والألوسي[1] .

القول الثالث:

أنه مرفوع بالابتداء، وخبره محذوف، أي: وأخي لا يملك إلا نفسه، أو وأخي كذلك.

ذكره وجهاً محتملاً ابن عطية ومحي الدين الدرويش[2] .

وحُذف الخبر لدلالة ما قبله عليه[3] .

الترجيح:

الراجح هو القول الأول الذي رجّحه ابن جُزَيّ لتوجّه ما علَّل به؛ فإن هارون × تبع لموسى × يطيعه ويأتمر بأمره، كما هو واضح من خلال حديث القرآن عنهما في غير موضع، فقول موسى × هنا كحديث القائد عن نفسه ومن تحت إمرته، والله تعالى أعلم.

---

(١) ينظر: إعراب القرآن للنحاس: ٢٢٩، مشكل إعراب القرآن: ٢٢٣/١، البيان في إعراب غريب القرآن: ٢٤٦، الجامع لأحكام القرآن: ٨٥/٦، روح المعاني: ١٠٨/٦.

(٢) ينظر: المحرر الوجيز: ١٧٦/٢، إعراب القرآن الكريم وبيانه: ٢٠٧/٢.

(٣) ينظر: الدر المصون: ٢٣٤/٤.

المسألة الثانية: المراد بـ ﴿فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ .

ذكر ابن جُزَيّ / قولين في المسألة، ورجَّح الأول منهما فقال:

" أي فارق بيننا وبينهم فهو من الفرقة .

وقيل: افصل بيننا وبينهم بحكم"[1] .

الدراسة:

اختلف المفسرون في المسألة على قولين:

القول الأول:

أي: فارق بيننا وبينهم فهو من الفرقة .

وهو قول الخازن، وأبي حيان، وظاهر كلام الشوكاني، وابن عاشور[2].

وذكره وجهاً محتملاً في معنى الآية الزمخشري، وابن عطية، والرازي وغيرهم[3] .

قال أبو حيان: ظاهره أنه دعا بأن يفرق الله بينهما وبينهم بأن يفقد وجوههم ولا يشاهد صورهم إذ كانوا عاصين له مخالفين أمر الله تعالى، ولذلك نبّه على العلة الموجبة للتفرقة بينهم وهي الفسق، فالمطيع لا يريد صحبة الفاسق ولا يؤثرها؛ لئلا يصيبه بالصحبة ما يصيبه ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗ ﴾ [الأنفال: ٢٥][4] .

فكأن المعنى افصل بيننا وبين القوم الفاسقين وميّزنا وأبعدنا عنهم، حتى إذا أصابتهم العقوبة لا نكون معهم.

القول الثاني:

أي افصل بيننا وبينهم بحكم.

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ٢٢٧/١.

(٢) ينظر: لباب التأويل: ٣٣/٢، البحر المحيط: ٤٧٢/٣، فتح القدير: ٣٧/٢، التحرير والتنوير: ٨٠/٥.

(٣) ينظر: الكشاف: ٤٧٩/١، المحرر الوجيز: ١٧٦/٢، تفسير الرازي: ٢٣٩٠/٤.

(٤) ينظر: البحر المحيط: ٤٧٢/٣.

وهو قول أكثر المفسرين[1] ، وممن قال به ابن عباس، والضحاك[2]، ومقاتل ابن سليمان، والسمرقندي، والواحدي، والزمخشري، والرازي، وأبو السعود، والألوسي، والسعدي[3] .

فالمراد: افصل بيننا وبينهم بأن تحكم لكل منا بما يستحق، وهو في معنى الدعاء عليهم بدليل فاء التسبيب في قوله: ﴿ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ﴾ [المائدة: ٢٦][4] .

الترجيح:

القولان محتملان؛ فإن الفرق بين الشيئين بمعنى المباعدة والفصل بينهما[5] ، وقد يكون الفصل والمباعدة بينهما بالأبدان، وقد يكون بالأحكام بأن يحكم الله ويقضي لكل منهما في الدنيا بما يستحق، وقد يكون بهما معاً كما هو ظاهر عبارة الطبري " افصل بيننا وبينهم بقضاء منك تقضيه فينا وفيهم فتبعدهم منا"[6] .

كل ذلك محتمل، لكن قوله بعدها ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ ۗ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ [المائدة: ٢٦] مشعر بأن المراد الحكم؛ حيث حكم الله بتحريم الأرض المقدسة عليهم أربعين سنة[7]، وهو كقول شعيب عليه السلام ﴿ رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴾ [الأعراف: ٨٩] والله تعالى أعلم.

---

(١) ينظر: روح المعاني: ١٠٩/٦.

(٢) ينظر: غريب الحديث للحربي: ٣٤٧/٢، تفسير الطبري: ٢١٧/٦.

(٣) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٩٢/١، بحر العلوم: ٤٠٧/١، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٣١٥/١، الكشاف: ٤٧٩/١، تفسير الرازي: ٢٣٩٠/٤، إرشاد العقل السليم: ٢٥٨/٢، روح المعاني: ١٠٩/٦، تفسير السعدي: ٤١٢/١.

(٤) ينظر: الكشاف: ٤٧٩/١، غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ٥٧٥/٢.

(٥) ينظر: مجاز القرآن: ١٦٠/١، المفردات في غريب القرآن: ٣٧٩.

(٦) تفسير الطبري: ٢١٧/٦.

(٧) وقيل: حرّمها عليهم أبداً. ينظر: المسألة التالية.

قال الله تعالى: ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾ .

وفيها مسألتان:

المسألة الأولى: العامل في ﴿أَرْبَعِينَ﴾ .

ذكر ابن جُزَيّ / قولين في المسألة، فرجَّح الأول وضعّف الثاني فقال :

" العامل في ﴿أَرْبَعِينَ﴾ ﴿مُحَرَّمَةٌ﴾ على الأصح، فيجب وصله معه .

وقيل: العامل فيه ﴿يَتِيهُونَ﴾. فعلى هذا يجوز الوقف على قوله ﴿مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾ وهذا ضعيف؛ لأنه لا حامل على تقديم المعمول هنا، مع أن القول الأول أكمل معنى؛ لأنه بيان لمدة التحريم والتيه"[1] .

الدراسة:

اختلف العلماء في المسألة على قولين:

القول الأول:

العامل في ﴿أَرْبَعِينَ﴾ قوله ﴿مُحَرَّمَةٌ﴾.

وهو قول الربيع بن أنس[2] ، والطبري، والنحاس، وأبي البقاء العكبري، وأبي حيان، والسمين الحلبي، والشوكاني، والألوسي[3] .

والمعنى أن الأرض المقدسة محرمة عليهم مدة أربعين سنة، ويتيهون في الأرض هذه المدة، ثم فتح الله المدينة لهم أو لمن بقي منهم بعد الأربعين سنة، فالتحريم مقدّر بمدة[4].

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ٢٢٨/١.

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ٢١٨/٦، وينظر: تفسير الرازي: ٢٣٩٠/٤، الجامع لأحكام القرآن: ٨٦/٦.

(٣) ينظر: تفسير الطبري: ٢٢٢/٦، القطع والائتناف: ١٧٤، إملاء ما منّ به الرحمن: ٢١٣/١، البحر المحيط: ٤٧٣/٣، الدر المصون: ٢٣٦/٤، فتح القدير: ٣٧/٢، روح المعاني: ١٠٩/٦.

(٤) ينظر: تفسير الطبري: ٢١٨/٦، المحرر الوجيز: ١٧٧/٢، إملاء ما منّ به الرحمن: ٢١٣/١.

وعليه فلا وقف على قوله ﴿مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾ [1] .

القول الثاني:

العامل فيه ﴿يَتِيهُونَ﴾.

وهو قول قتادة، وعكرمة، والسدي[2]، والزجاج، ومكي بن أبي طالب[3] .

والمعنى: محرمة عليهم أبداً، ويتيهون في الأرض أربعين سنة، فلم يدخل المدينة أحدٌ من المخاطبين؛ بل دخلها أبناؤهم بعد ذلك، فالتحريم مؤبد، والتيه مؤقت[4] .

وعليه فيوقف على ﴿مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾[5] .

ورجَّح ابن جُزَيّ القول الأول من وجهين:

الأول: لأنه لا حامل على تقديم المعمول عل العامل كما في القول الثاني.

الثاني : أن الأول أكمل معنى؛ لأنه بيانٌ لمدة التحريم والتيه.

وهذا الوجه الثاني وجيه عند من يرى أن التحريم على القول الثاني مطلق لا مؤبد[6]، فالمطلق يحتمل التأبيد وعدمه[7] ، وإذا احتمل ذلك كان بيان المدة أكمل معنىً من عدمه، أما المؤبد فهو بيِّنُ المعنى بتأبيد المدة فلا يحتاج لبيان. لكنّ القائلين بالثاني – الذين سبق ذكرهم – يرون أن التحريم على المخاطبين مؤبد، وحينئذٍ فلا يصح الاحتجاج عليهم بهذا الوجه.

---

(١) ينظر: القطع والائتناف: ١٧٤، المقصد لتلخيص ما في المرشد في الوقف والابتداء: ٢٤٦/١.

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ٢٢٢/٦، القطع والائتناف: ١٧٤، وينظر معه: تفسير الرازي: ٢٣٩٠/٤، الجامع لأحكام القرآن: ٨٦/٦.

(٣) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ١٣٣/٢، مشكل إعراب القرآن: ٢٢٣/١.

(٤) ينظر: السابق، وتفسير الطبري: ٢١٩/٦، المحرر الوجيز: ١٧٧/٢.

(٥) ينظر: القطع والائتناف: ١٧٤، المقصد لتلخيص ما في المرشد في الوقف والابتداء: ٢٤٦/١.

(٦) وبإطلاق التحريم عبّر عن القول الثاني عدد من العلماء كالعكبري، وأبي السعود والشوكاني.

(٧) ينظر: روح المعاني: ١٠٩/٦.

الترجيح:

ما رجّحه ابن جُزَيّ هو الظاهر – والله أعلم – فإن في الآية على الثاني تقديماً وتأخيراً، وهو خلاف الأصل، فالمعنى عليه: يتيهون في الأرض أربعين سنة، قال النحاس: "وسبيل النظر ألا ينوى بشيء تقديم أو تأخير إلا بحجة قاطعة"(١) .

كما أن في القول الأول جمعاً بين هذه الآية وقوله تعالى ﴿ يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ ﴾ [المائدة: ٢١] فالله كتبها لهم، لكنهم أَبَوا وعصَوا فعاقبهم الله هذه المدة، ثم تحقق ما كتب الله لهم(٢) .

(١) القطع والائتناف: ١٧٥.

(٢) ينظر: الكشاف: ٤٧٩/١، البحر المحيط: ٤٧٢/٣، فتح القدير: ٣٧/٢.

المسألة الثانية: الخطاب في ﴿ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾ .

ذكر ابن جُزَيّ / قولين في المسألة، ورجَّح الأول منهما فقال :

" الخطاب لموسى .

وقيل: لمحمد ﷺ ويراد بالفاسقين مَن كان في عصره من اليهود"[1] .

الدراسة:

اختُلِف في المسألة على قولين:

القول الأول:

الخطاب لموسى × .

وهو قول أكثر المفسرين، وممن قال به السدي[2]، ومقاتل بن سليمان، والواحدي، والزمخشري، وابن عطية، والبيضاوي، والنيسابوري، وأبو حيان، وابن كثير، وأبو السعود، والألوسي، والسعدي، وابن عاشور[3] .

قال السدي: " لما ضرب عليهم التيه ندم موسى، فلما ندم أوحى الله إليه ﴿ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾ "[4].

وقال السعدي: " لما علم الله تعالى أن عبده موسى في غاية الرحمة على الخلق خصوصاً قومه، وأنه ربما رقّ لهم واحتملته الشفقة على الحزن عليهم في هذه العقوبة، أو الدعاء لهم بزوالها مع أن الله قد حتّمها، قال ﴿ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾ أي: لا

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ٢٢٨/١.

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ٢٢٣/٦.

(٣) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٩٣/١، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٣١٥/١، الكشاف: ٤٧٩/١، المحرر الوجيز: ١٧٧/٢، أنوار التنزيل: ٣١٤/٢، غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ٥٧٥/٢، البحر المحيط: ٤٧٣/٣، تفسير القرآن العظيم: ٨١/٣، إرشاد العقل السليم: ٢٥٨/٢، روح المعاني: ١١٠/٦، تفسير السعدي: ٤١٣/١، التحرير والتنوير: ٨١/٥.

(٤) تفسير الطبري: ٢٢٣/٦.

تأسف عليهم ولا تحزن فإنهم قد فسقوا، وفسقهم اقتضى وقوع ما نزل بهم لا ظلماً منا"[1] .

القول الثاني:

الخطاب لمحمد ﷺ ويراد بالفاسقين مَن كان في عصره من اليهود، أي: لا تحزن على قوم لم يزل شأنهم المعاصي ومخالفة الأنبياء.

ذكره ابن عطية، وأبو حيان، والنيسابوري، والألوسي[2] .

وجوّزه الزجاج، والنحاس[3] .

الترجيح:

الراجح هو القول الأول فالقصة لموسى × مع قومه، والخطاب في أول الآية له، فلا يُصرف لغيره إلا بدليل.

ولعل من دلائل ضعف القول الثاني إعراض كثير من المفسرين الكبار كالطبري، والرازي، والقرطبي، وابن كثير، وابن عاشور عن ذكره في تفاسيرهم، والله تعالى أعلم.

---

(١) تفسير السعدي: ٤١٣/١.

(٢) ينظر: المحرر الوجيز: ١٧٧/٢، غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ٥٧٥/٢، البحر المحيط: ٤٧٣/٣، روح المعاني: ١١٠/٦.

(٣) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ١٣٤/٢، معاني القرآن للنحاس: ٢٨٠/١.

مسألة: المراد بالإثمين في قوله ﴿ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ ﴾ .

قال الله تعالى في قصة ابني آدم عليه السلام حكاية عن المقتول منهما: ﴿ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٨ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٩ ﴾.

ذكر ابن جُزَيّ / قولين في المسألة، ورجَّح الأول منهما فقال :

﴿ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ ﴾ معناه: بإثم قتلي لك لو قتلتك، وبإثم قتلك لي، وإنما يحمل القاتل الإثمين لأنه ظالم، فذلك مثل قوله ﷺ "المتسابان ما قالا فهو على البادىء" .

وقيل: ﴿ بِإِثۡمِي ﴾ أي: تحمل عني سائر ذنوبي؛ لأن الظالم تجعل عليه في القيامة ذنوب المظلوم، ﴿ وَإِثۡمِكَ ﴾ أي: في قتلك لي، وفي غير ذلك من ذنوبك(١).

الدراسة:

اختلف المفسرون في المسألة على أقوال:

القول الأول:

أي: بإثم قتلي لك لو قتلتك، وبإثم قتلك لي.

وهو قول الزمخشري، والبيضاوي، وأبي السعود، والألوسي(٢) .

قالوا وهو كقول النبي > "الْمُسْتَبَّانِ ما قالا فَعَلَى الْبَادِئِ ما لم يَعْتَدِ الْمَظْلُومُ"(٣)، فالبادي عليه إثم سبه، ومثل إثم سب صاحبه لأنه كان سبباً فيه؛ إلا أن الإثم محطوط عن صاحبه معفو عنه لأنه مكافىء مدافع عن عرضه(٤) .

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ٢٢٨/١، وسيأتي تخريج الحديث عند عرض القول الأول..

(٢) ينظر: الكشاف: ٤٨٠/١، أنوار التنزيل: ٣١٧/٢، إرشاد العقل السليم: ٢١٦/٢، روح المعاني: ١١٣/٦.

(٣) أخرجه مسلم: ٢٠٠٠/٤ رقم ٢٥٨٧.

(٤) ينظر: الكشاف: ٤٨٠/١، أنوار التنزيل: ٣١٧/٢، إرشاد العقل السليم: ٢١٦/٢، روح المعاني: ١١٣/٦.

قال الزمخشري: " فإن قلت فحين كفّ هابيل عن قتل أخيه واستسلم وتحرّج عما كان محظوراً في شريعته من الدفع، فأين الإثم حتى يتحمل أخوه مثله فيجتمع عليه الإثمان؟ قلت: هو مقدّر فهو يتحمل مثل الإثم المقدّر، كأنه قال: إني أريد أن تبوء بمثل إثمي لو بسطت يدي إليك"[1] .

القول الثاني:

﴿ بِإِثْمِى ﴾ أي: تحمل عني سائر ذنوبي؛ لأن الظالم تجعل عليه في القيامة ذنوب المظلوم، ﴿ وَإِثْمَكَ ﴾ أي: في قتلك لي، وفي غير ذلك من ذنوبك[2].

قال مجاهد: " إني أريد أن تكون عليك خطيئتي ودمي، فتبوء بهما جميعاً"[3] .

وقال ابن عاشور:"والأظهر في معنى قوله ﴿ بِإِثْمِى ﴾ مَا له من الآثام الفارطة في عمره ، أي أرجو أن يغفر لي وتُحمل ذنوبي عليك"[4] .

واستدلوا[5] بقول النبي > في الصحيح: " من كانت عِنْدَهُ مَظْلِمَةٌ لِأَخِيهِ فَلْيَتَحَلَّلْهُ منها فإنه ليس ثَمَّ دِينَارٌ ولا دِرْهَمٌ، من قَبْلِ أَنْ يُؤْخَذَ لِأَخِيهِ من حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ لم يَكُنْ له حَسَنَاتٌ أُخِذَ من سيئآت أَخِيهِ فَطُرِحَتْ عليه "[6] ، وفي مسلم: " فَيُعْطَى هذا من حَسَنَاتِهِ وَهَذَا من حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قبل أَنْ يُقْضَى ما عليه أُخِذَ من خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ

---

(١) الكشاف: ٤٨٠/١.

(٢) وذكر ابن عطية وأبو حيان وغيرهما قولاً نحوه فقالوا: المعنى (بإثمي) الذي يختص لي فيما فرط لي، أن يؤخذ من سيئاتي فيطرح عليك بسبب ظلمك لي، (بإثمك) في قتلي. ينظر: المحرر الوجيز: ١٧٩/٢، البحر المحيط: ٤٧٨/٣، فالأخذ إنما هو من سيئاته ولا يحمل القاتل كل ذنوب المقتول، ولعله مراد ابن عاشور فقد استدل بالحديث الآتي.

(٣) أخرجه الطبري في التفسير: ٢٣٢/٦، وعزاه السيوطي في الدر: ٢٦٤/٥ لعبد بن حميد وابن المنذر، وعلق عليه الطبري بقوله: " وأخشى أن يكون غلطاً؛ لأن الصحيح من الرواية عنه ما قد ذكرنا قبل" يعني الرواية التي ستأتي عن مجاهد في القول الثالث.

(٤) التحرير والتنوير: ٨٤/٥.

(٥) ينظر: التحرير والتنوير: ٨٤/٥، المحرر الوجيز: ١٧٩/٢، الجامع لأحكام القرآن: ٩٠/٦.

(٦) أخرجه البخاري: ٢٣٩٤/٥ (رقم ٦١٦٩).

عليه، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ"[1].

وتعقّبه ابن جرير الطبري بأن الله قد أخبرنا أن كل عامل فجزاء عمله له أو عليه، وإذا كان ذلك حكمه في خلقه فغير جائز أن يكون آثام المقتول مأخوذاً بها القاتل، وإنما يؤخذ القاتل بإثمه بالقتل المحرم وسائر آثام معاصيه التي ارتكبها بنفسه دون ما ركبه قتيله[2] .

وتعقبه كذلك ابن كثير بأن ذنوب المقتول لا تحمل على القاتل "ولكن قد يتفق هذا في بعض الأشخاص، وهو الغالب فإن المقتول يطالب القاتل في العرصات فيؤخذ له من حسناته بقدر مظلمته، فإن نفدت ولم يستوف حقه أخذ من سيئات المقتول فطرحت على القاتل، فربما لا يبقى على المقتول خطيئة إلا وضعت على القاتل، وقد صح الحديث بذلك عن رسول الله > في المظالم كلها، والقتل من أعظمها وأشدها"[3] .

القول الثالث:

﴿ بِإِثْمِى ﴾ أي: إثم قتلي، فترك ذكر القتل للعلم به، ﴿ وَإِثْمِكَ ﴾ إثم المعاصي التي عليك قبل القتل.

وهو قول ابن مسعود، وابن عباس، ومجاهد، وقتادة[4] .

وبه قال أيضاً مقاتل بن سليمان، والطبري، والسمرقندي، والثعلبي، والواحدي، والبغوي، والخازن، والسيوطي، وهو ظاهر كلام أبي جعفر النحاس[5] .

قال الثعلبي وأبو حيان: وهو قول عامة المفسرين[6].

---

(١) أخرجه مسلم: ١٩٩٧/٤ (رقم ٢٥٨١).

(٢) تفسير الطبري: ٢٣٢/٦.

(٣) تفسير القرآن العظيم: ٨٨/٣.

(٤) ينظر: تفسير عبد الرزاق: ١٨٧/١، تفسير الطبري: ٢٣٢/٦.

(٥) ينظر على التوالي: تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٩٥/١، تفسير الطبري: ٢٣٢/٦، بحر العلوم: ٤٠٨/١، تفسير الثعلبي: ٥٠/٤، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٣١٦/١، معالم التنزيل: ٦٦٣/١، لباب التأويل: ٣٩/٢، تفسير الجلالين: ١١٢، معاني القرآن للنحاس: ٢٨١/١.

(٦) ونسبه لأكثر المفسرين الطبري والبغوي، والقرطبي، والشوكاني. ينظر كتبهم في المواضع السابقة، وفتح القدير: ٤٠/٢.

الترجيح:

الراجح – والله أعلم – هو القول الثالث قول عامة المفسرين؛ لأنه هو المعنى المتبادر إلى الذهن، ولأن القولين الأولين لا يسلمان من مناقشة.

فالقول الأول يناقش بأن الحديث يفيد أن الباديء بالسب يتحمل إثم المُسابّة والمشاتمة إذا ردّ عليه المشتوم، ولذا قال " ما قالا" "ما لم يعتد المظلوم" وليس في الحديث إثبات الإثمين عليه حتى لو سكت المشتوم، فيحتاج إلى دليل يثبت ذلك، وهنا هابيل صرح بأنه لن يسع إلى قتله إذا أقدم عليه فكان كالمسبوب الساكت.

والقول الثاني يُتعقب بثلاثة أمور:

الأول: أنه يُبدأ بأخذ الحسنات حتى تنفد قبل أن يُطرح عليه من سيئاته، وقد تكون حسناته مكافئة لقتله فلا يلزم أن يُطرح عليه من سيئات المقتول شيء.

الثاني: إذا أُخذ من سيّئات المظلوم فطرحت عليه؛ فإنما يؤخذ منها ما يكافئ قتله لا سيئاته كلها.

الثالث: إذا انتصف المقتول من قاتله يوم القيامة بأخذ ما يكافئ ذلك فكيف يصح تفسير ﴿ وَإِثْمِكَ ﴾ بأنه إثم القتل، وقد حمل القاتل من سيئات المقتول ما يكافئ هذا الإثم، فهل يحمل الإثم مرتين؟.

قال الله تعالى: ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ .

فيها ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: متعلَّق ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ ﴾.

ذكر ابن جُزَيّ / قولين في المسألة، ورجَّح الأول ، وضعّف الثاني فقال :

" يتعلق بـــ ﴿ كَتَبْنَا ﴾ .

وقيل: بـــ ﴿ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴾ وهو ضعيف"(١) .

الدراسة:

اختلف العلماء في المسألة على قولين:

القول الأول:

أنه يتعلق بـــ ﴿ كَتَبْنَا ﴾ أي: بسبب هذه النازلة ومن جرّاها كتبنا.

وهو قول جمهور العلماء(٢) ، وممن قال به الضحاك(٣)، والطبري، والزجاج، والزمخشري، والرازي، والعكبري، والعز بن عبد السلام، والسمين الحلبي، وابن كثير، وابن عادل، وأبو السعود، وابن عاشور(٤) .

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ٢٢٨/١.

(٢) ينظر: المحرر الوجيز: ١٨١/٢، الجامع لأحكام القرآن: ٩٦/٦، البحر المحيط: ٤٨٢/٣.

(٣) ينظر: تفسير الطبري: ٢٤٠/٦.

(٤) ينظر: تفسير الطبري: ٢٤٠/٦، معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ١٣٦/٢، الكشاف: ٤٨٢/١، تفسير الرازي: ٢٣٩٩/٤، التبيان في إعراب القرآن: ٤٣٣/١، تفسير العز بن عبد السلام: ٣٨١/١، الدر المصون: ٢٤٧/٤، تفسير القرآن العظيم: ٩٢/٣، اللباب في علوم الكتاب: ٢٩٨/٧، إرشاد العقل السليم: ٢٦٢/٢، التحرير والتنوير: ٨٧/٥.

القول الثاني:

أنه يتعلق بـــ ﴿ٱلنَّٰدِمِينَ﴾ من الآية التي قبله ﴿قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ٣١﴾ أي: ندم من أجل ما وقع.

ذكره قولاً في الآية ابن عطية، وابن الجوزي، والقرطبي، وأبو حيان، والسمين الحلبي وغيرهم، ولم ينسبوه لأحد بعينه[1] .

فيكون الوقف على هذا القول على ﴿ مِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَ ﴾ وعلى القول الأول على ﴿ٱلنَّٰدِمِينَ﴾ [2].

قال النحاس: "وهذا قول خارج عن قول أهل التأويل"[3].

وقال ابن عاشور: "ليس قوله ﴿ مِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَ ﴾ معلّقاً بـــ ﴿ٱلنَّٰدِمِينَ﴾ تعليلاً له، للاستغناء عنه بمفاد الفاء في قوله ﴿فَأَصۡبَحَ﴾ "[4] .

الترجيح:

الراجح هو القول الأول لما ذكر ابن عاشور، فعلى القول الثاني يكون قوله ﴿ مِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَ ﴾ تأكيداً للتعليل بالفاء في ﴿ فَأَصۡبَحَ ﴾ أما على القول الأول فيفيد معنى جديداً، وحمل الآية على التأسيس أولى من حملها على التأكيد، والله تعالى أعلم.

---

(١) ينظر: المحرر الوجيز: ١٨١/٢، زاد المسير: ٢٠٢/٢، الجامع لأحكام القرآن: ٩٦/٦، البحر المحيط: ٤٨٢/٣، الدر المصون: ٢٤٧/٤ .

(٢) ينظر: القطع والائتناف للنحاس: ١٧٥، المحرر الوجيز: ١٨١/٢، زاد المسير: ٢٠٢/٢، المقصد لتلخيص ما في المرشد في الوقف والابتداء لزكريا الأنصاري: ٢٤٧.

(٣) القطع والائتناف: ١٧٥.

(٤) التحرير والتنوير: ٨٧/٥.

المسألة الثانية: وجه الشبه بقوله ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ .

ذكر ابن جُزَيّ / ثلاثة أقوال في المسألة، ورجَّح الثالث منها فقال :

" تمثيل قاتل الواحد بقاتل الجميع يُتصوّر من ثلاث جهات:

إحداها: القصاص؛ فإن القصاص في قاتل الواحد والجميع سواء .

الثانية : انتهاك الحرمة والإقدام على العصيان .

والثالثة: الإثم والعذاب الأخروي، قال مجاهد: وعد الله قاتل النفس بجهنم والخلود فيها والغضب واللعنة والعذاب العظيم، فلو قتل جميع الناس لم يزد على ذلك. وهذا الوجه هو الأظهر؛ لأن القصد بالآية تعظيم قتل النفس والتشديد فيه ليتزجر الناس عنه، وكذلك الثواب في إحيائها كثواب إحياء الجميع، لتعظيم الأمر والترغيب فيه"[(١)] .

الدراسة:

اختلف المفسرون في المسألة على أقوال كثيرة:

القول الأول:

أي في القصاص، يجب عليه من القصاص مثل ما لو قتل الناس جميعاً.

وهذا قول زيد بن أسلم، وابنه[(٢)].

وبه قال الواحدي مع القول الثالث[(٣)] .

القول الثاني:

أي في انتهاك الحرمة والإقدام على العصيان.

وهو ظاهر كلام ابن عباس في إحدى الروايات عنه[(٤)].

وبه قال النيسابوري، والألوسي، والسعدي، وهو ظاهر كلام الزمخشري، وذكره

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ٢٢٩/١.

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ٢٤٤/٦.

(٣) ينظر: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٣١٧/١.

(٤) ينظر: تفسير الطبري: ٢٤٢/٦، وينظر: المحرر الوجيز: ١٨٢/٢، الدر المنثور: ٢٧٨/٥.

الرازي وجهاً في الآية واستحسنه[١].

فإن من قتل نفساً بغير استحقاق، بل لمجرد الفساد فى الأرض، وتقديماً لداعي الشهوة والغضب على داعي الطاعة والحق، فإنه يجترئ على قتل كل من ظفر به وأمكنه قتله، فهو معاد للنوع الإنساني[٢].

قال السعدي: "لأنه ليس معه داع يدعوه إلى التبيّن وأنه لا يقدم على القتل إلا بحق، فلما تجرأ على قتل النفس التي لم تستحق القتل، عُلم أنه لا فرق عنده بين هذا المقتول وبين غيره، وإنما ذلك بحسب ما تدعوه إليه نفسه الأمارة بالسوء، فتجرؤه على قتله كأنه قتل الناس جميعاً"[٣].

القول الثالث:

أي في الإثم والعذاب الأخروي.

وهو قول مجاهد، والحسن[٤].

قال مجاهد: " الذي يقتل النفس المؤمنة متعمداً جعل الله جزاءه جهنم وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً، يقول: لو قتل الناس جميعاً لم يزد على مثل ذلك من العذاب"[٥]، وقال أيضاً: " في الإثم"[٦].

وبه قال أيضاً مقاتل بن سليمان، والطبري[٧].

قال ابن جزي: "وهذا الوجه هو الأظهر؛ لأن القصد بالآية تعظيم قتل النفس والتشديد فيه ليترجر الناس عنه".

---

(١) ينظر على التوالي: غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ٥٨٢/٢، روح المعاني: ١١٨/٦ وزاد: وفي استجلاب غضب الله، تفسير السعدي: ٤١٥/١، الكشاف: ٤٨٢/١، تفسير الرازي: ٢٤٠٠/٤.

(٢) ينظر: تفسير الرازي: ٢٤٠٠/٤، الجواب الكافي: ١٠٣.

(٣) تفسير السعدي: ٤١٥/١.

(٤) ينظر: تفسير الطبري: ٢٤٣/٦.

(٥) تفسير الطبري: ٢٤٣/٦، وعزاه السيوطي في الدر: ٢٧٨/٥ لعبد بن حميد وابن المنذر أيضا.

(٦) تفسير الطبري: ٢٤٣/٦.

(٧) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٩٦/١، تفسير الطبري: ٢٤٦/٦.

القول الرابع:

على الناس كلهم معونة ولي المقتول حتى يُقيدوه منه، فيكون كلهم خصومه في ذلك حتى يقاد منه، فقد وَتَرَهم كأنه قتل أولياءهم جميعا[١].

وهو قول الزجاج[٢]، وبه قال ابن عاشور مع القول الثاني[٣] .

القول الخامس:

قال ابن عباس: "من قتل نبياً أو إمامَ عدلٍ فكأنما قتل الناس جميعاً"[٤] .

علق عليه ابن عطية بأنه قول لا تعطيه دلالة الألفاظ[٥] .

القول السادس:

أي فكأنما قتل الناس جميعاً عند المقتول.

وهو قول ابن مسعود، وابن عباس، وأبي مالك[٦] .

القول السابع:

من استحل قتل واحد فقد استحل الجميع.

ذكره القرطبي، والخازن[٧] .

واختاره ابن كثير[٨] .

وقال ابن عطية بعد عرضه للأقوال: " والذي أقول إن الشبه بين قاتل النفس وقاتل الكل لا يطرد من جميع الجهات لكن الشبه قد تحصل من ثلاث جهات" وذكر الأقوال

---

(١) ذكر هذا القول الجصاص في أحكام القرآن: ٥٠٧/٢، والسمعاني: ٣٣/٢، وابن الجوزي: ٢٠٢/٢، والقرطبي: ٩٦/٦.

(٢) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ١٣٦/٢.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير: ٨٩/٥.

(٤) تفسير الطبري: ٢٤١/٦.

(٥) ينظر: المحرر الوجيز: ١٨٢/٢.

(٦) ينظر: تفسير الطبري: ٢٤٢/٦، وينظر: النكت والعيون: ٣٢/٢، الجامع لأحكام القرآن: ٩٦/٦.

(٧) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٩٦/٦، لباب التأويل: ٤٣/٢.

(٨) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٩٢/٣، ونسبه لسعيد بن جبير.

الثلاثة الأولى[1].

وقال ابن القيم: " لا يلزم من التشبيه أن يكون المشبه بمنزلة المشبه به من كل الوجوه، فإذا كان قاتل الأنفس كلها يصلى النار وقاتل النفس الواحدة يصلاها صح تشبيهه به، كما يأثم من شرب قطرة واحدة من الخمر ومن شرب عدة قناطير وإن اختلف مقدار الإثم... وعلى هذا فالتشبيه في أصل العذاب لا في وصفه، وإن شئت قلت التشبيه في أصل العقوبة الدنيوية وقدرها؛ فإنه لا يختلف بقلة القتل وكثرته... ولك أن تجعل التشبيه في الأذى والغم الواصل إلى المؤمنين بقتل الواحد منهم، فقد جعلهم كلهم خصماءه، وأوصل إليهم من الأذى والغم ما يشبه القتل"[2].

الترجيح:

لا يلزم أن يكون المُشبّه بمنزلة المشبّه به من كل الوجوه، ولا في مقداره في الوجه الذي شُبه به[3]، كما يراعى في وجه الشبه بين الشيئين مراد المتكلم، فإذا قيل: فلان كالقمر، فلا يلزم أن يكون شبيهاً له في كل شيء، ومراد المتكلم عادة بمثل ذلك الشبه في الجمال لا في الارتفاع، كما أن صفة الجمال ومقداره مختلف، لكن بينهما قدر مشترك.

وهذه الآية كنصوص الوعيد لا بد من تقييدها بالنصوص الأخرى.

وإذا تأملت الآية فإن المراد منها هو ما قال ابن جُزَيّ تعظيم قتل النفس والتشديد فيه ليترجر الناس عنه، فإذا كان هذا – والله أعلم – مراده تعالى، فإن أظهر الأقوال هو القول الثاني، والثالث، والرابع، غير أن الثالث مقيّد بأن الشبه بينهما في أصل العذاب لا في وصفه وقدره، فلو قتل عشرة فإن الله سيزيد عليه العذاب بقدرته تعالى بحسب جرمه وإن اشتركا في أصل العقاب بأن كلاهما استحق النار، فعذاب أهلها متفاوت تفاوت سيئاتهم.

وإنما يقيّد القول الثالث بذلك لوجوه:

---

(١) المحرر الوجيز: ١٨٢/٢.

(٢) شفاء العليل: ١٩٥، وفي الجواب الكافي: ١٠٣ أدخل في التشبيه الوجه المذكور في القول الثاني.

(٣) ينظر: زاد المسير: ٢٠٢/٢، تفسير الرازي: ٢٤٠٠/٤، شفاء العليل: ١٩٥.

الأول: لأنه لو كان من قتل واحداً في العذاب كمن قتل الناس جميعاً على إطلاقه لعاد على المراد من الزجر عن القتل بالنقض؛ لأن من قتل واحداً وعلم أن عذابه كعذاب من قتل الناس جميعاً هان عليه قتل نفوس أخرى فلن يزيد عليه من العذاب شيء.

الثاني: قول الله تعالى﴿ **مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ** ﴾ [الأنعام: ١٦٠] فالحسنة تُحسب بفضل الله وكرمه عشراً، والسيئة تحسب واحدة.

الثالث: الكفار اشتركوا في الجرم وهو الكفر، واشتركوا في العقاب وهو النار، ومع ذلك فعذابهم متفاوت بحسب أعمالهم كما هو معلوم، فليس الاشتراك في أصل الشيء اشتراكاً في صفاته من كل الوجوه.

أما بقية الأقوال فهي بعيدة عن المراد من الآية، ما عدا القول الأول فهو محتمل، والله تعالى أعلم.

المسألة الثالثة: المراد بقوله تعالى ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾ .

ذكر ابن جُزَيّ / ثلاثة أقوال في المسألة، ورجَّح الأول منها فقال :

" إحياؤها: هو إنقاذها من الموت، كإنقاذ الحريق أو الغريق وشبه ذلك .

وقيل: بترك قتلها .

وقيل: بالعفو إذا وجب القصاص"[1] .

الدراسة:

اختلف المفسرون في المسألة على أقوال:

القول الأول:

إحياؤها: هو إنقاذها من الموت، كإنقاذ الحريق أو الغريق وشبه ذلك .

وهذا قول ابن مسعود، وابن عباس، وأبي مالك، ومجاهد[2] ، والزجاج، والراغب الأصفهاني، والزمخشري، وابن الجوزي، والرازي، والنسفي[3] .

القول الثاني:

إحياؤها: ترك قتلها خوفاً من الله تعالى.

وبه قال ابن عباس، ومجاهد[4] ، والنحاس، والواحدي، والسمعاني، والسيوطي، والسعدي[5] .

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ٢٢٩/١.

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ٢٤٢/٦، وعزا السيوطي في الدر المنثور: ٢٧٩/٥ قول مجاهد لعبد بن حميد وابن المنذر أيضاً.

(٣) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ١٣٧/٢، المفردات في غريب القرآن: ١٤٥، الكشاف: ٤٨٢/١، تذكرة الأريب: ١٤٠/١، تفسير الرازي: ٢٤٠١/٤، تفسير النسفي: ٢٨٠/١.

(٤) ينظر: تفسير الطبري: ٢٤٢/٦.

(٥) ينظر: معاني القرآن للنحاس: ٢٨٣/١، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٣١٧/١، تفسير السمعاني: ٣٣/٢، تفسير الجلالين: ١١٣، تفسير السعدي: ٤١٥/١.

القول الثالث:

إحياؤها بالعفو إذا وجب القصاص.

وهو قول زيد بن أسلم، وابنه، والحسن[١] ، والفراء، وابن قتيبة، والثعالبي[٢] .

وقال أبو السعود والألوسي: أي تسبب لبقاء نفس واحدة – موصوفة بعدم ما ذكر من القتل والفساد– إما بنهى قاتلها عن قتلها، أو استنقاذها من سائر أسباب الهلكة بوجه من الوجوه[٣].

وجمع بعض المفسرين في المعنى بين أكثر من قول فقال ابن عطية، والقرطبي، وأبو حيان: ترك قتلها، وإنقاذها من الهلكة[٤] .

وقال السمرقندي: إنقاذها من الهلكة، والعفو إذا وجب القصاص[٥] .

الترجيح:

الأقوال كلها صحيحة، والآية تشملها؛ إلا أن القول الثالث يُقيّد بأن يكون العفو يؤدي للإصلاح، إصلاح القاتل والمجتمع عملاً بقول الله تعالى ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ [الشورى: ٤٠] فذكر الإصلاح مع العفو، فإن كان العفو يؤدي لفساد القاتل وتجرؤه على القتل مرة أخرى، أو فساد المجتمع بأن يُستسهل القتل ويُتجرأ عليه فلا يدخل العفو في الآية؛ بل هو مذموم ومعارض للحكمة من مشروعية القصاص ﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٩] ودفع المفسدة مقدم على جلب المصلحة، والله تعالى أعلم.

---

(١) ينظر: تفسير الطبري: ٢٤٤/٦، وعزا السيوطي في الدر المنثور: ٢٧٩/٥ قول الحسن لعبد بن حميد وابن المنذر أيضاً.

(٢) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٢٠٩/١، القرطين: ١٤٠/١، تفسير الثعالبي: ٣٧٢/٢.

(٣) إرشاد العقل السليم: ٢٦٣/٢، روح المعاني: ١١٨/٦، ويلحظ في عبارتهم التحفظ على القول الثالث.

(٤) ينظر: المحرر الوجيز: ١٨٣/٢، الجامع لأحكام القرآن: ٩٧/٦، البحر المحيط: ٤٨٣/٣.

(٥) ينظر: بحر العلوم: ٤٠٩/١.

مسألة: المراد بقوله ﴿ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ ﴾ في الآية.

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ ﴾.

ذكر ابن جُزَيّ / قولين في المسألة، فضعّف الأول، ورجَّح الثاني فقال:

" قوله ﴿ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ ﴾ تغليظ ومبالغة، وقال بعضهم تقديره: يحاربون رسول الله ﷺ، وذلك ضعيف؛ لأن الرسول عليه الصلاة والسلام ذُكر بعد ذلك .

وقيل: يحاربون عباد الله، وهو أحسن"(١) .

الدراسة:

اختلف العلماء في المراد بالآية على أقوال، فالله تعالى يستحيل أن يُحارب ويُغالب:

القول الأول:

أي: يحاربون رسول الله ﷺ.

وإليه ذهب الزمخشري بقوله: " يحاربون رسول الله ﷺ ومحاربة المسلمين في حكم محاربته"(٢).

قال السمين الحلبي موضحاً قول الزمخشري: "يعني أن المقصود أن يُخبر بأنهم يحاربون رسول الله، وإنما ذكر اسم الله تبارك وتعالى تعظيماً وتفخيماً لمن يُحارب، كقوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ ﴾ "(٣)[الفتح: ١٠] .

وضعف ابن جُزَيّ هذا القول لأن الرسول عليه الصلاة والسلام ذُكر بعد ذلك.

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ٢٢٩/١.

(٢) الكشاف: ٤٨٣/١.

(٣) الدر المصون: ٢٥٠/٤.

القول الثاني:

أي: يحاربون عباد الله.

وهو قول الجمهور[1] ، وممن ذهب إليه ابن الفرس، والعكبري، والقرطبي، والبيضاوي، والنسفي، وأبو حيان[2]، وهو ظاهر كلام الألوسي وابن عاشور، وذكره الجصاص وجهاً محتملاً [3] .

وعبّر أكثرهم بلفظ: أولياء الله، ليتّسق المعنى مع الرسول: أي يحاربون أولياء الله وأولياء رسولِه.

قال ابن العربي والقرطبي: عبّر بنفسه العزيزة عن أوليائه إكباراً لإذايتهم، كما عبّر بنفسه عن الفقراء الضعفاء في قوله: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا﴾ [البقرة: ٢٤٥] حثاً على العطف عليهم، ومثله في صحيح السنة أن النبي > قال: "إِنَّ اللَّهَ عز وجل يقول يوم الْقِيَامَةِ يا بن آدَمَ مَرِضْتُ فلم تَعُدْنِي، قال يا رَبِّ كَيْفَ أَعُودُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ قال أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلَانًا مَرِضَ فلم تَعُدْهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لو عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ، يا بن آدَمَ اسْتَطْعَمْتُكَ فلم تُطْعِمْنِي، قال يا رَبِّ وَكَيْفَ أُطْعِمُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ قال أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فُلَانٌ فلم تُطْعِمْهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لو أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذلك عِنْدِي"[4].

القول الثالث:

أي يخالفون أمر الله ويعصونه.

وهو قول السمرقندي، والواحدي، والشوكاني، وظاهر كلام ابن عطية، وذكره

---

(١) ينظر: الدر المصون: ٤/٢٥٠.

(٢) ينظر: أحكام القرآن لابن الفرس: ٢/٣٩٦، إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات: ٢/٢١٤، الجامع لأحكام القرآن: ٦/٩٩، أنوار التنزيل: ٢/٣٢٠، تفسير النسفي: ١/٢٨١، البحر المحيط: ٣/٤٨٤.

(٣) ينظر: روح المعاني: ٦/١٨٨، التحرير والتنوير: ٥/٩٢، أحكام القرآن للجصاص: ٢/٥٠٨.

(٤) أحكام القرآن لابن العربي: ٢/٨٣، الجامع لأحكام القرآن: ٦/٩٩، والحديث أخرجه مسلم: ٤/١٩٩٠ (رقم ٢٥٦٩)، ومرادهما بأوليائه -والله أعلم- المؤمنون عموماً فالله ولي المؤمنين.

الجصاص وجها محتملاً[1] .

وبه قال من أهل اللغة الخليل، وابن سيده، وابن منظور[2].

جعل ارتكاب نهيه محاربه، أو سمّاهم بالمحاربين له تشبيهاً بالمحاربين حقيقة؛ لأن المخالف محارب، وإن لم يحارب[3] .

الترجيح:

القول الأول ضعيف لما قال ابن جُزَيّ بأن الرسول عليه الصلاة والسلام ذُكر بعد ذلك، ولأن الذي يُحارِب رسول الله كافر، وقاطع الطريق من المسلمين ليس بكافر، ولا خلاف بين أهل العلم أن حكم هذه الآية ثابت في المحاربين من أهل الإسلام وإن كانت نزلت في المرتدين أو اليهود[4].

أما القول الثاني والثالث فمحتملان، يقوي الثاني حمله للفظ الحرب على أصل معناه[5]، ويقوي الثالث استغناءه عن التقدير، ولم يتبين لي أيهما أرجح، والله تعالى أعلم.

---

(١) ينظر: بحر العلوم: ٤١٠/١، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٣١٧/١، فتح القدير: ٤٥/٢، المحرر الوجيز: ١٨٥/٢، أحكام القرآن للجصاص: ٥٠٨/٢.

(٢) ينظر: العين، المحكم والمحيط الأعظم، لسان العرب: (حرب).

(٣) ينظر: ١٨٥/٢، زاد المسير: ٢٠٤/٢.

(٤) نقل عدم الخلاف في ذلك الجصاص وابن عطية والقرطبي. ينظر: أحكام القرآن للجصاص: ٥٠٨/٢، المحرر الوجيز: ١٨٥/٢، الجامع لأحكام القرآن: ٩٩/٦.

(٥) قال الخليل: الحرب نقيض السلم، وقال ابن فارس: الحاء والراء والباء أصول ثلاثة: أحدها السلب، والآخر دويبة، والثالث بعض المجالس. ينظر: العين، مقاييس اللغة: (حرب).

مسألة: المستثنى بقوله ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡ ﴾.

قال الله تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣٤﴾ ﴾.

ذكر ابن جُزَيّ / قولين في المسألة، فضعّف الأول، ورجَّح الثاني فقال :

" **قيل:** هي في المشركين، وهو ضعيف؛ لأن المشرك لا يختلف حكم توبته قبل القدرة عليه وبعدها .

وقيل: هي في المحاربين من المسلمين، وهو الصحيح، وهم الذين جاءتهم العقوبات المذكورة، فمن تاب منهم قبل أن يُقدر عليه فقد سقط عنه حكم الحرابة لقوله ﴿ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾"[1] .

الدراسة:

القول الأول:

هي في المشركين.

وهذا قول مجاهد، وعكرمة، والحسن، وقتادة، وعطاء الخرساني[2] .

أخرج عبد الرزاق عن قتادة وعطاء في قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ ﴾ أنهم قالوا: "هذا اللص الذي يقطع الطريق فهو محارب، قالوا فإن قتل وأخذ مالاً صلب، وإن قتل ولم يأخذ مالاً قتل، وإن أخذ مالاً ولم يقتل قطعت يده ورجله، وإن أُخذ قبل أن يفعل شيئاً من ذلك نُفي، وأما قوله تعالى ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡ ﴾ فهذه لأهل الشرك خاصة، فمن أصاب من المشركين شيئاً من المسلمين وهو لهم حرب فأخذ مالاً وأصاب دماً ثم تاب من

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ١/٢٣٠.

(٢) ينظر: تفسير عبد الرزاق: ١/١٨٨، تفسير الطبري: ٦/٢٦٤.

قبل أن يقدر عليه أُهدر عنه ما مضى"[1] ، فكأنهم حملوا الآية الأولى على عموم قُطّاع الطرق، وخصّوا الاستثناء في الآية الثانية بالمشركين.

ونُسب هذا القول لأكثر المفسرين[2].

قال الخازن: "معظم أهل التفسير أن المراد بهذا الاستثناء المشرك المحارب إذا آمن وأصلح قبل القدرة عليه، سقط عنه جميع الحدود التي ذكرها الله تعالى في هذه الآية وأنه لا يطالب بشيء مما أصاب من مال أو دم... وكذلك لو آمن بعد القدرة عليه لم يطالب بشيء بالإجماع"[3] .

وضعّف هذا القول ابن عطية، وابن العربي، والقرطبي، وابن جزي[4] .

وعُلّل لتضعيفه بأن المشرك لا يختلف حكم توبته قبل القدرة عليه وبعدها[5] .

قال القرطبي: " لأنه إن آمن بعد القدرة عليه لم يقتل أيضاً بالإجماع"[6] .

القول الثاني:

هي في المحاربين من المسلمين.

وهو قول علي بن أبي طالب، وأبي موسى الأشعري، وأبي هريرة، والسدي، ومالك ابن أنس، والليث بن سعد[7] .

وبه قال أيضاً الشافعي، والجصاص، وابن عطية، والقرطبي، والبيضاوي،

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في التفسير: ١٨٨/١، وفي المصنف: ١٠٨/١٠.

(٢) ينظر: تفسير الثعلبي: ٥٧/٤، زاد المسير: ٢٠٦/٢.

(٣) لباب التأويل: ٤٦/٢.

(٤) ينظر: المحرر الوجيز: ١٨٦/٢، أحكام القرآن لابن العربي: ٩١/٢، الجامع لأحكام القرآن: ١٠٣/٦.

(٥) ينظر: تفسير الطبري: ٢٧١/٦، التسهيل لعلوم التنزيل: ٢٣٠/١.

(٦) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٠٣/٦، وممن حكى الإجماع كذلك الخازن كما مر، والطبري في التفسير: ٢٧١/٦، والشنقيطي في أضواء البيان: ٤٠١/١.

(٧) ينظر: تفسير الطبري: ٢٦٦/٦.

والشنقيطي[1].

ونقل بعض العلماء عن جمهور المفسرين[2] ، وجمهور الفقهاء أن آية الحرابة في المحاربين من المسلمين الذين يقطعون الطريق ويفسدون في الأرض[3].

واستدلوا لهذا القول بأن الله قال في المشركين ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ ﴾ [الأنفال: ٣٨] وقال في المحاربين ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡ ﴾ فشرط في زوال الحد عن المحاربين وجود التوبة منهم قبل القدرة عليهم، وأسقط عقوبة الكفر بالتوبة قبل القدرة وبعدها فلم يشرط شيئاً، فعُلم أن هذه الآية في المسلمين[4] .

قال الشنقيطي: " فإن قيل: وهل يصح أن يطلق على المسلم أنه محارب لله ورسوله؟ فالجواب: نعم، والدليل قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ [البقرة: ٢٧٨ – ٢٧٩] "[5] .

وذهب الطبري، وابن الفرس إلى أنها في المحاربين من المسلمين وأهل الذمة[6] .

وهو قريب من هذا القول فالمعنى المسلمون ومن تحت حكمهم.

الترجيح:

تخصيص الآية بالمشركين ضعيف لما ذكر ابن جُزَيّ وغيره.

---

(١) ينظر: أحكام القرآن للشافعي: ٣١٤/١، أحكام القرآن للجصاص: ٥٠٩/٢، ٥١٦، المحرر الوجيز: ١٨٦/٢، الجامع لأحكام القرآن: ١٠٣/٦، أنوار التنزيل: ٣٢١/٢، أضواء البيان: ٤٠١/١.
وشمول الاستثناء في الآية للمحاربين المسلمين هو ظاهر صنيع كثير من المفسرين كالسمرقندي: ٤١١/١، والزمخشري: ٤٨٣/١، والرازي: ٢٤٠٥/٤، ونظام الدين النيسابوري: ٥٨٣/٢، وأبي حيان: ٤٨٥/٣، وأبي السعود: ٢٦٥/٢، والألوسي: ١٢٠/٦، وابن عاشور: ٩٥/٥.

(٢) ينظر: روح المعاني: ١٢٠/٦.

(٣) ينظر: تفسير الرازي: ٢٤٠٥/٤، فتح الباري: ١١٠/١٢.

(٤) ينظر: أحكام القرآن للجصاص: ٥٠٩/٢، شرح صحيح البخاري لابن بطال: ٤١٨/٨.

(٥) أضواء البيان: ٤٠١/١.

(٦) ينظر: تفسير الطبري: ٢٧١/٦، أحكام القرآن لابن الفرس: ٤٠١/٢.

ودخول المحاربين من المسلمين الذين يقطعون الطريق ويفسدون في الأرض في الاستثناء في الآية ظاهر؛ وقد حكى عدد من المفسرين كالجصاص وابن عطية والقرطبي أنه لا خلاف بين أهل العلم أن حكم الآية الأولى ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ ﴾الآية، ثابت في المحاربين من أهل الإسلام وإن كانت نزلت في المرتدين أو اليهود[1]، فإذا دخلوا في حكم الآية الأولى فيدخلون في الاستثناء من هذا الحكم في آية المسألة، فإنها متصلة بها ولا دليل على التخصيص.

وعليه فمن تاب من المحاربين المسلمين قبل القدرة عليه فقد سقط عنه حكم الحرابة[2]. والله تعالى أعلم.

(١) ينظر: أحكام القرآن للجصاص: ٥٠٨/٢، المحرر الوجيز: ١٨٥/٢، الجامع لأحكام القرآن: ٩٩/٦.

(٢) وهل تسقط عنه حقوق الآدميين؟ فيه خلاف أشار إليه ابن جُزَيّ ولم يُرجح فقال: " واختُلف هل يُطالب بما عليه من حقوق الناس في الدماء والأموال أو لا؟ فوجه المطالبة بها أنها زائدة على حد الحرابة التي سقطت عنه بالتوبة، ووجه إسقاطها إطلاق قوله ﴿ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ ". التسهيل لعلوم التنزيل: ٢٣٠/١.

مسألة: هل قوله تعالى ﴿فَإِن جَآءُوكَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُمۡ أَوۡ أَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ﴾ محكم أو منسوخ؟.

قال الله تعالى في اليهود: ﴿سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحۡتِۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُمۡ أَوۡ أَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡۖ وَإِن تُعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيۡـٔٗاۖ وَإِنۡ حَكَمۡتَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٤٢﴾.

رجّح ابن جُزَيّ / أنه محكم فقال :

" هذا تخيير للنبي ﷺ في أن يحكم بين اليهود أو يتركهم، وهو أيضاً يتناول الحاكم.

وقيل: إنه منسوخ بقوله ﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ "[1] [المائدة: ٤٩].

الدراسة:

اختلف العلماء في المسألة:

القول الأول:

هو محكم غير منسوخ.

وهذا قول إبراهيم النخعي، والشعبي، وعطاء، وابن جريج[2] .

وبه قال مالك[3] ، والشافعي في أحد قوليه[4] ، والطبري، وابن عطية، وابن الجوزي، وابن الفرس، وابن تيمية، وأبو حيان، والثعالبي، والسعدي، وابن عاشور[5] .

وحكاه قولاً لأكثر العلماء الثعلبي والبغوي وابن عاشور[6] .

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ٢٣٢/١.

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ٢٩٢/٦، تفسير ابن أبي حاتم: ١١٣٥/٤.

(٣) ينظر: أحكام القرآن لابن الفرس الأندلسي: ٤٢٥/٢، الجامع لأحكام القرآن: ١٢٠/٦.

(٤) ينظر: أحكام القرآن للشافعي: ٧٣/٢، أحكام القرآن للكيا الهراسي: ٧٥/٣.

(٥) ينظر: تفسير الطبري: ٢٩٥/٦، المحرر الوجيز: ١٩٤/٢، نواسخ القرآن: ١٤٨ وزاد المسير: ٢١٣/٢، أحكام القرآن لابن الفَرَس: ٤٢٥/٢، ٤٢٧، مجموع الفتاوى: ٤٥٤/١٤، البحر المحيط: ٥٠١/٣، تفسير الثعالبي: ٣٨٤/٢، تفسير السعدي: ٤٢٠/١، التحرير والتنوير: ١٠٩/٥.

(٦) ينظر: تفسير الثعلبي: ٦٨/٤، معالم التنزيل: ٦٧٨/١، التحرير والتنوير: ١١٠/٥.

فالحاكم مخيّر إذا تحاكموا إليه بين أن يحكم بينهم أو يعرض عن الحكم بينهم؛ لأنهم لا يقصدون بالتحاكم اتباع الحق؛ إلا أن يكون موافقاً لأهوائهم[1] .

ولا تنافي بين الآيتين؛ لأن إحداهما خيّرت بين الحكم وتركه، والثانية بينت كيفية الحكم إذا حكم، فمعنى الثانية: وإن احكم بينهم بما أنزل الله إذا اخترت الحكم بينهم، ولا يصار إلى النسخ إلا بعد تعذر الجمع[2] .

واستدل الشافعي بالآية الثانية: ﴿ وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ ﴾ [المائدة: ٤٩] فإن في قوله ﴿ فَإِن تَوَلَّوۡاْ ﴾ دلالة على أنهم إن تولوا لم يكن عليه الحكم بينهم، ولو كان قول الله عز وجل ﴿ وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ إلزاماً منه للحكم بينهم ألزمهم الحكم متولين، لأنهم إنما يتولون بعد الإتيان، فأما ما لم يأتوا فلا يقال لهم تولوا[3] .

القول الثاني:

أنه منسوخ بقوله ﴿ وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾[المائدة: ٤٩] .

وهذا قول ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، الحسن، وقتادة، والسدي[4] ، ومقاتل ابن سليمان، وأبي عبيد، والنحاس، والجصاص، والواحدي، والسيوطي[5] ، وهو أحد قولي الشافعي[6].

وحكاه النحاس قولاً لأكثر العلماء[7].

---

(١) تفسير السعدي: ٤٢٠/١، وينظر: مجموع الفتاوى: ٤٥٤/١٤، تفسير القرآن العظيم: ١١٧/٣.

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ٢٩٥/٦، زاد المسير: ٢١٣/٢.

(٣) أحكام القرآن للشافعي: ٧٥/٢.

(٤) ينظر: الناسخ والمنسوخ لقتادة: ٤٢، تفسير عبد الرزاق: ١٩٠/١، الناسخ والمنسوخ لأبي عبيد: ٢٤١، تفسير الطبري: ٢٩٢/٦، تفسير ابن أبي حاتم: ١١٣٥/٤، الناسخ والمنسوخ للنحاس: ٣٩٧.

(٥) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٣٠١/١، الناسخ والمنسوخ لأبي عبيد: ٢٤١، معاني القرآن للنحاس: ٢٨٧/١، أحكام القرآن للجصاص: ٥٤٣/٢، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٣٢٠/١، تفسير الجلالين: ١١٥، والإتقان في علوم القرآن: ٧١٠/٢.

(٦) ووصفه النحاس والشوكاني بأنه الصحيح من قوله. ينظر: الناسخ والمنسوخ للنحاس: ٣٩٨، فتح القدير: ٥٣/٢، وينظر: أحكام القرآن للشافعي: ٧٩/٢.

(٧) ينظر: الناسخ والمنسوخ للنحاس: ٣٩٩.

فالآية الأولى خيّرت، والثانية أوجبت الحكم بينهم إذا ترافعوا إلينا، فهي ناسخة للأولى.

واستدلوا بأن الله قال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ ﴾ [المائدة: ٨] فهو يؤيد وجوب الحكم بينهم، وبأنه أحوط فإذا حكم بينهم صار مصيباً بالإجماع، بخلاف إذا لم يحكم فإنه يكون تاركاً فرضاً عند بعض العلماء[١] .

الترجيح:

الراجح – والله أعلم – هو القول الأول لوجهين:

الأول: سياق الآيات يقتضي أنّها نزلت في نسق واحد، فيبعد أن يكون آخرها نسخاً لأوّلها[٢] .

الثاني: أن النسخ خلاف الأصل، فلا يصار إليه إلا إذا صح التصريح بنسخها، أو انتفى حكمها من كل وجه[٣].

قال الطبري: "وإذا لم يكن في ظاهر التنزيل دليل على نسخ إحدى الآيتين الأخرى، ولا نفيُ أحد الأمرين حكمَ الآخر، ولم يكن عن رسول الله خبر يصح بأن أحدهما ناسخ صاحبه، ولا من المسلمين على ذلك إجماع، صح ما قلنا من أن كلا الأمرين يؤيد أحدهما صاحبه، ويوافق حكمُه حكمَه، ولا نسخ في أحدهما للآخر"[٤] .

---

(١) ينظر: معاني القرآن للنحاس: ٢٨٧/١، الجامع لأحكام القرآن: ١٢٠/٦.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ١١٠/٥.

(٣) ينظر في تقرير هذه القاعدة: قواعد الترجيح عند المفسرين: ٧١/١.

(٤) تفسير الطبري: ٢٩٥/٦.

فائدة: أجمع العلماء على أن أهل الذمة إذا تحاكموا إلى حكام المسلمين فيما هو من قبيل الظلم كالقتل وغصب المال ونحوه فيجب على الحاكم أن يحكم بينهم ويرد الحقوق إلى أهلها، فآية التخيير مخصوصة بهذا الإجماع. حكى الإجماع ابن عطية، وذكر ابن الفرس أنه لا خلاف بين أهل العلم بأن الحاكم يحكم بينهم في ذلك حتى وإن لم يُحكّموه؛ لأنهم إنما بذلوا الجزية على ذلك فهو من الوفاء لهم.أ.هـ والخلاف في هذه المسألة هو في ما كان من غير هذا القبيل كالنكاح والطلاق وكثير من المعاملات ونحوها، أو كان من قبيله لكن مع غير أهل الذمة.

وقال بعض العلماء يجب الحكم لأهل الذمة إذا ترافعوا إلينا، ولا يجب في غيرهم جمعاً بين الآيتين، وهو جمع يحتاج لدليل على التفريق. ينظر: أحكام القرآن للجصاص: ٥٤٣/٢، المحرر الوجيز: ١٩٤/٢، أحكام القرآن لابن الفَرَس: ٤٢٧/٢، تفسير الرازي: ٢٤٢١/٤، التحرير والتنوير: ١٠٩/٥.

مسألة: معنى ﴿فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ﴾ .

قال الله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾.

ذكر ابن جُزَيّ / قولين في المسألة، ورجَّح الأول منهما فقال :

" فيه تأويلان: أحدهما من تصدّق من أصحاب الحق بالقصاص وعفا عنه، فذلك كفارة له يكفر الله ذنوبه لعفوه وإسقاطه حقه .

والثاني: من تصدق وعفا فهو كفارة للقاتل والجارح بعفو الله عنه في ذلك؛ لأن صاحب الحق قد عفا عنه.

فالضمير في ﴿لَّهُۥ﴾ على التأويل الأول يعود على (مَنْ) التي هي كناية عن المقتول أو المجروح أو الوليّ، وعلى الثاني يعود على القاتل أو الجارح وإن لم يجر له ذكر؛ ولكن سياق الكلام يقتضيه .

والأول أرجح لعود الضمير على مذكور، وهو (مَنْ) ومعناها واحد على التأويلين[1]، والصدقة بمعنى العفو على التأويلين، إلا أن التأويل الأول بيان لأجر من عفا وترغيب في العفو، والتأويل الثاني بيان لسقوط الإثم عن القاتل أو الجارح إذا عُفي عنه"[2] .

الدراسة:

اختلف المفسرون في المسألة على قولين:

القول الأول:

أي: من تصدّق من أصحاب الحق بالقصاص وعفا عن الجاني، فهو كفارة للعافي

---

(١) أي معنى (مَنْ) واحد على القولين فالمراد بها صاحب الحق الذي عفا عن حقه. وينظر: المحرر الوجيز: ١٩٨/٢.

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل: ٢٣٣/١.

يكفر الله عنه من ذنوبه لعفوه وإسقاطه حقه.

وهذا قول جابر بن عبد الله، وعبد الله بن عمرو، وإبراهيم النخعي، والشعبي، والحسن، وقتادة[1] .

وممن ذهب إليه أيضاً الطبري، والجصاص، والثعلبي، والواحدي، والزمخشري، وابن العربي، والقرطبي، والسمين الحلبي، والشوكاني، وابن عاشور[2] .

وهو قول أكثر المفسرين[3].

وعلّلوا بأن الأولى عود الضمير على مذكور، فيعود الضمير ﴿ لَّهُۥ﴾ على ﴿فَمَن ﴾[4] .

القول الثاني:

أي: من تصدق وعفا فهو كفارة للقاتل والجارح بعفو الله عنه فيما جنى؛ لأن صاحب الحق قد عفا عنه.

وهـــذا قول ابن عباس ، ومجاهد، وزيد بن أسلم، ورواية أخرى عن النخعي والشعبي[5].

فالضمير في ﴿ لَّهُۥ﴾ يعود على القاتل أو الجارح وإن لم يجر له ذكر، فالمعنى يقتضيه ويفهم من سياق الكلام[1] .

---

(١) ينظر: تفسير الطبري: ٣١١/٦، تفسير ابن أبي حاتم: ١١٤٥/٤.

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ٣١٤/٦، أحكام القرآن للجصاص: ٥٥١/٢، تفسير الثعلبي: ٧٣/٤، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٣٢١/١، الكشاف: ٤٩١/١، أحكام القرآن لابن العربي: ١١٧/٢، الجامع لأحكام القرآن: ١٣٥/٦، الدر المصون: ٢٨٠/٤، فتح القدير: ٥٩/٢، التحرير والتنوير: ١٢٠/٥.

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٣٥/٦، تفسير الرازي: ٢٤٣٦/٤، وقال ابن العربي ١١٧/٢: وهو قول أكثر الصحابة.

(٤) ينظر مع ابن جزي: أحكام القرآن للجصاص: ٥٥١/٢، فتح القدير: ٥٩/٢.

(٥) ينظر: تفسير الطبري: ٣١٢/٦، تفسير ابن أبي حاتم: ١١٤٥/٤.

(١) ينظر مع ابن جزي: المحرر الوجيز: ١٩٨/٢، البحر المحيط: ٥٠٩/٣.

وعليه فالمعنى أن الله جعل العفو كالاستيفاء من الجاني؛ فيكون كفارة له كما لو اقتص منه[1] .

وتعقّب ابن العربي هذا القول بأنه لم يقم عليه دليل، فلا معنى له[2] .

الترجيح:

الراجح – والله أعلم – هو القول الأول الذي رجحه ابن جُزَيّ وعليه أكثر المفسرين؛ لما قالوا، فإن من القواعد المقررة أن إعادة الضمير إلى مذكور أولى من إعادته إلى مُقدّر؛ إذ في الإعادة إلى المقدر مع إمكان حمله على المذكور إخراج للآية عن نظمها دون موجب[3].

قال الطبري: " فلأن تكون الهاء في قوله ﴿لَّهُۥ﴾ عائدة على (مَنْ) أولى من أن تكون مِن ذِكْر مَن لم يجر له ذكرٌ إلا بالمعنى دون التصريح وأحرى؛ إذ الصدقة هي المكفرة ذنب صاحبها دون المتصدَّق عليه في سائر الصدقات غير هذه، فالواجب أن يكون سبيل هذه سبيل غيرها من الصدقات"[4] .

(١) ينظر: تفسير السمعاني: ٤٢/٢.

(٢) أحكام القرآن لابن العربي: ١١٧/٢.

(٣) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: ٥٩٣/٢.

(٤) تفسير الطبري: ٣١٤/٦.

مسألة: معنى ﴿وَمُهَيْمِنًا﴾ .

قال الله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ [المائدة: ٤٨].

ذكر ابن جُزَيّ / قولين في المسألة، ورجَّح الأول منهما فقال :

" ابن عباس: شاهداً .

وقيل: مؤتمناً"(١) .

الدراسة:

اختلف العلماء في المسألة على أقوال:

القول الأول:

أي: شاهداً .

وهذا قول ابن عباس، والسدي(٢) ، ومقاتل بن سليمان، وأبي بكر السجستاني، وغلام ثعلب، والنسفي، وابن التركماني، والسيوطي(٣) .

القول الثاني:

أي: مؤتمناً.

وبه قال ابن عباس، وسعيد بن جبير، وعكرمة(٤) ، وابن قتيبة، ومكي بن أبي طالب، وابن الجوزي(٥) .

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ٢٣٤/١. وقول ابن عباس أخرجه الطبري في التفسير: ٣١٨/٦.

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ٣١٨/٦.

(٣) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٣٠٤/١، نزهة القلوب: ٤٢١، ياقوتة الصراط: ٢١٠، تفسير النسفي: ٢٨٦/١، بهجة الأريب: ١٩٢/١، تفسير الجلالين: ١١٦.

(٤) ينظر: تفسير الطبري: ٣١٩/٦، تفسير ابن أبي حاتم: ١١٥٠/٤.

(٥) ينظر: غريب الحديث: ٧٢٩/٣، تفسير المشكل من غريب القرآن: ٧٠، تذكرة الأريب: ١٤٢/١.

قال ابن عباس: "القرآن أمين على كل كتاب قبله"[١].

وفي المسألة أقوال أخرى متقاربة:

فقال ابن زيد: مصدقاً [٢].

وقال ابن عباس: سيداً[٣] .

وقيل: قاضياً[٤] .

وقال الزمخشري: رقيباً على سائر الكتب؛ لأنه يشهد لها بالصحة والثبات[٥] .

وقيل: حفيظاً[٦] .

وقال القرطبي: عالياً ومرتفعاً[٧] .

وجمع عدد من المفسرين بين أكثر معنى:

فقال قتادة: أميناً وشاهداً[٨].

وقال الحسن: مصدقاً بهذه الكتب، وأميناً عليها[٩] .

وقال ابن تيمية: المهيمن: الشاهد، الحاكم، المؤتمن، فهو يحكم بما فيها مما لم ينسخه الله، ويشهد بتصديق ما فيها مما لم يُبدّل[١٠].

الترجيح:

هذه الأقوال وإن اختلفت ألفاظها فمعانيها متقاربة فهي صحيحة، ولذا جمع بعض

---

(١) تفسير الطبري: ٣١٩/٦.

(٢) تفسير الطبري: ٣٢٠/٦.

(٣) تفسير ابن أبي حاتم: ١١٥٠/٤.

(٤) ينظر: بحر العلوم: ٤١٩/١، معالم التنزيل: ٦٨٤/١.

(٥) الكشاف: ٤٩٢/١، وذكره الزجاج في معاني القرآن قولاً في المسألة: ١٤٥/٢.

(٦) ينظر: النكت والعيون: ٤٥/٢، الجامع لأحكام القرآن: ١٣٦/٦.

(٧) الجامع لأحكام القرآن: ١٣٦/٦. وذكره ابن عاشور قولاً: ١٢٣/٥.

(٨) المرجع السابق.

(٩) تفسير ابن أبي حاتم: ١١٥٠/٤.

(١٠) دقائق التفسير: ٥٢/٢.

المفسرين في قوله بين عدد منها، وعليه يُحمل تعدّد أقوال ابن عباس، فالقرآن شاهد ورقيب ومؤتمن وحافظ وحاكم على ما قبله من الكتب.

وقد قرر كثير من المفسرين تقارب معانيها، فقال الطبري: " أنزلنا الكتاب الذي أنزلناه إليك يا محمد مصدقاً للكتب قبله، وشهيداً عليها أنها حق من عند الله، أمينا عليها، حافظا لها، وأصل الهيمنة الحفظ والارتقاب، يقال إذا رقب الرجل الشيء وحفظه وشهده: قد هيمن فلان عليه، فهو يهيمن هيمنة، وهو عليه مهيمن ، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل إلا أنهم اختلفت عباراتهم"(١) .

وقال السمعاني: " والمعاني متقاربة، ومعنى الكل أن كل كتاب يصدّقه القرآن ويشهد بصدقه فهو كتاب الله، وما لا فلا "(٢).

وقال ابن كثير: " وهذه الأقوال كلها متقاربة المعنى؛ فإن اسم المهيمن يتضمن هذا كله، فهو أمين وشاهد وحاكم على كل كتاب قبله"(٣).

وبيّن الشوكاني رحمه الله معنى كون القرآن مهيمناً على ما قبله من الكتب فقال بأن "القرآن صار شاهداً بصحة الكتب المترلة، ومقرراً لما فيها مما لم ينسخ، وناسخاً لما خالفه منها، ورقيباً عليها، وحافظاً لما فيها من أصول الشرائع، وغالباً لها لكونه المرجع فى المحكم منها والمنسوخ، ومؤتمناً عليها لكونه مشتملاً على ما هو معمول به منها وما هو متروك"(٤). والله تعالى أعلم.

---

(١) تفسير الطبري: ٣١٧/٦.

(٢) تفسير السمعاني: ٤٣/٢.

(٣) تفسير القرآن العظيم: ١٢٨/٣. وينظر: معاني القرآن للنحاس: ٢٨٩/١، معالم التنزيل: ٦٨٤/١، فقد قالا بتقارب المعنى.

(٤) فتح القدير: ٦١/٢.

مسألة: المراد بالأمة المقتصدة من أهل الكتاب في الآية.

قال الله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾.

ذكر ابن جُزَيّ / قولين في المسألة، ورجَّح الأول منهما فقال :

" أي معتدلة، ويراد به من أسلم منهم كعبد الله بن سلام .

وقيل: من لم يُعادِ الأنبياء المتقدمين"[1] .

الدراسة:

اختلف المفسرون في المراد بالأمة المقتصدة من أهل الكتاب في الآية:

القول الأول:

المراد من أسلم من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام.

وهذا قول مجاهد[2] ، وابن أبي زمنين، والثعلبي، والبغوي، والقرطبي، والبيضاوي، والخازن، والسيوطي، وأبي السعود، والشوكاني، والألوسي[3] .

وقال ابن عاشور بأنهم أهل الطاعة منهم قبل الإسلام[4].

قال ابن كثير: هو كقوله: ﴿ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [الأعراف: ١٥٩] وقوله عن أتباع عيسى ﴿ فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾[الحديد: ٢٧][5].

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ٢٣٨/١.

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ٣٦٣/٦، تفسير ابن أبي حاتم: ١١٧١/٤.

(٣) ينظر: تفسير ابن أبي زمنين: ٣٧/٢، تفسير الثعلبي: ٩٠/٤، معالم التنزيل: ٦٩٥/١، الجامع لأحكام القرآن: ١٥٦/٦، أنوار التنزيل: ٣٤٧/٢، لباب التأويل: ٧٣/٢، تفسير الجلالين: ١١٩، إرشاد العقل السليم: ٢٩٧/٢، فتح القدير: ٧٤/٢، روح المعاني: ١٨٦/٦.

(٤) ينظر: التحرير والتنوير: ١٥٠/٥.

(٥) تفسير القرآن العظيم: ١٤٩/٢.

القول الثاني:

المراد: مَنْ لم يُعادِ الأنبياء[1] .

أي من أهل الكتاب طائفة لم يؤمنوا لكنهم لم يناصبوا الأنبياء العداء مناصبة المتهتكين المجاهرين، فكأن المعنى: طائفة مقتصدة في العداء. ووصْفهم بالاقتصاد نسبي، أي بالنسبة للمفرطين المجاهرين[2] .

وإليه ذهب الزمخشري إلا أنه جعله في عداوة نبينا محمد > فقال: " طائفة حالها أَمَم في عداوة رسول الله ﷺ " وتبعه النسفي[3].

أي طائفة حالها قصْدٌ في العداوة[4] . وهو قريب من هذا القول.

وتعقّبه الزجاج بأنه لا يسمى من كان على شيء من الكفر مقتصداً[5] .

الترجيح:

الراجح – والله أعلم – هو القول الأول؛ فإنه بعد أن ذم أهل الكتاب في الآيات المتقدمة أنصفهم فبيّن أن منهم أمة معتدلة في الدين بين الفسق والغلو، ومعتدلة كذلك في شأن الأنبياء فلم يقولوا في عيسى عليه السلام إلا ما يليق به، فهو عبد الله ورسوله، بلا إفراط ولا تفريط.

وهذه الأمة المقتصدة شاملة للمتقدمين من أهل الكتاب قبل بعثة نبينا محمد > وبعده فإنه لا دليل على التخصيص لأحدهما، إلا أن الذين بعد البعثة دخلوا في الإسلام كما أُمروا في كتبهم كعبد الله بن سلام وأصحابه والنجاشي وأصحابه، وشمول الآية للمتقدمين والمتأخرين هو ظاهر صنيع الطبري، وابن عطية[1].

---

(١) ينظر: المحرر الوجيز: ٢/٢١٧، تفسير الرازي: ٤/٢٤٦٩، الجامع لأحكام القرآن: ٦/١٥٦، أنوار التنزيل: ٢/٣٤٧، البحر المحيط: ٣/٥٣٨.

(٢) ينظر: المحرر الوجيز: ٢/٢١٧، الجامع لأحكام القرآن: ٦/١٥٦، أنوار التنزيل: ٢/٣٤٧،

(٣) الكشاف: ١/٥٠٥، تفسير النسفي: ١/٢٩٢، وذكر هذا القول الزجاج في معاني القرآن: ٢/١٥٥.

(٤) الأَم بفتح الهمزة: القصد، يقال أمَّه إذا قصده. ينظر: الصحاح: (أمم).

(٥) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٢/١٥٥.

(١) ينظر: تفسير الطبري: ٦/٣٦٣، المحرر الوجيز: ٢/٢١٧.

أما القول الثاني فبعيد لما قال الزجاج، وللآيات التي استدل بها ابن كثير فإنها موضحة لهذه الآية، ولأن الله عقّب فقال:﴿ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴾ فمفهومه أن الطائفة المقتصدة محسنة في عملها.

مسألة: وجه ارتباط الشرط مع جوابه في قوله ﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ .

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾﴾.

ذكر ابن جُزَيّ / قولين في المسألة، ورجَّح الأول منهما فقال :

" هذا وعيد على تقدير عدم التبليغ، وفي ارتباط هذا الشرط مع جوابه قولان:

أحدهما: أن المعنى إن تركت منه شيئاً فكأنك لم تبلغ شيئاً، وصار ما بلغت لا يُعتدُّ به، فمعنى إن لم تفعل: إن لم تستوف التبليغ على الكمال .

والآخر: أن المعنى إن لم تبلِّغ الرسالة وجب عليك عقاب من كتمها، ووضع السبب موضع المسبب"[1] .

الدراسة:

جواب الشرط لا بدّ أن يكون مغايراً للشرط لتحصل الفائدة، ومتى اتّحدا اختل الكلام، فلو قلت: كُل من هذا الطعام فإن لم تأكل فما أكلته، أو قلت: إن أتى زيد فقد جاء، لم يجُزْ[2]، فما وجه قوله ﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ ؟.

اختُلِف في الجواب عن ذلك على أقوال:

القول الأول:

أن المعنى إن تركت منه شيئاً فكأنك لم تبلغ شيئاً، وصار ما بلغت لا يُعتدُّ به.

وهو قول الجمهور[3]، وممن قال به السمرقندي، والثعلبي، والراغب الأصفهاني، وابن عطية، والخازن، والسيوطي، وأبو السعود[4] .

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ٢٣٨/١، رجّح الأول حيث قدّمه في الذكر كما بيّن ذلك في مقدمة كتابه.

(٢) ينظر: البحر المحيط: ٥٣٩/٣، الدر المصون: ٣٤٩/٤، تفسير الثعلبي: ٩٢/٤.

(٣) ينظر: تفسير الرازي: ٢٤٧١/٤.

(٤) ينظر: بحر العلوم: ٤٢٨/١، تفسير الثعلبي: ٩٢/٤، المفردات في غريب القرآن: ٧٠، المحرر الوجيز: ٢١٨/٢، لباب التأويل: ٧٤/٢، تفسير الجلالين: ١١٩، إرشاد العقل السليم: ٢٩٨/٢.

وذلك كما أن من جحد آية صار جاحداً للجميع، ومن لم يؤمن ببعض الشريعة كان كمن لم يؤمن بها كلها، قال تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ﴾ [النساء: ١٥٠ – ١٥١] ولأن كتمان بعضها إضاعة لما أدّى منها كترك بعض أركان الصلاة؛ فإن غرض الدعوة ينتقض بذلك(١).

وضعّف الرازي هذا القول لأن من أتى بالبعض وترك البعض لو قيل: إنه ترك الكل لكان كذباً، ولو قيل أيضاً: إن مقدار الجرم في ترك البعض مثل مقدار الجرم في ترك الكل، فهو أيضاً محال ممتنع(٢) .

القول الثاني:

أن المعنى إن لم تبلِّغ الرسالة وجب عليك عقاب من كتمها كلها، ووضع السبب موضع المسبب.

ذكره الزمخشري وجهاً محتملاً في الآية ، وذكره أبو حيان والسمين الحلبي وأبو السعود قولاً في الآية(٣).

ووصفه مع الأول السمينُ الحلبي بأنهما أسدّ الأقوال.

القول الثالث:

أنه كما إذا افتخر الشاعر فقال: أنا فلان وشعري شعري، ومعناه أن شعره قد بلغ في الكمال والفصاحة بحيث متى قيل فيه إنه شعره فقد انتهى مدحه إلى الغاية التي لا يمكن أن يزاد عليها، فهذا الكلام يفيد المبالغة التامة من هذا الوجه، فكذلك هاهنا: فإن لم تبلغ رسالته فما بلغت رسالته، تنبيهاً على غاية التهديد والوعيد.

وهو قول الرازي(٤) .

---

(١) ينظر: بحر العلوم: ٤٢٨/١، الكشاف: ٥٠٦/١، إرشاد العقل السليم: ٢٩٨/٢.

(٢) تفسير الرازي: ٢٤٧١/٤.

(٣) ينظر: الكشاف: ٥٠٦/١، البحر المحيط: ٥٣٩/٣، الدر المصون: ٣٤٩/٤، إرشاد العقل السليم: ٢٩٨/٢.

(٤) ينظر: تفسير الرازي: ٢٤٧١/٤.

الترجيح:

الراجح – والله أعلم – هما القولان الأولان، وهما متقاربان متلازمان؛ فإنه إذا صار بمنزلة من لم يبلّغ شيئاً فله حكمه في العقاب، وقد جمع بينهما البغوي بقوله: " إن لم تبلغ الجميع وتركت بعضه فما بلغت شيئاً، أي جرمك في ترك تبليغ البعض كجرمك في ترك تبليغ الكل"(١) .

أما ما اعترض به الرازي فيجاب عنه بأنهم لم يقولوا بأنه لم يبلغ شيئاً؛ بل قالوا هو بمنزلة من لم يُبلّغ شيئاً، ففي هذه الحالة يكون بلّغ واقعاً، لكن حكمه حكم من لم يبلّغ شيئاً إذا ترك شيئاً لم يبلغه، ولله أن يرتّب الأحكام والعقوبات على ما يشاء لا رادّ لأمره ولا معقّب لحكمه فهو العزيز الحكيم.

قال أبو حيّان: لا استحالة في ذلك فلله تعالى أن يُرتّب على الذنب اليسير العذاب العظيم، وله تعالى أن يعفو عن الذنب العظيم ، ويؤاخذ بالذنب الحقير: ﴿ لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٣] (٢) .

والله يفعل ذلك لحكمة عظيمة قد يدركها البشر وقد لا يدركونها فالواجب التسليم، وترتيب هذا الحكم الشديد في هذا الموطن ظاهر؛ فإنه الرسول والمبلّغ عن رب العالمين، فلو ترك شيئاً لم يبلّغه لأفضى إلى الشك والريبة فيما بلّغ، ولقال من شاء كما شاء بدعوى أنه مما كتمه الرسول و لم يبلّغه ففسدت الشريعة.

قال الراغب: "حكم الأنبياء وتكليفاتهم أشدّ، وليس حكمهم كحكم سائر الناس الذين يُتجافى عنهم إذا خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً"(٣) .

---

(١) معالم التنزيل: ٦٩٦/١، وبه تُشعر عبارة ابن جرير الطبري. ينظر: تفسير الطبري: ٣٦٥/٦.

(٢) البحر المحيط: ٥٣٩/٣، وينظر: البرهان في علوم القرآن: ٢٢٥/٢.

(٣) المفردات في غريب القرآن: ٧٠.

مسألة: المراد بقوله تعالى عن عيسى× وأُمِّه ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾ .

قال الله تعالى: ﴿مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾﴾.

ذكر ابن جُزَيّ / قولين في المسألة، فرجَّح الأول وتعقّب الثاني:

الأول: استدلال على أنهما ليسا بإلهين لاحتياجهما إلى الغذاء الذي لا يحتاج إليه إلا مُحدَث مُفتقِر، ومن كان كذلك فليس بإله.

الثاني: أنه [عبارة عن الاحتياج إلى الغائط]، ولا ضرورة تدعو إلى إخراج اللفظ عن ظاهره؛ لأن الحجة قائمة بالوجهين(١).

الدراسة:

القول الأول:

المراد الاستدلال على أنهما ليسا بإلهين لاحتياجهما إلى الغذاء.

وهو قول الطبري، والسمعاني، والبغوي، وابن عطية، والرازي، والقرطبي، والبيضاوي، وابن عاشور(٢) وغيرهم.

فاللفظ على ظاهره، فهما محتاجان إلى الطعام كغيرهما، ومن كان كذلك فليس بإله؛ لأن المحتاج إلى الغذاء قوامه بغيره، وفي ذلك دليل واضح على عجزه، والعاجز لا يكون

---

(١) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: ٢٤٠/١، وما بين المعقوفين تصحيح من مخطوطة (أ) ل: ٤٧-ب، ومخطوطة (ب): ل: ١٤٢-ب.

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ٢٧٣/٦، تفسير السمعاني: ٥٦/٢، معالم التنزيل: ٦٩٩/١، المحرر الوجيز: ٢٢٢/٢، تفسير الرازي: ٢٤٨٢/٤، الجامع لأحكام القرآن: ١٦٢/٦، أنوار التنزيل: ٣٥٤/٢، التحرير والتنوير: ١٧٥/٥.

إلا مربوباً لا رباً[1].

القول الثاني:

المراد الاستدلال على أنهما ليسا بإلهين لاحتياجهما إلى الغائط، فقوله ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾ كناية عن الغائط.

وبه قال ابن قتيبة، والثعلبي، والزركشي[2].

فكنّى بأكل الطعام عن عاقبته وما يصير إليه، كما يُكنّى عن الجماع بالغشيان وما أشبهه[3] .

وضُعِّف هذا القول من وجهين[4] :

الأول: أن الحاجة إلى الطعام من أقوى الدلائل على أنه ليس بإله، فأيّ حاجة بنا إلى جعله كناية عن شيء آخر، فلا ضرورة تدعو إلى إخراج اللفظ عن ظاهره؛ لأن الحجة قائمة بالوجهين.

الثاني: قال الرازي: ولأنه ليس كل من أكل أحدث، فإن أهل الجنة يأكلون ولا يحدثون.

الترجيح:

الراجح هو القول الأول الذي رجّحه ابن جُزَيّ لقوة ما قالوا؛ فإنه إذا كان الاستدلال على بطلان ما اعتقدوه من ألوهية عيسى قائماً بأيٍّ من الوجهين – أكل الطعام والغائط – فالأصل أن يحمل الكلام على ظاهره، فلا حاجة تدعو لجعله كناية.

قال ابن عطية عن القول الثاني: " وهذا قول بشع، ولا ضرورة تدفع إليه حتى يقصد

---

(١) ينظر: تفسير الطبري: ٦/٢٧٣.

(٢) ينظر: القرطين: ١/١٤٤، تفسير الثعلبي: ٤/٩٦، البرهان في علوم القرآن: ٢/٣٠٤.

(٣) ينظر: القرطين: ١/١٤٤، معاني القرآن للنحاس: ١/٢٩٩.

(٤) ينظر: المحرر الوجيز: ٢/٢٢٢، تفسير الرازي: ٤/٢٤٨٢، التسهيل لعلوم التنزيل: ١/٢٤٠، البحر المحيط: ٣/٥٤٥.

هذا المعنى بالذكر، وإنما هي عبارة عن الاحتياج إلى التغذي، ولا محالة أن الناظر إذا تأمّل بذهنه لواحق التغذي وجد ذلك وغيره"[1] ، والله أعلم.

(١) المحرر الوجيز: ٢/٢٢٢.

مسألة: المراد بالقوم الذين نُهي أهل الكتاب في الآية عن اتباع أهوائهم.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾.

ذكر ابن جُزَيّ / قولين في المسألة، ورجَّح الأول منهما، فقال بعد أن ذكر بأن الخطاب في الآية للنصارى:

" **قيل**: هم أئمتهم في دين النصرانية، كانوا على ضلال في عيسى، وأضلوا كثيراً من الناس، ثم ضلوا بكفرهم بمحمد ﷺ .

وقيل: هم اليهود .

والأول أرجح لوجهين: أحدهما أن الضلال وصف لازم للنصارى، ألا ترى قوله تعالى ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ .

والآخر: أنه يبعد نهي النصارى عن اتباع اليهود مع ما بينهم من الخلاف والشقاق"[1] .

الدراسة:

اختلف المفسرون في المسألة على أقوال:

القول الأول:

هم أئمتهم في دين النصرانية، كانوا على ضلال في عيسى، وأضلوا كثيراً من الناس، ثم ضلوا بكفرهم بمحمد ﷺ .

وهو قول الزمخشري، وظاهر كلام ابن كثير[2] .

ورجَّحه ابن جُزَيّ واستدل له بما سبق من أن الضلال وصف لازم للنصارى.

والخطاب على هذا القول للنصارى، ويشهد له أن السياق قبلها في الحديث عن

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ٢٤٠/١.

(٢) ينظر: الكشاف: ٥١١/١، تفسير القرآن العظيم: ١٥٩/٣.

النصارى، وبيان غلوّهم في عيسى × .

وتعقّبه أبو حيان بأنه تخصيص لعموم ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ من غير داعية له[1] .

القول الثاني:

هم اليهود.

وهذا قول مجاهد[2] ، والطبري، وابن أبي زمنين، والثعالبي[3]، وبذكر قول مجاهد اكتفى النحاس[4] .

والخطاب على هذا القول أيضاً للنصارى، والمعنى: لا تغلوا أيها النصارى في عيسى فتجعلونه إلهاً، ولا تتبعوا أهواء اليهود وقولهم بأنه كذاب، ونسبته إلى الزنى[5] .

وتعقّبه ابن جُزَيّ بأنه يبعد نهي النصارى عن اتباع اليهود مع ما بينهم من الخلاف والشقاق.

وذكر ابن عطية بأن القوم الذين نُهي النصارى عن اتباعهم هم اليهود، والمعنى لا تتبعوا الأهواء كما اتبعتها اليهود، أي لا تسلكوا طريقتهم في اتباع الهوى، قال: والذي دعا إلى هذا التأويل أن النصارى في غلوهم ليسوا على هوى بني إسرائيل، بل هم بالضد في الأقوال، وإنما اجتمعوا في اتباع نوع الهوى، فالآية بمنزلة قولك لمن تلومه على عوج هذه طريقة فلان، تمثله بآخر قد اعوج نوعا آخر من الاعوجاج وإن اختلفت نوازله[6] .

القول الثالث:

الخطاب لليهود والنصارى، والمعنى: لا تتبعوا أسلافكم ورؤساءكم في الضلال.

وبه قال كثير من المفسرين كالواحدي، والبغوي، والقرطبي، والبيضاوي، والنسفي،

---

(١) ينظر: البحر المحيط: ٥٤٦/٣.

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ٣٧٥/٦.

(٣) ينظر: تفسير الطبري: ٣٧٥/٦، تفسير ابن أبي زمنين: ٤١/٢، تفسير الثعالبي: ٤٠٩/٢.

(٤) ينظر: معاني القرآن للنحاس: ٣٠٠/١.

(٥) ينظر: تفسير الطبري: ٣٧٥/٦.

(٦) المحرر الوجيز: ٢٢٣/٢.

والخازن، وأبي حيان، والسيوطي، والشوكاني، والألوسي، وابن عاشور[1] ، وهو ظاهر كلام الرازي، وأبي السعود[2] .

الترجيح:

الراجح – والله أعلم – هو القول الأخير، فإن الأصل حمل الخطاب في قوله ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ على العموم؛ إذ لا دليل على تخصيص النصارى به، وسباق الآية وإن كان في الحديث عن النصارى فإنه مسبوق أيضاً بالحديث عن اليهود فإن الله تعالى تكلم أولاً على أباطيل اليهود، ثم تكلم ثانياً على أباطيل النصارى، ثم خاطب مجموع الفريقين بهذا الخطاب[3] .

فالمعنى لا تتبعوا أسلافكم ورؤساءكم في الضلال، فإنهم قد ضلوا أولاً، وأضلوا من اتبعهم وأطاعهم ثانياً، ثم تمادوا في غيّهم وضلالهم بعد بعثة النبي محمد ﷺ ، فهم ضالون مضلون.

قال أبو حيان في نقد القولين الأولين: " ولا حاجة لإخراج الكلام عن ظاهره من أنه نداء لأهل الكتاب طائفتي: اليهود والنصارى، وأن قوله: ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ ﴾ هم أسلافهم؛ فإن الزائغ عن الحق كثيراً ما يعتذر أنه على دين أبيه وطريقته، كما قالوا: ﴿إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ ﴾ [الزخرف: ٢٢] فنهوا عن اتباع أسلافهم، وكان في تنكير قوم تحقير لهم"[4] .

وما قال ابن جُزَيّ من أن الضلال وصف لازم للنصارى، صحيح لكنه ليس خاصاً

---

(١) ينظر: الوجيز: ٣٣٠/١، معالم التنزيل: ٧٠٠/١، الجامع لأحكام القرآن: ١٦٣/٦، أنوار التنزيل: ٣٥٥/٢، تفسير النسفي: ٢٩٦/١، لباب التأويل: ٧٨/٢، البحر المحيط: ٥٤٧/٣، تفسير الجلالين: ١٢١، فتح القدير: ٨٢/٢، روح المعاني: ٢١٠/٦، التحرير والتنوير: ١٧٨/٥.

(٢) ينظر: تفسير الرازي: ٢٤٨٣/٤، إرشاد العقل السليم: ٣٠٧/٢.
ولم يذكر السهيلي في "التعريف والإعلام فيما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام" شيئاً حول الآية.

(٣) ينظر: تفسير الرازي: ٢٤٨٣/٤.

(٤) البحر المحيط: ٥٤٧/٣.

بهم؛ بل يطلق في القرآن عليهم وعلى غيرهم من أهل الكفر والضلال كما قال تعالى ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ [النساء: ١١٦] وقال: ﴿ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴾ [الواقعة: ٩٢ – ٩٤] وحكى عن إبراهيم عليه السلام أنه قال ﴿ وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [الشعراء: ٨٦] وغيرها من الآيات، والله تعالى أعلم.

مسألة: المراد ببني إسرائيل الذين ﴿يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ في الآية .

قال الله تعالى: ﴿ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾.

ذكر ابن جُزَيّ / قولين في المسألة، ورجَّح الثاني فقال :

" إن أراد أسلافهم فالرؤية بالقلب .

وإن أراد المعاصرين للنبي < وهو الأظهر، فهي رؤية عين"[1] .

الدراسة:

اختلف المفسرون في المسألة:

القول الأول:

المراد الإخبار بأن كثيراً من أسلاف بني إسرائيل يتولون الذين كفروا.

ذكره وجهاً محتملاً في الآية ابن عطية، وأبو حيان، والسمين الحلبي، والثعالبي[2] .

والخطاب للنبي < والرؤية بالقلب.

القول الثاني:

المراد المعاصرون للنبي < من بني اسرائيل، كثير منهم يتولون مشركي قريش وغيرهم.

وبه قال مقاتل بن سليمان، وابن أبي زمنين، والثعلبي، والواحدي، والرازي، والبيضاوي، والخازن، والنيسابوري، والسيوطي، وأبو السعود، والشوكاني، والألوسي، وابن عاشور[1] . فالرؤية هنا بصرية.

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ٢٤٠/١.

(٢) ينظر: المحرر الوجيز: ٢٢٤/٢، البحر المحيط: ٥٤٩/٣، الدر المصون: ٣٨٧/٤، تفسير الثعالبي: ٤١٠/٢.

(١) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٣١٥/١، تفسير ابن أبي زمنين، تفسير الثعلبي: ٩٧/٤، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٣٢١/١، تفسير الرازي: ٢٤٨٥/٤، أنوار التنزيل: ٣٥٦/٢، لباب التأويل: ٧٩/٢، غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ٦٢٥/٢، تفسير الجلالين: ١٢١، إرشاد العقل السليم: ٣٠٨/٢، فتح=

الترجيح:

الراجح هو القول الثاني الذي رجحه ابن جزي، فهذه الآية كقوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ﴾ [النساء: ٥١][1] وهي - آية النساء - في المعاصرين منهم للنبي > [2]، والقرآن يفسر بعضه بعضاً، والله تعالى أعلم.

= القدير: ٨٣/٢، روح المعاني: ٢١٣/٦، التحرير والتنوير: ١٨٢/٥، إلا أن ابن عاشور قال بأنها في المنافقين من يهود المدينة.

(١) ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ٦٢٥/٢، التحرير والتنوير: ١٨٢/٥.

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ١٦١/٥، زاد المسير: ٦٥/٢.

مسألة: معنى ﴿وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ﴾.

قال الله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلۡأَيۡمَٰنَۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطۡعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنۡ أَوۡسَطِ مَا تُطۡعِمُونَ أَهۡلِيكُمۡ أَوۡ كِسۡوَتُهُمۡ أَوۡ تَحۡرِيرُ رَقَبَةٖۖ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيۡمَٰنِكُمۡ إِذَا حَلَفۡتُمۡۚ وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٨٩﴾.

ذكر ابن جُزَيّ / ثلاثة أقوال في المسألة، ورجَّح الأول منها فقال:

" أي احفظوها فبرُّوا فيها ولا تحنثوا .

وقيل: احفظوها بأن تُكفِّروها إذا حنثتم .

وقيل: احفظوها ألا تنسوها تهاوناً بها"[1] .

الدراسة:

اختلف المفسرون في المسألة على أقوال:

القول الأول:

أي: احفظوها فبرُّوا فيها ولا تحنثوا .

وهو قول السمعاني، والبغوي، والزمخشري، والسيوطي، وابن عاشور[2] .

وذلك لأن في البرِّ بها تعظيماً لاسم الله تعالى[3].

وقيّده أكثرهم[4] بأن لا يكون الحلف على شيء الحنثُ فيه أفضل، لقول النبي >

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ٢٤٢/١.

(٢) ينظر: تفسير السمعاني: ٦١/٢، معالم التنزيل: ٧٠٩/١، الكشاف: ٥١٧/١، تفسير الجلالين: ١٢٢، التحرير والتنوير: ١٩٤/٥.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير: ١٩٤/٥.

(٤) ينظر: معالم التنزيل: ٧٠٩/١، أحكام القرآن لابن العربي: ١٣٨/٢، تفسير الرازي: ٢٤٩٧/٤، تفسير الجلالين: ١٢٢، التحرير والتنوير: ١٩٤/٥.

"وإذا حَلَفْتَ على يَمِينٍ فَرَأَيْتَ غَيْرَهَا خَيْرًا منها فَكَفِّرْ عن يَمِينِكَ وَائْتِ الذي هو خَيْرٌ"(١).

القول الثاني:

أي: احفظوها بأن تُكفِّروها إذا حنثتم .

وبه قال الجصاص، والقرطبي(٢) .

القول الثالث:

احفظوها ألا تنسوها تهاوناً بها(٣) .

قال السمرقندي: "ليعلم الرجل ما حلف عليه، فليكفر يمينه إذا حنث"(٤) .

القول الرابع:

احفظوها بألا تكثروا منها.

وهو قول أبي السعود، والخازن(٥) .

قال أبو السعود: وبه يشعر قوله ﴿ إِذَا حَلَفْتُمْ ﴾.

ففيه النهي عن كثرة الحلف، والمعنى: صُونوها ولا تبتذلوها، والغرض صون المقسَم به عن الابتذال فكثرة الحلف أمر مذموم، ولذا قال الله تعالى ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴾ [القلم: ١٠] فجعل الحلاّف عنوان الأوصاف المذمومة(٦).

وقيل: احفظوها فلا تحلفوا فتتوجه عليكم هذه التكليفات(٧). وهو قريب من هذا

---

(١) متفق عليه من حديث عبد الرحمن بن سمرة: أخرجه البخاري: ٢٤٤٣/٦ (رقم ٦٢٤٨) ومسلم: ١٢٧٣/٣ (رقم ١٦٥٢).

(٢) ينظر: أحكام القرآن للجصاص: ٥٧١/٢، الجامع لأحكام القرآن: ١٨٤/٦.

(٣) ذكره قولاً في الآية الزمخشري: ٥١٧/١، وأبو حيان: ١٥/٤، والقمي النيسابوري: ١١/٣، والألوسي: ١٥/٧.

(٤) ينظر: بحر العلوم: ٤٣٨/١.

(٥) ينظر: إرشاد العقل السليم: ٣١٦/٢، لباب التأويل: ٨٨/٢.

(٦) ينظر: المغرب في ترتيب المعرب (مادة: حفظ) ، وينظر : لباب التأويل: ٨٨/٢.

(٧) ذكره ابن العربي وجهاً صحيحاً في الآية. ينظر: أحكام القرآن لابن العربي: ١٣٨/٢.

القول، ولعل المراد عدم الإكثار من الحلف لا ترك الحلف.

القول الخامس:

أي: لا تعمّدوا الأيمان الكاذبة.

وبه قال سعيد بن جبير[١] ، ومقاتل بن سليمان[٢] .

وقال الطبري: احفظوا أيمانكم أن تحنثوا فيها ثم تصنعوا الكفارة فيها بما وصفته لكم[٣].

وكلامه يحتمل القول الأول والثاني[٤] .

الترجيح:

الأقوال كلها صحيحة فاللفظ يشملها ولا تعارض بينها؛ إلا أن القول الأول يُقيّد بما قاله بعض العلماء أن لا يكون الحلف على شيء الحنثُ فيه أفضل كما دلت عليه السنة، فحينئذ لا يكون حفظها والبر بها مأموراً به.

ولذا جمع بعض المفسرين بين أكثر من قول، فقال الواحدي: "احفظوا أيمانكم فلا تحلفوا، واحفظوها عن الحنث"[٥] .

وقال السعدي: " احفظوا أيمانكم عن الحلف بالله كاذباً، وعن كثرة الأيمان، واحفظوها إذا حلفتم عن الحنث فيها، إلا إذا كان الحنث خيراً؛ فتمام الحفظ أن يفعل الخير ولا يكون يمينُه عرضةً لذلك الخير"[٦] .

وقال ابن العربي بعد أن أورد ثلاثة أقوال: "والكل على هذا من الحفظ صحيح على وجهه المذكور"[٧]. والله تعالى أعلم.

---

(١) ينظر: تفسير ابن أبي حاتم: ١١٩٥/٤.

(٢) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٣١٩/١.

(٣) تفسير الطبري: ٤٠/٧.

(٤) وحمله ابن كثير على الثاني. ينظر: تفسير القرآن العظيم: ١٧٧/٣.

(٥) ينظر: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٣٣٤/١،ويحمل قوله "فلا تحلفوا" على عدم الإكثار من الحلف.

(٦) تفسير السعدي: ٤٤٣/١.

(٧) أحكام القرآن لابن العربي: ١٣٨/٢، ذكر القول الأول وقيَّدَه بما سبق، والقول الثاني، والرابع باللفظ الذي أوردته عنه.

مسألة: المراد بقوله ﴿وَأَحْسَنُوا﴾.

قال الله تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّأَحْسَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾.

ذكر ابن جُزَيّ / قولين في المسألة، ورجَّح الثاني منهما فقال :

" يحتمل أن يريد الإحسان إلى الناس، أو الإحسان في طاعة الله، وهو المراقبة، وهذا أرجح؛ لأنه درجة فوق التقوى، ولذلك ذكره في المرة الثالثة وهي الغاية"[(١)] .

الدراسة:

اختلف المفسرون في المراد بالإحسان في الآية:

القول الأول:

المراد: الإحسان إلى الناس.

وهو قول الجصاص، والنسفي[(٢)] .

وذكره الزمخشري، والقاسمي وجهاً محتملاً في الآية[(٣)] .

القول الثاني:

المراد: الإحسان في طاعة الله.

وهذا قول ابن عباس، وقتادة[(٤)] ، ومقاتل بن سليمان، والطبري، والسمرقندي، والخازن، وأبي حيان، والبقاعي، والسيوطي[(٥)].

وحدّد بعض هؤلاء المفسرين المراد بالإحسان في طاعة الله، فقال الطبري بأنه التقرب

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ٢٤٣/١.

(٢) ينظر: أحكام القرآن للجصاص: ٥٨٤/٢، تفسير النسفي: ٣٠١/١.

(٣) ينظر: الكشاف: ٥١٩/١، محاسن التأويل: ٢٥١/٤.

(٤) ينظر: تفسير الطبري: ٤٧/٧، تفسير ابن أبي حاتم: ١٢٠٢/٤.

(٥) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٣٢١/١، تفسير الطبري: ٤٥/٧، بحر العلوم: ٤٣٩/١، لباب التأويل: ٩١/٢، البحر المحيط: ١٩/٤، نظم الدرر: ٥٣٩/٢، تفسير الجلالين: ١٢٣.

إلى الله بنوافل الطاعات[1] .

وقال ابن جزي، وأبو حيّان، والبقاعي بأنه المذكور في حديث جبريل المشهور عندما سأل النبي < عن الإحسان، فقال: " أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنَّ لم تكن تَرَاهُ فإنه يَرَاكَ"[2]، وهو درجة فوق التقوى، ولذلك ذكره في المرة الثالثة وهي الغاية[3] .

الترجيح:

لا تعارض بين القولين، فالقول الثاني يشمل الأول، ولذلك جمع بينهما بعض المفسرين، فقال القاسمي: "ولا مانع من الحمل على الجميع"[4] .

وقال ابن عاشور: "وقد فسّر النبي < الإحسان بقوله: (أن تعبد الله كأنّك تراه فإن لم تكن تراه فإنّه يراك) وهذا يتضمَّن الإيمان لا محالة فلذلك استغني عن إعادة ﴿ وَءَامَنُواْ ﴾ هنا، ويشمل فعل ﴿وَأَحۡسَنُواْ﴾ الإحسانَ إلى المسلمين، وهو زائد على التقوى، لأنّ منه إحساناً غير واجب وهو ممّا يَجلب مرضاة الله،ولذلك ذيّله بقوله:﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾"[5]، والله تعالى أعلم.

---

(١) ينظر: تفسير الطبري: ٤٥/٧.

(٢) أخرجه مسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ٣٧/١ (رقم ٨).

(٣) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: ٢٤٣/١، البحر المحيط: ١٩/٤، نظم الدرر: ٥٣٩/٢.

(٤) محاسن التأويل: ٢٥١/٤.

(٥) التحرير والتنوير: ٢٠٦/٥.

مسألة: مرجع اسم الإشارة في قوله ﴿أَوۡ عَدۡلُ ذَٰلِكَ صِيَامٗا﴾ .

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ هَدۡيَۢا بَٰلِغَ ٱلۡكَعۡبَةِ أَوۡ كَفَّٰرَةٞ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوۡ عَدۡلُ ذَٰلِكَ صِيَامٗا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمۡرِهِۦۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَۚ وَمَنۡ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنۡهُۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٖ ﴿٩٥﴾ ﴾.

ذكر ابن جُزَيّ / قولين في المسألة، ورجَّح الأول منهما فقال :

" تحتمل الإشارة بـــ ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ أن تكون إلى الطعام، وهو أحسن لأنه أقرب، أو إلى الصيد"(١) .

الدراسة:

القول الأول:

الإشارة إلى الطعام، أي: أو عدل الطعام صياماً.

وهذا قول ابن عباس، وعطاء(٢) ، والزمخشري، وابن الفرس، والعز بن عبد السلام، والبيضاوي، وأبي حيان، والسيوطي، والألوسي، والقاسمي، والسعدي، وابن عاشور، والشنقيطي(٣).

وعلّل له ابن الفَرَس وابن جُزَيّ وأبو حيان بأن الطعام أقرب مذكور إليه(٤)، قال أبو حيان: " الأظهر أن يكون ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ إشارة إلى أقرب مذكور وهو الطعام".

القول الثاني:

الإشارة إلى الصيد المقتول، أي: أو عدل الصيد صياماً.

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ٢٤٥/١.

(٢) ينظر: مصنف عبد الرزاق: ٣٩٧/٤، تفسير الطبري: ٦٩/٧.

(٣) ينظر: الكشاف: ٥٢٢/١، أحكام القرآن لابن الفَرَس: ٥١٠/٢، تفسير العز بن عبد السلام: ٤١٢/١، أنوار التنزيل: ٣٦٨/٢، البحر المحيط: ٢٤/٤، تفسير الجلالين: ١٢٣، محاسن التأويل: ٢٥٧/٤، تفسير السعدي: ٤٤٧/١، التحرير والتنوير: ٢١٧/٥، أضواء البيان: ٤٤٤/١، ٤٧٠.

(٤) ينظر: تفاسيرهم في المواضع السابقة.

وهو قول الطبري، وابن حزم[١] .

وذكره ابن عطية وابن الفرس وجهاً محتملاً في الآية[٢].

قال أبو حيان: " وجوّزوا أن يكون ذلك إشارة إلى الصيد المقتول"[٣] .

وعلّل له ابن حزم بأن اسم الإشارة: (ذلك) في اللسان العربي للبعيد، وأبعد مذكور هنا هو الصيد[٤] .

الترجيح:

القولان محتملان، ولكل منهما ما يؤيده:

فالقول الأول يؤيده أنه أقرب مذكور.

والقول الثاني يؤيده ما ذكر ابن حزم، وأن المتحدَّث عنه في الآية هو الصيد؛ فجعْل الإشارة له أولى من صرفها لغيره عند الاحتمال.

و لم يتبين لي أيّ القولين أرجح، والله تعالى أعلم.

---

(١) ينظر: تفسير الطبري: ٦٨/٧، المحلى: ٢٢٠/٧.

(٢) ينظر: المحرر الوجيز: ٢٤٠/٢، أحكام القرآن لابن الفَرَس: ٥١٠/٢.

(٣) البحر المحيط: ٢٤/٤.

(٤) ينظر: المحلى: ٢٢٠/٧.

قال الله تعالى: ﴿ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَـٰٓئِدَ ۚ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾ ﴾.

فيها ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: المراد بقوله تعالى عن الكعبة: ﴿ قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ ﴾.

ذكر ابن جُزَيّ / قولين في المسألة، ورجَّح الأول منهما فقال :

" أي أمراً يقوم للناس بالأمن والمنافع .

وقيل: موضع قيام بالمناسك"[1] .

الدراسة:

اختلف المفسرون في المسألة على أقوال[2]:

القول الأول:

أي: أمراً يقوم للناس بالأمن والمنافع .

وبه قال ابن عطية، وابن الفرس، والقرطبي[3] .

القول الثاني:

أي: موضع قيام بالمناسك.

ذكره قولاً في الآية الزجاج، والنحاس، والماوردي، وابن عطية، والقرطبي[4].

القول الثالث:

أي: تقوم بأمر من توجه إليها فيكون آمناً.

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ٢٤٥/١.

(٢) القوام والقيام واحد: وهو ما يستقيم به الأمر ويصلح ويثبت. ينظر: المفردات في غريب القرآن: ٤١٧، تفسير الرازي: ٢٥١٦/٤.

(٣) ينظر: المحرر الوجيز: ٢٤٣/٢، أحكام القرآن لابن الفَرَس: ٥٢٦/٢، الجامع لأحكام القرآن: ٢٠٩/٦.

(٤) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ١٧٠/٢، معاني القرآن للنحاس: ٣٠٨/١، النكت والعيون: ٧٠/٢، المحرر الوجيز: ٢٤٢/٢، الجامع لأحكام القرآن: ٢٠٩/٦.

وهذا قول ابن عباس، وقتادة، وابن شهاب الزهري[1]، ومقاتل بن سليمان، والنحاس، والسمرقندي[2] .

القول الرابع:

أي: قياماً لدينهم.

قال ابن عباس:" قيام دينهم، والذي نفسي بيده لو تركوه عاماً واحداً ما نوظروا"[3].

وقال الحسن: "لا يزال الناس على دين ما حجوا واستقبلوا القبلة"[4] .

وقال سعيد بن جبير: " صلاحاً لدينهم"[5] ، وقال أيضاً: "عصمة للناس"[6] .

القول الخامس:

قواماً لهم في أمر دينهم ودنياهم.

وبه قال كثير من المفسرين كالثعلبي، والراغب الأصفهاني، والسمعاني، والبغوي، والزمخشري، وابن الجوزي، والخازن، والعيني، والبقاعي، والسيوطي، وأبي السعود، والشوكاني، والألوسي، والسعدي[7] .

وهو قريب من الأول؛ إلا أنه أعم منه.

---

(١) ينظر: تفسير الطبري: ٩٣/٧، تفسير ابن أبي حاتم: ١٢١٤/٤.

(٢) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٣٢٣/١، معاني القرآن للنحاس: ٣٠٨/١، بحر العلوم: ٤٤٢/١.

(٣) أخبار مكة للفاكهي: ٤٠٠/١.

(٤) تفسير ابن أبي حاتم: ١٢١٤/٤.

(٥) تفسير الطبري: ٩٣/٧، ونحوه عند ابن أبي شيبة في مصنفه: ٤٤٥/٣.

(٦) مسند ابن أبي الجعد: ٣٢١/١.

(٧) ينظر: تفسير الثعلبي: ١١٣/٤، المفردات في غريب القرآن: ٤١٧، تفسير السمعاني: ٦٨/٢، معالم التنزيل: التنزيل: ٧١٩/١، الكشاف: ٥٢٣/١، تذكرة الأريب: ١٤٩/١، لباب التأويل: ٩٧/٢، عمدة القاري: ٢٣١/٩، نظم الدرر: ٥٤٤/٢، تفسير الجلالين: ١٢٤، إرشاد العقل السليم: ٣٢٣/٢، فتح القدير: ٩٩/٢، روح المعاني: ٣٥/٧، تفسير السعدي: ٤٤٨/١.

الترجيح:

الراجح – والله أعلم – هو القول الأخير فهو أشملها وأحسنها، وبقية الأقوال تُحمل على اختلاف التنوع والتمثيل.

قال السعدي: " يقوم بالقيام بتعظيمه دينهم ودنياهم، فبذلك يتم إسلامهم، وبه تُحَط أوزارهم، وتحصل لهم بقصده العطايا الجزيلة والإحسان الكثير، وبسببه تُنفق الأموال، وتقتحم من أجله الأهوال، ويجتمع فيه من كل فج عميق جميع أجناس المسلمين فيتعارفون، ويستعين بعضهم ببعض، ويتشاورون على المصالح العامة، وتنعقد بينهم الروابط في مصالحهم الدينية والدنيوية، قال تعالى: ﴿ لِّيَشْهَدُواْ مَنَـٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَـٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَـٰمِ ﴾ [الحج: ٢٨] ومن أجل كون البيت قياماً للناس قال من قال من العلماء: إن حج بيت الله فرض كفاية في كل سنة، فلو ترك الناس حجه لأثِمَ كل قادر؛ بل لو ترك الناس حجه لزال ما به قوامهم وقامت القيامة"[1] .

(١) تفسير السعدي: ١/٤٤٨.

المسألة الثانية: المراد بالناس في الآية.

ذكر ابن جُزَيّ / قولين في المسألة، ورجَّح الأول منهما فقال :

" لفظ الناس هنا عام .

وقيل: أراد العرب خاصة؛ لأنهم الذين كانوا يعظّمون الكعبة"[1] .

الدراسة:

اختلف المفسرون في المسألة:

القول الأول:

المراد الناس عامة، فلفظ الناس هنا عام.

وهو قول ابن عطية، وابن الفرس، وذكره النيسابوري احتمالاً[2] .

القول الثاني:

المراد: العرب خاصة.

وهو قول الرازي، والنيسابوري، وابن عادل[3] .

قال الرازي: " لأن أهل كل بلد إذا قالوا الناس فعلوا كذا وصنعوا كذا، فإنهم لا يريدون إلا أهل بلدتهم، فلهذا السبب خوطبوا بهذا الخطاب على وفق عادتهم"[4] .

ولأن العرب هم الذين كانوا يعظّمون الكعبة، وهم الذين انتفعوا بها[5] .

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ٢٤٥/١.

(٢) ينظر: المحرر الوجيز: ٢٤٤/٢، أحكام القرآن لابن الفَرَس: ٥٢٧/٢، غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ٢١/٣.

(٣) ينظر: تفسير الرازي: ٢٥١٦/٤، غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ٢١/٣، اللباب في علوم الكتاب: ٥٣٨/٧، مع ذكر النيسابوري للقول الأول احتمالاً في معنى الآية.

(٤) تفسير الرازي: ٢٥١٦/٤.

(٥) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: ٢٤٥/١، التحرير والتنوير: ٢٢٣/٥.

وتعقّب ابن عطية وابن الفرس هذا القول بأنه لا وجه لهذا التخصيص[1] .

وذكر ابن جرير الطبري بأن الكعبة قيام للعرب في الجاهلية، وبعد الإسلام هي قيام للمسلمين[2] .

الترجيح:

لفظ الناس هنا عام ولا دليل على تخصيصه بالعرب، وما ذكروه لا يقوى على التخصيص، فالكعبة قيام للمسلمين في أمر دينهم ودنياهم، هي قبلتهم، وبها يتم دينهم بالحج، وتعظم أجورهم، وغير ذلك من مصالح الدين والدنيا كما سبق بيانه في المسألة الأولى.

فالمراد بالناس عموم المسلمين عربهم وعجمهم.

أما قبل الإسلام فيحتمل أنه أراد العرب خاصة لما قالوا، ويحتمل أنه أراد العرب وغيرهم لعموم اللفظ، والله تعالى أعلم.

---

(١) ينظر: المحرر الوجيز: ٢/٢٤٤، أحكام القرآن لابن الفَرَس: ٢/٥٢٧.

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ٧/٩٣، وينظر التحرير والتنوير: ٥/٢٢٥.

المسألة الثالثة: المراد بالقلائد في الآية.

ذكر ابن جُزَيّ / قولين في المسألة، ورجَّح الأول منهما فقال :

" كان الرجل إذا خرج يريد الحج تقلّد شيئاً من السمر، وإذا رجع تقلّد شيئاً من أشجار الحرم ليُعلم أنه كان في عبادة فلا يتعرض له أحد بشيء، فالقلائد هنا: هو ما تقلّده المحرم من الشجر .

وقيل: أراد قلائد الهدي .

قال سعيد بن جبير: جعل الله هذه الأمور للناس في الجاهلية، وشدّد في الإسلام"[1] .

الدراسة:

اختلف المفسرون في المسألة:

القول الأول:

القلائد: ما تقلَّده المحرم من الشجر .

وبه قال قتادة[2]، وابن عطية، وابن الفرس، والخازن[3] .

قال قتادة : " كان الرجل إذا أراد البيت تقلد قلادة من شعر، فأحمته ومنعته من الناس، وكان إذا نفر تقلد قلادة من الإذخر أو من لحاء السمر، فمنعته من الناس حتى يأتي أهله"[1].

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ٢٤٥/١، وقول سعيد بن جبير نسبه إليه ابن عطية في تفسيره: (٢٤٤/٢) ولم أجده عنه مروياً، وقد أخرج الطبري مثله عن مجاهد.

وأخرج الطبري وابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير أنه قال: "شدة لدينهم" وليس بمعنى هذا القول؛ فإن معناه كقول سعيد الآخر: " صلاحاً لدينهم" . ينظر: تفسير الطبري: ٩٣/٧، تفسير ابن أبي حاتم: ١٢١٤/٤.

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ٩٤/٧، وعزاه السيوطي في الدر المنثور: ٥٤٢/٥ لعبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ.

(٣) ينظر: المحرر الوجيز: ٢٤٤/٢، أحكام القرآن لابن الفَرَس: ٥٢٧/٢، لباب التأويل: ٩٧/٢.

(١) تفسير الطبري: ٩٤/٧، ٦٨/٦، وعزاه السيوطي في الدر المنثور: ٥٤٢/٥ لعبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ.

القول الثاني:

القلائد: قلائد الهدي .

وبه قال كثير من المفسرين كالسمعاني، والبغوي، والزمخشري، وابن العربي، وابن الجوزي، والنسفي، والبقاعي، وأبي السعود، والشوكاني، والألوسي، والسعدي[1] .

فكانوا يأمنون بتقليد الهدي في الجاهلية، وفي الإسلام يثابون عليها، وينتفعون بلحوم الهدي المقلد، ويطعمون الفقراء، وتنتعش التجارة[2] .

وعلى هذا القول يحتمل أنه أراد ذوات القلائد وهي الهدي المقلّد، وهو قول أكثر أصحاب هذا القول، وخصها بالذكر لكونها أشرف أنواع الهدي[3] ، ويحتمل أنه أراد القلائد نفسها على معنى أن فيها أمناً لصاحبها في الجاهلية، وفي الإسلام فيها ثواب من الله، وتعظيمها من تعظيم البيت الحرام[4].

الترجيح:

الراجح هو القول الثاني، فهو أكمل في معنى كونها قياماً للناس؛ إذ يشمل الجاهلية والإسلام، ومنافعها الدينية والدنيوية على هذا القول أوضح.

وكأن معنى الآية أن الله جعل بيته الحرام قياماً للناس في الدين والدنيا، وجعل هذه الأمور الثلاثة الشهر الحرام والهدي والقلائد قياماً للناس كذلك، لأنها وسيلة لتعظيمه

---

(١) ينظر: تفسير السمعاني: ٦٩/٢، معالم التنزيل: ٧١٩، الكشاف: ٥٢٣/١، أحكام القرآن لابن العربي: ١٧٥/٢، زاد المسير: ٢٦٠/٢، تفسير النسفي: ٣٠٤/١، نظم الدرر: ٥٤٤/٢، إرشاد العقل السليم: ٣٢٤/٢، فتح القدير: ٩٩/٢، روح المعاني: ٣٦/٧، تفسير السعدي: ٤٤٨/١.

(٢) ينظر: تفسير السمعاني: ٦٩/٢، تفسير السعدي: ٤٤٨/١.

(٣) ينظر: تفسير السعدي: ٤٤٨/١، وينظر: إرشاد العقل السليم: ٣٢٤/٢.

(٤) وتقليد الهدي مستحب، قال ابن جُزَيّ في القوانين الفقهية ١٦٢: وهو أن يعلق في عنق الهدي قلادة مضفورة من حبل أو غيره، ويعلق منها نعلان أو نعل.

وذهب أبو حنيفة ومالك إلى أنه يسن تقليد الإبل والبقر ولا يسن تقليد الغنم. (ينظر: المغني: ٢٩٣/٣، القوانين الفقهية: ١٦٣، نيل الأوطار: ١٨٤/٥).

والوصول إليه، والوسائل لها أحكام المقاصد، ولذا نص على كون الكعبة قياماً للناس، أما الشهر الحرام والهدي والقلائد فعطفها عليها، إيذاناً بأن أصل القيام للبيت الحرام وهذه توابع، والله تعالى أعلم.

مسألة: معنى قوله ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا﴾.

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ﴾.

ذكر ابن جُزَيّ / قولين في المسألة، ورجَّح الأول منهما فقال :

" أي: سكت عن ذكرها ولم يطالبكم بها، كقوله ﷺ : (عفا الله عن الزكاة في الخيل)[1].

وقيل: إن معنى ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا﴾ عفا عنكم فيما تقدم من سؤالكم فلا تعودوا إليه"[2] .

الدراسة:

القول الأول:

أي: تركها الله وسكت عن ذكرها، فالضمير في ﴿عَنْهَا﴾ يعود إلى الأشياء المنهي عن السؤال عنها.

وهو قول الجصاص، والسمرقندي، وابن عطية، وابن العربي، وابن الجوزي، والبيضاوي، وابن القيم، والسعدي[3] .

قال ابن الجوزي: وعليه في الآية تقديم وتأخير، والمعنى لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم عفا الله عنها، ويكون معنى ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا﴾ أمسك عن ذكرها فلم يوجب

---

(١) ولفظه: عن عَلِيٍّ رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّهِ < "قد عَفَوْتُ عن صَدَقَةِ الْخَيْلِ وَالرَّقِيقِ" أخرجه أبو داود: ١٠١/٢ (١٥٧٤) والترمذي: ١٦/٣ (٦٢٠) والنسائي: ٣٧/٥ (٢٤٧٧) وابن ماجه: ٥٧٠/١ (١٧٩٠) وأحمد: ٩٢/١، ونقل الترمذي عن البخاري تصحيحه. ينظر: سنن الترمذي: الموضع السابق، الدراية في تخريج أحاديث الهداية: ٢٥٤/١.

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل: ٢٤٦/١.

(٣) ينظر: أحكام القرآن للجصاص: ٦٠٧/٢، بحر العلوم: ٤٤٣/١، المحرر الوجيز: ٢٤٦/٢، أحكام القرآن لابن العربي: ١٧٩/٢، تذكرة الأريب: ١٥٠/١ وزاد المسير: ٢٦٤/٢، أنوار التنزيل: ٣٧١/٢، بدائع التفسير: ٣٣١/١، تفسير السعدي: ٤٥٠/١.

فيها حكماً[1] .

وهذا كقوله < "قد عَفَوْتُ عن صَدَقَةِ الْخَيْلِ وَالرَّقِيقِ"[2].

وضُعِّف هذا القول لوجوه:

الأول: في الآية تقديم وتأخير على هذا القول، والكلام إذا استقام من غير تغيير النظم لم يجز المصير إلى التقديم والتأخير .

الثاني: أنه يستلزم أن تكون الأشياء المنهي عن السؤال عنها مما فرضه الله ثم عفا عنه، وليس الأمر كذلك.

الثالث: أنه يقتضي أن يكون النهي مختصاً بمسائل التشريع فحسب، مع أن اللفظ عام[3].

وأجاب السمين الحلبي عن الأول: بأنه ليس فيها تقديم وتأخير، ومن قاله فإنما جعل ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهَا﴾ في محلِّ جرٍّ صفة أخرى لـــ " أشياء "، ولا حاجة إلى ادِّعاء التقديم والتأخيرِ في هذا؛ لأن كُلا من الجملتين الشرطيَتَيْنِ وهذه الجملة صفةٌ لـــ " أشياء "، فمِنْ أين أن هذه الجملةَ مستحقةٌ للتقديم على ما قبلها ؟ وكأنَّ هذا القائل إنما قدَّرها متقدّمةً؛ ليتضح أنها صفةٌ لا مستأنفةٌ[4].

وأُجيب عن الثاني بأن العفو هنا بمعنى الترك، أي تركها الله ولم يذكرها بشيء فلا تبحثوا عنها، وهذا معنى صحيح لا يستلزم ذلك اللازم الباطل[5].

ويجاب عن الثالث بأنه لا يلزم أن يكون النهي مختصاً بمسائل التشريع عند جميع أصحاب هذا القول، لذا عبّر بعضهم بعبارات تشمل مسائل التشريع وغيرها من الأخبار،

---

(١) زاد المسير: ٢٦٤/٢.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) ينظر: تفسير الرازي: ٢٥٢٢/٤، إرشاد العقل السليم: ٣٢٦/٢، فتح القدير: ١٠٢/٢.

(٤) الدر المصون: ٤٤٢/٤، وذكر وجهاً آخر في إعرابها أنها مستأنفة، وكذلك أبو حيان في البحر المحيط: ٣٦/٤.

(٥) ينظر: فتح القدير: ١٠٢/٢.

فقال بعضهم: أي تركها الله و لم يعرّفكم بها[1] ، وقال ابن القيم: أي عفا عن بيانها خبراً وأمراً[2] ، فالأمر في باب التشريع، والخبر في السؤال عن الأخبار المغيّبة التي يسوء العلم بها.

القول الثاني:

أي: عفا عنكم فيما تقدم من سؤالكم فلا تعودوا إليه، فالضمير في ﴿ عَنْهَا ﴾ يعود على المسألة، والمعنى: عفا الله عن المسألة التي سلفت منكم.

وبه قال الطبري، والواحدي، والزمخشري، والقرطبي، والخازن، وابن كثير، والسيوطي، وأبو السعود، والشوكاني، والألوسي[3] .

قال أبو السعود: "ضمير ﴿ عَنْهَا ﴾ للمسألة المدلول عليها بـــ ﴿ لَا تَسْئَلُوا ﴾"[4] .

وقال أبو حيّان: "ويدل على هذا المعنى قوله: ﴿ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾"[5] .

الترجيح:

القولان محتملان، ولكل قول ما يؤيده؛ فختم الآية بقوله ﴿ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ قد يُشعِر بأن المراد ما قاله أصحاب القول الثاني، فالمعنى عفا عن أسئلتكم السالفة و لم يعاقبكم عليها فهو الغفور الحليم، ولو كان المراد ما قاله أصحاب القول الأول لختم الآية – والله أعلم – بالعلم والحكمة أو بأحدهما مع المغفرة أو الحلم، فهو الأنسب في باب التسليم للشريعة، ومنه النهي عن السؤال عن هذه الأشياء، كما لذلك نظائر كثيرة في القرآن، منها قوله تعالى بعد ذكر بعض أحكام النكاح: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ

---

(١) ينظر: البحر المحيط: ٣٦/٤.

(٢) بدائع التفسير: ٣٣١/١.

(٣) ينظر: تفسير الطبري: ١٠٢/٧، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٣٣٧/١، الكشاف: ٥٢٥/١، الجامع لأحكام القرآن: ٢١٥/٦، لباب التأويل: ٩٩/٢، تفسير القرآن العظيم: ٢٠٦/٢، تفسير الجلالين: ١٢٤، إرشاد العقل السليم: ٣٢٦/٢، فتح القدير: ١٠٢/٢، روح المعاني: ٤٠/٧.

(٤) إرشاد العقل السليم: ٣٢٦/٢.

(٥) البحر المحيط: ٣٦/٤.

وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ [النساء: ٢٦] وقوله بعد ذكر طرفٍ من أحكام الطلاق: ﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾ ﴾ [النساء: ١٣٠] فذكر السعة مع الحكمة، وقوله بعد ذكر بعض أحكام الجهاد: ﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾ ﴾ [النساء: ١٠٤].

ويؤيد القول الأول أنّ ختم الآية بهذين الاسمين الكريمين جاء في آيتين أُخريَين تُقَوِّي هذا القول، هما قوله تعالى: ﴿ لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٢٥] وقوله: ﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۚ وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢٣٥] ويلحظ في هاتين الآيتين أن فيهما تشريع وتخفيف وتيسير، فناسب التخفيف والتيسير ختم الآية بهذين الاسمين الكريمين، وآية المسألة من هذا الباب، فالنهي عن السؤال إنما هو للتخفيف والتيسير والبعد عن سماع ما يشق من الأوامر والأخبار.

ويؤيده كذلك أن الله قال: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا﴾ ولم يقل: عفا الله عنكم، كما قال في موضع آخر لما أراد العفو عنهم ﴿ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [آل عمران: ١٥٥] .

لذا فالأقرب – والله أعلم – هو القول الأول الذي رجّحه ابن جُزَيّ رحمه الله؛ فالأدلة التي ذكرها أخصُّ وأقوى من دليل القول الثاني، والدليل الخاص مقدّم على العام[1].

---

(١) وقد ورد للآية عدد من أسباب النزول لا أثر لها في ترجيح أيٍّ من القولين، ولم أرَ أحداً من المفسرين ممن سبقت الإشارة لكتبهم استدل بها في هذه المسألة.

ينظر في أسباب نزول الآية والحكم عليها: تفسير الطبري: ٩٦/٧-١٠١، تفسير القرآن العظيم: ٢٠٤/٣-٢٠٦، الاستيعاب في بيان الأسباب: ١١٧/٢ وما بعدها.

مسألة: نوع الواو في قوله ﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ﴾ .

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ .

ذكر ابن جُزَيّ / قولين في المسألة، ورجَّح الأول منهما فقال :

" قال الزمخشري: الواو واو الحال دخلت عليها همزة الإنكار، كأنه قيل: أحسبهم هذا وآباؤهم لا يعقلون .

قال ابن عطية: ألف التوقيف دخلت على واو العطف .

وقول الزمخشري أحسن في المعنى"[1] .

الدراسة:

القول الأول:

الواو واو الحال دخلت عليها همزة الإنكار، كأنه قيل: أحسبهم هذا وآباؤهم لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون ، أو: أيتبعونهم ولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون.

وهو قول الزمخشري، والرازي، والبيضاوي، والسمين الحلبي، وابن عادل[2] .

القول الثاني:

الواو واو العطف دخلت عليها همزة الاستفهام التوبيخي.

وهو قول ابن عطية[3].

وبه قال الزجاج، والنحاس، ومكي بن أبي طالب، وأبو البركات الأنباري،

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ٢٥٣/١ (ط دار الكتب العلمية). واكتفى ابن جُزَيّ بالقول الأول في آية البقرة المشابهة [١٧٠] فقال: دخلت همزة الإنكار على واو الحال. (التسهيل لعلوم التنزيل: ١٠٦/١).

(٢) ينظر: الكشاف: ٥٢٦/١، تفسير الرازي: ٢٥٢٥/٤، أنوار التنزيل: ٣٧٣/٢، الدر المصون: ٤٥٠/٤، اللباب في علوم الكتاب: ٣٢٨/٧.

(٣) ينظر: المحرر الوجيز: ٢٤٩/٢.

والعكبري، والقرطبي، والشوكاني، في آية البقرة المشابهة لهذه الآية: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠] [(١)] .

قال ابن عطية: " ألف التوقيف دخلت على واو العطف، كأنهم عطفوا بهذه الجملة على الأولى والتزموا شنيع القول، فإنما التوقيف توبيخ لهم، كأنهم يقولون بعده: نعم ولو كانوا كذلك"[(٢)] .

ومراده بالتوقيف الاستفهام، ثم بيّن نوع الاستفهام بأنه توبيخي، وفي هذه التسمية غرابة، قال أبو حيان: " وقوله في الهمزة: ألف التوقيف، عبارة لم أقف عليها من كلام النحاة، يقولون همزة الإنكار، همزة التوبيخ، وأصلها الاستفهام"[(٣)] .

وقال السمين: "تسمية هذه الهمزة للتوقيف فيه غرابة في الاصطلاح"[(٤)] .

الترجيح:

القولان متقاربان، وقد جمع بينهما أبو حيان، والسمين الحلبي، قال أبو حيان: "والجمع بينهما أن هذه الجملة المصحوبة بـــ لو في مثل هذا السياق هي جملة شرطية، فإذا قال: اضرب زيداً ولو أحسن إليك، المعنى: وإن أحسن، وكذلك: اعطوا السائل ولو جاء على فرس؛ ردّوا السائل ولو بشق تمرة، المعنى فيها: وإن. وتجيء لو هنا تنبيهاً على أن ما بعدها لم يكن يناسب ما قبلها، لكنها جاءت لاستقصاء الأحوال التي يقع فيها الفعل، ولتدل على أن المراد بذلك وجود الفعل في كل حال، حتى في هذه الحال التي لا تناسب الفعل. ولذلك لا يجوز: اضرب زيداً ولو أساء إليك، ولا أعطوا السائل ولو كان محتاجاً،

---

(١) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٢١٠/١، إعراب القرآن للنحاس: ١٧٥، مشكل إعراب القرآن: ١١٧/١، البيان في إعراب غريب القرآن: ١٢٧، التبيان في إعراب القرآن: ١٠٩، الجامع لأحكام القرآن: ١٤٢/٢، فتح القدير: ٢١٣/١.

(٢) المحرر الوجيز: ٢٤٩/٢.

(٣) البحر المحيط: ٣٩/٤.

(٤) الدر المصون: ٤٥٠/٤.

ولا ردوا السائل ولو بمائة دينار. فإذا تقرر هذا ، فالواو في (ولو) في المثل التي ذكرناها عاطفة على حال مقدرة، والعطف على الحال حال، فصح أن يقال: إنها للحال من حيث أنها عطفت جملة حالية على حال مقدرة. والجملة المعطوفة على الحال حال، وصح أن يقال: إنها للعطف من حيث ذلك العطف"[1]، وهو وجيه، والله أعلم.

(١) البحر المحيط: ٦٥٥/١، وينظر: الدر المصون: ٤٥٠/٤، اللباب في علوم الكتاب: ١٥٨/٣.

مسألة: بيان قوله تعالى: ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ .

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾.

ذكر ابن جُزَيّ / ثلاثة أقوال في المسألة، ورجَّح الثالث فقال :

" **قيل**: إنها منسوخة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وقيل: إنها خطاب للمسلمين من ذرية الذين حرموا البحيرة[1] وأخواتها، كأنه يقول لا يضركم ضلال أسلافكم إذا اهتديتم .

والقول الصحيح فيها: ما ورد عن أبي ثعلبة الخشني أنه قال سألت عنها رسول الله < فقال: (مُروا بالمعروف وانهوا عن المنكر، فإذا رأيتم شحاً مطاعاً، وهوى متبعاً، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك بخويصة نفسك، وذر عوامهم)[2] ومثل ذلك قول عبد الله بن مسعود ط: ليس هذا بزمان هذه الآية، قولوا الحق ما قُبل منكم، فإذا رُدَّ عليكم فعليكم أنفسكم"[3] .

الدراسة:

القول الأول:

أنها منسوخة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

---

(١) البحيرة: قال ابن جزي: "فعيلة بمعنى مفعولة من بَحَر إذا شق، وذلك أن الناقة إذا أنتجت عشرة أبطن، شقوا آذانها وتركوها ترعى ولا ينتفع بها". التسهيل لعلوم التنزيل: ٢٤٦/١، وقيل غير ذلك، ينظر: تفسير الطبري: ١٠٣/٧، زاد المسير: ٢٦٤/٢.

(٢) أخرجه أبو داود: ١٢٣/٤ (رقم ٤٣٤١) والترمذي: ٢٥٧/٥ (رقم ٣٠٥٨) ، وابن ماجة: ١٠٨/٢ (رقم ٤٠٤١) وابن حبان في صحيحه: ١٠٨/٢، والطبراني في الكبير: ٢٢٠/٢٢، والحاكم في المستدرك: ٣٥٨/٤، والبيهقي في الكبرى: ٩١/١٠، قال الترمذي: حسن غريب، ونقل السيوطي في الدر المنثور (٥٦٥/٥) عن الترمذي تصحيحه، وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل: ٢٤٧/١، وقول ابن مسعود أخرجه عبد الرزاق في تفسيره: ١٩٩/١، وأبو عبيد في الناسخ والمنسوخ: ٢٨٦، والطبري في تفسيره: ١١٣/٧.

قال هبة الله بن سلامة المقري[1] بأن قوله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ ﴾إلى هنا منسوخ، وباقي الآية محكم[2] .

وذهب أبو عبيد وغيره إلى أن آخر الآية نسخ أولَها، والناسخ منها قوله تعالى ﴿إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡ ﴾ والهدى ههنا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قالوا وليس في كتاب الله آية جمعت الناسخ والمنسوخ إلا هذه الآية[3].

قال ابن الجوزي عن القول بأن آخرها نسخ أولها بأنه: لا يثبت عند التحقيق[4] .

وعلّق ابن عطية على هذا القول بأنه ضعيف[5].

القول الثاني:

أنها خطاب للمسلمين من ذرية الذين حرموا البحيرة وأخواتها، كأنه يقول لا يضركم ضلال أسلافكم إذا اهتديتم .

ذكره بعض المفسرين، واستحسنه ابن الجوزي[6].

وروي نحوه عن ابن زيد[7].

---

(١) هبة الله بن سلامة أبو القاسم البغدادي الضرير المفسر النحوي، كان من أحفظ الناس لتفسير القرآن، من تصانيفه: تفسير القرآن، المسائل المنثورة في النحو، ناسخ الحديث ومنسوخه، ناسخ القرآن ومنسوخه، توفي سنة عشر وأربعمائة.

ينظر: طبقات المفسرين للسيوطي: ١٢٣، هدية العارفين: ٥٠٤/٦.

(٢) ينظر: الناسخ والمنسوخ للمقري: ٨١.

(٣) ينظر: الناسخ والمنسوخ لأبي عبيد: ٢٨٦، أحكام القرآن لابن العربي: ١٨٨/٢، ناسخ القرآن ومنسوخه لهبة الله بن عبد الرحيم: ٣٢، قلائد المرجان في بيان الناسخ والمنسوخ في القرآن لمرعي الكرمي: ١٠٠، الإتقان: ٧١٤/٢.

(٤) ينظر: نواسخ القرآن: ١٤٩.

(٥) ينظر: المحرر الوجيز: ٢٤٩/٢.

(٦) ينظر: نواسخ القرآن لابن الجوزي: ١٤٩، المحرر الوجيز: ٢٤٩/٢، البحر المحيط: ٤١/٤، وينظر: الكشاف: ٥٢٦/١، روح المعاني: ٤٥/٧.

(٧) ينظر: تفسير الطبري: ١١٨/٧.

القول الثالث:

المعنى: عليكم أنفسكم فاستقيموا على الدين واعملوا بطاعة الله، ولا يضركم تقصير غيركم وضلاله إذا اهتديتم وعملتم بما أمر الله.

وهذا قول أبي بكر الصديق، وحذيفة بن اليمان، وسعيد بن المسيب، ومجاهد، ومقاتل بن حيان[1].

وبه قال أيضاً الطبري، والزجاج، والنحاس، وابن أبي زمنين، والواحدي، والزمخشري، والرازي، والبيضاوي، وابن تيمية، وابن كثير، وأبو السعود، والسعدي، وابن عاشور، وغيرهم[2] .

ومن الاستقامة على الدين والاهتداءِ المذكور بقوله ﴿إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡ﴾ الأمرُ بالمعروف والنهي عن المنكر[3] ، قال حذيفة بن اليمان وسعيد بن المسيب: إذا أمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر لا يضرك من ضل إذا اهتديت[4] .

قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: "يا أَيُّهَا الناس إِنَّكُمْ تقرؤون هذه الآيَةَ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡ ﴾ إلى آخِرِ الآيَةِ وَإِنَّكُمْ تَضَعُونَهَا على غَيْرِ مَوْضِعِهَا وإني سمعت رَسُولَ اللَّهِ < يقول: "إِنَّ الناس إذا رَأَوُا الْمُنْكَرَ وَلاَ يُغَيِّرُوهُ أَوْشَكَ الله أَنْ يَعُمَّهُمْ بِعِقَابِهِ"[5] .

---

(١) ينظر: الناسخ والمنسوخ لأبي عبيد: ٢٨٦، تفسير الطبري: ١١٥/٧، تفسير ابن أبي حاتم: ١٢٢٦/٤.

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ١١٨/٧، معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ١٧٣/٢، معاني القرآن للنحاس: ٣١١/١، تفسير ابن أبي زمنين: ٥٠/٢، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٣٣٨/١، الكشاف: ٥٢٦/١، تفسير الرازي: ٢٥٢٦/٤، أنوار التنزيل: ٣٧٣/٢، مجموع الفتاوى: ٤٧٩/١٤، تفسير القرآن العظيم: ٢١٢/٣، إرشاد العقل السليم: ٣٢٩/٢، تفسير السعدي: ٤٥١/١، التحرير والتنوير: ٢٤١/٥.

(٣) ينظر: شرح الأربعين النووية لابن دقيق: ١٧٨، مجموع الفتاوى: ٤٧٩/١٤، فتح القدير: ١٠٥/٢.

(٤) تفسير الطبري: ١١٦/٧.

(٥) أخرجه أبو داود: ١٢٢/٤ (رقم ٤٣٣٨) والنسائي في الكبرى: ٣٣٨/٦ (رقم ١١١٥٧) والترمذي: ٤٦٧/٤ (رقم ٢١٦٨) وابن ماجة: ١٣٢٧/٢ (رقم ٤٠٠٥) والحميدي في مسنده: ٣/١، وأحمد في =

الترجيح:

القول الأول بالنسخ ضعيف؛ إذ ليس بينهما تعارض حتى يقال بالنسخ، والقول الثاني داخل في الثالث، فالراجح هو القول الثالث.

وليس في الآية دليل على ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإنها شعيرة واجبة بالكتاب والسنة والإجماع[1] ، ولأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من جملة الاهتداء المشروط، فمن تركه فليس بمهتد، وقد تتابعت أقوال العلماء على أن الآية ليس فيها مستند لترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع القدرة عليه[2]؛ بل قال أبو بكر ابن العربي بأن الآية من أصول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[3].

فإذا قام المسلم بما عليه من الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولم يُستجب له لم يضره ضلال غيره من الكفار أو الفساق فلا يحزن، ومثله إذا عجز عن ذلك، وحديث أبي ثعلبة الخشني، وقول ابن مسعود مما يؤيد هذا القول، قال شيخ الإسلام ابن تيمية بعد سياقه لحديث أبي ثعلبة: " وهذا يفسره حديث أبي سعيد في مسلم (من رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بيده ، فَإِنْ لم يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لم يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ)[1] فإذا قوي أهل الفجور حتى لا يبقى لهم إصغاء إلى البر؛ بل

= المسند: ٧/١، والطبري في التفسير: ١١٧/٧، وابن أبي حاتم في التفسير: ١٢٢٦/٤، قال الترمذي: حديث صحيح، وقال الشنقيطي في التفسير ٤٦٠/١: رواه أبو داود والترمذي والنسائي بأسانيد صحيحة.

(١) حكى الإجماع النووي في شرح صحيح مسلم: ٢٢/٢.

(٢) ينظر مثلاً: المحرر الوجيز: ٢٤٩/٢، تفسير القرآن العظيم: ٢١٢/٣، إرشاد العقل السليم: ٣٢٩/٢، فتح القدير: ١٠٥/٢، تفسير السعدي: ٤٥١/١، التحرير والتنوير: ٢٤١/٥.

(٣) ينظر: أحكام القرآن لابن العربي: ١٨٨/٢.

(١) أخرجه مسلم: ٦٩/١ (رقم ٤٩).

يؤذون الناهي لغلبة الشح والهوى والعجب، سقط التغيير باللسان في هـــذه الحال ، وبقي بالقلب"[1] ، والله تعالى أعلم[2].

(١) مجموع الفتاوى: ١٤/٤٧٩.

(٢) وذكر ابن تيمية للآية عدداً من الفوائد منها: أن لا يخاف المؤمن من الكفار و المنافقين، فإنهم لن يضروه إذا كان مهتدياً.

ومنها: أن لا يحزن عليهم، ولا يجزع عليهم فان معاصيهم لا تضره إذا اهتدى، و الحزن على مالا يضر عبث، هذان المعنيان مذكوران في قوله ﴿ وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ﴾ [النحل: ١٢٧] .

ومنها: أن لا يعتدي على أهل المعاصي بزيادة على المشروع في بغضهم، أو ذمهم، أو نهيهم، أو هجرهم، أو عقوبتهم؛ بل يقال لمن اعتدى عليهم عليك نفسك لا يضرك من ضل إذا اهتديت، كما قال ﴿ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ ﴾ الآية [المائدة:٨] ... فإن كثيراً من الآمرين الناهين قد يعتدي حدود الله، إما بجهل، وإما بظلم، وهذا باب يجب التثبت فيه، وسواء في ذلك الإنكار على الكفار والمنافقين والفاسقين والعاصين.

ومنها: أن يقوم بالأمر والنهي على الوجه المشروع من العلم والرفق والصبر وحسن القصد وسلوك السبيل القصد، فإن ذلك داخل في قوله ﴿ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡ ﴾ وفي قوله ﴿إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡ ﴾. (مجموع الفتاوى: ١٤/٤٧٩).

مسألة: هل شك الحواريون بقدرة الله تعالى حين قالوا ﴿هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾؟.

قال الله تعالى: ﴿ إِذۡ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِۖ قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾.

ذكر ابن جُزَيّ / قولين في المسألة، ورجَّح الثاني منهما فقال :

" ظاهر هذا اللفظ أنهم شكوا في قدرة الله تعالى على إنزال المائدة، وعلى هذا أخذه الزمخشري وقال: ما وصفهم الله بالإيمان ولكن حكى دعواهم في قولهم آمنا.

وقال ابن عطية وغيره: [ليس لأنهم شكوا] في قدرة الله، لكنه بمعنى هل يفعل ربك هذا؟ وهل يقع منه إجابة إليه؟ وهذا أرجح؛ لأن الله أثنى على الحواريين في مواضع من كتابه، مع أن في اللفظ بشاعة تُنكر"[1].

الدراسة:

اختلف المفسرون في المسألة:

القول الأول:

أن الحواريين كانوا شاكين في قدرة الله حين قالوا ذلك.

وبه قال الطبري، والزمخشري[2] .

واستدل له الطبري: بأنهم "قالوا لعيسى إذ قال لهم ﴿ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأۡكُلَ مِنۡهَا وَتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعۡلَمَ أَن قَدۡ صَدَقۡتَنَا ﴾ فقد أنبأ هذا من قيلهم أنهم لم يكونوا يعلمون أن عيسى قد صدقهم، ولا اطمأنت قلوبهم إلى حقيقة نبوته، فلا بيان أبْيَن من هذا الكلام في أن القوم كانوا قد خالط قلوبهم مرض وشك في دينهم وتصديقِ

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ٢٥٠/١، وما بين المعقوفين كُتب في المطبوع: "ليس كذلك لأنهم شكوا" والتصحيح من مخطوطة (أ) ل: ٤٩-ب ، ومن تفسير ابن عطية: ٢٥٩/٢ وبذلك تستقيم العبارة.

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ١٥٣/٧، الكشاف: ٥٣١/١.

رسولهم، وأنهم سألوا ما سألوا من ذلك اختباراً"[1].

وقال الزمخشري: "فان قلت كيف قالوا ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ بعد إيمانهم وإخلاصهم؟ قلت: ما وصفهم الله بالإيمان والإخلاص، وإنما حكى ادّعاءهم لهما، ثم اتبعه قوله: (إذ قالوا)[2] فآذن أن دعواهم كانت باطلة، وأنهم كانوا شاكين، وقوله ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ كلام لا يَرِد مثله عن مؤمنين معظمين لربهم، وكذلك قول عيسى عليه السلام لهم معناه: اتقوا الله ولا تشكوا في اقتداره واستطاعته، ولا تقترحوا عليه ولا تتحكموا ما تشتهون من الآيات فتهلكوا إذا عصيتموه بعدها ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ إن كانت دعواكم للإيمان صحيحة"[3].

وكانت عائشة ك تقرأ : (هل تستطيع ربَّك) بتاء الخطاب، أي: هل تستطيع سؤال ربك؟ وقالت: " كان الحواريون لا يشكون أن الله قادر أن يترل عليهم مائدة، ولكن قالوا: يا عيسى هل تستطيع ربَّك"[4].

وقيل: إن هذه المقالة صدرت منهم في أول الأمر قبل استحكام المعرفة، وقبل أن يروا معجزات عيسى × [5]، وهو يعود لهذا القول من كونهم شاكّين في قدرة الله مع الاعتذار لهم، ويحتاج لدليلٍ يدل على كونهم قالوه في أول الأمر.

القول الثاني:

أن الحواريين لم يكونوا شاكين في قدرة الله حين قالوا ذلك.

---

(١) تفسير الطبري: ١٥٣/٧.

(٢) يعني قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ ﴾.

(٣) الكشاف: ٥٣١/١.

(٤) تفسير الطبري: ١٥٢/٧، وقرأ بها من الصحابة والتابعين علي ومعاذ وسعيد بن جبير. ينظر: جزء فيه قراءات النبي: ٩٣، تفسير الطبري: ١٥٢/٧، تفسير ابن أبي حاتم: ١٢٤٣/٤، المستدرك على الصحيحين: ٢٦٠/٢.

وهي قراءة الكسائي. ينظر: السبعة في القراءات: ٢٤٩، البدور الزاهرة: ٣٠٩/١.

(٥) ينظر: معاني القرآن للنحاس: ٣١٥/١، المحرر الوجيز: ٢٥٩/٢، زاد المسير: ٢٧٧/٢، التسهيل لعلوم التنزيل: ٢٥٠/١.

وبه قال الزجاج، والنحاس، وابن خالويه[1]، والواحدي، والسمعاني، والبغوي، وابن عطية، وابن الجوزي، والقرطبي، والسعدي، وابن عاشور[2] .

ويُحمل كلام الحواريين على أحد معنيين:

الأول: معناه: هل يفعل ربك هذا؟ .

قال النحاس: " معروف في كلام العرب أن يقال: هل يستطيع أن يقوم؟ بمعنى هل يستطيع أن يفعل ذلك بمسألتي؟ وأنت تعرف أنه يستطيعه"[3] .

الثاني: معناه: هل يطيعك ربك إن سألته ذلك؟ وهذا المعنى قول علي بن أبي طالب والسدي[4] ، فاستطاع بمعنى أطاع، كقولهم استجاب بمعنى أجاب[5] .

والحواريون هم خلصاء عيسى × وأنصاره، وقد أثنى الله عليهم في مواضع من كتابه، وأُمرنا بالتشبه بهم ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ﴾ [الصف: ١٤] فهذا يؤيد هذا القول، ويردّ الأول[6].

---

(١) الحسين بن أحمد بن خالويه النحوي الهمداني، إمام في اللغة، له تصانيف كثيرة منها: شرح المقصورة الدريدية، والبديع في القرآن الكريم، وحواشي البديع في القراءات ، وإعراب ثلاثين سورة، توفي بحلب سنة ٣٧٠.

ينظر: طبقات الشافعية للسبكي: ٢٦٩/٣، البلغة: ٩٠، لسان الميزان: ٢٦٧/٢.

(٢) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ١٧٨/٢، معاني القرآن للنحاس: ٣١٥/١، الحجة في القراءات السبع: ١٣٥، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٣٤١/١، تفسير السمعاني: ٧٩/٢، معالم التنزيل: ٧٣١/١، المحرر الوجيز: ٢٥٩/٢، زاد المسير: ٢٧٧/٢، الجامع لأحكام القرآن: ٢٣٥/٦، تفسير السعدي: ٤٥٧/١، التحرير والتنوير: ٢٦٤/٥، مع تجويز القرطبي أن يكون هذا الكلام على معنى الشك صدر ممن كان مع الحواريين وليس منهم.

(٣) معاني القرآن للنحاس: ٣١٥/١، وينظر: معاني القرآن للفراء: ٢٢١/١.

(٤) ينظر: تفسير الطبري: ١٥٣/٧، تفسير ابن أبي حاتم: ١٢٤٣/٤.

(٥) ينظر: تفسير السمعاني: ٧٩/٢، تفسير الرازي: ٢٥٤١/٤، الجامع لأحكام القرآن: ٢٣٥/٦.

(٦) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢٣٥/٦، التسهيل لعلوم التنزيل: ٢٥٠/١، روح المعاني: ٥٨/٧.

الترجيح:

الراجح – والله أعلم – هو القول الثاني لقوة ما قالوه من ثناء الله على الحواريين، وحثّنا على التشبه بهم، وهو خلصاء عيسى × وأنصاره، فيبعد أن يكونوا شكّوا في قدرة الله؛ فيتوجه حمل قولهم على المعنى الحسن ما دام له في العربية وجه، والقراءة الثانية (هل تستطيع ربَّك) تؤيد هذا المعنى، ففيها إيضاح أن مرادهم من اللفظ المُحتمل ليس الشك.

قال ابن عاشور: "جرى قوله تعالى : ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ ﴾ على طريقة عربية في العرض والدعاء، يقولون للمستطيع لأمر: هل تستطيع كذا، على معنى تطلّب العذر له إن لم يجبك إلى مطلوبك، وأنّ السائل لا يحبّ أن يكلّف المسؤول ما يشقّ عليه، وذلك كناية، فلم يبق منظوراً فيه إلى صريح المعنى المقتضي أنّه يشكّ في استطاعة المسؤول، وإنّما يقول ذلك الأدنى للأعلى منه، وفي شيء يعلم أنه مستطاع للمسؤول"(١).

أما قولهم ﴿وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا﴾ فهو كقول الخليل × المذكور في سورة البقرة: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ﴾ [البقرة: ٢٦٠].

وقولهم ﴿وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا ﴾ فالمراد: يزداد علمنا بذلك، فنعلم صدقك عياناً كما علمناه استدلالاً.

وقول عيسى × لهم ﴿ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ ليس فيه ما يدل على شك عيسى في إيمانهم، فقد خاطب الله المؤمنين بمثله في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٧٥] وقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة: ٢٧٨] فيتوجه هنا إلى نهي عيسى × لهم عن اقتراح الآيات على الله تعالى.

أما قول الزمخشري بأن الله ما وصفهم الله بالإيمان والإخلاص، وإنما حكى ادّعاءهم لهما، فيردّه أن الله قال لهم: ﴿إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ ﴾ [المائدة: ١١٥] فأثبت

(١) التحرير والتنوير: ٢٦٤/٥ .

الإيمان لهم[1].

قال أبو حيان: أهل التفسير مطبقون – عدا الزمخشري – على أن الحواريين كانوا مؤمنين[2] .

وقال ابن عطية: " لا خلاف أحفظه في أن الحواريين كانوا مؤمنين"[3] ، والله تعالى أعلم.

(١) ينظر: تفسير السمعاني: ٧٩/٢، تفسير الرازي: ٢٥٤١/٤، الجامع لأحكام القرآن: ٢٣٥/٦، روح المعاني: ٥٨/٧.

(٢) البحر المحيط: ٥٧/٤.

(٣) المحرر الوجيز: ٢٥٩/٢.

مسألة: المراد بقوله تعالى ﴿تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا﴾ .

قال الله تعالى: ﴿قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾﴾.

ذكر ابن جُزَيّ / قولين في المسألة، ورجَّح الثاني فقال :

" **قيل:** نتخذ يوم نزولها عيداً يدور كل عام لأول الأمة ثم لمن بعدهم .

وقال ابن عباس: المعنى تكون مجتمعاً لجميعنا، أولنا وآخرنا في يوم نزولها خاصة، لا عيداً يدور"[1] .

الدراسة:

اختلف المفسرون في المسألة:

القول الأول:

أي: نتخذ يوم نزولها عيداً يدور كل عام لأول الأمة ثم لمن بعدهم .

وبه قال قتادة، والسدي، وابن جريج[2] ، والطبري، والواحدي، والزمخشري، والرازي، والقرطبي، وأبو حيان، والسيوطي، وأبو السعود، والشوكاني، والسعدي، وابن عاشور[3] .

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ٢٥١/١، رجّح الثاني لأنه قول من يقتدى به من الصحابة، أما القول الأول فإنه وإن قدّمه في الذكر إلا أنه ذكره بلفظ قيل للخروج من عهدته، ينظر: الفصل الأول: صيغ الترجيح وأساليبه عند ابن جزي: ٥٥، ٥٦، وسيأتي تخريج قول ابن عباس.

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ١٥٥/٧، تفسير ابن أبي حاتم: ١٢٤٩/٤.

(٣) ينظر: تفسير الطبري: ١٥٦/٧، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٣٤٢/١، الكشاف: ٥٣٢/١، تفسير الرازي: ٢٥٤٢/٤، الجامع لأحكام القرآن: ٢٣٧/٦، البحر المحيط: ٦٠/٤، تفسير الجلالين: ١٢٧، إرشاد العقل السليم: ٣٤١/٢، فتح القدير: ١١٧/٢، تفسير السعدي: ٤٥٧/١، التحرير والتنوير: ٢٦٦/٥.

قال السدي: "نتخذ اليوم الذي أُنزلت فيه عيداً نُعظِّمه، نحن ومن بعدنا"[1].

القول الثاني:

أي: تكون مجتمعاً لجميعنا، أولنا وآخرنا في يوم نزولها.

روى ابن جرير عن ابن عباس أنه قال: " أكل منها - يعني من المائدة - حين وضعت بين أيديهم آخر الناس كما أكل منها أولهم"[2] .

قال ابن عطية معلّقاً : " فالعيد على هذا لا يُراد به المستدير"[3] .

وذكر نظام الدين النيسابوري هذا القول وجهاً محتملاً في معنى الآية[4] .

الترجيح:

الراجح – والله أعلم - هو القول الأول حملاً للألفاظ: عيداً، أولنا وآخرنا على الأغلب من معانيها في اللغة[5].

---

(١) تفسير الطبري: ١٥٥/٧، تفسير ابن أبي حاتم: ١٢٤٩/٤.

(٢) تفسير الطبري: ١٥٦/٧، وحمله الطبري والماوردي وابن عطية والخازن على هذا القول. ينظر: النكت والعيون: ٨٢/٢، المحرر الوجيز: ٢٦١/٢، لباب التأويل: ١١٠/٢.

(٣) المحرر الوجيز: ٢٦١/٢.

(٤) ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ٣٨/٣.

(٥) ينظر: تفسير الطبري: ١٥٦/٧، وسمي العيد عيداً لأنه يعود كل عام فهو مشتق من العود. ينظر: مقاييس اللغة:(عود) تفسير الرازي: ٢٥٢٤/٤، روح المعاني: ٦١/٧.

مسألة: وقت وقوع هذه المقالة ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ﴾ الآية.

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ ﴾.

ذكر ابن جُزَيّ / قولين في المسألة، ورجَّح الأول منهما فقال :

" قال ابن عباس[1] والجمهور: هذا القول يكون من الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق ليرى الكفار تبرئة عيسى مما نسبوه إليه، ويعلمون أنهم كانوا على باطل .

وقال السدي: لما رفع الله عيسى إليه قالت النصارى ما قالوا وزعموا أن عيسى أمرهم بذلك، وسأل الله حينئذ عن ذلك فقال ﴿ سُبْحَٰنَكَ ﴾ الآية، فعلى هذا يكون (إذ قال) ماضياً في معناه كما هو في لفظه، وعلى قول ابن عباس يكون بمعنى المستقبل "[2].

الدراسة:

اختلف المفسرون في وقت وقوع هذا القول من الله لعيسى × على قولين:

القول الأول:

هذا القول يكون من الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق ليرى الكفار تبرئة عيسى مما نسبوه إليه، ويعلمون أنهم كانوا على باطل .

وهذا قول قتادة، وابن جريج[1] .

---

(١) نسبه إليه ابن عطية: ٢٦٢/٢، وابن الجوزي: ٢٨٢/٢ في تفسيريهما، و لم أجده مسنداً، أما قول السدي فسيأتي تخريجه.

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل: ٢٥١/١، رجّح ابن جُزَيّ القول الأول حيث إنه قول من يقتدى به من الصحابة. ينظر: الفصل الأول: صيغ الترجيح وأساليبه عند ابن جزي: ٥٦.

(١) ينظر: تفسير عبد الرزاق: ٢٠١/١، تفسير الطبري: ١٦١/٧، تفسير ابن أبي حاتم: ١٢٥٣/٤.

وبه قال جمهور المفسرين[1] ، وحكاه ابن عاشور إجماعاً[2] .

وممن ذهب إلى هذا القول من المفسرين السمرقندي، والواحدي، والسمعاني، وابن الجوزي، والرازي، والقرطبي، وابن كثير، والسيوطي، وأبو السعود، والشوكاني، والألوسي، وابن عاشور[3] .

واستدلوا بأن الله قبلها: ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ﴾ [المائدة: ١٠٩] وقال بعدها: ﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ﴾ [المائدة: ١١٩] فدلَّ على أن هذا القول في يوم القيامة[4] .

قال قتادة: " ألا ترى أنه يقول: ﴿هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ﴾"[5] .

القول الثاني:

أنه في الدنيا بعد رفع الله لعيسى × وزعْمِ النصارى أنه أمرهم بعبادته، فسأله الله عن ذلك فقال ﴿ سُبْحَٰنَكَ ﴾ الآية.

وبه قال السدي[6] ، والطبري، وأبو حيان، والسمين الحلبي، وابن عادل[1] .

---

(١) ينظر: مع تفسير ابن جُزَيّ معاني القرآن للنحاس: ٣١٧/١، المحرر الوجيز: ٢٦٢/٢، الجامع لأحكام القرآن: ٢٤١/٦.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٧٠/٥.

(٣) ينظر: بحر العلوم: ٤٥٢/١، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٣٤٢/١، تفسير السمعاني: ٨٢/٢، زاد المسير: ٢٨٢/٢، تفسير الرازي: ٢٥٤٥/٤، الجامع لأحكام القرآن: ٢٤١/٦، تفسير القرآن العظيم: ٢٣٢/٢، تفسير الجلالين: ١٢٧، إرشاد العقل السليم: ٣٤٣/٢، فتح القدير: ١١٨/٢، روح المعاني: ٦٤/٧، التحرير والتنوير: ٢٧٠/٥.

(٤) ينظر: معالم التنزيل: ٧٣٥/١، تفسير الرازي: ٢٥٤٥/٤، الجامع لأحكام القرآن: ٢٤١/٦، لباب التأويل: ١١٣/٢.

(٥) تفسير الطبري: ١٦٢/٧.

(٦) تفسير الطبري: ١٦١/٧، تفسير ابن أبي حاتم: ١٢٥٣/٤.

(١) ينظر: تفسير الطبري: ١٦٢/٧، البحر المحيط: ٦٢/٤، الدر المصون: ٥١١/٤، اللباب في علوم الكتاب: ٦١٧/٧.

واستدلوا بدليلين :

الأول: أن "إذ" و "قال" أصلهما للماضي، فتحمل عليه.

الثاني: قول عيسى عليه السلام: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [المائدة: ١١٨] والشرك لا يغفر في الآخرة، فتعين حمله على أنه في الدنيا، والمعنى: وإن يتوبوا فتغفر لهم(١).

وفائدة السؤال على هذا القول إعلام الله لعيسى أن قومه قد خالفوا أمره(٢) .

وأُجيب عن الأول: بأن كثيراً من أمور القيامة ورد بلفظ المضي، ليدل على ثبوت القيامة وتحقيق وقوعها فهي كائنة لا محالة، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾ [سبأ: ٥١] فـــ إذ بمعنى إذا، وقوله: ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ ﴾ [الأعراف: ٤٤] فذكره بلفظ المضي.

أما الثاني: فقوله: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ﴾ الآية، المقصود منها تفويض الأمر لله تعالى، والتنصل من حالهم والتسليم لله يفعل بهم ما يشاء، إن عذب أو غفر فلا اعتراض عليه، لأن الخلق عباده، والمالك يفعل في ملكه ما يشاء، قال ابن جزي: "ولا يلزم من هذا وقوع المغفرة للكفار، وإنما يقتضي جوازها في حكمة الله تعالى وعزته، وفرق بين الجواز والوقوع"(٣) .

وقال ابن كثير: معنى الآية " التبري منهم ورد المشيئة فيهم إلى الله، وتعليقُ ذلك على الشرط لا يقتضي وقوعه، كما في نظائر ذلك من الآيات"(٤) .

وليس مراد عيسى عليه السلام الدعاء لهم، فلو أراده لقال: فإنك أنت الغفور الرحيم(١).

---

(١) ينظر: المراجع السابقة.

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ١٦٣/٧، الجامع لأحكام القرآن: ٢٤١/٦.

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل: ٢٥٢/١.

(٤) تفسير القرآن العظيم: ٢٣٢/٣.

(١) ينظر في هذه الأجوبة: معاني القرآن للنحاس: ٣١٧/١، تفسير السمعاني: ٨٢/٢، معالم التنزيل: ٧٣٥/١، المحرر الوجيز: ٢٦٢/٢، الجامع لأحكام القرآن: ٢٤١/٦، ملاك التأويل: ٤٠٨/١.

وقيل: إن الآية في فريقين فالمعنى: إن تعذب من كفر، وإن تغفر لمن آمن[1] .

الترجيح:

الراجح هو القول الأول قول ابن جُزَيّ وجمهور المفسرين، لقوة ما استدلوا به، وتوجّه ما أجابوا به عن أدلة القول الثاني.

ولأن القول الأول فائدته ظاهره، فتقريع الكفار وتوبيخهم في الآخرة، والجمع في عذابهم بين العذاب الحسي والمعنوي له نظائر في القرآن الكريم، منها قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمْ﴾ [النحل: ٢٧] وقوله: ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ﴾ [الشعراء: ٩١ – ٩٣] فهو من هذا القبيل، توبيخاً لهم وإظهاراً لبطلان زعمهم وفساد سعيهم، والله تعالى أعلم.

(١) ينظر: تفسير الجلالين: ١٢٧، إرشاد العقل السليم: ٣٤٣/٢.

مسألة: إعراب ﴿ يومَ﴾ على قراءة فتح الميم[1].

قال الله تعالى: ﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ ﴾ .

ذكر ابن جُزَيّ / قولين في المسألة، واستبعد الأول ورجّح الثاني فقال :

" فيه وجهان: أحدهما أن يكون ﴿ **يومَ**﴾ ظرف لـــ ﴿ **قَالَ** ﴾ ، فعلى هذا لا تكون الجملة معمول القول، وإنما معموله ﴿هَٰذَا ﴾ خاصة، والمعنى: قال الله هذا القصص أو الخبر في يوم، وهذا بعيد مزيل لرونق الكلام .

والآخر: أن يكون ﴿ هَٰذَا ﴾ مبتدأ و﴿ **يومَ**﴾ في موضع خبره، والعامل فيه محذوف تقديره: هذا واقع يوم ينفع الصادقين صدقهم"[2] .

الدراسة:

القول الأول:

﴿ **يومَ**﴾ ظرف لـــ ﴿ **قَالَ** ﴾ .

وبه قال الزجاج، والسمرقندي، وأبو البركات بن الأنباري، والشوكاني[3] .

---

(١) في الآية قراءتان:

الأولى: ﴿ **يومَ**﴾ بنصب الميم، وهي قراءة نافع.

الثانية: ﴿**يَوۡمُ**﴾ برفع الميم، وهي قراءة الباقين.

ينظر: الحجة لأبي علي الفارسي: ٤٥٧/٢، الكشف: ٤٦١/١، البدور الزاهرة: ٣١١/١

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل: ٢٥٢/١، رجّح ابن جزي الثاني حيث ذكر قولين في المسألة واستبعد الأول، فانحصر الصواب في الثاني. ينظر: الفصل الأول من الباب الأول: صيغ الترجيح وأساليبه عند ابن جزي: ٥٨.

(٣) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ١٨٢/٢، بحر العلوم: ٤٥٣/١، البيان في إعراب غريب القرآن: ٢٦٤، فتح القدير: ١٢٠/٢.

والمعنى: قال الله هذا القول أو هذا القصص في يوم ينفع الصادقين صدقهم، فالإشارة لما تقدم ذكره من قول الله لعيسى عليه السلام: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ١١٦] ، فعلى هذا لا تكون الجملة معمول القول، وإنما معموله ﴿هَٰذَا﴾ خاصة[١].

وتعقّبه ابن عطية بقوله: " وهذا عندي معنى يزيل رصف الآية، وبهاء اللفظ والمعنى"[٢]، ونحوه قال ابن جزي.

القول الثاني:

﴿هَٰذَا﴾ مبتدأ و﴿ يومَ﴾ في موضع خبره، والعامل فيه محذوف.

وبه قال ابن عطية، وجوّزه أبو علي الفارسي، وأبو البركات بن الأنباري[٣].

وذكره وجهاً في الآية الزمخشري، والرازي، والسمين الحلبي، والألوسي وغيرهم[٤] .

والتقدير: هذا الصدق واقع يوم ينفع الصادقين صدقهم، وهو من قوله تعالى لعيسى، وفيه إشارة لصدق عيسى عليه السلام، وجملة ﴿هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ في محل نصب معمول القول[٥] .

الترجيح:

الراجح هو القول الثاني الذي رجّحه ابن جزي لوجوه:

الأول: أنه أقرب لاتصال الكلام ودخوله في معنى ما قبله، فهو عليه من تمام القصة والحوار.

الثاني: أنه أكمل في المعنى، فعلى الأول تكون الآية تعقيب من الله تعالى بذكر وقت

---

(١) ينظر: السابق، والحجة لأبي علي الفارسي: ٤٥٧/٢، الكشف: ٤٦١/١، التسهيل: ٢٥٢/١.

(٢) المحرر الوجيز: ٢٦٤/٢.

(٣) ينظر: المحرر الوجيز: ٢٦٤/٢، الحجة: ٤٥٧/٢، البيان في إعراب غريب القرآن: ٢٦٤.

(٤) ينظر: الكشاف: ٥٣٤/١، تفسير الرازي: ٢٥٤٨/٤، الدر المصون: ٥٢٠/٤، روح المعاني: ٧٢/٧.

(٥) ينظر: تفسير الطبري: ١٦٦/٧، المحرر الوجيز: ٢٦٤/٢، تفسير الرازي: ٢٥٤٨/٤، البحر المحيط: ٦٧/٤.

وقوع هذه القصة، وعلى الثاني: تكون الآية خاتمة القصة والحوار بذكر نتيجته، فهو إشارة إلى صدق عيسى عليه السلام وبراءته مما نُسب إليه زوراً وبهتاناً، وإعلان ذلك على رؤوس الأشهاد.

الثالث: المعنى على القول الثاني راجع إلى معنى قراءة الرفع، فهو مؤيّد بالقاعدة الترجيحية: " اتحاد معنى القراءتين أولى من اختلافه"[1] .

والله تعالى أعلم.

*****

(١) ينظر في القاعدة: قواعد الترجيح عند المفسرين: ١/١٠٠.

الخاتمة

أحمد الله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه على توفيقه وتيسيره بإتمام هذا العمل، فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وبعد رحلة ماتعة استمرت ثلاث سنوات مع هذا الموضوع الشيّق أضع في خاتمته أبرز نتائجه:

١- كانت حياة ابن جزي حافلة بالعلم والتعليم والدعوة والخطابة والإفتاء والتأليف والجهاد، حتى لقي ربه مجاهداً في سبيله في معركة دارت رحاها بين المسلمين والنصارى في الأندلس، وقد بارك الله في حياته فمات وعمره ٤٨ سنة فحسب، وبلغ مكانة عالية في العلم وانتفع الناس بمؤلفاته وجعل الله له ذكراً حسناً، رحمه الله وتقبّله شهيداً، وأسكنه بحبوحة الجنان.

٢- امتاز تفسير ابن جزي بميزتين مهمتين هما: التلخيص والتحقيق، فلخص الأقوال، وحقّق المسائل، فجاء محرَّراً عظيم الفائدة على صغر حجمه، لذا نال تفسيره عناية الأقسام العلمية في عدد من الجامعات فخصّصت بعض رسائل الدكتوراه والماجستير لدراسته[1]، وهي دراسات متنوعة من جامعات مختلفة عريقةٍ في العلم والمعرفة، مما يعطي دلالة واضحة على أهمية هذا التفسير.

٣- سار ابن جزي في ترجيحاته وفق صيغ وأساليب معيّنة، ذكرها في مقدمة كتابه، وتحدثت الرسالة عنها في الفصل الأول من الباب الأول، فيحسن لمن أراد القراءة في تفسيره الاطلاع عليها ليعرف طريقته في ذلك.

٤- يُعدّ ابن جزي من المفسرين القلائل الذين أصّلوا للترجيح فذكر في مقدمة تفسيره اثني عشر وجهاً من وجوه الترجيح بين الأقوال.

٥- غالب ترجيحات ابن جزي الكلبي رحمه الله موافقة لقول جمهور المفسرين

---

(١) سبقت الإشارة إلى هذه الرسائل في مبحث: القيمة العلمية لتفسير ابن جزي: ٤٠.

المتقدمين والمتأخرين.

٦– كان الصواب حليف ابنَ جزي في أكثر ترجيحاته، وجانبه في بعضها، وقسم ثالث كان ترجيح ابن جزي صحيحاً لكن لا تُقصر الآية عليه؛ بل تعمُّه مع غيره من الأقوال.

٧– لا يَذكر ابنُ جزي عند ترجيحه أدلة على القول الراجح، وإن فعل فإنه لا يستوعب غالباً، لكنه – وإن لم يذكر الأدلة – يسير وفق القواعد المعتبرة في الترجيح بين الأقوال، وإنما يُغْفِل ذكرها اختصاراً تبعاً للمنهج الذي اختطه لنفسه في تأليف كتابه.

٨– تفسيرا ابن عطية والزمخشري من أهم مصادر ابن جزي في تفسيره، وقد أفاد منهما كثيراً في كتابه، وإفادته من الأول أكثر من الثاني، وقد أثنى على هذين التفسيرين في أول كتابه منبِّهاً على الحذر من اعتزاليات الزمخشري عند الاستفادة من تفسيره[1].

٩– دراسة مسائل التفسير من أنفع البحوث وأمتعها، فهي ميدان رحب لتطبيق أصول التفسير وقواعده من ناحية، وإثراء للجانب التأصيلي لهذه الأصول والقواعد بالأمثلة الجديدة وبالتقييد والاستدراك على هذه القواعد من ناحية أخرى، كما أن هدف الدراسة وموضوعها هو لُبِّ التفسير وأساسه بتحرير معنى كلام الله تعالى ومراده.

وعليه أقترح فتح مشروع لدراسة جميع مسائل تفسير القرآن الكريم، من غير أن يُربط بعالِم أو تفسير بعينه، ليكون – أولاً – شاملاً لجميع مسائل التفسير لا يدع مسألة صغيرة ولا كبيرة، شاردة ولا واردة إلا وتناولها بالدراسة المقارنة ، وليكون – ثانياً – أدعى لطباعة الباحث لرسالته ونشرها، وأيسر على القارئ والمتابع لهذه الرسائل.

والحمد لله أولاً وآخراً، أسأل الله أن يمنّ عليّ بقبول هذا العمل، ويجعله في ميزان حسناتي، وينفع به، ويعفو عن زللي، ويسد خللي، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ١/٢٠، ٢١.

الفهارس

وتشتمل على :

أولاً : فهرس الآيات القرآنية .

ثانياً : فهرس الأحاديث النبوية .

ثالثاً : فهرس الآثار.

رابعاً : فهرس الأعلام المترجم لهم.

خامساً : فهرس الكلمات والمصطلحات المشروحة.

سادساً : فهرس المصادر والمراجع .

سابعاً : فهرس الموضوعات .

أولاً: فهرس الآيات القرآنية

طرف الآيـــة	رقم الآية	الصفحة
البقرة		
﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ ﴾	٧	٧٧
﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾	١١	٢٥٢
﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾	٢٥	٣٢
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾	٢٦	٣١
﴿ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾	٥٣	٨٢
﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً ﴾	٦٥	٣٩٩
﴿ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ﴾	٧٣	٨٠
﴿ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾	٨٩	٤١١
﴿ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾	١٠٨	٢٨٣
﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم ﴾	١٠٩	٤١١
﴿ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ﴾	١١١	٤٠٥
﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾	١٤٣	٢٠٠
﴿ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾	١٧٠	٦٠٥
﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾	١٧٩	٥٥٣
﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ ﴾	١٨٣	٢٦٤
﴿ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ ﴾	١٨٧	٦٦
﴿ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۚ ﴾	١٩١	٤٦٩
﴿ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ ﴾	١٩٤	٥٠٦
﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ ﴾	٢٠٠	٤٨٥
﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ﴾	٢١٦	٤٤٥

﴿ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ ﴾	٢٢٠	٢٨٤
﴿ لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ ﴾	٢٢٥	٦٠٣
﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ ﴾	٢٢٩	٥١ ، ٢٤٠
﴿ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا۟ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا ﴾	٢٢٩	٣٤٧
﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ ﴾	٢٣٥	٦٠٣
﴿ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ ﴾	٢٣٦	٣٤٩
﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ﴾	٢٣٩	٤٨٦
﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾	٢٤٥	٥٥٥
﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾	٢٥٥	٤٦١
﴿ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ ﴾	٢٦٠	١٤٦ ، ٦١٥
﴿ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾	٢٧٨	٦١٥
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ ﴾	٢٧٨،٢٧٩	٥٥٩
﴿ فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا ﴾	٢٨٢	٣١١

آل عمران

﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ﴾	٣ ، ٤	٨٨
﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ ﴾	٧	٣٤، ٩٣، ١٩٦
﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ ﴾	٨	٩٣، ١٠٠
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم ﴾	١٠	١٠٤
﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ ﴾	١٢	١٠٢
﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾	١٣	١٠٦، ١٠٨
﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ﴾	١٤	١١٢ ، ١١٤
﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ ﴾	١٨	١١٧ ، ١٥٩
﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾	١٩	١١٩

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾	٢٣	١٢١
﴿ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾	٢٧	١٢٤
﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ ﴾	٢٨	١٢٧
﴿ قُلْ إِن تُخْفُواْ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ ﴾	٢٩	١٢٧
﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا ﴾	٣٠	١٢٧
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ ﴾	٣٣	٧١، ١٣١، ١٣٤
﴿ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾	٣٤	١٣٤
﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا ﴾	٣٥	١٣٤
﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ ﴾	٣٧	١٣٧
﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ ﴾	٣٨	١٣٧، ١٤١
﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ ﴾	٣٩	١٣٩ ، ١٤٤
﴿ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِىَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِى عَاقِرٌ ۖ ﴾	٤٠	١٤٣
﴿ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ ﴾	٤٤	١٤٨
﴿ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾	٤٦	١٥٢
﴿ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ ۖ ﴾	٤٧	١٤٣
﴿ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾	٤٨	١٥٦
﴿ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا ﴾	٥٣	١٥٨
﴿ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾	٥٥	١٦١
﴿ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾	٥٥-٥٧	٥٠٢
﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾	٦٤	١٦٥
﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ﴾	٧٩	١٦٩، ١٧٣
﴿ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾	٨٣	٥٣، ١٧٦
﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾	٨٥	١٦٤

﴿ كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ﴾	٨٦-٨٩	١٨٠
﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ ﴾	٨٧-٨٨	١٨٢
﴿ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ ﴾	٩٧	١٨٤
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم ﴾	١٠٠	٢٥١
﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ ﴾	١٠٣	١٨٧
﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ ﴾	١٠٦	١٩٠
﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾	١١٠	٥٣ ، ١٩٩
﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾	١١٢	١٨٨
﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾	١١٦، ١١٧	٦٩، ٢٠٩
﴿ قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾	١١٩	٢١١
﴿ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا ۖ ﴾	١٢٠	٤٣٨
﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ ﴾	١٢١	٢٣٢
﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾	١٢٣	٢١٤، ٢١٦
﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ ﴾	١٢٤-١٢٧	٢١٦
﴿ يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾	١٢٥	١١٥
﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ ﴾	١٢٦	٢٣٢
﴿ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾	١٣٣	٦٨ ، ٢٢٧
﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ ﴾	١٣٧	٢٣١
﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾	١٣٩	٢٣٢
﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ ﴾	١٤٠	٢٣٥
﴿ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾	١٤١	٢٣٨
﴿ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ ﴾	١٤٣	٢٤٢
﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ ﴾	١٤٦	٢٤٦
﴿ إِن تُطِيعُوا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ﴾	١٤٩	٢٥٠

﴿ وَلِيَبْتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ﴾	١٥٤	٢٤١
﴿ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾	١٥٥	٦٠٣
﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾	١٦١	٢٥٤
﴿ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ﴾	١٦٥	٤٤٨
﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ ﴾	١٧٣	٢٥٩، ٤١٢
﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ ﴾	١٧٥	٢٥٨، ٥٣١، ٦١٥
﴿ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾	١٨٠	٣٣٣ ، ٢٦٠
﴿ لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ﴾	١٨١	٢٦٣ ، ٢٦٥
﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾	١٨٢	٢٦٥
﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ ﴾	١٨٣	٢٦٥
﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا ﴾	١٩١	١٠٠
﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾	١٩١	٢٦٧
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ ﴾	٢٠٠	٦٤ ، ٢٧٠
النساء		
﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴾	٢	٧٥ ، ٢٧٥ ، ٢٨٤، ٣١٧
﴿ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ﴾	٣	٥٨، ٦٩، ٢٨٦
﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً ﴾	٤	٢٩٥ ، ٣٤٧
﴿ وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا ﴾	٦	٥٦، ٢٨٥، ٣٠٥
﴿ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُو۟لُوا۟ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ ﴾	٨	٣٢٢
﴿ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا ﴾	٩	٣٢٨
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾	١٠	٧٧ ، ٣١٢،٣١٧ ، ٣٣٢ ، ٤٠١
﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوْلَٰدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ﴾	١١	٣٢٣

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗاۖ ﴾	١٩	٧٨، ٣٣٤ ، ٣٦٣
﴿ وَإِنۡ أَرَدتُّمُ ٱسۡتِبۡدَالَ زَوۡجٖ مَّكَانَ زَوۡجٖ ﴾	٢٠	٥١ ، ٣٤٠
﴿ وَكَيۡفَ تَأۡخُذُونَهُۥ وَقَدۡ أَفۡضَىٰ بَعۡضُكُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ ﴾	٢١	٣٤٧
﴿ وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾	٢٢	٦١ ، ٣٤٣
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴾	٢٣	٦١ ، ٣٤٣
﴿ وَلِكُلّٖ جَعَلۡنَا مَوَٰلِيَ مِمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ ﴾	٢٣	٣٦٩
﴿ فَمَا ٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهِۦ مِنۡهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةٗ ﴾	٢٤	٦٨ ، ٣٤٦
﴿ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذۡنِ أَهۡلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ﴾	٢٥	٣٤٩ ، ٣٥١
﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمۡ وَيَهۡدِيَكُمۡ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ ﴾	٢٦	٦٠٢
﴿ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمٗا ﴾	٢٧	٧٩ ، ٣٥٥
﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا ﴾	٢٨	٣٥٨
﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ ﴾	٢٩	٣١٢ ، ٣١٧ ، ٤٧١
﴿ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ عُدۡوَٰنٗا وَظُلۡمٗا فَسَوۡفَ نُصۡلِيهِ نَارٗاۚ ﴾	٣٠	٣٦٢
﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبُواْۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبۡنَ ﴾	٣٢	٧٠ ، ٣٦٥
﴿ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ ﴾	٣٤	٣٧١
﴿ إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآ ﴾	٣٥	٣٧٦
﴿ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ ﴾	٣٦	٣٨٠
﴿ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ ﴾	٣٧	٢٦٣
﴿ وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾	٣٨	٣٨٣
﴿ يَوۡمَئِذٖ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوۡ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضُ ﴾	٤١ ، ٤٢	٣٨٦
﴿ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ ﴾	٤٣	٣٩٣
﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلۡنَا مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُم ﴾	٤٧	٥٦ ، ٣٩٦

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾	٤٨	٤٠٠
﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلًا ﴾	٤٩	٦٢ ، ٤٠٥ ، ٤٠٨
﴿ ٱنظُرۡ كَيۡفَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثۡمٗا مُّبِينًا ﴾	٥٠	٤٠٧
﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾	٥١	٥٨٣
﴿ أَمۡ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُلۡكِ فَإِذٗا لَّا يُؤۡتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴾	٥٣	٢٦٣
﴿ أَمۡ يَحۡسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۖ ﴾	٥٤	٤١٠
﴿ كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ ﴾	**٥٦**	**٣١٥**
﴿ لَّهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَنُدۡخِلُهُمۡ ظِلّٗا ظَلِيلًا ﴾	٥٧	٤٢٠
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا ﴾	٥٨	٤٢٣ ، ٤٢٨
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ ﴾	٥٩	٤٢٢، ٤٢٩، ٤٣١
﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ ﴾	٦٠	٤٣٠
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ ﴾	٧١	٤٣٣
﴿ وَإِنَّ مِنكُمۡ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنۡ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ ﴾	٧٢	٤٣٦، ٤٤٥
﴿ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمۡ تَكُنۢ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُۥ مَوَدَّةٞ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ مَعَهُمۡ ﴾	٧٣	٤٣٨
﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمۡ كُفُّوٓاْ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾	٧٧	٧٢، ٤٤٢
﴿ أَيۡنَمَا تَكُونُواْ يُدۡرِككُّمُ ٱلۡمَوۡتُ وَلَوۡ كُنتُمۡ فِي بُرُوجٖ مُّشَيَّدَةٖۗ ﴾	٧٨	٧٢، ٤٤٧، ٤٥١
﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَۚ ﴾	٧٩	٥٤ ، ٤٤٧
﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ ﴾	٨٢	٩٦ ، ٤٠٣
﴿ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ ﴾	٨٣	٤٢٥ ، ٤٥٤
﴿ مَّن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةً حَسَنَةٗ يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٞ مِّنۡهَاۖ ﴾	٨٥	٤٩ ، ٤٥٧
﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞ ﴾	٨٩ – ٩٠	٦٣، ٤٦٣
﴿ سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأۡمَنُوكُمۡ وَيَأۡمَنُواْ قَوۡمَهُمۡ ﴾	٩١	٤٦٨

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ﴾	٩٢	٤٧٠
﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾	٩٦	٢٠٤ ، ٢٠٦
﴿ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً ﴾	٩٧	٤٧٢
﴿ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ﴾	١٠٠	٤٧٢
﴿ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾	١٠٢	٤٩ ، ٤٧٥
﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ﴾	١٠٣	٢٦٨ ، ٣٨٤
﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ فِي ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ﴾	١٠٤	٦٠٣
﴿ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾	**١١١**	**٥٧**
﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾	١١٣	٢٦٣
﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ ﴾	١١٤	٤٩٤
﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾	١١٦	٥٨٢
﴿ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ ﴾	١١٩	٤٨٩
﴿ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ﴾	١٢٠	٤٨٩
﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ﴾	١٢٣	٤٨٧
﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾	١٢٤	٤٨٨
﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾	١٢٥	٤٨٨
﴿ وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا ﴾	١٢٨	٧٩ ، ٤٩١
﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ ﴾	١٣٠	٣٣٩ ، ٦٠٣
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾	١٣٦	٤٩٥
﴿ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾	١٤١	٦٨، ٤٩٨
﴿ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ﴾	١٤٨	٥٠٣
﴿ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ ﴾	١٥٠، ١٥١	٥٧٤
﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ ﴾	١٥٧	٥٠٧

﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾	١٥٨	٢٠٤
﴿ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾	١٦٢	٩٧
﴿ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾	١٦٣	٩٠

المائدة

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ ۚ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ ﴾	١	٥١٠
﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ ﴾	٢	٤٦١
﴿ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ﴾	٥	٣٤٩
﴿ وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ ﴾	٦	٧٠ ، ٥١٦
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ ﴾	٨	٥٦٣
﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ ﴾	٨	٦١١
﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾	١٢	٥٢٣
﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ ﴾	١٣	٥٢٥
﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ ﴾	١٨	٦٢ ، ٤٠٥، ٥٢٧
﴿ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾	٢١	٥٣٨
﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ﴾	٢٣	٥٣٠
﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى ۖ ﴾	٢٥	٥٣٢، ٥٣٤
﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۗ ﴾	٢٦	٨٤ ، ٥٣٥ ، ٥٣٦
﴿ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۚ ﴾	٢٨ ، ٢٩	٦٤، ٥٤١
﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾	٣٢	٥٨ ، ٥٤٥
﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾	٣٣	٥٥٤
﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهِمْ ۖ ﴾	٣٤	٥٩ ، ٥٥٧
﴿ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ ۚ ﴾	٤٢	٥٦١
﴿ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ ﴾	٤٤	٤٢٨

﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ ﴾	٤٥	٥٦٤
﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾	٤٨	٥٦٧
﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾	٤٩	٥٦٢
﴿ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ ﴾	٦٣	١٧٠
﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾	٦٤	٣٤
﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ ﴾	٦٦	٥٧٠
﴿ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ﴾	٦٧	٥٤
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾	٦٧	٥٧٣
﴿ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴾	٧٥	٧٣ ، ٥٧٦
﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ﴾	٧٧	٦٢، ٥٧٩
﴿ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ﴾	٧٩	٢٠١
﴿ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾	٨٠	٥٨٣
﴿ وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ ﴾	٨١	٣٨٥
﴿ وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ ﴾	٨٩	٥٤، ٥٨٥
﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ ﴾	٩٣	٥٨٨
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ﴾	٩٥	٥٠ ، ٥١٢ ، ٥٩٠
﴿ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ ﴾	٩٧	٣٠٣ ، ٥٩٢
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾	١٠١	٦٠٠
﴿ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾	١٠٤	٦٠٤
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ﴾	١٠٥	٦٠٧
﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ﴾	١٠٩	٦٢٠
﴿ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ ﴾	١١٢	٦١٢
﴿ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾	١١٤	٦١٧

﴿إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ﴾	١١٥	٦١٦
﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ﴾	١١٦	٦٦ ، ٦١٩
﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾	١١٨	٦٢١
﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾	١١٩	٦٢٠

الأنعام

﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾	١٤	٣٧٠
﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾	٢٣	٣٩١
﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ قرئ ﴿يُكْذِبونك﴾	٣٣	٢٥٦
﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾	٨٩	٤٢٧
﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾	١٦٠	٥٥١
﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا﴾	١٤٢-١٤٤	٥١١
﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾	١٦١	٣٠٣

الأعراف

﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾	٦	١٥٩
﴿حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾	٤٠	٣٤٤
﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ﴾	٤٤	٦٢١
﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ﴾	٥٣	٩٨
﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾	٥٤	٣١
﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾	٥٦	٤٠٢
﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ﴾	٨٦	٢٠٦
﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾	٨٩	٥٣٥
﴿وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ﴾	١٢٠	٢٧٨
﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ﴾	١٣١	٤٤٩

﴿ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴾	١٥٩	٥٧٠
﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾	١٧٢	١٩٤
﴿ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ﴾	١٨٧	٩٥

الأنفال

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾	٢	٣٣
﴿ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥ ﴾	١٦	٤٠٣
﴿ وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ﴾	٢٥	٥٣٤
﴿ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾	٢٦	٢٠٦
﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾	٢٨	٤٦٩
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا ﴾	٢٩	٩٢
﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ ﴾	٣٨	٥٥٩
﴿ يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ﴾	٤١	٩٢
﴿ إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ﴾	٤٣	١٠٨
﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا ﴾	٤٤	١٠٨
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ ﴾	٤٥	٤٨٥
﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ ﴾	٤٧	٢٢٦ ، ٣٨٥
﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ ﴾	٦٠	٢٧١
﴿ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِ ﴾	٦٦	١٠٦ ، ١٠٩

التوبة

﴿ قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ ﴾	١٤	٨١ ، ٤٨٢
﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾	٣١	١٦٨
﴿ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ ﴾	٣٤ – ٣٥	٣٣٣
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ ﴾	٣٨	٤٣٩
﴿ وَمَا هُم مِّنكُمْ ﴾	٥٦	٤٣٩

﴿ وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُوا۟ مَعَ رَسُولِهِ ﴾	٨٦	٨١
﴿ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾	١٠٧	٢٥٢

يونس

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ ﴾	٢٢	١٠٩
﴿ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ﴾	٣٩	٩٨

هود

﴿ وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ﴾	٣	٤٩٣
﴿ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴾	٩٧	٣٠٧
﴿ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾	١١٤	٤٠٢

يوسف

﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ﴾	٢٤	١٤١
﴿ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ ﴾	٣٦	٩٨

الرعد

﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم ﴾	١٥	١٧٧
﴿ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ﴾	٣٥	٤٢١
﴿ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾	٣٨	٨٤
﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً ﴾	٣٨	١٤١

إبراهيم

﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ ﴾	٤٨	٤١٧

النحل

﴿ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾	٥ – ٨	٥١١
﴿ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴾	١٠	١١٤
﴿ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ﴾	٢٧	٦٢٢
﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَٰلُهُۥ ﴾	٤٨	١٧٧

﴿ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ ﴾	٨٨	٤٩٣
﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ ﴾	١٢٧	٦١١
الإسراء		
﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ ﴾	١٣	٢٦١
﴿ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴾	٢٧	٢٠٤
﴿ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾	٣٢	٢٠٤
الكهف		
﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا ﴾	٨٢	٧٤
مريم		
﴿ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴾	٢	٨٣
﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا ﴾	٤	١٤٤
طه		
﴿ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾	٥	٣٤
﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴾	١٠٩	٤٦١
الأنبياء		
﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً ﴾	١١	٧٤
﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾	٢٣	٥٧٥
﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾	٢٨	٤٦١
﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴾	٤٨	٩٢
﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ ﴾	٩٠	١٤٤
الحج		
﴿ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ ﴾	٢٨	٥١٣ ، ٥٩٤
﴿ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ ﴾	٣٠	٢٥٥
﴿ لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۗ ﴾	٣٤	٥١٤

النور

﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ﴾	٢	٣٥٣
﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ ﴾	٢٢	٤٧٣
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾	٢٣	٤٠١
﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ ﴾	٥٥	١٦٢

الفرقان

﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾	١	٩١
﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾	٣٣	٤٩٩
﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ﴾	٦٨ ، ٦٩	٤٦٤

الشعراء

﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾	٨٠	٤٤٨
﴿ وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴾	٨٦	٥٨٢
﴿ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴾	٩١- ٩٣	٦٢٢

النمل

﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾	٦٥	٩٥

القصص

﴿ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾	٨٨	٣٣

العنكبوت

﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾	٢	٤٦٩
﴿ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّىَ فَٱعْبُدُونِ ﴾	٥٦	٤٧٣

الروم

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ﴾	٥٤	٣٦٠
﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ ﴾	٥٦	٨٥

لقمان

﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ ﴾	٢٧	١٥٠

الأحزاب

﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلْبِهِۦ مَرَضٌ ﴾	٣٢	٤٤٠
﴿ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾	٦٠	٤٤٠ ، ٤٤٥

سبأ

﴿ وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾	٣٥	١٠٤
﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾	٥١	٦٢١

فاطر

﴿ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾	٣٤	٥١

يس

﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ ﴾	٦٥	٣٩٠

الصافات

﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴾	١٢	٣٢
﴿ وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴾	٢٤	١١٠

سورة ص

﴿ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴾	٣٣	٧٠ ، ٥١٦

الزمر

﴿ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ ﴾	١٩	٨٣
﴿ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ ﴾	٣٦	٢٥٩
﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾	٣٨	١٧٧
﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ ﴾	٥٣	٤٠٣
﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ﴾	٦٠	١٩٥

غافر

﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴾	١٩	٥٢٦
﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ ﴾	٢٨	٨٥
﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾	٥١	١٠٥
﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ﴾	٥١ ، ٥٢	٥٠٠

فصلت

﴿ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ﴾	٤٠	٢١٣
﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾	٤٢	٥

الشورى

﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾	٣٠	٥٤ ، ٤٤٧، ٥٠١
﴿ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ﴾	٤٠	٥٠٦ ، ٥٥٣
﴿ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴾	٤١	٥٠٥

الزخرف

﴿ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ﴾	١٩	١١٨
﴿ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ ﴾	٢٢	٥٨١

الدخان

﴿ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴾	١٠-١٢	٧٢
﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ﴾	٢٩	٧٦

محمد

﴿ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾	٤-٦	٢٤٤

الفتح

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ ﴾	١٠	٥٥٤
﴿ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ﴾	٢٩	١١٥

الحجرات

﴿ قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا ﴾	١٤	٤٣٩

النجم

﴿ ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ ﴾	٣٢	٤٧١
﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحۡيَا ﴾	٤٤	٧٦

الرحمن

﴿ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ﴾	٢٧	٣٣
﴿ فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُسۡـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٞ وَلَا جَآنّٞ ﴾	٣٩	١١٠
﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشِۭ بَطَآئِنُهَا مِنۡ إِسۡتَبۡرَقٖۚ ﴾	٥٤	٢٢٨

الواقعة

﴿ لَا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوٗا وَلَا تَأۡثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلٗا سَلَٰمٗا سَلَٰمٗا ﴾	٢٥ ، ٢٦	٤٧١
﴿ وَظِلّٖ مَّمۡدُودٖ ﴾	٣٠	٤٢٠
﴿ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴾	٩٢-٩٤	٥٨٢

الحديد

﴿ فَـَٔاتَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۡهُمۡ أَجۡرَهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴾	٢٧	٥٧٠

المجادلة

﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ﴾	٢١	١١١

الحشر

﴿ لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ ﴾	٨ - ١٠	٩٧

الصف

﴿ وَإِذۡ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم ﴾	٦	١٦٣
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ	١٤	٦١٤

الجمعة

﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ ﴾	١٠	٤٨٥

المنافقون

﴿ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾	١٠	٤٤٦

الطلاق

﴿ فَإِذَا بَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمۡسِكُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ فَارِقُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٖ ﴾	٢	٢٧٨
﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ ﴾	٢ ، ٣	٤٧٣
﴿ لِيُنفِقۡ ذُو سَعَةٖ مِّن سَعَتِهِۦۖ ﴾	٧	٤٧٣

الملك

﴿ قَدۡ جَآءَنَا نَذِيرٞ فَكَذَّبۡنَا وَقُلۡنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٍ ﴾	٩	٣٩٢

القلم

﴿ نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ﴾	١	١٥٠
﴿ وَلَا تُطِعۡ كُلَّ حَلَّافٖ مَّهِينٍ ﴾	١٠	٥٨٦

الحاقة

﴿ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهۡلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴾	٥	٥٢٥

المعارج

﴿ يَوَدُّ ٱلۡمُجۡرِمُ لَوۡ يَفۡتَدِي مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِئِذِۭ بِبَنِيهِ ﴾	١١-١٤	٣٨٨

نوح

﴿ رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا ﴾	٢٨	٧٦

المزمل

﴿ كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ رَسُولٗا ۝١٥ فَعَصَىٰ فِرۡعَوۡنُ ٱلرَّسُولَ ﴾	١٥ ، ١٦	٤٩٢

المدثر

﴿ فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴾	٤٨	٤٦١

القيامة

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾	٢٢ ، ٢٣	٣١

الإنسان

﴿ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴾	١٣	٤٢١

النبأ

﴿ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا ﴾	٤٠	٣٨٧

عبس

﴿ فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴾	٢٧ – ٣١	٩١

التكوير

﴿ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴾	٢٨	٤٥٠
﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾	٢٩	١٤١، ٤٥٠

الانشقاق

﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴾	٧ ، ٨	١٢٦

الغاشية

﴿ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ﴾	١١	٥٢٥

الليل

﴿ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿١٥﴾ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴾	١٥، ١٦	٤٠٢

العلق

﴿ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴾	٣ ، ٤	١٥٠

ثانياً : فهرس الأحاديث النبوية

طرف الحديث	الصفحة
أَتَشْفَعُ في حَدٍّ من حُدُودِ اللَّه	٤٦٢
أُتِيَ الله بِعَبْدٍ من عِبَادِهِ آتَاهُ الله مَالًا، فقال له مَاذَا عَمِلْتَ في الدُّنْيَا ؟	٣٩١
إذا زَنَتْ أَمَةُ أَحَدِكُمْ فَتَبَيَّنَ زِنَاهَا فَلْيَجْلِدْهَا الْحَدَّ ولا يُثَرِّبْ عليها	٣٧٣
إذا سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس فإنه أعلى الجنة وأوسط الجنة	٢٢٨
أَسْلَمَ غَيْلاَنُ بْن ُسَلَمَةَ الثقفي وَتَحْتَهُ عَشْرُ نِسْوَةٍ في الْجَاهِلِيَّةِ، وَأَسْلَمْنَ معه، فَأَمَرَهُ النبي < أَنْ يَخْتَارَ مِنْهُنَّ أَرْبَعاً	٢٨٦، ٣٤٥
اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَإِنْ اسْتُعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيبَةٌ	٤٢٣
اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا وَيَقْضِي الله على لِسَانِ نَبِيِّهِ ﷺ ما شَاءَ	٤٦١
أطلقت نساءك؟ فقال: " لا "	٤٥٤
أُعْطِيتُ ما لم يُعْطَ أَحَدٌ مِنَ الأَنْبِيَاءِ	٢٠٠
أَقِيمُوا صُفُوفَكُمْ ثَلاَثاً، والله لَتُقِيمُنَّ صُفُوفَكُمْ أو لَيُخَالِفَنَّ الله بين قُلُوبِكُمْ	٥٢١
ألا وَإِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ أَحَدُهُمَا كِتَابُ اللَّهِ عز وجل هو حَبْلُ اللَّهِ	١٨٧
أَمَا إِنَّهُمْ لم يَكُونُوا يَعْبُدُونَهُمْ وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا إذا أَحَلُّوا لهم شيئا اسْتَحَلُّوهُ	١٦٨
إِنَّ اللَّهَ عز وجل يقول يوم الْقِيَامَةِ يا بن آدَمَ مَرِضْتُ فلم تَعُدْنِي	٥٥٥
إِنَّ الناس إذا رَأَوُا الْمُنْكَرَ وَلاَ يُغَيِّرُوهُ أَوْشَكَ الله أَنْ يَعُمَّهُمْ بِعِقَابِهِ	٦١٠
أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنَّ لم تكن تَرَاهُ فإنه يَرَاكَ	٥٩٠
إن زَنَتْ فَاجْلِدُوهَا، ثُمَّ إن زَنَتْ فَاجْلِدُوهَا، ثُمَّ إن زَنَتْ فَبِيعُوهَا	٣٥٢
أَنَّ طَائِفَةً صَفَّتْ معه وَطَائِفَةٌ وِجَاهَ الْعَدُوِّ، فَصَلَّى بِالَّذِينَ معه رَكْعَةً	٤٨٠
إِنَّكُمْ تَتِمُّونَ سَبْعِينَ أُمَّةً أَنْتُمْ خَيْرُهَا وَأَكْرَمُهَا على اللَّهِ	٢٠٠ ، ٢٠٩
إني أمرت بالعفو فلا تقاتلوا القوم	٤٤٣
تَزَوَّجُوا الْوَدُودَ الْوَلُودَ فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمْ الْأُمَمَ	٢٩٤
تَسَمَّوْا بِاسْمِي ولا تَكْتَنُوا بِكُنْيَتِي	١٦

حتى إذا أَتَيْنَا الْبَيْتَ معه اسْتَلَمَ الرُّكْنَ فَرَمَلَ ثَلَاثًا، وَمَشَى أَرْبَعًا ١٨٥
خِيَارُ أَئِمَّتِكُمْ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ ٤٢٦
دَعْوَةُ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ مُسْتَجَابَةٌ ٤٦٠
رأيت رَسُولَ اللَّهِ > يوم أُحُدٍ وَمَعَهُ رَجُلَانِ يُقَاتِلَانِ عنه عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ ٢١٩
رِبَاطُ يَوْمٍ في سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ من الدُّنْيَا وما عليها ٢٧١
رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ من صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ ٦٤ ، ٢٧١
سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ ١٩٦
صلى رسول اللَّهِ ﷺ صَلَاةَ الْخَوْفِ بِإِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ رَكْعَةً ٤٨٠
صَلِّ قَائِمًا فَإِنْ لم تَسْتَطِعْ فَقَاعِدًا فَإِنْ لم تَسْتَطِعْ فَعَلَى جَنْبٍ ٢٦٨
ضِرْسُ الْكَافِرِ أو نَابُ الْكَافِرِ مِثْلُ أُحُدٍ ٤١٩
على الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ ٤٢٦
على ملة إبراهيم ودينه ١٢٢
فذلكم الرباط ٢٧٠، ٢٧٢
فهلموا إلى التوراة فهي بيننا وبينكم ١٢٢
فَيُعْطَى هذا من حَسَنَاتِهِ وَهَذَا من حَسَنَاتِهِ ٥٤٢
قَارِبُوا وَسَدِّدُوا فَفِي كل ما يُصَابُ بِهِ الْمُسْلِمُ كَفَّارَةٌ ٤٨٨
قد عَفَوْتُ عن صَدَقَةِ الْخَيْلِ وَالرَّقِيقِ ٦٠٠
قلت يا رسول الله إن وُلِد لي مـــن بعدك ولد أُسَمّيه باسمك وأُكنيه بكنيتك؟ قال: "نعم" ١٧
كان رسول الله ﷺ يَذْكُرُ اللَّهَ على كل أَحْيَانِهِ ٢٦٨
كُلْ من مَالِ يَتِيمِكَ غير مُسْرِفٍ ولا مُبَادِرٍ ولا مُتَأَثِّلٍ ٣١٦
كِلَابُ النَّارِ شَرُّ قَتْلَى تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ خَيْرُ قَتْلَى من قَتَلُوهُ ١٩٥
لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يوم الْقِيَامَةِ حتى يُسْأَلَ عن عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ ١٢٦
لَا يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مؤمنة إن كَرِهَ منها خُلُقًا رضى منها آخَرَ ٣٣٨
اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل ٦٧ ، ٩٦

لَيُّ الْوَاجِدِ يُحِلُّ عِرْضَهُ وَعُقُوبَتَهُ ٥٠٤
ما بين منكبي الكافر في النار مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع ٤١٩
ما من مَوْلُودٍ إلا يُولَدُ على الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أو ينصرانه أو يُمَجِّسَانِهِ ١٩٣
مُروا بالمعروف وانهوا عن المنكر، فإذا رأيتم شحاً مطاعاً ٦٠٨
الْمُسْتَبَّانِ ما قالا فَعَلَى الْبَادِئِ ما لم يَعْتَدِ الْمَظْلُومُ ٦٤، ٥٠٥
معاذ الله أن نعبد غير الله، أو نأمر بعبادة غيره، ما بذلك بعثني ١٧٤
من آتَاهُ اللهُ مَالًا فلم يُؤَدِّ زَكَاتَهُ مُثِّلَ له مَالُهُ شُجَاعًا أَقْرَعَ ٢٦٢ ، ٣٣٣
من أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ ٤٢٣
من رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بيده ، فَإِنْ لم يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ ٦١٠
من سَأَلَ اللَّهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ بَلَّغَهُ اللهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ ٢٤٤
من عبد يلقى الله إلا ذا ذنب، إلا يحيى ابن زكريا ١٤٢
من كانت عِنْدَهُ مَظْلِمَةٌ لِأَخِيهِ فَلْيَتَحَلَّلْهُ منها ٥٤٣
نَحْنُ الْآخِرُونَ السَّابِقُونَ يوم الْقِيَامَةِ بَيْدَ أَنَّهُمْ أُوتُوا الْكِتَابَ من قَبْلِنَا ٢٠٠
نهى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عن الْمُتْعَةِ ٣٥٠
وإذا حَلَفْتَ على يَمِينٍ فَرَأَيْتَ غَيْرَهَا خَيْرًا منها فَكَفِّرْ عن يَمِينِكَ ٥٨٧
والخير كله بيديك والشر ليس إليك ٥٤ ، ٤٤٧
وَالَّذِي نَفْسِي بيده لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمْ ابن مَرْيَمَ حَكَمًا مُقْسِطًا ١٦٢
وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ عَامَّةٍ ٥٠٠
وَلَوَدِدْتُ أَنِّي أُقْتَلُ في سَبِيلِ اللَّهِ، ثُمَّ أُحْيَا ثُمَّ أُقْتَلُ، ثُمَّ أُحْيَا ثُمَّ أُقْتَلُ ٢٤٤
وَلَوْ عَلِمَ أَحَدُهُمْ أَنَّهُ يَجِدُ عَظْمًا سَمِينًا لَشَهِدَهَا ٤٣٨
يا معشر يهود أسلموا قبل أن يصيبكم مثل ما أصاب قريشاً ١٠٣
يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إلى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حين يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ ٣٤

ثالثاً: فهرس الآثار

طرف الأثر	القائل	الصفحة
أبو بكر وعمر	عكرمة	٤٢٥
ادنه ﴿ فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَلَن يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لِلۡكَٰفِرِينَ ﴾ يوم القيامة	علي بن أبي طالب	٥٧، ٤٩٨
إذا اجتمع	ابن عباس	١٥٢
إذا احترقت جلودهم بدلناهم جلودا بيضاً أمثال القراطيس	ابن عمر	٤١٥
إذا أمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر لا يضرك من ضل	حذيفة بن اليمان وسعيد بن المسيب	٦٠٩
إذا تزوج الرجل منكم المرأة، ثم نكحها مرة واحدة فقد وجب	ابن عباس	٣٤٧
اعتصموا بالإخلاص لله وحده	أبو العالية	١٨٨
أعطوا كلمة الإيمان بألسنتهم، وأنكروها بقلوبهم	الحسن	١٩٣
أكل منها – يعني من المائدة – حين وضعت بين أيديهم آخر الناس كما أكل منها أولهم	ابن عباس	٦١٨
ألا ترونني لا أقوم إلاّ رفدا، ولا آكل إلاّ ما لَوّق لي	عبادة بن الصامت	٣٥٩
ألا ترى أنه يقول: ﴿ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡ ﴾	قتادة	١١٢
أمدهم بألف ثم صاروا ثلاثة آلاف ثم صاروا خمسة آلاف	قتادة، الربيع بن أنس	٢٢٠
إن الله لا يحب الجهر بالسوء من أحد من الخلق	السدي	٥٠٥
إن يقتلوا منكم يوم أحد فقد قتلتم منهم يوم بدر	الحسن البصري	٢٣٥
أناس من المؤمنين لم يشهدوا يوم بدر	قتادة	٢٤٢
إنما أنزلت فيما أبهم عليه الرحم إذا تم خلقه ونبت شعره	عمار بن ياسر	٥١٣
إنما هذه في الصلاة، إذا لم تستطع قائماً فقاعداً	ابن مسعود	٢٦٨
إنه يوم طويل فيه مواقف كثيرة	ابن عباس	٣٩٢
إني أريد أن تكون عليك خطيئتي ودمي، فتبوء بهما جميعاً	مجاهد	٥٤٢
إني أنزلت مال الله تعالى مني بمنزلة مال اليتيم	عمر بن الخطاب	٣١٤
إني لست بميزان لا أعول	عثمان بن عفان	٢٩١

أولئك اليهود حسدوا هذا الحي من العرب على ما آتاهم الله	قتادة	٤١١
بلغني أن رجالا من أصحاب النبي > كانوا يقولون لئن لقينا	الحسن	٢٤٣
تأويله يوم القيامة لا يعلمه إلا الله	ابن عباس	٩٨
تسوى الأرض بالجبال عليهم	ابن عباس	٣٨٦
تقرن السموات السبع، والأرضون السبع، كما تقرن الثياب	ابن عباس	٦٨، ٢٢٧
تكون لأولنا ولا تكون لآخرنا	عمر بن الخطاب	٢٠٢
تنشق لهم فيدخلون فيها فتسوى عليهم	ابن جريج	٣٨٧
الثَبَات الفرق	قتادة	٤٣٣
جاء الحارث بن سويد فأسلم مع النبي > ثم كفر الحارث	مجاهد	١٨١
الجار ذي القربى هو القريب النسب، والجار الجنب هو	ابن عباس	٣٨٠
جعل الذين اتبعوه فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة	الحسن	١٦٣
جعل الله هذه الأمور للناس في الجاهلية، وشدّد في الإسلام	سعيد بن جبير	٥٩٧
حبل الله الجماعة	ابن مسعود	١٨٧
حبل الله طاعته	الحسن	١٨٨
حبل الله عهد الله وأمره	مجاهد وعطاء وقتادة	١٨٧
حكماء أتقياء	سعيد بن جبير	١٧٠
حكماء علماء	ابن مسعود وأبو رزين والحسن	١٦٩
حلماء علماء أتقياء	ابن عباس	١٧٠
خير الناس للناس، تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم	أبو هريرة	١٩٩
الخيل المسومة: الراعية، والمطهّمة الحسان	ابن عباس	١١٦
ذُكر لنا أن المسلمين وأهل الكتاب افتخروا	قتادة	٤٨٨
ذي القربى القريب المسكن منك، والجنب البعيد المسكن عنك	ابن عباس	٣٨٠
الذي يقتل النفس المؤمنة متعمداً جعل الله جزاءه جهنم	مجاهد	٥٤٨
رابطوا على دينكم	زيد بن أسلم	٢٧٢
الراسخون يعلمون تأويله، لو لم يعلموا تأويله لم يعلموا ناسخه	الضحاك	٩٨
الربانيون الذين يربون الناس ولاة هذا الأمر	ابن زيد	١٧٠

الربيون الأتباع، والربانيون الولاة	ابن زيد	٢٤٨
سرايا متفرقين	ابن عباس	٤٣٣
سيداً	ابن عباس	٥٦٨
سيكلفون أن يأتوا بمثل ما بخلوا به من أموالهم يوم القيامة	مجاهد	٢٦٢
الشفاعة الحسنة هي الإصلاح بين الناس	ابن عباس	٤٥٨
الشفاعة الحسنة هي في البر والطاعة	الحسن	٤٥٨
صلاحاً لدينهم	سعيد بن جبير	٥٩٣
طمسها أن تعمى	ابن عباس	٣٩٦
عسى أن يطلقها فتتزوج غيره، فيجعل الله له فيها خيراً كثيراً	الحسن	٣٣٨
عشرة فما فوق ذلك	ابن عباس	٤٣٤
عصباً وفرقا	ابن عباس	٤٣٣
عصمة للناس	سعيد بن جبير	٥٩٣
علماء فقهاء	ابن عباس وابن جبير والضحاك والحسن وقتادة	١٦٩
غاب رجال عن بدر فكانوا يتمنون مثل يوم بدر أن يلقوه	مجاهد	٢٤٢
فرقاً قليلاً قليلاً	مجاهد	٤٣٣
فقهاء	مجاهد والحسن	١٦٩
فقهاء علماء حكماء	مجاهد	١٧٠
فقهاء معلمين	ابن عباس	١٦٩
الفقهاء والعلماء وهم فوق الأحبار	مجاهد	١٦٩
فورهم ذلك كان يوم أحد، غضبوا ليوم بدر مما لقوا	عكرمة	٢٢٥
في خاصة من أصحاب رسول الله > ومن صنع مثل صنيعهم	عمر بن الخطاب	٢٠٢
قالت قريش لن نبعث ولن نعذب	مجاهد	٤٨٩
قالت يهود ليست لنا ذنوب إلا كذنوب أولادنا يوم يولدون	الضحاك	٤٠٦
القرآن أمين على كل كتاب قبله	ابن عباس	٥٦٨
قيام دينهم والذي نفسي بيده لو تركوه عاماً واحداً ما نوظروا	ابن عباس	٥٩٣

كان أحدهم يأخذ الشاة السمينة من غنم اليتيم	السدي	٢٨٠
كان الحواريون لا يشكون أن الله قادر أن يترل عليهم مائدة	عائشة	٦١٣
كان الرجل إذا أراد البيت تقلد قلادة	قتادة	٥٩٧
كان الرجل إذا مات وترك جارية ألقى عليها حميمه ثوبه	ابن عباس	٣٣٦
كان رجل من الأنصار أسلم، ثم ارتد ولحق بالشرك، ثم ندم	ابن عباس	١٨٠
كانت العرب تحرّم كل ما حرمته الشريعة إلا	ابن عباس	٣٤٥
كانوا في الجاهلية إذا مات الرجل كان أولياؤه أحق بامرأته	ابن عباس	٣٣٤
كانوا يقدمون صبيانهم في الصلاة فيؤمونهم يزعمون أنهم	مجاهد	٤٠٧
كلما احترقت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها	قتادة والضحاك	٤١٥
كلما انضجتهم وأكلت لحومهم قيل لهم عودوا فعادوا	الحسن	٤١٧
كنتم خير الناس للناس على هذا الشرط أن تأمروا بالمعروف	مجاهد	٢٠١
الكهل الحليم	مجاهد	١٥٢
كونوا أهل عبادة وأهل تقوى لله	الحسن	١٧٠
لا تعجل بالرزق الحرام قبل أن يأتيك الحلال الذي قُدِّر لك	مجاهد، أبو صالح	٢٨١
لا يخرجه بحساب، يخاف أن ينقص ما عنده، إن الله لا ينقص	الربيع بن أنس	١٢٤
لا يزال الناس على دين ما حجوا واستقبلوا القبلة	الحسن	٥٩٣
لقد كفر أقوام بعد إيمانهم كما تسمعون	قتادة	١٩٢
لم تنسخ كانوا يحضرون فيُعْطَون الشيء والثوب الخَلِق	الحسن	٣٢٣
لما سمع النداء جاءه الشيطان فقال له: يا زكريا إن الصوت	ابن عباس	١٤٥
لما ضرب عليهم التيه ندم موسى فلما ندم أوحى الله إليه	السدي	٥٣٩
لما نزلت هذه الآية في أموال اليتامى كرهوا أن يخالطوهم	الحسن	٢٨٥
لولا هذه الآية لأحببت أن يكون من مالي	عبيدة السلماني	٣٢٥
ليأكل الفقير من ماله هو، يقوت على نفسه حتى لا يحتاج إلى	ابن عباس	٣١٨
ليس هذا بزمان هذه الآية، قولوا الحق ما قُبل منكم	عبد الله بن مسعود	٦٠٧
ما أيس الشيطان من بني آدم إلاّ أتاه من قِبل النساء	سعيد بن المسيب	٣٥٩
المرأة تُجزى بحسنتها عشر أمثالها كما يُجزى الرجل	قتادة	٣٦٥
مصدقاً بهذه الكتب وأميناً عليها	الحسن	٥٦٨

مع محمد > وأمته، شهدوا له بالبلاغ، وشهدوا للرسل أنهم	ابن عباس	١٥٨
من قتل نبياً أو إمامَ عدلٍ فكأنما قتل الناس جميعاً	ابن عباس	٥٤٩
من يَشفع شفاعة حسنة كان له أجرها وإن لم يُشَفّع	الحسن	٤٥٧
نتخذ اليوم الذي أنزلت فيه عيداً نُعظّمه، نحن ومن بعدنا	السدي	٦١٨
نحوّل وجوهها قِبَل ظهورها	قتادة	٣٩٧
نَزَلَتْ في عبد اللّهِ بن حُذَافَةَ بن قَيْسِ بن عَدِيٍّ إِذْ بَعَثَهُ	ابن عباس	٤٢٣
نسختها ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا﴾	الضحاك	٣١٢
النصارى فوق اليهود إلى يوم القيامة، فليس بلد فيه أحد من	ابن زيد	١٦٣
هذا اللص الذي يقطع الطريق فهو محارب	قتادة وعطاء	٥٥٧
هذا من كَفَر من أهل القبلة حين اقتتلوا	السدي	١٩٦
هم أصحاب النبي >	مجاهد	٤٢٥
هم الذين هاجروا مع رسول الله > إلى المدينة	ابن عباس	٢٠٢
هم أهل الكتاب عرفوا محمدا > ثم كفروا به	ابن عباس	١٨١
هو الإيمان الذي كان قبل الاختلاف في زمان آدم حين أخذ	أبي بن كعب	١٩٣
هو الرجل يستضيف الرجل فلا يُضيفه، فقد أُذن له أن يذكر	مجاهد	٥٠٤
هو الرجل يظلم الرجل فلا يدع عليه، ولكن ليقل	الحسن البصري	٥٠٣
هي في أهل الكتاب، كانوا مصدقين بأنبيائهم، مؤمنين بهم	عكرمة	١٩٣
هي محكمة وليست بمنسوخة	ابن عباس	٣٢٣
هي واجبة على أهل الميراث ما طابت به أنفسهم	مجاهد	٣٢٥
ودّوا لو انخرقت بهم الأرض فساخوا فيها	قتادة	٣٨٦
وذلك الحكمان، وكذلك كل مصلح يوفقه الله للحق	ابن عباس	٣٧٧
يا أَيُّهَا الناس إِنَّكُمْ تقرؤون هذه الآيَةَ	أبو بكر الصديق	٦٠٩
يا رَسُولَ اللّهِ يَغْزُو الرِّجَالُ وَلاَ نَغْزُو، وَلَنَا نِصْفُ الْمِيرَاثِ	أم سلمة	٣٦٧
يرقد عندها ويوليها ظهره، ويطؤها ولا يكلمها	السدي	٣٧٢
يعظها فإن هي قبلت وإلا هجرها في المضجع ولا يكلمها	ابن عباس	٣٧٢
يعني فيما أمركم ونهاكم	سعيد بن جبير	٢٧٢

رابعاً: فهرس الأعلام المترجم لهم

العَلَم	الصفحة
أحمد بن إبراهيم بن الزبير بن محمد الثقفي = أبو جعفر بن الزبير الغرناطي	٢٢
أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن يحيى بن جُزَي الكلبي	٢٥
إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي = أبو القاسم الأصبهاني	٤٢٤
أيوب بن موسى الحسيني الكفوي	٢١١
بكر بن عبد الله المزني	٣٤٠
الحارث بن سويد	١٨٠
حسن بن محمد القمي النيسابوري = نظام الدين النيسابوري	١٢١
الحسين بن أحمد بن خالويه النحوي	٦١٤
حضرمي بن لاحق التميمي اليمامي	٢٩٦
ذكوان أبو صالح السمان	٤٨٧
زكريا بن محمد الأنصاري	١٤٤
سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري = ابن الأعرابي	١٥٣
أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى المدني	٢٧٢
سهل بن سعد الساعدي	٢٧١
سهل بن عبد الله بن يونس التستري	٤٢٧
أبو صالح مولى أم هانئ	٢٢٤
صدي بن عجلان = أبو أمامة الباهلي	١٩٥
عبد الباقي بن عبد المجيد بن عبد الله اليماني	١٤٨
عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي	١٣١
عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله بن الأنباري = أبو البركات بن الأنباري	١٣٥
عبد الله بن الحسين العُكْبَري	١٢٧
عبد الله بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن يحيى بن جُزَي الكلبي	٢٥

عبد المنعم بن محمد بن عبدالرحيم الخزرجي = ابن الفَرس الأندلسي ٢٧٧
عبدالله بن زيد الجرمي الأزدي البصري = أبو قلابة ٣١٨
عبيد الله بن أبي جعفر القرشي الأموي مولاهم المصري ٣٣٢
عبيدة بن عمرو السلماني ٣١٤
عطية بن سعد العوفي ٣٩٦
علي بن إسماعيل بن سيده ٢٢٥
علي بن عثمان بن إبراهيم المارديني الحنفي = ابن التركماني ٤٠٨
غزوان الغفاري = أبو مالك ٢٩٠
القاسم بن إبراهيم ٢٨٨
لاحق بن حميد السدوسي البصري = أبو مِجْلَز ٣٣٥
محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ١١٢
محمد بن أحمد بن داود بن موسى اللخمي = ابن الكماد ٢٣
محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمن بن يوسف = ابن جُزَي الكلبي ١٦
محمد بن الحسن النقاش ١٧٣
محمد بن جعفر بن الزبير بن العوام القرشي المدني ٩٥
محمد بن عبد الرحمن بن محمد الحسني الحسيني الأيجي ٣٧٦
محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني الغرناطي = لسان الدين ابن الخطيب ٢٤
محمد بن عبد الله بن عيسى المري = ابن زمنين ٣٥٨
محمد بن عبد الواحد = غلام ثعلب ٤٦٤
محمد بن عمر بن محمد بن رشيد الفهري ٢٢
محمد بن قاسم بن أحمد بن إبراهيم الجياني الأنصاري =أبو عبد الله الشديِّد ٢٤
محمد بن كعب القرظي ٢٧٠
محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن يحيى بن جُزَي الكلبي ٢٥
محمد بن محمد بن يوسف الأنصاري الغرناطي = ابن الخشاب ٢٤

محمود بن أبي الحسن بن الحسين النيسابوري ٢٣٩
مسعود بن مالك الأسدي = أبو رزين ١٦٩
مقسم بن بُجرة أو ابن نَجدة النخعي ٣٣٠
نوف بن فضالة البكالي الشامي ٣٨١
هبة الله بن سلامة المقري ٦٠٨

خامساً: فهرس الكلمات والمصطلحات المشروحة

الكلمة	الصفحة
أَحصَنَّ	٣٥١
الأزلام	١٤٨
الإصلاح	٤٩٤
أغمار	١٠٣
أَمَم	٥٧١
البحيرة	٦٠٧
البهيمة	٥١١
بهيمة الأنعام	٥١٠
التأويل الاصطلاحي	٩٨
التأويل في القرآن	٩٧
التبدُّل	٢٨٠
التثريب	٣٧٣
التجليح	١٩٤
التحجيل	١١٥
التخصيص	٧٨
الترجيح	٤٦
تعولوا	٢٩٠
ثبات	٤٣٣
حبل	١٨٨
الحرب	٥٥٦

الكلمة	الصفحة
الحقيقة	٧٥
الخبيث	٢٨١
الرباط	٢٧٠
ربانيين	١٦٩
الرِّبَّة	٢٤٧
ربيون	٢٤٦
الرُّضاب	٢٠
ركس	٤٦٩
الرَّكِيّة	٤٥٦
الزَّمَانة	٤٨٦
السرابيل	٤١٥
سَوَّاه	٣٨٨ ، ٣٨٩
السُّومة	١١٥
شَرِقٌ	١٥٤
الشفع	٤٥٨
الشِّيَةُ	١١٤
الطمس	٣٩٨
الطيب	٢٨١
طَيَّة	٣٩
الظاهر	٧٣

الكلمة	الصفحة
ظليلاً	٤٢٠
العام	٧٨
العيد	١١٠
الغُرَّة	١١٥
الغلول	٢٥٤
الْفَتَّان	٢٧١
الفتنة	٤٦٩
فتيل	٤٠٩
فور	٢٢٣
القِداح	١٤٨
قرح	٢٣٥
القلائد	٥٩٧
قياماً وقواماً	٥٩٢
قِيَماً	٣٠٢
الكعبان	٥٢٠
كهل	١٥٢
كوكب	١٥٤
لُوِّق	٣٥٩
لَيٌّ	٥٠٤
لَيُبَطِّئَنّ	٤٣٦
ظليلاً	٤٢٠
مُتَأَثِّل	٣١٦

الكلمة	الصفحة
المتاع	٣٤٩
المجاز	٧٥
المِدْرَاس	١٢٢
المسوَّمة	١١٤
مشيَّدة	٤٥١
المطلق	٨٠
المُطَهَّم	١١٦
المقنطرة	١١٢
المقيّد	٨٠
مهيمن	٥٦٧
نِحْلَة	٢٩٨
نشاوى	٤٣٤
النَشَب	٢٠
النَّعم	٥١٤
نكاح المتعة	٣٤٨
الهِجار	٣٧٣
الهجر	٣٧٥
الواجد	٥٠٤
وخطه الشيب	١٥٣
يَصِلون إلى قوم	٤٦٣
يَفْرَكْ	٣٣٨
يمحِّص	٢٣٨

سادساً: فهرس المصادر والمراجع

المصادر والمراجع المطبوعة:

١- **القرآن الكريم**

٢- **الإبانة عن أصول الديانة**: لأبي الحسن الأشعري، تحقيق: د. فوقية حسين محمود، دار الأنصار، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٩٧.

٣- **أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم**: لصديق حسن خان القنوجي، تحقيق: عبد الجبار زكار، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٨م .

٤- **ابن جزي ومنهجه في التفسير**: لعلي الزبيري، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٧.

٥- **الإبهاج في شرح المنهاج** (شرح منهاج الوصول إلى علم الأصول للبيضاوي): لعلي ابن عبد الكافي السبكي، تحقيق: جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.

٦- **الإتقان في علوم القرآن**: للسيوطي، تعليق الدكتور مصطفى البغا، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٦هـ.

٧- **الأحاديث المختارة**: للضياء المقدسي، تحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

٨- **الإحاطة في أخبار غرناطة**: للسان الدين ابن الخطيب، تحقيق: د. يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣هـ - ١٤٢٤هـ.

٩- **إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام**: لابن دقيق العيد، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٠- **أحكام القرآن للشافعي**: جمعه: الإمام أبو بكر البيهقي، تحقيق: عبد الغني عبد الخالق، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٠هـ.

١١- **أحكام القرآن**: لابن العربي، تحقيق: رضى فرج الهمامي، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٤.

١٢- **أحكام القرآن**: لابن الفَرَس الأندلسي، تحقيق: د منجية السوايحي، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٧.

١٣- **أحكام القرآن**: لأبي بكر الجصاص، عناية: عبد السلام محمد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٤.

١٤- **أحكام القرآن**: للكيا الهرّاسي عماد الدين بن محمد الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢.

١٥- **الإحكام في أصول الأحكام**: لعلي بن محمد الآمدي، تحقيق: د. سيد الجميلي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.

١٦- **أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه**: لمحمد بن إسحاق بن العباس الفاكهي، تحقيق: د. عبد الملك عبد الله دهيش، دار خضر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.

١٧- **أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار**: لمحمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقي ، تحقيق: رشدي الصالح، دار الأندلس للنشر، بيروت، ١٤١٦هـ .

١٨- **اختلاف الحديث**: للإمام الشافعي، تحقيق: عامر أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ – ١٩٨٥م.

١٩- **الآداب الشرعية والمنح المرعية**: لأبي عبد الله محمد بن مفلح المقدسي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، عمر القيام، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ .

٢٠- **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**: لأبي السعود العمادي الحنفي، تعليق: عبد اللطيف عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩.

٢١- **إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل**: لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٤٠٥.

٢٢- **الأسامي والكنى**: للإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: عبدالله بن يوسف الجديع، مكتبة دار الأقصى، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ – ١٩٨٥م.

٢٣- **أسباب نزول القرآن**: للواحدي، تحقيق: كمال بسيوني، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢.

٢٤- **الاستيعاب في بيان الأسباب**: لسليم الهلالي ومحمد بن موسى آل نصر، دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الأولى، ١٤٢٥.

٢٥- **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**: لأبي عمر بن عبد البر، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

٢٦- **إسعاف المبطأ برجال الموطأ**: للسيوطي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٣٨٩هـ .
٢٧- **الإصابة في تمييز الصحابة**: لابن حجر العسقلاني، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
٢٨- **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**: لمحمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥.
٢٩- **اعتقاد أئمة الحديث**: لأبي بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي ، تحقيق: محمد ابن عبد الرحمن الخميس، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ .
٣٠- **الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث**: لأبي بكر البيهقي، تحقيق: أحمد عصام الكاتب، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ.
٣١- **إعراب القرآن الكريم وبيانه**: لمحي الدين الدرويش، دار اليمامة ودار ابن كثير، دمشق وبيروت، الطبعة السابعة ١٤٢٠.
٣٢- **إعراب القرآن**: لأبي جعفر النحاس، عناية خالد العلي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٩.
٣٣- **إعلام الموقعين عن رب العالمين**: لابن القيم، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٣م.
٣٤- **الأعلام: للزركلي**، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة السابعة ١٩٨٦م.
٣٥- **اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم**: لابن تيمية، تحقيق: محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٦٩ هـ.
٣٦- **الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى** : لابن ماكولا علي بن هبة الله بن أبي نصر، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ.
٣٧- **ألفية ابن مالك**، المكتبة الشعبية، بيروت، لبنان.
٣٨- **الأم**: للإمام أبي عبد الله الشافعي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ.
٣٩- **إملاء ما منَّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات**: لأبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري، تحقيق: إبراهيم عطوه عوض، المكتبة العلمية، لاهور، باكستان.
٤٠- **إنباه الرواة على أنباه النحاة**: للوزير القفطي، حققه: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار

الفكر العربي بالقاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية ببيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٦.

٤١- **الانتصار في الرد على المعتزلـــة القدرية الأشرار** : ليحيى بن أبي الخير العمراني، تحقيق: سعود بن عبد العزيز الخلف، دار أضواء السلف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م.

٤٢- **الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال:** لابن المنيّر الاسكندراني. (مطبوع مع تفسير الكشاف للزمخشري).

٤٣- **الأنساب:** لأبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني، تحقيق: عبد الله عمر البارودي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.

٤٤- **أنوار التنزيل وأسرار التأويل:** للبيضاوي، دار الفكر، بيروت.

٤٥- **أوصاف الناس في التواريخ والصلات:** للسان الدين ابن الخطيب، تحقيق: د محمد كمال شبانة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤٢٣.

٤٦- **إيجاز البيان عن معاني القرآن:** لمحمود النيسابوري، دراسة وتحقيق: د حنيف القاسمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م.

٤٧- **إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون:** لإسماعيل باشا بن محمد أمين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣ – ١٩٩٢م.

٤٨- **الإيمان:** لمحمد بن يحيى بن أبي عمر العدني، تحقيق: حمد بن حمدي الجابري الحربي، الدار السلفية، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـــ.

٤٩- **بحر العلوم (تفسير السمرقندي):** لأبي الليث السمرقندي، تحقيق: د.محمود مطرجي دار الفكر، بيروت.

٥٠- **بحر المحيط في أصول الفقه:** لبدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، ضبط نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه: د. محمد محمد تامر، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـــ - ٢٠٠٠م. البحر

٥١- **البحر المحيط:** لأبي حيان الأندلسي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض وآخرَين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٨.

٥٢- **بدائع التفسير الجامع لما فسره الإمام ابن القيم، جمع:** يسري السيد محمد، دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الأولى، ١٤٢٧.

٥٣- **بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع:** لعلاء الدين الكاساني، دار الكتاب العربي، بيروت،

الطبعة الثانية، ١٩٨٢.

٥٤- **بدائع الفوائد:** لابن القيم، تحقيق: هشام عبد العزيز عطا وآخرين، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤١٦ – ١٩٩٦م.

٥٥- **البداية والنهاية:** لابن كثير، مكتبة المعارف، بيروت.

٥٦- **البداية والنهاية:** لابن كثير ، تحقيق الدكتور عبد الله التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر، دار هجر، مصر، الطبعة الأولى ١٤١٩.

٥٧- **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع:** لمحمد بن علي الشوكاني، دار المعرفة، بيروت.

٥٨- **البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة:** للنشار، تحقيق علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود ومشاركة أحمد المعصراوي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢١.

٥٩- **البرهان في علوم القرآن:** لمحمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩١هـ.

٦٠- **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة:** لجلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان، صيدا .

٦١- **البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة:** لمحمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: محمد المصري، جمعية إحياء التراث الإسلامي، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧ هـ.

٦٢- **بهجة الأريب في بيان ما في كتاب الله العزيز من الغريب:** لابن التركماني، تحقيق: خالد محمد خميس، وزارة الأوقاف بمصر، ١٤٢٢.

٦٣- **البيان في إعراب غريب القرآن:** لأبي البركات عبد الرحمن بن الأنباري، تعليق: بركات يوسف هبود، دار الأرقم، بيروت.

٦٤- **تاج العروس من جواهر القاموس:** لمحمد مرتضى الحسيني الزبيدي، دار الهداية.

٦٥- **تاريخ ابن خلدون** : دار القلم، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٩٨٤.

٦٦- **تاريخ أصبهان:** لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، تحقيق: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠ هـ- ١٩٩٠م.

٦٧- **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام:** للذهبي، تحقيق: د. عمر عبد السلام

تدمرى، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
٦٨- **تاريخ الطبري**: لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت.
٦٩- **التاريخ الكبير**: لمحمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: السيد هاشم الندوي، دار الفكر.
٧٠- **تاريخ بغداد**: للخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت.
٧١- **تاريخ جرجان**: لحمزة بن يوسف الجرجاني، تحقيق: د. محمد عبد المعيد خان، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠١ – ١٩٨١م.
٧٢- **تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل**: لابن عساكر، تحقيق: عمر بن غرامة العمري، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥م.
٧٣- **تأويل مشكل القرآن**: لابن قتيبة، تعليق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٨.
٧٤- **تبصير المنتبه بتحرير المشتبه**: لابن حجر العسقلاني، تحقيق: علي محمد البجاوي، محمد علي النجار، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان.
٧٥- **التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين**: لأبي المظفر طاهر بن محمد الإسفراييني، تحقيق: كمال يوسف الحوت، عالم الكتب، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
٧٦- **التبيان في إعراب القرآن**: لأبي البقاء العكبري، تحقيق: سعد كريّم الفقي، دار اليقين، المنصورة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢.
٧٧- **التبيان في تفسير غريب القرآن**: لابن الهائم المصري، تحقيق: د ضاحي عبد الباقي محمد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠٣م.
٧٨- **التحبير شرح التحرير في أصول الفقه**: لأبي الحسن علي بن سليمان المرداوي الحنبلي، تحقيق: د. عبد الرحمن الجبرين، د. عوض القرني، د. أحمد السراح، مكتبة الرشد، السعودية، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
٧٩- **التحرير والتنوير**: لابن عاشور، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠.
٨٠- **تحفة الطالب بمعرفة أحاديث مختصر ابن الحاجب**: لابن كثير، تحقيق: عبد الغني الكبيسي، دار حراء، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.
٨١- **التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة**: شمس الدين السخاوي، دار الكتب العلمية،

بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

٨٢- **تحفة الودود بأحكام المولود:** لابن القيم، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة دار البيان، دمشق، الطبعة الأولى ١٣٩١.

٨٣- **تحقيق المراد في أن النهي يقتضي الفساد:** لأبي سعيد العلائي، تحقيق: د. إبراهيم محمد، دار الكتب الثقافية، الكويت.

٨٤- **تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي:** لجلال الدين السيوطي، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض.

٨٥- **التدوين في أخبار قزوين:** لعبد الكريم بن محمد الرافعي القزويني، تحقيق: عزيز الله العطاري، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م.

٨٦- **تذكرة الأريب في تفسير الغريب:** لابن الجوزي، تحقيق: د علي حسين البواب، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٧.

٨٧- **تذكرة الحفاظ:** للذهبي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى.

٨٨- **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك:** للقاضي عياض بن موسى اليحصبي الأندلسي، تحقيق: محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

٨٩- **الترجمان عن غريب القرآن:** لعبد الباقي اليماني، دراسة وتحقيق: موسى بن سليمان آل إبراهيم، مكتبة البيان، الطائف، الطبعة الأولى، ١٤١٩.

٩٠- **التسهيل لعلوم التنزيل:** لابن جزي الكلبي، عناية: د. عبد الله الخالدي، دار الأرقم، بيروت، ١٤١٦[1].

٩١- **التسهيل لعلوم التنزيل:** لابن جزي الكلبي، دار الكتاب العربي، لبنان، الطبعة الرابعة، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٩٢- **التسهيل لعلوم التنزيل:** لابن جزي الكلبي، تحقيق: رضا فرج الهمامي، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣.

٩٣- **التسهيل لعلوم التنزيل:** لابن جزي الكلبي، عناية محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية،

(١) وهي الطبعة التي أُحيل إليها، وإذا أحلت لغيرها نبّهت عليه في موضعه.

بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٨.

٩٤- **التعديل والتجريح ،لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح**: لأبي الوليد الباجي، حققه: د. أبو لبابة حسين، دار اللواء للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٦.

٩٥- **التعريف والإعلام فيما أبهم في القرآن من الأسماء الأعلام**: للسهيلي، دراسة وتحقيق: عبد الله النقراط، منشورات كلية الدعوة الإسلامية ولجنة الحفاظ على التراث الإسلامي، طرابلس، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م.

٩٦- **تفسير السخاوي (تفسير القرآن العظيم)**: لعلي بن محمد السخاوي، تحقيق وتعليق: د موسى علي موسى وزميله، دار النشر للجامعات، القاهرة، دار ابن حزم.

٩٧- **تفسير ابن أبي حاتم الرازي** : تحقيق: أسعد محمد الطيب، المكتبة العصرية، صيدا.

٩٨- **تفسير ابن أبي زمنين**: لمحمد بن عبد الله بن أبي زمنين، تحقيق: حسين بن عكاشة – محمد بن مصطفى الكنز، دار الفاروق الحديثة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ .

٩٩- **تفسير ابن المنذر (تفسير القرآن)**: تحقيق: د سعد السعد، دار المآثر، المدينة النبوية، الطبعة الأولى، ١٤٢٣.

١٠٠- **تفسير الأيجي (جامع البيان في تفسير القرآن)**: لمحمد الحسيني الأيجي، تعليق: محمد عبد الله الغزنوي، مراجعة: صلاح الدين مقبول، شركة غراس، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٢٨.

١٠١- **تفسير الثعالبي (لجواهر الحسان في تفسير القرآن)**: لعبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، تحقيق: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٨.

١٠٢- **تفسير الثعلبي (الكشف والبيان)** : لأبي إسحاق أحمد بن محمد الثعلبي، دراسة وتحقيق: أبي محمد بن عاشور، مراجعة: نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢.

١٠٣- **تفسير الجلالين**: لجلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي، خرّج أحاديثه وصححه المركز العلمي بدار السلام، تعليق: صفي الرحمن المباركفوري، دار السلام بالرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٦.

١٠٤- **تفسير الرازي (التفسير الكبير)**: لمحمد بن عمر الرازي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٥.

١٠٥- **تفسير الراغب الأصفهاني من أول سورة آل عمران وحتى نهاية الآية (١١٣) من سورة النساء دراسةً وتحقيقاً**: د. عادل بن علي الشدي، مدار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٤.

١٠٦- **تفسير السمعاني (تفسير القرآن)**: لأبي المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

١٠٧- **تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)**: لمحمد بن جرير الطبري، تصحيح: علي عاشور، دار الضياء، الكويت، الطبعة الأولى.

١٠٨- **تفسير العز بن عبد السلام**: لعز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي الشافعي، تحقيق: د عبد الله بن إبراهيم الوهبي، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ .

١٠٩- **تفسير القرآن العظيم**: لابن كثير، تحقيق سامي السلامة، دار طيبة، الرياض، الإصدار الثاني، الطبعة الأولى، ١٤٢٢.

١١٠- **التفسير اللغوي للقرآن الكريم**: للدكتور مساعد الطيار، دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الأولى ١٤٢٢.

١١١- **تفسير المراغي**: لأحمد بن مصطفى المراغي، عناية: باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٧.

١١٢- **تفسير المشكل من غريب القرآن**: لمكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق: د علي حسين البواب، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٦.

١١٣- **تفسير المنار**: لمحمد رشيد رضا، تعليق: سمير مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣.

١١٤- **تفسير آيات الأحكام في سورة النساء**: للدكتور سليمان اللاحم، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٤.

١١٥- **تفسير سفيان الثوري**: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣.

١١٦- **تفسير سورة آل عمران**: لابن عثيمين،طبع بإشراف مؤسسة ابن عثيمين الخيرية،دار ابن

الجوزي، الدمام، الطبعة الأولى، ١٤٢٦.

١١٧- **تفسير عبد الرزاق:** للإمام عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: د. مصطفى مسلم، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٠.

١١٨- **تفسير غريب القرآن العظيم:** لمحمد بن أبي بكر الرازي، تحقيق: د حسين المالي، وقف الديانة التركي، أنقرة، ١٩٩٧م.

١١٩- **تفسير غريب القرآن:** لمحمد بن إسماعيل الصنعاني، تحقيق: محمد صبحي بن حسن حلاّق، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢١.

١٢٠- **تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم:** لمحمد بن أبي نصر الحميدي، تحقيق: د زبيدة محمد سعيد، مكتبة السنة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٥ - ١٩٩٥.

١٢١- **تفسير مجاهد،** تحقيق: عبدالرحمن الطاهر محمد السورتي، المنشورات العلمية، بيروت.

١٢٢- **تفسير مقاتل بن سليمان:** لمقاتل بن سليمان بن بشير البلخي، تحقيق: أحمد فريد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

١٢٣- **تقريب التهذيب:** لابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد عوامة، دار الرشيد، سوريا، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ – ١٩٨٦م.

١٢٤- **تقريب الوصول إلى علم الأصول:** لابن جزي الكلبي، تحقيق: د محمد المختار بن الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، الطبعة الثانية، ١٤٢٣.

١٢٥- **التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد:** لمحمد بن عبد الغني بن نقطة البغدادي، تحقيق: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

١٢٦- **التقييد والإيضاح لما أطلق وأغلق من كتاب ابن الصلاح** : للحافظ زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، دار الفكر للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٣٨٩هـ - ١٩٧٠م.

١٢٧- **التكملة لكتاب الصلة:** لأبي عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي، تحقيق: عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة، لبنان، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.

١٢٨- **تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير:** لابن حجر العسقلاني، تحقيق: السيد عبد الله هاشم اليماني المدني، المدينة المنورة، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

١٢٩- **التمهيد في تخريج الفروع على الأصول:** لعبد الرحيم بن الحسن الأسنوي، تحقيق:

د. محمد حسن هيتو، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٠.

١٣٠- **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد:** لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ،محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ١٣٨٧.

١٣١- **التنبيه والرد على أهل الأهـــواء والبدع** : لأبي الحسن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الملطي الشافعي، تحقيق: محمد زاهد الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر، ١٤١٨هـــ - ١٩٩٧م.

١٣٢- **تنقيح تحقيق أحاديث التعليق:** لمحمد بن أحمد بن عبد الهادي الحنبلي، تحقيق: أيمن صالح شعبان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م.

١٣٣- **تهذيب التهذيب:** لابن حجر، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤.

١٣٤- **تهذيب الكمال:** لأبي الحجاج المزي، تحقيق: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٠ - ١٩٨٠.

١٣٥- **تهذيب اللغة:** لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.

١٣٦- **التوقيف على مهمات التعاريف:** لمحمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر ، دار الفكر، بيروت ، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـــ.

١٣٧- **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان:** لعبد الرحمن بن ناصر السعدي، اعتنى به: سعد الصميل، دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الأولى، ١٤٢٢.

١٣٨- **التيسير في القراءات السبع:** لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـــ - ١٩٨٤م.

١٣٩- **الثقات:** لمحمد بن حبان البستي، تحقيق: السيد شرف الدين أحمد، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٣٩٥ – ١٩٧٥م.

١٤٠- **جامع التحصيل في أحكام المراسيل:** لأبي سعيد العلائي، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٧ – ١٩٨٦.

١٤١- **الجامع لأحكام القرآن:** لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣.

١٤٢- **الجرح والتعديل**: لعبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي التميمي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م.

١٤٣- **جزء فيه قراءات النبي صلى الله عليه وسلم**: لأبي عمر حفص بن عمر الدوري، تحقيق: حكمت بشير ياسين، مكتبة الدار، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

١٤٤- **جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام**: لابن القيم، تحقيق: شعيب الأرناؤوط - عبد القادر الأرناؤوط، دار العروبة، الكويت، الطبعة الثانية، ١٤٠٧.

١٤٥- **الجهاد**: لابن المبارك، الدار التونسية، تونس.

١٤٦- **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح**: لابن تيمية، تحقيق: علي سيد صبح المدني، مطبعة المدني، مصر.

١٤٧- **الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي**: لابن القيم، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٤٨- **الجواهر المضية في طبقات الحنفية**: لعبد القادر بن أبي الوفاء القرشي، نشر: مير محمد كتب خانه، كراتشي.

١٤٩- **الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي**: لعلي بن محمد الماوردي، تحقيق: علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩ م.

١٥٠- **حجة القراءات**: لعبد الرحمن بن محمد بن زنجلة، تحقيق : سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية ، ١٤٠٢.

١٥١- **الحجة في القراءات السبع**: للحسين بن أحمد بن خالويه، تحقيق: د. عبد العال سالم مكرم، دار الشروق، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠١هـ.

١٥٢- **الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة**: لأبي القاسم إسماعيل بن محمد التيمي الأصبهاني، تحقيق: محمد بن ربيع بن هادي المدخلي، دار الراية، السعودية، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

١٥٣- **الحجة في علل القراءات السبع**: لأبي علي الفارسي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرَين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٨.

١٥٤- **حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن**: لمحمد الأمين بن عبد الله الهرري، إشراف ومراجعة د هاشم محمد علي، دار المنهاج بجدة، دار طوق النجاة ببيروت، الطبعة

الثالثة ١٤٢٨.

١٥٥- **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء:** لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٥هـ.

١٥٦- **الخوارج:** للدكتور ناصر العقل، دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٦.

١٥٧- **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون:** للسمين الحلبي، تحقيق:د أحمد الخراط، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٧.

١٥٨- **الدر المنثور في التفسير بالمأثور:** لجلال الدين السيوطي، تحقيق: د عبد الله التركي بالتعاون مع مركز هجر، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٤.

١٥٩- **الدر النضيد في تخريج كتاب التوحيد:** لصالح بن عبد الله العصيمي، دار ابن خزيمة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٣.

١٦٠- **الدراية في تخريج أحاديث الهداية:** لابن حجر العسقلاني، تحقيق: السيد عبد الله هاشم اليماني المدني، دار المعرفة، بيروت.

١٦١- **دُرَّة الحجال في غُرّة أسماء الرجال:** لابن القاضي المكناسي، تحقيق: مصطفى عبد القادر، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣.

١٦٢- **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة:** لابن حجر العسقلاني، مجلس دائرة المعارف العثمانية، صيدر اباد، الهند، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.

١٦٣- **دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب:** لمحمد الأمين الشنقيطي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.

١٦٤- **دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية:** جمع وتحقيق: د. محمد السيد الجليند، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ.

١٦٥- **دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة:** لأبي بكر البيهقي، تحقيق: د عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥.

١٦٦- **الديباج المذهّب في معرفة أعيان علماء المذهب:** لإبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون المالكي، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٦٧- **الديباج على مسلم:** لجلال الدين السيوطي، تحقيق: أبي إسحاق الحويني، دار ابن عفان، الخبر، السعودية، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

١٦٨- **ديوان الأعشى الكبير** : شرح: د. حنا نصر الحتّي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢.

١٦٩- **ديوان زهير بن أبي سلمى** : تعليق: كرم البستاني، دار صادر، بيروت.

١٧٠- **الذخيرة:** لشهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي، تحقيق: محمد حجي، دار الغرب، بيروت، ١٩٩٤م.

١٧١- **رجال صحيح مسلم:** لأبي بكر أحمد بن علي بن منجويه الأصبهاني، تحقيق: عبد الله الليثي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأول،ى ١٤٠٧ .

١٧٢- **الرحيق المختوم:** لصفي الرحمن المباركفوري، دار الريان للتراث، القاهرة، الطبعة السادسة، ١٤٠٨.

١٧٣- **الرد على الزنادقة والجهمية:** للإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: محمد حسن راشد، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٩٣هـ.

١٧٤- **الرسالة:** للإمام محمد بن إدريس الشافعي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، القاهرة، ١٣٥٨هـ - ١٩٣٩م.

١٧٥- **رفع الإصر عن قضاة مصر:** لابن حجر العسقلاني، تحقيق: د. علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.

١٧٦- **رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب:** تاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي، تحقيق: علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

١٧٧- **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني:** لمحمود الألوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٧٨- **روضة الناظر وجنة المناظر:** لأبي محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، تحقيق: د. عبد العزيز عبد الرحمن السعيد، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، الطبعة الثانية، ١٣٩٩.

١٧٩- **زاد المسير في علم التفسير:** لابن الجوزي، عناية أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٢.

١٨٠- **زاد المعاد في هدي خير العباد:** لابن القيم، تحقيق: شعيب الأرناؤوط - عبد القادر

الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، مكتبة المنار الإسلامية، بيروت، الكويت، الطبعة الرابعة عشر، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.

١٨١- **الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي**: لأبي منصور الأزهري، تحقيق: د. محمد جبر الألفي، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الكويت، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ.

١٨٢- **زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه**: لعبد الرزاق البدر، دار كنوز إشبيليا، الطبعة الثانية، ١٤٢٧.

١٨٣- **السبعة في القراءات**: لأبي بكر بن مجاهد، تحقيق: د شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، الطبعة الثانية.

١٨٤- **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها**: لمحمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٢.

١٨٥- **السنة**: لأبي بكر أحمد بن محمد بن هارون الخلال، تحقيق: د. عطية الزهراني، دار الراية، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.

١٨٦- **السنة**: لعبد الله بن أحمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: د. محمد سعيد سالم القحطاني، دار ابن القيم، الدمام، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

١٨٧- **السنة**: لعمرو بن أبي عاصم الضحاك الشيباني، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ.

١٨٨- **سنن ابن ماجه**: تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت.

١٨٩- **سنن أبي داود** : تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت.

١٩٠- **سنن الترمذي**: تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرين، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٩١- **سنن الدارمي**: تحقيق: فواز أحمد زمرلي ، وخالد السبع،دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.

١٩٢- **السنن الكبرى**: للنسائي، تحقيق: د. عبد الغفار سليمان البنداري ، سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١ – ١٩٩١م.

١٩٣- **السنن الكبرى**: لأبي بكر البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

١٩٤- **سنن النسائي (المجتبى)**:تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب،

الطبعة الثانية، ١٤٠٦.

١٩٥- **سنن سعيد بن منصور**: تحقيق: د. سعد بن عبد الله آل حميد، دار العصيمي، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

١٩٦- **سير أعلام النبلاء**: للذهبي، تحقيق مجموعة من الباحثين بإشراف شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة السابعة ١٤١٠.

١٩٧- **السيرة النبوية**: لابن هشام، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ.

١٩٨- **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**: لمحمد بن مخلوف، تعليق: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٤.

١٩٩- **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**: لابن العماد الحنبلي، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، محمود الأرناؤوط، دار بن كثير، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

٢٠٠- **شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة**: لهبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي، تحقيق: د. أحمد سعد حمدان، دار طيبة، الرياض، ١٤٠٢.

٢٠١- **شرح أصول في التفسير**: المتن والشرح كلاهما لابن عثيمين، عناية: أيمن عارف الدمشقي وزميله، مكتبة السنة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٥.

٢٠٢- **شرح الأربعين النووية**: لابن دقيق العيد، مكتبة الرشد، الرياض،الطبعة الأولى، ١٤٢٤.

٢٠٣- **شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك**: لمحمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.

٢٠٤- **شرح السنة**: للإمام البغوي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٢٠٥- **شرح العقيدة الطحاوية**: لابن أبي العز الحنفي الدمشقي، تحقيق وتعليق: د عبد الله التركي وشعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٤١١.

٢٠٦- **شرح العقيدة الواسطية**: للدكتور صالح الفوزان، نشر رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء بالسعودية، الطبعة السادسة ١٤٢٠.

٢٠٧- **شرح الكوكب المنير**: لابن النجار، تحقيق: د. محمد الزحيلي، د. نزيه حماد، نشر جامعة

أم القرى، معهد البحوث العلمية، الطبعة الثانية، ١٤١٣.

٢٠٨- **شرح صحيح البخاري**: لابن بطال البكري القرطبي، تحقيق: أبي تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

٢٠٩- **شرح صحيح مسلم**: لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ.

٢١٠- **شرح مشكل الآثار**: لأبي جعفر أحمد بن محمد الطحاوي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.

٢١١- **الشريعة**: لأبي بكر محمد بن الحسين الآجري، تحقيق: د عبد الله بن عمر الدميجي، دار الوطن، الرياض، السعودية، الطبعة الثانية، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م.

٢١٢- **الشفا بتعريف حقوق المصطفى**: للقاضي عياض بن موسى اليحصبي، تحقيق: علي البجاوي، دار المريخ، مطبعة عيسى البابي الحلبي بالقاهرة.

٢١٣- **شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل**: لابن القيم، تحقيق: محمد بدر الدين النعساني الحلبي، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨هـ.

٢١٤- **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**: للجوهري، عناية: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٨.

٢١٥- **صحيح ابن حبان**. بترتيب ابن بلبان، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤.

٢١٦- **صحيح ابن خزيمة** : تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٩٠.

٢١٧- **صحيح البخاري**: تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير،، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٢١٨- **صحيح الجامع الصغير وزيادته**: لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨.

٢١٩- **صحيح سنن الترمذي**: لمحمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى للطبعة الجديدة، ١٤٢٠.

٢٢٠- **صحيح سنن النسائي**: لمحمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى

للطبعة الجديدة، ١٤١٩.

٢٢١- **صحيح مسلم**: تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢٢٢- **صفة الصفوة**: لابن الجوزي، تحقيق: محمود فاخوري، د. محمد رواس قلعه جي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م.

٢٢٣- **الضعفاء والمتروكين**: لأحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، دار الوعي، حلب، الطبعة الأولى، ١٣٩٦هـ.

٢٢٤- **ضعيف أبي داود**: لمحمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى للطبعة الجديدة، ١٤١٩.

٢٢٥- **طبقات الأسماء المفردة من الصحابة والتابعين وأصحاب الحديث**: أحمد بن هارون البرديجي، تحقيق: عبده علي كوشك، دار المأمون للتراث، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٠.

٢٢٦- **طبقات الحفاظ**: لجلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.

٢٢٧- **طبقات الشافعية**: لابن قاضي شهبة، تحقيق: د. الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.

٢٢٨- **الطبقات الكبرى**: لابن سعد، دار صادر، بيروت.

٢٢٩- **طبقات المفسرين**: لأحمد بن محمد الأدنه وي، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.

٢٣٠- **طبقات المفسرين**: لجلال الدين السيوطي، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٩٦هـ.

٢٣١- **طبقات المفسرين**: لمحمد بن علي الداوودي، ضبطه ووضع حواشيه: عبد السلام عبد المعين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢.

٢٣٢- **طريق الهجرتين وباب السعادتين**: لابن القيم، تحقيق: عمر بن محمود، دار ابن القيم، الدمام، الطبعة الثانية، ١٤١٤ - ١٩٩٤.

٢٣٣- **طلبة الطلبة في الاصطلاحات الفقهية**: لأبي حفص عمر بن محمد النسفي، ضبط وتعليق: خالد عبد الرحمن العك، دار النفائس، عمان، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

٢٣٤- **العبر في خبر من غبر**: للذهبي، تحقيق: د. صلاح الدين المنجد، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، الطبعة الثانية، ١٩٨٤م.

٢٣٥- **العجاب في بيان الأسباب**: لابن حجر العسقلاني، تحقيق: عبد الحكيم محمد الأنيس، دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الأولى، ١٤١٨.

٢٣٦- **العقيدة الواسطية**: لابن تيمية، تحقيق: محمد بن عبد العزيز بن مانع، نشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث والإفتاء، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ.

٢٣٧- **العلو للعلي الغفار في إيضاح صحيح الأخبار وسقيمها**: للذهبي، تحقيق : أشرف ابن عبد المقصود، مكتبة أضواء السلف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

٢٣٨- **علوم الحديث**: لابن الصلاح، تحقيق وشرح: نور الدين عتر، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٦.

٢٣٩- **عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ**: للسمين الحلبي، تحقيق: د محمد التونجي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤.

٢٤٠- **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**: لبدر الدين محمود بن أحمد العيني، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢٤١- **عون المعبود شرح سنن أبي داود**: لمحمد شمس الحق العظيم آبادي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٥م.

٢٤٢- **العين**: للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

٢٤٣- **غاية النهاية في طبقات القراء**: لابن الجزري، عني بنشره: ج. برجستراسر، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٢.

٢٤٤- **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**: لنظام الدين الحسن بن محمد القمي النيسابوري، تحقيق: زكريا عميران، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ .

٢٤٥- **غريب الحديث**: لإبراهيم بن إسحاق الحربي، تحقيق: د. سليمان إبراهيم العايد، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.

٢٤٦- **غريب الحديث**: لابن قتيبة الدينوري ، تحقيق: د. عبد الله الجبوري، مطبعة العاني، بغداد، الطبعة الأولى، ١٣٩٧.

٢٤٧- **غريب الحديث**: لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي، تحقيق: د. محمد عبد المعيد خان، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٦هـ.

٢٤٨- **غريب الحديث**: لأحمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي، تحقيق: عبد الكريم إبراهيم العزباوي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٢.

٢٤٩- **غوامض الأسماء المبهمة الواقعة في متون الأحاديث المسندة**: لخلف بن عبد الملك ابن بشكوال، تحقيق: د. عز الدين علي السيد ، محمد كمال الدين عز الدين، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.

٢٥٠- **الفتاوى الكبرى**: لشيخ الإسلام ابن تيمية، دار المعرفة، بيروت.

٢٥١- **فتح الباري شرح صحيح البخاري**: لابن حجر العسقلاني، عناية: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت.

٢٥٢- **فتح البيان في مقاصد القرآن**: لصديق حسن خان، وضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠.

٢٥٣- **فتح الرحمن بكشف ما يلتبس من القرآن**: لزكريا الأنصاري، تحقيق: محمد الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣.

٢٥٤- **الفتح السماوي**: للمناوي، تحقيق: أحمد مجتبى، دار العاصمة، الرياض.

٢٥٥- **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**: لمحمد بن علي الشوكاني، تعليق: هشام البخاري وخضر عكاري، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٧.

٢٥٦- **الفتح المبين في طبقات الأصوليين**: لعبد الله مصطفى المراغي، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ١٤١٩.

٢٥٧- **الفَرق بين الفِرَق**: لعبد القاهر البغدادي، عناية: إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٢٩.

٢٥٨- **فِرَق معاصرة تنسب إلى الإسلام**: للدكتور غالب عواجي، دار لينة، مصر، الطبعة الثالثة، ١٤١٨.

٢٥٩- **الفصل في الملل والأهواء والنحل**: لأبي محمد بن حزم الظاهري، مكتبة الخانجي، القاهرة.

٢٦٠- **فصول في أصول التفسير**: للدكتور مساعد الطيار، دار النشر الدولي، الرياض، الطبعة

الثانية ١٤١٧.

٢٦١- **فضائل القرآن:** لأبي عبيد القاسم بن سلاّم، تحقيق وتعليق: مروان العطية وزميليه، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٢٠.

٢٦٢- **الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي: لمحمد بن الحسن الفاسي، اعتنى به:** أيمن صالح شعبان، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٨.

٢٦٣- **فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات:** لعبد الحي الكتاني، تحقيق: د. إحسان عباس، دار الغرب الاسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

٢٦٤- **الفهرست:** لابن النديم، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

٢٦٥- **فوات الوفيات:** لمحمد بن شاكر الكتبي، تحقيق: علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م.

٢٦٦- **القاموس المحيط:** للفيروز آبادي، عناية: حسان عبد المنان، بيت الأفكار الدولية، لبنان، ٢٠٠٤.

٢٦٧- **القُرطَين:** لابن مطرّف الكناني، دار المعرفة، بيروت. (جمع كتابَيّ مشكل القرآن وغريبه لابن قتيبة).

٢٦٨- **القطع والائتناف:** لأبي جعفر النحاس، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣.

٢٦٩- **قلائد المرجان في بيان الناسخ والمنسوخ في القرآن:** لمرعي بن يوسف الكرمي، تحقيق: سامي عطا حسن، دار القرآن الكريم، الكويت، ١٤٠٠هـ.

٢٧٠- **قواطع الأدلة في الأصول:** لأبي المظفر السمعاني، تحقيق: محمد حسن الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

٢٧١- **القواعد:** لابن رجب الحنبلي، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، الطبعة الثانية، ١٩٩٩م.

٢٧٢- **قواعد الترجيح عند المفسرين:** لحسين الحربي، دار القاسم، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٧.

٢٧٣- **قواعد التفسير:** لخالد بن عثمان السبت، دار ابن عفان، الخبر، الطبعة الأولى

.١٤١٧

٢٧٤- **القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية والتنبيه على مذهب الشافعية والحنفية والحنبلية:** لابن جزي الكلبي، تحقيق عبد الكريم الفضيلي، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠.

٢٧٥- **الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة:** لشمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: محمد عوامة، دار القبلة للثقافة الإسلامية، مؤسسة علـــو، جـــدة، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـــ - ١٩٩٢م.

٢٧٦- **الكامل في ضعفاء الرجال:** لابن عدي، تحقيق: يحيى مختار غزاوي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩ هـــ - ١٩٨٨م.

٢٧٧- **كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد:** للإمام محمد بن عبد الوهاب، تحقيق وتعليق: عبد القادر الأرناؤوط، دار السلام، الرياض، ١٤١٣.

٢٧٨- **كتاب العلم:** لابن عثيمين، جمع: فهد بن ناصر السليمان، طبع بإشراف مؤسسة ابن عثيمين الخيرية، دار الثريا، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٣.

٢٧٩- **الكتيبة الكامنة في مَنْ لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة:** للسان الدين ابن الخطيب، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٦٣م.

٢٨٠- **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل:** لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، ضبط: أبي عبد الله الداني آل زهوي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٧.

٢٨١- **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون:** لحاجي خليفة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣ – ١٩٩٢م.

٢٨٢- **كشف المشكل من حديث الصحيحين:** لأبي الفرج بن الجوزي، تحقيق : علي حسين البواب، دار الوطن، الرياض، ١٤١٨هـــ - ١٩٩٧م.

٢٨٣- **الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها:** لمكي بن أبي طالب، تحقيق : عبد الرحيم الطرهوني، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٨.

٢٨٤- **الكفاية في علم الرواية:** للخطيب البغدادي، المكتبة العلمية، المدينة المنورة.

٢٨٥- **الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية:** لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني

الكفوي، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٩هـ.

٢٨٦- **لباب التأويل في معاني التنزيل**: للخازن علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٢٨٧- **اللبـــاب في علوم الكتاب**: لابن عادل الحنبلي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ .

٢٨٨- **لسان العرب**: لابن منظور الأفريقي، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى.

٢٨٩- **لسان الميزان**: لابن حجر العسقلاني، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٦ - ١٩٨٦.

٢٩٠- **اللمع في أصول الفقه**: أبو إسحاق الشيرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٢٩١- **المبسوط**: لشمس الدين السرخسي، دار المعرفة، بيروت.

٢٩٢- **مجاز القرآن**: لأبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي، تحقيق: د محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة.

٢٩٣- **مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية**: جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، وابنه محمد، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، ١٤١٦.

٢٩٤- **محاسن التأويل**: للقاسمي، تحقيق: أحمد بن علي وحمدي صبح، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٤.

٢٩٥- **المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها**: لابن جني، دراسة وتحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩.

٢٩٦- **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**: لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٢٨.

٢٩٧- **المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة**: للدكتور خالد المزيني، دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الأولى، ١٤٢٧.

٢٩٨- **المحصول في أصول الفقه**: لأبي بكر بن العربي المالكي، تحقيق: حسين علي اليدري -

سعيد فودة، دار البيارق، عمان، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٢٩٩- **المحصول في علم الأصول**: لمحمد بن عمر الرازي، تحقيق: طه جابر فياض العلواني، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ.

٣٠٠- **المحكم والمحيط الأعظم**: لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م.

٣٠١- **المحلى**: لابن حزم الظاهري، دار الآفاق الجديدة، بيروت.

٣٠٢- **المحيط في اللغة**: الصاحب ابن عباد الطالقاني، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.

٣٠٣- **مختار الصحاح**: لمحمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ١٤١٥ - ١٩٩٥.

٣٠٤- **مختصر اختلاف الفقهاء لأبي جعفر الطحاوي**: اختصره أبو بكر الجصاص، تحقيق: د.عبد الله نذير أحمد، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ.

٣٠٥- **مرآة الجنان وعبرة اليقظان**: لعبد الله بن أسعد بن علي اليافعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

٣٠٦- **المستدرك على الصحيحين**: لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

٣٠٧- **المستصفى في علم الأصول**: لأبي حامد الغزالي، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.

٣٠٨- **مسند ابن الجعد**: لعلي بن الجعد بن عبيد الجوهري البغدادي، تحقيق: عامر أحمد حيدر، مؤسسة نادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠ – ١٩٩٠م.

٣٠٩- **مسند أبي يعلى**: لأبي يعلى الموصلي التميمي، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

٣١٠- **مسند إسحاق بن راهويه**: تحقيق: د. عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي، مكتبة الإيمان، المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.

٣١١- **مسند الإمام أحمد بن حنبل**: مؤسسة قرطبة، مصر.

٣١٢- **مسند الإمام أحمد بن حنبل**: تحقيق مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ شعيب

الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٠.

٣١٣- **مسند الحميدي**: تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت، مكتبة المتنبي، القاهرة.

٣١٤- **مشارق الأنوار على صحاح الآثار**: للقاضي عياض بن موسى اليحصبي المالكي، المكتبة العتيقة، ودار التراث.

٣١٥- **مشاهير علماء الأمصار**: لمحمد بن حبان البستي، تحقيق: م. فلايشهمر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٥٩م.

٣١٦- **مشكاة المصابيح**: لمحمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٥م.

٣١٧- **مشكل إعراب القرآن**: لمكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٥ هـ.

٣١٨- **المصاحف**: أبو بكر بن أبي داود السجستاني، تحقيق: محمد بن عبده، دار الفاروق الحديثة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

٣١٩- **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي**: لأحمد بن محمد بن علي الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت.

٣٢٠- **المصنف في الأحاديث والآثار**: لأبي بكر بن أبي شيبة، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

٣٢١- **المصنف**: لعبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.

٣٢٢- **معالم أصول الدين**: للفخر الرازي محمد بن عمر، تحقيق : طه عبد الرؤوف سعد، دار الكتاب العربي، لبنان، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

٣٢٣- **معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة**: لمحمد بن حسين الجيزاني، دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الثالثة ١٤١٩.

٣٢٤- **معالم التنزيل**: للبغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر وآخرين، دار طيبة، الرياض، الإصدار الثاني، الطبعة الثانية، ١٤٢٧.

٣٢٥- **معاني القرآن وإعرابه**: للزجاج، شرح وتحقيق: د. عبد الجليل عبده شلبي، دار الحديث،

القاهرة، ١٤٢٦.

٣٢٦- **معاني القرآن**: لأبي جعفر النحاس، تحقيق د يحيى مراد، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٥.

٣٢٧- **معاني القرآن**: للأخفش سعيد بن مسعدة، تحقيق: د. عبد الأمير محمد أمين، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٤.

٣٢٨- **معاني القرآن**: للفراء، تعليق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣.

٣٢٩- **معجم الأدباء**: لياقوت بن عبد الله الحموي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ - ١٩٩١م.

٣٣٠- **معجم البلدان**: لياقوت بن عبد الله الحموي، دار الفكر، بيروت.

٣٣١- **المعجم الكبير**: لأبي القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة الزهراء، الموصل، الطبعة الثانية، ١٤٠٤ - ١٩٨٣.

٣٣٢- **معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية**: عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤.

٣٣٣- **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**: لمحمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٢.

٣٣٤- **المعجم الوسيط**: قام بإخراجه: إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، نشر: دار الدعوة، تركيا.

٣٣٥- **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**: للبكري، تحقيق د جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨.

٣٣٦- **معجم مقاييس اللغة**: لابن فارس، تعليق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠.

٣٣٧- **معرفة الثقات من رجال أهل العلم والحديث ومن الضعفاء وذكر مذاهبهم وأخبارهم**: لأحمد بن عبد الله العجلي، تحقيق: عبد العليم عبد العظيم البستوي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ - ١٩٨٥.

٣٣٨- **معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار**: للذهبي، تحقيق: بشار عواد معروف، وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.

٣٣٩- **المعرفة والتاريخ**: لأبي يوسف يعقوب بن سفيان الفسوي، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م،

٣٤٠- **المغرب في ترتيب المعرب**: لأبي الفتح المطرزي، تحقيق: محمود فاخوري، وعبد الحميد مختار، مكتبة لبنان، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م.

٣٤١- **المغرب في حلى المغرب**: لابن سعيد المغربي، تحقيق: د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٥٥م.

٣٤٢- **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**: لابن هشام الأنصاري، تحقيق: د. مازن المبارك، محمد علي حمد الله، دار الفكر، دمشق، الطبعة السادسة، ١٩٨٥م.

٣٤٣- **المغني**: لابن قدامة المقدسي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.

٣٤٤- **مفحمات الأقران في مبهمات القرآن**: لجلال الدين السيوطي، تحقيق: إياد خالد، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٩.

٣٤٥- **المفردات في غريب القرآن**: للراغب الأصفهاني، عناية: محمد خليل عيتاني، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨.

٣٤٦- **المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات**: للمغراوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٠.

٣٤٧- **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين** : لأبي الحسن الأشعري، تحقيق: هلموت ريتر، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، الطبعة الثالثة.

٣٤٨- **مقدمة في أصول التفسير**: لابن تيمية، مؤسسة الريان، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٢.

٣٤٩- **المقصد لتلخيص ما في المرشد في الوقف والابتداء**: لزكريا بن محمد الأنصاري، تحقيق: شريف أبو العلاء العذوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

٣٥٠- **ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنْزيل**: لابن الزبير الغرناطي، تحقيق: سعيد الفلاح، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٤٢٨.

٣٥١- **ملحة الإعراب**: للقاسم بن علي الحريري البصري، دار السلام، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ -٢٠٠٥م .

٣٥٢- **مناهل العرفان في علوم القرآن:** لمحمد عبد العظيم الزرقاني، دار الفكر، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.

٣٥٣- **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم:** لابن الجوزي، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٥٨هـ.

٣٥٤- **منهاج السنة النبوية:** لابن تيمية، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

٣٥٥- **الموافقات:** لأبي إسحاق الشاطبي، ضبط وتعليق: عبد الله دراز، دار المعرفة، بيروت.

٣٥٦- **موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة:** ليوسف الحاج أحمد، مكتبة ابن حجر، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٢٤.

٣٥٧- **الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن الكريم والسنة النبوية:** للدكتورأحمد مصطفى متولي، دار ابن الجوزي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٦.

٣٥٨- **ناسخ القرآن العزيز ومنسوخه:** لهبة الله بن عبد الرحيم بن إبراهيم البارزي، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥.

٣٥٩- **الناسخ والمنسوخ في القرآن العزيز:** لأبي عبيد القاسم بن سلام، تحقيق: محمد المديفر، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١١.

٣٦٠- **الناسخ والمنسوخ:** أبو جعفر النحاس، تحقيق: د. محمد عبد السلام محمد، مكتبة الفلاح، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

٣٦١- **الناسخ والمنسوخ:** لقتادة بن دعامة السدوسي، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤.

٣٦٢- **الناسخ والمنسوخ:** لهبة الله بن سلامة بن نصر المقري، تحقيق: زهير الشاويش ، محمد كنعان، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.

٣٦٣- **النبوات:** لابن تيمية، المطبعة السلفية ، القاهرة ، ١٣٨٦.

٣٦٤- **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة:** ليوسف بن تغري بردى الأتابكي، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مصر.

٣٦٥- **نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر:** لابن الجوزي، وضع حواشيه: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١.

٣٦٦- **نزهة الألباب في الألقاب:** لابن حجر العسقلاني، تحقيق: عبد العزيز محمد السديري، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م.

٣٦٧- **نزهة القلوب في تفسير غريب القرآن العزيز:** لأبي بكر محمد بن عزيز السجستاني، تحقيق د يوسف المرعشي، دار المعرفة،بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٠.

٣٦٨- **نسخة وكيع عن الأعمش:** وكيع بن الجراح بن مليح الرؤاسي، تحقيق : عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، الدار السلفية ، الكويت، الطبعة الثانية، ١٤٠٦.

٣٦٩- **النشر في القراءات العشر:** لابن الجزري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٣.

٣٧٠- **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور:** لبرهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.

٣٧١- **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب:** لأحمد بن محمد المقري، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٣٨٨هـ.

٣٧٢- **النكت والعيون:** لأبي الحسن الماوردي، راجعه: عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٨.

٣٧٣- **النهاية في غريب الحديث والأثر:** لابن الأثير، خرّج أحاديثه وعلّق عليه: صلاح ابن عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٣.

٣٧٤- **نواسخ القرآن:** لابن الجوزي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.

٣٧٥- **نيل الابتهاج بتطريز الديباج:** أحمد بابا التنبكتي، تحقيق: د علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣.

٣٧٦- **نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار:** لمحمد بن علي الشوكاني، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٣م.

٣٧٧- **الهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسداد الذين أخرج لهم البخاري في جامعه:** لأحمد بن محمد بن الحسين البخاري الكلاباذي، تحقيق : عبد الله الليثي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧.

٣٧٨- **هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين:** لإسماعيل باشا البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

٣٧٩- **الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز ومعانيها:** لأبي عبد الله الدامغاني، دراسة وتحقيق: فاطمة الخيمي، مكتبة الفارابي، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٩.

٣٨٠- **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز:** لعلي بن أحمد الواحدي، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم بدمشق والدار الشامية ببيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥.

٣٨١- **وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان:** لابن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، لبنان.

٣٨٢- **الوفيات:** لمحمد بن رافع السلامي، تحقيق: صالح مهدي عباس، د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ.

٣٨٣- **ياقوتة الصراط في تفسير غريب القرآن:** لغلام ثعلب محمد بن عبد الواحد البغدادي، تحقيق: د محمد التركستاني، مكتبة العلوم والحكم، المدينة النبوية، الطبعة الأولى، ١٤٢٣.

المخطوطات والرسائل الجامعية وغيرها:

المخطوطات:

٣٨٤- **التسهيل لعلوم التنزيل:** لابن جزي الكلبي، مخطوط محفوظ في مكتبة جامعة الملك سعود برقم (٥٣٤٧) وإليها أشير بمخطوطة (أ).

٣٨٥- **التسهيل لعلوم التنزيل:** لابن جزي الكلبي، مخطوط محفوظ في مكتبة جامعة الملك سعود برقم (٧١) وإليها أشير بمخطوطة (ب).

الرسائل الجامعية:

٣٨٦- **أقوال الإمام ابن قتيبة في التفسير (من أول القرآن الكريم إلى نهاية سورة الأنبياء) جمعًا ودراسة:** لعلي بن جريّد العنزي، رسالة دكتوراه، بجامعة أم القرى، ١٤٢٩.

٣٨٧- **تخريج الأحاديث والآثار في كتاب التسهيل لعلوم التنزيل:** لسامي بن مساعد الجهني، رسالة ماجستير بجامعة أم القرى، ١٤١٨.

٣٨٨- **ترجيحات ابن جزي الكلبي في التفسير من خلال كتابه التسهيل لعلوم التنزيل عرضاً ومناقشة (من أول سورة الفاتحة إلى نهاية سورة البقرة):** لمحمد بن علي الغامدي، رسالة

دكتوراه، بجامعة أم القرى، ١٤٢٨.

٣٨٩- **ترجيحات ابن جزي الكلبي في التفسير من خلال كتابه التسهيل لعلوم التنزيل عرضاً ومناقشة (من أول سورة الأنعام إلى آخر سورة يوسف)**: لإبراهيم بن محمد الغامدي، رسالة دكتوراه، بجامعة أم القرى، ١٤٢٩.

٣٩٠- **قواعد الترجيح عند ابن جُزَيّ في تفسيره دراسة تطبيقية**: لعبد الله بن حمد الجمعان، بحث تكميلي للحصول على الماجستير بجامعة الملك سعود، ١٤٢١.

أخرى:

٣٩١- **ثمرات التدوين من مسائل شيخنا ابن عثيمين**: تدوين د. أحمد بن عبد الرحمن القاضي، مذكرة مصورة، مادتها موجودة على موقع د أحمد القاضي على الرابط:
http://www.al- aqidah.com

٣٩٢- بيان السعادة في مقامات العبادة: للجنابذي .

٣٩٣- التبيان الجامع لعلوم القرآن: للطوسي.

٣٩٤- الصافي في تفسير كلام الله الوافي: للفيض الكاشاني.

٣٩٥- مجمع البيان في تفسير القرآن: للطبرسي.

٣٩٦- الميزان في تفسير القرآن: للطبطبائي .

خمستها من تفاسير الشيعة وهي موجودة على موقع مؤسسة آل البيت الملكية للفكر الإسلامي في الأردن على الرابط التالي:
http://www.altafsir.com/IndexArabic.asp

سابعاً : فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٥
التمهيد : في التعريف بابن جزي الكلبي وتفسيره بإيجاز	١٥
المبحث الأول : اسمه وكنيته	١٦
المبحث الثاني : مولده وحياته العلمية وثناء العلماء عليه	١٨
المبحث الثالث : شيوخه وتلاميذه	٢٢
المبحث الرابع : مصنفاته	٢٦
المبحث الخامس: مذهبه	٣٠
المبحث السادس: وفاته	٣٧
المبحث السابع : القيمة العلمية لتفسيره "التسهيل لعلوم التنزيل"	٣٨
المبحث الثامن : منهج ابن جزي في تفسيره	٤٢
الباب الأول	٤٤
منهج ابن جزي في الترجيح	
الفصل الأول : صيغ الترجيح وأساليبه عند ابن جزي	٤٥
التمهيد : في معنى الترجيح وموضعه	٤٦
المبحث الأول : ترجيح القول بصيغة (أفعل) التفضيل	٤٩
المبحث الثاني : التنصيص على تصحيح القول أو تصويبه	٥١
المبحث الثالث : تقديم القول الراجح على المرجوح في الذكر	٥٣
المبحث الرابع: التصريح باسم قائل القول إذا كان ممن يُقتدى به من الصحابة	٥٦
المبحث الخامس: التنصيص على خطأ القول أو ضعفه	٥٨
الفصل الثاني : وجوه الترجيح عند ابن جزي	٦٠
المبحث الأول : الترجيح بالنظائر القرآنية	٦١
المبحث الثاني : الترجيح بالسنة النبوية	٦٣

المبحث الثالث : الترجيح بقول جمهور المفسرين ٦٥
المبحث الرابع : الترجيح بأقوال الصحابة رضوان الله عليهم ٦٧
المبحث الخامس: الترجيح باللغة ٦٩
المبحث السادس: الترجيح بدلالة السياق ٧١
المبحث السابع : الترجيح بدلالة الظاهر ٧٣
المبحث الثامن : الترجيح بتقديم الحقيقة على المجاز ٧٥
المبحث التاسع: الترجيح بتقديم العموم على الخصوص ٧٨
المبحث العاشر : الترجيح بتقديم الإطلاق على التقييد ٨٠
المبحث الحادي عشر: الترجيح بتقديم الاستقلال على الإضمار ٨٢
المبحث الثاني عشر: الترجيح بحمل الكلام على ترتيبه ٨٤

الباب الثاني ٨٦

عرض ترجيحات ابن جزي في تفسيره ودراستها مرتبة حسب السور

أولاً : ترجيحات ابن جزي في سورة آل عمران ٨٧

مسألة: المراد بـ﴿ ٱلْفُرْقَانَ ﴾ في قوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ﴾ [آل عمران: ٤] ٨٨

قال الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾ ٩٣

وفيهما مسألتان:

المسألة الأولى: قوله تعالى ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ ﴾ مستأنف أم معطوف على ما قبله؟ ٩٣

المسألة الثانية: قوله: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ﴾ من كلام الراسخين أم مستأنف؟ ... ١٠٠

قال الله تعالى: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ

رَأۡيَ ٱلۡعَيۡنِۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصۡرِهِۦ مَن يَشَآءُۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿١٣﴾ ﴾ ١٠٢

وفيهما ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: عني ّ بقوله ﴿ سَتُغۡلَبُونَ ﴾ ١٠٢

المسألة الثانية: الخطاب في ﴿ قَدۡ كَانَ لَكُمۡ ءَايَةٞ ﴾ ١٠٦

المسألة الثالثة: الفاعل والمفعول على قراءة الياء ﴿ يَرَوۡنَهُم ﴾ ١٠٨

قال الله تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ﴾ ١١٢

وفيها مسألتان:

المسألة الأولى: معنى ﴿ ٱلۡمُقَنطَرَةِ ﴾ ١١٢

المسألة الثانية: المراد بـ ﴿ ٱلۡمُسَوَّمَةِ ﴾ في قوله :﴿ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ ﴾ ١١٤

مسألة: معنى ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ ﴾ في قوله:﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ ١١٧

مسألة: المراد بـ ﴿ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ في قوله تعالى:﴿ وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡ ﴾[آل عمران: ١٩] ١١٩

مسألة: المراد بـ ﴿ كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾ في قوله تعالى:﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُدۡعَوۡنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ وَهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ ١٢١

مسألة: معنى ﴿ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾ في قوله تعالى: ﴿ وَتَرۡزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٢٧﴾ ﴾ ١٢٤

مسألة: العامل في ﴿ يَوۡمَ تَجِدُ ﴾ في قوله﴿ يَوۡمَ تَجِدُ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ مِنۡ خَيۡرٖ مُّحۡضَرٗا ﴾ [آل عمران: ٣٠] ١٢٧

مسألة: المراد بعمران في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ ١٣١

مسألة: العامل في ﴿ إِذۡ قَالَتِ ﴾ في قوله تعالى: ﴿ إِذۡ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ عِمۡرَٰنَ ﴾ [آل عمران: ٣٥] ١٣٤

مسألة: المشار إليه بـ ﴿ هُنَالِكَ ﴾ في قوله تعالى:﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ﴾[آل عمران: ٣٨] ١٣٧

مسألة: ِاد بالحَصُور في قوله تعالى عن يحيى × ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا﴾[آل عمران: ٣٩] ١٣٩

مسألة: سبب قول زكريا للبُشر ِ بالولد ﴿ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ ﴾[آل عمران: ٤٠] ١٤٣

مسألة: المراد بالأقلام في قوله تعالى:﴿ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ ﴾ [آل عمران: ٤٤] ١٤٨

مسألة: المراد بالكهل في قوله تعالى:﴿ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ﴾[آل عمران: ٤٦] ١٥٢

مسألة: المراد بالكتاب في قوله تعالى عن عيسى × : ﴿ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ ﴾ ١٥٦

مسألة: المراد بالشاهدين في قول الله تعالى حكاية عن الحواريين: ﴿فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ ١٥٨

مسألة: المراد بـ ﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ ﴾ في قوله تعالى لعيسى ×: ﴿ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾[آل عمران: ٥٥] ١٦١

مسألة: الخطاب في قوله تعالى:﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾ [آل عمران: ٦٤] ١٦٥

قال الله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾.. ١٦٩

وفيها مسألتان:

المسألة الأولى : معنى ﴿ رَبَّٰنِيِّۧنَ ﴾ ١٦٩

المسألة الثانية: مَنْ الإشارة في قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ ﴾ ؟ ١٧٣

مسألة:معنى الإسلام طوعاً وكرهاً في قوله تعالى:﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ ١٧٦

مسألة: نزول قوله تعالى: ﴿ كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ﴾[آل عمران: ٨٦] ١٨٠

مسألة: مرجع الضمير في ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا ﴾ [آل عمران: ٨٨] ١٨٢

مسألة: المراد بمقام إبراهيم × في قوله ﴿ فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ﴾[آل عمران: ٩٧] ١٨٤

مسألة: المراد بحبل الله في قوله تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا ﴾[آل عمران: ١٠٣] ١٨٧

قال الله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ ١٩٠

فيها مسألتان:

المسألة الأولى: العامل في ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ ﴾ ١٩٠

المسألة الثانية: الخطاب في قوله ﴿ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴾ ١٩٢

قال الله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾[آل عمران: ١١٠] ١٩٩

وفيها مسألتان:

المسألة الأولى: الخطاب في الآية ١٩٩

المسألة الثانية: معنى ﴿ كُنتُمْ ﴾ ٢٠٤

مسألة: مرجع الضمير في قوله تعالى: ﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ ﴾[آل عمران: ١١٧] ٢٠٩

مسألة: معنى الأمر في قوله تعالى: ﴿ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ ﴾[آل عمران: ١١٩] ٢١١

مسألة: تُعلَّق ﴿ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ ٢١٤

مسألة: الوعد بإمداد المؤمنين بالملائكة هل كان في غزوة بدر أم أحد؟ وذلك في قوله: ﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ ٢١٦

مسألة: معنى ﴿ فَوْرِهِمْ ﴾ في قوله تعالى: ﴿ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا ﴾ [آل عمران: ١٢٥] ٢٢٣

مسألة: المراد بعرض الجنة في قوله ﴿ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ ﴾[آل عمران: ١٣٣] ٢٢٧

قال تعالى ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ ﴾ ٢٣١

وفيها مسألتان:

المسألة الأولى: الخطاب في الآية ٢٣١

المسألة الثانية: المراد بالنظر في الآية ٢٣٣

مسألة: المراد بالقرح الثاني في قول الله تعالى: ﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ﴾[آل عمران: ١٤٠] ٢٣٥

مسألة: معنى التمحيص في قوله: ﴿ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ ﴾ ٢٣٨

مسألة: المراد بتمني الموت في قول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ ﴾ ٢٤٢

مسألة: معنى ﴿ رِبِّيُّونَ ﴾ في قوله:﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ ﴾[آل عمران: ١٤٦] ٢٤٦

مسألة: المراد بالذين كفروا في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ ﴾ ٢٥٠

مسألة: معنى قراءة ﴿ لَ ﴾ في قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ﴾[آل عمران: ١٦١] ٢٥٤

مسألة: معنى ﴿ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ ﴾ في قوله: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ ﴾ [آل عمران:١٧٥] ... ٢٥٨

مسألة: معنى ﴿ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [آل عمران: ١٨٠] ٢٦٠

مسألة: موصوف الاسم الموصول في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ ﴾ [آل عمران: ١٨٣] ٣٦٥

مسألة: المراد بقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾[آل عمران: ١٩١] ٢٦٧

مسألة: المراد بالرباط في قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ ٢٧٠

ثانياً: ترجيحات ابن جزي في سورة النساء: ٢٧٤

قال الله تعالى:﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾ ﴾ ٢٧٥

وفيها أربع مسائل:

المسألة الأولى: الخطاب في قوله ﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ﴾ ٢٧٥

المسألة الثانية: المراد بإيتاء اليتامى أموالهم ٢٧٧

المسألة الثالثة: المراد بتبدّل الخبيث بالطيب في قوله: ﴿وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ﴾ ٢٨٠

المسألة الرابعة: معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ﴾ ٢٨٤

قال الله تعالى: ﴿فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟ ﴿٣﴾﴾ ٢٨٦

وفيها مسألتان:

المسألة الأولى: منع الجمع بين أكثر من أربع زوجات ٢٨٦

المسألة الثانية: معنى ﴿تَعُولُوا۟﴾ ٢٩٠

قال تعالى: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴿٤﴾﴾ ٢٩٥

وفيها مسألتان:

المسألة الأولى: الخطاب في الآية. ٢٩٥

المسألة الثانية: معنى ﴿نِحْلَةً﴾ ٢٩٨

مسألة: معنى قراءة ﴿ما﴾ في قوله ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا﴾ [النساء: ٥] ٣٠٢

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا۟ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾﴾ ٣٠٥

فيها خمس مسائل:

المسألة الأولى: هل الدِّين شرط في الرشد في قوله ﴿فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ ٣٠٥

المسألة الثانية: اشتراط البلوغ والرشد في دفع المال لليتيم ٣٠٩

المسألة الثالثة: هل قوله: ﴿وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ محكم أم منسوخ؟ ٣١٢

المسألة الرابعة: المراد بقوله تعالى ﴿وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ ٣١٤

المسألة الخامسة: هل الأمر في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِمْ﴾ للندب أم الوجوب؟ ٣٢٠

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٨﴾ ﴾ ٣٢٢

فيها مسألتان:

المسألة الأولى: هل الآية محكمة أو منسوخة؟ ٣٢٢

المسألة الثانية: الأمر بإعطاء ذوي القربى واليتامى والمساكين إذا حضروا قسمة الميراث للوجوب أو للندب؟ ٣٢٥

مسألة: المراد بقول الله تعالى: ﴿ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾ ﴾ ٣٢٨

مسألة: معنى ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ في قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾ ﴾ ٣٣٢

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾ ﴾. ٣٣٤

فيها مسألتان:

المسألة الأولى: معنى ﴿ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ﴾ ٣٣٤

المسألة الثانية: المراد بقوله ﴿ وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ ٣٣٧

مسألة: النسخ والإحكام في قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾ ﴾ ٣٤٠

مسألة: المراد بـ ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ [النساء: ٢٢] ٣٤٣

مسألة: المراد بقوله ﴿فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ﴾ [النساء: ٢٤] ٣٤٦

مسألة: معنى قراءة ﴿ صَ نَّ ﴾ في قوله تعالى عن الإماء: ﴿ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ﴾[النساء: ٢٥] ٣٥١

مسألة: المراد بـ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ ﴾ في قوله تعالى:﴿ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ ﴾ ٣٥٥

مسألة: المراد بضعف الإنسان في قول الله تعالى:﴿ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ ﴾ ٣٥٨

مسألة: المشار إليه بقوله: ﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ﴾[النساء: ٣٠]. ٣٦٢

مسألة: المراد بـقوله تعالى: ﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُواْ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ﴾ [النساء: ٣٢] ٣٦٥

مسألة: تقدير المحذوف في ﴿ وَلِكُلٍّ ﴾ في قوله تعالى: ﴿ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِيَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ ﴾[النساء: ٣٣] ٣٦٩

مسألة: المراد بقوله تعالى: ﴿ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ ﴾ [النساء: ٣٤] ٣٧١

مسألة: مرجع الضميرين في قوله: ﴿ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ﴾ [النساء: ٣٥] ٣٧٦

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ﴾ ٣٨٠

فيها مسألتان:

المسألة الأولى: المراد بـ﴿ وَٱلْجَارِ ذِي ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ ٣٨٠

المسألة الثانية: المراد بـ﴿ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ ﴾ ٣٨٠

مسألة: مَنْ المراد بقول الله تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾ ﴾ ؟ ٣٨٣

قال الله تعالى:﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾ ﴾ ٣٨٦

في الآية الثانية مسألتان:

المسألة الأولى: المراد بـ﴿ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ ﴾ ٣٨٦

المسألة الثانية: هل قوله تعالى ﴿ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴾ مستأنف أم متصل بما قبله؟ ٣٩٠

مسألة: معنى (أو) في قوله تعالى: ﴿ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ ﴾ [النساء: ٤٣] ٣٩٣

مسألة: المراد بقوله تعالى: ﴿ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ ﴾ [النساء: ٤٧] ٣٩٦

مسألة: المراد بقوله ﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: ٤٨] ٤٠٠

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ ﴾ ٤٠٥

فيها مسألتان:

المسألة الأولى: المراد بتزكية اليهود أنفسهم في الآية. ٤٠٥

المسألة الثانية: معنى ﴿ فَتِيلًا ﴾ ٤٠٨

قال الله تعالى: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ ﴾ ٤١٠

فيها مسألتان:

المسألة الأولى: المراد بالناس الذين حسدهم اليهود ٤١٠

المسألة الثانية: المراد بالفضل الذي حسدتهم اليهود عليه ٤١٣

مسألة: المراد بتبديل جلود الكفار في النار في قوله تعالى: ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ﴾ [النساء: ٥٦] ٤١٥

مسألة: معنى ﴿ ظَلِيلًا ﴾ في قوله تعالى: ﴿ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾ ﴾ ٤٢٠

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾ ٤٢٢

فيها ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: المراد بـ ﴿ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ ٤٢٢

المسألة الثانية: مرجع الشرط ﴿ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾ ٤٢٩

المسألة الثالثة: معنى قوله ﴿ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ ٤٣١

مسألة: معنى: ﴿ ثُبَاتٍ ﴾ في قوله: ﴿ فَٱنفِرُوا۟ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُوا۟ جَمِيعًا ﴿٧١﴾ ﴾ ٤٣٣

مسألة: بيان معنى ﴿ لَيُبَطِّئَنَّ ﴾ في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ ﴾[النساء: ٧٢] ٤٣٦

مسألة: المراد بـ ﴿ ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ [النساء: ٧٧] ٤٤٢

قال تعالى: ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ ﴾ ٤٤٧

فيها مسألتان:

المسألة الأولى: هل قوله تعالى ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾ تقرير من الله أم حكاية لكلام المنافقين؟ ٤٤٧

المسألة الثانية: معنى ﴿ مُّشَيَّدَةٍ ﴾ ٤٥١

مسألة: المراد بـ ﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾ في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾ [النساء: ٨٣] ٤٥٤

مسألة: المراد بالشفاعة في قوله تعالى: ﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ﴾ [النساء: ٨٥] ٤٥٧

قال الله تعالى: ﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ۖ وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَٰتِلُوكُمْ أَوْ يُقَٰتِلُواْ قَوْمَهُمْ ﴾ [النساء: ٨٩-٩٠] ٤٦٣

في الآية الثانية مسألتان:

المسألة الأولى: معنى ﴿ يَصِلُونَ ﴾. ٤٦٣

المسألة الثانية: المعطوف عليه بـ (أو) في قوله ﴿ أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَٰتِلُوكُمْ ﴾ ٤٦٦

مسألة: معنى ﴿ ٱلْفِتْنَةِ ﴾ في قوله تعالى: ﴿ سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُواْ قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوٓاْ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ أُرْكِسُواْ فِيهَا ﴾ [النساء: ٩١] ٤٦٨

مسألة: نوع الاستثناء في قوله ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ﴾[النساء: ٩٢] ٤٧٠

مسألة: المراد بالسعة في قول الله تعالى: ﴿ وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ﴾

[النساء: ١٠٠] ٤٧٢

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسْلِحَتَكُمْ ۖ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾ ﴾ ٤٧٥

فيها ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: الطائفة المأمورة بأخذ الأسلحة في قوله ﴿ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ ﴾ ٤٧٥

المسألة الثانية: قوله تعالى ﴿ فَإِذَا سَجَدُواْ ﴾ هل هو السجود في الركعة الأولى أم الركعة الثانية ركعة القضاء؟ ٤٧٨

المسألة الثالثة: وقت وقوع العذاب المهين على الكفار في قوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ ٤٨٢

مسألة: المراد بقول الله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ﴾ [النساء: ١٠٣] ٤٨٤

مسألة: الخطاب في قوله: ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ [النساء: ١٠٣] ٤٨٧

مسألة: المراد بالصلح في قوله تعالى: ﴿ وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ﴾ [النساء: ١٢٨] ٤٩٠

مسألة: الخطاب في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ ﴾ [النساء: ١٣٦] ٤٩٥

مسألة: معنى قوله تعالى ﴿ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾ [النساء: ١٤١] ٤٩٨

مسألة: المراد بجهر المظلوم بالسوء في قوله تعالى: ﴿ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾ ﴾ ٥٠٣

مسألة: لراد بقوله تعالى عن مُدَّعي قتل عيسى × ﴿ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾ [النساء: ١٥٧] ٥٠٧

ثالثاً: ترجيحات ابن جزي في سورة المائدة: ٥٠٩

مسألة: المراد ببهيمة الأنعام في قوله تعالى: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ [المائدة: ١] ٥١٠

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة: ٦] ٥١٦

وفيها مسألتان:

المسألة الأولى: معنى الباء في قوله ﴿وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ﴾ ٥١٦

المسألة الثانية: المراد بـ ﴿ٱلْكَعْبَيْنِ﴾ ٥٢٠

مسألة: الخطاب في ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ﴾ [المائدة: ١٢] ٥٢٣

مسألة: معنى ﴿خَآئِنَةٍ﴾ في قوله ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ [المائدة: ١٣] ٥٢٥

مسألة: منى البُنوّة التي ادّعاها اليهود والنصارى بقولهم ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ١٨] ٥٢٧

مسألة: المراد بـ ﴿يَخَافُونَ﴾ في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ﴾ [المائدة: ٢٣] ٥٣٠

قال الله تعالى حكاية عن موسى ×: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾﴾ ٥٣٢

وفيها مسألتان:

المسألة الأولى: إعراب ﴿أَخِي﴾ ٥٣٢

المسألة الثانية: المراد بـ ﴿فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ ٥٣٤

قال الله تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾ ٥٣٦

وفيها مسألتان:

المسألة الأولى: العامل في ﴿أَرْبَعِينَ﴾ ٥٣٦

المسألة الثانية: الخطاب في ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ ٥٣٩

مسألة: المراد بالإثمين في قوله تعالى ﴿ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ ﴾ [المائدة: ٢٩] ٥٤١

قال الله تعالى: ﴿ مِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَ كَتَبۡنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا ﴾[المائدة: ٣٢] ٥٤٥

فيها ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: متعلَّق ﴿ مِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَ ﴾ ٥٤٥

المسألة الثانية: وجه الشبه بقوله ﴿ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا ﴾ ٥٤٧

المسألة الثالثة: المراد بقوله تعالى ﴿ وَمَنۡ أَحۡيَاهَا ﴾ ٥٥٢

مسألة: المراد بقوله ﴿ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ ﴾ في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا ﴾[المائدة: ٣٣] ٥٥٤

مسألة: المستثنى بقوله ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡ ﴾[المائدة: ٣٤] ٥٥٧

مسألة: هل قوله تعالى عن اليهود ﴿فَإِن جَآءُوكَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُمۡ أَوۡ أَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ ﴾ محكم أو منسوخ؟ [المائدة: ٤٢] ٥٦١

مسألة: معنى قوله تعالى: ﴿فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٞ لَّهُۥ ﴾[المائدة: ٤٥] ٥٦٤

مسألة: معنى ﴿وَمُهَيۡمِنًا ﴾ في قوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِ ﴾[المائدة: ٤٨] ٥٦٧

مسألة: المراد بالأمة المقتصدة من أهل الكتاب في قوله: ﴿مِّنۡهُمۡ أُمَّةٞ مُّقۡتَصِدَةٞ ﴾[المائدة: ٦٦] ٥٧٠

مسألة: وجه ارتباط الشرط مع جوابه في قوله ﴿وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥ ﴾[المائدة:٦٧] ٥٧٣

مسألة: المراد بقوله تعالى عن عيسى× أُمِّه ﴿كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ﴾[المائدة: ٧٥] ٥٧٦

مسألة: المراد بالقوم الذين نهي أهل الكتاب عن اتباع أهوائهم في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ ﴾ ٥٧٩

مسألة: المراد ببني إسرائيل الذين قال الله عنهم: ﴿ تَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ يَتَوَلَّوۡنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾[المائدة: ٨٠] ٥٨٣

مسألة: معنى ﴿ وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ ﴾[المائدة: ٨٩] ٥٨٥

مسألة: المراد بـ ﴿وَأَحۡسَنُواْ﴾ في قوله تعالى: ﴿ لَيۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٞ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحۡسَنُواْ ﴾[المائدة: ٩٣] ٥٨٨

مسألة: مرجع اسم الإشارة في قوله ﴿ أَوۡ عَدۡلُ ذَٰلِكَ صِيَامٗا ﴾[المائدة: ٩٥] ٥٩٠

قال الله تعالى: ﴿ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلۡكَعۡبَةَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ قِيَٰمٗا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَٱلۡهَدۡيَ وَٱلۡقَلَٰٓئِدَۚ ذَٰلِكَ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾ ﴾ ٥٩٢

فيها ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: المراد بقوله تعالى ﴿ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلۡكَعۡبَةَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ قِيَٰمٗا لِّلنَّاسِ ﴾ ٥٩٢

المسألة الثانية: المراد بالناس في الآية ٥٩٥

المسألة الثالثة: المراد بالقلائد في الآية ٥٩٧

مسألة: معنى قوله ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهَا ﴾ في قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ وَإِن تَسۡـَٔلُواْ عَنۡهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلۡقُرۡءَانُ تُبۡدَ لَكُمۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهَا ﴾[المائدة: ١٠١] ٦٠٠

مسألة: نوع الواو في قوله تعالى: ﴿ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ﴾[المائدة: ١٠٤] ٦٠٤

مسألة: بيان قوله تعالى ﴿ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡ ﴾[المائدة: ١٠٥] ٦٠٧

مسألة: هل شك الحواريون بقدرة الله تعالى حين قالوا ﴿ هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ [المائدة: ١٢٢] ٦١٢

مسألة: المراد بـ ﴿ تَكُونُ لَنَا عِيدٗا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا ﴾ في قوله تعالى: ﴿ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلۡ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدٗا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا ﴾[المائدة: ١١٤] ٦١٧

مسألة: وقت وقوع هذه المقالة: ﴿ وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾[المائدة: ١١٦] ٦١٩

مسألة: إعراب ﴿يومَ﴾ على قراءة فتح الميم في قول الله تعالى: ﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡ ﴾ ٦٢٣

الخاتمة: وفيها أهم النتائج ٦٢٦
الفهارس العامة ٦٢٨
١- فهرس الآيات القرآنية ٦٢٩
٢- فهرس الأحاديث النبوية ٦٤٩
٣- فهرس الآثار ٦٥٢
٤- فهرس الأعلام المترجم لهم ٦٥٧
٥- فهرس الكلمات والمصطلحات المشروحة ٦٦٠
٦- فهرس المصادر والمراجع ٦٦٢
٧- فهرس الموضوعات ٦٩٣

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم الكتاب والسنة
شعبة التفسير وعلوم القرآن

ترجيحات ابن جُزَيّ الكَلْبِي في التفسير من خلال كتابه (التسهيل لعلوم التنزيل)

عَرْضًا ومناقشةً

من أول سورة الأنعام إلى آخر سورة يوسف

رسالة دكتوراه في الشريعة والدراسات الإسلامية

إعداد الطالب :
إبراهيم بن محمد بن عبدالخالق الغامدي
الرقم الجامعي ٤٢٤٧٠٠٨٥

إشراف فضيلة الأستاذ الدكتور :
أمين محمد عطية باشا

العام الجامعي : ١٤٢٨هـ - ١٤٢٩هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص الرسالة

ترجيحات ابن جُزَيّ الكَلْبِي في التفسير

من خلال كتابه (التسهيل لعلوم التنزيل)

جمعت الرسالة ترجيحات ابن جُزَيّ الكلبي في التفسير من أول سورة الأنعام إلى آخر سورة يوسف ، من خلال كتابه « التسهيل لعلوم التنزيل » ، وعرضتها وناقشتها ، وقارنتها بأقوال المفسرين المتقدمين والمتأخرين ، وما استدلُّوا به من أدلة لأقوالهم ، ومن ثَمَّ بيّنت القول الراجح من المرجوح ، استنادًا إلى وجوه وقواعد الترجيح عند المفسرين .

وتألفت الرسالة – بعد المقدّمة – من تمهيد وبابين :

التمهيد : في التَّعْرِيفِ بِابْنِ جُزَيّ الكَلْبِيِّ وَكِتابِهِ « التَّسْهِيل لِعُلُومِ التَّنْزِيل » .

الباب الأول : مَنْهَجُ ابْنِ جُزَيّ فِي التَّرْجِيحِ . وفيه فصلان :

الفصل الأول : صِيَغُ التَّرْجِيحِ وَأَسَالِيبُه عند ابْنِ جُزَيّ .

الفصل الثاني : وُجُوهُ التَّرْجِيحِ عند ابْنِ جُزَيّ .

الباب الثاني : عَرْضٌ ومناقشةٌ لِتَرْجِيحَاتِ ابْنِ جُزَيّ فِي تَفْسِيرِهِ مِن أَوَّلِ سورة الأنعام إِلَى آخر سورة يوسف .

وخلصت الرسالة إلى ما يلي :

١- أجاد ابن جُزَيّ التأصيل لموضوع : الترجيح بين أقوال المفسرين ، وبرع في عرض مسائله ، من خلال تفسيره لسورة الأنعام والأعراف والأنفال والتوبة ويونس وهود ويوسف ، حيث حرَّر صيغه ، وأساليبه ، والوجوه التي يُرجِّحُ بها .

٢- أن جُلَّ ترجيحاته جاءت موافقةً لترجيحات أكثر من سبقه من المفسرين ، ووافقه فيها الكثير من المفسرين الذين أتوا بعده .

٣- كان الصواب حليف ابن جُزَيّ في أكثر ترجيحاته ، ولم يجانبه إلا في النزر اليسير منها .

Abstract

Preponderances of Ibn Juzai' Al-Kalbi in commentary on the light of his book titled (Al-Tasheel li'olom Al-TanzeeL) "Facilitating the comprehension of Qur'anic science"

This study discussed preponderances of Ibn Juzai' Al-Kalbi in commentary on the light of his book titled (Al-Tasheel li'olom Al-Tanzeel) and compared them with a number of opinions of early and late commentators. The study tackled the evidences for views held by those commentators. After that, I elucidated the outweighing opinion on the matter under question as it was based on the generally accepted aspects and rules of preponderance of this art.

In fact, the study comprised a preamble and two chapters.

The preamble provides a brief introduction of Ibn Juzai' Al-Kalbi in commentary on the light of his book titled (Al-Tasheel li'olom Al-Tanzeel).

Chapter One: This chapter, which covers the method of Ibn Juzai' in preponderance, comprises two sections.

Section one: It is titled formulas and styles of preponderance as adopted by Ibn Juzai'

Section two: It is named the aspects of preponderance as viewed by Ibn Juzai'.

Chapter Two :This includes detailing as well as perusal of Ibn Juzai 's preponderances in commentary, from the beginning of Surat Al-An'âm to the end of Surat Yûsuf.

The following are the three results:

1- Ibn Juzai' did well in investigating the origin and source of outweighing the opinions of commentators and excelled in presenting its problems via his explanation of surat Al-An'âm, Al-A'râf, Al-Anfâl, At-Taubah, Yûnus, Hûd and surat Yûsuf. In he liberated its formulas, styles and aspects with which outweighing are achieved.

2- The overwhelming researcher's preponderance agreed with the greater part of those of most of the commentators who preceded him as well as with many commentators who came after hen.

3- Ibn Juzai' was always correct in most of his preponderance; and that he made only few mistakes.

المقدّمة

الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور. وأنزل بحمده على عبده الفرقان ؛ ليكون للعالمين نذيرًا ، فأخرج به المتبعين له من الظلمات إلى النور.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في ألوهيته ، ولا مثيل له في ذاته وصفاته وأفعاله، ولا نديد له في ربوبيته ، خلق كل شيء فقدره تقديرًا .

وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وصفيه وخليله وخيرته من خلقه وأمينه على وحيه أرسله بين يدي الساعة بالقرآن بشيرًا ونذيرًا وداعيًا إليه بإذنه وسراجًا منيرًا، فبلّغ القرآن البلاغ المبين وجاهد به جهادًا كبيرًا. صلى الله عليه وعلى آله الطيبين وصحابته الغُرِّ الميامين والتابعين لهم بإحسان وسلّم تسليمًا كثيرًا .

أما بعد : فإن العلوم وإن تباينت أصولها ، واختلفت أحوالها ، وتنوّعت أبوابها ، وتغايرت مسائلها ، فهي بأسرها مهمة ومعرفتها على العلات نعمة ، إلا أن أعلاها قدرًا ، وأغلاها مهرًا، وأسناها مبنى، وأسماها معنى ، وأوضحها سبيلا، وأصحها دليلا : العلوم الدينية الشرعية.

على نفسه فليبك من ضاع عمره ... وليس له منها نصيب ولا سهم

فلا ينبغي لعاقل أن يستغرق الليل والنهار إلا في غوص بحارها ، وسبر أغوارها .

وإن أعلى العلوم الشرعية الدينية علمُ التفسيرِ الباحثُ عما أراده الله سبحانه بكلامه المجيد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد[1] .

ولما كان علم التفسير من أفضل العلوم ؛ إذ شرف العلم بشرف المعلوم ، ألف كثير من العلماء في التفسير ، مع اختلاف طرائقهم في التصنيف وإفادة متأخرهم من متقدمهم .

وكان من هؤلاء العلماء : أبوالقاسم محمد بن أحمد بن محمد، المشهور بابن جُزَيّ الكَلْبِي (تـــ٧٤١هـــ) رحمه الله تعالى ، المصنِّفُ في التفسير كتابَه الموسومَ بـــ : "التسهيل

---

(١) مقدمة الألوسي لروح المعاني (٢/١) بتصرف . والبيت لعمر بن الفارض (٦٣٢هـــ) من قصيدة مطلعها : شربنا على ذكر الحبيب مدامة = سكرنا بها من قبل أن يُخلق الكَرْمُ . ولابن كمال باشا (٩٤٠هـــ) شرح لها باسم : "شرح الخَمْرية" مخطوط . وينظر في ترجمة ابن الفارض : وفيات الأعيان (٣٨٣/١) ، وميزان الاعتدال (٢٦٦/٢) ، والأعلام (٥٥/٥) .

لعلوم التنزيل" ، والذي قصد به أربعة مقاصد ، تتضمن أربع فوائد [1]، من أهمها ما ذكره بقوله : (الفائدة الرابعة : تحقيق أقوال المفسرين، السقيم منها والصحيح ، وتمييز الراجح من المرجوح) .

وبنى ذلك الترجيح والتصحيح على القواعد العلمية أو ما تقتضيه اللغة العربية . بل عقد بابًا في مقدّمته في موجبات الترجيح بين الأقوال ، فكان من أنفس ما كتب في بابه.

ولما كان مقصده الشريف من ذلك المصنف اللطيف في ذهنه واضحًا ولقواعده ووجوهه في مقدّمته مُنظّرًا ؛ لا غَرْوَ أن أتبع النظريةَ التطبيقَ في أثناء تفسيره "التسهيل"، فبلغ فيه الغاية بحمد الله وفضله.

وقد شجعني منهجه هذا ـــ رحمه الله تعالى ـــ على أن يكون موضوعي في مرحلة "الدكتوراة" مُتَّجِهًا لجمع ترجيحاته في تفسيره : "التسهيل لعلوم التنزيل" ثم عرضها ومناقشتها مناقشة علمية وَفْقَ القواعد والضوابط التي كتبها العلماء في درء التعارض بين الأقوال والترجيح بينها ، فانصرفت همتي عن غيره إليه وأعرضت عما سواه وعكفت عليه .

وفُتح موضوع دراسة "ترجيحات ابن جُزَيّ في التفسير" في قسم الكتاب والسنة، وكان لأخينا الشيخ/ محمد بن علي بن عبدان الغامدي – أعلى الله قدره- فضل السبق فسجل في الكتاب أولا من أوله إلى آخر سورة المائدة ، ثم ردفته من أول سورة الأنعام إلى آخر سورة القصص، ثم كان أخونا الشيخ/ عبد الحي بن دخيل الله المحمدي خاتمنا نحن الثلاثة فسجل من أول سورة العنكبوت إلى آخر الكتاب .

بيد أن مسائل الترجيح في " التسهيل لعلوم التنزيل" كثيرة جدًّا، وكان تناولها بالدراسة على طريقة التفسير المقارن ، الأمر الذي اقتضى إعادة تقسيم الكتاب فكان نصيبي منه من أول سورة الأنعام إلى آخر سورة يوسف ، فدخل ـــ بحمد الله ـــ التسهيل في التسهيل .

وعنونت له بـــ (**ترجيحات ابن جُزَيّ الكلبي في التفسير من خلال كتابه " التسهيل لعلوم التنزيل" عرضًا ومناقشةً من أول سورة الأنعام إلى آخر سورة يوسف**) .

ولأولنا فيه الفضل ؛ حيث فتش عن دراسة علمية جادة حول الموضوع فلم يعثر على ما يمنع من تناول مسائل الترجيح في التسهيل بالدراسة والمناقشة العلمية الموازنة .

---

(١) ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل (٣/١) .

ولا أقول فيه إلا كما قال ابن مالك في ابن معطي :

وهو بسبق حائز تفضيلا مستـــوجب ثنـــائي الجميلا

والله يقضي بهبات وافرة لي وله في درجات الآخرة[1]

ومما دفعني لاختيار هذا الموضوع أسباب منها :

١. القيمة العلمية التفسيرية لكتاب "التسهيل لعلوم التنزيل" ، وبخاصة ما يتعلق بتمييز أقوال المفسرين وسبرها والترجيح بينها. ولإدراك هذا الأمر جيدًا وإبصاره بعين الإنصاف دونك مقدمته التي دبّج بها "التسهيل" قبل شروعه في التفسير ، وإنها لمن أنفس ما كتب من مقدمات تفسيرية .

٢. والتفسير علم كثر الخلاف فيه بين السلف فمَن بعدهم ، فهو بحاجة ماسّة ومُلِحّة إلى التحقيق والدراسة ؛ لمعرفة المقبول من المردود والصحيح من الضعيف.

٣. تنمية الملكة العلمية للباحث، من خلال سبر أقوال المفسرين ، وفهمها، ومناقشتها بأدلتها، والترجيح بينها بالدليل والتعليل وفق القواعد العلمية التي كتبها العلماء في هذا الباب. وحينما يكون الباحث حَكَمًا بين أقوال المفسرين، فكم يحتاج من جهدٍ للرجوع إلى المصادر الأصيلة والمختلفة في شتى الفنون والمعارف ؛ ليصل من خلال تنوع معارفه ومداركه ـــ بعد اعتماده على ربه واستعانته به ـــ إلى القول المرتضى ، والله الموفق .

٤. ابنُ جُزَيّ نفسه ـــ رحمه الله تعالى ـــ كان من أسباب اختياري لهذا الموضوع ، وذلك لمكانته وشهرته العلمية ، وإتقانه للعلوم المختلفة من العربية والفقه والأصول والقراءات والحديث والأدب ، وقد كان حُفَظَةً للتفسير ، مستوعبًا للأقوال ، كما قال ذلك عنه تلميذه لسان الدين ابن الخطيب رحمه الله تعالى[2] .

وقد تأخر زمن ابن جُزَيّ عن سابقيه من علماء التفسير ومحققيهم ، الأمر الذي مكّنه من الاطلاع على أكثر الأقوال في التفسير وسبرها وتحقيقها وتمييزها .

---

(١) الخلاصة في النحو ، ألفية ابن مالك (١) .

وقد استدرك الأشموني في حاشيته على ألفية ابن مالك (١/١٩) قائلاً : وكان الأحسن أن يقول رحمـــه الله تعالى :

والله يقضي بالرضى والرحمه لي وله ولجميـــع الأُمّـــه

(٢) ينظر: الإحاطة في أخبار غرناطة (٣/ ٢٠) .

مجال الدراسة وحدودها :

أ- مجال الدراسة :

جمعَ هذا البحثُ ترجيحاتِ ابنِ جُزَيّ في التفسير، وعرضها وناقشها بمقارنتها بأقوال المتقدمين من المفسرين والمتأخرين ، مع ذكر الموافق والمخالف، وبيان القول الراجح في المسألة وفق قواعد الترجيح . ولم يتناول هذا البحث تلك المسائل التي لم يرجِّح فيها ابنُ جُزَيّ ، أو لم يذكر فيها خلافًا وإن كان فيها خلافٌ بين المفسرين .

ب- حدود الدراسة :

ترجيحاتُ ابنِ جُزَيّ في التفسير ، من أول سورة الأنعام إلى آخر سورة يوسف ، الواردة في كتابه "التسهيل لعلوم التنزيل" .

الدراسات السابقة :

فيما يتعلق بموضوع البحث وهو جمع ترجيحات ابن جُزَيّ في التفسير من خلال كتابه " التسهيل لعلوم التنزيل" وعرضها ومناقشتها ، ليس هناك أي دراسة سابقة – كما أفادت قواعد البيانات ومصادرها المختلفة- وكذا بعد التحرّي والسؤال .

وهناك دراسات علمية جادة حول ابن جُزَيّ وتفسيره منها :

١. بحثٌ تكميلي بعنوان : "قواعد الترجيح عند ابن جُزَيّ في تفسيره" [١]، تحدثت هذه الدراسة عن منهج ابن جُزَيّ في الترجيح بين أقوال المفسرين ، والقواعد التي أعملها في ذلك ولم تتعرض لجمع مسائل الترجيح ودراستها .

٢. ابن جُزَيّ ومنهجه في التفسير ، لعلي بن محمد الزبيري[٢].

٣. ابن جُزَيّ الكلبي وأثره في الفقه الإسلامي ، لسليمان أبي الريش[٣] .

٤. الإمام ابن جُزَيّ الكلبي وجهوده في التفسير من خلال "التسهيل لعلوم التنزيل"، لعبدالحميد محمد ندا[٤] .

---

(١) للباحث/ عبد الله بن حمد الجمعان ، قدم هذا البحث لاستكمال متطلبات الحصول على الماجستير في التفسير والحديث ، كلية التربية ، جامعة الملك سعود .

(٢) الكتاب مطبوع ، وأصله رسالة ماجستير في الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية ، ١٤٠٠هـ .

(٣) رسالة دكتوراه في جامعة الأزهر ، مكتبة كلية الشريعة والقانون برقم ٦٢٤ .

(٤) رسالة ماجستير في جامعة الأزهر ـ أصول الدين ، ١٩٨٠م ، لدى الباحث نسخة مصورة منه .

٥. ابن جُزَيّ وأثره في أصول الفقه وفروعه ، لفتحي عباس إبراهيم غنيم[١] .

٦. التسهيل لعلوم التنزيل لابن جُزَيّ الكلبي ، تحقيق ودراسة نحوية ، لطاهر عبد الحي محمد شبانة [٢].

وهذه الدراسات وغيرها عن ابن جُزَيّ وتفسيره " التسهيل" تدل بجلاء على مكانة ابن جُزَيّ وشهرته العلمية ، وأهمية "التسهيل لعلوم التنزيل" ومكانته التفسيرية .

خطَّة البحث :

تألف هذا البحث من مقدمة[٣] ـــ وهي هذه ـــ وتمهيد ، وبابين ، وخاتمة ، وملحق بتراجم الأعلام ، وكشافات وفهارس علمية .

التمهيد : في التعريف ـــ بإيجاز ـــ بابن جُزَيّ الكلبي وكتابه "التسهيل لعلوم التنزيل" .

وفيه ستة مباحث :

المبحث الأول : اسمه ونسبه ، ونسبته ، وكنيته ، وشهرته .

المبحث الثاني : مولده ، ونشأته ، وحياته العلمية.

المبحث الثالث : شيوخه ، وتلاميذه ، ومصنفاته .

المبحث الرابع : وفاته رحمه الله تعالى .

المبحث الخامس : مذهبه في أصول الدين وفروعه .

المبحث السادس : القيمة العلمية لكتاب " التسهيل لعلوم التنزيل" .

الباب الأول : منهج ابن جُزَيّ في الترجيح بين أقوال المفسرين .

وفيه فصـــلان :

الفصل الأول : صيغ الترجيح وأساليبه عند ابن جُزَيّ .

وفيه **تمهيد** في بيان معنى الترجيح وموجباته.

وخمسة مباحث :

المبحث الأول : التنصيص على خطأ القول أو بطلانه .

---

(١) رسالة ماجستير في جامعة طنطا ، كلية الآداب ، قسم اللغة العربية وآدابها ، ١٩٩١م .

(٢) رسالة دكتوراه في جامعة القاهرة ـــ كلية دار العلوم ، قسم النحو والصرف والعروض ، ١٩٩٥م .

(٣) تضمنت المقدمة بيان أهمية الموضوع ، وأسباب اختياره، ومجال الدراسة وحدودها، والدراسات السابقة، وخطة البحث، ومنهج الكتابة فيه .

المبحث الثاني : التنصيص على ضعف القول أو استبعاده .

المبحث الثالث : تفضيل القول على غيره بصيغة أفعل التفضيل .

المبحث الرابع : تقديم القول الراجح على القول المرجوح في الذكر .

المبحث الخامس : التنصيص على صواب القول أو صحته .

الفصل الثاني : وجوه الترجيح عند ابن جُزَيّ ، وفيه عشرة مباحث :

المبحث الأول :الترجيح بالنظائر القرآنية .

المبحث الثاني : الترجيح بالسنة النبوية .

المبحث الثالث : الترجيح بقول جمهور المفسرين .

المبحث الرابع : الترجيح بأقوال الصحابة رضي الله عنهم ورضوا عنه .

المبحث الخامس: الترجيح بدلالة كلام العرب .

المبحث السادس: الترجيح بدلالة السياق .

المبحث السابع : الترجيح بدلالة الظاهر .

المبحث الثامن : الترجيح بتقديم الحقيقة على المجاز .

المبحث التاسع : الترجيح بتقديم العموم على الخصوص .

المبحث العاشر: الترجيح بتقديم الإطلاق على التقييد .

الباب الثاني : عَرْضٌ لترجيحاتِ ابنِ جُزَيّ في تفسيره ، ومناقشتُها من أول سورة الأنعام إلى آخر سورة يوسف .

منهج الكتابة في البحث :

انتهجت في كتابة بحثي هذا المنهجَ التالي :

١- قرأت مقدمة التسهيل مرات وكرات ؛ للوقوف على منهج ابن جُزَيّ في حكاية الخلاف والترجيح بين الأقوال ، ومعرفة الصيغ والأساليب التي استخدمها ، ووجوه الترجيح التي أعملها ؛ الأمر الذي أفادني في تتبع مواضع الخلاف في التفسير التي رجّح فيها ابنُ جُزَيّ وَفْقَ منهجه الذي نصّ عليه في مقدمته .

٢- جعلت كلَّ موضعٍ حكى فيه ابن جُزَيّ الخلاف ورجَّحَ مسألةً ، وصدَّرتها برقمٍ تسلسلي لجميع مسائل السورة ، فإن كان في الآية الواحدة أكثر من مسألة قلت بعد

إيراد الآية الكريمة مرة واحدة : في هذه الآية الكريمة مسألتان أو ثلاث مسائل ، ثم أذكر المسألة الأولى والتي بعدها حسب ترتيب ابن جُزَيّ وعرضه لها. وإن لم يكن في الآية إلا مسألة واحدة فأكتفي برقمها وعنوانها دون قولي "مسألة" .

٣- صدّرت كلَّ مسألة بكتابة الآية بالرسم العثماني لمصحف المدينة النبوية برواية حفص عن عاصم .

٤- وضعت رقم المسألة ثم عنوانها المفصح عن موضوعها وفقهها .

٥- ثم التزمت بعدها مباشرة بإيراد قول ابن جُزَيّ في المسألة بنصِّه ؛ لإفادة أمرين :

أ- إبراز الصيغ التي استعملها في الترجيح .

ب- الاطلاع على كلام ابن جُزَيّ دون الحاجة إلى الرجوع إلى كتابه .

هذا و لم تخل نسخة مطبوعة من الأخطاء الطباعية ؛ الأمر الذي دعا إلى توثيق النص من النسخ الخطية للتسهيل وبخاصة عند المواضع المستشكلة . وسيأتي في فهرس المصادر ذكر لنسخ الكتاب الخطية .

٦- تناولت كل مسألة خلافية في التفسير بالعرض والمناقشة مستقلة عن غيرها وذلك تحت عنوان : العرض والمناقشة ، وَفْقَ ما يلي :

أ- قدمتُ القول الذي رجّحه ابنُ جُزَيّ ـــ غالبًا ـــ وبيّنت ما ذهب إليه في المسألة مع بيان ما استَدَلَّ به على رأيه وترجيحه إن كان .

ب- أتبعت ذلك بذكر من رُوِيَ عنه هذا القول من السلف مبتدئًا بالصحابة فالتابعين، فمَنْ بعدهم ممن ذهب إليه ممن صنف في التفسير ـــ وقد أدرج فيهم من ليس منهم إذا دعت الحاجة إلى ذلك ـــ وكذا أذكر من خالفه أو ذكره بصيغة التمريض (قيل) ، مع عرض ما استُدِلَّ به من أدلة للترجيح ، غير ما ذكره ابن جُزَيّ .

ت- ذكرت بعد ذلك القول الآخر في المسألة أو الأقوال الأخرى التي ذكرها ابنُ جُزَيّ ـــ وقد أذكر مالم يذكر منها عند الحاجة ـــ مع نسبتها إلى قائليها من السلف فمن بعدهم ممن صنف في التفسير سواء المتقدمين على ابن جُزَيّ أو المتأخرين ، وكذا أذكر من خالفه أو ذكره بصيغة التمريض (قيل) ، مع عرض

أدلتهم على ما ذهبوا إليه .

ث- درست الأقوال والآراء والأدلة دراسةَ مقارنةٍ وموازنةٍ ، فإن أمكن الجمع بينها فإليه ذهبت ، وإلا فإلى الترجيح بينها عدلت .

ج- ذكرت بعض الإيرادات والإشكالات التي قد ترد على الأقوال والأدلة مع بيان الجواب عنها .

ح- خلصت بناء على هذه المناقشة المقارنة إلى بيان القول الراجح في المسألة ووجه رجحانه ، وذكر ما يؤيده من القواعد الترجيحية التفسيرية والأدلة النقلية عن الصحابة والتابعين . وقد لا أذكر وجه رجحانه في الخلاصة ؛ اعتمادًا على ذكرها قبل ، ولوضوح الأمر في ذلك وعدم خفائه .

خ- التزمت الترتيب الزمني للوفيات عند نسبة الأقوال إلى المصنفين في التفسير ؛ وذلك لبيان ومعرفة المتقدم والمتأخر ومن أخذ عمن أخذ ، وما الذي أفاده المتأخر وزاد به على من تقدمه . أما العزو إلى السلف فالتزمت في الأعم الأغلب بتقديم الصحابة على التابعين ، رضي الله عنهم ورحمهم أجمعين .

د- عزوت الآيات القرآنية إلى سورها .

ذ- وثقت القراءات القرآنية من كتب القراءات المتواترة والشاذّة .

ر- خرجت الأحاديث والآثار من كتب الحديث ودواوين السنة ، فإن كان في الصحيحين أو في أحدهما فربما اكتفيت به ، وربما زدت عليهما لفائدة .

ز- نسبت الأبيات الشعرية إلى قائليها ، وعزوتها إلى مصادرها المعتمدة .

س- شرحت الغريب ، وضبطت ما قد يشكل ، وعرفت ببعض الأماكن والبلدان، والفرق والأديان ، كل ذلك من المصادر المعتبرة في كل فَنٍّ.

ش- وثقت النصوص المنقولة من مصادرها الأصلية .

ص- جعلت تراجم الأعلام في ملحق خاص خشية الإطالة أثناء البحث.

ض- لم ألتزم بعبارات الترضي عن الأصحاب ـــ رضي الله عنهم ـــ أو الترحم على التابعين لهم بإحسان ـــ رحمهم الله تعالى ـــ لا تنقصًا لهم ، ولكن لأن التزام ذلك مما يطول به البحث . وقد جرت عادة العلماء في مصنفاتهم على ذكر

أسماء العلماء مرسلةً من غير نكير عليهم في ذلك . فهذا الإمام البخاري في صحيحه يذكر الأسانيد دون الترحم على أحد منهم كتابةً . وهكذا كتب السنة والفقه وغيرها من دواوين الإسلام .

ط- اختصرت في ذكر أسماء المراجع والمصادر عند الإحالة والعزو إليها في الهامش ، معتمدًا على طبعة واحدة لكل مصدر ومرجع ، إلا ما دعت الحاجة إلى الرجوع إلى أكثر من طبعة ، منبهًا على ذلك في موضعه . والمُعَوَّلُ عليه في معرفة معلومات المصدر والمرجع : الفهرس المختص في آخر البحث .

ظ- اعتنيت ـــ قدر الطاقة ـــ بعلامات الترقيم وقواعد الإملاء .

ثم **الخاتمة** وفيها : أبرز النتائج التي توصل إليها الباحث ، وأهم التوصيات .

وأتبعتها بملحق لتراجم الأعلام الوارد ذكرهم في الرسالة ، وذيلتها بكشافات علمية وفهارس عامة لما يلي :

ـــ الآيات القرآنية ، وكان ترتيبها على حسب ترتيب سور القرآن الكريم وآياته .

ـــ القراءات القرآنية المتواترة والشاذة .

ـــ الأحاديث والآثار .

ـــ الأشعار.

ـــ الأماكن والبلدان .

ـــ المصادر والمراجع .

ـــ الموضوعات .

وبفهرس الموضوعات تنتهي هذه الرسالة . وإني لأرجو الله تعالى وأرغب إليه أن يجعلها خالصة لوجهه الكريم وأن ينفعني بها وقارءها والمطلع عليها ومن شاء من عباده ، وأن يكتب لها القبول ؛ إن ربي لسميع الدعاء .

وبعد ، فالمرغوب إلى من يقف عليها أن يلتمس العذر لصاحبها إذا رأى خللا أو جهلا فاضحًا ـــ وهو واجد لا محالة ـــ فما عسى أن يبلغ خاطري المكدود وسعي المجهود مع بضاعتي المزجاة !! ولا أدعي أني قد وفيت أو قاربت ، فما كان فيه من صواب فقد منّ الله به علي، فله ـــ سبحانه وبحمده ـــ الحمد على توفيقه وامتنانه والشكر على فضله وإحسانه، مع منّته ـــ جل في علاه ـــ عليَّ بمشرفٍ ممتاز وشيخ فاضل وأستاذ نبيل وعالم كريم ألا وهو شيخنا المبجل

وأستاذنا المفضل ، سعادة الأستاذ الدكتور : أمين محمد عطية باشا ـــ حفظه الله تعالى وبارك فيه وفي علمه وعمله وعمره ـــ والذي كان لرعايته الأبوية وعنايته العلمية وتوجيهاته القيمة وآرائه السديدة الأثر الملموس في هذه الرسالة خاصة وفي حياتي العلمية بعامة ، فاللهم اجزه عني خير ما جزيت شيخًا عن تلميذه .

والشكر موصول لأبويّ الكريمين اللذين أحسنا تربيتي وأكثرا من الدعاء لي في حياتي عامة وفي بحثي هذا خاصة أن يتمه الله على أحسن وجه وأفضله ،

فأما أمي فقد قدمت إلى رب كريم غفور رحيم ، فأسأل الله لها ولأموات المسلمين المغفرة والرحمة والعفو والعافية والدرجات العلى من الجنة .

وأما أبي فأسأل الله أن يلبسه ثوب الصحة والعافية وأن يحسن خاتمته بعد طول عمر وحسن عمل ؛ إن ربي لسميع الدعاء .

كما أشكر الشكر الجزيل الشيخين الفاضلين والأستاذين الكريمين :

١- سعادة الأستاذ الدكتور / حكمت بن بشير ياسين .

٢- وشيخي وأستاذي سعادة الأستاذ الدكتور / عبدالله بن سعاف اللحياني .

حيث قبلا مناقشة هذه الرسالة تفضّلا منهما وتكرمًا ، فأسأل الله أن ينفعني بعلمهما وملحوظاتهما القيمة وأن يبارك فيهما حيثما كانا وحلا .

كما أتقدم بالشكر للقائمين على جامعة أم القرى الذين لهم بعد الله فضل مواصلتي للدراسة. وأخص بالذكر عميد كلية الدعوة وأصول الدين السابق : فضيلة الشيخ الدكتور/ عبد الله الدميجي ، حيث كان له الدور الأكبر في حل مشكلة تقسيم هذا البحث وتوزيعه بعد تفهمه لصعوبة مسائله وكثرتها ، وطريقة مناقشتها ودراستها ، فاللهم اجزه عنا خير الجزاء . وكذا لعميدها الجديد ووكيليه ورئيس قسم الكتاب والسنة أبلغ الشكر وأجزله .

والشكر كذلك موصول لكل من ساعدني في هذا البحث من الأهل والإخوة والأصحاب والأحباب ، لكل هؤلاء جميعًا جزيل شكري وتقديري وعظيم امتناني وحبي ، والحمد لله أولا وآخرًا والشكر له ظاهرًا وباطنًا، وصلِّ اللهم وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله الطيبين وصحابته أجمعين والتابعين لهم بإحسان .

التمهيد

تعريف موجز بابن جُزَيّ وكتابه "التسهيل لعلوم التنزيل"

وفيه ستة مباحث :

المبحث الأول : اسمه ونسبه ، ونسبته ، وكنيته ، وشهرته .
المبحث الثاني : مولده ، ونشأته ، وحياته العلمية .
المبحث الثالث : شيوخه ، وتلاميذه ، ومصنفاته .
المبحث الرابع : وفاته رحمه الله تعالى .
المبحث الخامس : مذهبه في أصول الدين وفروعه .
المبحث السادس : القيمة العلمية لكتاب "التسهيل لعلوم التنزيل" .

المبحث الأول
اسمه ونسبه، ونسبته ، وكنيته ، وشهرته

اسمه ونسبه :

هو محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمن بن يوسف بن جُزَيّ الكَلْبِي[1].

نسبته :

يَنتسِب ابن جُزَيّ إلى أصل عربي ، فهو سليل قبيلة كَلْب اليمانية المشهورة . وكَلْبُ الذي تنتسب إليه هذه القبيلة، هو كَلْب بن وَبَرة بن تَغْلِب بن حُلْوان بن الحاف بن قُضاعة.

وقُضاعة : هو ابن مالك بن عمرو بن مُرَّة بن زيد بن مالك بن حِمْيَر.

وحِمْيَر : هو ابن سبأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قحطان [2].

هذا هو المشهور عند النسّابة والمؤرّخين وعليه الأكثرون ، وإن كان في كون قضاعة من حمير ، وفي كون حمير من قحطان خلافٌ .

وممن يَنتسِب إلى هذه القبيلة العربية الأصيلة :

الصحابيُّ الجليلُ : دِحْيَةُ بن خليفة الكَلبِي ، الذي كان جبريلُ ـــ عليه السلام ـــ يأتي على صورته إلى النبي صلى الله عليه وسلم .

ومحمد بن السائب الكلبي .

وهشام بن محمد الكلبي .

---

(١) ترجم لابن جُزَيّ الجمُّ الغفيرُ ، وهذه بعض مصادر ترجمته : الإحاطة في أخبار غرناطة لابن الخطيب (٣/٢٠) ، غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري (٢/٨٣) ، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر (٥/٨٨)، طبقات المفسرين للداودي (٢/٨٥) ، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب لابن فرحون (٢٩٥)، نيل الابتهاج بتطريز الديباج للتنبكتي (٣٧٨) ، الفتح المبين للمراغي (٢/١٤٨) ، درة الحجال في أسماء الرجال لابن القاضي(٢/١١٧) ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب (٥/٥١٤) ، أزهار الرياض في أخبار عياض (٣/١٨٥) كلاهما للمقّري ، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية لمحمد مخلوف(٢١٣) ، أعلام المغرب والأندلس في القرن الثامن لابن الأحمر (١٦٥) ، الأعلام للزركلي (٥/٣٢٥)، ذيل وفيات الأعيان للمكناسي (٢/١١٧) ، معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة (٩/١١)، فهرس الفهارس والأثبات للكتاني (١/٣٠٦) ، ابنُ جُزَيّ ومنهجه في التفسير لعلي بن محمد الزُّبيري (١/١٣٩) .

(٢) يُنظر : الأنساب للسمعاني (٥/٨٥) ، وجمهرة أنساب العرب لابن حزم (٢/٤٥٥) ، والاشتقاق لابن دريد (٥٣٧) ، وعجالة المبتدئ للحازمي (١٠٧) ، ونهاية الأرب في أنساب العرب للقلقشندي (٤٠٨).

كنيته :

يُكْنَى أبا القاسم ، ويشاركه في هذه الكنية أيضًا جدُّه محمد بن عبدالله بن يحيى .

إشكال :

ورد في الصحيحين النهي الصريح عن التكني بكنية النبي صلى الله عليه وسلم، وذلك قوله: (تَسَمَّوْا باسمي ولا تَكَنَّوْا بكُنْيَتِي) [(١)] . فكيف يتفق هذا مع النهي الصريح ؟

وجوابه : أن ذلك خاصٌّ بحياة النبي صلى الله عليه وسلم ؛ دفعًا للالتباس حال النداء ، كما في صحيح مسلم [(٢)] عن أنس رضي الله عنه قال : نادى رجلٌ بالبقيع : يا أبا القاسم، فالتفت إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، إني لم أَعْنِكَ إنما دعوت فلانًا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (تَسَمَّوْا باسمي ولا تَكَنَّوْا بكُنْيَتِي).

فكان سبب المنع أنها كنية النبي صلى الله عليه وسلم والعرب تفضل النداء بها على النداء بالاسم .

وهذا خاصٌّ بحياته عليه الصلاة والسلام بدليل قول علي رضي الله عنه : قلت : يا رسول الله، إن وُلِد لي وَلَدٌ بعدك أسميه باسمك ، وأكنيه بكنيتك ؟ قال : (نعم) [(٣)].

وأجاب ابن جُزَيّ عن هذا بقوله : « تنبيه : ورد النهيُ عن بعض الأسماء ، فمنها التكنية بأبي القاسم . وإنما مُنِعَ ذلك في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم خاصة ؛ لأن أبا بكر الصديق وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما قد كنّى كل واحد منهما ولده أبا القاسم بعد ذلك»[(٤)].

---

(١) صحيح البخاري (٥٢/١) برقم (١١٠)، كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبي صلى الله عليه وسلم ، وأطرافه (٣٥٣٩ ، ٦١٨٨، ، ٦١٩٧، ٦٩٩٣) . وصحيح مسلم (١٦٨٤/٣) برقم (٢١٣٤)، كتاب الآداب ، باب النهي عن التكني بأبي القاسم وما يستحب من الأسماء . أخرجاه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه . وأخرجه مسلم أيضًا من حديث جابر نحوه (٢١٣٣) .

(٢) (١٦٨٢/٣) رقم (٢١٣١)، كتاب الآداب .

(٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (فضل الله الصمد٣٠٢/٢) برقم (٨٤٣)، وأبو داوود في سننه (٢٩٢/٤) برقم (٤٩٦٧)، كتاب الأدب ، باب في الرخصة في الجمع بينهما ، والترمذي في سننه (١٣٧/٥) برقم (٢٨٤٣)، كتاب الأدب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء إن من الشعر لحكمة ، وقال: هذا حديث صحيح .

(٤) قوانين الأحكام الشرعية ومسائل الفروع الفقهية (٤٤٦) .

شهرته :

اشتُهِرَ بـــ ابن جُزَيّ ـــ بضم الجيم وبعدها زاي مفتوحة وآخره ياء مشددة بدون همزة هكذا بالتصغير .

والتسمية بجُزَيّ معروفة عند العرب[1] .

أما ضبطها بإسكان الياء ثم همزة بعدها : جُزَيْء فهو خلاف المشهور [2].

(١) ينظر: القاموس المحيط للفيروز أبادي (١٦٤٠) ، جَزَيَ . وفي كتاب المشتبه في الرجال أسمائهم وأنـــسابهم للذهبي (١/ ١٥٣) : جُزَيّ بن بكير العبسي تابعي يروي عن حذيفة .

(٢) ينظر : نيل الابتهاج بتطريز الديباج (٣٩٨) ، وابن جُزَيّء ومنهجه في التفسير لعبد الرحمن سعد علي بركة (٨٣) .

المبحث الثاني
مولده ، ونشأته ، وحياته العلمية

مولده :

وُلِد ابن جُزَيّ في يوم الخميس التاسع من شهر ربيع الآخر عام ثلاث وتسعين وستمائة (٦٩٣) من الهجرة النبوية ، في مدينة غَرْناطَةَ[١] عاصمة الأندلس [٢] آنذاك .

نشأته :

كان للبيئة العلمية التي تربَّى فيها ابن جُزَيّ الأثرُ الكبير في تكوين نشأته وشخصيته ، فقد وُلِد في بيت حسب ونسب، وفقه وعلم.

يقول المقَّري : وبيت ابن جُزَيّ بيت كبير مشهور بالمغرب[٣] والأندلس[٤].

وكان والده أحمد بن محمد بن جُزَيّ من علماء غرناطة ، قال ابن حجر فيه : «كان من أهل الأصالة والذكاء ، وإليه النظر في أمر الغنائم ببلده ، وكان محمودًا وله طلب وسماع»[٥].

فنشأ ابن جُزَيّ وتربى في حجر والده، كما استفاد من علماء بلده ، حيث كانت غرناطة في تلك الفترة عامرة بالعلم والعلماء ، فاجتهد في الأخذ عنهم والتتلمذ عليهم حتى برع في جميع العلوم ، وصنف في شتى الفنون، حتى أصبح من علماء الأندلس البارزين الذين يقصدهم الطلاب من كل مكان[٦].

---

(١) غرناطة : مدينة أندلسية أنشأها المسلمون عام (١٣٣هـ) ، وكانت مركزًا حضاريًّا ، ومعقلا للتراث والثقافة الإسلامية . وهي اليوم مدينة ساحلية أسبانية ، تقع في جنوب أسبانيا الشرقي . ينظر: معجم البلدان لياقوت الحموي (١٩٥/٤) ، والموسوعة العربية العالمية (١٧/ ٩٧-٩٨) .

(٢) الأندلس : جُزَيّرة ذات ثلاثة أركان يحيط بها البحر المحيط والبحر المتوسط ، تقع في الجهة المقابلة لأرض المغرب وتونس . وهي اليوم تعرف بدولة أسبانيا الواقعة في جنوب غربي أوروبا، وكذلك البرتغال اللاصقة بها . ينظر : معجم البلدان (٢٦٢/١) ، والموسوعة العربية العالمية (٦١٦/١) .

(٣) المغرب: هي تلك الدولة العربية المعروفة الآن الواقعة في الشمال الغربي من قارة أفريقيا ، والمحيط بها البحر الأبيض المتوسط من الشمال ، والمحيط الأطلسي من الغرب. ينظر : الموسوعة العربية العالمية (٥٠١/٢٣) .

(٤) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب (٢٨٢/٧) .

(٥) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (٣٢٦/١) .

(٦) ينظر: الإحاطة في أخبار غرناطة لابن الخطيب (٢٣/٣) .

حياته العلمية :

من أجلِّ النعم التي أنعم الله بها على ابن جُزَيّ في حياته أن شغله بخدمة القرآن ، وتعلمه وتعليمه ، وتفهم معانيه ، وتحصيل علومه[1] .

وكانت حياته العلمية مع القرآن بدءًا بقراءته برواية ورش عن نافع ، فحصَّل قراءة نافع وضبطها على مشايخه ، كأبي جعفر بن الزُّبير ، وألف فيها تأليفًا مستقلا ، كما أخذ وحصل القراءات الستة الأخرى وألف فيها أيضًا[2].

وأخذ علم العربية من أستاذه أبي جعفر بن الزبير ، وقرأ عليه الكتاب لسيبويه ، كما قرأ على غيره كابن رُشيد.

وأخذ علم الحديث عن شيخه ابن رشيد الفهري المحدث المشهور ، وحرص على السند العالي .

وبرع في علم الفقه وأصوله ، فدرس كتب الفقه المالكي ؛ لانتشاره في تلك البلاد ، على شيوخه ، ثم ألف فيه .

لقد كان ابن جُزَيّ متفرغًا للعلم والتعليم، والتدريس والتصنيف كما قال عنه تلميذه ابن الخطيب : « وفرغ للعلم من جميع أعماله ، وتفيأ رياض دواوينه عن يمينه وشماله ، واقتصر على طلب كماله ، مع وُفُور ضِياعِه [3] ونموِّ ماله ، فدوَّن الكثير وصنف وقرض المسامع وشنّف» [4].

كما أنه اختير للإمامة والخطابة ، وهو لا يزال في سن الشباب .

يقول ابن الخطيب: « تقدم خطيبًا بالمسجد الأعظم من بلده على حداثة سِنِّه ، فاتُّفِق على فضله وجرى على سنن أصله » [5].

وبقيت ملكةُ الخطابة متأصلةً عند ابن جُزَيّ يَقرِن فيها القول بالعمل ، حتى لقي ربَّه سبحانه وهو يؤدي هذا الدور يقاتل في سبيل الله ويحرض المؤمنين على القتال .

---

(١) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (٢/١).

(٢) سيأتي ـــ إن شاء الله تعالى ـــ ذكر مصنفاته .

(٣) الضِّياع : جمع ضيعة ، وهي الأرض المُغلَّة ، والضَّيعةُ : العقار . ينظر : اللسان (٨/٢٣٠) مادة (ضَيَع).

(٤) أوصاف الناس في التواريخ والصلات (٢٧) .

(٥) الإحاطة في أخبار غرناطة (٣/٢١) .

وتصدَّر ابن جُزَيّ للفتيا وكان يسلك طريق المجتهدين .

يقول ابن الأحمر عنه: « كان خطيب الجامع الأعظم بغرناطة ، وكان فقيهًا ، إمامًا ، عالِمًا بجميع العلوم ، محصلا ، قارب درجة الاجتهاد ، ودَوَّن وصنَّف في كل فَنٍّ ، وكان أحد أهل الفتيا بغرناطة »[1] .

ويقول ابن الخطيب : « كان رحمه الله على طريقة مُثْلَى من العكوف على العلم ، والاقتصار على الاقتيات من حُرّ النَّشَب [2]، والاشتغال بالنظر والتقييد والتدوين ، فقيهًا ، حافظًا ، قائمًا على التدريس ، مشاركًا في فنون العربية ، والفقه، والأصول ، والقراءات، والحديث ، والأدب ، حُفَظَة للتفسير ، مستوعبًا للأقوال ، جمّاعة للكتب ، ملوكيّ الخزانة ، حسن المجلس ، ممتع المحاضرة ، قريب الغور ، صحيح الباطن »[3].

(١) نثير الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان (١٦٥ – ١٦٦) .

(٢) الإحاطة في أخبار غرناطة (٣/٢٠) .

(٣) النَّشَب : هو المال والعقار . ينظر: مختار الصحاح (٢٧٥) .

المبحث الثالث
شيوخه، وتلاميذه، ومصنفاته

شيوخه :

أخذ ابن جُزَيّ العلم وتلقاه عن كثرة وافرة من العلماء ، صنع لهم فهرسة كبيرة احتوت على ذكر مشايخه من أهل المشرق والمغرب[1].

ومن أشهرهم :

١- أبو جعفر بن الزبير[2] (تـــ ٧٠٨هـــ) : هو أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، المفسر ، المحدث ، الفقيه ، الأصولي ، اللغوي ، الأديب ، المؤرخ .

كان خاتمة المحدثين ، مصدر العلماء المقرئين ، نسيج وحده في حسن التعليم والصبر على التسميع والملازمة للتدريس . انتهت إليه الرئاسة العلمية بالأندلس في صناعة العربية ، وتعليم القرآن ، ورواية الحديث .

من مصنفاته :

ـــ صلة الصلة .

ـــ وملاك التأويل في المتشابه اللفظي .

ـــ والبرهان في تناسب سور القرآن .

قال ابن جُزَيّ : « ثم خُتم علمُ القرآن بالأندلس ، وسائر المغرب بشيخنا الأستاذ: أبو جعفر بن الزبير، فلقد قطع عمره في خدمة القرآن وآتاه الله بسطة في علمه وقوة في فهمه، وله فيه تحقيق ونظر دقيق » [3] .

وقد صرح بذكر اسمه في التسهيل في مواضع [4] مستفيدًا منه آخذًا برأيه رحمه الله .

٢- أبو عبدالله بن الكَمَّاد[5] (تـــ ٧١٢هـــ) : هو محمد بن أحمد بن داود بن موسى

---

(١) ينظر: الإحاطة في أخبار غرناطة (٢٢/٣)، ونيل الابتهاج لأحمد بابا التنبكتي (٢٣٩) .

(٢) ينظر: ترجمته في الإحاطة (١/ ١٨٨) ، والديباج المذهب (١٨٨/١) ، والدرر الكامنة (١/ ٨٩) ، والبدر الطالع للشوكاني (١/ ١٣٣) .

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ١٠) .

(٤) ينظر على سبيل المثال : المصدر السابق (١/ ٥٢ ، ٥٤، ٦٠ ، ١٥٩) و (٥٢/٢، ٦٠) .

(٥) ينظر ترجمته في الإحاطة (٣/ ٦٠) ، والديباج المذهب (٢/ ٢٧٩) ، وغاية النهاية لابن الجزري (٦٣/٢)، والدرر الكامنة (٣/ ٤٠٥) .

اللخمي ، المعروف بابن الكمّاد ، الإمام المقرئ ، المحدث الثبت ، العالم ، العمدة ، المتفنن في علوم شتى . كان على زهد وقناعة ودماثة خلق ، وكان إمامًا مشهورًا في القراءات يُرحل إليه ويُعوَّل عليه . أخذ عن كثير من الأعلام، وتصدر للإقراء بغرناطة وغيرها ، وتخرج به جملة من العلماء.

ألَّف : (الممتع في تهذيب المقنع) في القراءات .

ذكر ابن جُزَيّ في التسهيل [1] أنه قرأ عليه القرآن .

٣- أبوعبد الله بن رُشيد[2] (تـــ٧٢١هـــ) : هو محمد بن عمر بن محمد بن عمر الفِهْرِي ، المعروف بابن رُشيد، الخطيب ، المحدِّث ، العالم الحافظ ، النظّار. كان واسع الأسمعة ، عالي الإسناد ، صحيح النقل ، أصيل الضبط ، عارفًا بالقراءات ، ذاكرًا للتفسير ، جمّاعة للكتب ، عظيم الوقار والسكينة ، حسن الخلق ، كثير التواضع .

درّس الحديث في المسجد الجامع بغرناطة . ومن تآليفه المشهورة :

ـــ السَّنن الأَبْيَن والمورد الأَمعَن في المحاكمة بين الإمامين البخاري ومسلم في السند المعنعن.

ـــ وملء العيبة فيما جمع بطول الغيبة في الوجهتين الكريمتين إلى مكة وطيبة .

ـــ وترجمان التراجم على أبواب البخاري .

ذكره ابن جُزَيّ في (التسهيل) [3] .

هؤلاء بعض شيوخ ابن جُزَيّ ومن أشهرهم ، وله أكثر من ذلك[4] .

تلاميذه :

لما اشتغل ابن جُزَيّ بالتدريس ، وقعد للإفادة أقبل عليه الطلاب فاستفادوا منه وتخرج به الكثير من العلماء ، ومنهم :

١- لسان الدين بن الخطيب[1] (تـــ ٧٧٦ هـــ) : هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله

---

(١) (١١٢/٤) .

(٢) ينظر ترجمته في الإحاطة (٣/ ١٣٥- ١٤٣). والـــدرر الكامنـــة (٢٢٩/٢-٢٣١)، وأزهـــار الريـــاض (٢٤٧/٢-٣٥٢) ، والأعلام (٦/ ٣١٤) .

(٣) (١٩٥/١) .

(٤) ينظر: الإحاطة في أخبار غرناطة لابن الخطيب (٣/ ٢٣) .

السلماني المعروف بابن الخطيب ، الغرناطي ، الكاتب ، الشاعر، الأديب ، ذو الوزارتين.

من مؤلفاته :

ـــ الإحاطة في أخبار غرناطة .

ـــ وحمل الجمهور على سنن المشهور، ألفية في الأصول .

صرح ابن الخطيب في أكثر من موضع وفي أكثر من كتاب بأن ابن جُزَيّ شيخُه، وفي بعضها أنه تلا عليه القرآن .

٢- ابن الخشاب (تـــ٧٧٤هـــ) [٢] : هو محمد بن محمد بن يوسف الأنصاري ، الشيخ الإمام ، شيخ غرناطة، والمصدَّر بجامعها ، المعروف بابن الخشاب ، وكنيته أبو القاسم .

٣- أبو عبد الله الشُّدَيِّد (تـــ بعد ٧٧٦هـــ) [٣] : هو محمد بن قاسم بن أحمد الأنصاري ، المعروف بالشُّديّد ـــ بالتصغير ـــ كان من أهل الطلب، والذكاء ، والظَّرَف، اضطلع بحمل كتاب الله حتى سُمِّي مبالغةً : "بلبل دوح السبع المثاني" .

كما أخذ عن ابن جُزَيّ أولاده الثلاثة :

أبو عبد الله محمد بن محمد الكاتب [٤].

وأبو بكر أحمد بن محمد القاضي [٥].

وأبو محمد عبد الله بن محمد [٦].

---

(١) تنظر ترجمته في نفح الطيب للمَقَّري (٥/ ٧) ، والدرر الكامنة لابن حجر (٥/ ٢١٣) ، والأعلام للزركلي (٢٣٥/٦)، وابن جُزَيّ ومنهجه في التفسير للزبيري (١/ ٢٠٥).

(٢) تنظر ترجمته في غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري (٢/ ٢٥٧) ، والأعلام للزركلـــي (٤٠/٧)، وابن جُزَيّ ومنهجه في التفسير (١/ ٢١٠) .

(٣) تنظر ترجمته في الإحاطة في أخبار غرناطة (٣ / ١٩٦)، وابن جُزَيّ ومنهجه في التفسير (٢١١/١).

(٤) تنظر ترجمته في الإحاطة في أخبار غرناطة (٢٥٦/٢)، والدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنـــة (٤٢٨/٥)، ونفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب (٥/ ٥٢٦).

(٥) تنظر ترجمته في الإحاطة في أخبار غرناطة (١٥٧/١)، والديباج المذهب في معرفة أعيان المـــذهب (٤١)، ونفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب (٥ / ٥١٧).

(٦) تنظر ترجمته في الإحاطة في أخبار غرناطة (٣/ ٣٩٢) ، ونفح الطيب مـــن غـــصن الأنـــدلس الرطيـــب (٥٣٩/٥).

مصنفات ابن جُزَيّ :

صنف ابن جُزَيّ في شتى العلوم التي حصلها واستفادها من مشايخه وأساتذته ، في التفسير والقراءات ، والحديث، والفقه ، والأصول وغيرها ، ومن أهم تلك المصنفات :

١- التسهيل لعلوم التنزيل [(١)].

وهو كتاب في التفسير ، صنع له مقدمة في أصول التفسير وقواعد الترجيح ووجوهه ، وذكر فيها أسباب اختلاف المفسرين وأنواعه . ولأهمية "التسهيل" فقد تكاثرت الدراسات العلمية الجادة حول الكتاب ومادته العلمية . وقد سبقت الإشارة في المقدمة إلى شيء منها، وسيأتي الكلام عليه إن شاء الله تعالى .

٢- المختصر البارع في قراءة نافع [(٢)].

وهو كتاب في قراءة نافع المدني .

٣- أصول القراء الستة غير نافع [(٣)].

وهو كتاب في القراءات المتواترة .

٤- الأنوار السَنِيّة في الكلمات السُنِّية [(٤)].

---

(١) ذكره ابن الخطيب في الإحاطة (٣/ ٢٢) ، والكتاني في فهرس الفهارس والأثبات (١/ ٣٠٦)، وإسماعيل باشا في إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون (١/ ٢٨٨) . والجدير بالذكر أن جميع طبعات الكتاب مليئة بالأخطاء الطباعية وكثرة السقط !! وقد اعتنى الدكتور محمد ولد ملاي الأستاذ بالمعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية بموريتانيا حاليا والباحث في الموسوعة الفقهية الكويتية سابقا بتحقيقه على نسخ خطية يوشك أن يطبع ، وكذا أخونا الدكتور سامي الجهني الذي أفادني في مواضع أشكلت علي فحققت النص بالرجوع إلى مخطوطات الكتاب الموجودة لديه ، فشكر الله حسن صنيعه وجميل تعاونه سائلا المولى جل وعلا أن يوفقه لإخراج "التسهيل" خاليًا من التصحيف .

(٢) ذكره ابن الخطيب في الإحاطة (٣/ ٢٢)، وابن فرحون في الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب(٢٩٥). والكتاب توجد منه نسخة خطية بالمكتبة الوطنية بتونس تحت رقم (٣٨٤) كما ذكره د. محمد علي فركوس في مقدمة تحقيقه لتقريب الوصول إلى علم الأصول لابن جُزَيّ (٢١) . وينظر الفهرس الشامل للتراث الإسلامي المخطوط (مخطوطات القراءات) وفيه : تحت رقم (١/ ١٨٤).

(٣) ذكره ابن الخطيب في الإحاطة (٢٢/٣)، وابن فرحون في الديباج المذهب (٢٩٥) ، والمقري في نفح الطيب (٥/ ٥١٥).

(٤) ذكره ابن الخطيب في الإحاطة (٢٢/٣)، والمقري في أزهار الرياض (١٨٧/٣)، والكتاني في فهرس الفهارس والأثبات (١/ ٣٠٦) والزركلي في الأعلام (٣٢٩/٥). وينظر ابن جُزَيّ ومنهجه في التفسير للزبيري

وهو كتاب مختصر في الحديث ، جمعه لابنه محمد المكني بأبي بكر ؛ ليحفظ شيئًا من السنة النبوية كما حفظ القرآن الكريم .

٥- تقريب الوصول إلى علم الأصول [١].

وهو كتاب مختصر في أصول الفقه ، ألَّفه لابنه محمد ، قائلا في مقدمته : (وإني أحببت أن يضرب ابني محمد ـــ أسعده الله ـــ في هذا العلم بسهمه ، فصنفت هذا الكتاب برسمه ووسمته بوسمه ؛ لينشط لدرسه ، وفهمه ، وعوَّلت فيه على الاختصار ، والتقريب ، مع حسن الترتيب والتهذيب ...) [٢].

٦- قوانين الأحكام الشرعية ومسائل الفروع الفقهية [٣].

وهو كتاب لخص فيه المذهب المالكي الفقهي مع تنبيهه على بقية المذاهب الأخرى . وقدم له بمقدمة ذكر فيها عقيدته من باب تقديم الأهم على المهم [٤].

ومما ذكر له في المصنفات أيضا :

٧- النور المبين في عقائد الدين [٥].

(١/٢٢٥-٢٢٩). والكتاب مطبوع سنة ١٣٤٧هـ بمطبعة السعادة بالقاهرة. وشرحه أبو عبد الله محمد بن عبد الملك القيسي (ت ٨٣٤) بشرح سماه : مناهج الأخبار في تفسير حديث كتاب الأنوار . كما شرحه علي القنصاوي الغرناطي (ت ٨٩١هـ) بشرح سماه : لب الأزهار شرح أحاديث الأنوار .

(١) ذكره ابن الخطيب في الإحاطة (٣/ ٢٢) ، وابن فرحون في الديباج المذهب (٢٩٥) ، والمقري في نفح الطيب (٥/٥١٥). والكتاب طبع ١٤١٠هـ بتحقيق د. محمد علي فركوس نشر دار التراث الإسلامي بالجزائر، وطبع أيضا ١٤١٤هـ بتحقيق د. محمد المختار بن محمد الأمين الشنقيطي ، ابن صاحب أضواء البيان نشر مكتبة ابن تيمية بالقاهرة ، ومكتبة العلم سابقا بجدة .

(٢) تقريب الوصول إلى علم الأصول (٢٤). طبعه د. محمد علي فركوس.

(٣) ذكره ابن الخطيب في الإحاطة (٣/ ٢٢) ، وابن فرحون في الديباج المذهب (٢٩٥)، والمقري في نفح الطيب (٥/ ٥١٥) . والكتاب مطبوع في تونس (١٣٤٤هـ)، نشره عبد الرحمن اللزام ، ومحمد الأمين الكبتي . وطبعه عالم الفكر بالقاهرة بتحقيق : عبد الرحمن حسن محمود (١٤٠٥-١٤٠٦هـ) . وطبعته دار الرشاد الحديثة بالدار البيضاء بالمغرب ، بتحقيق : عبد الكريم الفضلي (١٤٢٧هـ).

(٤) ينظر : قوانين الاحكام الشرعية (٢٠) وما بعدها . بتحقق : عبد الكريم الفضلي.

(٥) ينظر : ابن جُزَيّ ومنهجه في التفسير للزبيري (١/ ٢١٨، ٢١٩) . ولسيدي خالد الحسني الوزاني دراسة لمنهج ابن جُزَيّ في الإلهيات من خلال كتابه هذا ، في جامعة محمد الخامس ، كلية الآداب – الرباط ، ولم يتيسر لي الوقوف عليها بعد تطلُّبها .

٨- وسيلة المسلم في تهذيب صحيح مسلم .

٩- الدعوات والأذكار المخرجة من صحيح الأخبار .

المبحث الرابع
وفاته رحمه الله تعالى

كعادة العلماء الذين وفقهم الله للجمع بين العلم والعمل ، كان ابن جُزَيّ رحمه الله ؛ حيث جرت في زمنه معركة طَرِيف [1] بين المسلمين والنصارى ، فخاضها مجاهدًا في سبيل الله ـــ إن شاء الله ـــ وأبلى فيها بلاء حسنًا . وفُقد فيها وهو يحرِّض المؤمنين على القتال، تقبله الله في الشهداء .

وكان ذلك ضحى يوم الاثنين ، السابع من جمادى الأولى ، عام واحد وأربعين وسبعمائة (٧٤١هـــ) من الهجرة النبوية ، الموافق (٣٠/ أكتوبر سنة ١٣٤٠م) [2].

وكان من شعره الذي أنشده ذلك اليوم :

قصدي المؤمَّلُ في جهري وإسراري ومطلبي من إلهي الواحد الباري
شهادةٌ في سبيـــــــل الله خالصة تمحـــو ذنوبي وتنجيني من النار
إن المعاصي رجـــس لا يطهرها إلا الصـــــوارمُ في أيمان كفار

ثم قال : « في هذا اليوم أرجو أن يعطيني الله ما سألته في هذه الأبيات »[3].

فنرجو الله أن يكون قد أعطاه ما سأل ، وبلغه ما أمّل . ولولا "لا يقال فلان شهيد"[4] لقلنا : هو شهيد .

لقد عاش ابن جُزَيّ حياة حافلة بالعلم والتعليم والعبادة والإمامة والخطابة والتصنيف والتأليف ثم ختمها بجهاد الكفار وقتال الأعداء ، فرحمه الله تعالى وتقبله في الشهداء .

---

(١) طريف: مدينة أندلسية ، تقع على ساحل المحيط الأطلسي. ينظر: الروض المعطار في خبر الأقطار للحميري (٣٩٢)، والآثار الأندلسية الباقية في أسبانيا والبرتغال لمحمد عنان (٢٧٨) . أما خبر المعركة فقد انتـــهت بهزيمة المسلمين ، نتيجة مكيدة دبرها الأعداء. والحرب خدعة ، كما قالها عليه الصلاة والسلام. يقول المقري في نفح الطيب (٥/ ١٥) : (وبالجملة فهذه الواقعة من الدواهي العضلة الداء والأرزاء، التي تضعضع لهـــا ركن الدين في المغرب، وقرت بذلك عيون الأعداء).

(٢) ينظر : الإحاطة في أخبار غرناطة لابن الخطيب (٣/ ٢٣) ، ونثير الجمان (٢٨٤)، والتـــاريخ الأندلـــسي (٥٤٩)، ونهاية الأندلس (٤٦٧) ، وابن جُزَيّ ومنهجه في التفسير للزبيري (١/ ١٦٩) .

(٣) نيل الابتهاج بتطريز الديباج لأحمد التنبكتي (٢٣٨- ٢٣٩).

(٤) بوب البخاري في صحيحه بابًا بذلك في كتاب الجهاد ، وعلّق فيه حديث: (الله أعلم بمن يجاهد في سبيله. والله أعلم بمن يُكْلم في سبيله) .

المبحث الخامس
مذهبه

مذهبه في أصول الدين[1] :

ألف ابن جُزَيّ كتابًا مستقلا في باب الاعتقاد أسماه : " النور المبين في قواعد عقائد الدين "، وقد سبقت الإشارة إليه ولكني بعد تطلّبه لم أقف عليه !

كما أنه ـــ رحمه الله ـــ افتتح كتابه "قوانين الأحكام الشرعية ومسائل الفروع الفقهية" بعقيدة سُنِّية وجيزة ؛ تقديمًا للأهم فلا جرم أن الأصول أهم من الفروع ومن الحق تأخير التابع وتقديم المتبوع .

وهذه الفاتحة فيما يجب في الاعتقادات من أصول الديانات اشتملت على عشرة أبواب، الخمسة الأولى منها في الإلهيات، والباقية في السمعيات وهي :

الباب الأول : في وجود الباري .

والباب الثاني: في صفات الله تعالى . وذكر فيه ما جرت به عادة المتكلمين من الأشاعرة بإثبات سبع صفات وهي الحياة والقدرة والإرادة والعلم والسمع والبصر والكلام .

والباب الثالث : في أسماء الله تعالى الحسنى .

والباب الرابع : في توحيد الله تعالى .

والباب الخامس : في تنزيه الله تعالى وفيه قال :

« تنبيه : ورد في القرآن والحديث ألفاظ يوهم ظاهرها التشبيه، كقوله تعالى : ﴿ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥ ﴾ [طه] و ﴿ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ [المائدة: ٦٤] ، وكحديث نزول الله تعالى كل ليلة إلى الدنيا[2] ، وغير ذلك وهي كثيرة ، تفرق الناس فيها ثلاث فرق :

الفرقة الأولى : السلف الصالح من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين آمنوا بها ولم يبحثوا عن معانيها ولا تأولوها بل أنكروا على من تكلم فيها ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ

---

(١) ينظر : ابن جُزَيّ ومنهجه في التفسير للزبيري (١/ ٥١٧- ٥٩٢) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (١١٤٥) في كتاب التهجد ، وبرقم (٦٣٢١) في كتاب الدعوات ، وبرقم (٧٤٩٤) في كتاب التوحيد . ومسلم في صحيحه برقم (٧٥٨) في كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، كلاهما من حديث أبي هريرة .

﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾[آل عمران: ٧] وهذه طريقة التسليم التي تعود إلى السلامة ، وبها أخذ مالك والشافعي وأكثر المحدّثين .

الفرقة الثانية : قوم حملوها على ظاهرها فلزمهم التجسيم ، ويُعزى ذلك إلى الحنبلية وبعض المحدّثين .

الفرقة الثالثة : قوم تأولوها وأخرجوها على ظاهرها إلى ما تقتضيه أدلة العقول ، وهم أكثر المتكلمين ، والله أعلم » .

والباب السادس : في الإيمان بملائكة الله وكتبه ورسله .

والباب السابع : في الإيمان بالدار الآخرة .

والباب الثامن : في الإمامة .

والباب التاسع : في الإيمان والإسلام .

والباب العاشر: في الاعتصام بالسنة .

ومما يلحظ عليه ـــ رحمه الله ـــ فيما قَيَّده في هذه العقيدة الوجيزة ، أو فيما كتبه في "التسهيل" أمور :

الأول : أن السلف الصالح آمنوا بصفات الله تعالى وأمروها كما جاءت ، واعتقدوا ظاهرها مع نفي التمثيل ؛ لقوله تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى]، فلا يلزم من حملها على ظاهرها التجسيم كما قال ابن جُزَيّ عفا الله عنه.

فاعتقاد السلف في صفات الله هو إثباتها بلا تمثيل ؛ فجمعوا بين الإثبات والتنزيه.

وعليه، فقد وقع ابن جُزَيّ في التأويل ؛ لعدم تحقيقه مذهبَ السلفِ في الصفات .

ومن أمثلة ذلك :

تأويله لصفة "الرحمة" حيث أولها بالإحسان [١].

تأويله صفة "اليد" بأن بسطها عبارة عن الإنعام والجود[٢].

تأويله صفة " الوجه" بأنه عبارة عن الذات[٣].

---

(١) ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل (٣١/١).

(٢) ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل (١٨٢/١) . وينظر: التوحيد لابن خزيمة (١٥٩/١) .

(٣) ينظر: التسهيل (٨٤/٤) .

الثاني : في معنى الإيمان في الاصطلاح ، حيث قصر معناه على التصديق[1]. وهو عند أهل السنة والجماعة : قول القلب وعمله ، وقول اللسان وعمل الجوارح والأركان .

الثالث : في زيادة الإيمان ، حيث يرى أن ذلك يحصل بقوة اليقين والتصديق وزيادتهما، ولا يرى دخول الأعمال في مسمى الإيمان[2] .

والحقُّ أن الإيمان قول وعمل واعتقاد ، يزيد بالطاعة والعلمِ بالله، والتفكُّرِ في آياته وتركِ المعاصي ، وينقص بأضداد ذلك .

هذه بعض الأمور الملحوظة على عقيدته ـــ رحمه الله وعفا عنه بمنِّه وكرمه ـــ أدّاه إليها اجتهادُه غفر الله له .

مذهبه في فروع الدين :

كان ابن جُزَيّ ـــ رحمه الله ـــ في فروع الدين على مذهب الإمام مالك ، بل يُعدّ أحدَ منظِّري الفقه المالكي ، وأحد أعيانه المعدودين في طبقات المالكية[3] .

وقد ألف في الفقه كتابه المسمى : " قوانين الأحكام الشرعية ومسائل الفروع الفقهية" على مذهب إمام المدينة أبي عبد الله مالك بن أنس الأصبحي ، ثم زاد على ذلك التنبيه على كثير من الاتفاق والاختلاف الذي بين مالك وبقية الأئمة الأربعة ، وربما نبَّه على مذهب غيرهم من العلماء كالحسن البصري ، والثوري ، وإسحاق بن راهوية ، وداود الظاهري في آخرين . فاعتنى فيه بتحرير الخلاف الفقهي داخل المذهب المالكي مستعملا بعض مصطلحاتهم [4].

كما اعتنى بتحرير الخلاف العالي بين أئمة المذاهب المعتمدة ، حيث قال عن كتابه هذا: « إنه جمع بين تمهيد المذهب ، وذكر الخلاف العالي بخلاف غيره من الكتب، فإنها في

---

(١) ينظر: قوانين الأحكام الشرعية (٣٨) .

(٢) ينظر: التسهيل (٢/ ١١٣)، و (١/ ١١١).

(٣) ينظر : الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب لابن فرحون (٢٩٥)، وشجرة النور الزكية في طبقات المالكية لمحمد محمد مخلوف (٢١٣) .

(٤) كالمشهور، والمذهب، والروايات، والأقوال. ينظر: حاشية الدسوقي (١/ ٢٠)، وحاشية العدوي على الخرشي على مختصر خليل (١/ ٣٤)، ومواهب الجليل لشرح مختصر خليل للحطاب (١/ ٤٠).

المذهب خاصة ، أو في الخلاف العالي خاصة» [1].

وفي تفسيره " التسهيل لعلوم التنزيل" أيضا تقرير لمذهب مالك في بعض المسائل مع الإشارة إلى مذهب غيره [2].

وفي منهجه الفقهي دلالة على عدم تعصُّبه للمذهب المالكي بل كان يسير مع الدليل ولو خالف المذهب[3].

(١) قوانين الأحكام الشرعية (٢٠) . ويقصد بالخلاف العالي ما يسمى اليوم بالفقه المقارن .

(٢) ينظر : التسهيل لعلوم التنزيـــل (٨٢/١، ٨٥، ١٣٩، ١٧٥، ٢٠٧، ٣١٠، ٣٩٨) و (٨٨/٣) و (٩٣/٤، ١٠٣)

(٣) ينظر: ابن جُزَيّ ومنهجه في التفسير للزبيري (٢/ ٧٠٦ – ٧٢٩).

المبحث السادس
القيمة العلمية لكتاب "التسهيل لعلوم التنزيل"

كان لابن جُزَيّ مكانته الخاصة وشخصيته المستقلة التي تجمع بين الأصالة والتجديد ، وتؤهله لأن يناقش كبار المفسرين ويزاحمهم بآرائه ، وبما يمتلك من قواعد الترجيح .

ويتضح ذلك جليًّا من خلال كتابه " التسهيل لعلوم التنزيل" والذي ميزه عن غيره من التفاسير بمقدمته الماتعة في أصول التفسير وعلوم القرآن .

قال ابن جُزَيّ في خطبة كتابه هذا : « وصنفت هذا الكتاب في تفسير القرآن العظيم، وسائر ما يتعلق به من العلوم وسلكت مسلكًا نافعًا، إذ جعلته وجيزًا جامعًا، قصدت به أربع مقاصد، تتضمن أربع فوائد :

الفائدة الأولى : جمع كثير من العلم في كتاب صغير الحجم؛ تسهيلا على الطالبين، وتقريبًا على الراغبين. فلقد احتوى هذا الكتاب على ما تضمنته الدواوين الطويلة من العلم، ولكن بعد تلخيصها وتنقيح فصولها، وحذف حشوها وفضولها. ولقد أودعته من كل فنٍّ من فنون القرآن اللبابَ دون القشر المرغوب عنه من غير إفراط ولا تفريط. ثم إني عزمت على إيجاز العبارة، وإفراط الاختصار، وترك التطويل والتكرار.

الفائدة الثانية : ذكر نكت عجيبة وفوائد غريبة قلّما توجد في كتاب ؛ لأنها من نبات صدري ، وينابيع فكري ، أو مما أخذته عن شيوخي رضي الله عنهم ، أو مما التقطته من مستظرفات النوادر ، الواقعة في غرائب الدفاتر.

الفائدة الثالثة : إيضاح المشكلات ، إما بحل العقد المقفلات ، وإما بحسن العبارة ، ورفع الاحتمالات، وبيان المجملات .

الفائدة الرابعة : تحقيق أقوال المفسرين ، السقيم منها والصحيح ، وتمييز الراجح من المرجوح ، وذلك أن أقوال الناس على مراتب ... »[1].

ثم ذكر تلك المراتب ، وسيأتي ذكرها في "صيغ الترجيح عند ابن جُزَيّ" .

ثم قدم له بمقدمتين :

المقدمة الأولى : في أبواب نافعة ، وقواعد كلية جامعة ، في علم أصول التفسير وعلوم

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (١/٣) .

القرآن ، وجعلها في اثني عشر بابا[1] :

الأول : في نزول القرآن .

الثاني : في المكي والمدني .

الثالث : في المعاني والعلوم التي تضمنها القرآن .

الرابع : في فنون العلم التي تتعلق بالقرآن.

الخامس : في أسباب اختلاف المفسرين، ووجوه الترجيح بين الأقوال.

السادس : في طبقات المفسرين .

السابع : في الناسخ والمنسوخ .

الثامن : في القراءات .

التاسع : في الوقف.

العاشر : في علوم البلاغة .

الحادي عشر : في إعجاز القرآن .

الثاني عشر : في فضل القرآن .

وأما المقدمة الثانية في تفسير معاني اللغات ، ذكر فيها الكلمات التي يكثر دورها في القرآن ، أو تقع في موضعين فأكثر من الأسماء والأفعال والحروف .

وإنما جمعها لثلاث فوائد :

الأولى : تسهيلا للحفظ .

الثانية : ليكون هذا الباب أصلا جامعًا لمعاني التفسير .

الثالثة : للاقتصار ، فاستغنى بذكرها هنا عن التكرار .

وهي بحقٍّ تُعَدُّ معجمًا لغويًّا لمفردات غريب القرآن[2] .

ومما يبرز القيمة العلمية لتفسير ابن جُزَيّ غير ما ذكر أمور ؛ منها :

١- عنايته بالتفسير بالمأثور ، حيث اشتمل تفسيره على بيان القرآن بالقرآن ، وبالسنة [3].

---

(١) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ٤- ١٥) .

(٢) ينظر: المصدر السابق (١/ ١٥-٢٩).

(٣) لسامي بن مساعد الجهني رسالة علمية في تخريج الأحاديث والآثار في كتاب " التسهيل لعلوم التنزيل" ، رسالة ماجستير في جامعة أم القرى ، عام ١٤١٨هـ .

٢- جمعه لأقوال المفسرين وتلخيصها ، وذكر الراجح منها . ومن أمثلة ذلك :

- تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾ ﴾ [البروج] حيث ذكر اضطراب الناس في تفسير الشاهد والمشهود ولخص من أقوالهم في الشاهد ستة عشر قولا ، وفي المشهود اثنين وثلاثين قولا[١].

- تفسيره لـــ "ناشئة الليل" من قوله تعالى : ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾ ﴾[المزمل: ٦] حيث ذكر فيها سبعة أقوال [٢].

- تفسيره لـــ "الكوثر" من قوله تعالى : ﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾ ﴾ [الكوثر] حيث ذكر فيه سبعة أقوال[٣].

- تفسيره لـــ قوله تعالى :﴿ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ ﴾ [الفلق] حيث ذكر فيه ثمانية أقوال[٤].

٣- اهتمامه بالنكات واللطائف التفسيرية . ومن أمثلة ذلك :

ـــ قوله تعالى : ﴿ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ﴾ [يونس: ٣٢] قال : « تدل الآية على أنه ليس بين الحق والباطل منزلة في علم الاعتقادات، إذ الحق فيها في طرف واحد، بخلاف مسائل الفروع» [٥].

ـــ وفي قوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ ﴾ [الحجر]

قال : « كان سؤال إبليس الانتظار إلى يوم القيامة جهلا منه ومغالطة! إذ سأل ما لا سبيل إليه ؛ لأنه لو أعطي ما سأل لم يمت أبدًا ؛ لأنه لا يموت أحد بعد البعث ، فلما سأل

---

(١) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (١٨٨/٤) .

(٢) ينظر: المصدر السابق (١٥٧/٤).

(٣) ينظر : المصدر السابق (٢٢٠/٤).

(٤) ينظر : المصدر السابق (٤/ ٢٢٥).

(٥) ينظر : المصدر السابق (٢/ ٩٣).

ما لا سبيل إليه أعرض الله عنه وأعطاه الانتظار إلى النفخة الأولى »[1].

٤- الاهتمام باللغة العربية وعلومها ، حيث اشتمل تفسيره على كثير من القضايا النحوية والصرفية والبلاغية[2].

٥- ظهور الملكة الفقهية عند تفسيره لآيات الأحكام [3].

وبعد ، فإذا كان ذلك كذلك ، فما من ريب بعد ذلك في القيمة العلمية لكتاب "التسهيل لعلوم التنزيل" لابن جُزَيّ الكلبي ـــ رحمه الله ـــ ، ويؤيد ذلك : اهتمام الباحثين به وعكوفهم على دراسته من جوانب متعددة ؛ لما له من الأهمية والقيمة العلمية .

وبعد أن قدم ابن جُزَيّ لكتابه التسهيل بمقدمتين علميتين مهمتين شرع في تفسيره سالكًا الطريقة الآتية :

١- رتب تفسيره حسب ترتيب سور المصحف، كغيره من المفسرين، بدءًا بالكلام على الاستعاذة فالبسملة ثم سورة الفاتحة وانتهاء بسورة الناس .

٢- يفسر أهم الجمل في الآية الكريمة، ويترك الواضح منها دون تفسير متبعًا الزمخشري في ذلك، ومن أمثلة ذلك :

ـــ تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ [الأنعام] حيث فسر الجمل التالية :

ـــ ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ﴾ .

ـــ ﴿ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ ﴾ .

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (١٤٦/٢) .

(٢) لطاهر عبد الحي محمد شبانة رسالة دكتوراة في الجوانب النحوية للتسهيل لعلوم التنزيل ، في كلية دار العلوم جامعة القاهرة .

(٣) هناك رسالتان في هذا الجانب : الأولى : ابن جُزَيّ وأثره في أصول الفقه وفروعه، رسالة ماجستير، في كلية الآداب ، جامعة طنطا، إعداد فتحي عباس إبراهيم غنيم. والأخرى : ابن جُزَيّ الكلبي وأثره في الفقه الإسلامي، رسالة دكتوراة، في كلية الشريعة والقانون، جامعة الأزهر ، إعداد سليمان أبي الريش .

ـ ﴿ قُلِ ٱللَّهُ ﴾ [1].

ـ وتفسيره لقوله تعالى : ﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ شَهِدۡنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَاۖ وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ١٣٠ ﴾ [الأنعام]

حيث فسَّر الجمل التالية :

ـ ﴿ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ ﴾ .

ـ ﴿ وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ ﴾ [2].

٣- أعرض عن تفسير بعض الآيات ؛ إما لوضوحها وإما لأنه سبق تفسير ما يشبهها، محيلا إلى الموضع السابق وقد لا يحيل، ومن أمثلة ذلك :

ـ تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ إِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٨ أَئِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقۡطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأۡتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلۡمُنكَرَۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئۡتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٢٩ قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٣٠ ﴾ [العنكبوت]

لم يفسر من هذه الآيات الثلاثة إلا قوله تعالى في الآية الثانية : ﴿ وَتَقۡطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأۡتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلۡمُنكَرَ ﴾ [3] .

ـ تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٦ إِن تُقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا يُضَٰعِفۡهُ لَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ١٧ ﴾ [التغابن] .

فأحال في هذه الآية على ما سبق :

---

(١) ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١٥-١٦).

(٢) ينظر: المصدر السابق (٢/٢١).

(٣) ينظر : المصدر السابق (٣/ ١١٦) .

ففي قوله : ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ ﴾ أحال على سورة الحشر .

وفي قوله : ﴿ إِن تُقْرِضُواْ ﴾ أحال على سورة البقرة .

وفي قوله : ﴿ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴾ أحال على مقدمته في اللغات[1] .

٤- تَبِعَ ابنُ جُزَيّ من سبقه كالزمخشري في إيراد الأسئلة وأجوبتها ؛ دفعًا للإشكالات ، وإيضاحًا للمبهمات . ومن أمثلة ذلك :

ــ قوله تعالى : ﴿ قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ ﴾ [الأنعام] .

قال : « قال الزمخشري: إن قلت : أَيُّ فرقٍ بين قوله : ﴿ فَٱنظُرُواْ ﴾[2] ، وبين قوله: ﴿ ثُمَّ ٱنظُرُواْ ﴾ ؟ قلت : سيروا ؛ لأجل النظر ، وأما قوله : ﴿ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ ﴾ ، فمعناه : إباحة السير للتجارة وغيرها من المنافع ، وإيجاب النظر في الهالكين رَتَّبَهُ على ذلك بــ ثُمَّ ؛ لتباعد ما بين الواجب والمباح »[3].

وفي قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ ﴾ [الأعراف] .

قال ابن جُزَيّ: « فإن قيل : لم قال : ﴿ فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ ﴾ بــ إِذَا ، وتعريف الحسنة ، و ﴿ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ ﴾ بــ إِنْ ، وتنكير السيئة ، فالجواب : أن وقوع الحسنة كثير ، والسيئة وقوعها نادر ، فعرف الكثير الوقوع باللام ، التي للعهد ، وذكره بــإِذَا ؛ لأنها تقتضي التحقيق ، وذكر السيئة بــإِنْ ، لأنها تقتضي الشك ، ونكَّرها؛ للتعليل »[4] .

٥- لم يطَّرِد ابن جُزَيّ في طريقة عرض التفسير ، بل سلك مسلك التنويع . فتارة يبدأ بذكر

---

(١) ينظر المصدر السابق (١٢٥/٤) .

(٢) وردت هذه اللفظة القرآنية خمس مــرات في [آل عمــران : ١٣٧ ، والنحــل : ٣٦ ، النمــل : ٦٩ ، والعنكبوت : ٢٠ ، والروم : ٤٢] .

(٣) التسهيل (٢/ ٣-٤) . وينظر: الكشاف للزمخشري (٢/ ٣٢٧- ٣٢٨) .

(٤) المصدر السابق (٤٢/٢). وينظر : الكشاف للزمخشري (٢/ ٤٩٣) .

سبب النزول ، وتارة يبدأ بذكر الإعراب ، وأخرى يقدم فيها المعنى العام الجُمْلِي للآية، وتارة يبدأ بذكر مقصود الآية ، وتارة يبدأ بذكر مرجع الضمائر في الآية ، وتارة يبدأ بذكر مناسبة الآية لما قبلها ، وتارة يبدأ بذكر القراءات . وهكذا لم يسلك طريقة واحدة بل نوع وغيَّر .

ومن الأمثلة على ذلك :

ـــ بدأ بذكر مرجع الضمير :

في قوله : ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾ ﴾[1] [الأنعام].

وفي قوله : ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾[2] [الأنعام] .

ـــ بدأ بذكر مقصود الآية في قوله : ﴿ قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ ﴾[3] [الأنعام] .

ـــ بدأ بذكر الإعراب في قوله : ﴿ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ﴾[4] [الأنعام: ١٤٣] .

ـــ بدأ بذكر المعنى في قوله : ﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا ﴾[5] [الأنعام: ١٤٨] .

– بدأ بذكر مناسبة الآية لما قبلها في قوله : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِى

---

(١) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (٢/٩).

(٢) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (٢/١٥).

(٣) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (٢/٤).

(٤) ينظر التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٢٣).

(٥) ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل (٢/٢٤).

ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضۡلِلۡهُ وَمَن يَشَأۡ يَجۡعَلۡهُ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٣٩﴾ ﴾[1] [الأنعام] .

-بدأ بذكر القراءات في قوله : ﴿ فَمُسۡتَقَرّٞ وَمُسۡتَوۡدَعٞ ﴾[2] [الأنعام: ٩٨] .

-بدأ بذكر التفسير النبوي في قوله: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾[3] [الأعراف] .

وبالجملة فإن ابن جُزَيّ امتاز في تفسيره بالاختصار والإيجاز والتلخيص ، والابتعاد عن ذكر التفصيلات في الاختلافات النحوية والفقهية ، والقصص والشواهد .

كما جمع في تفسيره " التسهيل" بين التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي ، والرواية والدراية ، فجمع محاسن المنهج العقلي والنقلي في تفسيره[4] .

---

(١) ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل (٢/٨).

(٢) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (٢/١٧).

(٣) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (٢/٥٥).

(٤) ينظر: ابن جُزَيّ ومنهجه في التفسير لعلي الزبيري (١/٣٥٦-٤٦١) و (٢/٥٩٥ وما بعدها) .

الباب الأول

منهج ابن جُزَيّ في الترجيح في التفسير

وفيه فصلان :

الفصل الأول : صيغ الترجيح وأساليبه عند ابن جُزَيّ .

الفصل الثاني : وجوه الترجيح عند ابن جُزَيّ .

الفصل الأول

صيغ الترجيح وأساليبه عند ابن جُزَيّ

وفيه تمهيد وخمسة مباحث :

التمهيد : في معنى الترجيح وموجباته .

المبحث الأول : التنصيص على خطأ القول أو بطلانه .

المبحث الثاني : التنصيص على ضعف القول أو استبعاده .

المبحث الثالث : تفضيل القول على غيره بصيغة أفعل التفضيل .

المبحث الرابع : تقديم القول الراجح على المرجوح في الذكر .

المبحث الخامس : التنصيص على صواب القول أو صحته .

تمهيد : في معنى الترجيح وموجباته

عند حديث ابن جُزَيّ ـــ في مقدمة كتابه ـــ عن الترجيح بين أقوال المفسرين قال : « **الفائدة الرابعة** : تحقيق أقوال المفسرين ، السقيم منها والصحيح ، وتمييز الراجح من المرجوح ؛ وذلك أن أقوال الناس على مراتب ، فمنها الصحيح الذي يُعوَّل عليه ، ومنها الباطل الذي لا يُلتفت إليه ، ومنها ما يحتمل الصحة والفساد . ثم إن هذا الاحتمال قد يكون متساويًا أو متفاوتًا ، والتفاوت قد يكون قليلاً أو كثيرًا .

وإني جعلت لهذه الأقسام عبارات مختلفة ، تعرف بها كل مرتبة ، وكل قول ، فأدناها ما أصرِّحُ بأنه خطأ أو باطل ، ثم ما أقول فيه إنه ضعيف أو بعيد ، ثم ما أقول إن غيره أرجح أو أقوى أو أظهر أو أشهر ، ثم ما أُقدّم غيره عليه إشعارًا بترجيح المتقدم أو بالقيل فيه قيل كذا ؛ قصدًا للخروج من عهدته ... »[1] .

ثم عرّج بعد ذلك على ذكر موجبات الترجيح وأسباب الخلاف بين المفسرين ، والوجوه التي يرجِّح بها بين أقوالهم[2] .

معنى الترجيح :

الترجيح في اللغة : مصدر رَجَّحَ يُرَجِّحُ ، كسَلَّم يُسَلِّم[3] .

ومادة هذه الكلمة : الراء والجيم والحاء ، تدور حول أصل واحد هو : الثقل ، والميل ، والزيادة ، والرَّزَانة .

يقول ابن فارس : « الراء والجيم والحاء ، أصل واحد ، يدل على رَزَانة وزيادة ، يقال : رَجَح الشيء وهو راجح : إذا رَزُن »[4] .

ويقال : أرجح الميزان ، أي : أثقله حتى مال[5] ، ورجح في مجلسه ، أي : ثَقُل فلم

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (٣/١) .

(٢) ينظر : المصدر السابق (٩/١) .

(٣) ينظر : تاج العروس (٣٨٣/٦) .

(٤) معجم مقاييس اللغة (٤٨٩/٢) .

(٥) ينظر : تهذيب اللغة (٨٧/٤) .

يَـــخِفَّ[1] ، ورجَّحَه ، أي : أرجحه وفَضَّله وقَوَّاه[2] .

والحاصل أن الرجحان : هو الزيادة والفضل .

الترجيح في الاصطلاح :

عُرِّف الترجيحُ بتعاريف كثيرة عند المتقدمين والمتأخرين من علماء الأصول ، ومن هذه التعاريف :

- **تعريف الفخر الرازي** : « الترجيح : تقوية أحد الطريقين على الآخر ؛ ليُعلم الأقوى فيُعمل به ، ويطرح الآخر »[3] .

- **وتعريف البيضاوي** : « الترجيح تقوية إحدى الأمارتين على الأخرى ؛ ليُعمل بها »[4] . وعُرّف بغير هذا[5] .

وعليه ، فإنه يمكن القول بأن الترجيح في التفسير هو : **تفضيلُ أحد الأقوال في معنى الآية ؛ لما فيه من مزية معتبرة تجعله أَوْلى من غيره ، وَفْقَ صيغ وأساليب معتمدة**[6] .

موجبات الترجيح :

بيـــَّن ابن جُزَيّ ـــ رحمه الله ـــ في مقدمة كتابه أن التفسير منه ما هو متفق عليه ، ومنه ما هو مختلف فيه ، وأن التفسير المختلف فيه أنواع ، وذكر أن الترجيح إنما يكون في نوع واحد من هذه الأنواع .

يقول ابن جُزَيّ : « واعلم أن التفسير منه متفق عليه ، ومختلف فيه ، ثم إن المختلف فيه على ثلاثة أنواع :

الأول : اختلاف في العبارة مع اتفاق في المعنى ، فهذا عدَّه كثير من المؤلفين خلافًا ،

---

(١) ينظر : لسان العرب (٤٤٥/٢) .

(٢) ينظر : المعجم الوسيط (٣٢٩/١) .

(٣) المحصول في علم الأصول (٥٢٩/٥) .

(٤) الإبهاج في شرح المنهاج (٢٠٨/٣) .

(٥) ينظر : أصول السرخسي (٢٤٩/٢) ، والبحر المحيط في أصول الفقه للزركشي (٤٢٥/٤) .

(٦) ينظر : ترجيحات الحافظ ابن كثير –رحمه الله– لمعاني الآيات في تفسيره (١٩/١) لآدم عثمان.

وليس في الحقيقة بخلاف ؛ لاتفاق معناه ، وجعلناه نحن قولاً واحدًا ، وعبَّرنا عنه بأحد عبارات المتقدّمين[1] ، أو بما يقرب منها ، أو بما يجمع معانيها .

الثاني : اختلاف في التمثيل لكثرة الأمثلة الداخلة تحت معنى واحد ، وليس مثال منها على خصوصه هو المراد ، وإنما المراد المعنى العام التي تندرج تلك الأمثلة تحت عمومه ، فهذا عده أيضًا كثير من المؤلفين خلافًا ، وليس في الحقيقة بخلاف ؛ لأن كل قول منها مثال ، وليس بكل المراد ، ولم نَعُدُّه نحن خلافًا ، بل عبرنا عنه بعبارة عامة تدخل تلك تحتها ، وربما ذكرنا بعض تلك الأقوال على وجه التمثيل ، مع التنبيه على العموم المقصود .

الثالث : اختلاف المعنى ، فهذا هو الذي عددناه خلافًا ، ورجَّحنا فيه بين أقوال الناس حسبما ذكرنا في خطبة الكتاب »[2] .

وقد عقد ابن جُزَيّ ـــ في المقدمة الأولى لكتابه ـــ بابًا ذكر فيه أهم " **أسباب الخلاف بين المفسرين**" [3] ، ولأهميتها فهذا بيانها مع التمثيل لها :

السبب الأول : اختلاف القرآن[4] :

قد يكون في الآية أكثر من قراءة ، فيفسر كل واحد من المفسرين الآية وفق قراءة مخصوصه ، فيقع الاختلاف بينهم .

ومن الأمثلة على ذلك :

ـــ قوله تعالى : ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ

---

(١) في نسخة أخرى مطبوعة : بإحدى العبارات المتقدمة .

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل (١/٦-٧) ، وكلام ابن جُزَيّ هذا هو ما قرره غير واحد من العلماء ، حيث قسّموا الخلاف الواقع في التفسير بين السلف إلى قسمين : الأول : اختلاف التنوع ، والثاني : اختلاف التضاد ، وجعلوا الخلاف المندرج تحت اختلاف التنوع صنفين : الصنف الأول : التعبير عن المعنى بالألفاظ المتقاربة المتكافئة . الصنف الثاني: التعبير بالجزء من باب التمثيل لا الحصر . ينظر : مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية (٦٧) وما بعدها.

(٣) ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل (١/٩) ، واختلاف المفسرين أسبابه وآثاره لسعود الفنيسان (٥٩) وما بعدها ، وأسباب اختلاف المفسرين لمحمد الشايع (٣٦) ومابعدها ، وبحوث في أصول التفسير ومناهجه لفهد الرومي (٤٤) ومابعدها ، وفصول في أصول التفسير لمساعد الطيار (٦٤) وما بعدها .

(٤) يعني به ابن جُزَيّ : اختلاف القراء أوالقراءات .

بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأنعام] .

قال ابن جُزَيّ : « من قرأ بالتشديد فالمعنى : لا يكذّبونك معتقدين لكذبك ، وإنما هم يجحدون بالحق مع علمهم به . ومن قرأ بالتخفيف فقيل : معناه : لا يجدونك كاذبًا . يقال: أَكْذَبْتُ فلانًا ، إذا وجدته كاذبًا . كما يقال : أَحْمدتُه ، إذا وجدته محمودًا . وقيل : هو بمعنى التشديد . يقال : كذّب فلان فلانًا وأكذبه بمعنًى واحدٍ . وهوالأظهر ؛ لقوله بعد هذا:﴿ يَجْحَدُونَ ﴾. ويؤيد هذا ما رُوي أنها نزلت في أبي جَهْلٍ ، فإنه قال لرسول الله ﷺ : إنا لا نكفر بك ولكن نكذّب ما جئت به . وأنه قال للأخنس بن شَريق : والله إن محمدًا لصادق ، ولكنّي أحسده على الشرف»[1].

ـــ وقوله تعالى : ﴿ سَأُوْرِيكُمْ دَارَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴾ [الأعراف] .

قال ابن جُزَيّ : « أي : دار فرعون وقومه [وهي[2]] مصر ، ومعنى ﴿ سَأُوْرِيكُمْ ﴾: كيف أقفرت منهم لما هلكوا . وقيل : منازل عاد وثمود ، ومن هلك من الأمم المتقدمة ؛ ليعتبروا بها . وقيل : جهنم . وقرأ ابن عباس : (سَأُورِثُكُمْ) بالثاء من الوراثة ، وهي على هذا [مصر][3] لقوله :﴿ وَأَوْرَثْنَهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ »[4]. [الشعراء : ٥٩]

السبب الثاني : اختلاف وجوه الإعراب وإن اتفقت القراءات :

قد يختلف المعنى باختلاف الإعراب ، فيَحمِل كل واحد من المفسِّرين معنى الآية على قول ، فيقع الخلاف في التفسير بينهم .

ومن الأمثلة على ذلك :

ـــ الاختلاف في حكم الحوايا المبني على اختلاف الإعراب في قوله تعالى : ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٧) .

(٢) في المطبوع : وهو ، والصواب ما أثبته .

(٣) في المطبوع : مصدر ، والصواب ما أثبته .

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٤٥) .

﴿ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ [الأنعام] .

قال ابن جُزَيّ : « وهو معطوف على ﴿ مَا ﴾ في قوله : ﴿ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ ﴾ فهو من المستثنى من التحريم . وقيل : عطف على الظهور . فالمعنى : إلاّ ما حملت الظهور أو حملت الحوايا . وقيل : عطف على الشحوم فهو من المحرّم » [1].

ـــ الخلاف في إعراب ﴿ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ ﴾ [يوسف : ١٠٨] .

قال ابن جُزَيّ : « ﴿ أَنَا۠ ﴾ تأكيد للضمير في ﴿ أَدْعُوٓا۟ ﴾ ، و ﴿ مَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾ معطوف عليه ، و ﴿ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ﴾ في موضع الحال . وقيل : ﴿ أَنَا۠ ﴾ مبتدأ ، و ﴿ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ﴾ خبره ، فعلى هذا يوقف على قوله : ﴿ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ ﴾ وهذا ضعيف » [2].

السبب الثالث : اختلاف اللغويين في معنى الكلمة :

قد يكون للكلمة معنيان : قريب ظاهر ، و بعيد محتمل ، فيحمله بعض المفسرين على المعنى القريب الظاهر ، ويحمله آخرون على المعنى البعيد المحتمل ، فيقع الخلاف في التفسير .

ومن الأمثلة على ذلك :

ـــ الخلاف في معنى ﴿ فَضَحِكَتْ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ ﴾ [هود] .

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « قيل : معناه : حاضَتْ ، وهو ضعيفٌ . وقال الجمهور : هو الضَّحِكُ المعروف . واختلفوا من أي شئ ضحكت ...» [3] .

ـــ الاختلاف في تفسير "الضعف" في قوله تعالى : ﴿ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ ﴾[هود:٩١].

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٢٤) .

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١٢٩) .

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١٠٩) .

قال ابن جُزَيّ : « أي : ضعيف الانتصار والقدرة . وقيل : نحيل البدن . وقيل : أعمى »[1].

ـــ كما اختُلِفَ في معنى الرجم على قولين :

الأول : الرجم بالحجارة ، وهو الظاهر من دلالة اللفظ .

والثاني : الشتم بالكلام ، والأذية بالقول ، وهذا المعنى بعيد محتمل[2] .

السبب الرابع : اشتراك اللفظ بين معنيين فأكثر

قد يكون للَّفظة الواحدة في اللسان العربي معنيان أو أكثر ، فيذهب بعض المفسرين إلى تفسيرها بأحد هذين المعنيين ، ويفسرها بعضهم بالمعنى الآخر ، فيقع الخلاف بينهم ، وكلا التفسيرين صحيح ، ما لم يقم دليل على التعيين .

ومن الأمثلة على ذلك :

ـــ الاختلاف في معنى القُرْء في قوله تعالى : ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ﴾[البقرة:٢٢٨] ، فالقُرْءُ مشترك في اللغة بين الطهر والحيض ، وبكلا المعنيين فُسِّرت الآية[3] .

السبب الخامس : احتمال العموم والخصوص

قد يحمل بعض المفسرين لفظ الآية على العموم ، ويحمله البعض الآخر على الخصوص ، فيقع الاختلاف بينهم .

ومن الأمثلة على ذلك :

ـــ الاختلاف في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ﴾ [البقرة : ٢٢١] ، فقيل : إنها عامة في المشركات والكتابيات ، ثم خصَّصَ عمومَها قولُه تعالى : ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ [المائدة:٥] . وبها أصبح نكاح نساء أهل الكتاب المحصنات جائزًا .

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (١١١/٢) .

(٢) ينظر : جامع البيان (٥٥٤/١٢) ، ومفاتيح الغيب (٣٩١/٦) ، والتسهيل (١١١/٢) .

(٣) انظر : التسهيل لعلوم التنزيل (١٩٨/١) .

وقيل : إن لفظ ﴿ ٱلْمُشْرِكَٰتِ ﴾ ، خاص بالوثنيات من العرب وغيرهن ممن لسن أهل كتاب ، وعليه فلم تدخل الكتابيات في النهي أصلاً[1] .

ـــ الاختلاف في المراد بـــ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ في قوله تعالى : ﴿ وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُواْ فِى دِينِكُمْ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [التوبة] .

قال ابن جُزَيّ : « ﴿ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ﴾ أي : رؤساء أهله . قيل : إنهم أبوجهل لعنه الله ، وأمية بن خلف ، وعتبة بن ربيعة ، وأبوسفيان بن حرب ، وسهيل بن عمرو . وحكى ذلك الطبري ، وهو ضعيف ؛ لأن أكثر هؤلاء كان قد مات قبل نزول هذه السورة. والأحسن أنها على العموم »[2].

السبب السادس : احتمال الإطلاق أو التقييد

قد يرد النصُّ في موضع مطلقًا وفي آخر مقيدًا ، فيحمل بعض المفسرين المطلق على المقيد دون البعض الآخر فيقع الخلاف بينهم[3] .

ومن الأمثلة على ذلك :

ـــ الاختلاف في عتق الرقبة في الكفارات هل هو على الإطلاق أم أنه مقيد بكون الرقبة مؤمنة ؟ وسبب الخلاف : وُرُودُ الرقبةِ المعتقة مطْلَقةً من غير أي وصف في كفارة اليمين ، في قوله تعالى : ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ ۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ﴾ [المائدة:٨٩] ، وورودها مطْلَقةً ـــ أيضًا ـــ في كفارة الظهار في قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ﴾ [المجادلة:٣] ،

---

(١) ينظر : جامع البيان (٣/٧١١) ، وأسباب اختلاف المفسرين (٥٠) .

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/٧١) .

(٣) لذلك صور من حيث اتحاد السبب والحكم أو اختلافهما ليس هذا مجال بسطها .

ووروودها مقيدةً بوصف الإيمان في كفارة القتل خطأً في قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ﴾ [النساء:٩٢] ، فذهب بعض العلماء إلى حمل المطلق على المقيد ، فاشترطوا الإيمانَ في عتق الرقبة لأيِّة كفارة ، وذهب البعض إلى عدم حمل المطلق على المقيد لعدم الدليل[١] ، فيجوز عتق الرقبة الكافرة في كفارة الظهار واليمين ، ويبقى شرط الإيمان خاصًّا في كفارة القتل الخطأ[٢] .

ـــ الخلاف في المراد بـــ الغدوّ والآصال في قوله تعالى : ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾[الأعراف].

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « ﴿ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴾ أي : في الصباح والعشيّ . والآصال : جمع أُصُل ، والأُصُل : جمع أصيل . قيل : المراد صلاة الصبح والعصر . وقيل : فرض الخمس . والأظهرُ الإطلاق »[٣] .

السبب السابع : احتمال الحقيقة أو المجاز :

يحمل بعض المفسرين معنى الآية على الحقيقة ، ويحمله البعض الآخر على المجاز ، فيقع الاختلاف فيهم[٤] .

ومن الأمثلة على ذلك :

ـــ الخلاف في معنى حمل الأوزار على الظهور في قوله : ﴿ وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ﴾ [الأنعام : ٣١] . هل المراد به الكناية ؟ أم هو على الحقيقة ؟

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « كناية عن تحمل الذنوب . وقال ﴿ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ﴾ ؛ لأن العادة حمل الأثقال على الظهور . وقيل : إنهم يحملونها على ظهورهم حقيقة . ورُوي في ذلك: أن الكافر يركبه عملُه بعد أن يتمثّل له في أقبح صورة ، وأن المؤمن يركب عملَه بعد أن يتصوّر له

---

(١) ينظر : البرهان في علوم القرآن للزركشي (٢/٢٠) ، والإتقان في علوم القرآن (٣/٨٢) .

(٢) ينظر : أسباب الخطأ في التفسير (٥٣) .

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٦٠) .

(٤) على خلاف بين العلماء في وقوع المجاز في اللغة ووجوده في القرآن الكريم ، ينظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٧/٨٧ ، ٩٦-١٠٩) ، ومنع جواز المجاز للشنقيطي (٥) وما بعدها .

في أحسن صورة »[1] .

السبب الثامن : احتمال الإضمار أو الاستقلال :

من أسباب الاختلاف بين المفسرين : اختلافهم في كون الكلام مستقلاً بذاته ، ولا يحتاج إلى تقدير ، أو كونه غير مستقل بذاته ، فيفتقر إلى تقدير كلمة مضمرة يتضح معها المعنى .

ومن الأمثلة على ذلك :

ـــ الاختلاف في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [يوسف] .

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « تقديره : واسأل أهلَ القريةِ ، وكذلك : أهلَ العيرِ. يعنون الرّفْقَةَ . هذا هو قول الجمهور . وقيل : المراد سؤال القرية بنفسها والعير بنفسها ، ولا يَبْعُدُ أن تخبره الجمادات ؛ لأنه نبيٌّ . والأول أظهر وأشهر على أنه مجاز »[2] .

ففي الآية إضمار ، حذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه .

قال أبوحيان : « الظاهر أن ذلك على إضمار أهل...وحذف المضاف هو قول الجمهور »[3] .

السبب التاسع : احتمال الكلمة زائدة[4] :

من أسباب الاختلاف بين المفسرين : قول بعضهم : إن في القرآن كلماتٍ زائدةٌ من حيث الإعرابُ لا المعنى ، وردُّ كثير من المفسرين لهذا القول ، وعليه وقع الخلاف بينهم في معاني بعض الآيات بناء على إقرار الزيادة أو ردِّها .

ومن الأمثلة على ذلك :

ـــ في قوله تعالى : ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٧) .

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١٢٦) .

(٣) البحر المحيط (٣٣٧/٥) .

(٤) هكذا هي عبارة ابن جُزَيّ وعليه بعض المفسرين ، والأَوْلى التعبير بلفظ "صلة" ؛ دفعًا لسوء الفهم .

﴿ مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ ﴾[الأنعام : ١٢٢] هل كلمة ﴿ مَّثَلُهُۥ ﴾ لها معنى ؟ أم أنها زائدة ؟

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « ﴿ كَمَن مَّثَلُهُۥ ﴾ مَثَلُ هنا بمعنى صفة . وقيل : زائدة ، والمعنى : كمن هو »[(١)].

ـــ الخلاف في تفسير قوله تعالى : ﴿ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ﴾ [الأنفال] .

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « ومعنى ﴿ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ ﴾ أي : على الأعناق ، حيث المفْصِل بين الرأس والعنق ؛ لأنه مذبح ، والضرب فيها يُطِير الرأس . وقيل : المراد الرؤوس ؛ لأنها فوق الأعناق . وقيل : المراد الأعناق ؛ و ﴿ فَوْقَ ﴾ زائدة »[(٢)] .

السبب العاشر : احتمال حمل الكلام على الترتيب وعلى التقديم والتأخير :

قد يُشكل على بعض المفسرين فهم معنى الآية حسب نظمها وترتيبها ، فيقدّر معناها مع التقديم والتأخير وإعادة الترتيب ، ومن المفسرين من يرى أن الآية على ترتيبها ، ومعناها بيِّنٌ من غير تقديم ولا تأخير ، وبالتالي يقع الخلاف بينهم .

ومن الأمثلة على ذلك :

ـــ قوله تعالى : ﴿ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ ﴾ [هود].

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « قيل : معناه : حاضَتْ ، وهو ضعيفٌ . وقال الجمهور : هو الضَّحِكُ المعروف . واختلفوا من أي شئ ضحكت ، فقيل : سرورًا بالولد الذي بشرت به ، ففي الكلام على هذا تقديم وتأخير . وقيل : سرورًا بالأمن بعد الخوف . وقيل : سرورًا بهلاك قوم لوط » [(٣)] .

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٢٠) .

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل (٦٢/٢) .

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١٠٩) .

قال ابن الجوزي : «... فعلى هذا إنما ضحكت سرورًا بالبشارة ، ويكون في الآية تقديم وتأخير . والمعنى : وامرأته قائمة فبشرناها فضحكت»[1] .

ـــ الاختلاف في المراد بالتوفّي في قوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ [آل عمران:٥٥] على قولين :

الأول : وفاة نوم ورفع إلى السماء وافيًا تامًّا حيًّا ، فيكون نظم الكلام مستقيمًا من غير تقديم ولا تأخير .

والثاني : وفاة موت ، وعليه فإن في الآية تقديمًا وتأخيرًا ، والتقدير : إني رافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا ومتوفيك بعد ذلك[2] .

السبب الحادي عشر : احتمال أن يكون الحكم منسوخًا أو محكمًا :

أدخل كثير من المفسرين ، ومن المؤلفين في معنى النسخ : كلَّ تفسير في مدلول الآية سواء كان نسخًا ، أو تخصيصًا لعام ، أو تقييدًا لمطلق ، أو استثناءً ، أو غير ذلك[3] . وعليه وقع الاختلاف بين المفسرين في القول بإحكام الآية أو نسخها .

ومن الأمثلة على الاختلاف بين المفسرين بسبب احتمال النسخ أو الإحكام :

ـــ خلاف أهل التأويل في قوله تعالى : ﴿ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف : ١٩٩] بين الإحكام والنسخ .

قال ابن جُزَيّ : « ﴿ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ أَيْ : لا تكافيء السفهاء بمثل قولهم أو فعلهم و احْلُمْ عنهم . ولما نزلت هذه الآية سأل رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم جبريل عنها فقال : لا أدري حتى أسأل . ثم رجع فقال : يا محمد ، إن ربك يأمرك أن تصل من قطعك ، وتعطي من حرمك ، وتعفو عمن ظلمك . وعن جعفر الصادق : أمر الله نبيّه ﷺ فيها بمكارم الأخلاق . وهي على هذا ثابتة الحكم وهو الصحيح . وقيل: كانت

---

(١) زاد المسير (١٣٠/٤) .

(٢) ينظر : زاد المسير (٣٩٦/١) ، والتسهيل لعلوم التنزيل (١٠٨/١) .

(٣) ينظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٠١/١٤) ، والموافقات للشاطبي (١٠٨/٣) ، وابن جُـزَيّ ومنهجه في التفسير لعلي الزبيري (٧٧٢/٢ـــ ٧٨٧) .

مداراةً للكفار ، ثم نسخت بالقتال »[1] .

ـــ الاختلاف في قوله تعالى : ﴿ فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾ [التوبة : ٥] .

قال ابن جُزَيّ : « ناسخة لكل موادعة في القرآن . وقيل : إنها نسَخَتْ أيضًا : ﴿ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً ﴾ [محمد:٤] . وقيل : بل نسختها هي ، فيجوز المنُّ والفداء » [2] .

السبب الثاني عشر : اختلاف الرواية في التفسير عن النبي > وعن السلف رضي الله عنهم :

قد تبلغ الرواية عن النبي > أحدَ المفسِّرِينَ ولا تبلغ الآخر ، فيختلف تفسير أحدهما للآية عن الآخر . ومن بلغته الرواية قد لا تثبت عنده ، أو يختلف الفهم في معناها بعد ثبوتها، فيكون ذلك سببًا في اختلاف المفسرين . وكذا القول في الرواية عن السلف رضي الله عنهم .

ومن الأمثلة على ذلك :

ـــ الاختلاف في عِدَّة الحامل المتوفى عنها زوجها ، فقد ذهب ابن مسعود وأُبيُّ بن كعب إلى أن عدتها : وضع الحمل ، زادت مدته على أربعة أشهر وعشرًا أو قصرت ؛ بناءً على حديث سُبَيْعة الأسلمية[3] ، وذهب علي بن أبي طالب ، وعبد الله بن عباس إلى أنها تعتد بأطول الأجلين الواردين في آيتَيْ العدة[4] .

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٥٨ -٥٩) .

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/٧١) . وينظر : ابن جزي ومنهجه في التفسير لعلى الزبيري (٢/٧٨٤ـــ٧٨٥) .

(٣) حديث سبيعة : « حين توفي عنها زوجها سعد بن خَولة في حجة الوداع وهي حامل ، فلم تلبث أن وضعت حملها بعد وفاته ، فلما تَعَلَّت من نِفاسها تَجَمَّلت للخُطّاب ، فدخل عليها أبو السنابل بن بَعْكَك فقال لها : مالي أراك متجملة ؟ لعلك ترجين النكاح ! إنك والله ما أنت بناكح حتى تمر عليك أربعة أشهر وعشر . قالت سبيعة : فلما قال لي ذلك ، جمعت عليَّ ثيابي حين أمسيت ، فأتيت رسول الله > فسألته عن ذلك ، فأفتاني بأني حَللتُ حين وضعتُ حملي ، وأمرني بالتزوج إن بَدَا لي » ، أخرجه البخاري في كتاب التفسير برقم (٤٩٠٩) وفي كتاب الطلاق برقم(٥٣١٨) ، ومسلم ـــ واللفظ له ـــ في صحيحه برقم (١٤٨٤) ، في كتاب الطلاق ، باب انقضاء عدة المتوفى عنها زوجها وغيرها بوضع الحمل.

(٤) آيتا العدة هما قوله تعالى في سورة البقرة : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ

ولا شك أن عليًا وابن عباس لم يبلغهما حديث سُبَيْعة ، بدليل رجوعهما عن قولهما حين بلغهما حديث سُبَيْعة[1] .

وهذا من الخلاف في العمل بالآية الذي هو ثمرة العلم بمعناها وليس خلافًا في مفهوم دلالتها ومعناها .

أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾ [البقرة:٢٣٤] ، وقوله تعالى في سورة الطلاق :﴿ وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ ۚ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴿٤﴾ ﴾ .

(١) في الحديث : (أن أبا سلمة بن عبد الرحمن ، وابن عباس ، اجتمعا عند أبي هريرة وهما يذكران المرأة تُنْفَسُ بعد وفاة زوجها بليالٍ ، فقال ابن عباس : عِدّتها آخر الأجلين ، وقال أبوسلمة : قد حلَّت ، فجعلا يتنازعان ذلك ، قال : فقال أبوهريرة : أنا مع ابن أخي (يعني أبا سلمة) فبعثوا كُريبًا (مولى ابن عباس) إلى أم سلمة يسألها عن ذلك ، فجاءهم فأخبرهم أن أم سلمة قالت : إن سُبَيعة الأسلمية نفست بعد وفاة زوجها بليالٍ ، وإنها ذكرت ذلك لرسول الله > فأمرها أن تتزوج). أخرجه البخاري في كتاب التفسير برقم (٤٩٠٩) ، ومسلم ـــ واللفظ له ـــ في صحيحه برقم (١٤٨٥) ، كتاب الطلاق ، باب انقضاء عدة المتوفى عنها زوجها وغيرها بوضع الحمل .

المبحث الأول : التنصيص على خطأ القول أوبطلانه

نص ابن جُزَيّ في مقدمة كتابه على استعمال هذه الصيغة في الترجيح بين أقوال المفسرين بقوله : « فأدناها ما أُصرِّح بأنه خطأ أو باطل »[1] .

فاستعملها في الترجيح بين أدنى الأقوال ــ أي : أضعفها ــ وما هو أعلى منها مرتبة ، لا في الترجيح بين الصحيح والباطل من الأقوال ؛ وذلك أن إبطال القول لا يُعَدُّ ترجيحًا لمقابله ، إذ الترجيح تفضيل وتقوية لجانب القول الراجح ، ولا يقتضي بطلان القول المرجوح ، وإنما مقتضاه : العمل بالراجح .

ويدل لذلك : تقسيم ابن جُزَيّ لأقوال الناس إلى مراتب :

الأولى : الصحيح الذي يُعول عليه .

الثانية : الباطل الذي لا يُلتفت إليه .

الثالثة : ما يحتمل الصحة والفساد ، وهذا الاحتمال قد يكون متساويًا أو متفاوتًا ، والتفاوت قد يكون قليلاً ، وقد يكون كثيرًا .

يقول ابن جُزَيّ عن هذه المرتبة : « وإني جعلت لهذه الأقسام عبارات مختلفة ، تُعرف بها كل مرتبة وكل قول ، فأدناها ما أصرح بأنه خطأ أو باطل ...» إلى آخره .

واستعمل ابن جُزَيّ في الترجيح بهذه الصيغة العبارات التالية :

أولاً : عبارة : خطأ ، ولم أقف عليها في القسم الذي تناولته بالدراسة .

ومن الأمثلة على استعماله لهذه العبارة ما يلي :

١- عند تفسير قول الله تعالى : ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن نُّؤۡمِنَ بِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَلَا بِٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ﴾[سبأ:٣١] ، قال ابن جُزَيّ : « ﴿وَلَا بِٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ﴾ ، يعني الكتب المتقدمة كالتوراة والإنجيل ، وإنما قال الكفار هذه المقالة حين وقع عليهم الاحتجاج بما في التوراة من ذكر محمد ﷺ .

وقيل : الذي بين يديه : يوم القيامة ، وهذا **خطأ** وعكس ؛ لأن الذي بين يدي الشيء هو ما تقدم عليه »[2] .

---

(١) التسهيل (٣/١) .

(٢) التسهيل (١٥١/٣) .

٢- في تفسير قوله تعالى : ﴿رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارٗا﴾[نوح:٢٨] .

قال ابن جُزَيّ : « ﴿وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ ، هذا دعاء بالمغفرة لكل مؤمن ومؤمنة على العموم ، وفيه دليل على جواز ذلك خلافًا لمن قال من المتأخرين : إنه لا يجوز الدعاء بالمغفرة لجميع المؤمنين على العموم ، وهذا **خطأ** وتضييق لرحمة الله الواسعة ... »[(١)] .

ثانياً : عبارة : باطل ، ومن الأمثلة على استعماله لهذه العبارة في الترجيح ما يلي :

١- في تفسير قوله تعالى : ﴿ قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُل لِّلَّهِۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [الأنعام] .

قال ابن جُزَيّ : « ﴿ ٱلَّذِينَ ﴾ مبتدأ وخبره : ﴿ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ ، ودخلت الفاء لما في الكلام [من][(٢)]معنى الشرط . قاله الزجّاج ، وهو حَسَنٌ . وقال الزمخشري :﴿ٱلَّذِينَ ﴾ نصب على الذمّ أو رفع بخبر ابتداء مضمر . وقيل : هو بدل من الضمير في ﴿لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ ﴾، وهو ضعيف . وقيل : منادى ، وهو **باطل** »[(٣)].

٢- وربما استعمل الفعل المضارع منها كما في تفسير قوله تعالى : ﴿ قُلۡ أَنَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِي ٱسۡتَهۡوَتۡهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِي ٱلۡأَرۡضِ حَيۡرَانَ لَهُۥٓ أَصۡحَٰبٞ يَدۡعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلۡهُدَى ٱئۡتِنَاۗ قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۖ وَأُمِرۡنَا لِنُسۡلِمَ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ ﴾ [الأنعام] .

قال ابن جُزَيّ : « وهذا كله تمثيل لمن ضَلَّ في الدين عن الهدى ، وهو يدعى إلى الإسلام فلا يجيب . وقيل : نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق حين كان أبوه يدعوه إلى

---

(١) التسهيل (١٥٢/٤) .

(٢) وقع في المطبوع (في) وهو تصحيف .

(٣) التسهيل لعلوم التنـــزيل (٢/ ٤) .

الإسلام. **ويبطل هذا** قولُ عائشة : ما نزل في آل أبي بكر شيء من القرآن إلا براءتي»[1].

٣- وكما في تفسير قوله تعالى : ﴿ **قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ** ﴿١٦﴾ ﴾ [الأعراف] .

قال ابن جُزَيّ : « الفاء للتعليل وهي تتعلّق بفعل قسم محذوف ، تقديره: أقسم بالله بسبب إغوائك لي لأغوينّ بني آدم . و**↓مَا↑** مصدرية . وقيل : استفهامية . **ويُبطله** ثبوتُ الألف في "مَا" مع حرف الجَرِّ »[2].

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١٣) .

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٢٩) .

المبحث الثاني : التنصيص على ضعف القول أو استبعاده

هذه الطريقة من الطرق المعتبرة في الترجيح عند المحققين من العلماء ، وقد نص ابن جُزَيّ في مقدمة كتابه على استعمالها في الترجيح بين أقوال المفسرين بقوله : « ثم ما أقول فيه : إنه ضعيف أو بعيد »[1] .

واستعمل في الترجيح بهذه الصيغة العبارات التالية :

أولاً : عبارة : ضعيف ، ومن الأمثلة عليها :

١- في تفسير قوله تعالى : ﴿ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [الأنعام] .

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : «﴿ لَيَجْمَعَنَّكُمْ ﴾: مقطوعٌ مما قبله ، وهو جوابٌ لقسمٍ محذوف . وقيل : هو تفسير الرحمة المذكورة ، تقديره : أن يجمعكم . وهذا **ضعيف** ؛ لدخول النون الثقيلة في غير موضعها ، فإنها لا تدخل إلاّ في القسم أو في غير الواجب »[2] .

٢- عند تفسير قوله تعالى : ﴿ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ [الأنعام : ١٢] .

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « قيل : هنا ﴿ إِلَىٰ ﴾ بمعنى (في) ، وهو **ضعيف** . والصحيح أنها للغاية على بابها »[3].

٣- وربما استعمل الفعل المضارع منها كما في تفسير قوله تعالى : ﴿ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ ﴾ [التوبة : ٤٠].

قال ابن جُزَيّ : « الضمير للرسول > . وقيل : لأبي بكر ؛ لأن النبي > نزل معه السكينة. **ويُضْعِفُ ذلك** بأن الضمائر بعدها للرسول × » [4] .

٤- وأحيانًا يضعِّف القول بضعف الرواية كما في تفسير قوله تعالى : ﴿ اذْهَبُوا

---

(١) ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل (٣/١) .

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٤) .

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٤) . وتنظر أمثلة أخرى في (٤/٢، ٢٠، ٧١، ٩٧، ١٠٦، ١٠٩، ١١٧، ١٢٩).

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٧٦) .

﴿ بِقَمِيصِي هَٰذَا ﴾[يوسف : ٩٣].

قال ابن جُزَيّ : « **رُوِيَ** أن هذا القميص كان لإبراهيم كساه الله له حين أُخرج من النار ، وكان من ثياب الجنة ، ثم صار لإسحاق ، ثم ليعقوب ، ثم دفعه يعقوب ليوسف، **وهذا يحتاج إلى سَنَدٍ يُوثق به** . والظاهر أنه كان قميص يوسف الذي بمنزلة قميص كل أحد» [(١)].

٥- وربما ضعّف القول من جهةٍ وجوّده من جهةٍ أخرى كما في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا ﴾[الأنعام : ١٢٣] .

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « ﴿ مُجْرِمِيهَا ﴾ إعرابه : مضاف إليه عند الفارسي وغيره. وقال ابن عطية وغيره : إنه مفعول أول بـــ جعلنا ، وأكابر مفعول ثانٍ مقدّم . **وهذا جيّد في المعنى ضعيف في العربية** ؛ لأن أكابر جمع أكبر وهو من أفعل فلا يستعمل إلاّ بـــ مِنْ أو بالإضافة »[(٢)].

ثانيًا : عبارة : بعيد ، ومن الأمثلة عليها :

١- في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ ﴾[الأنعام : ١٩].

قال ابن جُزَيّ : « وفاعل ﴿ بَلَغَ ﴾ ضمير القرآن ، والمفعول محذوف يعود على مَنْ تقديره : ومن بلغه . والمعنى : أوحي إليّ هذا القرآن لأنذر به المخاطبين ، وهم أهل مكة ، وأنذر كُلَّ من بلغه القرآن من العرب والعجم إلى يوم القيامة . قال سعيد بن جُبير: من بلغه القرآن فكأنما رأى سيدنا محمدًا ﷺ. وقيل : المعنى : ومن بلغ الحُلُمَ . وهو **بعيد**»[(٣)].

٢- عند تفسير قوله تعالى :﴿ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الأنعام] .

قال ابن جُزَيّ: « ... وقيل : هي في أهل الكتاب ، أي : بدا لهم ما كانوا يخفون من

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١٢٧) .

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٢٠) .

(٣) التسهيل لعلوم التنـــزيل (٢/) .

أمر محمد ﷺ . وقيل : هي في المنافقين ، أي بدا لهم ما كانوا يخفون من الكفر. وهذان القولان **بعيدان** ؛ فإن الكلام أوله ليس في حق المنافقين ولا أهل الكتاب ....»[1].

ـــ وربما قال : " **بعيد جدًّا** " كما في تفسير قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ ﴾ [يوسف : ٣١].

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « أي : عظّمْنَ شأنه وجماله . وقيل : معنى " أَكْبَرْنَ": حِضْنَ ، والهاء للسَّكْتِ . وهذا **بعيد جدًّا** »[2] .

ـــ وربما استعمل عبارة " **فاسد** " كما في تفسير قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ۘ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الأنعام] .

قال ابن جُزَيّ : « ﴿ ٱلَّذِينَ ﴾ مبتدأ ، وخبره : ﴿ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾. وقيل: ﴿ ٱلَّذِينَ ﴾ نَعْتٌ للذين آتيناهم الكتاب . وهو **فاسد** ؛ لأن الذين أوتوا الكتاب ما استشهد بهم هنا إلاّ ليقيم الحجة على الكفار »[3].

---

(١) التسهيل (٢/ ٦) . وتنظر أمثلة أخرى في (٢/١١، ١٣، ٥٧، ٨٢، ٩٧، ٩٩، ١٠٤، ١١٦، ١١٧، ١٢٠، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٧) .

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١١٨) .

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٥) .

المبحث الثالث : تفضيل القول على غيره بصيغة (أفعل) التفضيل

يعتبر الترجيح بصيغة (أفعل) التفضيل من الصيغ الظاهرة في الدلالة على ترجيح أحد القولين ، وذلك أن (أفعل) يدل غالبًا على أن شيئين اشتركا في معنى وزاد أحدهما على الآخر فيه ، ولا يلزم منه فساد القول الآخر أو بطلانه .

وقد نص ابن جُزَيّ في مقدمة كتابه على استعمال هذه الصيغة في الترجيح بين أقوال المفسرين بقوله : « ثم ما أقول : إن غيره **أرجح** أو **أقوى** أو **أظهر** أو **أشهر** »[1] .

وقد زاد عليها عباراتٍ أخرى لم ينصّ عليها في مقدّمته؛ كقوله: **أصحّ** ، **وأحسن** [2].

كما جمع أحيانًا بين عبارتين ؛ كقوله : **أظهر وأشهر** ، **وأرجح وأفصح** .

واستخدم هذه الصيغة في الترجيح في مواطن كثيرة من كتابه ، وذلك من خلال العبارات التالية :

أولاً : عبارة : أرجح ، ومن الأمثلة عليها :

١- عند تفسير قوله تعالى : ﴿ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [الأنعام] .

قال ابن جُزَيّ : « قيل : الضمير في ﴿ حِسَابِهِم ﴾ للذين يَدْعُونَ . وقيل : للمشركين، والمعنى على هذا : لا تحاسَب عنهم ولا يحاسَبون عنك فلا تهتمَّ بأمرهم حتى تطرد هؤلاء من أجلهم . والأول **أَرْجَحُ** ؛ لقوله : ﴿ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ [هود: ٢٩] ، وقوله : ﴿ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي ﴾ [الشعراء: ١١٣] والمعنى على هذا : أن الله هو الذي يحاسبهم فلأي شيء تطردهم؟ »[3].

٢- في تفسير قوله تعالى : ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (٣/١) .

(٢) كما زاد أيضًا عبارة : **أولى** ، **وأليق** ، **وأبلغ** لكن لم أقف على استعماله لها في حدود دراستي من سورة الأنعام إلى سورة يوسف ، وتنظر أمثلة لها على التوالي في التسهيل لعلوم التنزيل (٥٦/١ و ١٤٣/٣) ، (١٤٨/١ و ٤٢/٣) ، (٤٩/١ و ٦٨/٣) .

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل (١٠/٢) .

بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمٗا لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾[الأنعام].

قال ابن جُزَيّ : « هم الأنبياء المذكورون . وقيل : الصحابة . وقيل : كل مؤمن . والأول **أرجح** ؛ لدلالة ما بعده على ذلك »[1] .

٣- وربما جمع إليها عبارة **أفصح** ؛ كما في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِۖ يَعۡلَمُ سِرَّكُمۡ وَجَهۡرَكُمۡ وَيَعۡلَمُ مَا تَكۡسِبُونَ ﴿٣﴾ ﴾[الأنعام] .

قال ابن جُزَيّ : « يتعلق ﴿ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ بمعنى اسم الله ، فالمعنى كقوله: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٞ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَٰهٞۚ ﴾ [الزخرف : ٨٤] ، كما يقال : أمير المؤمنين الخليفة في المشرق والمغرب . ويحتمل أن يكون المجرور في موضع الخبر فيتعلق باسم فاعل محذوف ، والمعنى على هذا قريب من الأول . وقيل : المعنى أنه في السماوات والأرض بعلمه ؛ كقوله : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ ﴾ [الحديد : ٤]. والأول **أرجح وأفصح** ...» [2].

ثانيًا : عبارة : أقوى ، ومن الأمثلة عليها :

– في تفسير قوله تعالى : ﴿فَإِلَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلۡمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾[هود:١٤] .

قال ابن جُزَيّ : « فيها وجهان : أحدهما : أن تكون مخاطبةً من الله للنبيّ > وللمؤمنين . أي : إن لم يستجب الكفار إلى ما دعوتموهم إليه من معارضة القرآن فاعلموا أنه من عند الله . وهذا على معنى : دوموا على علمكم بذلك أو زيدوا يقينًا به . والثاني : أن يكون خطابًا من النبي > للكفار . أي : إن لم يستجب من تدعونه من دون الله إلى شئ من المعارضة ولا قَدَرَ جميعُكم عليه ؛ فاعلموا أنه من عند الله . وهذا **أقوى** من الأول ؛ لقوله : ﴿ فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ » [3].

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (١٥/٢) . وينظر أمثلة أخرى في (١٤/٢، ١٦، ٢٢، ٣٣، ٤٦، ٦٨، ٧٥، ٨١، ٨٢، ٩٠، ٩٤، ٩٥، ١٠٢، ١٠٣) .

(٢) التسهيل لعلوم التنـــزيل (٣/٢) .

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١٠٢) . .

ثالثاً : عبارة أظهر ، ومن الأمثلة عليها :

١- في تفسير قوله تعالى : ﴿ قَالُوا۟ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾ ﴾[الأنعام] .

قال ابن جُزَيّ : « الضمير ﴿ فِيهَا ﴾ للحياة الدنيا ؛ لأن المعنى يقتضي ذلك ، وإن لم يَجْرِ لها ذكر . وقيل : الساعة ، أي : فرطنا في شأنها والاستعداد لها . والأول **أظهر**»[(١)].

٢- عند تفسير قوله تعالى : ﴿ مَا عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ ﴾ [الأنعام :٥٧] .

قال ابن جُزَيّ : « أي : العذاب الذي طلبوه في قولهم :﴿ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ [الأنفال: ٣٢] . وقيل : الآيات التي اقترحوها . والأول **أظهر** »[(٢)].

رابعاً : عبارة أشهر ، ومن الأمثلة عليها :

١- في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ﴾[الأنفال] .

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « ﴿ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ قيل : هي المفاصل . وقيل : الأصابع ، وهو **الأشهر** في اللغة . وفائدة ذلك أن المقاتل إذا ضربت أصابعه تعطّل عن القتال فأمكن أسره وقتله » [(٣)].

٢- وربما جمع بين العبارتين الأخيرتين ــ **أظهر وأشهر** ــ كما في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [يوسف] .

قال ابن جُزَيّ : « تقديره : واسأل أهلَ القريةِ ، وكذلك : أهلَ العيرِ. يعنون الرّفْقَةَ . هذا هو قول الجمهور . وقيل : المراد سؤال القرية بنفسها والعير بنفسها ، ولا يَبْعُدُ أن

---

(١) التسهيل (٢/ ٧).

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١١) . وينظر أمثلة أخرى في (٢/٧، ٣١، ٤٦، ٥٥، ٦٠، ٧٥، ٧٩، ٩٨، ١١٥-١١٦، ١٢٠، ١٢٥) .

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/٦٢) .

تخبره الجمادات ؛ لأنه نبيٌّ . والأول **أظهر وأشهر** على أنه مجاز » [1] .

خامساً : عبارة أصحّ ، ومن الأمثلة عليها :

١- عند تفسير قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ ﴾[الأعراف] .

قال ابن جُزَيّ : « أي : لما آتاهما ـــ آدم وحواء ـــ ولدًا صالحـــًا كما طلبا : جعل أولادُهما له شركاء . فالكلام على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه . وكذلك ﴿ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ﴾ أي : فيما آتى أولادهما وذريتهما . وقيل : إن حواء لما حملت جاءها إبليس وقال لها : إن أطعتيني و[سميتي][2] ما في بطنك عبد الحارث ، فأُخَلِّصُه لك .... فقوله : ﴿ جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ﴾ أي : في التسمية لا غير ، لا في عبادة غير الله . والقول الأول **أَصَحُّ** ؛ لثلاثة أوجه ... »[3] .

٢- في تفسير قوله تعالى : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس:٢٦] .

قال ابن جُزيّ : « ﴿ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ : الجنة ، والزيادة : النظر إلى وجه الله . وقيل : ﴿ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ : جزاء الحسنة بعشر أمثالها ، والزيادة : التضعيف فوق ذلك إلى سبعمائة . والأول **أصَحُّ** ... »[4] .

٣- في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ ﴾ [هود : ٢٧] .

قال ابن جُزَيّ : « ﴿ بَادِىَ ٱلرَّأْىِ ﴾ أي : أول الرأي من غير نظر ولا تدبير . و ﴿ بَادِىَ ﴾ منصوب على الظرفية ، أصله وقت حدوث أول رأيهم ، والعامل فيه

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١٢٦) .

(٢) في المطبوع : سميت . والصواب بإثبات الياء كما أثبته ، كما في جميع النسخ .

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٥٧) .

(٤) التسهيل (١٧٢/٢) .

﴿ أَتَّبَعَكَ ﴾ على **أصحِّ** الأقوال . والمعنى : اتبعك الأراذل من غير نظر ولا [تثبت][1]. وقيل : هو صفة لـــ ﴿ بَشَرًا مِّثْلَنَا ﴾ أي : غير مثبت في الرأي » [2] .

سادسًا : عبارة : أحسن ، ومن الأمثلة عليها :

١- عند تفسير قوله تعالى : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾[الأنعام : ١٥١] .

قال ابن جُزَيّ : « قيل : أَنْ حرفُ عبارةٍ وتفسير ، فلا موضع لها من الإعراب ، و"لا" ناهية جزمت الفعل . وقيل : أَنْ مصدرية في موضع رفع تقديره : الأمرُ أَلاَّ تشركوا ، فـــ "لا" على هذا نافية . وقيل : أَنْ في موضع نصب بدلا من قوله :﴿مَا حَرَّمَ ﴾. ولا يصحُّ ذلك إلاّ إن كانت "لا" زائدة ، وإن لم تكن زائدة فسد المعنى ؛ لأن الذي حرم على ذلك يكون ترك الإشراك . **والأحسن** عندي : أن تكون (أنْ) مصدرية في موضع نصب على البدل و "لا" نافية ، ولا يلزم ما ذكر من فساد المعنى ؛ لأن قوله : ﴿ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ ﴾ معناه : ما وصّاكم به ربكم بدليل قوله في آخر الآية : ﴿ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ ﴾ فضَمَّن التحريمَ معنى الوصية ، والوصيةُ في المعنى أعم من التحريم ؛ لأن الوصية تكون بتحريم وتحليل وبوجوب وندب ، ولا يُنكَر أن يريد بالتحريم الوصية ؛ لأن العرب قد تذكر اللفظ الخاص وتريد به العموم كما تذكر اللفظ العام وتريد به الخصوص ....»[3] .

٢- في تفسير قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا ۗ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾ ﴾ [الأعراف] .

قال ابن جُزَيّ : « يعني بصاحبهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فنفى عنه ما نسب له المشركون من الجنون . ويحتمل أن يكون قولُه : ﴿ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ﴾ معمولاً لقوله:

---

(١) وقع في المطبوع : تشبث ، بالشين . والصواب ما أثبتُّه .

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل (١٠٤/٢) .

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٢٥) .

﴿ أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْ ﴾ فيوصل به ، والمعنى : أو لم يتفكروا فيعلمون أن ما بصاحبهم من جنة . ويحتمل أن يكون الكلام قد تمّ في قوله : ﴿ أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْ ﴾ ثم ابتدأ إخبارًا استئنافًا لقوله: ﴿ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ﴾ . والأول **أحسن** »[1] .

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٥٦) . وينظر أمثلة أخرى في (٢/٥٦-٥٧، ٧١، ٧٢، ٧٣، ١٢٩) .

المبحث الرابع : تقديم القول الراجح على المرجوح في الذّكر

هذه الصيغة من الصيغ المعتبرة في الترجيح ، وذلك أن تقديم القول أو حكايته بصيغة الجزم دليل على ترجيحه ، كما أن تأخير القول أو حكايته بصيغة التمريض دليل على تضعيفه وعدم رجحانه .

وقد نص ابن جُزَيّ في مقدمة كتابه على استعمال هذه الصيغة في الترجيح بين أقوال المفسرين بقوله : « ثم ما أقدم غيره عليه إشعارًا بترجيح المتقدم »[1] .

وتنوعت أساليبه في استعمال هذه الصيغة على النحو التالي :

أولا : ذكر جميع الأقوال بصيغة الجزم .

وأمثلة ذلك :

١- في تفسير قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ ﴾[الأنعام] .

قال ابن جُزَيّ : « فيه ثلاث تأويلات : **أحدها** : أن المعنى : **تَمَامًا** للنعمة على الذي أحسن من قوم موسى . ففاعل أحسن ضمير يعود على الذي ، و ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ ﴾ يراد به جنس المحسنين . **والآخر** : أن المعنى : **تَمَامًا** أي : تفضّلا أو جزاء على ما أحسن موسى عليه السلام من طاعة ربه وتبليغ رسالته . فالفاعل ضمير موسى عليه السلام. و ﴿ ٱلَّذِىٓ ﴾ صفة لعمل موسى . **والثالث** : **تَمَامًا** أي : إكمالاً على ما أحسن الله به إلى عباده . فالعامل على هذا ضمير الله تعالى »[2].

٢- في تفسير قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ ﴾ [الأعراف : ٤٠] .

قال ابن جُزَيّ : « فيه ثلاثة أقوال : أحدها : لا يَصْعَدُ عملُهم إلى السماء . والثاني : لا يدخلون الجنة ؛ فإن الجنة في السماء . والثالث : لا تفتح أبواب السماء لأرواحهم إذا

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (٣/١) .

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٢٦) .

ماتوا كما تفتح لأرواح المؤمنين »[1] .

٣- في تفسير قوله تعالى : ﴿ كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ٥ ﴾[الأنفال] .

قال ابن جُزَيّ : « فيه ثلاث تأويلات : أحدها : أن تكون الكاف في موضع رفع على أنه خبر مبتدأ محذوف ، تقديره : هذه الحال كحال إخراجك . يعني : أن حالهم في كراهة تفضيل الغنائم كحالهم في حالة خروجك للحرب . والثاني : أن يكون في موضع الكاف نصب على أنه صفة لمصدر الفعل المقدّر في قوله: ﴿ ٱلۡأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِۖ ﴾ أي : استقرّت الأنفال لله والرسول استقرارًا مثل استقرار خروجك . والثالث: أن تتعلّق الكاف بقوله : ﴿ يُجَٰدِلُونَكَ ﴾ »[2][الأنفال : ٦].

ثانيًا : ذكر القول الراجح بصيغة الجزم ، وحكاية الأقوال الأخرى مصدَّرةً بصيغة التمريض (قيل) .

وأمثلة ذلك كثيرة جدًّا منها:

١- عند تفسير قوله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٖ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلٗاۖ وَأَجَلٞ مُّسَمًّى عِندَهُۥۖ ثُمَّ أَنتُمۡ تَمۡتَرُونَ ٢ ﴾ [الأنعام] .

قال ابن جُزَيّ : « الأجل الأول : الموت ، والثاني : يوم القيامة. وقيل : الأول : النوم، والثاني : الموت »[3].

٢- عند تفسير قوله تعالى : ﴿ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ٢ ﴾ [الأعراف] .

قال ابن جُزَيّ : « أي : ضِيقٌ من تبليغه مع تكذيب قومك . وقيل : الحرج هنا :

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٣٢) .

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل (٦١/٢) . وينظر أمثلة أخرى في (٢٦/٢، ٥٤، ٥٦، ٥٨، ٥٩، ٦٠، ٦٣، ٦٨، ٦٩، ٧٤، ٩٣، ٩٦، ١٠٦، ١٠٧، ١١٢، ١١٦، ١١٩، ١٢٥-١٢٦) .

(٣) التسهيل لعلوم التنـــزيل (٢/٢) . وأكثر مسائل سورة الأنعام من هذا القبيل .

الشكّ . فتأويله كقوله :﴿ فَلَا تَكُنۡ مِّنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ﴾»[1] [آل عمران: ٦٠].

٣- عند تفسير قوله تعالى : ﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَنفَالِۖ قُلِ ٱلۡأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡۖ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١ ﴾ [الأنفال] .

قال ابن جُزَيّ : « والأنفال هي الغنائم . وقيل : الأنفال هنا ما ينفلّه الإمامُ لبعض الجيش من الغنيمة زيادةً على حَظّه »[2].

٤- عند تفسير قوله تعالى : ﴿ كَيۡفَ وَإِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ لَا يَرۡقُبُواْ فِيكُمۡ إِلّٗا وَلَا ذِمَّةٗۚ يُرۡضُونَكُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَتَأۡبَىٰ قُلُوبُهُمۡ وَأَكۡثَرُهُمۡ فَٰسِقُونَ ٨ ﴾ [التوبة] .

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « الإلُّ : القرابة . وقيل : الحِلْفُ »[3].

٥- عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٢٥ ﴾ [يونس] .

قال ابن جُزَيّ : « أي : إلى الجنة . وسميت دار السلام ، أي : دار السلامة من العناء والتعب . وقيل : السلام هنا اسم الله . أي : يدعو إلى داره »[4] .

٦- عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى وَيُؤۡتِ كُلَّ ذِي فَضۡلٖ فَضۡلَهُۥۖ وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ كَبِيرٍ ٣ ﴾[هود].

قال ابن جُزَيّ : «أي : ينفعكم في الدنيا بالأرزاق والنعم والخيرات. وقيل : هو طيب عيش المؤمن برجائه في الله ورضاه بقضائه ؛ لأن الكافر قد يتمتع في الدنيا بالأرزاق»[5].

٧- عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَشَرَوۡهُ بِثَمَنِۭ بَخۡسٖ دَرَٰهِمَ مَعۡدُودَةٖ وَكَانُواْ فِيهِ

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٢٨) . وفي سورة الأعراف أكثر من عشرين مسألة من هذا القبيل .

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/٦٠) . وأكثر مسائل سورة الأنفال من هذا القبيل .

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/٧١) . ونصف مسائل سورة التوبة تقريبًا من هذا القبيل .

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٩٢) . ونصف مسائل سورة يونس تقريبًا من هذا القبيل .

(٥) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١٠٠) . وأكثر مسائل سورة هود من هذا القبيل .

﴿ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [يوسف] .

قال ابن جُزَيّ : « أي : باعوه ، والضمير أيضًا للذين أخذوه . وقيل : الضمير لإخوة يوسف ، وأنهم رجعوا إليه فقالوا للسيّارة : هذا عبدنا » [(١)] .

ثالثًا : ذكر جميع الأقوال مصدَّرةً بصيغة التمريض (قيل) ، ثم يبيِّن القول الراجح منها .

ومثال ذلك :

ـــ في تفسير قوله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾[الأنعام : ٦٥] .

قال ابن جُزَيّ : « **قيل** : الذي من فوق : إمطارُ الحجارة ، ومن تحت : الخسفُ . **وقيل** :﴿ مِّن فَوْقِكُمْ ﴾: تسليط أكابركم ، و﴿ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾: تسليط سفلاتكم . وهذا بعيد»[(٢)].

رابعًا : ذكر الأقوال على جهة التساوي بصيغة (أو) ، ثم ينصُّ على القول الراجح منها .

ومثال ذلك :

ـــ في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾[الأنعام] .

قال ابن جُزَيّ : « الضمير لنوح **أو** لإبراهيم عليهما السلام ، والأول هو الصحيح ؛ لذكر لُوطٍ وليس من ذريّة إبراهيم »[(٣)].

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (١١٦/٢) . وأكثر من ثلث مسائل سورة يوسف من هذا القبيل .

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١١) . وينظر أمثلة أخرى في (٧/٢، ١٠، ٢٥، ٦٢) .

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١٥) . وينظر أمثلة أخرى في (٢٢/٢، ٣١، ٣٣) .

خامسًا : ذكر بعض الأقوال بصيغة (أو) ، وحكاية قولٍ بصيغة (قيل) .

مثال ذلك :

ـــ في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَأَذَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوۡمَ ٱلۡحَجِّ ٱلۡأَكۡبَرِ ﴾[التوبة : ٣] .

قال ابن جُزَيّ: « ﴿ ٱلۡحَجِّ ٱلۡأَكۡبَرِ ﴾ هو يوم عَرَفَةَ أو يوم النّحر. وقيل : أيام الموسم كلّها ، وعبّر عنها بـــيومٍ كقولك : يوم صِفِّين والجَمَل ، وكانت أيامًا كثيرة »[1] .

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/٧٠) .

المبحث الخامس :

التنصيص على صواب القول أو صحَّته أو رُجحانه أو حُسْنه أو استظهاره

الترجيح بهذه الطريقة من أشهر طرق الترجيح عند المفسرين ؛ وذلك لدلالتها الصريحة والواضحة على الترجيح .

غير أن ابن جُزَيّ لم ينصَّ في مقدمة كتابه على استعمال هذه الصيغة في الترجيح بين أقوال المفسرين ــ مع أنه استعملها في ثنايا تفسيره ــ ولعلّ ذلك عائد إلى شهرتها ووضوحها في الدلالة على الترجيح .

ومن العبارات المستعملة في الترجيح بهذه الصيغة :

أولاً : عبارة : الصواب :

ــ ومثالها في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ﴾[يوسف : ٢٤] .

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا ﴾ : أكثرَ الناسُ في الكلامَ في هذه الآية حتى ألَّفوا فيها التآليف ، فمنهم مُفْرِط ومفَرِّط . وذلك أن منهم من جعل هَمَّ المرأةِ وهمَّ يوسف من حيث الفعلُ الذي أرادته ، وذكروا في ذلك رواياتٍ من جلوسه بين رجليها وحَلِّهِ التكَّة وغير ذلك مما لا ينبغي أن يقال به ؛ لضعف نقله ؛ ولتراهة الأنبياء عن مثله . ومنهم من جعل أنها هَمَّتْ به لتضربه على امتناعه وهمَّ بها ليقتلها أو يضربها ليدفعها ، وهو بعيدٌ ؛ يردُّه قوله : ﴿ لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ﴾ . ومنهم من جعل همَّها به من حيث مرادها ، وهمَّه بها ليدفعها ، وهذا بعيد ؛ لاختلاف سياق الكلام .

والصواب إن شاء الله : أنها هَمَّتْ به من حيث مرادها ، وهمَّ بها كذلك لكنه لم يعزم على ذلك ولم يبلغ إلى ما ذُكِر من حلِّ التكّة وغيرها بل كان هُمُّه خَطْرَةً خطرت على قلبه لم يطعها ولم يتابعها ، ولكنه بادر بالتوبة والإقلاع عن تلك الخطرة حتى محاها من قلبه لَمّا رأى برهان ربِّه . ولا يقدحُ هذا في عصمة الأنبياء ؛ لأن الهمَّ بالذنب ليس بذنب ، ولا

نقصَ عليه في ذلك ، فإنه من هَمَّ بذنب ثم تركه كتبت له حسنة ...» [1] .

ثانياً : عبارة : الصحيح . ومن الأمثلة عليها :

١ – عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾[الأنفال] .

قال ابن جُزَيّ : « قالها النضر بن الحارث أو سائر قريش لما كذّبوا النبيّ > دعوا على أنفسهم إن كان أمره هو الحق . و**الصحيح** أن الذي دعا بذلك أبوجهل؛ رواه البخاري ومسلم في كتابيهما »[2].

٢ – في تفسير قوله تعالى : ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾ ﴾[التوبة] .

قال ابن جُزَيّ : « ﴿ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ ﴾ أَيْ : طاح في جهنم ، وهذا ترشيح للمجاز ؛ فإنه لما شُبّه بالجُرُفِ وُصِفَ بالانهيار الذي هو من شأن الجُرُفِ . وقيل : إن ذلك حقيقة ، وأنه سقط في نار جهنم وخرج الدخان من موضعه . و**الصحيح** أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم أمر بِهَدْمِهِ فهُدِم »[3] .

ثالثًا : عبارة : الراجح .

ـــ ومثالها : في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ ﴾ [الأعراف] .

قال ابن جُزَيّ : « فيه ثلاثة أقوال : أحدها : أن الإنصات المأمور به هو لقراءة الإمام في الصلاة . والثاني : أنه الإنصات للخطبة . والثالث : أنه الإنصات لقراءة القرآن على الإطلاق . وهو **الراجح** ؛ لوجهين : أحدهما : أن اللفظ عام ولا دليل على تخصيصه.

---

(١) التسهيل لعلوم التزيل (١١٧/٢) .

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل (٦٥/٢) .

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٨٥) . وينظر أمثلة أخرى في (٤/٢، ١٥، ٤٧، ٥٣، ٥٨–٥٩، ١١٥) .

والثاني : أن الآية مكيّة ، والخطبة إنما شرعت بالمدينة »[1] .

رابعًا : عبارة : حَسَنٌ .

ـــ ومثالها : في تفسير قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [الأنعام] .

قال ابن جُزَيّ : «﴿ ٱلَّذِينَ ﴾ مبتدأ وخبره : ﴿ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ ، ودخلت الفاء لِما في الكلام من معنى الشرط . قاله الزجّاج ، وهو **حَسَنٌ** »[2].

خامسًا : عبارة : الظاهر :

وأمثلتها :

١- في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة : ٣٠] .

قال ابن جُزَيّ : « قال ابن عباس : إن هذه المقالة قالها أربعة من اليهود وهم : سَلاَّم بن مِشْكَم ، ونُعمانُ بن أوفى ، وشَأسُ بن قيس ، ومالك بن الصَّيْفِ . وقيل : لم يقلها إلاّ فِنْحَاص . ونسب ذلك إلى جميعهم ؛ لأنهم متبعون لمن قالها . و**الظاهر** أن جماعتهم قالوها ؛ إذ لم ينكروها حين نُسبتْ إليهم »[3] .

٢- في تفسير قوله تعالى : ﴿ ٱذۡهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا ﴾ [يوسف : ٩٣] .

قال ابن جُزَيّ : « رُوِيَ أن هذا القميص كان لإبراهيم كساه الله له حين أُخرج من النار ، وكان من ثياب الجنة ، ثم صار لإسحاق ، ثم ليعقوب ، ثم دفعه يعقوب ليوسف ، وهذا يحتاج إلى سَنَدٍ يُوثق به . و**الظاهر** أنه كان قميص يوسف الذي بمنزلة قميص كل أحد» [4] .

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٥٩) .

(٢) التسهيل لعلوم التنـــزيل (٢/ ٤) .

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٧٤) .

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١٢٧) .

الفصل الثاني :

وجوه الترجيح عند ابن جُزَيّ

وفيه عشرة مباحث :

المبحث الأول : الترجيح بالنظائر القرآنية .

المبحث الثاني : الترجيح بالسنة النبوية .

المبحث الثالث : الترجيح بقول جمهور المفسرين .

المبحث الرابع : الترجيح بأقوال الصحابة رضوان الله عليهم .

المبحث الخامس : الترجيح بدلالة كلام العرب .

المبحث السادس : الترجيح بدلالة السياق .

المبحث السابع : الترجيح بدلالة الظاهر .

المبحث الثامن : الترجيح بتقديم الحقيقة على المجاز .

المبحث التاسع : الترجيح بتقديم العموم على الخصوص .

المبحث العاشر : الترجيح بتقديم الإطلاق على التقييد .

تقديم :

عقد ابن جُزَيّ في المقدّمة الأولى للتسهيل بابًا في أسباب اختلاف المفسرين ، والوجوهِ التي يُرَجَّحُ بها بين أقوالهم .

فأما أسباب الخلاف فقد سبق بيانها مع التمثيل لها .

وأما **وجوه الترجيح** ــ عند ابن جُزَيّ ــ فهي اثنا عشر وجهًا وهي ما ذكرها بقوله :

« **الأول : تفسير بعض القرآن ببعض** . فإذا دلَّ موضع من القرآن على المراد بموضع آخر حملناه عليه ورجّحنا القول بذلك على غيره من الأقوال .

الثاني : حديث النبي . فإذا ورد عنه عليه السلام تفسير شيء من القرآن عوّلنا عليه ، لا سيّما إن ورد في الحديث الصحيح .

الثالث : أن يكون القول قول الجمهور وأكثر المفسرين ؛ فإن كثرة القائلين بالقول يقتضي ترجيحه .

الرابع : أن يكون القول قول من يُقتدَى به من الصحابة ؛ كالخلفاء الأربعة ، وعبدالله بن عباس ؛ لقول رسول الله > : (اللهم فقّهه في الدين وعلمه التأويل)[1] .

الخامس : أن يدلّ على صحّة القول كلامُ العرب من اللغة والإعراب أو التصريف أو الاشتقاق .

السادس : أن يشهد بصحّة القول سياق الكلام ويدلّ عليه ما قبله أو ما بعده .

السابع : أن يكون ذلك المعنى المتبادر إلى الذهن[2] ، فإن ذلك دليل على ظهوره ورجحانه .

الثامن : تقديم الحقيقة على المجاز ؛ فإن الحقيقة أولى أن يُحمل عليها اللفظ عند

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٢٦٦/١) برقم (٢٣٩٧ طبعة التركي) ، والطبراني في المعجم الكبير (٢٦٣/١٠) برقم (١٠٦١٤) ، وقوّى إسناده محققوا المسند . وأخرجه البخاري في صحيحه برقم (٧٥) في كتاب العلم، وبرقم (٧٢٧٠) في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة بلفظ : اللهم علمه الكتاب . وبرقم (١٤٣) في كتاب الوضوء بلفظ : اللهم فقهه في الدين . وبرقم (٣٧٥٦) في كتاب فضائل النبي بلفظ : اللهم علمه الحكمة ، وأيضًا باللفظ الأول .

(٢) المراد الترجيح بدلالة الظاهر .

الأصوليين . وقد يترجَّح المجاز إذا كثر استعماله حتى يكون أغلب استعمالا من الحقيقة ، ويسمى مجازًا راجحًا والحقيقة مرجوحة ...

التاسع : تقديم العمومي على الخصوصي ؛ فإن العمومي أولى ؛ لأنه الأصل إلا أن يدلّ دليل على التخصيص .

العاشر : تقديم الإطلاق على التقيد إلا أن يدلّ دليل على التقييد .

الحادي عشر : تقديم الاستقلال على الإضمار إلا أن يدلّ دليل على الإضمار .

الثاني عشر : حمل الكلام على ترتيبه إلا أن يدلّ دليل على التقديم والتأخير »[1].

هذه الأوجه التي ذكرها ابن جُزَيّ في مقدّمته تدلّ على مساهمته في علم التفسير ، وهي مما تميَّزت به مقدّمة التسهيل .

وقد طبّقها في ثنايا تفسيره كثيرًا كما أغفلها في مواضع ، ولكلٍّ وَجهٍ منها أمثلتُه غيرَ الوجهين الأخيرين فإني لم أقف على أمثلة لهما في محلّ دراستي من سورة الأنعام إلى سورة يوسف[2] .

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (٩/١) .

(٢) ينظر أمثلة للأول منهما في (٨٤/١) و (٢/٣، ١٩٧) . وللأخير في (١٢٥/٣) و (٥/٤) .

المبحث الأول : الترجيح بالنظائر القرآنية

أجمع العلماء على أن أشرف أنواع التفسير وأجلَّها هو تفسير القرآن بالقرآن ؛ لأنه لا أحد أعلم بمعاني كلام الله من الله عز وجل[1] .

وتفسير القرآن بالقرآن أصح طرق التفسير ، فما أُجمل منه في مكان بُـيِّن في موضع آخر ، وما اختُصر في موضع بُسط في آخر ، وعليه فإن (**القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدّمٌ على ما عُدِم ذلك**)[2] .

يقول الفخر الرازي : « تفسير كلام الله تعالى بكلام الله أقرب الطرق إلى الصدق والصواب »[3] .

ويقول العزُّ بن عبدالسلام : « أَولى الأقوال ما دل عليه الكتاب في موضع آخر »[4] .

وقال ابن جُزَيّ : « فإذا دل موضع من القرآن على المراد بموضع آخر حملناه عليه ، ورجَّحنا القول بذلك على غيره من الأقوال » .

ومن الأمثلة على ترجيحه بهذا الوجه :

١- في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [الأنعام] .

قال ابن جُزَيّ : « قيل : الضمير في ﴿ حِسَابِهِم ﴾ للذين يَدْعُونَ . وقيل : للمشركين ، والمعنى على هذا : لا تحاسَب عنهم ولا يحاسَبون عنك فلا تهتمَّ بأمرهم حتى تطرد هؤلاء من أجلهم . والأول أَرْجَحُ ؛ لقوله : ﴿ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ﴾[هود: ٢٩]، وقوله : ﴿ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى ﴾ [الشعراء: ١١٣] والمعنى على هذا : أن الله هو الذي يحاسبهم

---

(١) ينظر : أضواء البيان (٧/١)

(٢) قواعد الترجيح عند المفسرين (٢١٣/١) .

(٣) مفاتيح الغيب (٣٥/٤) .

(٤) الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز (٢٢٠) .

فلأي شيء تطردهم؟ »[1].

٢- في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ سَبۡعِينَ رَجُلٗا لِّمِيقَٰتِنَاۖ فَلَمَّآ أَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ قَالَ رَبِّ لَوۡ شِئۡتَ أَهۡلَكۡتَهُم مِّن قَبۡلُ وَإِيَّيَۖ أَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآۖ إِنۡ هِيَ إِلَّا فِتۡنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهۡدِي مَن تَشَآءُۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَاۖ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ﴾ [الأعراف] .

قال ابن جُزَيّ : « ﴿ وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ ﴾ أي : من قومه ﴿ سَبۡعِينَ رَجُلٗا ﴾ حملهم معه إلى الطور يسمعون كلام الله لموسى فقالوا : أرنا الله جهرة ، فأخذتهم الرجفة ؛ عقابًا لهم على قولهم . وقيل : إنما أخذتهم الرجفة ؛ لعبادتهم العجل أو لسكوتهم على عبادته. والأول أرجح ؛ لقوله : ﴿ فَقَالُوٓاْ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلۡمِهِمۡ ﴾»[2][النساء:١٥٣] .

٣ - عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الأنفال] .

قال ابن جُزَيّ : « ﴿ وَءَاخَرِينَ ﴾ يعني : المنافقين . وقيل : بني قريظة. وقيل : الجن؛ لأنها تنفر من صهيل الخيل. وقيل : فارس . والأول أرجح ؛ لقوله : ﴿ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ ﴾ [التوبة : ١٠١] ... »[3] .

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١٠) .

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٤٦) .

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/٦٨). وتنظر أمثلة أخرى في (٢/٣، ١١، ١٩، ٢٢، ٣٣، ٤٥، ٤٦، ٩٥، ١٠٦).

المبحث الثاني : الترجيح بالسنة النبوية

السنة شارحة للقرآن ، وموضحة له[1] ، وأعلم الناس بتفسير كلام الله وبيانه النبي > ، فقد أمره الله ـــ عز وجل ـــ أن يبين للناس الذكر وما نزل إليهم بقوله : ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل:٤٤] .

وكل ما سنَّ الرسول > مما ليس لله فيه حكم منزل فبحكم الله سنَّه ، قال تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الشورى:٥٢][2] .

فـــ(**إذا ثبت الحديث وكان نصاً في تفسير الآية فلا يصار إلى غيره**)[3] ، كما أنه (**إذا ثبت الحديث ، وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه**)[4] .

يقول أبوجعفر النحاس : « ما صحَّ عن النبيِّ > لم يسع أحدًا ردُّه »[5] .

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية : « ومما ينبغي أن يعلم أن القرآن والحديث إذا عُرف تفسيره من جهة النبي > لم يحتج في ذلك إلى أقوال أهل اللغة ، فإنه قد عرف تفسيره ، وما أريد بذلك من جهة النبي > لم يحتج في ذلك إلى الاستدلال بأقوال أهل اللغة ولا غيرهم »[6] .

وقال ابن جُزَيّ : « فإذا ورد عنه عليه السلام تفسير شيء من القرآن عوَّلنا عليه ، لا سيما إن ورد في الحديث الصحيح » .

ومن الأمثلة على ترجيحه بهذا الوجه :

١- عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ۚ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَىٰهُمْ ۚ وَنَادَوْٓا۟ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۚ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الأعراف] .

قال ابن جُزَيّ : « هم أصحاب الأعراف . **ورد في الحديث** أنهم قوم من بني آدم استوت

---

(١) ينظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية (٢٧/١٣) .

(٢) ينظر : الرسالة للشافعي (٨٨) .

(٣) قواعد الترجيح عند المفسرين (١٩١/١) .

(٤) قواعد الترجيح عند المفسرين (٢٠٦/١) .

(٥) الناسخ والمنسوخ (٣٩/٣) .

(٦) مجموع الفتاوى (٢٧/١٣) .

حسناتهم وسيئاتهم ، فلم يدخلوا الجنة ولا النار . وقيل : هم قوم خرجوا إلى الجهاد بغير إذن آبائهم ، فاستشهدوا ، فمنعوا من الجنة لعصيان آبائهم ، ونَحَوْا من النار للشهادة»[1].

٢ – في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ [الأعراف] .

قال ابن جُزَيّ : « في معناها قولان : أحدهما : أن الله لما خلق آدم أخرج ذريته من صُلْبِه وهم مثل الذّر ، وأخذ عليهم العهد بأنه ربهم ، فأقرّوا بذلك والتزموه. **رُوِيَ هذا المعنى عن النبي ﷺ من طرق كثيرة** . وقال به جماعة من الصحابة وغيرهم . والثاني : أن ذلك من باب التمثيل ، وأن أخذ الذريّة عبارة عن إيجادهم في الدنيا ، وأما إشهادهم فمعناه: أن الله نصب لبني آدم الأدلة على ربوبيته فشهدت بها عقولهم فكأنه أشهدهم على أنفسهم ، وقال لهم : ألست بربكم ؟ وكأنهم قالوا بلسان الحال : بلى أنت ربنا . **والأول هو الصحيح ؛ لتواتر الأخبار به** إلاّ أن ألفاظ الآية لا تطابقه بظاهرها ، فلذلك عدل عنه من قال بالقول الآخر ، وإنما تطابقه بتأويلٍ ... »[2] .

٣ – عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾[الأنفال] .

قال ابن جُزَيّ : « قالها النضر بن الحارث أو سائر قريش لما كذّبوا النبيّ > دعوا على أنفسهم إن كان أمره هو الحق . والصحيح أن الذي دعا بذلك أبوجهل؛ **رواه البخاري ومسلم في كتابيهما** »[3].

٤ – عند تفسير قوله تعالى : ﴿ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴾ [التوبة : ٨٠] .

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٣٣) .

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٥٣) .

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/٦٥) .

قال ابن جُزَيّ : « يحتمل معنيين : أحدهما : أن يكون لفظه أمر ، ومعناه الشرط ، ومعناه : إن استغفرت لهم أو لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ، كما جاء في سورة المنافقين . والآخر : أن يكون تخيير ، كأنه قال : إن شئت فاستغفر لهم ، وإن شئت فلا تستغفر لهم ، ثم أعلمه الله أنه لا يغفر لهم . **وهذا أرجح ؛ لقول رسول الله >** : (**إن الله خيّرني فاخترت**) . **وذلك حين قال عمر : أَتُصلي على عبد الله بن أُبيّ وقد نهاك الله عن الصلاة عليه** » [1] .

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٨١) . وتنظر أمثلة أخرى في (٢/٧، ٣١، ٤٢، ٥٨-٥٩، ٨٥، ٨٦، ٩٢، ٩٥، ١١٧) . وينظر تخريج الحديث في ص (٦٩٥) من هذا البحث .

المبحث الثالث : الترجيح بقول الجمهور وأكثر المفسرين

إذا انفرد المفسر بقول في آية من كتاب الله ، مخالفًا إجماع المفسرين ـــ من غير أن يكون لقوله دلالة واضحة ـــ فإن قوله يُعدّ قولاً شاذًّا ، ويكون قول عامة المفسرين الأَوْلى بالصواب ، وذلك أن (**تفسير جمهور السلف مقدم على كل تفسير شاذ**)[1] .

يقول العلامة محمد الأمين الشنقيطي : « وقد تقرر في الأصول أن كثرة الرواة من المرجحات ، وكذلك كثرة الأدلة ... والقول بعدم الترجيح بالكثرة ضعيف »[2] .

وقد نصَّ ابن جُزَيّ في مقدمة كتابه على الترجيح بين أقوال المفسرين بهذا الوجه .

ومن الأمثلة على ترجيحه بهذا الوجه :

١ – في تفسير قوله تعالى : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [يونس] .

قال ابن جُزَيّ : « الحُسْنَى : الجنة ، والزيادة : النظر إلى وجه الله. وقيل: الحسنى : جزاء الحسنة بعشر أمثالها ، والزيادة : التضعيف فوق ذلك إلى سبعمئة . **والأول أصحُّ ؛ لوروده في الحديث ، وكثرة القائلين به** »[3] .

٢ – في تفسير قوله تعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [هود] .

قال ابن جُزَيّ : « الضمير في ﴿ يَقُولُونَ ﴾ لكفار قريش ؛ وفي ﴿ ٱفْتَرَىٰهُ ﴾ لمحمد ﷺ . **وهذا قول جميع المفسّرين** . واختار ابن عطية أن تكون في شأن نوح ﷺ، فيكون الضمير في ﴿ يَقُولُونَ ﴾ لقوم نوح ، وفي ﴿ ٱفْتَرَىٰهُ ﴾ لنوح؛ لئلا يعترض ما بين قصة نوح بغيرها. وهو بعيد »[4] .

٣ – عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ

---

(١) قواعد الترجيح (٢٨٨/١) .

(٢) أضواء البيان (١٨٦/١) .

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٩٢) .

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١٠٤) .

﴿ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ٧١ ﴾ [هود] .

قال ابن جُزَيّ : « قيل : معناه : حاضَتْ ، وهو ضعيفٌ . **وقال الجمهور** : هو الضَّحِكُ المعروف » [1] .

٤- عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا وَٱلۡعِيرَ ٱلَّتِيٓ أَقۡبَلۡنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ٨٢ ﴾ [يوسف] .

قال ابن جُزَيّ : « تقديره : واسأل أهلَ القريةِ ، وكذلك : أهلَ العيرِ. يعنون الرِّفْقَةَ . **هذا هو قول الجمهور** » [2] .

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١٠٩) .

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١٢٦) .

المبحث الرابع : الترجيح بأقوال الصحابة

فهْمُ الصحابةِ ــ رضي الله عنهم ورضوا عنه ــ للقرآن حجةٌ يُحتكم إليها ؛ لما اختُصوا به من قوة الإيمان ، وحسن الفهم ، وسلامة القصد ، ومشاهدة التنزيل ، فعرفوا أحوال من نزل فيهم القرآن الكريم فأدركوا أسباب نزوله ومناسباته ، ثم هم أهل اللسان العربي الذي نزل به القرآن . لذلك كان (**تفسيرُ الصحابة رضي الله عنهم وفهمُهم لنصوص الوحي حجةً على من بعدهم**)[1] .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : « من عدَل عن مذاهب الصحابة والتابعين وتفسيرهم إلى ما يخالف ذلك كان مخطئًا في ذلك ، بل مبتدعًا ، وإن كان مجتهدًا مغفورًا له خطؤه»[2] .

ويقول ابن القيم عن تفسير الصحابة : « لا ريب أن أقوالهم في التفسير أصوب من أقوال من بعدهم ، وقد ذهب بعض أهل العلم إلى أن تفسيرهم في حكم المرفوع »[3] .

وقد نصَّ أبوالقاسم ابن جُزَيّ في مقدمة كتابه على الترجيح بين أقوال المفسرين بهذا الوجه .

ومن الأمثلة على ترجيحه بهذا الوجه :

١- عند تفسير قوله تعالى : ﴿ **قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ** ﴾[الأنعام:٧١] .

قال ابن جُزَيّ : « وهذا كله تمثيل لمن ضلّ في الدين عن الهدى وهو يُدعى إلى الإسلام فلا يجيب . وقيل : نزلت في عبدالرحمن بن أبي بكر الصديق ، حين كان أبوه يدعوه إلى الإسلام ، **ويبطل هذا قول عائشة** : ما نزل في آل أبي بكر شيء من القرآن إلا براءتي»[4].

---

(١) ينظر : قواعد الترجيح (٢٧١/١) .

(٢) مجموع الفتاوى (٣٦١/١٣) .

(٣) إعلام الموقعين (١٥٣/٤) .

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل (١٣/٢) .

٢- عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ [الأعراف] .

قال ابن جُزَيّ : « في معناها قولان : أحدهما : أن الله لما خلق آدم أخرج ذريته من صُلْبِه وهم مثل الذّر ، وأخذ عليهم العهد بأنه ربهم ، فأقرّوا بذلك والتزموه. رُوِيَ هذا المعنى عن النبي ﷺ من طرق كثيرة . **وقال به جماعة من الصحابة وغيرهم** . والثاني : أن ذلك من باب التمثيل ، وأن أخذ الذريّة عبارة عن إيجادهم في الدنيا ، وأما إشهادهم فمعناه : أن الله نصب لبني آدم الأدلة على ربوبيته فشهدت بها عقولهم فكأنه أشهدهم على أنفسهم ، وقال لهم : ألست بربكم ؟ وكأنهم قالوا بلسان الحال : بلى أنت ربنا . **والأول هو الصحيح** ؛ **لتواتر الأخبار به** إلاّ أن ألفاظ الآية لا تطابقه بظاهرها ، فلذلك عدل عنه من قال بالقول الآخر ، وإنما تطابقه بتأويلٍ ... »[(١)] .

٣- في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾ [التوبة] .

قال ابن جُزَيّ : « ومعنى ﴿ خُلِّفُوا۟ ﴾ هنا أي : عن الغزوة . **وقال كعب بن مالك** : معناه: خُلِّفوا عن قبول العُذْر ، وليس بالتخلّف عن الغزو . يقوّي ذلك كونُه جَعَلَ ﴿ إِذَا ضَاقَتْ ﴾ غايةً للتخلُّف » [(٢)] .

٤- في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾[التوبة] .

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٥٣) .

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٨٦- ٨٧) .

قال ابن جُزَيّ : « **قال ابن عباس** : هذه الآية في البعوث إلى الغزو والسرايا . أي : لا ينبغي خروج جميع المؤمنين في السرايا ، وإنما يجب إذا خرج رسول الله > بنفسه ، ولذلك عاتبهم في الآية المتقدمة على التخلُّفِ عنه . فالآيةُ الأُولى في الخروج معه > ، وهذه في السرايا التي كان يبعثها . وقيل : هي ناسخة لكل ما ورد من الأمر بخروج الجميع. فهو دليل على أن الجهاد فرض كفاية لا فرض عين . وقيل : هي في طلب العلم . ومعناها : أنه لا تجب الرحلة في طلب العلم على الجميع ، بل على البعض ؛ لأنه فرض كفاية » [1] .

٥- في تفسير قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ﴾ [هود : ٤٠] .

قال ابن جُزَيّ : « والمراد بالتنّور الذي يوقد فيه **عند ابن عباس** وغيره . ورُوِيَ أنه كان تنور آدم خلص إلى نوح . وقيل : التنور وجه الأرض » [2] .

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٨٧) .

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل (١٠٥/٢) . وينظر أيضًا (٣/٢، ٣٣) .

المبحث الخامس :
الترجيح بدلالة اللغة أو الإعراب أو التصريف والاشتقاق

من أراد فهم معاني القرآن الكريم ، وإدراك مراميه ، لابد أن يكون عالمًا باللغة التي أُنزل بها ومتقنًا لها ، والقرآن أُنزل بلسان عربي مبين ، قال تعالى : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [يوسف:٢] . وقال سبحانه : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾ [الشعراء] .

ولغة العرب منها المعروف ، والشاذّ ، والضعيف ، والمنكر ، و(**الواجب حمل كلام الله تعالى على المعروف من كلام العرب دون الشاذّ والضعيف والمنكر**)[١] .

يقول ابن جرير الطبري : « إن الكلام إذا تنوزع في تأويله ، فحمله على الأغلب والأشهر من معناه أحق وأَولى من غيره ، ما لم تأت حجة مانعة من ذلك يجب التسليم لها »[٢] .

ويقول أبوجعفر النحاس : « ولا يحمل كتاب الله إلا على الأغلب الأشهر »[٣] .

والإعراب فرع المعنى ، ومبين ومميز للمعاني ، وأصح الوجوه الإعرابية ما كان موافقًا لمعنى الآية ، وعليه فإنه (**يجب حمل كتاب الله على الأوجه الإعرابية اللائقة بالسياق ، والموافقة لأدلة الشرع**)[٤] ، كما أنه (**يجب حمل كتاب الله على الأوجه الإعرابية القوية والمشهورة دون الضعيفة والشاذة والغريبة**)[٥] .

يقول الزَّرْكشي في الأمور الواجب على الناظر في كتاب الله مراعاتها : « الثاني : تجنب الأعاريب المحمولة على اللغات الشاذة ؛ فإن القرآن نزل بالأفصح من لغة قريش»[٦] .

ويقول ابن قيم الجوزية : « لا يجوز أن يحمل كلام الله -عزّ وجلّ- ويفسر بمجرد الاحتمال النحوي الإعرابي الذي يحتمله تركيب الكلام ويكون الكلام به له معنى ما ، فإن

---

(١) قواعد الترجيح عند المفسرين (٣٦٩/٢) .
(٢) جامع البيان (٢٩٨/٩) .
(٣) إعراب القرآن (٨٣/٤) .
(٤) قواعد الترجيح عند المفسرين (٦٣٥/٢) .
(٥) المصدر السابق (٦٤٥/٢) .
(٦) البرهان في علوم القرآن (٤٤٢/١) .

هذا مقام غلط فيه أكثر المعربين للقرآن ، فإنهم يفسرون الآية ويعربونها بما يحتمله تركيب تلك الجملة ، ويفهم من ذلك التركيب أي معنى اتفق ، وهذا غلط عظيم ، يقطع السامع بأن مراد القرآن غيره ، وإن احتمل ذلك التركيب هذا المعنى في سياق آخر وكلام آخر ، فإنه لا يلزم أن يحتمله القرآن ... »[1] .

كما أن لتصريف الكلمة وأصل اشتقاقها أثرًا في صحة المعنى ؛ إذ التصريف والاشتقاق يعيدان الألفاظ إلى أصولها ، فتتضح الألفاظ والمعاني المتفرعة عنها ، وعليه فإن (**القول الذي يؤيده تصريف الكلمة وأصل اشتقاقها أَولى بتفسير الآية**)[2] .

وقد قرر كثير من المفسرين مضمون هذا الوجه ، واستعملوه في الترجيح بين الأقوال ، ومنهم أبو القاسم ابن جُزَيّ ، فقد نصَّ على استعمال هذا الوجه في الترجيح .

ومن الأمثلة على ترجيحه بهذا الوجه :

١ – عند تفسير قوله تعالى : ﴿ **وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا** ﴾[الأعراف : ١٦٠].

قال ابن جُزَيّ : « السبط في بني إسرائيل كالقبيلة في العرب . وانتصابه على البدل من ﴿ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ ﴾ لا على التمييز ؛ **فإن تمييز ﴿ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ ﴾ لا يكون إلاّ مفردًا** . وقال الزمخشري : على التمييز ؛ لأن كل قبيلة أسباط لا سبط »[3] .

٢ – في تفسير قوله تعالى : ﴿ **إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾** ﴾ [الأنفال] .

قال ابن جُزَيّ : « ﴿ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ قيل : هي المفاصل . وقيل : الأصابع ، **وهو الأشهر في اللغة** » [4].

٣ – في تفسير قوله تعالى : ﴿ **فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن**

---

(١) بدائع الفوائد (٥٣٧/٣) .

(٢) قواعد الترجيح (٥١١/٢) .

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٥١) .

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل (٦٢/٢) .

﴿ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [يونس] .

قال ابن جُزَيّ : « الضمير عائد على موسى . ومعنى الذرية : شُبَّانٌ وفِتيانٌ من بني إسرائيل آمنوا به على خوف من فرعون . وقيل : إن الضمير عائد على فرعون ، فالذرية على هذا من قوم فرعون . وروي في هذا أنها امرأة فرعون وخازنه . **وهذا بعيد ؛ لأن هؤلاء لا يقال لهم ذرية** ، ولأن الضمير ينبغي أن يعود على أقرب مذكور »[1].

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٩٧) .

المبحث السادس : الترجيح بدلالة السياق

يقصد بدلالة السياق : دلالة سابق الكلام ولاحقه على معناه ، فسابق الكلام يطلق عليه : السباق ، ولاحق الكلام يطلق عليه : اللِّحاق ، ويطلق عليهما جميعًا : السياق .

ومراعاة دلالة السياق من أقوى الطرق لفهم نصوص كتاب الله عز وجلّ ، وعليه فإن (**إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أَولى من الخروج به عنهما إلا بدليل يجب التسليم له**)[1] .

يقول العزُّ بن عبد السلام : « إذا احتمل الكلام معنيين ، وكان حمله على أحدهما أوضح وأشد موافقة للسياق كان الحمل عليه أَولى »[2] .

ويقول السيد محمد رشيد رضا : « وإن أفضل قرينة تقوم على حقيقة معنى اللفظ : موافقته لما سبق له من القول ، واتفاقه مع جملة المعنى ، وائتلافه مع القصد الذي جاء له الكتاب بجملته »[3] .

وقد نص أبو القاسم ابن جُزَيّ في مقدمة كتابه على الترجيح بين أقوال المفسرين بهذا الوجه .

ومن الأمثلة على ترجيحه بهذا الوجه :

١ – عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِۖ يَعۡلَمُ سِرَّكُمۡ وَجَهۡرَكُمۡ وَيَعۡلَمُ مَا تَكۡسِبُونَ ٣ ﴾[الأنعام] .

قال ابن جُزَيّ : « يتعلق ﴿ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ بمعنى اسم الله ، فالمعنى كقوله: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٞ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَٰهٞۚ ﴾ [الزخرف : ٨٤] ، كما يقال : أمير المؤمنين الخليفة في المشرق والمغرب . ويحتمل أن يكون المجرور في موضع الخبر فيتعلق باسم فاعل محذوف ، والمعنى على هذا قريب من الأول . وقيل : المعنى أنه في السماوات والأرض بعلمه ؛ كقوله : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ ﴾ [الحديد : ٤] . والأول أرجح وأفصح ؛ لأن اسم الله جامع للصفات كلها من العلم والقدرة والحكمة وغير ذلك ، فقد جمعها مع الإيجاز . **ويترجَّح الثاني بأن**

---

(١) قواعد الترجيح (١/١٢٥) .

(٢) الإشارة إلى الإيجاز (٢٢٠) .

(٣) تفسيرالقرآن الحكيم (١/٢٤) .

سياق الكلام في اطّلاع الله تعالى وعلمه ؛ لقوله بعدها : ﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ ﴾...» [1].

٢ – في تفسير قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾[الأنعام] .

قال ابن جُزَيّ : « يحتمل أن يكون هذا الذي جرى لإبراهيم في الكوكب والقمر والشمس أن يكون قبل البلوغ والتكليف . وقد رُوِيَ أن أُمَّه وَلَدَتْه في غارٍ خوفًا من نمروذ إذ كان يقتل الأطفال ؛ لأن المنجّمين أخبروه أن هلاكه على يد صَبِيٍّ. ويحتمل أن يكون جرى له ذلك بعد بلوغه وتكليفه ، وأنه قال ذلك لقومه على وجه الردّ عليهم والتوبيخ لهم. **وهذا أرجح ؛ لقوله بعد ذلك :﴿إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾** ... »[2].

٣ – في تفسير قوله تعالى : ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾[الأنعام] .

قال ابن جُزَيّ : « هم الأنبياء المذكورون . وقيل : الصحابة . وقيل : كل مؤمن . **والأول أرجح ؛ لدلالة ما بعده على ذلك** »[3] .

٤– في تفسير قوله تعالى : ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [التوبة] .

---

(١) التسهيل لعلوم التنـــزيل (٢ / ٣).

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١٤) .

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١٥).

قال ابن جُزَيّ : « ﴿ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾ أي : في اللوح المحفوظ . وقيل : في القرآن. **والأول أرجح ؛ لقوله** : ﴿ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ »[1] .

٥- في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [التوبة] .

قال ابن جُزَيّ : « والآية في المنافقين **كالتي قبلها وبعدها** . وقيل : في ذي الخُويصِرة الذي قال : اعدل يا محمد ، فإنك لم تعدل . فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : (ويلك إن لم أعدل فمن يعدل ؟) » [2] .

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٧٥) .

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٧٨) . وتنظر أمثلة أخرى في (٢/١٥، ٢٥، ٥٥، ٥٧، ٦٣، ٧٣، ٧٦، ٩٠، ٩٤، ٩٥، ١٠٢) .

المبحث السابع : الترجيح بدلالة الظاهر

الظاهر من اللفظ : هو المعنى المتبادر إلى الذهن من المعاني ، والأصل في كلام المتكلم أن يكون دالاً على ما في نفسه من المعاني ، إذ لا طريق لمعرفة مراده غير ظاهر كلامه وألفاظه ، وعليه فإن الواجب حمل نصوص الكتاب والسنة على ظاهرها ؛ كما أنه (**لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل يجب الرجوع إليه**)[1] .

يقول ابن جرير الطبري : « غير جائز ترك الظاهر المفهوم من الكلام إلى باطن لا دلالة على صحته »[2] .

ويقول أيضًا : « إذا تُنوزع في تأويل الكلام كان أَولى معانيه به أغلبه على الظاهر ، إلا أن يكون من العقل أو الخبر دليل واضح على أنه معنيٌّ به غير ذلك »[3] .

ويقول العلامة محمد الأمين الشنقيطي : « والتحقيق الذي لا شك فيه ـــ وهو الذي كان عليه أصحاب رسول الله > وعامة المسلمين ـــ أنه لا يجوز العدول عن ظاهر كتاب الله وسنة رسوله > في حال من الأحوال ، بوجه من الوجوه ، حتى يقوم دليل صحيح شرعي صارف عن الظاهر إلى المحتمل المرجوح »[4] .

وقد نصَّ ابن جُزَيّ في مقدمة كتابه على الترجيح بين أقوال المفسرين بهذا الوجه ؛ لإن ذلك دليل على ظهوره ورجحانه .

ومن الأمثلة على ترجيحه بهذا الوجه :

١- عند تفسير قوله تعالى : ﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [الأعراف] .

قال ابن جُزَيّ : « يحتمل أن يكون تولِّيه عنهم وقولُه لهم حين عقروا الناقة قبل نزول العذاب بهم ؛ لأنه رُوِي أنه خرج من بين أظهرهم . أو أن يكون ذلك بعد أن هلكوا ، **وهو**

---

(١) قواعد الترجيح عند المفسرين (١/١٣٧) .

(٢) جامع البيان (١/٦٢١) .

(٣) جامع البيان (٩/٦٧٨) .

(٤) أضواء البيان (٧/٢٨٥) .

ظاهر الآية . وعلى هذا خاطبهم بعد موتهم على وجه التفجُّع عليهم »[1].

٢- عند تفسير قوله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ ﴾[الأعراف] .

قال ابن جُزَيّ : « ﴿ مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ يعني : آدم . ﴿ زَوْجَهَا ﴾ يعني: حواء . وقيل: ﴿ مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ هو قُصَيُّ بن كلاب وزوجته . و ﴿ جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ ﴾ أي : سموا أولادهما عبد العزى وعبد الدار وعبد مناف . وهذا القول بعيد ؛ لوجهين : أحدهما : أن الخطاب على هذا خاصٌّ بذرية قُصَيّ من قريش ، **والظاهر أن الخطاب عام لبني آدم** . والآخر : أن قوله ﴿ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ فإن هذا يصّح في حواء ؛ لأنها خلقت من ضلع آدم ، ولا يصح في زوجة قُصَيّ »[2] .

٣- في قوله تعالى : ﴿ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [هود] .

قال ابن جُزَيّ : « أي : ليس من أهلك الذين وعدتك بنجاتهم ؛ لأنه كافر. وقال الزمخشري : لم يكن ابنه ولكنه خانته أمه ، وكان لغير رشده . وهذا ضعيف؛ لأن الأنبياء ‡ قد عصمهم الله من أن تزني نساؤهم ؛ **ولقوله** :﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ ﴾»[3][هود:٤٢].

وهذا ترجيحٌ منه بدلالة ظاهر القرآن على أنه ابنه من صلبه .

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٣٨) .

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٥٧) .

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١٠٦) .

المبحث الثامن : الترجيح بتقديم الحقيقة على المجاز

الأصل في الكلام استعمال كلماته وتراكيبه في معناها الحقيقي ، ولا يجوز الخروج به عن معناه الحقيقي إلى معناه المجازي من غير دليل أو قرينة ، ولذا فإنه (**يجب حمل نصوص الوحي على الحقيقة**)[1] .

يقول أبوجعفر النحاس : « ولا يحمل الشيء على المجاز ومعناه صحيح على الحقيقة»[2] .

ويقول ابن عبد البر : « وحمل كلام الله تعالى ، وكلام نبيه > على الحقيقة أَولى بذوي الدين والحق ؛ لأنه يقصُّ الحقَّ ، وقولُه الحقُّ ، تبارك وتعالى علوًّا كبيرًا »[3] .

وقد نص أبوالقاسم ابن جُزَيّ في مقدمة كتابه على استعمال هذا الوجه في الترجيح بين أقوال المفسرين ؛ لإن الحقيقة أَولى أن يحمل عليها اللفظ عند الأصوليين .

ومن الأمثلة على ترجيحه بهذا الوجه :

- في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾ ﴾ [الأعراف] .

قال ابن جُزَيّ : « في معناها قولان : أحدهما : أن الله لما خلق آدم أخرج ذريته من صُلْبِه وهم مثل الذّر ، وأخذ عليهم العهد بأنه ربهم ، فأقرّوا بذلك والتزموه. رُوِيَ هذا المعنى عن النبي ﷺ من طرق كثيرة . وقال به جماعة من الصحابة وغيرهم . والثاني : أن ذلك من باب التمثيل ، وأن أخذ الذريّة عبارة عن إيجادهم في الدنيا ، وأما إشهادهم فمعناه : أن الله نصب لبني آدم الأدلة على ربوبيته فشهدت بها عقولهم فكأنه أشهدهم على أنفسهم ، وقال لهم : ألست بربكم ؟ وكأنهم قالوا بلسان الحال : بلى أنت ربنا . **والأول هو الصحيح** ؛

---

(١) قواعد الترجيح (٢/٣٨٧) .

(٢) إعراب القرآن (٤/٢٠٦) .

(٣) التمهيد (٥/١٦) .

لتواتر الأخبار به إلاّ أن ألفاظ الآية لا تطابقه بظاهرها ، فلذلك عدل عنه من قال بالقول الآخر ، وإنما تطابقه بتأويلٍ ؛ وذلك أن أخذ الذرية إنما كان من صلب آدم ، ولفظ الآية يقتضي أن أخذ الذرية من بني آدم ، والجمع بينهما : أنه ذكر بني آدم في الآية والمراد آدم ؛ كقوله : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ﴾ الآية [الأعراف : ١١] . وعلى تأويل : لقد خلقنا أباكم آدم من صورته . وقال الزمخشري : إن المراد ببني آدم أسلاف اليهود ، والمراد بذريتهم مَنْ كان في عصر النبي ﷺ. وفي الصحيح المشهور أن المراد جمع بني آدم حسبما ذكرناه»[1].

ـــ وربما خالف فقدَّم المجاز على الحقيقة فلم يُصِب ، كما في تفسير قوله تعالى : ﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا۟ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [الأنعام] .

قال : « كناية عن تحمل الذنوب . وقال ﴿ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ﴾؛ لأن العادة حمل الأثقال على الظهور . وقيل : إنهم يحملونها على ظهورهم حقيقة . ورُوي في ذلك : أن الكافر يركبه عملُه بعد أن يتمثّل له في أقبح صورة ، وأن المؤمن يركب عملَه بعد أن يتصوّر له في أحسن صورة »[2] .

ـــ وربما خالف فقدَّم المجاز على الحقيقة فأصاب ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ ۖ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَث أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ ﴾ [الأعراف] .

قال في تفسيرها : « ﴿ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ ﴾ أَيْ : **صفته كصفة الكلب** ، وذلك غاية في الخِسَّةِ والرداءة . ﴿ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَث أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ﴾ اللهث : هو تنفّس بسرعة وتحريك أعضاء الفم وخروج اللسان ، وأكثر ما يعتري ذلك الحيوانات مع الحرّ والتعب ، وهي حالة دائمة للكلب . ومعنى ﴿ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ ﴾ : إن تفعل معه ما

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٥٣) .

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٧) .

يشق عليه من طرد أو غيره ﴿أَوْ تَتْرُكْهُ﴾ دون أن تحمل عليه ، فهو يلهث على كل حال . **ووجه تشبيه ذلك الرجل به** : أنه إنْ وعظته فهو ضالّ وإن لم تعظه فهو ضالّ ، فضلالته على كل حال كما أن لهث الكلب على كل حال . **وقيل : إن ذلك الرجل خرج لسانه على صدره فصار مثل الكلب في صورته ولهثه حقيقةً** »[1].

- وكما في قوله تعالى : ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [يوسف] .

قال : « تقديره : واسأل أهلَ القريةِ ، وكذلك : أهلَ العيرِ . يعنون الرّفْقَةَ . هذا هو قول الجمهور . وقيل : المراد سؤال القرية بنفسها والعير بنفسها ، ولا يَبْعُدُ أن تخبره الجمادات ؛ لأنه نبيٌّ . **والأول أظهر وأشهر على أنه مجاز** » [2] .

وهذا على خلافٍ فيه هل هو من المجاز أم لا ؟

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٥٤ -٥٥) .

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١٢٦) .

المبحث التاسع : الترجيح بتقديم العام على الخاص

الغالب في ألفاظ القرآن الكريم الشمول والعموم ؛ وذلك أن أصل التشريع جاء عامًّا ، ومتى ما ورد نصٌّ يخصص عموم هذه الألفاظ صِيْرَ إليه ، وعليه فإن الواجب على المفسر (**حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص**)[1] .

يقول ابن جرير الطبري : « وليس لأحد أن يجعل خبرًا جاء الكتاب بعمومه في خاصٍّ مما عمَّه الظاهرُ بغير برهان من حجةِ خبرٍ أو عقل »[2] .

ويقول مكيُّ بن أبي طالب القيسي : « اعلم أن القرآن إذا أتت اللفظة منه تعُمُّ ما تحتها ، حُملت على ذلك من عمومها ـــ عند مالك وأصحابه ـــ حتى يأتي ما يخصصها ، فتُحملَ عليه »[3] .

وقد نصَّ ابن جُزَيّ في مقدمة كتابه على استعمال هذا الوجه في الترجيح بين أقوال المفسرين ؛ فإن العمومي أَولى ؛ لأنه الأصل إلا أن يدلَّ دليل على التخصيص .

ومن الأمثلة على ترجيحه بهذا الوجه :

١- في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾ [الأنعام] .

قال ابن جُزَيّ : « أي : يَفْلِقُ الحَبَّ تحت الأرض لخروج النبات منها ، ويَفْلِقُ النَّوى لخروج الشجر منها . وقيل : أراد الشّقّين اللّذين في النواة والحنطة . **والأول أرجح ؛ لعمومه في أصناف الحبوب** »[4].

٢- عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ﴾ [الأعراف] .

---

(١) قواعد الترجيح عند المفسرين (٢/٥٢٧) .

(٢) جامع البيان (١٠/٤٦٣) .

(٣) الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه (١٠١) .

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١٦) .

قال ابن جُزَيّ : « قيل : الإشارة بذلك إلى الذين أخذتهم الرجفة . **والصحيح أنه عموم يندرجون فيه مع غيرهم** »[1].

٣- في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ ﴾ [الأعراف] .

قال ابن جُزَيّ : « فيه ثلاثة أقوال : أحدها : أن الإنصات المأمور به هو لقراءة الإمام في الصلاة . والثاني : أنه الإنصات للخطبة . والثالث : أنه الإنصات لقراءة القرآن على الإطلاق . **وهو الراجح ؛ لوجهين : أحدهما : أن اللفظ عام ولا دليل على تخصيصه.** والثاني : أن الآية مكيّة ، والخطبة إنما شرعت بالمدينة »[2] .

ـــ وربما خالف فلم يرجِّح بالعموم ، مع أن الترجيح به أَولى ، كما في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾ ﴾ [هود] .

قال : « الضمير للحجارة . **والمراد بالظالمين كفار قريش** ، فهذا تهديد لهم ، أي : ليس الرمي بالحجارة ببعيد منهم ؛ لأجل كفرهم . وقيل : الضمير للمدائن ، فالمعنى : ليست ببعيدة منهم [3] أفلا يعتبرون بها ؛ كقوله : ﴿ وَلَقَدْ أَتَوْا۟ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ ﴾[الفرقان : ٤٠] . **وقيل: إن الظالمين على العموم** » [4] .

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٤٧) .

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٥٩) . وتنظر أمثلة أخـــرى في (٢/١٦، ٥٧، ٧١، ٧٢، ٩٥، ١١٤، ١١٥، ١٢٧، ١٢٨) .

(٣) أَيْ : من كفار قريش .

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/١١٠) .

المبحث العاشر : الترجيح بتقديم الإطلاق على التقييد

إذا ورد نص من نصوص الوحي مطلقًا من غير تقييد وجب العمل به وتفسيره على إطلاقه ، وإذا ورد مقيدًا فُسِّر بمقتضى القيد الذي قُيِّد به ؛ لأن الأصل في اللفظ المطلق : أن يبقى على إطلاقه حتى يأتي ما يقيده ، فإذا جاء ما يقيده حُمل عليه .

بناءً عليه ، فإنه (**إذا دار اللفظ بين أن يكون مقيدًا أو مطلقًا ، فإنه يُحمل على إطلاقه**)[1] .

يقول الزَّرْكشي : « إن وجد دليل على تقييد المطلق صِيرَ إليه ، وإلا فلا ، والمطلق على إطلاقه ، والمقيد على تقييده ؛ لأن الله تعالى خاطبنا بلغة العرب .

والضابط : أن الله تعالى إذا حكم في شيء بصفة أو شرط ، ثم ورد حكم آخر مطلقًا نُظر ؛ فإن لم يكن له أصل يُرَدُّ إليه إلا ذلك الحكم المقيد وجب تقييده به ، وإن كان له أصل غيره لم يكن ردُّه إلى أحدهما بأَولى من الآخر »[2] .

وقد نصَّ ابن جُزَيّ في مقدمة كتابه على استعمال هذا الوجه في الترجيح بين أقوال المفسرين .

ومن الأمثلة على ترجيحه بهذا الوجه :

١ – عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾ [الأعراف] .

قال ابن جُزَيّ : « ﴿ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ﴾ أي : في الصباح والعشيّ . والآصال : جمع أُصُل ، والأُصُل : جمع أصيل . قيل : المراد صلاة الصبح والعصر . وقيل : فرض الخمس . **والأظهرُ الإطلاقُ** »[3] .

٢- في تفسير قوله تعالى : ﴿ قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ وَيُخۡزِهِمۡ وَيَنصُرۡكُمۡ عَلَيۡهِمۡ وَيَشۡفِ صُدُورَ قَوۡمٖ مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ [التوبة] .

---

(١) قواعد الترجيح (٢/٥٥٥) .

(٢) البرهان في علوم القرآن (٢/٢٠) .

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٦٠) .

قال ابن جُزَيّ : « ﴿ قَوۡمٖ مُّؤۡمِنِينَ ﴾ قيل : إنهم خزاعة . **والإطلاق أحسن**»[1].

٣ – في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ أَنۡ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسۡتَـٔۡذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوۡلِ مِنۡهُمۡ وَقَالُواْ ذَرۡنَا نَكُن مَّعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ﴾ [التوبة:٨٦] .

قال ابن جُزَيّ : « ﴿ وَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ ﴾ . قيل : يعني براءة . **والأرجح أنه على الإطلاق** »[2] .

٤– في تفسير قوله تعالى : ﴿ فَإِن كُنتَ فِي شَكّٖ مِّمَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ فَسۡـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقۡرَءُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكَۚ لَقَدۡ جَآءَكَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ﴾ [يونس:٩٤] .

قال ابن جُزَيّ : « ﴿ فَسۡـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقۡرَءُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكَ ﴾ ، يعني الذين يقرأون التوراة والإنجيل . قال السهيلي : هم عبد الله بن سلام ، ومُـــخَيْرِيق ، ومن أسلم من الأحبار' وهذا بعيد ؛ لأن الآية مكية ، وإنما أسلم هؤلاء بالمدينة ، **فحَمْل الآية على الإطلاق أولى** »[3] .

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/٧٢) .

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/٨٢) .

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/٩٩) .

الباب الثاني

عَرْضٌ لِتَرْجِيْحَاتِ ابْنِ جُزَيّ فِي تَفْسِيْرِهِ وَمُناقشتُها

مِنْ أوَّلِ سورة الأنعام
إلى آخر سُورة يوسف

تَرجيحاتُ ابن جُزَيّ

في تفسير سورة الأنعام

قَالَ تَعَالَى:

﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾ ﴾

١ – الخلاف في المراد بالأجلين في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ﴾ .

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « الأجل الأول : الموت ، والثاني : يوم القيامة. وقيل: الأول : النوم ، والثاني : الموت »[1].

العرض والمناقشة :

للمفسرين ـــ رحمهم الله تعالى ـــ أقوال كثيرة في المراد بالأجلين في هذه الآية الكريمة من سورة الأنعام ، اقتصر ابن جُزَيّ على ذكر قولين اثنين منها ، ورجّح القول الأول منهما، وهو أن المراد بالأجل الأول المقضيّ هو : الموت ، والمراد بالأجل الثاني المسمّى عند الله هو : يوم القيامة .

ووافق في هذا المرويَّ عن ابن عباس[2]، وسعيد بن جبير[3]، ومجاهد، وعكرمة[4]، والضحاك[5]، والحسن، وقتادة، وزيد بن أسلم، وعطية[6]، والسدّي[7]. ونُسِبَ إلى مُقاتِل ابن حيَّان[8]. وعليه الزمخشري، والسيوطي، وأبوالسعود[9]. وقدّمه القرطبي[10].

---

(1) التسهيل لعلوم التنـــزيل (٢/ ٢).

(2) أخرجه ابن جرير في جامع البيان (١٥٣/٩) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٢٦١) برقم (٧٠٩١ ، ٧٠٩٦) من طريق علي بن أبي طلحة، عنه بلفظ : (يعني أجل الموت ، والأجل المسمى أجلُ الساعة والوقوف عند الله) . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٢٤٨) نسبته إلى ابن أبي شيبة ، وابن المنذر ، والفريابي، وأبي الشيخ.

(3) ذكره معلّقًا عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٤ / ١٢٦١) .

(4) أخرجه ابن جريرالطبري في جامع البيان (٩ / ١٥٢) عنهما . وذكره ابن أبي حاتم معلقًا عنهما في تفسيره (١٢٦١/٤) .

(5) أخرجه ابن جريرالطبري في جامع البيان (٩ / ١٥١) . وذكره ابن أبي حاتم معلّقا عنهما (٤/ ١٢٦١).

(6) علّقه عنهم ابن أبي حاتم في تفسيره (٤ / ١٢٦١) .

(7) أخرجه الطبري (٩ / ١٥٣) . وذكره ابن أبي حاتم عنه (٤ / ١٢٦١)

(8) نسبه إليه ابن كثير في تفسيره (٦ / ٨) .

(9) ينظر : الكشاف (٦/٢) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية٣٣١/٢) ـــ إلا أنه اختار في تحديد المراد بالأجل الثاني القول بأنه الأجل المضروب للبحث ، يعني مدة البرزخ والله أعلم ـــ ، وإرشاد العقل السليم (١١٩/٢) .

(10) ينظر : الجامع لأحكام القرآن (٨ / ٣٢١) .

ويشهد لهذا القول : قولُه تعالى :﴿ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [المنافقون:١١] . ووجه الاستدلال : أن الأجل يطلق على الموت ، وهو آخره[١].

وقوله عز وجل : ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ﴾ [الزمر:٤٢].

والأجل المسمى في هذه الآية هو انقضاء العمر[٢] .

فهاتان الآيتان الكريمتان تدلان على أن المراد بالأجل الأول المقضيّ في آية الأنعام ﴿ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ ﴾ هو الموت ، وهو كونه آخر مدّة الحياة ؛ لأن الأجل في اللغة عبارة عن آخر المدّة، وإن كان يطلق لغةً على المدّة كلِّها كذلك[٣].

ومما يدل على أن المراد بالأجل الثاني المسمّى عند الله هو يوم القيامة : أن الله تعالى اختصَّ بعلمه فقال : ﴿ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ﴾ ، فإنه يدل على أنه لا يعلم وقتَه أحدٌ لا مجملاً ولا مفصّلاً ، وأما أجل الموت فمعلوم إجمالا وتقريبًا بناء على ظهور أماراته أو على ما هو المعتاد في أعمار الناس[٤] ، أو بالنسبة لملائكة الموت ، والله أعلم .

قال ابن كثير : « ومعنى قوله ﴿ عِندَهُۥ ﴾ أي : لا يعلمه إلاّ هو ؛ لقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ﴾ الأعراف: ١٨٧] وكقوله : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ ﴾ »[٥] [النازعات] .

وأما القول الثاني وهو أن الأجل الأول : هو النوم ، والثاني : هو الموت ، فقد رُوِيَ عن ابن عباس[٦].

---

(1) ينظر : روح المعاني للآلوسي (٢٨ / ١١٨) .

(2) ينظر : زاد المسير لابن الجوزي (٧ / ١٨٥) .

(3) ينظر : إرشاد العقل السليم (٢ / ١٢٠) .

(4) المصدر السابق (٢ / ١١٩) .

(5) تفسير القرآن العظيم (٩/٦) .

(6) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٥٣/٩) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٢٦١/٤) برقم (٧٠٩٣،٧٠٩٧) من طريق عطية العوفي ، عنه. وهو إسناد ضعيف جدًّا .

وصدّره جماعة من المفسرين بصيغة (قيل)[1]، ووافقهم ابن جُزَيّ على هذا مشعرًا بتضعيفه .

قال ابن كثير : « وهذا قول غريب »[2] .

وقال الآلوسي : « وأُيِّدَ بقوله تعالى : ﴿ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ ، ولا يخفى بُعدُه؛ لأن النوم وإن كان أخا الموت لكنه لم تعهد تسميته أجلاً وإن سُمّيَ موتًا »[3] .

وبعد ، فإذا تقرر هذا فإن ما ذهب إليه ابن جُزَيّ ومن وافقه هو الراجح ، ويؤيّده كثرة القائلين به من السلف ؛ فإن كثرة القائلين بالقول يقتضي ترجيحه[4].

وأما القول الثاني فهو قولٌ غريبٌ كما نَصَّ عليه ابن كثير ، والله تعالى أعلم .

هذا وقد أعرض ابنُ جُزَيّ عن ذكر أقوال قريبة في المعنى من القول الأول الذي رجَّحه ، تركها اختصارًا كما لا يخفى .

فمما يقرب من القول الأول قولُ من قال : الأجل الأول : ما بين أن يُخلق إلى أن يَمُوتَ، والثاني : ما بين الموت والبعث ، وهو البرزخ .

رُوِيَ هذا القول عن ابن عباس[5]، والحسن[6]، وقتادة[7]، والضحاك[8]، وابن المسيّب[9]، ومقاتل[10].

---

(1) منهم : الزمخشري في الكشاف (٢ / ٦) ، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٨ / ٣٢٢) ، والبيضاوي في أنوار التنـــزيل (١ / ٢٩٤) ، والآلوسي في روح المعاني (٧ / ٨٧).

(2) تفسير القران العظيم (٦ / ٩).

(3) روح المعاني (٧ / ٨٧) بتصرف يسير .

(4) ينظر : التسهيل لعلوم التنـــزيل لابن جُزَيّ (١ / ٩) فإنه عَدَّ من وجوه الترجيح بين أقوال المفسرين : أن يكون القول قول الجمهور وأكثر المفسرين ؛ فإن كثرة القائلين بالقول يقتضي ترجيحه . وبهذا الوجه رجّح ابن جُزَيّ هذا القول وإن كان لم ينصَّ على ذلك .

(5) نسبه إليه السمعاني (٢/ ٨٧) ، وابن الجوزي (٣ / ٣) ، والآلوسي (٧ / ٨٧) وقال : رواه عطاء عنه.

(6) أخرجه الطبري (٩/ ١٥١) من طريق أبي بكر الهذلي ، عنه.

(7) أخرجه الطبري (١٥١/٩) ، وابن أبي حاتم (٤ / ١٢٦٢) (٧٠٩٨) من طريق يزيد بن زريع ،عن سعيد عنه.

(8) نسبه إليه ابن الجوزي (٣ / ٣) ، والبيضاوي (١ / ٣٩٠) ، والآلوسي (٧ / ٨٧) .

(9) نسبه إليه ابن الجوزي .

(10) نسبه إليه السمرقندي في بحر العلوم (١ / ٤٥٥) ، وابن الجوزي .

وعليه من المفسرين : الزجاج -كما قاله الآلوسي [1] - والواحدي، والطاهر بن عاشور[2] .

وتعليل هذا القول : أن الأجل كما يطلق لآخر المدّة فإنه يطلق لجملتها ومجموعها[3].

قال الشهاب الخفاجي : « الأجل يقال بمعنى الوقت المعين لانقضاء شيء ولما يقع فيه مجازًا كالموت ، ولمجموع المدّة كالعمر ، وعليه تدور وجوه التفسير »[4].

وقال ابن كثير : « هو يرجع إلى ما تقدم [5]، وهو تقدير الأجل الخاص وهو عمر كل إنسان ، وتقدير الأجل العام وهو عمر الدنيا بكمالها ثم انتهائها وانقضائها وزوالها وانتقالها والمصير إلى الدار الاخرة »[6].

وقال الشوكاني : « هو قريب من الأول »[7].

= ويقرب منه أيضًا قول من قال : الأجل الأول : أجل الدنيا ، والثاني : الآخرة .

وروي هذا القول عن ابن عباس[8] ،وعكرمة ، ومجاهد [9]، وسعيد ابن جبير[10] .

---

(1) قاله الآلوسي في روح المعاني (٧ / ٨٧) ولم أقف عليه في معانيه .

(2) ينظر : الوجيز (١ / ٣٤٤) ، والتحرير والتنوير (٧ / ١٣١) .

(3) ينظر : أنوار التنزيل للبيضاوي (١ / ٢٩٤) .

(4) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي (٤ / ١٣) .

(5) يعني بذلك القول الأول .

(6) تفسير القران العظيم (٦ / ٩) .

(7) فتح القدير (٢ / ٩٨) .

(8) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩/ ١٥١) وابن أبي حاتم في تفسيره (٤ / ١٢٦٠) برقم (٧٠٩٠) من طريق أبي حصين ، عن سعيد بن جبير ، عنه . ولم يذكر ابن أبي حاتم الأجل الثاني . ورواه ابن أبي حاتم (٤/١٢٦٠) برقم (٧١٠٠) من طريق قيس عن أبي حصين به . وذكر الأجل الثاني بقوله :«لا يعلمه إلا الله» ولم يذكر الأول . ورواه أيضا برقم (٧١٠١) عن أبيه، عن أبي صالح ، عن معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس فذكر الثاني بقوله : « الوقوف عند الله ». وصححه الحاكم في مستدركه (٢/ ٣١٥) وقال : حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي.

(9) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩/ ١٥٢) من طريق هناد ، عن وكيع ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن عكرمة ومجاهد . إلا أنهما قالا : « البعث » بدل « الآخرة » . وأخرجه الطبري في جامع البيان (٩/ ١٥٣) عن ابن وكيع وابن حميد ، عن جرير ، عن منصور ، عن مجاهد وحده قال : «البعث» بدل الآخرة . وأخرج الطبري في جامع البيان (٩/ ١٥١-١٥٢) من طريق ابن أبي نجيح ، عنه عكس هذا القول ، وهو غريب .

(10) ذكره السمرقندي (١ / ٤٥٥) ، وأبوحيان (٤ / ٧١) ، والآلوسي (٧/ ٨٧).

وعليه ابن جرير الطبري، وابن سِعْدي[1].

هذا وقد اختلفت عبارات العلماء في إيراد هذا القول على النحو التالي :

الأجل الأول : أجل الدنيا ، انقضاء الدنيا .

الأجل الثاني : الآخرة ، لا يعلمه إلا الله ، ابتداء الآخرة ، البعث ، الوقوف عند الله .

وليس بينها تعارض ؛ لأن الأجل كما يطلق على آخر المدّة فإنه يطلق على جملتها .

فالأجل الأول : الدنيا بجملتها ، أو انقضاؤها . والثاني : الآخرة والوقوف عند الله ، أو ابتداء الآخرة وهو البعث ، وهذا لا يعلمه إلا الله .

= ويقرب منه أيضًا قول من قال : الأجل الأول : أجل الدنيا من يوم خلقك إلى أن تموت ، والثاني : يوم القيامة .

وروي هذا القول عن الحسن، وقتادة[2]، ومجاهد ، وعكرمة [3].

وهذا القول جمعَ بين القولين السابقين كما هو ظاهر .

= وقريب منه أيضًا قول من قال : الأجل الأول : مدة الدنيا ، والثاني : عمر الإنسان إلى حين موته .

وروي هذا القول عن ابن عباس، ومجاهد [4].

قال ابن كثير: « وكأنه مأخوذ من قوله تعالى بعد هذا : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ﴾ »[5] [الأنعام : ٦٠] .

وهذا القول جعل الأجل الأول على العموم ، والثاني خاصًّا بكل إنسان .

= وقريب منه أيضًا قول ابن عباس رضي الله عنهما : « لكل أحد أجلان : الأول : أجل العمر ، والثاني : أجل البعث . فإن كان تقيًّا وصولاً لرحمه زيد له من أجل البعث في أجل العمر ،

---

(1) ينظر : جامع البيان (٩ / ١٥٤) ، وتيسير الكريم الرحمن (٢ / ٥- ٦).

(2) رواه عبد الرزاق (٢ / ٢٠٣) عن معمر ، عن الحسن وقتادة . وأخرجه الطبري (٩/ ١٥٢) من طريق عبدالرزاق به . ومن طريق معمر به .

(3) نسبه إليهما : النحاس في معاني القران (٢/ ٣٩٩) ، والقرطبي (٨/ ٣٢١) ، وأبو حيان (٧٠/٤).

(4) نسبه إليهما : ابن كثير (٦ / ٩) ، والشوكاني (٢ / ٩٨).

(5) تفسير القرآن العظيم (٦ / ٩).

وإن كان بالعكس نقص من أجل العمر وزيد له في أجل البعث»[1].

وذكره الآلوسي إلا أنه جعل الأول قابلاً للزيادة والنقصان ، والآخر لا يقبل التغيير ولا يطلع عليه إلا الله عز شأنه[2].

أما الشوكاني فجعل الأول محتومًا لا يقبل الزيادة ، والثاني : العمر فيزيد بالصلة[3].

وقال : « ويرشد إلى هذا قوله تعالى:﴿ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ﴾ [فاطر : ١١]. وقد صحَّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن صلة الرحم تزيد في العمر، وورد عنه أن دخول البلاد التي قد فشا بها الطاعون والوباء من أسباب الموت».اهـــ.

واختار هذا القول الطاهر بن عاشور [4] إلاّ أنه لم يذكر قبوله للزيادة والنقصان ، ودللّ على أن كون الثاني غير معلوم لأحد لا في الدنيا ولا يوم القيامة بقوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ﴾ [يونس : ٤٥] و بقوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍ ﴾ [الروم : ٥٥] .

وبالتأمل في هذه الأقوال المقاربة للقول الأول يظهر أنها لا تعارضه ؛ لأنها مبنية على اعتبارين : العموم والخصوص ، فبعضها على تقدير الأجل العام ، والآخر على تقدير الأجل الخاص ، والله أعلم .

وثمّت أقوال أخرى في المسألة فيها غرابة شديدة وفي بعضها نكارة[5].

وسبب اختلاف المفسرين وكثرة الأقوال في هذه المسألة يرجع إلى تنكير الأجلين ، كما قال أبوحيان : «والظاهر من تنكير الأجلين أنه تعالى أبهم أمرهما»[6].

وليس هناك نصٌّ يحدد المراد منهما ، فوقع الخلاف في بيانهما وكثر ، والله تعالى أعلم.

---

(1) نسبه إليه أبو حيان (٤ / ٧١).

(2) روح المعاني (٧ / ٨٧).

(3) فتح القدير (٢ / ٩٨). وينظر : صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب من بُسط له في الرزق لصلة الرحم ، برقم (٥٩٨٥-٥٩٨٦) . وكتاب الطب ، باب ما يذكر في الطاعون، وباب أجر الصابر في الطاعون، برقم (٥٧٢٨-٥٧٣٤) .

(4) التحرير والتنوير (١٣١/٧).

(5) ينظر غير ما سبق : المحرر الوجيز لابن عطية (٢/ ٢٦٦) ، ومفاتيح الغيب للرازي (١٢ / ١٢٧).

(6) البحر المحيط (٤ / ٧٠).

قَالَ تَعَالَى:

﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِۖ يَعۡلَمُ سِرَّكُمۡ وَجَهۡرَكُمۡ وَيَعۡلَمُ مَا تَكۡسِبُونَ ٣ ﴾

٢- الخلاف في بيان متعلّق الجارّ والمجرور ﴿ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾.

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « يتعلق ﴿ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ بمعنى اسم الله ، فالمعنى كقوله: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٞ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَٰهٞ ﴾ [الزخرف : ٨٤] ، كما يقال : أمير المؤمنين الخليفة في المشرق والمغرب . ويحتمل أن يكون المجرور في موضع الخبر فيتعلق باسم فاعل محذوف ، والمعنى على هذا قريب من الأول . وقيل : المعنى أنه في السماوات والأرض بعلمه؛ كقوله : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ ﴾ [الحديد : ٤]. والأول أرجح وأفصح ؛ لأن اسم الله جامع للصفات كلها من العلم والقدرة والحكمة وغير ذلك ، فقد جمعها مع الإيجاز . ويترجَّح الثاني بأن سياق الكلام في اطّلاع الله تعالى وعلمه ؛ لقوله بعدها : ﴿ يَعۡلَمُ سِرَّكُمۡ وَجَهۡرَكُمۡ ﴾. وقيل : يتعلّق بمحذوف تقديره : المعبود في السماوات وفي الأرض ، وهذا المحذوف صفة لله » [1].

العرض والمناقشة :

اتفق السلف – رحمهم الله – على تخطئة الجَهْمِيَّة[2] القائلين بأن الله في كل مكان – تعالى الله عما يقولون عُلوًّا كبيرًا – مستدلّين بهذه الآية على هذا المذهب الباطل[3] .

واختلف المفسرون في بيان متعلّق الجارّ والمجرور في هذه الآية الكريمة على أقوال ، حاصل ما ذكره ابن جُزَيّ يرجع إلى قولين اثنين[4] صحيحين ، ويشهد لكل منهما قرآن ،

---

(1) التسهيل لعلوم التنـــزيل (٢ / ٣).

(2) الجهمية هم : أتباع الجَهْم بن صفوان ، كان ينكر الصفات ، ويتره الباري عنها بزعمه ، ويقول بخلق القرآن. ويقول : إن الله في كل مكان . ينظر : الملل والنحل للشهرستاني (١/ ٧٣) ، وسير أعلام النبلاء (٢٦/٦) ، وميزان الاعتدال (٤٢٦/١) كلاهما للذهبي.

(3) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٩/٦) ، وأضواء البيان للشنقيطي (١٨٢/٢).

(4) لأن قوله : « ويحتمل أن يكون المجرور في موضع الخبر ...» الخ . جعله في المعنى قريبًا من الأول ومساويًا له في الجواز . وقوله : « وقيل: يتعلق بمحذوف تقديره : المعبود في السماوات وفي الأرض » يرجع إلى القول الأول أيضًا ويندرج فيه ولا يعتبر قولا مستقلا ، والله أعلم . وينظر: معاني القرآن للزجّاج (٢٢٨/٢).

ولذا قال عن الأول : « أرجح وأفصح » ، وعن الثاني : « ويترجّح » . فرجّح الأول بالمعنى، والثاني بالسياق ، وإن كان ظاهر كلامه هو ترجيح القول الأول وهو : أن قوله تعالى :﴿ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ يتعلّق بمعنى اسم الله باعتبار ما يدل عليه من كونه معبودًا ومالكًا ومدبرًا . أي : هو المنفرد بالعبودية والمِلْكيّة والتدبير في السماوات وفي الأرض .

وهذا قول الزجّاج[1]. وعليه الواحدي، وابن عطية، والقرطبي، والنسفي، وابن القيم، وابن كثير، وأبوالسعود، والشوكاني، والطاهر بن عاشور، والشنقيطي[2].

واستَدَلَّ له ابنُ جُزَيّ بقوله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٞ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَٰهٞ ﴾[3][الزخرف : ٨٤] .

وهذه الآية في المعنى كآية الأنعام ؛ لأن الله هو الإله الذي يَأْلَهه كل شيء ، والله ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين[4].

ويقال : أمير المؤمنين الخليفة في المشرق والمغرب ، أي: حاكم ومتصرِّف فيهما[5].

ويقال : هو في حاجات الناس وفي الصلاة[6] .

ومنع أبوعليّ الفارسي أن يتعلّق باسم الله ؛ لأنه صار بدخول الألف واللام والتغيير الذي دخله كالعَلَم ، ولهذا قال تعالى : ﴿ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ﴾[7] [مريم: ٦٥] .

---

(1) ينظر : معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٢٨) . ونسبه الواحدي في الوسيط (٢/ ٢٥٢) ، والسمعاني في تفسيره (٢/ ٨٧) ، وابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٤) إلى ابن الأنباري، والزجاج .

(2) ينظر : الوجيز (١/ ٣٤٤) والوسيط (٢/ ٢٥٢) ، والمحرر الوجيز (٥/ ١٢٦) ، والجامع لأحكام القرآن (٣٢٢/٨) ، ومدارك التنـــزيل (٢/ ٣) ، وبدائع الفوائد (١١٦/١) وبدائع التفسير (٢/ ١٤٠) ، وتفسير القرآن العظيم (٦/ ٩) ، وإرشاد العقل السليم (٢ / ١٢١) ، وفتح القدير (٢/ ١٤١) ، و التحرير والتنوير (١٣٣/٧) ، وأضواء البيان (٢/ ١٨١) .

(3) ينظر : معاني القرآن للنحاس (٢/ ٣٩٩) ، والكشاف للزمخشري (٢/ ٣٢٣) ، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦/ ٩) .

(4) ينظر: بدائع الفوائد لابن القيم (١/ ٢٥) ، وفتح المجيد (٣٢ ــ ٣٣) .

(5) ينظر: معاني القرآن للزجاج (٢/ ٢٢٨) ، والوسيط للواحدي (٢٥٢/٢)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣٢٢/٨) ، وفتح القدير للشوكاني (٢ / ١٤١) .

(6) ينظر: معاني القرآن للنحاس (١/ ٤٠٠) ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٨/ ٣٢٢) .

(7) ينظر: التبيان للعكبري (١/ ٤٨٠) .

وقال أبوحيَّان: « هو صحيح من حيث المعنى ، لكن صناعة النحو لا تساعد عليه»[1].

وأما القول الثاني وهو : تعلّق الجارّ والمجرور ﴿ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ ﴾ بقوله : ﴿ يَعْلَمُ ﴾ ، أي : وهو الله يعلم سرّكم وجهركم في السماوات وفي الأرض ، فهو قول أبي علي الفارسي[2]، ورجّحه النحّاس ، وصحَّحه الشنقيطي[3].

ويشهد له :

١- النظائر القرآنية ؛ كقول الله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ ﴾[4] [الحديد: ٤] .

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[5] [الفرقان: ٦].

ووجه الاستدلال منهما ظاهر .

٢- ويشهد له أيضًا السياق ؛ لأن الكلام في اطلاع الله وعلمه[6].

ويَرِدُ على هذا القول : أن الإنس إنما هم في الأرض وليس لهم في السماء سِرٌّ ولا جهرٌ ، فكيف يتعلّق بذلك عِلْمٌ ؟!

قال ابن عطية : « ويلزم قائلي هذه المقالة أن تكون المخاطبة بالكاف في قوله : ﴿ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ ﴾ لجميع المخلوقين : الإنس والملائكة ؛ لأن الإنس لا سرَّ ولا جهرَ لهم في السماء »[7].

وضعَّف أبوحيّان هذا القول، ومَنَعَه الطاهر بن عاشور[8].

---

(1) البحر المحيط (٤/ ٧٢) .

(2) نسبه له العكبري في التبيان (١/ ٤٨٠) ، وأبوحيان في البحر المحيط (٤/ ٧٢) . كما نُسِبَ هذا القول أيضًا إلى الزجاج ، نسبه له الماوردي في النكت والعيون (٢/ ٩٤) ، والسمعاني في تفسير القرآن (٢/٨٧).

(3) ينظر: أضواء البيان (٢/ ١٨١) .

(4) استدل به ابن جُزَيّ . ينظر : التسهيل (٢/ ٣).

(5) ينظر: أضواء البيان (٢/ ١٨٢) .

(6) كما قاله ابن جُزَيّ .

(7) المحرر الوجيز (٥/ ١٢٧) .

(8) ينظر: البحر المحيط (٤/ ٧٢) ، والتحرير والتنوير (٧/ ١٣٣) .

وبعد، فإذا كان ذلك كذلك فإن كلا القولين صحيح ، وأنَّ أصحَّهما وأَوْلاَهما أَوَّلُهُما؛ لما يلي :

١- لأن قوله تعالى : ﴿ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ ﴾ جملة مقررة لمعنى الجملة الأولى ؛ لأن كونه سبحانه في السماوات وفي الأرض يستلزم علمه بأسرار عباده وجهرهم ، وعلمه بما يكسبونه من الخير والشر ، وجلب النفع ودفع الضرر[1].

٢- ولأن تعلّق الجار والمجرور بقوله : ﴿ يَعْلَمُ ﴾ ضعيف ؛ لأن فيه تقديم معمول المصدر الموصول عليه[2]، ولا يجوز تعليقه به ؛ لأن سرَّ الناس وجهرهم وكسبهم حاصل في الأرض خاصّة دون السماوات ، فمن قدّر ذلك فقد أخطأ خطأ بيِّنًا[3]، والله تعالى أعلم.

---

(1) ينظر: فتح القدير للشوكاني (٢/ ١٤١) .

(2) ينظر: البحر المحيط لأبي حيّان (٤/ ٧٣).

(3) ينظر: التحرير والتنوير (٧/ ١٣٣) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٦﴾ ﴾

٣- الخلاف في تفسير القرن وتحديد مدّته .

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « والقرن : مائة سنة . وقيل : سبعون. وقيل : أربعون»[1] .

العرض والمناقشة :

حكى ابن جُزَيّ في تفسير القرن وتحديدِ مُدَّته ثلاثة أقوال ، وكُلُّها تندرج تحت قول واحد في تفسير القرن وهو: أن القرن بمعنى المدّة من الزمان أو هو الزَّمَنُ المعَيَّن[2] .

وهذا القول في تفسير القرن نقله ابن الأعرابي[3]، وذكره طائفة من المفسّرين[4]، واختاره النسفي[5].

وعليه، فقد اختُلف في تحديد هذه المدّة على أقوال كثيرة ، ذكر ابن جُزَيّ منها ثلاثة ، ورجَّح الأول وهو : أن القرن مائة سنة . ووافق ما حُكِيَ عن عبد الله بن بُسْر ، وأبي سلمة ابن عبد الرحمن[6] .

وعلى هذا أكثر أصحاب الحديث[7] ، ورجّحه أهل اللغة[8]، وهو المشهور[9] .

---

(1) التسهيل لعلوم التنـــزيل (٢/ ٣) .

(2) وسيأتي بإذن الله ذكر القول الآخر في تفسير القرن .

(3) ينظر : لسان العرب (١٣ / ٣٣٣ ، ٣٣٤) ، و تاج العروس (٩/ ٣٠٥) مادة (قرن) .

(4) ينظر : معاني القرآن للنحاس (٢/ ٤٠٠) ، ومعالم التنزيل للبغوي (٢/ ١٢٨) ، وأنوار التنزيل للبيضاوي (٢٩٥/١) ، والبحر المحيط لأبي حيّان (٤/ ٦٦) ، والجواهر الحسان للثعالبي (١/ ٤٦٨) ، وإرشاد العقل السليم لأبي السعود (٢/ ١٢٤) ، وروح المعاني للآلوسي (٧/ ٩٤) ، وفتح القدير للشوكاني (١٤٢/٢).

(5) ينظر: مدارك التنـــزيل (٢/ ٣) .

(6) حكاه عنهما ونسبه إليهما ابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٥) .

(7) ينظر: معاني القرآن للنحاس (٢/ ٤٠٠) ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٨/ ٣٢٥) .

(8) ينظر: لسان العرب (١٣/ ٣٣٣) ، وتاج العروس (٩/ ٣٠٥) .

(9) قاله ابن حجر في فتح الباري (٥/٧) ، والطاهر في التحرير والتنوير (٧/ ١٣٧) ، والسيد محمد رشيد رضا في تفسيره (٧/ ٢٦٣) .

وهو قول الجمهور[1] ، والأكثر عليه[2] .

ويشهد له قول النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم لعبد الله بن بُسْر المازني : (لَتَبْلُغَنَّ قَرْنًا)[3] ، فعاش مائة سنة .

وقوله صلى الله عليه وسلم في آخر حياته : (أرأيتكم ليلتكم هذه ، فإن رأس مائة سنة منها ، لا يبقى ممن هو على ظهر الأرض أحد)[4] .

وقوله صلى الله عليه وسلم : (إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة مَنْ يجدّد لها أمر دينها)[5] .

وأما ثانيها – وهو أن القرن : سبعون سنة – فحكاه الفراء[6]، والزجّاج[7].

---

(1) نسبه للجمهور أبوحيان في البحر المحيط (٤/ ٦٥) .

(2) قاله الثعالبي في الجواهر الحسان (١/ ٤٦٨) .

(3) رواه أحمد في مسنده (٤/ ١٨٩) = (٣٢٥/٢٩) (١٧٦٨٩) ــ طبعة التركي ــ ، والبخاري في التاريخ الصغير (٢١٦/١) ، والدولابي في الكنى (٥٥/٢) ، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (١٣٤٣) ، والحاكم في مستدركه (٤/ ٥٠٠)، والبيهقي في الدلائل (٥٠٣/٦) ، والطبري في تاريخه (٤٣٥/١) ، وأبوبكر الخلال في السنة (٤٦٨/٢) ، وابن عساكر في تاريخه (١٥٥/٢٧) من طرق عن عبد الله بن بُسر رضي الله عنه. قال الهيثمي في المجمع (٩/ ٤٠١- ٤٠٨) : ورجال أحمد رجال الصحيح غير الحسن بن أيوب الحضرمي وهو ثقة .

(4) أخرجه البخاري في العلم – باب السمر في العلم برقم (١١٦) ، وفي مواقيت الصلاة – باب ذكر العشاء والعتمة برقم (٥٦٤) ، وباب السمر في الفقه والخير... برقم (٦٠١) ، ومسلم في فضائل الصحابة ، باب قوله ﷺ : لا تأتي مائة سنة وعلى الأرض ... برقم (٢٥٣٧) ، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما . قال ابن عمر في آخره: يريد بذلك أنها تخرم ذلك القرن. وقال الحافظ في الفتح (٧٥/٢) : وقد بيّن ابن عمر في هذا الحديث مراد النبي ﷺ ، وأن مراده أنه عند انقضاء مائة سنة من مقالته تلك ينخرم ذلك القرن فلا يبقى أحد ممن كان موجودًا حال تلك المقالة ، وكذلك وقع بالاستقراء فكان آخر من ضُبِطَ أمره ممن كان موجودًا حينئذ أبوالطفيل عامر بن واثلة، وقد أجمع أهل الحديث على أنه كان آخر الصحابة موتًا ، وغاية ما قيل فيه : إنه بقي إلى سنة عشر ومائة، وهي رأس مئة سنة من مقالة النبي ﷺ ، والله أعلم .

(5) رواه أبو داود في سننه برقم (٤٢٩١) ، والحاكم في مستدركه (٥٢٢/٤) ــ وسكت عنه الحاكم والذهبي ــ ، والخطيب في التاريخ (٢/ ٦١) عن أبي هريرة رضي الله عنه. وصححّه الألباني كما في السلسلة الصحيحة (١٥٠/٢) برقم (٥٩٩) ، وصحيح الجامع (٣٨٢/١) برقم (١٨٧٤) .

(6) ينظر: معاني القرآن (١/ ٣٢٨) فإنه حكاه لبعضهم و لم يُسَمّ .

(7) حكاه بـــ قيل في معاني القرآن (٢/ ٢٢٩) ونسبه إليه ابن منظور في لسان العرب (٣٣٤/١٣) ، والزبيدي في تاج العروس (٩/ ٣٠٥) .

واختاره البيضاوي[1]. وذكره بعض المفسّرين[2] .

ودليله : أن السبعين هو القدر المتوسط من أعمار أهل كل زمن[3] .

وأما ثالثها – وهو أن القرن : أربعون سنة – فذكره ابن سيرين[4]، وقال به ابن الأعرابي[5]، وذكره جماعة[6].

ودليله : قول الجَعْدِي :

ثلاثة أهلين أَفنيتُهم وكان الإله هو المُسْتآسا

فإنه قاله وهو ابن مائة وعشرين[7].

وثمّت أقوال أخرى في تحديد مقدار القرن من عشرة أعوام إلى مائة وعشرين.

وذهب بعضهم إلى أن القرن هو : المقدار الأوسط في أعمار أهل كُلّ زمن[8].

وهذا القول حَسَّنه أبوحيّان[9].

قال البيضاوي : « القرن مُدَّة أغلب أعمار الناس »[10].

ودليله : أن الأمم السالفة كان فيهم من يعيش أربعمائة عام وثلاثمائة عام وما فوق

---

(1) ينظر: أنوار التنـــزيل (١/ ٢٩٥) .

(2) ينظر: معاني القرآن للنحاس (٢/ ٤٠٠) ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٨/ ٣٢٥) وذكره بـــ قيل ، وزاد المسير لابن الجوزي (٣/ ٥) ، ومدارك التنزيل للنسفي (٣/٢) ، والبحر المحيط لأبي حيَّان (٤/ ٦٥) ، وروح المعاني للآلوسي (٧/ ٩٤) .

(3) ينظر : فتح الباري لابن حجر (٧/ ٥) . والمستآس : المستعاض ، والأوس : العطية والعوض . ينظر : اللسان (أوس) .

(4) أورده ابن الجوزي عنه في زاد المسير (٣/ ٥) ورفعه للنبي صلى الله عليه وسلم . وحكاه أبوحيان في البحر المحيط (٦٥/٤) عن الزهراوي ، عن النبي ﷺ .

(5) ينظر: لسان العرب ، وتاج العروس ، مادة (قرن) .

(6) منهم : السمعاني في تفسير القرآن (٢/ ٨٨) ، والبغوي في معالم التنزيل (٢/ ١٢٨) ، وأبوحيان في البحر المحيط (٤/ ٦٥) . وينظر: النهاية لابن الأثير (٤/ ٥١) .

(7) ينظر: لسان العرب ، وتاج العروس ، مادة (قرن) .

(8) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٤/٣) ، والآلوسي في روح المعاني (٩٤/٧) .وينظر: النهاية لابن الأثير (٥/٤) . قال السيد محمد رشيد رضا في تفسيره (٧/ ٢٦٣) : والمعقول أنه مقدار متوسط أعمار الناس في كل زمان .

(9) ينظر : البحر المحيط (٤/ ٦٥) .

(10) أنوار التنـــزيل (١/ ٢٩٥) .

ذلك وما دونه ، وهكذا الاختلاف في هذه الآية[1] .

ولذا قال ابن حجر : « مدّة القرن تختلف باختلاف أعمار أهل كل زمان »[2] .

ويشهد له الواقع التفسيري لحديث : (خيركم قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم)[3] .

ووجه ذلك : أن الذي بين البعثة وآخر من مات من الصحابة مئة سنة وعشرون سنة ، أو دونها أو فوقها بقليل على الاختلاف في وفاة أبي الطفيل[4]. وإن اعتبر ذلك من بعد وفاته صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، فيكون مئة سنة أو تسعين أو سبعًا وتسعين ، فهذا قرن الصحابة . وأما قرن التابعين فإن اعتبر من سنة مئة كان نحو سبعين أو ثمانين . وأما الذين بعدهم فإن اعتبر منها كان نحوًا من خمسين[5].

وأما القول الآخر في تفسير القرن : فهو أنه أهل زمن مخصوص [6] .

فالقرن هو : الجيل أو الجماعة من الناس ، أو الأمة من الأمم ، أو الأمة البائدة ، أو الأمة المقترنة في مدة من الزمان ، أو القوم المجتمعون ، أو أهل عصر من الأعصار[7].

وخصَّص بعضهم هذا الزّمن بأن يكون فيه نَبِيٌّ ، أو طبقة من العلماء[8] . و لم يشترطه البعض ، وهو الصواب[9].

---

(1) المصدر السابق .

(2) فتح الباري (٧/ ٦) .

(3) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٣٦٥٠) و(٣٦٥١) و (٦٤٢٨) ، ومسلم في صحيحه برقم (٢٥٣٥)، وغيرهما من حديث عمران بن حُصَين. وبعضهم يذكر قرنين، وبعضهم يذكر ثلاثة قرون، وبعضهم يذكر أربعة.

(4) قال الحافظ في التقريب (٤٧٨) : عُمِّرَ إلى أن مات سنة عشر ومائة على الصحيح ، وهو آخر من مات من الصحابة، قاله مسلم وغيره . اهـ . وينظر: فتح الباري (٧/ ٥) .

(5) ينظر: فتح الباري (٧/ ٦) .

(6) ينظر: تاج العروس (٩/ ٣٠٥) .

(7) ينظر: معاني القرآن للنحاس (٢/ ٤٠٠) ، زاد المسير (٣/ ٥) ، فتح القدير (١٤٢/٢) ، فتح البيان للقنوجي (١٠٣،١٠٤/٤) ، والتحرير والتنوير (١٣٧/٧).

(8) ذكره الزجاج في معاني القرآن (٢/ ٢٥١) . وينظر: أنوار التنزيل للبيضاوي (٢٩٥/١) ، وحاشية الشهاب عليه (٤/ ٢١).

(9) ينظر: تفسير القرآن للسمعاني (٢/ ٨٨) .

وقال بهذا القول في تفسير القرن أبو مالك[1] .

ورجّحه ابن جرير الطبري، والزجّاج، والنحاس، والواحدي، والسمعاني، والزمخشري، والقرطبي، وابن كثير، وابن حجر، والشوكاني، والقاسمي، والسيد محمد رشيد رضا[2] .

قال السيد رضا : « وهذا أقرب إلى استعمال القرآن ، فالظاهر أن قوم نوح قرن وإن امتد زمنه فيهم زهاء ألف سنة ، وقوم عاد قرن ، وقوم صالح قرن ».اهـ.

وهذا القول هو الراجح في تفسير القرن في الآية الكريمة، ويدلّ على رجحانه ما يلي :

١- حديث : (خيركم قرني) . وقد مَرَّ آنفًا مع بيان واقعه التفسيري .

٢- وكثرة الاستعمال القرآني للقرن بهذا المعنى مفردًا وجمعًا[3]. ففي سورة الفرقان بعد أن ذكر الله قوم فرعون وقوم نوح وعادًا وثمود وأصحاب الرس قال عز وجل : ﴿ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴾ [الفرقان: ٣٨] أي: أممًا وأقوامًا وأجيالاً .

٣- ويدلُّ له الاشتقاق اللغوي للقرن ؛ فإنه مأخوذ من الاقتران ، وهو الاجتماع .

قال الراغب : « الاقتران كالازدواج في كونه اجتماع شيئين ، أو أشياء في معنًى من المعاني ، قال تعالى : ﴿ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴾ [الزخرف: ٥٣]. يقال : قرنت البعير بالبعير : جمعت بينهما ، ويسمّى الحَبْلُ الذي يُشَدُّ به قرنًا ... والقرن : القوم المقترنون في زمن واحد ، وجمعه قرون »[4] .

وقال القرطبي : « مأخوذ من الاقتران ، أي : عَالَمٌ مُقْتَرِنٌ بعضُهم إلى بعض ، وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (خير الناس قرني ـــ يعني أصحابي ـــ ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم) . وقال الشاعر :

---

(1) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٢٦٣) برقم (٧١٠٩) من طريق أسباط ، عن السدي ، عنه .

(2) ينظر: جامع البيان (٩/ ١٥٦) ، ومعاني القرآن (٢/ ٢٥١) ، ومعاني القرآن (٢/ ٤٠٠) ، والوجيز (٣٤٥/١) والوسيط (٢/ ٢٥٣) ، وتفسير القرآن (٢/ ٨٨) ، والكشاف (٢/ ٣٢٤) ، والجامع لأحكام القرآن (٣٢٤/٨) ، وتفسير القرآن العظيم (٦/ ١٠) ، وفتح الباري (٧/ ٥) ، وفتح القدير (٢/ ١٤٢) ، ومحاسن التأويل (٦/ ٢٢٤٥) ، وتفسير القرآن الحكيم ، المشهور بالمنار (٧/ ٢٦٣) .

(3) ينظر: تفسير القرآن الحكيم (٧/ ٢٦٣) . وينظر للوقوف على جملة من الآيات بهذا المعنى : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم للأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي ص (٥٤٣) .

(4) مفردات ألفاظ القرآن (٦٦٧) مادة (قرن) .

إذا ذهبَ القرنُ الذي كنتَ فيهُم وخُلّفْتَ في قَرْنٍ فأنت غريبُ

فالقرن : كُلُّ عَالَمٍ في عصره »[1] .

٤- ومما يرجّحه كذلك : عدم احتياجه إلى تقدير ، والله أعلم .

وأما التفسير الأول للقرن فهو مرجوح ؛ لما يلي :

- لأنه ليس له ضابط يضبطه ، فكثر الاختلاف فيه .

- ولأنه يحتاج إلى تقدير ، وما لا يحتاج إلى تقدير أَولى مما احتاج إلى تقدير.

وبعد، فإذا كان ذلك كذلك فإن ما رجَّحه ابن جُزَيّ في تفسير القرن ليس بصواب بل هو قول مرجوح من جهتين :

الأولى : أنه اندرج في القول المرجوح في تفسير القرن .

والأخرى : أنه ليس هو الأَوْلَى في نفس القول المندرج فيه ، والله تعالى أعلم .

---

(1) الجامع لأحكام القرآن (٨/ ٣٢٤) . والشاعر هو: أبو محمد التيْمي ، عبد الله بن أيوب ، من شعراء الدولة العباسية كما في الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني (٢٠/ ٥٤) ، وفي الحماسة البصرية (٢/ ٤٧) نسب له أو للحسن بن عمرو الإباضي ، ونسبه ابن قتيبة في عيون الأخبار (٢/ ٣٤٧) للحجاج بن يوسف التيمي وهو فيه: إذا ما انقضى القَرْنُ الذي أنت منهم ... والبيت في الصحاح للجوهري (٦/ ٢١٨٠) غير منسوب .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ مَلَكٞۖ وَلَوۡ أَنزَلۡنَا مَلَكٗا لَّقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ٨ ﴾

٤- المراد بالأمر المقضيّ في قوله تعالى : ﴿ وَلَوۡ أَنزَلۡنَا مَلَكٗا لَّقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ﴾ .

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « قال ابن عباس : المعنى : لو أنزلنا ملكًا فكفروا بعد ذلك لعجِّل لهم العذاب . ففي الكلام على هذا حذف ، وقضي الأمر على هذا : تعجيلُ أخذهم . وقيل : المعنى : لو أنزلنا ملكًا لماتوا من هَوْلِ رؤيته . فقضي الأمر على هذا : موتهم »[1].

العرض والمناقشة :

رجَّح ابن جُزَيّ أن المراد بالأمر المقضيّ هنا هو: تعجيل أخذهم ، وحكاه عن ابن عباس[2]، وقال به قتادة[3] ، والحسن[4]، والسدي[5].

ووافق جماعة من المفسِّرين منهم : الطبري، وابن أبي زَمَنِين، والبغوي، والبيضاوي، وابن القيم، وابن كثير، والسيوطي، والشوكاني، والقنوجي، والقاسمي، والسعدي، والطاهر ابن عاشور، والشنقيطي[6] .

ويشهد له أن الملائكة لا تنزل إلاّ بوحْي أو عذاب ، ويدلّ على ذلك قوله تعالى :

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٤) .

(2) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٢٦٥) (٧١٢٣) من طريق بشر بن عمارة، عن أبي رَوْق، عن الضحاك، عنه بلفظ : لأهلكناهم .

(3) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢٠٤) عن معمر ، عنه . ومن طريقه الطبري في جامع البيان (٩/ ١٦١) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٢٦٥) (٧١٢٥) . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٢٥١) نسبته لعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وأبي الشيخ .

(4) نسبه له الماوردي في النكت والعيون (٢/ ٩٥) ، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٨/ ٣٢٧).

(5) أخرجه الطبري (٩/ ١٦٠) من طريق أحمد بن المفضّل ، عن أسباط ، عنه . وعلّقه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٤/١٢٦٥) .

(6) ينظر: جامع البيان (٩/ ١٦٠)، وتفسير القرآن العزيز (٢/ ٦٠)، ومعالم التنـــزيل (٢/ ٩) ونسبه لقتادة، وأنوار التنـــزيل (١/ ٢٩٥)، وبدائع التفسير (٢/ ١٤١)، وتفسير القرآن العظيم (٦/ ١١ – ١٢)، وتفسير الجلالين(الفتوحات ١/ ٣٣٨)، وفتح القدير (٢/ ١٤٣)، وفتح البيان (٤/ ١٠٧)، ومحاسن التأويل (٦/٢٢٤٧)، وتيسير الكريم الرحمن (٢/ ٨) ، والتحرير والتنوير (٧/ ١٤٣) ، وأضواء البيان (٢/ ١٨٤).

﴿ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓاْ إِذًا مُّنظَرِينَ ﴾ [الحجر: ٨] . والحق ها هنا هو العذاب[١].

ويؤيده كذلك قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾ [الفرقان: ٢٢] .

وأما القول الثاني – وهو أن المراد بالأمر المقضي في الآية هو موتُهم – فَرُويَ أيضًا عن ابن عباس[٢]، وقال به الضحاك[٣].

ورجّحه ابن عطية، والنسفي، والثعالبي، وأبوالسعود، والآلوسي[٤] .

ويشهد له قوله تعالى بعد ذلك : ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا ﴾ [الأنعام: ٩] .

ووجه الاستشهاد : أن أهل التأويل مجمعون على أن ذلك لأنهم لم يكونوا يطيقون رؤية الملك في صورته[٥] .

ويؤيد هذا المعنى : الحديثُ الواردُ عن الرجلين اللذين صعدا على الجبل يومَ بَدْرٍ ليريا ما يكون في حَرْب النبيّ صلى الله عليه وسلم للمشركين ، فسمعا حسَّ الملائكة وقائلا يقول في السحاب : أقدم حَيْزُوم[٦]، فانكشف قناعُ قلب أحدهما فمات لهول ذلك . فكيف برؤية مَلَكٍ في خلقته![٧]

---

(1) ينظر: بدائع التفسير لابن القيم (٢/ ١٤١) ، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦/ ١٢)، وأضواء البيان للشنقيطي (٢/ ١٨٤) .

(2) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩/ ١٦١) من طريق بشر بن عمارة ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عنه بلفظ: لماتوا . وينظر: تفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١٢٦٥) (٧١٢٢) .

(3) نسبه له البغوي في معالم التنـــزيل (٢/ ٩) .

(4) ينظر: المحرر الوجيز (٥/ ١٣٢) ، ومدارك التنـــزيل (٢/ ٤) ، والجواهر الحسان (١/ ٤٦٩) ، وإرشاد العقل السليم (٢/ ١٢٦) ، وروح المعاني (٧/ ٩٧).

(5) ينظر: المحرر الوجيز (٥/ ١٣٢) ، و البحر المحيط (٤/ ٧٨) ، والجواهر الحسان (١/ ٤٦٩).

(6) حَيْزومُ : ورد في الحديث أنه فرس جبريل عليه السلام . وقال الجوهري : اسم فرس من خيل الملائكة . ينظر: اللسان (حزم) ، الصحاح (حزم) .

(7) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز (٥/ ١٣٢) ، والثعالبي في الجواهر الحسان (١/ ٤٦٩) بهذا اللفظ . وأخرجه الواقدي في المغازي (٨٤/١) ، وابن هشام في السيرة النبوية (١٨١/٣) ، وابن جرير الطبري في جامع البيان (٢٢/٦)، والبيهقي في الدلائل (٥٢/٣) بنحوه . وأخرجه سعيد بن منصور في سننه (٣٥٩/٢) برقم (٢٨٦٠) دون آخره . وأخرجه عبد بن حميد ـــ كما في المنتخب (٤١/١) ، ومسلم في صحيحه (١٣٨٤/٣) برقم (١٧٦٣) ، وابن حبان (الإحسان ١١٥/١١) برقم (٤٧٩٣) من طريق أبي زميل ، عن ابن عباس دون آخره .

ويَرِد على هذا القول قولُه تعالى في آخر الآية نفسها : ﴿ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴾ ؛ لأنه يدل على إهلاكهم لا على هلاكهم برؤية الملك إلاّ بتكلّف[1].

كما أنه لا يلزم من رؤيتهم للملك أن يموتوا .

قال الطاهر بن عاشور : « وليس بلازم ؛ لأنهم لم يسألوا ذلك ، ولا يتوقف تحقق مَلَكيته عندهم على رؤية صورة خارقة للعادة بل يكفي أن يروه نازلا من السماء – مثلا – حتى يصاحب النبي صلى الله عليه وسلم حين يدعوهم إلى الإسلام كما يدل عليه قوله الآتي: ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا ﴾ »[2].اهـ.

وبعد، فإذا كان ذلك كذلك فإن ما ذهب إليه ابن جُزَيّ هو الراجح ؛

– لجَرَيان عادة الله وسنته فيمن طلب الآيات المقترحة فلم يؤمن بها أن يعجّل لهم العذاب[3].

– ولأنه حكم بأن الملائكة لا تنزل عليهم إلاّ بذلك كما بيّنه بقوله : ﴿ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾ ، وقوله : ﴿ يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾ ، والله تعالى أعلم .

---

(1) ينظر: محاسن التأويل للقاسمي (٦/ ٢٢٤٩) .

(2) التحرير والتنوير (٧/ ١٤٤) .

(3) ينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٨/ ٣٢٧) ، وفتح البيان (٤/ ١٠٧) ، وتيسير الكريم الرحمان (٢/ ٨).

قَالَ تَعَالَى:

﴿ قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُل لِّلَّهِۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٢﴾ ﴾

في هذه الآية الكريمة ثلاث مسائل :

المسألة الأولى هي :

٥- الخلاف في المحلّ الإعرابي لقوله تعالى :﴿ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ ﴾

هل هي جملة مستأنفة ؟ أم جملة تفسيرية للرحمة ؟

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « ﴿ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ ﴾: مقطوعٌ مما قبله ، وهو جوابٌ لقسمٍ محذوف . وقيل : هو تفسير الرحمة المذكورة ، تقديره : أن يجمعكم . وهذا ضعيف ؛ لدخول النون الثقيلة في غير موضعها ، فإنها لا تدخل إلاّ في القسم أو في غير الواجب »[1] .

العرض والمناقشة :

حكى ابن جُزَيّ خلاف المفسرين في الموقع الإعرابي لجملة ﴿ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ ﴾ على قولين اثنين ، ورجّح أنها استئنافية . وعليه تكون ﴿ ٱلرَّحۡمَةَ ﴾ غاية كلام ، ثم استأنف بعدها فقال : ﴿ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ ﴾ فالجملة استئنافية ، واللام لام القسم ، والنون نون التأكيد، ومعناه : والله ليجمعنكم . وعليه ابن جرير الطبري، والبغوي، والسمعاني، وابن عطية، والقرطبي، وابن الجوزي، والبيضاوي، وأبوحيّان، والثعالبي ، وأبوالسعود، والقاسمي، والشوكاني[2] . ومن المعربين : ابن هشام، والدرويش[3] . وجوّزه الفرّاء، والنحّاس[4] .

---

(1) التسهيل (٢/ ٤) .

(2) ينظر: جامع البيان (٩/ ١٧٢)، ومعالم التنزيل (٢/ ١١)، وتفسير القرآن (٢/ ٩١)، والمحرر الوجيز (١٣٧/٥، ١٣٩)، والجامع لأحكام القرآن (٨/ ٣٣٠)، وزاد المسير (٣/ ٩)، وأنوار التنـــزيل (١/ ٢٩٦)، والبحر المحيط (٤/ ٨٢)، والجواهر الحسان (١/ ٤٧٠)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ١٢٩)، ومحاسن التأويل (٦/ ٢٢٥٥)، وفتح القدير (٢/ ١٤٦).

(3) ينظر: المغني (٢/ ٤٠٧)، وإعراب القرآن وبيانه (٣/ ٧٥).

(4) ينظر: معاني القرآن (١/ ٣٢٨)، ومعاني القرآن الكريم (٢/ ٤٠٤).

ويدلُّ له : أن قوله ﴿ كَتَبَ ﴾ لا يتعدّى إلى اثنين ، وقد عمل في ﴿ ٱلرَّحْمَةَ ﴾ فغير جائز أن يعمل في ﴿ لَيَجْمَعَنَّكُمْ ﴾ [1] .

وضعّف ابن جُزَيّ القول بأن جملة ﴿ لَيَجْمَعَنَّكُمْ ﴾ تفسيرية لقوله ﴿ ٱلرَّحْمَةَ ﴾ بأن نون التوكيد الثقيلة دخلت في غير موضعها ، فإنها لا تدخل إلاّ في القسم أو في غير الواجب[2].

وجوّزه الفراء، والنحّاس[3].

وذكر هذا القول ابن جرير الطبري، والزجّاج، والعكبري، وأبوحيّان، والآلوسي، والقاسمي[4].

وذكره القرطبي، والبيضاوي، والشوكاني بصيغة (قيل) [5] .

واستُدِلَّ له بقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ ﴾ [يوسف: ٣٥] .

والمعنى : أن يسجنوه .

ورُدَّ هذا بأن النون الثقيلة تكون قد دخلت في غير موضعها . ولو قيل : صورة الجملة صورة المقسم عليه فلذلك لحقت النون ، وإن كان المعنى على خلاف القسم ، لكان جوابه المبطل له : أن الجملة المقسم عليها لا موضع لها وحدها من الإعراب . فإذا قلت : والله لأضربنّ زيدًا ، فلأضربنه ، لا موضع له من الإعراب . فإذا قلت : زيد والله لأضربنّه ، كانت جملة القسم والمقسم عليه في موضع رفع[6].

---

(1) ينظر: جامع البيان (٩/ ١٧٢).

(2) تابع في ذلك ابن عطية . ينظر: المحرر الوجيز (٥/ ١٣٨) . وعلّق أبو حيّان على كلام ابن عطية هذا فقال : وهذا الذي ذكره لا يحصر مواضع دخول نون التوكيد ، ألا ترى دخولها في الشرط ... وكذلك قوله : (وباختصاص من الواجب في القسم) ليس على إطلاقه ، بل له شروط ذكرت في علم النحو . ينظر: البحر المحيط (٤/ ٨٢) .

(3) ينظر: معاني القرآن (١/ ٣٢٨)، ومعاني القرآن الكريم (٢/ ٤٠٤) .

(4) ينظر: جامع البيان (٩/ ١٧١)، ومعاني القرآن (٢/ ٢٥٥)، والتبيان (١/ ٤٨٣)، والبحر المحيط (٤/ ٨٢)، وروح المعاني (٣/ ١٠٥)، ومحاسن التأويل (٦/ ٢٢٥٥) .

(5) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (٨/ ٣٣٠)، وأنوار التنـــزيل (٢/ ٢٩٦)، وفتح القدير (٢/ ١٤٦).

(6) ينظر: المحرر الوجيز (٥/ ١٣٨) ، والبحر المحيط (٤/ ٨٢) .

كما استُدِلَّ له بقوله تعالى : ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ﴾ [الأنعام: ٥٤] بفتح "أنَّ" على أنها تفسير للرحمة .

وأجيب عن هذه الآية بأن "أنَّ" بيانٌ عن ﴿ ٱلرَّحْمَةَ ﴾ وترجمة عنها ؛ لأن معنى الكلام: كتب على نفسه الرحمة أن يرحم من تاب من عباده بعد اقتراف السوء بجهالة ويعفو، و ﴿ ٱلرَّحْمَةَ ﴾ يترجم عنها ويبين معناها بصفتها ، وليس من صفة الرحمة ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ ، فيكون مبينًا به عنها[1] .

وبعد، فإذا تقرر ذلك فإن ما ذهب إليه ابن جُزَيّ هو الراجح ، والله تعالى أعلم .

---

(1) ينظر: جامع البيان للطبري (٩/ ١٧٢ – ١٧٣) .

المسألة الثانية هي :

٦- معنى ﴿إِلَىٰ﴾ في قوله تعالى : ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾.

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « قيل : هنا ﴿إِلَىٰ﴾ بمعنى (في) ، وهو ضعيف . والصحيح أنها للغاية على بابها »[1].

العرض والمناقشة :

رجّح ابن جُزَيّ أن ﴿إِلَىٰ﴾ في الآية الكريمة بمعنى الغاية ، أي : ليجمعنكم منتهين إلى ذلك اليوم . وذهب إليه ابن جرير الطبري، والواحدي، وابن عطية، وأبوحيّان، وابن كثير، والسمين الحلبي، وأبوالسعود، وسليمان الجمل، والسيد محمد رشيد رضا، والطاهر بن عاشور، ومحي الدين الدرويش[2] .

ويدل لهذا القول أن إفادة ﴿إِلَىٰ﴾ معنى الغاية هو الأصل ، فإبقاؤها على معناها الأصلي أَوْلى ، وهذا المعنى هو أكثر استعمالاها[3] . كما أن العدول بها إلى معنى الظرفية خلاف الظاهر . ويشهد لهذا النظائر القرآنية ؛

كقوله تعالى : ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾[النساء: ٨٧].

وقوله : ﴿قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ﴾ [الجاثية: ٢٦].

وقوله : ﴿قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ﴿٥٠﴾﴾ [الواقعة].

والجمع بمعنى الحشر ، ويتعديان بـــ إلى ، يقال : جمعهم إليه وحشرهم إليه ، وجمع الناس إلى يوم القيامة معناه : حشرهم إلى موقفه أو حسابه[4] . وقد يُضمّن الجمع معنى

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٤) .

(2) ينظر: جامع البيان (١٧٣/٩) ، والوجيز (٣٤٦/١)، والمحرر الوجيز (١٣٩/٥)، والبحر المحيط (٨٢/٤) ، وتفسير القرآن العظيم (٦/ ١٤)، والدر المصون (٤/ ٥٥٠)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ١٢٩) ، والفتوحات الإلهية (٢/ ٣٤٢)، وتفسير القرآن الحكيم (٧/ ٢٨١) ، والتحرير والتنوير (١٥٣/٧) ، وإعراب القرآن الكريم وبيانه (٣/ ٧٦).

(3) ينظر: النحو الوافي لعباس حسن (٢/ ٤٣٣).

(4) ينظر: تفسير القرآن الحكيم للسيد رضا (٧/ ٢٨١).

السَّوْق فيعدّى بـــ إلى[1].

ويشارك ﴿ إِلَىٰ ﴾ في هذا المعنى – أي : إفادتها معنى الغاية – اللام[2]، ولذا فقد ورد الاستعمال القرآني لـــ اللام بهذا المعنى المشارك لـــ إلى في :

قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ﴾ [آل عمران: ٩].

وقوله تعالى :﴿ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ﴾ [آل عمران: ٢٥].

وقوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ ﴾ [هود: ١٠٣].

وقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ ﴾ [التغابن: ٩].

وأما القول بأن﴿ إِلَىٰ ﴾ هنا بمعنى "في" فهو قولٌ ضعيفٌ ، ضعّفه ابن جُزَيّ ، واستبعده أبوحيّان، وضعّفه السيد رشيد رضا[3] . وذكره القرطبي ، والســـمين ، وأبوالسعود بصيغة (قيل)[4].

واختاره البغوي، والبيضاوي[5]. ومال إليه الآلوسي[6].

وذهب القائلون بأن "إلى" بمعنى "في" إلى ما ذكره النحاة[7] .

ودليلُهم قول الشاعر:

فلا تَتْرُكَنّي بالوعيد كأنني إلى الناس مَطْلِيٌّ به القَارُ أَجْرَبُ[8]

قال ابن مالك : « ويمكن أن يكون منه ﴿ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ »[9] .

ومَنَعَه ابنُ هشام بأن "إلى" في البيت متعلقة بمحذوف ، أي : مطليّ بالقار مضافًا إلى الناس ، فحذف وقلب الكلام . ونقل عن ابن عصفور أنه على تضمين مطليّ معنى مُبَغَّض .

---

(1) ينظر: التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٧/ ١٥٣) .

(2) ينظر: النحو الوافي (٢/ ٤٣٣ ، ٤٣٧).

(3) ينظر: البحر المحيط (٤/ ٨٢)، وتفسير القرآن الحكيم (٧/ ٢٨١) .

(4) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (٨/ ٣٣٠) ، والدر المصون (٤/ ٥٥٠) ، وإرشاد العقل السليم (٢/ ١٢٩).

(5) ينظر: معالم التنـــزيل (٢/ ١١)، وأنوار التنـــزيل (١/ ٢٩٦) .

(6) ينظر: روح المعاني (٧/ ١٠٦).

(7) كما قرّره الشهاب في حاشيته على تفسير البيضاوي (٤/ ٢٩). وينظر: النحو الوافي لعباس حسن (٤٣٥/٢).

(8) ينظر: المصدر السابق ، وروح المعاني (٧/ ١٠٦).

(9) ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام (١/ ٨٩).

وقال ابن هشام : « ولو صَحَّ مجيءُ إِلَى بمعنى (في) لجاز " زيد إلى الكوفة" »[1].

بمعنى : فيها .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن ما ذهب إليه ابن جُزَيّ ومن وافقه هو الراجح ؛ لأن حملها على المعنى الغالب من استعمال القرآن أَولى من حملها على معنى مهمل لم يستعمله القرآن ولا في موضع واحد من المواضع التي ذكر فيها الجمع ويوم القيامة ، والله تعالى أعلم .

(1) ينظر: المصدر السابق .

٧- الخلاف في إعراب ﴿ٱلَّذِينَ﴾ من قوله تعالى :

﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : «﴿ٱلَّذِينَ﴾ مبتدأ وخبره : ﴿لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ ، ودخلت الفاء لما في الكلام [من][1] معنى الشرط . قاله الزجّاج ، وهو حَسَنٌ . وقال الزمخشري :﴿ٱلَّذِينَ﴾ نصب على الذمّ أو رفع بخبر ابتداء مضمر . وقيل : هو بدل من الضمير في ﴿لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ﴾، وهو ضعيف . وقيل : منادى ، وهو باطل »[2].

العرض والمناقشة :

حاصل ما ذكره ابن جُزَيّ في إعراب ﴿ٱلَّذِينَ﴾ خمسة أقوال ، رجَّح الأول منها وهو : أن ﴿ٱلَّذِينَ﴾ في موضع رَفْعٍ مبتدأ ، وجملة ﴿فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ خبره .

ونسبه للزجّاج[3] ، وهو كذلك ، وحسّنه متابعًا وموافقًا لابن عطية[4] .

ووافقهم النحّاس وقال : هو أجودها[5]، وتبعه القرطبي[6]. ووافقهم على ترجيحه مكيّ[7]، والعكبري[8]. وعليه الواحدي ، والثعالبي، والسيوطي[9] . ومال إليه الشوكاني[10]. وجوّزه الدرويش[11].

وصدّره الآلوسي، والطاهر بن عاشور[12] بصيغة (قيل) .

---

(1) وقع في المطبوع (في) وهو تصحيف ، والصواب ما أثبته كما في جميع نسخ الكتاب الخطية .

(2) التسهيل لعلوم التنـــزيل (٢/ ٤) .

(3) ينظر: معاني القرآن (٢/ ٢٣٢).

(4) ينظر: المحرر الوجيز (٥/ ١٤٠).

(5) ينظر: إعراب القرآن (٢/ ٥٨) .

(6) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (٨/ ٣٣١) .

(7) ينظر: مشكل إعراب القرآن (١/ ٢٤٦-٢٤٧) .

(8) ينظر: التبيان في إعراب القرآن (١/ ٤٨٣) وفيه تفصيل الإعراب كالتالي : (الذين) : مبتدأ ، (فهم) : مبتدأ ثان، (لا يؤمنون) خبره ، والمبتدأ الثاني وخبره [فهم لا يؤمنون] خبر المبتدأ الأول .

(9) ينظر: الوجيز (١/ ٣٤٦) ، والجواهر الحسان (١/ ٤٧٠)، وتفسير الجلالين (الفتوحات ٢/ ٣٤٢).

(10) ينظر: فتح القدير (٢/ ١٤٧) .

(11) ينظر: إعراب القرآن الكريم وبيانه (٣/ ٧٦).

(12) ينظر: روح المعاني (٧/ ١٠٦) ، والتحرير والتنوير (٧/ ١٥٤).

وأُشكِل عليه دخولُ الفاء في الخبر ، وجمهور النحاة لا يوافقون الزجّاج على ذلك .

ووجه دخول الفاء : أن المبتدأ تضمّن معنى الشرط ، وتقديره : مَنْ خسر نفسه فهو لا يؤمن [1]. وتقول : الذي يكرمني فله درهم[2].

فالفاء تتضمن معنى الشرط والجزاء على نحو قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّتِي يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَٱسْتَشْهِدُواْ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ ﴾ [النساء: ١٥] .

وأشرب الموصول معنى الشرط ليفيد شموله كلَّ من اتصف بمضمون الصلة ، ويفيد تعليق حصول مضمون جملة الخبر المنزّل منزلة جواب الشرط على حصول مضمون الصلة المنزّلة منزلة جملة الشرط ، فيفيد أن ذلك مستمر الارتباط والتعليل في جميع أزمنة المستقبل التي يتحقق فيها معنى الصلة[3].

فالفاء للدلالة على أن عدمَ إيمانهم وإصرارهم على الكفر مسبَّب عن خسرانهم[4].

وأما القول الثاني فهو قول الزمخشري ، أعرب ﴿ٱلَّذِينَ ﴾ بالنصب على الذمّ ، وقدّر العامل " أريد ".

والقول الثالث هو قول الزمخشري أيضًا ، أعربها بالرفع على الخبر لمبتدأ محذوف قدّره "أنتم".

وسوّى بينهما الزمخشري[5] ، وتبعه البيضاوي[6]. ورجّح الأول الدرويش[7] ، ورجّح الثاني النسفي وقال : « هو الوجه »[8]. واختاره الطاهر بن عاشور[9].

---

(1) ينظر: المحرر الوجيز لابن عطية (٥/ ١٤٠) ، والتبيان للعكبري (١/ ٤٨٣) ، والبحر المحيط لأبي حيّان (٤/ ٨٣)، وإرشاد العقل السليم لأبي السعود (٢/ ١٣٠) .

(2) ينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٨/ ٣٣١) ، وفتح القدير للشوكاني (٢/ ١٤٧) .

(3) ينظر: التحرير والتنوير للطاهر (٧/ ١٥٤) .

(4) ينظر: روح المعاني للآلوسي (٧/ ١٠٦).

(5) ينظر: الكشاف (٢/ ٣٢٨) .

(6) ينظر: أنوار التنـــزيل (١/ ٢٩٦) فإنه سوّى بين الأقوال الثلاثة الأولى لكنه قدّم قولي الزمخشري .

(7) ينظر: إعراب القرآن الكريم وبيانه (٣/ ٧٦).

(8) ينظر: مدارك التنـــزيل (٢/ ٥) .

(9) ينظر: التحرير والتنوير (٧/ ١٥٤) .

وذكرهما الآلوسي مصدَّرًا لهما بـــ (قيل)[1] .

ونسبهما أبوحيّان للزمخشري وقال: « تقديره ليس بجيّد ، إنما يقدر النحاة المنصوب على الذمّ بـــ أَذُمّ »[2] .

وقال الســـــمين : « وقدّره الزمخشري بـــ(أريد) ، وليس بظاهر »[3] .

وذكرهما أبوالسعود قائلاً : « في موضع النصب أو الرفع على الذم ، أي : أعني الذين ... الخ أو هم الذين ... الخ »[4] .

وأُورِدَ عليه أنه نعت مقطوع[5] ، والقطع في النعت ، والضمير لا ينعت !

وأجيب عنه : بأنه لا يلزم أن يكون كل نعت مقطوع يصح إتباعه نعتًا بل يكفي فيه معنى الوصف ، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا﴾ [الهمزة:١-٢]كيف قطع فيه ﴿ٱلَّذِى﴾ مع عدم صحة إتباعه نعتًا للنكرة ، فلا يَرِدُ أن القطع إنما يكون في النعت والضمير لا ينعت[6].

وأما القول الرابع فهو قول الأخفش[7]، أعرب ﴿ٱلَّذِينَ﴾ في موضع نصب على البدل من الكاف والميم في ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ . وهذا مذهب الكوفيين[8]، واختيار الطبري[9] .

وزعم المبرد أن هذا القول خطأ ؛ لأنه لا يبدل من المخاطَب [بالفتح] ولا المخاطِب [بالكسر] ، لا يقال : « مررت بك زيدٍ » ولا : « مررت بي زيدٍ » ؛ لأن هذا لا يشكل فَيُبَيَّن[10] .

---

(1) ينظر: روح المعاني (٧/ ١٠٦) .

(2) البحر المحيط (٤/ ٨٣) .

(3) الدر المصون (٤/ ٥٥١) .

(4) إرشاد العقل السليم (٢/ ١٣٠) .

(5) نعت مقطوع للذم إما مرفوع الموضع أو منصوبه . ينظر: حاشية الشهاب (٤/ ٣٠).

(6) ينظر: المصدر السابق ، وروح المعاني للآلوسي (٧/ ١٠٦).

(7) ينظر: معاني القرآن (٢/ ٢٦٩) .

(8) ينظر: البحر المحيط (٤/ ٨٣) .

(9) ينظر: جامع البيان (٩/ ١٧٣) .

(10) ينظر: إعراب القرآن للنحاس (٢/ ٥٨) ، والمحرر الوجيز لابن عطية (٥/ ١٣٩) .

وقال مكّي : « وهو بعيد ؛ لأن المخاطب لا يبدل منه غير مخاطب لا تقول : رأيتك زيدًا على البدل »[1] .

وقال العكبري : « ضمير المتكلم والمخاطب لا يبدل منهما؛ لوضوحهما غاية الوضوح، وغيرهما دونهما في ذلك »[2].

وقال سيبويه : « لا يجوز "مررت بي المسكين"، ولا "بك المسكين" فتجعل المسكين بدلاً من الياء والكاف ؛ لأنهما في غاية الوضوح فلا يحتاجان إلى البدل والتفسير »[3] .

وهذا مذهب جمهور البصريين[4] .

وقد ردّ ابن عطية على المبرد إنكاره فقال : « وقوله في الآية : ﴿لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ﴾ مخالف لهذا المثال ؛ لأن الفائدة في البدل مترقبة من الثاني ، وإذا قلت : (مررت بك زيد) فلا فائدة في الثاني . وقوله ﴿لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ﴾ يصلح لمخاطبة الناس كافة فيفيدنا ﴿ٱلَّذِينَ﴾ من الضمير أنهم هم المختصون بالخطاب هنا ، وخُصُّوا على جهة الوعيد ، ويتضح فيها الوعيد إذ جعلنا (اللام) للقسم وهو القول الصحيح ، ويجيء هذا بدل البعض من الكل »[5].اهـــ.

وبهذا يتضح الردُّ على الزجّاج في ردِّه على الأخفش بأن قوله : ﴿لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ﴾ مشتمل على سائر الخلق ، على الذين خسروا أنفسهم وغيرهم[6].

وتعقّبه أبوحيّان بأنه إذا جعلنا ﴿لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ﴾ يصلح لمخاطبة الناس كافة كان ﴿ٱلَّذِينَ﴾ بدل بعض من كل ، ويحتاج إذ ذاك إلى ضمير ويقدّر : " الذين خسروا أنفسهم منهم " . وعلى تقرير ابن عطية يقتضي أن يكون بدل كل من كل فتناقض ؛ لأنه من حيث الصلاحية يكون بدل بعض من كل ، ومن حيث اختصاص الخطاب بهم يكون

---

(1) مشكل إعراب القرآن (١/ ٢٤٧) .

(2) التبيان (١/ ٤٨٣) .

(3) ينظر: الكتاب لسبويه (٢/٧٥-٧٧) ، مدارك التنـــزيل للنسفي (٢/ ٥) ، مغني اللبيب لابن هشام (٢/٥٢٨) .

(4) ينظر: البحر المحيط لأبي حيان (٤/ ٨٣) .

(5) ينظر: المحرر الوجيز (٥/١٣٩).

(6) ينظر: معاني القرآن للزجاج (٢/ ٢٣٢) .

بدل كل من كل[1].

وبيّن الســـــمين بُعْدَه عن التناقض فقال : « بدل البعض من الكل من جملة المخصّصات كالتخصُّص بالصفة والغاية والشرط ، نصّ أهل العلم على ذلك ، فإذا تقرر هذا فالمبدل فيه بالنسبة إلى اللفظ في الظاهر عام ، وفي المعنى ليس المراد به إلاّ ما أراده المتكلم ، فإذا ورد : اقتلوا المشركين بني فلان – مثلاً – فالمشركون صالح لكل مشرك من حيث اللفظ ، ولكن المراد به بنو فلان ، فالعموم في اللفظ والخصوص في المعنى ، فكذا قول أبي محمد [ابن عطية]: يصلح لمخاطبة الناس ، معناه : أنه يعمهم لفظًا. وقوله: (فيفيدنا إبدال الضمير ...الخ) هذا هو المخصّص ، فلا يجيء تناقض أَلْبَتَّةَ ، وهذا مقرر في علم أصول الفقه »[2].اهـــ.

ويقول ابن جرير الطبري : « وموضع ﴿ٱلَّذِينَ﴾ نصب على الرد على الكاف والميم في قوله :﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ على وجه البيان عنها، وذلك أن الذين خسروا أنفسهم هم الذين خوطبوا بقوله : ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ »[3] .

وأما القول الخامس – وهو إعراب ﴿ٱلَّذِينَ﴾ منادى ، وحرف النداء مقدّر – فقد ذكره النحّاس، وابن عطية، والقرطبي، والشوكاني[4] جميعًا بصيغة (قيل) .

وأبطله ابن جُزَيّ ، وأفسده ابن عطية بأن حرف النداء لا يسقط مع المبهمات[5] . والاسم الموصول اسم مبهم .

وبعد، فإذا تقرر هذا وكان ذلك كذلك فإن الأعاريب الثلاثة الأُولى صحيحة مقبولة، والرابع هو مذهب الكوفيين ولا يقبله البصريون ، وأما الأخير فهو كما حكم عليه ابن جُزَيّ وابن عطية ، والله تعالى أعلم .

---

(1) ينظر: البحر المحيط (٤/ ٨٣) .

(2) ينظر: الدر المصون (٤/ ٥٥٢).

(3) جامع البيان (٩/ ١٧٣ ــ ١٧٤).

(4)ينظر: إعراب القرآن (٢/ ٥٨)، والمحرر الوجيز (٥/ ١٣٩)، والجامع لأحكام القرآن (٨/ ٣٣١)، وفتح القدير (١٤٧/٢) .

(5) ينظر : المحرر الوجيز (١٣٩/٥) .

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣﴾ ﴾

٨- الخلاف في اشتقاق كلمة ﴿ سَكَنَ ﴾ ومعناها.

قال ابن جُزَيّ رحمه الله : « ومعنى :﴿ سَكَنَ ﴾ حَلَّ ، فهو من السكنى . وقيل : هو من السكون . وهو ضعيف ؛ لأن الأشياء منها ساكنة ومتحركة فلا يَعُمّ ، والمقصود عموم ملكه تعالى لكل شيء »[1].

العرض والمناقشة :

رجّح ابن جُزَيّ أن معنى ﴿ سَكَنَ ﴾ : حَلَّ ، واشتقاقها من السُّكْنَى . وهذا قول ابن الأعرابي[2] . ووافق الواحدي، والزمخشريّ، والسيوطي[3] . وقدّمَه أبوحيّان[4].

وجعله الراغب من الاستيطان[5].

ونظيره قوله تعالى : ﴿ وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ﴾ [إبراهيم: ٤٥] بدليل تعديته بـــ في[6].

ووافق ابنُ جُزَيّ في الاشتقاق ما ذهب إليه ابن عطية ، وخالفه في المعنى[7] . فإن ابن عطية يرى أن ﴿ سَكَنَ ﴾ من السُكْنَى بمعنى : ثبت وتقرر ، ونسبه للسدّي وسيأتي .

وأما القول بأن اشتقاق ﴿ سَكَنَ ﴾ من السكون ، الذي هو ضدُّ الحركة ، فهو اختيار ابن جرير الطبري حيث قال : لا شيء من خلق الله إلاّ وهو ساكن في الليل والنهار[8].

---

(1) التسهيل لعلوم التنـــزيل (٤/٢) .

(2) ينظر: زاد المسير (٣/ ١٠) ، واللسان (١٣/ ٢١١) مادة (سكن) .

(3) ينظر: الوجيز (١/ ١٤١) ، والكشاف (٢/ ٣٢٨) وفيه ذكر الاشتقاق من السكْنى فقط، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٢/ ٣٤٢) .

(4) ينظر: البحر المحيط (٤/ ٨٣) .

(5) ينظر: المفردات (٤١٧) مادة (سكن).

(6) ينظر: الكشاف للزمخشري (٢/ ٣٢٨) ، وأنوار التنـــزيل للبيضاوي (١/ ٢٩٦) ، والبحر المحيط لأبي حيّان (٤/ ٨٣).

(7) ينظر: المحرر الوجيز (٥/ ١٤١) . وتبعه الثعالبي في الجواهر الحسان (١/ ٤٧٠) .

(8) جامع البيان (٩/ ١٧٤).

وبناه على قول السدّي في تفسير ﴿ سَكَنَ ﴾ بأنه ما استقرّ في الليل والنهار[1]، وفهم منه أن ﴿ سَكَنَ ﴾ من السكون كما هو ظاهر كلامه.

وهذا قول مقاتل[2]. واختاره الزجاج، والنحّاس، والماوردي، والسمعاني، والبغوي، ومحمود النيسابوري، والشوكاني ، والطاهر بن عاشور[3].

قال الطاهر : « وهو من أسباب الاختفاء ؛ لأن المختفي يسكن ولا ينتشر ، والأحسن عندي : أن يكون هنا كنايةً عن الخفاء مع إرادة المعنى الصريح . ووجه كونه كناية : أن الكلام مسوق للتذكير بعلم الله تعالى وأنه لا يخفى عليه شيء من أعمالكم ومحاسبكم عليها يوم يجمعكم إلى يوم القيامة ، فهو كقوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ ــ إلى أن قال : ــ وَمَنۡ هُوَ مُسۡتَخۡفِۭ بِٱلَّيۡلِ ﴾ [الرعد: ٨ - ١٠] . فالذي سكن بالليل والنهار بعضُ ما في السماوات والأرض ».اهـــ.

و ضعّف ابن جُزَيّ هذا القول وأعلّه بأن الأشياء منها ساكن ومنها متحرك ، ومقصد الآية الكريمة بيان عموم ملك الله عزَّ وجَلّ لكل شيء ، وحملها على هذا المعنى ينافي العموم[4].

وأجيب بأن المراد ما سكن وما تحرّك فحذف لعلم السامع[5]؛ كقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ ﴾ [النحل: ٨١] أي : والبرد .

وقيل : إن ما يَعُمُّه السكون أكثر مما تَعُمُّه الحركة ، لذا خُصَّ الساكن بالذكر[6].

ويدلّ لهذا القول اللغة ، فإن السكون ثبوت الشيء بعد تحرك. يقال : سكن الشيء

---

(1) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩/ ١٧٤) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٢٦٩) برقم (٧١٤٦) كلاهما من طريق أحمد بن مفضل ، عن أسباط عنه . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٢٥٥) نسبته إلى أبي الشيخ.

(2) ينظر: تفسير مقاتل (١/ ٥٥٢) .

(3) ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٣٢) وعبارته : استقر، ومعاني القرآن الكريم (٢/ ٤٠٥) وعبارته : ثبت، والنكت والعيون (٢/ ٩٧)، وتفسير القرآن (٩١/٢)، ومعالم التنزيل (٢/ ١١)، وإيجاز البيان (١/ ٢٣٨)، وفتح القدير (١٤٧/٢)، والتحرير والتنوير (٧/ ١٥٥).

(4) تابع ابنُ جُزَيّ في هذا ابن عطية . ينظر: المحرر الوجيز (٥/ ١٤١).

(5) ينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٨/ ٣٣٢).

(6) ينظر: النكت والعيون للماوردي (٢/ ٩٧) ، والمصدر السابق .

يسكن سكونًا : إذا ذهبت حركته . وسكن : هدأ بعد تحرك. وسكن سكونًا : قَرَّ[1].

ومنه بهذا المعنى قوله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ﴾ [يونس: ٦٧] .ولذا جعل الله الليل سكنًا كما قال: ﴿ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا ﴾[2] [الأنعام: ٩٦] .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن أظهر القولين هو القول بأن اشتقاق ﴿ سَكَنَ ﴾ من السكون، خلاف الحركة ، بمعنى : الثبات والقرار والاستقرار ؛ لأن المعنى : وله ما هدأ وثبت واستقرّ، سواء كان ذلك السكون ابتداءً أم كان بعد تَحرُّكٍ ، وبهذا المعنى يكون العموم ، والله تعالى أعلم .

ولا ينافي هذا استعمال ﴿ سَكَنَ ﴾ في الحلول والاستيطان كما في قوله تعالى: ﴿ وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ﴾ [إبراهيم: ٤٥] لكن ليس هو المعنى المراد في قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾، والعلم عند الله .

وسوّى جماعة من المفسرين بين القولين مع تقديم الأول[3].

وذهب المبرِّد إلى أن معنى ﴿ سَكَنَ ﴾ في الآية المراد به : الخَلْق[4]. واختاره القرطبي وقال: « فهو عام في جميع المخلوقات متحركها وساكنها، فإنه يجري عليه الليل والنهار . وعلى هذا فليس المراد بالسكون ضدّ الحركة ، بل المراد الخَلْق ، وهذا أحسن ما قيل فيه ؛ لأنه يجمع شتات الأقوال »[5] . وعليه السعدي [6] .

ولا يخفى أنه خلاف ظاهر القرآن ، ولا تساعده اللغة ، والله تعالى أعلم .

---

(1) ينظر: المفردات للراغب (٤١٧)، واللسان لابن منظور (١٣ / ٢١٣) ، والقاموس المحيط للفيروز أبادي (١٥٥٦) مادة (سكن) .

(2) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (٣٥٣).

(3) ينظر: أنوار التنزيل للبيضاوي (١/ ٢٩٦) ، ومدارك التنزيل للنسفي (٥/٢) ، وإرشاد العقل السليم لأبي السعود (٢/ ١٣٠) ، ومحاسن التأويل للقاسمي (٦/ ٢٢٥) ، وروح المعاني للآلوسي (٧/ ١٠٩) ، وتفسير القرآن الحكيم للسيد رضا (٧/ ٢٨٢).

(4) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (٨/ ٣٣٢) .

(5) المصدر السابق ، وينظر: اللسان (١٣/ ٢١٣) مادة (سكن) .

(6) ينظر: تيسير الكريم الرحمان (٢/ ١٠).

قَالَ تَعَالَى:

﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَىٰ قُل لَّا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ ﴾

٩- الخلاف في معنى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ بَلَغَ﴾.

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى: « وفاعل ﴿ بَلَغَ ﴾ ضمير القرآن، والمفعول محذوف يعود على مَنْ تقديره: ومن بلغه. والمعنى: أوحي إليّ هذا القرآن لأنذر به المخاطبين، وهم أهل مكة، وأنذر كُلَّ من بلغه القرآن من العرب والعجم إلى يوم القيامة. قال سعيد ابن جبير: من بلغه القرآن فكأنما رأى سيدنا محمدًا ﷺ. وقيل: المعنى: ومن بلغ الحُلُمَ. وهو بعيد »[1].

العرض والمناقشة:

رجّح ابن جُزَيّ أن قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ بَلَغَ ﴾ معناه: ومَنْ بلغه القرآنُ من العرب والعجم إلى يوم القيامة. ففاعل بَلَغَ ضميرٌ يعود على القرآن، والعايد محذوف – وهو المفعول – يعود على مَنْ. أي: ومَنْ بَلَغَهُ.

ووافق ما رُوي عن ابن عباس[2]، ومجاهد[3]، والسدّي[4]، وابن زيد[5]، ومحمد بن كعب القرظي[6]. وهذا قول مقاتل[7].

---

(1) التسهيل لعلوم التنـــزيل (٢/٥).

(2) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩/ ١٨٣)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٢٧١) برقم (٧١٦٣) من طريق علي بن أبي طلحة، عنه.

(3) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩/ ١٨٣، ١٨٤)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٢٧١) برقم (٧١٦٤).

(4) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩/ ١٨٤) من طريق أحمد بن مفضل، عن أسباط، عنه.

(5) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩/ ١٨٤) من طريق ابن وهب، عنه.

(6) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩/ ١٨٢)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٢٧١) برقم (٧١٦٥) ولفظه فيه: من بلغه القرآن فكأنما رأى النبي ﷺ. وفي لفظ: زيادة: وكلّمه. وما ذكره المؤلف (ابن جُزَيّ) رحمه الله عن سعيد بن جبير فقد أورده في تفسيره: الزمخشري (٢/ ٣٣١) وأبوحيّان (٤/ ٩١). والأشبه عندي – والله أعلم- أنه من قول محمد بن كعب القرظي.

(7) ينظر: تفسير مقاتل (١/ ٥٥٤).

واختاره الفراء، والطبري، والنحّاس، وابن أبي زمنين، والواحدي، والسمعاني، والبغوي، والكرماني، والزمخشري، وابن الجوزي ، والعكبري، والقرطبي، والبيضاوي، والنسفي، وابن القيم، وابن كثير، والسيوطي، وأبوالسعود، والشوكاني، والآلوسي، والقنوجي، والقاسمي، والسعدي، والطاهر، والشنقيطي[1].

وذكره الماوردي[2] ، وابن عطية[3] ونسبه للجمهور ، واستظهره أبوحيّان[4] ونسبه للجمهور. وذكره الثعالبي[5] ونسبه للجمهور . وذكره الجمل[6] .

وما ذهب إليه ابن جُزَيّ ورجّحه فهو قول جمهور المفسّرين ، واختاره الأكثرون وهو الصواب ؛ لشهادة القرآن والسنة له ؛

أما شهادة القرآن له ، فقد دلّ القرآن الكريم على عموم إنذاره لكل من بلغه كائنًا من كان[7] في مثل قوله تعالى : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وقوله : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ ﴾ [سبأ: ٢٨] .

وقوله : ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان: ١] .

---

(1) ينظر: : معاني القرآن (١/ ٣٢٩)، وجامع البيان (٩/ ١٨٢)، ومعاني القرآن الكريم (٢/ ٤٠٦)، وتفسير القرآن العزيز (٢/ ٦١)، والوجيز (١/ ٣٤٧)، وتفسير القرآن (٢/ ٩٣)، ومعالم التنـــزيل (٢/ ١٣)، وغرائب التفسير وعجائب التأويل (١/ ٣٥٦)، والكشاف (٢/ ٣٣١)، وزاد المسير (٣/ ١٣)، والتبيان في إعراب القرآن (١/ ٤٨٦)، والجامع لأحكام القرآن (٨/ ٣٣٧)، وأنوار التنـــزيل (١/ ٢٩٧)، ومدارك التنزيل (٦/٢)، وبدائع التفسير (٢/ ١٤٤) وتحفة الودود (٢٥٢)، وتفسير القرآن العظيم (٦/ ١٧)، وتفسير الجلالين (٢/ ٣٤٧)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ١٣٢)، وفتح القدير (١٤٨/٢)، وروح المعاني (٧/ ١١٩)، وفتح البيان (٤/ ١١٦)، ومحاسن التأويل (٦/ ٢٢٦٨)، وتيسير الكريم الرحمن (٢/ ١٢)، والتحرير والتنوير (١٦٨/٧)، وأضواء البيان (٢/ ١٨٨) .

(2) ينظر: النكت والعيون (٢/ ١٠٠) .

(3) ينظر: المحرر الوجيز (٥/ ١٥١) .

(4) ينظر: البحر المحيط (٤/ ٩١) .

(5) ينظر: الجواهر الحسان (١/ ٤٧٢) .

(6) ينظر: الفتوحات الإلهية (٢/ ٣٤٧) .

(7) ينظر: أضواء البيان (٢/ ١٨٨) .

والقرآن نذير لكل من بلغه[1] كما قال تعالى : ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ﴾[هود: ١٧].

وأما شهادة السنة له فقد وردت أحاديث في معنى هذا القول منها :

قوله ﷺ : (بلغوا عني ولو آية ، وحدّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ، ومن كذب عليّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار)[2].

وقوله ﷺ : (نضّر الله وجه امريء سمع مني مقالة فوعاها ، ثم بلّغها ، فرب مبلّغ أوعى من سامع)[3].

ورُوي عن قتادة رحمه الله في قوله تعالى ﴿ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ﴾: أن النبي ﷺ قال : (بلّغوا عن الله ، فمن بلغته آية من كتاب الله فقد بلغه أمر الله)[4].

وأما القول الآخر في معنى الآية ﴿ وَمَنۢ بَلَغَ ﴾أي : ومن بلغ الحُلُمَ ، فقد ذكره النحّاس،

---

(1) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦/ ١٧) ، والمصدر السابق .

(2) أخرجه البخاري في صحيحه ،كتاب الأنبياء ، باب ما ذكر عن بني إسرائيل برقم (٣٤٦١) ، والبغوي في شرح السنة (١/ ٢٤٣) برقم (١١٣) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما .

(3) أخرجه الترمذي (٥/ ٣٣) (٢٦٥٧) وقال : حسن صحيح . وابن ماجه (١/ ٨٥) (٢٣٢) ، وأحمد (٤٣٧/١) ، وابن حبان [الإحسان ١/ ٢٦٨ (٦٦)] ، وأبو نعيم في الحلية (٧/ ٣٣١) ، والبيهقي في الدلائل (٦/ ٥٤٠) ، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله(١/ ٤٥) ، والخطيب البغدادي في الكفاية (١٧٣) كلهم من طريق سماك ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود ، عن أبيه ، به. ورواه البغوي في تفسيره (٢/ ١٣) من طريق الشافعي ، عن ابن عيينة ، عن عبد الملك بن عمير ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود ، عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال : (نضر الله عبدًا سمع مقالتي فحفظها ووعاها وأدّاها ، فرب حامل فقيه غير فقيه، ورُب حامل فقه إلى من هو أفقه منه) . وأخرجه الترمذي في العلم – باب الحث على تبليغ السماع بنحوه وقال: حسن صحيح ، وابن ماجه في المقدمة (١/ ٨٦) برقم (٢٣٦) ، والدارمي في المقدمة (١/ ٧٥) باب : كراهية أخذ الرأي ، والشافعي في كتاب العلم (١/ ١٦) ، وأحمد (٣/ ٢٢٥) عن أنس، والبغوي في شرح السنة (٢٣٦/١). وللشيخ عبد المحسن العباد دراسة حديثية وفقهية لحديث : نضر الله امرءًا ... ط ١٤٠١هـ .

(4) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢٠٥) عن معمر ، عنه . ورواه الطبري في تفسيره (٩/ ١٨٢) عن بشر ، عن يزيد، عن سعيد ، عنه. ورواه أيضًا عن الحسن بن يحي ، عن عبد الرزاق به . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٢٧٢/٤) (٧١٦٦) عن الحسن بن يحي به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٢٥٧) إلى الطبري وأبي الشيخ من طريق قتادة عن الحسن ، وهو حديث مرسل. [وقد ذكره النحّاس في معاني القرآن الكريم (٢/ ٤٠٦) ، والقرطبي (٦/ ٣٩٩) ، وابن عطية في المحرر الوجيز (٥/ ١٥١) ، وابن كثير في تفسيره (٦/ ١٧)] .

والقرطبي[1]، وصدّراه بصيغة (قيل) .

ونسبه ابن عطية، وأبوحيّان، والثعالبي إلى فرقة[2] . وذكره السـمين [3] ، ونقله عنه سليمان الجمل، والقنوجي[4] .

وهو قول بعيد كما قاله ابن جُزَيّ ، وليس له دليل ، ولا يعرف له قائل .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن ما رجّحه ابن جُزَيّ ومن وافقه هو القول الصواب في معنى الآية الكريمة ، ويؤيده القاعدة الترجيحية : (تفسير جمهور السلف مقدم على كل تفسير شاذّ)[5]، وقاعدة : (إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجّح له على ما خالفه)[6]، والله تعالى أعلم .

---

(1) ينظر: معاني القرآن الكريم (٢/ ٤٠٦)، والجامع لأحكام القرآن (٨/ ٣٣٧) .

(2) ينظر: المحرر الوجيز : (٥/ ١٥٢)، والبحر المحيط (٤/ ٩١)، والجواهر الحسان (١/ ٤٧٢) .

(3) ينظر: الدر المصون (٤/ ٥٦٨) .

(4) ينظر: الفتوحات الإلهية (٢/ ٣٤٧)، وفتح البيان (٤/ ١١٦) .

(5) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين (١/ ٢٨٨) .

(6) ينظر: المصدر السابق (١/ ٢٠٦) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۘ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٢٠ ﴾

١٠- الخلاف في إعراب قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ﴾.

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى: « ﴿ ٱلَّذِينَ ﴾ مبتدأ، وخبره: ﴿ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾. وقيل: ﴿ ٱلَّذِينَ ﴾ نَعْتٌ للذين آتيناهم الكتاب. وهو فاسد؛ لأن الذين أوتوا الكتاب ما استشهد بهم هنا إلاّ ليقيم الحجة على الكفار »[1].

العرض والمناقشة:

رجّح ابن جُزَيّ إعراب ﴿ ٱلَّذِينَ ﴾ على الابتداء، ووافق ما اختاره العكبري، وأبو السعود، والسمين، والشوكاني، والقاسمي، والطاهر بن عاشور، والدرويش[2].

وصحّحه ابن عطية[3]. وجوّزه الزجّاج، والنحّاس، والقرطبي[4].

وأما إعراب ﴿ ٱلَّذِينَ ﴾ على أنه نعت للذين آتيناهم الكتاب، فاختاره الطبري، والزجّاج، والنحّاس، والقرطبي[5].

وصحّحه ابن عطية[6]، ونقل تجويزه أبو حيّان[7]، وسوّغه الدرويش[8].

وصدّره أبو السعود، والشوكاني بصيغة (قيل)[9].

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٥).

(2) ينظر: التبيان (١/ ٤٨٧)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ١٣٣)، والدر المصون (٤/ ٥٧٠) ـ وتبعه الجمل في الفتوحات الإلهية (٢/ ٣٤٨) ـ وفتح القدير (٢/ ١٤٩)، ومحاسن التأويل (٦/ ٢٢٧٠ – ٢٢٧١)، والتحرير والتنوير (٧/ ١٧١)، وإعراب القرآن الكريم وبيانه (٣/ ٨٣).

(3) ينظر: المحرر الوجيز (٥/ ١٥٥).

(4) ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٣٥)، وإعراب القرآن (٢/ ٥٩)، والجامع لأحكام القرآن (٨/ ٣٣٩).

(5) ينظر: جامع البيان (٩/ ١٨٦)، ومعاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٣٥)، وإعراب القرآن (٢/ ٥٩)، والجامع لأحكام القرآن (٨/ ٣٣٩).

(6) ينظر: المحرر الوجيز (٥/ ١٥٥).

(7) ينظر: البحر المحيط (٤/ ٩٣).

(8) ينظر: إعراب القرآن الكريم وبيانه (٣/ ٨٣).

(9) ينظر: إرشاد العقل السليم (٢/ ١٣٣)، وفتح القدير (٢/ ١٤٩).

وحكم بفساده ابنُ جُزَيّ بحُجّة أن الذين أوتوا الكتاب مستشهدٌ بهم هنا لإقامة الحُجّة على الكفار، ولا يُستشَهد بهم ويُذمون في آية واحدة[1].

والصواب أن كلا الإعرابين صحيح وجائز ، وأرجحهما وأولاهما ما رجّحه ابن جُزَيّ ومن وافقه لوجوهٍ منها :

١- أن الاستئناف لزيادة إيضاح تصلُّب المشركين وإصرارهم .

٢- أنه سبق له نظيرٌ بعد قوله تعالى : ﴿ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾[الأنعام: ١٢] . وهذا من التكرير للتسجيل وإقامة الحجة وقطع المعذرة ، وأنهم مصرُّون على الكفر حتى ولو شهد بصدق الرسول ﷺ أهلُ الكتاب[2] .

٣- ولأنه لا يصح أن يستشهد بأهل الكتاب ويذمون في آية واحدة[3] .

٤- ولأن السورة مكية ، والخطاب مع مشركي مكة[4].

وعلى هذا القول الراجح يكون معنى الآية : أن الكفار الخاسرين لأنفسهم بعنادهم وتمرّدهم لا يؤمنون بما جاء به رسول الله ﷺ[5] .

وأما الإعراب الثاني فيحسن على تأويل مَنْ رأى في الآية قبلها أن أهل الكتاب متوّعدون مذمومون لا مستشهد بهم[6] . فيكون مساقُ ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ مساقَ الذم لا مساق الاستشهاد بهم على كفار قريش وغيرهم من العرب ؛ لأنه لا يصح أن يستشهد بهم ويذموا في آية واحدة[7] .

قال ابن عطية : « وقد يصح ذلك؛ لاختلاف ما استشهد بهم وما ذُمّوا فيه ، وأن الذم

---

(1) تبع في هذا التعليل ابن عطية في المحرر الوجيز (٥/ ١٥٤) .

(2) ينظر: التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٧/ ١٧١) .

(3) ينظر: المحرر الوجيز لابن عطية (٥/ ١٥٥) ، والبحر المحيط لأبي حيّان (٤/ ٩٣) ، والدر المصون للسمين (٤/٥٧٠) .

(4) ينظر: محاسن التأويل للقاسمي (٦/ ٢٢٧١) .

(5) ينظر: فتح القدير للشوكاني (٢/ ١٤٩) .

(6) ينظر: المحرر الوجيز لابن عطية (٥/ ١٥٥).

(7) ينظر: البحر المحيط لأبي حيّان (٤/ ٩٣) .

والاستشهاد ليسا من جهة واحدة »[1] .

ويكون معنى هذه الآية على هذا الإعراب : أن أولئك الذين آتيناهم الكتاب هم الذين خسروا أنفسهم بسبب ما وقعوا فيه من البعد عن الحق ، وعدم العمل بالمعرفة التي ثبتت لهم فهم لا يؤمنون[2] .

وذهب بعض العلماء إلى عموم اللفظ وصلاحه للمشركين وأهل الكتاب[3]، والله تعالى أعلم .

---

(1) المحرر الوجيز (٥/ ١٥٤) . وينظر: الدر المصون للسمين (٤/ ٥٧٠- ٥٧١) .

(2) ينظر: فتح القدير (٢/ ١٤٩).

(3) منهم الزمخشري ، والبيضاوي ، والنسفي ، وأبو السعود ، والآلوسي . ينظر: الكشاف (٢/ ٣٣١)، وأنوار التنزيل (١/ ٢٩٧)، ومدارك التأويل (٢/ ٦)، وإرشاد العقل السليم (١٣٣/٢)، وروح المعاني (١٢٠/٧) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ ۖ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾

١١- الخلاف في عَوْد الضمير المجرور في قوله : ﴿عَنْهُ﴾ .

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « ﴿ ☠➔Ω ﴾ عائد على الكفار ، والضمير في ﴿ عَنْهُ ﴾ عائد على القرآن ، والمعنى : وهم ينهون الناس عن الإيمان ، وينأون هم عنه ، أي : يبعدون. والنأي هو: البعد . وقيل: الضمير في ﴿عَنْهُ﴾ يعود على النبي ﷺ ، ومعنى﴿يَنْهَوْنَ عَنْهُ ﴾ : ينهون الناس عن إذايته ، وهم مع ذلك يبعدون عنه . والمراد بالآية على هذا أبو طالب ومن كان معه يَحْمي النبيّ ﷺ ولا يُسْلِمُ »[1].

العرض والمناقشة :

رجّح ابن جُزَيّ أن الضمير المجرور في ﴿عَنْهُ﴾ من قوله عز وجل : ﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ ﴾ يعود على القرآن . ووافق المرويّ عن مجاهد[2] ، وقتادة[3]، وابن زيد[4] .

ورجّحه الرازي، والقُمِّي، وأبوحَيَّان، والسمين، وأبوالسعود، والشوكاني، والآلوسي، والقنّوجي، والقاسمي ، والسيد محمد رشيد رضا، والمراغي، والطاهر بن عاشور[5].

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٦) .

(2) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩/ ٢٠٣) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٢٧٧) برقم (٧٢٠٢) من طريق ابن أبي نجيح ، عنه . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣ /٢٦١) نسبته إلى ابن أبي شيبة ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر .

(3) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢٠٥) عن مَعْمر ، عنه قال: ينهون عن القرآن وعن النبي ﷺ ، ويتباعدون عنه. وأخرجه الطبري في جامع البيان (٩/ ٢٠٢) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٢٧٧) برقم (٧٢٠٣) من طريق عبدالرزاق به . وأخرجه الطبري (٩/ ٢٠٣) عن محمد بن ثور ، عن معمر به . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣/٢٦١) نسبته إلى ابن المنذر ، وأبي الشيخ .

(4) نسبه له ابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٢١).

(5) ينظر: مفاتيح الغيب (١٢/ ٥٠٧)، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ٦٥)، والبحر المحيط (٤/ ١٠٠) ، والدر المصون (٤/ ٥٨٠)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ١٣٧)، وفتح القدير (٢/ ١٥٣)، وروح المعاني

وقريبٌ من هذا القول قولُ من قال : إنه عائد على النبي ﷺ على معنى النهي عن الإيمان به واتّباعه. قاله ابن عباس في رواية[1] ، والسدّي[2]. ورُوي عن الحسن[3]، ومحمد بن الحنفية ، والضحاك[4].

وعليه الزجّاج، والنحّاس، والسمرقندي، والواحدي، والسمعاني، ومحمود النيسابوري، والسيوطي[5].

وهذان القولان متلازمان ، ولذا فقد جعلهما بعض المفسرين قولاً واحدًا ، وعليه قتادة، وهو مفهوم كلام ابن جرير الطبري ؛ حيث اختار أن الضمير يعود على النبي ﷺ على معنى النهي عن اتباعه والإيمان به ثم قال : « وهم ينهون عن استماع التنزيل ، وينأون عنك، فيبعدون منك ومن اتِّباعك »[6]. فاشتمل كلامه على اختيارهما معًا ؛ لتلازمهما .

قال ابن كثير : « المراد : أنهم ينهون الناس عن اتباع الحق ، وتصديق الرسول ، والانقياد للقرآن .﴿ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ ﴾: ويبعدونهم عنه ، فيجمعون بين الفعلين القبيحين : لا ينتفعون ، ولا يدعون أحدًا ينتفع ». وقال : « وهذا القول أظهر – والله أعلم – وهو اختيار ابن جرير »[7].

(١٢٦/٧)، وفتح البيان (١٢٣/٤)، ومحاسن التأويل (٦/ ٢٢٧٧)، وتفسير القرآن الحكيم (٧/ ٢٩٩)، وتفسير المراغي (٧/ ٩٩)، والتحرير والتنوير (٧/ ١٨٢) .

(1) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩/ ٢٠١) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٢٧٧) (٧٢٠٠، ٧٢٠٧) من طريق علي بن أبي طلحة ، عنه. وبمعناها أخرجه الطبري أيضًا (٩/ ٢٠٢) من طريق عطية العوفي ، عنه. وأورده السيوطي في الدر المنثور (٢٦٠/٣) وزاد نسبته إلى ابن المنذر ، وابن مردويه .

(2) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩/ ٢٠٢) من طريق أحمد بن المفضّل، عن أسباط ، عنه .

(3) نسبه له ابن أبي زمنين في تفسير القرآن العزيز (٢/ ٦٣) ، والواحدي في الوسيط (٢/ ٢٦٢) ، والماوردي في النكت والعيون (٢/ ١٠٤) .

(4) نسبه لهما البغوي في معالم التنزيل (٢/ ١٦) ، وابن عطية في المحرر الوجيز (٥/ ١٦٥) ، وابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٢١) ، والواحدي في أسباب النزول (١٤٤) ، والآلوسي في روح المعاني (٧/ ١٢٦) .

(5) ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٣٨) ، ومعاني القرآن الكريم (٢/ ٤١٠) ، وبحر العلوم (١/ ٤٧٩) ، والوجيز (٣٤٩/١) ، وتفسير القرآن (٢/ ٩٦) ، وإيجاز البيان (١/) تفسير الجلالين (٢/ ٣٥٣) .

(6) جامع البيان (٢٠٦/٩) ، وينظر : (٢٠٥/٩) .

(7) تفسير القرآن العظيم (٢١/٦).

وسوّى بينهما بعض المفسّرين[1] .

وعود الضمير على القرآن أو على النبي ﷺ على معنى النهي عن الإيمان به واتباعه أرجح ؛ لما يلي:

١- دلالة السياق القرآني له ؛ فإن الآيات قبلها جرت بذكر جماعة المشركين العادلين بالله سبحانه ، والخبر عن تكذيبهم رسول الله ﷺ ، والإعراض عما جاءهم به من تنزيل الله ووحيه ، فالواجب أن يكون قوله : ﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ ﴾ خبرًا عنهم ؛ إذ لم يأتنا ما يدلُّ على انصراف الخبر عنهم إلى غيرهم ، بل ما قبل هذه الآية وما بعدها يدل على صحة القول بأنه خبر عن جماعة مشركي قوم رسول الله ﷺ دون أن يكون خبرًا عن واحد خاصٍّ منهم[2]. فالآيات متصلة بأخبار الكفار وقولهم[3] . والقرآن هو الذي عاد عليه الضمير المنصوب من ﴿ يَفْقَهُوهُ ﴾ [الأنعام : ٢٥] ، والمشار إليه بقولهم :﴿ إِنْ هَٰذَآ ﴾[4] . وقبل هذه الآية قوله تعالى : ﴿ جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ ﴾ في النبي ﷺ ، وعليه ففيه التفات من الخطاب إلى الغيبة[5].

٢- شهادة القرآن له كما في قوله تعالى :﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾ [فصلت: ٢٦] . فقد كانوا ينهون عن الاستماع للقرآن من النبي ﷺ .

وأما القول بأن الضمير يعود على النبي ﷺ على معنى النهي عن أذيته ، وأن المراد بقوله ﴿ وَهُمْ ﴾ : أبو طالب ومن كان معه يحمي النبي ﷺ ولا يسلمُ ، فهو قولٌ رُويَ عن ابن عباس[6] ،

---

(1) كالزمخشري في الكشاف (٢/ ٣٣٤)، والنسفي في مدارك التنزيل (٨/٢)، والشوكاني في فتح القدير (١٥٣/٢).

(2) ينظر: جامع البيان للطبري (٩/ ٢٠٥).

(3) ينظر: معاني القرآن الكريم للنحاس (٢/ ٤١٠) .

(4) ينظر: الدر المصون للسمين الحلبي (٤/ ٥٨٠).

(5) ينظر: المصدر السابق .

(6) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢٠٦) عن الثوري ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عمَّن سمع ابن عباس. ومن طريقه أخرجه الطبري في جامع البيان (٩/ ٢٠٣) . وأخرجه الطبري أيضًا (٩/ ٢٠٣) من طريق وكيع وقبيصة، عن الثوري به . وأخرجه الحاكم في مستدركه (٢/ ٢٦٢) من طريق الثوري به . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٢٧٦) (٧١٩٩، ٧٢٠٦) من طريق وكيع ومن طريق أبي حذيفة ، كلاهما عن الثوري به.

ومقاتل[1]، وابن الحنفية[2]، والضحاك ، وحبيب بن أبي ثابت[3]، والقاسم بن مخيمرة[4]، وعطاء بن دينار[5]، وعمرو بن دينار[6]، ومحمد بن كعب [7]، وسعيد بن جبير[8]، والكلبي[9] .

وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٣٤٠) من طريق سفيان الثوري به . وأخرجه الطبري في جامع البيان (٢٠٤/٩) عن هناد ، عن يونس بن بكير ، عن أبي محمد الأسدي ، عن حبيب بن أبي ثابت به . وخالف الثوريَّ قيسُ بن الربيع ــ وهو صدوق تغير لما كبر ــ فقال : عن حبيب بن أبي ثابت ، عن ابن عباس به . أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٢/ ١٢٦٨٢) . وذكره الهيثمي في المجمع (٧/ ٢٣) وقال : ...فيه قيس بن الربيع ، وثقه شعبة وضعّفه ابن معين وغيره ، وبقية رجاله ثقات . وأخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٣١٥) من طريق بكر بن بكار ، عن حمزة بن حبيب ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس . وأخرجه الواحدي في أسباب النزول (١٤٤) من طريق بكر بن بكار به . والبيهقي في الدلائل (٣٤٠/٢ــ٣٤١) من طريق بكر بن بكار به . قال الحاكم : حديث حمزة بن حبيب صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي . كذا قالا !! وحمزة بن حبيب لم يخرج له البخاري شيئًا . وفي التقريب لابن حجر (١٧٩): صدوق ربما وهم . وأورده السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٢٦٠) وزاد نسبته إلى الفريابي ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وأبي الشيخ ، وابن مردويه.

(1) ينظر: تفسير مقاتل (١/ ٥٥٥ــ ٥٥٦).

(2) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩/ ٢٠١) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٢٧٧) (٧٢٠١) كلاهما من طريق حجاج ، عن سالم المكي ، عنه . وأورده السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٢٦١) وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة ، وابن المنذر .

(3) ذكره عنهما ابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٢٧٧) . وينظر: معاني القرآن الكريم للنحاس (٢/ ٤١١). ونسبه ابن عطية في المحرر الوجيز (٥/ ١٦٥) ، وأبو حيان في البحر المحيط (٤/ ١٠٠) ، وابن كثير في تفسير القرآن العظيم (٦/ ٢١) إلى حبيب وحده . ونسبه السمرقندي في بحر العلوم (١/ ٤٧٩) إلى الضحاك وحده .

(4) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩/ ٢٠٤ ، ٢٠٥) من طرق عن إسماعيل بن أبي خالد ، عنه . وأورده السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٢٦٠) وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة ، وابن المنذر ، وأبي الشيخ .

(5) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩/ ٢٠٥) عن يونس ، عن ابن وهب ، عن سعيد بن أبي أيوب ، عنه. وينظر: الدر المنثور للسيوطي (٣/ ٢٦٠).

(6) نسبه له الواحدي في أسباب النزول (١٤٤) ، وفي الوسيط (٢/ ٢٦٢) ، وابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٢٠).

(7) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٢٧٧) (٧٢٠٥) من طريق أبي معشر ، عنه. وأبو معشر نجيح بن عبدالرحمن السندي : ضعيف . وينظر: الدر المنثور للسيوطي (٣/ ٢٦١) .

(8) نسبه له الواحدي في الوسيط (٢/ ٢٦٢) . ونسبه ابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٢٠) إلى ابن عباس برواية سعيد ابن جبير .

(9) نسبه له السمرقندي في بحر العلوم (١/ ٤٧٩).

وهذا القول ضعيف من أوجهٍ منها :

١- عدم صحة الأثر الوارد عن ابن عباس في ذلك[١] .

٢- أن جميع الآيات المتقدمة على هذه الآية تقتضي ذمّ طريقتهم، فكذلك قوله : ﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ ﴾ ينبغي أن يكون محمولا على أمر مذموم ، فلو حملناه على أن أبا طالب كان ينهى عن إيذائه ، لما حصل هذا النظم[٢].

٣- أنه تعالى قال بعد ذلك : ﴿ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ ﴾ يعني به جميعَ ما تقدّم ذكره : النهيَ عنه والبعدَ عنه . ولا يليق ذلك بأن يكون المراد من قوله : ﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ ﴾ النهيَ عن أذيّته ؛ لأن ذلك حسنٌ لا يوجب الهلاك[٣].

قال ابن عطية : « ويُقْلِقُ هذا القولَ رَدُّ قوله :﴿ وَهُمْ ﴾ على جماعة الكفار المتقدم ذكرها؛ لأن جميعهم لم يكن ينهى عن إذاية النبي ﷺ » . وقال : « ويتخرّج ذلك ويحسن على أن تقدّر القصد ذكر ما ينعى على فريق من الجماعة التي هي كلها مجمعة على الكفر، فخرجت العبارة عن فريق من الجماعة بلفظ يعم الجماعة ؛ لأن التوبيخ على هذه الصورة أغلظ عليهم . كما تقول : إذا شنّعت على جماعة فيها زناة وسرقة وشربة خمر : هؤلاء يزنون ويسرقون ويشربون الخمر. وحقيقة كلامك أن بعضهم يفعل هذا وبعضهم يفعل هذا، فكأنه قال : من هؤلاء الكفرة من يستمع وهم ينهون عن إذايته ولا يؤمنون به ، أي : منهم من يفعل ذلك »[٤]. انتهى كلامه ، ولا يخفى ما في هذا التخريج من التكلف !

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن ما رجّحه ابن جُزَيّ ومن وافقه ـــ مع ما اندرج فيه من القول بعوده على النبي ﷺ على معنى النهي عن الإيمان به واتباعه ـــ هو الراجح ،

---

(1) سبق تخريجه .

(2) ينظر: مفاتيح الغيب للرازي (١٢/ ٥٠٧).

(3) المصدر السابق . وينظر: الفتوحات الإلهية (٢/ ٣٥٣) . وفي الوجه الأخير نظر من حيث جواز أن يكون ترتب الهلاك ورجوعه على الأمر الأخير فقط وهو البعد عنه لا إلى الأول وهو النهي عن أذيته ، كذا عند بعض العلماء !! ينظر: غرائب القرآن (٣/ ٦٥) ، وحاشية الشهاب على البيضاوي (٤/ ٤٣) . والظاهر رجوعه على الأمرين معًا . ينظر: مفاتيح الغيب (١٢/ ٥٠٧).

(4) المحرر الوجيز (٥/ ١٦٥).

ويؤيده القاعدة الترجيحية: (إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أَولى من الخروج بـــه عن ذلك)[1] ، والقاعدة الترجيحية الأخرى : (القول الذي تؤيده آية قرآنية مقدم على ما عُـــدِم ذلك)[2]، والله تعالى أعلم .

(1) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين (١/ ١٢٥).

(2) ينظر: المصدر السابق (١/ ٣١٢).

قَالَ تَعَالَى:

﴿ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾

١٢- الخلاف في الأمر المَخْفيِّ ، ومَنْ كان يُخْفيه؟

في قوله :﴿ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ﴾.

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « المعنى : ظهر لهم يوم القيامة في صحائفهم ما كانوا يخفون في الدنيا من عيوبهم وقبائحهم . وقيل : هي في أهل الكتاب ، أي : بدا لهم ما كانوا يخفون من أمر محمد ﷺ . وقيل : هي في المنافقين ، أي بدا لهم ما كانوا يخفون من الكفر. وهذان القولان بعيدان ؛ فإن الكلام أوله ليس في حق المنافقين ولا أهل الكتاب . وقيل: إن الكفار كانوا إذا وعظهم النبيّ ﷺ خافوا وأخفوا ذلك الخوف ؛ لئلا يشعر بها أتباعهم ، فظهر لهم ذلك يوم القيامة »[1].

العرض والمناقشة :

حاصلُ ما ذكره ابن جُزَيّ في خلاف المفسرين في الأمر المَخْفِيِّ ومن كان يخفيه أربعةُ أقوال :

القول الأول منها : أن الآية في الكفار، والذي كانوا يخفونه في الدنيا هي أعمالهم من عيوب وقبائح .

وهذا القول هو الذي رجّحه ابن جُزَيّ بدلالة السياق ؛ لأن أول الكلام ليس في حق المنافقين ولا أهل الكتاب، أي : هو في حقّ الكفار ، وهذا مفهوم كلامه .

ووافق المرويّ عن السديّ [2] ، وقتادة[3] .

---

(1) التسهيل (٢/ ٦) .

(2) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩/ ٢١١) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٢٧٩) (٧٢١٤، ٧٢١٥) من طريق أحمد بن المفضل ، عن أسباط ، عنه قال : بدت لهم أعمالهم . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣/) نسبته إلى أبي الشيخ .

(3) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢٠٧) ، والطبري في جامع البيان (٩/ ٢١١) ، وابن أبي حاتم في تفسيره

وعليه الطبري ، والواحدي، والبغوي، والنسفي[1].

وجعله متساويًا مع غيره والآية تحتملها : ابنُ كثير، والسمين، والبيضاوي[2] .

وذكره الآلوسي بصيغة (قيل)[3]. وكذا الشوكاني، والقنوجي[4] ، لكنهما ذكرا الأمر المخفي ودلّلا له بقوله تعالى : ﴿ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ ﴾ [الزمر: ٤٧] . ولم يذكرا مَنْ المراد ؟ أي : من كان يخفيه .

ثانيها : أن الآية في الكفار أيضًا ، لكن الأمر الذي أخفوه هو : خوفهم عند وعظ النبيّ ﷺ إيّاهم ، فأخفوا خوفهم ؛ لئلا يشعر بذلك أتباعهم .

قاله الزهراوي وحكاه بصيغة (قيل) كما نقله عنه ابن عطية[5] . وكذا أبوحيّان، والثعالبي[6]، ذكراه بصيغة (قيل) ، ووافقهم ابن جُزَيّ على ذلك .

ثالثها : أن الآية في أهل الكتاب ، وكانوا يخفون ما يعلمونه من أمر نبينا محمد ﷺ ، وأنه حَقٌّ[7] .

حكاه الزمخشري بصيغة (قيل)[8] . وتبعه على ذلك الرازي ، والنسفي، والقمّي، والآلوسي[9].

(١٢٧٩/٤) (٧٢١٣) كلاهما من طريق عبد الرزاق ، عن معمر ، عنه قال : من أعمالهم .

(1) ينظر: جامع البيان (٩/ ٢١١)، والوجيز (١/ ٣٤٩)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٧)، ومدارك التنزيل (٢/ ٨) .

(2) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٦/ ٢٣)، والدر المصون (٤/ ٥٩١) ــ وقال السمين : «هم الكفار أو اليهود والنصارى خاصة» . ولم يذكر الأمر المخفي ــ ، وأنوار التنزيل (١/ ٢٩٩) .

(3) ينظر: روح المعاني (٧/ ١٢٩).

(4) ينظر: فتح القدير (٢/ ١٥٣)، وفتح البيان (٤/ ١٢٥).

(5) المحرر الوجيز (١٧١/٥) . وينظر: إعراب القرآن للنحاس (٢/ ٦٢).

(6) ينظر: البحر المحيط (٤/ ١٠٣)، والجواهر الحسان (١/ ٤٧٤).

(7) نسبه أبوحيّان لابن عباس ، إلاّ أنه قال : «وذلك أنهم لو سئلوا في الدنيا : هل تعاقبون على ما أنتم عليه ؟ قالوا: لا. ثم ظهر لهم عقوبة شركهم في الآخرة ...» ينظر: البحر المحيط (٤/ ١٠٣) .

(8) ينظر: الكشاف (٢/ ٣٣٦) .

(9) ينظر: مفاتيح الغيب (١٢ / ٥١٠)، ومدارك التنزيل (٢/ ٨)، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ٦٧)، وروح المعاني (٧/ ١٢٩).

قال ابن عطية : « ويصح أن يقدر الشيء الذي كانوا يخفونه في الدنيا نُبُوّة محمد ﷺ وأقواله ، وذلك أنهم كانوا يُخفون ذلك في الدنيا بأن يُحقِّروه عند من يَرُدُّ عليهم ، ويصفوه بغير صفته ، ويتلقوا الناس على الطرق فيقولون لهم : هو ساحر، هو يفرق بين الأقارب ، يريدون بذلك إخفاء أمره وإبطاله . فمعنى الآية على هذا : بل بدا لهم يوم القيامة أمرك وصدقك وتحذيرك وإخبارك بعقاب من كفر ، الذي كانوا يخفونه في الدنيا ، ويكون الإخفاء على ما وصفناه »[1].

وذكره ابن جُزَيّ بصيغة (قيل) واستبعده ، وأعلّه بأن سياق الكلام ليس في حق أهل الكتاب .

ولما ترك البيضاوي هذا القول وأهمله فلم يذكره، قال الشهاب : « لأنه ليس في السياق والسباق ما يدلّ عليه »[2] .

رابعها : أن الآية في المنافقين ، وكانوا يخفون الكفر ويبطنونه .

حكاه ابن جُزَيّ بصيغة (قيل) ، ووافقه على إيراد هذا القول بصيغة (قيل) : الكرماني، والزمخشري، والنسفي، والقُمّي، وأبوحيّان، والشوكاني، والآلوسي، والقنّوجي[3].

واستبعده ابن جُزَيّ وأعلّه بأن سياق الكلام ليس في حقّ المنافقين .

وذكره النحاس وقال : « لأن اسم الكفر مشتمل عليهم ، فعاد الضمير على بعض المذكور ، وهذا من كلام العرب الفصيح »[4].

وحكاه ابن عطية عن الزهراوي، عن فرقة ثم قال : « وتقلق العبارة على هذا التأويل ؛

---

(1) المحرر الوجيز (٥/ ١٧١) . ويلاحظ أن ابن عطية لم يذكره عن أهل الكتاب بل لم ينسب هذا القول وجعله مطلقًا من غير نسبة ولا عَزْوٍ لأحد .

(2) حاشية الشهاب على البيضاوي (٤/ ٤٥) . وينظر: أنوار التنزيل (١/ ٢٩٩).

(3) ينظر: غرائب التفسير وعجائب التأويل (١/ ٣٥٧)، والكشاف (٢/ ٦٣)، ومدارك التنزيل (٢/ ٨)، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ٦٧)، والبحر المحيط (٤/ ١٠٣)، وفتح القدير (٢/ ١٥٣)، وروح المعاني (١٢٩/٧)، وفتح البيان (٤/ ١٢٥) .

(4) إعراب القرآن (٢/ ٦٢) .

لأنه قال : ﴿ وُقِفُواْ ﴾ [الأنعام: ٢٧] يريد : جماعة الكفار ، ثم قال : ﴿ بَدَا لَهُم ﴾ يريد : المنافقين من هؤلاء الكفار ، والكلام لا يعطي هذا إلاّ على تحامل »[1] .

وقال الشهاب : « ولكنه لا يناسب ما قبله »[2].

واحتمل هذا القولَ ابنُ كثير وقال : « ولا ينافي هذا كون هذه السورة مكية ، والنفاق إنما كان من بعض أهل المدينة ومن حولها من الأعراب ، فقد ذكر الله وقوع النفاق في سورة مكية، وهي العنكبوت فقال : ﴿ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴾ [١١] وعلى هذا يكون إخبارًا عن حال المنافقين في الدار الآخرة حين يعاينون العذاب ، فيظهر لهم حينئذ غِبُّ ما كانوا يبطنون من الكفر والنفاق والشقاق ، والله أعلم »[3] .

هذا حاصل الأقوال الأربعة التي ذكرها ابن جُزَيّ مع ما لها وما عليها .

يقول الرازي : « واعلم أن اللفظ محتمِلٌ لوجوهٍ كثيرة، والمقصود منها بأسرها: أنه ظهرت فضيحتهم في الآخرة وانهتكت أستارهم، وهو معنى قوله تعالى :﴿ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ﴾»[4][الطارق: ٩] .

وقال القُمّي النيسابوري : « والأَوْلى حمل الآية على الكلّ ؛ لأنه يوم تبلى السرائر فلا جَرَمَ تظهر الفضائح والقبائح ، وتنكشف الأسرار وتنتهك الأستار »[5].

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن هذه الأقوال المذكورة لا تلائم نظم الآية الكريمة ولا سياقها، وأن القول الراجح هو : أن الآية في الكفّار، وأن الأمر الذي أخفوه هو : عِلْمُهُم أنهم على باطل ، وأن الرسل على حق ، فعاينوا ذلك عيانًا بعد أن كانوا يكتمونه ويخفونه .

ودليله : أن السياق في الكفار ، وأنهم لم يكونوا يخفون شركهم وكفرهم ، بل كانوا

---

(1) المحرر الوجيز (٥/ ١٧١) .

(2) حاشية تفسير البيضاوي (٤/ ٤٥).

(3) تفسير القرآن العظيم (٦/ ٢٣). وذكره وجهًا من الوجوه : القاسمي في محاسن التاويل (٦/ ٢٢٨٠) وتابع ابن كثير في كلامه .

(4) مفاتيح الغيب (١٢/ ٥١٠) .

(5) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ٦٧) .

يظهرونه ويدعون إليه ويحاربون عليه .

وهذا القول رجّحه ابن القيم ونصره[1] ، واحتمله ابن كثير[2] ، وذكره القاسمي وجهًا من الوجوه[3] ، ورجّحه الطاهر بن عاشور[4].

قال ابن القيم : « ومعنى الآية ــ والله أعلم بما أراد من كلامه ــ : أن هؤلاء المشركين لما وقفوا على النار ، وعاينوها وعلموا أنهم داخلوها ، تمنّوا أنهم يردون إلى الدنيا ؛ فيؤمنون بالله وآياته ولا يكذبون رسله ، فأخبر سبحانه أن الأمر ليس كذلك ، وأنهم لو رُدُّوا لكانوا بعد الردّ كما كانوا قبله . وأخبر أنهم كاذبون في زعمهم أنهم لو رُدّوا لآمنوا وصدّقوا . فإذا تقرر مقصود الآية ومرادها ، تبيّن معنى الإضراب بِـ (بَلْ) ، وتبَيَّنَ معنى الذي بدا لهم ، والذي كانوا يخفونه ، والحامل لهم على قولهم : ﴿ يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا ﴾ [الأنعام: ٢٧]. فالقوم كانوا يعلمون أنهم كانوا في الدنيا على باطل ، وأن الرسل صدَقوهم فيما بلّغوهم عن الله ، وتيقّنوا ذلك وتحققوه ، ولكنهم أخفوه ولم يظهروه بينهم ؛ بل تواصوا بكتمانه ، فلم يكن الحاملُ لهم على تمنّي الرجوع والإيمان معرفةَ ما لم يكونوا يعرفونه من صدق الرسل ؛ فإنهم كانوا يعلمون ذلك ويخفونه ، وظهر لهم يوم القيامة ما كانوا ينطوون عليه من علمهم أنهم على باطل ، وأن الرسل على حق ؛ فعاينوا ذلك عيانًا بعد أن كانوا يكتمونه ويخفونه ، فلو رُدّوا لما سمحت نفوسهم بالإيمان ولعادوا إلى الكفر والتكذيب ، فإنهم لم يتمنّوا الإيمان لعلمهم يومئذ أنه هو الحق وأن الشرك باطل ، وإنما تمنّوا لَمَّا عاينوا العذاب الذي لا طاقة لهم باحتماله ...وتأمل مطابقة الإضراب لهذا المعنى ، وهو نفي قولهم : إنا لو رددنا لآمنا وصدّقنا ؛ لأنه ظهر لنا الآن أنما قاله الرسل هو الحق ، أي : ليس كذلك ، بل كنتم تعلمون ذلك وتعرفونه ، وكنتم تخفونه ، فلم يظهر لكم شيء لتكونوا عالمين به لتعذروا بل ظهر لكم ما كان معلومًا ، وكنتم تتواصون بإخفائه وكتمانه ،

---

(1) ينظر: بدائع التفسير (٢/ ١٤٥ــ ١٤٧) ، وعدة الصابرين (١٨٧) .

(2) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٦/ ٢٣).

(3) ينظر: محاسن التأويل (٦/ ٢٢٨٠).

(4) ينظر: التحرير والتنوير (٧/ ١٨٥ ــ ١٨٦) .

والله أعلم »[1] .اهـــ .

وقال ابن كثير : « ويحتمل أنهم [يعني الكفار] ظهر لهم ما كانوا يعلمونه من أنفسهم ، من صدق ما جاءتهم به الرسل في الدنيا ، وإن كانوا يظهرون لأتباعهم خلافه ، كما قال تعالى مخبرًا عن موسى [عليه السلام] أنه قال لفرعون : ﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَـٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ ﴾[الإسراء: ١٠٢]. وقوله تعالى مخبرًا عن فرعون وقومه : ﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾»[2][النمل: ١٤] .

وقال الطاهر : «... خطر لهم حينئذ ذلك الخاطر الذي كانوا يخفونه ، أي : الذي كان يبدو لهم ، أي : يخطر ببالهم وقوعُه فلا يُعلنون به ، فبدا لهم الآن فأعلنوا به وصرّحوا معترفين به . ففي الكلام احتباك تقديره : بل بدا لهم ما كان يبدو لهم في الدنيا فأظهروه الآن وكانوا يخفونه . وذلك أنهم كانوا يخطر لهم الإيمان لما يرونه من دلائله أو من نصر المؤمنين فيصدّهم عنه العناد والحرص على استبقاء السيادة والأنفة من الاعتراف بفضل الرسول وسبق المؤمنين إلى الخيرات قبلهم، وفيهم ضعفاء القوم وعبيدهم ... وقد أشار إلى هذا المعنى قولُه تعالى :﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ ﴾ في سورة الحجر. وهذا التفسير يغني عن الاحتمالات التي تحيّر فيها المفسرون وهي لا تلائم نظم الآية ، فبعضها يساعده صدرُها ، وبعضها يساعده عجزها ، وليس فيها ما يساعده جميعها »[3].

هذا وفي الآية أقوال أخرى لم يتعرّض لها ابن جُزَيّ وفيها ما فيها[4] .

وبعد، فإذا كان ذلك كذلك فإن ما رجّحه ابن القيّم هو الراجح والأَوْلَى بالقبول ، ويتأيّد بالسياق ، ومقصود الآية الكريمة . ووافقه ابنُ جُزَيّ في كون المراد بالذين كانوا يخفون هم الكفار، وخالفه في الأمر الذي كانوا يخفونه ، والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(1) بدائع التفسير (٢/ ١٤٦ ــ ١٤٧) .

(2) تفسير القرآن العظيم (٦/ ٢٣) .

(3) التحرير والتنوير (٧/ ١٨٥ ، ١٨٦) .

(4) ينظر: معاني القرآن للزجاج (٢/٢٤٠) ومعاني القرآن الكريم للنحاس (٢/٤١٤) وإيجاز البيان للنيسابوري (١/٢٣٩) وإرشاد العقل السليم لأبي السعود (٢/١٣٨ــ١٣٩) وتفسير القرآن الحكيم للسيد محمد رشيد رضا (٧/٣٠٣)

قَالَ تَعَالَى:

﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا۟ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾ ﴾

في هذه الآية الكريمة مسألتان :

المسألة الأولى هي :

١٣- الخلاف في عايد ضمير ﴿فِيهَا﴾ .

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « الضمير ﴿فِيهَا﴾ للحياة الدنيا ؛ لأن المعنى يقتضي ذلك ، وإن لم يَجْرِ لها ذكر . وقيل : الساعة ، أي : فرطنا في شأنها والاستعداد لها . والأول أظهر»[1].

العرض والمناقشة :

رجّح ابن جُزَيّ عود ضمير ﴿فِيهَا﴾ على الحياة الدنيا. ووافق ما رُوِيَ عن ابن عباس[2]، وقال به مقاتل[3]. ووافقه السمرقندي، والواحدي، والشهاب الخفاجي، والسيوطي، وسليمان الجمل، والسيد رشيد رضا، والمراغي[4].

وصدّره بصيغة (قيل) : الكرماني، وأبوالسعود، والشوكاني، والقنوجي[5].

ودلّل عليه ابن جُزَيّ بأن المعنى يقتضي أن يكون الضمير عائدًا للحياة الدنيا ، وإن لم يَجْرِ لها ذِكْر .

---

(1) التسهيل (٢/ ٧).

(2) نسبه له الرازي في مفاتيح الغيب (٥١٤/٢) ، والقمي النيسابوري في غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٦٨/٣) ، والآلوسي في روح المعاني (١٢٣/٧) ، والسيد رضا في تفسير القرآن الحكيم (٧/ ١٠٣) .

(3) ينظر: تفسير مقاتل (١/ ٥٥٧) .

(4) ينظر: بحر العلوم (٤٨٠/١)، والوجيز (٣٥٠/١)، وحاشية الشهاب على البيضاوي (٤٨/٤)، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٢/ ٣٥٧ ، ٣٥٨)، وتفسير القرآن الحكيم (٧/ ٣٠٩)، وتفسير المراغي (١٠٦/٧).

(5) ينظر: غرايب التفسير وعجائب التأويل (١/ ٣٥٧)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ١٤٠)، وفتح القدير (١٥٦/٢)، وفتح البيان (٤/ ١٢٨).

قال الرازي : « دلَّ العقل على أن موضع التقصير ليس إلاّ الدنيا ، فَحَسُنَ عَوْدُ الضمير إليها لهذا المعنى »[1] .

فللعلم بها ، واقتضاء المعنى لها حَسُنَ عَوْدُ الضمير إليها[2] .

وأما كونه لم يَجْرِ لها ذكر فقد نازع في هذا السيد محمد رشيد رضا فقال : « ومن غرائب غَفَلات المفسّرين ما نقله بعض أذكيائهم عن بعضٍ من دعوى أن مرجع الضمير في هذا القول غير مذكور في كلامهم ... ولكنهم ذهلوا عن قوله تعالى حكاية عنهم : ﴿ وَقَالُوٓاْ إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا ﴾ الخ [الأنعام: ٢٩] وعن كون ما بعده بيانًا لعاقبته وما ترتب عليه ، لا سياقًا جديدًا مستقلاً»[3] .

وأما القول بأن ضمير ﴿ فِيهَا ﴾ يعود للساعة ، فَرُوِيَ عن الحسن[4] .

ورجّحه ابن أبي زمنين، والسمعاني، وابن عطية ، والعكبري، وأبوحيّان، وأبوالسعود، والشوكاني ، والقنوجي، والطاهر بن عاشور [5] .

وبصيغة (قيل) صدّره الكرماني[6] . ووافقه ابن جُزَيّ .

ودليله : أن الساعة مذكورة فيما حكاه الله من شأنهم[7]، والتفريط فيها إذا لم يؤمنوا بها[8] .

---

(1) مفاتيح الغيب (١٢/ ٥١٤) .

(2) ينظر: الكشاف للزمخشري (٢/ ٣٣٧) .

(3) تفسير القرآن الحكيم (٧/ ٣٠٩) . وقال : هو أقوى الأقوال .

(4) نسبه له ابن عطية في المحرر الوجيز (٥/ ١٧٦) ، والرازي في مفاتيح الغيب (١٢/ ٥١٤) ، والقمي النيسابوري في غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ٦٨) ، وأبو حيّان في البحر المحيط (٤/ ١٠٧) ، والثعالبي في الجواهر الحسان (١/ ٤٧٥) ، والآلوسي في روح المعاني (٧/ ١٣٢) .

(5) ينظر: تفسير القرآن العزيز (٢/ ٦٤)، وتفسير القرآن (٢/ ٩٨)، والمحرر الوجيز (٥/ ١٧٦)، والتبيان (٤٩٠/١)، والبحر المحيط (٤/ ١٠٧)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ١٤٠) ، وفتح القدير (٢/ ١٥٦)، وفتح البيان (٤/ ١٢٨)، والتحرير والتنوير (٧/ ١٩١).

(6) ينظر: غرائب التفسير وعجائب التأويل (١/ ٣٥٧).

(7) ينظر: تفسير القرآن الحكيم للسيد رشيد رضا (٧/ ٣٠٩) .

(8) ينظر: تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (٢/ ٦٤) .

ولأنها أقرب مذكور . وهذا القول يحتاج إلى تقدير مضاف ولا بد ، فيكون المعنى : على ما فرطنا في شأن الساعة والاستعداد لها والإيمان بها .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن ما ذهب إليه ابن جُزَيّ ومن وافقه هو الراجح ؛ لما يلي :

١ــ أن التفريط هو التضييع والتقصير بترك العمل الصالح النافع في الدار الآخرة ، وهذا بدلالة العقل إنما يكون في الدنيا ؛ لأنها دار العمل . ويؤيد هذا الوجه آيات قرآنية منها :

ــ قوله تعالى : ﴿ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ ﴾ [الزمر: ٥٦] .

ــ وقوله تعالى : ﴿ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي ﴾ [الفجر: ٢٤] .

ــ وقوله تعالى : ﴿ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُ ﴾ [المؤمنون: ١٠٠] .

٢ــ ولأنه المتبادر إلى الذهن من الآية .

٣ــ ولأنه لا يحتاج إلى تقدير ، ومالا يحتاج إلى تقدير أولى بالتقديم مما يحتاج إليه .

٤ــ والسياق يدل عليه ؛ فإن الآيات في ذكر الحياة الدنيا سباقًا ؛ كقوله تعالى : ﴿ وَقَالُوٓاْ إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ ، ولحاقًا كقوله تعالى : ﴿ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَعِبٞ وَلَهۡوٞۖ وَلَلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۗ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾

ولهذا قال الشهاب : « الحياة معلومة من السياق »[1].

سلّمنا أنه لم يَجرِ لها ذكر ، والسياق ليس في ذكرها ، فإن لعود الضمير عليها والحال هذه له نظائر كثيرة في القرآن[2] ، فمن ذلك :

﴿ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يُلۡقُونَ أَقۡلَٰمَهُمۡ ﴾ [آل عمران: ٤٤] . أي : ما كنت لدى المتنازعين .

﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ [الحجر: ٣٩] . أي : لذرية آدم .

---

(1) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي (٤/ ٤٨) .

(2) ينظر: دراسات لأسلوب القرآن الكريم لمحمد عبد الخالق عظيمه (٨/ ٤٨) ، وقواعد التفسير لخالد السبت (١/٤١٠).

﴿ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ ﴾ [فاطر: ٤٥] .

ومنه قول حاتم الطائي[1] :

إذا حشرجت يومًا وضاق بها الصدر

أي : إذا حشرجت النفس .

وعليه، فإن الأرجح والأَولى بالصواب أن يعود الضمير ﴿ فِيهَا ﴾ على الحياة الدنيا ، والله تعالى أعلم .

(1) ديوان حاتم الطائي (٢٧) .

المسألة الثانية :

١٤- الخلاف في معنى حمل الأوزار على الظهور في قوله : ﴿ وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ﴾ هل المراد به الكناية ؟ أم هو على الحقيقة ؟

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « كناية عن تحمل الذنوب . وقال ﴿ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ﴾؛ لأن العادة حمل الأثقال على الظهور . وقيل : إنهم يحملونها على ظهورهم حقيقة . ورُوي في ذلك : أن الكافر يركبه عملُه بعد أن يتمثّل له في أقبح صورة ، وأن المؤمن يركب عملَه بعد أن يتصوّر له في أحسن صورة »[1] .

العرض والمناقشة :

رجّح ابن جُزَيّ أن حمل الأوزار[2] على الظهور كنايةٌ عن تحمُّلِ الذنوب . وهذا القول لم أجده منقولاً عن أحدٍ من السلف ، وأول من قاله ـــ فيما وقفت عليه ـــ هو الزجّاج[3] ، ونسبه له وعزاه إليه من جاء بعده[4] . وعلى ذلك النحاس، والسمرقندي، والزمخشري، وابن عطية، والبيضاوي، والنسفي، والثعالبي، وأبوالسعود، والشهاب، والشوكاني، والآلوسي، والقنوجي، والطاهر بن عاشور[5] .

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٧) .

(2) الأوزار : جمع وِزْر ، كحِمْلٍ وأحمال وعِدْلٍ وأعدال . يقال فيه : وَزَر الرجل يَزِر ، إذا أَثِم. والمراد بها : الآثام والخطايا والذنوب ، وبذا فسّرها ابن عباس كما في الوسيط للواحدي (٢/ ٢٦٤) . وهل الأصل في الوزر الثقل والحمل ؟ أكثر المفسرين على هذا . قال الطبري : « وقد زعم بعضهم أن الوِزْر الثِقْلُ والحِمْل ؟ ولست أعرف ذلك كذلك في شاهد ، ولا من رواية ثقة عن العرب ». جامع البيان (٩/ ٢١٦) . وينظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (١/ ١٩٠) ، ومفردات ألفاظ القرآن للراغب (٥٢١) ، وزاد المسير لابن الجوزي (٣/ ٢٦) ، والدر المصون للسمين (٤/ ٥٩٧).

(3) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٤٢).

(4) ينظر: زاد المسير لابن الجوزي (٣/ ٢٦) ، ومفاتيح الغيب للرازي (٤/ ٥١٤).

(5) ينظر: معاني القرآن الكريم (٢/ ٤١٦) وإعراب القرآن (٢/ ٦٣)، و بحر العلوم (١/ ٤٨١)، والكشاف (٣٣٧/٢)، والمحرر الوجيز (٥/ ١٧٧)، وأنوار التنزيل (١/ ٣٠٠)، ومدارك التنزيل (٢/ ٩)، والجواهر الحسان (١/ ٤٧٦)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ١٤١)، وحاشية الشهاب على البيضاوي (٤/ ٤٨)، وفتح القدير (٢/ ١٥٦)، وروح المعاني (٧/ ١٣٢)، وفتح البيان (٤/ ١٢٩)، والتحرير والتنوير (٧/ ١٩١).

وأما القول بأن حمل الأوزار على الظهور هو على الحقيقة، فقال به مقاتل[1] ، والسدّي[2] ، وعمرو بن قيس المُلائي[3]، وعُمير بن هانيء[4]. ونُسِبَ إلى قتادة[5]، و لم أقف عليه .

ورجّحه ابن جرير الطبري، وابن أبي زَمَنِين، والواحدي، والسمعاني، والبغوي، وأبوحيان ،

---

(1) تفسير مقاتل (٥٥٧ ، ٥٥٨) .

(2) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩/ ٢١٧) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٢٨١) (٧٢٢٩) كلاهما من طريق أحمد بن المفضل ، عن أسباط ، عن السدي قال : « فإنه ليس من رجل ظالم يموت ، فيدخل قبره ، إلا جاءه رجل قبيح الوجه ، أسود اللون ، منتن الريح ، عليه ثياب دَنِسة ، حتى يدخل معه قبره ، فإذا رآه قال : ما أنتن ريحك ! قال : كذلك كان عملك منتنًا ! قال : ما أدنس ثيابك ! قال : فيقول : إن عملك كان دنسًا . قال : من أنت ؟ قال : أنا عملك ! قال : فيكون معه في قبره ، فإذا بعث يوم القيامة قال له : إني كنت أحملك في الدنيا باللّذات والشهوات ، فأنت اليوم تحملني . قال : فيركب على ظهره فيسوقه حتى يدخله النار ، فذلك قوله : ﴿ يَحۡمِلُونَ أَوۡزَارَهُمۡ عَلَىٰ ظُهُورِهِمۡ ﴾ ».

(3) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩/ ٢١٦) من طريق ابن حميد ، عن الحكم بن بشير بن سلمان ، عن عمرو بن قيس المُلائي قال: « إن المؤمن إذا خرج من قبره استقبله أحسن شيء صورةً وأطيبه ريحًا ، فيقول له : هل تعرفني؟ فيقول : لا ، إلاّ أن الله قد طيّب ريحك وحسّن صورتك ! فيقول : كذلك كنت في الدنيا ، أنا عملك الصالح ، طالما ركبتك في الدنيا ، فاركبني أنت اليوم ! وتلا : ﴿ يَوۡمَ نَحۡشُرُ ٱلۡمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ وَفۡدٗا ﴾ مريم: ٨٥ وإن الكافر يستقبله أقبح شيءٍ صورةً وأنتنه ريحًا ، فيقول : هل تعرفني ؟ فيقول : لا ، إلاّ أن الله قد قبّح صورتك وأنتن ريحك ! فيقول : كذلك كنت في الدنيا ، أنا عملك السيء ، طالما ركبتني في الدنيا ، فأنا اليوم أركبك . وتلا :﴿ وَهُمۡ يَحۡمِلُونَ أَوۡزَارَهُمۡ عَلَىٰ ظُهُورِهِمۡۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴾ ». وإسناده جيد إلاّ أنه موقوف على عمرو بن قيس وهو ثقة من أتباع التابعين. وأخرجه ابن أبي حاتم (٤/ ١٢٨١) (٧٢٢٨) عن أبي سعيد الأشجّ ، عن أبي خالد ، عن عمرو بن قيس ، عن أبي مرزوق به .

(4) نسبه له : ابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٢٦) ، وأبو حيان في البحر المحيط (٤/ ١٠٧) . قال عمير بن هانيء : « يحشر مع كل كافر عمله في صورة رجل قبيح ، كلما كان هَوْلٌ عظّمه عليه، وزاده خوفًا ، فيقول : بئس الجليس أنت ، مالي ولك ؟ فيقول : أنا عملك ، طالما ركبتني في الدنيا ، فلأركبنك اليوم حتى أخزيَك على رؤوس الناس ، فيركبُه ويتخطى به الناس حتى يقف بين يدي ربه ، فذلك قوله:﴿ وَهُمۡ يَحۡمِلُونَ أَوۡزَارَهُمۡ عَلَىٰ ظُهُورِهِمۡ ﴾ » .

(5) نسبه له الرازي في مفاتيح الغيب (٤/ ٥١٤) ، ونظام الدين القمي النيسابوري في غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ٦٨) .

وابن كثير، والسيوطي[1] .

واستدلّ القائلون بالحقيقة بأقوال السلف ـــ وقد مرّت آنفًا ـــ ،

وبما رواه أبو هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (إن الكافر إذا خرج من قبره مُثّل له عمله في أقبح صورة رآها قط ، أقبحه وجهًا ، وأنتنه ريحًا ، وأسوأه لفظًا ، فيقول : من أنت ؟ أعوذ بالله منك ؛ فما رأيت أقبح منك وجهًا ، ولا أنتن منك ريحًا ، ولا أسوأ منك لفظًا . فيقول : أتعجب من قبحي ؟ فيقول : نعم ، فيقول : أنا ـــ والله ـــ عملك الخبيث ، وإنك كنت تركبني في الدنيا ، وإني والله لأركبنك اليوم ، فيركبه فلا يرى شيئًا يهوله ولا يروعُه إلاّ قال : أبشر يا عدو الله ، أنت الذي تُراد وأنت الذي تُعْنَى. وهو قوله : ﴿ وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ﴾ الآية)[2].

والقول بأن حمل الأوزار على الظهور هو على الحقيقة ، هو أرجح القولين في المسألة وذلك لما يلي :

١- أن في الآية قرينة تمنع حمل الكلام على المجاز وهي قوله تعالى :﴿ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ﴾، فهذا يدل على أن هناك حملاً ، وأنه كائن على الظهور .

٢ـــ أن القول بتجسيم الأعمال وتصوّرها يوم القيامة ووزنها في الميزان ، يؤيد كون الحمل على الظهور حقيقة ومن ذلك :

ـــ ما رواه البخاري من حديث أبي هريرة مرفوعًا : (من آتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته مُثّل له شجاعٌ أقرعُ له زبيبتان يطوِّقه يوم القيامة فيأخذ بِلِهْزِمَتَيْهِ ـــ يعني : شِدْقَيْهِ ـــ يقول : أنا مالك، أنا

---

(1) ينظر: جامع البيان (٩/ ٢١٦) ، وتفسير القرآن العزيز (٢/ ٦٤) ، والوجيز (١/ ٣٥٠) والوسيط (١/٢٦٤) ، وتفسير القرآن (٢/ ٩٩) ، ومعالم التنزيل (٢/ ١٨) ، والبحر المحيط (٤/ ١٠٧) ، وتفسير القرآن العظيم (٦/٢٥) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية٢/ ٣٥٨).

(2) رواه ابن أبي زَمَنِين في تفسير القرآن العزيز (٢/ ٦٤) عن يحي ، عن صاحب له ، عن إسماعيل بن أبي رافع ، عن سعيد المقبري ، عن أبي هريرة رضي الله عنه . وهذا إسناد ضعيف للجهالة في إسناده . وإسماعيل إن كان ابن رافع فهو ضعيف . ينظر: تقريب التهذيب لابن حجر (١٠٧).

كترك، ثم تلا قوله تعالى : ﴿ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴾[1] [آل عمران: ١٨٠] .

قال الشهاب : « من قال بالميزان واعتقد وزن الأعمال لا يقول إنه تمثيل »[2] .

وقال الآلوسي : « وقد قال كثير من أهل السنة بتجسيم الأعمال في تلك الدار ، وهو الذي يقتضيه ظاهر الوزن »[3] .

٣ــ أن الأصل في كلام الله تعالى ــ وخاصة فيما يتعلق بالغيب ــ إجراؤه على ظاهره وإمراره وإقراره، وعدم العدول به عن الظاهر .

٤ــ أنه قول السلف ، والقول بالكناية لم ينقل عنهم .

وبعد، فإذا تقرر هذا ، فإن ما ذهب إليه ابن جُزَيّ في هذه المسألة مرجوح ، وأن الراجح هو القول بالحقيقة ، ويؤيده القاعدة الترجيحية : (الأصل في الكلام حمله على الحقيقة ، ولا يجوز العدول به عنها وله فيها محمل صحيح ، فيجب حمل نصوص القرآن على الحقيقة)[4] .

وقد قرر ابن جُزَيّ هذا في مقدمة تفسيره[5] ، وجعل تقديم الحقيقة على المجاز وجهًا من وجوه الترجيح بين الأقوال ، وأن الحقيقة أَولى أن يحمل عليها اللفظ ، وخالف هنا رحمه الله ما قرره هنالك ، والله تعالى أعلم .

---

(1) صحيح البخاري ، كتاب الزكاة ، برقم (١٤٠٣) ، والتفسير برقم (٤٥٦٥) .

(2) حاشية الشهاب على البيضاوي (٤/ ٤٨) .

(3) روح المعاني (٧/ ١٣٣) .

(4) قواعد الترجيح عند المفسرين (١/٣٨٧) .

(5) التسهيل لعلوم التنزيل (١/٩).

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾

١٥- الخلاف في معنى قراءة ﴿ لَا يُكَذِّبُونَكَ ﴾ بالتخفيف .

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « من قرأ بالتشديد فالمعنى : لا يكذّبونك معتقدين لكذبك، وإنما هم يجحدون بالحق مع علمهم به . ومن قرأ بالتخفيف فقيل : معناه : لا يجدونك كاذبًا . يقال : أَكْذَبْتُ فلانًا ، إذا وجدته كاذبًا . كما يقال : أَحْمدتُه ، إذا وجدته محمودًا . وقيل : هو بمعنى التشديد . يقال : كذّب فلان فلانًا وأكذبه بمعنًى واحدٍ . وهوالأظهر ؛ لقوله بعد هذا : ﴿ يَجْحَدُونَ ﴾. ويؤيد هذا ما رُوي أنها نزلت في أبي جَهْلٍ ، فإنه قال لرسول الله ﷺ : إنا لا نكفر بك ولكن نكذّب ما جئت به . وأنه قال للأخنس بن شَريق : والله إن محمدًا لصادق ، ولكنّي أحسده على الشرف »[1].

العرض والمناقشة :

أعرض ابن جُزَيّ عن الترجيح بين القراءتين وتفضيل إحداهما على الأخرى ؛ لأنهما قراءتان متواترتان مشهورتان ، ولكل واحدة منهما في الصحة مخرج مفهوم[2]. ورحم الله أبا حيان حينما قال : ولا ترجيح بين المتواترتين[3].

وحكى ابن جُزَيّ الخلاف في معنى قراءة ﴿ لَا يُكْذِبُونَكَ ﴾ ـــ بإسكان الكاف وتخفيف الذّال[4] ـــ على قولين اثنين ، ورجّح أنها بمعنى قراءة التشديد ﴿ لَا يُكَذِّبُونَكَ ﴾ ، فكذَّب وأَكْذَب بمعنى واحد. أي : لا يكذبونك معتقدين لكذبك ولا ينسبونك إلى الكذب ؛

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٧) .

(2) ينظر: جامع البيان للطبري (٩/ ٢٢٠) .

(3) البحر المحيط (٤/ ١١١) .

(4) قرأها كذلك نافع والكسائي . وقرأ الباقون بفتح الكاف وتشديد الذال . ينظر: السبعة لابن مجاهد (٢٥٧) ، والتيسير في القراءات السبع للداني (٨٤) ، وحجة القراءات لابن زنجلة (٢٤٧- ٢٤٨) ، والإقناع في القراءات السبع لابن الباذش (٢/ ٦٣٨) ، وشرح طيبة النشر لابن الجزري (٢٢٣) ، والنشر في القراءات العشر له (٢/٢٥٨).

لعلمهم بصدقك ، وإنما يجحدون بالحق الذي جئتهم به عنادًا وحسدًا .

وهذا قول قتادة ، والسدّي[1]. وإليه ذهب ابن جرير الطبريُّ، والزجاج، والثعالبي، والسيوطي، وأبوالسعود[2] ؛ ودلّل له ابن جُزَيّ بسياق الآية ، فإن قوله آخرها: ﴿ يَجْحَدُونَ ﴾ يدل على أنهم يعلمون أن ما جاءهم به النبي ﷺ حق وصدق ، حيث لم يكونوا يعتقدون كذبه ـــ عليه الصلاة والسلام ـــ ولم ينسبوه إلى الكذب والافتراء ، وإنما جحدوا نبوته ﷺ مع علمٍ منهم بأنه نبيُّ الله صادق ؛ حسدًا له وبغيًا وعنادًا[3] .

ويشهد لهذا قوله تعالى في هذه السورة : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ﴾ [الأنعام: ٢٠] . ففيه أوضح دليل على أنه قد كان فيهم المعاند في جحود نبوته ﷺ مع علمٍ منه به وبصحة نبوّته[4].

ورُوي في معنى الآية بعض الآثار منها :

١ـــ عن أبي صالح قال : جاء جبريل إلى النبي ﷺ ذات يومٍ وهو جالس حزين ، فقال له : ما يَحْزُنُك؟ فقال: (كذّبني هؤلاء) . قال : فقال له جبريل : إنهم لا يكذبونك ، هم يعلمون أنك صادق ، ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون[5].

٢- وعن السدّي قال : « لما كان يومُ بدر قال الأخنس بن شَريق لبني زُهرة : يابني زهرة ، إن محمدًا ابن أختكم ، فأنتم أحق من كفَّ عنه ، فإن كان نبيًّا لم تقاتلوه اليوم ، وإن كان كاذبًا كنتم أحقّ من كفّ عن ابن أختكم . قفوا هاهنا حتى ألقى أبا الحكم ... فقال : يا أبا الحكم ، أخبرني عن محمد ، أصادق هو أم كاذب ؟ فإنه ليس ها هنا من قريش أحد غيري وغيرك يسمع كلامنا . فقال أبو جهل : وَيْحك ، والله إن محمدًا لصادق ، وما كذب محمد قط ، ولكن إذا ذهب بنو قُصَيّ باللواء والحجابة والسقاية والنبوة ، فماذا يكون

---

(1) ينظر: الجواهر الحسان للثعالبي (١/ ٤٧٧).

(2) ينظر: جامع البيان (٩/ ٢١٩)، ومعاني القرآن وإعرابه (٢/)، والجواهر الحسان (١/ ٤٧٧)، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٢/ ٣٦٠) ، وإرشاد العقل السليم (٢/ ١٤٣) .

(3) ينظر: جامع البيان للطبري (٩/ ٢١٩).

(4) جامع البيان للطبري .

(5) رواه ابن جرير الطبري من طريق أبي معاوية ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عنه .

لسائر قريش ؟ فذلك قوله :﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ »[1].

٣ــ وعن ناجية قال : « قال أبوجهل للنبي ﷺ : ما نتّهمك ، ولكن نتّهم الذي جئت به، فأنزل الله تعالى ذِكْرُه :﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾»[2].

٤- وعن سعيد بن جبير قال : « ليس يكذبون محمدًا ، ولكنهم بآيات الله يجحدون »[3].

ومما يدلُّ له أيضًا أن بعض العلماء باللغة يذهب إلى أن (كذّب) و (أَكْذَب) بمعنى واحد.

قال أبوعلي : « ويؤكّد أن القرائتين بمعنًى، ما حكاه سيبويه أنهم قالوا : قلّلْتُ وأَقْلَلْتُ، وكثّرت وأكثرت بمعنًى »[4].

والعرب تعدّي الثلاثي بالتضعيف كما تعدّيه بالهمزة ؛ كما يقال : كثّرت الشيء وأَكْثَرته[5].

وأما القول الآخر وهو التفريق بين معنى القرائتين ، ويكون المعنى على قراءة التخفيف : لا يجدونك كاذبًا . أي : إن ظنت نفوسهم أنك كاذب وكذّبوك فإنهم لا يصادفونك في نفس الأمر كاذبًا ، فأنت على حق فيما بينك وبين الله ، فهوِّنْ عليك ولا تَثقُل عليك افتراءاتُهم[6] ، فهو قول الكسائي[7]،

---

(1) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩/٢٢١) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٢٨٣) (٢٨٤٠) من طريق أحمد بن المفضل ، عن أسباط ، عنه .

(2) رواه الترمذي في التفسير (٣٠٦٤)، والطبري في جامع البيان (٩/ ٢٢٢) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٢٨٢/٤) (٧٢٣٥) ، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣١٥) من طريق الثوري ، عن أبي إسحاق ، عن ناجية موقوفًا عليه. ورواه الترمذي (٣٠٦٤) ، وابن أبي حاتم (٧٢٣٤) ، والحاكم (٢/ ٣١٥) عن ناجية ، عن علي . قال الترمذي عن الطريق الأول : وهذا أصح .

(3) رواه الطبري في جامع البيان (٩/ ٢٢٢) من طريق قيس ، عن سالم الأفطس ، عنه .

(4) ينظر: الوسيط للواحدي (٢/ ٢٦٦) ، وزاد المسير لابن الجوزي (٣/ ٢٩ ــ٣٠) ، ولسان العرب (١/ ٧٠٧) .

(5) ينظر : العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير لجامعه خالد السبت (١/ ١٦٤).

(6) ينظر: العذب النمير للشنقيطي (١/ ١٦٢ ــ ١٦٤).

(7) ينظر: حجة القراءات لابن زنجلة (٢٤٧) .

والفرّاء[1] ، وابن قُتيبة[2] .

وعليه السمرقندي، وابن أبي زمنين، ومكيّ، والماوردي، ومحمود النيسابوري، والنسفي، والشوكاني، والقنّوجي[3]. ومال إليه السمعاني، والبغوي، والزمخشري[4] .

ويشهد لهذا القول القرآن كما في قوله تعالى :﴿ وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ ﴾[الأنعام: ٦٦].

أي: قالوا : (ما جئتنا به كذب) إذ لم يقل : وكذّبك قومك وهو الحق ، كأنهم قالوا: (هو كذب أخذته عن غيرك) كما قال عزّ وجل : ﴿ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ﴾[5][النحل: ١٠٣]. ويدلُّ عليه ما تقرر في علم التصريف : أن من معاني (أفعل) إذا قلت : (أفعلتُ الرجل) : إذا وجدته كذا . تقول : (أحمدتُه) إذا وجدته حميدًا أو محمودًا . و (أكذبتُه) إذا وجدتَه كاذبًا[6] . و (أجبنتُه) إذا وجدته جبانًا .

قال الشاعر :

فطائفةٌ قد أَكْفَرُوني بحبِّكم وطائفةٌ قالوا : مسيءٌ ومذنب[7]

وحكى الكسائي أن العرب تقول : (كَذَّبْتُ الرجل) : إذا نسبت الكذب إليه ، و (أكذبته): إذا نسبت الكذب إلى ما جاء به دون أن تنسبه إليه . وتقول العرب أيضًا : (أكذبتُ الرجل) : إذا وجدته كذابًا ، كما تقول : (أحمدتُه) : إذا وجدته محمودًا[8].

---

(1) ينظر: معاني القرآن (١/ ٣٣١).

(2) ينظر: تأويل مشكل القرآن (١٢٥) ، وحجة القراءات لابن زنجلة (٢٤٨) ، وزاد المسير لابن الجوزي (٢٩/٣) .

(3) ينظر: بحر العلوم (١/ ٤٨٢)، وتفسير القرآن العزيز (٢/ ٦٥)، وتفسير المشكل (١٦٠)، و النكت والعيون (٢/ ١٠٨)، وإيجاز البيان (١/ ٢٤٠)، ومدارك التنزيل (٢/ ١٠)، وفتح القدير (٢/ ١٥٧)، وفتح البيان (١٣٠/٤).

(4) ينظر: تفسير القرآن (٢/ ١٩)، ومعالم التنزيل (٢/ ٩٩)، والكشاف (٢/ ٣٣٩).

(5) ينظر: حجة القراءات لابن زنجلة (٢٤٧).

(6) ينظر: العذب النمير للشنقيطي (١/ ١٦٤).

(7) البيت للكميت بن زيد الأسدي من قصيدة يمدح فيها آل البيت . ينظر: زاد المسير لابن الجوزي (٣/ ٢٩).

(8) ينظر: حجة القراءات لابن زنجلة (٢٤٧) ، والمحرر الوجيز لابن عطية (٥/ ١٨١) ، وزاد المسير لابن الجوزي (٢٩/٣).

قال الفرّاء : « معنى التخفيف ـــ والله أعلم ـــ : لا يجعلونك كذّابًا ، وإنما يريدون أن ما جئت به باطل ؛ لأنهم لم يجرّبوا عليه ﷺ كذبًا فيكذّبوه وإنما أكذبوه ؛ أي : ما جئت به كذب لا نعرفه »[1] .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن القول بالتفريق بين معنى القرائتين هو الأَوْلى ، وعليه تكون الآية ـــ على قراءة التخفيف ـــ في عامّة الكفار ، ويدل لذلك قوله تعالى في السورة نفسها: ﴿ وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ ﴾ [الأنعام: ٦٦] . وعلى قراءة التشديد تكون الآية في خاصّة الكفار، وهم المعاندون منهم الجاحدون الحقَّ العالمون به ، ويدل لذلك قوله في آخر الآية نفسها : ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ ، ولها نظائر :

– كقول موسى عليه السلام لفرعون : ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ ﴾ [الإسراء: ١٠٢] .

– وكقوله : ﴿ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ [النمل: ١٤] .

قال ابن جرير الطبري : « وذلك أن المشركين لا شكَّ أنه كان منهم قوم يكذبون رسول الله ﷺ ويدفعونه عمّا كان الله تعالى ذِكْرُه خصّه به من النبوة ، فكان بعضهم يقول : (هو شاعر)، وبعضهم يقول : (هو كاهن) ، وبعضهم يقول : (هو مجنون) . وينفي جميعهم أن يكون الذي أتاهم به من وحي السماء ومن تنزيل رب العالمين قولاً[2] ، وكان بعضهم قد تبيّن أمره وعلم صحة نبوته ، وهو في ذلك يعاند ويجحد نبوته حسدًا له وبغيًا»[3].

والقول بالتفريق بين معنى القراءتين فيه شمول لطائفتي الكفار : العامةِ الدهماء الأتباع ـــ على قراءة التخفيف ـــ والخاصَّةِ المتبوعين العالمين بالحق المعاندين له الرادّين له بغيًا

---

(1) معاني القرآن (١/ ٣٣١).

(2) ذكر الله تعالى في سورة (ص) عن الكفار أنهم قالوا أيضًا : ﴿ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ ﴾ . وقال الملأ منهم : ﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴿٧﴾ ﴾

(3) جامع البيان : (٩/ ٢٢٠).

وحسدًا ـــ على قراءة التشديد ـــ .

ففي الآية على هذا القول إعجاز . ولو قلت بأن معنى (أكذب) و (كذّب) واحد ، وأن معنى القراءتين واحد لا فرق لَذَهَبَ هذا المعنى اللطيفُ ، والله تعالى أعلم .

ويؤيد هذا القول ما تقرر في علم القراءات : أن القراءتين حكمهما حكم الآيتين المختلفتين ، فكل منهما تفيد ما تضمنته من الأحكام والمعاني[1].

وأما استدلال الفريقين باللغة العربية وبما ورد عن العرب فليس بعضهم حجة على بعض، والخلاصة أن لـــ (كذّبتُ الرجلَ) و (أَكْذَبْتُهُ) في العربية ثلاثة أقوال :

١ -أنهما بمعنى واحد[2].

٢ـــ أن (كذّبته) : إذا نسبته للكذب . و (أَكْذَبْتُهُ) : إذا أخبرت أن الذي يحدّث به كذب ليس هو الصانع له . قاله الكسائي حاكيًا له عن العرب .

٣ـــ عكسه : أن (أكذبتُه) : إذا أدخلته في جملة الكذّابين ، ونسبته للكذب . حكاه ابن الأنباري، عن غير الكسائي[3] .

وأما الآثار فهي موقوفة على أصحابها ، وبعضها مرسل .

وإذا كان ذلك كذلك فإن ما استظهره ابن جُزَيّ ورجّحه ليس بمدفوع ؛ لقوة أدلّته من شهادة القرآن، واللغة له ، ويؤيده القاعدة الترجيحية : (اتحاد معنى القراءتين أَولى من اختلافه)[4].

والذي يظهر أن الأَوْلى هو التفريق بين معناهما ؛ ليدل على الشمول والعموم لطوائف الكفار، والله تعالى أعلم وأحكم .

---

(1) ينظر: العذب النمير للشنقيطي (١/ ١٦٤).

(2)ينظر: الوسيط للواحدي (٢/ ٢٦٦) ، واللسان (١/ ٧٠٧، ٧٠٨) ، وزاد المسير (٣/ ٣٠) .

(3) ينظر: معاني القرآن الكريم للنحاس (٢/ ٤١٨) ، وزاد المسير لابن الجوزي (٢٩/٣).

(4) قواعد الترجيح (١/ ١٠٠ ـــ ١٠٣).

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُم مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ ٣٨ ﴾

١٦- الخلاف في المراد بالكتاب في قوله : ﴿ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖ ﴾ .

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « أي : ما غفلنا . والكتاب هنا هو اللوح المحفوظُ ، والكلام على هذا عام . وقيل : هو القرآن ، والكلام على هذا خاص . أي : ما فرطنا فيه من شيء فيه هدايتكم والبيان لكم »[1].

العرض والمناقشة :

رجّح ابن جُزَيّ أن الكتاب في قوله عز وجل:﴿ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖ ﴾ هو اللوح المحفوظ. وهذا قول ابن عباس[2]، ومقاتل[3]، وابن زيد[4]، وقتادة[5]، والحسن[6] .

وعليه أكثر المفسرين ومنهم : الطبري، والسمرقندي، والبغوي، والزمخشري، والقرطبي، والقمي، وابن تيمية، وابن القيم، وابن كثير، والسيوطي، والشوكاني، والقنوجي، والقاسمي، والمراغي، والطاهر بن عاشور[7].

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٨).

(2) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩/ ٢٣٤) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٢٨٦) (٧٢٥٩) من طريق علي بن أبي طلحة ، عنه قال: «ما تركنا شيئًا إلا قد كتبناه في أم الكتاب» .

(3) ينظر: تفسير مقاتل (١/ ٥٦٠).

(4) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩/ ٢٣٤) من طريق ابن وهب ، عنه . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٢٨٦/٤) (٧٢٦٠) من طريق أصبغ ، عنه .

(5) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢٠٧) عن معمر عنه. وزاد نسبته السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٢٦٧) إلى أبي الشيخ .

(6) نسبه له الآلوسي في روح المعاني (٧/ ١٤٥).

(7) ينظر: : جامع البيان (٩/ ٢٣٢)، وبحر العلوم (١/ ٤٨٣)، ومعالم التنزيل (٢/ ٢١)، والكشاف (٢/ ٣٤٢)، والجامع لأحكام القرآن (٨/ ٣٧١)، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ٧٦)، وبغية المرتاد (٩٨)، وبدائع التفسير (١٤٨/٢)، وتفسير القرآن العظيم (٦/ ٣١)، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٢/ ٣٦٥)، وفتح القدير (١٦٠/٢) ، وفتح البيان (٤/ ١٣٦)، ومحاسن التأويل (٦/ ٢٢٩٩)، وتفسير المراغي (١١٧/٧)،

وهو مفهوم كلام ابن أبي زمنين[1]. وبدأ به البيضاوي، والنسفي، وأبوحيّان، والسعدي[2].

قال الشنقيطي : « أكثر المحققين على أنه اللوح المحفوظ »[3] .

وذكره بصيغة (قيل) : ابن عطية، والثعالبي، وأبو السعود[4].

ويدل له السياق ، فإن قوله تعالى : ﴿ وَمَامِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ﴾ يتضمن أنها أمم أمثالنا في الخلق والرزق والأكل والتقدير الأول ، وأنها لم تخلق سدى ، ثم ذكر عاقبتها ومصيرها بعد فنائها فقال :﴿ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ . فذكر مبدأها ونهايتها ، وأدخل بين هاتين الحالين قوله : ﴿ مَّافَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ﴾ أي : كلها كتبت وقُدّرت وأُحصيت قبل أن توجد ، وهذا إنما يناسب ذكر الكتاب الأول وهو اللوح المحفوظ لا كتاب الأمر والنهي وهو القرآن .

ولما سألوا آية أخبرهم سبحانه بأنه لم يتركها لعدم قدرته بل لحكمته ورحمته بهم ، ثم ذكر ما يدل على كمال قدرته بخلق الأمم التي لا يحصيها غيره ، فمن قدر على خلق هذه الأمم مع اختلاف أجناسها وأنواعها وصفاتها وهيئاتها كيف يعجز عن إنزال آية ؟ ثم أخبر عن كمال قدرته وعلمه بأن هؤلاء الأمم قد أحصاهم وكتبهم وقدّر أرزاقهم وآجالهم وأحوالهم في كتاب لم يفرط فيه من شيء ثم يميتهم ثم يحشرهم إليه[5] .

كما يدلُّ له العموم المشتمل عليه قوله : ﴿مِن شَيْءٍ ﴾؛ فإن النكرة في سياق النفي تفيد

والتحرير والتنوير (٧/ ٢١٧).

(1) ينظر: تفسير القرآن العزيز (٢/ ٦٧).

(2) ينظر: أنوار التنزيل (١/ ٣٠١)، ومدارك التنزيل (٢/ ١١)، والبحر المحيط (٤/ ١٢٠)، وتيسير الكريم الرحمن (٢/ ٢٠) .

(3) العذب النمير (١/ ١٩٢).

(4) ينظر: المحرر الوجيز (٥/ ١٩٤)، والجواهر الحسان (١/ ٤٨٠)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ١٤٧).

(5) ينظر: بدائع التفسير (٢/ ١٤٩).

العموم . و﴿مِن﴾ مزيدة للاستغراق ، أي : ما تركنا وما أغفلنا شيئًا قط[1] .

ويشهد له القرآن ،كقوله تعالى : ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴾[2] [هود: ٦] .

فإن هذه الآية في هود شبيهة بآية الأنعام هذه فهي كالمفسرة لها .

وأما القول الثاني ـــ وهو أن المراد بالكتاب هو القرآن ـــ فروي عن ابن عباس[3].

وعليه الواحدي، والسمعاني، وابن عطية، وابن الجوزي، والرازي، والثعالبي، وأبوالسعود، والآلوسي[4].

وذكره بصيغة (قيل) : السمرقندي ، والقرطبي، والقمي ، والشوكاني، والقنوجي، والقاسمي ، والمراغي[5]. وضعّفه الطاهر واستبعده[6].

واستُدِلَّ له بأن الألف واللام إذا دخلا على الاسم المفرد انصرف إلى المعهود السابق ، والمعهود السابق من الكتاب عند المسلمين هو القرآن[7] ، فإنه هو الذي تسبق إليه الأذهان فيما بين أهل الإيمان[8] .

---

(1) ينظر: المحصول في علم الأصول للرازي (٥٦٣/٢) ، والبحرالمحيط لبدرالدين الزركشي (٢٧٠/٢) ، وغرائب القرآن و رغائب الفرقان للقمي النيسابوري (٣/ ٧٦) .

(2) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦/ ٣١) .

(3) رواه عطاء ، عنه . ينظر: الوسيط للواحدي (٢/ ٢٦٨) ، وزاد المسير لابن الجوزي (٣/ ٣٥).

(4) ينظر: الوجيز (١/ ٣٥٢)، وتفسير القرآن (٢/ ١٠٠)، والمحرر الوجيز (٥/ ١٩٤)، وتذكرة الأريب في تفسير الغريب (١/ ١٥٩)، ومفاتيح الغيب (٤/ ٥٢٦)، والجواهر الحسان (١/ ٤٨٠)، وإرشاد العقل السليم (١٤٧/٢)، وروح المعاني (٧/ ١٤٤).

(5) ينظر: : بحر العلوم (١/ ٤٨٣)، والجامع لأحكام القرآن (٨/ ٣٧١)، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٧٦/٣)، وفتح القدير (٢/ ١٦٠)، وفتح البيان (٤/ ١٣٦)، ومحاسن التاويل (٦/ ٢٢٩٩)، وتفسير المراغي (٧/ ١١٩).

(6) ينظر: التحرير والتنوير (٧/ ٢١٧).

(7) ينظر: مفاتيح الغيب للرازي (٤/ ٥٢٦) .

(8) ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان للقمي النيسابوري (٣/ ٧٦).

وأن السياق والمعنى يقتضيه[1]، فإنه ذكر عقيب قوله تعالى : ﴿ وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةٗ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٣٧ ﴾ . فنبّههم على أعظم الآيات وأدلّها على صدق رسول الله ﷺ وهو الكتاب الذي يتضمن بيانًا لكل شيء و لم يفرط فيه من شيء . ثم نبّههم بأنهم أمة من جملة الأمم التي في السماوات والأرض، وهذا يتضمن التعريف بالله وكمال قدرته وعلمه وسعة ملكه وكثرة جنوده والأمم التي لا يحصيها غيره، وهذا يتضمن أنه لا إله غيره ولا رب سواه وأنه رب العالمين. فهذا دليل على وحدانيته وصفات كماله من جهة خلقه وقدرته. وإنزال الكتاب الذي لم يفرط فيه من شيء دليل من جهة أمره وكلامه . فهذا استدلال بأمره وذاك بخلقه ﴿ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٤] .

ويشهد لهذا المعنى قوله سبحانه : ﴿ وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَٰتٞ مِّن رَّبِّهِۦۖ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ٥٠ أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡۚ ﴾[2] [العنكبوت: ٥٠ - ٥١] .

واستُدِلَّ له كذلك بنظير هذه الآية وهي قوله تعالى : ﴿ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ ﴾ [النحل: ٨٩] .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن أَولى القولين بالصواب هو ما رجّحه ابن جُزَيّ ومن وافقه ؛ لقوة أدلته وذلك أن دلالة السياق على أنه اللوح المحفوظ أظهر وأنسب من دلالتها على أنه القرآن. وآية هود تفسّر المراد بالكتاب في آية الأنعام بأنه اللوح المحفوظ ، وهذا تفسير قرآن بقرآن.

وأما قوله تعالى : ﴿ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ ﴾ فإن الكتاب فيها هو القرآن بلا شك ، ولكنه مقرون بذكر الإنزال بخلاف آية الأنعام ﴿ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖ ﴾.

---

(1) ينظر: البحر المحيط لأبي حيان (٤/ ١٢٠).

(2) ينظر: بدائع التفسير (٢/ ١٤٩).

وعلى القول بأنه اللوح المحفوظ فإنه عام في جميع الأشياء ، ويبقى اللفظ على عمومه . وعلى القول بأنه القرآن فإنه خاص في الأشياء التي فيها منافع للمخاطبين وطرائق هدايتهم، فيكون من العام الذي أريد به الخاص[1] .

ويتأيد القول بأنه اللوح المحفوظ بالقاعدة الترجيحية : (يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص)[2] .

وقد قرّر ابن جُزَيّ في مقدمة تفسيره هذه القاعدة وجعلها وجهًا من وجوه الترجيح بين الأقوال فقال : « تقديم العمومي على الخصوصي ، فإن العمومي أَولى ؛ لأنه الأصل إلاّ أن يدل دليل على التخصيص »[3].

ويرجحه كذلك أنه تفسير السلف المأثور عنهم ، وتفسيرهم مقدّم على غيره كما هو مقرر في القواعد[4]، والله تعالى أعلم .

---

(1) ينظر: المحرر الوجيز (٥/ ١٩٤) ، والوسيط للواحدي (٢/ ٢٦٨) . وفي " بيان القرآن لكل شيء " ينظر: مفاتيح الغيب للرازي (٤/ ٥٢٦ ــ ٥٢٨) ، ومحاسن التأويل للقاسمي (٦/ ٢٢٩٩ ــ ٢٣٠٥) ، وأضواء البيان للشنقيطي (٣/ ٣٣٦ ــ ٣٤٥) . وللشاطبي في الموافقات (٢/٧٩ــ ٨١) كلام نفيس في الرد على من زعم أن القرآن حوى كل علم يذكر للمتقدمين أو المتأخرين .

(2) قواعد الترجيح (٢/ ٥٢٧).

(3) التسهيل (١/ ٩).

(4) ينظر: قواعد الترجيح (١/٢٧١ ، ٢٨٨).

قَالَ تَعَالَى:

﴿ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾

١٧- الخلاف في معنى البغتة والجهرة في قوله ﴿إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً ﴾.

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « والبَغْتَةُ : ما لم يتقدّمْ لهم شعورٌ به ، والجَهْرةُ : ما بدت لهم مَخَايلُه . وقيل : بغتةً بالليل ، وجهرةً بالنهار »[1].

العرض والمناقشة :

رجّح ابن جُزَيّ في قوله تعالى : ﴿إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً ﴾ أن البغتة هي: ما لم يتقدّم لهم شعور به . أي : الفجأة والمفاجأة . وأن الجهرة هي: ما بدت لهم مَخَايلُه. أي : المعاينة[2]. ووافق المرويَّ عن مجاهد[3]، وقال به مقاتل[4].

ورجّحه عامة المفسّرين منهم : أبوعبيدة، والبخاري، والطبري، والزجاج، والنحاس، والسمرقندي، والبغوي، والزمخشري، وابن عطية، وابن الجوزي، والرازي، والنسفي، وابن كثير، والبقاعي، وأبوالسعود، والشوكاني، والآلوسي، والقنوجي، والقاسمي، والسيد رشيد رضا، والمراغي، والسعدي ، والطاهر، والشنقيطي[5].

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٩) .

(2) تنوّعت عبارات المفسرين في تفسير البغتة والجهرة ــ على هذا القول ــ ومعناها واحد ، ومن ذلك : البغتة : الفجأة ، لا يتقدم عندكم منها علم ، من غير مقدمة ، بأن لم تظهر أماراته ... والجهرة : عيانًا ، معاينة ، تبدو لكم مخايله ومباديه ثم تتوالى حتى تنزل ، بتقدمة أمارة تؤذن بحلوله ، بأن ظهرت أماراته ...

(3) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩/ ٢٥٤) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٢٩٤) (٧٣١٣، ٧٣١٤) من طريق ابن أبي نجيح ، عنه .

(4) تفسير مقاتل (١/ ٥٦١) .

(5) ينظر: : مجاز القرآن (١/ ١٩٣)، وصحيح البخاري كتاب التفسير (٦٥) سورة الأنعام (٦) ــ واقتصر على تفسير (جهرة) بمعاينة . وينظر: فتح الباري (٨/ ١٣٨) ــ ، وجامع البيان (٩/ ٢٥٣)، ومعاني القرآن وإعرابه (٢٤٩/٢)، ومعاني القرآن الكريم (٤٢٦/٢)، وبحر العلوم (١/ ٤٨٦)، ومعالم التنزيل (٢٣/٢)، والكشاف (٢/ ٣٤٧)، والمحرر الوجيز (٥/ ٢٠٣)، وزاد المسير (٣/ ٤٢)، ومفاتيح الغيب (٥٣٦/٤)، ومدارك التنزيل (٢/ ١٢)، وتفسير القرآن العظيم (٦/ ٤٠)، ونظم الدرر (٧/ ١١٩)، وإرشاد العقل السليم

وذكره بصيغة (قيل) : السمعاني، والقرطبي، والبيضاوي، وأبو حيّان[1].

ويشهد لرجحان هذا القول اللغة والاستعمال القرآني :

أما اللغة ، فإن البغتة معناها : المفاجأة .

قال الكسائي : « يقال: بغتهم الأمر يبغتهم بغتًا وبغتةً، إذا أتاهم فجأة »[2] .

تقول : بَغَتَه ، أي : فاجأه ، ولقيته بغتةً ، أي : فجأة. وقد بغته الأمر يبغته بغتًا : فجئه. قال الشاعر[3] :

ولكنهم ماتوا و لم أَدْرِ بغتةً وأعظمُ شيءٍ حين يَفْجَؤُكَ البَغْتُ

والبغت والبغتة : مفاجأة الشيء بسرعة من غير اعتدادٍ به ، ولا جَعْل بالٍ منه ، حتى لو استشعر الإنسان به ثم جاءه بسرعةٍ لا يقال فيه بغتَة ، ولذلك قال الشاعر[4] :

إذا بغتتْ أشياءُ قد كان قبلها قديمًا فلا تعتدّها بغتات

والجَهْرةُ من الإجهار وهو : إظهار الشيء للعين[5] . والجهر : الإعلان بالشيء .

(٢/ ١٥١)، وفتح القدير (٢/ ١٦٥)، وروح المعاني (٧/ ١٥٣)، وفتح البيان (٤/ ١٤٤)، ومحاسن التأويل (٦/ ٢٣١٧)، وتفسير القرآن الحكيم (٧/ ٣٥٩)، وتفسير المراغي (٧/ ١٢٧)، وتيسير الكريم الرحمن (٢٣/٢)، والتحرير والتنوير (٧/ ٢٣٧)، والعذب النمير (١/ ٢٤١).

(1) ينظر: تفسير القرآن (٢/ ١٠٥)، والجامع لأحكام القرآن (٣٨٤/٨) ــ وفي (٣٥٧/٨) فسّر البغتة بالفجأة ــ ، وأنوار التنزيل (١/ ٣٠٢)، والبحر المحيط (١٣٢/٤).

(2) ينظر: إعراب القرآن للنحاس (٦٧/٢) ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣٨٤/٨) ، وفتح القدير للشوكاني (٢/ ١٦٥) .

(3) هو يزيد بن ضَبَّة الثقفي ، والبيت في جمهرة اللغة لابن دريد (١/ ١٩٦) ، ومجمل اللغة لابن فارس (١/ ١٣٠) ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة (١/ ١٩٣) ، والصحاح للجوهري (١/ ٢٤٣) ، واللسان لابن منظور (٢/ ١٠) ، والقاموس المحيط للفيروز أبادي (١٨٩) = مادة (بغت) . وروي : وأنكأ ــ وأفظع ــ وأخضع = بدلا من (وأعظمُ) .

(4) ينظر: مجمل اللغة لابن فارس (١/ ١٣٠) ، وجمهرة اللغة لابن دريد (١/ ١٩٦) ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة (١٩٣/١) ، والصحاح (١/ ٢٤٣) ، واللسان (٢/ ١٠ــ ١١) ، والقاموس المحيط (١٨٩) ، والدر المصون للسمين (٤/ ٥٩٥) ، وعمدة الحفاظ له (١/ ٢١١) ، ومفردات الراغب (١٣٥) .

(5) ينظر: جامع البيان للطبري (٢٥٤/٩) .

وجَهَر: عَلَن وبدأ [1].

وأما الاستعمال القرآني ، فقد استعمل القرآن كلمة "بغتة" في الفجأة ،

كقوله تعالى :﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةً فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ ﴾ [الأنعام: ٤٤] ،

وقوله تعالى :﴿ فَأَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴾ [الأعراف: ٩٥] ،

وقوله تعالى :﴿ وَلَيَأۡتِيَنَّهُم بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴾[العنكبوت: ٥٣] .

وكذا استعمل القرآن كلمة "جهرة" في العيان والمعاينة ؛

كقوله تعالى :﴿ وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ ﴾ [البقرة: ٥٥] ،

وقوله تعالى :﴿ فَقَالُوٓاْ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ ﴾[النساء: ١٥٣] .

وأما تفسير البغتة بالليل ، والجهرة بالنهار ، فرُوي عن ابن عباس[2]، والحسن[3].

وعليه ابن أبي زمنين، والواحدي، والسمعاني، والسيوطي[4].

وذكره ابن جُزَيّ بصيغة (قيل)، ووافقه أبوالسعود،والشوكاني، والقنوجي،والقاسمي[5].

ودليله : أن البغتة أكثر ما تأتي بالليل ، والجهرة بالنهار ، ولذا قال الله تعالى :

---

(1) ينظر: مجمل اللغة (١/ ٢٠٠) ، والصحاح (٢/ ٦١٨) ، وعمدة الحفاظ (١/ ٣٥٢) ، ومفردات الراغب (٢٠٨)، واللسان (٤/ ١٤٩) ، مادة (جهر) .

(2) نسبه له الواحدي في الوسيط (٢/ ٢٧٢) ، والبغوي في معالم التنزيل (٢/ ٢٣) .

(3) نسبه له الواحدي والبغوي [ينظر: المصدرين السابقين]، والزمخشري في الكشاف (٣٤٧/٢) ، والرازي في مفاتيح الغيب (٤/ ٥٣٧) ، والقرطبي في الجامع (٣٨٤/٨) ، والنسفي في مدارك التنزيل (٢/ ١٢)، والقمي في غرائب القرآن (٨٠/٣) ، وأبوحيان في البحر المحيط (٤/ ١٣٢) ، والآلوسي في روح المعاني (٧/ ١٥٣) ، والقنوجي في فتح البيان (٤/ ١٤٤) .

(4) ينظر: تفسير القرآن العزيز (٢/ ٦٩) ، والوجيز (١/ ٣٥٤) ، وتفسير القرآن (٢/ ١٠٥) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٢/ ٣٧٢) .

(5) ينظر: إرشاد العقل السليم (٢/ ١٥١) ، وفتح القدير (٢/ ١٦٦) ، وفتح البيان (٤/ ١٤٤) ، ومحاسن التأويل (٢٣١٧/٦) .

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا ﴾ [يونس: ٥٠] .

وقد ردّ هذا القول وأنكره الطاهر بن عاشور فقال : « العذاب الذي يجيء بغتة هو الذي لا تسبقه علامة ولا إعلام به ، والذي يجيء جهرة هو الذي تسبقه علامة مثل الكسْف المحكي في قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ﴾[الأحقاف: ٢٤] أو يسبقه إعلام به كما في قوله تعالى : ﴿ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ﴾[هود: ٦٥] ... وليس المراد من البغتة الحاصلَ ليلاً ، ومن الجهرة الحاصل نهارًا »[1].

وقال الشنقيطي : « وهذا التفسير ليس كما ينبغي . بل التحقيق أن معنى﴿ بَغْتَةً ﴾ أي: أتاكم العذاب في حال كونه مباغتًا . أي : مفاجئًا ، من أن تعلمونه بأسباب ، ولا علم لكم به . وقوله﴿ جَهْرَةً ﴾ : أن يأتيكم العذاب بعد أن تعاينوا أسبابه وتروا أوائله حتى يقع بكم جهرةً عيانًا وأنتم تنظرون إليه »[2] .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن أَولى القولين بالصواب في معنى البغتة والجهرة هو ما رجّحه ابن جُزَيّ ومن وافقه ، وأن تفسير البغتة بالليل والجهرة بالنهار لا يستقيم به المعنى ؛ لأنه لو جاءهم ذلك العذاب ليلاً وقد عاينوا مقدمته لم يكن بغتةً ، ولو جاءهم نهارًا وهم لا يشعرون بمقدمته لم يكن جهرةً . والعذاب الذي يجيئهم إما أن يجيئهم من غير سبق علامة تدلّهم على مجيء ذلك العذاب أو مع سبق هذه العلامة . فالأول هو البغتة ، والثاني هو الجهرة . والأول سمّاه الله تعالى بالبغتة ؛ لأنه فاجأهم به . وسمّى الثاني جهرة ؛ لأن نفس العذاب وقع بهم وقد عرفوه حتى لو أمكنهم الاحتراز عنه لتحرّزوا منه[3].

ويؤيد هذا القول قاعدتان ترجيحيتان هما :

١ــ (حمل معاني كلام الله على الغالب من أسلوب القرآن ومعهود استعماله أَولى).

---

(1) التحرير والتنوير (٧/ ٢٣٧) .

(2) العذب النمير (١/ ٢٤١) .

(3) ينظر: مفاتيح الغيب (٥٣٦،٥٣٧/٤)، والفتوحات الإلهية للجمل (٣٧٢/٢) ، وفتح البيان للقنّوجي (١٤٤/٤) .

٢ــ (يجب حمل كلام الله تعالى على المعروف من كلام العرب)[1]، والله أعلم .

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾

١٨- الخلاف في مَرْجع ضمير﴿ حِسَابِهِم ﴾.

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « قيل : الضمير في ﴿ حِسَابِهِم ﴾ للذين يَدْعُونَ . وقيل : للمشركين ، والمعنى على هذا : لا تحاسَب عنهم ولا يحاسَبون عنك فلا تهتمَّ بأمرهم حتى تطرد هؤلاء من أجلهم . والأول أَرْجَحُ ؛ لقوله : ﴿ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ﴾[هود: ٢٩] وقوله : ﴿ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى ﴾ [الشعراء: ١١٣] والمعنى على هذا : أن الله هو الذي يحاسبهم فلأي شيء تطردهم؟ »[2].

العرض والمناقشة :

اتفق المفسّرون على أن الضمير في ﴿ فَتَطْرُدَهُمْ ﴾ عائدٌ على المؤمنين : ﴿ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ ﴾ .

واختلفوا في عَوْد ضمير﴿ حِسَابِهِم ﴾ [3] و ﴿ عَلَيْهِم ﴾ على قولين اثنين حكاهما ابن جُزَيّ، ورجّح أنه يعود على ﴿ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم ﴾ ، وعليه تكون الضمائر كلها للمؤمنين .

ونُسِب هذا إلى عطاء[4]. ورجّحه أكثر المفسرين : الطبري، وابن أبي زمنين، والواحدي، والبغوي، والزمخشري، والرازي، والبيضاوي، والنسفي، والقمي، وأبوحيّان، والسمين، وابن كثير، والبقاعي، والسيوطي، وأبوالسعود، ، والشوكاني، والآلوسي،

---

(1) قواعد الترجيح (١/ ١٧٢) و (٢/ ٣٦٩).

(2) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١٠) .

(3) في المراد بالحساب أقوال أعرض ابن جُزَيّ عن حكاية الخلاف فيها واقتصر على حكايته في مرجع الضمير . ينظر للفائدة : (النكت والعيون للماوردي (٢/ ١١٨) ، وزاد المسير لابن الجوزي (٣/ ٤٧) .

(4) نسبه إليه الآلوسي في روح المعاني (٧/ ١٦٠) .

والقنوجي، والقاسمي، والسيد محمد رشيد رضا، والمراغي، والشنقيطي [1].

وهو مفهوم كلام الماوردي، والقرطبي، والخازن، والسعدي [2]. وجوّزه مائلاً إليه الطاهر بن عاشور [3].

ويشهد لرجحانه دليلان :

الأول : السياق القرآني ، فإن الآية في ذكر ﴿ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ ﴾ أولها وآخرها بل الآية قبلها في المؤمنين وهي قوله تعالى : ﴿ وَأَنذِرۡ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحۡشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ ﴾ .

والثاني : النظائر القرآنية ، فإن هذه القصة شبيهة بقصة أول الرسل نوح عليه السلام كما في قوله تعالى في سورة هود : ﴿ وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ٢٩ وَيَٰقَوۡمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمۡۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٣٠ ﴾ .

وقوله تعالى في سورة الشعراء : ﴿ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ ١١١ قَالَ وَمَا عِلۡمِي بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١١٢ إِنۡ حِسَابُهُمۡ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّيۖ لَوۡ تَشۡعُرُونَ ١١٣ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١٤ ﴾ .

فقوله تعالى : ﴿ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ ﴾ يفسّره قوله تعالى : ﴿ إِنۡ حِسَابُهُمۡ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي ﴾ أي: إنهم ملاقوه وحسابهم عليه . وقد جرى كثير من المفسرين على ذكر هذه الآية كالتفسير

---

(1) ينظر: جامع البيان (٩/ ٢٧٠)، وتفسير القرآن العزيز (٢/ ٧١)، والوجيز (١/ ٣٥٥) والوسيط (٢٧٦/٢)، ومعالم التنزيل (٢/ ٢٥)، والكشاف (٢/ ٣٥١)، ومفاتيح الغيب (٤/ ٥٤٢)، وأنوار التنزيل (١/ ٣٠٣)، ومدارك التنزيل (٢/ ١٣)، وغرائب القرآن (٣/ ٨٦)، والبحر المحيط (٤/ ١٣٧)، والدر المصون (٤/ ٦٤٤)، وتفسير القرآن العظيم (٤٢/٦)، ونظم الدرر (٧/ ١٢٧)، وتفسير الجلالين(الفتوحات الإلهية ٢/ ٣٧٦)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ١٥٦)، وفتح القدير (١٦٨/٢)، وروح المعاني (٧/ ١٦٠) ، وفتح البيان (١٤٨/٤)، ومحاسن التاويل (٢٣٢٥/٦)، وتفسير القرآن الحكيم (٧/ ٣٧٦)، وتفسير المراغي (٧/ ١٣٥)، والعذب النمير (١/ ٢٧٧) و أضواء البيان (١٩٢/٢).

(2) ينظر: النكت والعيون (٢/ ١١٨)، والجامع لأحكام القرآن (٣٩٠/٨)، ولباب التأويل (٢/ ١٨)، وتيسير الكريم الرحمن (٢/ ٢٥).

(3) ينظر: التحرير والتنوير (٧/ ٢٤٨).

لآية الأنعام[1] ، ووافقهم ابن جُزَيّ على ذلك مستدلا بها على ترجيح هذا القول .

وأما القول بأن ضمير ﴿ حِسَابِهِم ﴾ و﴿ عَلَيْهِم ﴾ يعودان على المشركين فنُسِب إلى ابن عباس[2] . ورجّحه ابن عطية[3]، وجوّزه الطاهر بن عاشور[4].

وذكره بصيغة (قيل) : الزمخشري، والبيضاوي، والقُمّي، وأبوحَيّان، وأبوالسعود، والقاسمي[5] .

وأيّده ابن عطية بأن ما بعد الفاء أبدًا سببُ ما قبلها ، وذلك لا يَبِين إذا كانت الضمائر كلها للمؤمنين[6].

وجوّزه الطاهر بناءً على قاعدة (جواز عود الضمير على غير مذكور إذا فُهِمَ من السياق)[7].

وهي معارضة بقاعدة (تطابق الضمائر ورجوعها إلى شيء واحد أَولى من تفريقها)[8].

وهذه القاعدة أَولى بالتقديم هنا لا سيما أنه لا يصار إلى التفريق إلا حذرًا من التنافر ولا تنافرَ هنا .

ويؤيدها قاعدة (إعادة الضمير إلى مذكور أَولى من إعادته إلى مقدّر)[9]، وقاعدة

---

(1) منهم الزمخشري، والرازي، والنسفي، والقمي، وابن كثير، وأبوالسعود ، والشوكاني ، والقنوجي، والقاسمي، والشنقيطي .

(2) نسبه له الآلوسي في روح المعاني (٧/ ١٦٠).

(3) ينظر: المحرر الوجيز (٥/ ٢١٠).

(4) ينظر: التحرير والتنوير (٧/ ٢٤٨).

(5) ينظر: الكشاف (٢/ ٣٥٢)، وأنوار التنزيل (١/ ٣٠٣)، وغرائب القرآن (٣/ ٨٦)، والبحر المحيط (٤/ ١٣٧)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ١٥٦)، ومحاسن التأويل (٦/ ٢٣٢٥).

(6) ينظر: المحرر الوجيز (٥/ ٢١٠).

(7) ينظر: التحرير والتنوير (٧/ ٢٤٩).

(8) ينظر: البرهان للزركشي (٤/ ٣٥ــ ٣٨) ، والإتقان للسيوطي (٢/ ٢٨٤) ، والكليات للكفوي (٥٦٩) ، وأضواء البيان للشنقيطي (١/ ١٢) ، ودراسات في أسلوب القرآن الكريم لمحمد عبد الخالق عظيمة (٨/ ٣٦) ، وقواعد التفسير لخالد السبت (١/ ٤١٤) ، وقواعد الترجيح (٢/ ٦١٣).

(9) قواعد الترجيح (٢/ ٥٩٣) .

(الأصل إعادة الضمير إلى أقرب مذكور)[1].

وأما عود الضمير على غير مذكور فيحتاج إلى دعم من دلالة السياق ، والسياق هنا في ذكر المؤمنين (وإدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أَولى من الخروج به عنهما)[2].

ويؤيده تشابه القصة مع قصة نوح عليه السلام .

وأما قول ابن عطية : "بأن ما بعد الفاء سببٌ لما قبلها ، وذلك لا يَبِينُ إذا كانت الضمائر كلها للمؤمنين" . فجوابه : أن قوله : ﴿ فَتَطْرُدَهُمْ ﴾ منصوب على جواب النفي ، والمراد : انتفاء الطرد لانتفاء كون حسابهم عليه وحسابه عليهم ؛ لأنه ينتفي المسبَّبُ بانتفاء سببه .

ويتوضّح ذلك في مثال: "ما تأتينا فتحدِّثنا" بنصب "فتحَدِّثَنا" والمعنى : انتفاء الإتيان وانتفاء الحديث ، كأنه قيل : ما يقع منك إتيانٌ فكيف يقع منك حديث ؟ وهذا المعنى هو مقصود الآية الكريمة ، أي : ما يكون مؤاخذةُ كُلّ واحدٍ بحساب صاحبه فكيف يقع طرد؟[3].

والمعنى : ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه فتكون من الظالمين ، ما عليك من حساب الذين يدعون ربهم من شيء ، وما من حسابك عليهم من شيء ؛ إنهم ملاقوا ربهم وإنْ حسابهم إلاّ عليه . فلأيّ شيء تطردهم ؟ والله أعلم.

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن ما رجّحه ابن جُزَيّ ومن وافقه هو الأَولى بالصواب ، والله تعالى أعلم .

---

(1) المصدر السابق (٢/ ٦٢١).

(2) المصدر السابق (١/ ١٢٥).

(3) ينظر: الدر المصون للسمين الحلبي (٤/ ٦٤٥) وجاء فيه : "منصوب على جواب النهي" ! والصواب أنه منصوب على جواب النفي . والمنصوب على جواب النهي هو قوله ﴿ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾. والنهي هو ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ﴾، والله أعلم .

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِۦ ۚ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾

١٩- الخلاف في المراد بالشيء الذي استعجلوه في قوله:

﴿ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ ﴾.

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « أي : العذاب الذي طلبوه في قولهم :﴿ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾[الأنفال: ٣٢]. وقيل : الآيات التي اقترحوها . والأول أظهر »[1].

العرض والمناقشة :

رجّح ابن جُزَيّ أن الذي استعجلوه في قوله تعالى :﴿ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ ﴾ هو العذاب الذي طلبوه في قولهم :﴿ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾.

ووافق ما رُوِيَ عن ابن عباس[2]، والحسن[3]. وقال به مقاتل[4].

ورجّحه الطبري، والسمرقندي، وابن أبي زمنين، والواحدي، والزمخشري، وابن عطية، والرازي، والقرطبي، والبيضاوي، والنسفي ، والخازن، والقمي النيسابوري، وأبو حيّان، وابن كثير، والثعالبي، والبقاعي، والسيوطي، وأبو السعود، والشوكاني، والآلوسي، والقِنُّوجي، والقاسمي ، والسيد محمد رشيد رضا، والمراغي، والسعدي، والطاهر، والشنقيطي[5] .

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١١) .

(2) نسبه له الواحدي في الوسيط (٢/ ٢٧٩) ، وابن الجوزي في زاد المسير (٣/٥١) .

(3) نسبه له الواحدي في الوسيط (٢/ ٢٧٩) ، والماوردي في النكت والعيون (٢/ ١٢١) ، وابن الجوزي في زاد المسير (٣ / ٥١).

(4) ينظر: تفسير مقاتل (١/ ٥٦٤) .

(5) ينظر: جامع البيان (٩/ ٢٨٠ ، ٢٨١)، وبحر العلوم (١/ ٤٨٩)، وتفسير القرآن العزيز (٧٢/٢) والوسيط (٢٧٩/٢)، والكشاف (٢/ ٣٥٤)، والمحرر الوجيز (٥/ ٢١٩)، ومفاتيح الغيب (٥/ ٩)، والجامع لأحكام

ويدل على رجحانه خمسة أدلة :

١- السياق القرآني ، فإن الآية التي بعدها وهي قوله تعالى : ﴿ لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ﴾ تَدُلُّ على هذا التفسير وأن المراد بما تستعجلون به هو العذاب[1].

٢- النظائر القرآنية ، كقوله تعالى : ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ ﴾ [الحج: ٤٧] .

ـــ وقوله تعالى في العنكبوت : ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ ۚ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾.

ـــ وقوله تعالى في ص :﴿ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿١٦﴾ ﴾ .

والقِطُّ المراد به هنا : العذاب[2].

ـــ وقوله تعالى:﴿ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ ﴾[هود: ٨].

أي : أيُّ شيءٍ يحبس العذاب ويؤخره ولِمَ لا يعجّله ؟[3]

القرآن (٣٩٩/٨)، وأنوار التنزيل (١/ ٣٠٥)، ومدارك التنزيل (٢/ ١٥)، ولباب التأويل (٢/ ٢٠) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ٨٩)، والبحر المحيط (٤/ ١٤٢)، وتفسير القرآن العظيم (٦/ ٥١)، والجواهر الحسان (١/ ٤٨٥)، ونظم الدرر (٧/ ١٣٣)، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٢/ ٣٨٠)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ١٥٩)،وفتح القدير (٢/ ١٧٢)، وروح المعاني (٧/ ١٦٩) وفتح البيان (٤/ ١٥٣)، ،ومحاسن التأويل (٦/ ٢٣٣٨)، وتفسير القرآن الحكيم (٧/ ٣٩٠)، وتفسير المراغي (٧/ ١٤٢)، وتيسير الكريم الرحمن (٢/ ٢٨)، والتحرير والتنوير (٧/ ٢٦٦ ـــ ٢٦٨)، وأضواء البيان (٢/ ١٩٣ـــ ١٩٤) والعذب النمير (٣١٣/١) .

(1) ينظر: الوجيز (٣٥٧/١) والوسيط (٢٧٩/٢) للواحدي ، ومعالم التنزيل للبغوي (٢٨/٢) ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٤٠٠/٨) ، وأنوار التنزيل للبيضاوي (٣٠٥/١) ، ولباب التأويل للخازن (٢٠/٢) ، ونظم الدرر للبقاعي (٣٣٤/٧) ، وفتح القدير (٢/ ١٧٣) ، وروح المعاني (١٧٠/٧) ، وفتح البيان (٤/ ١٥٤) ، والعذب النمير للشنقيطي (٣٢٣/١ـــ٣٢٥) .

(2) ينظر: اللسان (٣/ ١١٧) مادة (قطط) ، والعذب النمير (١/ ٣١٣).

(3) ينظر: العذب النمير للشنقيطي (١/ ٣١٣) .

ـــ وقوله تعالى في يونس: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ ﴾.

ـــ وقوله تعالى في الأنفال : ﴿ وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾.

ـــ وقوله تعالى : ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُ ﴾[الرعد: ٦] .

ـــ وقوله تعالى في المعارج :﴿ سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ﴿٢﴾ ﴾ .

ـــ وقوله تعالى : ﴿ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴾[1] [الشعراء : ٢٠٤] ، [الصافات : ١٧٦].

٣ـــ سبب النزول :

قال الكلبي : « نزلت في النضر بن الحارث ورؤساء قريش كانوا يقولون : يا محمد، ائتنا بالعذاب الذي تعدنا به استهزاءً منهم ، فنزلت هذه الآية ، وهي قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنِّى عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَكَذَّبْتُم بِهِۦ مَا عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ ﴾ الآية »[2].

٤ـــ اللغة ، فإن معنى الاستعجال في اللغة : تعجيل طلب الشيء قبل وقته[3]، ولم يأت في القرآن استعجالهم إلاّ للعذاب ؛ لأن اقتراحهم الآيات لم يكن باستعجال[4].

٥ـــ المعنى ، وذلك أن قوله : ﴿ وَكَذَّبْتُم بِهِۦ ﴾ يتضمّن أنكم واقعتم ما تستوجبون به العذاب إلاّ أنه ليس عندي[5].

---

(1) ينظر : أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ١٩٣ ـــ ١٩٤) و (٣/ ٧٨ـــ ٧٩) و (٥/ ٧١٦) و (٧/ ٢٣) ، والمعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لمحمد فؤاد عبد الباقي (٤٤٧).

(2) أسباب النزول للواحدي (١٤٧) . وينظر: غرائب القرآن للقمي (٣/ ٨٩) .

(3) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٨/٤٠٠) .

(4) ينظر: المحرر الوجيز لابن عطية (٥/ ٢١٩) ، والبحر المحيط لأبي حيّان (٤/ ١٤٢) ، والجواهر الحسان للثعالبي (١/ ٤٨٥) .

(5) ينظر: المصادر السابقة .

وأما القول بأن المراد بالذي استعجلوه هو الآيات التي اقترحوها وطلبوها من النبي صلى الله عليه وسلم ، فحكاه ابن جُزَيّ بصيغة (قيل) ووافقه على هذا : القرطبي، والشوكاني، والقنوجي[1] .

وهو قول الزجّاج[2] ، ورجّحه النحاس في معاني القرآن الكريم[3] مع تجويزه للقول الأول ، وإن كان قوله في إعراب القرآن[4] يشعر باختياره للأول . ولم يذكروا له دليلاً .

وبعد، فإذا تقرر ذلك ، فإن ما رجّحه ابن جُزَيّ وجماهير المفسرين هو القول الراجح، ويؤيده قواعد ترجيحية منها :

ـــ قاعدة (حمل معاني كلام الله على الغالب من أسلوب القرآن ومعهود استعماله أَولى).

ـــ وقاعدة (تفسير السلف حُجّة على من بعدهم) .

ـــ وقاعدة (القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ماعُدم ذلك) .

ـــ وقاعدة (القول الذي تؤيده قرائن في السياق مرجّح على ما خالفه)[5] .

والله تعالى أعلم .

---

(1) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (٣٩٩/٨)، وفتح القدير (٢/ ١٧٢)، وفتح البيان (٤/ ١٥٣) .

(2) ينظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٢٥٦).

(3) (٢/ ٤٣٣) .

(4) (٧١/٢).

(5) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسّرين (١/ ١٧٢، ٢٧١، ٣١٢، ٢٩٩).

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾

٢٠- الخلاف في المراد بالكتاب المبين في قوله تعالى: ﴿إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ .

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى: « ﴿ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ : اللوح المحفوظ . وقيل : عِلْمُ اللهِ»[1].

العرض والمناقشة :

رجّح ابن جُزَيّ أن الكتاب المبين هو اللوح المحفوظ . ووافق مفهوم ما رُوِيَ عن ابن عباس[2]، وقتادة[3]. وقاله مقاتل[4]. ورجّحه الطبري، والزجّاج، والسمرقندي، والماوردي، والواحدي، والسمعاني، والبغوي، والقرطبي، وابن كثير، والسيوطي، والشوكاني، والقنوجي، والقاسمي، والسيد محمد رشيد رضا، والمراغي، والسعدي[5]. وجوّزه النحاس[6].

ولم يذكر ابن جُزَيّ له دليلاً ، ويَدلُّ له ثلاثة أدلة :

١ــ النظائر القرآنية ، فقد ورد في معنى هذه الآية آيات أخرى منها :

ــ قوله تعالى في يونس : ﴿ وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١١) .

(2) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٣٠٥) برقم (٧٣٧٢) وفي إسناده مجهول . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٢٧٩) نسبته إلى عبد بن حميد .

(3) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٣٠٥) برقم (٧٣٧٣) .

(4) تفسير مقاتل (١/ ٥٦٤) .

(5) ينظر: جامع البيان (٩/ ٢٨٣)، ومعاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٥٧)، وبحر العلوم (١/ ٤٨٩)، والنكت والعيون (٢/ ١٢٢)، والوجيز (١/ ٣٥٧)، وتفسير القرآن (٢/ ١١١)، ومعالم التنزيل (٢/ ٢٩)، والجامع لأحكام القرآن (٨/٤٠٧)، وتفسير القرآن العظيم (٦/ ٥٣ــ ٥٤)، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٢/ ٣٨٤)، وفتح القدير (٢/ ١٧٤)، وفتح البيان (٤/ ١٥٦)، ومحاسن التأويل (٦ / ٢٣٤٣ ، ٢٣٤٥)، وتفسير القرآن الحكيم (٧ / ٤٠٣ــ ٤٠٥ ، ٤١٠ ــ ٤١١)، وتفسير المراغي (٧/ ١٤٦)، وتيسير الكريم الرحمن (٢/٢٩).

(6) ينظر: معاني القرآن الكريم (٢/ ٤٣٧) .

كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِۚ وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴿٦١﴾ ﴾ .

ـــ وقال تعالى في سورة هود بعد بيان علمه بما يسرون وما يعلنون وعلمه بما في الصدور: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴿٦﴾ ﴾ .

ـــ وقوله تعالى في النمل : ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعۡلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمۡ وَمَا يُعۡلِنُونَ ﴿٧٤﴾ وَمَا مِنۡ غَآئِبَةٖ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴿٧٥﴾ ﴾.

ـــ وقوله تعالى في سبأ : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴿٣﴾ ﴾.

فهذه الآيات تُبَيِّنُ سعةَ علم الله وإحاطتَه وشمولَه ، كما تبيّن أن كل شيء مكتوب ومسطور في كتاب مبين ، وهو اللوح المحفوظ .

ولو كان المراد من الكتاب المبين في هذه الآيات هو العلم لختمها بذكره كما بدأها به؛ كما في قوله تعالى في المجادلة : ﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمۡ وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ أَيۡنَ مَا كَانُواْۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾ .

لكن في التنصيص على ذكر الكتاب المبين دلالة على أن المراد به اللوح المحفوظ ، والله أعلم .

والمراد تقرير وإثبات مرتبتين من مراتب الإيمان بالقدر، وهما العلم والكتابة كما في قوله تعالى في الحج : ﴿ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿٧٠﴾ ﴾.

ويؤكده قوله تعالى في طه : ﴿ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلۡقُرُونِ ٱلۡأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٖۖ لَّا

يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ﴾.

ـــ وقوله تعالى في يس : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾ .

ـــ وقوله تعالى في الحديد : ﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ ﴾.

ـــ وقوله تعالى في القمر : ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ .

قال العلامة السيد محمد رشيد رضا : « جمهور علماء الإسلام على أن هذه الآيات كلها في معنى واحد فسّرته الأحاديث التي نورد أشهرها »[1].

وقد بيّن العلماء ـــ رحمهم الله ـــ أن الإيمان بالقدر يقتضي الإيمان بأن الله تعالى علم كل شيء ثم كتبه ، كما أنه يقتضي الإيمان أيضًا بمشيئته وخلقه لكل شيء[2].

والمقصود أن هذه الآيات الكريمة وغيرها تثبت الكتابة للمقادير في اللوح المحفوظ ، وهو الكتاب المبين والإمام المبين ، والذكر الأول ، والله أعلم .

٢ـــ ما ورد في تفسير هذه الآيات التي مرّت من أحاديث[3] ومن أشهرها :

ـــ ما رواه البخاري في صحيحه[4] من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (كان الله ولم يكن شيء غيره ، وكان عرشه على الماء . وكتب في الذكر كل شيء وخلق السماوات والأرض) .

ـــ وما رواه أيضًا[5]من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (لما

---

(1) تفسير القرآن الحكيم (٧/ ٤٠٤) . ثم ساق الأحاديث .

(2) يراجع على سبيل المثال كتاب شفاء العليل لابن القيم (ص ٥٥ وما بعدها).

(3) ينظر: تفسير القرآن الحكيم للسيد رشيد رضا (٧/ ٤٠٤) .

(4) في أول كتاب بدء الخلق ، برقم (٣١٩١) .

(5) برقم (٣١٩٤) وأطرافه : (٧٤٠٤ ، ٧٤١١، ٧٤٥٣،٧٥٥٣، ٧٥٥٤).

قضى الله الخلق كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش : إن رحمتي غلبت غضبي) .

ـــ وما رواه مسلم في صحيحه[1] من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة) . قال : (وعرشه على الماء) .

ـــ وروى الإمام أحمد والترمذي من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه : أن النبي ﷺ قال : (أول ما خلق الله القلم ثم قال له : اكتب فجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة)[2] .

قال السيد محمد رشيد رضا : « فلهذه الأحاديث اتفق علماء التفسير بالمأثور على تفسير الكتاب المبين والإمام المبين وأم الكتاب والذكر في الآيات التي سردناها بذلك الكتاب المسمى باللوح المحفوظ . ومن التكلف الظاهر أن يقال : إن المراد بها العلم الإلهي كما قال الرازي هنا »[3].

ثم بيّن مذهب السلف من وجوب الإيمان بالقلم واللوح وما كتب القلم فيه من مقادير الخلق وإحصائه كل شيء من غير تحكيم الآراء والأقيسة في صفات شيء من ذلك ، وعدم قبول قول أحد غير المعصوم ﷺ فيما يزعمه من وصف اللوح أوالقلم أو تلك الكتابة[4] .

٣ـــ المعنى اللغوي للكتاب ، فإن مادة "كتب" تدل على الخَطّ ، والكتاب : ما يكتب فيه . هذا هو المعروف من لغة العرب . وإنما قالوا للكاتب عَالِمٌ ؛ لأن الغالب على من يعرف الكتابة أن عنده العلمَ والمعرفة ، وكان الكاتب عندهم عزيزًا وفيهم قليلاً[5]. ولم ينقل عن العرب أن الكتاب بمعنى العلم ، والله أعلم .

وأما القول الآخر في المراد بالكتاب المبين بأنه علم الله ، فلم أقف على أحدٍ من السلف

---

(1) في كتاب القدر (٤/ ٢٠٤٤) برقم (٢٦٥٣) .

(2) مسند أحمد (٣١٧/٥) برقم (٢٢٧٥٧ ، ٢٢٧٥٩) ، وسنن الترمذي ، في كتاب القدر (٤٥٧/٤) برقم (٢١٥٥) و كتاب التفسير (٤٢٤/٥) برقم (٣٣١٩) .

(3) ينظر: تفسير القرآن الحكيم (٧/ ٤٠٥).

(4) ينظر: المصدر السابق .

(5) ينظر: لسان العرب (١/ ٦٩٩) ، والقاموس المحيط (١٦٥) مادة (كتب) .

قال به ، وإنما ذكره النحاس ، قال : « ﴿ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾: إلاّ يعلمه علمًا يقينًا »[1].
وقال في موضع آخر : « أي : كتبها الله لتعتبر الملائكة بذلك »[2].

ورجّحه الرازي، والطاهر بن عاشور[3] .

وذكره بصيغة (قيل) : الشوكاني، وتلميذه القنّوجي[4].

كما ذكر القولين معًا بصيغة (قيل) : ابن عطية، والثعالبي[5].

وسوّى بينهما الزمخشري، وتبعه البيضاوي، والنسفي، والقُمّي، وأبو السعود[6].

وليس لهم دليل على هذا القول إلاّ ما فهموه من تكرير الاستثناء في الآية : ﴿ إِلَّا يَعْلَمُهَا ﴾ و ﴿ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾.

قال الزمخشري : « وقوله : ﴿ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ كالتكرير لقوله : ﴿ إِلَّا يَعْلَمُهَا ﴾ ؛ لأن معناهما واحد . والكتاب المبين : علم الله تعالى أو اللوح »[7].

وجعلوا الاستثناء الأخير ﴿ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ بدلاً من الاستثناء الأول ﴿ إِلَّا

---

(1) معاني القرآن الكريم (٢/ ٤٣٧) .

(2) إعراب القرآن (٢/ ٧١). **ملحوظة** : نَسَبَ هذا القول إلى الزجاج : ابنُ الجوزي في زاد المسير (٣/ ٥٤) ، وأبو حيان في البحر المحيط (١٤٦/٤). والصواب أن الزجاج على القول الأول بأن الكتاب المبين يراد به اللوح المحفوظ . وينظر: مفاتيح الغيب للرازي (٥/ ١٢) ، وحاشية الشهاب (٤/ ٧٤) ، وروح المعاني للآلوسي (١٧٢/٧) ، وتفسير المراغي (٧/ ١٤٦) . قال الآلوسي : « ثم إن تفسير الكتاب باللوح هو الذي مشى عليه جماعة من المفسرين منهم الزجاج فقد قال: إنه تعالى أثبت المعلومات في كتاب من قبل أن يخلق الخلق كما قال سبحانه :﴿ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ﴾»[الحديد: ٢٢]. وقد سبق ذكر الزجاج فيمن وافق ابنَ جُزَيّ. وينظر: معاني القرآن وإعرابه له (٢/ ٢٥٧) .

(3) ينظر: مفاتيح الغيب (٥/ ١٢)، والتحرير والتنوير (٧/ ٢٧٣) .

(4) ينظر: فتح القدير (٢/ ١٧٤)، وفتح البيان (١٥٦/٤).

(5) ينظر: المحرر الوجيز (٥/ ٢٢٣)، والجواهر الحسان (١/ ٤٨٦) .

(6) ينظر: الكشاف (٢/ ٣٥٥) ، وأنوار التنزيل (١/ ٣٠٥) ، ومدارك التنزيل (٢/ ١٦) ، وغرائب القرآن (٩٠/٣) ، وإرشاد العقل السليم (٢/ ١٦٠).

(7) ينظر : الكشاف (٢/ ٣٥٥).

﴿ يَعْلَمُهَا ﴾ بدل الكل[1].

قال أبوحيان : « وهذا الاستثناء ـــ يعني قوله : ﴿ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ ـــ جارٍ مجرى التوكيد ؛ لأن قوله : ﴿ وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ ﴾ معطوف على قوله: ﴿ مِن وَرَقَةٍ ﴾ ، والاستثناء الأول منسحب عليها ؛ كما تقول : ما جاءني من رجل إلاّ أكرمته ولا امرأة ، فالمعنى : إلاّ أكرمتها . ولكنه لما طال الكلام أعيد الاستثناء على سبيل التوكيد ، وحسّنه كونه فاصلة رأس آية »[2] .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن ما رجّحه ابن جُزَيّ ومن وافقه هو الأَولى بالصواب ؛ لظاهر القرآن ، ولا يجوز العدول عنه إلاّ بدليل يجب التسليم له[3]، وليس إليه من سبيل .

والقول بأن المراد بالكتاب علمُ الله مجازٌ[4]، والحقيقة مقدمة على المجاز ، ويجب حمل نصوص الوحي على الحقيقة[5].

كما أن القول بأن المراد به اللوح المحفوظ هذا من التأسيس ، وفيه زيادة بيان بأن الله كتبه كما أنه علمه . والكلام إذا دار بين التأسيس والتأكيد كان حمله على التأسيس أَولى[6].

وبيان ذلك : أن الله تعالى بيّن في الآية سعة علمه ، وأنه استأثر بعلم الغيب ، وأنه يعلم كل شيء ، ثم بيَّن في آخر الآية أن ذلك كلَّه مسطورٌ ومكتوب في كتاب مبين وهو اللوح

---

(1) ينظر: أنوار التنزيل للبيضاوي (١/ ٣٠٥).

(2) البحر المحيط (٤/ ١٤٦) . وينظر: التحرير والتنوير (٧/ ٢٧٣).

(3) ينظر: قواعد الترجيح (١/ ١٣٧).

(4) قال الطاهر بن عاشور في تفسير سورة يونس (١١/ ٢١٥) : والكتاب : علم الله ، استعير له الكتاب ؛ لأنه ثابت لا يخالف الحق بزيادة ولا نقصان . وقال في آية الأنعام هذه : والمراد بالكتاب المبين علم الله تعالى سواء كان الكتاب حقيقة أم مجازًا عن الضبط وعدم التبديل . وقال : والمراد بالكتاب المبين العلم الثابت الذي لا يتغير ، وما عسى أن يكون عند الله من آثار العلم من كتابة أو غيرها لم يطلعنا على كنهها . التحرير والتنوير (٧/٢٧٣).

(5) ينظر: قواعد الترجيح (٢/ ٣٨٧).

(6) ينظر: المصدر السابق (٢/ ٤٧٣) .

المحفوظ . فجمعت الآية بين مرتبتين من مراتب الإيمان بالقدر وهما : الإيمان بعلم الله الشامل المحيط بكل شيء ، والإيمان بكتابة المقادير في اللوح المحفوظ ، والله أعلم .

ويؤيده قوّة أدلته ، ويترجّح بجملة من القواعد الترجيحية ومنها :

ـــ إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجّح له على ما خالفه .

ـــ والقول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عُدم ذلك .

ـــ ووجوب حمل كلام الله تعالى على المعروف من كلام العرب[1].

فإذا كان ذلك كذلك ، فإن أرجح القولين في المراد بالكتاب المبين هو اللوح المحفوظ كما ذهب إليه ابن جُزَيّ ومن معه ، والله تعالى أعلم .

---

(1) ينظر: المصدر السابق (١/ ٢٠٦ ، ٣١٢) ، و (٢/ ٣٦٩) .

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾

٢١- اختلاف أهل التأويل في معنى العذاب الذي توعّد الله به هؤلاء القوم أن يبعثه عليهم من فوقهم أو من تحت أرجلهم.

قال ابن جُزَيّ رحمه الله : « قيل : الذي من فوق : إمطارُ الحجارة ، ومن تحت : الخسفُ . وقيل : ﴿ مِّن فَوْقِكُمْ ﴾: تسليط أكابركم ، و﴿ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾: تسليط سفلاتكم . وهذا بعيد »[1].

العرض والمناقشة :

حكى ابن جُزَيّ ـــ رحمه الله ـــ الخلاف في المراد بالعذاب من فوق أو من تحت على قولين ، ورجّح أن العذاب من فوق هو على حقيقته ، وهو النازل من السماء كإمطار الحجارة على قوم لوط وأصحاب الفيل . وأن العذاب من تحت الأرجل هو على حقيقته ، كالخسف بقارون وغيره[2].

وهذا قول أُبَيّ بن كعب[3]،

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١١).

(2) تنوّعت عبارات المفسرين في هذا ومؤداها واحد ، فعلى سبيل المثال :مِّن فَوْقِكُمْ : عذاب السماء ، الرجم ، القذف ، الحجارة ، الطوفان ...مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ : الخسف ، الرجفة ، الزلزلة ... ينظر: زاد المسير لابن الجوزي (٣/ ٥٩) ، ومفاتيح الغيب للرازي (٥/ ٢٠) .

(3) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١٥/ ١٨٠) ، وأحمد في مسنده (٥/ ١٣٥) ، ، وعبد بن حميد [كما في الدر المنثور للسيوطي ٣/ ٢٨٤] ، والطبري في جامع البيان (٩/ ٣٠٩) ، وابن المنذر [كما في الدر المنثور للسيوطي ٣/ ٢٨٤] ، وابن أبي حاتم (٤/ ١٣٠٩) (٧٣٩٨) ، وأبو الشيخ ، وابن مردويه [كما في الدر المنثور للسيوطي ٣ / ٢٨٤] ، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٢٥٣) من طريق أبي العالية ، عنه قال : (هن أربع وكلهن عذاب ، وكلهن واقع لا محالة ، فمضت اثنتان بعد وفاة رسول الله ﷺ بخمس وعشرين سنة ، فألبسوا شيعًا وذاق بعضهم بأس بعض ، وبقيت اثنتان واقعتان لا محالة : الخسف والرجم). وروي من وجه آخر : (الخسف والقذف) . وذكره الهيثمي في المجمع (٧/ ٢٤) وقال : « رواه أحمد ورجاله ثقات . قلت: والظاهر أن قوله " فمضت اثنتان

وابن مسعود[1]، ومجاهد[2]، وسعيد بن جبير[3]، والسدي[4]، والحسن[5]، وأبي العالية[6]، وأبي مالك[7]، ومقاتل[8]، وابن جريج[9]، وابن زيد[10].

..." الخ من قول رفيع ــ أبي العالية ــ فإن أبيّ بن كعب لم يتأخر إلى زمن الفتنة والله أعلم » اهـ . بتصرف يسير . وذكره ابن حجر في الفتح (٨/ ٢٩٢) وقال : « قد أُعِلَّ هذا الحديث بأن أبي بن كعب لم يدرك سنة خمس وعشرين من الوفاة النبوية ، وأُعِلَّ أيضًا بأنه مخالف لحديث جابر وغيره . وأجيب بأن طريق الجمع أن الإعاذة المذكورة في حديث جابر وغيره مقيدة بزمان مخصوص وهو وجود الصحابة والقرون الفاضلة ، وأما بعد ذلك فيجوز وقوع ذلك فيهم » اهـ . وحديث جابر ــ رضي الله عنه ــ أخرجه البخاري وغيره [ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٦/ ٥٩ ــ ٦٠] وقد أورده المفسرون ، ومنهم ابن جُزَيّ ، ولفظه : (لما نزلت هذه الآية ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ ﴾ قال رسول الله ﷺ : (أعوذ بوجهك) ﴿ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾ قال : (أعوذ بوجهك) ﴿ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ﴾قال رسول الله ﷺ : (هذا أهون) أو قال : (هذا أيسر) . والشاهد من ذكر حديث أُبي بن كعب ــ رضي الله عنه ــ أنه يفسّر العذاب من فوق بأنه الرجم ، ومن تحت الأرجل بأنه الخسف ، سواء كان المراد بذلك المؤمنين أو الكافرين .

(1) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩/ ٢٩٧) عن يونس ، عن ابن وهب ، عن ابن زيد ، عنه قال : ...لو جاءكم عذاب من السماء لم يُبْقِ منكم أحدًا ، ... لو خسف بكم الأرض أهلككم و لم يُبْقِ منكم أحدًا ...

(2) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩/ ٢٩٧) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٣١١) (٧٤٠٩) . وعزاه السيوطي في الدرر (٣/ ٢٨٣) لأبي الشيخ .

(3) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩/ ٢٩٧) عن سفيان [بن وكيع] ، ثنا يحي بن آدم ، عن الأشجعي ، عن سفيان الثوري ، عن السدي ، عنه .

(4) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩/ ٢٩٧) وابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٣١٠) (٧٤٠٣) من طريق أسباط ، عنه .

(5) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٣١٠) (٧٤٠٣) عن أبيه ، ثنا هوذة ، ثنا عوف ، عنه .

(6) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩/ ٣٠١) بنحو حديث أبي بن كعب إلاّ أنه قال : (الخسف والمسخ) .

(7) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩/ ٢٩٦) وابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٣١٠ ، ١٣١١) (٧٤٠٢ ، ٧٤٠٩) من طريق الثوري ، عن السدي ، عن أبي مالك : (الرجم والخسف). وعزاه السيوطي في الدر (٣/ ٢٨٣) إلى عبد بن حميد ، وأبي الشيخ إلاّ أنه قال : (القذف والخسف) .

(8) تفسير مقاتل (١/ ٥٦٥) .

(9) نسبه إليه الواحدي في الوسيط (٢/ ٢٨٣) .

(10) نسبه إليه ابن كثير في تفسيره (٦/ ٧٣) . تنبيه : وقع في الوسيط للواحدي (٢/ ٢٨٣) وزاد المسير لابن الجوزي (٣/ ٥٩) نسبة هذا القول لابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ وهي نسبة غير صحيحة ، بل الثابت عنه القول الآخر وسيأتي بإذن الله ، والله أعلم . ولعل من عزاه لابن عباس يشير إلى رواية ضعيفة جدًا عند ابن مردويه من طريق عكرمة عن ابن عباس مرفوعًا . ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦/ ٧٠) ، والمعجم

وعليه الطبري، والفراء، والزجاج، وأبو العباس المبرد، والسمرقندي، وابن أبي زمنين، والواحدي، والبغوي، والزمخشري، والقرطبي، والبيضاوي، والخازن، والقمي النيسابوري، وأبوحيان، وابن كثير، والثعالبي، وابن حجر، والسيوطي، وأبوالسعود، والشوكاني، والآلوسي، والقنوجي، والقاسمي، والسعدي، والطاهر بن عاشور[1].

فهو قول جماهير المفسّرين ، كما أنه قول أكثر السلف .

ويدلُّ له النظائر القرآنية ، كقوله تعالى في سورة الإسراء : ﴿ رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾ ﴾[2].

قال ابن كثير: « ويشهد له بالصحة قوله تعالى:﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ ﴾»[3] [الملك: ١٦ - ١٧] .

الكبير للطبراني (١١/ ١٢٠٤٩) ، والدر المنثور (٣/ ٢٨٣) ، ومجمع الزوائد للهيثمي (١/ ١٢٢) .

(1) ينظر: جامع البيان (٩/ ٢٩٨)، ومعاني القرآن (١/ ٣٣٨)، ومعاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٥٩)، ومعاني القرآن الكريم (٢/ ٤٤١)، وبحر العلوم (١/ ٤٩١)، وتفسير القرآن العزيز (٢/ ٧٥)، والوجيز (١/ ٣٥٩)والوسيط (٢/ ٢٨٣)، ومعالم التنزيل (٢/ ٣٠)، والكشاف (٢/ ٣٥٧)، والجامع لأحكام القرآن (٨/٤١٣-٤١٤)، وأنوار التنزيل (١/ ٣٠٧)، ولباب التأويل (٢/ ٢٣)، وغرائب القرآن (٣/ ٩٦)، والبحر المحيط (٤/ ١٥١)، وتفسير القرآن العظيم (٦/ ٧٥)، والجواهر الحسان (١/ ٤٨٩)، وفتح الباري (٨/ ٢٩٢)، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٢/ ٣٨٩)، وإرشاد العقل السليم (٢/١٦٣)، وفتح القدير (٢/ ١٧٨)، وروح المعاني (٧/١٨٠)، وفتح البيان (٤/ ١٦١)، ومحاسن التاويل (٦/ ٢٣٥٥)، وتيسير الكريم الرحمن (٢/ ٣٢)، والتحرير والتنوير (٧/٢٨٤).

(2) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦/ ٥٨) ، وإرشاد العقل السليم لأبي السعود (٢/ ١٦٣). قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٨/ ٢٩٢) : ويستأنس له أيضًا بقوله تعالى : ﴿ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ ﴾ الآية .

(3) تفسير القرآن العظيم (٦/ ٥٨) .

وفي الحديث : (ليكونن في هذه الأمة قذف وخسف ومسخ)[1].

قال ابن كثير : « وذلك مذكور مع نظائره في أمارات الساعة وأشراطها ، وظهور الآيات قبل يوم القيامة »[2].

ويدل له أيضًا اللغة،

قال ابن جرير الطبري : « فإن المعروف في كلام العرب من معنى (فوق) و (تحت الأرجل) هو ذلك دون غيره ... وحمله على الأغلب الأشهر من معناه أحقُّ وأَولى من غيره، ما لم تأت حُجَّة مانعة من ذلك يجب التسليم لها »[3] .

وحقيقة اللفظ تدل عليه ، والأصل حمل ألفاظ القرآن على الحقيقة لا على المجاز .

قال أبوحيان : « والظاهر من﴿ فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾ الحقيقة »[4].

وهذا هو المتبادر إلى الذهن[5]، فلا يفهم من الفوقية إلاّ العلو حقيقة، ولا يفهم من التحتية إلاّ السفل حقيقة ، هذا الفهم هو أول ما يتبادر إلى ذهن السامع .

وأما القول الآخر وهو أنه ليس على الحقيقة ، بل المراد من العذاب من فوق : تسليط الأكابر والأشراف وأئمة السوء ، وأن الذي من تحتهم : هو تسليط خدم السوء والسفلة وعبيد السوء ، فهو قول ابن عباس[6]،

---

(1) أخرجه الترمذي (٢١٥٢) ، وابن ماجه (٤٠٦١) من حديث عبد الله بن عمر . قال الترمذي : حديث حسن صحيح غريب . وفي الباب عن عبد الله بن مسعود ، وسهل بن سعد ، وعبد الله بن عمرو .

(2) تفسير القرآن العظيم (٦/ ٧٥).

(3) جامع البيان (٩/ ٢٩٨) بتصرف يسير .

(4) البحر المحيط (٤/ ١٥١).

(5) ينظر: روح المعاني للآلوسي (٧/ ١٨٠) .

(6) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩/ ٢٩٨) وابن أبي حاتم (٤/ ١٣٠٩ ، ١٣١٠) (٧٤٠٠ ، ٧٤٠٧) كلاهما من طريق ابن وهب ، عن خلاد ، عن عامر بن عبد الرحمن ، عن ابن عباس قال : (فأما العذاب من فوقكم فأئمة السوء ، وأما العذاب من تحت أرجلكم فخدم السوء). وعزاه السيوطي في الدر (٣/ ٢٨٣) إلى أبي الشيخ . وأخرجه الطبري في جامع البيان (٩/ ٢٩٨) من طريق علي بن أبي طلحة ، عنه قال : (...من أمرائكم ، ..سفلتكم) . وأخرجه ابن المنذر ــ كما في الدر (٣/ ٢٨٣) ــ وابن أبي حاتم (٤/ ١٣١١) (٧٤٠٨) بلفظ

وأبي سنان الشيباني[1]، وعمير بن هانيء[2] . ونسب إلى الضحاك[3]، ومجاهد[4].

ولم أر من رجّحه من المفسّرين ، وإن كان البعض قد ذكره مع القول الأول على وجه التساوي بينهما[5].

وذكره بصيغة (يقال أو قيل) : السمرقندي، والزمخشري، والقرطبي، والبيضاوي، والقمي النيسابوري، وأبوالسعود، والشوكاني، والقنّوجي[6]. ووافقهم ابن جُزَيّ واستبعده.

ودليله : العموم ، فإن لفظ " العذاب " في الآية نكرة ، ولما كان ذلك كذلك جاز حمله على كل عذاب يأتي من فوق الرؤوس ومن تحت الأرجل ، أو من رؤساء الناس أو من تحوتهم . وهذا الإبهام مراد لأجل هذا الشمول ، وحكمته في القرآن أن ينطبق معنى اللفظ على ما يدل عليه مما يحدث في المستقبل أو ينكشف للناس فيه ما كان خفيًا عنهم[7].

فمراد ابن عباس أن لفظ الآية مما يصدق على ذلك ؛ لأن العذاب كل ما مرَّ ـــ من المرارة ـــ على النفس ، وشقَّ عليها ، لا أن ذلك هو المراد من الآية ؛ لنبوّه عن مقام التهويل في شديد الوعيد ؛ ولخفاء الكناية عن ذلك من جوهر اللفظ ؛ ولعدم موافقته لنظائر الآية في هذا الباب ـــ كما لا يخفى ـــ والسلف كانوا يستشهدون بالآيات في بعض الشؤون

(عبيدكم وسفلتكم). وعزاه السيوطي في الدر (٣/ ٢٨٣) إلى أبي الشيخ وفيه : من أمرائكم وأشرافكم ...سفلتكم وعبيدكم. وينظر: صحيفة علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ص (٢٠٠) .

(1) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٣١٠ ، ١٣١١) (٧٤٠١ ، ٧٤٠٨) عن أبيه ، عن عبد الله بن حمزة بن إسماعيل ، عن أبيه ، عن أبي سنان .

(2) أخرجه ابن أبي حاتم (٤/ ١٣١٠) (٧٤٠١) بلفظ : (أمراء السوء) .

(3) نسبه إليه : النحاس في معاني القرآن الكريم (٢/ ٤٤٠) ، والبغوي في معالم التنزيل (٢/ ٣٠) ، والخازن في لباب التأويل (٢/ ٢٣) ، والقنوجي في فتح البيان (٤/ ١٦١) .

(4) نسبه إليه : البغوي (٢/ ٣٠) ، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٤١٤/٨) ، والخازن (٢/ ٢٣) .

(5) ينظر: النكت والعيون للماوردي (٢/ ١٢٦) ، وتفسير القرآن للسمعاني (٢/ ١١٣) ، ومدارك التنزيل للنسفي (٢/ ١٧).

(6) ينظر: بحر العلوم (١/ ٤٩٢)، والكشاف (٢/ ٣٥٧)، والجامع لأحكام القرآن (٤١٤/٨)، وأنوار التنزيل (٣٠٧/١)، وغرائب القرآن (٣/ ٩٦)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ١٦٣)، وفتح القدير (٢/ ١٧٨)، وفتح البيان (١٦١/٤).

(7) ينظر: تفسير القرآن الحكيم (٧/ ٤٢٣) .

والمقامات إشعارًا بأن معناها يحاكي تلك الواقعات ، لا أنها نزلت في تلك القضيات ، وهذا مما لا ينكر[1].

وعليه، فإن تفسير ابن عباس هو من حمل اللفظ على مجازه[2]، ويدل عليه العموم في اللفظ[3]. ويؤيده القاعدة الترجيحية : (يجب حمل نصوص الوحي على العموم)[4].

وبعد، فإذا كان ذلك كذلك فإن ما رجّحه ابن جُزَيّ ومن معه هو أَوْلى القولين بالصواب؛ لقوة أدلته، ويؤيده جملة من القواعد الترجيحية لا تنهض القاعدة السالفة على معارضتها، منها:

ـــ قاعدة (لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلاّ بدليل)[5].

ـــ وقاعدة (يجب حمل نصوص الوحي على الحقيقة)[6].

ـــ وقاعدة (القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك)[7].

ـــ وقاعدة (يجب حمل كلام الله تعالى على المعروف من كلام العرب)[8].

والله تعالى أعلم .

---

(1) ينظر:: محاسن التأويل (٦/ ٢٣٥٨).

(2) ينظر: مفاتيح الغيب (٥/ ٢٠).

(3) ينظر: المحرر الوجيز (٥/ ٢٣١) .

(4) قواعد الترجيح عند المفسرين (٢/ ٥٢٧) .

(5) ينظر: المصدر السابق (١/ ١٣٧) .

(6) ينظر: المصدر السابق (٢/ ٣٨٧) .

(7) ينظر: المصدر السابق (١/ ٣١٢) .

(8) ينظر: المصدر السابق (٢/ ٣٦٩) .

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ ﴾

٢٢- المراد بالذي استهوته الشياطين.

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « وهذا كله تمثيل لمن ضَلَّ في الدين عن الهدى ، وهو يُدعى إلى الإسلام فلا يجيب . وقيل : نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق حين كان أبوه يدعوه إلى الإسلام . ويبطل هذا قول عائشة : ما نزل في آل أبي بكر شيء من القرآن إلا براءتي »[1].

العرض والمناقشة :

رجّح ابن جُزَيّ أن المراد بالذي استهوته الشياطين ضَرْبُ المَثَلِ لمن ضَلَّ في الدين عن الهدى ، وهو يُدعى إلى الإسلام فلا يجيب .

وهذا قول ابن عباس[2]، ومجاهد[3]، والسُّدِّي[4].

وعلى ذلك ابن جرير الطبري، وابن أبي زمنين، والواحدي، والسمعاني، والبغوي، وابن عطية، والخازن، وأبوحيان، وابن كثير، والثعالبي، والشوكاني، والسيد محمد رشيد

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١٣) .

(2) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩/ ٣٢٩) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٣٢١) (٧٤٦٩، ٧٤٧٣) من طريق علي بن أبي طلحة ، عنه . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٢٩٥) نسبته إلى ابن المنذر .

(3) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩/ ٣٣٠) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٣٢١) (٧٤٧١) من طريق ابن أبي نجيح ، عنه . وأخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/٢١٢)، والطبري في جامع البيان (٩/ ٣٣١) كلاهما عن معمر، عن رجل ، عنه . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٢٩٦) نسبته إلى ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وأبي الشيخ .

(4) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩/ ٣٢٨ــ ٣٢٩) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٣٢٠ــ ١٣٢٢) (٧٤٦٨، ٧٤٧٢) من طريق أحمد بن المفضل ، عن أسباط ، عنه . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٢٩٦) نسبته إلى أبي الشيخ .

رضا، والمراغي[1].

وأما القول بأن الآية نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق فقد أبطله ابن جُزَيّ بقول عائشة رضي الله عنها الذي رواه البخاري في صحيحه، من طريق يوسف بن ماهَكَ قال : « كان مروان على الحجاز استعمله معاوية فخطب، فجعل يذكر يزيد بن معاوية لكي يُبَايَعَ له بعد أبيه . فقال له عبد الرحمن بن أبي بكر شيئًا ، فقال : خذوه. فدخل بيت عائشة فلم يقدروا ، فقال مروان : إن هذا الذي أنزل الله فيه: ﴿ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ ﴾ [الأحقاف : ١٧]. فقالت عائشة من وراء الحجاب : ما أنزل الله فينا شيئًا من القرآن إلاّ أن الله أنزل عُذري »[2].

فنفت عائشة رضي الله عنها أن يكون نزل شيء من القرآن في آل أبي بكر ، لا آية الأحقاف ولا آية الأنعام ، إلا أن الله أنزل براءتها وعذرها في سورة النور كما لا يخفى .

وقد نُسِبَ هذا القول إلى ابن عباس[3]،

---

(1) ينظر: جامع البيان (٩/ ٣٢٨)، وتفسير القرآن العزيز (٢/ ٧٧)، والوجيز (١/ ٣٦١) والوسيط (٢/ ٣٨٧)، وتفسير القرآن (٢/ ١١٧)، ومعالم التنزيل (٢/ ٣٣)، والمحرر الوجيز (٥/ ٢٤٣)، ولباب التأويل (٢٥/٢)، والبحر المحيط (٤/ ١٥٧ــ ١٥٨)، وتفسير القرآن العظيم (٦/ ٧٩ــ ٨١)، والجواهر الحسان (٤٩١/١)، وفتح القدير (٢/ ١٨٦)، وتفسير القرآن الحكيم (٧/ ٤٥٠)، وتفسير المراغي (٧/ ١٦٥) .

(2) صحيح البخاري ــ كتاب التفسير ــ سورة الأحقاف ــ باب﴿ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ ﴾ برقم (٤٨٢٧). وزاد الثعالبي في الجواهر الحسان (١/ ٤٩٢) آيتين في شأن أبي بكر :﴿ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ ﴾ التوبة : ٤٠ ، وقوله تعالى :﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ ﴾ النور: ٢٢. والآية الثانية متصلة بقصة الإفك فهي مما نزل في براءة الصديقة بنت الصديق وإن كان أبو بكر هو المقصود بها . وينظر: فتح الباري لابن حجر (٨/ ٥٧٧) .

(3) نسبه إليه السمرقندي في بحر العلوم (١/ ٤٩٤) برواية أبي صالح ، عنه . وتبعه الماوردي في النكت والعيون (١٣٢/٢) ، وابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٦٧) ، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٤٢٨/٨) ، والطاهر ابن عاشور في التحرير والتنوير (٧/ ٣٠٣) . وأخرج الطبري (١٤٤/٢١) بالإسناد المسلسل بالعوفيين ، عن ابن عباس في قوله تعالى :﴿ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ ﴾ الخ الآية قال : الذي قال هذا ابنٌ لأبي بكر رضي الله عنه قال :﴿ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ ﴾: أتعداني أن أبعث بعد الموت . وهذا إسناد ضعيف لا يثبت عن ابن عباس ، وهو معارض بما في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها ، وأيضا ليس فيه تسمية هذا الابن . قال ابن

وقال به مقاتل[1]. وعليه الفراء، والرازي، والبيضاوي، والنسفي، والقُمِّي النيسابوري[2].

وكأنّ الطاهر بن عاشور يميل إليه بناء على نقله لما نُسِب لابن عباس[3] ! وإن كان يذهب إلى أن العبرة بعموم اللفظ .

وضعّف هذا القولَ ابنُ عطية، وأبوحيان، والثعالبي[4] مستدلين بقول عائشة السابق .

وذكره بصيغة (قيل) : الزجاج، والزمخشري ، وأبوالسعود، والآلوسي[5] .

واستدل من ذهب إلى هذا القول بما نُسِبَ إلى ابن عباس ، وهي نسبة غير صحيحة ، بل الثابت عنه القول الأول ، والله أعلم .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن القول الصحيح : أن الآية مَثَلٌ مضروب لِمَنْ ضَلَّ في الدين عن الهدى ، وهو يُدعى إلى الإسلام فلا يجيب ، وأن الآية لم تنزل في عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ـــ رضي الله عنهما ـــ وقول عائشة في الصحيح يبطل قولَ مروان وما نسب إلى ابن عباس .

وهذا القول الذي رجّحه ابن جُزَيّ ومن وافقه هو أَولى القولين بالصواب ، بل إن القول الآخر لا يصحُّ أَلْبَتَّةَ .

ويُؤَيِّدُ ذلك : أن قول الصحابي مقدّم على غيره في التفسير[6] . فالتفسير الثابت عن

حجر في الفتح (٨/ ٥٧٧) : والعجب مما أورده الطبري من طريق عطية العوفي ، عن ابن عباس قال : نزلت هذه الآية في عبد الرحمن بن أبي بكر . وقد تعقبه الزجاج فقال : الصحيح أنها نزلت في الكافر العاق ، وإلاّ فعبد الرحمن قد أسلم فحسن إسلامه وصار من خيار المسلمين ...

(1) ينظر: تفسير مقاتل (١/ ٥٦٨) .

(2) ينظر: معاني القرآن (٣٣٩/١)، ومفاتيح الغيب (٥/ ٢٦)، وأنوار التنزيل (١/ ٣٠٨)، ومدارك التنزيل (١٨/٢)، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ٩٩).

(3) ينظر: التحرير والتنوير (٧/ ٢٩٩، ٣٠٣) .

(4) ينظر: المحرر الوجيز (٥/ ٢٤٤)،و البحر المحيط (٤/ ١٥٧)، والجواهر الحسان (١/ ٤٩٢).

(5) ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٦٢)، والكشاف (٢/ ٣٦٢)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ١٦٦)، وروح المعاني (٧/ ١٨٨).

(6) ينظر: قواعد التفسير لخالد السبت (١/ ١٨٦) .

ابن عباس هو القول الأول ، سيما وأن عائشة قد أبطلت القول الآخر ، فيقدّم هذا التفسير الثابت الصحيح على تفسير مقاتل ومن وافقه ، وهو أمر في غاية الظهور بحمد الله ، والله تعالى أعلم.

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۖ إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ ﴾

٢٣- التحقيق في اسم أبي إبراهيم عليه السلام.

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « ﴿ لِأَبِيهِ ءَازَرَ ﴾: هو اسم أبي إبراهيم ، فإعرابُه عطفُ بيانٍ أو بدلٌ ، ومُنِعَ من الصرف للعُجْمة والعَلَمية ، لا للوزن ؛ لأن وزنه : فاعل نحو: عابر وشالح . وقريء بالرفع على النداء . وقيل : إنه اسم صنم ؛ لأنه ثبت أن اسم أبي إبراهيم تارخ، فعلى هذا يحتمل أن يكون لُقِّبَ به؛ لملازمته له ، أو أريد : عابد آزر ، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه ، وذلك بعيد . ولا يبعد أن يكون له اثنان »[1].

العرض والمناقشة :

اختلف المفسرون في اسم أبي إبراهيم ـــ عليه السلام ـــ هل هو آزر ؟ أم تارخ ؟ أم له اسمان ؟ رجّح ابن جُزَيّ أنه آزر ، ووافق قولَ السدّي[2]، ومحمد بن إسحاق[3] ، وسعيد بن عبد العزيز[4]، والضحاك[5]،

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١٣).

(2) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩/ ٣٤٣) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٣٢٤) (٧٤٩٠) من طريق أحمد بن المفضل ، عن أسباط، عنه . وفيه زيادة : (ويقال : لا ، بل اسمه تارح ، واسم الصنم آزرُ ، يقول : أتتخذ آزر أصنامًا آلهة) . وينظر: جامع البيان (٩/ ٣٤٤). أما لفظ ابن أبي حاتم : (اسم أبيه آزر ، فقال : بل اسمه تارح، واسم الصنم آزر ، فقال : أتتخذ أصنامًا). واللفظ الوارد في جامع البيان أضبط ، ويفهم منه أن السدي يقول: إن آزر هو اسم أبي إبراهيم ، وهذا الذي يظهر من خلال هذه الرواية عنه ، وعلى هذا نُسِبَ هذا القول إلى السدي ، وممن نسبه إليه : ابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٧٠) . وفهم آخرون أن السدي يقول : إنه اسم صنم وليس اسمًا لأبي إبراهيم ، ولذا نسبوا إليه القول بذلك ومنهم : ابن كثير في تفسيره (٦/ ٩٤) ، والسيوطي في الدر المنثور (٣/ ٣٠٠) ، والآلوسي في روح المعاني (٧/ ١٩٤) .

(3) أخرجه الطبري في جامع البيان (٣٤٣/٩) وفي تاريخ الأمم والملوك (١/ ٢٣٣) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٣٢٥/٤) (٧٤٩٤) من طريق سلمة بن الفضل ، عنه .

(4) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩/ ٣٤٣) عن ابن البرقي ، عن عمرو بن أبي سلمة ، عنه قال : هو آزر ، وهو تارح ، مثل : إسرائيل ويعقوب .

(5) أخرجه أبو الشيخ عنه كما في الدر المنثور للسيوطي (٣/ ٣٠٠).

والحسن[1]، والكلبي[2].

ووافق ابنَ جُزَيّ في هذا الترجيح أكثرُ المفسّرين : الطبريُّ، والنحاس، والكرماني، والزمخشري، والرازي، والبيضاوي، والخازن، والقمي، وأبوالمحاسن القرشي اليماني، وأبوحيان، وابن كثير، وابن حجر، والبلنسي، والآلوسي، والجمل، والقنوجي، والقاسمي، والسيد رشيد رضا، والمراغي، وأحمد شاكر، والطاهر بن عاشور، والشنقيطي[3].

وذهب إليه من أئمة اللغة الخليلُ ، وابنُ منظور[4] .

قال ابن حجر : « وهو المعتمد ».

ويدل لصحته أربعة أدلة :

الأول : ظاهر القرآن ، فإن ظاهر قوله سبحانه ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ ﴾ ، يدلُّ على أن اسم أبيه آزرُ ؛ لأن الله تعالى أخبر أنه أبوه وسمّاه آزَرَ ، ولا يجوز العدولُ عن ظاهر القرآن إلاّ بدليل يجب التسليم له[5]، لا سيما وقد عضَّد هذا الظاهرَ الحديثُ الصحيحُ وهو

---

(1) نسبه إليه : النحاس في معاني القرآن الكريم (٢/ ٤٤٨) ، والماوردي في النكت والعيون (٢/ ١٣٤) ، والسمعاني في تفسير القرآن (٢/ ١١٨) ، وابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٧٠) ، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٤٣٣/٨).

(2) نسبه إليه : السمرقندي في بحر العلوم (٢/ ٤٩٥) ، والبغوي في معالم التنزيل (٢/ ٣٥) ، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٤٣٣/٨) ، والخازن في لباب التأويل (٢/ ٢٦) .

(3) ينظر: جامع البيان (٩/ ٣٤٥)، ومعاني القرآن الكريم (٢/ ٤٤٨)، وإعراب القرآن (٢/ ٧٦)، وغرائب التفسير وعجائب التأويل (١/ ٣٦٧)، والكشاف (٢/ ٣٦٥)، ومفاتيح الغيب (٣١،٣٢/٥) ، وأنوار التنزيل (٣٠٨/١)، وحاشية الشهاب (٤/ ٨٤)، ولباب التأويل (٢/ ٢٦)، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (١٠٣/٣)، والترجمان عن غريب القرآن (٤٤)، والبحر المحيط (٤/ ١٦٣)، وتفسير القرآن العظيم (٦/ ٩٤)، وفتح الباري (٨/ ٥٧٧)، ومبهمات القرآن (٤٣٢/١)، والفتوحات الإلهية (٢/ ٤٠٠)، وروح المعاني (١٩٤/٧)، وفتح البيان (٤/ ١٧٥)، ومحاسن التأويل (٢٣٦٩/٦)، وتفسير القرآن الحكيم (٧/ ٤٦١)، وتفسير المراغي (١٦٨/٧)، والمعرّب للجواليقي بتحقيق أحمد شاكر (٣٥٩)، والتحرير والتنوير (٧/ ٣١٠)، والعذب النمير (٣٤٢/١).

(4) ينظر: العين (٦/ ٣٨٢)، واللسان (٤/ ١٨) مادة (أزر).

(5) ينظر: جامع البيان للطبري (٩/ ٣٤٥) ، وغرائب التفسير للكرماني (١/ ٣٦٧) ، ومفاتيح الغيب للرازي (٣١/٥) ، ولباب التأويل للخازن (٢٦/٢) ، والعذب النمير للشنقيطي (١/ ١٠٣).

الدليل الثاني : فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (يَلْقَى إبراهيمُ أباه آزرَ يوم القيامة وعلى وجه آزر قَتَرَةٌ وغَبَرةٌ فيقول له إبراهيم : ألم أقل لك : لا تعصني ؟ فيقول أبوه : فاليوم لا أعصيك ، فيقول إبراهيمُ : يارب ، إنك وعدتني أن لا تخزيني يوم يبعثون ، فأيُّ خزي أخزى من أبي الأبعد ؟ فيقول الله تعالى : إني حرّمت الجنة على الكافرين ، ثم يقال : يا إبراهيم ، ما تحت رجليك ؟ فينظر فإذا هو بذيخٍ مُلْتطِخٍ فيؤخذ بقوائمه فيُلقَى في النار)[1] .

فالله تعالى سمّاه في القرآن آزر ، والنبيُّ صلى الله عليه وسلم كذلك سمّاه آزر و لم يقل : أباه تارح ، فثبت بهذا أن اسمه الأصلي آزر لا تارح ، ولا قول لأحدٍ مع قول الله ورسوله صلى الله عليه وسلم كائنًا من كان[2] .

الثالث : الوضع اللغوي لكلمة "الأب" ، فإن دلالة لفظ ﴿ لِأَبِيهِ ﴾ على معناه الوضعي في اللغة يدل على صحة هذا القول ؛ لأن الأصل في الإطلاق الحقيقة[3].

قال العلامة الشنقيطي : « والأب إذا أطلقته العرب انصرف إلى أب الرجل الذي وَلَدَه، ولا يجوز أن يحمل على أنه عَمُّه إلاّ بدليل يجب الرجوع إليه ، لا سيما لو كثر ذكره في القرآن بعبارات كثيرة مختلفة على أنحاء مختلفة ، كلها صريحة في أنه أبوه ، فنقلُها إلى عمه من غير دليل من كتاب ولا سنة تجرؤ على الله وعلى كتابه بما لا يجوز »[4].

الرابع : قراءة ﴿ ﴾ بالرفع ، وهي قراءة يعقوب الحضرمي أحد القراء العشرة[5].

وتخريجها : أنه منادى مبني على الضم ، ولا تنادى إلاّ الأعلام .

---

(1) صحيح البخاري ، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب قول الله تعالى : ﴿ واتخذ الله إبراهيم خليلا ﴾ برقم (٣٣٥٠). وينظر: فتح الباري (٦/ ٣٨٩).

(2) ينظر: لباب التأويل للخازن (٢/ ٢٦) ، وفتح البيان للقنّوجي (٤/ ١٧٥).

(3) ينظر: محاسن التأويل للقاسمي (٦/ ٢٣٦٨).

(4) العذب النمير (١/ ٣٤٣) . وينظر: الأقوال الشاذة في التفسير لعبد الرحمن الدهش (٢٤٨ــ ٢٨٨) .

(5) قال الفراء: قرأ يعقوب بالرفع على النداء (آزَرُ) أي : يا آزرُ . وهو وَجْهٌ حَسَنٌ . [معاني القرآن ١/ ٣٤٠] . وينظر: النشر في القراءات العشر لابن الجزري (٢/ ٢٥٩) ، وإتحاف فضلاء البشر للبنا (١٢٧) .

وهذه القراءة الثابتة تقوّي القول بأن آزر اسم أبي إبراهيم ، وهذا دليل العَلَمية ؛ إذ لا يحذف حرف النداء إلا من الأعلام . وحذف حرف النداء من الصفات شاذ[1].

وأما القول بأن آزر اسم صنم ، وأن اسم أبي إبراهيم هو : تارح[2]، فروي عن ابن عباس[3]، ومجاهد[4]، وابن جريج[5]، وسعيد بن المسيب[6] ، ومقاتل بن حيان[7] .

وعليه الفراء، وابن الجوزي ، والسيوطي[8].

---

(1) ينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٨/٤٣٥) ، وإرشاد العقل السليم (٢/ ١٦٨) ، وأنوار التنزيل للبيضاوي (١/٣٠٩) ، وحاشية الشهاب (٤/ ٨٤) ، وروح المعاني للآلوسي (٧/ ١٩٤) ، وتفسير القرآن الحكيم للسيد رشيد رضا (٧/ ٤٨٧) .

(2) يقال فيه : تَارَح وتارَخ . ضبطه بعضهم بالحاء المهملة ، وضبطه آخرون بالخاء المعجمة على وزن هاجر . ينظر: لباب التأويل للخازن (٢/ ٢٦) ، والفتوحات الإلهية للجمل (٢/ ٣٩٩) ، وتاج العروس (أزر) .

(3) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٣٢٤) (٧٤٨٩) من طريق شبيب ، عن عكرمة ، عنه قال : «يعني بآزر : الصنم ، وأبو إبراهيم اسمه : يازر ». وشيخ ابن أبي حاتم : صدوق كما في الجرح والتعديل (٢/ ٦٧) وبقية رجاله ثقات عدا شبيبًا فإنه صدوق يخطيء كما في التقريب (٢٦٣). وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٢٩٩) لأبي الشيخ . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٣٢٥) (٧٤٩١، ٧٤٩٥) من طريق أبي رَوْق، عن الضحاك ، عنه قال : « إن أبا إبراهيم لم يكن اسمه آزر ، وإنما كان اسمه تارح» . والضحاك لم يسمع من ابن عباس. وفي إسناده بِشْر بن عُمارة : ضعيف كما في التقريب (١٢٣) . وتحصّل من مجموع الروايتين عن ابن عباس : أن آزر اسم للصنم ، وأن أبا إبراهيم له اسمان : تارح ، ويازر .

(4) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩/ ٣٤٣) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٣٢٥) (٧٤٩٢) من طريق جرير، عن ليث ، عنه قال : «ليس آزر أبا إبراهيم» . وأخرجه الطبري (٩/ ٣٤٣) من طريق الثوري ، عن رجل ، عن، ابن أبي نجيح ، عنه قال : «آزر لم يكن بأبيه ، إنما هو صنم» . وهذان الإسنادان ضعيفان . وأخرجه الطبري (٩/٣٤٤) من طريق يحي بن يمان ، عن الثوري ، عن ابن أبي نجيح به قال : آزر اسم صنم . وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٣٠٠) إلى ابن أبي شيبة ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر .

(5) أخرجه ابن المنذر عنه كما في الدر المنثور (٣/ ٣٠٠) قال : ليس آزر بأبيه ولكن ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ ﴾ وهن الآلهة ، وهذا من تقديم القرآن ، إنما هو إبراهيم بن تيرح .

(6) نسبه إليه البغوي في معالم التنزيل (٢/ ٣٦) ، والخازن في لباب التأويل (٢/ ٢٦) ، والآلوسي في روح المعاني (٧/١٩٤) .

(7) نسبه إليه البغوي في معالم التنزيل (٢/ ٣٥) ، وابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٧١)، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٨/٤٣٣) وفيه : "آزر لقب ، وتارَح اسم" ، وأبوحيان في البحر المحيط (٤/ ١٦٤) .

(8) ينظر: معاني القرآن (١/ ٣٤٠)، وتذكرة الأريب (١/ ١٦١)، و تفسير الجلالين (الفتوحات ٢/ ٣٩٩) .

وقد ذكره جماعة من المفسرين بصيغة (قيل) منهم : النحاس، والزمخشري، والقرطبي، والبيضاوي، والقمي النيسابوري ، وأبوالمحاسن القرشي اليماني، وأبوالسعود[1].

واستغربه الكرماني ، وجعله ابن حجر قولاً شاذًّا .

واستُدِلَّ للقول بأن آزر اسمٌ للصنم الذي كان يعبده أبو إبراهيم ، ولُقّب به لطول ملازمته وعبادته له ، بأن من عبد شيئًا أو أحبّه جعل اسم ذلك المعبود أو المحبوب اسمًا له ، فهو كقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ ﴾[الإسراء: ٧١] .

قال الشاعر :

أُدْعَى بأسماءَ نَبْزًا في قبائلها كأنّ أسماءَ أضحتْ بعضَ أسمائي[2].

وجوّزوا أن يُنْبَزَ به ؛ للزومه عبادته كما نُبِزَ ابنُ قَيْس بالرُّقَيَّات اللاّتي كان يُشَبِّبُ بهنّ، فقيل : "ابن قيس الرقيات" [3].

فإذا كان اسم صنم ، فموضعه نَصْبٌ على إضمار الفعل كأنه قال : وإذ قال إبراهيم لأبيه أتتخذ آزر إلهًا ؟ أتتخذ أصنامًا آلهةً ؟[4]

وقد ردّه الطبريُّ بقوله : « هذا القول بعيد من الصواب من جهة العربية ؛ وذلك أن العرب لا تنصب اسمًا بفعلٍ بعد حرف الاستفهام ، لا تقول : أخاك أَكَلّمْتَ ؟ وهي تريد : أَكَلَّمْتَ أخاك ؟ ... وهذا غير جائز »[5].

---

(1) ينظر: معاني القرآن الكريم (٢/ ٤٤٨)، والكشاف (٢/ ٣٦٥)، والجامع لأحكام القرآن (٤٣٣/٨)، وأنوار التنزيل (١/ ٣٠٨)، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ١٠٣)، والترجمان عن غريب القرآن (٤٤)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ١٦٨) .

(2) ينظر: الكشاف للزمخشري (٢/ ٣٦٥) ، وشرح شواهد الشافية (٢٩٨) . ونبزًا : لقبًا . قال أبو حيان : أُطلِق على عبيد الله بن قيس الرقيات؛ لحبه نساءً اسم كل واحدة منهن رُقَيَّة . [البحر المحيط ٤/ ١٦٣].

(3) ينظر: الكشاف (٢/ ٣٦٥) ، ومفاتيح الغيب (٥/ ٣١) ، ولباب التأويل (٢/ ٢٦) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ١٠٣) ، والفتوحات الإلهية (٢/ ٣٩٩) .

(4) ذكره الزجاج في معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٦٥) .

(5) جامع البيان (٩/ ٣٤٤ ، ٣٤٥) .

وقد تقرر في قواعد العربية أن ما في حَيّز الاستفهام لا يتقدم عليه[1].

قال ابن كثير : « فإنه قول بعيد في اللغة ؛ لأن ما بعد حرف الاستفهام لا يعمل فيما قبله؛ لأنه له صدر الكلام . كذا قررّه ابن جرير وغيره ، وهو مشهور في قواعد العربية»[2].

وأما تخريجه بأنه أريد (عابد آزر) فحُذِفَ المضافُ وأقيم المضاف إليه مقامه ، فقد ذكره بصيغة (قيل) جماعة من المفسرين منهم : الخازن، والقمي، وأبوحيان، وأبوالسعود، وسليمان الجمل[3].

وفيه ضعْفٌ وتكلُّفٌ ؛ لأن ادّعاء الحذف ليس عليه دليل صحيح .

وقد تقرر في قواعد الترجيح : أن القول بالاستقلال وعدم التقدير مقدّمٌ على القول بالإضمار وتقدير محذوف ؛ لأجل موافقة الأصل ، سيما وأن المعنى مستقيم بدون التقدير[4].

فالإضمار والحذف والتقدير خلاف الأصل ، والعرب لا تحذف من الكلام شيئًا إلاّ وتركت عليه دليلا[5]. ولا دليل هنا على حذف المضاف (عابد) ، ودونَ إثباتِه خَرْطُ القَتَادِ.

وأما القول بأن تَارَح اسم أبي إبراهيم ، فقد استدل القائلون بذلك والذاهبون إليه بإجماع النّسَّابين عليه .

قال الزجاج : « وليس بين النّسابين خلاف أن اسم أبي إبراهيم (تارح)، والذي في القرآن يدل على أن اسمه : آزر »[6].

وضُعِّفَ هذا الإجماع بأنه إنما حصل بسبب التقليد ، ويؤول إلى قول الواحد والاثنين، وربما تعلّقوا بأخبار اليهود والنصارى ، فإنه عندهم في التوراة (تارح) ، ولا عبرة بذلك في

---

(1) ينظر: كشف المشكلات للباقولي (١/ ٤٣٩) .

(2) تفسير القرآن العظيم (٦/ ٩٤) .

(3) ينظر: لباب التأويل (٢٦/٢) وغرائب القرآن (١٠٣/٣) والبحر المحيط (١٦٣/٤) وإرشاد العقل السليم (١٦٨/٢)، والفتوحات الإلهية (٢/ ٣٩٩) .

(4) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين (٢/ ٤٢١) .

(5) ينظر: المصدر السابق (٢/ ٤٢٣) .

(6) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٦٥) . وينظر: لسان العرب (٤/ ١٩) .

مقابلة صريح القرآن[1] .

قال الرازي : « والدليل القوي على صحة أن الأمر على ما يدل عليه ظاهر هذه الآية [أي : أن آزر هو اسم أبي إبراهيم] ؛ أن اليهود والنصارى والمشركين كانوا في غاية الحرص على تكذيب الرسول ــ عليه الصلاة والسلام ــ وإظهار بغضه ، فلو كان هذا النسب كذبًا لامتنع في العادة سكوتهم عن تكذيبه ، وحيث لم يكذّبوه علمنا أن هذا النسب صحيح، والله أعلم »[2].

وقال الشهاب : «فأكثرها نُسيَ بالتقادم وخلَّطتْ فيه أهل الكتاب »[3] .

وعلى فرض صحة ما ذهب إليه النّسَّابون ، فلا يمتنع ولا يبعد أن يكون له اسمان، كما لكثير من الناس في دهرنا هذا ، وكان ذلك فيما مضى لكثير منهم كيعقوب، وإسرائيل[4] .

قال البخاري : « إبراهيم بن آزر ، وهو في التوراة : تارح »[5] .

وقال السمرقندي : « اسم أبيه تارح بلغة قومه ، وبلغة غيرهم كان آزر »[6] .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن ما رجّحه ابن جُزَيّ ومن وافقه في اسم أبي إبراهيم أنه آزر، هو الصوابُ والحقُّ الذي لا شك فيه .

يقول الشنقيطي : « والتحقيق الذي لا شكَّ فيه أن (آزر) بدل ، أو عطف بيان من الأب، وأنه أبوه، وإن كان عامة المؤرخين يقولون : إن أبا إبراهيم اسمه (تارح) ... ولا أصدق من الله »[7].

وقال في موضع آخر : « والقرآن لا يجوز صرفه عن ظاهره المتبادر منه إلاّ بدليل يجب

---

(1) ينظر: مفاتيح الغيب للرازي (٥ / ٣١) .

(2) المصدر السابق (٥/ ٣٢) . وينظر: لباب التأويل للخازن (٢/ ٢٦) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان للقمي (٣/ ١٠٣) .

(3) حاشية الشهاب على البيضاوي (٤/ ٨٤) .

(4) ينظر: جامع البيان للطبري (٩/ ٣٤٦) ، ولباب التأويل للخازن (٢/ ٢٦) .

(5) التاريخ الكبير (١/ ٥) .

(6) بحر العلوم (٢/ ٤٩٥) .

(7) العذب النمير (١/ ٣٤٢) .

الرجوع إليه من كتاب أو سنة صحيحة »[1] .

ويتأيد هذا القول بجملة من القواعد الترجيحية منها :

ـــ أنه لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلاّ بدليل[2] .

ـــ وإذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجّح له على ما خالفه[3] .

ـــ ويجب حمل كلام الله على المعروف من كلام العرب[4].

ـــ والقول بالاستقلال مقدم على القول بالإضمار[5].

والله تعالى أعلم.

(1) المصدر السابق (١/ ١٠٣) .

(2) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسّرين (١/ ١٣٧)

(3) ينظر: المصدر السابق (١/ ٢٠٦) .

(4) ينظر: المصدر السابق (٢/ ٣٦٩) .

(5) ينظر: المصدر السابق (٢/ ٤٢١) .

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾

٢٤- الخلاف في وقت محاجّة إبراهيم ــ عليه الصلاة والسلام ــ لقومه في الكوكب والقمر والشمس ، وقوله ﴿ هَٰذَا رَبِّى ﴾: هل كان ذلك قبل البلوغ والتكليف ؟ أم بعده ؟ وما وجهه إذن ؟

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « يحتمل أن يكون هذا الذي جرى لإبراهيم في الكوكب والقمر والشمس أن يكون قبل البلوغ والتكليف . وقد رُوِيَ أن أُمَّه وَلَدَتْه في غارٍ خوفًا من نمروذَ إذ كان يقتل الأطفال ؛ لأن المنجّمين أخبروه أن هلاكه على يد صَبِيٍّ. ويحتمل أن يكون جرى له ذلك بعد بلوغه وتكليفه ، وأنه قال ذلك لقومه على وجه الردّ عليهم والتوبيخ لهم. وهذا أرجح ؛ لقوله بعد ذلك :﴿ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ . ولا يُتصوّر أن يقول ذلك وهو منفرد في الغار ؛ لأن ذلك يقتضي محاجَّةً وردًّا على قومه ، وذلك أنهم كانوا يعبدون الأصنام والشمس والقمر والكواكب ، فأراد أن يبيّن لهم الخطأ في دينهم وأن يرشدهم إلى أن هذه الأشياء لا يصح أن يكون واحد منها إلهًا ؛ لقيام الدليل على حدوثها ، وأن الذي أحدثها ودبّر طلوعها وغروبها وأُفُولها هو الإله الحق وحده »[1].

العرض والمناقشة :

رجّح ابن جُزَيّ أن وقتَ محاجّةِ إبراهيم ــ عليه الصلاة والسلام ــ لقومه في الكوكب والقمر والشمس، وقولَه في كُلٍّ منها :﴿ هَٰذَا رَبِّى ﴾ ، أنه كان بعد البلوغ والتكليف ، وأنه كان في مقامِ مناظرةٍ مع قومه لا في مقام نَظَرٍ واستدلال .

ووافقه الزجَّاج، والنحاس، والزمخشري، وابن عطية، وابن الجوزي، والرازي،

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١٤) .

والنسفي، والخازن، وابن كثير، والبلنسي، وابن حجر، والثعالبي، والآلوسي ، والشهاب الخفاجي، والقنّوجي، والقاسمي، والسيد رشيد رضا، والمراغي، والسعدي، والطاهر، والشنقيطي[1].

وذكر غير واحد منهم : أن هذا القول عليه جمهور المحققين [2].

ويدل على صحته ما يلي :

١- السياق ، وبيان ذلك من وجوه أربعة :

أولها : من حيث تشبيه إراءة الله تعالى إياه هذا الملكوت وما يترتب عليه من إبطال ربوبية الكواكب بإراءته ضلال أبيه وقومه في عبادة الأصنام .

ثانيها : من إسناد هذه الإراءة إلى الله تعالى الدال على تمييز ما رأى بها على ما كان يرى قبلها .

ثالثها : من تعليل الإراءة بما تقدّم .

رابعها : من التعقيب على ذلك بمحاجَّةِ قومه ، وقوله تعالى إنه آتاه الحجُّةَ عليهم .

قررَّ ذلك العلاّمة السيد محمد رشيد رضا وقال : « وفي قوله تعالى : ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ﴾[الأنعام: ٨٣] الإشارة إلى كل ما تقدّم في هذا السياق »[3].

---

(1) ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٦٦)، ومعاني القرآن الكريم (٢/ ٤٥٠ ــ ٤٥١)، والكشاف (٣٦٦/٢ــ٣٦٧)، والمحرر الوجيز (٥/ ٢٦٠ــ ٢٦١)، وزاد المسير (٣/ ٧٤) وتذكرة الأريب (١/ ١٦١)، ومفاتيح الغيب (٥/ ٤٠)، ومدارك التنزيل (٢/ ٢٠)، ولباب التأويل (٢/ ٢٩)، وتفسير القرآن العظيم (٩٧/٦ــ ٩٩)، وتفسير مبهمات القرآن (١/ ٤٣٧)، وفتح الباري (٦/ ٣٩١)، والجواهر الحسان (١/ ٤٩٤)، وروح المعاني (١٩٨/٧)، وحاشية الشهاب (٤/ ٨٦)، وفتح البيان (١٧٧/٤)، ومحاسن التأويل (٦/ ٢٣٧٧، ٢٣٨٠، ٢٣٨٤)، وتفسير القرآن الحكيم (٧/ ٤٨٠)، وتفسير المراغي (٧/ ١٧٠)، وتيسير الكريم الرحمن (٣٧/٢)، والتحرير والتنوير (٣١٧/٧ــ ٣١٩)، وأضواء البيان (٢/ ٢٠١ــ ٢٠٢) والعذب النمير (٣٥٠/١ــ ٣٥٨ ، ٣٦٠، ٣٦٢) .

(2) منهم الخازن ، والقنوجي .

(3) تفسير القرآن الحكيم (٤٨٠/٧-٤٨١) .

ويقول الآلوسي : « وسياق الآية وسباقها شاهدا عَدْلٍ على ذلك »[1].

ويقول الشنقيطي : « الظاهر شمول قوله تعالى : ﴿ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ﴾ الآية[الأنعام: ٨٠]وقوله: ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ﴾ الآية [الأنعام: ٨٣] لجميع احتجاجاته عليهم »[2].

٢- قوله تعالى : ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ يدل على أنه كان في مقام المناظرة والمحاجَّة لقومه لا في مقام النظر والاستدلال أو في حال الطفولة أو في الغار[3].

٣- أن إبراهيم ـــ عليه السلام ـــ لم يتقدم عليه شرك يومًا ما .

قال الشنقيطي : « لأن الله نفى عنه كون الشرك الماضي في قوله : ﴿ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ في عدة آيات[4]، ونَفْيُ الكون الماضي يستغرق جميع الزمن الماضي »[5].

وقد أخبر الله عن إبراهيم أنه قال : ﴿ وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾ [إبراهيم: ٣٥] وقال: ﴿ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [الصافات: ٨٤] أي : لم يشرك قط[6].

٤- أن إبراهيم ـــ عليه الصلاة والسلام ـــ كان جازمًا موقنًا بعدم ربوبية غير الله ، دلَّ عليه ترتيب قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ﴾ إلى آخره بـــ**الفاء** على قوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ . وفي هذا الدلالة على أنه قال ﴿ هَٰذَا رَبِّى ﴾ مناظرًا ومحاجًّا لهم[7].

قال ابن عطية : « هذه الفاء في قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَنَّ ﴾ رابطة جملة ما بعدها بما

---

(1) روح المعاني (٧/ ١٩٨) .

(2) أضواء البيان (٢/ ٢٠١ـــ ٢٠٢) . وينظر: العذب النمير (١/ ٣٧٢ـــ ٣٧٦) .

(3) ينظر: المحرر الوجيز لابن عطية (٥/ ٢٥٩) ، والكشاف للزمخشري (٢/ ٣٦٧) ، ومدارك التنزيل (٢/ ٢٠) .

(4) الأنعام ٧٩ ، ويوسف ١٠٨ . وفي قوله : ﴿ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ في البقرة ١٣٥ ، وآل عمران ٦٧ ، ٩٥، والأنعام ١٦١ ، والنحل ١٢٣ .

(5) أضواء البيان (٢/ ٢٠١) .

(6) ينظر: معاني القرآن الكريم للنحاس (٢/ ٤٥١) .

(7) ينظر: أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٢٠١ـــ ٢٠٢) .

قبلها، وهي ترجّح أن المراد بالملكوت هو هذا التفصيل الذي في هذه الآية »[1].

٥- قوله تعالى عن إبراهيم : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٥١] يدفع أن يكون قال ذلك ناظرًا ومستدلاً[2].

٦- ويدفعه كذلك ما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ قال : (كُلُّ مولودٍ يولدُ على الفطرة)[3].

وفي صحيح مسلم عن عياض بن حمار رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (قال الله : إني خلقت عبادي حنفاء)[4] .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ﴾ [الأعراف: ١٧٢] ومعناه كقوله عز وجل : ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ [الروم: ٣٠] .

قال ابن كثير : « فإذا كان هذا في حق سائر الخليقة ، فكيف يكون إبراهيم الخليل ـــ الذي جعله الله أمَّةً قانتًا لله حنيفًا و لم يكن من المشركين ـــ ناظرًا في هذا المقام ؟! بل هو أولى الناس بالفطرة السليمة والسجية المستقيمة بعد رسول الله ﷺ بلا شك ولا ريب »[5].

٧- وَرَدَ في حديث الشفاعة أنهم يأتون إبراهيم عليه الصلاة والسلام فيلتمسون منه الشفاعة فيقول : نفسي ! نفسي ! ويذكر كذباته الثلاثة [6]، وليس منها قوله في الكوكب: (هذا ربي) .

---

(1) المحرر الوجيز (٥/ ٢٥٧) .

(2) ينظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦/٩٨) .

(3) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز برقم (١٣٥٨ و ١٣٥٩ و ١٣٨٥) وفي كتاب التفسير برقم (٤٧٧٥) وفي كتاب القدر برقم (٦٥٩٩) ، ومسلم في كتاب القدر برقم (٢٦٥٨) .

(4) في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها برقم (٢٨٦٥) .

(5) تفسير القرآن العظيم (٦/ ٩٨ ـــ ٩٩) بتصرف يسير .

(6) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء برقم (٣٣٦١) ، وفي كتاب التفسير برقم (٤٧١٢) . والكذبات الثلاثة مذكورة في كتاب أحاديث الأنبياء برقم (٣٣٥٨) من حديث أبي هريرة .

نعم جاءت من طريقٍ عند مسلم[1] ، والذي يظهر كما حققه ابن حجر أنها وَهْمٌ من بعض الرواة ؛ فإنه ذكر قوله في الكوكب بدل قوله في سَارَةَ ، والذي اتفقت عليه الطرق : ذكرُ سارة دون الكوكب ، والأنبياء قبل النبوة معصومون من ذلك على الصحيح[2] .

وأما القول بأن محاجة إبراهيم ـــ عليه الصلاة والسلام ـــ لقومه في الكوكب والقمر والشمس وقوله ﴿هَذَا رَبِّي﴾ كان قبل البلوغ والتكليف وفي حال طفولته، فقولٌ حكاه ابنُ جرير الطبري عن قوم لم يسمهم[3].

وهو مفهوم كلام مقاتل بن سليمان[4]، ومحمد بن إسحاق [5]، والواحدي[6]، ونسبه الأخير إلى المفسّرين.

وذهب ابن عباس إلى أن قول إبراهيم ﴿هَذَا رَبِّي﴾ على ظاهره ، قال : « ﴿هَذَا رَبِّي﴾ فعبده حتى غاب ، وعبَد القمرَ حتى غاب ، وعبد الشمس حتى غابت »[7].

ففهم ابن عطية من هذا أن ابن عباس يرى أن ذلك جرى من إبراهيم عليه الصلاة والسلام في حال صباه وقبل بلوغه[8].

واختار الطبري أنه على ظاهره كما فسّره ابن عباس ، وأنه لم يكن في حال طفولته و لم

---

(1) أخرجها مسلم في كتاب الإيمان (١/١٨٦) برقم (١٩٤) من حديث أبي هريرة .

(2) ينظر: فتح الباري (٦/ ٣٩١) ، ومحاسن التأويل للقاسمي (٦/ ٢٣٧٧) ، والعذب النمير (١/ ٣٥٢ـــ ٣٥٤).

(3) ينظر: جامع البيان (٩/ ٣٦٠) ، والمحرر الوجيز لابن عطية (٥/ ٢٥٨) .

(4) ينظر: تفسير مقاتل (١/ ٥٦٩ـــ ٥٧٢) .

(5) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩/ ٣٥٦ـــ ٣٥٩) عن محمد بن حميد ، عن سلمة بن الفضل ، عنه. وذكر الرواية المطوّلة والتي أوردها ابن جُزَيّ مختصرةً .

(6) ينظر: الوسيط (٢/ ٢٩٠) .

(7) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩/ ٣٥٦) وابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٣٢٨، ١٣٢٩) (٧٥١١، ٧٥١٧، ٧٥٢٠) من طريق علي بن أبي طلحة ، عنه . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٣٠٠) فنسبه إلى ابن المنذر مختصرًا . ورواه أبو صالح عنه. ينظر: زاد المسير لابن الجوزي (٣/ ٧٢). قال أبوحيان في البحر المحيط (٤/١٦٦): «ولعل هذا لا يصح» . وأنكر هذه الرواية عن ابن عباس وأبطلها السيد محمد رشيد رضا في تفسيره (٧/ ٤٨٠) .

(8) ينظر: المحرر الوجيز (٥/٢٥٨) .

يقله على وجه الإنكار على قومه والتوبيخ لهم بل قاله على سبيل الإخبار ، وأن الصواب من القول في ذلك : الإقرارُ بخبر الله تعالى ذِكْرُه الذي أخبر به عنه ، والإعراض عما عداه .

كذا قاله الطبري[1] . واختاره ابن تيمية[2].

واستدل لهذا القول بما يلي :

١- ما رواه ابن إسحاق وغيره ، وقد سبق تخريجها ، وهو فيها مستندٌ إلى أخبارٍ إسرائيلية لا يوثق بها ولا سيما إذا خالفت الحق[3] .

٢- أن إبراهيم عليه السلام قال :﴿ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴾.

فهذا يدل على نوع تَحَيُّرٍ، وذلك لا يكون إلاّ في حال الصغر وقبل البلوغ وقيام الحجة[4]. وظاهرها يدل على أنه قال ﴿هَذَا رَبِّي ﴾ مخبرًا لا مستخبرًا .

ويشكل على الاستدلال بهذه الآية على ما ذهبوا إليه؛ أن فيها قرينتين تبطلان ذلك الاستدلال :

ـــ الأولى : قوله : ﴿ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي ﴾ ، فهذا يدل على أنه يعرف ربّه جلّ وعلا ، وأن الهداية بيده سبحانه ، وأنه لم يقل :﴿هَذَا رَبِّي ﴾ اعتقادًا وخبرًا بل قالها مناظرًا ومحاجًا لهم.

ـــ والثانية : قوله : ﴿ لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴾ ، يدلّ على معرفته بضلال قومه في اتخاذهم الكواكب والقمر آلهةً .

قال الزمخشري : « ﴿ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي ﴾ تنبيه لقومه على أن من اتخذ القمر إلهًا، وهو

---

(1) جامع البيان (٩/ ٣٦١) . وذكر الشنقيطي أن جماعة من العلماء غَلِطوا في هذا المقام ، منهم ابنُ جرير . ينظر: العذب النمير (١/ ٣٥٠) .

(2) ينظر: دقائق التفسير (١/ ٤٦٥).

(3) ينظر: البداية والنهاية لابن كثير (١/ ٣٣١) .

(4) ينظر: زاد المسير لابن الجوزي (٣/ ٧٤) ، ولباب التأويل للخازن (٢/ ٢٨) .

نظير الكوكب في الأُفُول، فهو ضالٌّ »[1].

وقال الطاهر بن عاشور : « وقوله : ﴿ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴾ قصد به تنبيه قومه للنظر في معرفة الرب الحق وأنه واحد ، وأن الكوكب والقمر كليهما لا يستحقان ذلك مع أنه عرّض في كلامه بأن له ربًّا يهديه وهم لا ينكرون عليه ذلك ؛ لأنهم قائلون بعدّة أرباب . وفي هذا تهيئة لنفوس قومه لما عزم عليه من التصريح بأن له ربًا غير الكواكب . ثم عرّض بقومه أنهم ضالون وهيأهم قبل المصارحة للعلم بأنهم ضالون؛ لأن قوله : ﴿ لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴾ يُدخل على نفوسهم الشك في معتقدهم أن يكون ضلالاً ، ولأجل هذا التعريض لم يقل : لأكونن ضالاً ، وقال : ﴿ لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴾ ؛ ليشير إلى أن في الناس قومًا ضالين ، يعني قومَه »[2].

وقال ابن الجوزي : « وهذا القول لا يُرتضَى ، والمتأهلون للنبوة محفوظون من مثل هذا على كل حال . فأما قوله: ﴿ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي ﴾ فما زال الأنبياء يسألون الهدى ، ويتضرَّعون في دفع الضلال عنهم، كقوله: ﴿ وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾ [إبراهيم: ٣٥]، ولأنه قد آتاه رشده من قبل ، وأراه ملكوت السماوات والأرض ليكون موقنًا ، فكيف لا يعصمه عن مثل هذا التحيير ؟! »[3].

هذا وأكثر المحققين على فساد هذا القول ، وقد أبطله الرازي من أوجه كثيرة أبرزها باختصار ما يلي :

١- أن الكفر غير جائز على الأنبياء بالإجماع .

٢- أن إبراهيم عرف ربّه بالدليل قبل هذه الواقعة بدليل قوله قبلها لأبيه : ﴿ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ ﴾.

٣- وقوع هذه القصة بعد دعوة أبيه مرارًا وأطوارًا ، وبعد أن عرف الله بمدّة .

---

(1) الكشاف (٢/ ٣١) ، وينظر: البحر المحيط (٤/ ١٦٧) .

(2) التحرير والتنوير (٣٢١/٧).

(3) زاد المسير (٣/ ٧٤) .

٤- وقوعها بعد رؤية الملكوت .

٥- أن الله وصفه بقوله :﴿ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ ، وقوله :﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴾.

٦- أن الله قال فيه : ﴿ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴾ ثم قال :﴿ فَلَمَّا جَنَّ ﴾ والفاء تقتضي الترتيب ، فثبت أن هذه الواقعة بعد أن صار إبراهيم من الموقنين العارفين بربه.

٧- أنها حصلت بسبب مناظرة قومه بدليل :﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ﴾ ولم يقل : على نفسه .

٨- كيف يقول :﴿ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ وليس في الغار قوم ولا صنم؟

٩- قوله : ﴿ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ﴾ وكيف يحاجونه وهم بعد ما رأوه وهو ما رآهم؟[1]

وبعد، فإذا تقرر هذا وكان ذلك كذلك ، فإن أولى القولين بالصواب هو ما رجّحه ابن جُزَيّ ومن وافقه، وهو قول جمهور المفسّرين وأكثر المحققين ، والله تعالى أعلم .

تكميل : ذكر المفسّرون في توجيه قول إبراهيم عليه الصلاة والسلام ﴿ هَٰذَا رَبِّى ﴾ أوجهًا كثيرة ، اختار منها ابن جُزَيّ واحدًا وهو: أنه قال ذلك على سبيل الاستفهام الإنكاري التوبيخي ، أي: أنه قال ذلك مستفهمًا استفهام إنكارٍ وإبطالٍ رادًّا عليهم وموبّخًا لهم ، وسقط حرف الاستفهام منه استغناءً عنه ؛ لدلالة الكلام عليه .

وهذا الوجه ذكره ابن عطية ، والرازي ، والشنقيطي ، وغيرهم[2].

---

(1) ينظر: مفاتيح الغيب (٥/ ٣٩ ــ ٤٠).

(2) ينظر لزيادة التفصيل والتدليل على ذلك : العذب النمير (١/ ٣٥٥ ــ ٣٥٨) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾

٢٥- الخلاف في قائل هذه الإجابة : هل هو إبراهيم ؟ أم أنها خبر من الله وَفَصْلٌ منه جلَّ وعلا بين إبراهيم وقومه ؟

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « ... ثم أوقفهم على ذلك بقوله : ﴿ فَأَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ أَحَقُّۚ بِٱلۡأَمۡنِ ﴾ يعني : فريق المؤمنين ، وفريق الكافرين ، ثم أجاب عن السؤال بقوله : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ الآية . وقيل : إن ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ استئنافٌ ، وليس من كلام إبراهيم»[1].

العرض والمناقشة :

رجّح ابن جُزَيّ أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام هو القائل : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴾ . ووافق ما نُسِبَ إلى ابن عباس[2].

ووافقه على هذا الترجيح: الواحدي، والزمخشري، والرازي، والنسفي، والقمي النيسابوري، وأبوحيان، والبقاعي، والطاهر بن عاشور[3].

وذكر هذا القول بصيغة (قيل) جماعة من المفسّرين منهم : السمعاني، والخازن، والشوكاني، والقنوجي[4]. ولم يذكروا له دليلاً .

قال الطاهر بن عاشور : « تولّى جواب استفهامه بنفسه ولم ينتظر جوابهم ؛ لكون الجواب مما لا يسع المسئول إلاّ أن يجيب بمثله . وهو تبكيت لهم . قال ابن عباس : كما

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/١٤-١٥).

(2) نسبه إليه القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٨/٤٤٤) ، والطاهر بن عاشور في التحرير والتنوير (٧/ ٣٣٢).

(3) ينظر: الوسيط (٢/ ٢٩٢)، والكشاف (٢/ ٣٦٩)، ومفاتيح الغيب (٥/ ٤٩)، ومدارك التنزيل (٢/٢١)، وغرائب القران ورغائب الفرقان (٣/ ١٠٩)، والبحر المحيط (٤/ ١٧١)، ونظم الدرر (٧/ ١٦٧)، والتحرير والتنوير (٧/ ٣٣١ــ ٣٣٢).

(4) ينظر: تفسير القرآن (٢/ ١٢١)، ولباب التأويل (٢/ ٣٠)، وفتح القدير (٢/ ١٩٠)، وفتح البيان (٤/ ١٨٢).

يسأل العالم ويجيب نفسه بنفسه . أي : بقوله : (فإن قلتَ قلتُ) »[1] .

ويمكن أن يستأنس له بوقوع نظيره في القرآن في قوله عز وجل : ﴿ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ [غافر: ١٦] ، فإن الله تعالى تولّى جواب نفسه بنفسه ، والله أعلم .

وهل يُتصور أن يسألهم إبراهيم في معرض محاجّته لهم : ﴿ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [الأنعام: ٨١] ثم لا يجيبهم بنفسه ؟ الذي يظهر أنه هو الذي تولّى الإجابة ؛ ليكتمل قيام الحجة عليهم ، وليتم البلاغ المبين ، والله تعالى أعلم .

وأما القول بأن هذه الإجابة هي خبرٌ من الله تعالى فَصَلَ بذلك بين إبراهيم وقومه ، فهو قولُ ابن زيد[2]، ومحمد بن إسحاق[3].

ورجّحه الطبري، والبغوي، وابن عطية، والقرطبي، والخازن، وابن القيم، وابن كثير، والثعالبي، والسيوطي، وأبوالسعود، والشوكاني، والقنّوجي، والقاسمي، والمراغي، والسعدي، والشنقيطي[4]. ولم يذكروا له دليلاً .

قال السيد محمد رشيد رضا : «ومما يرجّحه في اللفظ عطف الآية التالية على هذه»[5].

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن كلا القولين جائز ، ولا دليل لأحدهما يجب المصير إليه وترجيحه على الآخر .

---

(1) التحرير والتنوير (٧/ ٣٣٢) .

(2) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩/ ٣٦٧، ٣٦٩) عن يونس ، عن ابن وهب ، عنه . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٣٣٢) (٧٥٣٩) من طريق أصبغ بن الفرج ، عنه . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣٠٧/٣) نسبته إلى أبي الشيخ .

(3) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩/ ٣٦٨) عن ابن حميد ، عن سلمة بن الفضل ، عنه .

(4) ينظر: جامع البيان (٩/ ٣٦٩)، ومعالم التنزيل (٢/ ٤١)، والمحرر الوجيز (٥/ ٢٦٨)، والجامع لأحكام القرآن (٤٤٤/٨)، ولباب التأويل (٢/ ٣٠)، وبدائع التفسير (٢/ ١٥٣، ١٥٦) وإغاثة اللهفان (١/ ٢٥٥) والصواعق المرسلة (٤٨٥ ، ٤٩٠)، وتفسير القرآن العظيم (٦/ ١٠١)، والجواهر الحسان (١/ ٤٩٦)، وتفسير الجلالين (الفتوحات ١/ ٤١٠)،وإرشاد العقل السليم (٢/ ١٧٣)، وفتح القدير (٢/ ١٩٠)، وفتح البيان (١٨٢/٤)، ومحاسن التأويل (٢٣٨٧/٦)، وتفسير المراغي (٧/ ١٧٨)، وتيسير الكريم الرحمن (٢/ ٣٩)، وأضواء البيان (٢٠٢/٢).

(5) تفسير القرآن الحكيم (٧/ ٥٠١) بتصرف يسير .

وإلى تجويز القولين ذهب الزجاج، والنحاس[1]، والله تعالى أعلم بالصواب .

ورُوِيَ عن ابن جريج أنه من قول قوم إبراهيم[2].

وقد ردّه الطبري في موضع[3] ثم رجع في موضع آخر ففسّره على أنه من قول قومه ، قال : « يعني تعالى ذِكْرُه بقوله : ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ﴾ قولَ إبراهيم لمخاصميه من قومه المشركين : ﴿ فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ أَمَنْ يعبد ربًّا واحدًا ...؟ وإجابتهم إياه بقولهم: بل من يعبد ربًّا واحدًا أحق بالأمن . وقضاؤهم له على أنفسهم ، فكان في ذلك قطع عذرهم وانقطاع حجتهم واستعلاء حجة إبراهيم عليهم، فهي الحجة التي آتاها الله إبراهيم على قومه »[4].

وذكره الطاهر بـــ (قيل) ، وقال : « ولا يصح ؛ لأن الشأن في ذلك أن يقال : قال الذين آمنوا ...الخ ؛ ولأنه لو كان من قول قومه لما استمرّ بهم الضلال والمكابرة إلى حدّ أن ألقوا إبراهيم في النار »[5].

ولعلّه يستأنس له بوقوع نظيره في سورة الأنبياء : ﴿ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾.

قال السيد محمد رشيد رضا : « كما اعترفوا حين كسر أصنامهم من بعد إذ قال لهم ﴿ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا ﴾ ... الآيات ».

وهذا القول أبعد من القولين الأولين ، بل ظاهر الضعف ؛ لأن هذه الجملة ليست مما يعهد من كلام المشركين ، والله تعالى أعلم .

---

(1) ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٦٩)، ومعاني القرآن الكريم (٢/ ٤٥٣).

(2) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٩/٣٦٩) .

(3) ينظر: جامع البيان (٩/ ٣٦٩) .

(4) جامع البيان (٩/ ٣٧٩) .

(5) التحرير والتنوير (٧/ ٣٣٢) .

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾

٢٦- الخلاف في عود الضمير في قوله تعالى: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ﴾.

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « الضمير لنوح أو لإبراهيم عليهما السلام ، والأول هو الصحيح[١] ؛ لذكر لُوطٍ وليس من ذريّة إبراهيم »[٢].

العرض والمناقشة :

رجّح ابن جُزَيّ أن ضمير الذرية يعود لنوح عليه السلام ؛ لأن الله تعالى ذكر منهم لوطًا وليس من ذريّة إبراهيم عليهم السلام . ووافق ما روي عن ابن عباس[٣]. وقال به مقاتل[٤]، والكلبي[٥].

وإليه ذهب الفراء، والطبري، والواحدي، والسمعاني، والبغوي، وابن عطية ، وابن الجوزي، والعكبري، والنسفي، والخازن، والبلنسي، والثعالبي، والسيوطي، والطاهر بن عاشور[٦] .

---

(1) وقع في النسخة المطبوعة (الضمير لإبراهيم أو لنوح) ! وهذا خطأ ، وصواب العبارة ما أثبته ثم وجدته هكذا في جميع مخطوطات الكتاب بتقديم نوح وهو الصواب .

(2) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١٥) .

(3) رواه أبوصالح ، عنه كما ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٧٩) .

(4) ينظر: تفسير مقاتل (١/ ٥٧٣) .

(5) نسبه إليه السمرقندي في بحر العلوم (٢/ ٤٩٩) .

(6) ينظر: معاني القرآن (١/ ٣٤٢)، وجامع البيان (٩/ ٣٨١)، والوجيز (١/ ٣٦٣) والوسيط (٢/ ٢٩٥)، وتفسير القرآن (٢/ ١٢٢)، ومعالم التنزيل (٤٢/٢)، والمحرر الوجيز (٥/ ٢٦٩) ــ وقال : هذا هو الجيّد ــ ، وتذكرة الأريب (١/ ١٦٢)، والتبيان (٥١٥/١)، ومدارك التنزيل (٢/ ٢١)، ولباب التأويل (٢/ ٣١)، وتفسير مبهمات القرآن (١/ ٤٤١)، والجواهر الحسان (١/ ٤٩٦)، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٢/ ٤١٢)، والتحرير والتنوير (٧/ ٣٣٨) .

ونسبه الخازن و القنّوجي إلى جمهور المفسّرين[1] .

وذكره بصيغة (قيل) : القرطبي، والبيضاوي، وأبوالسعود[2] .

واستدلّ ابن جُزَيّ لصحته بأن الله ذكر لوطًا عليه السلام من الذرِّيَّة فقال : ﴿ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنعام: ٨٦] .

ومن المعلوم أن لوطًا لم يكن من ذرية إبراهيم ــ عليهما الصلاة والسلام ــ ولكن من ذرية نوح قطعًا ، فلو أريد بالذرية ذرية إبراهيم لما دخل لوط فيهم ، فلذلك وجب أن تكون الهاء في الذرية لنوح عليه السلام[3] .

وزاد بعضهم أن يونس أيضًا ليس من ذرية إبراهيم ولم يُتّفَقْ على ذلك ، أما لوط فاتفقوا على أنه ابن أخي إبراهيم . وقيل : ابن أخته . وهذا حسبما جاء في التوراة ، والله أعلم .

قال الواحدي : « والعلماء بالنسب يقولون : الكناية تعود إلى نوح ؛ لأنه ذَكر في جملة من عَدَّ من هذه الذرية يونس ولوطًا ، ولا شك أنهما لم يكونا من ذرية إبراهيم »[4] .

ويؤيد عَوْد الضمير إلى نوح عليه السلام أنه أقرب مذكور . وأوجبه الرازي[5] .

قال ابن كثير : «وعود الضمير إلى نوح ؛ لأنه أقرب المذكورَيْن ظاهرٌ لا إشكال فيه»[6].

وأما القول بأن الضمير يعود إلى إبراهيم عليه السلام فنُسِب إلى الضحاك[7]، وعطاء[8].

---

(1) ينظر: فتح البيان (٤/ ١٨٥) .

(2) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (٨/٤٤٦)، وأنوار التنزيل (١/ ٣١٠)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ١٧٥) .

(3) ينظر: جامع البيان للطبري (٩/ ٣٨١ ــ ٣٨٢) .

(4) الوسيط (٢/ ٢٩٥) . وينظر: التبيان للعكبري (١/ ٥١٥) ، والمشكل لمكي (١/ ٢٥٩) .

(5) ينظر: مفاتيح الغيب (٥/ ٥٢) .

(6) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٦/ ١٠٧) .

(7) نسبه إليه السمرقندي في بحر العلوم (٢/ ٤٩٩) .

(8) نسبه إليه ابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٧٩) .

ورجّحه القرطبي ، والبيضاوي، والبقاعي، وأبوالسعود، والشهاب، والقنّوجي، والقاسمي، والمراغي[1]. وحسّنه ابن كثير[2]. وهو مفهوم كلام الشوكاني[3].

وضعّفه العكبري[4]، وذكره الكرماني بصيغة (قيل)[5].

ويدلُّ لصحة هذا القول : أن إبراهيم ـــ عليه الصلاة والسلام ـــ هو المقصود بالذكر في هذه الآيات ، وإنما ذكر الله تعالى نوحًا ؛ لأن كون إبراهيم عليه السلام من أولاده أَحَدُ موجبات رِفْعَة إبراهيم عليهما الصلاة والسلام . أفاده الرازي[6].

والسياق كلُّه لمدح الخليل عليه السلام[7]، وبيان شئونه العظيمة؛ من إيتاء الحجة ورفعة الدرجات وهبة الأولاد والأنبياء وإبقاء هذه الكرامة في نسله إلى يوم القيامة[8] .

قال السيد محمد رشيد رضا : « لأن الكلام في شأنه ، وما آتاه الله من فضله ، وإنما ذكر نوحًا لأنه جدُّه ، فهو لبيان نعم الله عليه في أفضل أصوله ، تمهيدًا لبيان نعمه عليه في الكثير من فروعه . ويزاد على ذلك أن الله جعل الكتاب والنبوة في نسلهما معًا ، منفردًا ، ومجتمعًا، كما قال تعالى في سورة الحديد : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ ﴾»[9]. [٢٦].

ومما يدل له أيضًا قوله تعالى في آخر الآية : ﴿ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ .

---

(1) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (٨/٤٤٦)، وأنوار التنزيل (١/ ٣١٠)، ونظم الدرر (٧/١٧٢)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ١٧٥)، وحاشية الشهاب (٤/ ٩٠)، وفتح البيان (٤/١٨٥)، ومحاسن التأويل (٦/ ٢٣٩٥ــ ٢٣٩٦)، وتفسير المراغي (٧/ ١٨١).

(2) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٦/ ١٠٧).

(3) ينظر: فتح القدير (٢/ ١٩٢).

(4) ينظر: التبيان (١/ ٥١٥) .

(5) ينظر: غرائب التفسير وعجائب التأويل (١/ ٣٧٠).

(6) ينظر: مفاتيح الغيب (٥/ ٥٢) .

(7) ينظر: نظم الدرر للبقاعي (٧/ ١٧٢) ، وأنوار التنزيل للبيضاوي (١/ ٣١٠) ، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦/ ١٠٧) .

(8) ينظر: إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٢/ ١٧٥) ، ومحاسن التأويل للقاسمي (٦/ ٢٣٩٥) .

(9) تفسير القرآن الحكيم (٧/ ٥٠٦) ، وتبعه المراغي (٧/ ١٨١) .

قال ابن الجوزي : « ثم قوله : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ من أَبْين دليلٍ على أنه إبراهيم؛ لأن افتتاح الكلام إنما هو بذكر ما أثاب به إبراهيم »[1].

وأما الإشكال عليه بأن لوطًا ليس من ذرية إبراهيم ، وأنه ابن أخيه أو ابن أخته، فيُجاب عنه بما يلي :

أنه لا يصح الاعتماد على ما في التوراة ؛ إذ ليس كل ما فيها مسلَّمًا مما يُذكر فيها من الأنساب[2].

سلَّمنا أن لوطًا ليس من ذرية إبراهيم ، وأنه ابن أخيه أو ابن أخته، فإنه يخرّج بأن العرب تجعل العمّ أبًا كما أخبر الله عن ولد يعقوب أنهم قالوا : ﴿ قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ ﴾[البقرة: ١٣٣] . وإسماعيل عمٌّ يعقوب .

وعَدَّ عيسى من ذرية إبراهيم ، وإنما هو ابن البنت. قاله القرطبي[3].

ولوط وإن كان ليس من ذرية إبراهيم ـــ على تسليم هذه الفرضية ـــ فيدخل فيها تغليبًا ؛ كدخول إسماعيل في آباء يعقوب تغليبًا .

ونظيره قوله تعالى : ﴿ فَسَجَدَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمۡ أَجۡمَعُونَ ۝٧٣ إِلَّآ إِبۡلِيسَ ﴾ [ص: ٧٣ - ٧٤] .

فدخل إبليس في أمر الملائكة بالسجود وذُمّ على المخالفة ؛ لأنه كان في تشبه بهم، فعومل معاملتهم ودخل معهم تغليبًا ، وإلاّ فهو كان من الجنّ، وطبيعته من النار ، والملائكة من نور . قاله ابن كثير[4].

والتغليب كان مستعملا شائعًا في لسان العرب ، كما قال القاسمي[5].

---

(1) زاد المسير (٣/ ٧٩) .

(2) تراجع مسألة اسم أبي إبراهيم عليه السلام .

(3) الجامع لأحكام القرآن (٤٤٧/٨) بتصرف يسير . وينظر: البحر المحيط لأبي حيان (٤/ ١٧٣)، والدر المصون للسمين (٢٨/٥) ، وإرشاد العقل السليم لأبي السعود (٢/ ١٧٥)، وروح المعاني للآلوسي (٧/ ٢١٢) .

(4) تفسير القرآن العظيم (٦/ ١٠٧) بتصرف يسير .

(5) محاسن التأويل (٦/ ٢٣٩٥) .

ويمكن أن يُتأول على ما قاله أبوسليمان الدمشقي : « أي : ووهبنا له لوطًا في المعاضدة والنصرة أو أنه معطوف على ﴿ وَنُوحًا هَدَيْنَا ﴾ من عطف الجملة على الجملة»[1].

قال الطاهر : « ويجوز أن يجعل ذكر اسمه بعد انتهاء أسماء مَنْ هم مِنْ ذرية إبراهيم منصوبًا على المدح بتقدير فعلٍ لا على العطف »[2].

وقال الباقولي : « أو يحملونه على فعل آخر دون ﴿ وَوَهَبْنَا ﴾ »[3].

كما يمكن أن يُخَرَّج على أن لوطًا عومل معاملة ذرية إبراهيم ؛ لشدة اتصاله به[4]، فإنه آمن به ، وهاجر معه ، والله تعالى أعلم .

وبعد، فإذا تقرر ذلك فإن أَوْلى القولين بالصواب هو أن يعود الضمير على إبراهيم ـــ عليه الصلاة والسلام ـــ ؛ لأن دلالة السياق قوية في كون الضمير عائدًا إليه .

ويتأيد هذا القول بقاعدة (عود الضمير على المحدّث عنه)[5]، وبها تُعارَضُ قاعدة (عوده إلى الأقرب) . وهنا تترجح قاعدة عوده على المحدّث عنه ؛ لتأييدها بمقصود الآية الكريمة وسياقها.

وأما ذكر لوط فإنه مخرّج بما سبق ، وهذا على الفرض بصحة ما يقوله علماء النسب، وهم يعتمدون في ذلك على ما في التوراة ولا يخفى ما فيها ، والله تعالى أعلم وأحكم ونسبة العلم إليه أسلم .

هذا وقد جوّز الزجّاج القولين ؛ لأن ذكرهما جميعًا قد جرى[6].

---

(1) ينظر: زاد المسير لابن الجوزي (٣/ ٧٩) فإنه نقله عنه .
(2) التحرير والتنوير (٧/ ٣٣٨) .
(3) كشف المشكلات (١/ ٤٤٣) .
(4) ينظر: التحرير والتنوير للطاهر (٧/ ٣٣٨) .
(5) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسّرين (٢/٦٠٣).
(6) ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٦٩) .

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾

٢٧- الخلاف في المراد بالقوم في قوله :﴿ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴾.

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « هم الأنبياء المذكورون . وقيل : الصحابة . وقيل : كل مؤمن . والأول أرجح ؛ لدلالة ما بعده على ذلك »[1] .

العرض والمناقشة :

رجّح ابن جُزَيّ أن المراد بالقوم في قوله تعالى : ﴿ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا ﴾ هم الأنبياء المذكورون قبل هذه الآية، والمشار إليهم بقوله عز وجل : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ﴾. ووافق المرويَّ عن قتادة [2] ، والحسن[3] .

ووافقه في هذا الترجيح : الطبريّ، والزجّاج، والنحاس، وابن أبي زمنين، والزمخشري، والبيضاوي، والشوكاني، والقنّوجي، والشنقيطي[4].

ودليل هذا القول : السياقُ .

قال ابن جرير الطبري :« وذلك أن الخبر في الآيات قبلها عنهم مضى ، وفي التي بعدها

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١٥).

(2) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢١٣) ــ ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٣٣٩) (٧٥٧٦) ــ عن معمر ، عنه . وأخرجه الطبري في جامع البيان (٩/ ٣٩٠) من طريق معمر ، عنه . وأخرجه الطبري (٩/ ٣٩٠) من طريق سعيد ، وأخرجه ابن أبي حاتم (٤/ ١٣٤٠) (٧٥٨١) من طريق شيبان ، كلاهما ، عنه.

(3) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٣٣٩) (٧٥٧٥) بلفظ : (النبيين والصالحين).

(4) ينظر: جامع البيان (٩/ ٣٩٠ ، ٣٩١) ، ومعاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٧٠) ، ومعاني القرآن الكريم (٤٥٦/٢)، وتفسير القرآن العزيز (٢/ ٨٣) ، والكشاف (٢/ ٣٦٩) ، وأنوار التنزيل (١/ ٣١١) ، وفتح القدير (١٩٤/٢)، وفتح البيان (٤/ ١٨٨) ، والعذب النمير (١/ ٤٠٠) .

عنهم ذُكِرَ ، فما بينها بأن يكون خبرًا عنهم أَولَى وأحقُّ من أن يكون خبرًا عن غيرهم»[1].

وقال الشوكاني : « فإن الإشارة في قوله تعالى بعدها : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ ﴾ إلى الأنبياء المذكورين لا إلى الصحابة ؛ إذ لا يصح أن يؤمر النبي ﷺ بالاقتداء بهداهم »[2].

وأما القول بأن المراد هم الصحابة[3] ـــ رضي الله تعالى عنهم ـــ فهو قولُ ابنِ عباس[4]، وقتادة[5]، وعكرمة[6]، وسعيد بن جبير[7]، والضحاك[8]، وابن المسيب[9]، والسدي[10]، ومجاهد[11]، وابن جريج[12]، ومقاتل[13].

وذهب إليه الفراء، والواحدي، والسمعاني، والبغوي، ومحمود النيسابوري، وابن الجوزي، والقرطبي، والسيوطي، والقاسمي، والسيد محمد رشيد رضا، والمراغي، والطاهر بن

---

(1) جامع البيان (٩/ ٣٩١) .

(2) فتح القدير (٢/ ١٩٤) بتصرف يسير .

(3) اختلفت عبارات المفسرين في هذا القول ومؤداها واحد ، وذلك على النحو التالي : (أهل المدينة والأنصار ، أهل المدينة ، الأنصار ، المهاجرين لمن هاجر من مكة إلى المدينة ، أهل المدينة من الأنصار ، الصحابة).

(4) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩/ ٣٨٩) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٣٣٩) (٧٥٧٤) من طريق علي ابن أبي طلحة ، عنه . وأخرجه الطبري (٩/ ٣٨٩) من طريق عطية العوفي ، عنه . قال عطية : ولم أسمع هذا من ابن عباس ، ولكن سمعته من غيره .

(5) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩/ ٣٨٨) ، وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٣٣٨) عقب (٧٥٧١) . وعكَس النحاسُ في معاني القرآن الكريم (٢/ ٤٥٥) فنسب إلى قتادة قوله : (النبيين) .

(6) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٣٣٩) (٧٥٧٨) .

(7) نسبه إليه السمرقندي في بحر العلوم (٢/ ٤٩٩) .

(8) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩/ ٣٨٨) من طريق جويبر ، عنه . وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٣٣٩) عقب (٧٥٧٤) .

(9) ذكره ابن أبي حاتم (٤/ ١٣٣٩) عقب (٧٥٧٤) . وعزاه الآلوسي في روح المعاني (٧/ ٢١٦) لعبد بن حميد .

(10) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩/ ٣٨٩) وابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٣٣٩) من طريق أسباط ، عنه .

(11) نسبه إليه النحاس في معاني القرآن الكريم (٢/ ٤٥٥) .

(12) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩/ ٣٨٩) عن القاسم ، عن الحسين ، عن حجاج ، عنه .

(13) ينظر: تفسير مقاتل (١/ ٥٧٤) .

عاشور[1].

وذكره البيضاوي بصيغة (قيل)[2] ، ووافقه ابن جُزَيّ .

ويدل له أن في الآية قرينة تمنع من أن يكون المراد بذلك الأنبياء ، وهي : أن الله تعالى وصفهم بأنهم ليسوا بها بكافرين ، وهذا وصفٌ لقومٍ حاضرين ، ووصف الأنبياء السابقين بذلك لا يظهر له وجه . قاله السيد رشيد رضا[3].

وقال القاسمي : « وهذا الوصف للصحابة في مقابلة كفار قريش »[4].

وأما القول الثالث : وهو أن المراد بهم كل مؤمن ، فمنسوب إلى ابن زيد[5]، ومفهوم رواية الحسن : « النبيين والصالحين » ؛ لإفادتها العموم .

ورجّحه ابن عطية، وأبوحيان، وابن القيم، وابن كثير[6].

وذكره بصيغة (قيل) الزمخشري، والقرطبي[7].

ويدلّ له العموم ، فإن النكرة في سياق الامتنان تفيد العموم[8] .

قال ابن عطية : « فالآية على هذا التأويل ، وإن كان القصد في نزولها هذين الصنفين [يعني بهما : كفار قريش ، ومؤمني أهل المدينة "الصحابة"] فهي تعُمُّ الكفرةَ والمؤمنين إلى يوم القيامة » .

---

(1) ينظر: معاني القرآن (١/ ٣٤٢)، والوجيز (١/ ٣٦٤) والوسيط (٢/ ٢٩٦)، وتفسير القرآن (٢/ ١٢٣)، ومعالم التنزيل (٢/ ٤٣)، وإيجاز البيان (١/ ٢٤٨)، وتذكرة الأريب (١/ ١٦٣)، والجامع لأحكام القرآن (٤٥١/٨)، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٢/ ٤١٥)، ومحاسن التأويل (٦/ ٢٤٠٠)، وتفسير القرآن الحكيم (٥١٢/٧)، وتفسير المراغي (٧/ ١٨٤)، والتحرير والتنوير (٧/ ٣٥٤) .

(2) ينظر: أنوار التنزيل (١/ ٣١١) .

(3) تفسير القرآن الحكيم (٧/ ٥١٣) بتصرف يسير .

(4) محاسن التأويل (٦/ ٢٤٠٠) .

(5) نسبه إليه الخازن في لباب التأويل (٢/ ٣٢) .

(6) ينظر: المحرر الوجيز (٥/ ٢٧٤)، والبحر المحيط (٤/ ١٧٥)، وبدائع التفسير (٢/ ١٥٨ ، ١٦٢)، وتفسير القرآن العظيم (٦/ ١٠٩) .

(7) ينظر: الكشاف (٣٦٩/٢) ، والجامع لأحكام القرآن (٤٥٢/٨) .

(8) قرّر ذلك العلامة محمد الأمين الشنقيطي . ينظر: مذكرة في أصول الفقه (٢٠٦).

وقال ابن القيم : « والقوم الموكّلون بها هم الأنبياء أصلاً ، والمؤمنون بهم تبعًا ، فيدخل كُلُّ من قام بحفظها والذبِّ عنها والدعوة إليها ، ولا ريب أن هذا للأنبياء أصلاً وللمؤمنين بهم تبعًا ، وأحقُّ من دخل فيها من أتباع الرسل: خلفاؤُه في أمته وورثته، فهم الموكّلون بها. وهذا ينتظم الأقوال التي قيلت في الآية ».

وقال أيضًا : « والصواب : أن المراد مَنْ قام بها إيمانًا ودعوةً وجهادًا ونُصْرةً، فهؤلاء هم الذين وكّلهم الله بها ».

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن أَولى الأقوال بالصواب هو القول بالعموم ؛ لانتظامه الأقوالَ كلَّها وعدمِ اطّراحه شيئًا منها سيما وأن اللفظ يدل على الشمول ، فيدخل في الآية الأنبياء بالأصالة والصحابة بالتبع والتابعون لهم بإيمان وإحسان ، والله تعالى أعلم .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ ﴾

٢٨- الخلاف في القائلين هذه المقالة : ﴿ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ﴾ .

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « والقائلون هم اليهود بدليل مابعده ، وإنما قالوا ذلك مبالغة في إنكار نبوة محمد ﷺ ، ورُوِيَ أن الذي قالها منهم مالك بن الصَّيْف ، فردّ الله عليهم بأن ألزمهم ما لا بُدَّ لهم من الإقرار به وهو إنزال التوراة على موسى. وقيل : القائلون قريش ، ولزموا ذلك ؛ لأنهم كانوا مقرين بالتوراة »[1].

العرض والمناقشة :

رجّح ابن جُزَيّ أن اليهود هم الذين قالوا : ﴿ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ﴾ . ووافق المرويّ عن قتادة[2]. ونُسِبَ إلى الحسن[3].

ورُوِيَ عن سعيد بن جبير[4]، وعكرمة[5] أن الذي قالها منهم هو مَالِكُ بن الصَّيْف. ونسب هذا إلى ابن عباس [6].

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١٥) . ولعل العبارة : وأُلْزِموا ذلك ...

(2) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩/ ٣٩٥) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٣٤٣) من طريق يزيد ، عن سعيد، عنه قال : هم اليهود والنصارى . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٣١٥) نسبته إلى عَبْد بن حميد .

(3) نسبه له ابن أبي زمنين في تفسيره (٢/ ٨٣) .

(4) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩/ ٣٩٣) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٣٤٢) (٧٥٩٧) من طريق يعقوب القمّي ، عن جعفر بن أبي المغيرة ، عنه . وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٣١٤) إلى ابن المنذر أيضًا . وينظر: أسباب النزول للواحدي (٢٥٣) .

(5) أخرجه الطبري (٩/ ٣٩٤) عن القاسم ، ثنا الحسين ، ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عنه . وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٣١٤) إلى ابن المنذر . وينظر: أسباب النزول للواحدي (٢٥٣) .

(6) نسبه له ابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٨٢) برواية أبي صالح ، عنه .

وعليه مقاتل، والزجاج، والنحاس، والسمرقندي، وابن أبي زمنين، والواحدي، والسمعاني، والبغوي، والكرماني، والزمخشري، وابن الجوزي، والبيضاوي، والنسفي، والبلنسي، والثعالبي، والبقاعي، والسيوطي، وأبوالسعود، والشوكاني، والآلوسي، والقنوجي، والشنقيطي[1].

وقال الخازن : « وهذا قول جمهور المفسرين »[2].

وذكره بصيغة (قيل) : ابن عطية، وابن كثير[3].

واستَدَلَّ له ابنُ جُزَيّ بالسياق فقال : « بدليل ما بعده » . وهو قوله تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ﴾.

ووجه ذلك : أن خاتمة الآية خبرٌ عن اليهود وخطاب لهم ، فابتداء الآية إذًا خبرٌ عنهم[4].

قال الشنقيطي : « وسياق الكلام يُعَيِّنُ أن الآية نازلة في اليهود لا في مشركي مكة ، كما قاله بعض العلماء »[5].

---

(1) ينظر: تفسير مقاتل (١/ ٥٧٤) وقال : نزلت في مالك بن الصيف ، ومعاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٧١) وقال : جماعة من اليهود من منافقيهم ، ومعاني القرآن الكريم (٢/ ٤٥٧)، وبحر العلوم (١/ ٥٠٠) قال : نزلت في مالك بن الصيف، وتفسير القرآن العزيز (٢/ ٨٣)، الوجيز (١/ ٣٦٤) والوسيط (٢/ ٢٩٧)، تفسير القرآن (١٢٤/٢) ونسبه إلى مالك بن الصيف، ومعالم التنزيل (٢/ ٤٣)، وغرائب التفسير وعجائب التأويل (٣٧٠/١) وقال : نزلت في مالك بن الصيف، والكشاف (٢/ ٣٧٠)، وتذكرة الأريب (١/ ١٦٣)، وأنوار التنزيل (٣٢١/١)، ومدارك التنزيل (٢/ ٢٢)، و تفسير مبهمات القرآن (١/ ٤٦٥) وذكر أنها في مالك بن الصيف، والجواهر الحسان (١/ ٤٩٨)، ونظم الدرر (٧/ ٤٩٨)، تفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٢/ ٤١٦)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ١٧٩)، وفتح القدير (١٩٥/٢)، وروح المعاني (١٧٩/٧)، وفتح البيان (١٩١/٤) ،والعذب النمير (١/ ٤١٨) .

(2) ينظر: لباب التأويل (٢/ ٣٣) .

(3) ينظر: المحرر الوجيز (٥/ ٢٧٩)، وتفسير القرآن العظيم (٦/ ١١٠) .

(4) ينظر: جامع البيان للطبري (٩/ ٣٩٨) .

(5) العذب النمير (١/ ٤١٨) .

واستدل له الزمخشري بقراءة : ﴿ تَجْعَلُونَهُ ﴾ بالتاء ، وكذلك : ﴿ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ ﴾.

وقال : « وإنما قالوا ذلك ؛ مبالغةً في إنكار إنزال القرآن على رسول الله ﷺ فأُلزِموا مالا بُدَّ لهم من الإقرار به من إنزال التوراة على موسى ـــ عليه السلام ـــ وأدرج تحت الإلزام توبيخهم وأن نعى عليهم سوء جهلهم لكتابهم ، وتحريفهم وإبداء بعض وإخفاء بعض»[1].

وقال الشهاب : « واستدلّ عليه بقراءة الخطاب في قوله : ﴿ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ ﴾ . وتقرير الاستدلال : أن قوله : ﴿ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ﴾ الخ جواب لأولئك القائلين، والتاء في ﴿ تَجْعَلُونَهُ ﴾ خطاب لهم ، ولا شك في أن الجاعلين التوراة قراطيس هم اليهود ، فيكون القائلون تلك المقالة هم اليهود .

فإن قلت : اليهود يقولون : التوراة كتاب الله أنزله على موسى ﷺ فكيف يقولون : ما أنزل الله على بشر من شيء ؟ أجيب : بأن مرادهم الطعن في رسالته ﷺ مبالغةً في ذلك الإنكار فقيل لهم على سبيل الإلزام : قد أنزل الله التوراة على موسى ﷺ فلِمَ لا يجوز إنزال القرآن على محمد ﷺ ؟ فكأنهم أبرزوا إنزال القرآن عليه في صورة الممتنعات حتى بالغوا في إنكاره فألزموا بتجويزه ... وقراءة الغيب على هذا التفات تبعيدًا لهم بسبب ارتكابهم القبيح»[2].

وقال الآلوسي : « المراد أنه تعالى قد أنزل التوراة على موسى عليه السلام ولا سبيل لكم إلى إنكار ذلك ، فلم لا تجوّزون إنزال القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم ؟ وبهذا ينحلّ إشكال ما عليه الجمهور »[3] .

ويقول الشهاب أيضًا : « ودليل آخر هو : تضمن ذلك [أي: قوله تعالى :﴿ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ﴾] توبيخهم على سوء جهلهم بالتوراة وذمّهم على تجزئتها بإبداء بعض ما انتخبوه

---

(1) الكشاف (٢/ ٣٧٠) . وتبعه البيضاوي في أنوار التنزيل (١/ ٣١٢) .

(2) حاشية الشهاب (٤/ ٩٣) .

(3) روح المعاني (٧/ ٢٩١) .

وكتبوه في ورقات متفرقة وإخفاء بعضٍ لا يشتهونه »[1].

وقال الشنقيطي : « أظهر الأقوال فيها : أن المراد بهم اليهود الذين أنزل عليهم التوراة، أن الله علمهم بواسطة القرآن من غرائب ما في التوراة وعجائبه ما كانوا جاهلين به ؛ لأن القرآن مهيمن على الكتب . وكانت أشياء غامضة عليهم لا يعرفونها فبيَّنها القرآن حتى عرفوها ...كما قال جل وعلا : ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [النمل: ٧٦] وقال : ﴿ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾» [2] [المائدة: ١٥].

واستُدِلَّ له أيضًا بسبب النزول، كما رواه علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قال : قالت اليهود : يا محمد ، أنزل الله عليك كتابًا ؟ قال : (نعم) . قالوا : والله ، ما أنزل الله من السماء كتابًا . فنزلت :﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ ﴾ [3] .

وقال محمد بن كعب القرظي : جاء ناس من اليهود إلى النبي ﷺ وهو مُحْتَبٍ فقالوا : يا أبا القاسم ، ألا تأتينا بكتاب من السماء كما جاء به موسى ألواحًا يحملها من عند الله ؟ فأنزل الله :﴿ يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً ﴾ الآية [النساء: ١٥٣] فجثا رجل من يهود فقال : ما أنزل الله عليك ، ولا على موسى ، ولا على عيسى ، ولا على أحد شيئًا . فأنزل الله :﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ﴾. قال محمد بن كعب : ما علموا كيف اللهُ إذ قالوا : ﴿ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا ﴾ فَحَلَّ رسول الله ﷺ حُبْوَتَه ، وجعل يقول : (ولا على أحدٍ ؟)[4].

---

(1) المصدر السابق (٤/ ٩٤) .

(2) العذب النمير (١/ ٤١٨) .

(3) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩/ ٣٩٦) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٣٤١ــ ١٣٤٢) (٧٥٩٢، ٧٥٩٣، ٧٥٩٥، ٧٥٩٦) . وينظر : أسباب النزول للواحدي (٢٥٣) .

(4) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩/ ٣٩٥) وهو مُعَلٌّ بالإرسال . وفيه أبومعشر المدني نجيح بن عبد الرحمن السندي ، ضعيف ، أسنَّ واختلط . وينظر: التقريب لابن حجر (٩٩٨) .

وأما القول بأن القائلين هم مشركوا قريش، فهو قول مجاهد[1]. ونُسِبَ إلى ابن عباس[2]، وعبد الله بن كثير[3].

ورجّحه الطبري، وابن كثير، والقاسمي، والسيد محمد رشيد رضا، والمراغي، وابن عاشور[4]. وقدّمه ابن عطية[5].

وذكره بصيغة (قيل) : الزمخشري، والبيضاوي، والبلنسي، وأبوالسعود، والشوكاني، والقنّوجي[6].

واستدلّ لهذا القول أيضًا بالسياق. وتقريره ـــ كما قال ابن جرير الطبري ـــ :

---

(1) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩/ ٣٩٧) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٣٤١) (٧٥٨٧) من طريق أبي حذيفة ، ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عنه . وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٣١٤) إلى أبي الشيخ . وأخرجه الطبري أيضا (٩/ ٣٩٦) ، وابن أبي حاتم أيضا (٤/ ١٣٤١) (٧٥٩٢) من طريق حجاج ، قال : قال ابن جريج : قال عبد الله بن كثير : إنه سمع مجاهدًا ...فذكر أولها في مشركي قريش ، وآخرها في المسلمين ، وأوسطها في اليهود.

(2) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩/٣٩٦) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٣٤١) (٧٥٨٦) من طريق علي بن أبي طلحة ، عنه قوله :﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ﴾ قال: «هم الكفار ، لم يؤمنوا بقدرة الله عليهم ، فمن آمن أن الله على كل شيء قدير ، فقد قدر الله حقَّ قدره، ومن لم يؤمن بذلك فلم يَقْدُر الله حقَّ قدره» . كذا جاء في هذه الرواية أنها في الكفار يعني أول الآية الكريمة . ولذا نسبه إليه القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٨/٤٥٥) ، وابن كثير في تفسير القرآن العظيم (٦/ ١١٠) . وبمجموع الروايتين عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس يتبين أنه يفسر أولها أنها في الكفار ويفسّر ما بعدها وهو قوله : ﴿ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ﴾ في اليهود وأنها نزلت فيهم وهذا ظاهره التعارض !! والذي عليه العلماء هو قبول صحيفة علي بن أبي طلحة التي رواها عن ابن عباس في التفسير واعتمدها البخاري في صحيحه . لكن إذا كان ما يرويه ابن عباس مرفوعًا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فينظر في إسنادها على أنه حديث مرفوع ، وعليه ففيه انقطاع على الصحيح ؛ لأن عليًّا لم يسمع من ابن عباس بل أرسل عنه و لم يره كما ذكره العلماء . وينظر : التقريب (٦٩٨).

(3) نسبه إليه ابن كثير في تفسير القرآن العظيم (٦/ ١١٠) .

(4) ينظر: جامع البيان (٩/ ٣٩٧)، وتفسير القرآن العظيم (٦/ ١١٠ـــ ١١١)، ومحاسن التأويل (٦/ ٢٤٠٨)، وتفسير القرآن الحكيم (٧/ ٥٣١، ٥٣٣)، وتفسير المراغي (٧/ ١٨٨)، و التحرير والتنوير (٧/ ٣٦١) .

(5) ينظر: المحرر الوجيز (٥/ ٢٧٩) .

(6) ينظر: الكشاف (٢/ ٣٧١)، وأنوار التنزيل (١/ ٣١٢)، وتفسير مبهمات القرآن (١/ ٤٦٥)، وإرشاد العقل السليم (١٧٩/٢)، وفتح القدير (٢/ ١٩٥)، وفتح البيان (٤/ ١٩١) .

«وذلك أن سياق الخبر عنهم أولاً ، فأن يكون ذلك أيضا خبرًا عنهم ، أشبهُ من أن يكون خبرًا عن اليهود ولمّا يَجْرِ لهم ذكرٌ يكونُ هذا به متصلاً ، مع ما في الخبر عمّن أخبر الله عنه في هذه الآية من إنكاره أن يكون الله أنزل على بشر شيئًا من الكتب ، وليس ذلك مما تدين به اليهود ، بل المعروف من دين اليهود الإقرارُ بصحف إبراهيم وموسى وزبور داود ، وإذا لم يكن بما رُويَ من الخبر بأن قائل ذلك كان رجلاً من اليهود خبرٌ صحيح متصل السند ، ولا كان على أن ذلك كان كذلك من أهل التأويل إجماعٌ ، وكان الخبرُ من أول السورة ومبتدئها إلى هذا الموضع خبرًا عن المشركين من عَبَدَة الأوثان ، وكان قوله : ﴿ **وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ** ﴾ موصولاً بذلك غير مفصول عنه ، لم يَجُزْ لنا أن ندعي أن ذلك مصروفٌ عما هو به موصول، إلاّ بحجَّة يجب التسليم لها من خبرٍ أو عقل»[1].

وقرّره الطاهر بن عاشور بوجود واو العطف في صدر هذه الجملة ﴿ **وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ** ﴾ ، فإنها تنادي على أنها نزلت متناسقة مع الجمل التي قبلها ، وأنها وإياها واردتان في غرض واحد هو: إبطال مزاعم المشركين ، فهذا عطف على جملة ﴿ **فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ** ﴾ [الأنعام: ٨٩] وأنها ليست ابتدائية في غرض آخر . فواو الضمير في قوله : ﴿ **قَدَرُواْ** ﴾ عائد على ما عاد إليه اسم الإشارة في قوله : ﴿ **هَٰٓؤُلَآءِ** ﴾[2] .

ومما يدل له أيضا أن الآية مكية وفي سورة مكية ، والمناظرات التي وقعت بين الرسول ﷺ وبين اليهود والنصارى كلها مدنية، كما قاله الرازي[3].

وقال ابن كثير : « اليهود لا ينكرون إنزال الكتب من السماء ، وقريش والعرب قاطبة كانوا يبعدون إرسال رسول من البشر كما قال : ﴿ **أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ** ﴾ [يونس: ٢] وكما قال : ﴿ **وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن**

---

(1) جامع البيان (٩/ ٣٩٧) .

(2) التحرير والتنوير (٧/ ٣٦١) بتصرف يسير .

(3) ينظر: مفاتيح الغيب (٥/ ٦٠) .

قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴾»[1] [الإسراء: ٩٤] .

وجعل الطاهر بن عاشور هذه الجملة مثل ما حكاه الله عنهم في قوله : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾[2] [سبأ: ٣١] .

وقوّاه الطاهر أيضًا بأن قوله تعالى : ﴿ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ﴾ أشدُّ انطباقًا على المشركين ؛ لأنهم لم يكونوا عالمين بأخبار الأنبياء وأحوال التشريع ونظامه، ...وقد وصفهم الله بمثل هذا في آيات أخرى كقوله : ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ﴾[3] [هود: ٤٩] .

وعلى هذا القول إشكال ذكره الرازي وهو : كيف يمكن إبطال قول المشركين بقوله: ﴿ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ ﴾ وذلك لإنكارهم رسالة جميع الأنبياء ، فكيف يحسن إيراد هذا الإلزام عليهم ؟ [4]

وأجيب بأنه لما كان إنزال التوراة من المشهورات الذائعة عندهم حسن إلزامهم بما ذكر، ولذلك كانوا يقولون : ﴿ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ﴾ [5] [الأنعام: ١٥٧].

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن أَوْلى القولين بالصواب في ذلك هو قول مجاهد : أن الآية في مشركي قريش ، وهو ما رجّحه الطبريّ ومن معه ؛ لقوة أدلته :

ـــ فإن دلالة السياق عليه أقوى وأظهر من دلالتها على كونها في اليهود ؛ لأن دلالتها على كونها في اليهود هو باللحاق أما دلالتها على كونها في مشركي قريش فبالسباق واللحاق فتكون أقوى وأظهر، والله أعلم .

ـــ ولكون الآية بل السورة كلّها مكية فالخطاب مع المشركين .

---

(1) تفسير القرآن العظيم (٦/ ١١٠) .

(2) ينظر: التحرير والتنوير (٧/ ٣٦٢) .

(3) المصدر السابق (٧/ ٣٦٦) .

(4) ينظر: مفاتيح الغيب (٥/ ٥٩ـــ ٦٠) .

(5) ينظر: أنوار التنزيل للبيضاوي (١/ ٣١٢) ، وروح المعاني للآلوسي (٧/ ٢١٩) .

ـــ ولدلالة النظائر القرآنية على إنكار مشركي قريش للكتب السماوية كقوله تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن نُّؤۡمِنَ بِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَلَا بِٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ ﴾. وكقوله تعالى : ﴿أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرٗا رَّسُولٗا ﴾ . وكقوله تعالى :﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ رَجُلٖ مِّنۡهُمۡ أَنۡ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمۡ قَدَمَ صِدۡقٍ عِندَ رَبِّهِمۡۗ قَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٞ مُّبِينٌ ﴾.

وأما قراءة ﴿ تَجۡعَلُونَهُۥ ﴾ ـــ بالتاء ـــ فهي مخرّجة على أن الخطاب لهذا الجنس الذي فعلوا ذلك ، أي : تجعلونه يا من أُنزل عليه كذلك[1]. وهو التفات من خطاب قوم إلى خطاب قوم آخرين[2].

قال ابن كثير : « أي : يجعلها حملتها قراطيس »[3].

وأما سبب النزول فما روي فيه فلا يصح منه شيء .

وإذا كان ذلك كذلك، فإن ما رجّحه ابن جُزَيّ ومن وافقه من جمهور المفسّرين مرجوحٌ ؛ لما ذكر ، والله تعالى أعلم .

---

(1) ينظر: بدائع التفسير لابن القيم (٢/ ١٦٤) .

(2) ينظر: حاشية الشهاب (٤/ ٩٥) .

(3) تفسير القرآن العظيم (٦/ ١١١) .

تكميل : ذهب بعض المفسّرين إلى العموم وصلاحية اللفظ لكلا الفريقين .

ـــ قال السعدي (٢/ ٤٣) : هذا تشنيع على من نفى الرسالة من اليهود والمشركين.

ـــ وقال القاسمي (٦/ ٢٤١١) : وبالجملة فالآية الكريمة متصادقة مع الأربعه المذكورة، وتتنزل في التأويل على ما بينا في كلٍّ تنزيلا لا شائبةَ معه لإشكالٍ ما .

ـــ وقال الطاهر (٧/ ٣٦٧) : واعلم أن نظم الآية صالح للرد على كلا الفريقين مراعاة لمقتضى الروايتين .

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَيِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ ﴿٩٥﴾ ﴾

٢٩- الخلاف في معنى قوله : ﴿ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ﴾ .

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « أي : يَفْلِقُ الحَبَّ تحت الأرض لخروج النبات منها ، ويَفْلِقُ النَّوى لخروج الشجر منها . وقيل : أراد الشّقّين الَّلذين في النواة والحنطة . والأول أرجح ؛ لعمومه في أصناف الحبوب »[1].

العرض والمناقشة :

رجّح ابن جُزَيّ أن قوله عز وجل : ﴿ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ﴾ . معناه : أنه يَفْلِقُ الحَبَّ تحت الأرض لخروج النبات منها ، ويَفْلِقُ النوى لخروج الشجر منها ، كما تفلق الحبّة عن السنبلة ، والنواة عن النخلة . ووافق مفهوم ما رُوِيَ عن ابن عباس[2]، والحسن[3]، وقتادة[4]، والسدي[5]، وابن زيد[6].

ووافقه على هذا الترجيح أكثر المفسرين ، ومنهم : الطبري، والنحاس، والسمرقندي، وابن أبي زمنين، والواحدي، والسمعاني، والكرماني، وابن عطية، ومحمود النيسابوري، والبيضاوي، وأبوحيان، وابن كثير، والثعالبي، والبقاعي، والسيوطي، وأبوالسعود، والشوكاني، والآلوسي،

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١٦) .

(2) رواه أبو صالح ، عنه كما ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٩٠) .

(3) نسبه إليه ابن أبي زمنين في تفسير القرآن العزيز (٢/ ٨٦) ، والماوردي في النكت والعيون (٢/ ١٤٦) ، وابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٩٠) .

(4) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢١٤) عن معمر ، عنه . ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٣٥١) (٧٦٥١) . وأخرجه الطبري في جامع البيان (٩/ ٤٢٠) من طريق معمر به . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣٢٤/٣) نسبته إلى ابن المنذر ، وأبي الشيخ .

(5) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩/ ٤٢٠) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٣٥١) (٧٦٥٤) من طريق أحمد ابن المفضل ، عن أسباط ، عنه .

(6) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩/ ٤٢١) عن يونس ، عن ابن وهب ، عنه .

والقنّوجي، والقاسمي، والسعدي، والطاهر بن عاشور، والشنقيطي[1] .

وعلّل ابنُ جُزَيّ رجحانَه بعمومه في أصناف الحبوب .

قال البغوي : « والحَب : جمع الحبّة ، وهي اسم لجميع البذور والحبوب ؛ من البُرّ والشعير والذُّرة، وكل ما لم يكن له نوى . والنوى : جمع النواة ، وهي كل ما لم يكن حَبًّا ،كالتمر والمشمش والخوخ ونحوها »[2] .

وقال ابن عطية : « هذه إشارة إلى فعل الله في أن يشق جميع الحب عن جميع النبات الذي يكون منه ، ويشق النوى عن جميع الأشجار الكائنة عنه . وهذا هو الظاهر الذي يعطي العبرة التامة، فسبحان الخلاّق العظيم »[3] .

وقال الطبري : « وذلك أن الله جلّ ثناؤه أتبع ذلك بإخباره عن إخراج الحيّ من الميت، والميت من الحي ، فكان معلومًا بذلك أنه إنما عَنَى بإخباره عن نفسه أنه فالق الحبّ عن النبات ، والنوى عن الغُرُوس والأشجار ، كما هو مُخْرِجُ الحيّ من الميت ، والميت من الحي» [4].

واستدل له الشنقيطي بأنه ظاهر القرآن الذي دلّ عليه بعض القرائن كقوله تعالى: ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ ﴾ [عبس] . قال : ثم

---

(1) ينظر: جامع البيان (٩/ ٤٢٠ ،٤٢٢)، وإعراب القرآن (٢/ ٨٣)، وبحر العلوم (١/ ٥٠٢)، وتفسير القرآن العزيز (٢/ ٨٦)، والوجيز (١/ ٣٦٦)، وتفسير القرآن (٢/ ١٢٨)، وغرائب التفسير وعجائب التأويل (٣٧٤/١) ونسبه للجمهور ، والمحرر الوجيز (٥/ ٢٩٣)، وإيجاز البيان (١/ ٢٥٠)، وأنوار التنزيل (١/ ٣١٣)، والبحر المحيط (٤/ ١٨٤)، وتفسير القرآن العظيم (٦/ ١١٥)، والجواهر الحسان (١/ ٥٠١)، ونظم الدرر (١٩٤/٧)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ١٨٢)، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٢/ ٤٢٥)، وفتح القدير (٢/ ٢٠١)، وروح المعاني (٧/ ٢٢٦) ـــ وقال : وعليه أكثر المفسّرين ولعلّه الأولى ـــ ، وفتح البيان (٤/ ١٩٨)، ومحاسن التأويل (٦/ ٢٤٢١)، وتيسير الكريم الرحمن (٢/ ٤٧)، والتحرير والتنوير (٧/ ٣٨٨)، والعذب النمير (٤٤١/١) .

(2) معالم التنزيل (٢/ ٤٧).

(3) المحرر الوجيز (٥/ ٢٩٣) . وتبعه أبو حيان (٤/ ١٨٤) .

(4) جامع البيان (٩/ ٤٢٢) .

شققنا الأرض عن النبات شقًّا بعد أن شققنا الحبة عن السنبلة[1].

وقال : « هذا التفسير هو الذي عليه جمهور المفسّرين ، وهو المعروف عن علماء السلف والخلف »[2].

وأما القول بأنه أراد الشقّين اللّذيْن في النواة والحنطة ، فهو قول مجاهد[3]، وأبي مالك[4].

واستغربه الكرماني[5]. وردّه ابن عطية بقوله : « والعِبرة ـــ على هذا القول ـــ مخصوصة في بعض الحب وبعض النوى ، وليس لذلك وجه »[6].

وضعّفه الشهاب، والآلوسي، والقاسمي[7]، بأنه لا دلالة له على كمال القدرة .

وذكره بصيغة (قيل) : البيضاوي، وأبوالسعود[8]. ووافقهما ابن جُزَيّ .

و لم يذكروا له دليلاً .

وبعد، فإذا تقرّر هذا فإن أَوْلى القولين بالصواب في ذلك هو ما رجّحه ابن جُزَيّ ومن وافقه ، وهو المروي عن أكثر السلف ، وعليه جمهور المفسّرين ، والله تعالى أعلم .

---

(1) العذب النمير (١/ ٤٤١) .

(2) المصدر السابق (١/ ٤٤٣).

(3) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩/٤٢١،٤٢٢) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤/١٣٥١) (٧٦٥٣) من طرق، عنه. وزاد نسبته السيوطي في الدر المنثور (٣/٣٢٤) إلى ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وأبي الشيخ .

(4) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩/ ٤٢٢) . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٣٢٤) نسبته إلى سعيد بن منصور ، وابن المنذر .

(5) ينظر: غرائب التفسير وعجائب التأويل (١/ ٣٧٤).

(6) المحرر الوجيز (٥/ ٢٩٣) .

(7) ينظر: حاشية الشهاب (٤/ ١٠٠) ، وروح المعاني (٧/ ٢٢٦) ، ومحاسن التأويل (٦/ ٢٤٢١) .

(8) ينظر: أنوار التنزيل (١/ ٣١٣)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ١٨٢) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ ﴾

٣٠- الخلاف في معنى قوله تعالى : ﴿ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ ﴾ .

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « ﴿ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ ﴾ أي : الصبح ، فهو مَصْدرٌ سُمّيَ به الصبح . ومعنى فلقه : أخرجه من الظلمات . وقيل : إن الظلمة هي التي تنفلق عن الصبح. فالتقدير : فالق ظلمة الإصباح »[1].

العرض والمناقشة :

رجّح ابن جُزَيّ أن معنى قوله تعالى :﴿ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ ﴾ . على ظاهرها ، أي : أخرج الصبح من الظلمات ، وأبدى ضوءه بعد ظلام الليل . فالذي يفلقه الله هو الإصباح ، هذا هو ظاهر الآية الكريمة . ووافق في هذا ما رُوي عن قتادة[2]، ومجاهد[3] ، والضحاك[4]، وابن زيد[5]. ووافقه على ترجيحه هذا : الطبري، والزجاج، والنحاس، وابن أبي زمنين، والواحدي، والسمعاني، والبغوي، والكرماني، وابن عطية، ومحمود النيسابوري، والقرطبي، والنسفي، وعلاء الدين المارديني ابن التركماني، والسيوطي، والقاسمي[6].

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١٦) .

(2) أخرجه عبد الزاق في تفسيره (٢/ ٢١٤) ـــ ومن طريق الطبري في جامع البيان (٩/ ٤٢٥) ـــ عن معمر ، عنه قال : (فالق الصبح) . ونسبه السيوطي في الدر أيضًا (٣/ ٣٢٥) إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر . وذكره ابن أبي حاتم (٤/ ١٣٥٤) عقب (٧٦٧٣) عن قتادة .

(3) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩/ ٤٢٥) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٣٥٤) (٧٦٧٣) عن مجاهد قال : (إضاءة الفجر) . وزاد نسبته السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٣٢٥) إلى ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وأبي الشيخ .

(4) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩/ ٤٢٦) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٣٥٤) (٧٦٧٤) من طريق عبيد بن سليمان ، عنه قال: (فالق النور ، نوّر النهار) . وزاد نسبته السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٣٢٥) إلى أبي الشيخ. وأخرجه الطبري أيضًا (٩/ ٤٢٥) من طريق جويبر ، عنه قال : (إضاؤه الصبح).

(5) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩/ ٤٢٦) عن يونس ، عن ابن وهب ، عنه قال : (فلق الإصباح من الليل) . وذكره ابن أبي حاتم معلقًا (٤/ ١٣٥٤) (٧٦٧٢) .

(6) ينظر: : جامع البيان (٩/٤٢٤) ، ومعاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٧٤)، وإعراب القرآن (٢/ ٨٤)، وتفسير القرآن

ويدل له ظاهر الآية الكريمة ، فإنها تدل أن الفلق للإصباح لا للظلمة .

قال الواحدي : « وذلك أن الفلق معناه في اللغة : الشقُّ ، وذلك راجع إلى الإبداء والإيضاح »[1].

وقال الطبري : « يعني بقوله :﴿ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ ﴾: شاقُّ عمود الصبح عن ظلمة الليل وسواده . والإصباح مصدرّ من قول القائل : أصبحنا إصباحًا . وبنحو ما قلنا في ذلك قال عامة أهل التأويل »[2].

وأما القول بأن الظلمة هي التي تنفلق عن الصبح ، ويكون التقدير : فالقُ ظلمة الإصباح، فلم أره منقولاً عن أحدٍ من السلف .

قال الزمخشري : « فإن قلت : فما معنى فلق الصبح ، والظلمة هي التي تنفلق عن الصبح كما قال :

تَرَدّتْ به ثم انفرى عن أديمها تَفَرِّيَ لَيْل عن بياض نهار[3]؟

قلتُ : فيه وجهان : أحدهما : أن يراد فالق ظلمة الإصباح ، وهي الغبش في آخر الليل، ومقتضاه الذي يلي الصبح . والثاني : أن يراد فالق الإصباح الذي هو عمود الفجر عن بياض النهار وإسفاره »[4].

وتبعه الرازي، والخازن، والقمي النيسابوري، وأبوحيان، والسمين[5].

العزيز (٢/ ٨٦)، والوجيز (٣٦٦/١) والوسيط (٢/ ٣٠٢)، وتفسير القرآن (٢/ ١٢٨)، ومعالم التنزيل (٤٧/٢)، وغرائب التفسير وعجائب التأويل (١/ ٣٧٥)، والمحرر الوجيز (٥/ ٢٩٥)، وإيجاز البيان (١/ ٢٥٠)، والجامع لأحكام القرآن (٤٦٦/٨)، ومدارك التنزيل (٢/ ٢٤)، وبهجة الأريب (١/ ٢٠٥)، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٤٢٦/٢)، ومحاسن التأويل (٢٤٢٩/٦) .

(1) الوسيط (٢/ ٣٠٢) .

(2) جامع البيان (٩/ ٤٢٤) .

(3) البيت لأبي نُواس يصف الخَمْرة .

(4) الكشاف (٢/ ٣٣٦) .

(5) ينظر: مفاتيح الغيب (٥/ ٧٨)، ولباب التأويل (٢/ ٣٧)، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ١٢٦)، والبحر المحيط (٤/ ١٨٥)، والدر المصون (٥/ ٦٠) .

وعليه ابن كثير، والسيد محمد رشيد رضا، والسعدي، والطاهر بن عاشور، والشنقيطي [1].

قال ابن كثير : « أي : خالق الضياء والظلام ، كما قال في أول السورة : ﴿ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ﴾[الأنعام : ١] أي : فهو سبحانه يفلق ظلام الليل عن غُرّة الصباح ، فيضيء الوجوه ويستنير الأفق ، ويضمحلّ الظلام ، ويذهب الليل بدآدئه و ظلام رواقه ، ويجيء النهار بضيائه وإشراقه ، كقوله : ﴿ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا ﴾» [الأعراف: ٥٤] .

وقال السيد محمد رشيد رضا : « وفلق الإصباح عبارة عن فَلْق ظلمة الليل وشقّها بعمود الصبح الذي يبدو في جهة مطلع الشمس من الأفق مستطيلاً ، فلا يعتد به حتى يصير مستطيرًا ، تتفرّى الظلمة عنه عن أمامه وعن جانبيه إلى أن تنقشع وتزول ، ولذلك سمي فجرًا ؛ فإن الفجر بمعنى الفلق كما تقدم آنفًا . والله تعالى هو فالق الإصباح بنور الشمس الذي يتقدمها»[٢].

وقال الطاهر بن عاشور : « وفَلْق الإصباح استعارة لظهور الضياء في ظلمة الليل ، فشبّه ذلك بفلْق الظلمة عن الضياء ، كما استعير لذلك أيضًا السّلْخُ في قوله تعالى : ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ ﴾ [يس: ٣٧] . فإضافة ﴿ فَالِقُ ﴾ إلى ﴿ ٱلْإِصْبَاحِ ﴾ حقيقية وهي لأدنى ملابسة على سبيل المجاز ، وقد يعتبر فيه المفعولية على التوسّع فحذف حرف الجر، أي : فالق عن الإصباح فانتصب على نزع الخافض ، ولذلك سمّوا الصبحَ فَلَقًا ... فتكون الإضافة على هذا لفظية بالتأويل ، وليست إضافته من إضافة الوصف إلى معموله ؛ إذ ليس الإصباح مفعولَ الفَلْق . والمعنى : فالق عن الإصباح ، فيعلم أن المفلوق هو الليل ، ولذلك فسّروه : فالق ظلمة الإصباح ، أي : الظلمة التي يعقبها الصبح ، وهي ظلمة الغبش؛ فإن فَلْق الليل عن الصبح أبدع في مظهر القدرة ، وأدخل في المنّة بالنعمة ؛ لأن الظلمة عدمٌ والنور وجود، والإيجاد هو مظهر القدرة ، ولا يكون العدمُ مَظهرًا للقدرة إلاّ إذا تسلّط على

---

(1) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٦/ ١١٦)، وتفسير القرآن الحكيم (٧/ ٥٤٧)، وتيسير الكريم الرحمن (٤٧/٢)، والتحرير والتنوير (٧/ ٣٩٠)، والعذب النمير (١/ ٤٤٨ ، ٤٤٩) .

(2) تفسير القرآن الحكيم (٧/ ٥٤٧) .

موجود وهو الإعدام ، وفلق الإصباح نعمة أيضًا على الناس لينتفعوا بحياتهم واكتسابهم »[1].

وقال الشنقيطي : « لأن الإصباح يبدأ أولاً شعاعُه وتحته ظلام ، و لم يُسْفِر إسفارًا تامًا يكشف الظلام كشفًا كليًا ، ثم ينصدع ذلك الإصباح انصداعًا كليًا عن ضوء النهار كما ينبغي ، وهذا معروف ومنه قول أبي تمام :

وأزرق الفجر يبدو قبل أبيضه وأول الغيث قطرًا ثم ينسكبُ

فعلى هذا القول : يبدو الإصباح أولاً وهو مختلط بغَلَس الظلام ، ثم إن الله يشق ذلك الإصباح الذي بدأت أوائله مختلطة بالظلام شقًا واضحًا عن وَضَح النهار ، وهذا هو المعروف ، أن الظلام سواء كان ظلامًا دامسًا ، أو ظلامًا مختلطًا ببعض ضوء الصبح هو الذي يُشقُّ عن الصباح كما هو معروف ، ومنه قول أبي نواس :

تَرَدّتْ به ثم انفرى عن أديمها تَفَرّى لَيْلٍ عن ضياءٍ نهارِ

ويقدِّرون مضافًا فيقولون : فالق ظلمة الإصباح . أي : شاقها بضوء الصبح ، أو ﴿ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ ﴾ . أي : أوائل الإصباح المختلطة بغَلَس الظلام ، فالقها وشاقها عن النور، نور النهار الحقيقي »[2].

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن ظاهر القرآن يدل على ما رجّحه ابن جُزَيّ ومن وافقه ، وهو قول السلف ، ولا يحتاج إلى تقدير مضاف .

وإذا كان ذلك كذلك ، فإن أَولى القولين بالصواب هو ما رجّحه ابن جُزَيّ ؛ وذلك لما يلي :

ـــ لدلالة ظاهر القرآن عليه ولا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلاّ بدليل[3] .

ـــ وهو قول السلف المأثور عنهم ، واختاره الأكثرون.

---

(1) التحرير والتنوير (٧/ ٣٩٠) بتصرف يسير .

(2) العذب النمير (١/ ٤٤٨ ــ ٤٤٩) بتصرف يسير . والبيت في الكشاف للزمخشري (٢/ ٣٧٦) ، والدر المصون للسمين الحلبي (٥/ ٦٠) .

(3) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسّرين (١/ ١٣٧).

ـــ ولأنه لا يحتاج إلى تقدير محذوف ، وما كان كذلك كان أرجح وأَولى مما احتاج إلى تقدير ، والله تعالى أعلم .

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ ﴾

٣١- الخلاف في الاستقرار والاستيداع في قوله :﴿ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ﴾.

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « ﴿ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ﴾ مَنْ كسر القاف مِن "مُسْتَقر" فهو اسم فاعل ، و"مستودع" اسم مفعول ، والتقدير : فمنكم مُسْتَقِرٌّ ومستودَع . ومَنْ فتحها فهو اسم مكان أو مصدر ، ومستودع مثلُه ، والتقدير على هذا : لكم مُسْتَقَرٌّ ومُسْتَوْدَعٌ . والاستقرار في الرَّحم ، والاستيداع في الصُلْب . وقيل : الاستقرار فوق الأرض ، والاستيداع تحتها »[1] .

العرض والمناقشة :

قرأ ابن كثير وأبو عَمْرو ورَوْحٌ عن يعقوب بكسر القاف من قوله : ﴿ فَمُسْتَقَرٌّ ﴾ ، وقرأ الباقون بفتحها[2] على أنه اسم مكان أو مصدر ميمي ، ومستودع كذلك ، والتقدير على هذا : لكم مُسْتَقَرٌّ ولكم مستودع ، أي : موضع استقرار واستيداع .

ورجّح ابن جُزَيّ أن الاستقرار في أرحام الأمهات ، والاستيداع في أصلاب الرجال .

ووافق المرويَّ عن ابن مسعود[3]،

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (١٧/٢) .

(2) ينظر: السبعة لابن مجاهد (٢٦٣) ، والكشف لمكّي (١/ ٤٤٢) ، والنشر لابن الجزري (٢/ ٢٥١) ، والحجة لأبي علي الفارسي (٢٦٢) ، والبحر المحيط لأبي حيان (١٨٨/٤) ، والدر المصون للسمين (٥/ ٦٦) ، والمبسوط لابن مهران (١٩٩) ، والتحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٧/ ٣٩٥) .

(3) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٩/ ٤٣٤) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٣٥٦) (٧٦٨٥) ، والطبراني في الكبير (٩/ ٩٠١٦ ، ٩٠١٧) من طريق إسماعيل بن أبي خالد ، عن إبراهيم النخعي ، عنه قال : «المستقر في الرحم ، والمستودع حيث تموت» . ورجاله ثقات رجال الصحيح . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣٣٢/٣) نسبته إلى الفريابي ، وسعيد بن منصور ، وعبد بن حميد ، وأبي الشيخ . ومن المفسرين (كابن كثير (٦/ ١١٧ ــ ١١٨) من نسب إلى ابن مسعود هذا القول : «المستقر في الرحم ، والمستودع في الأصلاب» . ونسب إليه أيضًا : «فمستقر في الدنيا ، ومستودع حيث يموت» . وسيأتي تخريجه في القول الثاني بإذن الله .

وابن عباس[1] ، وقيس بن أبي حازم[2]، وسعيد بن جبير[3]، وأبي عبد الرحمن السلمي[4]، ومجاهد[5]، وإبراهيم النخعي[6]، وقتادة[7]، والسدّي والضحاك وعطاء الخراساني[8]، وعكرمة[9]،

---

(1) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٩/ ٤٣٦) وابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٣٥٥ ، ١٣٥٧) (٧٦٨٣ ، ٧٦٩٢) من طريق عكرمة . وأخرجه أيضًا الطبري (٩/ ٤٣٨) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٣٥٧) (٧٦٩٣) من طريق علي بن أبي طلحة ، عنه . وأخرجه الطبري (٩/ ٤٣٧) من طريق سعيد بن جبير. وأخرجه سعيد بن منصور في سننه (٨٩٢ ـــ تفسير) ، والطبري (٩/ ٤٤١) ، والحاكم (٢/ ٣١٦) من طريق قتادة . وأخرجه الطبري (٤٣٨/٩) من طريق عطية العوفي. جميعًا ، عنه بلفظ : (المستقر ما كان في أرحام النساء ، والمستودع ما كان في أصلاب الرجال) أو نحوه . وأخرج ابن جرير الطبري (٩/ ٤٣٧) من طريق قابوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : المستقر في الرحم ، والمستودع ما كان عند رب العالمين مما هو خالقه و لم يُخْلَق . وحكي عن ابن عباس عكسه ولفظه : المستقر في الصلب ، والمستودع في الرحم . حكاه الماوردي في النكت والعيون (٢/ ١٢٩) ، والسمعاني في تفسير القرآن (٢/ ١٢٩) . وروي هذا عن إبراهيم بن محمد بن الحنفية ، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٣٥٦ ، ١٣٥٧) (٧٦٩٠ ، ٧٦٩٧) من طريق يعقوب الأشعري القمي، عنه . وقال ابن الجوزي في زاد المسير (٩٢/٣) : قاله ابن بحر . وأما ابن كثير فنسبه إلى ابن مسعود وطائفة . ينظر: تفسير القرآن العظيم (٦/ ١١٨) .

(2) ذكره عنه معلقًا ابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٣٥٥ ، ١٣٥٧) عقب الأثرين : (٧٦٨٣) و (٧٦٩٣) .

(3) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٩/ ٤٣٤ ـــ ٤٣٥) عنه قال : مستودعون ما كانوا في أصلاب الرجال فإذا قروا في أرحام النساء أو على ظهر الأرض أو في بطنها فقد استقروا . وأخرج عنه الطبري (٤٤٢/٩) قوله : المستقر في الرحم ، والمستودع في الصلب . وذكره معلقًا ابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٣٥٥ ، ١٣٥٧) عقب الأثرين (٧٦٨٣) و (٧٦٩٣) .

(4) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٣٥٥ ، ١٣٥٧) عقب الأثرين (٧٦٨٣) و (٧٦٩٣) .

(5) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٩/ ٤٣٨- ٤٤١) من طرق عنه . وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره (١٣٥٥/٤ ، ١٣٥٧) عقب الأثرين (٧٦٨٣) و (٧٦٩٣) .

(6) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٩/ ٤٤٠) بلفظ : المستقر في الرحم ، والمستودع في الصلب . وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٣٥٥ ، ١٣٥٧) عقب الأثرين (٧٦٨٣) و (٧٦٩٣) . وأخرجه الطبري أيضًا (٥٦٣/١١ طبعة أحمد شاكر) بلفظ : المستقر في الرحم ، والمستودع حيث تموت .

(7) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢١٤) ، والطبري في جامع البيان (٩/ ٤٤١) . وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٣٥٥ ، ١٣٥٧) عقب الأثرين (٧٦٨٣) و (٧٦٩٣) .

(8) أخرجه عنهم ابن جرير الطبري في جامع البيان (٩/ ٤٤١) . وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٣٥٥ ، ١٣٥٧) عقب الأثرين (٧٦٨٣) و (٧٦٩٣) .

(9) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٩/ ٤٣٦) .

ومِقْسَم[1]، وابن زيد[2].

وعليه أكثر المفسرين[3] ومنهم : مقاتل، والفراء، والنحاس، والسمرقندي، وابن أبي زمنين، والواحدي، وأبو البركات الأنباري، وابن الجوزي، وابن كثير، والسيوطي، والمراغي[4]. وقدّمه الزجَّاج[5] مع تجويزه غيره ، والرازي[6] ومال إليه ، ومثله الخازن، والقُمّي[7]. ومال إليه الشنقيطي[8].

واستُدِلَّ على أن الاستقرار في الرحم بقوله تعالى: ﴿ وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ ﴾ [9] [الحج: ٥] ، وبقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴾ [10] [المؤمنون: ١٣] .

قال الشنقيطي : « وعلى هذا : فالمستقَرُّ : هو القرار المكين الذي يجعل الله فيه الإنسان في رحم أُمِّه بعد أن خلق آدم من تراب ، كما قال : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ﴾ [المؤمنون] يعني : رحم أُمِّه »[11].

---

(1) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٩/ ٤٣٤) بلفظ : المستقر في الصلب والمستودع حيث تموت .

(2) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩/ ٤٤٢) .

(3) حيث نسبه للجمهور ابن عطية في المحرر الوجيز (٥/ ٢٩٧) ، ونسبه لأكثر أهل التفسير: النحاس في إعرابه (٢/٨٥)، و القرطبي في الجامع (٨/ ٤٦٩) ، والشنقيطي في العذب النمير (٢/ ٤٦٧) .

(4) ينظر: تفسير مقاتل (١/ ٥٨٠)، ومعاني القرآن (١/ ٣٤٧)، ومعاني القرآن الكريم (٢/ ٤٦١) وإعراب القرآن (٢/ ٨٥)، وبحر العلوم (١/ ٥٠٣)، وتفسير القرآن العزيز (٢/ ٨٧)، والوجيز (١/ ٣٦٧) والوسيط (٢/٣٠٣ــ ٣٠٤)، والبيان في غريب إعراب القرآن (١/ ٢٨١)، وتذكرة الأريب (١/ ١٦٤)، وتفسير القرآن العظيم (٦/ ١١٨)، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٢/ ٤٢٨)، وتفسير المراغي (٧/ ٢٠١) .

(5) ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٧٤) .

(6) ينظر: مفاتيح الغيب (٥/ ٨١) وقال : وهو المنقول عن ابن عباس في أكثر الروايات .

(7) ينظر: لباب التأويل (٢/ ٣٨)، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ١٢٧) .

(8) ينظر: العذب النمير (٢/ ٤٦٧) .

(9) ينظر: معالم التنزيل للبغوي (٢/ ٤٨) ، ومفاتيح الغيب للرازي (٥/ ٨١) ، ولباب التأويل للخازن (٢/ ٣٨) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان للقمي (٣/ ١٢٧) .

(10) ينظر: العذب النمير للشنقيطي (٢/ ٤٦٨) .

(11) العذب النمير (٢/ ٤٦٨) بتصرف يسير .

وقال الرازي : « ومما يدل أيضًا على قوة هذا القول أن النطفة الواحدة لا تبقى في صلب الأب زمانًا طويلاً والجنين يبقى في رحم الأم زمانًا طويلاً ، ولما كان المكث في الرحم أكثر مما في صلب الأب كان حمل الاستقرار على المكث في الرحم أَولى »[1].

وقال القُمِّي : « ولأن اللبث في الرحم أكثر فيكون لفظ القرار بذلك أنسب ، بخلاف المستودع فإنه في معرض الاسترداد ساعة فساعة ، وهذا شأن المنيّ في الأصلاب فإنه بصدد الإراقة في كل حين وأوان »[2] .

وأما القول بأن الاستقرار فوق الأرض والاستيداع تحتها، فرُوِيَ أيضًا عن ابن مسعود[3]، وابن عباس[4] ، ومجاهد[5] ، وروي عن الحسن[6] .

ولم أر من اختاره من المفسّرين بل ذكره بصيغة (يقال أو قيل) : السمرقندي، ومحمود النيسابوري[7].

---

(1) مفاتيح الغيب (٥/ ٨١) . وتابعه الخازن في لباب التأويل (٢/ ٣٨) .

(2) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ١٢٧) .

(3) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢٠٧) ــ ومن طريقه الطبري في جامع البيان (٩/ ٤٣٥) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٣٥٥) (٧٦٨٤) ــ عن ابن عيينة ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن إبراهيم ، عنه بلفظ : (مستقر في الدنيا ومستودعها في الآخرة) . وأخرجه ابن أبي حاتم (٤/ ١٣٥٧) (٧٦٩٤) من طريق إسرائيل ، عن السدي ، عن مرة ، عنه بلفظ : المستودع : المكان الذي تموت فيه . وأخرجه أيضًا (٧٦٩٥) بلفظ : مستودعها في الآخرة .

(4) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٣٥٧) عقب (٧٦٩٤) بقوله : وروي عن الضحاك ، عن ابن عباس مثل ذلك . وأخرجه أيضًا في تفسيره (٤/ ١٣٥٦) (٧٦٨٦) من طريق عبد الرزاق ، ثنا ابن التيمي ، عن ليث ، عن الحكم ، عن مقسم ، عنه بلفظ: فمستقرها حيث تأوي . ونسبه له ابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٩٢) وزاد : والمستودع حيث يموت .

(5) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٣٥٦) (٧٦٨٨) من طريق إسرائيل ، عن أبي يحي ، عنه . وذكره عنه أيضًا عقب (٧٦٩٤) بقوله : وروي عن مجاهد في أحد قوليه مثله .

(6) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩/ ٤٤٢) وابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٣٥٦ ، ١٣٥٧) (٧٦٨٩) (٧٦٩٦) عن طريق قتادة ، عنه بلفظ : المستقر في القبر ، والمستودع في الدنيا . ونسبه له الماوردي في النكت والعيون (١٤٩/٢) ، وابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٩٢) بلفظ : المستقر في الدنيا والمستودع في القبر . أو المستقر في الأرض ، والمستودع في القبر . وروى ابن الجوزي عنه عكسه كما أخرجه الطبري وابن أبي حاتم .

(7) ينظر: بحر العلوم (١/ ٥٠٣)، ووضح البرهان (١/ ٣٤٠).

واستُدِلّ على أن الاستقرار فوق الأرض وعلى وجهها بقوله تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾[1] [البقرة: ٣٦] ، وبقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴿٢٦﴾ ﴾[2][المرسلات] .

قال الشنقيطي : « الكِفَاتُ هنا : مَحَلُّ الكَفْتِ . والكفْتُ في اللغة معناه : الضَمُّ . أي: مَحَالاّ يضمهم أحياءً على ظهرها ، ويضمهم أمواتًا في بطنها »[3] .

وقال القرطبي : « والاستيداع إشارة إلى كونهم في القبر إلى أن يبعثوا للحساب »[4].

ورجّح الطبري القول بالعموم فقال : « وأَولى التأويلات في ذلك بالصواب أن يقال : إن الله جل ثناؤه عَمَّ بقوله : ﴿ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ﴾ كلّ خلقه الذي أنشأ من نفسٍ واحدة مستقرًّا ومستودعًا ، ولم يَخْصُصْ من ذلك معنىً دون معنىً ، ولا شك أن مِنْ بني آدم مستقِرًّا في الرحم ، ومستودَعًا في الصلب ، ومنهم من هو مستقر على ظهر الأرض أو بطنها، ومستودع في أصلاب الرجال ، ومنهم مستقر في القبر ، مستودع على ظهر الأرض، فكلٌّ مستقَرّ أو مستودع بمعنى من هذه المعاني ، فداخلٌ في عموم قوله : ﴿ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ﴾ ومرادٌ به ، إلاّ أن يأتي خبرٌ يجب التسليم له بأنه معنيٌّ به معنى دون معنى ، وخاصٌّ دون عامّ»[5].

وقال ابن عطية : « والذي يقتضيه النظر أن ابن آدم هو مستودع في ظهر أبيه ، وليس بمستقر فيه استقرارًا مطلقًا ؛ لأنه ينتقل لا محالة : ينتقل إلى الرحم ، ثم ينتقل إلى الدنيا ، ثم ينتقل إلى القبر ، ثم ينتقل إلى المحشر ، ثم ينتقل إلى الجنة أو النار فيستقر في إحداهما استقرارًا مطلقًا ، وليس فيها مستودع ؛ لأنه لا نقلة له بعد . وهو في كل مرتبة متوسطة بين هذين

---

(1) ينظر: معالم التنزيل للبغوي (٢/ ٤٨) ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٨/ ٤٧٠) ، ولباب التأويل للخازن (٢/ ٣٨) .

(2) ينظر: العذب النمير للشنقيطي (٢/ ٤٧٠) .

(3) المصدر السابق .

(4) الجامع لأحكام القرآن (٨/ ٤٧٠) .

(5) جامع البيان (٩/ ٤٤٢) .

الطرفين مستقر بالإضافة إلى التي قبلها ، ومستودع بالإضافة إلى التي بعدها ؛ لأن لفظ الوديعة يقتضي فيها نقلة ولا بد »[1].

وتبعه أبوحيان على أن الاستقرار والاستيداع أمران نسبيّان[2].

واختار السعدي أن المستقر هي دار القرار ، التي لا مستقر وراءها ولا نهاية فوقها ، وأن المستودع بمعنى أن الله أودعهم في الأصلاب ثم الأرحام ثم في دار الدنيا ثم في البرزخ ، كل ذلك على وجه الوديعة التي لا تستقر ولا تثبت ، بل ينتقل منها حتى يوصل إلى الدار التي هي المستقر. وأما هذه الدار فإنها مستودع وممر[3].

قال لبيد :

وما المال والأهلون إلاّ وديعة ولا بُدَّ يومًا أن ترد الودائع[4].

والمستقر : حيث يكون القرار والإقامة[5]، ففي الأرض مستقر مؤقت كما قال تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ ﴾ [البقرة] وقال : ﴿ جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا ﴾ [النمل: ٦١] . والآخرة هي دار القرار الدائم كما قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْأَخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ ﴾ [غافر].

وأما المستودع : فموضع الوديعة ، وهي ما يتركه المرء عند غيره مؤقتًا ليأخذه بعد[6]، والاستيداع : طلب الترك ، وأصله من الوَدْع ، وهو الترك على أن يسترجع المستودَع . يقال : استودعه مالاً إذا جعله عنده وديعة ، فالاستيداع مؤذن بوضع مؤقت[7].

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن أَولى الأقوال بالصواب في ذلك هو القول بالعموم وعدم

---

(1) المحرر الوجيز (٥/ ٢٩٨) .

(2) ينظر: البحر المحيط (٤/ ١٨٨).

(3) ينظر : تيسير الكريم الرحمن (٢/ ٤٩) .

(4) البيت في ديوان لبيد (٨٩) ، وأسرار البلاغة لعبدالقاهر الجرجاني (١٠١) ، والدر المصون (٥/ ٦٧) .

(5) ينظر: تفسير القرآن الحكيم للسيد محمد رشيد رضا (٧/ ٥٥٢) .

(6) ينظر : المصدر السابق .

(7) ينظر: التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٧/ ٣٩٦) .

تخصيص المستقر والمستودع بحال دون حال أو معنى دون معنى . وهو ما ذهب إليه الطبري، وابن عطية ، وأبوحيان ؛ لأنه يجمع الأقوال كُلَّها وتلتئم به الأدلة جميعها ، ويؤيده القاعدة الترجيحية: (يجب حمل نصوص الوحي على العموم)[1]، والله تعالى أعلم .

(1) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين (٢/ ٥٢٧) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾

٣٢- الخلاف في معنى ﴿ دَانِيَةٌ ﴾.

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « ﴿ دَانِيَةٌ ﴾ أي : قريبة سهلة التناول . وقيل : قريبة بعضها من بعض »[1].

العرض والمناقشة :

رجّح ابن جُزَيّ أن معنى ﴿ دَانِيَةٌ ﴾ : قريبة سهلة التناول ، ووافق المرويّ عن ابن عباس[2]، والبراء[3]، وقتادة[4]، والضحاك[5].

ووافقه في هذا الترجيح أكثر المفسّرين منهم : مقاتل، والطبري، والزجاج،

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (١٧/٢) .

(2) وأخرجه الطبري في جامع البيان (٩/ ٤٤٧) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٣٥٩) رقم (٧٧١١) من طريق عطية العوفي ، عنه قال : الدانية لتهدُّل العذوق من الطلع . وأخرجه الطبري في جامع البيان (٩/ ٤٤٦) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٣٥٩) رقم (٧٧٠٥) من طريق علي بن أبي طلحة الوالبي ، عنه قال : قصار النخل اللاصقة عذوقها بالأرض . وزاد نسبته السيوطي في الدر المنثور (٣٣٣/٣) إلى ابن المنذر .

(3) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢١٥) عن الثوري ، عن أبي إسحاق السبيعي ، عنه قال : قريبة . وأخرجه الطبري في جامع البيان (٩/ ٤٤٧) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٣٥٩) رقم (٧٧٠٩) من طريق الثوري به . وزاد نسبته السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٣٣٣) إلى أبي الشيخ ، وابن المنذر . وجعل الماوردي في النكت والعيون (٢/ ١٣٠) قول البراء هكذا : قريبة المتناول . ومثله السمعاني في تفسير القرآن (٢/ ١٣٠) .

(4) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢١٥) عن معمر ، عنه . ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٣٥٩) رقم (٧٧١٢) . ولفظه : متهدّلة . قال ابن أبي حاتم : يعني : متدلية . وأخرجه الطبري في جامع البيان (٤٤٧/٩) من طريق معمر به . ومن طريق سعيد ، عنه . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٣٣٣) نسبته إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر ، وأبي الشيخ .

(5) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩/ ٤٤٧ ــ ٤٤٨) ، وابن أبي حاتم (٤/ ١٣٥٨) رقم (٧٧٠٤) من طريق أبي معاذ ، عن عُبيد بن سليمان ، عنه قال : النخل القصار الملتزقة بالأرض .

والسمرقندي، والواحدي، والماوردي، والسمعاني ، والبغوي، والزمخشري، وابن عطية، ومحمود النيسابوري، والقرطبي، وابن الجوزي، والرازي، والنسفي، والخازن، والقمي، وأبوحيان، والسمين، وابن كثير، والثعالبي، والشوكاني، والآلوسي، والقنّوجي، والمراغي، والسعدي، والطاهر بن عاشور، والشنقيطي[1].

ويدلّ لهذا القول المعنى اللغوي لكلمة (دانية) فإنها بمعنى القُرْب[2].

يقول القرطبي : « وخصَّ الدانية بالذكر ؛ لأن من الغرض في الآية ذكرَ القدرة والامتنان بالنعمة ، والامتنان فيما يَقْرُبُ متناولُه أكثر »[3] .

وهذه الآية كقوله تعالى في وصف الجنة : ﴿ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الحاقة] .

وأما القول الآخر بأن معنى ﴿ دَانِيَةٌ ﴾ : قريبةٌ بعضها من بعض ، أي : مُلْتَفَّةٌ ، فَنُسِبَ إلى الحسن[4]. واختاره السيوطي[5].

وذكره بصيغة (قيل) : ابن عطية، ومحمود النيسابوري[6].

---

(1) ينظر: تفسير مقاتل (١/ ٥٨١)، وجامع البيان (٩/ ٤٤٦)، ومعاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٧٥)، وبحر العلوم (٥٠٣/١)، والوجيز (١/ ٣٦٧) والوسيط (٢/ ٣٠٤)، والنكت والعيون (٢/ ١٣٠)، وتفسير القرآن (١٣٠/٢)، ومعالم التنزيل (٢/ ٤٩)، والكشاف (٢/ ٣٧٩)، والمحرر الوجيز (٥/ ٣٠٠) ــ ونسبه إلى ابن عباس ، والبراء ، والضحاك ــ ، ووضح البرهان (١/ ٣٤١)، والجامع لأحكام القرآن (٨/ ٤٧٢) ــ ونسبه لابن عباس ، والبراء ، وغيرهما ــ ، وزاد المسير (٣/ ٩٤)، ومفاتيح الغيب (٥/ ٨٥)، ومدارك التنزيل (٢٥/٢)، ولباب التأويل (٢/ ٣٩)، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ١٢٨ ــ ١٢٩)، والبحر المحيط (١٨٩/٤) ــ ونسبه لابن عباس ، والبراء ، والضحاك وقال : وحسنه الزمخشري ــ والدر المصون (٥/ ٧٣)، وتفسير القرآن العظيم (٦/ ١١٩)، والجواهر الحسان (١/ ٥٠٣)، وفتح القدير (٢/ ٢٠٣)، وروح المعاني (٢٣٩/٧)، وفتح البيان (٤/ ٢٠٧)، وتفسير المراغي (٧/ ١٩٦ ، ٢٠٢)، وتيسير الكريم الرحمن (٢/ ٥٠)، والتحرير والتنوير (٧/ ٤٠١)، والعذب النمير (٢/ ٤٨٠).

(2) ينظر: المفردات للراغب (٣١٨) : دنو .

(3) الجامع لأحكام القرآن (٨/ ٤٧٢) .

(4) نسبه له الماوردي (٢/ ١٤٩) ، والزمخشري (٢/ ٣٧٩) ، وأبو حيان (٤/ ١٨٩) .

(5) ينظر: تفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٢/ ٤٣٠) .

(6) ينظر: المحرر الوجيز (٥/ ٣٠٠)، وضح البرهان (١/ ٣٤١) .

وبالتأمل في هذين القولين يظهر عدم التعارض بينهما ، فكأنهما قولان ومعنيان قريبٌ بعضُهما من بعض ؛ حيث وُصِفَتْ القنوانُ ـــ وهي عُذُوق النخلِ ـــ بكونها دانيةً ، وهذا يشمل قربها من بعض ، كما يشمل قربها من متناولها .

وإلى تساوي هذين القولين ذهب البيضاوي، وأبوالسعود، والسيد محمد رشيد رضا[1].

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن ما رجّحه ابن جُزَيّ واختاره أكثر المفسّرين ، وعليه قول السلف ، هو القول الأَولى والمقدّم ، وأما القول الآخر فيدلُّ عليه لفظ الآية الكريمة ولا يتعارض مع القول الأول الذي يترجّح من جهة أن الامتنان إنما هو بكونها قريبةً من متناولها، والله تعالى أعلم .

(1) ينظر: أنوار التنزيل (١/ ٣١٥)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ١٨٥)، وتفسير القرآن الحكيم (٧/ ٥٥٥).

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾

٣٣- الخلاف في المراد بالجِنّ في قوله ﴿ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ ﴾.

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « ﴿ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ ﴾ نصب الجِنَّ على أنه مفعول أول لـــ "جَعَلُواْ " ، و شُرَكَآءَ مفعول ثان ، وقدّم لاستعظام الإشراك ، أو شُرَكَآءَ مفعول أول ، والله في موضع المفعول الثاني ، و ٱلْجِنَّ بدل من شركاء ، والمراد بهم هنا الملائكة ، وذلك رَدًّا على من عبدهم . وقيل : المرادُ : الجِنُّ ، والإشراك بهم طاعتهم »[1].

العرض والمناقشة :

رجّح ابن جُزَيّ أن المراد بالجِنِّ في قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ ﴾ أنهم الملائكة، ووافق المروي عن قتادة[2]، والسدي[3]، وابن زيد[4].

وعلى هذا مقاتل، والسمعاني، والكرماني، ومحمود النيسابوري، وابن الجوزي، والآلوسي[5].

وذكره بصيغة (قيل) : الشوكاني، والقنوجي، والقاسمي[6].

ووجه هذا القول : أن المشركين قالوا عن الملائكة بأنهم بنات الله فهم شركاؤه ،

---

(1) التسهيل (٢/ ١٧) .

(2) نسبه لهما الماوردي في النكت والعيون (٢/ ١٥٠) ، وابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٩٦) ، وتذكرة الأريب (١/١٦٤) ، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٨/ ٤٨٠) . وينظر: تفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١٣٦١) .

(3) ينظر : المراجع السابقة .

(4) نسبه لهما الماوردي ، وابن الجوزي . وينظر: تفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١٣٦١) .

(5) ينظر: تفسير مقاتل (١/ ٥٨١)، وتفسير القرآن (٢/ ١٣١)، وغرائب التفسير وعجائب التأويل (١/ ٣٧٨)، وإيجاز البيان (١/ ٢٥١)، وتذكرة الأريب (١/ ١٦٤)، وروح المعاني (٧/ ٢٤١) .

(6) ينظر: فتح القدير (٢/ ٢٠٧)، وفتح البيان (٤/ ٢٠٩)، ومحاسن التأويل (٧/ ٢٤٤٢) .

كقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ﴾[الصافات: ١٥٨]. وسمّى الملائكة جِنًّا ؛ لاجتنائهم ، أَيْ : لاختفائهم عن العيون[١].

قال القاسمي : « وتسميةُ الملائكة (جنًّا) حقيقةٌ ؛ لشمول لفظ الجِنّ لهم . وقيل : استعارة . أي : عبدوا ما هو كالجِنِّ ، في كونه مخلوقًا مستترًا عن الأعين »[٢].

وأما القول الثاني وهوأن المرادَ هم الجِنُّ ، فهو قول الحسن[٣].

وعليه الزجاج، والنحاس، والسمرقندي، وابن أبي زمنين، والواحدي، والبغوي، والزمخشري، وابن عطية، والقرطبي، والنسفي، وأبوحيان، وابن كثير، والثعالبي، والبقاعي، والسيوطي، والقنوجي، والقاسمي، والطاهر بن عاشور[٤]. وهو مفهوم كلام الفراء، والطبري[٥].

وذكره الآلوسي بقيل[٦].

واستُدِلّ لهذا القول بظاهر القرآن .

قال أبوحيان : « وظاهر لفظ الجن أنهم الذين يتبادر إليهم الذهن من أنهم قَسيم الإنس في قوله تعالى : ﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ﴾ [الأنعام : ١٣٠ ، الرحمن : ٣٣] ، وأنهم ليسوا

---

(1) ينظر: زاد المسير لابن الجوزي (٣/ ٩٦) ، والنكت والعيون للماوردي (٢/ ١٥٠) .

(2) محاسن التأويل (٧/ ٢٤٤٢) .

(3) نسبه له الواحدي في الوسيط (٢/ ٣٠٦) ، والماوردي في النكت والعيون (٢/ ١٥٠) ، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٨/ ٤٨٠) ، وابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٩٦) ، والخازن في لباب التأويل (٢/ ٣٩) ، والآلوسي في روح المعاني (٧/ ٢٤١) .

(4) ينظر : معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٧٧)، وإعراب القرآن (٢/ ٨٧) ــ وهو مفهوم كلامه في معاني القرآن الكريم (٤٦٥/٢) ــ وبحر العلوم (١/ ٥٠٤)، وتفسير القرآن العزيز (٢/ ٨٩)، والوجيز (١/ ٣٦٨) والوسيط (٢/ ٣٠٦)، ومعالم التنزيل (٢/ ٤٩)، والكشاف (٢/ ٣٨٠)، والمحرر الوجيز (٥/ ٣٠٣)، والجامع لأحكام القرآن (٨/ ٤٧٩)، ومدارك التنزيل (٢/ ٢٦)، والبحر المحيط (٤/ ١٩٣)، وتفسير القرآن العظيم (٦/ ١٢٠)، والجواهر الحسان (١/ ٥٠٤)، ونظم الدرر (٧/ ٢١٥ ــ ٢١٦)، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٢/ ٤٣٢)، وفتح البيان (٤/ ٢٠٩)، ومحاسن التأويل (٧/ ٢٤٤١)، والتحرير والتنوير (٧/ ٤٠٦) .

(5) ينظر : معاني القرآن (١/ ٣٤٨)، وجامع البيان (٩/ ٤٥٣) .

(6) ينظر : روح المعاني (٧/ ٢٤١) .

الملائكة؛ لقوله : ﴿ ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمۖ بَلْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ ﴾[سبأ] فالآية مشيرة إلى الذين جعلوا الجنَّ شركاء لله في عبادتهم إياهم ، وأنهم يعلمون الغيب ، وكانت طوائف من العرب تفعل ذلك وتستجير بجِنِّ الأودية في أسفارها »[1].

ووجه الإشراك بهم طاعتهم في عبادة الأوثان حتى جعلوها شركاء لله في العبادة[2].

قال ابن كثير : « فإن قيل : فكيف عُبدت الجِنُّ وإنما كانوا يعبدون الأصنام ؟ فالجواب : أنهم ما عبدوا الأصنام إلا عن طاعة الجِنِّ ، وأمرهم إياهم بذلك كقوله : ﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ ﴾[النساء] وكقوله تعالى : ﴿ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ﴾ [الكهف] وقال إبراهيم لأبيه : ﴿ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ ﴾ [مريم] وكقوله : ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِىۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ ﴾[يس] وتقول الملائكة يوم القيامة : ﴿ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمۖ بَلْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ »[3][سبأ] .

وأبطل الرازي القولَ الأولَ من وجوه :

الوجه الأول : أن هذا المذهب [يعني قول العرب : الملائكة بنات الله] قد حكاه الله تعالى بقوله : ﴿ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ فالقول بإثبات البنات لله ليس إلاّ قول من

---

(1) البحر المحيط (٤/ ١٩٣) . وينظر : المحرر الوجيز لابن عطية (٥/ ٢٩٥) .

(2) ينظر : النكت والعيون للماوردي (٢/ ١٥٠) ، والوسيط للواحدي (٢/ ٣٠٦) ، وتفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (٢/ ٨٩) .

(3) تفسير القرآن العظيم (٦/ ١٢٠) .

يقول الملائكة بنات الله ، فلو فسّرنا قوله : ﴿ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ ﴾ بهذا المعنى يلزم منه التكرار في الموضع الواحد من غير فائدة ، وأنه لا يجوز .

الوجه الثاني : أن العرب قالوا : الملائكة بنات الله ، وإثبات الولد لله غير ، وإثبات الشريك له غير . والدليل على الفرق بين الأمرين أنه تعالى ميَّز بينهما في قوله : ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾ [الإخلاص] ولو كان أحدهما عين الآخر لكان هذا التفصيل في هذه السورة عبثًا .

الوجه الثالث : أن القائلين بيزدان وأهرمن [يعني : إله الخير وإله الشر] يصرّحون بإثبات شريك لإله العالم في تدبير هذا العالم ، فصرف اللفظ عنه وحمله على إثبات البنات صرف للّفظ عن حقيقته إلى مجازه من غير ضرورة وأنه لا يجوز[1] .

كما أنه استبعد القول الثاني جدًّا بحجة أن الداعي إلى القول بالشرك لا يجوز تسميته بكونه شريكًا لله لا بحسب حقيقة اللفظ ولا بحسب مجازه . وقال : «لو حملنا هذه الآية على هذا المعنى لزم وقوع التكرير من غير فائدة ؛ لأن الرد على عبدة الأصنام وعلى عبدة الكواكب قد سبق على سبيل الاستقصاء»[2] .

وقال : «إن طائفة من المشركين قالوا : لهذا العالم إلهان : أحدهما: فاعل الخير ، والثاني: فاعل الشر ، والمقصود من هذه الآية حكاية مذهب هؤلاء».

ورجّح أن الآية نزلت في الزنادقة الذين قالوا : إن الله وإبليس أَخَوان ، فالله خالق الناس والدواب والأنعام والخيرات ، وإبليس خالق السباع والحيات والعقارب والشرور .

ونسبه لابن عباس وقال : إن هذا القول أحسن الوجوه المذكورة في هذه الآية ؛ لأن به يحصل لهذه الآية مزيد فائدة مغايرة لما سبق ذكره في الآيات المتقدمة ، ويُقَوّيه قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ﴾ [3] [الصافات : ١٥٨] .

---

(1) ينظر: مفاتيح الغيب (٥/ ٩٠) .

(2) المصدر السابق (٥/ ٩٠) .

(3) مفاتيح الغيب (٥/ ٨٨) . وينظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٨/ ٤٨٠) ، ولباب التأويل للخازن

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن ما نسبه الرازي إلى ابن عباس ليس له إسناد ، وهو مخالف لظاهر الآية والمتبادر إلى الذهن منها . وكذلك ما ذهب إليه ابن جُزَيّ ومن وافقه هو مخالف للظاهر المتبادر من الآية الكريمة .

وإذا كان ذلك كذلك فإن أَولى الأقوال بالصواب في ذلك هو القول بأن المراد بهم الجِنُّ على ظاهر الآية الكريمة ، فهم الذين يتبادر الذهن إليهم وهم قَسِيم الإنس .

فالآية واردة في الذين عبدوا الجِنَّ من دون الله عز وجل ، وقد بيّن ابنُ كثير كيفية عبادتهم مستدلا لذلك بآيات قرآنية في غاية الوضوح بحمد الله تعالى .

ويتأيد هذا القول بأن إطلاق لفظ " الجِنّ " على الجِنّ الذين هم قسيم الإنس إطلاق حقيقي ، وعلى الملائكة مجازي ، والحقيقة مقدمة على المجاز ، ويجب حمل نصوص الوحي على الحقيقة[1].

وأيضًا فإطلاق لفظ " الجِنّ " على الجِنّ ـــ الذين هم قسيم الإنس ـــ هو المعهود من استعمال القرآن ، وحمل الآية عليه أَولى من حملها على الملائكة[2]، وهذا هو ظاهر القرآن المتبادر إلى الأذهان ، ولا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلاّ بدليل يجب التسليم له[3]، والله تعالى أعلم .

(٣٩/٢) وفيهما نسبته للكلبي دون ابن عباس . وفي غرائب القرآن ورغائب الفرقان للقمي (٣/ ١٣١) نسبه للكلبي عن ابن عباس .

(1) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسّرين (٢/ ٣٨٧) .

(2) ينظر: المصدر السابق (١/ ١٧٢) .

(3) ينظر: المصدر السابق (١/ ١٣٧) .

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾ ﴾

٣٤- الخلاف في معنى ﴿ قُبُلًا ﴾.

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى: « ﴿ قِبَلا ﴾ بكسر القاف وفتح الباء ، أي : معاينة فنصبه على الحال . وقريء بضمتين ، ومعناه : مواجهة ، كقوله: ﴿ قُدَّ مِن قُبُلٍ ﴾ [يوسف: ٢٦]. وقيل : هو جمع قَبِيل بمعنى كفيل ، أي : كَفيلاً[1] بتصديق رسول الله ﷺ »[2].

العرض والمناقشة :

قرأ نافع وابن عامر وأبو جعفر قوله تعالى: ﴿ قِبَلا ﴾ بكسر القاف وفتح الباء[3]، ومعناها : معاينة ، أي : حشرنا كل شيء من ذلك عيانًا .

وقرأ الباقون ﴿ قُبُلًا ﴾ بضمتين ، وعلى هذه القراءة ساق ابن جُزَيّ الخلاف في معناها، ورجّح أن معناها : مواجهة ، فهي بمعنى القراءة الأُولى. ووافق معنى ما رُوي عن ابن عباس[4]، وابن زيد[5]، وقتادة[6]، وابن إسحاق[7].

---

(1) كذا في جميع النسخ الخطية ، وفي المطبوع : كفلا .

(2) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١٩) .

(3) ينظر : النشر لابن الجزري (٢/ ١٩٦) ، وحجة القراءات لابن زنجلة (٢٦٧) ، والسبعة لابن مجاهد (٢٦٥) ، والكشف لمكّي (١/ ٤٤٦) ، البحر المحيط لأبي حيان (٤/٢٠٥) ، الدر المصون للسمين (٥/ ١١٢ــ ١١٣) ، والتيسير لأبي عمرو الداني (١٠٦) .

(4) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩/ ٤٩٦) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٣٧٠) (٧٧٨٢) من طريق عطية العوفي ، عنه قال : لو استقبلهم ذلك كله لم يؤمنوا إلاّ أن يشاء الله . وذكره ابن كثير في تفسيره (٦/ ١٣٧) من طريق علي بن أبي طلحة ، عنه .

(5) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩/ ٤٩٦) عنه بلفظ : حشروا إليهم جميعًا ، فقابلوهم وواجهوهم .

(6) ذكره القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٨/ ٤٩٩) ، وابن كثير في تفسير القرآن العظيم (٦/ ١٣٧) ، والآلوسي في روح المعاني (٨/ ٢) .

(7) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٢/ ١٥٧) .

وذهب إليه الواحدي، وأبوحيّان وحسّنه، وابن كثير، والثعالبي، والشهاب الخفاجي، والآلوسي، والمراغي، والسعدي، والطاهر[1].

وجوّزه الزجاج ، والنحاس[2]. وهو قول محمد بن يزيد [3] ، وأبي زيد ، وأبي علي الفارسي[4].

وذكره البغوي ، والزمخشري بصيغة (قيل)[5].

قال ابن الجوزي : « قال أبو زيد : لقيت فلانًا قِبَلاً وقَبَلاً وقُبُلاً وقَبِيلاً وقَبَلِيًّا ومقابلةً ، وكله واحد ، وهو للمواجهة . قال أبو علي : فالمعنى في القرآن ـــ على ما قاله أبو زيد ـــ واحد ، وإن اختلفت الألفاظ »[6].

واستَدَلَّ ابن جُزَيّ لهذا القول بقوله تعالى :﴿ قُدَّ مِن قُبُلٍ ﴾[7] [يوسف: ٢٦].

وتقول العرب : أتيتك قُبُلاً و لم آتك دُبُرًا . إذا أتاه من قِبَلِ وجهه[8].

ومنه : " قُبُلُ الرجل ودبره " ؛ لما كان بين يديه ومن ورائه .

ومنه : قُبُل الحيض[9].

ومنه : قراءة ابن عمر : ﴿ لِقُبُلِ عدتهن ﴾ [الطلاق : ١] وهي قراءة شاذّة . والمعنى :

---

(1) ينظر: الوجيز (١/ ٣٧١)، والبحر المحيط (٤/ ٢٠٦)، وتفسير القرآن العظيم (٦/ ١٣٧)، والجواهر الحسان (٥٠٨/١)، وحاشية الشهاب على البيضاوي (٤/ ١٤)، وروح المعاني (٨/ ٢)، وتفسير المراغي (٨/ ٤)، وتيسير الكريم الرحمن (٢/ ٥٩)، والتحرير والتنوير (٨/ ٦) .

(2) ينظر : معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٨٣)، ومعاني القرآن الكريم (٢/ ٤٧٦) .

(3) ينظر : إعراب القرآن للنحاس (٢/ ٩١) ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٨/ ٤٩٩) .

(4) ينظر : الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكِّيّ (٤٤٧/١) ، وزاد المسير لابن الجوزي (٣/ ١٠٧) ، ومفاتيح الغيب للرازي (٥/ ١١٧) ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٨/ ٥٠٠) .

(5) ينظر : معالم التنزيل (٢/ ٥١) ، والكشاف (٢/ ٣٨٨) .

(6) زاد المسير (٣/ ١٠٧) . وينظر : مفاتيح الغيب للرازي (٥/ ١١٧) .

(7) ومثله أبو حيان في البحر المحيط (٤/ ٢٠٦) .

(8) ينظر : جامع البيان لابن جرير الطبري (٩/ ٤٩٥) ، ومعاني القرآن للفراء (١/ ٣٥١) ، والبحر المحيط لأبي حيان (٤/ ٢٠٦) .

(9) ينظر : إعراب القرآن للنحاس (٢/ ٩١) ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٨/ ٥٠٠) .

لاستقبالها ومواجهتها في الزمن[1].

قال الطاهر بن عاشور : « و﴿ قُبُلًا ﴾ لغة في(قِبَل) بمعنى المواجهة والمعاينة . وتأولها بعض المفسرين بتأويلات أخرى بعيدة عن الاستعمال وغير مناسبة للمعنى »[2].

وقال الشنقيطي : « وكان بعض العلماء يقول : معناهما واحد ؛ لأن القُبل هو ما تستقبله بوجهك وتعاينه . ومنه : قيل لما يستقبله الرجل من وجهه : (قُبُل) ولما خَلفه (دُبُر). وعلى هذا القول فـــ (قِبَلا) و (قُبُلا) معناهما واحد »[3].

وأما القول الثاني في ﴿ قُبُلًا ﴾ ـــ بالضم ـــ فـــ قُبُل جمع قَبيل ، كما أن الرُّغُف جمع رغيف ، والقُضُب جمع قضيب . والمعنى : وحشرنا عليهم كل شيء قبيلةً قبيلةً ، صنفًا صنفًا، وجماعةً جماعةً ، أي : كُفَلاءَ بصدق محمد ﷺ يضمنون صدقه عليه الصلاة والسلام.

وذهب إلى هذا القول الفراء، والزجاج، والسمرقندي، والبغوي، والزمخشري، والنسفي، والخازن، والشوكاني، والقنوجي، والقاسمي[4]. وقدّمه القرطبي[5]. وحكي عن أبي عبيدة[6].

وضعّفه الفارسي[7]. وذكره النحاس، والآلوسي بصيغة (قيل) [8].

واستُدِلَّ لهذا القول بقوله تعالى : ﴿ أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ ﴾[الإسراء] .

قال الفراء : « يضمنون ذلك » .

---

(1) ينظر : المحرر الوجيز لابن عطية (٥/ ٣٢١ ـــ ٣٢٢) ، والبحر المحيط لأبي حيان (٤/ ٢٠٦) .

(2) التحرير والتنوير (٨/ ٦) .

(3) العذب النمير (٢/ ٥٦٥) .

(4) ينظر : معاني القرآن (١/ ٣٥٠)، ومعاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٨٣)، وبحر العلوم (١/ ٥٠٧)، ومعالم التنزيل (٢/ ٥١)، والكشاف (٢/ ٣٨٨)، ومدارك التنزيل (٢/ ٢٩)، ولباب التأويل (٢/ ٤٥)، وفتح القدير (٢/٢١٥)، وفتح البيان (٤/ ٢٢١)، ومحاسن التأويل (٦/ ٢٤٧٠) .

(5) ينظر : الجامع لأحكام القرآن (٨/ ٤٩٩) .

(6) حكاه عنه السيد رشيد رضا ، ينظر : تفسير القرآن الحكيم (٨/ ٦) .

(7) ينظر: المحرر الوجيز لابن عطية (٥/ ٣٢١) .

(8) ينظر : معاني القرآن الكريم (٢/ ٤٧٥) ، وروح المعاني (٨/ ٢) .

ويقال : قَبَلْتُ الرجلَ أَقْبَلُه قَبالةً ـــ بفتح الباء في الماضي والقاف في المصدر ـــ أي : تكفّلْت به. والقبيل والكفيل والزعيم والأَذِين والضمين والحَميل بمعنى واحد ، وإنما سمّيت الكفالة قَبالةً ؛ لأنها أوكدُ تَقَبُّلٍ ، وباعتبار معنى الكفالة سمي العهد المكتوب قَبالةً . ذكره السمين الحلبي[1] .

وبعد، فإذا تقرر هذا فالذي يظهر ـــ والله أعلم ـــ أنه لا تعارض بين المعنيين على قراءة ﴿ قُبُلًا ﴾ بضمتين ، ويمكن الجمع بين القولين بأن يقال : ولو حشرنا عليهم كل شيء قبيلةً قبيلةً فواجهوهم وعاينوهم وشهدوا أن الرسول ﷺ حق وصدق، وتكفّلوا لهم بصدقه وضمنوا لهم ذلك ما كانوا ليؤمنوا إلاّ أن يشاء الله .

قال السيد محمد رشيد رضا : « وكل ما ذكر من المعاني للقراءتين متفق يؤيد بعضه بعضا»[2].

وعليه، فلا يترجّح قول على قول ولا معنى على معنى ؛ لإمكان الجمع بينهما ، والله تعالى أعلم .

---

(1) الدر المصون (٥/ ١١٣) .

(2) تفسير القرآن الحكيم (٨/ ٦) .

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾

٣٥- هل كلمة " مَثَلُ " لها معنى في قوله :﴿ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ ﴾؟ أم أنها زائدة ؟

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « ﴿ كَمَن مَّثَلُهُۥ ﴾ **مَثَلُ** هنا بمعنى صفة . وقيل : زائدة، والمعنى : كمن هو »[1].

العرض والمناقشة :

رجّح ابن جُزَيّ أن **مَثَلُ** في قوله تعالى : ﴿ كَمَن مَّثَلُهُۥ ﴾ ليست زائدة بل هي بمعنى "صِفَتُهُ" . ووافق معنى ما رُوِيَ عن قتادة[2].

وذهب إليه مقاتل، والطبري، والزجاج ، والزمخشري، والبيضاوي، والنسفي، والقمي النيسابوري، والبقاعي، وأبوالسعود، والشهاب الخفاجي، والشوكاني، والآلوسي، والقنوجي، والسيد محمد رشيد رضا، والمراغي، والطاهر بن عاشور[3].

وذكره ابن الجوزي ، والقرطبي بصيغة (قيل)[4] .

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٢٠) .

(2) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩/ ٥٣٥) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٣٨٣) رقم (٧٨٦٥) من طريق يزيد ، عن سعيد ، عنه قال : مَثَلُ الكافر في الضلالة ... وزاد نسبته السيوطي في الدر المنثور (٣/) إلى عَبْد بن حميد ، وأبي الشيخ .

(3) ينظر : تفسير مقاتل (١/ ٥٨٧)، وجامع البيان (٩/ ٥٣٣)، ومعاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٨٨)، والكشاف (٣٩٢/٢)، وأنوار التنزيل (١/ ٣٢٠)، ومدارك التنزيل (٢/ ٣١)، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (١٥٧/٣)، ونظم الدرر (٧/ ٢٥٣)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٢٠١)، وحاشية الشهاب (٤/ ١٢٢)، وفتح القدير (٢/ ٢٢٤)، وروح المعاني (٨/ ١٨)، وفتح البيان (٤/ ٢٣٣)، وتفسير القرآن الحكيم (٨/ ٢٩)، وتفسير المراغي (٨/ ١٩)، والتحرير والتنوير (٨/ ٤٤) .

(4) ينظر : زاد المسير (٣/ ١١٧) ، والجامع لأحكام القرآن (١٩/٩) .

ودلّل له الزمخشري بنظيره من القرآن وهو قوله تعالى : ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ ﴾[محمد : ١٥] أي : صفتها هذه وهي قوله : ﴿ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ ﴾ [1].

ومِثْلُها قوله تعالى : ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ﴾ [الرعد : ٣٥] . والمعنى : صفة الجنة .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾[النحل : ٦٠] معناه : لله الصفة العليا والوصف الأكمل[2]. ومِثْلُه قوله عز وجل :﴿ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [الروم : ٢٧] .

قال الزمخشري مبيِّنًا معنى الآية : « كمن صفته هذه وهي قوله : ﴿ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾»[3] .

فالمراد صفته العجيبة الغريبة ، فإن المثل مخصوص به[4].

وأما القول بأن (**مَثَلُ**) زائدة ، والمعنى : كمن هو ، فهو معنى قول السدّي[5].

وذهب إليه الواحدي، والسمعاني، والبغوي، وابن الجوزي، والقرطبي، والخازن، والسيوطي[6]. ومال إليه ابن عطية [7].

وذكره الشوكاني ، والقنوجي بصيغة (قيل)[8].

---

(1) ينظر : الكشاف (٢/ ٣٩٢) .

(2) ينظر: تفسير الجلالين (٢٤٧/٤) .

(3) الكشاف (٢/ ٣٩٢) .

(4) ينظر : حاشية الشهاب (٤/ ١٢٢).

(5) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩/ ٥٣٦) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٣٨٢) رقم (٧٨٥٨) من طريق أحمد بن المفضل ، عن أسباط ، عنه قال : «هذا كمن هو في الظلمات . يعني : الشرك» .

(6) ينظر : الوجيز (١/ ٣٧٣) والوسيط (٢/ ٣١٨)، وتفسير القرآن (٢/ ١٤١)، ومعالم التنزيل (٢/ ٦٠)، وزاد المسير (٣/ ١١٧) وتذكرة الأريب (١/ ١٦٧)، والجامع لأحكام القرآن (١٩/٩)، ولباب التأويل (٢/ ٤٩)، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٢/ ٤٥٥) .

(7) ينظر : المحرر الوجيز (٥/ ٣٢٧) .

(8) ينظر : فتح القدير (٢/ ٢٢٤)، وفتح البيان (٤/ ٢٣٣) .

واستُدِلَّ لهذا القول بأن مَثَل قد وردت زيادتها في قوله تعالى : ﴿ فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ ﴾ [المائدة : ٩٥] ، وفي قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ [الشورى : ١١] .

تقول : أنا أُكْرِمُ مثْلَك ، أي : أكرمك[1].

ولأن المَثَل معناه الصفة ، والمستقر في الظلمات ذواتهم لا صفاتهم[2].

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن ما رجّحه ابن جُزَيّ ومن وافقه هو القول الصحيح ؛ لأنه لا يجوز القول بزيادة حرف في القرآن ، وما جرى عليه كثير من المعربين بقولهم : حرف زائد لا شكَّ في غَلَطِه ، ولعل مرادهم زائد في المبنى ؛ لغرض بلاغي .

وعليه ، فلا يُسَلَّمُ للاستدلال على زيادة (**مَثَلُ**) بقوله تعالى : ﴿ فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ ﴾ ، وقوله تعالى :﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾[3]. والله تعالى أعلم .

---

(1) ينظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٩/٩)، وفتح القدير للشوكاني (٢/ ٢٢٤) .

(2) ينظر : الفتوحات الإلهية لسليمان الجمل (٢/ ٤٥٥) .

(3) للدكتور محمد عبدالله دَراز بحث في غاية النفاسة في "خلوِّ القرآن من الكلمات المقحمة والحروف الزائدة" في كتابه القيم " النبأ العظيم " (١٦٢-١٧٣) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾

٣٦- الخلاف في إعراب ﴿مُجْرِمِيهَا﴾ .

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « ﴿مُجْرِمِيهَا﴾ إعرابه : مضاف إليه عند الفارسي وغيره . وقال ابن عطية وغيره : إنه مفعول أول بـــ جَعَلْنَا ، و أَكَٰبِرَ مفعول ثانٍ مقدّم . وهذا جيّد في المعنى ضعيف في العربية ؛ لأن أَكَٰبِرَ جمع أكبر وهو من أفعل فلا يستعمل إلاّ بـــ مِنْ أو بالإضافة »[1].

العرض والمناقشة :

رجّح ابن جُزَيّ في إعراب ﴿مُجْرِمِيهَا﴾ قولَ أبي علي الفارسي وهو أنها مضاف إليه . وذهب إليه الكرماني، والقمي النيسابوري، وأبوحيان، والسمين الحلبي[2] ، فأعربوا ﴿أَكَٰبِرَ﴾ مفعولا أوّلا مضافًا لـــ مُجْرِمِيهَا ، و ﴿فِي كُلِّ قَرْيَةٍ﴾ مفعولا ثانيًا مقدّمًا؛ لأن جعل بمعنى صَيّر تنصب مفعولين .

وصحّحه ابن عطية، وتبعه الثعالبي[3]. وجوّزه البيضاوي بشرطِ تفسير الجعل بالتمكين[4].

واستظهر الطاهر بن عاشور أن جعل بمعنى خلق وأوجد ، يتعدّى إلى مفعول واحد وهو: ﴿أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا﴾[5].

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٢٠) .

(2) ينظر : : غرائب التفسير وعجائب التأويل (١/ ٣٨٣)، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ١٥٧)، والبحر المحيط (٤/ ٢١٥)، والدر المصون (٥/ ١٣٤) .

(3) ينظر : المحرر الوجيز (٥/ ٣٣٨)، والجواهر الحسان (١/ ٥١١) .

(4) ينظر : أنوار التنزيل (١/ ٣٢١) .

(5) ينظر : التحرير والتنوير (٨/ ٤٨) .

قال الكرماني : « وأضاف ﴿ أَكَٰبِرَ ﴾ إلى ﴿ مُجۡرِمِيهَا ﴾ ؛ لأن أفعل إذا كان للتفضيل لا يستعمل إلاّ مع مِنْ أو مع الألف واللام أو الإضافة ، ولا يجمع إلاّ مع الألف واللام أو الإضافة »[1].

ولما ذكر أبوحيان تجويز ابن عطية أن يكون ﴿ مُجۡرِمِيهَا ﴾ المفعول الأول و ﴿أَكَٰبِرَ ﴾ المفعول الثاني ، والتقدير : مجرميها أكابر ، وكذلك تجويز أبي البقاء العكبري أن يكون ﴿ مُجۡرِمِيهَا ﴾ بدلاً من ﴿ أَكَٰبِرَ ﴾ قال : « وما أجازه خطأ وذهول عن قاعدة نحوية وهو : أن أفعل التفضيل إذا كان بمن ملفوظًا بها أو مقدّرة أو مضافة إلى نكرة كان مفردًا مذكرًا دائمًا سواء كان لمذكر أو مؤنث مفرد ، أو مثنى أو مجموع ، فإذا أُنِّث أو ثُنِّي أو جُمِع طابق ما هو له في ذلك ولزمه أحد أمرين : إما الألف واللام ، أو الإضافة إلى معرفة . وإذا تقرر هذا فالقول بأن مُجۡرِمِيهَا بدل من أَكَٰبِرَ أو أن مُجۡرِمِيهَا مفعول أول خطأ ؛ لالتزامه أن يبقى أَكَٰبِرَ مجموعًا وليس فيه ألف ولام ولا هو مضاف إلى معرفة وذلك لا يجوز. وقد تنبّه الكرماني لهذه القاعدة فقال : أضاف الأكابر إلى مجرميها ؛ لأن أفعل لا يجمع إلاّ مع الألف واللام أو مع الإضافة . وكان ينبغي أن يقيد فيقول : أو مع الإضافة إلى معرفة»[2] .

قال السمين الحلبي : « وأما هذه القاعدة فمسلّمة »[3] .

ومَنَعَ هذا الإعرابَ الواحديُّ، والرازي، والخازن[4]، فلم يجوّزوا إضافة ﴿ أَكَٰبِرَ ﴾ إلى ﴿ مُجۡرِمِيهَا ﴾.

قال الواحدي : « والآية على التقديم والتأخير تقديره : جعلنا مجرميها أكابر . ولا يجوز أن تكون الأكابر مضافة ؛ لأنه لا يتم المعنى ، ويحتاج على إضمار المفعول الثاني للجعل ...، ولأنك إذا أضفت الأكابر فقد أضفت النعت إلى المنعوت ، وذلك لا يجوز عند

---

(1) غرائب التفسير وعجائب التأويل (١/ ٣٨٣) .

(2) البحر المحيط (٤/ ٢١٥) .

(3) الدر المصون (٥/ ١٣٥) .

(4) ينظر : الدر المصون للسمين الحلبي (٥/ ١٣٥)، ومفاتيح الغيب (٥/ ١٣٥)، ولباب التأويل (٢/ ٥٠) .

البصريين »[1].

قال السمين : « قلت : هذان الوجهان اللذان ردّ بهما الواحدي ليسا بشيء ...والإضافة للبيان لا لقصد الوصف فليس من باب إضافة الصفة لموصوفها ؛ لأن المجرمين أكابر و أصاغر ...»[2].

ويجاب عن قوله : إنه يحتاج إلى إضمار المفعول الثاني للجعل بأن قوله : ﴿ فِي كُلِّ قَرْيَةٍ ﴾ هو المفعول الثاني وليس في هذا إضمار .

وأما إعراب ابن عطية[3] فالظن أنه أخذه من مَكّي، كما قال السمين : « ولكن قد ذكر مَكّي مثل ما ذكر ابن عطية سواء وما أظنه أخذ إلاّ منه. وكذلك الواحدي أيضًا »[4].

فأعربوا ﴿ مُجْرِمِيهَا ﴾ مفعولا أولا لـــ جَعَلْنَا ، و﴿ أَكَابِرَ ﴾ مفعولا ثانيًا مقدّمًا والتقدير: وجعلنا في كل قرية مجرميها أكابر .

وعلى هذا الإعراب : السمرقندي، وابن أبي زمنين، والسمعاني، وابن الجوزي، والرازي، والقرطبي، والبيضاوي، والخازن، والثعالبي[5]. واحتمله الطاهر بن عاشور[6].

وقد جوّده ابن جُزَيّ من حيث المعنى ، وضعّفه من حيث القواعد العربية . وكذلك استغربه الكرماني وزيّفه[7]. وقد سبق ذكر علّته في كلام الكرماني وأبي حيّان .

واستظهر الإعرابين كليهما الشنقيطي فقال : « وأظهر أوجه الإعراب المذكورة في الآية عندي اثنان : أحدهما : أن ﴿ أَكَابِرَ ﴾ مضاف إلى ﴿ مُجْرِمِيهَا ﴾ وهو المفعول

---

(1) ينظر : الدر المصون للسمين الحلبي (٥/ ١٣٥) .

(2) المصدر السابق .

(3) ينظر : المحرر الوجيز (٥/ ٣٣٨) .

(4) الدر المصون (٥/ ١٣٥) .

(5) ينظر بحر العلوم (١/ ٥١١)، وتفسير القرآن العزيز (٢/ ٩٦)، وتفسير القرآن (٢/ ١٤١)، وتذكرة الأريب (١٦٧/١)، ومفاتيح الغيب (٥/ ١٣٥)، والجامع لأحكام القرآن (١٩/٩-٢٠)، وأنوار التنزيل (١/ ٣٢١)، ولباب التأويل (٢/ ٥٠)، والجواهر الحسان (١/ ٥١١) .

(6) ينظر : التحرير والتنوير (٨/ ٤٨) .

(7) ينظر : غرائب التفسير وعجائب التأويل (١/ ٣٨٣ ــ ٣٨٤) .

الأول لجعل التي بمعنى صيّر ، والمفعول الثاني هو الجار والمجرور ، أعني ﴿ فِي كُلِّ قَرْيَةٍ ﴾ .

والثاني : أن ﴿ مُجْرِمِيهَا ﴾ مفعول أول ، و ﴿ أَكَابِرَ ﴾ مفعول ثاني ، أي : جعلنا مجرميها أكابرها . والأكابر جمع الأكبر »[1].

وإلى تجويز الإعرابين كليهما ذهب العكبري[2].

وبعد، فإذا تقرر هذا فالذي يظهر جوازهما معًا ، وإن كان ما رجّحه ابن جُزَيّ ومن وافقه أَولَى ؛ لعدم حاجته إلى تقدير ، وخروجِه من الإشكال النحوي في لزوم أَكَابِرَ للإضافة ، والله تعالى أعلم .

---

(1) أضواء البيان (٢/ ٢٠٩) . ويلحظ هنا أنه أضاف ﴿ أَكَابِرَ ﴾ إلى معرفة في تقدير الإعراب الثاني فقال : «جعلنا مجرميها أكابرها» . وبهذا تجاوز الإشكال الذي ذكره الكرماني وأبوحيان وهو : أن أكابر لا تجمع إلاّ مع الألف واللام أو مع الإضافة إلى معرفة .

(2) التبيان (١/ ٥٣٦) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (١٢٨) ﴾

٣٧- المراد بالأجل الذي بلغوه في قوله ﴿ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا ﴾ .

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « ﴿ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا ﴾ : هو الموت . وقيل : الحشر »[1].

العرض والمناقشة :

رجّح ابن جُزَيّ أن المراد بالأجل الذي بلغوه هو الموت ، ووافق في هذا ما روي عن محمد بن كعب[2]، وابن جريج[3]، والسدي[4]. ونُسِبَ إلى ابن عباس[5]، والحسن[6]. وقال به الكلبي[7].

وإليه ذهب مقاتل، والطبري، والسمرقندي، وابن عطية، والقرطبي، وابن الجوزي، والخازن، وأبوحيان ونسبه للجمهور، وابن كثير ، والثعالبي[8] .

ولم يذكروا له دليلا .

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٢١) .

(2) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٣٨٨/٤) رقم (٧٨٩٦) . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٣٥٧) نسبته إلى ابن المنذر .

(3) نسبه السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٣٥٨) إلى ابن المنذر ، وأبي الشيخ .

(4) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩/ ٥٥٧) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٣٨٨) من طريق أسباط ، عنه .

(5) ينظر : البحر المحيط لأبي حيان (٤/ ٢٢٠) .

(6) ينظر : النكت والعيون للماوردي (٢/ ١٦٨)، وزاد المسير لابن الجوزي (٣/ ١٢٤) .

(7) ينظر : بحر العلوم للسمرقندي (١/ ٥١٣) .

(8) ينظر: تفسير مقاتل (١/ ٥٨٩)، وجامع البيان (٩/ ٥٥٦)، وبحر العلوم (١/ ٥١٣)، والمحرر الوجيز (٣٤٩/٥)، والجامع لأحكام القرآن (٩/ ٢٨)، وتذكرة الأريب (١/ ١٦٨)، ولباب التأويل (٢/ ٥٢)، والبحر المحيط (٢٢٠/٤)، وتفسير القرآن العظيم (٦/ ١٧٣)، والجواهر الحسان (١/ ٥١٣) .

وقد يستأنس له بقراءة ﴿ آجَالَنَا ﴾ بالجمع[1].

ووجهها ـــ والله تعالى أعلم ـــ : أن لكل واحد أجلا قد بَلَغَه وهو الموت ، وأما الحشر والبعث فهو أجل موّحد للجميع .

وأما القول الثاني وهو أن الأجل الذي بلغوه هو الحشر والبعث ، فقد استظهره الواحدي[2]. وعليه السمعاني، والبغوي، والزمخشري، والبيضاوي، والنسفي، والسيوطي، وأبوالسعود، والشوكاني، والآلوسي، والمراغي، والسعدي[3] .

وذكره ابن عطية ، والخازن ، والثعالبي بصيغة (قيل)[4].

و لم يذكروا له دليلا أيضًا.

وذهب ابن القيم إلى الجمع بينهما فقال : الأجل يتناول أجل الموت وأجل البعث ، فكلاهما أجل الله لعباده ، وهما الأجلان اللذان قال الله فيهما : ﴿ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ﴾[5] [الأنعام : ٢] .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن أَولى القولين بالصواب من ذلك هو القول الأول وهو أن الأجل الذي بلغوه هو الموت ؛ لأن الظاهر أن الاستمتاع قد انقطع بالموت ، و لم ينقطع بالبعث والحشر . وهذا قول السلف ، والله تعالى أعلم .

---

(1) ذكرها العكبري في التبيان (١/ ٥٣٨)، وأبوحيان في البحر المحيط (٤/ ٢٢٠)، والسمين الحلبي في الدر المصون (٥/ ١٤٩) وفيه عن أبي علي : (﴿ ٱلَّذِىٓ ﴾ جنس أوقع موقع التي) .

(2) ينظر : الوجيز (١/ ٣٧٥) ، والوسيط (٢/ ٣٢٣) .

(3) ينظر : تفسير القرآن (٢/ ١٤٤) ، ومعالم التنزيل (٢/ ٦٤) ، والكشاف (٢/ ٣٩٥) ، وأنوار التنزيل (٣٢٢/١)، ومدارك التنزيل (٢/ ٣٣) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٤٦٣/٢) ، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٢٠٥) ، وفتح القدير (٢/ ٢٢٧) ، وروح المعاني (٨/ ٢٦) ، وتفسير المراغي (٢٩/٨) ، وتيسير الكريم الرحمن (٦٩/٢) .

(4) ينظر : المحرر الوجيز (٥/ ٣٤٩) ، ولباب التأويل (٢/ ٥٢) ، والجواهر الحسان (١/ ٥١٣) .

(5) بدائع التفسير (٢/ ١٨٢ ـــ ١٨٣) .

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾ ﴾

٣٨- الخلاف في تأويل ﴿ نُوَلِّي ﴾ في قوله: ﴿ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا ﴾.

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « ﴿ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا ﴾ أي : نجعل بعضهم وَلِيًّا لبعض . وقيل : يتبع بعضهم بعضًا في دخول النار . وقيل : نسلّط بعضهم على بعض »[1].

العرض والمناقشة :

اختلف المفسّرون في المراد بتولية الله عز وجل بعض الظالمين بعضًا على ثلاثة أقوال ذكرها ابن جُزَيّ ، ورجّح أن المعنى المراد : هو جعل بعضهم وَلِيًّا لبعض . فوافق ما رُوي عن قتادة حيث قال : « إنما يُولّي الله بين الناس بأعمالهم، فالمؤمن ولي المؤمن أين كان وحيث كان، والكافر ولي الكافر أين كان وحيثما كان ، ليس الإيمان بالتمنّي ولا بالتحلّي»[2].

ونسب هذا القول أيضًا للحسن[3].

وإليه يذهب مقاتل، والطبري، وابن أبي زمنين، والقرطبي، والسيوطي، والشوكاني، والقنوجي ، والقاسمي، والسيد محمد رشيد رضا، والمراغي، والسعدي[4] .

واستدل ابن جرير الطبري لهذا القول بالسياق فقال : « لأن الله ذكر قبل هذه الآية ما

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٢١) .

(2) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩/ ٥٥٨) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٣٨٨) رقم (٧٨٩٩) من طريق يزيد ، عن سعيد، عنه . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٣٥٨) نسبته إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر ، وأبي الشيخ . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٣٨٩) رقم (٧٩٠٠) من طريق شيبان ، عنه نحوه .

(3) ينظر : تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (٢/ ٩٧) .

(4) ينظر: تفسير مقاتل (١/ ٥٨٩)، وجامع البيان (٩/ ٥٥٩)، وتفسير القرآن العزيز (٢/ ٩٧)، والجامع لأحكام القرآن (٢٩/٩)، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٢/ ٤٦٤)، وفتح القدير (٢/ ٢٢٩)، وفتح البيان (٢٤١/٤)، ومحاسن التأويل (٦/ ٢٥٠٤)، وتفسير القرآن الحكيم (٨/ ٩٦)، وتفسير المراغي (٨/ ٣١)، وتيسير الكريم الرحمن (٦٩/٢) .

كان من قول المشركين ، فقال جل ثناؤه : ﴿ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ ﴾ [الأنعام : ١٢٨] . وأخبر جل ثناؤه أن بعضهم أولياء بعض ، ثم عقّب خبره ذلك بخبره عن أن ولاية بعضهم بعضًا بتوليته إياهم ، فقال : وكما جعلنا بعض هؤلاء المشركين من الجن والإنس أولياء بعض ، يستمتع بعضهم ببعض ، كذلك نجعل بعضهم أولياء بعض في كل الأمور ﴿ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ من معاصي الله ويعملونه »[1].

وقال ابن عطية: «ويؤيده ما تقدّم من ذكر الجن والإنس واستمتاع بعضهم ببعض»[2].

ويدل لهذا القول أن الله تبارك وتعالى ذكر ولاية الكفار بعضهم بعضًا فقال جل وعز : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾[الأنفال : ٧٣] .

ولذا فقد علّل الشنقيطي هذا القول بقوله : « لأن الكافرين بعضهم أولياء بعض »[3].

ويقول السيد محمد رشيد رضا : « وأما تولية الله الناس بعضهم بعضًا فهو جعلهم أولياء وأنصارًا بعضهم لبعض ؛ إما بمقتضى أمره في شرعه ومقتضى سننه وقدره معًا ، وإما بمقتضى الثاني فقط . فالأول : ولاية المؤمنين بعضهم بعضًا في الحق والخير والمعروف ، فقد أمرهم بذلك في شرعه ونهاهم عن ضدّه ، وهو مقتضى الإيمان الصادق وأثره الذي لا ينفك عنه بحسب تقدير الله الذي مضت به سنته في خلقه . والثاني : ولاية الكفار المجرمين والمنافقين بعضهم بعضًا ، فهو أثر مترتب على الاعتقاد والأخلاق والمنفعة المشتركة بينهم بحسب تقديره وسننه في نظام الحياة البشرية . وهو لم يأمرهم بشيء يتناصرون به في الباطل والشر والمنكر بل نهاهم عنه »[4].

فقوله تعالى : ﴿ نُوَلِّ ﴾ مأخوذ من الولاية[5] .

والمقصود بها هنا وَلاية النصرة ــ بفتح الواو ــ وصاحبها ولِيّ ، ومنه : تولّى زيد

---

(1) جامع البيان (٩/ ٥٥٩) .

(2) المحرر الوجيز (٥/ ٣٥١) .

(3) العذب النمير (٢/ ٦٥٦) .

(4) تفسير القرآن الحكيم (٨/ ٩٥ ــ ١٠٠) .

(5) ينظر : تفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٢/ ٤٦٤) .

عَمْرًا : بنصره وكذلك القوم : ﴿ لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾[1] [الممتحنة : ١٣] .

والقول الثاني ــ وهو أن المعنى المراد هو : جعل بعض الظالمين يَتْبَعُ بعضًا في دخول النار ــ أيضًا رُوِيَ عن قتادة[2]. واختاره السمعاني[3].

وأُخذ معنى ﴿ نُوَلِّ ﴾ ــ على هذا القول ــ من الموالاة ، وهي المتابعة بين الشيء والشيء ، من قول القائل : وَالَيْتُ بين كذا وكذا ، إذا تابَعْتَ بينهما . ذكره ابن جرير الطبري[4] .

ومنه : الموالاة في الوضوء[5].

وذكر الشنقيطي قول قتادة هذا وقال : ليس بأظهرها[6].

والقول الثالث ــ وهو أن المعنى المراد هو : تسليط بعض الظالمين على بعض ــ هو قول ابن زيد[7]. حيث فسّر الآية بقوله : « ونسلّط ظلمة الجِنّ على ظلمة الإنس ».

وعليه السمرقندي، والواحدي، والكرماني، والبغوي، والخازن، وابن كثير، والطاهر ابن عاشور[8].

---

(1) ينظر : تفسير القرآن الحكيم للسيد رشيد رضا (٨/ ٩٥ ــ ١٠٠) .

(2) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢١٨) ــ ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٣٨٨) رقم (٧٨٩٨) ــ عن معمر ، عنه . وأخرجه الطبري في جامع البيان (٩/ ٥٥٨) من طريق محمد بن ثور ، عن معمر به . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٣٥٨) نسبته إلى أبي الشيخ .

(3) ينظر : تفسير القرآن (٢/ ١٤٥) .

(4) ينظر : جامع البيان (٩/ ٥٥٨) .

(5) ينظر : تفسير القرآن الحكيم للسيد رشيد رضا (٨/ ٩٥ ــ ١٠٠) .

(6) العذب النمير (٢/ ٦٥٦) .

(7) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩/ ٥٥٩) عن يونس ، عن ابن وهب ، عنه . وزاد نسبته السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٣٥٨) إلى أبي الشيخ .

(8) ينظر : بحر العلوم (١/ ٥١٣)، والوسيط (٢/ ٣٢٣)، وغرائب التفسير وعجائب التأويل (١/ ٣٨٥)، ومعالم التنزيل (٢/ ٦٥)، ولباب التأويل (٢/ ٥٣)، وتفسير القرآن العظيم (٦/ ١٧٥)، والتحرير والتنوير (٨/ ٧٤) .

قال ابن عطية : « وهذا التأويل [يعني : تفسير ابن زيد] لا تؤيده ألفاظ الآية المتقدمة»[1].

واستبعده أبوحيّان[2]. وذكره السمعاني بصيغة (قيل)[3].

واستدلّ ابن زيد على تفسيره هذا بقوله تعالى : ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ ﴾[4] [الزخرف] .

ورُوِي : (مَنْ أعان ظالمًا سلّطه الله عليه)[5].

ويجاب عنه بأنه حديث لا يصح بل موضوع أو متروك .

واستُدِلّ له بأنه حُفِظَ في استعمال الصحابة والتابعين ، ومن ذلك : ما رُوي عن عبدالله بن الزبير لما بلغه أن عبد الملك بن مروان قتل عمرو بن سعيد الأشدق قال : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ .

فابنُ الزبير يرى أن كُلا منهما ظالم ، وقد سلّط الله واحدًا منهما على الآخر[6].

وهذا الاستدلال بالمحفوظ من استعمال الصحابة والتابعين لا يصح بإطلاقٍ في تفسير الآية ؛ لأن استعمالهم لآية في مقامٍ ما لا يدل على تفسيرها بل جرت عادتهم بالاستشهاد

---

(1) المحرر الوجيز (٥/ ٣٥١) .

(2) ينظر : البحر المحيط (٤/ ٢٢٢) .

(3) ينظر : تفسير القرآن (٢/ ١٤٥) .

(4) ينظر : جامع البيان للطبري (٩/ ٥٥٩) .

(5) ينظر : معالم التنزيل للبغوي (٢/ ٦٥) . قال السخاوي في المقاصد الحسنة (٣٩٨) : رواه ابن عساكر في "تاريخه" ــ (٤/٣٤) ــ عن ابن مسعود رفعه . وفيه ابن زكريا العدوي، متهم بالوضع ، فهو آفته ، وقد أورده الديلمي بلا سند عن ابن مسعود . [وينظر : كشف الخفاء (٢/ ٢٩٨) ــ فيض القدير (٦/ ٧٢) ــ تمييز الطيب من الخبيث (١٧٧)] . وقال ابن كثير : هذا حديث غريب . [تفسير القرآن العظيم (٦/ ١٧٥)] . وأخرجه أبو حفص الكتاني في " جزء من حديثه" (١٤١ــ ١٤٢) كما في سلسلة الأحاديث الضعيفة للألباني (١٩٣٧/٤) بإسناده . قال الألباني : وهذا إسناد موضوع ، رجاله كلهم ثقات ، غير العدوي الحسن بن علي ، وهو كذاب ، وهو آفته . وقال الشوكاني في الفوائد المجموعة (٢١١) : في إسناده متهم بالوضع .

(6) ينظر: المحرر الوجيز لابن عطية (٣٥١/٥) ، والبحر المحيط لأبي حيان (٢٢٢/٤) ، والتحرير والتنوير لابن عاشور (٧٤/٨) .

بالآيات على بعض المقامات والأحوال دون التنصيص على أن هذا هو التفسير المتعيّن ، وإنما لأنه قد يدل أحد وجوهها على ذلك[1].

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن أَولى الأقوال في ذلك بالصواب هو ما رجّحه ابن جُزَيّ ومن وافقه ، وأن تفسير ابن زيد ومن وافقه ليس ببعيد عن الصواب . وأما قول قتادة : يتبع بعضهم بعضًا في النار فليس بظاهر .

يقول الشنقيطي : « في هذه الآية الكريمة أوجه متقاربة من التفسير معروفة عند العلماء لا يكذِّب بعضها بعضًا ، بل كلها حق »[2]. وقد سبق ذكر قوله عن قول قتادة هذا بأنه : « ليس بأظهرها » . والله تعالى أعلم .

---

(1) ينظر : محاسن التأويل للقاسمي (٦/٢٣٥٨) .

(2) العذب النمير (٢/ ٦٥٦) .

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ ﴿١٣١﴾ ﴾

٣٩- الخلاف في معنى قوله ﴿ ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ ﴾.

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « ﴿ بِظُلْمٍ ﴾ فيه وجهان : أحدهما : أن الله لم يكن ليهلك القرى دون بعث الرسل إليهم ، فيكون إهلاكهم ظلمًا إذْ لم ينذرهم . فهو كقوله : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ ﴾ [الإسراء] . والآخر : أن الله لا يهلك القرى بظلمهم إذا ظلموا ، دون أن ينذرهم . ففاعل الظلم على هذا أهل القرى ، وغفلتهم : عدم إنذارهم. حكى الوجهين ابن عطية ، والزمخشري . والوجه الأول صحيح على مذهب المعتزلة ، ولا يصح على مذهب أهل السنة ؛ لأن الله لو أهلك عباده بغير ذنب لم يكن ظالمًا عندهم »[1].

العرض والمناقشة :

حكى ابن جُزَيّ في تفسير قوله تعالى : ﴿ بِظُلْمٍ ﴾ وجهين كما حكاهما الزمخشري وابن عطية، وبيّن أن الوجه الأول يصح على مذهب المعتزلة .

قال الزمخشري : « ﴿ بِظُلْمٍ ﴾ بسبب ظلم قدموا عليه ، أو ظالمًا ، على أنه لو أهلكهم وهم غافلون لم ينبهوا برسول وكتاب لكان ظُلْمًا ، وهو متعالٍ عن الظلم وعن كل قبيح»[2].

وتبعه البيضاوي، والنسفي[3].

والوجه الأول من التفسير هو معنى كلام مقاتل[4].

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٢١) .

(2) الكشاف (٢/ ٣٩٨) . وينظر : مفاتيح الغيب للرازي (٥/ ١٥٢) .

(3) ينظر : أنوار التنزيل (١/ ٣٢٢)، ومدارك التنزيل (٢/ ٣٤) .

(4) ينظر : تفسير مقاتل (١/ ٥٩٠) .

وإليه ذهب الفراء[1]، والزجاج[2]. وهو مفهوم كلام السمرقندي[3]. وجوّزه البقاعي[4].

وقال الشنقيطي عنه : « ليس على الصحيح »[5].

وذكره البغوي ، والشوكاني ، والقنّوجي بصيغة (قيل)[6] .

قال الفراء : « وفيها وجه ــ وهو أحبّ إليّ من ذا ، ... والمعنى : لم يكن ليهلكهم بظلمٍ فيه وأهلها مصلحون »[7].

وصحّح هذا المعنى السيد محمد رشيد رضا واستدلّ له بقوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ ﴾[8][هود : ١١٧] .

وأما الوجه الثاني من التفسير فهو مذهب أهل السنة ، وهذا ما رجّحه ابن جُزَيّ .

قال ابن عباس : « ﴿ بِظُلْمٍ ﴾ : بشرك »[9].

وهو معنى قول مجاهد[10]، والكلبي[11].

وعليه : الطبري، والواحدي، والسمعاني، والبغوي، وابن عطية، والرازي، والقرطبي،

---

(1) عند تفسيره لآية هود: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ . ينظر : معاني القرآن (١/ ٣٥٥) .

(2) ينظر : معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٩٣) .

(3) ينظر : بحر العلوم (١/ ٥١٤) قال : بغير ذنب في الدنيا .

(4) ينظر : نظم الدرر (٧/ ٢٧٤) .

(5) العذب النمير (٢/ ٦٧٣) .

(6) ينظر : معالم التنزيل (٢/ ٦٦) ، وفتح القدير (٢/ ٢٣٠) ، وفتح البيان (٤/ ٢٤٣) .

(7) معاني القرآن (١/ ٣٥٥) .

(8) ينظر : تفسير القرآن الحكيم (٨/ ١٠٤) . كما أنه صحح المعنى الآخر أيضًا .

(9) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ١٢٦) .

(10) قاله الماوردي في النكت والعيون (٢/ ١٧٢) ، ونسبه إليه أبو حيان في البحر المحيط (٤/ ٢٢٤) .

(11) نسبه إليه الواحدي في الوسيط (٣٢٤/٢) ، والبغوي في معالم التنزيل (٢/ ٦٦) ، والخازن في لباب التأويل (٥٤/٢).

والخازن ـــ ونسبه لجمهور المفسرين ـــ ، وأبوحيان، وابن كثير، والثعالبي، والبقاعي، والسيوطي، وأبوالسعود، والشوكاني، والقنوجي، والقاسمي، والمراغي، والطاهر بن عاشور، والشنقيطي[1].

وعَلّل هذا القولَ الطبريُّ بقوله : « لأن قوله : ﴿ ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ ﴾ عقيب قوله :﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى ﴾. فكان في ذلك الدليل الواضحُ على أن نصّ قوله : ﴿ ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ ﴾ إنما هو : إنما فَعَلْنا ذلك من أجل أنا لا نهلك القرى بغير تذكير وتنبيه »[2].

ويدل لهذا الوجه من التفسير: تفسير الظلم بالشرك ، كما قاله ابن عباس ، وكما قال لقمان : ﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [لقمان] .

والمعنى : لم يكن ربك مهلك القرى بشركٍ من أشركَ وكُفْرٍ من كَفرَ من أهلها إلاّ بعد أن ينذرهم ويذكرهم وينبههم ، فلا يكون الإهلاك وهم غافلون بلا إنذار وتنبيه وتذكير .

والله غير ظلام لعبيده ، وقد نفى الله الظلم عن نفسه في آيات كثيرة من كتابه[3]؛ كقوله : ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [فصلت] .

وفي صحيح مسلم[4] عن أبي ذر رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : (قال الله تعالى : يا عبادي ، إني حرمت الظلم على نفسي).

---

(1) ينظر : جامع البيان (٩/ ٥٦٣) ، والوجيز (١/ ٣٧٦) والوسيط (٢/ ٣٢٤) ، وتفسير القرآن (٢/ ١٤٦) ، ومعالم التنزيل (٢/ ٦٦) ، والمحرر الوجيز (٥/ ٣٥٤) ـــ وقال : وهذا هو البيّن القويّ ـــ ، ومفاتيح الغيب (١٥٢/٥) ، والجامع لأحكام القرآن (٣٣/٩) ، ولباب التاويل (٢/ ٥٤) ، والبحر المحيط (٤/ ٢٢٤) ، وتفسير القرآن العظيم (٦/ ١٧٧) ـــ وقال : ولا شك أنه أقوى ـــ ، والجواهر الحسان (١/ ٥١٥) ، ونظم الدرر (٢٧٤/٧) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٢/ ٤٦٦) ، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٢٠٧) ، وفتح القدير (٢/ ٢٣٠) ، وفتح البيان (٤/ ٢٤٣) ، ومحاسن التأويل (٦/ ٢٥٠٩ ـــ ٢٥١٠) ، وتفسير المراغي (٣٤/٨) ، والتحرير والتنوير (٨/ ٨٢) ، والعذب النمير (٢/ ٦٧٣) .

(2) جامع البيان (٩/ ٥٦٣) .

(3) ينظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم للأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي (٤٣٤-٤٣٨) .

(4) (١٩٩٤/٤) برقم (٢٥٧٧) .

ولأنه تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ، لا اعتراض لأحد عليه في شيء من أفعاله، غير أنه أخبر أنه لا يعذب قبل بعثة الرسل ، ولو فعل ذلك لم يكن ظلمًا منه[1].

قال السمعاني : « أجرى الله سُنَّته : أن لا يأخذ أحدًا بالذنب إلاّ بعد وجود الذنب ، وإنما يكون مذنبًا إذا أُمِر فلم يأتمر ، ونُهِي فلم ينته ، ودُعِيَ فلم يُجب »[2].

ومما يدل لهذا الوجه أيضًا : قوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ﴾[3] [هود : ١٠٢] .

ووجهه : أن الظلم إنما هو من أهل القرى .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن أَولى الوجهين بالصواب هو مذهب أهل السنة الذي رجّحه ابن جُزَيّ ومن وافقه ؛ لقوة أدلته ، والله تعالى أعلم .

لكن التعليل الذي ذكره ابن جُزَيّ إنما هو مذهب الأشاعرة الذين يقولون : " لو عذّب الله المطيعين ونعّم العاصين لم يكن ظالمًا " . وأما أهل السنة فيقولون : "إن الظلم الذي حرمه الله على نفسه وتنزه عنه فعلا وإرادة ، هو ما فسره به سلف الأمة ، أنه لا يحمل المرء سيئات غيره ، ولا يعذبه بما لا تكسب يداه ، وأنه لا ينقص من حسناته "[4]. والعلم عند الله .

---

(1) لباب التأويل للخازن (٢/ ٥٤) .

(2) تفسير القرآن (٢/ ١٤٦) .

(3) ينظر : تفسير القرآن الحكيم للسيد محمد رشيد رضا (٨/ ١٠٤) .

(4) ينظر : القضاء والقدر لعبدالرحمن المحمود (١٨٨-١٩٤) .

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴾

٤٠- الخلاف في المراد بـ ﴿ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ﴾ .

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : «﴿ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ﴾ أي : الآخرة أو الدنيا . والأول أرجح ؛ لقوله : ﴿ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ ﴾» [1] [الرعد : ٢٢ ــ ٢٣] .

العرض والمناقشة :

رجّح ابن جُزَيّ أن المراد بعاقبة الدار هي الآخرة ، يعني الجنة . ووافق ما رُوِيَ عن ابن عباس [2] .

ووافقه في هذا الترجيح مقاتل، والطبري، والزجاج، والنحاس، وابن أبي زمنين، والواحدي، والبغوي، وابن الجوزي، والخازن، وأبوحيان، والثعالبي، والسيوطي، والزمخشري، والبيضاوي، والقمي، وأبوالسعود، والشهاب الخفاجي، والآلوسي، والقاسمي [3] . وقدّمه ابن عطية ميلاً إليه [4] .

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٢٢) .

(2) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٣٢٥) .

(3) ينظر : تفسير مقاتل (١/ ٥٩٠)، وجامع البيان (٩/ ٥٦٨) و (١٨/ ٢٥٣) ــ وكلامه في الموضع الأول : (من الذي تعقبه دنياه ما هو خير له منها أو شر منها ، بما قدّم فيها من صالح أعماله أو سيئها) ــ ومعاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٩٤)، ومعاني القرآن الكريم (٢/ ٤٩٣)، وتفسير القرآن العزيز (٢/ ٩٩)، والوجيز (١/ ٣٧٦)، ومعالم التنزيل (٢/ ٦٧)، وزاد المسير (٣/ ١٢٧) وتذكرة الأريب (١/ ١٦٩)، ولباب التأويل (٢/ ٥٥)، والبحر المحيط (٤/ ٢٢٦) ــ قال : يظهر منه أنها دار الآخرة ــ والجواهر الحسان (١/ ٥١٦)، و تفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٢/ ٤٦٨)، والكشاف (٢/ ٣٩٩)، وأنوار التنزيل (١/ ٣٢٣)، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ١٧١)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٢٠٩)، وحاشية الشهاب (٤/ ١٢٧)، وروح المعاني (٨/ ٣١)، ومحاسن التأويل (٦/ ٢٥١٢) .

(4) ينظر : المحرر الوجيز (٥/ ٣٥٦) .

واستدل له ابن جُزَيّ بنظيره من القرآن وهو قوله تعالى: ﴿ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ ﴾.

ومثلها في الرعد أيضًا : ﴿ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾ ﴾ ، وقوله تعالى في آخرها : ﴿ وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٤٢﴾ ﴾.

وقوله عز وجل : ﴿ رَبِّيٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [القصص] .

فهذه الآيات تفسّر المراد بـــ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ، وأنها الجنة .

قال الشهاب : « أي : عاقبة الخير ؛ لأنها الأصل ، فإنه تعالى جعل الدنيا مزرعة الآخرة وقنطرة إليها ، وأراد من عباده أعمال الخير ؛ لينالوا حسن الخاتمة . وأما عاقبة الشر فلا اعتداد بها ؛ لأنها من نتائج تحريف الفجار »[1].

وأما القول بأن المراد بها الدنيا، فنسبه الماوردي لابن بحر[2]. والمراد نصر الله في الدنيا لأوليائه وخذلانه لأعدائه .

واختاره ابن كثير[3]. ومال إليه السيد محمد رشيد رضا، والمراغي، والطاهر بن عاشور[4]. واحتمله ابن عطية[5].

واستدلّ له ابن كثير بأن الله أنجز موعوده لرسوله ﷺ ، فمكّنه في البلاد وحكّمه في العباد ، وفتح له مكة ، وأظهره على من كذّبه ، واستقرّ أمرُه على سائر جزيرة العرب واليمن والبحرين ، وكل ذلك في حياته ، ثم فتحت الأمصار بعد وفاته في أيام خلفائه ، كما قال الله تعالى : ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ ﴾[المجادلة] .

---

(1) حاشية الشهاب (٤/ ١٢٧) . وتبعه الآلوسي (٨/ ٣١) .

(2) ينظر : النكت والعيون (٢/ ١٧٣) .

(3) ينظر : تفسير القرآن العظيم (٦/ ١٨٠) .

(4) ينظر : تفسير القرآن الحكيم (٨/ ١١٤) ، وتفسير المراغي (٨/ ٣٩) ، والتحرير والتنوير (٨/ ٩٣) قال ابن عاشور : (أي : بلد مكة أن تكون للمسلمين ، كقوله : ﴿ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [الأنبياء] .

(5) ينظر : المحرر الوجيز (٥/ ٣٥٦) .

وقال : ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [غافر] . وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [الأنبياء] . وقال تعالى إخبارًا عن رسله : ﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ ﴾ [إبراهيم] . وقال تعالى : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ﴾ [النور : ٥٥]. وقد فعل الله ذلك بهذه الأمة المحمدية وله الحمد والمنة»[1].

وذهب السمرقندي ، والقرطبي ، والشوكاني ، والقنوجي ، والسعدي[2] إلى أن المراد: عاقبة الأمر في الدنيا بالنصر ووِراثة الأرض ، والجنة في الآخرة .

وذكره أبوحيان بصيغة (قيل)[3]، وذكره السيد رشيد رضا وإن كان يميل أكثر إلى أن العاقبة الحسنة في الدنيا[4].

وهذا القول الجامع بين القولين حَسَنٌ لكن أن يكون هو المرادَ في الآية فلا ؛ لأن العاقبة الحسنى في الدنيا لهذه الأمة ليست دائمة ومطلقة بخلاف الآخرة ، والله أعلم .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن أَولى القولين بالصواب في ذلك هو ما رجّحه ابن جُزَيّ ، ومن وافقه ، وهو قول الأكثر ، ويشهد له القرآن الكريم ، وما كان كذلك فهو أَولى[5].

كما أن من جمع بين القولين فاختار أنها في الدنيا وفي الآخرة أحسنُ ممن اقتصر على أن المراد بالعاقبة الحسنة في الدنيا ، والله تعالى أعلم .

---

(1) تفسير القرآن العظيم (٦/ ١٨٠) بتصرف يسير .

(2) ينظر : بحر العلوم (١/ ٥١٥)، والجامع لأحكام القرآن (٣٦/٩)، وفتح القدير (٢/ ٢١٣)، وفتح البيان (٢٤٦/٤)، وتيسير الكريم الرحمن (٢/ ٧٢) .

(3) ينظر : البحر المحيط (٤/ ٢٢٦) .

(4) ينظر : تفسير القرآن الحكيم (٨/ ١١٣ ــ ١١٤) .

(5) ينظر : قواعد الترجيح عند المفسّرين (١/ ٣١٢) .

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ ﴾

٤١- الخلاف في المراد بالمعروشات وغير المعروشات.

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « ﴿ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ ﴾: مَرْفُوعات على دعائم وشبهها . ﴿ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ ﴾: متروكات على وجه الأرض . وقيل : المعروشات : ما غرسه الناس في العمران . وغير المعروشات : ما أنبته الله في الجبال والبراري »[1].

العرض والمناقشة :

رجّح ابن جُزَيّ أن المراد بالمعروشات : ما كان مرفوعًا على دعائم وشبهها كالكَرْمِ ونحوه ، وغير المعروشات : ما كان متروكًا على وجه الأرض كالزرع وما قام على ساقه .

ووافق في ترجيحه تفسيرَ المعروشات بالمرفوعات على دعائم ما رُوِيَ عن ابن عباس أنه قال: « المعروشات : ما عَرّش الناس ، وغير المعروشات : ما خرج في الجبال والبرّية من الثمرات »[2].

وبالتأمل في هذين القولين يلحظ أن الخلاف إنما هو في تفسير "المعروشات" ، وأما "غير المعروشات" فلا يظهر فرق بين تفسيرها بـــالمتروكات على وجه الأرض وتفسيرها بـــما أنبته الله في الجبال والبراري ، خلافًا لما صوّره ابن جُزَيّ .

قال الطبري: « ﴿ مَّعْرُوشَٰتٍ ﴾ : وهي ما عَرّش الناس من الكروم ﴿ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ ﴾: غير مرفوعاتٍ مَبْنيّاتٍ ، لا ينبته الناس ولا يرفعونه ، ولكن الله يَرْفَعُه و يُنْبِتُه

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٢٣) .

(2) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩/ ٥٩٣) من طريق علي بن أبي طلحة ، عنه . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٣٦٧) نسبته إلى ابن المنذر .

و يُنميّه»[1].

وعلى هذا التفسير جماهير المفسّرين ومنهم : مقاتل، والسمرقندي، والواحدي، والسمعاني، والبغوي، والزمخشري، وابن الجوزي، والقرطبي، والبيضاوي، والنسفي، والخازن، وأبوحيان، وابن التركماني، والبقاعي، وأبوالسعود، والشوكاني، والآلوسي، والقنوجي، والقاسمي، والسيد محمد رشيد رضا، والمراغي، والسعدي، والطاهر بن عاشور[2].

ويدل لهذا القول أن مادة "عَرَشَ" تدلُّ على الرفع ، ومنها : عَرْش الملك[3]. وسُمّيّ السرير عَرْشًا ؛ لارتفاعه . ومنه : قوله تعالى : ﴿ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا ﴾ [البقرة : ٢٥٩ ، الكهف: ٤٢ ، الحج : ٤٥] أي : على أعاليها وما ارتفع منها[4].

قال الطاهر بن عاشور : « يقال : عَرَّش الكَرْمة ، إذا رفعها على أعمدة ليكون نماؤها في ارتفاع لا على وجه الأرض ؛ لأن ذلك أجود لعنبها إذْ لم يكن مُلْقَى على وجه الأرض . وعَرَش فِعْلٌ مشتق من العَرْش وهو السقف . ويقال للأعمدة التي ترفع فوقها أغصان الشجر فتصير كالسقف يَسْتَظِلُّ تحته الجالس : العَرِيشُ . ومنه ما يذكر في السيرة : العريش الذي جعل للنبي ﷺ يوم بدر »[5].

وقال أبوحيان : « والظاهر أن المعروش ما جعل له عَرْش كَرْمًا كان أو غيره، وغير

---

(1) جامع البيان (٩/ ٥٩٣) .

(2) ينظر : تفسير مقاتل (١/ ٥٩٣)، وبحر العلوم (١/ ٥١٨)، والوجيز (١/ ٣٧٨) والوسيط (٢/ ٣٢٩)، وتفسير القرآن (٢/ ١٤٩)، ومعالم التنزيل (٢/ ٧٠)، والكشاف (٢/ ٤٠٤)، وتذكرة الأريب (١/ ١٧٠)، والجامع لأحكام القرآن (٥٠/٩)، وأنوار التنزيل (١/ ٣٢٤)، ومدارك التنزيل (٢/ ٣٦)، ولباب التأويل (٢/ ٥٨)، والبحر المحيط (٤/ ٢٣٦)، وبهجة الأريب (١/ ٢٠٩)، ونظم الدرر (٧/ ٢٨٩)، وإرشاد العقل السليم (٢١٢/٢)، وفتح القدير (٢/ ٢٣٦)، وروح المعاني (٨/ ٣٧)، وفتح البيان (٤/ ٢٥٣)، ومحاسن التأويل (٢٥٢٤/٦)، وتفسير القرآن الحكيم (٨/ ١٢٥)، وتفسير المراغي (٨/ ٤٩)، وتيسير الكريم الرحمن (٢/ ٧٦)، والتحرير والتنوير (٨/ ١١٨) .

(3) ينظر : تفسير القرآن الحكيم للسيد رشيد رضا (٨/ ١٢٥) .

(4) ينظر : النكت والعيون للماوردي (٢/ ١٧٨) .

(5) التحرير والتنوير (٨/ ١١٨) .

المعروش ما لم يجعل له ذلك »[1].

وأما القول الآخر في تفسير المعروشات بما غرسه الناس في العمران ، وتفسير غير المعروشات بما أنبته الله في الجبال والبراري ، فقد سبق ذكر قول ابن عباس في تفسير غير المعروشات ، وأنه لا فرق ـــ فيما يظهر ـــ بينه وبين تفسيرها بالمتروكات على وجه الأرض.

وأما تفسير المعروشات بما غَرَسه الناس في العُمْران، فلم أر من اختاره ورجّحه من المفسرين بل ذكره الزمخشري ، والبيضاوي ، والخازن ، والقمي ، وأبوالسعود ، والشوكاني، والقنوجي بصيغة (قيل)[2]. ووافقهم ابن جُزَيّ على هذا .

واستُدِلَّ له بقراءة علي بن أبي طالب : **مَغْرُوسَاتٍ وغَير مَغْرُوسَاتٍ** بالغين المعجمة والسين المهملة[3]. وهذه قراءة شاذّة .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن ما رجّحه ابن جُزَيّ ومن وافقه هو القول الصحيح ، ويندرج فيه تفسير غير المعروشات بما أنبته الله في الجبال والبراري وهو ما تركه الناس على وجه الأرض و لم يرفعوه . وعليه عامّة المفسّرين ، والله تعالى أعلم .

---

(1) البحر المحيط (٤/ ٢٣٦) .

(2) ينظر : الكشاف (٢/ ٤٠٤) ، وأنوار التنزيل (١/ ٣٢٤) ، ولباب التأويل (٢/ ٥٨) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ١٧٧) ، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٢١٢) ، وفتح القدير (٢/ ٢٣٦) ، وفتح البيان (٤/ ٢٥٣) .

(3) ذكرها القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٩/٥٠) . قال محققوا الجامع : لم نقف على هذه القراءة .

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ۚ كُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٤٢﴾ ﴾

٤٢- الخلاف في المراد بالحمولة والفرش .

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « والحمولة : الكبار ، والفرش : الصغار ؛ كالعجاجيل والفصلان . وقيل : الحمولة : الإبل ؛ لأنها يحمل عليها ، والفرش: الغنم ؛ لأنها تُفْرش للذبح، ويفرش ما ينسج من صوفها »[1].

العرض والمناقشة :

رجّح ابن جُزَيّ أن الحمولة هي الكبار ، وتشمل : الإبلَ والبقرَ عند بعض الناس[2]، وأن الفرش هي الصغار من ذلك كالعجاجيل ؛ صغار البقر ، والفصلان ؛ صغار الإبل .

وعلى هذا القول فإن الغنم لا تدخل في الحمولة والفرش .

ووافق ما رُوِيَ عن ابن مسعود[3]، وابن عباس[4]،

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٢٣) .

(2) قال أبوحيان في البحر المحيط (٤/٢٣٤) : «وأدخل بعضهم فيها البقر إذ من عادة بعض الناس الحمل عليها ..» وينظر : النكت والعيون للماوردي (٢/ ١٧٩) ، والعذب النمير للشنقيطي (٢/ ٧١٥) .

(3) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩/ ٦١٩) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٤٠٠) رقم (٧٩٧٠، ٧٩٧٤) ، والطبراني في المعجم الكبير رقم (٩٠١٨) ، والحاكم وصححه (٢/ ٣١٧) من طريق سفيان ، عن أبي الأحوص، عنه قال : (الحمولة ما حمل عليه من الإبل ، والفرش صغار الإبل التي لا تحمل) . وأخرج الطبري (٩/ ٦١٩ ، ٦٢٠) ، وأبو عبيد في الأموال (٩٦٩) وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٤٠٠) رقم (٧٩٧١) ـــ مقتصرًا على الحمولة فقط ـــ من طرق عن أبي إسحاق ، عنه قال : « الحمولة الكبار ، والفرش الصغار » . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٣٧٠) نسبته إلى الفريابي ، وعبد بن حميد ، وأبي عبيد ، وابن المنذر ، وأبي الشيخ.

(4) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩/ ٦١٩) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٤٠١) رقم (٧٩٧٥) عنه قال : «الحمولة الكبار من الإبل ، والفرش الصغار من الإبل». وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٣٧٠) نسبته إلى عبد بن حميد ، وأبي الشيخ . وأخرج الطبري (٩/ ٦٢٠) من طريق العوفي ، عنه قال : « الحمولة ما حمل من الإبل ، والفرش صغار الإبل ، الفصيل وما دون ذلك مما لا يحمل » .

ومجاهد[1]، والحسن[2].

ووافقه في هذا الترجيح الفراء، وأبوعبيدة، وابن قتيبة، والطبري، والزجاج، والنحاس، وغلام ثعلب، ومكي، والبغوي، ومحمود النيسابوري، وابن الجوزي، والخازن، وتاج الدين اليماني، والسمين الحلبي، والسيوطي، والمراغي، والسعدي[3].

وأدخل بعض المفسرين في الفرش الغنمَ أيضًا منهم : السمرقندي، والواحدي، وابن عطية، والثعالبي[4].

وذكر هذا القول الزمخشري ، والبيضاوي ، والقمي ، وابن التركماني ، وأبوالسعود بصيغة (قيل)[5].

قال الطبري : « والحمولة : ما حُمِلَ عليه من الإبل وغيرها ، والفرش : صغار الإبل

---

(1) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩/ ٦١٩) من طرق عنه قال : « الحمولة ما حمل من الإبل ، والفرش : ما لم يَحْمِل ، صغار الإبل ».

(2) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢١٩/٢)، والطبري في جامع البيان (٦٢٠/٩) من طريق معمر ، عن قتادة ، عن الحسن قال : الحمولة ما حمل عليها ، والفرش حواشيها يعني صغارها . وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره (١٤٠١/٥) عقب أثر ابن عباس رقم (٧٩٧٥) . وأخرجه الطبري في جامع البيان (٦٢٠/٩) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ٤٠٠) رقم (٧٩٧٣) من طريق سليمان التيمي ، والربيع ، عنه قال : (الحمولة من الإبل والبقر).

(3) ينظر : معاني القرآن (١/ ٣٥٩) ، ومجاز القرآن (١/ ٢٠٧) ، وتأويل مشكل القرآن (٣٣٩) ، وجامع البيان (٩/ ٦١٨) ، ومعاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٩٨) ، ومعاني القرآن الكريم (٥٠٤/٢) ، وياقوتة الصراط (٢٢٥) ، وتفسير المشكل (١٦٧) ، ومعالم التنزيل (٢/ ٧٢) ، وإيجاز البيان (٢٥٧/١) ، وتذكرة الأريب (١/ ١٧٠) ، ولباب التأويل (٢/ ٥٩) ، والترجمان عن غريب القرآن (٤٦، ٤٧) ، والدر المصون (٥/ ١٩٠) ــ وقال : هذا هو المشهور في اللغة ــ وتفسير الجلالين (الفتوحات ٤٧٧/٢) ، وتفسير المراغي (٨/ ٥٣) ، وتيسير الكريم الرحمن (٢/ ٧٧) .

(4) ينظر : بحر العلوم (١/ ٥١٩) ، والوجيز (١/ ٣٧٩) والوسيط (٢/ ٣٣٠) ، والمحرر الوجيز (٥/ ٣٧٢) ــ وقال: « والحمولة : ما تحمل الأثقال من الإبل والبقر عند منْ عادته أن يحمل عليها ... والفرش : ما لا يحمل ثقلا كالغنم وصغار البقر والإبل ، هذا هو المروي عن ابن مسعود ...» ــ والجواهر الحسان (١/ ٥١٨) .

(5) ينظر : الكشاف (٢/ ٤٠٥) ، وأنوار التنزيل (١/ ٣٢٥) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ١٧٩) ، وبهجة الأريب (١/ ٢١٠) ، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٢١٣) .

التي لم تدرك أن يحمل عليها »[1].

وقال الزجاج : « الحمولة : الإبل التي تحمل . وأجمع أهل اللغة على أن الفرش صغارُها »[2].

وقال النحاس : « وهذا المعروف عند أكثر أهل اللغة »[3].

فالحمولة : ما يحمل عليه المتاع أو الناس . يقال : حمل المتاع وحمل فلانًا .

ومنه قوله تعالى : ﴿ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ ﴾[4] [التوبة : ٩٢] .

والحمولة : ما يحمل عليه الأثقال ويسافر عليها كما قال تعالى : ﴿ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ﴾[النحل : ٧] . وقال سبحانه : ﴿ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾[5][يس] .

وعلى هذا فالحمولة من الأنعام هي : كبار الإبل التي يحمل عليها ، والبقر في بعض البلاد .

والفرش : مأخوذ من افتراش الأرض بها على الاستواء .

قال ابن بحر : « الافتراش : الإضجاع للنّحر ، فتكون الحمولة كبارها ، والفرش صغارها، قال الراجز :

أَوْرَثَني حمولةً وفرشًا أَمُشُّها في كل يوم مشّا

أي : أمسحها »[6].

---

(1) جامع البيان (٩/ ٦١٨) .
(2) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٩٨) .
(3) معاني القرآن الكريم (٢/ ٥٠٤) .
(4) ينظر : التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٨/ ١٢٥) .
(5) ينظر : العذب النمير للشنقيطي (٢/ ٧١٥) .
(6) ينظر : النكت والعيون للماوردي (٢/ ١٧٩) .

وأما القول الآخر في تفسير الحمولة بالإبل ، والفرش بالغنم ، فرُوي عن الضحاك[1]، وابن زيد[2] واستحسنه ابن كثير واستشهد عليه بآيات قرآنية كما سيأتي .

وبإدخال البقر مع الإبل في الحمولة رُويَ عن أبي العالية[3]، وقتادة[4]، والربيع بن أنس[5].

وبالاقتصار على تفسير الفرش بالغنم رُوِيَ عن الحسن[6].

وعلى هذا القول مقاتل، وابن أبي زمنين، وابن التركماني، والبقاعي، وأبوالسعود[7].

وذهب الزمخشري إلى أن الحمولة : ما يحمل الأثقال ، والفرش : ما يفرش للذبح أو ينسج من وَبَره وصوفه وشعره[8]. وتبعه البيضاوي، والقمي، والقاسمي[9].

وذكره السمين الحلبي ، والشوكاني ، والقنّوجي بصيغة (قيل)[10]، ووافقهم ابن جُزَيّ في هذا .

ويذهب الشوكاني إلى أن الحمولة : ما يحمل عليها وهو يختص بالإبل ، والفرش ما

---

(1) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩/ ٦٢٢) من طريق عُبيد بن سليمان ، عنه .. وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٤٠١) عقب الأثر (٧٩٧٦) بتفسير الفرش فقط .

(2) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٩/ ٦٢٢) عن يونس ، عن ابن وهب ، عنه .

(3) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٤٠١) عقب الأثر (٧٩٧٦) بتفسير الفرش فقط بالغنم . ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٣٧٠) إلى عبد بن حميد بلفظ : (الحمولة : الإبل والبقر ، والفرش : الضأن والمعز) .

(4) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢٢٠) ، وابن جرير الطبري في جامع البيان (٩/ ٦٢١) من طريق معمر ، عنه. وأخرجه الطبري من طريق سعيد ، عنه .

(5) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩/ ٦٢١) . وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٤٠١) عقب الأثر (٧٩٧٦) مقتصرًا على تفسير الفرش بالغنم .

(6) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩/ ٦٢٢) من طريق أبي بكر الهذلي ، عنه . وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/١٤٠١) عقب الأثر (٧٩٧٦) .

(7) ينظر : تفسير مقاتل (١/ ٥٩٣) ، وتفسير القرآن العزيز (٢/ ١٠٢) ، وبهجة الأريب (١/ ٢١٠) ، ونظم الدرر (٧/ ٢٩٣) ، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٢١٣) .

(8) ينظر : الكشاف (٢/ ٤٠٥) .

(9) ينظر : أنوار التنزيل (١/ ٣٢٥) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ١٧٩) ، ومحاسن التأويل (٦/٢٥٢٩).

(10) ينظر : الدر المصون (٥/ ١٩١) ، وفتح القدير (٢/ ٢٣٧) ، وفتح البيان (٤/ ٢٥٧) .

يتخذ من الوبر والصوف والشعر فراشًا يفترشه الناس[1]. وتبعه القنوجي[2].

قال ابن كثير : « وهذا الذي قاله عبد الرحمن بن زيد في تفسير الآية حَسَنٌ ، ويشهد له قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [يس] ، وقوله : ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ إلى أن قال :﴿ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾ ﴾ [النحل : ٦٦ ــ ٨٠] ، وقال تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾»[3] [غافر] .

وعُلّلَ هذا القول بأن الحمولة ما يحمل عليها ، فاشتقاقها من الحمل ، وأن الفرش ما يفرش للذبح وما ينسج من الصوف .

قال الماوردي : « ومنه قول ابن مسلمة :

وحوينا الفرش من أنعامكم والحمولات وربات الحجل »[4].

ويدل لهذا القول قوله تعالى :﴿ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ ﴾ [الأنعام : ١٤٣] وقوله : ﴿ وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ ﴾[الأنعام : ١٤٤] .

فلما جاء هذا بدلاً من قوله : ﴿ حَمُولَةً وَفَرْشًا ﴾ جعله للبقر والغنم مع الإبل . قاله الزجاج[5]. وقال : « وإن البقر والغنم من الفرش » .

وقال النحاس : « واستشهد لصاحب هذا القول بقوله : ﴿ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ ﴾ قال :

---

(1) ينظر : فتح القدير (٢/ ٢٣٧) .

(2) ينظر : فتح البيان (٤/ ٢٥٧) .

(3) تفسير القرآن العظيم (١٩٢/٦) .

(4) النكت والعيون (٢/ ١٧٩) .

(5) ينظر : معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٩٨) .

فثمانية بدل من قوله :﴿ حَمُولَةً وَفَرْشًا ﴾»[1].

ورُوِيَ عن ابن عباس أنه قال : « الحمولة : الإبل والخيل والبغال والحمير وكل شيء يحمل عليه ، والفرش : الغنم »[2].

قال ابن جرير الطبري : « والصواب من القول في ذلك عندي : أن يقال : إن الحمولة هي ما يحمل من الأنعام ؛ لأن ذلك من صفتها إذا حملت ، لا أنه اسمٌ لها كالإبل والخيل والبغال ، فإذا كانت إنما سميت حمولةً لأنها تحمل ، فالواجب أن يكون كل ما حمل على ظهره من الأنعام فحمولة ، وهي جمع لا واحدَ لها من لفظها ، كالرّكُوبة والجَزُورة ، وكذلك الفرش إنما هو صفة لما لَطُف فقَرُب من الأرض جِسْمُه ، ويقال له : الفَرْش . وأحسبها سميت بذلك تمثيلاً لها في استواء أسنانها ولُطْفها بالفرش من الأرض ، وهي الأرض المستوية التي يتوطّؤُوها الناس »[3].

فيفهم من كلام الطبري هذا أن الخيل والبغال تدخل في الحمولة ، وأخذه من تفسير ابن عباس ، وهذا لا مدخل له في الآية .

قال ابن عطية معلِّقًا على قول ابن عباس : « وهذا منه تفسير لنفس اللفظة لا من حيث هي في هذه الآية ، ولا مدخلَ في الآية لغير الأنعام »[4].

وقال الشنقيطي عن قول ابن عباس : « إنه قول لا يصح ؛ لأن الأنعام لا تطلق إلاّ على الإبل والبقر و نَوْعي الغنم ، فلا تطلق على الخيل ولا على البغال »[5].

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن الصواب هو تفسير الحمولة بالإبل الكبار لأنها يحمل عليها ، ويدخل فيها البقر عند من يحمل عليها ، وتفسير الفرش بصغار الإبل والبقر والغنم .

---

(1) معاني القرآن الكريم (٢/ ٥٠٤) .

(2) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩/ ٦٢١) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٤٠٠ ، ١٤٠١) رقم (٧٩٧٢ ، ٧٩٧٦) من طريق علي بن أبي طلحة ، عنه . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٣٧٠) نسبته إلى ابن المنذر .

(3) جامع البيان (٩/ ٦٢٢) .

(4) المحرر الوجيز (٥/ ٣٧٣) .

(5) العذب النمير (٢/ ٧١٥) .

يقول الشنقيطي : « الحمولة : ما يحمل عليه الأثقال ويسافر عليها، كالإبل والبقر في بعض البلاد . والفرش : فيه أقوال متقاربة للعلماء . والتحقيق : أن الآية تشمل كل ذلك فيدخل في الفرش : الغنم وفِصال الإبل ، وعجاجيل البقر ؛ لأن ولد البقرة يقال له : عجل ويجمع على عجاجيل على غير قياس »[1].

ولما ذكر الطاهر بن عاشور المعاني في كلمة " الفرش "وهي :

ـــ ما لا يطيق الحمل من الإبل أي : فهو يركب كما يُفرش الفرش[2].

ـــ ما يذبح ؛ لأنه يفرش على الأرض حين الذبح أو بعده . أي : فهو الضأن والمعز والبقر ؛ لأنها تذبح .

ـــ ما ينسج من وبره وصوفه وشعره الفَرْش كما قال تعالى :﴿ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾ ﴾ [النحل] ، وقال : ﴿ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ ﴾ [النحل : ٥-٧] ، ولأنهم كانوا يفترشون جلود الغنم والمعز للجلوس عليها .

قال بعد ذلك : « ولفظ ﴿ وَفَرْشًا ﴾ صالح لهذه المعاني كلها ، ومحامله كلها مناسبة للمقام فينبغي أن تكون مقصودة من الآية ، وكأن لفظ "الفرش" لا يوازنه غيره في جمع هذه المعاني ، وهذا من إعجاز القرآن من جانب فصاحته . فالحمولة الإبل خاصة ، والفرش يكون من الإبل والبقر والغنم على اختلاف معاني اسم الفرش الصالحة لكل نوع مع ضميمته إلى كلمة " ﴿ وَمِنْ ﴾ " الصالحة للابتداء »[3].

فإذا كان ذلك كذلك فإن الجمع بين القولين هو الصواب ؛ لأن لفظ "الحمولة" مأخوذ من الحمل ، فكل ما يحمل عليه من الأنعام يدخل فيه ؛ كالإبل ـــ والبقر عند بعض ـــ وكذا لفظ "الفرش" صالح للمعاني التي قيلت فيه، فيشمل صغار الإبل والبقر، كما يشمل

---

(1) العذب النمير (٢/ ٧١٥) بتصرف يسير .

(2) نسبه للراغب .

(3) التحرير والتنوير (٨/ ١٢٥) .

الغنم بنوعيه المعز والضأن .

قال السيد محمد رشيد رضا جامعًا بين القولين في تفسير الحمولة والفرش : « وهي ما يَحْمِلُ عليه الناسُ الأثقالَ من الإبل والبقر وهو كبارها ، وفرشًا : وهو ما يفرش للذبح من الضأن والمعز وكذا صغار الإبل والبقر أو ما يتخذ الفرش من صوفه ووبره وشعره »[1].

ويؤيده أن الجمع بين القولين أَولى من إهمال واطِّراح أحدهما، سيمّا وأن اللفظ صالح للجميع ، والله تعالى أعلم .

(1) تفسير القرآن الحكيم (٨/ ١٣٢) . وتبعه تلميذه المراغي في تفسيره (٨/ ٤٩ ــ ٥٠) وفي (٨/ ٥٣) اختار القول الأول ! .

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾ ﴾

في هذه الآية الكريمة ثلاث مسائل :

المسألة الأولى هي :

٤٣- الخلاف في معنى ٱلْحَوَايَآ .

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « هي المباعر . وقيل : المصارين والحشوة ونحوهما مما يتحوّى في البطن »[1].

العرض والمناقشة :

رجّح ابن جُزَيّ أن الحوايا هي المباعر ، واحدها : مَبعر ـــ بفتح الميم وكسرها ـــ وهو حيث يجتمع البعر من الأمعاء . ووافق في هذا الترجيح ما رُوِيَ عن ابن عباس[2]، ومجاهد[3]، وسعيد بن جبير[4]، وقتادة[5]، والضحاك[6]، والسدّي[7]،

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٢٤) .

(2) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩/ ٦٤٤) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٤١٠) رقم (٨٠٣٧) من طريق علي بن أبي طلحة ، عنه . وأخرجه الطبري في جامع البيان (٩/ ٦٤٥) من طريق عطية العوفي ، عنه .

(3) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩/ ٦٤٤) من طريق عيسى وشبل ، عنه . وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/١٤١١) عقب (٨٠٣٧) .

(4) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩/ ٦٤٥) من طريق شريك ، عن عطاء ، عنه. وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٤١١) عقب (٨٠٣٧) .

(5) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩/ ٦٤٥) من طريق سعيد ومعمر ، عنه . وأخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/٢٢١) عن معمر عنه . بلفظ (البقر) وهو خطأ مطبعي . والصواب (البعر أو المبعر) .

(6) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩/ ٦٤٥) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٤١١) رقم (٨٠٣٨) من طريق أبي أسامة ـــ زاد الطبري : والمحارب ـــ كلاهما ، عن جويبر ، عنه . لفظ الطبري : (المِبْعَر) . وعند ابن أبي حاتم : (المباعر والمرابط) . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٣٧٩) نسبته إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر .

(7) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩/ ٦٤٥) من طريق أحمد بن المفضل ، عن أسباط ، عنه . وذكره ابن أبي حاتم

وابن زيد[1]، ومقاتل بن حيّان ، وعطاء الخراساني[2].

وإليه يذهب الفراء، والزجاج، والسمرقندي، وابن أبي زمنين، ومكي، والواحدي، والسمعاني، والبغوي، ومحمود النيسابوري، والقرطبي، والخازن، وعلاء الدين ابن التركماني، وابن كثير، والشوكاني، والقنوجي[3].

ونسبه لجمهور المفسرين الخازنُ، والقنوجي .

وأما القول بأنها المصارين والحشوة ونحوهما مما يتحوّى في البطن ، فهو قول مقاتل[4].

وعليه الزمخشري، وابن عطية، والبيضاوي، والنسفي، والقمي، وتاج الدين القرشي اليماني، والبقاعي، والسيوطي، والقاسمي[5].

واختار الطبري الجمع بين القولين فقال : « ما تحوّى من البطن فاجتمع واستدار ، وهي بنات اللبن[6]، وهي المباعر ، وتسمّى المرابض ، وفيها الأمعاء »[7].

وعليه فكل ما تحوّى واستدار من المباعر والأمعاء ونحوهما في البطن فيقال له الحوايا.

في تفسيره (٥/ ١٤١١) عقب (٨٠٣٧) .

(1) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩/ ٦٤٦) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٤١١) رقم (٨٠٣٩) عنه قال : الحوايا المرابض التي تكون فيها الأمعاء ، تكون وسطها ، وهي بنات اللبن ، وهي في كلام العرب تدعى المرابض.

(2) ذكره عنهما ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٤١١) عقب الأثر (٨٠٣٧) .

(3) ينظر : معاني القرآن (١/ ٣٦٣) ، ومعاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٠١) ، وبحر العلوم (١/ ٥٢١) ، وتفسير القرآن العزيز (٢/ ١٠٤) ، وتفسير المشكل (١٦٨) ، والوجيز (١/ ٣٨٠) والوسيط (٢/ ٣٣٣) ، وتفسير القرآن (١٥٣/٢) ، ومعالم التنزيل (٢/ ٧٥) ، وإيجاز البيان (١/ ٢٥٨) ، والجامع لأحكام القرآن (٩/ ٩٨) ، ولباب التأويل (٢/ ٦٢) ، وبهجة الأريب (٢١٠) ، وتفسير القرآن العظيم (٦/ ٢٠٠) ، وفتح القدير (٢٤٣/٢) ، وفتح البيان (٤/ ٢٦٧) .

(4) ينظر : تفسير مقاتل (١/ ٥٩٥).

(5) ينظر : الكشاف (٢/ ٤٠٨) ، والمحرر الوجيز (٥/ ٣٨٤) ، وأنوار التنزيل (١/ ٣٢٦) ، ومدارك التنزيل (٣٨/٢) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ١٨١) ، والترجمان عن غريب القرآن (٤٦) ، ونظم الدرر (٣٠٨/٧) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٢/ ٤٨٥) ، ومحاسن التاويل (٦/ ٢٥٣٩) .

(6) بنات اللبن هي ما صغر من الأمعاء . ينظر : اللسان (بنو) .

(7) جامع البيان (٦٤٣ ، ٦٤٤) .

قال الشنقيطي : « والحوايا : تختلف فيها عبارات المفسّرين بألفاظ متقاربة ، معناها راجع إلى شيء واحد . منهم من يقول : هي المباعر ، أي : المَحالُّ التي يجتمع فيها البَعْر والزّبل . ومنهم من يقول : هي بنات اللبن ، ويسمّونها بأسماء . والتحقيق : أنها كل ما كان مُدَوّرًا في البطن مما يسمّى : الدّوَّارة ، والمصارين ، ومحلُّ البعر الذي يخرج منه . ما تعلّق بذلك الجوف من الشحوم غير الثُّروب التي هي غشاء فوق الجوف ، كل ما تعلّق بذلك فهو حلال لهم ... وإنما يحرم عليهم الثُّرُوب ، وهي الغشاء الذي فوق الكرش والأمعاء من الشحم، وشحم الكلى »[1].

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن الحوايا يراد بها كل ما تَحوّى في البطن واستدار ، فيدخل في ذلك : الأمعاء والمصارين والمباعر وما اتصل بها من خزائن اللبن . وهذا أجمع للقولين وهو أَوْلَى من اطِّراح أحدهما ، والله أعلم .

---

(1) العذب النمير (٢/ ٧٦٠) .

المسألة الثانية هي :

٤٤- الخلاف في مفرد ﴿ٱلۡحَوَايَآ﴾ ووزنها .

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « وواحد حوايا : حَوِيَّة على وزن [فعيلة][1]. فوزن حوايا على هذا فعائل كصحيفة وصحائف . وقيل : واحدها : حاوية على وزن فاعلة . فحوايا على هذا فواعل كضاربة وضوارب »[2].

العرض والمناقشة :

رجّح ابن جُزَيّ أن واحد حوايا : حَوِيَّة على وزن فَعِيلة ، ووزن حوايا ـــ على هذا ـــ فعائل ، كصحيفة وصحائف[3] . وقال به الجوهري[4]. وعليه ابن عطية ، والبقاعي، والطاهر بن عاشور[5].

وذكره الكرماني ، وتاج الدين القرشي اليماني ، والشوكاني ، والقنوجي ، والشنقيطي بصيغة (قيل)[6].

وأما القول بأن واحد الحوايا : الحاوية ووزن الحوايا : فواعل فذهب إليه سيبويه[7]. وقال به الأخفش[8]. وعليه السمرقندي، والكرماني، والباقولي، ومحمود النيسابوري، وأبوالمحاسن القرشي اليماني، والشوكاني، والقنوجي، والشنقيطي[9].

---

(1) في المطبوع : فعليه ، والصواب ما أثبته كما في النسخ المخطوطة .

(2) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٢٤) .

(3) وسفينة وسفائن ، ونظيرها في المُعْتَلّ : مَطِيَّة ومطايا . ينظر : البحر المحيط لأبي حيان (٤/ ٢٣٥) ، والدر المصون للسمين الحلبي (٥/ ٢٠٦) .

(4) نقله عنه القمي في غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ١٨١) .

(5) ينظر : المحرر الوجيز (٥/ ٣٨٤) ، ونظم الدرر (٧/ ٣٠٨) ، والتحرير والتنوير (٨/ ١٤٢).

(6) ينظر : عجائب التفسير وغرائب التأويل (١/ ٣٩٠) ، والترجمان في غريب القرآن (٤٦) ، وفتح القدير (٢٤٤/٢) ، وفتح البيان (٤/ ٢٦٧) ، والعذب النمير (٢/ ٧٦٠) .

(7) ذكره الكرماني في عجائب التفسير وغرائب التأويل (١/ ٣٩٠) .

(8) ينظر : معاني القرآن (١/ ٢٩٠) .

(9) ينظر : بحر العلوم (٥٢١/١) وعجائب التفسير (٣٩٠/١) وكشف المشكلات (٤٥٧/١) وإيجاز البيان (٢٥٨،٢٥٩/١) والترجمان (٤٦) وفتح القدير (٢٤٤/٢) وفتح البيان (٢٦٧/٤) والعذب النمير (٧٦٠/٢) .

وذكره ابن عطية ، والبقاعي بصيغة (قيل)[1].

وقال الأصمعي : « واحدها : حاوياء ، وحاوية ، وحَوِيَّة »[2].

وعلى هذا ابن جرير الطبري، والزجاج، والواحدي، والعكبري، وابن التركماني، والبيضاوي[3].

وفي الصحاح للجوهري : وحَوِيَّةُ البطن ، وحَاوِية البطن ، وحاوياء البطن ، كُلُّه بمعنى[4].

وجمع بين القولين ابنُ الأعرابي فقال : «هي الحوية أو الحاوية ، وهي الدُوَّارة التي في بطن الشاة »[5].

وقال الكسائي : « واحدتها : حَاوية وحَوِيّة »[6].

وعلى هذا غلام ثعلب، والبغوي، والرازي، والخازن[7].

واستُشهِد لهذا بقول الشاعر :

أقتلهم ولا أرى معاوية الجاحظ العين العظيم الحاوية[8].

قال السمين الحلبي : « وقد جوّز الفارسي أن يكون جمعًا لكل واحد من الثلاثة . يعني أنه صالح لذلك . وقال ابن الأعرابي : هي الحوية والحاوية و لم يذكر الحاوياء »[9].

---

(1) ينظر : المحرر الوجيز (٥/ ٣٨٤) ، ونظم الدرر (٧/ ٣٠٨) .

(2) ينظر : زاد المسير (٣/ ١٤٣) .

(3) ينظر : جامع البيان (٦٤٣/٩)، ومعاني القرآن وإعرابه (٣٠١/٢)، والوسيط (٣٣٣/٢)، والتبيان في إعراب القرآن (٥٤٦/١) ــ لكن سوّى بينها بأو ــ، وبهجة الأريب (٢١٠)، وأنوار التنزيل (٣٢٦/١) لكن سوّى بينها بأو .

(4) (٦/ ٣٢٢) .

(5) ينظر : مفاتيح الغيب للرازي (٥/ ١٧٢) ، والدر المصون للسمين (٥/ ٢٠٦) .

(6) ينظر : معاني القرآن الكريم للنحاس (٢/ ٥١١) .

(7) ينظر : ياقوتة الصراط (٢٢٦) ، ومعالم التنزيل (٢/ ٧٥) ، ومفاتيح الغيب (٥/ ١٧٢) ، ولباب التأويل (٦٢/٢)

(8) ينظر : اللسان ، (حوي) ، وزاد المسير لابن الجوزي (٣/ ١٤٣) .

(9) الدر المصون (٥/ ٢٠٦ ، ٢٠٧) .

قال النحاس : « وحكى سيبويه : الحاوياء »[1].

وقال السمين : « وذكر ابن السكِّيت الثلاثة فقال : يقال : حاوية وحوايا مثل زاوية وزوايا ، وراوية وروايا . ومنهم من يقول : حوية وحوايا مثل الحوية التي توضع على ظهر البعير ويركب فوقها . ومنهم من يقول لواحدها : حاوياء . وأنشد قول جرير :

تضغو الخنانيص والغول التي أكلت في حاوياء رَدُوم الليل مجعار [2]

وأنشد أبوبكر الأنباري :

كأن نقيق الحب في حاويائه فحيح الأفاعي أو نقيق العقارب [3]

فإن كان مفردها حاوية فوزنها فواعل كضاربة وضوارب ، ونظيرها في المعتلّ : زاوية وزوايا وراوية وروايا ، والأصل : حواوي كضوارب فقلبت الواو التي هي عين الكلمة همزة؛ لأنها تالي حرفَيْ لِينٍ اكتنفا مَدَّةَ مَفَاعِل ، فاستثقلت همزة مكسورة فقلبت ياءً فاستثقلت الكسرة على الياء فجعلت فتحة ، فتحرّك حرف العِلّة وهو الياء التي هي لام الكلمة بعد فتحةٍ فقلبت ألفًا فصارت حوايا . وإن شئت قلت : قلبت الواو همزة مفتوحة فتحركت الياء وانفتح ما قبلها فقلبت ألفًا ، فصارت همزة مفتوحة بين ألفين يشبهانها فقلبت الهمزة ياءً .

وكذلك إذا قلنا : إن مفردها (حاوياء) كان وزنها فواعل أيضًا كقاصعاء وقواصع وراهطاء ورواهط [جحر اليربوع] ، والأصل حواوي أيضًا ففعل به ما فعل فيما قبله .

وإن قلنا : إن مفردها (حويّة) فوزنها فعائل كطرائف ، والأصل حوائي فقلبت الهمزة ياءً مفتوحة ، وقلبت الياء التي هي لام الكلمة ألفًا فصار اللفظ (حوايا) أيضًا ، فاللفظ متحد والعمل مختلف »[4].

---

(1) معاني القرآن الكريم (٢/ ٥١١) .

(2) البيت في ديوانه (٣١٣) . وتضغو : تصيح وتصوّت ، والخنانيص : صغار الخنازير ، ورَدُوم : الضروط، ومجعار : السلوح . ينظر: اللسان (ضغا ٤٨٥/١٤، خنص ٣١/٧ ، ردم ٢٣٦/١٢) .

(3) نسبه الجوهري في الصحاح (٦/ ٣٢٢) إلى جرير . والبيت في شرح شواهد الشافية (٤٤٣) .

(4) الدر المصون (٥/ ٢٠٦ ، ٢٠٧) .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن اللغة تشهد لصحة هذه الأقوال الثلاثة ، فيقال في مفرد الحوايا : حوية وحاوية وحاوياء ، على وزن فعيلة وفعائل ، وفاعلة وفواعل ، وفاعلاء وفواعل على الترتيب ، والله تعالى أعلم .

المسألة الثالثة هي :

٤٥- عَلامَ عُطِفَتْ ﴿ٱلْحَوَايَآ﴾ ؟ وما حكمها إذن ؟

قال ابن جُزَيّ رحمه الله : « وهو معطوف على ﴿ مَا ﴾ في قوله : ﴿ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ ﴾ فهو من المستثنى من التحريم . وقيل : عطف على الظهور . فالمعنى : إلاّ ما حملت الظهور أو حملت الحوايا . وقيل : عطف على الشحوم فهو من المحرّم »[1].

العرض والمناقشة :

رجّح ابن جُزَيّ أن الحوايا معطوف على الاسم الموصول :﴿ مَا ﴾ في قوله تعالى : ﴿إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ ﴾ ، فما حملت الظهور حلالٌ لهم وكذا ما عطف عليه ، فتكون الحوايا حلالا لهم ومستثناة من التحريم .

وهذا مفهوم كلام مقاتل، والسمعاني[2]. وعليه ابن عطية، والعكبري[3] .

قال السمين : « وحكى ابن الأنباري عن أبي عبيد أنه قال : قلت للفراء : هو بمنزلة قول الشاعر:

لا يَسْمعُ المرءُ فيها ما يؤنسه بالليل إلاّ نئيمَ البُومِ والضُّوعَا

فقال لي : نعم ، يذهب إلى أن "الضُّوع" عطف على "النئيم" ولم يعطف على "البوم" كما عطفت الحوايا على "ما" ولم تعطف على "الظهور" »[4].

وقال الشهاب : « قال النحرير : الأنسب عطفها على ﴿مَا حَمَلَتْ ﴾ بتقدير مضاف، أي : شحوم الحوايا »[5].

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٢٤) .

(2) ينظر : تفسير مقاتل (١/ ٥٩٥) ، وتفسير القرآن (٢/ ١٥٣) .

(3) ينظر : المحرر الوجيز (٥/ ٣٨٥) ، والتبيان (١/ ٥٤٦) .

(4) الدر المصون (٥/ ٢٠٥) . وسيأتي عن الفراء أنه يجوِّز القولين الأولين .

(5) حاشية الشهاب الخفاجي (٤/ ١٣٤) .

وذكر هذا القول النحاس ، والكرماني ، والباقولي بصيغة (قيل)[1].

وقال السمين بعد نقله ما حكاه ابن الأنباري : « فمقتضى ما حكاه ابن الأنباري أن تكون الحوايا عطفًا على ﴿مَا﴾ المستثناة ، وفي معنى ذلك قَلَقٌ بَيّن »[2].

وأما القول الثاني وهو عطف الحوايا على الظهور ، والمعنى : إلاّ ما حملت الظهور أو حملت الحوايا ، فجوّزه الفَرّاءُ وبدأ به فقال : « والحوايا في موضع رفع ، تردّها على الظهور: إلاّ ما حملت ظهورهما أو حملت الحوايا»[3]. وإليه يذهب الكسائي[4].

وعلى هذا القول ابن جرير الطبري، والنحاس، والكرماني، والقرطبي، والنسفي، وأبوحيان، والسمين، وابن كثير، وأبوالسعود، والشوكاني، والطاهر، والشنقيطي[5].

وهو مفهوم كلام الواحدي، والبغوي، وابن الجوزي، والزمخشري، والبيضاوي، والقنوجي، والقاسمي[6].

ومعنى هذا القول : أن ما حملت الحوايا من الشحوم فهو حلال لهم .

قال الطبري : « والصواب في ذلك من القول أن يقال : إن الله كان حرم على اليهود من البقر والغنم شحومهما إلاّ ما استثناه منها ، مما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط

---

(1) ينظر : معاني القرآن الكريم (٢/ ٥١٢) ، وغرائب التفسير وعجائب التأويل (١/ ٣٩٠) ، وكشف المشكلات (١/ ٤٥٨) .

(2) الدر المصون (٥/ ٢٠٥) .

(3) معاني القرآن (١/ ٣٦٣) .

(4) نسبه له النحاس في معاني القرآن الكريم (٢/ ٥١٢) ، وابن عطية في المحرر الوجيز (٥/ ٣٨٥) ، وأبو حيان في البحر المحيط (٤/ ٢٤٤) ، والسمين في الدر المصون (٥/ ٢٠٣) .

(5) ينظر : جامع البيان (٩/ ٦٤٤) ، وإعراب القرآن (٢/ ١٠٤) ، وغرائب التفسير وعجائب التأويل (١/ ٣٩٠)، والجامع لأحكام القرآن (٩/ ٩٨) ، ومدارك التنزيل (٢/ ٣٨) ، والبحر المحيط (٤/ ٢٤٤) ، والدر المصون (٢٠٣/٥) ـــ وقال : وهذا هو الظاهر ـــ ، وتفسير القرآن العظيم (٦/ ٢٠٠) ، وإرشاد العقل السليم (٢١٦/٢)، وفتح القدير (٢/ ٢٤٣) ، والتحرير والتنوير (٨/ ١٤٢) ـــ وقال : فالمقصود العطف على المباح لا على المحرم ـــ ، والعذب النمير (٢/ ٧٥٩) .

(6) ينظر : الوسيط (٢/ ٣٣٣) ، ومعالم التنزيل (٢/ ٧٥) ، وتذكرة الأريب (١/ ١٧١) ، والكشاف (٤٠٨/٢) ، وأنوار التنزيل (١/ ٣٢٦) ، وفتح البيان (٤/ ٢٦٧) ، ومحاسن التأويل (٦/ ٢٥٣٩) .

بعظم، فكلُّ شحم سوى ما استثناه الله في كتابه من البقر والغنم ، فإنه كان محرّمًا عليهم»[1].

ثم ذكر حديث النبي ﷺ : (قاتل اللهُ اليهودَ ، حُرِّمَتْ عليهم الشحوم فجَمَلُوها ، ثم باعوها وأكلوا أثمانها)[2].

وقال أيضًا : « يقول تعالى ذكره : ومن البقر والغنم حرمنا على الذين هادوا شحومهما، سوى ما حملت ظهورهما ، أو ما حملت حواياهما ، فإنا أحللنا ذلك لهم وإلاّ ما اختلط بعظم، فهو لهم أيضًا حلال »[3].

واستُدِلّ لهذا القول بظاهر الآية الكريمة، كما قاله السمعاني[4].

وأما القول الثالث وهو عطف الحوايا على الشحوم ، فتكون الحوايا محرمةً عليهم أيضًا، فنسبه ابنُ الجوزي إلى الزجّاج كما فهمه من كلامه[5]. واختاره الباقولي[6].

قال السمين : « وإلى هذا ذهب جماعة قليلة »[7].

وضعّفه السمعاني، والشنقيطي[8].

---

(1) جامع البيان (٩/ ٦٤٢) .

(2) أخرجه البخاري في صحيحه ، برقم (٢٢٢٣ ، ٢٢٢٤ ، ٢٢٣٦ ، ٣٤٦٠ ، ٤٦٣٣) ، ومسلم في صحيحه برقم (١٥٨١ ، ١٥٨٢ ، ١٥٨٣) من حديث ابن عباس ، عن عمر بن الخطاب ، وحديث جابر بن عبد الله، وحديث أبي هريرة ، كلهم عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم نحوه . وقوله : (جملوها) قال في النهاية : جَمَلْتُ الشحم وأجملْتُه : إذا أذبته واستخرجت دُهْنَه ، وجَمَلت أفصح من أجْملت . (١/ ٢٩٨) . وفي أحاديث تحريم الشحم على اليهود . ينظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦/ ٢٠١ ــ ٢٠٣) .

(3) جامع البيان (٩/ ٦٤٦) .

(4) ينظر : تفسير القرآن (٢/ ١٥٣) .

(5) ينظر : زاد المسير (٣/ ١٤٤) . وينظر كلام الزجاج في معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٠١ ، ٣٠٢) ، ومفاتيح الغيب للرازي (٥/ ١٧٢) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان للقمي (٣/ ١٨٢) .

(6) (١/ ٤٥٧) .

(7) الدر المصون (٥/ ٢٠٤) .

(8) ينظر : تفسير القرآن (٢/ ١٥٣) ــ ونسبه لبعضهم و لم يصحّحه بل صحح القول بأن الكل يدخل في الاستثناء ــ والعذب النمير (٢/ ٧٦٠) وقال : وهذا القول ضعيف مرجوح .

واستغربه الكرماني[1]. وذكره النحاس، والزمخشري، والعكبري، والقرطبي، والبيضاوي، والقمي، وأبوحيان، والشوكاني[2] بصيغة (قيل).

يقول ابن عطية : « وهذا قول لا يعضده اللفظ ولا المعنى ، بل يدفعانه »[3].

و لم يبيّن دفع اللفظ والمعنى لهذا القول كما قال أبوحيان[4].

وقال الشوكاني : « وقيل : إن الحوايا وما اختلط بعظم معطوفة على الشحوم ».

قال الرازي : « ﴿ أَوِ ٱلْحَوَايَآ ﴾ معطوف على المستثنى منه ، ودخلت كلمة (أو) كدخولها في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾ ﴾ [الإنسان] . والمعنى : كل هؤلاء أهل أن يُعْصَى ، فاعصِ هذا واعْصِ هذا ، فكذا ههنا المعنى : حرمنا عليهم هذا وهذا إلاّ ما حملت ظهورهما فإنه غير محرم »[5].

والمعنى : حرمنا عليهم شحومهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم إلاّ ما حملت ظهورهما فإنه غير محرم . ولا وجه لهذا التكلّف ولا موجب له ؛ لأنه يكون المعنى : إن الله حرم عليهم إحدى هذه المذكورات[6].

وبعد، فإذا تقرر هذا فإنه لا يظهر فَرْق بين القول الأول والثاني ؛ لأنه إذا أُحِلَّتْ الحوايا فإن الشحم الذي تحمله حلالٌ كذلك ، وإذا أُحِلَّ ما حملت الحوايا من الشحم فإن الحوايا حلال من باب أَولى ، والله أعلم .

ولعدم الفرق بينهما من حيث الحكم فقد نسب ابن الجوزي القول الأول إلى

---

(1) ينظر : غرائب التفسير وعجائب التأويل (١/ ٣٩١) .

(2) ينظر : معاني القرآن الكريم (٢/ ٥١٢) ، والكشاف (٢/ ٤٠٨) ، والتبيان (١/ ٥٤٦) ، والجامع لأحكام القرآن (٩٨/٩) ، وأنوار التنزيل (١/ ٣٢٦) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ١٨٢)، والبحر المحيط (٢٤٥/٤)، وفتح القدير (٢/ ٢٤٤) .

(3) المحرر الوجيز (٥/ ٣٨٥) .

(4) البحر المحيط (٤/ ٢٤٥) .

(5) مفاتيح الغيب (٥/ ١٧٢) . وينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٣٠١ ، ٣٠٢) .

(6) فتح القدير (٢/ ٢٤٤) .

الأكثرين[1]. فهما كالقول الواحد في الحكم وإن اختلفا في المحلّ الإعرابي . وإلى جواز الإعرابين ذهب الفراء[2] .

وعليه، فإن القول الأول الذي رجّحه ابن جُزَيّ والقول الثاني ، كلاهما هو القول الأَوْلى بالصواب .

وأما القول الثالث فهو ضعيف مرجوح، كما قاله الشوكاني، والشنقيطي ؛ لما فيه من التكلّف الذي لا حاجة إليه ، واللّه تعالى أعلم .

---

(1) ينظر : زاد المسير (٣/ ١٤٤) .

(2) قال الفراء في معاني القرآن (١/ ٣٦٣) : والحوايا : في موضع رفع ، تردّها على الظهور ... والنصب على أن تريد (أو شحوم الحوايا) فتحذف الشحوم وتكتفي بالحوايا كما قال : ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾ [يوسف: ٨٢] يريد : واسأل أهل القرية .

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ ﴾

٤٦- الخلاف في إعراب " أَنْ" و " لا" من قوله : ﴿ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾.

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « قيل : أَنْ حرفُ عبارةٍ وتفسير ، فلا موضع لها من الإعراب ، و "لا" ناهية جزمت الفعل . وقيل : أَنْ مصدرية في موضع رفع تقديره : الأمرُ أَلاَّ تشركوا ، فـ "لا" على هذا نافية . وقيل : أَنْ في موضع نصب بدلا من قوله : ﴿ مَا حَرَّمَ ﴾. ولا يصحُّ ذلك إلاّ إن كانت "لا" زائدة ، وإن لم تكن زائدة فسد المعنى ؛ لأن الذي حرم على ذلك يكون ترك الإشراك . والأحسن عندي : أن تكون " أنْ " مصدرية في موضع نصب على البدل و "لا" نافية ، ولا يلزم ما ذكر من فساد المعنى ؛ لأن قوله : ﴿ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ ﴾ معناه : ما وصّاكم به ربكم بدليل قوله في آخر الآية : ﴿ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ ﴾ فضَمَّن التحريمَ معنى الوصية ، والوصيةُ في المعنى أعم من التحريم ؛ لأن الوصية تكون بتحريم وتحليل وبوجوب وندب ، ولا يُنكَر أن يريد بالتحريم الوصية ؛ لأن العرب قد تذكر اللفظ الخاص وتريد به العموم كما تذكر اللفظ العام وتريد به الخصوص .

إذا تقرر هذا فتقدير الكلام : قل تعالوا أتل ما وصّاكم به ربكم ثم أبدل منه على وجه التفسير له والبيان فقال : أن لا تشركوا به شيئًا . أي : وصاكم أن لا تشركوا به شيئًا، ووصاكم بالإحسان بالوالدين ، ووصاكم أن لا تقتلوا أولادكم . فجمعت الوصيةُ ترك الإشراك وفعل الإحسان بالوالدين وما بعد ذلك .

ويؤيد هذا التأويل الذي تأولنا : أن الآيات اشتملت على أوامر كالإحسان بالوالدين وقول العدل والوفاء في الوزن ، وعلى نواهي كالإشراك وقتل النفس وأكل مال اليتيم ، فلا بد أن يكون اللفظ المقدّم في أولها لفظًا يجمع الأوامر والنواهي ؛ لأنها أجملت فيه ثم فسّرت بعد ذلك ، ويصلح لذلك لفظ الوصية ؛ لأنه جامع للأمر والنهي ، فلذلك جعلنا التحريم بمعنى

الوصية .

ويدل على ذلك : ذكر لفظ الوصية بعد ذلك . وإن لم يتأول على ما ذكرناه لزم في الآية إشكال وهو عطف الأوامر على النواهي ، وعطف النواهي على الأوامر ، فإن الأوامر طلب فعلها ، والنواهي طلب تركها ، وواو العطف تقتضي الجمع بين المعطوف والمعطوف عليه ، ولا يصح ذلك إلاّ على الوجه الذي تأولناه من عموم الوصية للفعل والترك .

وتحتمل الآية عندي تأويلا آخر ، وهو : أن يكون لفظ التحريم على ظاهره ، ويعم فعل المحرمات وترك الواجبات ؛ لأن ترك الواجبات حرام »[1] .

العرض والمناقشة :

ذكر ابن جُزَيّ ثلاثة أعاريب في " أَنْ " و "لا" من قوله تعالى : ﴿ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ ، وهي :

الإعراب الأول : " أَنْ " تفسيرية لا محلّ لها من الإعراب ، و "لا" ناهية جازمة للفعل تُشْرِكُواْ .

وهذا الوجه هو اختيار الفراء، والزمخشري، والنسفي، وأبي حيان، والبيضاوي، والسيوطي، وأبي السعود، والشوكاني، والقنوجي، والسيد محمد رشيد رضا، والطاهر بن عاشور[2].

ومال إليه السمين وقال : « وهذا وجهٌ ظاهر »[3].

قال الشنقيطي : « وقال بعض العلماء : " أَنْ " هنا تفسيرية . وهو التحقيق ، وهي مفسّرة لِـــ حَرَّمَ» [4].

وكون " أَنْ " تفسيرية يدل له أن ﴿ أَتْلُ ﴾ فعل بمعنى القول ، وما بعد " أَنْ " جملة

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٢٥) .

(2) ينظر : معاني القرآن (١/ ٣٦٤) ـــ وينظر :الدر المصون للسمين (٥/ ٢١٣) ـــ ، والكشاف (٢/ ٤١١) ، ومدارك التنزيل (٢/ ٤٠) ، والبحر المحيط (٤/ ٢٤٩) ، وأنوار التنزيل (١/ ٣٢٧) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٢/ ٤٨٩) ، وإرشاد العقل السليم (٢١٩/٢) ، وفتح القدير (٢/ ٢٤٧) ، وفتح البيان (٢٧٢/٤) ، وتفسير القرآن الحكيم (٨/ ١٧٤) ، والتحرير والتنوير (٨/ ١٥٧) .

(3) الدر المصون (٥/ ٢١٣) .

(4) العذب النمير (٢/ ٨١٨) .

فاجتمع فيها شرطا التفسيرية وهما : أن يتقدمها معنى القول ، وأن يكون بعدها جملة . قاله أبوحيان[1].

وأورد الزمخشري على هذا الإعراب إشكالا وهو : أنه إذا كانت " أَنْ " تفسيرية لفعل التلاوة وهو معلّق بقوله : ﴿ مَاحَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ﴾ وجب أن يكون ما بعده منهيًّا عنه محرّمًا كله كالشرك وما بعده مما دخل عليه النهي . فما يصنع بالأوامر كالإحسان بالوالدين ..؟

ثم أجاب عنه : بأن التحريم راجع إلى أضداد هذه الأوامر وهي الإساءة إلى الوالدين وبخس الكيل والميزان وترك العدل في القول ونكث عهد الله[2].

قال الفراء : « كقولك : أمرتك أَنْ لا تذهبْ إلى زيد ، بالنصب والجزم » .

وقال السمين : « يعني : فعطف هذه الجملة الأمرية يقوّي أن ما قبلها نهيٌ ؛ ليتناسب طرفا الكلام »[3] .

وقال أبوالسعود : « الأمر بالشيء مستلزم للنهي عن ضده ، بل هو عينه عند البعض . كأن الأوامر ذكرت وقصد لوازمها ، فإن عطف الأوامر على النواهي الواقعة بعد "أَنْ" المفسّرة لتلاوة المحرمات مع القطع بأن المأمور به لا يكون محرمًا دليل واضح على أن التحريم راجع إلى الأضداد على الوجه المذكور . فكأنه قيل : أتل ما حرم ربكم أن لا تشركوا ، ولا تسيئوا إلى الوالدين خلا أنه قد أخرج مخرج الأمر بالإحسان إليهما بين النهيين المكتنفين له؛ للمبالغة في إيجاب مراعاة حقوقهما ، فإن مجرد ترك الإساءة إليهما غير كافٍ في قضاء حقوقهما ، ولذلك عقّب به النهي عن الإشراك الذي هو أعظم المحرمات وأكبر الكبائر ههنا وفي سائر المواقع »[4].

والإعراب الثاني : أَنْ مصدرية في موضع رَفْعٍ تقديره : الأمرُ أَلاّ تشركوا ، و "لا"

---

(1) البحر المحيط (٤/ ٢٥٠) .

(2) ينظر : الكشاف (٢/ ٤١١) .

(3) الدر المصون (٥/ ٢١٤) . وهو ناقل لكلام الفراء .

(4) إرشاد العقل السليم (٢/ ٢١٩) .

نافية.

قال الطبري : « وأما " أَنْ " في قوله : ﴿ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ فَرَفْعٌ ؛ لأن معنى الكلام: قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ؛ هو ألاّ تشركوا به شيئًا . وإذا كان ذلك معناه، كان في قوله : ﴿ تُشْرِكُواْ ﴾ وجهان :

= الجزم بالنهي ، وتوجيه " لا " إلى معنى النهي .

= والنصب على توجيه الكلام إلى الخبر ، ونصب ﴿ تُشْرِكُواْ ﴾ بـــ ﴿ أَلَّا ﴾، كما يقال : أمَرْتُكَ ألاّ تقوم »[1] .

واختار هذا الإعراب الثعالبي[2]. وجوّزه النحاس[3]. وصحّحه ابن عطية[4].

وذكره الشوكاني بـــ قيل[5].

والإعراب الثالث: "أَنْ" في موضع نصب بدلا من قوله : ﴿ مَا حَرَّمَ ﴾ ، و"لا" زائدة.

قال الطبري : « وإن شئت جَعَلْتَ "أنْ" في موضع نصب ردًّا على "ما" وبيانًا عنها، ويكون في قوله : ﴿ تُشْرِكُواْ ﴾ أيضًا من وَجْهَيْ الإعراب على نحو ما كان فيه منه، و"أنْ" في موضع رفع . ويكون تأويل الكلام حينئذ : قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم؛ أَتْلُ ألاّ تشركوا به شيئًا .

فإن قال قائل : وكيف يجوز أن يكون قوله : ﴿ تُشْرِكُواْ ﴾ نصبًا بـــ ﴿ أَلَّا ﴾ ؟ أم كيف يجوز توجيه قوله : ﴿ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ على معنى الخبر ، وقد عطف عليه بقوله : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُم مِّنْ إِمْلَـٰقٍ ﴾ وما بعد ذلك من جزم النهي؟

قيل : جاز ذلك كما قال تعالى ذكره : ﴿ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ﴾

---

(1) جامع البيان (٩/ ٦٥٦) .
(2) ينظر : الجواهر الحسان (١/ ٥٢١) .
(3) ينظر : إعراب القرآن (٢/ ١٠٦) .
(4) ينظر : المحرر الوجيز (٥/ ٣٩٢) .
(5) ينظر : فتح القدير (٢/ ٢٤٧) .

[الأنعام : ١٤] فجعل ﴿ أَنْ أَكُونَ ﴾ خبرًا ، و ﴿ أَنْ ﴾ اسمًا ، ثم عطف عليه : ﴿ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ .

وكما قال الشاعر :

حجَّ وأوصى بِسُلَيْمَى الأعبدا

أَلا ترى ولا تكلمْ أحدا

ولا يزلْ شرابها مبرّدا

فجعل قوله " أَلاّ ترى " خبرًا ، ثم عطف بالنهي ، فقال : ولا تُكَلّمْ ، ولا يزلْ »[1] .

واختاره ابن الجوزي[2]، وجوّزه النحاس[3]، وصححه ابن عطية[4].

ومَنَعَهُ القُمِّي ولم يجوّزه وقال : ولا يجوز أن يجعل " أنْ " ناصبة ، وإلاّ لزم عطف الطلب ــ أعني الأمر ــ على الخبر[5].

وذكره أبوالسعود بــ قيل[6].

وكون "لا" زائدة لئلا يفسد المعنى ؛ لأن الذي حرم على ذلك يكون ترك الشرك. قاله ابن جُزَيّ .

ويقول الشنقيطي : « وزيادة "لا" أسلوب عربي معروف ؛ لتوكيد الكلام وتقويته إذا كانت القرينة تدل على أنها لا يُقْصد بها نفي . وزيادة لفظ "لا" لتوكيد الكلام وتقويته أجمع عليها جميع علماء العربية في الكلام الذي فيه معنى الجحد ــ أعني الكلام المُشَمَّ برائحة النفي ــ لا خلاف في هذا بين العلماء ، وهو كثير في القرآن ، ومنه :

---

(1) جامع البيان (٩/ ٦٥٧) .

(2) ينظر : تذكرة الأريب (١/ ١٧٢) .

(3) ينظر : إعراب القرآن (٢/ ١٠٦) .

(4) ينظر : المحرر الوجيز (٥/ ٣٩٢) .

(5) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ١٨٧) .

(6) ينظر : إرشاد العقل السليم (٢/ ٢٢٠) .

ـــ قوله تعالى : ﴿ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ۝٩٢ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ﴾ [طه : ٩٢ ـــ ٩٣] .

يعني : ما منعك أن تتبعني .

ـــ وقوله : ﴿ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ ﴾ [الأعراف : ١٢] .

أي : ما منعك أن تسجد ـــ على أصح التفسيرين ـــ ، بدليل قوله في (ص) : ﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ [٧٥] .

ـــ وقوله : ﴿ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ ﴾ [الحديد : ٢٩] .

أي : ليعلم أهل الكتاب[1] .

ـــ وقوله : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [النساء : ٦٥] .

أي : فوربك لا يؤمنون .

ـــ وقوله : ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ﴾ [فصلت : ٣٤] .

أي : ولا تستوي الحسنة والسيئة .

ـــ وقوله : ﴿ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝١٠٩ ﴾ [الأنعام] .

على أحد التفسيرين .

وهو كثير في كلام العرب معروف ، ومن أمثلته :

ـــ قول أبي النجم :

وما ألوم البيض ألاّ تسخرا لما رأين الشمط

و "لا" هنا صلة دل المقام عليها ، وهي تفيد تقوية الكلام ، والنهي عن الشرك»[2].اهـــ.

---

(1) كذا ! والأولى كذا :[أي : لأن يعلم أهل الكتاب] .

(2) العذب النمير (٢/ ٨١٦ ـــ ٨١٨) وينظر : (٢/ ٥٥٥ ـــ ٥٥٧) .

وبعد ، فهذه الأعاريب التي ذكرها ابن جُزَيّ وقد جوّزها وصحَّحها كلَّها العكبريُّ في التبيان[1].

واستحسن ابن جُزَيّ أن تكون ﴿ ﴾ مصدرية في موضع نصب على البدل من قوله: ﴿ مَاحَرَّمَ ﴾ ، وأن تكون ﴿ ◆ ﴾ نافية ، وليست زائدة .

وعلَّل ذلك بأن قوله :﴿ مَاحَرَّمَ رَبُّكُمْ ﴾ معناه : ما وصّاكم به ربكم بدليل قوله في آخر الآية : ﴿ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ ﴾ فضمّن التحريم معنى الوصية .

ويكون معنى الكلام : قل تعالوا أتل ما وصاكم به ربكم : وصاكم أن لا تشركوا به شيئًا ، ووصاكم بالإحسان بالوالدين ، ووصاكم أن لا تقتلوا أولادكم . فجمعت الوصية ترك الإشراك وفعل الإحسان بالوالدين وما بعد ذلك .

وأيّد تأويله هذا بأن الآيات مشتملة على أوامرَ ونواهٍ ، فلا بد أن يكون اللفظ المقدم في أولها جامعًا لها كلِّها ؛ لأنها أُجملت فيه ثم فُسّرت بعد ذلك ، ويصلح لذلك لفظ الوصية؛ لأنه جامع للأمر والنهي ، ويدل على ذلك ذكر لفظ الوصية بعد ذلك .

وعطف الأوامر على النواهي ، وعطف النواهي على الأوامر مشكل ، ولا يحلّه إلاّ أن يجعل لفظ التحريم مُضَمَّنًا معنى الوصية ؛ لعمومها للفعل والترك .

قال الشنقيطي : « وأظهر الأوجه وأحسنها : هو ما دلّ عليه القرآن ؛ لأن خير ما يفسّر به القرآنُ القرآنُ ، أن معنى قوله : ﴿ مَاحَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ﴾أي : ما حرمه عليكم فعلا وتركًا ، وأن التحريم فعلا وتركًا هنا مضمّنٌ معنى : ﴿ وَصَّىٰكُم بِهِۦ ﴾ فكأنه يقول : أتلو ما وصاكم ربكم به تحريمًا وإباحة .

والدليل على هذا : أن الله علم أن في الآية شِبْه إجمالٍ أوضحه في آخرها فقال : ﴿ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾. فعرفنا أن ذلك التحريم هو معنى الوصية ، فيكون معنى: ﴿ حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ﴾ أي : حرم عليكم فعلا وتركًا . أي : وصاكم بأن تفعلوه أو

---

(1) (١/ ٥٤٨) .

تتركوه ، كما فسّره بقوله : ﴿ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾ .

ونظيره في كلام العرب قول الراجز :

حجَّ وأوصى بُسلَيْمَى الأعبُدا

أن لا ترى ولا تكلّمْ أحدا

ولا يَزَلْ شرابها مُبَرَّدا »[1]. اهـ.

وقال في موضع آخر : « الظاهر في قوله : ﴿ حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡ ﴾أنه مضمن معنى ما وصاكم به فعلاً أو تركًا ؛ لأن كُلاًّ من ترك الواجب ، وفعل الحرام حرام ، فالمعنى: وصاكم ألاّ تشركوا ، وأن تحسنوا بالوالدين إحسانًا . وقد بيّن تعالى أن هذا هو المراد بقوله: ﴿ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ ﴾الآية »[2].

واحتمل ابن جُزَيّ أن يكون لفظ التحريم على ظاهره ، ويَعُمَّ فعلَ المحرمات وتركَ الواجبات ؛ لأن ترك الواجبات حرام .

وبعد، فإذا تقرر هذا وكان ذلك كذلك ، فإن هذه الأعاريب كُلَّها صحيحةٌ ، وأحسنها : أن تكون " أَنْ " تفسيرية لفعل ﴿ أَتۡلُ ﴾ ؛ لأن التلاوة فيها معنى القول[3]، وأن تكون "لا" نافية ، وأنّ ﴿ حَرَّمَ ﴾ مُضَمَّنٌ معنى الوصية ، على ما استحسنه ابن جُزَيّ، ووافقه الشنقيطي ؛ لقوله تعالى في آخر الآية : ﴿ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ ﴾ ، والله تعالى أعلم .

---

(1) العذب النمير (٢/ ٨١٩) .

(2) أضواء البيان (٢/ ٢٧٧ ، ٢٧٨) .

(3) ينظر : التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٨/ ١٥٧) .

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ ﴾

٤٧- الخلاف في معنى قوله تعالى : ﴿ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ ﴾ ، ومن المراد بالذي أحسن ؟

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « فيه ثلاث تأويلات : **أحدها** : أن المعنى : **تَمَامًا** للنعمة على الذي أحسن من قوم موسى . ففاعل **أَحْسَنَ** ضمير يعود على الذي ، و ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ ﴾ يراد به جنس المحسنين . **والآخر** : أن المعنى : **تَمَامًا** أي : تفضّلا أو جزاء على ما أحسن موسى عليه السلام من طاعة ربه وتبليغ رسالته . فالفاعل ضمير موسى عليه السلام. و ﴿ ٱلَّذِىٓ ﴾ صفة لعمل موسى . **والثالث** : **تَمَامًا** أي : إكمالاً على ما أحسن الله به إلى عباده . فالعامل [كذا ولعلها : فالفاعل] على هذا ضمير الله تعالى »[1].

العرض والمناقشة :

ذكر ابن جُزَيّ في معنى قوله تعالى : ﴿ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ ﴾ ثلاث تأويلات ، ويظهر من منهجه أنه يرجّح أولها وهو أن المعنى : تماما على الذي أحسن من قوم موسى عليه السلام ، وفاعل ﴿ أَحْسَنَ ﴾ ضمير يعود على ﴿ ٱلَّذِىٓ ﴾ ، و ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ ﴾ يراد به جنس المحسنين . ووافق في هذا المرويَّ عن مجاهد[2] وقتادة[3].

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٢٦) .

(2) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩/ ٦٧٤) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٤٢٣) رقم (٨١١١) من طريق ابن أبي نجيح ، عنه قال : (على المؤمنين والمحسنين) .

(3) أخرجه عبدالرزاق في تفسيره (٢/ ٢٢١) ــ ومن طريقه الطبري في جامع البيان (٩/ ٦٧٦) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٤٢٣) رقم (٨١١٢) ــ عن معمر ، عنه قال : من أحسن في الدنيا تمم الله له ذلك في الآخرة . وذهب الطبري وابن عطية إلى جعل قول قتادة هذا ضمن القول الثاني !! ، وذهب ابن أبي زمنين إلى جعله في القول الأول هذا وهو الأصوب .

وعليه مقاتل بن سليمان، وابن قتيبة، والنحاس، والسمرقندي، وابن أبي زمنين، والشوكاني، والقنوجي، والمراغي، والسعدي، والطاهر بن عاشور[1]. ومال إليه الآلوسي[2]. واستغربه الكرماني[3].

ويؤيده قراءة عبد الله بن مسعود : ﴿ تمامًا على الذين أحسنوا ﴾[4]، وقراءة الحسن: ﴿ تمامًا على المحسنين ﴾[5].

قال النحاس : « والدليل على صحة هذا القول أن ابن مسعود قرأ : ﴿ تمامًا على الذين أحسنوا ﴾» [6] .

وقال مقاتل : « يقول : تمت الكرامة على من أحسن منهم في الدنيا والآخرة فتمم الله لبني إسرائيل ما وعدهم من قوله :﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٥ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ۝٦ ﴾» [7] [القصص] .

وقال ابن قتيبة : « كما تقول أوصي بمالٍ للذي غزا وحجَّ ، تريد الغازين الحاجّين . ويكون ﴿ ٱلَّذِىٓ ﴾ في موضع مَنْ كأنه قال : تمامًا على من أحسن . والمحسنون : هم الأنبياء ــ صلوات الله عليهم أجمعين ــ والمؤمنون. و﴿عَلَى ﴾ في هذا الموضع بمعنى "لام

---

(1) ينظر : تفسير مقاتل (١/ ٥٩٧) ، وتأويل مشكل القرآن (٣٩٨) ، ومعاني القرآن الكريم (٢/ ٥١٩) ، وبحر العلوم (١/ ٥٢٥) ، وتفسير القرآن العزيز (٢/ ١٠٧) ، وفتح القدير (٢/ ٢٥٢) ، وفتح البيان (٤/ ٢٨٠) ، وتفسير المراغي (٨/ ٧٧)، وتيسير الكريم الرحمن (٢/ ٨٧) ، والتحرير والتنوير (٨/ ١٧٦) .

(2) ينظر : روح المعاني (٨/ ٥٩) .

(3) ينظر : غرائب التفسير وعجائب التأويل (١/ ٣٩٣) .

(4) ذكرها الفراء في معاني القرآن (١/ ٣٦٥) . وينظر : القراءات الشاذة (٤١) لابن خالويه . وقال السيوطي في الدر المنثور (٣٨٦/٣) : أخرجها ابن الأنباري في المصاحف عن هارون .

(5) ينظر : الدر المنثور للسيوطي (٣/ ٣٨٦) .

(6) معاني القرآن الكريم (٢/ ٥١٩) .

(7) تفسير مقاتل (١/ ٥٩٧) .

الجر" كما يقال : أَتَمَّ الله عليه وأتمَّ له . ولأنه في مصحف عبد الله : ﴿ تمامًا على الذين أحسنوا ﴾ وفي هذا ما دل على ذلك التأويل »[1].

وقال الطبري : « فإن قال قائل : فكيف جاز أن يقال : ﴿ عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ ﴾ فيوّحد ﴿ ٱلَّذِىٓ ﴾ والتأويل : على الذين أحسنوا ؟

قيل : إن العرب تفعل ذلك خاصة في ﴿ ٱلَّذِىٓ ﴾ وفي الألف واللام ، إذا أرادت به الكلَّ والجميع ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ ﴾ [العصر] . وكما قالوا : أكثر الدرهم في أيدي الناس .

وقد ذكر عن عبد الله بن مسعود أنه كان يقرأ ذلك : ﴿ تمامًا على الذين أحسنوا ﴾. وذلك من قراءته كذلك يؤيد قولَ مجاهدٍ[2].

ثم قال بعد ذلك : وأما ما ذكر عن مجاهد من توجيهه ﴿ ٱلَّذِىٓ ﴾ إلى معنى الجميع ، فلا دليل في الكلام يدل على صحة ما قال من ذلك »[3].

وأما القول الثاني : في معنى ﴿ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ ﴾ أي : تَفَضُّلا أو جزاءً على ما أحسن موسى عليه السلام من طاعة ربه وتبليغ رسالته . وأن الفاعل ضمير موسى عليه السلام ، و﴿ ٱلَّذِىٓ ﴾ صفة لعمله عليه السلام ، فهو مَرْوِيٌّ عن الربيع بن أنس[4].

وإليه ذهب الطبري، والواحدي، وابن الجوزي، والسمين الحلبي، وابن كثير،

---

(1) تأويل مشكل القرآن (٣٩٨) .

(2) جامع البيان (٩/ ٦٧٤) .

(3) المصدر السابق (٩/ ٦٧٨) .

(4) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩/ ٦٧٦) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٤٢٣) رقم (٨١١٣) من طريق عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عنه قال : فيما أعطاه الله . قال الطبري : وكان الكلام حينئذ : ـــ على تأويل الربيع ـــ ثم آتينا موسى الكتاب تمامًا على ما أحسن موسى . أي : آتيناه الكتاب لأتمم له كرامتي في الآخرة ، تمامًا على إحسانه في الدنيا في عبادة الله والقيام بما كلّفه به من طاعته .

والسيوطي[1].

وتعجّب منه الكرماني[2] .وذكره الشوكاني، والقنوجي بصيغة (قيل)[3].

قال الطبري : « لأن ذلك أظهر معانيه في الكلام ، وأن إيتاء موسى كتابه نعمةٌ من الله عليه ، ومِنَّةٌ عظيمة ، فأخبر جل ثناؤه أنه أنعم بذلك عليه لما سلف له من صالح عمل وحسن طاعة . وقال أيضًا : بل ظاهر الكلام بالذي اخترنا من القول أشبه ، وإذا تُنُوزع في تأويل الكلام ، كان أولى معانيه به أغلبَه على الظاهر إلاّ أن يكون من العقل أو الخبر دليل واضح على أنه معنيّ به غير ذلك »[4] .

وقال ابن كثير : « فكأنه [يعني الطبري] جعل ﴿ٱلَّذِىٓ﴾ مصدرية كما قيل في قوله تعالى : ﴿وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓاْ﴾ [التوبة : ٦٩] أي : كخوضهم . وقال ابن رواحة :

فثبت الله ما آتاك من حسنٍ في المرسلين ونَصْرًا كالذي نُصِرُوا »[5] .

وأما القول الثالث : وهو أن المعنى : إكمالا على ما أحسن الله به إلى عباده ، والفاعل ضمير الله تعالى ، فهو قول ابن زيد[6]، وأبي صخر[7]. واختاره الكرماني[8].

وذكره الشوكاني ، والقنوجي بصيغة (قيل)[9].

قال ابن زيد : « تمامًا لنعمته عليهم وإحسانه » .

---

(1) ينظر. : جامع البيان (٩/ ٦٧٧) ، والوجيز (١/ ٣٨٢) والوسيط (٢/ ٣٣٩) ، وتذكرة الأريب (١/ ١٧٢) ، والدر المصون (٥/ ٢٧٧) ، وتفسير القرآن العظيم (٦/ ٢٢٤) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٢/٤٩٤).

(2) ينظر : غرائب التفسير وعجائب التأويل (١/ ٣٩٣) .

(3) ينظر : فتح القدير (٢/ ٢٥٢) ، وفتح البيان (٤/ ٢٨٠) .

(4) جامع البيان (٩/ ٦٧٧ ، ٦٧٨) .

(5) تفسير القرآن العظيم (٦/ ٢٢٤) .

(6) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩/ ٦٧٧) من طريق ابن وهب ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٤٢٣) رقم (٨١١٠) من طريق أصبغ ، كلاهما عنه .

(7) أخرجه ابن أبي حاتم (٥/ ١٤٢٣) (٨١٠٩) من طريق ابن أبي مريم ، عن المفضل بن فضالة ، عنه .

(8) ينظر : غرائب التفسير وعجائب التاويل (١/ ٣٩٣) .

(9) ينظر : فتح القدير (٢/ ٢٥٢) ، وفتح البيان (٤/ ٢٨٠) .

وقال أبو صخر : « الله الذي أحسن ، آتى محمدًا الكتاب من عنده ، تمامًا لما قد كان من إحسانه إليه ، يقول : ﴿ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا ﴾ : على أن الذي أتم له ذلك له، فالله الذي أحسن » .

وردّه الطبري بقوله : « ولو كان التأويل على ما قاله ابن زيد ، كان الكلام : ثم آتينا موسى الكتاب تمامًا على الذي أحسنًا . أو : ثم آتى الله موسى الكتاب تمامًا على الذي أحسن . وفي وصْفِه جل ثناؤه نفسَه بإتيائه الكتاب ، ثم صَرْفِه الخبرَ بقوله : ﴿ أَحْسَنَ ﴾ إلى غير المُخْبِر عن نفسه ، بقرب ما بين الخبرين ـــ الدليلُ الواضح على أن القول غير الذي قاله ابن زيد »[1].

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن ما قاله ابن زيد ومن وافقه بعيد ؛ لما ذكره الطبري ، وأن أَولى الأقوال بالصواب هو ما قدّمه ابن جُزَيّ، وتأيّد بقراءة ابن مسعود ، والحسن البصري ، واستعمال العرب لـــ "الذي" تريد به الكل والجميع . وأما القول الثاني : فهو قريب من الصواب ؛ لقربه من ظاهر الكلام ، ونظيره قوله تعالى : ﴿ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓاْ ﴾ [التوبة : ٦٩] والله أعلم .

(1) جامع البيان (٩/ ٦٧٨) .

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ إِنَّمَآ أَمۡرُهُمۡ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ١٥٩ ﴾

٤٨- الخلاف في المراد بالذين فرقوا دينهم وكانوا شيعًا ؟

قال ابن جُزَيّ رحمه الله : « هم اليهود والنصارى . وقيل : أهل الأهواء والبدع . وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال : (افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة ، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة ، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة) . قيل : يا رسول الله ، ومن تلك الواحدة ؟ قال : (من كان على ما أنا وأصحابي عليه)[1] »[2].

العرض والمناقشة :

رجّح ابن جُزَيّ أن المراد بالذين فرقوا دينهم وكانوا شيعًا هم اليهود والنصارى ، ووافق المرويّ عن ابن عباس[3]، ومجاهد[4]، وقتادة[5]،

---

(1) رُوِيَ معناه عن جماعة كثيرة من الصحابة ، وعدَّه السيوطي من المتواتر كما في "النظم المتناثر" (٣٣-٣٤) ، وهو حديث ثابت صحيح . وينظر : "درء الارتياب عن حديث ما أنا عليه والأصحاب" ، و"نصح الأمة في فهم أحاديث افتراق هذه الأمة" كلاهما لسليم الهلالي ، و تخريج الأحاديث والآثار في كتاب التسهيل لعلوم التنزيل لسامي الجهني (١/٣٤٥-٣٤٨) فإنه صححه وأخرجه من حديث أبي هريرة ومعاوية وأبي أمامة وعبدالله بن عمرو وأنس بن مالك .

(2) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٢٧) .

(3) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٠ / ٣٢) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٤٣٠) رقم (٨١٥٣) من طريق عطية العوفي ، عنه . قال : «اختلفت اليهود والنصارى قبل أن يبعث محمد ﷺ فتفرقوا ، فلما بعث محمد أنزل عليه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍ ﴾». وأخرج النحاس في الناسخ والمنسوخ (٢/ ٣٥٦) من طريق جويبر ، عن الضحاك ، عنه قال : اليهود والنصارى تركوا الإسلام والدين الذي أمروا به .

(4) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠/ ٣١) من طريق ابن أبي نجيح ، عنه قال : يهود .

(5) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢٢٢) ــ ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٤٣٠) (٨١٥٤) ــ عن معمر، عنه . والطبري في جامع البيان (١٠/ ٣١) من طريق معمر به . وأخرجه الطبري في جامع البيان

والسدي[1]، والكلبي[2]، والضحاك[3].

وعليه مقاتل بن سليمان، والفراء، والزجاج، وابن أبي زمنين، والواحدي، والزمخشري، وابن الجوزي، والقرطبي، والبيضاوي، والنسفي، والسيوطي، وأبوالسعود، والآلوسي، والسيد محمد رشيد رضا، والمراغي[4].

قال الواحدي معلِّلا هذا القول : « وذلك أنهم اختلفوا فصاروا فِرَقًا يكفر بعضهم بعضًا ، وآمنوا ببعض ما في أيديهم وكفروا ببعض ، وذلك قوله : ﴿ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ﴾ أي : فرقًا وأحزابًا في الضلالة »[5].

وقال القرطبي : « لأنهم قد وصفوا بالتفرق ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ ﴾ [البينة] . وقال : ﴿ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ﴾»[6] [النساء : ١٥٠] .

وأما القول بأنهم هم أهل الأهواء والبدع ، فقال به أبوهريرة[7].

(٣٢/١٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٤٣٠) (٨١٥٥) من طريق شيبان ، عنه . وأخرجه الطبري في جامع البيان (١٠/ ٣١) من طريق سعيد ، عنه .

(1) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠/ ٣٢) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٤٣٠ ، ١٤٣١) (٨١٥٦ ، ٨١٦٣) من طريق أحمد بن المفضل ، عن أسباط ، عنه . زاد السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٤٠٣) نسبته إلى أبي الشيخ .

(2) نسبه له الواحدي في الوسيط (٢/ ٣٤١) .

(3) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠/ ٣٢) من طريق عبيد بن سليمان ، عنه .

(4) ينظر : : تفسير مقاتل (١/ ٥٩٩) ، ومعاني القرآن (١/ ٣٦٦) ، ومعاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٠٨) ، وتفسير القرآن العزيز (٢/ ١٠٨) ، والوجيز (١/ ٣٨٤) ، والكشاف (٢/ ٤١٦) ، وتذكرة الأريب (١/ ١٧٣) ، والجامع لأحكام القرآن (١٣٤/٩) ، وأنوار التنزيل (٣٣٠/١) ، ومدارك التنزيل (٢/ ٤٢) ، وإرشاد العقل السليم (٢٢٨/٢) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٢/ ٥٠٢) ، وروح المعاني (٨/ ٦٨) ، وتفسير القرآن الحكيم (٢٠٥/٨) ، وتفسير المراغي (٨/ ٨٤).

(5) الوسيط (٢/ ٣٤١) .

(6) الجامع لأحكام القرآن (١٣٤/٩) .

(7) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠/ ٣٣) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٤٢٩) (٨١٥١) من طريق ابن مهدي، عن سفيان، عن ليث، عن طاوس، عنه . وذكره البخاري في خلق أفعال العباد (٦٧) عن طاوس به .

ونُسِبَ إلى أبي الأحوص ، وأم سلمة زوج النبي ﷺ[1].

وعليه النحاس[2].

وذكره الآلوسي بـــ قيل[3].

واستُدِلَّ له بما رُوِيَ عن أبي غالب أنه سئل عن هذه الآية : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا ﴾ فقال : حدثني أبو أمامة ، عن رسول الله ﷺ أنهم الخوارج[4] .

وبما رُوِيَ عن عمر بن الخطاب : أن رسول الله ﷺ قال لعائشة : (يا عائشة ، ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا ﴾ هم أصحاب البدع ، وأصحاب الأهواء ، وأصحاب الضلالة من هذه الأمة ليست لهم توبة . يا عائشة ، إن لكل صاحب ذنب توبة غير أصحاب البدع وأصحاب الأهواء ليس لهم توبة ، أنا منهم بريء وهم مني براء)[5].

ودلّل له النحاس بظاهر الآية الكريمة وقال : « لأنهم إذا ابتدعوا تجادلوا وتخاصموا ، وتفرّقوا فليس النبي ﷺ ولا الفرقة الناجية ، وهي الجماعة الظاهرة ، منهم في شيء ؛ لأنهم

وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٤٠٢) نسبته إلى الفريابي ، وعبد بن حميد ، وابن أبي شيبة ، وابن المنذر ، وأبي الشيخ ، وابن مردويه . وأخرجه الطبري في جامع البيان(١٠/ ٣٣) من طريق عبّاد بن كثير ، عن ليث به مرفوعًا إلى النبي ﷺ . قال ابن كثير في تفسيره (٦/ ٢٣٩) : هذا الإسناد لا يصح ؛ فإن عباد بن كثير متروك ، و لم يختلق هذا الحديث لكنه وهم في رفعه ...

(1) نسبه إليهما الثعالبي في الجواهر الحسان (١/ ٥٢٤).

(2) ينظر : الناسخ والمنسوخ (٢/ ٣٥٧) ، وإعراب القرآن (٢/ ١١٠) .

(3) ينظر : روح المعاني (٨/ ٦٨) .

(4) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٤٢٩) (٨١٥٠) ، والنحاس في الناسخ والمنسوخ (٢/ ٣٥٧) . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٤٠٢) نسبته إلى ابن مردويه . وفيه أبو غالب ـــ صاحب أبي أمامة ـــ صدوق يخطيء . وأخرجه عبد بن حميد ، وأبو الشيخ ، وابن مردويه ـــ كما في الدر المنثور (٣/ ٤٠٢) ـــ عن أبي أمامة موقوفًا عليه قال : هم الحرورية . قال ابن كثير : وروي عنه مرفوعًا ولا يصح .

(5) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٤٣٠) (٨١٥٧) ، والطبراني في الصغير (٢٠٣/١) ، وأبو نعيم في الحلية (١٣٧/٤، ١٣٨) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٧٢٣٩/٥ ، ٧٢٤٠) من طريق شعبة ، عن مجالد ، عن الشعبي، عن شريح ، عن عمر . قال أبونعيم : حديث غريب من حديث شعبة تفرد به بقية . وقال ابن كثير : غريب لا يصح رفعه . [ينظر : تفسير ابن كثير ٢٣٩/٦] . وفيه مجالدُ بن سعيد : ضعيفٌ. قال ابن حجر في التقريب (٥٢٠) : ليس بالقوي وقد تغير في آخر عمره .

منكرون عليهم ما هم فيه ، مخالفون لهم »[1].

وذهب الشنقيطي إلى أن الآية في أهل الأهواء والبدع ، ويدخل فيهم اليهود والنصارى[2].

وذهب ابن جرير الطبري، وابن كثير، والشوكاني، والقنوجي، والسعدي إلى أن الآية عامة في كل من فارق دينه الذي بُعِثَ به ﷺ من مشرك ، ووثني ، ويهودي ، ونصراني ، ومتحنّفٍ مبتدع في الإسلام [3].

وصوّب الجمع بين القولين السيد محمد رشيد رضا، وتبعه المراغي[4]، ثم عادا وذكرا أن المقصود هم أهل الكتاب[5].

ويدل للقول بالعموم : أن اللفظ يفيد العموم، كما قاله الشوكاني[6].

وقال ابن كثير : « والظاهر أن الآية عامة في كل من فارق دين الله وكان مخالفًا له ، فإن الله بعث رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، وشرعه واحد لا اختلاف فيه ولا افتراق ... كقوله تعالى :﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ ﴾. [الشورى : ١٣] . وفي الحديث: (نحن معاشر الأنبياء أولاد عَلات ، ديننا واحد) »[7].

ومما يدل على القول بالعموم أيضًا : حديث الافتراق الذي أورده ابن جُزَيّ بعد ذكره

---

(1) الناسخ والمنسوخ (٢/ ٣٥٧) .

(2) ينظر : العذب النمير (٢/ ٩٢٧) .

(3) ينظر : جامع البيان (١٠/ ٣٣ ، ٣٤) ، وتفسير القرآن العظيم (٦/ ٢٤٠) ، وفتح القدير (٢/ ٥٦) ، وفتح البيان (٤/ ٢٨٨) ، وتيسير الكريم الرحمن (٢/ ٩١) .

(4) ينظر : تفسير القرآن الحكيم (٨/ ٢٠٣)، وتفسير المراغي (٨/ ٢٠٣) .

(5) سبق العزو إليهما في القول الأول .

(6) فتح القدير (٢/ ٥٦) .

(7) تفسير القرآن العظيم (٦/ ٢٤٠) . والحديث أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء (٣٤٤٢ و ٣٤٤٣) ، ومسلم في كتاب الفضائل (٢٣٦٥) من حديث أبي هريرة . و " أولاد علات " معناه : الإخوة من أمهات شتّى والأب واحد ، والمقصود : أن دين الأنبياء واحد وهو عبادة الله وحده لا شريك له وإن تنوّعت شرائعهم. وينظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٨٦/٧) .

للقولين ، فإنه يدل على حدوث الافتراق في اليهود والنصارى وفي هذه الأمة .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن أَوْلى الأقوال بالصواب هو القول بالعموم والجمع بين القولين، وإن كان اليهود والنصارى هم المقصودين ؛ لتقدمهم على هذه الأمة فإنه يدخل في الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعًا أهلُ الأهواء والبدع ، أما قصر الآية على أهل الأهواء والبدع فقط فلا يصح ؛ لضعف الأحاديث الواردة في ذلك ، والله تعالى أعلم .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٥﴾ ﴾

٤٩- لمن الخطاب في قوله تعالى :﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ ﴾ ؟

قال ابن جُزَيّ رحمه الله : « ﴿ خَلَٰٓئِفَ ﴾: جمع خليفة ، أي : يخلف بعضكم بعضًا في السكنى في الأرض . أو خلائف عن الله في أرضه . والخطاب على هذا لجميع الناس. وقيل : لأمة محمد ﷺ ؛ لأنهم خَلَفُوا الأمم المتقدمة »[1].

العرض والمناقشة :

فرّع ابن جُزَيّ الخلاف في المقصود بالخطاب في قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ ﴾ عن تفسير ﴿ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ ﴾ بأنهم خلائف عن الله تعالى في أرضه ، ورجّح أن الخطاب لجميع الناس . ووافق المفهوم من ظاهر قول ابن زيد فإنه قال : «يستخلف في الأرض قومًا بعد قوم وقومًا بعد قوم »[2]. ونسب إلى الحسن[3].

وعليه ابن كثير، والآلوسي[4].

ونظّر له ابن كثير بقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الزخرف] ، وبقوله تعالى : ﴿ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ﴾[النمل : ٦٢] ، وبقوله تعالى : ﴿ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾[البقرة : ٣٠] ، وبقوله تعالى : ﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ ﴾[الأعراف] .

ووجه الدلالة منها ظاهر في عدم اختصاص الاستخلاف بهذه الأمة .

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٢٨) .

(2) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٤٣٥) .

(3) نسبه إليه الآلوسي في روح المعاني (٨/ ٧١) .

(4) ينظر : تفسير القرآن العظيم (٦/ ٢٥٣) ، وروح المعاني (٨/ ٧١).

وأما القول الثاني بأن الخطاب في الآية لأمة محمد ﷺ فهو قول السدّي[1].

وإليه ذهب مقاتل، والفراء، والطبري، والنحاس، والسمرقندي، والواحدي، والبغوي، والزمخشري، وابن عطية، والقرطبي، والخازن، وأبوحيان، والسيوطي، والسيد محمد رشيد رضا، والمراغي[2].

قال ابن عطية : « وهذا يتصور في جميع الأمم وسائر أصناف الناس ؛ لأن من أتى خليفة لمن مضى ، ولكنه يحسن في أمة محمد ﷺ أن يسمى أهلها بجملتهم خلائف للأمم ، وليس لهم من يخلفهم ؛ لأنهم آخر الأمم وعليهم قيام الساعة » .

وعلّله ابن جُزَيّ بقوله : « لأنهم خلفوا الأمم المتقدمة »[3].

وقوّاه النحاس بالحديث[4]، وهو قوله ﷺ : (أنتم توفون سبعين أمة ، أنتم خيرها وأكرمها على الله تبارك وتعالى)[5].

ووجهه : أن هذه الأمة هي آخر الأمم ، فقد خَلَفَت من كان قبلها من الأمم .

ويؤيد هذا القول أن الله تعالى قال بعد ذكر إهلاك القرون الخالية : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾[6] [يونس] .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن أَوْلَى القولين بالصواب في ذلك هو القول بأن الخطاب لأمة

---

(1) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠/ ٥٠) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٤٣٥) رقم (٨١٨٩) كلاهما من طريق أحمد بن المفضل ، عن أسباط ، عنه . ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٤١١) أيضًا إلى أبي الشيخ.

(2) تفسير مقاتل (١/ ٦٠٠) ، ومعاني القرآن (١/ ٣٦٧) ، وجامع البيان (١٠ / ٥٠) ، ومعاني القرآن الكريم (٢/ ٥٢٦) ، وبحر العلوم (١/ ٥٢٩) ، والوجيز (١/ ٣٨٥) والوسيط (٢/ ٣٤٦) ، ومعالم التنزيل (٨٧/٢) ، والكشاف (٢/ ٤٢٠) ، والمحرر الوجيز (٥/ ٤٢٠) ، والجامع لأحكام القرآن (١٤٧/٩) ، ولباب التأويل (٢/ ٧١) ، والبحر المحيط (٤/ ٢٦٣) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٥٠٦/٢) ، وتفسير القرآن الحكيم (٨/ ٢٣٧) ، وتفسير المراغي (٨/ ٩٣) .

(3) وينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٣١٢) ، وبحر العلوم للسمرقندي (١/ ٥٢٩) ، والكشاف للزمخشري (٢/ ٤٢٠).

(4) ينظر : معاني القرآن الكريم (٢/ ٥٢٦) . واستدل به أيضًا ابن عطية ، وأبو حيان .

(5) رواه أحمد في المسند (٤/ ٤٤٧) ، والترمذي في سننه (٥/ ٢٢٦) وحسّنه .

(6) ينظر : تفسير القرآن الحكيم للسيد محمد رشيد رضا (٨/ ٢٣٧) .

محمد ﷺ ؛ لأن أحسن ما يفسّر به القرآن القرآن ، ونظير هذه الآية آيةُ يونس : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ ﴾ ، وهو قول جمهور المفسّرين ، وما ذهب إليه ابن جُزَيّ يُعَدُّ مرجوحًا ، والله تعالى أعلم .

تَرجيحاتُ ابن جُزَيّ

في تفسير سورة الأعراف

قَالَ تَعَالَى:

﴿ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ﴾

١- الخلاف في المراد بالحرج في قوله ﴿ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ ﴾.

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « أي : ضِيقٌ من تبليغه مع تكذيب قومك . وقيل : الحرج هنا : الشك ، فتأويله كقوله :﴿ فَلَا تَكُنْ مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾»[1] [آل عمران: ٦٠].

العرض والمناقشة :

رجّح ابن جُزَيّ أن الحرج في قوله تعالى : ﴿ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ ﴾ معناه : الضِّيقُ، أي : فلا يكن في صدرك ضِيقٌ من تبليغه مع تكذيب قومك به . ووافق في هذا ما نُسِبَ إلى الحَسن[2]، والضحاك[3]، وأبي العالية[4].

وإلى هذا ذهب الفراء، وأبوعبيدة، والطبري، والزجاج، والواحدي، ومحمود النيسابوري، وابن الجوزي ، والرازي ، والقرطبي ، والخازن، وابن القيم ، والبقاعي، والسيوطي، والقاسمي ، والسيد محمد رشيد رضا، والمراغي ، والطاهر بن عاشور، والشنقيطي[5]. وهو مفهوم كلام ابن عطية، وأبي حيان[6]. وجوّزه النحاس، والآلوسي[7] .

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٢٨).

(2) ينظر : النكت والعيون للماوردي (٢/ ١٩٩).

(3) نسبه السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٤١٣) لأبي الشيخ.

(4) ينظر : معالم التنزيل للبغوي (٢/ ٨٩) .

(5) ينظر : معاني القرآن (١/ ٣٧٠) ، ومجاز القرآن (١/ ٢١٠) ، وجامع البيان (١٠/ ٥٤) ، ومعاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣١٥) ، والوجيز (١/ ٣٨٦) والوسيط (٢/ ٣٤٨) ــ وعزاه فيه لابن عباس بمعنى (ضيق) !! ولعله يقصد ما ورد عنه في تفسير قوله تعالى :﴿ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾ الأنعام: ١٢٥. وينظر : جامع البيان للطبري (٩/ ٥٤٤)ــ ، وإيجاز البيان (١/ ٢٦٣) ، وتذكرة الأريب (١/ ١٧٤) ، ومفاتيح الغيب (١٩٦/٥) ، والجامع لأحكام القرآن (٩/ ١٥٠) ، ولباب التأويل (٢/ ٧١) ، وبدائع التفسير (٢/ ١٩١) ، ونظم الدرر (٣٤٨/٧) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٣/ ٤) ، ومحاسن التأويل (٧/ ٢٦٠٩) ، وتفسير القرآن الحكيم (٨/ ٢٨٨ ، ٢٨٩) ، وتفسير المراغي (٨/ ٩٨) ، والتحرير والتنوير (٨/ ١٣ ، ١٤) ، وأضواء البيان (٢/ ٢٨٥ ، ٢٨٦).

(6) ينظر : المحرر الوجيز (٥/ ٤٢٣) ، والبحر المحيط (٤/ ٢٦٦) .

(7) ينظر : معاني القرآن الكريم (٣/ ٨) ، وروح المعاني (٨/ ٧٥).

وذكره السمرقندي ، والسمعاني بصيغة (قيل) [1] .

ويدل لهذا القول اللغة ؛ فإن أصل الحرج في اللغة هو الضيق .

قال الطبري : « والحرج هو الضيق في كلام العرب »[٢] .

وقال أيضًا : « والحرج أشدّ الضيق ... وأصله من الحَرَجِ ، والحَرَجُ جمعُ حَرَجَةٍ ، وهي الشجرة الملتف بها الأشجار ، لا يدخل بينها وبينها شيء لشدّة التفافها بها »[٣].

وقال الطاهر : « والحرج حقيقته المكان الضيق من الغابات الكثيرة الأشجار ، بحيث يعسر السلوك فيه »[4].

وقال الراغب : « أصل الحَرَج والحِراج مجتمعُ الشيئين ، وتُصُوِّرَ منه ضِيقُ ما بينهما ، فقيل للضيق: حرج ، وللإثم حرج »[5].

وتقول : حَرَجْتُ منه ، أي : ضِقْتُ بسببه[٦]. ويقال : حرج منه ، أي : ضاق به صدرُه[7]. وحرج إليه : لجأ عن ضيق . وأحرجه إليه : ألجأه وضيّق عليه[٨] .وحرج صدره حرجًا ، من باب (تعب) : ضاق ... وصدر حرج : ضَيِّقٌ [٩] . والتحريج : التضييق ، وحرج صدره يحرج حرجًا : ضاق فلم ينشرح لخير[١٠] . ورجل حَرَجٌ وحَرِجٌ : ضيق الصدر [11] .

---

(1) ينظر : بحر العلوم (١/ ٥٣٠) ذكره بصيغة (يقال) ، وتفسير القرآن (٢/ ١٦٣).

(2) جامع البيان (١٠ / ٥٤).

(3) المصدر السابق (٩/ ٥٤٤).

(4) التحرير والتنوير (٨/ ١٣ ، ١٤).

(5) مفردات ألفاظ القرآن (حرج) (٢٢٦ ــ ٢٢٧) . وينظر : تاج العروس (٥/ ٤٧٤ ــ ٤٨١).

(6) ينظر : الدر المصون للسمين الحلبي (٥/ ٢٤١).

(7) ينظر : إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٢/ ٢٣٢) .

(8) المحكم والمحيط الأعظم (٣/ ٧٠) .

(9) المصباح المنير (١/ ١٢٧) ، (٢/ ٣٦٧) .

(10) لسان العرب (حرج) (٢/ ٢٣٣ ــ ٢٣٥) .

(11) المصدر السابق ، وينظر أيضًا : مختار الصحاح (١/ ٥٤) ، والمعجم الوسيط (١/ ١٦٤) ، وأساس البلاغة (١١٩/١) ، وتاج العروس (٥/ ٤٧٣) وما بعدها ، وتهذيب اللغة (٤/ ٨٤ ــ ٨٦) ، وجمهرة اللغة (٤٣٦/١)، ومقاييس اللغة (٢/ ٥٠ ــ ٥١) .

قال الطبري : « وإنما اخترنا العبارة عنه بمعنى الضيق ؛ لأن ذلك هو الغالب عليه من معناه في كلام العرب »[1].

ويشهد لهذا القول قوله تعالى في سورة هود: ﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ ۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾ ﴾[2].

يقول الشنقيطي : « وجمهور العلماء على أن المراد بالحرج في الآية الضيق .أي : لا يكن في صدرك ضيق عن تبليغ ما أمرت به لشدة تكذيبهم لك ؛ لأن تحمل عداوة الكفار ، والتعرض لبطشهم مما يضيق به الصدر ، وكذلك تكذيبهم له صلى الله عليه وسلم مع وضوح صدقه بالمعجزات الباهرات مما يضيق به الصدر . وقد قال صلى الله عليه وسلم : (إذًا يثلغوا رأسي فيدعوه خبزة) . أخرجه مسلم[3] . والثلغ : الشدخ ، وقيل : ضرب الرطب باليابس حتى ينشدخ ، وهذا البطش مما يضيق به الصدر . ويدل لهذا الوجه الأخير في الآية قوله تعالى : ﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ ﴾ ، وقوله : ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [الحجر] وقوله : ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ ﴾[الكهف] ، وقوله : ﴿ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ ﴾ [الشعراء] .

ويؤيد الوجه الأخير في الآية : أن الحرج في لغة العرب : الضيق . وذلك معروف في كلامهم ، ومنه قوله تعالى : ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ ﴾ [النور : ٦١، الفتح : ١٧] . وقوله :

---

(1) جامع البيان (١٠/ ٥٥) . وينظر : مفردات الراغب (حرج) (٢٢٦ــ ٢٢٧) ، وأضواء البيان (٢/ ٢٨٥ ــ ٢٨٦) ، والعذب النمير (٣/ ٩٦١ ــ ٩٦٤) للشنقيطي.

(2) ينظر : حاشية الشهاب (٤/ ١٤٦) ، ومحاسن التأويل (٧/ ٢٦٠٩) ، وتفسير القرآن الحكيم (٨/ ٢٨٨ ــ ٢٨٩).

(3) صحيح مسلم (٤/ ٢١٩٧) برقم (٢٨٦٥) من حديث عياض بن حمار المُجاشعي رضي الله عنه . وأخرجه أحمد في مسنده برقم (١٧٤٨٤ طبعة التركي) ، والنسائي في الكبرى (٥/ ٢٦ ــ ٢٧) رقم (٨٠٧٠) . وينظر : شرح النووي على مسلم (١٧/ ١٩٨) ، ومعاني القرآن الكريم للنحاس (٣/ ٨) ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٥٠/٩) ، ومعاني القرآن للزجاج (٣١٥/٢) ، وتفسير القرآن للسمعاني (٢/ ١٦٤) .

﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [الحج : ٧٨] وقوله : ﴿ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾ [الأنعام:١٢٥] أي : شديد الضيق ، إلى غير ذلك من الآيات .

ومنه قول عمر بن أبي ربيعة ، أو جميل[1] :

فخرجتُ خوف يمينها فتبسَّمَتْ فعلمتُ أن يمينها لم تَحْرَجِ

وقول العَرْجِي[2] :

عوجي علينا ربة الهودجِ إنك إلاّ تفعلي تُحْرِجي

والمراد بالإحراج في البيتين : الإدخال في الحرج ، بمعنى الضيق كما ذكرنا »[3] .

وقال ذوالرُّمَّة[4] :

تزداد للعين إبهاجًا إذا سفرت وتحرج العين فيها حين تنتقب

أي : تحار وتضيق عن أن تنظر إليها .

وأحاديث التحريج تدل على أن الحرج معناه الضيق ، ومنها :

ــ قوله صلى الله عليه وسلم : (أُحرِّج عليكم حق الضعيفين : اليتيم والمرأة)[5] .

أي : أضيقه وأحرمه على من ظلمهما [6] .

ــ وقوله صلى الله عليه وسلم : (فحرّجوا عليها)[7]. أي : قولوا : أنت في حرج ، أي : في ضيق إن عدت إلينا فلا تلومينا أن نضيق عليك بالتتبع والطرد والقتل[8] .

---

(1) البيت في ديوان عمر بن أبي ربيعة (٨٣) . وينظر : عيون الأخبار لابن قتيبة (٩٣/٤) وهو غير منسوب فيه.

(2) البيت في عيون الأخبار لابن قتيبة (٩٠/٤) . والعرجي هو عبدالله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان ، كان يترل بموضع قبل الطائف يقال له العرج ، فنسب إليه . قاله ابن قتيبة في الشعر والشعراء (٣٨٦) .

(3) أضواء البيان (٢٨٦/٢) .

(4) ديوان ذي الرمة (٢/١) . وينظر : المحكم والمحيط الأعظم (٣/ ٧١) ، وغريب الحديث للحربي (١/ ٢٤١) .

(5) أخرجه الحاكم في المستدرك (١٣١/١) ، والبيهقي في السنن الكبرى (١٣٤/١٠) ، والسنن الصغرى (٤٧/٩ نسخة الأعظمي) من حديث أبي هريرة . قال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه .

(6) ينظر : مشارق الأنوار للقاضي عياض (١/ ١٨٦) ، وما بعدها ، والنهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٣٦١/١) .

(7) أخرجه مسلم في صحيحه (١٧٥٦/٤) باب قتل الحيات وغيرها ، برقم (٢٢٣٦) من حديث أبي سعيد الخدري.

(8) ينظر : النهاية لابن الأثير (١/ ٣٦١) ، ومشارق الأنوار للقاضي عياض (١/ ١٨٦) وما بعدها .

وأما القول الثاني ، وهو تفسير الحرج بالشك ، فروي عن ابن عباس[1]، ومجاهد[2]، وقتادة[3] ، والسدي[4]، وسعيد بن جبير[5]، وعكرمة[6].

وعليه مقاتل بن سليمان، وابن قتيبة، والسمرقندي، وابن أبي زمنين، ومكي، والسمعاني، والزمخشري، وابن الأنباري، والبيضاوي، والقمي النيسابوري، وابن كثير، وأبوالسعود، والآلوسي[7] .

وجوّزه النحاس[8] .

وذكره الفراء ، والزجاج ، ومحمود النيسابوري بصيغة (قيل)[9] .

ويشهد لهذا القول نظائر قرآنية :

كقوله تعالى : ﴿ فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾ [يونس] .

---

(1) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٤٣٨) رقم (٨٢٠٧) من طريق عبد الله بن عبيد بن عمير ، عنه قال : الشك وقال لأعرابي : ما الحرج فيكم ؟ قال : الشك . ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٤١٣) أيضًا لعبد بن حميد . وأخرجه الطبري في جامع البيان (١٠/ ٥٤) من طريق عطية العوفي ، عنه .

(2) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠/ ٥٤ ، ٥٥) وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٤٣٨) رقم (٨٢٠٨) من طريق ابن أبي نجيح ، عنه .

(3) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢٢٥) ، عن معمر ، عنه . وأخرجه الطبري في جامع البيان (١٠/ ٥٥) من طريق معمر به ، ومن طريق سعيد ، عن قتادة .

(4) ، أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠/ ٥٥) من طريق أسباط ، عنه . وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره (١٤٣٨/٥) عقب الأثر (٨٢٠٨) .

(5) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٤٣٨) عقب الأثر (٨٢٠٨) .

(6) المراجع السابقة .

(7) ينظر : تفسير مقاتل (٢/ ٢٩) ، وتأويل مشكل القرآن (٤٨٤) ــ وينظر: زاد المسير (٣/ ١٦٥) ــ ، وبحر العلوم (١/ ٥٣٠) ، وتفسير القرآن العزيز (٢/ ١١١) ، وتفسير المشكل (١٧٠) ، وتفسير القرآن (١٦٣/٢) ، والكشاف (٢/ ٤٢١) ، ومفاتيح الغيب للرازي (٥/ ١٩٦) ، وأنوار التنزيل (١/ ٣٣٢) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ١٩٨) ، وتفسير القرآن العظيم (٦/ ٢٥٧) ، وإرشاد العقل السليم (٢٣١/٢) ، وروح المعاني (٨/ ٧٥) .

(8) ينظر : معاني القرآن الكريم (٣/ ٨) .

(9) ينظر : معاني القرآن (١/ ٣٧٠) ، ومعاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣١٥) ، وإيجاز البيان (١/ ٢٦٣) .

وقوله تعالى : ﴿ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ ﴾ [البقرة] .

وقوله تعالى : ﴿ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [آل عمران] .

والممتري : هو الشاك ؛ لأنه مفتعل من المِرْية وهي الشك[1] .

قال ابن قتيبة : « الحرج : أصله الضيق . ومن الضيق : الشك ، كقوله تعالى : ﴿ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ ﴾ ، أي : شك ؛ لأن الشاكّ في الشيء يضيق صدرًا به »[٢] .

وقال الزمخشري : «وسمي الشك حرجًا ؛ لأن الشاك ضيق الصدر حرجه ، كما أن المتيقن منشرح الصدر منفسحه، أي : لا تشك في أنه مترل من الله، ولا تحرج من تبليغه»[3].

قال الزبيدي : «ثم استعمل [الحرج] في الشك ؛ لأن النفس تقلق منه ولا تطمئن»[4].

وقال الراجز :

آليت لولا حرج يعروني ما جئت أغزوك ولا تغزوني[٥] .

وعلى هذا القول فالخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد نهي غيره عن الشك في القرآن. قاله الزجاج وغيره[٦] . واستبعده القرطبي [7].

واختار الشوكاني ، والقنوجي، والسعدي[٨]، الجمع بين القولين :

فيكون تفسير الحرج بالشك ، أي : من جهة إنزاله وأنه حق من عند اللّه ، ويكون تفسير الحرج بالضيق ، أي : من جهة إبلاغه والإنذار به .

قال الزجاج : « وكلا التفسيرين له وجه »[1] .

---

(1) أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٢٨٥) .

(2) تأويل مشكل القرآن (٤٨٤) .

(3) الكشاف (٢/ ٤٢١) .

(4) تاج العروس (٥/ ٤٧٤) .

(5) ينظر : النكت والعيون للماوردي (٢/ ١٩٩) ، وتفسير القرآن للسمعاني (٢/ ١٦٣) .

(6) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣١٥) .

(7) ينظر : الجامع لأحكام القرآن (٩/ ١٥٠) .

(8) ينظر : فتح القدير (٢/ ٢٦٤) ، وفتح البيان (٤/ ٢٩٩) ، وتيسير الكريم الرحمن (٢/ ٩٥) .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن كلا القولين صحيح ، والأَوْلى الجمع بينهما والقول بأن الحرج هنا يعم الشكّ والضيق. أي : فلا يكن في صدرك شك في أنه حق متزل من عند الله، ولا يكن في صدرك ضيق من إبلاغه والإنذار به . والجمع بين القولين على هذا الوجه الذي اختاره الشوكاني ، هو أَولى من الاقتصار على قول واطِّراح الآخر مع شهود القرآن لكليهما، والله تعالى أعلم .

(1) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣١٥) .

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا إِلَّا أَن قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٥﴾ ﴾

٢- الخلاف في المراد بـــ دَعْوَىٰهُمْ.

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « أَيْ : ما كان دعاؤهم واستغاثتهم إلا للاعتراف بأنهم ظالمون . وقيل : المعنى : أن دعواهم هنا ما كانوا يدَّعُونه من دينهم فاعترفوا لما جاءهم العذاب أنهم كانوا ظالمين في ذلك »[1] .

العرض والمناقشة :

رجّح ابن جُزَيّ في المراد بدعواهم في الآية الكريمة أنها بمعنى الدعاء والاستغاثة للاعتراف بأنهم كانوا ظالمين . ووافق ما نُسِبَ لابن عباس[2] . وقال به اللغويون[3].

وعليه مقاتل بن سليمان، والطبري، والنحاس، والسمرقندي، وابن الأنباري، وابن أبي زمنين، والواحدي، والسمعاني، والبغوي، ومحمود النيسابوري، وابن الجوزي، والرازي، والقرطبي، والنسفي، والخازن، وابن كثير، والبقاعي، والسيوطي، والشوكاني، والقنوجي، والمراغي، والسعدي[4] .

قال الطبري : وللدعوى في كلام العرب وجهان : أحدهما : الدعاء ، والآخر : الادّعاء للحق . ومن الدعوى التي معناها الدعاء : قولُ الله تبارك وتعالى :﴿ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ ﴾ [الأنبياء : ١٥] . ومنه قول الشاعر:

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٢٩) .

(2) نسبه له الرازي في مفاتيح الغيب (٥/ ١٩٩) ، وأبو حيان في البحر المحيط (٤/ ٢٦٩) .

(3) ينظر : زاد المسير لابن الجوزي (٣/ ١٦٨) .

(4) ينظر : تفسير مقاتل (٢/ ٢٩) ، وجامع البيان (١٠/ ٦٢) ، ومعاني القرآن الكريم (٣/ ١٠) ، وبحر العلوم (١/ ٥٣١) ، والوسيط للواحدي (٢/ ٣٤٩) ، ومفاتيح الغيب للرازي (٥/ ١٩٩) ، وتفسير القرآن العزيز (٢/ ١١٢) ، والوجيز (١/ ٣٨٧) ، وتفسير القرآن (٢/ ١٦٥) ، ومعالم التنزيل (٢/ ٩٠) ، وإيجاز البيان (١/ ٢٦٤) ، وتذكرة الأريب (١/ ١٧٥) ، ومفاتيح الغيب (٥/ ١٩٩) ، والجامع لأحكام القرآن (١٥٤/٩) ، ومدارك التنزيل (٢/ ٤٥) ، ولباب التأويل (٢/ ٧٢) ، وتفسير القرآن العظيم (٦/ ٢٥٨) ، ونظم الدرر (٧/ ٣٥٧) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٣/ ٧) ، وفتح القدير (٢/ ٢٦٥) ، وفتح البيان (٤/ ٣٠٣) ، وتفسير المراغي (٨/ ١٠٢) ، وتيسير الكريم الرحمن (٢/ ٩٦) .

وإِنْ مَذِلَتْ رجلي دَعَوْتُك أَشْتَفي بَدَعْواكَ مَنْ مَذْلٍ بها فَيَهُونُ[1]

وقال النحاس : « وأجاز النحويون : " اللهم أشركنا في صالح دعوى مَنْ دعاك "»[2].

وهذا قول الخليل[3]، وسيبويه[4] .

ومنه قوله تعالى : ﴿ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ ﴾[5] [يونس] .

ومنه ما أنشده سيبويه :

وَلّتْ ودعْواها كثيرٌ صَخَبُه[6].

وأما القول بأن دعواهم في الآية هي بمعنى ادّعائهم للحق فلما جاءهم العذاب اعترفوا أنهم كانوا في ذلك الادّعاء ظالمين ، فقال به الزجاج[7]. وعليه الزمخشري، وعلاء الدين ابن التركماني[8].

وذكره الشوكاني والقنوجي بصيغة (قيل)[9] . وجوّزه الطاهر بن عاشور[10].

قال الزجاج : «والدعوى اسم لما يدّعيه » .

وقال أبوعبيدة : « ﴿ فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ ﴾ لها موضعان : أحدهما : قولهم ودعواهم ،

---

(1) ينظر : جامع البيان (١٠/ ٦٢) . والبيتُ لكُثَيِّر عزّة . ينظر : ديوانه (٢/ ٢٤٥) ، ونهاية الأرب (٢/ ١٢٥) ، وزاد المسير (٣/ ١٦٩) . ومَذِلَتْ رجلُه مَذَلا ، أي : خَدِرَتْ . ينظر : المحكم (١٠/ ٧٦) : (بذكراك بدل دعواك) . واللسان (١١/ ٦٢٢) ، وتاج العروس (مذل) ، وفي تهذيب اللغة (١٤/ ٣١٣) .

(2) معاني القرآن الكريم (٣/ ١٠) .

(3) ينظر : البحر المحيط (٤/ ٢٦٩) .

(4) ينظر : الكتاب (٤/ ٤٠) ، والوسيط للواحدي (٢/ ٣٤٩) ، وتفسير القرآن للسمعاني (٢/ ١٦٥) ، ومعالم التنزيل للبغوي (٢/ ٩٠) ، ولباب التأويل للخازن (٢/ ٧٢) .

(5) ينظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٩/ ١٥٤) ، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦/ ٢٥٨) ، وتيسير الكريم الرحمن للسعدي (٢/ ٩٦) ، والتحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٨/ ٢٣) .

(6) البيت لبُشيرَ بن النّكْث . ينظر : الكتاب (٢/ ٢٢٨) ، المحكم والمحيط العظم (٢/ ٣٢٥) ، ولسان العرب (٤/٢٨٨) و (١٤ / ٢٥٧) ، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٣١٨) .

(7) ينظر : معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣١٨) .

(8) ينظر : الكشاف (٢/ ٤٢٤) وجوّز القول الأول ، وبهجة الأريب (١/ ٢١٣) .

(9) ينظر : فتح القدير (٢/ ٢٦٥) ، وفتح البيان (٤/ ٣٠٣) .

(10) ينظر : التحرير والتنوير (٨/ ٢٣) .

والآخر : ادّعاؤهم »[1].

فإطلاق الدعوى على الادّعاء معروف من كلام العرب كما ذكره الطبري[2].

وذكر الآلوسي أن المشهور في معنى الدعوى : الادّعاء[3].

قال ابن عطية : « ويتوجّه أيضًا أن يكون [دَعْوَىٰهُمْ] بمعنى الادّعاء ؛ لأن من ناله مكروه أو حَزَبه حادث فمن شأنه أن يدعو كما ذهب إليه المفسّرون في فعل هؤلاء المذكورين في هذه الآية ، ومن شأنه أيضا أن يدّعي معاذير وأشياء تحسّن حاله وتقيم حجته في زعمه ، فيتجه أن يكون هؤلاء بحال من يدّعي معاذير ونحوها ، فأخبر الله عنهم أنهم لم يكن لهم دعوى ثم استثنى من غير الأول كأنه قال : لم يكن دعاءً أو ادِّعاءً إلاّ الإقرار والاعتراف ، أي : هذا كان بدل الدعاءِ والادّعاءِ »[4].

وذكر القولين على جهة التساوي بصيغة (أو) : البيضاوي، وأبوالسعود [5].

واحتملهما ها هنا معًا السمين الحلبي[6]، ومال إلى ذلك أيضا السيد محمد رشيد رضا، والشنقيطي[7] ولم يرجحا بينهما .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن أَولى القولين بالصواب في ذلك ما رجّحه ابن جُزَيّ ومن وافقه ؛ لأن الدعوى بمعنى الدعاء وردت في القرآن ، وحمل معاني كلام الله على الغالب من أسلوب القرآن ومعهود استعماله أَوْلى[8]، وهو قول جمهور المفسّرين ، والله تعالى أعلم .

---

(1) مجاز القرآن (١/ ٢١٠) .

(2) ينظر : جامع البيان (١٠/ ٦٢) .

(3) ينظر : روح المعاني (٨/ ٨٠) .

(4) المحرر الوجيز (٥/ ٤٢٨) وتبعه الثعالبي مختصرًا (الجواهر الحسان ١/ ٥٢٩) .

(5) ينظر : أنوار التنزيل (١/ ٣٣٣) ، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٢٣٤) .

(6) ينظر : الدر المصون (٥/ ٢٥٤) .

(7) ينظر : تفسير القرآن الحكيم (٨/ ٢٩٦) ، والعذب النمير (٣/ ٩٩٠) .

(8) ينظر : قواعد الترجيح (١/ ١٧٢) .

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ﴾

٣- الخلاف في معنى (ما) في قوله : ﴿ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي ﴾ .

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « الباء[1] للتعليل وهي تتعلّق بفعل قَسَم محذوف ، تقديره: أقسم بالله بسبب إغوائك لي لأغوينّ بني آدم ، و ﴿ مَآ ﴾ مصدرية . وقيل : استفهامية . ويُبطله ثبوتُ الألف في " ما " مع حرف الجَرِّ »[2].

العرض والمناقشة :

رجّح ابن جُزَيّ أن "ما" في قوله تعالى : ﴿ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي ﴾ مصدرية وليست استفهامية، أي : فبإغوائك لي . وعلى هذا أكثر المفسّرين وإن لم يصرّحوا بذلك ، وإنما يفهم من تفسيرهم ذلك حينما يؤولها بالمصدر (بإغوائك لي) ، وكثير منهم لا يذكر الخلاف في "ما" [3].

ورجّح هذا القولَ : الكرماني، والقمي، وأبوحيان، والسمين الحلبي، وأبوالسعود، والشهاب، والشوكاني، والآلوسي، والقنوجي ، والطاهر[4].

وذكره البغوي ، والقرطبي بصيغة (قيل)[5].

وقال البغوي : « كقوله تعالى : ﴿ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾» [يس] .

وأما القول الثاني بأن "ما" استفهامية فهو مفهوم كلام الطبري قال : « يقول جل ثناؤه: قال إبليس لربه :﴿ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي ﴾. يقول : فبأي شيء أضللتني »[6] .

---

(1) في المطبوع : الفاء وهو تصحيف ، والصواب ما أثبته .

(2) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٢٩) .

(3) ينظر على سبيل المثال : الوجيز للواحدي (١/ ٣٨٨) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٣/ ١٤) ، ومحاسن التأويل (٧/ ٢٦٣٥) ، وتفسير القرآن الحكيم (٨/ ٣١٩) ، وتفسير المراغي (٨/ ١١٥) .

(4) ينظر : غرائب التفسير وعجائب التأويل (١/ ٣٩٩) ، وغرائب القرآن (٣/ ٢١٠) ، والبحر المحيط (٤/٢٧٤)، والدر المصون (٥/ ٢٦٥) ، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٢٤٢) ، وحاشية الشهاب (٤/١٥٥) ، وفتح القدير (٢/ ٢٧٠) ، وروح المعاني (٨/ ٩٤) ، وفتح البيان (٤/ ٣١٣) ، والتحرير والتنوير (٨/ ٤٧) .

(5) ينظر : معالم التنزيل (٢/ ٩٣) ، والجامع لأحكام القرآن (٩/ ١٧٠) .

(6) جامع البيان (١٠ / ٩١) .

ثم ساق الآثار والأقوال في معنى ﴿أَغْوَيْتَنِي﴾ .

وفهم هذا منه ابن عطية فقال : « ويحتمل أن يريد بقوله :﴿فَبِمَآ﴾ الاستفهام عن السبب في إغوائه ، ثم قطع ذلك وابتدأ الإخبار عن قعوده لهم ، وبهذا فسّر الطبري أثناء لفظه »[1].

وبدأ به الخازن ثم ذكر الأقوال الأخرى بـــ قيل[2] .

واستغربه الكرماني وقال : « وفيه ضعف ؛ لأن ألفه لا تحذف مع الجارِّ ، إلاّ في الشعر»[3].

وذكره البغوي ، والزمخشري ، والقرطبي ، والقمي ، والشوكاني ، والقنوجي بصيغة (قيل)[4] .

قال الزمخشري : « وإثبات الألف إذا أدخل حرف الجر على " ما " الاستفهامية قليل شاذ » .

واستشكله الرازي بنفس الإشكال[5] .

وقال أبوحيان : « وضُعِّفَ بإثبات الألف في (ما) الاستفهامية وذلك شاذ أو ضرورة نحو قولهم : عمَّا تسأل ؟ فهذا شاذ . والضرورة كقوله : على ما قام يشتمني لئيم ؟ »[6].

وقال الشهاب : « ولا يخفى ضعفه وإن قيل به »[7] .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن ما رجّحه ابن جُزَيّ مِنْ أنّ "ما " مصدرية في قوله : ﴿فَبِمَآ

---

(1) المحرر الوجيز (٥/ ٤٤٥) .

(2) ينظر : لباب التأويل (٢/ ٧٦) .

(3) غرائب التفسير وعجائب التأويل (١/ ٣٩٩) .

(4) ينظر : معالم التنزيل (٢/ ٩٣) ، والكشاف (٢/ ٤٢٩) ، والجامع لأحكام القرآن (٩/ ١٧٠) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ٢١٠) ، وفتح القدير (٢/ ٢٧٠) ، وفتح البيان (٤/ ٣١٣) .

(5) ينظر : مفاتيح الغيب (٥/ ٢١٢) .

(6) البحر المحيط (٤/ ٢٧٥) . ومثله السمين في الدر المصون (٥/ ٢٦٥) .

(7) حاشية الشهاب (٤/ ١٥٥) . ومثله الآلوسي في روح المعاني (٨/ ٩٤) .

﴿ أَغْوَيْتَنِي ﴾ هو الوجه التفسيري الموافق لرسم المصحف[1].

وأما القول الآخر بأنها استفهامية فقول ضعيف ؛ لثبوت الألف في " ما " مع حرف الجَرِّ وهو قليل شاذّ كما قال الزمخشري ، والله تعالى أعلم .

(1) ينظر : قواعد الترجيح (١/ ١١٠) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ٢٦ ﴾

٤- الخلاف في معنى ﴿ أَنزَلۡنَا ﴾ من قوله :﴿ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗا ﴾.

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « ومعنى ﴿ أَنزَلۡنَا ﴾ : خلقنا . وقيل : المراد أنزلنا ما يكون عنه اللباس وهو المطر »[1] .

العرض والمناقشة :

رجّح ابن جُزَيّ أن معنى ﴿ أَنزَلۡنَا ﴾ : خَلَقْنا ، ففسَّر أنزل بـــ خلَقَ ، ووافق في هذا ما نُسِبَ إلى سعيد بن جبير[2].

ووافقه في هذا الطبري، والسمرقندي، والواحدي ، والكرماني ، وابن الجوزي، والبيضاوي، والسيوطي، وأبوالسعود، والشوكاني، والآلوسي، والقنوجي، والسيد محمد رشيد رضا، والمراغي[3].

واستُدِلَّ لهذا القول بنظيره في قوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖ ﴾[4] [الزمر:٦] بمعنى : وخلق لكم .

وبقوله تعالى : ﴿ وَأَنزَلۡنَا ٱلۡحَدِيدَ ﴾[5] [الحديد : ٢٥] .

قال ابن عطية : « فخلق الله عز وجل وأفعاله إنما هي من عُلُوٍّ في القَدْر والمنزلة »[6].

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٣٠) .

(2) نسبه له القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٩/ ١٨٥) .

(3) ينظر : : جامع البيان (١٠/ ١١٩) ، وبحر العلوم (١/ ٥٣٥) ، والوجيز (١/ ٣٩٠) ، وغرائب التفسير وعجائب التأويل (١/ ٤٠٠) ، وتذكرة الأريب (١/ ١٧٦) ، وأنوار التنزيل (١/ ٣٣٦) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٣/ ٢٢) ، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٢٤٥) ، وفتح القدير (٢/ ٢٧٧) ، وروح المعاني (٨/ ١٠٣) ، وفتح البيان (٤/ ٣٢٣) ، وتفسير القرآن الحكيم (٨/ ٣٣٩) ، وتفسير المراغي (٨/ ١٢٥) .

(4) ينظر : أنوار التنزيل للبيضاوي (١/ ٣٣٦) ، والمحرر الوجيز لابن عطية (٥/ ٤٧٠) ، وإرشاد العقل السليم لأبي السعود (٢/ ٢٤٥) .

(5) ينظر : المصادر السابقة .

(6) المحرر الوجيز (٥/ ٤٧٠).

وقال السيد محمد رشيد رضا : « والمراد بإنزال ما ذكر أن الله تعالى خلق لبني آدم مادَّته من القطن والصوف والوبر وريش الطير والحرير وغيرها ، وعلّمهم بما خلق لهم من الغرائز والقوى والأعضاء وسائل صنع اللباس منها كالزراعة والغزل والنسج والخياطة »[1].

ويقول الآلوسي : « أي خلقنا لكم ذلك بأسباب نازلة من السماء كالمطر الذي ينبت به القطن الذي يجعل لباسًا ...وعلى كل فالكلام لا يخلو من مجاز »[2].

وأما القول الثاني بأن المراد هو إنزال المطر الذي يكون عنه اللباس والريش ، فهو منسوب إلى الحسن[3].

وإليه ذهب الجصاص، والجرجاني، والسمعاني، والرازي، والقرطبي، والنسفي، والبلنسي[4].

وهو مفهوم كلام النحاس، والعكبري[5].

وذكره السمرقندي ، والقنوجي بصيغة (قيل)[6] . واستغربه الكرماني[7].

واستُدِلَّ له بأن اللباس يكون من نبات الأرض أو من جلود الحيوان وأصوافها ، وقوام جميعها بالمطر النازل من السماء . ذكره الجصاص[8] .

قال الرازي : « وتحقيق القول : إن الأشياء التي تحدث في الأرض لما كانت معلّقة بالأمور النازلة من السماء صار كأنه تعالى أنزلها من السماء » .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ﴾، وقوله : ﴿ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ ﴾[9].

---

(1) تفسير القرآن الحكيم (٨/ ٣٣٩) .

(2) روح المعاني (٨/ ١٠٣) .

(3) نسبه له الماوردي في النكت والعيون (٢/ ٢١٣) .

(4) ينظر : أحكام القرآن (٢٠٣/٤)، والوسيط للواحدي (٣٥٨/٢)، وتفسير القرآن (٢/ ١٧٣) ومفاتيح الغيب (٢٢١/٥)، والجامع لأحكام القرآن (٩/ ١٨٤) ، ومدارك التنزيل (٢/ ٤٩) مبهمات القرآن (٤٧٣/١) .

(5) ينظر : إعراب القرآن (٢/ ١٢٠) ، والتبيان (١/ ٥٦٢) .

(6) ينظر : بحر العلوم (١/ ٥٣٥) ، وفتح البيان (٤/ ٣٢٢) .

(7) ينظر : غرائب التفسير وعجائب التأويل (١/ ٤٠٠) .

(8) ينظر : أحكام القرآن (٤/ ٢٠٣) .

(9) مفاتيح الغيب (٥/ ٢٢١) .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن كلا القولين قولٌ بالمجاز ، ومثله تفسير الإنزال بالإلهام كما ذهب إليه الطاهر بن عاشور[1]وقال أيضًا : « وقد كان ذلك اللباس الذي نزل به آدم هو أصل اللباس الذي يستعمله البشر ».اهـ.

والصواب هو إجراؤ لفظ ﴿ أَنزَلْنَا ﴾ على حقيقته وعدم إخراجه عن معناه المعروف لغة.

قال ابن تيمية : « لا حاجة إلى إخراج اللفظ عن معناه المعروف لغة ؛ فإن اللباس يترل من ظهور الأنعام فامتنَّ سبحانه بما ينتفعون به من الأنعام في اللباس والأثاث ، وهذا ـــ والله أعلم ـــ معنى إنزاله ؛ فإنه يترله من ظهور الأنعام ، وهو كسوة الأنعام من الأصواف والأوبار والأشعار، وينتفع به بنو آدم في اللباس والرياش ، فقد أنزلها عليهم . وأكثر أهل الأرض كسوتهم من جلود الدواب ، فهي لدفع الحر والبرد ، وأعظم مما يصنع من القطن والكتان»[2].

فإذا كان ذلك كذلك فإن الواجب هو حمل اللفظ على حقيقته[3]، وإجراؤه على معناه المعروف من كلام العرب هو الأَولى[4] ، فهو إنزال حقيقي كما أخبر الله تعالى لكن الكيفية مجهولة بالنسبة لنا ، فهل المراد أنه أنزل أصل اللباس الذي يستعمله البشر مع آدم وحواء حينما أنزلهما إلى الأرض[5]؟ أم المراد أنه أنزله من ظهور الأنعام[6] ؟ الله تعالى أعلم. لقد أخبرنا جل وعلا بأنه أنزله و لم يخبرنا كيف أنزله ، وهذا هو الصواب في هذه المسألة ، والله تعالى أعلم .

والاستدلال بقوله تعالى : ﴿ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَـٰمِ ثَمَـٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ﴾[الزمر : ٦] لا يصح على أن معنى أَنْزَلَ : خلق ؛ لأن الله قال في أول الآية : ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا

---

(1) أي : ألهمهم الله كيفية صنعة اللباس . ينظر : التحرير والتنوير (٨/ ٧٣) ، وزاد المسير (٣/ ١٨١) . وذكره القرطبي في الجامع (٩/ ١٨٥) بصيغة (قيل) .

(2) ينظر : محاسن التأويل للقاسمي (٧/ ٢٦٤٥) .

(3) ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين (٢/ ٣٨٧) .

(4) ينظر : المصدر السابق (٢/ ٣٦٩) .

(5) كما قاله الطاهر بن عاشور . وينظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٩/ ١٨٤) ، فإنه ذكره بصيغة (قيل) .

(6) كما قاله ابن تيمية .

زَوْجَهَا ﴾ ثم قال : ﴿ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَـٰمِ ثَمَـٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ﴾ ثم قال : ﴿ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ ﴾. فذِكْرُ(أَنْزَلَ) بين (خَلَقَكُمْ) و(يَخْلُقُكُمْ) يدلُّ على أن (أَنْزَلَ) هنا ليست بمعنى خلق ، وهذا واضح لا إشكال فيه لمن تأمله . ومثل الخوض في كيفية الإنزال من الأنعام ثمانية أزواج الخوض في كيفية إنزال الحديد وأنه من رؤوس وأعالي الجبال، و لم لا يكون إنزالاً حقيقيًّا من السماء ؟ ! وما الذي يمنع منه ؟ !

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾

٥- الخلاف في المراد بقوله : ﴿عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ هل المقصود المكان ؟ أم الزمان ؟

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « أَيْ : في كل مكانِ سجودٍ أو في وقت كل سجود، والأول أظهر . والمعنى : إباحة الصلاة في كل مَوْضِعٍ ؛ كقوله ﷺ : (جعلت لي الأرض مسجدًا) »[1] .

العرض والمناقشة :

رجّح ابن جُزَيّ أن المراد بقوله ﴿ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ من قوله تعالى :﴿ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾: مكانُ الصلاةِ ، والمعنى : إباحتها في كل موضِع . ووافق ما رُويَ عن مجاهد[2] ، ومفهوم ما نسب لابن عباس[3]، والضحاك[4] من أن المراد : أن يصلي في أي مسجد إذا حضرت الصلاة ، ولا يقول : لا أصلي إلاّ في مسجد قومي . ونسب إلى السدّي أيضًا[5].

وقال به الكلبي[6]. وعليه مقاتل ، والفراء، والنحاس، وابن أبي زمنين، والبغوي، ومحمود النيسابوري، وابن الجوزي، والقرطبي، والخازن، والقنوجي، والسيد محمد رشيد رضا، والمراغي، والطاهر بن عاشور[7] .

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٣١) .

(2) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠/ ١٤٠) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٤٦٢) رقم (٨٣٦٢) من طريق ابن أبي نجيح ، وعمر بن ذر ، عنه .

(3) ينظر : زاد المسير لابن الجوزي (٣/ ١٨٥) ، ومفاتيح الغيب للرازي (٥/ ٢٢٧) .

(4) ينظر : معالم التنزيل للبغوي (٢/ ٩٨) ، وزاد المسير (٣/ ١٨٥) .

(5) ينظر : الوسيط للواحدي (٢/) ، ومعالم التنزيل (٢/ ٩٨) .

(6) ينظر : بحر العلوم للسمرقندي (١/ ٥٣٧) .

(7) ينظر : تفسير مقاتل (٢/ ٣٤) ، ومعاني القرآن (١/ ٣٧٦) ، ومعاني القرآن الكريم (٣/ ٢٦) ، وتفسير القرآن العزيز (٢/ ١١٨) ، ومعالم التنزيل (٢/ ٩٨) ، ووضح البرهان (١/ ٣٥٧) ، وإيجاز البيان (١/ ٢٦٨) ، وتذكرة الأريب (١/ ١٧٦) ، والجامع لأحكام القرآن (٩/ ١٩٠) ، ولباب التأويل (٨٢/٢) ، وفتح البيان

وهو مفهوم كلام الواحدي، وابن القيم، وابن كثير[1].

وبدأ به السمعاني، وابن عطية[2]، ونسبه لمجاهد والسدّي وذكره وغيره من الأقوال بصيغة (قيل) .

قال مجاهد : « إلى الكعبة حيثما صليتم في الكنيسة وغيرها » . وقال : « إلى الكعبة حيثما كنت ».

فمجاهد يفسّر قوله تعالى :﴿ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ ﴾ باستقبال الكعبة (القبلة) ، ويفسّر قوله تعالى : ﴿ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ بكل مكان وحيثما كنتم وصليتم ولو في كنيسة أو بِيعَة أو غيرها .

وردّه الطبريُّ بقوله : « إن القوم أُمِرُوا أن يتوجّهوا بصلاتهم إلى ربّهم لا إلى ما سواه من الأوثان والأصنام ...؛ لأن الله جل ثناؤه إنما خاطب بهذه الآية قومًا من مشركي العرب لم يكونوا أهل كنائسَ وبِيَعٍ ، وإنما كانت الكنائس والبيع لأهل الكتابين ، فغير معقولٍ أن يقال لمن لا يصلي في كنيسة أو بيعة : وجّهْ وجهك إلى الكعبة في كنيسة كنت أو بِيعةٍ»[3].

ويفهم من كلام الطبري أن ﴿ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ معناه الصلاة ، والمقصود التوجُّه بها إلى الله وإخلاصها له .

واستدلّ ابن جُزَيّ بقوله ﷺ : (وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا ، وأيما رَجُلٍ من أمتي أدركَتْه الصلاة فليصل)[4] .

(٣٢٩/٤)، وتفسير القرآن الحكيم (٣٥٤/٨)، وتفسير المراغي (١٣٠/٨)، والتحرير والتنوير (٨٧/٨ــ٨٨).

(1) ينظر : الوجيز (١/ ٣٩١) ، والوسيط (٢/ ٣٦١) ــ ونسبه إلى مجاهد والسدي ــ ، وبدائع التفسير (٢٤/٢)، وتفسير القرآن العظيم (٦/ ٢٨١) .

(2) ينظر : تفسير القرآن (٢/ ١٧٦) ، والمحرر الوجيز (٥/ ٤٧٨ ، ٤٧٩) .

(3) جامع البيان (١٠/ ١٤١) بتصرف .

(4) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٣٣٥) في كتاب التيمم ، و (٤٣٨) في كتاب الصلاة ، باب قول النبي ﷺ : (جعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا ، و (٣١٢٢) كتاب فرض الخمس . ومسلم في صحيحه رقم (٥٢١) في كتاب المساجد ومواضع الصلاة . وغيرهما من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه . وأخرجه مسلم في صحيحه (٢٥٣ / ٥) كتاب المساجد ، وأحمد في مسنده (٢/ ٤١١) ، وابن ماجه في سننه (٥٦٧) كتاب الطهارة ، أبواب التيمم ، باب ما جاء في السبب ، والترمذي في سننه (١٥٥٣) وغيرهم من حديث أبي هريرة

ووجه الاستدلال : إباحة الصلاة في كل موضع .

ويدل عليه أيضًا ظاهر اللفظ ، فإن لفظ ﴿ مَسْجِدٍ ﴾ يدل على المكان دلالةً ظاهرة ، ودلالته على موضع الصلاة ومكان إقامتها دلالةٌ حقيقيةٌ بخلاف دلالته على السجود فإنها مجازٌ ، والحقيقة مقدمة على المجاز[1] .

ولو سَلَّمْنا أن المسجد يطلق في اللغة على السجود بمعنى الصلاة ، فإن الحقيقة الشرعية مقدمة على الحقيقة اللغوية[2]؛ لأن اسم المسجد حقيقة شرعية في المكان والموضع المعدّ للصلاة .

قال الطاهر بن عاشور : « اسم المسجد منقول في الإسلام للمكان المعيَّن المحدود المتخذ للصلاة »[3].

فالمسجد في الاصطلاح الشرعي هو المكان المتخذ للصلاة .

ومما يشهد له قوله تعالى في الآية الأخرى:﴿ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ [الأعراف:٣١].

يقول الشنقيطي : « سواء كان المسجد الحرام للطواف أو غيره من المساجد للصلاة . وكون الزينة هنا لبس اللباس للطواف والصلاة يكاد يجمع عليه المفسرون »[4].

وأما القول الآخر وهو أن المراد بكل مسجد : وقت كل سجود ، أي : وقت كل صلاة ، فهو قول الزجاج[5] . وذهب إليه الرازي[6]، والزمخشري[7]، والنسفي[8].

رضي الله عنه . وفي الباب عن عبد الله بن عمرو ، وأبي ذر ، وأبي أمامة ، وابن عباس ، وعوف بن مالك ، وعلي بن أبي طالب ،وابن عمر . ينظر : تخريج الأحاديث والآثار في كتاب التسهيل لعلوم التنزيل لسامي الجهني (٢/ ٦٨٦ ــ ٦٩٣) .

(1) ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ٩) ، وقواعد الترجيح (٢/ ٣٨٧) .

(2) ينظر : قواعد الترجيح (٢/ ٤٠١) .

(3) التحرير والتنوير (٨/ ٨٨) .

(4) العذب النمير (٣/ ١٥٤ ــ ١٥٥ ط دار العالم الفوائد . بإشراف د. بكر أبو زيد) .

(5) ينظر : معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٣٠) .

(6) ينظر : مفاتيح الغيب (٥/ ٢٢٦) .

(7) ينظر : الكشاف (٢/ ٤٣٧) قال : (في كل وقت سجود أو في مكان سجود وهو الصلاة) . ونقله عنه أبو حيان في البحر المحيط (٤/ ٢٨٨) ، والسمين الحلبي في الدر المصون (٥/ ٩٧) بالواو بدل أو .

(8) ينظر : مدارك التنزيل (٢/ ٥٠) .

وهو مفهوم كلام السمرقندي ، والسعدي[1] .

وذكره البغوي ، والخازن بصيغة (قيل)[2].

قال الرازي : « اختلفوا في أن المراد زمان الصلاة أو مكانه ، والأقرب هو الأول ؛ لأنه الموضع الذي يمكن فيه إقامة الوجه للقبلة ، فكأنه تعالى بيّن لنا أن لا نعتبر الأماكن ، بل نعتبر القبلة ، فكان المعنى : وجهوا وجوهكم حيثما كنتم في الصلاة إلى الكعبة »[3].

وعلى هذا القول فإن السجود مجاز عن الصلاة ، كما قاله الآلوسي، والقاسمي[4].

وسوّى بين القولين البيضاوي، وأبوالسعود ، والشوكاني، والقاسمي[5].

وذكرها أبوحيان بصيغة (قيل) ولم يرجح [6].

قال السمين : « ومسجد هنا يحتمل أن يكون مكانًا وزمانًا »[7] .

وقال الآلوسي : « والمسجد اسم زمان أو مكان بالمعنى اللغوي »[8] .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن الأَولى بالصواب هو ما رجّحه ابن جُزَيّ ومن وافقه ؛ لأن الظاهر من قوله ﴿ مَسْجِدٍ ﴾ هو المكان المتخذ لأداء الصلاة ، وهذا اصطلاح شرعي وهو ظاهر كلامه تعالى ، ويعضده الحديث النبوي في جعل الأرض مسجدًا وطهورًا ، فيكون المعنى المراد هو إقامة الصلاة في كل مكان .

والذي يظهر أنه يلزم من هذا القول القولُ الآخر ؛ لأن المساجد إنما بنيت لأداء الصلاة فيها وإقامة ذكر الله ، فحيثما صليتم وأقمتم الصلاة فتوجهوا إلى القبلة وأخلصوا النية لله ، والعلم عند الله تعالى .

---

(1) ينظر : بحر العلوم (١/ ٥٣٧) ، وتيسير الكريم الرحمن (٢/ ١٠٥) .

(2) ينظر : معالم التنزيل (٢/ ٩٨) ، ولباب التأويل (٢/ ٨٢) .

(3) مفاتيح الغيب (٥/ ٢٢٦ ــ ٢٢٧) .

(4) ينظر : روح المعاني (٨/ ١٠٧) ، ومحاسن التأويل (٧/ ٢٦٥٥) .

(5) ينظر : أنوار التنزيل (١/ ٣٣٨) ، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٢٤٧) ، وفتح القدير (٢/ ٢٨٠) ، ومحاسن التأويل (٧/ ٢٦٥٥) .

(6) ينظر : البحر المحيط (٤/ ٢٨٧ ، ٢٨٨) .

(7) الدر المصون (٥/ ٢٩٧) .

(8) روح المعاني (٨/ ١٠٧) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١ ﴾

٦- الخلاف في معنى الإسراف المنهي عنه في قوله: ﴿ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْ ﴾ .

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « أي : لا تكثروا من الأكل فوق الحاجة . وقال الأطباء : إن الطّبَّ كُلّه مجموعٌ في هذه الآية . وقيل : لا تسرفوا بأكل الحرام »[1].

العرض والمناقشة :

رجّح ابن جُزَيّ أن الإسراف المنهي عنه في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْ ﴾ معناه : الزيادة من الأكل فوق الحاجة . وهذا قول الزجاج[2]. وذهب إليه القرطبي، والبقاعي ، والرازي، والطاهر[3]. واستغربه الكرماني[4].

وقال الآلوسي : « وذهب إليه كثير »[5].

ويدل له أن الإسراف في لغة العرب : هو مجاوزة الحد[6].

وجاء في الحديث : (أصل كل داء البَرَدَةُ)[7] يعني : التُّخْمة .

ويستأنس له بقول الأطباء : إن الطب كُلَّه مجموع في هذه الآية :﴿ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٣١) .

(2) ينظر : معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٣٣) .

(3) ينظر : الجامع لأحكام القرآن (٩/ ٢٠١) ، ونظم الدرر (٧/ ٣٨٧) ، ومفاتيح الغيب (٥/ ٢٣٠) ، والتحرير والتنوير (٨/ ٩٥) .

(4) ينظر : غرائب التفسير وعجائب التأويل (١/ ٤٠٢) .

(5) روح المعاني (٨/ ١١٠) .

(6) ينظر : لسان العرب ، مادة (سرف) ، والعذب النمير للشنقيطي (٣/ ١٠٨٣) .

(7) رواه ابن السني ، وأبو نعيم عن أنس مرفوعًا. ورواياه من حديث أبي سعيد الخدري مثله. ينظر : الدر المنثور للسيوطي (٤٤٥/٣). ورواه ابن حبان في المجروحين (٢٠٤/١)، وابن عدي في الكامل (٥١٣/٢)، والعقيلي في الضعفاء (١٦٩/١) من حديث أنس مرفوعًا ، وفيه تمام بن نجيح ، وهو ضعيف جدًّا . وقال الخطابي في إصلاح غلط المحدثين (٧٠) : هو من قول ابن مسعود . وقال ابن رجب في جامع العلوم والحكم (٤٦٨/٢) : ولا يصح رفعه . والبَرَدَةُ : هي التُّخَمة . قال الخطابي في إصلاح غلط المحدثين (٧٠): وأصحاب الحديث يقولون : "البَرْدُ" وهو غلط .

تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴾ [1].

وقال الرازي : « وحمل لفظ "الإسراف" على الاستكثار مما لا ينبغي أولى من حمله على المنع مما يجوز وينبغي »[2].

وأما القول الثاني في معنى الإسراف المنهي عنه في الآية الكريمة وهو أن المعنى : لا تسرفوا بأكل الحرام ، فهو قول ابن زيد[3]. ومفهوم كلام الطبري[4]. وعليه السمعاني[5] .

وروي عن ابن عباس[6]، والسدي[7] أن المراد : النهي عن تحريم ما أحل لكم .

ونقل الرازي عن أبي بكر الأصم قوله : « إن المراد من الإسراف قولهم بتحريم البحيرة والسائبة »[8].

قال ابن عطية : « واللفظ يقتضي النهي عن السَّرَف مطلقًا ، فمن تلبّس بفعل حرام فتأول تلبسه به حصل من المسرفين وتوجَّه النهي عليه . ومن تلبّس بفعل مباح فإن مشى فيه على القصد وأوساط الأمور فحسن ، وإن أفرط حتى دخل الضرر حصل أيضا من المسرفين

---

(1) ينظر : بحر العلوم للسمرقندي (٥٣٨/١)، وغرائب التفسير للكرماني (٤٠٢/١)، ومعالم التنزيل للبغوي (٩٩/٢)، والكشاف للزمخشري (٤٣٨/٢)، وزاد المسير لابن الجوزي (١٨٨/٣)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٩٧/٩)، ومدارك التنزيل للنسفي (٥١/٢) ، وغرائب القرآن للنيسابوري القمّي (٢٢٥/٣)، والبحر المحيط لأبي حيان (٢٩٠/٤)، ومحاسن التأويل للقاسمي (٢٦٦٤/٧)، والعذب النمير للشنقيطي (٣/ ١٠٨١) .

(2) مفاتيح الغيب (٥/ ٢٣٠) . وتبعه القمي في غرائب القرآن (٣/ ٢٢٥) .

(3) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠/ ١٥٦) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٤٦٦) رقم (٨٣٨٧) .

(4) ينظر : جامع البيان (١٠ / ١٤٩ و ١٥٦) .

(5) ينظر : تفسير القرآن (٢/ ١٧٧ ، ١٧٨) .

(6) ينظر : النكت والعيون للماوردي (٢/ ٢١٨) ، وزاد المسير لابن الجوزي (٣/ ١٨٧ ، ١٨٨) .

(7) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠/ ١٥٥) .

(8) ينظر : مفاتيح الغيب للرازي (٥/ ٢٣٠) .

والبحيرة الفعيلة ، من قول القائل : بَحَرْتُ أُذُنَ هذه الناقة ـــ إذا شقَّها ـــ أَبْحَرُها بحرًا . والناقة مبحُورَةٌ ، ثم تصرف المفعولة إلى فعيلة ، فيقال : هي بَحِيرَةٌ .

والسائبة هي المسَيَّبَةُ المخَلاة في المرعى ، فلا تُرَدُّ عن حَوضٍ ، ولا عَلَفٍ ، كانت الجاهلية يفعل ذلك أحدُهم ببعض مواشيه ، فيحرم الانتفاع به على نفسه . ينظر : جامع البيان للطبري (٢٩،٣٠/٩) ، ومفردات ألفاظ القرآن للراغب (١٠٩،٤٣١) مادة : بحر ، سيب.

وتوجّه النهي عليه ، مثل أن يُفْرط إنسان في شراء ثيابٍ ونحوها ويستنفذ في ذلك جُلَّ ماله، أو يعطي ماله أجمع ويكابد بعياله الفقر بعد ذلك ونحوه ...»[1].

وقال الشنقيطي : «ولا مانع من أن تشمل الآية الجميع فلا يجوز الإسراف بتحريم ما أحلَّ الله ، وتحليل ما حرَّم الله ، كما لا يجوز الإسراف الكثير ...»[2].

وسوّى بين هذه الأقوال : البيضاوي، والنسفي، وأبوالسعود، والآلوسي، والشوكاني، والقنوجي، والسعدي[3].

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن الجمع بين هذه الأقوال هو الأَولى بالصواب في تفسير الإسراف المنهي عنه ؛ لشمول لفظ الإسراف لها، فإنه في لغة العرب بمعنى مجاوزة الحدّ بغلوٍّ أو تقصير فيدخل فيه : تحريم الحلال ، وتحليل الحرام ، والإكثار من الأكل والشرب فوق الحاجة ، وهذا ما ذهب إليه ابن عطية ، وتبعه الثعالبي ، واختاره الشنقيطي .

ويؤيده القاعدة الترجيحية : (يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص)[4]، والله تعالى أعلم .

---

(1) المحرر الوجيز (٥/ ٤٨٢) .

(2) العذب النمير (٣/ ١٠٨٣) .

(3) ينظر : أنوار التنزيل (١/ ٣٣٨) ، ومدارك التنزيل (٢/ ٥٠) ، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٢٤٧) ، وفتح القدير (٢/ ٢٨٢) ، وروح المعاني (٨/ ١١٠) ، وفتح البيان (٤/ ٣٣٣) ، وتيسير الكريم الرحمن (١٠٦/٢).

(4) قواعد الترجيح عند المفسرين (٢/ ٥٢٧) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾

٧- الخلاف في معنى قوله : ﴿ لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ ﴾ .

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « فيه ثلاثة أقوال : أحدها : لا يَصْعَدُ عملُهم إلى السماء . والثاني : لا يدخلون الجنة ؛ فإن الجنة في السماء . والثالث : لا تفتح أبواب السماء لأرواحهم إذا ماتوا كما تفتح لأرواح المؤمنين »[1] .

العرض والمناقشة :

قدّم ابن جُزَيّ في قوله تعالى : ﴿ لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ ﴾ القولَ بأن معناه : لا يصعد عملهم إلى السماء ؛ ترجيحًا له على غيره من الأقوال . ووافق ما روي عن ابن عباس[2]، ومجاهد[3]، وسعيد بن جبير[4]، والنخعي[5]، وقتادة[6].

وذهب إليه الفراء، والسمرقندي، ومكي، والزمخشري[7].

وذكره القرطبي ، والآلوسي ، والشوكاني ، والقنوجي بصيغة (قيل)[8].

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٣٢) .

(2) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠/ ١٨٣) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٤٧٧) رقم (٨٤٦٠) من طريق علي بن أبي طلحة ، عنه . وأخرجاه أيضا من طريق عطاء ، عنه . وأخرجاه أيضا من طريق عطية العوفي ، عنه. بألفاظ متقاربة : لا يصعد إلى الله من عملهم شيء . لا يصعد لهم قول ولا عمل . لا تفتّح لخير يعملون . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٤٥٢) نسبته إلى ابن المنذر ، وأبي الشيخ .

(3) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠ / ١٨٤) من طريق سفيان ، عن منصور ، عنه قال : لا يصعد لهم كلام ولا عمل . وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٤٧٧) عقب الأثر (٨٤٦٢) .

(4) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠/ ١٨٤) من طريق شريك ، عنه قال : لا يرفع لهم عمل صالح ولا دعاء .

(5) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠/ ١٨٤) من طريق شريك ، عن منصور ، عنه قال : لا يرفع لهم عمل ولا دعاء .

(6) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٤٧٧) رقم (٨٤٦٤) من طريق سعيد بن بشير ، عنه .

(7) ينظر : معاني القرآن (٣٧٩/١) وبحر العلوم (١/ ٥٤٠) وتفسير المشكل (١٧١) والكشاف (٤٤١/٢).

(8) ينظر : الجامع لأحكام القرآن (٢١٩/٩) وروح المعاني (١١٨/٨) ، وفتح القدير (٢٨٩/٢) وفتح البيان (٣٥٧/٤) .

واستَدَلَّ له الزمخشري بقوله تعالى : ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ ﴾ [1] [فاطر : ١٠] .

ووجه الاستدلال ظاهر في صعود الكلم الطيب إلى الله تعالى والذي يقتضي تفتُّحَ أبوابِ السماء له ، ومفهومُه عدمُ تفتُّحِها لعمل الكفار .

واستَدَلَّ له أيضا بقوله تعالى : ﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ ﴾ [2] [المطففين] .

وأما القول الثاني بأن المعنى لا يدخلون الجنة ؛ لأن الجنة في السماء ، فذكره الزجاج بقوله : « وقال بعضهم : لا تفتح لهم أبواب السماء ، أي : أبواب الجنة ؛ لأن الجنة في السماء، والدليل على ذلك قوله : ﴿ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ ﴾ . فكأنه لا تفتح لهم أبواب الجنة ولا يدخلونها »[3].اهـــ. وهذا تكلف ظاهر بل الآية على التفريق بين أبواب السماء والجنة .

ويردّه أن المراد بالسماء السماءُ المعروفةُ ، وهو المشهور ، كما قاله ابن الجوزي[4].

وذكر هذا القول : النحاس ، والزمخشري ، والقرطبي ، وأبوحيان ، والشوكاني ، والقنوجي بصيغة (قيل)[5].

وأما القول الثالث بأن معنى الآية : لا تفتح أبواب السماء لأرواحهم إذا ماتوا كما تفتح لأرواح المؤمنين ، فروي عن ابن عباس أيضا[6]. وقال به السدي[7]، والضحاك[8]. ونُسِبَ إلى أبي موسى الأشعري[9].

---

(1) ينظر : الكشاف (٢/ ٤٤١) .

(2) المصدر السابق .

(3) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٣٧) . وتبعه السمرقندي كما في بحر العلوم (١/ ٥٤٠) .

(4) ينظر : زاد المسير (٣/ ١٩٧) .

(5) ينظر : معاني القرآن الكريم (٣/ ٣٤) ، والكشاف (٢/ ٤٤١) ، والجامع لأحكام القرآن (٢١٩/٩) ، والبحر المحيط (٤/ ٢٩٧) ، وفتح القدير (٢/ ٢٨٩) ، وفتح البيان (٤/ ٣٥٧) .

(6) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠/ ١٨٢) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٤٧٦) رقم (٨٤٥٩) من طريق أبي سنان ، عن الضحاك ، عنه قال : لا تفتح لأرواحهم ، وتفتّح لأرواح المؤمنين . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٤٥٢) نسبته إلى أبي الشيخ .

(7) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠/ ١٨٢) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٤٧٧) رقم (٨٤٦٣) من طريق أحمد بن المفضل ، عن أسباط ، عنه .

(8) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٤٧٦) عقب الأثر (٨٤٥٩) .

(9) ينظر : زاد المسير لابن الجوزي (٣/ ١٩٦) .

وعليه القرطبي، والسيوطي، والشوكاني، والآلوسي، والقنوجي، والسعدي[1].

وذكره السمرقندي ، ومكي ، والزمخشري بصيغة (قيل)[2].

قال ابن الجوزي : « والأحاديث تشهد به »[3] .

وقال الشوكاني : « وقد دلّ على هذا المعنى وأنه المراد من الآية ما جاء في الأحاديث الصحيحة أن الملائكة إذا انتهوا بروح الكافر إلى السماء الدنيا يستفتحون فلا تفتح لهم أبواب السماء »[4] .

ومن هذه الأحاديث التي تدل على هذا القول :

ـــ ما رواه أبو هريرة ، أن رسول الله ﷺ قال : (الميت تحضره الملائكة ، فإذا كان الرجل الصالح قالوا : اخرجي أيتها النفس الطيبة ...) الحديث . وفيه قوله :

(وإذا كان الرجلُ السّوْءُ قالوا : اخرجي أيتها النفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث ...ثم يُعْرَجُ بها إلى السماء ، فيستفتح لها ، فقال : من هذا ؟ فيقولون : فلان . فيقولون : لا مرحبًا بالنفس الخبيثة ، كانت في الجسد الخبيث ، ارجعي ذميمة ، فإنه لم تفتح لك أبواب السماء . فترسل بين السماء والأرض ، فتصير إلى القبر)[5].

ـــ وما رواه البراء بن عازب ، أن رسول الله ﷺ ذكر قبضَ روح الفاجر ، وأنه يصعد بها إلى السماء ، قال : (فيصعدون بها ، فلا يمرون على ملأ من الملائكة إلاّ قالوا : ما هذا الروح الخبيث ؟ فيقولون : فلان بأقبح أسمائه التي كان يدعى بها في الدنيا ، حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا ، فيستفتحون له فلا يفتح له) . ثم قرأ رسول الله ﷺ : ﴿ لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ

---

(1) ينظر : الجامع لأحكام القرآن (٢١٨/٩) ، و تفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٣/ ٣٧) ، وفتح القدير (٢٨٩/٢) ، وروح المعاني (١١٨/٨) ، وفتح البيان (٤/ ٣٥٧) ، وتيسير الكريم الرحمن (٢/ ١١٠) .

(2) ينظر : بحر العلوم (١/ ٥٤٠) ، وتفسير المشكل (١٧١) ، والكشاف (٢/ ٤٤١) .

(3) زاد المسير (٣/ ١٩٦) .

(4) فتح القدير (٢/ ٢٨٩) ، وتبعه تلميذه القنوجي .

(5) أخرجه أحمد (١٤/ ٣٧٧ ، ٣٧٨) رقم (٨٧٦٩) ـــ ط التركي ـــ [وط الميمنة ٦/ ١٣٩] ، والنسائي في الكبرى رقم (١١٤٤٢) ، وابن ماجه في سننه رقم (٤٢٦٢ ، ٤٢٦٨)، والطبري في جامع البيان (١٨٥/١٠)، وابن حبان في صحيحه (الإحسان رقم ٣٠١٤) ، والحاكم في مستدركه (١/ ٣٥٢ ، ٣٥٣) . وينظر : الدر المنثور للسيوطي (٣/ ٤٥٢ ـــ ٤٥٣). قال محققوا المسند : إسناده صحيح على شرط الشيخين .

ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِ ﴾[1].

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن بعض المفسّرين قد سوّى بين هذه الأقوال الثلاثة منهم : النسفي، والقاسمي، والشنقيطي[2] وقال : « في عدم فتح أبواب السماء لهم أقوال متقاربة معروفة ، لا يُكذِّب بعضها بعضًا ، وهي كلها حق . والآية تشمل هذا كلَّه ...» .

وقال أيضًا : « وحديث البراء المشهور .. يستدل به المفسّرون على دخول القول الأخير في الآية ». اهـ .

وذهب ابن جريج إلى الجمع بين القولين الأول والثالث فقال : « لا تفتح لأرواحهم ولا لأعمالهم »[3].

وعلى الجمع بينهما جماعة من المفسّرين منهم : مقاتل، والطبري، والزجاج، والنحاس، وابن أبي زمنين، والواحدي، والسمعاني، والبغوي، وابن عطية، وابن الجوزي، والخازن، وابن القيم ، والثعالبي، والبقاعي، والسيد محمد رشيد رضا، والمراغي[4] .

واستدل الطبري لهذا بعموم خبر الله أن أبواب السماء لا تفتح لهم ، و لم يَخْصُصِ الخبرَ بأنه تفتح لهم في شيء ، فذلك على ما عمّه خبرُ الله بأنها لا تفتح لهم في شيء[5] .

قال الشوكاني : « ولا مانع من حمل الآية على ما يعم الأرواح والدعاء والأعمال ،

---

(1) أخرجه الطيالسي في مسنده (رقم ٧٨٩) ، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣/ ٣١٠ ، ٣٧٤ ، ٣٨٠ ــ ٣٨٢) ، وأحمد في مسنده (٣٠/ ٤٤٩ ــ ٥٠٦) رقم (١٨٥٣٤ ــ ١٨٥٣٦) ، وهناد في الزهد (٣٣٩) ، وأبو داود في سننه رقم (٣٢١٢ ، ٤٧٥٣ ، ٤٧٥٤) ، والطبري في جامع البيان (١٠/ ١٨٥) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٤٧٧ ، ١٤٧٨) رقم (٨٤٦٥) ، والحاكم وصححه (١/ ٣٧) . وينظر : الدر المنثور للسيوطي (٤٥٣/٣ــ ٤٥٥) .

(2) ينظر : مدارك التنزيل (٢/ ٥٣) ، ومحاسن التأويل (٧/ ٢٦٨١ ، ٢٦٨٢) ، والعذب النمير (٣/ ١١٤١) .

(3) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠/ ١٨٤) من طريق حجاج ، عنه .

(4) ينظر : تفسير مقاتل (٢/ ٣٧) ، وجامع البيان (١٠/ ١٨٢) ، ومعاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٣٧) معاني القرآن الكريم (٣/ ٣٤) ، وتفسير القرآن العزيز (٢/ ١٢٢) ، والوجيز (١/ ٣٩٤) والوسيط (٢/ ٣٦٧) ، وتفسير القرآن (٢/ ١٨١) ، ومعالم التنزيل (٢/ ١٠٢) ، والمحرر الوجيز (٥/ ٥٠٢) ، وتذكرة الأريب (١٧٨/١) ، ولباب التأويل (٨٧/٢) ، وبدائع التفسير (٢/ ٢١٢) ، والجواهر الحسان (١/ ٥٤٣ ، ٥٤٤) ، ونظم الدرر (٧/ ٣٩٩) ، وتفسير القرآن الحكيم (٨/ ٣٩٣) ، وتفسير المراغي (٨/ ١٥١) .

(5) ينظر : جامع البيان (١٠/ ١٨٤) .

ولا ينافيه ورود ما ورد من أنها لا تفتح أبواب السماء لواحد من هذه ، فإن ذلك لا يدل على [عدم] فتحها لغيره مما يدخل تحت عموم الآية »[1] .

وعلى التسوية بين هذين القولين يذهب البيضاوي ، وأبوالسعود[2]. وجعلهما السيد محمد رشيد رضا قولين غير متنافيين [3].

وبعد، فإذا تقرر هذا ، وكان ذلك كذلك فإن الأَولى في معنى الآية الكريمة ما قاله ابن جُريج ومن وافقه ؛ لأن فيه إعمالا للأدلّة كلها وعدم إهمال شيء منها ؛ لإمكان الجمع بينها وعدم تنافيها ، ولهذا فسّر ابن عباس الآية مرةً بهذا ومرةً بهذا ، وإذا أمكن الجمع بين القولين لشهود الأدلة على صحتهما كليهما فإنه لا يصار إلى الترجيح بينهما ؛ إذ ليس قول أَولى من الآخر بالصواب [4] . وهذا هو المتعيّن ، وعليه جمهور المفسّرين . والله تعالى أعلم . وأما القول الثاني وهو أن المعنى : لا يدخلون الجنة فمردود بالآية نفسها : ﴿ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ ﴾ . والله تعالى أعلم .

---

(1) فتح القدير (٢/ ٢٨٩) . وتبعه القنوجي (٤/ ٣٥٧ ، ٣٥٨) .

(2) ينظر : أنوار التنزيل (١/ ٣٣٩) ، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٢٥١) .

(3) ينظر : تفسير القرآن الحكيم (٣٩٣/٨) .

(4) ينظر : قواعد الترجيح (١/ ٤١ ــ ٤٥) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ (٤٦) ﴾

في هذه الآية الكريمة ثلاث مسائل

المسألة الأولى هي :

٨- الخلاف في عايد ضمير ﴿ وَبَيْنَهُمَا ﴾.

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « أي : بين الجنة والنار . أو بين أصحابهما ، وهو أرجح ؛ لقوله : ﴿ فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ ﴾ »[1] [الحديد : ١٣] .

العرض والمناقشة :

رجّح ابن جُزَيّ أن الضمير في قوله تعالى : ﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ﴾ يعود على أصحاب الجنة والنار . ووافق ما رُوِيَ عن ابن عباس في تفسير الأعراف حيث قال : والأعراف السور الذي بين أهل الجنة وأهل النار وهو الحجاب[2].

ووافق ابن جُزَيّ على هذا الترجيح : السمرقندي، والواحدي، وأبوحيان، وابن القيم، والسمين، والسيوطي، والسيد محمد رشيد رضا، والمراغي، والسعدي، والشنقيطي[3]. واحتمله ابن عطية، وتبعه الثعالبي[4] .

وذكره البغوي ، والخازن بصيغة (قيل)[5] .

واستدلّ له ابن جُزَيّ بقوله تعالى : ﴿ فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ ﴾ [الحديد : ١٣] .

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٣٣) .

(2) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٤٨٣) رقم (٨٤٨٩) .

(3) ينظر : بحر العلوم (١/ ٥٤٢) ، والوجيز (١/ ٣٩٥) والوسيط (٢/ ٣٧٠) ، والبحر المحيط (٤/ ٣٠١) ، وبدائع التفسير (٢/ ٢١٤) ، والدر المصون (٥/ ٣٢٨) ، وتفسير الجلالين (٣/ ٤٢) ، وتفسير القرآن الحكيم (٨/ ٤٠٣) ، وتفسير المراغي (٨/ ١٥٨) ، وتيسير الكريم الرحمن (٢/ ١١٤) ، وأضواء البيان (٢/٣٠٠ ، ٣٠١) ، والعذب النمير (٣/ ١١٧٣)

(4) ينظر : المحرر الوجيز (٥/ ٥١٢) ، والجواهر الحسان (١/ ٥٤٥) .

(5) ينظر : معالم التنزيل (٢/ ١٠٥) ، ولباب التأويل (٢/ ٩٠) .

وهذا من بيان القرآن بالقرآن[1].

ويقوّي أنه بين الفريقين لفظُ ﴿ بَيْنَهُم ﴾ في قوله : ﴿ فَضُرِبَ بَيْنَهُم ﴾ إذ هو ضمير العقلاء، ولا يُحِيلُ ضربَ السور بُعْدُ ما بين الجنة والنار وإن كانت تلك في السماء والنار أسفل السافلين[2].

ومما يدّ لهذا القول أيضا : أنهم هم المحدّث عنهم ، وهو الظاهر كما قاله أبوحيّان[3].

وأما القول الآخر بأن المراد بين الجنة والنار ، فالضمير راجع إليهما ، فعليه مقاتل، والطبري، وابن أبي زمنين، والسمعاني، والبغوي، وابن عطية ، وابن الجوزي ، والقرطبي، والخازن، والثعالبي، والطاهر بن عاشور[4].

وذكره أبو حيان ، والسمين ، والشنقيطي بصيغة (قيل)[5].

قال الطبري : « وبين الجنة والنار حاجز ، وهو السور الذي ذكره الله تعالى فقال: ﴿ فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴾ [الحديد:١٣] وهو الأعراف التي يقول الله جل ثناؤه فيها :﴿ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ ﴾ ».

وتبعه القرطبي على هذا الاستدلال بهذه الآية :﴿ فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ ﴾ على هذا القول ، وقال : « لأنه جرى ذكرهما ».

ويقول الطاهر بن عاشور : « ضمير ﴿ بَيْنَهُمَا ﴾ يعود إلى لفظي الجنة والنار الواقعين في قوله : ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ ﴾ [الأعراف : ٤٤] . وهما اسما مكان ، فيصلح اعتبار التوسط بينهما ، وجعل الحجاب فَصْلاً بينهما . وتثنية الضمير تعيّن هذا المعنى ، ولو أريد

---

(1) ينظر : أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٣٠١) ، والدر المصون للسمين (٥/ ٣٢٨) .

(2) ينظر : البحر المحيط (٤/ ٣٠١) .

(3) المصدر السابق .

(4)ينظر : تفسير مقاتل (٢/ ٣٨) ، وجامع البيان (١٠/ ٢٠٨) ، وتفسير القرآن العزيز (٢/ ١٢٤) ، وتفسير القرآن (٢/ ١٨٤) ، ومعالم التنزيل (٢/ ١٠٥) ، والمحرر الوجيز (٥/ ٥١٢) ، وزاد المسير (٣/ ٢٠٤) وتذكرة الأريب (١/ ١٧٨) ، والجامع لأحكام القرآن (٩/ ٢٢٦) ، ولباب التأويل (٢/ ٩٠) ، والجواهر الحسان (١/ ٥٤٥) ، والتحرير والتنوير (٨/ ١٤٠) .

(5) ينظر : البحر المحيط (٤/ ٣٠١) ــ وقال : وبدأبه الزمخشري وابن عطية ــ ، والدر المصون (٥/ ٣٢٨) ، والعذب النمير (٣/ ١١٧٣) .

من الضمير فريقا أهل الجنة وأهل النار لقال : (بينهم) كما قال : في سورة الحديد : ﴿ فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ ﴾ الآية ». اهـ .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن كلا القولين صحيح ، ولكلٍّ دليلٌ صحيح ، ولهذا فإن طائفة من المفسّرين سوّت بين القولين من غير ترجيح [1] بل إن السيد محمد رشيد رضا كأنه يسوّي بينهما فبعد أن فسّره "بالفريقين" عاد وقال : « بين الجنة والنار » ، ثم جعلهما متلازمين بقوله : « والأعراف هو ذلك السور والحجاب بين الدارين وأهلهما »[2].

فإذا كان ذلك كذلك فإن كلاهما قول صحيح ، والذي يظهر أنهما قولان متلازمان ، والله تعالى أعلم.

---

(1) ينظر : مفاتيح الغيب للرازي (٥/ ٢٤٨) ، وأنوار التنزيل للبيضاوي (١/ ٣٣٩) ، ومدارك التنزيل للنسفي (٥٤/٢) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان للقمي (٣/ ٣٣٩) ، ونظم الدرر للبقاعي (٧/ ٤٠٥) ، وإرشاد العقل السليم لأبي السعود (٢/ ٢٥٣) ، وروح المعاني للآلوسي (٨/ ١٢٣) ، وفتح القدير للشوكاني (٢٩٢/٢) ، وفتح البيان للقنوجي (٤/ ٣٦٤) ، ومحاسن التأويل للقاسمي (٧/ ٢٦٩١) .

(2) تفسير القرآن الحكيم (٨/ ٤٠٣ ، ٤٠٤) .

المسألة الثانية هي :

٩- الخلاف في المراد بـــ الأعراف .

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « قال ابن عباس : هو تَلٌّ بين الجنة والنار . وقيل : سور الجنة »[١].

العرض والمناقشة :

رجّح ابن جُزَيّ أن المراد بالأعراف ما قاله ابن عباس : « هو تَلٌّ بين الجنة والنار ، حُبِسَ عليه ناس من أهل الذنوب بين الجنة والنار »[٢] .

وقال سعيد بن جبير : « الأعراف جبالٌ بين الجنة والنار ، فهم على أعرافها ، يقول : على ذراها »[٣].

وذُكِرَ هذا التفسير أيضًا عن أبي هريرة[٤].

وذهب إليه تاج الدين أبو المحاسن القرشي اليماني[٥].

وأما القول الآخر في المراد بالأعراف أنه سور الجنة ، فالذي يظهر أن ابن جُزَيّ يقصد السورَ الذي بين الجنة والنار المذكورَ في قوله تعالى : ﴿ فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴾ [الحديد: ١٣] .

فإن كان ذلك كذلك ـــ وهو الظاهر ـــ فإنه رُوِيَ عن ابن عباس أيضا أنه قال : «الأعراف سور بين الجنة والنار »[٦].

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٣٣) .

(2) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠/ ٢١٠) من طريق عبيد الله بن أبي يزيد ، أنه سمع ابن عباس يقول ...

(3) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٤٨٤) . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٤١٦) نسبته إلى ابن المنذر وأبي الشيخ .

(4) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٢٠٤) قال : وقال أبو هريرة : الأعراف جبال بين الجنة والنار ، فهم على أعرافها ، يعني : على ذراهها ، خلقتها كخلقة عرف الديك .

(5) ينظر : الترجمان عن غريب القرآن (٤٩) .

(6) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠/ ٢١١) من طريق علي بن أبي طلحة ، عنه . وأخرجه أيضًا (١٠/ ٢١٠) وهناد في الزهد (٢٠٤) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٤٨٣) رقم (٨٤٩١) من طريق مجاهد ، عنه قال : الأعراف سور كعرف الديك . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٤٦٠) نسبته إلى الفريابي ، وعبد بن حميد ، وأبي الشيخ . وأخرجه أيضًا (١٠/ ٢١١) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٤٨٣) رقم (٨٤٨٩) و

وعلى هذا التفسير حذيفة[1]، ومجاهد[2]، وقتادة[3]، والضحاك[4]، والسدي[5]، وأبوجعفر[6].

وإلى هذا القول ذهب جمهور المفسّرين وأكثرهم ومنهم : مقاتل، والفراء، وأبوعبيدة، والطبري، والنحاس، والسمرقندي، والسمعاني، والكرماني، والبغوي، والزمخشري، وابن عطية، ومحمود النيسابوري، وابن الجوزي، والرازي، والقرطبي، والبيضاوي، والنسفي، وأبوحيان، وابن التركماني، وابن القيم، والبلنسي، والبقاعي، وأبوالسعود، والشوكاني، والقنوجي، والقاسمي، والسيد محمد رشيد رضا، والمراغي، والطاهر بن عاشور، والشنقيطي[7].

(٥/١٤٨٥) رقم (٨٥٠٢) من طريق عبد الله بن الحارث ، عنه . وأخرجه الطبري (١٠/ ٢١١) من طريق عطية العوفي ، عنه .

(1) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٤٨٣) عقب الأثر (٨٤٩١) . ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٤٦١) إلى سعيد بن منصور ، وابن المنذر .

(2) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠/ ٢١٠) و (١٠/ ٢١١) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٤٨٣) رقم (٨٤٩٢) من طريق ابن أبي نجيح ، عنه قال : الأعراف حجاب بين الجنة والنار ، سور له باب . وهناد في الزهد (٢٠٣) من طريق خصيف ، عنه . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٤٦٠) نسبته إلى عبد بن حميد ، وأبي الشيخ .

(3) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢٢٩) عن معمر ، عنه .

(4) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠/ ٢١٢) . وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٤٨٣) .

(5) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠/ ٢٠٨) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٤٨٣) رقم (٨٤٩٠) من طريق أسباط ، عنه .

(6) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠/ ٢١١) .

(7) ينظر : تفسير مقاتل (٢/ ٣٩) ، ومعاني القرآن (١/ ٣٧٩) ، ومجاز القرآن (١/ ٢١٥) ، وجامع البيان (٢٠٨/١٠) ، وإعراب القرآن (٢/ ١٢٧) ، وبحر العلوم (١/ ٥٤٢) ، وتفسير القرآن (٢/ ١٨٤) ـــ وقال: وعليه الأكثرون ـــ ، وغرائب التفسير وعجائب التأويل (١/ ٤٠٤) ، ومعالم التنزيل (٢/ ١٠٥) ، والكشاف (٢/ ٤٤٦) ، والمحرر الوجيز (٥/ ٥١٢) ، وإيجاز البيان (١/ ٢٧٠) ، وتذكرة الأريب (١/ ١٧٨) ، ومفاتيح الغيب (٥/ ٢٤٨) ، والجامع لأحكام القرآن (٩/ ٢٢٦) ، وأنوار التنزيل (١/ ٣٣٩) ، ومدارك التنزيل (٥٤/٢) ، والبحر المحيط (٤/ ٣٠١) ، وبهجة الأريب (١/ ٢١٨) ، وبدائع التفسير (٢/ ٢١٤) ، وتفسير مبهمات القرآن (١/ ٤٧٧) ، ونظم الدرر (٧/ ٤٠٦) ، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٢٥٣) ، وفتح القدير (٢/ ٢٩٣) ، وفتح البيان (٤/ ٣٦٤) ، ومحاسن التأويل (٢٦٩٢/٧) ، وتفسير القرآن الحكيم (٤٠٤/٨) ، وتفسير المراغي (٨/ ١٥٩) ، والتحرير والتنوير (٨/ ١٤١) ، والعذب النمير (٣/ ١١٧٤) .

قال الطبري : « يعني جل ثناؤه بقوله : ﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ﴾: وبين الجنة والنار ﴿ حِجَابٌ ﴾. يقول : حاجز ، وهو السور الذي ذكره الله تعالى فقال : ﴿ فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴾ [الحديد:١٣] وهو الأعراف التي يقول الله جل ثناؤه فيها : ﴿ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ ﴾ »[١].

والأعراف في اللغة : المكان المُشْرِفُ ، جمع عُرْفٍ[٢] .

يقال لكلِّ عالٍ : عُرْف . وكل ما ارتفع من الأرض وعلا فهو عرف ، وجمعه : أعراف[٣] .

قال الشاعر :

كُلُّ كِنازٍ لَحْمُهُ نِيَافِ كالعَلَم المُوفي على الأعراف[٤]

وقال الآخر :

وَرِثْت بناءَ آباءٍ كرامٍ عَلَوا بالمجد أعراف البناءِ[٥]

ومنه قول الشماخ :

وظلَّتْ بأعرافٍ تَعَالَى ..[٦]

ومنه : عرف الفرس وعرف الديك ؛ لعلوهما[٧].

ويقول الطبري : « الأعراف جمعٌ ، واحدها عُرْفٌ ، وكل مرتفع من الأرض عند العرب فهو عرف ، وإنما قيل لعُرْفِ الديك : عُرْفٌ؛ لارتفاعه على ما سواه من جسده»[٨].

---

(1) جامع البيان (١٠/ ٢٠٨) .

(2) ينظر : معاني القرآن الكريم للنحاس (٣/ ٤٠) . وهو بهذا المعنى مروي عن ابن عباس أيضًا . ينظر : تفسير عبد الرزاق (٢/ ٢٢٩) ، وجامع البيان للطبري (١٠/ ٢٠٩) ، وتفسير ابن أبي حاتم (٥/ ١٤٨٣) ، والدر المنثور للسيوطي (٣/ ٤٦٠) . واندرج معه أيضًا بهذا التفسير الكلبي ، وأبومجلز .

(3) ينظر : زاد المسير (٣/ ٢٠٤) ، ولسان العرب (عرف) .

(4) البيت غير منسوب في مجاز القرآن (١/ ٢١٥) ، وجامع البيان (١٠/ ٢٠٩) ، ولسان العرب (نوف) ، وزاد المسير (٣/ ٢٠٤) . والكناز : المجتمع اللحم القويّ اللحم ، والنياف : الطويل ، والعَلَم : الجبل .

(5) ينظر : زاد المسير (٣/ ٢٠٤) .

(6) ديوان الشماخ (٥٣) . والبيت في مجاز القرآن (١/ ٢١٥) ، والمحرر الوجيز (٥/ ٥١٣) .

(7) ينظر : الكشاف (٢/ ٤٤٦) ، والمحرر الوجيز (٥/ ٥١٣) .

(8) جامع البيان (١٠ / ٢٠٩) .

وقال السيد محمد رشيد رضا : « والتحقيق أن الأعراف هو ذلك السور والحجاب بين الدارين وأهلهما أو أعاليه التي يكون عليها أولئك الرجال الذين يرون أهل الجنة وأهل النار جميعًا قبل الدخول فيهما ــ فيما يظهر ــ فيعرفون كلا منهما بسيماهم ... وأما بعد الدخول فيها فالتمييز بين الفريقين من تحصيل الحاصل ، وذكره عبث يترّه عنه التنزيل إلاّ إذا أريد معرفة أشخاص معينين وهو لا يظهر هنا وإنما يظهر في قوله : ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا ﴾ »[1] [الأعراف: ٤٨].

وقال الشنقيطي : « وهذه الأعراف معناها بإطباق المفسرين أماكن مرتفعة عالية ، وأكثر المفسرين على أنها هي أعاليها والسورُ وشرفاتُه ؛ لأن هذا الحجاب المضروب بين أهل الجنة والنار ، والسور الذي له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب له شرفات ــ أي : أعاليه له شرفات ــ مرتفعة في أعلاه هي الأعراف التي عليها هؤلاء الرجال المذكورون . وعلى هذا القول أكثر المفسّرين »[2] .

وإن كان مقصود ابن جُزَيّ أنه سور خاص بالجنة فقد يكون مأخوذًا من كلام الواحدي في الوجيز[3] حيث قال : « يريد سور الجنة » . لكنه في الوسيط[4] قال : « قال ابن عباس : " يريد سور الجنة " . وهو سور بين الجنة والنار » . ثم عاد عند تفسير قوله : ﴿ رِجَالٞ ﴾ فقال نقلا عن ابن عباس والمفسّرين : « هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم ...فيقومون على سور الجنة ، ثم يدخلهم الله الجنة برحمته .. » .

وعلى هذا ــ إن كان ذلك كذلك ــ السيوطي[5]. و لم أره لغيرهما .

وأورد السيوطي في الدر المنثور[6] ما أخرجه البيهقي في البعث عن أنس بن مالك ، عن النبي ﷺ قال : (إن مؤمني الجنّ لهم ثواب وعليهم عقاب) . فسألناه عن ثوابهم فقال : (على الأعراف وليسوا في الجنة مع أمة محمد) . فسألناه : وما الأعراف ؟ قال : (حائط

---

(1) تفسير القرآن الحكيم (٨/ ٤٠٤) .

(2) العذب النمير (٣/ ١١٧٤) .

(3) (١/ ٣٩٥) .

(4) (٢/ ٣٧١) .

(5) ينظر : تفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٣/ ٤٣) .

(6) (٣/ ٤٥٦) .

الجنة، تجري فيه الأنهار وتنبت فيه الأشجار والثمار)[1] .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن الله تعالى ذكر ثلاثة أشياء : الحجابَ بين الجنة والنار أو بين الفريقين ، والأعرافَ ، والسورَ المضروبَ بين أهل الجنة والنار ، والقرآنُ يفسّر بعضه بعضًا.

وأكثر المفسّرين على أن الحجاب هو السور ، وأن الأعراف هي أعاليه وشرفاته المرتفعة كما تدلّ على ذلك اللغة ، وهو المرويّ عن ابن عباس وغيره من السلف . وهذا القول هو الأرجح؛ لقوة دليله ، والله تعالى أعلم .

وأما القول بأن تفسير الأعراف بأنها جبال فهذا من الأشياء الغيبية التي لا يصار إليها إلا بدليل ثابت مرفوع (ولا يصحّ حمل الآية القرآنية على تفصيلات وتفسيرات غيبية لا دليل عليها من القرآن والسنة)[2] . وهذا وإن رُوي عن ابن عباس فإن الأَولى بالتقديم قولُه الآخر والذي وافقه فيه أكثر السلف ، وروي عنه من طرق كثيرة .

وأما تفسير الأعراف بأنها سور الجنة على ما ذكر السيوطي فيه حديثًا، فإنه حديث لا يصح ، وهذا قول غريب ، والله تعالى أعلم .

---

(1) أخرجه البيهقي في البعث والنشور رقم (١٠٨) ، ورواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ـــ من طريق البيهقي ـــ في ترجمة الوليد بن موسى ، وإسناده ضعيف جدًا . وينظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦/ ٣١٠ ـــ ٣١١) . والوليد بن موسى : قواه أبو حاتم ، وقال غيره : متروك ، وقال الدارقطني : منكر الحديث ، ووهّاه العقيلي وابن حبان، وقال الحاكم : أحاديثه موضوعة . ينظر : ترجمته : ميزان الاعتدال للذهبي (١٤٤/٧) ، ولسان الميزان لابن حجر (٢٢٧/٦) .

(2) قواعد الترجيح (١٠٠/١) .

المسألة الثالثة هي :

١٠- الخلاف في المراد بـــ أصحاب الأعراف المذكورين في قوله تعالى :

﴿ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ ﴾.

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « هم أصحاب الأعراف . ورد في الحديث أنهم قوم من بني آدم استوت حسناتهم وسيئاتهم ، فلم يدخلوا الجنة ولا النار . وقيل : هم قوم خرجوا إلى الجهاد بغير إذن آبائهم ، فاستشهدوا ، فمنعوا من الجنة لعصيان آبائهم ، ونجَوْا من النار للشهادة »[1].

العرض والمناقشة :

رجّح ابن جُزَيّ أن أصحاب الأعراف هم قوم من بني آدم استوت حسناتهم وسيئاتهم فحبسوا على الأعراف فلم يدخلوا الجنة ولا النار مستدلاً على ذلك بما ورد في الحديث .

ووافق في هذا الترجيح ما روي عن ابن مسعود[2]، وحذيفة[3] ، وابن عباس[4]، وأبي هريرة[5]، وعبد الله بن الحارث بن نوفل[6]، والشعبي[7]، ومجاهد[8]،

---

(1) التسهيل (٢/ ٣٣) .

(2) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠/ ٢١٣ ، ٢١٤) من طريق ابن المبارك ، عن أبي بكر الهذلي ، عن سعيد بن جبير ، عنه مُطَوّلا وفيه : فمن استوت حسناته وسيئاته كان من أصحاب الأعراف . وأخرجه ابن المبارك في الزهد (٤١١ ـــ زوائد نعيم) . وأبو بكر الهذلي متروك الحديث . ينظر : لسان الميزان (٤٥٤/٧) .

(3) رُوِيَ من طُرُق عن الشعبي ، عن حذيفة قال : هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم ، فقصّرت بهم سيئاتهم عن الجنة ، وخلّفت بهم سيئاتهم عن النار ، فوقفوا هنالك على السور حتى يقضي الله فيهم ، فيقول : ادخلوا الجنة بفضلي ومغفرتي ، لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون . أخرجها الطبري في جامع البيان (١٠/ ٢١٢ ـــ ٢١٦) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٤٨٤) رقم (٨٤٩٩) ، وغيرهما .

(4) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ٢٢٩) ـــ ومن طريقه الطبري في جامع البيان (١٠/ ٢١٧) ـــ عن معمر ، عن قتادة ، عنه قال : أهل الأعراف قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم . وأخرجه الطبري أيضًا من طريق همام (١٠/ ٢١٥) ، ومن طريق سعيد (١٠/ ٢١٧) كلاهما عن قتادة به نحوه .

(5) نسبه له ابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٢٠٥) .

(6) ينظر : الدر المنثور للسيوطي (٣/ ٤٦٣) وفيه نسبته إلى الفريابي ، وابن أبي شيبة ، وهناد ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وأبي الشيخ .

(7) نسبه في الدر المنثور (٣/ ٤٦٦) إلى أبي الشيخ . وينظر : زاد المسير (٣/ ٢٠٥) .

(8) نسبه في الدر المنثور (٣/ ٤٦) إلى عبد بن حميد ، وأبي الشيخ ، والبيهقي في البعث والنشور .

وقتادة[1]، وسعيد بن جبير[2]، وأبي علقمة مولى عثمان[3]، والضحاك[4]، وعطاء[5].

وذهب إليه جمهور المفسّرين ومنهم : مقاتل بن سليمان، والفراء، والطبري، والنحاس، والواحدي ، وابن الجوزي، وأبوحيان، وابن القيم، وابن كثير، والبلنسي، والبقاعي، والسيوطي، والسيد محمد رشيد رضا ، والمراغي، والسعدي، والشنقيطي[6].

واستدل لهذا القول بحديث جابر قال : سئل رسول الله ﷺ عمّن استوت حسناته وسيئاته ؟ فقال : (أولئك أصحاب الأعراف ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾) [7] .

وحديث حذيفة قال : قال رسول الله ﷺ : (يجمع الناس يوم القيامة ، فيؤمر بأهل الجنة إلى الجنة ويؤمر بأهل النار إلى النار ، ثم يقال لأصحاب الأعراف : ما تنتظرون ؟ قالوا: ننتظر أمرك . فيقال لهم : إن حسناتكم تجاوزت بكم النار أن تدخلوها ، وحالت بينكم وبين الجنة خطاياكم ، فادخلوا الجنة بمغفرتي ورحمتي)[8].

قال ابن القيم : «وهو الثابت عن الصحابة . وقد رويت فيه آثار كثيرة مرفوعة لا

---

(1) نسبه له ابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٢٠٥) .

(2) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠/ ٢١٧) .

(3) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠/ ٢١٧ ــ ٢١٨) .

(4) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠/ ٢١٧) من طريق جويبر عنه .

(5) نسبه له السمعاني في تفسيره (٢/ ١٨٤) .

(6) ينظر : تفسير مقاتل (٢/ ٤٠) ــ لكنه خصّهم بأنهم من أمة محمد ﷺ . وينظر : زاد المسير لابن الجوزي (٢٠٥/٣) ــ ، ومعاني القرآن (١/ ٣٨٠) ، وجامع البيان (١٠/ ٢٢٢) ، ومعاني القرآن الكريم (٣/ ٣٩) ــ وقال عنه بأنه أشهر وأعرف ــ ، والوجيز (١/ ٣٩٥) والوسيط (٢/ ٣٧١) ، وتذكرة الأريب (١٧٩/١) ، والبحر المحيط (٤/ ٣٠١ ، ٣٠٢) ، وبدائع التفسير (٢/ ٢١٤) ، وتفسير القرآن العظيم (٦/ ٣٠٦) ، وتفسير مبهمات القرآن (١/ ٤٧٦) ، ونظم الدرر (٧/ ٤٠٦) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٤٣/٣) ، وتفسير القرآن الحكيم (٨/ ٤٠٦ ــ ٤٠٨) ، وتفسير المراغي (٨/ ١٥٩) ، وتيسير الكريم الرحمن (١١٥/٢) ، والعذب النمير (٣/ ١١٧٧) .

(7) أخرجه ابن مردويه كما في تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦/ ٣٠٦) . قال ابن كثير : وهذا حديث غريب من هذا الوجه . اهـ . وإسناده ضعيف جدًا . وينظر : تخريج الأحاديث والآثار في كتاب التسهيل لسامي الجهني (٢/ ٦٥٥). وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٤٦٣) نسبته إلى أبي الشيخ ، وابن عساكر .

(8) نسبه في الدر المنثور (٣/ ٤٦٣) إلى البيهقي في البعث .

تكاد تثبت أسانيدها ، وآثار الصحابة في ذلك معتمدة »[1].

وقال ابن كثير : « واختلفت عبارات المفسّرين في أصحاب الأعراف من هم ؟ وكلها قريبة ترجع إلى معنى واحد ؛ وهو : أنهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم . نصَّ عليه حذيفة وابن عباس وابن مسعود وغير واحد من السلف والخلف رحمهم الله »[2].

ويقول السيد محمد رشيد رضا : « والإنصاف أن هذا الدعاء [وهو قوله تعالى عنهم: ﴿ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُوا۟ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾] أليق بحال من استوت حسناتهم وسيئاتهم ، وكانوا موقوفين مجهولا مصيرهم ».

ثم أورد أثر حذيفة وابن مسعود ثم قال : « فهذا أوضح بيان مفصّل للقول الذي اعتمده الجمهور ، وللأثرين الموقوفين فيه قوة الحديث المرفوع »[3].

وأُورِد على هذا القول أن هؤلاء الذين استوت حسناتهم وسيئاتهم ، ليسوا من الرجال وحدهم والتعبير برجال يمنع أن يكون فيهم نساء ، والتغليب لا يظهر هنا .

وأجيب عنه بأن تخصيص الرجال بالذكر ؛ لأنهم هم الذين يخاطبون أهل الجنة وأهل النار دون من معهم من النساء[4] .

قال الشنقيطي : « وظاهر القرآن أنهم كلهم ذكور ؛ لأنه قال ﴿ رِجَالٌ ﴾ ولم يقل "نساء"، والمقرر في الأصول : أن لفظة "الرجال" لا يدخل فيها النساء . وقال بعض العلماء: إذا ذكر الرجال فلا مانع من دخول النساء بحكم التبع . واستأنسوا لهذا بأن العرب تسمي المرأةَ " رَجُلَة " ، وتسمية المرأة " رجلة " لغة صحيحة معروفة في كلام العرب ، ومنه قول الشاعر:

كُلُّ جَارٍ ظَلَّ مغتبطًا ... غير جيران بني سلمة

مَزّقوا ثوب فتاتهم ... لم يراعوا حرمة الرجُلة

يعني : المرأة »[5].

---

(1) بدائع التفسير (٢/ ٢١٦) .

(2) تفسير القرآن العظيم (٦/ ٣٠٦) .

(3) تفسير القرآن الحكيم (٨/ ٤٠٧ ــ ٤٠٨) .

(4) ينظر : تفسير القرآن الحكيم (٨/ ٤٠٦ ، ٤٠٨) .

(5) العذب النمير (١١٧٧/٣) . وروى ابن جني البيتين كما في اللسان (رجل) وفيه : "جَبَله" بدل : سلمة ، "خَرَقُوا

وأما القول الثاني وهو أن أصحاب الأعراف هم قوم خرجوا إلى الجهاد بغير إذن آبائهم ، فاستشهدوا ، فمنعوا من الجنة لعصيان آبائهم ، ونجوا من النار للشهادة ، فرُوِيَ عن النبي ﷺ من طريق محمد بن المنكدر ، عن رجل من مزينة قال : سئل رسول الله ﷺ عن أصحاب الأعراف ؟ فقال : (إنهم قوم خرجوا عصاة بغير إذن آبائهم ، فقتلوا في سبيل الله)[1].

قال ابن كثير : « والله أعلم بصحة هذه الأخبار المرفوعة ، وقصاراها أن تكون موقوفة، وفيه دلالة على ما ذكر »[2].

وبه قال شرحبيل بن سعد[3].

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن القول الراجح في المراد بأصحاب الأعراف هو ما رجّحه ابن جُزَيّ ومن وافقه ، وهو : أنهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم ، وهذا تفسير السلف من الصحابة والتابعين وهو حجة على من بعدهم[4]، وهو قول جمهور المفسّرين[5].

وأما القول الآخر فإنه من جنس القول الأول ويندرج فيه ، وهو كالتمثيل لهذا الاستواء بين الحسنات والسيئات ؛ لأن الجهاد والاستشهاد حسنة ، وعقوق الوالدين سيئة ، والقول بالعموم في استواء الحسنات والسيئات دون التمثيل أَولى ، لا سيما وأنه لم يصح ما روي عن النبي ﷺ في ذلك . والله تعالى أعلم .

جَيْبَ" بدل : مَزّقوا ثوب ، "يُبالوا" بدل : يراعوا . وقال : عَنى بجَيْبِها هَنَها .

(1) أخرجه ابن مردويه كما في تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦/ ٣٠٦) . ونسبه له أيضًا السيوطي في الدر المنثور (٤٦٥/٣) وزاد نسبته إلى أبي الشيخ . وروي مرفوعًا أيضًا من حديث عبد الرحمن المزني ، ومن حديث أبي سعيد الخدري ، ومن حديث ابن عباس . وكلها لا تصح عن النبي ﷺ . ينظر : جامع البيان للطبري (٢١٨/١٠) ، وتفسير ابن أبي حاتم (٥/ ١٤٨٤) ، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦/ ٣٠٧ ــ ٣٠٨) ، والدر المنثور للسيوطي (٣/ ٤٦٤ ــ ٤٦٥) .

(2) تفسير القرآن العظيم (٦/ ٣٠٨) .

(3) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠/ ٢١٨) .

(4) ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين (١/ ٢٧١) .

(5) ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل لابن جُزَيّ (١/ ٩) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾

١١- الخلاف في القائل : ﴿ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍ ﴾، ومَن المشارُ إليه ؟

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « مِنْ كلام أصحاب الأعراف خطابًا لأهل النار ، والإشارة بهؤلاء إلى أهل الجنة ؛ وذلك أن الكفار كانوا في الدنيا يُقْسِمون أن الله لا يرحم المؤمنين ولا يعبأ بهم فظهر خلافُ ما قالوا . وقيل : هي من كلام الملائكة خطابًا لأهل النار، والإشارة بهؤلاء إلى أصحاب الأعراف »[1].

العرض والمناقشة :

رجّح ابن جُزَيّ أن أصحاب الأعراف هم القائلون لأهل النار : أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة ...، وهؤلاء إشارة إلى أهل الجنة .

ووافق في هذا الترجيح ما نُسِب إلى الحسن[2]، وابن السائب[3]. وقال به ابن الأنباري[4].

ووافقه على هذا جمهور المفسّرين منهم : السمرقندي، والواحدي، والسمعاني، والبغوي، والزمخشري، والرازي، والقرطبي، والنسفي، والخازن، والقمي، وأبوحيان، وابن القيم، والثعالبي، والبقاعي، والسيوطي، وأبوالسعود، والشوكاني، والقنوجي، والقاسمي، والسيد محمد رشيد رضا، والمراغي، والسعدي، والطاهر بن عاشور، والشنقيطي[5].

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٣٣) .

(2) نسبه له القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٩/ ٢٣٢) .

(3) نسبه له ابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٢٠٧ ، ٢٠٨) .

(4) نسبه له السمين في الدر المصون (٥/ ٣٣٢) .

(5) ينظر : بحر العلوم (١/ ٥٤٤)، والوسيط (٢/ ٣٧٢)، وتفسير القرآن (٢/ ١٨٦) ، ومعالم التنزيل (١٠٧/٢)، والكشاف (٢/ ٤٤٦) ، ومفاتيح الغيب (٥/ ٢٥١) ، والجامع لأحكام القرآن (٩/ ٢٣٢) ، ومدارك التنزيل (٢/ ٥٥) ، ولباب التأويل (٢/ ٩١) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ٢٤١) ، والبحر المحيط (٣٠٣/٤) ، وبدائع التفسير (٢/ ٢١٧) ، والجواهر الحسان (١/ ٥٤٧) ، ونظم الدرر (٧/ ٤٠٧) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٣/ ٤٦) ، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٢٥٣) ، وفتح القدير (٢/ ٢٩٤) ، وفتح

ومال إليه الآلوسي وقدّمه على غيره[1].

وعلّله ابن جُزَيّ بأن الكفار في الدنيا كانوا يحلفون أن الله لا يرحم المؤمنين في الآخرة ولا يعبأ بهم فظهر خلافُ ما قالوه .

قال السعدي : « وهذا كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ إلى أن قال : ﴿ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ » [المطففين] .

واستُدِلَّ لهذا القول بظاهر القرآن .

يقول الشنقيطي : « فظاهر القرآن أنه من بقية كلام أصحاب الأعراف ، يوبّخون رؤساء أهل النار ، ويقولون لهم : أهؤلاء الضعفاء المساكين الذين كنتم تسخرون منهم في الدنيا ، وتستهزئون بهم ، وتضحكون منهم ...».

وقال الطاهر : « والإشارة بـــ هَٰٓؤُلَآءِ إلى قوم من أهل الجنة كانوا مستضعفين في الدنيا ومحقّرين عند المشركين بقرينة قوله : ﴿ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ ﴾ ، وقوله: ﴿ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ ﴾» .

وأما القول الثاني وهو أن الملائكة هم الذين قالوا : ﴿ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ ﴾، يخاطبون بذلك أهل النار ، ويشيرون إلى أصحاب الأعراف ، فهو قولٌ مركبٌ من قولين مَرْوِيَّيْن عن ابن عباس ، وأبي مِجْلز ؛

أما ابن عباس فإنه جعله من قيل الله خطابًا لأهل النار ، والإشارة لأصحاب الأعراف[2].

البيان (٤/ ٣٦٨) ، ومحاسن التأويل (٧/ ٢٦٩٤ ، ٢٦٩٥) ، وتفسير القرآن الحكيم (٤٠٩/٨) ، وتفسير المراغي (٨/ ١٦٢) ، وتيسير الكريم الرحمن (٢/ ١١٥) ، والتحرير والتنوير (٨/ ١٤٦) ، والعذب النمير (٣/ ١١٨٧) .

(1) ينظر : روح المعاني (٨/ ١٢٦) .

(2) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠/ ٢٣١) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٤٨٧ ــ ١٤٨٩) رقم (٨٥١٥، ٨٥٢٨) من طريق علي بن أبي طلحة ، وعطية العوفي ، عنه . وزاد نسبته السيوطي في الدر المنثور (٤٦٨/٣) إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر .

وأما أبومِجْلِز فإنه جعله من قيل الملائكة خطابًا لأهل النار ، والإشارة لأهل الجنة[1].

وهكذا جعلهما الطبري قولين اثنين على هذا التفصيل المبني على ما أُثِر عن هذين المفسّرَيْن[2].

ويميل الطبري إلى ترجيح قول ابن عباس[3]؛ لأنه قد ردَّ على قول أبي مِجْلِز والذي بناه على رأيه في أصحاب الأعراف بأنهم هم الملائكة[4]، وهو قول شاذٌّ مخالف لتفسير الصحابة والتابعين، وجمهور المفسّرين[5].

وأما ابن جُزَيّ فإنه تبع ابنَ عطية في التلْفيق بين القولين ، والغريب أن ابن عطية نسبه لابن عباس ! وعزاه للنَقّاش ، وقدّمه ومال إليه[6].

وهو قول مقاتل[7] . وذهب إليه الواحدي، وابن كثير[8].

وذكره القرطبي ، والخازن ، وأبوالسعود بصيغة (قيل)[9]، وكذا ابن القيم ثم قال عنهما : « والقولان قويان محتملان »[10]. وسوّى البيضاوي بينهما[11].

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن أَوْلى القولين بالصواب في ذلك هو ما رجّحه ابن جُزَيّ ومن وافقه ؛ لظاهر القرآن (ولا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل)[12]، وهو اختيار أكثر المفسّرين، والله تعالى أعلم .

---

(1) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠/ ٢١٩ ــ ٢٢١ ، ٢٢٧ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠) من طرق عن أبي مِجْلِزٍ . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٤٨٦) رقم (٨٥٠٧) .

(2) ينظر : جامع البيان (١٠/ ٢٣٠ ، ٢٣٤) .

(3) ينظر : المصدر السابق (١٠/ ٢٣٤) . واختاره ابن الجوزي في تذكرة الأريب (١/ ١٧٩) .

(4) ينظر : جامع البيان (١٠/ ٢٢١) .

(5) ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين (١/ ٢٨٨) .

(6) ينظر : المحرر الوجيز (٥/ ٥١٨) .

(7) ينظر : تفسير مقاتل (٢/ ٣٩) .

(8) ينظر : الوجيز (١/ ٣٩٦) ، وتفسير القرآن العظيم (٦/ ٣١٣) .

(9) ينظر : الجامع لأحكام القرآن (٩/ ٢٢٩) ، ولباب التأويل (٢/ ٩١) ، وبدائع التفسير (٢/ ٢١٧) ، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٢٥٤) .

(10) بدائع التفسير (٢/ ٢١٧) .

(11) ينظر : أنوار التنزيل (١/ ٣٤١) .

(12) ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين (١/ ١٣٧) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾

١٢- متى تولى عنهم : قبل نزول العذاب ؟ أم بعد هلاكهم ؟

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « يحتمل أن يكون تولِّيه عنهم وقولُه لهم حين عقروا الناقة قبل نزول العذاب بهم ؛ لأنه رُوِي أنه خرج من بين أظهرهم . أو أن يكون ذلك بعد أن هلكوا ، وهو ظاهر الآية . وعلى هذا خاطبهم بعد موتهم على وجه التفجُّع عليهم »[1].

العرض والمناقشة :

اختلف المفسّرون رحمهم الله في وقت تولّي نبيّ الله صالح عليه السلام عن قومه : هل كان قبل نزول العذاب ؟ أم كان بعد نزوله وهلاكهم ؟

ظاهر كلام ابن جُزَيّ يرجِّح الثاني بدلالة ظاهر الآية الكريمة . ووافق في هذا مفهوم ما رُويَ عن قتادة قال : إن نبي الله صالحًا أسمع قومه كما والله أسمع محمد ﷺ قومه [2].

وعلى هذا من المفسّرين : الواحدي، والسمعاني، والبغوي ، والزمخشري، والبيضاوي، والقمي، وأبوحيان، وابن كثير، والبقاعي، وأبوالسعود، والآلوسي، والقاسمي ، والمراغي، والسعدي، والشنقيطي[3].

وذكره السمرقندي بصيغة (يقال)[4]، والقنّوجي بصيغة (قيل)[5].

---

(1) التسهيل (٢/ ٣٨) .

(2) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٥١٧) رقم (٨٦٩٠) . وينظر : زاد المسير لابن الجوزي (٣/ ٢٢٧) .

(3) ينظر : الوجيز (١/ ٤٠١) والوسيط (٢/ ٣٨٥) ، وتفسير القرآن (٢/ ١٩٥) ، ومعالم التنزيل (٢/ ١٢١) ، والكشاف (٢/ ٤٦٨) ، وأنوار التنزيل (١/ ٣٤٨) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ٢٧٥) ، والبحر المحيط (٤/ ٢٣٢) ، وتفسير القرآن العظيم (٦/ ٣٤٤) ، ونظم الدرر (٧/ ٤٥١) ، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٢٦٧) ، وروح المعاني (٨/ ١٦٥) ، ومحاسن التأويل (٧/ ٢٧٨٩) ، وتفسير المراغي (٨/ ٢٠٢) ، وتيسير الكريم الرحمن (٢/ ١٣٠) ، والعذب النمير (٣/ ١٣٧٠) .

(4) ينظر : بحر العلوم (١/ ٥٥٣) .

(5) ينظر : فتح البيان (٤/ ٤٠٠) .

واستُدِلَّ لهذا القول بظاهر الآية الكريمة ؛ فإن ظاهرها يدل على أن تولّيه عنهم كان بعد أن أبصرهم جاثمين . قال الله تعالى : ﴿ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ ﴾ .

قال الرازي : « والفاء تدل على التعقيب ، فدلّ على أن حصول هذا التولّي بعد جثومهم »[1].

ويقول الشنقيطي : « لأن قوله : ﴿ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ ﴾ مرتّبٌ بالفاء على قوله : ﴿ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾ ، والفاء تقتضي التعقيب ، فكونه قال لهم هذا بعد أن ماتوا وأصبحوا في دارهم جاثمين هو ظاهر القرآن ، وظاهر القرآن لا يجوز العدول عنه إلاّ لأمر يجب الرجوع إليه »[2].

واستدل له أيضًا العلاّمة السيد محمد رشيد رضا بأنه أسلوب معهود وطريق مسلوك ؛ ما يقوله المتحسّر على من مات جاثيًا على حياته بالسكر ونحوه المُعَزِّي لنفسه بأنه لم يقصر في دفع الضرر عنه ، والمتحزن لعدم قبوله ما بذل من النصح له : ألم أنهك عن هذه المسكرات ؟ ألم أحذرك عاقبة هذه المخدرات؟ ولكن لا تحب الناصحين . ونحو هذا مما يقال في أحوال الحزن المختلفة خطابًا للموتى بحسب أحوالهم ، بل عهد منهم : مخاطبة الديار ، والطلول والآثار[3].

والدليل الآخر على رجحان هذا القول : القياسُ على نبي الله محمد ﷺ لما خاطب صناديد قريش وهم موتى في قَلِيب بدر ، فإن رسول الله ﷺ لما ظهر على أهل بدر ، أقام هناك ثلاثًا ، ثم أمر براحلته فشدت بعد ثلاثٍ من آخر الليل فركبها ، ثم سار حتى وقف على القليب ؛ قليب بدر ، فجعل يقول : (يا أبا جهل بن هشام ، يا عتبة بن ربيعة ، يا شيبة بن ربيعة ، ويا فلان بن فلان ، هل وجدتم ما وعد ربكم حقًّا ؟ فإني وجدت ما وعدني ربي حقًّا) . فقال عمر : يا رسول الله ، ما تكلّم من أقوام قد جيَّفوا . فقال : (والذي نفسي بيده ، ما أنتم أسمع لما أقول منهم ، ولكنهم لا يجيبون)[4] .

---

(1) مفاتيح الغيب (٥/ ٣٠٩) .

(2) العذب النمير (٣/ ١٣٧٠) .

(3) ينظر : تفسير القرآن الحكيم (٨/ ٤٧٢) .

(4) أخرجه أحمد في مسنده (١٨٢ ط التركي) ، ومسلم في صحيحه (٢٨٧٣) من حديث عمر بن الخطاب رضي

وأما القول بأن توليه عنهم وقوله لهم حيث عقروا الناقة كان قبل نزول العذاب بهم ، فهو مفهوم كلام مقاتل[1]. وعليه : الفراء، والطبري، والسمرقندي، والماوردي، وابن عطية، وابن الجوزي، والقرطبي، والنسفي، والثعالبي، والشوكاني، والقنوجي[2].

وذكره أبو حيّان ، وأبوالسعود ، والآلوسي بصيغة (قيل)[3] وزاد الأخير بأنه خلاف الظاهر.

واستُدِلَّ لهذا القول بأنه رُوِيَ أنه عليه السلام خرج من بين أظهرهم قبل نزول العذاب[4].

وهذه رواية لم تثبت ، ولو ثبتت لكانت نصًّا في المسألة .

ويدل له ظاهر مخاطبته لهم[5].

قال الرازي : « وذلك يدل على كونهم أحياء من ثلاثة أوجه : أحدها : أنه قال لهم : ﴿يَٰقَوۡمِ﴾ والأموات لا يوصفون بالقوم ؛ لأن اشتقاق لفظ القوم من الاستقلال بالقيام ، وذلك في حق الميت مفقود . والثاني : أن هذه الكلمات خطاب مع أولئك وخطاب الميت لا يجوز . والثالث : أنه قال :﴿وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾. فيجب أن يكونوا بحيث يصح حصول المحبة فيهم . ويمكن أن يجاب عنه فنقول : قد يقول الرجل لصاحبه وهو ميت وكان قد نصحه ، فلم يقبل تلك النصيحة حتى ألقى نفسه في الهلاك : يا أخي منذ كم نصحتك فلم تقبل ؟ وكم منعتك فلم تمتنع ؟ فكذا ههنا »[6]. اهـ .

الله عنه . وأخرجه أحمد في مسنده (٨٤٦٤) ، والبخاري في صحيحه (١٣٧٠) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما . وأخرجه أحمد في مسنده (١٢٠٢٠) ، ومسلم في صحيحه (٢٨٧٤) من حديث أنس رضي الله عنه . وأخرجه أحمد في مسنده (٢٦٣٦١) من حديث عائشة رضي الله عنها .

(1) ينظر : تفسير مقاتل (٢/ ٤٧) .

(2) ينظر : معاني القرآن (١/ ٣٨٥) ، وجامع البيان (١٠/ ٣٠٤) ، وبحر العلوم (١/ ٥٥٣) ، والنكت والعيون (٢/ ٢٣٦) ، والمحرر الوجيز (٥/ ٥٦٨) ، وتذكرة الأريب (١/ ١٨٢) وزاد المسير (٣/ ٢٢٧) ، والجامع لأحكام القرآن (٩/ ٢٧٢ ــ ٢٧٣) ، ومدارك التنزيل (٢/ ٦٢) ، والجواهر الحسان (١/ ٥٥٨) ، وفتح القدير (٢/ ٣١٢) ، وفتح البيان (٤/ ٤٠٠) .

(3) ينظر : البحر المحيط (٤/٢٣٢) ، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٢٦٨) ، وروح المعاني (٨/ ١٦٦) .

(4) كذا ذكره ابن جُزَيّ متابعًا فيه لابن عطية في المحرر الوجيز (٥/ ٥٦٨) .

(5) ينظر : المحرر الوجيز (٥/ ٥٦٨) ، والبحر المحيط لأبي حيان (٤/ ٢٣٢) .

(6) مفاتيح الغيب (٥/ ٣٠٩) . والجواب عن الوجه الثالث نقله عن الزمخشري كما في الكشاف (٢/ ٤٦٩) .

وأجاب أبوحيان عن قوله : ﴿ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾ بتقدير : ولكن كنتم لا تحبون فتكون حكاية حال ماضية [1].

ويجاب عن الوجه الأول بعدم الامتناع من وصف الأموات بالأقوام ، وعن الثاني بثبوت ذلك عن النبي ﷺ في مخاطبته لقتلى بدر .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن ما رجّحه ابن جُزَيّ ومن وافقه هو القول الراجح؛ لظاهر القرآن، ولما ثبت عن نبينا ﷺ مع كفار قريش وهم قتلى في قليب بدر .

ويتأيد هذا القول بقاعدة (عدم جواز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل)[2] ، وقاعدة (إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجّح له على ما خالفه)[3] . والله تعالى أعلم .

---

(1) ينظر : البحر المحيط (٤/ ٢٣٢) .

(2) ينظر : قواعد الترجيح عند المفسّرين (١/ ١٣٧) .

(3) ينظر : المصدر السابق (١/ ٢٠٦) .

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَأَرۡسِلۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ ﴾

١٣- الخلاف في معنى قوله : ﴿ أَرْجِهْ ﴾ .

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « ﴿ أَرْجِهْ ﴾ : من قَرَأَه بالهمزة فهو من "أَرجأت الرجل" إذا أخرته[1]، فمعناه : أخِّرْهما حتى ننظر في أمرهما . وقيل : المراد بالإرجاء هنا السجن »[2].

العرض والمناقشة :

رجّح ابن جُزَيّ أن قوله : ﴿ أَرْجِهْ ﴾ــ على قراءة من قرأه بالهمزة ــ معناه : أَخِّرْهُ ، ووافق في هذا الترجيح ما رُوِيَ عن ابن عباس[3] ، والحسن[4]. وعلى هذا عامة المفسّرين منهم : مقاتل، والفراء، وأبوعبيدة، وابن قتيبة، والطبري، والزجاج، والنحاس ، وابن أبي زمنين، ومكي، والواحدي، والسمعاني، والبغوي، والزمخشري ، والباقولي ، وابن عطية، وابن الجوزي، والرازي، والقرطبي ، والبيضاوي، والخازن ، والقمي ، والقرشي اليماني، والثعالبي ، والبقاعي، والسيوطي، وأبوالسعود، والشهاب الخفاجي، والآلوسي، والشوكاني، والقنوجي ، والقاسمي ، والسيد محمد رشيد رضا ، والمراغي ، والطاهر بن عاشور[5].

---

(1) قرأ ابن كثير ، وهشام عن ابن عامر : [أَرْجِئْهُو] مهموزة بواو بعد الهاء في اللفظ . وقرأ أبو عمرو : [أَرْجِئْهُ] مضمومة الهاء من غير إشباع . وقرأ ابن عامر ــ قال أبو حيان : في رواية ابن ذكوان ــ : [أَرْجِئهِ] بالهمز وكسر الهاء من غير إشباع . وقرأ نافع برواية ورش عنه ، والكسائي : [أَرْجِهي] بغير همز وبجر الهاء ، يصلان بياء . وقرأ الحلواني عن نافع : [أَرْجِهِ] بكسر الهاء من غير إشباع . وهي قراءة قالون والمسيبي عن نافع كذلك كما قاله ابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٢٣٩) . وقرأ عاصم ، وحمزة : [أَرْجِهْ] بترك الهمزة وسكون الهاء . ينظر: حجة القراءات لابن زنجلة (٢٨٩ ــ ٢٩١) .

(2) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٤١) .

(3) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٠/ ٣٥٠) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٥٣٣) رقم (٨٧٩٠) و (٨/ ٢٧٦١) رقم (١٥٦٠٦) من طريق ابن جريج ، عن عطاء الخراساني ، عنه . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٥١٢) نسبته إلى ابن المنذر ، وأبي الشيخ .

(4) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٢/ ٢٤٥) .

(5) ينظر : تفسير مقاتل (٢/ ٥٣) ، ومعاني القرآن (١/ ٣٨٨) ، ومجاز القرآن (١/ ٢٢٥) ، وزاد المسير لابن الجوزي (٣/ ٢٣٩) ، وجامع البيان (١٠/ ٣٤٩) ، ومعاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٦٥) ، ومعاني القرآن

ودليل هذا القول اللغة .

قال الطبري : « الإرجاء في كلام العرب التأخير ، يقال منه : أَرْجَيْتُ هذا الأمر وأرجأته ، إذا أخرته . ومنه قول الله جل ثناؤه : ﴿ تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ ﴾ [الأحزاب : ٥١] : تؤخر . فالهمز من كلام بعض قبائل العرب من قيس ، يقولون : أرجأت هذا الأمر . وترك الهمز من لغة تميمٍ وأسدٍ ، يقولون : أرجيته »[1].

وقال النحاس : « المعروف عند أهل اللغة أن يقال : أرجأت هذا الأمر : إذا أخرته»[2].

ومنه قول الله تعالى : ﴿ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة : ١٠٦][3].

أي : مُؤَخرون لأمر الله حتى يترل الله فيهم ما يريد ـــ على قراءة : ﴿ مُرْجَؤون ﴾[4].

ومنه المرجئة ، سمّوا بذلك ؛ لتأخيرهم العمل في الإيمان ، فإنهم زعموا أن العمل ليس من الإيمان ، قاله السمعاني[5].

وأما القول بأن المراد بالإرجاء هنا السجن ، فإنه رُوِي عن قتادة[6] ،

الكريم (٣/ ٦٢) ، وتفسير القرآن العزيز (٢/ ١٣٥) ، وتفسير المشكل (١٧٣) ، والوجيز (١/ ٤٠٦) والوسيط (٢/ ٣٩٣) ، وتفسير القرآن (٢/ ٢٠٣) ، ومعالم التزيل (٢/ ١٣٥) ، والكشاف (٢/ ٤٨٥) ، وكشف المشكلات (١/ ٤٧٣) ، والمحرر الوجيز (٦/ ٣١) ، وتذكرة الأريب (١/ ١٨٥) ، ومفاتيح الغيب (٥/ ٣٣٢) ، والجامع لأحكام القرآن (٩/ ٢٩٤) ، وأنوار التزيل (١/ ٣٥٤) ، ولباب التأويل (٢/ ١١٧)، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ٢٩٨) ، والترجمان (٥٠) ، والجواهر الحسان (١/ ٥٦٦) ، ونظم الدرر (٨/ ٢٥) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٣/ ٨٩) ، ، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٢٨٣) وحاشية الشهاب (٤/ ٢٠٢) ، وفتح القدير (٢/ ٣٢٨) ، وروح المعاني (٩/ ٢١) ، وفتح البيان (٤٢٦/٤)، ومحاسن التأويل (٧/ ٢٨٣٢) ، وتفسير القرآن الحكيم (٩/ ٥٧) ، وتفسير المراغي (٩/ ٢٥) ، والتحرير والتنوير (٩/ ٤٣) .

(1) جامع البيان (١٠/ ٣٤٩) .

(2) معاني القرآن العظيم (٣/ ٦٢) . وينظر : جمهرة اللغة لابن دريد (٣/ ٢٢٣) ، ومقاييس اللغة لابن فارس (٤٩٥/٢) ، والمصباح المنير (١/ ٢٣٧) ، والصحاح للجوهري ، ولسان العرب لابن منظور مادة (رجأ) .

(3) ينظر : الوسيط للواحدي (٢/ ٣٩٣) .

(4) ينظر : لسان العرب مادة (رجأ) .

(5) تفسير القرآن (٢/ ٢٠٣) .

(6) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠/ ٣٥١) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٥٣٣) رقم (٨٧٩١) و

والكلبي[1]. وعليه السمرقندي[2].

وذكره البغوي ، والزمخشري ، وأبوحيان ، والآلوسي ، والشوكاني ، والقنوجي بصيغة (قيل)[3].

وضعّفه الرازي لوجهين : الأول : أن الإرجاء في اللغة هو التأخير لا الحبس .

والثاني : أن فرعون ما كان قادرًا على حبس موسى بعد ما شاهد حال العصا[4].

وكذا زيّفه القمي بأنه خلاف اللغة[5] .

وقد جمع بين القولين : التركماني، والسعدي[6] .

ويردُّه قوله تعالى : ﴿ فَٱجۡعَلۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكَ مَوۡعِدٗا لَّا نُخۡلِفُهُۥ نَحۡنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانٗا سُوٗى ٥٨ ﴾ [طه] فلو كان محبوسًا لما احتاجوا إلى ضرب موعد بينهم ، والله أعلم .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن القول الراجح في معنى ﴿ أَرۡجِهۡ ﴾ هو التأخير أي : أخرهما وأمهلهما. وهو ما رجّحه ابن جُزَيّ وعامة المفسّرين .

ويتأيد باللغة والقرآن ؛ فإنه يجب حمل كلام الله تعالى على المعروف من كلام العرب[7]، والقول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك[8]. والله تعالى أعلم .

(٢٧٦١/٨) . وزاد السيوطي نسبته في الدر المنثور (٣/ ٥١٢) إلى عبد بن حميد .

(1) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٢/ ٢٤٥) ، ونسبه إليه القمي كذلك في غرائب القرآن (٢٩٨/٣) .

(2) ينظر : بحر العلوم (١/ ٥٥٩) .

(3) ينظر : معالم التنزيل (٢/ ١٣٥) ، والكشاف (٢/ ٤٨٥) ، والبحر المحيط (٤/ ٣٥٩) ، وروح المعاني (٢١/٩)، وفتح القدير (٢/ ٣٤٩) ، وفتح البيان (٤/ ٤٢٦) وضعّفه .

(4) ينظر : مفاتيح الغيب (٥/ ٣٣٢) . وتبعه الخازن (٢/ ١١٧) .

(5) ينظر : غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ٢٩٨) .

(6) ينظر : بهجة الأريب (٢٢٢) ، وتيسير الكريم الرحمن (٢/ ١٤١) .

(7) قواعد الترجيح عند المفسرين (١/ ٣٦٩) .

(8) المصدر السابق (٢/ ٣١٢) .

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾

١٤- الخلاف في المراد بالطوفان المرسل على فرعون وقومه .

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « روي أنه كان مطرًا شديدًا دائمًا مع فيض النيل حتى هدم بيوتهم ، وكادوا يهلكون ، وامتنعوا من الزراعة . وقيل : هو الطاعون »[1].

العرض والمناقشة :

رجّح ابن جُزَيّ أن الطوفان يراد به المطر مستدلاً على ذلك بما رُوي في ذلك . ووافق ما رُوي عن ابن عباس[2]، وسعيد بن جبير[3] ، وقتادة[4]، والضحاك[5]، والسدي[6]،

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٤٢) .

(2) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٠/ ٣٨٩) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٥٤٥) رقم (٨٨٦١) من طريق علي بن أبي طلحة ، عنه . وأخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٠/ ٣٧٩) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٥٤٥) رقم (٨٨٦٤) من طريق سعيد بن جبير ، عنه . وأخرجه الطبري في جامع البيان (١٠/٣٨٠) و (١٠/ ٣٩١) من طريق عطية العوفي ، عنه . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٥٤٤) رقم (٨٨٥٧) من طريق أبي روق ، عن الضحاك ، عنه .

(3) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٠/ ٣٨٦) . وعلّقه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٥٤٤) عقب الأثر (٨٨٥٧) . ونسبه إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر : السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٥١٩) . وأخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٠/ ٣٩٤) عن سعيد بن جبير أيضًا وفيه : (قال : وقد قال قائل لابن عباس : إني سألت ابنَ عمر عن الطوفان . فقال : ما أدري موتًا كان أو ماءً . فقال ابن عباس : أما يقرأ ابنُ عمر سورة العنكبوت حين ذكر الله قوم نوح فقال :﴿ فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [العنكبوت]. أرأيت لو ماتوا ، إلى من جاء موسى عليه السلام بالآيات الأربع بعد الطوفان ؟

(4) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ٢٣٤) عن معمر ، عنه . وأخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٠/٣٨٨) من طريق معمر به . و (١٠/ ٣٨٩) من طريق سعيد ، عنه .

(5) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٠/ ٣٧٩) من طريق جويبر ، عنه . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٥٤٤) رقم (٨٨٥٤) من طريق عبيد بن سليمان ، عنه . وعلّقه أيضًا عنه عقب الأثر (٨٨٥٧).

(6) أخرجه ابن جرير الطبري في جامعا البيان (١٠/ ٣٨٧) من طريق أسباط ، عنه . وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره عقب الأثر رقم (٨٨٥٧) معلّقًا عنه .

وأبي مالك[1]، وابن إسحاق[2]. وذهب إليه جمهور المفسّرين منهم : مقاتل، والفراء، وابن قتيبة، والزجاج، والسمرقندي، وابن أبي زمنين، ومكي، والواحدي، والزمخشري، وابن عطية، وابن الجوزي، والعكبري، والرازي، والقرطبي، والبيضاوي، والقمي، والسمين، والثعالبي، والسيوطي، وأبوالسعود، والشهاب، والشوكاني، والآلوسي، والقنوجي، والقاسمي، والسيد رشيد رضا ، والمراغي، والسعدي، والطاهر بن عاشور ، والشنقيطي[3] .

ويشهد لهذا القول اللغة والقرآن .

أما اللغة ، فإن استعمال العرب للطوفان كثر في الماء والمطر الشديد .

قال ابن عطية : « الطوفان : مصدر من قولك : طاف يطوف ، فهو عامٌ في كل شيء يطوف إلاّ أن استعمال العرب له كثر في الماء والمطر الشديد ، ومنه قول الشاعر :

غَيّر الجدّة من آياتها خِرَقُ الريحِ وطوفانُ المطر[4]

ومنه قول أبي النَّجْم :

قد مدَّ طوفانٌ فبث مددًا شهرًا شآبيب وشهرًا بردًا »[5] .

---

(1) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٠/ ٣٧٩) ، وذكره معلّقًا عنه ابن أبي حاتم عقب الأثر (٨٨٥٧) .

(2) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٠/ ٣٩٢) .

(3) ينظر : تفسير مقاتل (٢/ ٥٧) ، ومعاني القرآن (١/ ٣٩٢) ــ و زاد المسير لابن الجوزي (٣/ ٢٤٨) ، والبحر المحيط لأبي حيان (٤/ ٣٧٢) ــ ، ومعاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٦٩) ، وبحر العلوم (١/ ٥٦٤) ، وتفسير القرآن العزيز (٢/ ١٣٩) ، وتفسير المشكل (١٧٤) ــ فسّره بالسيل العظيم ــ ، والوجيز (١/ ٤٠٩) والوسيط (٢/ ٣٩٨) ، والكشاف (٢/ ٤٩٦) ، والمحرر الوجيز (٦/ ٤٩ ، ٥٠) ، وزاد المسير (٣/ ٢٤٨) وتذكرة الأريب (١/ ١٨٦) ، والتبيان (١/ ٥٩٠) ، ومفاتيح الغيب (٥/ ٣٤٦) ــ وعزاه إلى الأكثرين ــ ، والجامع لأحكام القرآن (٣٠٩/٩) ، وأنوار التنزيل (١/ ٣٥٧) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣٠٧/٣)، والدر المصون (٥/ ٤٣٣) ــ ونسبه لليث ــ ، والجواهر الحسان (١/ ٥٧٠) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٣/ ١٠١) ، وإرشاد العقل السليم (٢٨٩/٢) ، وحاشية الشهاب (٤/ ٢٠٩) ، وروح المعاني (٣٣/٩)، وفتح القدير (٢/ ٣٣٨) ، وفتح البيان (٤/ ٤٣٩) ، ومحاسن التاويل (٧/ ٢٨٤١) تفسير القرآن الحكيم (٩/ ٨٠) ، وتفسير المراغي (٩/ ٤٣) ، وتيسير الكريم الرحمن (٢/ ١٤٧) ، والتحرير والتنوير (٦٩/٩)، و العذب النمير (٤/ ١٥٢٩) .

(4) نسبه الطبري في جامع البيان (١٠/ ٣٨٢) إلى الحسن بن عُرفُطَة ، وجاء فيه : غير الجدّة من عِرْفانِه ... ويروى: خُرُقُ الريح بطوفان المطر .

(5) المحرر الوجيز (٦/ ٤٩) . وينظر : الدر المصون (٥/ ٤٣٣) .

وجاء في الصحاح للجوهري : الطوفان : المطر الغالب ، والماء الغالب ، يغشى كل شيء . قال تعالى : ﴿ فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ ﴾[1] [العنكبوت] .

وقال الشنقيطي : « كما صرّح الله بذلك ؛ لأنه أهلك قوم نوح بالطوفان »[2].

وأما القول الآخر بأن الطوفان هو الطاعون فإنه رُوِيَ عن مجاهد[3] . ونُسِبَ إلى وهب بن منبه[4]، وأبي قلابة[5] .

ولم أقف على من ذهب إليه! بل ذكره الزمخشري ، والبيضاوي ، وأبوالسعود ، والشوكاني، والآلوسي بصيغة (قيل)[6].

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن ما رجّحه ابن جُزَيّ مِنْ أن الطوفان هنا المراد به الماء والمطر هو القول الراجح ؛ لدلالة اللغة له ، وشهادة القرآن له كما في قوله تعالى : ﴿ فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ ، وهو اختيار جمهور المفسّرين .

ويؤيده من القواعد الترجيحية عند المفسّرين قاعدة : (وجوب حمل كلام الله تعالى على المعروف من لغة العرب وكلامهم)[7]، وقاعدة : (القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك)[8] . ومن أوجه الترجيح عند ابن جُزَيّ : أن يكون القول قول الجمهور وأكثر المفسّرين ؛ فإن كثرة القائلين بالقول يقتضي ترجيحه[9] . والله تعالى أعلم .

---

(1) (٤/ ٣٩٧) . وينظر : المصباح المنير (٢/ ٢٨) .

(2) العذب النمير (٤/ ١٥٢٩) .

(3) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٠/ ٣٧٩) من طريق عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عنه قال : الطوفان الماء والطاعون على كل حال . وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٥٤٥) رقم (٨٨٦٠) .

(4) نسبه إليه البغوي في معالم التنزيل (٢/ ١٤٠) ، وابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٢٤٨) .

(5) قال أبو قلابة : الطوفان : الجدري ، وهم أول من عذبوا به فبقي في الأرض . ينظر : معالم التنزيل للبغوي (١٤٠/٢) ، والكشاف للزمخشري (٢/ ٤٩٦) ، والبحر المحيط لأبي حيان (٤/ ٣٧٣) .

(6) ينظر : الكشاف (٢/ ٤٩٦) ، وأنوار التنزيل (١/ ٣٥٧) ، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٢٨٩) ، وفتح القدير (٢/ ٣٣٨) ، وروح المعاني (٩/ ٣٣) .

(7) قواعد الترجيح عند المفسرين (١/ ٣٦٩) .

(8) المصدر السابق (١/ ٣١٢) .

(9) التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ٩) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَـٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَـٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾ ﴾

١٥- الخلاف في معنى ﴿يَعْرِشُونَ﴾ واشتقاقها .

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « أي : يَبْنُون . وقيل : هي الكروم وشبهها . فهو على الأول من العرش ، وعلى الثاني من العريش »[1] .

العرض والمناقشة :

رجّح ابن جُزَيّ أن معنى ﴿يَعْرِشُونَ﴾ : يَبْنُون ، واشتقاقها من العَرْش ، ووافق في هذا ما رُوِيَ عن ابن عباس[2]، ومجاهد[3].

وإليه ذهب مقاتل، وأبوعبيدة، والطبري، والزجاج، والنحاس، وابن أبي زمنين، ومكي، والواحدي، والسمعاني، وابن الجوزي، والخازن، وابن التركماني، وابن كثير، والثعالبي، والسيوطي[4]. وجَوّزه الطاهر بن عاشور[5].

وذكره القمي ، والشوكاني ، والقنوجي بصيغة (قيل) [6].

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٤٣) .

(2) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٠/ ٤٠٧) من طريق علي بن أبي طلحة ، عنه . وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٥٥٢) رقم (٨٩٠٠) من طريق أبي روق ، عن الضحاك ، عنه .

(3) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٠/ ٤٠٧) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٥٥٢) رقم (٨٩٠١) من طريق أبي نجيح ، عنه . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣ / ٥٣٢) نسبته إلى ابن أبي شيبة ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وأبي الشيخ .

(4) ينظر : تفسير مقاتل (٢/ ٦٠) ، ومجاز القرآن (١/ ٢٢٧) ، وجامع البيان (١٠/ ٤٠٧) ، ومعاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٧١) ، ومعاني القرآن الكريم (٣/ ٧٣) ، وتفسير القرآن العزيز (٢/ ١٤٠) ، وتفسير المشكل (١٧٤) ، والوجيز (١/ ٤١١) والوسيط (٢/ ٤٠٣) ، وتفسير القرآن (٢/ ٢١٠) ، وزاد المسير (٣/ ٢٥٣) وتذكرة الأريب (١/ ١٨٧) ، ولباب التأويل (٢/ ١٢٤) ، وبهجة الأريب (٢٢٥) ، وتفسير القرآن العظيم (٣٧٩/٦) والجواهر الحسان (١/ ٥٧٢) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٣/ ١٠٦) .

(5) ينظر : التحرير والتنوير (٩/ ٧٩) .

(6) ينظر : غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ٣٠٩) ، وفتح القدير (٢/ ٣٤١) ، وفتح البيان (٤/ ٤٤٥) .

قال الزجاج : « عَرَشَ يَعْرِشُ وتَعْرُشُ : إذا بَنى »[1].

والعَرْشُ : البناء والتنضيد . قاله ابن عطية[2] .

ومنه قوله تعالى : ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا ﴾ [البقرة: ٢٥٩] .

قال الطبري : « وأما العروش فإنها الأبنية والبيوت ، واحدها عَرْشٌ ، وجَمْعُ قليله أَعْرُشُ، وكل بناء فإنه عَرْشٌ ، ويقال : عَرَشَ فلان ، إذا بنى ـــ يَعْرِشُ ويَعْرُشُ ـــ عرشًا ، ومنه قول الله تعالى ذكره :﴿ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴾. يعني : يبنون . ومنه قيل : عَريشُ مكة ، يعني به خيامها وأبنيتها »[3]. اهـ .

ومنه أيضا قوله تعالى : ﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ ﴾ [الحج] .

قال الطبري :«﴿ عَلَىٰ عُرُوشِهَا ﴾. يعني : على بنائها وسقوفها » .

وأسند عن الضحاك في قوله : ﴿ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا ﴾. قال : خواؤها : خرابها، وعروشها : سقوفها[4].

وأما في آية الأعراف هذه فقد قال : « وما كانوا يبنون من الأبنية والقصور ، فأخرجناهم من ذلك كلّه ، وخربنا جميع ذلك »[5] .

وجاء في اللسان : والعرش : البيت ، وجمعه عروش . وعرش البيت : سقفه . والعرش والعريش : ما يستظل به[6] .

وأما القول الآخر بأن المراد بقوله : ﴿ يَعْرِشُونَ ﴾ هي الكروم وشبهها ، وأن

---

(1) معاني القرآن وإعرابه (٢/٣٧١).

(2) المحرر الوجيز (٦ / ٥٧) .

(3) جامع البيان (٤/ ٥٨٥) .

(4) ينظر : جامع البيان (١٦ / ٥٩٠) . وأثر الضحاك أخرجه أيضًا ابن أبي حاتم في تفسيره (٢/ ٥٠٠ ، ٥٠١) رقم (٢٦٤٥ ، ٢٦٤٧) .

(5) جامع البيان (١٠/ ٤٠٧) .

(6) لسان العرب ، مادة (عرش) .

اشتقاقها من العريش ، فهو قول الحسن[1].

وذهب إليه القمي، والسمين ، والشوكاني، والقنوجي ، والسيد محمد رشيد رضا، والمراغي، والطاهر بن عاشور[2] .

واستدلوا له بنظيره في القرآن وهو قوله تعالى :﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ ﴾[3][الأنعام : ١٤١] .

قال الطاهر : « ﴿ يَعْرِشُونَ ﴾ : ينشئون من الجنات ذات العرايش . والعريش : ما يرفع من دوالي الكروم ، ويطلق أيضًا على النخلات العديدة تربَّى في أصل واحد »[4] .

وقريء شاذًّا بالغين المعجمة والسين المهملة من غَرْس الأشجار[5].

ويمكن أيضًا أن يستدل له بقوله تعالى : ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [النحل] .

قال ابن زيد في قوله : ﴿ يَعْرِشُونَ ﴾ قال : « الكَرْم »[6].

أما الطبري فجعل المعنى : مما يبنون من السقوف فرفعوها بالبناء[7].

وكذلك قوله تعالى : ﴿ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا ﴾ [الكهف : ٤٢] .

ووجهه : أن العروش هنا يراد بها النبات من العنب والنخل ؛ لأن الله ذكر ذلك في

---

(1) نسبه إليه البغوي في معالم التنزيل (٢/ ١٤٤) ، وابن عطية في المحرر الوجيز (٦/ ٥٧، ٥٨) ، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٩/ ٣١٦) ، والخازن في لباب التأويل (٢/ ١٢٤) ، وأبوحيان في البحر المحيط (٤/ ٣٧٧) ، والقنوجي في فتح البيان (٤/ ٤٤٥) .

(2) ينظر : غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ٣٠٩) ، والدر المصون (٥/ ٤٤١) ، وفتح القدير (٢/ ٣٤١) ، وفتح البيان (٤/ ٤٤٥) ، وتفسير القرآن الحكيم (٩/ ٩٠) ، وتفسير المراغي (٩/ ٤٩) ، والتحرير والتنوير (٩/٧٨) .

(3) ينظر : غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ٣٠٩) ، وفتح القدير (٢/ ٣٤١) .

(4) التحرير والتنوير (٩/ ٧٨) .

(5) ذكر هذه القراءة : (يَغْرِسُون) الزمخشري في الكشاف (٢/ ٤٩٨) ثم قال : وما أحسبه إلاّ تصحيفًا . وينظر : الدر المصون (٥/ ٤٤١) ، وروح المعاني (٩/ ٤٠) . وينظر صحيفة (٢٩١) من هذا البحث .

(6) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٤ / ٢٨٧) .

(7) ينظر : المصدر السابق (١٤ / ٢٨٦) .

أول القصة فقال : ﴿ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلٗا رَّجُلَيۡنِ جَعَلۡنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيۡنِ مِنۡ أَعۡنَٰبٖ وَحَفَفۡنَٰهُمَا بِنَخۡلٖ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمَا زَرۡعٗا ٣٢ ﴾ [الكهف] .

ولذا قال الطبري : « وهي خالية على نباتها وبيوتها »[1].

وقال السمين : « أصل العرش : شيء مسقَّف . ومنه : عَرَّشْتُ الكرم أُعَرِّشُه : إذا جعلت له كهيئة السقف . ويقال له : عَريشٌ أيضًا . واعترش العنب : ركّب عرشه . وقوله:﴿ وَمَا كَانُواْ يَعۡرِشُونَ ﴾. أي : لكرومهم »[2].

وجاء في اللسان : وعَرْشُ الكَرْم : ما يدعم به من الخشب . وعَرَش الكَرْمَ يَعْرِشُه ويَعْرِشُه عرشًا وعروشًا وعرَّشه : عَمِلَ له عَرْشًا . وعَرَّشه إذا عطف العيدان التي ترسل عليها قضبان الكرم . والواحد عَرْش والجمع عُرُوش . ويقال : اعترش العنبُ العريش اعتراشًا إذا علاه على العراش [3].

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن الأَوْلَى هو الجمع بين القولين وتجويزهما معًا ؛ لدلالة القرآن على كل منهما ، ولاستعمال اللغة لهما .

وإذا كان ذلك كذلك فلا ينبغي إهمال قول منهما بل الأصحُّ والأرجح القول بالجمع والعموم ، فيكون قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانُواْ يَعۡرِشُونَ ﴾ شاملاً تدميره ــ جلّ وعزّ ــ ما كانوا يبنونه من القصور والبيوت وما كانوا يرفعونه من جنات الأعناب والنخيل .

وإلى هذا ذهب السمرقندي، والبقاعي[٤] فقالا : ما كانوا يبنون من البيوت والكروم ، ومن الجنان والقصور العالية الأركان .

وجوّزهما الزمخشري[٥]. وسوّى بينهما البيضاوي، والنسفي، وأبوالسعود ، والآلوسي، والقاسمي[٦] ، قالوا : وما كانوا يعرشون من الجنات أو ما كانوا يرفعون من البنيان كصرح

---

(1) المصدر السابق (١٥ / ٢٦٨) .

(2) عمدة الحفاظ (٣/ ٥٠) مادة (عرش) .

(3) ينظر : لسان العرب ، مادة (عرش) .

(4) ينظر : بحر العلوم (١/ ٥٦٦) ، ونظم الدرر (٨/ ٤٥) .

(5) ينظر : الكشاف (٢/ ٤٩٨) .

(6) ينظر : أنوار التنزيل (١/ ٣٥٨) ، ومدارك التنزيل (٢/ ٧٣) ، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٢٩١) ، وروح المعاني (٩/ ٣٩) ، ومحاسن التأويل (٧/ ٢٨٤٥) .

هامان . فكلا القولين حق ، والقرآن يشهد لكل منهما ، وليس أحدهما أَوْلَى من الآخر [1] والله تعالى أعلم .

(1) ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين (١/ ٤٥) .

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴾

١٦- الخلاف في المراد بـــ دَارَ ٱلْفَـٰسِقِينَ .

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « أي : دار فرعون وقومه [وهي] [1] مِصْرُ ، ومعنى ﴿ سَأُو۟رِيكُمْ ﴾: كيف أقفرت منهم لما هلكوا . وقيل : منازل عاد وثمود ، ومن هلك من الأمم المتقدمة ؛ ليعتبروا بها . وقيل : جهنم . وقرأ ابن عباس : ﴿ سَأُورِثُكُمْ ﴾ بالثاء من الوراثة ، وهي على هذا [مِصْرُ] [2] ؛ لقوله :﴿ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ »[3][الشعراء : ٥٩].

العرض والمناقشة :

رجّح ابن جُزَيّ أن المراد بـــ ﴿ دَارَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴾ هي مِصْرُ ، ووافق في هذا ما رُوِيَ عن علي بن أبي طالب[4] ، وسعيد بن جبير[5]، وقتادة[6]، وعطية العوفي[7] .

ووافقه على هذا الترجيح مقاتل، وابن أبي زمنين، والزمخشري، وابن الجوزي، وأبوحيان، والسيوطي، والقنوجي[8] .

---

(1) في المطبوع : وهو ، والصواب ما أثبته .

(2) في المطبوع : مصدر ، وكذا في جميع النسخ !! والصواب ما أثبته .

(3) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٤٥) .

(4) نسبه إليه ابن عطية في المحرر الوجيز (٦/ ٧٧) ، وأبوحيان في البحر المحيط (٤/ ٣٨٩) .

(5) نسبه إليه القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٩/ ٣٣٠) .

(6) أخرجه أبو الشيخ كما في الدر المنثور (٣/ ٥٦٢) . ونسبه إليه أيضًا الآلوسي في روح المعاني (٩/ ٦٠) .

(7) نسبه إليه ابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٢٦٠) ، والبغوي في معالم التنزيل (٢/ ١٥٢) ، والخازن في لباب التأويل (٢/ ١٣٠) ، وأبوحيان في البحر المحيط (٤/ ٣٨٩) ، والآلوسي في روح المعاني (٩/ ٦٠) ، والقنوجي في فتح البيان (٥/ ١٧) .

(8) ينظر : تفسير مقاتل (٢/ ٦٣) ـــ ونسبه إليه ابن عطية ، وأبو حيان ـــ ، و تفسير القرآن العزيز (٢/ ١٤٢) ، والكشاف (٢/ ٥٠٨) ، وتذكرة الأريب (١/ ١٨٨) ، والبحر المحيط (٤/ ٣٨٩) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٣/ ١١٤) ، وفتح البيان (٥/ ١٧) .

وتعجّب منه الكرماني[1] .

واستدلوا له بقوله تعالى :﴿ وَأَوۡرَثۡنَٰهَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٥٩ ﴾. [الشعراء] .

ويؤيده قراءة من قرأ : ﴿ سَأُورِثُكُمۡ ﴾ بالثاء المثلثة كما في قوله تعالى : ﴿ وَأَوۡرَثۡنَا ٱلۡقَوۡمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسۡتَضۡعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلۡأَرۡضِ وَمَغَٰرِبَهَا ﴾ [الأعراف : ١٣٧] . قاله أبوالسعود[2].

وقال القمي : « ويدل عليه قوله :﴿ وَأَوۡرَثۡنَا ٱلۡقَوۡمَ ... ﴾ [الأعراف : ١٣٧] وقوله : ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةً وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ٥ ﴾»[3] [القصص] .

ونقل القنوجي عن جمهور المفسرين أن بني إسرائيل بعد ذهابهم إلى الشام رجعوا إلى مصرَ وملكوا أرض القبط وأموالهم[4] .

وخطّأ هذا القولَ الطاهرُ بن عاشور وقال : « لأنهم قد كانوا بها وخرجوا منها و لم يرجعوا إليها . ومن البعيد تفسير دار الفاسقين بجهتهم »[5] .

والقول بعدم رجوع بني إسرائيل إلى مصرَ ضعّفه جدًّا القنوجي[6] .

ويرده قوله تعالى :﴿ وَأَوۡرَثۡنَٰهَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٥٩ ﴾. [الشعراء] .

وأما القول الثاني بأن ﴿ دَارَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾ هي منازل عاد وثمودَ ومَنْ هَلَكَ من الأمم

---

(1) ينظر : غرائب التفسير و عجائب التأويل (١/ ٤٢٣) .

(2) إرشاد العقل السليم (٢/ ٢٩٥) . وقراءة (سأورثكم) بالثاء المثلّثة قرأ بها قَسَامَةُ بن زهير المازني . قال الزمخشري : وهي قراءة حسنة يصححها قوله تعالى : ﴿ وَأَوۡرَثۡنَا ٱلۡقَوۡمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسۡتَضۡعَفُونَ ﴾ ينظر: البحر المحيط (٤/ ٣٨٩) ، والدر المصون (٥/ ٤٥٦) . ونسبها إليه السمعاني كما في تفسيره (٢/٢١٥) ، وابن عطية كما في المحرر الوجيز (٦/ ٧٦) وزاد هو والقرطبي كما في الجامع (٩/ ٣٣٠) ، وأبوحيان كما في البحر المحيط (٤/ ٣٨٩) نسبتها إلى ابن عباس . وينظر : القراءات الشاذة لابن خالويه (٤٦).

(3) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ٣١٧) .

(4) فتح البيان (٥/ ١٧) .

(5) التحرير والتنوير (٩/ ١٠٢) .

(6) ينظر : فتح البيان (٥/ ١٧) .

المتقدمة ، فهو منسوب لقتادة[1] ، وقاله الكلبي[2] .

وذكره الزمخشري ، وابن الجوزي بصيغة (قيل)[3] .

واستبعده الطاهر بن عاشور بحجة أن بني إسرائيل لم يمروا مع موسى ـــ عليه السلام ـــ على هذه البلاد[4] .

وأما القول الثالث بأن ﴿ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ هي جهنم فهو قول الحسن[5]، ومجاهد[6].ونُسب إلى ابن عباس[7] ، وعطاء[8] .

وعليه الطبري ، والواحدي ، وابن كثير[9] . وكأنّ النحاس عليه[10] .

وتعجَّب منه الكرماني[11]. وذكره الزمخشري بصيغة (قيل) [12].

قال الطبري : « وإنما قال ﴿ سَأُوْرِيكُمْ ﴾. كما يقول القائل لمن يخاطبه : سأريك غدًا إلى

---

(1) نسبه له الماوردي في النكت والعيون (٢/ ٢٦١) .

(2) ينظر : معالم التنزيل للبغوي (٢/ ١٥٢) ، والمحرر الوجيز لابن عطية (٦/ ٧٧) ، ومفاتيح الغيب للرازي (٣٦١/٥) ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٩/ ٣٣٠) ، ولباب التأويل للخازن (٢/ ١٣٠) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان للقمي (٣/ ٣١٧) ، والبحر المحيط لأبي حيان (٤ / ٣٨٩) ، وروح المعاني للآلوسي (٩/ ٦٠).

(3) ينظر : الكشاف (٢/ ٥٠٨) ، وتذكرة الأريب (١/ ١٨٨) .

(4) ينظر : التحرير والتنوير (٩/ ١٠٣) .

(5) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٠/ ٤٤١) من طريق مبارك ، عنه . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٥٦٦) رقم (٨٩٧٨) من طريق يونس ، عنه . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٥٦٢) نسبته إلى أبي الشيخ .

(6) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٠/ ٤٤١) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٥٦٥) رقم (٨٩٧٧) من طريق ابن أبي نجيح ، عنه . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٥٦٢) نسبته إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر، وأبي الشيخ .

(7) نسبه إليه القمي في غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ٣١٧) .

(8) نسبه إليه البغوي في معالم التنزيل (٢/ ١٥٢) ، والخازن في لباب التأويل (٢/ ١٣٠) .

(9) ينظر : جامع البيان (١٠/ ٤٤١) ، والوجيز (١/ ٤١٣) والوسيط (٢/ ٤٠٩) ، وتفسير القرآن العظيم (٣٩٢/٦) .

(10) ينظر : معاني القرآن الكريم (٣/ ٧٨) .

(11) ينظر : غرائب التفسير وعجائب التأويل (١/ ٤٢٢) .

(12) ينظر : الكشاف (٢/ ٥٠٨) .

ما يصير إليه حالُ من خالف أمري . على وجه التهدّدِ والوعيد لمن عصاه وخالف أمره»[1].

وقال أيضا : « وإنما اخترنا القول الذي اخترناه في تأويل ذلك ؛ لأن الذي قبل قوله : ﴿ سَأُوْرِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ أَمْرٌ من الله لموسى وقومه بالعمل بما في التوراة ، فأَولى الأمور بحكمة الله أن يختم ذلك الوعيد على من ضيّعه ، وفرّط في العمل به ، وحاد عن سبيله ، دونَ الخبر عما قد انقطع الخبرُ عنه ، أو عما لم يَجْرِ له ذكرٌ »[2] .

وقال ابن كثير : « لأن هذا كان بعد انفصال موسى وقومه عن بلاد مصر ، وهو خطاب لبني إسرائيل قبل دخولهم التيه ، والله أعلم »[3].

وقال القنّوجي : « وقراءة ﴿ سَأُورِثُكُمْ ﴾ بالثاء المثلثة تردّ القول بأنها جهنم »[4] .

وإلى التسوية بين الأقوال الثلاثة ذهب البيضاوي[5] .

قال الشهاب : « ولا مانع من الجمع »[6] .

وجمع النسفي بين الأول والثاني[7] . وسوّى بينهما السيد محمد رشيد رضا[8] .

وذكرها كلها بصيغة (قيل) : الثعالبي ، والشوكاني[9] .

وقال الثعالبي : « وقيل غير هذا مما يفتقر إلى صحة إسناد » .

وذهب البقاعي، والقاسمي ، والطاهر بن عاشور[10] إلى أن المراد بـــ ﴿ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ هي الأرض المقدسة .

يقول الطاهر : « ويؤيده ما رُوِيَ عن قتادة أنها دار العمالقة والجبابرة وهي الشام ».

---

(1) جامع البيان (١٠ / ٤٤١) .

(2) المصدر السابق (١٠/ ٤٤٢) .

(3) تفسير القرآن العظيم (٦/ ٣٩٢) .

(4) فتح البيان (٥/ ١٧) .

(5) ينظر : أنوار التنزيل (١/ ٣٦١) .

(6) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي (٤/ ٢١٨) .

(7) ينظر : مدارك التنزيل (٢/ ٧٦) .

(8) ينظر : تفسير القرآن الحكيم (٩/ ١٧٣) .

(9) ينظر : الجواهر الحسان (١/ ٥٧٦) ، وفتح القدير (٢/ ٣٤٧) .

(10) ينظر : نظم الدرر (٨/ ٨١ ــ ٨٢) ، ومحاسن التأويل (٧/ ٢٨٥٤) ، والتحرير والتنوير (٩/ ١٠١ ، ١٠٢)

وقال الطبري : « وقال آخرون : معنى ذلك : سأدخلكم أرض الشام ، فأريكم منازلَ الكافرين الذين هم سكّانها من الجبابرة والعمالقة »[1] .

ثم ساق بإسناده عن قتادة قال : « منازلهم »[2].

واختلف المفسّرون في العزو إلى قتادة ، فمنهم من ينسب إليه القول بأن المراد بدار الفاسقين هي مصر[3] ، ومنهم من ينسب إليه القول بأن المراد منازل عاد وثمود[4] ، ومنهم من ينسب إليه القول بأن المراد منازل الجبابرة والعمالقة[5] . وقتادة إنما قال : منازلهم . حَسْبُ .

قال الآلوسي : « ولا يصحُّ ذلك عليها إذا أريد من الدار أرض الجبابرة بناء على أن موسى عليه السلام لم يدخلها وإنما دخلها يوشع مع القوم بعد وفاته عليه السلام . ويصح بناء على القول بأن موسى عليه السلام دخلها ويوشع على مقدّمته »[6] .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن القول بأن ﴿ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ هي مصرُ قولٌ بعيد ؛ لأن الله تعالى قال : ﴿ سَأُوْرِيكُمْ ﴾ والسين للاستقبال ، والفعل من الإراءة لا من الوراثة وهذا ظاهر القرآن ، ولا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلاّ بدليل يجب الرجوع إليه[7] ولا دليل . وقراءة ﴿ سَأُورِثُكُمْ ﴾ بالثاء المثلثة من الوراثة لا تسعف بذلك ؛ لأنها قراءة شاذة ، ولأنه لايصح الحمل على أن المراد هو توريثهم مصر ؛ لأن الله تعالى قد قال قبل ذلك : ﴿ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ﴾[الأعراف : ١٣٧] فإذا كان المراد بمشارق الأرض ومغاربها هي مصرُ ، فكيف يقول بعدما أورثهم سأورثكم مصر ؟! وهو قد أورثهموها من قبل !!

---

(1) جامع البيان (١٠ / ٤٤٢) .

(2) وأخرجه كذلك عبد الرزاق في تفسيره (١/ ٢٣٦) عن معمر ، عنه . وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٥٦٦) رقم (٨٩٧٩) من طريق معمرٍ به .

(3) كالسيوطي ، والآلوسي .

(4) كالماوردي .

(5) كالسمعاني ، والبغوي ، وابن عطية ، وابن الجوزي ، والطاهر بن عاشور .

(6) روح المعاني (٩/ ٦٠) .

(7) ينظر : قواعد الترجيح (١/ ١٣٧) .

ثم إنه قد انقضى الحديث عن فرعون وقومه ، وبقي في موسى عليه السلام وبني إسرائيل ، هذا ما يدل عليه سياق الآيات الكريمة .

وأما القول بأن المراد بـــ ﴿ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ هي دار عاد فهو كذلك قول بعيد ؛ لأن دارهم كانت بالأحقاف ولم تكن على طريق بني إسرائيل بعد مجاوزتهم للبحر وذهابهم للأرض المقدسة .

وأما القول بأنها دار ثمود ففيه بُعْدٌ كذلك .

وأما القول بأن المراد بها جهنم فهو قول بعيد أيضًا ؛ لأنه إذا كانت الآية على سبيل التهديد والوعيد فإنه لا يُتَوَعَّدُ بالإراءة إياهم جهنم ، وإنما يتوعد بالنار بإدخالهم إياها لا بمشاهدتها.

وبقي احتمال أن يكون المراد بـــ ﴿ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ هي الشام ، والفاسقون الذين كانوا بها هم قوم لوط . ويدل على ذلك أن الله تعالى جعل قريتهم آية لمن يمر بها، والشام هي الأرض المقدسة التي أمر الله بني إسرائيل بدخولها . هذا الاحتمال أقرب من تلك الأقوال، والله تعالى أعلم .

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾

١٧ – ما المراد بالصرف عن آيات الله ؟

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « والصرف يراد به حَدُّهم عن فهمها وعن الإيمان بها عقوبةً لهم على تكبرهم . وقيل : الصرف منعهم من إبطالها »[1] .

العرض والمناقشة :

رجّح ابن جُزَيّ أن المراد بصرف الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق عن آيات الله هو: منعهم عن فهمها وعن الإيمان بها[2] . ووافق في هذا ما روي عن السدي[3]، وابن جريج[4]، وابن عيينة[5]. ونسب إلى ابن عباس[6] ، والحسن[7] ، وقتادة[8] .

وإليه ذهب الطبري، والزجاج، والسمرقندي، وابن أبي زمنين، وابن الأنباري،

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٤٥) .

(2) يندرج في هذا القول مايلي : أنزع عنهم فهم القران ــ أصدهم عن التفكروالاعتبار فيها ــ أصدهم عن التصديق والإيمان بها ــ أصدهم عن نفعها ... هكذا ورد في التفاسير ، وكلها لا تعارض بينها عند التأمل ؛ لأن القرآن من آيات الله الشرعية بلا ريب. وقد ذكرها الشوكاني في فتح القدير (٢/ ٣٤٧) كلها بصيغة (قيل) ، وكذا القنوجي في فتح البيان (٥/ ١٨) إلا أن الشوكاني لم يذكر القول الثاني وهو : منعهم من إبطالها.

(3) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٥٦٧) رقم (٨٩٨٢) . قال : سأصرفهم عن أن يتفكروا في آياتي . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٥٦٢) نسبته إلى أبي الشيخ .

(4) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٠ / ٤٤٣) من طريق حجاج ، عنه قال : سأصرفهم عن أن يتفكروا فيها أو يعتبروا فيها . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٥٦٢) نسبته إلى ابن المنذر ، وأبي الشيخ .

(5) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٠ / ٤٤٣) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٥٦٧) رقم (٨٩٨٣) عنه قال : أنزع عنهم فهم القرآن . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٥٦٢) نسبته إلى ابن المنذر ، وأبي الشيخ.

(6) نسبه إليه الخازن في لباب التأويل (٢/ ١٣٠) .

(7) نسبه إليه ابن أبي زمنين في تفسير القرآن العزيز (٢/ ١٤٢) قال : سأصرفهم عنها حتى لا يؤمنوا بها .

(8) نسبه إليه القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٩/ ٣٣١) قال : سأمنعهم فهم كتابي . ثم قال القرطبي : وقاله سفيان بن عيينة .

والواحدي، والسمعاني، والبغوي، والزمخشري، وابن عطية، وابن الجوزي، والقرطبي، والبيضاوي، والنسفي، والخازن، وابن كثير، والثعالبي، والسيوطي، وأبوالسعود، والآلوسي، والقاسمي، والسيد محمد رشيد رضا، والمراغي، والسعدي[1].

وجوّزه الطاهر بن عاشور[2] . وكأن النحاس عليه[3] .

وهذا القول يَعُمُّ منعَهم عن فهم آيات الله الشرعية كالقرآن ، وعن التفكر والتدبر في آيات الله الكونية والشرعية ، وعن الإيمان بها . ولذا فإن الطبري بعد ما ساق اختلاف أهل التأويل في معنى ذلك على قولين هما :

١ــ سأنزع عنهم فهم القرآن[4] .

٢ــ سأصرفهم عن الاعتبار بالحجج[5] .

قال : « وأَولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال : إن الله تعالى ذِكْرُه أخبر أنه سيصرف عن آياته ، وهي أدلته وأعلامه على حقيقة ما أمر به عباده ، وفرض عليهم من طاعته في توحيده وعدله وغير ذلك من فرائضه ، والسموات والأرض وكلُّ موجود من خلقه فمن آياته ، والقرآن أيضًا من آياته . وقد عمَّ بالخبر أنه يصرف عن آياته المتكبرين في الأرض بغير الحق ، وهم الذين حقّت عليهم كلمة الله أنهم لا يؤمنون ، فَهُمْ عن فَهْمِ جميع آياته والاعتبار والادّكار بها مصروفون ؛ لأنهم لو وفّقُوا لفَهْمِ بعض ذلك ، وهدوا للاعتبار

---

(1) ينظر : : جامع البيان (١٠ / ٤٤٣) ، ومعاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٧٦) ، وبحر العلوم (١/ ٥٦٩) ، وتفسير القرآن العزيز (٢/ ١٤٢) والوسيط (٢/ ٤١٠) ــ وفيه قول ابن الأنباري ــ ، وتفسير القرآن (٢/٢١٥) ، ومعالم التنزيل (٢/ ١٥٢) ، والكشاف (٢/ ٥٠٩) ، والمحرر الوجيز (٦/ ٧٨) ، وتذكرة الأريب (١/١٨٨) ، والجامع لأحكام القرآن (٩/ ٣٣١) ، وأنوار التنزيل (١/ ٣٦١) ، ومدارك التنزيل (٢/ ٧٦) ، ولباب التأويل (٢/ ١٣٠) ، وتفسير القرآن العظيم (٦/ ٣٩٣) ، والجواهر الحسان (١/ ٥٧٦) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٣/ ١١٥) ، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٢٩٥) ، وروح المعاني (٩/ ٦٠) ، ومحاسن التاويل (٧/ ٢٨٥٥) ، وتفسير القرآن الحكيم (٩/ ١٧٦) ، وتفسير المراغي (٩/ ٦٤) ، وتيسير الكريم الرحمن (١٥٤/٢) .

(2) ينظر : التحرير والتنوير (٩/ ١٠٤) .

(3) ينظر : معاني القرآن الكريم (٣/ ٧٨) .

(4) كما هو قول ابن عيينة .

(5) كما هو قول السدي وابن جريج .

به ؛ لاتعظوا وأنابوا إلى الحق ، وذلك غير كائن منهم ؛ لأنه جل ثناؤه قال :﴿ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا ﴾. ولا تبديل لكلمات الله »[1] .

وذكر بعض المفسّرين[2] أن هذه الآية كقوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾[الصف : ٥] ، وكقوله تعالى : ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾[الأنعام ١١٠] .

ومَنَعَه الجصاص وقال : « ولا يجوز أن يكون معناه سأصرف عن الإيمان بآياتي ؛ لأنه لايجوز أن يأمر بالإيمان ثم يمنع منه ؛ إذ كان ذلك سفهًا وعبثًا »[3] .

وأما القول الآخر بأن المراد بالصرف هو مَنْعُهُمْ من إبطالها فمنسوب إلى قتادة .

قال أبوحيان : « وقال قتادة : سأصدهم عن الإعراض والطعن والتحريف والتبديل والتغيير . فالآيات : القرآن ؛ فإنه مختص بصونه عن ذلك »[4] .

واحتمل هذا القول الجصاص[5] ، واختاره الطاهر بن عاشور[6] .

وذكره الزمخشري ، والبيضاوي ، وأبوالسعود بصيغة (قيل)[7] . ولا دليل عليه .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن ما رجّحه ابن جُزَيّ هو الأَولى ؛ لموافقته لما رُوِيَ عن السلف ، واختيار أكثر المفسّرين . ويتأيد هذا القول بقاعدة : (تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم)[8] . ومن وجوه الترجيح عند ابن جُزَيّ : (أن يكون القول قول الجمهور وأكثر المفسّرين؛ فإن كثرة القائلين بالقول يقتضي ترجيحه)[9]. والله أعلم .

---

(1) جامع البيان (١٠/ ٤٤٣) .

(2) كالآلوسي ، والقاسمي وغيرهما .

(3) أحكام القرآن (٤/ ٢١٠) . وتعليل الجصاص عليل.

(4) البحر المحيط (٤/ ٣٨٩) . وقد مَضَى أن القرطبي نسب إلى قتادة قوله : سأمنعهم فَهْم كتابي .

(5) ينظر : أحكام القرآن (٤/ ٢١٠) .

(6) ينظر : التحرير والتنوير (٩/ ١٠٣) .

(7) ينظر : الكشاف (٢/ ٥٠٩) ، وأنوار التنزيل (١/ ٣٦١) ، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٢٩٦) .

(8) قواعد الترجيح عند المفسرين (١/ ٢٧١) .

(9) التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ٩).

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ ﴾

١٨- الخلاف في معنى ﴿أَسِفًا﴾ .

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « شديد الحزن على ما فعلوه .وقيل : شديد الغضب كقوله : ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ﴾ »[1] [الزخرف : ٥٥] .

العرض والمناقشة :

رجّح ابن جُزَيّ أن ﴿أَسِفًا﴾ في قوله تعالى : ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا ﴾ معناها : شديد الحُزْنِ . ووافق في هذا المعنى ما رُوِيَ عن ابن عباس[2] ، ومجاهد[3] ، وقتادة[4] ، والحسن[5] ، والسدّي[6] ، ومالك ابن دينار[7] .

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٤٥) .

(2) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٥٦٩) رقم (٨٩٩٤) من طريق علي بن أبي طلحة ، عنه قال : ﴿غَضْبَٰنَ أَسِفًا ﴾: يعني : الغضبان الحزين . وأخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٠/ ٤٥٠) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/١٥٦٩) رقم (٨٩٩٦) من طريق عطية العوفي ، عنه : في قوله : ﴿ غَضْبَٰنَ أَسِفًا ﴾ قال: حزينًا . وفي الزخرف : ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ﴾ يقول : أغضبونا ، والأسف على وجهين : الغضب والحزن . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٥٦٩) رقم (٨٩٩٥) من طريق الضحاك ، عنه . وزاد السيوطي نسبته في الدر المنثور (٣/ ٥٦٤) إلى ابن المنذر ، وأبي الشيخ .

(3) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٥٦٩) رقم (٨٩٩٧) من طريق ابن أبي نجيح ، عنه قال : جزعًا . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٥٦٤) نسبته إلى ابن المنذر . والجزع : هو : حُزْنٌ يصرف الإنسان عما هو بصدده، ويقطعه عنه . ينظر : مفردات ألفاظ القرآن للراغب (١٩٤) مادة (جزع) .

(4) أخرجه أبو الشيخ كما في الدر المنثور للسيوطي (٣/ ٥٦٤) . ونسبه لقتادة : الماوردي في النكت والعيون (٢٦٢/٢) ، والآلوسي في روح المعاني (٩/ ٦٥) .

(5) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٠/ ٤٥٠) من طريق مالك بن دينار ، عنه . وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٥٦٩) عقب الأثر (٨٩٩٥) .

(6) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٠/ ٤٥٠) من طريق أسباط ، عنه .

(7) ذكره ابن أبي حاتم عنه في تفسيره (٥/ ١٥٦٩) عقب الأثر (٨٩٩٥) .

وهو قول الكلبي[1] .

وعليه مقاتل، والسمرقندي، والراغب، والواحدي، ومحمود النيسابوري، وابن الجوزي، والرازي، والنسفي، والخازن، والبقاعي، والسيوطي، والقاسمي، والسيد محمد رشيد رضا، والمراغي، والطاهر بن عاشور[2] .

وذكره السمعاني، والزمخشري ، والبيضاوي ، وأبوالسعود بصيغة (قيل)[3] .

ودليله : إطلاق اللغة واستعمالها للأسف بمعنى الحزن[4] .

يقال : أَسِفَ ، من باب تعب : حَزِنَ وتلهف[5] .

ومنه قوله تعالى حكاية عن يعقوب عليه السلام : ﴿ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ ﴾ [يوسف : ٨٤] . ومنه قول أبي نواس :[6]

غيرُ مأسوفٍ على زمنٍ ينقضي بالهم والحزنِ .

وفي حديث عائشة : (إن أبا بكر رجل أَسِيفٌ)[7]. أي : حزين .

---

(1) ينظر : الوسيط للواحدي (٢/ ٤١٢) .

(2) ينظر : تفسير مقاتل (٢/ ٦٤) ، وبحر العلوم (١/ ٥٧١) ، ومفردات ألفاظ القرآن (٧٦) مادة (أسف) ، والوجيز (١/ ٤١٤) ، وإيجاز البيان (١/ ٢٧٨) ، وتذكرة الأريب (١/ ١٨٨) ، ومفاتيح الغيب (٣٧١/٥)، ومدارك التنزيل (٢/ ٧٨) ، ولباب التأويل (٢/ ١٣١) ، ونظم الدرر (٨/ ٨٨) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٣/ ١١٩) ، ومحاسن التأويل (٧/ ٢٨٦٠) ، وتفسير القرآن الحكيم (٩/ ١٨٥) ، وتفسير المراغي (٩/ ٧٠ ، ٧١) ، والتحرير والتنوير (٩/ ١١٤) .

(3) ينظر : تفسير القرآن (٢/ ٢١٧) ، والكشاف (٢/ ٥١١) ، وأنوار التنزيل (١/ ٣٦٢) ، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٢٩٨) .

(4) ينظر : عمدة الحفاظ للسمين الحلبي (١/ ٩٠) ، مادة (أسف) . وفي الصحاح (٤/ ١٣٣٠) مادة (أسف) : الأسف : أشد الحزن . وقد أسف على ما فاته وتأسّف أي تلهّف . وأسف عليه أسفًا : أي غضب . وآسفه أغضبه . والأسيف والأسُوف : السريع الحزن الرقيق . وقد يكون الأسيف الغضبان مع الحزن . وينظر : لسان العرب (٩/ ٥) مادة (أسف) .

(5) المصباح المنير للفيومي (١٥/١) .

(6) ينظر : الدر المصون (٥/ ٤٦٥) .

(7) أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٦٦٤) في كتاب الأذان باب حد المريض أن يشهد الجماعة (٧١٢) ــ باب : من أسمع الناس تكبير الإمام . (٧١٣) ــ وباب : الرجل يأتم بالإمام ، ويأتم الناس بالمأموم . (٧١٦) ــ وباب: إذا بكى الإمام في الصلاة . وفي كتاب الأنبياء ، رقم (٣٣٨٤) . ــ ومسلم في الصلاة (٩٥ ــ ٤١٨) (٣١٣/١ ــ ٣١٤) وفي رواية : (إن أبا بكر رجل رقيق) . وهي عند البخاري برقم (٦٧٨) . قال النووي :

ومما يدل عليه أن الله عز وجل فتنهم ، وأنه قد أعلم موسى بذلك فحزن لأجل ذلك[1].

والجمع بين الغضبان والأَسِفِ في صفة موسى عليه السلام يدل على أن الأسف بمعنى الحزين . قاله السيد محمد رشيد رضا[2] .

وأما القول الآخر في معنى ﴿ أَسِفًا ﴾ أنه : شديد الغضب ، فهو مَرْوِيٌّ عن أبي الدرداء[3]، ومحمد بن كعب القرظي[4] . ونسب إلى ابن عباس[5] ، وعطاء[6] .

وإليه ذهب الأخفش ـــ كما ذكره الماوردي ـــ ، وأبوعبيدة، وابن قتيبة، والطبري، والزجاج، وغلام ثعلب، وابن أبي زمنين، والواحدي، والسمعاني، والزمخشري، والقرطبي، والبيضاوي، وابن كثير، وأبوالسعود، والشوكاني، والسعدي، والشنقيطي[7] .

وذكره محمود النيسابوري بصيغة (قيل)[8] .

ودليله : إطلاق اللغة عليه[9] .

كما يدل عليه قوله تعالى :﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ﴾ [الزخرف : ٥٥] .

(أسيف) أي : حزين . وقيل : سريع الحزن والبكاء . [شرح النووي على مسلم (٤/ ١٤٠ ـــ ١٤١)] .

(1) ينظر : مفاتيح الغيب للرازي (٥/ ٣٧١) ، ولباب التأويل للخازن (٢/ ١٣١) .

(2) تفسير القرآن الحكيم (٩/ ١٨٥) .

(3) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٠/ ٤٥٠) .

(4) أخرجه عبد بن حميد كما في الدر المنثور للسيوطي (٣/ ٥٦٤) .

(5) ينظر : مفاتيح الغيب للرازي (٥/ ٣٧١) .

(6) ينظر : روح المعاني للآلوسي (٩/ ٦٥) .

(7) ينظر : النكت والعيون (٢٦٢/٢) ، ومجاز القرآن (١/ ٢٢٨) ، وغريب القرآن (١٧٣) ، وجامع البيان (١٠/ ٤٤٩) ، ومعاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٧٨) ، وياقوتة الصراط في تفسير غريب القرآن (٢٣٢) ، وتفسير القرآن العزيز (٢/ ١٤٤) ، والوسيط (٢/ ٤١٢) ، وتفسير القرآن (٢/ ٢١٧) ، والكشاف (٥١١/٢) ، والجامع لأحكام القرآن (٩/ ٣٣٦) ، وأنوار التنزيل (١/ ٣٦٢) ، وتفسير القرآن العظيم (٣٩٥/٦) ، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٢٩٨) ، وفتح القدير (٢/ ٣٥٣) تيسير الكريم الرحمن (٢/ ١٥٦) ، والعذب النمير (٤/ ١٥٨٠) .

(8) ينظر : إيجاز البيان (١/ ٢٧٨) .

(9) ينظر : الصحاح للجوهري ، مادة (أسف) ، ولسان العرب ، مادة (أسف) . وعمدة الحفاظ للسمين الحلبي ، مادة (أسف) .

قال الشنقيطي : « والتحقيق أن ﴿ أَسِفًا ﴾ هنا معناه : شديد الغضب ، فهي كالتوكيد لغضبان . ومنه قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ﴾ أي : فلما أغضبونا انتقمنا منهم وأغرقناهم . والأسف : شدّة الغضب . وشذّ بعض العلماء هنا فقال : الأَسِفُ : الحزينُ ، أي : غضبان حزينًا . والأول هو الأظهر . وغضبه وشدّة أسفه مما فعله قومه من عبادة العجل »[1] . اهـ .

وما ذكره الشنقيطي من شذوذ بعض العلماء هنا لا يليق ؛ لورود هذا التفسير عن السلف ، وصحة إطلاق اللغة عليه ، واختيار طائفة من المفسّرين له .

وذهب الواحدي إلى تقارب القولين[2] ، وجمع بينهما النحاس[3] ، وسوّى بينهما الشهاب [4].

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن كلا القولين يدل له القرآن الكريم واللغة العربية لكن الأقرب إلى الصواب في معنى ﴿ أَسِفًا ﴾ هنا هو ما رجّحه ابن جُزَيّ ومن وافقه؛ لتأيّده بالقاعدة الترجيحية وهي أنه (إذا دار الكلام بين التأسيس والتأكيد كان حمله على التأسيس أولى ؛ لإفادته معنى جديدًا)[5]. لاسيما وقد تكرر مرة أخرى في سورة طه فقال: ﴿ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَـٰنَ أَسِفًا ﴾ [٨٦] . فهل يقال : إنه للتأكيد وقد أكّده قبل ذلك في الأعراف ؟! .

ويؤيده كذلك قاعدة : (حمل ألفاظ الوحي على التباين أرجح من حملها على الترادف)[6].

وقد جمع الله للدلالة على حال موسى عليه السلام بين الوصفين : الغضب وشدة الحزن على قومه ، كما هو حال نبينا محمد ﷺ مع قومه كما في قوله جل وعز :

---

(1) العذب النمير (٤/ ١٥٨٠ ، ١٥٨١) .
(2) ينظر : مفاتيح الغيب للرازي (٥/ ٣٧١) .
(3) ينظر : معاني القرآن الكريم (٣/ ٨٢) .
(4) ينظر : حاشية الشهاب (٤/ ٢٢٠) .
(5) ينظر : قواعد الترجيح (٢/ ٤٧٣) .
(6) المصدر السابق (٢/ ٤٨١) .

﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ٦ ﴾ [الكهف] وهذا هو حال الأنبياء مع أقوامهم يغضبون ويشتد حزنهم عليهم ولذا قال تعالى :﴿ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍ ﴾ [فاطر : ٨] والله تعالى أعلم .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ سَبۡعِينَ رَجُلٗا لِّمِيقَٰتِنَاۖ فَلَمَّآ أَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ قَالَ رَبِّ لَوۡ شِئۡتَ أَهۡلَكۡتَهُم مِّن قَبۡلُ وَإِيَّيَۖ أَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآۖ إِنۡ هِيَ إِلَّا فِتۡنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهۡدِي مَن تَشَآءُۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَاۖ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡغَٰفِرِينَ ١٥٥ ﴾

في هذه الآية الكريمة مسألتان :

المسألة الأولى هي :

١٩- الخلاف في سبب الرجفة التي أخذتهم .

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « ﴿ وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ ﴾ أي : من قومه ﴿ سَبۡعِينَ رَجُلٗا ﴾ حملهم معه إلى الطور يسمعون كلام الله لموسى فقالوا : أرنا الله جهرة ، فأخذتهم الرجفة ؛ عقابًا لهم على قولهم . وقيل : إنما أخذتهم الرجفة ؛ لعبادتهم العجل أو لسكوتهم على عبادته. والأول أرجح؛ لقوله : ﴿ فَقَالُوٓاْ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلۡمِهِمۡ ﴾»[1][النساء:١٥٣] .

العرض والمناقشة :

رجّح ابن جُزَيّ أن الرجفة التي أخذتهم كانت عقوبة لهم على قولهم : أرنا الله جهرة . ووافق في هذا ما رُوِيَ عن نوف البكالي[2] ، والسدي[3] ، وابن إسحاق[4] ، والربيع بن أنس[5]. وهو قول الكلبي[6] .

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٤٦) .

(2) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٥٧٥) رقم (٩٠٢٥) قال : ﴿ فَقَالُوٓاْ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ ﴾ فأخذتهم الرجفة فصعقوا . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٥٦٩) نسبته إلى أبي الشيخ .

(3) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠/ ٤٦٨) من طريق أسباط ، عنه .

(4) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠/ ٤٦٨) عنه . وأخرجه في تاريخه (١/ ٤٢٧ ، ٤٢٨) عنه ، عن صدقة بن يسار ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس .

(5) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١/ ٦٩٧) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ١١٢) رقم (٥٣٩ ، ٥٤٤) .

(6) ينظر : تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (٢/ ١٤٥) .

وذهب إليه مقاتل، والفراء، والنحاس، وابن أبي زمنين، والواحدي، والبغوي، والزمخشري، وابن الجوزي، والبيضاوي، والخازن، وأبوالسعود، والشوكاني، والقنوجي، والسعدي[1] .

وذكره ابن عطية ، والقرطبي بصيغة (قيل)[2] .

واستدل له ابن جُزَيّ بقوله تعالى : ﴿ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ﴾[النساء : ١٥٣] .

قال الشوكاني : « سبب الرجفة ما حكاه الله عنهم من قولهم :﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾»[3] [البقرة] .

وأما القول الآخر بأن سبب الرجفة هو عبادتهم العجل أو سكوتهم على عبادته ، فرُوِيَ عن ابن عباس[4] ، وقتادة[5] ، وابن جريج[6] ، ومحمد بن كعب القرظي [7] .

---

(1) ينظر : تفسير مقاتل (٢/ ٦٦) ، ومعاني القرآن (١/ ٣٩٥) ، ومعاني القرآن الكريم (٣/ ٨٦) ، وتفسير القرآن العزيز (٢/ ١٤٥) ، والوجيز (١/ ٤١٥) والوسيط (٢/ ٤١٥) ، ومعالم التنزيل (٢/ ١٥٦) ، والكشاف (٢/ ٥١٦) ، وتذكرة الأريب (١/ ١٨٩) ، وأنوار التنزيل (١/ ٣٦٣) ، ولباب التاويل (١٣٤/٢) ، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٣٠١) ، وفتح القدير (٢/ ٣٥٨) ، وفتح البيان (٥/ ٣٠) ، وتيسير الكريم الرحمن (١٥٩/٢) .

(2) ينظر : المحرر الوجيز (٦/ ٩٤) .

(3) ينظر : فتح القدير (٢/ ٣٥٨) . وكذا الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣٤٩/٩) ، ولباب التأويل للخازن (١٣٤/٢) .

(4) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٠ / ٤٧١) عن قتادة قال : ذُكِر لنا أن ابن عباس كان يقول : إنما تناولتهم الرجفة لأنهم لم يزايلوا القومَ حتى نصبوا العجل ، وقد كرهوا أن يجامعوهم عليه . وأخرجه أيضًا (٤٧٢/١٠ ، ٤٧٣) من طريق سعيد بن حيان ، عنه . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٥٧٥) رقم (٩٠٢٧) عن سعيد بن حيان من قوله . وأخرجه أيضًا (٥/ ١٥٧٥) رقم (٩٠٢٤) من طريق سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : كان فيهم من قد اطلع الله منه على ما أشرب قلبه من حب العجل والإيمان به فلذلك رجفت بهم الأرض . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٥٧٠) فنسبه إلى عبد بن حميد ، وابن أبي عمر العدني ، وأبي الشيخ .

(5) نسبه له ابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٢٦٩) .

(6) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠/ ٤٧٢) .

(7) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠/ ٤٧٢) .

وعليه السيوطي ، والطاهر بن عاشور[1] .

وذكره ابن عطية ، والشوكاني ، والقنوجي بصيغة (قيل)[2] .

قال ابن كثير : « ويتوجّه هذا القول بقول موسى: ﴿ أَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ﴾»[3].

وقال الطاهر : « فإن قول موسى :﴿ أَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ﴾ يؤذن بأنه يعني به عبادتهم العجل ، وحضورهم ذلك ، وسكوتَهم ، وهو المعني بقوله :﴿ إِنۡ هِيَ إِلَّا فِتۡنَتُكَ ﴾ » .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن سياق الآية الكريمة كما هو ظاهرها يدل على رجحان القول الثاني . وأما القول الأول فيحتاج إلى تقدير محذوف ، أي : قالوا : أرنا الله جهرة فأخذتهم الرجفة . وكان هذا القول منهم هو المعني بقول موسى :﴿ أَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ﴾. ويشهد له آية البقرة ، وآية النساء .

وفي الاستدلال بهما نظر ؛ لأن الله تعالى ذكر قولهم مرتين ورتب عليه أخذهم بالصاعقة ، ولم يذكر الرجفة في واحدة منهما . والأصل في ألفاظ القرآن الكريم التباين[4] ، فالصاعقة غير الرجفة . وهذا يدل على تغاير الواقعتين ، فالرجفة عقوبة على عبادتهم العجل أو سكوتهم عليها، والصاعقة عقوبة على قولهم: أرنا الله جهرة .

ويتأيد رجحان القول الثاني ؛ لعدم حاجته إلى تقدير و (ما لا تقدير فيه أولى مما فيه تقدير إلاّ بحجة يجب الرجوع إليها تثبت المحذوف المقدر)[5] .

وتوقف في الترجيح بين القولين في هذه المسألة جماعة من المفسّرين ومنهم : السيد محمد رشيد رضا وقال : « كل ما نقل عن مفسّري المأثور في هذه المسألة وأمثالها مأخوذ عن الإسرائيليات غير الموثوق بها ؛ إذ ليس فيه شيء مرفوع إلى النبي ﷺ وإنما يرجح من بعدهم بعض أقوالهم على بعض بكونه أقرب إلى ظاهر نظم الآيات وأساليبها وتناسبها من

---

(1) ينظر : تفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٣/ ١٢٤) ، والتحرير والتنوير (٩/ ١٢٤) .

(2) ينظر : المحرر الوجيز (٦/ ٩٤) ، وفتح القدير (٢/ ٣٥٨) ، وفتح البيان (٥/ ٣٠) .

(3) تفسير القرآن العظيم (٦/ ٤٠٢) .

(4) ينظر : قواعد الترجيح (٢/ ٤٨١) .

(5) أضواء البيان (٤/ ١٣٧) . وينظر : قواعد الترجيح (٢/ ٤٢١ – ٤٢٨) .

غيره »[1].

ومنهم الشنقيطي فإنه ذكر أقوال المفسرين ثم قال : « هذه أقوال المفسرين وفيها غير هذا، ولا شيء يقوم عليه الدليل القاطع منها ، والله أعلم »[2].

ومما يقوّي القول بالتوقف القاعدة الترجيحية : (لا يصحُّ حمل الآية القرآنية على تفسيرات وتفصيلات غيبية لا دليل عليها من القرآن والسنة)[3] .

(1) تفسير القرآن الحكيم (٩/ ١٩٣) .

(2) العذب النمير (٤/ ١٥٩٢) .

(3) قواعد الترجيح عند المفسرين (١ /٢٢٥) .

المسألة الثانية :

٢٠- هل الرجفةُ كانت رَجْفَةَ مَوْتٍ أو إغْماءٍ ؟

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « ويحتمل أن تكون رجفة موت أو إغماء . والأول أظهر ؛ لقوله :﴿ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ ﴾»[1] [البقرة : ٥٦] .

العرض والمناقشة :

رجّح ابن جُزَيّ أن تكون الرجفة التي أخذتهم رجفة موت . ووافق في هذا ما رُوِيَ عن مجاهد[2] ، والسدّي[3] ، وابن إسحاق[4] ، ومحمد بن كعب القرظي[5] ، وابن جريج[6]. وهو مفهوم ما روي عن علي بن أبي طالب[7] .

وعلى هذا جمهور المفسّرين ومنهم : مقاتل، والزجاج، والنحاس، والسمرقندي، والواحدي، والسمعاني، والبغوي، والباقولي، والقرطبي، والبقاعي، وأبوالسعود، والآلوسي، والقنوجي، والسعدي[8] . وهو مفهوم كلام الطبري[9] .

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٤٦) .

(2) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠ / ٤٧٥) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٥٧٥) رقم (٩٠٢٦) من طريق ابن أبي نجيح ، عنه قال : ماتوا ثم أحياهم . وزاد نسبته السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٥٦٩) إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر ، وأبي الشيخ .

(3) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠ / ٤٦٨) من طريق أسباط ، عنه .

(4) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠ / ٤٦٨) .

(5) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠ / ٤٧٢) .

(6) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠ / ٤٧٢) .

(7) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠ / ٤٧٠) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٥٧٣ ، ١٥٧٥) رقم (٩٠١٨ ، ٩٠٢٨) من طريق سفيان الثوري ، عن أبي إسحاق السبيعي ، عن عمارة بن عبدٍ السلولّي ، عن علي رضي الله عنه. وأخرجه الطبري (١٠/ ٤٧١) من طريق شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن رجل من بني سلول ، أنه سمع عليًّا يقول .

(8) ينظر : تفسير مقاتل (٢/ ٦٦) ، ومعاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٨٠) ، ومعاني القرآن الكريم (٣/ ٨٦) ، وبحر العلوم (١/ ٥٧٢) ، والوجيز (١/ ٤١٥) ، وتفسير القرآن (٢/ ٢١٩) ، ومعالم التنزيل (٢/ ١٥٦) ، وكشف المشكلات (١/ ٤٨١) ، والجامع لأحكام القرآن (٩/ ٣٤٨) ، ونظم الدرر (٨/ ١٠١) ، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٣٠١) ، وروح المعاني (٩/ ٧٤) ـــ ونسبه للكثير ـــ ، وفتح البيان (٥/ ٣٠) ، وتيسير الكريم الرحمن (٢/ ١٥٩) .

(9) ينظر : جامع البيان (١٠/ ٤٧٦ ، ٤٧٧) .

وذكره الشوكاني بصيغة (قيل)[1].

واستدل له ابن جُزَيّ بقوله تعالى :﴿ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ ﴾ [البقرة : ٥٦] .

وهذا بناءً على ترجيحه أن سبب الرجفة هي قولهم : أرنا الله جهرة ، ولذا فسّر الرجفة هنا بأنها رجفةُ موتٍ بآية البقرة ، وجعل الرجفة هي الصاعقة التي أخذتهم فأماتتهم ثم أحياهم الله بعد موتهم .

قال الطبري : « وأَولى الأقوال بتأويل الآية قولُ من قال : إن موسى إنما حزن على هلاك السبعين بقوله :﴿ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ﴾ . وأنه إنما عنى بالسفهاء عبدة العجل ، وأن موسى حين قال ما قال من ذلك لم يكن عنده السبعون من عبدة العجل ... وجائز أن يكون معنى ذلك الهلاك قبضَ الأرواح على غير وجه العقوبة ، كم قال جل ثناؤه : ﴿ إِنِ ٱمْرُؤٌاْ هَلَكَ ﴾ [النساء : ١٧٦] ..بمعنى : مات ، فيقول : أتميتنا بما فعل السفهاء منا ؟ »[2] .

وأما القول الآخر بأن الرجفة كانت رجفة إغماءٍ فهو قول وهب بن مُنَبّه[3] .

ومفهوم كلام البيضاوي[4] .

وذكره الآلوسي بصيغة (قيل)[5] . واحتمل القولين أبوحيان [6].

و لم أر أحدًا ذكر دليلا على القول الثاني !

ويدل له أن الرجفة لا يلزم منها الموت ، ومن أين الدليل على أنهم ماتوا بسبب الرجفة التي أخذتهم ؟ ألا ترى أن الله لما ذكر الصاعقة التي أخذتهم بسبب قولهم :﴿ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً ﴾ ذكر أنه أماتهم بها ثم أحياهم كما قال جل وعلا :﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾. [البقرة] .

---

(1) ينظر : فتح القدير (٢/ ٣٥٨) .

(2) جامع البيان (١٠ / ٤٧٦ – ٤٧٧) . وينظر : الجامع لأحكام القرآن (٩/ ٣٤٨) .

(3) ينظر : لباب التأويل للخازن (٢/ ١٣٤) .

(4) ينظر : أنوار التنزيل (١/ ٣٦٣) .

(5) ينظر : روح المعاني (٩/ ٧٤) .

(6) ينظر : البحر المحيط (٤/ ٤٠٠) .

وفي آية الأعراف هذه لم يذكر أنه أماتهم ، ولو كانوا ماتوا من الرجفة لذكر ذلك ولذكر إحياءهم ، فدل على أن هذه الرجفة لم تكن رجفة موت بل هي حركة وزلزلة شديدة[1] قد تؤدي إلى الموت وقد لا تؤدي إليه . بل قد قام الدليل على أنه قد يكون مصعوقًا وهو حي غير ميت كما قال تعالى عن موسى :﴿ وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ﴾[الأعراف : ١٤٣] . يعني : مغشيًّا عليه . فقد عُلِمَ أنه عليه السلام لم يكن حين غُشِيَ عليه فصَعِقَ مَيِّتًا ؛ لأن الله قد أخبر عنه لما أفاق قال : ﴿ تُبْتُ إِلَيْكَ ﴾[2] .[الأعراف : ١٤٣] . وقول موسى : ﴿ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا ﴾ لا يدل صراحة على وقوع الهلاك بالموت بسبب الرجفة ، وإن كان الهلاك قد يكون بمعنى الموت ، لكن ليس في الآية ما يدل على وقوعه ، والله تعالى أعلم .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن ما رجّحه ابن جُزَيّ إنما يتوجّه على تفسير الرجفة بالصاعقة التي أخذتهم بسبب قولهم :﴿ أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً ﴾. وقد سبق بيان عدم رجحان هذا القول في المسألة السابقة . وإذا كان ذلك كذلك فجائز أن يكونوا قد ماتوا بسبب الرجفة وسكت الله عن ذلك ، وجائز ألا يكون قد نتج عنها موت سيما وأن الله لم يذكر ذلك . ولا خبر بصحة شيء منهما تقوم به حُجّة فيسلّمُ له ، فجائز أن تكون رجفة موتٍ ، وجائز أن تكون رجفة إغماءٍ وغَشْيةٍ ، فإذ كان لا خَبرَ بذلك تقوم به حجة ، فالصواب من القول فيه أن يقال : إن الله تعالى قد أخبر أنهم أخذتهم الرجفة ، وهي الزلزلة الشديدة والحركة الشديدة ، ولم يخبر أنهم ماتوا منها أو لم يموتوا منها ، فيوقف مع ظاهر القرآن ولا يتعدّى إلى ما سكت عنه ، والله تعالى أعلم أيّ ذلك كان.

وفي القواعد : لا يصحُّ حمل الآية القرآنية على تفسيرات وتفصيلات غيبية لا دليل عليها من القرآن والسنة[3] .

---

(1) ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٣٨٠) ، ومعاني القرآن الكريم للنحاس (٣/ ٨٦) ، وتذكرة الأريب لابن الجوزي (١/ ١٨٩) .

(2) ينظر : جامع البيان للطبري (١/ ٦٩١) .

(3) القواعد الترجيحية عند المفسرين (١ /٢٢٥) .

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ وَٱكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ﴾

٢١- هل قوله تعالى : ﴿ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ﴾ يراد به أصحاب الرجفة ؟ أم هو على العموم ؟

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « قيل : الإشارة بذلك إلى الذين أخذتهم الرجفة . والصحيح أنه عموم يندرجون فيه مع غيرهم »[1].

العرض والمناقشة :

رجّح ابن جُزَيّ أن قوله تعالى : ﴿ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ﴾ على عمومه ، وأن الذين أخذتهم الرجفة يندرجون فيه مع غيرهم .

ووافق في هذا ما ذهب إليه جمهور المفسّرين منهم : الطبري، والسمرقندي ، والبغوي، وابن عطية ، والخازن ، وأبوحيان ، والثعالبي ، والشوكاني، والقنوجي[2].

وهو مفهوم كلام أبي السعود ، والسيد محمد رشيد رضا ، والمراغي ، والسعدي[3] .

قال الطبري : « يقول الله جل ثناؤه : قال الله لموسى : هذا الذي أصبتُ به قومك من الرجفة ﴿ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ﴾ مِنْ خلقي ، كما أصبتُ به هؤلاء الذين أصبتهم به من قومك ». اهـ .

ووجْه هذا القول : أن الاسم الموصول ﴿ مَنْ ﴾ من ألفاظ العموم كما هو مقرر في الأصول، ولا دليل على التخصيص فحمله على العموم أَولى وهو الصحيح .

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٤٧) .

(2) ينظر : جامع البيان (١٠ / ٤٨٣) ، وبحر العلوم (١/ ٥٧٣) ، ومعالم التنزيل (٢/ ١٥٧) ، والمحرر الوجيز (٦/ ٩٧) ، ولباب التأويل (٢/ ١٣٥) ، والبحر المحيط (٤/ ٤٠١) ، والجواهر الحسان (١/ ٥٧٨) ، وفتح القدير (٢/ ٣٥٩) ، وفتح البيان (٥/ ٣٢) .

(3) ينظر : إرشاد العقل السليم (٢/ ٣٠٣) ، وتفسير القرآن الحكيم (٩/ ١٩٨) ، وتفسير المراغي (٩/ ٨٠) ، وتيسير الكريم الرحمن (٢/ ١٦٠) .

قال ابن عطية : « ويحتمل ـــ وهو الأظهر ـــ أن الكلام قُصِدَ به الخبر عن عذابه وعن رحمته مِنْ أول ما ابتدأ ، ويندرج أمر أصحابِ الرجفة في عموم قوله : ﴿ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ﴾ » .اهـــ .

وأما القول بأن الإشارة بذلك إلى الذين أخذتهم الرجفة وأنهم هم المراد بالآية، فذَكره أبوحيان ، والشوكاني ، والقنوجي بصيغة (قيل)[1].

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن ما رجّحه ابن جُزَيّ ومن وافقه هو القول الصحيح ويتأيد بقاعدة (وجوب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص)[2].

وعلى اعتبار أن الذين أخذتهم الرجفة هم السبب في قوله تعالى : ﴿ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ﴾ فإن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب[3] ، والله تعالى أعلم .

---

(1) ينظر : البحر المحيط (٤/ ٤٠١) ، وفتح القدير (٢/ ٣٥٩) ، وفتح البيان (٥/ ٣٢) .

(2) قواعد الترجيح (٢/ ٥٢٧) .

(3) ينظر : المصدر السابق (٢/ ٥٤٥) .

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾

٢٢- الخلاف في إعراب ﴿ أَسْبَاطًا ﴾ .

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « السبط في بني إسرائيل كالقبيلة في العرب . وانتصابه على البدل من ﴿ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ ﴾ لا على التمييز ؛ فإن تمييز ﴿ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ ﴾ لا يكون إلاّ مفردًا. وقال الزمخشري : على التمييز ؛ لأن كل قبيلة أسباط لا سبط »[1] .

العرض والمناقشة :

رجّح ابن جُزَيّ أن ﴿ أَسْبَاطًا ﴾ منصوبٌ على البدل من ﴿ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ ﴾ .

ووافق في هذا الأخفش، وأبا علي الفارسي ـــ كما نسبه إليه الرازي والقمي ـــ ، والطبريَّ، والزجاج، والنحاس، والكرماني، والباقولي، والجوهري ـــ كما نسبه إليه القمي ـــ ، وابن عطية، ومحمود النيسابوري، والعكبري، والقرطبي، وأباحيان، والسمين، والثعالبي، والسيوطي، والآلوسي، والشنقيطي[2] .

وإلى القول بالبدلية ذهب ابن الأنباري، وابن مالك، وابن هشام، والأشموني، ومحي الدين الدرويش[3] .

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٥١) .

(2) ينظر : معاني القرآن (٢/ ٣١٣) ، ومفاتيح الغيب للرازي (٥/ ٣٨٨) وغرائب القرآن ورغائب الفرقان للقمي (٣/ ٣٣٦) ، وجامع البيان (١٠/ ٥٠٣) ، ومعاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٨٣) ، وإعراب القرآن (٢/ ١٥٦) ، وغرائب التفسير وعجائب التأويل (١/ ٤٢٥) ، وكشف المشكلات (١/ ٤٨٢) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/٣٣٦) ، والمحرر الوجيز (٦/ ١٠٩) ، وإيجاز البيان (١/ ٢٧٩) ، والتبيان (١/٥٩٩) ، والجامع لأحكام القرآن (٩/٣٦٠) ، والبحر المحيط (٤/ ٤٠٧) ، والدر المصون (٥/ ٤٨٤) ، والجواهر الحسان (١/ ٥٨٣) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٣/ ١٣٠) ، وروح المعاني (٩/ ٨٧) ـــ وعزاه هو والشهاب في حاشيته (٤/٢٢٧) إلى ابن الحاجب ـــ ، والعذب النمير (٤/١٦٣٨) .

(3) ينظر : البيان في غريب إعراب القرآن (١/ ٣١٨) ، وأوضح المسالك (٤/٢٥٧) ، وشرح شذور الذهب

وذكره السمعاني بـــ قيل[1] .

وَوَجْه كون ﴿ أَسْبَاطًا ﴾ بدلا أمران :

الأول : أنه جَمْعٌ . وتمييز العدد المركب ـــ وهو من أحد عشر إلى تسعة عشر ـــ مفرد منصوب، وهذا جَمْعٌ .

قال الطبري : « والصواب من القول في ذلك عندي : أن (الاثنتي العشرة) أُنِّثَتْ ؛ لتأنيث (القطعة) . ومعنى الكلام : وقطعناهم قِطَعًا اثنتي عشرة . ثم ترجم عن القطع بالأسباط ، وغير جائز أن تكون الأسباط مفسَّرةً عن الاثنتي العشرة ، وهي جَمْعٌ ؛ لأن التفسير [يعني : التمييز] فيما فوق العشر إلى العشرين بالتوحيد لا بالجمع ، والأسباط جَمْعٌ لا واحدٌ ، وذلك كقولهم : عندي اثنتا عشرة امرأةً . ولا يقال : عندي اثنتا عشرة نسوةً ففي ذلك بيان أن الأسباط ليست بتفسيرٍ لـــ (الاثنتي العشرة) . وأن القول في ذلك على ما قلنا »[2] . اهـــ .

فلو كان تمييزًا لقال : اثنتي عشرة سبطًا ، كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا ﴾ [التوبة : ٣٦] ، وكقولك : اثني عشر رجلاً . ولكن التمييز محذوف دلّ المقام عليه والتقدير : اثنتي عشرة فرقة ، وأسباط بدل من اثنتي عشرة [3].

الثاني : أن مفرده مُذكَّرٌ .

قال ابن هشام : « ولو كان ﴿ أَسْبَاطًا ﴾ تمييزًا لَذُكّرَ العددان ؛ لأن السِّبْط مذكر»[4]. أي : فكان يكون التركيب " اثني عشر " بتذكيرهما وتجريدهما من علامة التأنيث؛ لأن السبطَ ـــ واحد الأسباط ـــ مذكرٌ فكان يجب أن تجرد التاء من عدده[5] .

---

(٤٥٩)، وحاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك (٦٩/٤) ، و شرح التصريح على التوضيح (٢/ ٢٧٤) ، وإعراب القرآن الكريم وبيانه (٤٧٥/٣) .

(1) ينظر : تفسير القرآن (٢/ ٢٢٤) .

(2) جامع البيان (١٠/ ٥٠٣) . وهذا قول الجمهور ، وأجاز الفراء جمع التمييز .

(3) ينظر : كشف المشكلات للباقولي (١/ ٤٨٢) ، والمحرر الوجيز لابن عطية (٦/ ١١٠) ، والتبيان للعكبري (١/ ٥٩٩) ، والتحرير والتنوير للطاهر (٩/ ١٤٣) .

(4) أوضح المسالك (٤/ ٢٥٧) .

(5) ينظر : شرح التصريح على التوضيح (٢/ ٢٧٤ ، ٢٧٥) .

وقال أبوحيان عن هذا القول بأنه : الأجرى على قواعد العرب[1] .

وأما قول الزمخشري[2] بأن ﴿ أَسۡبَاطًا ﴾ تمييز ، فهو قول الفراء[3] ، وابن مالك في شرح الكافية[4] . وعليه الرازي ، والنسفي ، والبقاعي[5] .

وعلّل الزمخشري انتصاب ﴿ أَسۡبَاطًا ﴾ على التمييز بأن المراد : وقطعناهم اثنتي عشرة قبيلة ، وكل قبيلة أسباط لا سبط ، فوضع ﴿ أَسۡبَاطًا ﴾ موضع قبيلة ، ونظيره :

بَيْن رِمَاحَيْ مالكٍ و نَهْشَلِ[6] .

قال الشهاب : السبط مفرد بمعنى ولد ؛ كالحسن والحسين سبطا رسول الله ﷺ ، ثم استُعمِل في كل جماعة من بني إسرائيل بمعنى القبيلة . وقد يطلق على كل قبيلة منهم أسباط أيضًا كما غلب الأنصار على جمع مخصوص فيكون مفردًا تأويلاً ؛ لأنه بمعنى الحيّ والقبيلة ، فلذا وقع موقع المفرد في التمييز كما يثنّى الجمع في نحو قوله :

بَيْن رِمَاحَيْ مالكٍ و نَهْشَلِ .

إذ عدَّ كل طائفة ونوع منها واحدًا ثم ثنّاه كما يثنّى المفرد[7] .

وأجاب ابن مالك عن قولهم : إن ﴿ أَسۡبَاطًا ﴾ مفرده مذّكر ، بأن ذِكْرَ ﴿ أُمَمًا ﴾ رجّح حكم التأنيث في ﴿ أَسۡبَاطًا ﴾ ؛ لكونه وُصِفَ بـــ ﴿ أُمَمًا ﴾ ، وهو جمع أُمَّة ؛ كما رجّحه ـــ أي : التأنيث ـــ في شخوص ذكر " كاعبان و معصر" في قوله :

فكان مِجَنِّي دَوْنَ مَنْ كُنْتُ أَتَّقي ثَلاثُ شُخُوصٍ : كاعِبَانِ و مِعْصَرُ

وكان القياس " ثلاثة شخوص " ؛ لأن الشخص مذكر ، ولكنه لما فسّره بـــ كاعبان

---

(1) ينظر : البحر المحيط (٤/ ٤٠٧) .

(2) ينظر : الكشاف (٢/ ٥٢١) .

(3) ينظر : معاني القرآن (١/ ٣٩٧) .

(4) ينظر : شرح الكافية الشافية (٣/ ١٦٦٤) .

(5) ينظر : مفاتيح الغيب (٥/ ٣٨٨) ، ومدارك التنزيل (٢/ ٨١) ، ونظم الدرر (٨/ ١٣٢) .

(6) البيت لأبي النجم يصف رمكة تعودت الحروب . وأوله : تبقلت في أول التبقل . ينظر : روح المعاني للآلوسي (٩/ ٨٧) ، والدر المصون للسمين (٣/ ٣٥٧) .

(7) حاشية الشهاب (٤/ ٢٢٨) .

ومعصر ، وهما مؤنثان ، رجح تأنيثه[1] .

وردّه ابن هشام بأنه ضرورة ، والذي سهّل ذلك قوله : " كاعبان ومعصر " فاتصل باللفظ ما يعضد المعنى المراد ، ومع ذلك فليس بقياس خلافًا للناظم [ابن مالك][2] .

ومما يشهد لهذا القول ما رُوِيَ عن ابن مسعود قال : « قضى في دية الخطأ عشرين بنت مخاض وعشرين بَني مخاض » .

قال الأزهري : « وتخريج أبي حيان على أن بني مخاض حال من عشرين أو نعت لها والتمييز محذوف خلاف الأصل »[3] .

ومما يشهد له أيضًا أنه ظاهر القرآن .

قال الشنقيطي : « وظاهر القرآن أن مميزه ﴿أَسۡبَاطًا﴾ فقالوا : الأسباط جمع سبط مضمّن معنى القبيلة ، وأن الأسباط : القبيلة تكون فيها أسباط كثيرة . وعليه فالمعنى : قطعناهم اثنتي عشرة قبيلة . فالأسباط بمعنى القبيلة »[4] .

وردّ هذا القول أبوحيان فقال : « وما ذهب إليه ـــ يعني الزمخشري ـــ مِنْ أن كلَّ قبيلة أسباطٌ خلافُ ما ذكر الناس . ذكروا أن الأسباط في بني إسرائيل كالقبائل في العرب ، وقالوا : الأسباط جمع سبط وهم الفرق ، والأسباط من ولد إسحاق بمنزلة القبائل من ولد إسماعيل . ويكون على زعمه قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ ﴾[البقرة : ١٣٦] . معناه : القبيلة . وقوله : ونظيره (بَيْن رِمَاحَيْ مالكٍ و نَهْشَل) ليس بنظيره ؛ لأن هذا من تثنية الجمع وهو لا يجوز إلاّ في الضرورة »[5] .

وكذا ردّ هذا القول الشنقيطي فقال : « وهذا مردود ؛ لما ذكرنا من أن الأسباط في ذرية إسحاق بمعنى القبائل في ذرية إسماعيل »[6] .

---

(1) ينظر : شرح الكافية الشافية (٣/ ١٦٦٤) ، أوضح المسالك (٤/ ٢٥٧) ، وشرح التصريح على التوضيح (٢/ ٢٧٤ ـــ ٢٧٥) .

(2) أوضح المسالك (٤/ ٢٥١) .

(3) شرح التصريح على التوضيح (٢/ ٢٧٥) لخالد الأزهري .

(4) العذب النمير (٤/ ١٦٣٨) .

(5) البحر المحيط (٤/ ٤٠٧) .

(6) العذب النمير (٤/ ١٦٣٨) .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن القول بأن ﴿ أَسْبَاطًا ﴾ منصوب على البدل هو القول الراجح ؛ لتمشّيه مع القواعد العربية وجريه على الأصول ، وهو قول الجمهور .

ويتأيد هذا القول بالقاعدة الترجيحية : (يجب حمل كتاب الله على الأوجه الإعرابية القوية والمشهورة دون الضعيفة والشاذة والغريبة)[1] . وقد نصّوا على أن مميز العدد المركب يجب أن يكون مفردًا منصوبًا . وإذا كان ذلك كذلك فإن ما رجّحه ابن جُزَيّ ومن وافقه هو القول الأرجح ؛ لقوة تعليله ، والله تعالى أعلم .

(1) قواعد الترجيح (٢/ ٦٤٥) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ أَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذۡنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابِۭ بَـِٔيسِۭ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوۡاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنۡهُ قُلۡنَا لَهُمۡ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾ ﴾

٢٣- الخلاف في العذاب البئيس الذي أخذ الذين ظلموا .

هل هو المسْخُ ؟ أم غيره ؟

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « والمعنى : أنهم عُذّبوا أولاً بعذاب شديد فعتَوا [بعد ذلك][1] فمسخوا قردة . وقيل : ﴿ فَلَمَّا عَتَوۡاْ ﴾ تكرارٌ لقوله : ﴿ فَلَمَّا نَسُواْ ﴾ ، والعذاب البئيس هو المسخ »[2].

العرض والمناقشة :

رجّح ابن جُزَيّ أن العذاب البئيس هو عذابٌ شديدٌ عُذِّبُوا به أولاً لما نَسُوا ما ذُكِّروا به ، فعتوا بذلك فمسخوا قردة ، وهذا عذابٌ آخر .

ووافق في هذا معنى ما رُوِيَ عن ابن عباس[3] ، ومجاهد[4] ، وقتادة[5] ، وابن زيد[6] . فإنهم فسّروا العذاب البئيس بأنه : الذي لا رحمة فيه ، الوجيع ، الأليم ، الشديد ، الموجع ...ولم يفسّروه بأنه المسخ .

وهذا هو مفهوم كلام جمهور المفسّرين كالطبري، والزجاج، والنحاس، والسمرقندي،

---

(1) وقع في المطبوع : (بذلك) ، والصواب ما أثبته كما في جميع النسخ .

(2) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٥٣) .

(3) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢٤٠ – ٢٤٢) ، والطبري في جامع البيان (١٠/ ٥٢٧) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦٠٢) عقب الأثر (٨٤٦٤) من طريق عكرمة ، عنه قال : أليم وجيع . وفي إسناده مجهول. ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٥٩١) إلى أبي الشيخ بلفظ : لا رحمة فيه .

(4) أخرجه ابن جرير الطبري (١٠/ ٥٢٨) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦٠٢) رقم (٨٤٦٤) من طريق ابن أبي نجيح ، عنه قال : شديد .

(5) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ٢٣٩) ، وابن جرير الطبري في جامع البيان (٥٢٨/١٠) من طريق معمر ، عنه قال: موجع. وأخرج ابن جرير الطبري من طريق سعيد ، عنه قال: لما مرد القوم على المعصية ﴿ قُلۡنَا لَهُمۡ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾ ﴾ فصاروا قردة لها أذناب تعاوى بعد ما كانوا رجالا ونساءً .

(6) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٠/ ٥٢٨) من طريق ابن وهب ، عنه قال : شديد .

وابن أبي زمنين، ومكي، والسمعاني، والبغوي، وابن عطية، وابن الجوزي، والقرطبي، والثعالبي[1] .

وعليه الزمخشري، والرازي، والبيضاوي، والنسفي، والقمي، وأبوحيان، والبقاعي، وأبوالسعود، والآلوسي، والقاسمي[2] .

ودليله ظاهر القرآن ؛ لأن الترتيب بالفاء يدل على أن المسخ ترتَّب على العُتُوِّ ، والعُتُوُّ متأخر في الرتبة بعد النسيان ، قال : ﴿ فَلَمَّا نَسُواْ ﴾ ثم قال : ﴿ فَلَمَّاعَتَوْاْ ﴾.

قال أبوحيان : « والظاهر من قوله :﴿ فَلَمَّاعَتَوْاْ ﴾ أنهم أولاً أخذوا بالعذاب حين نسوا ما ذكروا به ثم لما عتوا مسخوا »[3] .

وأما القول الآخر وهو أن قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّاعَتَوْاْ ﴾ تكرار لقوله : ﴿ فَلَمَّا نَسُواْ ﴾ ، فهو قول مقاتل[4] . وعليه الواحدي، والسيوطي، والمراغي[5] .

وجوّزه البيضاوي ، والآلوسي ، والقاسمي[6] .

وذكره الزمخشري بصيغة (قيل) ، وتبعه النسفي ، والقمي ، وأبوحيان[7] .

ولم يذكروا له دليلاً .

وذكر القولين معًا بصيغة (قيل) : الشوكاني ، والقنوجي ، والسيد محمد رشيد رضا،

---

(1) ينظر : جامع البيان (١٠/ ٥٢٧ ، ٥٢٨) ، ومعاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٨٦) ، ومعاني القرآن الكريم (٩٥/٣) ، وبحر العلوم (١/ ٥٧٨) ، وتفسير القرآن العزيز (٢/ ١٤٩) ، وتفسير المشكل (١٧٦) ، وتفسير القرآن (٢/ ٢٢٦) ، ومعالم التنزيل (٢/ ١٦٤) ، والمحرر الوجيز (٦/ ١١٨) ، وتذكرة الأريب (١/ ١٩١) ، والجامع لأحكام القرآن (٩/ ٣٦٩) ، والجواهر الحسان (١/ ٥٨٤) .

(2) ينظر : الكشاف (٢/ ٥٢٦) ، ومفاتيح الغيب (٥/ ٣٩٣) ، وأنوار التنزيل (١/ ٣٦٦) ، ومدارك التنزيل (٢/ ٨٣) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ٣٣٨) ، والبحر المحيط (٤/ ٤١٣) ، ونظم الدرر (١٤٠/٨) ، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٣١٢) ، وروح المعاني (٩/ ٩٣) ، ومحاسن التأويل (٢٨٩٠/٧).

(3) البحر المحيط (٤/ ٤١٣) .

(4) ينظر : تفسير مقاتل (٢/ ٧١) .

(5) ينظر : الوجيز (١/ ٤١٨) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٣/ ١٣٦) ، وتفسير المراغي (٩/ ٩٦) .

(6) ينظر : أنوار التنزيل (١/ ٣٦٦) ، وروح المعاني (٩/ ٩٣) ، ومحاسن التأويل (٧/ ٢٨٩٠) .

(7) ينظر : الكشاف (٢/ ٥٢٦) ، ومدارك التنزيل (٢/ ٨٣) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ٣٣٨) ، والبحر المحيط (٤/ ٤١٣) .

والطاهر بن عاشور[1] ، ثم قال : « ولكن أسلوب الآية أبلغ وأوفر فائدة ، وأبعد عن التكرير اللفظي »[2] .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن ما رجّحه ابن جُزَيّ ومن وافقه هو القول الراجح ؛ لأنه ظاهر القرآن ، ولا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلاّ بدليل[3] .

ويتأيد هذا القول بالقاعدة الترجيحية : (إذا دار الكلام بين التأسيس والتأكيد فحمله على التأسيس أَولى)[4] . والله تعالى أعلم .

---

(1) ينظر : فتح القدير (٢/ ٣٦٧) ، وفتح البيان (٥/ ٦١) ، وتفسير القرآن الحكيم (٩/ ٣٣٢) ، والتحرير والتنوير (٩/ ١٥٣) .

(2) التحرير والتنوير (٩/ ١٥٤) .

(3) ينظر : قواعد الترجيح (١/ ١٣٧) .

(4) المصدر السابق (٢/ ٤٧٣) .

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغۡفَرُ لَنَا وَإِن يَأۡتِهِمۡ عَرَضٞ مِّثۡلُهُۥ يَأۡخُذُوهُۚ أَلَمۡ يُؤۡخَذۡ عَلَيۡهِم مِّيثَٰقُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِۗ وَٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۗ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٦٩ ﴾

٢٤- من المراد بالخَلْف ؟ أهم اليهود أم النصارى ؟

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « أي : حدث بعدهم قوم سوء ، والخَلْفُ ــ بسكون اللّام ــ ذَمٌ ، وبفتحها : مَدْح ، والمراد : مَنْ حدث من اليهود بعد المذكورين . وقيل : المراد النصارى »[1] .

العرض والمناقشة :

رجّح ابن جُزَيّ أن المراد بالخَلْفِ في قوله تعالى : ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ ﴾ هم اليهود الذين حدثوا بعد المذكورين . ووافق في هذا معنى ما رُوِيَ عن السدي [2] ، وابن زيد[3]. ونُسِبَ إلى ابن عباس[4] .

وذهب إليه جمهور المفسّرين منهم : مقاتل، والطبري، والنحاس، والواحدي، والسمعاني، والزمخشري، والقرطبي، والبيضاوي، والنسفي، والخازن، والقمي، والبقاعي، والسيوطي، وأبوالسعود، والشوكاني، والآلوسي، والقنوجي، والقاسمي، والسيد محمد رشيد رضا، والشنقيطي[5] .

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٥٣) .

(2) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٠/ ٥٣٨) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦٠٧) رقم (٨٤٩٢).

(3) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٠/ ٥٣٩) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦٠٧ ، ١٦٠٨) .

(4) نسبه إليه ابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٢٨٠) ، وأبو حيان في البحر المحيط (٤/ ٤١٦) .

(5) ينظر : تفسير مقاتل (٢/ ٧١) ، وجامع البيان (١٠/ ٥٣٥) ، ومعاني القرآن الكريم (٣/ ٩٨) ، والوجيز (١/ ٤١٩) والوسيط (٢/ ٤٢٢) ، وتفسير القرآن (٢/ ٢٢٨) ، والكشاف (٢/ ٥٢٧) ، والجامع لأحكام القرآن (٩/ ٣٧٢) ، وأنوار التنزيل (١/ ٣٦٧) ، ومدارك التنزيل (٢/ ٨٣) ، ولباب التأويل (١٤٢/٢) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ٣٣٩) ، ونظم الدرر (٨/ ١٤٦) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٣/ ١٣٩) ، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٣١٣) ، وفتح القدير (٢/ ٣٧٠) ، وروح

وهو مفهوم كلام ابن كثير ، والمراغي[1] .

ودليله السياق القرآني ، فسابق الكلام ولاحقه في اليهود وحدهم[2] .

قال الطبري : « والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال : إن الله ـــ تعالى ذِكْرُه ـــ إنما وصف أنه خلفَ القومَ الذين قصَّ قصصَهم في الآيات التي مضت ـــ خَلْفُ سَوْءٍ رديء، ولم يذكر لنا أنهم نصارى في كتابه . وقصتهم بقصص اليهود أشبه منها بقصص النصارى . وبعد ، فإن ما قبل ذلك خبرٌ عن بني إسرائيل [يعني به اليهود] وما بعده كذلك ، فما بينهما بأن يكون خبرًا عنهم أشبهُ ؛ إذ لم يكن في الآية دليل على صرف الخبر عنهم إلى غيرهم ، ولا جاء بذلك دليل يوجب صحةَ القول به ....كما قال جلّ ثناؤه فيهم: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾»[3] [البقرة] .

وقال النحاس : « قال مجاهد : يعني النصارى . وقال غيره : يعني أبناءهم . قال أبو جعفر : وهذا أَوْلَى القولين ـــ والله أعلم ـــ ؛ لأنه يقال لولد الرجل : خَلْفُهُ ، يقال للواحد، وللاثنين ، والجمع ، والمؤنث ، على لَفْظٍ واحدٍ ، والجمعُ خُلُوفٌ »[4] .

وأما القول الآخر بأن المراد بالخَلْفِ هم النصارى، فهو قول مجاهد[5] . واقتصر عليه ابن أبي زمنين مختارًا له[6] . وضعّفه الطبري[7] كما قاله ابن عطية[8] .

المعاني (٩/ ٩٦) ، وفتح البيان (٥/ ٦٥) ، ومحاسن التأويل (٧/ ٢٨٩٤) ، وتفسير القرآن الحكيم (٣٣٥/٩) ، والعذب النمير (٤/ ١٦٧٦) .

(1) ينظر : تفسير القرآن العظيم (٦/ ٤٣٠) ، وتفسير المراغي (٩/ ٩٩) .

(2) ينظر : تفسير القرآن الحكيم للسيد محمد رشيد رضا (٩/ ٣٣٥) .

(3) جامع البيان (١٠/ ٥٣٥) .

(4) معاني القرآن الكريم (٣/ ٩٨) .

(5) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٠/ ٥٣٥) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦٠٧) رقم (٨٤٩٣) من طريق ابن أبي نجيح ، عنه . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٥٩٣) نسبته إلى ابن أبي شيبة ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر .

(6) ينظر : تفسير القرآن العزيز (٢/ ١٥٠) .

(7) ينظر : جامع البيان (١٠/ ٥٣٥) .

(8) ينظر : المحرر الوجيز (٦/ ١٢٨) .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن الصواب هو ما رجّحه ابن جُزَيّ ومن وافقه مِنْ أن المراد بالخلف هم اليهود الذين حدثوا بعد المذكورين ؛ لدلالة السياق القرآني على ذلك .

ويتأيد هذا القول بقاعدة : (إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عنهما إلاّ بدليل يجب التسليم له)[1] . وعدَّ ابن جُزَيّ من أوجه الترجيح : (أن يشهد بصحة القول سياق الكلام ، ويدل عليه ما قبله أو ما بعده) [2]. والله تعالى أعلم .

تنبيه : قال ابن كثير : « وقد يكون أعمّ من ذلك »[3] . وعلى هذا قتادة فإنه قال : «يعني اليهود والنصارى » [4]. لكن لم يتابع عليه . وإن كانت قاعدة "القول بالعموم" تؤيده ، والله تعالى أعلم .

---

(1) قواعد الترجيح (١/ ١٢٥) .

(2) التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ٩) .

(3) تفسير القرآن العظيم (٦/ ٤٣٠) .

(4) أخرجه بهذا اللفظ ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦٠٧) رقم (٨٤٩٤) من طريق سعيد ، عنه .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾ ﴾

في هذه الآية الكريمة مسألتان :

المسألة الأولى هي :

٢٥- الخلاف في معنى أَخْذ الذريّة ، وإشهادهم المذكور.

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « في معناها قولان : أحدهما : أن الله لما خلق آدم أخرج ذريته من صُلْبِه وهم مثل الذّر ، وأخذ عليهم العهد بأنه ربهم ، فأقرّوا بذلك والتزموه. رُوِيَ هذا المعنى عن النبي ﷺ من طرق كثيرة . وقال به جماعة من الصحابة وغيرهم . والثاني : أن ذلك من باب التمثيل ، وأن أخذ الذريّة عبارة عن إيجادهم في الدنيا، وأما إشهادهم فمعناه : أن الله نصب لبني آدم الأدلة على ربوبيته فشهدت بها عقولهم فكأنه أشهدهم على أنفسهم ، وقال لهم : ألست بربكم ؟ وكأنهم قالوا بلسان الحال : بلى أنت ربنا . والأول هو الصحيح ؛ لتواتر الأخبار به إلاّ أن ألفاظ الآية لا تطابقه بظاهرها ، فلذلك عدل عنه من قال بالقول الآخر ، وإنما تطابقه بتأويلٍ ؛ وذلك أن أخذ الذرية إنما كان من صلب آدم ، ولفظ الآية يقتضي أن أخذ الذرية من بني آدم ، والجمع بينهما : أنه ذكر بني آدم في الآية والمراد آدم ؛ كقوله : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ﴾ الآية [الأعراف : ١١] . وعلى تأويل [أن معناه] : لقد خلقنا أباكم آدم [ثم صورناه][1] . وقال الزمخشري: إن المراد ببني آدم أسلاف اليهود ، والمراد بذريتهم مَنْ كان في عصر النبي ﷺ . وفي الصحيح المشهور أن المراد جمع[2] بني آدم حسبما ذكرناه »[3] .

---

(1) في المطبوع : مِنْ صورته . والصواب ما أثبته كما في جميع النسخ .

(2) في المطبوع : جمع . والصواب ما أثبته كما في جميع النسخ .

(3) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٥٣) .

العرض والمناقشة :

هذه الآية مشكلة كما قاله النحاس[1]. وفيها قولان معروفان لأهل العلم ذكرهما ابن جُزَيّ ، ورجّح أن المعنى المراد من أخذ الذرية من آدم وهم مثل الذَّرِّ هو حقٌّ على حقيقته ، وأن الإشهاد والميثاق كذلك حقٌّ على حقيقته وظاهره ، وأنه كان بلسان المقال .

وحَكَى أن هذا المعنى رُوِيَ عن النبي ﷺ من طرق كثيرة وقال به جماعة من الصحابة وغيرهم . وصحَّح هذا القولَ ؛ لتواتر الأخبار به .

ووافق في هذا جماعة من الصحابة والتابعين ومنهم : ابن عباس[2] ، وأُبَيُّ بن كعب[3]،

---

(1) ينظر : إعراب القرآن (٢/ ١٦١) . وتبعه السمعاني في تفسيره (٢/ ٢٢٩) و القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٩/ ٣٧٥) .

(2) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠/ ٥٥٤) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦١٤) رقم (٨٥٣٦) ، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٣/ ٥٦١) رقم (٩٩٢) من طريق علي بن أبي طلحة ، عنه. وأخرجه الطبري في جامع البيان (١٠/ ٥٥٠) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦١٣) رقم (٨٥٣٠) من طريق علي بن بذيمة ، عن سعيد بن جبير ، عنه .وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٥٩٨) نسبته إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر ، وأبي الشيخ . وأخرجه الطبري في جامع البيان (١٠/ ٥٤٧، ٥٤٨، ٥٥٠) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦١٣) رقم (٨٥٢٩) ، وابن سعد في الطبقات (١/ ٢٩) وغيرهم من طريق كلثوم بن جبر ، عن سعيد بن جبير ، عنه . وأخرجه الطبري ، وابن سعد من طريق عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير، عنه . وأخرجه الطبري (١٠/ ٥٥٦) من طريق ابن جريج ، عن الزبير بن موسى ، عن سعيد بن جبير ، عنه . وأخرجه الطبري في جامع البيان (١٠/٥٥٥) من طريق عطية العوفي ، عنه . وأخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢٤٢) عن معمر، عن الكلبي ، عن أبي صالح ، عنه . وأخرجه الطبري في جامع البيان (١٠/٥٥١) من طريق جويبر ، عن الضحاك ، عنه . وفي (١٠/ ٥٥٩) من طريق أبي معاذ ، عن عبيد ، عن الضحاك به . وينظر: تخريج الأحاديث والآثار في كتاب التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٦٩٤- ٦٩٨) .

(3) أخرجه عبدالله بن أحمد في زوائد المسند (٥/ ١٣٥) ، والطبري في جامع البيان (١٠/ ٥٥٧) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦١٥) رقم (٨٥٣٣) ، والفريابي في القدر (رقم ٥٢) ، واللالكائي في شرح أصول الإعتقاد (٥٥٩/٣ ، ٥٦١) رقم (٩٩١) ، والحاكم في مستدركه (٢/ ٣٢٣) ، وابن عبد البر في التمهيد (١٨/ ٩١) وغيرهم من طريق أبي العالية ، عنه . قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي . وصحح إسناده ابن شاكر في تعليقه على جامع البيان للطبري (١٢٣٩/١٣)، وقال الألباني في تخريج مشكاة المصابيح (٤٤/١) : سنده حسن موقوف ، ولكنه في حكم المرفوع ؛ لأنه لا يقال بالرأي . وينظر : تخريج الأحاديث والآثار في كتاب التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٧١٠) . والدر المنثور للسيوطي (٣/ ٦٠٠) .

وعلي بن أبي طالب[1]، والحسن[2] ، وابن جريج[3] ، ومحمد بن كعب القرظي[4] ، وأبو جعفر الباقر محمد بن علي[5] ، وعطاء[6] ، والضحاك[7] ، وسعيد بن جبير[8] ، و نَضْر بن عربي[9] ، والسدّي[10] ، والكلبي[11].

ونُسِب أيضًا إلى سعيد بن المسيّب، وعكرمة[12]، وقتادة، ومجاهد[13].

وذهب إليه مقاتل، والطبري، والنحاس، والسمرقندي، وابن أبي زمنين، وابن عبد البر، والواحدي، والسمعاني، والبغوي، وابن عطية، ومحمود النيسابوري، وابن الجوزي، والقرطبي، والخازن، والثعالبي، والسيوطي، والشوكاني، والقنوجي، والشنقيطي، والألباني[14].

---

(1) ينظر : الدر المنثور للسيوطي (٣/ ٦٠٥) .

(2) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ٢٤٢) عن معمر قال : وكان الحسن يقول مثل ذلك . أي : مثل قول ابن عباس . وينظر : جامع البيان للطبري (١٠/ ٥٥٢) .

(3) نسبه السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٦٠٧) لابن المنذر ، وأبي الشيخ عن ابن جريج .

(4) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١٤/ ١١٥) ، وابن عبد البر في التمهيد (١٨/ ٨٠) ، والطبري في جامع البيان (١٠/ ٥٦٢) . ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٥٩٩) لأبي الشيخ .

(5) نسبه السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٦٠٥) لأبي الشيخ .

(6) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٠/ ٥٥٩) .

(7) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٠/ ٥٥٩) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦١٥) رقم (٨٥٣٨) .

(8) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٠/ ٥٥٦) عن ابن جريج عنه . وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره (١٦١٣/٥) عقب الأثر (٨٥٢٩) .

(9) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٠/ ٥٥٩) .

(10) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠/ ٥٦٠، ٥٦١) وفي تاريخه (١/ ١٣٦) ، وابن عبد البر في التمهيد (٨٥/١٨) من طريق أسباط ، عنه .

(11) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠/ ٥٦١) من طريق معمر ، عنه .

(12) ينظر : مفاتيح الغيب للرازي (٥/ ٣٩٨) ، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦/ ٤٤٧) .

(13) ينظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦/ ٤٤٧) .

(14) ينظر : تفسير مقاتل (٢/ ٧٢ – ٧٤) ، وجامع البيان (١٠/ ٥٤٦) ، ومعاني القرآن الكريم (٣/ ١٠١) ، وبحر العلوم (١/ ٥٧٩- ٥٨١) ، وتفسير القرآن العزيز (٢/ ١٥٢) ، والتمهيد (١٨/ ٨٥) ، والوجيز (٤٢٠/١) ، وتفسير القرآن (٢/ ٢٢٩) ، ومعالم التنزيل (٢/ ١٦٧) ، والمحرر الوجيز (٦/ ١٣٤) ، وإيجاز البيان (١/ ٢٨٢) ، وزاد المسير (٣/ ٢٨٣ ، ٢٨٦) وتذكرة الأريب (١/ ١٩٢) ، والجامع لأحكام القرآن (٩/ ٣٧٥) ، ولباب التأويل (٢/ ١٤٣ ، ١٤٥) والجواهر الحسان (١/ ٥٨٦) ، وتفسير الجلالين

ومال إليه الرازي ، وتبعه القمي[1] . وكأن الآلوسي يميل إليه[2] .

وعليه أكثر المتقدمين من السلف كما قاله الشنقيطي .

ونسبه إلى جماعة المفسّرين : الواحدي[3]، والسمعاني .

وقال الخازن : « وهو مذهب أهل التفسير والأثر ، وظاهر ما جاءت به الروايات عن السلف » .

وقال ابن الأنباري : « هذا مذهب أصحاب الحديث وكبراء أهل العلم »[4] .

واستدل له ابن جُزَيّ بأنه رُوِيَ معناه عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم من طرقٍ كثيرة متواترة[5] . ومن هذه الأحاديث :

ـــ ما رواه أنس بن مالك ، عن النبي ﷺ قال : (يقال للرجل من أهل النار يوم القيامة: أرأيت لو كان لك ما على الأرض من شيء أكنت مفتديًا به ؟ فيقول : نعم . فيقول : قد أردت منك أهون من ذلك ، قد أخذت عليك في ظهر أبيك آدم أن لا تشرك بي فأبيت إلاّ أن تشرك بي)[6].

قال الشنقيطي : « وهذا القول قال به كثير من السلف ، ودلّت عليه أحاديث كثيرة من أصحّها وأدلّها عليه ما ثبت في الصحيحين من حديث أنس ، وقد ذكر فيه النبي ﷺ أن

(الفتوحات الإلهية ٣/ ١٤٦) ، وفتح القدير (٢/ ٣٧٤) ، وفتح البيان (٥/ ٧٠) ، وأضواء البيان (٣٣٦/٢) والعذب النمير (٤/ ١٦٨٧) ، وسلسلة الأحاديث الصحيحة (١٥٩/٤ – ١٦٣) .

(1) ينظر : مفاتيح الغيب (٥/ ٤٠١ ، ٤٠٢) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ٣٤٣) .

(2) ينظر : روح المعاني (٩/ ١٠٣) .

(3) ينظر : الوسيط (٢/ ٤٢٥) .

(4) ينظر : لباب التأويل للخازن (٢/ ١٤٤) .

(5) وقد سبقه إلى ذلك ابن عطية في المحرر الوجيز (٦/ ١٣٤) . والمقصود التواتر المعنوي كما قاله الشيخ صالح المقبلي في " الأبحاث المسوّدة" : ولا يبعد دعوى التواتر المعنوي في الأحاديث والروايات في ذلك . ينظر : فتح البيان للقنوجي (٥/ ٧١) ، وسلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني (٤/ ١٥٩) . وتبعهم على ذلك الألباني كما في السلسلة الصحيحة (٤/ ١٦٢) .

(6) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٣٣٣٤) في أحاديث الأنبياء ، باب خلق آدم وذريته وفي مواضع أخرى (٦٥٣٨) ، (٦٥٥٧) . وأخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ٢١٦٠) رقم (٢٨٠٥) في صفات المنافقين وأحكامهم ، باب في الكفار . وأخرجه أحمد في مسنده (٣/ ١٢٧ و ١٢٩) .

عدم الإشراك أخذ عليهم وهم في ظهر آدم ، فدل ذلك على أن قوله :﴿ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ أنه استخراج الله لهم ، وإشهاده عليهم ، ثم ردّهم في ظهر أبيهم آدم»[1].

ـــ وما رواه ابن عباس ، عن النبي ﷺ قال : (أخذ الله الميثاقَ من ظهر آدم بنَعْمان ـــ يعني : عرفةَ ـــ فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها فنثرهم بين يديه كالذر ، ثم كلّمهم قِبلاً فقال : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَا ۛ أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾)[2] .

قال الألباني : « وجملة القول : إن الحديث صحيح ، بل هو متواتر المعنى كما سبق ، وأنه لا تعارض بينه وبين آية الميثاق ، فالواجب ضمه إليها ، وأخذ الحقيقة من مجموعهما»[3].

فبضميمة الحديث إلى الآية يمكن الجمع بينهما ؛ فذكرت الآية الأخذ من ظهور بني آدم ، وذكر الحديث الأخذ من ظهر آدم .

---

(1) العذب النمير (٤/ ١٦٨٧) بتصرف يسير .

(2) أخرجه أحمد في المسند (١/ ٢٧٢) ، وابن جرير الطبري في جامع البيان (١٠/ ٥٤٧) وفي تاريخه (١/ ١٣٤) ، والنسائي في السنن الكبرى (رقم ١١١٩١) ، وابن أبي عاصم في السنة (٢٠٢) ، والطحاوي في مشكل الآثار برقم (٣٨٨٩) ، وابن منده في الرد على الجهمية (٢٩) ، والحاكم (٢/ ٥٤٤) ، والبيهقي في الأسماء والصفات (٧١٤) ، والواحدي في الوسيط (٢/ ٤٢٥) جميعًا من طريق كلثوم بن جبر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس مرفوعًا . وصححه الحاكم ، ووافقه الذهبي. وقال ابن كثير في البداية والنهاية (١/ ١٠٠) : إسناده قوي على شرط مسلم . وقال الشوكاني : وإسناده لا مطعن فيه. وتابعه تلميذه القنوجي . ينظر : فتح القدير (٣٧٦/٢) وفتح البيان (٧٣/٥). واختُلِف في رفعه ووقفه ، ورجّح ابن كثير الموقوف كما في تفسيره (٤٣٥/٦- ٤٣٦) . قال الألباني : قلت : هو كما قال رحمه الله تعالى ، ولكن ذلك لا يعني أن الحديث لا يصح مرفوعًا ، وذلك لأن الموقوف في حكم المرفوع ؛ لسببين : الأول : أنه في تفسير القرآن ، وما كان كذلك فهو في حكم المرفوع ، ولذلك اشترط الحاكم في كتابه المستدرك أن يخرج فيه التفاسير عن الصحابة كما ذكر ذلك فيه (١/ ٥٥) . الآخر : أن له شواهد مرفوعة عن النبي صلى الله عليه وسلم عن جمع من الصحابة ، وهم عمر ابن الخطاب ، وعبد الله بن عمرو ، وأبو هريرة ، وأبو أمامة ، وهشام بن حكيم أو عبد الرحمن بن قتادة السلمي ـــ على خلاف بينهما ـــ ومعاوية بن أبي سفيان ، وأبو الدرداء ، وأبو موسى ، وهي وإن كان غالبها لا تخلو أسانيدها من مقال ، فإن بعضها يقوي بعضًا ...الخ . ينظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة (٤/ ١٥٩) . وينظر أيضًا : تخريج الأحاديث والآثار في كتاب التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٦٩٤) .

(3) سلسلة الأحاديث الصحيحة (٤/ ١٦٢) .

قال الرازي : « ثبت إخراج الذرية من ظهور بني آدم بالقرآن ، وثبت إخراج الذرية من ظهر آدم بالخبر ... فلا منافاة بين الأمرين ولا مدافعة ، فوجب المصير إليهما معًا ؛ صونًا للآية والخبر عن الطعن بقدر الإمكان »[1] .

وقال البغوي في الجمع بين الآية والحديث : « إن الله أخرج ذرية آدم بعضهم من ظهور بعض على نحو ما يتوالد الأبناء من الأبناء[2] في الترتيب ، فاستغنى عن ذكر ظهر آدم لما عُلِمَ أنهم كلهم بنوه وأخرجوا من ظهره »[3].

ـــ وما رواه أبو هريرة ، عن رسول الله ﷺ قال : (إن الله لما خلق آدم مسح ظهره فجرت منه كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة ، ونزع ضلعًا من أضلاعه فخلق منه حَوّاء، ثم أخذ عليهم العهد : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ ﴾...) الحديث بطوله[4] .

ـــ وما رواه عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ : (﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ قال : أخذوا من ظهره كما يؤخذ بالمشط من الرأس ، فقال لهم : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ قالت الملائكة : ﴿ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ ﴾)[5] .

---

(1) مفاتيح الغيب (٥/ ٤٠٢) .

(2) كذا في المطبوع . ولعل الصواب : من الآباء . والله أعلم .

(3) معالم التنزيل (٢/ ١٦٨) .

(4) أخرجه الترمذي في كتاب التفسير من سننه (٥/ ٢٤٩) رقم (٣٠٧٦) وقال : هذا حديث حسن صحيح . وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦١٤) رقم (٨٥٣٥) . وصححه الحاكم في مستدركه (٢/ ٥٤٤) ووافقه الذهبي. وصححه الألباني في تخريج السنة لابن أبي عاصم (٢٠٤ و ٢٠٥ بتحقيقه) . السلسلة الصحيحة (٤/ ١٥٩) وينظر للتوسع في تخريجه : تخريج الأحاديث والآثار في كتاب التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٧٠٥ ـــ ٧٠٧) . وينظر : الدر المنثور للسيوطي (٣/ ٦٠١) .

(5) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٠/ ٥٥٢) من طريق أحمد بن أبي طَيْبَة ، عن الثوري ، عن الأجلح ، عن الضحاك . وعن منصور ، عن مجاهد ، عن عبد الله بن عمرو مرفوعًا . قال الطبري (١٠/ ٥٦٤) : ولا أعلمه صحيحًا ؛ لأن الثقات الذين يعتمد على حفظهم وإتقانهم حدّثوا بهذا الحديث عن الثوري فوقفوه على عبد الله بن عمرو ولم يرفعوه ، ولم يذكروا في الحديث هذا الحرف الذي ذكره أحمد بن أبي طيبة عنه . اهـــ . ولعلّه يعني بذلك قوله : (فقال لهم : ألست بربكم ...) الخ . وأعلّه ابن كثير أيضًا كما في تفسيره (٦/ ٤٣٩)

ـــ وما رواه أبو أمامة ، أن رسول الله ﷺ قال : (خلق الله الخلق وقضى القضية ، وأخذ ميثاق النبيين وعرشه على الماء ، فأخذ أهل اليمين بيمينه ، وأخذ أهل الشمال بيده الأخرى ـــ وكلتا يدي الرحمان يمين ـــ فقال : يا أصحاب اليمين ، فاستجابوا له ، فقالوا : لبيك ربنا وسعديك . قال : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى ﴾. قال : يا أصحاب الشمال ، فاستجابوا له ، فقالوا : لبيك ربنا وسعديك . قال : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى ﴾. فخَلَطَ بعضَهم ببعضٍ . فقال قائل منهم : رب لم خلطت بيننا ؟! قال : ﴿ وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ [المؤمنون]. ﴿ أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ ﴾. ثم ردّهم في صلب آدم ، فأهل الجنة أهلها ، وأهل النار أهلها) . فقال قائل : يا رسول الله ، فما الأعمال ؟ قال : (يعمل كل قوم لمنازلهم) . فقال عمر بن الخطاب : إذًا نجتهد[1] .

ـــ وما رواه هشام بن حكيم ، أن رجلاً أتى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، أَتُبْدَأُ الأعمالُ أمْ قد قضي القضاء ؟ فقال رسول الله ﷺ : (إن الله أخذ ذرية آدم من ظهورهم ، ثم أشهدهم على أنفسهم ، ثم أفاض بهم في كفّيْه ، ثم قال : هؤلاء في الجنة ، وهؤلاء في النار ...) الحديث[2].

ـــ وما رواه السدّي ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس ؛ وعن مُرَّة الهمداني ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ في قول الله ـــ عز وجل ـــ : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ قالوا : لما أخرج الله آدم من الجنة قبل أن يهبطه من السماء ، مسح صفحة ظهره اليمنى ، فأخرج منها ذرية بيضاء مثل اللؤلؤة كهيئة

بالوقف ، وصحح الموقوف . وعلّته أحمد بن أبي طيبة فإن له أفرادًا ، وقد خولف من ثقات أثبات أوقفوه على عبد الله بن عمرو ، وهو الصواب . فهو صحيح موقوفًا وله حكم الرفع ؛ لأنه لا يقال من قبيل الرأي . وينظر : تخريج الأحاديث والآثار في كتاب التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٦٩٨- ٧٠٠) .

(1) نسبه ابن كثير في تفسيره (٦/ ٤٤٥) إلى ابن مردويه ـــ وضعّف إسناده ـــ والسيوطي في الدر المنثور (٣/ ٦٠٣) وزاد : عبد بن حميد ، والحكيم الترمذي في نوادره ، وأبو الشيخ في العظمة . وفي إسناده : ـــ جعفر بن الزبير ، ضعيف جدًا ، متروك . ـــوالقاسم بن عبد الرحمن الدمشقي ، صاحب أبي أمامة ، صدوق يغرب . ينظر : تخريج الأحاديث والآثار في كتاب التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٧٠٧ – ٧٠٨) .

(2) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٠/ ٥٦٢- ٥٦٣) من طرق عنه . وينظر في تخريجه بتوسّع : حاشية تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦/ ٤٤٣ – ٤٤٥) .

الذر ، فقال لهم : ادخلوا الجنة برحمتي ، ومسح صفحة ظهره اليسرى ، فأخرج منها ذرية سوداء كهيئة الذر ، فقال : ادخلوا النار ولا أبالي ؛ فذلك قوله : " أصحاب اليمين والشمال " . ثم أخذ منهم الميثاق فقال : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى ﴾. فأعطاه طائفة طائعين وطائفة كارهين على وجه التقية . فقال هو والملائكة : ﴿ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ ﴾. قالوا : فليس أحد من ولد آدم إلاّ وهو يعرف الله أنه ربه ؛ وذلك قوله ــ عز وجل ــ : ﴿ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [آل عمران] . وذلك قوله : ﴿ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ ﴾ [الأنعام] . يعني يوم أخذ الميثاق[1] .

قال ابن عبد البر : « هذا من أحسن ما روي في تأويل هذه الآية »[2] .

وبالجملة فالأحاديث والآثار في هذا الباب على أقسام :

ــ قسم منها فيه ذكر الميثاق وأخذ الذرية من ظهر آدم .

ــ وقسم منها فيه ذكر أخذ الذرية من ظهره ، وليس فيها ذكر الميثاق ، وفيها أيضًا ذكر القبضتين : أصحاب اليمين ، وأصحاب الشمال .

ــ وقسم منها ليس فيه ذكر أخذ الذرية ولا الميثاق .

ــ وقسم منها فيه ذكر استخراج الذرية من ظهره فقط .

قال ابن القيم : « وبالجملة فالآثار في إخراج الذرية من ظهر آدم ، وحصولهم في القبضتين كثيرة لا سبيل إلى ردّها وإنكارها ، ويكفي وصولها إلى التابعين ، فكيف بالصحابة؟ ومثلها لا يقال بالرأي والتخمين »[3] . اهـ .

« وقد تلقاها أو تلقى ما اتفقت عليه من إخراج الذرية من ظهر آدم وإشهادهم على أنفسهم ؛ السلف الصالح من الصحابة والتابعين دون اختلاف بينهم » . قاله الألباني[4] .

وأما ابن كثير فإنه بعد سياقه للأحاديث (٦/ ٤٣٣- ٤٤٦) قال : « فهذه

---

(1) أخرجه ابن عبد البر في التمهيد (١٨ / ٨٥) .

(2) المصدر السابق .

(3) بدائع التفسير (٢/ ٣٠٠) .

(4) سلسلة الأحاديث الصحيحة (٤/ ١٥٩) . ثم عدّد جماعة منهم .

الأحاديث دالّة على أن الله ـــ عز وجل ـــ استخرج ذرية آدم من صلبه ، وميَّز بين أهل الجنة وأهل النار ، وأما الإشهاد عليهم هناك بأنه ربهم فما هو إلاّ في حديث كلثوم بن جَبْر، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس . وفي حديث عبد الله بن عمرو . وقد بيّنا أنهما موقوفان لا مرفوعان ، كما تقدم »[1]. وقد مضى الكلام عليهما فيما سبق .

وعلّق عليه الألباني قائلاً : « وليس الأمر كما نفى ، بل الإشهاد وارد في كثير من تلك الأحاديث »[2] . ثم ذكرها .

وأما القول الثاني وهو أن ذلك من باب التمثيل ، وأن أخذ الذريّة عبارة عن إيجادهم في الدنيا[3] ، وأن إشهادهم معناه : أن الله نصب لهم الأدلة على ربوبيته فشهدت بها عقولهم، فكأنه أشهدهم على أنفسهم وقال لهم : ألست بربكم ؟ فقالوا بلسان الحال : بلى أنت ربنا ، فهو قول المعتزلة منهم : القاضي عبد الجبار[4] ، والزمخشري[5] .

ونسبه الرازي إلى أصحاب النظر وأرباب المعقولات[6] وقال : « لا طعن فيه ألبتة ، وبتقدير صحته لم يكن منافيًا لصحة القول الأول » !! .

وأما أبوعمر ابن عبد البر فنسبه إلى أهل البدع[7] .

واختاره البيضاوي[8] ، والنسفي[9].

---

(1) تفسير القرآ ن العظيم (٦/ ٤٤٧) .

(2) سلسلة الأحاديث الصحيحة (٤/ ١٦٠) .

(3) أي : قرنًا بعد قرن ، وجيلا بعد جيل ، على طريق التناسل كما قال تعالى : ﴿كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [الأنعام] . ينظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦/ ٤٤٧) ، وأضواء البيان للشنقيطي (٢/٣٣٥) .

(4) ينظر : تنزيه القرآن عن المطاعن (١٤٠) نقلا عن " أسباب الخطأ في التفسير" (١/ ٥٧٧) .

(5) ينظر : الكشاف (٢/ ٥٢٩) .

(6) ينظر : مفاتيح الغيب (٥/ ٤٠٠) .

(7) ينظر : التمهيد (١٨/ ٩٥) .

(8) ينظر : أنوار التنزيل (١/ ٣٦٨) . وذكر القول الأول بصيغة (قيل) .

(9) ينظر : مدارك التنزيل (٢/ ٨٥) وقال : إلى هذا ذهب المحققون من أهل التفسير منهم : الشيخ أبو منصور ، والزجاج ، والزمخشري . وذهب جمهور المفسّرين إلى القول الأول .اهـــ . ونسبته إلى الزجاج فيها نظر ؛ لأنه ذكر القولين و لم يرجّح و لم يختر ، والله أعلم . ينظر : معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٩٠) .

وتبعهم أبوحيان، والبقاعي، وأبوالسعود، والقاسمي، والسيد محمد رشيد رضا، والمراغي[1] .

وذهب ابن قتيبة[2]، وابن تيمية[3]، وابن القيم[4]، وابن كثير[5]، والسعدي[6]، والطاهر[7] إلى ما دلت عليه الأحاديث والآثار من حقيقة الأخذ وأنه على ظاهره جمعًا بين الآية والأحاديث والآثار ..ولكن ذهبوا إلى أن الإشهاد والإقرار هو فَطْرُهم على التوحيد ، وفسّروا الآية بحديث : (كل مولود يولد على الفطرة)[8] . وأن الإقرار كان بلسان الحال ؛ كما قال تعالى :﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ﴾ [التوبة : ١٧] .

ووافقهم الغزالي في أن الإشهاد هو فَطْرُهم على التوحيد[9] .

قال الزمخشري : « وباب التمثيل واسع في كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ ، وفي كلام العرب . ونظيره قوله تعالى :﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ ﴾ [النحل] ، وقوله :﴿ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ ﴾ [فصلت] وقوله:

إذ قالت الأَنْسَاعُ للبطن : الحقي قالت له ريحُ الصَّبَا : قَرْقارِ[1]

---

(1) ينظر : البحر المحيط (٤/ ٤٢٠) ، ونظم الدرر (٨/ ١٥٢) ، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٣١٥) ، ومحاسن التأويل (٨/ ٢٨٩٧) ، وتفسير القرآن الحكيم (٩/ ٣٣٨- ٣٣٩) ، وتفسير المراغي (٩/ ١٠٣) .

(2) نسبه له ابن القيم كما في أحكام أهل الذمة (٢/ ٥٢٥ – ٥٢٧) .

(3) ينظر : درء تعارض العقل والنقل (٨/ ٤٨٢ ، ٤٨٧) . واختيارات ابن تيمية وترجيحاته في التفسير لمحمد المسند (٤٢٧/١) .

(4) ينظر : أحكام أهل الذمة (٢/ ٥٢٥) وما بعدها ، والروح (١٦١ – ١٦٣) . وينظر : بدائع التفسير (٢٧٥/٢).

(5) ينظر : تفسير القرآن العظيم (٦/ ٤٤٧ ، ٤٤٨) .

(6) ينظر : تيسير الكريم الرحمن (٢/ ١٧٠) . وذكر القول الأول بقيل .

(7) ينظر : التحرير والتنوير (٩/ ١٦٦) .

(8) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز برقم (١٣٥٨ و ١٣٥٩ و ١٣٨٥) وفي كتاب التفسير برقم (٤٧٧٥) وفي كتاب القدر برقم (٦٥٩٩) ، ، ومسلم في القدر (٢٦٥٨) ، والترمذي في القدر (٢٣١٩) ، وأبو داود في السنة (٤٧١٤) .

(9) ينظر : إحياء علوم الدين (١/ ٨٧) .

ومعلوم أنه لا قولَ ثمَّ ، وإنما هو تمثيل وتصوير للمعنى »[٢] .

وردّ عليه ابن المنيّر فقال : « إن القاعدة مستقرة على أن الظاهر مالم يخالف المعقول يجب إقراره على ما هو عليه ، فكذلك أقره الأكثرون على ظاهره وحقيقته و لم يجعلوه مثالاً، وأما كيفية الإخراج والمخاطبة فالله أعلم بذلك »[٣] .

ويجاب عن استشهاده بالآية ﴿ قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ﴾ بأن الأصل هو حملها على ظاهرها ولا مُلْجِيءَ للمجاز لا سيّما وأن الله في نفس السورة ذكر أن الجلود تقول :﴿ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖ ﴾[فصلت:٢١] .

وقالوا : إن ظاهر ألفاظ الآية لا يدل على حقيقة الأخذ والإشهاد ؛ لأنه قال : ﴿ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ ﴾ و لم يقل : من آدم . ثم قال :﴿ مِن ظُهُورِهِمۡ ﴾ و لم يقل : من ظهره . ثم قال : ﴿ ذُرِّيَّتَهُمۡ ﴾ و لم يقل : ذريته .

وجوابه : أن الحديث الثابت في ذلك والآثار المرفوعة والموقوفة تفسّر الآية وتكمّل معناها فما لم يذكر في الآية فقد ذكر في الحديث .

قال السمرقندي : « فالمعنى في ذلك ـــ والله أعلم ـــ أنه قد أخرج ذرية آدم الذين هم ولده من صلبه ثم أخرج من ظهورهم ذريتهم ثم أخرج مَن بعدهم حتى أخرج جميع ما هو كائن إلى يوم القيامة ، فأخرج من ظهورهم كل نسمة تخرج من ظهره . فذكر الأخذ من ظهور ذريته و لم يذكر ظهر آدم ؛ لأن في الكلام دليلاً عليه ؛ كما قال الله تعالى :﴿ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٦﴾ ﴾[غافر] و لم يذكر فرعون ؛ لأن في الكلام دليلاً عليه »[٤] .

---

(1) الأول : " إذ قالت الأنساع للبطن : الحقي " . جعله محقق الكشاف مستقلا وجعله أبوحيان صدر البيت الثاني. أما السمين الحلبي فجعله مستقلا (٢/ ٨٧) ونسبه لأبي النجم العجلي ، وتتمته كما قال محققه : قِدْمًا فآضتْ كالفَنِيقِ المُحْنَق . وجعل السمين (٥/ ٥١٥) قوله : " قالت له ريح الصبا : قرقار " مستقلا . قال محققه : وبعده: "واختلط المعروف بالإنكار" . وهو في شرح الكافية (٢/ ٧٦) والبحر المحيط (٤/ ٤٢١) . وقرقار : صوّت. وينظر : الكتاب لسيبويه (٣/ ٢٧٦) ، وشرح المفصل لابن يعيش (٤/ ٥١) .

(2) الكشاف (٢/ ٥٣٠) .

(3) حاشية الكشاف (٢/ ٥٢٩) .

(4) بحر العلوم (١/ ٥٨٠) . وفيه كلام نفيس للغاية حيث أورد أقوالهم وأجاب عنها ثم تتابع بعض العلماء عليها من بعده.

وقالوا : إن هذا العهد والميثاق لا يذكره أحد ، فكيف يحتجُّ عليهم بأمرٍ ليس عندهم به خبر ، ولا له عين ولا أثر ؟! فلا تكون الحجة بشيء لم يذكر وإنما تكون الحجة بشيء يكون الإنسان ذاكرًا له .

وجوابه : أن يقال : إن الله تعالى قد أرسل الرسل وأخبرهم بذلك الميثاق ، وإذا أخبرهم الرسل بذلك صار حجة عليهم وإن لم يذكروه . وما ثبت عن الرسل هو وما حضره الإنسان في التحقيق واحد ؛ لأن ما قاله الرسول ﷺ نحن نجزم بوقوعه أشدّ مما نجزم بما شاهدناه ولاحظناه وتذكرناه[1].

يقول الواحدي : « وهذه الآية تذكير لجميع المكلّفين ذلك الميثاق ؛ لأنها وردت على لسان صاحب المعجزة ، فقامت في النفوس مقام ما هو على ذُكْرٍ منها »[2] .

وقال ابن القيم : « أحسن ما فسّرت به الآية قوله ﷺ : (كل مولود يولد على الفطرة)[3] . فحملها على ما فطروا عليه من الإقرار بربهم وفاطرهم . قال : فالميثاق والإشهاد هو الفطرة التي فطروا عليها ؛ لأنه سبحانه احتج عليهم بذلك ، وهو لا يحتج عليهم بما لا يعرفه أحد منهم ولا يذكره ، بل بما يشركون في معرفته والإقرار به »[4] .

وأجيب : بأن الفطرة هي أثر ذلك الإشهاد والميثاق[5] .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن الراجح هو ما رجّحه ابن جُزَيّ و صحّحه ومَنْ وافقه مِنْ أَنَّ أخذ الذرية حق على حقيقته وكذا الإشهاد حق على حقيقته ، وأن ذلك كان بلسان المقال لا بلسان الحال ، وليس من التمثيل في شيء بل هو حق على ظاهره كما أخبر الله تعالى ؛ لأنه ظاهر القرآن ، ولا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلاّ بدليل[6] ، والأصل حمل الآية على ظاهرها .

ويؤيده أن مقتضى قول من قال : إن الأخذ من باب التمثيل ، والإشهاد كان بلسان

---

(1) ينظر : بحر العلوم (١/ ٥٨٠) ، والعذب النمير (٤/ ١٦٨٧) .

(2) الوجيز (١/ ٤٢١) . وينظر : الوسيط (٢/ ٤٢٦) .

(3) ينظر : بدائع التفسير (٢/ ٢٧٥) .

(4) بدائع التفسير (٢/ ٢٧٥) بتصرف يسير .

(5) ينظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني (٤/ ١٦٣) .

(6) ينظر : قواعد الترجيح (١/ ١٣٧) .

الحال مقتضاه : أن ما أقامه الله من البراهين كخلق السماوات والأرض الدالة على أنه الرب وحده ، وما ركز في خلقه من الفطرة كافٍ في قيام الحجة عليهم ولو لم يأتهم نذير . هذا هو مقتضى قولهم ، والآيات القرآنية مصرّحة بأن الله لا يعذب أحدًا حتى يقيم عليه الحجة بإنذار الرسل ، وهو دليل كافٍ على عدم الاكتفاء بما نصب من الأدلة ، وما ركزه من الفطرة . ومنها قوله تعالى ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ ﴾ [الإسراء] فإنه قال : حتى نبعث رسولاً، ولم يقل : حتى نخلق عقولاً ، وننصب أدلة ، ونركز فطرة !! .

ومنها قوله تعالى ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ﴾[النساء : ١٦٥] فصرّح بأن الذي تقوم به الحجة وينقطع به العذر هو : إنذار الرسل ، لا نصب الأدلة والخلق على الفطرة[1] .

ومما يؤيد هذا القول من القواعد الترجيحية :

ـــ قاعدة : (إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجّح له على ما خالفه).

ـــ وقاعدة : (تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم).

ـــ وقاعدة : (تفسير جمهور السلف مقدم على كل تفسير شاذ)[2] .

« ونحن إلى ما رُوي في الآية عن رسول الله ﷺ وما ذهب إليه أهل العلم من السلف الصالح أمثل، وله أقبل، وبه آنس . والله ولي التوفيق لما هو أَولى وأَهدى »[3] .

قال الشوكاني : « وهذا هو الحق الذي لا ينبغي العدول عنه ، ولا المصير إلى غيره ؛ لثبوته مرفوعًا إلى النبي ﷺ ، وموقوفًا على غيره من الصحابة . ولا ملجيء للمصير إلى المجاز، وإذا جاء نهر الله بطل نهر معقل »[4] .

---

(1) ينظر : أضواء البيان (٢/ ٣٣٦ – ٣٣٧) .

(2) ينظر :قواعد الترجيح (١/ ٢٠٦ ، ٢٧١ ، ٢٨٨)..

(3) قاله الحسن بن يحيى الجرجاني كما نقله عنه ابن القيم في كتاب ((الروح)) (١٦٩) .

(4) فتح القدير (٢/ ٣٧٤) وتبعه القنوجي في فتح البيان (٥/ ٧٠) . وينظر : أسباب الخطأ في التفسير (١/٥٧٤-٥٧٨) للدكتور طاهر يعقوب ، وعدّ القول الثاني من الخطأ في التفسير ؛ لأنه من التعويل على العقل المحض في إدراك الأمور الغيبية الواردة في القرآن . ولشيخنا الدكتور عبد العزيز العثيم المتوفى في آخر سنة ١٤١٢هـ ـــ رحمه الله ـــ رسالة في هذه المسألة أسماها : أخذ الميثاق في قوله تعالى ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ

وهذه الآية كقوله تعالى في أول السورة :﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ ﴾ الآية [الأعراف : ١١] . والمعنى : ولقد خلقنا أباكم آدم ثم صورناه . قاله الطبري[1] .

وكقوله تعالى في آخر السورة : ﴿ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ ﴾ [الأعراف] . والمراد بقوله : ﴿ جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ ﴾ ذريتهما بدليل آخرها: ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ ﴾[2] [الأعراف] .

وأما قول الزمخشري : إن المراد ببني آدم أسلافُ اليهود ، والمراد بذريتهم مَنْ كان في عصر النبي ﷺ ، فيكفي ما سبق في بيان بطلانه . وأما استدلاله عليه بسياق الآيات القرآنية فلا تقوم به حجة ؛ لأن ما ورد من الأحاديث والآثار في تفسير الآية يضعف دلالة السياق التي استدلّ بها ، وهذا أمر واضح بحمد الله ، والله تعالى أعلم .

ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ﴾ ورجّح فيها القول الأول .

(1) جامع البيان (١٠/ ٧٩) . وينظر : الروح لابن القيم (١٧٠ – ١٧١) .

(2) ينظر : أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٣٤١) .

المسألة الثانية هي :

٢٦- الخلاف في القائل : ﴿ شَهِدْنَآ ﴾ من قوله تعالى : ﴿ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴾.

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « وأما قولهم ﴿ شَهِدْنَآ ﴾ فمعناه : شهدنا بربوبيتك ، فهو تحقيق لربوبية الله وأداء لشهادتهم بذلك عند الله . وقيل : إن ﴿ شَهِدْنَآ ﴾ من قول الله والملائكة . أي : شهدنا على بني آدم باعترافهم »[1] .

العرض والمناقشة :

في قائل ﴿ شَهِدْنَآ ﴾ خلاف بين المفسّرين ، هل هو من قول بني آدم ؟ أم من قول الله والملائكة؟[2]

فسّر ابن جُزَيّ الآية على أنها من قيل بني آدم . ووافق في هذا ما نُسِبَ إلى ابن عباس ، وأُبَيّ بن كعب[3] . وإليه ذهب مقاتل بن سليمان، والطبري، وابن الجوزي، والنسفي، وابن القيم، والسيوطي، و أبوالسعود، والشوكاني، والآلوسي، والقنّوجي، والقاسمي، والسيد محمد رشيد رضا، والمراغي، والطاهر بن عاشور[4] . واحتمله ابن عطية[5] .

قالوا : إن الظاهر يدل على أنه خَبرٌ من الله عن قيل بني آدم بعضهم لبعض ؛ لأن الله قال : ﴿ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ ﴾ فكأنه قيل : فقال الذين شهدوا

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٥٤) .

(2) وثّمت قولان آخران : من قيل الملائكة فقط ، أو من قيل الله وحده ، وسيأتيان . ينظر : تفسير القرآن للسمعاني (٢/٢٣١) ، والبحر المحيط (٤/ ٤٢١) .

(3) نسبه إليهما القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٩/ ٣٨٢) . وأما أُبَيّ بن كعب فقد سبق تخريج قوله وسيأتي ذكره.

(4) ينظر : تفسير مقاتل (٢/ ٧٣) ــ ويلحظ أن مقاتلا جعله أيضًا من قول الملائكة ــ ، وجامع البيان (١٠/٥٦٤) ، وزاد المسير (٣/ ٢٨٤) ، ومدارك التنزيل (٢/ ٨٥) ، وبدائع التفسير (٢/ ٣٠١) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٣/ ١٤٦) ، وإرشاد العقل السليم (٢/٣١٥ ، ٣١٧) ، وفتح القدير (٢/٣٧٥)، وروح المعاني (٩/ ١٠١) ، وفتح البيان (٥/ ٧٢) ، ومحاسن التأويل (٧/ ٢٨٩٧) ، وتفسير القرآن الحكيم (٩/ ٣٣٩) ، وتفسير المراغي (٩/ ١٠٣) ، والتحرير والتنوير (٩/ ١٦٩) .

(5) ينظر : المحرر الوجيز (٦/ ١٣٩) . وتبعه الثعالبي في الجواهر الحسان (١/ ٥٨٧) .

على المقرّين حين أقرّوا فقالوا ↓ ✍♦■❼ ○ ↑ : شهدنا عليكم بما أقررتم به على أنفسكم ؛ كيلا تقولوا يوم القيامة : إنا كنا عن هذا غافلين[1] .

وروى أبو العالية عن أبي بن كعب قال : « جمعهم جميعًا ، فجعلهم أزواجًا ، ثم صوّرهم، ثم استنطقهم ، ثم قال :﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا ﴾ أنك إلهنا ...»[2] .

وأما القول الثاني بأن ﴿ شَهِدْنَا ﴾ من قيل الله وملائكته ، فهو قول أبي مالك [3]، ورُوِيَ عن السدّي[4] . وذكره القرطبي، والسمين بـــ قيل[5] .

وقال الكلبي : « إنه من قول الملائكة »[6] . و عُزِيَ إلى مجاهد، والضحاك، والسدّي أيضًا[7] .

وعليه النحاس، والواحدي، والقرطبي[8] .

وذكره السمين بـــ قيل[9] .

ودليله ما رواه عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ : (﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ قال : أخذوا من ظهره كما يؤخذ بالمشط من الرأس ، فقال لهم: ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ ﴾ قالت الملائكة : ﴿ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴾)[10] .

---

(1) ينظر : جامع البيان للطبري (١٠/ ٥٦٤) .

(2) سبق تخريجه في المسألة السابقة . وينظر : زاد المسير (٣/ ٢٨٥) .

(3) نسبه إليه القرطبي كما في الجامع لأحكام القرآن (٩/ ٣٨٢) .

(4) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠/ ٥٦١) ، وابن عبد البر في التمهيد (١٨ / ٨٥) من طريق أسباط ، عنه.

(5) ينظر : الجامع لأحكام القرآن (٩/ ٣٨٢) ، الدر المصون (٥/ ٥١٣) .

(6) نسبه إليه الواحدي في الوسيط (٢/ ٤٢٦) ، والبغوي في معالم التنزيل (٢/ ١٦٩) ، وابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٢٨٥) .

(7) عزاه إليهم القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٩/ ٣٨١-٣٨٢) . وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/١٦١٥) أثر الضحاك برقم (٨٥٣٨) .

(8) ينظر : معاني القرآن الكريم (٣/ ١٠٣) ـــ ونسبه إلى ابن أبي حاتم سهل بن محمد السجستاني ـــ ، والوجيز (١/٤٢٠ ، ٤٢٦) ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٩/ ٣٨٢) ونسبه إلى مكّي .

(9) ينظر : الدر المصون (٥/ ٥١٣) .

(10) سبق تخريجه في المسألة السابقة .

واعتبر الطبري هذا القول أَوْلَى بالصواب لو صحَّ هذا الحديث[1] . واحتمله ابن عطية[2].

واستُدِلَّ له بالوقف على قوله : ﴿ قَالُواْ بَلَىٰ ﴾، وقراءة الجماعة قوله : ﴿ أَن تَقُولُواْ ﴾ بالتاء[3] . أي : قالت الملائكة : شهدنا عليكم بالإقرار بالربوبية ؛ لئلا تقولوا .

قال مكّي : « وهو الاختيار ؛ لصحة معناه ، ولأن الجماعة عليه »[4] .

واختار السمين الحلبي أن قوله : ﴿ شَهِدْنَآ ﴾ هو من كلام الله تعالى[5] .

وجعل ابن أبي زمنين قوله : ﴿ شَهِدْنَآ ﴾ من قول بني آدم ومن قول الملائكة معًا[6].

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن قوله : ﴿ شَهِدْنَآ ﴾ يحتمل أن يكون من قول الله تعالى ، ويحتمل أن يكون من قول الملائكة ، ويحتمل أن يكون من قول الله وملائكته ، والأظهر في ذلك ما عليه ابن جُزَيّ ومن وافقه مِنْ أن ﴿ شَهِدْنَآ ﴾ هو من قيل بني آدم ؛ لأنه ظاهر القرآن[7] ، وهو اختيار جمهور المفسرين[8]، والله تعالى أعلم .

---

(1) ينظر : جامع البيان (١٠ / ٥٦٤) .

(2) ينظر : المحرر الوجيز (٦/ ١٣٩) وتبعه الثعالبي في الجواهر الحسان (١/ ٥٨٧) .

(3) قرأها أبو عمرو وحده بالياء ، وقرأها الباقون بالتاء . ينظر : حجة القراءات لابن زنجلة (٣٠٢) والتيسير للداني (٩٤) .

(4) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٩/ ٣٨٢) .

(5) ينظر : الدر المصون (٥/ ٥١٣) .

(6) ينظر : تفسير القرآن العزيز (٢/ ١٥٢) .

(7) ولا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلاّ بدليل . ينظر : قواعد الترجيح (١/ ١٣٧) .

(8) والقول إذا كان قول جمهور المفسّرين كان هذا مرجِّحًا له على غيره . ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ٩) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَث أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ ﴾

في هذه الآية الكريمة ثلاث مسائل :

المسألة الأولى هي :

٢٧- الخلاف في الذي آتاه الله آياته فانسلخ منها .. من هو ؟

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « قال ابن مسعود : هو رجل من بني إسرائيل بعثه موسى عليه السلام إلى ملك مدين داعيًا إلى الله فَرَشَاه المَلِكُ وأعطاه المُلْكَ على أن يترك دين موسى ويتابع المَلِكَ على دينه ففعل ، وأضلّ الناس بذلك . وقال ابن عباس : هو رجل من الكنعانيين اسمه : بَلْعَمُ بن باعوراء ، كان عنده اسم الله الأعظم ، فلما أراد موسى قتال الكنعانيين وهم الجبّارون سألوا مِنْ بلعم أن يدعو باسم الله الأعظم على موسى وعسكره فأبى فألحّوا عليه حتى دعا عليه ألاّ يدخل المدينة . ودعا عليه موسى . فالآيات التي أعطيها على هذا القول : هي اسم الله الأعظم ، وعلى قول ابن مسعود هي : ما علّمه موسى من الشريعة . وقيل : كان عنده من صحف إبراهيم . وقال عبد الله بن عمرو بن العاصي : هو أمية بن أبي الصلت . وكان قد أوتي علمًا وحكمة وأراد أن يسلم قبل غزوة بدر ، ثم رجع عن ذلك ومات كافرًا . وفيه قال النبي ﷺ :(كاد أمية بن أبي الصلت أن يسلم)[1] . فالآية على هذا ما كان عنده من العلم »[2] .

العرض والمناقشة :

تضمّن كلام ابن جُزَيّ هذا مسألتين :

الأولى : مَنْ هو الذي آتاه الله آياته فانسلخ منها ؟

---

(1) أخرجه مسلم في صحيحه (١٧٦٨/٤) في كتاب الشعر برقم (٢٢٥٥) من حديث عمرو بن الشريد ، عن أبيه . وبرقم (٢٢٥٦) من حديث أبي هريرة . وينظر : تخريج الأحاديث والآثار في كتاب التسهيل (٧١٥/٢) .

(2) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٥٤) .

والثانية : ما المراد بهذه الآيات التي أوتيها ؟ وسيأتي الكلام عليها بإذن الله .

أما الخلاف في تعيين الذي آتاه الله آياته فانسلخ منها فإن ابن جُزَيّ ذكر في ذلك ثلاثة أقوال منسوبة إلى أصحابها ، وقَدّم قول ابن مسعود إشعارًا بترجيحه .

والأَوْلَى أن يُحكى الخلاف في هذه المسألة على النحو التالي ، فيقال :

اختلف أهل التأويل في المراد بالذي آتاه الله آياته فانسلخ منها على قولين اثنين :

القول الأول : أنه بَلْعَمُ بن باعوراء[1] ، ثم اختلفوا فيه على ثلاثة أقوال :

أولها : أنه من بني إسرائيل . قاله ابن مسعود[2] ، ومجاهد[3] ، ومالك بن دينار[4] ، والسدّي[5] . ورُوِيَ عن ابن عباس أيضًا[6] ، وعكرمة[7] .

---

(1) في اسمه واسم أبيه خلاف غير معتبر على التحقيق ؛ لإمكان الجمع بين الأقوال الواردة في ذلك ، وبالله التوفيق .

(2) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ٢٤٣) ، وابن جرير الطبري في جامع البيان (١٠/ ٥٦٦-٥٦٨) ، والنسائي في السنن الكبرى (١١١٩٣) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦١٦) ، والطبراني في الكبير (٩٠٦٤)، والحاكم في مستدركه (٢/ ٣٢٥) ، وابن عساكر في تاريخه (١٠/ ٣٩٧) من طرق مختلفة عن أبي الضحى ، عن مسروق ، عنه . وبألفاظ متقاربة : بَلْعَمُ بن أَبَر أو أَبْر ــ بفتح الباء وبضمها ــ أو آبَر أو باعوراء. وزاد نسبته السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٦٠٨) إلى الفريابي ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وأبي الشيخ ، وابن مردويه .

(3) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٠/ ٥٦٨) من طرق مختلفة ،عنه بلفظ : (بَلْعامُ بن باعَر ، من بني إسرائيل) . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦١٨) .

(4) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦١٨) رقم (٨٥٥٣) . ونسبه السيوطي أيضًا في الدر المنثور (٦١٠/٣) إلى ابن المنذر .

(5) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠/ ٥٧٢ ، ٥٨١) من طريق أسباط ، عنه . وفيه : أن النبي هو يوشع بن نون ، وكان ذلك بعد انقضاء زمن التيه ((الأربعين سنة)) .

(6) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٠/ ٥٧٣) عن مجاهد وعكرمة ، عن ابن عباس قال : كان في بني إسرائيل بلعام بن باعَر ، أوتي كتابًا . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦١٨) رقم (٨٥٥١) وليس فيه " أوتي كتابًا" . وأخرجه أيضًا (٥/ ١٦١٧) رقم (٨٥٤٧) عن الشعبي ، عن ابن عباس قال : هو رجل من بني إسرائيل يقال له : بلعم بن باعورة ، وكانت الأنصار تقول : هو ابن الراهب الذي بني له مسجد الشقاق ، وكانت ثقيف تقول : هو أمية بن أبي الصلت . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٦١٠) نسبته إلى ابن مردويه. وفي الدر المنثور للسيوطي (٣/ ٦٠٨) : وأخرجه عبد بن حميد ، وابن جرير ، وأبو الشيخ ، وابن مردويه من طرق عن ابن عباس قال : هو بلعم بن باعوراء . وفي لفظ : بلعام بن عامر الذي أوتي الاسم كان في بني إسرائيل.

(7) نسبه إليه ابن الجوزي كما في زاد المسير (٣/ ٢٨٧) .

ثانيها : أنه من الكنعانيِّين ، من مدينة الجبَّارين . قاله ابن عباس[1] ، وسيّار[2] ، وسالم أبوالنضر[3] ، وكعب الأحبار[4] .

ثالثها : أنه من أهل اليمن . قاله ابن عباس أيضًا[5] ، ورُوِيَ عن ابن مسعود أيضًا[6] .

القول الثاني : أنه أُمَيَّةُ بن أبي الصَّلْت الثَّقَفِيّ . قاله عبد الله بن عمرو بن العاصي[7] ، وسعيد بن المسيّب[8] ، والزهري[1] ، والكلبي[2] ،

---

(1) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٠/ ٥٦٨ ، ٥٧٠ ، ٥٧٥) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/١٦١٦) رقم (٨٥٤٥) من طريق علي بن أبي طلحة ، عنه بلفظ : (هو رجل من مدينة الجبارين يقال له : بلعم) .

(2) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٠/ ٥٧٦-٥٧٨) من طريق المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، عنه . وذكر متنًا منكرًا غريبًا جدًا . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٦١١) نسبته إلى أبي الشيخ .

(3) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٠/ ٥٧٩- ٥٨١) ، وفي تاريخه (١/ ٤٣٧) ومن طريقه ابن عساكر في تاريخه (١٠/ ٤٠١ – ٤٠٣) من طريق محمد بن إسحاق ، عنه .

(4) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦١٧) .

(5) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٠/ ٥٦٩) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦١٨) رقم (٨٥٥٢) من طريق عطية العوفي ، عنه . بلفظ : رجل يُدعى بلعم من أهل اليمن .

(6) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦١٦) رقم (٨٥٤١) من طريق الثوري ، عن منصور ، عن أبي الضحى، عن مسروق ، عنه .

(7) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ٢٤٣) ، وابن جرير الطبري في جامع البيان (١٠/ ٥٧٠ – ٥٧٢) ، والنسائي في الكبرى (١١١٩٢ ، ١١١٩٤) ، وفي كتاب الأخوة ـــ كما في تحفة الأشراف (٦/ ٣٨٦) (٨٩٤١) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦١٦) رقم (٨٥٤٢) و (٥/ ١٦٢٠) (٨٥٦٥) . وغيرهم من طرق مختلفة ، عنه . وزاد نسبته السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٦٠٩) إلى الطبراني ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر، وأبي الشيخ ، وابن مردويه . قال ابن كثير في تفسيره (٦/ ٤٥٠) : « وقد رُوِيَ من غير وَجْهٍ عنه ، وهو صحيح إليه . وكأنه إنما أراد أن أمية بن أبي الصلت يشبهه ؛ فإنه كان قد اتصل إليه علم كثير من علم الشرائع المتقدمة ، ولكنه لم ينتفع بعلمه ، فإنه أدرك زمان رسول الله ﷺ وبلغته أعلامه وآياته ومعجزاته ، وظهرت لكل من له بصيرة ، ومع هذا اجتمع به و لم يتبعه ، وصار إلى موالاة المشركين ومناصرتهم وامتداحهم ، ورثى أهل بدر من المشركين بمرثاة بليغة ، قبّحه الله . وقد جاء في بعض الأحاديث : (أنه ممن آمن لسانه و لم يؤمن قلبه) ؛ فإن له أشعارًا ربانية وحكمًا وفصاحة ، ولكن لم يشرح الله صدره للإسلام » .

(8) نسبه السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٦٠٩) إلى ابن عساكر ، عن سعيد مرسلا قال : قدمت الفارعة أخت أمية بن أبي الصلت على رسول الله ﷺ بعد فتح مكة ، فقال لها : (هل تحفظين من شعر أخيك شيئًا ؟) قالت : نعم . فقال النبي ﷺ: (يا فارعة ، إن مثل أخيك كمثل الكلب آتاه الله آياته فانسلخ منها) .

وقتادة[٣] ، وزيد بن أسلم[٤] ، وأبو رَوْق[٥] .

والأكثر على أنه بَلْعام بن باعوراء .

قال ابن الجوزي : « والمشهور في التفسير أنه بَلْعَامُ »[٦] .

وعلى كونه من بني إسرائيل : ابن أبي زمنين، والزمخشري ، والقرطبي، والسيوطي، والآلوسي[٧] . وقدّمه ابن عطية[٨] . ومال إليه الشنقيطي[٩] . وذكره النسفي بـــ قيل[١٠].

قال الآلوسي : « وكونه إسرائيليًّا أنسبُ بالمقام ، كما لا يخفى ، والأشهر أنه بلعام أو بلعم ، وكان قد أوتي علمًا ببعض كتب الله تعالى ، ودون ذلك في الشهرة أنه أمية وكان قد قرأ بعض الكتب» .

أما القنوجي فقال : « ولا يصح ذلك من غير نظر فيه ولا بحث »[١١] .

ويقول الشنقيطي : « وأكثر المفسّرين يقولون : إنها في رجل علَّمه الله علمَ الكتاب من بني إسرائيل ، وشذّ قوم فقالوا من الكنعانيين ».

ويقول أيضًا : « وأكثر المفسرين والمؤرخين يقولون : إنه رجل من بني إسرائيل يقال

---

(1) المصدر السابق ، ونسبه إلى ابن عساكر ، عن الزهري مرسلا .

(2) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ٢٤٣) عن معمر ، عنه .

(3) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦١٦) عقب الأثر (٨٥٤٢) .

(4) نسبه إليه الواحدي في أسباب النزول (٢٦١) ، والبغوي في معالم التنزيل (٢/ ١٧١) ، والرازي في مفاتيح الغيب (٥/ ٤٠٣) ، والقرطبي في الجامع (٧/ ٣٢٠) ، والخازن في لباب التأويل (٢/ ١٤٧) ، والقمي في غرائب القرآن (٣/ ٣٤٦) ، وأبو حيان في البحر المحيط (٤/ ٤٢٢) . وينظر : فتح الباري لابن حجر (٧/ ١٥٤) .

(5) نسبه إليه ابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٢٨٧) ، والرازي ، والقمي ، وأبوحيان .

(6) زاد المسير (٣/ ٢٨٨) .

(7) ينظر : تفسير القرآن العزيز (٢/ ١٥٣) ـــ حيث اقتصر على قول مجاهد ـــ ، والكشاف (٢/ ٥٣١) ، والجامع لأحكام القرآن (٣٨٥/٩) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٣/ ١٤٧ – ١٤٨) ، وروح المعاني (١١١/٩) .

(8) ينظر : المحرر الوجيز (٦/ ١٤١) .

(9) ينظر : العذب النمير (٤/ ١٦٩٣ ، ١٦٩٤ ، ١٦٩٧) .

(10) ينظر : مدارك التنزيل (٢/ ٨٥) .

(11) فتح البيان (٥/ ٧٧) .

له : بلعام بن باعوراء ، وبعضهم يقول : بلعم بن باعر ، وفيه غير ذلك » .

وعلى كونه من الكنعانيين ـــ الجبَّارين ـــ : مقاتل، والواحدي، والسمعاني، والكرماني، والبغوي، وابن الجوزي ، والرازي، والخازن ، والقمي، وابن كثير، والبلنسي، والثعالبي[1] .

وذكره الزمخشري بـــ قيل[2] .

ولم أر من اختار أنه من أهل اليمن بل ذكره القرطبي بـــ قيل[3].

وذهب النسفي إلى أنه عالم من علماء بني إسرائيل[4] . وتبعه أبوالسعود وقال : « هو الأنسب بمقام توبيخ اليهود بهناتهم »[5] .

وجعله البيضاوي أحد الأقوال وقدّمه على غيره[6] .

قال الطاهر بن عاشور : « وذهب كثير من المفسّرين إلى أنها نزلت في رجل من الكنعانيين ، وكان في زمن موسى عليه السلام يقال له : بلعام بن باعُور ، وذكروا قصته فخلطوها وغيّروها واختلفوا فيها . والتحقيق : أن بلعام هذا كان من صالحي أهل مَدْين وعرّافيهم في زمن مرور بني إسرائيل على أرض "مؤاب" ولكنه لم يتغيّر عن حال الصلاح ، وذلك مذكور في سفر العدد من التوراة ...فلا ينبغي الالتفات إلى هذا القول ؛ لاضطرابه واختلاطه »[7] .

ومال الطاهر بن عاشور إلى أنه أمية الثقفي فقال : « وظاهر اسم الموصول المفرد أن صاحب الصلة واحد معيّن ، وأن مضمون الصلة حال من أحواله التي عرف بها ، والأقرب

---

(1) ينظر : تفسير مقاتل (٢/ ٧٤) ، والوسيط (٢/ ٤٢٧) ، وتفسير القرآن (٢/ ٢٣٢ ، ٢٣٣) ، وغرائب التفسير وعجائب التأويل (١/ ٤٢٧) ، ومعالم التنزيل (٢/ ١٦٩) ، وزاد المسير (٣/ ٢٨٨) ، ومفاتيح الغيب (٥/ ٤٠٣) ، ولباب التأويل (٢/ ١٤٦) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ٣٤٥) ، وتفسير القرآن العظيم (٦/ ٤٥٤) ، وتفسير مبهمات القرآن (١/ ٥٠٠) ، والجواهر الحسان (١/ ٥٨٧).

(2) ينظر : الكشاف (٢/ ٥٣١) .

(3) ينظر : الجامع لأحكام القرآن (٩/ ٣٨٥) .

(4) ينظر : مدارك التنزيل (٢/ ٨٥) .

(5) ينظر : إرشاد العقل السليم (٢/ ٣١٨) .

(6) ينظر : أنوار التنزيل (١/ ٣٦٨) .

(7) التحرير والتنوير (٩/ ١٧٥) .

أن يكون صاحب هذا النبأ ممن للعرب إلمام بمجمل خبره . فقيل : المعني به أمية بن أبي الصلت الثقفي ، وروي هذا عن ...وقال القرطبي في التفسير : هو الأشهر ، وهو قول الأكثر ...»[1] .اهـ .

واختاره محمود النيسابوري[2] ، واستغربه الكرماني[3].

وردّ الشنقيطي هذا القول وأَبَى أن يكون أمية الثقفي هو المراد أو أبوعامر الراهب ، وذلك لأنه لا دليل عليه[4].

وبعد، فإذا تقرر ذلك فإن الصواب من ذلك والأَوْلَى أن يقال : إن هذا مَثَلٌ ضربه الله لعلماء السوء ، وما أُثِرَ عن السلف من التعيين إنما هو من باب التفسير بالمثال ، والله أعلم .

يقول الطبري : « والصواب من القول في ذلك أن يقال : إن الله ـــ تعالى ذِكْرُهُ ـــ أمر نبيه ﷺ أن يتلو على قومه خبرَ رجلٍ كان الله آتاه حججه وأدلّته ، وهي الآيات ...وجائز أن يكون ..بلعم ، وجائز أن يكون أمية . وإن كانت الآيات بمعنى كتاب مترل ، أو بمعنى اسم الله الأعظم ، أو بمعنى النبوة فغير جائز أن يكون معنيًّا به أمية ؛ لأن أمية لا تختلف الأمة في أنه لم يكن أوتي شيئًا من ذلك ، ولا خبرَ بأيّ ذلك المرادُ ، وأيّ الرجلين المعنيُّ ، يوجب الحجّةَ ، ولا في العقل دلالة على أن ذلك المعنيّ به من أَيّ . فالصواب أن يقال فيه ما قال الله ، ويُقَرَّ بظاهر التتريل على ما جاء به الوحي من الله »[5] .

وقال القاسمي : « ومن الأقوال التي تناقلها المفسّرون : أنها نزلت في بلعام بن بَعُور ، ويحكون عنه قصة لم تُرْوَ في جوامع الآثار الصحيحة عندنا ، ولا هي مطابقة لما عند أهل الكتاب »[6] .

وقال العلاّمة السيد محمد رشيد رضا : « هذا مَثَلٌ ضربه الله تعالى للمكذّبين بآيات الله

---

(1) المصدر السابق (٩/ ١٧٤) . وما نقله عن القرطبي فإنما أراد القرطبي بالقول الأول أنه بلعام بن باعوراء على ما قاله ابن مسعود وابن عباس . ينظر : الجامع لأحكام القرآن (٩/ ٣٨٢ – ٣٨٥) .

(2) ينظر : إيجاز البيان (١/ ٢٨٢) .

(3) ينظر : غرائب التفسير وعجائب التأويل (١/ ٤٢٧) .

(4) ينظر : العذب النمير (٤/ ١٦٩٧) .

(5) جامع البيان (١٠ / ٥٧٤) .

(6) محاسن التأويل (٨/ ٢٩٠٦) .

المنزلة على رسوله ﷺ ...»[1] .

وقال أيضًا : « وهذا الذي آتاه الله آياته من مبهمات القرآن لم يبيّنه الله ولا رسوله في حديث صحيح عنه اسمه ولا جنسه ولا وطنه ؛ لأن هذه الأشياء لا دخل لها فيما أنزل الله الآيات لبيانه »[2] .

وقال : « والصواب في تفسير هذه الآية : أنه لا يخصّ منه شيء ؛ إذْ كان لا دلالة على خصوصه من خبر ولا عقل »[3] .

وقال السعدي : « وهذا الذي آتاه الله آياته ، يحتمل أن المراد شخص معين ، قد كان منه ، ما ذكره الله ، فقصّ الله قصته تنبيهًا للعباد . ويحتمل أن المراد بذلك أنه اسم جنس ، وأنه شامل لكل من آتاه الله آياته فانسلخ منها »[4] .

فإذا كان ذلك كذلك فإن الأَولى في ذلك بالصواب هو عدم التعيين والتخصيص ؛ لإبهام الله له ، ولعدم وروده صحيحًا عن النبي ﷺ . وما ورد عن السلف إنما هو تفسيرٌ بالمثال ، والله تعالى أعلم .

---

(1) تفسير القرآن الحكيم (٩/ ٣٥٣) .

(2) تفسير القرآن الحكيم (٩/ ٣٥٤) .

(3) المصدر السابق (٩/ ٣٦٢) .

(4) تيسير الكريم الرحمن (٢/ ١٧٢) .

المسألة الثانية هي :

٢٨- الخلاف في المراد بالآيات التي آتاه الله إياها فانسلخ منها[١] .

العرض والمناقشة :

حكى ابن جُزَيّ في ذلك أربعة أقوال هي :

القول الأول : أنها اسم الله الأعظم ، الذي إذا دُعِيَ اللّهُ به أجاب . وبه قال ابن عباس[٢] ، والسدّي[٣] ، وابن زيد[٤] ، وكعب الأحبار[٥] ، وسعيد بن جبير[٦].

وعليه السمرقندي ، والسمعاني، وابن الجوزي ، والخازن ، وابن كثير ،والبلنسي[٧] .

وقال القنّوجي : « هي علوم الكتب القديمة والتصرّف بالاسم الأعظم »[٨] .

وذكر هذا القول ابن عطية بصيغة (قيل)[٩] .

وهذا القول والقولان بعده مبنية على أن المراد بالذي آتاه الله هو بلْعَامُ بن بَاعُوراء .

القول الثاني : أنها العلم بشريعة موسى عليه السلام .

وهو مفهوم كلام الزمخشري حيث قال : « أوتي علمَ بعضِ كتب الله »[١٠] .

وذكره السمرقندي بصيغة (يقال)[١١] .

القول الثالث : هي ما كان عنده من صحف إبراهيم عليه السلام .

---

(1) سبق إيراد كلام ابن جُزَيّ فيها في المسألة السابقة .

(2) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠/ ٥٧٣) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦١٦) (٨٥٤٥) من طريق علي ابن أبي طلحة ، عنه .

(3) أخرجه الطبري (١٠/ ٥٧٢) وفي تاريخه (١/ ٤٣٩) من طريق أسباط ، عنه .

(4) أخرجه الطبري (١٠/ ٥٧٣) من طريق ابن وهب ، عنه .

(5) أخرجه ابن أبي حاتم (٥/ ١٦١٧) (٨٥٤٦) و (٥/ ١٦١٨) (٨٥٥٠) .

(6) نسبه إليه ابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٢٨٨) .

(7) ينظر : : بحر العلوم (١/ ٥٨٢) ، وتفسير القرآن (٢/ ٢٣٢) ، وتذكرة الأريب (١٩٢) ، ولباب التأويل (٢/ ١٤٨) ، وتفسير القرآن العظيم (٦/ ٤٥٦) ، وتفسير مبهمات القرآن(١/ ٥٠٠) .

(8) فتح البيان (٥/ ٧٦) .

(9) ينظر : المحرر الوجيز (٦/ ١٤٢) .

(10) الكشاف (٢/ ٥٣١) .

(11) ينظر : بحر العلوم (١/ ٥٨٢) .

قال ابن عباس : « كتاب من كتب الله »[1].

وذكره ابن جُزَيّ بصيغة (قيل) متابعًا في ذلك لابن عطية[2] .

القول الرابع : أنها العلم والحكمة .

وهذا القول مَبْنِيٌّ على أن المراد به هو أمية بن أبي الصلت الثقفي . قاله عبد الله بن عمرو بن العاص .

وقال الطاهر : « و "الآيات" : دلائل الوحدانية التي كرّهت إليه الشرك وبعثته على تطلب الحنيفية بالنسبة لأمية بن أبي الصلت . أو دلائل الإنجيل على صفة محمد ﷺ بالنسبة للراهب أبي عامر بن صيفي »[3] .

واختار الطبري أنها الأدلّة والأعلام والحجج والبينات ، والهدى والحق[4] . وقال به قتادة[5] ، وعكرمة[6]. وعليه الواحدي، والرازي، والقمي ، والمراغي[7] .

يقول الشنقيطي : « و ﴿ءَايَٰتِنَا﴾ هنا : آيات كتابه الشرعية »[8] .

وبعد، فإذا تقرر هذا فالصواب أن يقال : إن الله آتاه حججه وأدلّته الشرعية ، وجائز أن تكون العلمَ ببعضِ كُتُبِ اللّهِ ، وما مِنْ خبر يقطع بذلك . فالأَولى أن يقال فيه ما قال الله، ويُقَرّ بظاهر التنزيل على ما جاء به الوحي من الله تعالى[9] . والله أعلم .

---

(1) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠/ ٥٧٣) من طريق مجاهد وعكرمة ، عنه .

(2) ينظر : المحرر الوجيز (٦/ ١٤١) .

(3) التحرير والتنوير (٩/ ١٧٥) .

(4) ينظر : جامع البيان (١٠ / ٥٧٤) .

(5) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠/ ٥٨٧) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦١٧) (٨٥٤٨) و (٥/١٦١٨) (٨٥٥٥) . وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٦١٠) إلى عبد بن حميد ، وأبي الشيخ . قال قتادة: هذا مَثَلٌ ضربه الله لمن عرض عليه الهدى فأبى أن يقبله وتركه ...

(6) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦١٨) (٨٥٥٤) من طريق سماك ، عنه قال : هم اليهود والنصارى والحنفاء ممن أعطاه الله الحق فتركه ...

(7) ينظر : الوجيز (١/ ٤٢١) والوسيط (٢/ ٤٢٧) ، ومفاتيح الغيب (٥/ ٤٠٤) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ٣٤٦) ، وتفسير المراغي (٩/ ١٠٧) .

(8) العذب النمير (٤/ ١٦٩٧) . وقد قال قبل ذلك (٤/ ١٦٩٤) : والآيات : علم بعض كتب الله أو الاسم الأعظم .

(9) ينظر : جامع البيان للطبري (١٠ / ٥٧٤) .

المسألة الثالثة هي :

٢٩- هل المراد بقوله تعالى : ﴿ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ﴾ التمثيل أم هو على الحقيقة ؟

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « ﴿ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ ﴾ أَيْ : صفته كصفة الكلب ، وذلك غاية في الخِسَّةِ والرداءة . ﴿ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ﴾ اللهث : هو تنفّس بسرعة وتحريك أعضاء الفم وخروج اللسان ، وأكثر ما يعتري ذلك الحيوانات مع الحرّ والتعب ، وهي حالة دائمة للكلب . ومعنى ﴿ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ ﴾ : إن تفعل معه ما يشق عليه من طرد أو غيره ﴿ أَوْ تَتْرُكْهُ ﴾ دون أن تحمل عليه ، فهو يلهث على كل حال . ووجه تشبيه ذلك الرجل به : أنه إنْ وعظته فهو ضالّ وإن لم تعظه فهو ضالّ ، فضلالته على كل حال كما أن لهث الكلب على كل حال . وقيل : إن ذلك الرجل خرج لسانه على صدره فصار مثل الكلب في صورته ولهثه حقيقةً »[1].

العرض والمناقشة :

رجّح ابن جُزَيّ أن المراد بقوله تعالى : ﴿ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ﴾ هو تمثيل حاله بحال الكلب . ووافق في هذا معنى ما رُوِيَ عن ابن عباس[2]، ومجاهد[3] ، وقتادة[4]، والكلبي[5]، والربيع[6] ، وابن جريج[7] .

ووافقه جمهور المفسّرين منهم : مقاتل، وابن قتيبة، والطبري، والزجاج ،والنحاس،

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٥٤ -٥٥) .

(2) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٠/ ٥٨٧) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦٢٠) (٨٥٦٩) من طريق علي بن أبي طلحة ، عنه .

(3) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠/ ٥٨٦) من طريق ابن جريج ، عنه . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/١٦٢٠) (٨٥٧٠) من طريق ابن أبي نجيح ، عنه . وزاد نسبته السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٦١١) إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر ، وأبي الشيخ .

(4) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠/ ٥٨٧) وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦١٧ ، ١٦٢٠) .

(5) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ٤٤) عن معمر ، عنه .

(6) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦٢١) رقم (٨٥٧٢) .

(7) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠/ ٥٨٦) .

والسمرقندي، وابن أبي زمنين ، والماوردي، والواحدي، والسمعاني، والبغوي، والزمخشري ، وابن الجوزي، والرازي، والقرطبي ، والبيضاوي، والنسفي، والخازن، والقمي ، وابن القيم، والبقاعي، والسيوطي، وأبوالسعود ، والشوكاني، والقنوجي ، والقاسمي ، والسيد محمد رشيد رضا ، والمراغي، والسعدي،والطاهر ، والشنقيطي[1] .

وقدّمه أبوحيان ميلاً إليه[2] . وعزاه ابن عطية للجمهور[3] .

ويدلّ عليه قوله تعالى : ﴿ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا ﴾[4] .

قال الطبري : « فجعل ذلك مثلَ المكذّبين بآياته ، وقد علمنا أن اللُّهاثَ ليس في خِلْقةِ كلّ مكذّب كتب عليه ترك الإنابة من تكذيب بآيات الله ، وإن ذلك إنما هو مثل ضربه الله لهم ، فكان معلومًا بذلك أنه للذي وصف اللّهُ صفتَه في هذه الآية كما هو لسائر المكذّبين بآيات الله مَثَلٌ »[5] .

وأما القول الثاني بأنه صار ذلك الرجل مثل الكلب في صورته و لهثه حقيقةً لا تمثيلاً ، فهو قول السدّي[6] .

---

(1) ينظر : تفسير مقاتل (٢/ ٧٥) ، وتأويل مشكل القرآن (٣٦٩) ، وجامع البيان (١٠ / ٥٨٨) ، ومعاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٩١) ، ومعاني القرآن الكريم (٣/ ١٠٦) ، وبحر العلوم (١/ ٥٨٣) ، وتفسير القرآن العزيز (١٥٣/٢) ، والنكت والعيون (٢/ ٢٨٠) ، والوجيز (١/ ٤٢٢) والوسيط (٢/ ٤٢٨) ، وتفسير القرآن (٢٣٣/٢) ، ومعالم التنزيل (٢/ ١٧٣ – ١٧٤) ، والكشاف (٢/ ٥٣٢) ، وزاد المسير (٢٩٠/٣)، ومفاتيح الغيب (٥/ ٤٠٥) ، والجامع لأحكام القرآن (٩/ ٣٨٧ – ٣٨٨) ، وأنوار التنزيل (١/ ٣٦٨) ، ومدارك التنزيل (٢/ ٨٦) ، ولباب التأويل (٢/ ١٤٨) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ٣٤٧) ، وبدائع التفسير (٢/ ٣٠٧ – ٣٠٩ و ٣١٣ -٣١٤) ، ونظم الدرر (٨/ ١٦٠) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٣/ ١٤٩) ، وإرشاد العقل السليم (٣١٩/٢) ، وفتح القدير (٢/ ٣٧٩) ، وفتح البيان (٧٩/٥– ٨٠) ، ومحاسن التاويل (٨/ ٢٩٠٤ – ٢٩٠٥) ، وتفسير القرآن الحكيم (٩/ ٣٥٥) ، وتفسير المراغي (١٠٩/٩) ، وتيسير الكريم الرحمن (٢/ ١٧٢) ، والتحرير والتنوير (٩/ ١٧٧ – ١٧٨) ، والعذب النمير (١٧٠٢/٤) .

(2) ينظر : البحر المحيط (٤/ ٤٢٤) .

(3) ينظر : المحرر الوجيز (٦/ ١٤٦) .

(4) ينظر : جامع البيان (١٠/ ٥٨٨) ، والعذب النمير (٤/ ١٧٠٢) .

(5) جامع البيان (١٠ / ٥٨٨) .

(6) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠/ ٥٨٨) من طريق أسباط ، عنه .

ولم أر من اختاره من المفسّرين ! بل ذكره الزمخشري ، والبيضاوي ، والنسفي ، وأبوالسعود بصيغة (قيل)[1].

ولا دليل عليه من خبر صحيح .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن أَوْلَى القولين في ذلك بالصواب هو ما رجّحه ابن جُزَيّ ومن وافقه مِنْ أن المراد إنما هو مَثَلٌ لحاله بحال الكلب ؛ لتركه العمل بآيات الله التي آتاها إياه . وأن معناه : سواءٌ وُعِظَ أو لم يوعَظ ، في أنه لا يترك ما هو عليه من خلافه أمر ربه ، وهذا مَثَلُ الكلب حُمِلَ عليه و طُرِدَ ، أو تُرِك فلم يُطرد ، فإنه لا يدع اللهث في كلتا حالتيه[2] .

وهذا هو الصواب ؛ لدلالة قوله تعالى : ﴿ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ﴾ عليه، ولعدم الدليل على القول الآخر .

ويتأيد رجحان هذا القول بأنه قول السلف[3] ، وجمهور المفسّرين[4] ، والله تعالى أعلم.

---

(1) ينظر : الكشاف (٢/ ٥٣٢) ، وأنوار التنزيل (١/ ٣٦٩) ، ومدارك التنزيل (٢/ ٨٦) ، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٣٢٠) .

(2) ينظر : جامع البيان (١٠/ ٥٨٨) .

(3) ينظر : قواعد الترجيح (١/ ٢٨٨) .

(4) ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ٩) . **فائدة** : قال القرطبي : وهذا المثل في قول كثير من أهل العلم بالتأويل عامٌّ في كل من أوتي القرآن فلم يعمل به . وقال : فدلّت الآية لمن تدبرها على أَلاّ يغترّ أحدٌ بعمله ولا بعلمه ؛ إذْ لا يدري بم يختم له . اهـــ. نسأل الله تعالى حسن الخاتمة ؛ إنه جواد كريم .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾

في هذه الآية الكريمة مسألتان :

المسألة الأولى هي :

٣٠- هل قوله تعالى : ﴿ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ﴾ منسوخ أم أنه محكم ؟

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « قيل : معنى ﴿ وَذَرُوا۟ ﴾: اتركوهم لا تحاجّوهم ولا تتعرّضوا لهم . فالآية على هذا منسوخة بالقتال . وقيل : معنى ﴿ وَذَرُوا۟ ﴾ الوعيد والتهديد كقوله : (ذرني والمكذبين)[1] وهو الأظهر ؛ لما بعده »[2] .

العرض والمناقشة :

رجّح ابن جُزَيّ أن قوله تعالى : ﴿ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ﴾ آية محكمة وليست منسوخة ، وأن معنى قوله : ﴿ وَذَرُوا۟ ﴾ هو التهديد والوعيد . وإلى هذا ذهب الطبري ، والشوكاني، والقنوجي ، والشنقيطي[3] . وهو مفهوم كلام السيد رشيد رضا، والمراغي[4] .

وذكره ابن عطية بصيغة (قيل)[5] .

قال مكي : « وقيل : إن هذا محكم ، وإنما هو تهديد ووعيد من الله ، لا أنه أمر نبيّه أن يتركهم يلحدون في آيات الله ، وهو مثل قوله تعالى :﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ ﴾ في الحجر[٣] »[6].

---

(1) كذا ! ولعله يقصد قوله تعالى : ﴿ فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ ﴾ [القلم: ٤٤].

(2) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٥٥) .

(3) ينظر : جامع البيان (١٠/ ٥٩٩) ، وفتح القدير (٢/ ٣٨٣) ، وفتح البيان (٥/ ٨٦) ، وأضواء البيان (٣٣٩/٢) والعذب النمير (٤/ ١٧٢٣) .

(4) ينظر : تفسير القرآن الحكيم (٩/ ٣٨٣) ، وتفسير المراغي (٩/ ١١٨) .

(5) ينظر : المحرر الوجيز (٦/ ١٥٦) .

(6) الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه (٢٩١) .

وقال ابن الجوزي : « والجمهور على أن هذه الآية محكمة ؛ لأنها خارجة مخرج التهديد ؛ كقوله :﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ ﴾ »[1] [المدثر] .

ويقول الشنقيطي : « وقد تقرر في فَنِّ الأصول في مباحث الأمر ، وفي فَنِّ المعاني : أن من الصيغ التي تأتي لها "أفعل" أنها تأتي للتهديد . والتحقيق أن الصورة هنا للتهديد ، وهو قوله: ﴿ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ﴾ بدليل قوله : ﴿ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾»[2].

وكذا قول الشوكاني : « وهذا أولى ؛ لقوله : ﴿ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ، فإنه وعيد لهم بنزول العقوبة ، وتحذير للمسلمين أن يفعلوا كفعلهم »[3] .

وأما القول الآخر بأنها منسوخة ، ومعناها الإعراض عن الكفار ، فهو قول ابن زيد[4].

وعليه ابن أبي زمنين، وابن عطية، والثعالبي، والسيوطي، والجمل[5].

قال الطبري : « ولا معنى لما قال ابن زيد في ذلك من أنه منسوخ ؛ لأن قوله : ﴿ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ﴾ ليس بأمرٍ من الله لنبيّه ﷺ بترك المشركين أن يقولوا ذلك ، حتى يأذن له في قتالهم . وإنما هو تهديد من الله للملحدين في أسمائه ووعيد منه لهم ، كما قال في موضع آخر : ﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ ﴾ [الحجر : ٣] . وكقوله : ﴿ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [العنكبوت] . وهو كلام خرج مخرج الأمر بمعنى الوعيد والتهديد . ومعناه : إنْ نُمْهِلِ الذين يلحدون ، يا محمد ، في أسماء الله إلى أجلٍ هم بالغوه ، فسوف يجزَون ـــ إذا جاءهم أجلُ الله الذي أجّلهم إليه ـــ جزاء أعمالهم التي كانوا يعملونها قبل ذلك ؛ من الكفر بالله ، والإلحاد في أسمائه ، وتكذيب رسوله »[6] .

وبعد ، فإذا تقرر هذا فإن أَوْلَى القولين بالصواب من ذلك ما استظهره ابن جُزَيّ مِنْ أن الآية محكمة وليست بمنسوخة ؛ لقوّة دليله ، والله تعالى أعلم .

---

(1) زاد المسير (٣/ ٢٩٣) .

(2) العذب النمير (٤/ ١٧٢٣) .

(3) فتح القدير (٢/ ٣٨٣) .

(4) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠/٥٩٩) من طريق ابن وهب عنه قال: هؤلاء أهل الكفر ، وقد نُسِخَ ، نسخه القتال.

(5) تفسير القرآن العزيز (٢/١٥٥) والمحرر الوجيز (٦/١٥٦) والجواهر الحسان (١/٥٩٠) والفتوحات الإلهية (٢/١٥٢).

(6) جامع البيان (١٠ / ٥٩٩) .

المسألة الثانية هي :

٣١- ما معنى الإلحاد في أسماء الله ؟

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « وإلحادهم في أسماء الله : هو ما قاله أبو جَهْلٍ فنزلت الآية بسببه. وقيل : تسميته بما لا يليق . وقيل : تسمية الأصنام باسمه ؛ كاشتقاقهم اللاّت من الله ، والعُزَّى من العزيز »[1] .

العرض والمناقشة :

رجَّح ابن جُزَيّ أن الإلحاد في أسماء الله هو ما قاله أبو جَهْلٍ فنزلت الآية بسببه . ووافق في هذا قول مقاتل بن سليمان حيث قال : وذلك أن رجلاً دعا الله في الصلاة ودعا الرحمن ، فقال رجل من مشركي مكة وهو أبو جهل : أليس يزعم محمد وأصحابه أنهم يعبدون ربًّا واحدًا ، فما بال هذا يدعو ربّين اثنين . فأنزل الله : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾. يعني الرحمان ، الرحيم ، الملك، القدوس ، السلام ، المؤمن ، المهيمن ، العزيز ، الجبار ، المتكبر ، الخالق ، البارىء ، المصور ، ونحوها ...[2] .

وما ذهب إليه ابن جُزَيّ مِنْ أَنَّ الإلحاد فيها هو ما قاله أبوجهل ، إنما يستقيم على حَمْلِ كلام أبي جهلٍ على معنى التكذيب لها فيكون إلحادًا فيها ، كما رُوِيَ عن ابن عباس : «أَيْ : يكذبون»[3] . أي : يأبون ويمتنعون من تسميته ببعض أسمائه الحسنى نحو أن يقولوا : يا الله ، ولا يقولوا : يا رحمان[4] .

وعلى هذا الكلبي[5].

وذهب إليه الطاهر بن عاشور حيث قال : « ومعنى الإلحاد في أسماء الله جعلها مظهرًا من مظاهر الكفر ، وذلك بإنكار تسميته تعالى بالأسماء الدالة على صفات ثابتة له وهو الأحق بكمال مدلولها ، فإنهم أنكروا الرحمن ، وجعلوا تسميته به في القرآن وسيلةً للتشنيع ولمز النبي عليه الصلاة والسلام بأنه عدد الآلهة ، ولا أعظم من هذا البهتان والجور في الجدال

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٥٥) .

(2) تفسير مقاتل (٢/ ٧٦) . ونسبه إليه ابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٢٩٢) .

(3) ينظر : معالم التنزيل للبغوي (٢/ ١٧٥) .

(4) الكشاف للزمخشري (٢/ ٥٣٤) .

(5) ينظر : الوسيط للواحدي (٢/ ٤٣١) .

فَحُقَّ بأن يسمى إلحادًا ؛ لأنه عدول عن الحق بقصد المكابرة والحسد »[1] .

وجوّزه الآلوسي[2] .

وأما القول الثاني بأن الإلحاد في أسماء الله هو تسميته بما لا يليق ، فهو قول الأعمش[3].

وذهب إليه الزجاج، وابن قتيبة وأبوسليمان الخطابي ـــ كما ذكره ابن الجوزي ـــ، والنسفي، والآلوسي[4].

وجوّزه السمين[5] . ونسبه البغوي إلى أهل المعاني[6] .

قال الزجاج : « لا ينبغي أن يدعوه أحد بما لم يصف نفسه به ، أو لم يسم به نفسه ، فيقول في الدعاء : يا الله يا رحمان ياجواد ، ولا ينبغي أن يقول : يا سبحان ؛ لأنه لم يصف نفسه بهذه اللفظة . وتقول : يا رحيم ، ولا يقول : يا رفيق[7] ، وتقول : يا قويّ ، ولا تقول : يا جَلْدُ » .

وأما القول الثالث بأن الإلحاد في أسماء الله هو تسمية الأصنام باسمه ، كاشتقاقهم اللاّت من الله ، والعزّى من العزيز ، فروي عن ابن عباس[8] ، ومجاهد[9]،

---

(1) التحرير والتنوير (٩/ ١٢٥) .

(2) ينظر : روح المعاني (٩/ ١٢٥) .

(3) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦٢٣) رقم (٨٥٨٧) عنه قال : يدخلون فيها ما ليس منها .

(4) ينظر : معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٩٢) ، وزاد المسير (٣/ ٢٩٣) ، ومدارك التنزيل (٢/ ٨٧) ، وروح المعاني (١٢١/٩).

(5) ينظر : الدر المصون (٥/ ٥٢٣) .

(6) ينظر : معالم التنزيل (٢/ ١٧٥) .

(7) ثبت هذا الاسم الحسن الكريم لله عزّوجلّ في حديث : (إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كلِّه) . أخرجه البخاري (٢٥٣٩/٦ طبعة البغا) في كتاب استتابة المرتدين ، باب إذا عرّض الذمي وغيره بسبِّ النبي ﷺ ولم يصرح ، برقم (٦٥٢٨) .

(8) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠/ ٥٩٧) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦٢٣) رقم (٨٥٨٤) من طريق عطية العوفي ، عنه قال : إلحاد الملحدين أن يدعوا اللآت والعُزّى في أسماء الله . وفي الدر المنثور للسيوطي (٦١٦/٣) بلفظ : اشتقوا العزى من العزيز ، واشتقوا اللات من الله .

(9) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠/ ٥٩٧) من طريق ابن جريج ، عنه قال : اشتقوا العزى من العزيز ، واشتقوا اللات من الله .

وعطاء[1] ، وابن جريج[2] . وقاله مقاتل[3] .

وذهب إليه الطبري، وابن أبي زمنين، والواحدي، والسمعاني، والبغوي ، وابن عطية، ومحمود النيسابوري، وابن الجوزي، وابن التركماني، والسمين، والثعالبي، والسيوطي ، والشنقيطي[4]. وجوّزه الآلوسي[5] .

وذكره الزمخشري بصيغة (قيل)[6] .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن أصل الإلحاد في كلام العرب هو العدول عن القصد والاستقامة ، والجور عن ذلك ، والإعراض[7] .

وعليه، فإن هذه الأقوال الثلاثة المذكورة في معنى الإلحاد كلها داخلة فيه ، ومعنى الإلحاد يشملها جميعًا .

قال الشوكاني : « والإلحاد في أسمائه سبحانه يكون على ثلاثة أوجه : إما بالتغيير كما فعله المشركون ، فإنهم أخذوا اسم اللات من الله ، والعزّى من العزيز ، ومناة من المنّان. أو بالزيادة عليها بأن يخترعوا أسماء من عندهم لم يأذن الله بها . أو بالنقصان منها بأن يدعوه ببعضها دون بعض »[8] .

وقال السيد محمد رشيد رضا : « والإلحاد في أسمائه على وجهين : أحدهما : أن يوصف بما لا يصح وصفه به . والثاني : أن يتأول أوصافه على ما لا يليق به »[9] .

---

(1) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦٢٣) رقم (٨٥٨٥) من طريق عثمان بن عطاء ، عن أبيه قال : الإلحاد المضاهاة .

(2) ينظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦/ ٤٦٥) فإنه نسبه إليه كقول مجاهد .

(3) ينظر : تفسير مقاتل (٢/ ٧٧) .

(4) ينظر : جامع البيان (١٠/ ٥٩٦) ، وتفسير القرآن العزيز (٢/ ١٥٥) ، والوجيز (١/ ٤٢٣) والوسيط (٤٣١/٢) ، وتفسير القرآن (٢/ ٢٣٦) ، ومعالم التنزيل (٢/ ١٧٥) ، والمحرر الوجيز (٦/ ١٥٧) ، وإيجاز البيان (١/ ٢٨٤) ، وتذكرة الأريب (١/ ١٩٣) ، وبهجة الأريب (١/ ٢٣١) ، والدر المصون (٥٢٣/٥) ، والجواهر الحسان (١/ ٥٩٠) ، وتفسير الجلالين (٣/ ١٥٢) ، وأضواء البيان (٢/ ٣٣٩) .

(5) ينظر : روح المعاني (٩/ ١٢٥) .

(6) ينظر : الكشاف (٢/ ٥٣٥) .

(7) ينظر : جامع البيان للطبري (١٠/ ٥٩٨) ، والوسيط للواحدي (٢/ ٤٣١) .

(8) فتح القدير (٢/ ٣٨٣) . وتبعه القنوجي في فتح البيان (٥/ ٨٥) .

(9) تفسير القرآن الحكيم (٩/ ٣٨٥) .

وقال أيضًا : « فالإلحاد في أسمائه الحسنى أقسام :

١ــ التغيير فيها لوضعها لغيره مما عبد من دونه كما ورد في اللات والعزّى ومناة ...

٢ــ تسميته تعالى بما لم يسمّ به نفسه ...

٣ــ ترك تسميته بما سمّى به نفسه أو وصفه بما وصفها به ...

٤ــ تحريف أسمائه وصفاته عما وضعت له بضروب من التأويل ، تقتضي التشبيه أو التعطيل...

٥ــ إشراك غيره فيما هو خاص به من أسمائه باللفظ وما في معناه ...

٦ــ إشراك غيره تعالى في معاني أسمائه الخاصة مع تغيير اللفظ .

٧ــ إشراك غيره في كمال أسمائه التام الذي وصفت لأجله بالحسن ...»[1] .

وعلى شمولية معنى الإلحاد لما ذكر من المعاني المنقولة : ابن القيم، والبيضاوي، وأبوالسعود، والمراغي[2]، والسعدي[3] .

فإذا كان ذلك كذلك فإن الصواب من القول في ذلك : هو أن الإلحاد في أسمائه سبحانه وتعالى أنواعٌ وعلى أوجهٍ ، وأن كل ما ذكر في ذلك داخل فيه ؛ إذ لا دليل على تخصيص قول دون قول ، فالأَولى حمل معناه على العموم ، والله تعالى أعلم .

---

(1) تفسير القرآن الحكيم (٩/ ٣٨٦ – ٣٩١) .

(2) ينظر : بدائع التفسير (٢/ ٣١٤) ، وأنوار التنزيل (١/ ٣٦٩) ــ فإنه ذكر الأقوال كلها بــ (أو) ــ ، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٣٢٣) ، وتفسير المراغي (٩/ ١١٨) وهو كالبيضاوي .

(3) القواعد المثلى لابن عثيمين (١٦) ، والمنهاج الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (١/ ٥٥) ، والنهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى (١/ ٣٦) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ ۗ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾ ﴾

٣٢- هل الأَوْلَى أن يوصل قوله : ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا ﴾ بما بعده فيكون معمولُه هو قولَه: ﴿ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ﴾؟ أم الأَوْلَى أن يوقف عليه ويكون قولُه : ﴿ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ﴾ خبرًا استئنافيًّا ؟

قال ابن جُزَيّ رحمه الله : « يعني بصاحبهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فنفى عنه ما نسب له المشركون من الجنون . ويحتمل أن يكون قولُه : ﴿ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ﴾ معمولاً لقوله : ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا ﴾ فيوصل به ، والمعنى : أو لم يتفكروا فيعلمون أن ما بصاحبهم من جنة . ويحتمل أن يكون الكلام قد تمّ في قوله : ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ ﴾ ثم ابتدأ إخبارًا استئنافًا لقوله : ﴿ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ﴾. والأول أحسن »[1] .

العرض والمناقشة :

استحسن ابن جُزَيّ وَصْل قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا ﴾ بقوله : ﴿ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ﴾ وأن تكون الجملة الثانية معمولَةً للجملة الأُولى على معنى : أو لم يتفكروا فيؤدي بهم هذا التفكر إلى العلم بنفي الجنون عن النبي ﷺ . ووافقه على هذا الترجيح : الطبري، والواحدي، وابن الجوزي، والرازي، والقمي، وأبوحيان، والسيوطي، وأبوالسعود، والقاسمي[2] . وهو مفهوم كلام ابن أبي زمنين، وابن كثير ، والبقاعي، والسعدي، والشنقيطي[3] .

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٥٦) .

(2) ينظر : جامع البيان (١٠/ ٦٠٢) ، والوجيز (١/ ٤٢٤) والوسيط (٢/ ٤٣٢) ، وزاد المسير (٣/ ٢٩٦) وتذكرة الأريب (١/ ١٩٤) ، ومفاتيح الغيب (٥/ ٤١٩) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ٣٥٥)، والبحر المحيط (٤/ ٤٣١ – ٤٣٢) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ١٥٣/٣) ، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٣٢٥) ، ومحاسن التأويل (٧/ ٢٩١٤) .

(3) ينظر : تفسير القرآن العزيز (٢/ ١٥٦) ، وتفسير القرآن العظيم (٦/ ٤٦٦) ، ونظم الدرر (٨/ ١٨٠) ، وتيسير الكريم الرحمن (٢/ ١٧٦) ، والعذب النمير (٤/ ١٧٣١ – ١٧٣٢) .

ومال إليه الآلوسي[1] . واحتمله ابن عطية، والثعالبي [2] .

واستغربه الكرماني[3].

قالوا : في اللفظ محذوف . والتقدير : أو لم يتفكروا فيعلموا ما بصاحبهم من جنة [4].

وأبَى أبوحيان أن يكون في اللفظ محذوف بل استظهر أن ﴿ يَتَفَكَّرُواْ ﴾ معلّق عن الجملة المنفية ؛ لأنه من أعمال القلوب ، فيجوز تعليقه . وهذا مما ثبت في اللسان العربي فلا ينبغي العدول عنه . فإذا كان فعل القلب يتعدى بحرف جر قدرت الجملة ﴿ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ﴾ في موضع جر بعد إسقاط حرف الجر . والمعنى : أولم يتدبروا في انتفاء وصف الجنون عن الرسول ﷺ ، فإنه منتفٍ عنه لا محالة ، ولا يمكن لمن أنعم الفكر أن ينسب ذلك إليه[5].

وقال سليمان الجمل : « ﴿ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ﴾ : هذه الجملة في محل نصب معمولة لـــ يَتَفَكَّرُواْ فهو عامل فيها محلاً لا لفظًا ؛ لوجود المعلّق له عن العمل ، وهو ﴿ مَا ﴾ النافية، والسيوطي جعلها سادّةً مسدّ مفعولين لفعل محذوف تقديره : فيعلموا ، مع أنه لا حاجة لذلك ، وهو مبني على مرجوحٍ وهو : أن تفكر لا يعلّق عن العمل »[6] .

وأما القول الثاني وهو الوقف على قوله : ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ ﴾والابتداء بقوله : ﴿ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ﴾ ، فذهب إليه : السمرقندي، والكرماني، وابن عطية، والقرطبي، والنسفي، والثعالبي، والسيد محمد رشيد رضا، والطاهر بن عاشور [7] . وجوّزه القاسمي[8] .

---

(1) ينظر : روح المعاني (٩/ ١٢٧) .

(2) ينظر : المحرر الوجيز (٦/ ١٦١) ، والجواهر الحسان (١/ ٥٩١) .

(3) ينظر : غرائب التفسير وعجائب التأويل (٠ ١/ ٤٢٩) .

(4) ينظر : مفاتيح الغيب للرازي (٥/ ٤١٩) .

(5) ينظر : البحر المحيط (٤/ ٤٣١ – ٤٣٢) ، والدر المصون للسمين الحلبي (٥/ ٥٢٥) .

(6) الفتوحات الإلهية (٣/ ١٥٤) .

(7) ينظر : بحر العلوم (١/ ٥٨٦) ، وغرائب التأويل وعجائب التفسير (١/ ٤٢٩) ، والمحرر الوجيز (٦/ ١٦١)، والجامع لأحكام القرآن (٩/ ٣٩٨) ، ومدارك التنزيل (٢/ ٨٨) ، والجواهر الحسان (١/ ٥٩١) ، وتفسير القرآن الحكيم (٩/ ٣٩٧) ، والتحرير والتنوير (٩/ ١٩٣ – ١٩٤) .

(8) ينظر : محاسن التأويل (٧/ ٢٩١٤) .

وذكره أبوحيّان ، وأبوالسعود بصيغة (قيل)[1] .

يقول الشوكاني : « قوله : ﴿ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ﴾ ردٌّ على قولهم : ﴿ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ ﴾ [الحجر] ويكون الكلام قد تم عند قوله: ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا ﴾. والوقف عليه من الأوقاف الحسنة »[2] .

وجعل السمرقندي ، والسيد رشيد رضا هذه الآية شبيهة بآية سبأ : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ﴾[3][سبأ: ٤٦] .

ووافق الطاهر بن عاشور على تعليق فعل ﴿ يَتَفَكَّرُوا ﴾ ونزّله منزلة اللازم فلا يقدر له متعلّق ، للاستغناء عن ذلك بما دلّ عليه النفي في قوله : ﴿ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ﴾.

وقال : « والمقصود من تعليق الفعل هو الانتقال من علم الظّان إلى تحقيق الخبر المظنون وجعله قضية مستقلة ، فيصير الكلام بمنزلة خبرين : خبر من جانب الظانّ ونحوه ، وخبر عن جانب المتكلم دخل في قسم الواقعات ، فنحو قوله تعالى ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [الأنبياء] . هو في قوة أن يقال : لقد علمت لا ينطقون ما هؤلاء ينطقون . أي : ذلك علمك وهذا علمي . وقوله هنا : ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ﴾ في قوة : أو لم يتفكروا صاحبهم غير مجنون ، ما بصاحبهم من جنة . فتعليق أفعال القلوب ضرب من ضروب الإيجاز ، وأحسب هذا هو الغرض من أسلوب التعليق لم ينبه عليه علماء المعاني ، وأن خصائص العربية لا تنحصر »[4] .

أما الكرماني فاستغرب القول بالوصل قائلاً : « إن التفكر لا يعلّق ولا يلغى »[5] .

وعلى أنه وقف تام ذهب أبوبكر ابن الأنباري، وأبوعمرو الداني[6] .

---

(1) ينظر : البحر المحيط (٤/ ٤٣٢) ، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٣٢٥) .

(2) فتح القدير (٢/ ٣٨٨) بتصرف يسير . وتبعه القنوجي في فتح البيان (٥/ ٨٩) .

(3) ينظر : بحر العلوم (١/ ٥٨٦) ، وتفسير القرآن الحكيم (٩/ ٣٩٦) . وينظر أيضًا : تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦/ ٤٦٦) .

(4) التحرير والتنوير (٩/ ١٩٣ – ١٩٤) .

(5) غرائب التفسير وعجائب التأويل (١/ ٤٢٩) .

(6) ينظر : الإيضاح في الوقف والابتداء (٢/ ٦١٧) ، والمكتفى في الوقف والابتداء (٢٨١) .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن الأَولى في ذلك هو الوقف على قوله : ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ ﴾ ثم الابتداء والإستئناف بقوله : ﴿ مَابِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ﴾؛ لقوة تعليله ، ولنظيره في القرآن كما في آية سبأ [٤٦] ويكون الوقف عليه حسنًا و تامًّا . ومما يؤيد رجحان هذا القول قاعدة: (القول الذي يؤيده نظائر قرآنية مقدَّم على ما عدم ذلك)[1] .

وإذا كان ذلك كذلك فإن ما استحسنه ابن جُزَيّ خلاف الأَولى وليس براجح ، وإن لم يكن مدفوعًا ، والله أعلم .

(1) ينظر : قواعد الترجيح (١/ ٣١٢) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾

في هذه الآية الكريمة مسألتان :

المسألة الأولى هي :

٣٣- الخلاف في معنى ثقَل الساعة في السماوت والأرض.

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « في معناه ثلاثة أقوال : الأول : ثقلت على أهل السماوات والأرض ؛ لهيبتها عندهم وخوفهم منها . والثاني : ثقلت على السماوات[1] والأرض أنفسها ؛ لتفطّر السماء فيها وتبديل الأرض . والثالث : معنى ﴿ ثَقُلَتْ ﴾ أي : ثَقُلَ عِلْمُها ، أي : خَفِيَ »[2] .

العرض والمناقشة :

ذكر ابن جُزَيّ ثلاثة أقوال في معنى قوله تعالى :﴿ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾، وقدّم الأول منها ترجيحًا له على غيره وهو : أن الساعة ثقلت على أهل السماوات وأهل الأرض؛ لهيبتها عندهم وخوفهم منها . ووافق في هذا الترجيح ما رُوي عن الحسن [3] . ونسب إلى ابن عباس[4]. وذهب إليه الواحدي ، والعكبري، والسيوطي، والشنقيطي[5] .

وذكره السمعاني ، والقرطبي ، وأبوالسعود بصيغة (قيل)[6] .

---

(1) في المطبوع : على أهل السماوات . بزيادة كلمة " أهل " . وكذا في جميع النسخ !! والصواب حذفها .

(2) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٥٦) .

(3) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ٢٤٥) ، والطبري في جامع البيان (١٠ / ٦٠٨ ، ٦٠٩) من طريقه ، ومن طريق محمد بن ثور ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦٢٧) رقم (٨٦١١) من طريق معمر ، عنه قال : إذا جاءت ثقلت على أهل السماوات والأرض : كبرت عليهم .

(4) نسبه إليه الواحدي في الوسيط (٢/ ٤٣٣) .

(5) ينظر : الوجيز (١/ ٤٢٤) والوسيط (٢/ ٤٣٣) ، والتبيان (١/ ٦٠٦) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٣/ ١٥٦) ، والعذب النمير (٤/ ١٧٤١) .

(6) ينظر : تفسير القرآن (٢ / ٢٣٧) ، والجامع لأحكام القرآن (٩/ ٤٠٥) ، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٣٢٨) .

قال الشنقيطي : « أي : كبرت الساعة وعظمت على أهل السماوات والأرض ؛ لأن ما فيها من الأهوال والأوجال يصعب على جميع الخلائق . وهذا أقرب » .

وأما القول الثاني بأن معناها : ثقلت على السماوات والأرض أنفسهما ؛ لتفطّر السماء فيها وتبديل الأرض ، فهو قول قتادة[1] . ونسب إلى الحسن[2] ، وابن جريج[3] .

وذهب إليه ابن أبي زمنين، وابن الجوزي[4] . وهو مفهوم كلام الطاهر بن عاشور[5] .

وذكره الآلوسي بصيغة (قيل)[6] .

واستدلّ له بأن "في" بمعنى "على" ، فالمعنى : ثقلت على السماوات والأرض[7]؛ لأن السماوات تعجز عن حملها فتشَّقّق ، وتتناثر النجوم ، و تُلَفُّ الشمس ، ويخسف القمر، وأن الأرض تُرفع جبالها ، و تُبدل الأرض غير الأرض فلا تطيقها السماوات والأرض[8].

وأما القول الثالث بأن معنى ﴿ ثَقُلَتۡ ﴾: خفيت ، أي : خفي علمها على أهل السماوات والأرض ، فهو قول السدّي[9] ، وقتادة[10] أيضًا . ونسب إلى معمر[11] .

وعليه جهور المفسّرين ومنهم : مقاتل، والفراء، وأبوعبيدة، والطبري، والنحاس،

---

(1) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠ / ٦٠٩) من طريق سعيد ، عنه .

(2) نسبه إليه ابن أبي زمنين (٢/ ١٥٧) .

(3) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠ / ٦٠٩) من طريق حجاج ، عنه قال : إذا جاءت انشقت السماء ، وانتثرت النجوم ، وكورت الشمس وسيرت الجبال ، وكان ما قال الله ، فذلك ثقلها .

(4) ينظر : تفسير القرآن العزيز (٢/ ١٥٧) ، وتذكرة الأريب (١/ ١٩٤) .

(5) ينظر : التحرير والتنوير (٩/ ٢٠٣) .

(6) ينظر : روح المعاني (٩ / ١٣٣) .

(7) ينظر : زاد المسير (٣/ ٢٩٨) .

(8) العذب النمير (٤/ ١٧٤١) .

(9) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠/ ٦٠٨) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦٢٧) رقم (٨٦١٢) من طريق أسباط ، عنه . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٦٢١) نسبته إلى أبي الشيخ .

(10) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ٢٤٤) ، والطبري في جامع البيان (١٠/ ٦٠٨) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦٢٧) (٨٦١١) كلاهما من طريق عبد الرزاق ، عن معمر ، عنه . زاد الأولان : عن قتادة والكلبي .

(11) نسبه إليه ابن عطية في المحرر الوجيز (٦/ ١٦٧) .

والسمرقندي، ومكي، والسمعاني، والكرماني، والبغوي، والباقولي، والقرطبي، والخازن ، وابن التركماني، وابن كثير ، والبقاعي، وأبوالسعود، والآلوسي، والسيد محمد رشيد رضا[1].

وقال الشنقيطي : « ليس قريبًا من الظاهر »[2] .

وذكره العكبري بصيغة (قيل)[3] .

ودليله السياق سِباقًا و لحاقًا ؛ لأن الله أخفى ذلك عن خلقه ، فلم يطلع عليه منهم أحدًا كما أخبر بذلك بعد قوله : ﴿ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ﴾، وأخبر بعده أنها لا تأتي إلاّ بغتة كما في قوله :﴿ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ﴾، فالأَولى أن يكون ما بين ذلك الخبرين خبرًا عن خفاء علمها عن الخلق ؛ إذ كان ما قبله وما بعده كذلك[4].

يقول أبوالسعود : « وهو الأنسب بما قبله وبما بعده من قوله تعالى : ﴿ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ﴾، فإنه أيضًا استئناف مقرر لمضمون ما قبله فلا بُدَّ من اعتبار الثقل من حيث الخفاء».

« وقال أبوعلي الفارسي : أصل هذا قولهم : أحطت به علمًا ، أي : ذلّ لي فصرت لعلمي به غالبًا عليه فخفَّ عليّ و لم يثقل كما يثقل ما لا يعلمه عليه ألا تراه قال : ﴿ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾»[5].

ويقال : إذا خفي الشيء ثقل علمه[6] .

---

(1) ينظر : تفسير مقاتل (٢/ ٧٨) ، ومعاني القرآن (١/ ٣٩٩) ، ومجاز القرآن (١/ ٢٣٥) ، وجامع البيان (١٠/٦٠٩) ، ومعاني القرآن الكريم (٣/ ١١١) ، وبحر العلوم (١/ ٥٨٧) ، وتفسير المشكل (١٧٨) ، وتفسير القرآن (٢/ ٢٣٧) ، وغرائب التفسير وعجائب التأويل (١/ ٤٢٩) ، ومعالم التنزيل (٢/ ١٧٨) ، وكشف المشكلات (١/ ٤٨٧) ، والجامع لأحكام القرآن (٩/ ٤٠٥) ، ولباب التأويل (٢/ ١٥٤) ، وبهجة الأريب (١/ ٢٣٢) ، وتفسير القرآن العظيم (٦/ ٤٧٠) ، ونظم الدرر (٨/ ١٨٦) ، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٣٢٨) ، وروح المعاني (٩/ ١٣٣) ، وتفسير القرآن الحكيم (٩/ ٤٠٧) .

(2) العذب النمير (٤/ ١٧٤١) .

(3) ينظر : التبيان (١/ ٦٠٦) .

(4) ينظر : جامع البيان للطبري (١٠/ ٦٠٩) .

(5) كشف المشكلات للباقولي (١/ ٤٨٧) . وأبوعلي هو الفضل بن الحسن الطبرسي له مجمع البيان في تفسير القرآن .

(6) ينظر : لسان العرب (ثقل) (١١ / ٨٦) .

وجعله السيد رشيد رضا هو المتبادر .

وقدّمه ابن عطية على غيره من الأقوال[1] .

ونفى ابن كثير تعارض خفاء علمها مع ثقل مجيئها على أهل السماوات والأرض . ولذا فقد اختار السعدي الجمع بينهما[2] .

وسوّى الزمخشري بين هذه الأقوال، وتبعه النسفي، والقمي، والقاسمي[3] .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن هذه الأقوال التي ذكرت في معنى قوله تعالى : ﴿ ثَقُلَتۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ كلّها صحيحة ، ولا تعارض بينها ؛ فإن الساعة كبرت وعظمت على السماوات والأرض فلا تطيقها ؛ لأن السماوات تعجز عن حملها فتتشقق، و تتناثر النجوم ، وتُلَفُّ الشمس، و يُخسف القمر ، وأن الأرض تُرفع جبالها ، وتبدل الأرض غير الأرض فلا تطيقها السماوات والأرض . وأنها تعظم وتثقل وتكبر على أهلها ؛ لشدّة ما فيها من عظم الأهوال و الأوجال .

ولما خفيت عليهم فلم يعلموا متى تكون ؟ شقّ عليهم ذلك وثقل عليهم خفاؤها والجهل بوقتها ؛ لأن كل شيء خفي على الإنسان و لم يعلمه ثقل عليه .

لكنَّ أَوْلَى هذه الأقوال بأن يكون هو المعنى المراد هنا هما القولان الأولان ؛ لأنهما أقرب إلى الظاهر ، وذلك أن كلمة ﴿ ثَقُلَتۡ ﴾ تدل بظاهرها على الثقل ، وهذا هو استعمال القرآن لهذه الكلمة في جميع الآيات التي وردت فيها هذه اللفظة بمشتقاتها[4] ، و لم تستعمل في القرآن بمعنى الخفاء !! وما ذكر من دلالة السياق عليه فلا يلزم ؛ لأن الساعة وصفت بأوصاف منها : خفاء علمها ، وثقلها في السماوات والأرض ؛ لأنهم سألوا عن وقت مجيئها فأخبرهم بأنه غير معلوم وأنها ثقلت في السماوات والأرض . وهذا من زيادة البيان عن الساعة لهؤلاء السائلين. فإذا كان ذلك كذلك فإن القولين الأولين بمجموعهما هما الأَولى بالصواب في معنى قوله : ﴿ ثَقُلَتۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾، والله تعالى أعلم .

---

(1) ينظر : المحرر الوجيز (٦/ ١٦٧) .

(2) ينظر : تيسير الكريم الرحمن (٢/ ١٧٧) .

(3) ينظر : الكشاف (٢/ ٥٣٨) ، ومدارك التنزيل (٢/ ٨٩) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ٣٥٥) ، ومحاسن التأويل (٤/ ٢٩١٦) .

(4) ينظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (١٥٩) . وفي سورة الأعراف الآيات : ٨ ، ٥٧ ، ١٨٩ ، كلها استعملت فيها هذه اللفظة بهذا المعنى ، والله أعلم .

المسألة الثانية هي :

٣٤ – الخلاف في معنى قوله تعالى : ﴿كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ .

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « الحَفِيُّ بالشيء هو المهتبل به المعتني به . والمعنى : يسألونك عنها كأنك حفيّ بعلمها . وقيل : المعنى : يسألونك عنها كأنك حفي بهم لقرابتك منهم . فـ ﴿عَنْهَا﴾ على هذين القولين يتعلّق بـ ﴿يَسْئَلُونَكَ﴾ . وقيل : المعنى : يسألونك كأنك حفي بالسؤال عنها »[1] .

العرض والمناقشة :

في قوله تعالى : ﴿يَسْئَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ رجَّح ابن جُزَيّ أن يكون المعنى : يسألونك عنها كأنك حَفِيٌّ بعلمها مُعْتَنٍ به .

ووافق في هذا معنى ما رُوِيَ عن ابن زيد[2] ، ومجاهد[3] ، والضحاك[4] ، والكلبي[5].

وذهب إليه جمهور المفسّرين ومنهم : مقاتل، والفراء، وأبوعبيدة، وابن قتيبة، والطبري، والمبرد، ومكي، والواحدي، والبغوي، والزمخشري، والباقولي، ومحمود النيسابوري، والقرطبي، والبيضاوي، والنسفي، والقمي ، والقرشي اليماني ، وابن التركماني، وابن كثير، والبقاعي، والسيوطي، وأبوالسعود، والشوكاني، والآلوسي، والقنوجي، والقاسمي، والسعدي، والطاهر، والشنقيطي[6] .

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٥٦) .

(2) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠ / ٦١٤) . ونسبه له الواحدي في الوسيط (٢/ ٤٣٤) ، والماوردي في النكت والعيون (٢/ ٢٨٥) ، وابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٣٠٠) ، وابن عطية في المحرر الوجيز (١٦٨/٦).

(3) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠/ ٦١٣) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦٢٨) رقم (٨٦١٨) . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٦٢١) نسبته إلى ابن أبي شيبة ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وأبي الشيخ .

(4) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠/ ٦١٣) من طريق جويبر ، وأبي رَوْق ، عنه . وأخرجه أيضًا من طريق أبي معاذ ، عن عُبيد بن سليمان عنه . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦٢٨) رقم (٨٦١٥) من طريق أبي رَوْق ، عنه ، عن ابن عباس .

(5) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ٢٤٥) عن معمر ، عنه . وأخرجه الطبري في جامع البيان (١٠/ ٦١٣) من طريق معمر ، عن بعضهم .

(6) ينظر : تفسير مقاتل (٢/ ٧٨) ، ومعاني القرآن (١/ ٣٩٩) ، ومجاز القرآن (١/ ٢٣٥) وزاد المسير لابن

ومال إليه ابن الجوزي، والسيد محمد رشيد رضا، والمراغي[1] .

وذكره ابن أبي زمنين ، والسمعاني ، والخازن بصيغة (قيل)[2].

واستُدِلَّ له بأن العرب تقول : فلانٌ حفيٌّ بخبر فلان ، أي : معنيٌّ بالسؤال عنه . يقال: أحفى في سؤاله وألحف وألحَّ ، كلّه بمعنً[3] . فهو من قولهم : أحفيت في المسألة ، أي : بالغت فيها . معناه : كأنك بالغت في السؤال عنها حتى علمتها .

« قال ابن فارس : الحفيّ : العالم بالشيء . والحفي : المستقصي في السؤال .

ومنه قول الأعشى :

فإن تسألي عني فيارب سائلٍ حفيٍّ عن الأعشى به حيث أصعدا »[4] .

وقال الطبري : « فَوجَّه هؤلاء تأويل قوله : ﴿كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ إلى : حفي بها . وقالوا: تقول العرب : تحفّيْتُ له في المسألة وتحفيْتُ عنه . قالوا : ولذلك قيل : أتينا فلانًا نسأله به . بمعنى : نسأل عنه ... فإن قال قائل : وكيف قيل : ﴿حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ ولم يقل : (حفي بها) إن كان ذلك تأويل الكلام ؟ قيل : إن ذلك قيل كذلك ؛ لأن الحفاوة إنما تكون في المسألة ؛ وهي البشاشة للمسئول عند المسألة ، والإكثار من السؤال عنه . والسؤال يُوصل بهما السؤال ، وهو (عن) كما قال الشاعر :

الجوزي (٢٩٩/٣) ، وجامع البيان (١٠ /٦١٤) ، وإعراب القرآن للنحاس (٢/ ١٦٦) ، وتفسير المشكل (١٧٨) ، والوجيز (١/ ٤٢٤) والوسيط (٢/ ٤٣٣) ، ومعالم التنزيل (٢/ ١٧٨) ، والكشاف (٥٣٨/٢) ، وكشف المشكلات (١/ ٤٨٧) ، وإيجاز البيان (١/ ٢٨٤) ، والجامع لأحكام القرآن (٤٠٦/٩) ، وأنوار التنزيل (١/ ٣٧١) ، ومدارك التنزيل (٢/ ٨٩) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣٥٨/٣) ، والترجمان (٥٢) ، وبهجة الأريب (١/ ٢٣٢) ، وتفسير القرآن العظيم (٦/ ٤٧١) ، ونظم الدرر (٨/ ١٨٧) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ١٥٧/٣) ، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٣٢٨ – ٣٢٩) ، وفتح القدير (٢/ ٣٩١) ، وروح المعاني (٩/ ١٣٣) ، وفتح البيان (٥/ ٩٤) ، ومحاسن التأويل (٧/ ٢٩١٧) ، وتيسير الكريم الرحمن (٢/ ١٧٧) ، والتحرير والتنوير (٩/ ٢٠٤) ، والعذب النمير (١٧٤٤/٤) .

(1) ينظر : تذكرة الأريب (١/ ١٩٤) ، وتفسير القرآن الحكيم (٩/ ٤٠٩) ، وتفسير المراغي (٩/ ١٢٩) .

(2) ينظر : تفسير القرآن العزيز (٢/ ١٥٧) ، وتفسير القرآن (٢/ ٢٣٨) ، ولباب التأويل (٢/ ١٥٤) .

(3) ينظر : عمدة الحفاظ (١/ ٤٣٥) (حفي) .

(4) ينظر : فتح القدير للشوكاني (٢/ ٣٩١) ، وتابعه القنوجي في فتح البيان (٥/ ٩٤) .

سؤالَ حَفِيٍّ عن أخيه كأنه بذكْرَته وَسْنَانُ أو مُتَواسِنُ »[1] .

ونَسَب الزمخشري إلى ابن مسعود أنه قرأ : (كأنك حفي بها) ، أي : عالم بها ، بليغ في العلم بها[2] . ونسبها ابن عطية إلى ابن عباس[3] .

قال السمين : « وهي تدلُّ لمن ادَّعى أن (عن) بمعنى الباء »[4].

وأما القول الثاني بأن المعنى : يسألونك عنها كأنك حفيٌّ بهم لقرابتك منهم ، فهو معنى ما رُوِيَ عن ابن عباس[5] ، وقتادة[6] ، ومجاهد و عكرمة[7] ، والسدّي[8] ، وأبي مالك[9]. وعليه النحاس، والخازن[10] . وجوّزه الطاهر[11] .

---

(1) جامع البيان (٦١٤/١٠). والبيت كذا رواه ابن جرير .وهو في ديوان الهذليين (٤٣/٣-٤٩) ، وشرح أشعار الهذليين (١/ ٤٤٤-٤٥٠) : "سؤال الغني". وسياق القصيدة يقضي بأنه سؤال الغني المستغني ــ غير الحفي ــ لا سؤالَ حفيٍّ . وهو الأصح .

(2) ينظر : الكشاف (٢/ ٥٣٩) ، وتبعه أبو حيان في البحر المحيط (٤/ ٤٣٥) ، والسمين في الدر المصون (٥٣٢/٥). وينظر : الشواذ لابن خالويه (٤٧) .

(3) ينظر : المحرر الوجيز (٦/ ١٦٨) ، وتبعه الثعالبي في الجواهر الحسان (١/ ٥٩٢) .

(4) الدر المصون (٥/ ٥٣٢) .

(5) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠/ ٦١١) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦٢٨) رقم (٨٦١٧) من طريق عطية العوفي ، عنه قال : كأنك صديق لهم . زاد السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٦٢٢) نسبته إلى ابن مردويه . وأخرجه الطبري في جامع البيان (١٠/ ٦١٢) من طريق سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : قريب منهم وتحفَّى عليهم .

(6) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ٢٤٥) ، والطبري في جامع البيان (١٠/ ٦١١) من طريق معمر ، عنه قال: قالت قريش لمحمد ﷺ : إن بيننا وبينك قرابة فَأسِرَّ إلينا متى الساعة ؟ فقال الله :﴿ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا ﴾ يقول : كأنك حفي بهم . وأخرجه الطبري في جامع البيان (١٠/ ٦١١) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٢٨/٥) رقم (٨٦٢١) من طريق يزيد ، عن سعيد ، عنه .

(7) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠/ ٦١٢) من طريق حجاج ، عن خصيف ، عنهما . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦٢٨) رقم (٨٦١٩) من طريق خصيف ، عن مجاهد وحده .

(8) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠ / ٦١٢) من طريق أسباط ، عنه .

(9) أخرجه عبد بن حميد كما في الدر المنثور للسيوطي (٣/ ٦٢٢) . وينظر : جامع البيان للطبري (١٠/ ٦١٢).

(10) ينظر : معاني القرآن الكريم (٣/ ١١١) ، ولباب التأويل (٢/ ١٥٤) .

(11) ينظر : التحرير والتنوير (٩/ ٢٠٤) .

وذكره الزمخشري ، والبيضاوي ، وأبوالسعود بصيغة (قيل)[1] .

واستدل له بأن معنى ﴿ حَفِيٌّ ﴾ أي : بَرٌّ بهم ؛ كقوله تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ ﴾ [مريم] ففيه تقديم وتأخير[2] .

يقال : فلان حفي بفلان ، أي : مبالغٌ في برّه[3] .

وأما القول الثالث بأن المعنى : يسألونك كأنك حفي بالسؤال عنها ، أي : كأنك تهتم وتحفل وتحب أن تسأل عن الساعة ، فهو مَرْوِيّ عن ابن عباس[4] ، ومجاهد[5] .

وعليه الزجاج، والسمعاني[6] .وجوّزه الكرماني[7] .

وذكره البيضاوي ، والقمي ، وأبو السعود بصيغة (قيل)[8] .

قال الزجاج : « يقال : تحفيتُ بفلان في المسألة : إذا سألت سؤالا أظهرت فيه المحبة والبر به ، وأحفى فلان بفلان في المسألة ، وإنما تأويله الكثرة » .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن أَوْلَى الأقوال بالصواب في ذلك ما رجّحه ابن جُزَيّ و مَنْ وافقه ؛ لدلالة اللغة عليه ، وقريب منه القول الثالث ، والله تعالى أعلم .

---

(1) ينظر : الكشاف (٢/ ٥٣٩) ، وأنوار التنزيل (١/ ٣٧١) ، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٣٢٩) .

(2) ينظر : النكت والعيون للماوردي (٢/ ٢٨٥) ، وزاد المسير لابن الجوزي (٣/ ٢٩٨) .

(3) ينظر : عمدة الحفاظ للسمين الحلبي (١/ ٤٣٥) (حَفي) .

(4) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠/ ٦١٤) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦٢٨) رقم (٨٦١٦) من طريق علي بن أبي طلحة ، عنه قال : كأنك يعجبك سؤالهم .

(5) عزاه له ابن الجوزي كما في زاد المسير (٣/ ٢٩٩) .

(6) ينظر : معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٩٣) ، وتفسير القرآن (٢/ ٢٣٧) .

(7) ينظر : غرائب التفسير وعجائب التأويل (١/ ٤٣٠) .

(8) ينظر : أنوار التنزيل (١/ ٣٧١) ، و غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ٣٥٨) ، وإرشاد العقل السليم (٣٢٩/٢) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١٨٨ ﴾

في هذه الآية الكريمة مسألتان :

المسألة الأولى هي :

٣٥- هل قوله تعالى : ﴿ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ ﴾ معطوف على ما قبله أم هو استئناف ؟

وما تفسير ﴿ ٱلسُّوٓءُ ﴾؟

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « ﴿ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ ﴾ عطفٌ على ﴿ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ ﴾. أي : لو علمت الغيب لاستكثرت من الخير واحترست من السوء ولكن لا أعلمه فيصيبني ما قُدِّر لي من الخير والشر . وقيل : إن قوله : ﴿ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ ﴾ استئناف إخبار ، والسوء ـــ على هذا ـــ هو الجنون . واتصاله بما قبله أحسن »[1] .

العرض والمناقشة :

الخلاف في هذه المسألة مَبْنِيٌّ على تفسير ﴿ ٱلسُّوٓءُ ﴾، فمن فسَّره بالجنون فإن الجملة تكون ابتدائية ، ومن فسّره بالفقر أو الضُرِّ أو التكذيب فإن الجملة على هذا تكون متعلّقة بما قبلها متصلة بها معطوفة عليها . وابن جُزَيّ رجّح أن يكون قوله ﴿ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ ﴾ متصلاً بما قبله معطوفًا عليه وفسّر السوء بالشر ، فوافق في هذا معنى ما رُوي عن ابن عباس[2] ، وابن زيد[3] .

وعلى هذا أكثر المفسّرين ـــ وإن اختلفت عباراتهم في تفسير السوء والتي ترجع كلها

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٥٦) .

(2) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦٢٩) رقم (٨٦٢٧) من طريق أبي روق ، عن الضحاك ، عنه قال : السوء : الفقر .

(3) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦٣٠) رقم (٨٦٢٨) من طريق أصبغ ، عنه قال : لاجتنبت ما يكون من الشر قبل أن يكون وأتقيه .

إلى هذا القول ؛ كتفسيره بالضُرّ أو بالتكذيب أو بالفقر . والظاهر عموم الخبر وعدم تعيين السوء كما قاله أبوحيان[1] ـــ ومنهم : مقاتل، والطبري، والزجاج، والنحاس، والسمرقندي، والواحدي، والسمعاني، والبغوي، والزمخشري، والرازي، والبيضاوي، والنسفي، والخازن، والقمي، وأبوحيان، والسمين، وابن كثير، والبقاعي، والسيوطي، والشوكاني، والآلوسي، والقنّوجي، والقاسمي، والسيد رشيد رضا، والمراغي، والسعدي، والطاهر بن عاشور، والشنقيطي[2].

وذكره القرطبي بصيغة (قيل)[3] .

ودلّ على هذا قولُه تعالى : ﴿ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴾. قاله القرطبي[4] .

ويوضّح ذلك : أنه تقدّم قوله : ﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعًا وَلَا ضَرًّا ﴾ فقابل النفع بقوله: ﴿ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ ﴾ وقابل الضر بقوله : ﴿ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ ﴾ .

ولأن المترتب على تقدير علم الغيب كلاهما وهما اجتلاب النفع واجتناب الضر . قاله أبوحيان[5] .

وأما القول الثاني في تفسير السوء بالجنون، فمنسوب إلى الحسن[6] . وعليه محمود

---

(1) ينظر : البحر المحيط (٤/ ٤٣٧) .

(2) ينظر : تفسير مقاتل (٢/ ٧٩) ، وجامع البيان (١٠ / ٦١٧) ، ومعاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٩٤) ، ومعاني القرآن الكريم (٣/ ١١٣) ، وبحر العلوم (١/ ٥٨٧) ، والوجيز (٤٢٥/١) والوسيط (٢/ ٤٣٤) ، وتفسير القرآن (٢/ ٢٣٨) ، ومعالم التنزيل (٢/ ١٧٨) ، والكشاف (٢/ ٥٤٠) ، ومفاتيح الغيب (٥/ ٤٢٦) ، وأنوار التنزيل (١/ ٣٧١) ، ومدارك التنزيل (٢/ ٨٩) ، ولباب التأويل (١٥٤/٢) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ٣٥٩) ، والبحر المحيط (٤/ ٤٣٦) ، والدر المصون (٥٣٢/٥) ، وتفسير القرآن العظيم (٦/ ٤٧٨) ، ونظم الدرر (٨/ ١٨٨) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٣/ ١٥٨) ، وفتح القدير (٢/ ٣٩٢) ، وروح المعاني (٩/ ١٣٦) ، وفتح البيان (٩٦/٥) ، ومحاسن التأويل (٧/ ٢٩١٩) ، وتفسير القرآن الحكيم (٩/ ٤٤٧) ، وتفسير المراغي (١٣٦/٩)، وتيسير الكريم الرحمن (٢/ ١٧٨) ، والتحرير والتنوير (٩/ ٢٠٨) ، والعذب النمير (٤/ ١٧٤٧) .

(3) ينظر : الجامع لأحكام القرآن (٩/ ٤٠٨) .

(4) الجامع لأحكام القرآن (٩/ ٤٠٨) .

(5) البحر المحيط (٤/ ٤٣٦ ، ٤٣٧) .

(6) نسبه له ابن الجوزي كما في زاد المسير (٣/ ٣٠٠) .

النيسابوري، والقرطبي، والثعالبي[1] .

وعلى هذا القول تكون الجملة ﴿ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ ﴾ ابتدائية .

والسوء : الجنون بلغة هذيل[2] .

ويدل له نحو قوله سبحانه :﴿ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا نَذِيرٞ لَّكُم ﴾[3][سبأ : ٤٦].

والمعنى : ليس بي جنون ؛ لأنهم نسبوه إلى الجنون[4] .

وذكر هذا القولَ الزجاجُ ، والبغوي ، وأبوحيان ، والشوكاني بصيغة (قيل)[5].

واستبعده الرازي جدًّا ؛ لأنه يوجب تفكك نظم الآية[6] .

قال أبوحيان : « وهذا القول فيه تفكيك لنظم الكلام واقتصار على أن يكون جواب (لو) ﴿ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ ﴾ فقط ، وتقدير حصول علم الغيب يترتب عليه الأمران لا أحدهما ، فيكون إذ ذاك جوابًا قاصرًا »[7] .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن أَولى القولين في الصواب من ذلك هو ما رجّحه ابن جُزَيّ ومن وافقه ؛ لوجاهته ، ولأن تفسير السوء بالجنون هنا فيه بعدٌ ؛ لأن القرآن في مواضع صرّح بنفي الجنون عن النبي ﷺ ، كقوله تعالى : ﴿ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ﴾[سبأ : ٤٦] ، وقوله في الأعراف : ﴿ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ﴾[١٨٤] . وقوله :﴿ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ ﴿٢٢﴾ ﴾ [التكوير] وقوله : ﴿ فَذَكِّرۡ فَمَآ أَنتَ بِنِعۡمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٖ وَلَا مَجۡنُونٍ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الطور] وقوله : ﴿ مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ﴿٢﴾ ﴾ [القلم] ...وعليه فحمل السوء ـــ هنا ـــ على الجنون بعيد ، والأَولى أن يحمل على الضر والشر وما يدخل فيهما ، والله أعلم .

---

(1) ينظر : إيجاز البيان (١/ ٢٨٥) ، والجامع لأحكام القرآن (٩/ ٤٠٨) ، والجواهر الحسان (١/ ٥٩٣) .

(2) ينظر : المحرر الوجيز لابن عطية (٦/ ١٧١) ، والمصدر السابق .

(3) قاله الثعالبي .

(4) الجامع لأحكام القرآن (٩/ ٤٠٨) .

(5) ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٣٩٤/٢) ومعالم التنزيل(١٧٩/٢) والبحر المحيط (٤٣٧/٤) وفتح القدير (٣٩١/٢).

(6) ينظر : مفاتيح الغيب (٥/ ٤٢٦) .

(7) ينظر : البحر المحيط (٤/ ٤٣٧) .

ولما كان هذا القول هو اختيار أكثر المفسّرين رجّحه ابن جُزَيّ واستحسنه على غيره ، وهذا مما يتأيد به هذا القول ويترجّح على غيره[1] ، والله تعالى أعلم .

(1) ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ٩) .

المسألة الثانية هي :

٣٦- هل قوله تعالى :﴿ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾ يتعلّق بقوله : ﴿نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ ﴾ ؟

أم يتعلّق بـــ ﴿بَشِيرٞ ﴾ وحدها ؟

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : «﴿ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾ يجوز أن يتعلّق بـــ بشير ونذير معًا، أي : أبشر المؤمنين وأنذرهم . و خصَّ بهم البشارة والنذارة ؛ لأنهم هم الذين ينتفعون بها. ويجوز أن يتعلّق بالبشارة وحدها ، ويكون [المتعلّق][1] بـــ نذير محذوف[2] أي : نذير للكافرين . والأول أحسن »[3] .

العرض والمناقشة :

جوّز ابن جُزَيّ تعلّق ﴿ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾ بـــ ﴿نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ ﴾ معًا ، و بِـــ بشير وحدها، واستحسن الأول . والمختار عند الكوفيين تعلّقه بـــ نذير ؛ لأنه الأسبق ، وعند البصريين تعلُّقُه بـــ بشير ؛ لأنه الثاني[4] .

ووافق ابنَ جُزَيّ على هذا : البيضاوي، وأبوحيان، والشوكاني، والقنّوجي، والشنقيطي[5] . وهو مفهوم كلام مقاتل، والواحدي، والسعدي[6] .

قال الزمخشري : « لأن النذارة والبشارة إنما تنفعان فيهم[7] . قال تعالى :﴿ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ١٠١ ﴾ »[8] [يونس] .

ونظير الآية ـــ على هذا التعليل ـــ من القرآن :

قوله تعالى : ﴿ فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ٤٥ ﴾ [ق] مع أنه تذكير للأسود

---

(1) وقع في المطبوع : التعلّق . والصواب ما أثبتُّه كما في جميع النسخ الخطية .

(2) كذا في المطبوع ! وصوابه بالنصب لأنه خبر يكون .

(3) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٥٦ ، ٥٧) .

(4) ينظر : التبيان للعكبري (١/ ٦٠٧) ، والدر المصون للسمين الحلبي (٥/ ٥٣٣) .

(5) ينظر : أنوار التنزيل (١/ ٣٧١) ، والبحر المحيط (٤/ ٤٣٧) ، وفتح القدير (٢/ ٣٩٢) ، وفتح البيان (٥/٩٦) ، والعذب النمير (٤/ ١٧٤٨ – ١٧٤٩) .

(6) ينظر : تفسير مقاتل (٢/ ٧٩) ، والوجيز (١/ ٤٢٥) ، وتيسير الكريم الرحمن (٢/ ١٧٨) .

(7) ينظر : الكشاف (٢/ ٥٤٠) .

(8) ينظر : البحر المحيط لأبي حيان (٤/ ٤٣٧) .

والأحمر.

وقوله تعالى ﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكۡرَ ﴾ [يس : ١١] وهو منذر للأسود والأحمر .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم ﴾ [فاطر : ١٨] وهومنذر للأسود والأحمر .

فخصّوا في هذه الآية بالنذارة والبشارة ؛ لأنهم هم المنتفعون بها ؛ لأن غير المنتفع بها هي في شأنه كلا شيء[١] .

وأما القول الثاني بأن قوله تعالى : ﴿ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾ يتعلّق بـــ بشير وحدها ، وأن متعلّق النذارة محذوف ، فعليه ابن كثير، والسيوطي، والمراغي[٢] . وهو مفهوم كلام البغوي[٣]. وجوّزه الزمخشري، والبيضاوي[٤] .

وذكره أبوحيان ، والشوكاني ، والقنوجي بصيغة (قيل)[٥] .

واستدلوا على جواز حذف متعلّق النذارة بإثبات مقابله ، والتقدير : نذير للكافرين وبشير لقوم يؤمنون ؛ كما حذفت المعطوف في قوله : ﴿ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ ﴾ [النحل :٨١] أي : والبرد[٦] .

ويؤيده قوله تعالى : ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلۡمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوۡمٗا لُّدّٗا ﴿٩٧﴾ ﴾[٧] [مريم] .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن كلا القولين جائز ، ولذا احتمل الوجهين ابن عطية و لم يرجّح بينهما، وتبعه الثعالبي[٨] . وجوّزهما القاسمي[١].

---

(1) ينظر : العذب النمير للشنقيطي (٤/ ١٧٤٨ – ١٧٤٩) .

(2) ينظر : تفسير القرآن العظيم (٦/ ٤٧٩) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٣/ ١٥٨) ، وتفسير المراغي (١٣٧/٩) .

(3) ينظر : معالم التنزيل (٢/ ١٧٩) .

(4) ينظر : الكشاف (٢/ ٥٤٠) ، وأنوار التنزيل (١/ ٣٧١) .

(5) ينظر : البحر المحيط (٤/ ٤٣٧) ، وفتح القدير (٢/ ٣٩٢) ، وفتح البيان (٥/ ٩٦) .

(6) ينظر : البحر المحيط (٤/ ٤٣٧) ، والدر المصون (٥/ ٥٣٣) .

(7) ينظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦/ ٤٧٩) ، والعذب النمير للشنقيطي (٤/ ١٧٤٧) .

(8) ينظر : المحرر الوجيز (٦/ ١٧١) ، والجواهر الحسان (١/ ٥٩٣) . وذكرهما النسفي والبقاعي وأبوالسعود

ويرى الطاهر بن عاشور صحة القولين و قَصْدَ المعنيين ، وأن هذا من إعجازه فيقول : « وإنما قَدّم وصف النذير على وصف البشير هنا ؛ لأن المقام خطاب المكذبين والمشركين ، فالنذارة أعلق بهم من البشارة . وقوله : ﴿ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ يتنازعُ تعلُّقَه كلٌ من نذير وبش ؛ لأن الانتفاع بالأمرين يختص بالذين تهيؤا إلى الإيمان بأن يتأملوا في الآيات وينهوا من أنفسهم ويقولوا الحق على آبائهم ، دون الذين جعلوا دَيْدَنهم التكذيبَ والإعراضَ والمكابرة ، فالمضارع مراد به الحال والاستقبال كما هو شأنه ؛ ليشمل مَنْ تهيأ للإيمان حالاً ومآلاً ، وأما شموله لمن آمنوا فيما مضى فهو بدلالة فحوى الخطاب ؛ إذ هم أولى ، وهذا على حدّ قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ ﴾ [النازعات] . وفي نظم الكلام على هذا الأسلوب من التنازع ، وإيلاء وصف (البشير) بقوم يؤمنون ، إيهام أن البشارة خاصة بالمؤمنين ، وأن متعلّق النذارة المتروك ذكره في النظم هو لأضداد المؤمنين ، أي المشركين ، وهذا المعنى مقصود على نحو قوله تعالى : ﴿ لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ ﴾ [٢][الأحقاف] وهذه المعاني المستتبعات مقصود من القرآن ، وهي من وجوه إعجازه ؛ لأن فيها استفادة معانٍ وافرة من ألفاظ وجيزة »[٣] .

فإذا كان ذلك كذلك فإن لكل قول دليلاً من القرآن يدل عليه ، إلاّ أن الأقرب للظاهر أنه جلّ وعلا في هذه الآية ﴿ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ خصَّ النذارة والبشارة بالمؤمنين دون غيرهم ؛ لأنهم هم المنتفعون بها . ويؤيده عدم الحاجة إلى تقدير محذوف[٤] ؛ لدلالة القرآن على ذلك في آيٍ كثيرة ، والله تعالى أعلم .

والآلوسي بالتساوي دون ترجيح . ينظر : مدارك التنزيل (٢/ ٨٩) ، ونظم الدرر (٨/ ١٨٨) ، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٣٣٠) ، وروح المعاني (٩/ ١٣٧) .

(1) ينظر : محاسن التاويل (٧/ ٢٩١٩) .

(2) (لتنذر) بالمثناة الفوقية خطاب للرسول ﷺ فيحصل وصفه بأنه منذر ، وهي قراءة نافع ، وابن عامر ، والبزّي عن ابن كثير . وقراءة الجمهور بالمثناة التحتية على أنه خبر عن الكتاب . ينظر : التحرير والتنوير (٢٦ / ٢٦).

(3) التحرير والتنوير (٩/ ٢٠٩) .

(4) ينظر : قواعد الترجيح (٢/ ٤٢١) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ ﴾

في هذه الآية الكريمة ثلاثة مسائل :

المسألة الأولى هي :

٣٧- من المقصود بقوله تعالى : ﴿ مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ ؟

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « ﴿ مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ يعني : آدم . ﴿ زَوْجَهَا ﴾ يعني: حواء . وقيل : ﴿ مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ هو قُصَيٌّ بن كلاب وزوجته . و ﴿ جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ ﴾ أي : سموا[1] أولادهما عبد العزى و عبد الدار وعبد مناف . وهذا القول بعيد ؛ لوجهين : أحدهما : أن الخطاب على هذا خاص بذرية قُصَيّ من قريش ، والظاهر أن الخطاب عام لبني آدم . والآخر : أن قوله ﴿ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ فإن هذا يصّح في حواء ؛ لأنها خلقت من ضلع آدم ، ولا يصح في زوجة قُصَيّ »[2] .

العرض والمناقشة :

رجّح ابن جُزَيّ أن آدم عليه السلام وزوجه حواء هما المقصودان والمعنيان في قوله تعالى: ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ . ووافق في هذا ما رُوِيَ عن ابن عباس[3] ، ومجاهد[4] ، وقتادة[5] ، والسدّي[6] ، والضحاك[7] ،

---

(1) كذا في المطبوع . والصواب : سَمَّيَا كما في أكثر النسخ الخطية ، وفي واحدة منها فقط وافقت المطبوع .

(2) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٥٧) .

(3) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦٣١) رقم (٨٦٣٦) من طريق خصيف ، عن سعيد بن جبير ، عنه . في قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا ﴾ قال : فلما تغشاها آدم حملت .

(4) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠/ ٦١٧) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦٣٠) رقم (٨٦٣٤) .

(5) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠ /٦١٧) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦٣١) رقم (٨٦٣٥) .

(6) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦٣٠) عقب الأثر (٨٦٣٤) .

(7) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦٣٠) رقم (٨٦٣٢) من طريق جويبر ، عنه .

وأبي مالك[1] .

وذهب إليه جمهور المفسّرين ومنهم : مقاتل، والطبري، والزجاج، والنحاس، والسمرقندي، وابن أبي زمنين، والواحدي، والسمعاني، والبغوي، والزمخشري، وابن عطية، ومحمود النيسابوري، وابن الجوزي، والرازي، والقرطبي، والبيضاوي، والنسفي، والخازن، والقمي، وأبوحيان، وابن كثير، والثعالبي، والبقاعي، والسيوطي، وأبوالسعود، والشوكاني، والآلوسي، والقنوجي، والقاسمي، والسعدي، والشنقيطي[2] .

ودليله قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ﴾[الحجرات : ١٣] .

وقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗ ﴾ [النساء : ١] .

وقوله تعالى : ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ ثُمَّ جَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا ﴾.[3] [الزمر : ٦] .

ووجه دلالة هذه الآيات على أن المراد آدم وحواء في غاية الظهور .

---

(1) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦٣٠) عقب الأثر (٨٦٣١) .

(2) ينظر : تفسير مقاتل (٢/ ٧٩) ، وجامع البيان (١٠ / ٦١٧) ، ومعاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٩٤) ، ومعاني القرآن الكريم (٣/ ١١٣) ، و بحر العلوم (١/ ٥٨٨) ، وتفسير القرآن العزيز (٢/ ١٥٨) ، والوجيز (٤٢٥/١) والوسيط (٢/ ٤٣٤) ، وتفسير القرآن (٢/ ٢٣٨) ، ومعالم التنزيل (٢/ ١٧٩) ، والكشاف (٢/ ٥٤٠) ، والمحرر الوجيز (٦/ ١٧١) ــ ونسبه إلى جمهور المفسّرين ــ ، وإيجاز البيان (٢٨٥/١) ــ وفيه فسّر النفس الواحدة بآدم ، وفسّر (من زوجها) : من كل نفس زوجها على طريق الجنس ــ ، وزاد المسير (٣/ ٣٠٠ – ٣٠١) ، ومفاتيح الغيب (٥/ ٤٢٩) ــ وقال عنه بأنه المشهور ــ ، والجامع لأحكام القرآن (٩/ ٤٠٨) ــ ونسبه لجمهور المفسّرين ــ ، وأنوار التنزيل (١/ ٣٧١) ، ومدارك التنزيل (٢/ ٨٩)، ولباب التأويل (٢/ ١٥٥) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ٣٥٩) ، والبحر المحيط (٤/ ٤٣٨) ــ وعزاه للجمهور ــ ، وتفسير القرآن العظيم (٦/ ٤٧٩) ، والجواهر الحسان (١/ ٥٩٣) ، ونظم الدرر (١٨٩/٨) ، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٣٣٠) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ١٥٨/٣) ، وروح المعاني (٩/ ١٣٧) ــ وقال : على ما نصَّ عليه الجمهور ــ ، وفتح القدير (٢/ ٣٩٢) ــ ونسبه لجمهور المفسّرين ــ ، وفتح البيان (٥/ ٩٧) ، ومحاسن التأويل (٧/ ٢٩١٩) ، وتيسير الكريم الرحمن (٢/ ١٧٩)، وأضواء البيان (٢/ ٣٤٠) والعذب النمير (٤/ ١٧٤٩) .

(3) ينظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦/ ٤٧٩) ، والمصدر الأخير .

وأما القول الثاني في معنى قوله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ بأنه قُصَيّ بن كلاب وزوجته ، فذكره الزمخشري وقال عنه : « وهذا تفسير حسن لا إشكال فيه »[1] . وقال : « الخطاب لقريش الذين كانوا في عهد رسول الله ﷺ ، وهم آل قصي، ألا ترى إلى قوله في قصة أم مَعْبدٍ :

فَيَا لَقُصيّ ما زَوَى الله عنكم به من فَخَارٍ لا يُبَارى و سُؤْدَدِ »[2] .

وذكره الرازي أيضًا على أنه وجه صحيح سليم خالٍ من الإشكال !![3]

وذكره أبوحيان بصيغة (قيل)[4].

واستبعده ابن جُزَيّ؛ لوجهين :

الأول : لبعده عن ظاهر القرآن ، فإن الخطاب عام لبني آدم وليس خاصًا بذرية قصي من قريش .

والثاني : لأن التي خلقت من زوجها وجعلت منه هي حواء .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن القول الصحيح هو أن المراد بالنفس الواحدة آدم عليه السلام، و أن المراد بـــزوجها حواء . ويؤيده أنه ظاهر القرآن ، ولا يجوز العدول عن ظاهره إلاّ بدليل[5] . كما يتأيد بأنه قول السلف[6] ، وجمهور المفسّرين[7] ، وهذا ما رجّحه ابن جُزَيّ، والله تعالى أعلم .

---

(1) الكشاف (٢/ ٥٤١) .

(2) البيت للفرزدق . ينظر : ديوانه (١/ ١٧٣) ، والدر المصون (١/ ٢٣١).

(3) ينظر : مفاتيح الغيب (٥/ ٤٢٨) .

(4) ينظر : البحر المحيط (٤/ ٤٣٩) .

(5) ينظر : قواعد الترجيح (١/ ١٣٧) .

(6) ينظر : المصدر السابق (١/ ٢٧١) .

(7) ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ٩) .

المسألة الثانية :

٣٨- الخلاف في معنى الحمل الخَفيف .

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « أي : خَفَّ عليها و لم تَلْقَ منه ما يَلْقى بعض الحوامل من حملهن من الأذى والكرب . وقيل : الحمل الخفيف المنيُّ في فرجها »[1] .

العرض والمناقشة :

رجّح ابن جُزَيّ أن قوله تعالى :﴿ **حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا** ﴾ معناه : خَفَّ عليها حملها و لم تَلْقَ منه من الأذى والكرب ما يلقاه بعض الحوامل من حملهن . وعلى هذا المعنى مقاتل، والنحاس، والزمخشري، والنسفي، وأبوحيان[2] . وكأن السيد رشيد رضا يميل إليه[3]، وكذا المراغي[4] . وجوّزه الآلوسي[5] .

وذكره القمّي ، والشوكاني بصيغة (قيل)[6] .

قال الزمخشري : « وقد تسمع بعضهن تقول في ولدها : ما كان أخفّه على كبدي حين حملته »[7].

ويؤيده قوله تعالى :﴿ **فَمَرَّتْ بِهِۦ** ﴾ على تفسير مَرَّتْ بـــ استمرت بذلك الحمل تقوم وتقعد وتمضي في حوائجها ، لا تجد به ثقلاً ولا مشقة ولا كلفة[8] .

وردّ هذا القول أبوالسعود بقوله تعالى : ﴿ **فَلَمَّآ أَثْقَلَت** ﴾ إذ معناه : فلما صارت ذات ثقل لكبر الولد في بطنها ، ولا ريب في أن الثقل بهذا المعنى ليس مقابلا للخفة بالمعنى المذكور، إنما يقابلها الكرب الذي يعتري بعضهن من أول الحمل إلى آخره دون بعض

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٥٧) .

(2) ينظر : تفسير مقاتل (٢/ ٧٩) ، ومعاني القرآن الكريم (٣/ ١١٣) ، والكشاف (٢/ ٥٤١) ، ومدارك التنزيل (٢/٩٠ – ٩١) ، والبحر المحيط (٤/ ٤٣٩) .

(3) ينظر : تفسير القرآن الحكيم (٩/ ٤٥١) .

(4) ينظر : تفسير المراغي (٩/ ١٣٩) .

(5) ينظر : روح المعاني (٩ / ١٣٨) .

(6) ينظر : غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ٣٦٠) ، و فتح القدير (٢/ ٣٩٢) .

(7) الكشاف (٢/ ٥٤١) .

(8) ينظر : فتح البيان للقنّوجي (٥/ ٩٧) .

أصلاً [1] .

وأما القول الثاني بأن المراد بالحمل الخفيف هو المنيُّ في فرجها ، فهو معنى ما رُوِيَ عن السدّي قال : « هي النطفة »[2] .

وذهب إليه أكثر المفسّرين ومنهم : الفراء، والطبري، والزجاج، والسمرقندي، والواحدي، والسمعاني، والبغوي، وابن عطية، ومحمود النيسابوري، وابن الجوزي، والرازي، والخازن، والقمي، وابن التركماني، وابن كثير، والثعالبي، والبقاعي، والسيوطي، وأبوالسعود، والشوكاني، والآلوسي، والقنوجي ، والقاسمي، والسعدي، والطاهر بن عاشور، والشنقيطي[3] .

وذكره الزمخشري بصيغة (قيل)[4] .

قال الطبري : « يعني بخفّة الحمل الماءَ الذي حملتْه حواءُ في رحمها من آدم ، أنه كان حملاً خفيفًا، وكذلك هو حملُ المرأةِ ماءَ الرجل ؛ خفيف عليها »[5] .

وقال الشنقيطي : « العادة في أول الحمل أن يكون نطفة فعلقة فمضغة ، يكون خفيفًا كأنها ليس في بطنها شيء تذهب وتجيء ولا تجد ثقلاً له إلى حوالي خمسة أشهر »[6] .

ودل عليه قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّآ أَثۡقَلَت ﴾ فإن معناه : فلما صارت ذات ثقل لكبر الولد

---

(1) ينظر : إرشاد العقل السليم (٢/ ٣٣١) .

(2) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠/ ٦١٨) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦٣١) رقم (٨٦٤٠) من طريق أسباط ، عنه .

(3) ينظر : معاني القرآن (١/ ٤٠٠) ، وجامع البيان (١٠/ ٦١٨) ، ومعاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٩٥) ، وبحر العلوم (١/ ٥٨٨) ، والوجيز (١/ ٤٢٥) والوسيط (٢/ ٤٣٤) ، وتفسير القرآن (٢/ ٢٣٨) ، ومعالم التنزيل (١٧٩/٢) ، والمحرر الوجيز (٦/ ١٧١) ، وإيجاز البيان (١/ ٢٨٥) ، وزاد المسير (٣/ ٣٠١) ، ومفاتيح الغيب (٥/ ٤٣٠) ، ولباب التأويل (٢/ ١٥٥) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ٣٦٠) ، وبهجة الأريب (١/ ٢٣٢)، و تفسير القرآن العظيم (٦/ ٤٧٩) ، والجواهر الحسان (١/ ٥٩٣) ، ونظم الدرر (٨/ ١٩٠) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٣/ ١٥٩) ، وإرشاد العقل السليم (٣٣١/٢) ، وفتح القدير (٢/ ٣٩٢) ، وروح المعاني (٩/ ١٣٨) ، وفتح البيان (٥/ ٩٧) ، ومحاسن التأويل (٢٩٢٠/٧) ، وتيسير الكريم الرحمن (١٧٩/٢) ، والتحرير والتنوير (٢١٢/٩) ، والعذب النمير (١٧٧٠/٤) .

(4) ينظر : الكشاف (٢/ ٥٤١) .

(5) جامع البيان (١٠ / ٦١٨) .

(6) العذب النمير (٤/ ١٧٧٠) .

في بطنها . قاله أبو السعود[1] .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن أَوْلَى القولين بالصواب من ذلك هو قول من قال : إن الحمل الخفيف هو ما كان في مباديء الأمر ؛ فإنه عند كونه نطفة أو علقة أو مضغة أخفّ عليها بالنسبة إلى ما بعد ذلك من المراتب[2] ، ولذلك قال بعده : ﴿ فَلَمَّآ أَثْقَلَت ﴾ . أي : فلما ثقل حملُها ؛ لأنه كان في أول الأمر خفيفًا ، وليس المعنى أنها لم تلْقَ منه أذىً ولا كربًا . وهذا هو معنى قول السدّي ، واختيار جمهور المفسّرين[3] .

وعليه فإن ما رجّحه ابن جُزَيّ يعدّ مرجوحًا، والله أعلم .

---

(1) إرشاد العقل السليم (٢/ ٣٣١) . وينظر : فتح القدير للشوكاني (٢/ ٣٩٢) ، وفتح البيان للقنوجي (٩٨/٥).

(2) ينظر : إرشاد العقل السليم (٢/ ٣٣١) .

(3) ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل لابن جُزَيّ (٩/١) .

المسألة الثالثة هي :

٣٩- الخلاف في تفسير قوله تعالى : ﴿ جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ﴾ .

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « أي : لما آتاهما ــ آدم وحواء ــ ولدًا صالحـــًا كما طلبا : جعل أولادُهما له شركاء . فالكلام على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه . وكذلك ﴿ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ﴾ أي : فيما آتى أولادهما وذريتهما . وقيل : إن حواء لما حملت جاءها إبليس وقال لها : إن أطعتيني وسميت[1] ما في بطنك عبد الحارث ، فأُخَلِّصُه لك ، وكان اسم إبليس الحارثَ ، وإن عصيتيني في ذلك قتلتُه ، فأخبرت بذلك آدم ، فقال لها : إنه عدوّنا الذي أخرجنا من الجنة ، فلما ولدت مات الولد ثم حملت مرة أخرى فقال لها إبليس مثل ذلك ، فعصته فمات الولد ثم حملت مرة ثالثة فسمياه عبد الحارث طمعًا في حياته . فقوله : ﴿ جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ﴾ أي : في التسمية لا غير ، لا في عبادة غير الله . والقول الأول أصح لثلاثة أوجه :

أحدها : أنه يقتضي براءة آدم وزوجه من قليل الشرك وكثيره ، وذلك هو حال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

والثاني : أنه يدل على أن الذين أشركوا هم أولاد آدم وذريته ؛ لقوله تعالى : ﴿ فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ بضمير الجمع .

والثالث : أن ما ذكروا من قصة آدم وتسميته الولد عبد الحارث يفتقر إلى نقل بسندٍ صحيح، وهو غير موجود في تلك القصة .

وقيل : ﴿ مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ هو قصيّ بن كلاب وزوجته و ﴿ جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ ﴾ أي: سموا أولادهما عبد العزى وعبد الدار وعبد مناف . وهذا القول بعيد لوجهين :

أحدهما : أن الخطاب على هذا خاص بذرية قُصيّ من قريش ، والظاهر أن الخطاب عام لبني آدم . والآخر : أن قوله ﴿ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ ، فإن هذا يصح في حواء ؛ لأنها خلقت من ضلع آدم ، ولا يصح في زوجة قصي »[2] .

---

(1) كذا في المطبوع . والصواب : وسميتِ ، بإثبات الياء .

(2) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٥٧) .

العرض والمناقشة :

رجّح ابن جُزَيّ أن الشرك إنما وقع في أولاد آدم وذريته ، وأنه لم يقع من آدم وحواء شِرْكٌ . ووافق في هذا ما رُوِيَ عن الحسن أنه قال : إنما عنى به ذرية آدم مَنْ أشرك منهم بعده[1].

ونُسب هذا القول إلى عكرمة[2] ، وقتادة[3] ، وابن الأنباري[4] .

وإليه ذهب النحاس[5] . وعليه الزمخشري، وابن العربي، والقرطبي، وابن كثير، والبيضاوي، والبقاعي، وأبوالسعود، والآلوسي، والسيد محمد رشيد رضا، والمراغي، والسعدي، والطاهر بن عاشور، والشنقيطي[6] .

---

(1) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ٢٤٥) ، والطبري في جامع البيان (١٠/ ٦٢٩) من طريق معمر ، عنه . وصحح إسناده ابن كثير . وأخرج الطبري (١٠/ ٦٢٩) من طريق عمرو ، عنه قال : كان هذا في بعض أهل الملل ، و لم يكن بآدم .

(2) نسبه إليه النحاس في معاني القرآن الكريم (٣/ ١١٦) ، والسمعاني في تفسير القرآن (٢/ ٢٤٠) ، والبغوي في معالم التنزيل (٢/ ١٨٢) ، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٤١١/٩) .

(3) نسبه إليه الجصاص في أحكام القرآن (٤/ ٢١٢) ، والماوردي في النكت والعيون (٢/ ٢٨٧) ، وابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٣٠٣) .

(4) نسبه إليه ابن الجوزي كما في زاد المسير (٣/ ٣٠٤) .

(5) ينظر : معاني القرآن الكريم (٣/ ١١٦) . قال النحاس : والتقدير على هذا : الجنس كلّه ، أي : خلق كلّ واحد منكم من نفس واحدة ﴿ وَجَعَلَ مِنْهَا ﴾ أي : من جنسها ﴿ زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّاهَا ﴾ على الجنس كله ، وكذا ﴿ دَّعَوَا ﴾ يراد به الجنسان الكافران ثم حُمِلَ ﴿ فَتَعَالَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ على معنى الجميع . فهذا أَولى ـــ والله أعلم ـــ من أن ينسب إلى الأنبياء عليهم السلام مثلُ هذا . وينظر : إعراب القرآن له (٢/ ٥٤١) .

(6) ينظر : الكشاف (٢/ ٥٤١) ، وأحكام القرآن (٢/ ٨٠٩) ، والجامع لأحكام القرآن (٤١١/٩) ، وتفسير القرآن العظيم (٦/ ٤٨١ – ٤٨٥) ـــ وقال : وأما نحن فعلى مذهب الحسن البصري رحمه الله في هذا ، وأنه ليس المراد من هذا السياق آدم وحواء ، وإنما المراد من ذلك المشركون من ذريته ـــ ، وأنوار التنزيل (٣٧٢/١)، ونظم الدرر (٨/ ١٩١) ، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٣٣١) ، وروح المعاني (٩/ ١٣٩) ، وتفسير القرآن الحكيم (٩/ ٤٥٢ ، ٤٥٣) ـــ واختار أنه الجنس لا فردين معينين ـــ ، وتفسير المراغي (٩/ ١٣٨) ـــ متابعًا لأستاذه وشيخه ـــ ، وتيسير الكريم الرحمن (٢/ ١٧٩) ، والتحرير والتنوير (٩/ ٢١٣) ، وأضواء البيان (٢/ ٣٤١) والعذب النمير (٤/ ١٧٧٣) .

وهو مفهوم كلام الرازي، والقمي[1] . ومال إليه السمين[2] .

واستحسنه السمعاني[3] ، والبغوي[4] ولم يرجِّحاه .

وذكره الزجاج ، وابن الجوزي بصيغة (قيل)[5] .

قالوا : في الآية ــ على هذا القول ــ انتقال من النوع إلى الجنس ، فإن أول الكلام في آدم وحواء ثم انتقل الكلام في الجنس[6] .

قال ابن العربي : « والقول الأشبه بالحق أن المراد بهذا جنس الآدميين . وهذا أقرب للصدق وهو ظاهر الآية وعمومها الذي يشمل جميع متناولاتها ويسلم فيها الأنبياء عن النقص الذي لا يليق بجهال البشر ، فكيف بساداتهم وأنبيائهم ! »[7] .

واستُدِلَّ لهذا القول بأنه حذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه ، وهو استعمال عربي معروف ، فحذف الأولاد وأقام آدم وحواء مقامهم وهذا كثير في القرآن ومنه :

ــ قوله تعالى لبني إسرائيل في زمن النبي ﷺ : ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴾[البقرة : ٥٧] .

ــ وقوله لهم أيضًا : ﴿ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ ﴾[البقرة : ٦٣] .

ــ وقوله لهم أيضًا : ﴿ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ ﴾[البقرة : ٩٢] .

ــ وقوله لهم أيضًا : ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا ﴾[البقرة : ٧٢] .

فالخطاب في هذه الآيات لليهود الذين كانوا في عهد النبي ﷺ، وكان الفعل من

---

(1) ينظر : مفاتيح الغيب (٥/ ٤٢٨) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ٣٥٩ – ٣٦٠) متابعًا للرازي .

(2) ينظر : الدر المصون (٥/ ٥٣٥) .

(3) ينظر : تفسير القرآن (٢/ ٢٤٠) .

(4) ينظر : معالم التنزيل (١٨٢/٢) قال : وهذا قول حسن لولا قول السلف مثل عبد الله بن عباس ــ رضي الله عنهما ــ ومجاهد وسعيد بن المسيب وجماعة المفسرين أنه في آدم وحواء .

(5) ينظر : معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٩٥) ، وتذكرة الأريب (١/ ١٩٥) .

(6) ينظر : معاني القرآن الكريم للنحاس (٣/ ١١٦) ، وأحكام القرآن لابن العربي (٢/ ٨٠٩) ، وتيسير الكريم الرحمن (٢/ ١٧٩) .

(7) أحكام القرآن (٢/ ٨٠٩) .

آبائهم[1] .

قال الشنقيطي : « أسند فعل الذرية إلى آدم وحواء ؛ لأنهما أصل لذريتهما كما قال : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ﴾ [الأعراف : ١١] أي : بتصويرنا لأبيكم آدم ؛ لأنه أصلهم بدليل قوله بعده : ﴿ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ ﴾ [الأعراف : ١١] .

والدليل من القرآن على أنه أطلق آدم وحواء وأراد ذريتهما أنه قال بعده :﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ ثم قال : ﴿ أَيُشْرِكُونَ ﴾ ــ بصيغة الجمع ــ ﴿ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ ﴾[الأعراف] ثم ذكر علامات الأصنام التي يُشرك بها أولادهم كما هو واضح . وهذا نصٌّ قرآني صريح في أن المراد المشركون من بني آدم ، لا آدم وحواء »[2] .

كما استدل ابن جُزَيّ على صحة هذا القول ببطلان القصة المذكورة في تسمية ولديهما عبد الحارث ؛ لافتقارها إلى نقلٍ بسندٍ صحيح .

وأما القول الثاني في قوله تعالى : ﴿ جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ﴾ = وهو أن المعنى المراد : أن آدم وحواء أشركا في التسمية فقط ، ولم يشركا في عبادة غير الله . فمعنى قوله : ﴿ جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ ﴾ أي : بتسميته عبد الحارث ، والحارث من أسماء الشيطان ، فسمّياه عبد الحارث طمعًا في حياته . فالشرك الواقع منهما إنما هو في التسمية وليس في العبادة = فهو قولٌ رُوِيَ عن ابن عباس[3] ، وأبي بن كعب[4] ، وسمرة بن جندب[5] ، ومجاهد[6] ، وسعيد بن جبير[7] ،

---

(1) ينظر : معالم التنزيل للبغوي (٢/ ١٨٢) ، والعذب النمير للشنقيطي (٤/ ١٧٧٣) .

(2) أضواء البيان (٢/ ٣٤١) ، والعذب النمير (٤/ ١٧٧٣) بتصرف يسير .

(3) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٠/ ٦٢٤) وفي تاريخه (١/ ١٤٨ ، ١٤٩) من طريق ابن إسحاق، عن داود بن الحصين ، عن عكرمة ، عنه . وأخرجه أيضًا في جامع البيان (١٠/ ٦٢٤) من طريق عطية العوفي ، عنه . وأخرجه أيضًا في جامع البيان (١٠/ ٦٢٤) من طريق ابن جريج ، عنه . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦٣٤) رقم (٨٦٥٤) من طريق شريك ، عن خصيف ، عن سعيد ، عنه .

(4) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٣٣/٥) رقم (٨٦٥٣) من طريق قتادة ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، عنه .

(5) أخرجه الطبري في جامع البيان (٦٢٣/١٠، ٦٢٤) من طريق سليمان التيمي ، عن أبي العلاء ابن الشخّير ، عنه.

(6) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠ / ٦٢٦) من طريق ابن أبي نجيح ، عنه .

(7) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠ / ٦٢٦ ، ٦٢٧) من طريق سالم بن أبي حفصة وعبد الملك ، عنه .

وعكرمة[1]، والكلبي[2]، وقتادة[3] ، والسدي[4]، وابن زيد[5] ، وبكر ابن عبد الله المزني[6] . ونسب إلى ابن المسيب[7] .

وعليه مقاتل، والفراء، وابن قتيبة، والطبري، والسمرقندي، وابن أبي زمنين، والواحدي، والسمعاني، والبغوي، وابن عطية، وابن الجوزي، والخازن، والسيوطي، والشوكاني، والآلوسي، والقنوجي[8] .

وذكره البيضاوي بصيغة (قيل)[9] .

واستدلوا له بما روى الحسن ، عن سُمرة بن جندب ، عن النبي ﷺ قال : (كانت حواءُ لا يعيش لها ولد ، فنذرت لئن عاش لها ولد لتسمّينه عبد الحارث ، فعاش لها ولد ،

---

(1) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠/ ٦٢٥) من طريق هارون ، عن الزبير بن الخرّيت ، عنه .

(2) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ٢٤٥) عن معمر ، عن الكلبي وقتادة .

(3) أخرجه عبد الرزاق كما مرّ ، والطبري في جامع البيان (١٠ / ٦٢٥) من طريق معمر ، عن قتادة وحده .

(4) أخرجه الطبري في جامع اليان (١٠/ ٦٢٧) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦٣٤) رقم (٨٦٥٧) من طريق أسباط ، عنه .

(5) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠ / ٦٣٢) من طريق ابن وهب ، عنه . و أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/١٦٣٥) رقم (٨٦٦٤) من طريق أصبغ ، عنه .

(6) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦٣٤) رقم (٨٦٥٨) من طريق معتمر بن سليمان ، عن أبيه ، عنه .

(7) نسبه إليه البغوي في معالم التنزيل (٢/ ١٨٢) .

(8) ينظر : تفسير مقاتل (٢/ ٨٠) ، ومعاني القرآن (١/ ٤٠٠) ، وتأويل مشكل القرآن (٢٥٨ – ٢٥٩) ــ ونسب ذلك إلى المفسّرين ــ ، وجامع البيان (١٠ / ٦٢٩) ، وبحر العلوم (١/ ٥٨٨) ــ وذهب السمرقندي ، عفا الله عنه ، إلى أبعد من نسبة آدم وحواء إلى الشرك في الاسم !! فقال في آخر تفسير الآية بعد أن قرر أن معنى ﴿شُرَكَآءَ﴾ أي : في التسمية ، قال : فضرب الله تعالى بهذا مثلا للكفار ، يعني : كما أن آدم وحواء أعطاهما ورزقهما فأشركوا في عبادته . ا . هـــ . ولم يقع من آدم وحواء شرك في عبادته تعالى بالإجماع ــ ، وتفسير ابن أبي زمنين (٢/ ١٥٨) ، والوجيز (١/ ٤٢٥ – ٤٢٦) والوسيط (٢/ ٤٣٥) ، وتفسير القرآن (٢/٢٣٩) ، ومعالم التنزيل (٢/ ١٨١) ، والمحرر الوجيز (٦/ ١٧٣) ، وتذكرة الأريب (١/١٩٥) ، ولباب التاويل (٢/ ١٥٦) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٣/ ١٥٩) ، وفتح القدير (٢/ ٣٩٣) ، وروح المعاني (٩/ ١٤٢) ، وفتح البيان (٥/ ٩٩) . وقصره القنوجي على حواء فقط ونفاه عن آدم عليه السلام وقال : قد يسند فعل الواحد إلى اثنين بل إلى جماعة وهو شائع في كلام العرب ، وفي الكتاب العزيز من ذلك الكثير الطيب .

(9) ينظر : أنوار التنزيل (١/ ٣٧٢) وقال : وأمثال ذلك لا تليق بالأنبياء .

فسمّته عبد الحارث ، وإنما كان ذلك عن وَحْي الشيطان)[1] .

وأجيب عن هذا الحديث بأنه معلول من ثلاثة أوجه ـــ كما قاله ابن كثير[2] ـــ :

الأول : أن في إسناده عمر بن إبراهيم البصري ، وثّقه ابن معين لكن قال أبو حاتم الرازي : لا يحتج به .

الثاني : أنه قد رُوِيَ من قول سمرة نفسه ، وليس مرفوعًا .

الثالث : أن الحسن نفسه فسّر الآية بغير هذا ، فلو كان هذا عنده عن سُمرة مرفوعًا لما عدل عنه . فرَوى عنه ابن جرير الطبري بأسانيد صحيحة أنه قال : «كان هذا في بعض أهل الملل ، و لم يكن بآدم» . رواه عنه عمرو .

وقال : «عنى بها ذرية آدم ، ومن أشرك منهم بعده» . رواه عنه معمر .

وقال : «هم اليهود والنصارى ، رزقهم الله أولادًا فهوّدوا ونصّروا» . رواه عنه قتادة .

قال ابن كثير : « وهو من أحسن التفاسير ، وأَولى ما حملت عليه الآية ، ولو كان هذا الحديث عنده محفوظًا عن رسول الله ﷺ لما عدل عنه هو ولا غيره لا سيما مع تقواه لله وورعه . فهذا يدلك على أنه موقوف على الصحابي ، ويحتمل أنه تلقاه من بعض أهل الكتاب من آمن منهم ، مثل كعب أو وهب بن منبه وغيرهما ، وأما الآثار فيظهر عليها أنها من آثار أهل الكتاب ». ا هـ .

واستدل الطبري لهذا القول بإجماع الحجّة من أهل التأويل على ذلك[3] .

ومقصوده بذلك الأكثر ؛ لأنه رَوى عن الحسن خلاف ذلك .

كما استدلوا على أن تسمية آدم وحواء ولديهما عبد الحارث ليس بشرك في العبادة وإنما هو شرك في الاسم ، بإطلاق اسم العبد على من لا يراد به أنه مملوك كما قال الشاعر :

---

(1) أخرجه أحمد في مسنده (٥/ ١١) ، والترمذي في سننه (٣٠٧٧) في تفسير سورة الأعراف ، وابن جرير الطبري في جامع البيان (١٠ / ٦٢٣) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦٣١) رقم (٨٦٣٧). (٦٨٩٥/٧) ، والحاكم في مستدركه (٢/ ٥٤٥) ، وابن عدي في الكامل (٥/ ١٧٠٠) وغيرهم من طريق عمر بن إبراهيم العَبْدي ، عن قتادة ، عن الحسن به . وعمر بن إبراهيم صدوق ، في حديثه عن قتادة ضعف كما في التقريب لابن حجر (٤١٠). وقال الترمذي : « هذا حديث حسن غريب ، لا نعرفه إلاّ من حديث عمر بن إبراهيم عن قتادة. ورواه بعضهم عن عبد الصمد و لم يرفعه » .

(2) ينظر : تفسير القرآن العظيم (٦/ ٤٨١ – ٤٨٥) .

(3) ينظر : جامع البيان (١٠ / ٦٢٩) .

وإني لعبدُ الضيفِ ما دام ثاويًا ومافيّ إلاّ تلك من شيمة العَبْدِ[1]

قال الخازن : « أخبر عن نفسه أنه عبد الضيف ما أقام عنده مع بقاء الحرية عليه ، وإنما أراد بالعبودية خدمة الضيف والقيام بواجب حقوقه كما يقوم العبد بواجب حقوق سيده »[2].

وقال السمعاني : « كيف يقول: ﴿ جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ ﴾ وآدم كان نبيًّا معصومًا عن الإشراك بالله ؟ قيل : لم يكن هذا إشراكًا في التوحيد ، وإنما ذلك إشراك في الاسم ، وذلك لا يقدح في التوحيد ، وهو مثل تسمية الرجل ولده عبد يغوث وعبد زيد وعبد عمرو ، وقول الرجل لصاحبه : أنا عبدك ، وعلى ذلك قول يوسف ــ صلوات الله عليه ــ :﴿ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَ ﴾[يوسف : ٢٣] ومثل هذا لا يقدح »[3] .

وأجيب عن هذا الجواب بأن آدم عليه السلام كان عَلَمًا في عَلْمِ الأسماء والمسميات ، فعدمُ علمه بإبليس واسمه ، واتباعُه إياه في مثل هذا الشأن الخطير أمرٌ قريبٌ من المحال ، والله تعالى أعلم بحقيقة الحال . قاله أبوالسعود[4] .

كما أُشكِل على هذا القول قولُه تعالى في آخر الآية : ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾.

ويجاب عن هذا الإشكال بأن الخبر عن آدم وحواء قد انقضى عند قوله :﴿ جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ﴾ ثم استؤنف قوله : ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ .

قال السدّي عن آخر هذه الآية : هذه فَصْلٌ من آية آدم ، خاصة في آلهة العرب[5] .

وأما السمعاني فإنه قال : « وأما قوله : ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ ابتداء كلام بعد

---

(1) ينظر : الوسيط للواحدي (٢/ ٤٣٥) ، ولباب التأويل للخازن (٢/ ١٥٦) ، وزاد المسير لابن الجوزي (٣٠٣/٣) ، وفتح القدير للشوكاني (٢/ ٣٩٣) . والبيت للمقنع الكندي وهو في الحماسة (٣/ ١١٨٠) ، والأمالي (١/ ٢٧٧) . ونسبه الشوكاني إلى حاتم الطائي .

(2) لباب التأويل (٢/ ١٥٦) .

(3) تفسير القرآن (٢/ ٢٣٩) . وتابعه البغوي في معالم التنزيل (٢/ ١٨١) . وينظر أيضًا : المصدر السابق .

(4) إرشاد العقل السليم (٢/ ٣٣٣) .

(5) ينظر : جامع البيان للطبري (١٠ / ٦٢٩) . وقول السدّي أخرجه الطبري (١٠ / ٦٣٠) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦٣٥) رقم (٨٦٦١) من طريق أسباط ، عنه . وأخرجه ابن أبي حاتم (٨٦٦٣) من طريق سفيان ، عن السدي ، عن أبي مالك .

الأول ، وأراد به : إشراكَ أهل مكة ، ولئن أراد به الإشراك الذي سبق استقامَ الكلامُ ؛ لأنه كان الأَولى ألاّ يفعل ما أتى به من الإشراك في الإسم ، وكان ذلك زلّةً منه ؛ فلذلك قال : ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ »[1] .

وقال ابن عطية : « ويتّجه أن يقال : تعالى الله عن ذلك اليسير المتوهم من الشرك في عبودية الاسم ...وجاء الضمير في ﴿ يُشۡرِكُونَ ﴾ ضمير جمع ؛ لأن إبليس مُدَبّر معهما تسمية الولد عبد الحارث »[2] .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن أَوْلَى القولين بالصواب في ذلك هو ما رجّحه ابن جُزَيّ ومن وافقه ، وهو قول الحسن البصري ؛ لدلالة القرآن عليه بقوله تعالى : ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ ، ولم يقل : عما يشركان . وهو نص قرآني صريح في أن المراد هم المشركون من بني آدم ، وليس آدم وحواء .

ومما يدل على رجحان هذا القول أن القول الآخر مداره على قصة مذكورة في ضعيف الحديث ، وفي الإسرائيليات التي ليس لها ثبات ولا يُعَوِّل عليها من له قلب ؛ فإن آدم وحواء وإن كانا غرّهما بالله الغرور ، فلا يلدغ المؤمن من جحر مرتين ! وما كانا بعد ذلك ليقبلا لإبليس نصحًا ولا ليسمعا له قولاً .

قال القاسمي : « وقد ذكر المفسّرون ها هنا أحاديث وآثارًا تفهم أن المراد بهذا السياق آدم وحواء . ولا حاجة بنا إلى روايتها ؛ لأنها واهية الإسناد معلولة ، كما بينه الحافظ ابن كثير في تفسيره . و تقبُّلُ ثُلَّة من السلف لها وتلقيها لا يجدي في صحتها شيئًا ؛ إذ أصلها مأخوذ من أقاصيص مُسلمة أهل الكتاب كما برهن عليه ابن كثير . وتهويلُ بعضهم بأنها مقتبسة من مشكاة النبوة ، إذ أخرجها فلان وفلان ، من تنميق الألفاظ لتمزيق المعاني ؛ فإن المشكاة النبوية أجلّ من أن يقتبس منها إلاّ كل ما عرفت جودته »[3] .

وكذا قال الشنقيطي : « والتحقيق أنها لم يثبت في الحقيقة شيء منها والأغلب أن من

---

(1) تفسير القرآن (٢/ ٢٣٩) .

(2) المحرر الوجيز (٦/ ١٧٥) . وينظر : لباب التأويل للخازن (٢/ ١٥٦) .

(3) محاسن التأويل (٧/ ٢٩٢١) .

رويت عنه من الصحابة أخذوها من الإسرائيليين »[1] .

ويتأيد هذا القول بالقاعدة الترجيحية وهي : (القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك)[2] . والقاعدة الأخرى : (القول الذي يعظم مقام النبوة ولا ينسب إليها ما لا يليق بها أَولى بتفسير الآية)[3] .

وترجيح هذا القول فيه تبرئة لآدم وحواء من قليل الشرك وكثيره ، وذلك هو حال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، والله تعالى أعلم .

---

(1) العذب النمير (٤/ ١٧٧٣) .

(2) ينظر : قواعد الترجيح (١/٣١٢) .

(3) ينظر : المصدر السابق (١/٣٢٨) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾

في هذه الآية الكريمة ثلاث مسائل :

المسألة الأولى هي :

٤٠- الخلاف في معنى قوله تعالى : ﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ ﴾.

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « فيه قولان : أحدهما : أن المعنى : خذ من الناس في أخلاقهم وأقوالهم ومعاشرتهم ما تيسر لا ما يشق عليهم ؛ لئلا يَنْفِرُوا . فالعفو على هذا بمعنى السهل و[السمح] [1] عنهم ، وهو ضِدُّ [الجَهْدِ][2] والتكليف ، كقول الشاعر :

خُذي العفو مني تستديمي مودّتي

والآخر : أن المعنى : خذ من الصدقات ما سهل على الناس في أموالهم أو ما فضل لهم وذلك قبل فرض الزكاة . فالعفو على هذا بمعنى السهل أو بمعنى الكثرة »[3] .

العرض والمناقشة :

على قاعدة ابن جُزَيّ في تقديم القول الراجح فإنه يرجّح أن قوله تعالى : ﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ ﴾ معناه : خذ من الناس ما تيسر من أخلاقهم وأقوالهم ومعاشرتهم .

ووافق في هذا ما رُوِيَ عن ابن الزبير[4] ،وابن عمر[5] ، وعائشة[6] ، ومجاهد[7] ،

---

(1) في المطبوع : "الصفح" ، وهو خطأ . والصواب ما أثبته كما في أكثر النسخ الخطية .

(2) في المطبوع : "الجهل" وهو خطأ ، والصواب ما أثبته كما في أكثر النسخ الخطية . كما في أكثرها: "والتكلف".

(3) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٥٨) .

(4) أخرجه البخاري في صحيحه (٤٦٤٣) ، وأبوداود في سننه (٤٧٨٧) ، والطبري في جامع البيان (١٠/٦٤٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦٣٧) رقم (٨٦٧٤) ، والطبراني في الكبير (١٣ / ١٠٧) (٢٥٧) ، والحاكم في مستدركه (١/ ١٢٤) وغيرهم من طريق هشام بن عروة ، عن أبيه وعن وهب بن كيسان، كلاهما عن عبد الله بن الزبير قال : ما نزلت هذه الآية إلاّ في أخلاق الناس . وفي لفظ : أمر الله نبيه ﷺ أن يأخذ العفو من أخلاق الناس . وينظر : الدر المنثور للسيوطي (٣/ ٦٢٨) .

(5) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦٣٧) رقم (٨٦٧٥) من طريق هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن ابن عمر قال : أمر الله نبيه أن يأخذ العفو من أخلاق الناس . وينظر : الدر المنثور للسيوطي (٣/ ٦٢٨) .

(6) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٦٢٩) إلى ابن مردويه . بنحو ما قاله ابن الزبير .

(7) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠ / ٦٣٩ – ٦٤١) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦٣٧) (٨٦٧٧)

وقتادة[1] ، وعروة بن الزبير[2] . ونسب إلى الحسن[3] .

وذهب إليه أبوعبيدة، والطبري، والزجاج، والنحاس، والجصاص، وابن أبي زمنين، ومكي، والواحدي، والزمخشري، وابن عطية، والقرطبي، والنسفي، والخازن، وأبوحيان، وابن القيم، وابن كثير، والثعالبي، والسيوطي، والشوكاني، والآلوسي، والقنوجي، والمراغي، والسعدي، والطاهر بن عاشور، والشنقيطي[4].

قال الطبري : « وأَولى هذه الأقوال بالصواب قول من قال : معناه : خذ العفو من أخلاق الناس واترك الغلظة عليهم . وقال : أُمِرَ بذلك نبي الله ﷺ في المشركين .

واعترض عليه النحاس بمخالفة غيره له ، وذلك أن النبي ﷺ أمر بالأخلاق السهلة اللّيّنة لجميع الناس ، بل هذا للمسلمين أَولى »[5] .

واستدل له النحاس بصحة إسناد رواية ابن الزبير ، وأنه عن صحابي يخبر بنزول الآية ، وإذا جاء الشيء هذا المجيء لم يسع أحدًا مخالفته[6] .

من طرق عنه قال : من أخلاق الناس وأعمالهم بغير تجسيس . وفي لفظ : خُلُقٌ أمرَ اللهُ به نبيه ودلّه عليه . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٦٢٩) نسبته إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر ، وأبي الشيخ .

(1) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٦٢٩) إلى عبد بن حميد ، والطبري .

(2) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ٢٤٥) ، والطبري في جامع البيان (١٠ / ٦٣٩) من طريق هشام بن عروة، عنه . وعلّقه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦٣٨) عقب الأثر (٨٦٧٨) .

(3) ينظر : زاد المسير لابن الجوزي (٣/ ٣٠٧) .

(4) ينظر : مجاز القرآن (١/ ٢٣٦) ، وجامع البيان (١٠ / ٦٤٢) ، ومعاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٩٦) ، والناسخ والمنسوخ (٢/ ٣٦٠) ومعاني القرآن الكريم (٣/ ١١٩) ، وأحكام القرآن (٤/ ٢١٣) ، وتفسير القرآن العزيز (٢/ ١٦٢) ، وتفسير المشكل (١/ ١٧٨) ، والوجيز (١/ ٤٢٧) والوسيط (٢/ ٤٣٧) ، والكشاف (٥٤٤/٢) ، والمحرر الوجيز (٦/ ١٨٥) ـــ ونسبه للجمهور ـــ ، والجامع لأحكام القرآن (٤١٨/٩ – ٤٢١) ، ومدارك التنزيل (٢/ ٩١) ، ولباب التأويل (٢/ ١٥٨) ، والبحر المحيط (٤/ ٤٤٨)، وبدائع التفسير (٣١٩/٢) ، وتفسير القرآن العظيم (٦/ ٤٩٠) ـــ وقال : وهذا أشهر الأقوال ـــ ، والجواهر الحسان (٥٩٧/١) ـــ وقال : وهو قول الجمهور ـــ ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٣/ ١٦٤) ، وفتح القدير (٢/ ٣٩٩) ، وروح المعاني (٩/ ١٤٦) ، وفتح البيان (٥/ ١٠٨) ، وتفسير المراغي (١٤٧/٩) ، وتيسير الكريم الرحمن (٢/ ١٨٢) ، والتحرير والتنوير (٩/ ٢٢٦) ، والعذب النمير (١٧٨٩/٤) .

(5) ينظر : الناسخ والمنسوخ (٢/ ٣٦٢) .

(6) ينظر : المصدر السابق (٢/ ٣٦٠) .

و عُلِّلَ هذا القول بدلالة السياق ؛ لأن الله قال قبله : ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾ ﴾ ثم عقَّبه بقوله ﴿ وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾ ﴾ . فالأَوْلَى أن يكون ما بينهما تأديبًا للنبي ﷺ في عِشرتهم لا أمره بأخذ الصدقة من المسلمين[1] .

والعفو في كلام العرب : ما أتى بغير كُلْفَةٍ[2] . ومنه قول الشاعر[3] :

خذي العفو مني تستديمي مودّتي ولا تنطقي في سَوْرتي حين أغضب

والعفو هنا ما سمحت به النفس من الأخلاق .

ومنه قول حسان يمدح المهاجرين :

خُذْ منهمُ ما أَتَوا عَفْوًا إذا غضبوا ولا يكنْ هَمُّكَ الأمرَ الذي مَنَعُوا[4]

وهذه الآية ــ على هذا القول ــ كقول النبي ﷺ : (يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا)[5].

ويشهد لهذا القول ما رواه جابر قال : لما نزلت هذه الآية ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ قال النبي ﷺ : (يا جبريل ، ما تأويل هذه الآية ؟ قال : حتى أسأل. فصعد ثم نزل فقال : يا محمد ، إن الله يأمرك أن تصفح عمن ظلمك ، وتعطي من حرمك وتصل من قطعك) . فقال النبي ﷺ : (ألا أدلكم على أشرف أخلاق الدنيا والآخرة ؟) . قالوا : وما ذاك يا رسول الله ؟ قال : (تعفو عمن ظلمك ، وتعطي من حرمك ، وتصل من قطعك)[6] .

---

(1) ينظر : جامع البيان للطبري (١٠ / ٦٤٢) .

(2) ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٣٩٦) ، وتفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (٢/ ١٦٢) ، والوسيط للواحدي (٢/ ٤٣٧) .

(3) هو أسماء بن خارجة . وقيل : حاتم الطائي وليس في ديوانه . ينظر : تاريخ دمشق (٩/ ٥٧) ، وعيون الأخبار لابن قتيبة (١١/٣) ، (٤/ ٧٧) وعزاه لأبي الأسود الدؤلي ، والمحرر الوجيز لابن عطية (١٨٥/٦) وعزاه لحاتم الطائي ، وروضة المحبين لابن القيم (٧١) ، وأضواء البيان (١/ ٤٦) ، والعذب النمير (٤/ ٤٣٩ ط بكر أبو زيد) . وهو بلا نسبة في اللسان (٧٥/١٥) مادة : عفا .

(4) ينظر : العذب النمير (٤/ ٤٣٩) ، وديوان حسان (١٥٣) .

(5) ينظر : الكشاف للزمخشري (٢/ ٥٤٤) .

(6) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٦٢٨) لابن مردويه . وأخرجه ابن مردويه أيضًا بنحوه عن قيس بن سعد بن عبادة ، وعن أنس . كما في الدر المنثور للسيوطي (٣/ ٦٢٨) . وأخرجه الطبري في جامع البيان (٦٤٣/١٠)

وأما القول الآخر بأن الآية في الصدقات أي : خذ ما فَضَل وسهل في أموالهم ، وأن ذلك قبل فرض الزكاة ، فهو قول ابن عباس[1] ، والسدّي[2] ، والضحاك[3] . و نُسِبَ إلى الكلبي[4] .

وعليه مقاتل، والسمرقندي، وابن الجوزي[5] .

وذكره الزمخشري والقرطبي والشوكاني بصيغة (قيل)[6] .

واستُدِلَّ له بأن "عفا" معناه : فَضَلَ وزاد ، من قولهم : عفا النبات والشعر . أي : كثر[7] .

واختار السيد محمد رشيد رضا أن العفو يشمل ما كان في الأخلاق والأموال وأن

من طريق سفيان بن عيينه ، عن رجل قد سماه مرفوعًا . وأخرجه أيضًا هو وابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٣٨/٥) من طريق ابن عيينة ، عن أُمَيّ مرفوعًا . وأخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ٢٤٦) من طريق سفيان بن عيينه، عن أبي ـــ كذا والصواب : أُمَيّ ـــ المرادي ، عن الشعبي مرفوعًا . وقال ابن حجر في الكافي الشافي (٦٦): هذا منقطع ، وأخرجه ابن مردويه موصولا من حديث جابر وحديث قيس ابن سعد . ينظر : تخريج أحاديث الكشاف (١/ ٤٧٧) ، وجامع الأصول لابن الأثير (٢/ ١٤٣ – ١٤٤) مع حاشية المحقق. وأخرجه ابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق ـــ كما في الدر المنثور للسيوطي (٣/ ٦٢٨) ـــ عن إبراهيم بن أدهم مرفوعًا.

(1) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠ / ٦٤١) ، والنحاس في الناسخ والمنسوخ (٦٣١/١) رقم (١٨١) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦٣٨) رقم (٨٦٧٩) من طريق علي بن أبي طلحة ، عنه قال : خذ ما عفي لك من أموالهم ، وما أتوك به من شيء فخذه ، وكان هذا قبل أن تنزل براءة بفرائض الصدقات وتفصيلها . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦٣١/٣) نسبته إلى ابن المنذر. وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦٣٧) رقم (٨٦٧٦) من طريق ابن جبير ، عنه . و (٥/ ١٦٣٨) رقم (٨٦٧٨) من طريق أبي روق ، عن الضحاك ، عنه قال : خذ الفضل ، أنفق الفضل . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٦٣١) نسبته إلى أبي الشيخ .

(2) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠/ ٦٤١) ، والنحاس في الناسخ والمنسوخ (٣٥٩/٢) رقم (٥٠٩) من طريق أسباط ، عنه قال : الفضل من المال ، نسخته الزكاة .

(3) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠/ ٦٤١) من طريق عبيد بن سليمان ، عنه . وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦٣٨) عقب الأثر (٨٦٧٩) .

(4) نسبه إليه البغوي كما في معالم التنزيل (٢/ ١٨٤) .

(5) ينظر : تفسير مقاتل (٢/ ٨١) ، وبحر العلوم (١/ ٥٨٩) ، وتذكرة الأريب (١/ ١٩٦) .

(6) ينظر : الكشاف (٢/ ٥٤٥) ، والجامع لأحكام القرآن (٩/ ٤٢١) ، وفتح القدير (٢/ ٣٩٩) .

(7) ينظر : المحرر الوجيز لابن عطية (٦/ ١٨٦) .

المراد به أن من أصول آداب هذا الدين وقواعد شرعه اليسرَ وتجنُّبَ الحرج وما يشقُّ على الناس[1].

وحمل الرازي الآية على العموم، وتبعه القمي[2] .

قال البقاعي : « وهذه المادة [عفا] تدور على السهولة ، وتارة تكون من الكثرة ، وتارة من القلّة . فعفا المال ، أي : كثر ، فصار يسهل إخراجه ، ويسمح به لزيادته عن الحاجة . وعفا المترل ، أي : درس ، فسهل أمره حتى صار لا يلتفت إليه »[3] .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن أَوْلَى القولين بالصواب من ذلك هو ما قدّمه ابن جُزَيّ مرجِّحًا له هو و مَنْ وافقه ، مِنْ أن الآية نازلة في أخلاق الناس ومعاشرهم ، أُمِرَ النبي ﷺ بأخذ ما تسهّل منها وما تيسّر . وعلى هذا تفسير عبد الله بن الزبير وغيره من السلف، وهو قول جمهور المفسّرين . ولو كانت الآية في الصدقات لبيّن ذلك كما قال في آية البقرة : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ﴾[٢١٩] . وفي آية براءة : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً ﴾ [١٠٣] لكن آية الأعراف هذه في الأخلاق ومعاشرة الناس . ولذلك قال القرطبي عن القول بأن الآية في الزكاة : « وفيه بُعْدٌ؛ لأنه من عَفَا : إذا دَرَسَ ...وسبب النزول يَرُدُّه ، والله أعلم، فإنه لما أمره بمحاجّة المشركين ؛ دلّ على مكارم الأخلاق، فإنها سببٌ جَرّ المشركين إلى الإيمان »[4].

---

(1) ينظر : تفسير القرآن الحكيم (٩/ ٤٦٤) .

(2) ينظر : مفاتيح الغيب (٥/ ٤٣٤) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ٣٦٥) .

(3) نظم الدرر (٨/ ٢٠٢) .

(4) الجامع لأحكام القرآن (٩/ ٤٢١) .

المسألة الثانية هي :

٤١- الخلاف في المراد بالعرف.

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « أي : بالمعروف وهو أفعال الخير . وقيل : العرف[١] الجاري بين الناس من العوائد . واحتج المالكية بذلك على الحكم بالعوائد »[٢] .

العرض والمناقشة :

رجّح ابن جُزَيّ أن العُرفَ المأمور به في قوله تعالى : ﴿ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ ﴾ يراد به المعروف وهو فعل الخير . ووافق في هذا ما رُوِيَ عن ابن عباس[٣] ، ومجاهد[٤] ، وقتادة[٥] ، والسدّي[٦]، وعروة بن الزبير[٧] ، وسفيان الثوري[٨] .

وعليه عامّة المفسّرين : مقاتل، وأبوعبيدة، والطبري، والزجاج، والنحاس، والجصاص، وابن أبي زمنين، ومكي، والواحدي، والسمعاني، والبغوي، وابن عطية، وابن الجوزي، والرازي، والقرطبي، والبيضاوي، والنسفي، والخازن، والقمي، وأبوحيان، وابن القيم، وابن كثير، والثعالبي، والبقاعي، والسيوطي، وأبوالسعود، والشوكاني، والآلوسي، والقنّوجي، والسيد محمد رشيد رضا، والسعدي، والطاهر بن عاشور، والشنقيطي[٩] .

---

(1) في المطبوع : "فعل الخير" ... "العفو" ، والصواب ما أثبته كما في جميع النسخ .

(2) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٥٨) .

(3) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦٣٨) رقم (٨٦٨٤) من طريق أبي روق ، عن الضحاك ، عنه قال : بالمعروف . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٦٣١) نسبته إلى أبي الشيخ .

(4) نسبه السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٦٢٩) إلى عبد بن حميد ، والطبري ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وأبي الشيخ .

(5) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠ / ٦٤٤) من طريق يزيد ، عن سعيد ، عنه .

(6) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠/ ٦٤٤) من طريق أسباط ، عنه . وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٣٨/٥) عقب (٨٦٨٤) معلّقًا . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٦٣١) نسبته إلى أبي الشيخ .

(7) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢ / ٢٤٥) ، والطبري في جامع البيان (١٠ / ٦٤٤) من طريق معمر ، عن هشام ، عنه . وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره (٥ / ١٦٣٨) عقب الأثر (٨٦٨٤) .

(8) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره (٥ / ١٦٣٨) عقب الأثر (٨٦٨٤) .

(9) ينظر : تفسير مقاتل (٢/ ٨١) ، ومجاز القرآن (١/ ٢٣٦) ، وجامع البيان (١٠ / ٦٤٤) ، ومعاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٩٦) ، وإعراب القرآن (٢/ ١٧٠) والناسخ والمنسوخ (٢/ ٣٦٢) ومعاني القرآن الكريم (١٢٠/٣) ، وأحكام القرآن (٤/ ٢١٣) ، وتفسير القرآن العزيز (٢/ ١٦٢) ، وتفسير المشكل (١٧٨/١) ،

ودليله : أن العرف هو المعروف في كلام العرب ، مصدرٌ في معنى المعروف .

يقال : أَوْلَيْتُه عُرْفًا وعارفًا وعارفةً . كل ذلك بمعنى المعروف[1] .

ويدخل في المعروف صلةُ رحم مَنْ قطع ، وإعطاء مَنْ حرم ، والعفو عمن ظلم ، وكل ما أمر الله به أو ندب إليه فهو من العرف[2] .

قال الشاعر :

من يفعل الخير لا يَعْدَمْ جَوَازِيه لا يَذْهَبُ العُرْفُ بين الله والناس[3] .

وأما القول الثاني في معنى العرف بأنه الجاري بين الناس من العوائد ، فلم أرَ مَنْ اختاره من المفسّرين .

قال الشنقيطي : « وكان بعض علماء الأصول يقول : إن هذه الآية يدخل فيها ما يتعارف عليه الناس في معاملاتهم وبيوعاتهم ونحو ذلك »[4] .

ولذلك ذكر ابن جُزَيّ أن المالكية احتجوا بالآية على الحكم بالعوائد . ولا ريب أن العادة محكمة ، وهي قاعدة فقهية كبرى[5] .

والوجيز (١/ ٤٢٨) والوسيط (٢/ ٤٣٧) ، وتفسير القرآن (٢/ ٢٤٢) ، ومعالم التنزيل (٢/ ١٨٤) ، والمحرر الوجيز (٦/ ١٨٦) ، وزاد المسير (٣/ ٣٠٨) وتذكرة الأريب (١/ ١٩٦) ، ومفاتيح الغيب (٤٣٤/٥) ، والجامع لأحكام القرآن (٩/ ٤٢١) ، وأنوار التنزيل (١/ ٣٧٣) ، ومدارك التنزيل (٢/ ٩١)، ولباب التأويل (٢/ ١٥٨) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ٣٦٤) ، والبحر المحيط (٤/ ٤٤٨) ، وبدائع التفسير (٢/ ٣١٩) ، وتفسير القرآن العظيم (٦/ ٤٩٢) ، والجواهر الحسان (١/ ٥٩٧) ، ونظم الدرر (٢٠٣/٨) ، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٣٣٦) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٣/ ١٦٤) ، وفتح القدير (٢/ ٣٩٩) ، وروح المعاني (٩/ ١٤٧) ، وفتح البيان (٥/ ١٠٨) ، وتفسير القرآن الحكيم (٩/ ٤٦٤) ، وتيسير الكريم الرحمن (٢/ ١٨٣) ، والتحرير والتنوير (٩/ ٢٢٧) ، والعذب النمير (١٧٨٩/٤ – ١٧٩٠) .

(1) ينظر : جامع البيان للطبري (١٠/ ٦٤٤) ، والناسخ والمنسوخ للنحاس (٢/ ٣٦٣) .

(2) ينظر : جامع البيان (١٠ / ٦٤٤) .

(3) البيت للحطيئة ، وهو في ديوانه (٢٨٤) . وينظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٩/ ٤٢١) .

(4) العذب النمير (٤/ ١٧٩٠) . وينظر : نشر البنود (٢/ ٢٧٢) ، والعرف وأثره في التشريع الإسلامي (١٢٢).

(5) ينظر : التحبير شرح التحرير للمرداوي (٣٨٥١/٨) ، والأشباه والنظائر للسيوطي (٧/١ و٨٩) ، وشرح القواعد الفقهية لأحمد الزرقا (٢١٩/١) .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن أَوْلَى القولين بالصواب من ذلك هو ما رجّحه ابن جُزَيّ ومن وافقه؛ لدلالة اللغة على ذلك ، وأن القول الثاني في تفسير العرف بالعوائد الجارية بين الناس يندرج فيه ولا يخرج عنه .

قال المراغي : « المعروف : هو ما تعرفه النفس من الخير وتأنس به وتطمئن إليه ، ولا شك أن هذا مبني على اعتبار عادات الأُمّة الحسنة وما تتواطأ عليه من الأمور النافعة في مصالحها »[1] .

فالآية تشمل القولين على الصحيح ؛ لأن الله تعالى لم يَخْصُصْ من ذلك معنًى دون معنًى ، فالحق فيه أن يقال : إن الله تعالى أمر نبيّه ﷺ أن يأمر عباده بالمعروف كلِّه لا ببعض معانيه دون بعض[2] . والله تعالى أعلم .

---

(1) تفسير المراغي (٩/ ١٤٧) .

(2) ينظر : جامع البيان للطبري (١٠ / ٦٤٥) .

المسألة الثالثة هي :

٤٢- خلاف أهل التأويل في قوله تعالى : ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ بين الإحكام والنسخ .

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « ﴿ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ أَيْ : لا تكافيء السفهاء بمثل قولهم أو فعلهم و احْلُمْ عنهم . ولما نزلت هذه الآية سأل رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم جبريل عنها فقال : لا أدري حتى أسأل . ثم رجع فقال : يا محمد ، إن ربك يأمرك أن تصل من قطعك ، وتعطي من حرمك ، وتعفو عمن ظلمك[١] . وعن جعفر الصادق : أمر الله نبيّه ﷺ فيها بمكارم الأخلاق [٢] . وهي على هذا ثابتة الحكم وهو الصحيح . وقيل : كانت مداراةً للكفار ، ثم نسخت بالقتال »[٣] .

العرض والمناقشة :

رجّح ابن جُزَيّ أن الآية ثابتة الحكم غير منسوخة . ووافق في هذا أكثر المفسّرين ومنهم : الطبري، والنحاس، ومكي، والواحدي، والسمعاني، وابن عطية، والرازي، والقرطبي، والبيضاوي، والنسفي، والقمي، وأبوحيان، وابن القيم، والسيوطي، والآلوسي، والسيد رشيد رضا، والمراغي، والسعدي، والطاهر بن عاشور، والشنقيطي[٤].

---

(1) سبق تخريجه .

(2) ذكره البغوي في معالم التنزيل (٢/ ١٨٤) ، وتابعه الزمخشري في الكشاف (٢/ ٥٤٥) .

(3) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٥٨ -٥٩) .

(4) ينظر : جامع البيان (١٠/ ٦٤٣ ، ٦٤٥) ـــ وذهب ابن كثير في تفسيره (٦/ ٤٨٨) إلى أن الطبري اختار قول ابن زيد ، وفيه نظر !! ـــ ، والناسخ والمنسوخ (٢/ ٣٦٠ ، ٣٦٣ – ٣٦٤) ، والإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه (٢٩٣) ، والوجيز (١/ ٤٢٨) والوسيط (٢/ ٤٣٧) ، وتفسير القرآن (٢/ ٢٤٢) ، والمحرر الوجيز (١٨٧/٦) ـــ ونسبه لجمهور من العلماء ـــ ، ومفاتيح الغيب (٥/ ٤٣٥) ، والجامع لأحكام القرآن (٩/) ـــ وفيه : وقال مجاهد وقتادة : هي محكمة ، وهو الصحيح ـــ ، وأنوار التنزيل (١/ ٣٧٣) ـــ حيث لم يذكر أنها منسوخة ـــ ، ومدارك التنزيل (٢/ ٩١) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ٣٦٥) ، والبحر المحيط (٤٤٨/٤) ، وبدائع التفسير (٢/ ٣٢٠) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية (٣/ ١٦٤) ، وروح المعاني (١٤٧/٩) ، وتفسير القرآن الحكيم (٩/ ٤٦٧) ، وتفسير المراغي (٩/ ١٤٨) ، وتيسير الكريم الرحمن (١٨٣/٢) ، والتحرير والتنوير (٩/ ٢٢٧) ـــ وقال : ومن قال إن هذه الآية نسختها آيات القتال فقد وهم ـــ ، والعذب النمير (٤/ ١٧٩١) .

وهو مفهوم كلام البقاعي، وأبي السعود[1] .

واستُدِلَّ على إحكام الآية بأنها إنما نزلت في أخلاق الناس ، كما أخبر بذلك عبد الله ابن الزبير وغيره ، « وإذا جاء الشيء هذا المجيء لم يسع أحدًا مخالفته »[2] .

وسياق الآيات يدلُّ كذلك على أنها في أخلاق الناس وليست منسوخة ؛ لقوله تعالى بعدها : ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ فهذه في دفع العدوّ الشيطاني[3] .

ومما يدل على إحكام الآية أيضًا : استعمالُ عمر بن الخطاب لها ، واستدلالُ الحُرِّ بن قيس بها[4] ، كما في قصة دخول عُيينة بن حِصْن الفَزاري على عمر ، فإنه لما قدم نزل على ابن أخيه الحرِّ بن قيس ، وكان من النَّفَر الذين يُدْنيهم عمر ، وكان القرّاءُ أصحابَ مجالسِ عمر ومشاورته كهولاً كانوا أو شبّانًا ، فقال عيينة لابن أخيه : يا ابن أخي ، لك وَجْهٌ عند هذا الأمير فاستأذن لي عليه ، قال : سأستأذن لك عليه ، فأذن له عمر ، فلما دخل عليه قال: هيْ يا ابنَ الخطاب ، فوالله ما تعطينا الجَزْلَ ولا تحكم بيننا بالعدل . فغضب عمر حتى هَمَّ به ، فقال له الحُرُّ : يا أمير المؤمنين ، إن الله تعالى قال لنبيه ﷺ : ﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾ وإن هذا من الجاهلين ، فوالله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه ، وكان وَقَّافًا عند كتاب الله[5] .

وكذلك استعملها الحسن بن علي بن أبي طالب ، كما قاله القرطبي[6] .

وأما القول الآخر بأن الآية كانت مداراةً للكفار ثم نسخت بآيات القتال ، فرُوِي عن

---

(1) ينظر : نظم الدرر (٨/ ٢٠٣) ، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٣٣٦) .

(2) الناسخ والمنسوخ للنحاس (٢/ ٣٦٠) . ويعني : أنه صحابي يخبر بنزول الآية فلا يسع أحدًا مخالفة هذا التفسير ؛ لما له من حكم الرفع ، والله أعلم .

(3) ينظر : المصدر السابق (٢/ ٣٦٤) ، والعذب النمير (٤/ ١٧٩١) .

(4) ينظر : المحرر الوجيز لابن عطية (٦/ ١٨٧) ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٩/ ٤٢٢) ، والبحر المحيط لأبي حيان (٤/ ٤٤٨) .

(5) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب التفسير برقم (٤٦٤٢) وفي كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة (٧٢٨٦) من حديث ابن عباس .

(6) ينظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٩/ ٤٢٢) .

السدي[1] ، وابن زيد[2] .

واختاره مقاتل[3] ، وذهب إلى أن آية براءة ـــ آية الصدقات ـــ نسخت العفوَ ، ونسخ الإعراضَ آيةُ السيف . وعليه الجصاص، والسمرقندي، وابن أبي زمنين، والبغوي، وابن الجوزي، والخازن[4] .

وعلل الجصّاص هذا القول بأن الفَرْض كان حينئذ على الرسول إبلاغَهم وإقامة الحجة عليهم ، وهو مثل قوله : ﴿ فَأَعۡرِضۡ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكۡرِنَا وَلَمۡ يُرِدۡ إِلَّا ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ﴿٢٩﴾ ﴾[النجم] . وأما بعد الأمر بالقتال فقد تقرر أمر المبطلين والمفسدين على وجوه معلومة من إنكار فعلهم تارة بالسيف وتارة بالسوط وتارة بالإهانة والحبس[5] .

وبعد، فإذا كان ذلك كذلك فإن القول الراجح هو ما صحَّحه ابن جُزَيّ مِنْ أنَّ الآية محكمة « ولا ضرورة إلى دعوى النسخ في الآية كما لا يخفى على المتدبر »[6] . وقد وَهِمَ من ادّعى نسخها بآيات القتال كما قاله الطاهر بن عاشور .

ويتأيد هذا القول بالقاعدة الترجيحية وهي أنه (لا تصح دعوى النسخ في آية من كتاب الله إلاّ إذا صح التصريح بنسخها)[7] . والله تعالى أعلم .

---

(1) قال : نزلت هذه الآية قبل أن تفرض الصلاة والزكاة والقتال ، أمره الله بالكف ثم نسخها القتال ، وأنزل : ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْ ﴾. الآية [الحج : ٣٩] . أخرجه أبوالشيخ كما في الدر المنثور للسيوطي (٦٣١/٣) .

(2) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠ / ٦٤٢) من طريق ابن وهب ، عنه . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٣٨/٥) رقم (٨٦٨١) وفي (٥/ ١٦٣٩) رقم (٨٦٨٧) من طريق أصبغ ، عنه مختصرًا . وينظر : الناسخ والمنسوخ للنحاس (٢/ ٣٦٣) . وعزاه القرطبي إليه وإلى عطاء ، كما في الجامع لأحكام القرآن (٤٢١/٩) .

(3) ينظر : تفسير مقاتل (٢/ ٨٢) .

(4) ينظر : أحكام القرآن (٤/ ٢١٤) ، وبحر العلوم (١/ ٥٨٩) ، وتفسير القرآن العزيز (٢/ ١٦٢) ، ومعالم التنزيل (١٨٤/٢) ، وتذكرة الأريب (١/ ١٩٦) ، ولباب التأويل (٢/ ١٥٨) .

(5) أحكام القرآن (٤/ ٢١٤) .

(6) روح المعاني للآلوسي (٩/ ١٤٧) . وقال الرازي في مفاتيح الغيب (٥/ ٤٣٥) : لا حاجة على التزام النسخ ، إلاّ أن الظاهرية من المفسرين مشغوفون بتكثير الناسخ والمنسوخ من غير ضرورة ولا حاجة .

(7) قواعد الترجيح (١/ ٧١) .

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾ ﴾

٤٣- بِمَ يتعلق الجار والمجرور ﴿فِى ٱلْغَىِّ﴾ ؟

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « ﴿فِى ٱلْغَىِّ﴾ يتعلّق بـــ ﴿يَمُدُّونَهُمْ﴾. وقيل : يتعلّق بـــ ﴿وَإِخْوَٰنُهُمْ﴾ كما تقول : إخوة في الله ، أو في الشيطان »[1] .

العرض والمناقشة :

رجّح ابن جُزَيّ أن قوله تعالى : ﴿فِى ٱلْغَىِّ﴾ يتعلّق بقوله تعالى قبله : ﴿يَمُدُّونَهُمْ﴾ . وعلى هذا المعنى أقوال السلف[2] .

قال السدّي : « إخوان الشياطين من المشركين يمدهم الشيطان في الغي ثم لا يقصرون».

وقال قتادة : « إخوان الشياطين يمدهم الشيطان في الغي ثم لا يقصرون » .

وعلى هذا عامة المفسّرين ومنهم : الطبري، والسمرقندي، والواحدي، والسمعاني، والبغوي، والزمخشري، وابن كثير، والبقاعي، وأبوالسعود، والآلوسي، والقنوجي، والقاسمي، والسيد محمد رشيد رضا، والمراغي، والسعدي، والطاهر بن عاشور، والشنقيطي، ومحي الدين الدرويش[3] . وهو مفهوم كلام مقاتل، والفراء[4].

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٥٩) .

(2) ينظر : جامع البيان للطبري (١٠ / ٦٥٠ – ٦٥٣) وتفسير ابن أبي حاتم (٥/ ١٦٤١ – ١٦٤٢) ففيهما عن ابن عباس ، والسدي ، وقتادة ، وسفيان ، وعبد الله بن كثير ، وعطاء ، ومجاهد .

(3) ينظر : : جامع البيان (١٠ / ٦٥٠) ، وبحر العلوم (١/ ٥٩٠) ، والوجيز (١/ ٤٢٨) و الوسيط (٤٣٩/٢)، وتفسير القرآن (٢/ ٢٤٣) ، ومعالم التنزيل (٢/ ١٨٥) ، والكشاف (٢/ ٥٤٧) ، وتفسير القرآن العظيم (٦/ ٤٩٦) ، ونظم الدرر (٨/ ٢٠٦) ، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٣٣٧) ، وروح المعاني (١٤٩/٩) ، وفتح البيان (٥/ ١١١) ، ومحاسن التأويل (٧/ ٢٩٣١) ، وتفسير القرآن الحكيم (٩/ ٤٧٧)، وتفسير المراغي (٩/ ١٥١) ، وتيسير الكريم الرحمن (٢/ ١٨٤) ، والتحرير والتنوير (٩/ ٢٣٦) ، والعذب النمير (١٧٩٥/٤) ، وإعراب القرآن الكريم وبيانه (٣/ ٥٢١) .

(4) ينظر : تفسير مقاتل (٢/ ٨٢) ، ومعاني القرآن (١/ ٤٠٢) .

وهذه الآية كقوله تعالى : ﴿ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ ﴾[1] [البقرة] .

قال القنّوجي : « المعنى : وإخوان الشياطين وهم الفُجّار من ضُلاَّل الإنس ، على أن الضمير في إخوانهم يعود إلى الشيطان المذكور سابقًا والمراد به الجنس ، فجاز إرجاع ضمير الجمع إليه. والمعنى : تمدّهم الشياطين ﴿ فِي ٱلْغَيِّ ﴾ وتكون مددًا لهم . وهذا التأويل هو قول الجمهور ، وعليه عامة المفسّرين »[2] .

وأما القول الثاني بأن قوله تعالى : ﴿ فِي ٱلْغَيِّ ﴾ يتعلق بقوله : ﴿ وَإِخْوَٰنُهُمْ ﴾ كقولك: إخوة في الله ، أو إخوة في الشيطان ، فمفهوم كلام الجصاص على هذا[3] .

واحتمل القولين ابن عطية[4] . وجوّزهما القرطبي، والسمين[5] .

---

(1) ينظر : الوسيط للواحدي (٢/ ٤٣٩) .

(2) فتح البيان (٥/ ١١١) .

(3) ينظر : أحكام القرآن (٤/ ٢١٤) .

(4) ينظر : المحرر الوجيز (٦/ ١٩٣) .

(5) ينظر : الجامع لأحكام القرآن (٤٢٨/٩) ، والدر المصون (٥/ ٥٥٠) .

تكميل : هذه المسألة ــ وهي تعلّق ﴿ فِي ٱلْغَيِّ ﴾ هل هو بالفعل ﴿ يَمُدُّونَهُمْ ﴾ ؟ أم بالإخوان ؟ ــ متفرّعة عن مرجع الضمائر في قوله : ﴿ وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ ﴾ وفيها أوجه : أحدها : أن الضمير في ◆⌘ↀ◑◆❑⬀□◆☼⬅♌←☠⬀↑⬀ يعود على الشياطين ؛ لدلالة لفظ الشيطان عليهم ، أو على الشيطان نفسه ؛ لأنه لا يراد به الواحدُ بل الجنس . والضمير المنصوب في ﴿ يَمُدُّونَهُمْ ﴾ يعود على الكفار ، والمرفوع يعود على الشياطين أو الشيطان . والتقدير: وإخوان الشياطين يمدهم الشيطان في الغي . فالإمداد مسند إلى الشياطين في المعنى ، وهو في اللفظ خبر عن (إخوانهم) . وعلى هذا الوجه : فالخبرُ جار على غير مَنْ هو له في المعنى . ومثله :

قوم إذا الخيلُ جالُوا في كواثبها ... فوارسُ الخيل لا ميلٌ ولا قدم

وعليه : فـ ﴿ فِي ٱلْغَيِّ ﴾ متعلّق بـ ﴿ يَمُدُّونَهُمْ ﴾. الثاني : أن المراد بالإخوان الشياطين ، وبالضمير المضاف إليه الجاهلون أو غير المتقين ؛ لأن الشيء يدل على مقابله . والواو تعود على الإخوان ، والضمير المنصوب يعود على الجاهلين أو غير المتقين . والمعنى : والشياطين ــ الذين هم إخوانُ الجاهلين أو غير المتقين ــ يمدون الجاهلين أو غير المتقين في الغيّ . والخبر في هذا الوجه جارٍ على من هو له لفظًا ومعنى . وهذا تفسير قتادة . قال : إخوان الشياطين يمدهم الشيطان في الغي . وعليه : فـ ﴿ فِي ٱلْغَيِّ ﴾ متعلّق بـ ﴿ يَمُدُّونَهُمْ ﴾ مثل الوجه الأول . الثالث : أن يعود الضمير المجرور والمنصوب على الشياطين ، والمرفوع على الإخوان وهم الكفار . قال ابن عطية: « ويكون المعنى : وإخوان الشياطين في الغيّ بخلاف الإخوة في الله يمدون الشياطين ، أي : بطاعتهم لهم

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن أَوْلَى القولين هو أن متعلّق قوله : ﴿ فِي ٱلْغَيِّ ﴾ بقوله : ﴿ يَمُدُّونَهُمْ ﴾ ، كما دلّ عليه نظيره في قوله تعالى : ﴿ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ ، وهو ما رجّحه ابن جُزَيّ ومن وافقه ، وعليه عامة المفسّرين ، والله أعلم .

وقبولهم منهم . ولا يترتب هذا التأويل على أن يتعلّق ﴿ فِي ٱلْغَيِّ ﴾ بالإمداد ؛ لأن الإنس لا يغْوُون الشياطين».

وعليه : فيتعلّق ﴿ فِي ٱلْغَيِّ ﴾ بإخوانهم ، وهو الأحسن ؛ لتضمنه معنى المؤاخاة والأخوة . ويجوز أن يكون ﴿ فِي ٱلْغَيِّ ﴾ حالا من المبتدأ ، أي : وإخوانهم حال كونهم مستقرين في الغيّ. وفي مجيء الحال من المبتدأ خلاف.

وعليه : فلا يتعلّق لا بـــ ﴿ يَمُدُّونَهُمْ ﴾ ولا بإخوانهم . قال أبوحيان : « ويمكن أن يتعلّق ﴿ فِي ٱلْغَيِّ ﴾ ـــ على هذا التأويل ـــ بـــ ﴿ يَمُدُّونَهُمْ ﴾ على جهة السببية ، أي : يمدونهم بسبب غوايتهم نحو : (دخلت امرأة النار في هرّة) . أي : بسبب هرة . ويحتمل أن يكون ﴿ فِي ٱلْغَيِّ ﴾ حالا فيتعلّق بمحذوف ، أي : كائنين في الغي ، فيكون ﴿ فِي ٱلْغَيِّ ﴾ في موضعه ، ولا يتعلّق بإخوانهم . وقد جوّز ذلك ابن عطية . وعندي في ذلك نظر ، فلو قلت : " مُطْعِمُكَ زَيْدٌ لحمًا " تريد : مطعمك لحمًا زيدٌ ، فتفصل بين المبتدأ ومعموله بالخبر لكان في جوازه نظر؛ لأنك فصلت بين العامل والمعمول بأجنبيّ لهما معًا ، وإن كان ليس أجنبيًا لأحدهما وهو المبتدأ » . قال السمين الحلبي : ولا يظهر منعُ هذا ألبتة ؛ لعدم أجنبيته . وقال : يجوز أن يكون ﴿ فِي ٱلْغَيِّ ﴾ متعلّقًا بالفعل ، أو بإخوانهم ، أو بمحذوف على أنه حال: إما من إخوانهم ، وإما من واو ﴿ يَمُدُّونَهُمْ ﴾ ، وإما من مفعوله . [ينظر : الدر المصون للسمين الحلبي ٥/ ٥٤٨ – ٥٤٩] .

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ قَالُوا۟ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا ۚ قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ مِن رَّبِّى ۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾ ﴾

٤٤- الخلاف في معنى قوله تعالى : ﴿ ٱجْتَبَيْتَهَا ﴾.

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « وفي معنى ﴿ ٱجْتَبَيْتَهَا ﴾ قولان : أحدهما : اخترعتها من قِبَلِ نفسك . فالآية على هذا من القرآن . وكان النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يتأخر عنه الوحي أحيانًا ، فيقول الكفار : هلاّ جئت بقرآنٍ من قولك . والآخر : معناه : طلبتها من الله ، وتخيّرتها عليه . فالآية على هذا معجزة ، أي : يقولون : اطلب المعجزة من الله »[1] .

العرض والمناقشة :

قدّم ابن جُزَيّ في معنى قوله تعالى : ﴿ ٱجْتَبَيْتَهَا ﴾ قولَ مَنْ قال معناه : اخترعتها من قِبَلِ نفسك ، على أن الآية يراد بها الآية من القرآن ، وذلك ترجيح منه بناءً على منهجه في الترجيح بين الأقوال .

ووافق في هذا معنى ما رُوِيَ عن ابن عباس أنه قال : هلاّ افتعلتها من تلقاء نفسك[2] .

وكذا معنى ما رُوِيَ عن مجاهد[3] ، وقتادة[4] ، وابن زيد[5] ، والسدي[6] .

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٥٩) .

(2) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠/ ٦٥٥) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦٤٣) رقم (٨٧١٣) من طريق علي بن أبي طلحة ، عنه . وأخرجه ابن أبي حاتم (٥/ ١٦٤٣) رقم (٨٧١٢) من طريق أبي روق ، عن الضحاك ، عنه . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٦٣٣) نسبته إلى أبي الشيخ ، وابن مردويه .

(3) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠/ ٦٥٥) من طريق ابن جريج ، عن ابن كثير ، عنه قال : ابتدعتها . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٦٣٣) نسبته إلى عبد بن حميد ، وأبي الشيخ .

(4) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢٤٧) عن معمر ، عنه . ومن طريقه الطبري في جامع البيان (١٠/ ٦٥٥) قال : لولا جئت بها من نفسك . وأخرجه الطبري أيضًا (١٠/ ٦٥٤) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/١٦٤٤) رقم (٨٧١٧) من طريق يزيد ، عن سعيد ، عنه .

(5) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠/ ٦٥٥) من طريق ابن وهب ، عنه .

(6) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠/ ٦٥٥) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦٤٣) رقم (٨٧١٦) من طريق أسباط ، عنه .

وذهب إليه مقاتل، والفراء، وابن قتيبة، والطبري، والزجاج، والنحاس، والسمرقندي، وابن أبي زمنين، ومكي، والواحدي، والسمعاني، والبغوي، وابن الجوزي، والقرطبي، والثعالبي، والسيوطي[1] .

قال الطبري : « وأَولى التاويلين بالصواب في ذلك ، تأويل من قال : تأويله ؛ هلاّ أحدثتها من نفسك ؛ لدلالة قول الله : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّي ۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ﴾ يبين ذلك أن الله إنما أمر نبيّه ﷺ بأن يجيبهم بالخبر عن نفسه أنه إنما يتبعُ ما يتزّل عليه ربُّه ويوحيه إليه ، لا أنه يحدث من قبلَ نفسه قولاً وينشئه فيدعو الناسَ إليه »[2].

واللغة تدل على هذا القول ؛ قال أبوعبيد : « وكان أبوزيد يقول : إنما تقول العرب ذلك للكلام يبتدئه الرجل لم يكن أعدّه قبل ذلك في نفسه »[3] .

يقال : اجتبيتُ الشيءَ ، وارتجلتُه ، واخترعته ، واختلقته : إذا جئت به من عند نفسك[4] .

وفي معناه قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ ۙ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِيٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ ﴾[يونس : ١٥] .

وأما القول الآخر بأن معنى ﴿ ٱجْتَبَيْتَهَا ﴾ : طلبتها من الله وتخيّرتها عليه ، وأن الآية يراد بها على هذا المعجزة ، فهو معنى ما رُوِيَ عن ابن عباس أيضًا قال : « لولا تقبّلتها من الله

---

(1) ينظر : تفسير مقاتل (٢/ ٨٣) ، ومعاني القرآن (١/ ٤٠٢) ، وزاد المسير لابن الجوزي (٣/ ٣١٢) ، وجامع البيان (١٠ / ٦٥٦) ، ومعاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٩٧) ، ومعاني القرآن الكريم (٣/ ١٢١) ، وبحر العلوم (١/ ٥٩١) ، وتفسير القرآن العزيز (١٦٣/٢) ، وتفسير المشكل (١/ ١٧٩) ، والوجيز (٤٢٨/١) والوسيط (٢/ ٤٣٩) ، وتفسير القرآن (٢/ ٢٤٤) ، ومعالم التنزيل (٢/ ١٨٦) ، وزاد المسير (٣/ ٣١٢) وتذكرة الأريب (١/ ١٩٧) ، والجامع لأحكام القرآن (٩/ ٤٣٠) ، والجواهر الحسان (٥٩٩/١)، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٣/ ١٦٦) .

(2) جامع البيان (١٠ / ٦٥٦) .

(3) المصدر السابق (١٠ / ٦٥٧) .

(4) معاني القرآن الكريم للنحاس (٣ / ١٢١) .

»[1].

وقال قتادة : « لولا تقبلتها من ربك »[2] .

وهو معنى ما رُوِيَ عن الكلبي أيضًا[3] ، والضحاك[4] . وعليه النسفي[5] . وهو مفهوم كلام القاسمي[6] .

وسوّى بين القولين جماعة من المفسّرين و لم يرجّحوا بينهما منهم : الزمخشري، وابن عطية، والرازي، والبيضاوي، والقمي، وأبوالسعود، والشهاب الخفاجي ، والآلوسي، والسيد رشيد رضا، والمراغي، والسعدي[7] .

وجوّزهما الطاهر بن عاشور[8] . وجمع بينهما الشنقيطي[9] .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن الترجيح بين القولين مترتّبٌ على معرفة المراد بالآية في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ ﴾ وهي محتملة للآية القرآنية وللمعجزة الخارقة ، والسياق يدل على رجحان الأول ؛ لأن الله قال بعدها : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّي ۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ ﴾.

---

(1) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠/ ٦٥٦) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦٤٣) رقم (٨٧١٥) من طريق عطية العوفي ، عنه .

(2) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠ / ٦٥٦) من طريق معمر ، عنه .

(3) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢٤٦) عن معمر ، عنه .

(4) أخرجه الطبري في جامع اليان (١٠/ ٦٥٦) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦٤٣) رقم (٨٧١٤) من طريق أبي معاذ ، عن عبيد بن سليمان ، عنه قال : لولا أخذتها أنت ، فجئت بها من السماء .

(5) ينظر : مدارك التنزيل (٢/ ٩٢) .

(6) ينظر : محاسن التأويل (٧/ ٢٩٣٢) .

(7) ينظر : الكشاف (٢/ ٥٤٧) ، والمحرر الوجيز (٦/ ١٦٥) ، ومفاتيح الغيب (٥/ ٤٣٨) ، وأنوار التنزيل (٣٧٤/١) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ٣٦٧) ، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٣٣٧) ، وحاشية الشهاب (٤ / ٢٤٨) ، وروح المعاني (٩/ ١٤٩) ، وتفسير القرآن الحكيم (٩/ ٤٧٨) ، وتفسير المراغي (١٥٣/٩) ، وتيسير الكريم الرحمن (٢/ ١٨٤) .

(8) ينظر : التحرير والتنوير (٩/ ٢٣٦) .

(9) ينظر : العذب النمير (٤/ ١٧٩٧ – ١٨٠٠) .

وإذا كان ذلك كذلك فإن أَولى القولين في معنى ﴿ ٱجْتَبَيْتَهَا ﴾ هو ما قدّمه ابن جُزَيّ ترجيحًا له من أن معناها هو : هلاّ اخترعتها وأحدثتها واختلقتها من تلقاء نفسك ؛ لأنهم كانوا يقولون : ﴿ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى ﴾[سبأ : ٤٣] ، فهو كذلك على زعمهم فكما أتى به أولاً من عند نفسه افتراءً فهلاّ أتى به ثانيًا كذلك .

وأيضًا فإن القول الآخر ليس بمدفوع بل له وَجْهٌ .

قال الطاهر بن عاشور : « والجواب الذي أمر الرسول ﷺ بأن يجيب به وهو قوله : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّي ﴾ صالح للمعنيين ، فالاتباع مستعمل في معنى الاقتصار والوقوف عند الحد ، أي : لا أطلب آيةً غير ما أوحى الله إليّ ، ويعضد هذا ما في الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال : (ما من الأنبياء إلا أوتي من الآيات ما مثلُه آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيت وحيًا أوحاه الله إلي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة)[1]. ويكون الاتباع أيضًا متعلّقًا بالزمان أي : إنما أنتظر ما يوحى إلي ولا أستعجل نزول القرآن إذا تأخر نزوله »[2] .

---

(1) أخرجه أحمد في مسنده (٤٥١/٢) برقم (٩٨٢٧) ، والبخاري في فضائل القرآن (٤٩٨١) و في الاعتصام بالكتاب والسنة (٧٢٧٤) ، ومسلم (١٣٤/١) برقم (١٥٢) من حديث أبي هريرة .

(2) التحرير والتنوير (٩/ ٢٣٦) بتصرف يسير .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ ﴾

٤٥- الخلاف في الإنصات المأمور به في قوله تعالى : ﴿ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ ﴾.

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « فيه ثلاثة أقوال : أحدها : أن الإنصات المأمور به هو لقراءة الإمام في الصلاة . والثاني : أنه الإنصات للخطبة . والثالث : أنه الإنصات لقراءة القرآن على الإطلاق . وهو الراجح ؛ لوجهين : أحدهما : أن اللفظ عام ولا دليل على تخصيصه. والثاني : أن الآية مكيّة ، والخطبة إنما شرعت بالمدينة »[1] .

العرض والمناقشة :

رجّح ابن جُزَيّ أن الإنصات المأمور به في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ هو لقراءة القرآن على الإطلاق .

ووافق في هذا ما نُسِب إلى الحسن[2]، . وعليه أهل الظاهر[3].

وذهب إليه الزمخشري، والقرطبي، وأبوحيان، والبقاعي، وأبوالسعود ،والشوكاني، والقنّوجي، والقاسمي، والسعدي[4] . ومال إليه البيضاوي، والنسفي[5] .

واستدلّوا له بظاهر الآية الكريمة ؛ فإن ظاهرها يدل على الاستماع والإنصات لقراءة القرآن مطلقًا في صلاة وغير صلاة .

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٥٩) .

(2) نسبه إليه الرازي في مفاتيح الغيب (٥/ ٤٣٩) ، والخازن في لباب التأويل (٢/ ١٦٠) ، والقمي في غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ٣٦٧) ، وأبوحيان في البحر المحيط (٤/ ٤٥٢) .

(3) ينظر : مفاتيح الغيب للرازي (٥/ ٤٣٩) ، ولباب التأويل للخازن (٢/ ١٦٠) ، ومحاسن التأويل للقاسمي (٢٩٣٤/٧) .

(4) ينظر : الكشاف (٢/ ٥٤٨) ، والجامع لأحكام القرآن (٤٣١/٩) ، والبحر المحيط (٤ / ٤٥٢) ، ونظم الدرر (٢٠٩/٨) ، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٣٣٨) ، وفتح القدير (٢/ ٤٠٢) ، وفتح البيان (٥ /١١٣)، ومحاسن التأويل (٢٩٣٤/٧) ، وتيسير الكريم الرحمن (٢/ ١٨٥) .

(5) ينظر : أنوار التنزيل (١/ ٣٧٤) ، ومدارك التنزيل (٢/ ٩٢) .

قال البيضاوي : « وظاهر اللفظ يقتضي وجوبهما حيث يقرأ القرآن مطلقًا ، وعامة العلماء على استحبابهما خارج الصلاة »[1] .

وقال النحاس : « وفي اللغة يجب أن يكون في كل شيء إلاّ أن يدل دليل على اختصاص شيء »[2].

ومما يدل عليه عموم اللفظ ، فإنه عام في كل من سمع كتاب الله يتلى ، فإنه مأمور بالاستماع له والإنصات . ويتأكد في الصلاة الجهرية [3] .

يقول الشوكاني : « وجمهور الصحابة على أنه في استماع المؤتم ... وأما خارج الصلاة فعامة العلماء على استحبابهما . وقيل : هذا الأمر خاص بوقت الصلاة عند قراءة الإمام . ولا يخفاك أن اللفظ أوسع من هذا . والعام لا يقصر على سببه ، فيكون الاستماع والإنصات عند قراءة القرآن في كل حالة وعلى أي صفة مما يجب على السامع »[4] .

لكن حكى ابن المنذر الإجماع على عدم وجوب الاستماع والإنصات في غير الصلاة والخطبة، وذلك أن إيجابهما على كل من يسمع أحدًا يقرأ فيه حرج عظيم ؛ لأنه يقتضي أن يترك له المشتغل بالعلم علمه ، والمشتغل بالحكم حكمه ...وكل ذي شغل شغله[5] .

وأما القول الأول بأن الإنصات المأمور به هو لقراءة الإمام في الصلاة فرُوِيَ عن أكثر السلف منهم : ابن مسعود[6] ،وأبو هريرة[7] ،

---

(1) أنوار التنزيل (١/ ٣٧٤) .

(2) إعراب القرآن (٢/ ١٧٣) .

(3) ينظر : تيسير الكريم الرحمن للسعدي (٢/ ١٨٥) ، ومفاتيح الغيب للرازي (٥/ ٤٣٩) .

(4) فتح القدير (٢/ ٤٠٢) . وتبعه القنوجي في فتح البيان (٥/ ١١٣) .

(5) ينظر : تفسير القرآن الحكيم للسيد محمد رشيد رضا (٩/ ٤٧٩) ، وتفسير المراغي (٩/ ١٥٥) ، والتحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٩/ ٢٣٩ – ٢٤٠) .

(6) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠/ ٦٥٨، ٦٥٩) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦٤٦) رقم (٨٧٣٠) ، وابن عبد البر في التمهيد (١١/ ٢٩) ، والبيهقي في القراءة خلف الإمام (٢٥٨) .

(7) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠/ ٦٥٩ ، ٦٦٠ ، ٦٦٢) ، وابن المنذر في الأوسط (٣/ ١٠٥) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦٤٥) رقم (٨٧٢٦ ، ٨٧٢٨) ، والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ١٥٥) ، وابن عبد البر في التمهيد (١١/ ٢٩) وغيرهم . قال : (نزلت في رفع الأصوات ، وهم خلف رسول الله ﷺ في الصلاة) .

وابن عباس[1] ، وعبد الله بن مغفل [2] ، ومجاهد[3] ، ومحمد بن كعب القرظي[4]، وقتادة[5]، والكلبي[6]، وسعيد بن المسيب[7]، وسعيد بن جبير[8]، والضحاك، وإبراهيم النخعي[9]، وعامر الشعبي[10]، والزهري[11]، وعبيد بن عمير، وعطاء بن أبي رباح[12] ، والسدّي[13] ، وزيد بن أسلم[14] ، وابن زيد[15] .

وذهب إليه الفراء، والزجاج، والنحاس، والجصاص، والسمرقندي، وابن أبي زمنين، والواحدي، والسمعاني، والبغوي، وابن عطية[16] .

---

(1) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠/ ٦٦٣ ، ٦٦٤) ، وابن المنذر في الأوسط (٣/ ١٠٥) قال : (يعني في الصلاة المفروضة) . وأخرجه ابن مردويه ـــ كما في الدر المنثور للسيوطي (٣/ ٦٣٤) ـــ عنه قال : صلّى النبي ﷺ فقرأ خلفه قوم ، فنزلت﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ ﴾.

(2) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦٤٦) رقم (٨٧٣٢) ـــ وجاء فيه : عبد الله بن مفضل ـــ وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٦٣٥/٣) إليه وإلى ابن أبي شيبة ، و أبي الشيخ ، وابن مردويه .

(3) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢٤٧ ، ٢٤٨) ، وفي المصنف برقم (٤٠٥٥ ، ٤٠٥٦) ، والطبري في جامع البيان (١٠/ ٦٦٠، ٦٦١، ٦٦٣) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦٤٦) رقم (٨٧٣١) ، وغيرهم .

(4) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦٤٥) رقم (٨٧٢٧) . ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٦٣٤) أيضًا إلى سعيد بن منصور.

(5) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢٤٧) ، والطبري في جامع البيان (١٠/ ٦٦١) . وزاد نسبته السيوطي في الدر المنثور (٦٣٦/٣) إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر وأبي الشيخ .

(6) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢٤٧) .

(7) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠/ ٦٦٠) ، والبيهقي في القراءة خلف الإمام (٢٦٩) ، وابن عبد البر في التمهيد (١١/ ٣٠)

(8) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠/ ٦٦١) .

(9) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠/ ٦٦١) ، وابن عبد البر في التمهيد (١١/ ٣٠) .

(10) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠/ ٦٦٢) .

(11) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠/ ٦٥٩ ، ٦٦٢ ، ٦٦٤) .

(12) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠ / ٦٥٩).

(13) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠/ ٦٦٣) .

(14) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦٤٦) رقم (٨٧٣٥) .

(15) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠/ ٦٦٣) .

(16) ينظر : معاني القرآن (١/ ٤٠٢) ، ومعاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٩٨) ، ومعاني القرآن الكريم (٣/ ١٢٢)

ودليله :

ـــ أن سبب نزولها أنهم كانوا يرفعون أصواتهم وهم خلف رسول الله ﷺ في الصلاة ، فنزلت الآية في ذلك .

ـــ ولإجماعهم على عدم وجوب الاستماع والإنصات في غير الصلاة والخطبة .

قال الجصاص : « فقد حصل من اتفاق الجميع أنه قد أريد ترك القراءة خلف الإمام والاستماع والإنصات لقراءته . ولو لم يثبت عن السلف اتفاقهم على نزولها في وجوب ترك القراءة خلف الإمام لكانت الآية كافية في ظهور معناها وعموم لفظها ووضوح دلالتها على وجوب الاستماع والإنصات لقراءة الإمام ؛ وذلك لأن قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ ﴾ يقتضي وجوب الاستماع والإنصات عند قراءة القرآن في الصلاة وغيرها. فإن قامت دلالة على جواز ترك الاستماع والإنصات في غيرها لم يبطل حكم دلالته في إيجاب ذلك فيها »[1] .

وأما القول الثاني بأن الإنصات المأمور به هو الإنصات للخطبة ، فنُسِبَ إلى عائشة ، وسعيد بن جبير ، وعطاء ، وعمرو بن دينار[2] . و رُوِيَ عن مجاهد[3] . واختاره السيوطي[4].

وذكره الواحدي بصيغة (قيل)[5].

وضعّفه ابن عطية ؛ لأن الآية مكية والخطبة لم تكن إلاّ بعد الهجرة النبوية[6] .

وإعراب القرآن (١٧٣/٢) ، وأحكام القرآن (٤/ ٢١٥ – ٢١٦) ، وبحر العلوم (١/ ٥٩١) ، وتفسير القرآن العزيز (٢/ ١٦٣) ، والوجيز (٤٢٩/١) و الوسيط (٢/ ٤٤٠) ، وتفسير القرآن (٢/ ٢٤٤) ، ومعالم التنزيل (٢/ ١٨٧) ، والمحرر الوجيز (٦/ ١٩٦ ، ١٩٧) وأوجب الأخير الإنصات لقراءة القرآن في الصلاة والخطبة ، وجعله على الندب في غير الصلاة .

(1) أحكام القرآن (٤/ ٢١٥ – ٢١٦) .

(2) ينظر : معالم التنزيل للبغوي (٢/ ١٨٧) ، وزاد المسير لابن الجوزي (٣/ ٣١٣) .

(3) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠/ ٦٦٤ ، ٦٦٥) ، وغيره .

(4) ينظر : تفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٢/ ١٦٧) . وقال : نزلت في ترك الكلام في الخطبة ، وعبَّر عنها بالقرآن ؛ لاشتمالها عليه . وقيل : في قراءة القرآن مطلقًا .

(5) ينظر : الوجيز (١/ ٤٢٩) .

(6) ينظر : المحرر الوجيز (٦/ ١٩٦) . وتبعه ابن جُزَيّ .

واختار الطبري أنها نزلت في صلاة الجمعة ، وفيما يجهر به من القراءة في الصلاة ؛ «لصحة الخبر عن رسول الله ﷺ أنه قال : (إذا قرأ الإمام فأنصتوا)[1] ، وإجماع الجميع على أن من سمع خطبة الإمام ممن عليه الجمعةُ الاستماعُ والإنصاتُ لها ، مع تتابع الأخبار بالأمر بذلك عن رسول الله ﷺ ، وأنه لا وقت يجب على أحدٍ استماع القرآن والإنصاتُ لسامعه من قارئه إلاّ في هاتين الحالتين ، على اختلاف في إحداهما ، وهي حالة أن يكون خلف إمام مؤتم به . وقد صحَّ الخبر عن رسول الله ﷺ بما ذكرنا من قوله : (إذا قرأ الإمام فأنصتوا) فالإنصات خلفه لقراءته واجب على من كان به مؤتمًّا سامعًا قراءته بعموم ظاهر القرآن والخبر عن رسول الله ﷺ »[2] .

وروي هذا القول عن ابن عباس ، ومجاهد ، وعطاء[3] ، وجابر بن زيد[4] ، والحسن[5].

ورُوِيَ عن سعيد بن جبير أنها في يوم الأضحى ، ويوم الفطر ، ويوم الجمعة ، وفيما يجهر به الإمام من الصلاة[6] .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن القول بأن الإنصات المأمور به في خطبة الجمعة لا يخلو من بُعْدٍ ؛ لثلاثة أَوْجُهٍ : الأول : أن القرآن غير كثير فيها[7] .

الثاني : أن الجمعة ما شرعت إلاّ بالمدينة ، والآية مكية ؛ لأن سورة الأعراف من القرآن النازل بمكة قبل الهجرة[8] .

---

(1) أخرجه أحمد (٤/ ٤١٥) ، ومسلم (٤٠٤ / ٦٣) ، و أبو داود (٩٧٣) ، وابن ماجه (٨٤٧) .

(2) جامع البيان (١٠ / ٦٦٧) .

(3) ينظر : الدر المنثور للسيوطي (٣/ ٦٣٧) .

(4) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢٤٧) .

(5) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠/ ٦٦٦) قال : في الصلاة ، وعند الذكر .

(6) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠ / ٦٦٦) . وأخرج نحوه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦٤٦) رقم (٨٧٣٣) عنه ، عن ابن عباس .

(7) ينظر : العذب النمير للشنقيطي (٤/٤٥٨طبعة أبوزيد) .

(8) ينظر : تفسير القرآن للسمعاني (٢/ ٢٤٤) ، ومعالم التنزيل للبغوي (٢/ ١٨٧) ، والمحرر الوجيز (٦/ ١٩٦)، والمصدر السابق .

الثالث : أن الخطبة مأمور بالاستماع و الإنصات لها قريء قرآن أو لا[1] .

وأما القولان الآخران فيمكن الجمع بينهما بأن يقال : إن الاستماع والإنصات لقراءة القرآن في الصلاة الجهرية واجب ، والاستماع والإنصات لقراءة القرآن ـــ في غير الصلاة ـــ وغير الخطبة أيضًا ـــ مستحبٌّ .

وفي الجمع بين هذين القولين إعمال للأدلة كلِّها وجمع بينها ، وهو أَولى من إهمال واطّراح أحد القولين . فالاستماع والإنصات لقراءة القرآن في الصلاة والخطبة مأمور بهما أمر إيجاب، وفي غيرهما مأمور بهما أمر استحباب ، والله تعالى أعلم .

قال النقاش:«أجمع أهل التفسير أن هذا الاستماع في الصلاة المكتوبة وغير المكتوبة»[2].

ومما يؤيد هذين القولين من القواعد الترجيحية قاعدة : (لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلاّ بدليل) ، وقاعدة : (العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب) ، وقاعدة : (يجب حمل نصوص الوحي على العموم)[3] . والله تعالى أعلم .

---

(1) ينظر : معاني القرآن الكريم للنحاس (٣/ ١٢٢) ، والمصادر السابقة .

(2) ينظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٤٣١/٩) .

(3) ينظر : قواعد الترجيح (١٣٧/١) و(٥٤٥/٢ و ٥٢٧) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ٢٠٥ ﴾

٤٦- الخلاف في المراد بـــ الغدوّ والآصال .

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « ﴿ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ﴾ أي : في الصباح والعشيّ . والآصال : جمع أُصُل ، والأُصُل : جمع أصيل . قيل : المراد صلاة الصبح والعصر . وقيل : فرض الخمس . والأظهرُ الإطلاق »[1] .

العرض والمناقشة :

فسّر ابن جُزَيّ الغدوَّ والآصال بالصباح والعشي ، ووافق في ذلك جمهور المفسّرين منهم : مقاتل، والطبري، والزجاج، والجصاص، والواحدي، والبغوي، والقرطبي، والبيضاوي، والنسفي، والخازن، وأبوالسعود، والشوكاني، والقاسمي[2] .

وعبَّر عنه آخرون بأوائل النهار وأواخره منهم : السمعاني، وابن كثير، والسيوطي، والسيد محمد رشيد رضا، والمراغي، والسعدي، والشنقيطي[3] .

وعندهم أن الغدوّ هو الوقتُ ما بين صلاة الغداة وطلوع الشمس ، والآصال ما بين العصر والمغرب . كذا فيما يقال في كلام العرب[4] .

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٦٠) .

(2) ينظر : تفسير مقاتل (٢/ ٨٣) ــ قال: بالغداة والعشي ــ ، وجامع البيان (١٠/ ٦٦٩) ــ قال: بالبكر والعشيات ــ ، ومعاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٩٨) ــ قال : والآصال : العشيات ــ ، وأحكام القرآن (٢٢٢/٤) ــ قال : وقال قتادة : والآصال : العشيات ــ ، والوجيز (١/ ٤٢٩) ، ومعالم التنزيل (١٨٨/٢)، والجامع لأحكام القرآن (٤٣٤/٩) ، وأنوار التنزيل (١/ ٣٧٤) ، ومدارك التنزيل (٢/ ٩٢) ، ولباب التأويل (٢/ ١٦١) ، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٣٣٨) ، وفتح القدير (٢/ ٤٠٢) ، ومحاسن التأويل (٢٩٣٧/٧) .

(3) ينظر : تفسير القرآن (٢/ ٢٤٥) ، وتفسير القرآن العظيم (٦/ ٥٠٥) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٣/ ١٦٩) ، وتفسير القرآن الحكيم (٩/ ٤٨٣) ، وتفسيرالمراغي (٩/ ١٥٦) ، وتيسير الكريم الرحمن (١٨٥/٢) ، والعذب النمير (٤/ ١٨٠٩) .

(4) ينظر : مجاز القرآن لأبي عبيدة (١/ ٢٣٩) ، وجامع البيان للطبري (١٠/ ٦٦٩) ، والصحاح للجوهري ، (أطم) ، وتاج العروس للزبيدي (أصل) .

قال أبوذؤيب الهذلي[1]:

لعمري لأنت البيتُ أكرمُ أهله وأقعدُ في أفيائه بالأصائل

قال أبوعبيدة : « يقال : آخر النهار »[2] .

وعن أبي صخر : أن الآصال ما بين الظهر والعصر[3] . وقال : « فالآصال لا يجهر فيها»[4].

وهو قول مخالف لما عليه العرب .

وذهب الطاهر بن عاشور إلى أن الغدوّ النصفُ الأولُ من النهار ، والآصال النصف الثاني من النهار[5] .

وأما الراغب الأصفهاني فاعتبر العشيّ من زوال الشمس إلى الصباح ، واستدلّ بقوله تعالى : ﴿إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴿٤٦﴾﴾ [النازعات] . وأما الغدوة والغداة فمن أول النهار[6] .

وأما القول بأن المراد بالغدو صلاة الصبح ، وبالآصال صلاة العصر ، فهو قول قتادة[7]، ومجاهد[8] . ونُسِبَ لابن عباس[9] . ويُخرّج هذا القول على أن أهم الذكر في هذين الوقتين؛ في أول النهار وآخره هما صلاة الفجر وصلاة العصر[10] .

---

(1) ديوان الهذليين (١/ ١٤١) .

(2) مجاز القرآن (١/ ٢٣٩) .

(3) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦٤٨) رقم (٨٧٤٧) .

(4) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦٤٨) رقم (٨٧٤٨) .

(5) ينظر : التحرير والتنوير (٩/ ٢٤٢) .

(6) ينظر : مفردات ألفاظ القرآن (غدا) (٦٠٣) ، و (عشا) (٥٦٧) .

(7) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢٤٦) عن معمر ، عنه قال : الآصال العشي . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦٤٨) رقم (٨٧٤٥ و ٨٧٤٦) من طريق يزيد ، عن سعيد ، عنه . وفي الدر المنثور للسيوطي (٣/ ٦٣٨) نسبه إلى عبد بن حميد ، والطبري ، وابن المنذر . وفيه : (أما الغدو : فصلاة الصبح ، والآصال : بالعشي) . ونسبه إليه الماوردي في النكت والعيون (٢/ ٢٩١) ، وأبو حيان في البحر المحيط (٤/٤٥٣) قال: صلاة الصبح والعصر .

(8) نسبه السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٦٣٨) إلى الطبري ، وأبي الشيخ . ونسبه إليه أيضًا الماوردي في النكت والعيون (٢/ ٢٩١) ، وابن عطية في المحرر الوجيز (٦/ ١٩٨) .

(9) نسبه إليه الماوردي (٢/ ٢٩١) ، وابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٣١٤) .

(10) ينظر : تفسير القرآن الحكيم للسيد رشيد رضا (٩/ ٤٨٤) ، وتفسير المراغي (٩/ ١٥٦) .

واختار ابن أبي زمنين، وابن كثير[1] أن ذلك حين كانت الصلاة ركعتين غدوةً وركعتين عشية قبل أن تفرض الصلوات الخمس ؛ لأن هذه الآية مكية .

وأما القول بأن المراد الصلوات الخمس فهو منسوب لابن عباس أيضًا[2] .

و نُسِبَ إلى الضحاك أن المراد الجهر بالقراءة في صلاة الغداة والمغرب والعشاء[3] .

واستظهر ابن جُزَيّ الإطلاق وعدم تعيين صلاةٍ بعينها ، وأن المراد هو ذكر الله على الدوام وليس التخصيص .

وعلى هذا ابن عطية، والرازي، والسمين، والبقاعي، والشوكاني، والقنّوجي ، والطاهر ابن عاشور[4]. وأمكنه القمي[5] .

وذكره بصيغة (قيل) : النسفي، وأبوحيان، والآلوسي[6] .

ويدل عليه أن الله تعالى نهى عن الغفلة عن ذكره بعد ذلك فقال : ﴿ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾.

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن ما ذهب إليه ابن جُزَيّ من تفسير الغدو بالصباح والآصال بالعشي فقد وافقه عليه جمهور المفسّرين ، وهو الراجح ؛ لوروده في كلام العرب كذلك .

وأما ما استظهره من أن المراد هو دوامُ الذكرِ لله تعالى فقد تابعه عليه جماعة وخالفه آخرون، والله أعلم بمراده وأسرار كتابه .

---

(1) ينظر : تفسير القرآن العزيز (٢/ ١٦٣) ، وتفسير القرآن العظيم (٦/ ١٩٨) .

(2) نسبه إليه الواحدي في الوسيط (٢/ ٤٤١) .

(3) نسبه إليه السمرقندي في بحر العلوم (١/ ٥٩١) .

(4) ينظر : المحرر الوجيز (٦/ ١٩٨) ــ وتابعه الثعالبي في الجواهر الحسان (١/ ٦٠٠) ــ ، ومفاتيح الغيب (٥/٤٤٤) ، والدر المصون (٥/ ٥٥٢) ، ونظم الدرر (٨/ ٢١١) ، وفتح القدير (٢/ ٤٠٣) ، وفتح البيان (٥/ ١٢٣) ، والتحرير والتنوير (٩/ ٢٤٢) .

(5) ينظر : غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ٣٦٩) .

(6) ينظر : مدارك التنزيل (٢/ ٩٢) ، والبحر المحيط (٤/ ٤٥٣) ، وروح المعاني (٩/ ١٥٥) .

تَرجيحاتُ ابن جُزَيّ

في تفسير سورة الأنفال

قَالَ تَعَالَى:

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾ ﴾

في هذه الآية الكريمة مسألتان :

المسألة الأولى هي :

١- الخلاف في معنى الأنفال .

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « والأنفال هي الغنائم . وقيل : الأنفال هنا ما ينفلّه الإمامُ لبعض الجيش من الغنيمة زيادةً على حَظِّه »[1].

العرض والمناقشة :

رجّح ابن جُزَيّ بأن الأنفال هي الغنائم . ووافق في ذلك ما رُوِيَ عن ابن عباس[2]، ومجاهد[3]، وقتادة [4]، وعكرمة [5]، والضحاك [6]، وابن زيد [7]، وعطاء [8]. و نُسِبَ إلى الحسن [9].

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/٦٠) .

(2) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١١/٦) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/١٦٩٤) رقم (٨٧٥٤) من طريق علي بن أبي طلحة ، عنه . وأخرجه الطبري أيضًا في جامع البيان (١١/٦) من طريق عطية العوفي ، عنه . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤/٨) نسبته إلى ابن المنذر ، وابن مردويه ، والبيهقي في سننه (٦/٢٩٣) .

(3) أخرجه الطبري في جامع البيان (١١/٥) من طريق ابن أبي نجيح ، عنه . وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/١٦٤٩) عقب الأثر رقم (٨٧٥٤) .

(4) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/٢٥١) عن معمر ، عنه . وأخرجه الطبري في جامع البيان (١١/٦) من طريق سعيد ، عنه .

(5) أخرجه الطبري في جامع البيان (١١/٥) من طريق حماد بن زيد ، عنه .

(6) أخرجه الطبري في جامع البيان (١١/٥) من طريق جويبر ، عنه . وأخرجه أيضًا (١١/٦) من طريق عبيد بن سليمان ، عنه . وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/١٦٤٩) عقب الأثر (٨٧٥٤) .

(7) أخرجه الطبري في جامع البيان (١١/٦) من طريق ابن وهب ، عنه .

(8) أخرجه الطبري في جامع البيان (١١/٦) من طريق ابن المبارك ، عن ابن جريج ، عنه . وأخرجه أبو عبيد في الأموال (٧٥٧) ـــ وعنه ابن زنجويه في الأموال (١١٢٧) – عن حجاج ، عن ابن جريج ، عنه . وزاد أبو عبيد ذكر "ابن عباس" . وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/١٦٤٩) عقب الأثر (٨٧٥٤) .

(9) نسبه إليه ابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٣١٨) .

وذهب إليه عامّة المفسرين منهم : أبوعبيد القاسم بن سلاّم، وأبوعبيدة، وابن قتيبة، والزجّاج، والنحاس، والجصاص، والسمرقندي، وابن أبي زمنين، ومكي، والواحدي، والسمعاني، والبغوي، والزمخشري، وابن العربي، وابن عطية، وابن الجوزي، والرازي، والقرطبي، والبيضاوي، والنسفي، والخازن، والقمي، وأبوحيان، وابن التركماني، والسمين، والبقاعي، والسيوطي، وأبوالسعود، والشوكاني، والآلوسي، والقنّوجي، والقاسمي، والمراغي، والسعدي، والشنقيطي[1] .

قال البغوي : « وأكثر المفسّرين على أن الآية في غنائم بدر » . وتبعه الخازن .

وأيّده ابن عطية بأسباب النزول المروية وسماها "آثار يوم بدر" ، ومناسبةِ الوقت الذي نزلت الآية فيه ، ومنها :

ما رواه أبو أمامة الباهلي قال : سألت عبادة بن الصامت عن الأنفال ، فقال : فينا معشر أصحاب بدر نزلت حين اختلفنا في النفل وساءت فيه أخلاقنا فانتزعه الله من أيدينا وجعله إلى رسول الله > فقسمه رسول الله > بين المسلمين عن بَوَاء . يقول : على السواء .[2]

وروى الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله > : (لم تحلَّ الغنيمةُ لقوم سود الرؤوس قَبلكم .كانت تنزل نار من السماء فتأكلها). فلما كان يومُ بدرٍ أسرع الناس في الغنائم فأنزل الله تعالى :﴿ لَّوۡلَا كِتَٰبٞ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمۡ فِيمَآ أَخَذۡتُمۡ

(1) ينظر: الأموال (٣٨٤/١) ، و مجاز القرآن (١/ ٢٤٠) ، وتفسير غريب القرآن (١٧٧) ، ومعاني القرآن وإعرابه (٣٩٩/٢) ، ومعاني القرآن الكريم (٣/ ١٢٩) ، وأحكام القرآن (٤/ ٢٢٢) ، وبحر العلوم (٣/٢) ، وتفسير القرآن العزيز (٢/ ١٦٥) ، وتفسير المشكل (١٨٠) ، والوجيز (١/ ٤٣٠) ، وتفسير القرآن (٢/ ٢٤٦) ، ومعالم التنزيل (٢/ ١٩٣) ، والكشاف (٢/ ٥٤٩) ، وأحكام القرآن (٢/ ٨٣٥ ، ٨٣٦) ، والمحرر الوجيز (٢٠١/٦) ، وتذكرة الأريب (١/ ١٩٨) ، ومفاتيح الغيب (٥/ ٤٤٧) ، والجامع لأحكام القرآن (٤٤٣/٩) ، وأنوار التنزيل (١/ ٣٧٥) ، ومدارك التنزيل (٩٣/٢) ، ولباب التأويل (١٦٢/٢) ، وغرائب القرآن (٣٧٢/٣)، والبحر المحيط (٤٥٦/٤) ، وبهجة الأريب (٢٣٥/١) ، والدر المصون (٥٥٦/٥) ، ونظم الدرر (٢١٧/٨) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٣/ ١٧٠) ، وإرشاد العقل السليم (٣٣٩/٢) ، وفتح القدير (٤٠٦/٢) ، وروح المعاني (١٦٠/٩) ، وفتح البيان (٥/ ١٢٧) ، ومحاسن التأويل (٢٩٤٦/٨) ، وتفسير المراغي (٩/ ١٦١-١٦٢) ، وتيسير الكريم الرحمن (٢/ ١٨٧) ، والعذب النمير (٤/ ١٨١١، ١٨١٣، ١٨١٥) .

(2) أخرجه أحمد في مسنده (٥/ ٣٢٢) .

عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا ﴾ [1] [الأنفال :٦٨-٦٩] .

وعن ابن عباس قال : لما كان يوم بدر قال النبي > : (من قتل قتيلاً فله كذا وكذا ، ومن أسر أسيرًا فله كذا وكذا) . وكانوا قتلوا سبعين وأسروا سبعين ، فجاء أبو اليَسَر بن عمرو بأسيرين فقال : يا رسول الله ، إنك وعدتنا من قتل قتيلاً فله كذا ، ومن أسر أسيرًا فله كذا، وقد جئت بأسيرين . فقام سعد بن عبادة فقال : يا رسول الله ، إنا لم تَمْنَعْنا زهادةٌ في الأجر ولا جُبْنٌ عن العدوّ ، ولكنا قمنا هذا المقام خشية أن يقتطعك المشركون ، وإنك إن تُعْطِ هؤلاء لا يبقى لأصحابك شيء . قال : فجعل هؤلاء يقولون، وهؤلاء يقولون ، فنزلت : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾ قال : فَسَلّموا الغنيمة لرسول الله > ، قال [ثم] نزلت : ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ ﴾ الآية [2] [الأنفال :٤١] .

وفي رواية قال : فنزلت ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ ﴾ فَقَسَمَ الغنائم بينهم بالسويّة [3].

وعن الكلبي قال : لما كان يوم بدر قال النبي > : (من جاء برأسٍ فله كذا وكذا، ومَنْ جاء بأسير فله كذا وكذا). فلما هزم المشركون تبعهم ناس من المسلمين [وبقي مع النبي > ناس] فقال الذين بقوا مع النبي > : يا نبيّ الله، والله ما منعنا أن نصنع كما صنع هؤلاء وأن نتبعهم ضعفٌ بنا ولا تقصير، ولكنا كرهنا أن نُعْرِيَك وندعك وحدك ، قال : فتدارؤوا في ذلك فأنزل الله تعالى : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ ﴾ ثم أخبر الله تعالى بمواضعها فقال : ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾

---

(1) أخرجه تمام الرازي في فوائده (٢٦٣/١) برقم (٦٤٠) . وذكره الجصاص في أحكام القرآن (٤/ ٣٢٢) .

(2) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢٤٩) ، وفي المصنف (٢٣٩/٥) (٩٤٨٣) عن الثوري ، عن محمد بن السائب، عن أبي صالح ، عنه . ورواه عَبْد بن حميد ، وابن مردويه كما في الدر المنثور للسيوطي (٦/٤) .

(3) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢٤١/٢) ، والبيهقي في السنن الكبرى (٣١٥/٦) . قال الحاكم : هذا حديث صحيح و لم يخرجاه . وينظر: الدر المنثور للسيوطي (٦/٤) .

الآية[1][الأنفال :٤١].

قال الجصّاص : « والصحيح أنه لم يتقدم من النبي > قول في الغنائم قبل القتال ، فلما فرغوا من القتال تنازعوا في الغنائم فأنزل الله تعالى : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ﴾ فجعل أمرها إلى النبي > في أن يجعلها لما شاء فقسمها بينهم بالسواء »[2].

وقال أبوعبيد القاسم بن سلاّم : « ومعنى الأنفال في كلام العرب : كل إحسان فعله فاعل تَفَضُّلاً من غير أن يجب ذلك عليه ، فكذلك النفل الذي أحلّه الله للمؤمنين من أموال عدوِّهم ، إنما هو شيء خصَّهم الله به تطوُّلا منه عليهم ، بعد أن كانت الغنائم محرمة على الأمم قبلهم فنفلها الله هذه الأمة ، فهذا أصل النفل ، وبه سمي مجعل الإمام للمقاتلة نفلا وهو تفضيله بعض الجيش على بعض بشيء سوى سهامهم ، يفعل ذلك على قدر الغنى عن الإسلام ، والنكْي في العدو »[3].

وقال النحاس : « والأنفال في اللغة : ما يتطوّع به الإمام ، مما لا يجب عليه نحو قوله : (من جاء بأسير فله كذا) ، ومنه : النافلة من الصلوات ، ثم قيل للغنيمة : نفلٌ ؛ لأنه يُروى أن الغنائم لم تحلّ لأحد إلاّ لأمة محمد > [4] ، فكأنهم أُعطَوْها نافلةً »[5].

وقال أيضًا : « ويجعل بعضهم اشتقاقه من النافلة ، وهي الزيادة، فالغنائم أنفال ؛ لأن الله تعالى نفلها أمة محمد > خصّهم بذلك »[6] .

والنفل في اللغة : الزيادة ، ومنه قول لبيد[7] :

إن تقوى ربنا خيرنَفَل وبإذن الله ريثي و عَجَل

---

(1) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٢/٢٥٠) عن معمر ، عنه .

(2) أحكام القرآن (٤/ ٢٢٣) .

(3) الأموال (١/٣٨٦) . وينظر: تفسير ابن أبي حاتم (٥/١٦٥٠) ، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٧/١١) .

(4) روى البخاري في صحيحه في كتاب التيمم برقم (٣٣٥) ، وفي كتاب الصلاة برقم (٤٣٨) ، وفي كتاب فرض الخمس برقم (٣١٢٢) ، ومسلم في صحيحه (١/٣٧٠) برقم (٥٢١) من حديث جابر وفيه : (وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ و لم تُحَلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي) . ورواه مسلم في صحيحه (١/٣٧١) برقم (٥٢٣) من حديث أبي هريرة .

(5) معاني القرآن الكريم (٣/ ١٢٩) .

(6) الناسخ والمنسوخ (٢/٣٦٦) .

(7) ديوان لبيد بن ربيعة (٢/١١) ، جمهرة أشعار العرب (١٦) ، مجاز القرآن لأبي عبيدة (١/٢٤٠) ، جامع البيان للطبري (١١/١١) ، المحرر الوجيز لابن عطية (٦/٢٠١) .

وسمّيت الغنيمة نفلاً ؛ لأنها زيادة على القيام بالجهاد وحماية الدين والدعاء إلى الله لأ. قاله ابن عطية[1] .

ومنه قول عنترة [2]:

إنا إذا احمرّ الوغى نُرْوي القنا و نَعِفُّ عند تقاسم الأنفال

ومنه ولد الولد ؛ لأنه زيادة على الولد . قال تعالى : ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ﴾[الأنبياء: ٧٢] أي : زيادة على ما سأل [3].

وأما القول الثاني بأن الأنفال هنا هي ما ينفّلُه الإمام لبعض الجيش من الغنيمة زيادةً على حَظِّه ، فرُويَ عن ابن عباس أنه سئل عن الأنفال فقال : « السَلَبُ والفرس »[4].

وقال: «الأنفال ما أخذ مما سقط من المتاع بعد ما تقسم الغنائم ، فهي نَفَلٌ لله ولرسوله»[5].

وقال عطاء : « هو ما شذّ من المشركين إلى المسلمين بغير قتال من عبدٍ أو أمةٍ أو متاعٍ أو [ثِقَلٍ] [6] ، فهو للنبي > يصنع فيه ما شاء »[7] .

---

(1) المحرر الوجيز (٢٠١/٦) .

(2) ديوان عنترة (١٩٣) . والبيت من قصيدة قالها عنترة في إغارته على بني ضبة .

(3) ينظر: مفاتيح الغيب للرازي (٥/ ٤٤٧) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان للقمي (٣٧٢/٣) .

(4) أخرجه ابن جرير الطري في جامع البيان (٧،٨/١١) من طريق معمر ، عن الزهري ، عنه . وأخرجه :(٨/١١) من طريق مالك ، عن الزهري ، عن القاسم بن محمد ، عنه بنحوه . وأخرجه الطحاوي في شرح معاني الآثار (٢٣٠/٣) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٥١/٥) من طريق معن ، عن مالك به . وأخرجه مالك في الموطأ (٤٥٥/٢) ، ومن طريقه أبو عبيد في الأموال (٧٦٠، ٧٦١) ومسدد في مسنده- كما في المطالب العالية (٣٩٨٩) – وابن زنجويه في الأموال (١١٣٠) ، والطحاوي في شرح معاني الآثار (٢٣٠/٣) ، والنحاس في الناسخ والمنسوخ (٣٧٣/٢) رقم (٥٢٣) . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٨/٤) نسبته إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر ، وأبي الشيخ ، وابن مردويه . وأخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢٩٤) – ومن طريق الطبري في جامع البيان (٩/١١) – عن معمر . وأخرجه الطبري في جامع البيان (٨/١١) من طريق ابن جريج ، عن عثمان ابن أبي سليمان ، عن الزهري به قال : الفرس، الدرع، الرمح . وأخرجه أبو عبيد في الأموال (٧٥٨) – وعنه ابن زنجويه في الأموال (١١٢٨) ـــ عن حجاج ، عن ابن جريج به

(5) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٨/١١) من طريق عطية العوفي ، عنه .

(6) هذا هو الصواب ، ووقعت في جامع البيان (نَفَل) . و الثَّقَلُ : متاع المسافر وحشمه .

(7) أخرجه الطبري في جامع البيان (٧/١١) ، وأبو عبيد في الأموال (٧٦٢) ، وابن زنجويه في الأموال (١١٣٢) ، والنحاس في ناسخه (٢/ ٣٧٤) رقم (٥٢٥) من طريق عبد الملك ، عنه .

وقال أيضًا : « الأنفال : الفرس الشاذّ والدرع والثوب »[1] .

واختاره الطبري [2] . وهو مفهوم كلام مقاتل[3] .

قال الطبري : « وأَولى هذه الأقوال بالصواب في معنى الأنفال قول من قال : هي زيادات يزيدها الإمام بعضَ الجيش أو جميعهم ، إما مِن سَلَبه على حقوقهم من القسمة ، وإما مما وصل إليه بالنَّفَل أو ببعض أسبابه ؛ ترغيبًا له ، وتحريضًا لمن معه من جيشه على ما فيه صلاحُهم وصلاحُ المسلمين ، أو صلاحُ أحد الفريقين . وقد يدخل في ذلك ما قاله ابن عباس مِن أنه الفرس والدرع ونحو ذلك ، ويدخل فيه ما قاله عطاء من أن ذلك ما عاد من المشركين إلى المسلمين من عبدٍ أو فرسٍ ؛ لأن ذلك أمره إلى الإمام ، إذا لم يكن ما وصلوا إليه لغلبةٍ وقَهْر ، يفعل ما فيه صلاحُ أهل الإسلام ، وقد يدخل فيه ما غَلَبَ عليه الجيش بِقَهْر ...».اهـــ.

قال ابن عطية : « وهذا القول أيضًا يحسن مع الآية ومع ما ذكرناه من آثار يوم بدرٍ»[4].

واستشهد له ابن كثير بما رُوِيَ في سبب نزول الآية عن سعد بن أبي وقاص قال : لما كان يوم بدر ، و قُتِلَ أخي عمير ، وقتلتُ سعيد بن العاص وأخذت سيفه ، وكان يسمى "ذا الكتيفة" فأتيت به النبي > فقال: (اذهب فاطرحه في القبض) ، قال : فرجعت وبي ما يعلمه إلاّ الله ، من قَتْلِ أخي وأخْذِ سلبي ، قال : فما جاوزت إلاّ يسيرًا حتى نزلت سورة الأنفال ، فقال لي رسول الله > : (اذهب فخذ سيفك)[5].

ومما يدل لهذا القول أن النَّفَل في كلام العرب هو الزيادة على الشيء ، يقال منه : نَفَّلتك كذا و أنفلتك : إذا زدتك .

---

(1) أخرجه الطبري في جامع البيان (٨/١١) من طريق ابن جريج ، عنه .

(2) ينظر: جامع البيان (١٠/١١) .

(3) ينظر: تفسير مقاتل (٩٩/٢) .

(4) المحرر الوجيز (٢٠٦/٦) .

(5) تفسير القرآن العظيم (٧/٧) . والحديث رواه أحمد في مسنده (١٨٠/١) (١٥٥٦) . قال ابن أبي حاتم في المراسيل (٦٧): محمد بن عبيد الله الثقفي أبو عون : ثقة ، ولكنه لم يدرك سعدًا . ورواه أبوعبيد في الأموال (٣٠٣) . وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣/٤) لابن أبي شيبة ، وأحمد ، وابن مردويه .

والأنفالُ : جمع نَفَلٍ ، ومنه قول لبيد :

إن تقوى ربنا خير نفل

فكل مَنْ زيدَ من مقاتلة الجيش على سهمه من الغنيمة فهو مُنَفَّلٌ ما زيد من ذلك ؛ لأن الزيادة هي الفَضْل .

والفرق بين الغنيمة والنّفل : أن الغنيمة هي ما أفاء الله على المسلمين من أموال المشركين بغلبة و قَهْرٍ ، نُفّل منه مُنَفَّلٌ أو لم يُنَفَّلْ ، والنَّفَلُ : هو ما أعطيه المرء على البلاء والغناء عن الجيش على غير قسمة . قاله الطبري[1] .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن ما رُوِيَ في أسباب نزول الآية يشهد لكلا القولين ، لكن التحقيق الذي عليه الجمهور : أنها نزلت في اختلاف الصحابة في غنائم بدر وجمعها لما تنازعوا فيها وساءت أخلاقهم ، فأنزل الله الآية وقسمها رسوله > بينهم على السواء[2].

وإذا كان ذلك كذلك فإن أَولى القولين بالصواب في ذلك هو ما رجّحه ابن جُزَيّ ومَنْ وافقه ، وهو قول أكثر السلف ، وعليه جماهير المفسّرين[3].

ومما يؤيده القاعدة الترجيحية : (تفسير السلف حجة على من بعدهم)[4] وهو مقدم على غيره [5] ، والله تعالى أعلم .

---

(1) جامع البيان (١١/ ١٠-١٢) .

(2) ينظر: العذب النمير للشنقيطي (٤/٤٧٠ ط/أبوزيد) .

(3) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (١/٩) .

(4) ينظر: قواعد الترجيح (١/٢٧١) .

(5) ينظر: المصدر السابق (١/ ٢٨٨) .

المسألة الثانية هي :

٢- ما معنى ﴿ ذَاتَ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾ ؟

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « وذات هنا بمعنى الأحوال ، قاله الزمخشري[1]. وقال ابن عطية : يراد بها في هذا الموضع نفس الشيء وحقيقته [2]. وقال الزبيري : إطلاق الذات على نفس الشيء وحقيقته ليس من كلام العرب » [3] .

العرض والمناقشة :

رجّح ابن جُزَيّ بأن ذات في قوله تعالى : ﴿ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾ بمعنى الأحوال. ووافق في هذا ما ذهب إليه الطبري، والسمعاني، والكرماني، والبغوي، والزمخشري، والقرطبي، والبيضاوي، والنسفي، والخازن، والقمي، وأبوحيان، والسمين، والتاج اليماني، وابن التركماني، والبقاعي، وأبوالسعود، والقاسمي، والمراغي، والشنقيطي، ومحي الدين درويش [4].

قال الزمخشري : « كقوله : ﴿ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ [5]، وهي مضمراتها ، لما كانت الأحوال ملابسة للبين قيل لها : ذات البين ؛ كقولهم : اسقني ذا إنائك ، يريدون ما في الإناء من الشراب » .اهـ .

---

(1) الكشاف (٢/٥٥٢) .

(2) المحرر الوجيز (٦/ ٢١٣) .

(3) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٦٠) .

(4) ينظر: جامع البيان (١١/٢٦) ، وتفسير القرآن (٢/ ٢٤٧) ـ وفيه قال ثعلب : يعني أصلحوا الحالة التي بينكم ـ ، وغرائب التفسير وعجائب التأويل (١/ ٤٣٣) ، ومعالم التنزيل (٢/ ١٩٣)، والجامع لأحكام القرآن (٩/٤٤٨) ، وأنوار التنزيل (١/٣٧٥) ، ومدارك التنزيل (٢/ ٩٣) ، ولباب التأويل (٢/ ١٦٣) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/٣٧٣) ، والبحر المحيط (٤/ ٤٥٦) ، والدر المصون (٥/ ٥٥٧) ، وترجمان القرآن (٥٤) ، وبهجة الأريب (١/ ٢٣٥) ، ونظم الدرر (٨/ ٢١٩) ، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٣٤١) ، ومحاسن التأويل (٨/ ٢٩٤٨) ، وتفسير المراغي (٩/ ١٦٣) ، والعذب النمير (٤/١٨١٦) ، وإعراب القرآن الكريم وبيانه (٣/٥٢٧) .

(5) آل عمران (١١٩) . ووردت في القرآن ﴿ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ اثنتي عشرة مرة . ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (٢٧٨-٢٧٩ ، ٤٠٤) .

وقال الشنقيطي : « معنى : ﴿ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾ أي : الأحوال الكائنة فيما بينكم مما يستوجب المحبة والوئام ، وما يستوجب النفرة والوحشة والفراق ، هذه الأحوال التي تكون فيما بينكم أصلحوها لتكون جارية على ما يرضي الله . وقد اشتهر في كلام العرب إطلاق "إصلاح ذات البين" على أن يصلح ما بين هذا وهذا من الأحوال حتى يكون الشيء الذي بينهما على الحالة التي تنبغي ، خاليًا من النزاع والخصام »[1] .

وقال الزجاج : « وكذلك " اللهم أصلح ذات البين " أي : أصلح الحال التي بها يجتمع المسلمون »[2].

وفسّر أبوحيّان البَيْنَ هنا بالفراق والتباعد وجعل ﴿ ذَاتَ ﴾ نعتًا لمفعول محذوف والمعنى: وأصلحوا أحوالاً ذات افتراقكم ، فلما كانت الأحوال ملابسة للبين أضيفت صفتها إليه .

وقال : « وإنما اخترنا أنه بمعنى الفراق ؛ لأن استعماله فيه أشهر من استعماله في الوصل، ولأن إضافة ذَاتَ إليه أكثر من إضافة ذَاتَ إلى بَيْنَ الظرفية ؛ لأنها ليست كثيرة التصرف بل تصرفها كتصرف أَمَامَ وخَلْفَ وهو تصرّف متوسط ليس بكثير »[3] .

وأما قول ابن عطية بأن ﴿ ذَاتَ ﴾ يراد بها في هذا الموضع نفس الشيء وحقيقته ، فهو اختيار الزجاج، والنحاس، والواحدي، وابن الجوزي، والثعالبي ، والسيوطي [4] . وعليه استعمال المتكلمين [5] .

قال الزجاج : « معنى ﴿ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾ حقيقة وُصْلِكُم . والبَيْنُ : الوَصْلُ ، قال تعالى : ﴿ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ ﴾ [الأنعام : ٩٤] أي : وصلكم » .

---

(1) العذب النمير (٤/ ١٨١٦) بتصرف يسير .

(2) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٠٠) .

(3) ينظر: البحر المحيط (٤/ ٤٥٦ ، ٤٥٧) .

(4) ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٤٠٠/٢) ، ومعاني القرآن الكريم (١٢٩/٣) ، والوجيز (١/ ٤٣٠) والوسيط (٤٤٣/٢) ، وتذكرة الأريب (١/ ١٩٨) ، والجواهر الحسان (٢/ ٤) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٣/ ١٧١) .

(5) ينظر: حاشية الشهاب على البيضاوي (٤/ ٢٥١) ، وبدائع الفوائد لابن القيم (٦/٢) ، وروح المعاني للآلوسي (٩/ ١٦٤) .

فالمعنى : اتقوا الله وكونوا مجتمعين على ما أمر الله ورسولهﷺ .

واستغرب الكرماني إطلاق الذات على نفس الشيء وحقيقته [1] .

ونقل ابن جُزَيّ عن شيخه وأستاذه الزبيري نَفْيَه عن كلام العرب .

قال الراغب : « وقد استعار أصحاب المعاني الذّات ، فجعلوها عبارةً عن عين الشيء، جوهرًا كان أو عرضًا ، واستعملوها مفردةً ومضافةً إلى المضمر ، بالألف واللام ، وأجروها مُجْرى النّفس والخاصّة ، فقالوا : ذاتُه ، ونفسه وخاصته ، وليس ذلك من كلام العرب»[2].

وقال ابن القيم : « وأصل هذه اللفظة هو تأنيث ذو بمعنى صاحب ، فذات صاحبة كذا في الأصل ، ولهذا لا يقال ذات الشيء إلاّ لما له صفات ونعوت تضاف إليه »[3].

وإلى الجمع بين القولين ذهب محمود النيسابوري ، والقنّوجي في تفسيره للآية كما يفهم من كلامه ، وكذا السيد محمد رشيد رضا [4] وقال : « أي . أصلحوا نفس ما بينكم وهي الحال والصلة التي بينكم » .

وأجاز القولين الطاهر بن عاشور فقال : « و ﴿ ذَاتَ ﴾ يجوز أن تكون مؤنث (ذو) الذي هو بمعنى صاحب فتكون ألفها مبدلة من الواو . ووقع في كلامهم مضافًا إلى الجهات وإلى الأزمان وإلى غيرهما ، يجرونه مُجْرى الصفة لموصوف يدل عليه السياق ؛ كقوله تعالى: ﴿ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ﴾ في سورة الكهف [١٨]، على تأويل جهة . وتقول: لقيته ذات ليلة ، ولقيته ذات صباح ، على تأويل المقدّر ساعة أو وقت . وجرت مجرى المثل في ملازمتها هذا الاستعمال . ويجوز أن تكون ﴿ ذَاتَ ﴾ أصلية الألف كما يقال: أنا أعرف ذات فلان ، فالمعنى : حقيقة الشيء وماهيته ، كذا فسّرها الزجاج ، والزمخشري ، فهو كقول ابن رواحة :

وذلك في ذات الإله وإن يشأ يبارك على أوصال شِلْوٍ ممزّعِ

---

(1) ينظر: غرائب التفسير وعجائب التأويل (٤٣٣/١) .

(2) مفردات ألفاظ القرآن ، مادة (ذو) (٣٣٣) .

(3) بدائع الفوائد (٧/٢) .

(4) ينظر: إيجاز البيان (٢٨٨/١) ، وفتح البيان (٥/ ١٢٨) ، وتفسير القرآن الحكيم (٩/ ٥٠٩) .

فتكون كلمةً مقحمةً لتحقيق الحقيقة ، جُعلت مقدمةً ، وحقها التأخير ؛ لأنها للتأكيد مثل المعنى في قولهم : جاءني بذاته . وفيه يقولون : ذات اليمين وذات الشمال ، قال تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ »[1] [الأنفال : ٤٣] .

وقال أيضًا : « واعلم أني لم أقف على استعمال "ذات بين" في كلام العرب فأحسب أنها من مبتكرات القرآن »[2].

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن الصواب من القول في ذلك هو جواز القولين كليهما ؛ لعدم الدليل على بطلان قول دون الآخر ، والله تعالى أعلم .

---

(1) التحرير والتنوير (٩/ ٢٥٣) . والبيت المذكور هو لخُبيب بن عدي . ينظر : صحيح البخاري ، كتاب الجهاد والسير (٣٠٤٥، ٣٩٨٩) وكتاب المغازي (٤٠٨٦) وكتاب التوحيد (٧٤٠٢) ، وتهذيب اللغة للأزهري (٩٥/٢) .

(2)التحرير والتنوير (٩/ ٢٥٤) .

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ٥ ﴾

٣- الخلاف في موضع الكاف من قوله تعالى : ﴿ كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ ﴾ .

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « فيه ثلاثة [أوجه][1] : أحدها : أن تكون الكاف في موضع رفع على أنه خبر مبتدأ محذوف ، تقديره : هذه الحال كحال إخراجك . يعني : أن حالهم في كراهة [تنفيل الغنائم كحالهم في كراهة][2] خروجك للحرب . والثاني : أن يكون في موضع الكاف نصب [3] على أنه صفة لمصدر الفعل المقدّر في قوله: ﴿ ٱلۡأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ أي : استقرّت الأنفال لله والرسول استقرارًا مثل استقرار خروجك . والثالث: أن تتعلّق الكاف بقوله : ﴿ يُجَٰدِلُونَكَ ﴾ »[4][الأنفال : ٦].

العرض والمناقشة :

للمفسّرين في متعلّق كاف التشبيه في قوله تعالى : ﴿ كَمَآ ﴾ تأويلات كثيرة بلغت العشرين ، غالبها ضعيف، وبعضها متحدّ المعنى[5]. وسبب ذلك أن الكلام يقتضي تشبيه شيء بهذا الإخراج ، وهذا المشبّه غير مصرّح به في الآية وفيه خفاءٌ ، فاختلفوا في بيانه وكذا في إعرابه على وجوه كثيرة [6]، أحسنها ما ذكره ابن جُزَيّ هنا . ورجّح منها ما بدأ به وهو : أن تكون الكاف في موضع رفع خبرًا لمبتدأ محذوف تقديره : هذه الحال كحال إخراجك . ومعناه : حالهم في كراهة تنفيل الغنائم كحالهم في كراهة خروجك للحرب .

---

(1) هكذا في جميع النسخ ، وهو الصواب . وفي المطبوع : " ثلاث تأويلات" .

(2) هكذا في جميع النسخ ، وهو الصواب . وفي المطبوع : "تفضيل الغنائم كحالهم في حالة خروجك للحرب".

(3) في العبارة قلق ! ولو كانت (أن تكون الكاف في موضع نصب ...) لكن أقوم . وفي جميع النسخ : " نصبًا " بالتنوين ، فالله أعلم .

(4) التسهيل لعلوم التنزيل (٦١/٢) .

(5) ينظر : الدر المصون للسمين (٥٦٣/٥) ، والتحرير والتنوير للطاهر (٢٦٤/٩) ، ووإعراب القرآن الكريم وبيانه للدرويش (٥٣١/٣) .

(6) ينظر: حاشية الشهاب (٢٥٣/٤) ، وروح المعاني للآلوسي (١٦٩/٩) .

وهذا قول الفراء[1]، وبه قال المبرد[2]. وهو مفهوم كلام ابن قتيبة [3] . وعليه الواحدي[4]، والزمخشري وحسّنه[5]. وعليه أيضًا ابن عطية، وابن الجوزي، والرازي، والقمي، والبقاعي، والسيوطي، والسيد محمد رشيد رضا، والمراغي ، والشنقيطي [6] .

وذكره الخازن ، والشوكاني بصيغة (قيل) [7].

والقول الثاني هو قول الزجاج [8] ، وحسّنه الزمخشري [9] . وعليه الباقولي، والنسفي[10] . وقدّمه السمين [11] .

وذكره بصيغة (قيل) مكي [12] . واستغربه الكرماني [13] .

قال الزجاج : « كذلك ننفل من رأينا وإن كرهوا ؛ لأن بعض الصحابة قال للنبي >

---

(1) ينظر: معاني القرآن له (٤٠٣/١) ، وزاد المسير لابن الجوزي (٣٢١/٣) ، وإعراب القرآن الكريم وبيانه للدرويش (٥٣٥/٣) .

(2) ينظر: تفسير القرآن للسمعاني (٢٤٩/٢) . وذكر القنّوجي في فتح البيان (١٣٣/٥) قول الزجاج – وهو القول الثاني هنا – ثم قال : وبه قال المبرد . وسبب الاختلاف في ذلك – كما سيأتي – هو خلاف بعضهم في التفريق بين قول الفراء وقول الزجاج أو جعلهما بمعنى واحد ، والله أعلم .

(3) ينظر: تأويل مشكل القرآن (٢٢١) . وينظر أيضًا بحر العلوم للسمرقندي (٥/٢) .

(4) ينظر: الوجيز (٤٣١/١) .

(5) ينظر: الكشاف (٥٥٤/٢) . وينظر: البحر المحيط لأبي حيان (٤٦٢/٤) ، وحاشية الشهاب (٢٥٣/٤) ، والدر المصون للسمين (٥٦١/٥) . قال السمين : واختار الزمخشري هذا الوجه وحسّنه ... وهذا الذي حسّنه الزمخشري هو قول الفراء .

(6) ينظر: المحرر الوجيز (٢١٩/٦) ، وتذكرة الأريب (١٩٨/١) وقدّمه في زاد المسير (٣٢١/٣) ، ومفاتيح الغيب (٤٥٦/٥) ـــ وقال عنه بأنه أحسن الوجوه المذكورة هنا ـــ ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣٧٥/٣) ، ونظم الدرر (٢٢٣/٩) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ١٧٣/٣) ، وتفسير القرآن الحكيم (٥١٧/٩) ، وتفسير المراغي (١٦٨/٩) ، والعذب النمير (١٨٢٢/٤-١٨٢٤) .

(7) ينظر: لباب التأويل (١٦٥/٢) ، وفتح القدير (٤١٣/٢) .

(8) ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٤٠٠/٢) .

(9) ينظر: الكشاف (٥٥٤/٢) .

(10) ينظر: كشف المشكلات (٤٨٩/١) ، ومدارك التنزيل (٩٤/٢) .

(11) ينظر: الدر المصون (٥٥٩/٥) .

(12) ينظر: مشكل إعراب القرآن (٣٠٩/١) .

(13) ينظر: غرائب التفسير وعجائب التأويل (٤٣٤/١) .

حين جعل لكل من أتى بأسير شيئًا ، قال : يبقى أكثر الناس بغير شيء . فموضع الكاف في ﴿ كَمَآ ﴾ نصبٌ ، المعنى : الأنفال ثابتة لك مثل إخراج ربك إياك من بيتك الحق ».

وقال القمي : « ووجه تخصيص هذا المشبَّه به بالذكر من بين سائر أحكام الله أن القصة واحدة ، ووجه جعل الإخراج مشبهًا به كونه أقوى في وجه الشبه ؛ لأن مدار القصة عليه »[1] .

واعترض عليه أبوحيان بأن فيه بُعْدًا ؛ لكثرة الفصل بين المشبه والمشبه به ، وبأنه لا يظهر كبير معنى لتشبيه هذا بهذا ، ولو كانا متقاربين لم يظهر للتشبيه كبير فائدة[2].

قال الشهاب : « قال ابن الشجري في الأمالي : الوجه هو الأول ، وهذا ضعيف ؛ لتباعد ما بينهما [3] . وأيضًا جعله داخلاً في حيز (قل) ليس يحسن في الانتظام ... والاعتذار بأن الفاصل كالاعتراض لا يخلو من الاعتراض »[4] .

وقال الآلوسي : « وادعى العلاّمة الطِّيبي أن هذا الوجه أدقّ التئامًا من الأول والتشبيه فيه أكثر تفصيلا ؛ لأنه حينئذٍ من تتمة الجملة السابقة داخل في حيز المقول مع مراعاة الالتفات. وأطال الكلام في بيان ذلك ، واعتذر عن الفصل بأن الفاصل جار مجرى الاعتراض ، ولا أراه سالمًا من الاعتراض »[5] .

وهذان القولان الأوّلان حسّنهما الزمخشري . وسوّى بينهما محمود النيسابوري، وأبو السعود، والطاهر بن عاشور [6] وهما اختياره وترجيحه . وجوّزهما محي الدين الدرويش[7] .

وقد جعل النحاس قول الفراء والزجاج بمعنى واحد [8]. وكذا السمعاني، والقرطبي،

---

(1) ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/٣٧٥) .

(2) ينظر: البحر المحيط (٤/٤٦٢) .

(3) قال الآلوسي في روح المعاني (٩/١٦٩) : لتباعد ما بين ذلك الفعل وهذا بعَشر جُمل .

(4) حاشية الشهاب (٤/٢٥٣) . ثم قال : وبعد اللتيّا والتي في النفس شيء من أكثر هذه التخريجات .

(5) روح المعاني (٩/١٦٩) .

(6) ينظر: إيجاز البيان (١/٢٨٨) ، وإرشاد العقل السليم (٢/٣٤٢) ، والتحرير والتنوير (٩/٢٦٤) .

(7) ينظر: إعراب القرآن الكريم وبيانه (٣/٥٣١) .

(8) ينظر: إعراب القرآن (٢/١٧٦) قال النحاس : وقول أبي إسحاق – يعني الزجاج – هذا هو معنى قول الفراء ؛

والبيضاوي [1] .وخالفهم آخرون كابن عطية ، وابن الجوزي وغيرهما ففرّقوا بينهما .

والذي يظهر – والله أعلم – هو اتحادهما في المعنى على خلاف في محلّ الكاف من الإعراب بين الرفع والنصب .

وأما القول الثالث فهو معنى قول مجاهد [2] . وبه قال الكسائي [3] . واختاره الطبري، ومكي [4] .

وذكره الباقولي ، والخازن بصيغة (قيل) [5] .

وقال ابن عطية عن هذا القول وعن قول الفراء : « فهذان قولان مطردان يتم بهما المعنى ويحسن رصف اللفظ »[6] .

ويقول الطبري : « وأَولى هذه الأقوال عندي بالصواب قول من قال في ذلك بقول مجاهد، وقال : معناه : كما أخرجك ربك بالحق ، على كُرْهٍ من فريق من المؤمنين ، كذلك يجادلونك في الحق بعدما تبيّن ؛ لأن كلا الأمرين قد كان ، أعني خروج بعض من خرج من المدينة كارهًا ، وجدالهم في لقاء العدوّ عند دنوّ القوم بعضهم من بعض ، فتشبيه بعض ذلك ببعضٍ مع قرب أحدهما من الآخر ، أَولى من تشبيهه بما بَعُدَ عنه ». اهـــ.

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن أظهر الأقوال وأقربها إلى الصواب هو القول الأول وهو : أن الله تعالى شبّه حال بعض الصحابة في كراهة تنفيل الغنائم بحال بعضهم في كراهة الخروج للقتال ، وأن الله تعالى قد قضى عليهم في الحالين شيئًا ليسوا يرغبونه لكنه هو المصلحة لهم في دينهم ودنياهم ، فكأنه بهذا التشبيه يشير تعالى إلى أنه أعلم بمصالح خلقه منهم ، وأن

لأن الفراء قال : امض لأمرك في الغنائم ونفّل من شئت وإن كرهوا كما أخرجك ربك من بيتك بالحق .

(1) ينظر: تفسير القرآن (٢٤٩/٢) ، والجامع لأحكام القرآن (٤٥٢/٩) ، وأنوار التنزيل (٣٦٧/١) .

(2) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٣/١١) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٥٩/٥) (٨٨٠٣) من طريق ابن أبي نجيح عنه . وزاد السيوطي في الدر المنثور (١٥/٣) نسبته إلى ابن أبي شيبة ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر، وأبي الشيخ .

(3) ينظر: معاني القرآن الكريم (١٣١/٣) ، وإعراب القرآن (١٧٦/٢) للنحاس ، وزاد المسير لابن الجوزي (٣٢٢/٣) .

(4) ينظر: جامع البيان (٣٥/١١) ، ومشكل إعراب القرآن (٣٠٩/١) .

(5) ينظر: كشف المشكلات (٤٨٩/١) ، ولباب التأويل (١٦٥/٢) .

(6) المحرر الوجيز (٦/ ٢١٩،٢٢٠) .

المصلحة لهم فيما يختاره لهم كما قال جل وعلا : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (1) [البقرة :٢١٦] .

وهذا ما رجّحه ابن جُزَيّ وهو قول الفرّاء واختاره الأكثر ، وهو الأَولى . ويقرب منه قول الزجاج . وما قول مجاهد – عند التأمل – ببعيد ؛ لأنه يؤول إلى قول الفراء ، والله تعالى أعلم .

وإذا كان ذلك كذلك فإن ما ذكره ابن جُزَيّ من أقوال هنا كلها صحيحة مقبولة ، والعلم عند الله .

(1) ينظر: العذب النمير للشنقيطي (٤/١٨٢٢-١٨٢٤) ، والتحرير والتنوير للطاهر (٩/٢٦٤) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ ﴾

٤- الخلاف في موقع ﴿ إِذْ ﴾ في قوله تعالى: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ ﴾ .

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « ﴿ إِذْ ﴾ بدل من ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ﴾ [الأنفال:٧]. وقيل : يتعلّق بقوله : ﴿ لِيُحِقَّ الْحَقَّ ﴾ [الأنفال:٨] أو بفعل مضمر »[1] .

العرض والمناقشة :

رجّح ابن جُزَيّ أن ﴿ إِذْ ﴾ بَدَلٌ من قوله : ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ﴾ . ووافق الزمخشريَّ، والقُمّي ، وسليمان الجمل، والآلوسي[2] . وقدّمه البيضاوي[3] . وصحّحه ابن عطية [4] . وجوّزه العكبري[5] .

وذكره الشوكاني ، والسيد محمد رشيد رضا بصيغة (قيل)[6] .

وتعليل هذا الوجه أن الوعد كان في وقت الاستغاثة [7]. بل ذهب الشهاب إلى أبعد من ذلك فقال : « وإن كان زمان الوعد غير زمان الاستغاثة ؛ لأنه بتأويل أن الوعد والاستغاثة وقعا في زمان واسع كما تقول : لقيته سنة كذا ...» [8]اهـ.

وأما القول بأن ﴿ إِذْ ﴾ تتعلّق بقوله : ﴿ لِيُحِقَّ الْحَقَّ ﴾ ، فعليه ابن جرير الطبري، وابن الجوزي، والطاهر بن عاشور[9].

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٦١/٢) .

(2) ينظر: الكشاف (٥٥٧/٢) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣٧٨/٣) ، والفتوحات الإلهية (١٧٧/٣) ، وروح المعاني (١٧٢/٩) .

(3) ينظر: أنوار التنزيل (٣٧٧/١) .

(4) ينظر: المحرر الوجيز (٢٢٧/٦) .

(5) ينظر: التبيان (٦١٧/٢) .

(6) ينظر: فتح القدير (٤١٦/٢) ، وتفسير القرآن الحكيم (٥٢٥/٩) .

(7) ينظر: المحرر الوجيز (٢٢٧/٦) .

(8) حاشية الشهاب (٢٥٥/٤) ، ونسب هذا الكلام إلى الطيبي كما في روح المعاني للآلوسي (١٧٢/٩) .

(9) ينظر: جامع البيان (٥٠/١١) ــ وينظر: المحرر الوجيز لابن عطية (٢٢٦/٦) ــ ، وزاد المسير (٣٢٥/٣) ،

وجوّزه الرازي [1].

وذكره الزمخشري ، والقمي النيسابوري ، وأبوالسعود ، والشوكاني ، والسيد رشيد رضا بصيغة (قيل)[2].

قال الطاهر بن عاشور : « يتعلّق ظرف ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ ﴾ بفعل ﴿ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ ﴾ ؛ لأن إرادة الله مستمر تعلّقها بأزمنةٍ منها زمانُ استغاثة النبي > والمسلمين ربهم على عدوهم، حين لقائهم مع عدوهم يوم بدر ، فكانت استجابة الله لهم بإمدادهم بالملائكة من مظاهر إرادته تحقيق الحق فكانت الاستغاثةُ يومَ القتال في بدر ، وإرادةُ الله أن يحق الحق حصلت في المدينة يوم وَعَدَهم إحدى الطائفتين، ورشَّح لهم أن تكون إحدى الطائفتين ذات الشوكة ، وبَيْن وقتِ الإرادة ووقت الاستغاثة مدةُ أيامٍ ، ولكن لما كانت الإرادة مستمرة إلى حين النصر يوم بدر صَحَّ تعليق ظرف الاستغاثة بفعلها ؛ لأنه اقترن ببعضها في امتدادها. وهذا أحسن من الوجوه التي ذكروها في متعلّق هذا الظرف أو موقعه »[3].

وغلَّطَ السمينُ الحلبي قولَ الطبري بعلّة أن قوله ﴿ لِيُحِقَّ ﴾ مستقبل ؛ لأنه منصوب بإضمار ﴿ أَن ﴾ ، و ﴿ إِذْ ﴾ ظرف لما مضى ، فكيف يعمل المستقبل في الماضي ؟![4]

وردّ عليه أبوالسعود وقال : « ليس بشيء ؛ لأن كونه مستقبلاً إنما هو بالنسبة إلى زمان ما هو غاية له من الفعل المقدر لا بالنسبة إلى زمان الاستغاثة حتى لا يعمل فيه بل هما في وقت واحد. وإنما عبّر عن زمانها بـــ إِذْ ؛ نظرًا إلى زمان النزول ، وصيغة الاستقبال في ﴿ تَسْتَغِيثُونَ ﴾ لحكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها العجيبة »[5].

والتحرير والتنوير (٩/٢٧٣-٢٧٤) .

(1) ينظر: مفاتيح الغيب (٥/٤٥٩) .

(2) ينظر: الكشاف (٢/٥٥٧) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/٣٧٨) ، وإرشاد العقل السليم (٢/٣٤٥) ، وفتح القدير (٢/٤١٦) ، وتفسير القرآن الحكيم (٩/٥٢٥) .

(3) التحرير والتنوير (٩/٢٧٣-٢٧٤) .

(4) ينظر: الدر المصون (٥/٥٦٥) .

(5) إرشاد العقل السليم (٢/٣٤٥) .

وقال الشهاب : « فإن قلت : ﴿ لِيُحِقَّ ﴾ مستقبل لنصبه بـــ أَنْ ، و ﴿ إِذْ ﴾ للزمان الماضي فكيف تعمل فيه ؟ قيل : إنه على ما ذهب إليه بعض النحاة كابن مالك من أنها تكون بمعنى إذا للمستقبل كما في قوله : ﴿ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ ﴾ [غافر: ٧٠-٧١] وقد يجعل من التعبير عنه بالماضي لتحققه فتأمل »[1] .

وأما القول بأن ﴿ إِذْ ﴾ متعلّقة بفعل مضمر ، تقديره : اذكر أو اذكروا ، فذهب إليه النحاس، والسمرقندي، وابن عطية، والخازن، والسيوطي، والشوكاني، والقنّوجي، والمراغي، والسعدي، والدرويش [2] . وقدّمه السمين [3] . ومال إليه الشنقيطي[4].

وجوّزه الرازي، والعكبري [5] .

وذكره أبوالسعود ، والآلوسي ، والسيد رشيد رضا بصيغة (قيل)[6].

و عُلّلَ هذا القول بكثرة نصب الظرف ﴿ إِذْ ﴾ بفعل ﴿ وَٱذْكُرْ ﴾ في القرآن ، كقوله تعالى : ﴿ وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ ﴾ [الأحقاف :٢١] .

وقوله تعالى : ﴿ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا ﴾ [الأعراف : ٨٦] ،

وقوله تعالى :﴿ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [الأنفال : ٢٦] .

وقوله تعالى : ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ ﴾ [مريم : ١٦] .

وقوله تعالى : ﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ ﴾ [ص:٤١] .

---

(1) حاشية الشهاب (٤/٢٥٥) .

(2) ينظر: إعراب القرآن (٢/١٧٧) ، وبحر العلوم (٢/٩) ، والمحرر الوجيز (٦/٢٢٦) ، ولباب التأويل (٢/١٦٨) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٣/١٧٧) ، وفتح القدير (٢/٤١٦) ، وفتح البيان (٥/١٣٧) ، وتفسير المراغي (٩/١٧٣) ، وتيسير الكريم الرحمن (٢/١٩٠) ، وإعراب القرآن الكريم وبيانه (٣/٥٣٢) .

(3) ينظر: الدر المصون (٥/٥٦٥) .

(4) ينظر: العذب النمير (٤/١٨٦٠) .

(5) ينظر: مفاتيح الغيب (٥/٤٥٩) ، والتبيان (٢/٦١٧) .

(6) ينظر: إرشاد العقل السليم (٢/٣٤٥) ، وروح المعاني (٩/١٧٢) ، وتفسير القرآن الحكيم (٩/٥٢٥) .

وقوله تعالى : ﴿ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ ﴾ [آل عمران : ١٠٣] .

وغيرها من الآيات [1] . فـــ إِذْ الواقعة في مفتتح القصص شأنها أن تكون مفعولاً لفعل (اذكر) أو (اذكروا) محذوف[2].

والمقصود أن يعدّد الله تعالى نعمه على المؤمنين في يوم بدر فقال : (واذكروا إذ فعلنا بكم كذا) [3] ، فَحَذْفُ الفعلِ معلومٌ من السياق [4].

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن الباحث متوقف في هذه المسألة ، والله أعلم .

---

(1) ينظر: العذب النمير (١٨٦٠/٤) ، والمعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (٢٧١-٢٧٢) .

(2) ينظر: التحرير والتنوير (٢٦٩/٩) .

(3) ينظر: المحرر الوجيز (٢٣١/٦) ، وإرشاد العقل السليم (٣٤٥/٢) .

(4) ينظر: تفسير القرآن الحكيم للسيد رشيد رضا (٥٢٥/٩) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ﴾

في هذه الآية الكريمة مسألتان :

المسألة الأولى هي :

٥- الخلاف في معنى ﴿ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ ﴾ .

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « ومعنى ﴿ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ ﴾ أي : على الأعناق ، حيث المفْصِل بين الرأس والعنق ؛ لأنه مذبح ، والضرب فيها يطير الرأس . وقيل : المراد الرؤوس ؛ لأنها فوق الأعناق . وقيل : المراد الأعناق ؛ و ﴿ فَوْقَ ﴾ زائدة »[1] .

العرض والمناقشة :

رجّح ابن جُزَيّ أن قوله تعالى : ﴿ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ ﴾ معناه : الضرب على الأعناق حيث المفصل بين الرأس والعنق ، فتكون ﴿ فَوْقَ ﴾ بمعنى "على" . ووافق في هذا أبا عبيدة، والسمرقندي، والسمعاني، والزمخشري، والقمي، وأباحيان، والسمين، والسعدي، والشنقيطي [2] .

واستغربه الكرماني [3] . وذكره البغوي ، ومحمود النيسابوري ، والخازن ، والشهاب ، والآلوسي بصيغة (قيل)[4].

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٦٢/٢) .

(2) ينظر: مجاز القرآن (٢٤٢/١) ، وبحر العلوم (١٠/٢) ، وتفسير القرآن (٢٥٢/٢) ، والكشاف(٥٦٢/٢) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣٨٢/٣) ، والبحر المحيط (٤٧٠/٤) ، والدر المصون (٥٧٨/٥) ، وتيسير الكريم الرحمن (١٩٢/٢) ، والعذب النمير (١٨٧٨/٤).

(3) ينظر: غرائب التفسير وعجائب التأويل (٤٣٦/١) .

(4) ينظر: معالم التنزيل (٢٠١/٢) ، ووضح البرهان (٣٨٠/١) ، ولباب التأويل (١٧٠/٢) ، وحاشية الشهاب (٢٥٩/٤) ، وروح المعاني (١٧٨/٩) .

قال أبوحيان : « وهذا قول حسن ؛ لإبقاء ﴿ فَوْقَ ﴾ على معناها من الظرفية » [1] .

وقال الشنقيطي : « وهذا قول ليس ببعيد »[2].

واستدلوا له بأن "على" و "فوق" معناهما متقاربان ، فجاز أن يوضع أحدهما مكان الآخر[3] .

قال الزمخشري : « أراد أعالي الأعناق التي هي المذابح ؛ لأنها مفاصل ، فكان إيقاع الضرب فيها حزًّا وتطييرًا للرؤوس »[4].

ويقول الشنقيطي : « وأظهر الأقوال وأقربها للصواب ما قاله بعض العلماء : أن الله علّم الملائكة أو أصحاب النبي > حزّ الرؤوس ، وبيّن لهم مفصل الرأس الذي يُطير الرأس عن الجثة ، وأنه فوق الأعناق ؛ لأن الرقبة المحل الذي تركب منه في الرأس هو فصل للحزّ إذا ضربه الإنسان طار الرأس بسرعة ، وكان ذلك أهون لإبانة الرأس ؛ ولذا كانت العرب تفتخر بضرب القَمَاحِدِ ، والقَمَاحِدُ : جمع قُمْحُدَة [5] ، وهو العظم الذي خلف الأذن ؛ لأنه تحت عظم الرأس وفوق عظم الرقبة ، وذلك هو مفصل الرقبة وموضع حزّها الذي يسهل به إطالة الرأس وإبانته عن الجثة كما هو معروف . ومن هذا المعنى قول الشاعر يمدح خالد بن الوليد ط :

رأيت رجالاً من قريش كثيرة ... ولم أَرَ في القوم القيامَ كخالد

كساك الوليدُ بن المغيرة مجده ... وعلّمك الشيخان ضَرْبَ القَمَاحِدِ »[6].

واحتمل هذا القول ابن عطية فقال : « ويحتمل عندي أن يريد بقوله : ﴿ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ ﴾ وصفَ أبلغِ ضرباتِ العُنُق وأحكمها ، وهي الضربة التي تكون فوق عظم العنق ودون عظم الرأس ، في المفصل . ومنه قول دُريد بن الصّمّة لابن الدُّغُنَّة : خذ سيفي

---

(1) البحر المحيط (٤/٤٧٠) .

(2) العذب النمير (٤/١٨٧٧) .

(3) ينظر: جامع البيان للطبري (١١/٧١) .

(4) الكشاف (٢/٥٦٢) .

(5) في لسان العرب ، مادة (قحد) : والقَمْحُودَةُ : ما خَلْفَ الرأس ، والجمع قَماحِدُ .

(6) العذب النمير (٤/١٨٧٨) .

وارفع عن العظم واخفض عن الدماغ فهكذا كنت أضرب أعناق الأبطال.

ومثله قول الشاعر :

جعلت السيف بين الجيد فيه وبين أسيلِ خَدّيْهِ عِذَارا »[1] .

وأما القول بأن المراد هو ضرب الرؤوس ؛ لأنها فوق الأعناق ، فهو قول عكرمة [2] . ونسب إلى عطاء [3] . وذهب إليه الفراء، ومكي، والواحدي، وابن الأنباري كما نسبه إليه الواحدي والبغوي ـــ ، وابن عطية، ومحمود النيسابوري، وابن الجوزي، والعكبري ، والرازي، والقرشي اليماني، والثعالبي ، والسيوطي، والآلوسي [4] . وهو مفهوم كلام المبرد[5].

وذكره مكي ، والكرماني ، والزمخشري ، والقمي بصيغة (قيل) [6] .

واستدلوا له بظاهر القرآن [7] . لأنها هي التي فوق الأعناق ، وكونها فوق الأعناق ظاهر[8].

قال الطبري : « واعتلَّ قائلو هذه المقالة بأن الذي فوق الأعناق الرؤوس . قالوا : وغيرُ جائز أن تقول : فوق الأعناق ، فيكون معناه : الأعناق . قالوا : ولو جاز ذلك كان أن

---

(1) المحرر الوجيز (٦/٢٣٩) .

(2) أخرجه الطبري في جامع البيان (١١/٧٠) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/١٦٦٨) رقم (٨٨٧٧) من طريق الحسين بن واقد ، عن يزيد النحوي ، عنه .

(3) ذكره عنه الواحدي في الوسيط (٢/٤٤٨) ، والآلوسي في روح المعاني (٩/١٧٨) . ووهم القرطبي فنسبه لابن عباس (٩/٤٦٨) .

(4) ينظر: معاني القرآن (١/٤٠٥) ، وإعراب مشكل القرآن (١/٣١٢) ، والوجيز (١/٤٣٣) والوسيط (٢/٤٤٨) ، ومعالم التنزيل للبغوي (٢/٢٣٥) ، والمحرر الوجيز (٦/٢٣٩) ـــ قال عنه : وهذا التأويل أنبلها ـــ ، ووضح البرهان (١/٣٨٠) ، وتذكرة الأريب (١/٢٠٠) ، والتبيان (٢/٦١٩) ، ومفاتيح الغيب (٥/٤٦٣) ، والترجمان (٥٥) ، والجواهر الحسان (٢/٩) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٣/١٨١) ، وروح المعاني (٩/١٧٨) .

(5) ينظر: إعراب القرآن للنحاس (٢/١٨٠) .

(6) ينظر: تفسير المشكل (١/١٨١) ، وغرائب التفسير وعجائب التأويل (١/٤٣٦) ، والكشاف (٢/٥٦٢) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/٣٨٢) .

(7) ينظر: حاشية الشهاب (٤/٢٥٩) .

(8) ينظر: الوسيط للواحدي (٢/٤٤٨) ، ومعالم التنزيل للبغوي (٢/٢٠١) ، والكشاف للزمخشري (٢/٥٦٢) ، وزاد المسير لابن الجوزي (٣/٣٣٠) ، وروح المعاني للآلوسي (٩/١٧٨) .

يقال : تحت الأعناق ، فيكون معناه : الأعناق . قالوا : وذلك خلاف المعقول من الخطاب، وقلبُ معاني الكلام »[1] .

ومنه قول عمرو بن الإطنابة[2] :

وإقدامي على المكروه نفسي وضربي هَامَةَ البطل المُشيحِ

والهامة هي الرأس .

ومنه قول الآخر[3] :

نُفَلّق هامًا من كرام أعزة علينا وهم كانوا أعقَّ وأظلما

قال الشنقيطي : « والعرب معلوم أنها في الحرب تبادر لضرب الرؤوس ، ويمدحون الرجال بضرب الرؤوس وفلق الهام ، وهو معنى مشهور ، كثير في كلام العرب وأشعارها .

قال الشاعر[4] :

غشّيْته وهو في جأْوَاءَ باسلةٍ عَضْبًا أصاب سواءَ الرأس فانفلقا

يفتخر بضرب الهام »[5] .

وأما القول بأن المراد الأعناق ، وأن ﴿ **فَوْقَ** ﴾ زائدة ، فهو معنى ما روي عن عطية[6]، والضحاك[7] . ونسب إلى الحسن[8] . وعليه مقاتل ، وابن قتيبة ، والأخفش ، وابن أبي زمنين ، ومكي ، والقرطبي ، وابن كثير[9] .

---

(1) جامع البيان (٧١/١١) .

(2) البيت في معجم الشعراء (٨) ، والكشاف للزمخشري (٥٦٢/٢) ، والدر المصون للسمين (٤٠٤/٣) ، ولسان العرب ، مادة (شيح) ، وينظر: العذب النمير للشنقيطي (١٨٧٧/٤) .

(3) البيت للحصين بن الهمام المري ، وهو في الشعر والشعراء لابن قتيبة (٦٤٨/٢) . وينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٣/٧) ، والعذب النمير للشنقيطي (٤/ ١٨٧٨) .

(4) هو بلعاء بن قيس ، والبيت في الكشاف للزمخشري (٥٦٢/٢) ، والبحر المحيط لأبي حيان (٤٧٠/٤) ، والدر المصون للسمين (٥٧٩/٥) .

(5) العذب النمير (٤/ ١٨٧٧-١٨٧٨) .

(6) أخرجه الطبري في جامع البيان (٧٠/١١) . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣٥/٤) نسبته إلى ابن المنذر .

(7) أخرجه الطبري في جامع البيان (٧٠/١١) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٦٨/٥) (٨٨٧٨) .

(8) ينظر : تفسسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (١٦٨/٢) .

(9) ينظر : تفسسير مقاتل (١٠٤/٢) ، وزاد المسير لابن الجوزي (٣٠٣/٣) ، ومعاني القرآن (٣١٩/٢) ، وتفسير

واقتصر عليه النحاس بذكره بـــ(قيل)[1] . وهو مفهوم صنيع القنوجي ، ومفهوم كلام الطاهر بن عاشور[2] . وذكره السمعاني، والعكبري، والشهاب ، والآلوسي بـــ (قيل)[3] .

واستدلوا له بما رواه القاسم ، عن النبي قال : (إني لم أبعث لأعذب بعذاب الله ، إنما بعثت لضرب الأعناق ، وشد الوثاق)[4] .

وهو حديث معضل لا يصح .

واحتج قائلوا هذه المقالة بأن العرب تقول : رأيت نفس فلان . بمعنى رأيته ، قالوا : فكذلك قوله : ﴿ فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ ﴾ إنما معناه : فاضربوا الأعناق. قاله الطبري[5].

ونظّر له البغوي، وابن كثير بقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ ﴾[محمد :٤].

وهذا القول مبني على القول بزيادة ﴿ فَوۡقَ ﴾[6]. وهذا ليس بجيد – كما قال أبوحيان [7] – ؛ لأن فوق اسم ظرف ، والأسماء لا تزاد .

وقال الشنقيطي : «فهذا القول لا يجوز أن يقال به في القرآن ؛ لأن لفظًا جاء في القرآن لا ينبغي لأحد أن يحكم عليه بأنه زائد لا معنى له »[8].

القرآن العزيز (١٦٨/٢) ، و تفسسير المشكل (١٨١/١) ، والجامع لأحكام القرآن (٤٦٨/٩) ، وتفسير القرآن العظيم (٣٣/٧) .

(1) ينظر : معاني القرآن الكريم (١٣٧/٣) .

(2) ينظر : فتح البيان (١٤٣/٥) ، والتحرير والتنوير (٢٨٣/٩) .

(3) ينظر : تفسير القرآن (٢٥٢/٢) ، والتبيان (٦١٩/٢) ، وحاشية الشهاب (٢٥٩/٤) ، وروح المعاني (١٧٨/٩).

(4) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٧٠/١١) من طريق وكيع ، عن المسعودي ، عن القاسم . وهو حديث معضل . وينظر : النكت ةالعيون للماوردي (٣٠١/٢) ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٤٦٨/٩) ، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٣/٧) .

(5) جامع البيان (٧٠/١١) .

(6) ينظر: معاني القرآن الكريم للنحاس (١٣٧/٣) ، وإعراب القرآن له (١٨٠/٢) .

(7) البحر المحيط (٤٧٠/٤) ، وتبعه السمين في الدر المصون (٥٧٨/٥) .

(8) العذب النمير (١٨٧٧/٤).

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن قوله تعالى :﴿ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ ﴾ يحتمل أن يكون مرادًا به الرؤوس ، ويحتمل أن يكون مرادًا به ما فوق جلدة الأعناق ، فيكون معناه : على الأعناق ، وهذان القولان لا إشكال فيهما .

ويبقى الإشكال في القول الثالث وهو : أن يكون المراد الأعناق نفسها وأن ﴿ فَوْقَ ﴾ زائدة . ومحلّ الإشكال هو القول بزيادة ﴿ فَوْقَ ﴾ وهذا لا يجوز في القرآن وهو خلاف ظاهره كما هو ظاهر . لكن يدل عليه قوله تعالى : ﴿ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ ﴾ [محمد : ٤] فيكون محتملاً من هذا الوجه .

وإذا كان ذلك كذلك (لم يكن لنا أن نوجّهه إلى بعض معانيه دون بعض ؛ إلاّ بحجة يجب التسليم لها، ولا حجة تدل على خصوصه ، فالواجب أن يقال : إن الله أمر أصحاب نبيه > أو ملائكته بضرب رؤوس المشركين وأعناقهم ورقابهم)[1].

وعليه فإن ما قيل هنا كلّه صحيح دون القول بزيادة "فوق" ، والله تعالى أعلم .

---

(1) جامع البيان (٧١/١١) بتصرف يسير .

المسألة الثانية :

٦- الخلاف في المراد بالبنان في قوله تعالى : ﴿ وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ .

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « ﴿ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ قيل : هي المفاصل . وقيل : الأصابع ، وهو الأشهر في اللغة . وفائدة ذلك أن المقاتل إذا ضربت أصابعه تعطّل عن القتال فأمكن أسره وقتله » [1].

العرض والمناقشة :

ذكر ابن جُزَيّ في المراد بالبنان في قوله تعالى : ﴿ وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ قولين اثنين : أما القول الأول فهو : أنها المفاصل ، ورُوي هذا عن عطية العوفي [2] ، وقتادة[3] ، وعكرمة [4] ، والضحاك [5] ، والسدي [6] .

وذهب إليه : محمود النيسابوري، والخازن، والقنوجي، والسعدي [7] .

وذكره السمرقندي بصيغة (يقال) [8] .

قال محمود النيسابوري : « كل مِفْصَل ، أَبَنّ بالمكان : أقام به ، فكل مِفْصَلٍ أُقيمَ عليه عضو »[9].

وأما القول الثاني : فهو أنها الأصابع ، وهو الذي رجّحه ابن جُزَيّ ؛ ووافق في هذا ما

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٦٢/٢) .

(2) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٧٢/١١) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٦٨/٥) رقم (٨٨٨٠) .

(3) أخرجه عبد بن حميد كما في الدر المنثور للسيوطي (٣٦/٤) .

(4) أخرجه الطبري في جامع البيان (٧٢/١١) قال : الأطراف . ويقال : مفصل . وعلّقه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٦٨/٥) عقب الأثر (٨٨٨٠) .

(5) أخرجه الطبري في جامع البيان (٧٢/١١) من طريق جويبر ، عنه . وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٦٨/٥) عقب الأثر (٨٨٨٠) .

(6) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٦٨/٥) عقب الأثر (٨٨٨٠) .

(7) ينظر: إيجاز البيان (٢٩٠/١) و وضح البرهان (٣٨٠/١) ، ولباب التأويل (١٧٠/٢) ، وفتح البيان (١٤٣/٥) ، وتيسير الكريم الرحمن (١٩٢/٢) .

(8) ينظر: بحر العلوم (١٠/٢) .

(9) إيجاز البيان (٢٩٠/١) ، ووضح البرهان (٣٨٠/١) .

رُوِيَ عن ابن عباس [1] ، وعكرمة [2] ، وابن جريج [3] ، والضحاك [4]، والسدي[5].

واختاره عامة المفسّرين على تنوّع عباراتهم في ذكره [6] ومنهم : مقاتل، وأبوعبيدة، والزجاج، والنحاس، والسمرقندي، والراغب، ومكي، والواحدي، وابن الأنباري ـــ كما ذكره عنه الواحدي والآلوسي ـــ ، والزمخشري ، وابن عطية، وابن الجوزي، والرازي، والقرطبي، والبيضاوي، والنسفي ، والقمي، وأبوحيان، وابن التركماني، والثعالبي، والبقاعي، والسيوطي، والشوكاني، والآلوسي، والقاسمي، والطاهر بن عاشور ،والشنقيطي [7] .

---

(1) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٧٢/١١) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٦٨/٥) رقم (٨٨٧٩) من طريق علي بن أبي طلحة ، عنه قال : الأطراف . وفي رواية الطستي أن نافعًا الأزرق قال له : أخبرني عن قوله تعالى: ﴿ وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ قال : أطراف الأصابع ، وبلغة هذيل: الجسد كله . قال : فأنشدني في كلتيهما. قال : نعم ، أما أطراف الأصابع فقول عنترة العبسي :

فنعم فوارس الهيجاء قومي إذا علق الأعنة بالبنان

وقال الهذلي في الجسد :

لها أسد شاكي البنان مقذف له لبد أظفاره لم تقلم

ينظر: الدر المنثور للسيوطي (٣٥/٤) .

(2) سبق تخريجه . قال : الأطراف . ويقال :كل مفصل .

(3) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٧٣/١١) .

(4) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٧٣/١١) من طريق أبي معاذ ، عن عبيد بن سليمان ، عنه قال: الأطراف .

(5) نسبه إليه الواحدي في الوسيط (٤٤٨/٢) قال : الأطراف من اليدين والرجلين .وينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٤/٧) .

(6) ورد عنهم في تفسيرها ما يلي : الأصابع ، الأطراف ، أطراف الأصابع ، أطراف اليدين والرجلين . وأحيانا يذكرونها ويخالفون بينها بقولهم : وقيل كذا ..وقيل كذا.. وكل هذه الأقوال تندرج في هذا القول ، وهي كما ترى بمعنى واحد ، والله أعلم .

(7) ينظر: تفسير مقاتل (١٠٤/٢) ، ومجاز القرآن (٢٤٢/١) ، ومعاني القرآن وإعرابه (٤٠٥/٢) ـــ وينظر: زاد المسير لابن الجوزي (٣٣٠/٣) ـــ ، ومعاني القرآن الكريم (١٣٧/٣) ، وبحر العلوم (١٠/٢) ، ومفردات ألفاظ القرآن ، مادة (بَنَّ) (١٤٧) ، وتفسير المشكل (١٨١/١) ، وإعراب مشكل القرآن (٣١٢/١) ، والوجيز (٤٣٣/١) والوسيط (٤٤٨/٢) ، وروح المعاني للآلوسي (١٧٨/٩) ، والكشاف (٥٦٣/٢) ، والمحرر الوجيز (٢٤١/٦) ، وتذكرة الأريب (٢٠٠/١) ، و مفاتيح الغيب (٤٦٣/٥) ، والجامع لأحكام القرآن (٤٦٨/٩) ، وأنوار التنزيل (٣٧٨/١) ، ومدارك التنزيل (٩٧/٢) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣٨٢/٣) ، والبحر المحيط (٤٥٥/٤، ٤٧١) ، وبهجة الأريب (٢٣٦/١) ، والجواهر الحسان (١٠/٢) ، ونظم الدرر (٢٣٨/٩) ،

واستدلّوا له بأن هذا هو معناه المشهور في كلام العرب .

قال ابن فارس : « البنان : الأصابع ، ويقال : الأطراف »[1].

وقال الطبري : « والبنان : جمع بنانة ، وهي أطراف أصابع اليدين والرجلين ، ومن ذلك قول الشاعر :

ألا ليتني قَطّعْتُ منّي بنانة ولاقَيْتُه في البيت يقظان حاذرا

يعني بالبنانة : واحدة البنان »[2].

وهذا المعنى كثير في أشعار العرب ومنه قول عنترة[3] :

وكان فتى الهيجاء يحمي ذمارها ويضرب عند الكرب كلّ بنان

والعرب تسمّي أطراف الأصابع : بنانًا ، ومنه قول عنترة أيضًا[4] :

وإن الموت طوع يدي إذا ما وَصَلْتُ بنانها بالهِنْدُوَاني

والعرب تقول : بَنَانٌ مُطَرّفٌ ، ومُطَرَّفة ، إذا خضبت المرأة أطراف أصابعها بالحناء .

ومنه قول عمر بن أبي ربيعة المخزومي :

بدا لي منها مِعْصَمٌ يوم جَمَّرَتْ وكَفٌّ خضيبٌ زُيِّنَتْ بِبَنانِ

فوالله ما أدري وإني لحاسب بسبعٍ رميتُ الجمْرَ أم بثمانِ

فقوله : كفٌّ خضيبٌ زينت ببنان ، أي : بأصابع[5].

قال ابن عطية : « قصد أبلغ المواضع ؛ لأن المقاتل إذا قطع بنانه استأسر ولم ينتفع بشيء من أعضائه في مكافحة وقتال »[6] .

وجمع ابن جرير الطبري بين القولين فقال : « فإن معناه : واضربوا ، أيها المؤمنون ،

وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ١٨٢/٣) ، وفتح القدير (٤١٩/٢-٤٢٠) ، وروح المعاني (١٧٨/٩) ، ومحاسن التأويل (٢٩٦١/٨) ، والتحرير والتنوير (٢٨٣/٩) ، والعذب النمير (١٨٧٩/٤) .

(1) مجمل اللغة (١١٤/١) .

(2) جامع البيان (٧١/١١) . والبيت ذكره أبو عبيدة في مجاز القرآن (٢٤٢/١) ونسبه إلى عباس بن مرداس .

(3) ديوان عنترة (٧٠) .

(4) ديوان عنترة (٧٢) .

(5) ينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٤٦٩/٩) ، والبحر المحيط لأبي حيان (٤٧١/٤) ، والعذب النمير للشنقيطي (١٨٧٩/٤) .

(6) المحرر الوجيز (٢٤١/٦) .

من عدوكم كلّ طَرَفٍ و مَفْصِلٍ من أطراف أيديهم وأرجلهم »[1] .

وكذا الماوردي وقال : « إن البنان يطلق على المفاصل من أطراف الأيدي والأرجل ، وأطراف الأصابع من اليدين والرجلين »[2] .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن أَولى القولين في ذلك بالصواب هو ما رجحه ابن جُزَيّ ومن وافقه ؛ لاشتهار إطلاق البنان في اللغة على الأصابع والأطراف أكثر من اشتهار إطلاقها على المفاصل ، وهو اختيار جمهور المفسّرين [3] .

ويتأيد هذا بالقاعدة الترجيحية من (وجوب حمل كلام الله تعالى على المعروف من كلام العرب)[4] ، والله تعالى أعلم .

---

(1) جامع البيان (٧١/١١) .

(2) النكت والعيون (٣٠٢/٢) .

(3) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل لابن جُزَيّ (٩/١) .

(4) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين (٣٦٩/٢) .

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾ ﴾

٧- الخلاف في إعراب ﴿ مُتَحَرِّفًا ﴾.

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « وانتصب قوله ﴿ مُتَحَرِّفًا ﴾ على الاستثناء من قوله ﴿ وَمَن يُوَلِّهِمْ ﴾ . وقال الزمخشري : انتصب على الحال و﴿ إِلَّا ﴾ لَغْوٌ »[1] .

العرض والمناقشة :

رجّح ابن جُزَيّ أن قوله ﴿ مُتَحَرِّفًا ﴾ منصوب على الاستثناء من المولّين . ووافق في هذا ما ذهب إليه الفراء، وأبوحيان، والشوكاني، والطاهر بن عاشور [2] .

وجوّزه الزجاج، وابن الجوزي، والقمي، والآلوسي [3] .

قال الطاهر : « والمستثنى يجوز أن يكون ذاتًا مستثنى من الموصول في قوله : ﴿ وَمَن يُوَلِّهِمْ ﴾ والتقدير : إلاّ رجلاً متحرفًا لقتال ، فحذف الموصوف وبقيت الصفة . ويجوز أن يكون المستثنى حالة من عموم الأحوال دلّ عليها الاستثناء أي : إلاّ في حال تحرُّفه لقتال»[4].

وقال القُمّي النيسابوري : « وعلى هذا انتصب ﴿ مُتَحَرِّفًا ﴾ و ﴿ مُتَحَيِّزًا ﴾ على أنه استثناء مفرّغ من أعم الأحوال ، ووجه صحته من أنه ليس في الكلام نفي ظاهر هو أنه في معنى النفي كأنه قيل : ومن لا يقدم أو لا يعطف عليهم في حال من الأحوال إلاّ في حال

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٦٣/٢) .

(2) ينظر: معاني القرآن (٤١٠/١) ، والبحر المحيط (٤٧٥/٤) ، وفتح القدير (٤٢٣/٢) ، والتحرير والتنوير (٢٨٩/٩) .

(3) ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٤٠٦/٢) ، وزاد المسير (٣٣١/٣) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣٨٣/٣) ، وروح المعاني (١٨٢/٩).

(4) التحرير والتنوير (٢٨٩/٩) .

التحرف أو التحيز »[1].

وأما ما ذكره الزمخشري [2] من انتصاب ﴿ مُتَحَرِّفًا ﴾ على الحال، فإليه ذهب الزجاج، والنحاس، ومكي، وابن عطية، وابن الجوزي، والعكبري، والنسفي، والبقاعي، والآلوسي [3] . وجوّزه الشوكاني[4] .

وهذا القول بدأ به الزمخشري . وقوله في ﴿ إِلَّا ﴾ "إنها لغو" بيّنه أبوحيان بقوله : « ولا يريد الزمخشري بقوله (و﴿ إِلَّا ﴾ لغو) أنها زائدة ، إنما يريد أن العامل الذي هو ﴿ يُوَلِّهِمْ ﴾ وصل إلى العمل فيما بعدها ؛ كما قالوا : في لا من قولهم : جئت بلا زاد ، إنها لغو . وفي الحقيقة هو استثناء من حالة محذوفة ، والتقدير : ومن يولهم ملتبسًا بأية حالة إلاّ في حال كذا ، وإن لم يقدر حال غاية محذوفة لم يصح دخول إلاّ ؛ لأن الشرط عندهم واجب وحكم الواجب لا تدخل إلاّ فيه لا في المفعول ولا في غيره من الفضلات ؛ لأنه يكون استثناء مفرّغًا والاستثناء المفرغ لا يكون في الواجب . لو قلت : ضربت إلاّ زيدًا ، وقمت إلاّ ضاحكًا لم يصح . والاستثناء المفرغ لا يكون إلاّ مع النفي أو النهي أو المؤول بهما ، فإن جاء ما ظاهره خلاف ذلك قدر عموم قبل إلاّ حتى يصح الاستثناء من ذلك العموم فلا يكون استثناء غير مفرغ »[5] . اهـ.

قال السمين : « قوله "لا في المفعول ولا في غيره من الفضلات" لا حاجة إليه ؛ لأن الاستثناء المفرغ لا يدخل في الإيجاب مطلقًا سواء كان ما بعد (إلاّ) فَضْلَةً أم عمدةً ، فذِكْرُ الفضلة والمفعول يوهم جوازه في غيرها »[6] .

وقال الآلوسي : « ونصب الوصفين على الحالية و (إلاّ) ليست عاملة ولا واسطة في

---

(1) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/٣٨٣) .

(2) ينظر: الكشاف (٢/٥٦٥) .

(3) ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/٤٠٦) ، وإعراب القرآن (٢/١٨١) ، ومشكل إعراب القرآن (١/٣١٣) ، والمحرر الوجيز (٦/٢٤٧) ، وزاد المسير (٣/٣٣١) ، والتبيان (٢/٦٢٠) ، ومدارك التنزيل (٢/٩٨) ، ونظم الدرر (٩/٢٤١) ، وروح المعاني (٩/١٨٢) .

(4) ينظر: فتح القدير (٢/٤٢٣) .

(5) البحر المحيط (٤/٤٧٥) .

(6) الدر المصون (٥/٥٨٥) .

العمل وهو معنى قولهم : لغو . وكانت كذلك لأنه استثناء مفرغ من أعم الأحوال ، ولولا التفريغ لكانت عاملة أو واسطة في العمل على الخلاف المشهور . وشرط الاستثناء المفرغ أن يكون في النفي أو صحة عموم المستثنى منه نحو : "قرأت إلاّ يوم كذا" ومنه ما نحن فيه . ويصح أن يكون من الأول باعتبار أنّ يُوَلِّي بمعنى لا يقبل على القتال . ونظير ذلك : ما قالوا في قوله عليه الصلاة والسلام : (العالَمُ هلكى إلاّ العالمون) الحديث[1]. وجوّز أن يكون على الاستثناء من المولين ...»[2] الخ .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن بعض المفسّرين قد ذهب إلى جواز القولين كابن أبي زمنين[3]. والزمخشري نفسه سوّى بينهما بـــ أو وإن كان قد قدّم القول الثاني ، و تبعه البيضاوي، وأبوالسعود، والقنّوجي [4] .

وعامة المعربين على جواز الوجهين كالسمين الحلبي، والدرويش [5] .

قال الدرويش : « فعلى القول الأول : ﴿إِلَّا﴾ أداة استثناء ، و ﴿مُتَحَرِّفًا﴾ مستثنى من ضمير المؤمنين . وعلى القول الثاني : ﴿إِلَّا﴾ أداة حصر لتقدم النهي ، و﴿مُتَحَرِّفًا﴾ حال » .

فإذا كان ذلك كذلك فإن الذي يظهر هو جواز الوجهين دون قول الزمخشري : " و ﴿إِلَّا﴾ لغو " أي : لا عمل لها ، فليس بصوابٍ هذا التعبيرُ منه في كتاب الله تعالى ، والله أعلم.

---

(1) أورده الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة (١٠٢/١) برقم (٧٦) بلفظ : (الناس كلهم موتى إلا العالِمون ، والعالِمون كلهم هلكى إلا العاملون ، والعاملون كلهم غرقى إلا المخلصون ، والمخلصون على خطر عظيم) . وقال : موضوع . أورده الصغاني (ص٥) وقال : « وهذا الحديث مفترى ملحون ، والصواب في الإعراب : (العالِمين) و (العاملين) و (المخلصين) » . قلت : وهو شبيه بكلام الصوفية . اهـــ.

(2) روح المعاني (١٨٢/٩) .

(3) ينظر: تفسير القرآن العزيز (١٦٩/٢).

(4) ينظر: أنوار التنزيل (٣٧٩/١) ، وإرشاد العقل السليم (٣٥١/٢) ، وفتح البيان (١٤٧/٥).

(5) ينظر: الدر المصون (٥٨٥/٥) ، وإعراب القرآن الكريم وبيانه (٥٤٣/٣) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ۖ وَإِن تَنتَهُوا۟ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَعُودُوا۟ نَعُدْ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ ﴾

٨- لمن الخطاب في قوله :﴿ إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ﴾ الآية ؟

هل الخطاب لكفار قريش ؟ أم للمؤمنين ؟

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « خطاب لكفار قريش ، وذلك أنهم كانوا قد دعوا الله أن ينصر أحب الطائفتين إليه . و رُوِيَ أن الذي دعا بذلك أبو جهل فنصر الله المؤمنين ، وفتح لهم . و معنى ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ ﴾ : تطلبوا الفتح . ويحتمل أن يكون الفتح الذي طلبوه بمعنى النَّصْر أو بمعنى الحكم . وقيل : إن الخطاب للمؤمنين .﴿ وَإِن تَنتَهُوا۟ ﴾ أي : ترجعوا عن الكفر . وهذا يدل على أن الخطاب للكفار »[1].

العرض والمناقشة :

رجّح ابن جُزَيّ أن قوله تعالى : ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ﴾ خطاب لكفار قريش . ووافق في هذا ما رُوِيَ عن ابن عباس[2] ، و مجاهد[3] ، والضحاك[4]، وابن زيد [5] . وهو المفهوم من تفسير عكرمة [6] ،

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٦٣/٢) .

(2) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٩٠/١١) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٧٥/٥) رقم (٨٩١٨) من طريق علي بن أبي طلحة ، عنه . وأخرجه الطبري أيضًا من طريق ابن جريج ، عن ابن كثير ، عنه . وينظر : الدر المنثور للسيوطي (٤٢/٤) وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة ، وابن المنذر .

(3) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٩٠/١١) من طريق ابن أبي نجيح ، عنه . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤٢/٤) نسبته إلى عبد بن حميد .

(4) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٨٩/١١) من طريق جويبر ، عنه .

(5) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٩٢/١١) من طريق ابن وهب ، عنه .

(6) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٩٠/١١) ، وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٧٥/٥) عقب الأثر (٨٩٢٣) . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤٢/٤) نسبته إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر . وينظر: أسباب النزول للواحدي (٢٦٩) .

والسدّي [1] ، و قتادة [2] .

وروي عن ابن عباس[3] ، وعطية[4] ، والضحاك[5] ، و يزيد بن رومان[6] ، وعبد الله ابن ثعلبة العدوي[7] ، وعروة بن الزبير[8] : أن الذي دعا بذلك منهم هو أبوجهل . ونُسِب هذا إلى الحسن ، ومجاهد ، والسدي[9] .

وذهب إلى هذا القول جمهور المفسّرين [10] ومنهم : مقاتل، والطبري، والفراء، والزجاج، والنحاس، والسمرقندي، وابن أبي زمنين، والواحدي، والسمعاني، والبغوي، والزمخشري، وابن عطية ، ومحمود النيسابوري، وابن الجوزي، والقرطبي، والبيضاوي، والنسفي، والقمي، وابن كثير، والبلنسي، والثعالبي، والبقاعي، والسيوطي، وأبوالسعود، والشوكاني، والآلوسي، والقنّوجي، والقاسمي، والمراغي، والسعدي، والشنقيطي [11] .

---

(1) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٩٢/١١،٩٦) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٨٧٦/٥) رقم (٨٩٢٥، ٨٩٢٧) من طريق أسباط ، عنه. وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤٢/٤) نسبته إلى أبي الشيخ.

(2) نسبه السيوطي في الدر المنثور (٤٣/٤) إلى عبد بن حميد .

(3) رواه أبو صالح ، عن ابن عباس . ينظر: زاد المسير لابن الجوزي (٣٣٥/٣) .

(4) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٩٣/١١) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٧٥/٥) رقم (٨٩٢٠) . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤٢/٤) نسبته إلى ابن أبي شيبة ، وابن المنذر .

(5) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٩٢/١١) من طريق عُبيد بن سليمان ، عنه .

(6) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٩٤/١١) من طريق أبي معشر ، عنه .

(7) أخرجه أحمد في المسند (٤٣١/٥) ، والنسائي في الكبرى (١١٢٠١) ، وابن جرير الطبري في جامع البيان (٩١/١١ ،٩٣، ٩٤) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٧٥/٥) رقم (٨٩١٧) ، والحاكم في المستدرك و صححه (٣٢٨/٢) ، والبيهقي في الدلائل (٧٤/٣) جميعًا من طريق الزهري ، عنه . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤٢/٤) نسبته إلى ابن أبي شيبة ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وأبي الشيخ ، وابن مردويه ، وابن منده . وينظر: سيرة ابن هشام (٦٢٨/١) ، وأسباب النزول للواحدي (٢٦٨) . ورواه عبد الرزاق في تفسيره (٢٥٦/٢) وفي المصنف (٣٤٧/٥) رقم (٩٧٢٥) موقوفًا على الزهري . ومن طريقه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٩١/١١) . وأخرجه ابن جرير الطبري (٩١/١١،٩٣) من طريق معمر ، عن الزهري .

(8) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٧٥/٥) رقم (٨٩١٩) وفي (١٦٧٦/٥) رقم (٨٩٢٤،٨٩٢٦،٨٩٢٨) .

(9) ينظر: مفاتيح الغيب للرازي (١٤٦٨/٥) ، و الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٤٧٩/٩) ، و غرائب القرآن ورغائب الفرقان للقمي (٣٨٥/٣) .

(10) منهم من قال : إنهم المشركون ، ومنهم من قال : إنه أبوجهل ، ومنهم من جمع بين ذلك .

(11) ينظر: تفسير مقاتل (١٠٧/٢) ، وجامع البيان (٨٩/١١) ، ومعاني القرآن (٤٠٦/١) ، ومعاني القرآن وإعرابه

واستدلّوا له بما رُوِيَ عن السلف أنها في كفار قريش ، وبقوله تعالى : ﴿ وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ ﴾ ، فإنه يدل على أن الخطاب للكفار ، وهذا هو الظاهر .

قال الشنقيطي : « المراد بالفتح هنا الحكم عند جمهور العلماء ، ويدل على ذلك أنه تعالى أتبعه بما يدل على أن الخطاب لكفار مكة ، وهو قوله : ﴿ وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَإِن تَعُودُواْ نَعُدۡ ﴾ . ويبين إطلاق الفتح بمعنى الحكم في القرآن قوله تعالى عن شعيب وقومه: ﴿ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡنَاۚ رَبَّنَا ٱفۡتَحۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ قَوۡمِنَا بِٱلۡحَقِّ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰتِحِينَ ﴾[الأعراف: ٨٩] . أي : احكم بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الحاكمين . ويدل لذلك قوله تعالى عن شعيب في نفس القصة : ﴿ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٞ مِّنكُمۡ ءَامَنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٞ لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ فَٱصۡبِرُواْ حَتَّىٰ يَحۡكُمَ ٱللَّهُ بَيۡنَنَاۚ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴾ [الأعراف : ٨٧].وهذه لغة حمير ؛ لأنهم يسمون القاضي فتَّاحًا ، والحكومة فتَّاحة . ومنه قول الشاعر :

ألا أبلغ بني عمرو رسولاً بأني عن فتاحتكم غني

أي : عن حكومتكم وقضائكم »[1] .

وأما القول الآخر بأن الخطاب في الآية الكريمة للمؤمنين فرُوِيَ عن عطاء الخراساني[2].

(٤٠٨/٢) ، وإعراب القرآن (١٨٢/٢) ، وبحر العلوم (١٢/٢) ، وتفسير القرآن العزيز (١٧١/٢) ــ ونسبه إلى الكلبي ــ ، و الوجيز (٤٣٤/١) و الوسيط (٤٥٠/٢) ، وتفسير القرآن (٢٥٦/٢) ، ومعالم التنزيل (٢٠٧/٢) ، والكشاف (٥٦٧/٢) ، والمحرر الوجيز (٢٥٣/٦) ، وإيجاز البيان (٢٩١/١) و وضح البرهان (٣٨١/١) ، وزاد المسير (٣٣٥/٣) ــ قال : وهو الأشهر ــ وتذكرة الأريب (٢٠٠/١) ، والجامع لأحكام القرآن (٤٨٠/٩) ، وأنوار التنزيل (٣٨٠/١) ، ومدارك التنزيل (٩٩/٢) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣٨٥/٣) ، وتفسير القرآن العظيم (٤٣/٧) ، ومبهات القرآن (٥٠٨/١) ، والجواهر الحسان (١١/٢) ، ونظم الدرر (٢٤٦/٩) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ١٨٧/٣) ، وإرشاد العقل السليم (٣٥٢/٢) ، وفتح القدير (٤٢٧/٢) ، وروح المعاني (١٨٧/٩) ، وفتح البيان (١٥١/٥) ، ومحاسن التأويل (٢٩٦٩/٨) ، وتفسير المراغي (١٨٢/٩) ، وتيسير الكريم الرحمن (١٩٤/٢) ، وأضواء البيان (٣٤٧/٢) .

(1) المصدرالأخير .

(2) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٧٥/٥) رقم (٨٩٢٢) .

ونُسِبَ إلى أُبَيّ بن كعب [1] . وذهب إليه القاضي الجبائي [2] . وتبعه الخازن، وأبوحيان[3]. وانتصر له السيد رشيد رضا [4]. وجوّزه القاسمي [5] .

وذكره النحاس ، والزمخشري ، والبيضاوي ، والنسفي ، والقمي ، وأبوالسعود بصيغة (قيل)[6] .

واستدلّوا له بالسياق سباقًا ولحاقًا ، فإن الآيات قبله وبعده في المؤمنين [7] .

ويكون المعنى على هذا : إن تستنصروا ربكم فقد جاءكم النصر ، وإن تنتهوا عن التكاسل في القتال والرغبة عما يأمر به الرسول ومجادلته في الحق بعد ما تبيّن فهو خير لكم ، وإن تعودوا نعد عليكم بالإنكار أو تهييج العدو ، ولن تغني عنكم كثرتكم إذا لم يكن الله معكم بالنصر ، فها نحن أولاء قد نصرناكم على قلتكم و ضعفكم[8] .

وقال القاضي الجبائي – وتبعه الخازن – : « إن قوله : ﴿ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ﴾ لا يليق إلاّ بالمؤمنين ، هذا على تفسير الفتح بالنصر . وعلى تفسيره بالحكم لم يمتنع أن يراد به الكفار »[9] .

ويَرِدُ على هذا القول أن المخاطبة بقوله : ﴿ وَإِن تَنتَهُواْ ﴾ هي للكفار[10] .

---

(1) ينظر: زاد المسير لابن الجوزي (٣/٣٣٤) ، ومعالم التنزيل للبغوي (٢/٢٠٨) ، ولباب التأويل للخازن (٢/١٧٣)، والتحرير التنوير للطاهر (٩/٣٠٠) .

(2) ينظر: مفاتيح الغيب للرازي (٥/٤٦٨) ، وروح المعاني للآلوسي (٩/١٨٨) .

(3) ينظر: لباب التأويل (٢/١٧٤) ، والبحر المحيط (٤/٤٧٨،٤٧٩) .

(4) ينظر: تفسير القرآن الحكيم (٩/ ٥٣٩) .

(5) ينظر: محاسن التأويل (٨/ ٢٩٧٠) .

(6) ينظر: إعراب القرآن (٢/ ١٨٢) ، والكشاف (٢/ ٥٦٨) ، وأنوار التنزيل (١/ ٣٨٠) ، ومدارك التنزيل (٢/٩٩) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ٣٨٥) ، وإرشاد العقل السليم (٢/٣٥٣) .

(7) ينظر: أنوار التنزيل للبيضاوي (١/ ٣٨٠) ، وروح المعاني للآلوسي (٩/١٨٨) ، وتفسير القرآن الحكيم للسيد محمد رشيد رضا (٩/٥٣٩) .

(8) المصدر الأخير .

(9) ينظر: مفاتيح الغيب للرازي (٥/٤٦٨) ، ولباب التأويل للخازن (٢/١٧٤) ، والبحر المحيط لأبي حيان (٤/٤٧٨).

(10) ينظر: المحرر الوجيز لابن عطية (٦/٢٥٥) .

ولا يخفى أن هذا القول هو خلاف الظاهر جدًّا كما قاله الآلوسي[1] .

قال الشوكاني : « ولا يخفى أنه يأبى هذا القول معنى : ﴿ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا ﴾، ويأباه أيضًا : ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ . وتوجيه ذلك لا يمكن إلاّ بتكلّف وتعسُّف »[2].

وقال أيضًا : « ومن جعل الخطاب في ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ﴾ للمؤمنين ، وما بعده للكافرين فإنه لا يخفى ما في هذا من تفكيك النظم ، وعود الضمائر الجارية في الكلام على نمط واحد إلى طائفتين مختلفتين »[3] .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن أظهر القولين هو ما رجّحه ابن جُزَيّ ومن وافقه مِنْ أَنَّ الخطاب في قوله تعالى : ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ﴾ للكافرين ، وهو قول أكثر السلف ، واختاره جمهور المفسّرين [4]. ويؤيده أنه ظاهر القرآن ولا يعدل عنه إلاّ بدليل [5]. ويتأيد أيضًا بقاعدة : (تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم) [6] . وما ذكروه من دلالة السياق على القول الآخر ليست ظاهرة ؛ لما في ذلك من التكلف والتعسّف ، والله تعالى أعلم .

---

(1) روح المعاني (١٨٨/٩) .

(2) فتح القدير (٤٢٧/٢) . وينظر: فتح البيان للقنوجي (١٥٢/٥) .

(3) المصدرين الأخيرين .

(4) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (٩/١) .

(5) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين (١٣٧/١) .

(6) المصدر السابق (٢٧١/١) .

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾

٩- الخلاف في قائل هذه المقالة ﴿ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ ﴾ الآية.

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « قالها النضر بن الحارث أو سائر قريش لما كذّبوا النبيّ > دعوا على أنفسهم إن كان أمره هو الحق . والصحيح أن الذي دعا بذلك أبوجهل؛ رواه البخاري ومسلم في كتابيهما »[1].

العرض والمناقشة :

رجّح ابن جُزَيّ أن الذي دعا بذلك أبوجهل مستدلاً على ذلك بما رواه البخاري [2] ومسلم [3] عن أنس بن مالك . وهو قول قتادة [4] .

ووافق في هذا الترجيح القرطبي [5] ، وابن العربي [6] ، والبلنسي [7] ، وابن حجر [8] ، والشنقيطي [9] .

وذكره أبوحيان بصيغة (قيل) [10].

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٦٥/٢) .

(2) في صحيحه (١٦٠/٤) – كتاب التفسير ، باب قوله : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ ﴾ رقم (٤٦٤٩) .

(3) في صحيحه (٢١٥٤/٤) في كتاب صفات المنافقين ، باب في قوله : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ ﴾ (٢٧٩٦/٣٧) . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٨٩/٥) رقم (٩٠٠٧) و (١٦٩١/٥) رقم (٩٠١٦) . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٥٥/٤) نسبته إلى أبي الشيخ ، وابن مردويه . وينظر: أسباب النزول للواحدي(٢٧٠) .

(4) أخرجه عبد بن حميد كما في الدر المنثور للسيوطي (٥٥/٤) .

(5) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (٤٩٦/٩) .

(6) ينظر: تفسير مبهمات القرآن للبلنسي (٥١٣/١) .

(7) ينظر: المصدر الأخير .

(8) كما في تفسير القرآن الحكيم للسيد رشيد رضا (٥٦٣/٩) .

(9) ينظر: العذب النمير (١٩٠٢/٤) .

(10) ينظر: البحر المحيط (٤٨٨/٤) .

وأما القول الذي بدأ به ابن جُزَيّ مِنْ أن قائل ذلك هو النضر بن الحارث ، فهو مَرْوِيٌّ عن ابن عباس [1] . وبه قال سعيد بن جبير [2] ، ومجاهد [3] ، وعطاء [4] ، والسدّي [5].

ورُوِيَ عن يزيد بن رومان ، ومحمد بن قيس [6] ، وقتادة [7] ، وابن إسحاق [8] : أنها في قريش .

وعلى هذا القول جمهور المفسرين [9].

قال الشنقيطي : « والأكثرون من المفسرين يقولون : إن قائل هذه المقالة النضر بن الحارث »[10].

وهذا القول ذهب إليه مقاتل، والطبري، وابن قتيبة، والنحاس، والسمرقندي، وابن أبي زمنين، والماوردي، والواحدي، والسمعاني، والكرماني، والبغوي، والزمخشري، وابن عطية، ومحمود النيسابوري، والبيضاوي، والنسفي، والخازن، وأبوحيان، والسهيلي، والبقاعي، والسيوطي وأبوالسعود، ،والمراغي [11] .

---

(1) قال ابن الجوزي زاد المسير (٣٤٨/٣) : رواه جماعة عن ابن عباس . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٩٠/٥) رقم (٩٠٠٨) من طريق سعيد بن جبير ، عنه . وفي (١٦٩٠/٥) رقم (٩٠١٣) .

(2) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٤٤/١١) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٨٩/٥) .

(3) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٤٤/١١) .

(4) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٤٥/١١) .

(5) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٤٥/١١) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٩٠/٥) رقم (٩٠٠٩) .

(6) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٥١/١١) .

(7) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٤٥/١١) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٩٠/٥) رقم (٩٠١٠) .

(8) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٤٦/١١) . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٩٠/٥) رقم (٩٠١١) و (١٦٩١/٥) رقم (٩٠١٢ و ٩٠١٤) عن ابن إسحاق ، عن محمد بن جعفر ، عن عروة من قوله . وينظر: سيرة ابن هشام (٦٧٠/١) .

(9) قال أبوحيان في البحر المحيط (٤٨٨/٤) : وقال الجمهور : قائل ذلك كفار قريش .

(10) العذب النمير (١٩٠٢/٤) .

(11) ينظر: تفسير مقاتل (١١٢/٢) ، وجامع البيان (١٤٤/١١) ، وتأويل مشكل القرآن (٧١) ، ومعاني القرآن الكريم (١٤٩/٣) ، وبحر العلوم (١٦/٢) ، وتفسير القرآن العزيز (١٧٥/٢) ، والنكت والعيون (٣١٣/٢) ، والوجيز (٤٣٨/١) والوسيط (٤٥٥/٢) ، وتفسير القرآن (٢٦٠/٢) ، وغرائب التفسير وعجائب التأويل

وذكره ابن كثير بـــ (قيل)[1] .

قال الواحدي : « وجميع المفسّرين على أن هذا من قول النضر بن الحارث ، وروي في الصحيحين أن هذا من قول أبي جهل لعنه الله »[2] . وتبعه السمعاني ، والبغوي ، والخازن .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن أصح القولين هو ما صححه ابن جُزَيّ ومن وافقه مِنْ أن قائل هذه المقالة هو أبوجهل ؛ لثبوت ذلك في الصحيحين من حديث أنس بن مالك . وما ثبت في الصحيحين مقدم على غيرهما [3] .

قال ابن حجر : « الظاهر أنه أبو جهل ، وإن كان هذا القول نسب إلى جماعة فلعله بدأ به ورضي الباقون فنسب إليهم »[4] .اهـــ .

فإسناده إلى الجميع إسناد ما فعله رئيس القوم إليهم[5].

يقول الطاهر : « وإسناد القول إلى جميع المشركين من حيث إنهم كانوا يؤيدونه ويحكونه ويحاكونه »[6].

واحتمل ابن حجر أن يكون – النضر و أبوجهل – كلاهما قالاه ، ولكن نسبته إلى أبي جهل أَولى [7]. وإذا كان ذلك كذلك فالصحيح أن أباجهل هو قائل تلك المقالة ، ويحتمل أن يكون النضر بن الحارث قالها أيضًا ، وإسنادها إلى جميع المشركين إنما هو من حيث التأييد لها وحكايتها ، والله أعلم .

(٤٣٩/١) ، ومعالم التنزيل (٢١٦/٢) ، والكشاف (٥٧٧/٢) ، والمحرر الوجيز (٢٧٩/٦) ، وإيجاز البيان (٢٩٣/١) ، وأنوار التنزيل (٣٨٣/١) ، ومدارك التنزيل (١٠٢/٢) ، ولباب التأويل (١٧٩/٢) ، والبحر المحيط (٤٨٧/٤) ، والتعريف والإعلام (٤٣) ـــ وينظر: المبهمات للبلنسي (٥١٣/١) ـــ ، والنظم والدر (٢٧٠/٨) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ١٩٧/٣) ، وإرشاد العقل السليم (٣٥٨/٢) ، وتفسير المراغي (٢٠١/٩).

(1) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٦٣/٧) .

(2) الوسيط (٤٥٥/٢) . وينظر: أسباب النزول له (٢٧٠) .

(3) وهذا من أوجه الترجيح .

(4) نقلا عن تفسير القرآن الحكيم للسيد رشيد رضا (٥٦٣/٩) .

(5) قاله السيد رشيد رضا (٥٦٤/٩) . وسبقه البيضاوي في أنوار التنزيل (٣٨٣/١) .

(6) التحرير والتنوير (٣٣٠/٩) .

(7) ينظر: تفسير القرآن الحكيم للسيد رشيد رضا (٥٦٣/٩) .

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾

١٠- الخلاف في عائد الضمائر في قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ هل تعود كلها على الكفار ؟

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ﴾ إكرامًا للنبي > ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ أي : لو آمنوا واستغفروا ؛ فإن الاستغفار أمان من العذاب قال بعض السلف : كان لنا أمانان من العذاب وهما : وجود النبي > ، والاستغفار، فلما مات النبي > ذهب الأمان الواحد ، وبقي الآخر [1] . وقيل : الضمير في ﴿ لِيُعَذِّبَهُمْ ﴾ للكفار ، وفي ﴿ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ للمؤمنين الذين كانوا بين أظهرهم »[2].

العرض والمناقشة :

تضمّن تفسير ابن جُزَيّ لهذه الآية الكريمة ترجيحه لقول من قال : إن الضمائر كلها في جمل الآية : ﴿ لِيُعَذِّبَهُمْ ﴾، ﴿ فِيهِمْ ﴾ ، ﴿ مُعَذِّبَهُمْ ﴾ ، ﴿ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ أنها كلها عائدة على الكفار . ووافق في هذا معنى ما رُوِيَ عن يزيد بن رومان ، ومحمد بن قيس [3]، وابن إسحاق [4] ، والسدي [5] ،

---

(1) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٥١/١١) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٩١/٥) رقم (٩٠١٧) وغيرهما من طريق عكرمة ، عن أبي زُميل ، عن ابن عباس . وأخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٥٢/١١) ، والحاكم في المستدرك (٥٤٢/١) ، عن أبي موسى الأشعري . وأخرجه الترمذي في سننه (٣٠٨٢) من طريق أبي بردة ، عن أبيه أبي موسى مرفوعًا . وقال : هذا حديث غريب ، وإسماعيل بن مهاجر يضعف في الحديث . وينظر: الدر المنثور للسيوطي (٥٥/٤) .

(2) التسهيل لعلوم التنزيل (٦٥/٢) .

(3) أخرجه عنهما ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٥١/١١) .

(4) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٥١/١١-١٥٢) . وينظر: سيرة ابن هشام (٦٧٠/١) .

(5) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٥٣/١١-١٥٤) وابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٩٢/٥) رقم (٩٠٢٣) .

وابن زيد [1] ، وقتادة [2] ، ومجاهد [3] ، وعكرمة [4] ، والحسن [5] ، والكلبي [6] .

وعليه ابن جرير الطبري، وابن أبي زمنين، ومكي، والزمخشري، وابن عطية، والقمي النيسابوري، وأبوحيان، والسمين الحلبي، والبقاعي، والطاهر بن عاشور، ومحي الدين درويش [7].

قال ابن جرير الطبري : « وأَولى هذه الأقوال عندي في ذلك بالصواب قول من قال : تأويله: وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم يا محمد ، وبين أظهرهم مقيم ، حتى أخرجك من بين أظهرهم ؛ لأني لا أهلك قريةً وفيها نبيها ، وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون من ذنوبهم وكفرهم ، ولكنهم لا يستغفرون من ذلك ، بل هم مصرون عليه ، فهم للعذاب مستحقون»[8].

ثم علّله بقوله : « لأن القوم ، أعني مشركي مكة ، كانوا استعجلوا العذاب فقالوا : اللهم إن كان ما جاء به محمد هو الحق ، فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم . فقال الله لنبيه : ما كنت لأعذبهم وأنت فيهم ، وما كنت لأعذبهم لو استغفروا ، وكيف لا أعذبهم بعد إخراجك منهم وهم يصدون عن المسجد الحرام . فأعلمه جلّ ثناؤه أن الذي استعجلوه من العذاب حائق بهم ونازل ، وأعلمهم حال نزوله بهم ، وذلك بعد إخراجه إياه من بين أظهرهم . ولا وجه لإيعادهم العذاب في الآخرة وهم مستعجلوه في العاجل ، ولا شك أنهم في الآخرة إلى العذاب صائرون ، بل

---

(1) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٥٤/١١) . وذكره النحاس في الناسخ والمنسوخ (٣٨٤/٢) .

(2) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٥٣/١١) .

(3) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٥٤/١١،١٥٥) . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٥٦/٤) نسبته إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر ، وأبي الشيخ .

(4) أخرجه ابن جرير في جامع البيان (١٥٤/١١) . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٥٦/٤) نسبته إلى عبد بن حميد .

(5) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٥٧/١١) عن عكرمة ، والحسن البصري . وابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٩٣/٥) .

(6) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢١٣/٢) عن معمر ، عنه .

(7) ينظر: جامع البيان (١٥٧/١١) ، وتفسير القرآن العزيز (١٧٦/٢) ، والإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه (٢٩٨)، والكشاف (٥٧٨/٢) ، والمحرر الوجيز (٢٨٣/٦) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣٩٥/٣) ، والبحر المحيط (٤٩٠/٤) ، والدر المصون (٥٩٨/٥) ، ونظم الدرر (٢٧١/٨) ، والتحرير والتنوير (٣٣٤/٩) ، وإعراب القرآن الكريم وبيانه (٥٦٩/٣) .

(8) جامع البيان (١٥٧/١١) .

في تعجيل الله لهم ذلك يوم بدر الدليلُ الواضح على أن القول في ذلك ما قلنا ».اهـــ .

وقال الطاهر بن عاشور : « وجملة ﴿ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ حال مقرّرة ، أي : إذا استغفروا الله من الشرك ، وحسّن موقعها هنا أنها جاءت قيدًا لعامل منفي فالمعنى : وما كان الله معذبهم لو استغفروا . وبذلك يظهر أن جملة ﴿ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ [الأنفال :٣٤] صادفتْ مَحزّها من الكلام ، أي : لم يسلكوا [ما] يحول بينهم وبين عذاب الله ،فليس لهم أن ينتفي عنهم عذاب الله »[1].

وقال الشنقيطي : « وهذا معنى معروف في كلام العرب ؛ لأن المعنى : وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون لو استغفروا ، إلاّ أنهم لم يستغفروا فصار لا مانع من العذاب ،كما قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾[هود : ١١٧] أي : لو كانوا مصلحين لما نزل بهم العذاب ، لكنهم لم يصلحوا فنزل بهم العذاب »[2].اهـــ.

ويدل له أيضًا : قوله عليه الصلاة والسلام عن عبدالله بن جدعان : (إنه لم يقل يومًا : رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين) [3].

وأما القول الآخر بأن الضمير في ﴿ يُعَذِّبَهُمُ ﴾ للكفار ، وفي ﴿ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ للمؤمنين ، فهو مروي عن عطية [4]، وأبي مالك [5]، والضحاك [6]، وابن أبزى [7] .

وهو أيضًا مفهوم ما رُوِيَ عن ابن عباس [8] . وعليه ابن قتيبة، والنحاس،

---

(1) التحرير والتنوير (٩/٣٣٤) .

(2) العذب النمير (٤/١٩٠٦) .

(3) أخرجه أحمد (٦/٩٣،١٢٠) ، ومسلم في صحيحه (١/١٩٦) رقم (٢١٤) من حديث عائشة ك .

(4) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/١٦٩٢) رقم (٩٠٢٢) . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤/٥٦) نسبته إلى عبد بن حميد ، والطبري ، وابن المنذر ، وأبي الشيخ .

(5) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١١/١٤٨،١٤٩) ، وذكره ابن أبي حاتم معلّقًا في تفسيره (٥/١٦٩٢) عقب (٩٠٢٤) . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤/٥٧) فنسبه إلى عبد بن حميد .

(6) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان(١١/١٤٩) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/١٦٩١) ، وعلّقه في (٥/١٦٩٢) . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤/٥٩) نسبته إلى عبد بن حميد ، والنحاس ، وأبي الشيخ .

(7) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١١/١٤٨،١٤٩) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/١٦٩٣) رقم (٩٠٢٧) . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤/٥٦) نسبته إلى أبي الشيخ .

(8) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١١/١٥٠) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/١٦٩٣) رقم (٩٠٢٩) من

والسمرقندي، والواحدي، والكرماني، ومحمود النيسابوري، والثعالبي، والمراغي [1].

وكأن الشنقيطي يميل إليه حيث قدّمه على غيره وأطال الكلام فيه [2].

وذكره الزمخشري ، وابن الجوزي ، والقرطبي ، والقمي ، والسيوطي ، والسيد محمد رشيد رضا بصيغة (قيل) [3].

واستُدِلَّ له بأن اللفظ عام والمراد بعضهم . والمعنى : وما كان الله معذب هؤلاء الكفار وفيهم مؤمنون مستغفرون [4].

وإطلاق المجموع مرادًا بعضه أسلوب عربي كما قال تعالى : ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا ﴾ [الشمس : ١٤] والعاقر واحد بدليل قوله تعالى : ﴿ فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ ﴾[القمر : ٢٩].

ويزيد هذا وضوحًا قراءة حمزة والكسائي[5] : ﴿ فَإِن قَتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ ﴾[البقرة : ١٩١] بالفعلين من القتل بالفعل المجرد ؛ لأن المقتول لا يقتل قاتله ، فأسند الفعل إلى مجموعهم والمراد بعضهم .

ونظيره في القرآن قوله تعالى : ﴿ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [الفتح : ٢٥] أي : لو تميّز المشركون عن ضعفاء المسلمين المقيمين بينهم في مكة لعذبناهم عذابًا أليمًا ، فرفع الله عنهم العذاب الأليم ؛ لوجود ضعفاء المسلمين بين أظهرهم[6].

قال الطِّيبي : « وهذا الوجه أبلغ ؛ لدلالته على أن استغفار الغير مما يدفع به العذاب

طريق ابن جريج ، عنه . وأخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١١/١٥٠) من طريق عطية العوفي، عنه.

(1) ينظر: تأويل مشكل القرآن (٧١) ــ ثم قال في (٧٢) : وهو معنى قول ابن عباس ــ ، و معاني القرآن الكريم (٣/١٥٠) والناسخ والمنسوخ (٢/٣٨٣) ، وبحر العلوم (٢/١٦) ، والوجيز (١/٤٣٩) والوسيط (٢/٤٥٧) ، وغرائب التفسير وعجائب التأويل (١/٤٣٩) ، وإيجاز البيان (١/٢٩٣) ، والجواهر الحسان (٢/١٧) ، وتفسير المراغي (٩/٢٠٢) .

(2) ينظر: العذب النمير (٤/١٩٠٤-١٩٠٦) .

(3) ينظر: الكشاف (٢/٥٧٨) ، وتذكرة الأريب (١/٢٠٢) ، والجامع لأحكام القرآن (٩/٤٩٧) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/٣٩٥) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٣/١٩٧) ، وتفسير القرآن الحكيم (٩/٥٦٤)

(4) ينظر: مفاتيح الغيب للرازي (٥/٤٨٠) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان للقمي (٣/٣٩٥) .

(5) ينظر: حجة القراءات لابن زنجلة (١٢٧-١٢٨) .

(6) ينظر: العذب النمير (٤/١٩٠٥) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٣/١٩٨) .

عن أمثال هؤلاء الكفرة »[1] .

وردّ هذا القولَ ابنُ جرير الطبريُّ بحجة عدم دلالة السياق عليه ، وأنه لا دليل على أن الخبر عن المؤمنين قد مضى ، وعلى أنهم عنوا بذلك [2].

وقال ابن عطية : « ويدفع في صدر هذا القول أن المؤمنين الذين ردّ الضمير عليهم لم يَجْرِ لهم ذكر »[3].

وحسّن النحاسُ هذا القولَ وغلّط الطبريَّ في ردّه له بهذه الحجة بعلّة تقدّم ذكر المؤمنين في غير موضع من السورة . وأجاب عن القول بأنه لم يتقدم ذكرهم في هذا الموضع بأن المعنى يدل على ذكرهم وذلك في قولهم: ﴿ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ... ﴾ على معنى : فأهلك الجماعة من الكفار و المسلمين ، فهذا وجه ذكر المسلمين ، فيكون معنى الآية : كيف يهلك الله تعالى المسلمين ﴿ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ وأما قوله : ﴿ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ ﴾ فيعني به الكافرين [4].

وجواب النحاس هذا فيه تكلّف فيما يظهر ، والله أعلم .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن الأَوْلَى هو قول من قال بعود الضمائر كلها على الكفار ، وهو ما تضمّنه تفسير ابن جُزَيّ ، ورجّحه الطبري ومن وافقه ؛ لدلالة السياق عليه .

ويؤيده قاعدة : (توحيد مرجع الضمائر في السياق الواحد أَولى من تفريقها) [5] ، والله تعالى أعلم .

---

(1) ينظر: حاشية الشهاب (٢٧١/٤) ، وروح المعاني (٢٠٠/٩) ، ومحاسن التأويل (٢٩٨٦/٨) .

(2) ينظر: جامع البيان (١٥٨/١١) .

(3) المحرر الوجيز (٢٨٢/٦) .

(4) ينظر: الناسخ والمنسوخ (٣٨٣/٢) .

(5) قواعد الترجيح عند المفسرين (٦١٣/٢) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيۡهِمۡ حَسۡرَةٗ ثُمَّ يُغۡلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحۡشَرُونَ ٣٦ ﴾

١١- الخلاف فيمَ نزلت الآية الكريمة.

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « نزلت في إنفاق قريش في غزوة أُحُد . وقيل : إنها نزلت في أبي سفيان بن حرب ؛ فإنه استأجر العير من الأحباش فقاتل بهم النبيّ > يوم أُحُد»[1].

العرض والمناقشة :

رجّح ابن جُزَيّ أن الآية نزلت في إنفاق قريش في غزوة أحد . ووافق في هذا ابن عطية[2] . ومفهوم كلام ابن أبي زمنين على أن ذلك الإنفاق كان بعد بدر [3]. وصوّبه الشنقيطي [4].

ويدل له ما رواه ابن إسحاق عن الزهري ، ومحمد بن يحي بن حيان ، وعاصم بن عمر ابن قتادة ، والحصين بن عبد الرحمن بن عمر قالوا : لما أصيبت قريش يوم بدر ورجع فَلُّهم إلى مكة ورجع أبو سفيان بعيره ، مشى عبد الله بن ربيعة ، وعكرمة بن أبي جهل، وصفوان ابن أمية ، في رجال من قريش إلى من كان معه تجارة فقالوا : يا معشر قريش ، إن محمدًا قد وَتَرَكم وقتل خياركم فأعينونا بهذا المال على حربه فلعلنا أن ندرك منه ثأرًا. ففعلوا . ففيهم كما ذكر ابن عباس ب ، أنزل الله :﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيۡهِمۡ حَسۡرَةٗ ثُمَّ يُغۡلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحۡشَرُونَ ﴾[5] .

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٦٥/٢) .

(2) ينظر: المحرر الوجيز (٢٩٥/٦) .

(3) ينظر: تفسير القرآن العزيز (١٧٧/٢) .

(4) ينظر: العذب النمير (١٩١٢/٤) .

(5) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٧٣/١١) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٩٨/٥) رقم (٩٠٥٥) ، والبيهقي في دلائل النبوة (٢٢٤/٣) . وينظر: سيرة ابن هشام (٦٠/٢) . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦٣/٤) نسبته إلى ابن المنذر .

قال الشنقيطي : « وهذا الذي عليه جمهور العلماء من المفسّرين وأصحاب المغازي والتاريخ وأن ذلك هو معنى إنفاقهم ليصدوا عن سبيل الله . هذا هو الأصوب إن شاء الله ، وعليه جماهير العلماء »[1].

وأما القول بأنها نزلت في أبي سفيان بن حرب واستئجاره العير من الأحباش[2] للقتال في أُحُدٍ ، فهو مروي عن ابن عباس[3]، ومجاهد[4]، وسعيد بن جبير[5]، والحكم بن عيينة[6]، وابن أَبْزَى [7]، وقتادة [8] ، وعطاء بن دينار [9]. ونسب إلى السدي [10].

وعليه النحاس، والبلنسي، والثعالبي [11] .

وذكره الزمخشري بقيل [12].

ورُوِيَ عن الضحاك أنه قال : « هم أهلُ بدر »[13]. وحكى نحوه النقاش [14] .

ونُسِب إلى الكلبي أنها في إنفاق قريش في غزوة بدر [15].

---

(1) العذب النمير (١٩١٢/٤) بتصرف يسير .

(2) الأحباش : هم بنو الحارث بن عبد مناة بن كنانة . ويقال لهم : الأحابيش . ينظر: نسب قريش للزبيري (٩) .

(3) أخرجه ابن مردويه كما في الدر المنثور للسيوطي (٦٣/٤) .

(4) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٧٢/١١) . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦٣/٤) نسبته إلى عبد بن حميد ، وأبي الشيخ .

(5) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٧٠/١١) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٩٧/٥) رقم (٩٠٥٤) . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦٣/٤) نسبته إلى ابن سعد ، وعبد بن حميد ، وأبي الشيخ ، وابن عساكر .

(6) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٧١/١١) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٩٧/٥) رقم (٩٠٥٣) . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦٣/٤) نسبته إلى ابن المنذر ، وأبي الشيخ .

(7) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٧١/١١) .

(8) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٧٢/١١) .

(9) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٧٤/١١) .

(10) نسبه إليه ابن عطية في المحرر الوجيز (٢٩٤/٦) ، وابن كثير في تفسير القرآن العظيم (٧٣/٧) .

(11) ينظر: معاني القرآن الكريم (١٥٣/٣) ، وتفسير مبهمات القرآن (٥١٣/١) ، والجواهر الحسان (١٨/٢) .

(12) ينظر: الكشاف (٥٧٩/٢) .

(13) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٧٤/١١) .

(14) ينظر: المحرر الوجيز لابن عطية (٢٩٦/٦) .

(15) ينظر: الوسيط للواحدي (٤٥٨/٢) ، وأسباب النزول له (٢٧١) ، ومعالم التنزيل للبغوي (٢٢٠/٢) في آخرين. ورواه أبو صالح ، عن ابن عباس : أنها في المطعمين ببدر . ينظر: زاد المسير (٣٥٥/٣) .

وعلى هذا القول مقاتل، والواحدي ، وابن الجوزي ، والنسفي [1] .

وذكره الزمخشري بقيل [2] .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن الصواب من القول في ذلك هو القول بالعموم ؛ لأن الله لم يخبرنا بأيّ ذلك عَنَى ، غير أنه عمَّ بالخبر الذين كفروا . وجائز أن يكون ذلك بأُحُدٍ ، وجائز أن يكون ذلك ببَدْرٍ ، وجائز أن يكون عنى الفريقين [3] .

وعلى القول بأنها في أبي سفيان فهذا من باب التفسير بالمثال .

وعلى القول بالعموم ذهب أبوحيان، والسيد رشيد رضا، والمراغي، والسعدي، والطاهر [4] . ومال إليه ابن كثير، والبقاعي، والشوكاني، والقنوجي، والقاسمي [5] .

ودليله : قوله تعالى : ﴿ يُنفِقُونَ ﴾ بصيغة المضارع إشارة إلى أن ذلك دأبهم ، وأن الانفاق مستمر لإعداد العُدد لغزو المسلمين ، فإنفاقهم حصل في الماضي كبدر وأحد والأحزاب ، ويحصل في الحال والاستقبال .

وقوله : ﴿ لِيَصُدُّواْ ﴾ أشعرت لام التعليل بأن الإنفاق مستمر ؛ لأنه منوط بعلّة ملازمة لنفوسهم وهي بغض الإسلام وصدهم الناس عنه . أفاده الطاهر بن عاشور ، وهو الصواب إن شاء الله .

ويؤيده قاعدتان ترجيحيتان :

١- يجب حمل نصوص الوحي على العموم .

---

(1) ينظر: تفسير مقاتل (١١٤/٢،١١٥) ، والوجيز (٤٣٩/١) ، وتذكرة الأريب (٢٠٣/١) ، ومدارك التنزيل (١٠٣/٢).

(2) ينظر: الكشاف (٥٧٩/٢) .

(3) ينظر: جامع البيان للطبري (١٧٤/١١) .

(4) ينظر: البحر المحيط (٤٩٣/٤) ، وتفسير القرآن الحكيم (٥٦٨/٩) ، وتفسير المراغي (٢٠٥/٩) ، وتيسير الكريم الرحمن (٢٠٢/٢) ، والتحرير والتنوير (٣٤٠/٩-٣٤١) .

(5) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٧٤/٧) ــ وقال : وعلى كل تقدير فهي عامة ، وإن كان سبب نزولها خاصًّا ــ ، ونظم الدرر (٢٧٧/٨) ، وفتح القدير (٤٤٠/٢) ، وفتح البيان (١٧١/٥) ، ومحاسن التأويل (٢٩٩٣/٨) وقال: ولا يخفى شمول الآية لجميع ذلك .

٢- العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب [١].

قال أبوحيان : « والظاهر الإخبار عن الكفار بأن إنفاقهم ليس في سبيل الله بل سببه الصد عن سبيل الله فيندرج هؤلاء الذين كفروا في هذا العموم ، وقد يكون اللفظ عامًا والسبب خاصًّا ... »[٢] . ثم قال : « والإخبار بسين الاستقبال يدل على إنفاق متأخر عن وقعة أحد وبدر ، وأن ذلك إخبار عن علو الإسلام وغلبة أهله ، وكذا وقع ، فتحوا البلاد ودوّخوا العباد ، وملأ الإسلام معظم أقطار الأرض واتسعت هذه الملّة اتساعًا لم يكن لشيء من الملل السابقة ». والله تعالى أعلم .

(1) قواعد الترجيح عند المفسرين (٢/٥٢٧ ، ٥٤٥) .

(2) البحر المحيط (٤/٤٩٣) .

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾

١٢- الخلاف في المراد الخبيث والطيب في قوله تعالى :

﴿ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ﴾ .

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « معنى ﴿ لِيَمِيزَ ﴾ : يُفَرّقُ بين الخبيث والطيب . والخبيث هنا الكفار ، والطيب المؤمنون . وقيل : الخبيث ما أنفقه الكفار ، والطيب ما أنفقه المؤمنون . واللام في ﴿ لِيَمِيزَ ﴾ على هذا تتعلق بـــ ﴿ يُغْلَبُونَ ﴾، وعلى الأول بـــ ﴿ يُحْشَرُونَ ﴾ »[1].

العرض والمناقشة :

رجّح ابن جُزَيّ أن الخبيث في قوله تعالى : ﴿ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ﴾ يراد به الكفار ، وأن الطيب المؤمنون أي : ليفرّق الله بين الكفار و المؤمنين . ووافق في هذا معنى ما رُوي عن ابن عباس [2] ، والسدي [3] .

وعليه مقاتل، والطبري، والنحاس، والواحدي، والبغوي، والزمخشري، وابن الجوزي، والقرطبي، والنسفي، والخازن، والقمي، وأبوحيان، وابن كثير، والبقاعي، والسيوطي، والشوكاني، والآلوسي، والقنوجي، والطاهر، والشنقيطي [4].

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٦٥/٢) .

(2) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٧٥/١١) من طريق علي بن أبي طلحة ، عنه قال : نُمَيِّزْ أهل السعادة من أهل الشقاوة .

(3) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٧٥/١١) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٩٩/٥) رقم (٩٠٦١) .

(4) ينظر: تفسير مقاتل (١١٥/٢) ، وجامع البيان (١٧٥/١١) ، ومعاني القرآن الكريم (١٥٤/٣) ، والوجيز (٤٤٠/١) والوسيط (٤٥٩/٢) ، ومعالم التنزيل (٢٢١/٢) ، والكشاف (٥٧٩/٢) ، وتذكرة الأريب (٢٠٣/١) ، والجامع لأحكام القرآن (٥٠٠/٩) ، ومدارك التنزيل (١٠٣/٢) ، ولباب التأويل (١٨١/٢) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣٩٧/٣) ، والبحر المحيط (٤٩٤/٤) ، وتفسير القرآن العظيم (٧٤/٧) ، ونظم الدرر (٢٧٨/٨) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٢٠٠/٣) ، وفتح القدير (٤٤٠/٢) ، وروح المعاني

واستَدَلَّ له أبوحيّان بأن الكفار هم المحدّثُ عنهم بقوله : ﴿ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ ﴾ وقوله : ﴿ فَسَيُنفِقُونَهَا ﴾ وبقوله : ﴿ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾ ، وبأنهم هم المشار إليهم آخرًا بقوله : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [1].

وأما ابن كثير فإنه استدل له بوقوع التفريق بين الفريقين في الدنيا كقوله تعالى :﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ ﴾[آل عمران : ١٦٦-١٦٧] ، وقوله : ﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ﴾[آل عمران : ١٧٩]. وبوقوعه في الآخرة كقوله تعالى :﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴾ [الروم : ١٤].وقوله : ﴿ وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ [2][يس : ٥٩].

قال الطاهر بن عاشور : « تعلّق اللام في ﴿ لِيَمِيزَ ﴾ بـــ ﴿ يُحْشَرُونَ ﴾ ؛ لبيان أن من حكمة حشرهم إلى جهنم أن يتميّز الفريق الخبيث من الناس من الفريق الطيب في يوم الحشر ؛ لأن العلةَ غيرَ المؤثرة تكون متعددة ، فتمييزُ الخبيث من الطيب من جملة الحِكم لحشر الكافرين إلى جهنم . وجَعْلُ الخبيث بعضه على بعض علّةٌ أخرى لحشر الكافرين إلى جهنم ، ولذلك عطف بالواو »[3].

وأما القول الآخر بأن الخبيث ما أنفقه الكفار ، والطيب ما أنفقه المؤمنون ، فهو قولٌ منسوبٌ لابن زيد [4] ، وابن سلام [5] .

وعليه الزجاج، وابن أبي زمنين، والسمعاني [6].

وذكره السمرقندي ، والبغوي ، والزمخشري ، والخازن ، والقمي ، والشوكاني ،

(٢٠٥/٩) ، وفتح البيان (١٧٢/٥) ، والتحرير والتنوير (٣٤٢/٩) ، والعذب النمير (١٩١٧/٤-١٩١٨) .

(1) ينظر: البحر المحيط (٤٩٤/٤) .

(2) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٧٤/٧) .

(3) التحرير والتنوير (٣٤٢/٩،٣٤٣) .

(4) نسبه إليه ابن الجوزي كما في زاد المسير (٣٥٦/٣) .

(5) نسبه إليه ابن عطية كما في المحرر الوجيز (٢٩٨/٦) ، وأبوحيان كما في البحر المحيط (٤٩٣/٤).

(6) ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٤١٢/٢) ، وتفسير القرآن العزيز (١٧٧/٢) ، وتفسير القرآن (٢٦٤/٢) .

والقنوجي بصيغة (قيل)[1].

قال الزجاج : « قوله : ﴿ فَيَجْعَلَهُۥ فِي جَهَنَّمَ ﴾ أي : يجعل بعض ما أنفقه المشركون على بعض ، ويجعلُ عليهم في النار ، فيكون مما يعذّبون به ، كما قال جل وعزّ : ﴿ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ﴾ »[2][التوبة : ٣٥] .

ولذا ذكره الشنقيطي على أنه يندرج في القول الأول واستدل بآية التوبة هذه [3].

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن الصواب من القول في ذلك هو القول بالعموم ، وأن الخبيث والطيب هو عام في كل شيء من الأعمال والنفقات والنفوس ، والأشخاص . فالخبيث يطلق على ما يكره رداءةً وخساسةً محسوسًا كان أو معقولاً ، في الاعتقاد والأقوال والأعمال والأموال والنفوس والأشخاص [4] ، وكذا عكسه الطيب [5] .

فالخبيث والطيب وصفان يصلحان للآدميين وللمال ، كما قاله أبوحيان [6].

وعلى القول بالعموم ذهب السعدي [7].

وإلى التسوية بين القولين ذهب البيضاوي، وأبوالسعود، والقاسمي [8] .

ومما يؤيد القول بالعموم القاعدة الترجيحية : (يجب حمل نصوص الوحي على العموم)[9]، والله تعالى أعلم .

---

(1) ينظر: بحر العلوم (١٧/٢) ، ومعالم التنزيل (٢٢١/٢) ، والكشاف (٥٨٠/٢) ، ولباب التأويل (١٨١/٢) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣٩٧/٣) ، وفتح القدير (٤٤١/٢) ، وفتح البيان (١٧٢/٥) .

(2) معاني القرآن وإعرابه (٤١٣/٢) . وينظر: معاني القرآن الكريم للنحاس (١٥٤/٣) ، والكشاف للزمخشري (٥٨٠/٢) ، والمحرر الوجيز لابن عطية (٢٩٨/٦) ، وفتح القدير للشوكاني (٤٤١/٢) ، وفتح البيان للقنوجي (١٧٢/٥) .

(3) ينظر: العذب النمير (١٩١٨/٤) .

(4) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن للراغب (٢٧٢-٢٧٣) مادة (خبث) .

(5) ينظر: المصدر السابق (٥٢٧) مادة (طيب) .

(6) البحر المحيط (٤٩٣/٤) .

(7) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (٢٠٢/٢).

(8) ينظر: أنوار التنزيل(٣٨٥/١) ، وإرشاد العقل السليم (٣٥٩/٢) ، و محاسن التأويل (٢٩٩٤/٨) .

(9) قواعد الترجيح عند المفسرين (٥٢٧/٢).

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَٰدِ وَلَٰكِن لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ ﴾

١٣- الخلاف في المراد بالهلاك والحياة بين الحقيقة والمجاز .

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « أي : يموت من مات ببدرٍ عن إعذارٍ وإقامة الحجة عليه، ويعيش من عاش بعد البيان له . وقيل : ﴿ لِّيَهْلِكَ ﴾ : من يكفر . و ﴿ وَيَحْيَىٰ ﴾: من يؤمن »[1].

العرض والمناقشة :

رجّح ابن جُزَيّ أن الهلاك والحياة في قوله تعالى : ﴿ لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ﴾ هما على الحقيقة . ووافق في هذا الترجيح ما ذهب إليه الطبري، والبغوي، والرازي، والقرطبي، والخازن، وأباحيان، والشوكاني، والآلوسي، والقنوجي[2]. ومفهوم كلام العكبري على تجويزه [3] .

واستدلوا له بأنه ظاهر القرآن ، وبقوله تعالى : ﴿ إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ ﴾ [النساء : ١٧٦] .

ويقول الفَرَضيون : هلك هالك . يعني : مات ميت .

واستبعد الطاهر حمل الهلاك والحياة هنا على الحقيقة، وعلّل ذلك بقوله : « لأنه وإن تحمّله المعنى في قوله : ﴿ لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ ﴾ فلا يتحمّله في قوله : ﴿ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ ﴾ ؛ لأن حياة الأحياء ثابتة لهم من قبل يوم بدر »[4] .

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٦٦/٢) .

(2) ينظر: جامع البيان (٢٠٧/١١-٢٠٨) ، ومعالم التنزيل (٢٢٧/٢) ، ومفاتيح الغيب (٤٨٧/٥) ، والجامع لأحكام القرآن (٣٦/١٠) ، ولباب التأويل (١٨٤/٢) ، والبحر المحيط (٥٠١/٤) ، وفتح القدير (٤٤٨/٢) ، وروح المعاني(٧/١٠) وفتح البيان (١٨٥/٥) .

(3) ينظر: التبيان (٦٢٥/٢).

(4) ينظر:التحرير والتنوير (٢١/١٠).

ولهذا اختار البقاعي أن الهلاك في حال القتال وبعدها ، ويحيى من حيَّ بالإسلام [1].

وأما القول الآخر بحمل الهلاك والحياة في الآية على المجاز ، فيراد بهما الكفر و الإيمان، فهو معنى ما رُوِيَ عن عَبّاد بن عبد الله بن الزبير[2]، وابن إسحاق[3] . ونسب إلى الكلبي[4]، وقتادة [5] .

وعليه مقاتل ، والسمرقندي، والواحدي، والسمعاني، والزمخشري، والنسفي، والقمي، وابن القيم، والسمين، وابن كثير، والثعالبي، والسيوطي، والقاسمي، والسعدي، والطاهر، والشنقيطي[6] .

وجوّزه الآلوسي [7] . وذكره الشوكاني، والقنوجي بصيغة (قيل) [8] .

قال الواحدي : « أكثر أهل العلم على أن المراد بالهلاك ها هنا الكفر والضلال ، وبالحياة الاهتداء والدين »[9] .

وقال ابن عطية : « فالهلاك والحياة – على هذا – مستعارتان ، والمعنى : أن الله تعالى جعل قصة بدرٍ عبرةً وآية ؛ ليؤمن من آمن عن وضوح وبيان ، ويكفر أيضًا من كفر عن مثل ذلك »[10] .

---

(1) ينظر: نظم الدرر (٢٨٨/٨) .

(2) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسره (١٧٠٨/٥) رقم (٩١١٦) .

(3) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٢٠٨/١١) . وينظر: سيرة ابن هشام (٦٧٢/١) .

(4) نسبه إليه السمرقندي كما في بحر العلوم (١٩/٢) .

(5) نسبه إليه البغوي كما في معالم التنزيل (٢٢٧/٢) ، والخازن كما في لباب التأويل (١٨٥/٢) .

(6) ينظر: تفسير مقاتل (١١٧/٢) ، وبحر العلوم (١٩/٢) ، والوجيز (٤٤٢/١) ، وتفسير القرآن (٢٦٨/٢) ، والكشاف (٥٨٥/٢) ، ومدارك التنزيل (١٠٥/٢) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان(٤٠٣/٣) ، وبدائع التفسير (٣٣٨/٢) ، والدر المصون (٦١٥/٥) ، وتفسير القرآن العظيم (٩٣/٧) ، والجواهر الحسان (٢١/٢) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٢٠٤/٣) ، ومحاسن التأويل (٣٠٠٦/٨ ، ٣٠٠٧) ، وتيسير الكريم الرحمن (٢٠٥/٢) ، والتحرير والتنوير (٢١/١٠) ، والعذب النمير (١٩٦٧/٥-١٩٦٨) .

(7) ينظر: روح المعاني (٧/١٠) .

(8) ينظر: فتح القدير (٤٤٨/٢) ، وفتح البيان (١٨٥/٥) .

(9) الوسيط (٤٦٣/٢) .

(10) المحرر الوجيز (٣٢١/٦) . وينظر: الكشاف للزمخشري (٥٨٥/٢) ، وأنوار التنزيل للبيضاوي (٣٨٦/١) ، ومدارك التنزيل للنسفي (١٠٥/٢) .

واستدلوا له بقوله تعالى : ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ ﴾[الأنعام : ١٢٢] .

ووجهه : أن الإيمان هو حياة القلوب [١] .

وقالت عائشة في قصة الإفك : « فِيَّ هلك من هلك »[٢] . أي : قال فيها ما قال من الكذب والبهتان والإفك [٣] .

ويدل له قوله تعالى : ﴿ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ ﴾ [الأنعام : ٢٦] .

وقوله : ﴿ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا ﴾[٤] [يس : ٧٠] .

واختار السيد محمد رشيد رضا شمول الهلاك والحياة هنا للحسيّ والمعنويّ منهما [٥] .

ومفهوم كلام المراغي يشعر بميله إليه [٦] .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن الصواب في ذلك هو القول بالعموم والشمول ، وأن كلا المعنيين مراد ؛ وذلك لقوة أدلة القولين ووجاهتها ، فالجمع بينها أَولى من اطّراح بعضها .

والقاعدة الترجيحية تؤيد ذلك وهي أنه : (يجب حمل نصوص الوحي على العموم)[٧]، والله تعالى أعلم .

---

(1) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٩٤/٧) .

(2) ينظر البخاري ، كتاب التفسير رقم (٤٧٥٠ ، ٤٧٥٧) وفيه قولها عن حمنة بنت جحش : فهلكتْ فيمن هلك .

(3) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٩٤/٧) .

(4) ينظر: التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٢١/١٠) .

(5) ينظر: تفسير القرآن الحكيم (١٩/١٠) .

(6) ينظر: تفسير المراغي (٧/١٠) .

(7) قواعد الترجيح عند المفسرين (٥٢٧/٢) .

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ ۗ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾ ﴾

١٤- الخلاف في المراد بالمنافقين في قوله تعالى : ﴿ إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ هل هم منافقوا المدينة ؟ أم الذين كانوا مع الكفار بمكة ؟

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « ﴿ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ ﴾ : الذين كانوا بالمدينة . وقيل : الذين كانوا مع الكفار ، وهم نفر من قريش منهم : قيس بن الوليد بن المغيرة ، وأبوقيس بن الفاكه بن المغيرة ، والحارث بن ربيعة [1] بن الأسود ، وعلي بن أمية بن خلف، والعاصي بن أمية [2] بن الحجاج ، وكانوا قد أسلموا ولم يهاجروا وخرجوا يوم بدر مع الكفار فقالوا هذه المقالة »[3] .

العرض والمناقشة :

رجّح ابن جُزَيّ أن المنافقين الذين كانوا بالمدينة هم الذين عناهم الله بقوله : ﴿ إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ ﴾ . ووافق في هذا معنى ما رُوِيَ عن ابن عباس [4] ، والحسن [5] . ونسب إلى الضحاك [6] .

---

(1) في زاد المسير لابن الجوزي (٣٦٨/٣) : الحارث بن زمعة .

(2) في زاد المسير لابن الجوزي (٣٦٨/٣) : العاصي بن مُنْبة .

(3) التسهيل لعلوم التنزيل (٦٧/٢) .

(4) قال : هم قوم من أهل المدينة من الأوس والخزرج . ينظر: الوسيط للواحدي (٤٦٦/٢) ، وزاد السير لابن الجوزي (٣٦٧/٣) . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٧١٦/٥) رقم (٩١٦٥) بالإسناد المسلسل بالعوفيين، عنه قال : وهم يومئذ في المسلمين . قال الآلوسي في روح المعاني (١٦/١٠) : وفي القلب من هذا شيء ؛ فإن الذي تشهد له الأثار أن أهل بدر كانوا خلاصة المسلمين .

(5) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢٦٠/٢) عن معمر ، عنه قال : هم قوم لم يشهدوا القتال يوم بدر فسموا منافقين . وأخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٢٢٧/١١) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٧١٦/٥) رقم (٩١٦٦) من طريق معمر به . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٧٩/٤) نسبته إلى ابن المنذر .

(6) قال : نزلت في عبد الله بن أبيّ وأصحابه . ينظر : بحر العلوم للسمرقندي (٢١/٢) .

وعليه الواحدي، والزمخشري، وابن الجوزي، والرازي، والنسفي، والخازن، والقمي، وأبوحيان، والبقاعي، والشوكاني، والقنوجي، والقاسمي [1] . ومفهوم كلام الشنقيطي يشير إليه [2] . واحتمله ابن عطية [3] .

وذكره البيضاوي ، وأبوالسعود بصيغة (قيل) [4] .

وأما القول الآخر بأن المنافقين والمذكورين في الآية هم الذين كانوا مع الكفار ، وهم نفر من قريش أسلموا و لم يهاجروا وخرجوا يوم بدر مع الكفار فقالوا هذه المقالة، فهو قول منسوب إلى ابن عباس [5] . وروي عن مجاهد [6] ، والكلبي [7] ، وابن إسحاق ، والشعبي[8]، وابن جريج [9] .

وعليه مقاتل، والطبري، وابن أبي زمنين، والواحدي، والسمعاني، والبغوي، والبلنسي، والثعالبي، والآلوسي، والسيد محمد رشيد رضا، والمراغي، والسعدي [10] .

---

(1) ينظر: الوسيط (٤٦٦/٢) ، والكشاف (٥٩٠/٢) ، وتذكرة الأريب (٢٠٥/١) ، ومفاتيح الغيب (٤٩٣/٥) ، ومدارك التنزيل (١٠٧/٢) ، ولباب التأويل (١٨٨/٢) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٤٠٦/٣) ، والبحر المحيط (٥٠٥/٤) ، ونظم الدرر (٢٩٩/٨-٣٠٠) ، وفتح القدير (٤٥٤/٢) ، وفتح البيان (١٩٢/٥) ، ومحاسن التأويل (٣٠١٥/٨) .

(2) ينظر: العذب النمير (١٩٩٧/٥) .

(3) ينظر: المحرر الوجيز (٣٢٩/٦) . وتبعه الثعالبي في الجواهر الحسان (٢٥/٢) .

(4) ينظر: أنوار التنزيل (٣٨٨/١) ، و إرشاد العقل السليم (٣٦٥/٢) .

(5) رواه أبوصالح ، عنه . ينظر: بحر العلوم للسمرقندي (٢١/٢) ، والنكت والعيون للماوردي (٣٢٥/٢) ، وزاد المسير لابن الجوزي (٣٦٨/٣) .

(6) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٢٢٧/١١) .

(7) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢٦١/٢) عن معمر ، عنه . وذكره معلّقًا ابن جرير الطبري في جامع البيان (٢٢٧/١١) عن معمر به .

(8) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٧١٦/٥) رقم (٩١٦٧) .

(9) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٢٢٨/١١) . وذكر الطبري عنه قولا آخر : أن القائل هم المشركون. وعليه ابن عباس في رواية علي بن أبي طلحة ، عنه . أخرجها ابن أبي حاتم في تفسيره (١٧١٧/٥) رقم (٩١٦٨) .

(10) ينظر: تفسير مقاتل (١٢٠/٢) ـــ على خلاف يسير في تعدادهم ـــ ، وجامع البيان (٢٢٦/١١) ، وتفسير القرآن العزيز (١٨٢/٢) ، والوجيز (٤٤٤/١) ، وتفسير القرآن (٢٧١/٢) ، ومعالم التنزيل (٢٣١/٢) ، وتفسير مبهمات القرآن (٥١٥/١) ، والجواهر الحسان (٢٤/٢) ، وروح المعاني (١٦/١٠) ، وتفسير القرآن

وبعد، فإذا تقرر هذا فإنه لا دليل يعيّن المراد بالمنافقين ؛ والأصل أن النفاق إنما ظهر بالمدينة ورأسه عبد الله بن أُبَيّ بن سَلُول .

وعليه، فإن الظاهر أن المنافقين هنا هم الذين كانوا بالمدينة وهم الذين في قلوبهم مرض، وعلى هذا استعمال القرآن .

فإذا كان ذلك كذلك فإن الصواب هو ما رجّحه ابن جُزَيّ ومن معه ، وإن خالفه الأكثرون ؛ لأن المنافقين كانوا بالمدينة و لم يكن بمكة نفاق ، والله تعالى أعلم .

الحكيم (٢٩/١٠) ، وتفسير المراغي (١٤/١٠) ، وتيسير الكريم الرحمن (٢٠٨/٢) .

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ﴾

١٥- الخلاف في المراد بالأدبار في قوله : ﴿ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴾ .

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « ﴿ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴾ أي : أَسْتَاهَهم. وقيل: ظهورهم »[1].

العرض والمناقشة :

رجّح ابن جُزَيّ أن ﴿ أَدْبَٰرَهُمْ ﴾ معناها : أستاهَهم . ووافق في هذا ما رُوِيَ عن مجاهد[2] ، وسعيد بن جبير [3] ، وعكرمة [4] ، وعُمر مولى غُفْرة [5] .

وعليه الطبري، والزمخشري، وابن عطية، والقرطبي، وأبوحيان، وابن كثير، والثعالبي، والشوكاني، والقنوجي، والشنقيطي [6] . و هو مفهوم كلام البغوي [7] .

قال مجاهد : « وأستاههم ، ولكن الله كريم يكني ».

وقال ابن عطية : « قال جمهور المفسّرين : يريد أَسْتَاهَهُم ولكن الله كريم يكني ».

ودبُر كل شيء عَقِبه و مؤخّرهُ ، وجمعه أَدْبَار [8] .

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٦٧/٢) .

(2) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٢٣٠/١١) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٧١٨/٥) رقم (٩١٧٤) . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٨١/٤) نسبته إلى ابن المنذر ، وأبي الشيخ .

(3) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٢٣٠/١١) . وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره (١٧١٨/٥) عقب الأثر (٩١٧٤) معلّقًا .

(4) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره (١٧١٨/٥) عقب الأثر (٩١٧٤) معلّقًا .

(5) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٢٣١/١١) . وذكره معلّقًا ابن أبي حاتم في تفسيره (١٧١٨/٥) عقب (٩١٧٤) .

(6) ينظر: جامع البيان (٢٢٩/١١) ، والكشاف (٥٩٠/٢) ، والمحرر الوجيز (٣٤٠/٦) ، والجامع لأحكام القرآن (٤٥/١٠) ، والبحر المحيط (٥٠٦/٤) ، وتفسير القرآن العظيم (١٠٤/٧) ، والجواهر الحسان (٢٥/٢) ، وفتح القدير (٤٥٦/٢) ، وفتح البيان (١٩٣/٥) ، والعذب النمير (٢٠٠٣/٥) .

(7) ينظر: معالم التنزيل (٢٣١/٢) .

(8) ينظر: لسان العرب ، والقاموس المحيط مادة (دبر) .

ودُبُرُ الشيء : خلافُ القُبُل . وكُنّيَ بهما عن العضوين المخصوصين . قاله الراغب[1].

وإنما خصَّ وجوههم وأدبارهم بالضرب ؛ لأن الخزي والنكال في ضربها أشد [2] .

وأما القول الآخر بأن أدبارهم هي ظهورهم ، فهو قول منسوب إلى ابن عباس[3]، والحسن [4] . وعليه الشهاب الخفاجي، والآلوسي [5] .

وذكره الزمخشري ، والشوكاني ، والقنوجي بصيغة (قيل) [6] .

واستُدِلَّ له بما رواه الحسن عن رجل قال : يا رسول الله ، إني رأيت بظهر أبي جهل مثلَ الشراك ! قال : ما ذاك ؟ قال : (ضَرْبُ الملائكة) [7] .

وقال الشهاب : « يعني بالدبر ما أدبر ، وهي كل الظهر أو بعضه كما اختص به في عرف اللغة »[8] .

وإلى التسوية بين القولين ذهب البيضاوي وقال : « ولعل المراد تعميم الضرب ، أي : يضربون ما أقبل منهم وما أدبر »[9] .

وهذا قول ابن جريج في تفسير الآية : « يريد ما أقبل من أجسادهم وأدبر ، يعني : يضربون جميع أجسادهم »[10] .

وجمع بينهما النسفي [11] .

وممن مال إلى القول بتعميم الضرب لجميع الجسد : البقاعي، والسيد محمد رشيد رضا،

---

(1) مفردات ألفاظ القرآن (٣٠٦) مادة (دبر) .

(2) قاله الزمخشري في الكشاف (٥٩٠/٢) ، وتبعه القمي في غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٤٠٩/٣) ، وأبوحيان في البحر المحيط (٥٠٦/٤) .

(3) نسبه إليه ابن عطية في المحرر الوجيز (٣٤٠/٦) ، والثعالبي في الجواهر الحسان (٢٥/٢) .

(4) نسبه إليه القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٤٥/١٠) ، والثعالبي (٢٥/٢) .

(5) ينظر: حاشية الشهاب (٢٨٢/٤) ، وروح المعاني (١٧/١٠) .

(6) ينظر: الكشاف (٥٩١/٢) ، وفتح القدير (٤٥٦/٢) ، وفتح البيان (١٩٣/٥) .

(7) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٢٣٠/١١) وفي إسناده مجهول .

(8) حاشية الشهاب (٢٨٢/٤) .

(9) ينظر: أنوار التنزيل (٣٨٩/١) وقدّم (ظهورهم) .

(10) نسبه إليه البغوي في معالم التنزيل (٢٣١/٢) .

(11) ينظر: مدارك التنزيل (١٠٨/٢) .

والمراغي، والطاهر بن عاشور[1] وقال : « وذكر الوجوه والأدبار للتعميم ، أي : يضربون جميع أجسادهم . فالأدبار : جمع دبر ، وهو ما دَبَرَ من الإنسان .ومنه قوله تعالى : ﴿ سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾ [القمر : ٤٥] .وكذلك الوجوه كناية عما أقبل من الإنسان. وهذا كقول العرب : ضربته الظهر والبطن ، كناية عما أقبل وما أدبر ، أي : ضربته في جميع جسده » . اهـــ .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن الأَولى بالصواب في ذلك هو ما رجّحه ابن جُزَيّ ومن وافقه؛ لأنه قولٌ بالحقيقة ؛ لأن إطلاق الأدبار على الأستاه هو إطلاق حقيقي ، وأما إطلاقها على الظهور فهو كناية ، والقول بالحقيقة مقدّم على القول بالكناية [2] ، ولا مانع من إرادة الحقيقة هنا ؛ إذ إن ضربها أخزى وأشد نكالا .(ويجب حمل نصوص الوحي على الحقيقة) [3] ، والله تعالى أعلم .

---

(1) ينظر: نظم الدرر (٣٠١/٨) ـــ وقال : أعلى أجسامهم وأدناها فغيره أَولى ـــ ، وتفسير القرآن الحكيم (٣٢/١٠) ، وتفسير المراغي (١٥/١٠) ، والتحرير والتنوير (٤١/١٠) .

(2) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (٩/١) .

(3) قواعد الترجيح عند المفسرين (٣٨٧/٢) .

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾

١٦- الخلاف في المراد بالآخرين في قوله تعالى : ﴿ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ﴾ .

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « ﴿ وَءَاخَرِينَ ﴾ يعني : المنافقين . وقيل : بني قريظة. وقيل : الجن ؛ لأنها تنفر من صهيل الخيل. وقيل : فارس . والأول أرجح ؛ لقوله : ﴿ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ ﴾ [التوبة : ١٠١].

﴿ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ ﴾ قال السهيلي : لا ينبغي أن يقال فيهم شيء ؛ لأن الله تعالى قال : ﴿ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ﴾ ، فكيف يعلمهم أحد ؟ وهذا لا يلزم ؛ لأن معنى قوله : ﴿ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ﴾ : لا تعرفونهم . أي : لا تعرفون آحادهم وأعيانهم وقد يُعْرَفُ صنفُهم من الناس ، ألا ترى أنه قال مثل ذلك في المنافقين »[1] .

العرض والمناقشة :

رجَّح ابن جُزَيّ أن المراد بالآخرين في قوله تعالى : ﴿ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ ﴾ هم المنافقون . ووافق في هذا ما رُوِيَ عن ابن زيد [2] ، والحسن[3]، ومقاتل بن حيان [4] .

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٦٨/٢) .

(2) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٢٤٩/١١) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٢٤/٥) رقم (٩١١٢) عنه قال : هؤلاء المنافقون لا تعلمونهم ؛ لأنهم معكم يقولون : لا إله إلا الله ، ويَغْزُون معكم .

(3) ينظر: الوسيط للواحدي (٤٦٩/٢) ، والنكت والعيون للماوردي (٣٣٠/٢) ، ومعالم التنزيل للبغوي (٢٣٦/٢)، ولباب التأويل للخازن (١٩٢/٢) .

(4) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٢٣/٥) رقم (٩١٠٩) و (١٧٢٤/٥) رقم (٩١١٣) . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٩٧/٤) نسبته إلى أبي الشيخ .

وعليه ابن أبي زمنين، والواحدي، وابن الجوزي، والرازي، وأبوحيان، وابن كثير، والبقاعي، والقاسمي [1] .

وذكره الشوكاني بصيغة (قيل) [2] . واستبعده القنّوجي [3] .

واستَدَلّ له ابن جُزَيّ بقوله تعالى : ﴿ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعۡلَمُهُمۡۖ نَحۡنُ نَعۡلَمُهُمۡۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيۡنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٖ ﴾ [التوبة : ١٠١] .

وتبعه على هذا ابن كثير ، والبقاعي ، والقاسمي .

قال البقاعي : « ولأنهم لايكونون دونهم إلاّ إذا لم يكونوا في العداوة مثلهم ، وكل من فُرِضَ غير المنافقين مظهرون للعداوة ، وأما المنافقون فإنهم مدعون بإظهار الإسلام أنهم أولياء لا أعداء »[4] .

وقال أبوحيان : « لأنه قال : ﴿ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ﴾ أي : لا تعلمون أعيانهم وأشخاصهم؛ إذ هم مسترون عن أن تعلموهم بالإسلام . فالعلم هنا كالمعرفة تعدّى إلى واحد ... وأشار إليهم على جهة الطعن عليهم والتنبيه على سوء حالهم وليستريب بنفسه كل من يعلم منها نفاقًا إذا سمع الآية . وبفزعهم ورهبتهم غنىً كبير في ظهور الإسلام وعلوه»[5].

ووجه إرهاب المنافقين هؤلاء من حيث إنهم إذا شاهدوا قوة المسلمين انقطع عنهم طمعهم من أن يصيروا مغلوبين ، فيحملهم ذلك على ترك الكفر في قلوبهم وبواطنهم وإخلاص الإيمان ، كما يحملهم ذلك أيضًا على ترك الإفساد والتفريق بين المسلمين [6] .

وردّ ابن جرير الطبري هذا القول بحجة أن المنافقين لم يكن تَرُعْهم خَيْلُ المسلمين ولا

---

(1) ينظر: تفسير القرآن العزيز (١٨٥/٢) ، والوجيز (٤٤٦/١) ، وتذكرة الأريب (٢٠٧/١) ، ومفاتيح الغيب (٥٠٠/٥) ، والبحر المحيط (٥١٣/٤) ، وتفسير القرآن العظيم (١١٢/٧) ، ونظم الدرر (٣١٤/٨) ، ومحاسن التأويل (٣٠٢٦/٨) .

(2) ينظر: الكشاف (٥٩٥/٢) .

(3) ينظر: فتح البيان (٢٠٣/٥) .

(4) نظم الدرر (٣١٥/٨) .

(5) البحر المحيط (٥١٣/٤) بتصرف يسير .

(6) ينظر: مفاتيح الغيب للرازي (٥٠٠/٥) .

سلاحهم ، وإنما كان يَرُوعهم أن يظهر المسلمون على سرائرهم ، وإنما أمر المؤمنون بإعداد القوة لإرهاب العدوّ ، فأما من لم يُرْهبه ذلك فغير داخلٍ في معنى مَنْ أُمِرَ المؤمنون بإعداد ذلك له [1] .

وأما القول الثاني بأن المراد بالآخرين هم بنو قُرَيْظَةَ ، فهو قول مجاهد [2] ، وقتادة [3] .

وعليه مقاتل، والسمرقندي، والزمخشري، ومحمود النيسابوري [4] .

وذكره ابن الجوزي بصيغة (قيل) [5] .

وردّه ابن جرير الطبري بحجة علم المؤمنين بعداوتهم لهم ، وعلمهم بأنهم مشركون ، وأنهم لهم حرب [6] .

وأما القول الثالث بأن المراد بالآخرين هم الجِنُّ ، فهو مرْوِيٌّ عن ابن عباس [7]، وابن اليمان[8]. ونسب إلى معاذ بن جبل [9] .

وعليه ابن جرير الطبري [10] . ونسبه السيد رشيد رضا إلى الآلوسي [11] .

---

(1) ينظر: جامع البيان (٢٥٠/١١) .

(2) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٢٤٨/١١) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٢٣/٥) رقم (٩١٠٨) . وينظر: الدر المنثور للسيوطي (٩٧/٤) فنسبه إلى الفريابي ، وابن أبي شيبة ، وابن المنذر ، وأبي الشيخ .

(3) نسبه إليه البغوي في معالم التنزيل (٢٣٦/٢) .

(4) ينظر: تفسير مقاتل (١٢٣/٢) ، وبحر العلوم (٢٤/٢) ، والكشاف (٥٩٥/٢) ، وإيجاز البيان (٢٩٧/١) و وضح البرهان (٣٨٨/١) .

(5) ينظر: تذكرة الأريب (٢٠٧/١) .

(6) ينظر: جامع البيان (٢٥٠/١١) .

(7) أخرجه أبو الشيخ ، وابن مردويه كما في الدر المنثور للسوطي (٩٧/٤) عن ابن عباس قال :(وآخرين من دونهم) يعني الشيطان ، لايستطيع ناصية فرس ؛ لأن النبي > قال : الخيل معقود في نواصيها الخير فلا يستطيعه شيطان أبدًا .

(8) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٢٤/٥) رقم (٩١١١) من طريق ابن أبي عمر العدني ، عن سفيان ، عنه قال: هم الشياطين التي في الدور . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٩٨/٤) نسبته إلى أبي الشيخ .

(9) نسبه إليه الماوردي في النكت والعيون (٣٣٠/٢) ، والسمعاني في تفسير القرآن (٢٧٦/٢) .

(10) ينظر: جامع البيان (٢٤٩/١١) .

(11) ينظر: تفسير القرآن الحكيم (٥٨/١٠) قال :(قال الآلوسي : وروي ذلك عن ابن عباس ب أيضًا ، واختاره الطبري ، وإذا صح الحديث لا ينبغي العدول عنه .ا.هـ . وهو ظاهر في اختياره له بظنه أن الحديث صحيح).

وينظر: روح المعاني للآلوسي (٢٧/١٠) فإنه فسر قوله تعالى : ﴿ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ ﴾ فقال : أي من غيرهم من الكفرة . ثم ذكر الأقوال في تفسير الآية .

وذكره البغوي ، والزمخشري بصيغة (قيل) [1] . واستبعده القنّوجي [2] .

واستُدِل له بما رُوِيَ عن رسول الله > أنه قال : (هم الجن ، وإن الشيطان لا يُخَبِّلُ أحَدًا في داره فرسٌ عتيقٌ) [3] .

وأجيب عن هذا الحديث بأنه منكر لا يصح إسناده ولا متنه [4] .

قال الطبري : « لأنه جلّ ثناؤه قد أدخل بقوله : ﴿ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ الأمرَ بارتباط الخيل لإرهاب كل عدوّ لله وللمؤمنين يَعْلَمونهم ، ولا شكّ أن المؤمنين كانوا عالمين بعداوة قريظة وفارسَ لهم ؛ لعلمهم بأنهم مشركون ، وأنهم لهم حَرْبٌ . ولا معنى لأن يقال : وهم يَعْلَمونهم لهم أعداءً ﴿ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ﴾، ولكن معنى ذلك ــ إن شاء الله ــ تُرْهبون بارتباطكم أيها المؤمنون الخيلَ عدوّ الله وأعداءكم من بني آدم ، الذين قد علمتم عداوتهم لكم لكفرهم بالله ورسوله ، وترهبون بذلك جنسًا آخر من غير بني آدم ، تعلمون أماكنهم وأحوالهم اللهُ يعلمهم دونكم ؛ لأن بني آدم لا يرونهم . وقيل : إن صهيل الخيل يُرْهِبُ الجنَّ ، وإن الجنّ لا تَقْرَبُ دارًا فيها فرسٌ »[5] .

قال ابن عطية : « وفيه — على احتماله — نظرٌ ... ورهبة الجن وفزعهم لا غناء له في ظهور الإسلام . وهو أجنبيٌّ جدًا »[6] .

وقال الرازي :« وهذا القول مشكل ؛ لأن تكثير آلات الجهاد لا يعقل تأثيره في إرهاب الجن »[7].

---

(1) ينظر: معالم التنزيل (٢/٢٣٦) ، والكشاف (٢/٥٩٥) .

(2) ينظر: فتح البيان (٥/٢٠٣) .

(3) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/١٧٢٣) رقم (٩١٠٧) دون قوله : وإن الشيطان... الخ . عن يزيد بن عبد الله بن غريب ، عن أبيه ، عن جده . وأخرجه ابن عدي في الكامل (٣/٣٦٠) ونقل تضعيف راويه سعيد بن سنان عن الأئمة ، وقال : عامة ما يرويه وخاصة عن أبي الزاهرية غير محفوظ . وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٧/١٨٩) (٥٠٦) عن يزيد بن عبد الله بن غريب به . ولفظه : (لايخبّل بيت فيه عتيق من الخيل) . وقال : هذا الحديث منكر لا يصح إسناده ولا متنه . وينظر: الدر المنثور للسيوطي (٤/٩٧) .

(4) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٧/١١٢) ، والمجمع للهيثمي (٧/٣٠) .

(5) جامع البيان (١١/٢٤٩) .

(6) المحرر الوجيز (٦/٣٦٢) .

(7) مفاتيح الغيب (٥/٥٠٠) .

وأنكره السيد محمد رشيد رضا بشدّة ؛ لكونه خلاف المتبادر من الآية ومن سائر السياق الذي هو في قتال المحاربين من أعداء المؤمنين ، ولكون الحديث فيه لم يصح [1] .

وأما القول الرابع بأن المراد بالآخرين هم فارس، فهو قول السدّي [2] .

وعليه ابن العربي [3] . ومال إليه القرطبي وقدّمه [4] .

وسبق كلامُ الطبري في ردّه لهذا القول من جهة علم المؤمنين بعداوة فارسَ لهم .

وأما قول السهيلي بالتوقف فيهم ؛ لأنه تعالى قال : ﴿ لَا تَعْلَمُونَهُمْ ﴾ فكيف يَدّعي أحد علمًا بهم [5] ، فإنه قد وافقه وتابعه عليه جماعةٌ منهم : الزركشي، والبلنسي، والشوكاني، والقنّوجي، والشنقيطي [6] .

يقول الشنقيطي : « والتحقيق : أنه لم يثبت فيهم شيء عن النبي > . وقال بعض العلماء : البحث عن هؤلاء الآخرين لا طائل تحته ؛ لأن الله صرّح بأنا لا نعلمهم فكيف نتكلم فيما قال ربنا إننا لا نعلمه ، والله يقول : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾»[الإسراء : ٣٦].

وأما جواب ابن جُزَيّ عن قول السهيلي بأنه لا يلزم ؛ لتفسير العلم بالمعرفة ، والمعنى : نفي المعرفة بالآحاد والأعيان ، لكن النوع والصنف معروف . فيقال : لو كان ذلك كذلك لكان المراد بالآخرين هم المنافقين ولسُلّمَ لهذا القول ، لكن تفسير العلم بالمعرفة محتمل ، وعليه فالتوقف أَولى .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن الأسلم والأَولى هو القول بالتوقف وعدم التعيين ؛ لقوله تعالى : ﴿ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾ ، والله تعالى أعلم .

---

(1) ينظر: تفسير القرآن الحكيم (٥٨/١٠) . . وعدّه من سقطات الطبري وما كان ينبغي لرشيد رضا هذا عفا الله عنه .

(2) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٢٤٨/١١) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٢٤/٥) رقم (٩١١٠) .

(3) ينظر: أحكام القرآن (٨٧٥/٢) قال : فارس والروم .

(4) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (٦١/١٠) .

(5) ينظر: التعريف والإعلام للسهيلي (٤٦،45) ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٦١/١٠) .

(6) ينظر: البرهان في علوم القرآن (١٥٥/١) ، وتفسير مبهمات القرآن (٥٢٧/١) ، وفتح القدير (٤٦١/٢) ، وفتح البيان (٢٠٣/٥) ، والعذب النمير (٢٠٤٠/٥) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾

١٧- الخلاف في معنى قوله تعالى : ﴿ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ ﴾ .

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « ﴿ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ ، عطف على اسم الله . وقال الزمخشري : مفعول معه ، والواو بمعنى مع ، أي : حسبك وحسب من اتبعك اللهُ »[1].

العرض والمناقشة :

ظاهر كلام ابن جُزَيّ أنه يرجّح في معنى قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ أن الله تعالى والمؤمنين المتبعين لرسوله > جميعًا حسبُ النبيّ >، فالله حسبه وكذلك من اتبعه حسبه [2] .

ووافق في هذا ما نُسِبَ إلى مجاهد [3] ، والحسن [4] .

وعليه الكسائي [5]، والفراء [6] ، والأخفش [7] . وكذا الكرماني، وأبوحيان، والسمين، والسيوطي، والطاهر بن عاشور [8] . ومال إليه البقاعي [9]. وقَبِلَهُ النحاس في معانيه [10] .

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٦٨/٢) .

(2) الحسب بمعنى الكافي . أي : يكفيك الله ويكفيك من اتبعك .

(3) ينظر: زاد المسير لابن الجوزي (٣٧٧/٣) ، والدر المنثور للسيوطي (١٠١/٤) .

(4) ينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٦٨/١٠) ، والبحر المحيط لأبي حيان (٥١٥/٤) ، والدر المصون للسمين الحلبي (٦٣١/٥) ، وأضواء البيان للشنقيطي (٤١٦/٢) .

(5) ينظر: معاني القرآن للفراء (٤١٨/١) .

(6) ينظر: المصدر السابق .

(7) ينظر: إعراب القرآن للنحاس (٢/ ١٩٥) .

(8) ينظر: غرائب التفسير وعجائب التأويل (٤٤٤/١) ، والبحر المحيط (٥١٥/٤) ، والدر المصون (٦٣١/٥) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٢١٩/٣) ، والتحرير والتنوير (٦٥/١٠) وقال عنه : أولى وأرشق .

(9) ينظر: نظم الدرر (٣١٩/٨-٣٢٠) .

(10) ينظر: معاني القرآن الكريم (١٦٨/٣) .

واحتمله السيد محمد رشيد رضا [1] . وجوّزه النحاس في إعرابه، والنسفي، والقمي[2].

وذكره الخازن بصيغة (قيل) [3] .

واستدلّوا له بما رُوِيَ في أسباب النزول مِنْ أنها نزلت لما أسلم عمر بن الخطاب ، وكمل المسلمون أربعين رجلاً وامرأة [4] .

واحتجوا له بدلالة السياق ؛ فإن الله تعالى قال قبلها : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [الأنفال : ٦٢] كما قال بعدها : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِ ﴾ [الأنفال:٦٥].

قال الفراء : « لأن التلاوة تدل على معنى الرفع [يعني أن (مَنْ) في موضع رفع] ألا ترى أنه قال : ﴿إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِ ﴾ » [5] .

وقال الطاهر بن عاشور : « لما أخبره الله بأنه حسبه وكافيه ، وبيّن ذلك بأنه أيّده بنصره فيما مضى وبالمؤمنين ، فقد صار للمؤمنين حظّ في كفاية الله تعالى رسوله > فلا جَرَمَ أنتج ذلك أنّ حسبه الله والمؤمنون ...والتناسب بينها وبين الآية التي بعدها ظاهر ... فهي تمهيد لأمر المؤمنين بالقتال ليحقّقوا كفايتهم الرسول » [6] .

---

(1) ينظر: تفسير القرآن الحكيم (٦٦/١٠) .

(2) ينظر: إعراب القرآن (١٩٥/٢) ، ومدارك التنزيل (١١٠/٢) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٤١٥/٣) .

(3) ينظر: لباب التأويل (١٩٣/٢) .

(4) أخرجه الواحدي في أسباب النزول (٢٧٢) وفي الوسيط (٤٦٩/٢) عن ابن عباس . قال السيوطي في لباب النقول (١١٣) : أخرجه البزار بسند ضعيف . ونسبه للبزار ، والطبراني ، وأبي الشيخ ، وابن مردويه في الدر المنثور (١٠١/٤) . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٢٨/٥) رقم (٩١٣٥) عن سعيد بن جبير . ونسبه السيوطي في الدر المنثور لابن المنذر ، وابن مردويه . وأخرجه أبو الشيخ – كما في الدر المنثور – عن سعيد بن المسيب . وذكره ابن أبي حاتم معلقًا في تفسيره (١٧٢٨/٥) عقب الأثر (٩١٣٥) . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٢٨/٥) رقم (٩١٣٦) عن الزهري : أنها نزلت في الأنصار . وعزاه في الدر المنثور (١٠١/٤) لأبي محمد إسماعيل بن علي الحطبي من طريق طارق ، عن عمر بن الخطاب .

(5) معاني القرآن (٤١٧/١) . وينظر: جامع البيان للطبري (٢٦١/١١) .

(6) التحرير والتنوير (٦٥/١١) .

ونظّر له ابن عاشور بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ﴾ [الأحزاب : ٥٦].

وأجيب عنه بأن الآية مدنية ، وإسلام عمر كان بمكة بعد الهجرة إلى أرض الحبشة وقبل الهجرة إلى المدينة [1] .

وعلى فرض صحة مارُوِيَ في ذلك فإن الاستدلال بها على هذا المعنى قد نُوزِع ، فهذا الواحدي يستدل بها على المعنى الآخر فيقول : « أسلم مع النبي > ثلاثة وثلاثون رجلاً، وست نسوة ، ثم أسلم عمر ط ، فنزلت هذه الآية ، والمعنى : يكفيك الله ، ويكفي من اتبعك من المؤمنين »[2] .

وأما احتجاجهم بدلالة السياق فغَير مسلَّمٍ لهم ؛ لأن الله في نفس الآية ؛ ﴿ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ فرّق بين الحسب والتأييد فجعل الحسب له وحده ، وجعل التأييد له بنصره وبالمؤمنين [3] .

وكذا قوله تعالى بعدها : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِ ﴾ فإنها تدل على أن الحسب لله وحده ؛ إذ لو كان للمؤمنين منه شيء لما احتاجوا إلى التحريض ، كيف وقد الله بعدها : ﴿ ٱلۡـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمۡ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمۡ ضَعۡفٗا ﴾ [٦٦] فمن كان فيه ضعف ، كيف يكون كافيًا لغيره؟![4].

وأما جعلُ الطاهرِ بن عاشور لفظَ الحسب كلفظ الصلاة ، فلا يستقيم ؛ لأن لفظ الصلاة من الألفاظ المشتركة ، وليس الحسب كذلك [5] .

وقد غلّطَ ابنُ تيمية قائلَ هذا القول [6] ، وكذا ابن القيم خطأه [1] ، وسيأتي كلامهما.

---

(1) قاله ابن كثير في تفسير القرآن العظيم (١١٨/٧) .

(2) الوجيز (٤٤٧/١) .

(3) ينظر: زاد المعاد (٣٥/١) ، و بدائع التفسير (٣٤٢/٢-٣٤٣) .

(4) ينظر: اختيارات ابن تيمية وترجيحاته في التفسير لمحمد المسند (٤٨٢/٢) .

(5) ينظر: المصدر السابق (٤٨٣/٢) .

(6) مجموع الفتاوى (١٥٤/١٠) ، ومنهاج السنة النبوية (٥٥/٤) ، واختيارات ابن تيمية وترجيحاته في التفسير

وأما القول الآخر في معنى قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ بأن معناها هو أن الله تعالى وحده حسب النبي > وحسبُ أتباعه ، أي : أن الله يكفيك ويكفي من اتبعك ، فهو مَرْوِيٌّ عن ابن عباس [٢] ، وابن زيد [٣] ، وعطاء الخراساني [٤] ، والشعبي [٥] ، والضحاك [٦] ، والكلبي [٧] .

وعليه أكثر المفسّرين ، منهم : مقاتل، والطبري، والنحاس، وابن أبي زمنيين، ومكي، والواحدي، وابن الجوزي، والنسفي، والخازن، والقمي، وابن تيمية، وابن القيم، وابن كثير، والقاسمي، والسيد محمد رشيد رضا، والمراغي، والسعدي، والشنقيطي [٨] . ومال إليه الرازي، والآلوسي، والقنوجي [٩] . وجوّزه الفراء [١٠] .

(٤٧٨/٢) .

(1) ينظر: بدائع التفسير (٣٤٢/٢-٣٤٣) .

(2) رواه أبو صالح ، عنه . ينظر: زاد المسير لابن الجوزي (٣٧٧/٣) .

(3) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٢٦٠/١١) . وذكره معلّقًا ابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٢٧/٥) عقب الأثر (٩١٣٤) .

(4) ذكره معلّقًا ابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٢٧/٥) عقب الأثر (٩١٣٤) .

(5) أخرجه الطبري في جامع البيان (٢٦٠/١١) ، والبخاري في التاريخ الكبير (٢٦١/٤) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٢٧/٥) رقم (٩١٣٤) . وعزاه السيوطي في الدر المنثور (١٠١/٤) لأبي الشيخ ، وابن المنذر . وينظر: تفسير سفيان (١٢١) .

(6) ينظر: بحر العلوم للسمرقندي (٢٥/٢) .

(7) ينظر: النكت والعيون للماوردي (٣٣١/٢) .

(8) ينظر: تفسير مقاتل (١٢٤/٢) ، وجامع البيان (٢٥٩/١١) ، ومعاني القرآن الكريم (١٦٨/٣) ، وتفسير القرآن العزيز (١٨٦/٢) ، وإعراب مشكل القرآن (٣١٩/١) ، والوجيز (٤٤٧/١) ، وزاد المسير (٣٧٧/٣) وتذكرة الأريب (٢٠٧/١) ، ومدارك التنزيل (١١٠/٢) ، ولباب التأويل (١٩٣/٢) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٤١٥/٣) ، ومجموع الفتاوى (١٥٤/١٠) ومنهاج السنة النبوية (٥٥/٤) واختيارت ابن تيمية وترجيحاته في التفسير لمحمد المسند (٤٧٨/٢) ، وزاد المعاد (٣٥/١) وبدائع التفسير (٣٤١/٢) ، وتفسير القرآن العظيم (١١٧/٧) ، ومحاسن التأويل (٣٠٣٠/٨-٣٠٣٢) ، وتفسير القرآن الحكيم (٦٦/١٠) ، وتفسير المراغي (٢٩/١٠) ، وتيسير الكريم الرحمن (٢١٤/٢) ، وأضواء البيان (٤١٦/٢) والعذب النمير (٢٠٤٩/٥) .

(9) ينظر: مفاتيح الغيب (٥/ ٥٠٣ ،٥٠٤) ، وروح المعاني (٣٠/١٠) ، وفتح البيان (٢٠٨/٥) مع احتمال الأخير للوجه الأول .

(10) ينظر: معاني القرآن (٤١٧/١) .

وقدّمه الزمخشري مع ذكره للقول الأول مسويًّا بينهما بـــ (أو) ، وتبعه أبوالسعود[1].

وذكره الكرماني بصيغة (قيل) [2] .

ودلّ على هذا القول استقراء القرآن العظيم ؛ فإن دلالة الاستقراء في القرآن على أن الحسب والكفاية لله وحده ، كالتوكل والتقوى والعبادة .

قال الله تعالى : ﴿ وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [الأنفال : ٦٢] ففرّق بين الحسب والتأييد ، فجعل الحسب له وحده ، وجعل التأييد له بنصره وبعباده .

وقد أثنى الله سبحانه على أهل التوحيد والتوكل من عباده حيث أفردوه بالحسب فقال عز وجل : ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ﴾ [آل عمران : ١٧٣]. ولم يقولوا : حسبنا الله ورسوله.

وفي صحيح البخاري ، عن ابن عباس أنه قال في هذه الكلمة "حسبنا الله ونعم الوكيل" : « قالها إبراهيم حين ألقي في النار ، وقالها محمد حين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل »[3] .

فكلا النبيين قال "حسبي الله" فلم يشرك بالله غيره في كونه حسبه ؛ فدلّ على أن الله وحده حسبه ، وليس معه غيره . فإذا كان هذا قولهم ومدح الرب تعالى لهم بذلك فكيف يقول لرسوله (الله وأتباعك حسبك) وأتباعه قد أفردوا الرّب تعالى بالحسب ولم يشركوا بينه وبين رسوله فيه ؟! فكيف يشرك بينهم وبينه في حسب رسوله ؟ هذا من أمحل المحال ، وأبطل الباطل .

ونظير هذا : قوله تعالى : ﴿ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ رَضُواْ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤۡتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴾[التوبة :٥٩].

---

(1) ينظر: الكشاف (٢/٥٩٦) ، وإرشاد العقل السليم (٢/٣٧٣) .

(2) ينظر: غرائب التفسير وعجائب التأويل (١/٤٤٤) .

(3) صحيح البخاري ، في كتاب التفسير ، سورة آل عمران ، باب قوله : ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ ﴾ رقم (٤٥٦٣) .

فتأمل كيف جعل الإيتاء لله ورسوله ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ ﴾ [الحشر : ٧] وجعل الحسب له وحده ، فلم يقل : وقالوا حسبنا الله ورسوله ، بل جعله خالص حقه ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ [التوبة]. ولم يقل : وإلى رسوله . بل جعل الرغبة إليه وحده ، كما قال تعالى : ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ﴾ [الشرح : ٧-٨] فالرغبة والتوكل والإنابة والحسب لله وحده ، والنذر والحلف لا يكون إلاّ لله سبحانه وتعالى .

ونظير هذا : قوله تعالى : ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾[الزمر : ٣٦] .

فالحسب هو الكافي ، فأخبر سبحانه وتعالى أنه وحده كاف عبده ، فكيف يجعل أتباعه مع الله في هذه الكفاية ؟

ونظيره أيضًا : قوله تعالى : ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [التوبة : ١٢٩] .

أفاد ذلك ابن تيمية ، وابن القيم ، والشنقيطي .

ويشهد له أيضًا قول الشاعر [1] :

إذا كانت الهيجاء وانشقت العصا فحسبك والضحاكَ سيفٌ مهندٌ [2]

فنصب (والضحاكَ) مفعولاً معه . أي : حسبك مع الضحاكِ .

وهذا استشهادٌ على أن (مَنْ) في موضع نصب ، على معنى : حسبك الله وحسب من اتبعك [3] .

---

(1) نُسِب البيت لجرير في الأمالي لأبي علي القالي (٢/٢٦١) ، وكذا في ذيله (١٤١) ، وهو غير موجود في ديوانه المطبوع . وينظر: اللسان (هيج) ، (عصا) ، ومغني اللبيب ، رقم (٨٠٠) . وينظر: معاني القرآن للفراء (١/٤١٧) ، وإعراب القرآن للنحاس (٢/١٩٥) ، وتفسير القرآن للسمعاني (٢/٢٧٧) ، والكشاف للزمخشري (٢/٥٩٦) ،والمحرر الوجيز لابن عطية (٦/٢٦٩) ، وحاشية الشهاب (٤/٢٨٩) ، والعذب النمير (٥/٢٠٤٩) .

(2) المصدر الأخير .

(3) ينظر: تفسير القرآن للسمعاني (٢/٢٧٧) .

وهذا كقول العرب : حسبك وزيدًا درهم [1] .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن الراجح في معنى الآية الكريمة هو القول الثاني، وهو أن الله تعالى وحده حسبُ النبيّ > وحسبُ أتباعه .

وهذا القول يوافق الاعتقاد الصحيح، والتوحيد الخالص الذي جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام . ونظير هذا نهي النبي > أن يقال : ماشاء الله وشئت [2] ؛ لأن الواو العاطفة تقتضي المساواة ، فأمر أن يقال : ماشاء الله ثم شاء فلان .

وأما قول السمين الحلبي : «ولا محذور في ذلك من حيث المعنى ، وإن كان بعض الناس استصعب كون المؤمنين يكونون كافين النبي >» [3] . فإنه قد تبيّن المحذور في ذلك بل قال ابن تيمية : وقد ظن بعض العارفين أن معنى الآية : أن الله والمؤمنين حسبك ، ويكون ﴿ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ ﴾ رفعًا ، عطفًا على اسم الله ، وهذا خطأ قبيح ، مستلزم للكفر، فإن الله وحده حسب جميع الخلق ...[4] .

وإذا كان ذلك كذلك فإن ابن جُزَيّ قد غَلِطَ في ترجيحه في هذه المسألة ، والله تعالى أعلم .

---

(1) ينظر: الكشاف للزمخشري (٢/٥٩٦) .

(2) أخرجه أحمد (٥/ ٣٨٤، ٣٩٤ ، ٣٩٨) ، وأبوداود في سننه (٥/٣٤٥) رقم (٤٩٨٠) في كتاب الأدب ، باب (لا يقول خبثت نفسي) . والطحاوي في مشكل الآثار (١/٩٠) ، والبيهقي في سننه (٣/٢١٦) من حديث حذيفة ط . وصححه النووي في كتاب الأذكار (٣١٨) ، والألباني في السلسلة الصحيحة (١/٢١٤) رقم (١٣٧) وينظر أيضًا : رقم (١٣٦) ، وفي صحيح الجامع (٢/١٢٣٤) رقم (٧٤٠٦) .

(3) الدر المصون (٥/٦٣٢) . وينظر: محاسن التأويل للقاسمي (٨/٣٠٣٢) . ولذا فقد احتمل القولين الشوكاني (٢/٤٦٤) ، وجوّزهما جميعًا الزجاج (٢/٤٢٣) . وذكرهما دون ترجيح : السمرقندي (٢/٢٥) ، والسمعاني (٢/٢٧٧) ، والبغوي (٢/٢٣٧) مع نسبته القول الثاني لأكثر المفسرين ، وابن عطية (٦/٢٦٨) وقدّم الأول . وقال الآلوسي في روح المعاني (١٠/٣٠) إنه ــ يعني ابن عطية ــ اختار القول الثاني ! ولم يظهر لي ذلك . والعكبري (٢/٦٣١) ، والبيضاوي (١/٣٩١) .

(4) منهاج السنة النبوية (٤/٥٥) . وينظر: اختيارات ابن تيمية وترجيحاته في التفسير (٢/٤٧٨) .

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ ﴾

١٨- الخلاف في المعنى المراد بالكتاب الذي سبق من الله .

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « الكتاب : ما قضاه الله في الأزل من العفو عنهم. وقيل: ما قضاه الله من تحليل الغنائم لهم » [١] .

العرض والمناقشة :

رجّح ابن جُزَيّ أن الكتاب في قوله تعالى : ﴿ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ ﴾ معناه: ما قضاه الله تعالى في الأزل من العفو عنهم . ووافق في هذا الترجيح معنى ما رُوِيَ عن ابن عباس[٢] ، وسعيد بن جبير[٣] ، ومجاهد [٤] ، وابن زيد[٥] ، والحسن[٦]، وعطاء [٧] .

وعليه الجصاص، والزمخشري، والرازي [٨] .

وذكره النحاس ، ومكي بصيغة (قيل) [٩] .

قال الرازي : « معناه : لولا أنه تعالى حكم في الأزل بالعفو عن هذه الواقعة لمسّهم

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٦٨/٢) .

(2) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٣٦/٥) رقم (٩١٧٢) من طريق ابن أبي نجيح ، عن عطاء ، عنه قال : لولا أني لا أعذب من عصاني حتى أتقدم إليهم . وأخرجه النسائي في التفسير (٥٣١/١) عنه بلفظ : سبقت لهم من الله الرحمة قبل أن يعملوا بالمعصية . ونسبه السيوطي في الدر المنثور (١١٠/٤) إلى ابن المنذر ، وأبي الشيخ . وقال الجصاص في أحكام القرآن (٢٥٩/٤) : رواه أبو زميل ، عن ابن عباس .

(3) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٣٥/٥) رقم (٩١٦٦) بلفظ : ما سبق لأهل بدر من السعادة .

(4) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٣٥/٥) رقم (٩١٦٧) بلفظ : سبق لهم المغفرة .

(5) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٢٨١/١١) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٣٥/٥) رقم (٩١٦٩) بلفظ : سبق من الله العفوُ عنهم ، والرحمة لهم .

(6) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٢٨١/١١) بلفظ : سبق أن لا يعذب أحدًا من أهل بدر . وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٣٥/٥) عقب الأثر (٩١٦٦) معلّقًا .

(7) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٣٥/٥) عقب (٩١٦٦) معلقًا . بنحو قول الحسن .

(8) ينظر: أحكام القرآن (٢٥٩/٤) ، والكشاف (٦٠١/٢) ، ومفاتيح الغيب (٥١٢/٥) .

(9) ينظر: معاني القرآن الكريم (١٧١/٣) ، وإعراب القرآن (١٩٧/٢) ، وإعراب مشكل القرآن (٣٢٠/١) ، والإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه (٣٠٣) .

عذاب عظيم ، وهذا هو المراد من قوله : ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾[الأنعام: ٥٤] ومن قوله : (سبقت رحمتي غضبي) »[1] .

وقال الجصاص : « وذلك لأنهم لم يعلموا بتحريم الغنائم على أمم الأنبياء المتقدمين وبقاء هذا الحكم عليهم من شريعة نبينا محمد > فاستباحوها على ظنٍّ منهم أنها مباحة ، و لم يكن قد تقدم لهم من النبي > قول في تحريمها عليهم ، ولا أخبار منه إياهم بتحريمها على الأمم السالفة ، فلم يكن خطؤهم في ذلك معصية يستحق عليها العقاب »[2] .

وأما القول الآخر بأن الكتاب الذي سبق معناه : ما قضاه الله من تحليل الغنائم لهم ، فهو مروي عن ابن عباس[3] ، وأبي هريرة [4] ، والحسن[5] ، والضحاك [6] ، وعطاء [7] ، وقتادة ، وسعيد بن جبير [8] ، وعَبِيدة [9] ، والأعمش [10] .

وعليه مقاتل، والنحاس، والسمرقندي، وابن أبي زمنين، ومكي، والواحدي، وابن العربي، وابن الجوزي، والقرطبي، والسيوطي [11] .

---

(1) مفاتيح الغيب (٥/٥١٢) .

(2) أحكام القرآن (٤/٢٥٩-٢٦٠) .

(3) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/١٧٣٤) رقم (٩١٦٤) من طريق علي بن أبي طلحة ، عنه . وأخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١١/٢٧٧) بالإسناد المسلسل بالعوفيين ، عنه . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤/١١١) لابن مردويه . وينظر: (٤/١٠٨-١٠٩) . وينظر: زاد المسير لابن الجوزي (٣/٣٨١) .

(4) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١١/٢٧٨) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/١٧٣٤-١٧٣٥) رقم (٩١٦٥) . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤/١٠٨) نسبته لابن مردويه .

(5) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١١/٢٧٦-٢٧٧) .

(6) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١١/ ٢٧٩-٢٨٠) .

(7) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١١/٢٨٠) . وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/١٧٣٤) عقب (٩١٦٤) .

(8) ذكره عنهما ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/١٧٣٤) عقب (٩١٦٤) .

(9) ينظر: النكت والعيون للماوردي (٢/٣٣٣) .

(10) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/٢٦٢) ، وابن جرير الطبري في جامع البيان (١١/٢٧٨) .

(11) ينظر: تفسير مقاتل (٢/١٢٦) ، ومعاني القرآن الكريم (٣/١٧١) ، وبحر العلوم (٢/٢٦) ، وتفسير القرآن العزيز (٢/١٨٧) ، وتفسير المشكل (١٨٣) وإعراب مشكل القرآن (١/٣٢٠) والإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه (٣٠٣) ، والوجيز (١/٤٤٩) والوسيط (٢/٤٧٢) ، وأحكام القرآن (٢/٨٨٣) ، وتذكرة الأريب

ومال إليه ابن كثير [1] .

وذكره الزمخشري ، ومحمود النيسابوري بصيغة (قيل) [2] .

واستدلوا له بما رُوي في سبب النزول عن أبي هريرة قال : قال رسول الله > : (ما أحلت الغنائم لأحدٍ سود الرؤوس من قبلكم ، كانت تنزل نار من السماء وتأكلها). حتى كان الناس يوم بدر ، فوقع الناس في الغنائم ، فأنزل الله : ﴿ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ ﴾ حتى بلغ : ﴿ حَلَٰلًا طَيِّبًا ﴾[3].

قال ابن كثير : « ويستشهد لهذا القول بما أخرجاه في الصحيحين عن جابر قال : قال رسول الله > : (أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي : نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا ، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي ، وأعطيت الشفاعة ، وكان النبي يبعث إلى قومه وبعثت إلى الناس عامة) »[4] .

وردّ هذا القول الجصاصُ فقال : « حُكْمُ الله تعالى بأنه ستحل لهم الغنيمة في المستقبل لا يزيلُ عنهم حكمَ الحظْر قبل إحلالها ، ولا يخفف من عقابه . فلا يجوز أن يكون التأويل أن إزالة العقاب لأجل أنه كان في معلومه إباحة الغنائم لهم بعده »[5].

(٢٠٨/١) ، والجامع لأحكام القرآن (٧٨/١٠) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٢٢٣/٣) .

(1) ينظر: تفسير القرآن العظيم (١٢٢/٧) .

(2) ينظر: الكشاف (٦٠١/٢) ، ووضح البرهان (٣٨٩/١) .

(3) أخرجه أحمد في مسنده (٤٠٣/١٢ ،٤٠٤) رقم (٧٤٣٣) ، والنسائي في الكبرى (١١٢٠٩) ، وابن جرير الطبري في جامع البيان (٢٧٨/١١) – واللفظ له – وابن الجارود في المنتقى (١٠٧١) ، والبيهقي في السنن الكبرى (٢٩٠/٦) ، وابن عبد البر في التمهيد (٤٥٧/٦) من طريق أبي معاوية ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة . وأخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده (٢٥٥١) ، ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٣٣/٥) برقم (٩٨٩٥) ، و(١٧٣٤/٥) برقم (٩٨٩٦) ، والترمذي في سننه (٣٠٨٥) – وقال : حسن صحيح غريب – ، والطحاوي في المشكل (٣٣١٠-٣٣١٢) ، وابن حبان [الإحسان ١٣٤/١١ (٤٨٠٦)]، والبيهقي (٢٩٠/٦) ، من طريق الأعمش به . وزاد السيوطي في الدر المنثور (١٠٨/٤) نسبته إلى ابن المنذر ، وأبي الشيخ ، وابن مردويه .

(4) تفسير القرآن العظيم (١٢٢/٧) . والحديث في صحيح البخاري برقم (٣٣٥) و (٤٣٨) و (٣١٢٢) . وفي صحيح مسلم برقم (٥٢١) .

(5) أحكام القرآن (٢٥٩/٤) .

واستشكله الرازي من جهة أن التحليل والإذن وإن كان حاصلاً في ذلك الوقت امتنع إنزال العذاب عليهم ، وإن لم يكن حاصلاً ذلك الوقت كان ذلك الفعل حرامًا في ذلك الوقت ، والحكم بحلّه بعد ذلك لا يقدح في كونه حرامًا في ذلك الوقت [1] .

وقال أبوالسعود : « وأما أن الفدية التي أخذوها ستحل لهم فلا يصلح أن يعد من موانع مساس العذاب ؛ فإنّ الحِلَّ اللاحق لا يرفع حكم الحرمة السابقة ، كما أن الحرمة اللاحقة ، كما في الخمر مثلاً ، لا ترفع حكم الإباحة السابقة ، على أنه قادح في تهويل ما نعى عليهم من أخذ الفداء »[2] .

واختار الطبريُّ العمومَ والجمع بين القولين [3] ، وعلّل ذلك بأن قوله تعالى : ﴿ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ ﴾ خبرٌ عامٌ غيرُ محصورٍ على معنىً دون معنىً ، وكل هذه المعاني التي ذكرت مما كُتِبَ لهم وسبق في كتاب الله أنه لا يؤاخذ بشيء منها هذه الأمة . ولا وجه لأن يُخَصَّ من ذلك معنى دون معنى ، وقد عمَّ اللهُ الخبر بكلّ ذلك بغير دلالةٍ توجب صحة القول بخصوصه [4] .

وصوّبه ابن القيم [5] . وكذا جمع بينها البقاعي، والآلوسي، والسعدي، والسيد محمد رشيد رضا [6] .

وسوّى بينهما البيضاوي، والنسفي [7] .

قال الآلوسي : « ولا يبعد عندي أن يكون المانع من مساس العذاب كل ما تقدم ، وفي ذلك تهويل لما نعى عليهم حيث منع من ترتب مساس العذاب عليه موانع جمة ، ولولا تلك الموانع الجمة لترتب ، وتعددُ موانع شيءٍ واحدٍ جائز ، وليس كتعدد العلل واجتماعها

---

(1) ينظر: مفاتيح الغيب (٥/٥١١-٥١٢) .

(2) إرشاد العقل السليم (٢/٣٧٦) .

(3) ينظر:جامع البيان (١١/٢٧٦) .

(4) ينظر: المصدر السابق (١١/٢٨٢) .

(5) ينظر: بدائع التفسير (٢/٣٤٤) .

(6) ينظر: نظم الدرر (٨/٣٣٢) ، وروح المعاني (١٠/٣٥) ، وتيسير الكريم الرحمن (٢/٢١٧) ، وتفسير القرآن الحكيم (١٠/٨٤) .

(7) ينظر: أنوار التنزيل (١/٣٩٣) ، ومدارك التنزيل (٢/١١١) .

على معلول واحد شخصي كما بُيِّن في موضعه . وبهذا يجمع بين الروايات المختلفة عن الحَبْر [يريد ابن عباس] في بيان هذا الكتاب وذلك بأن يكون في كل مرة ذكر أمرًا واحدًا من تلك الأمور ، والتنصيص على الشيء بالذكر لا يدل على نفي ما عداه ، وليس في شيء من الروايات ما يدل على الحصر فافهم »[1] .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن الصواب في ذلك هو القول بالعموم ، وقد ورد في معنى الكتاب الذي سبق روايات وآراء تدل على أنه مما أبهم ؛ لتذهب الأفهام إلى كل ما يحتمله اللفظ ويدلّ عليه المقام . وليس من نصٍّ نبويٍّ يدل على أحد منها ، فيجوز إرادة كل ما يحتمله اللفظ من المعاني ، وأن هذا سبب تنكيره وإبهامه [2] .

ويتأيد هذا بالقاعدة الترجيحية : (يجب حمل نصوص الوحي على العموم) [3] ، والله تعالى أعلم .

---

(1) روح المعاني (٣٥/١٠) .

(2) ينظر: تفسير القرآن الحكيم للسيد محمد رشيد رضا (٨١/١٠ ، ٨٤) .

(3) قواعد الترجيح عند المفسرين (٥٢٧/٢) .

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٧٢ ﴾

١٩- الخلاف في الولاية بين المهاجرين والأنصار ، هل هي ولاية التعاون والتناصر ؟ أم هي ولاية الميراث ؟

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ إلى آخر السورة ، مقصدها بيان منازل المهاجرين والأنصار ، والذين آمنوا و لم يهاجروا ، والذين هاجروا بعد الحديبية ، فبدأ أولاً بالمهاجرين ، ثم ذكر الأنصار وهم الذين آووا ونصروا ، وأثبت الولاية بينهم ، وهي ولاية التعاون والتناصر . وقيل : هي ولاية الميراث . ثم نسخت بقوله : ﴿ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ ﴾ »[1] [الأنفال : ٧٥] .

العرض والمناقشة :

رجّح ابن جُزَيّ أن الولاية بين المهاجرين والأنصار هي ولاية التعاون والتناصر .

وهذا القول نسبه الماوردي للجمهور [2]، وعزاه ابن عطية لأكثر المفسرين [3] .

وعليه الكسائي، والطبري، ومحمود النيساوري، وابن الجوزي، والعكبري، والرازي، والخازن ، والقمي النيسابوري، وأبوحيان، وابن التركماني، والشوكاني، والقنّوجي، والقاسمي، والمراغي [4] .

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٦٩/٢) . وقد وقع في المطبوع تصحيف ، والصواب ما أثبته . وينظر: المحرر الوجيز لابن عطية (٣٨٧/٦) .

(2) ينظر: النكت والعيون (٣٣٤/٢) .

(3) ينظر: المحرر الوجيز (٣٨٨/٦) .

(4) ينظر: : معاني القرآن للفراء (٤١٩/١) ، وجامع البيان (٢٨٩/١١ ، ٢٩٩) ، وإيجاز البيان (٢٩٨/١) ووضح البرهان (٣٩٠/١) ، وتذكرة الأريب (٢٠٨/١) ، والتبيان (٦٣٣/٢) ، ومفاتيح الغيب (٥١٦/٥) ، ولباب التأويل (١٩٧/٢) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٤٢٢/٣) ، والبحر المحيط (٥٢١/٤) ، وبهجة الأريب

ومال إليه النحاس [1] . وفسّرها السمرقندي بهذا على فتح واو الولاية [2] .

وذكره البغوي ، والقرطبي ، والنسفي ، وأبوالسعود بصيغة (قيل) [3].

واستدلّوا له بأن الوَلاية – بفتح الواو – أكثر إطلاقًا على معنى النصر [4] .

قال النحاس : « والفتح في هذا أَبْيَنُ وأحسنُ ؛ لأنه بمعنى النصر »[5].

وقال ابن جرير الطبري : « المعروف في كلام العرب من معنى الوليّ أنه النَّصير والمُعينُ، أو ابن العمّ والنّسيبُ . فأما الوارث فغيرُ معروفٍ ذلك من معانيه ، إلاّ أنه بمعنى أنه يليه في القيام بإرثه من بعده ، وذلك معنىً بعيدٌ ، وإن كان قد يحتمله الكلام . وتوجيه معنى كلام الله إلى الأظهر الأشهر أَولى من توجيهه إلى خلاف ذلك »[6].

وقال أيضًا : « وهذه الآية [يعني قوله : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٧٤]] تنبئُ عن صحة ما قلنا : إن معنى قول الله : ﴿ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ ﴾ في هذه الآية [يعني آية ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾] وقوله : ﴿ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ ﴾ إنما هو النصرة والمعونة دون الميراث ؛ لأنه جل ثناؤه عقّب ذلك بالثناء على المهاجرين والأنصار ، والخبر عما لم دون من لم يهاجر بقوله : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ ﴾ الآية ، ولوكان مرادًا بالآيات قبل ذلك

(٢٤١/١) ، وفتح القدير (٤٧١/٢) ، وفتح البيان (٢١٩/٥) ، ومحاسن التأويل (٣٠٤٤/٨) ، وتفسير المراغي (٤٢/١٠) .

(1) ينظر: إعراب القرآن (١٩٩/٢) .

(2) ينظر: بحر العلوم (٢٨/٢) .

(3) ينظر: معالم التنزيل (٢٤٢/٢) ، والجامع لأحكام القرآن (٨٦/١٠) ، ومدارك التنزيل (١١٣/٢) ، وإرشاد العقل السليم (٣٧٧/٢) .

(4) ينظر: معاني القرآن للفراء (٤١٨/١-٤١٩) ، والمجمل لابن فارس (٩٣٧/٣) ، وزاد المسير لابن الجوزي (٣٨٥/٣) .

(5) إعراب القرآن (١٩٩/٢) .

(6) جامع البيان (٢٩٩/١١) .

الدلالةُ على حكم ميراثهم لم يكن عقيب ذلك إلاّ الحثُّ على مُضِيّ الميراث على ما أمر، وفي صحة ذلك كذلك الدليل الواضح على أن لا ناسخ في هذه الآيات لشيء ولا منسوخ»[1] . اهـــ .

ونظّر له أبوحيان بقوله تعالى : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾[2] [التوبة:٧١].

وأما ابن عطية فجعل هذا القول لازمًا من دلالة اللفظ [3] .

وأما القول الآخر بأن الولاية بين المهاجرين والأنصار كانت ولاية الميراث ، فهو المروي عن السلف منهم : ابن عباس [4]، وابن عمر [5] ، ومجاهد [6] ، وقتادة [7] ، وعكرمة [8] ، والحسن [9] ، والسدّي [10] ، وعبد الله بن كثير [11] .

وعليه مقاتل، والفراء، والزجاج، والسمرقندي، والواحدي، والزمخشري، والنسفي،

---

(1) جامع البيان (٣٠٠/١١) .

(2) ينظر: البحر المحيط (٥٢١/٤) .

(3) ينظر: المحرر الوجيز (٣٨٨/٦) .

(4) أخرجه أبو داود في سننه (رقم ٢٩٢٤) ، وابن جرير الطبري في جامع البيان (٢٨٩/١١-٢٩٠) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٣٨/٥-١٧٤٠، ١٧٤٣) رقم (٩١٨٥ ، ٩١٨٧ ، ٩١٨٩ ،٩١٩١، ٩١٩٢) من طرق عن ابن عباس . وينظر: صحيفة علي بن أبي طلحة (٢٥٧) ، ونواسخ القرآن لابن الجوزي (٣٥٣) . وزاد السيوطي في الدر المنثور (١١٤/٤) نسبته إلى ابن مردويه . وقال : آخى النبي > بين أصحابه ، وكانوا يتوارثون بذلك الإخاء حتى نزلت هذه الآية [وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ...] ، فتوارثوا بالنسب . وفي لفظ : جعل الله تعالى الميراث للمهاجرين والأنصار دون ذوي الأرحام .

(5) نسبه السيوطي في الدر المنثور (١١٣/٤-١١٤) لابن أبي حاتم ، وابن مردويه .

(6) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٢٩١/١١) .

(7) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٢٩٢/١١) .

(8) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٢٩٢/١١) من طريق يزيد ، عن عكرمة والحسن . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٣٩/٥) رقم (٩١٩٠) عن عكرمة وحده . وابن الجوزي في نواسخ القرآن (٣٥٥) عن عكرمة . وأخرجه أيضًا (٣٥٤) عن عكرمة ، عن ابن عباس .

(9) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٢٩٢/١١) من طريق يزيد ، عن عكرمة والحسن . وعلّقه ابن الجوزي في نواسخ القرآن (٣٥٥) عن الحسن .

(10) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٢٩٣/١١) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٣٩/٥ ، ١٧٤٠) .

(11) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٢٩١/١١) .

وابن كثير، والبقاعي، وأبوالسعود، والآلوسي، والشهاب الخفاجي [1] .

وهو مفهوم كلام الجصاص، ومكي [2] .

وذكره الطبري ، وابن الجوزي ، والشوكاني ،والقنوجي بصيغة (قيل) [3].

قال الشهاب الخفاجي : « والوليُّ القريب الناصر ؛ لأن أصله في القرب المكاني ثم جعل للمعنوي كالنسب والدين والنصرة ، فقد جعل > في أول الإسلام التناصر الديني أخوّةً وأثبت لها أحكام الأخوّة الحقيقية من التوارث . فلا وجه لما قيل إن هذا التفسير لا تساعده اللغة . فالولاية على هذا الوراثة المسببة عن القرابة الحكمية »[4] .

واستدلوا له بأن الولاية لو كانت بمعنى النصرة لتعارض هذا المعنى مع قوله تعالى : ﴿ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ ﴾ بعد نفي موالاتهم ؛ لأنه معطوف عليه، والمعطوف مغاير للمعطوف عليه ، فوجب أن يكون المراد بها أمرًا مغايرًا لمعنى النصرة [5] .

وأجاب عنه الرازي بأنه استدلال ضعيف ؛ لحمل تلك الولاية على التعظيم والإكرام وهو أمر مغاير للنصرة ؛ كنصر المسلم للذمي في أمرٍ ما ، ونصر السيد عبده بمعنى الإعانة مع أنه لا يواليه تعظيمًا وإجلالاً [6] .

وقال أيضا : « لفظ الولاية غير مشعر بأن معناها الولاية في الميراث ؛ لأن هذا اللفظ مشعر بالقرب . ويقال : " السلطان ولي من لا ولي له " ولا يفيد الإرث . وقال تعالى : ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [يونس : ٦٢] ولا يفيد

---

(1) ينظر: تفسير مقاتل (١٣٠/٢) ، ومعاني القرآن (٤١٨/١) ، وزاد المسير لابن الجوزي (٣٨٥/٣) ، وبحر العلوم (٢٨/٢) ، والوجيز (٤٥٠/١) والوسيط (٤٧٤/٢) ، والكشاف (٦٠٣/٢) ، ومدارك التنزيل (١١٣/٢) ، وتفسير القرآن العظيم (١٢٧/٧) ، ونظم الدرر (٣٣٨/٨) ـــ وجعل من لوازمه النصرة في (٣٣٩/٨) ـــ ، وإرشاد العقل السليم (٣٧٧/٢) ، وروح المعاني (٣٧/١٠) ، وحاشية الشهاب (٢٩٤/٤) .

(2) ينظر: أحكام القرآن (٢٦٣/٤) ، والإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه (٣٠٤) .

(3) ينظر: جامع البيان (٢٨٩/١١) ، تذكرة الأريب (٢٠٨/١) ، فتح القدير (٤٧١/٢) ، فتح البيان (٢١٩/٥) .

(4) حاشية الشهاب (٢٩٤/٤) .

(5) ينظر: مفاتيح الغيب للرازي (٥١٧/٥) ، وإرشاد العقل السليم لأبي السعود (٣٧٧/٢) ، وروح المعاني للآلوسي (٣٨/١٠) ، ومحاسن التأويل للقاسمي (٣٠٤٧/٨) ، والمصدر السابق .

(6) مفاتيح الغيب (٥١٧/٥) تصرف يسير .

الإرث بل الولاية تفيد القرب ، فيمكن حمله على معنى النصرة والمعونة ... وإذا كان اللفظ محتملاً لهذا المعنى كان حمله على الإرث بعيدًا عن دلالة اللفظ ، لاسيما وهم يقولون إن ذلك الحكم صار منسوخًا بقوله تعالى في آخر الآية : ﴿ وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ ﴾ [الأنفال :٧٥] وأي حاجة تحملنا على حمل اللفظ على معنى لا إشعار لذلك اللفظ به ، ثم الحكم بأنه صار منسوخًا بآية أخرى مذكورة معه ، هذا في غاية البعد ، اللهم إذا حصل إجماع المفسّرين على أن المراد ذلك ، فحينئذ يجب المصير إليه إلاّ أن دعوى الإجماع بعيد ».

ويجاب عن هذا بأن السلف فسّروها بولاية الميراث . فهذا ابن عباس ــ وهو عربيٌّ قُحّ ــ يقول في قوله تعالى : ﴿ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ ﴾ : « ما لكم من ميراثهم من شيء»[1].

وإلى الجمع بين القولين وإرادة كلا المعنيين ذهب النحاس في معانيه [2] . ويفهم من كلامه في إعرابه [3] أنه يميل إلى تفسير الوَلاية – بفتح الواو –بمعنى النصر .

ومفهوم كلام السمرقندي وصنيعه الجمع بينهما [4] .

وعلى هذا السيوطي، والسيد محمد رشيد رضا، والسعدي، والشنقيطي [5] .

وذكرهما معًا السمعاني وقدّم "النصرة والعون"[6] ، وكذا ابن العربي وقال : « فلا يُبَالَى أن يكون المراد أحدهما أو كلاهما ؛ لأن النبي > قد بيَّن حكم الميراث بقوله : (ألحقوا الفرائض بأهلها ، فما بقي فهو لأَوْلَى عُصْبةٍ ذكر) [7] . وأما قوله : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا

---

(1) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٢٨٩/١١-٢٩٠) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٤٠/٥) رقم (٩١٩١) من طريق علي بن أبي طلحة ، عنه .

(2) معاني القرآن الكريم (١٧٤/٣) عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ ﴾ .

(3) إعراب القرآن (١٩٩/٢) .

(4) ينظر:بحر العلوم (٢٨/٢) .

(5) ينظر: تفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٢٢٥/٣) ، وتفسير القرآن الحكيم (٩٦/١٠-٩٧) ، وتيسير الكريم الرحمن (٢٢٠/٢) ، والعذب النمير (٢٠٧٨/٥) .

(6) ينظر: تفسير القرآن (٢٨٢/٢) .

(7) أخرجه البخاري في كتاب الفرائض برقم (٦٧٣٢ ، ٦٧٣٥ ، ٦٧٣٧ ، ٦٧٤٦) ، ومسلم في صحيحه (١٢٣٣/٣) برقم (١٦١٥) من حديث ابن عباس .

﴿لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ﴾ فإن ذلك عام في النصرة والميراث »[1] .

وسوّى بينهما البيضاوي –على عادته– وقدّم الميراث [2] .

قال الشهاب : « وبهذا يظهر أن التفسير في الآية السابقة هو هذا ، ولذا قدّمه المصنف / »[3].

وقال السيد محمد رشيد رضا : « والمتعيّن أن يكون لفظ الأولياء عامًّا يشمل كل معنى يحتمله . والمقام الذي نزت فيه هذه الآية بل السورة كلها يأبى أن يكون المراد به حكمًا مدنيًّا من أحكام الأموال فقط ، فهي في الحرب وعلاقة المؤمنين بعضهم ببعض وعلاقتهم بالكفار ، وكل ما يصح أن يقال : في مسألة التوارث أنها داخلة في عموم هذه الولاية سواء كان بالإسلام أم بالقرابة »[4].

وقال الطاهر بن عاشور : « ولما أطلق الله الولاية بينهم احتمل حملها على أقصى معانيها، وإن كان موردُها في خصوص ولاية النصر ؛ فإن ذلك كورُود العام على سبب خاص ... فحملها ابن عباس على ما يشمل الميراث »[5] .

وقال الشنقيطي: «وهذه الولاية ولاية نصر ومعاونة ومساعدة، وميراثٍ تَعُمُّ ذلك كلَّه»[6].

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن الصواب في ذلك هو القول بالعموم ، وأن كلا المعنيين مراد ؛ لصحة أدلة القولين وعدم تعارضها . والجمع بين القولين وإرادة كلا المعنيين أَولى ؛ إعمالاً للأدلة كلها ، وأحسن من اطّراح أحد القولين مع صحة دليله واستشهاده .

ويؤيد القول بالعموم القاعدة الترجيحية : (يجب حمل نصوص الوحي على العموم)[7]،والله تعالى أعلم .

---

(1) أحكام القرآن (٢/٨٨٧) .

(2) ينظر: أنوار التنزيل (١/٣٩٣) .

(3) حاشية الشهاب (٤/٢٩٤) .

(4) تفسير القرآن الحكيم (١٠/٩٧) .

(5) التحرير والتنوير (١٠/٨٥) .

(6) العذب النمير (٥/٢٠٧٨) وقال في (٢٠٨٠) : « والتحقيق أنها عامة ». .

(7) قواعد الترجيح عند المفسرين (٢/٥٢٧) .

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمۡۚ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ﴿٧٥﴾ ﴾

٢٠- الخلاف في المراد بـــ كتاب الله المذكور في قوله : ﴿ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۗ ﴾.

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « ﴿ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾ أي : القرآن . وقيل : اللوح المحفوظ » [1].

العرض والمناقشة :

رجّح ابن جُزَيّ المراد بكتاب الله المذكور في قوله تعالى : ﴿ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾ أنه القرآن. ووافق في هذا ما رُوِيَ عن قتادة [2].

وعليه ابن عطية، والرازي، وأبوحيان، والثعالبي[3] . وهو مفهوم كلام النحاس [4] . وجوّزه الزجاج [5] .

وذكره البغوي ، والزمخشري ، والخازن بصيغة (قيل) [6] .

ودليله : أن الله تعالى بيَّن قسمة الميراث في سورة النساء [7] .

وقال عليه الصلاة والسلام : (لأقضيَّن بينكما بكتاب الله) [8] . فقضى بالجَلْد وتغريبِ عامٍ ، والرجم عليها إذا كانت مُحصنةً .

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/٦٩) .

(2) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/١٧٤٤) رقم (٩٢١١) .

(3) ينظر: المحرر الوجيز (٦/٣٩٥) ومفاتيح الغيب (٥/٥٢٠) والبحر المحيط (٤/٥٢٣) والجواهر الحسان (٢/٣٤) .

(4) ينظر: إعراب القرآن (٢/١٩٩) .

(5) ينظر: الوسيط للواحدي (٢/٤٧٤)

(6) ينظر: معالم التنزيل (٢/٢٤٣) ، والكشاف (٢/٦٠٤) ، ولباب التأويل (٢/١٩٨) .

(7) وهي الآيات (١١-١٢) و(١٧٦) . ينظر: زاد المسير لابن الجوزي (٣/٣٨٧) ، ومعالم التنزيل للبغوي (٢/٢٤٣) ، والكشاف للزمخشري (٢/٦٠٤) ، ومفاتيح الغيب للرازي (٥/٥٢٠) ، ومدارك التنزيل للنسفي (٢/١١٤) ، والبحر المحيط لأبي حيان (٤/٥٢٣) .

(8) أخرجه البخاري في الصلح (٢٦٩٦،٢٦٩٥) ـــ وينظر أطرافه في الوكالة (٢٣١٥،٢٣١٤) ، ومسلم في الحدود (٣/١٣٢٥) (١٦٩٧) ، وأبوداود في الحدود (٤٤٤٥) ، وغيرهم من حديث أبي هريرة وزيد بن خالد .

وما أُورِد عليه من أن الرجم ليس في كتاب الله ، فيكون معنى "بكتاب الله" ، أي: بحكم الله ، فيجاب عنه : بأن الله تعالى قال : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ ﴾ [الحشر : ٧] فكان القبول من النبي > بكتاب الله عز وجل [١] .

وأما القول الآخر في معنى ﴿ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾ أنه اللوح المحفوظ ، فذهب إليه الطبري، وابن العربي، والسيوطي [٢] .

وذكره النحاس ، والزمخشري ، وابن عطية ، والخازن ، والثعالبي بصيغة (قيل) [٣] .

واستُدِلّ له بنظيره في القرآن وهو قوله تعالى : ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ﴾[٤] [الحديد : ٢٢] .

وذهب جماعة من المفسّرين إلى أن المعنى : في حكم الله ، ومنهم : السمرقندي، وابن أبي زمنين، والواحدي، والزجاج، والسمعاني، والبغوي، والزمخشري، والخازن، وابن كثير، والسيد محمد رشيد رضا، والمراغي، والسعدي، والطاهر بن عاشور، والشنقيطي [٥] وعزاه إلى جمهور العلماء .

واستُدِلّ له بقوله تعالى : ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ ﴾ [المجادلة : ٢١] أي : حَكَمَ اللهُ[٦].

---

(1) ينظر: إعراب القرآن للنحاس (٢/٢٠٠) .

(2) ينظر: جامع البيان (١١/٣٠١) ، وأحكام القرآن (٢/٨٩٠) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية (٣/٢٢٧) .

(3) ينظر: إعراب القرآن (٢/٢٠٠) ، والكشاف (٢/٦٠٤) ، والمحرر الوجيز (٦/٣٩٥) ، ولباب التأويل (٢/١٩٨)، والجواهر الحسان (٢/٣٤) .

(4) ينظر: أحكام القرآن للجصاص (٤/٢٦٤) .

(5) ينظر: بحر العلوم (٢/٢٩) ــ وذكر القولين الأوين بـــ (يقال) ــ ، وتفسيرالقرآن العزيز (٢/١٩٠) ــ وعبارته: في فرض الله ــ ، والوجيز (١/٤٥١) والوسيط (٢/٤٧٤) ، وتفسير القرآن (٢/٢٨٣) ، ومعالم التنزيل (٢/٢٤٣) ، والكشاف (٢/٦٠٤) ، ولباب التأويل (٢/١٩٨) ، وتفسير القرآن العظيم (٧/١٣٣) ، وتفسير القرآن الحكيم (١٠/١٠٧) ، وتفسير المراغي (١٠/٤٥) ، وتيسير الكريم الرحمن (٢/٢٢١) ، والتحرير والتنوير (١٠/٩٢) ، والعذب النمير (٥/٢١٠٢) .

(6) ينظر: بحر العلوم للسمرقندي (٢/٢٩) .

وقوله تعالى : ﴿ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ ﴾[1] [النساء : ٢٤] .

وإلى التسوية بين هذه الأقوال الثلاثة ذهب البيضاوي وقدّم الثالث ، ومثله النسفي ، والقمي، والسمين الحلبي، وأبوالسعود ، والشوكاني، والقنوجي، والقاسمي [2] .

وقال الآلوسي : « في حكمه أو في اللوح »[3].

وقال البقاعي : « في القرآن أو في حكمه »[4] .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن الأَولى في معنى قوله تعالى : ﴿ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾ هو الجمع بين هذه الأقوال الثلاثة ، وأنها كلها مرادة .

ووجه الجمع : أن المراد في حكم الله الذي بيّنه في القرآن ، وهو آيات المواريث التي في سورة النساء ، وهذا الحكم مُسَطَّرٌ مكتوبٌ في اللوح المحفوظ . والجمع بينها بهذا ممكن ، ولا مانع من إرادة الكل ، وهو أولى من اطّراح بعضها بلا دليل .

قال القاسمي : « لأن ﴿ كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾ يطلق على كل منها »[5] .

ويؤيد هذا القاعدة الترجيحية : (يجب حمل نصوص الوحي على العموم) [6] ، والله أعلم.

---

(1) ينظر: تفسير القرآن الحكيم للسيد رشيد رضا (١٠/١٠٧) .

(2) ينظر: أنوار التنزيل (١/٣٩٤) ، ومدارك التنزيل (٢/١١٤) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/٤٢٣) ، والدر المصون (٥/٦٤٢) ، وإرشاد العقل السليم (٢/٣٧٨) ، وفتح القدير (٢/٤٧٣) ، وفتح البيان (٥/٢٢٣)، ومحاسن التأويل (٨/٣٠٥١) .

(3) روح المعاني (١٠/٣٩) .

(4) نظم الدرر (٨/٣٤٩) .

(5) محاسن التأويل (٨/٣٠٥١) .

(6) قواعد الترجيح عند المفسّرين (٢/٥٢٧) .

تَرجيحاتُ ابن جُزَيّ

في تفسير سورة التوبة

قَالَ تَعَالَى:

﴿ وَأَذَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾ ﴾

١- الخلاف في يوم الحج الأكبر ، أيُّ يومٍ هو؟

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « ﴿ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ ﴾ هو يوم عَرَفَةَ أو يوم النّحر. وقيل : أيام الموسم كلّها ، وعبّر عنها بـــيومٍ كقولك : يوم صِفِّين والجَمَل ، وكانت أيامًا كثيرة »[1] .

العرض والمناقشة :

سوّى ابن جُزَيّ بين قولين اثنين في المراد بـــ ﴿ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ ﴾ ، وتقديمُه ليوم عرفة يشعر بميله إليه وترجيحه له ؛ بدليل قوله قبل ذلك : « وذلك أن رسول الله > بعث تلك السنة أبابكر الصديق يحج بالناس ثم بعث بعده عليّ بن أبي طالب فقرأ على الناس سورة براءة يوم عرفة . وقيل : يوم النحر »[2]. وهذا تصريح منه بأنه يرجّح القول بأن يومَ الحجّ الأكبرِ هو يَوْمُ عَرَفَة . ووافق في هذا الترجيح ما رُوِيَ عن عمر[3] ، وعلي في رواية[4]، وابن عباس في رواية[5] ، وابن الزبير[6] ، وأبي جُحَيْفَة[7] ،

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/٧٠) .

(2) المصدر السابق .

(3) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١١/٣٢٢) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/١٧٤٨) رقم (٩٢٢٩) ، وابن سعد في الطبقات الكبرى (٢/٣٨١) و (٧/١٢٥) . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤/١٢٩) نسبته إلى ابن أبي شيبة ، وأبي الشيخ .

(4) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١١/٣٢١) .

(5) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١١/٣٢٤) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/١٧٤٨) رقم (٩٢٣٠) . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤/١٢٩) نسبته إلى أبي عبيد ، وابن المنذر ، وأبي الشيخ .

(6) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١١/٣٢٣) . وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/١٧٤٨) عقب الأثر (٩٢٣٠) معلّقًا .

(7) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره(٢/٢٦٧) ، ومن طريقه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١١/٣٢٢) .

ومجاهد في رواية [1]، وطاوس [2] ، وعطاء [3] ، وسعيد بن المسيب في رواية [4] .

وإليه ذهب الواحدي، والزمخشري، وابن الجوزي[5]. وهو مفهوم كلام الجصاص[6]. وقدّمه البغوي [7] .

وذكره مكي ، والبيضاوي ، وأبوالسعود ، والآلوسي بصيغة (قيل) [8] .

واستدل القائلون بأنّ يوم الحج الأكبر هو يوم عرفة بأدلة ، منها :

– ما رواه محمد بن قيس بن مخرمة ، أن رسول الله > خطب يوم عرفة وقال : (هذا يوم الحج الأكبر) [9] . وهو نصٌّ فيه كما ترى .

وأجيب عنه بأنه مرسل .

– وبحديث النبي > : (الحجُّ عرفةُ) [10] .

---

(1) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٢٣/١١) .

(2) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٢٤/١١) . وذكره ابن أبي حاتم معلّقًا في تفسيره (١٧٤٨/٦) عقب الأثر (٩٢٣٠) .

(3) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢٦٧،٢٦٦/٢) ، ومن طريقه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٢٢/١١، ٣٢٣، ٣٣٤) . وذكره ابن أبي حاتم معلّقًا في تفسيره (١٧٤٨/٦) عقب الأثر (٩٢٣٠) .

(4) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٤٨/٦) عقب الأثر (٩٢٣٠) معلّقًا .

(5) ينظر: الوجيز (٤٥٢/١) ، والكشاف (٩/٣) ، وتذكرة الأريب (٢٠٩/١) .

(6) ينظر: أحكام القرآن (٢٦٩/٤) مع احتماله للقولين الآخرين .

(7) ينظر: معالم التنزيل (٢٤٩/٢) .

(8) ينظر: تفسير المشكل (١٨٤) ، وأنوار التنزيل (٣٩٦/١) ، إرشاد العقل السليم (٣٨١/٢) ، وروح المعاني (٤٦/١٠) .

(9) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٢٣/١١) من طريق محمد بن بكر . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٤٨/٦) رقم (٩٢٢٨) من طريق سفيان . وأخرجه أيضًا الطبري في جامع البيان (٣٢٤/١١) ، وأبو داود في المراسيل (١٥٣) ، والبيهقي في السنن الكبرى (١٢٥/٥) من طريق ابن إدريس . (ثلاثتهم : محمد بن بكر ، وسفيان ، وابن إدريس) عن ابن جريج ، عن محمد بن قيس بن مخرمة مرفوعًا . وهذا حديث مرسل . وأخرجه الواحدي في الوسيط (٤٧٦/٢) من طريق ابن جريج ، عن محمد بن قيس ، عن المسور بن مخرمة مرفوعًا . وعزاه السيوطي في الدر المنثور (١٢٩/٤) إلى ابن أبي حاتم ، وابن مردويه عن المسور بن مخرمة ط أن رسول الله > قال يوم عرفة : (هذا يوم الحج الأكبر) . وحكم عليه الحافظ ابن كثير في تفسيره (١٤٤/٧) بأنه مرسل.

(10) أخرجه أبوداود الطيالسي في مسنده (١٨٥/١) (١٣٠٩) ، وابن أبي شيبة في مسنده (٢٤١/٢) (٧٣١) وفي مصنفه (٢٢٦/٣) (١٣٦٨٣ط الحوت) ، وأحمد في مسنده (٣٠٩/٤) (١٨٧٧٣-١٨٩٥٤،١٨٧٧٥) ، وابن ماجه في سننه (١٠٠٣/٢) (٣٠١٥) ، والترمذي في جامعه (٢٣٧/٣) (٨٨٩) ، والنسائي في المجتبى (٢٥٦/٥

قالوا : وهذا يدلُّ على أن يوم الحج الأكبر هو يوم عرفة [1] .

قال الرازي : « لأن أعظم أعمال الحج هو الوقوف بعرفة ؛ لأن من أدركه فقد أدرك الحج ، ومن فاته فقد فاته الحج ، وذلك إنما يحصل في هذا اليوم »[2] .

وأجاب الشنقيطي بأن هذا لا يَرِد ؛ لأن عرفة شامل لليل والنهار ، فالوقوف الذي هو الركن الأعظم في الحج يكون في الليل ولا يشترط أن يكون في النهار ، والكلام في خصوص اليوم . وقد أجمع العلماء على أن من وقف بعرفة ليلة النحر أجزأه ذلك [3] .

وأما القول الثاني بأن يوم الحجّ الكبر هو يومُ النَّحْر ، فرُوِيَ عن ابن عباس أيضا [4] ، وعلي بن أبي طالب أيضا [5] ، وأبي هريرة [6] ،

، ٢٦٤) (٣٠١٦ ، ٣٠٤٤) ، وفي الكبرى (٤٢٤/٢ ، ٤٣٢ ، ٤٦٢) (٤٠١١ ، ٤٠٥٠ ، ٤١٨٠) ، وابن خزيمة في صحيحه (٢٥٧/٤) (٢٨٢٢) ، والدارقطني في سننه (٢٤٠/٢) (١٩) ، والحاكم في مستدركه (٦٣٥/١) و(٣٠٥/٢) ، والبيهقي في السنن الكبرى (١٧٣/٥) من طريق بكير بن عطاء، عن عبدالرحمن بن يَعْمَر الدِّيلي مرفوعًا . وإسناده صحيح ، رجاله ثقات .

(1) ينظر: أحكام القرآن للجصاص (٢٦٩/٤) ، ومفاتيح الغيب للرازي (٥٢٥/٥) ، وأنوار التنزيل للبيضاوي (٣٩٦/١) .

(2) مفاتيح الغيب (٥٢٥/٥) .

(3) ينظر: العذب النمير (٢١١٨/٥) .

(4) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٢٨/١١) من طريق حماد بن سلمة ، عن سماك ، عن عكرمة ، عنه. وذكره معلقًا (٣٣١/١١) من طريق سعيد بن جبير ، عنه .

(5) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢٦٧/٢) ، وابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٢٤/١١) من طريق الثوري ، عن أبي إسحاق ، عن الحارث ، عن علي . وأخرجه ابن جرير الطبري أيضًا في جامع البيان (٣٢٥/١١، ٣٢٦) من طرق عن أبي إسحاق به . وأخرجه الترمذي في سننه (٣٠٨٩) من طريق ابن عيينة ، عن أبي إسحاق به . وأخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٣١/١١) من طريق معمر ، عن أبي إسحاق ، عن علي . وذكره أيضًا (٣٣٢/١١) معلّقًا عن الثوري ، عن أبي إسحاق ، عن علي . فسقط منه الحارث والله أعلم . وأخرجه ابن جرير الطبري أيضًا (٣٢٦/١١) من طريق شعبة ، عن الحكم ، عن يحي الجزار ، عن علي . وذكره أيضًا معلقًا (٣٣٠/١١) من طريق الشعبي ،عن علي. وخالفهم محمد بن إسحاق فرواه عن أبي إسحاق الهمداني ، عن الحارث ، عن علي فرفعه إلى النبي > . أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٤٧/٦) رقم (٩٢٢٦) .

(6) أخرجه أحمد في مسنده (رقم ٧٩٧٧) ، ومسلم في صحيحه (رقم ١٣٤٧) ، وابن خزيمة في صحيحه (رقم ٢٧٠٢) ، وابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٣١/١١) من طريق الزهري ، عن حميد بن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة قال : بعثني رسول الله > مع أبي بكر في الحجة التي أمَّره رسول الله > عليها قبل حجة الوداع ، في رَهْطٍ يؤذنون في الناس يوم النحر ، أَلاَّ يحجّ بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان . قال الزهري : فكان

والمغيرة بن شعبة [١] ، وعبد الله بن أبي أوفى [٢] ، وعبد الله بن شداد بن الهاد [٣] ، وأبي جُحيفة [٤] ، وسعيد بن جبير [٥] ، والزهري [٦] ، وقيس بن عبادة [٧] ، ونافع بن جبير بن مطعم[٨] ، وإبراهيم النخعي[٩]، والشعبي[١٠]، ومجاهد في رواية[١١]، وعكرمة [١٢] ، وابن زيد، وأبيه زيد بن أسلم، وابن عمر [١٣] ، والسدي [١٤] ، ومحمد بن علي [١٥] .

حُميد يقول : يوم النحر يوم الحج الأكبر . وأخرجه البخاري في صحيحه (١٦٢٢) من طريق يونس ، عن الزهري به . وأخرجه أيضًا (٣٦٩، ٣١٧٧، ٤٣٦٣، ٤٦٥٥، ٤٦٥٧) ، وأبو داود في سننه (١٩٤٦) ، والنسائي (٢٩٥٧) من طريق الزهري به .

(1) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٢٧/١١) .

(2) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١١/ ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٣٢) من طرق عنه .

(3) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢٦٧/٢) ، وابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٢٩/١١ ، ٣٣٢) من طرق عن أبي إسحاق ، عنه .

(4) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٢٨/١١) .

(5) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٢٨/١١) من طريق ابن بشر قال : اختصم علي بن عبد الله بن عباس، ورجل من آل شيبة في يوم الحج الأكبر ، قال عليٌّ : هو يوم النحر . وقال الذي من آل شيبة : هو يوم عرفة . فأرسل إلى سعيد بن جبير فسألوه ، فقال : هو يوم النحر . ألا ترى أنه من فاته يومُ عرفة لم يفته الحج ، فإذا فاته يوم النحر فقد فاته الحج ؟

(6) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢٦٦/٢) عن معمر ، عنه . وذكره ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٣١/١١) عن معمر به .

(7) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٢٩/١١) من طريق سليمان التيمي ، عن رجل ، عن أبيه ، عنه .

(8) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٢٩/١١) .

(9) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٢٩/١١، ٣٣٠، ٣٣٢، ٣٣٣) من طرق عن المغيرة ، عنه .

(10) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٢٩/١١، ٣٣٠) .

(11) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٣٠/١١) من طرق عنه .

(12) ذكره ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٣٠/١١) معلّقًا عنه وعن مجاهد .

(13) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٣٤/١١) عن ابن زيد قال في قوله: ﴿ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ ﴾ قال: يوم النحر ، يوم يَحِلُّ فيه المحرمُ، ويَنْحُر فيه البُدْنَ . وكان ابن عمر يقول : هو يوم النحر. وكان أبي يقوله. وكان ابن عباس يقول : هو يوم عرفة .ولم أسمع أحدًا يقول : إنه يوم عرفة إلاّ ابن عباس. قال ابن زيد: والحج يفوت بفوت يوم النحر،ولا يفوت بفوت يوم عرفة، إن فاته اليوم لم يفته الليل، يقف ما بينه وبين طلوع الفجر.

(14) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٣٥/١١) من طريق أسباط ، عنه .

(15) ذكره ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٣١/١١) معلّقًا .

ونسب إلى أبي موسى الأشعري [1] . وقاله حميد بن عبد الرحمن [2] .

وهو قول الجمهور منهم : مقاتل، والفراء، والبخاري، والطبري، والنحاس ، وابن أبي زمنين، ومكي، وابن العربي، وابن الجوزي، والبيضاوي، وابن التركماني، وابن كثير، والسيوطي، وأبوالسعود، والشوكاني ، والآلوسي، والقنوجي، والسيد محمد رشيد رضا، والمراغي، والسعدي، والشنقيطي [3] .

ومال إليه القاسمي[4] . ومفهوم كلام الطاهر بن عاشور الميل إليه[5] . واحتمله الجصاص [6] .

وذكره الواحدي ، والزمخشري ، وابن الجوزي في التذكرة بصيغة (قيل) [7] .

واستدلوا له بأدلة نقلية وعقلية ، منها :

- ما رواه أبو بَكْرَةَ قال : لما كان ذلك اليوم ، قَعَدَ على بعيرٍ له النبيُّ > ، وأخذ إنسان بخطامه - أو زمامه – فقال : (أيُّ يومٍ هذا ؟) قال : فسكتنا حتى ظنّنا أنه سَيُسَمّيه غيرَ اسمه، فقال : (أليس يوم الحج ؟) [8]

---

(1) نسبه إليه ابن الجوزي كما في زاد المسير (٣٩٦/٣) .

(2) قال الزهري : فكان حميد يقول : يوم النحر يوم الحج الأكبر . أخرجه البخاري في صحيحه (رقم ٤٦٥٧) ، ومسلم في صحيحه (٤٣٥/١٣٤٧) .

(3) ينظر: تفسير مقاتل (١٥٦/٢) ، ومعاني القرآن (٤٢٠/١) ، صحيح البخاري ، وجامع البيان (٣٣٦/١١) ، ومعاني القرآن الكريم (١٨٣/٣) ، وتفسير القرآن العزيز (١٩٢/٢) ، وتفسير المشكل (١٨٤) ـــ ونسبه إلى مالك وأصحابه ـــ ، وأحكام القرآن (٨٩٨/٢) ـــ ونسبه إلى مالك وقال: رواه عنه ابن وهب، وابن القاسم، وأشهب، وعبدالله بن الحكم ـــ ، وزاد المسير (٣٩٤/٣) ، وأنوار التنزيل (٣٩٦/١) ، وبهجة الأريب (٢٤٢/١) ، وتفسير القرآن العظيم (١٣٨/٧) ، وإرشاد العقل السليم (٣٨١/٢) ، وتفسير الجلالين (٢٣٣/٣) ، وفتح القدير (٤٧٨/٢، ٤٨٢) ، وروح المعاني (٤٦/١٠) ـــ وقال عنه : أقوى رواية ودراية ـــ ، وفتح البيان (٢٣٢/٥) ، وتفسير القرآن الحكيم (١٤٢/١٠، ١٤٧، ١٤٩) ، وتفسير المراغي (٥٥/١٠) ، وتيسير الكريم الرحمن (٢٢٣/٢) ، وأضواء البيان (٤٢٩/٢) .

(4) ينظر: محاسن التأويل (٣٠٦٨/٨) وعزاه لابن القيم .

(5) ينظر: التحرير والتنوير (١٠٨/١٠) .

(6) ينظر: أحكام القرآن (٢٦٩/٤) .

(7) ينظر: الوجيز (٤٥٢/١) ، الكشاف (٩/٣) ، تذكرة الأريب (٢٠٩/١) .

(8) أخرجه أحمد في مسنده (٣٧/٥، ٤٥) ، والبخاري في صحيحه (١٧٤١) ، ومسلم في صحيحه (١٦٧٩) ، وابن أبي شيبة في مصنفه (٢٦/١٥، ٢٧) ، وابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٣٣/١١) ، وابن حبان في صحيحه

– وعن ابن عمر ، أن رسول الله > وقف يوم النحر بين الجمرات في الحجة التي حج فقال : (أيُّ يومٍ هذا ؟) قالوا : يوم النحر . قال : (هذا يوم الحج الأكبر) [1] .

– وروى مُرَّةُ ، عن رجل من أصحاب النبيّ > قال : خطبنا رسول الله > على ناقته الحمراء وقال : (أتدرون أيّ يوم هذا ؟ هذا يوم النحر وهذا يوم الحج الأكبر) [2] .

– وعن علي بن أبي طالب قال : سألت رسولَ الله > عن يوم الحج الأكبر ، فقال : (يوم النحر) [3] .

– وعن ابن أبي أوفى ، عن النبي > أنه قال : (يوم الأضحى هذا يوم الحجّ الأكبر)[4].

– وعن عبد الله بن قرط قال : قال رسول الله > : (أعظم الأيام عند الله يوم النحر ثم يوم القرّ) [5].

قالوا : فهذه الأحاديث تنصُّ على أن يوم الحجّ الأكبر هو يوم النحر ، ولا تقوى على

(الإحسان – ٣٨٤٨ ، ٥٩٧٣) من طريق محمد بن سيرين، عن عبد الرحمن عن أبي بكْرة به. وفي تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١٤٦/٧) زيادة : الأكبر .

(1) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (١٨٤/٢) ، والبخاري تعليقًا (١٧٤٢) ، وأبو داود في سننه (١٩٤٥) ، وابن ماجه في سننه (٣٠٥٨) ، وابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٣٣/١١) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٤٨/٦) رقم (٩٢٢٧) ، وأبو نعيم في الحلية (٢٧٤/٨) من طريق نافع ، عنه . قال السيد محمد رشيد رضا في تفسير القرآن الحكيم (١٤٩/١٠) : ورواه أبو داود وابن ماجه موصولا عنه وسنده صحيح ، وهو القول الفصل . وزاد السيوطي في الدر المنثور (١٢٧/٤) نسبته إلى ابن المنذر ، وأبي الشيخ ، وابن مردويه .

(2) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٢٨/١٥) ،وأحمد في المسند (٤١٢/٥) و(٢٢١/٢٥) رقم (١٥٨٨٦) ، والنسائي (٤٠٩٩) ، وابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٣٣/١١، ٣٣٤، ٣٣٥) من طريق شعبة ، عن عمرو بن مرة ، عن مُرّة الهمذاني به .

(3) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٤٧/٦) رقم (٩٢٢٦) من طريق محمد بن إسحاق ، عن أبي إسحاق الهمذاني، عن الحارث ، عن علي مرفوعًا . وزاد نسبته السيوطي في الدر المنثور (١٢٧/٤) إلى ابن المنذر ، وابن مردويه . وقد رواه السفيانان ومعمر ، عن أبي إسحاق به موقوفًا . وكذا رواه يحيى الجزار ، والشعبي ، عن علي موقوفًا ، ولعلّه أشبه . وقد سبق تخريجه عن علي . وأخرج ابن مردويه بسند ضعيف – كما في الدر المنثور للسيوطي (١٢٧/٤) – عنه قال : أربع حفظتهن من رسول الله > : (أن الصلاة الوسطى العصر ، وأن الحج الأكبر يوم النحر ، وأن أدبار السجود الركعتان بعد المغرب ، وأن أدبار النجوم الركعتان قبل صلاة الفجر) .

(4) أخرجه ابن مردويه كما في الدر المنثور للسيوطي (١٢٧/٤) .

(5) أخرجه أبو داود في سننه (١٧٦٥) ، والحاكم وصححه في المستدرك (٢٢١/٤) ووافقه الذهبي . والقَرُّ : هو اليوم الذي يلي يوم النحر .

معارضتها تلك الواردة في أنه يوم عرفة .

وعن ابن عباس ، أن رسول الله > خطب الناس يوم النحر فقال : (يا أيها الناس ، أيُّ يوم هذا ؟) قالوا : يوم حرام . قال : (فأيُّ بَلَدٍ هذا ؟) قالوا : بلد حرام . قال : (فأي شهر هذا ؟) قالوا : شهر حرام ، قال : (فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا) [1] .

فدلّ هذا الحديث على أنه يوم النحر ؛ لأن مِنىً من الحرم ، وليست عرفات منه [2] .

قال الشوكاني : « ولا يخفاك أن الأحاديث الواردة في كون يوم النحر هو يوم الحج الأكبر ، هي ثابتة في الصحيحين وغيرهما من طرق فلا تقوى لمعارضتها الروايات المصرّحة بأنه يوم عرفة »[3] .

وعلّلوا هذا أيضًا بأن الإعلام كان فيه ؛ لأنه ثبت في الصحيحين أن أبابكر وعليًّا ب أذّنا بذلك يوم النحر ، لا يوم عرفة [4] .

قال الطبري : « تظاهرت الأخبار عن جماعة من أصحاب رسول الله > أن عليًّا نادى بما أرسله به رسولُ الله > من الرسالة إلى المشركين ، وتلا عليهم ﴿ بَرَآءَةٌ ﴾ يومَ النحر. هذا مع الأخبار التي ذكرناها عن رسول الله > أنه قال يوم النحر :(أتدرون أي يوم هذا ؟ هذا يوم الحج الأكبر) . ويوم الحج يوم يحجون فيه ، وإنما يحج الناس ويقضون مناسكهم يوم النحر ؛ لأن في ليلته الوقوف بعرفة وهو غير فائت إلى طلوع الفجر ، وفي صُبحتها يُعملُ أعمالُ الحج . والحجُّ كلّهُ يوم النحر »[5] .

وأما القول الثالث بأن يوم الحج الكبر يراد به أيامُ الموسمِ كُلُّها ، فهو مَرْويٌّ عن مجاهد[6] .

---

(1) أخرجه مسلم في صحيحه (١٦٧٩) ، وأبو داود في سننه (١٩٤٧) ، وأحمد في مسنده (٣٧/٥) .

(2) ينظر: معاني القرآن الكريم للنحاس (١٨٤/٣) .

(3) فتح القدير (٤٨٢/٢) . وتابعه القنوجي في فتح البيان (٢٣٣/٥) .

(4) ينظر: محاسن التأويل للقاسمي (٣٠٦٨/٨) .

(5) جامع البيان (٣٣٦/١١) بتصرف يسير .

(6) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٣٥/١١، ٣٣٦) من طريق ابن أبي نجيح ، وابن جريج ، عنه قال : حِين الحج ، أيامه كلها . وفي لفظ : أيام منى كلها .

وبه قال الثوري [1] . وعليه ابن عطية، والبقاعي [2] . ولم يرَ به بأسًا الشنقيطي [3] .

وضعّفه البلنسي [4] . وذكره أبوحيان بصيغة (قيل) [5] .

قال ابن عطية : « والذي تظاهرت به الأحاديث ...أن عليًّا ط أذّن بتلك الآية يوم عرفة إثر خطبة أبي بكر، ثم رأى أنه لم يعلم الناس بالإسْمَاع فتتبَّعهم بالأذان بها يوم النحر ، وفي ذلك اليوم بعث معه أبوبكر من يُعينه بالأذان بها كأبي هريرة ط وغيره ، وتتبعوا بها أيضا أسواق العرب ، كذي المَجاز وغيره ، فمن هنا يترجَّحُ قول سفيان : إن ﴿ يَوْمَ ﴾ في هذه الآية بمعنى "أيام" . وقال ابن عيينة : المراد أيام الحج كلها كما تقول : " يوم صفين، ويوم الجمل " تريد : جميع أيامه . وهذا كما قال عثمان لعمر ب حين عرض عليه زواج حفصة ك : إني رأيت ألاَّ أتزوج يَوْمي هذا . وكما ذكر سيبويه أنك تقول لرجل : ما شغلك اليوم ؟ وأنت تريد : في أيامك هذه »[6] .

واستبعد الرازي هذا ؛ لأنه يقتضي تفسير اليوم بالأيام الكثيرة ، وهو خلاف الظاهر[7].(ولا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلاّ بدليل) [8] .

وقال الطبري : « وأما ما قال مجاهد من أن يوم الحج ، إنما هو أيامه كلها ، فإن ذلك وإن كان جائزًا في كلام العرب ، فليس بالأشهر الأعرف في كلام العرب من معانيه . بل أغلبُ على معنى اليوم عندهم أنه من غروب الشمس إلى مثله من الغد ، وإنما مَحْمَلُ تأويلِ كتاب الله على الأشهر الأعرف من كلام من نزل الكتاب بلسانه »[9] .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن الأَولى بالصواب هو قول من قال : يوم الحج الأكبر هو يوم

---

(1) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٣٦/١١) من طريق أبي عبيد ، عنه .

(2) ينظر: المحرر الوجيز (٤٠٤/٦) ، ونظم الدرر (٣٧٧/٨) .

(3) ينظر: العذب النمير (٢١١٨/٥) .

(4) ينظر: تفسير مبهمات القرآن (٥٣٤/١) .

(5) ينظر: البحر المحيط (٧/٥) .

(6) المحرر الوجيز (٤٠٣/٦) .

(7) ينظر: مفاتيح الغيب (٥٢٦/٥) .

(8) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين (١٣٧/١) .

(9) جامع البيان (٣٣٧/١١) .

النحر؛

ـــ لِثبوت ذلك عن النبي > ، وإذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجّح له على ما خالفه [1] .

ـــ ولقوة أدلته وصراحتها وعدم معارضتها .

ـــ ولكثرة القائلين به من السلف ، وتفسير جمهور السلف مقدم على غيره [2] ، وهذا القول عليه جمهور المفسرين [3] ، والله تعالى أعلم.

---

(1) المصدر السابق (١/٢٠٦) .

(2) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين (١/ ٢٨٨) .

(3) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (١/٩) .

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨﴾ ﴾ .

٢- الخلاف في تفسير "الإلّ" والمراد به في قوله تعالى: ﴿لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾.

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « الإلُّ : القرابة . وقيل : الحِلْفُ »[1].

العرض والمناقشة :

رجّح ابن جُزَيّ أن الإلَّ في قوله تعالى : ﴿لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا﴾ معناه : القرابة .

ووافق في هذا ما رُوِيَ عن ابن عباس [2] ، والضحاك [3] ، والسدي [4] .

وعليه مقاتل، والبخاري، والنحاس، والسمرقندي، والواحدي، والسمعاني، وابن الجوزي ، وأبوالمحاسن القرشي اليماني، وابن كثير، والبقاعي، والسيوطي، والقاسمي، والسيد رشيد رضا، والمراغي، والسعدي [5] . وعزاه ابن الجوزي وغيره للفراء[6] .

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/٧١) .

(2) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١١/٣٥٥) من طريق علي بن أبي طلحة ، عنه . وأخرجه أيضًا (١١/٣٥٦) من طريق عطية العوفي، عنه . ومن طريق عكرمة، عنه . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/١٧٥٨) رقم (١٠٠٠٣) من طريق الضحاك، عنه . وينظر: الدر المنثور للسيوطي (٤/١٣٥) ، وصحيفة علي (٢٦٠) .

(3) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١١/٣٥٦) من طريق جويبر ، عنه، ومن طريق عُبيد بن سليمان، عنه. وذكره ابن أبي حاتم معلّقًا في تفسيره (٦/١٧٥٨) عقب الأثر (١٠٠٠٣) .

(4) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١١/٣٥٦) من طريق أسباط ، عنه .

(5) ينظر: تفسير مقاتل (٢/١٥٨) ، وصحيح البخاري في كتاب التفسير (بعد ٤٦٥٣) ، ومعاني القرآن الكريم (٣/١٨٧) ، وبحر العلوم (٢/٣٥) ، والوجيز (١/٤٥٤) والوسيط (٢/٤٧٩) ، وتفسير القرآن (٢/٢٩٠) ، وتذكرة الأريب (١/٢١٠) ، والترجمان عن غريب القرآن (٥٧) ، وتفسير القرآن العظيم (٧/١٥٣-١٥٤) ـــ قال عنه : أشهر وأظهر وعليه الأكثر ـــ ، ونظم الدرر (٨/٣٨٤، ٣٨٩) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٣/ ٢٣٩) ، ومحاسن التأويل (٨/٣٠٨٠) ، وتفسير القرآن الحكيم (١٠/١٧١) ـــ قال : أشهر الأقوال المأثورة ـــ ، وتفسير المراغي (١٠/٦٢، ٦٤) ، وتيسير الكريم الرحمن (٢/٢٢٧) .

(6) ينظر: زاد المسير لابن الجوزي (٣/٤٠٢) ، والدر المصون للسمين الحلبي (٦/١٨) ، وفتح البيان للقنوجي (٥/٢٤١) .

وحسّنه ابن قتيبة [1] . وقدّمه البغوي، والآلوسي [2] . وجوّزه ابن عطية [3] .

وذكره مكي ، والزمخشري ، ومحمود النيسابوري ، والبيضاوي ، وأبوالسعود بصيغة (قيل) [4].

قالوا : إطلاق الإلّ على القرابة معنى معروف ومشهور في كلام العرب ومنه :

- قول الشاعر :

جزى الله إلاً كان بيني وبينهم جزاءَ ظلومٍ لا يؤخَّر عاجلاً [5]

- وقول حسان بن ثابت :

لعمرك إن إلّك من قريش كإلّ السقب من رأل النعام [6]

أراد أنك ضعيف النسب في قريش ، وأنك حين وجدت أدنى سبب ادعيت إليهم ، وأن ذلك السبب في ضعفه كشبه الرأل بالسقب . يعني ما قرابتك في قريش إلاّ كقرابة الفَصيل من ولد النعام ، أي : لست منهم في نسب [7] .

- وقول ابن مُقْبِلٍ :

أفسد الناس خُلُوفٌ خَلفوا قطعوا الإلّ وأعراق الرِّحِمْ [8]

بمعنى : قطعوا القرابة .

---

(1) ينظر: تأويل مشكل القرآن (٤٤٩) .

(2) ينظر: معالم التنزيل (٢٥٢/٢) ، وروح المعاني (٥٥/١٠) .

(3) ينظر: المحرر الوجيز (٤١٩/٦) .

(4) ينظر: تفسير المشكل (١٨٥) ، والكشاف (١٦/٣) ، وإيجاز البيان (٣٠١/١) ، ووضح البرهان (٣٩٢/١) ، وأنوار التنزيل (٣٩٧/١) ، وإرشاد العقل السليم (٣٨٦/٢) .

(5) هذا استشهاد ابن عباس في جوابه لنافع بن الأزرق كما في الدر المنثور للسيوطي (١٣٥/٤) .

(6) ينظر: الدر المنثور للسيوطي (١٣٥/٤) وعزاه إلى ابن الأنباري في كتاب الوقف والابتداء عن ميمون بن مهران أن نافع بن الأزرق قال لابن عباس ب : أخبرني عن قول الله تعالى : ﴿ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ﴾قال : الرحم ، وقال : فيه حسان بن ثابت ...فذكره . والبيت في ديوان حسان بن ثابت (٤٠٧) ، واللسان (أَلَلَ) . وهو من أبيات هجا بها أبا سفيان قبل إسلامه . والسقب : ولد الناقة حين يولد . والرأل : ولد النعام .

(7) ينظر: المعاني الكبير لابن قتيبة (٣٣٦/١) ، والأمالي لأبي علي القالي (٤١/١) ، والحيوان (٣٦٠/٤) .

(8) ينظر: جامع البيان للطبري (٣٥٨/١١) ، والعذب النمير للشنقيطي (٢١٤٧/٥) . والبيت لتميم بن مُقْبِلٍ . والخلوف : جمع خَلْف .

قال ابن عطية : « أنشده أبوعبيدة على القرابة ، وظاهر أنه في العهود »[1].

وهذا غير ظاهر ؛ لأنه لا يقال في العهد "قطع" وإنما القطيعة تكون للقرابة والرحم ، والعهد يقال فيه نقض ؛ لأنه بمعنى الميثاق أو يقال فيه غدر ؛ كما في الحديث : (وإذا عاهد غدر)[2] . والله تعالى أعلم .

– وفي رواية ابن الأثير في النهاية [3] لحديث أم زَرْعٍ : « وَفِيٌّ الإلّ كريمُ الخِلّ بَرودُ الظِّلّ ».

أي : أَنه وفِيّ القرابة والصلة ، كريم الصحبة ، طيب العشرة .

وأما القول الآخر بأن معنى "الإلّ" : الحِلْفُ ، فهو قول قتادة [4] .

واختاره الزمخشري، ومحمود النيسابوري، والبيضاوي، وأبوالسعود [5] .

قال الزمخشري : « والوجه : أن اشتقاق الإلّ بمعنى الحلف ؛ لأنهم إذا تماسحوا وتحالفوا ، رفعوا به أصواتهم وشهروه، من الألّ وهو الجؤار، وله أليل، أي : أنين ، يرفع به صوته ....دعت أَلَلَيْهَا : إذا وَلْوَلَتْ »[6] .

وقال الشنقيطي : « والعرب تقول : دعت الجاريةُ أَلَلَيْها إذا وَلْوَلَتْ ؛ لأن الأليل صراخٌ وصوت . ومن قولهم ذلك قول الكُميت :

وأنت ما أنت في غَبْراءَ مُظْلمةٍ إذا دعت أَلَلَيْها الكَاعِبُ الفُضُلُ »[7] .

---

(1) المحرر الوجيز (٤١٩/٦) .

(2) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان برقم (٣٤) ، وفي كتاب المظالم برقم (٢٤٥٩) ، وفي كتاب الجزية والموادعة برقم (٣١٧٨) ، ومسلم (٧٨/١) برقم (٥٨) من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص .

(3) النهاية في غريب الحديث والأثر (٦١/١، ١١٥) . وحديث أم زَرْعٍ أخرجه البخاري في النكاح برقم (٤٨٩٣) ، ومسلم في فضائل الصحابة رضي الله عنهم (١٨٦٩/٤) برقم (٢٤٤٨) من حديث عائشة .

(4) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢٦٨/٢) عن معمر ، عنه . وابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٥٨/٦) رقم (١٠٠٠٦) من طريق معمر به . وأخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٥٧/١١) من طريق يزيد ، عن سعيد ، عنه .

(5) ينظر: الكشاف (١٦/٣) ، وإيجاز البيان (٣٠١/١) ووضح البرهان (٣٩٢/١) ، وأنوار التنزيل (٣٩٧/١) ، وإرشاد العقل السليم (٣٨٦/٢) .

(6) الكشاف (١٦/٣) .

(7) العذب النمير (٢١٤٨/٥) . والبيت في اللسان (مادة : أَلل) .

وقال ابن عطية : « والعرب تقول للعهد والحلف والجوار ونحو هذه المعاني : إلا ، ومنه قول أبي جهل :

لإلٍّ علينا واجبٌ لا نُضيعُه متينٌ قُواه غيرُ مُنْتَكَثِ الحَبْلِ »[1].

وقال أبوعبيدة : « الإلّ : اليمين ، والذمة العهد ، ومنه قول ابن مقبل :

أفسدَ الناسَ خُلوفٌ خَلفوا قطعوا الإلّ وأعراق الرحم »[2].

- قال أوس بن حجر :

لولا بنو مالكٍ والإلُّ مَرْقَبَةٌ ومَالِكٌ فيهمُ الآلاءُ والشَّرَفُ [3]

يعني : الحِلْفُ [4] .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن كلا القولين يشهد لهما كلام العرب وأشعارها ، فالصواب أن يقال: الإلُّ : اسم مشترك يطلق على عدّة معانٍ منها : القرابة والحلف ، ولم يكن الله جل وعلا خصَّ من ذلك معنى دون معنى ، فالصحيح والأَولى أن يَعُمَّ ذلك ، كما عمَّ بها جل ثناؤه . ويتأيد ذلك بما حرّره الأصوليون المحققون من جواز حمل المشترك على معنييه أو معانيه [5] .

وعلى هذا الطبريُّ، والزجاج، والراغب، وابن عطية، والنسفي، والطاهر بن عاشور، والشنقيطي [6] .

وإذا كان ذلك كذلك فالاقتصار على أن المراد بالإلّ هو القرابة ،كما رجّحه ابن جُزَيّ ومن وافقه ، هو خلاف الأَولى ، وكذا الاقتصار على أنه الحلف ، فالقول بالعموم وعدم اطّراح قولٍ وله وَجْهٌ في كلام العرب هو الصواب ، ويؤيده قاعدة (وجوب حمل نصوص الوحي على العموم) [7] ، والله تعالى أعلم .

---

(1) المحرر الوجيز (٦/٤١٨ – ٤١٩) .

(2) ينظر: النكت والعيون (٢/٣٤٣) ، وزاد المسير (٣/٤٠٢) . والمصدر السابق . والبيت لتميم بن مقبل .

(3) ينظر: مفاتيح الغيب للرازي (٥/٥٣٢) ، والدر المصون للسمين الحلبي (٦/١٧) .

(4) ينظر: مفاتيح الغيب (٥/٥٣٢) .

(5) قاله الشنقيطي في العذب النمير (٥/٢١٤٩) .

(6) ينظر: جامع البيان (١١/٣٥٨) ومفاتيح الغيب للرازي (٥/٥٣٢) ومفردات ألفاظ القرآن مادة (ألّ) والمحرر الوجيز (٦/٤١٨-٤١٩) ومدارك التنزيل (٢/١١٧) والتحرير والتنوير (١٠/١٢٤) والعذب النمير (٥/٢١٤٩).

(7) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين (٢/٥٢٧) .

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ ۙ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾ ﴾

٣- مَنْ هم أئمة الكفر في قوله تعالى : ﴿فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ﴾ ؟

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « ﴿أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ﴾ أي : رؤساء أهله . قيل : إنهم أبوجهل لعنه الله ، وأمية بن خلف ، وعتبة بن ربيعة ، وأبوسفيان بن حرب ، وسهيل ابن عمرو . وحكى ذلك الطبري ، وهو ضعيف ؛ لأن أكثر هؤلاء كان قد مات قبل نزول هذه السورة . والأحسن أنها على العموم »[1].

العرض والمناقشة :

استحسن ابن جُزَيّ أن قوله تعالى : ﴿أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ﴾ على العموم . ووافق في هذا السمرقندي، وابن عطية، والقرطبي، والقمي النيسابوري، وأباحيان، وابن كثير، والبلنسي، والثعالبي، والشوكاني، والقنوجي، والسيد محمد رشيد رضا، والسعدي، والطاهر ابن عاشور، والشنقيطي [2] .

قال ابن عطية : « وأصوب ما في هذا أن يقال : إنه لا يُعنى بها مُعَيَّن ، وإنما وقع الأمر بقتال أئمة الناكثين بالعهود من الكفرة إلى يوم القيامة دون تعيين »[3] .

وقال ابن كثير : « والصحيح أن الآية عامة ، وإن كان سبب نزولها مشركي قريش ، فهي عامة لهم ولغيرهم ، والله أعلم »[4] .

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/٧١) .

(2) ينظر: بحر العلوم (٢/٣٥) ، والمحرر الوجيز (٦/٤٢٦) ، والجامع لأحكام القرآن (١٠/١٢٦) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/٤٣٦) ، والبحر المحيط (٥/١٤) ، وتفسير القرآن العظيم (٧/١٥٥) ، وتفسير مبهمات القرآن (١/٥٣٦) ، والجواهر الحسان (٢/٣٨) ، وفتح القدير (٢/٤٨٨) ، وفتح البيان (٥/٢٤٥) ، وتفسير القرآن الحكيم (١٠/١٧٨) ، وتيسير الكريم الرحمن (٢/٢٢٨) ، والتحرير والتنوير (١٠/١٣٠) ، والعذب النمير (٥/٢١٥٨) .

(3) المحرر الوجيز (٦/٤٢٦) وتابعه أبوحيان ، والثعالبي .

(4) تفسير القرآن العظيم (٧/١٥٥) .

ويدل عليه تفسير أبي بكر الصديق للآية ، ففي عهده إلى الناس حين وجّههم إلى الشام أنه قال : إنكم ستجدون قومًا مجوفة رؤوسهم فاضربوا مقاعد الشيطان منهم بالسيوف ، فوالله لأن أقتل رجلاً منهم أحب إليّ من أن أقتل سبعين من غيرهم ، وذلك بأن الله يقول : ﴿ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ﴾ [1] .

فاستعمال أبي بكر للآية هنا دليل على إفادتها العموم عنده ، والله أعلم .

قال السيد رشيد رضا : « والحق أنها صريحة في مشركي العرب أصحاب العهود مع المؤمنين مَنْ بقي منهم ، ويدخل في حكمها كل من كانت حاله مع المؤمنين كحالهم .فكل من يجمع بين عداوتهم بنكث عهودهم والطعن في دينهم فيجب عدّه من أئمة الكفر وله حكمهم »[2] .

ولذا كان حذيفة يقول : « لم يأت أهلُها بعد »[3] .

وأما القول بأن أئمة الكفر هم أبوجهل ، وأمية بن خلف ، وعتبة بن ربيعة ، وأبوسفيان بن حرب ، وسهيل بن عمرو ، فهو قول قتادة [4]. وفي رواية عنه قال : فكان من أئمة الكفر ؛ أبوجهل بن هشام ... الخ ، وهم الذين هُمّوا بإخراجه [5] . ونُسِبَ إلى ابن عباس [6] ، وأنس بن مالك [7] .

---

(1) ينظر: فتح البيان للقنوجي (٢٤٥/٥) وعزاه لابن أبي حاتم عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير .

(2) تفسير القرآن الحكيم (١٧٨/١٠) .

(3) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٦٥/١١) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٦١/٦) .

(4) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢٨٦/٢) عن معمر ، عنه . ومن طريقه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٦٥/١١) . وأخرجه ابن جرير أيضًا (٣٦٤/١) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٦١/٦) رقم (١٠٠٢٢) من طريق محمد بن ثور ، عن معمر به . وزاد السيوطي في الدر المنثور (١٣٦/٤) نسبته إلى ابن المنذر ، وأبي الشيخ.

(5) أخرجها ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٦٣/١١-٣٦٤) من طريق يزيد ، عن سعيد ، عنه .

(6) ينظر: زاد المسير لابن الجوزي (٤٠٤/٣) . واقتصر الماوردي في النكت والعيون (٣٤٥/٢) على قوله : "إنهم زعماء قريش" . ولم يسمهم. ونسبه السيوطي في الدر المنثور (١٣٦/٤) إلى أبي الشيخ . وأخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٦٣/١١) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٦٠/٦، ١٧٦١) من طريق عطية العوفي ، عنه . وليس فيه ذكرٌ لأسمائهم .

(7) نسبه السيوطي في الدر المنثور (١٣٦/٤) إلى ابن عساكر .

وقال ابن عمر [1] ، ومجاهد [2] ، وسعيد بن جبير [3] : أبوسفيان منهم .

قال ابن أبي حاتم : يعني قبل أن يسلم .

والقائلون بهذا القول من المفسّرين منهم من يُعيّنُهم بأسمائهم ، ومنهم من يكتفي بالقول بأنهم من قريش أو من أهل مكة . وعلى هذا مقاتل، والواحدي، والسمعاني، والبغوي [4] .

وذكره البيضاوي بصيغة (قيل) [5] .

وأحسن ما يحمل عليه تفسير هؤلاء أنه على جهة المثال ، أي : أن هؤلاء المذكورين هم من رؤوساء الكفر وقادته . وأما أنهم هم وغيرهم ليسوا منهم ممن كانت حالهم كحالهم فهو قول ضعيف ؛ لأن الآية نزلت بعد بَدْرٍ بكثير ، نزلت عام تسع أوقبل الفتح عام ثمان . وحين نزلت وقرئت على الناس كان الله قد استأصل شأفة قريش فلم يبق إلاّ مسلم أو مسالم[6].

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن الصواب في تفسير قوله تعالى : ﴿ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ ﴾ حملها على العموم ، وهو ما رجّحه ابن جُزَيّ ومن وافقه . ويتأيد هذا بقاعدتين ترجيحيتين : الأُولى : (يجب حمل نصوص الوحي على العموم) [7] . والأخرى : (العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب) [8] ، والله تعالى أعلم .

---

(1) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٦١/٦) رقم (١٠٠٢١) من طريق مجاهد ، عنه. وزاد السيوطي في الدر المنثور (١٣٦/٤) نسبته إلى أبي الشيخ ، وابن مردويه .

(2) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٦٤/١١) .

(3) ذكره ابن أبي حاتم معلّقًا في تفسيره (١٧٦١/٦) عقب (١٠٠٢١) .

(4) ينظر: : تفسير مقاتل (١٥٩/٢) ، والوجيز (٤٥٥/١) والوسيط (٤٨٠/٢) ، وتفسير القرآن (٢٩٢/٢) ، ومعالم التنزيل (٢٥٤/٢) .

(5) ينظر: أنوار التنزيل (٣٩٨/١) .

(6) ينظر: المحرر الوجيز لابن عطية (٤٢٦/٦) ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٢٦/١٠) ، والبحر المحيط لأبي حيان (١٤/٥) ، وتفسير القرآن الحكيم (١٧٨/١٠) ، والعذب النمير (٢١٥٨/٥) وفيه حكى الإجماع على تأخر نزول هذه الآية كثيرًا إلى عام تسع ، أو قبل الفتح عام ثمان .

(7) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين (٥٢٧/٢) .

(8) ينظر : المصدر السابق (٥٤٥/٢) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ ﴾

٤- الخلاف في المراد بالقوم المؤمنين في قوله تعالى :

﴿ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴾

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى: « ﴿ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴾ قيل : إنهم خزاعة . والإطلاق أحسن » [1] .

العرض والمناقشة :

استحسن ابن جُزَيّ الإطلاق في المراد بقوم مؤمنين في قوله تعالى : ﴿ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴾ ، ولم يقيدها بخزاعة ولا غيرها . ووافق في هذا الطبري [2] فإنه قدّمه وكأنّه يميل إليه ، وكذا البغوي [3] أطلق ولم يحدد . وعليه أبوحيان، وابن كثير، والسعدي[4] .

قال أبوحيان: « وجاء التركيب ﴿ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴾ ؛ ليشمل المخاطبين وكلّ مؤمن ؛ لأن ما يصيبُ أهلَ الكفر من العذاب والخزي هو شفاء لصدر كلّ مؤمن»[5].

وقال ابن كثير : « وهذا عامّ في المؤمنين كلِّهم »[6] .

وأما القول بأنهم خُزَاعة ، فهو مَرْوِيٌ عن مجاهد [7] ، وقتادة [8] ،

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٧٢/٢) .

(2) ينظر: جامع البيان (٣٦٩/١١) .

(3) ينظر: معالم التنزيل (٢٥٥/٢) .

(4) ينظر: البحر المحيط (١٧/٥) ، وتفسير القرآن العظيم (١٥٦/٧) ، وتيسير الكريم الرحمن (٢٢٩/٢) .

(5) البحر المحيط (١٧/٥) .

(6) تفسير القرآن العظيم (١٥٦/٧) .

(7) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٦٩/١١، ٣٧٠) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٦٣/٦) رقم (١٠٠٣٥، ١٠٠٣٦) من طرق عنه. وزاد السيوطي في الدر المنثور (١٣٨/٤) نسبته إلى ابن المنذر،وأبي الشيخ.

(8) نسبه السيوطي في الدر المنثور (١٣٨/٤) إلى أبي الشيخ .

والسدّي [1] ، وعكرمة [2] . ونسب إلى ابن عباس [3] .

وذهب إليه عامة المفسّرين منهم : مقاتل، والنحاس، والسمرقندي، وابن أبي زمنين، والواحدي، والسمعاني، والزمخشري، ومحمود النيسابوري، والرازي، والقرطبي، والبيضاوي، والنسفي، والخازن، والقمي النيسابوري، والبلنسي ، والسيوطي، وأبوالسعود، والآلوسي، والقنوجي، والشنقيطي [4] .

وقال السيد رشيد رضا [5] – وتبعه تلميذه المراغي [6] – : « كخزاعة ومن لم يهاجر لعجزه ».

وكذا البقاعي قال : « كخزاعة وغيرهم »[7] .

وأما الطاهر ابن عاشور فقال : « هم خزاعة ، وتستلزم شفاء صدور المؤمنين كلّهم»[8] .

وذكر هذا القول الطبري بصيغة (قيل) ثم ذكر مَنْ قال به [9] .

ودليل هذا القول : قصة نقض قريش العهد ومعاونتها لبني بكر على خزاعة حلفاء

---

(1) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٧٠/١١) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٦٣/٦) رقم (١٠٠٣٧) من طريق أسباط ، عنه . وزاد السيوطي في الدر المنثور (١٣٨/٤) نسبته إلى أبي الشيخ .

(2) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٦٣/٦) عقب (١٠٠٣٥) .

(3) ينظر : زاد المسير لابن الجوزي (٤٠٦/٣) .

(4) ينظر: تفسير مقاتل (١٦١/٢) ، ومعاني القرآن الكريم (١٩٠/٣) ، وبحر العلوم (٣٦/٢) ، وتفسير القرآن العزيز (١٩٧/٢) ، والوجيز (٤٥٦/١) والوسيط (٤٨١/٢) ، وتفسير القرآن (٢٩٢/٢) ، والكشاف (١٩/٣) ، وإيجاز البيان (٣٠٢/١) ، ومفاتيح الغيب (٦/٦) ، والجامع لأحكام القرآن (١٣٠/١٠) ، وأنوار التنزيل (٣٩٩/١) ، ومدارك التنزيل (١١٩/٢) ، ولباب التأويل (٢٠٥/٢) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٤٣٨/٣) ، وتفسير مبهمات القرآن (٥٣٦/١) ، وإرشاد العقل السليم (٣٨٩/٢) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٢٤٢/٣) ، وروح المعاني (٦١/١٠) ، وفتح البيان (٢٤٩/٥) ، والعذب النمير (٢١٦٧/٥-٢١٦٨) .

(5) تفسير القرآن الحكيم (١٨٢/١٠) . بتصرف يسير .

(6) تفسير المراغي (٦٩/١٠) .

(7) نظم الدرر (٣٩٧/٨) .

(8) التحرير والتنوير (١٣٥/١٠) .

(9) ينظر: جامع البيان (٣٦٩/١١- ٣٧٠) .

رسول الله > ، ثم نصر النبي > لخزاعة وفتحه لمكّة حين نقضت قريش العهد [1] .

واحتمل ابن عطية القولين فقال : « فإن الكلام يحتمل أن يريد جماعة المؤمنين ؛ لأن كل ما يهد من الكفر هو شفاء من همّ صدور المؤمنين . ويحتمل أن يريد تخصيص قوم من المؤمنين . ورُوِيَ أنهم خزاعة ، قاله مجاهد والسدّي . ووجه تخصيصهم : أنهم الذين نُقِضَ فيهم العهدُ ونالتهم الحربُ ، وكان يومئذ في خزاعة مؤمنون كثير »[2] .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن الأَولى والأحسن هو حمل الآية على العموم والقول بالإطلاق؛ لأن الآية وإن كانت واردة في "خزاعة" فإن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب [3] ، والله تعالى أعلم .

---

(1) القصة مشهورة ومذكورة في كتب السيرة النبوية والتاريخ . ينظر: السيرة النبوية لابن هشام (٥/٤٢ وما بعدها)، ودلائل النبوة للبيهقي (٥/٥ وما بعدها) .

(2) المحرر الوجيز (٦/٤٣٠) . وتبعه الثعالبي في الجواهر الحسان (٢/٣٩) .

(3) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين (٢/٥٤٥) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ ﴾

٥- الخلاف في معنى شهادة المشركين على أنفسهم بالكفر.

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « ﴿ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ ﴾ أي : أن أحوالهم وأقوالهم تقتضي الإقرار بالكفر . وقيل : الإشارة إلى قولهم في التلبية : لا شريك لك إلاّ شريك هو لك »[1] .

العرض والمناقشة :

رجّح ابن جُزَيّ في قوله تعالى : ﴿شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ﴾ أن معنى شهادتهم بذلك هي أن أحوالهم وأقوالهم تقتضي الإقرار بالكفر .

ووافق في هذا معنى ما نُسِبَ إلى ابن عباس أنه قال : « شهادتهم على أنفسهم بالكفر سجودهم لأصنامهم »[2] . ونُسِب أيضًا إلى الحسن [3] .

وقال السدّي : « هو قول اليهودي : أنا يهودي ، وقول النصراني : أنا نصراني »[4] .

وعليه السمرقندي، وابن أبي زمنين، والواحدي، والبغوي، والزمخشري، وابن عطية، ومحمود النيسابوري، والرازي، والبيضاوي، والنسفي، والقمي، وابن كثير، والبقاعي، وأبوالسعود، والشوكاني، والآلوسي، والقنّوجي، والسعدي [5] .

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢ /٧٢) .

(2) ينظر: الوسيط للواحدي (٢ / ٤٨٢) ، ومعالم التنزيل للبغوي (٢ / ٢٥٦) .

(3) ينظر: المصدر الأخير ، والنكت والعيون للماوردي (٢/٣٤٦- ٣٤٧) ، ولباب التأويل للخازن (٢/٢٠٦) ، وإرشاد العقل السليم (٢/٣٩١) .

(4) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٧ /١٥٨) .

(5) ينظر: بحر العلوم (٢/٣٨) ، وتفسير القرآن العزيز (٢/١٩٨) ، والوجيز (١/٤٥٧) والوسيط (٢ /٤٨٢- ٤٨٣) ، ومعالم التنزيل (٢ /٢٥٦) ، والكشاف (٣/٢٠) ، والمحرر الوجيز (٦/ ٤٣٦) ، وإيجاز البيان (١/٣٠٣) ، ومفاتيح الغيب (٦ /٩) ، وأنوار التنزيل (١ /٣٩٩) ، ومدارك التنزيل (٢ /١٢٠) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣ /٤٤٢) ، وتفسير القرآن العظيم (٧/١٥٨) ، ونظم الدرر (٨ /٤٠١) ، وإرشاد العقل السليم (٢ /٣٩١) ، وفتح القدير (٢/٤٩٢- ٤٩٣) ، وروح المعاني (١٠/٦٤) ، وفتح البيان

قال الرازي – وتبعه القمي – : « الأصح أنهم أقروا على أنفسهم بعبادة الأوثان وتكذيب القرآن وإنكار النبوة ، وكل ذلك كفر ».

وأما القول الآخر بأن معنى شهادتهم على أنفسهم بالكفر هو الإشارة إلى قولهم في التلبية : لا شريك لك إلاّ شريكًا هو لك ، فذكره الزمخشري بصيغة (قيل) [1] ، وتبعه على ذلك ابن عطية ، والشوكاني ، والآلوسي ، والقنوجي [2] .

وجمع بين القولين السمعاني، والسيد رشيد رضا، والمراغي، والطاهر بن عاشور [3] .

قال ابن عاشور : « وشهادتهم على أنفسهم بالكفر حاصلة في كثير من أقوالهم وأعمالهم، فمثل قولهم في التلبية ... ومثل سجودهم للأصنام ...» اهـ .

وجوّز أبوحيان أن يكون المراد هو قولهم في التلبية ذلك، وقولهم إذا سئلوا عن دينهم : نعبد اللاّت والعزى ، وتكذيبهم الرسول ، وقول المشرك : أنا مشرك كما يقول اليهودي : هو يهودي ، والنصراني : هو نصراني ... ، وظهور أفعال الكفرة من نصب أصنامهم ، وطوافهم بالبيت عراة [4] .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن تجويز الأقوال كُلِّها هو الأَولى ، فتحمل الآية على العموم ؛ إذْ كل قول وعمل وحال يدل على كفر المشركين ويشهد به ، فأحوالهم وأقوالهم وأعمالهم تقتضي الإقرار بالكفر والشهادة به على أنفسهم ، فيدخل في ذلك : سجودهم لأصنامهم ، وتلبيتهم الشركية ، وتكذيب الرسول > ونحو ذلك .

ويؤيد هذا القاعدة الترجيحية : (يجب حمل نصوص الوحي على العموم) [5] ، والله تعالى أعلم .

(٢٥٣/٥) ، وتيسير الكريم الرحمن (٢٣٠/٢) .

(1) ينظر: الكشاف (٢٠/٣) .

(2) ينظر: المحرر الوجيز (٤٣٦/٦) ، وفتح القدير (٤٩٣/٢) ، وروح المعاني (٦٤/١٠) ، وفتح البيان (٢٥٣/٥) .

(3) ينظر: تفسير القرآن (٢٩٣/٢) ، وتفسير القرآن الحكيم (١٠/ ١٩٣) ، وتفسير المراغي (١٠/ ٧٣) ، والتحرير والتنوير (١٠/ ١٤٠) .

(4) ينظر: البحر المحيط (٥/ ١٩) .

(5) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين (٢/ ٥٢٧) .

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾

٦- الخلاف فيمن نزلت هذه الآية : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ ﴾ .

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « قيل : إنها نزلت فيمن ثُبِّطَ عن الهجرة . ولفظها عام وكذلك حكمها »[1] .

العرض والمناقشة :

رجّح ابن جُزَيّ أن الآية الكريمة عامّة ، ولا تختصُّ بمن نزلت فيه على فَرْض صحَّة ذلك . وعلى هذا ابن عطية، والقرطبي، والثعالبي، والشوكاني، والقنّوجي، والسيد محمد رشيد رضا[2] .

قال ابن عطية : « ظاهر هذه المخاطبة أنها لجميع المؤمنين كافّة ، وهي باقية الحكم إلى يوم القيامة » .

وأما القول بأنها نزلت فيمن ثُبِّطَ عن الهجرة إلى المدينة ، فرُوِيَ عن ابن عباس [3] ، ونُسب إلى الكلبي [4] . وعليه السمرقندي، والواحدي، والسمعاني، والبغوي، والزمخشري، والبيضاوي، والنسفي، والقمي النيسابوري، وأبوحيان، وأبوالسعود، والآلوسي، والطاهر ابن عاشور، والشنقيطي [5] .

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٧٢) .

(2) ينظر: المحرر الوجيز (٦/ ٤٤٤) ، والجامع لأحكام القرآن (١٠/ ١٣٩) ، والجواهر الحسان (٢/ ٤٢) ، وفتح القدير (٢/ ٤٩٦) ، وفتح البيان (٥/ ٢٥٨) ، وتفسير القرآن الحكيم (١٠/ ٢٠٧) .

(3) عزاه الزيلعي للثعلبي من رواية جويبر ، عن الضحاك ، عنه . ينظر: تخريج أحاديث الكشاف (٢/ ٦٠) ، والكافي الشافي (٧٤) . وعزاه البغوي في معالم التنزيل (٢/٢٦٠) إلى الكلبي ، عن أبي صالح ، عنه . وينظر : تفسير القرآن للسمعاني (٢/ ٢٩٧) ، وروح المعاني للآلوسي (١٠/ ٧٠) .

(4) ينظر: أسباب النزول للواحدي (٢٨٠) .

(5) ينظر: بحر العلوم (٢/ ٤٠) ، والوجيز (١/ ٤٥٨) ، وتفسير القرآن (٢/ ٢٩٧) معالم التنزيل (٢/ ٢٦٠) ،

قال الآلوسي : « ورُوِيَ أنها نزلت في حاطب بن أبي بَلْتَعَة حين كتَب إلى قريش بعزم رسول الله > على فتح مكة ... وعلى هذا القول فالمعتبر عموم اللفظ لا خصوص السبب»[1] .

وقال السيد رشيد رضا : « وقيل : إن هذه الآية نزلت في قصته [يعني حاطب] ، وقيل : في امتناع العباس من الهجرة ، وقيل : في كل من ثقلت عليه الهجرة ... ولا يصحُّ من ذلك شيء » [2].

وهذا صحيح ، فإنه لم يصح في سبب نزولها ولا فيمن نزلت شيء .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإنه على فرْضِ صحّة ما رُوِيَ في نزولها فإن الأَولى هو حملها على العموم وكذا حكمها ؛ لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب [3]، وحمل ألفاظ الوحي على العموم واجب إذا لم يقم الدليل الصحيح على التخصيص [4] ، والله تعالى أعلم .

والكشاف (٣/ ٢٥) ، وأنوار التنزيل (١/ ٤٠١) ، ومدارك التنزيل (٢/ ١٢١) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ٤٤٥) ، والبحر المحيط (٥/ ٢٢) ، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٣٩٥) ، وروح المعاني (٧٠/١٠)، والتحرير والتنوير (١٠/ ١٥١) ، و العذب النمير (٥/ ٢١٩٩- ٢٢٠١) .

(1) روح المعاني (١٠/ ٧٠) بتصرف .

(2) تفسير القرآن الحكيم (١٠/ ٢٠٧) .

(3) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين (٢/ ٥٤٥) .

(4) ينظر: المصدر الأخير (٢/ ٥٢٧) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾

٧- الخلاف في إعراب ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ﴾ .

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ﴾ عطف على مَوَاطِنَ أو منصوب بفعل مضمر ، وهذا أحسن ؛ لوجهين : أحدهما : أن قوله : ﴿ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ ﴾ مختص بحنين ، ولا يصحُّ في غيره من المواطن ، فيضعف عطف ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ﴾ على المواطن ؛ للاختلاف الذي بينهما في ذلك . والآخر : أن المواطن ظرف مكان، ويوم حنين ظرف زمان ، فيضعف عطف أحدهما على الآخر ، إلاّ أن يريد بالمواطن الأوقات » [1] .

العرض والمناقشة :

استحسن ابن جُزَيّ أن ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ﴾ منصوب بفعل مضمر. ووافق في هذا الزمخشري [2].

وذكره أبوالسعود، والشوكاني بصيغة (قيل) [3] .

وعلَّلَ ابن جُزَيّ هذا القول بوجهين :

الأول : أن قوله تعالى : ﴿ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ ﴾ مختصٌّ بحُنَيْن . وبيان ذلك : أن كثرتهم لم تعجبهم في جميع تلك المواطن ، كما أنهم لم يكونوا كثيرًا في جميعها .

قال الزمخشري : « الواجب أن يكون يوم حنين منصوبًا بفعل مضمر لا بهذا الظاهر ، وموجب ذلك أن قوله : ﴿ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ ﴾ بدل من يوم حنين ، فلو جعلت ناصبه هذا الظاهر لم يصح ؛ لأن كثرتهم لم تعجبهم في جميع تلك المواطن ، ولم يكونوا كثيرًا في

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٧٣) .

(2) ينظر: الكشاف (٣/ ٢٨) .

(3) ينظر: إرشاد العقل السليم (٢/ ٣٩٦) ، وفتح القدير (٢/ ٤٩٧) .

جميعها ، فبقي أن يكون ناصبه فعلاً خاصًّا به ، إلاّ إذا نصبت "إِذْ" بإضمار "اذكر" »[1].

وقَدَح فيه السمين الحلبي من جهة أن الله تعالى لم يقل : في جميع المواطن حتى يلزم ما قال ، ويمكن أن يكون أراد بالكثرة الجميع ، كما يراد بالقلّة العدم [2] .

قال الرازي : « أي : واذكروا يومَ حنين من جملة تلك المواطن حال ما أعجبتكم كثرتكم »[3] .

والوجه الآخر : أن المواطن ظرف مكان ، ويوم حنين ظرف زمان ، فعطف أحدهما على الآخر ضعيف ، إلاّ أن يريد بالمواطن الأوقات .

قال الزمخشري : « ويجوز أن يراد بالموطن الوقت كمقتل الحسين »[4] .

وعلى القول بأن "يومَ حُنَين" معطوف على "مَوَاطِنَ " فهو محتمل للعطف على اللفظ وتقديره : ونصركم في يوم حنين . فانحذف حرف الخفض في حال تقديره ، ولا حاجة إليه كما قاله السمين الحلبي [5] . ومحتمل أيضًا للعطف على المحلّ والموضع وتقديره : ونصركم يومَ حنين .

وعلى هذا الإعراب : مكّي، والعكبري، والقرطبي، والبيضاوي، والقمي، وأبوحيان، والسمين، والشوكاني، والآلوسي، والطاهر بن عاشور، والدرويش [6] .

وهو مفهوم كلام الطبري، والنحاس، وابن أبي زمنين، والواحدي، والخازن، والسيد رشيد رضا، والمراغي، والشنقيطي [7] .

---

(1) الكشاف (٣/ ٢٨) .

(2) ينظر : الدر المصون (٦/ ٣٥) .

(3) مفاتيح الغيب (٦/ ١٨) .

(4) الكشاف (٣/ ٢٨) .

(5) ينظر : الدر المصون (٦/ ٣٥) .

(6) ينظر : مشكل إعراب القرآن (١/ ٣٢٦) ، والتبيان (٢/ ٦٣٩) ، والجامع لأحكام القرآن (١٠/ ١٤٨) ، وأنوار التنزيل (١/ ٤٠١) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ٤٤٧) ، والبحر المحيط (٥/ ٢٤) ، والدر المصون (٦/ ٣٥) ، وفتح القدير (٢/ ٤٩٧) ، وروح المعاني (١٠/ ٧٣) ، والتحرير والتنوير (١٠/١٥٥)، وإعراب القرآن الكريم وبيانه (٤/ ٧٩) .

(7) ينظر : جامع البيان (١١/ ٣٨٦) ، وإعراب القرآن (٢/ ٢٠٩) ومعاني القرآن الكريم (٣/ ١٩٤) ، وتفسير القرآن العزيز (٢/ ١٩٩) ، والوسيط (٢/ ٤٨٧) ، ولباب التأويل (٢/ ٢٠٩) ، وتفسير القرآن الحكيم

وهذا العطف جائز على إرادة المواطن بالأيام والأوقات ، كمقتل الحسين ، ومقدم الحجاج[1].

ويجوز أن يقدر : في أيام مواطن .

قال الطاهر : « لأن مواطن الحرب تقتضي أيامًا تقع فيها الحرب ، فتدلّ المواطن على الأيام كما تدل الأيام على المواطن ، فلما أضيف اليوم إلى اسم مكان عُلِمَ أنه موطن من مواطن النصر ولذلك عطف بالواو ؛ لأنه لو لم يعطف لتُوُهِّمَ أن المواطن كلّها في يوم حنين، وليس هو المراد . ولهذا فالتقدير : في مواطن كثيرة وأيام كثيرة منها موطن حنين ويومُ حنين»[2] .

وذهب أبوحيان إلى جواز عطف ظرف الزمان على المكان [3] .

وهكذا السمين الحلبي صحَّحَ عطف أحد الظرفين على الآخر من غير تقدير أحدهما ومن غير حاجة إلى تأويل الموطن بالوقت ، تقول : سرت أمامك يوم الجمعة [4] .

قال الدرويش : « ولا مانع من عطف الظرفين المكاني والزماني أحدهما على الآخر كعطف أحد المفعولين على الآخر والفعل واحد ؛ إذ يجوز أن تقول : ضرب زيد عَمْرًا في المسجد ويوم الجمعة ، كما تقول : ضربت زيدًا وعَمْرًا . ولا يحتاج إلى إضمار فعل جديد غير الأول ، هذا مع أنه لا بد من تغاير الفعلين الواقعين بالمفعولين في الحقيقة . فإنك إذا قلت : "اضرب زيدًا اليوم وعَمْرًا غدًا" لم يشك في أن الضربين متغايران بتغاير الظرفين ، ومع ذلك الفعل واحد في الصناعة . فعلى هذا يجوز في الآية بقاء كل واحد من الظرفين على حاله غير مؤول إلى الآخر »[5] .

وقال البيضاوي : « ولا يمنع إبدال قوله : ﴿ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ ﴾ منه [أي: من "يوم حنين"] أن يعطف على موضع "في مواطن" ؛ فإنه لا يقتضي تشاركهما فيما

(١٠/ ٢٢٥) ، وتفسير المراغي (١٠/ ٨٦) ، والعذب النمير (٣٨٧/٥ ط/أبوزيد) .

(1) ينظر: الكشاف للزمخشري (٣/ ٢٨) .

(2) التحرير والتنوير (١٠/ ١٥٥) .

(3) ينظر : البحر المحيط (٥/ ٢٤).

(4) ينظر :الدر المصون (٦/ ٣٥) .

(5) إعراب القرآن الكريم وبيانه (٤/ ٧٩ -٨٠) .

أضيف إليه المعطوف حتى يقتضي كثرتهم وإعجابها إياهم في جميع المواطن »[1].

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن الأعاريب الثلاثة كلّها صحيحة وجائزة ، فيجوز عطف "يوم حنين" على "مواطن" ؛ على لفظه أو على موضعه ، كما يجوز أن يكون منصوبًا بفعل مضمر ، والله تعالى أعلم .

(1) أنوار التنزيل (١/ ٤٠١) .

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ٢٩ ﴾

٨- الخلاف في تأويل قوله تعالى : ﴿عَن يَدٍ﴾ بين الحقيقة والكناية .

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « ﴿ عَن يَدٍ ﴾ فيه تأويلان : أحدهما : دَفْعُ الذّمّي لها بيده لا يبعثها مع أحدٍ ولا يمطل بها ، كقولك : يَدًا بِيَدٍ . الثاني : عن استسلامٍ وانقياد ، كقولك : ألقى فلان بيده » [1] .

العرض والمناقشة :

قدّم ابن جُزَيّ تأويل قوله تعالى : ﴿ عَن يَدٍ ﴾ بالحقيقة ترجيحًا له . وهو قول سفيان ابن عيينة [2] . ورُوِيَ عن ابن عباس [3] .

وعليه أبوعبيدة، والطبري، والنحاس، والواحدي، والسعدي [4] .

ودلّل له ابن جُزَيّ بما ورد في حديث أبي سعيد الخدري في الرِّبا ، وفيه قوله > : (يدًا بيد) [5] .

قال الطبري : « تقول العرب لكلّ مُعْطٍ قَاهرًا له شيئًا ، طائعًا له أو كارهًا : أعطاه عن يده ، وعن يدٍ . وذَلِكَ نظير قولهم : كلّمته فمًا لفمٍ ، ولقيته كَفَّةً لِكَفَّةٍ ، وكذلك :

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٧٤) .

(2) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٧٨٠) .

(3) قال ابن جرير الطبري في جامع البيان (٤٠٨/١١) : وذلك قولٌ رُوِيَ عن ابن عباس من وَجْهٍ فيه نظر . ونسبه إليه الواحدي في الوسيط (٤٨٩/٢) ، والبغوي في معالم التنزيل (٢٦٨/٢) ، وابن العربي في أحكام القرآن (٩٢٢/٢) ، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (١٠/ ١٧٠) ، والخازن في لباب التأويل (٢/ ٢١٤) ، وأبوحيان في البحر المحيط (٥/ ٣٠) .

(4) ينظر : مجاز القرآن (١/ ٢٥٦) ، وجامع البيان (١٠/ ٤٠٦) ، ومعاني القرآن الكريم (٣/ ١٩٩) ، والوجيز (١/ ٤٦٠) ، وتيسير الكريم الرحمن (٢/ ٢٣٨) .

(5) أخرجه البخاري (١٠٩٧) ، ومسلم (١٥٨٤) . وأخرجه عن ابن عباس ، ابن ماجه (٢٦٨٣) .

أعطيته عن يَدٍ ليدٍ »[1] .

وأما التأويل الآخر لقوله تعالى : ﴿ عَن يَدٍ ﴾ بالكناية عن الاستسلام والقهر والذل، فهو مَرْوِيٌّ عن قتادة [2] . ونسب إلى السدّي [3] .

وعليه الزجاج، والبغوي، ومحمود النيسابوري، وابن الجوزي، والعكبري، والخازن، وابن التركماني، وابن القيم، وابن كثير [4] .

وجاء في تهذيب اللغة والقاموس المحيط [5] تفسير اليد بالاستسلام والذل .

ومنه بهذا الاستعمال قول عثمان : «هذه يدي لعَمّار» . أي : أنا منقاد ومطيع له [6] .

ويقال في خلافه : نزع يده من الطاعة ؛ لأن من أبى وامتنع ، لم يعط يده ، بخلاف المطيع المنقاد .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن من المفسرين من احتمل القولين؛ كابن عطية، والثعالبي، والآلوسي، والقاسمي [7] .كما سوّى بينهما مع تقديم الثاني : البيضاوي، والنسفي، والسيوطي، وأبوالسعود [8] . وتفسير الطاهر بن عاشور على الجمع بينهما [9] .

فإذا كان ذلك كذلك فإن الأَولى بالتقديم هو القول بالحقيقة ، وحَمْلُها على ما يتبادر

---

(1) جامع البيان (١٠/ ٤٠٧) .

(2) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٧٨٠) رقم (١٠٠٣٦) . وزاد السيوط في الدر المنثور (١٦٨/٤) نسبته إلى أبي الشيخ .

(3) نسبه إليه ابن الجوزي كما في زاد المسير (٣/ ٤٢٠) .

(4) ينظر : معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٨٩) معالم التنزيل (٢/ ٢٦٨) ، وإيجاز البيان (١/ ٣٩٣) ، وتذكرة الأريب (١/ ٢٢٣) ، والتبيان (٢/ ٦٤٠) ، ولباب التأويل (٢/ ٢١٤) ، وبهجة الأريب (١/ ٢٤٤) ، وبدائع التفسير (٢/ ٣٥١) وأحكام أهل الذمة (٢/ ٢٢- ٢٥) ، وتفسير القرآن العظيم (٧/ ١٧٦) .

(5) تهذيب اللغة للأزهري (١٦٨/١٤) ، والقاموس المحيط للفيروز آبادي باب الواو والياء ــ فصل الياء (١٧٣٦) .

(6) ينظر : روح المعاني للآلوسي (١٠/ ٧٨) .

(7) ينظر : المحرر الوجيز (٦/ ٤٦٠) ، والجواهر الحسان (٢/ ٤٥) ، وروح المعاني (١٠/ ٧٨) ، ومحاسن التأويل (٨/ ٣١٠٦ ــ ٣١٠٧) .

(8) ينظر : أنوار التنزيل (١/ ٤٠٢) ، ومدارك التنزيل (٢/ ١٢٣) ، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٣٩٩) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٣/ ٥٢ ٢) .

(9) ينظر : التحرير و التنوير (١٠/ ١٦٦) .

منها أَولى ، ولأنه يَرِدُ على قول من قال : عن ذلٍّ وقهرٍ ، آخرُ الآية ، فإن معنى قوله : ﴿ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾ : وهم أذلاّء مقهورون ، يقال للذليل الحقير : صاغر [1] .

وعليه، فتفسير ﴿ عَن يَدٍ ﴾ بالذلِّ والقهر يكون تكرارًا- والله أعلم – والتأسيس أَولى من التأكيد ؛ لأن التكرار للتأكيد . ويتأيد هذا القول بقاعدتين ترجيحتين :

ـــ الأُولى : (يجب حمل نصوص الوحي على الحقيقة) [2] .

ـــ والأخرى : (إذا دار الكلام بين التأسيس والتأكيد فحمله على التأسيس أَولى)[3].

والله تعالى أعلم .

---

(1) ينظر : جامع البيان للطبري (١١/ ٤٠٧) .

(2) قواعد الترجيح عند المفسرين (٢/ ٣٨٧) . وينظر : التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ٩) . فقد جعل ابن جُزَيّ من وجوه الترجيح تقديم الحقيقة على المجاز .

(3) قواعد الترجيح عند المفسرين (٢/ ٤٧٣) .

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾

٩- اختلاف أهل التأويل في القائل : ﴿ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴾ .

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « قال ابن عباس : إن هذه المقالة قالها أربعة من اليهود وهم : سَلاَّم بن مِشْكَم ، ونُعمانُ بن أوفى ، وشَأسُ بن قيس ، ومالك بن الصَّيْفِ . وقيل : لم يقلها إلاّ فِنْحَاص . ونسب ذلك إلى جميعهم ؛ لأنهم متبعون لمن قالها . والظاهر أن جماعتهم قالوها ؛ إذ لم ينكروها حين نُسبتْ إليهم » [1] .

العرض والمناقشة :

اختلف المفسرون في تعيين قائل هذه المقالة : ﴿ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴾ على أقوال ، ذكر ابن جُزَيّ منها ثلاثة وهي :

القول الأول : قول ابن عباس : أن أربعة من اليهود قالوها وهم : سلاّم بن مِشكم ، ونُعمانُ بن أوفى ، وشَأْسُ بن قيس ، ومالك بن الصَّيفِ [2] .

وهذا القول عليه أكثر المفسرين ومنهم : الجصاص، والسمعاني، والزمخشري ،والقمي ، وأبوحيان ، والبلنسي، والثعالبي، والبقاعي، والسيد رشيد رضا، والمراغي، والشنقيطي [3] .

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٧٤) .

(2) أخرجه ابن إسحاق ــ كما في سيرة ابن هشام ١/ ٥٧٠ ــ وأخرجه الطبري ١١/ ٤٠٩ ، وابن أبي حاتم (١٧٨١/٦) (١٠٠٤٣) من طريق سعيد بن جبير أو عكرمة ، عنه . وزاد السيوطي في الدر (٤/ ١٧٠- ١٧١) نسبة إلى أبي الشيخ ، وابن مردويه . وإسناده ضعيف ، فيه : محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، مجهول .

(3) ينظر : أحكام القرآن (٤/ ٢٩٩) ، تفسير القرآن (٢/ ٣٠٢) ، الكشاف (٣/ ٣٣) ، غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ٤٥٥) ، البحر المحيط (٥/ ٣١) ، تفسير مبهمات القرآن (١/ ٥٣٨) ، الجواهر الحسان (٤٥/٢)، نظم الدرر (٨/ ٤٣٨) ، تفسير القرآن الحكيم (١٠/ ٢٩٣، ٢٩٤) ، تفسير المراغي (١٠/ ٩٨) ، العذب النمير (٥/ ٢٢٦٤) .

وهو مفهوم كلام ابن عطية ، والقرطبي [1] .

القول الثاني : أنه لم يقلها إلاّ واحد وهو فِنْحَاصُ .

وهذا قول عبد الله بن عبيد بن عمير [2] . ونسب لابن عمر [3] ، وابن جريج [4] .

وذكره ابن جُزَيّ بـــ (قيل) ومثله : الزمخشري [5] .

وهذا القول يندرج في القول الذي قبله من جهة أنه قولٌ لبعض اليهود .

ولذا فقد ذهب جماعة من المفسّرين إلى أنه قول لبعض اليهود من غير تحديد وتعيين لهم، منهم : البيضاوي ، وابن تيمية ، والآلوسي ، وسليمان الجمل ، والسعدي ، وابن عاشور [6] .

قال السيد رشيد رضا : « وقد اتفق المفسرون على إن إسناد هذا القول إليهم يراد به بعضهم لا كلّهم »[7] .

وهذان القولان يستدل لهما بما يلي :

١- النظائر القرآنية ؛ كقوله تعالى : ﴿ **ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ** ﴾ [آل عمران : ١٧٣] . فلم يقل جميع الناس ، ولا قال : إن جميع الناس قد جمعوا لكم؛ بل المراد به الجنس [8] . فكذلك قوله تعالى : ﴿ **وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ** ﴾ هذا لفظ خرج على العموم ومعناه الخصوص ؛ لأنه ليس كل اليهود قالوا ذلك [9] .

٢- المعروف من مخاطبات الناس وكلامهم أنه يقال : الطائفة الفلانية تفعل كذا ،

---

(1) ينظر : المحرر الوجيز (٦/ ٤٦١) ، الجامع لأحكام القرآن (١٠/ ١٧٢) .

(2) أخرجه الطبري (١١/ ٤٠٨- ٤٠٩) عن القاسم ، ثنا الحسين ، ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عنه .

(3) نسبه له ابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٤٢٢ ، ٤٢٣) .

(4) أخرجه ابن المنذر كما في الدر المنثور للسيوطي (٤/ ١٧١) ونسبه له ابن الجوزي .

(5) ينظر : الكشاف (٣/ ٣٣) .

(6) ينظر: أنوار التنزيل (١/ ٤٠٣) ، ومجموع الفتاوى (١٥/ ٤٧) ، وروح المعاني (١٠/٨٠) ، والفتوحات الإلهية(٢/ ٢٥٣) ، وتيسير الكريم المنان (٢/ ٢٣٩) ، والتحرير والتنوير (١٠/ ١٦٨) .

(7) تفسير القرآن الحكيم (١٠/ ٢٩٣) .

(8) ينظر : مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (١٥/ ٤٧) .

(9) ينظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ١٧٣) .

والمراد بعضهم . وأهل البلد الفلاني يفعلون كذا ، والمراد بعضهم [1] .

قال الجصاص : « وهو كقول القائل : الخوارج ترى الاستعراض وقتل الأطفال ، والمراد فرقة منهم لا جميعهم . وكقولك : جاءني بنو تميم ، والمراد بعضهم »[2] .

وقال الرازي : « وعلى هذين القولين فالقائلون بهذا المذهب بعضُ اليهود إلاّ أن الله نسب ذلك القول إلى اليهود بناءً على عادة العرب في إيقاع اسم الجماعة على الواحد . يقال : فلان يركب الخيول ، ولعله لم يركب إلاّ واحدًا منها . وفلان يجالس السلاطين ، ولعله لا يجالس إلاّ واحدًا »[3] .

القول الثالث : أن القائل هم جماعة اليهود . وقد رجّحه ابن جُزَيّ ، ووافق في هذا ما رُوِيَ عن ابن عباس أنهم جميع بني إسرائيل[4] ، وكذا السدّي [5] .

وهذا قول مقاتل ، والكلبي [6] . ورجّحه الشوكاني ، وتابعه تلميذه القنّوجي [7] .

وهو مفهوم كلام الفراء ، والسمرقندي ، والواحدي [8] .

واستُدِلَّ له بظاهر التلاوة .

قال الشوكاني : « وظاهر قوله : ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ ﴾ أن هذه المقالة لجميعهم».اهـ. ثم ذكر الأقوال الأخرى بصيغة (قيل) .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإنه لا تعارض بين القولين فيما يظهر ، فَمَنْ لم يقل هذه المقالة ابتداءً فقد قالها ارتضاءً ، ولذا نسبها الله إليهم فقال : ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ ﴾ . ونسب

---

(1) ينظر : مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام .

(2) أحكام القرآن (٤/ ٢٩٩) . وقال محمود النيسابوري في إيجاز البيان (٣٠٤/١) :« فهو كقولك : الخوارج تقول بتعذيب الأطفال ، وإنما يقوله الأزارقة منهم » ..

(3) مفاتيح الغيب (٢٨/٦) . وينظر : لباب التأويل للخازن (٢/ ٢١٥) ، ونظم الدرر للبقاعي (٨/ ٤٣٨) .

(4) وهو مفهوم رواية العوفي ، عنه . أخرجها الطبري (١١/ ٤٠٩) ، وابن أبي حاتم (٦/ ١٧٨١) وزاد السيوطي في الدر (١٧٠/٤ – ١٧١) نسبتها إلى ابن إسحاق وأبي الشيخ وابن مردويه .

(5) أخرجه الطبري (٤١٠/١١) وابن أبي حاتم (١٧٨١/٦ ، ١٧٨٢) من طريق أحمد بن المفضل ، ثنا أسباط ، عنه.

(6) ينظر : تفسير مقاتل بن سليمان (١٦٧/٢) ، معالم التنزيل للبغوي (٢/ ٢٧١) .

(7) ينظر : فتح القدير (٢/ ٥٠٤) ، فتح البيان (٢٨١/٥) .

(8) ينظر : معاني القرآن (٤٣٢/١) ، بحر العلوم (٤٥/٢) ، الوسيط (٢/ ٤٨٩) .

ذلك إلى جميعهم وإن كان قولَ بعضهم ؛ لأمرين :

(١) أن إيقاع اسم الجماعة على الواحد معروف في اللغة ، تقول العرب : جئت من البصرة على البغال ، وإن كان لم يركب إلاّ بغلاً واحدًا .

(٢) أن من لم يقله ، لم ينكره [1] .

قال ابن تيمية : « وإذا قال بعضهم فسكت الباقون و لم ينكروا ذلك فإنهم يشتركون في إثم القول ، والله أعلم »[2].

(1) ينظر : النكت والعيون للماوردي (٣٥٣/٢) ، زاد المسير لابن الجوزي (٣/ ٤٢٤) .

(2) مجموع الفتاوى (١٥/ ٤٧) . **تنبيهان** : الأول : تردّد النسفي (٢/ ١٢٣) فقال : كلهم أو بعضهم . ولا وجه له . والآخر : قال الجصاص (٤/ ٢٩٩) : وليس في اليهود من يقول ذلك الآن فيما نعلم ، وإنما كانت فرقة منهم قالت ذلك فانقرضت . اهـ . ونقل ابن عطية (٦/ ٤٦١) عن النقاش نحو هذا . وينظر : تفسير القرآن للسمعاني (٢/ ٣٠٢) . وتبعه على هذا جماعة، فالله أعلم .

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ ﴾

١٠- الخلاف في عائد الضمير في قوله تعالى : ﴿ وَلَا يُنفِقُونَهَا ﴾ .

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « ﴿ وَلَا يُنفِقُونَهَا ﴾ الضمير للأموال والكنوز التي يتضمنها المعنى . وقيل : هي الفضة ، واكتفى في ذلك عن الذهب ؛ إذ الحكم فيهما واحد»[1] .

العرض والمناقشة :

رجّح ابن جُزَيّ أن الضمير في قوله تعالى : ﴿ وَلَا يُنفِقُونَهَا ﴾ عائد على الأموال والكنوز التي يتضمنها المعنى . ووافق في ترجيحه هذا ما ذهب إليه مقاتل، والسمرقندي، وابن عطية، وابن الجوزي، والخازن، والبقاعي، والسيوطي، والطاهر بن عاشور [2].

واستدلوا له بأن المعنى يدلّ عليه فإن « الذهب والفضة هي الكنوز في هذا الموضع»[3].

قال الزمخشري : « ذهابًا بالضمير إلى المعنى دون اللفظ ؛ لأن كل واحد منهما جملة وافية، وعدّة كثيرة ، ودنانير ودراهم ، فهو كقوله : ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ ﴾»[4] [الحجرات : ٩] .

وقال البقاعي : « ولما كان من المعلوم أنهما [أي الذهب والفضة] أجلُّ أموال الناس، وكان الكتز دالاً على المكاثرة فيهما ، أعاد الضمير عليهما بما يدل على الأنواع الكثيرة

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٧٥) .

(2) ينظر : تفسير مقاتل (٢/ ١٦٩) ، وبحر العلوم (٢/ ٤٧) ، والمحرر الوجيز (٦/ ٤٧٥) ، وتذكرة الأريب (٢١٤/١) ، ولباب التأويل (٢/ ٢١٩) ، ونظم الدرر (٨/ ٤٤٧) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٢٥٨/٣) ، والتحرير والتنوير (١٠/ ١٧٧) .

(3) جامع البيان للطبري (٤٣٥/١١) . وينظر : بحر العلوم (٢/ ٤٧) .

(4) الكشاف (٣/ ٤٠) .

فقال: ﴿ وَلَا يُنفِقُونَهَا ﴾ أي : ينفقون ما وجب عليهم من هذه الأموال التي جمعوها من هذين النوعين مجتمعين أو منفردين ، ولو ثنّى لأوهم أن اجتماعهما شرط للترهيب »[1] .

وأما القول الآخر بأن الضمير في قوله تعالى : ﴿ وَلَا يُنفِقُونَهَا ﴾ عَائدٌ إلى الفضّة ، فاختاره ابن الأنباري، والواحدي، والشنقيطي [2] . وقدّمه الشوكاني، وتبعه القنّوجي[3] .

واستدلوا له بـــ :

ـــ أن الفضة أقرب مذكور .

ـــ وأنها أعمُّ وأغلب أموال الناس .

ـــ وأن الذمَّ على كنزها – والحاجة إليها لكثرتها – أقلُّ ، فالذمُّ على كنز الذهب من باب الأَولى ؛ لأنه أعلى منها وأعزّ [4] .

قال الطبري : « استغنى بالخبر عن إحداهما في عائد ذكرهما من الخبر عن الأخرى ؛ لدلالة الكلام على أن الخبر عن الأخرى مثلُ الخبر عنها »[5] .

وقالوا : يكثر في كلام العرب وأشعارها رجوع الضمير على أحد المتعاطفين بـــ(الواو) أو (الفاء) أو (أو) اكتفاءً ببعضهما ؛ لأن الآخر مفهوم منه . تفعل العرب ذلك إذا أشركوا بين اثنين قصروا فخبَّروا عن أحدهما استغناء بذلك وتخفيفًا ؛ لمعرفة السامع بأن الآخر قد شاركه ودخل معه في ذلك الخبر . وهو أسلوب عربي نزل به القرآن [6] .

ومن أمثلة ذلك في القرآن :

– قوله تعالى : ﴿ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ ﴾ [البقرة : ٤٥] فجعله للصلاة .

– وقوله تعالى : ﴿ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُ ﴾ [الأنفال : ٢٠] فجعله لرسوله.

---

(1) نظم الدرر (٨/ ٤٤٦- ٤٤٧) .

(2) ينظر : الوسيط للواحدي (٢/ ٤٩٢) ، والعذب النمير (٥/ ٢٢٧٨) .

(3) ينظر : فتح القدير (٢/ ٥٠٩) ، وفتح البيان (٥/ ٢٩٤) .

(4) ينظر : المصدر السابق ، وروح المعاني للآلوسي (١٠/ ٨٨) .

(5) جامع البيان (١١/ ٤٣٥) .

(6) ينظر : المصدر السابق ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة (١/٢٥٧-٢٥٨) والعذب النمير للشنقيطي (٥/٢٢٧٨) .

- وقوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ ﴾ [التوبة : ٦٢] فجعله لرسوله .

- وقوله تعالى : ﴿ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا ﴾ [النساء : ١١٢] فجعله للإثم ، والله تعالى أعلم .

- وقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَـٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا ﴾ [الجمعة : ١١] فجعله للتجارة[1] .

ونازع ابن عطية في هذا بأن آية التوبة ﴿ وَلَا يُنفِقُونَهَآ ﴾ لا تشبه آية الجمعة هذه ؛ لأن (أَوْ) قد فصلت التجارة عن اللهو وحسّنت عود الضمير على أحدهما دون الآخر [2] .

ومن أمثلته في أشعار العرب :

- قول امريء القيس [3] :

فتوضح فالمقراة لم يعفُ رسمُها

فردّه على أحدهما ، ولم يقل : رسمهما .

- وقول نابغة ذبيان [4] :

وقد أُراني و نُعْمًا لاهيين بها والدهر والعيش لم يهمم بإمرار

ولم يقل : ولم يهممما .

- وقول حسان بن ثابت [5] :

إن شرخ الشباب والشَّعَر الأسْـ ـوَدَ ما لم يُعَاصَ كان جنونا

ولم يقل : ما لم يعاصيا .

---

(1) ينظر : المصادر السابقة ، ومعاني القرآن للفراء (١/ ٤٣٤) ، والنكت والعيون للماوردي (٢/ ٣٥٩) ، وزاد المسير لابن الجوزي (٣/ ٤٢٩) ، ومعالم التنزيل للبغوي (٢/ ٢٧٧) ، وكشف المشكلات للباقولي (٥٠٠/١).

(2) ينظر : المحرر الوجيز (٦/ ٤٧٦) . وتبعه أبوحيان في البحر المحيط (٤/ ٣٦) .

(3) ديوان امريء القيس (١/١) .

(4) ديوان النابغة الذبياني (٣١/١) .

(5) ديوان حسان (٢٥٢) .

- وقول جرير [1] :

ما كان حَيْنُكَ والشقاء لينتهي حتى أزورك في مُغار مُحْصَدِ

ولم يقل : لينتهيا .

- وقول الآخر [2] :

فمن يك أمسى بالمدينة رَحْلُه فإني وَقيَّارٌ بها لغريب

ولم يقل : لغريبين .

- وقول الآخر [3] :

نحن بما عندنا وأنت بما عندك راضٍ والرأي مختلف

ولم يقل : راضون .

- وقول الآخر [4] :

إني ضمنت لمن أتاني ما جَنَى وأبى وكان وكنت غير غَدُورِ

ولم يقل : غدورين .

فاكتفي في ذلك كلّه بأحدهما دون الآخر [5] .

وذهب الزمخشري، وتبعه البيضاوي، والنسفي، وأبوالسعود، والآلوسي، والقاسمي،

---

(1) لم أقف عليه .

(2) نسبه في تاج العروس (٣١٦/١) لضابيء بن الحارث البُرْجُمِيّ ثم اليَرْبُوعِيّ من بني تَمِيمٍ . وقَيّارٌ : جَمَلُ ضابِئِ ابن الحَارِث البُرْجُمِيّ قالَهُ الجَوْهَرِيُّ أَو فَرَسُه ، قال الأَزْهَرِيُّ : وسُمِّيَ قَيّاراً لِسَوادِه . يقول : مَن كانَ بالمَدِينَة بَيْتُه ومَنْزِلُه ، فلَسْتُ منْهَا ولا لي بها مَنْزِلٌ . ينظر : تاج العروس (٥٠٠/١٣) .

(3) الكتاب لسيبويه (٧٥/١) ونسبه لقيس بن الخطيم . ونسبه صاحب جمهرة أشعار العرب (١٢ ، ٢٠٠) لعمرو بن امريء القيس ، وهو ما رجّحه البغدادي في الخزانة (٢٨٣/٤) . ونسبه ابن الأنباري في الإنصاف (٩٥/١) لدرهم بن زيد الأنصاري . والبيت في ديوان حسان بن ثابت (١٨٩/١) ، وبلا نسبة في تهذيب اللغة (١٣٧/١)، ولسان العرب (٣٦٠/٣) و(٤٦/٥) .

(4) البيت للفرزدق كما في تهذيب اللغة (١٣٧/١) ، ولسان العرب (٣٦٠/٣) .

(5) ينظر : تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة (٢٨٨) ، الصاحبي لابن فارس (٣٦٢) ، فقه اللغة للثعالبي (٢٩٨) ، المدخل للحدادي (٢٧٤) ، البرهان في علوم القرآن للزركشي (١٢٦/٣) و(٢٨/٤ ، ٣٠) ، الإتقان للسيوطي (٢٨٣/٢) ، الكليات للكفوي (٣٨٦ ، ٥٦٩) ، العذب النمير (٤٨/١-٤٩ ، ٢٧٢-٢٧٣) و(٤٥٤/٥-٤٥٥ ط أبوزيد) ، قواعد التفسير لخالد السبت (٤٠٦/١) .

والسيد محمد رشيد رضا [1] : إلى أن الضمير عائد إلى الدنانير والدراهم المضروبة من كل من الذهب والفضة ؛ لأنها هي المعدّة للإنفاق ، والوسيلة للمنفعة والارتفاق . وكل مثنى له أفراد لكل من نوعيه يجوز إرجاع الضمير بعده إلى جملة الأفراد من نوعيه ؛ كقوله تعالى : ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ ﴾ .

وهذا القول لا تعارض – فيما يظهر – بينه وبين القول الأول الذي رجّحه ابن جُزَيّ، من جهة أن الضمير يعود إلى المعنى المفهوم من لفظ الذهب والفضّة ، فالأولون قالوا : هي الأموال والكنوز ، وهؤلاء قالوا : الدنانير والدراهم ، والخطب يسير .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن كلا القولين صحيح وجائز ، فمن نظر إلى المعنى أعاد الضمير إلى الأموال والكنوز أو الدنانير والدراهم ، ومن نظر إلى اللفظ أعاد الضمير إلى الفضة ؛ لأنها أقرب مذكور ، والذهب من باب أَولى . والقرآن يدلّ عليهما معًا فوجب حمل الآية على الجميع ، وهو أَوْلَى من اطّراح وإهمال أحدهما، والله تعالى أعلم .

وعلى جواز القولين : الفراء، والزجاج، والنحاس، والجصاص، وابن العربي ، والعكبري، والرازي، والقرطبي [2] .

واحتملهما معًا الطبري [3] . وسوّى بينهما بـــ (أو) : أبوحيان، والنسفي [4] .

---

(1) ينظر : الكشاف (٣/ ٤٠) ، وأنوار التنزيل (١/ ٤٠٤) ، ومدارك التنزيل (٢/ ١٢٤) ، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٤٠٤) ، وروح المعاني (١٠/ ٨٨) ، ومحاسن التأويل (٨/ ٣١٤٠) ، وتفسير القرآن الحكيم (٣٥٩/١٠) .

(2) ينظر : معاني القرآن (١/ ٤٣٤) ، ومعاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٤٥) ، ومعاني القرآن الكريم (٣/ ٢٠٢) ، وأحكام القرآن (٤/ ٣٠٠) ، وأحكام القرآن (٢/ ٩٣٢) ، والتبيان (٢/ ٦٤١) ، ومفاتيح الغيب (٦/ ٣٨)، والجامع لأحكام القرآن (١٠/ ١٨٨) .

(3) ينظر : جامع البيان (١١/ ٤٣٥) .

(4) ينظر : البحر المحيط (٥/ ٣٦) ، ومدارك التنزيل (٢/ ١٢٤) .

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾

في هذه الآية الكريمة مسألتان :

المسألةالأولى هي :

١١- الخلاف في المراد بـــ كِتَٰبِ ٱللَّهِ في قوله تعالى : ﴿ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾.

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « ﴿ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾ أي : في اللوح المحفوظ . وقيل : في القرآن . والأول أرجح ؛ لقوله : ﴿ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ »[1] .

العرض والمناقشة :

رجّح ابن جُزَيّ أن المراد بكتاب الله في قوله تعالى : ﴿ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾ هو اللّوح المحفوظ . ووافق في هذا المعنى ما رُوِيَ عن ابن عباس [2] ، والسدّي [3] .

وعليه مقاتل، والطبري، والسمرقندي، والواحدي، وابن العربي، وابن عطية، ومحمود النيسابوري، وابن الجوزي، والقرطبي، والخازن، والقمي، وأبوحيان، والثعالبي، والسيوطي، والآلوسي، والسيد رشيد رضا [4] .

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٧٥) .

(2) نسبه إليه الواحدي في الوجيز (٢/ ٤٩٤) ، وابن الجوزي قي زاد المسير (٣/ ٤٣٢) ، والقمي في غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ٤٦٣) ، وأبوحيانفي البحر المحيط (٥/ ٣٨) أنه قال : في الإمام الذي عند الله .

(3) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١١/ ٤٤٢) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦٠/ ١٧٩١) رقم (١٠٠٩٨) من طريق أسباط ، عنه .

(4) ينظر : تفسير مقاتل (٢/ ١٦٩) ، وجامع البيان (١١/ ٤٤٠، ٤٤٣) ، وبحر العلوم (٢/ ٤٨) ، والوجيز (٤٦٢/١) والوسيط (٢/ ٤٩٤) ، وأحكام القرآن (٢/ ٩٣٨) ، والمحرر الوجيز (٦/ ٤٨٤) ، ووضح البرهان (١/ ٣٩٦) وإيجاز البيان (١/ ٣٠٥) ، وزاد المسير (٣/ ٤٣٢) وتذكرة الأريب (١/ ٢١٤) ، والجامع لأحكام القرآن (١٠/ ١٩٥) ، ولباب التأويل (٢/ ٢٢٠) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٤٦٣/٣) ، والبحر المحيط (٥/ ٣٨) ، والجواهر الحسان (٢/ ٤٩) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية

وذكره السمعاني ، والبغوي ، والزمخشري ، والخازن بصيغة (قيل) [1] .

واستدل له ابن جُزَيّ بقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ .

قال السيد رشيد رضا : « ولكن ذكر خلق السماوات والأرض أشدّ مناسبة لهذا القول»[2].

كما استدل السيد رضا له بقوله تعالى : ﴿ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴾ [طه : ٥٢] ، وبقوله : ﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾ [الرعد : ٣٨] ، وبقوله : ﴿ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ ﴾ [المجادلة : ٢٢] ، وبقوله : ﴿ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ ﴾ [الحشر : ٣] .

ووجه ذلك : أن الكتاب هنا هو اللوح المحفوظ . والكتابة هي في اللوح المحفوظ ، والله أعلم.

وقال القرطبي : « يريد اللوح المحفوظ ، وأعاده بعد أن قال : ﴿ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ ؛ لأن كثيرًا من الأشياء يوصف بأنه عند الله ، ولا يقال : إنه مكتوب في كتاب الله ، كقوله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾ »[3] [لقمان : ٣٤] .

وأما القول الثاني بأنه القرآن ، فعليه القنّوجي [4] . وهو مفهوم كلام الشوكاني [5] .

وذكره القمي ، وأبوحيان ، والآلوسي [6] .

وعلّة هذا القول : أن السنة المعتبرة في هذه الشريعة هي السنة القَمَرية ، وهذا الحكم في

٣/ ٢٥٩) ، وروح المعاني (١٠/ ٨٩) ، وتفسير القرآن الحكيم (١٠/ ٣٦٦) .

(1) ينظر : تفسير القرآن (٢/ ٣٠٧) ، ومعالم التنزيل (٢/ ٢٧٨) ، والكشاف (٣/ ٤١) ، ولباب التأويل (٢٢٠/٢) .

(2) تفسير القرآن الحكيم (١٠/ ٣٦٧) .

(3) الجامع لأحكام القرآن (١٠/ ١٩٥) .

(4) ينظر : فتح البيان (٥/ ٢٩٦) .

(5) ينظر : فتح القدير (٢/ ٥١٢) .

(6) ينظر : غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ٤٦٣) ، والبحر المحيط (٥/ ٣٨) ، وروح المعاني (١٠/ ٨٩) .

القرآن؛ في قوله تعالى : ﴿ وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ﴾ [يونس:٥]، وفي قوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ﴾[1] [البقرة:١٨٩].

قال الآلوسي : « وليس بشيء »[2] .

واختار السمعاني أن المراد بقوله تعالى :﴿ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾ أي : في حكم الله التشريعي [3]. وعلى هذا القول : البغوي، والزمخشري، والرازي [4] .

وذكره السيد رشيد رضا بصيغة (قيل) [5] .

واستَدَلّ له بأن إطلاق الكتاب بهذا المعنى معروف ، ومنه : قوله تعالى بعد سرد المحرمات في النكاح : ﴿ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ [النساء : ٢٤] . وقال : ويناسبه قوله : ﴿ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ﴾ .

كما استُدِلَّ لهذا القول بقوله تعالى : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ ﴾ [البقرة : ٢١٦] ، وقوله تعالى : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ ﴾ [البقرة : ١٧٨] .

قالوا : الكتاب في هذا الموضع الحكم والإيجاب . يقال : الأمر كذا وكذا في حساب فلان وحكمه [6] .

وذهب السعدي إلى أن المراد : في حكمه القدري [7] .

وقال الطاهر بن عاشور : « في تقديره ... ؛ كقوله : ﴿ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ﴾ [آل عمران :

---

(1) ينظر : البحر المحيط لأبي حيان (٥/ ٣٨) ، وفتح البيان (٥/ ٢٩٦) .

(2) روح المعاني (١٠/ ٨٩) .

(3) ينظر : تفسير القرآن (٢/ ٣٠٧) .

(4) ينظر : معالم التنزيل (٢/ ٢٧٨) ، والكشاف (٣/ ٤١) ، ومفاتيح الغيب (٦/ ٤١) .

(5) ينظر : تفسير القرآن الحكيم (١٠/ ٣٦٦) .

(6) ينظر : مفاتيح الغيب للرازي (٦/ ٤١) .

(7) ينظر : تيسير الكريم الرحمن (٢/ ٢٤٣) .

١٤٥] أي : قدرًا محددًا »[1] .

وسوّى البيضاوي ، وأبوالسعود ، والقاسمي بين القول بأنه اللوح المحفوظ ، والقول بأنه في حكمه بصيغة (أو) مع تقديم الأول [2] . وعكس النسفي [3] .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن أولى الأقوال بالصواب من ذلك هو ما رجّحه ابن جُزَيّ ومن وافقه . وهو معنى قول ابن عباس ، والسدّي ، واختيار جمهور المفسّرين ؛ لظهور دلالة قوله تعالى :﴿ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ عليه ، ومناسبتها له ، والله تعالى أعلم .

---

(1) التحرير والتنوير (١٠/ ١٨٢) .

(2) ينظر : أنوار التنزيل (١/ ٤٠٥) ، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٤٠٥) ، ومحاسن التأويل (٨/ ٣١٤٢) .

(3) ينظر : مدارك التنزيل (٢/ ١٢٥) .

المسألة الثانية هي :

١٢- الخلاف في عائد الضمير في قوله :﴿ فِيهِنَّ ﴾ من قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ﴾ .

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « الضمير في قوله :﴿ فِيهِنَّ ﴾ للأشهر الحرم ، تعظيمًا لأمرها وتغليظًا للذنوب فيها ، وإن كان الظلم ممنوعًا في غيرها . وقيل : الضمير للاثني عشر شهرًا أو الزمان كلّه . والأول أظهر » [1] .

العرض والمناقشة :

استظهر ابن جُزَيّ أن ضمير ﴿ فِيهِنَّ ﴾ من قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ﴾ عائد للأشهر الحُرُمِ . ووافق معنى ما رُوِيَ عن الحسن بن محمد بن علي[2]، وابن إسحاق [3] . ونسب إلى قتادة [4] . وهو مفهوم رواية علي بن أبي طلحة الوالبي ، عن ابن عباس [5] .

وعليه أكثر المفسّرين ، منهم : مقاتل، والفراء، وابن الأنباري [6] ، وابن جرير الطبري،

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٧٥) .

(2) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١١/ ٤٤٥، ٤٤٦) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٧٩٢) رقم (١٠٠٠٦) .

(3) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١١/ ٤٤٥) . وينظر : سيرة ابن هشام (٢/ ٥٤٨) .

(4) نسبه إليه الماوردي في النكت والعيون (٢/٣٦٠) ، وابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٤٣٣) . وأخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١١/ ٤٤٤) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٧٩٣) رقم (١٠٠١٠) من طريق يزيد ، عن سعيد ، عنه قال : إن الظلم في الشهر الحرام أعظم خطيئة ووزرًا من الظلم فيما سواه ، وإن كان الظلم على كل حال عظيمًا ولكن الله يعظّم من أمره ما شاء ... وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٨٧) نسبته إلى ابن المنذر ، وأبي الشيخ .

(5) قال ابن عباس : في كلّهنّ ، ثم خصّ من ذلك أربعة أشهر فجعلهن حُرُمًا ، و عظّم حرماتهن وجعل الذنب فيهن أعظم ، والعمل الصالح والأجر أعظم . أخرجها ابن جرير الطبري في جامع البيان (٤٤٤/١١) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٧٩١ ، ١٧٩٣) رقم (١٠٠٠٠ و ١٠٠٠٩) ، وأبو جعفر النحاس في القطع والائتناف (٣٦١) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٣٨٠٦) . وزاد السيوطي في الدر المنثور (١٨٦/٤) نسبتها إلى ابن المنذر. وينظر : صحيفة علي بن أبي طلحة (٢٦٤) .

(6) ينظر : تفسير مقاتل (٢/ ١٦٩) ، ومعاني القرآن (١/ ٤٣٥) ، وزاد المسير لابن الجوزي (٣/ ٤٣٣) .

والنحاس، والواحدي، والزمخشري، والعكبري، والرازي، والقرطبي، والبيضاوي، والقمي النيسابوري، والسمين الحلبي ، وابن كثير، والبلنسي، والبقاعي، والسيوطي، وأبوالسعود، والشوكاني، والآلوسي، والقنّوجي، والقاسمي، والسيد محمد رشيد رضا، والمراغي، والطاهر ابن عاشور [1] .

وهو مفهوم كلام السمرقندي، وابن أبي زمنين، ومحمود النيسابوري، والخازن [2] .

واحتجّوا له بأن العرب تقول لما بين الثلاثة والعشرة : هُنَّ ، وهؤلاء ، فإذا جُزْت العشرة ، قالوا : هي ، وهذه ؛ إرادةَ أن تعرف سمة القليل من الكثير . هذا هو الأفصح في كلامها ، ويجوز العكس لكنه قليل [3] .

ويَدُلُّ له أيضًا أن الأربعة الحُرُم أقرب مذكور [4] .

ولأن الله تعالى خصَّ هذه الأشهر بمزيد الاحترام في آية أخرى وهي : ﴿ **ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ** ﴾[5] [البقرة : ١٩٧] .

ولأنها أنسب بسياق التحذير من ارتكاب الظلم فيها ، وإلاّ لكان مجرد اقتضاب بلا مناسبة . قاله الطاهر بن عاشور [6] .

---

(1) ينظر : جامع البيان (١١/ ٤٤٦) ، ومعاني القرآن الكريم (٣/ ٢٠٦) ، وإعراب القرآن (٢/ ٢١٣) ، والوجيز (١/ ٤٦٣) ، والكشاف (٣/ ٤٢) ، والتبيان (٢/ ٦٤٣) ، ومفاتيح الغيب (٦/ ٤٣) ، والجامع لأحكام القرآن (١٠/ ١٩٩) ، وأنوار التنزيل (١/ ٤٠٥) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ٤٦٣) ، والدر المصون (٦/ ٤٥) ، وتفسير القرآن العظيم (٧/ ١٩٧) ، وتفسير مبهمات القرآن (١/ ٥٤٠) ، ونظم الدرر (٨/ ٤٥٠) ، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٤٠٥) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٣/ ٢٦٠) ، وفتح القدير (٢/ ٥١٢) ، وروح المعاني (١٠/ ٩١) ، وفتح البيان (٥/ ٢٩٨) ، ومحاسن التأويل (٨/٣١٤٣) ، وتفسير القرآن الحكيم (١٠/ ٣٦٧) ، وتفسير المراغي (١٠/ ١١٥) ، والتحرير والتنوير (١٠/ ١٨٥) .

(2) ينظر : بحر العلوم (٢/ ٤٨) ، وتفسير القرآن العزيز (٢/ ٢٠٤) ، وإيجاز البيان (١/ ٣٠٥) ووضح البرهان (١/ ٣٩٦) ، ولباب التأويل (٢/ ٢٢١) .

(3) ينظر : معاني القرآن للفراء (١/ ٤٣٥) ، وجامع البيان للطبري (١١/ ٤٤٦-٤٤٧) .

(4) ينظر : مفاتيح الغيب للرازي (٦/ ٤٣) ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ١٩٨) ، والبحر المحيط لأبي حيان (٥/ ٣٩) ، والدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٤٥) ، والتحرير والتنوير للطاهر (١٠/ ١٨٥) .

(5) ينظر : مفاتيح الغيب للرازي (٦/ ٤٣) ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ١٩٨) .

(6) التحرير والتنوير (١٠/ ١٨٥) .

وقال ابن كثير : « لأنها آكد وأبلغ في الإثم من غيرها ، كما أن المعاصي في البلد الحرام تضاعف؛ لقوله تعالى : ﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الحج : ٢٥] .وكذلك الشهر الحرام تغلّظ فيه الآثام »[1] .

وأما القول الثاني بأن ضمير ﴿ فِيهِنَّ ﴾ عائد للاثني عشر شهرًا ، فهو قول ابن عباس[2]. وعليه ابن عطية، وابن الجوزي، وأبوحيان، والثعالبي [3] .

وذكره العكبري، والبلنسي، والسيوطي، والآلوسي، والسيد رضا بصيغة (قيل)[4] .

قال أبوحيان : « ويؤيده كون الظلم منهيًا عنه في كل وقت لا يختصُّ بالأربعة الحُرُم»[5].

وأما القول الآخر بأن الضمير عائد للزمان كلّه فلم أرَ من اختاره . فيكفيه ضعفًا هَجْرُ المفسّرين له .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن أَولى الأقوال في ذلك بالصواب هو ما رجّحه ابن جُزَيّ ومن وافقه ؛ لقوة أدلته . وأما القول الثاني فإنه وإن كان جائزًا ممكنًا فليس بالأفصح الأعرف في كلام العرب ، (وتوجيه كلام الله إلى الأفصح الأعرف أَولى من توجيهه إلى الأنكر) [6] .

---

(1) تفسير القرآن العظيم (٧/ ١٩٧) .

(2) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٤٤٤/١١) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٧٩٢) رقم (١٠٠٠٨) من طريق حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد ، عن يوسف بن مهران ، عنه . وزاد السيوطي في الدر المنثور (١٨٦/٤، ١٨٧) نسبته إلى ابن المنذر ، وأبي الشيخ .

(3) ينظر : المحرر الوجيز (٤٨٥/٦) وتذكرة الأريب (٢١٤/١) والبحر المحيط (٣٩/٥) والجواهر الحسان (٤٩/٢) .

(4) ينظر : التبيان (٢/ ٦٤٣) ، وتفسير مبهمات القرآن (١/ ٥٤٠) ، وتفسر الجلالين (الفتوحات الإلهية ٢٦٠/٣)، وروح المعاني (١٠/ ٩١) ، وتفسير القرآن الحكيم (١٠/ ٣٦٧) .

(5) البحر المحيط (٥/ ٣٩) .

(6) جامع البيان للطبري (١١/ ٤٤٧) . وينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين (٣٦٩/٢) . ولجوازه فقد احتمل القولين السعدي كما في تيسير الكريم الرحمن (٢٤٣/٢). وسوّى بينهما النسفي كما في مدارك التنزيل (١٢٥/٢) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾

١٣- الخلاف في عائد الضمير في قوله :﴿ عَلَيْهِ ﴾ من قوله تعالى :

﴿ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ ﴾.

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « ﴿ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ ﴾ الضمير للرسول > . وقيل : لأبي بكر ؛ لأن النبي > نزل معه السكَينة . ويضعف ذلك بأن الضمائر بعدها للرسول × » [1] .

العرض والمناقشة :

رجّح ابن جُزَيّ أن الرسول > هو الذي يعود عليه الضمير في قوله تعالى : ﴿ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ ﴾، وضعّف القول برجوعه إلى أبي بكر الصدّيق . ووافق في هذا ما رُوِيَ عن ابن عباس [2] . وذهب إليه مقاتل، والطبري [3] ، والزجاج [4] ، وابن عطية، وابن تيمية، وابن كثير، والقاسمي، والمراغي، والطاهر بن عاشور، والشنقيطي [5] .

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٧٦) .

(2) ينظر : بحر العلوم للسمرندي (٢/ ٥١) فإنه جعله من رواية الكلبي .

(3) ينظر : تفسير مقاتل (٢/ ١٧١) ، وجامع البيان (١١/ ٤٦٧) .

(4) الزجاج أجاز القولين في معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٤٩) لكن الماوردي في النكت والعيون (٢/ ٣٦٤) والسمعاني في تفسير القرآن (٢/ ٣١١) ذكرا عنه أنه يختار هذا القول !

(5) ينظر : المحرر الوجيز (/ ٩٩- ٥٠٠) ، ومنهاج السنة (٤/ ٢٧٢) ، وتفسير القرآن العظيم (٧/ ٢٠٦) ، ومحاسن التأويل (٨/ ٣١٥٧) ، وتفسير المراغي (١٠/ ١٢٢) ، والتحرير والتنوير (١٠/ ٢٠٣- ٢٠٤) ، والعذب النمير (٥/ ٢٣٣٨) .

ومال إليه الآلوسي [1] . وهو مفهوم كلام الزمخشري، والسعدي [2] .

وذكره الشوكاني ، والقنوجي بصيغة (قيل) [3] .

واستدلّوا له بالسياق ؛ فإن الضمائر كلّها للرسول > وخاصة التي جاءت بعد قوله : ﴿ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ ﴾ وهي قوله تعالى : ﴿ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا ﴾ ؛ لأن الرسول > هو المؤيد بهذه الجنود التي هي الملائكة كما كان في يوم بدر.

وكون الضمير عائدًا للرسول > هو المناسب للمقام ؛ لأن الرسول > هو المحدّث عنه ، والمقام لذكر ثبات النبيّ > وتأييد الله إياه ، وماجاء ذكر أبي بكر إلاّ تبعًا لذكر ثبات النبي > .

وأبطل الرازي هذا القول من وجوه :

١- وجوب عود الضمير إلى أقرب مذكور ، وهو أبوبكر .

٢- وأن الحزن والخوف كان حاصلاً لأبي بكر لا للرسول > .

٣- وأنه لو كان المراد إنزال السكينة على الرسول > لوجب أن يقال : إنه كان قبل ذلك خائفًا ، ولو كان كذلك لما أمكنه أن يقول لأبي بكر : ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ فمن كان خائفًا كيف يمكنه أن يزيل الخوف عن قلب غيره ؟[4]

وضعّفه السيد رشيد رضا معلِّلا ذلك بأن إنزال السكينة عُطِف على ما قبلها بالفاء الدال على وقوعه بعده وترتبه عليه ، وأن نزولها وقع بعد قوله لصاحبه : ﴿ لَا تَحْزَنْ ﴾[5] .

وأجيب عن هذا بأنه لا يلزم أن يكون نزول السكينة عقب قوله : ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ بل إن قوله ذلك هو من آثار سكينة الله التي نزلت عليه ، وتلك

---

(1) ينظر : روح المعاني (١٠/ ٩٨) .

(2) ينظر : الكشاف (٣/ ٤٦) ، وتيسير الكريم الرحمن (٢/ ٢٤٨) .

(3) ينظر : فتح القدير (٢/ ٥١٧) ، وفتح البيان (٥/ ٣٠٦) .

(4) ينظر : مفاتيح الغيب (٦/ ٥٢) .

(5) ينظر : تفسير القرآن الحكيم (١٠/ ٣٨١) .

السكينة هي مظهر من مظاهر نصر الله إياه ، فيكون تقدير الكلام : فقد نصره الله فأنزل السكينة عليه وأيده بجنود حين أخرجه الذين كفروا ، وحين كان في الغار ، وحين قال لصاحبه : لا تحزن إن الله معنا . فتلك الظروف الثلاثة متعلّقة بفعل ﴿ نَصَرَهُ ﴾ على الترتيب المتقدّم ، وهي كالاعتراض بين المفرّع عنه والتفريع ، وجاء نظم الكلام على هذا السبك البديع للمبادأة بالدلالة على أن النصر حصل في أزمان وأحوال ما كان النصر ليحصل في أمثالها لغيره لولا عناية الله به ، وأن نصره كان معجزة خارقًا للعادة . أفاده الطاهر ابن عاشور [1] .

وأما عود الضمير على أقرب مذكور فليس بواجب بل ينشأ عنه تشتيتُ الضمائر ، وانفكاكُ الأسلوب المقتضي تقديمًا وتأخيرًا .

ولذا قال السيد رشيد رضا : « وليس هذا بشيء »[2] .

وأما حزن أبي بكر فنَعَم ، وزال بتطمين النبي > له بتذكيره بمعية الله لهما المقتضية نصرهما وتأييدهما .

وأما القول الآخر بأن الضمير لأبي بكر الصدّيق ط ، فهو قول ابن عباس [3] ، وحبيب بن أبي ثابت [4] . ونسب إلى علي بن أبي طالب [5] .

وعليه النحاس ــ ونسبه لأكثر أهل التفسير وأهل اللغة ــ ، والواحدي، والسمعاني، وابن العربي، ومحمود النيسابوري، وابن الجوزي، والرازي، والعكبري، والقرطبي، والبيضاوي، والقمي، وأبوحيان، والسمين، والبقاعي، والشوكاني، والقنوجي، والسيد رشيد

---

(1) التحرير والتنوير (١٠/ ٢٠٣- ٢٠٤) .

(2) تفسير القرآن الحكيم (١٠/ ٣٨١) .

(3) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٨٠١) رقم (١٠٠٤٧) من طريق سعيد بن جبير ، عنه قال : (على أبي بكر ط ؛ لأن النبي لم تزل السكينة معه) . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٢٠٧/٤) نسبته إلى أبي الشيخ ، وابن مردويه ، والبيهقي في الدلائل ، وابن عساكر في تاريخه .

(4) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٨٠١) رقم (١٠٠٤٦) . وزاد السيوطي في الدر المنثور نسبته إلى الخطيب في تاريخه (٤/ ٢٠٧) .

(5) ينظر : زاد المسير لابن الجوزي (٣/ ٤٤٠) .

رضا [1] .

ومال إليه السمرقندي، والخازن [2] . وهو مفهوم كلام البلنسي [3] .

وذكره الطبري ، وابن كثير بصيغة (قيل) [4] .

واستدلوا له بأن النبي > لم تزل معه السكينة وكان مطمئنًّا ، وقد أعلمه الله بالنصر .

وأوردوا في ذلك حديثًا عن أنس بن مالك ط قال : دخل النبيُّ > وأبو بكر غارَ حراء ، فقال أبو بكر للنبي > : لو أن أحدهم يبصر موضع قدمه لأبصرني وإياك . فقال: (ما ظَنك باثنين الله ثالثهما ؟ يا أبا بكر ، إن الله أنزل سكينته عليك وأيدني بجنود لم تروها)[5] .

وفيه إشكال : وهو أن الغار كان بجبل ثور لا بحراء ، وهذا مما يُضعّف به الحديث .

وروى السمرقندي بسنده [6] عن عمر بن الخطاب ط أنه قال : واللهِ ، لليلةٌ من أبي بكر خير من عمر و آل عمر . فقيل : وأي ليلة هي ؟ قال : لما خرج رسول الله > هاربًا من أهل مكة ليلاً فتبعه أبو بكر ... الحديث . وفي آخره : ورسول الله > يقول : (يا أبا بكر ،لا تحزن). فذلك قوله تعالى : ﴿ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ ﴾ يعني الطمأنينة لأبي بكر ، فهذه ليلته .

---

(1) ينظر : : معاني القرآن الكريم (٣/ ٢١٠) وإعراب القرآن (٢/ ٢١٥) ، والوجيز (١/ ٤٦٤) والوسيط (٤٩٩/٢) ، وتفسير القرآن (٢/ ٣١١) ــ وقال عنه بأنه قول الأكثرين ــ ، وأحكام القرآن (٢/ ٩٥١) ــ وقال : قال علماؤنا : هو الأقوى ــ ، وإيجاز البيان (١/ ٣٠٦) ، وزاد المسير (٣/ ٤٤٠ ، ٤٤١) ، ومفاتيح الغيب (٦/ ٥٢) ، والتبيان (٢/ ٦٤٥) ، والجامع لأحكام القرآن (٢١٨/١٠) ، وأنوار التنزيل (١/ ٤٠٧) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ٤٧٢) ، والبحر المحيط (٥/ ٤٣) ، والدر المصون (٦/ ٥٢) ، ونظم الدرر (٨/ ٤٧٧) ، وفتح القدير (٢/ ٥١٧) ، وفتح البيان (٥/ ٣٠٦) ، وتفسير القرآن الحكيم (٣٨٢/١٠- ٣٨٣ ، ٣٩٧).

(2) ينظر : بحر العلوم (٢/ ٥٠) ، ولباب التأويل (٢/ ٢٢٧) .

(3) ينظر : تفسير مبهمات القرآن (١/ ٥٤٥- ٥٤٦) .

(4) ينظر : جامع البيان (١١/ ٤٦٧) ، وتفسير القرآن العظيم (٧/ ٢٠٦) .

(5) نسبه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٢٠٧) لابن مردويه .

(6) ينظر : بحر العلوم (٢/ ٥٠) .

قال ابن كثير : « في هذا السياق غرابة ونكارة »[1] .

وقالوا : إن السكينة ها هنا هي ما يسكن به القلب ، وأبو بكر ط كان هو الخائف والحزين دون رسول الله > ، والسكينة إنما يحتاج إليها المترعج ، و لم يكن النبي > مترعجًا .

واستدل له السيد رشيد رضا بدليلين :

١- معنى السكينة وأنها أنزلت على الرسول والصحابة في عدة مواطن كما ذكرها الله في ثلاثة مواضع من كتابه .

٢- وإنزال الملائكة وتأييدها للصحابة ، وأن أبا بكر ناب عنهم في خدمة رسوله يوم الهجرة فأي بُعْدٍ في أن يكون التأييد المرافق لإنزال السكينة له لحلوله محلَّهم كلَّهم ؟ وأنه لا مانع من جعل التأييد لأبي بكر كما ذكره الآلوسي واستدل له بما أخرجه ابن مردويه من حديث أنس : أن النبي > قال لأبي بكر: (إن الله تعالى أنزل سكينته عليك وأيدك)[2].

قلت : يمنع منه إجماع المفسّرين على أن التأييد للنبي > ، والحديث المذكور لا يصح.

قال الشنقيطي : « وظاهر القرآن أن جنود الملائكة تحيط به في ذلك الوقت »[3] .

ورُدَّ هذا القول بسبب اختلاف الضمائر وتشتتها ، والأَولى اتحادها وعودها على واحد.

وأجيب عن هذا بأنه كثير في القرآن وفي كلام العرب .

قال الله تعالى : ﴿ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴾ ثم قال : ﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴾ [العلق : ١١-١٤] . وقال تعالى : ﴿ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾ يعني النبي > . ﴿ وَتُسَبِّحُوهُ ﴾ يعني الله عز وجل[4][الفتح: ٩].

وقال الشهاب : « ولا ينافيه تَعَيُّنُ عود ضمير ﴿ وَأَيَّدَهُۥ ﴾ على الرسول > ؛

---

(1) البداية والنهاية (٣/ ١٨٠) .

(2) ينظر : تفسير القرآن الحكيم (١٠/٣٨١ – ٣٨٣) .

(3) العذب النمير (٥/ ٢٣٣٨) .

(4) ينظر : إعراب القرآن للنحاس (٢/ ٢١٦) ، والجامع لحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ٢١٩) ، وزاد المسير لابن الجوزي (٣/ ٤٤١) ، والبحر المحيط لأبي حيان (٥/ ٤٣) .

لعطفه على ﴿ فَقَدْ نَصَرَهُ ﴾ لا على ﴿ فَأَنزَلَ ﴾ حتى تتفكك الضمائر »[1] .

بل قال الآلوسي : « وإن أبيت فأيُّ ضرر في التفكيك إذا كان الأمر ظاهرًا ؟ »[2]

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن أَولى القولين بالصواب من ذلك هو ما رجّحه ابن جُزَيّ ومن وافقه ، وهوأن عائد الضمير للرسول > ؛ لأنه المحدّث عنه ، ولأن المقام في ذكر ثباته – عليه الصلاة والسلام – فدلالة السياق عليه ظاهرة .

ويؤيده من القواعد الترجيحية :

ـــ قاعدة : (توحيد مرجع الضمائر في السياق الواحد أَولى من تفريقها) [3].

ـــ وقاعدة : (إعادة الضمير إلى المحدّث عنه أَولى من إعادته إلى غيره) [4] .

وهما مقدّمتان على قاعدة : (إعادة الضمير إلى أقرب مذكور) [5] ؛ لأنها مقيّدة بما لم يَرِد دليل بخلافه . ومن ذلك : القرينة في السياق .

فإذا كان ذلك كذلك فالصواب هو عود الضمير في قوله تعالى : ﴿ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ ﴾ على الرسول > ، وأبو بكر صاحبه تابع له « لكن يقال على هذا : لما قال لصاحبه ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾، والنبي > هو المتبوع المطاع ، وأبو بكر تابع مطيع ، وهو صاحبه ، والله معهما ، إذا حصل للمتبوع في هذه الحال سكينة وتأييد ، كان ذلك للتابع أيضًا بحكم الحال ، فإنه صاحب تابع لازم .. وأبوبكر لما وصفه اللهُ بالصحبة المطلقة الكاملة ، ووصْفُها في أحقّ الأحوال أن يفارق الصاحب فيها صاحبه ، وهو حال شدّة الخوف ؛ كان هذا دليلاً بطريق الفحوى على أنه صاحبه وقت النصر والتأييد ، فإن من كان صاحبه في حال الخوف الشديد ، فلأن يكون صاحبه في حال حضور النصر والتأييد أولى وأحرى ، فلم يحتج أن يذكر صحبته له في هذه الحال ؛ لدلالة الكلام والحال عليها ، وإذا عُلِمَ أنه صاحبه حال شدّة الخوف ، عُلِمَ أن ما حصل للرسول > من إنزال

---

(1) حاشية الشهاب (٤/ ٣٢٧) .

(2) روح المعاني (١٠/ ٩٨) .

(3) قواعد الترجيح عند المفسرين (٢/ ٦١٣) .

(4) المصدر السابق (٢/ ٦٠٣) .

(5) المصدر السابق (٢/ ٦٢١) . وينظر أيضًا : (١/ ٦٦- ٦٧) .

السكينة والتأييد بإنزال الجنود التي لم يرها الناس ، فإن لصاحبه المذكور فيها أعظم مما لسائر الناس ، وهذا من بلاغة القرآن وحسن بيانه » [1] .

ولذا فقد اختار ابن الأنباري [2] أن "الهاء" ها هنا في معنى التثنية ، والتقدير : فأنزل الله سكينته عليهما ، فاكتفى بإعادة الذكر على أحدهما من إعادتها عليهما ؛ كقوله : ﴿ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ ﴾ [التوبة : ٦٢] . والله تعالى أعلم .

---

(1) منهاج السنة لابن تيمية (٨/ ٤٩٠-٤٩١) . وينظر : اختيارات ابن تيمية وترجيحاته في التفسير (٢/ ٥١٤) .

(2) ينظر : زاد المسير لابن الجوزي (٣/ ٤٤١) . وذكره السمعاني في تفسيره (٢/ ٣١٢) وقال : (ونُقِلَ في مصحف حفصة ك : ﴿ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عليهما وأيدهما بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا ﴾ . وينظر : المحرر الوجيز لابن عطية (٦/٥٠٠) ، والبحر المحيط لأبي حيان (٥/ ٤٣) .

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعۡلَمَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾

١٤- الخلاف في معنى قوله تعالى : ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ ﴾ .

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « كان بعض المنافقين قد استأذن النبيَّ > في التخلُّف عن غزوة تبوك فأذن لهم ، فعاتبه الله تعالى على إذنه لهم ، وقدّم العفو على العتاب إكرامًا له >. وقيل : إن قوله: ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ ﴾ ليس لذنْبٍ ولا عتاب ، ولكنه استفتاح كلام ؛ كما يقول : أصلحك الله »[1] .

العرض والمناقشة :

رجّح ابن جُزَيّ أن الله تعالى عاتب نبيّه > على إذنه للمنافقين الذين استأذنوه في التخلّف عن غزوة تبوك ، ومن إكرام الله له > أَنْ قدّم العفو على العتاب .

ووافق في هذا معنى ما رُوِيَ عن عمرو بن ميمون[2] ، ومورِّق العجلي [3] ، وابن عيينة[4] ، وقتادة [5] ، وعون بن عبد الله [6] ، وعطاء الخراساني [7] .

وعليه الطبري، والنحاس، والجصاص، والسمرقندي، والواحدي، والسمعاني، والبغوي، والبيضاوي، والنسفي، وابن كثير، والبقاعي، والسيوطي، والشوكاني، والآلوسي، والقنّوجي، والسيد رشيد رضا، والمراغي، والطاهر بن عاشور [8] .

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٧٦) .

(2) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٩٤٠٣) ، والطبري في جامع البيان (١١/ ٤٧٩) .

(3) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١١/ ٤٧٩)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٨٠٥) رقم (١٠٠٧٣).

(4) ينظر : زاد المسير لابن الجوزي (٣/ ٤٤٥) .

(5) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١١/ ٤٧٨) .

(6) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٨٠٥) رقم (١٠٠٧٥) .

(7) ينظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٧/ ٢١١) .

(8) ينظر : جامع البيان (١١/ ٤٧٧) ، وإعراب القرآن (٢/ ٢١٧) ، وأحكام القرآن (٤/ ٣١٧) ، وبحر العلوم (٥٣/٢) ، والوجيز (١/ ٤٦٥) ، وتفسير القرآن (٢/ ٣١٣) ، ومعالم التنزيل (٢/ ٢٨٧) ، وأنوار التنزيل (٤٠٧/١) ، ومدارك التنزيل (٢/ ١٢٨) ، وتفسير القرآن العظيم (٧/ ٢١٠ -٢١١) ، ونظم الدرر

ومال إليه القرطبي [1] . وهو مفهوم كلام السعدي [2] .

وأما الزمخشري فقد أساء الأدب مع النبي > في تفسيره لهذه الآية ، ففي حين أن الله تعالى خاطبه – عليه الصلاة والسلام – بخطاب الرقة والرأفة جاء الزمخشري ففسره بخطاب الغلظة والقسوة فقال : « معناه : أخطأت وبئس ما فعلت »[3] !! وشتّان ما بينهما .

قال النحاس : « ويدلّ على هذا : ﴿ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ ﴾ ؛ لأنه لا يقال : لم فَعَلْتَ ما أمرتك به ؟ »[4]

وقال الشوكاني : « ولا يخفاك أن هذا التفسير هو المطابق لما يقتضيه اللفظ على حسب اللغة العربية ، ولا وَجْه لإخراجه عن معناه العربي »[5] .

وقال السيد رشيد رضا : « وأهل السنة على جواز وقوع الذنوب من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لكن الله يغفرها لهم كما قال : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ [الفتح : ١-٢] وقد كان الإذن المعاتب عليه اجتهادًا منه > فيما لا نصَّ فيه من الوحي ، وهو جائز وواقع من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم وليسوا بمعصومين من الخطأ فيه »[6] .

وأما القول الآخر بأن قوله تعالى : ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ ﴾ لم يكن لذنب ولا عتاب، ولكنه استفتاح كلام كقولك : أصلحك الله ، فهو قول ابن الأنباري حيث قال : لم يُخَاطَب بهذا لجُرْمٍ أجرمه ، لكنّ الله وقّره ورفع من شأنه حين افتتح الكلام بقوله : ﴿ عَفَا

(٤٨١/٨) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٣/ ٢٦٨) ، وفتح القدير (٢/ ٥٢١) ، وروح المعاني (١٠٧/١٠) ، وفتح البيان (٣١٠/٥) ، وتفسير القرآن الحكيم (١٠/ ٤١١- ٤١٢) ، و تفسير المراغي (١٢٦/١٠) ، والتحرير والتنوير (٢١٠/١٠) .

(1) ينظر : الجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٢٢٧) .

(2) ينظر : تيسير الكريم الرحمن (٢/ ٢٥١) .

(3) الكشاف (٣/ ٤٨) . وينظر : إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٢/ ٤١٢) .

(4) إعراب القرآن (٢/ ٢١٧) .

(5) فتح القدير (٢/ ٥٢١) .

(6) تفسير القرآن الحكيم (١٠/ ٤١١- ٤١٣) .

﴿ ٱللَّهُ عَنكَ ﴾ كما يقول الرجل لمخاطبه إذا كان كريمًا عليه : عفا الله عنك ، ما صنعت في حاجتي ؟ ورضي الله عنك ، هَلاّ زرتني [1] .

وعليه الرازي، والقاضي عياض، والخازن، والقمي، والقاسمي[2] . ومال إليه أبوحيان[3]. ونُسِب إلى نفطويه ، ومكّي ، والقشيري ، والداودي [4] .

وذكره البغوي ، والشوكاني بصيغة (قيل) [5] . واستغربه الكرماني [6] .

واستدلوا له بأن هذا الخطاب جاء على عادة العرب في التعظيم والتوقير فيقدمون أمثال ذلك بين يدي الكلام .

قال علي بن الجهم يخاطب المتوكل لما نفاه :

عفا الله عنك ألا حرمة تعود بفضلك أن أبعدا

ألم تر عبدًا عدا طوره ومولى عفا ورشيدًا هدى

أقلني أقالك من لم يزل يُقيل ويصرف عنك الأذى

وحملوا قولَه ﴿ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ ﴾ على ترك الأَولى والأكمل لا على سبيل الذم والإنكار.

قال ابن عطية : « لأنه لم يكن منه > ذنب يُعْفَى عنه ؛ لأن صورة الاستنفار وقبول الأعذار مصروفة إلى اجتهاده . وأما قوله : ﴿ لِمَ أَذِنتَ ﴾ فهي على معنى التقدير »[7] .

وقال القاضي عياض: « إنه أمر لم يتقدم للنبيّ > فيه من الله تعالى نَهْيٌ فيعدُّ معصيةً ، ولا عدّه تعالى عليه معصية بل لم يعدّه أهل العلم معاتبة وغلّطوا من ذهب إلى ذلك ...»[8].

---

(1) ينظر : زاد المسير لابن الجوزي (٣/ ٤٤٥) .

(2) ينظر : مفاتيح الغيب (٦/ ٥٨) ، والشفا (١٣٦/٢) ، ولباب التأويل (٢/ ٢٢٩) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ٤٧٥) وزعم أنه عليه المحققون محاسن التأويل (٨/ ٣١٦٣) .

(3) ينظر : البحر المحيط (٥/ ٤٧) .

(4) ينظر : لباب التأويل للخازن (٢/ ٢٢٩) ، وفتح القدير للشوكاني (٢/ ٥٢١) ، وروح المعاني للآلوسي (١٠٧/١٠) ، ومحاسن التأويل للقاسمي (٨/ ٣١٦٣) .

(5) ينظر: معالم التنزيل (٢/ ٢٨٨) ، وفتح القدير (٢/ ٥٢١) .

(6) ينظر : غرائب التفسير وعجائب التأويل (١/ ٤٥٥) .

(7) المحرر الوجيز (٦/ ٥٠٦) .

(8) الشفا (١٣٩/٢) . وينظر : لباب التأويل للخازن (٢/ ٢٢٩) .

وقد ردّ هذا القولَ السيد محمد رشيد رضا وبيّن أقسام الناس في هذه الآية فقال : « الناس في هذه الآية طرفان ووسط ؛ أما الطرف الأول : فهم الذين أساؤوا الأدب في التعبير عن عفو الله تعالى عن رسوله > في هذه الآية ...كالزمخشري . وقابلهم آخرون في الطرف الآخر كالرازي فأرادوا أن يثبتوا أن العفو لا يدلّ على الذنب ، وغايته أن الإذن الذي عاتبه الله عليه هو خلاف الأَولى ، وهو جمود مع الاصطلاحات المحدثة والعرف الخاص في معنى الذنب وهو المعصية ... وأما الوسط : فما عليه أهل السنة من جواز وقوع الذنوب من الأنبياء ــ عليهم الصلاة والسلام – لكن الله يغفرها لهم ...»[1] .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن أَولى الأقوال بالصواب من ذلك هو ما رجّحه ابن جُزَيّ ومن وافقه ؛ مَنْ أن معنى الآية يدلّ على معاتبة الله نبيّه > على إذنه لأولئك المنافقين في التخلّف عن غزوة تبوك ، وهو اجتهاد منه > فيما لا نصّ فيه من الوحي ، ولم يقرّه الله تعالى على ذلك بل عاتبه وقدّم عليه العفو عنه إكرامًا له > .

وهذا القول يوافق ما عليه أهل السنة من جواز وقوع الذنوب من الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – كالصغائر التي لا تدلُّ على خساسة الطبع لكن الله تعالى يغفرها لهم ، وهو غير قادح في عصمتهم – عليهم الصلاة والسلام – إذ هم معصومون في التبليغ عن الله لأ ، وهم بشر يخطئون ويصيبون ويجتهدون فيما لا نصَّ فيه من الوحي ولا يُقَرّوْن على خطأ ، والله تعالى أعلم .

---

(1) تفسير القرآن الحكيم (١٠/ ٤١١- ٤١٣) .

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾

١٥- الخلاف فيمن نزل فيه قول الله تعالى : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ الآية .

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « والآية في المنافقين كالتي قبلها وبعدها . وقيل : في ذي الخُويصِرة الذي قال : اعدل يا محمد ، فإنك لم تعدل . فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : (ويلك إن لم أعدل فمن يعدل ؟) الحديث »[1] .

العرض والمناقشة :

رجّح ابن جُزَيّ أن قوله تعالى : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ نزلت في المنافقين كالتي قبلها وبعدها . ووافق في هذا ما رُوِيَ عن ابن زيد [2] ، والضحاك [3] .

وقال الكلبي : « نزلت في المؤلفة قلوبهم ، وهم المنافقون ، قال رجل منهم يقال له : أبو الجوّاظ ، للنبي عليه الصلاة والسلام : لَمْ تقسم بالسوية ، فأنزل الله تعالى :﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ »[4] . ونسب هذا لابن عباس [5] .

وعليه مقاتل، والطبري، والجصّاص، والواحدي، وابن الجوزي، والنسفي، والثعالبي ، والقنوجي، والسيد رشيد رضا، والمراغي، والسعدي، والشنقيطي [6] .

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٧٨) .

(2) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان(١١/ ٥٠٨) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٨١٧/٦) رقم (١٠٣٤٦).

(3) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٨١٦) رقم (١٠٣٤٣) .

(4) ينظر : أسباب النزول للواحدي (٢٨٦) ، ومعالم التنزيل للبغوي (٢/ ٢٩٣) ، ومفاتيح الغيب للرازي (٦/ ٧٥)، ولباب التأويل (٢/ ٢٣٢) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ٤٨٦) .

(5) ينظر : بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٥٦) وفيه : أبو الخواص . وقال : وروى بعضهم : أبو الجوّاظ .

(6) ينظر : تفسير مقاتل (٢/ ١٧٥) ــ ثم اختار أنها في (أبي الخواص) ــ ، وجامع البيان (١١/ ٥٠٥) ، وأحكام القرآن (٤/ ٣٢٢) ، والوجيز (١/ ٤٦٩) ، وتذكرة الأريب (١/ ٢١٨) ، ومدارك التنزيل (١٣١/٢) ، والجواهر الحسان (٢/ ٥٥ ، ٥٦) ، وفتح البيان (٥/ ٣٢٥) ، وتفسير القرآن الحكيم (٤٢٩/١٠) ، وتفسير المراغي (١٠/ ١٤٠ – ١٤١) ، وتيسير الكريم الرحمن (٢/ ٢٥٧) ، والعذب النمير (٥/ ٢٣٧٨) .

ومال إليه ابن عطية[1] .

واستظهر أبوالسعود أنه أبو الجواظ المنافق [2] .

وذكر الماوردي، ومحمود النيسابوري، وابن الجوزي [3] أنها في ثَعْلَبَة بن حاطِب .

وقال الشنقيطي : « نزلت في رجل من الأنصار من المنافقين كما رواه ابن جريج ، عن داود بن أبي عاصم ، ولا يخفى أن هذا له حكم الإرسال »[4] .

وذكر الطبري بأسانيده [5] أنها في رجل من الأنصار ، ورجل من البادية ، وابن ذي الخويصرة التميمي ، والمنافقين . وحاصلها ترجع إلى قولين اثنين : أولهما : أنها في رجل من الأنصار من المنافقين ، والآخر : في رجل من البادية هو ذو الخويصرة .

وأما القول الآخر بأنها نزلت في ذي الخُوَيْصَرة التميمي ، فعليه السمعاني، والبغوي ، والخازن، وأبوحيان، والبقاعي [6] .

وذكره الزمخشري ، والبيضاوي ، وأبوالسعود بصيغة (قيل) [7] .

واستدلوا له بما أورده ابن جُزَيّ وغيره أنها نزلت في ذي الخويصرة وذكر حديثه [8] .

---

(1) ينظر : المحرر الوجيز (٦/ ٥٣٠ ، ٥٣١) .

(2) ينظر : إرشاد العقل السليم (٢/ ٤١٨) .

(3) ينظر : النكت والعيون (٣٧٣/٢) وإيجاز البيان (٣٠٨/١) ووضح البرهان (٤٠٠/١) وزاد المسير (٤٥٤/٣).

(4) العذب النمير (٥/ ٢٣٧٨) .

(5) ينظر : جامع البيان (١١/ ٥٠٦- ٥٠٨) . وينظر : الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٢٢٠) .

(6) ينظر : تفسير القرآن (٢/ ٣١٩) ــ [وجعل أول الآية ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ فيه وسماه : حرقوص بن زهير ، وجعل باقي الآية ﴿ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴾ في ثعلبة بن حاطب وأصحابه] ــ ، ومعالم التنزيل (٢/ ٢٩٢) ــ وسمّاه : (حرقوص بن زهير) أصل الخوارج ــ ، ولباب التأويل (٢/ ٢٣٢) ، والبحر المحيط (٥/ ٥٥) ، ونظم الدرر (٨/ ٥٠٣) .

(7) ينظر : الكشاف (٥٨/٣) ، وأنوار التنزيل (٤١٠/١) ، وإرشاد العقل السليم (٤١٨/٢) .

(8) حديث ذي الخويصرة التميمي : أخرجه البخاري في صحيحه (٣٦١٠) و (٦٩٣٣) ، ومسلم في صحيحه (١٠٦٤) ، وأحمد في مسنده (١١٥٣٧) ، والنسائي في الكبرى (١١٢٢٠) ، وابن أبي عاصم في السنة (٩٢٥)، والطحاوي في المشكل (٤٠٧١) ، والبيهقي في السنن الكبرى (٨/ ١٧١) وفي دلائل النبوة (٥/ ١٨٧) ، والبغوي في شرح السنة (٢٥٥٢) ، وفي معالم التنزيل (٢/ ٢٩٢) . جميعهم من طريق الزهري ، عن أبي سلمة، عن أبي سعيد الخدري مرفوعًا . وليس فيه ذكر سبب النزول . وأخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٥٠٧/١١) ، وعبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢٧٧) وفي المصنف (١٨٦٤٩) ، وابن أبي حاتم في تفسيره

وأُورِد عليه : أن كثيرًا من المحدّثين لم يصرّح في قصة ذي الخويصرة بذكر سبب النزول كالبخاري ومسلم وأحمد وغيرهم .

وأن الآية في قسم الصدقات وليست في الغنائم ، وقصة ذي الخويصرة كانت في غنائم حُنين . قاله الشنقيطي [1]. وقال : « ذكر كثير من أهل العلم أن هذه الآية نزلت في حرقوص ابن زهير ذي الخويصرة التميمي رأس المنافقين ... ولكن الذي يظهر أن هذه الآية ليست نازلة فيه ، وإن زعم كثير من كبراء المفسّرين أنها نازلة في ذي الخويصرة » .

وقال السيد رشيد رضا : « الآية نصٌّ في قسمة الصدقات ، فجَعْلُ الغنائم سببًا لنزولها من جملة تساهلهم فيما يسمونه أسباب النزول »[2] .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن الصواب من القول في ذلك هو أن الآية في المنافقين كسائر الآيات التي قبلها وبعدها ، وأنها في قسمة الصدقات وليست في الغنائم ، وهو ما رجّحه ابن جُزَيّ ومن وافقه.

ويؤيده سياق الآيات الواردة في ذكر فضائح المنافقين وهتك أستارهم ، فدلالة السياق قاضية لهذا القول مرجّحة له على ما عداه ، والله تعالى أعلم .

(١٨١٥/٦) رقم (١٠٣٤٠) ، والواحدي في أسباب النزول (٢٨٥) وفي الوسيط (٥٠٥/٢) مصرّحين فيه بذكر سبب النزول. زاد الواحدي : وهو حرقوص بن زهير أصل الخوارج . قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٢٩٢/١٢) عن هذه الرواية المصرّحة باسمه : وما أدري من الذي قال : وهو حرقوص ...الخ . وينظر : الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٢١٩) وزاد نسبته فيه إلى ابن المنذر ، وأبي الشيخ ، وابن مردويه .

(1) العذب النمير (٥/ ٢٣٧٧ ، ٢٣٧٨) بتصرف يسير .

(2) تفسير القرآن الحكيم (١٠/ ٢٣٠) .

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٦٠﴾

١٦- الخلاف في المراد بـــ المؤلفة قلوبهم .

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « ﴿وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ﴾ كُفَّارٌ يُعطون ترغيبًا في الإسلام . وقيل : هم مسلمون يعطون ليتمكن إيمانهم » [1] .

العرض والمناقشة :

رجّح ابن جُزَيّ أن المؤلفة قلوبهم هم كُفَّارٌ يعطون من الزكاة لترغيبهم في الإسلام والإيمان . ووافق في هذا ما رُوِيَ عن قتادة [2] ، والضحاك [3] . وعليه الزجاج، وابن أبي زمنين، والزمخشري، والواحدي [4] .

وذكره البيضاوي بصيغة (قيل) [5] .

ودليلُه : حديثُ صفوان بن أمية قال : لقد أعطاني رسول الله > ، وإنه لأبغض الناس إليّ، فما بَرِحَ يعطيني حتى إنه لأحبُّ الناس إليّ [6] .

وأما القول الثاني بأن المؤلّفة قلوبهم هم مسلمون يعطون من الزكاة ؛ ليتمكن إيمانهم ويَقْوَى ، فهو معنى ما رُوِيَ عن ابن عباس [7] ،

---

(1) التسهيل (٢/ ٧٨) .

(2) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١١/ ٥٢١) . وعلّقه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٨٢٣) .

(3) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٨٢٣) رقم (١٠٣٨٠) .

(4) ينظر : معاني القرآن وإعرابه (٢/٤٥٦) ، وتفسير القرآن العزيز (٢/ ٢١٣) ، والكشاف (٣/ ٦٠) ، والوجيز (١/ ٤٦٩) والوسيط (٢/ ٥٠٦) .

(5) ينظر : أنوار التنزيل (١/ ٤١٠) .

(6) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢٨٢) ، وابن جرير الطبري في جامع البيان (١١/ ٥٢٠) عن طريق معمر ، عن الزهري ، عن صفوان . وأخرجه أحمد في مسنده (٦/ ٤٦٥) ، ومسلم في صحيحه (٢٣١٣/ ٥٩) ، والترمذي في سننه (٦٦٦) من طريق يونس بن يزيد الأيلي ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، عن صفوان ابن أمية .

(7) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١١/ ٥١٩) من طريق العوفيين . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤/٢٢٣) نسبته إلى ابن مردويه . وعزاه صاحب منار السبيل (١/ ٢٠٨) إلى ابن المنذر في تفسيره .

والحسن [1] ، والزهري [2] .

وعليه مقاتل، والطبري، والرازي، والقرطبي، والبيضاوي، والخازن، والقمي، والشنقيطي [3] .

قال الطبري : « فإنهم قوم كانوا يُتَأَلَّفُون على الإسلام ، ممن لم تصحَّ نصرتُه ؛ استصلاحًا به نفسه وعشيرته ؛ كأبي سفيان بن حرب ، وعُيينة بن بدرٍ ، والأقرع بن حابس، ونظرائهم من رؤساء القبائل »[4] .

وقال الشنقيطي : « والظاهر أنه لا بدّ أن يكون مسلمًا ؛ لأن الزكاة لا تدفع للكافر، وهي قُربة لا يستحقها إلاّ المسلمون. فمن قال : إنها تدفع للكافر ليسلم فالظاهر أنه خلاف الظاهر»[5].

وذهب الرازي ، وتبعه البيضاوي ، والخازن ، والقمي[6]، إلى أن الكفار ؛ المؤلفة من المشركين إنما يعطون من مال الفيء لا من الصدقات ، وأن النبيّ > أعطى المؤلفة قلوبهم يوم حنين ولا تعلُّق لها بالصدقات ، ولا يصلح أن يجعل ذلك تفسيرًا للآية.

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن الراجح – والله أعلم – هو أن المؤلفة قلوبهم يشمل الفريقين، وأنهم على صنفين : مسلمين وكفار ؛ أما المسلمون فصنفان :

ـــ صنف نياتهم في الإسلام ضعيفة ، فيعطون ؛ تأليفًا ؛ كعيينة بن حصن ، والأقرع بن حابس .

---

(1) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٥٢١/١١) ، وابن أبي شيبة (٣/ ٢٢٣) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٨٢٣/٦) رقم (١٠٣٨١) ، وأبو عبيد في الأموال (١٩٦٠) قال : الذين يدخلون في الإسلام .

(2) أخرجه ابن أبي شيبة (٣/ ٢٢٣) ، وابن جرير الطبري في جامع البيان (١١/ ٥٢١) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٨٢٣/٦) رقم (١٠٣٨٣) . قال : من أسلم من يهودي أو نصراني .

(3) ينظر : تفسير مقاتل (٢/ ١٧٦) ، وجامع البيان (١١/ ٥١٩) ، ومفاتيح الغيب (٦/ ٨٦) ، والجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٢٦٢، ٢٦٥) ، وأنوار التنزيل (١/ ٤١٠) ، ولباب التأويل (٢/ ٢٣٥) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ٤٩٠) ، والعذب النمير (٥/ ٢٣٨٥) .

(4) جامع البيان (١١/ ٥١٩) .

(5) العذب النمير (٥/ ٢٣٨٥) .

(6) ينظر : مفاتيح الغيب (٦/ ٨٦) ، وأنوار التنزيل (١/ ٤١٠) ، ولباب التأويل (٢/ ٢٣٥) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ٤٩٠) .

ـــ وصنف نياتهم في الإسلام حسنة ، فيعطون ؛ تأليفًا لعشائرهم من المشركين ؛ كعدي ابن حاتم.

وأما الكفار فصنفان :

ـــ صِنْفٌ يقصدون المسلمين بالأذى ، فيعطون ؛ دفعًا لأذاهم ؛ كعامر بن الطفيل .

ـــ وصنف كان لهم مَيْلٌ إلى الإسلام ، فيعطون ؛ تأليفًا على الإسلام ؛ كصفوان بن أمية[1].

فقول الله تعالى : ﴿ قُلُوبُهُمْ ﴾ عامّ يشمل الفريقين من المسلمين والكفار ، هذا هو الراجح ؛ لأنه يجمع الآثار ويحقق عموم الآية ، فإن لفظها يفيد العموم وليس فيها تخصيص ، فمن كان في تأليف قلبه على الإسلام دخولاً فيه أو تمكنًا منه وتقويةً مصلحةٌ بإعطائه فإنه يُعطى منها ، هذا الذي تفيده الآية بلفظها . ويفسّره عمل النبي > ، فقد أعطى صفوان وهو كافر ثم أسلم بعد ذلك . وأعطى ضعيف الإيمان كأبي سفيان والأقرع ... فأعطى النبي > الفريقين ؛ تأليفًا لقلوبهم على الإسلام [2].

وعلى هذا النحاس، والجصاص، والماوردي، والسمعاني، والبغوي، وابن العربي، وابن عطية، وابن الجوزي، والنسفي، وابن كثير، والثعالبي، والبقاعي، وأبوالسعود، والشهاب، والآلوسي، والسيد رشيد رضا، والمراغي، والطاهر بن عاشور [3] .

---

(1) اختلف المفسرون في التمثيل لهذه الأصناف ، فمنهم من يمثّل لصنف (ضعيفي الإيمان لكي يقوى إيمانهم) : بأبي سفيان بن حرب ، وعيينة بن حصن الفرازي ، والأقرع بن حابس ، وعباس بن مرداس .. وعليه السمعاني (٣٢١/٢) متابعًا للماوردي (٢/ ٣٧٥) . ومنهم من يمثل بهؤلاء (أبو سفيان ، وعيينة بن حصن) لكي يسلموا... وعليه ابن أبي زمنين (٢/ ٢١٣) . وليس محلّ البحث مناقشة هذا الاختلاف الوارد في التمثيل لهذه الأصناف .

(2) للوقوف على الآثار الواردة فيمن أُعطي من المؤلفة قلوبهم . ينظر : جامع البيان لابن جرير الطبري (١١/ ٥٢٠- ٥٢١) ، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٧/ ٢٢١) .

(3) ينظر : معاني القرآن الكريم (٢٢٤/٣) ، وأحكام القرآن (٣٢٤/٤،٣٢٥) ، والنكت والعيون (٣٧٥/٢) ، وتفسير القرآن (٢/ ٣٢١) ، ومعالم التنزيل (٢/ ٢٩٥- ٢٩٦) ، وأحكام القرآن (٢/ ٩٦٢- ٩٦٦) ، والمحرر الوجيز (٦/ ٥٣٨) ، وزاد المسير (٣/ ٤٥٧) ، ومدارك التنزيل (٢/ ١٣٢) ، وتفسير القرآن العظيم (٧/ ٢٢١) ، والجواهر الحسان (٢/ ٥٦) ، ونظم الدرر (٨/ ٥٠٥) ، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٤١٩)، وحاشية الشهاب (٤/ ٣٣٦) ، وروح المعاني (١٠/ ١٢٢) ، وتفسير القرآن الحكيم (١٠/ ٤٣٦- ٤٣٧) ،

وهو مفهوم كلام الفراء، والسمرقندي [1] .

ويؤيده القول بالعموم القاعدة الترجيحية : (يجب حمل نصوص الوحي على العموم)[2] . والله تعالى أعلم .

ولا يَرِد على هذا القول أن إعطاء المؤلفة قلوبهم من الكفار إنما هو من الفيء والمال الخاصّ لا من الزكاة والصدقات ؛ لأن هذا يحتاج إلى دليل خاصّ ، وهو محتملٌ لأن يكون من خُمْس الخُمُس ولأن يكون من الصدقات . والله أعلم .

وتفسير المراغي (١٠/ ١٤٣- ١٤٤) ، والتحرير و التنوير (٢٣٦/١٠) .

(1) ينظر : معاني القرآن (١/ ٤٤٣) ، وبحر العلوم (٢/ ٥٢٧) .

(2) قواعد الترجيح عند المفسرين (٢/ ٥٢٧) .

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْيُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾ ﴾

١٧- الخلاف في إعراب ﴿ فَأَنَّ لَهُۥ ﴾ .

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « ﴿ فَأَنَّ لَهُۥ ﴾ [أَنَّ][1] هنا مكررة تأكيدًا للأُولى. وقيل : بدل منها . وقيل : التقدير : فواجب أنَّ له ، فهي في موضع خبر مبتدأ محذوف »[2] .

العرض والمناقشة :

رجَّح ابن جُزَيّ في إعراب **أَنَّ** من قوله تعالى : ﴿ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ ﴾ أنها تأكيدٌ للأولى في قوله : ﴿ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ﴾. وهو اختيار المبرد[3] . وعليه الزجاج، والنحاس، وابن أبي زمنين، وابن الجوزي، والقرطبي، والطاهر بن عاشور، والشنقيطي [4] .

وهو مفهوم كلام ابن جرير الطبري حيث قال : « وقرأت القَرَأَةُ : ﴿ فَأَنَّ ﴾ بفتح الألف من **أَنَّ** ، بمعنى : ألم يعلموا أَنَّ لمن حادَّ الله ورسوله نارَ جهنم . وإعمال ﴿ يَعْلَمُوٓاْ ﴾ فيها ، كأنّهم جعلوا **أَنَّ** الثانية مكرّرة على الأُولى ، واعتمدوا عليها ؛ إذْ كان

---

(1) جاء في المطبوع وجميع النسخ الخطية بكسر الهمزة ، وهي قراءة أبي رزين ، وأبي عمران ، وابن أبي عبلة : (فإنَّ) وقرأ الجمهور ﴿ فَأَنَّ ﴾ بفتح الهمزة . ينظر : زاد المسير لابن الجوزي (٣/ ٤٦٢) ، والدر المصون للسمين الحلبي (٦/٧٩).

(2) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٧٩) .

(3) ينظر : مشكل إعراب القرآن لمكي (٣٣٢) ، وإعراب القرآن للنحاس (٢/ ٢٢٤) ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ٢٨٦) .

(4) ينظر : معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٥٩) ، وإعراب القرآن (٢/ ٢٢٤) ، وتفسير ابن أبي زمنين (٢/ ٢١٥)، وزاد المسير (٣/ ٤٦٢- ٤٦٣) ، والجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٢٨٦ – ٢٨٧) ، والتحرير والتنوير (١٠/٢٤٧) ، والعذب النمير (٥/ ٢٣٩٩) .

الخبرُ معها دون الأُولى »[1] .

وذكر هذا الإعراب الزمخشري ، والقمي بصيغة (قيل) [2] .

قال الزجاج : « لما طال الكلام كان إعادتها أوكد »[3] .

ونظيره : قوله تعالى : ﴿ وَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴾ [النمل : ٥].

وقوله تعالى : ﴿ فَكَانَ عَـٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَـٰلِدَيْنِ فِيهَا ﴾[4] [الحشر : ١٧] .

واعترض مكي على هذا الإعراب بأنه يلزم منه جواز التأكيد قبل تمام المؤكد ؛ لأن **أَنَّ** من قوله : ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّهُۥ ﴾ لم يتم قبل الفاء فكيف تؤكد قبل تمامها ؟! وتمامها هو الشرط وجوابه ؛ لأن الشرط وجوابه خبر أنّ ولا يتم إلاّ بتمام خبرها [5] .

وأجاب عنه العكبري بأن هذه الآية كقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَـٰلَةٍ ﴾ ثم قال : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا ﴾ [النحل : ١١٩] ، والفاء على هذا جواب الشرط [6] .

ومنه قوله :

لقد علم الحيُّ اليمانون أنني إذا قلت أما بعد أني خطيبها [7]

ورُدَّ هذا الإعراب أيضًا بأنه لو كان المراد فله وأن توكيد لكان نار جهنم مرفوعًا و لم يعمل **أَنَّ** فيه ، ولَمَا فَصَلَ بين المؤكد والمؤكد بجملة الشرط ، ولما وقع أجنبي بين فاء الجزاء وما في حيزه .

وأجيب عنه : بأنه ليس من باب التوكيد اللفظي بل التكرير لبعد العهد ، وهو من

---

(1) جامع البيان (١١/ ٥٤٠) .

(2) ينظر : الكشاف (٣/ ٦٣) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ٤٩٦) .

(3) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٥٩) . وينظر : زاد المسير (٣/ ٤٦٣) .

(4) ينظر : إعراب القرآن للنحاس (٢/ ٢٢٤) ، والمقتضب للمبرد (٢/ ٣٥٦) .

(5) ينظر : مشكل إعراب القرآن (٣٣٣) .

(6) ينظر : التبيان (٢/ ٦٤٩) .

(7) ينظر : حاشية الشهاب (٤/ ٣٤٠) ، وروح المعاني (١٠/ ١٢٩) .

باب التطرية ، ومثل ذلك لا يمنع العمل ودخول الفاء . ونظيره قوله تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [النحل : ١١٩] وقوله : لقد علم الحي اليمانون ... وكم وكم . وجعل الآية من هذا الباب ... قاله الآلوسي [1] .

وقال الطاهر بن عاشور : « وأعيدت أَنَّ في الجواب ؛ لتوكيد **أَنَّ** المذكورة قبل الشرط توكيدًا لفظيًا ، فإنها لما دخلت على ضمير الشأن وكانت جملة الشرط وجوابه تفسيرًا لضمير الشأن ، كان حكم **أَنَّ** ساريًا في الجملتين ، بحيث لو لم تذكر في الجواب لعُلِمَ أن فيه معناها، فلما ذكرت كان ذكرها توكيدًا لها ، ولا ضيرَ في الفصل بين التأكيد والمؤكد بجملة الشرط ، والفصل بين فاء الجواب ومدخولها بحرفٍ ، إذ لا مانع من ذلك . ومن هذا القبيل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ . وقول الحماسي ، وهو أحد الأعراب:

وإن امرءًا دامت مواثيق عهده على مثل هذا إنه لكريم »[2].

وقال الشنقيطي : « وتكرير **أَنَّ** إذا طال الفصل أسلوبٌ عربي معروف كثير في كلام العرب، ومنه هذه الآية على الصحيح ﴿ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ ﴾ »[3] .

وأما إعراب **أَنَّ** الثانية على البدل من الأولى ، فهو مذهب الخليل ، وسيبويه [4] .

واعترض عليه مكّي أيضًا بما اعترض به على الإعراب الأول [5] .

وضعّفه العكبري من وجهين :

أحدهما : أن الفاء التي معها تمنع من ذلك ، والحكم بزيادتها ضعيف .

والثاني : أن جعلها بدلاً يُوجب سُقوطَ جواب (مَنْ) من الكلام [1] .

---

(1) المصدر الأخير .

(2) التحرير والتنوير (١٠/ ٢٤٧) .

(3) العذب النمير (٥/ ٢٣٩٩) .

(4) ينظر : مشكل إعراب القرآن لمكي (٣٣٢) ، والمحرر الوجيز لابن عطية (٦/ ٥٥٢) . وينظر : الكتاب لسيبويه (١/ ٤٦٧) .

(5) ينظر : مشكل إعراب القرآن (٣٣٣) .

وقال ابن عطية : « وهذا معترض بأن الشيء لا يبدل منه حتى يستوفى ، والأُولى في هذا الموضع لم يأت خبرها بعدُ إذ لم يتم جواب الشرط ، وتلك الجملة هي الخبر . وأيضًا فإن الفاء تمانع البدل . وأيضًا فهي في معنى آخر غير الأول فيعلّق البدل . وإذا تُلُطِّف للبدل فهو بدل الاشتمال »[٢] .

وقال السمين : « وقد نُقِلَ عن سيبويه أنه قال : الثانية بدل من الأُولى ، وهذا لا يصح عن سيبويه ، فإنه ضعيف أو ممتنع »[٣] .

وأما إعراب **أَنَّ** الثانية على أنها في موضع خبر لمبتدأ محذوف تقديره : فواجبٌ أَنَّ له ، فهو إعراب الأخفش علي بن سليمان ، وعلّله بأن الفاء قَطَعَتْ ما قبلها مما بعدها [٤] .

لكن ذكر السمين عنه أنه قد قدّر الخبر المحذوف متأخرًا ، أي : فأن له نار جهنم واجب [٥] .

واختاره الزمخشري لكنه جعل الخبر هو المحذوف لا المبتدأ مع أن كلامه المفسّر يدل على أن المبتدأ هو المحذوف !! قال : « على حذف الخبر ، أي : فَحَقٌّ أنَّ له نار جهنم »[٦].

ولذا قال المبرد : وهذا مردود ؛ لأن الابتداء بـــ **أَنَّ** لا يجوز مع إضمار الخبر [٧] .

وأخذ بقول الزمخشري : النسفيُّ، والخازن، والقمي، والسمين الحلبي، وأبوالسعود، وسليمان الجمل، والآلوسي، والقنّوجي [٨] . وبدأ به البيضاوي [٩] .

---

(1) ينظر : التبيان (٢/ ٦٤٩) .

(2) المحرر الوجيز (٦/ ٥٥٢) .

(3) الدر المصون (٦/ ٧٨) .

(4) ينظر : المقتضب للمبرد (٢/ ٣٥٦- ٣٥٧) ، وإعراب القرآن للنحاس (٢/ ٢٢٥) ، ومشكل إعراب القرآن لمكي (٣٣٣) .

(5) ينظر : الدر المصون (٦/ ٧٨) .

(6) الكشاف (٣/ ٦٣) .

(7) ينظر : المحرر الوجيز (٦/ ٥٥٢) .

(8) ينظر : مدارك التنزيل (٢/ ١٣٣) ، ولباب التأويل (٢/ ٢٣٨) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/٤٩٦)، والدر المصون (٦/ ٧٧، ٧٨) ، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٤٢٢) ، والفتوحات الإلهية (٣/ ٢٨٤) ، وروح المعاني (١٠/ ١٢٩) ، وفتح البيان (٥/ ٣٣٦) .

(9) ينظر : أنوار التنزيل (١/ ٤١٢) .

وعكس الشوكاني فقال : « خبر مبتدأ محذوف ، أي : فحق أن له نار جهنم »[1].
فجعل المحذوف هو المبتدأ بعكس الزمخشري ومن تبعه .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن أَولى هذه الأعاريب هو أَوَّلُها ، وهو ما رجّحه ابن جُزَيّ ومن وافقه ؛ لوجود نظيره في القرآن وكلام العرب ، والله تعالى أعلم .

(1) فتح القدير (٢/ ٥٣٦) .

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ يَحۡذَرُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيۡهِمۡ سُورَةٞ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمۡۚ قُلِ ٱسۡتَهۡزِءُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مُخۡرِجٞ مَّا تَحۡذَرُونَ ٦٤ ﴾

١٨- الخلاف في عائد الضمائر في ﴿عَلَيۡهِمۡ﴾ و ﴿نُنَبِّئُهُم﴾ و﴿قُلُوبِهِمۡ﴾.

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « والضمائر في عَلَيۡهِمۡ ونُنَبِّئُهُم وقُلُوبِهِمۡ تعود على المنافقين . وقال الزمخشري : إن الضمير في عَلَيۡهِمۡ ونُنَبِّئُهُم للمؤمنين ، وفي قُلُوبِهِمۡ للمنافقين . والأول أظهر » [1] .

العرض والمناقشة :

استظهر ابن جُزَيّ أن الضمائر كُلَّها للمنافقين في قوله تعالى : ﴿ يَحۡذَرُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيۡهِمۡ سُورَةٞ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمۡۚ ﴾ . وعليه أبوحيان، وأبوالسعود، والشوكاني، والآلوسي، والقنّوجي، والقاسمي [2] . وهو مفهوم كلام البقاعي، والسعدي [3] .

وجوّزه الزمخشري، والبيضاوي، والقمي، والطاهر بن عاشور [4] .

ودليله ظاهرُ تَنَاسُقِ الضمائر ومعادها .

ومعنى قوله ﴿عَلَيۡهِمۡ﴾ على هذا القول : في شأنهم ومعناهم ، فإن ما نزل في حقّهم نازل عليهم [5] ؛ كقوله تعالى : ﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَ ﴾[البقرة :١٠٢]

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٧٩) .

(2) ينظر : البحر المحيط (٥/ ٦٦) ، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٤٢٢) ، وفتح القدير (٢/ ٥٣٦) ، وروح المعاني (١٠/ ١٣٠) ، وفتح البيان (٥/ ٣٣٧) ، ومحاسن التأويل (٨/ ٣١٩٢) .

(3) ينظر : نظم الدرر (٨/ ٥١٥) ، وتيسير الكريم الرحمن (٢/ ٢٦١) .

(4) ينظر : الكشاف (٣/ ٦٣) أنوار التنزيل (١/ ٤١٢) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ٤٩٦) ، والتحرير والتنوير (١٠/ ٢٤٨) .

(5) ينظر : الكشاف للزمخشري (٣/ ٦٣) ، وأنوار التنزيل للبيضاوي (٤١٢/١) ، ومدارك التنزيل للنسفي (١٣٣/٢) ، والبحر المحيط لأبي حيان (٥/ ٦٦) ، وإرشاد العقل السليم لأبي السعود (٢/ ٤٢٢) .

أي : في شأن ملكه . ويقال : كان كذا على عهد الخلفاء ، أي : في عهدهم وزمنهم [1]. أو تكون "عَلَىٰ" بمعنى لام التعليل ، أي : تنزل لأجل أحوالهم ؛ كقوله تعالى : ﴿ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ﴾ [البقرة : ١٨٥] وهو كثير في الكلام [2] .

ومعنى قوله ﴿ نُنَبِّئُهُم ﴾ على هذا القول : إذاعة ما كانوا يخفون من أسرارهم فيما بين الناس فيسمعونها من أفواه الرجال مذاعة فكأنها تخبرهم بها . أو المراد بالتنبئة المبالغة في كون السورة مشتملة على أسرارهم كأنها تعلم من أحوالهم الباطنة ما لا يعلمونه فتنبئهم بها وتنعى عليهم قبائحهم [3] . أو المراد تخبرهم بما في قلوبهم على وجه يكون المقصود منه لازم فائدة الخبر وهو علم الرسول عليه الصلاة والسلام به [4] . أو تكون تعدية ﴿ نُنَبِّئُهُم ﴾ إلى ضمير المنافقين على نزع الخافض ، أي : تنبيء عنهم ، أي : تنبيء الرسول > بما في قلوبهم[5] .

قال الشوكاني : « وهم وإن كان كانوا عالمين بما في قلوبهم فالمراد من إنباء السورة لهم إطلاعهم على أن المؤمنين قد علموا بما في قلوبهم » [6] .

وأما قول الزمخشري : "إن الضمير في ﴿ عَلَيْهِمْ ﴾ و ﴿ نُنَبِّئُهُم ﴾ للمؤمنين ، وفي ﴿ قُلُوبِهِمْ ﴾ للمنافقين"[7] ، فعليه الواحدي، والبغوي، والرازي، والقرطبي، والبيضاوي ، والخازن، والقمي، والسيوطي [8] . ومال إليه السيد محمد رشيد رضا [9] . وكأن الشنقيطي

---

(1) ينظر : تفسير القرآن الحكيم (١٠/ ٤٦٣) .
(2) ينظر : التحرير و التنوير للطاهر بن عاشور (١٠/ ٢٤٨) .
(3) ينظر : إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٢/ ٤٢٢) .
(4) ينظر : روح المعاني للآلوسي (١٠/١٣٠) .
(5) ينظر : التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (١٠/ ٢٤٨) .
(6) فتح القدير (٢/ ٥٣٦) . وتبعه القنوجي في فتح البيان (٥/ ٣٣٧) .
(7) الكشاف (٣/ ٦٣) .
(8) ينظر : الوجيز (١/ ٤٧٠) ، ومعالم التنزيل (٢/ ٣٠٠) ، ومفاتيح الغيب (٦/ ٩٣) ، والجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٢٨٨) ، وأنوار التنزيل (١/ ٤١٢) ، ولباب التأويل (٢/ ٢٣٨) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ٤٩٦) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٣/ ٢٨٤) .
(9) ينظر : تفسير القرآن الحكيم (١٠/ ٤٦٣) .

يميل إليه [1] .

وجوّزه الآلوسي، والطاهر [2] .

وذكره أبوالسعود ، والقاسمي بصيغة (قيل) [3] .

قال الزمخشري : « وصحَّ ذلك ؛ لأن المعنى يقود إليه ».

وأُورِد عليه أن فيه تفكيكًا للضمائر . وأجيب بأنه غير ممنوع مطلقًا ، ولا ينافي البلاغة إلاّ إذا كان المعنى به غير مفهوم . فأعيد الضمير على المؤمنين ؛ لأن سياق الكلام فيهم [4] .

وقال الطاهر : « ولا يضر تخالف الضميرين مع ضمير ﴿قُلُوبِهِمْ﴾ الذي هو للمنافقين لا محالة ؛ لأن المعنى يرَدُّ كل ضمير إلى ما يليق بأن يعود إليه »[5] .

واختار ابن جرير الطبري أن الضمير في ﴿عَلَيْهِمْ﴾ و ﴿قُلُوبِهِمْ﴾ عائد على المنافقين ، أما ضمير ﴿نُنَبِّئُهُم﴾ فيعود على المؤمنين [6] .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن كلا القولين جائز ، والأول أظهر ، وهو ما رجّحه ابن جُزَيّ ومن وافقه ؛ لتأييده بالقاعدة الترجيحية : (توحيد مرجع الضمائر في السياق الواحد أَولى من تفريقها)[7] ، والله تعالى أعلم

---

(1) ينظر : العذب النمير (٥/ ٢٤٠٣) .

(2) ينظر : روح المعاني (١٠/ ١٣٠) ، والتحرير والتنوير (١٠/ ٢٤٨) .

(3) ينظر : إرشاد العقل السليم (٢/ ٤٢٢) ، ومحاسن التأويل (٨/ ٣١٩٢) .

(4) ينظر : تفسير القرآن الحكيم للسيد محمد رشيد رضا (١٠/ ٤٦٣) .

(5) التحرير والتنوير (١٠/ ٢٤٨) .

(6) ينظر : جامع البيان (١١/ ٥٤١) .

(7) قواعد الترجيح عند المفسرين (٢/ ٦١٣) .

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ كَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمۡ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرَ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا فَٱسۡتَمۡتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمۡ فَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِخَلَٰقِكُمۡ كَمَا ٱسۡتَمۡتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُم بِخَلَٰقِهِمۡ وَخُضۡتُمۡ كَٱلَّذِي خَاضُوٓاْۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٦٩ ﴾

١٩- الخلاف في معنى ﴿ ٱلَّذِي ﴾ من قوله تعالى: ﴿ وَخُضۡتُمۡ كَٱلَّذِي خَاضُوٓاْۚ ﴾ .

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « ﴿ كَٱلَّذِي خَاضُوٓاْ ﴾ تقديره : كالخوض الذي خاضوا. وقيل : كالذين خاضوا ، فـ ﴿ ٱلَّذِي ﴾ هنا – على هذا – بمعنى الجمع » [1] .

العرض والمناقشة :

ظاهر كلام ابن جُزَيّ أنه يرجّح أن ﴿ ٱلَّذِي ﴾ في قوله تعالى : ﴿ كَٱلَّذِي خَاضُوٓاْ ﴾ أنها بمعنى المصدر ، بمنزلة "ما" المصدرية ، والتقدير : وخضتم كالخوض الذي خاضوا أو خضتم خوضًا كخوضهم الذي خاضوه . ووافق في هذا المعنى : يونس [2] ، والفراء [3] ، والأخفش [4] . وعليه الطبري، والواحدي ، والبغوي، وابن الجوزي، والرازي، وأبوحيان، والسمين الحلبي، والبقاعي، والسّيوطي، والشهاب، والسيد رشيد رضا، والطاهر ابن عاشور[5] .

واستغربه الكرماني [6] . وقال العكبري : « وهو نادر »[7] .

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٨٠) .

(2) ينظر : كشف المشكلات للباقولي (١/ ٥٠١) .

(3) ينظر : معاني القرآن (١/ ٤٤٦) .

(4) ينظر : كشف المشكلات للباقولي (١/ ٥٠١) ، وغرائب التفسير وعجائب التأويل للكرماني (١/ ٤٦٠) .

(5) ينظر : جامع البيان (١١/ ٥٥١) ، والوجيز (١/ ٤٧٢) والوسيط (٢/ ٥٠٩) ، ومعالم التنزيل (٢/ ٣٠٣)، وتذكرة الأريب (١/ ٢٢٠) وزاد المسير (٣/ ٤٦٧) ، ومفاتيح الغيب (٦/ ٩٩) ، والبحر المحيط (٦٩/٥) ، والدر المصون (٦/ ٨٤) ، ونظم الدرر (٨/ ٥٢٣) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٨٨٢/٣) ، وحاشية الشهاب (٤/ ٣٤٣) ، وتفسير القرآن الحكيم (١٠/ ٤٧٢) ، والتحرير والتنوير (١٠/ ٢٥٩) .

(6) ينظر : غرائب التفسير وعجائب التأويل (١/ ٤٦٠) .

(7) التبيان (٢/ ٦٥١) .

قال السمين الحلبي : « إن ﴿ٱلَّذِى﴾ من صفة المصدر والتقدير : وخضتم خوضًا كالخوض الذي خاضوه . وعلى هذا فالعائد منصوب من غير وساطة حرف جر . وهذا الوجه ينبغي أن يكون هو الراجح ؛ إذ لا محذور فيه »[1] .

وقال الشهاب : « ورُجِّحَ بعدم التكلّف فيه »[2] .

وقال السمين أيضًا : « إن ﴿ٱلَّذِى﴾ تقع مصدرية ، والتقدير : وخضتم خوضًا كخوضهم ، ومثله:

فثبت الله ما آتاك من حُسْنٍ في المرسلين ونصرًا كالذي نُصِرُوا

أي : كنصرهم .

وقول الآخر :

يا أم عمرو جزاك الله مغفرةً رُدَّي عليَّ فؤادي كالذي كانا

أي : ككونه .

وقد تقدم أن هذا مذهب الفراء ويونس ، وتقدم تأويل البصريين لذلك »[3].

وعلى هذا القول ، فالمراد تشبيه خوض المنافقين بخوض أولئك ، وهو الخوض الذي حُكِيَ عنهم في قوله تعالى : ﴿لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ [التوبة : ٦٥] والمعنى : وخضتم في الكفر والاستهزاء بآيات الله ورسوله كالخوض الذي خاضوه في ذلك ، فأنتم وهم سواء ، فيوشك أن يحيق بكم ما حاق بهم [4] .

والقول الآخر في ﴿ٱلَّذِى﴾ بأنها بمعنى الذين ، فذهب إليه محمود النيسابوري، والعكبري، والقرطبي، والشوكاني، والآلوسي [5] .

---

(1) الدر المصون (٦/ ٨٤) .

(2) حاشية الشهاب (٤/ ٣٤٣) .

(3) الدر المصون (٦/ ٨٤) .

(4) ينظر : التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (١٠/ ٢٥٩) .

(5) ينظر : إيجاز البيان (١/ ٣١٠) ، والتبيان (٢/ ٦٥٠) ، والجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٢٩٦) ، وفتح القدير (٢/ ٥٤٠) ، وروح المعاني (١٠/ ١٣٤) .

وتعجّب منه الكرماني [1] .

وذكره البغوي ، وأبوحيان بصيغة (قيل) [2] .

قال الطاهر بن عاشور: « وإذا كان عائد الصلة هنا ضمير جمع تعيّن أن يكون المراد بـــ ﴿ٱلَّذِى﴾ : تأويله بالفريق أو الجَمْع . ويجوز أن يكون ﴿ٱلَّذِى﴾ هنا أصله الذين مُخفَّف بحذف النون على لغة هذيل وتميم ؛ كقول الأشهب بن زميلة النهشلي :

وإن الذي حانَتْ بِفَلْجٍ دماؤهم هم القومُ كلُّ القوم يا أم خالدٍ [3]

ونحاة البصرة يرون هذا الاستعمال خاصًّا بحالة أن تطول الصلة كالبيت فلا ينطبق عندهم على الآية ، ونحاة الكوفة يجوّزونه ولو لم تطل الصلة ، كما في الآية »[4] .

وقال البغوي : « وذلك أن ﴿ٱلَّذِى﴾ اسم ناقص ، مثل (ما) و (من) يُعَبَّر به عن الواحد والجميع ، نظيره قوله تعالى :﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ ثم قال: ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾»[5][البقرة : ١٧].

وضعّفه السيد محمد رشيد رضا لفظًا ومعنى ، وقال : « المراد أنكم تخوضون كخوض من قبلكم – وهو الذي يقتضيه العطف – لا كالذين خاضوا مطلقًا من أي فريق كانوا »[6] .

وذهب الزمخشري إلى الجمع بينهما فقال : « كالفوج الذي خاضوا و كالخوض الذي خاضوه »[7] .

وسوّى بينهما بـــ (أو) : البيضاوي، والنسفي، والقمي، وأبوالسعود، والقاسمي، والقنّوجي [8] وقالوا : كالفوج الذي خاضوا أو كالخوض الذي خاضوه .

---

(1) ينظر : غرائب التفسير وعجائب التأويل (١/ ٤٦٠) .

(2) ينظر : معالم التنزيل (٢/ ٣٠٣) ، والبحر المحيط (٥/ ٦٩) .

(3) البيت في خزانة الأدب (٦/ ٢٩) ، ومعجم الشعراء (٣٣) ، ومعاني القرآن للأخفش (١/ ٨٥) .

(4) التحرير والتنوير (١٠/ ٢٥٩) .

(5) معالم التنزيل (٢/ ٣٠٣) .

(6) تفسير القرآن الحكيم (١٠/ ٤٧٢) .

(7) ينظر : الكشاف (٣/ ٦٥) .

(8) ينظر : أنوار التنزيل (١/ ٤١٣) ، ومدارك التنزيل (٢/ ١٣٥) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ٤٩٩)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٤٢٤) ، ومحاسن التأويل (٨/ ٣١٩٨) ، وفتح البيان (٥/ ٣٤٢) .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن أَولى القولين في ذلك بالصواب هو ما رجّحه ابن جُزَيّ ومن وافقه ، وهو أن تكون ﴿ٱلَّذِى﴾ مصدرية ، والتقدير : وخضتم كالخوض الذي خاضوه أو وخضتم خوضًا كخوضهم ؛ لأن المراد هو تشبيه خوض المنافقين في الكفر والاستهزاء بآيات الله ورسوله بخوض أولئك الذين من قبلهم ، والله تعالى أعلم .

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا ۚ وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ ۚ فَإِن يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۚ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾ ﴾

في هذه الآية الكريمة مسألتان :

المسألة الأولى هي :

٢٠- فيمن نزلت هذه الآية : ﴿ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ ﴾.

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « نزلت في الجُلاَسِ بن سويد ، فإنه قال : إن كان ما يقول محمدٌ حقًّا فنحن شرٌّ من الحمير . فبلغ ذلك النبيّ صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم فقرأ عليه فحلف أنه ما قاله . وقيل : الآية نزلت في عبد الله بن سلول ، وكلمةُ الكفر التي قالها : قولُه : سمّنْ كلبك يأكلْك . وهمُّه بما لم يناله : قولُه : لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل » [1] .

العرض والمناقشة :

رجّح ابن جُزَيّ أن قوله تعالى : ﴿ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ ﴾ الآية . نزلت في الجُلاَس بن سُوَيْد . ووافق في هذا ما رُويَ عن كعب بن مالك[2] ، وابن عباس [3] ، وعروة بن الزبير [4] ،

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٨٠) .

(2) أخرجه ابن إسحاق كما في السيرة النبوية لابن هشام (١/ ٥١٩) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٨٤٣) رقم (١٠٤٠١) من طريق ابن إسحاق ، ثنا الزهري ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك ، عن أبيه ، عن جده كعب . وإسناده حسن ؛ لحال إبن إسحاق ؛ فإنه صدوق ، وبقية رجاله ثقات . وينظر : الدر المنثور (٤/ ٢٤٠) .

(3) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٨٤٣) رقم (١٠٤٠٢) . وفي آخره : (فزعموا أنه تاب وحسنت توبته). وفي إسناده محمد بن أبي محمد مجهول . وقال ابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٤٧٠) : رواه أبو صالح ، عن ابن عباس . وينظر : الدر المنثور (٤/ ٢٤٠) .

(4) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (١٨٣٠٣) ، وابن سعد في طبقاته (٤/ ٣٧٥) ، وابن جرير الطبري في جامع

وابن إسحاق [1] ، والكلبي [2] .

وعليه مقاتل، والسمرقندي، والزمخشري، وابن عطية، ومحمود النيسابوري، والبيضاوي، والنسفي، والبلنسي، والثعالبي، وأبوالسعود [3] .

وذكره أبوحيان بصيغة (قيل) [4] .

وخرّجوا قوله تعالى : ﴿قَالُوٓاْ﴾ وهي صيغة جمع مع أن القائل هو الجلاس على أن الباقين رضوا بما قاله فصاروا بمنزلة القائل [5] .

قال السيد محمد رشيد رضا : « أشار الذهبي إلى ضعف حديث جلاس هذا مع قوله: إنه كان من المنافقين وتاب ، ورُوِيَ أنه كان من المخلّفين الذين لم يحضروا غزوة تبوك »[6].

وأما القول الآخر بأنها نزلت في عبد الله بن أُبَيّ بن سَلُول ، فهو قول قتادة [7] .

البيان (١١/ ٥٦٩ ، ٥٧٠) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٨٤٦) . وفي آخره (أنه تاب) . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٢٤١) نسبته إلى ابن المنذر ، وأبي الشيخ .

(1) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١١/ ٥٧٠) . وينظر : سيرة ابن هشام (١/ ٥١٩) .

(2) ينظر : معالم التنزيل للبغوي (٢/ ٣٠٥) ، ولباب التاويل للخازن (٢/ ٢٤٣) .

(3) ينظر : ينظر : تفسير مقاتل (٢/ ١٨٢- ١٨٣) ، وبحر العلوم (٢/ ٦٢) ، والكشاف (٣/ ٦٨- ٦٩) ، والمحرر الوجيز (٦/ ٥٦٩) ، وإيجاز البيان (١/ ٣١٠) ووضح البرهان (١/ ٤٠٣) ، وأنوار التنزيل (٤١٤/١) ، ومدارك التنزيل (٢/ ١٣٦) ، وتفسير مبهمات القرآن (١/ ٥٥١) ، والجواهر الحسان (٦٢/٢)، وإرشاد العقل السليم (٤٢٧/٢- ٤٢٨) .

(4) ينظر : البحر المحيط (٥/ ٧٢) .

(5) ينظر : إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٢/ ٤٢٨) ، وحاشية الشهاب (٤/ ٣٤٥) ، وروح المعاني للآلوسي (١٠/ ١٣٨) ، وفتح القدير (٢/ ٥٤٤) ، وفتح البيان (٥/ ٣٥١) .

(6) تفسير القرآن الحكيم (٤٨٥/١٠) بتصرف يسير .

(7) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١١/ ٥٧٢) ، وابن أ بي حاتم في تفسيره (٦/ ١٨٤٣- ١٨٤٤) رقم (١٠١١٠) وإسناده صحيح إلاّ أنه مرسل . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٢٤١) نسبته إلى ابن المنذر . وأخرجه مختصرًا عبد الرزاق في تفسيره (٢٨٣/٢) ، وابن جرير الطبري في جامع البيان (٥٧٢/١١) كلاهما من طريق معمر ، عنه . وأصل الخبر دون ذكر نزول الآية عند أحمد في مسنده (١٥٢٢٣) ، والبخاري في صحيحه (٤٩٠٥) ، ومسلم في صحيحه (٢٥٨٤/ ٦٣) عن جابر . وعند أحمد في مسنده (١٩٣٣٤) ، والبخاري في صحيحه (٤٩٠٣) ، ومسلم في صحيحه (٢٧٧٢) عن زيد بن أرقم . وينظر : أسباب النزول للواحدي (٢٨٩).

وجعله السعدي مثالاً لتفسير الكلمة فقال : «كقول من قال منهم : ليخرجن الأعز منها الأذل» [1] .

وذكره أبوحيان بصيغة (قيل) [2] .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن الصواب من القول في ذلك هو عدم التعيين ؛ لعدم الدليل الصحيح على أن المراد به واحد معين ، وقد عمَّ الله تعالى بذلك جماعة المنافقين فيجوز أن يكون القائل هو الجلاس ، ويجوز أن يكون ابن أبي بن سلول ، ولا خبر صحيح يوجب الحجة بأنه أحدهما.

وعلى أنه رجل من المنافقين من غير تسميته : قول أنس بن مالك [3] ، وابن سيرين[4]، ومجاهد [5] ، والحسن [6] . وذهب إليه ابن جرير الطبري، وابن العربي، والرازي، وابن كثير، والقاسمي، والسيد رشيد رضا، والمراغي، والطاهر بن عاشور [7] .

ويؤيده من القواعد الترجيحية قاعدة القول بالعموم وهي : (يجب حمل نصوص الوحي على العموم) [8] . والله تعالى أعلم .

---

(1) ينظر : تيسير الكريم الرحمن (٢/ ٢٦٧) .

(2) ينظر : البحر المحيط (٥/ ٧٢) .

(3) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٨٤٢) رقم (١٠٢٢٢) قال : سمع زيد بن أرقمط رجلا من المنافقين يقول – والنبي > يخطب- : إن كان هذا صادقًا لنحن شر من الحمير ... الحديث . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٢٤٠/٤) نسبته إلى أبي الشيخ ، وابن مردويه ، والبيهقي في الدلائل . وأصله رواه البخاري في صحيحه (٤٩٠٦) . قال ابن كثير في تفسيره (٧/ ٢٣٨) : والمشهور في هذه القصة أنها كانت في غزوة بني المصطلق ، فلعل الراوي وهم في ذكر الآية وأراد أن يذكر غيرها فذكرها ، والله أعلم.

(4) نسبه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٢٤٢) إلى ابن المنذر ، وأبي الشيخ .

(5) أخرجه ابن جرير الطري في جامع البيان (١١/ ٥٧١) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٨٤٥) . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٢٤٢) نسبته إلى ابن أبي شيبة ، وابن المنذر .

(6) ينظر : النكت والعيون للماوردي (٢/ ٣٨٣) ، و أحكام القرآن للجصاص (٣٤٩/٤) ، وأحكام القرآن لابن العربي (٩٧٩/٢) ، وزاد المسير لابن الجوزي (٤٧٠/٣) .

(7) ينظر : جامع البيان (١١/ ٥٧٢) ، وأحكام القرآن (٢/ ٩٧٩) ، ومفاتيح الغيب (٦/ ١٠٤) ، وتفسير القرآن العظيم (٧/ ٢٣٧- ٢٤٣) ، ومحاسن التأويل (٨/ ٣٢٠٥) ، وتفسير القرآن الحكيم (١٠/ ٤٨٤- ٤٨٧) ، وتفسير المراغي (١٠/ ١٦٥) ، والتحرير والتنوير (١٠/ ٢٦٩) .

(8) قواعد الترجيح عند المفسرين (٢/ ٥٢٧) .

المسألة الثانية هي :

٢١- مالمراد بالهمَّ بما لم ينلْه ؟ في قوله تعالى : ﴿وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْ﴾ .

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « هَمَّ الجُلاسُ بقتل مَنْ بَلَّغ تلك الكلمة عنه . وقيل : هَمَّ بقتْلِ النبي > » [1] .

العرض والمناقشة :

لما رجَّحَ ابن جُزَيّ أن الحالف ما قال كلمة الكفر هو الجُلاسُ بن سويد – وقد تبيّن أن هذا مرجوح – رجَّح هنا أن الهمَّ بما لم ينلْه هو : هَمُّه بقتل مَنْ بلّغ تلك الكلمة عنه .

ووافق في هذا ما ذهب إليه السمرقندي، وابن أبي زمنين، ومحمود النيسابوري، والبلنسي [2] . وقدّمه ابن عطية [3] .

وذكره الزمخشري ، والقمي ، وابن كثير بصيغة (قيل) [4] .

وأما القول الآخر بأن الجلاس هَمَّ بقتل النبي > فلم أر من قال به وذهب إليه .

لكن اختار جماعة من المفسّرين أن جماعة من المنافقين همّوا بقتل النبي > ليلة العقبة في غزوة تبوك ، ومنهم : مقاتل، والزجاج، والسمعاني، والزمخشري، وابن الجوزي، والرازي، والقرطبي، والبيضاوي، والقمي، وابن كثير، والسيوطي، وأبوالسعود، والآلوسي، والسيد محمد رشيد رضا، والمراغي، والسعدي، والطاهر بن عاشور [5] .

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٨٠) .

(2) ينظر : بحر العلوم (٢/ ٦٢) ، وتفسير القرآن العزيز (٢/ ٢٢٠) ، وإيجاز البيان (١/٣١٠) ، وتفسير مبهمات القرآن (٢/٦٢) .

(3) ينظر : المحرر الوجيز (٦/ ٥٧٠) وقال : هذا يشبه الآية إلاّ أنه غير قوي السند.

(4) ينظر : الكشاف (٣/ ٧٠) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ٥٠٤)، وتفسير القرآن العظيم (٧/ ٢٤٠).

(5) ينظر : تفسير مقاتل (٢/١٨٣، ١٨٤) ــ لكنه جعل من هؤلاء من المنافقين ابن أُبَيّ والجلاس ــ ، ومعاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٦١) ، وتفسير القرآن (٢/ ٣٢٩) ، والكشاف (٣/ ٦٩) ، وتذكرة الأريب (١/٢٢١) ، ومفاتيح الغيب (٦/ ١٠٤) ، والجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٣٠٤) ، وأنوار التنزيل (١/٤١٤)، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ٥٠٤) ، وتفسير القرآن العظيم (٧/ ٢٤٠) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٣/ ٢٩٢) ، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٤٢٨) ، وروح المعاني (١٠/ ١٣٩) ، وتفسير القرآن الحكيم (١٠/٤٨٦) ، وتفسير المراغي (١٠/ ١٦٥) ، وتيسير الكريم الرحمن (٢/ ٢٦٧) ، والتحرير

وعُزِيَ هذا القول إلى الكلبي ، والضحاك [1] ، وابن إسحاق [2] .

ويدل له ما رواه حذيفة بن اليمان قال : كنت آخذًا بخطام ناقة رسول الله > ، أقود به ، وعمار يسوق الناقة ، أو أنا أسوقه وعمار يقوده ، حتى إذا كنا بالعقبة ، فإذا أنا باثني عشر راكبًا قد اعترضوه فيها ، قال : فأنبهت رسول الله > بهم ، فصرخ بهم فولوا مدبرين، فقال لنا رسول الله > : (هل عرفتم القوم ؟) قلنا : لا يا رسول الله ، قد كانوا متلثمين ، ولكنا قد عرفنا الركاب. قال: (هؤلاء المنافقون إلى يوم القيامة ، وهل تدرون ما أرادوا ؟) قلنا : لا . قال : (أرادوا أن يزحموا رسول الله > في العقبة فيلقوه منها) الحديث..[3]

وعن أبي الطفيل قال : لما أقبل رسول الله > من غزوة تبوك ، أمر مناديًا فنادى : إن رسول الله > آخذ العقبة فلا يأخذها أحد ، فبينما رسول الله > يقوده حذيفة ويسوقه عمار ، إذ أقبل رهط متلثمون على الرواحل ، فغشوا عمارًا وهو يسوق برسول الله > ، وأقبل عمار ط يضرب وجوه الرواحل ، فقال رسول الله > لحذيفة : (قد قد) حتى هبط رسول الله > فلما هبط نزل ورجع عمار ، فقال: (يا عمار، هل عرفت القوم ؟) فقال : لقد عرفت عامة الرواحل ، والقوم متلثمون . قال : (هل تدري ما أرادوا ؟) قال : الله ورسوله أعلم . قال : (أرادوا أن ينفروا برسول الله > فيطرحوه) . قال : فسارّ عمار رجلاً من أصحاب رسول الله > ، فقال : نشدتك بالله ، كم تعلم كان أصحاب العقبة ؟ قال : أربعة عشر رجلاً . فقال : إن كنت منهم فقد كانوا خمسة عشر . قال : فعذر رسول الله > منهم ثلاثة قالوا : والله ما سمعنا منادي رسول الله > وما علمنا ما أراد القوم ، فقال عمار : أشهد أن الاثني عشر الباقين حرب لله ولرسوله في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد [4] .

والتنوير (١٠/٢٧٠) .

(1) ينظر : الوسيط للواحدي (٢/ ٥١٢) ، وأسباب النزول له (٢٨٩) .

(2) ينظر : الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٢٤٣- ٢٤٤) .

(3) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٥/ ٢٦٠- ٢٦١) دون ذكر الآية .

(4) أخرجه أحمد في مسنده (٥/ ٤٥٣- ٤٥٤) برقم (٢٣٣٢١، ٢٣٧٩٢، ٢٣٨٩٩ ط التركي) بدون ذكر الآية . قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ١٩٥) : رجاله رجال الصحيح .

قال ابن كثير : « ويشهد لهذه القصّة بالصحة ما رواه مسلم [1] من حديث أبي الطفيل قال : كان بين رجل من أهل العقبة وبين حذيفة بعضُ ما يكون بين الناس ، فقال : أنشدك بالله ، كم كان أصحاب العقبة ؟ قال : فقال له القوم : أخبره إذ سألك . قال : كنا نخبر أنهم أربعة عشر ، فإن كنت منهم فقد كان القوم خمسة عشر ، وأشهد بالله أن اثني عشر منهم حرب لله ولرسوله في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ، وعذر ثلاثة قالوا : ما سمعنا منادي رسول الله > ولا علمنا بما أراد القوم ، وقد كان في حَرَّةٍ فمشى فقال : (إن الماء قليل ، فلا يسبقني إليه أحد) . فوجد قومًا قد سبقوه فلعنهم يومئذ »[2] .

وفي المسألة قولٌ آخر وهو : أن المنافقين قالوا في غزوة تبوك : إذا قدمنا المدينة ، عقدنا على رأس عبد الله بن أُبَيّ تاجًا نباهي به رسول الله > ، فلم ينالوا ما همُّوا به .

رُوِيَ هذا عن السدي [3] ، وأبي صالح [4] . واختاره الواحدي [5] .

وذكره الزمخشري ، والقرطبي ، والقمي بصيغة (قيل) [6] .

وقولٌ آخر وهو : أن الذي هَمَّ هو عبد الله بن أبي سلول ، وكان همُّهُ الذي لم يَنَلْهُ قوله : (لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل) . روي هذا عن قتادة [7].

وقال ابن الجوزي : رواه أبو صالح، عن ابن عباس، وبه قال قتادة [8] .

وبعد، فإذا تقرر هذا فالصواب أن الذي هَمَّ بما لم يناله هم جماعة من المنافقين ، وعدم التعيين هو الصحيح ، والأقرب في الهمِّ بما لم ينالوا هو هَمُّهم بالفتك برسول الله > ليلة العقبة منصرفه من غزوة تبوك ؛ لقوة أدلته ، ولمناسبةِ تلك القصة بغزوة تبوك ، وكونِ هذه السورة نازلةً بعدها، والله تعالى أعلم .

---

(1) صحيح مسلم (٢٧٧٩) .

(2) تفسير القرآن العظيم (٧/ ٢٤٢) .

(3) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٨٤٥) رقم (١٠٠٠٤) . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٢٤٤/٤) نسبته إلى أبي الشيخ . وينظر : زاد المسير لابن الجوزي (٣/ ٤٧١) .

(4) نسبه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٢٤٤) إلى أبي الشيخ .

(5) ينظر : الوجيز (١/ ٤٧٣) والوسيط (٢/ ٥١٢) .

(6) ينظر : الكشاف (٧٠/٣) ، والجامع لأحكام القرآن (٣٠٤/١٠) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٥٠٤/٣)

(7) سبق تخريجه في المسألة السابقة .

(8) زاد المسير (٣/ ٤٧١) .

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾

٢٢- الخلاف في معنى قوله تعالى: ﴿ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾.

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى: « يحتمل معنيين: أحدهما: أن يكون لفظه أمر، ومعناه الشرط، ومعناه: إن استغفرت لهم أو لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم، كما جاء في سورة المنافقين. والآخر: أن يكون تخيير، كأنه قال: إن شئت فاستغفر لهم، وإن شئت فلا تستغفر لهم، ثم أعلمه الله أنه لا يغفر لهم. وهذا أرجح؛ لقول رسول الله ﷺ: (إن الله خيّرني فاخترت). وذلك حين قال عمر: أتُصلي على عبد الله بن أُبيّ وقد نهاك الله عن الصلاة عليه »[1].

العرض والمناقشة:

رجّح ابن جُزَيّ في معنى قوله تعالى: ﴿ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾ أنه على التخيير. ووافق في هذا ما نُسب إلى الحسن، وقتادة، وعروة[2].

وعليه النحاس، والسمرقندي، وابن أبي زمنين، والماوردي، والواحدي، وابن العربي، وابن عطية، وابن الجوزي، وأبوحيان، والثعالبي، والسيوطي، والآلوسي[3].

واستدلّ له ابن جُزَيّ ومن وافقه بما روى ابن عمر ك: أن عبد الله بن أُبَيّ لما توفي جاء ابنه إلى النبي ﷺ فقال: أعطني قميصك أكفّنه فيه، وصَلّ عليه واستغفر له. فأعطاه النبيُّ ﷺ قميصه فقال: (آذني أصلي عليه) فآذنه. فلما أراد أن يصلي عليه جذبه عمر ط

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٨١).

(2) نسبه إليهم القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٣٢١).

(3) ينظر: الناسخ والمنسوخ (٢/ ٤٦٧)، و بحر العلوم (٢/ ٦٥)، وتفسير القرآن العزيز (٢/ ٢٢٢)، والنكت والعيون (٢/ ٣٨٦)، والوجيز (١/ ٤٧٥)، وأحكام القرآن (٢/ ٩٩١) ـــ وقال: وهذا أقوى ـــ، والمحرر الوجيز (٦/ ٥٨٠)، وزاد المسير (٣/ ٤٧٧) ـــ وقال: هذا قول المحققين ـــ، والبحر المحيط (٥/ ٧٦)، والجواهر الحسان (٢/ ٦٥)، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٣/ ٢٩٨)، وروح المعاني (١٠/ ١٤٧).

فقال : أليس الله نهاك أن تصلي على المنافقين ؟ فقال : (أنا بين خيرتين ، قال الله تعالى: ﴿ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴾). فصلى عليه ، فنزلت ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا ﴾ [1][التوبة : ٨٤] . وفي رواية : (إنما خيَّرني الله فقال : ﴿ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً ﴾ وسأزيده على السبعين)[2] .

وروى ابن عباس ب ، عن عمر بن الخطاب ط أنه قال : لما مات عبد الله بن أُبَيّ ابن سلول دُعِيَ له رسول الله > ليصلي عليه : فلما قام رسول الله > وثبْتُ إليه فقلت : يا رسول الله ، أتصلي على ابن أُبَيّ ؟ وقد قال يوم كذا وكذا : كذا وكذا ، أُعَدّدُ عليه، قال: (إني خُيِّرْت فاخترت لو أعلم أني لو زدت على السبعين يغفر له لزدت عليها) [3] الحديث .

وهذا نصٌّ واضح في فهم النبيّ > من الآية التخيير [4] .

قال ابن العربي : « وهذا أقوى ؛ لأن هذا نص صريح صحيح من النبي > في التخيير، وتلك استنباطات ، والنص الصريح أقوى من الاستنباط »[5] .

ويؤيد هذا القول أن ﴿ أَوْ ﴾ هاهنا للتخيير [6]. ولا يمكن إخراجها عن هذا المعنى إلاّ بدليل ، كيف وقد فهم النبي > ذلك ؟!

---

(1) أخرجه أحمد في المسند (٢/ ١٨) ، والبخاري في صحيحه (١٢٦٩) ، ومسلم في صحيحه (٤/ ٢١٤١) (٢٧٧٤) ، والنسائي في الكبرى (٢٠٢٧) ، (١١٢٢٤) وفي المجتبى (١٨٩٩) ، والترمذي (٥/ ٢٧٩) (٣٠٩٨)، وابن ماجه (١٥٢٣) ، وابن جرير الطبري في جامع البيان (١١/ ٦١١) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٨٥٧/٦) ، والواحدي في أسباب النزول (٢٩٤) .

(2) رواها البخاري في صحيحه برقم (٤٦٧٠) .

(3) أخرجه أحمد (١/ ١٦) ، وأبو عبيد في ناسخه (٢٨٥) رقم (٥٢٣) ، والبخاري في صحيحه (١٣٦٦، ٤٦٧١) ، والترمذي (٣٠٩٧) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٨٥٣) رقم (١٠٥٠٧) ، والنحاس في الناسخ والمنسوخ (٢٦٤/٢) رقم (٦١٩) ، والواحدي في أسباب النزول (٢٩٥) وغيرهم .

(4) ينظر : روح المعاني للآلوسي (١٠/ ١٤٧) .

(5) أحكام القرآن (٢/ ٩٩١) .

(6) قاله النحاس في الناسخ والمنسوخ (٢/ ٤٦٧) .

وأما القول الأول في معنى قوله تعالى : ﴿ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾ أنه خرج مخرج الأمر ، ومعناه الشرط والجزاء ، فيكون المعنى : إن استغفرت لهم أو لم تستغفر لهم فلن يغفر الله لهم ، فهو اختيار ابن جرير الطبري حيث قال : « وهذا كلام خرج مخرج الأمر ، وتأويله الخبر[1]، ومعناه : إن استغفرت لهم يا محمد أو لم تستغفر لهم، فلن يغفر الله لهم»[2].

وعليه الكرماني، والبغوي، والزمخشري، والبيضاوي، والخازن، والقمي، والنسفي، والسمين، وأبوالسعود، والشوكاني، والقنوجي، والقاسمي، والسيد رشيد رضا، والطاهر بن عاشور، والشنقيطي، ومحي الدين درويش [3] .

وذكره أبوحيان بصيغة (قيل) [4] .

وأكثر هؤلاء قالوا : معناه الخبر ، إلاّ ما كان من الكرماني والزمخشري ، ولم يقولوا معناه الشرط ، وإن كان كلامهم يفيد ذلك .

قالوا : ونظيره قوله تعالى :﴿ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾[المنافقون:٦] .

وقوله تعالى : ﴿ أَنفِقُواْ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ﴾[التوبة : ٥٣] .

وقول كُثَيِّر عَزّة [5] :

أسيئي بنا أو أحسني لا مَلُومَةٌ لدينا ولا مَقْلِيَّةٌ إن تَقَلَّتِ

---

(1) جاء في بعض نسخ جامع البيان للطبري : الجزاء .

(2) جامع البيان (١١/ ٥٩٨) . قال ابن عطية في المحرر الوجيز (٦/ ٥٨٠) : وإلى هذا المعنى ذهب الطبري وغيره في معنى الآية .

(3) ينظر : غرائب التفسير (٤٦١/١)، ومعالم التنزيل (٣١٠/٢)، والكشاف (٧٤/٣)، وأنوار التنزيل (٤١٥/١)، ولباب التأويل (٢٤٧/٢)، وغرائب القرآن (٥١١/٣)، ومدارك التنزيل (١٣٨/٢)، والدر المصون (٦٥/٦)، وإرشاد العقل السليم (١٣٨/٢)، وفتح القدير (٥٤٩/٢)، وفتح البيان (٣٥٧/٥)، ومحاسن التأويل (٣٢١٤/٨)، وتفسير القرآن الحكيم (٤٩٦/١٠) ــ ونسبه للجمهور ــ ، والتحرير والتنوير (٢٧٧/١٠)، والعذب النمير (٥٦٧/٥) ــ طبعة بكر أبو زيد ــ ، وإعراب القرآن الكريم وبيانه (١٤٠/٤- ١٤٢) .

(4) ينظر : البحر المحيط (٥/ ٧٦) .

(5) ديوانه (٥٣/١) ، لسان العرب ، مادة (قلا) ورواها : لا ملومةٌ باللام . و مَقْلِيَّةٌ : مكروهة ، وتَقَلّت : فعلت ما تستحق به الكره والبغض . قال الجوهري : تَقَلّى أي : تبغّض .

أي : لا نلومك أحسنتِ إلينا أو أسأتِ [1] .

قال الشنقيطي : « تقرر في الأصول[2] أن من الصيغ التي ترد لها (افعل) قصد التسوية بين الأمرين ، فمن أساليب اللغة أن تأتي بصيغة (افعل) تقصد بذلك أن تسوي بين الأمرين المذكورين بعد ذلك . ونظيره في القرآن : ﴿ فَٱصۡبِرُوٓاْ أَوۡ لَا تَصۡبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡ ﴾[الطور: ١٦] يعني : صبركم وعدمه سواء لا ينفعكم ذلك . ﴿ ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ ﴾ [التوبة : ٨٠] يعني : استغفارك وعدمه سواء ، لا ينفع استغفارك ولا عدمه ...وإتيان التسوية بين الأمرين بصيغة (افعل) معروف في كلام العرب ، كقول كثير عزة ...يعني : إن أسأت أو أحسنت إلينا فكل ذلك سواء لا يغير وُدَّنا القديم بالنسبة إليك »[3] .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن أَولى القولين بالتقديم هو ما رجّحه ابن جُزَيّ ومن وافقه ؛ لثبوت الحديث الصحيح الصريح في معناه . ويتأيد بقاعدتين ترجيحيتين :

١ــ (إذا ثبت الحديث وكان نصًّا في تفسير الآية فلا يصار إلى غيره) .

٢ــ (إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجّح له على ما خالفه) [4].

وأما القول بأنه خبر فيه معنى التسوية ، أو خبر فيه معنى الشرط فهو غير مدفوع ؛ بدلالة : ﴿ فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡ ﴾ ، ولوجود ما يدل عليه في القرآن وكلام العرب . والنبي < خير من يعلم أن استغفاره لهم لن ينفعهم ، وإنما قال : (إني خُيّرت) جوابًا لعمر ، واستغفر له تطييبًا لقلب ابنه المؤمن .

وذكر الآلوسي عن بعض المحققين بعد اختياره للتسوية أنه قال : « إنها لا تنافي التخيير»[5] . والله تعالى أعلم .

---

(1) ينظر : الدر المصون للسمين (٦/٦٥) .

(2) ينظر : شرح الكوكب المنير (٣/ ٢٧) ، والتحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (١٠/٢٧٧) .

(3) العذب النمير (٥/ ٥٦٧) طبعة أبو زيد .

(4) قواعد الترجيح عند المفسرين (١/ ١٩١ ، ٢٠٦) .

(5) روح المعاني (١٠/ ١٤٧) .

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ ﴾

٢٣- الخلاف في معنى ﴿ خِلَٰفَ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ ﴾ .

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « ﴿ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ ﴾ أي : بَعْدَهُ حين خرج إلى تبوك ، فـ خِلَٰفَ على هذا ظَرْفٌ . وقيل : هو مصدرٌ مَنْ خَلَفَ ، فهو على هذا مفعول لأجله » [1].

العرض والمناقشة :

رجَّح ابن جُزَيّ أن ﴿ خِلَٰفَ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ ﴾ ظَرْفٌ ومعناه: بَعْدَه حين خرج إلى تبوك . ووافق في هذا قول أبي عبيدة معمر بن المثنى [2] .

وذهب إليه الكرماني، والبغوي، والزمخشري، وابن الجوزي، والعكبري، والبيضاوي، والخازن، وأبوحيان، وابن كثير، والثعالبي، والسيوطي، وأبوالسعود، والآلوسي، والقاسمي[3].

وقدّمه ابن عطية [4] ، وكذا الشوكاني ومال إليه [5] . ومال إليه أيضًا الرازي [6] . وهو مفهوم كلام السعدي [7] .

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٨١) .

(2) مجاز القرآن (٢/ ٢٦٤) . وينظر : زاد المسير لابن الجوزي (٣/ ٤٧٨) .

(3) ينظر : غرائب التفسير وعجائب التأويل (١/ ٤٦١) ، ومعالم التنزيل (٢/ ٣١٠) ، والكشاف (٣/ ٧٥) ، وتذكرة الأريب (١/ ٢٢٢) ، والتبيان (٢/ ٦٥٣) ، وأنوار التنزيل (١/ ٤١٦) ، ولباب التأويل (٢/ ٢٤٨)، والبحر المحيط (٥/ ٧٩) ، والجواهر الحسان (٢/ ٦٥) ، وتفسير القرآن العظيم (٧/ ٢٥٢) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٣/ ٢٩٩) ، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٤٣٢) ، وروح المعاني (١٠/ ١٥١) ، ومحاسن التأويل (٨/ ٣٢١٧) .

(4) ينظر : المحرر الوجيز (٦/ ٥٨٤) .

(5) ينظر : فتح القدير (٢/ ٥٥٠) .

(6) ينظر : مفاتيح الغيب (٦/ ١١٣) .

(7) ينظر : تيسير الكريم الرحمن (٢/ ٢٧١) .

وذكره محمود النيسابوري بصيغة (قيل) [1] .

واستُدِلَّ لهذا القول باستعمال العرب لـــ خِلَفَ في معنى خَلْفَ و بَعْد . يقال : أمام زيد خلاف القوم ، أي : تخلّف بعد ذهابهم [2] .

ومنه قول الشاعر :

عَقَبَ الربيعُ خلافهم فكأنما بسط الشواطبُ بينهن حَصيرًا [3]

أي : بعدهم .

ومنه قول الآخر :

فقل للذي يبقى خلافَ الذي مضى تَأَهَّبْ لأُخْرَى مثلها فكأن قدِ [4]

وقال الآخر :

قال : تَبْكِ في رسم الديار فإنها ديارُ بني عوفٍ وهلْ عنهمُ صَبْرُ

فما كنت أخشى أن أعيش خلافهم بستةِ أبياتٍ كما نبتَ العترُ [5]

ويشهد لهذا التأويل القراءة الشاذة : ﴿ خَلْفَ رسول الله ﴾ [6] .

ومعناها : أنهم تأخروا عن الجهاد في سبيل الله [7] .

---

(1) ينظر : وضح البرهان (١/ ٤٠٦) .

(2) ينظر : الدر المصون للسمين (٦/ ٩١) ، الفتوحات الإلهية للجمل (٣/ ٣٠٠) .

(3) أنشده أبو عبيدة في مجاز القرآن (٢/ ٢٦٤) للحارث بن خالد المخزومي . ويُرْوى : عفت الديار خلافهم ...كما في النكت والعيون للماوردي (٢/ ٣٨٦- ٣٨٧) . وفي الأغاني ، واللسان (عقب) : عقب الرذاذ ... والشواطب : جمع شاطبة ، وهي التي تعمل الحُصَر من الشَّطْب ، وهو السَّعف الأخضر . ينظر : اللسان (خلف، عقب وشطب) .

(4) ينظر : المحرر الوجيز (٦/ ٥٨٤) ، والبحر المحيط (٥/ ٧٩) ، والدر المصون (٦/ ٩١) .

(5) ينظر : وضح البرهان (١/ ٤٠٦) وعزاه للهذلي وهو : البويق الهذلي والبيتان في ديوان الهذليين (٣/ ٥٨) ، والثاني منهما في لسان العرب (عتر) . والعتر : شجر له ورق صفار .

(6) ينظر : القراءات الشاذة (٥٤) ، وزاد المسير لابن الجوزي (٣/ ٤٧٨) ، والبحر المحيط (٥/ ٧٩) ، والكشاف (٧٥/٣) وغيرهم . ونسبت القراءة إلى ابن عباس ، وأبي حيوة ، وعمرو بن ميمون ، وابن مسعود ، وابن يعمر، والأعمش ، وابن أبي عبلة .

(7) ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٤٦٣) ، ومعاني القرآن الكريم للنحاس (٢٣٩/٣) ، وزاد المسير (٤٧٨/٣) .

وأما القول الآخر بأن ﴿ خِلَٰفَ ﴾ مصدرٌ من خَلَفَ ، فهو مفعول لأجله ، والمعنى : قعدوا مخالَفةً لرسول الله > وفرحوا بذلك ، فذهب إليه الأخفش، والطبري، والزجاج، والنحاس، وابن أبي زمنين، والراغب الأصفهاني، ومكي، والواحدي، ومحمود النيسابوري، والقرطبي، والنسفي، والقمي، والسيد رشيد رضا، والمراغي [1] .

وبدأ به الماوردي ونسبه للأكثرين [2] ، وكذا بدأ به وقدّمه السمعاني [3] . وجوّزه البيضاوي، والقاسمي [4] . ونُسِبَ إلى قطرب، والمؤرج [5] .

واستغربه الكرماني [6] . وذكره البغوي، والزمخشري ، والعكبري، والخازن، وأبوالسعود، والآلوسي بصيغة (قيل) [7] .

قال ابن جرير الطبري : « وقوله ﴿ خِلَٰفَ ﴾ : مصدرٌ من قول القائل : خالف فلانٌ فلانًا ، فهو يُخالِفُه خِلافًا . فلذلك جاء مصدره على تقدير (فِعالٍ) ، كما يقال : قاتله فهو يقاتله قتالاً. ولو كان مصدرًا من خَلَفَه ، لكانت القراءة : بمقعدهم خَلْفَ رسول الله ؛ لأن مصدر خَلَفَه : خَلْفٌ ، لا خِلافٌ ، ولكنه على ما بيّنت من أنه مصدر خالف ، فقُرئ ﴿ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ ﴾ ، وهي القراءة التي عليها قَرَأَةُ الأمصار ، وهي الصواب عندنا .

---

(1) ينظر : معاني القرآن (٢/ ٣٣٤) ، وجامع البيان (١١/ ٦٠٢) ، ومعاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٦٣) ، ومعاني القرآن الكريم (٣/ ٢٣٨) ، وتفسير القرآن العزيز (٢/ ٢٢٣) ، ومفردات ألفاظ القرآن (٢٩٥) ــ (خلف) ــ ، ومشكل إعراب القرآن (٣٣٤) ، والوجيز (١/ ٤٧٥) ، ووضح البرهان (١/ ٤٠٦) ، والجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٣١٦- ٣١٧) ، ومدارك التنزيل (٢/ ١٣٩) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٥١١/٣) ، وتفسير القرآن الحكيم (١٠/ ٤٩٨) ، وتفسير المراغي (١٠/ ١٧٣) .

(2) ينظر : النكت والعيون (٢/ ٣٨٦) .

(3) ينظر : تفسير القرآن (٢/ ٣٣٣) .

(4) ينظر : أنوار التنزيل (١/ ٤١٦) ، ومحاسن التأويل (٨/ ٣٢١٧) .

(5) ينظر : الوسيط للواحدي (٢/ ٥١٥) ، ومفاتيح الغيب للرازي (٦/ ١١٣) ، والبحر المحيط لأبي حيان (٧٩/٥). ونسبه لقطرب وحده القمي في غرائب القرآن (٣/ ٥١١) ، ونسبه لمؤرج وحده السمين في الدر المصون (٩١/٦).

(6) ينظر : غرائب التفسير وعجائب التأويل (١/ ٤٦١) .

(7) ينظر : معالم التنزيل (٢/ ٣١٠) ، والكشاف (٣/ ٧٥) ، والتبيان (٢/ ٦٥٣) ، ولباب التأويل (٢/ ٢٤٨) ، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٤٣٢) ، وروح المعاني (١٠/ ١٥١) .

وقد تأول ذلك بعضُهم بمعنى : بَعْدَ رسول الله > . واستشهد على ذلك بقول الشاعر :

عَقَبَ الربيعُ خلافهم فكأنما بسط الشواطبُ بينهن حَصيرًا

وذلك قريبٌ لمعنى ما قلنا ؛ لأنهم قعدوا بَعْدَه ، على الخلاف له »[1] .

وقال أبوحيان : « ويؤيد هذا التأويل قراءةُ من قرأ (خُلْف) بضم الخاء ، وما تظاهرت به الروايات من أنه أمرهم بالنّفْر فغضبوا وخالفوا وقعدوا مستأذنين وغير مستأذنين»[2] .

وفي تفسير قوله تعالى : ﴿ فَأَقْعُدُواْ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ ﴾ [التوبة : ٨٣] يقول الفراء : « من الرجال خلوف وخالفون ، والنساء خوالف : اللاتي يخلُفْن في البيت فلا يبرحن . ويقال : عبد خالف ، وصاحب خالف : إذا كان مخالفًا »[3] .

ويقول أبوعبيدة : « الخالف الذي خَلَفَ بعد شاخص فقعد في رحله ، وهو مَنْ تخلَّف عن القوم . ومنه : (اللهم اخلفني في ولدي) ، ويقال : فلان خالفةُ أهل بيته . أي : مخالفهم إذا كان لا خير فيه »[4] .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن كلا المعنيين صحيح وثابت استعماله في اللغة ، وقد قرئ قوله تعالى : ﴿ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء : ٧٦] على الوجهين : (خِلافَكَ) أَيْ : مخالفة لك . و(خَلْفَكَ) أي : بَعْدَك [5] .

قال الطاهر : « ومن نكتة اختيار لفظ (خِلافَ) دون (خَلْف) أنه يشير إلى أن قعودهم كان مخالفةً لإرادة رسول الله > حين استنفر الناس كلَّهم للغزو »[6] .

---

(1) جامع البيان (١١/ ٦٠٢) . ويقصد ببعضهم أبا عبيدة معمر بن المثنى ، والله أعلم .

(2) البحر المحيط (٧٩/٥) وتبعه السمين في الدر المصون (٦/ ٩١) . وينظر : إرشاد العقل السليم (٢/ ٤٣٢) ، ومحاسن التأويل (٨/ ٣٢١٧) .

(3) معاني القرآن (١/ ٤٤٧) .

(4) مجاز القرآن (١/ ٢٦٥) .

(5) ينظر : مفردات ألفاظ القرآن للراغب (٢٩٥) . قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وأبو بكر وأبو جعفر (خَلْفَك) أي : بعدك . وقرأ الباقون (خلافك) . ينظر :السبعة (٣٨٤) ،والتيسير(١٤١) .

(6) التحرير والتنوير (١٠/ ٢٨٠) .

وإذا كان ذلك كذلك فإن الأصحَّ في معنى ﴿ خِلَٰفَ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ ﴾ هو أنها بمعنى "المخالفة"، مع صحة كونها بمعنى "بَعْد" . ويؤيد ذلك القاعدة الترجيحية : (معنى القراءة المتواترة أَولى بالصواب من معنى القراءة الشاذة) [1] . والله تعالى أعلم .

(1) قواعد الترجيح عند المفسرين (١/ ١٠٤) .

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾

٢٤- الخلاف في معنى أمرهم بالضحك القليل والبكاء الكثير .

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « أَمْرٌ بمعنى الخبر ، فضحكهم القليل في الدنيا مُدَّة بقائهم فيها ، وبكاؤهم الكثير في الآخرة . وقيل : هو بمعنى الأمر ، أَيْ : يجب أن يكونوا يضحكون قليلاً ويبكون كثيرًا في الدنيا لما وقعوا فيه » [1] .

العرض والمناقشة :

رجَّح ابن جُزَيّ أن الأمر في قوله تعالى : ﴿ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا ﴾ هو بمعنى الخبر ، أي : ضحكهم القليل في الدنيا ، وبكاؤهم الكثير في الآخرة . ووافق في هذا معنى ما رُوِيَ عن ابن عباس [2] ، وأبي رَزين [3] ، والحسن [4] ، وقتادة [5] ، وزيد بن أسلم [6] ، وابن زيد [7] ، والربيع بن خُثيم [8] .

وذهب إليه : النحاس، والسمرقندي، وابن أبي زمنين، والواحدي، والبغوي، والزمخشري، وابن عطية، والرازي، والبيضاوي، والنسفي، والخازن، والقمي، وأبوحيان، وابن كثير، والثعالبي، والسيوطي، وأبوالسعود، والشوكاني، والآلوسي، والقنّوجي،

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٨١) .

(2) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١١/ ٦٠٧) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٨٥٥) من طريق علي ابن أبي طلحة ، عنه . وينظر : صحيفة علي (٢٦٩) . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٢٥٦/٤) نسبته إلى ابن المنذر .

(3) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١١/ ٦٠٥، ٦٠٦، ٦٠٧) ، وابن بي حاتم في تفسيره (١٨٥٥/٦، ١٨٥٦) .

(4) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢٨٤/٢) ، والطبري في جامع البيان (٦٠٦/١١) من طريق معمر ، عنه . وذكره معلقًا ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٨٥٥ ، ١٨٥٦) .

(5) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١١/ ٦٠٦) . وذكره معلقًا ابن أبي حاتم في تفسيره (١٨٥٥/٦) .

(6) ذكره معلقًا ابن أبي حاتم في تفسيره (١٨٥٥/٦) .

(7) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦٠٧/١١) .

(8) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١١/ ٦٠٥، ٦٠٦، ٦٠٧) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٨٥٦/٦) رقم (١٠٢٠٠) .

والقاسمي، والطاهر بن عاشور [1] . وهو مفهوم كلام مقاتل، وابن جرير الطبري، والسعدي[2] .

وذكره القرطبي بصيغة (قيل) [3] .

قال الشوكاني : « هذان الأمران معناهما الخبر ... وإنما جيء بهما على لفظ الأمر ؛ للدلالة على أن ذلك أمر محتوم لا يكون غيره »[4] .

وقال الآلوسي : « إخراجه في صورة الأمر؛ للدلالة على تحتم وقوع المخبر به ...وإذا عبّر عن الأمر بالخبر لإفادة أن المأمور لشدّة امتثاله كأنه وقع منه ذلك وتحقق قبل الأمر كان أبلغ، وإذا عبَّر عن الخبر بالأمر لإفادة لزومه ووجوبه كأنه مأمور به أفاد ذلك مبالغةً من جهة أخرى »[5] .

وأما القول الآخر بأن الأمر في قوله تعالى : ﴿ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا ﴾ أنه على معناه مِن إفادة الأمر ، أي : كان الواجب عليهم أن يضحكوا قليلا وأن يبكوا كثيرًا في الدنيا ؛ لما وقعوا فيه ، فقد احتمله ابن عطية [6] ، واختاره السيد محمد رشيد رضا [7].

قال ابن عطية : « على نحو قوله > لأمته : (لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيرًا ولضحكتم قليلاً) »[8] .

---

(1) ينظر : معاني القرآن الكريم (٣/ ٢٣٩) ، وبحر العلوم (٢/ ٦٥) ، وتفسير القرآن العزيز (٢/ ٢٢٤) ، والوجيز (١/ ٤٧٥) ، ومعالم التنزيل (٢/ ٣١١) ، والكشاف (٣/ ٧٦)، و المحرر الوجيز (٦/ ٥٨٥- ٥٨٦) ، ومفاتيح الغيب (٦/ ١١٤) ، وأنوار التنزيل ١/ ٤١٦) ، ومدارك التنزيل (٢/ ١٣٩) ، ولباب التأويل (٢٤٨/٢) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ٥١٢) ، والبحر المحيط (٥/ ٨٠) ، وتفسير القرآن العظيم (٧/ ٢٥٥) ، والجواهر الحسان (٢/ ٦٦) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٣/ ٣٠٠) ، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٤٣٣) ، وفتح القدير (٢/ ٥٥٠) ، وروح المعاني (١٠/ ١٥٢) ، وفتح البيان (٣٦٠/٥)، ومحاسن التأويل (٨/ ٣٢٢١) ، والتحرير والتنوير (١٠/ ٢٨٢) .

(2) ينظر : تفسير مقاتل (٢/ ١٨٧) ، وجامع البيان (١١/ ٦٠٥) ، وتيسير الكريم الرحمن (٢/ ٢٧١- ٢٧٢) .

(3) ينظر : الجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٣١٧) .

(4) فتح القدير (٢/ ٥٥٠) .

(5) روح المعاني (١٠/ ١٥٢) .

(6) ينظر : المحرر الوجيز (٦/ ٥٨٦) ، والبحر المحيط لأبي حيان (٥/ ٨٠) .

(7) ينظر : تفسير القرآن الحكيم (١٠/ ٤٩٩) . وتبعه تلميذه المراغي في تفسيره (١٠/ ١٧٤) .

(8) أخرجه البخاري في كتاب الكسوف (١٠٤٤) والنكاح (٥٢٢١) والأيمان والنذور (٦٦٣١) ، ومسلم في

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن أَولى القولين بالصواب في ذلك هو ما رجّحه ابن جُزَيّ ومن وافقه مِنْ أن الأمر معناه الخبر عن حالهم بأن ضحكهم في الدنيا وبكاؤهم في الآخرة جزاءً بما كانوا يكسبون . ويتأيد بأنه قول السلف [1] ، واختيار جماهير المفسرين [2] ، والله تعالى أعلم .

الكسوف (٦١٨/٢) برقم (٩٠١) من حديث عائشة . وأخرجه البخاري في الرقاق(٦٤٨٥) والأيمان والنذور (٦٦٣٧) من حديث أبي هريرة .

(1) ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين (١/ ٢٧١، ٢٨٨) .

(2) ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل لابن جُزَيّ (١/ ٩) .

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ وَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ أَنۡ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسۡتَـٔۡذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوۡلِ مِنۡهُمۡ وَقَالُواْ ذَرۡنَا نَكُن مَّعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾

٢٥- الخلاف في المراد بالسورة في قوله تعالى :

﴿ وَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ أَنۡ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ﴾ الآية .

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « قيل : يعني براءة . والأرجح أنها على الإطلاق »[1].

العرض والمناقشة :

رجَّح ابن جُزَيّ الإطلاقَ في المراد بالسورة في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ أَنۡ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ﴾ ، وضعَّف القول بأنها سورةُ براءة . ووافق في هذا ما ذهب إليه ابن جرير الطبري، والزمخشري، وابن الجوزي، والرازي، والبيضاوي، والنسفي، وأبوحيّان، والبقاعي، والسيوطي، وأبوالسعود، والشهاب، والشوكاني، والآلوسي، والقنّوجي، والسيد رشيد رضا، والمراغي، والسعدي [2] . واحتمله ابن عطية [3] . ومال إليه القاسمي [4] .

ويدلّ له التنكير في كلمة (سُورَةٌ) ، فإنه يفيد العموم .

قال الشهاب : « كل سورة ذكر فيها الإيمان والجهاد ، وهذا أَولى وأفيد ؛ لأن

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٨٢) .

(2) ينظر : جامع البيان (١١/ ٦١٥) ، والكشاف (٣/ ٨٠) ، وزاد المسير (٣/ ٤٨١) ، ومفاتيح الغيب (١١٨/٦) ، وأنوار التنزيل (١/ ٤١٦) ، ومدارك التنزيل (٢/ ١٣٩- ١٤٠) ، والبحر المحيط (٨٢/٥) ــ ونسبه للجمهور ــ ، ونظم الدرر (٨/ ٥٦٩) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٣/ ٣٠٤) ، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٤٣٤) ، وحاشية الشهاب (٤/ ٣٥٢) ، وفتح القدير (٢/ ٥٥٢) ، وروح المعاني (١٥٦/١٠) ، وفتح البيان (٥/ ٣٦٤) ، وتفسير القرآن الحكيم (١٠/ ٥٠٨) ، وتفسير المراغي (١٠/ ١٧٨) ، وتيسير الكريم الرحمن (٢/ ٢٧٣) .

(3) ينظر : المحرر الوجيز (٦/ ٥٩١) .

(4) ينظر : محاسن التأويل (٨/ ٣٢٢٨) .

استئذانهم عند نزول آيات براءة عُلم مما مرَّ »[1] .

وأما القول بأن المراد بالسورة هنا سورةُ براءة ، فهو قول مقاتل [2]. وعليه السمرقندي، وابن عطية، والطاهر بن عاشور [3] . واحتمله الخازن [4] .

وذكره الزمخشري، والرازي ، والقمي، وأبوحيان، والشوكاني، والآلوسي، والقنّوجي بصيغة (قيل) [5] .

واستدلوا له بأن في سورة براءة الأمرَ بالإيمان والجهاد .

قال الطاهر : « وإطلاق اسم السورة عليها في أثنائها قبل إكمالها مجازٌ متسّع فيه ، كإطلاق الكتاب على القرآن في أثناء نزوله في نحو قوله : ﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِ ﴾ [البقرة : ٢] وقوله : ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ ﴾ [الأنعام : ٩٢] فهذا الوصف وصف مقدّر شبه بالحال المقدّرة ... ولما كانت السورة ألفاظًا وأقوالاً صحَّ بيانها ببعض ما حوته وهو الأمر بالإيمان والجهاد . فقوله : ﴿ أَنۡ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ ﴾ تفسيرللسورة و ﴿ أَنۡ ﴾ فيه تفسيرية كالتي في قوله تعالى حكايةً عن عيسى : ﴿ مَا قُلۡتُ لَهُمۡ إِلَّا مَآ أَمَرۡتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡ ﴾»[6] [المائدة : ١١٧] .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن الأَولى هو القول بالعموم ، فيشمل ما أنزل في سورة براءة من آيات تأمر بالإيمان بالله والجهاد مع رسوله > ، ويشمل كلَّ سورة فيها الأمر بالإيمان والجهاد ، وهو ما رجّحه ابن جُزَيّ ومن وافقه . ويتأيد بالقاعدة الترجيحية : (يجب حمل نصوص الوحي على العموم) [7] ، والله تعالى أعلم .

---

(1) حاشية الشهاب (٤/ ٣٥٢) .

(2) تفسير مقاتل (٢/ ١٨٨) . وينظر : زاد المسير لابن الجوزي (٣/ ٤٨١) .

(3) ينظر : بحر العلوم (٢/ ٦٧) ، والمحرر الوجيز (٦/ ٥٩١) ، والتحرير والتنوير (١٠/ ٢٨٨) .

(4) ينظر : لباب التأويل (٢/ ٢٥١) .

(5) ينظر : الكشاف (٣/ ٨٠) ، ومفاتيح الغيب (١١٨/٦) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ٥١٤) ، والبحر المحيط (٥/ ٨٢) ، وفتح القدير (٢/ ٥٥٢) ، وروح المعاني (١٠/ ١٥٦) ، وفتح البيان (٥/ ٣٦٤) .

(6) التحرير والتنوير (١٠/ ٢٨٨) .

(7) قواعد الترجيح عند المفسرين (٢/ ٥٢٧) .

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ ﴾

٢٦- الخلاف في المراد بالضعفاء المنفي عنهم الحرج في الآية .

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « هذا رَفْعٌ للحرج عن أهل الأعذار الصحيحة مِنْ ضَعْفِ البدن والفقر إذا تركوا الغَزْوَ . وقيل: إن الضعفاء هنا هم النساء والصبيان ، وهذا بعيد » [1].

العرض والمناقشة :

ظاهر كلام ابن جُزَيّ في المراد بالضعفاء المنفي عنهم الحرجُ في قوله تعالى : ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ ﴾ أنهم مَنْ كان ضعيفَ البدن ، فيدخل فيهم الشيخ الكبير والهرم ومَنْ خُلِقَ في أصل البنية شديد النّحافة والضؤولة بحيث لا يمكنه الجهاد ونحوهم . واستبعد أن يكون المراد بالضعفاء هنا هم النساء والصبيان . ووافق في هذا ما نُسِبَ إلى ابن عباس [2] ، والسدي [3] .

وذهب إليه جمهور المفسرين منهم : مقاتل، والطبري، والجصاص، والسمرقندي ، وابن أبي زمنين، والواحدي، والزمخشري، وابن عطية، وابن الجوزي، والرازي، والقرطبي، والبيضاوي، والنسفي، وأبوحيان، وابن كثير، والثعالبي، والبقاعي، والسيوطي، وأبوالسعود، والشوكاني، والآلوسي، والسيد رشيد رضا، والسعدي، والطاهر بن عاشور [4] .

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٨٢) .

(2) نسبه إليه البغوي في معالم التنزيل (٢/ ٣١٥) ، وابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٤٨٤) .

(3) نسبه إليه ابن أبي زمنين في تفسيرالقرآن العزيز (٢/ ٢٢٦) .

(4) ينظر : تفسير مقاتل (١٨٩/٢) ، وجامع البيان (١١/ ٦٢٣) ، وأحكام القرآن (٣٥٢/٤) ، وبحر العلوم (٦٨/٢) ، وتفسير القرآن العزيز (٢/ ٢٢٦) ، والوجيز (٤٧٧/١) والوسيط (٢/ ٥١٨) ، والكشاف (٨١/٣) ، والمحرر الوجيز (٥٩٧/٦) ، وزاد المسير (٤٨٥/٣) ، ومفاتيح الغيب (١٢١/٦) ، والجامع لأحكام القرآن (٣٣١/١٠) ، وأنوار التنزيل (٤١٧/١) ، ومدارك التنزيل (١٤٠/٢) ، والبحر المحيط (٨٥/٥) ، وتفسير القرآن العظيم (٢٦٤/٧) ، والجواهر الحسان (٦٧/٢) ، ونظم الدرر (٨/ ٥٧٣) ، وتفسير الجلالين

ويدل لهذا القول سياق الكلام ، فإن الآيات الكريمة جاءت في سياق المعتذرين بتخلّفهم عن الغزو والجهاد مع النبي > مع وجوبه عليهم ، فعذر النبي > منهم أهل الأعذار الصحيحة و لم يعذر غيرهم . وهم ثلاثة أصناف : الضعفاء ، والمرضى ، والفقراء .

وأما القول بأن الضعفاء الذين رفع الله عنهم الحرج بترك الجهاد هم النساء والصبيان ، فقد ذكره السمعاني عن بعضهم و لم ينسبه [1] ، واختاره البلنسي [2] .

وذكره البغوي ، والسيد رشيد رضا بصيغة (قيل) [3] .

ويدلُّ لهذا القول عموم قوله تعالى : ﴿ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ﴾ [النساء : ٧٥] وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴾ [النساء :٩٧- ٩٨] .

كما يدل له إطلاق الضعَّفة على من كان في أصل خلقته ضعيفًا ، فيدخل فيه النساء والصبيان، ومن طرأ عليه الضعف لكبرٍ و هَرَم .

قال البلنسي : « هم النساء والعبيد ، بدليل قوله تعالى بعد ذلك : ﴿ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ ﴾ ولو كان الضعف هنا من المرض لم يذكره بعد ذلك . وبدليل قوله – عليه السلام – : (اتقوا الله في الضعيفين : المرأة ، والعبد) »[4] .

ويُبعِد هذا القول أن الآية جاءت في سياق المعتذرين بتخلّفهم عن الجهاد ، وليس على

(الفتوحات ٣/ ٣٠٦) ، وإرشاد العقل السليم (٤٣٦/٢) ، وفتح القدير (٥٥٥/٢) ، وروح المعاني (١٥٨/١٠) وتفسير القرآن الحكيم (٥١٢/١٠) ، وتيسير الكريم الرحمن (٢/ ٢٧٥) ، والتحرير والتنوير (١٠/ ٢٩٤) .

(1) ينظر : تفسير القرآن (٢/ ٣٣٧) .

(2) ينظر : تفسير مبهمات القرآن (١/ ٥٥٩).

(3) ينظر : معالم التنزيل (٢/ ٣١٥) ، وتفسير القرآن الحكيم (١٠/ ٥١٢) .

(4) تفسير مبهمات القرآن (١/ ٥٥٩) . والحديث رواه السيوطي في الجامع الصغير وعزاه إلى ابن عساكر عن ابن عمر ، ورمز له بالضعف . وضعّفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير وزيادته (١٩) رقم (١١٩) . ولفظه : (المملوك ، والمرأة) . وينظر : فيض القدير للمناوي (١/ ١٢٨) .

النساء والصبيان جهاد أصلاً حتى يقبل منهم العذر بتركه ، وحتى يرفع عنهم الحرج .

وإلى الجمع بين القولين وشمول الضعفاء للجميع ذهب الخازن، والقنّوجي، والقاسمي، والمراغي [1] .

قال الخازن : « والضعيف هو الصحيح في بدنه العاجز عن الغزو وتحمل مشاق السفر والجهاد ، مثل : الشيوخ ، والصبيان والنساء ومَنْ خُلِقَ في أصل الخلقة ضعيفًا نحيفًا . ويدل على أن هؤلاء الأصناف هم الضعفاء : أن الله سبحانه وتعالى عطف عليهم المرضى فقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ ﴾ والمعطوف مغاير للمعطوف عليه . فأما المرضى فيدخل فيهم أهل العمى والعرج والزَّمانة [2] ، وكل من كان موصوفًا بمرضٍ يمنعه من التمكن من الجهاد والسفر للغزو »[3].

وقال الآلوسي : « فالأعمى والأعرج داخلان في المرضى ، وإن أبيت فلا يبعد دخولهما في الضعفاء »[4] .

ونظير هذه الآية قوله تعالى : ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ﴾[الفتح : ١٧] . وظاهرها أن الأعمى والأعرج لا يدخلان في المرضى ، وقد رفع الله الحرج عن الجميع . وآية الفتح هذه سابقة في النزول على آية التوبة ، والكلام في المراد بالضعفاء في آية التوبة ، فلا يدخل الأعمى والأعرج فيها ؛ لأنه سبق بيان رفع الله الحرج عنهما . بقي الكلام في تحقيق المراد بالضعفاء في آية التوبة الذين رفع الله عنهم الحرج بترك الجهاد .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن من المقرر أن إطلاق الضعفاء على النساء والصبيان هو إطلاق صحيح من حيث هو ، ولكنهم لا يدخلون في ﴿ ٱلضُّعَفَآءِ ﴾ الذين رفع الله عنهم الحرج بترك الغزو مع رسول الله > ؛ لأنه لا يجب عليهم الجهاد أصلاً ، فهم معذورون.

---

(1) ينظر : لباب التأويل (٢/ ٢٥٢) ، وفتح البيان (٥/ ٣٦٨) ، ومحاسن التأويل (٨/ ٣٢٣١) ، وتفسير المراغي (١٠/ ١٨٢) .

(2) الزَّمْنَى – بفتح الزاي وإسكان الميم مقصورًا- جمع زَمِن ، وهم أصحاب العلل والأمراض .

(3) روح المعاني (١٠/ ١٥٨) .

(4) ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين (١/ ١٢٥) .

والآية إنما هي في سياق المعتذرين عن ترك الغزو مع النبي > فلم يعذر الله منهم إلاّ من كان ضعيفًا ومن كان مريضًا ومن كان فقيرًا لا يجد ما ينفقه في سبيل الله إذا نصحوا لله ورسوله.

وعليه، فلا يدخل في الضعفاء ـــ هنا ـــ النساء ولا الصبيان ولا الأعمى ولا الأعرج ، وتَبْقَى الآية في الشيوخ الكبار والهرمى وضعفاء الخِلْقَة البدنية . هذا هو الصحيح ، وهو ظاهر كلام ابن جُزَيّ ومن وافقه ، وعليه جمهور المفسّرين .

ويؤيده دلالة السياق [1] ، فإن الآية في سياق الذين جاءوا يعتذرون عن ترك الغزو، فهل كان النساء والصبيان ممن جاء إلى النبي > يعتذرون ؟ هذا بعيد ، والله تعالى أعلم .

(1) ينظر قواعد الترجيح (١/١٢٥) .

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾

٢٧- الخلاف في عذاب المنافقين المرّة الأولى في قوله تعالى : ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ .

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « العذاب العظيم هو عذاب النار . وأما المرتان قبله ؛ فالثانية منهما عذاب القبر ، والأُولى عذابهم بإقامة الحدود عليهم . وقيل : بفضيحتهم بالنفاق » [1].

العرض والمناقشة :

رجّح ابن جُزَيّ أن عذاب المنافقين المرّة الأولى هو بإقامة الحدود عليهم في الدنيا . ووافق في هذا معنى ما نُسِبَ إلى ابن عباس [2] . قال ابن جرير الطبري : « ذُكِرَ ذلك عن ابن عباس من وَجْهٍ غير مُرْتَضَى »[3].

وما رجّحه ابن جُزَيّ لم يذكر له دليلاً ، و لم أر من ذهب إليه .

وأما القول الآخر بأن عذابهم المرَّةَ الأولى هو بفضيحتهم بالنفاق، فهو مَرْوِيٌّ عن ابن عباس[4]. قال ابن عطية : « وهو الأشهر عنه »[5] . ورُوِيَ أيضًا عن أبي مالك [6] .

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٨٣) .

(2) نسبه إليه البغوي في معالم التنزيل (٢/ ٣٢٠) ، وابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٤٩٣) ، والخازن في لباب التأويل (٢/ ٢٥٧) ، وأبوحيان في البحر المحيط (٥/ ٩٤) .

(3) جامع البيان (١١/ ٦٤٨) .

(4) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦٤٤/١١) ، والطبراني في الأوسط (٧٩٢) وابن أبي حاتم في تفسيره (١٨٧٠/٦) رقم (١٠٣٠٣) . وإسناده ضعيف ، فيه الحسين بن عمرو العنقزي وهو ضعيف ، قاله الهيثمي في المجمع (٣٣/٧) . وينظر : الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٢٧٣) وزاد نسبته لأبي الشيخ .

(5) المحرر الوجيز (١٥/٧) .

(6) نسبه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٢٧٤) إلى أبي الشيخ عن أبي مالك قال :كان النبي > يعذب المنافقين يوم الجمعة بلسانه على المنبر ، وعذاب القبر . وأخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦٤٥/١١) من طريق سفيان، عن السدي ، عنه .

ونُسِبَ إلى السدّي، والكلبي [1] .

وقدّمه السمعاني ، وأبوحيان ، والآلوسي [2] . وكأن ابن عطية يميل إليه [3]، وتبعه الثعالبي [4] .

وذكره الزمخشري بصيغة (قيل) [5] .

واستدلوا له بما أخرجه ابن مردويه عن أبي مسعود الأنصاري ط قال : لقد خطبنا النبي > ما شهدت مثلها قط فقال : (أيها الناس ، إن منكم منافقين فمن سمّيته فليقم ، قم يا فلان ، قم يافلان) حتى قام ستة وثلاثون رجلاً . ثم قال : (إن منكم وإن منكم فسلوا الله العافية) ... الحديث [6] .

وقال ابن عباس : وقام رسول الله > يوم جمعة خطيبًا ، فقال : (قم يا فلان ، فاخرج فإنك منافق ، ويا فلان اخرج) . ففضحهم [7] .

قال ابن عطية : وفِعْلُ النبي > هذا بهم هو على جهة التأديب اجتهادًا منه فيهم ، ولم يسلخهم ذلك من الإسلام وإنما هو كما يُخْرَجُ العصاة والمتهمون ، ولا عذابَ أعظم من هذا [8] .

واستبعد أبوحيان ما قاله ابن عطية ، وأنه ليس من باب إخراج العصاة بل هؤلاء كفار عنده وإن أظهروا الإسلام ؛ لأنه نصَّ على نفاق من أخرج بعينه [9] .

وردّه السيد محمد رشيد رضا قائلاً : « والذي أراه أن الرواية غير صحيحة »[10] .

---

(1) ينظر : الوسيط للواحدي (٢/ ٥٢١) ، ومعالم التنزيل للبغوي (٢/ ٣٢٠) ، ولباب التأويل للخازن (٢/ ٢٥٧) .

(2) ينظر : تفسير القرآن (٣٤٣/٢) ، والبحر المحيط (٥/ ٩٤) ، وروح المعاني (١١/ ١١) .

(3) ينظر : المحرر الوجيز (٧/ ١٥-١٦) .

(4) ينظر : الجواهر الحسان (٢/ ٧٠) .

(5) ينظر : الكشاف (٣/ ٨٧) .

(6) ينظر : الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٢٧٤- ٢٧٥) . والمتن فيه غرابة .

(7) سبق تخريج أثر ابن عباس . وينظر : النكت والعيون للماوردي (٢/ ٣٩٦) ، وزاد المسير لابن الجوزي (٤٩٢/٣).

(8) المحرر الوجيز (٧/ ١٦) .

(9) ينظر : البحر المحيط (٥/ ٩٤) .

(10) تفسير القرآن الحكيم (١١/ ١٩) .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن ما ذهب إليه ابن جُزَيّ يُعَدُّ مرجوحًا ؛ لأنه لا دليل عليه ، ولم يوافقه أحد . وأما القول الآخر فلا يصح عن النبي > أنه كان يفعل ذلك بهم .

قال الطاهر بن عاشور : « وقد تحيَّر المفسرون في تعيين المراد من المرّتين ، وحملوه كلُّهم على حقيقة العدد ، وذكروا وجوهًا لا ينشرح لها الصدر . والظاهر عندي أن العدد مستعمل لمجرد قصد التكرير المفيد للتأكيد ؛ كقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ ﴾ [الملك : ٤] أيْ : تأملْ تأملاً متكررًا . ومنه قول العرب : لبيك وسعديك . فاسم التثنية نائب مناب إعادة اللفظ . والمعنى : سنعذبهم عذابًا شديدًا متكررًا مضاعفًا ؛ كقوله تعالى : ﴿ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِ ﴾[الأحزاب ٣٠] وهذا التكرر تختلف أعداده باختلاف أحوال المنافقين واختلاف أزمان عذابهم »[1] .

وما ذكره الطاهر بن عاشور ـــ من عدم قصد العدد وأنه للتكرير ـــ قد سبقه إليه بعض المفسّرين منهم : أبوالسعود، والآلوسي، والشوكاني، والقاسمي، والسعدي [2] .

قال الشوكاني : « والظاهر أن هذا العذاب المكرر هو في الدنيا بما يصدق عليه اسم العذاب ، وأنهم يعذبون مرةً بعد مرةً ، ثم يردّون بعد ذلك إلى عذاب الآخرة »[3] .

وقال ابن جرير الطبري : « وأَولى القوال في ذلك بالصواب عندي أن يقال : إن الله لأ أخبر أنه يعذب هؤلاء المنافقين الذين مردوا على النفاق مرتين ، ولم يَضَعْ لنا دليلاً يوصَلُ به إلى علم صفةِ ذَيْنِك العذابين . وجائز أن يكون بعضُ ما ذكرنا عن القائلين ما أُنبئنا عنه ، وليس عندنا علمٌ بأيّ ذلك من أيٍّ ، غير أن في قوله جل ثناؤه : ﴿ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴾ دلالةً على أن العذاب في المرتين كلتيهما قبل دخولهم النار ، والأغلب من إحدى

---

(1) التحرير والتنوير (١١/ ٢٠) .

(2) ينظر : إرشاد العقل السليم (٢/ ٤٤٣) ـــ قال : ويجوز أن يكون المراد بالمرتين مجرد التكثير كما في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ ﴾ أي كرة بعد كرة . ـــ ، وروح المعاني (١١/ ١١) ، وفتح القدير (٢/ ٥٦٤) ، ومحاسن التأويل (٨/ ٣٢٤٥) ، وتيسير الكريم الرحمن (٢/ ٢٨٢) .

(3) فتح القدير (٢/ ٥٦٤) . وتبعه القنوجي في فتح البيان (٥/ ٣٨٦) وزاد : وقد روي عن جماعة من السلف نحو هذا في تعيين العذابين . وقيل غير ذلك ...مما يطول ذكره مع عدم الدليل على أنه المراد بعينه . والظاهر أن هذا العذاب المكرر ...الخ .

المرّتين أنها في القبر »[1] .

وقال الرازي : « والأَوْلَى أن يقال : مراتب الحياة ثلاثة : حياة الدنيا، وحياة القبر، وحياة القيامة . فقوله : ﴿ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ﴾ المراد منه عذاب الدنيا بجميع أقسامه ، وعذاب القبر »[2] .

وقال السيد محمد رشيد رضا : « أي في الحياة الدنيا ، إحداهما : ما يصيبهم من المصائب وتوبيخ الضمائر ، وانتظار الفضيحة بهتك أستار السرائر ، وما يتلو ذلك من جهادهم إذا ظهر نفاقهم كغيرهم . والثانية : آلام الموت وزهوق أنفسهم وضرب الملائكة ... فأقرب ما يفسّر به العذاب مرتين هو ما تقدم في تفسير الآيات (٥٥ و ٧٣ و ٧٤ و ٨٢ و ٨٣) [من سورة التوبة] ففيه بيان لكل ما يصيب المنافقين في الدنيا من عذاب الوجدان الباطن ، وعذاب من يفتضح أمرهم في الظاهر »[3] .

فإذا تقرر هذا وكان ذلك كذلك فإن الأَوْلَى هو الإمساك عن التعيين ؛ لعدم الدليل . والأحسن أن يقال : قد يكون العذاب في الدنيا شاملاً لِما ذُكِرَ من الفضيحة وإقامة الحدود والقتل والخوف والجوع والسبي ، وبالأموال والأولاد ، وأخذ الزكاة من أموالهم ، وما يدخل عليهم من الغيظ في أمر الإسلام ، والله أعلم بالصواب .

ثم إنه يحتمل أن يكون ذلك كلّه هو عذابهم مرتين وأنه في الدنيا كما رُوِيَ عن قتاة أنه قال : سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ قال : عذابًا في الدنيا [4] . ومثله عن الحسن [5] ، وابن جريج [6] ، والربيع بن أنس [7] . كلهم فسروا العذاب مرتين بأنه في الدنيا .

وأما عذاب القبر فيكون داخلاً في العذاب العظيم ؛ لأن القبر هو أول منازل الآخرة . هذا محتمل ، والله تعالى أعلم .

---

(1) جامع البيان (١١/ ٦٤٩) .

(2) مفاتيح الغيب (٦/ ١٣١) .

(3) تفسير القرآن الحكيم (١١/ ١٨- ١٩) . وتبعه المراغي (١٣/١١) .

(4) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١١/ ٦٤٦، ٦٤٧) .

(5) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢٨٦) ، وابن جرير الطبري في جامع البيان (١١/ ٦٤٧) .

(6) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١١/ ٦٤٧) .

(7) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٨٧١) رقم (١٠٣٠٨) .

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ ﴾

٢٨- الخلاف في عائد الضمير في ﴿ يَعْلَمُوٓاْ ﴾.

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « الضمير في ﴿ يَعْلَمُوٓاْ ﴾ للتائبين من التخلّف . وقيل: للذين تخلّفوا و لم يتوبوا . وقيل : عام » [1] .

العرض والمناقشة :

رجَح ابن جُزَيّ أن الضمير في ﴿ يَعْلَمُوٓاْ ﴾ عائد للتائبين من التخلّف . وعليه الطبري، والنسفي، والخازن، البقاعي، والقاسمي، والمراغي [2] . وقدّمه الزمخشري، والسيد رشيد رضا[3] . واحتمله ابن عطية، والقرطبي [4] .

وذكره القمي النيسابوري بصيغة (قيل) [5] .

واستُدِلَّ له بظاهر الكلام ومقتضى اللفظ [6] .

وأما القول الثاني بأن ضمير ﴿ يَعْلَمُوٓاْ ﴾ عائد للذين تخلّفوا و لم يتوبوا ، فهو معنى ما رُوِيَ عن ابن زيد [7] . وعليه القرطبي، والقمي، والثعالبي [8] . وقدّمه ابن عطية [9] .

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٨٤) .

(2) ينظر : جامع البيان (١١/ ٦٦٤) ، ومدارك التنزيل (٢/ ١٤٤) ، ولباب التأويل (٢/ ٢٦٠) ، ونظم الدرر (١٣/٩) ، ومحاسن التأويل (٨/ ٣٢٥٥) ، وتفسير المراغي (١١/ ١٩) .

(3) ينظر : الكشاف (٨٩/٣) ــ وعنه الرازي في مفاتيح الغيب (١٣٩/٦) ــ ، وتفسير القرآن الحكيم (٢٩/١١).

(4) ينظر : المحرر الوجيز (٧/ ٢٤) ، والجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٣٦٦) .

(5) ينظر : غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ٥٢٧) .

(6) ينظر : أحكام القرآن للجصاص (٤/ ٣٥٥) .

(7) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١١/ ٦٦٤) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٨٧٦) ونسبه إليه ابن عطية في المحرر الوجيز (٧/ ٢٤) ، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٣٦٦) .

(8) ينظر : الجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٣٦٦) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ٢٥٧) ، والجواهر الحسان (٢/ ٧٢) .

(9) ينظر : المحرر الوجيز (٧/ ٢٤) .

وبدأ به الشوكاني، والقنّوجي [1] . وجوّزه القاسمي [2] .

وذكره الزمخشري واستَدَلّ له بأنه قد رُوِي أنهم لَمَّا تِيبَ عليهم ، قال الذين لم يتوبوا : هؤلاء الذين تابوا كانوا بالأمس معنا ، لا يكلمون ولا يجالسون ، فمالهم . فنزلت [3] .

وأما القول بأنه عام في التائبين من التخلّف ، فيمن تخلّف ولم يتب ، وفي غيرهم ، فعليه ابن كثير [4] . وجوّزه الجصّاص [5] .

واستُدِلَّ له بدلالة الحال عليه ؛ كقوله تعالى : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾ [القدر : ١] يعني : القرآن .

وقوله : ﴿ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ ﴾ [فاطر :٤٥] وهو يعني الأرض .

وقوله : ﴿ حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴾ [ص : ٣٢] يعني الشمس .

فكنَّى عن هذه الأمور من غير ذكرها مظهرة في الخطاب ؛ لدلالة الحال عليها . قاله الجصّاص .

وأما الطاهر بن عاشور فقد جعل الضمير في ﴿ يَعْلَمُوٓاْ ﴾ عائدًا على التائبين المعترفين بذنوبهم إن كان بقي في نفوسهم اضطراب وشك خوفًا من أن لا تقبل توبتهم . وإن لم يخطر ببالهم شك في قبولها كان الضمير عائدًا لأمثال أولئك ترغيبًا لهم في التوبة ممن تأخروا عنها ، فيكون الكلام عامًّا على أحوال الأمة وسِيقَ للتحضيض [6] .

وعلى هذا أبوالسعود، والآلوسي، والسيد رشيد رضا [7] .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن الأَولى بالصواب من ذلك هو ما رجّحه ابن جُزَيّ ومَنْ

---

(1) ينظر : فتح القدير (٢/ ٥٦٥) ، وفتح البيان (٥/ ٣٩٠) .

(2) ينظر : محاسن التأويل (٨/ ٣٢٥٦) . كما جوّز أن يكون الضمير للمنافقين والتائبين معًا للتمكن والتخصيص .

(3) الكشاف (٣/ ٩٠) . وعنه الرازي في مفاتيح الغيب (٦/ ١٣٩) .

(4) ينظر : تفسير القرآن العظيم (٧/ ٢٧٦) . قال : أخبر تعالى أن كل من تاب إليه تاب عليه .

(5) ينظر : أحكام القرآن (٤/ ٣٥٥) .

(6) ينظر : التحرير والتنوير (١١/ ٢٤) .

(7) ينظر : إرشاد العقل السليم (٢/٤٤٤- ٤٤٥) ، وروح المعاني (١١/ ١٥) ، وتفسير القرآن الحكيم (١١/ ٢٩) .

وافقه مِنْ أن الضمير في ﴿ يَعْلَمُوٓاْ ﴾ عائد للذين تابوا من التخلّف وهم الذين اعترفوا بذنوبهم ؛ لأن ظاهر النظم الكريم يدلّ على ذلك . ويتأيد هذا بدلالة السياق [1] . وهذا لا يمنع من كون الآية فيها تحضيضٌ لغيرهم على التوبة ، والله تعالى أعلم .

(1) ينظر : قواعد الترجيح عند المفسّرين (١/ ١٢٥) .

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾ ﴾

٢٩- الخلاف في عاقبة مَسْجد الضّرار .

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « ﴿ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ﴾ أَيْ : طاح في جهنم ، وهذا ترشيح للمجاز ؛ فإنه لما شُبّه بالجُرُفِ وُصِفَ بالانهيار الذي هو من شأن الجُرُفِ . وقيل : إن ذلك حقيقة ، وأنه سقط في نار جهنم وخرج الدخان من موضعه . والصحيح أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم أمر بِهَدْمِهِ فهُدِم » [1] .

العرض والمناقشة :

صحَّح ابن جُزَيّ القول في عاقبة مسجد الضّرار بأنه هُدِمَ بأمر النبي > بِهَدْمه . ووافق في هذا قول الكلبي [2] .

وذهب إليه الفراء، والسمرقندي، والزمخشري، وابن العربي، وابن عطية، ومحمود النيسابوري، وابن الجوزي، والرازي، والبيضاوي، والنسفي، وأبوحيان، والبلنسي، والثعالبي، والسيوطي، وأبوالسعود، والقاسمي، والسيد محمد رشيد رضا، والمراغي، والسعدي، والطاهر بن عاشور [3] .

واستُدِلَّ له بما رواه ابن إسحاق عن الزهري، ويزيد بن رُومان ، وعبد الله بن أبي بكر، وعاصم بن عمر بن قتادة وغيرهم ، قالوا : أقبل رسول الله > - يعني من تبوك – حتى نزل

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٨٥) .

(2) حكاه عنه السمرقندي في بحر العلوم (٢/ ٧٥) .

(3) ينظر : معاني القرآن (١/ ٤٥٢) ، وبحر العلوم (٢/ ٧٥) ، والكشاف (٣/ ٩١- ٩٢) ، وأحكام القرآن (١٠١٢/٢) ، والمحرر الوجيز (٧/ ٤٥) ، ووضح البرهان (١/ ٤٠٩) وإيجاز البيان (١/ ٣١٤ - ٣١٥) ، وتذكرة الأريب (١/ ٢٢٥) وزاد المسير (٣/ ٤٩٨- ٤٩٩) ، ومفاتيح الغيب (٦/ ١٤٧) ، وأنوار التنزيل (١/ ٤٢١) ، ومدارك التنزيل (٢/ ١٤٥) ، والبحر المحيط (٥/ ٩٨، ١٠٠) ، وتفسير مبهمات القرآن (٥٦٤/١) ، والجواهر الحسان (٢/ ٧٤) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٣/ ٣٢١) ، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٤٤٧) ، ومحاسن التأويل (٨/ ٣٢٦٣- ٣٢٦٤) ، وتفسير القرآن الحكيم (١١/ ٣٦- ٣٧) ، وتفسير المراغي (١١/ ٢٤- ٢٥) ، وتيسير الكريم الرحمن (٢/ ٢٨٦) ، والتحرير والتنوير (١١/ ٣١) .

بذي أَوانٍ ؛ بلدٍ بينه وبين المدينة ساعة من نهار . وكان أصحاب مسجد الضِّرار قد كانوا أتوه، وهو يتجهّز إلى تبوك ، فقالوا : يا رسول الله ، إنا قد بنينا مسجدًا لذي العِلَّة ، والحاجة ، والليلة المطيرة ، والليلة الشاتية ، وإنا نُحِبُّ أن تأتينا فتصلي لنا فيه . فقال : (إني على جَنَاح سَفَرٍ وحال شُغْلٍ ــ أو كما قال رسول الله > ــ ولو قد قدمنا أتيناكم إن شاء الله ، فصلّينا لكم فيه). فلما نزل بذي أَوانٍ ، أتاه خبر المسجد، فدعا رسول الله > مالك بن الدُّخْشُمِ ، أخا بني سالم بن عوف ، ومَعْنَ بن عديّ – أو أخاه عاصم بن عديّ – أخا بني العجلان ، فقال : (انطلقا إلى هذا المسجد الظالمِ أهلُه ، فاهْدماه وحَرّقاه) . فخرجا سريعين حتى أتيا بني سالم بن عوف ، وهم رهط مالك بن الدُّخْشُمِ ، فقال مالكٌ لمعْنٍ : أَنْظِرني حتى أخرجَ إليك بنارٍ من أهلي . فدخل أهله ، فأخذ سَعَفًا من النخل ، فأشعل فيه نارًا ، ثم خرجا يَشْتَدَّان حتى دخلا المسجد ، وفيه أهلُه ، فحرَّقاه وهدماه ، وتفَرّقُوا عنه ، ونزل فيهم من القرآن ما نزل : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا ﴾ ، إلى آخر القصة [1] .

قال السمعاني : « واعلم أن المراد من الآية هو التمثيل والتشبيه في قِلَّةِ الثبات والقرار وسوء العاقبة . واختلفوا في الذي كانت عاقبة مسجد الضّرار ؛ فالأكثرون على أن النبي > دعا مالك بن الدخشم ، وعاصم بن عديّ وأمرهما أن يهدما ذلك المسجد ويحرّقاه ففعلا ذلك ».

والقول الآخر : أن ذلك المسجد انهار بنفسه من غير أن يمسَّه أحد . وفي بعض التفاسير : أنه خُسِفَ به . ورُوِيَ أنه لما خُسِفَ به سطع منه دخان في السماء ، والله

---

(1) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦٧٢/١١-٦٧٣) عن ابن حميد ، عن سلمة ، عن ابن إسحاق به . وينظر : السيرة النبوية لابن هشام (٢/ ٥٢٨- ٥٢٩ ، ٥٣٠) ، وأسباب النزول للواحدي (٢٩٨-٣٠٠) ، ودلائل النبوة للبيهقي (٢٥٩/٥) ، ومعالم التنزيل للبغوي (٣٢٥/٢- ٣٢٦) ، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢٨٠/٧- ٢٨٢) ، والدر المنثور للسيوطي (٥/) . وينظر في تخريج الحديث : تخريج أحاديث الكشاف (١٠٠/٢-١٠٢) ، والكافي الشافي (٨١) . وضعفه الألباني في تخريج " فقه السيرة " للغزالي (٤٢٧) . وقال ابن حجر : ذكره الثعلبي بغير إسناد . وزاد بعضهم : عمار بن ياسر ، ووحشيًّا مولى المطعم بن عديّ ، وعامر ابن السكن ، والله أعلم .

أعلم[1].

وقال أبوحيان : « والظاهر أن هذا الكلام فيه تبيينُ حَالَيْ المسجدين مسجد قباء أو مسجد الرسول > ومسجد الضّرار ، وانتفاء تساويهما والتفريق بينهما . وكذلك قال كثير من المفسرين »[2] .

وأما القول بأن مسجد الضّرار سقط في نار جهنم حقيقة ، وخرج الدخان من موضعه ، فهو معنى ما رُوِيَ عن جابر قال : « أنا رأيت الدخان يخرج منه على عهد رسول الله > »[3] .

وقال ابن عباس : ﴿ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ﴾ يعني : قواعده في نار جهنم[4] .

وقال قتادة : والله ما تناهى أن وقع في النار . ذُكِرَ لنا أنه حُفِرَتْ بُقْعَةٌ منها فَرُؤِيَ منها الدخان[5] .

وقال ابن جريج : صلَّوا فيه الجمعة والسبت والأحد ، وانهار يوم الاثنين ، فلم يَتَنَاهَ دون أن وقع في النار . وقال : ذُكِرَ لنا أن رجالاً حفروا فيه ، فأبصروا الدخان يخرج منه[6].

وذَكَر سفيان بن عيينة أنه لا يزال منه دخان يفور ؛ لقوله :﴿ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ﴾

---

(1) تفسير القرآن (٢/ ٣٥٠) .

(2) البحر المحيط (٥/ ١٠٠) .

(3) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦٩٧/١١) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٨٨٤) (١٠٠٨٩) ، والحاكم في المستدرك (٥٩٦/٤) جميعًا من طريق عبد العزيز بن المختار ، عن عبد الله بن فيروز الداناج ، عن طلق بن حبيب ، عن جابر . وصحح إسناده الحاكم ووافقه الذهبي . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٢٩٢/٤) نسبته لمسدّد في مسنده – كما في المطالب العالية (٤٠٠٣) – وابن المنذر ، وابن مردويه . وينظر : زاد المسير (٥٠٢/٣) ، والنكت والعيون (٤٠٤/٢) ، وفتح القدير (٢/ ٥٧٥) .

(4) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١١/ ٦٩٦) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٨٨٤/٦) (١٠٠٨٨) ، والبيهقي في الدلائل (٥/ ٢٦٣) من طريق علي بن أبي طلحة ، عنه .

(5) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦٩٦/١١) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٨٨٤/٦) (١٠٠٩٠) . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٢٩٢) نسبته إلى ابن المنذر ، وأبي الشيخ .

(6) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١١/ ٦٩٧) . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٢٩٢/٤) نسبته إلى ابن المنذر .

ويقال : إنه بقعة من نار جهنم [1] .

وقال خَلَفُ بن ياسين الكوفي : رأيت مسجد المنافقين الذي ذكره الله في القرآن ، وفيه حَجَرٌ يخرج منه الدخان ، وهو اليوم مَزْبَلَة [2] .

وقال السدي : فمضى حين خُسِف به [3] .

وهذا القول هو قول مقاتل [4] . واستظهره القرطبي وقال : « إذ لا إحالة في ذلك»[5].

وساق ابن جرير الطبري الآثار الواردة في ذلك ولم ينكرها [6] ، وتبعه البغوي، وابن كثير، والبقاعي، والقنّوجي [7] . وكأن ابن أبي زمنين يميل إليه [8] .

وذكره الزمخشري ، وابن العربي ، والثعالبي بصيغة (قيل) [9] .

قال الآلوسي : « وظاهر الأخبار أن ذلك المسجد إذا وقع وقع في النار ...» . ثم ساق الآثار الواردة في ذلك عن قتادة، وابن جريج، والسدي، وابن عيينة ثم قال : « وأنت تعلم أني والحمد لله تعالى مؤمن بقدرته سبحانه على أتم وجه ، وأنه جل جلاله فعّال لما يريد ، لكني لا أومن بمثل هذه الظواهر ما لم يرد فيها خبر صحيح عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم »[10] .

وقد ليَّن ابنُ عطية أسانيد هذه الآثار [11] .

وقال ابن العربي تعليقًا على قول جابر : « ولو صحَّ هذا لكان جابرٌ رافعًا

---

(1) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٨٨٤) . وينظر : الدر المنثور (٤/ ٢٩٢) .

(2) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١١/ ٦٩٧) وذكر أن هذا في زمن أبي جعفر المنصور .

(3) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٨٨٤) (١٠٠٩١) .

(4) ينظر : تفسير مقاتل (٢/ ١٩٨) .

(5) الجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٣٨٧) .

(6) ينظر : جامع البيان (١١/ ٦٩٦ – ٦٩٨) .

(7) ينظر : معالم التنزيل (٣٢٨/٢) وتفسير القرآن العظيم (٢٩٠/٧) ونظم الدرر (٢١/٩) وفتح البيان (٤٠١/٥) .

(8) ينظر : تفسير القرآن العزيز (٢/ ٢٣٣) .

(9) ينظر : الكشاف (٣/ ٩٥) ، وأحكام القرآن (٢/ ١٠١٧) ، والجواهر الحسان (٢/ ٧٤) .

(10) روح المعاني (١١/ ٢٣) .

(11) ينظر : المحرر الوجيز (٧/ ٤٦) .

للإشكال»[1] .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن أكثر المفسّرين على أن النبيّ > أمر بهَدْم مسجد الضّرار فهُدِم ؛ لثبوت ذلك في السيرة بلا نكير .

واختار بعضهم ومال إلى أنه بعد هدمه سقط في نار جهنم حقيقة ، وخرج من موضعه الدخان . ولا يصح هذا ؛ لعدم ثبوته في خبر صحيح ، والله أعلم .

وإذا كان ذلك كذلك فإن ما رجّحه ابن جُزَيّ ومن وافقه هو القول الصحيح ، وأن المراد بقوله تعالى : ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ﴾ هو ضَرْبُ المثل – كما هو اختيار الأكثرين من المفسّرين [2] – « أي : مثل هؤلاء المضارّين من المنافقين في قصدهم معصية الله وحصولهم من ذلك على سخطه كمن ينهار بنيانه في نار جهنم » [3] . والله تعالى أعلم .

---

(1) أحكام القرآن (٢/ ١٠١٨) .

(2) بل قال الرازي في مفاتيح الغيب (٦/ ١٤٩) : ولا نرى في العالم مثالا أكثر مطابقة لأمر المنافقين من هذا المثال .

(3) المحرر الوجيز لابن عطية (٧/ ٤٥) .

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ ﴾

٣٠- الخلاف في سبب نزول قوله تعالى :

﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ .

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « نزلت في شأن أبي طالب ؛ فإنه لما امتنع أن يقول لا إله إلاّ الله عند موته ، قال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : (والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك) . فكان يستغفر له حتى نزلت هذه الآية . وقيل : إن النبي > استأذن ربَّه أن يستغفر لأمّه فنزلت الآية . وقيل : إن المسلمين أرادوا أن يستغفروا لآبائهم المشركين فنزلت الآية » [1] .

العرض والمناقشة :

رجّح ابن جُزَيّ أن قوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ الآية نزلت في أبي طالب، عمّ النبي > . وعليه القرطبي، والبيضاوي، والبلنسي، وأبوالسعود، والشوكاني، والآلوسي، والقنّوجي، والسيد محمد رشيد رضا [2] .

وقدّمه وبدأ به ابن عطية ـــ ونسبه للجمهور ـــ ، وتبعه أبوحيان، والثعالبي [3] .

واستدل له ابن جُزَيّ وغيره بما رواه سعيد بن المسيّب ، عن أبيه قال : لما حضرَتْ أبا طالب الوفاةُ دخل عليه النبيُّ > وعنده أبو جَهْل ، وعبد الله ابن أبي أمية ، فقال النبي >: (أَيْ عَمّ ، قُلْ : لا إله إلاّ الله ، كلمةً أحاجُّ لك بها عند الله) . فقال أبو جهل، وعبد الله ابن أبي أميّة : أترغب عن مِلّةِ عبد المطلب ؟ فلم يزل رسول الله > يَعْرِضُها عليه ويعيدانه بتلك

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٨٦) .

(2) ينظر : الجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٣٩٨) ، وأنوار التنزيل (١/ ٤٢٤) ، وتفسير مبهمات القرآن (١/ ٥٦٦)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٤٥٣) ، وفتح القدير (٢/ ٥٨١، ٥٨٢) ، وروح المعاني (١١/ ٣٢) ، وفتح البيان (٥/ ٤١١) ، وتفسير القرآن الحكيم (١١/ ٥٠) .

(3) ينظر : المحرر الوجيز (٧/ ٥٩) ، والبحر المحيط (٥/ ١٠٤) ، والجواهر الحسان (٢/ ٧٨) .

المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما كلّمهم : على مِلَّة عبد المطلب ، وأبى أن يقول لا إله إلا الله . قال : فقال رسول الله > : (والله لأستغفرنّ لك ما لم أُنْهَ عنك)، فأنزل الله: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ وأنزل الله في أبي طالب فقال لرسول الله > : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ ﴾[1] [القصص : ٥٦] .

وألفاظ هذا الحديث الصحيح صريحة في نزول الآية في شأن أبي طالب ، فهذا حديث صحيح صريح في ذكر سبب النزول .

ويشكل عليه أن وفاة أبي طالب كانت بمكة قبل الهجرة اتفاقًا ، فيحتمل أن يكون نزول الآية تأخر وإن كان سببها تقدم .

ومما يؤيد ذلك استغفار النبي > للمنافقين حتى نزل النهي عن ذلك ، فإن ذلك يقتضي تأخير النزول وإن تقدّم السبب .

ويشير إلى ذلك أيضًا قوله في الحديث : وأنزل في أبي طالب : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ ﴾ ؛ لأنه يشعر بأن قول تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ نزلت في أبي طالب وغيره ، وآية القصص نزلت فيه وحده [2] .

وعليه فإن ما أَعَلّه به الطاهر بن عاشور [3] مِنْ أن هذه السورة نزلت بعد ذلك بزمن طويل فهو تعليل واهٍ ؛ لصحة الخبر وصراحته في ذكر سبب النزول ، واحتمالِه لتأخر نزول الآية ، وإنما استمرّ النبيُّ > في الاستغفار له حتى نزلت فانتهى عنه .

ونقل ابن الجوزي عن أبي الحسين بن المنادي قوله : « هذا لا يصح ؛ إنما قال النبي >

---

(1) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢٨٨/٢) ، وأحمد في مسنده (٥/ ٤٣٣) ، والبخاري في صحيحه (١٣٦٠، ٣٨٨٤، ٤٦٧٥، ٤٧٧٢، ٦٦٨١) ، ومسلم في صحيحه (٤٠/٢٤) ، والنسائي (٢٠٣٤) ، وابن جرير الطبري في جامع البيان (٢٠/١٢، ٢٢) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٨٩٤) (١٠٠٥٢) ، والبغوي في معالم التنزيل (٣٣١/٢) وفي شرح السنة (٥/ ٥٥) ، والبيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٣٤٢) ، والواحدي في الوسيط (٢/ ٥٢٧)، وفي أسباب النزول (٣٠١) . كلهم من طريق الزهري ، عن سعيد بن المسيّب به . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٢٩٩/٤) نسبته إلى ابن المنذر ، وأبي الشيخ ، وابن مردويه .

(2) ينظر : فتح الباري (٨/ ٥٠٨) .

(3) ينظر : التحرير والتنوير (١١/ ٤٤) . قال الطاهر : وأما ما روي في أسباب النزول أن هذه الآية نزلت في شأن أبي طالب ، أو أمه عليه الصلاة والسلام فهما خبران واهيان ؛ لأن هذه السورة نزلت بعد ذلك بزمن طويل .

لعمه: (لأستغفرن لك ما لم أنه عنك) قبل أن يموت ، وهو في السياق ، فأما أن يكون استغفر له بعد الموت فلا ، فانقلب ذلك على الرواة ، وبقي على انقلابه »[1] .

وهذه دعوى تحتاج إلى برهان !!

وأما القول الثاني وهو أن الآية نزلت في استئذان النبيّ > رَبَّه أن يستغفر لأُمّهِ ، فهو مَرْوِيٌّ عن ابن عباس [2] . وقاله مقاتل [3] .

وذكره البيضاوي ، وأبوالسعود بصيغة (قيل) [4] .

واستُدِلَّ له بما رواه ابن مسعود قال : خرج رسول الله > يومًا إلى المقابر فاتبعناه ، فجاء حتى جلس إلى قبر منها فناجاه طويلاً ثم بكى ، فبكينا لبكائه فقال : (إن القبر الذي جلست عنده قبر أُمّي ، واستأذنت ربي في الدعاء لها فلم يأذن لي ، فأنزل عليّ : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ [5] .

وبما رواه عطية العوفي قال : لما قدم رسول الله > مكة ، وقف على قبر أُمّه حتى سَخِنَتْ عليه الشمس ؛ رجاء أن يؤذن له فيستغفر لها ، حتى نزلت : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ

---

(1) زاد المسير (٣/ ٥٠٧) .

(2) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٢٣/١٢) بالإسناد المسلسل بالعوفيين .

(3) ينظر : تفسير مقاتل (٢/ ١٩٩) .

(4) ينظر : أنوار التنزيل (١/ ٤٢٤) ، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٤٥٣) .

(5) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٨٩٣/٦) رقم (١٠٠٥١) ، والحاكم في مستدركه (٣٣٦/٢) ، والبيهقي في دلائل النبوة (١٨٩/١) ، والواحدي في الوسيط (٥٢٨/٢) من طريق أيوب بن هانئ ، عن مسروق الأجدع ، عن ابن مسعود . قال الحاكم : صحيح على شرطهما ولم يخرجاه . وتعقّبه الذهبي بقوله : (قلت : أيوب بن هانئ ضعيف ، ضعّفه ابن معين) . وقال ابن كثير في البداية (٢٨٠/٢) : غريب ولم يخرجوه . وقد روى أحمد في مسنده (٣٥٥/٥، ٣٥٦- ٣٥٧، ٣٥٩) من حديث ابن بريدة ، عن أبيه نحوه . ولم يذكر نزول الآية . وكذا رواه البيهقي في الدلائل (١/ ١٨٩) ، ورواه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٢٢/١٢-٢٣) بمعناه وكذا الترمذي في سننه (١٠٥٤) . ولم يذكروا نزول الآية . ورواه مسلم في صحيحه (٦٧٠/٢) رقم (٩٧٦) عن أبي هريرة مرفوعًا ولم يذكر نزول الآية . وكذا النسائي (٩٠/٤) ، وابن ماجه (١٥٧٢) ، والترمذي (٣٦١/٣) ولم يذكروا نزول الآية .

أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴾ إلى قوله : ﴿ تَبَرَّأَ مِنۡهُ ﴾[1] .

قال الآلوسي : « وزعم بعضهم أن الآية نزلت في غير ذلك [يعني في غير أبي طالب]. فقد أخرج البيهقي في الدلائل وغيره عن ابن مسعود قال : خرج النبي > يومًا إلى المقابر فجاء حتى جلس إلى قبر منها فناجاه طويلاً ... ولا يخفى أن الصحيح في سبب النزول هو الأول . نعم خبر الاستئذان في الاستغفار لأمه علي الصلاة والسلام وعدم الإذن جاء في رواية صحيحة لكن ليس فيها أن ذلك سبب النزول . فقد أخرج مسلم وأحمد وأبو داود وابن ماجه والنسائي عن أبي هريرة قال : أتى رسولُ الله > قبر أمه فبكى وأبكى من حوله فقال عليه الصلاة والسلام : (استأذنت ربي أن استغفر لها فلم يأذن لي ، واستأذنت أن أزور قبرها فأذن لي ، فزوروا القبور ؛ فإنها تذكركم الموت) »[2].

فالروايات الواردة في شأن أمه عليه الصلاة والسلام منها ما ورد فيه ذكر نزول الآية ، ومنها ما لم يرد فيه ذلك ؛ لذلك فقد قال الحافظ بن حجر : فهذه طرق يعضد بعضها بعضًا، وفيها دلالة على تأخير نزول الآية عن وفاة أبي طالب ، ثم احتمل أن يكون لنزولها سببان : متقدم وهو أَمْرُ أبي طالب ، ومتأخر وهو أَمْرُ آمنة [3] .

وأما الشوكاني فقد أَبَى ذلك وقال : « وما في الصحيح مقدّم على ما لم يكن فيهما على فرض أنه صحيح . فكيف وهو ضعيف غالبه ؟ »[4]

وأما القول الثالث وهو أن الآية نزلت في المسلمين الذين أرادوا أن يستغفروا لآبائهم المشركين ، فهو مَرْوِيٌّ عن ابن عباس [5] ، ومجاهد [6] ، وقتادة [7] ، ومحمد بن كعب [8] ،

---

(1) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٢/ ٢٢) من طريق فُضيل ، عنه مرفوعًا ، وهوإسناد منقطع .

(2) روح المعاني (١١/ ٣٤) .

(3) فتح الباري (٨/ ٥٠٨) .

(4) فتح القدير (٢/ ٥٨١، ٥٨٢) .

(5) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٢/٢٣-٢٤) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٨٩٣/٦) (١٠٠٥٠) من طريق علي بن أبي طلحة ، عنه .

(6) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٢/ ٢١) .

(7) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٢/ ٢٤) .

(8) نسبه السيوطي في الدر المنثور (٣٠٠/٤) لابن أبي حاتم ، وأبي الشيخ .

وعمرو بن دينار [1] . وعليه ابن أبي زمنين [2] .

واستُدِلّ له بما رواه عليٌّ قال : سمعت رجلاً يستغفر لوالديه وهما مشركان ، فذكرت ذلك للنبي > فأنزل الله : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ ﴾ الآية [3].

وقال ابن عباس في تفسير هذه الآية : فكانوا يستغفرون لهم حتى نزلت هذه الآية ، فلما نزلت أمسكوا عن الاستغفار لأمهاتهم ، ولم ينههم أن يستغفروا للأحياء حتى يموتوا ، ثم أنزل الله : ﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ ﴾ الآية.

وقال قتادة : ذُكِرَ لنا أن رجالاً من أصحاب النبي > قالوا : يا نبيّ الله ، إن من آبائنا من كان يحسن الجوار ، ويصل الأرحام ، ويفكُّ العاني ، ويوفي بالذّمم ، أفلا نستغفر لهم ؟ قال : فقال النبي > : (بلى ، والله لأستغفرن لأبي كما استغفر إبراهيم لأبيه) . قال : فأنزل الله : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ حتى بلغ ﴿ ٱلْجَحِيمِ ﴾ ، ثم عذر الله إبراهيم فقال : ﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ﴾.

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن أَولى الأقوال بالصواب من ذلك هو ما رجَّحه ابن جُزَيّ ومن وافقه ، وهو أن قوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ نزلت في شأن أبي طالب ، وإن كان قد تأخر نزولها عن وفاة أبي طالب ؛ لأن الحديث الوارد في ذلك صحيح صريح ، وما روي مِنْ روايات أخرى في سبب نزولها فهو إما

---

(1) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٢١/١١) عنه : أن النبي > قال : استغفر إبراهيم لأبيه وهو مشرك ، فلا أزال أستغفر لأبي طالب حتى ينهاني عنه ربي . فقال أصحابه : لنستغفرن لآبائنا كما استغفر النبي > لعمه . فأنزل الله : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ إلى قوله : ﴿ تَبَرَّأَ مِنْهُ ﴾.

(2) ينظر : تفسير القرآن العزيز (٢/ ٢٣٥) .

(3) أخرجه الطيالسي (١٣٣) ، وأحمد (١٦٢/٢، ٣٢٨) ، والنسائي (٢٠٣٥) ، والترمذي (٣١٠١) ، وأبو يعلى (٣٣٥، ٦١٩) ، وابن جرير الطبري (٢٥/١٢، ٢٦) ، وابن أبي حاتم (٦/ ١٨٩٣) ، والحاكم وصحّحه (٣٣٥/٢) ، والبيهقي في الشعب (٩٣٧٧، ٩٣٧٨) ، والبزار (٨٩٣، ٨٩٤) . جميعهم من طريق أبي إسحاق ، عن أبي الخليل ، عن علي به . وقال الترمذي : هذا حديث حسن . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣٠٠/٥) نسبته إلى ابن أبي شيبة ، وابن المنذر ، وأبي الشيخ ، وابن مردويه ، والضياء في المختارة . وينظر : الكافي الشافي (٨٢) ، وتخريج أحاديث الكشاف (١٠٦/٢) ، وتحفة الأحوذي (٥٠٥/٨) .

صحيح غير صريح وإما صريح غير صحيح .

ويتأيد هذا القول بالقاعدة الترجيحية : (إذا تعددت المرويات في سبب النزول ، نُظِرَ إلى الثبوت ، فاقتُصِر على الصحيح ، ثم العبارة ، فاقتصر على الصريح ، فإن تقارب الزمان حُمِلَ على الجميع ، وإن تباعد حكم بتكرار النزول أو الترجيح) [1] . (وإذا صح سبب النزول الصريح فهو مرجح لما وافقه من أوجه التفسير) [2] . والله أعلم .

تنبيه :

توقّف كثير من المفسرين في ترجيح أحد هذه الأقوال ، واكتفوا بذكر الروايات أو سرد الأقوال منهم : ابن جرير الطبري ، والزجاج ، والنحاس ، والسمرقندي ، والسمعاني ، والبغوي ، والزمخشري ، وابن العربي ، وابن الجوزي ، والرازي ، والخازن ، وابن كثير ، والمراغي [3] .

واختار الواحدي أن الآية نزلت فيهم جميعًا : في عم النبي > ، وفي أبويه ، وفي استغفار المسلمين لآبائهم المشركين [4] .

وجعلها السيوطي في استغفار النبي > لعمه ، واستغفار بعض الصحابة لأبويه المشركين [5].

ولذا قال الحافظ ابن حجر : « وهي عامة في حقه [يعني أبا طالب] وفي حق غيره»[6].

وقال البقاعي : «وقد تقدم أنه يجوز أن تتعدد الأسباب »[7] .

وقال القاسمي : « ساق المفسرون ها هنا روايات عديدة في نزول الآية ، ولما رآها

---

(1) قواعد التفسير لخالد السبت (١/ ٦٩) .

(2) قواعد الترجيح عند المفسرين (١/ ٢٤١) .

(3) ينظر : جامع البيان (١٢/ ١٩-٢٤) ، ومعاني القرآن وإعرابه (٤٧٢/٢-٤٧٣) ، ومعاني القرآن الكريم (٢٥٩/٣) ، وبحر العلوم (٧٦/٢-٧٧) ، وتفسير القرآن (٣٥٢/٢) ، ومعالم التنزيل (٣٣١/٢) ، والكشاف (٩٨/٣) ، وأحكام القرآن (١٠٢١/٢) ، وزاد المسير (٥٠٧/٣) ، ومفاتيح الغيب (١٥٧/٦-١٥٨) ، ولباب التأويل (٢٦٥/٢-٢٦٦) ، وتفسير القرآن العظيم (٢٩٤/٧-٢٩٩) ، وتفسير المراغي (٣٥/١١-٣٦) .

(4) ينظر : الوجيز (١/ ٤٨٣) .

(5) ينظر : تفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٣/ ٣٢٨ – ٣٢٩) .

(6) فتح الباري (٧/ ١٩٥) .

(7) نظم الدرر (٩ /٣١- ٣٣).

بعضهم متنافية ، حاول الجَمْعَ بينها بتعدّدُ النزول . ولا تنافي ؛ لما قدمناه مِنْ أن قولهم : (نزلت في كذا) قد يراد به : أن حكم الآية يشمل ما وقع من كذا ، بمعنى : أن نزولها يتناوله . وقد يراد به : أن كذا كان سببًا لنزولها . وما هنا من الأول . ونظائره كثيرة في التنزيل ، وقد نبهنا عليه مرارًا ، لا سيّما في المقدّمة ، فاحفظه »[1] .

ومن المقرر أن الأصل هو عدم تكرار النزول ، وأن القول بتعدد الأسباب – عند صحتها وصراحتها – مقدم عليه . والله تعالى أعلم .

(1) محاسن التأويل (٨/ ٣٢٨٢) .

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُواْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾

٣١- الخلاف في معنى ﴿ خُلِّفُواْ ﴾.

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « ومعنى ﴿ خُلِّفُواْ ﴾ هنا أي : عن الغزوة . وقال كعب بن مالك : معناه : خُلِّفوا عن قبول العُذْر ، وليس بالتخلّف عن الغزو [1] . يقوّي ذلك كونُه جَعَلَ ﴿ إِذَا ضَاقَتۡ ﴾ غايةً للتخلُّفِ » [2] .

العرض والمناقشة :

ظاهر كلام ابن جُزَيّ هنا أنه يرجّح قول كعب بن مالك في تفسير ﴿ خُلِّفُواْ ﴾ ؛ لتصريحه به، ولتقوية قوله والتعليل له . ووافق في هذا ما رُوِيَ عن ابن عباس [3] ، ومجاهد[4]، والضحاك [5] ، وعكرمة [6] ،

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٧٥٧، ٣٨٨٩، ٤٤١٨، ٤٦٧٦، ٦٦٩٠) ، ومسلم في صحيحه (٢٧٦٩) ، وابن جرير الطبري في جامع البيان (١٢/ ٥٨- ٦٥) وفي آخره قال كعب : كنا خُلِّفْنَا ، أيها الثلاثة ، عن أمر أولئك الذين قَبِلَ رسول الله > توبتهم حين حلفوا له ، فبايعهم واستغفر لهم ، وأرجأ رسول الله > أمرنا حتى قضى الله فيه ، فبذلك قال الله : ﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ ﴾ . وليس الذي ذكر الله مما خُلِّفْنَا عن الغزو ، إنما هو تخليفه إيانا وإرجاؤه أمرنا عمن حلف له واعتذر إليه ، فقبل منه . وهذا لفظ ابن جرير الطبري (٦٥/١٢) . وينظر : الدر المنثور (٣١٠/٤) ، والوسيط للواحدي (٥٣٠/٢) ، ومعالم التنزيل للبغوي (٣٣٧/٢) ، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٧/ ٣٠٦) .

(2) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٨٦- ٨٧) .

(3) ينظر : زاد المسير لابن الجوزي (٣/ ٥١٣) .

(4) ينظر : جامع البيان للطبري (١٢/ ٥٥- ٥٦) ، وأحكام القرآن للجصاص (٣٦٩/٤) ، وزاد المسير (٥١٣/٣) ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ٤١٢) .

(5) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٩٠٥) (١٠٠٨٨) .

(6) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢٩٠/٢) ، ومن طريقه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٥٤/١٢) . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣١٥/٤) نسبته إلى ابن المنذر ، وأبي الشيخ ، وابن عساكر .

وقتادة [1] ، وأبي مالك [2] . وذهب إليه مقاتل، وابن جرير الطبري، والنحاس، والواحدي، وابن عطية، والقرطبي، والقمي، وأبوحيان، وابن القيم، وابن كثير ، والبلنسي، والثعالبي، والبقاعي، والسيوطي، وأبوالسعود، والشوكاني، والآلوسي، والقنّوجي، والقاسمي، وابن عاشور[3] .

وذكره السمرقندي ، والبغوي ، والزمخشري بصيغة (قيل) [4].

ودليله : تفسير الصحابي نفسه كعب بن مالك للآية ، وهو أعلم بها ؛ إذ نزلت فيه وفي صاحبَيْه .

ومما يقوي هذا أن الله تعالى قال : ﴿ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ ﴾ فجعل ضيقَ الأرض عليهم غايةً للتخلُّف ، ولم يكن ذلك عن تخليفهم عن الغزو ، وإنما ضاقت عليهم الأرض عن تخليفهم عن قبول العذر . قاله ابن عطية [5] .

ويقول الطاهر : « وهذا الذي فسّر كعب به هو المناسب للغاية بقوله : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ ﴾ ؛ لأن تخيل ضيق الأرض عليهم وضيق أنفسهم هو غاية لإرجاء أمرهم انتهى عندها التخليف ، وليس غايةً لتخلّفهم عن الغزو ؛ لأن تخلّفهم لا انتهاء له »[6] .

---

(1) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٥٤/١٢) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٩٠٤) .

(2) ينظر : تفسير ابن أبي حاتم (١٩٠٥/٦) ، ومعاني القرآن الكريم للنحاس (٢٦٤/٣) ، والنكت والعيون للماوردي (٢/ ٤١٣) .

(3) ينظر : تفسير مقاتل (٢/ ٢٠١) ، وجامع البيان (١٢/ ٥٣- ٥٤) ، ومعاني القرآن الكريم (٣/ ٢٥٢) ، والوجيز (١/ ٤٨٥) ، والمحرر الوجيز (٧/ ٧٢) ، والجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٤١٢) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ٥٤١) ، والبحر المحيط (٥/ ١٠٩) ، وبدائع التفسير (٢/ ٣٨٢) ، وتفسير القرآن العظيم (٧/ ٣١٣) ، وتفسير مبهمات القرآن (٥٦٧/١) ، والجواهر الحسان (٢/ ٨١) ، ونظم الدرر (٣٩/٩) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٣/ ٣٣٣) ، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٤٥٥) ، وفتح القدير (٥٨٤/٢) ، وروح المعاني (١١/ ٤١) ، وفتح البيان (٥/ ٤١٩) ، ومحاسن التأويل (٨/ ٣٢٨٧) ، والتحرير والتنوير (١١/ ٥٢) .

(4) ينظر : بحر العلوم (٨١/٢) ، ومعالم التنزيل (٣٣٧/٢) ، والكشاف (٣/ ١٠٢) .

(5) ينظر : المحرر الوجيز (٧/ ٧٢) . وينظر : إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٢/ ٤٥٥) .

(6) التحرير والتنوير (١١/ ٥٢) .

ولأنه لو أراد تخلُّفَهم عن الغزو لقال : تخلّفوا كما قال تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة : ١٢٠] وذلك لأنهم تخلّفوا بأنفسهم بخلاف تخليفهم عن أمر المتخلّفين سواهم ، فإن الله سبحانه هو الذي خلَّفهم عنهم ، و لم يتخلَّفوا عنه بأنفسهم . قاله ابن القيم [1] .

وأما القول الآخر في معنى ﴿ خُلِّفُوا۟ ﴾ وهو أن المعنى : تَخَلَّفُوا عن الغزوة ، فنُسِبَ إلى قتادة [2] ، وعكرمة [3] . وعليه السمرقندي، وابن أبي زمنين، والبغوي، والزمخشري، والنسفي، والسعدي [4] .

وضعّفه ابن عطية [5] . وذكره القرطبي ، والقمي بصيغة (قيل) [6] .

وأُيِّدَ هذا القول بقراءة عكرمة بن خالد : ﴿ خَلَفُوا ﴾ [7] أي : خَلَفُوا الغازين بالمدينة.

---

(1) بدائع التفسير (٢/ ٣٨٢) ، زاد المعاد (٣/ ٥٩١- ٥٩٢) .

(2) ينظر : أحكام القرآن للجصاص (٣٦٩/٤) ، والمحرر الوجيز لابن عطية (٧٢/٧) ، وزاد المسير لابن الجوزي (٥١٣/٣) ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٤١٢/١٠) ، والبحر المحيط لأبي حيان (١٠٩/٥) . وهذه النسبة غلط ؛ لأن الطبري وابن أبي حاتم أخرجا عنه بإسناد صحيح قوله : (فَخُلِّفُوا عن التوبة) .

(3) نسبه له الماوردي في النكت والعيون (٤١٣/٢) ، وهذا غريب . وقد سبق قول عكرمة مثل قتادة .

(4) ينظر : بحر العلوم (٢/ ٨١) ، وتفسير القرآن العزيز (٢/ ٢٣٦) ، ومعالم التنزيل (٢/ ٣٣٧) ، والكشاف (١٠٢/٣) ، ومدارك التنزيل (٢/ ١٤٩) ، وتيسير الكريم الرحمن (٢٩٣/٢) ثم سوّى الأخير بينهما وتردد في (٢٩٥/٢) .

(5) ينظر : المحرر الوجيز (٧/ ٧٢) .

(6) ينظر : الجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٤١٢) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ٥٤١) .

(7) أخرجها ابن أبي حاتم في تفسيره (١٩٠٥/٦) رقم (١٠٠٨٩) عن عكرمة بن خالد المخزومي أنه كان يقرؤها بالنصب (خَلَفُوا) أي : بعد محمد > وأصحابه . وينظر : معاني القرآن الكريم للنحاس (٢٥٢/٣، ٢٦٥) . ونسبها لعكرمة بن عمار : السمعاني في تفسير القرآن (٣٥٦/٢) ، وأبوحيانفي البحر المحيط (١١٠/٥) ، وزاد نسبتها لزر بن حبيش وعمرو بن عبيد ومعاذ القاري وقال : ورويت عن أبي عمرو . ثم فسّره بقوله : أي : خلفوا الغازين بالمدينة أو فسدوا من المخالفة . والقراءة ذكرها ابن خالويه في القراءات الشاذة (٥٥) ، وابن جني في المحتسب (٣٠٥/١) وزادا نسبتها لزر بن حبيش ، ونسبها ابن جني أيضًا لعمرو بن عبيد وأبي عمرو . وينظر: الدر المصون للسمين الحلبي (١٣٦/٦) ، وروح المعاني للآلوسي (١١/ ٤١) .

يقال : خَلَفَ عن أصحابه ، إذا تخلَّف عنهم في المشي ، يَخْلُفُ – بضم اللام في المضارع . فمعنى ﴿ خُلِّفُواْ ﴾ خَلَّفَهم مُخَلِّفٌ ، أي : تركهم وراءه وهم لم يخلفهم أحد ، وإنما تخلّفوا بفعل أنفسهم .فيجوز أن يكون ﴿ خُلِّفُواْ ﴾ بمعنى خَلَّفُوا أنفسهم . قاله الطاهر ابن عاشور [1] .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن الأَوْلَى بالصواب في معنى ﴿ خُلِّفُواْ ﴾ هو ما قاله كعب بن مالك ؛ لأن الآية نازلة فيه وهو أعلم بمعناها ، ولقوّة تعليله . وهو تفسير السلف ، واختيار الأكثرين ، والله تعالى أعلم .

ويتأيد بالقاعدة التفسيرية : (قول الصحابي مقدم على غيره في التفسير وإن كان ظاهر السياق لا يدل عليه) [2] . والله تعالى أعلم .

---

(1) التحرير والتنوير (١١/ ٥٢) .

(2) قواعد التفسير لخالد السبت (١/ ١٨٦) .

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾

٣٢- الخلاف في النَّفْر الذي كَرِهَهُ اللهُ لجميع المؤمنين في قوله تعالى :

﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ ﴾ .

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « قال ابن عباس : هذه الآية في البعوث إلى الغزو والسرايا [1] . أي : لا ينبغي خروج جميع المؤمنين في السرايا ، وإنما يجب إذا خرج رسول الله > بنفسه ، ولذلك عاتبهم في الآية المتقدمة على التخلُّفِ عنه . فالآية الأُولى في الخروج معه > ، وهذه في السرايا التي كان يبعثها . وقيل : هي ناسخة لكل ما ورد من الأمر بخروج الجميع . فهو دليل على أن الجهاد فرض كفاية لا فرض عين . وقيل : هي في طلب العلم . ومعناها : أنه لا تجب الرحلة في طلب العلم على الجميع ، بل على البعض ؛ لأنه فرض كفاية » [2] .

العرض والمناقشة :

قدّم ابن جُزَيّ قول ابن عباس مرجّحًا له على غيره في بيان النَّفْر الذي كرهه الله تعالى لكافّة المؤمنين ، وهو خروجهم جميعًا في السرايا التي كان يبعثها رسول الله > . ووافق في هذا المعنى مارُوِيَ عن عبد الله بن عبيد بن عمير[3]، وقتادة [4]، والضحاك[5]، وابن زيد[6].

---

(1) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٢/٧٧-٧٨) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/١٩٠٩) رقم (١٠١١٦) وفي (٦/١٩١٢) رقم (١٠١٢٧) من طريق علي بن أبي طلحة ، عنه. وينظر : صحيفة علي (٢٧٦). وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤/٣٢٢) نسبته إلى ابن المنذر ، وابن مردويه وغيرهما .

(2) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٨٧) .

(3) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/١٩١٠) رقم (١٠١١٧) . زاد السيوطي في الدر المنثور (٤/٣٢٣) نسبته إلى أبي الشيخ .

(4) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٢/٧٨) . وينظر (١٢/ ٨٣) .

(5) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٢/٧٨- ٧٩) . وينظر (١٢/٨٣) .

(6) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٢/ ٧٧) .

ونُسِب للكلبي [1] . وعليه مقاتل، والفراء، وابن جرير الطبري، والزجاج، والنحاس، ومكي، وابن أبي زمنين، والواحدي، والبغوي، والقرطبي، وابن القيم، والبقاعي، والسيوطي، والآلوسي، والقاسمي، والسيد رشيد رضا، والمراغي، والسعدي، والطاهر بن عاشور[2].

وقدّمه السمرقندي [3] . واحتمله الرازي [4] .

واستدلوا له بأن الآية التي قبل هذه وهي قوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة : ١٢٠] فيها بيانُ تحريم التخلُّفِ خلافَ رسولِ الله > لغير عُذْرٍ يعذرون به ، إذا خرج رسول الله > لغزوٍ وجهاد عدوّ. وفي هذه الآية ﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ﴾ بيّن لهم الله تعالى الواجب عليهم عند مقام رسول الله > بمدينته ، وإشخاص غيره منها ، فنهاهم الله تعالى في هذه الآية أن يخرجوا في غزوٍ وجهاد وغير ذلك من أمورهم ، ويَدَعُوا رسول الله > وحيدًا ، ولكن عليهم إذا سرّى رسول الله > سريّةً ،أن ينفر معها من كل قبيلة طائفةٌ [5] .

ومما يدل له أيضًا السياق ؛ فإن الآية إنما هي في سياق النَّفير في الجهاد ، وتوبيخ القاعدين عنه .

« ولفظة النفير إنما تستعمل في الجهاد والغزو ، ولا يقال لمن سافر في طلب علم إنه نَفَرَ ولا استنفر ، ولا يقال للسفر فيه نفير . فحيث استعملت هذه الكلمة فإنما يفهم منها

---

(1) ينظر : النكت والعيون للماوردي (٢/ ٤١٥) .

(2) ينظر : تفسير مقاتل (٢/ ٢٠٣) ، ومعاني القرآن (١/ ٤٥٤) ، وجامع البيان (١٢/ ٨٣) ، ومعاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٧٥) والناسخ والمنسوخ (٢/ ٤٦٩) ، والإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه (٣٢٢) ، وتفسير القرآن العزيز (٢/ ٢٤٠)، و الوجيز (٤٨٦/١) والوسيط (٥٣٤/٢) وأسباب النزول (٣٠٤) ، ومعالم التنزيل (٢/ ٣٤٣) ، والجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٤٢٦) ، وبدائع التفسير (٣٨٦/٢) ـــ ونسبه للأكثرين . وقال: وهو الصحيح . ـــ ، ونظم الدرر (٩/ ٤٧) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٣/ ٣٣٩) ، وروح المعاني (١١/ ٤٨) ، ومحاسن التأويل (٨/ ٣٢٩٨) ، وتفسير القرآن الحكيم (١١/ ٦٧) ، وتفسير المراغي (٤٧/١١) ، وتيسير الكريم الرحمن (٢/ ٢٩٦- ٢٩٧) ، والتحرير والتنوير (١١/ ٦٠) .

(3) ينظر : بحر العلوم (٢/ ٨٢) .

(4) ينظر : مفاتيح الغيب (٦/ ١٧٠) .

(5) ينظر : جامع البيان لابن جرير الطبري (١٢/ ٨٣) .

الجهاد. قال الله تعالى : ﴿ ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ ﴾ [التوبة :٤١] وقال النبي > : (لاهجرة بعد الفتح ، ولكن جهاد ونية ، وإذا استنفرتم فانفروا) [(١)] . وهذا هو المعروف من هذه اللفظة .

وعلى هذا تكون الآية قد اشتملت على بيان حكم النافرين والقاعدين ، وعلى بيان اشتراكهم في الجهاد والعلم . فالنافرون أهل الجهاد ، والقاعدون أهل التفقه . والدين إنما يتم بالجهاد والعلم ، فإذا اشتغلت طائفة بالجهاد ، وطائفة بالتفقه في الدين ثم يُعَلِّمُ أهل الفقه المجاهدين إذا رجعوا إليهم ؛ حصلت المصلحة بالعلم والجهاد . وهذا الأليق بالآية والأكمل لمعناها » . قاله ابن القيم [(٢)] .

وأما القول الثاني بأن قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً ﴾ أنها ناسخة لكل ما ورد من الأمر بخروج الجميع ، فهو مرويٌّ عن ابن عباس [(٣)] ، وابن زيد [(٤)]. واختاره أبوعبيد القاسم بن سلام [(٥)] .

قال القرطبي : « وهذه الآية ناسخة لقوله تعالى : ﴿ إِلَّا تَنفِرُواْ ﴾ [التوبة : ٣٩] وللآية التي قبلها [التوبة : ٣٨] ، على قول مجاهد، وابن زيد »[(٦)] .

وردَّ الطبري هذا القول بقوله : « لم تكن إحدى الآيتين اللتين ذكرنا ناسخةً للأخرى ؛ إذ لم تكن إحداهما نافيةً حكم الأخرى من كل وجوهه ، ولا جاء خبر يوجّه الحجّة بأن إحداهما ناسخةً للأخرى »[(٧)] .

وقال ابن العربي : « أما نسخ بعض هذه لبعض فيفتقر إلى معرفة التاريخ فيها . وأما

---

(1) أخرجه البخاري في جزاء الصيد (١٨٣٤) والجهاد والسير (٢٧٨٣ و ٢٨٢٥ و ٣٠٧٧ و ٣١٨٩) ، ومسلم في الإمارة (١٤٨٧/٣) (١٣٥٣) من حديث ابن عباس .

(2) بدائع التفسير لابن القيم (٢/ ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧) .

(3) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٩٠٩/٦) رقم (١٠١١٥) . وينظر : الدر المنثور للسيوطي (٣٢٢/٤) فإنه نسبه لابن مردويه .

(4) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٧٣/١٢) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٩٠٧) .

(5) ينظر : الناسخ والمنسوخ (٢٠٥، ٢٠٦) .

(6) الجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٤٢٨) .

(7) جامع البيان (١٢/ ٧٤) .

الظاهر فنسخ الاستنفار العام ؛ لأنه الطارئ ؛ فإن النبي > كان يغزو في فئام من الناس ، و لم يستوف قط جميع الناس إلاّ في غزوة العُسْرة »[1] .

ونقل ابن الجوزي عن أبي سليمان قال : « لكل آية وجهها ، وليس للنسخ على إحدى الآيتين طريق »[2] .

وقال النحاس : « مذهب ابن زيد أنه نسخها ﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً ﴾. ومذهب غيره أنه ليس ها هنا ناسخ ولا منسوخ ، وأن الآية الأُولى [مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ] توجب إذا نفر النبي > أو احتيج إلى المسلمين ، فاستنفروا لم يسع أحدًا التخلف ، وإذا بعث النبي > سَرِيَّةً ، تخلّفت طائفة . وهذا مذهب ابن عباس ، والضحاك، وقتادة »[3] .

وقال مكي : « وهو الصواب إن شاء الله ؛ لأن حمل الآيتين على فائدتين وحكمين أَولى من حملهما على فائدة واحدة »[4] .

وأما القول بأن قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً ﴾ هي في طلب العلم ، والمعنى : لا تجب الرحلة في طلب العلم على الجميع ، بل على البعض ؛ لأنه فرض كفاية ، فهو قول رُوِيَ عن ابن عباس أيضًا [5] ، ومجاهد [6] . ونُسِبَ إلى الحسن [7] .

وذهب إليه الجصاص، والزمخشري، ومحمود النيسابوري، والنسفي، وأبوحيان، والسمين [8] .

---

(1) أحكام القرآن (٢/ ١٠٣٠) .

(2) زد المسير (٣/ ٥١٦) .

(3) الناسخ و المنسوخ (٢/ ٤٦٩) .

(4) الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه (٣٢٢) .

(5) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٢/ ٨٠) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٩١١/٦) (١٠١٢٢) من طريق عطية العوفي ، عنه .

(6) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٧٦/١٢، ٧٧) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٩١٠/٦) رقم (١٠١٢١) . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣٢٤/٤) نسبته إلى ابن أبي شيبة ، وابن المنذر ، وأبي الشيخ .

(7) ينظر : أحكام القرآن للجصاص (٤/ ٣٧٢) ، وزاد المسير لابن الجوزي (٥١٧/٣) .

(8) ينظر : أحكام القرآن للجصاص (٣٧٢/٤) والكشاف (١٠٧/٣-١٠٨) ووضح البرهان (٤١٤/١) وإيجاز البيان

ونسبه ابن القيم للشافعي [1] . واحتمله الرازي [2] . وجوّزه الطاهر [3] .

وذهب بعض المفسّرين إلى إمكانية اشتمال الآية على القولين : في الجهاد ، وفي طلب العلم ، منهم : الرازي، والخازن، والقمي، وابن كثير، وأبوالسعود [4] .

قال السيد رشيد رضا : « هذه الآية من تتمة أحكام الجهاد والقتال ، مع زيادة حكم طلب العلم والتفقه في الدين ، وهو آلة الجهاد بالحجة والبرهان ، الذي عليه مدار الدعوة إلى الإيمان، وإقامة دعائم الإسلام ، وإنما جهاد السيف حماية وسياج »[5] .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن أَولى الأقوال بالصواب من ذلك هو ما رجّحه ابن جُزَيّ ومَنْ وافقه مِنْ أن قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً ﴾ هي في الجهاد والسرايا التي كان يبعثها النبي > وهو في المدينة ؛ لقوّة أدلته ، والله تعالى أعلم .

ويؤيده القاعدة الترجيحية : (إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أَولى من الخروج به عن ذلك) [6] وهذه القاعدة تؤيد دلالة السياق .

وكذلك القاعدة الأخرى : (يجب حمل كلام الله تعالى على المعروف من كلام العرب دون الشاذ والضعيف والمنكر) [7] . وهذه القاعدة تؤيد أن استعمال كلمة النفير إنما هي في الجهاد دون طلب العلم ، هذا هو المعروف من كلام العرب واستعمالهم .

وإذا كان ذلك كذلك فإن هذه الآية ليست بمنسوخة ولا ناسخة ، كما أنها اشتملت على بيان حكم طلب العلم والتفقه في الدين زيادةً على بيان حكم الجهاد ، ورغّبت في التفقه في الدين وتعلّمه وتعليمه ؛ فإن ذلك يعدل الجهاد بل ربما يكون أفضل منه ، كما قاله ابن القيم [8] .

(١/ ٣١٦) ومدارك التنزيل (٢/ ١٥٠) والبحر المحيط (٥/ ١١٤) والدر المصون (٦/١٤٠).

(1) ينظر : بدائع التفسير (٢/ ٣٨٤ ، ٣٨٦) .

(2) ينظر : مفاتيح الغيب (٦/ ١٧١) .

(3) ينظر : التحرير والتنوير (١١/ ٦٠) .

(4) ينظر : مفاتيح الغيب (٦/ ١٧٠-١٧١) ، ولباب التأويل (٢/ ٢٧٥) ، ورغائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/٥٤٧- ٥٤٨) ، وتفسير القرآن العظيم (٧/ ٣١٧) ، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٤٥٧) .

(5) تفسير القرآن الحكيم (١١/ ٦٧) .

(6) قواعد الترجيح عند المفسرين (١/ ١٢٥) .

(7) المصدر السابق (٢/ ٣٦٩) .

(8) ينظر : بدائع التفسير (٢/ ٣٨٥) .

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ نَّظَرَ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ هَلۡ يَرَىٰكُم مِّنۡ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُواْۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ١٢٧ ﴾

٣٣- الخلاف في وَجْه نظر بعض المنافقين إلى بعض عند نزول سورة من القرآن .

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « ﴿ نَّظَرَ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ ﴾ أي : تغامزوا وأشار بعضهم إلى بعض على وَجْهِ الاستخفاف بالقرآن ثم قال بعضهم لبعض : ﴿ هَلۡ يَرَىٰكُم مِّنۡ أَحَدٍ ﴾ كأنَّ سببَ خوفهم أن يُنقل عنهم ذلك . وقيل : معنى ﴿ نَّظَرَ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ ﴾ على وَجْهِ التعجُّب مما يترل في القرآن من كشف أسرارهم ، ثم قال بعضهم لبعض: ﴿ هَلۡ يَرَىٰكُم مِّنۡ أَحَدٍ ﴾ أي : هل رأى أحوالكم فنقلها عنكم أو علمت من غير نقل ؟! فهذا أيضًا على وَجّهِ التعجُّب » [1] .

العرض والمناقشة :

رجَّح ابن جُزَيّ أن نظر بعض المنافقين إلى بعض عند نزول سورة من القرآن هو على وَجْهِ الاستخفاف بالقرآن . ووافق في هذا المعنى جمهور المفسّرين منهم : مقاتل، والسمرقندي ، والسمعاني، والزمخشري، والرازي، والبيضاوي، والنسفي، والقمي النيسابوري، وأبوحيان، والبقاعي، وأبوالسعود، والشوكاني، والآلوسي، والقنّوجي، والقاسمي، والسيد رشيد رضا، والمراغي [2] .

وأما القول الآخر في معنى نظر المنافقين بعضهم إلى بعض وهو أنه على وَجْهِ التعجُّب مما يترل في القرآن من كشف أسرارهم ، فعليه ابن عطية، والقرطبي، والثعالبي، والطاهر

---

(1) التسهيل لعلوم التترل (٢/ ٨٨) .

(2) ينظر : تفسير مقاتل (٢/ ٢٠٤) ، وبحر العلوم (٢/ ٨٤) ، وتفسير القرآن (٢/ ٣٦١- ٣٦٢) ، والكشاف (٣/ ١١٠) ، ومفاتيح الغيب (٦/ ١٧٦) ، وأنوار التترل (١/ ٤٢٧) ، ومدارك التترل (٢/ ١٥١) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ٥٥٠) ، والبحر المحيط (٥/ ١١٧) ، ونظم الدرر (٩/ ٥٤) ، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٤٥٩) ، وفتح القدير (٢/ ٥٩٠) ، وروح المعاني (١١/ ٥١) ، وفتح البيان (٥/ ٤٣٠) ، ومحاسن البيان (٨/ ٣٣٠٣) ، وتفسير القرآن الحكيم (١١/ ٧٣) ، وتفسير المراغي (١١/ ٥٢) .

ابن عاشور [1] .

وليس من دليل على أحد القولين .

فإذا تقرر هذا فإن كلا المعنيين جائز أن يكون هو المراد . ولا دليل يوجب صحة أحدهما دون الآخر ، والله تعالى أعلم .

(1) ينظر : المحرر الوجيز (٧/ ٨٧) ، والجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٤٣٨) ، والجواهر الحسان (٢/ ٨٥) ، والتحرير والتنوير (١١/ ٦٨- ٦٩) .

تَرجيحاتُ ابن جُزَيّ

في تفسير سورة يُونُسَ

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ٩ ﴾

١- الخلاف في محلّ الهداية في قوله تعالى : ﴿ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡ ﴾ هل هو في الدنيا إلى الاستقامة ؟ أم في الآخرة إلى الجنة ؟

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « ﴿ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡ ﴾ أي : بسبب إيمانهم إلى الاستقامة أو يهديهم في الآخرة إلى طريق الجنة . وهو أرجح ؛ لما بعده » [1] .

العرض والمناقشة :

رجَّح ابن جُزَيّ في قوله تعالى : ﴿ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡ ﴾ أن الهداية في الآخرة إلى طريق الجنة . ووافق في هذا معنى ما رُوِيَ عن مجاهد [2] ، وقتادة [3] ، والضحاك [4] ، والربيع [5] ، والكلبي [6] ، وأبي رَوق [7] .

وعليه ابن جرير الطبري، والنحاس، والسمرقندي، وابن أبي زمنين، والواحدي، والسمعاني ، والبغوي، وابن الجوزي، والرازي، والخازن، والقمي النيسابوري، وابن كثير، والبقاعي، والسيوطي، وأبوالسعود، والآلوسي، والقاسمي [8] .

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٩٠) .

(2) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٢/ ١٢٤) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٩٢٩/٦) رقم (١٠٢٣٦) عنه قال : يكون لهم نورًا يمشون به . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣٤٤/٤) نسبته إلى ابن أبي شيبة ، وابن المنذر .

(3) أخرجه أبو الشيخ كما في الدر المنثور للسيوطي (٣٤٤/٤) .

(4) نسبه له السمرقندي في بحر العلوم (٢ /٨٩) قال : يدعوهم ربهم بإيمانهم إلى الجنة .

(5) أخرجه أبو الشيخ كما في الدر المنثور للسيوطي (٣٤٥/٤) عنه قال : حتى يدخلهم الجنة .

(6) نسبه له السمرقندي في بحر العلوم (٢/ ٨٩) نحو قول الضحاك .

(7) نسبه له القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٤٥٧- ٤٥٨) .

(8) ينظر : جامع البيان (١٢/ ١٢٣) ، ومعاني القرآن الكريم (٣/ ٢٧٩) ، وبحر العلوم (٢/ ٨٩) ــ ونَسَبَ إلى مقاتل أنه قال : يهديهم على الصراط إلى الجنة بالنور بإيمانهم ــ ، وتفسير القرآن العزيز (٢/ ٢٤٥) ، والوجيز (٤٩٠/١) والوسيط (٢/ ٥٣٩) ، وتفسير القرآن (٢/ ٣٦٨) ، ومعالم التنزيل (٢/ ٣٥٢) ، وتذكرة

وجوّزه الزمخشري [1] .

وذكره القرطبي بصيغة (قيل) [2] .

واستدل له ابن جُزَيّ بما بعده وهو قوله تعالى : ﴿ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾ . أي : أن سياق الآية في بيان ثواب الله لهم في الآخرة – وهو هدايتهم إلى الجنة – بسبب إيمانهم في الدنيا .

ودلّل الرازي[3] على صحته من وجوه منها :

– قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [الحديد : ١٢] .

– قال الحسن : بلغنا أن النبي > قال : (المؤمن إذا خرج من قبره صور له عمله في صورة حسنة وريح طيبة فيقول له : ما أنت ؟ فوالله إني لأراك عين امرئ صدق . فيقول له: أنا عملك . فيكون له نورًا وقائدًا إلى الجنة) ... الحديث [4] .

وهذا حديث مرسل كما لا يخفى .

وأما القول الآخر في هداية الله لهم أنها في الدنيا إلى الاستقامة ، فذهب إليه الزمخشري، والقرطبي، وأبوحيان، والطاهر بن عاشور [5] .

الأريب (١/ ٢٣١) ــ وبدأ به في زاد المسير (٤/ ١٠) ــ ، ومفاتيح الغيب (٦/ ٢١٣) ، ولباب التأويل (٢/ ٢٨١) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ٥٦٢) ــ ونسبه لأكثر المفسرين ــ ، وتفسير القرآن العظيم (٧/ ٣٣٧) ، ونظم الدرر (٩/ ٧٩) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٣/ ٣٥٠) ، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٤٧٠) ، وروح المعاني (١١/ ٧٣) ، ومحاسن التأويل (٨/ ٣٣٢٦) .

(1) ينظر : الكشاف (٣/ ١١٦) .

(2) ينظر : الجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٤٥٧) .

(3) ينظر : مفاتيح الغيب (٢١٣/٦) . وتبعه القمي النيسابوري في غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ٥٦٢) .

(4) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٩٢٩/٦) من طريق سعيد، عن قتادة، عنه مرسلا .وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣٤٤/٤) نسبته لابن المنذر. وأخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٢٣/١٢) من طريق سعيد ، عن قتادة قوله. وفي معناه ما أخرجه ابن جرير أيضًا (١٢٣/١٢) عن ابن جريج نحوه . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣٤٥/٤) نسبته لابن المنذر ، وأبي الشيخ .

(5) ينظر : الكشاف (٣/ ١١٦) ، والجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٤٥٧) ، والبحر المحيط (٥/ ١٢٧) ، والتحرير والتنوير (١١/ ١٠١) .

وهو مفهوم كلام الشوكاني ، والقنّوجي [1] . وقدّمه البيضاوي، والنسفي [2].
وذكره السمرقندي ، والبغوي ، والآلوسي بصيغة (قيل) [3] .

قال أبوحيان : « والظاهر أن ﴿ تَجۡرِي ﴾ مستأنفًا فيكون قد أخبر عنهم بخبرين عظيمين : أحدهما : هداية الله لهم وذلك في الدنيا ، والآخر : بجريان الأنهار وذلك في الآخرة ، كما تضمنت الآية في الكفار شيئين : أحدهما : اتصافهم بانتفاء رجاء لقاء الله وما عطف عليه . والثاني : مقرهم ومأواهم وذلك في النار . فصار تقسيمًا للفريقين في المعنى»[4].

وعلّله الزمخشري بأن التمسك بسبب السعادة كالوصول إليها [5] .
وأُورِدَ عليه أنه قد قرَّرَ أنهم مؤمنون مستقيمون [6] .

وهذا لا يَرد ؛ لأنه قد قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ ﴾ [النساء : ١٣٦] وقال : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى ﴾ [محمد : ١٧] وقال : ﴿ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ هُدٗى ﴾ [مريم : ٧٦] فيكون المعنى : إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم إلى الاستقامة في الدنيا على صراطه المستقيم ويديمهم عليها ويزيدهم هداية .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن الأَولى هو الجمع بين القولين ؛ لتلازمهما وعدم معارضة أحدهما للآخر . فيكون المعنى : « بسبب ما معهم من الإيمان ، يثيبهم الله أعظم الثواب ، وهو: الهداية ، فيعلمهم ما ينفعهم ، ويمنّ عليهم بالأعمال الناشئة عن الهداية ، ويهديهم للنظر في آياته ويهديهم في هذه الدار إلى الصراط المستقيم ، وفي دار الجزاء إلى الصراط الموصل إلى جنات النعيم »[7] .

---

(1) ينظر : فتح القدير (٢/ ٦٠١) ، وفتح البيان (٦/ ٢٠) .
(2) ينظر : أنوار التنزيل (١/ ٤٣٠) ، ومدارك التنزيل (٢/ ١٥٤) .
(3) ينظر : بحر العلوم (٢/٨٩) ، ومعالم التنزيل (٢/ ٣٥٢) ، وروح المعاني (١١/ ٧٤) .
(4) بحر المحيط (٥/ ١٢٧) .
(5) الكشاف (٣/ ١١٦) .
(6) ينظر : المحرر الوجيز لابن عطية (٧/ ١٠٩) .
(7) تيسير الكريم الرحمان للسعدي (٢/ ٣٠٥) .

وهذا معنى قول مقاتل [1] .

وعليه السيد محمد رشيد رضا ، والمراغي، والسعدي [2] .

فالهداية في الآية عامة تشمل الهداية في الدنيا إلى الصراط المسقيم ، وفي الآخرة الهداية إلى الصراط الموصل إلى جنات النعيم . ويتأيد هذا بالقاعدة الترجيحية :(يجب حمل نصوص الوحي على العموم) [3] ، والله تعالى أعلم .

(1) قال مقاتل في تفسيره (٢/٢٢٧) : « إلى الفرائض ، ويثيبهم الجنة » . وهذا جمع منه بين القولين ، والله أعلم .

(2) ينظر : تفسير القرآن الحكيم (١١/ ٢٦٤) ، وتفسير المراغي (١١/ ٧١) ، وتيسير الكريم الرحمان (٢/ ٣٠٥)

(3) قواعد الترجيح عند المفسرين (٢/ ٥٢٧) .

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ وَلَوۡ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسۡتِعۡجَالَهُم بِٱلۡخَيۡرِ لَقُضِيَ إِلَيۡهِمۡ أَجَلُهُمۡۖ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴿١١﴾ ﴾

٢- الخلاف فيمن نزلت هذه الآية : ﴿ وَلَوۡ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسۡتِعۡجَالَهُم بِٱلۡخَيۡرِ لَقُضِيَ إِلَيۡهِمۡ أَجَلُهُمۡ ﴾ .

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « أي : لو يعجل الله للناس الشرَّ كما يحبون تعجيل الخير لهلكوا جميعًا . ونزلت الآية عند قوم في دعاء الإنسان على نفسه وماله وولده . وقيل : نزلت في الذين قالوا : ﴿ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ »[1] [الأنفال : ٣٢] .

العرض والمناقشة :

رجَّحَ ابن جُزَيّ أن الآية الكريمة : ﴿ وَلَوۡ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسۡتِعۡجَالَهُم بِٱلۡخَيۡرِ لَقُضِيَ إِلَيۡهِمۡ أَجَلُهُمۡ ﴾ نزلت في دعاء الإنسان على نفسه وماله وولده . ووافق في هذا معنى ما رُوِيَ عن مجاهد [2] ، وقتادة [3] ، وسعيد بن جبير [4] . ونُسِبَ هذا القول إلى ابن عباس [5] ، والضحاك ، والكلبي [6] .

وعليه الفراء، وابن قتيبة، وابن جرير الطبري، والزجاج، والنحاس، وابن أبي زمنين،

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٩٠) .

(2) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٢/ ١٣٠- ١٣٢) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٩٣٢) رقم (١٠٢٥٥ و ١٠٢٥٨) . وزاد ابن حجر في تغليق التعليق (٢٢٢/٤) نسبته إلى الفريابي ، وفي الفتح (٣٤٦/٨) زاد نسبته إلى عبد بن حميد في تفسيره . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٣٤٦) نسبته إلى ابن المنذر ، وأبي الشيخ . وأورده البخاري في صحيحه في كتاب التفسير ، سورة يونس (١) بَابٌ .

(3) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٣١/١٢) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٩٣٢/٦) رقم (١٠٢٥٦) .

(4) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٩٣٢/٦) رقم (١٠٢٥٧) .

(5) ينظر : تفسير القرآن للسمعاني (٣٦٩/٢) ، ومعالم التنزيل للبغوي (٣٥٣/٢) ، وزاد المسير لابن الجوزي (١١/٤) .

(6) ينظر : بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٩٠) .

والسمعاني، والبغوي، وابن عطية، ومحمود النيسابوري، وابن الجوزي، والخازن، وابن القيم، وابن كثير، والثعالبي [1] .

واستُدِلَّ له بالعموم ، فإن لفظة "الناس" هنا عامّة وتخصيصها يحتاج إلى دليل .

ونظَّر له ابن كثير بقوله تعالى : ﴿ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴾ [الإسراء : ١١].

وفي معنى هذا القول ما ثبت عن النبي > أنه قال : (اللهم إني بشر أغضب كما يغضب البشر ، فأيما رجل سببته أو لعنته فاجعلها له طهرة ورحمة) [2] .

وعن جابر قال : قال رسول الله > : (لا تدعوا على أنفسكم ، لا تدعوا على أولادكم ، لا تدعوا على أموالكم ، لا توافقوا من الله ساعة فيها إجابة فيستجيب لكم)[3].

وأما القول الآخر وهو أن الآية نزلت في الذين قالوا : ﴿ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ ، فهو قول ابن إسحاق [4] .

والآية على هذا القول خاصّة بالكافر ، أي : ولو يعجّل الله للكافر العذابَ على كُفره كما عجَّل له خيرَ الدنيا من المال والولد ، لعجّل له قضاء أجله ليتعجل عذاب الآخرة .

وعليه مقاتل، والزمخشري، والرازي، والنسفي، والسيوطي، وأبوالسعود، والآلوسي،

---

(1) ينظر : معاني القرآن (٤٥٨/١) ، وتأويل مشكل القرآن (٣٩٣) ، وجامع البيان (١٢٩/١٢) ، ومعاني القرآن وإعرابه (٣/ ٨) ، ومعاني القرآن الكريم (٣/ ٢٨٠) ، وتفسير القرآن العزيز (٢/ ٢٤٦) ، وتفسير القرآن (٣٦٩/٢) ، ومعالم التنزيل (٣٥٣/٢) ، والمحرر الوجيز (٧/ ١١٣) ، ووضح البرهان (٤١٧/١) وإيجاز البيان (١/ ٣١٩) ، وتذكرة الأريب (١/ ٢٣١) ، ولباب التأويل (٢/ ٢٨٢) ، وبدائع التفسير (٣٩٣/٢-٣٩٤) وإعلام الموقعين (٧٠/٣، ١٤٢) وروضة المحبين (١٥٤) ، وتفسير القرآن العظيم (٣٣٨/٧- ٣٣٩) ، والجواهر الحسان (٢/ ٩١) .

(2) أخرجه البخاري (٦٣٦١) ، ومسلم (٢٦٠١) من حديث أبي هريرة . وأخرجه مسلم (٢٦٠٢) من حديث جابر و(٢٦٠٠) من حديث عائشة و (٢٦٠٣) من حديث أنس ش . وينظر : تفسير القرآن للسمعاني (٣٦٩/٢) ، ومعالم التنزيل للبغوي (٢/ ٣٥٣) .

(3) أخرجه مسلم (٢٦٠٢) .

(4) حكاه الماوردي في النكت والعيون (٤٢٥/٢) ونسبه لابن إسحاق . وينظر : زاد المسير لابن الجوزي (١٢/٤) ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٤٦١/١٠) .

والقاسمي، والطاهر بن عاشور [1] . وقدّمه السمرقندي، والسيد رشيد رضا، والمراغي [2] . وهو مفهوم كلام أبي حيان [3] . ومال إليه الواحدي [4] . وكلام الشوكاني يشعر بالميل إليه[5] . وجوّزه الزجاج [6] .

وذكره النحاس، والبغوي، وابن عطية، والقرطبي، والخازن، والثعالبي بصيغة (قيل)[7].

واستُدِلَّ لهذا القول بتمام الآية : ﴿ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ أي : الكفار الذين لا يخافون البعث والحساب .

يقول الرازي : « أخبر تعالى في آيات كثيرة أن هؤلاء المشركين متى خُوِّفُوا بنزول العذاب في الدنيا استعجلوا ذلك العذاب كما قالوا : ﴿ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ . وقال تعالى : ﴿ سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴾ [المعارج : ١] ثم إنهم لما توعدوا بعذاب الآخرة في هذه الآية وهو قوله : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ [يونس : ٨] . استعجلوا ذلك العذاب ، وقالوا : متى يحصل ذلك ؟ كما قال تعالى : ﴿ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ﴾[الشورى : ١٨] . وقال في هذه السورة بعد هذه الآية : ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ إلى قوله : ﴿ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴾ [يونس : ٤٨-

---

(1) ينظر : تفسير مقاتل (٢/ ٢٢٩) ، والكشاف (٣/ ١١٨) ، ومفاتيح الغيب (٦/ ٢١٨) ، ومدارك التنزيل (١٥٥/٢) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٣/ ٣٥١) ، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٤٧١) ، وروح المعاني (١١/ ٧٧) ، ومحاسن التأويل (٨/ ٣٣٢٨) ، والتحرير والتنوير (١١/ ١٠٥) .

(2) : بحر العلوم (٢/ ٩٠) ، وتفسير القرآن الحكيم (١١/ ٢٦٧) ـــ وقرّره أحسن تقرير متابعًا فيه للرازي ـــ ، وتفسير المراغي (١١/ ٧٣- ٧٤) متابعًا فيه أستاذه .

(3) ينظر : البحر المحيط (٥/ ١٢٨) .

(4) ينظر : الوسيط (٢/ ٥٤٠) .

(5) ينظر : فتح القدير (٢/ ٦٠٣) . وتابعه القنّوجي في فتح البيان (٢٥/٦) .

(6) ينظر : معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٨) .

(7) ينظر : معاني القرآن الكريم (٢٨٠/٣) ، ومعالم التنزيل (٢/ ٣٥٣) ، والمحرر الوجيز (١١٣/٧) ، ولباب التأويل (٢٨٢/٢) ، والجواهر الحسان (٩٢/٢) .

٥١] . وقال في سورة الرعد : ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ ﴾[الرعد : ٦] . فبيّن تعالى أنهم لا مصلحة لهم في تعجيل إيصال الشرّ إليهم ؛ لأنه تعالى لو أوصل ذلك العقاب إليهم لماتوا وهلكوا ؛ لأن تركيبهم في الدنيا لا يحتمل ذلك ، ولا صلاح في إماتتهم ، فربما آمنوا بعد ذلك ، وربما خرج من صلبهم من كان مؤمنًا ، وذلك يقتضي أن لا يعاجلهم بإيصال ذلك الشر »[1].

وقال الآلوسي : « هم الذين لا يرجون لقاء الله تعالى المذكورون في قوله سبحانه : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ﴾ الخ. والآية متصلة بذلك دالّة على استحقاقهم للعذاب ، وأنه سبحانه إنما يمهلهم استدراجًا . وذكر المؤمنين وقع في البين تتميمًا ومقابلة ، وجئ بالناس بدل ضميرهم تفظيعًا للأمر »[2] .

وقال الطاهر : « والقرينة على اتصال هذه الجملة بجملة ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ﴾ قولُه في آخر هذه ﴿ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾»[3].

وأجاب عن العموم بأن الكلام لما كان على إبطال شبهة المشركين وكانوا المستحقين للشرّ كانوا أول من يتبادر من عموم الناس ، كما زاده تصريحًا قوله : ﴿ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾[4] .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن الصواب أن يقال : الآية في سياق الكلام عن الذين لا يرجون لقاء الله ، لو يعجل الله لهم ما سألوه من الشر ؛ كعذاب الاستئصال وما دونه من عذاب الدنيا ، أو قيام الساعة وعذاب الآخرة لقضي إليهم أجلهم بإهلاكهم واستئصالهم .

والصحيح أنه يدخل في هذا المعنى دعاؤهم على أنفسهم عند اليأس ودعاء بعضهم على

---

(1) مفاتيح الغيب (٢١٨/٦) . وينظر: تفسير القرآن الحكيم للسيد رشيد رضا (٢٦٧/١١) .

(2) روح المعاني (١١/ ٧٧، ٧٨) .

(3) التحريروالتنوير (١٠٦/١١) .

(4) المصدر السابق .

بعض عند الغضب .

وعلى الجمع بين القولين : الواحدي، والبقاعي، والسعدي، والسيد محمد رشيد رضا، والمراغي [1] .

ويؤيده ذلك القاعدة الترجيحية : (يجب حمل نصوص الوحي على العموم) [2] . فهذه القاعدة تقرر شمول الآية للقولين .

كما أن القاعدة الترجيحية الأخرى : (إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجّح له على ما خالفه) [3] تدل على صحة القول الأول ، فإعمالاً للقاعدتين يصحُّ القولان ، ويمكن الجمع بينهما بما تقدّم تقريره ، والله تعالى أعلم .

---

(1) ينظر : الوجيز (١/ ٤٩١) ، ونظم الدرر (٩/ ٨٢) ، وتيسير الكريم الرحمن (٢/ ٣٠٦) ، وتفسير القرآن الحكيم (١١/ ٢٦٨) ، وتفسير المراغي (١١/ ٧٤) .

(2) قواعد الترجيح عند المفسرين (٢/ ٥٢٧) .

(3) المصدر السابق (١/ ٢٠٦) .

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٢٥ ﴾

٣- الخلاف في تسمية الجنّة بـــ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ .

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « أي : إلى الجنة . وسميت دار السلام ، أي : دار السلامة من العناء والتعب . وقيل : السلام هنا اسم الله . أي : يدعو إلى داره » [1] .

العرض والمناقشة :

اتفق المفسّرون على أن ﴿ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ ﴾ هي الجنَّة ـــ أورثنا الله الفردوس الأعلى منها بفضله ومَنّه ـــ واختلفوا في سبب إضافتها إلى ﴿ ٱلسَّلَٰمِ ﴾ وتسميتها بـــ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ .

فرجّح ابن جُزَيّ أنها سُمّيَتْ بذلك ؛ لأنها دار سالمة من العناء والتعب . ووافق في هذا ما ذهب إليه ابن الجوزي، وأبوحيان، وابن كثير، والسيوطي، والمراغي، والسعدي، وابن عاشور [2] . وجوّزه الزجاج [3] ، ونقله عن النحاس [4] .

وذكر هذا القول السمرقندي، والبغوي ، والزمخشري ، وابن عطية ، والثعالبي بصيغة (قيل) [5] .

واستُدِلّ لهذا القول بمعنى كلمة " السلام " فإنها من السلامة .

قال السمرقندي : « سميت بذلك ؛ لأنها سالمة من الآفات والأمراض وغير ذلك »[6] .

وقال الزمخشري : « لأن أهلها سالمون من كل مكروه »[7] .

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٩٢) .

(2) ينظر : زاد المسير (٤/ ٢٢) و (٣٦٢/٣) ، والبحر المحيط (١٤٥/٥) ، وتفسير القرآن العظيم (٧/ ٣٥٢) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٣/ ٣٦٢) ، وتفسير المراغي (١١/ ٦٤) ، وتيسير الكريم الرحمان (٣١٤/٢) ، والتحرير والتنوير (٦٤/٨) .

(3) ينظر : معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٥) .

(4) ينظر : معاني القرآن الكريم (٢٨٨/٣) . وينظر أيضًا : النكت والعيون للماوردي (٤٣١/٢) .

(5) ينظر : بحر العلوم (٩٤/٢) ، ومعالم التنزيل (٣٥٨/٢) ، والكشاف (١٣٠/٣) ، والمحرر الوجيز (١٣٥/٧) ، والجواهر الحسان (٩٥/٢) .

(6) بحر العلوم (٩٤/٢) . وينظر : معالم التنزيل للبغوي (٣٥٨/٢) .

(7) الكشاف (٣/ ١٣٠) .

وأما القول الآخر بأن ﴿ ٱلسَّلَٰمِ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ ﴾ هو اسم الله تعالى، والمعنى : والله يدعو إلى داره ، فهو مَرْويٌّ عن ابن عباس [1] ، وقتادة [2] ، والسدي[3] ، والحسن [4] ، وأبي الشعثاء [5] .

وذهب إليه مقاتل، والزجاج، والنحاس، والسمرقندي ، وابن أبي زمنين، والخازن [6] . وبدأ به السمعاني [7] ، وابن عطية [8] ، وجوّزه أبوحيان [9] .

وذكره الثعالبي ، والطاهر بن عاشور بصيغة (قيل) [10] .

قال النحاس : « وإعادة الاسم إذا لم يكن مشكلاً كان أفخم »[11] .

وجمع ابن جرير الطبري بين القولين فقال : « فإن الله يدعوكم إلى داره ، وهي جناته التي أعدها لأوليائه ، تسلموا من الهموم والأحزان فيها ، وتأمنوا من فناء ما فيها من النعيم والكرامة التي أعدها لمن دخلها »[12] .

وذكر البغوي وجْهًا آخر فقال : « وقيل : المراد بالسلام التحية ، سميت الجنة دار السلام ؛ لأن أهلها يُحيّي بعضُهم بعضًا بالسلام ، والملائكة تسلم عليهم ، قال الله تعالى :

---

(1) أخرجه أبو نعيم والدمياطي -كما في الدر المنثور للسيوطي (٣٥٤/٤) – من طريق الكلبي، عن أبي صالح ، عنه .

(2) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢٩٣/٢) ، وابن جرير الطبري في جامع البيان (١٥٤/١٢) من طريقه ، وفي (١٥٣/١٢) وابن أبي حاتم في تفسيره (١٩٤٣/٦) رقم (١٠٣٢٩) من طريق معمر ، عنه قال : الله هو السلام، والدار : الجنة .

(3) ذكره ابن أبي حاتم معلّقًا في تفسيره (١٩٤٣/٦) عقب (١٠٣٣٠) .

(4) ينظر : الجامع لأحكام القرآن (٤٨٠/١٠) .

(5) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٩٤٣/٦) رقم (١٠٣٣٠) .

(6) ينظر : تفسير مقاتل (٢/ ٢٣٦) ، ومعاني القرآن وإعرابه (١٥/٣) ، ومعاني القرآن الكريم (٢٨٨/٣) ، وبحر العلوم (٢/ ٩٤) ، وتفسير القرآن العزيز (٢/ ٢٥١) ، ولباب التأويل (٢/ ٢٨٩) .

(7) ينظر : تفسير القرآن (٢/) .

(8) ينظر : المحرر الوجيز (٧/ ١٣٥) .

(9) ينظر : البحر المحيط (٥/ ١٤٥) .

(10) ينظر : الجواهر الحسان (٩٥/٢) ، والتحرير والتنوير (٨/ ٦٤) .

(11) معاني القرآن الكريم (٢٨٨/٣) .

(12) جامع البيان (١٥٣/١٢) .

﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم ﴾ »[1] [الرعد : ٢٣- ٢٤] .

فَلِفُشُوِّ السلام بينهم كما قال تعالى : ﴿ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴾[يونس : ١٠] وقال : ﴿ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴾ [الواقعة : ٢٦] ، ولِتسليم الملائكة عليهم ، ولِسلام الله تعالى عليهم كما قال : ﴿ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾[يس : ٥٨] ؛ لذلك كلّه سُمِّيَتْ دار السلام .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن الصواب من ذلك هو صحّةُ تسميتها بذلك كُلّه ؛ جمعًا بين الأدلة ؛ إذ لا تعارض بينها ، وهو أَولى من إهمال أحدها .

قال السيد محمد رشيد رضا : « وفي المراد بالسلام الذي أضيفت إليه الدار وجوه يصح أن تراد كلها »[2] ...ثم ذكر الوجوه الثلاثة .

وهذا هو الصحيح ، فالسلام هو الله لأ ، ومن دخل داره سَلِم من الآفات والمكروهات ؛ لأنها دار السلامة ، وفيها يُسلّمُ الله على أهلها ، والملائكة يُسَلِّمون عليهم ، وأهلها يُحَيِّي بعضهم بعضًا بالسلام .

وذكر هذه الوجه الثلاثة الرازي [3]، وجمع بينها كلّها البقاعي[4]، وسوّى بينها البيضاوي، وأبوالسعود [5] .

ويتأيد هذا القول بالقاعدة الترجيحية : (يجب حمل نصوص الوحي على العموم)[6]، والله تعالى أعلم .

---

(1) معالم التنزيل (٢/ ٣٥٨) .

(2) تفسير القرآن الحكيم (١١/ ٢٩٨) .

(3) ينظر : مفاتيح الغيب (٦/ ٢٣٨- ٢٣٩) .

(4) ينظر : نظم الدرر (٩/ ١٠٣- ١٠٤) .

(5) ينظر : أنوار التنزيل (١/ ٤٣٤) ، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٤٨٦) .

(6) قواعد الترجيح عند المفسرين (٢/ ٥٢٧) .

تنبيه : جمع القرطبي (٤٨٠/١٠) بين القولين الأولين ، وقدّم الأول ، وذكر الثالث بصيغة (قيل) . ومثله النسفي (١٦٠/٢) إلاّ أنه سوّى بين القولين الولين بـــ أو . وجمع بين القولين الأولين أيضًا مع تقديم الثاني الشوكاني (٦١٥/٢) والقنوجي (٤٧/٦) . وسوّى بين القولين الأولين فقط الآلوسي (١٠٢/١١) . وذكرها القمي (٥٧٥/٣) كلّها بـــ قيل. وذكر الخازن (٢٨٩/٢) القولين الأخيرين بـــ قيل .

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾

٤- الخلاف في تفسير ﴿ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾.

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « الحُسْنَى : الجنة ، والزيادة : النظر إلى وجه الله. وقيل: الحسنى : جزاء الحسنة بعشر أمثالها ، والزيادة : التضعيف فوق ذلك إلى سبعمئة . والأول أصحُّ ؛ لوروده في الحديث ، وكثرة القائلين به » [1] .

العرض والمناقشة :

صحَّح ابن جُزَيّ القول بأن الحسنى هي الجنة ، وأن الزيادة هي النظر إلى وَجْهِ الله الكريم . ووافق في هذا جماعة من الصحابة منهم : أبو بكر الصديق [2] ، وعلي [3] ، وأبي موسى الأشعري [4] ، وابن عباس [5] ،

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٩٢) .

(2) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٢/١٥٦، ١٦١) ، وابن خزيمة في التوحيد (١٢٠) ، وابن منده في الرد على الجهمية (٨٤) ، وعبد الله بن أحمد في السنة (٤٧٠، ٤٧١) ، والآجري في الشريعة (٥٩٠، ٥٩١، ٥٩٨) ، والبيهقي في الأسماء والصفات (٦٦٦) وفي الاعتقاد (١٣٢) ، وابن أبي عاصم في السنة (٤٧٣، ٤٧٤)، والدارمي في الرد على الجهمية (٥٢، ٨٤) ، وهناد في الزهد (١٧٠) . وذكره معلقًا ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/١٩٤٥) ، عقب الأثر (١٠٣٤١) . وصححه الألباني في السنة (١/٢٠٦) في ظلال الجنة (٤٧٤) .

(3) أخرجه ابن مردويه من طريق الحارث ، عنه كما في الدر المنثور للسيوطي (٤/٣٥٨) .

(4) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٢/١٥٧، ١٥٨) ، وابن خزيمة في التوحيد (١٢١) ، والدارمي في الرد على الجهمية (٥٢) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/١٩٤٥) رقم (١٠٣٤١) ، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٣/٤٥٧- ٤٥٩) (٧٨٢، ٧٨٥، ٧٨٦) ، والنحاس في معاني القرآن الكريم (٣/٢٨٩) ، وابن المبارك في الزهد والرقائق (٤١٩) . وذكره معلّقًا أيضًا ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/١٩٤٤) عقب الأثر (١٠٣٣٦) . وفي إسناده أبوبكر الهذلي ضعيف بمرّة .

(5) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/١٩٤٥) عقب الأثر (١٠٣٤١) . ونسبه لابن عباس الواحدي في الوسيط (٢/٥٤٤) . وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/١٩٤٤، ١٩٤٥) عقب الأثرين (١٠٣٣٦) و (١٠٣٤١) معلّقًا عن عكرمة . ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٤/٣٥٨) إلى الطبري ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والبيهقي من طريق علي ، عن ابن عباس . ونسبه أيضًا إلى ابن مردويه ، والبيهقي في الأسماء والصفات عن عكرمة ، عن ابن عباس .

وابن مسعود [1] ، وحذيفة [2] . وقال به مجاهد ، والسدّي ، وأبوسنان [3] ، وسعيد بن المسيب [4] ، وعبد الرحمن بن أبي ليلى [5] ، والحسن [6] ، وقتادة [7] ، والضحاك [8] ، وعبد الرحمن بن سابط [9] ، وعامر بن سعد البجلي [10] ، وأبوإسحاق السبيعي [11] ،

---

(1) نسبه السيوطي في الدر المنثور (٣٥٨/٤) إلى ابن أبي حاتم ، واللالكائي . وقال ابن القيم : في تفسير أسباط بن نصر، عن إسماعيل السدي ، عن أبي مالك وأبي صالح عن ابن عباس ، وعن مرة الهمذاني ، عن ابن مسعود . ينظر : بدائع التفسير (٤٠٢/٢) .

(2) ينظر : الدر المنثور للسيوطي (٣٥٨/٤) ، والنكت والعيون للماوردي (٢/ ٤٣٢- ٤٣٣) .

(3) ذكره معلّقًا عنهم ابن أبي حاتم في تفسيره (١٩٤٥/٦) عقب الأثر (١٠٣٤١) .

(4) ذكره معلقًا عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٩٤٤/٦) عقب الأثر (١٠٣٣٦) .

(5) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢٩٦/٢) ، وابن جرير الطبري في جامع البيان (١٥٨/١٢، ١٥٩) ، وابن خزيمة في التوحيد (١١٩، ١٢٠) ، والدارمي في الرد على الجهمية (٥٢) ، وعبد الله بن أحمد في السنة (٤٤٥) . وذكره معلقًا عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٩٤٤/٦) عقب الأثر (١٠٣٣٦) وفي (١٩٤٥/٦) عقب الأثر (١٠٣٤١) . وينظر : الدر المنثور للسيوطي (٣٥٩/٤) .

(6) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٦٠/١٢) ، والبيهقي في الاعتقاد (١٣٢) ، وعبد الله بن أحمد في السنة (١١٤٦) ، وابن خزيمة في التوحيد (١٢١) . وذكره عنه معلقًا ابن أبي حاتم في تفسيره (١٩٤٤/٦، ١٩٤٥) عقب الأثرين (١٠٣٣٦) و (١٠٣٤١) .

(7) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢٩٤/٢) ، وابن جرير الطبري في جامع البيان (١٦١/١٢) ، وابن خزيمة في التوحيد (١٢١) . وذكره عنه معلقًا ابن أبي حاتم في تفسيره (١٩٤٤/٦، ١٩٤٥) عقب الأثرين (١٠٣٣٦) و (١٠٣٤١) . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣٥٩/٤) نسبته إلى أبي الشيخ ، والدارقطني .

(8) ذكره عنه معلقًا ابن أبي حاتم في تفسيره (١٩٤٤/٦، ١٩٤٥) عقب الأثرين (١٠٣٣٦) و (١٠٣٤١) . ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٣٥٩/٤) إلى الدارقطني .

(9) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٦٢/١٢) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٩٤٥/٦) رقم (١٠٣٣٩) ، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٤٦٢/٣) رقم (٧٩٥) ، وابن أبي شيبة (٤٢٩/١٣) . واقتصر لفظ ابن أبي حاتم على تفسير الحسنى بالنضرة . وذكره عنه معلّقًا (١٩٤٥/٦) عقب (١٠٣٤١) وأنه فسّر الزيادة بالنظر إلى الله . وزاد نسبته السيوطي في الدر المنثور (٣٥٩/٤) إلى الدارقطني .

(10) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٥٦/١٢، ١٥٧) ، وعبد الله بن أحمد في السنة (٤٧٢، ١١٤٥) ، وابن خزيمة في التوحيد (١٢٠) ، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٤٦١/٣) رقم (٧٩٢، ٧٩٣) . وذكره معلقًا عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٩٤٥/٦) عقب الأثر (١٠٣٤١) وتصحّف فيه إلى (عامر بن سعيد) . وزاد نسبته السيوطي في الدر المنثور (٣٥٩/٤) إلى الدارقطني .

(11) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٥٧/١٢) ، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٤٦٢/٣) رقم (٧٩٤) . وذكره معلقًا عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٩٤٥/٦) عقب (١٠٣٤١) . وزاد السيوطي في الدر

وابن زيد [1] ، وعكرمة [2] .

وذهب إليه مقاتل، والزجاج، والنحاس، والسمرقندي، وابن أبي زمنين، والواحدي، والسمعاني، والكرماني، والبغوي، وابن عطية، ومحمود النيسابوري، وابن الجوزي، والرازي، والقرطبي، والنسفي، والخازن، وأبوحيان، وابن القيم، والبلنسي، والثعالبي، والسيوطي، والشوكاني، والآلوسي، والقنوجي، والقاسمي، والسعدي، والطاهر بن عاشور [3] .

وذكره البيضاوي بصيغة (قيل) [4] .

فهذا القول عليه عامة المفسرين ، وأهل الحديث .

قال ابن القيم : « كذلك فسّرها رسول الله > الذي أنزل عليه القرآن ، فالصحابة مِن بعده »[5] .

المنثور (٣٥٩/٤) نسبته إلى الدارقطني .

(1) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٩٤٤/٦) رقم (١٠٣٣٨) قال : الحسنى الجنة .

(2) ينظر : زاد المسير لابن الجوزي (٢٤/٤) ، ومعالم التنزيل للبغوي (٣٥٩/٢) .

(3) ينظر : تفسير مقاتل (٢/ ٢٣٦) ، ومعاني القرآن وإعرابه (١٥/٣) ـــ قال : والقول في النظر إلى وَجْهِ اللهِ كثير في التفسير ، وهو مَرْوِيٌّ بالأسانيد الصحاح ، لا يُشك في ذلك . ـــ ، ومعاني القرآن الكريم (٢٨٨/٣) ـــ وعزاه إلى أهل الحديث . وينظر : إعراب القرآن (٢٥١/٢) ، وبحر العلوم (٩٥/٢) ـــ وعزاه إلى عامة المفسّرين ـــ ، وتفسير القرآن العزيز (٢/ ٢٥١) ، والوجيز (٤٩٥/١) والوسيط (٥٤٤/٢- ٥٤٥) ، وتفسير القرآن (٢/ ٣٧٨- ٣٧٩) ، وغرائب التفسير وعجائب التأويل (١/ ٤٨٠) ، ومعالم التنزيل (٢/ ٣٥٩) ـــ وقال : هذا قول جماعة من الصحابة منهم : أبوبكر ، وحذيفة وأبوموسى وعبادة بن الصامت ش وهو قول الحسن وعكرمة وعطاء ومقاتل والضحاك والسدي . ـــ ، والمحرر الوجيز (١٣٧/٧) ـــ ونسبه للجمهور ـــ ، وإيجاز البيان (٣١٩/١) ـــ فسّر الحسنى بالجنة ، ولم يفسر الزيادة ـــ ، وتذكرة الأريب (٢٣٤/١) وزاد المسير (٢٤/٤) ، ومفاتيح الغيب (٢٤٠/٦- ٢٤١) ، والجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٤٨٢) ، ومدارك التنزيل (١٦٠- ١٦١) ، ولباب التأويل (٢/ ٢٩٠) ، والبحر المحيط (١٤٦/٥) ـــ وقال : قال الأكثرون : هي الجنة، وروي ذلك عن الرسول > ، ولو صحَّ وجب المصير إليه . ثم ردّ على الزمخشري وقال : فليس بموضوع بل خرّجه مسلم في صحيحه عن صهيب والنسائي عنه عن الرسول > ... ـــ ، وبدائع التفسير (٢/ ٣٩٨) ، وتفسير مبهمات القرآن (٢/ ١٢) ، والجواهر الحسان (٢/ ٩٥) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٣٦٣/٣) ، وفتح القدير (٢/ ٦٢٠) ، وروح المعاني (١١/ ١٠٢) ، وفتح البيان (٦/ ٥٠) ، ومحاسن التاويل (٨/ ٣٣٤١) ، وتيسير الكريم الرحمن (٢/ ٣١٤) ، والتحرير والتنوير (١١/ ١٤٦) .

(4) ينظر : أنوار التنزيل (١/ ٤٣٤) .

(5) ينظر : بدائع التفسير (٢/ ٣٩٨) وحادي الأرواح (٣٦٤) .

وقال البلنسي : « صح بالنقل المستفيض عن رسول الله > أن ﴿ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ الجنة ، والزيادة النظرُ إلى الله تعالى »[1] .

وقال القاسمي : « تواتر تفسيرها بالرؤية عن غير واحد من الصحابة والتابعين »[2] .

ومن أدلة هذا القول :

أولاً : ما ثبت عن النبي > في تفسيرها ومن ذلك :

- حديث صهيب ط أن رسول الله > تلا هذه الآية ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ قال : (إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى مناد : يا أهل الجنة ، إن لكم عند الله موعدًا يريد أن ينجزكموه . فيقولون : وما هو ، ألم تثقلْ موازيننا ، وتبيض وجوهنا ، وتدخلنا الجنة ، وتزحزحنا عن النار ؟! وقال : فيكشف لهم الحجاب فينظرون إليه ، فوالله ما أعطاهم الله شيئًا أحب إليهم من النظر إليه ولا أقَرَّ لأعينهم)[3] .

ورُوِيَ مرفوعًا أيضًا من حديث أبي موسى الأشعري[4] ، وكعب بن عُجْرَة[5] ،

---

(1) ينظر : تفسير مبهمات القرآن (٢/ ١٢) .

(2) ينظر : محاسن التأويل (٨/ ٣٣٤١) .

(3) أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده (١٤١١) ، وأحمد في مسنده (٤/٣٣٢- ٣٣٣) ، ومسلم في صحيحه (١/١٦٣) (١٨١/ ٢٩٧) ، (١٨١-١٨٢) ، والترمذي في سننه (٢٥٥٢، ٣١٠٥) ، وابن ماجه في سننه (١/٦٧) (١٨٧) ، وابن خزيمة في التوحيد (١١٨) ، وابن جرير الطبري في جامع البيان (١٢/١٦٠) ، والنسائي في السنن الكبرى (٤/٧٧٦٦) (١١٧٠) وفي التفسير (٦/١١٢٣٤) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/١٩٤٥) (١٠٣٤٠) ، وابن منده في الرد على الجهمية (٨٣) ، والنحاس في معاني القرآن الكريم (٣/٢٨٩)، والدارقطني في الرؤية (١٥٣)، والبغوي في شرح السنة (١٥/٢٣٠) ، والبيهقي في الأسماء والصفات (٦٦٥) ، وفي الاعتقاد (١٢٨) . وزاد السيوطي نسبته في الدر المنثور (٤/٣٥٦- ٣٥٧) إلى ابن المنذر ، وأبي الشيخ ، وابن مردويه .

(4) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٢/١٥٨) ، والدارقطني في الرؤية (٤٣) ، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٣/٧٨٢) . وإسناده ضعيف جدًا ، فيه أبان بن أبي عيّاش ، متروك . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤/٣٥٧) نسبته لابن مردويه في تفسيره . وينظر : تخريج أحاديث الكشاف للزيلعي (٢/١٢٥) ، وبدائع التفسير لابن القيم (٢/٤٠٠) .

(5) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٢/١٦١) ، وعبد الله بن أحمد في السنة (٤٨٤) ، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٣/٤٥٦) (٧٨١) ، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٥/٢٠٤) ، من طريق إبراهيم بن المختار، عن ابن جريج ، عن عطاء ، عن كعب بن عجرة . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤/٣٥٧) نسبته لابن

وأُبَيّ بن كعب [1] ، وأنس [2] ، وابن عمر [3] .

ثانيًا : أجمع أهل السنة والجماعة على أن الله تعالى لم يره أحد من خلقه في الدنيا ، وأن أهل الجنة يرونه يوم القيامة [4] .

ونفي الرؤية وإنكارها هو مذهب الجهمية والمعتزلة [5] . (وقد ثبت التفسير بذلك من قول رسول الله > فلم يبق حينئذ لقائل قول ، ولا التفات إلى المجادلات الواقعة بين المتمذهبة الذين لا يعرفون من السنة المطهرة ما ينتفعون به ، فإنهم لو عرفوا ذلك لكفوا عن كثير من هذيانهم ، والله المستعان) [6] .

ولما ذكر الآلوسي هذا القول وأنه التفسير المأثور عن عدد من الصحابة ، وجاء بحديث صهيب قال بعد ذلك : (فحكاية هذا التفسير بـــ قيل – كما فعل البيضاوي عفا الله عنه – مما لا ينبغي . وقول الزمخشري – عامله الله بعدله – : إن الحديث مرقوع – بالقاف. أي: مفترى – لا يصدر إلاّ عن رقيع ، فإنه متفق على صحته وقد أخرجه حفاظ ليس فيهم مقال) [7] .

مردويه . وإسناده ضعيف . فيه إبراهيم بن المختار التميمي ، أبو إسماعيل الرازي .. صدوق ضعيف الحفظ . قال ابن معين : ليس بذاك؛ وقال البخاري : فيه نظر . [تهذيب التهذيب ١/ ١٦٢] . وعطاء هو الخراساني ، وليس ابن أبي رباح ، قاله ابن القيم (بدائع التفسير ٣٩٩/٢) ويروي مرسلا عن الصحابة .

(1) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٦٢/١٢) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٩٤٤/٦) (١٠٣٣٦) ، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٤٥٦/٣) (٧٨٠) . وفي سنده مجهول . وأخرجه الدارقطني في الرؤية (١٨٣) ، واللالكائي (٨٤٩) وفي إسنادهما ضعف أو جهالة أيضًا .

(2) أخرجه ابن عدي في الكامل (١١٧٣/٣) ، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٧٧٩) . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣٥٧/٤) نسبته إلى أبي الشيخ ، وابن منده في الرد على الجهمية ، والدارقطني في الرؤية ، وابن مردويه ، والخطيب ، وابن النجار . وفي إسناده : سَلْم بن سالم البلخي ، ضعّفه ابن معين والنسائي . وقال أحمد : ليس بذاك. [ميزان الاعتدال للذهبي ١٨٥/٢] . ونوح بن أبي مريم ، قال الحافظ في التقريب (٤٩٨) : كذّبوه في الحديث ، وقال ابن المبارك : كان يضع .

(3) أخرجه ابن مردويه كما في الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٣٥٧) .

(4) ينظر : بحر العلوم للسمرقندي (٩٥/٢) ونقله عن علي بن عاصم . وحادي الأرواح لابن القيم (٣٦١) .

(5) ينظر : شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز بتخريج الألباني (١٨٩) .

(6) فتح القدير للشوكاني (٦٢٠/٢) وتبعه تلميذه القنوجي في فتح البيان (٥٠/٦) .

(7) روح المعاني للآلوسي (١٠٢/١١) .

ثالثًا : قوله بعد ذلك في آخر الآية : ﴿ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ﴾ فيه إيماء أو إشارة إلى أن الزيادة هي النظر إلى وجه الله ، فبعد أن نظروا إلى وجه ربهم فإنه لا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة أبدًا .

تلا ابن أبي ليلى هذه الآية ﴿ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ﴾ وقال : « بعد نظرهم إلى ربهم تبارك وتعالى »[1] .

ويؤيد هذا المعنى قوله تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة : ٢٢- ٢٣] ، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۝٢٢ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ۝٢٣ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴾ [المطففين : ٢٢- ٢٤] وقد ذكر الله في هذه السورة أن الكفار لا يرونه فقال : ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾[المطففين : ١٥].

ومنها استدل الشافعي بمفهوم المخالفة على رؤية المؤمنين ربهم سبحانه [2] .

قال ابن القيم : « وقال غير واحد من السلف في الآية : ﴿ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ﴾ بعد النظر إليه . والأحاديث عنهم بذلك صحيحة . ولما عطف سبحانه الزيادة على الحسنى – التي هي الجنة – دلّ على أنها أمر آخر وراء الجنة ، وقدر زائد عليها . ومن فسّر الزيادة بالمغفرة والرضوان فهو من لوازم رؤية الرب تبارك وتعالى »[3] .

وأما القول الاخر في تفسير ﴿ الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ وهو أن الحسنى هي جزاء الحسنة بعشر أمثالها ، والزيادة هي التضعيف فوق ذلك إلى سبعمائة ، فهو قول رُوِيَ عن ابن عباس[4] ،

---

(1) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٩٤٦/٦) (١٠٣٤٨) .

(2) ينظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢٨٧/١٤) ، وحادي الأرواح لابن القيم (٣٦٨) ، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (١٩١) .

(3) بدائع التفسير (٢/ ٤٠٢) وحادي الأرواح (٣٦٧) .

(4) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٦٣/١٢) بالإسناد المسلسل بالعوفيين قال : هو مثل قوله ﴿ وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ [ق:٣٥] . يقول : يجزيهم بعملهم ويزيدهم من فضله . وقال : ﴿ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ

والحسن [1] ، وعلقمة بن قيس [2] .

وجوّز الزجاج أن تكون الزيادة تضعيف الحسنات ؛ لأنه قال لأ : ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾[الأنعام : ١٦٠] مع تفسيره الحسنى بالجنة [3] .

وتعجّب الكرماني من هذا التفسير واستغربه [4] .

وذكره الفراء ، والنحاس ، والقرطبي ، والبيضاوي بصيغة (قيل) [5] .

أما ابن عطية فإنه قال : « وهذا قول يعضده النظر ، ولولا عظم القائلين بالقول الأول لترجّح هذا القول ، وطرق ترجيحه أن الآية تتضمّن اقترانًا بين ذكر عُمَّال الحسنات وعُمَّال السيئات ، فوصف المحسنين بأن لهم ـــ على إحسانهم ـــ حُسْنَى وزيادة من جنسها ، ووصف المسيئين بأن لهم بالسيئة مثلها ، فتعادل الكلامان . وعبَّر عن الحسنات بالحسنى مبالغة إذ هي عشرة . وقال الطبري : الحسنى عام في كل حُسْنَى ، فهي تعم جميع ماقيل ، ووعد الله في جميعها بالزيادة . ويؤيد ذلك أيضًا قوله : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ﴾ ، ولو كان معنى الحسنى الجنة لكان في القول تكرير بالمعنى ، على أن هذا ينفصل عنه بأنه وصف المحسنين بأن لهم الجنة ، وأنهم لا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة ، ثم قال : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ﴾ على جهة المدح لهم ، أي : أولئك مستحقوها وأصحابها حقًّا وباستيجاب»[6].

وأما المعتزلة ، ومنهم الزمخشري، ففسروا الحسنى بأنها المثوبة الحسنى ، والزيادة ما يزيد

﴿ أَمْثَالِهَا ﴾[الأنعام :١٦٠]. وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٩٤٤/٦) من طريق أبي روق ، عن الضحاك ، عنه قال : الحسنى مثلها . وينظر: زاد المسير لابن الجوزي (٢٤/٤) .

(1) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٦٣/١٢) عنه قال : الزيادة الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣٦٠/٤) نسبته إلى ابن المنذر .

(2) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٦٣/١٢) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٩٤٦/٦) (١٠٣٤٤) عنه بنحو قول ابن عباس . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣٦٠/٤) نسبته إلى ابن المنذر .

(3) ينظر : معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٥) .

(4) ينظر : غرائب التفسير وعجائب التأويل (١/ ٤٨٠) .

(5) ينظر : معاني القرآن (٤٦١/١) ، وإعراب القرآن (٢٥١/٢) ، والجامع لأحكام القرآن (٤٨٤/١٠) ، وأنوار التنزيل (١/ ٤٣٤) .

(6) المحرر الوجيز (٧/ ١٣٧) .

على المثوبة تفضّلاً ؛ لقوله تعالى : ﴿ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ﴾[1] [النساء : ١٧٣] مع إنكارهم للرؤية [2] .

وعلى هذا التفسير : البيضاوي، والسيد محمد رشيد رضا، والمراغي [3] ،

لكن قال السيد رشيد رضا : « وقد ورد في الأحاديث الكثيرة من الطرق العديدة أن هذه الزيادة هي النظر إلى وجه الله الكريم » . وتبعه على ذلك تلميذه المراغي .

واختار ابن جرير الطبري في تفسير ﴿ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ أنها الجنة ، وأن تبيض وجوههم ، وفي تفسير " الزيادة " اختار العموم ؛ ليشمل كل ما قيل : النظر إلى وجه الله ، والغُرَف ، والمغفرة ، والرضوان .

قال : « وأَولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال : إن الله تبارك وتعالى ، وعد المحسنين من عباده على إحسانهم الحسنى ، أن يَجزيهم على طاعته إياه الجنة ، وأن يبيض وجوههم ، ووعدهم مع الحسنى الزيادة عليها ، ومن الزيادة على إدخالهم الجنة : أن يكرمهم بالنظر إليه، وأن يعطيهم غرفًا من لآلئ وأن يزيدهم غفرانًا ورضوانًا ، كل ذلك من زيادةِ عطاءِ الله إياهم على الحسنى التي جعلها الله لأهل جنانه . وعَمَّ ربُّنا ، جل ثناؤه ، بقوله : ﴿ وَزِيَادَةٌ ﴾ الزياداتِ على الحسنى ، فلم يخصِّصْ منها شيئًا دون شيء ، وغيرُ مستنكرٍ من فضل الله أن يجمع ذلك لهم ، بل ذلك كلُّه مجموع لهم إن شاء الله . فأَولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يُعَمَّ كما عَمَّهُ عزَّ ذكرُه »[4] .

وكذا ابن كثير في قوله : ﴿ وَزِيَادَةٌ ﴾ قال : « يشمل تضعيف ثواب الأعمال بالحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف وزيادة على ذلك أيضًا . ويشمل ما يعطيهم الله في الجنان من القصور والحُور والرضا عنهم ، وما أخفاه لهم من قرة أعين ، وأفضل من ذلك وأعلاه النظرُ إلى وجهه الكريم ، فإنه زيادة أعظم من جميع ما أعطوه ، لا يستحقونها بعملهم

---

(1) ينظر : الكشاف (٣/) ، ومفاتيح الغيب للرازي (٦/٢٤٠-٢٤١) .

(2) ينظر في تقرير أدلة المعتزلة في نفي الرؤية ، المصدر الأخير .

(3) ينظر : أنوار التنزيل (١/ ٤٣٤) ، وتفسير القرآن الحكيم (١١/ ٢٩٩) ، وتفسير المراغي (١١/ ٩٥) .

(4) جامع البيان (١٢/ ١٦٤- ١٦٥) .

بل بفضله ورحمته »[1] .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن أَولى الأقوال بالصواب في تفسير ﴿ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ أنها الجنة ، وفي تفسير ﴿ وَزِيَادَةٌ ﴾ أنها النظر إلى وجه الله الكريم ؛ لثبوت ذلك في التفسير النبوي الصحيح . ويتأيد هذا بالقاعدة الترجيحية : (إذا ثبت الحديث وكان نصًّا في تفسير الآية فلا يصار إلى غيره) [2] .

ويدخل في هذا القول ما قيل في الزيادة من تضعيف الحسنات ، والمغفرة والرضوان ...؛ لأن هذا من لوازم دخول الجنة والنظر إلى الله تعالى ، والله تعالى أعلم .

---

(1) تفسير القرآن العظيم (٧/ ٣٥٤) .

(2) قواعد الترجيح عند المفسرين (١/ ١٩١) .

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾

٥- هل قوله تعالى : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ ﴾ إخبارٌ عن المستقبل ؟ أم إخبار عن الحال ؟

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « فيها قولان : أحدهما : إخبار بما يكون منهم في المستقبل، وأن بعضهم يؤمن وبعضهم يتمادى في الكفر . والآخر : أنها إخبار عن حالهم أن منهم من هو مؤمن به ويكتم إيمانه ، ومنهم من هو مكذِّب » [1] .

العرض والمناقشة :

على منهج ابن جُزَيّ في الترجيح فإنه يرجِّحُ القول الأول ؛ وهو أن قوله تعالى : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ ﴾ إخبار بما يكون منهم في المستقبل ، فبعضهم يؤمن وبعضهم يتمادى في الكفر .

وعلى هذا القول : مقاتل، وابن جرير الطبري، والنحاس، وابن أبي زمنين، والواحدي، والبغوي، وابن الجوزي، والقرطبي، والخازن، وأبوحيان، وابن كثير، والبقاعي، والسيوطي، والسيد محمد رشيد رضا، والمراغي [2] .

وذكره الشوكاني ، والقنوجي بصيغة (قيل) [3] .

و لم يذكروا له دليلاً ولا تعليلاً .

وأما القول الآخر وهو أن الآية إخبار عن حالهم أن منهم من هو مؤمن به ويكتم

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٩٣) .

(2) ينظر : تفسير مقاتل (٢/ ٢٣٩) ، وجامع البيان (١٢/ ١٨٤- ١٨٥) ، وإعراب القرآن (٢/ ٢٥٥) ، وتفسير القرآن العزيز (٢/ ٢٥٨) ، والوجيز (٤٩٩/١) والوسيط (٢/ ٥٤٨) ، ومعالم التنزيل (٢/ ٣٦٣) ، وزاد المسير (٤/ ٣٤) وتذكرة الأريب (١/ ٢٣٦) ، والجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٥٠٥ – ٥٠٦) ، ولباب التأويل (٢٩٤/٢) ، والبحر المحيط (٥/ ١٦٠) ، وتفسير القرآن العظيم (٧/ ٣٦٤ – ٣٦٥) ، ونظم الدرر (٩/ ١٢٦) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٣/ ٣٧٥) ، وتفسير القرآن الحكيم (١١/ ٣٢٣) ، وتفسير المراغي (١٠٩/١١ – ١١٠) .

(3) ينظر : فتح القدير (٦٢٧/٢) ، وفتح البيان (٦٦/٥) .

إيمانه، ومنهم من هو مكذّب ، فذهب إليه الزجاج، والنحاس، والسمعاني، والشوكاني، والقنوجي، والقاسمي، والطاهر بن عاشور [1] .

وذكره أبوحيان ، والسيد رشيد رضا بصيغة (قيل)[2] .

و لم يذكروا له دليلاً ولا تعليلاً .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن كلا القولين محتمل ؛ لأن كلمة ﴿ يُؤْمِنُ ﴾ فعل مستقبل وهو يصلح للحال والاستقبال [3]، ولا مرجِّح لأحدهما على الآخر . وعليه، فالقولان محتملان. وكأن أبا السعود ، والآلوسي ، يحتملان القولين معًا [4].

ولذا فقد ذكرهما بدون ترجيح ابن عطية، وتابعه الثعالبي [5] على نحو ما ذكره ابن جُزَيّ . وسوّى بينهما الزمخشري ، والبيضاوي ، والنسفي مع تقديمهم للقول الثاني[6].والله تعالى أعلم .

---

(1) ينظر : معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢١- ٢٢) ، ومعاني القرآن الكريم (٣/ ٢٩٥) ، وتفسير القرآن (٣٨٤/٢)، وفتح القدير (٢/ ٦٢٧) ، وفتح البيان (٥/ ٦٦) ، ومحاسن التأويل (٨/ ٣٣٥٢) ، والتحرير والتنوير (١٧٥/١١).

(2) ينظر : البحر المحيط (١٦٠/٥) ، وتفسير القرآن الحكيم (١١/ ٣٢٣) .

(3) ينظر : مفاتيح الغيب للرازي (٦/ ٢٥٦) .

(4) ينظر : إرشاد العقل السليم (٢/ ٤٩٧) ، وروح المعاني (١١/ ١٢٢) .

(5) ينظر : المحرر الوجيز (٧/ ١٥٥) ، والجواهر الحسان (٢/ ٩٨) .

(6) ينظر : الكشاف (١٣٨/٣) ، وأنوار التنزيل (٤٣٧/١) ، ومداك التنزيل (٢/ ١٦٤- ١٦٥) . وجمع بين إمكانيتهما القمي في غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ٥٨٤) .

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾

٦- عن أي شيء الاستنباء في قوله تعالى : ﴿ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ﴾ ؟

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « أي : يسألونك هل الوعيد حَقٌّ ؟ أو هل الشرع والدّين حَقٌّ ؟ والأول أرجح ؛ لقوله : ﴿ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴾ أَيْ : لا تفوتون من الوعيد » [1] .

العرض والمناقشة :

رجَّح ابن جُزَيّ أن الاستنباء في قوله تعالى : ﴿ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ﴾ هو سؤالهم عن الوعيد . ووافق في هذا ما ذهب إليه جمهور المفسّرين وعامّتهم على اختلاف عباراتهم ، فمنهم من عبَّر عنه بالوعيد كابن جُزَيّ ، ومنهم من عبَّر عنه بالعذاب ، ومنهم من عبَّر عنه بالبعث وقيام الساعة . ولا تناقض بينها بل كُلُّها متلازمة ؛ فإنهم وُعِدُوا العذابَ وهذا إنما يكون بعد البعث يوم القيامة .

وعلى هذا مقاتل، وابن جرير الطبري، والنحاس، والواحدي، والبغوي، والزمخشري، وابن عطية، وابن الجوزي، والقرطبي، والبيضاوي، والنسفي، والخازن، والقمي [2]، وأبوحيان [3] ، وابن كثير [4] ،

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٩٤) .

(2) ينظر : تفسير مقاتل (٢/ ٢٤١) ، وجامع البيان (١٢/ ١٩١) ، وإعراب القرآن (٢/ ٢٥٨) ــ قال : عن كون العذاب أحق ــ ، والوجيز (١/٥٠١) ــ قال : العذاب والبعث ــ ، ومعالم التنزيل (٢/ ٣٦٦) ــ قال: العذاب وقيام الساعة . ــ ، والكشاف (٣/١٤٩) ــ قال : الضمير للعذاب الموعود . ــ ، والمحرر الوجيز (٧/ ١٦٥) ، وزاد المسير (٤/ ٣٨- ٣٩) ــ قال : البعث والعذاب ــ وتذكرة الأريب (١/ ٢٣٧)، والجامع لأحكام القرآن (١١/ ٨) ، وأنوار التنزيل (١/ ٤٣٩) ، ومدارك التنزيل (٢/ ١٦٧) ، ولباب التأويل (٢/ ٢٩٧) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ٥٨٩) .

(3) ينظر : البحر المحيط (٥/ ١٦٨) قال : على العذاب . وقيل : على الشرع والقرآن . وقيل : على الوعيد . وقيل: على أمر الساعة . ففرّق أبو حيان بين العذاب والوعيد ، وهذا غريب ؛ لأنهم يوعدون العذاب وهو كائن لا محالة بعد البعث يوم القيامة .

(4) ينظر : تفسير القرآن العظيم (٧/ ٣٦٩) قال : المعاد والقيامة . وقال : وهذه الآية ليس لها نظير في القرآن إلاّ

والثعالبي، والبقاعي، والسيوطي، وأبوالسعود، والشوكاني، والآلوسي، والقنّوجي، والسيد رشيد رضا، والمراغي، والسعدي، والطاهر بن عاشور[1] .

واستدل له ابن جُزَيّ بآخر الآية وهو قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴾.

ويدل له أيضًا السياق ؛ فإن الآية التي قبلها :﴿ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾ [يونس : ٥٢] فكأنهم استبعدوه فسألوا أحقٌّ هو؟

قال الآلوسي : « كما هو الأنسب بالسياق »[2] .

والآية معطوفة على قوله تعالى : ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾[3][يونس : ٤٨] وسؤالهم عن الوعد هو على جهة الاستبعاد .

وأما القول الآخر بأن السؤال عن الشرع والدين، فعليه ابن أبي زمنين [4].

وذكره مقاتل، والبيضاوي، والقمي، وأبوحيان، والشوكاني، والقنوجي بصيغة (قيل)[5].

آيتان أخريان يأمر الله تعالى رسوله أن يقسم به على من أنكر المعاد في سورة سبأ :﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾ ﴾ وفي التغابن : ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ ﴾ .

(1) ينظر : الجواهر الحسان (٢/ ١٠٠) ، ونظم الدرر (٩/ ١٣٩) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية (٣/٣٨٣) ــ قال : ما وعدتنا به من العذاب والبعث ــ ، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٥٠٤) ــ قال : العذاب الموعود . ــ ، وفتح القدير (٢/ ٦٣٤) ــ قال : عن تحقق العذاب ــ ، وروح المعاني (١١/ ١٣٥) ــ كأبي السعود ــ ، وفتح البيان (٥/ ٧٨) ، وتفسير القرآن الحكيم (١١/ ٣٣٤) ــ قال : عن العذاب الذي تعدهم به . ــ، وتفسير المراغي (١١/ ١١٩) ، وتيسير الكريم الرحمان (٢/٣٢٤) ــ قال : حشر العباد ، وبعثهم بعد موتهم ليوم الميعاد وجزاء العباد بأعمالهم ــ ، والتحرير والتنوير (١١/ ١٩٥) قال : عذاب الآخرة .

(2) روح المعاني (١١/ ١٣٥) .

(3) ينظر : نظم الدرر للبقاعي (٩/ ١٣٩) ، والتحرير والتنوير للطاهر (١١/ ١٩٥) .

(4) ينظر : تفسير ابن أبي زمنين (٢/ ٢٦٢) قال : يعنون القرآن .

(5) ينظر : تفسير مقاتل (٢/ ٢٤١) ، وأنوار التنزيل (١/ ٤٣٩) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/٥٨٩) ،

وليس عليه دليل .

وذكر الرازي[1] القولين معًا بصيغة (قيل). وسوّى القاسمي [2] بينهما .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن الراجح هو القول الأول الذي رجّحه ابن جُزَيّ ومن وافقه وهو أن السؤال في قوله تعالى : ﴿ وَيَسْتَنْبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ﴾ هو سؤال عن الوعيد أو العذاب الموعود أو البعث وقيام الساعة ؛ لقوة أدلته .

ويتأيد بالقاعدة الترجيحية : (إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أَولى من الخروج به عن ذلك) [3] . والله تعالى أعلم .

والبحر المحيط (٥/ ١٦٨) ، وفتح القدير (٢/ ٦٣٤) ، وفتح البيان (٥/ ٧٨) .

(1) ينظر : مفاتيح الغيب (٦/ ٢٦٤) .

(2) ينظر : محاسن التأويل (٨/ ٣٣٥٩) .

(3) قواعد الترجيح عند المفسرين (١/ ١٢٥) .

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي ٱلْأَرْضِ لَٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾

٧- الخلاف في معنى كلمة ﴿ وَأَسَرُّوا۟ ﴾ .

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « أي : أخفوها في نفوسهم . وقيل : أظهروها »[1].

العرض والمناقشة :

رجَّح ابن جُزَيّ أن قوله تعالى : ﴿ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ ﴾ معناه : وأخفوها في أنفسهم ، ففسَّر الإسرار بمعنى الإخفاء . ووافق ما نُسِبَ إلى ابن عباس [2] .

وهو قول عامة المفسّرين منهم : الفراء، وابن جرير الطبري، والراغب، والواحدي، والزمخشري، وابن الجوزي، والقرطبي، والبيضاوي، والقمي، والبقاعي، والسيوطي، وأبو السعود، والشوكاني، والآلوسي، والقنّوجي، والقاسمي، والسيد محمد رشيد رضا، والمراغي، والطاهر بن عاشور[3]. وقدّمه النحاس، وابن عطية، والثعالبي [4] .

وذكره البغوي ، والخازن ، وابن التركماني بصيغة (قيل) [5] .

ودليله ظاهر القرآن واستعماله .

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٩٤- ٩٥) .

(2) ينظر : زاد المسير لابن الجوزي (٤/ ٣٩) وفيه : قال ابن عباس : الرؤساء أخفوها من الأتباع .

(3) ينظر : معاني القرآن (١/ ٤٦٩) ـــ بمعنى قول ابن عباس ـــ ، وجامع البيان (١٢/ ١٩٢) ـــ بمعنى قول ابن عباس ـــ ، ومفردات ألفاظ القرآن ، مادة (سرر) (٤٠٤) ، والوجيز (٥٠١/١) والوسيط (٢٩٩/٣) ـــ وقال : هذا قول عامة المفسرين وأهل التأويل ـــ ، والكشاف (٣/ ١٥٠) ، وتذكرة الأريب (١/ ٢٣٧) ، والجامع لأحكام القرآن (١١/ ٨-٩) ، وأنوار التنزيل (١/ ٤٤٠) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٥٨٩/٣) ـــ قال : وهو المشهور ـــ ، ونظم الدرر (٩/ ١٤٠) ،وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٣٨٤/٣) ، وإرشاد العقل السليم (٥٠٥/٢) ، وفتح القدير (٢/ ٦٣٤- ٦٣٥) ، وروح المعاني (١١/ ١٣٧)، وفتح البيان (٦/ ٨٠) ، ومحاسن التأويل (٨/ ٣٣٦١) ، وتفسير القرآن الحكيم (١١/ ٣٣٧) ، وتفسير المراغي (١٢٠/١١) ، والتحرير والتنوير (١١/ ١٩٨) .

(4) ينظر : معاني القرآن الكريم (٣/ ٢٩٩) ، والمحرر الوجيز (٧/ ١٦٥) ، والجواهر الحسان (٢/ ١٠٠) .

(5) ينظر : معالم التنزيل (٢/ ٣٦٦) ، ولباب التأويل (٢/ ٢٩٧) ، وبهجة الأريب (١/ ٢٥٩) .

ومنه قوله تعالى : ﴿ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ ﴾ [المائدة : ٥٢] .

وقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴾ [نوح : ٩] .

وقوله تعالى : ﴿ سَوَاءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ ﴾ [الرعد : ١٠] .

وقوله تعالى : ﴿ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ﴾ [يوسف : ٧٧] .

وقوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴾ [النحل : ١٩] .

وقوله تعالى : ﴿ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ ﴾ [الممتحنة : ١] .

وقوله تعالى : ﴿ وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ ﴾[1] [الملك : ١٣] .

والمعنى المشهور في لغة العرب لـــ "أسرُّوا" هو الإخفاء [2] .

قال الراغب : « الإسرار : خلاف الإعلان »[3].

وذكر الرازي [4] ثلاثة أسباب للإخفاء :

١- لما رأوا العذاب الشديد بُهِتوا فلم ينطقوا[5] .

٢- حياءً من الأتباع وخوفًا من توبيخهم .

٣- أنَّهم أخلصوا لله في تلك الندامة ، ومن أخلص في الدعاء أسره.

وأما القول الآخر وهو أن ﴿ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ ﴾ معناه : أظهروها ، فالإسرار بمعنى الإظهار هنا ، فهو قول أبي عبيدة [6] . وعليه البغوي، والخازن، وابن التركماني [7] .

---

(1) ينظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، مادة (سرر) (٣٤٨- ٣٤٩) .

(2) ينظر : البحر المحيط لأبي حيان (٥/ ١٦٩) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان للقمي (٣/ ٥٨٩) ، والدر المصون للسمين (٦/ ٢٢١) . وينظر : لسان العرب ، مادة (سرر) ، والمجمل لابن فارس (٢/ ٤٥٨) .

(3) مفردات ألفاظ القرآن ، (سرر) (٤٠٤) .

(4) ينظر : مفاتيح الغيب (٦/ ٢٦٥) .

(5) قال الطاهر : « لأنَّهم دهشوا لرؤية ما لم يكونوا يحتسبون فلم يطيقوا صراخًا ولا تعويلاً ». التحرير والتنوير (١٩٨/١١) .

(6) ينظر : مجاز القرآن (٢/ ٣٤) . وزاد الواحدي في الوسيط (٢/ ٥٥٠) ، وزاد ابن الجوزي في زاد المسير (٣٩/٤) نسبته للمفضل .

(7) ينظر : معالم التنزيل (٢/ ٣٦٦) ، ولباب التأويل (٢/ ٢٩٧) ، وبهجة الأريب (١/ ٢٥٩) .

وذكره الزمخشري ، والقرطبي ، والبيضاوي ، وأبوالسعود ، والشوكاني ، والقنوجي بصيغة (قيل) [1] .

قال الأزهري : « وأهل اللغة أنكروا قول أبي عبيدة أشدَّ الإنكار »[2] .

وجعله أبوعبيدة، وابن الأنباري من الأضداد [3] .

ولهذا قال ابن عطية : « ﴿ وَأَسَرُّواْ ﴾ لفظة تجيء بمعنى أخفوا ، وهي حينئذ من السر، وتجيء بمعنى أظهروا وهو حينئذ من أسارير الوجه »[4] .

واستدلوا له بقول الفرزدق :

ولما رأى الحجَّاجَ جرَّد سيفه أسرَّ الحروريُّ الذي كان أضمرا [5]

يعني : أظهر .

وقال كُثَيِّرُ :

فَأَسْرَرْتُ الندامةَ يوم نادى بَردّ جِمال غَاضِرةَ المنادي [6]

فيكون المعنى على هذا القول : وأظهروا الندامة عند إحراق النار لهم ؛ لأن النار أَلْهتْهم عن التصنع والكتمان [7] .

---

(1) ينظر : الكشاف (٣/ ١٥٠) ، والجامع لأحكام القرآن (٩/١١) ، وأنوار التنزيل (١/ ٤٤٠) ، وإرشاد العقل السليم (٥٠٥/٢) ، وفتح القدير (٦٣٥/٢) ، وفتح البيان (٦/ ٨٠) ، ثم قال القنّوجي : والمعنى الأول هو المشهور في اللغة ، وهو في الآية يحتمل الوجهين .

(2) ينظر : اللسان (سرر) . وقال شمِّر : وما قال غير أبي عبيدة في قوله : ﴿ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ ﴾ أي : أظهروها . قال : ولم أسمع ذلك لغيره .

(3) ينظر : الأضداد لابن الأنباري (٤٥) . وعمدة الحفاظ للسمين ، مادة (سرر) (٢/ ١٨٩) .

(4) المحرر الوجيز (٧/ ١٦٥- ١٦٦) .

(5) البيت للفرزدق وليس في ديوانه . وهو في أضداد الأصمعي (٢١) ، وأضداد السجستاني (١٥١) ، وأضداد ابن السكيت (١٧٦)، وأضداد ابن الأنباري (١٤٦) ، وأضداد أبي الطيب (٣٥٣) ، واللسان ، والتاج : (سرر) . وينظر : زاد المسير (٤/ ٣٩- ٤٠) .

(6) ديوان كُثَيِّر عزّة (١٣٧) . وغافرة : اسم امرأة . واستشهد به القرطبي في الجامع (١١/ ٩) على أن الندامة لا يمكن إظهارُها .

(7) ينظر : زاد المسير لابن الجوزي (٤/ ٣٩- ٤٠) .

وقال القرطبي : « ويدل عليه أن الآخرة ليست دار تَجَلُّدٍ وتصبُّرٍ »[1] .

وذكر الرازي سبب الإظهار وهو إنما أخفوا الندامة على الكفر في الدنيا لحفظ الرياسة، وبطل هذا يوم القيامة فوجب الإظهار [2] .

وذكر النحاس هذا قولاً ثانيًا ثم قال : « وقال أبو العباس [يعني المبرد] : إن كان هذا صحيحًا فمعناه : بَدَتْ الندامة في أَسِرَّةِ وجوههم ، وواحدها سِرَارٌ ، وهي الخطوط التي في الجبهة »[3] .

قال أبوحيان : « فيه بُعْدٌ عن سياق الآية »[4] .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن القول الراجح في معنى قوله تعالى :﴿ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ ﴾ هو ما رجَّحه ابن جُزَيّ وقاله عامة المفسّرين مِنْ أن ﴿ وَأَسَرُّواْ ﴾ بمعنى : أخفوا . ويتأيد بالقاعدة الترجيحية : (حمل معاني كلام الله على الأغلب من أسلوب القرآن ومعهود استعماله أَولى) [5] ، وبالقاعدة الأخرى : (يجب حمل كلام الله تعالى على المعروف من كلام العرب) [6] . والله تعالى أعلم .

وأما أبوحيان فاحتمل القولين ، وتبعه تلميذه السمين الحلبي [7].

---

(1) الجامع لأحكام القرآن (١١/ ٩) .

(2) ينظر : مفاتيح الغيب (٦/ ٢٦٥) .

(3) معاني القرآن الكريم (٣/ ٢٩٩) .

(4) البحر المحيط (٥/ ١٦٩) .

(5) قواعد الترجيح عند المفسرين (١/ ١٧٢) .

(6) المصدر السابق (٢/ ٣٦٩) .

(7) ينظر : البحر المحيط (٥/ ١٦٩) ، والدر المصون (٦/ ٢٢١) ، وعمدة الحفاظ للسمين أيضًا (٢/١٩٠) (سرر). وسوّى بين القولين النسفي وقدَّم الثاني ينظر : مدارك التنزيل (٢/ ١٦٧) .

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾

٨- الخلاف في المراد بالفضل والرحمة .

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « والفضل والرحمة عموم . وقد قيل : الفضل الإسلام، والرحمة القرآن » [1] .

العرض والمناقشة :

في المراد بفضل الله ورحمته في قوله تعالى : ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ ﴾ أقوال للمفسرين من السلف فمن بعدهم ، والقول بالعموم هو ما رجّحه ابن جُزَيّ .

وعلى هذا أبوحيان، والشوكاني، والقنّوجي [2] .

قال أبوحيان بعد ذكره لكل ما قيل في الفضل والرحمة : « وهذه تخصيصات تحتاج إلى دلائل ، وينبغي أن يعتقد أنها تمثيلات ، لا أن الفضل والرحمة أريد بهما تعيين ما ذكر وحصرهما فيه » [3] .

وقال ابن عطية : « ولا وجه عندي لشيء من هذا التخصيص إلاّ أن يستند منه شيء إلى النبي > »[4] . ثم فسّر الفضل بأنه هداية الله إلى دينه ، والتوفيق إلى اتباع شريعته ، وفسّر الرحمة بعفو الله وسكنى جنته .

وقريب من تفسيره هذا ما قاله الطاهر بن عاشور : « فإن الفضل هو هداية الله التي في القرآن، والرحمة هي التوفيق إلى اتباع الشريعة التي هي الرحمة في الدنيا والآخرة »[5] .

وقال : « و لم يختلف المفسّرون في أن القرآن مراد من فضل الله ورحمته » .

وقال السيد رشيد رضا : « وكل هذه المعاني صحيحة في نفسها لا في روايتها . وأظهرها في الآية وهو المناسب لما قبلها ، والجامع لمعاني الروايات كلها : أن فضل الله توفيقه

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٩٥) .

(2) ينظر : البحر المحيط (٥/ ١٧١) ، وفتح القدير (٢/ ٦٣٦) ، وفتح البيان (٥/ ٨٣) .

(3) البحر المحيط (٥/ ١٧١) .

(4) المحرر الوجيز (٧/ ١٦٨) .

(5) التحرير والتنوير (١١/ ٢٠٥) .

إياهم لتزكية أنفسهم بالموعظة والشفاء والهدى التي امتاز بها القرآن ، ورحمته ثمرتها التي فُضِّلوا بها جميع الناس فكانوا أرحمهم »[1] .

وأما الشوكاني فقال : « المراد بالفضل من الله سبحانه هو تَفَضُّلُه على عباده في الآجل والعاجل بما لا يحيط به الحصر . والرحمة : رحمته لهم ...» .

ثم قال : « والأَوْلى حمل الفضل والرحمة على العموم ، ويدخل في ذلك ما في القرآن منهما دخولاً أوليًّا »[2] .

وأما القول بأن الفضل الإسلام ، والرحمة القرآن ، فهو قول مَرْويٌّ عن ابن عباس [3] ، ومجاهد [4] ، والحسن [5] ، وقتادة [6]، وهلال بن يَسَاف [7] ، وأبي التيّاح [8] ، وأبي العالية، وعكرمة ، والربيع بن أنس ، وزيد بن أسلم ، وابنه ، وسالم بن أبي الجعد ، والضحاك [9] .

وعلى القول بأن الفضل الإسلام ، والرحمة القرآن ، أو الفضل القرآن والرحمة الإسلام

---

(1) تفسير القرآن الحكيم (١١/ ٣٤٤) .

(2) فتح القدير (٢/ ٦٣٦) . وتبعه القنّوجي (٥/ ٨٣) .

(3) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٢/ ١٩٦- ١٩٧) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٩٥٩) رقم (١٠٤٢٨) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٢٥٩٦) ، من طريق علي بن أبي طلحة ، عنه قال : فضله الإسلام ، ورحمته القرآن . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٣٦٧) نسبته إلى ابن المنذر .

(4) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٩٦/١٢) من طريق ابن جريج ، عنه قال : وبرحمته : القرآن . وأخرجه ابن أبي شيبة (٥٠٢/١٠) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٩٥٨/٦) رقم (١٠٤٢٥) من طريق القاسم عنه . وعند ابن أبي حاتم : فضل الله : الدين .

(5) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢٩٦) عنه . وأخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٩٦/١٢) وابن أبي حاتم في تفسيره (١٩٥٩/٦) رقم (١٠٤٣٢) من طريق معمر ، عنه . وسقط (معمر) من إسناد عبد الرزاق .

(6) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٢/ ١٩٦) من طريق يزيد ، عن سعيد ، عنه . وعلّقه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٩٥٩/٦) عقب الأثر (١٠٤٢٩) .

(7) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٩٥/١٢، ١٩٦) ، وأبو عبيد في فضائل القرآن (٢٤) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٢٦٠١، ٢٦٠٢) من طرق عن منصور ، عنه . وينظر : التفسير المنسوب للثوري (١٢٨) .

(8) ينظر : معاني القرآن الكريم للنحاس (٣/ ٣٠٠) وأبو التيّاح هو : يزيد بن حُميد الضُّبعي البصري ، تابعي ثقة (ت١٢٨) هـ [التهذيب ١١/ ٣٢٠] .

(9) ذكره عنهم معلّقًا ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٩٨٥) عقب الأثر (١٠٤٢٩) . كما علّقه أيضًا عقب الأثر (١٠٤٢٥) عن أبي العالية ، والحسن ، وهلال بن يساف ، وعكرمة،وقتادة ، والربيع بن أنس نحو قول مجاهد : (فضل الله :الدين) .

جماهير المفسّرين .

فإلى الأول ـــ الفضل الإسلام ، والرحمة القرآن ـــ ذهب ابن جرير الطبري، والنحاس، وابن أبي زمنين، ومكي، والواحدي، وابن الجوزي، وابن القيم، والسيوطي [1] . وقدّمه البغوي [2] .

والقول الثاني – الفضل : القرآن ، والرحمة : الإسلام – رُوِيَ أيضًا عن ابن عباس [3]، وزيد بن أسلم[4] ،والضحاك [5] . وإليه ذهب مقاتل، والزمخشري، والنسفي، والبلنسي، والقاسمي، والسعدي [6] . وهو مفهوم كلام ابن كثير [7] . وقدّمه السمعاني، والكرماني [8].

وذهب جماعة من المفسّرين إلى أن المراد بفضل الله ورحمته هو القرآن ، منهم : الزجاج، والبيضاوي، والبقاعي [9] .

---

(1) ينظر : جامع البيان (١٢/ ١٩٤) ، ومعاني القرآن الكريم (٣/ ٣٠٠) ، وتفسير القرآن العزيز (٢/ ٢٦٣) ، وتفسير المشكل (١٩٣) ، والوجيز (١/ ٥٠٢) والوسيط (٢/ ٥٥١) ـــ وقال : وهذا قول عامّة المفسرين ـــ ، وتذكرة الأريب (١/ ٢٣٧) ـــ وذكر أنه اختيار ابن قتيبة . ينظر : زاد المسير (٤/ ٤٠) ـــ ، وبدائع التفسير (٢/ ٤٠٦) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٣/ ٣٨٦) .

(2) ينظر : معالم التنزيل (٢/ ٣٦٦) .

(3) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٩٧/١٢) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٩٥٩/٦) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٢٥٩٧) بالإسناد المسلسل بالعوفيين . وينظر : الدر المنثور للسيوطي (٣٦٧/٤) .

(4) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٩٧/١٢) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٢٥٩٩) من طريق جعفر بن عون ، عن هشام بن سعد ، عنه . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٩٥٩/٦) رقم (١٠٤٣٠) من طريق أصبغ ، عن ابن زيد ، عنه . وأخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٩٨/١٢) من طريق ابن وهب ، عن ابن زيد عن أبيه .

(5) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٩٧/١٢) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٢٦٠٠) من طريق هشيم ، عن جويبر ، عنه .

(6) ينظر : تفسير مقاتل (٢/ ٢٤٢) ، والكشاف (٣/ ١٥١) ، ومدارك التنزيل (٢/ ١٦٨) ، وتفسير مبهمات القرآن (٢/ ١٤) ، ومحاسن التأويل (٨/ ٣٣٦٢) ، وتيسير الكريم الرحمان (٢/ ٣٢٦) .

(7) ينظر : تفسير القرآن العظيم (٧/ ٣٧١) .

(8) ينظر : تفسير القرآن (٢/ ٣٩٠) ، وغرائب التفسير وعجائب التأويل (١/ ٤٨٦) .

(9) ينظر : معاني القرآن و إعرابه (٣/ ٢٥) ، وأنوار التنزيل (١/ ٤٤٠) ، ونظم الدرر (٩/ ١٤٦- ١٤٧) .

وروي هذا عن أبي سعيد الخدري [1] ،
ومجاهد [2] .

واستدل عليه بما رُوِيَ عن أنس ، عن النبي > [3] .

وأُورِدَ على هذا القول أن دخول الباء على كل من الفضل والرحمة يدل على استقلال كل منهما بالفرح به ، مما يدل على أن الفضل شيء والرحمة شيء آخر [4] .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن كل ما ورد عن السلف في تفسير الفضل والرحمة في قوله تعالى : ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ ﴾ هو من باب التفسير بالمثال ، والأَوْلى حَمْلُهما على العموم ، فيدخل في ذلك ما قيل فيهما مِنْ أنهما القرآن والإسلام أو الإسلام والقرآن ، أو القرآن وأن جعلكم من أهله ، مع الاتفاق على دخول القرآن فيهما دخولاً أوليًا بدلالة السياق .

ويؤيد هذا القاعدة الترجيحية : (يجب حمل نصوص الوحي على العموم) [5] . والله تعالى أعلم .

---

(1) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٩٤/١٢) ، وابن أبي شيبة (٥٠١/١٠) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٩٥٨) رقم (١٠٤٢٤) و (١٠٤٢٦) ، والنحاس في الوقف والابتداء ص (٨١) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٢٥٩٨)، والواحدي في الوسيط (٥٥١/٢) من طريق أبي معاوية ، عن الحجاج ، عن عطية ، عنه قال : (بفضل الله : القرآن ، وبرحمته : أن جعلكم من أهله) . واستغربه الكرماني في غرائب التفسير وعجائب التأويل (٤٨٧/١) .

(2) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٩٦/١٢) من طريق ابن أبي نجيح ، عنه قال : القرآن . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣٦٧/٤) نسبته إلى ابن أبي شيبة .

(3) أخرجه أبو الشيخ ، وابن مردويه كما في الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٣٦٧) عن أنس مرفوعًا .

(4) ينظر : تفسير القرآن الحكيم للسيد محمد رشيد رضا (١١/ ٣٤٣) .

(5) قواعد الترجيح عند المفسرين (٢/ ٥٢٧) .

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ ﴾

٩- الخلاف في عائد الضمير في قوله ﴿ مِنْهُ ﴾ من قوله تعالى :﴿ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ ﴾.

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « الضمير عائد على القرآن وإن لم يتقدّم ذكره ؛ لدلالة ما بعده عليه ، كأنه قال : ما تتلو شيئًا من القرآن ... وقيل : يعود على الشأن . والأول أرجح؛ لأن الإضمار قبل الذكر تفخيم للشيء » [1] .

العرض والمناقشة :

رجَّحَ ابن جُزَيّ أن ضمير ﴿ مِنْهُ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ ﴾ يعود على القرآن . وإلى هذا ذهب ابن جرير الطبري، والبقاعي، والقاسمي [2] .

واحتمله ابن عطية، والثعالبي [3] . وكأن السعدي يميل إليه [4] . وقدّمه النسفي [5] .

واستغربه الكرماني [6] . وذكره أبوحيان ، والسمين بصيغة (قيل) [7] .

واستدل له ابن جُزَيّ بدلالة ما بعده وهو قوله تعالى : ﴿ مِن قُرْءَانٍ ﴾ ، والتقدير : وما تتلو من كتاب الله من قرآنٍ أو: وما تتلو من القرآن من قرآن . فكما أن القرآن اسم للمجموع، فكذلك هو اسم لكل جزء منه .

قالوا : والإضمار قبل الذكر تفخيم له [8] .

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٩٥) .

(2) ينظر : جامع البيان (١٢/ ٢٠٤) ، ونظم الدرر (٩/ ١٥٠) ، ومحاسن التأويل (٨/ ٣٣٦٤) .

(3) ينظر : المحرر الوجيز (٧/ ١٧٢) ، والجواهر الحسان (٢/ ١٠٢) .

(4) ينظر : تيسير الكريم الرحمان (٢/ ٣٢٨) .

(5) ينظر : مدارك التنزيل (٢/ ١٦٨) .

(6) ينظر : غرائب التفسير وعجائب التأويل (١/ ٤٨٨) .

(7) ينظر : البحر المحيط (٥/ ١٧٤) ، والدر المصون (٦/ ٢٢٨) .

(8) ينظر : الكشاف للزمخشري (٣/ ١٥٢) ، ومفاتيح الغيب للرازي (٦/ ٢٧٣) .

ونظَّر له القرطبي بقوله تعالى : ﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ ﴾ [1] [طه : ١٤] .

قال البقاعي : « لأنه المحدَّث عنه في جميع هذه السورة »[2] .

وقال السيد رشيد رضا : « لأن السياق بل السورة كلها فيه »[3] .

وأما القول الآخر وهو أن ضمير ﴿ مِنْهُ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ ﴾ يعود على الشأن ، فقال به الفراء، والزجاج، والنحاس، ومكي، وابن عطية، وابن الجوزي، والعكبري، وأبوحيان، والسمين، والثعالبي، والمراغي [4]. وقدّمه الزمخشري، والبيضاوي ، وأبوالسعود، والآلوسي [5] .

وذكره البغوي بصيغة (قيل) [6] .

وشرحه النحاس ووجَّهه بقوله : « يكون المعنى : وما تتلو من الشأن ، أي : من أجل الشأن ، أي : يحدث شأنٌ فيتلى من أجله القرآن ؛ ليُعلمَ كيف حكمه ، أو ينزل فيه قرآن فيتلى »[7] .

وعلّله الزمخشري بقوله : « لأن تلاوة القرآن شأنٌ من شأنِ رسول الله > بل هو معظم شأنه »[8] .

وعلى هذا يكون داخلاً تحت قوله : ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ ﴾ إلاّ أنه خصّه بالذكر

---

(1) ينظر : الجامع لأحكام القرآن (١١/ ١٤) .

(2) نظم الدرر (٩/ ١٥٠) .

(3) تفسير القرآن الحكيم (١١/ ٣٥٠) .

(4) ينظر : إعراب القرآن للنحاس (٢/ ٢٥٩) ، ومعاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٦) ، ومعاني القرآن الكريم (٣٠١/٣) ، ومشكل إعراب القرآن (١/ ٣٤٨) ، والمحرر الوجيز (٧/ ١٧٢) ، وتذكرة الأريب (١/ ٢٣٨)، والتبيان (٦٧٩/٢) ، والبحر المحيط (٥/ ١٧٤) ، والدر المصون (٦/ ٢٢٨) ، والجواهر الحسان (٢/ ١٠٢) ، وتفسير المراغي (١١/ ١٢٧) .

(5) ينظر : الكشاف (٣/ ١٥٢) ، وأنوار التنزيل (١/ ٤٤١) ، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٥٠٨) ، وروح المعاني (١١/ ١٤٣) .

(6) ينظر : معالم التنزيل (٢/ ٣٦٧) .

(7) إعراب القرآن (٢/ ٢٥٩) .

(8) الكشاف (٣/ ١٥٢) . وينظر : البحر المحيط (٥/ ١٧٤) ، والدر المصون (٦/ ٢٢٨) .

تنبيهًا على علوّ مرتبته ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ ﴾ [البقرة : ٩٨] ، وكما في قوله : ﴿ وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٖ وَإِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ﴾ [الأحزاب : ٧] .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن الأَولى بالصواب في قوله تعالى : ﴿ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ ﴾ هو ما رجَّحه ابن جُزَيّ ومن وافقه مِنْ أن عود الضمير في ﴿ مِنۡهُ ﴾ على القرآن وإن لم يتقدم له ذكر ؛ لأن السياق يدل عليه ، وهو المحدّث عنه .

ويتأيد هذا بالقاعدة الترجيحية : (إدخال معاني الكلام في ما قبله وما بعده أَولى من الخروج به عن ذلك) [1] . وبالقاعدة الأخرى : (إعادة الضمير إلى المحدَّث عنه أَولى من إعادته إلى غيره) [2] ، والله تعالى أعلم .

---

(1) قواعد الترجيح عند المفسرين (١/١٢٥) .

(2) المصدر السابق (٢/٦٠٣) .

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٦٤ ﴾

١٠- الخلاف في تفسير بشرى الدنيا في قوله تعالى :

﴿ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾.

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « أما بشرى الآخرة فهي الجنة اتفاقًا ، وأما بُشْرَى الدنيا فهي الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح أو تُرَى له . رُوِيَ ذلك عن رسول الله > . وقيل : محبةُ الناسِ للرجل الصالح . وقيل : ما بُشِّرَ به في القرآن من الثواب » [1] .

العرض والمناقشة :

رجَّح ابن جُزَيّ أن البشرى الكائنة لهم في الحياة الدنيا هي الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح أو تُرَى له . ووافق ما رُوِيَ عن ابن عباس [2]، وعروة بن الزبير [3] ، ومجاهد [4] ، ويحيى بن أبي كثير [5] ، وعطاء [6] .

وإليه ذهب مقاتل ، وابن أبي زمنين، ومكي، وابن الجوزي، والسمين، وابن كثير، والثعالبي، والسيوطي [7] .

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٩٥) .

(2) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٢٢٣/١٢) من طريق علي بن أبي طلحة ، عنه . وينظر : صحيفة علي (٢٨٠) . وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٥٤/١١) ، وابن جرير الطبري في جامع البيان (٢٢٢/١٢) من طريق سعيد بن جبير ، عنه .

(3) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٥٤/١١) ، وابن جرير الطبري في جامع البيان (٢٢٢/١٢، ٢٢٤) من طريق هشام بن عروة ، عنه .

(4) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٥٤/١١) ، وابن جرير الطبري في جامع البيان (٢٢٢/١٢) من طريق ليث ، عنه .

(5) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٢٢٢/١٢) من طريق معمر ، عنه موقوفًا عليه . وأخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢٩٦/٢) عن معمر ، عنه مرفوعًا . = [خ (٦٩/٨) ، ت (٣٦٤/٣) ، الدارمي (١٢٣/٢) ، أحمد (٢٦٩/٢) و (٣٠٩/٥)] .

(6) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٢٢٣/١٢) من طريق ابن لهيعة ، عن خالد بن يزيد ، عنه .

(7) ينظر : : تفسير مقاتل (٢/ ٢٤٣) ، وتفسير القرآن العزيز (٢/ ٢٦٤) ، وتفسير المشكل (١٩٣) ، وتذكرة

وقدّمه النحاس، والسمعاني، وابن عطية ومال إليه، وأبوحيان [1] .

وذكره محمود النيسابوري بصيغة (قيل) [2] .

ودليل هذا القول هو تفسير النبي > للبشرى بأنها (الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو ترى له) [3] .

الأريب (١/ ٢٣٨) ، والدر المصون (٦/ ٢٣٢- ٢٣٣) ، وتفسير القرآن العظيم (٧/ ٣٧٨- ٣٨٢) ، والجواهر الحسان (٢/ ١٠٤) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٣/ ٣٩٠) .

(1) ينظر : معاني القرآن الكريم (٣/ ٣٠٣) ، وتفسير القرآن (٢/ ٣٩٣) ، والمحرر الوجيز (١٧٦/٧) ، والبحر المحيط (٥/ ١٧٥) .

(2) ينظر : وضح البرهان (١/ ٤٢٣) ، وإيجاز البيان (١/ ٣٢١) .

(3) جاء من حديث جماعة من الصحابة ، وهم : عُبَادَةُ بن الصَّامِتِ ، وعَبْد اللهِ بن عَمْرٍو ، وأَبوالدَّرْدَاءِ ، وأبوهريرة، وجَابِر بن عَبْدِ اللهِ بْنِ رِئَابٍ الأَنْصَارِيُّ السَّلَمِيُّ رضي الله عنهم جميعاً :

١- عَنْ أَبِي سَلَمَةَ ، عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَنْ قَوْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ (لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ) ؟ قَالَ : (هِيَ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الْمُسْلِمُ أَوْ تُرَى لَهُ).

رواه أحمد (٥/٣١٥) (٢٣٠٦٣) قال : حدثنا وكيع ، حدثنا علي بن المُبارك. وفي (٢٣٠٦٤) قال : حدثنا عَفّان ، حدثنا أَبَان. وفي (٥/٣٢١) (٢٣١٢٠) قال : حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم . ورواه أبو داود الطيالسي (٥٨٣) ، ومن طريقه البيهقي في شعب الإيمان (٤٧٥٣) ، والخطيب البغدادي في شرف أصحاب الحديث (٢٢٢)كلاهما عن حَرب بن شداد.

ورواه الدارِمي (٢١٣٦) قال : أخبرنا مُسلم بن إبراهيم ، حدَّثنا أَبَان. وابن ماجه (٣٨٩٨) قال : حدثنا علي ابن محمد ، حدثنا وكيع ، عن علي بن المُبارك.

ورواه ابن قانع في معجم الصحابة (١٠٥٧) من طريق مسدد ، نا عبد الله بن يحيى بن أبي كثير ، عن أبيه أربعتهم (علي ، وأَبَان ، وحَرْب بن شَداد، وعبد الله بن يحيى) عن يَحيى بن أَبِي كثير ، عن أَبِي سلمة ، فذكره.

ورواه الترمذي (٢٢٧٥) قال : حدثنا محمد بن بَشار ، حدثنا أبو داود ، حدثنا حَرْب بن شَداد ، وعمران القطان ، عن يحيى بن أَبِي كثير ، عن أَبِي سلمة ، قال : نُبِّئتُ عن عُبَادَة بن الصَّامِتِ ، فذكره.

وعَنْ حُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْيَزَنِيُّ أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ (لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) فَقَالَ عُبَادَةُ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ : (لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ أَمْرٍ مَا سَأَلَنِي عَنْهُ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِي تِلْكَ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الْمُؤْمِنُ أَوْ تُرَى لَهُ) .

رواه أحمد (٥/٣٢٥) (٢٣١٤٧) قال : حدثنا أبو المُغيرة ، ورواه الطبراني في مسند الشاميين (١٠٢٥) و(١٠٢٦) من طريق الوليد بن مسلم ، وعبد الوهاب بن نجدة ، وإسماعيل بن عياش . أربعتهم عن صَفوان بن عمرو ، حدّثني حُميد بن عبد الرحمن اليزني ، فذكره.

قال الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (٤/٣٩١) : و رجاله ثقات رجال الشيخين ، لولا أن في بعض روايته عند ابن جرير ما يشعر بأنه منقطع بين أبي سلمة بن عبد الرحمن و عبادة ، لكن له عنده طريق أخرى عن عبادة،

فالحديث بمجموع هذه الطرق صحيح .

٢– عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَانِ بْنِ جُبَيْرٍ الْمَصْرِيِّ الْعَامِرِيِّ ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ: لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ". قَالَ : (الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ ، يُبَشَّرُهَا الْمُؤْمِنُ ، هِيَ جُزْءٌ مِنْ تِسْعَةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ ، فَمَنْ رَأَى ذَلِكَ ، فَلْيُخْبِرْ بِهَا ، وَمَنْ رَأَى سِوَى ذَلِكَ ، فَإِنَّمَا هُوَ مِنَ الشَّيْطَانِ ، لِيَحْزُنَهُ ، فَلْيَنْفُثْ عَنْ يَسَارِهِ ، ثَلاَثًا ، وَلْيَسْكُتْ ، وَلاَ يُخْبِرْ بِهَا أَحَدًا).

رواه أحمد (٢١٩/٢) (٧٠٤٤) قال : حدثنا حسن ، يعني الأشيب ، حدثنا ابن لَهِيعة ، ورواه الطبري (٢٢٣/١٢) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٤٧٦٤) ،و الواحدي في الوسيط (٥٥٣/٢) من طريق ابن وهب ، ورواه الطبري (٢١٨/١٢) من طريق رشدين بن سعد كلاهما (ابن وهب ، و رشدين)عن عمرو بن الحارث كلاهما (ابن لهيعة ، وعمرو بن الحارث) عن دَرَّاج ، عن عبد الرحمان بن جبير ، فذكره.

قال الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٦ / ٤٠٤): رواه أحمد وفيه ابن لهيعة وحديثه حسن وفيه ضعف .

وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط : صحيح لغيره . قلت : لحال دراج أبي السمح .

٣– عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ ، قَالَ : سَأَلْتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ عَنْ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى : { لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا } فَقَالَ : مَا سَأَلَنِي عَنْهَا أَحَدٌ غَيْرَكَ ، إِلاَّ رَجُلٌ وَاحِدٌ ، مُنْذُ سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، فَقَالَ : (مَا سَأَلَنِي عَنْهَا أَحَدٌ غَيْرَكَ مُنْذُ أُنْزِلَتْ ، هِيَ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ ، يَرَاهَا الْمُسْلِمُ ، أَوْ تُرَى لَهُ) . هذا لفظ الترمذي (٢٢٧٣) .

وفي رواية : عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ ، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ، قَالَ : أَتَاهُ رَجُلٌ ، فَقَالَ : مَا تَقُولُ فِي قَوْلِ اللهِ : {لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ } قَالَ : لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْ شَيْءٍ مَا سَمِعْتُ أَحَدًا سَأَلَ عَنْهُ بَعْدَ رَجُلٍ سَأَلَ عَنْهُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، قَالَ : (بُشْرَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا : الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ ، يَرَاهَا الْمُسْلِمُ ، أَوْ تُرَى لَهُ ، وَبُشْرَاهُمْ فِي الآخِرَةِ : الْجَنَّةُ). هذا لفظ أحمد (٢٨٠٧٦) .

رواه الحميدي (٣٩١) ، وأحمد (٤٤٧/٦) ، والترمذي (٣١٠٦) ، والفسوي في المعرفة والتاريخ (٦٩٩/٢)، والطبري (٢٢٠/١٢) ، والحاكم (٣٩١/٤)، والبيهقي في الشعب (٤٧٥٢) من طريق ابن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن عبد العزيز بن رُفيع ، عن أبي صالح – قال ابن عيينة : ثم سمعته من عبد العزيز ، عن أبي صالح السمان – عن عطاء بن يسار ، عن رجل من أهل مصر قال : سألت أبا الدرداء ...

ورواه الطيالسي (١٠٦٩) ، ورواه أحمد (٤٤٦/٦) (٢٨٠٧٠) قال : حدثنا محمد بن جعفر ، ورواه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٢١٤/١٢) : عن محمد بن المثنى ، ثنا ابن أبي عديّ ، ثلاثتهم عن شعبة ، عن سليمان ، عن ذكوان .

ورواه أحمد (٤٤٧/٦) (٢٨٠٧١) قال : حدَّثنا سفيان بن عيينة ، عن ابن المنكدر (ح) وعبد العزيز بن رفيع ، عن أبي صالح .

ورواه سعيد بن منصور في سننه (١٠٦٧ – تفسير) ، و أحمد (٤٤٧/٦) (٢٨٠٧٦) و(٤٥٢/٦) (٢٨١٠٧)، وابن أبي حاتم (٦/ ١٩٦٥) (١٠٤٥٩) ، و ابن جرير الطبري (١٢/ ٢١٦) والطحاوي في المشكل (٢١٨٠) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٤٧٥١) من طريق أبي معاوية .

ورواه ابن أبي شيبة (٥١/١١) ، وفي مسنده (٥٦) ، والطبري (٢١٩/١٢) ، وابن أبي حاتم (١٩٦٦/٦)

وفي معناه حديث : (لم يبق من النبوة إلا المبشرات) وفيه : (الرؤيا الصالحة يراها

(١٠٤٦٣) من طريق وكيع .

ورواه الطبري (٢٢٠/١٢) قال : ثنا جرير .

ورواه أحمد (٤٤٥/٦) ، و الطبري (٢١٩/١٢) عن عبد الرزاق ، أخبرنا ابن عيينة . أربعتهم عن الأعمش ، عن أبي صالح.

ورواه سعيد بن منصور في سننه (١٠٦٦- تفسير) ، وأحمد (٤٤٧/٦) ، والترمذي (٢٢٧٣، ٣١٠٦) ، والطبري (٢١٦/١٢ و٢١٧/١٢) ، وابن أبي حاتم (١٩٦٥/٦) من طريق سفيان ، عن ابن المنكدر.

ورواه التِّرمذي أيضاً (٣١٠٦) قال : حدثنا ابن أبي عمر ، حدثنا سفيان ، عن عبد العزيز بن رفيع ، عن أبي صالح السَّمَّان.

كلاهما (أبو صالح السَّمَّان ذكوان ، ومحمد بن المنكدر) عن عطاء بن يسار ، عن رجل من أهل مصر ، فذكره.

قلت : وهذا إسناد ضعيف لإبهام الراوي عن أبي الدرداء ، وهو حديث صحيح لغيره .

ورواه ابن أبي شيبة (٥٢/١١) ، والطبري (٢٢٠/١٢) من طريق أبي بكر بن عياش ، ورواه التِّرمذي(٣١٠٦) قال : حدثنا أحمد بن عَبدة الضَّبي ، حدثنا حماد بن زيد ، ورواه محمد بن عبد الله في مجموع الأجزاء الحديثية (١٢٢/١) من طريق محمد بن غالب بن حرب : حدثنا موسى بن إسماعيل : حدثنا أبان . ثلاثتهم عن عاصم بن بهدلة ، عن أبي صالح ، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ، قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم عَنْ : {الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} قَالَ : (الرُّؤْيَا الْحَسَنَةُ يَرَاهَا الْمُسْلِمُ ، أَوْ تُرَى لَهُ).

قلت : ليس فيه : عن عطاء بن يسار ، عن رجل من أهل مصر، وهذا حديث محفوظ بهذا الإسناد من حديث أبي صالح ذكوان، وهو لم يسمع من أبي الدرداء شيئًا، وهو مرسل.

٤ ــ عن أبي هريرة قال رسولُ الله: (الرؤيا الحسنة ، هي البشرى يراها المسلم أو ترى له) .

رواه ابن أبي شيبة (٥٤/١١) ، والنسائي في الكبرى (١٠٧٤٤) ، و الطبري (٢١٧/١٢) من طريق أبي بكر ثنا هشام ، عن ابن سيرين . ورواه الطبري(٢١٧/١٢) من طريق أبي حُصَين ، عن أبي صالح كلاهما قالا : قال أبو هريرة : (الرؤيا الحسنة بشرى من الله ، وهي المبشرات).

ورواه الطبري(٢١٨/١٢) من طريق عمار بن محمد ، ثنا الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، عن النبي : الرؤيا الصالحة يراها العبد الصالح أو ترى له ، وهي في الآخرة الجنة) . ورواه ابن مردويه – كما في تخريج الزيلعي (٣/ ١٣٥) من طريق الأعمش به . ونسبه السيوطي في الدر (٣٧٤/٤) إلى أبي الشيخ .

٥ ــ عَنْ أَبِي صَالِحٍ ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ رِئَابٍ الأَنْصَارِيُّ السَّلَمِيُّ ؛أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ فِي هَذِهِ الآيَةِ : (لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) ، قَالَ : (هِيَ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الْعَبْدُ ، أَوْ تُرَى لَهُ).

رواه عَبْد بن حُمَيْد (١١٠٥) قال : حدَّثنا مُحَمد بن الفَضْل ، حدَّثنا حَمَّاد بن سَلَمَة ، عن الكَلْبِي ، عن أَبي صالح ، فذكره.

قال الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد(٦ / ٤٠٤) : رواه البزار وفيه محمد بن السائب الكلبي وهو ضعيف جداً.

الرجل الصالح أو ترى له جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة) [1] .

قال ابن عطية : « تظاهرت الأحاديث عن رسول الله > أنها الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو ترى له »[2] .

وقال الآلوسي : « وأنت تعلم أنه لا ينبغي العدول عما ورد عن رسول الله > في تفسير ذلك إذا صَحَّ »[3] .

وأما القول الثاني وهو أن البشرى في الحياة الدنيا هي محبة الناس للرجل الصالح ، فاحتمله الماوردي [4] .

وذكره البغوي ، والزمخشري ، وأبوحيان بصيغة (قيل) [5] .

وذكره النحاس [6] واستشهد له بحديث أبي ذَرّ : قلت للنبي > : الرجل يعمل لنفسه خيرًا ويحبه الناس ، فقال : (تلك عاجل بشرى المؤمنين في الدنيا) [7] .

وأما القول الثالث وهو أن البشرى في الحياة الدنيا هي ما بُشِّرَ به في القرآن من الثواب، فرُوِيَ عن ابن عباس [8] . ونُسِبَ إلى الحسن [9] .

وهو اختيار الفراء، والزجاج كما قاله الواحدي [10] . وقدّمه الزمخشري [11] .

---

(1) رواه ابن عباس، وعامر بن واثلة، وحذيفة بن أسيد، وأنس، وأبوقتادة، وعائشة، وأم كند الكعبية، وأبوهريرة، وعبادة بن الصامت رضي الله عنهم .

أخرج البخاري في كتاب التعبير حديث أبي هريرة (٦٩٩٠) . وينظر : الدر المنثور للسيوطي (٤/٣٧٤-٣٧٧).

(2) المحرر الوجيز (٧/ ١٧٦) .

(3) روح المعاني (١١/ ١٥٢) .

(4) ينظر : النكت والعيون (٢/ ٤٤٢) .

(5) ينظر : معالم التنزيل (٢/ ٣٦٩) ، والكشاف (٣/١٥٦) ، والبحر المحيط (٥/ ١٧٥) .

(6) ينظر : معاني القرآن الكريم (٣/ ٣٠٣) .

(7) أخرجه أحمد في مسنده (٥/١٥٦) ، ومسلم في صحيحه (٢٦٤٢) ، والبغوي في معالم التنزيل (٢/٣٦٩) وفي شرح السنة (١٤/ ٣٢٨) .

(8) رواه ابن جرير ، وابن المنذر من طريق علي بن أبي طلحة ، عنه قال : هو قوله لنبيه > : ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٤٧] . ينظر : الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٣٧٨) .

(9) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٥٥٣- ٥٥٤) ، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/٤٤) .

(10) الوسيط (٢/ ٥٥٣ – ٥٥٤) .

(11) ينظر : الكشاف (٣/ ١٥٦) .

وصحّحه ابن عطية [1] .

وذكره النحاس بصيغة (قيل) [2] .

قالوا : وهذا كقوله تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾[البقرة : ٢٥] ، وقوله تعالى : ﴿ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ [فصلت : ٣٠] ، وقوله تعالى : ﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴾ [التوبة : ٢١] .

وقالوا : ويقوِّي هذا ويدل عليه قوله تعالى في آخر الآية : ﴿ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ أي : لا خُلْفَ لوعد الله [3] .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن الأَولى بالصواب في تفسير البشرى في الحياة الدنيا هو العموم؛ جمعًا بين الأدلة الدالّة على صحة الأقوال كلِّها التي قيلت فيها .

قال ابن جرير الطبري : « وأَوْلَى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب أن يقال : إن الله تعالى ذِكْرُه أخبر أن لأوليائه المتقين ، البشرى في الحياة الدنيا ، ومن البشارة في الحياة الدنيا: الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له . ومنها : بشرى الملائكة إياه عند خروج نفسه برحمة الله ، كما رُوِيَ عن النبي > ، أن الملائكة التي تحضره عند خروج نفسه ، تقول لنفسه : أخرجي إلى رحمة الله ورضوانه[4] . ومنها : بشرى الله إياه ما وعده في كتابه، وعلى لسان رسوله > من الثواب الجزيل ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾[البقرة : ٢٥] الآية . وكل هذه المعاني من بشرى الله إياه في الحياة الدنيا ، بشّره بها . ولم يخصص الله من ذلك معنىً

---

(1) ينظر : المحرر الوجيز (٧/ ١٧٧) .

(2) ينظر : إعراب القرآن (٢/ ٢٦١) .

(3) ينظر : زاد المسير لابن الجوزي (٤/ ٤٤) ، ومعاني القرآن للفراء (٤٧١/١) ، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢٧/٣) ، وإعراب القرآن للنحاس (٢٦١/٢) ، والمحرر الوجيز لابن عطية (٧/ ١٧٧) .

(4) أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده (١٠٢/١) ، وابن جرير الطبري في تهذيب الآثار (٥٠٠/٢) ، والحاكم في المستدرك (٩٤/١) من حديث البراء بن عازب .

دون معنىً ، فذلك مما عمَّه جل ثناؤه أن ﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ . وأما الآخرة فالجنة»[1] .

وقال الرازي : « لفظ البشارة مشتق من خَبَرٍ سارّ يظهر أثره في بَشَرَة الوجه ، فكل ما كان كذلك دخل في هذه الآية ، ومجموع الأمور المذكورة مشتركة في هذه الصفة ، فيكون الكل داخلاً فيه . فكل ما يتعلّق بالآخرة فهو داخل تحت قوله : ﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ وكل ما يتعلّق بالآخرة فهو داخل تحت قوله : ﴿ وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ﴾»[2].

وجمع الطاهر بن عاشور بين جميع المعاني وقال : « وتعريف ﴿ ٱلْبُشْرَىٰ ﴾ تعريف الجنس فهو صادق ببشارات كثيرة »[3] .

وإلى الجمع بين الأقوال ذهب البيضاوي، وأبوالسعود، والشوكاني، والقنّوجي، والسيد رشيد رضا [4] . وسوّى بينهما النسفي بـــ (أو) [5] .

وجمع السعدي بين الرؤيا الصالحة والثناء الحسن [6] .

وقال الآلوسي : « وأنت تعلم أنه لا ينبغي العدول عما ورد عن رسول الله > في تفسير ذلك إذا صَحّ ، وحيث عدل من عدل لعدم وقوفه على ذلك فيما أظن ، فالأَوْلَى أن يحمل البشرى في الدارين على البشارة بما يحقق نفي الخوف والحزن كائنًا ما كان، ويرشد إلى ذلك السباق، ومن أَجَلِّ ذلك بشرى الملائكة لهم بذلك وقتًا فوقتًا حتى يدخلوا الجنة ، وقد نطق الكتاب العزيز في غير موضع بهذه البشرى ، مَنَّ الله تعالى علينا بها برحمته

---

(1) جامع البيان (١٢/ ٢٢٥) .

(2) مفاتيح الغيب (٦/ ٢٧٨) .

(3) التحرير والتنوير (١١/ ٢١٩) .

(4) ينظر : أنوار التنزيل (١/) ، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٥١١- ٥١٢) ، وفتح القدير (٢/ ٦٤١) ، وفتح البيان (٥/ ٩٢) ، وتفسير القرآن الحكيم (٣٥٣/١١ – ٣٥٤) لكن الأخير لم يذكر الرؤيا الصالحة.

(5) ينظر : مدارك التنزيل (٢/ ١٦٩) .

(6) ينظر : تيسير الكريم الرحمان (٢/ ٣٢٩) .

وكرمه»[1] .

ويتأيد القول بالعموم بالقاعدة الترجيحية : (يجب حمل نصوص الوحي على العموم)[2] . وإعمال الأدلة والجمع بين الأقوال أَولى من إهمال بعضها واطّراحه ، والله تعالى أعلم .

(1) ينظر : روح المعاني (١١/ ١٥٢) .

(2) قواعد الترجيح عند المفسرين (٢/ ٥٢٧) .

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾

١١- الخلاف في " مَا " مِنْ قوله تعالى : ﴿ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ ﴾ هل هي نافية ؟ أم استفهامية ؟

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « فيها وجهان : أحدهما : أن تكون "**مَا**" نافية وأوجبت بقوله ﴿ إِلَّا ٱلظَّنَّ ﴾ ، وكرّر ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ ﴾ توكيدًا . والمعنى : ما يتبع الكفار إلاّ الظنّ . والوجه الثاني : أن تكون "**مَا**" استفهامية ، ويتم الكلام عند قوله : ﴿ شُرَكَآءَ ﴾ . والمعنى : أيُّ شيءٍ يتبعون ؟ على وجه التحقير لما يتبعونه ، ثم ابتدأ الإخبار بقوله : ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ﴾. والعامل في شركاء على الوجهين ﴿ يَدْعُونَ ﴾ » [1] .

العرض والمناقشة :

قدّم ابن جُزَيّ الوجه الأول ترجيحًا له ، وهو أن "**مَا**" في قوله تعالى : ﴿ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ ﴾ نافيةٌ .

وعلى هذا الوجه جمهور المفسّرين منهم: الواحدي، والسمعاني، وابن الجوزي، والقرطبي، والبيضاوي، والقمي، وأبوحيان، والسمين، والثعالبي، والبقاعي، والشوكاني، والآلوسي، والقنّوجي، والسيد محمد رشيد رضا، والمراغي، والسعدي، والطاهر بن عاشور[2] .

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٩٦) .

(2) ينظر : الوجيز (٥٠٣/١) ، والوسيط (٢/ ٥٥٤) ، وتفسير القرآن (٢/ ٣٩٤) ، وتذكرة الأريب (١/ ٢٣٨)، والجامع لأحكام القرآن (١١/ ١٩) ، وأنوار التنزيل (١/ ٤٤٢) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٥٩٨/٣) ، والبحر المحيط (٥/ ١٧٦) ، والدر المصون (٦/ ٢٣٥) ، والجواهر الحسان (٢/ ١٠٤) ، ونظم

وهو مفهوم كلام ابن أبي زمنين ، والسيوطي يدل عليه [1] . وقدّمه الزمخشري [2] .

وصحّحه ابن عطية ثم قال : « وفي هذا الوجه عندي تكلّف »[3] .

وذكره الكرماني ، والبغوي بصيغة (قيل) [4] .

قال الواحدي : « أي : ليسوا يتّبعون شركاء على الحقيقة ؛ لأنهم يعدّونها شركاء [لله] شفعاء لهم ، وليست على ما يظنون »[5] .

وعلّله السمعاني بأنه ليس لله شريك [6] .

ولأن شركة الله في الربوبية محال . قاله الزمخشري [7] .

وقال الطاهر بن عاشور : « و**"مَا"** نافية لا محالة ، بقرينة تأكيدها بـــ "إِنْ" النافية ، وإيراد الاستثناء بعدها [8] .

وأما الوجه الآخر في **"مَا"** وهو أن تكون استفهامية ، فعليه : ابن جرير الطبري، والكرماني، والبغوي، والخازن، وابن تيمية [9]. وهو مفهوم كلام مكي [10] . وصححه ابن عطية وقدّمه [11] .

وجوّزه الزمخشري، والبيضاوي، والقمي، وأبوحيان، والسمين، والشوكاني،

الدرر (١٥٧/٩) ، وفتح القدير (٢/ ٦٤٤) ، وروح المعاني (١١/ ١٥٣) ، وفتح البيان (٦/ ٩٥) ، وتفسير القرآن الحكيم (١١/ ٣٨٤) ، وتفسير المراغي (١١/ ١٣٢) ، وتيسير الكريم الرحمان (٢/ ١٣٢) ، والتحرير والتنوير (١١/ ٢٢٥) .

(1) ينظر : تفسير القرآن العزيز (٢/ ٢٦٦) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٣/ ٣٩٢) .

(2) ينظر : الكشاف (٣/ ١٥٨) .

(3) المحرر الوجيز (٧/ ١٧٩) .

(4) ينظر : غرائب التفسير وعجائب التأويل (١/ ٤٨٩) ، ومعالم التنزيل (٢/ ٣٧٠) .

(5) الوجيز (١/ ٥٠٣) ، والوسيط (٢/ ٥٥٤) .

(6) تفسير القرآن (٢/ ٣٩٤) .

(7) الكشاف (٣/ ١٥٨) .

(8) التحرير والتنوير (١١/ ٢٢٥) .

(9) ينظر : : جامع البيان (١٢/ ٢٢٧) ، وغرائب التفسير وعجائب التأويل (٤٨٩/١) ـــ قال : الاستفهام على وجه الإنكار ـــ ، ومعالم التنزيل (٢/ ٣٧٠) ، ولباب التأويل (٢/ ٣٠١) ، ومجموع الفتاوى (١٥/ ٦١) .

(10) ينظر : مشكل إعراب القرآن (١/ ٣٤٨ – ٣٤٩) .

(11) ينظر : المحرر الوجيز (٧/ ١٧٩) .

والآلوسي[1] .

قال ابن تيمية : « ظنّ طائفة أن "مَا" نافية ، وهو خطأ . بل هي استفهام ؛ فإنهم يَدعُون معه شركاء ، كما أخبر عنهم في غير موضع . فالشركاء يوصفون في القرآن بأنهم يُدعَون ؛ لأنهم يُتَّبَعون وإنما يتبع الأئمة ، ولهذا قال : ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ . ولو أراد النفي لقال : إن يتبعون إلاّ مَنْ ليسوا شركاء . بل بيّن أن المشرك لا علم معه ، إنْ هو إلاّ الظنّ والخرص ؛ كقوله : ﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ﴾ »[2] [الذاريات : ١٠] .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن كلا الوجهين صحيح وجائز ، ودلّ على كل منهما دليل ، فالنفي دلّ عليه التوكيدُ في قوله تعالى : ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ والاستفهام دلّ عليه إخبارُ الله عنهم في غير موضع أنهم يَدعون معه شركاء .

وعلى ذكر الوجهين على هذا النسق والترتيب دون ترجيح : العكبري ، والرازي ، والقاسمي [3] . وسوّى بينهما بـــ (أو) النسفي [4] . والله تعالى أعلم .

---

(1) ينظر : الكشاف (١٥٨/٣) ، وأنوار التنزيل (١/ ٤٤٢) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٥٩٨/٣) ، والبحر المحيط (١٧٦/٥) ، والدر المصون (٢٣٦/٦) ، وفتح القدير (٦٤٤/٢) ، وروح المعاني (١٥٤/١١) .

(2) مجموع الفتاوى (١٥/ ٦١) .

(3) ينظر : التبيان (٦٨٠/٢) ، ومفاتيح الغيب (٢٧٩/٦ – ٢٨٠) ، ومحاسن التأويل (٨/ ٣٣٧٧) .

(4) ينظر : مدارك التنزيل (٢/ ١٧٠) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمۡۖ أَسِحۡرٌ هَٰذَا وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ٧٧ ﴾

١٢- ﴿ أَسِحۡرٌ هَٰذَا ﴾ هل هو من كلام قوم فرعون ؟ أم من كلام موسى عليه السلام ؟

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « قيل : إنه معمول ﴿ أَتَقُولُونَ ﴾ ، فهو من كلام قوم فرعون . وهذا ضعيف ؛ لأنهم كانوا يُصَمِّمُونَ على أنه سحر ؛ لقولهم : ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَسِحۡرٌ مُّبِينٌ ﴾ فكيف يستفهمون عنه ؟ وقيل : إنه من كلام موسى تقريرًا وتوبيخًا لهم ، فيوقف على قوله: ﴿ أَتَقُولُونَ لِلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمۡۖ ﴾ ، ويكون معمول ﴿ أَتَقُولُونَ ﴾ محذوفًا [1] تقديره : أتقولون للحق لما جاءكم إنه لسحر . ويدل على هذا المحذوف ما حكى عنهم من قولهم : ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَسِحۡرٌ مُّبِينٌ ﴾ فلما تم الكلام ابتدأ موسى توبيخهم بقوله : ﴿ أَسِحۡرٌ هَٰذَا وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴾ . وهذا هو اختيار شيخنا الأستاذ أبي جعفر ابن الزبير / » [2] .

العرض والمناقشة :

ظاهر كلام ابن جُزَيّ أنه يرجّح اختيار شيخه أبي جعفر بن الزبير في قوله تعالى : ﴿ أَسِحۡرٌ هَٰذَا ﴾ ، وإن ذكره بصيغة (قيل) ؛ لتضعيفه القولَ الأول . وعلى هذا القول ــ وهو أن قوله ﴿ أَسِحۡرٌ هَٰذَا ﴾ من كلام موسى × ــ جماهير المفسّرين منهم : ابن جرير الطبري، والزجاج، والكرماني، والبغوي ، وابن عطية، ومحمود النسابوري، وابن الجوزي، والعكبري، والرازي، والبيضاوي، والنسفي ، والخازن، وأبوحيان، والبقاعي، والسيوطي، والشهاب، والشوكاني، والقنوجي، والسيد رشيد رضا، والسعدي، والطاهر بن عاشور [3]

---

(1) في المطبوع : محذوف . والصواب ما أثبته كما في جميع النسخ ؛ لأنه خبر يكون منصوب.

(2) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٩٧) .

(3) ينظر : جامع البيان (١٢/ ٢٣٨) ، ومعاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٩) ، وغرائب التفسير وعجائب التأويل (٤٩٠/١) ، ومعالم التنزيل (٢/ ٣٧٣) ، والمحرر الوجيز (٧/ ١٩٢- ١٩٣) ، وإيجاز البيان (١/ ٣٢٢) ، وتذكرة الأريب (١/ ٢٣٩) وقدّمه في زاد المسير (٥٠/٤) ، والتبيان (٢/ ٦٨٢) ، ومفاتيح الغيب (٢٨٧/٦) وأنوار التنزيل (١/ ٤٤٤) ، ومدارك التنزيل (٢/ ١٧٢) ، ولباب التأويل (٢/ ٣٠٤) ، والبحر المحيط

.

وقدّمه وبدأ به الزمخشري، وأبوالسعود، والآلوسي، والقرطبي [1] . وهو مفهوم كلام المراغي [2] .

قالوا : معمول ﴿ أَتَقُولُونَ ﴾ – وهو المقول – محذوف ثقةً بدلالة ما قبله وما بعده عليه وإيذانًا بأنه مما لا ينبغي أن يُتَفَوَّه به ولو على نهج الحكاية [3] .

والتقدير : أتقولون للحق لما جاءكم – وهي الآيات التي أتاهم بها من عند الله حُجَّةً على صدقه – : سِحْرٌ . ثم ابتدأ موسى موبخًا لهم : أَسِحْرٌ هذا الحقُّ الذي ترونه ؟! فيكون السحرُ الأولُ محذوفًا اكتفاءً بدلالة قول موسى لهم : ﴿ أَسِحْرٌ هَٰذَا ﴾ على أنه مراد في الكلام [4] . ودلّ عليه قوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ أي : أتقولون هذا القول للحق ما جاءكم [5] .

قالوا : ومثل هذا التقدير المحذوف موجود في القرآن وفي كلام العرب ، أما القرآن فكما قال تعالى : ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ ٱلْآخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ ﴾ [الإسراء : ٧] .

والمعنى : بعثناهم ليسوؤا وجوهكم ، فترك ذلك اكتفاءً بدلالة الكلام عليه [6] .

وقريبٌ منه قوله تعالى : ﴿ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ ﴾[آل عمران :١٨٣]

(٥/١٨١) ، ونظم الدرر (٩/١٧١) ــ وقال : فالآية من الاحتباك : ذكر القول الأول دالّ على حذف مثله في الثاني ، وذكر السحر الثاني دال على حذفه مثله في الأول ــ ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٣/٣٩٩)، وحاشية الشهاب (٥/ ٥١) ، وفتح القدير (٢/٦٥٠) ، وفتح البيان (٦/ ١٠٤) ، وتفسير القرآن الحكيم (١١/ ٣٩٤) ، وتيسير الكريم الرحمان (٢/٣٣٥) ، والتحرير والتنوير (١١/ ٢٥٠) .

(1) ينظر : الكشاف (٣/ ١٦٣) ، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٥٢٠) ، وروح المعاني (١١/ ١٦٤) ، والجامع لأحكام القرآن (١١/ ٢٧) مع ذكره بـــ قيل .

(2) ينظر : تفسير المراغي (١١/ ١٤١) .

(3) ينظر : إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٢/٥٢٠) .

(4) ينظر : جامع البيان للطبري (١٢/ ٢٣٨) .

(5) ينظر : التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (١١/ ٢٥٠) .

(6) ينظر : جامع البيان للطبري (١٢/٢٣٨) ، والمحرر الوجيز لابن عطية (٧/١٩٣) .

وقوله تعالى : ﴿ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ ﴾[النساء : ٨١] فحذف المقول لدلالة الكلام عليه [١] .

ومن شأن العرب الإيجاز والاختصار إذا كان فيما نطقت به الدلالةُ الكافيةُ على ما حذفت وتركت ، ومن ذلك قول أبي ذؤيب الهذلي :

عَصَيْتُ إليها القلبَ إني لأَمْرِها سميعٌ فما أَدْري أَرُشْدٌ طِلابُها [٢]

يعني بذلك : فما أدري أَرَشْدٌ طِلاَبُها أَمْ غَيٌّ ؟ فحذف ذكر (أَمْ غَيٌّ) ، إذ كان فيما نطق به الدلالة عليها [٣] .

وقول ذي الرُّمَّة :

فلما لَبِسْنَ الليلَ أو حين نَصَّبَتْ له مِنْ خَذَا آذانِها وهو جانِحُ [٤]

يريد : أو حين أقبل ، ثم حُذِفَ اكتفاءً بدلالة الكلام عليه [٥] .

وقول الآخر :

لَنَحْنُ الأُلَى قُلْتُمْ فَأَنَّى مُلِئْتُمُ برؤيتنا قبلَ اهتمامٍ بكم رعْبًا [٦]

وأما القول الأول وهو أن يكون ﴿ أَسِحْرٌ هَذَا ﴾ هو معمول ﴿ أَتَقُولُونَ ﴾ ومقوله ، ويكون الكلام لقوم فرعون ، فهو قول الأخفش [٧] . وعليه القاسمي [٨] . وجوّزه الآلوسي[٩] . وذكره الزمخشري وجهًا ثانيًا [١٠] .

---

(1) ينظر : التحرير والتنوير (١١/ ٢٥٠) .

(2) ديوان الهذليين (١/ ٧١) .

(3) جامع البيان لابن جرير الطبري (١/ ٣٤٤) .

(4) ديوان ذي الرمة (٨٩٧/٢) . قاله في نعت حمير .

(5) جامع البيان لابن جرير الطبري (٢٣٨/١٢) ، والمحرر الوجيز لابن عطية (٧/ ١٩٣) .

(6) ينظر : البحر المحيط لأبي حيان (٥/ ١٨١) .

(7) ينظر : معاني القرآن (٣٤٧/٢) . ونقله عنه النحاس في إعراب القرآن (٢٦٣/٢) و لم يذكر غيره ، فكأن النحاس يقول به . ونسبه له أيضًا القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٢٧/١١) .

(8) ينظر : محاسن التأويل (٨/ ٣٣٨٣) .

(9) ينظر : روح المعاني (١١/ ١٦٤) .

(10) ينظر : الكشاف (٣/ ١٦٣) .

واستغربه الكرماني ، وذكره أبوحيان بصيغة (قيل) ، ومنعه أبوالسعود [1] .

قال الفراء في توجيه هذا القول : « كما ترى الرجل تأتيه الجائزة فيقول : أحقٌّ هذا ؟ وهو يعلم أنه حق لا شكَّ فيه »[2] .

زاد ابن جرير الطبري : « وقد يجوز أن تكون على التعجب منهم : أسحر هذا ؟ ما أعظمه !» [3]

وقال ابن عطية : « وقال بعضهم : بل قالوا ذلك على معنى التعظيم للسحر الذي رأوه بزعمهم، كما تقول لفَرَسٍ تراه يجيد الجَرْيَ : (أفرسٌ هذا ؟!) على معنى التعجب منه والاستغراب ، وأنت قد علمت أنه فرس »[4] .

وعلى هذا القول ، فإن موسى حكى قولهم أولاً ويكون ﴿ **أَسِحْرٌ هَٰذَا** ﴾ هو الذي قالوه .

واستُدِلّ على هذا بقراءة ﴿ **ما جئتم به ءَآلسِّحْرُ** ﴾ على قراءة الاستفهام وهي قراءة متواترة [5] ، ففيها إرشاد إلى أن موسى كافأهم عندما أتوا بالسحر بمثل مقالتهم مستفهمًا فقال : ماجئتم به ءآلسحر ؟ قرضًا بوفاء على السواء [6] .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن الأولى في ذلك بالصواب أن يكون المقول محذوفًا ، ويكون قوله : ﴿ **أَسِحْرٌ هَٰذَا** ﴾ من قيل موسى × استفهامًا إنكاريًا على فرعون وملئه ؛ لقوة أدلته ووجاهتها هذا هو الأولى بالصواب . والقول الآخر غير مدفوع فقد يكون موسى × حكى قولهم ، وإنما قالوه على وجه التعجب والتعظيم للسحر الذي رأوه ، والله تعالى أعلم .

---

(1) ينظر : غرائب التفسير (١/ ٤٩٠)، البحر المحيط (٥/ ١٨١)، إرشاد العقل السليم (٢/٥٢٠- ٥٢١) .

(2) معاني القرآن (١/ ٤٧٤) .

(3) جامع البيان (٢/ ٢٣٨) .

(4) المحرر الوجيز (٧/ ١٩٢) .

(5) قرأ أبو عمرو ، وأبو جعفر بهمزة قطع للاستفهام قبل همزة الوصل . وقرأ الباقون بحذف همزة الاستفهام وإبقاء همزة الوصل . ينظر : حجة القراءات لابن زنجلة (٣٣٥) ، والبدور الزاهرة لعبد الفتاح القاضي (١٤٨) .

(6) ينظر : محاسن التأويل للقاسمي (٨/ ٣٣٨٣ – ٣٣٨٤) .

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوۡمِهِۦ عَلَىٰ خَوۡفٖ مِّن فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِمۡ أَن يَفۡتِنَهُمۡۚ وَإِنَّ فِرۡعَوۡنَ لَعَالٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾

في هذه الآية الكريمة مسألتان :

المسألة الأولى هي :

١٣- الخلاف في عايد الضمير في قوله تعالى : ﴿ مِّن قَوۡمِهِۦ ﴾

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « الضمير عائد على موسى . ومعنى الذرية : شُبَّانٌ وفِتيانٌ من بني إسرائيل آمنوا به على خوف من فرعون . وقيل : إن الضمير عائد على فرعون ، فالذرية على هذا من قوم فرعون . وروي في هذا أنها امرأة فرعون وخازنه . وهذا بعيد ؛ لأن هؤلاء لا يقال لهم ذرية ، ولأن الضمير ينبغي أن يعود على أقرب مذكور »[1].

العرض والمناقشة :

رجَح ابن جُزَيّ أن ضمير ﴿ قَوۡمِهِۦ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوۡمِهِۦ ﴾ عائد على موسى × ووافق في هذا معنى ما رُوِيَ عن ابن عباس [2] ، ومجاهد [3] ، والأعمش [4] . ونسب إلى زيد بن أسلم [5] .

وإلى هذا ذهب ابن جرير الطبري، وابن أبي زمنين، والواحدي، والسمعاني،

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٩٧) .

(2) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٢٤٧/١٢) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٩٧٥/٦) رقم (١٠٥١٦) من طريق علي بن أبي طلحة ، عنه قوله : ﴿ ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوۡمِهِۦ ﴾ يقول : بني إسرائيل . قال ابن جرير الطبري : فهذا الخبر يُنْبِئ عن أنه كان يرى أن الذرية في هذا الموضع ، هم بنو إسرائيل دون غيرهم من قوم فرعون . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣٨٢/٤) نسبته لابن المنذر ، وأبي الشيخ .

(3) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٢٤٥/١٢- ٢٤٦) من طرق عنه قال : أولادُ الذين أرسل إليهم موسى ، من طول الزمان ، ومات آباؤهم .

(4) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٢٤٦/١٢) من طريق سفيان ، عنه بنحو أثر مجاهد . ومعناهما : أن القوم قوم موسى ، منهم الذين أرسل إليهم موسى × .

(5) ينظر : النكت والعيون للماوردي (٢/ ٤٤٥) .

والزمخشري، والرازي، والقرطبي، والقمي، وأبوحيان، والسمين، والثعالبي، والبقاعي، وأبوالسعود، والشوكاني، والقنّوجي، والقاسمي، والسيد محمد رشيد رضا، والمراغي، والسعدي، والطاهر بن عاشور [1] . وهو مفهوم كلام الزجاج [2] . وقدّمه البغوي، وابن الجوزي [3] .

واستدلوا لهذا بعود الضمير على أقرب مذكور ؛ « لأنه لم يَجْرِ في هذه الآية ذِكْرٌ لغير موسى، فلأَنْ تكون "الهاء" في قوله : ﴿ مِّن قَوْمِهِۦ ﴾ من ذكر موسى لقربها من ذكره ، أَولى من أن تكون من ذكر فرعون ؛ لبعد ذكره منها ، إذ لم يكن بخلاف ذلك دليلٌ من خبرٍ ولا نظرٍ » [4] .

ولأن موسى هو المحدّثُ عنه في هذه الآية . قاله أبو حيان [5] .

ومما يدل على ذلك قوله : ﴿ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ ﴾ .

ووجهه : أن ضمير ﴿ مِّن قَوْمِهِۦ ﴾ لو كان عائدًا على فرعون لم يظهر لفظ فرعون ، ولكان الكلام : على خوفٍ منه [6] .

وضعّف ابن عطية هذا القول بأنه لم يحفظ قطّ أن طائفة من بني إسرائيل كفرت به ،

---

(1) ينظر : جامع البيان (١٢/ ٢٤٧) ، وتفسير القرآن العزيز (٢/ ٢٧٠) ، والوجيز (١/ ٥٠٥) والوسيط (٥٥٦/٢) ، وتفسير القرآن (٢/ ٣٩٩) ، والكشاف (٣/ ١٦٥) ، ومفاتيح الغيب (٦/ ٢٨٩) ، والجامع لأحكام القرآن (١١/ ٣١) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ٦٠٥) ، والبحر المحيط (٥/ ١٨٤) ، والدر المصون (٦/ ٢٥٤) ، والجواهر الحسان (٢/ ١٠٧) ، ونظم الدرر (٩/ ١٧٥) ، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٥٢٢) ، وفتح القدير (٢/ ٦٥٢) ، وفتح البيان (٦/ ١٠٨) ، ومحاسن التأويل (٨/ ٣٣٨٦) ، وتفسير القرآن الحكيم (١١/ ٣٩٦) ، وتفسير المراغي (١١/ ١٤٥) ، وتيسير الكريم الرحمان (٣٣٧/٢) ، والتحرير والتنوير (١١/ ٢٥٨ ، ٢٥٩) .

(2) ينظر : معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٠) .

(3) ينظر : معالم التنزيل (٢/ ٣٧٣) ـــ لكن بصيغة (قيل) وذكر قول مجاهد ـــ ، وزاد المسير (٤/ ٥٣) وتذكرة الأريب (١/ ٢٤٠) .

(4) جامع البيان لابن جرير الطبري (٢٤٧/١٢) .

(5) البحر المحيط (٥/ ١٨٤) .

(6) المصدران السابقان .

فكيف تعطي هذه الآية أن الأقلّ منهم كان الذي آمن ؟! [1] .

وأجيب عن هذا بأنه لم تبلغ دعوته بقية قومه ، أو لم يؤمر بالتبليغ إليهم حينئذ . ويحتمل أن يكون بقية قومه آمنوا به بعد ذلك لما بلغتهم الدعوة . المقصود أن هذا لا يقتضي أن بقية قومه كفروا به [2] . أو يكون المراد أنه ما أظهر وأعلن بإيمانه إلاّ ذرية من بني إسرائيل دون غيرهم فإنهم أخفوه و لم يظهروه [3] .

وأما القول الآخر بأن الضمير عائد على فرعون . أي : فما آمن لموسى إلاّ ذرية من قوم فرعون ، فهو قول رُوِيَ عن ابن عباس أيضًا [4] .

وإليه ذهب ابن عطية، وابن كثير، والسيوطي، واستظهره الشهاب، وتبعه الآلوسي [5] .

وذكره الزمخشري ، والبيضاوي ، وأبوحيان ، وأبوالسعود ، والسيد رضا بصيغة (قيل)[6].

واستُدل لهذا القول بأن الكلام في قوم فرعون ؛ لأنهم القائلون إنه ساحر [7] .

ولأنه أراد بالذرية الأحداث والشباب ، والمعروف أن بني إسرائيل كلهم آمنوا بموسى × واستبشروا به كما قال تعالى : ﴿ قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ﴾ [الأعراف : ١٢٩] .

---

(1) ينظر : المحرر الوجيز (٧/ ١٩٨) .

(2) ينظر : التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (١١/ ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠) .

(3) ينظر : حاشية الشهاب (٥/٥٣) ، وروح المعاني للآلوسي (١١/ ١٦٨) .

(4) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٢/٢٤٦) بالإسناد المسلسل بالعوفيين ، عنه قال : فإن الذريّة التي آمنت لموسى ، من أناس غير بني إسرائيل ، من قوم فرعون يسيرٌ ؛ منهم امرأة فرعون ، ومؤمن آل فرعون ، وخازن فرعون، وامرأة خازنه. ونسبه ابن الجوزي في زاد المسير (٤/٥٣) إلى ابن عباس من رواية أبي صالح عنه.

(5) ينظر : المحرر الوجيز (٧/ ١٩٨) ، وتفسير القرآن العظيم (٧/ ٣٩٠) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٣/٤٠١) ، وحاشية الشهاب (٥/ ٥٣) ، وروح المعاني (١١/ ١٦٨) .

(6) ينظر : الكشاف (٣/١٦٥) ، وأنوار التنزيل (١/٤٤٥) ، والبحر المحيط (٥/١٨٤) ، وإرشاد العقل السليم (٢/٥٢٢) وقال : وهو بعيد ، وتفسير القرآن الحكيم (١١/٣٩٦) .

(7) ينظر : المحرر الوجيز (٧/١٩٨- ١٩٩) ، وحاشية الشهاب (٥/٥٣) ، وروح المعاني (١١/١٦٨) .

والدليل على أنه لم يكن في بني إسرائيل إلاّ مؤمن قولُه تعالى : ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [يونس : ٨٤- ٨٦] .

قالوا : رُوي في هذا أنها امرأة فرعون وخازنه وامرأة خازنه وشباب من قومه [١] ، نقله ابن عطية عن ابن عباس [٢] .

ولفظ الذرية فيه نُبُوٌّ عن هذا [٣] .

قال الراغب : « والذرية أصلها : نَسْلُ الرجل . وقيل : الصغار من الأولاد ، وإن كان قد يقع على الصغار والكبار معًا في التعارف ، ويستعمل للواحد والجمع ، وأصله الجمع»[٤].

وفسّرها ابن عباس بالقليل [٥] ، وكذا الضحاك [٦] .

وفي قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴾ بعد قوله : ﴿ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ الدلالةُ على أن الذرية من قوم موسى لا من قوم فرعون ، هذا الذي يظهر من السياق بعد التأمل . وفيه أيضًا إرشاد إلى تتابع قومه على الإيمان به ، والله أعلم .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن الأَولى بالصواب في ذلك هو ما رجّحه ابن جُزَيّ ومن وافقه، وهو عود الضمير على موسى ، فيكون المعنى : فما آمن لموسى إلاّ ذرية من بني إسرائيل ؛

---

(1) ينظر : تفسير القرآن العظيم (٧/ ٣٩٠- ٣٩١) .

(2) لكنه بالإسناد المسلسل بالضعفاء ، وقد روى الوالبي ، عن ابن عباس ما يخالف هذا ، وسبق تخريجه .

(3) ينظر : حاشية الشهاب (٥/٥٣) .

(4) مفردات ألفاظ القرآن ، مادة (ذرو) (٣٢٧) .

(5) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٢/٢٤٥) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/١٩٧٥) من طريق سعيد ، عن قتادة قال : كان ابن عباس يقول : الذرية : القليل .

(6) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٢/٢٤٥) من طريق عُبيد بن سليمان ، عنه قال : الذرية : القليل ، كما قال الله تعالى : ﴿ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴾ [الأنعام : ١٣٣] .

لقوة أدلته ، وتأييده بالقاعدة الترجيحية : (الأصل عود الضمير إلى أقرب مذكور) [1] . والقاعدة الأخرى : (إعادة الضمير إلى المحدّث عنه أَولى من إعادته إلى غيره) [2] . ودلالة السياق عليه أظهر من دلالتها على القول الآخر ، والله تعالى أعلم .

(1) قواعد الترجيح عند المفسرين (٢/٦٢١) .

(2) المصدر السابق (٢/٦٠٣) .

المسألة الثانية هي :

١٤- الخلاف في عايد ضمير ﴿ وَمَلَإِيْهِمْ ﴾ في قوله تعالى :

﴿ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ ﴾ .

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « الضمير يعود على الذرية . أَيْ : آمنت الذريةُ من بني إسرائيل على خوف من فرعون ومَلإ من بني إسرائيل ؛ لأن الأكابر من بني إسرائيل كانوا يمنعون أولادهم من الإيمان خوفًا من فرعون . وقيل : يعود على فرعون بمعنى آل فرعون ، كما يقال : ربيعة ومضر ، أو لأنه ذو أصحاب يأتمرون له » [(١)] .

العرض والمناقشة :

رجّح ابن جُزَيّ أن ضمير ﴿ وَمَلَإِيْهِمْ ﴾ يعود على الذرية من بني إسرائيل . وهذا قول الأخفش [(٢)] . وإليه ذهب ابن جرير الطبري، والخازن، وأبوحيان، والثعالبي، والبقاعي، والمراغي، والطاهر بن عاشور [(٣)]. وهو مفهوم كلام ابن أبي زمنين، والواحدي، والسيد رشيد رضا [(٤)] . وقدّمه العكبري [(٥)] . وجوّزه الزمخشري [(٦)] .

وذكره بصيغة (قيل) ابن الجوزي ، والآلوسي [(٧)] .

واختار ابن كثير عود الضمير على الذرية ولكن بمعنى أشراف قوم فرعون وهم الملأ ؛ لأن الذرية عنده هم من قوم فرعون [(٨)] .

قال ابن جرير الطبري : « وأَولى القولين في ذلك بالصواب عندي قولُ من قال : الهاء

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٩٧) .

(2) ينظر : معاني القرآن (٢/ ٣٤٧) .

(3) ينظر : جامع البيان (١٢/ ٢٤٩) ، ولباب التاويل (٢/ ٣٠٥) ، والبحر المحيط (٥/ ١٨٤) ، والجواهر الحسان (٢/ ١٠٧) ، ونظم الدرر (٩/ ١٧٦) ، وتفسير المراغي (١١/ ١٤٥) ، والتحرير والتنوير (١١/ ٢٦٠) .

(4) ينظر : تفسير القرآن العزيز (٢/ ٢٧٠) ، والوجيز (١/ ٥٠٥) ، وتفسير القرآن الحكيم (١١/ ٣٩٦) .

(5) ينظر : التبيان (٢/ ٦٨٣) .

(6) ينظر : الكشاف (٣/ ٦٥) .

(7) ينظر : تذكرة الأريب (١/٢٤٠) ، وروح المعاني (١١/١٦٩) وقال : ولعل المنساق إلى الذهن رجوعه إلى الذرية، والجمع باعتبار المعنى ، ويؤول المعنى إلى أنهم آمنوا على خوف من فرعون ومن أشراف قومهم .

(8) ينظر : تفسير القرآن العظيم (٧/ ٣٩٠- ٣٩١) .

والميم عائدتان على الذرية ، ووجّه معنى الكلام إلى أنه : على خوفٍ من فرعون ، وملإ الذرية ؛ لأنه كان في ذرية القرن الذين أُرسل إليهم موسى مَنْ كان أبوه قبطيًا وأُمُّه إسرائيليةً، فمن كان كذلك منهم كان مع فرعون على موسى »[1] .

وعلّل هذا القول أبوحيان بأنهم كانوا يمنعون أعقابهم خوفًا من فرعون على أنفسهم .

وقال : « ويدل عليه قوله تعالى : ﴿ أَن يَفْتِنَهُمْ ﴾ أي : يعذبهم »[2] .

وأما القول الآخر في ضمير ﴿ وَمَلَإِيْهِمْ ﴾ وهو أنه يعود على فرعون بمعنى آل فرعون، كما يقال : ربيعة ومضر ، أو لأنه ذو أصحاب يأتمرون له ، فهو مَرْوِيٌّ عن ابن زيد [3] .

وإلى هذا ذهب مقاتل، والفراء ، وابن قتيبة، والزجاج، والنحاس، ومكي، والسمعاني، والزمخشري، وابن عطية، وابن الجوزي، والرازي، والقرطبي، والشوكاني، والقنوجي [4] . وقدّمه وبدأ به البيضاوي، والآلوسي [5] .

وذكره الخازن ، والسيد محمد رشيد رضا بصيغة (قيل) [6] .

قال الفراء : « وإنما قال ﴿ وَمَلَإِيْهِمْ ﴾ ، وفرعون واحد ؛ لأن الملك إذا ذُكِرَ بخوفٍ أو بسفرٍ أو قدومٍ من سفرٍ ذهب الوْهمُ إليه وإلى من معه . ألا ترى أنك تقول : قدم الخليفة فكثر الناس ، تريد : بمن معه . وقدم فغلت الأسعار ؛ لأنك تنوي بقدومه قدوم من معه .

وقد يكون أن تريد بفرعون : آل فرعون وتحذف الآل فيجوز كما قال : ﴿ وَسْـَٔلِ

---

(1) جامع البيان (١٢/ ٢٤٩) .

(2) البحر المحيط (٥/ ١٨٤) وهو كتعليل ابن جُزَيّ .

(3) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٩٧٥) رقم (١٠٥١٩) .

(4) ينظر : تفسير مقاتل (٢/ ٢٤٥) ، ومعاني القرآن (١/ ٤٧٦) ، وتأويل مشكل القرآن (٢٩٣) ، ومعاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٠) ، ومعاني القرآن الكريم (٣٠٩/٣) وإعراب القرآن (٢٦٥/٢) ، ومشكل إعراب القرآن (١/ ٣٥٣) ، وتفسير القرآن (٣٩٩/٢) ، والكشاف (٣/ ١٦٥) ، والمحرر الوجيز (٧/ ١٩٩-٢٠٠) ، وتذكرة الأريب (١/ ٢٤٠) ، ومفاتيح الغيب (٦/ ٢٨٩) ، والجامع لأحكام القرآن (١١/ ٣٢) ، وفتح القدير (٢/ ٦٥٢) ، وفتح البيان (٦/ ١٠٨) .

(5) ينظر : أنوار التنزيل (١/ ٤٤٥) ، وروح المعاني (١١/ ١٦٨) .

(6) ينظر : لباب التأويل (٢/ ٣٠٥) ، وتفسير القرآن الحكيم (١١/ ٣٩٦) .

﴿ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف : ٨٢] تريد أهل القرية ، والله أعلم »[1] .

وردّ ابن عطية تنظير الفراء بأن إسقاط المضاف في الآية سائغ بسبب ما يعقل من أن القرية لا تُسأل ، ففي الظاهر دليل على ما أضمر ، وأما ها هنا فالخوف من فرعون متمكّن لا يحتاج معه إلى إضمار [2] .

وأما تقديره بآل فرعون فغلّطه العكبري معلّلاً ذلك بأن المحذوف لا يعود إليه ضمير ؛ إذ لو جاز ذلك لجاز أن تقول : زيدٌ قاموا ، وأنت تريد : غِلْمانُ زيدٍ قاموا [3] .

قال ابن كثير : « ومن قال إن الضمير يعود إلى فرعون وعظّم الملك لأجل أتباعه أو على معنى آل فرعون ... فقد أبعد »[4] .

وذكر النحاس ستة أجوبة في ذكر الضمير بالجمع دون إفراده وهي :

١- أن فرعون لما كان جبَّارًا خبَّر عنه بفعل الجميع .

٢- أن فرعون لما ذكر عُلِمَ أن معه غيره فعاد الضمير عليه وعليهم . وهذا أحد جوابي الفراء.

٣- أن تكون الجماعة سميت بفرعون مثل ثمود .

٤- التقدير : على خوف من آل فرعون . وهذا جواب الفراء الآخر ، وهو خطأ على مذهب الخليل وسيبويه لا يجوز عندهما : قامت هند وأنت تريد غلامها [5] .

٥- أن يكون الضمير يعود على الذرية . أي : وملإ الذرية . وهذا مذهب الأخفش .

٦- أن يكون الضمير يعود على قومه. وكأنَّه أبين الأجوبة [6]. [أي : وملإ قوم فرعون] .

---

(1) معاني القرآن (١/٤٧٦- ٤٧٧) . وينظر : زاد المسير لابن الجوزي (٤/ ٥٣) .

(2) المحرر الوجيز (٧/٢٠٠) . وينظر : البحر المحيط لأبي حيان (٥/١٨٤) ، والدر المصون للسمين الحلبي (٦/٢٥٥- ٢٥٦) .

(3) التبيان (٢/ ٦٨٣) .

(4) تفسير القرآن العظيم (٧/ ٣٩١) بتصرف يسير .

(5) ينظر : غرائب التفسير وعجائب التأويل للكرماني (١/ ٤٩١) .

(6) ينظر : معاني القرآن للنحاس (٣/٣٠٩) ، ومشكل إعراب القرآن لمكي (١/ ٣٥٣) ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١١/ ٣٢) .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن هذه المسألة – والله أعلم – مبْنية على المسألة السابقة ، وعليه فإن الأظهر هو عود الضمير على الذرية من بني إسرائيل ؛ لأن الأكابر والأشراف من بني إسرائيل كانوا يمنعون أولادهم من الإيمان خوفًا من فرعون على أنفسهم أن يعذبهم ؛ لأنه كان عاليًا في الأرض جبارًا وكان من المسرفين . وهذا هو ما رجّحه ابن جُزَيّ ، والله تعالى أعلم بالصواب .

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾

في هذه الآية الكريمة مسألتان :

المسألة الأولى هي :

١٥- الخلاف في معنى ﴿قِبْلَةً﴾ من قوله تعالى :﴿ وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً ﴾ .

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « أي : مساجد . وقيل : موجَّهةً إلى جهة القبلة »[1].

العرض والمناقشة :

رجّح ابن جُزَيّ أن المراد بالقبلة هو المساجد ، أي : اجعلوا بيوتكم مساجد . ووافق في هذا ما رُوِيَ عن ابن عباس [2]، ومجاهد [3] ، والنخعي [4]، وزيد بن أسلم [5] ، وأبي مالك [6] ، والربيع بن أنس [7] ، وقتادة [8] . ونسب إلى الضحاك ، وابن زيد [9] .

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٩٨) .

(2) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٢/٢٥٥، ٢٥٦) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/١٩٧٧) رقم (١٠٥٢٩) من طريق عكرمة ، عنه . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤/٣٨٣) نسبته إلى الفريابي ، وابن المنذر ، وأبي الشيخ ، وابن مردويه .

(3) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٢/٢٥٦) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/١٩٧٧) رقم (١٠٥٣١) من طريق ابن أبي نجيح ، وليث ، عنه قال : كانوا لا يصلون إلاّ في البيع ، و كانوا لا يصلون إلاّ خائفين ، فأُمروا أن يصلوا في بيوتهم . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤/٣٨٣) نسبته إلى ابن المنذر ، وأبي الشيخ .

(4) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٢/ ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧) وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/١٩٧٧) رقم (١٠٥٣٠) ، وأبو نعيم في الحلية (٤/٢٣١) قال : كانوا خائفين فأمروا أن يصلوا في بيوتهم .

(5) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٢/٢٥٧) من طريق ابن زيد ، عنه .

(6) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٢/٢٥٦) من طريق السدي ، عنه . وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/١٩٧٧) عقب الأثر (١٠٥٣١) معلّقًا عنه .

(7) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٢/٢٥٦) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/١٩٧٧) من طريق أبي جعفر ، عنه .

(8) ذكره معلّقًا ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/١٩٧٧) عقب الأثر (١٠٥٣١) .

(9) ينظر : النكت والعيون للماوردي (٢/٤٤٧) ، وزاد المسير لابن الجوزي (٤/٥٤) .

وذهب إليه ابن جرير الطبري ، ومكي ، والواحدي ، والسمعاني ، والكرماني ، والبغوي ونسبه إلى أكثر المفسرين ، وابن عطية ، ومحمود النيسابوري ، وابن الجوزي ، والبيضاوي ، وأبوحيان ، والبلنسي ، والبقاعي ، والسيوطي ، وأبوالسعود ، والآلوسي ، والقاسمي ، والسعدي [1] .

وذكره الزجاج ، والقرطبي ، والقمي ، وابن التركماني بصيغة (قيل) [2] .

ومعنى هذا القول : صلّوا في بيوتكم ؛ لتأمنوا من الخوف ؛ لأنهم آمنوا على خوف من فرعون . قاله الزجاج [3] وهو معنى ما رُوِيَ عن ابن عباس وغيره .

ودليله : الاستعمال الأغلبي في كلام العرب للقبلة في قِبَل المساجد وللصلوات .

قال ابن جرير الطبري : « الأغلب من معاني البيوت – وإن كانت المساجد بيوتًا – البيوت المسكونة إذا ذكرت باسمها المطلق ، دون المساجد ... وكذلك القبلة ، الأغلب من استعمال الناس إياها في قبل المساجد وللصلوات . فإذا كان ذلك كذلك ، وكان غيرُ جائزٍ توجيه معاني كلام الله إلاّ إلى الأغلب من وجوهها ، المستعمل بين أهل اللسان الذي نزل به دون الخفيّ المجهول ، ما لم تأت دلالةٌ تدل على غير ذلك ، ولم يكن على قوله : ﴿ وَٱجۡعَلُواْ بُيُوتَكُمۡ قِبۡلَةً ﴾ دلالةٌ تقطع العذرَ بأن معناه غيرُ الظاهر المستعمل في كلام العرب ، لم يجز لنا توجيههُ إلى غير الظاهر الذي وصفنا ، وكذلك القول في قوله : ﴿ قِبۡلَةً ﴾ »[4] .

---

(1) ينظر : جامع البيان (٢٥٤/١٢) ، وتفسير المشكل (١٩٤) ، والوجيز (٥٠٦/١) ، والوسيط (٥٥٦/٢) ، وتفسير القرآن (٤٠٠/٢) ، وغرائب التفسير وعجائب التأويل (٤٩٢/١) ، ومعالم التنزيل (٣٧٤/٢- ٣٧٥) ، والمحرر الوجيز (٢٠٤/٧) ، وإيجاز البيان (٣٢٢/١) ، ووضح البرهان (٤٢٥/١) ، وتذكرة الأريب (٢٤١/١)، وأنوار التنزيل (٤٤٥/١) ، والبحر المحيط (١٨٦/٥) ، وتفسير مبهمات القرآن (١٦/٢) ، ونظم الدرر (٧٨/٩)، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٤٠٣/٣) ، وإرشاد العقل السليم (٥٢٣/٢) ، وروح المعاني (١٧١/١١) ، ومحاسن التأويل (٣٣٨٨/٨) ، وتيسير الكريم الرحمان (٣٣٨/٢) .

(2) ينظر : معاني القرآن وإعرابه (٣٠/٣) ، والجامع لأحكام القرآن (٣٥/١١) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٦٠٦/٣) ، وبهجة الأريب (٢٦١/١) .

(3) معاني القرآن وإعرابه (٣٠/٣) .

(4) جامع البيان (١٢/ ٢٦٠) .

وأما القول الآخر في معنى قوله : ﴿ وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً ﴾ وهو أن المعنى : مُوَجَّهةً إلى جهة القبلة ، فهو قولٌ رُويَ عن ابن عباس [1] ، ومجاهد [2] ، والضحاك [3] ، وقتادة[4] . وعليه مقاتل ، والفراء ، والزجاج ، وابن الأنباري ، وابن التركماني ، والطاهر ابن عاشور [5] .

وذكره مكي ، وابن عطية ، والقرطبي ، والشوكاني ، والقنوجي بصيغة (قيل)[6] .

قال الطاهر بن عاشور : « والقبلة : اسم في العربية لجهة الكعبة . وتلك الجهة هي ما بين المشرق والمغرب ؛ لأن قبلة بلاد مصر كقبلة المدينة ما بين المشرق والمغرب وهي الجنوب، فيجوز أن يكون التعبير عن تلك الجهة بالقبلة في الآية حكاية لتعبير موسى عنها بما يدل على معنى التوجّه إلى الجهة التي يُصلّون إليها ، وهي قبلة إبراهيم ، فيكون أمرُ بني إسرائيل يومئذ جاريًا على الملّة الحنيفية قبل أن تنسخ بالاستقبال إلى صخرة القدس . ويجوز

---

(1) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٢٥٧/١٢) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٩٧٧/٦) رقم (١٠٥٣٣) من طريق ابن أبي ليلى ، عن المنهال ، عن سعيد بن جبير ، عنه قال : يعني الكعبة . وأخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٢٥٧/١٢- ٢٥٨) عنه بالإسناد المسلسل بالعوفيين . وأخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٢٥٨/١٢) من طريق ابن جريج ، عن مجاهد ، عنه قال : يقول : وجهوا بيوتكم مساجدكم نحو القبلة . ألا ترى أنه يقول : ﴿ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ ﴾ [النور : ٣٦] . ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٣٨٣/٤) إلى ابن مردويه عنه قال : قِبل الكعبة ، وذكر أن آدم × فمن بعده كانوا يصلون قِبل الكعبة .

(2) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٢٥٨/١٢) من طريق إسرائيل ، عن أبي يحيى ، ومن طريق حجاج ، عن ابن جريج كلاهما عن مجاهد قال : قِبل الكعبة . وذكره معلقًا ابن أبي حاتم في تفسيره (١٩٧٧/٦) عقب الأثر (١٠٥٣٣) .

(3) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٢٥٩/١٢) من طريق أبي سفيان ، عنه. وذكره معلّقًا ابن أبي حاتم في تفسيره (١٩٧٧/٦) عقب الأثر (١٠٥٣٣) .

(4) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢٩٧/٢) ، وابن جرير الطبري في جامع البيان (٢٥٩/١٢) من طريق معمر ، عنه قال : نحو القبلة . وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣٨٣/٤) إلى أبي الشيخ .

(5) ينظر : تفسير مقاتل (٢٤٦/٢) ، ومعاني القرآن (٤٧٧/١) ، ومعاني القرآن وإعرابه (٣٠/٣) ، وزاد المسير لابن الجوزي (٥٥/٤) ، وبهجة الأريب (٢٦١/١) ، والتحرير والتنوير (١١/ ٢٦٦) .

(6) ينظر : تفسير المشكل (١٩٤) ، والمحرر الوجيز (٢٠٤/٧) ، والجامع لأحكام القرآن (٣٥/١١) ، وفتح القدير (٦٥٣/٢) ، وفتح البيان (١١٠/٦) .

أن يكون موسى قد عبّر بما يفيد معنى الجنوب فحكيت عبارته في القرآن باللفظ المرادف له الشائع في التعبير عن الجنوب عند العرب وهو كلمة قبلة . والذين فسّروا البيوت بأنها بيوت السكنى فسّروا القبلة : إما بمعنى متقابلة ، وإما بمعنى اجعلوا بيوتكم محلّ صلاتكم ، وكلا التفسيرين بعيد عن الاستعمال . وأما الذين تأولوا البيوت بالمساجد فقد فسروا القبلة بأنها قبلة الصلاة، أي : جهة الكعبة . قال ابن عباس : كانت الكعبة قبلة موسى . وعن الحسن : كانت الكعبة قبلة كل الأنبياء . وهذا التفسير يلائم تركيب ﴿وَٱجۡعَلُواْ بُيُوتَكُمۡ قِبۡلَةً﴾ ؛ لأن التركيب اقتضى المجعول قبلة هو البيوت أنفسها لا أن تجعل الصلاة فيها إلى جهة القبلة فإذا افتقدنا التاويلات كلّها لا نجدها إلاّ مفككة متعسّفة خلا التفسير الذي عوّلنا عليه ، وقد اختلفوا فيه فهدانا الله إليه »[1] .

واستظهر ابن العربي أن المراد بالقبلة بيت المقدس ، أُمِروُا أن يستقبلوها حيثما كانوا ، وقد كانت مدةً من الزمان قبْلةً ، ثم نسخ ذلك حسبما في سورة البقرة . وقال عنه : « وهو أظهر القولين ؛ لأن الثاني دعوى »[2] . وتبعه القرطبي ، والشوكاني ، والقنوجي [3] .

وذكرهما بصيغة (قيل) الخازن وقال : « وظاهر القرآن لا يدل على تعيينها »[4] .

وقال الشهاب : « التوجه إلى الكعبة خلاف المشهور »[5] .

وأما تفسير ﴿قِبۡلَةً﴾ بأنها متقابلة يقابل بعضها بعضًا ، فروي عن ابن عباس [6] ، وسعيد بن جبير [7] . وعليه السيد محمد رشيد رضا ، والمراغي [8] .

---

(1) التحرير والتنوير (١١/ ٢٦٦) .

(2) أحكام القرآن (٣/١٠٥٥) .

(3) ينظر : الجامع لأحكام القرآن (١١/٣٥) ، وفتح القدير (٢/٦٥٣) ، وفتح البيان (٦/١١٠) .

(4) لباب التأويل (٢/ ٣٠٥) .

(5) حاشية الشهاب (٥/ ٥٥) .

(6) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/١٩٧٧) رقم (١٠٥٣٢) من طريق عطاء السائب ، عن سعيد ، عنه قال : يقابل بعضها بعضًا .

(7) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٢/٢٦٠) من طريق عطاء ، عنه .

(8) ينظر : تفسير القرآن الحكيم (١١/٣٩٨) ، وتفسير المراغي (١١/ ١٤٦) .

ولمجاهد قولٌ يشمل تفسير "القبلة" بأنها المساجدُ مستقبلةً الكعبة [1] .

وعليه ابن أبي زمنين، والزمخشري ، والنسفي ، وقدّمه القمي [2] .

وذكرهما البيضاوي ، والثعالبي ، وأبوالسعود ، والآلوسي بصيغة (قيل) [3] .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن أقرب الأقوال إلى الصواب في تفسير ﴿ قِبْلَةً ﴾ هو ما رجّحه ابن جُزَيّ ومن وافقه ؛ لأن الاستعمال لكلمة قبلة يدل عليه ، وليس كما قال الطاهر ابن عاشور.

وأما القول بأن المراد بها جهة الكعبة فهو خلاف ظاهر القرآن . والقول الآخر بأن المراد بها جهة بيت المقدس لا دليل عليه .

وأما تفسيرها بأنها متقابلة في جهة واحدة يعني البيوت ، فهو قول لا معنى له وإن كانت اللغة تساعد عليه ؛ لأن القبلة في الأصل : اسمٌ للحالة التي عليها المقابل نحو : الجِلْسة والقِعدة [4].

والأَولى أن تفسّر البيوت بالبيوت المعروفة وهي بيوت السكنى ، وأن يُصَلَّى فيها ؛ لقوله بعدها : ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ .

ويؤيد هذا القاعدة الترجيحية : (يجب حمل كلام الله تعالى على المعروف من كلام العرب)[5]. والقاعدة الأخرى : (إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أَولى ممن الخروج به عن ذلك)[6]. (ولا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلاّ بدليل)[7]، والله تعالى أعلم .

---

(1) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٢٥٨/١٢) من طريق ابن جريج ، ومن طريق ابن أبي نجيح ، عنه قال: حين خاف موسى ومن معه من فرعون أن يصلوا في الكنائس الجامعة ، فأمروا أن يجعلوا في بيوتهم مساجد مستقبلةً الكعبة يصلون فيها سرًا .

(2) ينظر : تفسير القرآن العزيز (٢٧١/٢) ، والكشاف (١٦٦/٣) ، ومدارك التنزيل (١٧٣/٢) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٦٠٦/٣) .

(3) ينظر : أنوار التنزيل (٤٤٥/١) ، والجواهر الحسان (١٠٩/٢) ، وإرشاد العقل السليم (٥٢٣/٢) ، وروح المعاني (١١/ ١٧١) .

(4) قاله الراغب في مفرداته : (قبل) (٦٥٤) .

(5) قواعد الترجيح عند المفسرين (٢/ ٣٦٩) .

(6) المصدر السابق (١/ ١٢٥) .

(7) المصدر السابق (١/ ١٣٧) .

المسألة الثانية هي :

١٦- لمن الأمر بالتبشير في قوله تعالى : ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ .

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « أمرٌ لموسى × . وقيل : لمحمد > » [1] .

العرض والمناقشة :

رجّح ابن جُزَيّ أن الأمر في قوله تعالى : ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ هو أَمْرٌ لموسى ×. وعلى هذا جمهور المفسّرين منهم : الزمخشري ، وابن عطية ، والعكبري ، والرازي، والقرطبي وقال : وهو أظهر ، والبيضاوي، والنسفي، والخازن، والقمي، وأبوحيان، وابن القيم، والسمين، والثعالبي، والبقاعي، وأبوالسعود، والشوكاني، والقنّوجي، والسيد محمد رشيد رضا، والمراغي، والطاهر بن عاشور [2] . وهو مفهوم كلام ابن كثير، والآلوسي، والسعدي [3] .

ويُستدلُّ له بأن المؤمنين هم قوم موسى الذين ذكروا في قوله تعالى : ﴿ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ ﴾ [يونس : ٨٣] وفي قوله : ﴿ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ﴾ [4] [يونس : ٨٤- ٨٥] .

وأُفْرِدَ موسى بالتبشير ؛ لأن أخاه تبعٌ له أو لأنه لما كان فِعْلُ البشارة شريفًا خَصَّ به موسى ؛ لأنه الأصل . قاله السمين [5] .

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٩٨) .

(2) ينظر : الكشاف (١٦٦/٣) ، والمحرر الوجيز (٢٠٤/٧) ، والتبيان (٦٨٤/٢) ، ومفاتيح الغيب (٢٩١/٦) ، والجامع لأحكام القرآن (٣٨/١١) ، وأنوار التنزيل (٤٤٥/١) ، ومدارك التنزيل (١٧٣/٢) ، ولباب التاويل (٣٠٦/٢) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٦٠٦/٣) ، والبحر المحيط (١٨٦/٥) ، وبدائع التفسير (٤١٠/٢) ، والدر المصون (٢٥٩/٦) ، والجواهر الحسان (١٠٩/٢) ، ونظم الدرر (٧٨/٩) ، وإرشاد العقل السليم (٥٢٤/٢) ، وفتح القدير (٦٥٣/٢) ، وفتح البيان (١١١/٦) ، وتفسير القرآن الحكيم (٣٩٨/١١) ، وتفسير المراغي (١٤٦/١١) ، والتحرير والتنوير (٢٦٧/١١) .

(3) ينظر : تفسير القرآن العظيم (٣٩٢/٧) ، وروح المعاني (١٧٢/١١) ، وتيسير الكريم الرحمان (٣٣٨/٢) .

(4) ينظر : التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (١١/ ٢٦٧) .

(5) الدر المصون (٦/ ٢٥٩) .

وأما القول الآخر بأن الأمر بالتبشير هو لمحمد > ، فعليه ابن جرير الطبري ، والبغوي ، ومكي – على ما نسبه إليه ابن عطية والثعالبي – ، وابن الجوزي [1] .

وذكره القرطبي ، والشوكاني بصيغة (قيل) [2] وقال الأخير : « وهذا على طريقة الالتفات والاعتراض ، والأولُ أَوْلى » .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن الراجح هو ما رجّحه ابن جُزَيّ ومن وافقه ، وهو أن الأمر في قوله تعالى : ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ هو لموسى × ؛ لدلالة السياق عليه [3] ، والله تعالى أعلم .

---

(1) ينظر : جامع البيان (٢٦٠/١٢) ، ومعالم التنزيل (٣٧٥/٢) ، والمحرر الوجيز (٢٠٤/٧) ، والجواهر الحسان (١٠٩/٢) ، وزاد المسير (٥٥/٤) .

(2) ينظر : الجامع لأحكام القرآن (١/ ٣٨) ، وفتح القدير (٦٥٣/٢) .

(3) ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين (١٢٥/١) .

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ ﴾

١٧- الخلاف في معنى "اللام" التي في قوله تعالى : ﴿ لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ﴾ .

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « ﴿ رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ﴾ دعاء بلفظ الأمر . وقيل : اللام لام كَيْ ، وتتعلّق بقوله : ﴿ ءَاتَيْتَ ﴾ » [1] .

العرض والمناقشة :

في قوله تعالى : ﴿ لِيُضِلُّوا۟ ﴾ قراءتان :

الأولى : بِضَمِّ الياء ، وهي قراءة عاصم ، وحمزة ، والكسائي . أَيْ : لِيُضِلُّوا الناسَ عن سبيلك ، ويصدُّوهم عن دينك .

والأخرى : بفتح الياء ، وهي قراءة ابن كثير ، ونافع ، وأبي عمرو ، وابن عامر . أَيْ: لِيَضِلُّوا هم عن سبيلك ، فيجوروا عن طريق الهدى [2] .

وعلى قراءة الفتح يحمل كلام ابن جُزَيّ هنا حيث جعل اللاّم لام الأمر (لِتَفْعَلْ كذا) فيكون أمرًا ، والمقصود به الدعاء عليهم بالضلال فقال : دعاء بلفظ الأمر . ولعلّ فيما يُروَى عن السدّي ما يشير إلى هذا المعنى .

قال السدّي : « خرج موسى عليه الصلاة والسلام ببني إسرائيل ليلاً والقبط يعلمون ، وقد دعوا قبل ذلك على القبط ، فقال موسى : ربنا لِيَضِلُّوا عن سبيلك »[3] .

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٩٨) .

(2) ينظر : السبعة لابن مجاهد (٢٦٧) ، والتيسير في القراءات السبع (١٠٠) ، والكشف عن وجوه القراءات (٤٤٩/١) ، وجامع البيان لابن جرير الطبري (٢٦١/١٢) ، والمحرر الوجيز لابن عطية (٢٠٥/٧) . قال الطاهر بن عاشور : والمعنى الحاصل من القرائتين متحد ...(٢٧٠/١١) .

(3) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٩٧٨/٦) رقم (١٠٥٣٧) من طريق أسباط ، عنه .

وقال ابن عطية، وأبوحيان، والسمين : « ورُوِيَ عن الحسن أنه قال : هو دعاء »[1].

وذكره ابن الجوزي ، والخازن عن ابن الأنباري أنها لام الدعاء والمعنى : ربنا ابتلاهم بالضلال عن سبيلك أو ربنا إنك ابتليتهم بالضلال عن سبيلك [2] .

قال الخازن : « لام الأمر هي لام مكسورة تجزم المستقبل ، ويفتتح بها الكلام » .

وعلى هذا القول ابن أبي زمنين حيث قال : « هذا دعاء عليهم ؛ يقول : ربنا فأضلهم عن سبيلك . وهذا حين جاء وقت عذابهم »[3] .

ونَصَّ عليه الزمخشري وبدأ به [4] ، وقدّمه البيضاوي [5] ، وقال به أبوالسعود [6] .

يقول الآلوسي عن هذا القول : « وهو لدى المنصف خلاف الظاهر »[7] .

واستغربه الكرماني [8] .

ويقول الطاهر بن عاشور : « وهو أبعد الوجوه وأثقلها »[9] .

وقال أبوحيان : « ويُبْعِدُ أن يكون دعاءً قراءةُ من قرأ ﴿ لِيُضِلُّواْ ﴾ – بضم الياء – إذ يَبْعُدُ أن يدعو بأن يكونوا مضلِّين غيرهم »[10] .

والقول بأن اللام لام الأمر على وَجْهِ الدعاء عليهم ، هو قول المعتزلة .

قال ابن المُنيّر : « وهذا [يعني : قول الزمخشري : هو دعاء عليهم بلفظ الأمر] من

---

(1) ينظر : المحرر الوجيز (٢٠٥/٧) ، والبحر المحيط (١٨٦/٥) ، والدر المصون (٢٦٠/٦) .

(2) ينظر : زاد المسير (٥٦/٤) ، ولباب التأويل (٣٠٦/٢) .

(3) تفسير القرآن العزيز (٢٧١/٢) .

(4) ينظر : الكشاف (١٦٧/٣) . وينظر أيضًا : البحر المحيط لأبي حيان (١٨٦/٥) ، والدر المصون للسمين (٢٦٠/٦) . قال الطاهر بن عاشور في التحرير والتنوير (٢٦٩/١١) : واقتصر عليه في الكشاف . وهذا غريب من الطاهر ؛ لأن الزمخشري إنما بدأ به وقدّمه ، وذكر القول الآخر في اللام أنها للتعليل .

(5) ينظر : أنوار التنزيل (٤٤٦/١) . قال الشهاب في حاشيته (٥٥/٥) : وقدّم الدعاء على غيره إشارةً لترجيحه كما في الكشاف . وقد قال في الانتصاف : إنه اعتزال أدق من دبيب النمل ...

(6) ينظر : إرشاد العقل السليم (٥٢٤/٢) .

(7) روح المعاني (١١/ ١٧٣) .

(8) ينظر : غرائب التفسير وعجائب التأويل (١/ ٤٩٢) .

(9) التحرير والتنوير (١١/ ٢٦٩) .

(10) البحر المحيط (١٨٦/٥) . وينظر : الدر المصون للسمين (٢٦٠/٦) .

اعتزاله الخفيّ الذي هو أدقّ من دبيب النمل ، يكاد الاطلاع عليه أن يكون كشفًا . ووجه ذلك : أنه لما علم أن الظاهر بل والباطن أن اللام للتعليل ، وأن الفعل منصوب بها ، ومعنى ذلك : إخبار موسى × بأن الله إنما أمدّهم بالزينة والأموال وما يتبعهما من النعم استدراجًا ليزدادوا إثمًا وضلالةً ، كما أخبر تعالى عن أمثالهم بقوله : ﴿ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْـمًا ﴾ [آل عمران : ١٧٨] وهذا المعنى منتظم على جعل اللام للتعليل . والزمخشري بنى على القاعدة الفاسدة في استحالة ذلك على الله تعالى ؛ لاعتقاده أنّ من الجور أن يملي لهم في الضلالة ويعاقبهم عليها ، فهو متبتل لما يرد من الآيات بعمل الحيلة في تأويلها وردّها إلى معتقده وجعلها تبعًا له ، كما تقدم له في تأويل قوله : ﴿ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْـمًا ﴾. وكَأَيّنْ من آيةٍ غَرّاء رام أن يستر غُرَّتَها ويطفئ نورها بأمثال هذه التأويلات الرديئة لفظًا وعقدًا ، ويأبى الله إلاّ أن يتم نوره ، ثم لا يسعه إلا أن يحمل موسى × على أمثال هذه المعتقدات ، ولقد برّأه الله وكان عند الله وجيهًا »[1] .

قال الشهاب : « ودفع هذا كلّه بأنه لم يجنح إلى ما قصده الزمخشريّ ؛ لأنه ليس من منطوقه ، ولكل امرئ ما نوى »[2] .

وأما القول الآخر في لام ﴿ لِيُضِلُّواْ ﴾ وهو أنها لامُ كَيْ ، وتتعلّق بقوله : ﴿ ءَاتَيْتَ ﴾ فهو اختيار الفراء ، وابن جرير الطبري ، والواحدي ، والرازي ، والنسفي ، والقمي ، وأبوحيان، وابن كثير ، والثعالبي ، والشهاب ، والآلوسي [3].

---

(1) الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال ، مطبوع بهامش الكشاف للزمخشري (٣/ ١٦٧) . وينظر : التمييز لما أودعه الزمخشري من الاعتزال في تفسير الكتاب العزيز لأبي علي السكوني (٣٢١/٣) ، والمسائل الاعتزالية في تفسير الكشاف لصالح الغامدي (٥٥٤/١ ، ٥٥٧) . ومع كون ما ذهب إليه ابن المنير حقًّا إلا أنه وقع في التناقض ؛ لأن الأشاعرة ـــ الذين ينتحل ابن المنير طريقتهم ـــ ينفون لام التعليل الحقيقي في أفعال الله تعالى !!

(2) حاشية الشهاب (٥/ ٥٥) .

(3) ينظر : معاني القرآن (٤٧٧/١)، وجامع البيان (٢٦٣/١٢)، ومعاني القرآن الكريم (٣١١/٣)، وإعراب القرآن (٢٦٦/٢)، والوجيز (٥٠٦/١) والوسيط (٥٥٧/٢)، ومفاتيح الغيب (٢٩٢/٦)، ومدارك التنزيل (١٧٣/٢-١٧٤)، وغرائب القرآن (٦٠٦/٣) ونسبه القمي للأشاعرة ، والبحر المحيط (١٨٦/٥)، وتفسير القرآن العظيم (٣٩٣/٧)، والجواهر الحسان (١٠٩/٢)، وحاشية الشهاب (٥٦/٥)، وروح المعاني (١١/ ١٧٢) .

وهو مفهوم كلام البقاعي ، والسعدي [1] . وقدّمه ابن الجوزي ، والسمين [2] . واحتمله ابن عطية ، والبيضاوي [3] .

وذكره الزمخشري بقوله : « وقد حُملت اللام في ﴿ لِيُضِلُّواْ ﴾ على التعليل ، على أنهم جعلوا نعمة الله سببًا في الضلال ، فكأنهم أُوتوها ليضلوا »[4] .

وعدّه الطاهر بن عاشور وجهًا ضعيفًا [5] .

وذكره الكرماني ، والبغوي ، والقرطبي ، وأبوالسعود بصيغة (قيل) [6] .

قال ابن جرير الطبري : « والصواب من القول في ذلك عندي أنها لامُ كي ، ومعنى الكلام : ربنا أعطيتهم من زينة الحياة الدنيا والأموال لتفتنهم فيه ، ويُضلوا عن سبيلك عبادك عقوبةً منك ، وهذا كما قال جلّ ثناؤه : ﴿ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ﴾ »[7] [الجن :١٦- ١٧] .

وقال البيضاوي : « لأن إيتاء النعم على الكفر استدراج وتثبيت على الضلال، ولأنهم لما جعلوها سببًا للضلال فكأنهم أوتوها ليضلوا »[8] .

واختار الأخفش ، والزجاج ، والنحاس ، والسمعاني ونسبه لأهل التفسير ، وابن الجوزي ، والقرطبي ، والقرشي اليماني ، والشوكاني ، والقنوجي ، والقاسمي ، والسيد محمد رشيد رضا ، والمراغي ، والطاهر بن عاشور ، أنها لام العاقبة والصيرورة [9] .

---

(1) ينظر : نظم الدر (١٧٩/٩- ١٨٠) ، وتيسير الكريم الرحمان (٣٣٩/٢) .

(2) ينظر : زاد المسير (٤/ ٥٥) ، والدر المصون (٦/ ٢٥٩) .

(3) ينظر : المحرر الوجيز (٢٠٥/٧) ، وأنوار التنزيل (١/ ٤٤٦) .

(4) الكشاف (٣/ ١٦٧) .

(5) ينظر : التحرير والتنوير (٢٦٩/١١) وذكره الطاهر ضمن خمسة وجوهٍ للمفسّرين قال بعدها : وهي وجوه ضعيفة متفاوتة الضعف فلا نطيل بتقريرها .

(6) ينظر : غرائب التفسير وعجائب التأويل (٤٩٢/١) ، ومعالم التنزيل (٣٧٥/٢) ، والجامع لأحكام القرآن (٣٨/١١) ، وإرشاد العقل السليم (٥٢٤/٢) .

(7) جامع البيان (١٢/ ٢٦٣) .

(8) أنوار التنزيل (١/ ٤٤٦) .

(9) ينظر : معاني القرآن (٣٤٧/٢) ، ومعاني القرآن وإعرابه (٣٠/٣) ، ومعاني القرآن الكريم (٣١٠/٣-٣١١) ، وإعراب القرآن (٢٦٦/٢) ، وتفسير القرآن (٤٠١/٢) ، وتذكرة الأريب (٢٤١/١) ، والجامع لأحكام القرآن

وهو قول الخليل، وسيبويه [1] . واحتمله ابن عطية ، وأبوحيان ، والثعالبي [2] .
وذكره الكرماني ، والبغوي ، والبيضاوي ، وأبوالسعود بصيغة (قيل) [3] .

والمعنى : آتيتهم ذلك فصار أمرهم إلى كذا ، كما قال تعالى : ﴿ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ﴾[القصص : ٨] فهم لم يلتقطوه ليكون لهم عدوًا وحزنًا ، إنما لقطوه فكان لهم كذلك [4] .

ومنه قول الشاعر :

لِدُوا للموت وابنوا للخراب [5]

وقول الآخر :

وللمنايا تُربَّى كلُّ مُرْضِعَةٍ وللخراب يُجِدُّ الناسُ عمرانا

أراد : عاقبة الأمر ومصيره إلى ذلك [6] .

قال الطاهر بن عاشور : « وقد تردد المفسّرون في محلّ اللام في قوله : ﴿ لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ ﴾ . والذي سلكه أهل التدقيق منهم أن اللام لام العاقبة . ونُقِلَ ذلك عن نحاة البصرة : الخليل ، وسيبويه ، والأخفش ، وأصحابهما ، على نحو اللام في قوله تعالى :

(٣٨/١١) ، والترجمان عن غريب القرآن (٦٤) ، وفتح القدير (٦٥٥/٢) ، وفتح البيان (١١٢/٦) ، ومحاسن التأويل (٣٣٨٩/٨) ، وتفسير القرآن الحكيم (٣٩٩/١١) ، وتفسير المراغي (١٤٨/١١) ، والتحرير والتنوير (٢٦٨/١١) .

(1) ينظر : إعراب القرآن للنحاس (٢٦٦/٢) ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣٨/١١) ، والتحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٢٦٨/١١) .

(2) ينظر : المحرر الوجيز (٢٠٥/٧) ، والبحر المحيط (١٨٦/٥) ، والجواهر الحسان (١٠٩/٢) .

(3) ينظر : غرائب التفسير وعجائب التأويل (٤٩٢/١) ، ومعالم التنزيل (٣٧٥/٢) ، وأنوار التنزيل (٤٤٦/١) ، وإرشاد العقل السليم (٥٢٤/٢) .

(4) ينظر : معاني القرآن للأخفش (٣٤٧/٢) ، وجامع البيان لابن جرير الطبري (٢٦٢/١٢) ، والمحرر الوجيز لابن عطية (٢٠٥/٧) .

(5) ينظر : الدر المصون للسمين (٢٥٩/٦) و (/ ٦٤٧) . وهو لعلي بن أبي طالب ط ، وعجزه : فكلكم يصير إلى ذهاب . وهو في الهمع (٣٢/٢) ، والدر (٣١/٢) ، والتصريح (١٢/٢) .

(6) ينظر : زاد المسير لابن الجوزي (٥٦/٤) .

﴿ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ﴾[القصص : ٨] فاللام الموضوعة للتعليل مستعارة لمعنى الترتب والتعقيب الموضوع له فاء التعقيب على طريقة الاستعارة التبعية في متعلق معنى الحرف فشبَّه ترتب الشئ على شئ آخر ليس علّةً فيه بترتب المعلول على العلّة ؛ للمبالغة في قوة الترتب حتى صار كأنه مقصود لمن ظهر عنده أثره ، فالمعنى : إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالاً فضلوا بذلك وأضلوا »[1] .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن الأصح أن تكون اللام للعاقبة ، وأما من ذهب إلى أنها للأمر فقولهم بعيدٌ يَرُدُّه قراءةُ من قرأ ﴿ لِيُضِلُّواْ ﴾ ــ بضم الياء ــ إذ يَبْعُدُ أن يدعوا بأن يكونوا مضلِّين غيرَهم كما قاله أبوحيان . ويؤيد ذلك القاعدة الترجيحية : (اتحاد معنى القراءتين أَولى من اختلافه)[2].

وعليه فإن ما ذهب إليه ابن جُزَيّ يعد مرجوحًا ، والله أعلم .

---

(1) التحرير والتنوير (١١/ ٢٦٨) .

(2) قواعد الترجيح (١/١٠٠) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗۚ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنۡ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾

في هذه الآية الكريمة مسألتان :

المسألة الأولى هي :

١٨- الخلاف في معنى ﴿ نُنَجِّيكَ ﴾

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « ﴿ نُنَجِّيكَ ﴾ أي : نبعدك مما جرى لقومك من الوصول على قعر البحر . وقيل : نلقيك على نَجْوَةٍ من الأرض ، أي : على موضع مرتفع»[1] .

العرض والمناقشة :

رجَّح ابن جُزَيّ أن معنى ﴿ نُنَجِّيكَ ﴾ من النجاة ، أي : نبعدك مما وقع فيه قومك من قعر البحر ؛ ليراك بنو إسرائيل . وعلى هذا المعنى ما رُوِيَ عن ابن عباس قال : « أنجى الله فرعون لبني إسرائيل من البحر فنظروا إليه بعد ما غرق »[2] .

وقال قتادة : « لما أغرق الله فرعون لم تصدق طائفة من الناس بذلك ، فأخرجه الله ليكون عظة وآية »[3] . وبنحوه عن قيس بن عُباد [4] . ونُسِب هذا إلى عبد الله بن شدّاد ، والسدّي [5] .

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٩٨) .

(2) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٢/ ٢٨٣) بالإسناد المسلسل بالعوفيين عنه بهذا اللفظ . وأخرجه أيضًا (١٢/ ٢٨١) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٢٧٧٥) و (١/ ١٠٧) رقم (٥١٠) من طريق سعيد بن جبير ، عنه بنحوه .وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٩٨٣ و ١٩٨٤) رقم (١٠٥٦٨و ١٠٥٧٣) من طريق أبي روق، عن الضحاك ، عنه .

(3) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٢/ ٢٨٢) من طريق يزيد ، عن سعيد ، عنه . وأخرجه أيضًا (١٢/ ٢٨٢) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٩٨٤) رقم (١٠٥٧٤) من طريق معمر ، عنه . وينظر : الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٣٨٨) .

(4) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢٩٨) ، وابن جرير الطبري في جامع البيان (١٢/ ٢٨٠، ٢٨٢) من طريق أبي السليل ، عنه .

(5) ينظر : زاد المسير لابن الجوزي (٤/ ٦١) .

وإلى هذا المعنى ذهب مقاتل ، وابن أبي زمنين ، والواحدي ، والزمخشري ، والقمي، والسيوطي ، والآلوسي ، والقاسمي [١] . وهو مفهوم كلام الزجاج [٢] ، والطاهر ابن عاشور[٣] . وقدّمه ابن عطية ، وتبعه الثعالبي [٤] .

واستغربه الكرماني [٥] . وذكره الشوكاني بصيغة (قيل) ، وتبعه القنّوجي[٦] .

وأما القول الآخر في معنى ﴿ نُنَجِّيكَ ﴾ أي : نُلقيك على نَجْوَةٍ من الأرض ، فهو قول يونس بن حبيب النحوي [٧] ، وأبي عبيدة [٨] ، وابن الأنباري [٩] .

وإلى هذا المعنى ذهب ابن جرير الطبري ، والنحاس ، والراغب ، ومكي ، والسمعاني ، والماوردي ، والكرماني ونسبه للجمهور ، والبغوي ، ومحمود النيسابوري ، والقرطبي ، والنسفي ، والخازن ، وأبوحيان ، وابن التركماني ، والسمين ، وابن كثير ، والشوكاني ، والقنّوجي ، والسيد محمد رشيد رضا ، والمراغي ، والسعدي [١٠] .

---

(1) ينظر : تفسير مقاتل (٢٤٨/٢) ، وتفسير القرآن العزيز (٢٧٢/٢) ، والوجيز (٥٠٧/١) ، والكشاف (١٧٢/٣)، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٦٠٨/٣) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٤٠٩/٣) ، وروح المعاني (١٨٣/١١) ، ومحاسن التأويل (٨/ ٣٣٩١) .

(2) ينظر : معاني القرآن وإعرابه (٣٢/٣) . وينظر أيضًا : معاني القرآن الكريم للنحاس (٣١٥/٣) .

(3) ينظر : التحرير والتنوير (١١/ ٢٧٨) .

(4) ينظر : المحرر الوجيز (٢١٤/٧) ، والجواهر الحسان (١١٠/٢) .

(5) ينظر : غرائب التفسير وعجائب التأويل (١/ ٤٩٣) .

(6) ينظر : فتح القدير (٦٥٧/٢) ، وفتح البيان (١١٩/٦) .

(7) أخرجه أبو الشيخ كما في الدر المنثور للسيوطي (٣٨٨/٤) . وينظر : وضح البرهان (٤٢٦/١) لمحمود النيسابوري، وزاد المسير لابن الجوزي (٦٠/٤) ، وروح المعاني للآلوسي (١٨٣/١١) .

(8) ينظر : مجاز القرآن (١/ ٢٨١) .

(9) ينظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١١/ ٤٨) .

(10) ينظر : جامع البيان (٢٧٩/١٢) ، ومعاني القرآن الكريم (٣١٥/٣) ، وإعراب القرآن (٢٦٨/٢) ، ومفردات ألفاظ القرآن (٧٩٢) مادة (نجو) ، وتفسير المشكل (١٩٥) ، وتفسير القرآن (٤٠٣/٢) ، والنكت والعيون (٤٤٩/٢) ، وغرائب التفسير وعجائب التأويل (٤٩٣/١) ، ومعالم التنزيل (٣٧٧/٢) ، ووضح البرهان (٤٢٦/١) ، وإيجاز البيان (٣٢٣/١) ، والجامع لأحكام القرآن (٤٧/١١) ، ومدارك التنزيل (١٧٥/٢) ، ولباب التأويل (٣٠٩/٢) ، والبحر المحيط (١٨٩/٥) ، وبهجة الأريب (٢٦١/١) ، والدر المصون (٢٦٥/٦) ، وتفسير القرآن العظيم (٣٩٨/٧) ، وفتح القدير (٦٥٧/٢) ، وفتح البيان (١١٩/٦) ، وتفسير القرآن الحكيم (٤٠٢/١١) ، وتفسير المراغي (١٥١/١١) ، وتيسير الكريم الرحمان (٣٤١/٢) .

وقدّمه ابن الجوزي ومال إليه [1] .

وذكره الزجاج ، والزمخشري ، والقمي ، والآلوسي بصيغة (قيل) [2] .

وأورد ابن جرير الطبري الآثار الواردة عن السلف مستشهدًا بها لهذا القول ! وكذا أبوحيان نسبه لابن عباس !

واستدل لهذا القول بأن ﴿ نُنَجِّيكَ ﴾من النَجْوَةِ وهي المكان المرتفع على ما حوله من الأرض . ومنه قول أَوْس بن حجر :

فمن بِعَقْوَتِهِ كمن بنَجْوتِهِ والمُسْتكِنُّ كمن يمشي بِقِرواحِ [3]

وبعد، فإذا تقرر هذا فإنه عند التأمل لا يبعد الجمعُ بين القولين في معنى ﴿ نُنَجِّيكَ ﴾ فيقال : « فَنُجّيَ على نجوة من الأرض حتى رآه جميعهم ميتًا وتحققوا غرقه »[4] .

ولذا قال السمين : « وهل ننجيك من النجاة بمعنى : نبعدك مما وقع فيه قومك من قعر البحر... أو من ألقاه على نجوة ... أو من النجاة وهو الترك ، أو من النجاء وهو العلامة ؟ وكل هذه معانٍ لائقة بالقصّة »[5] .

وذكر القولين مسويًّا بينهما البيضاوي، وأبوالسعود مع تقديمهما للأول [6] .

وعلى هذا فكلا القولين صحيح ، والله تعالى أعلم .

---

(1) ينظر : زاد المسير (٤/ ٦٠) .

(2) ينظر : معاني القرآن وإعرابه (٣٢/٣) ، والكشاف (٧٢١/٣) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٦٠٨/٣) ، وروح المعاني (١٨٣/١١) .

(3) ديوان أوس (١٦) . ونسب لعبيد بن الأبرص كما في وضح البرهان لمحمود النيسابوري (٤٢٦/١) . وينظر : جامع البيان لابن جرير الطبري (٢٧٩/١٢) ، والمحرر الوجيز لابن عطية (٢١٤/٧) ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٤٨/١١) . والعقوة : الساحة وما حول الدار . اللسان (عقو) . والقرداح : الأرض البارزة للشمس. اللسان (قارح) .

(4) المحرر الوجيز لابن عطية (٧/ ٢١٤) .

(5) الدر المصون (٢٦٦/٦) .

(6) ينظر : أنوار التنزيل (٤٤٦/١) ، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٥٢٦) .

المسألة الثانية هي :

١٩- الخلاف في معنى "البدن" في قوله تعالى : ﴿ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ ﴾.

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « ﴿ بِبَدَنِكَ ﴾ أي : بجسدك جسدًا بدون روح . وقيل : بِدِرْعِك . وكانت له دِرْعٌ من ذَهَبٍ يُعْرَفُ بها » [1] .

العرض والمناقشة :

رجَّحَ ابن جُزَيّ في معنى ﴿ بِبَدَنِكَ ﴾ أن نجاة فرعون كانت بجسده ميتًا بلا روح .

ووافق في هذا معنى ما رُوِيَ عن عبدالله بن شدّاد [2] ، ومجاهد [3] ، ومحمد بن كعب[4] ، والحسن [5] ، وابن جريج [6] .

وذهب إليه الأخفش ، وابن جرير الطبري ، والنحاس ، وابن أبي زمنين ، والواحدي ، والبغوي ، وابن الجوزي ، والخازن ، والقمي ، والبقاعي ، والسيوطي ، والآلوسي ، والقاسمي ، والسيد محمد رشيد رضا ، والطاهر بن عاشور [7] .وقدّمه الرازي ومال إليه ، والثعالبي [8] .

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٩٨) .

(2) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٢٨١/١٢) من طريق موسى بن عبيدة ، عن محمد بن كعب ، عنه .

(3) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٢٨١/١٢، ٢٨٢) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٩٨٣/٦) رقم (١٠٥٦٩) من طرق ، عنه . وزاد نسبته السيوطي في الدر المنثور (٣٨٨/٤) إلى ابن المنذر ، وابن الأنباري في المصاحف ، وأبي الشيخ . وينظر : التفسير المنسوب لمجاهد (٣٨٣) .

(4) نسبه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٣٨٨) إلى أبي الشيخ .

(5) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٩٨٤/٦) رقم (١٠٥٧٠) من طريق أبي بكر الهذلي ، عنه .

(6) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٢٨٢/١٢) من طريق حجاج ، عنه .

(7) ينظر : معاني القرآن (٣٤٨/٢) ، وجامع البيان (٢٨٣/١٢) ، ومعاني القرآن الكريم (٣١٥/٣) ، وإعراب القرآن (٢٦٨/٢) ، وتفسير القرآن العزيز (٢٧٢/٢) ، والوجيز (١/ ٥٠٧) والوسيط (٥٥٨/٢) ، ومعالم التنزيل (٣٧٧/٢) ، وتذكرة الأريب (٢٤١/١) وقدّمه في زاد المسير (٦١/٤) ، ولباب التأويل (٣٠٩/٢) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٦٠٨/٣) ، ونظم الدرر (١٨٦/٩) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٤٠٩/٣) ، وروح المعاني (١٨٣/١١) ، ومحاسن التأويل (٣٣٩١/٨) ، وتفسير القرآن الحكيم (٤٠٢/١١) ، والتحرير والتنوير (٢٧٨/١١) .

(8) ينظر : مفاتيح الغيب (٢٩٧/٦) ، والجواهر الحسان (١١٠/٢) .

وذكره مكي ، وأبوحيان ، والسمين بصيغة (قيل) [1] . وكذا القرطبي ثم احتمله[2].

واستُدِلَّ لهذا القول بأن ذِكْرَ البدن دليل على عدم الروح [3] .

قال ابن جرير الطبري : « فإن قال قائل : وما وجه قوله : ﴿ بِبَدَنِكَ ﴾؟ وهل كان يجوز أن ينجّيه بغير بدنه ، فيحتاج الكلام إلى أن يقال فيه : ﴿ بِبَدَنِكَ ﴾؟ قيل : كان جائزًا أن ينجّيه بهيئته حيًّا كما دخل البحر، فلما كان جائزًا ذلك ، قيل :﴿ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ ﴾؛ ليعلم أنه ينجيه بالبدن بغير روح ، ولكن ميتًا »[4] .

وأما القول الآخر في معنى ﴿ بِبَدَنِكَ ﴾ وهو : بدرعك ، وأنه كانت لفرعون دِرْعٌ من ذَهَبٍ يُعْرَفُ بها ، فهو قول رُوِيَ عن أبي صخر [5] ، وأبي موسى بن سالم [6] . ونسب إلى ابن عباس [7] ، ومحمد بن كعب [8] ، وابن الأنباري [9] .

وذهب إليه مكي ، ومحمود النيسابوري ، وأبوحيان ، والسمين [10]. وقدَّمه ابن عطية[11] .

---

(1) ينظر : مشكل إعراب القرآن (٣٥٣/١) ، والبحر المحيط (١٨٩/٥) ، والدر المصون (٢٦٥/٦) .

(2) ينظر : الجامع لأحكام القرآن (١١/ ٤٩) .

(3) ينظر : زاد المسير لابن الجوزي (٤/ ٦١) .

(4) ينظر : جامع البيان (١٢/ ٢٨٣) .

(5) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٩٨٤/٦) رقم (١٠٥٧١) من طريق مفضل بن فضالة ، عنه قال : البدن : الدرع الحديد . وزاد نسبته السيوطي في الدر المنثور (٣٨٨/٤) إلى أبي الشيخ .

(6) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٩٤٨) رقم (١٠٥٧٢) .

(7) ينظر : الوسيط للواحدي (٥٥٨/٢) ، ومفاتيح الغيب للرازي (٢٩٧/٦) ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٤٨/١١) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٦٠٨/٣) ، والبحر المحيط لأبي حيان (١٨٩/٥) .

(8) نسبه السيوطي في الدر المنثور (٣٨٨/٤) لابن الأنباري . وينظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٤٨/١١) .

(9) ينظر : المصدر الأخير .

(10) ينظر : تفسير المشكل (١٩٥) ومشكل إعراب القرآن (٣٥٣/١) ، وإيجاز البيان (٣٢٣/١) ، والبحر المحيط (١٨٩/٥) ، والدر المصون (٢٦٤/٦) .

(11) ينظر : المحرر الوجيز (٢١٥/٧) .

وذكره النحاس، والكرماني، والبغوي، والخازن، والقمي، والسيد محمد رشيد رضا بصيغة (قيل) [1] .

قال الأخفش : « وليس قولهم : إن البدن ها هنا الدرع بشئ ، ولا له معنى »[2] .

وقال النحاس : « وليس قول من قال : ﴿ بِبَدَنِكَ ﴾ بدرعك بشيءٍ »[3] .

واستدلوا له بأن من معاني البدن في اللغة إطلاقه على الدرع القصيرة .

قالوا : ومنه قول عمرو بن معد يكرب :

ومضى نساؤهم بكل مُفَاضةٍ جَدْلاَءَ سابغةٍ وبالأبدان [4]

وقوله أيضًا :

أَعاذِلُ شِكّتي بدني وسيفي وكُلُّ مُقَلِّصٍ سَلِسِ القِيادِ [5]

ومنه قول الآخر :

ترى الأبدان فيها مُسْبَغَاتٍ على الأبطال واليَلَبَ الحصينا [6]

وقول الأعشى :

وبيضاءَ كالنّهْي مَوْضُونَةً لها قَوْنَسٌ فوق جَيْب البَدَنْ [7]

فالبدن في هذه الأبيات المراد به الدرع .

---

(1) ينظر : معاني القرآن الكريم (٣١٥/٣) ، وغرائب التفسير وعجائب التأويل (٤٩٤/١) ، ومعالم التنزيل (٣٧٧/٢) ، ولباب التأويل (٣٠٩/٢) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٦٠٨/٣) ، وتفسير القرآن الحكيم (٤٠٢/١١) .

(2) ينظر : معاني القرآن (٣٤٨/٢) .

(3) ينظر : إعراب القرآن (٢٦٨/٢) .

(4) ينظر : الجامع لأحكام القرآن (٤٩/١١) . والمفاضة : الدرع الواسعة ، والجدلاء : المحكمة النسج ، والأبدان: الدروع القصيرة . ينظر : لسان العرب (٢١٢/٧) (فيض) ، (١٠٣/١١) (جدل) ، (٤٩/١٣) (بدن) .

(5) ينظر : البحر المحيط لأبي حيان (١٨٩/٥) ، والدر المصون للسمين (٢٦٥/٦) . والشّكَّةُ : مايلبس من السلاح . والمُقَلِّص : الفرس طويل القوائم منضم البطن . ينظر : لسان العرب (٤٥٢/١٠) (شكك) ، (٨٠/٧) (قلص) .

(6) ينظر : البحر المحيط لأبي حيان (١٨٩/٥) . والبيت لكعب بن مالك . واليلب : جمع يَلَبَة وهي الدروع اليمانية . ينظر : لسان العرب (٨٠٦/١) (يلب) .

(7) ديوان الأعشى (٢٤١/١) . وينظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١١/ ٤٩ – ٥٠) ، أضواء البيان للشنقيطي (٥١٧/٧) .

قالوا : فكذلك هنا في الآية : ﴿ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ ﴾ أي : بدرْعك .

ويؤيد قراءة أبي حنيفة : ﴿ بِأَبْدَانِكَ ﴾ أي : بدروعك على معنى : إرادة الأدراع ؛ لأنه كان يلبس كثيرًا منها خوفًا على نفسه [1] .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن بعض المفسّرين ذكر القولين بـــ (أو) مع تقديم الأول منهم : الزمخشري، والبيضاوي ، والنسفي ، وأبوالسعود [2] .

وذكرهما معًا بصيغة (قيل) : العكبري ، وابن التركماني ، والشوكاني ، والقنوجي[3].

وذكرهما السمعاني دون ترجيح مع تقديم الثاني [4] .

قال ابن كثير : « لا منافاة بينهما »[5] .

وإذا كان ذلك كذلك وكان "البدن" يطلق على بدن الإنسان وعلى الدرع القصيرة ، فلا مانع من أن تكون نجاة فرعون بجسده وعليه درعه جمعًا بين القولين وعدم اطّراح أحدهما، لصحة الإطلاق اللغوي عليهما معًا ، والله تعالى أعلم . غير أن الأَوْلَى والأظهر هنا في معنى الآية هو حمل البدن على معناه المتبادر إلى الذهن وهو الجسد ، وإنما جئ به هنا بعد قوله ﴿ نُنَجِّيكَ ﴾ حتى لا يُتَوهَّم أن نجاته كانت مع حياةٍ ، وإنما المقصود نجاة البدن ميتًا بلا روح ، والله تعالى أعلم .

---

(1) ينظر : الكشاف للزمخشري (١٧٢/٣) ، والبحر المحيط لأبي حيان (١٨٩/٥) ، والدر المصون للسمين (٢٦٥/٦).

(2) ينظر : الكشاف (١٧٢/٣) ، وأنوار التنزيل (٤٤٦/١) ، ومدارك التنزيل (١٧٥/٢) ، وإرشاد العقل السليم (٥٢٦/٢) .

(3) ينظر : التبيان (٦٨٦/٢) ، وبهجة الأريب (٢٦١/١) ،وفتح القدير (٦٥٧/٢- ٦٥٨) ، وفتح البيان (١١٩/٦).

(4) ينظر : تفسير القرآن (٤٠٣/٢) .

(5) تفسير القرآن العظيم (٧/ ٣٩٨) .

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ فَسۡـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقۡرَءُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكَۚ لَقَدۡ جَآءَكَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾

في هذه الآية الكريمة مسألتان :

المسألة الأولى هي :

٢٠- الخلاف في المراد بقوله : ﴿ مِّمَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ﴾ في قوله تعالى :

﴿ فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ فَسۡـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقۡرَءُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكَ ﴾.

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « ﴿ مِّمَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ﴾ قيل : يعني القرآن أو الشرع بجملته ، وهذا أظهر . وقيل : يعني ما تقدّم مِنْ أَنّ بني إسرائيل ما اختلفوا إلاّ من بعد ما جاءهم الحق »[1] .

العرض والمناقشة :

استظهر ابن جُزَيّ في قوله تعالى : ﴿ مِّمَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ﴾ أن المراد بما أنزل الله تعالى إلى النبي < هو الشرع بجملته أو القرآن ، ولا تعارض بينهما . وإلى هذا ذَهب ابن قتيبة ، وثعلب والمبرد، والكرماني ، والبغوي ، والزمخشري ، والرازي ، والقرطبي ، والخازن ، والقمي ، والثعالبي ، والبقاعي ، والشوكاني ، والقنّوجي ، والسيد محمد رشيد رضا ، والسعدي [2] .

واحتمله ابن عطية [3] .

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٩٨) .

(2) ينظر : تأويل مشكل القرآن (٢٧٢) ، وياقوتة الصراط (٢٥٨) ، وغرائب التفسير وعجائب التأويل (٤٩٥/١) ، ومعالم التنزيل (٣٧٨/٢) ، والكشاف (١٧٤/٣) ، ومفاتيح الغيب (٢٩٩/٦، ٣٠٠) ، والجامع لأحكام القرآن (٥٢/١١) ، ولباب التأويل (٣١٠/٢) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٦١٢/٣) ، والجواهر الحسان (١١٢/٢) ، ونظم الدرر (٢٠٥/٩) ، وفتح القدير (٦٦١/٢) ، وفتح البيان (١٢٢/٦- ١٢٣) ، وتفسير القرآن الحكيم (٤٠٤/١١) ، وتيسير الكريم الرحمان (٣٤٢/٢) .

(3) ينظر : المحرر الوجيز (٢١٩/٧) . ثم استبعده بالمعنى قائلا : إن ذلك لا يعرف ويزول الشك فيه إلاّ بأدلة العقل لا بالسماع من مؤمني أهل الكتاب .

ونظّر له الكرماني بقوله تعالى : ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا ﴾ [1] [البقرة :١٣٦].

قال الرازي : « لما ذكر الله تعالى قبلها اختلاف أهل الكتاب ؛ بني إسرائيل عندما جاءهم العلم ، أورد على الرسول > ما يقوّي قلبه في صحة القرآن والنبوّة »[2] .

وأما القول الآخر بأن المراد بما أنزل الله إلى الرسول > هو ما تقدم مِنْ أن بني سرائيل ما اختلفوا إلاّ من بعد ما جاءهم الحقُّ ، فذهب إليه الفراء ، وابن جرير الطبري ، وابن عطية، وابن الجوزي ، والنسفي ، وابن كثير ، وأبوالسعود [3] .

قال ابن عطية : « يريد به : مِنْ أن بني إسرائيل لم يختلفوا في أمره إلاّ من بعد مجيئه ، وهذا قول أهل التأويل قاطبة »[4] .

وذهب الطاهر بن عاشور إلى أن المراد بـــ **مَآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ** هو ما أنزل من القصص في هذه السورة قصة نوح وموسى ... وهي القصص الموافقة لما في كبتهم ؛ فإنهم لا يتحرّجون من إعلانها والشهادة بها [5] .

قال أبوحيان : « والذي أقوله : إنَّ "إنْ" الشرطية تقتضي تعليق شئ على شئ ولا تستلزم تحتم وقوعه ولا إمكانه . بل قد يكون ذلك في المستحيل عقلاً ؛ كقوله تعالى : ﴿ قُلۡ إِن كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡعَٰبِدِينَ ﴾ [الزخرف : ٨١] . ومستحيل أن يكون له ولد فكذلك هذا مستحيل أن يكون في شك ، وفي المستحيل عادةً ؛ كقوله تعالى : ﴿ فَإِنِ ٱسۡتَطَعۡتَ أَن تَبۡتَغِيَ نَفَقٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَوۡ سُلَّمٗا فِي ٱلسَّمَآءِ فَتَأۡتِيَهُم بِـَٔايَةٖ ﴾[الأنعام : ٣٥] أي : فافعل . لكن وقوع إنْ للتعليق على المستحيل قليل . وهذه الآية [فَإِن كُنتَ فِي شَكّٖ مِّمَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ] من

---

(1) ينظر : غرائب التفسير وعجائب التأويل (٤٩٥/١) .

(2) ينظر : مفاتيح الغيب (٢٩٩/٦) .

(3) ينظر : معاني القرآن (٤٧٨/١) ، وجامع البيان (٢٨٦/١٢) ، والمحرر الوجيز (٢١٩/٧) ، وزاد المسير (٦٣/٤)، – وجعله قولين : أنه أنزل إليه أنه رسول الله ، والآخر : أنه مكتوب عندهم في التوراة والإنجيل . وليس بينهما تعارض بل يجمع بينهما بأنه أنزل إليه أنه مكتوب عندهم في التوراة والإنجيل أنه رسول الله – ومدارك التنزيل (١٧٥/٢– ١٧٦) ، وتفسير القرآن العظيم (٤٠٢/٧) ، وإرشاد العقل السليم (٢٢٧/٢) .

(4) المحرر الوجيز (٢١٩/٧) .

(5) التحرير والتنوير (٢٨٤/١١– ٢٨٥) .

ذلك . ولما خفي هذا الوجه على أكثر الناس اختلفوا في تخريج هذه الآية ...»[1] .

فلم يتعرض أبوحيان لقوله ﴿ مِّمَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ﴾ بترجيح ولا للتي بعدها ﴿ ٱلَّذِينَ يَقۡرَءُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكَ ﴾ .

وكذا ابن القيم وقال : « فإذا لم يكن واقعًا ولا ممكنًا فما مقصود الخطاب ، والمراد به؟ قيل : المقصود به إقامة الحجة على منكري النبوات والتوحيد ، وأنهم مقرون لا يجحدونه ولا ينكرونه ، وأن الله أرسل إليهم رسله ، وأنزل عليهم كتبه بذلك ، وأرسل ملائكته إلى أنبيائه بوحيه وكلامه ؛ فمن شكَّ في ذلك فليسأل أهل الكتاب ، فأخرج هذا المعنى في أوجز عبارة وأدلّها على المقصود بأن جعل الخطاب لرسوله الذي لم يشك قط ، ولم يسأل قط ولا عرض له ما يقتضي ذلك . وأنت إذا تأملت هذا الخطاب بدا لك على صفحاته : من شك فليسأل ، فرسولي لم يشك ولم يسأل »[2] .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن الأقرب في المراد بـــ **مَآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ** هو القرآن وما تضمنه من تقرير التوحيد والنبوة ، ويندرج في ذلك علمُ بني إسرائيل بصدق نبينا > وأنه على حق ، مع استحالة شكِّه عليه الصلاة والسلام في ذلك ، والله أعلم .

---

(1) البحر المحيط (٥/ ١٩١) .

(2) بدائع التفسير (٢/٤١٠- ٤١٤) ، وأحكام أهل الذمة (١/ ١٢- ١٥) .

المسألة الثانية هي :

٢١- من المراد بالذين يقرؤن الكتاب من قبل النبي > ؟

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « ﴿ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ﴾ يعني : الذين يقرؤن التوراة والإنجيل . قال السهيلي : هم عبد الله بن سلام ومُخْيِرق ومَنْ أسلم من الأحبار [1] . وهذا بعيد ؛ لأن الآية مكية ، وإنما أسلم هؤلاء بالمدينة . فحملُ الآية على الإطلاق أَولى » [2] .

العرض والمناقشة :

فسّر ابن جُزَيّ قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ بالذين يقرؤن التوراة والإنجيل ، وهم علماء اليهود والنصارى ، يعني : من أسلم منهم ، وحملَ الآية على الإطلاق واستبعد تقييدها بعبد الله بن سلام ونحوه . ووافق في هذا معنى ما رُوِيَ عن ابن عباس[3] ، ومجاهد [4] ، والضحاك [5] .

وعلى هذا المعنى فسَّر ابن أبي زمنين ، والزمخشري ، وابن الجوزي ، والنسفي ، والخازن ، وابن كثير ، والبقاعي ، والآلوسي ، والسيد محمد رشيد رضا ، والمراغي ، والسعدي ، والطاهر بن عاشور[6] .

واستدل له بعموم الآية ، ولأن التخصيص يحتاج إلى دليل .

---

(1) التعريف والإعلام (٧٥) . وينظر : تفسير مبهمات القرآن للبلنسي (١٧/٢) .

(2) التسهيل لعلوم التنزيل (٩٩/٢) .

(3) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٢٨٦/١٢) من طريق ابن جريج ، عنه قال : التوراة والإنجيل ، الذين أدركوا محمدًا > من أهل الكتاب فآمنوا به . يقول : سلهم إن كنت في شك بأنك مكتوب عندهم . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣٨٩/٤) نسبته إلى أبي الشيخ .

(4) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٢٨٧/١٢) من طريق ابن جريج ، عنه قال : هم أهل الكتاب .

(5) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٢٨٧/١٢) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٩٨٦/٦) رقم (١٠٥٨٤) من طريق عُبيد بن سليمان ، عنه قال : أهل التقوى والإيمان من أهل الكتاب ممن أدرك نبيّ الله > .

(6) ينظر: تفسير القرآن العزيز (٢٧٢/٢) والكشاف (١٧٤/٣) وزاد المسير (٦٤/٤) وتذكرة الأريب (٢٤٢/١) ومدارك التنزيل (١٧٦/٢) ولباب التأويل (٣١٠/٢) وتفسير القرآن العظيم (٤٠٢/٧) ونظم الدرر (٢٠٥/٩) وروح المعاني (١٩٠/١١) وتفسير القرآن الحكيم (٤٠٥/١١) وتفسير المراغي (١٥٤/١١) وتيسير الكريم الرحمان (٣٤٢/٢) والتحرير والتنوير (٢٨٤/١١) .

وأما قول السهيلي فهو موافق لما رُوِيَ عن ابن زيد [1] . وعليه مقاتل [2] .

واستبعده ابن جُزَيّ بأن الآية مكية ، وعبد الله بن سلام وأصحابه أسلموا بالمدينة .

قال ابن القيم : « وأين كان عبد الله بن سلام وقت نزول هذه الآية ؟ فإن السورة مكية، وابن سلام إذ ذاك على دين قومه . وكيف يؤمر النبي > أن يستشهد على منكري نبوته بأتباعه ! »[3] .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن الأَولى أن يقال : إن ذِكْرَ عبدِ الله بن سلام وأصحابه إنما هو من باب التفسير بالمثال .

قال ابن قتيبة : « فسل الأكابر من أهل الكتاب والعلماء الذين يقرؤن الكتاب من قبلك ، مثل : عبد الله بن سلام ، وسلمان الفارسي ، وتميم الداري وأشباههم ، ولم يرد المعاندين منهم ، فيشهدون على صدقه ، ويخبرونك بنبوّته »[4] .

وإلى هذا ذهب ابن جرير الطبري ، وثعلب والمبرد ، والواحدي ، والسمعاني ، والبغوي ، وابن عطية ، وابن الجوزي ، والرازي ونسبه للمحققين ، والقرطبي ، والقمي ، والثعالبي ، والشوكاني ، والقنوجي [5] . وذكره أبوالسعود بصيغة (قيل) [6] .

فإذا كان ذلك كذلك فإن الأَولى هو حمل الآية على العموم . ويؤيده القاعدة الترجيحية : (يجب حمل نصوص الوحي على العموم) [7] ، والله تعالى أعلم .

---

(1) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٢٨٦/١٢- ٢٨٧) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٩٨٦/٦) رقم (١٠٥٨٥) . عنه قال : هو عبد الله بن سلام ، كان من أهل الكتاب فآمن برسول الله > .

(2) ينظر : تفسير مقاتل (٢/ ٢٤٨) .

(3) بدائع التفسير (٤١١/٢-٤١٢) . وينظر : روح المعاني للآلوسي (١٩٠/١١) ، وتفسير القرآن الحكيم للسيد محمد رشيد رضا (٤٠٥/١١) .

(4) تأويل مشكل القرآن (٢٧٢) .

(5) ينظر : جامع البيان (٢٨٦/١٢) ، وياقوتة الصراط (٢٥٨- ٢٥٩) ، والوجيز (٥٠٨/١) والوسيط (٥٦٠/٢)، وتفسير القرآن (٤٠٤/٢) ، ومعالم التنزيل (٣٧٨/٢) ، والمحرر الوجيز (٢١٨/٧) ، وزاد المسير (٦٤/٤) ، ومفاتيح الغيب (٣٠١/٦) ، والجامع لأحكام القرآن (٥٢/١١) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٦١٢/٣) ، والجواهر الحسان (١١١/٢) ، وفتح القدير (٦٦١/٢) ، وفتح القنوجي (١٢٢/٦) .

(6) ينظر : إرشاد العقل السليم (٥٢٧/٢) .

(7) قواعد الترجيح عند المفسرين (٢/ ٥٢٧) .

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا
أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ ﴾

٢٢- الخلاف في معنى قوله تعالى : ﴿ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾ . وهل الآية منسوخة بالسيف ؟

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « الهمزة للإنكار . أي : أتريد أنت أن تكره الناس في إدخال الإيمان في قلوبهم وتضطرهم إلى ذلك ؟ وليس ذلك إليك إنما هو بيد الله . وقيل : المعنى : أفأنت تكره الناس بالقتال حتى يؤمنوا أو كان هذا في صدر الإسلام قبل الأمر بالجهاد ثم نسخت بالسيف»[1] .

العرض والمناقشة :

رجَّحَ ابن جُزَيّ في قوله تعالى : ﴿ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾ أن المعنى : أتريد أن تدخل الإيمان في قلوب الناس بالإكراه ؟ إنما إيمانهم بيد الله . ووافق في هذا معنى ما روي عن ابن عباس [2] . وعلى هذا المعنى جمهور المفسّرين منهم : ابن جرير الطبري ، وابن أبي زمنين ، والسمعاني ، والزمخشري ، وابن عطية ، والرازي ، والقرطبي ، والبيضاوي، والنسفي ، والقمي ، وأبوحيان ، وابن كثير ، والثعالبي ، والبقاعي ، وأبوالسعود ، والشوكاني ، والآلوسي ، والقنوجي ، والقاسمي ، والسيد محمد رشيد رضا ، والمراغي ، والسعدي ، والطاهر بن عاشور [3] .

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٩٩) .

(2) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٢٩٨/١٢) من طريق علي بن أبي طلحة ، عنه .

(3) ينظر : جامع البيان (٢٩٩/١٢) ، وتفسير القرآن العزيز (٢٧٤/٢) ، وتفسير القرآن (٤٠٦/٢- ٤٠٧) ، والكشاف (١٧٦/٣) ، والمحرر الوجيز (٢٢٤/٧) ، ومفاتيح الغيب (٣٠٥/٦) ، والجامع لأحكام القرآن (٥٧/١١) ، وأنوار التنزيل (٤٤٨/١) ، ومدارك التنزيل (١٧٧/٢) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٦١٤/٣) ، والبحر المحيط (١٩٣/٥) ، وتفسير القرآن العظيم (٤٠٤/٧- ٤٠٥) ، والجواهر الحسان (١١٣/٢)، ونظم الدرر (٢١٠/٩) ، وإرشاد العقل السليم (٥٢٩/٢) ، وفتح القدير (٦٦٢/٢-٦٦٣) ، وروح المعاني (١٩٣/١١- ١٩٤) ، وفتح البيان (١٢٧/٦) ، ومحاسن التأويل (٣٤٠٠/٨- ٣٤٠١) ، وتفسير

وفي معنى هذه الآية آيات أخرى كقوله تعالى : ﴿ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ [البقرة : ٢٧٢] . وقوله : ﴿ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء : ٣] . وقوله : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ [القصص : ٥٦] . وقوله : ﴿ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴾ [الرعد : ٤٠] وقوله : ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴾ [الغاشية : ٢١- ٢٢] .

إلى غير ذلك من آيات تدل على أن الله تعالى هو الفعّال لما يريد ، الهادي من يشاء بفضله ورحمته ، والمضل من يشاء بعدله وبحكمته . ولهذا قال بعدها : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [1] [يونس :١٠٠] .

وأما القول بأن معنى الآية ﴿ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾ هو : أفأنت تكرههم بالقتال حتى يؤمنوا ، فهو قول ذكره ابن عطية عن فرقة [2] .

وأما القول بأن هذا كان في صدر الإسلام قبل الأمر بالجهاد ثم نسخ ذلك بآية السيف، فقاله مقاتل [3] واختاره الواحدي في الوسيط [4] ، وابن الجوزي في التذكرة [5] .

وذكره ابن عطية عن فرقة ثم قال : « وزعمتْ أن هذه الآية في صدر الإسلام وأنها منسوخة بآية السيف »[6] .

وقال ابن الجوزي : « والصحيح أنه ليس ها هنا نسخ ؛ لأن الإكراه على الإيمان لا

القرآن الحكيم (٤٠٨/١١) ، وتفسير المراغي (١٥٨/١١) ، وتيسير الكريم الرحمان (٣٤٥/٢) ، والتحرير والتنوير (٢٩٣/١١) .

(1) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٠٥/٧) بتصرف يسير . وينظر : محاسن التأويل للقاسمي (٣٤٠١/٨) .

(2) ينظر : المحرر الوجيز (٢٢٤/٧) .

(3) ينظر : تفسير مقاتل (٢/ ٢٥٠) .

(4) ينظر : الوسيط (٢/ ٥٦٠) .

(5) ينظر : تذكرة الأريب (١/ ٢٤٢) .

(6) المحرر الوجيز (٧/ ٢٢٤) .

يصح ؛ لأنه عمل القلب »[1] .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن الصحيح أن الآية محكمة وليس لها علاقة بالقتال وليست منسوخة بآية السيف ، وعلى هذا عامة المفسرين ، والله تعالى أعلم .

(1) زاد المسير (٤/ ٦٧) .

تَرجيحاتُ ابن جُزَيّ

في تفسير سورة هُودٍ

قَالَ تَعَالَى:

﴿ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾ ﴾

١- الخلاف في المراد بالمتاع الحسن في قوله تعالى :

﴿ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ .

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « أي : ينفعكم في الدنيا بالأرزاق والنعم والخيرات . وقيل : هو طيب عيش المؤمن برجائه في الله ورضاه بقضائه ؛ لأن الكافر قد يتمتع في الدنيا بالأرزاق » [1].

العرض والمناقشة :

يرجح ابن جُزَيّ أن المراد بالمتاع الحسن في قوله تعالى : ﴿ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا ﴾ هو النفع في الدنيا بالأرزاق والنعم والخيرات . وروي عن ابن عباس أنه قال في تفسيرها: يمتعكم في الدنيا [2] . ومثله عن ابن مسعود [3] . ورُوِيَ بمعناه عن قتادة [4] .

وإلى هذا ذهب مقاتل، وابن جرير الطبري، والنحاس، والسمرقندي ، والواحدي، والزمخشري، والقرطبي، والنسفي، والبقاعي، والسيوطي، وأبوالسعود، والشوكاني، والقنوجي، والقاسمي، والسيد محمد رشيد رضا، والمراغي، والسعدي، والشنقيطي[5] .

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١٠٠) .

(2) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٩٩٦/٦) رقم (١٠٦٣٩) من طريق عطاء بن السايب ، عن سعيد بن جبير ، عنه.

(3) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٩٩٦/٦) رقم (١٠٦٤٠) من طريق أسباط ، عن السدي ، عن أبي مالك وأبي صالح ، عن ابن عباس ، وعن مرة الهمذاني ، عن ابن مسعود .

(4) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣١٣/١٢) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٩٩٧/٦) رقم (١٠٦٤١) من طريق يزيد ، عن سعيد ، عنه .

(5) ينظر : تفسير مقاتل (٢٧١/٢) ، وجامع البيان (٣١٣/١٢) ، وإعراب القرآن (٢٧٢/٢) ، وبحر العلوم (١١٦/٢) ، والوجيز (٥١٢/١) ، والوسيط (٥٦٣/٢) ، والكشاف (١٨٢/٣) ، والجامع لأحكام القرآن (٦٧/١١) ، ومدارك التنزيل (١٨٠/٢) ، ونظم الدرر (٢٢٨/٩) ، وإرشاد العقل السليم (٤/٣-٥) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٤٢٢/٣) ، وفتح القدير (٦٧٢/٢) ، وفتح البيان (١٣٩/٦) ، ومحاسن التأويل

وقدّمه البيضاوي [1] . وهو مفهوم كلام الطاهر بن عاشور [2] .

واستدل لهذا المعنى بالنظائر القرآنية [3] كقوله تعالى : ﴿ وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ ﴾ [هود : ٥٢]

وقوله تعالى : ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴾ [نوح : ١٠ – ١٢] .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [الأعراف : ٩٦] .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ﴾ [المائدة : ٦٦] .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ [الطلاق : ٢-٣] .

وأما ابن عطية فضعّف هذا القول بأن الكفرة يشاركون في ذلك أعظم مشاركة[4].

ويمكن أن يجاب عن هذا بأن متاع الكافر ليس بحسنٍ إذ لم يوصف في القرآن بذلك ، والله أعلم .

وأما القول الآخر في المراد بالمتاع الحسن أنه طيب عيش المؤمن برجائه في الله ورضاه بقضائه ، فعليه السمعاني ، وابن عطية ، والثعالبي [5] . ومال إليه الرازي [6] .

(٣٤٠٩/٨) ، وتفسير القرآن الحكيم (٩/١٢) ، وتفسير المراغي (١٦٩/١٢) ، وتيسير الكريم الرحمان (٣٥٢/٢) ، وأضواء البيان (٩/٣) .

(1) ينظر : أنوار التنزيل (١/ ٤٥١) .

(2) ينظر : التحرير والتنوير (٣١٧/١١) .

(3) ينظر : أضواء البيان للشنقيطي (٣/ ٩) .

(4) المحرر الوجيز (٧/ ٢٣٦) .

(5) ينظر : تفسير القرآن (٤١٢/٢) ، والمحرر الوجيز (٢٣٥/٧- ٢٣٦) ، والجواهر الحسان (١١٦/٢- ١١٧) .

(6) ينظر : مفاتيح الغيب (٦/ ٣١٦) .

وقدّمه أبوحيان [1] .

وذكره السمرقندي ، والقرطبي ، والقنوجي بصيغة (قيل) [2] .

وعلّله ابن جُزَيّ بأن الكافر قد يتمتع في الدنيا بالأرزاق .

وجوابه : أن الله تعالى ذكر أن الدنيا متاع كما في قوله لأ : ﴿ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ ﴾ [غافر : ٣٩] وغيرها ، ووصفه بأنه متاع الغرور كما في قوله : ﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ [الحديد : ٢٠] وغيرها ، وذكر أن الكفار يتمتعون ووصفه بالقلّة و لم يصفه بالحسن أبدًا ، في آيات كثيرة .

فإذا كان ذلك كذلك فإن المراد بالمتاع الحسن في الآية هو تمتع المؤمنين في الدنيا بما فيها من الأرزاق والنعم والخيرات ، مع طيب عيشهم برجائهم في الله ورضاهم بقضائه .

ويمكن أن يقال : إن الله وعدهم إذا استغفروا الله وتابوا إليه بالمتاع الحسن وهو الرزق في الدنيا والمثوبة في الآخرة ﴿ وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ﴾ فالموعود به أمران : الرزق في الدنيا والمثوبة في الآخرة . وعلى هذا فلا يتجه إيراد ابن عطية .

وعليه فإن الأَولى هو حمل الآية على العموم ؛ لأنه لا تعارض بين القولين عند التأمل.

وإلى الجمع بين القولين ذهب البغوي ، والخازن ، والألوسي [3] .

ويتأيد ذلك بقاعدة (وجوب حمل نصوص الوحي على العموم) [4] ، والله تعالى أعلم.

---

(1) ينظر : البحر المحيط (٥/٢٠١) .

(2) ينظر : بحر العلوم (٢/١١٦) ، والجامع لأحكام القرآن (١١/٦٨) ، وفتح البيان (٦/ ١٣٩) .

(3) ينظر : معالم التنزيل (٢/٣٨٥) ، ولباب التأويل (٢/ ٣١٥) ، وروح المعاني (١١/٢٠٧) .

(4) ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين (٢/ ٥٢٧) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ أَلَآ إِنَّهُمۡ يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ لِيَسۡتَخۡفُواْ مِنۡهُۚ أَلَا حِينَ يَسۡتَغۡشُونَ ثِيَابَهُمۡ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٥ ﴾

٢- الخلاف في معنى قوله تعالى : ﴿ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ ، وما العامل في ﴿ حِينَ ﴾ ؟

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « ﴿ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ ﴾ أي : يجعلونها أغشية وأغطية كراهيةً لاستماع القرآن . والعامل في ﴿ حِينَ ﴾ : ﴿ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ ﴾ . وقيل : المعنى : يريدون أن يستخفوا حين يستغشون ثيابهم . فيوقف عليه على هذا ، ويكون ﴿ يَعْلَمُ ﴾ استئنافًا » [1] .

العرض والمناقشة :

رجَّح ابن جُزَيّ في قوله تعالى : ﴿ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ ﴾ أن معناه : يجعلونها أغشية وأغطية كراهية لاستماع القرآن . والعامل في ﴿ حِينَ ﴾ هو قوله : ﴿ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ ﴾ .

ورُوِيَ هذا المعنى عن قتادة [2] . وذكره ابن الأنباري لكن عند تفسير أول الآية : ﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُواْ مِنْهُۚ ﴾ [3] . وإلى هذا ذهب مقاتل ، والسمرقندي ، والبقاعي [4] . وهو مفهوم كلام القاسمي ، والسيد محمد رشيد رضا ، والمراغي [5] .

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١٠١) .

(2) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣١٩/١٢) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٩٩٩/٦، ٢٠٠٠) رقم (١٠٦٦٤) من طريق يزيد ، عن سعيد ، عنه . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤٠٠/٤- ٤٠١) نسبته إلى ابن المنذر، وأبي الشيخ .

(3) ينظر : زاد المسير لابن الجوزي (٧٧/٤).

(4) ينظر : تفسير مقاتل (٢٧١/٢- ٢٧٢) ، وبحر العلوم (١١٧/٢) ، ونظم الدرر (٢٣٥/٩) .

(5) ينظر : محاسن التأويل (٣٤١٠/٨) ، وتفسير القرآن الحكيم (١٢/١٢) ، وتفسير المراغي (١٧١/١٢) .

وجوّز العكبري أن يكون ﴿ حِينَ ﴾ ظرفًا لـــ ﴿يَعْلَمُ﴾ [1] .

قال أبوحيان : « فعلى هذا يكون ﴿ حِينَ ﴾ معمولاً لقوله ﴿يَعْلَمُ﴾. وكذا قاله الحوفي لا للمضمر الذي قدره الزمخشري ، وهو قوله : يريدون الاستخفاء حين يستغشون ثيابهم » [2] .

وقال السمين : « إن الناصب له [أي : لـــ حِينَ] ﴿يَعْلَمُ﴾ أي : أَلا يعلم سرّهم وعلنهم حين يفعلون كذا ، وهو معنى واضح . وكأنهم إنما جوّزوا غيره ؛ لئلا يلزم تقييد علمه تعالى بسرهم وعَلَنهم بهذا الوقت الخاص ، وهو تعالى عالم بذلك في كل وقت . وهذا غير لازم ؛ لأنه إذا عُلِمَ سرُّهم وعلنهُم في وقت التغشية الذي يخفى فيه السرُّ فأَولى في غيره ، وهذا بحسب العادة وإلاّ فالله تعالى لا يتفاوت علمه »[3].

وإلى كون العامل في ﴿ حِينَ ﴾ هو قوله ﴿يَعْلَمُ﴾ ذهب ابن كثير، والثعالبي، والألوسي ، والطاهر[4] . ومفهوم كلام ابن جرير الطبري يرشد إليه [5] .

وأما القول الآخر في معنى قوله تعالى : ﴿ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ ﴾، وهو أن المعنى : يريدون أن يستخفوا حين يستغشون ثيابهم . فيوقف عليه لتمام المعنى ، ثم يكون قوله: ﴿ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ جملةً استئنافية ، فعليه الزمخشري ، والنسفي ، والقمي، والشوكاني ، والقنّوجي [6] . وهو مفهوم كلام الرازي ، والسعدي [7] .

واختار العكبري أن العامل في الظرف ﴿ حِينَ ﴾ محذوف ؛ أي : ألا حين

---

(1) ينظر : التبيان (٢/ ٦٩٠) .

(2) البحر المحيط (٥/ ٢٠١) .

(3) الدر المصون (٦/ ٢٨٩) .

(4) ينظر : تفسير القرآن العظيم (٤١٣/٧) ، والجواهر الحسان (١١٧/٢) ، وروح المعاني (٢١١/١١) ، والتحرير والتنوير (٣٢٣/١١) .

(5) ينظر : جامع البيان (١٢/ ٣٢٣) .

(6) ينظر : الكشاف (١٨٣/٣) ، ومدارك التنزيل (١٨٠/٢) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٤/ ٧) .

(7) ينظر : مفاتيح الغيب (٣١٨/٦) ، وتيسير الكريم الرحمان (٣٥٢/٢- ٣٥٣) .

يستغشون ثيابهم يستخفون [1] .

ولما ذكر ابن جرير الطبري الخلاف في قراءة قوله تعالى: ﴿ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ ﴾[2] ورجَّح ما أجمع عليه الحُجَّةُ من القرآء قال : « فأَوْلَى التأويلات بتأويل ذلك ، تأويلُ من قال : إنهم كانوا يَفْعلون ذلك جهلاً منهم بالله أنه يخفى عليه ما تُضْمِرُه نفوسُهم ، أو تَنَاجَوْه بينهم . وإنما قلنا : ذلك أَولى التأويلات بالآية ؛ لأن قوله : ﴿ لِيَسْتَخْفُواْ مِنْهُ ﴾ بمعنى : ليستخفوا من الله ، وأن الهاء في قوله : ﴿ مِنْهُ ﴾ عائدة على اسم الله ، ولم يَجْرِ لمحمدٍ ذكرٌ قبلُ فيُجعَلَ من ذكره > ، وهي في سياق الخبر عن الله . فإذ كان ذلك كذلك كانت بأن تكون من ذكر الله أَوْلَى ، وإذا صَحَّ أن ذلك كذلك ، كان معلومًا أنهم لم يحدّثوا أنفسهم أنهم يستخفون من الله إلاّ بجهلهم به ، فلما أخبرهم جل ثناؤه أنه لا يخفى عليه سرُّ أمورهم وعلانيتُها ، على أي حالٍ كانوا ، تَغَشَّوْا بالثياب ، أو ظهروا بالبَراز[3] ، فقال : ﴿ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ ﴾ يعني : يَتَغَشَّوْن ثيابهم ، يَتَغَطَّوْنها ويَلْبَسُون ... ﴿ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ ﴾ يقول جل ثناؤه : يعلم ما يُسِرُّ هؤلاء الجَهلةُ بربهم ، الظانّون أن الله يخفى عليه ما أضمرته صدورهم إذا حَنَوها على ما فيها وثَنَوها ، وما تناجوه بينهم فأخفوه ، ﴿ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ : سواءٌ عنده سرائر عباده وعلانيتهم »[4] .

وقال الزمخشري : « ومعنى ﴿ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ ﴾ : ويزيدون الاستخفاء حين يستغشون ثيابهم – أيضًا – كراهة لاستماع كلام الله تعالى ؛ كقول نوح × : ﴿ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ ﴾ [نوح : ٧] ثم قال : ﴿ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا

---

(1) ينظر : التبيان (٢/ ٦٩٠) .

(2) قرأ عامة القراء : ﴿ يَثْنُونَ ﴾ على تقدير " يَفْعَلُون" من ثَنَيْتُ ، والصدورُ منصوبةٌ . وقرأ ابن عباس : ﴿ ألا إنهم تَثْنَوْنِي صُدُورُهُمْ ﴾ على مثال : تَحْلَوْلِي الثمرةُ ، تَفْعَوْعِلُ . وهي قراءة شاذة . ينظر : جامع البيان (٣١٦/١٢، ٣٢٠) ، والبحر المحيط لأبي حيان (٥/ ٢٠٢) .

(3) البَرَازُ : الفضاء البعيد الواسع ، ليس فيه شجر ولا ستر . اللسان (ب ر ز) .

(4) جامع البيان (٣٢٢/١٢- ٣٢٣) .

﴿ يُعْلِنُونَ ﴾ »[1] .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن الأحسن في المعنى هو ما قدَّمه ابن جُزَيّ مِنْ أنّ قوله تعالى : ﴿ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ يتعلق به الظرفُ ﴿ حِينَ يَسْتَغْشُونَ ﴾ ، ويكون المعنى : أن علم الله قد أحاط بسرِّهم وعلنِهم فلا يظنون أن الله يخفى عليه ما أضمرته صدورهم إذا حَنَوها على ما فيها وثَنَوها كراهةً منهم لاستماع القرآن ، والله أعلم .

(1) الكشاف (١٨٣/٣) . وينظر : الدر المصون للسمين الحلبي (٢٨٩/٦) .

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾

٣- الخلاف في المراد بالإنسان في قوله تعالى :﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴾ .

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « والإنسان عام يراد به الجنس ، والاستثناء على هذا متصل . وقيل : المراد بالإنسان الكافر ، فالاستثناء منقطع » [1] .

العرض والمناقشة :

رجَّحَ ابن جُزَيّ أن الإنسان في قوله تعالى : ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ﴾ عَامٌ يراد به الجنس فيشمل المؤمن والكافر ، والاستثناء متصل في قوله تعالى : ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ .

ووافقه على هذا الفراء ، وابن جرير الطبري ، ومكي ، والزمخشري إلا أنه لم ينصّ على نوع الاستثناء ، وابن عطية ، وابن الجوزي ، والعكبري ، والقرطبي ، والنسفي ، وأبوحيان ، وابن كثير ، والثعالبي ، والبقاعي ، والشوكاني ، والقنوجي ، والقاسمي ، والسيد محمد رشيد رضا ، والمراغي ، والسعدي ، والطاهر بن عاشور [2] .

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١٠١) .

(2) ينظر : معاني القرآن (٢/ ٤-٥) ، وجامع البيان (٣٤١/١٢) ، ومشكل إعراب القرآن (٣٥٦/١) ، والكشاف (١٨٦/٣) ، وتذكرة الأريب (٢٤٥/١) ، والتبيان (٦٩١/٢) ، والجامع لأحكام القرآن (١١/ ٧٨ ، ٨٠) ، ومدارك التنزيل (١٨١/٢) ، والبحر المحيط (٢٠٦/٥) ، وتفسير القرآن العظيم (٤٢٠/٧- ٤٢١) ، والجواهر الحسان (١١٨/٢) ، ونظم الدرر (٢٤٣/٩) ، وفتح القدير (٦٧٧/٢) ، وفتح البيان (١٤٧/٦) ، ومحاسن التأويل (٣٤١٦/٩) ، وتفسير القرآن الحكيم (٢٦/١٢) ، وتفسير المراغي (٨/١٢) ، وتيسير الكريم الرحمان (٣٥٥/٢) ، والتحرير والتنوير (١٢/١٢) .

وقدّمه الرازي ، والبيضاوي [1] . وهو مفهوم كلام ابن القيم [2] . وجوّزه النحاس[3] .

قالوا : الإنسان في الآية بمعنى الجنس ومعنى الجمع ، وهو كقوله تعالى : ﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ [العصر: ١-٣] ولذا جاز استثناء الذين صبروا وعملوا الصالحات من الإنسان .

وقالوا : هذه الآية موافقة لسورة العصر ، ولقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ۝٢١ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴾ [4] [المعارج : ١٩-٢٢] فالإنسان بمعنى الناس [5] .

واصطلاح القرآن من إطلاق لفظ الإنسان أو الناس إنما هو على إرادة الجنس والعموم [6] .

وأما القول الآخر في الإنسان وهو أن المراد به الكافر ، والاستثناء منقطع على هذا، فرُوِيَ عن ابن جريج قال : « كذلك المرءُ المنافق والكافر »[7] . ونسب إلى ابن عباس أنها نزلت في الوليد بن المغيرة [8] .

وقال الواحدي : « نزلت في عبد الله بن أبي أمية المخزومي »[9] .

وإلى هذا القول ذهب الأخفش، والنحاس، وابن أبي زمنين، والواحدي،

---

(1) ينظر : مفاتيح الغيب (٣٢١/٦) ، وأنوار التنزيل (٤٥٣/١) .

(2) ينظر : بدائع التفسير (٤٢٠/٢) ، وعدة الصابرين (٧٣- ٧٤) .

(3) ينظر : معاني القرآن الكريم (٣٣٤/٣) .

(4) ينظر : جامع البيان لابن جرير الطبري (٣٤١/١٢) ، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٢١/٧) .

(5) قاله الفراء . وينظر : إعراب القرآن للنحاس (٢٧٤/٢) ، ومشكل إعراب القرآن لمكي (٣٥٦/١) .

(6) ينظر : التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (١٢/١٢) .

(7) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٤٠/١٢) من طريق حجاج ، عنه . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٠٠٧/٦) من طريق أبي ثور ، عنه . وزاد السيوطي نسبته في الدر المنثور (٤/ ٤٠٥- ٤٠٦) إلى أبي الشيخ .

(8) ينظر : الوسيط للواحدي (٥٦٦/٢) ، وزاد المسير لابن الجوزي (٨٠/٤) .

(9) المصدرين السابقين .

والسمعاني، والبغوي، والخازن، والسيوطي [1] .

وهو قول الزجاج وقال أيضًا : « والإنسان اسم للجنس في معنى الناس »[2] .

ونسبه السمعاني للفراء والزجاج [3] . ونسبته للفراء فيها نظر بل غلط !

وجوّده ابن عطية من جهة اللفظ وضعّفه من جهة المعنى [4] .

وذكره العكبري ، وأبوحيان ، والشوكاني ، والقنّوجي ، والطاهر بن عاشور بصيغة (قيل) [5] .

واستدل لهذا القول بأن " أَلْ " في الإنسان للعهد، والمعهود السابق هو الكافر المذكور في الآية المتقدمة .

وبأن الصفات المذكورة في هذه الآية لا تليق إلاّ بالكافر ؛ لأنه وصفه بكونه يئوسًا وذلك من صفات الكافر ؛ لقوله تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [يوسف : ٨٧] . ووصفه بكونه كفورًا ، وهو تصريح بالكفر .

ووصفه بالجرأة على الله ؛ لقوله عند وجدان الراحة ﴿ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ ﴾ .

ووصفه بكونه فرحًا ، والله لا يحب الفرحين .

ووصفه بكونه فخورًا ، وذلك ليس من صفات أهل الدين [6] .

ويجاب عن وصفه بهذه الصفات بأنها قد توجد في المؤمن ويكون بذلك ضعيف الإيمان وناقصه من غير سلب اسم الإسلام عنه .

وأما الكفر فهو كفر دون كفر ، وكفر النعمة ليس بناقض للإيمان كما هو

---

(1) ينظر : معاني القرآن (٣٥٠/٢) ، ومعاني القرآن الكريم (٣٣٤/٣) ، وتفسير القرآن العزيز (٢٨١/٢) ، والوجيز (٥١٤/١) والوسيط (٥٦٦/٢) ، وتفسير القرآن (٤١٦/٢) ، ومعالم التنزيل (٣٩٠/٢) ، ولباب التأويل (٣١٨/٢)، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٤٢٧/٣) .

(2) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤١) .

(3) ينظر : تفسير القرآن (٢/ ٤١٦) .

(4) ينظر : المحرر الوجيز (٧/ ٢٤٨) .

(5) ينظر : التبيان (٦٩١/٢) ، والبحر المحيط (٢٠٦/٥) ، وفتح القدير (٦٧٧/٢) ، وفتح البيان (١٤٧/٦) ، والتحرير والتنوير (١٢/١٢) .

(6) ينظر : مفاتيح الغيب للرازي (٣٢٢/٦) . وتبعه باختصار القمي في غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٩/٤) .

معروف ، والله أعلم .

وأما ما ذكر من سبب النزول فلو صحَّ فإن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب[1] .

إذا تقرر هذا فإن أَوْلَى القولين في ذلك بالصواب هو ما رجَّحه ابن جُزَيّ ومن وافقه مِنْ أَنَّ الإنسان في قوله تعالى : ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ﴾ يراد به العموم ، و"أَلْ" فيه للجنس والاستثناء متصل ؛ لقوة أدلته وظهورها .

ويؤيده قاعدة (وجوب حمل نصوص الوحي على العموم) [2] وقاعدة (حمل معاني كلام الله على الغالب من أسلوب القرآن ومعهود استعماله أولى) [3] . والله تعالى أعلم .

---

(1) ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين (٢/٥٤٥) .

(2) المصدر السابق (٢/ ٥٢٧) .

(3) المصدر السابق (١/ ١٧٢) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾ ﴾

٤- مَن المخاطِبُ والمخاطَبُ في قوله تعالى :

﴿ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ ﴾ ؟

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « فيها وجهان : أحدهما : أن تكون مخاطبةً من الله للنبيّ > وللمؤمنين . أي : إن لم يستجب الكفار إلى ما دعوتموهم إليه من معارضة القرآن فاعلموا أنه من عند الله . وهذا على معنى : دوموا على علمكم بذلك أو زيدوا يقينًا به . والثاني : أن يكون خطابًا من النبي > للكفار . أي : إن لم يستجب من تدعونه من دون الله إلى شئ من المعارضة ولا قَدَرَ جميعُكم عليه ؛ فاعلموا أنه من عند الله . وهذا أقوى من الأول ؛ لقوله : ﴿ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ » [1].

العرض والمناقشة :

قوّى ابن جُزَيّ أن يكون قوله تعالى : ﴿ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ ﴾ خطابًا من النبيّ > للكفار ؛ لقوله في آخر الآية : ﴿ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ .

وإلى هذا ذهب مقاتل ، والفراء ، وابن قتيبة ، وابن جرير الطبري ، والسمرقندي ، والواحدي ، والرازي ، والنسفي ، وأبوحيان ، والسيوطي ، والألوسي ، والقاسمي ،والسيد محمد رشيد رضا ، والمراغي ، والطاهر بن عاشور [2] . وحسّنه الزمخشري [3] .

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١٠٢) .

(2) ينظر : تفسير مقاتل (٢٧٥/٢) ، ومعاني القرآن (١١/٢) ، وتأويل مشكل القرآن (٢٩٠) ، وجامع البيان (٣٤٥/١٢) ، وبحر العلوم (١١٩/٢) ، والوجيز (٥١٥/١) ، والوسيط (٥٦٧/٢) ، ومفاتيح الغيب (٣٢٦/٦)، ومدارك التنزيل (١٨٣/٢) ، والبحر المحيط (٢٠٩/٥) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٤٣٠/٣) ، ومحاسن التأويل (٣٤١٩/٩) ، وتفسير القرآن الحكيم (٤١/١٢، ٤٢) ، وتفسير المراغي (١٣/١٢) ، والتحرير والتنوير (٢١/١٢- ٢٢) .

(3) ينظر : الكشاف (٣/ ١٨٨) .

وقدّمه ابن عطية [1] . وهو مفهوم كلام السعدي [2] .

وجوّزه محمود النيسابوري ، والبيضاوي ، والبقاعي ، وأبوالسعود [3] .

وذكره القرطبي بصيغة (قيل) [4] . وكذا الشوكاني ثم قال : « وهذا الوجه أقوى من الوجه الأول من جهة وأضعف منه من جهة ، فأما جهة قوته : فلاتساق الضمائر وتناسبها، وعدم احتياج بعضها إلى تأويل . وأما ضعفه : فلما في ترتيب الأمر بالعلم على عدم الاستجابة ممن دعوهم واستعانوا بهم من الخفاء واحتياجه إلى تكلّف »[5].

واستدل لهذا القول بقوله تعالى في آخر الآية : ﴿ فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾

قال الفراء : « وقوله : ﴿ فَٱعۡلَمُوٓاْ ﴾ ليست للنبي > ، إنما هي لكفار مكة ألا ترى أنه قال : ﴿ فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ »[6] .

وهذا القول لا يحتاج إلى إضمار بخلاف الأول ففيه إضمار والتقدير : فقولوا أيها المسلمون للكفار ﴿ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلۡمِ ٱللَّهِ ﴾.

ويدل له عود الضمير إلى أقرب المذكورين وهم الكفار [7] .

ولكون الخطاب يكون لواحد .

ولترتب الجواب على الشرط ترتيبًا حقيقيًا من الأمر بالعلم [8] .

ولأن ضمير الجمع في الآية المتقدمة للكفار والضمير في هذه ضمير جَمْع فليكن لهم أيضًا [9] .

---

(1) ينظر : المحرر الوجيز (٧/ ٢٥٢) .

(2) ينظر : تيسير الكريم الرحمان (٢/ ٣٥٧) .

(3) ينظر : إيجاز البيان (٣٢٧/١) وأنوار التنزيل (٤٥٤/١) ونظم الدرر (٢٥٠/٩) وإرشاد العقل السليم (١٤/٣) .

(4) ينظر : الجامع لأحكام القرآن (١١/ ٨٣) .

(5) فتح القدير (٦٧٩/٢) . وتبعه القنوجي كما في فتح البيان (٦/ ١٥٢) .

(6) معاني القرآن (١١/٢) . وينظر : تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة (٢٩٠) ، والمحرر الوجيز لابن عطية (٢٥٢/٧).

(7) ينظر: مفاتيح الغيب للرازي (٣٢٦/٦) والبحر المحيط لأبي حيان (٢٠٩/٥) وروح المعاني للألوسي (٢٣/١٢) .

(8) ينظر : البحر المحيط (٥/ ٢٠٩) .

(9) ينظر : روح المعاني (١٢/ ٢٣) .

وأما الوجه الأول في الآية وهو أن تكون مخاطبةً من الله للنبي > وللمؤمنين ، فرُوِيَ عن مجاهد أنه كان يقول : عَنى بهذ القول أصحابَ محمد > [1] .

وإليه ذهب محمود النيسابوري ، وابن الجوزي ، والبيضاوي ، وأبوالسعود ، والشوكاني ، والقنوجي [2] . وهو مفهوم كلام ابن كثير [3] . وقدّمه الخازن ، والقمي [4] .

وجوّزه الألوسي [5] . وقال عنه السيد محمد رشيد رضا : « والحق أنه صحيح ولكنه خلاف الظاهر المتبادر »[6] .

إذا تقرر هذا فإن كلا الوجهين صحيح ، والأظهر والأنسب بالسياق واتساق الضمائر هو الوجه الثاني : وهو أن يكون قوله تعالى : ﴿ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ ﴾ مخاطبة من النبي > للكفار ؛ لقوة أدلته وظهورها .

ويؤيده من القواعد الترجيحية : قاعدةُ السياق ، وقاعدةُ توحيد مرجع الضمائر في السياق الواحد أَولى من تفريقها ، وقاعدة عود الضمير إلى أقرب مذكور[7] ، والله تعالى أعلم .

---

(1) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٤٥/١٢) من طريق ابن أبي نجيح ، عنه . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٠١٠/٦) رقم (١٠٧٣٥) من طريق ابن جريج ، عنه . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤٠٦/٤) نسبته لأبي الشيخ .

(2) ينظر : إيجاز البيان (٣٢٧/١) ، وزاد المسير (٨٣/٤) ، وأنوار التنزيل (٤٥٤/١) ، وإرشاد العقل السليم (١٣/٣-١٤) ، وفتح القدير (٦٧٩/٢) ، وفتح البيان (١٥١/٦) .

(3) ينظر : تفسير القرآن العظيم (٧/ ٤٢٢) .

(4) ينظر : لباب التأويل (٣٢٠/٢) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٤/ ١٠) .

(5) ينظر : روح المعاني (١٢/ ٢٢- ٢٣) .

(6) تفسير القرآن الحكيم (١٢/ ٤٢) .

(7) ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين (١٢١/١، ٦١٣ ، ٦٢١) .

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾

٥- الخلاف فيمن نزلت هذه الآية الكريمة : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا ﴾ الآية .

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « نزلت في الكفار الذين يريدون الدنيا ولا يريدون الآخرة، إذْ هم لا يصدّقون بها ، وقيل : نزلت في أهل [الرّياء] [1] من المؤمنين الذين يريدون بأعمالهم الدنيا حسبما ورد في الحديث في القارئ[2] والمنفق والمجاهد ، الذين أرادوا أن يقال لهم ذلك ، إنهم أول من [تُسَجَّر] [3] بهم النار . والأول أرجح ؛ لتقدم ذكر الكفار المناقضين للقرآن ، فإنما[4] قصد بهذه الآية أولئك » [5] .

العرض والمناقشة :

رجَّحَ ابن جُزَيّ أن قوله تعالى : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا ﴾ الآية أنها نزلت في الكفار . وروى عطاء ، عن ابن عباس قال : « من كان يريد عاجلٍ الدنيا ولا يؤمن بالبعث والجزاء »[6] .

وقال الضحاك : « نزلت في أهل الشرك »[7] . ونُسِبَ لقتادة [8] ، والحسن [9] .

وإلى هذا القول ذهب النحاس ، وابن أبي زمنين ، والواحدي ، وابن عطية ، ومحمود

---

(1) وقع في المطبوع : الربا . والصحيح ما أثبتُه كما في جميع النسخ ، وهو ظاهر .

(2) جاء في نسخة خطية واحدة : "الغازي" وهو خطأ .

(3) كذا في جميع النسخ ، وفي المطبوع : "تسعَّر".

(4) جاء في نسخة خطية واحدة : "فإنه".

(5) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١٠٢) .

(6) ينظر : زاد المسير لابن الجوزي (٨٤/٤) .

(7) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٠١١/٦) رقم (١٠٧٤٠) من طريق عُبيد بن سليمان ، عنه .

(8) ينظر : المحرر الوجيز لابن عطية (٧/ ٢٥٣) .

(9) ينظر : بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ١١٩) .

النيسابوري ، وابن الجوزي ، والنسفي ، والخازن ، والثعالبي ، وأبوالسعود ، والسيوطي ، والآلوسي ، والقاسمي ، والسيد محمد رشيد رضا ، والمراغي ، والسعدي ، والطاهر بن عاشور [1] . وقدّمه الرازي ، والشوكاني [2] .

وذكره البغوي ، والبيضاوي بصيغة (قيل) [3] .

واستدل له بالسياق ؛ فإنه يقتضي أنها في الكفار ؛ لتقدم ذكرهم ولقوله بعدها : ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ ﴾ [4] .

قال أبوحيان : « والحصر في كينونة النار لهم ظاهر في أن الآية في الكفار ، فإن اندرج أهل الرياء فيها فيكون المعنى في حقهم : ليس يجب لهم أو لا يحق لهم إلاّ النار ؛ كقوله : ﴿ فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ ﴾ [النساء : ٩٣] وجائز أن يتغمّدهم الله برحمته وهو ظاهر قول ابن عباس وابن جبير » [5].

ولأن المؤمن يريد الدنيا والآخرة ، فهو لا يخلو من إرادة خير الاخرة ، وما آمن إلاّ لذلك [6] .

وأما القول الآخر في قوله تعالى : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا ﴾ الآية ، أنها نزلت في أهل الرياء من المؤمنين الذين يريدون بأعمالهم الدنيا ، فهو مُرْوِيٌّ عن ابن عباس[7]،

---

(1) ينظر : معاني القرآن (٣/٣٣٥)، وتفسير القرآن العزيز (٢/٢٨٢)، والوجيز (١/٥١٥)، والمحرر الوجيز (٧/٢٥٤)، وإيجاز البيان (١/٣٢٧)، وتذكرة الأريب (١/٢٤٦)، ومدارك التنزيل (٢/١٨٣) ، ولباب التأويل (٢/٣٢٠) ، والجواهر الحسان (٢/١١٩) ، وإرشاد العقل السليم (٣/١٦) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية٣/٤٣٠) ، وروح المعاني (١٢/٢٥) ، ومحاسن التأويل (٩/٣٤٢١) ، وتفسير القرآن الحكيم (١٢/٤٤) ، وتفسير المراغي (١٢/١٥) ، وتيسير الكريم الرحمان (٢/٣٥٧) ، والتحرير والتنوير (١٢/٢٢- ٢٣) .

(2) ينظر : مفاتيح الغيب (٦/٣٢٧- ٣٢٨) ، وفتح القدير (٢/٦٨٠) .

(3) ينظر : معالم التنزيل (٢/٣٩٢) ، وأنوار التنزيل (١/٤٥٤) .

(4) ينظر : روح المعاني للألوسي (١٢/٢٥)، ومعاني القرآن للنحاس (٣/٣٣٥) ، ومفاتيح الغيب للرازي (٦/٣٢٧)، ولباب التأويل للخازن (٢/٣٢٠) .

(5) البحر المحيط (٥/ ٢١٠) .

(6) ينظر : زاد المسير لابن الجوزي (٤/٨٤) ، والتحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (١٢/٢٣) .

(7) رُوِيَ معناه عن ابن عباس من طريق العوفيين . أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٢/٣٤٧) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/٢٠١٠، ٢٠١١، ٢٠١٣) رقم (١٠٧٣٩) . وينظر : الدر المنثور للسيوطي (٤/٤٠٧) .

ومجاهد[1] ، وسعيد بن جبير [2] . وإليه ذهب البيضاوي ، وابن القيم ، ونسبه لابن عباس في رواية أبي صالح عنه ، ولمجاهد ، وللضحاك ، وقال : « واختاره الفراء »[3] . وقدّمه البغوي [4] . وكأن ابن كثير يميل إليه [5] . وذكره النحاس والسيوطي بصيغة (قيل) [6] .

واستدل لهذا القول بحديث النبي > في النّفر الثلاثة الذين تُسَعَّرُ بهم النار أولاً يوم القيامة، وهم القارئ والمنفق والمجاهد الذين أرادوا أن يقال لهم ذلك فقيل [7] .

قال ابن العربي بعد سياقه لهذا الحديث : « وهذا نَصٌّ في مراد الآية والله أعلم »[8] .

إذا تقرر هذا فإن الأَوْلَى هو حَمْلُ الآية على العموم .

قال ابن الجوزي : « هي عامة في جميع الخلق ، وهذا قول الأكثرين »[9] .

وقال ابن العربي المالكي : « هي عامة في كل مَنْ يَنْوي غير الله بعمله ، كان معه أصل الإيمان، أو لم يكن »[10] .

---

(1) كان يقول مجاهد في هذه الآية : هم أهل الرياء ، هم أهل الرياء . أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٤٨/١٢، ٣٥٠، ٣٥٢- ٣٥٣) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢٠١٢/٦) من طرق ، عنه . وزاد نسبته السيوطي في الدر المنثور (٤٠٧/٤) لأبي الشيخ . وينظر : زاد المسير لابن الجوزي (٨٤/٤) .

(2) نسبه السيوطي في الدر المنثور (٤٠٧/٤) لابن أبي شيبة ، وهناد ، وابن أبي حاتم .

(3) ينظر : أنوار التنزيل (٤٥٤/١) ، وبدائع التفسير (٤٢٠/٢- ٤٢١) .

(4) ينظر : معالم التنزيل (٢/ ٣٩١) .

(5) ينظر : تفسير القرآن العظيم (٧/ ٤٢٢- ٤٢٣) .

(6) ينظر : إعراب القرآن (٢٧٥/٢) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٤٣١/٣) .

(7) رواه أبوهريرة رضي الله عنه مرفوعًا . وأخرجه ابن المبارك في الزهد (٤٦٩) ، ومن طريقه البخاري في خلق أفعال العباد (٢٥٣) ، وأحمد في المسند (٢٩/١٤) رقم (٨٢٧٧) ، ومسلم في صحيحه برقم (١٩٠٥) ، والترمذي في سننه رقم (٢٣٨٢) ، والنسائي في الكبرى – كما في تحفة الأشراف (١١١/١٠) – وابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٥٠/١٢- ٣٥٢) ، وابن خزيمة في صحيحه (٢٤٨٢) ، وابن حبان في صحيحه (الإحسان ، رقم ٤٠٨) ، وأبو الفضل الزهري في حديثه (٦٨٧) والحاكم في مستدركه (٤١٨/١) ، وأبو نعيم في الحلية (١٦٩/٥) ، وينظر : الدر المنثور للسيوطي (٤٠٧/٤) وزاد نسبته لابن المنذر . وينظر : صحيح الترغيب والترهيب (١٣/١) .

(8) أحكام القرآن (٣/ ١٠٥٦) .

(9) زاد المسير (٤/ ٨٤) بتصرف يسير .

(10) أحكام القرآن (٣/ ١٠٥٦) .

وصححه القرطبي [1] ، واستظهره أبوحيان [2] .

وقال القنّوجي : « والحمل على العموم أَولى »[3] .

وسياق ابن جرير الطبري للآثار يدل على أنه يذهب إلى العموم من غير تخصيص لها بقومٍ دون قومٍ ، وهو مفهوم كلامه [4] .

واستشكل هذا الرازي فقال : « وهذا القول مشكل ؛ لأن آخر الآية لا يليق إلاّ بالكافر ولا يليق بالمؤمن »[5] .

وهذا الإشكال مندفع بما ذكره أبوحيان قبلُ ، وبأن المؤمن قد يدخل النار ولكنه لا يخلد فيها ، وهذا أمر مقرر عند أهل السنة والجماعة لا إشكال فيه .

والقول بالعموم هو الصحيح ، ويؤيده قاعدة (حمل نصوص الوحي على العموم واجب) [6]، والله تعالى أعلم .

---

(1) ينظر : الجامع لأحكام القرآن (١١/ ٨٥) .

(2) ينظر : البحر المحيط (٥/ ٢٠٩) .

(3) فتح البيان (٦/ ١٥٣) .

(4) ينظر : جامع البيان (٣٤٦/١٢) .

(5) مفاتيح الغيب (٦/ ٣٢٨) .

(6) ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين (٢/ ٥٢٧) .

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ ﴾

٦- الخلاف في المراد بالشاهد في قوله تعالى : ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ .

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « الضمير في ﴿ وَيَتْلُوهُ ﴾ للبرهان وهو البَيِّنَةُ ، ولمن كان على بينةٍ من ربه . والضمير في ﴿مِّنْهُ ﴾ للرَّبّ تعالى . و﴿ وَيَتْلُوهُ ﴾ هنا بمعنى يَتْبَعُهُ. والشاهد يريد به القرآن . فالمعنى : يَتْبَعُ ذلك البرهان شاهدٌ من الله ، وهو القرآن ، فيزيدُ وضوحُه وتَعْظُمْ دلالتُه . وقيل : إن الشاهد المذكور هنا هو عليُّ بن أبي طالب . ﴿ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ ﴾ أي : ومن قبل ذلك الكتاب الشاهد كتاب موسى ، وهو أيضًا دليل آخر متقدّم . وقد قيل أقوال كثيرة في معنى هذه الآية ، وأرجحها ما ذكرنا » [1] .

العرض والمناقشة :

رجَّح ابن جُزَيّ أن الشاهد في قوله تعالى : ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ ﴾ هو القرآن .

ورُوِيَ هذا عن ابن زيد [2] ، وشَهْر بن حَوْشَب [3] . وقاله الحسين بن الفضل [4] .

واختاره ابن قتيبة ، والزمخشري ، ومحمود النيسابوري ، والرازي ، والنسفي ، وابن تيمية ونَصَرَه بقوّة ، والقُمّي ، وأبوحيان ، وابن كثير ، والبقاعي ، والسيد محمد رشيد

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١٠٣) .

(2) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/٢٠١٥) رقم (١٠٧٦٥) من طريق أصبغ بن الفرج عنه قال : رسول الله > كان على بينة من ربه ، والقرآن يتلوه شاهدًا أيضًا ؛ لأنه من رسول الله > .

(3) ينظر : بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ١٢٠) .

(4) ينظر : معالم التنزيل للبغوي (٢/٣٩٢) ، وزاد المسير لابن الجوزي (٤/٨٦) ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١١/٨٩) ، ولباب التأويل للخازن (٢/٣٢١) ، وقال الآلوسي في روح المعاني (١٢/٢٧) : وهو – كما قال الحسين بن الفضل – الإعجاز في نظمه .

رضا، والمراغي ، والطاهر بن عاشور [1] .

وذكره النحاس ، ومكي ، والقرطبي ، والبلنسي ، وأبوالسعود بصيغة (قيل) [2] .

ويندرج في القول بأن الشاهد هو القرآن ، قولُ من قال : إنه الإعجاز في نظمه أو في إخباره بالغيب . وهذا يرجع إلى القرآن . واختاره أبوالسعود ، والآلوسي ، والشوكاني ، والقنوجي [3] . وبيان اندراجه فيه : أنهما متلازمان .

قال الطاهر بن عاشور : « أي : شاهد من الله وهو القرآن ؛ لأنه لإعجازه المعاندين عن الإتيان بعشر سور مثله كان حُجَّةً على أنه آتٍ من جانب الله »[4] .

قال ابن قتيبة : « وهذا أعجب إليّ ؛ لأنه يقول : ﴿ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ ﴾ يعني التوراة ﴿ إِمَامًا وَرَحْمَةً ﴾ قبل القرآن يشهد له بما قدّم الله فيها من ذكره »[5] .

وقال الرازي : « فالحاصل أنه اجتمع في تقرير صحة هذا الدين أمور ثلاثة : أولها : دلالة البنيات العقلية على صحته . وثانيها : شهادة القرآن بصحته . وثالثها : شهادة التوراة بصحته ، فعند اجتماع هذه الثلاثة لا يبقى في صحته شك ولا ارتياب . فهذا القول أحسن الأقاويل في هذه الآية وأقربها إلى مطابقة اللفظ »[6] .

وقال أبوحيان : « ويدل على أن الشاهد القرآن : ذكرُ قولِه ﴿ وَمِن قَبْلِهِۦ ﴾ أي : ومن قبل القرآن كتاب موسى ، فمعناه : أنه تظافر على هدايته شيئان ؛ كونه على أمر واضح من برهان العقل ، وكونه يوافق ذلك البرهان هذين الكتابين الإلهيين القرآن والتوراة،

---

(1) ينظر : تأويل مشكل القرآن (٣٩٥) ، والكشاف (١٨٩/٣) ، وإيجاز البيان (٣٢٧/١) ، ومفاتيح الغيب (٣٢٩/٦)، ومدارك التنزيل (١٨٣/٢) ، ومجموع الفتاوى (٦٥/١٥- ٧٤ ،٩٠) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (١٢/٤) ، والبحر المحيط (٢١٠/٥، ٢١١) ، وتفسير القرآن العظيم (٤٢٥/٧) ، ونظم الدرر (٢٥٢/٩) ، وتفسير القرآن الحكيم (٤٥/١٢) ، وتفسير المراغي (١٨/١٢) ، والتحرير والتنوير (٢٨/١٢) .

(2) ينظر : معاني القرآن الكريم (٣٣٧/٣) ، ومشكل إعراب القرآن (٣٥٧/١) ، والجامع لأحكام القرآن (٨٩/١١)، وتفسير مبهمات القرآن (٢٤/٢) ، وإرشاد العقل السليم (١٧/٣) .

(3) ينظر : إرشاد العقل السليم (١٦/٣) وروح المعاني (٢٧/١٢) وفتح القدير (٦٨١/٢) وفتح البيان (١٥٧/٦).

(4) التحرير والتنوير (١٢/ ٢٨) .

(5) تأويل مشكل القرآن (٣٩٥) .

(6) مفاتيح الغيب (٦/ ٣٢٩) .

فاجتمع له العقل والنقل »[1] .

وأما القول الآخر بأن الشاهد في قوله تعالى : ﴿ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ ﴾ هو علي بن أبي طالب ، فهو قول رُوِيَ عن علي بن أبي طالب [2] . وبه قال محمد بن علي ، وزيد بن علي[3] .

وتعجّب منه الكرماني [4] .وضعّفه ابن كثير وقال : « لا يثبت له قائل »[5] .

وردّه الآلوسي [6] . وذكره القرطبي ، والبلنسي بصيغة (قيل) [7] .

واستدل له بما روى المنهال ، عن عبّاد بن عبد الله قال : قال علي : « ما في قريش أحد إلاّ وقد نزلت فيه آية ، قيل له : فما نزل فيك ؟ قال : ﴿ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ ﴾»[8].

وبما أخرجه ابن مردويه عنه قال : قال رسول الله > : ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ : (أنا) . ﴿ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ ﴾ قال : (عَلِيّ) [9] .

وهذا معارض بما رواه محمد بن علي بن أبي طالب قال : « قلت لأبي : إن الناس يزعمون في قوله : ﴿ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ ﴾ أنك أنت التالي . قال : وددت أني أنا هو ،

---

(1) البحر المحيط (٥/ ٢١١) .

(2) قال ابن الجوزي في زاد المسير (٨٦/٤) : رواه جماعة عن علي بن أبي طالب .

(3) المصدر السابق .

(4) ينظر : غرائب التفسير وعجائب التأويل (١/ ٥٠٠) .

(5) تفسير القرآن العظيم (٧/ ٤٢٥) .

(6) ينظر : روح المعاني (١٢/ ٢٧- ٢٨) .

(7) ينظر : الجامع لأحكام القرآن (٨٨/١١) ، وتفسير مبهمات القرآن (٢٤/٢) .

(8) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٠١٤/٦- ٢٠١٥) رقم (١٠٧٦٤) . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤٠٩/٤- ٤١٠) نسبته لابن مردويه ، وأبي نعيم في المعرفة ، وابن عساكر . وأخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٥٦/١٢- ٣٥٧) من طريق جابر الجُعْفي ، عن عبد الله بن نُجَيّ ، عن علي . وجابر بن يزيد الجُعْفي ضعيف رافضي . ينظر : التقريب لابن حجر (١٣٧) .

(9) ينظر : الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٤١٠) .

ولكنه لسان محمد > » [1] .

قال ابن أبي حاتم : « وروي عن الحسن ، وقتادة نحو ذلك »[2] .

وقال الآلوسي : « ويكذّبه ما أخرجه ... » وذكر حديث محمد بن علي، عن أبيه[3].

ومن الأقوال في معنى الآية قول من قال : إن الشاهد هو جبريل × ، ورُوِيَ هذا عن ابن عباس [4] ،ومجاهد [5] ، وأبي صالح [6] ، والضحاك [7] ، وعكرمة [8] ، وأبي العالية[9] ، وإبراهيم النخعي [10] ،

---

(1) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٥٣/١٢- ٣٥٤) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢٠١٤/٦) رقم (١٠٧٥٩) ، والطبراني في الأوسط رقم (٦٨٢٨) من طريق قتادة ، عن عروة ، عن محمد بن الحنفية به . وزاد نسبته السيوطي في الدر المنثور (٤١٠/٤) لابن المنذر ، وأبي الشيخ .

(2) تفسير القرآن لابن أبي حاتم (٦/ ٢٠١٤) . وأثر الحسن أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٥٤/١٢، ٣٥٥) من طرق ، عنه قال : لسان رسول الله > الذي كان يتلو القرآن . وأثر قتادة أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣٠٣/١٢) عن معمر ، عنه بنحوه . وأخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٥٤/١٢) من طريق معمر به .

(3) روح المعاني (١٢/ ٢٨) .

(4) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٥٧/١٢) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢٠١٤/٦) رقم (١٠٧٦٠) من طريق يزيد ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن عكرمة ، عنه . وأخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٥٩/١٢) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢٠١٤/٦) رقم (١٠٧٦١) بالإسناد المسلسل بالعوفيين .

(5) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٥٧/١٢، ٣٥٩) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢٠١٤/٦) رقم (١٠٧٦٢) من طريق ليث ، وأيوب ، عنه .

(6) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٥٨/١٢) من طريق إسرائيل ، عن السدي ، عنه . وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٠١٤/٦) عقب الأثر (١٠٧٦٠) .

(7) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٥٨/١٢) من طريق جويبر ، عنه . ومن طريق عُبيد بن سليمان ، عنه. وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٠١٤/٦) عقب الأثر (١٠٧٦٠) .

(8) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٥٩/١٢) . وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٠١٤/٦) عقب الأثر (١٠٧٦٠) .

(9) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٥٩/١٢) . وذكره ابن أبي حاتم ...

(10) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣٠٣/١) ، وابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٥٨/١٢) . وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٠١٤/٦) عقب (١٠٧٦٠) .

ومنصور بن المعتمر [1] ، وعطاء الخراساني [2] .

واختاره مقاتل ، والكلبي ، والفراء ، وابن جرير الطبري ، والزجاج ، والنحاس ، والسمرقندي ، وابن أبي زمنين ، والواحدي وقال : وهو قول أكثر المفسرين ، والسمعاني وقال : وعليه أكثر أهل التفسير ، والكرماني وقال : وهذا قول الجمهور ، وابن الجوزي ، والبلنسي ، والسيوطي [3] .

وقدّمه البغوي وقال : « وهذا قول أكثر أهل التفسير »[4].

قال ابن جرير الطبري : « لدلالة قوله : ﴿ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ ﴾ على صحة ذلك . وذلك أن نبيَّ الله > لم يَقْلُ قبل القرآن كتاب موسى ... ولا يعلم أن أحدًا كان تلا ذلك قبل القرآن ... غير جبريل »[5] .

ويشكل عليه قراءة ﴿ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ ﴾ بالرفع ...

وأجاب ابن جرير عنه بأن ابتداء الخبر عن مجئ كتاب موسى قبل القرآن فرفع بـــ وَمِن قَبْلِهِۦ ..

وردّ هذا القول شيخ الإسلام ابن تيمية قائلاً : « ومن قال : إنه جبريل لم يقل شيئًا من تلقاء نفسه ، بل هو الذي بلّغ القرآن عن الله ، وجبريل يشهد أن القرآن منزل من الله وأنه حق ،كما قال : ﴿ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ

---

(1) ينظر : تفسير القرآن للسمعاني (٢/ ٤١٩) .

(2) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٠١٤/٦) عقب الأثر (١٠٧٦٠) .

(3) ينظر : تفسير مقاتل (٢٧٦/٢) ، وبحر العلوم للسمرقندي (١٢٠/٢) ، ومعاني القرآن (٦/٢) ، وجامع البيان (٣٦٠/١٢) ، ومعاني القرآن وإعرابه (٤٣/٣) ، ومعاني القرآن الكريم (٣٣٦/٣) ، وبحر العلوم (١٢٠/٢) ، وتفسير القرآن العزيز (٢٨٣/٢) ، والوجيز (٥١٦/١) ، والوسيط (٥٦٨) ، وتفسير القرآن (٤١٨/٢) ، وغرائب التفسير وعجائب التأويل (٥٠٠/١) ، وتذكرة الأريب (٢٤٦/١) ، وتفسير مبهمات القرآن (٢٣/٢)، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٤٣٣/٣) .

(4) معالم التنزيل (٢/ ٣٩٢) .

(5) جامع البيان (١٢/ ٣٦٠) .

يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ »[1] [النساء : ١٦٦] .

وقال ابن كثير : « وهو القرآن ، بلّغه جبريل إلى النبي > ، وبلّغه النبي محمد > إلى أمته »[2].

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن الأقرب في المراد بالشاهد في قوله تعالى : ﴿ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ ﴾ أنه القرآن ؛ لأنه الأنسب بالسياق إذ الكلام في القرآن والدلالة على أنه من عند الله لأ، وذكر كتاب موسى دليل على ذلك أيضًا . ويؤيده قاعدة دلالة السياق الترجيحية [3]، والله تعالى أعلم .

---

(1) مجموع الفتاوى (٦٥/١٥). وقد تكلّم عن هذه المسألة بإسهاب بالغ . ينظر: المصدر السابق (٦٢/١٥-١٠٨).

(2) تفسير القرآن العظيم (٧/ ٤٢٥) .

(3) ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين (١/ ١٢٥) .

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ مَثَلُ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ كَٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡأَصَمِّ وَٱلۡبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٢٥ ﴾

٧- الخلاف في معنى المَثَل في قوله تعالى :

﴿ مَثَلُ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ كَٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡأَصَمِّ وَٱلۡبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ ﴾ .

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « ﴿ مَثَلُ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ ﴾ يعني : المؤمنين والكافرين . ﴿ كَٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡأَصَمِّ وَٱلۡبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ ﴾ : شبّه الكفار بالأعمى والأصم ، وشبّه المؤمنين بالبصير والسميع . فهو على هذا تمثيلٌ للمؤمنين بمثالين وتمثيلٌ للكافرين بمثالين . وقيل : التقدير كالأعمى والأصمّ ، والبصير والسميع . فالواو لعطف الصفات . فهو على هذا تمثيل للمؤمنين بمثال واحد وهو مَنْ جمع بين السمع والبصر ، وتمثيل للكفار بمثال واحد وهو من جمع بين العمى والصم » [1] .

العرض والمناقشة :

رجّح ابن جُزَيّ أن التشبيه في قوله تعالى : ﴿ مَثَلُ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ كَٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡأَصَمِّ وَٱلۡبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ ﴾ هو تشبيهان اثنان ؛ شبّه الكفار تشبيهين اثنين بالأعمى وبالأصم ، وشبّه المؤمنين تشبيهين اثنين بالبصير والسميع . ورُوِيَ هذا المعنى عن مجاهد [2] .

وإلى هذا ذهب الثعالبي ، والسيد محمد رشيد رضا [3] ، وقدّمه ابن عطية [4] .

واحتمله الآلوسي [5] ، وجعل التشبيه في الآية اثنين هو كتشبيه امرئ القيس قلوب

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (١٠٣/٢) .

(2) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٧٧/١٢) من طريق ابن أبي نجيح ، عنه . وينظر : زاد المسير لابن الجوزي (٩٣/٤) .

(3) ينظر : الجواهر الحسان (١٢٢/٢) ، وتفسير القرآن الحكيم (٥١/١٢) .

(4) ينظر : المحرر الوجيز (٢٦٨/٧) .

(5) ينظر : روح المعاني (٣٤/١٢) .

الطير بالجَشَنِ والعُنَّابِ ، وذلك في قوله :

كأن قلوبَ الطير رَطْبًا ويابسًا لدى وكْرِها العُنَّابُ والحَشَفُ البالي [1]

قال السمين : « وأصل الكلام : كأن الرطب من قلوب الطير : العُنَّابُ ، واليابسَ منها : الحَشَفُ »[2] .

وأما القول الآخر وهو أن التشبيه واحد ، شبّه الكفار تشبيهًا واحدًا بحال من جمع بين العمى والصم ، وشبّه المؤمنين تشبيهًا واحدًا بحال من جمع بين السمع والبصر ، والواو لعطف الصفات ، فهو قول رُوِيَ معناه عن ابن عباس [3] ، وقتادة [4] ، والضحاك [5] .

قالوا : الأعمى والأصم مثل الكافر ، والبصير والسميع مثل المؤمن . وإلى هذا القول ذهب الفراء ، وأبو عبيدة ، وابن جرير الطبري ، والزجاج ، والنحاس ، والسمرقندي ، وابن أبي زمنين ، والواحدي ، والبغوي ، والقرطبي ، والخازن ، وأبوالسعود ، والسيوطي ، والمراغي [6] .

وهو مفهوم كلام مقاتل ، وابن القيم ، وابن كثير ، والبقاعي [7] ، وقدّمه الآلوسي[8].

---

(1) ديوان امرئ القيس (٣٤) . والحشف البالي : يابس الثمر .

(2) الدر المصون (٦/ ٣٠٧) .

(3) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٧٦/١٢) من طريق حجاج ، عن ابن جريج ، عنه . وزاد السيوطي نسبته إلى أبي الشيخ كما في الدر المنثور (٤١٥/٤) .

(4) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٧٧/١٢) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢٠٢٠/٦- ٢٠٢١) رقم (١٠٨٠٣و ١٠٨٠٤) من طريق يزيد ، عن سعيد ، عنه . وينظر : زاد المسير لابن الجوزي (٩٣/٤) .

(5) ينظر : معاني القرآن الكريم للنحاس (٣/ ٣٤١) .

(6) ينظر : معاني القرآن (٧/٢) ، ومجاز القرآن (٢٨٧/١) ، وجامع البيان (٣٧٧/١٢) ، ومعاني القرآن وإعرابه (٤٦/٣) ، ومعاني القرآن الكريم (٣٤١/٣) ، وإعراب القرآن (٢٧٨/٢) ، وبحر العلوم (١٢٢/٢) ، وتفسير القرآن العزيز (٢٨٥/٢) ، والوجيز (٥١٧/١) ، ومعالم التنزيل (٣٩٥/٢) ، والجامع لأحكام القرآن (٩٦/١١)، ولباب التأويل (٣٢٣/٢) ، وإرشاد العقل السليم (٢٠/٣) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٤٣٧/٣) ، وتفسير المراغي (٢٣/١٢) .

(7) ينظر : تفسير مقاتل (٢٧٨/٢) ، وبدائع التفسير (٤٢٧/٢) ، وإعلام الموقعين (٢٠٣/١- ٢٠٤) ، وتفسير القرآن العظيم (٤٢٩/٧- ٤٣٠) ، ونظم الدرر (٩/ ٢٦٤) .

(8) ينظر : روح المعاني (١٢/ ٣٤) .

قالوا : يدل على أنه تشبيه واحد لكل من الفريقين قوله تعالى : ﴿ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ﴾ ولم يقل : هل يستوون . وذلك أن الأعمى والأصمّ من صفةٍ واحدٍ – وهو من جمع بينهما – والبصير والسميع من صفةٍ واحد – وهو من جمع بينهما – كقول القائل : مررت بالعاقل واللبيب . وهو يعني واحدًا [1] .

قال ابن جرير الطبري : « فالأعمى والأصم والبصير والسميع في اللفظ أربعة ، وفي المعنى اثنان، ولذلك قيل : ﴿ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ﴾ . وقيل : ﴿ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ ﴾ والمعنى : كالأعمى الأصم . وكذلك قيل : ﴿ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ ﴾ والمعنى : البصير السميع، كقول القائل : قام الظريف والعاقل . وهو يَنْعَتُ بذلك شخصًا واحدًا »[2] .

قالوا : فالواو لعطف الصفة على الصفة كقوله : الصابحِ فالغانمِ فالآيب [3]

وكقول الآخر :

إلى الملكِ القَرْمِ وابنِ الهمام وليْثِ الكريهة في المزْدَحَم [4]

قال أبوالسعود : « الأدخل في المبالغة والأقرب إلى ما يشير إليه لفظ المثل والأنسب بما سبق من وصف الكفرة بعدم استطاعة السمع وبعدم استطاعة الأبصار أن يحمل على تشبيه الفريق الأول بمن جمع بين العمى والصم ، وتشبيه الفريق الثاني بمن جمع بين البصر والسمع ، على أن تكون الواو لعطف الصفة على الصفة ...»[5].

وإلى التسوية بين القولين ذهب الشوكاني ، والقنّوجي [6] . وإلى تجويزهما ذهب البيضاوي ، والسمين [7] . وذكرهما الزمخشري وأبوحيان ولم يرجحا بينهما [8] .

---

(1) ينظر : معاني القرآن للفراء (٧/٢) ومجاز القرآن لأبي عبيدة (٢٨٧/١) ومعاني القرآن الكريم للنحاس (٣٤١/٣).

(2) جامع البيان (١٢/ ٣٧٧) .

(3) ينظر : الكشاف للزمخشري (١٩١/٣) ، والدر المصون للسمين (٣٠٧/٦) .

(4) ينظر : البحر المحيط لأبي حيان (٢١٣/٥) والدر المصون للسمين (٣٠٧/٦) وإرشاد العقل السليم لأبي السعود (٢٠/٣) . والقَرْم : الرجل العظيم .

(5) المصدر الأخير .

(6) ينظر : فتح القدير (٦٨٥/٢) ، وفتح البيان (١٦٥/٦) .

(7) ينظر : أنوار البيضاوي (٤٥٦/١) ، والدر المصون (٣٠٦/٦- ٣٠٧) .

(8) ينظر : الكشاف (١٩١/٣) ، والبحر المحيط (٢١٣/٥) .

وأما الطاهر بن عاشور فانفرد بقول لم يسبق إليه – فيما أعلم – فجعله تشبيهين اثنين للكافرين ، وتشبيهًا واحدًا للمؤمنين . قال : « لأن لفريق الكفار حالين كل حال منهما جدير بتشبيهه بصفة من تيتك الصفتين على حدة ، فهم يُشْبهون الأعمى في عدم الاهتداء إلى الدلائل التي طريق إدراكها البصر ، ويُشْبهون الأصمّ في عدم فهم المواعظ النافعة التي طريق فهمها السمع ، فهم في حالتين كلٌّ حال منهما مُشَبَّهٌ به . ففي قوله تعالى : ﴿ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ ﴾ تشبيهان مَفْرُقان ؛ كقول امرئ القيس :

كأن قلوبَ الطير رَطْبًا ويابسًا لدى وكْرِها العُنَّابُ والحَشَفُ البالي

والذي في الآية تشبيه معقولين بمحسوسين ، واعتبار كل حال من حالي فريق الكفار لا محيد عنه ؛ لأن حصول أحد الحالين كافٍ في جرّ الضلال إليهم بَلْه اجتماعهما ، إذ المشبَّهُ بهما أمر عدمي فهو في قوة المنفي . وأما الداعي إلى العطف في صفتي " البصير ، والسميع " بالنسبة لحال فريق المؤمنين بخلاف ما قرّرنا في حال فريق الكافرين ؛ لأن حال المؤمنين تشبه حالة مجموع صفتي " البصير والسميع " ، إذ الاهتداء يحصل بمجموع الصفتين فلو ثبتتْ إحدى الصفتين وانتفت الأخرى لم يحصل الاهتداء إذ الأمران المشبّه بهما أمران وجوديان ، فهما في قوة الإثبات ؛ فتعين أن الكون الداعي إلى عطف " السميع " على " البصير " في تشبيه حال فريق المؤمنين هو المزاوجة في العبارة لتكون العبارة عن حال المؤمنين مماثلة للعبارة عن حال الكافرين في سياق الكلام ، والمزاوجةُ من محسّنات الكلام ، ومرجعُها إلى فصاحته »[1].

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن كل الأقوال صحيحة المعنى وجائزة ومحتملة وممكنة ، لكن الأَولى أن يكون تشبيهًا واحدًا لكل فريق ؛ لأنه الأنسب بالسياق ، وما كان كذلك فهو أَولى بالتقديم[2] ، وهو اختيار الأكثر [3]، والله تعالى أعلم . وإذا كان ذلك كذلك فلا وَجْه لتضعيف ابن جُزَيّ له ، والله أعلم .

---

(1) التحرير والتنوير (١٢/ ٤٢) .

(2) ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين (١/ ١٢٥) .

(3) ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ٩) .

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾

٨- الخلاف في إعراب (بادي الرأي) في قوله تعالى :

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ ﴾ .

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « ﴿ بَادِىَ ٱلرَّأْىِ ﴾[1] أي : أول الرأي من غير نظر ولا تدبير. و ﴿ بَادِىَ ﴾ منصوب على الظرفية ، أصله وقت حدوث أول رأيهم ، والعامل فيه ﴿ ٱتَّبَعَكَ ﴾ على أصح الأقوال . والمعنى : اتبعك الأراذل من غير نظر ولا تثبت [2] . وقيل : هو صفة لـــ ﴿ بَشَرًا مِّثْلَنَا ﴾ أي : غير مثبت في الرأي » [3] .

العرض والمناقشة :

صحّح ابن جُزَيّ أن ﴿ بَادِىَ ٱلرَّأْىِ ﴾ منصوب على الظرفية ، والعامل فيه ﴿ ٱتَّبَعَكَ ﴾ ومعناه : اتبعك الأراذل من غير نَظَرٍ ولا تَثَبُّتٍ .

قال الكلبي : « ظاهر الرأي ، يعني : أنهم يعرفون الظاهر فلا تمييز لهم »[4] .

وإلى هذا القول ذهب مكي ، والسمعاني على قراءة الهمزة ، والكرماني ، والبغوي على القرائتين ، والزمخشري ، وابن الجوزي على قراءة الهمز ، والقرطبي على قراءة الهمز ، والبيضاوي، والنسفي، والخازن ، والقرشي اليماني ، والسمين على قراءة الهمز ، وابن كثير ، والبقاعي ، وأبوالسعود ، والسيوطي ، والشوكاني ، والآلوسي ، والقنوجي ، والقاسمي ، والسيد محمد رشيد

---

(1) في قوله تعالى : ﴿ بَادِىَ ٱلرَّأْىِ ﴾ قراءتان : قراءة أبي عمرو البصري بهمز (بادئ) ، وقراءة باقي السبعة بترك الهمز . ينظر : السبعة لابن مجاهد (٣٣٢) ، وحجة القراءات لابن زنجلة (٣٣٨) ، والكشف (٥٢٦/١) ، والتيسير (١٠١) .

(2) وقع في المطبوع وفي بعض النسخ : تشبث ، بالشين . والصواب ما أثبتُّه كما في بعض النسخ .

(3) التسهيل لعلوم التنزيل (١٠٤/٢) .

(4) بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ١٢٣) .

رضا ، والمراغي ، والسعدي ، والطاهر بن عاشور [1] .

واحتمله ابن عطية ، وأبوحيان ، والثعالبي [2] . واحتمله السمين على قراءة ترك الهمز [3] .

وبدأ به النحاس ، والقمي [4] . وذكره الزجاج وجوّزه وقال : « وقراءة أبي عمرو على هذا التفسير الثاني ، أي : اتبعوك ابتداء الرأي ، أي : حين ابتدأوا ينظرون وإذا فكّروا لم يتبعوك»[5] .

قال مكي : « وإنما جاز أن يكون (فاعل) ظرفًا كما جاز ذلك في (فعيل) نحو قريب وملئ، وفاعل وفعيل يتعاقبان نحو : راحم ورحيم وعالم وعليم ، وحسن ذلك في (فاعل) ؛ لإضافته إلى الرأي ، والرأي يضاف إليه المصدر وينتصب المصدر معه على الظرف ... والعامل في الظرف (بادي) هو قوله : ﴿ ٱتَّبَعَكَ ﴾ »[6] .

وقال الكرماني : « والعامل في الظرف ﴿ ٱتَّبَعَكَ ﴾ . وجاز أن يعمل في الظرف ، وإن وقع بعد إلاّ ، ولم يمتنع كما يمتنع : ما أعطيت إلاّ زيدًا ثوبًا ؛ لأن الظرف يعمل فيه معنى الفعل ، وإنْ بَعُدَ »[7] .

وأما القول الآخر في ﴿ بَادِيَ ٱلرَّأْيِ ﴾ بأنه صفة لـــ﴿ بَشَرًا مِّثْلَنَا ﴾، أي صفة لنوح

---

(1) ينظر : مشكل إعراب القرآن (٣٥٨/١- ٣٥٩) ، وتفسير القرآن (٤٢٤/٢) ، وغرائب التفسير وعجائب التأويل (٥٠٣/١) ، ومعالم التنزيل (٣٩٦/٢) ، والكشاف (١٩٣/٣) ، وتذكرة الأريب (٢٤٧/١) ، والجامع لأحكام القرآن (١٠١/١١) ، وأنوار التنزيل (٤٥٦/١) ، ومدارك التنزيل (١٨٥/٢) ، ولباب التأويل (٣٢٤/٢) ، والترجمان عن غريب القرآن (٦٥) ، والدر المصون (٣١٠/٦) ، وتفسير القرآن العظيم (٤٣٠/٧) ، ونظم الدرر (٢٧٠/٩) ، وإرشاد العقل السليم (٢٣/٣) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٤٣٩/٣) ، وفتح القدير (٦٨٨/٢) ، وروح المعاني (٣٨/١٢) ، وفتح البيان (١٦٧/٦) ، ومحاسن التأويل (٣٤٢٨/٩) ، وتفسير القرآن الحكيم (٥٣/١٢) ، وتفسير المراغي (٢٥/١٢) ، وتيسير الكريم الرحمان (٣٦٢/٢) ، والتحرير والتنوير (٤٨/١٢، ٤٩) .

(2) ينظر : المحرر الوجيز (٢٧٢/٧) ، والبحر المحيط (٢١٥/٥) ، والجواهر الحسان (١٢٢/٢) .

(3) ينظر : الدر المصون (٦/ ٣١٠) .

(4) ينظر : معاني القرآن الكريم (٣٤١/٣- ٣٤٢) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (١٧/٤) .

(5) معاني القرآن وإعرابه (٤٧/٣) .

(6) مشكل إعراب القرآن (٣٥٩/١) .

(7) غرائب التفسير وعجائب التأويل (٥٠٣/١) . وينظر : روح المعاني للآلوسي (٣٨/١٢) .

× والمعنى : غير مُتَثَبّتٍ في الرأي ، فهو قول احتمله ابن عطية ، وتبعه الثعالبي [1] .

وذكره أبوحيان بصيغة (قيل) [2] .

واختار طائفة من المفسّرين أن معنى ﴿ بَادِيَ ٱلرَّأْيِ ﴾ أي : فيما يبدو ويظهر لنا. أي: لم يتبعك إلاّ أراذلنا ، في ظاهر الرأي وفيما يظهر لنا ويبدو .

ومنهم : ابن جرير الطبري ، والنحاس [3] .

وذكره الزجاج وقال : « وهذا هو التفسير الأول على قراءة الجمهور »[4] .

فعند الزجاج أن التفسير عليها يكون على نوعين : هذا ، والآخر الذي هو موافق لقراءة أبي عمرو .

واستشهد ابن جرير على هذا القول في معنى ﴿ بَادِيَ ٱلرَّأْيِ ﴾ بأثر ابن عباس في تفسيرها قال : فيما يظهر لنا [5] .

إذا تقرر هذا فإن إعراب ﴿ بَادِيَ ٱلرَّأْيِ ﴾ نصبًا على الظرفية أَوْلى من إعرابها صفةً لـــ ﴿ بَشَرًا مِّثْلَنَا ﴾ ؛ لطول الفصل بين الصفة والموصوف . وهذا هو اختيار جمهور المفسّرين[6] . وأما قول ابن عباس فهو قريب فيما يظهر ، ليس بمدفوع ، والله تعالى أعلم .

---

(1) ينظر : المحرر الوجيز (٢٧٣/٧) ، والجواهر الحسان (٢/ ١٢٢) .

(2) ينظر : البحر المحيط (٥/ ٢١٥) .

(3) ينظر : جامع البيان (٣٧٩/١٢، ٣٨٠) ، ومعاني القرآن الكريم (٣٤٢/٣) .

(4) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤٧) .

(5) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٨١/١٢) من طريق حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراساني ، عنه.

(6) ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ٩) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَيَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾

٩- الخلاف في عائد ضمير ﴿ يَقُولُونَ ﴾ و ﴿ ٱفْتَرَىٰهُ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ﴾ الآية .

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « الضمير في ﴿ يَقُولُونَ ﴾ لكفار قريش ؛ وفي ﴿ ٱفْتَرَىٰهُ ﴾ لمحمد ﷺ . وهذا قول جميع المفسّرين [1] . واختار ابن عطية أن تكون في شأن نوح ﷺ ، فيكون الضمير في ﴿ يَقُولُونَ ﴾ لقوم نوح ، وفي ﴿ ٱفْتَرَىٰهُ ﴾ لنوح؛ لئلا يعترض ما بين قصة نوح بغيرها [2] . وهو بعيد »[3] .

العرض والمناقشة :

رجَّحَ ابن جُزَيّ أن الضمير في ﴿ يَقُولُونَ ﴾ لكفار قريش ، وفي ﴿ ٱفْتَرَىٰهُ ﴾ لمحمد ﷺ ، فتكون الآية على هذا القول جملة اعتراضية في أثناء قصة نوح ﷺ .

واختار هذا القول مقاتل ، وابن جرير الطبري ، وابن أبي زمنين ، والماوردي ، والكرماني ، والرازي ، وابن كثير ، والبقاعي ، والسيوطي ، والسيد محمد رشيد رضا ، والمراغي ، والطاهر بن عاشور [4] .

وذكره أبوحيان بصيغة (قيل) [5] . واستبعده الآلوسي [6] .

---

(1) يُحمل قوله هذا على ما قبله من المفسّرين .

(2) ينظر : المحرر الوجيز (٧/ ٢٨٢) .

(3) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١٠٤) .

(4) ينظر : تفسير مقاتل (٢/٢٨٠-٢٨١) ، وجامع البيان (٣٨٩/١٢) ، وتفسير ابن أبي زمنين (٢٨٧/٢) ، والنكت والعيون (٤٦٨/٢) ، وغرائب التفسير وعجائب التأويل (٥٠٤/١) ، ومفاتيح الغيب (٣٤٣/٦) ، وتفسير القرآن العظيم (٤٣٣/٧) ، ونظم الدرر (٢٨٠/٩-٢٨١) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٤٤٣/٣) ، وتفسير القرآن الحكيم (٦٠/١٢-٦١) ، وتفسير المراغي (٣٢/١٢) ، والتحرير والتنوير (٦٣/١٢).

(5) ينظر : البحر المحيط (٥/ ٢٢٠) .

(6) ينظر : روح المعاني (٤٨/١٢) .

قال السيد محمد رشيد رضا ما حاصله : « الجمل الاعتراضية أسلوب معهود في القرآن، كآيتي الوصية بالوالدين في أثناء موعظة لقمان لابنه [سورة لقمان : ١٤-١٥] ، وكذلك الآيات [٥٣ – ٥٦ من سورة طه] قالوا : إنها معترضة في المحاورة بين موسى عليه السلام وفرعون عليه اللعنة . وللجمل والآيات المعترضة في القرآن حكم وفوائد يقتضيها تكوين الخطاب لتنبيه الأذهان ، ومَنْع السآمة وتجديد النشاط في الانتقال ، والتشويق إلى سماع بقية الكلام . فمن المتوقع هنا أن يخطر في بال المشركين عند سماع ما تقدّم من هذه القصة أنها مفتراه كما زعموا لاستغرابهم هذا السبك في الجدال والقوة في الاحتجاج ، وأن يصدّهم هذا عن استماع بقيتها ، فيكون إيراد هذه الآية تحديدًا للردّ عليهم ولنشاطهم ، وأعظم بوقعها في قلوبهم إذا كان هذا الخاطر عرض لهم عند سماع ما تقدّم من القصة . فما قاله مقاتل له وجْهٌ وَجيهٌ من وجهة الأسلوب الخاص بالقرآن ، وهو أقرب إلى تعبيرها عن الإنكار بيقولون وعن الردّ عليهم بقل الدالّين على الحال ، وأبعد عن سياقٍ حكي كُلُّه بفعل الماضي من الجانبين (قالوا ...قال) وهو سياق قصة نوح × ، ولكنه ليس قطعيًا وإنما هو الأرجح عندي ، وعليه ابن جرير ، ومقابله ضعيف ، وهو لجمهور المفسرين »[1] .

وقال الطاهر بن عاشور : « جملة معترضة بين جملة أجزاء القصة وليست من القصة ، ومن جعلها منها فقد أبعد . وهي تأكيد لنظيرها السابق في أول السورة ... »[2] . يعني قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ﴾ الآية [هود : ١٣].

وأما ما اختاره ابن عطية من أن الآية في شأن نوح × ، فيكون ضمير ﴿يَقُولُونَ﴾ لقوم نوح ، وضمير ﴿ٱفْتَرَىٰهُ﴾ لنوح × ، فهو قول نُسب إلى ابن عباس [3] . وقاله الكلبي [4] .

---

(1) تفسير القرآن الحكيم (١٢/٦٠-٦١) بتصرف يسير .

(2) التحرير والتنوير (١٢/٦٣) .

(3) ينظر : غرائب التأويل وعجائب التفسير للكرماني (١/٥٠٤) ، ومعالم التنزيل للبغوي (٢/٣٩٨) ، وإرشاد العقل السليم لأبي السعود (٣/٢٨) ، وروح المعاني للآلوسي (١٢/٤٨-٤٩) .

(4) ينظر : بحر العلوم للسمرقندي (٢/١٢٥) .

واختاره الواحدي ، والقرطبي ، والخازن ، والقمي ، وأبوحيان ، والثعالبي ، والشوكاني ، والآلوسي ، والقنّوجي [1] .

ونسبه الخازن ، والقمي لأكثر المفسّرين . ونسبه للجمهور الآلوسي ، وكذا السيد محمد رشيد رضا مع تضعيفه له كما سبق .

واستغربه الكرماني [2] . واستبعده الرازي جدًا مع نسبته لأكثر المفسّرين [3] .

قال ابن عطية : « أن تكون في شأن نوح × ؛ ليبقى اتساق الآية مُطّردًا ، ويكون الضمير في قوله : ﴿ ٱفۡتَرَىٰهُۖ ﴾ عائدًا إلى العذاب الذي توعّدهم به ، أو على جميع أخباره ، وأوقع الافتراء على العذاب من حيث يقع على الإخبار به ، والمعنى : أم يقول هؤلاء الكفرة: افترى نوح هذا التوعُّد بالعذاب وأراد الإرهاب علينا بذلك . ثم يطّرد باقي الآية على هذا »[4] .

وقال القرطبي : « لأنه ليس قَبْله ولا بعده إلاّ ذكر نوح وقومه ، فالخطاب منهم ولهم»[5].

وإلى التسوية بين القولين ذهب القاسمي [6] . واحتملهما معًا السعدي [7] .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن السياق يدلُّ على أن قوله تعالى : ﴿ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ إِنِ ٱفۡتَرَيۡتُهُۥ فَعَلَيَّ إِجۡرَامِي وَأَنَا۠ بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُجۡرِمُونَ ﴾ هو في شأن قصة نوح × مع قومه (وإدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أَولى من الخروج به عن ذلك) [8] .

---

(1) ينظر : الوسيط (٥٧٢/٢) ، والجامع لأحكام القرآن (١٠٧/١١) ، ولباب التأويل (٣٢٥/٢) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (١٩/٤) ، والبحر المحيط (٢٢٠/٥) ، والجواهر الحسان (١٢٤/٢) ، وفتح القدير (٦٩٢/٢) ، وروح المعاني (٤٩/١٢) ، وفتح البيان (١٧٤/٦) .

(2) ينظر : غرائب التأويل وعجائب التفسير (١/ ٥٠٤) .

(3) ينظر : مفاتيح الغيب (٣٤٣/٦) .

(4) المحرر الوجيز (٢٨٢/٧- ٢٨٣) بتصرف يسير .

(5) الجامع لأحكام القرآن (١٠٧/١١) .

(6) ينظر : محاسن التأويل (٣٤٣٤/٩) .

(7) ينظر : تيسير الكريم الرحمان (٣٦٥/٢- ٣٦٦) .

(8) قواعد الترجيح عند المفسرين (١٢٥/١) .

غير أن هناك من الآيات ما يدل على أن هذه الآية معترضة في قصة نوح × ، منها قوله تعالى في سورة هود نفسها : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ ﴾[هود : ١٣] . وقوله تعالى في السورة التي قبلها : ﴿ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ ﴾ [يونس : ٣٧- ٣٨] ، وقوله تعالى في السورة التي بعدها : ﴿ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ [يوسف : ١١١] ، وقوله تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ ﴾[الفرقان : ٤] . وقوله تعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ﴾ [السجدة : ٣] .

وعند التأمل في هذه الآيات يُلْحَظُ أن هذا الأسلوب ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ ﴾ هو وارد في تكذيب قريش للقرآن ، وادّعائهم بأن محمدًا > افتراه على الله . ولما كانت قصة نوح من الأمور الغيبية ، وكان ذكر النبي > لها من الآيات الدالة على صدقه ورسالته ، ذكر الله تعالى تكذيبَ قومه مع البيان التام فقال : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ﴾ أي : أهذا القرآن اختلقه محمد من تلقاء نفسه ؟! [1]

وإذا كان ذلك كذلك فإن قاعدة (حمل كلام الله على الغالب من أسلوب القرآن ومعهود استعماله أَولى) [2] تؤيد هذا القول .

وكلتا القاعدتين من قواعد الترجيح المتعلّقة بالسياق القرآني ، فالله أعلم أيّ القولين أَرْجح .

---

(1) تيسير الكريم الرحمان للسعدي (٢/٣٦٦) .

(2) قواعد الترجيح عند المفسرين (١/ ١٧٢) .

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ﴿٤٠﴾ ﴾

١٠- الخلاف في المراد بالتنور في قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ﴾.

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « والمراد بالتّنور الذي يوقد فيه عند ابن عباس وغيره . ورُوِيَ أنه كان تنورَ آدمَ خلص إلى نوح . وقيل : التنور وجه الأرض » [1] .

العرض والمناقشة :

رجّح ابن جُزَيّ أن المراد بالتنور في قوله تعالى : ﴿ وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ﴾ هو الذي يوقد فيه.

ووافق في هذا معنى ما روي عن ابن عباس [2]، وعطاء [3]، والحسن [4] .

ونُسِبَ لمجاهد[5]. ورَوَى أبو صالح ، عن ابن عباس : أنه تنور آدم عليه السلام ، وهبه الله لنوح [6] .

وهذا قول أكثر المفسّرين وجمهورهم ومنهم : مقاتل، وابن جرير الطبري، والواحدي، والسمعاني، والكرماني، والبغوي، وابن الجوزي، والرازي، والبيضاوي، والخازن، والقمي، وأبوحيان، والثعالبي، والبقاعي، والسيوطي، وأبوالسعود، والآلوسي [7] .

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (١٠٥/٢) .

(2) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٤٠٤/١٢) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢٠٢٩/٦) رقم (١٠٨٦٢) من طريق عطية العوفي ، عنه قال : (تنور أهلك) .

(3) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٠٢٩/٦) رقم (١٠٨٦٣) .

(4) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٤٠٤/١٢) من طريق هشيم ، عن أبي محمد ، عنه .

(5) ينظر : النكت والعيون للماوردي (٤٧٢/٢) ، وزاد المسير لابن الجوزي (١٠٥/٤) .

(6) ينظر : المصدر الأخير .

(7) ينظر : تفسير مقاتل (٢٨٢/٢)، وجامع البيان (٤٠٦/١٢-٤٠٧)، والوجيز (٥٢٠/١)، وتفسير القرآن (٤٢٨/٢)، وغرائب التفسير (٥٠٥/١)، ومعالم التنزيل (٤٠١/٢)، وتذكرة الأريب (٢٤٩/١)، ومفاتيح الغيب (٣٤٦/٦-٣٤٧)، وأنوار التنزيل (٤٥٩/١)، ولباب التأويل (٣٢٧/٢)، وغرائب القرآن (٢١/٤)، والبحر المحيط (٢٢٢/٥)، والجواهر الحسان (١٢٥/٢)، ونظم الدرر (٢٨٥/٩)، وإرشاد العقل السليم (٣٢/٣) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٤٤٨/٣)، وروح المعاني (٥٢/١٢) .

قالوا : هو تنور الخبز ، الذي هو مستوقد النار .

وفسّره الطاهر بن عاشور بأنه « هو الموقد الذي ينضج فيه الخبز . وهو اسم لموقد النار للخبز » [1] .

قال ابن فارس : « الفوْر : الغليان ، والفوّارة : ما يفور من القدر »[2] .

وقال ابن دريد : « التنور : اسم فارسي معرّب لا تعرف له العرب اسمًا غير هذا ، فلذلك جاء في التنزيل ؛ لأنهم خوطبوا بما عرفوا »[3] .

والقول بأن التنور هو الذي يخبز فيه « هو المعروف من كلام العرب ، وكلام الله لا يُوَجَّهُ إلاّ إلى الأغلب الأشهر من معانيه عند العرب »[4] .

قال الرازي : « الأصل حمل الكلام على حقيقته ، ولفظ التنور حقيقة في الموضع الذي يخبز فيه، فوجب حمل اللفظ عليه . ولا امتناعَ في العقل في أن يقال : إن الماء نبع أولاً من موضع معين وكان ذلك الموضع تنورًا »[5] .

وقال الخازن : « وهذا القول أصح ؛ لأن اللفظ إذا دار بين الحقيقة والمجاز كان حمله على الحقيقة أَولى »[6] .

وقال البقاعي : « لأن صرف اللفظ عن ظاهره بغير دليل عبث »[7] .

و أما القول الآخر في المراد بالتنور أنه وَجْهُ الأرض فروي أيضًا عن ابن عباس[8]، وعكرمة [9] .

---

(1) ينظر : التحرير والتنوير (١٢/٧٠، ٧١) .

(2) ينظر : زاد المسير لابن الجوزي (٤/١٠٤) .

(3) المصدر السابق .

(4) جامع البيان لابن جرير الطبري (١٢/٤٠٧) .

(5) مفاتيح الغيب (٦/٣٤٧) .

(6) لباب التأويل (٢/٣٢٧) .

(7) نظم الدرر (٩/٢٨٥) .

(8) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٢/٤٠١) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/٢٠٢٩) رقم (١٠٨٥٨) من طريق العوام بن حوشب ، عن الضحاك ، عنه . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤/٤٢٢) نسبة إلى سعيد بن منصور، وابن المنذر وأبي الشيخ .

(9) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٢/٤٠٢) من طرق عن ابن إدريس ، عن الشيباني عنه . وذكره ابن

ونُسِبَ إلى علي بن أبي طالب ، والزهري [1] . واختاره الواحدي ، وابن كثير ، والمراغي[2].

وذكره البيضاوي بصيغة (قيل) [3] .

واستُدِلَّ له بما قال ابن عباس : « والعرب تسمي وجه الأرض تنورًا » .

وهذا إن ثبت عن ابن عباس وصحَّ عن العرب فإن حمل اللفظ القرآني عليه خلاف الظاهر ، والله أعلم .

وذهب الزجاج إلى أن ذلك كان علامةً لإهلاك القوم سواء كان فَوْرُ الماء من تنورٍ أو من ناحية المسجد أو من وجه الأرض أو في وقت الصبح . وقال : « والجملة : أن الماء فار من الأرض وجاء من السماء قال الله لأ : ﴿ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴾»[4] [القمر: ١١-١٢] .

وتبعه النحاس وقال : « فهذه الأقوال تجتمع في أن ذلك كان علامة »[5] .

ونقل القرطبي كلام النحاس مُقِرًّا له[6]. ومال إليه الشوكاني، وتبعه القنوجي[7].

وذهب بعض المفسّرين إلى أن المراد بقوله : ﴿ وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ﴾ الكناية عن اشتداد الأمر؛ كقولك : حمي الوطيس .

وممن نصر القول بالكناية القاسمي [8] ، وعليه السيد محمد رشيد رضا [9] ، والطاهر ابن

أبي حاتم معلقًا في تفسيره (٢٠٢٩/٦) عقب الأثر (١٠٨٥٨) .

(1) ينظر : زاد المسير لابن الجوزي (١٠٥/٤) .

(2) ينظر : الوسيط (٥٧٣/٢) ، وتفسير القرآن العظيم (٤٣٦/٧) ، وتفسير المراغي (٣٦/١٢) .

(3) ينظر : أنوار التنزيل (١/ ٤٥٩) .

(4) معاني القرآن وإعرابه (٥١/٣) .

(5) معاني القرآن الكريم (٣/ ٣٤٨) .

(6) ينظر : الجامع لأحكام القرآن (١١/ ١١٥) .

(7) ينظر : فتح القدير (٦٩٤/٢) ، وفتح البيان (١٧٩/٦- ١٨٠) .

(8) ينظر : محاسن التأويل (٩/ ٣٤٣٦) .

(9) ينظر : تفسير القرآن الحكيم (١٢/ ٦٣) .

عاشور وقال : « وهذا أحسن ما حكي عن المفسّرين »[1] . واستظهر أن قوله ﴿ وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ﴾ مَثَلٌ لبلوغ الشئ إلى أقصى ما يتحمل مثله ، كما يقال : بلغ السيلُ الزُّبى ، وامتلأ الصاع ، وفاضت الكأس وتفاقم ... فيكون مثل طَما الوادي من قبيل بلغ السيل الزُّبى .

والمعنى : بإن نفاذ أمرنا فيهم وبلغوا من طول مُدّة الكفر مبلغًا لا يغتفر لهم بعدُ كما قال تعالى : ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ﴾[2] [الزخرف : ٥٥] .

وذكره الرازي وردّه بأنه لا حاجة إلى صرف الكلام عن ظاهره [3] .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن الراجح هو ما رجّحه ابن جُزَيّ ومن وافقه ؛ وهو أن التنور في قوله تعالى : ﴿ وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ﴾ هو الذي يخبز فيه ، وهو المعروف من كلام العرب عند الإطلاق (ويجب حمل كلام الله تعالى على المعروف من كلام العرب دون الشاذ والضعيف والمنكر)[4]. كما أن لفظ (ٱلتَّنُّورُ) حقيقة فيه (فيجب حمل نصوص الوحي على الحقيقة)[5] ، وهو اختيار أكثر المفسرين ، والله تعالى أعلم .

---

(1) التحرير والتنوير (١٢/ ٧١) .

(2) ينظر :المصدر السابق .

(3) ينظر : مفاتيح الغيب (٣٤٧/٦) .

(4) قواعد الترجيح (٣٦٩/٢) .

(5) قواعد الترجيح (٣٨٧/٢) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾

فيها مسألتان : الأولى هي :

١١- الخلاف في معنى قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ﴾.

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « أي : ليس من أهلك الذين وعدتك بنجاتهم ؛ لأنه كافر. وقال الزمخشري[1] : لم يكن ابنه ولكنه خانته أمه ، وكان لغير رشده [2]. وهذا ضعيف؛ لأن الأنبياء ‡ قد عصمهم الله من أن تزني نساؤهم ؛ ولقوله :﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ ﴾ »[3] [هود : ٤٢] .

العرض والمناقشة :

رجَّحَ ابن جُزَيّ في قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ﴾ أن معناه : ليس من أهلك الذين وعدتك بنجاتهم ؛ لأنه كافر . وهذا يقتضي أنه ابنه لِصُلْبِه ؛ لقوله تعالى : ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ ﴾ . ووافق في هذا ما رُوِيَ عن ابن عباس أنه قال : هو ابنه ، مابغت امرأة نبيّ قطّ[4].

---

(1) في نسخة خطية واحدة : " وقال الحسن " .

(2) كذا في جميع النسخ "لغير" باللام ، وفي المطبوع : "بغير" . يعني : ابن زنا . وسيأتي تحرير قول الزمخشري .

(3) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١٠٦) .

(4) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣٠٧/٢) ، وابن جرير الطبري في جامع البيان (٤٢٩/١٢) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢٠٣٩/٦) رقم (١٠٩٢٧) من طريق معمر ، عن قتادة ، عن عكرمة ، عنه . وأخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣١٠/١) ومن طريق ابن جرير الطبري في جامع البيان (٤٢٩/١٢) عن الثوري ، عن أبي عامر الهمداني، عن الضحاك بن مزاحم ، عنه . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٠٤٠/٦) من طريق بشر بن عمارة ، عن أبي روق ، عن الضحاك به . وزاد نسبته السيوطي في الدر المنثور (٤٣٨/٤) لابن المنذر ، وأبي الشيخ ، وابن عساكر . وأخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٤٣٢/١٢) من طريق علي بن أبي طلحة ، عنه . وقال ابن عباس : (إن نساء الأنبياء لا يزنين) . نسبه لابن أبي حاتم ، وأبي الشيخ السيوطي في الدر المنثور (٤٣٨/٤) . وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٠٣٨/٦) رقم (١٠٩٢٢) من طريق عاصم الحجوري ، عن ابن

وهو قول ابن مسعود [1] ، وعكرمة [2] ، ومجاهد [3] ، وسعيد بن جبير [4] ، والضحاك [5] ، وأبي بشر [6] ، وميمون ، وثابت بن الحجاج [7] .

وهو اختيار جمهور المفسّرين منهم : مقاتل ، والفراء ، وابن جرير الطبري ، والزجاج وجوّده ، والنحاس ، والسمرقندي ، وابن أبي زمنين ، والواحدي ، والسمعاني ، والكرماني ونسبه لجُلّ المفسّرين ، والبغوي ونسبه للأكثرين ، والباقولي ، وابن عطية ، وابن الجوزي ، والرازي ، والقرطبي ، والنسفي ، ونسبه للجمهور ، والخازن ونسبه لأكثر المفسّرين ، والقمي ، وأبوحيان ، وابن كثير ، والثعالبي ، والبقاعي ، والسيوطي ، والآلوسي ، والقنوجي ، والسيد محمد رشيد رضا ، والطاهر بن عاشور [8]. وهو مفهوم كلام السعدي[9] .

عباس أنه كان يحلف بالله إنه لابنه .

(1) كما في معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٥٥) .

(2) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٤٢٩/١٢) من طريق يزيد ، عن سعيد ، عن قتادة ، عنه .

(3) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٤٣١/١٢) .

(4) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٤٣٠/١٢، ٤٣١) قال : كان ابن نوح ، إن الله لا يكذب . قال : ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ﴾ . قال : وقال بعض العلماء : ما فجرت امرأة نبي قط .

(5) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٤٣٢/١٢) .

(6) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٤٣٠/١٢) عن هشيم ، عنه .

(7) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٤٣٣/١٢) عنهما .

(8) ينظر : تفسير مقاتل (٢٨٤/٢) ، ومعاني القرآن (١٧/٢) ، وجامع البيان (٤٣٣/١٢) ، ومعاني القرآن وإعرابه (٥٦/٣) ، ومعاني القرآن الكريم (٣٥١/٣) ، وبحر العلوم (١٢٩/٢) ، وتفسير القرآن العزيز (٢٩٢/٢) ، والوجيز (٥٢٢/١) ، وتفسير القرآن (٤٣١/٢) ، وغرائب التفسير وعجائب التأويل (٥٠٦/١) ، ومعالم التنزيل (٤٠٦/٢) ، وكشف المشكلات (٥٢٦/١) ، والمحرر الوجيز (٣١٢/٧- ٣١٣) ، وزاد المسير (١١٤/٤) ، وتذكرة الأريب (٢٥٠/١) ، ومفاتيح الغيب (٦/ ٣٥٠، ٣٥٧) ، والجامع لأحكام القرآن (١٣٥/١١) ، ومدارك التنزيل (١٨٨/٢)، ولباب التأويل (٣٣٠/٢) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٢٣/٤) ، والبحر المحيط (٢٢٥/٥-٢٢٦) ، وتفسير القرآن العظيم (٤٤٤/٧) ، والجواهر الحسان (١٢٧/٢) ، ونظم الدرر (٢٨٨/٩) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٤٥٤/٣-٤٥٥) ، وروح المعاني (٥٨/١٢) ، وفتح البيان (١٨٤/٦) ، وتفسير القرآن الحكيم (٧٠/١٢) ، والتحرير والتنوير (٨٥/١٢) .

(9) ينظر : تيسير الكريم الرحمان (٣٦٨/٢- ٣٦٩) .

واستدلّوا له بظاهر القرآن ، فإن الله تعالى أخبر أنه ابنه فقال : ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ ﴾ وقال : ﴿ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا ﴾ [هود : ٤٢] وقال : ﴿ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي ﴾[هود :٤٥] .

وغير جائز أن يخبر أنه ابنه ، فيكون بخلاف ما أخبر [1] .

قال سعيد بن جبير : « كان ابنَ نوحٍ ؛ إن الله لا يكذب ، قال تعالى : ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ ﴾ »[2] .

وذهب بعض العلماء إلى أن تلك الآيات نَصٌّ في الدلالة ، وأن إطلاق اسم الابن عليه حقيقة ، وصرف الكلام عن حقيقته إلى مجازه من غير ضرورة لا يجوز [3] .

قالوا : وليس في قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَ ﴾ دلالةٌ على أنه ليس بابنه ؛ لأنه يحتمل أن يكون معناه : ليس من أهل دينك ، فيحذف الدين ، فيقال : ليس من أهلك كما قيل : ﴿ وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا ﴾ [يوسف : ٨٢] .

ويحتمل أيضًا أن يكون معناه : ليس من أهلك الذين وعدتك أن أنجيهم .

وهذان الاحتمالان نقلهما النحاس وحسّنهما لغةً وقال : « والأول أَولى »[4] .

ويعضّد هذا القول شرفُ النبوة [5] . وهو أَولى من رَمْي زوجة نبيّ بفاحشة [6] .

وصح عن ابن عباس أنه قال : « ما بغت امرأة نبي قط » .

قال الخازن : « وإنما خالف هذا الظاهر مَنْ خالفه ؛ لأنه استبعد أن يكون ولدُ نبيّ كافرًا. وهذا خطأ ممن قاله ؛ لأن الله سبحانه وتعالى خلق خلقه فريق في الجنة – وهم المؤمنون – وفريق في السعير – وهم الكفار – . والله سبحانه وتعالى يخرج الكافر من المؤمن ويخرج المؤمن من الكافر ، ولا فرق في ذلك بين الأنبياء وغيرهم ، فإن الله أخرج قابيل من

---

(1) ينظر : جامع البيان (١٢/ ٤٣٣) .

(2) سبق تخريجه ، وهو في جامع البيان (١٢/٤٣٠، ٤٣١) .

(3) ينظر : مفاتيح الغيب للرازي (٦/٣٥٠) ، ولباب التأويل للخازن (٢/٣٣٠) .

(4) معاني القرآن الكريم (٣/٣٥١) . والقولان منسوبان لابن عباس ، والضحاك ، وأبي بشر ، وسعيد بن جبير . ينظر : جامع البيان (١٢/٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣٢) .

(5) قاله ابن عطية في المحرر الوجيز (٧/ ٣١٢) .

(6) قاله ابن الجوزي في زاد المسير (٤/١١٤) .

صلب آدم × وهو نبيٌّ وكان قابيل كافرًا !! وأخرج إبراهيم وهو نبيٌّ من صلب آزر ، وكان آزر كافرًا »[1] .

وأما القول الآخر في قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ﴾ وهو أنه لم يكن ابنه ، ولكنه خانته أمه ، وكان لغير رشده يعني : ابن زنا ، فهو قول رُوِيَ معناه عن الحسن [2] .

وعن أبي جعفر الباقر قال : « كان ابن امرأته »[3] .

وعن مجاهد في قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾[هود : ٤٦] قال : «تبيّن لنوحٍ أنه ليس بابنه »[4] .

وعن ابن جريج في قوله : ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ ﴾ قال : « ناداه وهو يحسبه أنه ابنُه ، وكان ولد على فراشه »[5] . وبمعناه روي عن عبيد بن عمير [6] .

ونسب لعلي [7] ، وعروة بن الزبير [8] ، وابن سيرين [9] ، والشعبي [10] .

وأما ما نقله ابن جُزَيّ عن الزمخشري فلم أره كذلك في الكشاف !! وهذا نصُّه فيه :

---

(1) لباب التأويل (٣٣٠/٢) .

(2) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣٠٦/٢) ، وابن جرير الطبري في جامع البيان (٤٢٧/١٢) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢٠٣٤/٦) من طريق قتادة ، عنه . وأخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٤٢٦/١٢) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢٠٣٩/٦) من طريق عون ومنصور – زاد الطبري : وابن أبي عروبة – ، عنه . وأخرجاه أيضًا (٤٢٨/١٢) و (٢٠٤٠/٦) من طريق ابن عون وحده ، عنه .

(3) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٤٢٦/١٢) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢٠٣٤/٦) من طريق جابر الجعفي، عنه .

(4) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٤٢٧/١٢، ٤٢٨) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢٠٤٠/٦) رقم (١٠٩٣٠) من طرق ، عنه .

(5) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٤٢٨/١٢) .

(6) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٤٢٨/١٢) قال : نرى أن ما قضى رسول الله > : (الولد للفراش) من أجل ابن نوح . وأخرجه ابن عبد البر في التمهيد (١٩٤/٨) . قال الحافظ في فتح الباري (٣٩/١٢) : وجاء من مرسل عبيد بن عمير وهو أحد كبار التابعين ، أخرجه ابن عبد البر بسند صحيح إليه .

(7) ينظر : الوسيط للواحدي (٥٧٥/٢) .

(8) ينظر : معاني القرآن الكريم للنحاس (٣٥٢/٣) .

(9) ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٥٥) .

(10) ينظر : زاد المسير لابن الجوزي (٤/ ١١٣) .

« أي : بعض أهلي ؛ لأنه كان ابنه من صُلْبِه ، أو كان ربيبًا له فهو بعض أهله »[1] .

فأنت ترى الزمخشري قد قدّم القول الأول بأنه ابنه من صُلْبِه ، وذكر القول الآخر ، وهو مَرْوِيٌّ عن أبي جعفر الباقر كما سبق .

ثم إنه يميل للأول بدليل قوله بعد ذلك : « لما نفاه عن أهله ، نفى عنه صفتهم بكلمة النفي التي يستبقي معها لفظ المنفي ، وآذن بذلك أنه إنما أنجى من أنجى من أهله لصلاحهم ، لا لأنهم أهلك وأقاربك ، وإن هذا لما انتفى عنه الصلاح لم تنفعه أبوّتك ؛ لقوله : ﴿ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ﴾ »[2] [التحريم : ١٠] .

وقال أيضًا : « ولنسبته إلى أُمه وجهان : أن يكون ربيبًا له ؛ كعمر بن أبي سلمة لرسول الله > ، وأن يكون لغير رشدة ، وهذه غضاضة عصمت منها الأنبياء ‡ »[3].

وبهذا يتضح أن الزمخشري لم يقل : إنه كان لغير رشدة ، والله أعلم .

ويفهم من كلام البيضاوي الميلَ إلى أنه كان ربيبَه ، ولم يصرّحْ أنه ابنه لصلبه ، مع نفيه أن يكون لغير رشدة حيث خطّأ هذا القول ، ووجَّهَ الاستدلال من قوله : ﴿ فَخَانَتَاهُمَا ﴾ بأن الأنبياء عصمت من ذلك ، والمراد بالخيانة الخيانة في الدين[4] .

ومثله أبوالسعود[5] ، والشوكاني[6] .

والقول بأنه كان ابن امرأته ذكره النسفي ، والقنّوجي بصيغة (قيل)[7] .

وقال الخازن عن القول بأنه ابن امرأته أو لغير رشدة : « قولان ضعيفان بل باطلان»[8] .

---

(1) الكشاف (٣/ ٢٠٤) .

(2) المصدر السابق (٣/ ٢٠٥) .

(3) المصدر السابق (٣/ ٢٠١) .

(4) ينظر : أنوار التنزيل (١/ ٤٥٩) .

(5) ينظر : إرشاد العقل السليم (٣٤/٣) .

(6) ينظر : فتح القدير (٦٩٦/٢) .

(7) ينظر : مدارك التنزيل (١٨٨/٢) ، وفتح البيان (١٨٤/٦) .

(8) لباب التاويل (٢/ ٣٣٠) .

واستدل القائلون بأنه ليس ابنه بظاهر قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ﴾.

ويجاب عن هذا بأنه قد تطرّق إليه الاحتمال فيسقط به الاستدلال .

قال الزجاج : « وللقائل أن يقول نسبه إليه على الاستعمال »[1] . يعني : نسبه إليه مجازاً ؛ لكونه كان ربيبًا عنده [2] .

كما استدلوا بقوله : ﴿ مِنْ أَهْلِى ﴾ و لم يقل : مني .

وأيَّدوه بقراءة علي : ﴿ ابنها ﴾ والضمير لامرأته .

وبقراءة محمد بن علي ، وعروة بن الزبير : ﴿ ابنَهَ ﴾ بفتح الهاء ، يريدان : ابنها ، فاكتفيا بالفتحة عن الألف [3] .

وأجيب بأنهما قراءتان شاذتان [4] .

وبقوله تعالى : ﴿ فَخَانَتَاهُمَا ﴾ [التحريم : ١٠] .

وأجيب بما قاله ابن عباس لما سئل عنها : « أما إنه لم يكن بالزّنى ولكن كانت هذه تخبر الناس أنه مجنون ، وكانت تدل هذه على الأضياف ، ثم قرأ : ﴿ إنه عَمِلَ غير صالح ﴾»[5].

وقال الكرماني : « وهذا مرغوب عنه ؛ لأن المفسرين عن آخرهم فسروا قوله ﴿ فَخَانَتَاهُمَا ﴾ في الدين لا في الفرج ؛ ولعل لقول الحسن وجهًا خفيًا »[6] .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن الصواب الذي لا شكَّ فيه أنه ابنه لصُلْبِهِ ، وأن قوله تعالى :

---

(1) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٥٦) .

(2) ينظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٧/ ٤٤٤) .

(3) ينظر : المحرر الوجيز لابن عطية (٧/٢٩٩- ٣٠٠) ، والدر المصون للسمين (٦/٣٢٨- ٣٢٩) .

(4) ينظر : البحر المحيط لأبي حيان (٥/ ٢٢٦) .

(5) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١/٣١٠) ، ومن طريقه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٢/٤٣٠) ، والحاكم في مستدركه (٢/٤٩٦) من طرق عن الثوي وابن عيينة ، عن موسى بن أبي عائشة ، عن سليمان بن قَتَّة ، عن ابن عباس .

(6) غرائب التفسير وعجائب التأويل (١/ ٥٠٦) .

﴿ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ﴾ معناه : إنه ابنك لصلبك ليس من أهل دينك وولايتك ، وليس ممن وعدتك بأن أنجيه ؛ لأنه كان كافرًا . وأدلة هذا القول قوية ظاهرة بحمد الله غير مدفوعة.

وأما القول بأنه كان ابن زنية ، فهو خطأ لا تجوز حكايته ، ولا يصحُّ نقله عن الزمخشري ونسبته إليه .

قال ابن كثير : « وقد نصّ غير واحد من الأئمة على تخطئة من ذهب في تفسير هذا إلى أنه ليس بابنه ، وإنما كان ابن زنية »[1] .

وأما القول بأنه كان ربيبَه ، فضعيفٌ .

والحق الذي لا محيد عنه أنه كان ابنه لصلبه . ومما يؤيده من القواعد الترجيحية ما يلي :

ـــ (لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلاّ بدليل)[2] . وظاهر قوله تعالى : ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ ﴾ يدل على ذلك . وهو نصٌّ فيها عند بعض العلماء .

ـــ وإطلاق اسم الابن عليه إطلاق حقيقي (ويجب حمل نصوص الوحي على الحقيقة)[3].

ـــ و(القول الذي يعظم مقام النبوة ولا ينسب إليها ما لا يليق بها أَولى بتفسير الآية)[4] . والله تعالى أعلم .

---

(1) تفسير القرآن العظيم (٧/ ٤٤٤) .

(2) قواعد الترجيح عند المفسرين (١/١٣٧) .

(3) المصدر السابق (٢/٣٨٧) .

(4) المصدر السابق (١/٣٢٨) .

المسألة الثانية هي :

١٢- الخلاف في عائد الضمير في قوله : ﴿إِنَّهُۥ﴾ من قوله تعالى : ﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖ﴾ .

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « فيه ثلاث تأويلات على قراءة الجمهور[1] : أحدها : أن يكون الضمير في ﴿إِنَّهُۥ﴾ لسؤال نوحٍ نجاةَ ابنِه . والثاني : أن يكون الضمير لابن نوح ، وحذف المضاف من الكلام ، تقديره : إنه ذو عمل غير صالح . والثالث : أن يكون الضمير لابن نوح ، وعَمَلٌ مصدرٌ وُصِفَ به مبالغةً ؛ كقولك : رجلٌ صومٌ . وقرأ الكسائي ﴿عَمِلَ﴾ بفعل ماضٍ ﴿غَيۡرَ صَٰلِحٖ﴾ بالنصب [2] ، والضمير ـــ على هذا ـــ لابن نوح بلا إشكال »[3].

العرض والمناقشة :

قدّم ابن جُزَيّ مشعراً بترجيحه له التأويل بأن الضمير في ﴿إِنَّهُۥ﴾ لسؤال نوحٍ نجاةَ ابنه. ورُوِيَ هذا عن ابن عباس [4] ، ومجاهد [5] ، وقتادة [6] ، وإبراهيم النخعي [7] ، والفضيل بن

---

(1) قراءة نافع ، وابن كثير ، وأبي عمرو ، وابن عامر ، وعاصم ، وحمزة : ﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖ﴾ . ينظر : زاد المسير لابن الجوزي (١١٤/٤) والمصادر الآتية .

(2) ينظر : حجة القراءات لابن زنجلة (٣٤١) ، والسبعة لابن مجاهد (٣٣٤) ، والنشر لابن الجزري (٢٨٩/٢) ، وروح المعاني للآلوسي (٦٩/١٢) وهي قراءة يعقوب أيضًا . قال ابن الجوزي في زاد المسير (١١٤/٤) : يشير إلى أنه مشرك .

(3) التسهيل لعلوم التنزيل (١٠٦/٢) .

(4) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٠٤٠/٦) من طريق أبي روق ، عن الضحاك ، عنه . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤٣٨/٤) نسبته إلى أبي الشيخ . وأخرجه الفراء في معاني القرآن (١٧/٢) من طريق الكلبي ، عن أبي صالح ، عنه . وكلاهما سند ضعيف . وأخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٤٣٤/١٢) من طريق علي بن أبي طلحة ، عنه قال : سؤالك عما ليس لك به علم .

(5) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٤٣٤/١٢) من طريق حجاج ، عن حمزة الزيات ، عن الأعمش ، عنه.

(6) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣١٠/١) عن معمر ، عنه . وأخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٤٣٤/١٢) من طريق بشر ، عن يزيد ، عن سعيد ، عنه . وزاد نسبته السيوطي في الدر المنثور (٤٣٨/٤) إلى أبي الشيخ .

(7) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٤٣٣/١٢) من طريق جرير ، عن مغيرة ، عنه .

عياض[1] .

وهذا اختيار الفراء ، والأخفش ، وابن جرير الطبري ، والنحاس ، والسمرقندي ، وابن أبي زمنين ، ومكي ، والواحدي ، والبغوي ، وابن الجوزي ، والخازن ، والسيوطي ، والسعدي [2] . وجوّزه القرطبي [3] .

واستغربه الكرماني [4] . وذكره محمود النيسابوري ، والسيد محمد رشيد رضا بصيغة (قيل)[5] . وقال الأخير : « رواه ابن جرير عن ابن عباس ، وما أُراه يصح عنه » .

قال ابن الجوزي : « وهذا ظاهر ؛ لأنه قد تقدّم السؤال في قوله : ﴿ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِي مِنْ أَهْلِي ﴾ [هود : ٤٥] ، فرجعت الكناية إليه »[6] .

وأيَّدَ هذا القول بقراءة عبد الله بن مسعود : ﴿ إنه عمل غير صالح أن تسألني ما ليس لك به علم ﴾ [7] .

قال أبوحيان : « وقيل : يُرجّح كون الضمير في ﴿ إِنَّهُۥ ﴾ عائدًا على نداء نوح المتضمن السؤال أن في مصحف ابن مسعود ﴿ إنه عمل غير صالح أن تسألني ما ليس لك به علم ﴾ . وقيل : يعود الضمير في هذه القراءة على ركوب ولد نوح معهم الذي تضمّنه سؤال

---

(1) نسبه السيوطي في الدر المنثور (٤٣٩/٤) لأبي الشيخ .

(2) ينظر : معاني القرآن (١٧/٢) ، ومعاني القرآن للأخفش (٣٥٢/٢) ، وجامع البيان (٤٣٦/١٢) ، ومعاني القرآن الكريم (٣٥٥/٣) ، وبحر العلوم (١٢٩/٢) ، وتفسير القرآن العزيز (٢٩٢/٢) ، ومشكل إعراب القرآن (٣٦٦/١-٣٦٧) ، والوجيز (٥٢٢/١) ، والوسيط (٥٧٦/٢) ، ومعالم التنزيل (٤٠٥/٢) ، وتذكرة الأريب (٢٥٠/١) ، ولباب التأويل (٣٣٠/٢) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٣/ ٤٥٥) ، وتيسير الكريم الرحمان (٣٦٩/٢) .

(3) ينظر : الجامع لأحكام القرآن (١٣٤/١١) .

(4) ينظر : غرائب التفسير وعجائب التأويل (٥٠٧/١) .

(5) ينظر : وضح البرهان (٤٣٦/١) ، وتفسير القرآن الحكيم (٧٠/١٢) .

(6) زاد المسير (١١٤/٤) .

(7) ينظر : معاني القرآن الكريم للنحاس (٣٥٥/٣) ، والمحرر الوجيز لابن عطية (٣١٢/٧) .

نوح»[1].

ويؤيد هذا القول ما بعده وهو قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾[2] [هود : ٤٦]

قال السعدي : « دلّ هذا على أن نوحًا ﷺ لم يكن عنده علم بأن سؤاله لربه في نجاة ابنه ، محرم ، داخل في قوله : ﴿ وَلَا تُخَـٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴾ [هود : ٣٧] بل تعارض عنده الأمران ، وظن دخوله في قوله : ﴿ وَأَهْلَكَ ﴾ [هود : ٤٠] وبعد هذا تبيّن له أنه داخل في المنهي عن الدعاء لهم ، والمراجعة فيهم »[3] .

والقول بأن ضمير ﴿ إِنَّهُۥ ﴾عائد على السؤال عدّه أبوحيان تكلفًا وتعسّفًا لا يليق بالقرآن[4].

ونسبه السمين إلى أبي البقاء ، ومكي ، والزمخشري ثم قال : « وهذا فيه خطر عظيم ، كيف يُقال ذلك في حق نبيّ من الأنبياء ، فضلاً عن أول رسول أرسل إلى أهل الأرض من بعد آدم إ ؟ ولما حكاه أبو القاسم قال : "وليس بذاك". ولقد أصاب . واستدل من قال بذلك أن في حرف عبد الله بن مسعود ﴿ إنه عمل غير صالح أن تسألني ما ليس لك به علم ﴾. وهذا مخالف للسواد »[5] .

وقال البلنسي : « وهذا القول غير سديد من وجهين : أحدهما : أن الضمير مهما قُدّر أن يعود على مصرّحٍ به لم يعد على مفهوم ، وقد قدرنا على عوده على الابن ، وفي الكلام حذفُ مضاف تقديره : إنه ذو عمل غير صالح . الثاني : نسبة الخطأ في السؤال لنوح ﷺ وهو احتقارٌ لمنصب النبوة . وما ذكره بعض المفسّرين من نسبة هذا القول لابن عباس والنخعي لا يثبت ، والله أعلم »[6] .

وأما التأويل الثاني وهو أن يكون الضمير عائدًا لابن نوح ، وحذف المضاف من الكلام ،

---

(1) البحر المحيط (٥/٢٢٩) .
(2) ينظر : تفسير القرآن للسمعاني (٢/٤٣٣) .
(3) تيسير الكريم الرحمان (٢/ ٣٦٩) .
(4) ينظر : البحر المحيط (٥/٢٢٩) .
(5) الدر المصون (٦/٣٣٦) .
(6) تفسير مبهمات القرآن (٢/٣١) .

وتقديره: إنه ذو عمل غير صالح ، فهو اختيار الكرماني ، والزمخشري ، والباقولي ، والقرطبي ، والبيضاوي ، والبلنسي ، والبقاعي ، وأبي السعود ، والمراغي [1] .

وقدّمه السمعاني ، وابن عطية ، ومحمود النيسابوري [2] . وجوّزه الزجاج [3] ، ـــ ونسبه إليه الواحدي [4] وابن الجوزي [5] ـــ وكذا جوّزه الخازن [6] .

وذكره مكي ، والواحدي بصيغة (قيل) [7] .

واستدلوا له بأن العرب تقول : عبد الله إقبالٌ وإدبارٌ ، أي : صاحبُ إقبالٍ وإدبارٍ . فحذف المضاف ، وهو "ذو" ، وأقام العمل مقامه [8] .

واستشهدوا له بقول الخنساء :

ترتع ما رتعت حتى إذا ادكرت فإنما هي إقبالٌ وإدبارٌ

أي : ذات إقبالٍ وإدبار [9] .

وأما التأويل الثالث وهو أن الضمير أيضًا لابن نوح ، وعَمَلٌ مصدرٌ وصف به مبالغةً ، فهو اختيار القمي ، وأبي حيان ، والثعالبي ، والقاسمي ، والسيد محمد رشيد رضا ، والطاهر بن عاشور [10] .

---

(1) ينظر : غرائب التفسير وعجائب التأويل (٥٠٧/١) ، والكشاف (٢٠٤/٣) ، وكشف المشكلات (٥٢٦/١) ، والجامع لأحكام القرآن (١٣٤/١١) ، وأنوار التنزيل (٤٦٠/١) ، وتفسير مبهمات القرآن (٣١/٢) ، ونظم الدرر (٢٩٤/٩) ، وإرشاد العقل السليم (٣٧/٣) ، وتفسير المراغي (٤٠/١٢) .

(2) ينظر : تفسير القرآن (٤٣٣/٢) ، والمحرر الوجيز (٣١١/٧) ، ووضح البرهان (٤٣٦/١) .

(3) ينظر : معاني القرآن وإعرابه (٥٥/٣) .

(4) ينظر : لباب التأويل للخازن (٣٣٠/٢) .

(5) ينظر : زاد المسير (١١٤/٤) .

(6) ينظر : لباب التأويل (٣٣٠/٢) .

(7) ينظر : مشكل تأويل القرآن (٣٦٧/١) ، والوجيز (٥٢٢/١) .

(8) قاله ابن الأنباري كما في زاد المسير لابن الجوزي (١١٤/٤) .

(9) ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥٥/٣) ، وأحكام القرآن للجصاص (٣٧٧/٤) ، والمحرر الوجيز لابن عطية (٣١١/٧) ، وزاد المسير لابن الجوزي (١١٤/٤) ، وروح المعاني للآلوسي (٦٩/١٢) ، والخنساء تصف ناقة ذهب عنها ولدها .

(10) ينظر : غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٢٧/٤) ، والبحر المحيط (٢٢٩/٥) ، والجواهر الحسان (١٢٧/٢) ، ومحاسن التأويل (٣٤٤٩/٩) ، وتفسير القرآن الحكيم (٧٠/١٢) ، والتحرير والتنوير (٨٦/١٢) .

وذكره محمود النيسابوري بصيغة (قيل) [1] .

يقال : فلانٌ كرمٌ وجودٌ إذا غلب عليه الكرم والجود ، فلما كثر من ابن نوح الفساد أطلق عليه مبالغة أنه عملٌ غيرُ صالح [2] . فجعله وصفًا له بالمصدر على جهة المبالغة في وصفه بذلك كما قالت الخنساء تصف ناقة ذهب عنها ولدها :

ترتع ما رتعت حتى إذا ادكرت فإنما هي إقبالٌ وإدبارٌ [3]

فوصف بذلك على المبالغة في التشبيه ، كرجل عدل ورجل صوم ، فكأنه لفساده واجتنابه للصلاح والتزامه العمل غير الصالح نفس العمل كقول الخنساء [4] .

وهذان التأويلان الأخيران يُفهم من كلام البيضاوي الجمع بينهما حيث قال : أصله إنه ذو عمل فاسد ، فجعل ذاته ذات العمل للمبالغة ؛ كقول الخنساء تصف ناقة ...[5] .

وتابعه على هذا الشوكاني ، والآلوسي ، والقنّوجي[6] ونسبه الأخير لأبي علي الفارسي ، وابن الأنباري ، والواحدي .

وسوّى بينهما النسفي مع تقديمه للأخير [7] .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن الأَولى في ضمير ﴿ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖ ﴾ أن يكون عائدًا لابن نوح؛ لأنه مُصَرَّحٌ به وأما السؤال فمفهوم ، و (إعادة الضمير إلى مذكور أَولى من إعادته إلى مقدّر)[8] .

ويؤيد هذا القول قراءة الكسائي فإن الضمير – عليها – عائد لابن نوح بالاتفاق (واتحاد معنى القراءتين أَولى من اختلافه) [9] .

---

(1) ينظر : وضح البرهان (٤٣٦/١) .

(2) ينظر : غرائب القرآن ورغائب الفرقان للقمي (٢٧/٤) .

(3) ينظر : الجواهر الحسان للثعالبي (١٢٧/٢) .

(4) ينظر : تفسير القرآن الحكيم للسيد محمد رشيد رضا (٧٠/١٢) .

(5) أنوار التنزيل (٤٦٠/١) .

(6) ينظر : فتح القدير (٧٠٠/٢) ، وروح المعاني (٦٩/١٢) ، وفتح البيان (١٩٣/٦) . وينظر أيضًا : لباب التأويل للخازن (٣٣٠/٢) .

(7) ينظر : مدارك التنزيل (١٩١/٢) .

(8) قواعد الترجيح عند المفسرين (٥٩٣/٢) .

(9) المصدر السابق (١٠٠/١) .

وهذا القول فيه تعظيم لمقام النبوة فهو أَولى بتفسير الآية [1].

وعلى القول بعود الضمير لابن نوح يمكن الجمع بين القولين الأخيرين فيقال : أصله : "إنه ذو عمل فاسد "، فجعل ذاته ذات العمل للمبالغة ، وحذف المضاف "ذو" وأقام العمل مقامه ، فهو كقول الخنساء : فإنما هي إقبالٌ وإدبارٌ ، وقول العرب : عبد الله إقبال وإدبار ، كقولك : رجل عدل ، ورجل صوم ، وفلانٌ كرمٌ وجودٌ ، والله تعالى أعلم .

(1) ينظر : المصدر السابق (٣٢٨/١) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ وَأُمَمٞ سَنُمَتِّعُهُمۡ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ٤٨ ﴾

١٣- الخلاف في معنى " مِنْ " في قوله تعالى: ﴿ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَ ﴾ هل هي ابتدائية أم بيانية ؟

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « أي : ممن معك في السفينة . واختار الزمخشري [١] أن يكون المعنى : من ذرية من معك ، ويعني به المؤمنين إلى يوم القيامة . فَـ "مِنْ " على هذا لابتداء الغاية، والتقدير : على أمم ناشئة ممن معك . وعلى الأول تكون "مِنْ " لبيان الجنس » [٢] .

العرض والمناقشة :

قدَّم ابن جُزَيّ في معنى **"مِنْ "** في قوله تعالى : ﴿ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَ ﴾ القولَ بأن "مِنْ " لبيان الجنس ، أي : ممن معك في السفينة . وعلى هذا القول السمرقندي [٣] . واحتمله الزمخشري [٤] . وجوّزه أبوالسعود ، والآلوسي [٥] .

وذكره القرطبي ، والشوكاني بصيغة (قيل) [٦] .

وعُلّلَ كونُها بيانية بأنه لم يكن في ذلك الوقت في جميع الأرض أحد من البشر إلاّ هم ، فلهذا جعلهم أممًا [٧] .

قال البيضاوي : « سمّوا أممًا ؛ لتحزُّبهم أو لتشعب الأمم منهم »[٨] .

---

(1) ينظر : الكشاف (٢٠٦/٣) وقال : وهو الوَجْهُ .

(2) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١٠٧) .

(3) ينظر : بحر العلوم (١٢٩/٢) .

(4) ينظر : الكشاف (٢٠٦/٣) .

(5) ينظر : إرشاد العقل السليم (٤٠/٣) ، وروح المعاني (٧٤/١٢) .

(6) ينظر : الجامع لأحكام القرآن (١٣٩/١١) ، وفتح القدير (٧٠١/٢) .

(7) ينظر : مفاتيح الغيب للرازي (٦/ ٣٦٠) .

(8) أنوار التنزيل (٤٦١/١) . وتبعه أبوالسعود . ينظر : إرشاد العقل السليم (٤٠/٣) . ومثلهما النسفي في مدارك التنزيل (١٩٢/٢) .

وردّه أبوحيان قائلاً : « لو أريد هذا المعنى لأغنى عنه (وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّنۡ مَّعَكَ) أو (عَلَىٰ مَن مَّعَكَ) فكان يكون أخصر وأقرب إلى الفهم وأبعد عن اللبس »[1] .

وأما قول الزمخشري في معنى "مِنْ " أنها لابتداء الغاية ، والتقدير : على أمم ناشئة ممن معك ، والمعنى : من ذرية ممن معك ، ويعني به المؤمنين إلى يوم القيامة ، فهو مفهوم ما رُوِيَ عن ابن زيد[2]، وما نُقِلَ عن ابن عباس ، وابن الأنباري [3] .

وعليه أكثر المفسّرين منهم : مقاتل، والفراء، وابن جرير الطبري، وابن أبي زمنين، والواحدي، والسمعاني، والكرماني، والبغوي، وابن عطية، والرازي، والقرطبي، والنسفي، والخازن، وأبوحيان، والبقاعي، والسيوطي، وأبوالسعود، والشوكاني، والآلوسي، والقنوجي، والقاسمي، والسعدي، والطاهر بن عاشور[4]. وهو مفهوم كلام ابن كثير، والبقاعي [5] .

وعُلِّلَ كونها ابتدائية بأنه ما كان معه إلاّ الذين آمنوا ، وقد حكم الله تعالى عليهم بالقلّة في قوله تعالى : ﴿ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ﴾ [هود : ٤٠] فلذلك كان المراد ممن معك نسلاً وتولُّدًا [6].

قال الآلوسي : « ولأن "مِنْ " الابتدائية لا سيما في المنكر أكثر ، وللنكتة في إدخال الناشئين في المسلّم عليهم . ولأن تسمية الجماعة القليلة بالأمة لا يناسب فكيف بالأمم ؟ ولا مبالغة في هذا

---

(1) البحر المحيط (٥/ ٢٣١) .

(2) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٠٤٢/٦) من طريق أصبغ ، عنه قال : ثم أخرج منهم نسلاً بعد ذلك أمًا ، منهم من رحم ، ومنهم من عذب .

(3) ينظر : الوسيط للواحدي (٥٧٦/٢) ، وزاد المسير لابن الجوزي (١١٥/٤- ١١٦) .

(4) ينظر : تفسير مقاتل (٢٨٤/٢) ، ومعاني القرآن (١٨/٢) ، وجامع البيان (٤٣٨/١٢) ، وتفسير ابن أبي زمنين (٢٩٤/٢) ، والوجيز (٥٢٢/١) ، والوسيط (٥٧٦/٢) ، وتفسير القرآن (٤٣٤/٢) ، وغرائب التفسير وعجائب التأويل (٥٠٨/١) ، ومعالم التنزيل (٤٠٦/٢- ٤٠٧) ، والمحرر الوجيز (٣١٧/٧) ، ومفاتيح الغيب (٣٦١/٦) ، والجامع لأحكام القرآن (١٣٩/١١) ، ومدارك التنزيل (١٩٢/٢) ، ولباب التأويل (٣٣١/٢) ، والبحر المحيط (٢٣١/٥) ، ونظم الدرر (٢٩٦/٩) ، وإرشاد العقل السليم (٣٩/٣) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٤٥٨/٣) ، وفتح القدير (٧٠١/٢) ، وروح المعاني (٧٣/١٢) ، وفتح البيان (١٩٦/٦) ، ومحاسن التأويل (٣٤٥٠/٩) ، وتيسير الكريم الرحمان (٣٧٠/٢) ، والتحرير والتنوير (٩٠/١٢) .

(5) ينظر : تفسير القرآن العظيم (٤٤٦/٧) ، والجواهر الحسان (١٢٧/٢) .

(6) ينظر : مفاتيح الغيب للرازي (٣٦٠/٦) .

المقام فيه فلا يعدل عن الحقيقة »[1] .

وقال الطاهر بن عاشور : « الأمم جمع أمة ، والأمة الجماعة الكثيرة من الناس التي يجمعها نسب إلى جد واحد . يقال : أمة العرب ، أو لغة مثل : أمة الترك ، أو موطن مثل : أمة أمريكا ، أو دين مثل : أمة الإسلام . فأمم دال على عدد كثير من الأمم يكون بعد نوح × . وليس الذين ركبوا في السفينة أممًا لقلّة عددهم ؛ لقوله : ﴿ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ »[2] .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن الأَوْلَى أن تكون "مِنْ " في قوله تعالى : ﴿ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ﴾ ابتدائية ؛ لقوة توجيهه وتعليله ، وهو اختيار أكثر المفسّرين [3] .

وإذا كان ذلك كذلك فإن تنصيص ابن جُزَيّ على اختيار الزمخشري وهو لعامة المفسّرين قبله فيه غرابة !

هذا وقد جمع السيد محمد رشيد رضا بين القولين – وتبعه تلميذه المراغي – كما جوّز شمول لفظ الأمم لما كان مع نوح من أنواع الحيوان بدليل قوله تعالى : ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ﴾ [4] [الأنعام : ٣٨] .

ومثله في جواز الشمول للأزواج التي حملها معه : السعدي [5] . كما جوّز السمين القولين[6] . وسوّى البيضاوي [7] بينهما بـــ (أو) مع تقديم الأول ، والعلم عند الله .

---

(1) روح المعاني (٧٤/١٢) .

(2) التحرير والتنوير (٩٠/١٢) .

(3) وبهذا الوجّه يرجح ابن جُزَيّ هذا القول على غيره . ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل (٩/١) .

(4) ينظر : تفسير القرآن الحكيم (٧٣/١٢) ، وتفسير المراغي (٤٢/١٢) .

(5) ينظر : تيسير الكريم الر حمان (٣٧٠/٢) .

(6) ينظر : الدر المصون (٣٣٩/٦) .

(7) ينظر : أنوار التنزيل (٤٦١/١) .

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ ﴾

١٤- الخلاف في معنى ﴿وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ .

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « أي : جعلكم تعمرونها ، فهو من العمران للأرض . وقيل: هو من العُمُر نحو : استبقاكم من البقاء »[1] .

العرض والمناقشة :

رجَّحَ ابن جُزَيّ أن استعمركم معناها : جعلكم تعمرونها، وأنها مأخوذة من العمران للأرض.

ونقل القرطبي عن زيد بن أسلم قوله : أمركم بعمارة ما تحتاجون إليه فيها من بناء ومساكن ، وغَرْسِ أشجار[2] .

ورُوِيَ عن ابن زيد قال : « استخلفكم فيها »[3] . أي : لعمارتها بعد قوم عاد .

وقريبٌ منه قول مجاهد : « أعمركم فيها »[4] . وجعلوه من العُمْرى .

قال أبوعبيدة : « جعلكم عُمَّارَ الأرض ، يقال : أعمرته الدار ، أي : جعلتها له أبدًا ، وهي العُمْرى، وأرقبته : أسكنته إياها إلى موته »[5] .

وعلى هذا المعنى جمهور المفسّرين منهم : ابن جرير الطبري، والجصاص، والسمرقندي، وابن أبي زمنين، والراغب، والواحدي، والبغوي، والزمخشري، وابن العربي، وابن عطية، ومحمود النيسابوري، وابن الجوزي، والقرطبي، والخازن، والقمي، وأبوحيان، وابن التركماني، وابن كثير، والثعالبي، والسيوطي، والشوكاني، والآلوسي، والقنّوجي، والقاسمي، والسيد رشيد رضا، والمراغي،

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (١٠٨/٢) .

(2) الجامع لأحكام القرآن (١٤٩/١١) .

(3) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٠٤٨/٦) رقم (١٠٩٨٣) من طريق أصبغ ، عنه .

(4) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٠٤٨/٦) رقم (١٠٩٨٢) من طرق عن ابن أبي نجيح ، عنه . وابن جرير الطبري في جامع البيان (٤٥٣/١٢) .

(5) مجاز القرآن (١/ ٢٩١) .

والسعدي، والطاهر بن عاشور [1] .

ونسبه السمعاني إلى الفراء، والزجاج [2] . وهو مفهوم كلام الرازي [3] .

قال الراغب : « وأَعْمرْتُهُ الأرضَ واستعمرته : إذا فوّضتُ إليه العمارة ، قال : ﴿ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ »[4].

وجاء في لسان العرب : وأَعْمَرَهُ المكانَ واستعمره فيه : جعله يَعْمُره . وفي التنزيل العزيز: ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ أي : أذن لكم في عمارتها واستخراج قومكم منها وجعلكم عُمَّارها [5] .

قال الطاهر بن عاشور : « ومعنى الإعمار : أنهم جعلوا الأرض عامرة بالبناء والغَرْس والزرع ؛ لأن ذلك يعد تعميرًا للأرض حتى سمي الحرث عمارة ؛ لأن المقصود منه عَمْرُ الأرض »[6] .

وقال السيد رشيد رضا : « فقد كانوا زُرَّاعًا وصُنَّاعًا وبنّائين في قوله تعالى : ﴿ وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴾ »[7] [الحجر : ٨٢] .

---

(1) ينظر : جامع البيان (٤٥٣/١٢) ، وأحكام القرآن (٣٧٨/٤) ، وبحر العلوم (١٣٢/٢) ، وتفسير القرآن العزيز (٢٩٧/٢) ، ومفردات ألفاظ القرآن (٥٨٦) مادة (عمر) ، والوجيز (٥٢٥/١) والوسيط (٥٧٩/٢) ، ومعالم التنزيل (٤١٠/٢) ، والكشاف (٢١٢/٣) ، وأحكام القرآن (١٠٥٩/٣) ، والمحرر الوجيز (٣٢٩/٧) ، ووضح البرهان (٤٣٦/١) ، وإيجاز البيان (٣٣١/١) ، وتذكرة الأريب (٢٥٠/١) ، والجامع لأحكام القرآن (١٤٩/١١، ١٥٠) ، ولباب التأويل (٣٣٤/٢) ، وغرائب القرآن (٣٣/٤) ، والبحر المحيط (٢٣٨/٥) ، وبهجة الأريب (٢٦٨/١) ، وتفسير القرآن العظيم (٤٥٠/٧) ، والجواهر الحسان (١٢٩/٢) ، ونظم الدرر (٣١٨/٩) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٤٦٣/٣-٤٦٤) ، وفتح القدير (٧٠٦/٢) ، وروح المعاني (٨٨/١٢) ، وفتح البيان (٢٠٥/٦) ، ومحاسن التأويل (٣٤٦١/٩) ، وتفسير القرآن الحكيم (١٠٠/١٢) ، وتفسير المراغي (٥٣/١٢)، وتيسير الكريم الرحمان (٣٧٤/٢-٣٧٥) ، والتحرير والتنوير (١٠٨/١٢) .

(2) ينظر : تفسير القرآن (٢/ ٤٣٨) .

(3) ينظر : مفاتيح الغيب (٣٦٧/٦- ٣٦٨) .

(4) مفردات ألفاظ القرآن (٥٨٦) مادة (عمر) .

(5) (٦٠٤/٤) مادة (عمر) .

(6) التحرير والتنوير (١٠٨/١٢) .

(7) تفسير القرآن الحكيم (١٠٠/١٢) . وتبعه تلميذه المراغي في تفسيره (٥٣/١٢) .

ونظّر له القاسمي بقوله تعالى : ﴿ وَبَوَّأَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ﴾[1] [الأعراف : ٧٤] .

وأما القول الآخر في معنى ﴿ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ ﴾ وهو أنه من العُمُرِ نحو : استبقاكم من البقاء ، فاستعمركم من العُمُر ، فهو معنى ما رُوِيَ عن الضحاك على ما نُسِبَ إليه أنه قال : أطال فيها أعماركم [2] . وعليه مقاتل [3] . وقدّمه السمعاني [4] .

وذكره الزمخشري ، ومحمود النيسابوري ، والقمي ، وأبوحيان بصيغة (قيل) [5] .

قال الآلوسي : « والمشهور أن الفعل من العُمُر ، وهو مدّة الحياة ، بالتشديد . ومن العمارة ، نقيض الخراب ، بالتخفيف . ففي أخذ ذلك من العمر تجوّز »[6] .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن الصحيح في معنى قوله تعالى : ﴿ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ هو ما رجَّحه ابن جُزَيّ ، وعليه جمهور المفسّرين ، مِنْ أن معناه من العمران للأرض .

ويؤيد ذلك ما ذكره الله عنهم من جَعْلهم خلفاء في الأرض من بعد عادٍ ، وتحقيقهم ذلك فعلاً في قوله تعالى : ﴿ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ﴾[الأعراف : ٧٤] ، وفي قوله : ﴿ وَكَانُواْ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴾ [الحجر : ٨٢] .

وعلى هذا القول تأييد القاعدة الترجيحية : (القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك) [7] . والله تعالى أعلم .

---

(1) ينظر : محاسن التأويل (٩/٣٤٦١) .

(2) ينظر : النكت والعيون للماوردي (٢/٤٧٩) ، ومعالم التنزيل للبغوي (٢/٤١٠) ، وزاد المسير لابن الجوزي (٤/١٢٣) في آخرين .

(3) ينظر : تفسير مقاتل (٢/٢٨٨) .

(4) ينظر : تفسير القرآن (٢/٤٣٨) وقال : وكان الواحد منهم يعيش من ثلثمئة سنة إلى ألف سنة وهكذا قوم عاد .

(5) ينظر : الكشاف (٣/٢١٢) ، ووضح البرهان (١/٤٣٧) ، وإيجاز البيان (١/٣٣١) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٤/٣٣) ، والبحر المحيط (٥/٢٣٨) .

(6) روح المعاني (١٢/٨٨) .

(7) قواعد الترجيح عند المفسرين (١/٣١٢) .

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ قَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ ۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾ ﴾

١٥- الخلاف في معنى ﴿ مَرْجُوًّا ﴾.

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « أي : كُنَّا نرجو أن ننتفع بك حتى قلت ما قلت . وقيل : المعنى: كنا نرجو أن تدخل في ديننا » [1] .

العرض والمناقشة :

رجَّح ابن جُزَيّ أن قوله تعالى : ﴿ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ ﴾ معناه : كنا نرجو أن ننتفع بك حتى قلت ما قلت . وهذا قول الماوردي [2] ، وعزاه ابن الجوزي له [3] .

وعليه السمعاني، والزمخشري، والقاسمي، والسيد محمد رشيد رضا، والمراغي، والسعدي، والطاهر بن عاشور [4] .

واستشهد له الزمخشري بقول ابن عباس : فاضلاً خَيّرًا نقدّمُك على جميعنا [5] . و (مرجو) أي : موضع الرجاء [6] ، أي : نَرجو خيرك ونفعك وعقلك ورأيك ...

قال الطاهر : « وحذف متعلّق ﴿ مَرْجُوًّا ﴾ ؛ لدلالة فعل الرجاء على أنه ترقب الخير ، أي : مرجوًا للخير ، أي : والآن وقع اليأس من خيرك ... أي : كنت مرجوا لخصال السيادة وحماية العشيرة ونصرة آلهتهم »[7] .

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (١٠٨/٢) .

(2) ينظر : النكت والعيون (٤٧٩/٢) .

(3) ينظر : زاد المسير (١٢٣/٤) .

(4) ينظر : تفسير القرآن (٤٣٩/٢) ، والكشاف (٢١٣/٣) ، ومحاسن التأويل (٣٤٦١/٩) ، وتفسير القرآن الحكيم (١٠٠/١٢- ١٠١) ، وتفسير المراغي (٥٤/١٢) ، وتيسير الكريم الرحمان (٣٧٥/٢) ، والتحرير والتنوير (١١٠/١٢) .

(5) الكشاف (٢١٣/٣) .

(6) ينظر : لسان العرب (٣٠٩/١٤) مادة (رجا) .

(7) التحرير والتنوير (١١٠/١٢) .

واختار ابن جرير أن المعنى : كنا نرجو أن تكون فينا سَيِّدًا قبل هذا القول الذي قلته لنا [1] .

وقال ابن عطية : « والظاهر الذي حكاه جمهور المفسّرين أن قوله (مَرْجُوًّا) معناه : مُسَوّدًا، نؤمّل فيك أن تكون سيّدًا سادًّا مسدَّ الأكابر »[2] .

ولعل هذا المعنى – عند التأمل – يندرج في معنى القول الأول .

وعليه الكرماني، والبغوي، وابن الجوزي، والخازن، والقمي، والثعالبي تبعًا لابن عطية وناسبًا إيّاه لجمهور المفسّرين ، والبقاعي، والسيوطي، وأبوالسعود، والشوكاني، والقنّوجي [3] .

وأما القول الآخر في معنى ﴿ مَرْجُوًّا ﴾ وهو أن معناها : كنا نرجو أن تدخل في ديننا ، فهو قول مقاتل [4] ، وعليه السمرقندي ، وابن أبي زمنين ، والواحدي [5] .

وذكره الكرماني، والبغوي، والزمخشري، والخازن، وأبوالسعود، والشوكاني بصيغة (قيل)[6] .

و لم يذكروا له دليلاً .

وجمع القرطبي بين هذا القول وبين ما اختاره ابن جرير[7].

وسوّى بينهما البيضاوي ، والنسفي [8] .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن الأولى في معنى قوله : ﴿ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ ﴾هو ما رجّحه ابن جُزَيّ ومن وافقه ، ولا تعارض بينه وبين ما اختاره ابن جرير الطبري ومن وافقه بل هما قولان بمعنى واحد . وعلى هذا أكثر المفسّرين ، والله تعالى أعلم .

---

(1) ينظر : جامع البيان (١٢/٤٥٤) .

(2) المحرر الوجيز (٧/٣٣٠) .

(3) ينظر : غرائب التفسير (١/٥٠٩) ومعالم التنزيل (٢/٤١٠) وتذكرة الأريب (١/٢٥١) ولباب التأويل (٢/٣٣٤) وغرائب القرآن (٤/٣٣) والجواهر الحسان (٢/١٢٩) ونظم الدرر (٩/٣١٩) وإرشاد العقل السليم (٣/٤٦) وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٣/ ٤٦٤) وفتح القدير (٢/٧٠٧) وفتح البيان (٦/٢٠٥) .

(4) ينظر : تفسير مقاتل (٢/٢٨٨) .

(5) ينظر : بحر العلوم (٢/١٣٢) ، وتفسير القرآن العزيز (٢/٢٩٧) ، والوجيز (١/٥٢٥) ، والوسيط (٢/٥٧٩) .

(6) ينظر : غرائب التفسير وعجائب التأويل (١/٥٠٩) ، ومعالم التنزيل (٢/٤١٠) ، والكشاف (٣/٢١٣) ، ولباب التأويل (٢/٣٣٤) ، وإرشاد العقل السليم (٣/٤٦) ، وفتح القدير (٢/٧٠٧) .

(7) ينظر : الجامع لأحكام القرآن (١١/ ١٥٢- ١٥٣) .

(8) ينظر : أنوار التنزيل (١/٤٦٣) ، ومدارك التنزيل (٢/١٩٥) .

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ٧١ ﴾

١٦- الخلاف في معنى ﴿ فَضَحِكَتۡ ﴾ .

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « قيل : معناه : حاضَتْ ، وهو ضعيفٌ . وقال الجمهور : هو الضَّحِكُ المعروف . واختلفوا من أيِّ شئ ضحكت ، فقيل : سرورًا بالولد الذي بشرت به ، ففي الكلام على هذا تقديم وتأخير . وقيل : سرورًا بالأمن بعد الخوف . وقيل : سرورًا بهلاك قوم لوط » [1] .

العرض والمناقشة :

رجَّح ابن جُزَيّ في معنى ﴿ فَضَحِكَتۡ ﴾ من قوله تعالى : ﴿ وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ ﴾ ما قاله الجمهور وهو : الضَّحِكُ المعروف . وكذا نسبه للجمهور الماوردي[2]، والقرطبي، وأبوحيان[3]، والسمين، والثعالبي، والشوكاني، والقنّوجي . ونسبه للأكثرين السمعاني، والبغوي، وابن الجوزي، والخازن [4]، والشوكاني، والقنوجي .

ورُوِيَ هذا عن قتادة [5] ، والكلبي [6] ، والسدّي [7] ، ووهب بن منبه [8] .

وإليه ذهب مقاتل، والفراء، والزجاج، والنحاس، وثعلب، والسمرقندي، وابن أبي زمنين، والراغب، والواحدي، والسمعاني، والبغوي، والزمخشري، وابن عطية، ومحمود النيسابوري،

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١٠٩) .

(2) ينظر : النكت والعيون (٢/٤٨٤) .

(3) ينظر : البحر المحيط (٥/٢٤٢) .

(4) ينظر : لباب التأويل (٢/٣٣٥) .

(5) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/٣٠٥- ٣٠٦) ، وابن جرير الطبري في جامع البيان (١٢/٤٧٤) من طريق معمر ، عنه قال : فضحكت امرأته وعجبت أن قومًا أتاهم العذاب وهم في غفلة فضحكت من ذلك وعجبت . وأخرجه أيضًا ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٢/٤٧٤) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/٢٠٥٤) رقم (١١٠١٧) من طريق سعيد بن أبي عروبة ، عنه .

(6) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١/٣٠٦) وابن جرير الطبري في جامع البيان (١٢/٤٧٥) من طريق معمر، عنه.

(7) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٢/٤٧٣- ٤٧٤) من طريق أسباط ، عنه .

(8) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٢/٤٧٥- ٤٧٦) من طريق عبد الصمد بن منفل ، عنه .

والرازي، والقرطبي، والقمي، والقرشي اليماني، والسمين، وابن كثير، والثعالبي، والسيوطي، وأبوالسعود، والشوكاني، والآلوسي، والقنوجي، والقاسمي، والسيد رشيد رضا، والمراغي، والسعدي، والطاهر بن عاشور [1] .

ومال إليه ابن جرير الطبري ، وابن الجوزي [2] .

واستدل لهذا القول بأنه ظاهر القرآن ، ولا يجوز العدول عنه إلاّ بدليل .

وهو حقيقة فيه ، ولا يصار إلى المجاز إلاّ عند تعذر الحقيقة [3] .

وقد ورد الضحك في تسعة مواضع من القرآن [4] كلها على المعنى المعروف منه ، وهو ضِدُّ البكاء ، منها : قوله تعالى : ﴿ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا ﴾ [التوبة : ٨٢] .

وقوله تعالى : ﴿ وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴾ [المؤمنون : ١١٠] .

وقوله تعالى : ﴿ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴾ [الزخرف : ٤٧] .

وقوله تعالى : ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴾ [النجم : ٤٣] .

فوجب حمل الضحك في قوله تعالى : ﴿ فَضَحِكَتْ ﴾ على هذا المعنى جَرْيًا على

---

(1) ينظر : تفسير مقاتل (٢/٢٩٠) ، ومعاني القرآن (٢/٢٢) ، ومعاني القرآن وإعرابه (٣/٦٢) ، ومعاني القرآن الكريم (٣/٣٦٣) ، وياقوتة الصراط (٢٦٦-٢٦٨) ، وبحر العلوم (٢/١٣٥) ، وتفسير القرآن العزيز (٢/٢٩٩)، ومفردات ألفاظ القرآن (٥٠٢) مادة (ضحك) ، والوجيز (١/٥٢٧) ، والوسيط (٢/٥٨١) ، وتفسير القرآن (٢/٤٤٢) ، ومعالم التنزيل (٢/٤١٣) ، والكشاف (٣/٢١٦) ، والمحرر الوجيز (٧/٣٤٥) ، ووضح البرهان (١/٤٣٨) وإيجاز البيان (١/٣٣٣) ، ومفاتيح الغيب (٦/٣٧٤) ، والجامع لأحكام القرآن (١١/١٦٤) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٤/٣٧) ، والترجمان عن غريب القرآن (٦٦-٦٧) ، والدر المصون (٦/٣٥٤) ، وتفسير القرآن العظيم (٧/٤٥٢) ، والجواهر الحسان (٢/١٣١) ، وإرشاد العقل السليم (٣/٥٠) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٣/٤٧٠) ، وفتح القدير (٢/٧١٠) ، وروح المعاني (١٢/٩٧) ، وفتح البيان (٦/٢١٢) ، ومحاسن التأويل (٩/٣٤٦٥) ، وتفسير القرآن الحكيم (١٢/١٠٥) ، وتفسير المراغي (١٢/٥٩) ، وتيسير الكريم الرحمان (٢/٣٧٨) ، والتحرير والتنوير (١٢/١١٩) .

(2) ينظر : جامع البيان (١٢/٤٧٨)، وزاد المسير (٤/١٣٠) .

(3) ينظر : فتح البيان للقنوجي (٦/٢١٢) ، وروح المعاني للآلوسي (١٢/٩٧).

(4) ينظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (٤١٨) . وبقية الآيات : النمل : ١٩، النجم : ٦٠، عبس : ٣٩، المطففين : ٢٩، ٣٤.

معهود استعمال القرآن .

وأما سبب ضحكها فمختلف فيه على أقوال [1]. منها ما ذكره ابن جُزَيّ هنا بصيغة (قيل) .

واختار ابن جرير الطبري أن ضحكها كان تَعَجُّبًا من غفلةِ قوم لوطٍ عمَّا أظلّهم من عذاب الله وغفلتهم منه .

قال ابن جرير : « وإنما قلنا : هذا القول أَولى بالصواب ؛ لأنه ذُكِرَ عقيبَ قولهم لإبراهيم: ﴿ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴾ . فإذا كان ذلك كذلك ، وكان لا وجه للضحك والتعجب من قولهم لإبراهيم : ﴿ لَا تَخَفْ ﴾ . كان الضحك والتعجب ، إنماهو من أمر قوم لوط »[2] .

وهذا قول قتادة : « فضحكت امرأته وعجبت أن قومًا أتاهم العذاب وهم في غفلةٍ فضحكت من ذلك وعجبت »[3] .

وأما القول الآخر في معنى " ضَحِكَتْ " وهو أنه بمعنى : حَاضَتْ ، فهو مَرْوِيٌّ عن ابن عباس [4] ، ومجاهد [5] ، وعكرمة [6] ، وضمرة بن حبيب [7]. ونُسِبَ إلى ابن عمر [8].

وقدّمه أبوحيان [9] . وقوّاه الآلوسي [10] .

---

(1) وصَّلها ابن الجوزي إلى ستة أقوال . ينظر : زاد المسير (٤/١٣٠- ١٣١) .

(2) جامع البيان (١٢/٤٧٨) .

(3) سبق تخريجه .

(4) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/٢٠٥٥) من طريق عبد الصمد بن علي الهاشمي ، عن أبيه ، عن جده ، عنه قال : فحاضت وهي بنت ثمان وتسعين سنة . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤/٤٥١) نسبته إلى عبد بن حميد، وابن المنذر ، وأبي الشيخ . وذكره ابن كثير في تفسيره (٧/٤٥٢) عن عطية العوفي ، عنه .

(5) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٢/٤٧٦) من طريق بقية بن الوليد ، عن علي بن هارون ، عن عمرو ابن الأزهر ، عن ليث عنه قال : حاضت وكانت ابنة بضع وتسعين سنة ، وكان إبراهيم × ابن مائة سنة.

(6) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١/٣٠٦) . وزاد نسبته السيوطي في الدر المنثور (٤/٤٥٢) إلى أبي الشيخ .

(7) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/٢٠٥٥) رقم (١١٠٢٣) من طريق أبي بكر بن أبي مريم ، عنه .

(8) ينظر : روح المعاني للآلوسي (١٢/٩٨) .

(9) ينظر : البحر المحيط (٥/ ٢٤٢) .

(10) ينظر : روح المعاني (١٢/٩٨) .

وجعله العكبري بهذا المعنى على قراءة فتح الحاء (**فَضَحَكَتْ**) [1] .

وهذا القول ضعّفه ابن جُزَيّ، وابن عطية [2].وتعجّب منه الكرماني [3] .

وذكره الزمخشري، والبيضاوي، والقرشي اليماني، والسمين، وأبوالسعود بصيغة (قيل)[4] . واستبعده الأخير .

وهذا المعنى أنكره الفراء وقال : « لم أسمعه من ثقة » . وكذا أبوعُبيدة ، وأبوعبيد[5].

وقال الزجاج : « ليس بشئ »[6] .

وقال النحاس : « وهذا قول لا يعرف ولا يصح »[7] .

واستُدِلَ لهذا القول بأن بعض أهل اللغة قرّر هذا المعنى وأثبته (والمثبت مقدم على النافي، ومن حفظ حجة على من لم يحفظ)[8] .

قال ابن قتيبة : «وهذا من قول العرب : ضحكت الأرنب ، إذا حاضت »[9] .

وأنشد بعضهم :

وضِحْكُ الأرانب فوق الصفا كمثل دَمِ الجَوْفِ يومَ اللّقَا [10]

كما أنشدوا في الضَّبُعِ أبياتًا ، فسمع للكُميت :

فأضحكت الضّبَاعَ سيوفُ سعدٍ بَقَتْلَى ما دُفِنَّ ولا وُدينا [11]

---

(1) ينظر : التبيان (٧٠٦/٢) .

(2) ينظر : المحرر الوجيز (٣٤٥/٧) .

(3) ينظر : غرائب التفسير وعجائب التأويل (٥١٢/١) .

(4) ينظر : الكشاف (٢١٦/٣) ، وأنوارالتنزيل (٤٦٥/١) ، والترجمان عن غريب القرآن (٦٧) ، والدر المصون (٣٥٤/٦) ، وإرشاد العقل السليم (٥٠/٣) .

(5) ينظر :جامع البيان للطبري (٤٧٧/١٢) وزاد المسير لابن الجوزي (١٣٠/٤) والبحر المحيط لأبي حيان (٢٤٢/٥).

(6) معاني القرآن وإعرابه (٦٢/٣) .

(7) معاني القرآن الكريم (٣٦٤/٣) .

(8) روح المعاني للآلوسي (٩٨/١٢) .

(9) ينظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٦٣/١١) ، وزاد المسير لابن الجوزي (١٣٠/٤) .

(10) البيت في جامع البيان لابن جرير الطبري (٤٧٧/١٢) ، والنكت والعيون للماوردي (٤٨٤/٢) .والمحرر الوجيز لابن عطية (٣٤٤/٧) ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٦٣/١١) . وينظر : اللسان : ضحك .

(11) شعر الكميت (١٢٥/٢) . وينظر : جامع البيان للطبري (٤٧٧/١٢) .

يريد الحيض .

وأنشد ابن الأنباري لبعضهم :

تَضْحَكُ الضَّبْعُ لقتْلى هُذَيْلٍ وترى الذئبَ لها يَسْتَهِلُّ [1]

وقول الآخر :

تَضْحَكُ الضَّبْعُ من دماء سليم إذ رأتها على الحراب تَمُورُ [2]

وهذا المعنى ، وهو ضَحِكُ الضَّبْع بمعنى الحيض ، قد نُوزِع فيه .

قال ثعلب : « تضحك – ها هنا – تُكَشّرُ ؛ ويقال للضاحك : قد كشّر ، قال : وذلك أن الذئب ينازع الضَّبعَ على القتيل ؛ فتكشّرُ الضَّبُعُ في وجهه تهددًا ووعيدًا ؛ فيُتركُها وتُمرّ»[3].

وقال الخازن : « وفي المحكم [4] : كان ابن دريد [يرد هذا و]يقول : من شاهد الضبع عند كشرها علم أنها تحيض . وإنما أراد الشاعر تكشر لأكل اللحوم ، وهذا سَهْوٌ منه ؛ لأنه جعل كشرها حيضًا . وقيل : معناه : أنها تستبشر بالقتلى ، فتهتز [أو: فتهتر] بعضها على بعض ، فجعل هزيزها [أو: هريرها] ضحكًا . وقيل : معناه : لأنها تُسَرُّ بهم ، فجعل سرورها ضحكًا » [5] .

واستشهد عكرمة على هذا المعنى بقول الشاعر :

إني لآتي العِرْسَ عند طُهورها وأهجرها يومًا إذا هي ضاحك [6]

وقال الشاعر :

وعَهْدي بِسَلْمَى ضاحكًا في لَبانَةٍ ولم يَعْدُ حُقًّا ثَدْيُها أَنْ تَحَلّما

قال أبوحيان : « أي حائضًا في لَبانَة »[7] .

---

(1) ينظر : زاد المسير (١٣٠/٤) .والبيت لتأبط شرًا في ديوانه (٢٥٠) . وينظر : مفردات الراغب (٥٠١) .

(2) ينظر : لباب التأويل للخازن (٣٣٦/٢) .

(3) ياقوتة الصراط (٢٦٦- ٢٦٨) .

(4) المحكم لابن سيده (٣٣/٣) .

(5) لباب التأويل (٣٣٦/٢) .

(6) ينظر : الدر المنثور للسيوطي (٤٥٢/٤) فإنه نسبه لأبي الشيخ . وفي الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٦٣/١١): ... إذا تك ضاحكًا بدل إذا هي ضاحك .

(7) البحر المحيط (٢٣٧/٥) . وينظر : أنوار التنزيل (٤٦٥/١) ، والدر المصون (٣٥٥/٦) وفيه : "يُحَمَّلا".

قالوا : وبلحارثُ بن كعْبٍ يقولون : ضحكتِ النخلةُ ، إذا أخرجت الطَّلْعَ أو البُسْرَ .

وحكي : أضحكتْ حَوْضًا . أي : ملأته حتى فاض . وسمع : ضحكت السمرة . إذا سال منها صمغها ، وهو شبه الدم .

قالوا : وكأن المعنى قريبٌ بعضُه من بعضٍ كلُّه ؛ لأنه كأنه شئ يمتلئ فيفيض [1] .

ويمكن أن يجاب عن هذا كُلّه بأن هذا المعنى مُنَازَعٌ فيه كما تقدم .

واستدل لهذا القول أيضًا بقراءة فتح الحاء (**فَضَحَكَتْ**) [2] .

وأجيب بأنها قراءة شاذة غير معروفة [3] .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإنه وإنْ ثبت لغةً أن الضحك يجئ بمعنى الحيض ، فإنه لا يحمل عليه في قوله تعالى : ﴿ **فَضَحِكَتْ** ﴾ ؛ لأنه معنى مختلفٌ فيه بين أهل اللغة ، وقد نُوزِعَ في بعض استدلالاته . وعليه فالقول بأن معنى ﴿ **فَضَحِكَتْ** ﴾ : حاضت ، هو قولٌ ضعيف .

وإذا كان ذلك كذلك فإن الصحيح هو ما قاله الجمهور وأكثر المفسرين ، وهو أن الضحك على بابه ومعناه المعروف ، وهو ضِدُّ البكاء ؛ لأنه ظاهر القرآن (ولا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلاّ بدليل) [4] ، وفي كل المواضع التي وردت في القرآن وفيها ذكر الضحك هو على بابه و (حمل معاني كلام الله على الغالب من أسلوب القرآن ومعهود استعماله أَولى) [5] ، كما (يجب حمل كلام الله على المعروف من كلام العرب دون الشاذ والضعيف والمنكر) [6] أو المختلف فيه . ثم إن الضحك على بابه ومعناه المعروف هو حقيقة فيه ، والضحك بمعنى الحيض مجاز، والحقيقة مقدمة على المجاز (فيجب حمل نصوص الوحي

---

(1) ينظر : جامع البيان لابن جرير الطبري (٤٧٧/١٢) ، والمصادر السابقة .

(2) ينظر :التبيان للعكبري (٧٠٦/٢/) .

(3) قال القرطبي في جامعه (١٦٥/١١): وهذه القراءة رويت عن رجل من قراء مكة يقال له محمد بن زياد الأعرابي ، وهي غير معروفة كما قاله المهدوي . وينظر : المحتسب (٣٢٣/١) ، والقراءات الشاذة لابن خالويه (٦٠) ، والبحر المحيط لأبي حيان (٢٤٣/٥) ، وروح المعاني للآلوسي (٩٨/١٢) .

(4) قواعد الترجيح عند المفسّرين (١٣٧/١) .

(5) المصدر السابق (١٧٢/١) .

(6) المصدر السابق (٣٦٩/٢) .

على الحقيقة) [1]، والله تعالى أعلم.

(1) المصدر السابق (٣٨٧/٢) . وينظر : التسهيل لعلوم التنزيل (٩/١) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ (٨١) ﴾

١٧- الخلاف في معنى الالتفات في قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ ﴾.

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « نُهُوا عن الالتفات ؛ لئلا تتفطّر أكبادهم على قريتهم. وقيل : معناه : يلتوي » [1] .

العرض والمناقشة :

فسَّر ابن جُزَيّ قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَلْتَفِتْ ﴾ بمعناه المعروف والمتبادر إلى الذهن وهو النظر إلى الوراء . ووافق في هذا ما قاله مجاهد [2] ، وقتادة [3] .

وعليه الكافّة من المفسّرين منهم : مقاتل، والأخفش، وابن جرير الطبري، وغلام ثعلب، وابن أبي زمنين، ومكي، والواحدي، والسمعاني، والبغوي، والزمخشري، وابن عطية، ومحمود النيسابوري، وابن الجوزي، والعكبري، والرازي، والقرطبي، والخازن ، والقمي، وأبوحيان، وابن كثير، والبقاعي، والشوكاني، والآلوسي، والقنوجي، والقاسمي، والسيد محمد رشيد رضا، والمراغي، والطاهر بن عاشور [4] .

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١١٠) .

(2) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٥٢٤/١٢) من طريق حجاج ، عن ابن جريج ، عنه . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٠٦٦/٦) رقم (١١٠٨٧) من طريق ابن أبي نجيح ، عنه . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤٦٢/٤) نسبته إلى ابن المنذر .

(3) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٥١٨/١٢-٥١٩) من طريق معمر ، عنه . وأخرجه أيضًا (٥١٧/١٢) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢٠٦٦/٦) رقم (١١٠٨٨) من طريق سعيد ، عنه .

(4) ينظر : تفسير مقاتل (٢٩٣/٢) ، ومعاني القرآن (٣٥٧/٢) ، وجامع البيان (٥١٥/١٢) ، وياقوتة الصراط (٢٦٩) ، وتفسير القرآن العزيز (٣٠٢/٢) ، ومشكل تأويل القرآن (٣٧٢/١) ، والوجيز (٥٢٩/١) ، والوسيط (٥٨٤/٢) ، وتفسير القرآن (٤٤٩/٢) ، ومعالم التنزيل (٤١٨/٢) ، والكشاف (٢٢٢/٣) ، والمحرر الوجيز (٣٦٨/٧) ، وإيجاز البيان (٣٣٥/١) ، وتذكرة الأريب (٢٥٣/١) ، والتبيان (٧١٠/٢) ، ومفاتيح الغيب (٣٨١/٦) ، والجامع لأحكام القرآن (١٨٣/١١) ، ولباب التأويل (٣٣٩/٢) ، وتفسير غرائب القرآن (٤١/٤) ، والبحر المحيط (٢٤٩/٥) ، وتفسير القرآن العظيم (٤٥٦/٧-٤٥٧) ، ونظم الدرر (٣٤٤/٩) ، وفتح القدير (٧١٦/٢) ، وروح المعاني (١٠٩/١٢) ، وفتح البيان (٢٢٣/٦) ، ومحاسن التأويل (٣٤٧٣/٩) ، وتفسير القرآن الحكيم (١١١/١٢) ، وتفسير المراغي (٦٦/١٢) ، والتحرير والتنوير (١٣٢/١٢) .

واستُدِلَّ له بأن هذا هو المعنى المشهور الحقيقي للالتفات : أن لا ينظر إلى ورائه [1] .

فهي من التفات البصر [2] .

وأما القول الآخر في قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَلْتَفِتْ ﴾ وهو أن معناه : يَلْتَوي ، فإن كان المقصود بـــ " يلتوي " : يتخلّف ، فهذا قول ابن عباس : « لا يتخلّف »[3] .

واختاره السمرقندي [4].وسوّى بينهما أبوالسعود [5] .

وذكر ابن عطية عن فرقة أنها قالت : من لفت الشئَ يَلْفِتُه : إذا ثناه ولوَاهُ . فمعناها : " ولا يَتَثَبطُّ " ، وهذا شاذٌّ مع صحته [6] .

وتبعه أبوحيان [7] . ولم أر من ذكر هذا المعنى غيرهما !

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن الصحيح في معنى ﴿ وَلَا يَلْتَفِتْ ﴾ هو : ولا ينظر إلى ورائه ، فَيُفَسَّرُ الالتفات بمعناه المشهور والحقيقي والمتبادر إلى الذهن ، و (يجب حمل كلام الله تعالى على المعروف من كلام العرب دون الشاذّ والضعيف والمنكر) [8] .

وإذا كان ذلك كذلك فإن الصحيح ما كان عليه ابن جُزَيّ وعامّة المفسرين ، وأما تفسير ابن عباس الالتفات بالتخلّف فهو خلاف الظاهر ، والله تعالى أعلم .

---

(1) ينظر : روح المعاني للآلوسي (١٠٩/١٢) .

(2) ينظر : المحرر الوجيز لابن عطية (٣٦٨/٧) .

(3) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٠٦٥/٦) من طريق أبي روق ، عن الضحاك ، عنه . وفي زاد المسير لابن الجوزي (١٤٢/٤) : قاله أبو صالح ، عن ابن عباس .

(4) ينظر : بحر العلوم (١٣٧/٢) .

(5) ينظر : إرشاد العقل السليم (٥٥/٣) قال : لا يتخلف أو لا ينظر إلى ورائه .

(6) المحرر الوجيز (٣٦٨/٧) .

(7) البحر المحيط (٢٤٩/٥) .

(8) قواعد الترجيح عند المفسرين (٣٦٩/٢) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾ ﴾

في هاتين الآيتين الكريمتين مسألتان :

المسألة الأولى هي :

١٨- الخلاف في علامة الحجارة التي أُمْطِرَ بها قومُ لُوطٍ

في قوله تعالى : ﴿ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ﴾

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « معناه : معلّمة بعلامة ، رُوِيَ أنه كان فيها بياض وحُمْرة . وقيل : كان في كل حَجَرٍ اسم صاحبه »[1] .

العرض والمناقشة :

فسّر ابن جُزَيّ قوله تعالى : ﴿ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ﴾ بأن معناها : معلّمة بعلامة . وهذا تفسير صحيح لا إشكال فيه ؛ لأن التسويم هو التعليم . يقال : سَوَّمْتُ الشئ إذا عَلَّمْتَهُ [2] .

قال ابن عباس : ﴿ مُّسَوَّمَةً ﴾ : مُعَلَّمة [3] .

وقال أبوعبيدة : أَيْ مُعَلَّمة بالسيماء [4] .

ثم ذكر قولين في هذه العلامة ، وقدَّم القولَ بأنه كان فيها بياضٌ وحُمْرَةٌ . ورُوِيَ هذا عن ابن عباس [5] . ونُسِبَ إلى الحسن [6] .

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (١١٠/٢) .

(2) معاني القرآن الكريم للنحاس (٣٧٢/٣) .

(3) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٠٦٩/٦) رقم (١١١٠٧) من طريق علي بن أبي طلحة ، عنه . ومثله عن مجاهد ، أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٥٣٠/١٢) من طريق ابن أبي نجيح ، عنه وفي (١٢/ ٥٣١) من طريق ابن جريج ، عنه . ونُسِبَ إلى الحسن كذلك في معاني القرآن الكريم للنحاس (٣٧٢/٣) .

(4) مجاز القرآن (٢٩٧/١) .

(5) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٠٦٩/٦) رقم (١١١٠٨) من طريق أبي روق ، عن الضحاك ، عنه . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤٦٣/٤) نسبته إلى أبي الشيخ .

(6) نسبه إليه ابن الجوزي في زاد المسير (١٤٥/٤) ، والزجاج في معاني القرآن وإعرابه (٧٢/٣) .

ورُوِيَ أيضًا أنها كانت مخططة بِسَوَادٍ وحُمْرةٍ [1] .

ورُوِيَ أيضًا أنها كانت مطوقة بها نَضْحُ من حُمْرَةٍ [2] .

قال الربيع : عليها سيما خطوط [3] .

وقال السدّي : المسوّمة : المختَّمة [4] .

وإلى تفسير ﴿ مُّسَوَّمَةً ﴾ بأنها مُعَلَّمَةٌ ذهب مقاتل ، وابن جرير الطبري ثم ذكر الآثار الواردة عن السلف في بيان كيفيتها ، ومكي ، والسمعاني كابن جُزَيّ ، ومثله الزمخشري ، وابن عطية ، والثعالبي ، والبقاعي [5] .

وأما ما رُوِيَ من ذلك في بيان علامتها وكيفيتها ، فذكره الفراء بقوله : « زعموا » [6] .

ومثله السيد محمد رشيد رضا ، والمراغي [7] .

وذكره مكي ، والآلوسي بصيغة (قيل) [8] .

وأما القول الآخر في بيان كيفية هذه العلامة وهو أنه كان في كل حجرٍ اسمُ صاحبه ، فهو منسوب إلى الربيع [9] . وذكره الماوردي [10] . وذكره السمعاني قولاً ثانيًا [11] .

---

(1) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٠٦٩/٦) رقم (١١١١٠) عن قتادة . ونسبه ابن الجوزي في زاد المسير (١٤٥/٤) إلى ابن عباس برواية أبي صالح ، عنه .

(2) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣٠٩/٢) ، وابن جرير الطبري في جامع البيان (٥٣١/١٢) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢٠٦٩/٦) عن قتادة ، وعكرمة . والأخير لم يخرج عن الأخير .

(3) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٥٣١/١٢) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢٠٦٩/٦) رقم (١١١١١) . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤٦٤/٤) نسبته إلى أبي الشيخ .

(4) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٥٣١/١٢) من طريق أسباط ، عنه .

(5) ينظر : تفسير مقاتل (٢٩٣/٢) وجامع البيان (٥٣٠/١٢) وتفسير المشكل (١٩٩) وتفسير القرآن (٤٥٠/٢) والكشاف (٢٢٢/٣) والمحرر الوجيز (٣٧٣/٧) والجواهر الحسان (١٣٣/٢) ونظم الدرر (٣٤٦/٩) .

(6) ينظر : معاني القرآن (٢٤/٢- ٢٥) .

(7) ينظر : تفسير القرآن الحكيم (١١٢/١٢) ، وتفسير المراغي (٦٨/١٢) .

(8) ينظر : تفسير المشكل (١٩٩) ، وروح المعاني (١١٣/١٢) .

(9) ينظر : مفاتيح الغيب (٣٨٣/٦) وزاد المسير (١٤٦/٤) وغرائب القرآن (٤٢/٤) والبحر المحيط (٢٥٠/٥) وروح المعاني (١١٣/١٢) .

(10) ينظر : النكت والعيون (٤٩٣/٢) .

(11) ينظر : تفسير القرآن (٤٥٠/٢) .

وذكره ابن عطية بقوله : «ويحكى»[1].

واختاره محمود النيسابوري ، وابن كثير ، والسيوطي [2].

وذكره النسفي ، والسمين بصيغة (قيل) و لم يذكرا غيره [3] . وذكره السمرقندي، والبغوي، والزمخشري، والقرطبي، والخازن ، وأبوحيان بصيغة (قيل) [4] .

قال ابن كثير : « معلّمة مختومة عليها أسماء أصحابها كل حجر مكتوب عليه اسم الذي يترل عليه»[5].

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن ظاهر القرآن على أن هذه الحجارة معلّمة بعلامة ، وهذه العلامة لا نعرفها نحن ، الله يعلمها ؛ لأنه قال : ﴿ عِندَ رَبِّكَ ﴾. فتعيين العلامة – على هذا – محال ؛ لاستئثار الله تعالى بعلمها . وما رُوِيَ في وصفها وتحديدها وألوانها لا يثبت في حديث مرفوع ، و(لا يصحُّ حمل الآية على تفسيرات وتفصيلات لأمور مغيبة لا دليل عليها من القرآن أو السنة)[6] .

قال السيد محمد رشيد رضا :« ﴿ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ﴾ : لها سومة أي : علامة خاصة في علم ربك أيها الرسول ، أي : أمطرناها خاصة بها لا تصيب غير أهلها ... وزعم بعض المفسّرين أن هذا التسويم كان حسيًا بخطوط في ألوانها ، أو أمثال الخواتيم عليها أو بأسماء أهلها ، ولكن هذا من أمور الغيب لا يثبت إلاّ بنصٍّ عن المعصوم ولا نصَّ ...»[7] . وتبعه المراغي [8] .

وإذا كان ذلك كذلك فإن الأَولى هو الإمساك عن بيان الكيفية ، والاكتفاء بتفسير ﴿ مُّسَوَّمَةً ﴾ بأنها معلّمة بعلامة معلومة عند الله ، لا نعلمها نحن ، والله تعالى أعلم .

---

(1) ينظر : المحرر الوجيز (٣٧٣/٧) .

(2) ينظر : وضح البرهان (٤٤٩/١) ، وإيجاز البيان (٣٣٥/١) ، وتفسير القرآن العظيم (٤٥٨/٧) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٤٧٨/٣) .

(3) ينظر : مدارك التنزيل (٢٠٠/٢) ، والدر المصون (٣٧٠/٦) .

(4) ينظر : بحر العلوم (١٣٨/٢) ، ومعالم التنزيل (٤١٩/٢) ، والكشاف (٢٢٢/٣) ، والجامع لأحكام القرآن (١٨٨/١١) ، ولباب التأويل (٣٣٩/٢) ، والبحر المحيط (٢٥٠/٥) .

(5) تفسير القرآن العظيم (٤٥٨/٧) .

(6) قواعد الترجيح عند المفسرين (٢٢٥/١) .

(7) تفسير القرآن الحكيم (١١٢/١٢) .

(8) ينظر : تفسير المراغي (٦٨/١٢) .

المسألة الثانية هي :

١٩- الخلاف في عائد الضمير ﴿ هِيَ ﴾ والمراد بـ ﴿ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾ .

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى :« الضمير للحجارة . والمراد بالظالمين كفار قريش ، فهذا تهديد لهم ، أي : ليس الرمي بالحجارة ببعيد منهم ؛ لأجل كفرهم . وقيل : الضمير للمدائن ، فالمعنى : ليست ببعيدة منهم [(١)] أفلا يعتبرون بها ؛ كقوله : ﴿ وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِيٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ ﴾[الفرقان : ٤٠] . وقيل : إن الظالمين على العموم » [(٢)] .

العرض والمناقشة :

رجَّحَ ابن جُزَيّ في قوله تعالى : ﴿ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾ أن الضمير للحجارة، وأن المراد بالظالمين كفار قريش . والمعنى : ليس الرمي بالحجارة ببعيد منهم لكفرهم .

ووافق في هذا معنى ما رُوِيَ عن مجاهد [(٣)] ، والسدّي [(٤)] .

ونُسِبّ هذا القول لأكثر المفسّرين[(٥)] .

وذهب إليه مقاتل، وابن جرير الطبري، والواحدي، والسمعاني، والبغوي، والرازي، والخازن[(٦)]. ومال إليه الطاهر بن عاشور [(٧)] . وذكره الشنقيطي واستشهد له بالقرآن [(٨)] .

---

(1) أَيْ : من كفار قريش .

(2) التسهيل لعلوم التنزيل (١١٠/٢) .

(3) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٥٣٢/١٢) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢٠٦٩/٦) رقم (١١١١٣) من طريق ابن أبي نجيح ، وابن جريج ، عنه . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤٦٥/٤) نسبته إلى أبي الشيخ . وينظر : النكت والعيون للماوردي (٤٩٤/٢) .

(4) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٥٣٣/١٢) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢٠٧٠/٦) رقم (١١١١٦) من طريق أسباط ، عنه .

(5) ينظر : الوسيط للواحدي (٥٨٥/٢) ، وزاد المسير لابن الجوزي (١٤٦/٤) .

(6) ينظر : تفسير مقاتل (٢٩٣/٢) ، وجامع البيان (٥٣١/١٢) ، والوجيز (٥٢٩/١) ، وتفسير القرآن (٤٥٠/٢) ، ومعالم التنزيل (٤١٩/٢) ، ومفاتيح الغيب (٣٨٤/٦) ، ولباب التأويل (٣٣٩/٢) .

(7) ينظر : التحرير والتنوير (١٣٥/١٢) .

(8) ينظر : أضواء البيان (٣٩/٣- ٤٠) .

وإلى أن المراد بالظالمين كفار قريش ذهب السيوطي، والسيد محمد رشيد رضا [1] . وسوَّيا في عائد الضمير بين العقوبة ، وهي الرمي بالحجارة ، وبين القرى أو المدائن ، وزاد الأخير : الأرض التي حلّ بها العذاب . وهي في المعنى تؤول إلى بلادهم ومدائنهم .

وإلى أن الضمير يرجع إلى الحجارة ذهب ابن عطية [2] ، وصحَّح أن الظالمين على العموم .

ومما يشهد لهذا القول من القرآن قوله تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا ﴾ [محمد : ١٠] .

قال الشنقيطي : « فإن قوله : ﴿ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا ﴾ ظاهر جدًا في ذلك ، والآيات بنحو ذلك كثيرة »[3] .

ومما يدل على عود الضمير إلى الحجارة أنها أقرب مذكور [4] .

ومما يدل على أن المراد بالظالمين كفار قريش قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِاللَّيْلِ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [الصافات : ١٣٧- ١٣٨] . وقوله تعالى : ﴿ فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾[الحجر : ٧٤- ٧٧] .

وقوله ﴿ لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴾ أي : في طريق ثابت معروف بين المدينة والشام [5] .

وأما القول الثاني ، وهو أن الضمير عائد لمدائن وديار قوم لوط ، وأن المراد بالظالمين كفار قريش أيضًا ، فقدّمه السمرقندي وذكره لكن بصيغة (يقال) [6] .

واستظهر أبوحيان أن الضمير (هِيَ) عائد على القرى [7] .

---

(1) ينظر : تفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٤٧٨/٣) ، وتفسير القرآن الحكيم (١١٢/١٢) .

(2) ينظر : المحرر الوجيز (٣٧٣/٧) .

(3) أضواء البيان (٣٩/٣- ٤٠) .

(4) ينظر : البحر المحيط لأبي حيان (٢٥٠/٥) ، والدر المصون للسمين (٣٧٠/٦- ٣٧١) ، وفتح البيان (٢٢٦/٦) .

(5) ينظر : تفسير القرآن الحكيم للسيد محمد رشيد رضا (١١٢/١٢) .

(6) ينظر : بحر العلوم (١٣٨/٢) .

(7) ينظر : البحر المحيط (٢٥٠/٥) . وتبعه السمين في الدر المصون (٣٧٠/٦).

وقال الطاهر بن عاشور : « وضمير (هِيَ) يصلح لأن يعود إلى ما عادت إليه الضمائر المجرورة قبله وهي المدينة »[1] . يعني قرية قوم لوط × .

وذكره الزمخشري، وابن عطية، والرازي، والقرطبي، والبيضاوي، والقمي، وأبوالسعود، والشوكاني، والقنوجي، والقاسمي بصيغة (قيل) [2] .

واستشهد له الشنقيطي بقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِاللَّيْلِ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [الصافات : ١٣٧- ١٣٨]، وقوله : ﴿ لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الحجر : ٧٦- ٧٧] ، وقوله : ﴿ وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾[الذاريات : ٣٧] ، وقوله : ﴿ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [3] [العنكبوت : ٣٥] .

واستشهد له ابن جُزَيّ بقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ ۚ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا ۚ بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴾ [الفرقان : ٤٠] .

وأما القول بالعموم في المراد بالظالمين، فروي عن عكرمة[4]، وقتادة[5]، والربيع[6]، والسدّي[7].

وعليه الزمخشري ، وابن عطية ، والقمي ، وأبوحيان ، والثعالبي ، والبقاعي ، وأبوالسعود ،

---

(1) التحرير والتنوير (١٣٥/١٢) .

(2) ينظر : الكشاف (٢٢٣/٣) ، والمحرر الوجيز (٣٧٣/٧) ، ومفاتيح الغيب (٣٨٤/٦) ، والجامع لأحكام القرآن (١٨٩/١١) ، وأنوار التنزيل (٤٦٨/١) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٤٢/٤) ، وإرشاد العقل السليم (٥٦/٣) ، وفتح القدير (٧١٧/٢) ، وفتح البيان (٢٢٦/٦) ، ومحاسن التأويل (٣٤٧٤/٩) .

(3) ينظر : أضواء البيان (٣٩/٣- ٤٠) .

(4) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٠٧٠/٦) رقم (١١١١٤) من طريق معمر ، عن عكرمة وقتادة قالا : لم يبرأ منها ظالم بعدهم .

(5) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣٠٩/٢) عن معمر ، عنه . وابن جرير الطبري في جامع البيان (٥٣٢/١٢) من طريق معمر به ، ومن طريق بشر ، عنه . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٠٧٠/٦) من طريق معمر به . وأخرجه ابن جرير الطبري (٥٣٣/١٢) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢٠٧٠/٦) رقم (١١١١٨) من طريق ضَمْرَةَ بن ربيعة ، عن ابن شَوْذَب ، عنه قال : من ظالمي هذه الأمة ، ثم يقول : واللهِ، ما أجار الله منها ظالمًا بعد. وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤٦٥/٤) نسبة إلى أبي الشيخ .

(6) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٠٧٠/٦) رقم (١١١١٧) من طريق عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عنه . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤٦٥/٤) نسبته إلى أبي الشيخ .

(7) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٠٧٠/٦) رقم (١١١١٥) من طريق عمرو بن حماد ، عن أسباط ، عنه .

والآلوسي [1] . ومفهوم كلام ابن كثير [2] .

وفسّرها الفراء بظالمي هذه الأمة [3] ، وتبعه الزجاج ، وابن أبي زمنين [4] .

قال ابن عطية : « و ﴿ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ ، قيل : يعني قريشًا ، وقيل : يريد عموم كل من اتصف بالظلم ، وهذا هو الأصح ؛ لأنه رُوِيَ عن النبي > أنه قال : (سيكون في أمتي خَسْف ومسْخ وقَذْف بالحجارة) »[5] .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن الصحيح في عائد الضمير ﴿ هِيَ ﴾ صلاحيتُه لأن يعود للعقوبة – وهي الرمي بالحجارة – وصلاحيته لأن يعود لقرية لوط × . ويشهد لكل منهما قرآن كما قاله الشنقيطي . وأما المراد بالظالمين فالقول بالعموم أظهر مع تناوله لكفار قريش تناولاً أوليًا .

ويؤيده القاعدة الترجيحية : (يجب حمل نصوص الوحي على العموم) [6] ، والله تعالى أعلم .

---

(1) ينظر : الكشاف (٢٢٣/٣) ، والمحرر الوجيز (٣٧٣/٧) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٤٢/٤) ، والبحر المحيط (٢٥٠/٥) ، والجواهر الحسان (١٣٣/٢) ، ونظم الدرر (٣٤٧/٩) ، وإرشاد العقل السليم (٥٦/٣) ، وروح المعاني (١١٤/١٢) .

(2) ينظر : تفسير القرآن العظيم (٤٥٩/٧) .

(3) ينظر : معاني القرآن (٢٥/٢) .

(4) ينظر : معاني القرآن وإعرابه (٧٢/٣) ، وتفسير القرآن العزيز (٣٠٣/٢) .

(5) المحرر الوجيز (٣٧٣/٧) . والحديث أخرجه أحمد في مسنده (١٦٣/٢) ، وابن ماجه في سننه (٤٠٦٢) ، والحاكم في مستدركه (٤٤٥/٤) ، وابن عدي في الكامل (٢١٣٥/٦) جميعًا من طريق الحسن بن عمرو ، عن أبي الزبير ، عن عبد الله بن عمرو ط . وإسناده ضعيف ؛ لأنه لم يسمع أبو الزبير من ابن عمرو ، ولم يره. وللحديث شواهد يرتقي بها إلى الحسن لغيره، منها :

- حديث ابن عمر بإسناد حسن – كما قال محقق المسند – رواه أحمد في مسنده (١٣٧/٢) (٣٤١/١٠) رقم (٦٢٠٨) .
- وحديث أبي هريرة بإسناد حسن – كما قاله محقق المسند – رواه ابن حبان في صحيحه (الإحسان برقم ٦٧٥٩)
- وحديث عائشة عند الترمذي في سننه (٢١٨٥) . وفي إسناده عبد الله بن عمر العمري تكلّم فيه يحيى بن سعيد من قبل حفظه . قاله الترمذي .
- وحديث سهل بن سعد عند ابن ماجه في سننه (٤٠٥٩) . قال في الزوائد : رجال إسناده ثقات إلاّ أنه منقطع .

وينظر : مسند الإمام أحمد (٧٣/١١-٧٤) رقم (٦٥٢١) ط . التركي .

(6) قواعد الترجيح عند المفسرين (٥٢٧/٢) .

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ ﴾

٢٠- الخلاف في معنى ﴿ ضَعِيفًا ﴾ من قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ﴾ .

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « أي : ضعيف الانتصار والقدرة . وقيل : نحيل البدن . وقيل: أعمى »[1] .

العرض والمناقشة :

رجّح ابن جُزَيّ أنه معنى قوله : ﴿ ضَعِيفًا ﴾ أنه : ضعيف الانتصار والقدرة . ووافق في هذا معنى ما رُوِيَ عن الحسن[2] ، والسدّي[3] ، وأبي رَوق[4] .

وذهب إليه مقاتل ، والزمخشري ، وابن عطية ، والرازي ، والبيضاوي ، والنسفي ، والخازن ، والقمي ، وأبوحيان ، والثعالبي ، والسيوطي ، وأبوالسعود ، والشوكاني ، والآلوسي ، والقنوجي ، والقاسمي ، والسيد محمد رشيد رضا ، والمراغي ، والطاهر بن عاشور[5] .

ويستدل لهذا القول بظاهر المعنى ؛ فإن المعنى الظاهر والمتبادر إلى الذهن من " الضعف " هو ضِدُّ القوّة ، والضعيف ضد القوي ، وهو الذي لا يستطيع أن ينتصر لنفسه وليس عنده القدرة على ذلك،

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (١١١/٢) .

(2) نسبه له الزمخشري في الكشاف (٢٣٠/٣) ، وابن الجوزي في زاد المسير (١٥٢/٤) .

(3) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٠٧٦/٦) رقم (١١١٦٣) من طريق سهل بن عثمان ، عن رجل ، عنه قال : إنما أنت واحد . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤٧٠/٤) نسبة إلى أبي الشيخ .

(4) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٠٧٦/٦) رقم (١١١٦٤) من طريق بشر بن عمارة ، عنه .

(5) ينظر : تفسير مقاتل (٢٩٥/٢) ، والكشاف (٢٣٠/٣) ، والمحرر الوجيز (٣٨٤/٧) ، ومفاتيح الغيب (٣٩١/٦)، وأنوار التنزيل (٤٧١/١) ، ومدارك التنزيل (٢٠٢/٢) ، ولباب التأويل (٣٤٢/٢) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٤٦/٤) ، والبحر المحيط (٢٥٦/٥) ، والجواهر الحسان (١٣٥/٢) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٤٨٣/٣) ، وإرشاد العقل السليم (٦٢/٣) ، وفتح القدير (٧٢٣/٢) ، وروح المعاني (١٢٣/١٢)، وفتح البيان (٢٣٥/٦) ، ومحاسن التأويل (٣٤٨١/٩) ، وتفسير القرآن الحكيم (١١٩/١٢) ، وتفسير المراغي (٧٦/١٢) ، والتحرير والتنوير (١٤٨/١٢) .

فهو ذليل مهين ، يتعذر عليه منع القوم عن نفسه ، لا قوة له ولا حيلة .

ويشهد لهذا المعنى القرآن الكريم ؛ كقوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ﴾ [الروم : ٥٤] .

وقوله تعالى : ﴿ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴾ [النساء : ٢٨] .

وقوله تعالى : ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ ﴾ [التوبة : ٩١] .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِى ﴾ [الأعراف : ١٥٠] .

في غيرها من الآيات التي تدل على أن الضعف مقابل القوة [1] . وهذا هو المعنى المشهور للضعف في لغة العرب .

ويدل لصحة هذا القول ما بعده وهو قوله تعالى : ﴿ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ ﴾[2].

وأما القول الثاني وهو أن معنى ﴿ ضَعِيفًا ﴾ : نحيل البدن ، فاختاره الكرماني [3] . وذكره الماوردي عن ابن عيسى [4] . وكذا القرطبي ، والشوكاني [5] . وذكره السمعاني قولاً ثانيًا غير منسوب : الضعيف في البدن [6] .

وضعّفه ابن عطية [7] . وذكره أبوحيان بصيغة (قيل) [8] .

ويمكن أن يستدل له بأن من معاني الضَّعْف ما كان في البدن [9] .

ويجاب بأن التنصيص على نحالة البدن تحتاج إلى دليل ولا دليل .

---

(1) ينظر : مفردات ألفاظ القرآن للراغب (٥٠٦- ٥٠٨) مادة (ضعف) ، وعمدة الحفاظ للسمين (٢/٣٧٧-٣٧٨) .

(2) لباب التأويل للخازن (٢/٣٤٢) .

(3) ينظر : غرائب التفسير وعجائب التأويل (١/٥٢٠) .

(4) ينظر : النكت والعيون (٢/٤٩٩) .

(5) ينظر : الجامع لأحكام القرآن (١١/٢٠٠) ، وفتح القدير (٢/٧٢٣) .

(6) ينظر : تفسير القرآن (٢/٤٥٣) .

(7) ينظر : المحرر الوجيز (٧/٣٨٤) .

(8) ينظر : البحر المحيط (٥/٢٥٦) .

(9) ينظر : مفردات ألفاظ القرآن للراغب (ضعف) ، وعمدة الحفاظ للسمين (ضعف) .

وأما القول الثالث وهو أن معنى ﴿ ضَعِيفًا ﴾ : أي أعمى ، فهو قولٌ رُوِيَ عن ابن عباس[1]، وعلي بن أبي طالب [2] ، وسعيد بن جبير [3] ، وقتادة [4] ، وسفيان الثوري [5] ، وشريك القاضي[6] . ونُسِبَ إلى الكلبي [7] .

واختاره ابن جرير الطبري ، والزجاج ، والنحاس ، وابن أبي زمنين ، والواحدي ، والبغوي ، وابن الجوزي [8] . وقدّمه السمعاني ونسبه لأكثر المفسّرين [9] .

وذكره بصيغة (قيل) : الكرماني ، والزمخشري ، وابن عطية وضعّفه ، والبيضاوي [10].

وضعّفه الرازي من وجوه ، وكذا الآلوسي [11].

وعدّه الطاهر بن عاشور من فساد التفاسير[12].

---

(1) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٠٧٦/٦) رقم (١١١٦٠) من طريق شريك ، عن سالم ، عن سعيد بن جبير ، عنه قال : كان ضرير البصر . ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٤٦٩/٤) لإسحاق بن بشر ، وابن عساكر من طريق جويبر ، عن الضحاك ، عنه .

(2) أخرجه أبو الشيخ كما في الدر المنثور للسيوطي (٤٧١/٤) .

(3) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٥٥٣/١٢) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢٠٧٦/٦) رقم (١١١٦١) من طريق شريك ، عن سالم ، عنه . وأخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٥٥٣/١٢) ، وفي تاريخه (٣٢٥/١-٣٢٦) ، وابن عساكر في تاريخه (٧١/٢٣-٧٢) من طريق شريك وسفيان ، عن سالم به . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤٧٠/٤) نسبته لأبي الشيخ .

(4) ينظر : النكت والعيون للماوردي (٤٩٩/٢) ، وزاد المسير لابن الجوزي (١٥٢/٤) .

(5) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٥٥٣/١٢) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢٠٧٦/٦) رقم (١١١٦٢) من طريق أبي نعيم ، عنه . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤٧٠/٤) نسبته إلى أبي الشيخ .

(6) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٥٥٣/١٢) .

(7) ينظر : بحر العلوم للسمرقندي (١٤٠/٢) .

(8) ينظر : جامع البيان (٥٥٢/١٢) ، ومعاني القرآن وإعرابه (٧٤/٣) ، ومعاني القرآن الكريم (٣٧٥/٣-٣٧٦) ، وتفسير القرآن العزيز (٣٠٦/٢) ، والوجيز (٥٣٢/١) ، والوسيط (٥٨٧/٢) ، ومعالم التنزيل (٤٢١/٢) ، وتذكرة الأريب (٢٥٥/١) .

(9) ينظر : تفسير القرآن (٤٥٣/٢) .

(10) ينظر : غرائب التفسير وعجائب التأويل (٥٢٠/١) ، والكشاف (٢٣٠/٣) ، والمحرر الوجيز (٣٨٤/٧) ، وأنوار التنزيل (٤٧١/١) .

(11) ينظر : مفاتيح الغيب (٣٩١/٦) ، وروح المعاني (١٢٣/١٢) .

(12) ينظر : التحرير والتنوير (١٤٩/١٢) .

واستدلوا له بأن لغة حِمْيَرَ على ذلك ، فإنها تُسمّي المكفوف ضعيفًا [1] .

قال القمي : « وفسّر بعضهم الضعيف بالأعمى ؛ لأن العمى سبب الضعف ، أو لأنه لغة حِمْيَرَ » [2] .

وهذا القول ضعيف لا يصح ؛ لأنه لم يثبت في دليل صحيح نسبة العمى لشعيب ✕ .

قال ابن الجوزي : « وزعم أبو رَوْق أن الله لم يبعث نبيًّا أعمى ، ولا نبيًّا به زَمَانَةٌ »[3] .

وقال الطاهر : « ومن فساد التفاسير تفسير الضعيف بفاقد البصر ، وأنه لغة حميرية ، فركبوا منه أن شعيبًا – عليه السلام – كان أعمى ، وتطرّقوا من ذلك إلى فرض مسألة جواز العمى على الأنبياء، وهو بناء على أوهام . ولم يعرف من الأثر ولا من كتب الأولين ما فيه أن شعيبًا ✕ كان أعمى»[4] .

ومما يضعف هذا القول قوله تعالى : ﴿ فِينَا ﴾ ، فلو قيل : إنا لنراك فينا أعمى ، لم يكن كلامًا مفيدًا ؛ لأن الأعمى ، أعمى فيهم وفي غيرهم [5] .

وتفسير الضعيف بالأعمى خلاف المشهور من لغة العرب ، وترك للظاهر من غير دليل[6] .

ومما يبطله أيضًا قوله تعالى بعده : ﴿ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ ﴾ فنفوا عنه القوة التي أثبتوها في رهطه ، ولما كان المراد بالقوة التي أثبتوها للرهط هي النصرة ، وجب أن تكون القوة التي نفوها عنه هي النصرة لا البصر [7] .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن الصحيح من الأقوال في معنى قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا

---

(1) ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/٧٤) ، وتفسير القرآن للسمعاني (٢/٤٥٣) ، والمحررالوجيز لابن عطية (٧/٣٨٤) . وحكاه الأخير عن الزهراوي .

(2) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٤/٤٦) .

(3) زاد المسير (٤/١٥٢) .

(4) التحرير والتنوير (١٢/١٤٩) .

(5) ينظر : الكشاف للزمخشري (٣/٢٣٠) ، ومفاتيح الغيب للرازي (٦/٣٩١) .

(6) ينظر : مفاتيح الغيب للرازي (٦/٣٩١) .

(7) ينظر : مفاتيح الغيب للرازي (٦/٣٩١) .

ضَعِيفًا ﴾ قول من قال : إن الضعيف هو من لا قوة له على الانتصار ولا قدرة له على منع القوم عن نفسه ، وهو ما رجّحه ابن جُزَيّ ومن وافقه .

ويؤيده أن القول به هو (حملٌ لكلام الله تعالى على المعروف من كلام العرب دون الشاذ والضعيف والمنكر) [1] ، وهذا واجب .

وهو قول تشهد له الآيات القرآنية فيكون مقدمًا على غيره [2] .

وهو قول يعظّم مقام النبوة ولا ينسب إلى شعيب ﷺ ما يكون نقصًا في حق غيره فكيف هو !! [3]

وأما القول بأنه كان أعمى ، فهو أمرٌ غَيبـــيٌّ لا دليل صحيحًا عليه من كتاب ولا سنة، ولا يصح حمل الآية عليه [4] . والله تعالى أعلم .

---

(1) ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين (٢/٣٦٩) .

(2) ينظر : المصدر السابق (١/٣١٢) .

(3) ينظر : المصدر السابق (١/٣٢٨) .

(4) ينظر : المصدر السابق (١/٢٢٥) .

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾

٢١- الخلاف في فاعل ﴿ يَأْتِ ﴾ ، عَلاَمَ يعود ؟

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « العامل في الظرف : ﴿ لَا تَكَلَّمُ ﴾ أو فعل مضمر[1]، وفاعل ﴿ يَأْتِ ﴾ ضميرٌ يعود على ﴿ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴾. وقال الزمخشري [2] : يعود على الله تعالى ؛ كقوله : ﴿ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ ﴾ ، ويعضده عود الضمير عليه في قوله : ﴿ بِإِذْنِهِۦ ﴾»[3].

العرض والمناقشة :

قدّم ابن جُزَيّ القول بأن فاعل ﴿ يَأْتِ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾ هو ضمير يعود على اليوم المشهود والمجموع له الناس، وهو يوم القيامة ، والمذكور في الآية السابقة : ﴿ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴾[هود : ١٠٣] . ووافق في هذا معنى ما رُوِيَ عن ابن جُرَيْجٍ [4] .

وعلى هذا القول عامّة المفسّرين منهم : مقاتل، وابن جرير الطبري، والسمرقندي، والواحدي، وابن الجوزي، وابن عطية، والعكبري، والنسفي، والخازن، وأبوحيان، والسمين، وابن كثير، والثعالبي، والسيوطي، وأبوالسعود، والشوكاني، والآلوسي، والقنوجي، والسيد رشيد رضا، والمراغي، والسعدي، والطاهر بن عاشور [5] .

---

(1) تقديره : اذكر ، أو : أعني يومَ . ينظر : الكشاف للزمخشري (٢٣٦/٣) ، والتبيان للعكبري (٧١٣/٢) .

(2) الكشاف (٢٣٦/٣) .

(3) التسهيل لعلوم التنزيل (١١٢/٢) .

(4) أخرجه أبو الشيخ كما في الدر المنثور للسيوطي (٤٧٥/٤) .

(5) ينظر : تفسير مقاتل (٢٩٨/٢) ، وجامع البيان (٥٧٥/١٢) ، وبحر العلوم (١٤٢/٢) ، والوجيز (٥٣٤/١) ، وزاد المسير (١٥٨/٤) ، والمحرر الوجيز (٣٩٨/٧) ، والتبيان (٧١٤/٢) ، ومدارك التنزيل (٢٠٥/٢) ، ولباب التأويل (٣٤٤/٢) ، والبحر المحيط (٢٦٢/٥) ، والدر المصون (٣٨٨/٦) ، وتفسير القرآن العظيم (٤٧١/٧) ، والجواهر الحسان (١٣٨/٢) ، وإرشاد العقل السليم (٦٧/٣) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٤٨٩/٣) ،

واستظهره السمين الحلبي وجوّده وقال : « لا حاجة إلى غيره »[1] .

وجوّزه الزمخشري [2]، ونظّر له بقوله تعالى : ﴿ أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ ﴾ [يوسف : ١٠٧] .

ومثلها قوله تعالى : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم ﴾ [الزخرف : ٦٦] .

وقوله تعالى : ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم ﴾ [محمد : ١٨] .

وقوله تعالى : ﴿ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴾ [إبراهيم : ٣١] .

وقوله تعالى : ﴿ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ﴾[البقرة : ٢٥٤] .

وقوله تعالى : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ﴾[الروم :٤٣] .

وقوله تعالى : ﴿ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ﴾[الشورى : ٤٧] .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴾ [3] [الحج : ٥٥] .

ودلالة السياق عليه ظاهرة جدًا ، فإن الكلام عنه ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴾ [هود : ١٠٣- ١٠٥] .

وأما قول الزمخشري فلم أرَ من اختاره سواه !

وردّه الرازي وقال : « لا يعجبني هذا التأويل »[4] .

وذكره الآلوسي ، والقنّوجي بصيغة (قيل) [5] .

ونظّر له الزمخشري بقوله تعالى : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ،

وفتح القدير (٧٢٨/٢) ، وروح المعاني (١٣٩/١٢) ، وفتح البيان (٢٤٤/٦) ، وتفسير القرآن الحكيم (١٢٧/١٢) ، وتفسير المراغي (٨٥/١٢) ، وتيسير الكريم الرحمان (٣٩١/٢) ، والتحرير والتنوير (١٦٤/١٢).

(1) الدر المصون (٣٨٧/٦) .

(2) ينظر : الكشاف (٢٣٦/٣) .

(3) ينظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لمحمد فؤاد عبد الباقي (٤- ٧) .

(4) مفاتيح الغيب (٣٩٨/٦) .

(5) ينظر : روح المعاني (١٣٩/١٢) ، وفتح البيان (٢٤٤/٦) .

وقوله تعالى : ﴿ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ ﴾ [الأنعام: ١٥٨] ، وقوله تعالى : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ ﴾[الفجر : ٢٢] .

وهذه استدلالات صحيحة على إتيان الله تعالى ومجيئه يوم القيامة للفَصْلِ بين عباده ، لا إشكال فيها من هذا الوجه .

ويلحظ فيها التصريح بذكر اسم الله تعالى حتى لا يَبْقى وَهْمٌ ، مما يدل على أن آية هود : ﴿ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾ ليست من هذا الباب بل هي في إتيان اليوم المشهود أظهر ، والذي يلزم منه إتيان الله جلّ وعلا لفصل القضاء ، والله تعالى أعلم .

كما عضّده الزمخشري بقراءة : ﴿ **وما يؤخره** ﴾ – بالياء – وهي قراءة شاذّة لم أقف عليها عند غيره !!

وعضّده أيضًا بقوله تعالى : ﴿بِإِذْنِهِۦ ﴾ . يعني : أن ضمير بِإِذْنِهِۦ يعود على ضمير يَأْتِ وهو الله .

وليس بلازم ؛ لأن عود الضمير على الله في قوله ﴿بِإِذْنِهِۦ ﴾ وهو جائز . كما أنه يمكن أن يقال : إنه يعود على ما عاد عليه الضمير الفاعل في قوله : ﴿ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ ﴾ ، والله أعلم.

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن الصحيح في قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾ أن يقال : إن فاعل ﴿ يَأْتِ ﴾ ضميرٌ يعود على اليوم المشهود ، وهو يوم القيامة ، وفيه يأتي اللهُ لفصل القضاء بين الناس . فإتيان هذا اليوم يتضمّنُ إتيانَ اللهِ جل وعلا للفصل والقضاء ، والله تعالى أعلم .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ ﴾

٢٢- الخلاف في معنى الزفير والشهيق في قوله تعالى : ﴿ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴾ .

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « الزَّفيرُ : إخراجُ النَّفَسِ ، والشَّهيقُ : رَدُّه . وقيل : الزَفيرُ: صَوْتُ المحزون ، والشهيق : صوت الباكي . وقيل : الزَّفير من الحلق ، والشَّهيق من الصدر » [1] .

العرض والمناقشة :

رجَّح ابن جُزَيّ أن الزَّفير هو إخراجُ النَّفَسِ ، والشَّهيق هو رَدُّه . وعلى هذا ابن أبي زمنين، والراغب، والزمخشري، والبيضاوي، وأبوالسعود، والقاسمي، والطاهر بن عاشور [2] .

وذكره القرطبي بصيغة (قيل) [3] .

وذُكِرَ هذا المعنى عن الخليل [4] . وقاله ابن فارس [5] .

واستشهد له الزمخشري بقول الشمَّاخ يصف حمارًا وَحْشِيًّا :

بَعيدُ مَدَى التَّطْرِيبِ أَوَّلُ صوتِهِ زفيرٌ ويتلوه شهيقٌ مُحَشْرَجُ [6]

وأما القول الثاني وهو أن الزَّفير صوتُ المحزون ، والشهيق صوت الباكي ، فنسبه ابن الجوزي للزجاج [7] . وإنما قال الزجاج : « زفير : من شديد الأنين وقبيحه ، والشهيق : الأنين الشديد المرتفع جدًا »[8] . وذكره ابن عطية بمعناه [9] . ولم أرَ من اختاره ! وكذا لا دليل عليه .

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (١١٢/٢) .

(2) ينظر : تفسير القرآن العزيز (٣٠٩/٢) ، ومفردات ألفاظ القرآن (٤٤٨) مادة (شهق) ، والكشاف (٢٣٧/٣) ، وأنوار التنزيل (٤٧٣/١) ، وإرشاد العقل السليم (٦٨/٣) ، ومحاسن التأويل (٣٤٨٥/٩) ، والتحرير والتنوير (١٦٥/١٢) .

(3) ينظر : الجامع لأحكام القرآن (٢١١/١١) .

(4) ينظر : تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (٣٠٩/٢) .

(5) المجمل في اللغة (٥١٤/١) . وينظر : زاد المسير لابن الجوزي (١٥٩/٤) .

(6) ينظر : الكشاف (٢٣٧/٣) .

(7) ينظر : زاد المسير (١٥٩/٤) .

(8) معاني القرآن وإعرابه (٧٩/٣) .

(9) ينظر : المحرر الوجيز (٤٠٠/٧) .

وأما القول الثالث وهو أن الزَّفير من الحلق ، والشهيق من الصدر ، فهو قولٌ رُوِيَ عن ابن عباس [١]، والربيع بن أنس [٢] ، وأبي العالية [٣] . ونُقِلَ عن ثعلب [٤] . وعليه ابن عطية، ومحمود النيسابوري، وابن كثير، والثعالبي [٥] .

وقدّمه السمعاني وذكره بصيغة (قيل) [٦] .

قال ابن عطية : « الزَّفْرَة هي التي يعظم معها الصدر والخوف ، والشهقة هي الوقعة الأخيرة من الصوت المندفعة معها النفس أحيانًا ، فقد يشهق المحتضر ويشهق المغشي عليه »[٧] .

واستشهد له محمود النيسابوري برَجَزِ رُؤبةَ بن العجّاج :

حَشرجَ في الجوف صَهيلاً أو شهْق حتى يقال : ناهق وما نهقْ [٨]

وقال الزجاج : « وزعم أهل اللغة من البصريين والكوفيين أن الزَّفير بمنزلة ابتداء صوت الحمار في النهيق، والشهيق بمنزلة آخر صوته في النهيق »[٩] .

وهذا هو اختيار ابن جرير الطبري [١٠] مستشهدًا له بقول رؤبة :

حَشْرَجَ في الجوف سحيلاً أو شَهَقْ حتى يقال نَاهِقٌ وما نَهَقْ

---

(1) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٥٧٧/١٢) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢٠٨٥/٦) رقم (١١٢٢٤، ١١٢٢٦) ، والبيهقي في البعث والنشور (٦٥٥) ، من طريق علي بن أبي طلحة ، عنه قال : الزفير الصوت الشديد، والشهيق الصوت الضعيف . وأورده السيوطي في الدر المنثور (٤٧٨/٤) بلفظ : (الزفير الصوت الشديد في الحلق ، والشهيق الصوت الضعيف في الصدر) . ونسبه للطبري ، وابن أبي حاتم ، وأبي الشيخ ، وابن مردويه ، والبيهقي في البعث والنشور . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٠٨٥/٦) رقم (١١٢٢٥ و ١١٢٢٧) من طريق بشر بن عمارة ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عنه بلفظ : (الزفير في الحلق ، والشهيق في الصدر) .

(2) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٠٨٥/٦) عقب الأثر (١١٢٢٥) .

(3) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٥٧٧/١٢) .

(4) ينظر: تفسير مقاتل (٢٩٨/٢) .

(5) ينظر : المحرر الوجيز (٤٠١/٧) ، ووضح البرهان (٤٤٣/١) ، وإيجاز البيان (٣٣٧/١) ، وتفسير القرآن العظيم (٤٧٢/٧) ، والجواهر الحسان (١٣٨/٢) .

(6) تفسير القرآن (٤٥٩/٢) .

(7) المحرر الوجيز (٤٠١/٧) .

(8) وضح البرهان (٤٤٣/١) . والبيت في ديوان رؤبة (١٠٦) .

(9) معاني القرآن وإعرابه (٧٩/٣) .

(10) ينظر : جامع البيان (٥٧٦/١٢- ٥٧٧) .

وعلى هذا الواحدي ، وابن الجوزي [1] ، وقدّمه أبوحيان، والسمين [2] . ونُسِبَ لقتادة [3] ، والضحاك ، ومقاتل [4] .

وذكر البيضاوي، وأبوالسعود أن الزفير والشهيق يستعملان في أول نهيق الحمار وآخره تَشبيهًا لصراخهم بأصوات الحمير [5] . واستشهدا لذلك ببيت الشمَّاخ .

واختار ابن التركماني الجمع بين القول الأول والثالث فقال : « الزفير : أول نهيق الحمار وشبهه، وهو من الصدر . والشهيق : آخره ، وهو من الحلق » [6] .

وأما السيد محمد رشيد رضا فقال : « والتحقيق : أن تنفُّسَ الصعَدَاء من الهمّ والكرب إذا امتدّ واشتدّ فسمع صوته كان زفيرًا ، وأن النّشيج في البكاء إذا اشتدّ تردده في الصدر وارتفع به الصوت سمي شهيقًا » [7] . وتبعه المراغي [8] .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن الذي يظهر – والله أعلم – أنه لاتعارض بين هذه الأقوال ؛ فقولٌ يصفهما بالإخراج والردّ ، وآخر يشبّههما بالمحزون والباكي أو نهيق الحمار ، وآخر يذكر مكانهما دخولاً وخروجًا . وسبب ذلك عدم الدليل على التعيين. ولذا فإن بعض المفسّرين يذكر الأقوال في هذه الآية بلا ترجيح ، والله تعالى أعلم .

---

(1) ينظر : الوجيز (٥٣٤/١) ، وتذكرة الأريب (٢٥٦/١) .

(2) ينظر : البحر المحيط (٢٦٢/٥) ، والدر المصون (٣٩٠/٦) .

(3) ينظر : المحرر الوجيز لابن عطية (٤٠٠/٧) .

(4) ينظر : الوسيط للواحدي (٥٩١/٢) ، ومعالم التنزيل للبغوي (٤٢٤/٢) ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢١١/١١) ، ولباب التأويل للخازن (٣٤٥/٢) .

(5) ينظر : أنوار التنزيل (٤٧٣/١) ، وإرشاد العقل السليم (٦٨/٣) .

(6) بهجة الأريب (٤٧٣/١- ٤٧٤) .

(7) تفسير القرآن الحكيم (١٢٨/١٢- ١٢٩) .

(8) تفسير المراغي (٨٦/١٢) .

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾

٢٣- المراد بالظالمين في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ ﴾.

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « يعني الكفار . وقيل : إنهم الظلمة من الولاة وغيرهم » [1] .

العرض والمناقشة :

رجّح ابن جُزَيّ أن الذين ظلموا في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ ﴾ يعني بهم الكفار . ووافق في هذا ما روي عن ابن عباس [2] ، وقتادة [3] ، وابن زيد [4] .

وإليه ذهب مقاتل، وأبو عبيدة، وابن جرير الطبري، وابن أبي زمنين، والواحدي، وابن عطية، وابن الجوزي، والثعالبي، والآلوسي، والقاسمي، والسيد محمد رشيد رضا، والمراغي، والطاهر بن عاشور [5] .

واستدلوا له بالسياق ، فإن الآية في مشركي مكة اعتمادًا على سباقها وسياقها . قاله القاسمي[6].

وقال السيد محمد رشيد رضا : « عبَّر عن هؤلاء الأعداء بالمشركين بالذين ظلموا ، كما عبَّر عن أقوام الرسل الأولين في قصصهم من هذه السورة . وعبَّر عنهم فيها بالظالمين أيضًا كقوله تعالى :

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (١١٣/٢) .

(2) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦٠٠/١٢) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢٠٩٠/٦) رقم (١١٢٥٩) من طريق عطية العوفي ، عنه قال : يعني الركون إلى الشرك .

(3) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦٠١/١٢) من طريق بشر ، عن يزيد ، عن سعيد ، عنه . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٠٩٠/٦) رقم (١١٢٦٠) من طريق سعيد بن بشير ، عنه . ومن طريق سعيد بن أبي عروبة ، عنه (١١٢٦١) .

(4) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦٠١/١٢) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢٠٩٠/٦) رقم (١١٢٦٢) .

(5) ينظر : تفسير مقاتل (٣٠٠/٢) ، ومجاز القرآن (٣٠٠/١) ، وجامع البيان (٥٩٩/١٢) ، وتفسير القرآن العزيز (٣١٢/٢) ، والوجيز (٥٣٥/١) ، والمحرر الوجيز (٤١٤/٧) ، وتذكرة الأريب (٢٥٧/١) ، والجواهر الحسان (١٤٠/٢) ، وروح المعاني (١٥٤/١٢) ، ومحاسن التأويل (٣٤٩٠/٩) ، وتفسير القرآن الحكيم (١٣٦/١٢) ، وتفسير المراغي (٩٢/١٢) ، والتحرير والتنوير (١٧٨/١٢) .

(6) محاسن التأويل (٣٤٩١/٩) .

﴿ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [هود : ٤٤] .فلا فرق في هذه الآيات بين التعبير بالوصف والتعبير بـــ الذين وصلته ، فإنهما في الكلام عن الأقوام بمعنى واحد »[١] .

وقال أيضًا : « فالمفهوم من مدلول ألفاظ الآية وسياقها وحال المخاطبين بها مع الظالمين لهم في عصرهم يدل على أنها في الكفار المشركين »[٢] .

وأما القول الآخر وهو أن الذين ظلموا على العموم ، فيراد بهم الظَّلَمَة من الولاة وغيرهم من غير فَرْقٍ بين كافرٍ ومسلم ، فنسبه ابن الجوزي إلى السدّي ، وابن زيد [٣] .

وعليه ابن العربي، والقرطبي، والشوكاني، والقنوجي[٤] . وهو مفهوم كلام الزمخشري، والنسفي، والقمي، وأبي حيان، وأبي السعود [٥] . ونسبه الآلوسي لأكثر المفسرين [٦] .

واستدل له الشوكاني بظاهر الآية وقال : « ولو فرضنا أن سبب النزول هم المشركون لكان الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب »[٧] .

ونظّر له ابن العربي بقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [٨] [الأنعام : ٦٨] .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن الأحسن حمل الآية على العموم ؛ لأن العبرة بعموم اللفظ [٩] ، ولأنه يجب حمل نصوص الوحي على العموم [١٠] . والله تعالى أعلم .

---

(1) تفسير القرآن الحكيم (١٣٧/١٢) .

(2) المصدر السابق (١٣٨/١٢) .

(3) ينظر : زاد المسير (١٦٥/٤) .

(4) ينظر : أحكام القرآن (١٠٦٦/٣) ، والجامع لأحكام القرآن (٢٢٦/١١) ، وفتح القدير (٧٣٦/٢) ، وفتح البيان (٢٦٣/٦) .

(5) ينظر : الكشاف (٢٤١/٣-٢٤٢) ، ومدارك التنزيل (٢٠٧/٢) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٥٦/٤) ، والبحر المحيط (٢٦٩/٥) ، وإرشاد العقل السليم (٧٢/٣) .

(6) ينظر : روح المعاني (١٥٤/١٢) .

(7) ينظر : فتح القدير (٧٣٦/٢) .

(8) ينظر : أحكام القرآن (١٠٦٦/٣) .

(9) ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين (٥٤٥/٢) .

(10) ينظر : المصدر السابق (٥٢٧/٢) .

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ ﴾

٢٤- هل الاستثناء منقطع أم متصل ؟ في قوله تعالى : ﴿ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ﴾ .

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « استثناء منقطع ، معناه : ولكن قليلاً ممن أنجينا القرون ينهون عن الفساد في الأرض . وقيل : هو متصل ؛ فإن الكلام الذي قبله في حكم النفي كأنه قال : ما كان فيهم من ينهى عن الفساد في الأرض إلا قليلاً . على أن الوجه في مثل هذا البدل ، ويجوز فيه النصب»[1] .

العرض والمناقشة :

رجّح ابن جُزَيّ أن الاستثناء في قوله تعالى : ﴿ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ﴾ هو استثناء منقطع . ووافق في هذا ما نسبه ابن عطية لسيبويه [2] .

وعليه الفراء ، وابن جرير الطبري ، والزجاج ، والنحاس ، والسمرقندي ، ومكي ، والواحدي، والسمعاني ، والبغوي ، والزمخشري ، ومحمود النيسابوري ، وابن الجوزي ، والرازي ، والقرطبي ، والبيضاوي ، والنسفي ، والخازن ، وأبوحيان ، والثعالبي ، وأبوالسعود ، والسيوطي ، والشوكاني ، والآلوسي ، والقنّوجي ، والقاسمي ، والطاهر بن عاشور [3] .

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (١١٣/٢) .

(2) ينظر : المحرر الوجيز (٤٢٢/٧) وقال : والكلام عنده موجب .

(3) ينظر : معاني القرآن (٣٠/٢) ، وجامع البيان (٦٢٨/١٢) ، ومعاني القرآن وإعرابه (٨٣/٣) ، وإعراب القرآن (٣٠٨/٢) ، وبحر العلوم (١٤٦/٢) ، ومشكل إعراب القرآن (٣٧٦/١) ، والوجيز (٥٣٦/١) ، وتفسير القرآن (٤٦٧/٢) ، ومعالم التنزيل (٤٣٠/٢) ، والكشاف (٢٤٦/٣) ، ووضح البرهان (٤٤٦/١) ، وإيجاز البيان (٣٣٩/١) ، وتذكرة الأريب (٢٥٧/١) ، ومفاتيح الغيب (٤٠٩/٦) ، والجامع لأحكام القرآن (٢٣٤/١١) ، وأنوار التنزيل (٤٧٥/١) ، ومدارك التنزيل (٢٠٨/٢) ، ولباب التأويل (٣٤٨/٢) ، والبحر المحيط (٢٧١/٥) ، والجواهر الحسان (١٤٢/٢) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٥٠١/٣) ، وإرشاد العقل السليم (٧٤/٣) ، وفتح القدير (٧٤٠/٢) ، وروح المعاني (١٦١/١٢) ، وفتح البيان (٢٧٠/٦) ، ومحاسن التأويل (٣٤٩٦/٩) ، والتحرير والتنوير (١٨٤/١٢) .

وهو تفسير السيد محمد رشيد رضا ، والمراغي ، والسعدي [1] . وقدّمه ابن عطية [2] .

قال الفراء ، وابن جرير الطبري : « وهو استثناء على الانقطاع مما قبله ، كما قال عز وجل : ﴿ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ ﴾ »[3] [يونس : ٩٨] .

وقال محمود النيسابوري : « لأنه إيجاب لم يتَقَدْمه نفي ، وإنما تقدّمه تهجينٌ وتوبيخ لمن يسلك مسلكهم »[4] .

وقال السمين : « حملاً للتحضيض على حقيقته ، وإذا حمل على حقيقته تعيَّن أن يكون الاستثناء منقطعًا ؛ لئلا يفسد المعنى »[5] .

ويقول الطاهر بن عاشور : « و ﴿ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ استثناء منقطع من ﴿ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ ﴾ وهو يستتبع الاستثناء من القرون ، إذ القرون الذين فيهم ﴿ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ ﴾ ليس داخلين في حكم القرون المذكورة من قبل ، وهو في معنى الاستدراك ؛ لأن معنى التحضيض متوجّه إلى القرون الذين لم يكن فيهم أولو بقية فهم الذين يُنْعَى عليهم فقدان ذلك الصنف منهم . وهؤلاء القرون ليس منهم من يستثنى إذ كلهم غير ناجين من عواقب الفساد ، ولكن لما كان معنى التحضيض قد يوهم أن جميع القرون التي كانت قبل المسلمين قد عدموا أولي بقية مع أن بعض القرون فيهم أولو بقية ، كان الموقع للاستدراك لرفع هذا الإيهام ، فصار المستثنى غيرَ داخلٍ في المذكور من قبل ، فلذلك كان منقطعًا ، وعلامة انقطاعه انتصابه ؛ لأن نصب المستثنى بعد النفي إذا كان المستثنى منه غير منصوب أمارة على اعتبار الانقطاع إذ هو الأفصح . وهل يجئ أفصح كلام إلاّ على أفصح إعْراب ؟! ولو كان معتبرًا اتصالُه لجاء مرفوعًا على البدلية من المذكور قبله »[6] .

وأما القول الآخر وهو أن الاستثناء متصل ، فعليه أبوعبيدة ، والقمي ، والبقاعي [7] .

---

(1) ينظر : تفسير القرآن الحكيم (١٥٤/١٢) ، وتفسير المراغي (٩٧/١٢) ، وتيسير الكريم الرحمان (٣٩٥/٢) .

(2) ينظر : المحرر الوجيز (٤٢٢/٧) .

(3) ينظر : معاني القرآن (٣٠/٢) ، وجامع البيان (٦٢٨/١٢) .

(4) وضح البرهان (٤٤٦/١) ، وإيجاز البيان (٣٣٩/١) .

(5) الدر المصون (٤٢٣/٦) .

(6) التحرير والتنوير (١٨٤/١٢- ١٨٥) .

(7) ينظر : مجاز القرآن (٣٠١/١) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٥٨/٤) ، ونظم الدرر (٣٩٩/٩) .

قال أبوحيان : « وأَبَى الأخفشُ أن يكون الاستثناء منقطعًا »[1] .

وقال أبوعبيدة : « منصوب ؛ لأنه استثناء من هؤلاء القرون وهم ممن أنجينا »[2] .

وذكره الشوكاني ، والقنّوجي بصيغة (قيل) [3] .

ووُجّهَ بأن الكلام منفيٌ من حيث المعنى ، أي : لم يكن فيهم أولو بقية [4] .

قال القمي : « لأن في تحضيضهم على النهي عن الفساد معنى نفيه عنهم فكأنه قيل : ما كان من القرون ناس ناهون إلاّ ناسًا قليلاً »[5] .

وقال السمين : « وَجْهُ كون الاستثناء متصلاً : أن يؤول التحضيض بمعنى النفي فيصح ذلك ، إلاّ أنه يؤدي إلى النصب في غير الموجب ، وإن كان غيرُ النصب أَولى .

ويؤيد أن التحضيض هنا في معنى النفي قراءةُ زيد بن علي ﴿ إلا قليل ﴾ بالرفع ، لاحظَ معنى النفي فأبدل على الأفصح ؛ كقوله : ﴿ مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ [النساء : ٦٦] .

وقال الفراء : المعنى : فلم يكن ؛ لأن في الاستثناء ضرْبًا من الجَحْد . سمّى التحضيض استفهامًا.

ونُقِلَ عن الأخفش أنه كان يرى تَعَيُّنَ اتصال هذا الاستثناء ، كأنه لحظ النفي»[6] .

وقال الزمخشري : « إن جعلته متصلاً على الظاهر كان المعنى فاسدًا ؛ لأنه يكون تحضيضًا لأولي البقية على النهي عن الفساد ، إلاّ القليل من الناجين منهم ، كما تقول : هلاّ قرأ قومك القرآن إلاّ الصلحاء منهم ، تريد استثناء الصلحاء من المحضَّضين على قراءة القرآن [7] . وإن قلت : في تحضيضهم على النهي عن الفساد معنى نفيه عنهم ، فكأنه قيل : ما كان من القرون أولو بقية إلاّ قليلاً، كان استثناء متصلاً ومعنىً صحيحًا ، وكان انتصابه على أصل الاستثناء ، وإن كان الأفصح أن

---

(1) البحر المحيط (٢٧٢/٥) .

(2) مجاز القرآن (٣٠١/١) .

(3) ينظر : فتح القدير (٧٤٠/٢) ، وفتح البيان (٢٧٠/٦) .

(4) ينظر : المحرر الوجيز (٤٢٢/٧) .

(5) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٥٨/٤) .

(6) الدر المصون (٤٢٤/٦) .

(7) وافقه الرازي على هذا في مفاتيح الغيب (٤٠٩/٦) ، وأباه القمي وقال : لم لا يجوز أن يكون المراد من استثناء الصلحاء منهم أنه لا حاجة لهم إلى التحضيض كأنك قلت : أحضض قومك على القراءة إلاّ الصلحاء فإنهم لا يحتاجون إلى ذلك ؛ لأنهم مواظبون عليهما . [غرائب القرآن ٥٨/٤] .

يرفع على البدل »[1] . اهـ .

وقال أبوحيان : « ولا يصح أن يكون استثناء متصلاً مع بقاء التحضيض على ظاهره ؛ لفساد المعنى وصيرورته إلى أن الناجين لم يحرضوا على النهي عن الفساد . والكلام عند سيبويه بالتحضيض واجب ، وغيْرُه يراه منفيًّا من حيث معناه : أنه لم يكن منهم أولو بقية » .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن الأكثرين على أن الاستثناء في قوله تعالى : ﴿ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ﴾ هو استثناء منقطع والمعنى عليه : ولكن قليلاً ممن أنجينا من القرون ينهون عن الفساد في الأرض . وعلامة انقطاعه انتصابه ؛ لأن نصب المستثنى بعد النفي إذا كان المستثنى منه غير منصوب أمارة على اعتبار الانقطاع إذ هو الأفصح ، كما قاله الطاهر ابن عاشور . وأما كونه استثناء متصلاً فهو يحتاج إلى تأويل ، إذ لا يساعده الظاهر .

وإذا كان ذلك كذلك فإن الأَولى هو ما رجّحه ابن جُزَيّ ومن وافقه ، وهو اختيار الأكثر ويؤيده القاعدة الترجيحية : (يجب حمل كتاب الله على الأوجه الإعرابية القوية المشهورة)[2] ، والله تعالى أعلم .

---

(1) الكشاف (٢٤٦/٣) بتصرف يسير . وتبعه أبوالسعود في إرشاد العقل السليم (٧٤/٣) .

(2) قواعد الترجيح (٦٤٥/٢) .

تَرجيحاتُ ابن جُزَيّ

في تفسير سورة يوسف

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾ ﴾

١- الخلاف في المراد بـــ تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ .

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « قيل : هي عبارة الرؤيا . واللفظ أعمّ من ذلك »[1] .

العرض والمناقشة :

رجّح ابن جُزَيّ العمومَ في المراد بتأويل الأحاديث ، وعدم قصرها على تعبير الرؤيا .

وفسّرها الحسنُ بعواقب الأمور التي لا تُعلم إلا بوحي نبوَّةٍ [2] .

وقال ابن زيد : « العلم والحكمة ، وكان يوسفُ أعبرَ الناس . وقرأ : ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ »[3] [٢٢].

ومال إلى هذا القول السمرقندي [4] .

وجوّز الزمخشري أن يكون المراد : معاني كتب الله وسنن الأنبياء ...

وقال : « سميت أحاديث ؛ لأنه يحدّث بها عن الله ورسله فيقال : قال الله ، وقال الرسول ... ألا ترى إلى قوله تعالى : ﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴾ [المرسلات : ٥٠] ، وقوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ ﴾ [الزمر : ٢٣] . والأحاديث اسم جمع للحديث وليس بجمع أحدوثة »[5] .

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (١١٤/٢) .

(2) ينظر : تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (٣١٦/٢) ، والمحرر الوجيز لابن عطية (٤٣٨/٧) ، والجواهر الحسان للثعالبي (١٤٥/٢) .

(3) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٦/١٣) من طريق ابن وهب ، عنه . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢١٠٣/٧) رقم (١١٣٤١) من طريق أصبغ ، عنه .

(4) مال إلى هذا القول عند تفسيره للآية رقم (٢١) وهي قوله تعالى : ﴿ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ﴾ قال : يعني كي يلهمه تعبير الرؤيا وغير ذلك من العلوم . ينظر : بحر العلوم (١٥٦/٢) .

(5) الكشاف (٢٥٦/٣) بتصرف يسير .

وجوّز الزجاج أن يكون المعنى : ويعلمك تأويل أحاديث الأنبياء والأمم[1].

وعلى هذا البقاعي ، والسعدي [2] .

واستظهر الشنقيطي أن الآيات المذكورة تشمل ذلك كلَّه من تأويل الرؤيا ، وعلوم كتب الله وسنن الأنبياء [3] .

وذكر هذا القول ابن عطية ، وأبوحيان ، والثعالبي بصيغة (قيل) [4] .

قال الشنقيطي : « ويدَلُّ لهذا الوجه قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾[يوسف : ٢٢] وقوله : ﴿ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ ﴾ »[5] [يوسف : ٣٧] .

وأما القول بأن المراد بتأويل الأحاديث هو تعبير الرؤيا ، فهو قول مجاهد [6] ، وقتادة [7] ، والسدّي [8] . وَنُسِبَ إلى ابن عباس [9] .

وعليه أكثر المفسّرين ومنهم : مقاتل، وابن جرير الطبري، والجصاص، والسمرقندي، ومكي، والواحدي، والسمعاني، والبغوي، والزمخشري، وابن الجوزي، والقرطبي، والخازن، وابن التركماني، وابن كثير، والسيوطي، وأبوالسعود، والشوكاني، والآلوسي، والقنّوجي، والقاسمي [10] .

---

(1) معاني القرآن وإعرابه (٩٢/٣) .

(2) ينظر : نظم الدرر (١٨/١٠) ، وتيسير الكريم الرحمان (٤٠١/٢) .

(3) ينظر : أضواء البيان (٥٢/٣) .

(4) ينظر : المحرر الوجيز (٤٣٨/٧) ، والبحر المحيط (٢٨١/٥) ، والجواهر الحسان (١٤٥/٢) .

(5) أضواء البيان (٥٢/٣) .

(6) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٨٢/١١) ، وابن جرير الطبري في جامع البيان (٦٥،١٦/١٣) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢١٠٣/٧) رقم (١١٣٣٩) و (٢١١٨/٧) رقم (١١٤٤٠) من طريق القاسم ، وابن أبي نجيح ، عنه. وزاد السيوطي في الدر المنثور (٥١٨/٤) نسبته إلى ابن المنذر .

(7) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٥/١٣) من طريق بشر ، عن يزيد ، عن سعيد ، عنه . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢١٠٣/٧) رقم (١١٣٤٠) من طريق سعيد ، عنه .

(8) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦٥/١٣) من طريق أسباط ، عنه .

(9) ينظر : زاد المسير لابن الجوزي (١٨١/٤) .

(10) ينظر : تفسير مقاتل (٣١٨/٢) ، وجامع البيان (١٣/ ١٥، ٦٥) ، وأحكام القرآن (٣٨٠/٤) ، وبحر العلوم

وقدّمه الرازي ، والبيضاوي ، والنسفي ، وأبوحيان [1] . وجوّزه الزجاج [2] .

قال السمعاني : « وأكثر المفسّرين على أن المراد من هذا علم التعبير وما تؤول إليه الرؤيا »[3] .

ونقل الشوكاني – وتبعه القنوجي – عن القرطبي قوله : « وأجمعوا أن ذلك في تأويل الرؤيا »[4] .

فعلى هذا سُمِّي تأويلاً ؛ لأنه بيان ما يؤول أمر المنام إليه[5].

وسميت أحاديث ؛ لأن المرائي يتحدّثُ بها الراؤون [6] .

ويدل له قوله تعالى في آخر القصة: ﴿ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ ﴾[7][يوسف : ١٠٠] .

قال الشنقيطي : « ويدل لهذا الوجه الآيات الدالة على خبرته بتأويل الرؤيا ؛ كقوله: ﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦۚ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ ﴾ [يوسف : ٤١] . وقوله : ﴿ قَالَ تَزۡرَعُونَ سَبۡعَ سِنِينَ دَأَبٗا فَمَا حَصَدتُّمۡ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تَأۡكُلُونَ ٤٧ ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ سَبۡعٞ شِدَادٞ يَأۡكُلۡنَ مَا قَدَّمۡتُمۡ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تُحۡصِنُونَ ٤٨ ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَامٞ فِيهِ يُغَاثُ

(١٥٠/٢) ، وتفسير المشكل (٢٠٢) ، والوجيز (٥٣٩/١) ، الوسيط (٦٠١/٢) ، وتفسير القرآن (٨/٣) ، ومعالم التنزيل (٤٣٦/٢، ٤٤٧) ، والكشاف (٢٥٦/٣) ، وتذكرة الأريب (٢٥٩/١) ، والجامع لأحكام القرآن (٢٥٨/١١) ، ولباب التأويل (٥/٣) ، وبهجة الأريب (٢٧٥/١) ، وتفسير القرآن العظيم (١٥/٨) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٨/٤) ، وإرشاد العقل السليم (٨١/٣) ، وفتح القدير (٨/٣) ، وروح المعاني (١٨٥/١٢) ، وفتح البيان (٢٩٠/٦) ، ومحاسن التأويل (٣٥٠٦/٩) .

(1) ينظر : مفاتيح الغيب (٤٢٠/٦) ، وأنوار التنزيل (٤٧٨/١) ، ومدارك التنزيل (٢١٢/٢) ، والبحر المحيط (٢٨١/٥) .

(2) ينظر : معاني القرآن وإعرابه (٩٢/٣) .

(3) تفسير القرآن (٨/٣) .

(4) لم أجده في الجامع لأحكام القرآن للقرطبي . وينظر : فتح القدير (٨/٣) ، وفتح البيان (٢٩٠/٦) .

(5) ينظر : معالم التنزيل للبغوي (٤٣٦/٢) .

(6) ينظر : التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٢١٦/١٢) .

(7) المصدر السابق .

ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعۡصِرُونَ ﴾ »[1] [يوسف : ٤٧- ٤٩] .

وسوّى بين القولين بـــ (أو) السيد محمد رشيد رضا ، والمراغي [2] .

وصحّح القولين معًا الطاهر بن عاشور وقال : « لعلّ كلا المعنيين مراد بناء على صحة استعمال المشترك في معنييه ، وهو الأَصحُّ »[3] .

ويقصد بالمشترك : " الأحاديث " فإنها يصح أن تكون جمع حديث بمعنى الشيء الحادث ، فتأويلها : إرجاع الحوادث إلى عللها وأسبابها بإدراك حقائقها على التمام ، وهو المعني بالحكمة . ويصح أن تكون جمع حديث بمعنى الخبر المتحدّث به ، فتأويلها : تعبير الرؤيا .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن الأَولى هو حمل اللفظ على العموم كما قال ابن جُزَيّ ، ويدخل في ذلك دخولاً قطعيًا تعبير الرؤى ؛ لدلالة الآيات المذكورة في قصته على كلا القولين ، و (يجب حمل نصوص الوحي على العموم) [4] ، والله تعالى أعلم .

---

(1) أضواء البيان (٣/٥١- ٥٢) .

(2) ينظر : تفسير القرآن الحكيم (١٢/٢٠٨) ، وتفسير المراغي (١٢/١١٥) .

(3) التحرير والتنوير (١٢/٢١٦) .

(4) قواعد الترجيح عند المفسرين (٢/٥٢٧) .

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ۝٧ ﴾

٢- الخلاف في المراد بـــ السائلين .

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « أي : لمن سأل عنها . رُوِيَ أن اليهود سألوا رسول الله > عن قصة يوسف أو أمَروا قُريشًا أن يسألوه عنها ، فهم السائلون على هذا ، واللفظ أعمُّ من ذلك » [1] .

العرض والمناقشة :

رجّح ابن جُزَيّ القول بالعموم في المراد بالسائلين ؛ لدلالة اللفظ عليه .

قال قتادة : « من سأل عن ذلك »[2] .

وقال الضحاك : « من كان سائلاً عن يوسف وإخوته »[3] .

وعلى هذا المعنى أكثر المفسّرين ومنهم : ابن جرير الطبري، والسمرقندي، وابن أبي زمنين، والزمخشري، والرازي، والقرطبي، والبيضاوي، وأبوحيان، وابن كثير، والثعالبي، والبقاعي، والشوكاني، والقنّوجي، والقاسمي، والسيد محمد رشيد رضا، والمراغي، والسعدي، والطاهر بن عاشور [4] . وقدّمه الآلوسي [5] .

وذكره البغوي بصيغة (قيل) [6] .

قال ابن جرير الطبري : « السائلين عن أخبارهم وقصصهم . ثم قال : وإنما أراد جلّ

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (١١٥/٢) .

(2) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢١٠٤/٧) رقم (١١٣٤٧) من طريق سعيد بن أبي عروبة ، عنه .

(3) أخرجه أبو الشيخ كما في الدر المنثور للسيوطي (٥٠٠/٤) .

(4) ينظر : جامع البيان (١٧/١٣) ، وبحر العلوم (١٥١/٢) ، وتفسير القرآن العزيز (٣١٧/٢) ، والكشاف (٢٥٦/٣)، ومفاتيح الغيب (٤٢٣/٦) ، والجامع لأحكام القرآن (٢٥٩/١١) ، وأنوار التنزيل (٤٧٩/١) ، والبحر المحيط (٢٨٢/٥) ، وتفسير القرآن العظيم (١٦/٨) ، والجواهر الحسان (١٤٥/٢) ، ونظم الدرر (٢٠/١٠) ، وفتح القدير (١٠/٣) ، وفتح البيان (٢٩٢/٦) ، ومحاسن التأويل (٣٥١٣/٩) ، وتفسير القرآن الحكيم (٢١١/١٢) ، وتفسير المراغي (١١٧/١٢) ، وتيسير الكريم الرحمان (٤٠٢/٢) ، والتحرير والتنوير (٢١٩/١٢) .

(5) ينظر : روح المعاني (١٨٩/١٢) .

(6) ينظر : معالم التنزيل (٤٣٨/٢) .

ثناؤه بذلك محمدًا > يعلِّمه فيها ما لقي يوسف من إخوته من الحسد تسليةً له مما يلقاه من مشركي قريش . وكذلك قاله ابن إسحاق »[1] .

ونظّروا له بقوله تعالى : ﴿ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴾[2] [فصلت : ١٠] .

قال ابن عاشور : « ومثل هذا يستعمل في كلام العرب للتشويق ، والحثُّ على تطلّب الخبر والقصة »[3] .

وأما القول بأن السائلين هم اليهود ، فعليه مقاتل، والزجاج، والواحدي، والبغوي، وابن عطية، والخازن، والثعالبي[4] . وذكر الأخير أن هذا هو سبب النزول .

قال ابن الجوزي : « قال المفسّرون : وكان اليهود قد سألوا رسول الله > عن قصة يوسف ، فأخبرهم بها كما في التوراة ، فعجبوا من ذلك »[5] .

وذكر أبوحيان أن اليهود أمروا كفار مكة أن يسألوا رسول الله > عن السبب الذي أحلَّ بني إسرائيل بمصرَ فنزلت . وقيل : سألت اليهود رسول الله > أن يحدثهم أمر يعقوب وولده وشأن يوسف[6] . ثم ذكر هذا القول مرة أخرى في موضع آخر بصيغة (قيل)[7].

كما ذكره الزمخشري، والشوكاني، والقنوجي، والسيد محمد رشيد رضا، والطاهر، بصيغة (قيل)[8] .

وأما ما استشهد به ابن جُزَيّ على ذلك فإنه لا يصح مما رُوِيَ في ذلك شئ بل هي من الإسرائيليات كما قاله السيد محمد رشيد رضا .

وقال الطاهر بن عاشور : « وهذا لا يستقيم ؛ لأن السورة مكية ولم يكن لليهود

---

(1) جامع البيان (١٣/١٧) بتصرف .

(2) ينظر : مفاتيح الغيب للرازي (٦/٤٢٣) ، والتحرير والتنوير للطاهر (١٢/٢١٩) .

(3) المصدر الأخير .

(4) ينظر : تفسير مقاتل (٢/٣١٩) ، ومعاني القرآن وإعرابه (٣/٨٧) ، الوسيط (٢/٦٠١) ، ومعالم التنزيل (٢/٤٣٨) ، والمحرر الوجيز (٧/٤٣٠، ٤٤٠) ، ولباب التأويل (٣/٥) ، والجواهر الحسان (٢/١٤٤) .

(5) زاد المسير (٤/١٨٢) .

(6) البحر المحيط (٥/٢٧٧) بتصرف يسير .

(7) ينظر : المصدر السابق (٥/٢٨٢) .

(8) ينظر : الكشاف (٣/٢٥٦- ٢٥٧) ، وفتح القدير (٣/١٠) ، وفتح البيان (٦/٢٩٢) ، وتفسير القرآن الحكيم (١٢/٢١١- ٢٢٢) ، والتحرير والتنوير (١٢/٢١٩) .

مخالطة للمسلمين بمكة » .

واستبعده الآلوسي بما أخرجه البيهقي في الدلائل [1] من طريق الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس : أن حَبْرًا من اليهود دخل على رسول الله > فوافقه وهو يقرأ سورة يوسف فقال : يامحمد ، من علمكها ؟ قال : الله علمنيها ... الحديث .

ثم قال الآلوسي : « وفي القلب من صحة الخبر ما فيه »[2] .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن قَصْر السائلين على اليهود بناءً على ما رُوِيَ في ذلك هو قول غير سديد ؛ لضعف الرواية فإنها من الإسرائيليات كما قاله السيد رشيد رضا .

كما أن القول بأنهم سبب نزولها لا يصح ؛ لأن سبب النزول لابد أن تكون روايته صحيحة صريحة كما هو مقرر في علم أسباب النزول .

وإذا كان ذلك كذلك فإن الصحيح هو القول بالعموم في السائلين ؛ إبقاءً للّفظ على عمومه . ويؤيده القاعدة الترجيحة : (يجب حمل نصوص الوحي على العموم)[3]. والله تعالى أعلم .

---

(1) دلائل النبوة (٦/٢٧٦) .

(2) روح المعاني (١٢/١٧٠) . والخبر إسناده ضعيف جدًا ؛ فيه الكلبي متهم بالكذب ، ورمي بالرفض.

(3) قواعد الترجيح عند المفسّرين (٢/٥٢٧) .

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجۡمَعُوٓاْ أَن يَجۡعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمۡرِهِمۡ هَٰذَا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿١٥﴾ ﴾

في هذه الآية الكريمة مسألتان :

المسألة الأولى هي :

٣- الخلاف في تقدير جواب لَمَّا في قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ ﴾ الآية .

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « وجواب **لَمَّا** محذوف . وقيل : إنه ﴿ وَأَجۡمَعُوٓاْ ﴾ أو ﴿ وَأَوۡحَيۡنَآ ﴾ على زيادة الواو » [1] .

العرض والمناقشة :

هل جواب **لَمَّا** محذوفٌ أم مذكورٌ ؟ قولان . رجَّح ابن جُزَيّ أنه محذوف . وهذا مذهب الخليل ، وسيبويه [2] . وهو قول البصريين [3] .

وعلى هذا الكرماني وقدّر الجواب : حفظناه ، وابن عطية وقدّره : أجمعوا ، ومحمود النيسابوري ، والعكبري وقدّره : عَرَّفْناه ، والرازي وقدّره : فجعلوه فيها ، والقرطبي وقدّره : عَظُمَتْ فِتْنَتُهُم . وقيل : جعلوه فيها ، والبيضاوي وقدّره : فعلوا به ما فعلوا من الأذى ، وتبعه النسفي، وأبوحيّان، والسمين وقدّراه : جعلوه بدليل : ﴿ وَأَجۡمَعُوٓاْ أَن يَجۡعَلُوهُ ﴾، والبقاعي ، والسيوطي، وأبوالسعود، والشوكاني، والآلوسي، والقنوجي، والقاسمي، والسيد رشيد رضا، والمراغي، والسعدي وقدّره : فنفّذوا فيه ، والطاهر وقدّره : جعلوه في غيابت الجُبّ [4] .

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (١١٥/٢) .

(2) حكاه ابن عطية في المحرر الوجيز (٤٥٢/٧) وقال : وهو نَصٌّ لهما .

(3) ينظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٧٧/١١) ، والبحر المحيط لأبي حيان (٢٨٧/٥) .

(4) ينظر : غرائب التفسير وعجائب التأويل (٥٢٩/١) ، والمحرر الوجيز (٤٥٢/٧) ، وإيجاز البيان (٣٤٢/١) ، والتبيان (٧٢٥/٢) ، ومفاتيح الغيب (٤٢٧/٦) ، والجامع لأحكام القرآن (٢٧٧/١١) ، وأنوار التنزيل (٤٨٠/١) ، ومدارك التنزيل (٢١٤/٢) ، والبحر المحيط (٢٨٧/٥) ، والدر المصون (٤٥٣/٦) ، ونظم الدرر

وذكره الباقولي بصيغة (قيل) وذكر الجواب المقدّر : نجّيناه أو حفظناه [1] .
واستدل القائلون بحذف الجواب بأن مثله في القرآن كثير ، وأنه من الإيجاز الخاصِّ بالقرآن الكريم فهو تقليل في اللفظ ؛ لظهور المعنى [2].

وبعضهم شرَط أن يكون هناك دليل عليه وهاهنا كذلك [3] .

فلظهور المعنى ودلالة المقام عليه حُذِفَ الجواب [4] .

قال البقاعي : « الجواب : " فعلوا ذلك من غير مانع " ، ولكن لما كان هذا الجواب في غاية الوضوح ؛ لدلالة الحال عليه تُرِكَ ؛ لأنهم إذا أجمعوا عليه عُلِمَ أنهم لا مانع لهم منه ، ثم عطف على هذا الجواب المحذوف ؛ لكونه في قوة الملفوظ قولَه : ﴿ وَأَوۡحَيۡنَآ ﴾ »[5] .

وأما القول الآخر وهو أن جواب لَمَّا في قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ ﴾ مذكور غير محذوف ، وهو قوله : ﴿ وَأَجۡمَعُوٓاْ ﴾ على زيادة الواو ، أو قوله : ﴿ وَأَوۡحَيۡنَآ ﴾ على زيادة الواو ، فهو قول الكوفيين [6] .

وعلى الجواب الأول ابن جرير الطبري ، والسمعاني [7] .

وذكره الكرماني بصيغة (قيل) [8] .

(٢٨/١٠) ، وإرشاد العقل السليم (٨٦/٣) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ١٥/٤) ، وفتح القدير (١٥/٣) ، وروح المعاني (١٩٦/١٢) ، وفتح البيان (٢٩٩/٦) ، ومحاسن التأويل (٣٥١٨/٩) ، وتفسير القرآن الحكيم (٢١٦/١٢) ، وتفسير المراغي (١٢٢/١٢) ، وتيسير الكريم الرحمان (٤٠٤/٢) ، والتحرير والتنوير (٢٣٣/١٢) .

(1) ينظر : كشف المشكلات (٥٤٣/١) .

(2) ينظر : التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٢٣٣/١٢) .

(3) ينظر : مفاتيح الغيب للرازي (٤٢٧/٦) .

(4) ينظر : فتح القدير (١٥/٣) .

(5) نظم الدرر (٢٨/١٠) بتصرف يسير .

(6) ينظر : إيجاز البيان لمحمود النيسابوري (٣٤٢/١) ، والبيان في غريب إعراب القرآن (٣٥/٢) للأنباري ، والدر المصون للسمين (٤٥٣/٦) ، والتبيان للعكبري (٧٢٥/٢) ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٧٧/١١) ، والبحر المحيط لأبي حيان (٢٨٧/٥) .

(7) ينظر : جامع البيان (٣٠/١٣) ، وتفسير القرآن (١٣/٣) .

(8) ينظر : غرائب التفسير وعجائب التأويل (٥٢٩/١) .

وعلى الجواب الثاني الفراء ، والبغوي [1] . وكلام ابن قتيبة محتمل للجوابين [2].

وذكره الكرماني ، والباقولي ، وأبوحيان ، والشوكاني ، والآلوسي ، والقنّوجي ، القاسمي ، والطاهر بصيغة (قيل) [3] .

وردّ ابن عطية هذا القول بأنه ليس في القرآن شئ زائد لغير معنى [4] .

قال ابن قتيبة ما حاصله : « إن واو النَّسَق قد تزاد حتى يكون الكلام كأنه لا جوابَ له ... ومِثْله هذه الآية ، ومِثْله أيضًا :

قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا ﴾ [الزمر : ٧٣] والمعنى : قال لهم خزنتها .

وقوله : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ٩٦ وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ ﴾ [الأنبياء : ٩٦- ٩٧] والمعنى : اقترب الوعد الحق .

وقوله : ﴿ فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ١٠٣ وَنَٰدَيۡنَٰهُ ﴾ [الصافات : ١٠٣- ١٠٤] والمعنى : ناديناه .

وقوله : ﴿ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلۡنَحۡمِلۡ خَطَٰيَٰكُمۡ ﴾ [العنكبوت : ١٢] أي : لِنَحْمِلْ خطايكم عنكم .

وقال امرؤ القيس :

فلما أجزنا ساحة الحيّ وانتحى بنا بَطْنُ خَبْتٍ ذي قِفَافٍ عَقَنْقلِ [5]

أراد : انتحى .

وقال آخر :

---

(1) ينظر : معاني القرآن (٥٠/٢) ، ومعالم التنزيل (٤٤٢/٢) .

(2) ينظر : تأويل مشكل القرآن (٢٥٢ – ٢٥٣) .

(3) ينظر : غرائب التفسير وعجائب التأويل (٥٢٩/١) ، وكشف المشكلات (٥٤٤/١) ، والبحر المحيط (٢٨٧/٥)، وفتح القدير (١٥/٣) ، وروح المعاني (١٩٦/١٢) ، وفتح البيان (٢٩٩/٦) ، ومحاسن التأويل (٣٥١٨/٩) ، والتحرير والتنوير (٢٣٣/١٢) .

(4) ينظر : المحرر الوجيز (٤٥٢/٧) .

(5) ديوان امرئ القيس (٩٨) والبيت من معلّقته المشهورة .

حتى إذا قَملَتْ بُطُونُكُمُ ورأيتم أبناءكمْ شَبُّوا

وقَلَبْتمُ ظَهرَ المِجَنّ لنا إن اللئيمَ العاجزُ الخَبُّ [1]

أراد : قلبتم [2] » .اهـــ .

وذكر القرطبي أن الواو عند الكوفيين تزاد مع لَمَّا وحَتَّى ، ومثّل لذلك بآية الزمر، وبقوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ﴾ [هود : ٤٠] . أي : فارَ . وتبع ابنَ قتيبة في بعض ما ذكر [3] .

وردّ ذلك ابن عطية كما سبق .

وقال محمود النيسابوري : « وإقحامها لم يثبت بحجة ولا له وجه في القياس »[4].

وقال الآلوسي : « وليس بشئ »[5] .

وقال الطاهر بن عاشور : « وقد قيل به في قول امرئ القيس ... وقوله تعالى : ﴿ فَلَمَّآ أَسۡلَمَا ﴾ الآية . وفي جميع ذلك نظر »[6] .

وذكر الشنقيطي الأوجه الثلاثة و لم يرجِّح بينها [7] . وجوّزها كلَّها السمين [8] .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن القول بأن جواب **لَمَّا** محذوف هو حَمْلٌ للقرآن الكريم على معهود استعماله فيكون أَولى [9] ؛ لأن مثله في القرآن كثير ، يحذف الجواب؛ لظهور المعنى ودلالة الحال عليه .

وأما القول بزيادة حرف في القرآن لغير معنى فلا يجوز أَلْبَتَّةَ ، إذ ليس في القرآن شئ زائد لغير معنى ، والله تعالى أعلم .

---

(1) الرَّجَز أنشده ابن قتيبة أيضًا في المعاني الكبير (٥٣٣/١) . و قَملَتْ بُطُونكُمُ ، أي : كثرت قبائلكم .

(2) تأويل مشكل القرآن (٢٥٢) . بتصرف يسير .

(3) ينظر : الجامع لأحكام القرآن (٢٧٧/١١) . وينظر أيضًا : معالم التنزيل للبغوي (٤٤٢/٢) .

(4) إيجاز البيان (٣٤٢/١) .

(5) روح المعاني (١٩٦/١٢) .

(6) التحرير والتنوير (٢٣٣/١٢) .

(7) ينظر : أضواء البيان (٥٥/٣- ٥٦) .

(8) ينظر : الدر المصون (٤٥٣/٦) .

(9) ينظر : قواعد الترجيح عند المفسّرين (١٧٢/١) .

المسألة الثانية هي :

٤- الخلاف في عائد ضمير ﴿إِلَيْهِ﴾ في قوله تعالى : ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا﴾ الآية .

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « والضمير في ﴿إِلَيْهِ﴾ ليوسف . وقيل : ليعقوب. والأول هو الصحيح » [1] .

العرض والمناقشة :

صحَّح ابن جُزَيّ أن الضمير في ﴿إِلَيْهِ﴾ ليوسف × . ووافق في هذا معنى ما رُوِيَ عن ابن عباس [2] ، ومجاهد [3] ، وقتادة [4] .

وعليه عامة المفسرين ومنهم : مقاتل ، وابن جرير الطبري ، والزجاج ، والنحاس ، والسمرقندي ، وابن أبي زمنين ، والماوردي ، والواحدي ، والسمعاني ، والكرماني ، والبغوي ، والزمخشري ، وابن عطية ، وابن الجوزي ، والرازي ، والقرطبي ، والبيضاوي ، والنسفي ، والخازن ، والقمي ، وأبوحيان ، وابن كثير ، والثعالبي ، والبقاعي ، وأبوالسعود، والسيوطي ، والشوكاني ، والآلوسي ، والقنّوجي ، والقاسمي ، والسيد محمد رشيد رضا ، والمراغي ، والسعدي ، والطاهر بن عاشور [5] .

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (١١٥/٢) .

(2) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٣/١٣) من طريق صدقة بن عُبادة الأسدي ، عن أبيه ، عنه . وينظر: الدر المنثور للسيوطي (٥١١/٤) . وقال ابن الجوزي في زاد المسير (١٩١/٤) : رواه أبو صالح ، عن ابن عباس.

(3) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣١/١٣، ٣٢) من طريق ابن أبي نجيح ، ومن طريق ابن جريج ، عنه . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢١٠٩/٧) رقم (١١٣٧٨) و (١١٣٨٠) . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٥١١/٤) نسبته إلى ابن المنذر .

(4) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣١٨/٢) عن معمر ، عنه . ومن طريق معمر أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٢/١٣) . وأخرجه ابن جرير أيضًا (٣٢/١٣) من طريق يزيد ، عن سعيد ، عنه . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢١٠٩/٧) رقم (١١٣٧٧ و ١١٣٧٩) من طريق سعيد ، عنه . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٥١١/٤) نسبته إلى ابن المنذر ، وأبي الشيخ .

(5) ينظر : تفسير مقاتل (٣٢١/٢) ، وجامع البيان (٣١/١٣) ، ومعاني القرآن وإعرابه (٩٥/٣) ، ومعاني القرآن

ودليله اتساق الضمائر فإنها كلها في يوسف × كما هو ظاهر من السياق ظهورًا لا يخفى .

قال أبوحيان : « ويدل على أن الضمير عائد على يوسف × قوله لهم : ﴿ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ ﴾ »[1] [يوسف : ٨٩] .

وأما القول الآخر في عود الضمير في ﴿ إِلَيْهِ ﴾ ليعقوب × فذكره ابن عطية بصيغة (قيل) [2] ، و لم أقف على من ذكره قبله ! وتبعه أبوحيان [3] .

قال الآلوسي : « وزعم بعضهم أن ضمير ﴿ إِلَيْهِ ﴾ يعود على يعقوب × وليس بشئ كما يخفى »[4] .

وبعد، فإذا تقرر ذلك فإن الصحيح هو عود الضمير على يوسف × في قوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَـٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ . وهو ما صححه ابن جُزَيّ وقال به الكافّة من المفسّرين ، ولا التفات لغيره .ويؤيده : أن إعادة الضمير إلى المحدّث عنه أَولى من إعادته إلى غيره ، وأن توحيد مرجع الضمائر في السياق الواحد أَولى من

الكريم (٤٠٢/٣) ، وبحر العلوم (١٥٣/٢- ١٥٤) ، وتفسير القرآن العزيز (٣١٨/٢) ، والنكت والعيون (١٤/٣)، والوجيز (٥٤٠/١) والوسيط (٦٠٣/٢)، وتفسير القرآن (١٤/٣)، وغرائب التفسير (٥٢٩/١) ، ومعالم التنزيل (٤٤٢/٢، ٤٤٣) ، والكشاف (٢٦١/٣) ، والمحرر الوجيز (٤٥٣/٧) ، وزاد المسير (١٩١/٤) ، ومفاتيح الغيب (٤٢٨/٦) ، والجامع لأحكام القرآن (٢٧٧/١١) ، وأنوار التنزيل (٤٨٠/١) ، ومدارك التنزيل (٢١٤/٢) ، ولباب التأويل (٨/٣) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٦٩/٤) ، والبحر المحيط (٢٨٧/٥) ، وتفسير القرآن العظيم (١٩/٨) ، والجواهر الحسان (١٤٧/٢) ، ونظم الدرر (٢٨/١٠) ، وإرشاد العقل السليم (٨٦/٣) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ١٦/٤) ، وفتح القدير (١٥/٣) ، وروح المعاني (١٩٨/١٢) ، وفتح البيان (٢٩٩/٦) ، ومحاسن التأويل (٣٥١٧/٩) ، وتفسير القرآن الحكيم (٢١٦/١٢) ، وتفسير المراغي (١٢٢/١٢) ، وتيسير الكريم الرحمان (٤٠٤/٢) ، والتحرير والتنوير (٢٣٤/١٢) .

(1) البحر المحيط (٢٨٧/٥) .

(2) ينظر : المحرر الوجيز (٤٥٣/٧) .

(3) ينظر : البحر المحيط (٢٨٧/٥) .

(4) روح المعاني (١٩٨/١٢) .

تفريقها ، والأصل إعادة الضمير إلى أقرب مذكور [1]. والله تعالى أعلم .

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ قَالُوا۟ يَـٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَـٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَـٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾

٥- الخلاف في معنى قوله : ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَـٰدِقِينَ ﴾ .

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا ﴾ أي : بمصدّقٍ لمقالتنا ﴿ وَلَوْ كُنَّا صَـٰدِقِينَ ﴾ أي : لا تصدقنا ولو كنا عندك من أهل الصدق ، فكيف وأنت تتهمنا ؟! وقيل : معناه : لا تصدقنا وإن كنا صادقين في هذه المقالة ، فذلك على وجه المغالطة منهم . والأول أظهر » [2] .

العرض والمناقشة :

استظهر ابن جُزَيّ أن قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَـٰدِقِينَ ﴾ معناه : لا تُصدّقُنَا ولوْ كُنَّا عندك من أهل الصدق ، فكيف وأنت تتهِمُنا ؟!

وعلى هذا المعنى ابن جرير الطبري ، والزجاج ، والنحاس ، وابن أبي زمنين لكن ذكره بـــ قيل ، والواحدي ، والسمعاني ، والزمخشري ، وابن العربي ، والرازي ، والبيضاوي ، والنسفي ، والخازن ، والقمي ، وابن كثير ، والبقاعي ، وأبوالسعود ، والسيوطي ، والشوكاني ، والآلوسي ، والقنوجي ، والقاسمي ، والمراغي [3] .

---

(1) ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين (٦٠٣/٢ ، ٦١٣، ٦٢١) .

(2) التسهيل لعلوم التنزيل (١١٥/٢- ١١٦) .

(3) ينظر : جامع البيان (٣٤/١٣) ، ومعاني القرآن وإعرابه (٩٦/٣) ، ومعاني القرآن الكريم (٤٠٣/٣) ، وتفسير القرآن العزيز (٣١٨/٢) ، والوجيز (٥٤١/١) والوسيط (٦٠٣/٢) ، وتفسير القرآن (١٥/٣) ، والكشّاف (٢٦٢/٣) ، وأحكام القرآن (١٠٧٧/٣) ، ومفاتيح الغيب (٤٢٩/٦) ، وأنوار التنزيل (٤٨١/١) ، ومدارك التنزيل (٢١٤/٢) ، ولباب التأويل (٩/٣) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٧٠/٤) ، وتفسير القرآن العظيم (٢٠/٨) ، ونظم الدرر (٣٠/١٠-٣١) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ١٧/٤) ، وإرشاد العقل السليم (٨٧/٣)، وفتح القدير (١٥/٣) ، وروح المعاني (٢٠٠/١٢) ، وفتح البيان (٣٠٠/٦) ، ومحاسن التأويل (٣٥١٩/٩) ، وتفسير المراغي (١٢٢/١٢) .

وذكره ابن عطية ، والقرطبي بصيغة (قيل) [1] .

قال ابن جرير الطبري مُعلّلاً هذا المعنى : « قولُه : ﴿ وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴾ إما أن يكون خبرًا عنهم أنهم غيرُ صادقين ، فذلك تكذيبٌ منهم أنفسَهم ، وإما أن يكون خبرًا منهم عن أبيهم أنه لا يصدقهم لو صدَقوه ، والحال أنهم لو صَدَقُوا أباهم الخبر لصدّقهم . ولا يكون واحدًا منهما فتعيّن أن يكون المراد : ولو كنا من أهل الصدق الذين لا يُتَّهمون ؛ لسوء ظنّك بنا ، وتهمتك لنا »[2] .

وقال الكرماني : « أجمع المفسرون على أن تأويله : وما أنت بمصدق لنا ولو كنا صادقين غيرَ مُتَّهمين عند الناس . وقيل : صادقين عندك في غير هذا الكلام »[3] .

وأما المعنى الآخر لقوله : ﴿ وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴾ وهو أنه : لا تُصَدّقُنا وإنْ كُنَّا صادقين في هذه المقالة ، فقاله ابن إسحاق [4] . وعليه السمرقندي ، وابن الجوزي ، والقرطبي [5] . واحتمله ابن عطية ومال إليه [6] ، ونسبه هو والقرطبي للمُبرّد . وهو مفهوم كلام مقاتل ، والسعدي ، والطاهر بن عاشور [7] .

وذكره الرازي ، والخازن بصيغة (قيل) [8] .

واحتمل القولين : الثعالبي وقدّم الأول [9] . وسوّى بينهما مع تقديم الثاني : أبوحيان، والسيد محمد رشيد رضا [10] .

---

(1) ينظر : المحرر الوجيز (٤٥٥/٧) ، والجامع لأحكام القرآن (٢٨٦/١١) .

(2) جامع البيان (٣٤/١٣) .

(3) غرائب التفسير وعجائب التأويل (٥٢٩/١) .

(4) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢١١٠/٧) رقم (١١٣٨٩) عنه قال : وإنْ كنا قد صدقنا . وينظر : النكت والعيون للماوردي (١٥/٣) ، وزاد المسير لابن الجوزي (١٩٢/٤) .

(5) ينظر : بحر العلوم (١٥٤/٢) ، وتذكرة الأريب (٢٦٠/١) ، والجامع لأحكام القرآن (٢٨٦/١١) .

(6) ينظر : المحرر الوجيز (٤٥٥/٧- ٤٥٧) .

(7) ينظر : تفسير مقاتل (٣٢٤/٢) ، وتيسير الكريم الرحمان (٤٠٥/٢) ، والتحرير والتنوير (٢٣٧/١٢) .

(8) ينظر : مفاتيح الغيب (٤٢٩/٦) ، ولباب التأويل (٩/٣) .

(9) ينظر : الجواهر الحسان (١٤٧/٢) .

(10) ينظر : البحر المحيط (٢٨٨/٥- ٢٨٩) ، وتفسير القرآن الحكيم (٢١٧/١٢) .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن جمهور المفسّرين على أن قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴾ معناه : لا تُصَدّقُنا ولَوْ كُنّا من أهل الصدق الذين لا يُتَّهمُون ، فكيف وأنت تُسيء الظنَّ بنا وتَتَّهِمُنا ؟!

ولما كان ذلك كذلك استظهره ابن جُزَيّ مُرَجِّحًا له بكونِه قولَ الجمهورِ وأكثرِ المفسّرين [1] ، وهو كذلك ، والله تعالى أعلم .

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٩/١) .

فائدة : قال الجرجاني : في قولهم (ولو) دليلٌ على أن ذلك لم يكن ؛ لأن لَوْ يدلُّ على امتناع الشئ لامتناع غيره ، ولو كانوا صادقين في دعواهم لقالوا : وإنْ كنا صادقين ، كما قالوا : وإن كنا لخاطئين .اهـ. وتعجّب منه الكرماني في غرائب التفسير وعجائب التأويل (٥٢٩/١) .

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ۖ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ ۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ ﴾

في هذه الآية الكريمة مسألتان :

المسألة الأولى هي :

٦- الخلاف في السيَّارة ، من هم ؟

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « ﴿ وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ ﴾ : رُوِيَ أن هؤلاء السيَّارة من مَدْين . وقيل : هم أعرابٌ » [1] .

العرض والمناقشة :

رجَّح ابن جُزَيّ أن هؤلاء السيارة المذكورين في قوله تعالى : ﴿ وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ ﴾ أنهم من مَدْين [2] بناءً على ما رُوِيَ في ذلك ! ونُسِبَ إلى ابن عباس [3] .

وإليه ذهب السمرقندي، والبغوي، والزمخشري، وابن عطية، والرازي، والقرطبي، والبيضاوي، والنسفي، والخازن، والقمي، وأبوحيان مقتصرًا على ذكره بـــ قيل دون غيره، والسيوطي، وأبوالسعود، والشوكاني، والآلوسي، والقنّوجي، والقاسمي، والمراغي [4] .

وذكره الطاهر بن عاشور بصيغة (قيل) [5] .

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (١١٦/٢) .

(2) مَدْين : جهة الشام محاذية لتبوك ، وهي مدينة قوم شعيب عليه السلام . ينظر : معجم البلدان لياقوت (٩٢/٥) .

(3) ينظر : مفاتيح الغيب للرازي (٤٣٢/٦) ، وتبعه القمي في غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٧١/٤) .

(4) ينظر : بحر العلوم (١٥٤/٢) ، ومعالم التنزيل (٤٤٤/٢) ، والكشاف (٢٦٤/٣) ، والمحرر الوجيز (٤٦٠/٧) ، ومفاتيح الغيب (٤٣٢/٦) ، والجامع لأحكام القرآن (٢٩١/١١) ، وأنوار التنزيل (٤٨١/١) ، ومدارك التنزيل (٢١٥/٢) ، ولباب التأويل (٩/٣) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٧١/٤) ، والبحر المحيط (٢٨٩/٥) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ١٩/٤) ، وإرشاد العقل السليم (٨٩/٣) ، وفتح القدير (١٧/٣) ، وروح المعاني (٢٠٣/١٢) ، وفتح البيان (٣٠٢/٦) ، ومحاسن التأويل (٣٥٢٣/٩) ، وتفسير المراغي (١٢٣/١٢) .

(5) ينظر : التحرير والتنوير (٢٤٢/١٢) .

وأما القول الآخر بأن السيارة هم أعراب ، فرُوِيَ عن ابن إسحاق قال : « إذ أقبلت سيارة من العرب »[1] . وقال مقاتل : « وهي العير وقالوا : رفقة من العرب »[2] .

وعلى هذا السيد محمد رشيد رضا ، والطاهر بن عاشور [3] .

واستدلاّ على ذلك بما في سِفْر التكوين من التوراة : أن هؤلاء السيّارة كانوا من الإسماعيليين ، أي : أبناء إسماعيل بن إبراهيم إ ، أي : من العرب .

وذكر هذا القول ابن عطية بصيغة (قيل) [4] .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن الأَولى الإمساك عن الخوض في تعيين هؤلاء السيّارة ؛ لأن الله تعالى ذكرهم بصيغة التنكير ، ولا فائدة من معرفتهم فالله تعالى أعلم بهم مِمَّنْ هم ؟ ولذلك فقد اكتفى شيخ المفسّرين ابن جرير الطبري بقوله : وجاءت مَارَّةُ الطريق من المسافرين [5]. وهذا هو الصواب ؛ لأنه لا دليلَ من كتابٍ أو سنّةٍ صحيحةٍ على تعيين السيّارة ممن هم [6]، والله تعالى أعلم .

---

(1) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢١١٣/٧) رقم (١١٤٠٣) .

(2) تفسير مقاتل (٣٢٥/٢) .

(3) ينظر : تفسير القرآن الحكيم (٢١٩/١٢) ، والتحرير والتنوير (٢٤٢/١٢) .

(4) ينظر : المحرر الوجيز (٤٦٠/٧) .

(5) جامع البيان (٤٢/١٣) .

(6) ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين (٢٢٥/١) .

المسألة الثانية هي :

٧- الخلاف في معنى قوله : ﴿يَـٰبُشْرَىٰ﴾ ، ومن المُنَادَى ؟

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « أَيْ : نادى البُشْرَى ، كقولك : ياحسرةً ، وأضافها إلى نفسه . وقُرئ ﴿يَـٰبُشْرَىٰ﴾ بحذف ياء المتكلم ، والمعنى كذلك . وقيل – على هذه القراءة –: نادى رجلاً منهم اسمه بُشْرَى ، وهذا بعيدٌ . ولما أدْلى الواردُ الحبْلَ في الجُبّ تعلّق به يوسف فحينئذٍ قال : يا بُشْرايَ هذا غلام » [1] .

العرض والمناقشة :

قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر ﴿ **يا بُشْرايَ** ﴾ بفتح الياء وإثبات الألف .

وروى ورشٌ عن نافعٍ ﴿ **بُشْرايْ** ﴾ بسكون الياء .

وقرأ عاصم وحمزة والكسائي ﴿يَـٰبُشْرَىٰ﴾ بألف بغير ياء . وعاصم بفتح الراء ، وحمزة والكسائي يميلانها [2] .

وعلى قراءة الكوفيين حكى ابن جُزَيّ الخلاف في المُنَادَى ، ورجَّح أنه نادى البُشْرَى كنداء الحسْرَة والعَجَب في قولك : ياحسرتا ، وياعجبا . والبُشْرَى بمعنى البشارة شُبِّهَتْ بالعاقل الغائب الذي احتيج إليه فيُنَادَى ، كأنه قال : يا أيتها البُشْرَى ، احضري فهذا وقتك. ووافق في هذا معنى ما رُوِيَ عن قتادة [3] ، وأبي رَوْقٍ [4] .

وإليه ذهب أكثر المفسّرين : مقاتل، والفراء، والزجاج، والنحاس، وابن أبي زمنين، ومكي، والواحدي، والسمعاني، والكرماني، والزمخشري، ومحمود النيسابوري، والعكبري، والقرطبي، والبيضاوي، والقمي، وأبوحيان، والسمين، وابن كثير، والبلنسي، والبقاعي،

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (١١٦/٢) .

(2) ينظر : السبعة لابن مجاهد (٣٤٧) ، والتيسير (١٢٨) ، والحجة (٣٥٧) ، والنشر (٢٩٣/٢) ، والمحرر الوجيز (٤٦١/٧- ٤٦٢) ، وزاد المسير (١٩٤/٤) ، والبحر المحيط (٢٩٠/٥) ، والدر المصون (٤٥٩/٦- ٤٦٠) .

(3) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٤٣/١٣) من طريق يزيد ، عن سعيد ، عنه قال : تباشروا به حين أخرجوه. وأخرجه من طريق معمر ، عنه قال : بشرهم واردُهم حين وجد يوسف . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢١١٣/٧) رقم (١١٤٠٨) من طريق سعيد بن أبي عروبة ، عنه . وينظر : النكت والعيون (١٧/٣) .

(4) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢١١٣/٧) رقم (١١٤٠٧) قال : يا بشارة . وينظر : الدر المنثور (٥١٤/٤) .

والسيوطي، وأبوالسعود، والشوكاني، والآلوسي، والقنّوجي، والقاسمي، والسيد رشيد رضا، والمراغي، والطاهر بن عاشور [1] .

ومال إليه الرازي ونسبه لأبي علي الفارسي [2] . وهو مذهب سيبويه [3] .

قال أبو جعفر النحاس : « وهذا القول الصحيح . ونسبه القمي للأكثرين » .

وذكره ابن عطية بصيغة (قيل) [4] .

قال الزجاج : « ومعنى النداء في هذه الأشياء التي لا تجيب ولا تعقل إنما هو على تنبيه المخاطبين ، وتوكيد القصة . إذا قلت : يا عجَبَاهُ فكأنك قلت : اعجبوا ، ويا أيها العجبُ هذا من حِينك . وكذلك إذا قال : يا بُشراي فكأنه قال : أبشروا ، وكأنه قال : يا أيتها البشرى هذا من إبّانِك وأَوانك »[5] .

وقال النحاس : « لأن أكثر القراء يقرأُ : ﴿ يَـٰبُشْرَىٰ هَـٰذَا غُلَـٰمٌ ﴾ »[6] .

وقال أيضًا : « وهذا القول أَولى ؛ لأنه لم يأت في القرآن تسميةُ أحدٍ إلاّ يسيرًا ، وإنما يأتي بالكناية كما قال جلّ وعزّ : ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّـالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ ﴾ [الفرقان : ٢٧] وهو

---

(1) ينظر : تفسير مقاتل (٣٢٥/٢) ، ومعاني القرآن وإعرابه (٩٧/٣) ، ومعاني القرآن الكريم (٤٠٥/٣) ، وإعراب القرآن (٣١٩/٢) ، وتفسير القرآن العزيز (٣١٩/٢) ، ومشكل إعراب القرآن (٣٨٢/١) ، والوجيز (٥٤١/١) والوسيط (٦٠٤/٢) ، وتفسير القرآن (١٦/٣) ، وغرائب التفسير وعجائب التأويل (٥٣٠/١) ، والكشاف (٢٦٤/٣) ، ووضح البرهان (٤٥١/١) ، والتبيان (٧٢٧/٢) ، والجامع لأحكام القرآن (٢٩٣/١١) ، وأنوار التنزيل (٤٨١/١) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٧١/٤) ، والبحر المحيط (٢٩٠/٥) ، والدر المصون (٤٥٩/٦) ، وتفسير القرآن العظيم (٢٢/٨) ، وتفسير مبهمات القرآن (٤٧/٢- ٤٨) ، ونظم الدرر (٣٦/١٠) ، وإرشاد العقل السليم (٨٩/٣) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ١٩/٤) ، وفتح القدير (١٨/٣) ، وروح المعاني (٢٠٣/١٢) ، وفتح البيان (٣٠٢/٦) ، ومحاسن التأويل (٣٥٢٢/٩) ، وتفسير القرآن الحكيم (٢١٩/١٢) ، وتفسير المراغي (١٢٣/١٢) ، والتحرير والتنوير (٢٤١/١٢) .

(2) ينظر : مفاتيح الغيب (٤٣٢/٦- ٤٣٣) .

(3) ينظر : معاني القرآن الكريم للنحاس (٤٠٥/٣) ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٩٣/١١) ، والتعريف والإعلام للسهيلي (٨٠) .

(4) ينظر : المحرر الوجيز (٤٦٣/٧) .

(5) معاني القرآن وإعرابه (٩٧/٣) .

(6) معاني القرآن الكريم (٤٠٥/٣) .

عقبةُ ابن أبي معيط ، وبعده : ﴿ يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا ﴾ وهو أمية بن خلف فجاء على الكناية »[1] .

وقال مكي : « وعلى هذا المعنى قرأ القراء : ﴿ يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِ ﴾[يس : ٣٠] بالتنوين كأنه نادى الحسرة »[2] .

ولأن البشرى من البشارة [3] ، وهي مصدر من الاستبشار .

ولأنه لو كان اسمًا علمًا لم يكن مضافًا إلى ضمير المتكلّم ، ففسّرها القراءة الأخرى ﴿ **يا بُشْراي** ﴾ [4] . أراد إضافة البُشْرَى إلى نفسه ، فحذف الياء وهو يريدُها ، فيكونُ مفردًا وفيه نيّةُ الإضافة ، كما تفعل العرب في النداء فتقول : يا نفسُ اصبري ، ويا نفسِ اصبري ، ويا بُنَيُّ لا تفعل ، ويا بُنَيِّ لا تفعل . فتفردُ وترفع وفيه نية الإضافة ، وتضيف أحيانًا فتكسرُ ، كما تقول : يا غلامُ أقبلْ ، ويا غلامِ أقبل . قاله ابن جرير [5] .

ويؤيد هذا القول والمعنى القراءة الأخرى ﴿ **يا بُشْراي** ﴾ فإنها من التبشير والبشارة لا غير .

وكذا يؤيده القراءة الأخرى الشاذة : ﴿ **يابشْرَيَّ** ﴾ بإثبات ياء الإضافة وإدغام الألف في الياء [6] ، كما في لغة هُذيل .

قال أبو ذُؤَيب الهُذلي :

سبقوا هَوَيَّ وأعنقوا لهواهم فَتُخُرِّمُوا ولكل جنب مَصْرَعُ [7]

---

(1) إعراب القرآن (٣١٩/٢) .

(2) تفسير مشكل القرآن (٣٨٢/١) .

(3) ينظر : معاني القرآن للفراء (٤٠/٢) .

(4) ينظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٩٣/١١) ، وتفسير مبهمات القرآن للبلنسي (٤٨/٢) ، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢٢/٨) .

(5) جامع البيان (٤٥/١٣- ٤٦) .

(6) وهي قراءة أبي الطفيل ، والحسن ، وابن أبي إسحاق ، والجحدري . ينظر : الشواذ (٦٢) ، وجامع البيان لابن جرير (٤٥/١٣) .

(7) ديوان الهذليين (٢/١) . وأعنقوا : تبع بعضهم بعضًا . فتخرموا : أُخِذُوا واحدًا واحدًا . ينظر : شرح أشعار الهذليين (٧/١) . ونسب ابن جرير الطبري في جامع البيان (٤٥/١٣) هذه اللغة إلى قبيلة طَيء .

وأما ما استبعده ابن حُزَيّ وهو أن الوارد نادى رجلاً اسمه " بُشْرَى" ، فهو قول السدّي[1]. ورُوِيَ عن الشعبي [2] . ونُسِبَ إلى الأعمش [3] .

واحتمله ابن جرير الطبري [4] . وعليه البغوي على قراءة ﴿ **بُشْرَى** ﴾ ، والخازن [5].

وذكره الكرماني ، والبيضاوي ، وأبوالسعود ، والشوكاني بصيغة (قيل) [6] .

قال أبوحيان : « وأبعد السدّي في زعمه أن بشرى اسمَ رجل »[7]. وتبعه السمين[8].

واستغربه ابن كثير ؛ لأنه لم يُسْبَق إلى تفسير هذه القراءة بهذا إلاّ في رواية عن ابن عباس [9]. وهي بإسناد ضعيف [10] .

وقال الآلوسي : « وليس بذاك »[11] .

واستبعده القنّوجي [12] .

---

(1) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٤٣/١٣، ٤٤) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢١١٤/٧) رقم (١١٤١٠) من طريق أسباط ، عنه . وأخرجاه أيضًا (٤٤/١٣) و (٢١١٣/٧ رقم ١١٤٠٩) من طريق يحيى بن آدم ، عن قيس بن الربيع ، عنه . وأخرجه ابن جرير الطبري (٤٤/١٣- ٤٥) من طريق عبد الرحمن بن أبي حماد، عن الحكم بن ظُهَيرٍ ، عنه . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٥١٥/٤) نسبته إلى أبي الشيخ .

(2) أخرجه أبو الشيخ كما في الدر المنثور للسيوطي (٥١٥/٤) .

(3) ينظر : معاني القرآن الكريم للنحاس (٤٠٥/٣) ، وتفسير القرآن للسمعاني (١٦/٣) . ونسبه له الرازي في مفاتيح الغيب (٤٣٣/٦) على أن المنادى (امرأة) .

(4) ينظر : جامع البيان (٤٥/١٣) .

(5) ينظر : معالم التنزيل (٤٤٥/٢) ، ولباب التأويل (١٠/٣) .

(6) ينظر : غرائب التفسير (٥٣٠/١) ، وأنوار التنزيل (٤٨١/١) ، وإرشاد العقل السليم (٨٩/٣)، وفتح القدير (١٨/٣) .

(7) البحر المحيط (٢٩٠/٥) .

(8) ينظر : الدر المصون (٤٥٩/٦) .

(9) ينظر : تفسير القرآن العظيم (٢٢/٨) .

(10) أخرجه ابن جرير الطبري بإسناد ضعيف . ينظر : جامع البيان (١٦٩/١٢) نسخة أحمد شاكر .

(11) روح المعاني (٢٠٣/١٢) .

(12) ينظر : فتح البيان (٣٠٢/٦) .

وقال القرطبي : « لو كان اسمًا علمًا لم يكن مضافًا إلى ضمير المتكلّم »[1] .

يعني أن القراءة الأخرى ﴿ **بشرايَ** ﴾ قاضية على هذا القول المحتمل على قراءة ﴿ **بُشْرَى** ﴾ .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن الصحيح أن الوارد نادى البُشْرَى ، كنداء الحسرة والعجب ونحو ذلك ، أو : يا مَنْ حضر ، هذه بُشْرى وبشارة .

ويؤيده القراءة الأخرى ﴿ **يا بُشْراي** ﴾ فإنها من البشارة والتبشير لا غير .

ولو كان رجلاً اسمه بشرى لما أضيف إلى ياء المتكلم على القراءة الأخرى .

ويؤيده القاعدة الترجيحية وهي : (اتحاد معنى القراءتين أَولى من اختلافه)[2] .

وإذا كان ذلك كذلك فإن ما قاله السدّي بعيدٌ جدًّا ولا يحتمل ، ويفتقر إلى دليل صحيح يدل على تسميته بذلك ، والله تعالى أعلم .

---

(1) الجامع لأحكام القرآن (٢٩٣/١١) .

(2) قواعد الترجيح عند المفسرين (١٠٠/١) .

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾

في هذه الآية الكريمة مسألتان :

المسألة الأولى هي :

٨- الخلاف في عائد الضمير المرفوع في قوله : ﴿ وَشَرَوْهُ ﴾ .

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « أي : باعوه ، والضمير أيضًا للذين أخذوه . وقيل : الضمير لإخوة يوسف ، وأنهم رجعوا إليه فقالوا للسيّارة : هذا عبدنا » [1] .

العرض والمناقشة :

رجَّح ابن جُزَيّ أن الضمير المرفوع في ﴿ وَشَرَوْهُ ﴾ يعود على الذين أخذوه ، وهم السيّارة . ووافق في هذا ما رُوِيَ عن الحسن [2] ، وقتادة [3] .

وعليه مقاتل ، والفراء ، وابن أبي زمنين ، وأبوحيان ، والبقاعي ، وأبوالسعود ، والشوكاني ، والقاسمي ، والسيد محمد رشيد رضا ، والمراغي ، والسعدي ، والطاهر بن عاشور [4] . وهو مفهوم كلام الزمخشري ، والبيضاوي [5] . وقدّمه ابن عطية [6] .

وهذا القول – وهو أن الضمير المرفوع للسيارة – على أن ﴿ وَشَرَوْهُ ﴾ بمعنى : باعوه .

وجعله مكي، وابن الجوزي، والرازي كذلك لكن على أن ﴿ وَشَرَوْهُ ﴾ بمعنى :

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (١١٦/٢) .

(2) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢١١٥/٧) رقم (١١٤١٩) من طريق موسى بن إسماعيل ، عن مبارك ، عنه .

(3) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣٢٠/٢) ، وابن جرير الطبري في جامع البيان (٥٢/١٣) من طريق معمر ، عنه.

(4) ينظر : تفسير مقاتل (٣٢٦/٢) ومعاني القرآن (٤٠/٢) وتفسير القرآن العزيز (٣١٩/٢) والبحر المحيط (٢٩١/٥) ونظم الدرر (٣٧/١٠) وإرشاد العقل السليم (٨٩/٣) وفتح القدير (١٩/٣) ومحاسن التأويل (٣٥٢٣/٩) وتفسير القرآن الحكيم (٢١٩/١٢) وتفسير المراغي (١٢٤/١٢) وتيسير الكريم الرحمان (٤٠٦/٢) والتحرير والتنوير (٢٤٤/١٢) .

(5) ينظر : الكشاف (٢٦٤/٣- ٢٦٥) ، وأنوار التنزيل (٤٨١/١) .

(6) ينظر : المحرر الوجيز (٤٦٤/٧) .

اشتروه[1].

وذكره مكي في موضع آخر ، والخازن على معنى " اشتروه " [2] .

واستدلُّوا له بأن "شروه" بمعنى : باعوه لغةٌ فيه .

ومنه قول الشاعر :

وشَرَبْتُ بُرْدًا ليتني من بعد بُرْدٍ كنتُ هَامَهْ [3]

يعني : بِعْتُ .

ومنه قول الآخر :

فلما شراها فاضت العينُ عَبْرَةً وفي الصدر حَزَّازٌ من اللوم حَافِرُ [4]

يعني : باعها .

وظاهر القرآن ، وسياق الآيات يدل على عدم رجوع الضمير لإخوة يوسف ، وإنما هو للوارد وأصحابه ، وهم السيّارة ؛ إذ ليس في القرآن ما يدل على أن الفعل لإخوة يوسف ولا لهم في الآية ذكر ، وإنما المتقدّم ذكرُ السيارة والوارد ، وهم أخرجوه من البئر ، وأسروه بضاعة وباعوه بمصر بثمن بخس [5] .

قال الطاهر بن عاشور : « وضمائر الجمع كلها للسيّارة على أصحّ التفاسير »[6] .

يعني ضمير قوله : وَأَسَرُّوهُ ، وَشَرَوْهُ ، وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ .

ويدل عليه أيضًا آخرُ الآية : ﴿ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴾ فإنه يُعيِّنَ أن الضمير للسيارة ؛ لأن حال إخوته في أمره فوق الزهد بمراحل ، فلو كان لهم الضمير عائدًا لقيل :

---

(1) ينظر : تفسير المشكل (٢٠٣) ، وزاد المسير (١٩٦/٤) ، ومفاتيح الغيب (٤٣٤/٦) .

(2) ينظر : مشكل إعراب القرآن (٣٨٢/١) ، ولباب التأويل (١٠/٣) .

(3) البيت ليزيد بن مفرِّغ الحميري . و (برد) اسم غلامٍ ندم على بيعه . والهامه : من طيور الليل . ينظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٩٥/١١) ، وفتح القدير للشوكاني (١٨/٣- ١٩) .

(4) البيت للشماخ بن ضرار . وهو في ديوانه (١٩٠) . والحزّاز : ماحزّ في القلب . والحمازة : الشدّة . ينظر : المصدرين السابقين . وجعل الشوكاني قوله (شراها) بمعنى اشتراها . ويبدو أن هذا وَهَمٌ .

(5) ينظر : غرائب التفسير وعجائب التأويل للكرماني (٥٣١/١) .

(6) التحرير والتنوير (٢٤٤/١٢) .

وكانوا له من المبعدين أو المبغضين ، والله أعلم [1] .

يقول ابن عاشور : « ومن فسّر "شروه" باشتروه أخطأ خطأً أوقعه فيه سوء تأويل قوله: ﴿ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴾ . وما ادّعاه بعض أهل اللغة أن شرى واشترى مترادفان في معنييهما يغلب على ظنّي أنه وَهَمٌ ؛ إذ لا دليل يدل عليه »[2] .

وأما القول الآخر وهو أن الضمير المرفوع في " **شَرَوْهُ** " يعود لإخوة يوسف ، فرُوِيَ عن ابن عباس [3] ، ومجاهد [4] ، والضحاك [5] . وهو في معنى ما رُوِيَ أيضًا عن السدّي[6]، وأبي صخر [7] .

وعلى هذا ابن جرير الطبري، والزجاج، والجصاص مقتصرًا على ذكره بـــ (قيل) ولم يذكر سواه، والسمرقندي، ومكّي، والواحدي، والسمعاني، والبغوي، ومحمود النيسابوري، وابن الجوزي، والخازن، وابن كثير، والثعالبي، والسيوطي [8] .

---

(1) ينظر : نظم الدرر للبقاعي (٤٧/١٠) .

(2) التحرير والتنوير (٢٤٣/١٢) .

(3) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٥٢/١٣) بالإسناد المسلسل بالعوفيين .

(4) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٥١/١٣) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢١١٦/٧) رقم (١١٤٢٧) من طريق ابن أبي نجيح ، عنه . وأخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٥١/١٣- ٥٢) من طريق ابن جريج ، عنه . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٥١٥/٤) نسبته إلى ابن المنذر .

(5) نسبه السيوطي في الدر المنثور (٥١٧/٤) إلى ابن جرير الطبري ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وأبي الشيخ . وأخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٥٢/١٣) وليس فيه التصريح بذكر إخوة يوسف ولا غيرهم . بل أخرج ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦٠/١٣) عنه من طريق عبيد بن سليمان ما يدل على أن الضمير للسيارة .

(6) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢١١٤/٧) رقم (١١٤١٠) من طريق أسباط ، عنه .

(7) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢١١٥/٧) رقم (١١٤١٦) .

(8) ينظر : جامع البيان (٥٠/١٣، ٥٢- ٥٣) ، ومعاني القرآن وإعرابه (٩٨/٣) ، وأحكام القرآن (٣٨٤/٤) ، وبحر العلوم (١٥٥/٢) ، تفسير المشكل (٢٠٣) ومشكل إعراب القرآن (٣٨٢/١) ، والوجيز (٥٤٢/١) والوسيط (٦٠٤/٢) ، وتفسير القرآن (١٧/٣) ، ومعالم التنزيل (٤٤٥/٢) ، ووضح البرهان (٤٥١/١) ، وإيجاز البيان (٣٤٣/١) ، وزاد المسير (١٩٦/٤) ، وتذكرة الأريب (٢٦١/١) ، ولباب التأويل (١٠/٣) ، وتفسير القرآن العظيم (٢٣/٨) ، والجواهر الحسان (١٤٨/٢) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٢٠/٤) .

وكلام النحاس يشعر بالميل إليه [1] . وهو مفهوم كلام القرطبي [2] .

وقدّمه الرازي كأنه يميل إليه [3] . واحتمله ابن عطية ، والبيضاوي [4] .

وذكره الشوكاني بصيغة (قيل) [5] .

ونسبه السمرقندي لعامة المفسّرين . والسمعاني ، وابن الجوزي نسباه للأكثرين .

وهذا القول أيضًا بناءً على تفسير "شروه" بـــ باعوه .

واستدلوا له بالبيت المذكور قَبْلَ :

وشريت لي بردًا ...

وعلَّل ابن جرير هذا القول بأن الله أخبر عن الذين اشتروه أنهم أسرّوا شراءه من أصحابهم ؛ خيفةَ أن يستشركوهم بادّعائهم أنه بضاعةٌ ، رغبةً في أن يخلص لهم دونهم ، واسترخاصًا لثمنه الذي ابتاعوه به كما قال تعالى : ﴿ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ ﴾ . ولو كان مُبْتَاعوه من إخوته فيه من الزاهدين ، لم يكن لقولهم لرفقائهم : "هو بضاعةٌ" معنىً ، ولا كان لشرائهم إياه – وهم فيه من الزاهدين – وجهٌ ، إلاّ أن يكونوا مغلوبين على عقولهم ؛ لأنه محال أن يشتري صحيح العقل ما هو فيه زاهد ، من غير إكراهِ مُكْرِهٍ له عليه ، ثم يكذب في أمره الناسَ بأن يقول : هو بِضاعةٌ لم أَشْتَرِهِ . مع زهده فيه ، بل هذا القول من قول من هو بسلعته ضَنينٌ ؛ لنفاستها عنده ، ولما يرجو من نفيس الثمن لها وفضل الربح [6].

وقال أيضًا : « ويدل على هذا قوله : ﴿ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴾ أي : إخوةُ يوسف في يوسف من الزاهدين ، لا يعلمون كرامته على الله ، ولا مترلته عنده »[7] .

---

(1) ينظر : معاني القرآن الكريم (٤٠٦/٣، ٤٠٧) . وفي إعراب القرآن (٣١٩/٢) جعل الضمير في قوله (وأسروه) كناية عن إخوته .

(2) ينظر : الجامع لأحكام القرآن (٢٩٥/١١) .

(3) ينظر : مفاتيح الغيب (٤٣٣/٦) .

(4) ينظر : المحرر الوجيز (٤٦٤/٧، ٤٦٥) ، وأنوار التنزيل (٤٨١/١) .

(5) ينظر : فتح القدير (١٩/٣) .

(6) ينظر : جامع البيان (٥٣/١٣) .

(7) المصدر السابق (٦٠/١٣) بتصرف يسير .

وقال : « وروي عن الضحاك ، وابن جُريج أن إخوته زهدوا فيه لم يعلموا منزلته من الله ونُبُوَّتَهُ ومكانته »[1] .

وقال ابن كثير : « لأن قوله : ﴿ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴾ إنما أراد إخوته لا أولئك السيارة ؛ لأن السيارة استبشروا به وأسرّوه بضاعة ، ولو كانوا فيه من الزاهدين لما اشتروه ، فترجّح من هذا أن الضمير في ﴿ وَشَرَوْهُ ﴾ إنما هو لإخوته »[2] .

وهذا التعليل الذي ذكروه جيّد ولكنه يفتقر إلى دليل صحيح يدلُّ على رجوع إخوة يوسف إليه وبيعهم إياه للسيارة ، فلو ثبت هذا لكان نصًّا في محلِّ النزاع ، وليس في القصّة التي ساقها الله في القرآن ما يشير إلى ذلك ، فأنّى لهم ذلك ، والله أعلم .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن الأَولى هو القول برجوع الضمير المرفوع في ﴿ وَشَرَوْهُ ﴾ للسيارة ، وهم الوارِدُ وأصحابه ؛ لظاهر القرآن ، ودلالة السياق .

وهذا الفَصْلُ من القصة لا ذكرَ فيه لإخوة يوسف ، ولا دليل على رجوعهم إليه يُرْكَنُ إليه ويعتمد عليه ، و(لا يصح حَمْلُ معاني كلام الله على أمور غيبية وتفصيلات ليس عليها دليل صحيح من كتاب أو سنّة)[3] ، والله تعالى أعلم .

---

(1) المصدر السابق (٦١/١٣) . وسبق ذكر ما رُوِيَ عن الضحاك ما يدل على أن الضمير للسيارة .

(2) تفسير القرآن العظيم (٢٣/٨) .

(3) ينظر : قواعد الترجيح عند المفسّرين (٢٢٥/١) .

المسألة الثانية هي :

٩- الخلاف في معنى البَخْسِ في قوله تعالى : ﴿بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾ .

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « أي : ناقصٍ عن قيمته . وقيل : البَخْسُ هنا الظلمُ»[1].

العرض والمناقشة :

رجَّح ابن جُزَيّ أن البَخْسَ الموصوف به الثمن في قوله تعالى : ﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾ معناه : ناقص عن قيمته . ووافق في هذا معنى ما رُوِيَ عن مجاهد [2] ، وعكرمة [3] ، والشعبي [4] قالوا : القليل .

وبعض المفسّرين اختار هذا اللفظ : "القليل" منهم : النحاس، وابن عطية، والبقاعي، والسعدي [5] .

وأكثرهم اختار لفظ "الناقص" منهم : أبوعبيدة، وابن جرير الطبري، والنحاس، وغلام ثعلب، والزمخشري، وابن العربي، والقرطبي، والنسفي، والقمي، والقرشي اليماني، والسمين ، وابن كثير، والثعالبي، والسيوطي، وأبوالسعود، والآلوسي، والطاهر بن عاشور [6] .

قال ابن عطية : « والبخس مصدر وُصِف به الثمن ، وهو بمعنى النقص ، وهذا أشهر معانيه ،

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (١١٦/٢) .

(2) نسبه السيوطي في الدر المنثور (٥١٦/٤) لابن جرير الطبري .

(3) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٥٥/١٣) . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٥١٦/٤) نسبته إلى ابن أبي حاتم ، وأبي الشيخ . وينظر : النكت والعيون للماوردي (١٨/٣) ، وزاد المسير لابن الجوزي (١٩٦/٤) .

(4) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٥٥/١٣) . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٥١٦/٤) نسبته إلى ابن المنذر .

(5) ينظر : إعراب القرآن (٣٢٠/٢) ، والمحرر الوجيز (٤٦٤/٧، ٤٦٥) ، ونظم الدرر (٣٧/١٠) ، وتيسير الكريم الرحمان (٤٠٦/٢) .

(6) ينظر : مجاز القرآن (٣٠٤/١) ، وجامع البيان (٥٣/١٣) ، ومعاني القرآن الكريم (٤٠٦/٣) ، وياقوتة الصراط (٢٧٣) ، والكشاف (٢٦٥/٣) ، وأحكام القرآن (١٠٧٩/٣) ، والجامع لأحكام القرآن (٢٩٥/١١) ، ومدارك التنزيل (٢١٥/٢) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٧٢/٤) ، والترجمان لغريب القرآن (٧٠) ، والدر المصون (٤٦١/٦) ، وتفسير القرآن العظيم (٢٣/٨) ، والجواهر الحسان (١٤٨/٢) ، وتفسير الجلالين (٢٠/٤) ، وإرشاد العقل السليم (٨٩/٣) ، وروح المعاني (٢٠٤/١٢) ، والتحرير والتنوير (٢٤٤/١٢) .

فكأنه القليل الناقص »[1] .

وجمع بينهما السيد محمد رشيد رضا ، والمراغي فقالا : « ناقص قليل »[2] .

وسوّى البيضاوي بينه وبين الزيف فقال : « مبخوس لزيفه أو نقصانه »[3] .

وتبعه الشوكاني والقنّوجي فقالا : « ناقص أو زائف »[4] .

واستشهد له الفرّاء بقوله تعالى : ﴿ مَعْدُودَةٍ ﴾ وهذه تدلُّ على القِلَّةِ [5] .

وقالوا : البخس في اللغة هو : النقص [6] . فهو مصدر وضع موضع الاسم ، أي : باعوه بثمنٍ مبخوسٍ ، أي : منقوص .

قال البقاعي : « مادة "بخس" بكل ترتيباتها تدور على القلّة ، تقول : بخسته حقّه : نقصته ، فجعلته أقلَّ مما كان . والبخس : أرض تنبت بلا سقْيٍ ، كأنه لقلة ما نبت بها بالنسبة إلى أرض السقي . ثم قال : ولما كان البخس القليل الناقص أبدل منه تأكيدًا للمعنى قوله : ﴿ دَرَاهِمَ ﴾ »[7] .

وأما القول الآخر وهو أن البخس هو الظلم ، فهو قول قتادة [8] ، وعطية [9] .

وعليه الزجاج ، ومحمود النيسابوري [10] .

---

(1) المحرر الوجيز (٤٦٥/٧) .

(2) ينظر : تفسير القرآن الحكيم (٢١٩/١٢) ، وتفسير المراغي (١٢٤/١٢) .

(3) أنوار التنزيل (٤٨١/١) .

(4) ينظر : فتح القدير (١٩/٣) ، وفتح البيان (٣٠٤/٦) .

(5) ينظر : معاني القرآن (٤٠/٢) . وينظر أيضًا : معاني القرآن الكريم للنحاس (٤٠٧/٣) .

(6) ينظر : تفسير القرآن للسمعاني (١٧/٣) .

(7) نظم الدرر (٤٦/١٠- ٤٧) .

(8) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣٢٠/٢) عن معمر ، عنه . ومن طريقه أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٥٥/١٣) . وأخرجه ابن جرير أيضًا (٥٥/١٣) من طريق يزيد ، عن سعيد ، عنه . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢١١٦/٧) رقم (١١٤٢٣) من طريق سعيد بن أبي عروبة ، عنه . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٥١٦/٤) نسبته إلى أبي الشيخ .

(9) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢١١٥/٧) رقم (١١٤٢١) من طريق ابن إدريس ، عن أبيه ، عنه .

(10) ينظر : معاني القرآن وإعرابه (٩٨/٣) ، وإيجاز البيان (٣٤٢/١) .

وذكره ابن كثير ، والشوكاني ، والقنّوجي بصيغة (قيل) [1] .

قال الزجاج : « لأن الإنسانَ الموجود لا يَحِلُّ بيعُه »[2] . يعني بالموجود الحُرَّ .

ورُوي عن ابن عباس قولٌ آخر وهو : أن البخس هو الحرام [3] . وقال به الضحاك [4] .

وعليه مقاتل ، وابن أبي زمنين ، والواحدي ، والسمعاني ، والبغوي [5] .

قال الواحدي : « قال ابن عباس وأكثر المفسرين : حرام ؛ لأن ثمن الحر حرام . وسُمّيَ الحرام بخسًا ؛ لأنه لا بركة فيه فهو منقوص البركة »[6] .

وقال مقاتل : « لأنه حر ، وثمن الحر حرام وبيعه حرام »[7] .

وذكر هذا القول ابن كثير ، والشوكاني ، والقنّوجي بصيغة (قيل) [8] .

قال ابن كثير : « لكن ليس هو المراد هنا ؛ لأن هذا معلوم يعرفه كل أحد أن ثمنه حرام على كل حال وعلى كل أحد ؛ لأنه نبي ...» .

وقال ابن العربي : « ولا وجْه له »[9] .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن الذي يظهر أن الأَولى هو تفسير البخس بالنقص أو القلّة . أما تفسيره بالظلم أو الحرام فإنما هو تفسير باللازم ؛ لأن هذا الثمن ولو كان قليلاً ناقصًا فهو حرام وظلم ؛ لأنه لا يحلّ بيعه ولا ثمنه ؛ لأنه حر . فما فعلوه من بيعه ظلمٌ أوقعوه عليه ، وما أكلوه من ثمنه حرامٌ لا يجوز .

---

(1) ينظر : تفسير القرآن العظيم (٢٣/٨) ، وفتح القدير (١٩/٣) ، وفتح البيان (٣٠٤/٦) .

(2) معاني القرآن وإعرابه (٩٨/٣) .

(3) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٥٤/١٣) بالإسناد المسلسل بالعوفيين . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٥١٥/٤) نسبته إلى ابن المنذر ، وأبي الشيخ .

(4) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٥٤/١٣) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢١١٥/٧) رقم (١١٤٢٢) من طريق جويبر ، عنه . وأخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٥٤/١٣) من طريق عُبيد بن سليمان ، عنه .

(5) ينظر : تفسير مقاتل (٣٢٦/٢) ، وتفسير القرآن العزيز (٣١٩/٢) ، والوجيز (٥٤٢/١) ، وتفسير القرآن (١٧/٣) ، ومعالم التنزيل (٤٤٥/٢) .

(6) الوسيط (٦٠٤/٢) .

(7) تفسير مقاتل (٣٢٦/٢) .

(8) ينظر : تفسير القرآن العظيم (٢٣/٨) ، وفتح القدير (١٩/٣) ، وفتح البيان (٣٠٤/٦) .

(9) أحكام القرآن (١٠٧٩/٣) . وينظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٩٦/١١) .

قال الخازن : « وعلى الأقوال كلها فالبخس في اللغة : هو نقص الشئ على سبيل الظلم»[1].

وإذا كان ذلك كذلك فإن الأَولى هو ما رجّحه ابن جُزَيّ ومن وافقه ، وهو اختيار أكثر المفسرين ، والله تعالى أعلم .

(1) لباب التأويل (٣/١٠) .

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾

١٠- الخلاف في عائد الضمير في قوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ ﴾ .

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « في عود الضمير وجهان : أحدهما : أَنْ يعود على الله . فالمعنى : أنه يفعل ما يشاء لا رادّ لأمره . والثاني : أنه يعود على يوسف . أي : يدبّر الله أمره بالحفظ له والكرامة » [1] .

العرض والمناقشة :

قدّم ابن جُزَيّ في عائد الضمير في قوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ ﴾ قولَ مَنْ قال : إنه يعود على الله تعالى .

قال ابن الجوزي : « هذا معنى قول ابن عباس »[2] .

وقولُ سعيد بن جبير في معنى الآية : « فَعّالٌ » [3] ، أورده ابن جرير الطبري في معنى ﴿ غَالِبٌ ﴾ وهو كذلك . لكن ذكر ابن عطية ، وأبوحيان ، وابن كثير أن قول سعيد يدلُّ على القول الأول [4] . يعني عود الضمير على الله .

وقال الضحاك : « لما يريد أن يبلغ بيوسف »[5] .

وعلى هذا الوجْه الأول : النحاس، والسمرقندي، والواحدي، والقرطبي، وأبوحيان، وابن كثير، والبقاعي، والسيوطي، والشوكاني، والقنّوجي، والسيد رشيد رضا، والمراغي، والسعدي،

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (١١٦/٢) .

(2) زاد المسير (١٩٩/٤) . وذكره الواحدي في الوسيط (٦٠٦/٢) .

(3) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦٥/١٣- ٦٦) .

(4) ينظر : المحرر الوجيز (٤٦٨/٧) ، والبحر المحيط (٢٩٢/٥) ، وتفسير القرآن العظيم (٢٥/٨) .

(5) أخرجه أبو الشيخ كما في الدر المنثور للسيوطي (٥١٨/٤) .

والطاهر بن عاشور [1] . وقدّمه السمعاني ، والرازي ، والبيضاوي [2] .

ونظيره قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦ ﴾[الطلاق : ٣] .

قال الرازي : « من تأمل في أحوال الدنيا وعجائب أحوالها عرف وتيقن أن الأمر كله لله ، وأن قضاء الله غالب »[3] .

وقال الشوكاني : « ومن جملة ما يدخل تحت هذا العام كما يفيد ذلك إضافة اسم الجنس إلى الضمير ، ما يتعلّق بأمر يوسف × من الأمور التي أرادها الله سبحانه في شأنه »[4] .

وأما الوجه الآخر وهو عود الضمير على يوسف × فقاله مقاتل [5] . وعليه ابن جرير الطبري [6] . وهو مفهوم كلام ابن الجوزي [7] . وجوّزه السيد محمد رشيد رضا [8].

وذكره السمرقندي ، والقرطبي بصيغة (قيل) [9] .

وتوقف بعض المفسّرين فلم يرجّحْ بينهما ؛ فاحتملهما معًا ابن عطية [10] ، وتبعه الثعالبي [11] . وجوّزهما معًا العكبري ، والسمين [12] .

وذكرهما بالتساوي الزمخشري ، والبيضاوي ، والنسفي ، والقمي ، وأبوالسعود ،

---

(1) ينظر : إعراب القرآن (٣٢٠/٢) ، وبحر العلوم (١٥٦/٢) ، والوجيز (٥٤٢/١) والوسيط (٦٠٦/٢) ، والجامع لأحكام القرآن (٣٠٣/١١) ، والبحر المحيط (٢٩٢/٥) ، وتفسير القرآن العظيم (٢٥/٨) ، ونظم الدرر (٤٩/١٠) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٢٢/٤) ، وفتح القدير (٢٠/٣) ، وفتح البيان (٣٠٧/٦) ، وتفسير القرآن الحكيم (٢٢١/١٢) ، وتفسير المراغي (١٢٦/١٢) ، وتيسير الكريم الرحمان (٤٠٧/٢) ، والتحرير والتنوير (٢٤٧/١٢) .

(2) ينظر : تفسير القرآن (١٩/٣- ٢٠) ، ومفاتيح الغيب (٤٣٦/٦) ، وأنوار التنزيل (٤٨٢/١) .

(3) مفاتيح الغيب (٤٣٦/٦) . وينظر : نظم الدرر للبقاعي (٤٩/١٠- ٥٠) .

(4) فتح القدير (٢٠/٣) . وتبعه القنّوجي في فتح البيان (٣٠٧/٦) .

(5) ينظر : تفسير مقاتل (٣٢٧/٢) .

(6) ينظر : جامع البيان (٦٥/١٣) .

(7) ينظر : زاد المسير (١٩٩/٤) ، وتذكرة الأريب (٢٦١/١) .

(8) ينظر : تفسير القرآن الحكيم (٢٢١/١٢) .

(9) ينظر : بحر العلوم (١٥٦/٢) ، والجامع لأحكام القرآن (٣٠٣/١١) .

(10) ينظر : المحرر الوجيز (٤٦٨/٧) .

(11) ينظر : الجواهر الحسان (١٤٩/٢) .

(12) ينظر : التبيان (٧٢٧/٢) ، والدر المصون (٤٦١/٦) .

والآلوسي ، والقاسمي [1] مع تقديمهم للوجه الأول .

وذكرهما معًا بصيغة (قيل) البغوي ، والخازن [2] مع تقديمهما للوجه الأول .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن كلا القولين محتملٌ ، وأَولاهما بالتقديم أَوَّلُهما ، وهو أن يعود الضمير على الله تعالى ؛ لأن الله تعالى بالغٌ أمره ، وحكمه نافذ لا يبطله مبطل ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن الأمر كله لله . ومن ذلك ما يتعلّق بيوسف × من حفظ الله له وتمكينه في الأرض وجعله على خزائنها ، والله تعالى أعلم .

(1) ينظر : الكشاف (٢٦٦/٣) ، وأنوار التنزيل (٤٨٢/١) ، ومدارك التنزيل (٢١٦/٢) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٧٦/٤) ، وإرشاد العقل السليم (٩٢/٣) ، وروح المعاني (٢٠٨/١٢) ، ومحاسن التأويل (٣٥٢٤/٩) .

(2) ينظر : معالم التنزيل (٤٤٧/٢) ، ولباب التأويل (١١/٣) .

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾

١١- الخلاف في معنى قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ﴾.

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا ﴾ : أكثرَ الناسُ في الكلامَ في هذه الآية حتى ألَّفوا فيها التآليف ، فمنهم مُفْرِط ومفَرِّط . وذلك أن منهم من جعل هَمَّ المرأة وهمَّ يوسف من حيث الفعلُ الذي أرادته ، وذكروا في ذلك رواياتٍ من جلوسه بين رجليها وحَلِّه التكَّة [1] وغير ذلك مما لا ينبغي أن يقال به ؛ لضعف نقله ؛ ولتزاهة الأنبياء عن مثله . ومنهم من جعل أنها هَمَّتْ به لتضربه على امتناعه وهمَّ بها ليقتلها أو يضربها ليدفعها ، وهو بعيدٌ ؛ يردُّه قوله : ﴿ لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ﴾ . ومنهم من جعل همَّها به من حيث مرادها ، وهمَّه بها ليدفعها ، وهذا بعيد ؛ لاختلاف سياق الكلام .

والصواب إن شاء الله : أنها هَمَّتْ به من حيث مرادها ، وهمَّ بها كذلك لكنه لم يعزم على ذلك و لم يبلغ إلى ما ذُكِر من حلِّ التكّة وغيرها بل كان همُّه خَطْرَةً خطرت على قلبه لم يطعها و لم يتابعها ، ولكنه بادر بالتوبة والإقلاع عن تلك الخطرة حتى محاها من قلبه لما رأى برهان ربَّه . ولا يقدحْ هذا في عصمة الأنبياء ؛ لأن الهمَّ بالذنب ليس بذنب ، ولا نقصَ عليه في ذلك ، فإنه من هَمَّ بذنب ثم تركه كتبت له حسنة .

﴿ لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ﴾ : جوابه محذوف ، تقديره : لولا أن رأى برهان ربِّه لخالطها. وإنما حُذِفَ لأن قوله ﴿ هَمَّ بِهَا ﴾ يدلُّ عليه . وقد قيل : إن ﴿ هَمَّ بِهَا ﴾ هو الجواب. وهذا ضعيف ، لأن جواب ﴿ لَوْلَآ ﴾ لا يتقدَّمُ عليها »[2] .

---

(1) التكَّة : هي ما يربط به السروال ، ويقال لها : هِمْيان . ومنه هِمْيانُ الدراهم . ينظر : الصحاح (٥٣٦/٦) .

(2) التسهيل لعلوم التزيل (١١٧/٢) . وكلام ابن جُزَيّ تضمّن مسألتين هما : الخلاف في معنى الهَمّ في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا ﴾ ، والخلاف في جواب ﴿ لَوْلَآ ﴾ هل هو محذوف ؟ . ولما كان أحد القولين في المسألة الثانية هو أحد الأجوبة الصحيحة في المسألة الأولى وأحد الأقوال فيها ؛ اقتضى ذلك عدم الفصل بين

العرض والمناقشة :

حاصل ما ذكره ابن جُزَيّ في معنى قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ﴾ خمسة أقوال هي :

القول الأول : قول من جعل همَّ المرأة وهمَّ يوسف × من حيث الفعل الذي أرادته . أي : أن يوسف × جلس بين رجليها كما يقعد الرجل من امرأته وحلَّ تكَّة سراويله ، و لم يَحْلُ بينه وبينها إلاّ رؤية البرهان من ربّه ليصرف الله عنه السوء والفحشاء .

وهذا قول السلف منهم : ابن عباس[1]، وسعيد بن جبير، وعكرمة[2]، ومجاهد[3]،

المسألتين .

(1) قال ابن عباس : حلَّ الهِمْيانَ ، وجلس منها مجلس الخاتن . رواه عنه ابن أبي مليكة ، وعبيد الله بن أبي يزيد . ورواه عن ابن أبي مليكة خمسة : الأول : عثمان بن أبي سليمان . ورواه عنه ابن عيينة . أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣٢١/٢) عنه. ومن طريقه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٨٥/١٣) . وأخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٨٢/١٣) من طرق عنه ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢١٢٢/٧) رقم (١١٤٧٣) . الثاني : ابن جريج . ورواه عنه محمد بن أبي عدي ، وسفيان ، ويحيى بن سعيد ، وحجاج بن محمد .أخرجها ابن جرير الطبري في جامع البيان (٨٢/١٣- ٨٤)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢١٢٣/٧) (١١٤٧٤) . بلفظ : (استلقت له ، وجلس بين رجليها ينزع ثيابه) . والثالث : نافع بن عمر بن عبد الله الجمحي . ورواه عنه وكيع . أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٨٣/١٣) عن ابنه ، وأبي كريب ، عن وكيع به . الرابع : زهير بن محمد . رواه عنه الوليد . أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢١٢٣/٧) عن أبي زرعة ، عن صفوان ، عن الوليد به . الخامس : جرير . أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢١٢٤/٧) (١١٤٧٨) عن أحمد بن عاصم ، عن وهب بن جرير ، عن أبيه به . ورواه عن ابن أبي مليكة سفيان بن عيينة . أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٨٢/١٣) من طرق ، عن سفيان به .

(2) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٨٥/١٣) من طريق قيس ، عن أبي حصين ، عن سعيد قال : (أطلق تكة سراويله). وأخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٨٥/١٣) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢١٢٥/٧) (١١٤٨٥) من طريق الثوري ، عن علي بن بذيمة ، عن عكرمة وسعيد بن جبير قالا : حلَّ السروايل ، وجلس منها مجلس الخاتن. وزاد السيوطي في الدر المنثور (٥٢١/٤) نسبته إلى أبي الشيخ .

(3) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣٢١/٢) ، وابن جرير الطبري في جامع البيان (٨٤/١٣) من طريق معمر ، عن ابن أبي نجيح ، عنه . وأخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٨٣/١٣، ٨٤) من طريق الأعمش ، عنه . وأخرجه ابن جرير أيضًا (٨٥/١٣) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢١٢٣/٧) رقم (١١٤٧٥) من طريق شريك ، عن جابر ، عنه . ولفظ مجاهد : (جلس منها مجلس الرجل من امرأته) ، (حلّ سراويله) ، (استلقت ، وحلّ ثيابه حتى بلغ الثُّنَّات) . [والثُّنَّة : ما دون السرّة فوق العانة . ينظر : الفائق ١٧٧/١] .

وابن أبي مليكة [1] ، والقاسم بن أبي بزَّة [2] .

وهو منسوب أيضًا إلى عليّ ، ووهب بن منبه ، وابن سيرين ، والضحاك ، والسدّي ، والأعمش ، والحسن [3] .

وعليه مقاتل، وابن جرير الطبري، والزجاج، وابن أبي زمنين، والواحدي، والسمعاني، والبغوي، والسيوطي، والشوكاني، والقنّوجي [4] . وهو مفهوم كلام النحاس [5] .

وحمله ابن عطية على كون يوسف مؤمنًا قد أوتي حُكمًا وعلمًا لا على كونه نبيًّا في وقت هذه النازلة [6] .

وذكره السمرقندي ، والقرطبي بصيغة (قيل) [7] .

ونُقِلَ عن ابن الأنباري قولُه : « والذي نذهب إليه في هذه الآية ما يروى عن الصحابة والتابعين من إثبات الهمّ ليوسف غيرَ عائبين له . بل نقول : إن انصرافه بعد إثبات الهمّ ونهيه نفسه عن هواها تعظيمًا لله ومعرفة بحقه أدلُّ على وُفُورِ الثواب وتكامل الأجر»[8].

وقال أيضًا : « والذين أثبتوا الهمّ ليوسف من عليٍّ ، وابنِ عباس ، ووهب ، وابن سيرين وغيرهم كانوا أعرف بحقوق الأنبياء وارتفاع منازلهم عند الله من الذين نفوا الهمَّ عنه»[9].

---

(1) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٨٣/١٣) من طريق ابن جريج ، عنه قال : استلقتْ له ، وحلّ ثيابه .

(2) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٨٤/١٣) ، من طريق شبل ، عنه قال : أما همها به ، فاستلقت له ، وأما همه بها فإنه قعد بين رجليها ، ونزع ثيابه .

(3) نسبه إليهم الواحدي في الوسيط (٦٠٧/٢، ٦٠٨) .

(4) ينظر : تفسير مقاتل (٣٢٨/٢- ٣٢٩) ، وجامع البيان (٨٥/١٣- ٨٧) ، ومعاني القرآن وإعرابه (١٠١/٣) ، وتفسير القرآن العزيز (٣٢١/٢) ، والوسيط (٦٠٧/٢) ، وتفسير القرآن (٢١/٣، ٢٣) ، ومعالم التنزيل (٤٤٩/٢- ٥٥٠) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٢٦/٤) ، وفتح القدير (٢٤/٣- ٢٥) ، وفتح البيان (٣١٣/٦) .

(5) ينظر : معاني القرآن الكريم (٤١١/٣- ٤١٥) .

(6) ينظر : المحرر الوجيز (٤٧٧/٧) .

(7) ينظر : بحر العلوم (١٥٧/٢) ، والجامع لأحكام القرآن (٣١٢/١١) .

(8) الوسيط للواحدي (٦٠٨/٢) .

(9) المصدر السابق .

ولما ذكر ابن جرير الطبري أقوال السلف عن ابن عباس وغيره في همِّ يوسف بها ، ذكر أقوالاً أخرى قال عنها : « بأنها تخالف أقوالَ السلف ، وأنهم تأولوا القرآن بآرائهم ، فخالفوا جميعَ أهل العلم بتأويل القرآن ، الذين عنهم يؤخذ تأويله »[1] .

وقال الزجاج : « والذي عليه المفسّرون : أنه همَّ بها وأنه جلس منها مجلس الرجل من المرأة إلاّ أن الله تفضّل بأن أراه البرهان »[2] .

وقال أبوعبيد القاسم بن سلام : « وابن عباس ومن دونه لا يختلفون في أنه همَّ بها ، وهم أعلم بالله ، وبتأويل كتابه ، وأشدّ تعظيمًا للأنبياء من أن يتكلموا فيهم بغير علم » .

قال أبوجعفر النحاس : « وكلام أبي عبيد هذا ، كلامٌ حَسَنٌ بَيّنٌ لمن لم يَمِلْ إلى الهوى»[3].

ومما احتجّوا به قوله لأ : ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ ﴾[4] [يوسف : ٥٣] .

وهذا مبنيٌّ على أن القائل – عند هؤلاء – هو يوسف × .

قال ابن القيم : « وهذا وإن كان قاله جماعة من المفسّرين ، فقد خالفهم في ذلك آخرون أجلُّ منهم وقالوا : إن هذا من قول امرأة العزيز لا من قول يوسف × وهو الصواب »[5].

وقال ابن الجوزي : « ولا يصحُّ ما يروى عن المفسرين أنه حلَّ السراويل وقعد منها مقعد الرجل ، فإنه لو كان هذا دلَّ على العزم ، والأنبياء معصومون من العزم على الزنا»[6].

وأورد الشنقيطي الآثار عن العلماء الذين قالوا : إنه وقع منه بعض ما لا ينبغي ، وأقوالهم في المراد بالبرهان ، كما أوردها السيوطي في الدر المنثور [7] ثم عقّبها بقوله :

---

(1) جامع البيان (٨٦/١٣، ٨٧) .

(2) معاني القرآن وإعرابه (١٠١/٣) .

(3) معاني القرآن الكريم (٤١٣/٣) .

(4) ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١٠١/٣) .

(5) بدائع التفسير (٢/ ٤٤٦- ٤٤٨) .

(6) زاد المسير (٢٠٥/٤) .

(7) ينظر : الدر المنثور (٥٢٠/٤- ٥٢٤) .

« قال مقيده ـــ عفا الله عنه ـــ : هذه الأقوال التي رأيت نسبتها إلى هؤلاء العلماء منقسمة إلى قسمين : قسم لم يثبت نقله عمن نقل عنه بسند صحيح ، وهذا لا إشكال في سقوطه . وقسم ثبت عن بعض من ذكر ، ومن ثبت عنه منهم شئ من ذلك ، فالظاهر الغالب على الظن ، المزاحم لليقين : أنه تلقّاه عن الإسرائيليات ؛ لأنه لا مجال للرأي فيه ، ولم يرفع منه قليل ولا كثير إليه > .

وبهذا تعلم أنه لا ينبغي التجرؤ على القول في نبيّ الله يوسف بأنه جلس بين رِجْلَيْ كافرةٍ أجنبيةٍ ، يريد أن يزني بها ؛ اعتمادًا على مثل هذه الروايات . مع أن في الروايات المذكورة ما تلوح عليه لوائح الكذب ؛ كقصّة الكفّ التي خرجت له أربع مرات ، وفي ثلاث منهن لا يبالي بها ؛ لأن ذلك على فرض صحته فيه أكبر زاجر لعوامّ الفسّاق . فما ظنك بخيار الأنبياء ! » [1] . اهـــ .

وقال أبوحيّان : « وأما أقوال السلف فنعتقد أنه لا يصح عن أحدٍ منهم شئ من ذلك؛ لأنها أقوال متكاذبة يناقض بعضها بعضًا ، مع كونها قادحةً في بعض فسّاق المسلمين فضلاً عن المقطوع لهم بالعصمة . والذي رُوِيَ عن السلف لا يساعد عليه كلام العرب .... وقد طهرنا كتابنا هذا عن نقل ما في كتب التفسير مما لا يليق ذكره ، واقتصرنا على ما دل عليه لسان العرب . ومساق الآيات في هذه السورة مما يدل على العصمة وبراءة يوسف × من كل ما يشين »[2] .

وقال الآلوسي : « ومن أمعن النظر في الحجج وأنصف جزم أنه لم يبق في يد الواحدي ومن وافقه إلاّ مجرد التصلّف وتعديد أسماء المفسرين ، ولم يجد معهم شبهة في دعواهم المخالفة لما شهد له الآيات البينات سوى روايات واهيات »[3] .

وقد ردّ هذا القول شيخ الإسلام ابن تيمية بأن ما ينقلونه في ذلك ليس هو عن النبي > ، ولا مستند لهم فيه إلاّ النقل عن بعض أهل الكتاب . وقد عرف كلام اليهود في الأنبياء

---

(1) أضواء البيان (٣/ ٦٨) .

(2) البحر المحيط (٥/٢٩٥) . وتبعه البقاعي في نظم الدرر (٩/٦٤) وقال : وسبقه إلى ذلك الإمام الرازي وقال : (إن هذا قول المحققين من المفسّرين) وأشبع في إقامة الدلائل على هذا بما يطرب الأسماع .

(3) روح المعاني (١٢/٢١٣- ٢١٥) .

وغضهم منهم ، كما قالوا في سليمان ما قالوا ، وفي داود ما قالوا ، فلو لم يكن معنا ما يرد نقلهم لم نصدقهم فيما لم نعلم صدقهم فيه ، فكيف نصدِّقهم فيما قد دلّ القرآن على خلافه ... [1]

وكذا ردّه السيد محمد رشيد رضا [2] ، وإن كان قد بالغ في الرد على السلف ـــ عفا الله عنه ـــ وتبعه المراغي في ردّه وتفنيده [3] .

وسيأتي ـــ إن شاء الله ـــ كلام الرازي في تفنيد هذا القول وبيان القول الصواب .

وأما القول الثاني : فهو قول مَنْ جعل أنها هَمَّتْ به لتضربه على امتناعه ، وهمَّ بها ليقتلها أو يضربها ليدفعها .

واختاره السيد محمد رشيد رضا وأطال في التدليل والتعليل له [4] . وتبعه المراغي [5] .

قال ابن جرير الطبري : « قالوا : والشاهد على صحة ذلك قوله : ﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ﴾ . قالوا : فالسوء هو ما كان همَّ بها من أذاها ، وهو غير الفحشاء ... فلولا أن يوسف رأى برهان ربه ، وكفَّه ذلك عما همَّ به من أذاها ، لا أنها ارتدعت من قبل نفسها »[6].

ثم أفسده الطبري بمخالفته جميع أهلِ العلمِ بتأويل القرآن ، الذين عنهم يؤخذ تأويله [7] .

واستبعده ابن جُزَيّ وردّه بقوله تعالى : ﴿ لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ ﴾.

وحكاه الماوردي عن بعض المتأخرين [8] . وحكاه ابن الجوزي عن ابن الأنباري لكن في ﴿ وَهَمَّ بِهَا ﴾ فقط ، ولم يذكر تفسير ﴿ هَمَّتْ بِهِۦ ﴾ هذا : لتضربه على امتناعه ! [9]

---

(1) ينظر : مجموع الفتاوى (١٥/ ١٤٨ – ١٥٠) .
(2) ينظر : تفسير القرآن الحكيم (١٢/ ٢٢٧- ٢٣٢) .
(3) ينظر : تفسير المراغي (١٢/ ١٣١) .
(4) ينظر : تفسير القرآن الحكيم (١٢/ ٢٢٤- ٢٢٥ ، ٢٣٠- ٢٣٢) .
(5) ينظر : تفسير المراغي (١٢/١٣٠ ، ١٣١) .
(6) جامع البيان (١٣/٨٦) .
(7) ينظر : المصدر السابق (١٣/٨٦- ٨٧) .
(8) ينظر : النكت والعيون (٣/٢٤) .
(9) ينظر : زاد المسير (٤/ ٢٠٦- ٢٠٧) .

واستبعده السمعاني [1] . وضعّفه أَلْبَتَّةَ ابنُ عطية [2] . واستغربه الكرماني [3] .

وذكره القرطبي ، والخازن ، وابن كثير بصيغة (قيل) [4] .

وردّه الشنقيطي بأنه غير ظاهر بل بعيد من الظاهر ولا دليل عليه [5] .

قال ابن قتيبة : « وقال بعضهم : وهمَّ بضربها ! والله تعالى يقول : ﴿ لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ﴾ . أَفَتُراه أراد الفرار منها ، أو الضرب لها ، فلما رأى البرهان أقام عندها وأمسك عن ضربها ؟! هذا ما ليس به خفاء ولا يغلطُ مُتَأَوّلُه »[6] .

وأما القول الثالث : فهو قول من جعل همَّها به من حيث مرادُها ، وهمَّه بها ليدفعها ، فذكره ابن الجوزي عن ابن الأنباري [7] ، وذكره النحاس لبعض أهل اللغة[8] .

واستبعده ابن جُزَيّ لاختلاف سياق الكلام ، وضعّفه ابن عطية [9] .

وأما القول الرابع : فهو ما رجَّحه ابن جُزَيّ وقال عنه : "إنه الصواب إن شاء الله" ، وهو قولُ من جعل همها به من حيث مرادُها ، وهمَّ بها كذلك ، لكنه لم يعزم على ذلك و لم يبلغ إلى ما ذكر من حلِّ السراويل وغيرها ... بل كان همُّه خطرةً خطرت على قلبه لم يطعها و لم يتابعها لما رأى برهانَ ربّه .

وهذا القول يتضمّن التفريق بين الهمَّيْنِ ، فهمُّ المرأة تَرَقَّى إلى العزيمة والإصرار ، وهمُّ يوسف مجرّدُ خاطرٍ قلبيّ صرفه عنه وازع التقوى .

قال الجصّاص : « رُوِيَ عن الحسن : ﴿ بِهِۦ ﴾ : بالعزيمة . ﴿ وَهَمَّ بِهَا ﴾ : من جهة

---

(1) ينظر : تفسير القرآن (٣/ ٢٢) .

(2) ينظر : المحرر الوجيز (٧/ ٤٧٧) .

(3) ينظر : غرائب التفسير وعجائب التأويل (٥٣٣/١) .

(4) ينظر : الجامع لأحكام القرآن (٣١٢/١١) ، ولباب التأويل (١٣/٣) ، وتفسير القرآن العظيم (٣٠/٨) .

(5) ينظر : أضواء البيان (٣/ ٦٠) .

(6) تأويل مشكل القرآن (٤٠٤) .

(7) ينظر : زاد المسير (٢٠٧/٤) .

(8) ينظر : معاني القرآن الكريم (٤١٥/٣) .

(9) ينظر : المحرر الوجيز (٧/ ٤٧٧) .

الشهوة و لم يعزم » [1] .

وقال الواحدي : « وذكر المتأخرون فرقًا بين الهمّين ، فقال أبو العباس أحمد بن يحيى : همت المرأة بالمعصية مصرةً على ذلك ، وهمَّ يوسف بالمعصية و لم يأتها و لم يصرَّ عليها فبين الهمّين فرقٌ . وشرحه ابن الأنباري فقال : همت المرأة عازمةً على الزنا ، ويوسف عارضه ما يعارض البشر من خطرات القلب وحديث النفس فلم يلزمه هذا الهمُّ ذنبًا ؛ إذ الرجل الصالح يخطر بقلبه وهو صائم شرب الماء البارد فإذا لم يشرب كان غير مؤاخذ بما هجس في نفسه»[2] .

وعلى هذا القول ابن قتيبة ، والجصّاص ، والزمخشري ، وابن العربي، وابن الجوزي ، والرازي ، والبيضاوي ، والنسفي ، والخازن ، وابن تيمية ، وابن القيم ، والثعالبي ، والآلوسي [3] .

وكأن القرطبي ، وابن كثير يميلان إليه [4] . وحمله ابن عطية على فرض كون يوسف × نبيًّا في وقت هذه النازلة [5] .

وجعله الشنقيطي جوابًا صحيحًا في هذه المسألة [6] .

قال القاسمي : « فإن الأنبياء ليسوا بمعصومين من حديث النفس ، وخواطر الشهوة الجبليّة ، ولكنهم معصومون من طاعتها ، والانقياد إليها . ولو لم توجد عندهم دواعٍ جبلية، لكانوا إما ملائكة أو عالمًا آخر . ولما كانوا مأجورين على ترك المناهي ؛ لأنهم

---

(1) أحكام القرآن (٣٨٤/٤) . وينظر أيضًا : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣١٤/١١) ، ومدارك التنزيل للنسفي (٢١٧/٢) .

(2) الوسيط (٢/ ٦٠٧- ٦٠٨) .

(3) ينظر : تأويل مشكل القرآن (٤٠٤) ، وأحكام القرآن (٣٨٤/٤- ٣٨٥) ، والكشاف (٢٦٨/٣- ٢٧٠) ــ إلاّ أن الزمخشري – عفا الله عنه – شنَّع على السلف في قولهم ذلك ثم وقع في زلّةٍ ، حيث وصف المرأة بالزانية !! ــ ، وأحكام القرآن (١٠٨٢/٣) ، وزاد المسير (٢٠٣/٤- ٢٠٤) ، ومفاتيح الغيب (٤٤٠/٦) ، وأنوار التنزيل (٤٨٣/١) ، ومدارك التنزيل (٢١٧/٢) ، ولباب التأويل (١٢/٣) ، ومجموع الفتاوى (١١٧/١٥) ، وبدائع التفسير (٤٤٦/٢) ، وروضة المحبين (٢٩٧) ، والجواهر الحسان (١٥١/٢) ، وروح المعاني (٢١٣/١٢).

(4) ينظر : الجامع لأحكام القرآن (٣١٤/١١- ٣١٥) ، وتفسير القرآن العظيم (٢٩/٨- ٣٠) .

(5) ينظر : المحرر الوجيز (٧/ ٤٧٨) .

(6) ينظر : أضواء البيان (٣/ ٥٨- ٥٩ ، ٦٢) .

يكونون مقهورين على تركها طبعًا . والعنّين لا يؤجر ويثاب على ترك الزنى ؛ لأن الأجر لا يكون إلاّ على عمل ، والترك بغير داعية ليس عملاً ، وأما الترك مع الداعية ، فهو كفّ النفس عما تتشوّف إليه ، فهو عمل نفسي .

وحقيقة عصمة الأنبياء هي نزاهتُهم ، وبعدُهم عن ارتكاب الفواحش والمنكرات التي بعثوا لتزكية النفس منها ؛ لئلا يكونوا قدوة سيئة ، مفسدين للأخلاق والآداب ، وحجّةً للسفهاء على انتهاك حرمات الشرائع . وليس معناها أنهم آلهةٌ متزّهون عن جميع ما يقتضيه الطبع البشري » [1] . اهـ .

ومجرّد الهمّ لا ينافي العصمة ، فإنها قد وقعت العصمة عن الوقوع في المعصية . قاله الشوكاني [2] .

وذكر الآلوسي عن الطّيبي أن هذا التفسير هو الذي يجب أن نذهب إليه ونتخذه مذهبًا . وإن نقل المفسرون ما نقلوا ؛ لأن متابعة النصّ القاطع وبراءة المعصوم عن تلك الرذيلة وإحالة التقصير على الرواة أولى بالمصير إليه ... [3]

وعمدة هذا القول الفرقُ بين الهمّين .

قال ابن قتيبة : « ولكنها همَّتْ منه بالمعصية همَّ نيةٍ واعتقادٍ ، وهمَّ نبيُّ الله > همًّا عارضًا بعد طول المُرَاوَدَةِ ، وعند حدوث الشهوة التي أُتي أكثر الأنبياء في هفواتهم منها ... ولذلك قال يوسف > : ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ ﴾ [يوسف : ٥٣] ، يريد ما أضمره وحدّث به نفسَه عند حدوث الشهوة . وقد وضع الله تعالى الحَرَجَ عَمَّنْ همَّ بخطيئة و لم يعملها »[4] .

واستدل الجصّاص على أن همَّ يوسف بها لم يكن من جهة العزيمة وإنما كان من جهة دواعي الشهوة ، بقوله : ﴿ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَ ﴾ وبقوله تعالى : ﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴾ .

---

(1) محاسن التأويل (٩/ ٣٥٣٠) .

(2) فتح القدير (٣/ ٢٥) .

(3) روح المعاني (١٢/ ٢١٣) .

(4) تأويل مشكل القرآن (٤٠٤- ٤٠٥) .

وقال : « فكان ذلك إخبارًا ببراءة ساحته من العزيمة على المعصية »[1] .

ونقل ابن القيم عن الإمام أحمد قوله : « الهمُّ همَّان : همُّ خطرتٍ ، وهمُّ إصرارٍ ، فهمُّ الخطرات لا يؤاخذ به ، وهمُّ الإصرار يؤاخذ به »[2] .

وفرّق الرازي بين الهمّين وجعل همَّه × محتملاً لواحدٍ من ثلاثة : إما أنه همَّ بدفعها عن نفسه – وقد سبق استبعاده – وإما هم شهوة فقط ، وإما أنه حديث النفس [3] .

وقال النسفي : « همُّ الطباع مع الامتناع »[4] .

وأصل الهم حديث النفس حتى يظهر فيصير فعلاً ، ومنه قول جميل :

هَمَمْتُ بهمٍّ من بُثَيْنَةَ لو بدا شَفَيْتُ غَليلاتِ الهوى من فؤاديا [5]

والهمُّ بالشئ في كلام العرب : حديثُ المرءِ نفسَه بمواقعته ، ما لم يواقع [6] .

قال ابن الجوزي : « ورجوعه عما همَّ به من ذلك خوفًا من الله تعالى يمحو عنه سيء الهمّ ، ويوجب له علوَّ المنازل . ويدل على هذا الحديث الصحيح عن رسول الله > : أن ثلاثة خرجوا فلجأوا إلى غار ، فانطبقت عليهم الصخرة ... الحديث [7] . وفيه : (قال أحدهم : اللهم إنك تعلم أنه كانت لي ابنةُ عَمٍّ كانت أحب الناس إليّ . (وفي رواية : كنت أحبها كأشدّ ما يحب الرجال النساءَ) فامتنعتْ مني حتى أَلَمَّتْ بها السنين فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلّي بيني وبين نفسها ففعلت حتى إذا قدرت عليها (وفي رواية : فلما قعدت بين رجليها) قالت : اتق الله ولا تفضّ الخاتم إلاّ بحقه ، فانصرفت عنها وهي أحب الناس إليّ وتركت الذهب الذي أعطيتها) وعلى هذا نقول : إنما هَمَّتْ ، فترقَّتْ همَّتُها إلى العزيمة ، فصارت مُصِرةً على الزّنا . فأما هو ، فعارضَه ما يعارضُ البشرَ

---

(1) أحكام القرآن (٤/ ٣٨٥) .

(2) بدائع التفسير (٤٤٦/٢) .

(3) ينظر : مفاتيح الغيب (٦/ ٤٤٠) .

(4) مدارك التنزيل (٢/ ٢١٧) .

(5) ينظر : النكت والعيون للماوردي (٣/ ٢٤) .

(6) ينظر : جامع البيان لابن جرير الطبري (٨١/١٣) . وينظر : زاد المسير لابن الجوزي (٤/ ٢٠٣) .

(7) متفق عليه من حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب ب . أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٢٢١٥) في البيوع ، و(٢٢٧٢) في الإجارة ، و(٢٣٣٣) في الحرث والمزارعة ، و(٣٤٦٥) في أحاديث الأنبياء ، و(٥٩٧٤) في الأدب ، ومسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٩٩) برقم (٢٧٤٣) .

من خطرات القلب ، وحديث النفس ، من غير عزمٍ ، فلم يلزمه هذا الهمُّ ذنبًا ؛ فإن الرجل الصالح قد يخطر بقلبه وهو صائم شربُ الماءِ البارد ، فإذا لم يشرب لم يؤاخذ بما هجس في نفسه . وقد قال > : (عفي لأمتي عما حدثت به أنفسها ما لم تتكلم أو تعمل) [1] .

وقال > : (هلك المصرون) [2] . وليس الإصرار إلاّ عزم القلب . فقد فرّق بين حديث النفس وعزم القلب .

وسئل سفيان الثوري : أيؤاخذ العبد بالهمّة ؟ فقال : إذا كانت عزمًا .

ويؤيده الحديث الصحيح عن رسول الله > أنه قال : (يقول الله تعالى : إذا همَّ عبدي بسيئة و لم يعملها لم أكتبها عليه ، فإن عملها كتبتها عليه سيئة) [3] .

واحتج القاضي أبو يعلى على أن همته لم تكن من جهة العزيمة ، وإنما كانت من جهة دواعي الشهوة بقوله : ﴿ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ ﴾ وقوله : ﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ﴾ وكل ذلك إخبار ببراءة ساحته من العزيمة على المعصية .

فإن قيل : فقد سوّى القرآن بين الهمتين ، فلم فرَّقتم ؟

فالجواب : أن الاستواء وقع في بداية الهمّة ، ثم ترقت همتها إلى العزيمة ، بدليل مراودتها واستلقائها بين يديه ، و لم تتعدَّ همته مقامها ، بل نزلت عن رتبتها ، وانحلَّ معقودها ، بدليل هربه منها ، وقوله : ﴿ مَعَاذَ ٱللَّهِ ﴾ ، وعلى هذا تكون هِمَّتُهُ مُجَرّد خاطرٍ لم يخرج إلى العزم » [4] . انتهى كلام ابن الجوزي .

وأجاد الشنقيطي وأفاد في التدليل على أن همَّ يوسف × كان خاطرًا قَلْبيًّا صُرِفَ عنه بوازع التقوى فلا معصية فيه ؛ لأنه أمرٌ جِبِلِّيٌّ لا يتعلّق به التكليفُ . قال : « كما في الحديث عنه > : أنه كان يقسم بين نسائه فيعدل ثم يقول : (اللهم هذا قسمي فيما أملك،

---

(1) أخرجه البخاري برقم (٢٥٢٨) في العتق ، وبرقم (٥٢٦٩) في الطلاق ، وبرقم (٦٦٦٤) في الأيمان والنذور ، ومسلم (١١٦/١) برقم (١٢٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(2) لم أقف عليه مرفوعًا ، وإنما هو من قول قتادة . أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦٦/٦) . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣٢٨/٢) نسبته إلى عبد بن حميد .

(3) أخرجه مسلم في صحيحه (١١٧/١) برقم (١٢٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(4) زاد المسير (٤/ ٢٠٤- ٢٠٥) بتصرف يسير .

فلا تلمني فيما لا أملك) [1] . يعني : ميل القلب الطبيعي .

– ومثال هذا : مَيْلُ الصائم بطبعه إلى الماء البارد ، مع أن تقواه تمنعه من الشرب وهو صائم.

– وقد قال > : (ومن همَّ بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة كاملة) [2] ؛ لأنه ترك ما تميل إليه نفسه بالطبع خوفًا من الله ، وامتثالاً لأمره ، كما قال تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾ [النازعات : ٤٠- ٤١] .

– وهمَّ بنو حارثة وبنو سلمة بالفرار يوم أحد ، كهمّ يوسف هذا ، بدليل قوله : ﴿ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ﴾ [آل عمران : ١٢٢] ؛ لأن قوله : ﴿ وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ﴾ يدل على أن ذلك الهمّ ليس بمعصية ؛ لأن إتباع المعصية بولاية الله لذلك العاصي إغراء على المعصية .

– والعرب تطلق الهمَّ وتريد به المحبة والشهوة ، فيقول الإنسان فيما لا يحبّه ويشتهيه : هذا ما يهمني ، ويقول فيما يحبّه ويشتهيه : هذا أهم الأشياء إليّ . بخلاف هم المرأة العزيز ، فإنه همُّ عزمٍ وتصميم ، بدليل أنها شقَّت قميصه من دبر وهو هارب عنها ، ولم يمنعها من الوقوع فيما لا ينبغي إلاّ عجزها عنه » [3]. انتهى كلامه .

وأطنب الرازي في ذكر الوجوه الدالّة على هذا القول ومنها :

– قوله تعالى : ﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ﴾ يدل على أن ماهيّة السوء والفحشاء مصروفة عنه .

– أنه لو صدر منه الهمُّ المحرم والعزم عليه لأتبعه بإظهار الندامة والتوبة والاستغفار ،

---

(1) أخرجه الدارمي في سننه (١٩٣/٢) (٢٢٠٧) ، وأبو داود في سننه (٢٤٢/٢) (٢١٣٤) ، والحاكم في مستدركه (٢٠٤/٢) ، والبيهقي في معرفة السنن والآثار (٤٢٤/٥-٤٢٥) (٤٣٧٢) وفي سننه الصغرى (٢٨٠/٦ نسخة الأعظمي) (٢٦١٣) ، والكبرى (٢٩٨/٧) من حديث عائشة . قال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه .

(2) أخرجه أحمد في مسنده برقم (٧٢٩٦) ، والبخاري في التوحيد برقم (٧٥٠١) من حديث أبي هريرة . وأخلرجه مسلم في صحيحه (١١٨/١) برقم (١٣١) من حديث ابن عباس .

(3) أضواء البيان (٣/ ٥٨- ٥٩) .

ولو فعل لحكي عنه ذلك ، وحيث لم يوجد شئ من ذلك علمنا أنه ما صدر عنه همٌّ محرم وعزم .

– أن الذين لهم تعلّق بهذه الواقعة شهدوا ببراءته :

= أما يوسف فادعى البراءة بقوله : ﴿ هِيَ رَٰوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي ﴾[يوسف : ٢٦] وقوله : ﴿ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ﴾[يوسف : ٣٣] .

= وأما المرأة فقالت : ﴿ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ﴾[يوسف : ٣٢] . وقالت : ﴿ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴾ [يوسف : ٥١- ٥٢] .

= وأما زوجها فقال : ﴿ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَٱسْتَغْفِرِي لِذَنۢبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ ﴾ [يوسف : ٢٨- ٢٩] .

= وأما الشاهد من أهلها فقوله : ﴿ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾[يوسف: ٢٦-٢٧]

= وأما شهادة الله تعالى فقوله : ﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ .

= وأما إبليس فقد قال : ﴿ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ [ص : ٨٢- ٨٣] . فأقر بأنه لا يمكن إغواء المخلصين ، ويوسف منهم [1] .

وهذه الأوجه الحسنة أخذها ابن تيمية وتقبّلها بقبول حسن ، ونسّقها ورتبها وزادها قوة وبلاغة [2] .

وكذلك الشنقيطي ثم علَّق على آخر كلام الرازي الذي تهجّم فيه على السلف فقال :

---

(1) ينظر : مفاتيح الغيب (٦/٤٤٠- ٤٤١) . وينظر : لباب التأويل للخازن (٣/١٣) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان للقمي (٤/٧٩) .

(2) ينظر : مجموع الفتاوى (١٥/١٤٨- ١٥٠) .

«ولا يخفى ما فيه من قلة الأدب مع من قال تلك المقالة من الصحابة وعلماء السلف الصالح. وعُذْرُ الرازي في ذلك هو اعتقادُه أن ذلك لم يثبت عن أحد من السلف الصالح» [1] .

وأما القول الخامس في هذه المسألة فهو : أن الكلام تَمَّ عند قوله : ﴿ بِهِۦ ﴾ ثم استأنف : ﴿ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ﴾ . والمعنى : لولا أن رأى برهان ربه لهمَّ بها. أي : فلم يهمَّ بها ، ولم يقع منه همٌّ بها أَلْبَتَّةَ . وعليه فإما أن يكون قوله : ﴿ وَهَمَّ بِهَا ﴾ هو جواب ﴿ لَوْلَآ ﴾ أو دليل الجواب .

وهذا القول هو معنى ما ذكره ابن جُزَيّ في تفسير قوله تعالى : ﴿ لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ﴾ وضعّف أن يكون ﴿ هَمَّ بِهَا ﴾ هو جواب لولا ، وقدّر الجواب المحذوف بقوله (لخالطها) [2] . ونُسِبَ هذا القول إلى قطرب [3] ، وأبي عبيدة [4] .

وعليه محمود النيسابوري، والعكبري، والرازي، وأبوحيان، والسمين، والبقاعي، وأبوالسعود، والخفاجي، والقاسمي، والطاهر بن عاشور، والشنقيطي [5] .

وقدّمه القرطبي كأنه يختاره [6] .

قال الشهاب الخفاجي : « لا يمكن الهمُّ فضلاً عن الوقوع فيه ، هذا هو الذي يجب اعتقاده والحمل عليه » .

ولما نقل القاسمي كلام أبي حيان في هذا قال : « فالآية حينئذٍ ناطقة بأنه لم يَهُمّ

---

(1) أضواء البيان (٣/٥٦- ٥٨) .

(2) وهي عبارة الزمخشري في الكشاف (٣/٢٦٨) .

(3) ينظر : تفسير القرآن للسمعاني (٣/٢٢) ، وزاد المسير لابن الجوزي (٤/٢٠٦) .

(4) نسبه له أبوحاتم كما في القطع والائتناف للنحاس (١/٣٣١) ، وينظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١١/٣١١)، ولباب التأويل للخازن (٣/١٣) .

(5) ينظر : وضح البرهان (١/٤٥٣) وإيجاز البيان (١/٣٤٣) ، والتبيان (٢/٧٢٩) ، ومفاتيح الغيب (٦/٤٤١) ، والبحر المحيط (٥/٢٩٥) ، والدر المصون (٦/٤٦٧) ، ونظم الدرر (٩/٦٣) ، وإرشاد العقل السليم (٣/٩٤،٩٥) ، وحاشية الشهاب (٥/١٦٩) ، ومحاسن التأويل (٩/ ٣٥٢٨- ٣٥٢٩) ، والتحريروالتنوير (١٢/٢٥٢ــ٢٥٣) ، وأضواء البيان (٣/٦٠) .

(6) ينظر : الجامع لأحكام القرآن (١١/٣١١) .

أصلاً».

وقال الشنقيطي : « قال مقيده عفا الله عنه : هذا الوجه الذي اختاره أبوحيان وغيره هو أَجْرى الأقوال على قواعد اللغة العربية » .

وذكره ابن عطية وردّه بقوله : « وهذا قولٌ يردّه لسان العرب وأقوال السلف »[1] .

وذكره ابن كثير بصيغة (قيل) وقال : « وفي هذا القول نظر من حيث العربية ، ذكره ابن جرير وغيره »[2] .

وممن أنكر تقديم جواب ﴿ لَوْلَآ ﴾ عليها : الجصاص، والسمعاني ونسبه للنحاة، والكرماني، والبغوي، والباقولي، والبيضاوي، والنسفي[3]. ونُسِبَ إنكاره لابن الأنباري[4] .

قال ابن جرير الطبري : « العرب لا تقدّم جواب ﴿ لَوْلَآ ﴾ قبلَها ، لا تقول : لقد قمتُ لولا زيد . وهي تريد : لولا زيدٌ لقد قمتُ »[5] .

وقال الزجاج : « وليس في الكلام بكثير أن تقول : ضربتك لولا زيد ، ولا : هممت بك لولا زيد ، إنما الكلام : لولا زيد لهممت بك . و ﴿ لَوْلَآ ﴾ تجاب باللام ، فلو كان : ولقد همت به ولهمّ بها لولا أن رأى ، أي : برهان ربه ، لكان يجوز على بُعْدٍ »[6] .

وقال النحاس : « وهذا القول عندي محال ولا يجوز في اللغة ولا في كلام من كلام العرب . لا يقال : قام فلان إن شاء الله ، ولا : قام فلان لولا فلان »[7] .

وحجتهم أن "لولا" في حكم الشرط ولها صدر الكلام . « وتقديم جوابها عليها شاذّ

---

(1) المحرر الوجيز (٤٨٠/٧) .

(2) تفسير القرآن العظيم (٨/ ٣٠) .

(3) ينظر : أحكام القرآن (٣٨٥/٤) ، وتفسير القرآن (٢٢/٣) ، وغرائب التفسير وعجائب التأويل (٥٣٣/١) ، ومعالم التزيل (٤٥٠/٢) ، وكشف المشكلات (٥٤٤/١) ، وأنوار التنزيل (٤٨٤/١) ، ومدارك التنزيل (٢١٧/٢) .

(4) ينظر : زاد المسير لابن الجوزي (٢٠٦/٤) .

(5) جامع البيان (١٣/ ٨٦) .

(6) معاني القرآن و إعرابه (١٠١/٣) .

(7) إعراب القرآن (٣٢٣/٢) .

مستكره ، لا يوجد في فصيح كلام العرب » . قاله ابن الجوزي [1] .

وذهب القائلون بهذا القول إلى جواز تقديم جواب لولا عليها ، إذ لا دليل على المنع .

قال أبوحيّان : « لا يقوم دليل على امتناع تقدّم جواب لولا عليها ، بل صريح أدوات الشرط العاملة مختلف في جواز تقديم أجوبتها عليها » .

ثم قال : « ولا التفات لقول الزجاج "ولو كان الكلام : وَلَهَمَّ بِهَا كان بعيدًا ، فكيف مع سقوط اللام " ؛ لأنه يوهم أن قوله : ﴿ وَهَمَّ بِهَا ﴾ هو جواب لولا ، ونحن لم نقل بذلك ، وإنما هو دليل الجواب . وعلى تقدير أن يكون نفس الجواب ، فاللام ليست بلازمة ؛ لجواز أن ما يأتي جواب لولا إذا كان بصيغة الماضي باللام وبغير لام ، تقول : لولا زيدٌ لأكرمتك ، ولولا زيد أكرمتك [2] . فمن ذهب إلى أن قوله : ﴿ وَهَمَّ بِهَا ﴾ هو نفس الجواب لم يبعد . وقد استدل من ذهب إلى جواز ذلك بوجوده في لسان العرب ، قال الله تعالى : ﴿ إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [القصص : ١٠] . فقوله : ﴿ إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِۦ ﴾ إما أن يتخرّج على أنه الجواب ... وإما أن يتخرّج على ما ذهبنا إليه من أنه دليل الجواب والتقدير : لولا أن ربطنا على قلبها لكادت تبدي به » [3] . ا هـ .

وقال الشنقيطي : « لأن الغالب في القرآن وفي كلام العرب : أن الجواب المحذوف يذكر قبله ما يدلّ عليه ، كقوله : ﴿ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴾ [يونس : ٨٤] . أي : إن كنتم مسلمين فتوكلوا عليه ، فالأول : دليل الجواب المحذوف لا نفس الجواب ؛ لأن جواب الشروط وجواب "لولا" لا يتقدّم ، ولكن يكون المذكور قبله دليلاً عليه كالآية المذكورة ، وكقوله : ﴿ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [البقرة : ١١١] أي : إن كنتم صادقين فهاتوا برهانكم . وعلى هذا القول فمعنى الاية : وهمَّ بها لولا

---

(1) زاد المسير (٤/ ٢٠٥- ٢٠٦) .

(2) قال السمين في الدر المصون (٦/٤٦٨) : وأما قوله : (ولو كان الكلام " ولهم بها " فغير لازم ؛ لأنه متى كان جواب " لو" و "لولا" مثبتًا جاز فيه الأمران : اللام وعدمها ، وإن كان الإتيان باللام هو الأكثر) .

(3) البحر المحيط (٥/ ٢٩٥) .

أن رأى برهان ربه ، أي : لولا أن رآه هَمَّ بها . فما قبل "لولا" هو دليل الجواب المحذوف، كما هو الغالب في القرآن واللغة . ونظير ذلك قولُه تعالى : ﴿ إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا ﴾ فما قبل "لولا" دليل الجواب . أي : لولا أن ربطنا على قلبها لكادت تبدي به . واعلم أن جماعة من علماء العربية أجازوا تقديم جواب "لولا" وتقديم الجواب في سائر الشروط. وعلى هذا القول : يكون جواب "لولا" في قوله : ﴿ لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ﴾ هو ما قبله من قوله : ﴿ وَهَمَّ بِهَا ﴾. وإلى جواز التقديم المذكور ذهب الكوفيون ، ومن أعلام البصريين : أبو العباس المبرد ، وأبو زيد الأنصاري »[1] . اهـ .

وعلَّل عليه الطاهر بن عاشور تقديم الجواب على شرطه للاهتمام به . وقال : « لم يقرن الجواب باللام التي يكثر اقتران جواب "لولا" بها ؛ لأنه ليس لازمًا ، ولأنه لما قُدّم على "لولا" كُرِه قرنه باللام قبل ذكر حرف الشرط ، فيحسن الوقف على قوله : ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ﴾ ؛ ليظهر معنى الابتداء بجملة ﴿ وَهَمَّ بِهَا ﴾ واضحًا . وبذلك يظهر أن يوسف – عليه السلام – لم يخالطه همٌ بإمرأة العزيز ؛ لأن الله عصمه من الهمّ بالمعصية بما أراه من البرهان » .

وقال : « وطعن في هذا التأويل الطبري بأن جواب "لولا" لا يتقدّم عليها . ويدفع هذا الطعن أن أبا عبيدة [2] لما قال ذلك علمنا أنه لا يرى منع تقديم جواب "لولا". على أنه قد يجعل المذكور قبل "لولا" دليلاً للجواب ، والجواب محذوفًا ؛ لدلالة ما قبل "لولا" عليه »[3].

وذكر الرازي أدلة كثيرة وأوجهًا كثيرة [4] ، وناقش كلام الزجاج مقررًا تقديم جواب ﴿ لَوْلَآ ﴾ عليها وقال : « والذي يدل على أن جواب "لولا" هو قوله : ﴿ وَهَمَّ بِهَا ﴾،

---

(1) أضواء البيان (٣/ ٦٠) .

(2) قال الطاهر : قال أبوحاتم : كنت أقرأ غريب القرآن على أبي عبيدة فلما أتيت على قوله : ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا ﴾ الآية . قال أبوعبيدة : هذا على التقديم والتأخير ، أي : تقديم الجواب وتأخير الشرط ، كأنه قال : ولقد همت به ولولا أن رأى برهان ربه لَهَمَّ بها .

(3) التحرير والتنوير (١٢/ ٢٥٣) .

(4) ينظر : مفاتيح الغيب (٦/ ٤٤٠ – ٤٤٢) .

أن "لولا" تستدعي جوابًا ، وهذا المذكور المقدّم يصلح جوابًا لها ، فوجب الحكم بكون هو الجواب . والأصل أن لا يكون محذوفًا ، وإنما يحسن حذفه إذا كان في اللفظ ما يدل عليه»[1] .

ودلّل البقاعي على أن يوسف × لم يقع منه هَمٌّ بأساليب هذه الآيات من جعله من المخلصين والمحسنين المصروف عنهم السوء والفحشاء ، وأن السجن أحب إليه من ذلك، وقيام الدليل القاطع على كذب ما تضمنه قولها : ﴿ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا ﴾ الآية [يوسف : ٢٥] من مطلق الإرادة .

ثم قال : « ومع تحتم تقديم ما ذكر بعد ﴿ لَوْلَآ ﴾ في خصوص هذا التركيب من أساليب كلام العرب ، فإنه يجب أن يكون المقدّر بعد كل شئ من معنى ما دلَّ عليه ما قبله. وهذا مثل قوله تعالى : ﴿ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا ﴾ أي : لأبدت به »[2] .

وقال أبوالسعود : « وإنما عبّر عنه بالهمّ لمجرد وقوعه في صحبة هَمّها في الذكر بطريق المشاكلة لا لشَبهه به كما قيل . ولقد أشير إلى تباينهما حيث لم يلزَّا في قرنٍ واحدٍ من التعبير بأن قيل : ولقد همَّا بالمخالطة أو : همَّ كل منهما بالآخر . وصدَّر الأول بما يقرر وجوده من التوكيد القسمي ، وعقَّب الثاني بما يعفو أثره من قوله لأ : ﴿ لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ﴾ »[3] .

وأما القائلون بأن جواب "لولا" محذوف ، ولم يقدّروه بـــ ﴿ هَمَّ بِهَا ﴾، فقد اختلفوا في تقديره ، وعباراتهم بمعنى واحد : لواقعها[4]، لخالطها[5]، لجامعها[6]، لأمضى ما همَّ به[7]،

---

(1) المصدر السابق (٦/ ٤٤٢) .

(2) نظم الدرر (٩/ ٦٤) .

(3) إرشاد العقل السليم (٣/ ٩٤) .

(4) ينظر : تفسير مقاتل (٣٢٩/٢) ، ومعالم التنزيل للبغوي (٢/ ٤٥٤) .

(5) ينظر : الكشاف للزمخشري (٢٦٨/٣) ، ولباب التأويل للخازن (١٢/٣) ، والتسهيل لعلوم التنزيل لابن جُزَيّ (١١٧/٢) .

(6) ينظر : تفسير الجلالين للسيوطي (الفتوحات الإلهية ٢٦/٤) .

(7) ينظر : معاني القرآن وإعرابه (١٠١/٣) ، والوجيز (٥٤٣/١) ، وغرائب التفسير (٥٣٣/١) .

لفعل أو لارتكب المعصية[1]، لكان منه كذا وكذا [2]، لكان ما كان[3]، لفعل ما همَّ به[4]، لجرى على موجب ميله الجبلّي[5].

وبعد، فإذا تقرر ذلك فإن الصواب في معنى قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ﴾ لا يتعدّى أحد أمرين :

إما أن يكون لم يقع من يوسف × هَمٌّ بها أصلاً ، بناءً على تعليق همّه على عدم رؤية البرهان . وقد رأى البرهان .

وإما أن يكون همُّه الميلَ الطبيعي والخاطر القلبي المزموم بالتقوى ، والعلم عند الله تعالى[6] . وعلى هذا الأخير ابن جُزَيّ .

ومما يؤيد هذا القول أنه (لا يصح حمل الآية على تفسيرات وتفصيلات لأمور مغيبة لا دليل عليها من القرآن أو السنة) [7] .

والقول بذلك فيه تعظيمٌ لمقام النّبوة ولا ينسب إليها ما لا يليق بها . وكل قول طعن في عصمة النبوة فهو مردود [8] . والله تعالى أعلم .

---

(1) ينظر : المحرر الوجيز لابن عطية (٧/٤٨٠) .

(2) ينظر : مشكل إعراب القرآن لمكي (١/ ٣٨٤) .

(3) ينظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١١/ ٣١٦) ، ومدارك التنزيل للنسفي (٢/ ٢١٧) .

(4) ينظر : فتح القدير للشوكاني (٣/ ٢٥) ، وفتح البيان للقنوجي (٦/ ٣١٤) .

(5) ينظر : إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٣/ ٩٥) ، وروح المعاني للآلوسي (١٢/ ٢١٣) .

(6) ينظر : أضواء البيان للشنقيطي (٣/ ٦٨) .

(7) قواعد الترجيح عند المفسرين (١/ ٢٢٥) .

(8) ينظر : المصدر السابق (١/ ٣٢٨) .

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ ﴾

١٢- الخلاف في معنى ﴿ شَغَفَهَا ﴾.

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « ﴿ شَغَفَهَا ﴾ : بلغ شِغَافَ قلْبها وهو غِلافُه . وقيل: السويداء منه . وقيل : الشغاف داء يصل إلى القلب » [1] .

العرض والمناقشة :

معنى قوله تعالى : ﴿ شَغَفَهَا حُبًّا ﴾ : تمكّنَ حُبُّ يوسف من المرأة حتى بلغ شغاف قلبها . واختُلِفَ في معنى شغاف القلب ، فرجَّح ابنُ جُزَيّ أنه غلافه . وبهذا فسّر ابن عباس فقال : « حجاب القلب »[2] . مثله منسوبًا إلى الكلبي [3] .

وقال السدّي : « جلدة على القلب ، لباس القلب . يقول : ما دخل ذلك الجلد حتى أصاب القلب »[4] .

وقال سفيان : « جلدة رقيقة تكون على القلب بيضاء ، حُبُّه خَرَقَ ذلك الجلد ، حتى وصل إلى القلب »[5] .

وعلى هذا أبوعبيدة، والبخاري، وابن جرير الطبري، والنحاس، وغلام ثعلب، والسمرقندي، وابن أبي زمنين، ومكي، والزمخشري، وابن عطية، ومحمود النيسابوري، والعكبري، والبيضاوي، والنسفي، والخازن، والقمي، والقرشي اليماني، وأبوحيان، وابن التركماني، والسمين، وابن كثير، والثعالبي، والبقاعي، والسيوطي، وأبوالسعود، والشوكاني،

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١١٨) .

(2) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/٢١٣١) رقم (١١٥٢٣) من طريق أبي روق ، عن الضحاك ، عنه .

(3) ينظر : تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (٢/٣٢٣) .

(4) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٣/١١٩) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٧/٢١٣١) رقم (١١٥٢٦) من طريق أسباط ، عنه .

(5) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/٢١٣١) رقم (١١٥٢٧) من طريق أحمد بن صالح ، عنه .

والآلوسي، والقنّوجي، والقاسمي، والمراغي، والطاهر [1] . وقدّمه الزجاج ومال إليه [2] .

قال الراغب : « أي : أصاب شَغَافَ قلبها . وهو باطنُه ، عن الحسن . ووسطُه ، عن أبي علي الفارسي »[3] .

وتبعه السمين وزاد : « وقيل : الشَّغاف : جُليدةٌ رقيقة تسمّى غشاءَ القلب [4] .

واستدلوا له بقول النابغة الذُّبْياني :

ولكن هَمًّا دون ذلك والِجٌ مكان الشِّغَافِ تبتغيه الأصابع [5]

وبقول امرئ القيس :

لتقتلني وقد شَغَفْتُ فُؤادَها كما شَغَفَت المهنوءةَ الرجلُ الطالي [6]

---

(1) ينظر : مجاز القرآن (٣٠٨/١) ، وصحيح البخاري (في كتاب التفسير ، سورة يوسف) ، وجامع البيان (١١٥/١٣) ، ومعاني القرآن الكريم (٤١٨/٣- ٤١٩) ، وياقوتة الصراط (٢٧٤) ، وبحر العلوم (١٥٩/٢) ، وتفسير القرآن العزيز (٣٢٣/٢) ، وتفسير المشكل (٢٠٤) ، والكشاف (٢٧٥/٣) ، والمحرر الوجيز (٤٨٩/٧)، ووضح البرهان (٤٥٥/١) ، وإيجاز البيان (٣٤٤/١) ،والتبيان (٧٣٠/٢) ، وأنوار التنزيل (٤٨٤/١) ، ومدارك التنزيل (٢١٩/٢) ، ولباب التأويل (١٦/٣) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٨٢/٤)، والترجمان عن غريب القرآن (٧١) ، والبحر المحيط (٢٩٩/٥) ، وبهجة الأريب (٢٧٩/١) ، والدر المصون (٤٧٥/٦) ، وتفسير القرآن العظيم (٣٥/٨) ، والجواهر الحسان (١٥٣/٢) ، ونظم الدرر (٧١/٩) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٣١/٤) ، وإرشاد العقل السليم (١٠٠/٣)، وفتح القدير (٢٩/٣) ، وروح المعاني (٢٢٦/١٢) ، وفتح البيان (٣٢١/٦) ، ومحاسن التأويل (٣٥٣٤/٩) ، وتفسير المراغي (١٣٦/١٢) ، والتحرير والتنوير (١٢/ ٢٦٠) .

(2) ينظر : معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٠٥) .

(3) مفردات ألفاظ القرآن (٤٥٧) مادة (شغف) .

(4) عمدة الحفاظ (٢/ ٢٧٧) مادة (شغف) .

(5) ديوان النابغة (٤٥) . وينظر : مجاز القرآن لأبي عبيدة (٣٠٨/١) ، والأمالي للقالي (٢٠٥/١) ، والصحاح ، واللسان ، والتاج مادة (شغف) . وأنشده الطبري في جامع البيان (١١٥/١٣) :

وقد حال هَمٌّ دون ذلك داخِلٌ دخولَ شَغَافٍ تبتغيه الأصابع

وفي الديوان : الشَّغَاف . وتبتغيه الأصابع : أي : تلتمسه أصابع المتطببين ينظرون أنزل في الموضع أم لا ؟ وإنما يترل عند البُرءِ .

(6) ديوان امرئ القيس (١٢٦) . وينظر : وضح البرهان للنيسابوري (٤٥٥/١- ٤٥٦) . والمهنوءة : الناقة تطلى بالقطران ، فإنها في هذه الحالة قد يغشى عليها .

وأما القول الثاني بأن الشَّغَافَ هو سويداءُ القلب ، فنسب إلى الزجاج [1] .

واختاره السعدي [2] .

وذكره السمعاني، وابن عطية، وأبوحيان، وابن التركماني، والسمين، والثعالبي، والآلوسي بصيغة (قيل) [3] .

وقال الماوردي : « قيل : إنه حبّة القلب »[4] .

وأما القول الثالث بأن الشغاف داءٌ يصل إلى القلب ، فذكره الزجاج، والنحاس، وابن عطية، ومحمود النيسابوري، والقرطبي، وأبوحيان، والسمين، والثعالبي بصيغة (قيل)[5].

ونقل ابن الجوزي عن الأصمعي أنه قال : « الشَّغَافُ عند العرب : داءٌ يكون تحت الشراسيف في الجانب الأيمن من البطن . والشراسيف : مقاطّ رؤوس الأضلاع ، واحدها : شُرسوف »[6] .

قال النحاس : « وأنشد الأصمعي للراجز :

يَتْبَعُها وهي لَهُ شُغَافُ »[7].

وقال محمود النيسابوري : « وقال أبو عمرو الشيباني : الشغاف : داء تحت الشراسيف»[8].

وعلى هذا المعنى أنشد ابن منظور بيت النابغة الذبياني :

---

(1) ينظر : الوسيط للواحدي (٢/٦١٠) ، وزاد المسير لابن الجوزي (٤/٢١٤) .

(2) ينظر : تيسير الكريم الرحمان (٢/ ٤١٠) .

(3) ينظر : تفسير القرآن (٣/٢٥) ، والمحرر الوجيز (٧/٤٨٩) ، والبحر المحيط (٥/٢٩٩) ، وبهجة الأريب (١/٢٧٩) ، والدر المصون (٦/٤٧٥) ، والجواهر الحسان (٢/١٥٣) ، وروح المعاني (١٢/٢٢٦) .

(4) النكت والعيون (٣/ ٣٠) .

(5) ينظر : معاني القرآن وإعرابه (٣/١٠٥) ، ومعاني القرآن الكريم (٣/٤١٩) ، والمحرر الوجيز (٧/٤٨٩) ، وإيجاز البيان (١/٣٤٤) ، والجامع لأحكام القرآن (١١/٣٢٧) ، والبحر المحيط (٥/٢٩٩) ، والدر المصون (٦/٤٧٥)، والجواهر الحسان (٢/ ١٥٣) .

(6) زاد المسير (٤/ ٢١٤) .

(7) معاني القرآن الكريم (٣/ ٤١٩) .

(8) وضح البرهان (١/ ٤٥٥) .

وقد حالَ هَمٌّ دون ذلك والِجٌ مكان الشُّغَافِ تبتغيه الأصابع [1]

وجمع السيد محمد رشيد رضا بين القولين الأولين فقال : « أي : قد اخترق حبُّه شغَافَ قلبها ، أي : غلافه المحيط به ، وغاص في سويدائه ، فملك عليها أمرها ...»[2]. وكذا المراغي [3] .

وقال القرطبي بعد ذكره الأقوال في معنى الشغاف : « والمعنى في هذه الأقوال متقارب ، والمعنى : وصل حُبُّه إلى شَغَافِها ، فغلب عليه » [4] .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن الاتفاق حاصل على معنى الآية الكريمة ﴿ **قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا** ﴾ مِنْ أن حبَّه بلغ شغَافَ قلبها . والخلاف قائم في معنى الشغاف ، وفي لسان العرب ما يفيد إطلاقه على المعاني الثلاثة [5] . وعلى المعنى الأول الذي رجَّحه ابن جُزَيّ بتقديمه أكثرُ المفسرين وأكثرُ أهل اللغة ، ولذا كان أَوْلَى من غيرها ، والله تعالى أعلم .

---

(1) لسان العرب (٩/ ١٧٨ – ١٧٩) مادة (شغف) .

(2) تفسير القرآن الحكيم (١٢/ ٢٣٥) .

(3) ينظر : تفسير المراغي (١٢/ ١٣٨) .

(4) الجامع لأحكام القرآن (١١/ ٣٢٦) .

(5) ينظر : لسان العرب لابن منظور (٩/ ١٧٨- ١٧٩) مادة (شغف) .

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾

في هذه الآية الكريمة مسألتان :

المسألة الأولى هي :

١٣- الخلاف في معنى ﴿ مُتَّكَـًٔا ﴾ .

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « أي : أعتدت لهنّ ما يُتَّكأ عليه من الفرش ونحوها . وقيل : المتّكأ هو الطعام . وقرئ في الشواذ : ﴿ مُتْكًا ﴾ بسكون التاء وتنوين الكاف [1] ، وهو الأُتْرُجُّ [2] . وإعطاؤها السكاكين لهنّ يدلّ على أن الطعام كان مما يقطع بالسكاكين كالأترج . وقيل : كان لحمًا » [3] .

العرض والمناقشة :

في قوله تعالى : ﴿ مُتَّكَـًٔا ﴾ قراءتان ؛ متواترة وشاذّة .

أما القراءة المتواترة ، فقرأ أبو جعفر – من العشرة – : ﴿ مُتَّكَـًٔا ﴾ بتشديد التاء وتنوين الكاف وليس بعدها هَمْز . وقرأ الباقون مِثْله لكن بفتح الكاف وبعده همز بتنوين[4].

---

(1) ذكرها ابن جنّي في المحتسب (٣٣٩/١) عن ابن عباس ، وابن عمر ، وقتادة وغيرهم . ونسبها ابن عطية في المحرر الوجيز (٤٩٢/٧- ٤٩٣) لهؤلاء وزاد : مجاهد ، والجحدري ، والضحاك ، والكلبي ، وأبان بن تغلب . وينظر : الدر المصون للسمين الحلبي (٤٧٨/٦) ، والقراءات الشاذة (٦٣) . ونسبها ابن الجوزي في زاد المسير (٢١٦/٤) لمجاهد .

(2) الأُتْرُجُّ : شجرٌ يعلو ناعم الأغصان والورق والثمر ، وثمره كالليمون الكبار ، وهو ذهبيّ اللون ، داكن الرائحة ، حامض الماء ، وهو كثير ببلاد العرب ، ولا يكون بَرِّيًّا . ينظر : الوسيط (أترج) . وفي معجم متن اللغة (ترج): الأترج : من فصيلة الحمضيات ، يسمّى بالشام الكُبَّاد ، واحدته أُتْرُجَّةٌ . وفي الدر المصون (٤٧٨/٦) : ويقال : الأُتْرُنجُ ، لغتان .

(3) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١١٨) .

(4) ينظر : البدور الزاهرة (١٦٠) .

وعلى هذه القراءة المتواترة قدّم ابن جُزَيّ القول في معنى " المُتَّكَأ " بأنه ما يُتَّكَأُ عليه من الفرش ونحوها . ووافق في هذا معنى ما رُوِيَ عن ابن عباس [1] ، والسدّي [2] ، وعبد الله ابن يزيد [3] .

وإلى هذا ذهب أكثر المفسّرين منهم : الفراء، وأبوعبيدة، وابن جرير الطبري، والزجاج، والنحاس، والسمرقندي، وابن أبي زمنين، والواحدي، والسمعاني، والبغوي، والزمخشري، وابن عطية، ومحمود النيسابوري، وابن الجوزي، والعكبري، والقرطبي، والبيضاوي، والنسفي، والخازن، والقمي، وأبوحيان، وابن التركماني، والسمين، وابن كثير، والثعالبي، والبقاعي، وأبوالسعود، والشوكاني، والآلوسي، والقنوجي، والقاسمي، والسيد رشيد رضا، والمراغي، والسعدي، والطاهر بن عاشور [4] .

وذكره النحاس في معانيه بصيغة (قيل) [5] .

---

(1) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٢٣/١٣) من طريق علي بن أبي طلحة ، عنه قال : مجلسًا . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢١٣٤/٧) رقم (١١٥٤٣) من طريق الضحاك ، عنه . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٥٢٩/٤) نسبته إلى ابن المنذر ، وأبي الشيخ .

(2) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٢٣/١٣) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢١٣٤/٧) رقم (١١٥٤٤) من طريق أسباط ، عنه قال : يَتَّكئنَ عليه .

(3) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٢٣/١٣) عنه قال : من قرأ : (مُتْكًا) خفيفةً ، يعني : طعامًا ، ومن قرأ : (مُتَّكَأً) يعني : المتَّكأ .

(4) ينظر : معاني القرآن (٤٢/٢) ، ومجاز القرآن (٣٠٩/٢) ، وجامع البيان (١٢٢/١٣، ١٣٠) ، ومعاني القرآن وإعرابه (١٠٥/٣) ، وإعراب القرآن (٣٢٦/٢) ، وبحر العلوم (١٥٩/٢) ، وتفسير القرآن العزيز (٣٢٣/٢) ، والوسيط (٦١٠/٢) ، وتفسير القرآن (٢٦/٣) ، ومعالم التنزيل (٤٥٧/٢) ، والكشاف (٢٧٦/٣) ، والمحرر الوجيز (٤٩٢/٧) ، ووضح البرهان (٤٥٦/١) ، وتذكرة الأريب (٢٦٢/١) ، والتبيان (٧٣٠/٢) ، والجامع لأحكام القرآن (٣٢٩/١١) ، وأنوار التنزيل (٤٨٤/١) ، ومدارك التنزيل (٢١٩/٢) ، ولباب التأويل (١٦/٣)، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٨٢/٤) ، والبحر المحيط (٣٠٢/٥) ، وبهجة الأريب (٢٧٩/١) ، والدر المصون (٤٧٧/٦)، وتفسير القرآن العظيم (٣٦/٨) ، والجواهر الحسان (١٥٣/٢) ، ونظم الدرر (٧٢/٩) ، وإرشاد العقل السليم (١٠١/٣) ، وفتح القدير (٣٠/٣) ، وروح المعاني (٢٢٨/١٢) ، وفتح البيان (٣٢٤/٦)، ومحاسن التأويل (٣٥٣٥/٩) ، وتفسير القرآن الحكيم (٢٣٦/١٢) ، وتفسير المراغي (١٣٧/١٢، ١٣٩) ، وتيسير الكريم الرحمان (٤١١/٢) ، والتحرير والتنوير (٢٦٢/١٢) .

(5) ينظر : معاني القرآن الكريم (٤٢١/٣) . وقال في إعرابه (٣٢٦/٢) : أصح ما قيل فيه ما رواه علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس : قال : مجلسًا .

ومن هؤلاء من جمع إلى هذا المعنى " للمتكأ " – وهو أنه المجلس المعدُّ للاتكاء بما فيه من وسائد أو نمارق ونحو ذلك – ما يتضمنه المجلس عادةً من الطعام والشراب والفواكه . ففسّر ابن جرير الطبري – مثلاً – المتكأ خاصّةً بالمجلس ، واختار أنها أعدت لهن مجلسًا فيه الطعام والنمارق والوسائد والأشربة والفواكه . ونحا نحوه الزجّاج ، وأبوالسعود .

وتفسيرهم للمُتَّكأ بالمجلس هو المعروف عند أهل اللغة [1] .

قال الجوهري: « اتّكأ على الشئ فهو مُتَّكئ ، والموضع مُتَّكأ ، ورجل تُكَأَةٌ : كثير الاتّكَاء»[2].

وأما القول الآخر في تفسير " المُتّكَأ " بأنه الطعام ، فهو مَرْوِيٌّ عن مجاهد [3]، وعكرمة[4]، وقتادة [5]، والحسن [6]، وعطية [7]، وابن زيد [8]، وابن إسحاق [9] .

وعلى هذا ابن قتيبة، ومكي، والواحدي، والسيوطي [10] . وقدّمه النحاس في "معانيه" ومال إليه ، وجوّزه في "إعرابه" على تقدير : طعام مُتّكَأ[11] .

---

(1) قاله النحاس في معانيه (٣/ ٤٢١) .

(2) الصحاح (١/ ٨٢) .

(3) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٢٧/١٣، ١٢٨) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢١٣٣/٧) (١١٥٣٩) من طرق ، عنه . وزاد نسبته السيوطي في الدر المنثور (٥٢٩/٤- ٥٣٠) إلى أبي عبيد ، وابن المنذر ، وأبي الشيخ . وفيه : (من قرأها بالشدّه فهو الطعام ، وبالتخفيف فهو الأترج) . وينظر : تفسير الثوري (١٤١) .

(4) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٣/ ١٢٨) .

(5) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣٢٢/٢) ، وابن جرير الطبري في جامع البيان (١٢٨/١٣) من طريق معمر ، عنه. و أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٢٨/١٣) من طريق يزيد ، عن سعيد ، عنه .

(6) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٢٦/١٣) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢١٣٣/٧) رقم (١١٥٣٧) من طرق عن ابن عُلَيّة ، عن أبي رجاء ، عنه .

(7) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٢٦/١٣) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢١٣٣/٧) رقم (١١٥٣٨) من طريق عبد الله بن إدريس ، عن أبيه ، عنه .

(8) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٢٨/١٣) من طريق ابن وهب ، عنه .

(9) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٢٨/١٣) من طريق سلمة ، عنه .

(10) ينظر : تأويل مشكل القرآن (٤١، ١٨٠) ، وتفسير المشكل (٢٠٤) ، والوجيز (٥٤٥/١) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٣١/٤) . وفسّر الأخير الطعام بأنه الأترج .

(11) ينظر : معاني القرآن الكريم (٤٢٠/٣- ٤٢١) وإعراب القرآن (٢/ ٣٢٦) .

وذكره بصيغة (قيل) : الراغب، والزمخشري، ومحمود النيسابوري، والبيضاوي، والقمي، والشوكاني، والآلوسي [1] .

قال ابن قتيبة : « يقال : اتكأنا عند فلان ، أي : طَعِمْنا ، قال جميل :

فَظَلْنَا بِنِعْمَةٍ واتَّكَأْنَا وشَرِبْنَا الحَلاَلَ مِنْ قُلَلِهْ [2]

والأصل : أن من دعوته ليطعم ، أعددت له التُّكأة للمقام والطمأنينة ، فسمّيَ الطعام متكأً على الاستعارة » [3] .

وقال الأزهري : « إنما قيل للطعام : متكأ ؛ لأن القوم إذا قعدوا على الطعام اتكؤوا ، ونُهيتْ هذه الأمة عن ذلك»[4] .

وأما القراءة الشاذة ، فهي بإسكان التاء الخفيفة وتنوين الكاف وبغير همز : ﴿ مُتْكًا ﴾[5].

وقرئ أيضًا بهمز بعد الكاف المفتوحة [6] .

وعلى هذه القراءة الشاذّة قدَّم ابنُ جُزَيّ القول في معناها بأنه الأُتْرُجُّ ؛ بدليل إيتائها كلَّ واحدةٍ منهن سكينًا ، وهي لقطع طعامٍ ، وهو الأترج .

ورُوِيَ هذا عن ابن عباس [7] ،

---

(1) ينظر : مفردات ألفاظ القرآن (١٦٧) مادة (تكأ) ، والكشاف (٢٧٧/٣) ، ووضح البرهان (٤٥٦/١) ، وأنوار التنزيل (٤٨٤/١) ،وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٨٢/٤) ،وفتح القدير (٣٠/٣) ،وروح المعاني (٢٢٨/١٢) .

(2) ديوان جميل بن معمر (١٨٨) . وينظر : زاد المسير لابن الجوزي (٤/ ٢١٦) .

(3) تأويل مشكل القرآن (١٨٠- ١٨١). قال القنوجي في فتح البيان (٣٢٤/٦) : فهو مجاز مرسل وعلاقته المجاورة.

(4) ينظر : الوسيط للواحدي (٢/ ٦١٠) ، وزاد المسير لابن الجوزي (٤/ ٢١٦) .

(5) سبق بيانها .

(6) جاء في (الميسر في القراءات الأربعة عشرة) لمحمد فهد خاروف ما يلي : قرأ المطوعي : مُتْكَأً – بإسكان التاء وفتح الكاف بعده همز بتنوين . وقرأ الحسن : مُتَّكآءً – بإشباع الفتحة فتولّد منها ألف ، كقول الشاعر :

يَنْبَاعُ من ذِفْرَى غَضوبٍ جَسْرَةٍ .

(7) أخرجه مسدد – كما في المطالب العالية (٦٠٠/٨) رقم (٤٠١٨) - ، وابن جرير الطبري في جامع البيان (١٢٦/١٣) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢١٣٢/٧) رقم (١١٥٣٤) من طريق فضيل بن عياض ، عن حُصين ، عن مجاهد ، عنه قال : الأترج . وأخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٢٨/١٣) من طريق عطية العوفي ،

ومجاهد [1] ، والضحاك [2] ، وغيرهم [3] .

وإليه ذهب مقاتل، والفراء، وابن قتيبة، والزجاج، والسمرقندي، وابن أبي زمنين، والراغب، ومكي، والزمخشري، وابن الجوزي، والقرطبي، والبيضاوي، والقمي، وأبوحيان، والسمين، والشوكاني، والقنوجي [4] .

وذكره ابن عطية ، والعكبري ، وابن التركماني بصيغة (قيل) [5] .

قال مجاهد : « من قرأ ﴿ مُتَّكَئًا ﴾ شدّها ، فهو الطعام ، ومن قرأ ﴿ مُتْكًا ﴾ خففّها فهو الأترجّ » .

وقال ابن قتيبة : « فدلّت هذه القراءة [يعني الشاذّة] على معنى ذلك الطعام ، وأنزل الله بالمعنيين جميعًا ».

واستدلوا بقول الشاعر :

نشرب الإثم بالصُّواعِ جهارًا وترى المُتْكَ بيننا مُسْتَعَارًا

يريد بالمتك : الأترج ، وبالإثم : الخمر [6] .

عنه . وأخرج ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٢٦/١٣) من طريق عوف قال : حُدِّثْتُ عن ابن عباس أنه كان يقرؤها : (مُتْكًا) . مخففة ، ويقول : هو الأُتْرُجُّ .

(1) سبق تخريج أثر مجاهد . وينظر : الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٥٢٩ – ٥٣٠) .

(2) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢١٣٣/٧) رقم (١١٥٣٦) من طريق أبي روق ، عنه قال : أترنجًا بعد الغذاء . وأخرج أيضًا برقم (١١٥٤٠- ١١٥٤١) عنه قال : إنه البرماورد .

(3) منهم أبان بن تغلب . ينظر : الدر المنثور للسيوطي (٥٣٠/٤) فنسبه لأبي الشيخ . وسلمة بن تمام أبو عبد الله المشقري . أخرجه ابن أبي حاتم (٢١٣٣/٧) رقم (١١٥٣٥) ، وزاد السيوطي نسبته لأبي الشيخ كما في الدر المنثور (٥٣٠/٤) . ويحيى بن يعمر كما في النكت والعيون للماوردي (٣٢/٣) وزاد المسير لابن الجوزي (٢١٦/٤) . ووهب بن منبه كما في زاد المسير (٢١٧/٤) .

(4) ينظر : تفسير مقاتل (٣٣١/٢) ، ومعاني القرآن (٤٢/٢) ، وتأويل مشكل القرآن (٤١) ، ومعاني القرآن وإعرابه (١٠٦/٣) ، وبحر العلوم (١٥٩/٢) ، وتفسير القرآن العزيز (٣٢٣/٢) ، ومفردات ألفاظ القرآن (١٦٧) مادة (تكأ) ، وتفسير المشكل (٢٠٤) ، والكشاف (٢٧٨/٣) ، وتذكرة الأريب (٢٦٢/١) ، والجامع لأحكام القرآن (٣٢٩/١١) ، وأنوار التنزيل (٤٨٥/١) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٨٢/٤) ، والبحر المحيط (٢٩٩/٥) ، والدر المصون (٤٧٨/٦) ، وفتح القدير (٣٠/٣) ، وفتح البيان (٣٢٤/٦) .

(5) ينظر : المحرر الوجيز (٤٩٢/٧) ، والتبيان (٧٣١/٢) ، وبهجة الأريب (٢٨٠/١) .

(6) ينظر : النكت والعيون (٣٢/٣) ، وزاد المسير (٢١٦/٤) .

وأَبَى أبوعبيدة تفسير المتكأ بالأترج وقال : « وهذا أبطل باطل في الأرض ، ولكن عسى أن يكون مع المتكأ أترج يأكلونه »[1] .

قال الطبري : « وحكى أبوعبيد القاسم بن سلاّم قولَ أبي عبيدة هذا ، ثم قال : والفقهاءُ أعلمُ بالتأويل منه . ثم قال : ولعله بعضُ ما ذهب من كلام العرب ، فإن الكسائي كان يقول : قد ذهب من كلام العرب شئ كثير انقرض أهله .

والقول في أن الفقهاء أعلم بالتأويل من أبي عبيدة ، كما قال أبو عبيد ، لا شكّ فيه ، غيرَ أن أبا عبيدة لم يَبْعُدْ من الصواب في هذا القول ، بل القول كما قال ، مِنْ أنَّ من قال للمتكأ : هو الأترجُ ، إنما بيَّن المُعَدَّ في المجلس الذي فيه المتكأُ ، والذي من أجله أُعْطين السكاكينَ ؛ لأن السكاكين معلوم أنها لا تعدُّ للمتكأ إلاّ لتخريقه ، ولم يُعْطَيْنَ السكاكين لذلك . ومما يبيّن صحةّ ذلك : القولُ الذي ذكرناه عن ابن عباس ، مِنْ أن المتكأ هو المجلس .

ثم روى مجاهد عنه ... قال : أعطتهن أُتْرُجًّا ، وأعطت كل واحدة منهن سكينا .

فبيّن ابن عباس في رواية مجاهدٍ هذه ، ما أعطت النسوة ، وأعرضَ عن ذكر بيان معنى " المتكأ " إذ كان معلومًا معناه »[2] . اهـ .

وأما القول الآخر – على هذه القراءة الشاذة – بأن المعنى هو اللحم ، فذكره ابن عطية بصيغة (قيل)[3] ، وتبعه ابن جُزَيّ على ذلك .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن الأَولى هو أن يفسَّر المُتَّكَأُ بالمجلس المعدّ للاتكاءِ بما فيه من وسائد ونمارق ونحو ذلك ؛ لأن هذا هو المعروف في لغة العرب ؛ وحمل كلام الله على المعروف من كلام العرب واجب[4] . ويلزم منه أن يكون فيه طعامٌ من فاكهة وغيرها بدليل إتيانها صويحباتها السكاكين ، وهي لا تكون إلاّ لقطع الطعام . فتفسير " المُتَّكأ " بالطعام هو تفسير باللازم ، والله أعلم ، دلّت على ذلك القراءة الشاذّة ، ولا ريب من الإفادة منها في بيان معنىً لا يتعارض مع القراءة المتواترة .

وأما كونه ـــ على القراءة الشاذة ـــ أُتْرُجًّا فهو ما لا سبيل إلى القطع به؛ لأنه لا يصح

---

(1) مجاز القرآن (١/ ٣٠٩) .

(2) جامع البيان (١٣/ ١٢٥- ١٢٦) .

(3) ينظر : المحرر الوجيز (٧/ ٤٩٢) .

(4) ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين (٣٦٩/٢) .

حمل الآية على تفسيرٍ وتفصيلٍ لأمرٍ غيبي لا دليل عليه من القرآن أو السنة الصحيحة[1].

قال ابن جرير الطبري : « معناه : أعدَّتْ لهن مُتَّكَأً . يعني : مجلسًا للطعام وما يتَّكِئْنَ عليه من النَّمارق والوسائد »[2].

وقال : « أعدت للنسوة مجلسًا فيه مُتَّكَأٌ وطعام وشراب وأُتْرُجٌّ [3] . ثم فسّر بعضهم المُتَّكأَ بأنه الطعام ، على وجه الخبر عن الذي أُعِدَّ من أجله المتكأ ، وبعضهم عن الخبر عن الأُتْرُجّ ، إذ كان في الكلام : ﴿ وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا ﴾ ؛ لأن السكين إنما تعدُّ للأُتْرُجّ وما أشبهه مما يقطع به ، وبعضهم على البَزْماوَرْدِ »[4] .

وقال : « ﴿ وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا ﴾ . يعني بذلك جل ثناؤه : وأعطت كل واحدةٍ من النسوة اللاتي حَضَرْنها سكينًا ؛ لتقطع به من الطعام ما تقطع به . وذلك ما ذكرتُ أنها آتتْهن ، إما من الأُتْرُجّ ، وإما من البَزْماوَرْدِ ، أو غير ذلك مما يقطع بالسكين ... وفي هذه الكلمة بيانُ صحةِ ما قلنا وأخبرنا في قوله : ﴿ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا ﴾ . وذلك أن الله تعالى ذكره أخبرَ عن إيتاء امرأةِ العزيز النسوةَ السكاكينَ ، وتركَ ما له آتتهنَّ السكاكين ؛ إذْ كان معلومًا أن السكاكين لا تُدْفَعُ إلى مَنْ دُعِيَ إلى مجلس إلاّ لقطع ما يُؤْكلُ إذا قطع بها . فاستغنى بفهم السامع بذكر إيتائها صواحباتها السكاكين ، عن ذكر ما له آتتهن ذلك ، فكذلك استغنى بذكر اعتدادها لهن المتَّكأَ عن ذكر ما يُعْتَدُّ له المتكأُ ، مما يَحْضُرُ المجالسَ من الأطعمة والأشربة والفواكه وصنوف الالتهاء ؛ لفهم السامعين بالمراد من ذلك ، ودلالة قوله : ﴿ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا ﴾ عليه . فأما نَفْسُ المُتَّكأ ، فهو ما وصفنا خاصّة دون غيره »[5] .

وقال ابن عطية : « و ﴿ مُتَّكَـًٔا ﴾: ما يُتَّكَأُ عليه من فرش ووسائد ، وعبَّر بذلك عن

---

(1) ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين (١/٢٢٥) .

(2) جامع البيان (١٣/ ١٢٢) .

(3) وقال به سعيد بن جبير ، والحسن . ينظر : المصدر السابق ، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٧/٢١٣٣) .

(4) جامع البيان (١٣/ ١٢٤) .

(5) المصدر السابق (١٣/١٢٩- ١٣٠) .

مجلسٍ أُعِدَّ لكرامةٍ ، ومعلوم أن هذا النوع من الكرامات لا يخلو من الطعام والشراب ، فلذلك فسَّر مجاهد وعكرمة المتكأ بالطعام »[1] .

وإذا كان ذلك كذلك فإن ما رجَّحه ابن جُزَيّ في معنى " المتكأ " على القراءة المتواترة هو الأَولى ، وعليه أكثر المفسرين . وأما القول بأنه الطعام فهو تفسير باللّازم ، وتدلّ عليه القراءة الشاذّة ، والله تعالى أعلم .

(1) المحرر الوجيز (٧/ ٤٩٢) . وتبعه أبوحيان كما في البحر المحيط (٣٠٢/٥) .

المسألة الثانية هي :

١٤- الخلاف في معنى ﴿أَكْبَرْنَهُ﴾ من قوله تعالى : ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُ﴾ .

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « أي : عظّمْنَ شأنه وجماله . وقيل : معنى " أَكْبَرْنَ ": حِضْنَ ، والهاء للسَّكْتِ . وهذا بعيد جدًا » [1] .

العرض والمناقشة :

رجَّح ابن جُزَيّ في معنى ﴿أَكْبَرْنَهُ﴾ ما قدّمه بقوله : عظَّمْن شأنه وجماله . ووافق في هذا معنى ما رُوِيَ عن ابن عباس [2]، ومجاهد [3]، وقتادة [4]، والسدّي [5]، وابن زيد [6].

وعلى هذا عامّة المفسّرين منهم : مقاتل، والفراء، وأبوعبيدة، وابن جرير الطبري، والزجاج، والنحاس، والسمرقندي، وابن أبي زمنين، والراغب، والواحدي، والسمعاني، والبغوي، والزمخشري، وابن عطية – ونسبه للجمهور - ، ومحمود النيسابوري، وابن الجوزي، والبيضاوي ، والخازن، والقمي، وأبوحيان، وابن التركماني، والسمين، وابن كثير، والثعالبي – وتبع ابن عطية في نسبته للجمهور - ، والبقاعي، والسيوطي، وأبوالسعود، والشوكاني، والآلوسي، والقنوجي، والقاسمي، والسيد رشيد رضا، والمراغي، والسعدي،

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١١٨) .

(2) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٣/١٣١- ١٣٢) من طريق علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قال : أعظمنه . وينظر : صحيفة علي (٢٩٢) . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/٢١٣٥) رقم (١١٥٥٣) من طريق الضحاك ، عنه نحوه . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٥٢٩) نسبته إلى ابن المنذر ، وأبي الشيخ ، وابن مردويه .

(3) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٣/ ١٣٠- ١٣١) من طرق عن ابن أبي نجيح ، عنه . وأخرجه أيضًا (١٣/١٣٢) من طريق ابن جريج ، عنه . وينظر : تفسير مجاهد (٣٩٦) .

(4) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٣/ ١٣١) من طريق يزيد ، عن سعيد ، عنه .

(5) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٣/ ١٣١) من طريق أسباط ، عنه . وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/٢١٣٥) تعليقًا عقب الأثر (١١٥٥٣) .

(6) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٣/١٣١) من طريق ابن وهب . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/٢١٣٥) رقم (١١٥٥٤) من طريق أصبغ . كلاهما ، عنه . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤/٥٣٠) نسبة إلى أبي الشيخ .

والطاهر بن عاشور [1] . ومال إليه الرازي [2] . وقدّمه القرطبي [3] .

ودليلُه اللغةُ ، يقال : أكبرت الشئَ : إذا رأيته كبيرًا . والتكبير يقال لتعظيم الشئ . يقال : الله أكبر ، تعظيمًا له سبحانه ، ولعبادته واستشعار تعظيمه [4] .

وأما القول الآخر في معنى " أكبرن " وهو أنها بمعنى : حِضْنَ – من الحَيْضِ – وأن الهاء فيه للسكت ، فهو قول رُوِيَ عن ابن عباس [5] ، ومجاهد [6] .

واختاره ابن الأنباري كما قاله ابن الجوزي [7] .

وهذا القول استبعده جدًا ابن جُزَيّ ، وضعّفه ابن عطية وأنكر معناه [8] .

---

(1) ينظر : تفسير مقاتل (٣٣٢/٢) ، ومعاني القرآن (٤٢/٢) ، ومجاز القرآن (٣٠٩/١) ، وجامع البيان (١٣٠/١٣)، ومعاني القرآن وإعرابه (١٠٦/٣) ، ومعاني القرآن الكريم (٤٢٢/٣) ، وبحر العلوم (١٦٠/٢) ، وتفسير القرآن العزيز (٣٢٣/٢) ، ومفردات ألفاظ القرآن (٦٩٨) مادة (كبر) ، والوجيز (٥٤٥/١) والوسيط (٦١٠/٢) ، وتفسير القرآن (٢٦/٣) ، ومعالم التنزيل (٤٥٨/٢) ، والكشاف (٢٧٨/٣) ، والمحرر الوجيز (٤٩٤/٧) ، وإيجاز البيان (٣٤٥/١) ، وتذكرة الأريب (٢٦٣/١) ، وأنوار التنزيل (٤٨٥/١) ، ومدارك التنزيل (٢١٩/٢) ، ولباب التأويل (١٦/٣) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٨٢/٤) ، والبحر المحيط (٣٠٢/٥) ، وبهجة الأريب (٢٨٠/١) ، والدر المصون (٤٧٩/٦) ، وتفسير القرآن العظيم (٣٦/٨) ، والجواهر الحسان (١٥٣/٢) ، ونظم الدرر (٧٣/١٠) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٣٢/٤) ، وإرشاد العقل السليم (١٠١/٣) ، وفتح القدير (٣٠/٣) ، وروح المعاني (٢٢٩/١٢) ، وفتح البيان (٣٢٥/٦) ، ومحاسن التأويل (٣٥٣٥/٩) ، وتفسير القرآن الحكيم (٢٣٦/١٢) ، وتفسير المراغي (١٣٧/١٢، ١٣٩) ، وتيسير الكريم الرحمان (٤١١/٢) ، والتحرير والتنوير (٢٦٢/١٢) .

(2) ينظر : مفاتيح الغيب (٦/ ٤٤٨) .

(3) ينظر : الجامع لأحكام القرآن (١١/ ٣٣٢) .

(4) ينظر : مفردات ألفاظ القرآن للراغب (٦٩٨) مادة (كبر) .

(5) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٣١/١٣) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢١٣٥/٧) رقم (١١٥٥١، ١١٥٥٢) من طريق عبد الصمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، عن أبيه ، عن جده عبد الله بن عباس .زاد ابن أبي حاتم في آخره : قول الشاعر :

نأتي النساء على أطهارهن ولا نأتي النساء إذا أكبرن إكبارًا

وقال ابن عطية في المحرر الوجيز (٤٩٥/٧) : ليس عبد الصمد من رُواة العلم رحمه الله .

وزاد السيوطي في الدر المنثور (٥٣١/٤) نسبته إلى ابن المنذر .

(6) قال ابن الجوزي في زاد المسير (٢١٨/٤) : وقد رَوَى هذا المعنى ليثٌ ، عن مجاهد .

(7) المصدر السابق .

(8) ينظر : المحرر الوجيز (٧/ ٤٩٥) .

وقال البغوي : « لا يصح »[1] . وتعجّب منه الكرماني [2] .

وذكره الزجاج، والزمخشري، ومحمود النيسابوري، والبيضاوي، والنسفي، والسمين، وأبوالسعود ، والشوكاني بصيغة (قيل) [3] .

واستُدِلَّ لهذا القول بقول الشاعر :

نأتي النساء على أطهارهن ولا نأتي النساء إذا أكبرن إكبارا [4]

يقال : إن المرأة إذا جزعت أو خافت حاضت . وقد يسمى الحيض إكبارًا .

وجوّز الأزهري أكبرتْ بمعنى حاضتْ – إن صحت هذه اللفظة في اللغة – معلّلاً ذلك بأن المرأة إذا حاضت في الابتداء خرجت من حيّز وحدِّ الصغر إلى الكبر . وأن الهاء هاء الوقف لا الكناية – إن صحت الرواية عن ابن عباس [5] .

وقال القرطبي : « وأمثل منه قولُ ابن الأنباري : إن الهاء كناية عن مصدر الفعل أي : أكبرن إكبارًا ، بمعنى : حضْن حيضًا »[6] .

وردّه أبوحيان بإجماع القراء على ضمّ الهاء في الوصل ، وهو دليل على أنها ليست هاءَ سكتٍ ، واستظهر عودها على يوسف . وقال : « إن ثبت أنَّ أكبر بمعنى حاض فتكون الهاء عائدة على المصدر ، أي : أكبرن الإكبار »[7] .

وتابع الأزهريَّ في تعليله ذلك الكرمانيُّ ، والزمخشريُّ وقالا :

« ومنه قول المتنبي :

---

(1) معالم التنزيل (٢/ ٤٥٨) .

(2) ينظر : غرائب التفسير وعجائب التأويل (١/ ٥٣٥) .

(3) ينظر : معاني القرآن وإعرابه (١٠٦/٣) ، والكشاف (٢٧٨/٣)، وإيجاز البيان (٣٤٥/١) ، وأنوار التنزيل (٤٨٥/١)، ومدارك التنزيل (٤١٩/٢) ، والدر المصون (٤٧٩/٦) ، وإرشاد العقل السليم (١٠١/٣) ، وفتح القدير (٣٠/٣) .

(4) ينظر : تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٢١٣٥/٧) ، والنكت والعيون للماوردي (٣٢/٣) ، وزاد المسير لابن الجوزي (٢١٨/٤) ، والدر المنثور للسيوطي (٤/ ٥٣١) .

(5) ينظر : تهذيب اللغة (١٠/ ٢١١- ٢١٢) . وينظر أيضًا : لباب التأويل للخازن (٣/ ١٧) .

(6) الجامع لأحكام القرآن (١١/ ٣٣٣) .

(7) البحر المحيط (٣٠٣/٥) . وينظر : الدر المصون للسمين (٤٧٩/٦- ٤٨٠) ، وروح المعاني للآلوسي (٢٢٩/١٢- ٢٣٠) .

تق الله واستر ذا الجمال ببرقع فإن بحت حاضت في الخدور العواتق .

وكأنه أخذه من هذا التفسير »[1] .

والبت في ديوان المتنبي :

خف الله واستر ذا الجمال ببرقع فإن لحت ذابت في الخدور العواتق

وهو أشبه [2] .

وأنكر أبوعبيدة ، والزجاج ، والنحاس ، ومحمود النيسابوري ، وآخرون أن يكون من كلام العرب هذا المعنى في " حضْن " [3] .

قالوا : وليس ذلك بمعروف في اللغة .

وأما البيت فقال ابن جرير الطبري : « لا أحسب له أصلاً ؛ لأنه ليس بالمعروف عند الرواة »[4] .

فالبيت مصنوع لا يعرف قائله [5] .

قال ابن جرير الطبري : « وهذا القول .... – إن لم يكن عَنَى به أنهن حضن من إجلالهن يوسفَ ، وإعظامهن لما كان الله قسم له من البهاء والجمال ، ولما يجد من مثل ذلك النساءُ عند معاينتهن إياه – فقولٌ لا معنى له ؛ لأن تأويل ذلك : فلما رأين يوسف أكبرنه . فالهاء التي في ﴿ أَكْبَرْنَهُ ﴾ من ذكر يوسف ، ولا شك أن من المحال أي يحضْنَ يوسف . ولكن الخبر إن كان صحيحًا عن ابن عباس على ما رُوِيَ ، فخليقٌ أن يكون معناه في ذلك أنهن حضْن لما أكبرن من حُسْنِ يوسف وجماله في أنفسهن ، ووجدْن ما يجد النساءُ من مثل ذلك »[6] .

وسبق إلى هذا أبوعبيدة حيث قال : « ومن زعم أن أكبرن "حضن " فمن أين ؟ وإنما

---

(1) ينظر : غرائب التفسير وعجائب التأويل (٥٣٦/١) ، والكشاف (٤٧٨/٣) .

(2) ديوان المتنبي (٧٨) .

(3) ينظر : مجاز القرآن (٣٠٩/١) ، ومعاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٠٦- ١٠٧) ، ومعاني القرآن الكريم (٤٢٢/٣) ، وإيجاز البيان (١/ ٣٤٥) .

(4) جامع البيان (١٣/ ١٣٢) .

(5) ينظر : غرائب التفسير وعجائب التأويل للكرماني (١/ ٥٣٦) ، والمحرر الوجيز لابن عطية (٧/ ٤٩٥) .

(6) جامع البيان (١٣/ ١٣٢) .

وقع عليه الفعل ذلك [يريد : أن الضمير في أكبرنه ليوسف] ، لو قال : أكبرن ، وليس في كلام العرب : أكبرن حضن ، ولكن عسى أن يكون من شدّة ما أعظمنه حضن »[1] .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن ما رجَّحه ابن جُزَيّ وعامة المفسّرين مِنْ أن قوله ﴿أَكْبَرْنَهُ﴾ بمعنى : عظّمن شأن يوسف وجماله ، هو القول الصحيح ؛ لأن هذا هو المعروف في اللغة من معنى أكبرن . ويجب حمل كلام الله تعالى على المعروف من كلام العرب دون الشاذّ والضعيف والمنكر [2] .

وأما القول بأن معنى ﴿أَكْبَرْنَهُ﴾ : حضن ، فليس بمعروف في كلام العرب ، ولو صح الخبر عن ابن عباس في ذلك لكان تخريجه على أنه تفسير باللازم أو المآل ، أي آل أمرهن إلى الحيض من شدّة إعظامهن لشأنه وجماله أو لزم من ذلك التعظيم لجماله وشأنه أن حضْن . ولكن إثبات الحيض لهن يحتاج إلى دليل صحيح من قرآن أو سنّة ؛ لأنه من باب الإخبار ، وأما اللغة فلا تساعد عليه .

وإذا كان ذلك كذلك فإنه لا يصح حمل الآية على تفسير لأمر غيبي لا دليل عليه من القرآن أو السنة [3] . والله تعالى أعلم .

---

(1) مجاز القرآن (١/ ٣٠٩) .

(2) ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين (٢/ ٣٦٩) .

(3) ينظر : المصدر السابق (١/ ٢٢٥) .

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَاۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓۚ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾

١٥- الخلاف في قوله : ﴿ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَاۚ ﴾

هل هو من الإخبار بالغيب ؟ أم من تعبير الرؤيا ؟

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « وفيها[1] وجهان : أحدهما : أنه قال : [إنه][2] يخبرهما بكل ما يأتيهما في الدنيا [3] من طعام قبل أن يأتيهما . وذلك من الإخبار بالغيوب الذي هو معجزة الأنبياء . والآخر : أنه قال لا يأتيكما طعام في المنام إلاّ خبرتكما بتأويله قبل أن يظهر تأويله في الدنيا » [4] .

العرض والمناقشة :

قدّم ابن جُزَيّ في قوله تعالى : ﴿ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ﴾ الوجْهَ بأنه من الإخبار بالغيوب . أي : لا يأتيكما طعام ترزقانه في اليقظة إلاّ خبرتكما به قبل إتيانه . ونُسِبَ هذا المعنى إلى الحسن [5] ، وابن جريج [6] .

وعليه السمرقندي، والزمخشري، ومحمود النيسابوري، وابن الجوزي، والرازي، والقرطبي، وأبوحيان، والبقاعي، وأبوالسعود، والشهاب، والشوكاني، والآلوسي، والقنوجي، والقاسمي، والسيد محمد رشيد رضا، والمراغي [7] .

---

(1) كذا في جميع النسخ ، وفي المطبوع : وفيه .

(2) كذا في جميع النسخ . وفي المطبوع بحذفها .

(3) قوله (في الدنيا) يقصد به : اليقظة .

(4) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١١٩) .

(5) ينظر : النكت والعيون للماوردي (٣٧/٣) ، وزاد المسير لابن الجوزي (٤/ ٢٢٤) .

(6) ينظر : المحرر الوجيز لابن عطية (٥١٠/٧) ، والبحر المحيط لأبي حيان (٣٠٩/٥) .

(7) ينظر : بحر العلوم (١٦١/٢) والكشاف (٢٨٤/٣) وإيجاز البيان (٣٤٦/١) وتذكرة الأريب (٢٦٣/١) ومفاتيح الغيب (٤٥٥/٦) والجامع لأحكام القرآن (٣٤٨/١١) والبحر المحيط (٣٠٩/٥) ونظم الدرر (٨٢/١٠) وإرشاد العقل السليم (١٠٦/٣) وحاشية الشهاب (١٧٧/٥) وفتح القدير (٣٦/٣) وروح المعاني (٢٤٠/١٢) وفتح البيان (٣٣٥/٦) ومحاسن التأويل (٣٥٣٩/٩) وتفسير القرآن الحكيم (٢٤٦/١٢) وتفسير المراغي (١٤٦/١٢).

وقدّمه السمعاني [1] . وهو مفهوم كلام الزجاج، والبيضاوي، والنسفي، والسعدي[2].
وذكره الكرماني ، والقمي بصيغة (قيل) [3] .

قالوا : هذا نظير ما كان لعيسى بن مريم × حيث قال : ﴿ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران : ٤٩] .

قالوا : فهذه الآية فيها آية على نبوة يوسف × ، إذ يخبر بغيب فيقع كما أخبر .

وأما الوجْه الآخر وهو حَمْل الآية على إتيانهما الطعام في المنام وأنه من باب تأويل الرؤيا وتعبيرها ، فهو قول مجاهد [4] ، وابن إسحاق [5] ، والسدّي [6] .

وعلى هذا الوجْه ابن جرير الطبري ، والواحدي ، والكرماني ، والقمي ، وابن كثير ، والسيوطي [7] . وقدّمه ابن عطية [8] .

وذكره ابن الجوزي ، والقرطبي ، والقنّوجي بصيغة (قيل) [9] . واستبعده السيد محمد رشيد رضا [10] .

هذا وقد ذكر الوجْهين البغوي ، والخازن بصيغة (قيل) ، وقدّما الوجه الثاني [11] .

---

(1) ينظر : تفسير القرآن (٣/ ٣١) .

(2) ينظر : معاني القرآن وإعرابه (١١٠/٣) ، وأنوار التنزيل (٤٨٦/١) ، ومدارك التنزيل (٢٢٢/٢) ، وتيسير الكريم الرحمان (٤١٣/٢) .

(3) ينظر : غرائب التفسير وعجائب التأويل (٥٣٧/١) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٨٨/٤) .

(4) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢١٤٤/٧) رقم (١١٦٠٨) من طريق سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن ابن أبي نجيح ، عنه . ونسبه له ابن كثير في تفسيره (٤١/٨) .

(5) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٥٩/١٣) من طريق سلمة ، عنه .

(6) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٥٩/١٣) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢١٤٤/٧) رقم (١١٦٠٩) من طريق أسباط ، عنه .

(7) ينظر : جامع البيان (١٥٩/١٣) ، والوجيز (٥٤٦/١) والوسيط (٦١٣/٢) ، وغرائب التفسير وعجائب التأويل (٥٣٧/١) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٨٨/٤) ، وتفسير القرآن العظيم (٤١/٨) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٣٧/٤) .

(8) ينظر : المحرر الوجيز (٧/ ٥٠٩) .

(9) ينظر : تذكرة الأريب (٢٦٣/١) ، والجامع لأحكام القرآن (٣٤٩/١١) ، وفتح البيان (٣٣٥/٦) .

(10) ينظر : تفسير القرآن الحكيم (١٢/ ٢٤٦) .

(11) ينظر : معالم التنزيل (٤٦٢/٢) ، ولباب التأويل (١٩/٣) .

وجمع ابن العربي بينهما قائلاً : « أعلمهما أنه يخبرهما بحال كل طعام يأتيهما في اليقظة والمنام »[1] .

وتفرّد الطاهر بن عاشور فأعاد ضمير ﴿ بِتَأْوِيلِهِۦ ﴾ إلى ما عاد إليه ضمير ﴿ بِتَأْوِيلِهِۦ ﴾ الأول المذكور في الآية السابقة [يوسف : ٣٦] وهو المرئي أو المنام . وقال : « ولا ينبغي أن يعود إلى طعام ؛ إذ لا يحسن إطلاق التأويل عن الأنباء بأسماء أصناف الطعام خلافًا لما سلكه جمهور المفسّرين ... وقوله : ﴿ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ ﴾ معناه : لا يأتي الطعام المعتاد إلاّ في حال أني قد نبأتكما بتأويل رؤياكما ، أي : لا في حال عدمه [2] . فجعل مجئ الطعام وقتًا معلومًا لهما . أي : إن تعبير الرؤيا سيكون قبل وقت مجئ الطعام إلى السجن » .

وهذا الوجْه الذي انفرد به الطاهر بن عاشور جَيّدٌ ولكن يشكل عليه مجئ كلمة ﴿ طَعَامٌ ﴾ بالتنكير لا بالتعريف ، وهذا يدل على أنه ليس المقصود منه طعامًا واحدًا معلومًا في وقت محدّد ، بل يدلّ التنكير على التكثير . فهل كلّما سيأتيهما طعام يرزقانه سينبئهما بتأويل رؤياهما مرّة بعد مرة ؟! هذا بعيد ، والله أعلم ، فتفرّد فأغرب / .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن الأَولى بالتقديم في معنى قوله تعالى : ﴿ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ﴾ حمله على اليقظة لا على المنام ، ونظيره ما كان لعيسى × ، وهو آية على نبوتهما إ ولذلك شرع في دعوتهما إلى التوحيد وترك الشرك ثم فسّر رؤياهما . ولو كان المراد بإتيانهما الطعام في المنام لقال – والله أعلم –: لا تريان طعامًا ترزقانه ...

وإذا كان ذلك كذلك فإن ما قدّمه ابن جُزَيّ هو الأَولى ، وعليه الأكثر ، والله تعالى أعلم .

---

(1) أحكام القرآن (٣/ ١٠٨٦ – ١٠٨٧) .

(2) التحرير والتنوير (١٢/ ٢٧١) بتصرف يسير .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾

١٦- من هو الملك المذكور في قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ ﴾ الآية ؟

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « هو مَلِكُ مِصْرَ الذي كان العزيز خادمًا له . واسمه : رَيَّانُ بن الوليد . وقيل : مصعب بن الريّان ، وكان من الفراعنة . وقيل : إنه فرعون موسى عُمِّرَ أربعمائة سنة حتى أدركه موسى ، وهذا بعيد » [1] .

العرض والمناقشة :

رجّح ابن جُزَيّ أن الملك الذي رأى الرؤيا التي عبّرها يوسف × هو ملك مِصْرَ الذي كان العزيز خادمًا له . وذكر أن اسمه : رَيَّان بن الوليد . ووافق في هذا ما رُوِيَ عن مجاهد [2] ، وابن إسحاق [3] . ونُسِبَ إلى الكلبي لكن دون ذكر الاسم [4] .

وإلى هذا ذهب مقاتل، وابن جرير الطبري ولم يسمّه، والسمرقندي، والماوردي وقال : الملك الأكبر : الوليد بن الريّان، والواحدي ولو يسمّه، والسمعاني ولم يسمّه، والبغوي ولم يسمّه، والزمخشري، وابن الجوزي ولم يسمّه، والرازي ولم يسمّه، والقرطبي، والنسفي، والخازن ولم يسمّه، وأبوحيان، وابن كثير ولم يسمّه، والبلنسي، وأبوالسعود، والسيوطي، والشهاب، والشوكاني، والآلوسي، والقنوجي [5] .

---

(1) التسهي لعلوم التنزيل (٢/ ١٢٠) .

(2) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢١٥٠/٧) رقم (١١٦٤٧) من طريق ابن إسحاق ، عن ابن أبي نجيح ، عنه .

(3) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٧٨/١٣) من طريق سلمة ، عنه .

(4) ينظر : معالم التنزيل (٢/ ٤٦٥) .

(5) ينظر : تفسير مقاتل (٣٣٦/٢) ، وجامع البيان (١٧٧/١٣) ، وبحر العلوم (١٦٣/٢) ، والنكت والعيون (٤١/٣) ، والوجيز (٦١٥/٢) ، وتفسير القرآن (٣٤/٣) ، ومعالم التنزيل (٤٦٥/٢) ، والكشاف (٢٨٨/٣) ، وزاد المسير (٢٢٩/٤) ، ومفاتيح الغيب (٤٦٣/٦) ، والجامع لأحكام القرآن (٣٥٩/١١) ، ومدارك التنزيل (٢٢٣/٢) ، ولباب التأويل (٢١/٣) ، والبحر المحيط (٣١٢/٥) ، وتفسير القرآن العظيم (٤٦/٨) ، وتفسير مبهمات القرآن (٥٤/٢) ، وإرشاد العقل السليم (١١١/٣) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٤١/٤) ، وحاشية الشهاب (١٨٠/٥) ، وفتح القدير (٤٢/٣) ، وروح المعاني (٢٤٨/١٢) ، وفتح البيان (٣٤٤/٦) .

وذهب السيد محمد رشيد رضا ـــ وتبعه المراغي ـــ إلى أنه ملك مصر من ملوك العرب المعروفين بالرعاة "الهكسوس" [1] .

وقال الطاهر بن عاشور : « والتعريف في ﴿ ٱلْمَلِكُ ﴾ للعهد ، أي : ملك مصر . وسمّاه القرآن هنا ملكًا و لم يسمّه فرعونَ ؛ لأن هذا الملك لم يكن من الفراعنة ملوك مصر القبط ، وإنما كان ملكًا لمصر أيام حَكَمَها "الهكسوس" وهم العمالقة ، وهم من الكنعانيين ، أو من العرب ، ويُعَبِّرُ عنهم مؤرخو الإغريق بملوك الرعاة ، أي : البَدْو . فالتعبير عنه بالملك في القرآن دون التعبير بفرعون مع أنه عبَّر عن ملك مصر في زمن موسى × بلقب فرعون هو من دقائق إعجاز القرآن العلمي »[2] .

وذهب القاسمي إلى أنه فرعون مصر [3] .

والاستدلال على هذا القول ظاهرٌ من حيث تسميةُ اللهِ له بالملك ، وكونُه في مصر ، فهو مَلِكُ مِصْرَ بلا ريب .

وأما تسميته بالريَّان بن الوليد أو الوليد بن الريّان ، أو مصعب ابن الريّان – كما ذكره أبوحيان بلا عزو ، والبلنسي بصيغة (قيل) [4] – فهو مما يحتاج إلى دليل ، ولا ضَيرَ في الجهل باسمه .

وأما القول الآخر بأنه فرعون موسى فقد استبعده ابن حُزَيّ – وهو كذلك – وذكره ابن قتيبة ، عن وهب بن مُنبّه [5] . وأورده أبوحيان عن أشهب ، عن الإمام مالك [6] .

وذكره البلنسي بصيغة (قيل) ثم ضعّفه [7] .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن الملك الذي رأى الرؤيا التي عبّرها يوسف × هو مَلِكُ مِصْرَ الأعظم ، وليس بفرعون الذي كان في زمن موسى × . وأما معرفة اسمه فدون ذلك الدليلُ

---

(1) ينظر : تفسير القرآن الحكيم (٢٥٥/١٢) ، وتفسير المراغي (١٥٣/١٢) . وذكراه عن المؤرخين .

(2) التحرير والتنوير (١٢/ ٢٨٠) .

(3) ينظر : محاسن التأويل (٩/ ٣٥٤٥) .

(4) ينظر : البحر المحيط (٥/ ٢٩٢) ، وتفسير مبهمات القرآن (٥٥/٢) .

(5) ينظر : المعارف (٤٣) .

(6) ينظر : البحر المحيط (٧/ ٤٦٤) .

(7) ينظر : تفسير مبهمات القرآن (٢/ ٥٥) .

الصحيح ، ولا حاجة إلى معرفة الاسم وما الذي يضير في الجهل بذلك ؟

وإذا كان ذلك كذلك فإن ما رجّحه ابن جُزَيّ مِنْ أنه ملك مِصْرَ هو الراجح دون الجزْمِ باسمه ، يَدُلُّ لذلك ظاهر القرآن ، ومن الغريب أن يكون اسمه رَيَّان بن الوليد أو مصعب بن الريّان ؛ لأن هذا اسم عربي ، والله تعالى أعلم .

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖۖ وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾

١٧- الخلاف في المراد بـــ ﴿ ٱلۡأَحۡلَٰمِ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴾ .

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « إما أن يريدوا تأويل الأحلام الباطلة أو تأويل الأحلام على الإطلاق وهو الأظهر » [1] .

العرض والمناقشة :

استظهر ابن جُزَيّ أن المراد بـــ **﴿ ٱلۡأَحۡلَٰمِ ﴾** في قوله تعالى : **﴿ وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴾** هي الأحلام على الإطلاق ، فنفوا علمهم بتأويل الأحلام مطلقًا باطلةً كانت أم حقًّا .

وإلى هذا ذهب الكرماني ، وابن الجوزي ، وابن كثير ، والبقاعي ، والقاسمي [2] .

وهو مفهوم كلام مقاتل [3] . وجوّزه أبوحيان [4] ، والآلوسي وقال : « واختاره ابن المُنَيّر وادعى أنه الظاهر »[5] . واحتمله المراغي [6] .

وذكره القرطبي ، والشوكاني ، والقنوجي بصيغة (قيل) [7] .

قال ابن الجوزي : « الأحلام : جمع حُلُم ، وهو ما يراه الإنسان في نومه مما يصح ومما يبطل»[8] .

فاللام التي في **﴿ ٱلۡأَحۡلَٰمِ ﴾** للجنس فتفيد العموم .

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/١٢٠) .

(2) ينظر : غرائب التفسير وعجائب التأويل (١/٥٣٩) ، وزاد المسير (٤/٢٣٠) ، وتفسير القرآن العظيم (٨/٤٧) ، ونظم الدرر (١٠/١١٠) ، ومحاسن التأويل (٩/ ٣٥٤٦- ٣٥٤٧) .

(3) ينظر : تفسير مقاتل (٢/ ٣٣٦) .

(4) ينظر : البحر المحيط (٥/ ٣١٣) .

(5) روح المعاني (١٢/ ٢٥٢) .

(6) ينظر : تفسير المراغي (١٢/ ١٥٤) .

(7) ينظر : الجامع لأحكام القرآن (١١/٣٦٢) ، وفتح القدير (٣/٤٣) ، وفتح البيان (٦/٣٤٦) .

(8) زاد المسير (٤/ ٢٣٠) .

وأما القول الآخر بأن المراد تأويل الأحلام الباطلة ، فعليه ابن جرير الطبري، والزجاج، والنحاس، والسمرقندي، وابن أبي زمنين، والواحدي، والسمعاني، وابن عطية، والعكبري، والرازي، والقرطبي، والبيضاوي، وأبوحيان، والثعالبي، وأبوالسعود، والشوكاني، والآلوسي، والقنّوجي، والمراغي، والسعدي، والطاهر بن عاشور [1] .

قال الواحدي : « وهذا معنى قول أكثر المفسرين »[2] .

وذكره الكرماني بصيغة (قيل) [3] .

واستدلوا له بقول النبي > : (الرؤيا الصادقة من الله ، والحُلمُ من الشيطان) [4] .

والأحلام هي المختلطة والرديئة . قالوا : فهم إنما نفوا عن أنفسهم عَبْرَ الأحلام لا عَبْرَ الرؤيا على الإطلاق [5] .

قال العكبري : « لأنهم لم يدَّعوا الجَهْلَ بتعبير الرؤيا »[6] .

وقال القرطبي : « نفوا عن أنفسهم علم ما لا تأويل له ، لا أنهم نَفَوْا عن أنفسهم علمَ التأويل»[7].

---

(1) ينظر : جامع البيان (١٣/ ١٨٠- ١٨١) ، ومعاني القرآن وإعرابه (٣/ ١١٣) ، وإعراب القرآن (٣٣١/٢) ، وبحر العلوم (١٦٣/٢) ، وتفسير القرآن العزيز (٣٢٨/٢) ، والوجيز (٥٤٨/١) ، وتفسير القرآن (٣٥/٣) ، والمحرر الوجيز (٥٢١/٧) ، والتبيان (٧٣٣/٢) ، ومفاتيح الغيب (٤٦٤/٦) ، والجامع لأحكام القرآن (٣٦٢/١١) ، وأنوار التنزيل (٤٨٨/١) ، والبحر المحيط (٣١٣/٥) ، والجواهر الحسان (١٥٨/٢) ، وإرشاد العقل السليم (١١٢/٣) ، وفتح القدير (٤٣/٣) ، وروح المعاني (٢٥٢/١٢) ، وفتح البيان (٣٤٥/٦) ، وتفسير المراغي (١٥٤/١٢) ، وتيسير الكريم الرحمان (٤١٨/٢) ، والتحرير والتنوير (٢٨٢/١٢) .

(2) الوسيط (٢/ ٦١٥) .

(3) ينظر : غرائب التفسير وعجائب التأويل (١/ ٥٣٩) .

(4) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب التعبير ، باب الرؤيا من الله ، برقم (٦٩٨٤) ، وباب من رأى النبي > في المنام برقم (٦٩٩٥) ، وباب الحلم من الشيطان ... برقم (٧٠٠٥) . وفي كتاب بدء الخلق ، باب صفة إبليس وجنوده ، برقم (٣٢٩٢) . وفي كتاب الطب ، النفث في الرقية ، برقم (٥٧٤٧) . ومسلم في صحيحه (١٧٧١/٤) في كتاب الرؤيا برقم (٢٢٦١) . وأحمد في مسنده (٢٩٦/٥، ٣٠٠، ٣٠٥، ٣١٠) . وغيرهم . من حديث أبي قتادة الأنصاري .

(5) ينظر : المحرر الوجيز لابن عطية (٧/ ٥٢١) .

(6) التبيان (٧٣٣/٢) . وينظر : مفاتيح الغيب للرازي (٦/ ٤٦٤) .

(7) الجامع لأحكام القرآن (١١/ ٣٦٢) .

وقال الطاهر : « التعريف فيه [أي : في ﴿ٱلْأَحْلَٰمِ﴾] أيضًا للعهد ، أي : ما نحن بتأويل أحلامك هذه بعالمين »[1] .

وقال الآلوسي : « لشيوع الأحلام في أباطيلها ، وإما لكون اللام للعهد والمعهود الأضغاث منها »[2] .

وإلى التسوية بين القولين ذهب الزمخشري ، والنسفي ، والقمي [3] .

واحتملهما معًا السمين ، والشهاب ، والسيد محمد رشيد رضا [4] .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن الأقرب إلى الظاهر هو أن يكون المراد بالأحلام : الباطلةَ ، لأن كون اللام في ﴿ٱلْأَحْلَٰمِ﴾ للعهد أقرب وأظهر من كونها للجنس . أي : وما نحن بتأويل أحلامك هذه ــ التي هي أضغاث أحلام ــ بعالمين .

ولأن الأحلام جمع حُلُم ، والحُلُم من الشيطان كما قال النبي > .

وهذا اختيار أكثر المفسّرين ، والله تعالى أعلم .

---

(1) التحرير والتنوير (١٢/ ٢٨٢) .

(2) روح المعاني (١٢/ ٢٥٢) .

(3) ينظر : الكشاف (٣/ ٢٩٠- ٢٩١) ، ومدارك التنزيل (٢/٢٢٤) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٤/٩٣) .

(4) ينظر : الدر المصون (٦/٥٠٧) ، وحاشية الشهاب (٥/١٨٣) ، وتفسير القرآن الحكيم (١٢/ ٢٥٦) .

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ٱجْعَلُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ فِى رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾

١٨- الخلاف في عائد ضمير ﴿ يَعْرِفُونَهَآ ﴾ في قوله تعالى :

﴿ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ ﴾ .

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « أي : لعلهم يعرفون اليَدَ والكرامة في ردّ البضاعة إليهم . وليس الضمير للبضاعة » [1] .

العرض والمناقشة :

فسَّر ابن جُزَيّ عائد الضمير في قوله : ﴿ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ ﴾ باليَدِ والكرامة في ردّ البضاعة إليهم ، ونفى أن يكون الضمير للبضاعة .

وإلى هذا ذهب السمرقندي، والزمخشري، وابن عطية، والنسفي، وأبوحيان، والثعالبي، والمراغي [2] . وقدّمه السمعاني [3] .

وذكره البغوي ، والقمي بصيغة (قيل) [4] .

قال ابن عطية : « إن ميْزَ البضاعة لا يقال فيه : (لعلّ) . وسرورُهم بالبضاعة وقولُهم : ﴿ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ﴾ يكشف أن يوسف × لم يقصد هذا ، وإنما قصد أن يستميلهم ويصلهم فيرغبهم في نفسه كالذي كان »[5] .

وأما القول بأن الضمير يعود للبضاعة في قوله : ﴿ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ ﴾ أي :

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١٢٣) .

(2) ينظر : بحر العلوم (١٦٨/٢) ، والكشاف (٣٠٣/٣) ، والمحرر الوجيز (١٤/٨) ، ومدارك التنزيل (٢٢٩/٢) ، والبحر المحيط (٣٢٢/٥) ، والجواهر الحسان (١٦٣/٢) ، وتفسير المراغي (١٢/١٣) .

(3) ينظر : تفسير القرآن (٣/ ٤٥) .

(4) ينظر : معالم التنزيل (٤٧٥/٢) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (١٠٣/٤- ١٠٤) .

(5) المحرر الوجيز (١٤/٨) . وتبعه الثعالبي في الجواهر الحسان (٢/ ١٦٣) .

يعرفون البضاعة ، فهو قول نُسِبَ إلى الضحاك [1] .

وعليه الفراء، وابن جرير الطبري، والزجاج، والنحاس، والواحدي، والخازن، والقمي، والبقاعي، والقنوجي، والسعدي، والطاهر بن عاشور [2] .

وهو مفهوم كلام الماوردي، وابن الجوزي، والرازي، والقرطبي، والشوكاني [3] .

قال القمي النيسابوري : « والأكثرون على أنه أمر بوضع بضاعتهم في رحالهم على وَجْهٍ لا يعرفون بدليل قوله : لعلهم يعرفونها إذا انقلبوا إلى أهلهم ...»[4].

والمعنى : أنه أراد أنهم إذا عرفوها لم يستحلّوا إمساكها حتى يردّوها .

ويدل له « ظاهر التعلّق بقوله : ﴿إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمۡ﴾ فإن معرفتهم لها مقيّدة بالرجوع وتفريغ الأوعية قطعًا » [5] .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن البضاعة هي الثمن الذي دفعوه ليوسف × مقابل الكيل ، وهي معروفة لهم من قبل ومن بعد ، فأراد يوسف – والعلم عند الله – أن يقدّروا إكرامه لهم ويعرفوا نعمته عليهم وإحسانه إليهم بردّ بضاعتهم إليهم لعلهم يرجعون إليه طمعًا في عطائه وفضله . هذا الأنسب في معنى الآية ، والله أعلم . ولذلك لما فتحوا متاعهم ووجدوا بضاعتهم فرحوا واستبشروا وقالوا لأبيهم : ما نبغي أكثر من هذا ؟ فكان في ذلك تطمين لهم ليعودوا إليه . وليس المعنى : أنهم فتحوها ووجدوها فعرفوها بعد إذ كانوا جاهلين بها . فإذا كان ذلك كذلك فإن ما رجَّحه ابن جُزَيّ ومن وافقه هو الأَولى في معنى الآية ، وليس الضمير للبضاعة ، والله تعالى أعلم .

---

(1) ينظر : زاد المسير لابن الجوزي (٤/ ٢٥٠) .

(2) ينظر : معاني القرآن (٤٨/٢) ، وجامع البيان (٢٢٨/١٣- ٢٢٩) ، ومعاني القرآن وإعرابه (١١٧/٣) ، ومعاني القرآن الكريم (٤٣٩/٣- ٤٤٠) ، والوجيز (٥٥٢/١) والوسيط (٦٢٠/٢) ، ولباب التأويل (٢٨/٣) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (١٠٣/٤) ، ونظم الدرر (١٥١/١٠) ، وفتح البيان (٣٦٤/٦) ، وتيسير الكريم الرحمان (٤٢٤/٢) ، والتحرير والتنوير (١٣/ ١٤) .

(3) ينظر : النكت والعيون (٥٦/٣) ، وزاد المسير (٢٤٩/٤- ٢٥٠) ، ومفاتيح الغيب (٤٧٩/٦) ، والجامع لأحكام القرآن (٣٩٥/١١) ، وفتح القدير (٥٢/٣) .

(4) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٤/ ١٠٣) .

(5) إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٣/ ١٢٠ – ١٢١) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَـٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾

١٩- كيف جاز ليوسف – عليه السلام – أن يجعل السقاية في رحل أخيه ، ثم يُسَرِّقُ قومًا أبرياء من السَّرِقة ، ويقول : ﴿ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَـٰرِقُونَ ﴾ ؟

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : «... وإنما استحلّ أن يرميهم بالسَّرقة ؛ لما في ذلك من المصلحة من إمساك أخيه . وقيل : إن حافظ السقاية نَادى : إنكم لسارقون ، بغير أمر يوسف . وهذا بعيد ؛ لتفتيش الأوعية » [1] .

العرض والمناقشة :

رجَّحَ ابن جُزَيّ في الجواب عن استجازة يوسف عليه السلام أن يجعل السقاية في رَحْلِ أخيه ليسرقهم وهم بُرآءُ ، أنه فعل ذلك لما فيه من المصلحة من إمساك أخيه ، وأنه كان نداء المؤذن بذلك بعلمه وأمره عليه السلام .

وهذا الجواب جوّده السمعاني [2]. واستظهره أبوحيان ، وأبوالسعود [3] .

وعليه الزمخشري، وابن عطية، وابن الجوزي [4]. وهو مفهوم كلام القرطبي، والنسفي، والقاسمي [5] .

وجوّزه ابن جرير الطبري، وتبعه النحاس [6] .

وعلّله ابن جرير الطبري بأنه يعلم أنهم قد كانوا سرقوا سَرِقَةً في بعض الأحوال ، فأمر المؤذن أن يناديهم بوصفهم بالسَّرق ، ويوسف – عليه السلام – يعني ذلك السَّرَقَ ، لا سَرَقَهم الصُّواع .

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١٢٤) .

(2) ينظر : تفسير القرآن (٢/ ٤٩) .

(3) ينظر : البحر المحيط (٣٢٩/٥) ، وإرشاد العقل السليم (٣/ ١٢٦) .

(4) ينظر : الكشاف (٣٠٨/٣) ، والمحرر الوجيز (٢٦/٨) ، وزاد المسير (٢٥٧/٤) .

(5) ينظر : الجامع لأحكام القرآن (٤٠٦/١١) ، ومدارك التنزيل (٢٣١/٢) ، ومحاسن التأويل (٣٥٧٣/٩) .

(6) ينظر : جامع البيان (١٣/ ٢٧١) ، ومعاني القرآن الكريم (٤٤٥/٣) .

وقال أبوالسعود عن هذا الجواب بأنه : « الأوفق للسياق »[1] .

وأما الجواب الآخر وهو أن المؤذن نادى بذلك بغير أمر يوسف – عليه السلام – فاختاره الجصاص ، والواحدي ، ومحمود النيسابوري ، والرازي ، والبيضاوي ، والخازن ، والشوكاني ، والقنوجي ، والسعدي [2] . وهو مفهوم كلام المراغي [3] .

واحتمله البقاعي [4] . ونسبه ابن القيم للقاضي أبي يعلى [5] .

وجوّزه ابن جرير الطبري ، والنحاس [6] .

أما ابن عطية فقد قال : « ورجّحه الطبري »[7] . وتبعه أبوحيان [8] .

والصواب أن ابن جرير لم يرجّحه بل جوّزه كما جوّز الجواب الأول وهذه عبارة ابن جرير بنصّها : « قال أبو جعفر : إن قال لنا قائل : وكيف جاز ليوسف أن يجعل السقاية في رحل أخيه ، ثم يُسَرِّقَ قومًا أبْرياء من السَّرق ، ويقول : ﴿ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَـٰرِقُونَ ﴾؟ قيل : إن قوله : ﴿ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَـٰرِقُونَ ﴾ . إنما هو خبرٌ من الله عن مؤذّن أذَّن به ، لا خبرٌ عن يوسف ، وجائز أن يكون المؤذن أذّن بذلك إذ فقد الصُّواعَ ، ولا يَعْلم بصنيع يوسف ، وجائز أن يكون كان أذَّن المؤَذّن بذلك عن أمر يوسف ، واستجاز الأمر بالنداء بذلك ؛ لعلمه بهم أنهم قد كانوا سرقوا سرقةً في بعض الأحوال ، فأمر المؤذّن أن يناديهم بوصفهم بالسَّرَقِ ، ويوسف يعني ذلك السَّرقَ ، لا سَرَقَهم الصُّواع » [9] . اهـ

---

(1) إرشاد العقل السليم (٣/ ١٢٦) .

(2) ينظر : أحكام القرآن (٣٩٠/٤) ، والوسيط (٦٢٣/٢) ، ووضح البرهان (٤٦٢/١) ، وإيجاز البيان (٣٤٩/١) ، ومفاتيح الغيب (٤٨٧/٦) ، وأنوار التنزيل (٤٩٣/١) ، ولباب التأويل (٣٢/٣) ، وفتح القدير (٣/ ٥٨) ، وفتح البيان (٣٧٣/٦) ، وتيسير الكريم الرحمان (٤٢٧/٢) .

(3) ينظر : تفسير المراغي (١٣/ ٢٠) .

(4) ينظر : نظم الدرر (١٠/ ١٦٩) .

(5) ينظر : بدائع التفسير (٢/ ٤٥٦، ٤٦٦) ، وإعلام الموقعين (٣/ ٢٧٤- ٢٨٢) .

(6) ينظر : جامع البيان (٢٧١/١٣) ، ومعاني القرآن الكريم (٣/ ٤٤٥) .

(7) المحرر الوجيز (٨/ ٢٦) .

(8) ينظر : البحر المحيط (٥/ ٣٢٩) .

(9) جامع البيان (١٣/ ٢٧١) .

واستبعده ابن جُزَيّ هذا الجواب وردّه بتفتيش الأوعية ، وتبع في ذلك ابن عطية [1] .

قال الرازي : « ليس في القرآن أنهم نادوا بذلك النداء عن أمر يوسف عليه السلام ، والأقرب إلى ظاهر الحال أنهم فعلوا ذلك من أنفسهم ؛ لأنهم لما طلبوا السقاية وما وجودها وما كان هناك أحد إلاّ هم غلب على ظنونهم أنهم هم الذين أخذوها »[2] .

ويجاب عن قول الرازي هذا بأنه ليس في القرآن أيضًا أنهم نادوا بذلك النداء بغير أمره وعلمه عليه السلام .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن كلا الجوابين جائز ومحتمل وإن كان الأقرب أنه كان بعلم يوسف ذلك النداء ؛ لأن هذه كانت مكيدة مرتبة كما قال الله تعالى : ﴿ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ [يوسف : ٧٦] ، فالأقرب – والله أعلم – أنه رتَّب لهذا الأمر مع فتيانه وأذَّن المؤذن بذلك النداء عن علم يوسف وأمره .

ويدلُّ لذلك ثلاثة أمور :

١- أن الله رتّب الفعل أَذَّنَ على فعل يوسف مِنْ جعله السقاية في رحل أخيه ، بـ ثُمَّ الدالّة على وقوع الأذان مباشرة بعده مما يشير إلى ترتيب هذا الأمر وأن يوسف هو الذي أمر المؤذن بذلك .

٢- أن المؤذن لم يكن له أن يؤذّن بذلك النداء حتى يرجع إلى يوسف ويخبره بفقد الصواع . فوقع نداؤه بعد علم يوسف عليه السلام ؛ إذ كان فتيانه لا يقطعون أمرًا دون علمه وإذنه وأمره .

٣- أنه يحتمل أن يكون مع إخوة يوسف غيرُهم ممن جاؤوا للميرة ، فحينئذ يكون في النداء فيهم خاصة دلالةٌ على أن يوسف هو الذي أمر المؤذن بذلك ، والله أعلم .

وأما سكوت القرآن عن الإخبار بأن يوسف – عليه السلام – هو الذي أمر المؤذن بذلك النداء فهو من أدب القرآن مع الأنبياء ، عليهم الصلاة والسلام ، والله تعالى أعلم .

---

(1) ينظر : المحرر الوجيز (٨/ ٢٦) .

(2) مفاتيح الغيب (٦/٤٨٧) . وتبعه الخازن في لباب التأويل (٣/٣٢) ، والقنّوجي في فتح البيان (٦/ ٣٧٣) .

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ خَلَصُوا۟ نَجِيًّا ۖ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُّمُونِى يُوسُفَ ۖ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾

٢٠- الخلاف في إعراب (مَا) من قوله تعالى : ﴿ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُّمْ فِي يُوسُفَ ﴾ .

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « تحتمل (مَا) وجوهًا : الأول : أن تكون زائدة . والثاني : أن تكون مصدرية ومحلُّها الرفع بالابتداء ، تقديره : وقع من قبل تفريطُكم في يوسف . والثالث : أن تكون موصولة ومحلّها أيضًا الرفع كذلك . والأول أظهر » [1] .

العرض والمناقشة :

استظهر ابن جُزَيّ أن (مَا) زائدة في قوله تعالى : ﴿ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُّمْ فِي يُوسُفَ ﴾ .

وهذا الوجْه جعله الزجاج أجودها [2]، وأبوحيان أحسنها [3]، والسمين أظهرها [4]، والشهاب أحسنها وأسلمها [5]. وعليه النحاس، والواحدي، والكرماني، والبيضاوي، والبقاعي، والسيوطي [6] . وصححه ابن عطية [7] . وبدأ به الزمخشري [8] .

وجوّزه الفراء، ومكي، والباقولي، والقرطبي، والشوكاني، والقنوجي، ومحي الدين

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١٢٥) .

(2) معاني القرآن وإعرابه (١٢٤/٣) . وينظر : زاد المسير (٢٦٧/٤) .

(3) ينظر : البحر المحيط (٥/ ٣٣٥) .

(4) ينظر : الدر المصون (٦/ ٥٣٩) .

(5) ينظر : حاشية الشهاب (١٩٩/٥) .

(6) ينظر : إعراب القرآن (٣٤٠/٢)، والوجيز (٥٥٦/١) والوسيط (٦٢٥/٢) ، وغرائب التفسير (٥٤٧/١) ، وأنوار التنزيل (٤٩٥/١) ، ونظم الدرر (١٩٢/١٠) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٧١/٤) .

(7) ينظر : المحرر الوجيز (٨/ ٤٣) .

(8) ينظر : الكشاف (٣١٣/٣) . وينظر أيضًا : الدر المصون للسمين (٥٣٩/٦) .

الدرويش [1] .

ونظيرها (مَا) في قوله تعالى : ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ ﴾ [النساء : ١٥٥ والمائدة : ١٣] .

قالوا : وزيادة (مَا) كثيرة .

وجعلوها زائدة لتحسين اللفظ ، و (مِنْ) متعلقة بالفعل وهو (فَرَّطتُمْ) ، فيكون المعنى : ومن قبل فرطتم في يوسف .

قال مكي : « يجوز أن تكون ﴿ مَا ﴾ زائدة وتكون ﴿مِنْ ﴾ متعلقة بـــ فَرَّطتُمْ تقديره: وفرطتم من قبل في يوسف . وفيه بُعْد ؛ للتفريق بين حرف العطف والمعطوف عليه. و﴿ قَبْلُ ﴾ مبنية لحذف ما أضيف إليه تقديره : ومن قبل هذا الوقت فرطتم في يوسف ».

وأما الوجه الثاني في ﴿ مَا ﴾ وهو أنها مصدرية محلُّها الرفع بالابتداء ، فهو اختيار الفراء ، والطاهر بن عاشور ، ومحي الدين الدرويش [2] . وصححه ابن عطية [3] .

وجوّزه ابن جرير الطبري ، والزجاج ، والباقولي ، والقرطبي ، والبيضاوي [4] .

وذكره النحاس ، والكرماني ، والشوكاني بصيغة (قيل) [5] .

قال مكي : « فإن جعلت ﴿ مَا ﴾ والفعل مصدرًا لم تتعلّق (مِنْ) بـــ فَرَّطتُمْ ؛ لأنك تقدم الصلة على الموصول ، لكن تتعلّق بالاستقرار ؛ لأن المصدر مرفوع بالابتداء وما قبله خبره ، وفيه نظر» [6] .

وأعلَّ هذا الوجَه أبوحيان بأن « هذه الظروف التي هي غايات إذا ثبتت لا تقع أخبارًا للمبتدأ . جرت أو لم تجر . تقول : يوم السبت مبارك والسفر بعده . ولا يجوز : والسفر

---

(1) ينظر : معاني القرآن (٥٣/٢) ومشكل إعراب القرآن (٣٩٣/١) وكشف المشكلات (٥٤٨/١) ، والجامعلأحكام القرآن (٤٢٢/١١) وفتح القدير (٦٣/٣) وفتح البيان (٣٨٣/٦) وإعراب القرآن الكريم وبيانه (٣٢/٥) .

(2) ينظر : معاني القرآن (٢/ ٥٣) ، والتحرير والتنوير (٣٩/١٣) ، وإعراب القرآن الكريم وبيانه (٣١/٥- ٣٢) .

(3) ينظر : المحرر الوجيز (٤٣/٨) .

(4) ينظر : جامع البيان (٢٨٦/١٣) ، ومعاني القرآن وإعرابه (١٢٤/٣- ١٢٥) ، وكشف المشكلات (٥٤٨/١) ، والجامع لأحكام القرآن (٤٢٢/١١) ، وأنوار التنزيل (٤٩٥/١) .

(5) ينظر : إعراب القرآن (٣٤٠/٢) ، وغرائب التفسير وعجائب التأويل (٥٤٧/١) ، وفتح القدير (٦٣/٣) .

(6) مشكل إعراب القرآن (١/ ٣٩٣) .

بعدُ ، وعمرو زيد خلفه ، ولا يقال : عمرو زيد خلفُ . وعلى هذا القول يكون تفريطكم مبتدأ ، ومِنْ قَبْلُ خبر ، وهو مبنيّ ، وذلك لا يجوز ، وهذا مقرر في علم العربية . ولهذا ذهب أبو علي إلى أن المصدر مرفوع بالابتداء، و﴿ فِي يُوسُفَ ﴾ هو الخبر ، أي : كائن أو مستقر في يوسف . والظاهر أن ﴿ فِي يُوسُفَ ﴾ معمول لقوله ﴿ فَرَّطتُمْ ﴾ لا أنه في موضع خبر » [1] .

وأما الوجه الثالث في ﴿ مَا ﴾ وهو أنها موصولة محلُّها الرفع بالابتداء ، فصححه ابن عطية[2].

وجوّزه البيضاوي ، ومحي الدين الدرويش [3] .

وذكره الشوكاني بصيغة (قيل) [4] .

واختار ابن جرير الطبري [5] أن تكون ﴿ مَا ﴾ مصدرية في موضع نصب عطفًا على ﴿ أَنَّ ﴾ ، والمعنى : ألم تعلموا أنَّ أباكم ... ، وتعلموا تفريطكم في يوسف .

ونُسِبَ اختيارُه إلى أبي البقاء العكبري [6] . وعلى هذا الوجْه أيضًا محمود النيسابوري، والقرطبي، والشوكاني، والقنوجي [7] . وجوّزه الفراء، والزجاج [8] .

وذكره النحاس ، والكرماني بصيغة (قيل) [9] .

قال مكي : « ويجوز أن تكون مِنْ متعلقة بـــ تَعْلَمُوٓاْ في قوله ﴿ أَلَمْ تَعْلَمُوٓاْ ﴾ فيكون

---

(1) البحر المحيط (٥/ ٣٣٦) .

(2) ينظر : المحرر الوجيز (٨/٤٤) .

(3) ينظر : أنوار التنزيل (١/٤٩٥) ، وإعراب القرآن الكريم وبيانه (٥/٣٢) .

(4) ينظر : فتح القدير (٣/ ٦٣) .

(5) ينظر : جامع البيان (١٣/ ٢٨٦) .

(6) ينظر : الدر المصون للسمين (٦/٥٤٢) ، والتبيان (٢/ ٧٤٢) .

(7) ينظر : وضح البرهان (١/٤٦٤) ، وإيجاز البيان (١/٣٥١) ، والجامع لأحكام القرآن (١١/٤٢٢) ، وفتح القدير (٣/٦٣) ، وفتح البيان (٦/ ٣٨٠) .

(8) ينظر : معاني القرآن (٢/٥٣) ، ومعاني القرآن وإعرابه (٣/١٢٥) .

(9) ينظر : إعراب القرآن (٢/٣٤١) ، وغرائب التفسير وعجائب التأويل (١/٥٤٧) .

﴿ مَا فَرَّطتُمۡ ﴾ مصدرًا في موضع نصب على العطف على ﴿ أَنَّ ﴾ والعامل ﴿ تَعۡلَمُوٓاْ ﴾ ، وفيه قُبْحٌ ؛ للتفريق بين حرف العطف والمعطوف بـــ ﴿ مِنۡ قَبۡلُ ﴾ ، وهو حَسَنٌ عند الكوفيين وقبيح عند البصريين »[1].

وأعلَّه أبوحيان فقال : « إنه ليس بجيد ؛ لأن فيه الفصل بالجار والمجرور بين حرف العطف الذي هو على حرف واحد وبين المعطوف فصار نظير " ضربت زيدًا وبسيفٍ عَمرًا " . وقد زعم أبو علي الفارسي أنه لا يجوز ذلك إلاّ في ضرورة الشعر »[2] .

وفي ﴿ مَا ﴾ غير ذلك من الأوجه، ذكرها كلَّها الزمخشري[3] وبدأ بما بدأ به ابن جُزَيّ .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن القول بزيادة " مَا " فيه نظر ؛ لأنه ليس في القرآن حرف زائد، وأما الأقوال الأخرى فكل قول منها له وجهه وبكلٍ قال طائفة من المفسرين والمعربين، والله تعالى أعلم .

---

(1) مشكل إعراب القرآن (١/٣٩٣) .

(2) البحر المحيط (٥/ ٣٣٦) .

(3) ينظر : الكشاف (٣/٣١٣) . وينظر أيضًا : الدر المصون للسمين (٦/٥٣٩- ٥٤٢) .

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ ٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمۡ فَقُولُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبۡنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدۡنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمۡنَا وَمَا كُنَّا لِلۡغَيۡبِ حَٰفِظِينَ ﴿٨١﴾ ﴾

في هذه الآية الكريمة مسألتان :

المسألة الأولى هي :

٢١- الخلاف في القائل : ﴿ ٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمۡ ﴾ الآية . هل هو كبيرهم أم يوسف ؟

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « من قول كبيرهم . وقيل : من قول يوسف ، وهو بعيد»[1].

العرض والمناقشة :

رجّح ابن جُزَيّ أن كبيرهم هو الذي قال لهم :﴿ ٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمۡ ﴾ الآية . واستبعد أن يكون من قول يوسف عليه السلام . ووافق ما رُوِيَ عن ابن إسحاق [2] .

وعليه مقاتل ، وابن جرير الطبري ، والسمرقندي ، والواحدي ، والبغوي ، وابن عطية ، والرازي ، والقرطبي ، والخازن ، والقمي ، وأبوحيان ، وابن كثير ، والثعالبي ، والبقاعي ، والشوكاني ، والقنّوجي ، والقاسمي ، والمراغي ، والسعدي ، والطاهر بن عاشور [3] .

ودليله السياق ، فإن الكلام لا يزال متصلاً بقيلِ أخيهم الكبير فالأَولى أن يكون له ، لا ليوسف .

وأما القول الآخر بأن قوله : ﴿ ٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمۡ ﴾ هو من قول يوسف ، فذكره

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١٢٥) .

(2) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢١٨٢/٧) رقم (١١٨٥٩) .

(3) ينظر : تفسير مقاتل (٣٤٧/٢) ، وجامع البيان (٢٨٧/١٣) ، وبحر العلوم (١٧٢/٢) ، والوجيز (٥٥٦/١) ، ومعالم التنزيل (٤٨٦/٢) ، والمحرر الوجيز (٤٥/٨) ، ومفاتيح الغيب (٤٩٣/٦) ، والجامع لأحكام القرآن (٤٢٥/١١) ، ولباب التأويل (٣٥/٣) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (١١٣/٤) ، والبحر المحيط (٣٣٧/٥) ، وتفسير القرآن العظيم (٦٢/٨) ، والجواهر الحسان (١٧٠/٢) ، ونظم الدرر (١٩٣/١٠) ، وفتح القدير (٦٤/٣) ، وفتح البيان (٣٨٣/٦) ، ومحاسن التأويل (٣٥٧٩/٩) ، وتفسير المراغي (٢٦/١٣) ، وتيسير الكريم الرحمان (٤٣١/٢) ، والتحرير والتنوير (١٣/ ٤٠) .

ابن عطية، وأبوحيان بصيغة (قيل) [1] .

إذا تقرر هذا فإن السياق [2] يدلُّ دلالةً واضحةً على أن القائل :﴿ ٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمۡ ﴾ هو كبيرهم إذْ لا يزال الكلام متصلاً بقِيلِهِ ، فالأَولى أن يكون له لا ليوسف عليه السلام والله تعالى أعلم .

(1) ينظر : المحرر الوجيز (٨/ ٤٥) ، والبحر المحيط (٥/ ٣٣٧) .

(2) ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين (١/ ١٢٥) .

المسألة الثانية هي :

٢٢- الخلاف في معنى قوله تعالى : ﴿ وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ ﴾ .

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « أَيْ : لا نعلم الغيب هل ذلك حقٌّ في نفس الأمر ، أم لا ؟ إذ يمكن أن يُدَسَّ الصُّواعُ في رَحْلِهِ من غير علمه . وقال الزمخشري : المعنى : ما شهدنا إلاّ بما علمنا من سرقته وتيقّناه ؛ لأن الصواع استخرج من وعائه ، ﴿ وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ ﴾ أي : ما علمنا أنه سيسرق حين أعطيناك الميثاق [1] . وقراءة (سَرَقَ) بالفتح تعضد قولَ الزمخشري . والقراءة بالضم [2] تعضد القول الأول » [3] .

العرض والمناقشة :

قدّم ابن جُزَيّ في معنى قوله تعالى : ﴿ وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ ﴾ القول بأن معناها : لا نعلم الغيب هل ذلك حَقٌّ في نفس الأمر أم لا ؟ وقال : والقراءة بالضم – "**سُرِّقَ** " – تعضده . وهذا القول هو معنى ما رُوِيَ عن ابن إسحاق [4] . ونسبه إليه ابن عطية، وابن الجوزي [5]. وعليه الجصاص، والواحدي، والعكبري، والثعالبي، والبقاعي، والشوكاني، والقنّوجي [6] . وقدّمه ابن عطية [7] .

---

(1) الكشاف (٣/ ٣١٤) .

(2) قرئ (**سُرِّقَ**) بضم السين وتشديد الراء المهملتين على وجْه ما لم يُسَمَّ فاعله . ينظر : القراءات الشاذة لابن خالويه (٦٥) وهي قراءة منسوبة إلى ابن عباس ، وأبي رزين ، والكسائي في رواية ، والضحاك . وينظر : معاني القرآن الكريم للنحاس (٤٥٢/٣) ، وجامع البيان لابن جرير الطبري (٢٨٧/١٣) ، والبحر المحيط لأبي حيان (٣٣٧/٥) ، والمحرر الوجيز لابن عطية (٤٥/٨) ، وإعراب القرآن للنحاس (٣٤١/٢) .

(3) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١٢٥- ١٢٦) .

(4) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٢٨٨/١٣) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١٨٢) رقم (١١٨٦١) و (٢١٨٣/٧) رقم (١١٨٦٥) من طريق سلمة ، عنه .

(5) ينظر : المحرر الوجيز (٤٦/٨) ، وزاد المسير (٢٦٨/٤) .

(6) ينظر : أحكام القرآن (٤/ ٣٩١ ، ٣٩٢) ، والوجيز (٥٥٦/١) والوسيط (٦٢٦/٢) ، والتبيان (٧٤٢/٢) ، والجواهر الحسان (١٧٠/٢) ، ونظم الدرر (١٩٣/١٠) ، وفتح القدير (٦٤/٣) ، وفتح البيان (٣٨٤/٦) .

(7) ينظر : المحرر الوجيز (٨/ ٤٦) .

وذكره السمرقندي بصيغة (يقال) [1] .

قال النحاس : « قال أبوحاتم : ذكر قوم " إن ابنك سُرِّقَ " قالوا : معناه : رُمِيَ بالسَّرَقِ ، كما يقال : ظُلِّمَ فلانٌ وخُوِّنَ . قال : ولم أسمع له إسنادًا . قال أبو جعفر [النحاس] : ليس نفيُه السماع بحجةٍ على من سمع . وقد رَوَى هذا الحرفَ غير واحدٍ منهم محمد بن سَعْدان النحوي في كتابه " كتاب القراءات " وهو ثقة مأمون ، وذكر أنها قراءة ابن عباس » [2] . اهـ .

ثم ذكر احتمالين في معناها : أحدهما : اتُّهِمَ بالسرقة ، والآخر : عُلِمَ منه السَّرقُ .

قال الزجاج : « وسُرِّقَ يكون على ضربين ، سُرّقَ : عُلِمَ أنه سَرَقَ ، وسُرِّقَ : اتُّهِمَ بالسَّرَقِ»[3].

وقال الفراء : « ويقرأ (**سُرِّقَ**) ولا أشتهيها ؛ لأنها شاذة »[4] . اهـ .

وكأنه يذهب إلى أنه لا يستحلُّ أن يُسَرَّق ولم يَسْرِق .

وقال الزمخشري : « ومن قرأ (**سُرِّقَ**) ، فمعناه : وما شهدنا إلاّ بقدر ما علمنا من التسريق ، وما كنا للغيب ؛ للأمر الخفي حافظين ، أسَرَقَ بالصحة أم دُسَّ الصَّاغُ في رحله ولم يشعر؟ »[5]

وأما القول الآخر الذي نقله ابن جُزَيّ عن الزمخشري وهو أن المعنى : وما شهدنا إلاّ بما علمناه وتيقناه من سرقته ؛ لأن الصواع استخرج من وعائه ، ﴿ **وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ** ﴾ أي : وما علمنا أنه سيسرق حين أعطيناك الميثاق ، فهو المرويُّ عن مجاهد [6]، وعكرمة [7]،

---

(1) ينظر : بحر العلوم (٢/ ١٧٣) .

(2) إعراب القرآن (٢/ ٣٤١) .

(3) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٢٥) .

(4) معاني القرآن (٢/ ٥٣) .

(5) الكشاف (٣/ ٣١٤) .

(6) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٣/ ٢٨٩- ٢٩٠) عنه قال : لم نعلم أنه سيسرق . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٥٦٦/٤) نسبته إلى ابن أبي شيبة ، وابن المنذر .

(7) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٢٨٩/١٣) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢١٨٣/٧) رقم (١١٨٦٣)

وقتادة [1]. ونُسِبَ إلى الحسن [2] ، ومكحول [3] .

وعليه ابن جرير الطبري، والسمرقندي، وابن أبي زمنين، ومكي، وابن الجوزي، والقرطبي، والنسفي، والخازن، وابن كثير، والسيوطي، والقاسمي، والمراغي، والسعدي [4] . وهو مفهوم كلام مقاتل [5] . واحتمله ابن عطية [6] .

وعضَّد ابن جُزَيّ هذا القول بقراءة (سَـرَقَ) بالفتح .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن قول الزمخشري ومن وافقه مِنْ أن معنى قوله تعالى : ﴿ وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَـٰفِظِينَ ﴾ أي : وما علمنا أنه سيسرق حين أعطيناك الميثاق ، هو الأَولى بالتقديم .

ويؤيده القراءة المتواترة لـــ (سَـرَقَ) بالفتح ، و (معنى القراءة المتواترة أولى بالصواب من معنى القراءة الشاذة) [7] . وهذا هو قول السلف ، واختيار الأكثر من المفسّرين ، والله تعالى أعلم .

عنه قال : ما كنا نعلم أن ابنك يسرق . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٥٦٦/٤) نسبته إلى أبي الشيخ .

(1) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣٢٧/٢) عن معمر ، عنه قال : ما كنا نظن أن ابنك يسرق . وأخرجه من طريق معمر ابن جرير الطبري في جامع البيان (٢٩٠/١٣) ومن طريق سعيد ، عنه . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢١٨٣/٧) رقم (١١٨٦٤) من طريق سعيد بن بشير ، عنه . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٥٦٦/٤) نسبته إلى أبي الشيخ .

(2) ينظر : أحكام القرآن للجصاص (٤/ ٣٩٢) .

(3) ينظر : زاد المسير لابن الجوزي (٤/ ٢٦٨) .

(4) ينظر : جامع البيان (٢٩٠/١٣) ، وبحر العلوم (١٧٣/٢) ، وتفسير القرآن العزيز (٣٣٦/٢) ، وتفسير المشكل (٢٠٦) ، وتذكرة الأريب (٢٦٧/١) ، والجامع لأحكام القرآن (٤٢٦/١١) ، ومدارك التنزيل (٢٣٤/٢) ، ولباب التأويل (٣٦/٣) ، وتفسير القرآن العظيم (٦٢/٨) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٧٢/٤) ، ومحاسن التأويل (٣٥٨٠/٩) ، وتفسير المراغي (٢٦/١٣) ، وتيسير الكريم الرحمان (٤٣١/٢) .

(5) ينظر : تفسير مقاتل (٢/ ٣٤٧) .

(6) ينظر : المحرر الوجيز (٨/ ٤٦) .

(7) قواعد الترجيح عند المفسرين (١/ ١٠٤) .

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾

٢٣- الخلاف في قوله تعالى : ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾ بين المجاز والحقيقة .

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « تقديره : واسأل أهلَ القريةِ ، وكذلك : أهلَ العيرِ. يعنون الرّفْقَةَ . هذا هو قول الجمهور . وقيل : المراد سؤال القرية بنفسها والعير بنفسها ، ولا يَبْعُدُ أن تخبره الجمادات ؛ لأنه نبيٌّ . والأول أظهر وأشهر على أنه مجاز » [1] .

العرض والمناقشة :

رجَّح ابنُ جُزَيّ القولَ بالمجاز في قوله تعالى : ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾ والتقدير : واسأل أهلَ القرية ، وأهلَ العيرِ . ففي الآية إضمار ، حذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه . ونَسَبَ هذا القول للجمهور متابعًا ابنَ عطية ، وأباحيان وهو كذلك .

وعلى هذا البخاري، وابن قتيبة، وابن جرير الطبري، والزجاج، والنحاس، والسمرقندي، وابن أبي زمنين، والماوردي، والواحدي، والسمعاني، والبغوي، والزمخشري، وابن عطية، وابن الجوزي، والعكبري، والقرطبي، والبيضاوي، والنسفي، والخازن، والقمي، وأبوحيان، والسمين، والبلنسي، والثعالبي، والسيوطي، وأبوالسعود، والشهاب، والشوكاني، والقنّوجي، والقاسمي، والمراغي، والطاهر بن عاشور، ومحي الدين الدرويش [2] .

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١٢٦) .

(2) ينظر : صحيح البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء ، بعد رقم ٣٤١١ ، وكتاب التفسير ، بعد رقم ٤٦٨٦) ، وتأويل مشكل القرآن (١٧٠، ٢٠٣، ٢١٠) ، وجامع البيان (١٣/٢٩٠-٢٩١) ، ومعاني القرآن وإعرابه (١٢٠/٣) ، وإعراب القرآن (٣٤١/٢) ، وبحر العلوم (١٧٣/٢) ، وتفسير القرآن العزيز (٣٣٦/٢) ، والنكت والعيون (٦٨/٣) ، والوجيز (٥٥٧/١) والوسيط (٦٢٦/٢) ، وتفسير القرآن (٥٦/٣) ، ومعالم التنزيل (٤٨٦/٢) ، والكشاف (٣١٤/٣) ، والمحرر الوجيز (٤٦/٨- ٤٧) ، وزاد المسير (٢٦٨/٤) ، والتبيان (٧٤٢/٢) ، والجامع لأحكام القرآن (٤٢٧/١١) ، وأنوار التنزيل (٤٩٥/١) ، ومدارك التنزيل (٢٣٤/٢) ، ولباب التأويل (٣٦/٣) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (١١٣/٤) ، والبحر المحيط (٣٣٧/٥)، والدر المصون (٥٤٤/٦) ، وتفسير مبهمات القرآن (٥٦/٢) ، والجواهر الحسان (١٧٠/٢) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٧٢/٤)، وإرشاد العقل السليم (١٣٣/٣) ، وحاشية الشهاب (٢٠٠/٥) ، وفتح القدير (٢٧/٣) ، وفتح البيان (٣٨٤/٦) ، ومحاسن التأويل (٣٥٨٠/٩) ، وتفسير المراغي (٢٧/١٣) ، والتحرير

قال ابن عطية : « هذا قول الجمهور وهو الصحيح » .

وقال أبوحيان : « الظاهر أن ذلك على إضمار أهل ... إلاّ إنْ أُريد بالعير القافلةُ فلا إضمار في قوله ﴿ وَٱلْعِيرَ ﴾ . وحذف المضاف هو قول الجمهور » .

وقال البلنسي : « والمجاز في القرآن وفي كلام العرب أكثر وأظهر من أن يستدل عليه».

وقال الدرويش : « مجاز مرسل ، إذ المراد أهلها ، والعلاقة : المحليّة ».

وقال الرازي : « وهذا النوع من المجاز [يعني : حذف المضاف للإيجاز والاختصار] مشهور في لغة العرب . قال أبو علي الفارسي : ودافع هذا في اللغة كدافع الضروريات وجاحد المحسوسات »[1] .

وقال السمين : « وهذا على خلاف في المسألة : هل الإضمار من باب المجاز أو غيره؟ المشهور أنه قسم منه وعليه أكثر الناس » .

واستُدِلَّ لهذا القول بكثرة حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه في القرآن [2] ،

كقوله تعالى : ﴿ مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَتْكَ ﴾ [محمد : ١٣] أي : أخرجك أهلُها .

وكقوله تعالى : ﴿ وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ ﴾ [البقرة : ٩٣] أي : حُبَّ العجلِ .

وكقوله تعالى : ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ ﴾ [التوبة : ١٩] أي : أجعلتم صاحب سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام ، كمن آمن ؟! أو: أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كإيمان من آمن بالله وجهاده ؟!

وكقوله تعالى : ﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴾ [العلق : ١٧] أي : أهلَه .

ومنه قول الهذلي :

يُمَشِّي بَيْننا حَانوتُ خَمْرٍ من الخُرْسِ الصَّرَاصِرَة القِطَاطِ [3]

والتنوير (١٣/٤٠) ، وإعراب القرآن الكريم وبيانه (٥/ ٣٥، ٣٧) .

(1) مفاتيح الغيب (٦/ ٤٩٥) .

(2) ينظر : تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة (٢١٠- ٢١٢) .

(3) البيت للمتنخل الهُذلي ، كما في ديوان الهذليين (٢١) . وقوله : من الخرس الصراصرة ، يريد أعجم من نبط الشأم يقال لهم : الصراصرة . والقطاط : الجعاد . والواحد : قطط ، وهو أشد الجحود . ينظر : اللسان

أراد : صاحبَ حانُوت خمر ، فأقام الحانوت مقامه .

ومنه قول كُثَيّر :

حُزِيَتْ لي بحَزْمِ فَيْدَةَ تُحْدَى كاليهوديّ مِنْ نَطاةِ الرِّقال [1]

أراد : كنخْلِ اليهوديّ من خيبر ، فأقامه مُقامها .

وأما القول بأن سؤال القرية هو على الحقيقة والمراد الجمادات ، وسؤال العير هو على الحقيقة والمراد الحيوانات ، وليس ببعيدٍ ذلك أن يراد ؛ لأنه نبيٌّ يمكن أن تخبره الجمادات والحيوانات ، فهو قولٌ منسوب لأبي بكر الأنباري [2] .

ونسبه ابن عطية لفرقة واستبعده [3] . وذكره الماوردي ، والشوكاني بصيغة (قيل) [4] .

قال العكبري : « وجاز حذف المضاف ؛ لأن المعنى لا يلتبس . وأما قوله تعالى : ﴿ وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِيٓ ﴾ فيراد بها الإبل ، فعلى هذا يكون المضاف محذوفًا أيضًا ، أي : أصحاب العير . وقيل : العيرُ القافلةُ، وهم الناس الراجعون من السفر ، فعلى هذا ليس فيه حذف »[5] .

وجُوِّزَ هذا القولُ ؛ لأنه نبيٌّ ، والأنبياء قد سخر لهم الجماد والحيوان بما يحدث فيهم من المعرفة إعجازًا لأنبيائه ، فأحالوه على سؤال القرية والعير ؛ ليكون أوضح برهانًا .

وردّه الشهاب بأنه ليس مرادًا ولا يقتضيه المقام ؛ لأنه ليس بصدد إظهار المعجزة [6] .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن الصواب في هذه الآية الكريمة أنها على الحقيقة وليس فيها مجاز ، وبيان ذلك من ثلاثة أوجه :

(٣٨٠/٧) مادة (قطط) .

(1) ديوان كثير (١٤٥/١) . حُزِيَتْ : رفعت . وحَزْمُ فيدة : موضع . ينظر : معجم البلدان (٣٢١/٤) (فيدة) . وفيه: كاليهودي : كتحدّي اليهودي . ونطاة : خيبر ، والرقال : جمع رقلة ، وهي النخلة الطويلة . وينظر : اللسان (٢٩٣/١١) مادة (رقل) .

(2) ينظر : زاد المسير لابن الجوزي (٢٦٨/٤) ، ومفاتيح الغيب للرازي (٤٩٥/٦) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان للقمي (١١٣/٤) .

(3) ينظر : المحرر الوجيز (٨/ ٤٧) .

(4) ينظر : النكت والعيون (٦٨/٣) ، وفتح القدير (٣/ ٦٤) .

(5) التبيان (٢/ ٧٤٢) .

(6) ينظر : حاشية الشهاب (٥/ ٢٠٠) .

الأول : أن إطلاق القرية وإرادة أهلها أسلوب عربي جاء به القرآن . فليس من المجاز في شئ بل هو حقيقة في ذلك ، ومنه :

- قوله تعالى : ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ ﴾ [يونس : ٩٨].
- وقوله تعالى : ﴿ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ﴾ [الأنبياء : ٧٤] .
- وقوله تعالى : ﴿ وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ [الأنبياء : ٩٥].
- وقوله تعالى : ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِىَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَتْكَ ﴾ [محمد : ١٣].
- وقوله تعالى : ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا ﴾ [الطلاق : ٨].
- وقوله تعالى : ﴿ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴾ [الكهف : ٥٩] .

والمراد بالقرية في هذه الآيات أَهلُها ، وهو بَيِّنٌ ظاهر بدليل قوله تعالى :

﴿ قَالُوٓا۟ إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ﴾ [العنكبوت : ٣١] .

﴿ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ [العنكبوت : ٣٤] .

﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾ [القصص: ٥٨] .

وقوله تعالى عن قوم عادٍ : ﴿ تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا۟ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ ﴾ [الأحقاف : ٢٥] . ثم قال بعدها لأهل مكة : ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الأحقاف : ٢٧].

وهذا كثير في القرآن يطلق القرية ويريد أهلها وسكانها لا مساكنها وجدرانها وما فيها من جمادات .

الثاني : أن المضاف المحذوف كأنه مذكورٌ ؛ لأنه مدلولٌ عليه بالاقتضاء ، وتغيير الإعراب عند الحذف من أساليب اللغة العربية أيضًا .

قال ابن مالك :

وما يلي المضافَ يأتي خَلَفَا عنه في الإعراب إذا ما حُذِفَا[1]

فقوله : ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾ من المدلول عليه بالاقتضاء ، وأنه ليس من المجاز عند جمهور الأصوليين القائلين بالمجاز في القرآن ، وأحْرى غيرهم ، مع أن حدّ المجاز لا يشملُها ؛ لأن القرية مستعملة في معناها الحقيقي ، وإنما جاءها المجاز – عند القائل به – من قبل النقص المؤدي لتغيير الإعراب . وليس بمجاز ؛ لأن إعرابَ المضاف إليه إعرابَ المضاف إذا حذف من أساليب اللغة العربية [2] .

الثالث : أن العير لا يراد بها البهائم من الإبل ونحوها بل يراد بها القافلة ، وهم الناس الراجعون من السفر ، بدليل قوله تعالى : ﴿ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَـٰرِقُونَ ﴾ [يوسف : ٧٠] .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإنه يقال : المراد بالقرية في الآية أهلُها ، والمراد بالعير القافلةُ ، وهذا استعمال حقيقي في محلّه وليس من المجاز في شئ ، وهو أسلوب عربي جاء به القرآن الكريم. ويؤيد هذا من القواعد الترجيحية قاعدة : (حمل معاني كلام الله على الغالب من أسلوب القرآن ومعهود استعماله أَولى) [3] وقاعدة : (يجب حمل نصوص الوحي على الحقيقة)[4] .

وأما القول بأن المراد بسؤال القرية هو سؤال جماداتها ومساكنها ، وبسؤال العير هو سؤال الحيوان البهيم ، فليس بظاهر بل هو بعيد وغير مراد ، وإن كان في نفس الأمر ليس ببعيد من أن يكلم الجمادُ والحيوانُ نبيًّا من أنبياء الله تعالى – عليهم السلام – كما ثبت في صحيح البخاري [5] حنينُ الجِذْعِ الذي كان يخطب عليه نبينا صلى الله عليه وآله وسلم ، وكما ثبت في صحيح مسلم [6] أنه صلى الله عليه وسلم قال : (إني أعرف حَجَرًا كان

---

(1) ينظر : شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك (٣/٧٥) .

(2) ينظر : منع جواز المجاز في المترل للتعبّد والإعجاز للشنقيطي (٢٧ – ٢٨) .

(3) قواعد الترجيح عند المفسرين (١/ ١٧٢) .

(4) المصدر السابق (٢/ ٣٨٧) .

(5) صحيح البخاري ، كتاب المناقب ، باب علامات النبوة في الاسلام ، برقم (٣٥٨٣) من حديث ابن عمر ، وبرقم (٣٥٨٤) من حديث جابر ، وبرقم (٣٥٨٥) من حديث أنس .

(6) صحيح مسلم ، كتاب الفضائل ، باب فضل نسب النبي صلى الله عليه وسلم ، وتسليم الحجر عليه قبل النبوة ،

يُسلِّم عَلَيَّ في مكة) . وأمثال هذا كثيرة جدًا . لكن في الآية الكريمة ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ﴾ ليس ذلك مرادًا ؛ لأنه ليس بصدد إظهار المعجزة والآية على النبوّة ، والله تعالى أعلم .

برقم (٢٢٧٧) من حديث جابر بن سمرة .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ (٨٨) ﴾

٢٤- الخلاف في المراد بالبضاعة المزجاة .

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « ﴿ بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ ﴾ : يعنون الدَّراهم التي جاؤوا بها لشراء الطعام . والمزجاة : القليلة . وقيل : الرديئة . وقيل : الناقصة . وقيل : إن بضاعتهم كانت عُرُوضًا فلذلك قالوا هذا »[1] .

العرض والمناقشة :

حكى ابن جُزَيّ الخلاف في البضاعة على قولين اثنين :

الأول : أنها كانت دراهم . ورجّحه ابن جُزَيّ بتقديمه له . ووافق في هذا ما رُوِيَ عن ابن عباس[2]، ومجاهد[3]، وعكرمة[4]، وسعيد بن جبير[5]، والسدّي[6]، وعطية[7] .

وعلى هذا مقاتل ، والفراء ، وابن جرير الطبري ، والسمرقندي ، والواحدي ، والسمعاني ، والبغوي ، وابن عطية ، والرازي ، والثعالبي ، والسيوطي ، والقاسمي [8] .

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١٢٦- ١٢٧) .

(2) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣١٨/١٣) بالإسناد المسلسل بالعوفيين . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢١٩١/٧) رقم (١١٩١٨) من طريق أبي روق ، عن الضحاك ، عنه . ورقم (١١٩٢٢) من طريق عكرمة ، عنه .

(3) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٣/ ٣٢٣) .

(4) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣١٨/١٣- ٣١٩ ، ٣٢٣) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢١٩١/٧) رقم (١١٩٢٣) .

(5) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢١٩٢/٧) رقم (١١٩٣١) .

(6) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٣/ ٣٢٣) .

(7) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٢١/١٣) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢١٩٢/٧) رقم (١١٩٢٥) .

(8) ينظر : تفسير مقاتل (٣٤٩/٢) ، ومعاني القرآن (٥٥/٢) ، وجامع البيان (٣١٦/١٣) ، وبحر العلوم (١٧٤/٢)، والوجيز (٥٥٨/١) ، وتفسير القرآن (٦٠/٣) ، ومعالم التنزيل (٤٩١/٢) ، والمحرر الوجيز (٦٢/٨) ، ومفاتيح الغيب (٥٠٣/٦) ، والجواهر الحسان (١٧٢/٢) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٧٨/٤) ، ومحاسن التأويل (٣٥٨٥/٩) .

ونُسِبَ إلى أبي عبيد [1] . وذكره الزمخشري بصيغة (قيل) [2] .

والثاني : أنها كانت عُرُوضًا . واختلفوا في تعيينها على أقوال :

- كانت سمنًا وصوفًا . قاله عبد الله بن الحارث . وعليه أبوالسعود [3] .

- كانت قديد وحْش . قاله علي بن أبي طالب .

- كانت الصنوبر والحبّة الخضراء . قاله أبو صالح ، وزيد بن أسلم . قال ابن عطية : وهي الفُسْتُق .

- كانت المُقْل [4] .

- كانت القطن .

- كانت الحبال والأعْدال والأقْتاب [5] .

ذكرها كلَّها ابن عطية بصيغة (قيل) [6] .

والقول بأنها كانت عروضًا ذكره أيضًا أبوحيان ، والثعالبي بصيغة (قيل) [7] .

وذكر القولين جميعًا بصيغة (قيل) : البيضاوي ، والنسفي ، والقمي [8] .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن هذين القولين في البضاعة لا مرجّح لأحدهما على الآخر ؛ لجواز إطلاق البضاعة عليهما معًا ؛ فإن البضاعة هي القطعة من المال يقصد بها شراء شئ . تقول : أبضعت الشئ ، واستبضعته ؛ أي : جعلته بضاعةً [9] .

---

(1) ينظر : الوسيط للواحدي (٢/٦٣٠) ، وتهذيب اللغة للأزهري (١١/ ١٥٥) .

(2) ينظر : الكشاف (٣/ ٣٢٠) .

(3) ينظر : إرشاد العقل السليم (٣/ ١٣٥) .

(4) المُقْل – بضم الميم وسكون القاف – هو : حَمْل الدَّوْم ، واحدته مُقْلة ، والدَّوْمُ شجرة تشبه النخلة في حالاتها . ينظر : لسان العرب (١١/٦٢٨ مقل) .

(5) الأعدال : الأحمال المتساوية من المتاع ، يقال : عدل الأمتعة : جعلها أعدالا متساوية لتحمل . والأقتاب : جمع قَتَب ، وهو الرَّحلُ الصغير على قَدْر سنام البعير . ينظر : لسان العرب (١١/٤٣٣ عدل ، ١/٦٦١ قتب) .

(6) ينظر : المحرر الوجيز (٨/ ٦٢- ٦٣) .

(7) ينظر : البحر المحيط (٥/ ٣٤٠) ، والجواهر الحسان (٢/ ١٧٢) .

(8) ينظر : أنوار التنزيل (١/ ٤٩٧) ، ومدارك التنزيل (٢/ ٢٣٥) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٤/ ١٢٠).

(9) ينظر : المحرر الوجيز لابن عطية (٨/ ٦٠) ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١١/ ٤٣٨ ، ٤٣٩) .

فإذا كان ذلك كذلك فإن الدراهم يطلق عليها بضاعة ، وكذلك العُروض يطلق عليها بضاعة بل حتى العبد يطلق عليه بضاعة ، ألا ترى إلى قول الله تعالى في يوسف عليه السلام : ﴿ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً ﴾[يوسف : ١٩] . ولا دليل على التعيين فوقع الخلاف ، فوجب السكوت عن تعيينها ماذا كانت ؛ لسكوت القرآن عن بيان ذلك فانعدم الدليل ، والله تعالى أعلم .

ثم إن ابن جُزَيّ حكى الخلاف في " المزجاة " على ثلاثة أقوال :

الأول : أنها القليلة . ورجّحه ابن جُزَيّ بتقديمه له .

ووافق في هذا ما رُوِيَ عن مجاهد[١]، وعكرمة[٢]، وقتادة[٣]، وإبراهيم النخعي[٤]، وعبد الله بن الحارث [٥]، وابن إسحاق[٦]، والحسن[٧]، وابن زيد[٨] .

وعلى هذا أبوعبيدة، والزجاج، والسمرقندي، وابن أبي زمنين، والراغب، ومكي، وابن العربي، ومحمود النيسابوري، وابن الجوزي، وابن كثير، والقاسمي، والسعدي، والطاهر ابن عاشور[٩] .

---

(1) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٣/ ٣٢١، ٣٢٢) .

(2) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١٩٢) عقب الأثر (١١٩٢٦) . وزاد السيوطي نسبته في الدر المنثور (٥٧٦/٤) إلى سعيد بن منصور ، وابن المنذر ، وأبي الشيخ .

(3) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٣٢٨) ، وابن جرير الطبري في جامع البيان (١٣/ ٣٢٣) من طريق معمر، عنه . وأخرجه ابن جرير أيضًا من طريق سعيد ، عنه .

(4) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٢٠/١٣) . وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١٩٢) عقب الأثر (١١٩٢٦) .

(5) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٣/ ٣١٩) .

(6) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٣/ ٣١٦ ، ٣٢٣) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١٩٢) رقم (١١٩٢٧) .

(7) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٣/ ٣٢٠ ، ٣٢١) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١٩٢) رقم (١١٩٢٦) .

(8) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٣/ ٣٢٣) .

(9) ينظر : مجاز القرآن (١/ ٣١٧) ، ومعاني القرآن وإعرابه (١٢٧/٣) ، وبحر العلوم (١٧٤/٢) ، وتفسير القرآن العزيز (٣٣٨/٢) ، ومفردات ألفاظ القرآن (٣٧٨) مادة (زجا) ، وتفسير المشكل (٢٠٧) ، وأحكام القرآن (١١٠٥/٣) ، ووضح البرهان (٤٦٦/١) ، وإيجاز البيان (٣٥٢/١) ، وتذكرة الأريب (٢٦٧/١) ، وتفسير

والقول الثاني في المزجاة : أنها الرديئة .

رُوِيَ هذا عن ابن عباس [1] ، ومجاهد [2] ، وعكرمة [3] ، وسعيد بن جبير [4] .

وعليه ابن جرير الطبري ، وأبو عبيد ، والواحدي ، والسمعاني ، والخازن ، وأبوحيان، وابن التركماني ، والسيوطي ، والمراغي [5] .

وذكره مكي بصيغة (قيل) [6] .

والقول الثالث في المزجاة : أنها الناقصة .

روي أيضًا عن عكرمة [7] ، وسعيد بن جبير [8] . واختاره ثعلب [9] .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن المُزْجَاة أصلها من التَّزْجيَة وهي الَدَّفْعُ والسَّوْقُ ، يقال : فلان يُزْجي العِيسَ أي : يَدْفَعْ ، والمعنى : أنها بضاعة تُدْفَعُ ، ولا يقبلها كُلُّ أحد [10] .

ومنه : إزجاء السحاب ، والريح تزجي السحاب . قال الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ

القرآن العظيم (٦٠/٨) ، ومحاسن التأويل (٩/ ٣٥٨٥) ، وتيسير الكريم الرحمان (٤٣٣/٢) ، والتحرير والتنوير (٤٦/١٣) .

(1) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣١٧/١٣) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢١٩١/٧) رقم (١١٩٢٢) من طريق عكرمة ، عنه قال : رديئة زُيوفٌ ، لا تَنْفُقُ حتى يُوضَعَ منها .

(2) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٢٣/١٣) قال : الدراهم الرذال .

(3) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٣/ ٣١٩ ، ٣٢٣) .

(4) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٣/ ٣٢٠ ، ٣٢٢) .

(5) ينظر : جامع البيان (٣٢٣/١٣- ٣٢٤) ، والوسيط للواحدي (٦٣٠/٢) ، وتفسير القرآن (٦٠/٣) ، ولباب التأويل (٣٩/٣) ، والبحر المحيط (٥/ ٣٤٠) ، وبهجة الأريب (٢٨٩/١) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٧٨/٤) ، وتفسير المراغي (١٣/ ٣١) .

(6) ينظر : تفسير المشكل (٢٠٧) .

(7) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٣/ ٣٢٢) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢١٩٢/٧) رقم (١١٩٣١).

(8) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٣/ ٣١٩ ، ٣٢٣) .

(9) ينظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١١/ ٤٣٨) .

(10) ينظر : معاني القرآن الكريم للنحاس (٣/ ٤٥٥) . وتأتي أيضًا : فلان يزجي العيش ، أي : يدفع الزمان بالحيلة، ويدفع بالقليل ويكتفي به . ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١٢٧/٣- ١٢٨) ، ومفاتيح الغيب للرازي (٥٠٣/٦) .

﴿ يُزْجِي سَحَابًا ﴾ [النور : ٤٣] .

قال ابن جرير الطبري : « وأصل الإزجاء السوقُ بالدفع . كما قال النابغة الذُّبيانيّ :

وهَبَّتِ الريحُ من تلقاء ذي أُرُلٍ تُزْجي مع الليل من صُرَّادِها صِرَما [1]

يعني : تسوق وتدفع . ومنه قول أَعشى بني ثعلبة :

الواهب المائةَ الهجانَ وعبدها عُوذًا تُزَجّي خَلْفَها أَطْفَالَها [2]

وقول حاتم :

لِيَبْكِ على مِلْحانَ ضَيْفٌ مُدَفَّعٌ وأَرْمَلةٌ تُزْجي مع الليل أَرْمَلا [3]

يعني : أنها تسوق بين يديها ، على ضعفٍ منه عن المشي وعجزٍ . ولذلك قيل : ﴿ بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ ﴾ ؛ لأنها غير نافقة ، وإنما تُجَوَّزُ تجويزًا على دفْعٍ من آخذيها » [4] . اهـ.

وهذا هو الصواب في معنى " المزجاة " ، أن البضاعة التي جاؤوا بها لشراء الطعام كانت مزجاةً أي : مدفوعة يدفعها كل تاجر ؛ رغبةً عنها واحتقارًا لها ، ولا يقبلها كل أحد .

وإلى هذا القول الصحيح في معنى المزجاة يذهب الزمخشري ، وابن عطية ، والرازي ، والقرطبي ، والبيضاوي ، والنسفي ، والقمي ، وأبوحيان ، وابن التركماني ، والسمين، والثعالبي، والسيوطي ، وأبوالسعود ، والشوكاني ، والقنوجي ، والمراغي ، والسعدي ، والدرويش [5] .

---

(1) ديوانه (١٠٧) . وأُرُل : جبل بأرض غطفان . ينظر : معجم البلدان (٢١٠/١) . والصراد : سحاب بارد تسفره الريح أو سحاب بارد ندي ليس فيه ماء . ينظر : اللسان (ص ر د) . والصَّرَمُ : جمع صِرْمَة : هي القطعة من السحاب . ينظر : اللسان (ص ر م) .

(2) ديوانه (٢٩) . والهجان من الإبل : البيض الكرام . ينظر : اللسان (هجن) . والعوذ : جمع عائذ : هي حديثة النتاج من الإبل والظباء والخيل . ينظر : اللسان (عوذ) .

(3) ديوانه (٢٨٢) . ورجل أرمل وامرأة أرملة : محتاجة .

(4) جامع البيان (١٣/ ٣١٦- ٣١٧) .

(5) ينظر : الكشاف (٣٢٠/٣) ، والمحرر الوجيز (٦٠/٨) ، ومفاتيح الغيب (٥٠٣/٦) ، والجامع لأحكام القرآن (٤٣٨/١١) ، وأنوار التنزيل (٤٩٧/١) ، ومدارك التنزيل (٢٣٥/٢) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (١٢٠/٤)، والبحر المحيط (٣٣٩/٥) ، وبهجة الأريب (٢٨٩/١) ، والدر المصون (٥٥٠/٦) ، والجواهر الحسان (١٧٢/٢) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٧٨/٤) ، وإرشاد العقل السليم (١٣٥/٣) ، وفتح

فإذا كان ذلك كذلك فالصواب أن يقال : إنها كانت بضاعةً تساق سوقًا وتدفع دفعًا ولا يقبلها كل أحد إلاّ على تجوّز ؛ لرداءتها أو لقلتها أو لنقصانها أو لذلك كلِّه، والله أعلم .

أما ماذا كانت ؟ فالله تعالى أعلم ولا يصح تعيين شئ من ذلك ؛ لعدم الدليل ، ولا يصحّ حمل الآية على تفسيرات وتفصيلات لأمور مغيبة لا دليل عليها من القرآن أو السنة[1]. والله تعالى أعلم .

القدير (٦٨/٣)، وفتح البيان (٣٩٢/٦) ، وتفسير المراغي (٣١/١٣) ، وتيسير الكريم الرحمان (٤٣٣/٢) ، وإعراب القرآن الكريم وبيانه (٥/ ٤٦) .

(1) ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين (١/ ٢٢٥) .

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِي قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٩٠ ﴾

٢٥- الخلاف في مَعْنَى ﴿يَتَّقِ وَيَصْبِرْ﴾ .

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « قيل : إنه أراد من يتق في ترك المعصية ، ويصبر على السجن . واللفظ أعم من ذلك » [1] .

العرض والمناقشة :

رجَّح ابن جُزَيّ القول بالعموم في معنى : ﴿يَتَّقِ وَيَصْبِرْ﴾.

ورُوِيَ عن ابن عباس عدّة أقوال فيها تدل على أنها يرى العموم :

١- من يتق الزنى ويصبر على البلاء .

٢- من يتق الزنى ويصبر على العزبة .

٣- من يتق الله ويصبر على المصائب [2] .

وممن نصّ على العموم من المفسّرين ابنُ عطية ، وأبوحيان، والقنّوجي[3]. وهو مفهوم كلام ابن جرير الطبري ، والسمرقندي ، والواحدي ، والزمخشري ، والقرطبي ، والبيضاوي والقمي ، وأبوالسعود ، والشوكاني ، والقاسمي ، والمراغي ، والسعدي [4] .

وقريبٌ من هؤلاء : السمعاني ، والبغوي ، والرازي [5] .

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١٢٧) .

(2) ينظر : معالم التنزيل للبغوي (٢/ ٤٩٣) ، وزاد المسير لابن الجوزي (٤/٢٨١- ٢٨٢) ، والدر المنثور للسيوطي (٤/٥٧٧) . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/٢١٩٤) رقم (١١٩٤٢) عن إبراهيم النخعي .

(3) ينظر : المحرر الوجيز (٨/٦٧) ، والبحر المحيط (٥/٣٤٢) ، وفتح البيان (٦/٣٩٤) .

(4) ينظر : جامع البيان (١٣/٣٢٨) ، وبحر العلوم (٢/١٧٥) ، والوجيز (١/٥٥٩) ، والكشاف (٣/٣٢٢) ، والجامع لأحكام القرآن (١١/٤٤٣) ، وأنوار التنزيل (١/٤٩٧) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٤/١٢٢)، وإرشاد العقل السليم (٣/١٣٧) ، وفتح القدير (٣/٧١) ، ومحاسن التأويل (٩/٣٥٨٨) ، وتفسير المراغي (١٣/٣٥) ، وتيسير الكريم الرحمان (٢/ ٤٣٤) .

(5) ينظر : تفسير القرآن (٣/٦٢) ، ومعالم التنزيل (٢/٤٩٣) ، ومفاتيح الغيب (٦/٥٠٥) .

واستدلّوا بعموم اللفظ وعدم التخصيص ، فالأحسن والأَولى أن لا تُخَصَّ التقوى بحالٍ ولا الصبرُ . وأما ما ذكر من تخصيصات كترك معصية الزنى خاصّة ، والصبر على السجن خاصّة – مثلاً – فهي بحسب حالة يوسف ونوازله ، ولو فرض نزول غيرها به لاتقى وصبر .

وأما القول بتخصيص التقوى بحال ترك المعصية ، والصبر على السجن ، فهو قول منسوب إلى مجاهد [١] . ومفهوم كلام مقاتل [٢] . واحتمله الماوردي [٣] .

وذكره القنّوجي بصيغة (قيل) [٤] .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن الأحسن هو القول بالعموم ؛ لاقتضاء اللفظ ذلك . ويؤيده القاعدة الترجيحية : (يجب حمل نصوص الوحي على العموم) [٥] . والله تعالى أعلم .

---

(1) ينظر : معالم التنزيل للبغوي (٤٩٣/٢) ، والمحرر الوجيز لابن عطية (٦٧/٨) ، وزاد المسير لابن الجوزي (٢٨٢/٤)، ولباب التأويل للخازن (٤٠/٣) .

(2) ينظر : تفسير مقاتل (٢/ ٣٤٩) .

(3) ينظر : النكت والعيون (٣/ ٧٥) .

(4) ينظر : فتح البيان (٦/ ٣٩٤) .

(5) قواعد الترجيح عند المفسّرين (٢/ ٥٢٧) .

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾

٢٦- الخلاف في الوقف على ﴿ ٱلْيَوْمَ ﴾ من قوله تعالى :

﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾ .

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « وقوله : ﴿ ٱلْيَوْمَ ﴾ راجع إلى ما قبله فيوقف عليه. وهو يتعلّق بالتثريب أو بالمقدّر في (عَلَيْكُمُ) من معنى الاستقرار . وقيل : إنه يتعلّق بـ يَغْفِرُ ، وهذا بعيد ؛ لأنه تحكم على الله ، وإنما يَغْفِرُ دعاء ، فكأنه أسقط حقّ نفسه بقوله : ﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ﴾ ثم دعا إلى الله أن يغفر لهم حقّه » [1] .

العرض والمناقشة :

رجَّح ابن جُزَيّ تعلّق ﴿ ٱلْيَوْمَ ﴾ بما قبله إما بالتثريب أو بالمقدّر في (عَلَيْكُمُ) من معنى الاستقرار . وعلى هذا فيوقف عليه ثم يبتدئ القراءة : ﴿ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾ . وعلى هذا معنى ما روى أبو صالح ، عن ابن عباس قال : لا أعيّركم بعد اليوم بهذا أبدًا [2] . ونحوه عن ابن إسحاق [3] ، والسدّي [4] ، وسفيان [5] .

قال ابن قتيبة : « لا تعيير عليكم بعد هذا اليوم بما صنعتم . وأصل التثريب : الإفساد»[6].

ولم يجوّز مكي تعلّق ٱلْيَوْمَ بالتثريب وقال : « لأنه يصير من تمامه وقد بُنِيَ

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١٢٧) .

(2) زاد المسير لابن الجوزي (٤/ ٢٨٢- ٢٨٣) .

(3) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٣١/١٣) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١٩٥) رقم (١١٩٤٨).

(4) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٣/ ٣٣١) .

(5) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١٩٥) رقم (١١٩٤٩) .

(6) زاد المسير لابن الجوزي (٤/ ٢٨٢- ٢٨٣) .

﴿ تَثْرِيبَ ﴾ على الفتح ، ولا يجوز بناء الاسم قبل تمامه ، لكن تنصب ٱلْيَوْمَ على الظرف وتجعله خبرًا لـــ تَثْرِيبَ و ﴿ عَلَيْكُمُ ﴾ صفة لـــ تَثْرِيبَ . وعَلَى متعلّقةٌ بمضمر هو صفة لـــ تَثْرِيبَ في الأصل تقديره : لا تثريب ثابت عليكم اليومَ ، فتنصب ٱلْيَوْمَ على الاستقرار »[1] .

وتبعه الكرماني [2] .

وقال العكبري : « ولا يجوز أن تتعلّق " على " بـــ تَثْرِيبَ ، ولا نَصْبُ ٱلْيَوْمَ به ؛ لأن اسم ﴿ لَا ﴾ إذا عمل ينوّن »[3] .

وقال أبوحيان : « ولا يجوز أن يتعلّق ٱلْيَوْمَ بـــ التثريب ؛ لأن التثريب مصدر وقد فصل بينه وبين معموله بقوله (عَلَيْكُمُ) ، و عَلَيْكُمُ إما أن يكون خبرًا أو صفة لـــ تَثْرِيبَ، ولا يجوز الفصل بينهما ؛ لأن معمول المصدر من تمامه ، وأيضًا لو كان ٱلْيَوْمَ متعلقًا بـــ تَثْرِيبَ لم يجز بناؤه وكان يكون من قبيل المشبَّه بالمضاف ... فكان يكون معربًا منونًا . ولذلك وقف على قوله (ٱلْيَوْمَ) أكثر القراء وابتدأوا بـــ (يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ) على جهة الدعاء . وهو تأويل ابن إسحاق، والطبري »[4] .

وقال الدرويش : « و ٱلْيَوْمَ ظرف متعلّق بمحذوف خبر ثان أو بمتعلّق الخبر وهو (عَلَيْكُمُ) وعلى كلٍ فالوقف عليه . ولا يجوز تعليق الظرف بالمصدر وهو التثريب ؛ لأنه يصير شبيهًا بالمضاف ومتى كان كذلك أعرب ونون نحو : لا خيرًا من زيد عندك. والعجب من الزمخشري إذ أجاز تعليق الظرف بالتثريب وهي زَلَّة لا أدري كيف وقع فيها؟!

---

(1) مشكل إعراب القرآن (١/ ٣٩٤) .

(2) ينظر : غرائب التفسير وعجائب التأويل (٥٥١/١) . وينظر أيضًا : كشف المشكلات للباقولي (٥٤٩/١) .

(3) التبيان (٢/ ٧٤٥) .

(4) البحر المحيط (٥/ ٣٤٣) . وينظر : الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٥٥٤- ٥٥٥) .

ومن جهة ثانية : فصل بينه وبين معموله على حدِّ قوله بقوله ﴿ عَلَيۡكُمُ ﴾ [1] .

وعلى هذا القول – وهو الوقف على ﴿ ٱلۡيَوۡمَ ﴾ وتعلّقه بما قبله – الأخفش ، والنحاس ، وابن عطية ، والعكبري ، والقرطبي ، والقمي ، وأبوحيان ، وابن كثير ، والسيوطي ، والقاسمي ، والمراغي ، والدرويش [2] . وهو مفهوم كلام ابن جرير الطبري ، والسمرقندي ، والواحدي ، والسمعاني ، والبغوي ، ومحمود النيسابوري ، والثعالبي ، والبقاعي [3] . وقدّمه الزمخشري ، والشوكاني [4] .

قال ابن عطية : « وهذا الوقف أرجح في المعنى ؛ لأن الآخر فيه تحكم على مغفرة الله، اللهم إلاّ أن يكون ذلك بوحي »[5] .

وتبعه القرطبي وقال : « وفي معناه : قول النبي صلى الله عليه وسلم لقريش يوم فتح مكة: (لا تثريب عليكم اليوم) »[6] .

وأما القول الآخر ، وهو تعلّق اليوم بيغفر ، فجوّزه أبوعلي الفارسي [7] ، ومحي الدين

---

(1) إعراب القرآن الكريم وبيانه (٥/ ٤٨) .

(2) ينظر : معاني القرآن (٢/ ٣٦٨) ، وإعراب القرآن (٣٤٤/٢) ، ومشكل إعراب القرآن (٣٩٤/١) ، والمحرر الوجيز (٧٠/٨) ، والتبيان (٧٤٥/٢) ، والجامع لأحكام القرآن (٤٤٤/١١) ، وغرائب التفسير وعجائب التأويل (١٢٢/٤) ، والبحر المحيط (٣٤٣/٥) ، وتفسير القرآن العظيم (٦٩/٨) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٨٠/٤) ، ومحاسن التأويل (٣٥٨٩/٩) ، وتفسير المراغي (٣٥/١٣) ، وإعراب القرآن الكريم وبيانه (٤٨/٥) .

(3) ينظر : جامع البيان (٣٣١/١٣) ، وبحر العلوم (١٧٥/٢) ، والوجيز (٥٥٩/١) ، وتفسير القرآن (٦٢/٣) ، ومعالم التنزيل (٤٩٤/٢) ، ووضح البرهان (٤٦٧/١) ، والجواهر الحسان (١٧٣/٢) ، ونظم الدرر (٢١٠/١٠- ٢١١) .

(4) ينظر : الكشاف (٣٢٢/٣) ، وفتح القدير (٧٢/٣) .

(5) المحرر الوجيز (٧٠/٨) . وتبعه الثعالبي في الجواهر الحسان (١٧٣/٢) .

(6) الجامع لأحكام القرآن (٤٤٥/١١) . والحديث أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٥٨/٥) ، والسنن الكبرى (١١٨/٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه . وأخرجه أيضًا في الدلائل (٨٧/٥) من حديث عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده . وفيه : (أقول كما قال يوسف : لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين) .

(7) ينظر : الحجة (١٤٠/١- ١٤٢) . وينظر أيضًا : كشف المشكلات للباقولي (٥٤٩/١) .

الدرويش [1] . واستظهره الطاهر بن عاشور [2] . واحتمله القمي [3] .

وذكره ابن الأنباري [4] .

ونُسِبَ تجويزه للأخفش [5] . والذي في معانيه بعكس ذلك حيث قال : « ﴿ ٱلْيَوْمَ ﴾ وقف ، ثم استأنف فقال : (يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ) ، فدعا لهم بالمغفرة مستأنفًا » [6] .

وذكره العكبري بصيغة (قيل) [7] .

ونقل أبوحيان عن بعض القراء الوقف على ﴿ عَلَيْكُمُ ﴾ والابتداء بـــ : ﴿ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾ [8] .

وعلّله الطاهر بن عاشور قائلاً : « لأن مثل هذا القول (لا تثريب عليكم) مما يجري مجرى المثل فيُبْنَى على الاختصار فيكتفي بـــ (لا تثريب) ، مثل قولهم : لا بأس ، وقوله تعالى : ﴿ لَا وَزَرَ ﴾ [القيامة : ١١] . وزيادة ﴿ عَلَيْكُمُ ﴾ للتأكيد مثل زيادة (لك) بعد (سقيا ورعيا) »[9] .

وإلى تجويز القولين ذهب الكرماني لكنه لم يجوّز تعلّق (عليكم) بالتثريب ؛ لأن ذلك يستدعي تنوين التثريب ، وكذلك اليوم . وجوّز تعلّق اليوم بما في عليكم من معنى الفعل [10] .

وسوّى بينها الزمخشري، والرازي، والبيضاوي، والنسفي، وأبوالسعود، والقنّوجي[11].

---

(1) ينظر : إعراب القرآن الكريم وبيانه (٥/ ٤٨) .

(2) ينظر : التحرير والتنوير (١٣/ ٥٠) .

(3) ينظر : غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٤/ ١٢٢) .

(4) ينظر : الوسيط للواحدي (٢/ ٦٣١) .

(5) كما في المصدر السابق .

(6) معاني القرآن (٢/ ٣٦٨) .

(7) ينظر : التبيان (٢/ ٧٤٥) .

(8) ينظر : البحر المحيط (٥/ ٣٤٣) ، والدر المصون للسمين (٦/ ٥٥٥) .

(9) التحرير والتنوير (١٣/٥٠) ، وينظر : المصدرين السابقين .

(10) ينظر : غرائب التفسير وعجائب التأويل (١/ ٥٥١) .

(11) ينظر : الكشاف (٣/٣٢٢) ، ومفاتيح الغيب (٦/٥٠٦) ، وأنوار التنزيل (١/٤٩٨) ، ومدارك التنزيل

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن الأَوْلَى في قوله تعالى : ﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾ . هو تعلّق " ٱلْيَوْمَ " بما قبله ، وعليه فيحسن الوقف عليه ثم الابتداء والاستئناف بـــ ﴿ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾ ؛ لأن تعلّقه بـــ يَغْفِرُ يتوقف على العلم بوحْي الله إليه بذلك ، وهذا لا سبيل إلى معرفته إلاّ بدليل ولا يحتمل لأن يكون خبرًا منه – عليه السلام – ؛ لأنهم سألوا أباهم بعد ذلك أن يستغفر لهم ذنوبهم كما في قوله تعالى : ﴿ قَالُوا۟ يَـٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَـٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [يوسف : ٩٧ – ٩٨] فبقي أن يكون منه على جهة الدعاء لهم ﴿ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾ ، والله تعالى أعلم .

فإذا كان ذلك كذلك فإن ما رجّحه ابن جُزَيّ ومن وافقه هو الأَولى ، وعليه الأكثر، والله تعالى أعلم .

(٤٣٦/٢)، وإرشاد العقل السليم (١٣٧/٣) ، وفتح البيان (٣٩٥/٦) .

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾

٢٧- الخلاف في القميص لمن هو ؟

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « رُوِيَ أن هذا القميص كان لإبراهيم كساه الله له حين أُخرج من النار ، وكان من ثياب الجنة ، ثم صار لإسحاق ، ثم ليعقوب ، ثم دفعه يعقوب ليوسف [1] ، وهذا يحتاج إلى سَنَدٍ يُوثق به . والظاهر أنه كان قميص يوسف الذي بمنزلة قميص كل أحد » [2] .

العرض والمناقشة :

استظهر ابن جُزَيّ أن القميص كان قميص يوسف الذي بمنزلة قميص كل أحد . ووافق ابن عطية [3] في هذا . وعليه البيضاوي، وأبوحيان، والثعالبي، والبقاعي، والطاهر بن عاشور [4] . وهو مفهوم كلام القاسمي ، والمراغي [5] .

واستدلّوا بالظاهر فإنه نسبه لنفسه ، فيظهر أنه له ، وليس له قصّة صحيحة ، وما روي في توارثه عن آبائه فإنه يحتاج إلى سند صحيح موثوق به .

وذهب جماعة من المفسّرين إلى ما رُوِيَ في ذلك منهم : السمرقندي، والواحدي، والماوردي، والسمعاني، والبغوي، والزمخشري، والقرطبي، والنسفي، والخازن، والسيوطي[6].

---

(1) رواه الواحدي في الوسيط (٦٣١/٢) بإسناده عن أنس بن مالك مرفوعًا . وأخرج أبو الشيخ (كما في الدر المنثور للسيوطي ٥٨٠/٤) عن ابن عباس مرفوعًا نحوه .

(2) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١٢٧) .

(3) ينظر : المحرر الوجيز (٨/ ٧١) .

(4) ينظر : أنوار التنزيل (٤٩٨/١) ، والبحر المحيط (٣٤٤/٥) ، والجواهر الحسان (١٧٣/٢) ، ونظم الدرر (٢١٢/١٠) ، والتحرير والتنوير (٥١/١٣) .

(5) ينظر : محاسن التأويل (٣٥٩٠/٩) ، وتفسير المراغي (٣٦/١٣) .

(6) ينظر : بحر العلوم (١٧٥/٢) ، والوجيز (٥٥٩/١) ، والنكت والعيون (٧٦/٣) ، وتفسير القرآن (٦٢/٣) ، ومعالم التنزيل (٤٩٤/٢) ، والكشاف (٣٢٣/٣) ، والجامع لأحكام القرآن (٤٤٦/١١، ٤٤٧) ، ومدارك التنزيل (٢٣٦/٢) ، ولباب التأويل (٤١/٣) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٨١/٤) .

واقتصر على إيراده القمي ، والشوكاني ، والقنوجي بصيغة (قيل) [1] .

وذكره البيضاوي ، وأبوحيان بصيغة (قيل) [2] . واستبعده الطاهر بن عاشور [3] .

ونُسِبَ هذا إلى ابن عباس [4] ، والسدي [5] ، والحسن [6] . ونسب لوهب بن مُنبه[7]، ومجاهد [8] .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن ما رُوِيَ من توارث هذا القميص عن آباء يوسف – عليهم السلام – حتى صار له ، لا يصحّ ولا يثبت .

وإذا كان ذلك كذلك فإن الظاهر هو أنه قميصه الذي هو بمنزلة قميص كل أحد .

ويؤيد هذا أنه لا يصح حمل الآية الكريمة على تفصيل وتفسير لأمور مغيبة لا دليل عليها من القرآن أو السنة [9] ، والله تعالى أعلم .

---

(1) ينظر : غرائب القرآن ورغائب الفرقان (١٢٣/٤) ، وفتح القدير (٧٢/٣) ، وفتح البيان (٣٩٧/٦) .

(2) ينظر : أنوار التنزيل (٤٩٨/١) ، والبحر المحيط (٥/ ٣٤٤) .

(3) ينظر : التحرير والتنوير (١٣/ ٥١) .

(4) نسبه السيوطي في الدر المنثور (٥٨٠/٤) إلى أبي الشيخ .

(5) نسبه له ابن الجوزي في زاد المسير (٢٨٣/٤) .

(6) نسبه السيوطي في الدر المنثور (٥٧٩/٤) إلى أبي الشيخ . وهو حديث مرسل لا يصح .

(7) نسبه له السمرقندي كما في بحر العلوم (١٧٥/٢) .

(8) نسبه له البغوي في معالم التنزيل (٤٩٤/٢) ، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٤٤٦/١١) .

(9) ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين (١/ ٢٢٥) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ۖ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ ﴾

٢٨- الخلاف في معنى ﴿ تُفَنِّدُونِ ﴾ .

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « أي : تلومونني أو تردّون علي قولي . وقيل : معناه: تقولون : ذهب عقلك ؛ لأن الفَنَدَ هو الخَرَفُ » [1] .

العرض والمناقشة :

رجّح ابن جُزَيّ أن قوله : ﴿ تُفَنِّدُونِ ﴾ معناه : تلومونني أو تردّون علي قولي . وعلى هذا الأخفش، وأبوعبيدة، وابن عطية، ومحمود النيسابوري، والسمين، والثعالبي [2].

وذكره الراغب بصيغة (قيل) [3] .

ونسبه الماوردي إلى ابن بحر [4] .

وأنشد أبوعبيدة :

يا صاحبيَّ دعا لَوْمي وتفنيدي فليس ما فات من أمرٍ بمردودِ [5]

ومنه قول جرير :

يا عاذليّ دعا الملامة واقْصِرا طال الهوى وأطلْتمُا التفنيدا [6]

قال ابن عطية : « معناه : تردُّون رأيي وتدفعون في صدري ، وهذا هو التفْنيد في

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١٢٧) .

(2) ينظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٤٤٩/١١) ، ومجاز القرآن (٣١٨/١) ، والمحرر الوجيز (٧٣/٨) ، ووضح البرهان (٤٦٧/١) وإيجاز البيان (٣٥٢/١) ، والدر المصون (٥٥٦/٦) ، والجواهر الحسان (١٧٣/٢).

(3) ينظر : مفردات ألفاظ القرآن (٦٤٦) .

(4) ينظر : النكت والعيون (٣/ ٧٧) .

(5) مجاز القرآن (٣١٨/١) ، وجامع البيان لابن جرير الطبري (٣٣٦/١٣) ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٤٤٨/١١) ، وزاد المسير لابن الجوزي (٢٨٥/٤) ، والمحرر الوجيز لابن عطية (٧٣/٨) . ونسب فيها لهانئ بن شكيم العدوي . والبيت في ديوان بشار بن برد (٥٤٣/١) له .واستشهد به القرطبي على أن التفنيد معناه : التقبيح .

(6) ديوان جرير (٣٣٧/١) . وينظر : جامع البيان لابن جرير الطبري (٣٤٧/١٣) ، والنكت والعيون للماوردي (٧٧/٣) .

اللغة ، ومن ذلك قول الشاعر :

يا عاذليّ دعا لَوْمي وتفنيدي ...

والتفنيد يقع إما لجهل المُفَنَّد ، وإما لهوىً غَلَبَه ، وإما لكذبه ، وإما لضعفه وعجزه لذهاب عقله وهرمه . فلهذا فسّر الناس التفنيد في هذه الآية بهذه المعاني . ومنه قوله عليه الصلاة والسلام : (أو هَرمًا مُفَنّدًا) »[1] .

وقال القرطبي : « والتفنيد : اللوم وتضعيف الرأي »[2] .

وأما القول الآخر في معنى " التفنييد " ، وهو ذهاب العقل ، فهو قول مجاهد [3] ، وابن زيد [4] . ونُسِبَ إلى الحسن [5] ، والضحاك [6] .

وإلى هذا المعنى ذهب ابن أبي زمنين ، والواحدي ، والزمخشري ، وابن الجوزي ، والرازي ، والبيضاوي ، والنسفي ، والخازن ، والقمي ، والبقاعي ، وأبوالسعود ، والشوكاني ، والقنّوجي ، والقاسمي ، والمراغي ، والطاهر بن عاشور ، والدرويش [7] .

---

(1) المحرر الوجيز (٧٣/٨، ٧٤) بتصرف يسير . والحديث أخرجه الترمذي (٢٣٠٦) في كتاب الزهد ، باب ما جاء في المبادرة بالعمل ، وقال : هذا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ من حديث الْأَعْرَجِ عن أبي هُرَيْرَةَ إلا من حديث مُحْرِزِ بن هَارُونَ وقد رَوَى بِشْرُ بن عُمَرَ وَغَيْرُهُ عن مُحْرِزِ بن هَارُونَ هذا وقد رَوَى مَعْمَرٌ هذا الحديث عَمَّنْ سمع سَعِيدًا الْمَقْبُرِيَّ عن أبي هُرَيْرَةَ عن النبي ﷺ نَحْوَهُ .اهـ . وأخرجه الحاكم في المستدرك (٣٥٦/٤) من طريق معمر ، عن سعيد المقبري ، عن أبي هريرة . قال الحاكم إن كان معمر بن راشد سمع من المقبري فالحديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . وحكم الألباني عليه بالضعف كما في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (١٦٣/٤) رقم (١٦٦٦) .

(2) الجامع لأحكام القرآن (١١/ ٤٤٩) . وينظر : الصحاح (فند) .

(3) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٣٨/١٣- ٣٣٩) من طرق ، عنه . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢١٩٨/٧) رقم (١١٩٦٨) من طريق أبي يحيى ، عنه . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٥٨١/٤) نسبته إلى أبي الشيخ .

(4) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٣٩/١٣) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢١٩٨/٧) رقم (١١٩٦٩) قال : المفند : الذي ليس له عقل . ذلك المفند . يقولون : لا يعقل ، وقال الشاعر : مهلا فإن من العقول مفندا. وينظر : الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٥٨١) .

(5) ينظر : زاد المسير لابن الجوزي (٤/ ٢٨٥) .

(6) ينظر : معالم التنزيل للبغوي (٢/ ٤٩٥) .

(7) ينظر : تفسير القرآن العزيز (٣٣٩/٢) ، والوسيط (٦٣٣/٢) ، والكشاف (٣٢٤/٣) ، وتذكرة الأريب (٢٦٨/١) ، ومفاتيح الغيب (٥٠٨/٦) ، وأنوار التنزيل (٤٩٨/١) ، ومدارك التنزيل (٢٣٧/٢) ، ولباب

قال ابن فارس : « الفَنَد : إنكار العقل من هرم »[1] .

وقال الواحدي : « الفَنَدُ : ذهاب العقل من الهرم . يقال : أفند الرجل إذا خرف وتغير عقله ، وفنّده إذا نسبه إلى الجهل والخرق »[2] .

يقول ابن عطية : « والذي يشبه أن تفنيدهم ليعقوب عليه السلام إنما كان لأنهم كانوا يعتقدون أن هواه قد غلبه في جانب يوسف عليه السلام »[3] .

ونقل الرازي عن أبي بكر ابن الأنباري قوله : « أفند الرجل إذا حزن وتغيّر عقله ، وفُنّد إذا جهل ونسب ذلك إليه » . وعن الأصمعي : « إذا كثر كلام الرجل من خرف فهو المفنّد »[4].

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن التفنيد في اللغة يطلق على هذه المعاني كلّها ؛ من السفاهة والهرم والكذب وذهاب العقل وضعف الرأي والجهل واللوم بالباطل .

قال ابن جرير الطبري : « وقد بيّنا أن أصل التفنيد الإفسادُ ، وإذ كان ذلك كذلك فالسفاهة والهَرَمُ والكذب ، وذهاب العقل ، وكلُّ معاني الإفساد ، تدخل في التفنييد ؛ لأن أصل ذلك كلَّه الفسادُ . والفساد في الجسم : الهرمُ وذهاب العقل ، والضعف . وفي العقل : الكذبُ واللوم بالباطل ، ولذلك قال جرير بن عطية :

يا عاذليّ دعا الملام واقْصِرا طال الهوى وأطلْتمُا التفنيدا

يعني الملامة . فقد تبيّن – إذ كان الأمر على ما وصفنا – أن الأقوال التي قالها من ذكرنا قوله في قوله : ﴿ لَوۡلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴾ ، على اختلاف عباراتهم عن تأويله ، متقاربةُ المعاني ، محتملٌ جميعَها ظاهرُ التنزيل ؛ إذ لم يكن في الآية دليلٌ على أنه معنيٌّ به بعضُ ذلك

التأويل (٤١/٣) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (١٢٣/٤) ، ونظم الدرر (٢١٣/١٠) ، وإرشاد العقل السليم (١٨٣/٣) ، وفتح القدير (٧٢/٣) ، وفتح البيان (٣٩٨/٦) ، ومحاسن التأويل (٣٥٩٢/٩) ، وتفسير المراغي (٣٧/١٣) ، والتحرير والتنوير (٥٢/١٣) ، وإعراب القرآن الكريم وبيانه (٥٢/٥) .

(1) وينظر : زاد المسير لابن الجوزي (٤/ ٢٨٥) .

(2) الوسيط (٢/ ٦٣٣) .

(3) المحرر الوجيز (٨/ ٧٥) .

(4) مفاتيح الغيب (٦/ ٥٠٨) . وينظر : لباب التأويل للخازن (٣/ ٤١) .

دونَ بعضٍ »[1] . اهـــ .

وقال القرطبي بعد ذكر الأقوال في ﴿ تُفَنِّدُونِ ﴾ : « وكلُّه متقارب المعنى ، وهو راجعٌ إلى التعجيز وتضعيف الرأي »[2] .

وقال أبوحيَّان : « وهذه كلها متقاربة في المعنى ، وهي راجعة لاعتقاد فساد رأي المفنّد إما لجهله أو لهوىً غالبٍ عليه أو لكذبه أو لضعفه وعجزه لذهاب عقله بهرمه »[3] .

فإذا كان ذلك كذلك فإن هذه المعاني المذكورة في معنى قوله : ﴿ تُفَنِّدُونِ ﴾ كلُّها يحتملها ظاهرُ القرآن ، وليس من دليلٍ على تخصيص معنىً منها دون معنىً ، والله تعالى أعلم.

---

(1) جامع البيان (١٣/ ٣٤١) .

(2) الجامع لأحكام القرآن (١١/ ٤٤٩) .

(3) البحر المحيط (٥/ ٣٤٥) .

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ ﴾

٢٩- الخلاف في المراد بأبويه في قوله تعالى: ﴿ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ﴾.

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى: « أي: ضَمَّهما. وأراد بالأبوين أباه وأُمَّه. وقيل: أباه وخالته؛ لأن أُمَّه كانت قد ماتت، وسمَّى الخالة – على هذا – أُمًّا »[1].

العرض والمناقشة:

الخلاف في الأبوين إنما هو واقعٌ في الأم – بعد اتفاقهم على أن الأب هو والده يعقوب عليه السلام – هل هي أمه التي ولدته؟ أم خالته؟

رجّح ابن جُزَيّ أنها أُمُّه وليست خالتَه. ووافق في هذا ما رُوِيَ عن قتادة[2]، وابن إسحاق[3]. ونُسِبَ إلى الحسن[4].

وإليه يذهب ابن جرير الطبري، وابن أبي زمنين، والزمخشري، وابن عطية، والقمي، وأبوحيان، وابن كثير، والثعالبي، والبقاعي، والقنّوجي، والمراغي[5].

واستغربه الكرماني[6].

ودليلُه ظاهر النظم القرآني.

كما استدلّ له بأن ذلك هو الأغلب في استعمال الناس، والمتعارف بينهم في أبوين[7]،

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١٢٨).

(2) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/٢٢٠١) رقم (١١٩٨٧). وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤/٥٨٧) نسبته إلى أبي الشيخ.

(3) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٣/ ٣٥٢).

(4) ينظر: تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (٢/٣٤٠)، وتفسير القرآن للسمعاني (٣/٦٦)، والنكت والعيون للماوردي (٣/٨٢)، وزاد المسير لابن الجوزي (٤/٢٨٨) في آخرين.

(5) ينظر: جامع البيان (١٣/٣٥٢)، وتفسير القرآن العزيز (٢/٣٤٠)، والكشاف (٣/٣٢٥)، والمحرر الوجيز (٨/٧٩)، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٤/١٢٥)، والبحر المحيط (٥/٣٤٧)، وتفسير القرآن العظيم (٨/٧٣)، والجواهر الحسان (٢/١٧٤)، ونظم الدرر (١٠/٢١٦)، وفتح البيان (٦/٤٠٢)، وتفسير المراغي (١٣/٤٢).

(6) ينظر: غرائب التفسير وعجائب التأويل (١/ ٥٥٢).

(7) ينظر: جامع البيان (١٣/ ٣٥٢).

ولم يقم دليل على موت أمه ، وظاهر القرآن يدلّ على حياتها ، وهو المتصور الذي يدلّ عليه السياق . قاله ابن كثير [1] .

وأما القول الآخر بأن أُمَّه كانت قد ماتت ، والمراد أبوه وخالته ، فهو مَرْوِيٌّ عن وهب بن منبه [2] ، والسدّي [3] . ونُسِبَ إلى ابن عباس [4] . وقال به سفيان الثوري [5] ، وابن عيينة [6] .

وهذا قول الجمهور، وأكثر المفسّرين[7] ومنهم : مقاتل، والسمرقندي، والواحدي، والسمعاني، والكرماني، وابن الجوزي، والقرطبي، والبيضاوي، والخازن، والسمين، والبلنسي، والشوكاني، والقاسمي، والطاهر بن عاشور[8] . وقدّمه البغوي، وأبوالسعود[9] .

وذكره الزمخشري ، وابن عطية ، والقمي ، وأبوحيان [10] .

قالوا : إن أمَّه كانت قد ماتت في ولادة أخيه بنيامين . ثم تزوّج يعقوب بخالة يوسف، وهي التي توّلت تربيته ، فأطلق الأبوان على الأب وزوج الأب على طريقة التغليب والتنزيل.

---

(1) تفسير القرآن العظيم (٨/ ٧٣) .

(2) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٢٠١/٧) .وزاد السيوطي في الدر المنثور (٥٨٧/٤- ٥٨٨) نسبته إلى أبي الشيخ .

(3) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٥٢/١٣) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢٢٠٠/٧، ٢٢٠١) رقم (١١٩٨٦) و (١١٩٩١) .

(4) ينظر : بحر العلوم للسمرقندي (١٧٧/٢) ، وزاد المسير لابن الجوزي (٢٨٨/٤) .

(5) ينظر : بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ١٧٧) .

(6) أخرجه أبو الشيخ كما في الدر المنثور (٤/ ٥٨٨) .

(7) قاله الواحدي ، والسمعاني ، والكرماني ، والبغوي ، والطاهر .

(8) ينظر : تفسير مقاتل (٣٥١/٢) ، وبحر العلوم (١٧٧/٢) ، والوجيز (٥٦٠/١) ، والوسيط (٦٣٥/٢) ، وتفسير القرآن (٦٦/٣) ، وغرائب التفسير وعجائب التأويل (٥٥٢/١) ، وتذكرة الأريب (٢٦٨/١) ، والجامع لأحكام القرآن (٤٥٤/١١) ، وأنوار التنزيل (٤٩٩/١) ، ولباب التأويل (٤٢/٣) ، والدر المصون (٥٥٧/٦- ٥٥٨) ، وتفسير مبهمات القرآن (٥٨/٢) ، وفتح القدير (٧٦/٣) ، ومحاسن التأويل (٣٥٩٥/٩) ، والتحرير والتنوير (٥٥/١٣) .

(9) ينظر : معالم التنزيل (٢/ ٤٩٧، ٤٩٩) ، وإرشاد العقل السليم (٣/ ١٣٩) .

(10) ينظر : الكشاف (٣٢٥/٣) ، والمحرر الوجيز (٧٩/٨) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (١٢٥/٤) ، والبحر المحيط (٣٤٧/٥) .

وقالوا : رُوِيَ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (الخالةُ أُمٌّ) [1] .

فالخالة أمٌّ بنصّ هذا الحديث ، فتزلت خالته منزلة الأم تنزيل العمّ منزلة الأب في قوله تعالى : ﴿ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ﴾ [البقرة : ١٣٣] .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن الصحيح في المراد بالأبوين في قوله تعالى : ﴿ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ ﴾ وفي التي بعدها : ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ أنهما أبوه وأُمُّه التي ولدته ، وليست خالته ؛ لأن ذلك هو ظاهر الاستعمال القرآني ، ولا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلاّ بدليل [2] .

ولأنه لم يثبت بنصّ صحيح يجب التسليم له أن أُمَّه كانت قد ماتت ، وأن أباه تزوّج خالته ، ولا يجوز حمل الآية على تفسير وتفصيل لأمرٍ مغيّب إلاّ بدليل من القرآن أو السنة[3].

وإذا كان ذلك كذلك فإن ما رجَّحه ابن جُزَيّ ومَنْ وافقه هو الصحيح ، والله تعالى أعلم .

---

(1) أخرجه أبوداود في سننه (٢/٢٨٤) (٢٢٧٨) ، والنسائي في الكبرى (٥/١٦٩) (٨٥٧٩) ، والحاكم في المستدرك (٣/١٣٠) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وفي (٤/٣٨٢) وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، والبيهقي في السنن الكبرى (٨/٦) من حديث علي بن أبي طالب .

(2) ينظر : قواعد الترجيح عند المفسّرين (١/ ١٣٧) .

(3) ينظر : المصدر السابق (١/ ٢٢٥) .

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾

٣٠- اختلاف أهل العلم في قدر المدّة التي كانت بين رؤيا يوسف وبين تأويلها .

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « وكان بين رؤياه وبين ظهور تأويلها ثمانون عامًا . وقيل : أربعون » [1] .

العرض والمناقشة :

حكى ابن جُزَيّ الخلاف في تحديد المدّة بين رؤياه – عليه السلام – وبين تَحقُّقِهما ، على قولين ، ورجَّح أنها ثمانون عامًا . وهذا قول الحسن [2] ، والفضيل بن عياض [3] ، وأبي جعفر جَسْر بن فَرْقَد [4] . ونسب إلى قتادة [5] . وعليه النحاس [6] .

وأما القول الآخر ، وهو أنها كانت أربعين عامًا ، فقاله سلمان الفارسي [7] ، وعبدالله بن شدّاد بن الهاد [8] . وعليه مقاتل ، والبقاعي [1] .

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١٢٨) .

(2) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٥٩/١٣، ٣٦٠، ٣٦١) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢٢٠٢/٧) رقم (١٢٠٠١) ، وعبد الله بن الإمام أحمد في زوائد الزهد (٨٠-٨١) . وينظر : الدر المنثور للسيوطي (٥٨٩/٤) .

(3) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٥٩/١٣- ٣٦٠) ، والحاكم في المستدرك (٥٧٢/٢) . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٥٨٩/٤) نسبته إلى ابن مردويه .

(4) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٥٩/١٣) .

(5) ينظر : النكت والعيون للماوردي (٨٢/٣) .

(6) ينظر : معاني القرآن الكريم (٣/ ٤٥٨- ٤٥٩) .

(7) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٥٧/١٣، ٣٥٨، ٣٥٩) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢٢٠٢/٧) رقم (١١٩٩٨) ، وابن أبي الدنيا في كتاب العقوبات (١٥٧) ، والبيهقي في شعب الإيمان (١٩٤/٤) رقم (٤٧٨٠). وزاد السيوطي في الدر المنثور (٥٨٨/٤) نسبته إلى الفريابي ، وابن أبي شيبة ، وأبي الشيخ ، والحاكم .

(8) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٣/ ٣٥٨ ، ٣٥٩) ، والبيهقي في شعب الإيمان (١٩٥/٤) رقم

قال ابن إسحاق : « وأهل الكتاب يزعمون أنها كانت أربعين سنةً أو نحوها »[٢] .

وقال الرازي : « وقيل : أربعون ، وهو قول الأكثرين »[٣] .

وهذان القولان لا دليل عليهما .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن هذه المسألة لا فائدة منها ولا طائل من ورائها ، وقد ذكر المفسّرون فيها أقوالاً أخرى [٤] ، ولا نصّ على واحد منها .

يقول أبوحيان : « وفي المدّة التي كانت بين رؤياه وسجودهم خلاف متناقض »[٥] .

ويقول القنّوجي : « والله أعلم كم كان بينهما »[٦] .

وإذا كان ذلك كذلك فينبغي الإمساك وعدم الخوض فيما لا يمكن العلم به إلاّ عن طريق الوحي ، والله تعالى أعلم .

(٤٧٨١) . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤/٥٨٨- ٥٨٩) نسبته إلى ابن أبي شيبة ، وأبي الشيخ .

(1) ينظر : تفسير مقاتل (٢/٣٥١) ، ونظم الدرر (١٠/ ٢١٨) .

(2) جامع البيان لابن جرير الطبري (١٣/ ٣٦١) .

(3) مفاتيح الغيب (٦/ ٥١٢) .

(4) مما ذكر : اثنان وعشرون ، وست وثلاثون ، وخمس وثلاثون ، وسبعون ، وثمانية عشر .

(5) البحر المحيط (٥/ ٣٤٨) .

(6) فتح البيان (٦/ ٤٠٤) .

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ﴾

٣١- قوله : ﴿ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا ﴾ هل هو دعاء بالموت ؟ أم دعاء بالوفاة على الإسلام ؟

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « لما عدّد النعم التي أنعم الله بها عليه ، اشتاق إلى لقاء ربّه ولقاء الصالحين من سلفه وغيرهم ، فدعا بالموت . وقيل : ليس ذلك دعاءً بالموت ، وإنما دعا أن الله يتم عليه النعم بالوفاة على الإسلام إذا حان أجله » [1] .

العرض والمناقشة :

رجَّح ابن جُزَيّ أن يوسف – عليه السلام – دعا بالموت قائلاً : ﴿ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ ، وذلك من اشتياقه إلى لقاء ربه – جل وعلا – ولقاء الصالحين من سلف وغيرهم . ووافق في هذا ما رُوِيَ عن ابن عباس قال : « اشتاق إلى لقاء الله ، وأحبّ أن يلحق به وبآبائه ، فدعا الله أن يتوفّاه وأن يلحقه بهم ». وقال : « ولم يسأل نبيٌّ قطّ الموتَ غيرُ يوسفَ عليه السلام »[2]. وهذا قول مجاهد [3]، وقتادة [4]، ووهب بن منبه[5]. وعليه مقاتل، وابن جرير الطبري، والسمرقندي، وابن أبي زمنين، والبيضاوي [6] .

وهو مفهوم كلام السمعاني، والبغوي، والسيوطي، وأبي السعود[7] .

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١٢٨) .

(2) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٣/٣٦٥) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٧/٢٢٠٤) رقم (١٢٠١١) و (١٢٠١٢) من طريق قتادة ، والسدّي ، عنه . وأخرجه ابن جرير الطبري من طريق ابن جريج ، عنه . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤/٥٩١) نسبته إلى ابن المنذر ، وأبي الشيخ .

(3) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٣/ ٣٦٦) .

(4) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٣/ ٣٦٥- ٣٦٦) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٧/٢٢٠٤، ٢٢٠٥) رقم (١٢٠١٦ و ١٢٠١٧) . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤/٥٩١) نسبته إلى أحمد في الزهد .

(5) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢٢٠٥- ٢٢٠٦) رقم (١٢٠٢١) .

(6) ينظر : تفسير مقاتل (٢/٣٥١) ، وجامع البيان (١٣/ ٣٦٤- ٣٦٥) ، وبحر العلوم (٢/١٧٨) ، وتفسير القرآن العزيز (٢/٣٤٠) ، وأنوار التنزيل (١/٤٩٩) .

(7) ينظر : تفسير القرآن (٣/ ٦٨- ٦٩) ، ومعالم التنزيل (٢/٥٠١) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٤/ ٨٩

ومال إليه الرازي وقال : « وكثير من المفسّرين على هذا القول »[1] . وتبعه القمي ، وأبوحيان [2] . وجوّزه الزمخشري [3] .

وذكره الشوكاني ، والقنّوجي بصيغة (قيل) [4] .

قال النحّاس : « ولو صحّ أن قول يوسف – صلى الله عليه وسلم – : ﴿ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا ﴾ أنه يريد في ذلك الوقت لما كان منسوخًا ؛ لأن النبيّ صلى الله عليه وسلم إنما قال: (لا يتمنين أحدكم الموت لضُرٍّ نزل به) [5] . فإذا تمنّاه إنسان لغير ضرٍّ فليس بمخالف للنبي صلى الله عليه وسلم . وقد يجوز أن يتمنى الموت من له عمل صالح متخلْصًا من الكبائر ، فهذا عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – لما استقامت أموره وفتح الله على يده الفتوح ، وأسلم ببركته من لا يُحْصى عددُه تمنّى الموت فقال : اللهم كبرت سنّي ورقّ عظمي وانتشرت رعيتي فاقبضني إليك غير مفرّطٍ ولا مضيّع »[6] ..

وأما القول الآخر ، وهو أن يوسف – عليه السلام – إنما دعا بالوفاة على الإسلام إذا حضره الأجل ، فرُوِيَ عن الضحاك [7] . ونُسِبَ إلى ابن عباس أيضًا [8] .

) ، وإرشاد العقل السليم (١٤١/٣) .

(1) مفاتيح الغيب (٦/ ٥١٦- ٥١٧) .

(2) ينظر : غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٤/ ١٢٧) ، والبحر المحيط (٥/ ٣٤٩) .

(3) ينظر : الكشاف (٣/ ٣٢٧) .

(4) ينظر : فتح القدير (٧٨/٣) ، وفتح البيان (٦/ ٤٠٧) .

(5) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الدعوات

(فتح الباري ١٢٦/١١) قال مكي في ناسخه (٣٢٧) : إن الحديث ليس هو من معنى الآية في شئ ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم إنما قال : (لضرٍ نزل به) وليس في الآية ضُرٌّ نزل بيوسف فتمنى الموت من أجله. اهـ . بتصرف يسير . وينظر : المحرر الوجيز لابن عطية (٨/ ٨٧- ٨٨) .

(6) الناسخ والمنسوخ (٤٧٥/٢- ٤٧٦) . وأثر عمر أخرجه مالك في الموطأ ، كتاب الحدود ، باب ما جاء في الرجم (٥٩٢) رقم (١٥٠١) ، وابن سعد في الطبقات الكبرى (٣٣٤/٣- ٣٣٥) ، والحاكم في المستدرك في كتاب معرفة الصحابة (٩١/٣-٩٢).

(7) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٧٦/١٣) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢٢٠٤/٧، ٢٢٠٥) رقم (١٢٠١٤ و ١٢٠١٨) من طريق عُبيد بن سليمان ، عنه . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٥٩١/٤) نسبته إلى أبي الشيخ .

(8) ينظر : زاد المسير لابن الجوزي (٤/ ٢٩٢) .

وعليه النحَّاس، ومكّي، والزمخشري، وابن عطية، والنسفي، والقمي، وأبوحيان، والثعالبي، والشوكاني ونسبه للجمهور، والقنّوجي، والقاسمي، والسعدي، والطاهر بن عاشور [1] . وذكره الماوردي [2] .

قال النحاس : « ليس معنى ﴿ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا ﴾ توفني الساعة ، وهذا بَيّنٌ جدًّا ، لا إشكال فيه »[3] .

فعلى هذا القول يكون معنى الآية : توفّني إذا توفيتني على الإسلام ، فهو طلب لأن يجعل الله وفاته على الإسلام ، وليس في اللفظ ما يدل على أنه طلب الوفاة في الحال .

وهذا كقول إبراهيم ويعقوب – عليهما السلام – : ﴿ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [البقرة : ١٣٢] . وكقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٢] .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن لفظ الآية صالح للأمرين ، وكلا القولين محتمل ، ولا دليل على أن أحدهما هو المعنيّ من الآية . وعلى هذا الرازي ، وابن كثير [4] .

وكما أنه ليس في اللفظ ما يدلّ على أنه سأل ذلك في الحال ، فكذلك يحتمل أنه قاله عند احتضاره ، كما ثبت في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل يرفع أصبعه عند الموت ويقول : (اللهم في الرفيق الأعلى اللهم في الرفيق الأعلى اللهم في الرفيق الأعلى) [5] . والله تعالى أعلم .

---

(1) ينظر : الناسخ والمنسوخ (٤٧٥/٢) ، والناسخ (٣٢٨) ، والكشاف (٣٢٧/٣) ، والمحرر الوجيز (٨٦/٨- ٨٧)، ومدارك التنزيل (٢٣٨/٢) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (١٢٧/٤) ، والبحر المحيط (٣٤٩/٥) ، والجواهر الحسان (١٧٥/٢) ، وفتح القدير (٧٨/٣) ، وفتح البيان (٤٠٧/٦) ، ومحاسن التأويل (٣٥٩٧/٩) ، وتيسير الكريم الرحمان (٤٣٨/٢) ، والتحرير والتنوير (٦٠/١٣) .

(2) ينظر : النكت والعيون (٣/ ٨٥) .

(3) الناسخ والمنسوخ (٢/ ٤٧٥) .

(4) ينظر : مفاتيح الغيب (٦/ ٥١٦) ، وتفسير القرآن العظيم (٧٧/٨) .

(5) أخرجه البخاري في صحيحه (٨٩٠) و (٤٤٣٧) ، ومسلم في صحيحه (٢٤٤٤) .

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ١٠٣ ﴾

٣٢- الخلاف في المراد بالناس في قوله تعالى :

﴿ وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴾ .

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « عموم ؛ لأن الكفار أكثر من المؤمنين . وقيل : أراد أهل مكة » [1] .

العرض والمناقشة :

رجَّح ابن جُزَيّ القول بالعموم في المراد بالناس من قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ ﴾ . ووافق في هذا ما ذهب إليه الزمخشري ، وأبوحيان ، وابن كثير [2] .

وعلّله ابن جُزَيّ بأن الكفار أكثر من المؤمنين .

واستدل له أبوحيان بقوله تعالى : ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾[هود : ١٧].

كما استدل له ابن كثير بقوله تعالى : ﴿ وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [الأنعام : ١١٦] . وبقوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ [الشعراء : ٨] .

والناس في هذه الآيات يراد به العموم بلا إشكال .

وأما القول الآخر ، وهو أنه أراد بالناس في هذه الآية أهل مكة ، فهو قول منسوب إلى ابن عباس [3] . وعليه مقاتل، وابن جرير الطبري، والقرطبي، والسيوطي، والمراغي[4] .

وقال ابن الأنباري : « قريش واليهود »[5] .

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١٢٨) .

(2) ينظر : الكشاف (٣/ ٣٢٨) ، والبحر المحيط (٥/ ٣٥١) ، وتفسير القرآن العظيم (٨/ ٨٢) .

(3) نسبه له الزمخشري ، وأبوحيان .

(4) ينظر : تفسير مقاتل (٣٥٢/٢) ، وجامع البيان (٣٧٠/١٣) ، والجامع لأحكام القرآن (٤٦٥/١١) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٩٠/٤) ، وتفسير المراغي (٤٧/١٣) .

(5) ينظر : الوسيط للواحدي (٢/ ٦٣٧) .

وعليه الواحدي، والسمعاني، والبغوي، والرازي، والخازن [1] . وهو مفهوم كلام القنّوجي [2] .

وذهب النسفي، وأبوالسعود، والشوكاني، والقاسمي إلى التسوية بين القولين : العموم أو أهل مكة [3] .

وقال القمي : « أكثر خلق الله أو أكثر أهل مكة »[4] .

وجوّز الطاهر بن عاشور الأمرين فقال : « و ﴿ٱلنَّاسِ﴾ يجوز حَمْلُه على جميع جنس الناس ، ويجوز أن يراد به ناس معيّنون وهم القوم الذين دعاهم النبيّ – صلى الله عليه وسلم – وما حولها ، فيكون عمومًا عرفيًا » [5] .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن الأَولى هو حمل الآية على العموم ، ويدخل في هذا العموم دخولاً أوليًّا مَنْ كان في عهد النبي صلى الله عليه وسلم من أهل مكة وغيرهم ممن دعاهم – صلى الله عليه وسلم – إلى الإيمان .

ويؤيد القول بالعموم القاعدة الترجيحية : (يجب حمل نصوص الوحي على العموم)[6]. والله تعالى أعلم .

---

(1) ينظر : الوجيز (٥٦١/١) ، وتفسير القرآن (٧٠/٣) ، ومعالم التنزيل (٥٠٢/٢) ، ومفاتيح الغيب (٥١٩/٦) ، ولباب التأويل (٤٥/٣) .

(2) ينظر : فتح البيان (٦/ ٤٠٨) .

(3) ينظر : مدارك التنزيل (٢٣٩/٢) ، وإرشاد العقل السليم (١٤١/٣) ، وفتح القدير (٧٩/٣- ٨٠) ، ومحاسن التأويل (٣٦٠٢/٩) .

(4) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٤/ ١٣١) .

(5) التحرير والتنوير (١٣/ ٦٢) .

(6) قواعد الترجيح عند المفسرين (٢/ ٥٢٧) .

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾

٣٣- الخلاف فيمن نزل قول الله تعالى : ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ .

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « نزلت في كفار العرب الذين يُقرُّون بالله ويعبدون معه غيره . وقيل : في أهل الكتاب ؛ لقولهم : عزير ابن الله ، والمسيح ابن الله » [1] .

العرض والمناقشة :

رجَّح ابن جُزَيّ أن الآية نزلت في كفّار العرب المقرّين بالله والعابدين معه غيره . ووافق في هذا معنى ما رُوِيَ عن ابن عباس [2] ، ومجاهد [3] ، وعكرمة [4] ، وقتادة [5] ، وعطاء [6] ، والضحاك [7] ، وابن زيد [8] ، والشعبي [9] .

وإلى هذا القول يذهب مقاتل ، والفراء ، وابن قتيبة ، والزجاج ، والسمرقندي ، وابن أبي زمنين ، والواحدي ، والسمعاني ، والكرماني ، والبغوي ، والزمخشري ، ومحمود النيسابوري ، وابن الجوزي ، والقرطبي ونسبه لأكثر المفسرين ، والنسفي ونسبه للجمهور ، والخازن ،

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١٢٨) .

(2) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٣/٣٧٢-٣٧٣) من طريق سعيد بن جبير ، عنه . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/٢٢٠٧) رقم (١٢٠٣٤) من طريق سماك ، عن عكرمة ، عنه . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤/٥٩٣) نسبته إلى أبي الشيخ .

(3) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٣/٣٧٤، ٣٧٥) من طرق عن ابن أبي نجيح ، عنه . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/٢٢٠٧) رقم (١٢٠٣٥) من طريق حجاج ، عن القاسم بن أبي بزّة ، عنه . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤/٥٩٣) نسبته إلى ابن المنذر .

(4) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٣/ ٣٧٣- ٣٧٤) .

(5) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٣٢٨) ، وابن جرير الطبري في جامع البيان (١٣/٣٧٥) من طريق معمر ، عنه .

(6) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٣/ ٣٧٦) . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٥٩٣) نسبته إلى سعيد بن منصور ، وابن المنذر ، وأبي الشيخ .

(7) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٣/٣٧٦) من طريق جويبر ، عنه .

(8) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٣/٣٧٦) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٧/٢٢٠٨) رقم (١٢٠٣٨).

(9) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٣/ ٣٧٣، ٣٧٥) .

والطاهر بن عاشور [1] . وهو مفهوم كلام السيوطي ، والسعدي ، والشنقيطي [2] .

يقول ابن كثير : « لأنهم مقرُّون بالله خالقهم ورازقهم ، وإذا حزبهم أمر شديد دعوا الله، ومع ذلك يشركون به غيره ...»[3].

ويقول الشنقيطي : « المراد بإيمانهم اعترافهم بأنه ربهم الذي هو خالقهم ومدبر شئونهم، والمراد بشركهم عبادتهم غيره معه . ويدل عليه :

- ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [يونس : ٣١] .

- ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [الزخرف : ٨٧] .

- ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [العنكبوت : ٦١] .

- ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [العنكبوت : ٦٣] .

- ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ

---

(1) ينظر : تفسير مقاتل (٣٥٢/٢) ، ومعاني القرآن (٥٥/٢) ، وتأويل مشكل القرآن (٤٨١- ٤٨٢) ، ومعاني القرآن وإعرابه (١٣١/٣) ، وبحر العلوم (١٧٩/٢) ، وتفسير القرآن العزيز (٣٤١/٢) ، والوجيز (٥٦٢/١) ، والوسيط (٦٣٧/٢) ، وتفسير القرآن (٧١/٣) ، وغرائب التفسير وعجائب التأويل (٥٠٢/١- ٥٠٣) ، والكشاف (٣٢٨/٣) ، ووضح البرهان (٤٦٨/١) وإيجاز البيان (٣٥٣/١) ، وتذكرة الأريب (٢٦٩/١) ، والجامع لأحكام القرآن (٤٦٧/١١) ، ومدارك التنزيل (٢٣٩/٢- ٢٤٠) ، ولباب التأويل (٤٥/٣) ، والتحرير والتنوير (٦٣/١٣) .

(2) ينظر : تفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٩١/٤) ، وتيسير الكريم الرحمان (٤٣٩/٢) ، وأضواء البيان (٣/ ٧٤ – ٧٥) .

(3) تفسير القرآن العظيم (٨/ ٨٣- ٩١) .

﴿ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴾ [المؤمنون : ٨٤-٨٩] . إلى غير ذلك من الآيات . ومع هذا فإنهم قالوا : ﴿ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾ [ص : ٥] . وهذه الآيات القرآنية تدل على أن توحيد الربوبية لا ينقذ من الكفر إلاّ إذا كان معه توحيد العبادة ، أي : عبادة الله وحده لا شريك له ، ويدل لذلك قوله تعالى : ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ »[1] . اهـ .

وقال أيضًا : « والذي يظهر لي – والله تعالى أعلم – أن هذا الإيمان المقيّد بحال الشرك إنما هو إيمان لغوي لا شرعي ؛ لأن من يعبد مع الله غيره لا يصدق عليه اسم الإيمان ألبتة شرعًا ؛ أما الإيمان اللغوي فهو يشمل كل تصديق ، فتصديق الكافر بأن الله هو الخالق الرازق يصدق عليه اسم الإيمان لغةً مع كفره بالله ، ولا يصدق عليه اسم الإيمان شرعًا . وإذا حققت ذلك علمت أن الإيمان اللغوي يجامع الشرك فلا إشكال في تقييده به . وكذلك الإسلام الموجود دون الإيمان في قوله تعالى : ﴿ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ [الحجرات : ١٤] فهو الإسلام اللغوي ؛ لأن الإسلام الشرعي لا يوجد ممن لم يدخل الإيمان في قلبه ، والعلم عند الله تعالى » [2] . اهـ .

وأما القول الآخر ، وهو أن الآية في أهل الكتاب ، فهو قول رُوِيَ عن ابن عباس أيضًا [3] . ونُسِبَ إلى الحسن [4] .

وذكر الكرماني أنه قيل : « إنها في النصارى ، آمنوا ثم أشركوا بالتثليث »[5] .

ورُوِيَ عن عكرمة [6] ، والنضر بن عربي [7] ما يشمل القولين .

---

(1) أضواء البيان (٣/ ٧٤- ٧٥) بتصرف يسير .

(2) المصدر السابق (٣/ ٧٥) .

(3) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٣/٣٧٥) بالإسناد المسلسل بالعوفيين .

(4) ينظر : أحكام القرآن للجصاص (٤/٣٩٥) ، والكشاف للزمخشري (٣/٣٢٨) .

(5) غرائب التفسير وعجائب التأويل (١/٥٥٣) .

(6) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٣/ ٣٧٣- ٣٧٤) .

(7) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/٢٢٠٨) رقم (١٢٠٣٧) .

وإلى شمول الآية للقولين ذهب الرازي ، والقمي [1] .

وسوّى بينهما مع ذكرهما بـــ (قيل) البيضاوي، وأبوالسعود [2] .

وذكرها دون ترجيح أبوحيان ثم قال : « وقيل : جميع الخلق مؤمنهم بالرسول وكافرهم ، فالكفار تقدّم شركهم ، والمؤمنون فيهم الشرك الخفي ، وأقربُهم إلى الكفر المتشبّهةُ ، ولذلك قال ابن عباس : آمنوا مجملاً وكفروا مفصّلاً . وثانيها : من يطيع الخلق بمعصية الخالق . وثالثها : من يقول : نفعني فلان وضرّني فلان » [3] . اهـــ .

وكأن ابن كثير على ما قاله أبوحيان ، وساق الأدلة عليه [4] . ويميل إليه الثعالبي ، والقاسمي [5] .

وجعل الشوكاني الآية على العموم فتشمل أهل الجاهلية ؛ كفار العرب وعبّاد القبور وقال : « ولا ينافي هذا ما قيل مِنْ أن الآية نزلت في قوم مخصوصين ، فالاعتبار بما يدل عليه اللفظ لا بما يفيده السبب من الاختصاص بمن كان سببًا لنزول الحكم »[6] .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن الأحسن – والله أعلم – هو حَمْل الآية على العموم ، فتشمل كفّار العرب الذين يقرون بالله ويعبدون معه غيره ، وتشمل أهل الكتاب ؛ اليهود والنصارى ، كما تشمل المؤمنين الذين يخالط بعضَ أعمالهم الشركُ الخفيُّ ، وقَلَّ من ينجو منه ، أعاذنا الله والمسلمين جميعًا منه بمنّه وكرمه . والقول بالعموم ينتظم جميع الأقوال دون أن يكون هناك تعارض بينها ، فإعمالها كلّها؛ لشمول لفظ الآية لها ، أَولى من إهمال واطّراح بعضها. ويؤيد هذا القاعدة الترجيحية: (يجب حمل نصوص الوحي على العموم)[7].

ولو قدّر أنها نزلت في قوم مخصوصين فإن (العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص

---

(1) ينظر : مفاتيح الغيب (٦/ ٥٢٠) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٤/ ١٣١- ١٣٢) .

(2) ينظر : أنوار التنزيل (١/ ٥٠٠) ، وإرشاد العقل السليم (٣/ ١٤٢) .

(3) البحر المحيط (٥/ ٣٥١) .

(4) ينظر : تفسير القرآن العظيم (٨/ ٨٣- ٩١) .

(5) ينظر : الجواهر الحسان (٢/ ١٧٦) ، ومحاسن التأويل (٩/ ٢٣٨) .

(6) فتح القدير (٣/٨٠–٨١) . وينظر : فتح البيان للقنّوجي (٦/٤١٠- ٤١٤) ، وتفسير المراغي (١٣/٤٩-٥٠) .

(7) قواعد الترجيح عند المفسرين (٢/ ٥٢٧) .

السبب)[1] . والله تعالى أعلم .

(1) المصدر السابق (٢/ ٥٤٥) .

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾

٣٤- الخلاف في إعراب ﴿ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ ﴾ .

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « ﴿ أَنَا۠ ﴾ تأكيد للضمير في ﴿ أَدْعُوٓا۟ ﴾ ، و ﴿ مَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾ معطوف عليه ، و ﴿ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ﴾ في موضع الحال . وقيل : ﴿ أَنَا۠ ﴾ مبتدأ ، و ﴿ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ﴾ خبره ، فعلى هذا يوقف على قوله : ﴿ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ ﴾ وهذا ضعيف » [1].

العرض والمناقشة :

رجَّح ابن جُزَيّ الإعراب التالي : ﴿ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ﴾ في موضع الحال. و ﴿ أَنَا۠ ﴾ تأكيد للضمير المستتر وجوبًا في ﴿ أَدْعُوٓا۟ ﴾ و ﴿ مَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾ معطوف على ﴿ أَنَا۠ ﴾. والمعنى : هذه سبيلي أدعو ـــ أنا ـــ إلى الله على بصيرة ، وكذلك من اتبعني يدعو إلى الله على بصيرة . وعليه فلا يوقف على لفظ الجلالة . ونُسِبَ ـــ على هذا المعنى ـــ إلى الكلبي ، وابن زيد [2] .

وإلى هذا ذهب النحاس ، والكرماني ، والزمخشري ، والعكبري ، والقرطبي ، والقمي ، وأبوحيان ، والسمين ، والثعالبي ، والبقاعي ، والشوكاني ، والقنّوجي ، والقاسمي ، والطاهر بن عاشور ، والدرويش [3] . وهو مفهوم كلام الفراء ، والسمعاني ، والبغوي ، والرازي ، والخازن ، وابن كثير ، والسيوطي [4].

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١٢٩) .

(2) نسبه له البغوي كما في معالم التنزيل (٢/ ٥٠٣) ، وتبعه جماعة .

(3) ينظر : إعراب القرآن (٣٤٧/٢) ، غرائب التفسير وعجائب التأويل (٥٥٤/١) ، والكشاف (٣٢٨/٣) ، والتبيان (٧٤٧/٢) ، والجامع لأحكام القرآن (٤٦٩/١١) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (١٣٢/٤) ، والبحر المحيط (٣٥٣/٥) ، والدر المصون (٥٦١/٦) ، والجواهر الحسان (١٧٦/٢) ، ونظم الدرر (٢٤٢/١٠)، وفتح القدير (٨١/٣) ، وفتح البيان (٤١٦/٦) ، ومحاسن التأويل (٣٦١١/٩) ، والتحرير والتنوير (٦٥/١٣) ، وإعراب القرآن الكريم وبيانه (٦٨/٥) .

(4) ينظر : معاني القرآن (٥٥/٢) ، وتفسير القرآن (٧٢/٣) ، ومعالم التنزيل (٥٠٣/٢) ، ومفاتيح الغيب

وعليه تفسير ابن جرير الطبري ، والمراغي ، والسعدي [1] . واحتمله ابن عطية [2] .

قال ابن القيم : « وقول الفراء أحسن وأقرب إلى الفصاحة والبلاغة »[3] .

وأما الإعراب الآخر وهو : ﴿ أَنَا ﴾ مبتدأ مؤخر، و ﴿ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ﴾ خبره مقدّم .

وعليه فيوقف على قوله : ﴿ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ ﴾ ثم يستأنف : ﴿ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾ ، فجوّزه ابن الأنباري وقال : وهذا معنى قول ابن عباس [4] . وعليه الواحدي [5] . وجوّزه الزمخشري ، وابن الجوزي [6] ، والرازي ، والقمي ، وأبوحيان ، والسمين ، والثعالبي ، والشوكاني ، والقنّوجي ، والقاسمي ، والدرويش .

واستغربه الكرماني . وذكره البغوي ، والخازن بصيغة (قيل) [7] .

وإلى التسوية بينهما ذهب البيضاوي ، والنسفي ، وأبوالسعود [8] .

وبعد، فإذا تقرر هذا فالصواب جواز الإعرابين ، وجواز المعنيين المترتبين عليهما وصحتهما . بل « القولان متلازمان ، فلا يكون الرجل من أتباع الرسول – صلى الله عليه وسلم – حقًّا حتى يدعو إلى ما دعا إليه » . قاله ابن القيم [9] وقال : « والتحقيق أن العطف يتضمّن المعنيين فأتباعه هم أهل البصيرة الذين يدعون إلى الله »[10] .

وإذا كان ذلك كذلك فلا وجْه لتضعيف ابن جُزَيّ للإعراب الثاني ، والله تعالى أعلم.

(٥٢٠/٦)، ولباب التأويل (٤٥/٣- ٤٦) ، وتفسير القرآن العظيم (٩١/٨- ٩٢) ،وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٩٢/٤) .

(1) ينظر : جامع البيان (٣٧٨/١٣) ، وتفسير المراغي (٥٢/١٣) ، وتيسير الكريم الرحمان (٤٤٠/٢) .

(2) ينظر : المحرر الوجيز (٨/ ٩٥) .

(3) بدائع التفسير (٢/ ٤٧٦- ٤٧٧) .

(4) الوسيط للواحدي (٦٣٧/٢) .

(5) ينظر : الوجيز (٥٦٢/١) ، والوسيط (٦٧٣/٢) .

(6) ينظر : زاد المسير (٤/ ٢٩٥) .

(7) ينظر : معالم التنزيل (٥٠٤/٢) ، ولباب التأويل (٤٦/٣) .

(8) ينظر : أنوار التنزيل (٥٠٠/١-٥٠١) ، ومدارك التنزيل (٢٤٠/٢) ، وإرشاد العقل السليم (٣/ ١٤٢) .

(9) بدائع التفسير (٢/ ٤٧٧) .

(10) المصدر السابق (٢/ ٤٧٨) .

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾ ﴾

٣٥- الخلاف في المراد باستيئاس الرسل ، ممَّ هو ؟

في قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ ﴾ .

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « ويأسُهم : يحتمل أن يكون من إيمان قومهم أو من النصر. والأول أحسن » [1] .

العرض والمناقشة :

استحسن ابن جُزَيّ أن يأس الرسل – عليهم السلام – كان من إيمان قومهم . ووافق في هذا ما رُوِيَ عن السلف ؛ ابن عباس [2] ، وابن مسعود [3] ، وعائشة [4] ، وسعيد بن جبير [5]، ومجاهد [6] ،

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١٢٩) . وفي الآية خلاف في قوله : ﴿ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ ﴾ لم يتعرض له ابن جُزَيّ !! .

(2) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٣/٣٨٣- ٣٩١) من طرق عن ابن عباس قال : يئس الرسل من قومهم أن يستجيبوا لهم . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/٢٢١١ و ٢٢١٢) رقم (١٢٠٥٧ و ١٢٠٥٩ و ١٢٠٦٢ و ١٢٠٦٧) . وينظر : صحيفة علي بن أبي طلحة في التفسير (٢٩٥) . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤/٥٩٦) نسبته إلى أبي عبيد ، وسعيد بن منصور ، والنسائي ، وابن المنذر .

(3) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/٣٢٩) ، وابن جرير الطبري في جامع البيان (١٣/ ٣٩٠- ٣٩١) ، والطبراني في المعجم الكبير (٩/١٤٨) رقم (٨٦٧٥) . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤/٥٩٦) نسبته إلى سعيد بن منصور ، وابن المنذر ، وأبي الشيخ عنه قال : استيأس الرسل من إيمان قومهم أن يؤمنوا لهم .

(4) أخرجه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٣٨٩) والتفسير (٤٥٢٥ و ٤٦٩٥) ، وابن جرير الطبري في جامع البيان (١٣/٣٩٦) من طريق معمر ، عن الزهري ، عن عروة ، عنها قالت : حتى إذا استيأس الرسل ممن كذّبهم من قومهم أن يصدِّقومهم .

(5) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٣/٣٨٣، ٣٨٧- ٣٨٨) . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤/٥٩٧) نسبته إلى ابن المنذر ، وسعيد بن منصور ، وأبي الشيخ .

(6) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٣/٣٨٩) من طرق ، عن ابن أبي نجيح ، عنه .

والحسن [1] ، وقتادة [2] ، وابن زيد [3] ، والضحاك [4] ، وعبد الله بن الحارث [5] .

وإلى هذا ذهب مقاتل ، والفراء ، وابن قتيبة ، وابن جرير الطبري ، والزجاج ، والنحاس ، والسمرقندي ، وابن أبي زمنين ، والواحدي ، والسمعاني ، والبغوي ، ومحمود النيسابوري ، والرازي ، والقرطبي ، والنسفي ، والقاسمي ، والمراغي ، والطاهر بن عاشور [6] .

قال ابن قتيبة : « أحسنها في الظاهر ، وأَولاها بأنبياء الله ، صلوات الله عليهم ، ما قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ...»[7] .

وقال ابن جرير الطبري : « لأن ذلك عَقيبَ قوله : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰۗ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ ﴾[يوسف : ١٠٩] . فكان ذلك دليلاً على أن إياس الرسل كان من إيمان قومهم الذين أُهْلِكُوا »[8] .

وأما القول الآخر ، وهو أن إياس الرسل – عليهم السلام – كان من النصر ، فقاله مجاهد بنحوه [9] .

---

(1) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٩٧/١٣) من طريق قتادة ، عنه .

(2) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣٢٩/٢) عن معمر ، عنه .

(3) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٩٠/١٣) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢٢١٢/٧) رقم (١٢٠٦٥) .

(4) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٣/ ٣٩١- ٣٩٢) .

(5) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٣/ ٣٩٠) .

(6) ينظر : تفسير مقاتل (٣٥٣/٢) ، ومعاني القرآن (٥٦/٢) ، وتأويل مشكل القرآن (٤١٠، ٤١٢) ، وجامع البيان (٣٨٣/١٣، ٣٩٢) ، ومعاني القرآن وإعرابه (١٣٢/٣) ، ومعاني القرآن الكريم (٤٦١/٣، ٤٦٤) ، وبحر العلوم (١٨٠/٢) ، وتفسير القرآن العزيز (٣٤٢/٢- ٣٤٣) ، والوجيز (٥٦٣/١) والوسيط (٦٣٨/٢) ، وتفسير القرآن (٧٣/٣) ، ومعالم التنزيل (٥٠٥/٢) ، ووضح البرهان (٤٦٩/١) وإيجاز البيان (٣٥٤/١) ، ومفاتيح الغيب (٥٢١/٦) ، والجامع لأحكام القرآن (٤٧١/١١) ، ومدارك التنزيل (٢٤٠/٢) ، ومحاسن التأويل (٣٦١٤/٩) ، وتفسير المراغي (٥٥/١٣) ، والتحرير والتنوير (٦٩/١٣) .

(7) تأويل مشكل القرآن (٤١٢) .

(8) جامع البيان (٣٩٢/١٣) .

(9) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٩٨/١٣) من طريق ابن جريج ، عنه . وينظر : زاد المسير لابن الجوزي (٢٩٦/٤) ، والدر المنثور للسيوطي (٥٩٧/٤) .

ورُوِيَ من وجْهٍ مخالف عن ابن عباس [١] ، وسعيد بن جبير [٢] . وعليه الزمخشري ، والبقاعي، والدرويش[٣] . وهو مفهوم كلام ابن كثير[٤] . واحتمله الماوردي[٥] كابن جُزَيّ .

قال ابن كثير : « يخبر تعالى أن نَصْره يترل على رسله ، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، عند ضيق الحال وانتظار الفرج من الله تعالى في أحوج الأوقات إلى ذلك ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾»[٦] [البقرة : ٢١٤] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : « وأما الرسل فلم يذكر ما استيأسوا منه ، بل أطلق وصفهم بالاستيئاس ، فليس لأحد أن يقيّده بأنهم استيأسوا مما وُعِدُوا به ، وأخبروا بكونه ، ولا ذكرَ ابنُ عباس ذلك ... فإذا كان الخبر عن استيئاسهم مطلقًا فمن المعلوم أن الله إذا وعد الرسل والمؤمنين بنصر مطلق – كما هو غالب إخباراته – لم يقيد زمانه ولا مكانه ولا سَنَتَه ، ولا صفته ، فكثيرًا ما يعتقد الناس في الموعود به صفاتٍ أخرى لم يترل عليها خطاب الحق[٧].

---

(1) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٨٥/١٣) من طريق شعبة ، عن حُصَين ، عن عمران بن الحارث ، عنه قال : (حتى إذا استيأس الرسل) من نصر قومهم . وهذا اللفظ تفرّد به شعبة دون سائر الرواة عن حُصين ، فخالفه ابنُ إدريس ، وهُشيم ، وعبثر ، وجرير ، وسفيان ، فرووه بلفظ : (من إيمان قومهم : أن يصدقوهم : أن يستجيبوا لهم) بهذا المعنى . وهو الموافق لرواية الأعمش، عن أبي الضحى، عن ابن عباس. ولرواية علي بن أبي طلحة، عنه. ولرواية العوفي، عنه. ولرواية سعيد بن جبير، عنه. رواها الطبري في جامع البيان (٣٨٣/١٣-٣٩١) .

(2) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٩١/١٣) من طريق شعبة ، عن أبي المعلّى ، عن سعيد بن جبير قال : استيأس الرسل من نصر قومهم . وهذا اللفظ أيضًا مخالف لما ثبت عنه رحمه الله ، فرواه سفيان ، عن عطاء بن السائب ، عنه . وإسماعيل بن عُلَيّة ، عن كلثوم بن جبر ، عنه . وإبراهيم بن أبي حُرَّة الجزريّ ، عنه . ومسلم بن يسار ، عنه . وعمرو بن ثابت ، عن أبيه ، عنه .كلهم رووه عنه بلفظ : (أن يستجيب لهم قومهم) . رواها ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٣/ ٣٨٣- ٣٩١) .

(3) ينظر : الكشاف (٣٣٠/٣) ، ونظم الدرر (١٠/ ٢٥٤) ، وإعراب القرآن الكريم وبيانه (٦٩/٥) .

(4) ينظر : تفسير القرآن العظيم (٨/ ٩٥) .

(5) ينظر : النكت والعيون (٣/ ٨٩) .

(6) تفسير القرآن العظيم (٨/ ٩٥) .

(7) مجموع الفتاوى (١٥/ ١٨٣) .

وإلى التسوية بين القولين – مع تقديم القول الثاني وهو اليأس من النصر – ذهب البيضاوي ، والقُمّي ، وأبوالسعود ، والشوكاني ، والقنّوجي [1] .

واحتمل القولين ابن قُتيبة واستحسن الأول ؛ كابن جُزَيّ .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن الأحسن في معنى إياس الرسل هو أنه كان من إيمان قومهم وإستجابتهم ، فيكون المعنى : حتى إذا استيأس الرسل – عليهم السلام – من قومهم أن يصدّقوهم ويؤمنوا بهم ولهم ، واعتقدت الرسل – عليهم السلام – أن قومهم قد كذّبوهم ، جاء الرسلَ حينئذٍ وأتباعَهم نصرُ الله تعالى لهم . وهذا المعنى عليه السلف[2] ، وأكثر المفسرين [3]، والله تعالى أعلم .

---

(1) ينظر : أنوار التنزيل (٥٠١/١) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (١٣٢/٤) ، وإرشاد العقل السليم (١٤٢/٣)، وفتح القدير (٨٣/٣) ، وفتح البيان (٤١٧/٦) .

(2) ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين (٢٨٨/١) وفيه قاعدة : تفسير جمهور السلف مقدم على كل تفسير شاذّ .

(3) ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل (٩/١) . وفيه بيان ترجيح ابن جُزَيّ بقول جمهور المفسّرين .

الخاتمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، وبعد :

فقد ألف الإمام ابن جُزَيّ الكَلْبِي رحمه الله تعالى (تـــ ٧٤١ هـــ) في التفسير وعلوم القرآن كتابه " التســـهيل لعلوم التنزيل" المشتمل على كَمٍّ كبيرٍ من أقوال المفسرين ، واختلافاتهم في مختلف الفنون ؛ كالتفسير ، والحديث ، والفقه ، واللغة . وأجاد ابن جُزَيّ فيه عرضَ أقوال المفسرين والاختلاف بينهم ، وسار في إبراز ذلك على طريقة مثلى ، وفق منهجية مميزة ، على الرغم من كون كتابه وجيزاً مختصراً .

ويُعد ابن جُزَيّ من العلماء القلائل الذين أصَّلوا لموضوع الترجيح بين أقوال المفسرين ، وتمييز الصحيح منها من السقيم ، ويتضح ذلك من خلال تحريره لصيغ وأساليب الترجيح ، والوجوه التي يُرجح بها عند الاختلاف بين المفسرين .

وهو لم يتطرق –في الغالب– لذكر أدلة الترجيح عند ذكر أقوال المفسرين ، وإن فعل فإنه لا يستوعب .

واعتمد في الترجيح بين أقوال المفسرين على وجوه الترجيح المختلفة التي قررها في مقدمة كتابه ، عند كلامه عن الخلاف بين المفسرين ، والوجوه التي يُرجح بها بينهم .

وجاءت جلُّ ترجيحاته موافقة لترجيحات أكثرِ من سبقه من المفسرين، ووافقه فيها الكثير من المفسرين الذين أتوا بعده . وحالفه الصواب في أكثر ترجيحاته ، ولم يجانبه إلا في النزر اليسير منها ؛ حيث لم تتجاوز نسبتها ٢٠ % من مجموع مسائل هذا البحث .

وبعد ، فإن الخلاف في التفسير يحتاج إلى جمع مسائله ودراستها دراسة مقارنة على طريقة الفقه المقارن وفق منهجية علمية تعتمد قواعد الترجيح وأصوله وأدلته ؛ للوصول إلى صحيح التفسير ومقبوله وردِّ خطأه وسقيمه .

وأحسب أن الرسائل العلمية المتخصصة في دراسة موضوعات ترجيحات المفسرين تفيد في هذا الجانب كثيرًا ، غير أنها ـــ بعد جمعها وترتيبها ـــ بحاجة إلى تنقيح وتهذيب

عسى الله أن يهيأ لذلك الأمر من يقوم به خير قيام ؛ إنه أكرم مسئول وخير مأمول .

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه

والتابعين لهم بإحسان وسلم تسليمًا كثيرًا

والحمد لله رب العالمين

ملحق تراجم الأعلام

- **الآلوسي** : محمود بن عبد الله الحسيني ، شهاب الدين أبو الثناء (١٢١٧-١٢٧٠هـ) . مفسر، محدث ، أديب ، من المجددين ، من أهل بغداد ، مولده ووفاته فيها . من كتبه : روح المعاني في التفسير . ينظر : الأعلام (١٧٦/٧) ، تراجم مشاهير الشرق (٢٣٦/٢) ، معجم المفسرين (٦٦٥/٢) .
- **إبراهيم بن يزيد النخعي** ، فقيه العراق ، من كبار التابعين ، كان رأسًا في العلم ، ورعًا ، متوقيًا للشهرة ، توفي سنة (٩٦ هـ). ينظر : التاريخ الكبير (٣٣٣/١) ، ومعجم المفسرين (٢٤/١) .

- **الأصمعي** : عبد الملك بن قُريب بن عبد الملك بن علي بن أصمع ، أبوسعيد الباهلي البصري (٢١٦هـ) . حدث عن ابن عون ، وسليمان التيمي ، ومسعر بن كدام ، وشعبة وعدد كثير . وعنه ابن معين ، وأبوعبيد ، وعمر بن شبة وخلق . قال أبو داود : صدوق . وقال ابن حجر : صدوق سُنّي . ينظر : تاريخ بغداد (٤١٠/١٠) ، إنباه الرواه (١٩٧/٢) ، سير أعلام النبلاء (١٧٥/٧) ، التهذيب (٤١٥/٦) ، التقريب (٤٢٠٥) .
- **الأعشى** : أبو المصبح عبدالرحمن بن عبدالله بن الحارث الهَمْداني . شاعر مفوّه شهير ، كوفي . كان متعبدًا فاضلا ، ثم عبث بالشعر . خرج مع القراء مع ابن الأشعث فقتله الحجاج سنة نيّف وثمانين . ينظر : سير أعلام النبلاء (١٨٥/٤) .
- **الأقرع بن حابس** بن عقال المجاشعي الدارمي التميمي (٣١هـ) . صحابي ، من سادات العرب في الجاهلية .شهد حنينًا وفتح مكة والطائف . سكن المدينة ورحل إلى دومة الجندل في خلافة أبي بكر . واستشهد بالجوزجان . ينظر : الإصابة (١٠١/١) ، والأعلام (٥/٢) .
- **الأنباري** : أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار **ابن الأنباري** ، المقرئ النحوي اللغوي (٢٧٢-٣٢٨هـ) . سمع من إسماعيل القاضي وثعلب وخلق كثير . وحدث عنه الدارقطني وأبو علي القالي وآخرون .قال الخطيب : كان ابن الأنباري صدوقًا ديّنًا من أهل السنة . صنف في علوم القرآن والغريب والمشكل والوقف والابتداء . ينظر : تاريخ بغداد (١٨١/٣-١٨٦) ، إنباه الرواة (٢٠١/٣) ، سير أعلام النبلاء (٢٧٤/١٥) .
- **الأنباري** : أبو البركات عبدالرحمن بن محمد بن عبيدالله كمال الدين (٥١٣-٥٧٧هـ) ، الإمام القدوة شيخ النحو ، نزيل بغداد. له من التصانيف : الإنصاف في الخلاف بين البصريين والكوفيين ، والبيان في إعراب القرآن ، ونزهة الألباء في طبقات الأدباء وغيرها . ينظر : إنباه الرواة (١٧١/٢) ، السير (١٣١/٢١) .

- **ابن أَبْزَى** : سعيد بن عبدالرحمن بن أبزى الخزاعي مولاهم ، الكوفي ، ثقة ، من الثالثة . التقريب (٢٣٨) .
- **ابن أبي أَوْفَى** : عبد الله ابن أبي أوفى ، علقمة بن خالد ، أبومعاوية الأسلمي الكوفي (٨٧هـ) . الفقيه المعمّر ، صاحب النبي < ، ومن أهل بيعة الرضوان . روى عنه : سالم أبوالنضر ، فيما كتب إليه ، وإسماعيل بن أبي خالد ، وعمرو بن مُرَّة . قال في التقريب (٢٩٦) : صحابي شهد الحديبية ، وعمّر بعد النبي صلى الله عليه وسلم دهراً ، وهو آخر من مات بالكوفة من الصحابة. ينظر : تهذيب الكمال (٣١٧/١٤) ، السير (٤٢٨/٣) ، التهذيب (١٣٢/٥) ، الإصابة (٢٧/٢) .
- **ابن أبي حاتم** : عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي ، أبو محمد (٢٤٠-٣٢٧هـ). حافظ للحديث ، من كبارهم . له تصانيف منها : الجرح والتعديل – والتفسير – وعلل الحديث . ينظر : تكرة الحفاظ (٨٢٩/٣) ، السير (٢٦٣/١٣) ، معجم المفسرين (٢٧١/١) ، الأعلام (٣٢٤/٣) .
- **ابن أبي زَمَنِين** : محمد بن عبد الله بن عيسى المرّي ، أبو عبد الله (٣٢٤-٣٩٩هـ) . فقيه مالكي . من الوعاظ الأدباء . من أهل إلبيرة . له كتب كثيرة في الفقه والمواعظ منها : أصول السنة – منتخب الأحكام – تفسير القرآن. ينظر : الأعلام (٢٢٧/٦) .
- **ابن أبي ليلى** : عبدالرحمن بن أبي ليلى الأنصاري المدني ثم الكوفي(٨٣هـ) . روى عن أبيه وعمر وعثمان وعلي وسعد وحذيفة ومعاذ بن جبل والمقداد وابن مسعود وأبي ذر وأبي بن كعب وغيرهم. وعنه: ابنه عيسى وابن ابنه عبدالله بن عيسى وعمرو بن ميمون الأودي وهو أكبر منه ويزيد بن أبي زياد وإسماعيل بن أبي خالد وجماعة. قال عطاء بن السائب، عن عبدالرحمن: أدركت عشرين ومائة من الأنصار صحابة. وقال عبد الملك بن عمير: لقد رأيت عبدالرحمن في حلقة فيها نفر من الصحابة فيهم البراء يسمعون .قال ابن حجر: ثقة ، اختُلف في سماعه من عمر مات بوقعة الجماجم . قلت : الصحيح أنه سمع منه. ينظر :تهذيب التهذيب (٢٣٤/٦) ، التقريب (٣٤٩) .
- **ابن أبي مُليكة** : عبد الله بن عبيد الله التيمي المكي (ت ١١٧هـ) . قاض ، من رجال الحديث الثقات . ولاه ابن الزبير قضاء الطائف . ينظر : الأعلام (١٠٢/٤) .
- **ابن أبي نجيح** : عبدالله بن أبي نجيح، واسمه يسار الثقفي، أبويسار المكي، مولى الأخنس الثقفي (١٣١هـ) . روى عن طاوس بن كيسان، وعبدالله بن كثير، وعبدالله بن عامر، وعطاء، ومجاهد، وروى عنه إسماعيل بن علية، والسفيانان، وشعبة، وابن إسحاق. قال وكيع: كان

سفيان يصحح تفسيره، وثّقه ابن معين، وأبو زرعة، وأحمد، والنسائي. قال ابن حجر: ثقة رمي بالقدر وربما دلس. ينظر : طبقات ابن سعد (٤٨٣/٥)، الجرح (٢٠٣/٥) ، تهذيب الكمال (٢١٥/١٦)، السير (١٢٥/٦)، التقريب (٣٦٦٢).

- **ابن إسحاق** : محمد بن إسحاق بن يسار ، أبو بكر المطلبي مولاهم ، المدني ، نزيل العراق (٨٠-١٥١هـ) روى عن : إسماعيل بن أمية ، وأبان بن صالح ، وأيوب ، وصالح بن كيسان ، والأعرج ، وغيرهم . وعنه : عبد الله بن إدريس ، والحمادان ، والسفيانان ، وشعبة ، وغيرهم. قال أحمد : حسن الحديث . وقال أبوزرعة : صدوق . وقال أبوحاتم : يكتب حديثه . وقال ابن معين : كان ثقة حسن الحديث . وقال مرّة : ليس بالقوي ، وكذا قال النسائي . وقد احتج بحديثه ابن المديني ، وقال : ما رأيت أحدًا يتهمه . وقال أبو زرعة الدمشقي : وقد ذاكرت دحيمًا بقول مالك فيه فرأى أن ذلك ليس للحديث إنما هو لأنه اتهمه بالقدر . ووثقه العجلي ، وابن سعد ، وغيرهما . قال في التقريب (٤٦٧) : إمام المغازي ، صدوق يدلس ورمي بالتشيع والقدر . ينظر : ط ابن سعد (٣٢١/٧) – ت الدوري (٥٠٣/٢) – ت الدارمي (٤٤) – الجرح (١٩١/٧) – ثقات ابن حيان (٣٨٠/٧) – تهذيب الكمال (٤٠٥/٢٤) – التهذيب (٣٤/٩) .
- **ابن الأثير** : مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم ، الشيباني الجزري ثم الموصلي، (٥٤٤- ٦٠٦هـ) القاضي الرئيس العلامة البارع الكاتب ، صاحب " جامع الأصول " و " النهاية في غريب الحديث والأثر " وله غيرهما . وكان كاتب الإنشاء لدولة صاحب الموصل ، وولي ديوان الإنشاء وعظم قدره ، وله اليد البيضاء في الترسل ، وصنف فيه . ينظر : وفيات الأعيان (١٤١/٤) – السير (٢١ /٤٨٨) .
- **ابن الأحمر** : إسماعيل بن يوسف النصري ، مؤرخ ، أديب ، مات سنة (٨٠٧)هـ . ينظر : هدية العارفين (٢١٥/٥) ، الأعلام (٣٢٩/١) .
- **ابن التُّرْكُماني** : علاء الدين علي بن عثمان بن إبراهيم الماردييني (٦٨٣-٧٥٠هـ) ، أبو الحسن . من شيوخه : عبدالمؤمن بن خلف الدمياطي ، وابن قيم الجوزيه . ومن تلاميذه : الحافظ العراقي . له "بهجة الأريب" في غريب القرآن . ينظر : معجم المفسرين (٣٧٠/١) ، الأعلام (٣١١/٤) ، معجم المؤلفين (١٤٥/٧) .
- **ابن الجزري** : محمد بن محمد بن علي ، أبو الخير ، شمس الدين العمري الدمشقي (٧٥١-٨٣٣هـ) . شيخ الإقراء في زمانه . من حفاظ الحديث . من كتبه : النشر في القراءات العشر وغاية النهاية في طبقات القراء . ينظر : معجم المفسرين (٦٢٠/٢) ، الأعلام (٤٥/٧) .

- **ابن الجوزي** : عبدالرحمن بن علي بن محمد القرشي التيمي البكري البغدادي ، الحنبلي الواعظ ، أبو الفرج (٥٠٩- ٥٩٧هـ) الشيخ الإمام العلامة ، الحافظ المفسر ، شيخ الإسلام ، الواعظ ، صاحب التصانيف ، ومنها : " مشكل الصحيحين " و " زاد المسير " و " المنتظم في التاريخ " وغيرها . ينظر : ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (٣٩٩/١) – السير (٣٦٥/٢١) – التذكرة (١٣٤٢/٤) .
- **ابن السائب** : محمد بن السائب بن بشر بن عمرو بن الحارث **الكَلْبِي** ، أبو النضر (١٤٦هـ) . نسابة ، راوية ، عالم بالتفسير والأخبار وأيام العرب . من أهل الكوفة . صنف كتابا في تفسير القرآن وهو ضعيف الحديث . قال النسائي : حدث عنه ثقات من الناس ورضوه في التفسير ، وأما في الحديث ففيه مناكير . وقال الحافظ في التقريب (٤٧٩) : متهم بالكذب ورُمي بالرفض. ينظر : التهذيب (١٧٨/٩) ، معجم المفسرين (٥٣٠/٢) ، الأعلام (١٣٣/٦) .
- **ابن الشجري** : هبة الله بن علي بن محمد الحسيني ، أبو السعادات ، الشريف (٤٥٠- ٥٤٢هـ). من أئمة العلم باللغة والأدب وأحوال العرب . من كتبه : الأمالي و الحماسة . ينظر: الأعلام (٧٤/٨) .
- **ابن العربي** : محمد بن عبدالله بن محمد بن عبد الله ، أبو بكر بن العربي الأندلسي الإشبيلي المالكي (٤٦٨-٥٤٣هـ) الإمام العلاّمة الحافظ القاضي ، صاحب التصانيف ومنها : " أحكام القرآن " و " عارضة الأحوذي " في غيرها . ينظر : السير (١٩٧/٢٠) – التذكرة (١٢٩٤/٤) – طبقات المفسرين للداودي (١٦٢/٢) .
- **ابن القاسم** : عبدالرحمن بن القاسم بن خالد بن جنادة العتقي مولاهم ، أبو عبد الله المصري الفقيه (١٣٢- ١٩١هـ) عالم الديار المصرية ومفتيها ، روى عن : مالك ، ونافع المقرئ ، وطائفة . وعنه : أصبغ ، وسحنون ، وابن عبد الحكم ، وآخرون . قال مالك : فقيه . وقال النسائي : ثقة مأمون . قال في التقريب (٣٤٨) : الفقيه ، صاحب مالك ثقة . ينظر : ترتيب المدارك (٤٣٣/٢) – تهذيب الكمال (٣٤٤/١٧) – السير (١٢٠/٩) – الديباج المذهب (٤٦٥/١) – التهذيب (٢٢٧/٦) .
- **ابن المسيّب** : سعيد بن المسيب بن حزن القرشي المخزومي (٩٠هـ) روى عن : أبي هريرة ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وخلق . وعنه : الزهري ، وسالم بن عبد الله ، وسُمي ، وأبو الزناد، وجماعة . قال ابن المديني : لا أعلم في التابعين أوسع علماً منه . قال أحمد : مرسلات سعيد صحاح لا نرى أصح من مرسلاته . وقال : أفضل التابعين سعيد بن المسيب . قال في التقريب (٢٤١) : أحد العلماء الأثبات الفقهاء الكبار ، اتفقوا على أن مرسلاته أصح المراسيل . ينظر : الجرح (٥٩/٤) – تهذيب الكمال (٦٦/١١) – التهذيب (٧٤/٤).

- **ابن المنذر** : محمد بن إبراهيم ، أبو بكر النيسابوري (٢٤١- ٣١٨هـ) الإمام الحافظ العلاّمة ، شيخ الاسلام ، الفقيه ، نزيل مكة ، وصاحب التصانيف ، ومنها : " الإشراف في اختلاف العلماء " و " الإجماع " و " الأوسط " وغيرها . ينظر : السير (٤٩٠/١٤) – التذكرة (٧٨٢/٣) – ط السبكي (١٠٢/٣) .
- **ابن المنيّر** : ناصر الدين أحمد بن محمد بن منصور الإسكندراني الجذامي المالكي (٦٢٠- ٦٨٣هـ) قاضي الإسكندرية وفاضلها المشهور ، برع في الفقه والأصول والنظر والعربية والبلاغة . وكان رأساً في النحو والتفسير والحديث . له كتاب " المتواري على تراجم أبواب البخاري " . ينظر : السير (٣٥٢/٣) – بغية الوعاة (٣٨٤/١) – ط المفسرين للداودي (٨٨/١) .
- **ابن بحر** : لم أقف على ترجمته !! ورأيت الماوردي في النكت والعيون أكثر النقل عنه حتى إنه ذكره في أكثر من مئتي موضع ، وأبوحيان في البحر المحيط ذكره في تسعة وستين موضعًا . ولعلّه ـــ والله أعلم ـــ هو : محمد بن بحر الأصفهاني (٣٢٢هـ) ، أبو مسلم ، كاتب متكلّم مفسر على مذهب المعتزلة ، له مصنفات في تفسير القرآن وعلومه . ينظر : بغية الوعاة (٥٩/١) ، طبقات المفسرين للداوودي (١٠٩/٢) .
- **ابن تيمية** : أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام ، أبو العباس ، شيخ الإسلام ، الإمام المجدد المفسر المحدث الفقيه المجتهد ، نادرة العصر ، توفي سنة (٧٢٨هـ). ينظر: الدرر الكامنة (١٦٨/١) ، ومعجم المفسرين (٤١/١) .
- **ابن جُريج** : عبد الملك بن عبدالعزيز بن جريج الأموي مولاهم المكي (١٥٠هـ) .روى عن أبيه، والزهري، وعطاء، وطاووس، وخلق كثير. وعنه ابناه عبدالعزيز، ومحمد، والأوزاعي، والليث وغيرهم. قال ابن معين: ليس بشئ في الزهري . وقال مرة: ثقة في كل ماروى عنه من الكتاب، وقال العجلي: ثقة مكي . وقال ابن شاهين: ثقة حجة . قال الذهبي: الرجل في نفسه ثقة حافظ لكنه يدلس . وقال ابن حجر في كتابه عن المدلسين: فقيه الحجاز، مشهور بالعلم والتثبت، كثير الحديث، وصفه النسائي وغيره بالتدليس، وقال الدارقطني: شر التدليس تدليس ابن جريج فإنه قبيح التدليس، لا يدلس إلا فيما سمعه من مجروح . وقال في التقريب: ثقة فقيه فاضل، وكان يدلس ويرسل. ينظر : السير (٣٢٥/٦)، تهذيب الكمال (٣٣٨/١٨)، التهذيب (٣٥٧/٦)، التقريب (٣٦٣)، طبقات المدلسين لابن حجر (٦٥).
- **ابن جرير الطبري** : محمد بن جرير بن يزيد بن كثير ، أبو جعفر الطبري ، صاحب التصانيف البديعة ، وإمام المفسرين (٣١٠هـ) .سمع محمد بن حميد الرازي ، وأحمد بن منيع ، وهناد بن

السري ، ومحمد بن عبد الأعلى الصنعاني ، ويونس بن عبد الأعلى وغيرهم ، وعنه أحمد بن كامل القاضي ، وأبو بكر الشافعي ، وأبو عمرو محمد بن أحمد بن حمدان ، والمعلى بن سعيد وخلق كثير . قال الخطيب : أحد أئمة العلماء .. وبالغ في مدحه . وقال الذهبي : كان ثقة ، صادقًا، حافظًا ، رأسًا في التفسير ، إمامًا في الفقه والإجماع والاختلاف ، علامة في التاريخ وأيام الناس ، عارفًا بالقراءات وباللغة ، وغير ذلك . وقال في صدر ترجمته : الإمام العلم المجتهد، عالم العصر . ينظر : تاريخ بغداد (١٦٢/٢) ، تذكرة الحفاظ (٧١٠/٢) ، الميزان (٤٩٨/٣) ، السير (٢٦٧/١٤) .

- **ابن حجر العسقلاني** : أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٨٥٢ هـ) ، حافظ الإسلام في عصره ، من فقهاء الشافعية . ينظر : طبقات الحفاظ (٥٥٢) ، شذرات الذهب (٢٧٠/٧)، معجم المفسرين (٥١/١) .
- **ابن دريد** : محمد بن الحسن أبو بكر الأزدي البصري (٣٢١هـ) العلاّمة شيخ الأدب ، صاحب التصانيف ، تنقل في فارس وجزائر البحور يطلب الآداب ولسان العرب ففاق أهل زمانه ، ثم سكن بغداد . وكان آية من الآيات في قوة الحفظ . وله شعر جيد . وكان أشعر العلماء وأعلم الشعراء . له كتاب " الجمهرة " في اللغة ، و " الاشتقاق " وغيرهما . ينظر : معجم الأدباء (١٢٧/١٨) – إنباه الرواة (٩٢/٣) – السير (٩٦/١٥) .
- **ابن زيد** : عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العمري مولاهم ، المدني (١٨٢هـ) حدث عن : أبيه ، وابن المنكدر . وروى عنه : قتيبة ، وهشام بن عمار ، وآخرون . كان صاحب قرآن وتفسير ، جمع تفسيرًا في مجلد ، وكتابًا في الناسخ والمنسوخ . قال في التقريب (٣٤٠) : ضعيف . ينظر : المجروحين والضعفاء (٥٧/٢) – تهذيب الكمال (١١٤/١٧) – السير (٣٤٩/٨) – الميزان (٥٦٥/٢) – التهذيب (١٦١/٦).
- **ابن سلاّم** : القاسم بن سلام بن عبد الله البغدادي ، أبو عبيد (١٥٧- ٢٢٤هـ) الإمام الحافظ المجتهد ذو الفنون ، أخذ اللغة عن : أبي عبيدة ، وأبي زيد وجماعة . وسمع : هشيمًا ، وابن عيينة، ووكيعًا ، وابن مهدي ، وخلقًا كثيرًا . وحدَّث عنه : الحارث ابن أبي أسامة ، وعباس الدوري ، وابن أبي الدنيا . وآخرون . له من المصنفات الموثقة : " الأموال " و " الناسخ والمنسوخ " و "الغريب " وغيرها . قال في التقريب (٤٥٠) : الإمام المشهور ، ثقة فاضل ، مصنّف ، ولم أر له في الكتب حديثًا مسندًا ، بل من أقواله في شرح الغريب . ينظر : ط ابن سعد (٣٥٥/٧) – إنباه الرواة (١٢/٣) – معجم الأدباء (٢٥٤/١٦) – السير (٤٩٠/١٠).
- **ابن سِعْدِي** : عبدالرحمن بن ناصر بن عبد الله التميمي (١٣٠٧-١٣٧٦هـ) . مفسر ، من علماء الحنابلة ، من أهل نجد . ومن أشهر تلاميذه العلامة محمد بن عثيمين رحمه الله . له العديد

من الكتب منها : تيسير الكريم المنان في تفسير القرآن – القواعد الحسان في تفسير القران . ينظر : مشاهير علماء نجد (٣٩٢) ، معجم المفسرين (٢٧٩/١) ، الأعلام (٣٤٠/٣) .

- **ابن سيرين** : محمد بن سيرين الأنصاري، أبو بكر بن أبي عمرة البصري (١١٠هـ) .روى عن عبيدة السلماني، وأنس بن مالك، وابن عمر وغيرهم . وعنه هشام بن حسان، وأيوب، وخالد الحذاء وآخرون. قال ابن حجر : ثقة ثبت عابد كبير القدر، كان لايرى الرواية بالمعنى. وقال عبدالله ابن أحمد بن حنبل عن أبيه : سمع من أنس وابن عمر وعمران بن حصين وأبي هريرة و لم يسمع من ابن عباس شيئا كلها يقول نبئت عن ابن عباس . وقال شعبة عن خالد الحذاء : كل شيء قال محمد نبئت عن ابن عباس إنما سمعه من عكرمة لقيه أيام المختار بالكوفة . قال أحمد، وعلي ابن المديني: لم يسمع من ابن عباس . ينظر : طبقات ابن سعد (١٩٣/٧)، الجرح (٢٨٠/٧)، تهذيب الكمال (٣٤٨/٢٥ــ ٣٤٤)، السير (٦٠٦/٤)، جامع التحصيل (٢٦٤) ، التهذيب (١٩٠/٩)، التقريب (٥٩٤٧).
- **ابن عاشور** : محمد الطاهر بن محمد الشاذلي (١٢٩٦-١٣٩٣هـ) . رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس . وهو من أعضاء المجمعين العربيين في دمشق والقاهرة . له مصنفات منها : مقاصد الشريعة الإسلامية – التحرير والتنوير – موجز البلاغة . ينظر : معجم المفسرين (٥٤١/٢) ، الأعلام (١٧٤/٦) .
- **ابن عامر** : عبدالله بن عامر بن يزيد بن تميم اليَحْصَبيّ ، الدمشقي ، المقرئ ، أبو عمران (١١٨هـ) . ثقة ، من الثالثة .ينظر : التقريب (٣٠٩) .
- **ابن عباس** : **عبدالله بن عباس** بن عبد المطلب ، أبو العباس القرشي الهاشمي المكي (٦٨هـ) . حبر الأمة ، وفقيه العصر ، وإمام التفسير . ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد بشعب بني هاشم قبل الهجرة بثلاث سنين . صحب النبي صلى الله عليه وسلم نحواً من ثلاثين شهراً . دعا له النبي صلى الله عليه وسلم بالحكمة . أحد المكثرين من الصحابة ، وأحد العبادلة من فقهاء الصحابة . مات بالطائف رضي الله عنه . ينظر : تهذيب الكمال (١٥٤/١٥) – السير (٣٣١/٣) – التهذيب (٢٤٢/٥) – التقريب (٣٠٩) – الإصابة (٣٢٢/٢) .
- **ابن عبدالبر** : يوسف بن عبدالله بن محمد ، أبو عمر النمري ، الأندلسي ، القرطبي ، المالكي (٣٦٨- ٤٦٣هـ) الإمام العلامة ، حافظ المغرب ، شيخ الإسلام ، صاحب التصانيف الفائقة ومنها : " التمهيد " و " الاستذكار " و " الاستيعاب " وغيرها . حدَّث عنه : ابن حزم ، وأبو علي الغسّاني ، وغيرهما . كان إمامًا ديّنًا ، ثقة ، متقنًا ، علامةً ، متبحرًا ، صاحب سنة واتباع ،

كان حافظ المغرب في زمانه ، بلغ رتبة الأئمة المجتهدين . ينظر : ترتيب المدارك (٨٠٨/٤) – السير (١٥٣/١٨) – التذكرة (١١٢٨/٣) .

- **ابن عطية** : عبدالحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي ، أبو محمد (٤٨١-٥٤٢هـ) من محارب قيس ، الغرناطي . مفسر ، فقيه أندلسي ، من أهل غرناطة ، عارف بالأحكام والحديث . له المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز . ينظر : معجم المفسرين (٢٥٧/١) ، الأعلام (٢٨٢/٣) .
- **ابن عمر** : عبدالله بن عمر بن الخطاب ، أبو عبد الرحمن القرشي العدوي المكي ثم المدني (٧٣هـ) . أسلم وهو صغير ، ثم هاجر مع أبيه و لم يحتلم ، واستصغر يوم أحد ، فأول غزواته الخندق ، وهو ممن بايع تحت الشجرة ، أخته أم المؤمنين حفصة . روى علمًا كثيرًا نافعًا عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن كبار الصحابة . وروى عنه: أولاده : بلال ، وحمزة ، وزيد ، وسالم، ومولاه نافع ، وأسلم مولى عمر ، وزيد بن أسلم ، وعروة بن الزبير ، وابن المسيب ، وخلق كثير . قال في التقريب (٣١٥) : أحد المكثرين من الصحابة والعبادلة ، وكان من أشدّ الناس اتباعاً للأثر . ينظر : تهذيب الكمال (٣٣٢/١٥) – السير (٢٠٣/٣) – التهذيب (٢٨٧/٥) – الإصابة (٣٣٨/٢) .
- **ابن عيسى** : لم أقف على ترجمته ! نقل عنه الماوردي في النكت والعيون (٤٩٩/٢) .
- **ابن عيينة** : سفيان ابن أبي عمران : ميمون الهلالي ، أبو محمد الكوفي ، ثم المكي (١٠٧-١٩٨هـ) روى عن : الزهري ، والسعيدي ، وعمرو بن دينار ، وأيوب ، ويوسف بن موسى القطان ، وغيرهم . وعنه : أحمد ، وابن المديني ، والحميدي ، والمسندي ، وطوائف كثيرة . قال الشافعي : لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز . وقال : هما القرينان . وقال القطان : سفيان إمام في الحديث منذ أربعين سنة . وقال : اختلط سنة (١٩٧هـ) فمن سمع منه في هذه السنة وبعدها فسماعه لا شيء . قال في التقريب (٢٤٥) : ثقة حافظ فقيه إمام حجة ، إلاّ أنه تغيّر بأخرة ، وكان ربما دلّس لكن عن الثقات ، وكان أثبت الناس في عمرو بن دينار . ينظر : الجرح (٢٢٥/٤) – تهذيب الكمال (١٧٧/١١) – التهذيب (١٠٤/٤) .
- **ابن فارس** : أحمد بن فارس بن زكريا ، أبو الحسين القزويني ، المعروف بالرازي ، المالكي ، اللغوي (٣٩٥هـ) الإمام العلامة ، اللغوي المحدث ، كان شافعيًا ثم صار مالكيًا آخر عمره ، له مصنفات كثيرة منها : مجمل اللغة ومقاييس اللغة والصاحبي وغيرها . كان كاملاً في الأدب ، من أعيان أهل العلم وأفراد الدهر . ينظر : إنباه الرواة (١٢٧/١) – معجم الأدباء (٨٠/٤) – السير (٥٥٣/١٥) .

- **ابن قتيبة** : عبدالله بن مسلم الدينوري ، وقيل : المروزي أبو محمد الكاتب (٢٧٦هـ) العلامة الكبير ، ذو الفنون ، صاحب التصانيف . نزل بغداد ، وصنّف وجمع وبعد صيته . قال الخطيب في تاريخه (١٧٠/١٠) : كان ثقة ديّنًا فاضلاً . ومن تصانيفه : " غريب القرآن " و " غريب الحديث " و " مشكل القرآن " و " مشكل الحديث " و " أدب الكاتب " و " عيون الأخبار " وغيرها . ينظر : إنباه الرواة (١٤٣/٢) – السير (٢٩٦/١٣) .
- **ابن القيم الجوزية** : محمد بن أبي بكر بن سعد الزرعي ، أبو عبد الله شمس الدين (ت ٧٥١هـ) من أركان الإصلاح الإسلامي وأحد كبار العلماء ، تتلمذ لشيخ الاسلام ابن تيمية حتى كان لا يخرج عن شئ من أقواله ، وهو الذي هذّب كتبه ونشر علمه . تصانيفه كثيرة منها : إعلام الموقعين و شفاء العليل و هداية الحيارى . ينظر : البداية والنهاية (٥٢٣/١٨) ، الدرر الكامنة (٢١/٤) ، البدر الطالع (١٤٣/٢) .
- **ابن كثير** : إسماعيل بن عمرو بن كثير القرشي ، مؤرخ ، مفسر ، محدث ، من فقهاء الشافعية ، توفي سنة (٧٧٤)هـ. انظر: شذرات الذهب (٢٣١/٦) ، ومعجم المفسرين (٩٢/١) .
- **ابن مالك** : محمد بن عبدالله بن عبدالله بن مالك أبوعبدالله الطائي الجيّاني النحوي (٦٠٠-٦٧٢هـ) ، صاحب التصانيف المشهورة في النحو : الكافية الشافية وشرحها والتسهيل والألفية. كان كثير الاجتماع بابن خَلِّكان ، وأثنى عليه غير واحد . ينظر : البداية والنهاية (٥١٤/١٧) ، وبغية الوعاة (١٣٠/١) ، الأعلام (٢٣٣/٦) .
- **ابن مردويه** : أحمد بن موسى الأصبهاني ، أبو بكر (٣٢٣-٤١٠هـ) . حافظ مؤرخ مفسر . من أهل أصبهان . له كتاب التاريخ و تفسير القرآن . ينظر : معجم المفسرين (٨١/١)، الأعلام (٢٦١/١) .

- **ابن مسعود** : عبدالله بن مسعود بن غافل، أبو عبدالرحمن الهذلي البدري حليف بني زهرة (٣٢هـ) . الإمام الحبر، الفقيه، كان من السابقين الأولين، والنجباء العالمين، روى عنه أنس، وجابر، وأبو هريرة، وابن عباس، ومسروق وخلق كثير. قال ابن حجر: من السابقين الأولين، ومن كبار علماء الصحابة، مناقبه جمة، وأمّره عمر على الكوفة. ينظر : تهذيب الكمال (١٢١/١٦)، السير (٤٦١/١)، التجريد (٣٣٤/١)، الإصابة (١٢٩/٤)، التهذيب (٢٤/٦)، التقريب (٣٦١٣) .
- **ابن معطي** : يحيى بن معطي بن عبدالنور النحوي (٦٢٨هـ) صاحب الألفية في النحو . ينظر : معجم الأدباء (٣٥/٢٠) ، السير (٣٢٤/٢٢) ، البداية والنهاية (١٨٦/١٧) .

- **ابن مقبل** : تميم بن أُبيّ ، أبو كعب . من بني العجلان . شاعر جاهلي . أدرك الإسلام وأسلم . عاش نيفاً ومئة سنة. وعدَّ في المخضرمين . له ديوان شعر وَرَدَ فيه ذكُر وقعة صفين . ينظر : الإصابة (١٩٥/١) ،الأعلام (٨٧/٢) .
- **ابن منظور** : محمد بن مكرم بن علي ، أبو الفضل ، جمال الدين الأنصاري (٦٣٠-٧١١هـ) . صاحب لسان العرب ، الإمام اللغوي الحجة . ينظر : الدرر الكامنة (٢٦٢/٤) ،الأعلام (١٠٨/٧) .
- **ابن هشام** : عبدالله بن يوسف بن أحمد بن عبدالله بن هشام ، الأنصاري المصري أبو محمد جمال الدين (٧٠٨-٧٦١هـ) ، قال عنه ابن خلدون : ما زلنا ونحن بالمغرب نسمع أنه ظهر بمصر عالم بالعربية يقال له ابن هشام أنحى من سيبويه . له مصنفات كثيرة مفيدة منها : أوضح المسالك وقواعد الإعراب ومغني اللبيب وقطر الندى وشذور الذهب . ينظر : مقدمة أوضح المسالك لمحي الدين عبدالحميد ، الدرر الكامنة (١٨٧/٢) ، الأعلام (١٤٧/٤) .
- **ابن وهب** : عبدالله بن وهب بن مسلم القرشي مولاهم ، أبو محمد المصري الفقيه . (١٢٥-١٩٧هـ) . عن : ابن لهيعة ، ومالك ، والليث ، وغيرهم . وعنه : ابن مهدي ، وابن المديني ، وأحمد بن صالح المصري ، والقعنبي ، وغيرهم . قال أحمد : ما أصح حديثه وأثبته . وقال ابن معين ، وأبو زرعة : ثقة . وقال الساجي : صدوق ثقة . وقال النسائي : كان يتساهل في الأخذ ولا بأس به . وقال مرّة : ثقة ما أعلمه روى عن الثقات حديثاً منكراً . وقال الخليلي : ثقة متفق عليه وموطؤه يزيد على كل من روى عن مالك . قال في التقريب (٣٢٨) : ثقة حافظ عابد . ينظر : ط ابن سعد (٥١٨/٧) – الجرح (١٨٨/٥) – ثقات ابن حيان (٣٤٦/٨) – تهذيب الكمال (٢٧٧/١٦) – التهذيب (٦٥/٦) .
- **أبو إسحاق السبيعي** : عمرو بن عبدالله بن عبيد ويقال علي الهمداني (١٢٩هـ) . روى عن : علي بن أبي طالب والمغيرة بن شعبة وقد رآهما ، وقيل: لم يسمع منهما ، والحارث الأعور وخلق كثير . وعنه : ابنه يونس وابن ابنه إسرائيل بن يونس وابن ابنه الآخر يوسف بن إسحاق وقتادة وسليمان التيمي وإسماعيل بن أبي خالد والأعمش وشعبة ومسعر والثوري وهو أثبت الناس فيه . أطلق يحيى بن معين والنسائي والعجلي وأبو حاتم القول بتوثيقه ، واحتج به الشيخان . قال ابن حجر: ثقة مكثر عابد اختلط بأخرة . ينظر : تهذيب الكمال(١٠٢/٢٢)، التهذيب(٥٦/٨)، تقريب التهذيب(٥٠٦٥)، الكواكب النيرات ص(٦٦) .
- **أبو أمامة** : صُدي بن عجلان بن وهب بن عريب بن وهب أبو أمامة الباهلي، صاحب رسول الله < (٨٦هـ) .نزيل حمص، روى علمًا كثيرًا وحدث عن عمر، ومعاذ، وأبي عبيدة، وروى عنه خالد

ابن معدان، والقاسم أبو عبدالرحمن، وسالم بن أبي الجعد، ورجاء بن حيوة وآخرون. قال ابن حجر: سكن الشام، ومات بها . قال ابن عيينة: هو آخر من مات من الصحابة بالشام. ينظر : تهذيب الكمال (١٥٨/١٣)، السير (٣٥٩/٣)، الإصابة (٢٤٠/٣-٢٤١) التهذيب (٤٢٠/٤)، التقريب (٢٧٦).

- **أبو أيوب الأنصاري** : خالد بن زيد بن كليب النجاري (٢٨/٢٨٣٠) من السابقين ، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وأبي بن كعب . وعنه : البراء بن عازب ، وابن عباس ، وأنس ، وغيرهم . شهد العقبة وبدرًا وما بعدها . قال في التقريب (١٨٨) : من كبار الصحابة ، شهد بدرًا ، ونزل النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة عليه . مات غازيًا الروم سنة (٥٠هـ) وقيل بعدها . ينظر : تهذيب الكمال (٦٦/٨) – التهذيب (٧٩/٣) – الإصابة (٤٠٤/١).
- **أبو بكر الصديق** : عبدالله بن عثمان بن عامر التيمي ، ابن أبي قُحافة (١٣هـ) الصدِّيق الأكبر، خليفة رسول الله < ، ينظر : تهذيب الكمال (٢٨٢/١٥) ، التهذيب (٢٧٦/٥) ، التقريب (٣١٣) ، الإصابة (٣٣٣/٢) .
- **أبو بَكرة** : نُفَيْع بن الحارث بن كَلدة الثقفي البصري (٥١ أو ٥٢ هـ) روى عن النبي صلى الله عليه وسلم . وعنه : أولاده ، والحسن البصري ، وربعي بن حراش ، ومحمد بن سيرين ، وأبو عثمان النهدي ، وغيرهم . قال في التقريب (٥٦٥) : صحابي ، مشهور بكنيته ، وقيل : اسمه مسروح ، أسلم بالطائف ، ثم نزل البصرة ، ومات بها . ينظر : تهذيب الكمال (٥/٣٠) – السير (٥/٣) ــ التهذيب (٤١٨/١٠) ــ الإصابة (٥٤٢/٣) .
- **أبو التياح** : يزيد بن حُميد الضُبعي البصري (١٢٨هـ) عن : أنس ، والحسن ، والمغيرة بن سبيع ، في آخرين . وعنه : سعيد بن أبي عروبة ، وشعبة ، والحمادان ، وغيرهم . قال أحمد : ثبت ثقة ثقة . وقال ابن معين ، وأبو زرعة ، والنسائي : ثقة . وقال : ابن المديني : معروف . وقال أبو حاتم : صالح . قال في التقريب (٦٠٠) : ثقة ثبت . ينظر : تهذيب الكمال (٣٢ /١٠٩) – التهذيب (٢٨٠/١١) .

- **أبو جعفر الباقر** : محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، العلوي الفاطمي (١١٤هـ) .روى عن جَدَّيه النبيَّ < ، وعليًّا مرسلا، والحسن والحسين مرسلا، وابن عباس كذلك وغيرهم، حدث عنه ابنه جعفر، وعطاء بن أبي رباح، وأبو إسحاق السبيعي، والزهري وآخرون. وشهر بالباقر: من بقر العلم، أي شقه فعرف أصله وخفيه. اتفق الحفاظ على الاحتجاج به، قاله الذهبي. وزاد: كان أحد من جمع بين العلم والعمل، والسؤدد، والشرف، والثقة، والرزانة، وكان أهلا للخلافة، وهو أحد الأئمة الاثني عشر الذين تبجلهم الشيعة الإمامية وتقول بعصمتهم وبمعرفتهم بجميع

الدين، فلا عصمة إلا للملائكة والنبيين. وقال ابن حجر: ثقة فاضل. ينظر : طبقات ابن سعد (٣٢٠/٥)، الحلية (١٨٠/٣)، تهذيب الكمال (١٣٦/٢٦)، السير (٤٠١/٤)، التهذيب (٣٥٠/٩)، التقريب (٦١٥١).

- **أبو جعفر جَسْر بن فَرْقَد** : القصاب ، البصري ، من الرابعة ، رجل صالح في نفسه ، ضعيف الرواية . ينظر : المعجم الصغير لرواة الإمام ابن جرير الطبري (٩٠/١) .
- **أبو جعفر النحاس** : أحمد بن محمد بن إسماعيل المصري (٣٣٨هـ) ، النحوي ، العلامة ، إمام العربية . أخذ عن الزجاج ، وله الناسخ والمنسوخ ، ومعاني القرآن الكريم وغيرها . ينظر : السير (٤٠١/١٥) ، معجم المفسرين (٦٠/١) .
- **أبو جعفر** : يزيد بن القعقاع القارئ أحد العشرة ، مدني مشهور ، رفيع الذكر . ينظر : معرفة القراء الكبار (٧٢/١) .
- **أبو الحسين بن المنادي** : أحمد بن جعفر بن محمد (٢٥٦- ٣٣٦هـ) عالم بالتفسير والحديث من أهل بغداد . من كتبه : (اختلاف العدد) و (دعاء أنواع الاستعاذات من سائر الآفات والعاهات).آخر من روى عنه : محمد بن فارس اللغوي . ينظر : تاريخ بغداد (٦٩/٤) .
- **أبو حنيفة** : النعمان بن ثابت بن زوطي التيمي مولاهم (٨٠- ١٥٠هـ) الإمام ، فقيه الملة ، عالم العراق ، رأى أنسًا ، وروى عن عطاء ، والشعبي ، والأعرج ، وقتادة ، وهشام ابن عروة ، والزهري ، وخلق سواهم . حدَّث عنه خلق كثير منهم : إبراهيم بن طهمان ، وحمزة الزيات ، وزفر ، وابن المبارك ، وعبد الرزاق ، وصاحباه : محمد بن الحسن ، والقاضي أبو يوسف . عُني بطلب الآثار ، وأما الفقه والتدقيق في الرأي وغوامضه ، فإليه المنتهى والناس عليه عيال في ذلك . قال : في التقريب (٥٦٣) : ففيه مشهور . ينظر : ت بغداد (٣٢٣/١٣) – تهذيب الكمال (٤١٨/٢٩) – السير (٣٩٠/٦) – التهذيب (٤٠١/١٠) .
- **أبو حيان** : محمد بن يوسف بن علي بن يوسف الغرناطي الأندلسي ، أثير الدين (٦٥٤- ٧٤٥هـ) . من كبار العلماء بالعربية والتفسير والحديث والتراجم واللغات . من كتبه : البحر المحيط – تحفة الأريب – منهج السالك . ينظر : طبقات المفسرين للداوودي (٢٨٧/٢) ، طبقات المفسرين للأدنه وي (٢٧٩) ، الأعلام (١٥٢/٧) .

- **أبو الدرداء** : عويمر بن زيد بن قيس الأنصاري . مختلف في اسم أبيه، وإنما هو مشهور بكنيته، وقيل اسمه عامر، وعويمر لقب. صحابي جليل، أول مشاهده أحد، وكان عابدا، مات في آخر خلافة عثمان، وقيل عاش بعد ذلك، جمع القرآن في حياة النبي، روى عن النبي عدة أحاديث،

وروى عنه أنس، وابن عباس، وأبو أمامة، وابن المسيب، وغيرهم كثير. ينظر : تهذيب الكمال (٤٦٩/٢٢)، السير (٣٣٥/٢)، الإصابة (٤٦/٣)، التقريب (٥٢٢٨).

- **أبو ذر الغفاري** : جندب بن جنادة الغفاري ، صحابي ، زاهد ، توفي سنة (٣٢)هـ . ينظر : الطبقات الكبرى (٢١٩/٤) ، والاستيعاب (٢٥٢/١) ، والإصابة (١٢٥/٧) .
- **أبو ذؤيب الهذلي** : خويلد بن خالد بن محرِّث ، الشاعر المشهور . قال أبو سلاّم : أشعر هذيل أبو ذؤيب . وقال عمر بن شبَّة : كان مقدَّمًا على جميع شعراء هذيل بقصيدته التي يقول فيها :

والنفس راغبة إذا رغبتها وإذا ترد إلى قليل تقنع

وكان فصيحًا كثير الغريب متمكنًا في الشعر ، وعاش في الجاهلية وأدرك الإسلام فأسلم ، وعامة ما قال من الشعر في إسلامه . قدم المدينة بعد وفاة الرسول < وقبل دفنه ، وشهد السقيفة وسمع خطبة أبي بكر ، واختلف في وفاته ، فقيل : مات غازيًا في بلاد الروم ، وقيل : غير ذلك . ينظر: الإصابة (٦٦/٤) .

- **أبو رَزِين** : مسعود بن مالك الأسدي ، الكوفي (٨٥هـ) ثقة فاضل . وهو غير أبي رَزين عُبيد الذي قتله عبيد الله بن زياد ، ووهم من خلطهما . ينظر التقريب (٥٢٨) .
- **أبو رَوْق** : عطية بن الحارث الهمْداني الكوفي ، صاحب التفسير ، صدوق . ينظر : التقريب (٣٩٣) .
- **أبو زيد الأنصاري** : سعيد بن أوس بن ثابت ، البصري النحوي (٢١٥هـ) الإمام العلامة حجة العرب ، قال المبرد : الأصمعي وأبوعبيدة وأبو زيد ، أعلم الثلاثة بالنحو أبو زيد، وكانت له حلقة بالبصرة . ينظر : إنباه الرواة (٣٠/٢) ، السير (٤٩٤/٩) .
- **أبو السُّعُود** : محمد بن محمد العمادي (٩٨٢هـ) مفسر ، أصولي ، شاعر ، من علماء الترك المستعربين ، ومن فقهاء الحنفية ، مشهور . ينظر : البدر الطالع (٢٦١/١) ، معجم المفسرين (٦٢٥/٢) ، الأعلام (٥٩/٧) .
- **أبو سعيد الخدري** : سعد بن مالك بن سنان بن ثعلبة من الخزرج أبو سعيد الخدري، الأنصاري (٦٣هـ) ، له ولأبيه صحبة . حدث عن النبي < فأكثر وأطاب، وعن أبي بكر، وعمر وطائفة، وعنه ابن عمر، وجابر، وأنس، وعطية العوفي، والحسن البصري، وخلق كثير، واستصغر بأحد، ثم شهد مابعدها من الغزوات. ينظر : تهذيب الكمال (٢٩٤/١٠)، السير (١٦٨/٣)، الإصابة (٨٥/٣)، التهذيب (٤٧٩/٣)، التقريب (٢٢٥٣).
- **أبو سفيان** : صخر بن حرب بن أمية ، أبوسفيان الأموي (٣٢هـ) . قال الذهبي : ولا ريب أن حديثه عن هرقل وكتاب النبي < يدل على إيمانه ، ولله الحمد . قال في التقريب (٢٧٥) :

صحابي شهير ، أسلم عام الفتح . ينظر : تهذيب الكمال (١١٩/١٣) – السير (١٠٥/٢) – الإصابة (١٧٢/٢) – التهذيب (٣٦١/٤) .

- **أبو سلمة** : هو بن عبدالرحمن بن عوف القرشي بن عبد عوف الزهري المدني (٩٤هـ). قيل : اسمه عبدالله . وقيل: إسماعيل. وقيل : اسمه كنيته. روى عن أبيه وعثمان بن عفان وطلحة وعبادة بن الصامت ، وقيل : لم يسمع منهما ، وأبي قتادة وجابر وزينب بنت أم سلمة وعطاء بن يسار وخلق من الصحابة والتابعين . وعنه ابنه عمر وأولاد إخوته سعد بن إبراهيم بن عبدالرحمن وعبد المجيد بن سهيل بن عبدالرحمن وزرارة بن مصعب بن عبدالرحمن والأعرج وعمرو بن الحكم بن ثوبان وعروة بن الزبير والزهري . قال ابن حجر: ثقة مكثر . ينظر : تهذيب الكمال(٣٧٠/٣٣)، التهذيب(١٢٧/١٢)، التقريب(٨١٤٢) .
- **أبو سليمان الخطابي** : حمد بن محمد بن إبراهيم ، البستي الشافعي (٣٨٨هـ) الإمام العلامة ، الحافظ اللغوي ، صاحب التصانيف ومنها : أعلام الحديث ، ومعالم السنن ، وغريب الحديث ، وغيرها . ينظر : إنباه الرواة (١٢٥/١) – السير (٢٣/١٧) – التذكرة (١٠١٨/٣) .
- **أبو سليمان الدمشقي** : محمد بن عبدالله السعدي ، المفسر . صنف كتبًا في التفسير منها "مجتنى التفسير" . ينظر : تاريخ دمشق : (٣٤٩/٥٣) .
- **أبو سنان الشيباني** : سعيد بن سنان البُرْجُمي ، الشيباني الأصغر ، الكوفي نزيل الري ، صدوق له أوهام ، من السادسة . ينظر التقريب (٢٣٧) .
- **أبو الشعثاء** : جابر بن زيد الأزدي ، الجَوْفي ، البصري (٢١-٩٣هـ) تابعي ثقة ، فقيه مشهور، مفسر ، من الإئمة . روى عن ابن عباس وابن عمر وغيرهما . كان من أعلم الناس بالتفسير . قاله ابن حبان . ينظر : التقريب (١٣٦) ، معجم المفسرين (١٢٣/١) .
- **أبو صالح** : باذام مولى أم هانئ (بعد ١٢١هـ) . حدث عن مولاته أم هانئ، وأخيها علي، وأبي هريرة، وابن عباس وغيرهم . وعنه أبو قلابة، والأعمش، والسدي، ومحمد بن السائب الكلبي وآخرون. قال ابن معين: ليس به بأس، وإذا حدث عنه الكلبي فليس بشئ . وقال النسائي: ليس بقوي . وقال أبو حاتم: يكتب حديثه، ولا يحتج به. وقال ابن حجر: ضعيف، يرسل. ينظر : الجرح (٤٣١/٢)، تهذيب الكمال (٦/٤)، السير (٣٧/٥)، الميزان (٢٦٦/١)، التهذيب (٤١٦/١)، التقريب (٦٣٤).
- **أبو صخر** : عبد الله بن سلمة السهمي الهذلي . شاعر من الفصحاء . كان في العصر الأموي مواليًا لبني مروان ، متعصبًا لهم ، وله في عبد الملك وأخيه عبد العزيز مدائح . ينظر : الأعلام (٩٠/٤-٩١) .

- **أبو العالية** : رُفَيع بن مِهران ، أبو العالية الرِّياحي (٩٠هـ) ، ثقة كثير الإرسال ، من الثانية . ينظر : التقريب (٢١٠) .

- **أبو عبد الرحمن السلمي** : عبدالله بن حبيب بن ربيعة ، الكوفي (٧٤هـ) .لأبيه صحبة، ولد في حياة النبي <، وقرأ القرآن وجوده وعرضه على عثمان وعلي وابن مسعود وغيرهم، وحدث عن عمر وعثمان ، أخذ عنه عاصم،ويحيى بن وثاب، والشعبي، وعرض عليه الحسن والحسين. هو مقرئ الكوفة، قال أبو إسحاق السبيعي: أربعين سنة. قال الذهبي: ثقة كبير القدر، وحديثه مخرج في الكتب الستة. قال ابن حجر: مشهور بكنيته، ولأبيه صحبة، ثقة ثبت. ينظر : طبقات ابن سعد (١٧٢/٦)، الجرح (٣٧/٥)، تهذيب الكمال (٤٠٨/١٤)، معرفة القراء (٥٢/١)، التقريب (٣٢٧١)، التهذيب (١٦١/٥) .

- **أبو عبيد = ابن سلام**

- **أبو عبيدة** : معمر بن المثنى التيمي مولاهم ، البصري ، النحوي (١١٠- ٢٠٩هـ) حدَّث عن هشام بن عروة ، وأبي عمرو بن العلاء ، وغيرهما . وعنه : ابن المديني ، وأبو عبيد القاسم بن سلام ، وغيرهما ، قال ابن معين : ليس به بأس . وقال ابن المديني : كان لا يحكي عن العرب إلا الشيء الصحيح . وقال ابن قتيبة : كان الغريب وأيام العرب أغلب عليه . وقال الذهبي : لم يكن صاحب حديث ، وإنما أوردته [في السير] لتوسعه في علم اللسان و أيام الناس . له تصانيف منها : " غريب الحديث " ، و " مجاز القرآن " ، و " مقاتل الفرسان " ، و " مقاتل الأشراف " . قال في التقريب (٥٤١) : صدوق أخباري وقد رمي برأي الخوارج . قلت : أكثر عنه البخاري في الصحيح فيما يتعلق بتفسير الغريب . ينظر : ت بغداد (٢٥٢/١٣) – إنباه الرواة (٢٧٦/٣) – تهذيب الكمال (٣١٦/٢٨) – السير(٤٤٥/٩) – كشف الظنون (١٧٧٨/٢) .

- **أبو علقمة** : مولى لعثمان ، تابعي كبير . ينظر : المعجم الصغير لرواة الإمام ابن جرير الطبري (٧٣٦/٢) .

- **أبو علي الفارسي** : الحسن بن أحمد بن عبد الغفار (٢٨٨-٣٧٧هـ) . الفارسي الأصل ، أحد الأئمة في علم العربية . من كتبه : التذكرة – الحجة – جواهر النحو . ينظر : إنباه الرواة (٢٧٣/١) ، السير (٣٧٩/١٦) ، الأعلام (١٧٩/٢-١٨٠) .

- **أبو عمرو** : زَبّان بن العلاء بن عمار بن العُريان المازني ، النحوي القارئ (١٥٤هـ). اختُلف في اسمه ، ثقة ، من علماء العربية . ينظر : التقريب (٦٦٠) .

- **أبو عمرو الداني** : عثمان بن سعيد بن عثمان ، ويقال له ابن الصيرفي (٣٧١-٤٤٤هـ) . من موالي بني أمية . أحد حفاظ الحديث . من الأئمة في علم القرآن ورواياته وتفسيره . له أكثر من مئة تصنيف منها : التيسير – التجديد في الاتقان والتجويد – البيان في عد آي القرآن . ينظر : معجم المفسرين (٣٤٢/١) ، الأعلام (٢٠٦/٤) .

- **أبو عمرو الشيباني** : سعد بن إياس الكوفي(٩٥هـ) .روى عن ابن مسعود وعلي وحذيفة وأبي مسعود البدري وجبلة بن حارثة وزيد بن أرقم . وعنه أبو إسحاق السبيعي والحارث بن شبيل والوليد بن العيزار والأعمش ومنصور وعيسى بن عبدالرحمن السلمي وغيرهم . ثقة مخضرم مات وهو ابن عشرين ومائة سنة . ينظر : تهذيب الكمال(٢٥٨/١٠)،تهذيب التهذيب(٤٠٦/٣)، تقريب التهذيب(٢٣٠) .

- **أبو غالب** : صاحب أبي أمامة ، بصري ، نزل أصبهان ، قيل : اسمه حَزَوَّر ، وقيل : سعيد بن الحزوّر ، وقيل : نافع ، صدوق يخطئ ، من الخامسة . ينظر : التقريب (٦٦٤) .
- **أبو قِلابة** : عبد الله بن زيد بن عمرو الجَرْمي ، البصري (ت١٠٤هـ) . عالم بالقضاء والأحكام ، ناسك من أهل البصرة . أرادوه على القضاء ، فهرب إلى الشام ، فمات فيها . وكان من رجال الحديث ثقة فاضلا كثير الإرسال . ينظر : التقريب (٣٠٤) ، الأعلام (٨٨/٤) .
- **أبو مالك** : غزوان الغفاري الكوفي ، مشهور بكنيته ثقة من الثالثة . ينظر : الكاشف (١١٦/٢)، التقريب (٤٤٢) .

- **أبو مجلز** : لاحق بن حميد بن سعيد ، السدوسي ، الأعور (١٠٦هـ) . تابعي لحق كبار الصحابة ، كان عاملا في بيت المال ، وروى عن أنس ، والحسن بن علي ، وسمرة ، وعنه أيوب السختياني ، وسليمان التيمي ، وعاصم الأحول ، وقتادة بن دعامة . وثقه ابن سعد ، والعجلي ، وأبو زرعة ، وابن حبان ، وابن خراش . أما ابن معين فقال : مضطرب الحديث . قال ابن حجر : مشهور بكنيته ثقة . ينظر : طبقات ابن سعد (٢١٦/٧) ، ثقات ابن حبان (٥١٨/٥)، تهذيب الكمال (١٧٦/٣١) ، التقريب (٧٤٩٠) ، شذرات الذهب (١٣٤/١) .
- **أبو المحاسن القرشي اليماني** : عبدالباقي بن عبدالمجيد بن عبدالله اليمني المخزومي المكي ، تاج الدين (٧٤٣هـ)، له نظم واشتغال بالأدب والتاريخ . ينظر : الأعلام (٢٧٢/٣) .
- **أبو مسعود الأنصاري** : عقبة بن عمرو بن ثعلبة الأنصاري اليدري (قبل ٤٠هـ) ، صحابي جليل . ينظر : التقريب (٣٩٥) .

- **أبو موسى الأشعري** : عبد الله بن قيس بن سليم التميمي (٥٠هـ) صحابي مشهور ، روى عنه: أنس ، وأبو سعيد ، وأولاده ، وأبو وائل ، وآخرون . أمّره عمر ثم عثمان ، وهو أحد الحَكَمَين بصفّين . ينظر : تهذيب الكمال (٤٤٦/١٥) – السير (٣٨٠/٢) – التهذيب (٣١٧/٥) – التقريب (٣١٨) – الإصابة (٣٥١/٢).
- **أبو موسى بن سالم** : لم يتبين لي ! قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي قال : ذكر لي عن نزل بن المحبر ، ثنا المفضل بن أبي موسى بن سالم ، عن أبيه . وينظر : ص ٨٢١ من هذا البحث .
- **أبو النجم** : الفضل بن قدامة العجلي (١٣٠هـ) . من بني بكر بن وائل . من أكابر الرّجاز ومن أحسن الناس إنشاداً للشعر . نبغ في العصر الأموي ، وكان يحضر مجالس عبد الملك بن مروان وولده هشام . ينظر : الأعلام (١٥١/٥) .
- **أبو نُواس** : الحسن بن هاني بن عبد الأول بن صباح الحكمي بالولاء (١٤٦-١٩٨هـ). شاعر العراق في عصره . قال الجاحظ : ما رأيت رجلاً أعلم باللغة ولا أفصح لهجة من أبي نواس . ينظر : الأعلام (٢٢٥/٢) .

- **أبو هريرة** : الدوسي اليماني، سيد الحفاظ الأثبات (٥٧هـ) .اختلف في اسمه على أقوال جمة، أرجحها: عبدالرحمن بن صخر، وكذا في اسم أبيه أقوال، حمل عن النبي < علمًا كثيرًا وعن أبي، وأبي بكر، وعمر، وأسامة، وعائشة وغيرهم، وحدث عنه خلق كثير من الصحابة والتابعين، فقيل: بلغ عدد أصحابه ثمان مائة. وعاش ثمان وسبعين سنة. وهو حافظ الصحابة الإمام الفقيه المجتهد الحافظ. ينظر : الحلية (٣٧٦/١)، تهذيب الكمال (٣٦٦/٣٤)، السير (٥٧٨/٢)، معرفة القراء (٤٣/١)، الإصابة (١٩٩/٧)، التهذيب (٢٦٢/١٢)، التقريب (٨٤٢٦).

- **أبو اليَسَر بن عمرو** : كعب بن عمرو بن عباد السَّلمي ، الأنصاري (٥٥هـ) ، صحابي بدري جليل ، مات بالمدينة وقد زاد على المائة .ينظر : التقريب (٤٦١) .

- **أُبَيّ بن كعب** بن قيس الأنصاري الخزرجي، أبو المنذر، وأبو الطفيل (٢٢هـ).شهد العقبة وبدرًا، وجمع القرآن في حياة النبي ﷺ، وكان رأسًا في العلم والعمل رضي الله عنه. قال ابن حجر: سيد القراء، من فضلاء الصحابة. ينظر : تهذيب الكمال (٢٦٢/٢)، السير (٣٨٩/١)، الإصابة (٣١/١)، التهذيب (١٦٤/١)، التقريب (٢٨٣).

- **ابن فارس** : أحمد بن فارس الرازي ، من أئمة اللغة والأدب ، توفي سنة (٣٩٥ هـ) . ينظر: بغية الوعاة (٣٥٢/١) ، ومعجم المفسرين (٥٤/١) .

- **أحمد** بن محمد **بن حنبل** الشيباني ، إمام أهل السنة والجماعة ، رأس المذهب الحنبلي ، توفي سنة (٢٤١ هـ) . ينظر : شذرات الذهب (٩٦/٢)، ومعجم المفسرين (٥٧/١) .
- **أحمد شاكر** : هو محدّث العصر العلامة أحمد محمد شاكر (١٣٠٩-١٣٧٧هـ) ، دارت أعماله العلمية على بعث التراث الإسلامي ونشره ، وكتابة البحوث والرسائل . وكان تحقيقه للرسالة للشافعي أول كتاب ينشره ، وخدم كتب التفسير والسنة ، وشارك في اللغة والأدب . ينظر : مجلة الأزهر ، العدد (٥) السنة الثانية والستون (١٤١٠هـ=١٩٨٩م) ، والعدد (١١) السنة الثامنة والستون (١٤١٦هـ=١٩٩٦م) ، مجلة المجلة – القاهرة –العدد (١٩) – (١٣٧٧هـ=١٩٥٧م) ، موقع "إسلام أون لاين" .
- **الأخفش** : سعيد بن مسعده ، مولى مجاشع ، البلخي ، ثم البصري ، أبو الحسن الأخفش الأوسط (٢١٠هـ) . أخذ عن الخليل ، ولزم سيبويه حتى برع . قال أبو حاتم السجستاني : كان الأخفش قدريًّا رجل سوء ، كتابه في المعاني صويلح ، وفيه أشياء في القدر . وكان ثعلب يفضله ويقول : كان أوسع الناس علمًا . له كتب في النحو والعروض ومعاني القرآن . ينظر : إنباه الرواة (٣٦/٢) – السير (٢٠٦/١٠).
- **الأخنس بن شَريق** الثقفي ، أسلم يوم فتح مكة ، ومات في أول خلافة عمر . ينظر : أسد الغابة (٧٦/١) ، والمنتظم (١٥٢/٤) ، والإصابة (٣٨/١) .
- **أسماء بنت عميس** الخثعمي ، من المهاجرات الأول. ينظر : الاستيعاب (١٧٨٤/٤) ، وأسد الغابة (١٦/٧) ، والإصابة (٤٨٩/٧) .

- **إسحاق بن راهويه** : إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحنظلي، أبو يعقوب ابن راهويه المروزي (٢٣٨هـ) روى عن ابن عيينة، وابن علية، وابن المبارك . وعنه الجماعة سوى ابن ماجه، وأحمد وابن معين، والذهلي. قال النسائي: إسحاق أحد الأئمة، ثقة مأمون. قال ابن حجر: ثقة حافظ مجتهد، قرين أحمد بن حنبل، ذكر أبو داود أنه تغير قبل موته بيسير. ينظر : الجرح (٢٠٩/٢)، تهذيب الكمال (٣٧٣/٢)، السير (٣٥٨/١١ ــ٣٧٧)، التهذيب (١٩٠/١)، التقريب (٣٣٢).
- **السُّدي** : إسماعيل بن عبدالرحمن ، مفسر ، محدث ، توفي سنة (١٢٨)هـ . ينظر : شذرات الذهب (١٧٤/١) ، ومعجم المفسرين (٩٠/١) .
- **أشهب** بن عبدالعزيز القيسي ، من أصحاب مالك ، فقيه ، ثقة ، توفي سنة (٢٠٤) هـ . ينظر: الديباج المذهب (٩٨) ، وتقريب التهذيب (١١٣/١) .
- **الأعمش** : سليمان بن مهران الأسدي الكاهلي مولاهم، أبو محمد الكوفي، الأعمش (١٤٧هـ) .روى عن زيد بن وهب، وأبي وائل، والشعبي، والمنهال بن عمرو وخلق . وعنه السبيعي، وسليمان

التيمي، وسهيل، وشعبة، والسفيانان، وأبو بكر بن عياش وخلق. قال ابن معين: ثقة، وقال النسائي: ثقة ثبت، قال ابن حجر: ثقة حافظ عارف بالقراءات ورع لكنه يدلس. ينظر : الجرح (١٤٦/٤)، الثقات لابن حبان (٣٠٢/٤)، تهذيب الكمال (٧٦/١٢)، التهذيب (١٩٥/٤)، التقريب (٢٥٤).

- **امرؤ القيس** بن حجر بن الحارث الكندي ، أشهر شعراء العرب على الإطلاق (٨٠ق.هـ) . يماني الأصل ، مولده بنجد ، واختلف في اسمه اختلافًا كثيرًا ، وكان أبوه ملك أسد وغطفان ، وأمه أخت المهلهل الشاعر ، فلقنه خاله الشعر ، فجعل يشبب ويلهو فنهاه أبوه فلم ينته فأبعده إلى حضرموت ، ولما قتل أبوه أخذ بثأره من بني أسد وظل سائحا في البلاد حتى وصل أنقرة فأصابته قروح مات بسببها وهو صاحب معلقة مشهورة . ينظر : تهذيب تاريخ ابن عساكر (١٠٤/٣) ، الأعلام للزركلي (١١/٢) .

- **أم سلمة** : هند بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن المغيرة بن مخزوم المخزومية ، أم سلمة (٦٢هـ) أم المؤمنين ، تزوجها النبي< بعد أبي سلمة سنة أربع وقيل ثلاث ، وعاشت بعد ذلك ستين سنة ، لها أولاد صحابيون : عمر وسلمة وزينب ، روت عن النبي < ، وأبي سلمة ، وفاطمة بنت رسول الله < ، وعنها أسامة بن زيد ، وابن عباس ، وابن المسيب وخلق. ينظر : تهذيب الكمال (٣١٧/٣٥) ، السير (٢٠١/٢) ، الإصابة (٢٠٣/٨) ، التهذيب (٤٨٣/١٢) ، التقريب (٨٦٩٤) .
- **أنس** بن مالك الأنصاري ، صحابي جليل ، خادم رسول الله ﷺ ، توفي سنة (٩٣) هـ. ينظر : الاستيعاب (١٠٩/١) ، وأسد الغابة (١٩٢/١) ، والإصابة (١٢٦/١) .
- **أوس بن حجر** بن مالك التميمي ، أبو شريح . شاعر تميم في الجاهلية ، أو من كبار شعرائها . عمَّر طويلاً ، و لم يدرك الإسلام . في شعره حكمة ورقة . ينظر : الأعلام (٣١/٢) .
- **الباقولي** : علي بن الحسين بن علي ، أبو الحسن الأصبهاني (ت ٥٤٣هـ) . يقال له جامع العلوم . عالم بالأدب . ضرير . من كتبه : البيان في شواهد القرآن – علل القرآآت . ينظر : الأعلام (٢٧٩/٤) .
- **البخاري** : محمد بن إسماعيل بن إبراهيم أبو عبد الله الجعفي مولاهم (١٩٤- ٢٥٦هـ) . حبر الإسلام وجبل الحفظ وإمام الدنيا في فقه الحديث ، صاحب الجامع الصحيح والمعروف بـ (صحيح البخاري) ، وله الأدب المفرد ، والضعفاء في رجال الحديث . ينظر : التقريب (٤٦٨)، الأعلام للزركلي (٣٤/٦) .

- **البراء بن عازب** الأنصاري ، من أعيان الصحابة ، توفي سنة (٧٢ هـ) . ينظر : الاستيعاب (١٥٥/١) ، أسد الغابة (٢٥٨/١) ، والإصابة (٢٧٨/١) .
- **البغوي** : الحسين بن مسعود بن محمد ، الفراء ، أبو محمد (٤٣٦-٥١٠هـ) . يلقب بمحيي السنة . فقيه . محدث . مفسر . من كتبه : شرح السنة – لباب التأويل – مصابيح السنة . ينظر: السير (٤٣٩/١٩) ، الأعلام (٢٥٩/٢) .
- **البقاعي** : إبراهيم بن عمر بن حسن بن علي بن أبي بكر ، أبو الحسن ، برهان الدين (٨٠٩-٨٨٥هـ) . مؤرخ . أديب . أصله من البقاع في سورية . من كتبه : نظم الدرر – أخبار الجلاد في فتح البلاد . ينظر : معجم المفسرين (١٧/١) ، الأعلام (٥٦/١) .
- **البَلَنْسي** : محمد بن علي بن أحمد الأوسي البلنسيّ ثم الغرناطي ، أبو عبدالله (٧١٤-٧٨٢هـ) من شيوخه : ابن جُزَيّ الكلبي صاحب التسهيل لعلوم التنزيل ، ومن تلاميذه : أبو إسحاق الشاطبي صاحب الموافقات والاعتصام . ينظر : طبقات المفسرين للداوودي (٢١٣/٢) ، معجم المفسرين (٥٨٧/٢) .
- **البيضاوي** : عبدالله بن عمر بن محمد بن علي البيضاوي الشيرازي أبو سعيد أو أبو الخير ، ناصر الدين (٦٨٥هـ) قاضٍ مفسر عالم بالفقه والأصلين والعربية والحديث ، من أعيان الشافعية . ينظر : معجم المفسرين (٣١٨/١) .
- **البيهقي** : أحمد بن الحسين بن علي ، أبو بكر البيهقي ، الخراساني (٣٨٤- ٤٥٨هـ) الحافظ العلامة ، الثبت الفقيه ، شيخ الإسلام . سمع من : الحاكم ، وابن فورك المتكلم ، وأبي عبد الرحمن السلمي ، وخلق سواهم ، وروى عنه : شيخ الإسلام أبو إسماعيل الأنصاري بالإجازة ، ويحيى بن منده ، وغيرهما . بورك له في علمه ، وصنّف التصانيف النافعة منها : " السنن الكبير " ليس لأحد مثله ، و " السنن والآثار " و " دلائل النبوة " وغيرها . قال أبو المعالي الجويني : ما من فقيه شافعي إلاّ وللشافعي عليه منّة إلا أبا بكر البيهقي ، فإن المنّة له على الشافعي لتصانيفه في نصرة مذهبه . ينظر : السير (١٦٣/١٨) – التذكرة (١١٣٢/٢) – ط السبكي (٨/٤) .
- **ثابت بن الحجاج** الكلابي ، وقيل : الكَلاعي ، الجزري ، الرقي ، من الثالثة ، ثقة . ينظر : التقريب (١٣٢) ، المعجم الصغير لرواة الإمام ابن جرير الطبري (٨١/١) .
- **الثعالبي** : عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف ، أبو زيد (٧٨٦-٨٧٥هـ) مفسر ، من كبار علماء الجزائر وصلحائها الأبرار . له الجواهر الحسان ، والذهب الإبريز في غريب القرآن العزيز . ينظر: معجم المفسرين (٢٧٦/١) ، الأعلام (٣٣١/٣) .
- **ثعلب** : أحمد بن يحيى بن يزيد الشيباني مولاهم البغدادي (٢٠٠-٢٩١هـ) ، العلامة المحدث ، إمام النحو ، أبوالعباس ، صاحب الفصيح والتصانيف . قال الخطيب : ثقة حجة ، ديّن صالح ،

مشهور بالحفظ . وقال المبرد : أعلم الكوفيين ثعلب . ينظر : السير (٥/١٤) ، إنباه الرواة (١٣٨/١) .

- **ثعلبة بن حاطب الأنصاري** . قال ابن كثير : وقد ذكر كثير من المفسرين ، منهم ابن عباس والحسن البصري ، أن سبب نزول هذه الآية الكريمة ـــ يعني آية التوبة : ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ ـــ في ثعلبة بن حاطب الأنصاري . ثم ساق مارواه ابن جرير وابن أبي حاتم في ذلك و لم يعلّق بشئ ! وفي إسناده معن بن رفاعة : ليّن الحديث ، يكتب حديثه ولا يحتج به . وعلي بن زيد الألهاني : منكر الحديث عند البخاري ، وليس بثقة عند النسائي ، ومتروك عند الدارقطني . والقاسم بن عبدالرحمن أبو عبدالرحمن : قال الإمام أحمد : روى عنه علي بن يزيد أعاجيب ، وما أُراها إلا من قبل القاسم ... هذا وقد أنكر هذه القصة وأبطلها كثير من العلماء . قال ابن هشام : وقد ذكر ابن إسحاق ثعلبة في أسماء أهل بدر . وقال ابن الأثير : شهد بدرًا ، قاله محمد بن إسحاق وموسى بن عقبة . وترجم ابن حجر في الإصابة (٤٠٠/١) لاثنين واستظهر الفرق بينهما فقال : ثعلبة بن حاطب بن عمرو بن عبيد بن أمية بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس الأنصاري ذكره موسى بن عقبة وابن إسحاق في البدريين وكذا ذكره بن الكلبي وزاد أنه قتل بأحد . ثعلبة بن حاطب أو أبي حاطب الأنصاري ذكره بن إسحاق فيمن بني مسجد الضرار وروى الباوردي وابن السكن وابن شاهين وغيرهم في ترجمة الذي قبله من طريق معان بن رفاعة عن علي بن زيد عن قاسم عن أبي أمامة أن ثعلبة بن حاطب الأنصاري قال : يارسول الله ، أدع الله أن يرزقني مالا . فقال النبي ﷺ : (قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه) . فذكر الحديث بطوله في دعاء النبي ﷺ له وكثرة ماله ومنعه الصدقة ونزول قوله تعالى : "ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله" الآية.. وفيه : أن النبي ﷺ مات و لم يقبض منه الصدقة ولا أبو بكر ولا عمر وأنه مات في خلافة عثمان . وفي كون صاحب هذه القصة ـــ إن صح الخبر ولا أظنه يصح ـــ هو البدري المذكور قبله نظر وقد تأكدت المغايرة بينهما بقول ابن الكلبي : إن البدري استشهد بأحد . ويقوي ذلك أيضًا أن بن مردويه روى في تفسيره من طريق عطية ، عن ابن عباس في الآية المذكورة قال : وذلك أن رجلا يقال له ثعلبة بن أبي حاطب من الأنصار أتى مجلسًا فأشهدهم فقال : لئن آتانا من فضله الآية . فذكر القصة بطولها فقال : إنه ثعلبة بن أبي حاطب . والبدري اتفق على أنه ثعلبة بن حاطب ، وقد ثبت أنه ﷺ قال : (لا يدخل النار أحد شهد بدرًا والحديبية) . وحكى عن ربه أنه قال لأهل بدر : (اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم). فمن يكون بهذه المثابة كيف يعقبه الله نفاقًا في قلبه ويترل فيه ما نزل؟ فالظاهر أنه غيره والله

أعلم. اهـ . ينظر : البداية والنهاية (١١/٥) ، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢٤٤/٧) ، أسد الغابة (٢٨٣/١) .

- **الثوري** : سفيان بن سعيد بن مسروق ، أبو عبدالله الكوفي(١٦١هـ) ، ثقة حافظ فقيه عابد إمام حجة ، من رؤوس الطبقة السابعة ، وكان ربما دلّس . ينظر : التقريب (٢٤٤) .
- **جابر بن عبدالله** بن عمرو السلمي ، من أعيان الصحابة ، توفي بعد السبعين . ينظر : الاستيعاب (٢١٩/١) ، وأسد الغابة (٣٧٧/١) ، والإصابة (٤٣٤/١) .
- **الجُرجاني** : عبدالقاهر بن عبدالرحمن بن محمد الجرجاني (٤٧١هـ) ، أبوبكر ، من أئمة اللغة ، وواضع أصول البلاغة ، متكلم ، فقيه ، عارف بالتفسير . له : "دلائل الإعجاز" و "أسرار البلاغة" و "إعجاز القرآن". معجم المفسرين (٢٩٥/١) ، طبقات الداوودي (٣٣٦/١) .
- **الجرجاني** : علي بن عبدالعزيز بن الحسن بن علي الجرجاني ، أبوالحسن (٣٩٢هـ) ، قاضٍ ، مفسر ، عالم بالأدب ، من فقهاء الشافعية . ينظر : طبقات المفسرين للداوودي (٤١٤/١) ، معجم المفسرين (٣٦٦/١) .
- **جرير** بن عطية بن حذيفة الخطفي بن بدر الكلبي اليربوعي ، أبو حرزة التميمي (١١٠هـ) . شاعر أموي فحل ، ولد ومات باليمامة ، كان هجاء مُرًّا ، لم يثبت أمامه غير الفرزدق والأخطل لأنهما اجتمعا عليه ، ولو تفرقا لغلبهما ، وكان الفرزدق يقول : ما أحوجه إلى صلابة شعري وأحوجني إلى رقة شعره . من آثاره : ديوان شعر مطبوع . ينظر : الشعر والشعراء (٣٧٤/١) ، الأغاني (٣/٨-٨٨) ، وفيات الأعيان (٣٢١/١-٣٢٧) ، الخزانة (٧٥/١) ، الأعلام (١١٩/٢) .
- **الجَصّاص** : أحمد بن علي ، إمام الحنفية في زمنه ، كان ورعًا زاهدًا ، توفي سنة (٣٧٠هـ) . ينظر: الجواهر المضية (٨٤/١) ، وشذرات الذهب (٧١/٣) ، ومعجم المفسرين (٤٨/١) .
- **الجَعْدي** : عبدالله بن قيس بن عدس **النابغة الجعدي** ، أبو ليلى ، صحابي شاعر . قيل له النابغة ؛ لأنه قال الشعر في الجاهلية ، ثم أقام مدة نحو ثلاثين سنة لا يقول الشعر ، ثم نبغ فيه فقاله ، فسمي النابغة . وطال عمره في الجاهلية والإسلام ، وهو أسن من النابغة الذبياني . وفد على النبي < فأسلم ، وأنشده قصيدته الرائية ، وفيها :

أتيت رسول الله إذ جاء بالهدى ويتلو كتابًا كالمجرّة نيّرا

ينظر : أسد الغابة (٥١٥/٤) .

- **جعفر الصادق** : جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب المعروف بالصادق (١٤٨هـ) قال القطان: في نفسي منه شئ، وما كان كذوبًا، وقال ابن معين: ثقة، وقال أبو حاتم: ثقة لا يسأل عن مثله، وقال ابن حبان: كان من سادات أهل البيت فقهًا وعلمًا وفضلا

يحتج بحديثه من غير رواية أولاده عنه، وقد اعتبرت حديث الثقات عنه فرأيت أحاديث مستقيمة ليس فيها شئ يخالف الأثبات، ومن المحال أن يلصق به ما جناه غيره. وقال ابن حجر: صدوق فقيه إمام. ينظر : الجرح (٤٨٧/٢)، الحلية (١٩٢/٣)، تهذيب الكمال (٧٤/٥)، السير (٢٥٥/٦)، الميزان (٤١٤/١) ، التقريب (١٤١).

- **القاسمي** : جمال الدين بن محمد (١٣٣٢ هـ) ، إمام الشام في علوم الدين وفنون الأدب ، مفسر مشهور . ينظر : حلية البشر (٤٣٥/١) ، ومعجم المفسرين (١٢٧/١) .
- **الجمل** : سليمان بن عمرو بن منصور العجيلي الأزهري ، المعروف بالجمل (١٢٠٤هـ) . فاضل من أهل منية عجيل (إحدى قرى الغربية بمصر) . له مؤلفات منها : الفتوحات الإلهية – المواهب المحمدية . ينظر : معجم المفسرين (٢١٧/١) ، الأعلام (١٣١/٣) .
- **الجوهري** : إسماعيل بن حمّاد ، أبو نصر التركي الأتراري (٣٩٣هـ) إمام اللغة ، مصنّف كتاب " الصحاح " ، وأحد من يُضرب به المثل في ضبط اللغة ، وفي الخط المنسوب . أخذ اللغة العربية عن : أبي سعيد السيرافي ، وأبي علي الفارسي ، وغيرهما . ينظر : إنباه الرواة (٢٢٩/١) – السير (٨٠/١٧).
- **حبيب بن أبي ثابت** الأسدي (١١٩ هـ) ، فقيه ، ثقة ، مجتهد . ينظر : صفة الصفوة (١٠٧/٣) ، والسير (٢٨٨/٥) .
- **الحَجّاج** بن يوسف الثقفي (٩٥ هـ) ، والي العراق في عهد عبدالملك بن مروان . ينظر : المنتظم (٣٣٦/٦) ، وتاريخ مدينة دمشق (١١٣/١٢) .
- **حذيفة بن اليمان** العبسي (٣٦ هـ) ، صاحب رسول الله ﷺ. ينظر : الاستيعاب (٣٣٤/١) ، وأسد الغابة (٥٧٢/١) ، والإصابة (٤٤/٢) .
- **الحُرّ بن قيس** بن حِصْن الفزاري ، ابن أخي عُيينة بن حصن ، وهو أحد الذين وفدوا على رسول الله < مرجعه من تبوك . وكان من جلساء عمر بن الخطاب . ينظر : أسد الغابة (٤٧١/١) .
- **حسان بن ثابت** بن المنذر بن حرام الأنصاري الخزرجي ، أبو عبد الرحمن ، أو أبو الوليد (٥٤هـ) روى عن النبي < ، وعنه البراء بن عازب ، وابن المسيب ، وأبو سلمة بن عبد الرحمن، وابنه عبد الرحمن ، وغيرهم ، قال ابن حجر : شاعر رسول الله < مشهور . ينظر : تهذيب الكمال (١٦/٦) ، السير (٥١٢/٢) ، الإصابة (٣٢٥/١) ، التهذيب (٢١٦/٢) ، التقريب (١١٩٧) .
- **الحسن بن أبي الحسن البصري** (١١٠ هـ) ، من كبار التابعين ، كان رأسًا في العلم والعمل . ينظر : صفة الصفوة (٢٣٣/٣) ، والمنتظم (١٣٦/٧) ، والكاشف (٣٢٢) .

- **الحسن بن علي** بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم، أبو محمد القرشي الهاشمي المدني الشهيد (٤٩هـ) الإمام السيد، ريحانة رسول الله < وسبطه، وسيد شباب أهل الجنة، حدث عن جده المصطفى أحاديث، وعن أبيه، وأمه، وعنه ابنه الحسن بن الحسن، والشعبي، وأصبغ بن نباتة، وغيرهم. وكان يشبه جده رسول الله، وسلم الأمر لمعاوية رضي الله عنه حقنا لدماء الأمة فرضي الله عنه، ثم مات شهيدا بالسم. ينظر : الجرح (١٩/٣)، تهذيب الكمال (٢٢٠/٦)، السير (٢٤٥/٣)، الإصابة (١١/٢)، التقريب (١٦٢).

- **الحصين** بن عبد الرحمن بن عمر السلمي أبو الهذيل الكوفي بن عم منصور بن المعتمر (١٣٦ هـ) . روى عن إبراهيم النخعي وإسماعيل بن أبي إدريس وجماعة . وعنه شعبة والثوري وزائدة وجرير بن حازم وسليمان التيمي وخلف بن خليفة . قال أبو حاتم عن أحمد: حصين بن عبدالرحمن الثقة المأمون من كبار أصحاب الحديث . وقال ابن معين : ثقة . وقال العجلي : ثقة ثبت في الحديث والواسطيون أروى الناس عنه . وقال بن أبي حاتم : سألت أبا زرعة عنه فقال : ثقة ، قلت: يحتج بحديثه؟ قال : أي والله . وقال أبو حاتم : صدوق ثقة في الحديث وفي آخر عمره ساء حفظه . قال ابن حجر: ثقة تغير حفظه في الآخر . ينظر : تهذيب الكمال (٥١٩/٦) ، تهذيب التهذيب (٣٢٨/٢) ، التقريب (١٧٠) .

- **الحكم بن عيينة** : لعله **الحكم بن عتيبة** ، الكندي ، مولاهم ، الكوفي (٥-١١٣هـ) ، تابعي صغير ، ثقة ثبت فقيه إلا أنه ربما دلّس . ينظر : التقريب (١٧٥) ، والمعجم الصغير لرواة الإمام ابن جرير الطبري (١٣٠/١) .
- **خَلَف بن ياسين** بن معاذ الزيّات **الكوفي** . قال ابن عدي : (الواسطي) . قليل الحديث ، يروي عن المجاهيل . ينظر : المعجم الصغير لرواة الإمام ابن جرير الطبري (١٥٤/١) .
- **حمزة** بن حبيب **الزيّات** القارئ ، أبو عمارة ، الكوفي ، التيمي مولاهم (٨٠-١٥٦هـ) ، صدوق زاهد ربما وهم . ينظر : التقريب (١٧٩) .
- **حُميد بن عبد الرحمن** بن حميد بن عبدالرحمن الرُّؤاسي أبو عوف الكوفي(١٨٩هـ) روى عن أبيه وإسماعيل بن أبي خالد والأعمش وهشام بن عروة والحسن بن صالح وزهير وأبي الأحوص وغيرهم . وعنه أحمد وأبو خيثمة وابنا أبي شيبة وقتيبة وابن نمير ويحيى بن يحيى . قال الأثرم : أثنى عليه أحمد ووصفه بخير . وقال ابن معين : ثقة . وقال ابن أبي خيثمة عن أبي بكر بن أبي شيبة : قلّ من رأيت مثله . وذكره ابن حبان في الثقات . وقال ابن سعد : كان ثقة كثير الحديث لم يكتب الناس كل ما عنده . ينظر : تهذيب التهذيب(٣٩/٣)، تقريب التهذيب(١٨٢) .

- **الخازن** : علي بن محمد بن إبراهيم الشيحي ، علاء الدين (٦٧٨-٧٤١هـ) . عالم بالتفسير والحديث . من فقهاء الشافعية . بغدادي الأصل . من تصانيفه : لباب التأويل في معاني التنزيل. ينظر : معجم المفسرين (٣٧٩/١) ، الأعلام (٥/٥) .

- **الخليل** بن أحمد بن عبد الرحمن ، أبو عبد الرحمن الفراهيدي الأزدي (١٦٠هـ وقيل بعدها) . نحوي لغوي عروضي ، استنبط من العروض وعلله مالم يستخرجه أحد ، ولم يسبقه إلى علمه سابق من العلماء كلهم ، قاله القفطي . قال ابن حجر : اللغوي ، صاحب العروض والنحو ، صدوق عالم عابد . ينظر : إنباه الرواه (٣٧٦/١) ، تهذيب الكمال (٣٢٦/٨) ، التقريب (١٧٥٠) .

- **الخنساء** : تماضر بنت عمرو بن الحارث بن الرشيد الخنساء الرياحية السلمية المضرية (٢٤هـ) . أشهر شواعر العرب ، وأشعرهن على الإطلاق ، من أهل نجد ، عاشت الجاهلية والإسلام وأسلمت ، ووفدت على رسول الله < مع قومها بني سليم ، فكان رسول الله < يستنشدها ويعجبه شعرها ، وأكثر ماقالت من الشعر في رثاء أخويها بعد أن قتلا ، ثم كان لها بنون أربعة قتلوا في القادسية فحمدت الله على ذلك الشرف ، عدادها في الصحابة رضي الله عنها وشعرها مجموع في ديوان لها مطبوع . ينظر : تجريد أسماء الصحابة (٢٦٣/٢) ، الإصابة (٦٦/٨) ، الأعلام (٨٦/٢) .

- **داود** بن علي بن خلف ، أبو سليمان البغدادي الأصبهاني ، مولى أمير المؤمنين المهدي (٢٠٠-٢٧٠هـ) . الإمام البحر الحافظ العلاّمة ، رئيس أهل الظاهر ، روى عن : سليمان بن حرب ، وعمرو بن مرزوق، والقعنبي ، وأبي ثور ، وإسحاق بن راهويه ، ومسدّد ، وآخرين . وعنه : ابنه محمد ، وزكريا السَّاجي ، ويوسف بن يعقوب الداودي ، وآخرون . قال الخطيب : صنّف الكتب ، وكان إماماَ ورعاً ناسكاً زاهداً ، وفي كتبه حديث كثير ، لكن الرواية عنه عزيزة جدًّا. له من الكتب : " الإيضاح " ، و " الدعاوى " كتاب كبير في الفقه ، و " الإجماع " و " إبطال القياس " وغيرها. ينظر : ت بغداد (٣٦٩/٨) – وفيات الأعيان (٢٥٥/٢) – السير (٩٧/١٣).

- **داود بن أبي عاصم** بن عروة بن مسعود الثقفي المكي ، ثقة ، من الثالثة . ينظر : التقريب (١٩٩) .

- **الداودي** : أحمد بن نصر أبو جعفر الداودي الأسدي (٤٠٢هـ) من أئمة المالكية بالمغرب ، والمتسمين في العلم المجدين للتأليف . كان فقيهًا فاضلا متفننًا مجيدًا ، له تصانيف كثيرة منها : "شرح الموطأ " و " النصيحة في شرح البخاري " . ينظر : ترتيب المدارك (٦٢٣/٤) .

- **دحية بن خليفة الكلبي** : صحابي ، بعثه رسول الله < برسالته إلى قيصر يدعوه إلى الإسلام . وكان يضرب به المثل في حسن الصورة ، وحضر كثيرًا من الوقائع. ينظر : الأعلام (٣٣٧/٢) .
- **ذو الرُّمة** : غيلان بن عقبة بن نهيس بن مسعود العدوي ، أبو الحارث (٧٧-١١٧هـ) . من مضر . شاعر من فحول الطبقة الثانية في عصره . أكثر شعره تشبيب وبكاء أطلال ، يذهب في ذلك مذهب الجاهليين . ينظر : الأعلام (١٢٤/٥) .
- **الرازي** : محمد بن عمر بن الحسين البكري ، أبو عبدالله ، فخر الدين الرازي (٥٤٤-٦٠٦هـ) المفسر المتكلم ، ويقال له ابن خطيب الري . كان شافعيًّا أشعريًّا ، ناظر المعتزلة . ينظر : طبقات المفسرين للداوودي (٢١٥/٢) ، معجم المفسرين (٥٩٦/٢) .
- **الراغب الأصفهاني** : الحسين بن محمد بن المفضل(٥٠٢ هـ) ، ، أديب ، إمام ، محقق . ينظر : بغية الوعاة (٢٩٧/١) ، ومعجم المفسرين (١٥٨/١) .

- **الربيع بن أنس** بن زياد البكري ، الخراساني ، المروزي البصري (١٤٠هـ) . سمع أنسًا ، وأبا العالية ، والحسن البصري . وعنه سليمان التيمي ، والأعمش ، والحسين بن واقد وآخرون . قال أبو حاتم : صدوق ، وقال ابن حجر : صدوق له أوهام ، ورمي بالتشيع . ينظر : الجرح (٤٥٤/٣) ، تهذيب الكمال (٦٠/٩) ، السير (١٦٩/٦) ، التهذيب (٢٣٨/٣) ، التقريب (٢٠٥) .
- **الربيع بن خثيم** بن عائذ ، أبو يزيد الثوري الكوفي (٦١هـ) .أدرك زمن النبي < ، وأرسل عنه ، وروى عن ابن مسعود ، وأبي أيوب ، وعمرو بن ميمون ، حدث عنه الشعبي، وإبراهيم النخعي ، وهلال بن يساف وآخرون . قال الشعبي : كان من معادن الصدق ، قال ابن حجر : ثقة عابد مخضرم ، قال الذهبي : الإمام القدوة العابد ، أحد الأعلام . ينظر : طبقات ابن سعد (١٨٢/٦) ، المعرفة (٥٦٣/٢) ، الحلية (١٠٥/٢) ، السير (٢٥٨/٤) ، التهذيب (٢٤٢/٣) ، الخلاصة (ص١١٥) ، التقريب (١٨٨٨) ، تهذيب الكمال (٧٠/٩) .
- **رَوْح** بن عبد المؤمن أبو الحسن البصري المقرئ ، صاحب يعقوب الحضرمي (٢٣٤هـ) كام متقنًا مجوِّدًا . ينظر : الجرح والتعديل (٤٩٩/٣) ، معرفة القراء الكبار (٢١٤/١) .
- **الزبيدي** : محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الزبيدي أبو الفيض ، الملقب بمرتضى (١١٤٥- ١٢٠٥هـ) ، علامة باللغة والحديث والرجال والأنساب ، من كبار المصنفين له تاج العروس في شرح القاموس المحيط . ينظر : الأعلام (٧٠/٧) .
- **الزجاج** : إبراهيم بن السّري أبو إسحاق (٢٤١-٣١١هـ) عالم بالنحو واللغة والتفسير . ينظر: إنباه الرواة (١٩٤/١) ، ومعجم المفسرين (١٣/١) .

- **الزركشي** : محمد بن بَهادُرْ بن عبدالله ، بدرالدين أبو عبدالله (٧٩٤هـ) ، فقيه شافعي أصولي مفسر أديب . ينظر : معجم المفسرين (٥٠٥/٢) .
- **الزمخشري** : محمود بن عمر بن محمد أبو القاسم ، الخوارزمي النحوي (٤٦٧-٥٣٨هـ) . العلاّمة ، كبير المعتزلة ، كان رأساً في البلاغة والعربية والمعاني والبيان ، وله نظم جيد . حجَّ وجاور ، وتخرَّج به أئمة ، له مصنفات ، منها : " الفائق " في غريب الحديث و " الكشاف " في التفسير ، و " المفصَّل " في النحو ، وغيرها . ينظر : إنباه الرواة (٢٦٥/٣) – معجم الأدباء (١٩/ ١٢٦) – السير (١٥/٢٠) .
- **الزَّهْراوي** : علي بن سليمان ، أبو الحسن (٤٣١هـ) فقيه مالكي ، عالم بالتفسير والقراءات والفرائض .. من أهل غرناطة . ومن كتبه "تفسير القرآن" . ينظر : معجم المفسرين (٣٦٢/١).

- **زيد بن أسلم** ، أبو عبدالله، وأبو أسامة العدوي، مولى عمر، المدني (١٣٦هـ) .روى عن والده أسلم مولى عمر، وابن عمر، وجابر، وأنس، وابن المسيب، وعطاء بن يسار وخلق، وعنه مالك، والسفيانان، والأوزاعي، وأيوب وأولاده: أسامة، وعبدالله، وعبدالرحمن وخلق. كان من العلماء العاملين، وثقه أحمد، وأبو حاتم، وأبو زرعة الرازيان، وابن سعد، والنسائي. قال ابن حجر: ثقة عالم، وكان يرسل. ينظر : الجرح (٥٥٥/٣)،تهذيب الكمال(١٢/١٠)، السير (٣١٦/٥)، التهذيب (٣٤١/٣)، التقريب (٢٢٢).

- **زيد بن علي** بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، أبو الحسين المدني (٨٠-١٢٢هـ) ثقة ، وهو الذي ينسب إليه الزيدية . ينظر : التقريب (٢٢٤) .
- **سالم بن أبي أمية أبو النضر** مولى عمر بن عبيد الله بن معمر التيمي (١٢٩هـ) . رأى عبدالله بن عمر وسمع منه ، ويروي عن ابن أبي أوفى والسائب بن يزيد . قال أحمد بن حنبل: ثقة . وقال يحيى ابن معين : سالم أبو النضر مدني ثقة . وقال الحميدي : سئل سفيان بن عيينة عن سالم أبي النضر فقال : ثقة . وكان مالك يصفه بالفضل والعقل والعبادة . كان كاتبًا لعمر بن عبيد الله وهو أحد الثقات الأثبات من أهل المدينة . وقال ابن عبد البر: اجمعوا على أنه ثقة ثبت، وقال ابن حجر: ثقة ثبت وكان يرسل. ينظر : التمهيد (١٤٥/٢١)، التهذيب (٣٧٢/٣)، تقريب التهذيب (٢٢٦) .

- **سالم بن أبي الجعد** رافع الغطفاني الأشجعي مولاهم الكوفي(٩٧هـ) . روى عن عمر و لم يدركه وعلي بن أبي طالب وأبي برزة وأبي سعيد وأبي هريرة وابن عمر وابن عباس وابن عمرو بن العاص وجابر وأنس وأبي أمامة وغيرهم . وعنه ابنه الحسن والحكم بن عتيبة وعمرو بن دينار وعمرو بن مرة وقتادة وغيرهم .قال ابن معين وأبو زرعة والنسائي : ثقة . وقال بن سعد :

كان ثقة كثير الحديث . وقال العجلي : ثقة تابعي . وقال إبراهيم الحربي : مجمع على ثقته . وقال أبو حاتم عن أبي زرعة : سالم بن أبي الجعد عن عمر وعثمان وعلي مرسل . قال علي : لم يلق ابن مسعود ولا عائشة . وقال أبو حاتم : أدرك أبا أمامة و لم يدرك عمرو بن عبسة ولا أبا الدرداء ولا ثوبان . وقال ابن حجر: ثقة وكان يرسل كثيرًا . ينظر : تهذيب الكمال(١٣٠/١٠)،تهذيب التهذيب(٣٧٣/٣)، تقريب التهذيب (٢٢٦) .

- **سُبيعة بنت الحارث الأسلمية** . هي زوج سعد بن خولة ، لها صحبة ، وحديث في عدة المتوفى عنها زوجها . ويقال : إنها هي سبيعة التي روى عنها ابن عمر حديثًا في فضل المدينة ، وفرق بينهما العقيلي ، قاله ابن حجر . روت عن النبي > عدتها ، وعنها عمر بن عبد الله بن الأرقم، ومسروق . ينظر : تهذيب الكمال (١٩٣/٣٥) ، الإصابة (١٠٣/٨) ، التهذيب (٤٢٤/١٢) ، التقريب (٧٤٨) .

- **سعد بن أبي وقاص** مالك بن وُهيب ــ ويقال له : أُهيب ــ بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب الزهري أبو إسحاق (٥٥هـ) . أحد العشرة وأول من رمى بسهم في سبيل الله وكان أحد الفرسان وهو أحد الستة أهل الشورى ومناقبه كثيرة وهو اخر العشرة وفاة . ينظر : تقريب التهذيب (٢٣٢)، الإصابة (٧٣/٣) .

- **سعد بن عبادة** بن دُليم بن حارثة الأنصاري الخزرجي (١٥هـ) روى عنه : بنوه ، وابن عباس ، وأبو أمامة بن سهل ، وأرسل عنه الحسن البصري . قال في التقريب (٢٣١) : أحد النقباء وسيد الخزرج ، وأحد الأجواد وقع في صحيح مسلم أنه شهد بدراً ، والمعروف عند أهل المغازي أنه تهيأ للخروج فَنُهِشَ فأقام ، مات بأرض الشام . ينظر : تهذيب الكمال (٢٧٧/١٠) – التهذيب (٤١٢/٣) – الإصابة (٢/٢) .

- **السِّعْدِي = ابن سِعْدي** .

- **سعيد بن جبير** بن هشام، أبو محمد الأسدي مولاهم، الكوفي (٩٥هـ) روى عن ابن عباس، وابن عمر، وابن الزبير، وعنه أبو الزبير المكي، وأيوب، والأعمش، والزهري وغيرهم، كان فقيها عابدا فاضلا ورعا. قال القطان: مرسلات سعيد أحب إلي من مرسلات عطاء ومجاهد، قال ابن حجر:ثقة ثبت فقيه، وروايته عن عائشة وأبي موسى ونحوهما مرسلة، قتل بين يدي الحجاج و لم يكمل الخمسين . ينظر : طبقات ابن سعد (٢٥٦/٦)، الجرح (٩/٤)، تهذيب الكمال (٣٥٨/١٠) السير (٣٢١/٤)، التهذيب (١١/٤)، التقريب (٢٣٤).

- **سعيد بن العاص** بن سعيد بن العاص بن أمية الأموي أبو عثمان ويقال أبو عبدالرحمن(٥٨هـ) . قال ابن سعد : قبض النبي ﷺ ولسعيد تسع سنين. روى عن النبي ﷺ مرسلا وعن عمر وعثمان وعائشة. وعنه ابناه عمر ويحيى ومولاه كعب وسالم بن عبدالله بن عمر وعروة بن الزبير وغيرهم. قال الزبير بن بكار : استعمله عثمان على الكوفة وغزا بالناس طبرستان واستعمله معاوية على المدينة. وقال سعيد بن عبدالعزيز : قال معاوية : لكل قوم كريم وكريمنا سعيد. وقال أيضا : أقيمت عربية القرآن على لسان سعيد ؛ لأنه كان أشبههم لهجة برسول الله ﷺ. وقال ابن عبد البر : كان من أشراف قريش وهو أحد الذين كتبوا المصحف لعثمان. ينظر : تهذيب التهذيب (٤/٤٣) .

- **سفيان = الثوري**

- **سلمان الفارسي** أبو عبدالله (٣٥هـ) .يقال: إنه مولى رسول الله ﷺ ويعرف بسلمان الخير كان أصله من فارس من رام هرمز من قرية يقال لها جيء. ويقال: بل كان أصله من أصبهان، وكان إذا قيل له: ابن من أنت؟ قال: أنا سليمان ابن الإسلام من بني آدم . ينظر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١/١٩١) .

- **السمرقندي** : نصر بن محمد بن إبراهيم الخطاب السمرقندي البلخي ، أبو الليث (٣٧٥هـ) له في التفسير : "بحر العلوم" . ينظر : طبقات المفسرين للداوودي (٢/٣٤٦) ،
- **سمرة بن جُنْدُب** بن هلال الفَزاري (٥٨هـ) حليف الأنصار ، صحابي مشهور ، له أحاديث ، مات بالبصرة . ينظر : التقريب (٢٥٦) .
- **السمعاني** : منصور بن محمد بن عبدالجبار التميمي المروزي ، أبو المظفر ابن الإمام أبي منصور السمعاني (٤٢٦-٤٨٩هـ) صنف في التفسير والحديث والفقه والأصول . ينظر : السير (١٩/١١٤) ، طبقات المفسرين للداوودي (٢/٣٣٩) .
- **السمين الحلبي** : أحمد بن يوسف بن عبدالدايم ، ، مقرئ ، مفسر، نحوي ، من فقهاء الشافعية ، توفي سنة (٧٥٦ هـ). ينظر : شذرات الذهب (٦/١٧٩) ، وحسن المحاضرة (١/٥٣٦) ، ومعجم المفسرين (١/٨٤) .
- **السهيلي** : عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد ، أبو القاسم الخثعمي السهيلي الأندلسي (٥٠٨-٥٨١هـ) . عالم الأندلس الحافظ ، العلم صاحب التصانيف ، برع في العربية واللغات والأخبار والأثر وتصدر للإفادة ، له "الروض الأنف " في تفسير سيرة ابن هشام . ينظر : إنباه الرواة (٢/١٦٢) – العبر (٣/٨٢) – السير (٢١/١٥٧) .

- **سيّار** : القرشي الأموي مولاهم الشامي ، مولى معاوية بن أبي سفيان ، ويقال : مولى خالد بن يزيد بن معاوية ، دمشقي سكن البصرة ، قيل : اسم أبيه : عبدالله . يروي عنه سليمان التيمي . من الثالثة ، صدوق . ينظر : المعجم الصغير لرواة الإمام ابن جرير الطبري (٢٣١/١) ، التقريب (٢٦٢) .

- **سيبويه** : عمرو بن عثمان بن قنبر ، الفارسي ، ثم البصري ، أبو بشر (١٨٠هـ) .أخذ النحو عن عيسى بن عمر ، ويونس بن حبيب ، والخليل ، والأخفش ، واستملى على حماد بن سلمة . قال الذهبي : إمام النحو ، حجة العرب ، طلب الفقه والحديث مدة ، ثم أقبل على العربية فبرع وساد أهل العصر ، وألف فيها كتابه الكبير الذي لايدرك شأوه فيه . ينظر : تاريخ بغداد (١٩٥/١٢) ، السير (٢٥٢/٨) ، الشذرات (٢٥٢/١) .

- **السيد محمد رشيد بن علي رضا** بن محمد شمس الدين بن ملا علي خليفة القلموني (١٢٨٢-١٣٥٤هـ) البغدادي الأصل ، الحسيني النسب ، صاحب مجلة المنار ، وأحد رجال الإصلاح الإسلامي . من الكتاب العلماء بالحديث والأدب والتاريخ والتفسير . لازم الشيخ محمد عبده وتتلمذ له . من مؤلفاته : مجلة المنار – الوحي المحمدي . ينظر : معجم المفسرين (٥٢٩/٢) ، الأعلام (١٢٦/٦) .
- **السيوطي** : عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ابن سابق الدين الخضيري ، جلال الدين (٨٤٩-٩١١هـ) . إمام حافظ ، مؤرخ ، محدث ، مفسر ، أديب . له نحو ٦٠٠ مصنف منها : الدر المنثور ، والإتقان في علوم القرآن ، والأشباه والنظائر . ينظر : معجم المفسرين (٢٦٤/١) ، الأعلام (٣٠١/٣-٣٠٢) .
- **الشافعي** : محمد بن إدريس بن العباس المطلبي ، أبو عبد الله ، الشافعي ، المكي ، نزيل مصر (١٥٠-٢٠٤هـ) روى عن : مالك ، وإبراهيم بن سعد ، وابن علية ، وابن عيينة ، وجماعة . وعنه : الحميدي ، وأحمد ، وأبو ثور ، والمزني ، وآخرون . قال أحمد : إن الله يقيض للناس في كل رأس مائة سنة من يعلمهم السنن وينفي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الكذب فنظرنا فإذا في رأس المائة عمر بن عبد العزيز وفي رأس المائتين الشافعي . قال في التقريب (٤٦٧) : المجدّد لأمر الدين على رأس المائتين . ينظر : تهذيب الكمال (٣٥٥/٢٤) – السير (٥/١٠) – التهذيب (٢٣/٩) .
- **شرحبيل بن سعد** الخطمي المدني (ت١٢٣هـ) . مولى الأنصار . عالم بالمغازي والبدريين . كان يفتي ويروي الحديث . وفي روايته ضعف . ينظر : الأعلام (١٥٩/٣) .

- **شريك** بن عبد الله النخعي الكوفي ، القاضي الواسطي ، أبو عبد الله (١٧٧هـ) .روى عن أبي حصين ، وإسماعيل بن أبي خالد ، والأعمش ، وشعبة وخلق وعنه إبراهيم بن سعد الزهري ، وأبو أسامة ، وابن المبارك وآخرون . قال ابن حجر : صدوق يخطئ كثيرًا ، تغير حفظه منذ ولي القضاء بالكوفة ، وكان عادلا فاضلا عابدا شديدا على أهل البدع . ينظر : تهذيب الكمال (٤٦٢/١٢) ، التهذيب (٢٩٣/٤) ، التقريب (٢٦٦) .
- **الشعبي** : عامر بن شراحيل أبو عمرو (١٠٠هـ) عن : عروة بن أبي الجعد ، وأنس ، والبراء ، وسعد ، والعبادلة ، وآخرون . وعنه : حصين ، وابن أبي السفر ، وعبد الله ، والمغيرة ، وآخرون. قال أبو داود : مرسل الشعبي أحب إلي من مرسل النخعي . وقال ابن معين وأبو زرعة وغيرهما : ثقة . وقال مكحول : ما رأيت أفقه من الشعبي . قال في التقريب (٢٨٧) : ثقة مشهور فقيه فاضل . ينظر : ط ابن سعد (٢٤٥/٦) – ت الدوري (٢٨٥/٢) – الجرح (٣٢٢/٦) – تهذيب الكمال (٢٨/١٤) – التهذيب (٥٧/٥).
- **الشنقيطي** : محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي (١٣٢٥- ١٣٩٣هـ) مفسر ، أصولي ، من علماء شنقيط ، سكن الرياض والمدينة ، ومات بمكة المكرمة بعد أدائه نسك الحج . ينظر : مشاهير علماء نجد (٥١٧) ، معجم المفسرين (٤٩٦/٢) ،
- **الشهاب الخفاجي** : أحمد بن محمد بن عمر ، شهاب الدين الخفاجي المصري (٩٧٧- ١٠٦٩هـ) . قاضي القضاة وصاحب التصانيف في الأدب واللغة والتفسير. من أشهر كتبه : شفاء العليل فيما من كلام العرب من الدخيل ، وحاشية على تفسير البيضاوي سماها : "عناية القاضي وكفاية الراضي" . ينظر : معجم المفسرين (٧٥/١) ، الأعلام (٢٣٨/١) .
- **شهر بن حوشب** أبو سعيد الأشعري الشامي، مولى أسماء بنت يزيد بن السكن (١١٢هـ) قال ابن سعد وموسى بن هارون: ضعيف، وقال النسائي: ليس بالقوي، وقال أحمد وأبو زرعة: ليس به بأس، وقال ابن معين والعجلي: ثقة، وقال أبو حاتم: هو أحب إلي من أبي هارون وبشر بن حرب ولايحتج به، قال ابن حجر: صدوق كثير الإرسال والأوهام. وفي تحرير التقريب : لو قال: ضعيف يعتبر به، لكان أحسن، إذ لايحتج بشهر إذا انفرد، ولكن يعتبر به في المتابعات والشواهد. ينظر : ت/ابن معين (٢٦٠/٢)، طبقات ابن سعد (٤٤٩/٧)، الجرح (٣٨٢/٤) تهذيب الكمال (٥٧٩/١٢)، السير (٣٧٢/٤)، الميزان (٢٨٣/٢)، التهذيب (٣٦٩/٤)، التقريب (٢٨٣٠)، تحرير التقريب (١٢٢/٢).
- **الشوكاني** : محمد بن علي بن محمد بن عبد الله (١١٧٣-١٢٥٠هـ) . فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن . من أهل صنعاء . ولي قضاءها سنة ١٢٢٩هـ ومات حاكمًا بها . له ١١٤ مؤلفًا

منها : نيل الأوطار – فتح القدير – السيل الجرار . ينظر : معجم المفسرين (٢/٥٩٣) ، الأعلام (٦/٢٩٨) .

- **صفوان بن أمية** بن خلف القرشي الجُمحي ، أبو وهب المكي (٤١هـ) . أسلم بعد الفتح ، وحسن إسلامه ، وروى أحاديث فحدّث عنه : ابنه عبد الله ، وابن المسيب ، وطاوس، وعطاء ، وجماعة . وكان من كبراء قريش ، قتل أبوه مع أبي جهل . شهد اليرموك أميراً على كُرْدس . قال في التقريب (٢٧٦) : صحابي ، من المؤلفة ، مات أيام قتل عثمان ، وقيل : سنة (٤١) أو (٤٢) في أوائل خلافة معاوية . ينظر : تهذيب الكمال (١٣/١٨٠) – السير (٢/٥٦٢) – التهذيب (٤/٣٧٢) – الإصابة (٢/١٨١) .
- **صهيب** بن سنان أبو يحيى الرومي (٣٨هـ) ، أصله من النَّمِر ، صحابي شهير ، مات بالمدينة في خلافة علي . ينظر : التقريب (٢٧٨) .
- **الضحاك** بن مزاحم الهلالي (١٠٥هـ) أبو القاسم أو أبو محمد الخراساني ، تابعي جليل ، مفسر مشهور ، صدوق كثير الإرسال . ينظر : التقريب (٢٨٠) ، شذرات الذهب (١/٢٤) ، معجم المفسرين (١/٢٣٧) .
- **ضمرة بن حبيب** بن صهيب الزُّبيدي ، أبو عتبة الحمصي (١٣٠هـ) ثقة ، من الرابعة . ينظر : التقريب (٢٨٠) .
- **الطاهر بن عاشور = ابن عاشور**

- **طاووس بن كيسان**، أبو عبدالرحمن الفارسي، ثم اليمني الجندي .سمع من زيد بن ثابت، وأبي هريرة، ولازم ابن عباس مدة، وهو معدود في كبار أصحابه، وعنه عطاء، ومجاهد، وابنه عبدالله، وأبو الزبير المكي وخلق. قال ابن معين، وأبو زرعة: طاووس ثقة. وقال الذهبي: الفقيه القدوة عالم اليمن الحافظ، وحديثه في دواوين الإسلام، وهو حجة باتفاق. قال ابن حجر: ثقة فقيه فاضل. ينظر : الجرح (٤/٥٠٠)، الحلية (٤/٣،٢٣)، تهذيب الكمال (١٣/٣٠٧)، السير (٥/٣٨)، التقريب (٢٨١).
- **الطِّيبي** : الحسين بن محمد بن عبدالله شريف الدين الطِّيبي (٧٤٣هـ) ، من علماء الحديث والتفسير والبيان ، له : "شرح الكشاف" في التفسير ، و"شرح مشكاة المصابيح" في الحديث . ينظر : البدر الطالع (١/٢٢٩) ، الأعلام (٢/٢٥٦) .

- **عائشة** بنت أبي بكر الصديق الأكبر، أم المؤمنين، القرشية التيمية، المكية (٥٧هـ) .زوجة النبي <، أفقه نساء الأمة على الإطلاق، وأفضل أزواج النبي < إلا خديجة، ففيهما خلاف شهير، روت عن رسول الله< علمًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، وعن أبيها، وعن عمر، وفاطمة، وسعد وغيرهم، وعنها

خلق لا يحصون، ومسندها يبلغ ألفين ومائتين وعشرة أحاديث. ينظر : المعرفة (٢٦٨/٣)، تهذيب الكمال (٢٢٧/٣٥)، السير (١٣٥/٢)، الإصابة (١٣٩/٨)، التهذيب (٤٣٣/١٢)، التقريب (٧٥٠).

- **عاصم بن عمر** بن قتادة بن النعمان الأوسي الأنصاري ، أبو عمر المدني (بعد ١٢٠هـ) ثقة عالم بالمغازي ، من الرابعة . ينظر التقريب (٢٨٦) .

- **عباد بن عبدالله بن الزبير** بن العوام ، كان قاضي مكة زمن أبيه وخليفته إذا حج ، ثقة ، من الثالثة . ينظر : التقريب (٢٩٠) .

- **عبادة بن الصامت** بن قيس الأنصاري الخزرجي، أبو الوليد المدني (٣٤هـ) روى عنه الأسود بن ثعلبة، وأنس بن مالك، وجابر، والشعبي، والزهري وآخرون . شهد بيعة العقبة الأولى والثانية، وهو أحد النقباء الاثني عشر ليلة العقبة وشهد بدرًا وأحدًا وبيعة الرضوان، والمشاهد كلها مع رسول الله < وكان من سادات الصحابة. ينظر : تهذيب الكمال (١٨٣/١٤)، السير(٥/٢)، الإصابة (٢٦٠/٢)، التهذيب (٩٧/٥)، التقريب (٢٩٢) .

- **عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق** . روى عنه : ابن أخيه القاسم بن محمد ، وأبوعثمان النهدي ، وابن أبي مليكة ، وآخرون . قال في التقريب (٣٣٧) : شقيق عائشة ، تأخر إسلامه إلى قبيل الفتح ، وشهد اليمامة والفتوح . ينظر : تهذيب الكمال (٥٥٥/١٦) – السير (٤٧١/٢) – التهذيب (١٣٣/٦) – الإصابة (٣٩٩/٢) .

- **عبدالله بن الزبير** بن العوام بن خويلد، أبو بكر القرشي الأسدي المكي، ثم المدني، أحد الأعلام أمير المؤمنين (٧٣هـ) .كان أول مولود للمهاجرين بالمدينة، له صحبة، ورواية أحاديث، عداده في صغار الصحابة، روى عن أبيه، وجده لأمه الصديق، وأمه أسماء، وخالته عائشة، وعن عمر، وعثمان وغيرهم، وعنه أخوه عروة، وابناه عامر، وعباد، وعبيدة السلماني، وطاووس، وعطاء وخلق. ولي الخلافة تسع سنين، إلى أن قتل في ذي الحجة سنة ثلاث وسبعين. ينظر : الجرح (٥٦/٥)، السير (٣٦٣/٣)، الإصابة (٦٩/٤)، التهذيب (٢٦٣/٥)، التقريب (٣٠٣).

- **عبد الله بن سلام** بن الحارث الإسرائيلي ثم الأنصاري (٤٣هـ)، وهو من ولد يوسف بن يعقوب صلى الله عليهما ، كان حليفًا للأنصار وهو أحد الأحبار ، أسلم إذ قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة . وتوفي في خلافة معاوية . ينظر : الاستيعاب لابن عبد البر (٥٣/٣-٥٤) .

- **عبدالله بن شداد بن الهاد** الليثي أبو الوليد المدني(٨١هـ) . ولد على عهد النبي ﷺ ، وروى عن : أبيه وعمر ويعلى وطلحة ومعاذ والعباس وابن مسعود وابن عباس وابن عمر وعبدالله بن جعفر

وخالته أسماء بنت عميس وخالته لأمه ميمونة بنت الحارث وأخته لأمه بنت حمزة بن عبد المطلب وعائشة وأم سلمة . وعنه : سعد بن إبراهيم أبو إسحاق الشيباني وجماعة قال الميموني سئل أحمد أسمع عبدالله بن شداد من النبي ﷺ شيئا قال لا، وذكره العجلي من كبار التابعين الثقات . ينظر: تهذيب التهذيب(٥/٢٢٢)، التقريب(٣٠٧) .

- **عبدالله بن عمرو بن العاص** بن وائل بن هاشم القرشي السهمي، أبو محمد، الإمام الحبر العابد (٦٥هـ). صاحب رسول الله < وابن صاحبه، أسلم قبل أبيه، وله فضائل ومقام راسخ في العلم والعمل. روى عن أبي بكر، وعمر، ومعاذ، وأبي الدرداء وغيرهم . وعنه حفيده شعيب بن محمد فأكثر عنه، وأنس بن مالك، وأبو أمامة، وعطاء بن رباح، وابن يسار وخلق. قال ابن حجر: أحد السابقين المكثرين من الصحابة، وأحد العبادلة الفقهاء، مات ليالي الحرّة بالطائف على الراجح. ينظر : الجرح (٥/١١٦)، الحلية (١/٢٨٣)، تهذيب الكمال (١٥/٣٥٧)، تذكرة الحفاظ (١/٣٩)، السير (٣/٧٩)، الإصابة (٤/١١١)، التهذيب (٥/٣٣٧)، التقريب (٣١٥).

- **عبيد بن عمير** بن قتادة الليثي ، أبو عاصم المكي . روى عن : عمر ، وعلي ، وأُبيّ ، وأبي موسى ، وأبي هريرة ، وعائشة ، وابن عمرو ، وابن عمر ، وابن عباس ، وآخرين . وعنه : عطاء ، ومجاهد ، وعمرو بن دينار ، وأبو الزبير ، وآخرون . قال في التقريب (٣٧٧) : ولد على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، قاله مسلم ، وعدَّه غيره في كبار التابعين ، وكان قاصَّ أهل مكة ، مجمع على ثقته ، مات قبل ابن عمر . ينظر : تهذيب الكمال (١٩/٢٢٣) – السير (٤/١٥٦) – التهذيب (٧/٦٦) .

- **العَرَجي** : عبد الله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان الأموي القرشي ، أبو عمر . شاعر غزل مطبوع . كان شغوفًا باللهو والصيد . وكان من الأدباء الظرفاء الأسخياء ، ومن الفرسان المعدودين . لقب بالعرجي لسكناه قرية (العرج) قرب الطائف . ينظر : الأعلام (٤/١٠٩) .

- **عروة بن الزبير** بن العوام، أبو عبدالله القرشي الأسدي، المدني، الفقيه، أحد الفقهاء السبعة (٩٤هـ) حدث عن أبيه الزبير، وأمه أسماء بنت أبي بكر، وخالته عائشة، وسعيد بن زيد، وعلي بن أبي طالب وغيرهم . وعنه : بنوه يحيى وعثمان وهشام ومحمد، وسليمان بن يسار، والزهري وخلق سواهم. قال الزهري: رأيت عروة بحرًا لاتكدره الدلاء . وثقه ابن سعد والعجلي وابن خراش وغيرهم . وقال ابن حجر: ثقة فقيه مشهور. ينظر : طبقات ابن سعد (٥/١٧٨)، الحلية (٢/١٧٦)، تهذيب الكمال (٢٠/١١)، السير (٤/٤٢١)، تذكرة الحفاظ (١/٥٨)، التهذيب (٧/١٨٠)، التقريب (٣٨٩) .

- **العز بن عبد السلام** : عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي ، عز الدين الملقب بسلطان العلماء . فقيه شافعي بلغ رتبة الاجتهاد . من كتبه : الإلمام في أدلة الأحكام – قواعد الشريعة . ينظر : الأعلام (٢١/٤) .

- **عطاء بن أبي رباح** : اسم والده أسلم، أبو محمد القرشي مولاهم المكي (١١٤هـ) .حدث عن عائشة، وأم سلمة، وأم هانئ، وأبي هريرة، وابن عباس، وعبدالله بن عمرو بن العاص وغيرهم، وعنه مجاهد، وأبو إسحاق السبيعي، وأبو الزبير، وعمرو بن دينار، والزهري، وقتادة وخلق. قال الذهبي: الإمام شيخ الإسلام، مفتي الحرم . وقال ابن حجر: ثقة فقيه فاضل لكنه كثير الإرسال، قيل : إنه تغير بأخرة، و لم يكثر ذلك منه. ينظر : الجرح (٣٣٠/٦)، المعرفة (٧٠١/١)، تهذيب الكمال (٦٩/٢٠)، السير (٧٨/٥)، الميزان (٧٠/٣) ، التهذيب (١٩٩/٧)، التقريب (٣٩١).

- **عطاء بن دينار** الهذلي (١٢٦هـ) . مولاهم المصري . من رجال الحديث . له كتاب في التفسير ، يرويه عن سعيد بن جبير . توفي بمصر . ينظر : الأعلام (٢٣٥/٤) .

- **عطاء بن أبي مسلم الخراساني** (١٣٥هـ) ، أبو أيوب، ويقال أبو عثمان، ويقال أبو محمد، ويقال أبو صالح البلخي نزيل الشام، اسم أبيه عبدالله، ويقال ميسرة. روى عن الصحابة مرسلا كابن عباس والمغيرة بن شعبة وأبي هريرة وأنس وعبدالله بن عمرو بن العاص ومعاذ وغيرهم، وعن سعيد بن المسيب وعطاء بن أبي رباح وخلق، وعنه عثمان ابنه وشعبة وإبراهيم بن طهمان وداود بن أبي هند ومعمر وابن جريج ومالك وآخرون. قال ابن معين: ثقة، وقال أبو حاتم: ثقة صدوق، وقال النسائي: ليس به بأس فهو صدوق يهم كثيرًا ويرسل ويدلس. قال أحمد بن حنبل: رأى ابن عمر و لم يسمع منه و لم يسمع من ابن عباس شيئًا، وقال يحيى بن معين : لا أعلمه لقي أحدًا من أصحاب النبي ﷺ. ينظر : تهذيب الكمال (١٠٦/٢٠)، التهذيب (٢١٢/٧-٢١٣)، جامع التحصيل ص(٢٣٨)، التقريب (٣٩٢).

- **عطية العوفي** بن سعد بن جُنادة الجَدَلي القيسي الكوفي ، أبو الحسن (ت ١١١هـ) . صدوق يخطئ كثيرًا وكان شيعيًّا مدلسًا . ينظر : التقريب (٣٩٣) ، الأعلام (٢٣٧/٤) .
- **عطية** بن الحارث ، أبو رَوْق ، الهَمْداني ، الكوفي ، صاحب التفسير ، صدوق ، من الخامسة . ينظر : التقريب (٣٩٣) .
- **العكبري** : عبد الله بن الحسين بن عبد الله البغدادي ، أبو البقاء ، محب الدين (٥٣٨-٦١٦هـ). عالم بالأدب واللغة والقراءات والتفسير والفرائض والحديث والحساب . أصله من

عكبرا ومولده ووفاته ببغداد . من كتبه : التبيان في إعراب القرآن – اللباب في علل البناء والإعراب. ينظر : معجم المفسرين (٣٠٧/١) ، الأعلام (٨٠/٤) .

- **عكرمة البربري**، أبو عبدالله المدني، مولى ابن عباس (١٠٤هـ) . روى عن ابن عباس، وعلي، وأبي هريرة، وابن عمر وجماعة، وروى عنه إبراهيم النخعي، والشعبي، وحميد، وخالد الحذاء وخلق. وثقه أبو حاتم، والعجلي، والنسائي. وقال ابن حجر: ثقة ثبت عالم بالتفسير... لا تثبت عنه بدعة. ينظر : طبقات ابن سعد (٢٨٧/٥)، الجرح (٧/٧)، تهذيب الكمال (٢٦٤/٢٠) التهذيب (٢٣٤/٧)، التقريب (٣٩٧).
- **عكرمة بن أبي جهل** عمرو بن هشام المخزومي القرشي . من صناديد قريش في الجاهلية والإسلام . كان هو وأبوه من أشد الناس عداوة للنبي صلى الله عليه وسلم ، وأسلم عكرمة بعد فتح مكة ، وحسن إسلامه ، فشهد الوقائع ، وولي الأعمال لأبي بكر . واستشهد في اليرموك ، أو يوم مرج الصفر وعمره ٦٢ سنة . ينظر : الأعلام (٢٤٤/٤) .
- **عكرمة بن خالد** بن العاص بن هشام بن المغيرة القرشي المخزومي . روى عن إبراهيم بن سعد بن أبي وقاص، وسعيد بن جبير، وعبدالله بن عمر، والزهري، وأبي هريرة وغيرهم، وروى عنه أيوب السختياني، وحماد بن سلمة، وابن طاوس، والأوزاعي، ومعقل بن عبيد الله وخلق. وثقه يحيى بن معين، وأبو زرعة، والنسائي، وابن حبان، وابن سعد، والبخاري . وقال أبو زرعة: عكرمة بن خالد عن عثمان مرسل. قال ابن حجر: ثقة، مات بعد عطاء . ينظر : ط ابن سعد (٤٧٥/٥)، الجرح (٩/٧)، ثقات ابن حبان (٢٣١/٥)، السابق واللاحق (١٣٠)، تهذيب الكمال (٢٤٩/٢٠)، التهذيب (٢٥٨/٧)، التقريب (٣٩٦) ،جامع التحصيل (٢٣٩).
- **علاء الدين المارديني = ابن التركماني**
- **علقمة بن قيس** بن عبدالله بن مالك النخعي، أبو شبل الكوفي (٦٢هـ وقيل ٧٢هـ) .روى عن عمر، وعثمان، وعلي بن أبي طالب، وابن مسعود، وروى عنه إبراهيم النخعي، والشعبي، وابن سيرين وجماعة. ولد في حياة النبي >، وعداده في المخضرمين، وهو فقيه الكوفة، وعالمها ومقرئها، كان يشبه بابن مسعود سمتًا وهديًا. وثقه أحمد، وابن معين، وابن سعد والخلق. قال ابن حجر: ثقة ثبت فقيه عابد. ينظر : طبقات ابن سعد (٨٦/٦)، المعرفة (٥٥٢/٢)، الجرح (٤٠٤/٦)، تهذيب الكمال (٣٠٠/٢٠)، السير (٥٣/٤)،التهذيب (٢٧٦/٧)، التقريب (٣٩٧).
- **علي بن أبي طالب** بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمي (٤٠هـ) .ابن عم رسول الله، وزوج ابنته، من السابقين الأولين ورجح جمع أنه أول من أسلم، وهو أحد العشرة، مات في رمضان سنة ٤٠هـ

وهو يومئذ أفضل الأحياء من بني آدم بالأرض، بإجماع أهل السنة وله ثلاث وستون على الأرجح. ينظر : تاريخ بغداد (١٣٣/١)، تهذيب الكمال (٤٧٢/٢٠)، التجريد (٣٩٢/١) الإصابة (٢٦٩/٤)، التهذيب (٣٣٤/٧)، التقريب (٤٠٢).

- **علي بن أبي طلحة** الوالبي ، واسمه سالم بن المخارق الهاشمي، أبو الحسن مولى العباس بن عبد المطلب (١٤٣هـ) .روى عن أبي الوداك الهمداني، وابن عباس مرسلا بينهما مجاهد، ومجاهد بن جبر، وروى عنه حريز الرحبي، والحسن بن صالح، والثوري، ومعمر بن راشد. قال أحمد: له أشياء منكرات، وقال أبو داود: هو إن شاء الله في الحديث مستقيم، ولكن له رأي سوء كان يرى السيف، وقال النسائي: ليس به بأس، وقال دحيم: لم يسمع من ابن عباس التفسير، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال روى عن ابن عباس الناسخ والمنسوخ و لم يره، ووثقه العجلي. قال ابن حجر: صدوق قد يخطئ . ينظر : طبقات ابن سعد (٤٥٨/٧)، سؤالات الآجري (٢٦٥/٢)، الجرح (١٩١/٦)، ثقات ابن حبان (٣١١/٧)، تهذيب الكمال (٤٩٠/٢٠)، الميزان (١٣٤/٣)، التهذيب (٣٣٩/٧)، التقريب (٤٠٢).
- **علي بن الجهم** بن بدر ، أبو الحسن (ت ٢٤٩هـ) . من بني سامة ، من لؤي بن غالب . شاعر ، رقيق الشعر ، أديب ، من أهل بغداد . كان معاصرًا لأبي تمام . له ديوان شعر . ينظر : الأعلام (٢٦٩/٤-٢٧٠) .
- **عمران بن حصين** بن عبيد بن خلف بن عبد نهم بن سالم بن غاضرة بن سلول بن حبشة بن سلول بن كعب بن عمرو الخزاعي أبو نجيد(٥٢هـ) . أسلم هو وأبو هريرة عام خيبر روى عن النبي ﷺ وعن معقل بن يسار وعنه ابنه نجيد وعبدالله بن بريدة ومحمد بن سيرين والحسن وآخرون . ينظر : الإصابة(٧٠٥/٤)، التهذيب(١١١/٨)، التقريب(٤٢٩) .
- **عمر بن إبراهيم** العبدي **البصري** ، صاحب الهروي ، صدوق في حديثه عن قتادة ضعف . من السابعة . ينظر : التقريب (٤١٠) .
- **عمر بن أبي ربيعة المخزومي** القرشي ، أبو الخطاب (٢٣-٩٣هـ) . أرق شعراء عصره ، من طبقة جرير والفرزدق . و لم يكن في قريش أشعر منه . ولد في الليلة التي توفي فيها عمر بن الخطاب ، فسمي باسمه . ينظر : الأعلام (٥٢/٥) .
- **عمر بن الخطاب** بن نفيل بن عبدالعزى، أبو حفص القرشي العدوي (٢٣هـ) .أمير المؤمنين، صحابي مشهور، جم المناقب، استشهد في ذي الحجة وولي الخلافة عشر سنين ونصفا، روى عن النبي، وأبي بكر، وأبي بن كعب، وروى عنه مولاه أسلم، وأنس بن مالك، والبراء بن عازب، وجابر

ابن عبدالله وابن سمره وخلق. ينظر : فضائل الصحابة لأحمد (١/٣٣٥،٢٤٤)، الجرح (١٠٥/٦)، تهذيب الكمال (٣١٦/٢١)،التجريد (٣٩٧/١)،تذكرة الحفاظ (٥/١)، الإصابة (٢٧٩/٤)، التهذيب (٣٨٥/٧)، التقريب (٤١٢).

- **عمر (مولى غُفْرَة)** : عمر بن عبدالله المدني ، ضعيف كثير الإرسال ، من الخامسة . ينظر : التقريب (٤١٤) .
- **عمرو بن الإطنابة** بن عامر بن زيد مناة الكعبي الخزرجي . شاعر جاهلي فارس . كان أشرف الخزرج . اشتهر بنسبته إلى أمه (الإطنابة) بنت شهاب من بني القين . وفي الرواة من يعده من ملوك العرب في الجاهلية. ينظر : الأعلام (٨٠/٥) .
- **عمرو بن دينار** المكي أبو محمد الأثرم الجمحي مولاهم أحد الأعلام (١٢٦هـ) . روى عن ابن عباس وابن الزبير وابن عمر وابن عمرو بن العاص وأبي هريرة وجابر بن عبدالله . وقال الحميدي وغيره عن سفيان : قلت لمسعر : من رأيت أشد إتقانًا للحديث ؟. قال: عمرو بن دينار والقاسم بن عبدالرحمن . وقال إسحاق بن إسماعيل عن سفيان : قالوا لعطاء : بمن تأمرنا ؟ قال : بعمرو بن دينار . وقال عبدالرحمن بن الحكم عن ابن عيينة : ثنا عمرو بن دينار وكان ثقة ثقة وحديث أسمعه من عمرو أحب إلي من عشرين حديثًا من غيره . وقال ابن حجر: ثقة ثبت . ينظر : تهذيب الكمال (٥/٢٢) ، تهذيب التهذيب (٢٦/٨) ، التقريب (٤٢١) .
- **عمرو بن قيس الملائي** أبو عبدالله الكوفي (بضع و١٤٠هـ) .روى عن أبي إسحاق السبيعي وعكرمة والمنهال بن عمرو والحكم بن عتيبة وعاصم بن أبي النجود وعون بن جحيفة وعدة. وروى عنه إسماعيل بن أبي خالد وهو أكبر منه والثوري وإسماعيل بن زكرياء وغيرهم. قال ابن حجر: ثقة متقن عابد . ينظر : تهذيب الكمال(٢٠٠/٢٢)، سير أعلام النبلاء(٢٥٠/٦)، تهذيب التهذيب (٨١/٨)، تقريب التهذيب (٤٢٦).
- **عمرو بن معد يكرب** بن ربيعة بن عبد الله الزبيدي . فارس اليمن ، وصاحب الغارات المذكورة. وفد على المدينة سنة تسع في عشرة من بني زبيد ، فأسلم وأسلموا ، وعادوا . ولما توفي النبي صلى الله عليه وسلم ارتد عمرو في اليمن ، ثم رجع إلى الإسلام ، فبعثه أبو بكر إلى الشام ، فشهد اليرموك ، وذهبت فيها إحدى عينيه ، وبعثه عمر إلى العراق ، فشهد القادسية . ينظر : الأعلام (٨٦/٥) .

- **عمرو بن ميمون** بن مهران الجزري أبو عبدالله وأبو عبدالرحمن سبط سعيد بن جبير(١٤٧هـ) .روى عن أبيه وسليمان بن يسار والشعبي وأبي قلابة ونافع مولى ابن عمر ومكحول وعمر بن عبدالعزيز والحسن البصري والزهري وغيرهم. وعنه ابنه عبدالله وابن أخيه بزيع الرقي ومحمد بن

إسحاق وهو من أقرانه والثوري وزهير بن معاوية وابن المبارك وآخرون. قال الميموني : قال لي أحمد : جدك عمرو بن ميمون ليس به بأس . وقال ابن معين: ثقة . وقال ابن خراش: شيخ صدوق . وقال ابن سعد : كان ثقة إن شاء الله تعالى. قال ابن حجر: ثقة فاضل. ينظر : ثقات ابن حبان (٢٢٤/٧)، تهذيب التهذيب (٩٥/٨)، تقريب التهذيب (٤٢٧) .

- **عمير بن هانئ** العنسي الداراني ، أبو الوليد (ت١٢٧هـ) . تابعي ، من رجال الدولة الأموية . استنابه الحجاج على الكوفة ، وولي خراج دمشق لعمر بن عبد العزيز . ينظر : الأعلام (٨٩/٥).
- **عياض بن حمار** : التميمي المجاشعي ، صحابي سكن البصرة وعاش إلى حدود الخمسين . ينظر : التقريب (٤٣٧) .
- **عُيينة بن حِصْن الفزاري** أبو مالك . أسلم بعد الفتح ، وشهد الفتح مسلمًا ، وشهد حنينًا أو الطائف . وكان من المؤلفة قلوبهم ، ومن الأعراب الجفاة . وكان ممن ارتد وتبع طُليحة الأسدي، وقاتل معه . فأخذ أسيرًا ، وحمل إلى أبي بكر رضي الله عنه ... فأسلم ، فأطلقه أبو بكر . وهو عم الحر بن قيس . ينظر : أسد الغابة (٣١/٤) .
- **الغزالي** : محمد بن محمد بن محمد الطوسي ، أبو حامد الطوسي الشافعي ، زين الدين الغزالي (٤٥٠-٥٠٥هـ) . الشيخ الإمام البحر ، حجة الإسلام ، أعجوبة الزمان ، صاحب التصانيف، والذكاء المفرط . غلا في طريقه التصوف ، وألف مصنفات مشهورة ، أخذ عليه منها مواضع ، ثم كان خاتمة أمره إقبالاً على الحديث وأهله ومطالعة الصحيحين . من مؤلفاته : " الإحياء " ، و " التهافت " كتاب في ذم الفلاسفة . رحمه الله تعالى . ينظر : السير (٣٢٢/١٩) – ط السبكي (١٩١/٦) .
- **غلام ثعلب** : محمد بن عبد الواحد بن أبي هاشم ، أبو عمر الزاهد المطرز البارودي (٢٦١-٣٤٥هـ) . أحد أئمة اللغة ، المكثرين من التصنيف . كانت صناعته تطريز الثياب . صحب ثعلبًا النحوي زمانًا حتى لقب " غلام ثعلب " وتوفي ببغداد . أملى من حفظه في اللغة نحو ثلاثين ألف ورقة . من كتبه : الياقوتة – رسالة في غريب القرآن . ينظر : معجم المفسرين (٥٦٧/٢) ، الأعلام (٢٥٤/٦) .
- **الفارسي = أبو علي الفارسي**
- **الفراء** : يحيى بن زياد بن عبد الله الأسدي مولاهم أبو زكريا ، الكوفي النحوي (٢٠٧هـ) . العلاّمة ، صاحب الكسائي ، كان ثقة . قال ثعلب : لولا الفراء لما كانت عربية ، ولسقطت ،

لأنه خلّصها ، ولأنها كانت تُتنازع ويدعيها كل أحد . له تصانيف منها : " معاني القــرآن " . ينظر : إنباه الرواة (٧/٤) – معجم الأدباء (٩/٢٠) – السير (١١٨/١٠).

- **الفرزدق** : همام بن غالب بن صعصعة التميمي الدارمي ، أبو فراس ، الــشهير بــالفرزدق (ت ١١٠هــ) . شاعر من النبلاء . من أهل البصرة . عظيم الأثر في اللغة ، كان يقال : لولا شــعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب ، ولولا شعره لذهب نصف أخبار النــاس . وهــو صــاحب الأخبار مع جرير والأخطل ، ومهاجاته لهما أشهر من أن تذكر . ولقب بــالفرزدق ، لجهامــة وجهه وغلظه . ينظر : الأعلام (٩٣/٨) .

- **الفضيل بن عياض** بن مسعود التميمي ، أبو علي الزاهد المشهور ، أصله من خراسان ، وسكن مكة (١٨٧هــ) .حدث عن منصور ، والأعمش ، وليث ، وعطاء بن السائب ، وحميد الطويل وخلق سواهم ، وعنه ابن المبارك ، ويحيى القطان ، وابن مهدي ، وابن عيينــة ، والأصــمعي وخلق كثير . قلت : ثقة إمام بالاتفاق . قال الذهبي : الإمام القدوة الثقة ، شــيخ الإســلام ، وقال ابن حجر : ثقة عابد إمام . ينظر : الحلية (٨٤/٨) ، تهذيب الكمال (٢٨١/٢٣) ، السير (٤٢١/٨) ، الميزان (٣٦١/٣) ، التهذيب (٢٩٤/٨) ، التقريب (٤٤٨) .
- **القاسم بن أبي بزّة** نافع بن يسار المكي ، أبو عبد الله القارئ مــولى عبــد الله بــن الــسائب المخزومي. روى عن سعيد بن جبير ، وعروة بن عامر ، وعطاء بن يسار وغيرهم، وعنه حجاج ابن أرطأة ، وشعبة بن الحجاج ،وابن جريج ، ومسعر بن كدام وخلق . وثقــه ابــن معــين ، والعجلي ، والنسائي ، وابن سعد ، وذكره ابن حبان في الثقات . قال ابن حجر : ثقة . ينظر : طبقات ابن سعد (٤٧٩/٥) ، المعرفة (١٥٤/٢) ، (٧٣/٣) ، ثقات ابن حبان ، تهذيب الكمال (٣٣٨/٢٣) ، التهذيب (٣١٠/٨) ، التقريب (٤٤٩) .
- **القاسم بن مخيمرة** الهمداني ، أبو عروة (ت ١٠٠هــ) . معلم ، من رجال الحــديث . ولــد ونشأ في الكوفة . وكان يعيش من تجارة له . وانتقل إلى الشام مرابطًا ، فمات فيهــا . ينظــر : الأعلام (١٨٥/٥) .
- **القاضي أبو يعلى** : أحمد بن علي بن المثنى (٢١٠-٣٠٧هــ) الإمام الحافظ ، شيخ الإســلام ، محدث الموصل ، وصاحب المسند والمعجم . سمع من : ابن المديني ، وابن معين ، وابن نمير وابــن الجعد ، وخلق كثير سواهم . وعنه : النسائي ، وابن حبان ، والطبراني ، وابن عدي ، وخلــق كثير . قال الدارقطني ، والحاكم : ثقة مــأمون . ينظــر : الــسير (١٧٤/١٤) – التــذكرة (٧٠٧/٢).

- **القاضي الجبائي** : محمد بن عبد الوهاب بن سلام ، أبو علي (٢٣٥-٣٠٣هـ) . من أئمة المعتزلة . ورئيس علماء الكلام في عصره . وإليه نسبة الطائفة الجبائية . له مقالات وآراء انفرد بها في المذهب . ينظر : الأعلام (٢٥٦/٦) .
- **قتادة** بن دعامة بن قتادة السدوسي، أبو الخطاب البصري الضرير الأكمه (١١٨هـ) .روى عن أنس بن مالك، وابن المسيب، وأبي العالية، وعكرمة، وعطاء ابن أبي رباح وخلق كثير، وعنه أيوب السختياني، وابن أبي عروبة، والأوزاعي وشعبة وأمم سواهم. قال الذهبي: وهو حجة بالإجماع إذا بين السماع، فإنه مدلس معروف بذلك وكان يرى القدر نسأل الله العفو، ومع هذا فما توقف أحد في صدقه وعدالته وحفظه. وقال ابن حجر: ثقة ثبت. ينظر : طبقات ابن سعد (٢٢٩/٧)، الجرح (١٣٣/٧)، تهذيب الكمال (٤٩٨/٢٣)، السير (٢٦٩/٥)، الميزان (٣٨٥/٣)، التهذيب (٣٥١/٨)، التقريب (٤٥٣).
- **القرطبي** : محمد بن أحمد القرطبي الأندلسي المالكي (٦٧١هـ) . من كبار المفسرين ، محدث ، صالح متعبد .ينظر : شذرات الذهب (٣٣٥/٥) ، معجم المفسرين (٤٧٩/٢) .
- **القشيري** : عبدالكريم بن هوازن بن عبدالملك النيسابوري القشيري (٣٧٦-٤٦٥هـ) ، أبوالقاسم ، زين الإسلام ، عالم بالفقه والتفسير والحديث والأصول والأدب والشعر والكتابة وعلم التصوف . من آثاره "التيسير في التفسير" و"لطائف الإشارات" وهو تفسير صوفي كامل للقرآن الكريم . ينظر : طبقات المفسرين للداوودي (٣٤٤/١) ، معجم المفسرين (٢٩٩/١) .
- **قطرب** : محمد بن المستنير ، أبو علي النحوي اللغوي (٢٠٦هـ) . أخذ عن : سيبويه ، وغيره من البصريين . لقّبه سيبويه قُطْرباً لمباكرته له في الأسحار . له من الكتب المصنفة : " معاني القرآن " و " الاشتقاق " و " النوادر " وغيرها كثير . ينظر : إنباه الرواة (٢١٩/٣).
- **القُمّي** : الحسن بن محمد بن حسين القُمِّي النيسابوري ، نظام الدين (بعد ٨٥٠هـ) مفسر ، من كبار علماء الشيعة الإمامية في عصره . ينظر : معجم المفسرين (١٤٥/١) .
- **القِنُّوجي** : محمد صديق خان بن حسن بن علي البخاري القِنُّوجي الهندي (١٢٤٨-١٣٠٧هـ) ، المحدث المفسر الأصولي . من رجال الإصلاح الإسلامي وسيد علماء الهند ، بلغت مؤلفاته اثنين وعشرين ومئتين بالعربية والهندية . ينظر : حلية البشر (٧٣٨/٢) ، ومعجم المفسرين (٥٣٩/٢) ، الأعلام (١٦٧/٦) .
- **قيس بن أبي حازم** البجلي ، أبو عبدالله الكوفي (٩٠هـ قبلها أو بعدها)، ثقة ، من الثانية ، مخضرم ، ويقال : له رؤية وهو الذي يقال : إنه اجتمع له أن يروي عن العشرة ، وقد جاوز المائة وتغيّر . ينظر : التقريب (٤٥٦) .

- **قيس بن عُباد** الضبعي، أبو عبدالله البصري(بعد ٨٠هـ) . روى عن عمر و علي وعمار وأبي ذر وعبدالله بن سلام وسعد بن أبي وقاص وأبي بن كعب وغيرهم. روى عنه ابنه عبدالله وصهره عبدالله بن مطر وابن ابنه النضرة بن عبدالله بن مطر والحسن وابن سيرين وأبو نضرة العبدي وغيرهم. قال ابن سعد: ثقة قليل الحديث . وقال العجلي: ثقة . قال ابن حجر: ثقة مخضرم ووهم من عده في الصحابة . ينظر : ثقات ابن حبان (٣٠٨/٥)، تهذيب التهذيب(٣٥٧/٨)، تقريب التهذيب (٤٥٧) .
- **قيس بن عبادة** = **قيس بن عباد** . قد يكون الذي قبله ، وينظر : المعجم الصغير لرواة الإمام ابن جرير الطبري (٤٧٠/٢) .
- **كثير عزّة** : كثير بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر الخزاعي ، أبو صخر ، يعرف بكثير عزة (١٠٧هـ) شاعر متيم مشهور من أهل المدينة ، أكثر إقامته بمصر ، وفد على عبد الملك بن مروان فاختص به وببني مروان يعظمونه ويكرمونه ، وكان مفرط القصر دميمًا في نفسه شمم وترفع . قال المرزباني : كان شاعر أهل الحجاز في الإسلام ، لايقدمون عليه أحدًا وفي المؤرخين من يذكر أنه من غلاة الشيعة . له ديوان شعر مطبوع ، وهو من فحول الشعراء ، وبعضهم يقدمه على الفرزدق والكبار . ينظر : وفيات الأعيان (١٠٦/٤) ، السير (١٥٢/٥) ، الشذرات (١٣١/١) ، الأعلام (٢١٩/٥) .
- **الكرماني** : محمود بن حمزة بن نصر الكرماني ، برهان الدين أبو القاسم (بعد ٥٠٠هـ) ، عالم بالقراءات ، نحوي ، مفسر . ينظر : طبقات المفسرين للداوودي (٣١٢/٢) ، معجم المفسرين (٢/ ٦٦٢) .
- **الكسائي** : علي بن حمزة بن عبد الله ، أبو الحسن الأسدي ، مولاهم الكوفي (١٨٩هـ) . الإمام ، شيخ القراءة والعربية ، حدث عن : الأعمش ، وغيره . وأخذ القراءة عن حمزة الزيات، وابن أبي ليلى ، والأعمش ، وغيرهم وجالس في النحو الخليل . قال الشافعي : من أراد أن يتبحر في النحو ، فهو عيال على الكسائي . روى عنه القراءات : أبو عمر الدوري ، وخلف بن هشام ، وغيرهما . ينظر : إنباه الرواة (٢٥٦/٢) – معجم الأدباء (١٦٧/١٣) – السير (١٣١/٩) – معرفة القراء (١٠٠/١) – التهذيب (٢٧٥/٧) .
- **كعب الأحبار** : كعب بن ماتع الحِمْيَري ، أبو إسحاق المعروف بكعب الأحبار ، من مسلمة أهل الكتاب (٣٤هـ) . أدرك النبي < ، وأسلم في خلافة أبي بكر ، روى عن النبي< مرسلا، وعن عمر ، وعائشة ، وصهيب الرومي ، روى عنه أسلم مولى عمر ، وخالد بن معدان ، وابن المسيب ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر . قال أبو الدرداء : إن عند ابن الحميرية لعلمًا

كثيرًا ، وقال معاوية : إن كان من أصدق هؤلاء المحدثين عن أهل الكتاب وإن كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب . عُمِّر قرابة مائة سنة . قال ابن حجر : ثقة مخضرم . ينظر : طبقات ابن سعد (٤٤٥/٧) ، الجرح (١٦١/٧) ، ثقات ابن حبان (٣٣٣/٥) ، الحلية (٣٦٤/٥) ، تهذيب الكمال (١٨٩/٢٤) ، التهذيب (٤٣٨/٨) ، التقريب (٤٦١) .

- **كعب بن عُجْرَة** بن أمية بن عدي البلوي الأنصاري المدني (بعد٥٠هـ) . حليف الأنصار ، صحابي ، يكنى أبا محمد . شهد المشاهد كلها . وفيه نزلت الآية : ﴿ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ﴾ البقرة : ١٩٦ . توفي بالمدينة ، عن نحو ٧٥ سنة . له ٤٧ حديثًا . ينظر : التقريب (٤٦١) ، الأعلام (٢٢٧/٥) .
- **كعب بن مالك** بن أبي كعب الأنصاري السلمي المدني . شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه ، وأحد الثلاثة الذين خُلّفوا ، فتاب الله عليهم . روى عنه : بنوه : عبد الله ، وعبيد الله ، وعبد الرحمن ، ومحمد ، ومعبد ، بنو كلب ، وجابر ، وابن عباس ، وحفيده عبد الرحمن بن عبد الله ، وآخرون . قال في التقريب (٤٦١) : صحابي مشهور ، وهو أحد الثلاثة الذين خُلّفوا ، مات في خلافة علي . ينظر : تهذيب الكمال (١٩٣/٢٤) – السير (٥٢٣/٢) – التهذيب (٣٩٤/٨) – الإصابة (٢٨٥/٣) .
- **الكلبي** : محمد بن السائب بن بشر أبو النضر (١٤٦هـ) . العلاّمة الإخباري ، المفسّر ، كان رأسًا في الأنساب . إلا أنه شيعي متروك الحديث . يروي عن : أبي صالح ، وجرير ، والفرزدق، وجماعة . ويروي عنه : ولده هشام ، وطائفة . قال في التقريب (٤٧٩) : النسّابة المفسر ، متهم بالكذب ورمي بالرفض . ينظر : تهذيب الكمال (٢٤٦/٢٥) – السير (٢٤٨/٦) – الميزان (٥٥٦/٣) – التهذيب (١٥٧/٩).
- **كَلْثُوم بن جَبْر** البصري (١٣٠هـ) ، صدوق يخطئ ، من الرابعة . ينظر : التقريب (٤٦٢) .
- **الكميت** بن زيد بن خنيس الأسدي أبو المستهل (٦٠- ١٢٦هـ) ، شاعر الهاشميين ، من أهل الكوفة . ينظر : الأعلام (٢٣٣/٥) .

- **لبيد بن ربيعة** العامري (٤١هـ) . أبو عقيل ، الشاعر المشهور ، قال المرزباني في معجمه : كان فارسًا شجاعًا شاعرًا سخيًّا قال الشعر في الجاهلية دهرًا ثم أسلم ولما كتب عمر إلى عامله بالكوفة سل لبيدًا والأغلب العجلي ما أحدثا من الشعر في الإسلام ؟ فقال لبيد : أبدلني الله بالشعر سورة البقرة وآل عمران ، فزاد عمر في عطائه . ولما أسلم رجع إلى بلاد قومه ثم نزل الكوفة حتى مات . قال الأويسي : حدثنا مالك قال : عاش لبيد بن ربيعة مائة وستين سنة .

قلت : والحاصل أن عداده في الصحابة الذين أدركوا زمن النبي< وآمنوا به ، قال الذهبي : أسلم وحسن إسلامه و لم يتل شعرًا منذ أسلم . ينظر : التجريد (٣٨/٢) ، الإصابة (٤/٦) .

- **مالك بن أنس** بن مالك الحميري ثم الأصبحي المدني، إمام دار الهجرة وحجة الأمة، وشيخ الإسلام، أبو عبدالله الفقيه (١٧٩هـ) .روى عن أيوب السختياني، وحميد الطويل، وزيد بن أسلم، ومحمد بن عمرو بن علقمة، وخلق لا يحصون كثرة، وعنه معمر، وابن جريج، والأوزاعي، وشعبة، والثوري، وابن علية، وابن عيينة وغيرهم. ثقة وفوق ثقة، قال الشافعي إذا ذكر العلماء فمالك النجم. قال ابن حجر: إمام دار الهجرة، رأس المتقين، وكبير المتثبتين، حتى قال البخاري أصح الأسانيد مالك عن نافع عن ابن عمر. ينظر : الحلية (٣١٦/٦)، تهذيب الكمال (٩١/٢٧)، الديباج المذهب (٥٥/١)، تذكرة الحفاظ (٢٠٧/١)، السير (٤٨/٨)، التقريب (٥١٦).
- **مالك بن دينار** (١٣٠هـ) علم العلماء الأبرار، معدود في ثقات التابعين، ومن أعيان كتبة المصاحف كان من ذلك بلغته. سمع أنس بن مالك، والأحنف بن قيس، والحسن البصري، وابن سيرين وعدة، وحدث عنه سعيد بن أبي عروبة، وعبدالله بن شوذب، وليس هو من أساطين الرواية. وثقه النسائي وغيره، واستشهد به البخاري، وحديثه في درجة الحسن، وهو صاحب تلك الموعظة المشهورة للمهلب بن أبي صفرة لما رآه متبخترًا. وكان ينسخ المصحف في أربعة أشهر، فيدع أجرته عند البقال فيأكله، فكان هذا كسبه. قال ابن حجر: صدوق عابد. ينظر : طبقات ابن سعد (٢٤٣/٧)، الجرح (٢٠٨/٨)، تهذيب الكمال (١٣٥/٢٧)، السير (٣٦٢/٥)، التقريب (٥١٧).
- **الماوردي** : علي بن محمد بن حبيب البصري ، أبو الحسن الماوردي ، الشافعي (٤٥٠هـ) الإمام العلامة ، أقضى القضاة ، صاحب التصانيف ، ومنها : " الحاوي " من طالعه شهد له بالتبحر ومعرفة المذهب ، و " الأحكام السلطانية " و " أدب الدنيا والدين " . حدَّث عنه الخطيب ووثَّقه . وقال ابن الصلاح : هو متهم بالاعتزال . ينظر : ت بغداد (١٠٢/١٢) – وفيات الأعيان (٢٨٢/٣) – السير (٦٤/١٨) .
- **المبرد** : محمد بن يزيد بن عبد الأكبر ، أبو العباس المبرد الأزدي ، البصري ، النحوي ، الأخباري (٢٨٦هـ) . إمام النحو ، صاحب " الكامل " . أخذ عن : أبي عثمان المازني ، وأبي حاتم السجستاني . وعنه : أبو بكر الخرائطي ، ونفطويه ، وعدة . له من التصانيف : " الاشتقاق " و " معاني القرآن " وغيرها . ينظر : إنباه الرواة (٢٤١/٣) – معجم الأدباء (١١١/١٩) – السير (٥٧٦/١٣).
- **المتنبي** : أحمد بن حسين بن حسن الجعفي الكوفي ، الشهير بأبي الطيب المتنبئ (٣٥٤هـ) . شاعر الزمان ، كان من أذكياء عصره ، وبلغ الذروة في النظم ، وأربى على المتقدمين وسار

ديوانه في الآفاق ومدح سيف الدولة ، وكافور صاحب مصر ، وعضد الدولة ملك فارس والعراق فنال بالشعر مالا جزيلا ، وتنبأ ثم تاب ، وكان مع ذلك يبخل ، وفيه عجب بنفسه كثير البأو والتيه ، فمقت لذلك ، قتل هو وولده وفتاه في رمضان ، وله أبيات فائقة ، يضرب بها المثل . ينظر : تاريخ بغداد (١٠٢/٤) ، وفيات الأعيان (١٢٠/١) ، تهذيب الأسماء واللغات (٢٨٥/٢) ، السير (١٩٩/١٦) ، لسان الميزان (١٥٩/١) .

- **المتوكل** : جعفر بن المعتصم بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور ، أبو الفضل المتوكل على الله ، الخليفة العباسي (٢٠٧-٢٤٧هـ) ، بويع له بالخلافة بعد أخيه الواثق سنة (٢٣٢ هـ) . كان محببًا إلى رعيته ، قائمًا بالسنة فيهم . وهو أظهر السنة بعد البدعة ، وأخمد بدعة القول بخلق القرآن بعد انتشارها واشتهارها ، فرحمه الله . ينظر : السير (٣٠/١٢) ، البداية والنهاية (٤٥١/١٤) .
- **مجاهد بن جبر** أبو الحجاج المكي، الأسود مولى بني مخزوم (١٠٢هـ) . روى عن ابن عباس، فأكثر وأطاب، وأبي هريرة، وعائشة، وجابر بن عبدالله وعدة، وعنه عكرمة، وطاووس، وعطاء، وأيوب، وابن عون، وقتادة وخلق كثير. قال ابن معين، وطائفة: ثقة. قال ابن حجر: ثقة إمام في التفسير والعلم . ينظر : طبقات ابن سعد (٤٦٦/٥)، تهذيب الكمال (٢٢٨/٢٧)، تذكرة الحفاظ (٨٦/١)، السير (٤٤٩/٤)، الشذرات (١٢٥/١)، التقريب (٦٤٨١) .
- **محمد بن الحنفية** : محمد بن علي بن أبي طالب ، الهاشمي القرشي ، أبو القاسم المعروف بابن الحنفية (٢١-٨١هـ) . أحد الأبطال الأشداء في صدر الإسلام . وهو أخو الحسن والحسين ، غير أن أمهما فاطمة الزهراء ، وأمه خولة بنت جعفر الحنفية . ينسب إليها تمييزًا عنهما . كان واسع العلم ، ورعًا ، أسود اللون. وأخبار قوته وشجاعته كثيرة . ينظر : الأعلام (٢٧٠/٦) .
- **محمد بن قيس بن مخرمة** بن المطلب المطلبي ، يقال : له رؤية . وقد وثّقه أبوو داود وغيره . ينظر: التقريب (٥٠٣) .
- **محمد بن كعب** بن سليم ، أبو حمزة، وقيل: أبو عبدالله **القرظي** المدني (١٢٠هـ) . حدث عن أبي أيوب الأنصاري، وأبي هريرة، ومعاوية، وابن عباس وغيرهم، وعنه الحكم بن عتيبة، وعاصم بن كليب، وابن عجلان وخلق كثير. قال ابن سعد: كان ثقة عالمًا كثير الحديث ورعا ووثقه ابن المديني وأبو زرعة والعجلي وغيرهم. قال الذهبي: الإمام العلامة الصادق، وهو يرسل كثيرًا. قال ابن حجر: ثقة عالم. ينظر : المعرفة (٥٦٣/١)، الجرح (٦٧/٨)، الحلية (٢١٢/٣)، تهذيب الكمال (٣٤٠/٢٦)، السير (٦٥/٥)، التهذيب (٤٢٠/٩)، التقريب (٥٠٤).
- **محمد بن المنكدر** بن عبد الله ، أبو عبد الله القرشي التيمي المدني (١٣٠هـ) . شيخ الإسلام ، أحد الأئمة الأعلام روى عن : جابر ، وأنس ، وابن الزبير ، وابن عباس ، وغيرهم . وعنه :

السفيانان ، وأيوب ، وشعبة ، وابناه : يوسف ، والمنكدر ، وآخرون . قال ابن معين ، وأبو حاتم ، والعجلي : ثقة . وذكره ابن حبان في الثقات (٣٥٠/٥) . وقال : كان من سادات القراء . قال في التقريب (٥٠٨) : ثقة فاضل . ينظر : ط ابن سعد (١٧٣/٩) – ت الدوري (٥٤٠/٢) – ت الدارمي (٢٠٣) – ثقات العجلي (٢٥٥/٢) – الجرح (٩٧/٨) – تهذيب الكمال (٥٠٣/٢٦) – السير (٣٥٣/٥) – التهذيب (٤١٧/٩).

- **محمد بن يزيد = المبرد**
- **محمود النيسابوري** : ابن أبي الحسن بن الحسين النيسابوري الغزنوي (٥٥٣هـ) ، نجم الدين الملقب بـ "بيان الحق" . عالم ، مفسر ، لغوي ، فقيه . ينظر : معجم الأدباء (١٢٤/١٩) ، بغية الوعاة (٢٧٧/٢) ، طبقات المفسرين للداوودي (٣١١/٢) .
- **مُخَيريق** النضري ، صحابي . كان من علماء اليهود وأغنيائهم . أسلم وأوصى بأمواله للنبي صلى الله عليه وسلم . وفي الحديث : (مخيريق سابق يهود ، وسلمان سابق فارس ، وبلال سابق الحبشة) . واستشهد بأحد . ينظر : الأعلام (١٩٤/٧) .
- **مروان** بن الحكم بن أبي العاص بن أمية ، أبو عبدالملك الأموي ، المدني (٦٥هـ) ، ولي الخلافة في آخر سنة أربع وستين ، لا تثبت له صحبة . ينظر : التقريب (٥٢٥) .
- **مسلم** بن الحجّاج بن مسلم القُشيري النيسابوري (٢٦١هـ) ، ثقة حافظ إمام مصنف عالم بالفقه . ينظر : التقريب (٥٢٩) .
- **معاوية بن أبي سفيان** صخر بن حرب بن أمية الأموي أبو عبدالرحمن (٦٠ هـ) .الخليفة صحابي أسلم قبل الفتح وكتب الوحي ومات في رجب سنة ستين وقد قارب الثمانين ولد قبل البعثة بخمس سنين وقيل بسبع وقيل بثلاث عشرة والأول أشهر . وحكى الواقدي أنه أسلم بعد الحديبية وكتم إسلامه حتى أظهره عام الفتح فإنه كان في عمرة القضاء مسلمًا وهذا يعارضه ما ثبت في الصحيح عن سعد بن أبي وقاص أنه قال في العمرة في أشهر الحج فعلناها وهذا يومئذ كافر . ينظر : التقريب (٥٣٧) ، الإصابة(١٥١/٦) .
- **مَعْن بن عَديّ** بن الجَدّ بن العجلان البلويّ ، حليف بني عمْرو بن عوف ، أخو عاصم بن عدي. شهد العقبة وبدرًا وأحدًا والخندق ، وسائر المشاهد كلها مع رسول الله < . قتل يوم اليمامة في خلافة أبي بكر . ينظر : أسد الغابة (٤٦٢/٤) .
- **المغيرة بن شعبة** بن مسعود بن معتب الثقفي صحابي مشهور(٥٠ هـ) . أسلم قبل الحديبية وولي إمرة البصرة ثم الكوفة. ينظر : الإصابة (١٩٧/٦)، التقريب (٥٤٣) .

- **مقاتل بن سليمان** بن بشير الأزدي الخراساني ، أبو الحسن البلخي نزيل مرو (بعد ١٥٠هـ).يروي عن مجاهد ، والضحاك ، وابن سيرين ، والزهري وغيرهم ، وعنه بقية وعبد الرزاق ، وشبابة . قال ابن المبارك : ما أحسن تفسيره لو كان ثقة ، قال البخاري : مقاتل لاشئ البتة . قال الذهبي : أجمعوا على تركه ، وضعفه بين . ينظر : طبقات ابن سعد (٢٨٠/٧) ، التاريخ الكبير (٢٤٤/٤) ، تاريخ بغداد (٢٥٥/٩) ، تهذيب الكمال (٤٣٤/٢٨) ، السير (٢٠١/٧) ، التقريب (٥٤٥).
- **مقاتل بن حيّان** البلخي (١٥٠هـ) ، مفسر ، حافظ للحديث ، مؤرخ ، عالم خراسان . ينظر: معجم المفسرين (٦٨٢/٢) .
- **المقّري** : أحمد بن محمد المقّري (١٠٤١هـ) ، مؤرخ ، صاحب كتاب "نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب" ، كان أشعريًّا . ينظر : اكتفاء القنوع بما هو مطبوع (٣٦٥) .
- **مِقْسَم** بن بُجرة (١٠١هـ) ، إمام ، محدث ، يقال : إن له صحبة . ينظر : الكاشف (٢٩٠/٢)، الإصابة (٢٠٤/٦) .
- **مكحول الشامي** أبو عبدالله الدمشقي الفقيه (١١٢هـ) .روى عن النبي < مرسلا، وأنس، وثوبان، وابن المسيب، ومسروق وغيرهم، وعنه برد بن سنان الشامي، ومحمد بن إسحاق، والزهري، والهيثم بن حميد الغساني وآخرون. قال الترمذي: سمع من واثلة، وأنس، وأبي هند الداري ويقال إنه لم يسمع من أحد من أصحاب النبي إلا من هؤلاء الثلاثة. قال العجلي: تابعي، ثقة، وقال أبو حاتم: ما أعلم بالشام أفقه منه، قال ابن حجر: ثقة فقيه كثير الإرسال، مشهور. ومكحول عن عمر مرسل قاله العلائي في جامع التحصيل (٢٨٥). ينظر : طبقات ابن سعد (٤٥٣/٧)، سنن الترمذي (٢٥٠٦)، ثقات العجلي (٢٩٦/٢)، تهذيب الكمال (٤٦٤/٢٨)، السير (١٥٥/٥)، التقريب (٥٤٥).
- **مَكّي بن أبي طالب** حموش بن محمد بن مختار الأندلسي القيسي ، أبو محمد (٣٥٥-٤٣٧هـ) . مقرئ . عالم بالتفسير والعربية . من أهل القيروان . له كتب كثيرة منها : مشكل إعراب القرآن – الكشف عن وجوه القراءات . ينظر : الأعلام (٢٨٦/٧) .
- **منصور بن المعتمر** بن عبدالله بن ربيعة السلمي أبو عتاب الكوفي. (١٣٢هـ) . روى عن ربعي بن حراش والحسن والشعبي والزهري وسعيد بن جبير ومجاهد وخلق. وعنه أبو حنيفة والأعمش وأيوب وإسرائيل وحماد بن زيد وشعبة وخلق. قال ابن مهدي: لم يكن بالكوفة أحفظ منه. وقال ابن معين: من أثبت الناس. وقال العجلي: كان أثبت أهل الكوفة وكأن حديثه القدح لا يختلف فيه أحد رجل صالح متعبد أكره على القضاء بالكوفة فقضى عليها شهرين وروى من

الحديث أقل من ألفين وكان فيه تشيع قليل، قال ابن حجر: ثقة ثبت وكان لا يدلس، من طبقة الأعمش. ينظر : تهذيب التهذيب (٢٧٧/١٠)، تقريب التهذيب (٥٤٧)، طبقات الحفاظ (١٠) .

- **المنهال بن عمرو** الأسدي مولاهم الكوفي . روى عن أنس إن كان محفوظًا، وزر بن حبيش، وسعيد ابن جبير، وقيس بن السكن، ومجاهد وغيرهم،وروى عنه الحجاج بن أرطأة، والأعمش، وشعبة، وعمرو الملائي، والكلبي وخلق. قال أحمد: ترك شعبة المنهال على عمد، قال ابن أبي حاتم: لأنه سمع من داره صوت قراءة بالتطريب، ووثقه ابن معين، والنسائي،والعجلي، وقال الدارقطني: صدوق، وذكره ابن حبان في الثقات. قال ابن حجر: صدوق ربما وهم. ينظر : الجرح (٣٥٦/٨)، تهذيب الكمال (٥٦٨/٢٨)، السير (١٨٤/٥)، الميزان (١٩٢/٤)، التقريب (٥٤٧)، هدي الساري (٦٢٢).
- **مورّق العجلي** : ابن مُشَمْرِج بن عبد الله العجلي أبو المعتمر البصري ، ويقال : الكوفي (بعد ١٠٠هـ) ، عن عمر وسلمان . وعنه قتادة وحميد . ثقة ، عابد ، مجاهد ، بار ع ، من كبار الثالثة . ينظر : الكاشف (٣٠٠/٢) ، التهذيب (٢٩٥/١٠) ، التقريب (٥٤٩) .
- **المؤرج** بن عمرو بن الحارث ، من بني سدوس بن شيبان ، أبو فيد (ت ١٩٥هـ) . عالم بالعربية والأنساب . من أعيان أصحاب الخليل بن أحمد . من أهل البصرة . كان له اتصال بالمأمون العباسي . من كتبه : جماهير القبائل – غريب القرآن . ينظر : الأعلام (٣١٨/٧) .
- **ميمون** بن مهران الرقي (١١٨هـ) ، إمام ، حجة ، عالم ، ثقة . ينظر : حلية الأولياء (٨٢/٤)، السير (٧١/٥) .
- **نابغة ذبيان** : زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني الغطفاني المضري ، أبو أمامة . شاعر جاهلي من الطبقة الأولى. من أهل الحجاز . كانت تضرب له قبة من جلد أحمر بسوق عكاظ فتقصده الشعراء فتعرض عليه أشعارها. وهو أحد الأشراف في الجاهلية . وكان أحسن شعراء العرب ديباجة ، لا تكلف في شعره ولا حشو .ينظر : الأعلام (٥٤/٣-٥٥) .

- **ناجية بن كعب** الأسدي ، أبو خفاف الكوفي .روى عن عبد الله بن مسعود ، وعلي بن أبي طالب ، وعمار بن ياسر ، وعنه وائل بن داود ، وأبو إسحاق السبيعي ، وابنه يونس ، وأبو حسان الأعرج وغيرهم . قال ابن معين : صالح ، وقال أبو حاتم : شيخ . قال ابن حجر : ثقة ، قال الذهبي : توقف ابن حبان في توثيقه وقواه غيره . ينظر : تهذيب الكمال (٢٥٤/٢٩) ، الميزان (٢٣٩/٤) ، التهذيب (٣٩٩/١٠) ، التقريب (٥٥٧) .

- **نافع** بن عبدالرحمن المدني (١٦٩هـ) ، أحد القراء السبعة ، انتهت إليه رئاسة الإقراء في المدينة . ينظر : معجم المفسرين (٦٩٩/٢) .

- **نافع بن جبير بن مطعم** النوفلي أبو محمد وأبو عبدالله المدني (٩٩هـ) .روى عن أبيه والعباس بن عبد المطلب والزبير بن العوام وعلي بن أبي طالب وعثمان بن أبي العاص والمغيرة بن شعبة وبشر بن سحيم ورافع بن خديج وسهل بن أبي حثمة وعبدالله بن عباس وأبي شريح الخزاعي ومسعود بن الحكم الزرقي وأبي هريرة وعائشة وأم سلمة وجماعة . وعنه عروة بن الزبير وسعيد بن إبراهيم والزهري وموسى بن عقبة وآخرون . قال العجلي : مدني تابعي ثقة . وقال أبو زرعة : ثقة. وقال ابن خراش : ثقة مشهور أحد الأئمة . وذكره ابن حبان في الثقات وقال : من خيار الناس كان يحج ماشيًا وناقته تقاد، قال ابن حجر: ثقة فاضل. ينظر : تهذيب الكمال (٢٧٢/٢٩)، التهذيب(٣٦١/١٠)، تقريب التهذيب(٥٥٨) .

- **النحاس = أحمد بن محمد** .
- **النخعي = إبراهيم بن يزيد** .

- **النسفي** : عبدالله بن أحمد النسفي (٧١٠هـ) ، مفسر أصولي ، متكلم ، من فقهاء الأحناف. ينظر : الجواهر المضية (٢٧٠/١) ، معجم المفسرين (٣٠٤/١) .
- **نضر بن عربي** الباهلي مولاهم أبو روح ويقال أبو عمر الحراني (١٦٨هـ) ، عن مجاهد وعكرمة. وعنه النفيلي ويحيى الوحاظي . وثقه الذهبي في الكاشف ٣٢١/٢ وقال ابن حجرفي التقريب (٥٦٢) : لا بأس به ، من السادسة .
- **نفطويه** : إبراهيم بن محمد بن عرفة بن سليمان ، أبو عبد الله العتكي الأزدي الواسطي (٢٤٤-٣٢٣هـ) . الإمام الحافظ النحوي العلامة الأخباري . أخذ العربية عن : ثعلب ، والمبرّد ، وابن الجهم ، وتفقه على داود الظاهري . صاحب التصانيف ، ومنها : " غريب القرآن " و " المقنع " في النحو . ينظر : إنباه الرواة (٢١٣/١) – السير (٧٥/١٥).
- **النقاش** : محمد بن الحسن بن محمد بن زياد بن هارون بن جعفر أبو بكر النقاش المفسر المقرئ (٣٥١هـ) ، مولى أبي دجانة سماك بن خرشة ، أصله من الموصل . كان عالمًا بالتفسير وبالقراءات ، وحدث عنه أبو بكر بن مجاهد وابن شاهين وخلق ، وآخر من حدث عنه ابن شاذان . وتفرد بأشياء منكرة . وقد وثقه الدارقطني على كثير من خطئه ثم رجع عن ذلك . وصرح بعضهم بتكذيبه ، والله أعلم . وله كتاب التفسير الذي سماه "شفاء الصدور" وقال بعضهم : بل هو سقام الصدور . وقد كان رجلا صالحًا في نفسه عابدًا ناسكًا حكى من حضره

وهو يجود بنفسه وهو يدعو بدعاء ثم رفع صوته يقول : (لمثل هذا فليعمل العاملون) يرددها ثلاث مرات ثم خرجت روحه رحمه الله . ينظر : البداية والنهاية (٢٥٩/١٥) ، طبقات المفسرين للسيوطي (٨٠) ، معرفة القراء الكبار (٢٩٤/١) ، طبقات المفسرين للداوودي (١٣٥/٢) .

- **نوف** بن فضالة الحميري **البكالي** ، أبو يزيد ، من أهل الشام ، وهو ابن امرأة كعب الأحبار (بعد ٩٠هـ) . روى عن ثوبان مولى رسول الله < ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وعلي بن أبي طالب ، وكعب الأحبار ، وعنه خالد بن صبيح ، وسعيد بن جبير ، وشهر بن حوشب ، وأبو إسحاق الهمداني . قال ابن حجر : شامي مستور ، وإنما كذَّب ابنُ عباس مارواه عن أهل الكتاب . ينظر : طبقات ابن سعد (٤٥٢/٧) ، المعرفة (٢٢٥/٣) ، الحلية (٤٨/٦) ، تهذيب الكمال (٦٥/٣٠) ، التهذيب (٤٩٠/١٠) ، التقريب (٥٦٧) .
- **هشام بن حكيم** بن حزام بن خويلد القرشي الأسدي . صحابي ابن صحابي . أسلم يوم فتح مكة . وكان هشام من فضلاء الصحابة وخيارهم . ينظر : التقريب (٥٧٢) ، الأعلام (٨٥/٨-٨٦) .
- **هشام بن محمد** بن السائب، أبو المنذر **الكلبي** الإخباري النسابة العلامة (٢٠٤هـ) روى عن أبيه أبي النضر الكلبي المفسر، وأبي صالح، ومجاهد، وحدث عنه جماعة. قال أحمد: إنما كان صاحب سمر ونسب، ما ظننت أن أحدًا يحدث عنه، وقال أبو حاتم: كان صاحب أنساب وسمر، وهو أحب إلي من أبيه، وقال الدارقطني وغيره: متروك، وقال ابن عساكر: رافضي، ليس بثقة، وقال الذهبي: لا يوثق به. ينظر : الجرح (٦٩/٩) ، الميزان (٣٠٤/٤).
- **هلال بن يِساف** ــ ويقال ابن إساف ــ الأشجعي مولاهم الكوفي . وروى عن الحسن بن علي وأبي الدرداء وأبي مسعود الانصاري وسمرة بن جندب وعائشة والبراء ابن عازب وجماعة. وعنه أبو إسحاق السبيعي والاعمش وسلمة بن كهيل وعلي بن المدرك وعبدالأعلى بن ميسرة وحصين ابن عبدالرحمن وغيرهم. قال ابن معين : ثقة . وقال العجلي : كوفي تابعي ثقة . وذكره ابن حبان في الثقات. وقال ابن سعد : وكان ثقة كثير الحديث . وقال ابن أبي حاتم : قال يحيى بن سعيد القطان : أنكر أن يكون هلال بن يساف سمع من أبي مسعود ، قال : وقال أبي : هلال بن يساف عن عمر مرسل . وقال أبو زرعة : لم يلق حذيفة . قال ابن حجر : ثقة . ينظر : تهذيب التهذيب (٧٦/١١)، التقريب (٥٧٦) .
- **الواحدي** : علي بن أحمد بن محمد أبو الحسن ، النيسابوري الشافعي (٤٦٨هـ) . الإمام العلامة ، الأستاذ صاحب " التفسير " ، وإمام علماء التأويل صنَّف التفاسير الثلاثة : " البسيط "

و " الوسيط " و " الوجيز " وبتلك الأسماء سمَّى الغزالي تواليفه الثلاثة في الفقه . وله أيضاً "أسباب النزول " . وكان طويل الباع في العربية واللغات . ينظر : السير (٣٣٩/١٨) – ط السبكي (٢٤٠/٥) – ط المفسرين للداودي (٣٨٧/١) .

- **وَرْش** : عثمان بن سعيد بن عدي المصري (١١٠-١٩٧هـ) . من كبار القراء . غلب عليه لقب (ورش) ؛ لشدة بياضه . أصله من القيروان ، ومولده ووفاته بمصر . ينظر : الأعلام (٢٠٥/٤) .

- **وَهْب بن مُنَبِّه** بن كامل ، أبو عبد الله الأبناوي ، اليماني الصنعاني (بعد ١١٠هـ) . أخذ عن ابن عباس ، وأبي هريرة ، وأبي سعيد ، وجابر ، وعبد الله بن عمرو وابن عمر ، وطاووس ، وحدث عنه عمرو بن دينار ، وسماك بن الفضل . قال العجلي : تابعي ثقة ، وكذا وثقه أبو زرعة ، والنسائي . قال الذهبي : وروايته للمسند قليلة ، وإنما غزارة علمه في الاسرائيليات ، ومن صحائف أهل الكتاب . قال ابن حجر : ثقة . ينظر : طبقات ابن سعد (٥٤٣/٥) ، التاريخ الكبير للبخاري (١٦٤/٨) ، الحلية (٢٣/٤) ، تهذيب الكمال (١٤٠/٣١) ، السير (٥٤٤/٤) ، التهذيب (١٦٦/١١) ، التقريب (٥٨٥) .

- **يحيى بن أبي كثير** الطائي مولاهم أبو نصر اليمامي(١٣٢هـ) . روى عن أنس وقد رآه وأبي سلمة ابن عبدالرحمن بن عوف وخلق وأرسل عن أبي أمامة وعروة بن الزبير وغيرهم . روى عنه ابنه عبدالله وأيوب السختياني ومعمر بن راشد وهشام بن حسان وآخرون . قال وهيب عن أيوب: ما بقي على وجه الأرض مثل يحيى . وقال ابن عيينة : قال أيوب : ما أعلم أحدًا بعد الزهري أعلم بحديث أهل المدينة من يحيى . وقال القطان : سمعت شعبة يقول : يحيى أحسن حديثًا من الزهري . وقال عبدالله بن أحمد عن أبيه : يحيى من أثبت الناس إنما يعد مع الزهري ويحيى بن سعيد وإذا خالفه الزهري فالقول قول يحيى . وقال العجلي : ثقة كان يعد من أصحاب الحديث. وقال أبو حاتم : يحيى إمام لا يحدث إلا عن ثقة . قال ابن حجر: ثقة ثبت لكنه يدلس ويرسل . ينظر : تهذيب التهذيب (٢٣٥/١١)، تقريب التهذيب (٥٩٦) .

- **يزيد بن رومان** المدني أبو روح مولى آل الزبير(١٣٠هـ) . روى عن ابن الزبير وأنس وعبيد الله وسالم ابني عبدالله بن عمر وصالح بن خوات بن جبير وعروة بن الزبير والزهري وهو من أقرانه وأرسل عن أبي هريرة . وعنه هشام بن عروة وعبيد الله بن عمر وأبو حازم سلمة بن دينار ومعاوية بن أبي مزرد وابن إسحاق ومالك وجرير بن حازم وجماعة . قال النسائي : ثقة . وذكره ابن حبان في الثقات . قال بن سعد: كان عالمًا كثير الحديث ثقة . وقال إسحاق بن

منصور عن ابن معين : ثقة . قال ابن حجر: ثقة وروايته عن أبي هريرة مرسلة . ينظر : تهذيب الكمال(١٢٢/٣٢)، تهذيب التهذيب(٢٨٤/١١)، التقريب (٦٠١) .

- **يزيد بن معاوية بن أبي سفيان** بن حرب بن أمية الأموى أبو عبدالرحمن وأبو خالد(٦٤هـ) .ولد في خلافة عثمان وغزا الروم في خلافة أبيه وولي الخلافة وكان يزيد شجاعًا جوادًا شاعرًا مجيدًا وأمه ميسون بنت بحدل الكلبية وكان منهمكًا في لذاته. ومقته أهل الفضل بسبب قتله الحسين ثم بسبب وقعة الحرّة. مات و لم يكمل الأربعين ليس بأهل أن يروى عنه. قال نوفل بن أبي عقرب ثقة قال : كنت عند عمر بن عبدالعزيز فذكر رجل يزيد بن معاوية فقال : قال أمير المؤمنين يزيد ، فقال عمر : تقول أمير المؤمنين يزيد وأمر به فضرب عشرين سوطًا . ينظر : تعجيل المنفعة (ص ٤٥٢)، تهذيب التهذيب (٣١٧/١١)، تقريب التهذيب (٦٠٥).
- **يعقوب** بن إسحاق بن زيد **الحضرمي** مولاهم (٢٠٥هـ) ، أبو محمد المقرئ ، النحوي ، صدوق . ينظر : التقريب (٦٠٧) .
- **يوسف بن ماهَك** بن بُهْزاد الفارسي المكي (١٠٦هـ) .روى عن أبيه وأبي مسيكة وأبي هريرة وعائشة وحكيم بن حزام وعبدالله بن صفوان وعبدالله بن عباس وعبدالله بن عمر وعبيد بن عمير وحفصة بنت عبدالرحمن بن أبي بكر وغيرهم. وعنه أيوب وحميد الطويل وأبو خثيم وابن جريج وإبراهيم بن مهاجر وجعفر بن سليمان الضبعي وآخرون. قال ابن معين والنسائي : ثقة . وقال ابن خراش : ثقة عدل . وذكره ابن حبان في الثقات . وقال ابن أبي عاصم : مات سنة ثلاث ومائة . وقال ابن سعد، وابن حجر: ثقة . ينظر : تهذيب التهذيب (٣٧٠/١١)، تقريب التهذيب (٦١١) .
- **يونس بن حبيب النحوي** الضبي بالولاء ، أبو عبد الرحمن (٩٤-١٨٢هـ) . علامة بالأدب . كان إمام نحاة البصرة في عصره . أعجمي الأصل . أخذ عن سيبويه والكسائي والفراء وغيرهم من الأئمة . من كتبه : معاني القرآن – اللغات – النوادر . ينظر : الأعلام (٢٦١/٨) .

الفهارس العامة

فهرس الآيات القرآنية

رقم الآية	الآية	الصحيفة
	سورة البقرة	
٢	ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ	٧٠٧
١٥	وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ	٥٠٧
١٧	كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا	٦٨٦
٢٥	وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ	٧٨٥
٣٠	إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً	٣٣٠
٣٦	وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ	٢٥٢-٢٥٣، ٢٥٤
٤٥	وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ	٦٤٧
٥٥	وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ	١٧٨، ٤٠٨، ٤١٢
٥٦	ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ	٤١١، ٤١٢
٥٧	وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ	٤٨٨
٦٣	وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ	٤٨٨
٧٢	وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا	٤٨٨
٧٩	فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ	٤٢٥
٩٢	ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ	٤٨٨
٩٣	وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ	١٠٢١
٩٨	وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ	٧٧٩
١٠٢	وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ	٦٨١
١١١	قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ	٩٧٦

١٣٢	فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ	١٠٥٢
١٣٣	قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ	٢٢٧، ١٠٤٧
١٣٦	وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ	٤١٩
١٣٦	قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا	٨٢٥
١٤٧	ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ	٣٣٩
١٧٨	كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ	٦٥٣
١٨٥	وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ	٦٨٢
١٨٩	يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ	٦٥٣
١٩٧	ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ	٦٥٦
٢١٠	هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ	٩١٤
٢١٤	وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ	١٠٦٣
٢١٦	كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ	٥٣٨
٢١٦	كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ	٦٥٣
٢١٩	وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ	٤٩٩
٢٢١	وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ	٤٧
٢٢٨	وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ	٤٧
٢٥٤	مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا	٩١٤
٢٥٩	خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا	٢٩٠
٢٥٩	أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا	٣٨٩
٢٧٢	لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن	٨٣٠

سورة آل عمران

٧	وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ	٢٨

٩	رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ	١٢٨
٢٥	فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ	١٢٨
٤٤	وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ	١٥٩
٤٩	وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ	٩٩٨
٥٥	إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ	٥٢
٦٠	فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ	٦٩
٦٠	ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ	٣٣٤، ٣٣٩
٨٣	وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا	٤٣٤
١٠٢	يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ	١٠٥٢
١٠٣	وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً	٥٤٢
١١٩	بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ	٥٣٠
١٢٢	إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا	٩٧٢
١٤٥	كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا	٦٥٣
١٦٦	وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ	٥٧٤
١٧٣	ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ	٥٩٤
١٧٣	ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ	٦٤٣
١٧٨	إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا	٨١٣
١٧٩	مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ	٥٧٤
١٨٠	سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ	١٦٤
١٨٣	قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ	٧٩٢

سورة النساء

١	يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ	٤٨١

١٥	وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ	١٣١
٢٤	كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ	٦١٠ ، ٦٥٣
٢٨	وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا	٩٠٩
٦٥	فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ	٣١٧
٦٦	مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٞ	٩٢٣
٧٥	وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ	٧٠٩
٨١	بَيَّتَ طَآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ غَيۡرَ ٱلَّذِي تَقُولُ	٧٩٣
٨٧	ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ	١٢٧
٩٢	وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٍ أَن يَقۡتُلَ مُؤۡمِنًا إِلَّا خَطَـٔٗا	٤٩
٩٣	فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ	٨٤٨
٩٧	إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ	٧٠٩
١١٢	وَمَن يَكۡسِبۡ خَطِيٓـَٔةً أَوۡ إِثۡمٗا ثُمَّ يَرۡمِ بِهِۦ	٦٤٨
١١٧	إِن يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثٗا	٢٦١
١٣٦	يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ	٧٤٥
١٥٠	وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ	٣٢٦
١٥٣	يَسۡـَٔلُكَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيۡهِمۡ كِتَٰبٗا	٧٩، ١٧٨، ٢٣٦، ٤٠٧، ٤٠٨
١٥٥	فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ	١٠١٢
١٦٥	رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ	٤٣٩
١٦٦	لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ	٨٥٥
١٧٣	وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦ	٧٦٢
١٧٦	إِنِ ٱمۡرُؤٌاْ هَلَكَ	٤١٢ ، ٥٧٦

سورة المائدة

٥	وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ	٤٧
١٣	فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ	١٠١٢
١٥	قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ	٢٣٦
٥٢	فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ	٧٧٠
٦٤	يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ	٢٨
٦٦	وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم	٨٣٤
٨٩	لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ	٤٨
٩٥	فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ	٢٧٠
١١٧	مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ	٧٠٧

سورة الأنعام

١	وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ	٢٤٦
٢	هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ	٦٨، ٢٧٦،
٣	وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ	٦٢، ٩١
٩	وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا	١٢٢، ١٢٣
١١	قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟	٣٧
١٢	قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ	٣٨،٥٦،٥٨،٧٤،١٤٣
١٤	قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ	٣١٥-٣١٦
١٩	وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ	٥٩
٢٠	ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ	٦٠، ١٦٦
٢٦	يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ	٥٧٨
٢٧	يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا	١٥٥
٢٨	بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ	٥٩

٢٩	وَقَالُوٓاْ إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا	١٥٨، ١٥٩
٣١	قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ	٤٩،٦٣،٩٧
٣٢	وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَعِبٞ وَلَهۡوٞۖ وَلَلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ	١٥٩
٣٣	قَدۡ نَعۡلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحۡزُنُكَ ٱلَّذِي يَقُولُونَۖ	٤٤-٤٥
٣٥	فَإِنِ ٱسۡتَطَعۡتَ أَن تَبۡتَغِيَ نَفَقٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ	٨٢٥
٣٨	وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ	٨٨٧
٣٩	وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا صُمّٞ وَبُكۡمٞ	٣٨-٣٩
٤٤	حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ	١٧٨
٥١	وَأَنذِرۡ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ	٣٨
٥١	وَأَنذِرۡ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحۡشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ	١٨١
٥٢	مَا عَلَيۡكَ مِنۡ حِسَابِهِم مِّن شَيۡءٖ	٦١
٥٢	وَلَا تَطۡرُدِ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم	٧٨
٥٤	كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ	٥٩٨
٥٧	مَا عِندِي مَا تَسۡتَعۡجِلُونَ بِهِۦٓ	٦٣
٥٨	لَوۡ أَنَّ عِندِي مَا تَسۡتَعۡجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ	١٨٥
٦٠	وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا جَرَحۡتُم	١٠٩
٦٥	قُلۡ هُوَ ٱلۡقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ عَذَابٗا مِّن فَوۡقِكُمۡ	٧٠
٦٦	وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوۡمُكَ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ	١٦٩
٦٨	وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ	٩٢٠
٧١	قُلۡ أَنَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا	٥٦، ٨٥
٧٤	أَتَتَّخِذُ أَصۡنَامًا ءَالِهَةًۖ إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوۡمَكَ فِي ضَلَٰلٖ	٢١٩
٧٥	وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ	٢١٥

٧٦	فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا	٩٢
٨٠	وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ	٢١٥، ٢٢٠
٨١	فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ	٢٢٢، ٢٢٣
٨٣	وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ	٢١٤،٢١٥،٢٢٠،٢٢٣
٨٤	وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ	٣٨
٨٤	وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا	٧٠
٨٦	وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا	٢٢٥
٨٩	أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ	٦١-٦٢، ٩٢
٨٩	فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ	٢٣٨
٩٠	أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ	٢٣٠
٩١	وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ	٣٥
٩٢	وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ	٧٠٧
٩٤	لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ	٥٣١
٩٥	إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ	٩٩
٩٦	وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا	١٣٧
٩٨	فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ	٣٩
١٠٩	وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ	٣١٧
١١٠	وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ	٤٠١
١١٦	وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن	١٠٥٣
١٢٢	أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ	٥٠-٥١
١٢٢	أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا	٥٧٨
١٢٣	وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا	٥٩

١٢٥	يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا	٣٣٧
١٢٨	وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا	٢٧٨
١٣٠	يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ	٣٦، ٢٦٠، ٢٨٤
١٤١	وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ	٣٩٠
١٤٣	ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ	٣٨
١٤٣	ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۖ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ	٢٩٦
١٤٤	وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ	٢٩٦
١٤٦	وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا	٤٥-٤٦
١٤٨	سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ	٣٨
١٤٩	فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ۖ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ	٤٣٤
١٥١	قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ	٦٥
١٥٤	ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا	٦٧
١٥٧	لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ	٢٣٩
١٥٨	أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ	٩١٥
١٦٠	مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا	٧٦١

سورة الأعراف

٢	كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ	٦٨
١١	وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ	٩٧، ٤٨٩
١١	وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ	٤٢٧، ٤٤٠
١٢	مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ	٣١٧
١٦	قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ	٥٧
٣١	خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ	٣٥٣

٤٠	إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ	٦٧
٤٤	وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ	٣٦٤
٤٦	وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ۚ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ	٨٠
٤٧	وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ	٣٧٣
٤٨	وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا	٣٦٩
٥٤	أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ	١٧٤
٥٤	يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا	٢٤٦
٧٤	وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا	٨٩٠
٧٨	فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ	٣٧٩،
٧٩	فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ	٩٤
٨٦	وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا	٥٤١
٨٧	وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُواْ بِٱلَّذِىٓ	٥٥٨
٨٩	هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ	٩٥
٨٩	عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ	٥٥٨
٩٥	فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ	١٧٨
٩٦	وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم	٨٣٤
١٢٩	عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ	٣٣٠
١٢٩	قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ	٧٩٧
١٣١	فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ	٣٧
١٣٧	وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ	٣٩٤، ٣٩٧
١٤٣	وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا	٤١٣
١٤٥	سَأُوْرِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ	٤٥

١٥٠	إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِي وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِي	٩٠٩
١٥٥	وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا	٧٩
١٥٥	أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ	٤١٢، ٤١٣
١٥٦	وَٱكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي	٩٩
١٥٨	قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ	١٣٩
١٦٠	وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا	٨٩
١٧٢	وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ	٨١، ٨٦، ٩٦، ٢١٦
١٧٦	وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ	٩٧
١٨٠	وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ	٣٩
١٨٤	أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ	٦٥
١٨٤	مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ	٤٧٦
١٨٧	إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ	١٠٦
١٩٠	فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ	٦٤، ٩٥
١٩٠	فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ	٤٤٠
١٩١	أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ	٤٨٩
١٩٥	قُلِ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ	٤٩٧
١٩٩	خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ	٥٢
٢٠٠	وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ	٥٠٤
٢٠٢	وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي ٱلْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ	٤٩٧
٢٠٣	قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّي	٥١١
٢٠٤	وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ	٧٣، ١٠٠
٢٠٥	وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً	٤٩، ١٠١

سورة الأنفال

١	يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ	٦٨ ،٦٩، ٥٣٤
٥	كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ	٦٨
٦	يُجَٰدِلُونَكَ	٦٨ ، ٥٣٤
٨	وَإِذْ يَعِدُكُمُ	٥٣٩
٩	لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ	٥٣٩
١٢	إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ	٥١ ،٦٣، ٨٩،
٢٠	أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ	٦٤٧
٢٦	وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ	٥٤١
٣٢	وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ	٦٣ ،٧٣، ٨١، ١٨٤ ، ١٨٦، ٥٦٨ ، ٧٤٧ ، ٧٤٨ ، ٧٤٩
٣٤	وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ	٥٦٦، ٥٦٨
٤١	وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ	٥٢٥
٤٣	إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ	٥٣٣
٦٠	وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ	٧٩
٦٢	وَإِن يُرِيدُوٓا۟ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ	٥٩١، ٥٩٤
٦٥	يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ	٥٩١، ٥٩٢
٦٦	ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا	٥٩٢
٦٨	لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ	٥٢٤
٧٣	وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ	٢٧٨، ٦٠٣
٧٤	وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ	٦٠٣
٧٥	وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ	٦٠٢، ٦٠٦

سورة التوبة

٣	وَأَذَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ	٧١
٥	فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ	٥٣
٨	كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ	٦٩
١٢	وَإِن نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ	٤٨
١٤	قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ	١٠١
١٧	مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ	٤٣٦
١٩	أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ	١٠٢١
٢١	يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ	٧٨٥
٣٠	وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ	٧٤،
٣٥	فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ	٥٧٥
٣٦	إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا	٩٢
٣٦	إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا	٤١٧
٣٩	إِلَّا تَنفِرُوا۟	٧٣٧
٤٠	فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ	٥٨
٤١	ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟	٧٣٧
٥٣	أَنفِقُوا۟ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ	٦٩٦
٥٨	وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ	٩٣
٥٩	وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ	٥٩٤
٦٢	وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ	٦٤٨
٦٥	لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ	٦٨٥
٦٩	وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟	٣٢٣، ٣٢٤

٧١	وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ	٦٠٤
٨٠	ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ	٨١،
٨٢	فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا	٨٩٤
٨٣	فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ	٧٠١
٨٤	وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا	٦٩٥
٨٦	وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُوا۟ مَعَ	١٠٢
٩١	لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ	٩٠٩
٩٢	إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ	٢٩٤
١٠١	مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ	٧٩، ٥٨٥، ٥٨٦
١٠٣	خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً	٤٩٩
١٠٦	وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ	٣٨٣
١٠٧	وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا	٧٢٠
١٠٩	أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ	٧٣
١١٤	وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ	٧٢٨
١١٨	وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟	٨٦
١٢٠	مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ	٧٣٣ ، ٧٣٦
١٢٢	وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً	٨٦
١٢٩	فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ	٥٩٥

سورة يونس

٢	أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ	٢٣٨، ٢٤٠
٥	وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟	٦٥٣
٧	إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا	٧٥٠

٨	أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟	٧٤٩
١٠	دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ	٣٤٢
١٠	وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ	٧٥٤
١٢	يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم	٧٤٤
١٤	ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ	٣٣١
١٥	وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ ۙ قَالَ ٱلَّذِينَ	٥١٠
١٨	يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا	٧٤٩
٢٥	وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ	٦٩
٢٦	لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ	٦٤، ٨٣
٣١	قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ	١٠٥٦
٣٢	فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ	٣٤
٣٧	وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن	٨٦٧
٤٥	وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ	١١٠
٤٨	وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ	٧٤٩، ٧٦٧
٥٠	قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا	١٧٩، ١٨٦
٥٢	ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ	٧٦٧
٦١	وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ	١٨٨-١٨٩
٦٢	أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ	٦٠٥
٦٧	هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ	١٣٧،
٨٣	فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ	٨٩-٩٠، ٨٠٩
٨٤	وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟	٧٩٧ ، ٨٠٩ ، ٩٧٦
٩٤	فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ	١٠٢، ٣٣٨

٩٨	فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ	١٠٢٣
١٠٠	وَمَاكَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ	٨٣٠
١٠١	وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ	٤٧٧

سورة هود

٣	وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا	٦٩
٦	وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا	١٧٣، ١٨٩
١٢	فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ	٣٣٦
١٣	أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ	٨٦٥ ، ٨٦٧
١٤	فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟	٦٢
١٧	وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ	١٤٠، ١٠٥٣
٢٧	وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا	٦٤
٢٩	وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا	٦١، ٧٨، ١٨٠، ١٨١
٣٥	أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى	٨٣
٣٧	وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ	٨٨١
٤٠	حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ	٨٨١، ٨٨٧، ٨٨٦، ٩٣٦
٤٢	وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ	٩٥، ٨٧٢ ، ٨٧٤ ، ٨٧٥ ، ٨٧٨
٤٤	وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ	٩٢٠
٤٥	رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى	٨٧٤ ، ٨٨٠
٤٦	قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ	٩٥، ٨٧٥ ، ٨٨١
٤٩	تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ	٢٣٩
٥٢	وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ	٨٣٤
٦٥	فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ	١٧٩

٧٠	لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ	٨٩٥
٧١	وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ	٨٣-٨٤، ٥١، ٤٦
٨٣	مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ	١٠٠
٩١	قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا	٤٦
١٠٢	وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ	٢٨٥
١٠٣	إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ	١٢٨، ٩١٤
١١٧	وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ	٢٨٣

سورة يوسف

٢	إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ	٨٨
١٩	وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً	١٠٢٨
٢٠	وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ	٦٩-٧٠
٢٢	وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا	٩٢٦، ٩٢٧
٢٣	إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ	٤٩٢
٢٤	وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ	٧٢،
٢٥	مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا	٩٧٨
٢٦	إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ	٢٦٤، ٢٦٥، ٩٧٣
٢٦	هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى	٩٧٣
٢٨	إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ	٩٧٣
٣١	فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ	٦٠
٣٢	وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ	٩٧٣
٣٣	رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ	٩٧٣
٣٧	قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ	٩٢٧

٤١	يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ	٩٢٨
٤٧	قَالَ تَزۡرَعُونَ سَبۡعَ سِنِينَ دَأَبٗا فَمَا حَصَدتُّمۡ فَذَرُوهُ فِي	٩٢٨
٥١	ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ	٩٧٣
٥٣	وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ	٩٦٤ ، ٩٦٩
٧٠	أَيَّتُهَا ٱلۡعِيرُ إِنَّكُمۡ لَسَٰرِقُونَ	١٠٢٤
٧٦	كَذَٰلِكَ كِدۡنَا لِيُوسُفَۖ مَا كَانَ لِيَأۡخُذَ	١٠١٠
٧٧	فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا لَهُمۡ	٧٧٠
٨٢	وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا	٥٠ ، ٦٣ ، ٨٤ ، ٩٨ ، ٨٠١-٨٠٢ ، ٨٧٤
٨٤	وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ	٤٠٣
٨٧	إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ	٨٤٢
٨٩	قَالَ هَلۡ عَلِمۡتُم مَّا فَعَلۡتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذۡ أَنتُمۡ	٩٣٨
٩٣	ٱذۡهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا	٥٨-٥٩ ، ٧٤
٩٧	قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ	١٠٣٨
١٠٠	وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ	٩٢٨ ، ١٠٤٧
١٠٧	أَوۡ تَأۡتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ	٩١٤
١٠٨	أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ	٤٦
١٠٩	وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ	١٠٦٢
١١١	مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ	٨٦٧

سورة الرعد

٦	وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِ وَقَدۡ	١٨٦ ، ٧٥٠
٨	ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ	١٣٦
١٠	سَوَآءٞ مِّنكُم مَّنۡ أَسَرَّ ٱلۡقَوۡلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ	٧٧٠

١٢	وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِٱلَّيْلِ	١٣٦
٢٢	عُقْبَى ٱلدَّارِ	٢٨٦، ٢٨٧
٢٣	وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ	٧٥٤
٢٤	فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ	٢٨٧
٣٥	مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا	٢٦٩
٣٨	لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ	٦٥٢
٤٠	فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ	٨٣٠
٤٢	وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ	٢٨٧

سورة إبراهيم

١٣	فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ	٢٨٨
٣١	فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم	٩١٤
٣٥	وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ	٢١٥، ٢١٩
٤٥	وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟	١٣٧

سورة الحجر

٢	رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ	١٥٦
٣	ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟	٤٥٦، ٤٥٧
٦	وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ	٤٦٤
٨	مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓا۟ إِذًا	١٢٢، ١٢٣
٣٦	قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ...ٱلْمَعْلُومِ	٣٤
٣٩	قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ	١٥٩
٧٤	فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً	٩٠٥، ٩٠٦
٨٢	وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ	٨٨٩، ٨٩٠
٩٧	وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ	٣٣٦

سورة النحل

٥	وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ	٢٩٨
٧	وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ	٢٩٤
١٩	وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ	٧٧٠
٤٠	إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ	٤٣٦
٤٤	وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ	٨٠
٦٠	وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ	٢٦٩
٦٦	وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ	٢٩٦
٦٨	وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا	٣٩٠
٨٠	وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا	٢٩٦، ٢٩٨
٨١	وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ	١٣٦، ٤٧٨
٨٩	وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ	١٧٤
١١٩	ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ	٦٧٧، ٦٧٨

سورة الإسراء

١٠٢	قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ	١٥٦، ١٦٩
١١	وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ	٧٤٨
١٥	وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا	٢٨٢
١٥	وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا	٤٣٩
٣٦	وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ	٥٨٩
٦٦	رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ	١٩٧
٧	فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْأَخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ	٧٩٢
٧١	يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ	٢٠٩
٧٦	وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا	٧٠١

٩٢	أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا	٢٦٦
٩٤	وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ	٢٣٨-٢٣٩، ٢٤٠

سورة الكهف

٦	فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُواْ	٣٣٦، ٤٠٦
١٨	وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ	٥٣٢
٣٢	وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ	٣٩١
٤٢	وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا	٣٩٠، ٢٩٠
٥٠	أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِي	٢٦١
٥٩	وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلْنَا	١٠٢٣

سورة مريم

١٦	وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ	٥٤١
٤٤	يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ	٢٦١
٤٧	إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا	٤٧٣
٦٥	هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا	١١٢
٧٦	وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ هُدًى	٧٤٥
٩٧	فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ	٤٧٨

سورة طه

١٤	إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ	٧٧٨
٥	عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ	٢٨
٥١	قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ	١٨٩-١٩٠
٥٢	قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي	٦٥٢
٥٨	فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ	٣٨٤
٨٦	فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا	٤٠٥

٩٢	مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا۟	٣١٧

سورة الحج

٥	وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ	٢٥١
٢٥	وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ	٦٥٧
٤٥	خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا	٢٩٠
٤٥	فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ	٣٨٩
٧٠	أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ	١٨٩
٧٨	وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ	٣٣٧

سورة المؤمنون

١٢	وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ .... فِى قَرَارٍ	٢٥١
٦٣	وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ	٤٣٣
٨٤	قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ	١٠٥٦
١٠٠	لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ	١٥٩
١١٠	وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ	٨٩٤

سورة النور

٤٣	أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا	١٠٢٩
٥٥	وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ	٢٨٨
٦١	لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ	٣٣٦

سورة الفرقان

١	تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ	١٣٩
٤	وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ	٨٦٧
٦	قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ	١١٣
٢٢	يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ	١٢٢، ١٢٣

٢٧	وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ	٩٤٥
٣٨	وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا	١١٩
٤٠	وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِيٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ	١٠٠ ، ٩٠٦

سورة الشعراء

٣	لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ	٣٣٦ ، ٨٣٠
٨	إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ	١٠٥٣
٥٩	وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ	٤٥ ، ٣٩٣، ٣٩٤
١١١	قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ	١٨١
١١٣	إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى ۖ	٧٨ ، ١٨٠
١٩٢	وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ	٨٨
٢٠٤	أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ	١٨٦

سورة النمل

١٤	وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا	١٥٦ ، ١٦٩
٥	وَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ	٦٧٧
٦١	جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا	٢٥٤
٦٢	وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ	٣٣٠
٧٤	وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ	١٨٩
٧٦	إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ	٢٣٦

سورة القصص

٥	وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى	٣٢١ ، ٣٩٤
٨	فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا	٨١٥ ، ٨١٦
١٠	إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ	٩٧٦ ، ٩٧٧ ، ٩٧٨
٣٧	رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ وَمَن	٢٨٧

٥٦	إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن	٧٢٥ ، 830
٥٨	وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا	١٠٢٣

سورة العنكبوت

١١	وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ	١٥٤
١٢	ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ	٩٣٥
١٤	فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ	٣٨٧
٢٨	وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ	٣٦
٣١	قَالُوٓا۟ إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ	١٠٢٣
٣٤	إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا	١٠٢٣
٥٠	وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ	١٧٤
٥٣	وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ ۚ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى	١٨٥
٥٣	وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ	١٧٨
٦١	وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ	١٠٥٦
٦٣	وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ	١٠٥٦
٦٦	لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ۖ وَلِيَتَمَتَّعُوا۟ ۖ فَسَوْفَ	٤٥٧

سورة الروم

١٤	وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ	٥٧٤
٢٧	وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ	٢٦٩
٣٠	فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا	٢١٦
٤٣	فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ	٩١٤
٥٤	ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ	٩٠٩
٥٥	وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ	١١٠

سورة لقمان

١٣	إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ	٢٨٤
٣٤	إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ	٦٥٢

سورة السجدة

٣	أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ	٨٦٧

سورة الأحزاب

٧	وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ	٧٧٩
٣٠	يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ	٧١٤
٥١	تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ	٣٨٣
٥٦	إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ	٥٩١

سورة سبأ

٣	وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ	١٨٩
٢٨	وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ	١٣٩
٣١	وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ	٥٥ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠
٤٠	ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ	٢٦١
٤٣	مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى	٥١٢
٤٦	قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ	٤٦٤ ، ٤٧٦

سورة فاطر

٨	فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ	٤٠٦
١٠	إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ	٣٥٩
١١	وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ	١١٠
١٨	إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم	٤٧٨
٤٥	مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ	١٦٠ ، ٧١٧

سورة يس

١١	إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكۡرَ	٤٧٨
١٢	إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَنَكۡتُبُ مَا قَدَّمُواْ	١٩٠
٢٧	بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ	٣٤٤
٣٠	يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِ	٩٤٦
٣٧	وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ	٢٤٦
٥٨	سَلَٰمٞ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ	٧٥٤
٥٩	وَٱمۡتَٰزُواْ ٱلۡيَوۡمَ أَيُّهَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ	٥٧٤
٦٠	أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ	٢٦١
٧٠	لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيّٗا	٥٧٨
٧١	أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا خَلَقۡنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتۡ أَيۡدِينَآ أَنۡعَٰمٗا	٢٩٦
٧٢	وَذَلَّلۡنَٰهَا لَهُمۡ فَمِنۡهَا رَكُوبُهُمۡ وَمِنۡهَا يَأۡكُلُونَ	٢٩٤، ٢٩٦

سورة الصافات

٨٤	إِذۡ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلۡبٖ سَلِيمٍ	٢١٥، ٢٢٠
١٠٣	فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ	٩٣٥
١٣٧	وَإِنَّكُمۡ لَتَمُرُّونَ عَلَيۡهِم مُّصۡبِحِينَ	٩٠٥ ، ٩٠٦
١٥٨	وَجَعَلُواْ بَيۡنَهُۥ وَبَيۡنَ ٱلۡجِنَّةِ نَسَبٗا	٢٦٠، ٢٦٢
١٧٦	أَفَبِعَذَابِنَا يَسۡتَعۡجِلُونَ	١٨٦

سورة ص

٥	أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ	١٠٥٧
١٦	وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا	١٨٥
٣٢	حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ	٧١٧
٤١	وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ	٥٤١

٧٣	فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ	٢٢٧
٧٥	مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ	٣١٧
٨٢	فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ	٩٧٣

سورة الزمر

٦	خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ	٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠، ٤٨١
٢٣	ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ	٩٢٦
٣٦	أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ	٥٩٥
٤٢	ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا	١٠٦، ١٠٧
٤٧	وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ	١٥٢
٥٦	عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ	١٥٩
٧٣	حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ	٩٣٥

سورة غافر

١٦	لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ	٢٢٢
٣٩	إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ	٢٥٤، ٨٣٥
٤٦	وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ	٤٣٧
٥١	إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟	٢٨٨
٧٠	فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ	٥٤١
٧٩	ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ لِتَرْكَبُوا۟	٢٩٦

سورة فصلت

١٠	سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ	٩٣١
١١	فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا	٤٣٦، ٤٣٧
٢١	أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ	٤٣٧

٢٦	وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ	١٤٧
٣٠	وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ	٧٨٥
٣٤	وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ	٣١٧
٤٦	وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ	٢٨٤
	سورة الشورى	
١١	لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ	٢٩، ٢٧٠
١٣	شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ	٣٢٨
٤٧	ٱسۡتَجِيبُواْ لِرَبِّكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ	٩١٤
٥٢	وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ	٨٠
	سورة الزخرف	
٣٦	وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا	٢٨٠
٤٧	إِذَا هُم مِّنۡهَا يَضۡحَكُونَ	٨٩٤
٥٣	أَوۡ جَآءَ مَعَهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مُقۡتَرِنِينَ	١١٩
٥٥	فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ	٨٧١، ٤٠٥، ٤٠٢، ٤٠٤
٦٠	وَلَوۡ نَشَآءُ لَجَعَلۡنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَخۡلُفُونَ	٣٣٠
٦٦	هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأۡتِيَهُم	٩١٤
٨١	قُلۡ إِن كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٞ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡعَٰبِدِينَ	٨٢٥
٨٤	وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٞ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَٰهٞ	٦٢، ٩١، ١١١، ١١٢
٨٧	وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَهُمۡ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ	١٠٥٦
	سورة الجاثية	
٢٦	قُلِ ٱللَّهُ يُحۡيِيكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يَجۡمَعُكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ	١٢٧
	سورة الأحقاف	
١٢	لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُحۡسِنِينَ	٤٧٩

١٧	وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ	٢٠٢
٢١	وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ	٥٤١
٢٤	فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ	١٧٩
٢٥	تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا۟ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا	١٠٢٣
٢٧	وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا ٱلْءَايَٰتِ	١٠٢٣

سورة محمد

٤	فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ	٥٣ ، ٥٤٧، ٥٤٨
١٠	أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ	٩٠٥
١٣	وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِىَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِىٓ	١٠٢١ ، ١٠٢٣
١٥	مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ	٢٦٩
١٧	وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى	٧٤٥
١٨	فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم	٩١٤

سورة الفتح

١	إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا	٦٦٦
٩	لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ	٦٦٢
١٧	لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى	٣٣٦ ، ٧١٠
٢٥	لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا	٥٦٧

سورة الحجرات

٩	وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟	٦٤٦، ٦٥٠
١٣	يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ	٤٨١
١٤	قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ	١٠٥٧

سورة ق

٤٥	فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ	٤٧٧

سورة الذاريات

١٠	قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ	٧٩٠
٣٧	وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ	٩٠٦

سورة الطور

١٦	فَٱصْبِرُوٓاْ أَوْ لَا تَصْبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ	٦٩٧
٢٩	فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ	٤٧٦

سورة النجم

٢٩	فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ	٥٠٥
٤٣	وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ	٨٩٤

سورة القمر

١١	فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ	٨٧٠
٢٩	فَنَادَوْاْ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ	٥٦٧
٤٥	سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ	٥٨٤
٥٢	وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ ...مُّسْتَطَرٌ	١٩٠

سورة الرحمن

٣٣	يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ	٢٦٠

سورة الواقعة

٢٦	إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا	٧٥٤
٤٩	قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْءَاخِرِينَ	١٢٧

سورة الحديد

٤	هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ	٦٢، ٩١، ١١١، ١١٣
١٣	فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ	٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٨

٢٠	وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ	٨٣٥
٢٢	مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ	١٩٠ ، ٦٠٩
٢٥	وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ	٣٤٧، ٣٤٨
٢٦	وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا	٢٢٦
٢٩	لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ	٣١٧

سورة المجادلة

٣	وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ	٤٨
٧	أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ	١٨٩
٢١	كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِى	٢٨٧، ٦٠٩
٢٢	كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ	٦٥٢

سورة الحشر

٣	وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ	٦٥٢
٧	وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ	٥٩٤، ٦٠٩
١٧	فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا	٦٧٧

سورة الممتحنة

١	تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ	٧٧٠ ، ٧٧٢
١٣	لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ	٢٧٩

سورة الصف

٥	فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ	٤٠١

سورة الجمعة

١١	وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟	٦٤٨

سورة المنافقون

٦	سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ	٦٩٦

١١	وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا	١٠٦

سورة التغابن

٩	يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ	١٢٨
١٦	وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ	٣٦-٣٧

سورة الطلاق

٢	وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا	٨٣٤
٣	إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ	٩٥٩
٨	وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ	١٠٢٣

سورة التحريم

١٠	كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ	٨٧٦ ، ٨٧٧

سورة الملك

٤	ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ	٧١٤
١٣	وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦ	٧٧٠
١٦	ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ	١٩٧

سورة القلم

٢	مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ	٤٧٦

سورة الحاقة

٢٣	قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ	٢٥٧

سورة المعارج

١	سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ	١٨٦، ٧٤٩
١٩	إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا	٨٤١

سورة نوح

٧	جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ	٨٣٨

٩	ثُمَّ إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ لَهُمۡ وَأَسۡرَرۡتُ لَهُمۡ إِسۡرَارًا	٧٧٠
١٠	فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا	٨٣٤
٢٨	رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ	٥٦

سورة الجن

١٦	لَأَسۡقَيۡنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا	٨١٤

سورة المزمل

٦	إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـًٔا	٣٤

سورة المدثر

١١	ذَرۡنِي وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدًا	٤٥٧

سورة القيامة

١١	لَا وَزَرَ	١٠٣٧
٢٢	وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ	٧٦٠

سورة المرسلات

٢٥	أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحۡيَآءٗ وَأَمۡوَٰتٗا	٢٥٣
٥٠	فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَهُۥ يُؤۡمِنُونَ	٩٢٦

سورة النازعات

٤٠	وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ	٩٧٢
٤٢	يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَا	١٠٦
٤٥	إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخۡشَىٰهَا	٤٧٩
٤٦	إِلَّا عَشِيَّةً أَوۡ ضُحَىٰهَا	٥٢٠

سورة عبس

٢٤	فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ إِلَىٰ	٢٤٢

سورة التكوير

٢٢	وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ	٤٧٦

سورة المطففين

١٥	كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ	٧٦٠
١٨	كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ	٣٥٩
٢٢	إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ	٧٦٠
٢٩	إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟	٣٧٦
٣٤	فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟	٣٧٦

سورة البروج

٣٤	وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ	٣٤

سورة الطارق

٩	يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ	١٥٤

سورة الغاشية

٢١	فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ	٨٣٠

سورة الفجر

٢٢	وَجَآءَ رَبُّكَ	٩١٥
٢٤	يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى	١٥٩

سورة الشمس

١٤	فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا	٥٦٧
٧	فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ	٥٩٥

سورة العلق

١١	أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ	٦٦٢
١٧	فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ	١٠٢١

سورة القدر

١	إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ	٧١٧

سورة البينة

٤	وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ	٣٢٦

سورة العصر

١	وَٱلْعَصْرِ	٣٢٢، ٨٤١

سورة الكوثر

١	إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ	٣٤

سورة الإخلاص

٣	لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ	٢٦٢

سورة الفلق

٣	غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ	٣٤

فهرس القراءات القرآنية المتواترة والشاذّة

رقم الآية	القراءة	الصحيفة
	سورة البقرة	
١٩١	فَإِن قَتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ	٥٦٧
	سورة الأنعام	
٣٣	لَا يُكْذِبُونَكَ	١٦٥
٧٤		٢٠٧
٩٨	فَمُسْتَقِرٌّ	٢٤٨
١١١	قِبَلا	٢٦٤
١٢٨	آجَالَنَا	٢٧٦
١٤١	مَعْرُوساتٍ وغير مغروسات	٢٩١
١٥٤	تمامًا على الذين أحسنوا	٣٢١، ٣٢٢
١٥٤	تمامًا على المحسنين	٣٢١
	سورة الأعراف	
١١١	أَرْجِهْ	٣٨٢
١٤٥	سَأُورِثُكُمْ	٣٩٣، ٣٩٤
	سورة التوبة	
٨١	خَلْفَ رسول الله	٦٩٩
٨١	خُلْف	٧٠١
١٠٦	مُرْجَؤون	٣٨٣
١١٨	خَلَفُوا	٧٣٣
	سورة يونس	

٨١	ما جئتم به ءَآلسِّحْرُ	٧٩٤
٩٢	بِأَبْدَانِكَ	٨٣٢

سورة هود

٤٢	ابنها	٨٧٧
٤٢	ابنَهَ	٨٧٧
٤٦	إنه عَمِلَ غيرَ صالح	٨٧٧ ، ٨٧٩
٤٦	إنه عمل غير صالح أن تسألني ما ليس لك به علم	٨٨٠ ، ٨٨١
٧١	فَضَحَكَتْ	٨٩٦
١٠٤	وما يؤخره	٩١٥
١١٦	إلا قليل	٩٢٣

سورة يوسف

١٩	يا بُشْرايَ	٩٤٤ ، ٩٤٨
١٩	بُشْرايْ	٩٤٤
١٩	يابشْرَيَّ	٩٤٦
٣١	مُتْكًا	٩٨٤ ، ٩٨٧ ، ٩٨٨
٨١	سُرِّقَ	١٠١٧ ، ١٠١٨

سورة الطلاق

١	لِقُبُلِ عدتهن	٢٦٥

فهرس الأحاديث والآثار

طرف الحديث أو الأثر	الصحيفة
﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ قال : أخذوا من ظهره كما يؤخذ بالمشط من الرأس	٤٣٢، ٤٤٢
﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ : (أنا) . ﴿ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ ﴾ قال : (عَلِيّ)	٨٥٣
أتدرون أيّ يوم هذا ؟ هذا يوم النحر وهذا يوم الحج الأكبر	٦١٧
اتقوا الله في الضعيفين : المرأة ، والعبد	٧٠٩
أُحرِّج عليكم حق الضعيفين : اليتيم والمرأة	٣٣٧
أخذ الله الميثاقَ من ظهر آدم بنعمان	٤٣١
أخرجي إلى رحمة الله ورضوانه	٧٨٥
إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى مناد : يا أهل الجنة	٧٥٨
إذا قرأ الإمام فأنصتوا	٥١٧
إذًا يثلغوا رأسي فيدعوه خبزة	٣٣٦
آذني أصلي عليه	٦٩٤
اذهب فاطرحه في القبض	٥٢٨
أرأيتكم ليلتكم هذه	١١٦
استأذنت ربي أن استغفر لها فلم يأذن لي	٧٢٧
أصل كل داء البردة	٣٥٥
أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي	٥٩٩
أعظم الأيام عند الله يوم النحر ثم يوم القرّ	٦١٧
افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة	٣٢٥
أقدم حَيْزُوم	١٢٢
ألحقوا الفرائض بأهلها	٦٠٦
إن أبا بكر رجل أَسِيفٌ	٤٠٣
إن القبر الذي جلست عنده قبر أُمّي	٧٢٦
إن الكافر إذا خرج من قبره مُثّل له عمله في أقبح صورة	١٦٣

إن الله أخذ ذرية آدم من ظهورهم ، ثم أشهدهم على أنفسهم	٤٣٣
إن الله تعالى أنزل سكينته عليك وأيدك	٦٦٢
إن الله خيّرني فاخترت	٨٢
إن الله خيّرني فاخترت	٦٩٤
إن الله لما خلق آدم مسح ظهره فجرت منه كل نسمة	٤٣٢
إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة	١١٦
إن الماء قليل ، فلا يسبقني إليه أحد	٦٩٣
أن ثلاثة خرجوا فلجأوا إلى غار ، فانطبقت عليهم الصخرة	٩٧٠
إن مؤمني الجنّ لهم ثواب وعليهم عقاب	٣٦٩
أنا رأيت الدخان يخرج منه على عهد رسول الله ﷺ	٧٢١
أنتم توفون سبعين أمة ، أنتم خيرها	٣٣١
انطلقا إلى هذا المسجد الظالمِ أهلُه ، فاهْدماه وحَرّقاه	٧٢٠
إنما خَيَّرني الله	٦٩٥
إنه لم يقل يومًا : رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين	٥٦٦
إنهم قوم خرجوا عصاة بغير إذن آبائهم	٣٧٤
إني أعرف حَجَرًا كان يُسلِّم عَلَيَّ في مكة	١٠٢٤
إني خُيِّرْت فاخترت لو أعلم أني لو زدت	٦٩٥
إني على جَنَاح سَفَرٍ وحال شُغْلٍ	٧٢٠
إني لم أبعث لأعذب بعذاب الله ، إنما بعثت لضرب الأعناق	٥٤٧
أو هَرمًا مُفَنّدًا	١٠٤٢
أول ما خلق الله القلم	١٩١
أولئك أصحاب الأعراف ﴿ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴾	٣٧٢
أَيْ عَمّ ، قُلْ : لا إله إلاّ الله	٧٢٤
أيُّ يومٍ هذا ؟ قال : فسكتنا حتى ظنّنا أنه سَيُسَمّيه	٦١٦
أيُّ يومٍ هذا ؟ قالوا : يوم النحر . قال : هذا يوم الحج الأكبر	٦١٧
أيها الناس ، إن منكم منافقين فمن سمّيته فليقم	٧١٣
بلّغوا عن الله ، فمن بلغته آية من كتاب الله	١٤٠
بلغوا عني ولو آية ، وحدّثوا	١٤٠

بلى ، والله لأستغفرن لأبي كما استغفر إبراهيم لأبيه	٧٢٨
تَسَمَّوْا باسمي ولا تَكَنَّوْا بكُنْيَتِي	١٦
تلك عاجل بشرى المؤمنين في الدنيا	٧٨٤
جاء جبريل إلى النبي ﷺ ذات يومٍ وهو جالس حزين فقال له : ما يَحْزُنُك؟ فقال: كذّبني هؤلاء	١٦٦
جاء ناس من اليهود إلى النبي ﷺ وهو مُحْتَبٍ فقالوا : يا أبا القاسم	٢٣٦
جعلت لي الأرض مسجدًا	٣٥١، ٣٥٢
جمعهم جميعًا ، فجعلهم أزواجًا ، ثم صوّرهم، ثم استنطقهم	٤٤٢
الحجُّ عرفةُ	٦١٣
حدثني أبو أمامة ، عن رسول الله ﷺ أنهم الخوارج	٣٢٧
الخالةُ أُمٌّ	١٠٤٧
خلق الله الخلق وقضى القضية	٤٣٣
خيركم قرني ، ثم الذين يلونهم	١١٨، ١١٩
الرؤيا الصادقة من الله ، والحُلمُ من الشيطان	١٠٠٤
الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو ترى له	٧٨١
سبقت رحمتي غضبي	٥٩٨
سمعت رجلاً يستغفر لوالديه وهما مشركان	٧٢٨
سيكون في أمتي خَسْف ومسْخ وقَذْف بالحجارة	٩٠٧
ضَرْبُ الملائكة	٥٨٣
العالَمُ هلكى إلاّ العالمون	٥٥٥
عفي لأمتي عما حدثت به أنفسها ما لم تتكلم أو تعمل	٩٧١
فحرّجوا عليها	٣٣٧
فِيَّ هلك من هلك	٥٧٨
فيصعدون بها ، فلا يمرون على ملأ من الملائكة إلاّ قالوا	٣٦٠
فينا معشر أصحاب بدر نزلت حين اختلفنا في النفل	٥٢٤
قاتل اللهُ اليهودَ ، حُرِّمَتْ عليهم الشحوم فجَمَلُوها	٣٠٩
قال أبوجهل للنبي ﷺ : ما نتّهمك ، ولكن نتّهم الذي جئت به، فأنزل الله	١٦٧
قال الله : إني خلقت عبادي حنفاء	٢١٦
قال الله تعالى : يا عبادي ، إني حرمت الظلم على نفسي	٢٨٤

قالت اليهود : يا محمد ، أنزل الله عليك كتابًا ؟ قال : (نعم)	٢٣٦
قالها إبراهيم حين ألقي في النار ، وقالها محمد	٥٩٤
قد قد	٦٩٢
قضى في دية الخطأ عشرين بنت مخاض وعشرين بَني مخاض	٤١٩
قم يا فلان ، فاخرج فإنك منافق	٧١٣
كاد أمية بن أبي الصلت أن يسلم	٤٤٤
كان الله و لم يكن شيء غيره	١٩٠
كانت حواءُ لا يعيش لها ولد ، فنذرت لئن عاش لها ولد لتسمّينه عبد الحارث	٤٩٠
كتب الله مقادير الخلائق	١٩١
كل مولود يولد على الفطرة	٤٣٦، ٤٣٨
كُلُّ مولودٍ يولدُ على الفطرة	٢١٦
لا تدعوا على أنفسكم ، لا تدعوا على أولادكم ، لا تدعوا على أموالكم	٧٤٨
لا يتمنين أحدكم الموت لضُرٍّ نزل به	١٠٥١
لأقضيَّن بينكما بكتاب الله	٦٠٨
لاهجرة بعد الفتح ، ولكن جهاد ونية	٧٣٧
لَتَبْلُغَنَّ قَرْنًا	١١٦
لم تحلَّ الغنيمةُ لقوم سود الرؤوس قَبلكم	٥٢٤
لم يبق من النبوة إلا المبشرات	٧٨٣
لما أخرج الله آدم من الجنة قبل أن يهبطه من السماء ، مسح صفحة ظهره اليمنى	٤٣٣
لما قدم رسول الله ﷺ مكة ، وقف على قبر أُمّه حتى سَخِنَتْ عليه الشمس	٧٢٦
لما قضى الله الخلق كتب في كتاب	١٩٠-١٩١
لما كان يومُ بدر قال الأخنس بن شَريق لبني زُهرة	١٦٦
اللهم إني بشر أغضب كما يغضب البشر ، فأيما رجل سببته	٧٤٨
اللهم فقّهه في الدين وعلمه التأويل	٧٦
اللهم في الرفيق الأعلى اللهم	١٠٥٢
اللهم كبرت سنّي ورقّ عظمي وانتشرت رعيتي فاقبضني إليك	١٠٥١
اللهم هذا قسمي فيما أملك، فلا تلمني فيما لا أملك	٩٧١

لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيرًا ولضحكتم قليلاً	٧٠٤
ليكونن في هذه الأمة قذف وخسف ومسخ	١٩٨
المؤمن إذا خرج من قبره صور له عمله في صورة حسنة وريح طيبة	٧٤٤
ما أحلت الغنائم لأحدٍ سود الرؤوس من قبلكم	٥٩٩
ما ظَنك باثنين الله ثالثهما ؟ يا أبا بكر	٦٦١
ما في قريش أحد إلاّ وقد نزلت فيه آية ، قيل له : فما نزل فيك ؟	٨٥٣
ما من الأنبياء إلا أوتي من الآيات ما مثلُه آمن عليه البشر	٥١٢
ما نزل في آل أبي بكر شيء من القرآن إلا براءتي —	٨٥،٢٠٢
ما أنزل الله فينا شيئًا من القرآن إلاّ أن الله أنزل عُذري	
من آتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته مُثّل له	١٦٣
مَنْ أعان ظالمًا سلّطه الله عليه	٢٨٠
من جاء برأسٍ فله كذا وكذا	٥٢٥
من قتل قتيلاً فله كذا وكذا ، ومن أسر أسيرًا فله كذا وكذا	٥٢٥
الميت تحضره الملائكة ، فإذا كان الرجل الصالح قالوا	٣٦٠
نحن معاشر الأنبياء أولاد عَلات ، ديننا واحد	٣٢٨
نضّر الله وجه امريء سمع مني مقالة فوعاها	١٤٠
نعم	١٦
نفسي ! نفسي !	٢١٦
هذا ربي	٢١٦
هذا يوم الحج الأكبر	٦١٣
هل عرفتم القوم	٦٩٢
هلك المصرون	٩٧١
هم الجن ، وإن الشيطان لا يُخَبِّلُ أحَدًا في داره فرسٌ عتيقٌ	٥٨٨
وإذا عاهد غدر	٦٢٣
والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك	٧٢٤،٧٢٥، ٧٢٦
وددت أني أنا هو ، ولكنه لسان محمد ﷺ	٨٥٣
وَفِيُّ الإلّ كريمُ الخِلّ بَرودُ الظِلّ	٦٢٣
ومن همَّ بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة كاملة	٩٧٢
ويلك إن لم أعدل فمن يعدل	٩٣

ويلك إن لم أعدل فمن يعدل	٦٦٩
يا أبا بكر ،لا تحزن	٦٦١
يا أباجهل بن هشام ، يا عتبة بن ربيعة ، يا شيبة بن ربيعة ، ويا فلان بن فلان ، هل وجدتم ما وعد ربكم حقًّا ؟	٣٧٩
يا أيها الناس ، أيُّ يوم هذا ؟ قالوا : يوم حرام . قال : فأيُّ بَلَدٍ هذا ؟	٦١٨
يا جبريل ، ما تأويل هذه الآية ؟ قال : حتى أسأل.	٤٩٧، ٥٠٣
يا عائشة ، ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا ﴾ هم أصحاب البدع	٣٢٧
يجمع الناس يوم القيامة ، فيؤمر بأهل الجنة إلى الجنة	٣٧٢
يدًا بيد	٦٣٩
يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا	٤٩٧
يقال للرجل من أهل النار يوم القيامة: أرأيت لو كان لك	٤٣٠
يقول الله تعالى : إذا همَّ عبدي بسيئة و لم يعملها لم أكتبها عليه	٩٧١
يَلْقَى إبراهيمُ أباه آزرَ يوم القيامة	٢٠٧
يوم الأضحى هذا يوم الحجّ الأكبر	٦١٧
يوم النحر	٦١٧

فهرس الأشعار

البيت	الصحيفة
أُدْعَى بأسماءَ نَبْزًا في قبائلها كأنّ أسماءَ أضحتْ بعضَ أسمائي	٢٠٩
إذ قالت الأَنْسَاعُ للبطن : الحقي قالت له ريحُ الصَّبَا : قَرْقارِ	٤٣٦
إذا بغتتْ أشياءُ قد كان قبلها قديمًا فلا تعتدّها بغتات	١٧٧
إذا حشرجت يومًا وضاق بها الصدر	١٦٠
إذا ذهبَ القرنُ الذي كنتَ فيهُم وخُلّفْتَ في قَرْنٍ فأنت غريبُ	١٢٠
إذا كانت الهيجاء وانشقت العصا فحسبك والضحاكَ سيفٌ مهندٌ	٥٩٥
أسيئي بنا أو أحسني لا مَلُومَةٌ لدينا ولا مَقْلِيَّةٌ إن تَقَلَّتِ	٦٩٦
أَعاذِلُ شِكّتي بدني وسيفي وكُلُّ مُقَلِّصٍ سَلِسِ القِيادِ	٨٢٢
أفسد الناس خُلُوفٌ خَلفوا قطعوا الإلّ وأعراق الرَّحِمْ	٦٢٢، ٦٢٤
أقتلهم ولا أرى معاوية الجاحظ العين العظيم الحاوية	٣٠٤
ألا أبلغ بني عمرو رسولاً بأني عن فتاحتكم غني	٥٥٨
ألا ليتني قَطّعْتُ منّي بنانة ولاقَيْتُه في البيت يقظان حاذرا	551
إلى الملكِ القِرْنِ وابنِ الهمام ولَيْثِ الكريهة في المزْدَحَم	٨٥٩
آليت لولا حرج يعروني ما جئت أغزوك ولا تغزوني	٣٣٩
إن تقوى ربنا خيرنَفَل وبإذن الله ريثي و عَجَل	٥٢٦، ٥٢٩
إن شرخ الشباب والشَّعَر الأسْـ ـوَدَ ما لم يُعَاصَ كان جنونا	٦٤٨
إنا إذا احمرّ الوغى نُرْوي القنا و نَعِفُّ عند تقاسم الأنفال	٥٢٧
إني ضمنت لمن أتاني ما جَنَى وأبى وكان وكنت غير غَدُورِ	٦٤٩
إني لآتي العِرْسَ عند طُهورها وأهجرها يومًا إذا هي ضاحك	٨٩٧
أَوْرَثَني حمولةً وفرشًا أَمُشُّها في كل يوم مشّا	٢٩٤
بدا لي منها مِعْصَمٌ يوم جَمَّرَتْ وكَفٌّ خضيبٌ زُيِّنَتْ بِبَنانِ	551
فوالله ما أدري وإني لحاسب بسبعٍ رميتُ الجمْرَ أم بثمانِ	
بَعيدُ مَدَى التَّطْرِيبِ أَوَّلُ صوتِهِ زفيرٌ ويتلوه شهيقٌ مُحَشْرَجُ	٩١٦
بَيْن رِمَاحَيْ مالكٍ و نَهْشَلِ	٤١٨، ٤١٩
ترتع ما رتعت حتى إذا ادكرت فإنما هي إقبالٌ وإدبارٌ	٨٨٢ ، ٨٨٣

تَرَدّتْ به ثم انفرى عن أديمها	تَفَرِّيَ لَيْل عن بياض نهار	٢٤٥، ٢٤٧
ترى الأبدان فيها مُسْبَغَاتٍ	على الأبطال واليَلَبَ الحصينا	٨٢٢
تزداد للعين إبهاجًا إذا سفرت	وتحرج العين فيها حين تنتقب	٣٣٧
تَضْحَكُ الضَّبْعُ لقتْلى هُذَيْلٍ	وترى الذئبَ لها يَسْتَهِلُّ	٨٩٧
تَضْحَكُ الضَّبْعُ من دماء سليم	إذ رأتها على الحراب تَمُورُ	٨٩٧
تضغو الخنانيص والغول التي أكلت	في حاوياء رَدُوم الليل مجعار	٣٠٥
تق الله واستر ذا الجمال ببرقع	فإن بحت حاضت في الخدور العواتق	٩٩٥
ثلاثة أهلين أَفنيتُهم	وكان الإله هو المُسْتآسا	١١٧
جزى الله إلاً كان بيني وبينهم	جزاءَ ظلومٍ لا يؤخَّر عاجلاً	٦٢٢
جعلت السيف بين الجيد فيه	وبين أسيلِ خَدّيْهِ عِذَارا	٥٤٥
حتى إذا قَمِلَتْ بُطُونُكُمُ	ورأيتم أبناءكمْ شَبُّوا	٩٣٦
وقَلَبْتمُ ظَهرَ المِجَنّ لنا	إن اللئيمَ العاجزُ الخَبُّ	
حجَّ وأوصى بِسُلَيْمَى الأعبدا	ألا ترى ولا تكلمْ أحدا	٣١٦، ٣١٩
حُزِيَتْ لي بحَزْمِ فَيْدَةَ تُحْدَى	كاليهوديّ مِنْ نَطاةِ الرِّقال	١٠٢٢
حَشرجَ في الجوف صَهيلاً أو شهْق	حتى يقال : ناهق وما نهقْ	٩١٧
خُذْ منهمُ ما أَتَوا عَفْوًا إذا غضبوا	ولا يكنْ هَمُّكَ الأمرَ الذي مَنَعُوا	٤٩٧
خُذي العفو مني تستديمي مودّتي	ولا تنطقي في سَوْرتي حين أغضب	٤٩٥، ٤٩٧
خف الله واستر ذا الجمال ببرقع	فإن لحت ذابت في الخدور العواتق	٩٩٥
رأيت رجالاً من قريش كثيرة	و لم أَرَ في القوم القيامَ كخالد	٥٤٤
كساك الوليدُ بن المغيرة مجده	وعلّمك الشيخان ضَرْبَ القَمَاحِدِ	
سؤالُ حَفِيٍّ عن أخيه كأنه	بذكرته وُسْنَانُ أو مُتَواسِنُ	٤٧٢
سبقوا هَوَيَّ وأعنقوا لهواهم	فَتُخُرِّمُوا ولكل جنب مَصْرَعُ	٩٤٦
عَصَيْتُ إليها القلبَ إني لأَمْرِها	سميعٌ فما أَدْري أَرُشْدٌ طِلابُها	٧٩٣
عفا الله عنك ألا حرمة	تعود بفضلك أن أبعدا	٦٦٧
ألم تر عبدًا عدا طوره	ومولى عفا ورشيدًا هدى	
أقلني أقالك من لم يزل	يقل ويصرف عنك الأذى	
عَقَبَ الربيعُ خلافهم فكأنما	بسط الشواطبُ بينهن حَصيرًا	٦٩٩، ٧٠١
عوجي علينا ربة الهودجِ	إنك إلاّ تفعلي تُحْرِجي	٣٣٧

غشّيْته وهو في جأْوَاءَ باسلةٍ عَضْبًا أصاب سواءَ الرأس فانفلقا ٥٤٦
غَيّر الجدّة من آياتها خرَقُ الريحِ وطوفانُ المطر ٣٨٦
غيرُ مأسوفٍ على زمنٍ ينقضي بالهم والحزنِ ٤٠٣
فَأَسْرَرْتُ الندامةَ يوم نادى بَردّ جمال غَاضِرةَ المنادي ٧٧١
فأضحكت الضّبَاعَ سيوفُ سعدٍ بَقَتْلَى ما دُفِنَّ ولا وُدينا ٨٩٦
فإن تسألي عني فيارب سائلٍ حفيٍّ عن الأعشى به حيث أصعدا ٤٧١
فتوضح فالمقراة لم يعفُ رسمُها ٦٤٨
فثبت الله ما آتاك من حسنٍ في المرسلين ونَصْرًا كالذي نُصِرُوا ٣٢٣
فثبت الله ما آتاك من حُسْنٍ في المرسلين ونصرًا كالذي نُصِرُوا ٦٨٥
فخرجتُ خوف يمينها فتبسَّمَتْ فعلمتُ أن يمينها لم تُحْرَجِ ٣٣٧
فطائفةٌ قد أَكْفَرُوني بحبِّكم وطائفةٌ قالوا : مسيءٌ ومذنب ١٦٨
فَظَلَلْنَا بنِعْمَةٍ واتَّكَأْنَا وشَرِبْنَا الحَلاَلَ مِنْ قُلَلِهْ ٩٨٧
فقل للذي يبقى خلافَ الذي مضى تَأَهَّبْ لأُخْرَى مثلها فكأن قد ٦٩٩
فكان مجَنِّي دَوْنَ مَنْ كُنْتُ أَتَّقي ثَلاثُ شُخُوصٍ : كاعِبَانِ و مِعْصَرُ ٤١٨
فلا تَتْرُكَنّي بالوعيد كأنني إلى الناس مَطْلِيٌّ به القَارُ أَجْرَبُ ١٢٨
فلما أجزنا ساحة الحيّ وانتحى بنا بَطْنُ خَبْتٍ ذي قِفَافٍ عَقَنْقلِ ٩٣٥
فلما شراها فاضت العينُ عَبْرَةً وفي الصدر حَزَّازٌ من اللوم حَافِرُ ٩٥٠
فلما لَبِسْنَ الليلَ أو حين نَصَّبَتْ له مِنْ خَذَا آذانها وهو جانِحُ ٧٩٣
فمن بِعَقْوَتِهِ كمن بنَجْوتِه والمُسْتكِنُّ كمن يمشي بِقِرواحِ ٨١٩
فمن يك أمسى بالمدينة رَحْلُه فإني وَقَيَّارٌ بها لغريب ٦٤٩
فَيَا لَقُصيّ ما زَوَى الله عنكم به من فَخَارٍ لا يُبَارى و سُؤْدَدِ ٤٨٢
قال : تَبْكِ في رسم الديار فإنها ديارُ بني عوفٍ وهلْ عنهمُ صَبْرُ ٦٩٩
فما كنت أخشى أن أعيش خلافهم بستةِ أبياتٍ كما نبتَ العترُ
قد مدَّ طوفانٌ فبث مددًا شهرًا شآبيب وشهرًا بردًا ٣٨٦
قصدي المؤمَّلُ في جهري وإسراري ومطلبي من إلهي الواحد الباري ٢٧
كأن قلوبَ الطير رَطْبًا ويابسًا لدى وكْرِها العُنَّابُ والحَشَفُ البالي ٨٥٨ ، ٨٦٠
كأن نقيق الحب في حاويائه فحيح الأفاعي أو نقيق العقارب ٣٠٥
كُلُّ جَارٍ ظَلَّ مغتبطًا غير جيران بني سلمة ٣٧٣
كُلُّ كِنازٍ لَحْمُهُ نِيَافِ كالعَلَم المُوفي على الأعراف ٣٦٨

لا يَسْمعُ المرءُ فيها ما يؤنسه	بالليل إلاّ نئيمَ البُومِ والضُّوعَا	٣٠٧
لِإلٍّ علينا واجبٌ لا نُضيعُه	متينٌ قُواه غيرُ مُنْتَكَث الحَبْلِ	٦٢٤
لتقتلني وقد شَغَفْتُ فُؤادَها كما	شَغَفَت المهنوءةَ الرجلُ الطالي	٩٨١
لِدُوا للموت وابنوا للخراب		٨١٥
لعمرك إن إلّك من قريش كإلّ السقب من رأل النعام		٦٢٢
لقد علم الحيُّ اليمانون أنني	إذا قلت أما بعد أني خطيبها	٦٧٧
لَنَحْنُ الأُلَى قُلْتُمْ فَأَتَى مُلِئْتُمُ	برؤيتنا قبلَ اهتمامٍ بكم رعْبًا	٧٩٣
لولا بنو مالكٍ والإلُّ مَرْقَبَةٌ	ومَالِكٌ فيهمُ الآلاءُ والشَّرَفُ	٦٢٤
لِيَبْكِ على مِلْحانَ ضَيْفٌ مُدَفَّعٌ	وأَرْمَلةٌ تُزْجي مع الليل أَرْمَلا	١٠٣٠
ما كان حَيْنُكَ والشقاء لينتهي	حتى أزورك في مُغار مُحْصَدِ	٦٤٩
من يفعل الخير لا يَعْدَمْ جَوَازِيه	لا يَذْهَبُ العُرْفُ بين الله والناس	٥٠١
نأتي النساء على أطهارهن ولا	نأتي النساء إذا أكبرن إكبارا	٩٩٤
نحن بما عندنا وأنت بما	عندك راضٍ والرأي مختلف	٦٤٩
نشرب الإثم بالصُّواعِ جهارًا	وترى المُتْكَ بيننا مُسْتَعَارًا	٩٨٨
نُفَلّق هامًا من رجال أعزة	علينا وهم كانوا أعقَّ وأظلما	٥٤٦
هَمَمْتُ بهمٍّ من بُثَيْنَةَ لو بدا	شَفَيْتُ غَليلاتِ الهوى من فؤاديا	٩٧٠
وأزرق الفجر يبدو قبل أبيضه	وأول الغيث قطرًا ثم ينسكبُ	٢٤٧
وإقدامي على المكروه نفسي	وأَضربُ هَامَةَ البطل المُشيحِ	٥٤٦
وإن الذي حانَتْ بِفَلْجٍ دماؤهم	هم القومُ كلُّ القوم يا أم خالدٍ	٦٨٦
وإن الموت طوع يدي إذا ما	وَصَلْتُ بنانها بالهِنْدُوَانِي	551
وإن امرءًا دامت مواثيق عهده	على مثل هذا إنه لكريم	٦٧٨
وإنْ مَذِلَتْ رجلي دَعَوْتُك أَشْتَفي	بَدَعْواكَ مَنْ مَذْلٍ بها فَيَهُونُ	٣٤٢
وأنت ما أنت في غَبْراءَ مُظْلمةٍ	إذا دعت أَلَلَيْها الكَاعِبُ الفُضُلُ	٦٢٣
وإني لعبدُ الضيفِ ما دام ثاويًا	ومافيّ إلاّ تلك من شيمة العَبْدِ	٤٩٢
الواهب المائةَ الهجانَ وعبدها	عُوذًا تُزَجّي خَلْفَها أَطْفَالَها	١٠٣٠
وبيضاءَ كالنّهْي مَوْضُونَةً لها قَوْنَسٌ فوق جَيْب البَدَنْ		٨٢٢
وحوينا الفرش من أنعامكم	والحمولات وربات الحجل	٢٩٦
وذلك في ذات الإله وإن يشأ	يبارك على أوصال شِلْوٍ ممزّعِ	٥٣٢
وَرِثْت بناءَ آباءٍ كرامٍ	عَلَوا بالمجد أعراف البناءِ	٣٦٨

وشَرِبْتُ بُرْدًا ليتني من بعد بُرْدٍ كنتُ هَامَهْ ٩٥٠
وضِحْكُ الأرانب فوق الصفا كمثل دَمِ الجَوْفِ يومَ اللّقَا ٨٩٦
وظلَّتْ بأعرافٍ تَعَالَى ٣٦٨
وعَهْدي بِسَلْمَى ضاحكًا في لُبَابَةٍ و لم يَعْدُ حُقًّا ثَدْيُها أَنْ تَحَلّما ٨٩٧
وقد أُراني و نُعْمًا لاهيين بها والدهر والعيش لم يهمم بإمرار ٦٤٨
وقد حالَ هَمٌّ دون ذلك والِجٌ مكان الشُّغَافِ تبتغيه الأصابع ٩٨٣
وكان فتى الهيجاء يحمي ذمارها ويضرب عند الكرب كلّ بنان 551
وَلّتْ ودعْواها كثيرٌ صَخَبُه ٣٤٢
ولكن هَمًّا دون ذلك والِجٌ مكان الشِّغَافِ تبتغيه الأصابع ٩٨١
ولكنهم ماتوا و لم أَدْرِ بغتةً وأعظمُ شيءٍ حين يَفْجَئُوكَ البَغْتُ ١٧٧
وللمنايا تُربَّى كلُّ مُرْضِعَةٍ وللخراب يُجِدُّ الناسُ عمرانا ٨١٥
ولما رأى الحجَّاجَ جرَّد سيفه أسرَّ الحروريُّ الذي كان أضمرا ٧٧١
وما المال والأهلون إلاّ وديعة ولا بُدَّ يومًا أن ترد الودائع ٢٥٤
وما ألوم البيض ألاّ تسخرا لما رأين الشمط ٣١٧
وما يلي المضافَ يأتي خَلَفًا عنه في الإعراب إذا ما حُذِفَا ١٠٢٤
ومضى نساؤهم بكل مُفَاضة جَدْلاَءَ سابغةٍ وبالأبدان ٨٢٢
وهَبَّتِ الريحُ من تلقاء ذي أُرُلٍ تُزْجي مع الليل من صُرَّادِها صِرَما ١٠٣٠
وهو بسبق حائز تفضيلا مستـــوجب ثنـــائي الجميلا ٥
يا أم عمرو جزاك الله مغفرةً رُدَّي عليَّ فؤادي كالذي كانا ٦٨٥
يا صاحبيَّ دعا لَوْمي وتفنيدي فليس ما فات من أمرٍ بمردودِ ١٠٤١
يا عاذليّ دعا الملامة واقْصِرا طال الهوى وأطلْتُمُا التفنيدا ١٠٤١ ، ١٠٤٣
يَتْبَعُها وهي لَهُ شُغَافُ ٩٨٢
يُمَشِّي بَيْننا حَانوتُ خَمْرٍ من الخُرْسِ الصَّرَاصِرَة القِطَاطِ ١٠٢١

فهرس الأماكن والبلدان

الأماكن والبلدان	الصحيفة
أُحُد	٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧١، ٥٧٢
الأحقاف	٣٩٨
الأندلس	١٨، ٢١
بدر	١٢٢، ١٦٦، ٣٧٩، ٣٨١، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٤٠، ٥٤٢، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٦، ٥٧٧، ٥٧٩، ٥٨٠، ٥٩٩، ٦٢٧، ٦٥٩
البصرة	٦٤٥
تبوك	٦٦٥ ، ٧٢٠
ثور	٦٦١
الحبشة	٥٩٢
الحديبية	٦٠٢
حراء	٦٦١
حنين	٦٣٥، ٦٣٦، ٦٣٧، ٦٣٨ ، ٦٧١، ٦٧٣
خيبر	١٠٢٢
ذي أَوان	٧٢٠
الشام	٣٩٤، ٣٩٦، ٦٢٦ ، ٩٠٥
صفين	٦١٢، ٦١٩
طريف	٢٧
عرفة	٤٣١
عرفة	٦١٢، ٦١٤، ٦١٨، ٦١٩
غرناطة	١٨، ٢٠، ٢٢

مدين ٤٤٨
مدين ٩٤٢
المدينة ٢٣١،١٥٤،١٠٢،٣٠، ٥٤٠،
٥٧٩، ٥٨١، ٥٩٢ ،٦٣٣،
٧٢٠، ٧٣٣، ٧٣٩ ، ٨٠٦ ،
٨٢٧ ، ٨٢٨ ، ٩٠٥
مدينة الجبارين ٤٤٦
مصر ٤٥، ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٥،
٨٠٦ ، ١٠٠٠، ١٠٠١ ،
١٠٠٢
المغرب ١٨، ٢١
مكة ١٣٨، ٢٣٤، ٤٩٣، ٥٦٩،
٥٧٩، ٥٨١، ٥٩٢، ٦٢٧،
٦٣٠، ٦٣٤، ٩١٩ ، ٩٣١ ،
٩٣٢ ، ١٠٣٦ ، ١٠٥٣ ،
١٠٥٤
مِنى ٦١٨
نعمان ٤٣١
اليمن ٤٤٦، ٤٤٨

فهرس المصادر والمراجع

الكتب المطبوعة:

- القرآن الكريم. (برواية حفص عن عاصم ، وعد آيه ، (٦٢٣٦) آية ، مجمع خادم الحرمين الشريفين الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، المدينة المنورة) .
- ابن جزيء ومنهجه في التفسير من خلال كتابه التسهيل لعلوم التنزيل ، لعبدالرحمن سعد بركة ، ليبيا ، منشورات كلية الآداب والتربية، جامعة سبها، ط١ : ١٩٩٤م .
- ابن جُزَيّ ومنهجه في التفسير ، لعلي بن محمد الزبيري ، دمشق ، دار القلم ، ط١ : ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .
- الإبهاج في شرح المنهاج على منهاج الوصول إلى علم الأصول للبيضاوي ، لعلي بن عبدالكافي السبكي، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط١ : ١٤٠٤هـ .
- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر ، لأحمد بن محمد البنا ، تصحيح وتعليق: علي محمد الضباع ، الناشر : عبدالحميد أحمد حنفي .
- الإتقان في علوم القرآن ، للسيوطي : جلال الدين عبدالرحمن بن ابي بكر السيوطي ، تحقيق : سعيد المندوب ، بيروت ، دار الفكر ، ط١ : ١٤١٦ هـ .
- الآثار الأندلسية الباقية في أسبانيا والبرتغال ، لمحمد عبدالله عنان ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، ط١ : ١٣٨١هـ /١٩٦١م .
- الآحاد والمثاني لأحمد بن عمرو بن الضحاك الشيباني (ت٢٨٩) ، دار الراية – الرياض ١٤١١هـ – ١٩٩١م ط(١) – تحقيق د.باسم فيصل الجوابرة .
- الإحاطة في أخبار غرناطة ، للسان الدين ابن الخطيب ، تحقيق: محمد عبدالله عنان ، القاهرة ، مكتبة الخانجي .
- الإحسان في ترتيب صحيح ابن حبان ، لابن بلبان ، أبي الحسن علي ابن بلبان الفارسيّ ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ط٢ : ١٤١٤ هـ .
- أحكام أهل الذمة ، تأليف شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر (ابن قيم الجوزيه) ، تحقيق د/صبحي الصالح ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ط٣ : ١٩٨٣ م .

- أحكام القرآن ، لابن العربي : أبي بكر محمد بن عبدالله المعافري ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، بيروت ، دار المعرفة .
- أحكام القرآن ، للجصاص : أبي بكر أحمد بن علي ، ضبط : عبدالسلام محمد شاهين ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط٢ : ٢٠٠٣ م .
- إحياء علوم الدين للإمام أبي حامد بن محمد الغزالي ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .
- اختلاف المفسرين أسبابه وآثاره ، لسعود بن عبدالله الفنيسان ، الرياض ، دار إشبيليا ، ط١ : ١٤١٨هـ /١٩٩٧م .
- الأدب المفرد ، للإمام البخاري : أبي عبدالله محمد إسماعيل إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة الجعفي مولاهم ، مطبوع مع شرحه "فضل الله الصمد" ، دار الريان للتراث ، المكتبة السلفية ، القاهرة ، ط (٣) ١٤٠٧هـ .
- إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب = معجم الأدباء.
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، لأبي السعود : محمد بن محمد العمادي ، دار الفكر.
- أزهار الرياض في أخبار عياض ، لشهاب الدين أحمد بن محمد لمقري ، اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي بين حكومة المملكة المغربية وحكومة دولة الإمارات العربية المتحدة.
- أساس البلاغة، لجار الله : محمد بن عمر الزمخشري ، تحقيق : عبدالرحيم محمود ، بيروت ، دار المعرفة ، ط١٩٨٢م .
- أسباب اختلاف المفسرين ، لمحمد بن عبدالرحمن الشايع ، الرياض ، مكتبة العبيكان ، ط١ : ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.
- أسباب الخطأ في التفسير للدكتور طاهرمحمود محمد يعقوب ، دار ابن الجوزي ، ط١: ١٤٢٥ .
- أسباب النزول ، لأبي الحسن : علي بن أحمد الواحدي ، تحقيق : السيد أحمد صقر ، دار القبلة – جدة ، مؤسسة علوم القرآن – بيروت ، ط(٣) ١٤٠٧هـ.
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، لابن عبدالبر: أبي عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر التمري القرطبي ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، بيروت ، دار الجيل ، ط١ : ١٤١٢هـ .

- أسد الغابة في معرفة الصحابة ، لابن الأثير : علي بن محمد ، تحقيق : محمد إبراهيم البنا ، ومحمد أحمد عاشور ، ومحمود عبدالوهاب فايد ، مصر ، دار الشعب .
- أسرار البلاغة لعبدالقاهر الجرجاني ، بواسطة الجامع الكبير لكتب التراث الإسلامي والعربي ١٤٢٨-١٤٢٩هـ ، الإصدار الرابع .
- الأسماء والصفات ، للبيهقي ، تحقيق عبدالله الحاشدي ، مكتبة السوادي ، جدة ، ط ١ ، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م .
- الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز ، للعز بن عبدالسلام ، تحقيق : رمزي دمشقية ، بيروت، دار البشائر الإسلامية ، ط١ : ١٤٠٨هـ.
- الأشباه والنظائر ، لجلال الدين عبدالرحمن السيوطي، تحقيق : طه عبد الرؤوف سعد ، مصر ، مكتبة الكليات الأزهرية ، ١٣٩٥هـ.
- الاشتقاق لابن دريد : أبي بكر محمد بن الحسن بن دريد ، تحقيق : عبدالسلام محمد هارون ، مصر ، مؤسسة الخانجي ، ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م.
- الإصابة في تمييز الصحابة ، للحافظ ابن حجر : أحمد بن حجر العسقلاني ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، بيروت ، دار الجيل ، ١٤١٢هـ .
- أصول السرخسي ، لأبي بكر محمد بن أحمد بن سهل السرخسي ، بيروت ، دار المعرفة.
- الأضداد ، لمحمد بن القاسم الأنباري ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، صيدا – بيروت ، المكتبة العصرية ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، لمحمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي .
- الاعتقاد : الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد ، للبيهقي ، تحقيق أحمد بن إبراهيم أبو العينين ، دار الفضيلة ، الرياض ، ط ١ ، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م .
- إعراب القرآن ، لأبي جعفر : أحمد بن محمد النحاس ، تحقيق : د. زهير غازي زاهد ، بيروت ، عالم الكتب ، ط٣ : ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م.
- إعراب القرآن الكريم وبيانه لمحي الدين الدرويش ، دار الإرشاد ، حمص ، سوريه ، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨ . اليمامة ، دمشق . دار ابن كثير ، دمشق ، بيروت .
- أعلام المغرب والأندلس = نثير الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان

- إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم : أبي عبدالله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي الدمشقي، تحقيق : طه عبدالرؤوف ، بيروت ، دار الجيل ، ١٩٧٣م.
- الأعلام ، لخير الدين الزركلي ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ط١١ : ١٩٩٥م.
- إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ، تأليف أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الشهير بابن قيم الجوزية، تحقيق وتصحيح وتعليق محمد حامد الفقي ، دار الفكر .
- الأغاني ، لأبي الفرج الأصبهاني ، تحقيق : علي مهنا ، وسمير جابر ، بيروت ، دار الفكر.
- الإقناع في القراءات السبع ، تأليف أحمد بن علي الباذش ، حققه وقدم له د/عبد المجيد قطامش ، دار الفكر ، دمشق ، ط١: ١٤٠٣ .
- الأمالي في لغة العرب ، لأبي علي : إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م .
- الأموال لأبي عبيد القاسم بن سلام (٢٢٤ هـ) ، تحقيق : خليل محمد هراس ، نشر : دار الفكر – بيروت – ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .
- الأموال ، لابن زنجويه ، تحقيق د/شاكر ذيب فياض ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، الرياض ، ط ١ ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .
- الانتصاف لابن المنير ، مطبوع بهامش الكشاف للزمخشري .
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، لناصر الدين : عبدالله بن عمر البيضاوي ، تقديم محمود الأرناؤوط، دار صادر – بيروت ، ط١ : ٢٠٠١م.
- الأوسط في السنن والإجماع لأبي بكر محمد بن إبراهيم النيسابوري ، تحقيق د/ أبوحمّاد صغير أحمد بن محمد حنيف ، دار طيبة ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، ط٢ : ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣ م .
- أوصاف الناس في التواريخ والصلات ، للسان الدين بن الخطيب السلماني ، تحقيق : د.محمد كمال شبانة ، المغرب ، مطبعة فضالة المحمدية .
- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، لجمال الدين : ابن هشام الأنصاري ، تحقيق : محمد محي الدين عبدالحميد ، بيروت ، دار الجيل ، ط (٥) : ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

- إيجاز البيان عن معاني القرآن ، لمحمود ابن أبي الحسن النيسابوري ، تحقيق : د.علي بن سليمان العبيد ، الرياض ، مكتبة التوبة ، ط١ : ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.
- إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، لإسماعيل باشا بن محمد أمين الباباني ، تصحيح : محمد شرف الدين ، ورفعت بيلكة ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي .
- الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ، لمكي بن أبي طالب القيسي ، تحقيق : د.أحمد حسن فرحات ، جدة – مكة ، دار المنارة ، ط١ : ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .
- الإيضاح في الوقف والابتداء لأبي بكر بن الأنباري ، ت: محي الدين عبد الرحمن رمضان ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٧١م .
- بحر العلوم ، لأبي الليث نصر بن محمد السمرقندي ، تحقيق وتعليق : علي محمد معوض ، وعادل أحمد عبدالموجود ، وزكريا عبدالمجيد النوتي ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط١ : ١٤١٣هـ .
- البحر المحيط في أصول الفقه ، للزركشي : بدر الدين محمد بن بهادر الزركشي ، تحقيق : د.محمد محمد تامر ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط١ : ١٤٢١هـ .
- البحر المحيط ، لأبي حيان الأندلسي : محمد بن يوسف بن علي ، دار الفكر ، ط ٢ ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .
- بحوث في أصول التفسير ومناهجه ، لفهد بن عبدالرحمن الرومي ، الرياض ، مكتبة التوبة ، الزلفي ، مكتبة دار المتعلم ، ط ٥ : ١٤٢٠هـ .
- بدائع التفسير ، الجامع لتفسير الإمام ابن قيم الجوزية ، جمعه ووثق نصوصه وخرج أحاديثه يسري السيد محمد ، دار ابن الجوزي ، ط١ : ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م .
- بدائع الفوائد ، لابن القيم : أبي عبدالله ، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي الدمشقي ، تحقيق : هشام عبدالعزيز عطا وآخرين ، مكة المكرمة ، مكتبة الباز ، ط١ : ١٤١٦هـ .
- البداية والنهاية ، لابن كثير : أبي الفداء إسماعيل بن عمرو بن كثير ، تحقيق د/عبدالله التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات بدار هجر ، ط (١) ١٤١٧هـ .
- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، للشوكاني : محمد بن علي ، بيروت ، دار المعرفة ، ١٣٤٨هـ.

- البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدرة ، تأليف عبد الفتاح بن عبد الغني القاضي ، مكتبة الدار بالمدينه المنورة ، ط١: ١٤٠٤ هـ .
- البرهان في علوم القرآن ، لبدر الدين : محمد بن عبدالله الزركشي ، تحقيق : د.زكي محمد أبو سريع ، الرياض ، دار الحضارة ، ط١ : ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م .
- البعث والنشور ، للبيهقي ، تحقيق محمد السعيد بن بسيوني زغلول ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .
- بغية المرتاد ، لابن تيمية أحمد بن عبدالحليم (٧٢٨هـ) ، تحقيق سعيد لحّام ، ط ١ ، بيروت ، دار الفكر العربي ، ١٩٩٠م .
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، للسيوطي : جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر ، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ، ط١ : ١٣٨٤هـ.
- بهجة الأريب في بيان مافي كتاب الله العزيز من الغريب ، تأليف علاء الدين علي بن عثمان بن ابراهيم الماردييني المعروف بابن التركماني ، تحقيق خالد محمد خميس ، إشراف ومراجعة د/أحمد عبد المجيد هريدي ، القاهرة ، ١٤٢٢ هـ ، ٢٠٠٢ م .
- البيان ،لأبي البركات الأنباري ، ت: د.طه عبد الحميد ، ط : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠م .
- البيان في غريب إعراب القرآن ، لأبي البركات عبد الرحمن بن الأنباري (ت ٥٧٧ هـ) ضبطه : بركات يوسف هبّود ، دار الأرقم – بيروت – لبنان ، ١٤٢١ه .
- تاج العروس من جواهر القاموس ، لأبي الفيض : محمد مرتضى الزبيدي ، دار الهداية .
- تاريخ ابن خَلّكان = وفيات الأعيان وأنباء الزمان .
- تاريخ الأمم والملوك لابن جرير الطبري ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف بمصر ١٩٦١م .
- التاريخ الصغير، للإمام البخاري ، تحقيق محمود إبراهيم زايد ، دار المعرفة ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .
- التاريخ الكبير ، للإمام البخاري : أبي عبدالله محمد إسماعيل إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة الجعفي البخاري ، توزيع دار الباز ، مكة المكرمة .

- تاريخ بغداد ، للخطيب البغدادي : أبي بكر أحمد بن علي ، بيروت ، دار الكتب العلمية .
- تاريخ مدينة دمشق ، لابن عساكر : أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبدالله الشافعي ، تحقيق : محب الدين أبو سعيد عمر بن علامة العمروي ، بيروت ،دار الفكر ، ١٤١٥هـ .
- تأويل مشكل القرآن ، لابن قتيبة ، شرح : السيد أحمد صقر ، بيروت ، المكتبة العلمية ، ط٣ : ١٤٠١هـ/١٩٨١م .
- التبيان في إعراب القرآن = إملاء ما منّ به الرحمن ، لأبي البقاء : عبدالله بن الحسين العكبري ، تحقيق : علي بن محمد البجاوي .
- التحبير شرح التحرير ، للمرداوي علاء الدين أبي الحسن علي بن سليمان الحنبلي ، مكتبة الرشد - السعودية / الرياض - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م ، ط ١ ، تحقيق : د. عبد الرحمن الجبرين، د. عوض القرني، د. أحمد السراح.
- التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور ، دار سحنون للنشر والتوزيع ، تونس .
- تحرير تقريب التهذيب لابن حجر ، تأليف بشار عواد وشعيب الأرنئوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م .
- تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي للإمام الحافظ محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، ضبط ومراجعه وتصحيح عبد الرحمن محمد عثمان .
- تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف للإمام الحافظ جمال الدين أبي الحجاج يوسف بن الزكي عبد الرحمن بن يوسف المزّي ، تحقيق د/عبد الصمد شرف الدين ، إشراف زهير الشاويش ،المكتب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط٢: ١٤٠٣ ه / ١٩٨٣ م .
- تحفة الودود في أحكام المولود ، لابن قيم الجوزية .
- تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري ، للزيلعي جمال الدين أبي محمد عبدالله بن يوسف ، اعتناء : سلطان بن فهد الطبيشي ، دار ابن خزيمة بالرياض ، ط ١ ، ١٤١٤هـ .
- تخريج أحاديث مشكاة المصابيح ، للألباني .
- تخريج فقه السيرة للغزالي ، للألباني .

- تذكرة الأريب في تفسير الغريب ، لأبي الفرج : جمال الدين عبدالرحمن بن علي الجوزي ، تحقيق: د.علي حسين البواب ، الرياض ، مكتبة المعارف ، ط١ : ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م .
- تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر ، لجرجي زيدان ، بيروت ، دار مكتبة الحياة .
- الترجمان في غريب القرآن لأبي المحاسن القرشي اليماني ، تعليق د/يحيى مراد ، دار الكتب العلمية ببيروت ، ط ١ ، ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م .
- التسهيل لعلوم التنزيل ، لابن جُزَيّ : محمد بن أحمد بن جُزَيّ الكلبي ، دار الفكر .
- التعريف والإعلام فيما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام ، لأبي القاسم السهيلي ، تحقيق الأستاذ عبده مهنا ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط ١ ، ١٩٨٧م.
- تغليق التعليق على صحيح البخاري ، لابن حجر العسقلاني ، تحقيق د/ سعيد القزقي ، طبعة المكتب الإسلامي ، بيروت ، دار عمار ، الأردن ، ط ١ ، ١٤٠٥هـ .
- تفسير الجلالين ، للإمامين الجليلين جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي ، مطبوع مع شرحه "الفتوحات الإلهية" لسليمان الجمل .
- تفسير سفيان الثوري ، للإمام أبي عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي ، دار الكتب العلميه ، بيروت ، لبنان ، ط١: ١٤٠٣ ه / ١٩٨٣ م .
- تفسير القرآن الحكيم للسيد محمد رشيد رضا ، تعليق وتصحيح سمير مصطفى رباب ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ، ط ١ ، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م .
- تفسير القرآن العزيز ، لأبي عبدالله محمد بن عبدالله بن أبي زمنين ، تحقيق حسين بن عكاشه ومحمد مصطفى الكنز ، ط١: ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م ، الفاروق الحديثة بالقاهرة .
- تفسير القرآن العظيم ، لابن أبي حاتم ، تحقيق : أسعد محمد الطيب ، مكة المكرمة ، مكتبة نزار الباز ، ط١ : ١٤١٧هـ/١٩٩٧م .
- تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير : إسماعيل بن عمرو بن كثير الدمشقي ، تحقيق : مصطفى السيد محمد و محمد السيد رشاد و آخرون ، دار عالم الكتب، ط١ : ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م .
- تفسير القرآن ، لأبي المظفر السمعاني : منصور بن محمد المروزي ، تحقيق : ياسر بن إبراهيم ، وغنيم عبس غنيم ، الرياض ، دار الوطن ، ط١ : ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.
- تفسير المراغي ، تأليف أحمد مصطفى المراغي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

- تفسير المشكل من غريب القرآن ، لمكي بن أبي طالب القيسي ، تحقيق : د.علي حسين البواب ، الرياض ، مكتبة المعارف ، ١٤٠٦هـ .
- تفسير مقاتل بن سليمان ، دراسه وتحقيق د/ عبدالله محمود شحاته ، مؤسسة التاريخ العربي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ط٢: ١٤٢٣ ه / ٢٠٠٢ م .
- تفسير عبدالرزاق الصنعاني ، تحقيق : د.مصطفى مسلم محمد ، الرياض ، دار الرشد ، ط١ : ١٤١٠هـ .
- تفسير غريب القرآن ، لأبي محمد : عبدالله بن مسلم بن قتيبة ، تحقيق : السيد أحمد صقر ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م .
- تفسير مبهمات القرآن للبلنسي ، للإمام أبي عبدالله محمد بن علي البلنسي ، دراسة و تحقيق د/حنيف بن حسن القاسمي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط١: ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م .
- تقريب التهذيب ، لابن حجر : أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، تحقيق : محمد عوامة ، سوريا ، دار الرشيد ، ط١ : ١٤٠٦هـ .
- تقريب الوصول إلى علم الإصول ، لابن جُزَيّ : محمد بن أحمد بن جُزَيّ الكلبي ، تحقيق : محمد علي فركوس ، ط١ : ١٤١٠هـ/١٩٩٠م .
- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ، لابن عبدالبر : أبي عمر يوسف بن عبدالله بن عبدالبر النمري ، تحقيق : مصطفى أحمد العلوي ، محمد عبدالكبير البكري ، المغرب ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، ١٣٨٧هـ .مكتبة السوادي ، جدة .
- تمييز الطيب من الخبيث ، لأبي الضياء عبدالرحمن بن الديبع الشيباني ..
- التمييز لما أودعه الزمخشري من الإعتزال في تفسير الكتاب العزيز لأبي علي عمر بن محمد السكوني (٧١٧هـ) تحقيق السيد يوسف أحمد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط (١) ، ١٤٢٦ هـ .
- تهذيب الآثار للطبري ، تحقيق : محمود محمد شاكر . مطبعة المدني ، القاهرة ، ١٣٧٥هـ.
- تهذيب الأسماء واللغات ، للنووي : أبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف ، بيروت ، دار الفكر ، ط١ : ١٩٩٦م .

- تهذيب التهذيب ، لابن حجر : أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، بيروت ، دار الفكر ، ط١ : ١٤٠٤هـ .
- تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، للمزي : أبي الحجاج جمال الدين يوسف بن عبدالرحمن ، تحقيق : د.بشار عواد معروف ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ط١ : ١٤٠٠هـ .
- تهذيب اللغة ، للأزهري : أبي منصور محمد بن أحمد ، تحقيق : محمد عوض مرعب ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، ط١ : ٢٠٠١م .
- التوحيد وإثبات صفات الرب عزوجل ، لابن خزيمة : محمد بن إسحاق ، تحقيق : عبدالعزيز الشهوان ، الرياض ، مكتبة الرشد ، ط٥ : ١٤١٤هـ .
- التيسير في القراءات السبع ، للداني : أبي عمرو عثمان بن سعيد ، تصحيح : أوتويرتزل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١: ١٤١٦ هـ /١٩٩٦ م .
- تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان ، تأليف عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، تقديم محمد زهري النجار ، مطبعة المدني ، المؤسسة السعودية بمصر ، القاهرة ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م .
- جامع الأصول في أحاديث الرسول ، للمبارك بن محمد بن الأثير الجزري مجد الدين أبي السعادات (٦٠٦هـ) تحقيق : عبد القادر الأرنؤوط ، مكتبة الحلواني – مطبعة الملاح – مكتبة دار البيان ، ط ١ ، ١٣٨٩ -١٣٩٢هـ.
- الجامع ، للإمام الترمذي : أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي ، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرين ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.
- جامع بيان العلم وفضله وماينبغي في روايته وحمله ، للإمام العلامة أبي عمرو يوسف بن عبد البر النمري القرطبي ، دار الفكر .
- جامع البيان عن تأويل آي القران ، لابن جرير الطبري ، تحقيق : د.عبدالله بن عبدالمحسن التركي، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع ، ط١ : ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.
- جامع البيان عن تأويل آي القران ، لابن جرير الطبري ، تحقيق : محمود شاكر ، الناشر مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، ط(٢) .

- الجامع الصحيح المسند المختصر من أمور الرسول صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه ، للإمام البخاري : أبي عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة الجعفي مولاهم، ترقيم الأستاذ محمد فؤاد عبدالباقي .
- الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي : أبي عبدالله محمد بن أحمد القرطبي ، تحقيق : الدكتور عبدالله ابن عبدالمحسن التركي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط(١) ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م .
- جمهرة أشعار العرب ، لأبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي ، دار الأرقم – بيروت ، تحقيق : عمر فاروق الطباع .
- جمهرة أنساب العرب ، لابن حزم : أبي محمد علي بن حزم الظاهري ، تحقيق : عبدالسلام محمد هارون ، مصر ، دار المعارف ، ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م .
- الجمهرة ، في اللغة لابن دريد : أبي بكر محمد بن الحسن الأزدي ، تحقيق : رمزي منير البعلبكي، بيروت ، دار العلم للملايين ، ط١ : ١٩٨٧م .
- الجواهر الحسان في تفسير القرآن ، تأليف العلامة سيدي عبد الرحمن الثعالبي ، تحقيق وتخريج وتوثيق أبي محمد الغماري الإدريسي الحسني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١: ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م .
- حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ، لأبي عبدالله محمد بن أبي بكر (ابن قيم الجوزيه) ، حققه وعلق عليه علي الشربجي و قاسم النوري ، مؤسسة الرساله ،بيروت ، ط١: ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م .
- حاشية الدسوقي على الشرح الكبير ، لمحمد عرفة الدسوقي ، دار الفكر .
- حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي ، دار إحياء التراث العربي ، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت ، لبنان .
- حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ، دار إحياء الكتب العربية .
- حاشية العدوي على الخرشي على مختصر سيدي خليل ، دار الفكر .
- حجة القراءات ، لابن زنجلة : الإمام أبي زرعه عبدالرحمن بن محمد ، تحقيق وتعليق : سعيد الأفغاني ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٥ : ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م .
- الحجة للقراء السبعة ، لأبي علي الفارسي ، تحقيق بدر الدين قهوجي وبشير جويجاتي ، دار المأمون للتراث .

- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، لجلال الدين : عبدالرحمن السيوطي ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م .
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، لأبي نعيم الأصبهاني : أحمد بن عبدالله الأصبهاني ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، ط٤ : ١٤٠٥هـ .
- حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر ، لعبدالرازق البيطار ، تحقيق : محمد بهجة البيطار ، بيروت ، دار صادر ، ط٢ : ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م .
- الحماسة البصرية ، للبصري ، عالم الكتب ، بيروت .
- الحيوان ، للجاحظ ، تحقيق عبدالسلام هارون ، ط : المجمع العلمي العربي الإسلامي .
- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، لعبدالقادر بن عمر البغدادي ، تحقيق : عبدالسلام محمد هارون ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، ط٣ : ١٩٨٩م .
- الخلاصة في النحو : ألفية ابن مالك ، لابن مالك .
- خلق أفعال العباد ، للإمام البخاري ، مؤسسة الرسالة ١٤٠٤هـ .
- دراسات لأسلوب القرآن الكريم ، لمحمد عبدالخالق عظيمه ، دار الحديث ، القاهرة .
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ، للسمين الحلبي : أحمد بن يوسف ، تحقيق : د.أحمد محمد الخراط ، دمشق ، دار القلم ، ط١ : ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، لجلال الدين : عبدالرحمن السيوطي ، بيروت ، دار الفكر ، ١٩٩٣م .
- درة الحجال في أسماء الرجال ، لابن القاضي : أبي العباس ، أحمد بن محمد المكناسي ، تحقيق : محمد الأحمدي أبوالنور ، تونس ، المكتبة العتيقة ، القاهرة ، دار التراث ، ط١ : ١٣٩٢هـ/١٩٧١م .
- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، لابن حجر : أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، مراقبة : محمد عبدالمعيد خان ، الهند ، مجلس دائرة المعارف العثمانية ، ط٢ : ١٣٩٢هـ .
- دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس (٧٢٨هـ) ، تحقيق د. محمد السيد الجليند ، مؤسسة علوم القرآن سنة النشر ١٤٠٤هـ .

- دلائل النبوة و معرفة أحوال صاحب الشريعه لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، تحقيق وتعليق د/عبدالمعطي قلعجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط ١ : ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .
- الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب ، لإبراهيم بن علي بن فرحون ، بيروت ، دار الكتب العلمية .
- ديوان أوس بن حجر .
- ديوان حاتم الطائي .
- ديوان الحطيئة .
- ديوان الشماخ بن ضرار.
- ديوان الأعشى ، شرح وتعليق : محمد محمد حسين ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ط٧ : ١٩٨٣م .
- ديوان الفرزدق .
- ديوان المتنبي ، دار بيروت ، بيروت ، ١٤٠٣ ه / ١٩٨٣ م .
- ديوان النابغة الذبياني ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، مصر ، دار المعارف ، ١٩٧٧م .
- ديوان الهذليين .
- ديوان امرئ القيس .
- ديوان بشار بن برد .
- ديوان تأبط شرا .
- ديوان جرير بن عطية ، تحقيق : نعمان أمين طه ، مصر ، دار المعرفة ، ط٣ .
- ديوان جميل بن معمر .
- ديوان حاتم الطائي .
- ديوان حسان بن ثابت .
- ديوان ذي الرمة ، شرح : أحمد بن حاتم الباهلي ، رواية : أبي العباس ثعلب ، تحقيق : عبدالقدوس أبي صالح ، بيروت ، مؤسسة الإيمان ، ط١ : ١٩٨٢م .
- ديوان عمر بن أبي ربيعة ، الهيئة المصرية العامة (١٩٧٨م) ، ودار صادر ، ط ١ ، ١٤١٢هـ .
- ديوان عمرو بن معديكرب .

- ديوان عنترة .
- ديوان كثير عزة .
- ديوان لبيد بن ربيعة .
- ذيل وفيات الأعيان للمكناسي .
- الرد على الجهمية ، لابن مندة : محمد بن إسحاق بن مندة ، تحقيق وتعليق : د.علي بن محمد ناصر الفقيهي ، باكستان ، مكتبة الغرباء الأثرية ، ط٣ : ١٤١٤هـ .
- الرسالة ، للشافعي : أبي عبدالله محمد بن إدريس ، تحقيق أحمد شاكر ، القاهرة ، ١٣٥٨هـ .
- الرؤية ، للدارقطني علي بن عمر (٣٨٥ هـ) ، حققه إبراهيم العلي وأحمد الرفاعي ، مكتبة المنار – الأردن ط(١) ، ١٤١١هـ .
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، لمحمود الآلوسي ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي .
- الروح ، لأبي عبدالله بن قيم الجوزيه ،مكتبة المتنبي ، دار العلوم الحديثه ، بيروت ، لبنان .
- الروض المعطار في خبر الأقطار ، لمحمد بن عبدالمنعم الحميري ، تحقيق : د.إحسان عباس ، مكتبة لبنان ، ط١٩٧٥ م .
- روضة المحبين ونزهة المشتاقين لشمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزيه ، دار الكتب العلميه ، بيروت ، لبنان .
- زاد المسير في علم التفسير ، لأبي الفرج : جمال الدين عبدالرحمن بن علي الجوزي ، نشر : زهير الشاويش ، بيروت ، المكتب الإسلامي ، ط٤ : ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .
- زاد المعاد في هدي خير العباد ، لابن القيم : أبي عبدالله ، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي الدمشقي ، تحقيق : شعيب وعبدالقادر الأرنؤوط ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، الكويت ، مكتبة المنار الإسلامية ، ط١٤: ١٤٠٧هـ.
- الزهد ، لهناد بن السري ، تحقيق عبدالرحمن الفريوائي ، دار الخلفاء ، الكويت ، ط ١ ، ١٤٠٦هـ .
- الزهد والرقائق ، لعبدالله بن المبارك ، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٣٨٦هـ .

- زوائد الزهد ، لعبدالله بن الإمام أحمد .
- السبعة ، لأبي بكر بن مجاهد ، تحقيق : شوقي ضيف ، دار المعارف ، ط٢ : ١٤٠٠هـ .
- سلسلة الأحاديث الصحيحه وشيئ من فقهها و فوائدها ، تاليف محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، ط٤ : ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .
- السنة ، لعبدالله بن أحمد بن حنبل ، تحقيق : محمد سعيد سالم القحطاني ، الدمام ، دار ابن القيم، ط١ : ١٤٠٦هـ .
- سنن ابن ماجه ، لأبي عبدالله : محمد بن يزيد بن ماجه القزويني ، تحقيق وترقيم : محمد فؤاد عبدالباقي ، بيروت ، دار الفكر .
- سنن أبي داود ، لأبي داود : سليمان بن الشعث السجستاني الأزدي ، تحقيق : محمد محيي الدين عبدالحميد ، بيروت ، دار الفكر .
- سنن البيهقي = السنن الكبرى .
- سنن الترمذي = الجامع .
- سنن الدارقطني ، لأبي الحسن : علي بن عمر الدارقطني ، بتصحيح وعناية : السيد عبدالله هاشم اليماني المدني ، بيروت ، دار المعرفة ، ١٣٨٧هـ .
- سنن الدارمي ، لأبي محمد : عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي ، تحقيق : فواز أحمد زمرلي ، وخالد السبع العلمي ، دار الكتاب العربي ، ط١ : ١٤٠٧هـ .
- سنن سعيد بن منصور ، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .
- السنن الكبرى ، لأبي عبدالرحمن : أحمد بن شعيب بن علي النسائي ، تحقيق : د.عبدالغفار سليمان البندار ، سيد كسروي حسن ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط١ : ١٤١١هـ .
- السنن الكبرى ، للبيهقي : أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى ، تحقيق : محمد عبدالقادر عطا ، مكة المكرمة ، دار الباز ، ١٤١٤هـ .
- سنن النسائي الصغرى (المجتبى) ، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة ، مكتب المطبوعات الإسلامية ، حلب ، ١٤٠٦هـ ، ط (٢) .

- سير أعلام النبلاء ، للذهبي : أبي عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط، محمد نعيم العرقسوس، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ط٩ : ١٤١٣هـ .
- سيرة ابن إسحاق ، لأبي بكر : محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي ، تحقيق : محمد حميد الله ، معهد الدراسات والأبحاث للتعريب .
- السيرة النبوية ، لابن هشام : عبدالملك بن هشام بن أيوب الحميري ، تحقيق : طه عبدالرءوف سعد ، بيروت ، دار الجيل ، ط١ : ١٤١١هـ .
- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ، لمحمد بن محمد مخلوف ، دار الفكر .
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، لابن العماد : أبي الفلاح عبدالحي بن أحمد بن العماد الحنبلي ، تحقيق : عبدالقادر الأرنؤوط ، ومحمود الأرنؤوط ، دمشق ، دارابن كثير ، ط١ : ١٤٠٦هـ .
- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، لابن عقيل : بهاء الدين عبدالله بن عقيل المصري الهمذاني ، تحقيق : محمد محيي الدين عبدالحميد ، سوريا ، دار الفكر ، ١٤٠٥ هـ .
- شرح أشعار الهذليين ، صنعة أبي سعيد السكري ، تحقيق عبدالستار أحمد فراج ، مكتبة دار العروبة ، القاهرة .
- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب و السنة و إجماع الصحابه والتابعين من بعدهم ، تأليف أبي القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري اللالكائي ، تحقيق الدكتور أحمد سعد حمدان ، دار طيبة ، الرياض .
- شرح التصريح على التوضيح ، تأليف خالد بن عبدالله الأزهري ، دار إحياء الكتب العربية .
- شرح السنة ، للبغوي الحسين بن مسعود (٥١٦هـ) ، تحقيق زهير الشاويش وشعيب الأرناؤوط، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .
- شرح العقيدة الطحاوية ، لعلي بن علي بن أبي العز الحنفي ، بيروت ، المكتب الإسلامي ، ط٤ : ١٣٩١هـ .
- شرح القواعد الفقهية ، تأليف الشيخ أحمد بن الشيخ محمد الزرقا ، دار القلم ، دمشق ، ط٢: ١٤٠٩ ه / ١٩٨٩ م .
- شرح النووي على مسلم ، دار إحياء التراث العربي.

- شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب ، تأليف الإمام عبدالله بن هشام الأنصاري المصري .
- شرح شواهد شرح الشافية ، لعبدالقادر البغدادي ، ملحق بشرح شافية ابن الحاجب للأستراباذي ، تحقيق محمد نور الحسن وآخرين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م .
- شرح طيبة النشر في القراءات العشر ، تأليف شهاب الدين أبي بكر أحمد بن محمد بن الجزري الدمشقي ، ضبط و تعليق الشيخ أنس مهرة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١: ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م .
- شرح الكافية الشافية ، لابن مالك دار المأمون للتراث ، ط ١ ، ١٤٠٢هـ .
- شرح الكوكب المنير ، لمحمد بن أحمد الفتوحي الحنبلي ، تحقيق محمد الزحيلي ونزيه حماد ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠٠هـ .
- شرح مختصر خليل ، للخرشي ، بيروت ، دار الفكر .
- شرح معاني الآثار ، للإمام أحمد بن محمد بن سلامه الأزدي المصري الطحاوي الحنفي ، حققه وعلق عليه محمد زهري النجار ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط٢: ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .
- شرح المفصل ، لابن يعيش ، المطبعة المنيرية .
- شرف أصحاب الحديث ، للخطيب البغدادي ، تحقيق محمد سعيد خطيب أوغلي ، دار إحياء السنة النبوية.
- الشريعة ، لأبي بكر محمد الآجري ، تحقيق : د.عبدالله بن عمر بن سليمان الدميجي ، الرياض ، دار الوطن ، ط٢ : ١٤٢٠هـ .
- شعب الإيمان ، للبيهقي ، ت : محمد السعيد زغلول ، دار الكتب العلمية ، ١٤١٠هـ .
- شعر الكميت بن زيد الأسدي ، جمع د/داود سلوم ، مكتبة الأندلس ، بغداد ١٩٦٩م .
- شعر النابغة الجعدي ، تحقيق : عبدالعزيز رباح ، بيروت ، المكتب الإسلامي ، ط١ : ١٩٦٤م .
- الشعر و الشعراء ، لابن قتيبة ، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٦م .

- شفاء العليل ، لابن القيم : شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزيه ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١: ١٤٠٧ ه / ١٩٨٧ م .
- الشواذ ، لابن خالويه = مختصر في شواذ القراءات.
- الصِحَاح تاج اللغة وصحاح العربية ، تأليف إسماعيل بن حمّاد الجوهري ، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار ، ط٢: ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .
- صحيح ابن حبان = الإحسان .
- صحيح ابن خزيمة ، لأبي بكر : محمد بن إسحاق ، تحقيق وتعليق وتخريج : د.محمد مصطفى الأعظمي ، بيروت ، المكتب الإسلامي ، ط ٢ ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.
- صحيح البخاري = الجامع الصحيح المسند المختصر من أمور الرسول صلى الله عليه وسلم وسنن وأيامه .
- صحيح الترغيب والترهيب ، لمحمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت – دمشق ، ط ١ ، ١٤٠٢هـ /١٩٨٢م.
- صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير) ، لمحمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ،بيروت ، دمشق ، ط٢: ١٤٠٦ هه / ١٩٨٦ م .
- صحيح مسلم ، للإمام مسلم بن الحجاج القشيري ، تحقيق وترقيم : محمد فؤاد عبدالباقي ، لبنان ، دار الفكر ، ط : ١٤٠٣هـ .
- صحيفة علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في تفسير القرآن الكريم ، اعتنى بها : راشد عبدالمنعم الرجّال ، مكتبة السنة ، القاهرة ، ط ١ ، ١٤١١هـ / ١٩٩١م.
- صفوة الصفوة ، لابن الجوزي : أبي الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد ، تحقيق : محمود فاخوري ، ود.محمد رواس قلعة جي ، بيروت ، دار المعرفة ، ط٢ : ١٣٩٩هـ .
- الصواعق المرسلة على الجهمية و المعطلة ، تصنيف الشيخ شمس الدين أبي عبدالله محمد (ابن قيم الجوزية) ، تحقيق و تخريج و تعليق و تقديم د/ على بن محمد الدخيل الله ، دار العاصمة ، الرياض ، النشره الأولى ١٤٠٨ هـ .
- طبقات الحفاظ ، للسيوطي : عبدالرحمن بن أبي بكر ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط١ : ١٤٠٣هـ .

- الطبقات الكبرى ، لابن سعد : أبي عبدالله محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري ، بيروت ، دار صادر .
- طبقات المفسرين ، للسيوطي عبدالرحمن بن أبي بكر (٩١١هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٣هـ
- طبقات المفسرين ، لمحمد بن علي الداودي ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط١ : ١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣م .
- ظلال الجنة في تخريج السنة لابن أبي عاصم ، محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٠هـ .
- عجالة المبتدي وفضالة المنتهي في النسب ، لأبي بكر : محمد بن أبي عثمان الحازمي ، تحقيق : عبدالله كنون ، القاهرة ، الهيئة العامة لشئون المطابع الميرية ، ط٢ : ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م .
- عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين ، تأليف ابن قيم الجوزية ، مؤسسة علوم القران ، دمشق ، بيروت ، مكتبة دار التراث ، المدينة المنورة ، ط١: ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٤ م .
- العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير للشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي ، تحقيق خالد بن عثمان السبت ، إشراف بكر بن عبدالله أبوزيد ، دار عالم الفوائد ، مكه ، ط٢: ١٤٢٦ هـ .
- العرف وأثره في التشريع الإسلامي ، لمصطفى أبو عجيلة ، المنشأة العامة ، طرابلس ، ط ١ ، ١٣٩٥هـ .
- العقوبات ، لابن أبي الدنيا ، تحقيق محمد خير رمضان يوسف ، دار ابن حزم ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٦هـ .
- عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ ، تأليف أحمد بن يوسف بن عبدالدائم المعروف بالسمين الحلبي ،تحقيق محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١: ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م .
- العين ، للفراهيدي : أبي عبدالرحمن الخليل بن أحمد ، تحقيق : د.مهدي المخزومي ، و د.إبراهيم السامرائي ، دار ومكتبة الهلال .
- عيون الأخبار لابن قتيبة الدينوري ، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان .

- غاية النهاية في طبقات القراء ، لابن الجزري : محمد بن محمد بن الجزري ، عني بنشره : ج.برجستراسر ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط١ : ١٣٥١هـ/١٩٣٢م .
- غرائب التفسير وعجائب التأويل ، لمحمود بن حمزة الكرماني ، تحقيق : د.شمان سركان العجلي ، جدة ، دار القبلة ، دمشق ، مؤسسة علوم القرآن ، ط١ : ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .
- غرائب القرآن و رغائب الفرقان ، للقمي نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين النيسابوري ، ضبط وتخريج زكريا عميرات ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١: ١٤١٦هـ / ١٩٩٦ م .
- غريب الحديث لإبراهيم الحربي .
- الفائق في غريب الحديث للزمخشري ، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٩٧١م .
- فتح الباري شر صحيح البخاري ، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، ترقيم : محمد فؤاد عبدالباقي ، وتعليق : عبدالعزيز بن باز ، دار الفكر ، ١٣٧٩هـ .
- فتح البيان في مقاصد القران ، تأليف أبي الطيب صديق بن حسين بن علي ، الحسين القنوجي البخاري ، عني بطبعه و قدم له وراجعه عبدالله بن إبراهيم الأنصاري ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م .
- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، لمحمد بن علي الشوكاني ، تحقيق : د.عبدالرحمن عميرة ، المنصورة ، دار الوفاء ، ط٢ : ١٤١٨هـ/١٩٩٧م .
- فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد ، تأليف عبدالرحمن بن حسن بن محمد آل الشيخ ، تحقيق الدكتور وليد بن عبد الرحمن بن محمد ، توزيع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ، المملكة ، ط٤: ١٤١٩ هـ / ١٩٩٩ م .
- الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية ، تأليف سليمان بن عمر العجيلي الشافعي الشهير بـ (الجمل) ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٥ هـ / ١٤٩٤ م .
- فصول في أصول التفسير ، لمساعد بن سليمان الطيار ، الدمام ، دار ابن الجوزي ، ط٣ : ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م .

- فضائل القرآن ، لأبي عبيد القاسم بن سلام ، تحقيق وهبي سليمان غاوجي ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط ١ ، ١٤١١هـ /١٩٩١م .
- الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المحفوظ "علوم القرآن" ، "القراءات" ، عمّان ، المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية لمؤسسة آل البيت ، ط٢ .
- فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات ، للكتاني : عبدالحي بن عبدالكبير الكتاني ، عناية : د.إحسان عباس ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، ط٢ :١٤٠٢هـ .
- الفوائد المجموعه في الأحاديث الموضوعة ، لشيخ الإسلام محمد علي الشوكاني ، تحقيق : عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان .
- فيض القدير شرح الجامع الصغير ، للعلامة محمد المدعو بعبد الرؤف المناوي ، مؤسسة قرطبة ، توزيع دار إحياء السنة النبوية .
- القاموس المحيط ، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزأبادي ، تحقيق : مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط٢ : ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.
- القدر ، للفريابي ، تحقيق عبدالله المنصور ، أضواء السلف ، الرياض ، ط ١ ، ١٤١٨هـ /١٩٩٧م .
- القراءات الشاذة لابن خالويه .
- القراءة خلف الإمام ، للبيهقي ، تحقيق محمد السعيد بن بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٥هـ .
- القضاء والقدر في ضوء الكتاب و السنة ومذاهب الناس فيه ، تأليف الدكتور عبد الرحمن بن صالح المحمود ، دار النشر الدولي ، الرياض ، ط١: ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م .
- القطع والائتناف ، لأبي جعفر النحاس ، تحقيق : د.أحمد خطاب العمر ، بغداد ، مطبعة العاني ، بغداد ، ط١ : ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م .
- قواعد الترجيح عند المفسرين ، لحسين بن علي الحربي ، الرياض ، دار القاسم ، ط١ : ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م .

- قواعد التفسير جمعاً و دراسة ، لخالد بن عثمان السبت ، دار ابن عفان ، القاهره ، مصر ، ط١: ١٤٢١ هـ .
- القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى ، لمحمد بن صالح بن عثيمين ، دار ابن القيم ومكتبة ابن الجوزي ، الدمام ، ط ١ ، ١٤٠٦هـ .
- قوانين الأحكام الشرعية و مسائل الفروع الفقهية ، لابن جُزيّ .
- الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة ، للذهبي : أبي عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان ، تحقيق : محمد عوامة ، جدة ، دار القبلة للثقافة الإسلامية ، مؤسسة علوم القرآن ، ط١ : ١٤١٣هـ .
- الكافي الشافي ، لابن حجر العسقلاني ، مصورة دار المعرفة ، بيروت .
- الكامل في ضعفاء الرجال ، لعبدالله بن عدي بن عبدالله الجرجاني ، تحقيق : يحيى مختار غزاوي ، بيروت ، دار الفكر ، ط٣ : ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م .
- الكتاب ، لسيبويه : أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، تحقيق : عبدالسلام محمد هارون ، بيروت ، دار الجيل ، ط١ .
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري ، ضبط : محمد عبدالسلام شاهين ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط١ : ١٤١٥هـ/١٩٨٥م .
- كشف المشكلات وإيضاح المعضلات في إعراب القرآن وعلل القراءات ، لنور الدين أبي الحسن : علي بن الحسين الباقولي ، تحقيق : د.عبدالقادر عبدالرحمن السعدي ، عمّان ، دار عمان ، ط١ : ١٤٢١هـ /٢٠٠١م .
- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها ، لمكي بن أبي طالب القيسي ، تحقيق : محيي الدين رمضان ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ط٢ : ١٤٠١هـ/١٩٨١م .
- الكفاية في علم الرواية ، للخطيب البغدادي ، المكتبة العلمية بالمدينة المنورة .
- الكليات ، لأبي البقاء : أيوب بن موسى الكفوي ، تحقيق : عدنان درويش ، ومحمد المصري ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م .

- لباب التأويل في معاني التنزيل ، لعلاء الدين : علي بن محمد الخازن ، ضبط : عبدالسلام محمد شاهين ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط١ : ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م .
- لباب النقول في أسباب النزول ، للسيوطي : جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي ، بيروت ، دار إحياء العلوم .
- لسان العرب ، لابن منظور : أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي ، بيروت ، دار صادر ، ط١ .
- لسان الميزان ، لابن حجر ، منشورات مؤسسة الأعلمي .
- المبسوط في القراءات العشر ، لابن مهران أبي بكر أحمد بن الحسين ، تحقيق سبيع حمزة حاكمي، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق .
- مجاز القرآن ، لأبي عبيدة : معمر بن المثنى ، تعليق : د.محمد فؤاد سزكين / القاهرة ، مكتبة الخانجي .
- المجتبى = سنن النسائي الصغرى .
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ، القاهرة ، دار الريان للتراث ، ١٤٠٧هـ .
- مجمل اللغة لابن فارس أحمد بن فارس بن زكريا (٣٩٥ هـ) ، تحقيق : زهير سلطان ، مؤسسة الرسالة ط(١) ، ١٤٠٤ هـ /١٩٨٤ م .
- مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، جمع وترتيب : عبدالرحمن بن محمد بن قاسم ، المملكة العربية السعودية ، مطبوعات وزارة الشئون الإسلامية والوقاف والدعوة والإرشاد .
- محاسن التأويل ، لجمال الدين القاسمي ، تحقيق : أحمد بن علي ، وحمدي صبح ، القاهرة ، دار الحديث ، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م .
- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ، لأبي الفتح ، عثمان بن جني ، تحقيق : عبدالحليم النجار وآخرين ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية في الجمهورية العربية المتحدة ، ط٢ : ١٣٨٦هـ-١٣٨٩هـ/١٩٦٦م-١٩٦٩م .

- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، لأبي محمد : عبدالحق بن عطية الأندلسي ، تحقيق وتعليق عبدالله بن إبراهيم الأنصاري والسيد عبدالعال إبراهيم ، دار الفكر العربي – دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، الطبعة الثانية .
- المحصول في علم أصول الفقه ، للفخر الرازي : محمد بن عمر بن حسين الرازي ، تحقيق : طه جابر فياض العلواني ، الرياض ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ط١ : ١٤٠٠هـ .
- المحكم والمحيط والأعظم ، لأبي الحسن : علي بن إسماعيل بن سيده المرسي ، تحقيق : عبدالحميد هندراوي ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط١ : ٢٠٠٠ م .
- مختصر في شواذ القراءات ، لابن خالويه : أبي عبدالله الحسين بن أحمد بن خالويه الهمذاني النحوي ، نشر : برجستراسر ، مصر ، المطبعة الرحمانية ، ١٩٣٤م .
- مدارك التنزيل ، للنسفي ، دار الكتاب العربي ، بيروت – لبنان ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.
- مذكرة أصول الفقه ، للشنقيطي ، تقديم عطية محمد سالم ، ١٣٩١هـ ، دار القلم ، بيروت .
- المراسيل ، لأبي داود السجستاني ، تحقيق عبدالعزيز السيروان ، دار القلم ، بيروت ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .
- المراسيل ، لابن أبي حاتم ، تحقيق شكر الله بن نعمة الله قوجاني ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .
- المسائل الاعتزالية في تفسير الكشاف للزمخشري لصالح بن غرم الله الغامدي ، دار الأندلس – حائل – ط (٢) ، ١٤٢٢ هـ .
- المستدرك على الصحيحين ، للحاكم : أبي عبدالله بن عبدالله النيسابوري ، دراسة وتحقيق : مصطفى عبدالقادر عطا ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط١ : ١٤١١هـ .
- مسند أبي داود الطيالسي ، دار المعرفة – بيروت .
- مسند أبي يعلى الموصلي ، لأحمد بن علي بن المثنى ، تحقيق وتخريج : حسين سليم أسد ، دمشق ، دار المامون للتراث ، ط١ : ١٤٠٤هـ .
- مسند ابن أبي شيبة ، دار الوطن – الرياض – ١٩٩٧م ، ط(١) ، تحقيق عادل بن يوسف العزازي وأحمد بن فريد المزيدي .

- المسند ، للإمام أبي عبدالله : أحمد بن حنبل الشيباني ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ط٢ : ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م .
- المسند ، للإمام أبي عبدالله : أحمد بن حنبل الشيباني ، بيروت ، المكتب الإسلامي ، ط(٥) : ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥م .
- مشارق الأنوار على صحاح الآثار ، للقاضي عياض ، المكتبة العتيقة بتونس ، دار التراث بالقاهرة .
- مشاهير علماء نجد وغيرهم ، لعبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ .
- المشتبه في الرجال أسمائهم و أنسابهم للحافظ الذهبي ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، ط الحلبي ١٩٦٢م .
- مشكل إعراب القرآن ، لمكي بن أبي طالب القيسي ، تحقيق : د.حاتم صالح الضامن ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ط٤ : ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .
- مشكل الآثار للطحاوي .
- المصباح المنير لأحمد بن محمد بن علي الفيومي المقرئ ، مكتبة لبنان ، بيروت، لبنان، ١٩٨٧ م .
- المصنف لأبي بكر عبدالله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي ، تحقيق :كمال يوسف الحوت ، الرياض ، مكتبة الرشد ، ط١ : ١٤٠٩هـ .
- المصنف ، للصنعاني : أبي بكر عبدالرزاق بن همام ، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي ، بيروت ، المكتب الإسلامي ، ط٢ : ١٤٠٣هـ .
- المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية ، لابن حجر العسقلاني ، ضبط وإخراج : أيمن أبو يماني وأشرف صلاح ، مؤسسة قرطبة ، القاهرة ، ط ١ ، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.
- المعارف ، لابن قتيبة الدينوري ، تحقيق د/ثروت عكاشة ، دار المعارف ، القاهرة .
- معالم التنزيل ، لأبي محمد: الحسين بن مسعود البغوي ، تحقيق : محمد عبدالله النمر وآخرين ، الرياض ، دار طيبة ، ط١ : ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢ م .
- معاني القرآن الكريم ، لأبي جعفر : أحمد بن محمد النحاس ، تحقيق : محمد علي الصابوني ، مكة المكرمة ، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى ، ط١ : ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .

- معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج : أبي إسحاق إبراهيم بن السري ، تحقيق : د.عبدالجليل عبده شلبي ، بيروت ، عالم الكتب ، ط١ : ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .
- معاني القرآن ، لأبي الحسن سعيد بن مسعدة "الأخفش الوسط" ، تحقيق : د.هدى محمود قراعة ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، ط١ : ١٤١١هـ/١٩٩٠م .
- معاني القرآن ، لأبي زكريا : يحيى بن زياد الفراء ، تحقيق : أحمد يوسف نجاتي ، ومحمد علي النجار ، بيروت ، دار السرور .
- المعاني الكبير في أبيات المعاني ، لابن قتيبة الدينوري ، تحقيق سالم الكَرِنكوَي ، دار النهضة الحديثة ، بيروت .
- معجم الأدباء ، لياقوت بن عبدالله الحموي ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط١ : ١٤١١هـ .
- المعجم الأوسط ، للطبراني : أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب ، تحقيق : طارق بن عوض الله ، وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني ، القاهرة ، دار الحرمين ، ١٤١٥هـ .
- معجم البلدان ، لياقوت الحموي : شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت الحموي الرومي البغدادي ، بيروت ، دار الفكر .
- معجم الشعراء ، للمرزباني ، تحقيق عبد الستارأحمد فراج ، ، دار إحياء الكتب العربية .
- المعجم الكبير ، للطبراني : أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب ، تحقيق : حمدي عبدالمجيد السلفي ، الموصل ، مكتبة العلوم والحكم ، ط٢ : ١٤٠٤هـ .
- معجم متن اللغة ، لأحمد رضا ، مكتبة دار الحياة ، بيروت ١٣٧٧هـ .
- معجم المؤلفين ، لعمر رضا كحالة ، بيروت ، مطبعة المثنى ، ودار إحياء التراث العربي ، ط١٣٧٦هـ/١٩٥٧م .
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم للأستاذ محمد فؤاد عبدالباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .
- المعجم الوسيط ، لمجمع اللغة العربية ، مصر ، دار الدعوة .
- معجم مقاييس اللغة ، لابن فارس : أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، تحقيق : عبدالسلام محمد هارون ، بيروت ، دار الجيل ، ط٢ : ١٤٢٠هـ.

- المُعَرَّب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم ، للجواليقي ، تحقيق أحمد شاكر ، دار الكتب المصرية ، القاهرة .
- معرفة الثقات ، للعجلي : أحمد بن عبدالله بن صالح العجلي ، تحقيق : عبدالعليم عبدالعظيم البستوي ، المدينة المنورة ، مكتبة الدار ، ط١ : ١٤٠٥هـ .
- معرفة السنن والآثار ، للبيهقي ، دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت - ، تحقيق : سيد كسروي حسن .
- المغازي ، لمحمد بن عمر بن واقد الواقدي ، تحقيق محمد عبدالقادر أحمد عطا ، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م ، الطبعة : الأولى .
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، لابن هشام : جمال الدين عبدالله بن يوسف ، تحقيق : محيي الدين عبدالحميد ، صيدا ، المكتبة العصرية ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م.
- مفاتيح الغيب ، لفخر الدين : محمد بن عمر الرازي ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي، ط٤ : ١٤٢٢هـ/٢٠٠١ م .
- مفردات ألفاظ القرآن الكريم ، تأليف العلامه الراغب الأصفهاني ، تحقيق صفوان عدنان داوودي، دار القلم ، دمشق ، الدار الشامية ، بيروت ، ط٣: ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م .
- المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة ، تأليف شمس الدين أبي الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي ، تصحيح وتعليق عبدالله محمد الصديق ، ترجمة وتقديم عبدالوهاب عبداللطيف ، مطبعة المدني ، القاهرة ، ط٢: ١٤١٢ هـ / ١٩٩١ م ، مكتبة الخانجي بالقاهرة .
- مقاييس اللغة = المقاييس في اللغة ، لأحمد بن زكريا بن فارس بن زكريا ، تحقيق عبدالسلام هارون ، دار الجيل ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١١هـ .
- المقتضب ، للمبرد : أبي العباس محمد بن يزيد المبرد ، تحقيق : محمد عبدالخالق عضيمة ، بيروت، عالم الكتب .
- مقدمة في أصول التفسير ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، دار الصحابة للتراث ،طنطا ، ط١ : ١٩٨٨م .

- المكتفى في الوقف و الإبتداء ، لأبي عمرو الداني ، تحقيق : د.يوسف المرعشلي ، ط: مؤسسة الرسالة ١٩٨٤م .
- المنتقى من السنن المسندة عن رسول الله < ، لابن الجارود ، دار القلم ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
- الملل والنحل ، للشهرستاني : محمد بن عبدالكريم بن أحمد ، صححه وعلق عليه الأستاذ أحمد فهمي محمد ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط ٢ ، ١٤١٣هـ /١٩٩٢م .
- منار السبيل في شرح الدليل على مذهب الإمام أحمد بن حنبل ، تأليف الشيخ إبراهيم بن محمد ابن سالم بن ضويان ، تحقيق زهير الشاويش ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، دمشق ، ط٧: ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م .
- المنتخب من مسند عبد بن حميد ، تحقيق مصطفى العدوي ، دار الأرقم ، الكويت ، ط ١ ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .
- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، لابن الجوزي : أبي الفرج ، عبدالرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي ، بيروت ، دار صادر ، ط١ : ١٣٥٨هـ .
- منع جواز المجازفي المترَّل للتعبد والإعجاز ، لمحمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي ، إشراف : بكر بن عبدالله أبو زيد ، مكة المكرمة ، دار عالم الفوائد ، ط١ : ١٤٢٦هـ .
- منهاج السنة النبوية ، لابن تيمية أبي العباس تقي الدين أحمد عبد الحليم ، تحقيق ، د/محمد رشاد سالم ، ط١: ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م .
- المنهاج الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى ، لزين محمد شحاته ، مكتبة العواصم ، دار بلنسية ، الرياض ، ط ١٠ ، ١٤٢٢هـ .
- الموافقات في أصول الشريعة ، لأبي إسحاق الشاطبي : إبراهيم بن موسى الغرناطي ، ضبط وتعليق : عبدالله دراز ، مصر ، المكتبة التجارية .
- مواهب الجليل لشرح مختصر الخليل ، لمحمد بن محمد الحطاب ، الدار البيضاء ، دار الرشاد الحديثة ، ط٣ : ١٤١٢هـ .
- الموسوعة العربية العالمية ، الرياض ، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع ، ط٢ :١٤١٩هـ/١٩٩٩م .

- الموطأ ، للإمام مالك بن أنس ، تحقيق : محمد فؤاد عبدالباقي ، مصر ، دار إحياء التراث .
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، للذهبي : أبي عبدالله ، محمد بن أحمد بن عثمان ، تحقيق : علي محمد معوض ، وعادل أحمد عبدالموجود ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط١ : ١٩٩٥ م .
- الناسخ والمنسوخ في القرآن العزيز ، لأبي عبيد : القاسم بن سلام ، تحقيق : محمد بن صالح المديفر ، الرياض ، مكتبة الرشد ، وشركة الرياض ، ط٢ : ١٤١٨هـ/١٩٩٧م .
- الناسخ والمنسوخ في كتاب الله عز وجل ، لأبي جعفر : أحمد بن محمد النحاس ، تحقيق : د.سليمان بن إبراهيم اللاحم ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ط١ : ١٤١٢هـ/١٩٩١م .
- النبأ العظيم ، د.محمد عبدالله دراز ، اعتنى به : عبدالحميد الدّخاخني ، دار طيبة للنشر ط(١) ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧م.
- نثير الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان ، لأبي الوليد إسماعيل بن الأحمر النصري ، تحقيق : د.محمد رضوان الداية ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ط١ : ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م .
- النحو الوافي مع ربطه بالأساليب الرفيعه والحياه اللغويه المتجدده ، لعباس حسن ، دار المعارف بمصر ، ط٣: ١٩٦٦ م .
- نسب قريش لمصعب بن عبدالله بن المصعب الزبيري (٢٣٦ هـ) ،دار المعارف – القاهرة – ليفي بروفسال .
- نشر البنود على مراقي السعود ، تأليف سيدي عبدالله بن إبراهيم العلوي الشنقيطي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١: ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٨ م .
- النشر في القراءات العشر ، لابن الجزري : محمد بن محمد بن الجزري ، مراجعة : علي محمد الضباع ، مصر المكتبة التجارية .
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام المفسر برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، ط٢: ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ م .
- النظم المتناثر ، للسيوطي .
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، لأحمد بن محمد المقري ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت ، دار صادر ، ١٣٨٨هـ .

- النكت والعيون ، لأبي الحسن : علي بن محمد الماوردي ، تعليق : السيد بن عبدالمقصود بن عبدالرحيم ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط١ : ١٤١٢هـ/١٩٩٢م .
- نهاية الإرب في معرفة أنساب العرب ، لأبي العباس : أحمد القلقشندي ، تحقيق : إبراهيم الأبياري ، بيروت ، دار الكتاب اللبناني ، ط٢ :١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .
- نهاية الأندلس ، لمحمد عبدالله عنان ، ط ٣ ، مطبعة لجنة التأليف ، القاهرة / ١٣٨٦هـ.
- النهاية في غريب الحديث ، لابن الأثير : مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ، تحقيق : محمود الطناحي ، وطاهر الزواوي ، بيروت ، دار الفكر ، ط٢ : ١٣٩٩هـ .
- النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى ، لمحمد الحمود النجدي ، مكتبة الإمام الذهبي ، الكويت ط ٦ ، ١٤٢٥هـ.
- نواسخ القرآن ، لابن الجوزي : أبي الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن علي الجوزي ، تحقيق : محمد أشرف المليباري ، المدينة المنورة ، مطبوعات عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية ، ط٢ : ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م .
- نيل الابتهاج بتطريز الديباج ، لأحمد بابا التنبكتي ، تقديم : عبدالحميد الهرامة ، ليبيا ، من منشورات كلية الدعوة الإسلامية بطرابلس ، ط١ : ١٣٩٨هـ / ١٩٨٩م .
- هدية العارفين بأسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، لمصطفى بن عبدالله الرومي الحنفي ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤١٣هـ .
- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، لأبي الحسن : علي بن أحمد الواحدي ، تحقيق : صفوان بن عدنان داوودي ، بيروت ، الدار الشامية ، ط١ : ١٤١٥هـ / ١٩٨٥م .
- الوسيط في تفسير القرآن المجيد ، لأبي الحسن : علي بن أحمد الواحدي ، تحقيق : عادل أحمد عبدالموجود وآخرين ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط١ : ١٤١٥هـ/١٩٨٤م .
- وضح البرهان في مشكلات القرآن ، لمحمود بن أبي الحسين النيسابوري الغزنوي ، تحقيق صفوان عدنان داوودي ، تقريظ الشيخ الدكتور مصطفى الحسن ، دار القلم ، دمشق ، الدار الشامية ، بيروت ، ط١: ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م .
- وفيات الأعيان وأنباء الزمان ، لابن خَلِّكان : أبي العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر ، تحقيق : د.إحسان عباس ، بيروت ، دار الثقافة ، ط١٩٦٨.

- الوقف والابتداء = القطع والائتناف للنحاس .
- ياقوتة الصراط في تفسير غريب القران ، لأبي عمر محمد بن عبد الواحد البغدادي المعروف بغلام ثعلب ، تحقيق و تقديم د/محمد بن يعقوب التركستاني ، مكتبة العلوم و الحكم ، المدينه المنورة ، ط١: ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م .

المخطوطات والرسائل العلمية

أ- المخطوطات :

- التسهيل لعلوم التنزيل ، لمحمد بن أحمد بن جُزَيّ الكلبي .

١. مصورة محفوظة في مركز الملك فيصل للأبحاث والدراسات الإسلامية برقم (٧٧٥٤) .

٢. الخزانة العامة / الرباط ٣٩/١/٢ [682(D.680)] ــ ٣١٨ و ــ ٧٣٩هـ .

٣. الخزانة العامة / الرباط ٢٥/١/٣ [828(D2311)] ــ ٣٩٤ ص ــ ١٢٠٩هـ .

٤. الخزانة العامة / الرباط ٢/١ [٣٤] .

ب- الرسائل العلمية :

- الإمام ابن جُزَيّ الكلبي وجهوده في التفسير من خلال "التسهيل لعلوم التنزيل"، لعبدالحميد محمد ندا ، رسالة ماجستير في جامعة الأزهر ــ أصول الدين ، ١٩٨٠م ، لدى الباحث نسخة مصورة منها في ٢٩٧ صفحة .
- اختيارات ابن تيمية و ترجيحاته في التفسير لمحمد المسند ، رسالة لنيل الدكتوراة في القرآن وعلومه ، إعداد محمد بن عبد العزيز المسند ، إشراف فضيلة الشيخ أ.د/ ابراهيم بن سليمان الهويمل ، ١٤٢٥ .
- تخريج الأحاديث والآثار في كتاب التسهيل لعلوم التنزيل لابن جُزَيّ الكلبي ، القسم الأول من المقدمة إلى نهاية سورة النور ، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في كلية الدعوة وأصول الدين ، جامعة أم القرى ، إعداد : سامي مساعد الجهني .
- ترجيحات ابن جُزَيّ الكَلبِي في التفسير من خلال كتابه التسهيل لعلوم التنزيل عرضًا ومناقشةً من أول سورة الفاتحة إلى نهاية سورة البقرة ، أطروحة علمية مقدمة لنيل درجة (الدكتوراه) ، لمحمد بن علي بن عبدان الغامدي ، جامعة أم القرى .
- ترجيحات الحافظ ابن كثير – رحمه الله – لمعاني الآيات في تفسيره ، عرضاً ودراسة ، من أول القرآن إلى آخر سورة التوبة ، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في كلية القرآن الكريم ، الجامعة الإسلامية ، إعداد : آدم عثمان علي .

- ترجيحات الحافظ ابن كثير لمعاني الآيات في تفسيره ، عرضاً ودراسة ، من سورة يونس إلى نهاية القرآن ، رسالة مقدمة لنيل الدرجة العالمية العالية (الدكتوراه) في كلية القرآن الكريم ، الجامعة الإسلامية ، إعداد : عبدالله بن عبدالعزيز العواجي .
- قواعد الترجيح عند ابن جُزَيّ في تفسيره ، دراسة تطبيقية ، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في كلية التربية ، جامعة الملك سعود ، إعداد : عبدالله بن حمد الجمعان .

المجلات العلمية

- مجلة الأزهر ، العدد (٥) السنة الثانية والستون (١٤١٠هـ=١٩٨٩م) ، والعدد (١١) السنة الثامنة والستون (١٤١٦هـ=١٩٩٦م) .
- مجلة المجلة – القاهرة –العدد (١٩) – (١٣٧٧هـ=١٩٥٧م) .

البرامج الإلكترونية

- الجامع الكبير لكتب التراث الإسلامي والعربي ، ١٤٢٨-١٤٢٩هـ الإصدار الرابع ، مركز التراث للبرمجيات .
- مصحف المدينة النبوية للنشر الحاسوبي ، موقع "مجمع الملك فهد لطباعة المصحف" ، الإصدار الأول .
- المكتبة الشاملة .
- موقع "إسلام أون لاين" .

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصحيفة
ملخص الرسالة	٢
المقدّمة	٤
التمهيد : تعريف موجز بابن جُزَيّ وكتابه "التسهيل لعلوم التنزيل"	١٤
المبحث الأول : اسمه ونسبه ونسبته وكنيته وشهرته	١٥
المبحث الثاني : مولده ونشأته وحياته العلمية	١٨
المبحث الثالث: شيوخه وتلاميذه ومصنفاته	٢١
المبحث الرابع : وفاته	٢٧
المبحث الخامس : مذهبه	٢٨
المبحث السادس : القيمة العلمية لكتاب "التسهيل لعلوم التنزيل"	٣٢
الباب الأول : منهج ابن جُزَيّ في الترجيح في التفسير	٤٠
الفصل الأول : صيغ الترجيح وأساليبه عند ابن جُزَيّ	٤١
تمهيد : في معنى الترجيح وموجباته	٤٢
المبحث الأول : التنصيص على خطأ القول وبطلانه	٥٥
المبحث الثاني : التنصيص على ضعف القول أو استبعاده	٥٨
المبحث الثالث : تفضيل القول على غيره بصيغة (أفعل) التفضيل	٦١
المبحث الرابع : تقديم القول الراجح على المرجوح في الذكر	٦٧
المبحث الخامس : التنصيص على تصويب القول أو تصحيحه	٧٢
الفصل الثاني : وجوه الترجيح عند ابن جُزَيّ	٧٥
المبحث الأول : الترجيح بالنظائر القرآنية	٧٨
المبحث الثاني : الترجيح بالسنة النبوية	٨٠
المبحث الثالث : الترجيح بقول الجمهور وأكثر المفسرين	٨٣
المبحث الرابع : الترجيح بأقوال الصحابة	٨٥
المبحث الخامس : الترجيح بدلالة اللغة أو الإعراب أو التصريف أو الاشتقاق	٨٨
المبحث السادس : الترجيح بدلالة السياق	٩١
المبحث السابع : الترجيح بدلالة الظاهر	٩٤

المبحث الثامن : الترجيح بتقديم الحقيقة على المجاز	٩٦
المبحث التاسع : الترجيح بتقديم العام على الخاص	٩٩
المبحث العاشر : الترجيح بتقديم الإطلاق على التقييد	١٠١
الباب الثاني : عرضٌ لترجيحات ابن جُزَيّ في تفسيره ومناقشتها من أول سورة الأنعام إلى آخر سورة يوسف	١٠٣
تَرجيحاتُ ابن جُزَيّ في تفسير سورة الأنعام	١٠٤

الآية	المسألة	الصحيفة
٢	١ــ الخلاف في المراد بالأجلين في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ قَضَىٰٓ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ﴾ .	١٠٥
٣	٢- الخلاف في بيان متعلّق الجارّ والمجرور ﴿ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ﴾.	١١١
٦	٣- الخلاف في تفسير القرن وتحديد مدّته .	١١٥
٨	٤- المراد بالأمر المقضيّ في قوله تعالى: وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ .	١٢١
١٢	٥- الخلاف في المحلّ الإعرابي لقوله تعالى :﴿ لَيَجْمَعَنَّكُمْ ﴾ هل هي جملة مستأنفة ؟ أم جملة تفسيرية للرحمة ؟	١٢٤
١٢	٦- معنى ﴿ إِلَىٰ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾.	١٢٧
١٢	٧- الخلاف في إعراب ﴿ ٱلَّذِينَ ﴾ من قوله تعالى :﴿ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ .	١٣٠
١٣	٨- الخلاف في اشتقاق كلمة ﴿ سَكَنَ ﴾ ومعناها.	١٣٥
١٩	٩- الخلاف في معنى قوله تعالى :﴿ وَمَنۢ بَلَغَ ﴾.	١٣٨
٢٠	١٠- الخلاف في إعراب قوله تعالى :﴿ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ﴾	١٤٢
٢٦	١١- الخلاف في عَوْد الضمير المجرور في قوله : ﴿ عَنْهُ ﴾ .	١٤٥
٢٨	١٢- الخلاف في الأمر المَخْفيِّ ، ومَنْ كان يُخْفيه؟ في قوله :﴿ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ﴾.	١٥١

٣١	١٣- الخلاف في عايد ضمير﴿ فِيهَا ﴾ .	١٥٧
٣١	١٤- الخلاف في معنى حمل الأوزار على الظهور في قوله : ﴿ وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ﴾هل المراد به الكناية ؟ أم الحقيقة ؟	١٦١
٣٣	١٥- الخلاف في معنى قراءة ﴿ لَا يُكَذِّبُونَكَ ﴾ بالتخفيف .	١٦٥
٣٨	١٦- الخلاف في المراد بالكتاب في قوله:﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ﴾	١٧١
٤٧	١٧- الخلاف في معنى البغتة والجهرة في قوله ﴿ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً ﴾.	١٧٦
٥٢	١٨- الخلاف في مَرْجع ضمير﴿ حِسَابِهِم ﴾ .	١٨٠
٥٧	١٩- الخلاف في المراد بالشيء الذي استعجلوه في قوله:﴿ مَا عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ ﴾.	١٨٤
٥٩	٢٠- الخلاف في المراد بالكتاب المبين في قوله تعالى : ﴿ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ .	١٨٨
٦٥	٢١- اختلاف أهل التأويل في معنى العذاب الذي توعّد الله به هؤلاء القوم أن يبعثه عليهم من فوقهم أو من تحت أرجلهم.	١٩٥
٧١	٢٢- المراد بالذي استهوته الشياطين.	٢٠١
٧٤	٢٣- التحقيق في اسم أبي إبراهيم عليه السلام.	٢٠٥
٧٦-٧٨	٢٤- الخلاف في وقت محاجّة إبراهيم ـــ عليه الصلاة والسلام ـــ لقومه في الكوكب والقمر والشمس ، وقوله ﴿ هَٰذَا رَبِّى ﴾: هل كان ذلك قبل البلوغ والتكليف ؟ أم بعده ؟ وما وجهه إذن ؟	٢١٣

٨٢	٢٥- الخلاف في قائل هذه الإجابة : هل هو إبراهيم ؟ أم أنها خبر من الله وَفَصْلٌ منه جلَّ وعلا بين إبراهيم وقومه ؟	٢٢١
٨٤	٢٦- الخلاف في عود الضمير في قوله تعالى :﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ ﴾.	٢٢٤
٨٩	٢٧- الخلاف في المراد بالقوم في قوله :﴿ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴾.	٢٢٩
٩١	٢٨- الخلاف في القائلين هذه المقالة : ﴿ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ﴾	٢٣٣
٩٥	٢٩- الخلاف في معنى قوله :﴿ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ﴾.	٢٤١
٩٦	٣٠- الخلاف في معنى قوله تعالى : ﴿ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ ﴾ .	٢٤٤
٩٨	٣١- الخلاف في الاستقرار والاستيداع في قوله:﴿ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ﴾.	٢٤٩
٩٩	٣٢- الخلاف في معنى﴿ دَانِيَةٌ ﴾.	٢٥٦
١٠٠	٣٣- الخلاف في المراد بالجِنَّ في قوله ﴿ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ ﴾.	٢٥٩
١١١	٣٤- الخلاف في معنى ﴿ قُبُلًا ﴾.	٢٦٤
١٢٢	٣٥- هل كلمة " مَثَلُ " لها معنى في قوله :﴿ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ ﴾؟ أم أنها زائدة ؟	٢٦٨
١٢٣	٣٦- الخلاف في إعراب ﴿ مُجْرِيهَا ﴾ .	٢٧١
١٢٨	٣٧- المراد بالأجل الذي بلغوه في قوله ﴿ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ﴾ .	٢٧٥
١٢٩	٣٨- الخلاف في تأويل نُوَلِّي في قوله: ﴿ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا ﴾.	٢٧٧

١٣١	٣٩- الخلاف في معنى قوله ﴿ ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ ﴾ .	٢٨٢
١٣٥	٤٠- الخلاف في المراد بـ ﴿ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ﴾ .	٢٨٦
١٤١	٤١- الخلاف في المراد بالمعروشات وغير المعروشات.	٢٨٩
١٤٢	٤٢- الخلاف في المراد بالحمولة والفرش .	٢٩٢
١٤٦	٤٣- الخلاف في معنى ﴿ ٱلْحَوَايَآ ﴾.	٣٠٠
١٤٦	٤٤- الخلاف في مفرد ﴿ ٱلْحَوَايَآ ﴾ ووزنها .	٣٠٣
١٤٦	٤٥- علام عُطِفَتْ ﴿ ٱلْحَوَايَآ ﴾ ؟ وما حكمها إذن ؟	٣٠٧
١٥١	٤٦- الخلاف في إعراب " أَنْ" و " لا" من قوله : ﴿ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾.	٣١٢
١٥٤	٤٧- الخلاف في معنى قوله تعالى : ﴿ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ ﴾ ، ومن المراد بالذي أحسن ؟	٣٢٠
١٥٩	٤٨- الخلاف في المراد بالذين فرقوا دينهم وكانوا شيعًا ؟	٣٢٥
١٦٥	٤٩- لمن الخطاب في قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ ﴾ ؟	٣٣٠
	تَرجيحاتُ ابن جُزَيّ في تفسير سورة الأعراف	٣٣٣
الآية	**المسألة**	**الصحيفة**
٢	١- الخلاف في المراد بالحرج في قوله ﴿ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ ﴾.	٣٣٤

٥	٢- الخلاف في المراد بـــ ﴿ دَعْوَىٰهُمْ ﴾.	٣٤١
١٦	٣- الخلاف في معنى (ما) في قوله: ﴿ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى ﴾.	٣٤٤
٢٦	٤- الخلاف في معنى ﴿ أَنزَلْنَا ﴾ من قوله : ﴿ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ﴾.	٣٤٧
٢٩	٥- الخلاف في المراد بقوله : ﴿ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ هل المقصود المكان ؟ أم الزمان ؟	٣٥١
٣١	٦- الخلاف في معنى الإسراف المنهي عنه في قوله: ﴿ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ﴾ .	٣٥٥
٤٠	٧- الخلاف في معنى قوله : ﴿ لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ ﴾ .	٣٥٨
٤٦	٨- الخلاف في عايد ضمير ﴿ وَبَيْنَهُمَا ﴾.	٣٦٣
٤٦	٩- الخلاف في المراد بالأعراف.	٣٦٦
٤٦	١٠- الخلاف في المراد بـــ أصحاب الأعراف المذكورين في قوله تعالى : ﴿ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ ﴾.	٣٧١
٤٩	١١- الخلاف في القائل : ﴿ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ ﴾، ومَن المشارُ إليه ؟	٣٧٥
٧٩	١٢- متى تولى عنهم : قبل نزول العذاب ؟ أم بعد هلاكهم ؟	٣٧٨
١١١	١٣- الخلاف في معنى قوله : ﴿ أَرْجِهْ ﴾.	٣٨٢
١٣٣	١٤- الخلاف في المراد بالطوفان المرسل على فرعون وقومه .	٣٨٥
١٣٧	١٥- الخلاف في معنى ﴿ يَعْرِشُونَ ﴾ واشتقاقها .	٣٨٨
١٤٥	١٦- الخلاف في المراد بـــ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ .	٣٩٣
١٤٦	١٧- ما المراد بالصرف عن آيات الله ؟	٣٩٩
١٥٠	١٨- الخلاف في معنى ﴿ أَسِفًا ﴾.	٤٠٢
١٥٥	١٩- الخلاف في سبب الرجفة التي أخذتهم .	٤٠٧
١٥٥	٢٠- هل الرجفةُ كانت رَجْفَةَ مَوْتٍ أو إغْماءٍ ؟	٤١١
١٥٦	٢١- هل قوله تعالى : ﴿ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ﴾ يراد به	٤١٤

	أصحاب الرجفة ؟ أم هو على العموم ؟	
١٦٠	٢٢- الخلاف في إعراب ﴿ أَسْبَاطًا ﴾ .	٤١٦
١٦٥- ١٦٦	٢٣- الخلاف في العذاب البئيس الذي أخذ الذين ظلموا هل هو المسْخُ ؟ أم غيره ؟	٤٢٣
١٦٩	٢٤- من المراد بالخَلْف ؟ أهم اليهود أم النصارى ؟	٤٢٤
١٧٢- ١٧٤	٢٥- الخلاف في معنى أَخْذِ الذريّة ، وإشهادِهم المذكور.	٤٢٧
=	٢٦- الخلاف في القائل : ﴿ شَهِدْنَآ ﴾ من قوله تعالى : ﴿ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴾.	٤٤١
١٧٥- ١٧٦	٢٧- الخلاف في الذي آتاه الله آياته فانسلخ منها .. من هو ؟	٤٤٤
=	٢٨- الخلاف في المراد بالآيات التي آتاه الله إياها فانسلخ منها.	٤٥١
=	٢٩- هل المراد بقوله تعالى : ﴿ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ﴾ التمثيل أم الحقيقة ؟	٤٥٣
١٨٠	٣٠- هل قوله تعالى : ﴿ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِيٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ﴾ منسوخ أم أنه محكم ؟	٤٥٦
=	٣١- ما معنى الإلحاد في أسماء الله ؟	٤٥٨
١٨٤	٣٢- هل الأَوْلَى أن يوصل قوله : ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ ﴾بما بعده فيكون معمولُه هو قولَه :﴿ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ﴾؟ أم الأَوْلَى أن يوقف عليه ويكون قولُه : ﴿ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ﴾ خبرًا استئنافيًّا؟	٤٦٢
١٨٧	٣٣- الخلاف في معنى ثِقَلِ الساعة في السماوت والأرض.	٤٦٦
=	٣٤ – الخلاف في معنى قوله تعالى : ﴿ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا ﴾ .	٤٧٠
١٨٨	٣٥- هل قوله تعالى : ﴿ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ ﴾ معطوف على ما قبله أم هو استئناف ؟وما تفسير ﴿ ٱلسُّوٓءُ ﴾؟	٤٧٤
=	٣٦- هل قوله تعالى : ﴿ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ يتعلّق بقوله : ﴿ نَذِيرٌ	٤٧٧

	﴿ وَبَشِيرٌ ﴾ ؟ أم يتعلّق بـــ﴿ بَشِيرٌ ﴾ وحدها ؟	
١٨٩-١٩٠	٣٧- من المقصود بقوله تعالى : ﴿ مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ ؟	٤٨١
=	٣٨- الخلاف في معنى الحمل الخَفيف .	٤٨٣
=	٣٩- الخلاف في تفسير قوله تعالى : ﴿ جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ﴾	٤٨٦
١٩٩	٤٠- الخلاف في معنى قوله تعالى : ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ ﴾.	٤٩٥
=	٤١- الخلاف في المراد بالعُرف.	٥٠٠
=	٤٢- خلاف أهل التأويل في قوله تعالى : ﴿ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ بين الإحكام والنسخ .	٥٠٣
٢٠٢	٤٣- بِمَ يتعلق الجار والمجرور ﴿ فِى ٱلْغَىِّ ﴾ ؟	٥٠٦
٢٠٣	٤٤- الخلاف في معنى قوله تعالى : ﴿ ٱجْتَبَيْتَهَا ﴾.	٥٠٩
٢٠٤	٤٥- الخلاف في الإنصات المأمور به في قوله تعالى : ﴿ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ ﴾.	٥١٣
٢٠٥	٤٦- الخلاف في المراد بـــ الغدوّ والآصال .	٥١٩
	تَرجيحاتُ ابن جُزَيّ في تفسير سورة الأنفال	٥٢٢
الآية	**المسألة**	**الصحيفة**
١	١- الخلاف في معنى الأنفال .	٥٢٣
=	٢- ما معنى ﴿ ذَاتَ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾؟	٥٣٠
٥	٣- الخلاف في موضع الكاف من قوله تعالى : ﴿ كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ ﴾ .	٥٣٤
٩	٤- الخلاف في موقع ﴿ إِذْ ﴾ في قوله تعالى :﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ ﴾	٥٣٩
١٢	٥- الخلاف في معنى ﴿ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ ﴾ .	٥٤٣
=	٦- الخلاف في المراد بالبنان في قوله تعالى : ﴿ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ .	٥٤٩
١٦	٧- الخلاف في إعراب ﴿ مُتَحَرِّفًا ﴾.	٥٥٣

١٩	٨- لمن الخطاب في قوله :﴿ إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ﴾ الآية ؟هل الخطاب لكفار قريش ؟ أم للمؤمنين ؟	٥٥٦
٣٢	٩- الخلاف في قائل هذه المقالة ﴿ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ ﴾ الآية.	٥٦١
٣٣	١٠- الخلاف في عائد الضمائر في قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ هل تعود كلها على الكفار ؟	٥٦٤
٢٦	١١- الخلاف فيمَ نزلت الآية الكريمة ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾	٥٦٩
٣٧	١٢- الخلاف في المراد الخبيث والطيب في قوله تعالى :﴿ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ﴾ .	٥٧٣
٤٢	١٣- الخلاف في المراد بالهلاك والحياة بين الحقيقة والمجاز .	٥٧٦
٤٩	١٤- الخلاف في المراد بالمنافقين في قوله تعالى : ﴿ إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾هل هم منافقوا المدينة ؟ أم الذين كانوا مع الكفار بمكة ؟	٥٧٩
٥٠	١٥- الخلاف في المراد بالأدبار في قوله : ﴿ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴾ .	٥٨٢
٦٠	١٦- الخلاف في المراد بالآخرين في قوله تعالى : ﴿ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ﴾ .	٥٨٥
٦٤	١٧- الخلاف في معنى قوله تعالى : ﴿ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ ﴾ .	٥٩٠
٦٨	١٨- الخلاف في المعنى المراد بالكتاب الذي سبق من الله .	٥٩٧
٧٢	١٩- الخلاف في الولاية بين المهاجرين والأنصار ، هل هي ولاية التعاون والتناصر ؟ أم هي ولاية الميراث ؟	٦٠٢
٧٥	٢٠- الخلاف في المراد بـــ كِتَٰبِ ٱللَّهِ المذكور في قوله : ﴿ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾.	٦٠٨

تَرجيحاتُ ابن جُزَيّ في تفسير سورة التوبة		٦١١
الآية	**المسألة**	**الصحيفة**
٣	١- الخلاف في يوم الحج الأكبر ، أَيُّ يومٍ هو؟	٦١٢
٨	٢- الخلاف في تفسير "الإلّ" والمراد به في قوله تعالى: ﴿ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ﴾.	٦٢١
١٢	٣- مَنْ هم أئمة الكفر في قوله تعالى : ﴿ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ﴾؟	٦٢٥
١٤	٤- الخلاف في المراد بالقوم المؤمنين في قوله تعالى : ﴿ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴾	٦٢٨
١٧	٥- الخلاف في معنى شهادة المشركين على أنفسهم بالكفر.	٦٣١
٢٣	٦- الخلاف فيمن نزلت هذه الآية : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ ﴾ .	٦٣٣
٢٥	٧- الخلاف في إعراب ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ﴾ .	٦٣٥
٢٩	٨- الخلاف في تأويل قوله تعالى : ﴿ عَن يَدٍ ﴾ بين الحقيقة والكناية	٦٣٩
٣٠	٩- اختلاف أهل التأويل في القائل : ﴿ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴾ .	٦٤٢
٣٤	١٠- الخلاف في عائد الضمير في قوله تعالى : ﴿ وَلَا يُنفِقُونَهَا ﴾ .	٦٤٦
٣٦	١١- الخلاف في المراد بـ كِتَٰبِ ٱللَّهِ في قوله تعالى : ﴿ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾.	٦٥١
٣٦	١٢- الخلاف في عائد الضمير في قوله : ﴿ فِيهِنَّ ﴾ من قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ﴾ .	٦٥٥
٤٠	١٣- الخلاف في عائد الضمير في قوله : ﴿ عَلَيْهِ ﴾ من قوله تعالى : ﴿ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ ﴾.	٦٥٨
٤٣	١٤- الخلاف في معنى قوله تعالى : ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ ﴾	٦٦٥

٥٨	١٥- الخلاف فيمن نزل فيه قول الله تعالى : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾الآية .	٦٦٩
٦٠	١٦- الخلاف في المراد بـــ المؤلفة قلوبهم .	٦٧٢
٦٣	١٧- الخلاف في إعراب ﴿ فَأَبَىٰ لَهُۥ ﴾ .	٦٧٦
٦٤	١٨- الخلاف في عائد الضمائر في ﴿ عَلَيْهِمْ ﴾ و ﴿ نُنَبِّئُهُم ﴾ و ﴿ قُلُوبِهِمْ ﴾.	٦٨١
٦٩	١٩- الخلاف في معنى ﴿ ٱلَّذِى ﴾ من قوله تعالى :﴿ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓاْ ﴾ .	٦٨٤
٧٤	٢٠- فيمن نزلت هذه الآية : ﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ ﴾ .	٦٨٨
٧٤	٢١- مالمراد بالهمّ بما لم ينلْه ؟ في قوله تعالى : ﴿ وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْ ﴾ .	٦٩١
٨٠	٢٢- الخلاف في معنى قوله تعالى :﴿ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾ .	٦٩٤
٨١	٢٣- الخلاف في معنى ﴿ خِلَٰفَ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ ﴾ .	٦٩٨
٨٢	٢٤- الخلاف في معنى أمرهم بالضحك القليل والبكاء الكثير.	٧٠٣
٨٦	٢٥- الخلاف في المراد بالسورة في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ﴾ الآية .	٧٠٦
٩١	٢٦- الخلاف في المراد بالضعفاء المنفي عنهم الحرج في الآية .	٧٠٨
١٠١	٢٧- الخلاف في عذاب المنافقين المرّة الأولى في قوله تعالى : ﴿ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ﴾ .	٧١٢
١٠٤	٢٨- الخلاف في عائد الضمير في﴿ يَعْلَمُوٓاْ ﴾.	٧١٦
١٠٩	٢٩- الخلاف في عاقبة مَسْجِد الضّرَار .	٧١٩
١١٣	٣٠- الخلاف في سبب نزول قوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ	٧٢٤

	﴿ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ .	
١١٨	٣١- الخلاف في معنى ﴿ خُلِّفُواْ ﴾.	٧٣١
١٢٢	٣٢- الخلاف في النَّفْر الذي كَرِهَهُ اللهُ لجميع المؤمنين في قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةٗ ﴾ .	٧٣٥
١٢٧	٣٣- الخلاف في وَجْهِ نظر بعض المنافقين إلى بعض عند نزول سورة من القرآن .	٧٤٠
	تَرجيحاتُ ابن جُزَيّ في تفسير سورة يونس	٧٤٢
الآية	**المسألة**	**الصحيفة**
٩	١- الخلاف في محلّ الهداية في قوله تعالى : ﴿ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡ ﴾ هل هو في الدنيا إلى الاستقامة ؟ أم في الآخرة إلى الجنة ؟	٧٤٣
١١	٢- الخلاف فيمن نزلت هذه الآية : ﴿ وَلَوۡ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسۡتِعۡجَالَهُم بِٱلۡخَيۡرِ لَقُضِيَ إِلَيۡهِمۡ أَجَلُهُمۡ ﴾ .	٧٤٧
٢٥	٣- الخلاف في تسمية دار السلام بذلك .	٧٥٢
٢٦	٤- الخلاف في تفسير ﴿ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞ ﴾.	٧٥٥
٤٠	٥- هل قوله تعالى : ﴿ وَمِنۡهُم مَّن يُؤۡمِنُ بِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن لَّا يُؤۡمِنُ بِهِۦ ﴾ إخبارٌ عن المستقبل ؟ أم إخبار عن الحال ؟	٧٦٤
٥٣	٦- عن أي شيء الاستنباء في قوله تعالى : ﴿ وَيَسۡتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ﴾	٧٦٦
٥٤	٧- الخلاف في معنى كلمة ﴿ وَأَسَرُّواْ ﴾ .	٧٦٩
٥٨	٨- الخلاف في المراد بالفضل والرحمة .	٧٧٣
٦١	٩- الخلاف في عائد الضمير في قوله ﴿ مِنۡهُ ﴾ من قوله تعالى :﴿ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ ﴾ .	٧٧٧
٦٤	١٠- الخلاف في تفسير بشرى الدنيا في قوله تعالى : ﴿ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾ .	٧٨٠
٦٦	١١- الخلاف في (مَا) مِنْ قوله تعالى : ﴿ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ	٧٨٨

	مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ ﴾ هل هي نافية ؟ أم استفهامية	
٧٧	١٢- ﴿ أَسِحْرٌ هَٰذَا ﴾ هل هو من كلام قوم فرعون ؟ أم من كلام موسى عليه السلام ؟	٧٩١
٨٣	١٣- الخلاف في عايد الضمير في قوله تعالى : ﴿ مِّن قَوْمِهِۦ ﴾	٧٩٥
٨٣	١٤- الخلاف في عايد ضمير ﴿ وَمَلَإِيْهِمْ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ ﴾ .	٨٠٠
٨٧	١٥- الخلاف في معنى ﴿ قِبْلَةً ﴾ من قوله تعالى : ﴿ وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً ﴾ .	٨٠٤
٨٧	١٦- لمن الأمر بالتبشير في قوله تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾	٨٠٩
٨٨	١٧- الاختلاف في معنى "اللام" التي في قوله تعالى : لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ .	٨١١
٩٢	١٨- الخلاف في معنى ﴿ نُنَجِّيكَ ﴾	٨١٧
٩٢	١٩- الخلاف في معنى "البدن"في قوله تعالى : ﴿ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ ﴾	٨٢٠
٩٤	٢٠- الخلاف في المراد بقوله : ﴿ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ﴾	٨٢٤
٩٤	٢١- من المراد بالذين يقرؤن الكتاب من قبل النبي < ؟	٨٢٧
٩٩	٢٢- الخلاف في معنى قوله تعالى : ﴿ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾ . وهل الآية منسوخة بالسيف ؟	٨٢٩
	تَرجيحاتُ ابن جُزَيّ في تفسير سورة هود	٨٣٢
الآية	**المسألة**	**الصحيفة**
٣	١- الخلاف في المراد بالمتاع الحسن في قوله تعالى : ﴿ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ .	٨٣٣
٥	٢- الخلاف في معنى قوله تعالى : ﴿ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا	٨٣٦

	﴿ يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ ، وما العامل في ﴿ حِينَ ﴾ ؟	
٩-١٠	٣- الخلاف في المراد بالإنسان في قوله تعالى : ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ ﴾.	٨٤٠
١٤	٤- مَن المخاطِبُ ومن المخاطَبُ في قوله تعالى : ﴿ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ ﴾ ؟	٨٤٤
١٥-١٦	٥- الخلاف فيمن نزلت هذه الآية الكريمة : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا ﴾الآية .	٨٤٧
١٧	٦- الخلاف في المراد بالشاهد في قوله تعالى : ﴿ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ ﴾ .	٨٥١
٢٤	٧- الخلاف في معنى المثل في قوله تعالى : ﴿ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ ﴾ .	٨٥٧
٢٧	٨- الخلاف في إعراب (بادي الرأي) في قوله تعالى : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ ﴾ .	٨٦١
٣٥	٩- الخلاف في عائد ضمير ﴿ يَقُولُونَ ﴾ و ﴿ افْتَرَىٰهُ ﴾ في قوله تعالى :﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰهُ ﴾ الآية .	٨٦٤
٤٠	١٠- الخلاف في المراد بالتنور في قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ ﴾.	٨٦٨
٤٦	١١- الخلاف في معنى قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ﴾ .	٨٧٢
٤٦	١٢- الخلاف في عائد الضمير في قوله : ﴿ إِنَّهُ ﴾ من قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ﴾ .	٨٧٩
٤٨	١٣- الخلاف في معنى (مِنْ) في قوله تعالى :﴿ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ﴾ هل هي ابتدائية أم بيانية ؟	٨٨٥
٦١	١٤- الخلاف في معنى ﴿ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ .	٨٨٨

٦٢	١٥- الخلاف في معنى ﴿ مَرْجُوًّا ﴾ من قوله تعالى : ﴿ قَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ ﴾ .	٨٩١
٧١	١٦- الخلاف في معنى ﴿ فَضَحِكَتْ ﴾.	٨٩٣
٨١	١٧- الخلاف في معنى الالتفات في قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ ﴾ .	٨٩٩
٨٢-٨٣	١٨- الخلاف في علامة الحجارة التي أُمْطِرَ بها قومُ لُوطٍ . في قوله تعالى : ﴿ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ﴾	٩٠١
٨٢-٨٣	١٩- الخلاف في عائد الضمير ﴿ هِىَ ﴾ والمراد بالظالمين في قوله تعالى : ﴿ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾ .	٩٠٤
٩١	٢٠- الخلاف في معنى ﴿ ضَعِيفًا ﴾ من قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ﴾ .	٩٠٨
١٠٥	٢١- الخلاف في فاعل ﴿ يَأْتِ ﴾ ، عَلاَمَ يعود ؟	٩١٣
١٠٦	٢٢- الخلاف في معنى الزفير والشهيق في قوله تعالى : ﴿ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴾ .	٩١٦
١١٣	٢٣- المراد بالظالمين في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ ﴾.	٩١٩
١١٦	٢٤- هل الاستثناء منقطع أم متصل ؟ في قوله تعالى : ﴿ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ﴾ .	٩٢١
	تَرجيحاتُ ابن جُزَيّ في تفسير سورة يوسف	٩٢٥
الآية	**المسألة**	**الصحيفة**
٦	١- الخلاف في المراد بتأويل الأحاديث في قوله تعالى :﴿ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ﴾.	٩٢٦
٧	٢- الخلاف في المراد بالسائلين .	٩٣٠

١٥	٣- الخلاف في تقدير جواب لَمَّا في قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ ﴾ الآية .	٩٣٣
١٥	٤- الخلاف في عائد ضمير ﴿ إِلَيْهِ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا ﴾الآية .	٩٣٧
١٧	٥- الخلاف في معنى قوله : ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴾ .	٩٣٩
١٩	٦- الخلاف في السيَّارةِ ، من هم ؟	٩٤٢
١٩	٧- الخلاف في معنى قوله : ﴿ يَٰبُشْرَىٰ ﴾ ، ومن المُنادَى ؟	٩٤٤
٢٠	٨- الخلاف في عائد الضمير المرفوع في قوله : ﴿ وَشَرَوْهُ ﴾ .	٩٤٩
٢٠	٩- الخلاف في معنى البَخْسِ في قوله تعالى : ﴿ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ ﴾ .	٩٥٤
٢١	١٠- الخلاف في عائد الضمير في قوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ ﴾ .	٩٥٨
٢٤	١١- الخلاف في معنى قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ﴾.	٩٦١
٣٠	١٢- الخلاف في معنى ﴿ شَغَفَهَا ﴾ من قوله تعالى : ﴿ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ﴾ .	٩٨٠
٣١	١٣- الخلاف في معنى ﴿ مُتَّكَـًٔا ﴾ .	٩٨٤
٣١	١٤- الخلاف في معنى ﴿ أَكْبَرْنَهُۥ ﴾ من قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ ﴾	٩٩٢
٣٧	١٥- الخلاف في قوله : ﴿ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ﴾ هل هو من الإخبار بالغيب ؟ أم من تعبير الرؤيا؟	٩٩٧
٤٣	١٦- من هو الملك المذكور في قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ ﴾ الآية ؟	١٠٠٠
٤٤	١٧- الخلاف في المراد بالأحلام في قوله تعالى : ﴿ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ	١٠٠٣

	﴿ بِعَٰلِمِينَ ﴾ .	
٦٢	١٨- الخلاف في عائد ضمير ﴿ يَعۡرِفُونَهَآ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ لَعَلَّهُمۡ يَعۡرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمۡ ﴾ .	١٠٠٦
٧٠	١٩- كيف جاز ليوسف – عليه السلام – أن يجعل السقاية في رحل أخيه ، ثم يُسَرِّقُ قومًا أبرياء من السَّرِقة ، ويقول : ﴿ أَيَّتُهَا ٱلۡعِيرُ إِنَّكُمۡ لَسَٰرِقُونَ ﴾ ؟	١٠٠٨
٨٠	٢٠- الخلاف في إعراب (مَا) من قوله تعالى : ﴿ وَمِن قَبۡلُ مَا فَرَّطتُمۡ فِي يُوسُفَ ﴾ .	١٠١١
٨١	٢١- الخلاف في القائل : ﴿ ٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمۡ ﴾ الآية . هل هو كبيرهم أم يوسف ؟	١٠١٥
٨١	٢٢- الخلاف في معنى قوله تعالى : ﴿ وَمَا كُنَّا لِلۡغَيۡبِ حَٰفِظِينَ ﴾	١٠١٧
٨٢	٢٣- الخلاف في قوله تعالى : ﴿ وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ ﴾ بين المجاز والحقيقة .	١٠٢٠
٨٨	٢٤- الخلاف في المراد بالبضاعة المزجاة .	١٠٢٦
٩٠	٢٥- الخلاف في مَعْنَى ﴿ يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ ﴾ .	١٠٣٢
٩٢	٢٦- الخلاف في الوقف على ﴿ ٱلۡيَوۡمَ ﴾ من قوله تعالى : ﴿ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ﴾ .	١٠٣٤
٩٣	٢٧- الخلاف في القميص لمن هو ؟	١٠٣٩
٩٤	٢٨- الخلاف في معنى ﴿ تُفَنِّدُونِ ﴾ .	١٠٤١
٩٩	٢٩- الخلاف في المراد بأبويه في قوله تعالى : ﴿ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ ﴾ .	١٠٤٥
١٠٠	٣٠- اختلاف أهل العلم في قدر المدّة التي كانت بين رؤيا يوسف وبين تأويلها .	١٠٤٨
١٠١	٣١- قوله : ﴿ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا ﴾ هل هو دعاء بالموت ؟ أم دعاء بالوفاة على الإسلام ؟	١٠٥٠
١٠٣	٣٢- الخلاف في المراد بالناس في قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ	١٠٥٣

	﴿ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ .	
١٠٦	٣٣- الخلاف فيمن نزل قول الله تعالى : ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ .	١٠٥٥
١٠٨	٣٤- الخلاف في إعراب ﴿ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ .	١٠٥٩
١١٠	٣٥- الخلاف في المراد باستيئاس الرسل ، مِمَّ هو ؟ في قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ ﴾ .	١٠٦١
الخاتمة		١٠٦٥
ملحق تراجم الأعلام		١٠٦٧
الفهارس العامة		١١٢٠

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم الكتاب والسنة
شعبة التفسير وعلوم القرآن

ترجيحات ابن جُزَيّ في التفسير

من خلال كتابه : (التسهيل لعلوم التنزيل)

من أول سورة الرعد إلى نهاية سورة القصص

عرضاً ومناقشة

رسالة علمية مقدمة لنيل درجة (الدكتوراه)

إعداد الطالبة
هناء عبد الله سليمان أبوداود
الرقم الجامعي : **42770074**

إشراف فضيلة الشيخ : الأستاذ الدكتور
عبد العزيز عزت بن عبد الحكيم الوايلي
أستاذ التفسير وعلوم القرآن بجامعة أم القرى

العام الجامعي : ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م

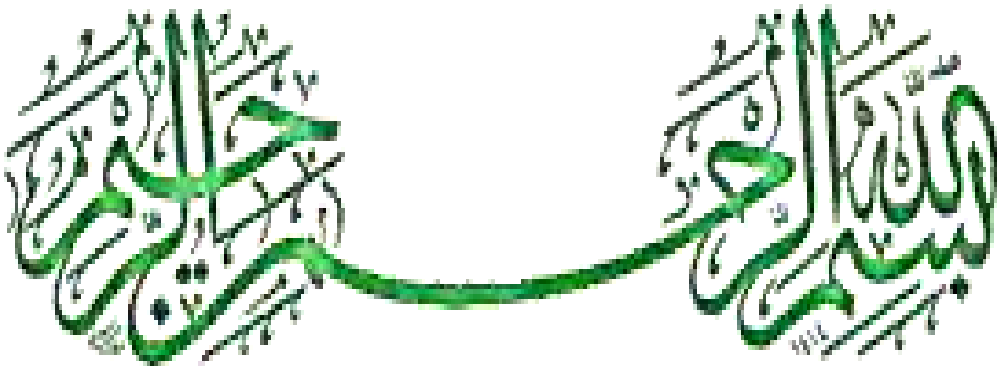
بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص الرسالة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسَّلام على سيِّد الخلق أجمعين ، نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين .

أمَّا بعد : فإنَّ رسالة : **ترجيحات ابن جُزيّ في التفسير من خلال كتابه : (التسهيل لعلوم التنزيل) من أول سورة الرعد إلى آخر سورة القصص ، عرضاً ومناقشة**

رسالة علمية مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الكتاب والسُّنة ، شعبة التفسير وعلوم القرآن ، من الباحثة : **هناء عبد الله سليمان أبو داود .**

إن هذه الرسالة حلقة من ضمن حلقات متصلة تناولت تفسير ابن جُزيّ رحمه الله (التسهيل لعلوم التنزيل) من حيث حصر الآيات التي تضمنت ترجيحاً لقول أو معنى اختلف أهل التفسير في بيانه ، ومن ثمَّ عرض الأدلة النقلية والعقلية لكل قول ومناقشته ، وترجيح القول الراجح بعد ذلك ، فهو بحث يضمُّ خلاصة ما اختلف فيه المفسرون بطريقة علمية تبين للقارئ مراد الله في الآية – بقدر الطاقة البشرية – ، وتوفر عليه عناء البحث في أمهات كتب التفاسير ليصل إليه معنى الآية بصورة موجزة مقننة تقوم على الأدلة الصحيحة بإذن الله ، وقد كان أملي أن أغوص في كتب التفاسير ؛ استروح من عبير شذى الآيات ، وأتنقل بين واحتها الغنَّاء فأقطف من ثمارها وأهتدي بهداها ، سائلة المولى القدير أن يفتح لي من أسراره ، وأن ينور به طريقي ، وأن أكون قد وُفِّقت لإنجاز ذلك ، ولا أدعي الكمال ، فالكمال لله ، ولكني حاولت جهدي ما استطعت .

وخطتي في البحث تشتمل على مقدمة وقسمين وخاتمة وفهارس عامة ، ذكرت في المقدمة سبب اختياري للموضوع ، وأهميته ، ومنهجي الذي اتبعته في البحث .

واقتضت طبيعة البحث أن يقسم إلى قسمين رئيسين هما :

القسم الأول : التعريف بابن جُزيّ بإيجاز ، وكتابه : (التسهيل) ، ومنهجه في الترجيح .

القسم الثاني : عرض ترجيحات ابن جُزيّ في التفسير ومناقشتها بالتفصيل ؛ من أول سورة الرَّعد إلى نهاية سورة القصص ، حسب ترتيب المصحف .

هذا وقد اتضح لي من خلال هذا البحث عدة أمور ، من أبرزها :

١. ظهر لي من خلال البحث أن ابن جُزيّ رحمه الله تعالى يعتقد معتقد أهل السنة والجماعة في الغالب ، بل ويدافع عن بعض القضايا التي خالف فيها بعض الطوائف .
٢. تَقَدُّم ابن جُزيّ رحمه الله وتميزه في شتى الفنون والعلوم ، فقد كان إماماً في اللغة نحواً وصرفاً وإعراباً ، ملماً بأقوال أهل العلم من السلف في تأويل القرآن الكريم وبيان معانيه .

٣. إن كتاب : (التسهيل لعلوم التنزيل) لابن جُزيّ على صغر حجمه يعتبر كنزاً ثميناً جمع من الفوائد والنكات العلمية ما تكلُّ عنه الكتب الكبيرة ؛ فهو عصارة لأقوال المفسرين ، وفيه من فنون العلم ما تقرُّ به أعين القارئين والمطالعين ، وقد تميز بسمات تدل على التعمق والتفنن والتمكن من المعارف المختلفة .

وأخيراً ذيَّلت الرسالة بأهم الفهارس العلمية ، وصلى الله على نبيِّنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلم ،،،،،

Thesis Summary

The thesis **"Preponderances of Ibn Juzai in the interpretation through his book (Al Tasheel Li Oloum Al Tanzeel) from the beginning of Sorat "Alraad" to end of Sorat "Alqasas" Tender & Discussion"** is a scientific Thesis that provided in order to obtain the Doctorate Degree in the Holy Quran and Al Sunna, Interpretation and Holy Quran Sciences Section, that introduced by the Researcher:
Hanaa Abdullah Suleiman Abo Dawoud.

This Thesis is a serial from a connecting serials that searched in Ibn Juzai Interpretation "Al Tasheel Li Oloum Al Tanzeel" in respect of computing the Verses that including a preponderance for a saying"or a meaning that interpreters differentiated in explaining it , thereupon providing the mental and material evidences for per saying and discussion overbalancing the preponderant saying after that, so it a search for what the interpreters differentiated in scientifically that declares to the reader what the Almighty Allah wants in the Verse – according to the human capacity – and that saves the searching efforts in the grand Interpretation books to get the meaning of the Verse briefly and exactly that based on the correct evidences, so my hoped to dig interpretation books so that pick the meanings and follow the straightway, asking Almighty Allah to help me in my Search, knowing that the Perfection is For Allah bur I did my best.
My Plan in Research includes Introduction, Two sections, Conclusion and Indexes. I mentioned in Introduction the cause of my choice of the Topic, its Importance and the method that I followed in this Research.
The nature of the Research includes Introduction,Two section, Conclusion and Indexes.
I mentioned in the Introduction the cause of my choice of the Topic,its Important and the method that I followed in the Research.
The nature of the Research required to divide it into two sections:
First Section: Definition of Ibn Juzai Briefly, his book "Al Tasheel" and his method in Preponderance.
Second Section: Providing the Preponderances of Ibn Juzai in the interpretation and discussing them in details, from the beginning of

Sorat "AlRaad" to the end of Sorat " Alqasas" according to the Holy Quran arrangement .

It is declared to me through this Research some points that are:

- ✍ Ibn Juzai often believes as the Sunnites, moreover, he defends some Causes that he infringes some people in.

- ✍ Mastering of Ibn Juzai in all arts and sciences, he was master in Language Sciences (Syntax, Morphology and Analysis) and he was conversant the sayings of scientist in Interpretation of the Holy Quran and Declaring its Meanings from the predecessors.

- ✍ In spite of the small size of " Al Tasheel Li Oloum Al Tanzeel" for Ibn Juzai, it is a valuable treasure that full of the scientific profits and advantages that may fill the huge books, it is the essence of Interpreters Saying, full of science arts that pleases every reader and it is distinguished with many features that showed its thorough study , diversity and command of various sciences.

  Finally, I indexed the Thesis with most important Scientific Indexes. And the Blessings and Prayers of Allah may upon the prophet Mohammed.

مُقَدِّمَة

الحمد لله الكريم المنان ، ذي الطول والإنعام ، أحمده شاكر ةً طائعةً ، وأعبده صاغر ةً خاضعةً وأؤمن بربوبيته مخلصةً موحدةً ، وأوقن بالمعاد مصدق ةً معتقدةً ، وأشهد أن لا إله إلا الله أنشأ الإنسان من عدم ، وعلَّمه ما لم يعلم ، وجعل أمَّة حبيبه ﷺ خير الأمم ، من استقام على هدي كتابه أفلح وغنم ، ومن ضلَّ خسر وندم .. وأشهد أن محمداً ﷺ عبده ورسوله ، خير البريَّة ، ومعلِّم البشرية ، نشهد أنك يا رسول الله قد أدَّيت الأمانة ووفَّيت ، ونصحت الأمَّة وبلَّغت ، وعلَّمت كل خير فالعلم سلاح ونور ، وهدى وبرهان .

وقد قيل [1] :

ما الفخرُ إلاّ لأهلِ العلمِ إنّهمُ ... على الهدى لمن استهدى أدلاّءُ
وقدرُ كلِّ امرئٍ ما كانَ يحسنُه ... والجاهلـــونَ لأهلِ العلمِ أعداءُ
ففزْ بعلمٍ تعشْ حيـــاً به أبداً ... الناسُ موتى وأهلُ العلمِ أحياءُ

أما بعد :

فإن خير الهدى هدى الله ، وخير جليس كتاب الله ، من تمسَّك به نجا وفاز ، ومن هجره ضلَّ وانحاز . قال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾ ﴾ [2] ؛ ومن رام الشرف والعزة والرفعة في الدنيا والآخرة فليقبل على كتاب الله تلاوة وتدبراً وفهماً وعملاً ، لأن العلم يشرف بشرف واضعه ، وواضع كتاب الله هو الخالق لكل شيء ، خالق الإنسان وخالق روحه ، والروح تحيا بذكر خالقها وموجدها ، وتسعد بالأوبة إلى منشيها ومبدعها ، فإن ابتغت العزة بغيره ذلَّت واستوحشت .

---

(١) نسبه محمد بن محمد الغزالي (ت ٥٠٥ هـ) في إحياء علوم الدين (١ / ٧) لعلي بن أبي طالب ﷺ .
(٢) سورة الأعراف : ١٧٠ .

وإن العلوم وإن كانت تتعاظم شرفاً فلا مرية في أن علم التفسير رابط عقدها ، فهو أشرف العلوم ذكراً ، وأرفعها قدراً ، وأعظمها أجراً ، وأجلها خطراً ، ولا أبالغ إن قلت أن تعلم آية من كتاب الله قد يجمع فنوناً كثيرة وعلوماً متنوعة ، من الفقه ، والحديث ، والنحو ، والبلاغة ، والفلك وغيرها من العلوم .

إن تعلم كتاب الله غاية عظمى ؛ فمن وفقه الله لذلك كان من أعظم الخير . قال تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ... ﴾ [1] . وقال ﷺ : « خَيْرُكُمْ من تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ » [2] . فالمقبل على كتاب الله كان من خير أمَّة محمَّد ﷺ ؛ أسأل الله أن يكرمني من فضله ويجعلني منهم ، وأن يرزقني الإخلاص والقبول .

وإن أفضل ما يتسابق إليه المتسابقون ، مدارسة كتاب الله ، فهو خير ما صرفت إليه الهمم ، وأعظم ما نطق به لسان ، ومُدَّ به قلم ، فقد أنزله الله على نبيه محمد ﷺ بأحسن بيانٍ وأجمل عبارةٍ وأبلغ دلالةٍ وهدايةٍ ، غير أن الغاية العظمى من إنزاله هي تدبُّره ، والعمل بمقتضى أحكامه وشريعته والاعتبار بقصصه وأخباره ، والاستنارة بتوجيهاته وهداياته ، والتفكر في آياته ومعانيه ، فهو كتاب هذه الأمة المباركة في ماضيها وحاضرها ومستقبلها ، وهو السبيل إلى عزها ونصرها وسموها .

وقد ندب الله تعالى خلقه إلى فهمه وتدبر معانيه ، فقال عز من قائل : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ اخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [3] .

وقد أدرك المسلمون كبير فضل الله عليهم ، فأفنوا الأعمار واجتهدوا في خدمة دين الله ، وتبليغ رسالته ، ودراسة كتابه المجيد .

---

(١) سورة آل عمران : ١١٠ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن ،بَاب خَيْرُكُمْ من تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ (٤٧٣٩) : ٤ / ١٩١٩ .

(٣) سورة النساء : ٨٢ .

ولقد كانت أمنية في نفسي أن أغوص في تفاسير القرآن العظيم ، أفتح سِفْراً وأغلق آخر ، أطالع أقوال أئمة أهل التفسير ، وأتملل فرحاً بمعرفة مراد الله في كتابه – بقدر الطاقة البشرية في ذلك – ، وأعرف أصحَّ الأقوال وأولاها بالقبول في تفسير كتاب الله تعالى ، واستقي من المعين الصافي شربة هنيئة تحيا بها روحي ، وأزداد علماً وأثري بذلك المكتبة التفسيرية بما تعلمت .

وكان أن يسَّر الله لي بفضله وجوده ما تمنيت ، وأثناء بحثي وسؤالي وجدت موضوعاً عن الترجيحات لمفسر من المفسرين فوقع اختياري عليه بعد أن استخرت الله تعالى ، واستشرت بعض المشائخ الفضلاء ، وكان الموضوع بعنوان :

ترجيحات ابن جُزيّ في التفسير

من خلال كتابه : (التسهيل لعلوم التنزيل)

من أول سورة الرعد إلى نهاية سورة القصص

عرضاً ومناقشة

فالله ﷻ أسأل أن يوفقني ويسدد خطاي .

أسباب اختياري للموضوع :

أسباب عديدة دفعتني لاختيار هذا الموضوع ، ومنها :

أولاً : الرغبة الملحة في قراءة هذا التفسير الصغير في حجمه ؛ الغني في نفعه ، المليء بالعلوم الكثيرة والنكت العجيبة والفوائد الغريبة – كما نصَّ على ذلك ابن جُزيّ في مقدمته [1] – ، الأمر الذي أكسبه مكانة علمية بين التفاسير .

ثانياً : أهمية الموضوع : لدراسة الترجيحات ومعرفة الأقوال الراجحة في تفسير الآيات أهمية في التفسير من وجوه :

---

(١) مقدمة التسهيل لعلوم التنزيل لابن جُزيّ الكلبي : ١ / ٣ .

✓ **الوجه الأول** : أن تحقيق أقوال المفسرين ، والتمييز بينها ، ومعرفة مراتبها من مقاصد علم التفسير . وقد نص على ذلك بعض المفسرين ، ومنهم مفسِّرنا (ابن جُزيّ الكلبي) فقد وضحت فكرة الترجيح في ذهنه ، ووضع منهجاً للترجيح يرتسم في المصطلحات التي وضعها وأساليبه التي انتهجها في الترجيح [(١)] ، وذكر في مقدمة تفسيره أن من مقاصد تصنيفه : تحقيق أقوال المفسرين السقيم منها والصحيح وتمييز الراجح من المرجوح . قال مبيِّناً وجه هذه المقصد : ((وذلك أن أقوال الناس على مراتب ، فمنها الصَّحيح الذي يعول عليه ، ومنها الباطل الذي لا يلتفت إليه ، ومنها ما يحتمل الصحة والفساد ، ثم إن هذا الاحتمال قد يكون متساوياً أو متفاوتاً ، والتفاوت قد يكون قليلاً أو كثيراً)) . اهـ [(٢)] .

وهذا الذي ذكره ابن جُزيّ لا يتحقق ولا يعلم إلا بدراسة مواضع الخلاف وتحقيق مراتب الأقوال ، وبيان مترلتها . وهذا من أهم مقاصد تحصيل العلم الشرعي ، لذا كان الاشتغال به من المهمات على طالب العلم .

✓ **الوجه الثاني** : أن دراسة الترجيحات وبيان الراجح من الأقوال والروايات يعدّ أحسن طرق حكاية الخلاف . قال شيخ الإسلام **ابن تيمية** تعليقاً على قول الله تعالى : ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۬ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ ﴾[(٣)] ، بعد أن بيّن أنها اشتملت على الأدب في هذا المقام – – مقام حكاية الخلاف – :

" فهذا أحسن ما يكون فى حكاية الخلاف أن تستوعب الأقوال فى ذلك المقام ، وأن ينبه على الصحيح منها ، ويبطل الباطل ، وتذكر فائدة الخلاف وثمرته لئلا يطول النزاع والخلاف فيما لا فائدة تحته ؛ فيشتغل به عن الأهمِّ ، فأما من حكى خلافاً فى مسألة ، و لم يستوعب أقوال الناس فيها فهو ناقص ؛ إذ قد يكون الصواب فى الذى تركه ، أو يحكى الخلاف ويطلقه ولا ينبه على الصَّحيح من الأقوال فهو ناقص أيضاً ، فإن صحَّح غير الصَّحيح عامداً فقد تعمَّد الكذب ، أو جاهلاً فقد أخطأ ، كذلك من نصب الخلاف فيما لا فائدة تحته ، أو حكى أقوالاً متعددة لفظاً

---

(١) سيأتي لاحقاً مبحث كامل في القسم الأول من هذا البحث يتحدث عن مصطلحات ابن جُزيّ وأساليبه في الترجيح .
(٢) مقدمة التسهيل : ١ / ٣ .
(٣) سورة الكهف : ٢٢ .

ويرجع حاصلها إلى قول أو قولين معنى فقد ضيع الزمان وتكثر بما ليس بصحيح ؛ فهو كلابس ثوبي زور [1] " . اهـ [2] .

✓ **الوجه الثالث** : دراسة مواضع الخلاف في التفسير ، وبيان الصحيح من الأقوال وتحديد الراجح منها هو السبيل الأمثل لتنقية كتب التفسير من رديء الأقاويل ، وضعيف الروايات ، وشواذ المسائل . وهذه التنقية من أهم ما ينبغي أن يعتني به أهل العلم المتخصصون ؛ حتى يقوموا بواجب النصح للمسلمين ، بتعليمهم معاني كلام الله تعالى على الوجه الأكمل .

ولمـــّا كان أن ترجيح القول الأقوى معنى ، والأفصح لفظاً ، والأكثر دلالة على المقصود من الأقوال المقبولة في تفسير الآيات يفيد في حمل كلام الله ﷻ على أكمل الوجوه .

ومما للترجيح أهمية كبيرة فيه : تصنيف التفاسير المختصرة التي تدعو الحاجة والمصلحة إلى الاقتصار فيها على قول واحد ؛ فلا شك أن معرفة مراتب الأقوال تفيد في هذا الباب كثيراً لأنها تعين المصنف على ترجيح أفضل الأقوال في تفسيره .

✓ **الوجه الرابع** : من الفوائد المهمة لدراسة الترجيحات في التفسير أنها تُكسب الباحث خبرة بكتب التفسير ، وتعطيه قدرة على سبر أقوال أهل العلم ، وفهمها ومناقشتها ، ومن ثم الترجيح بينها ، كما يعطيه ملكة تفسيرية يكتسبها من خلال دراسته لأقوال العلماء وأدلتهم ؛ فيتعرف بذلك على قيمة كل كتاب ، وميزات كل تفسير . كما أن ذلك يفيد في معرفة مراتب المفسرين من حيث مكانتهم في التفسير ، وقيمة ترجيحاتهم .

---

(١) ثبت في صحيح البخاري في كتاب النِّكاح ، بَاب الْمُتَشَبِّعِ بِمَا لم يَنَلْ وما يُنْهَى من افْتِخَارِ الضَّرَّةِ (٤٩٢١) : ٥ / ٢٠٠١ ، وأخرج مسلم بمثله في صحيحه في كتاب الإيمان ، بَاب بَيَانِ الْكَبَائِرِ وَأَكْبَرِهَا (٢١٣٠) : ٣ / ١٦٨١ عن أسماء – رضي الله عنها – جواباً لامرأة سألت النبي ﷺ : إِنَّ لِي ضَرَّةً فَهَلْ عَلَيَّ جُنَاحٌ أَنْ أَتَشَبَّعَ من مَالِ زَوْجِي بِمَا لم يُعْطِنِي ؟ فقال رسول اللَّهِ ﷺ : « الْمُتَشَبِّعُ بِمَا لم يُعْطَ كَلَابِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ » .

(٢)كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية لأحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني ، أبو العباس : ١٣ / ٣٦٨ .

وابن تيمية هو : أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني ، شيخ الإسلام ، أبو العباس ، إمام مجدد ، وعالم نحرير برع في شتى الفنون والعلوم ، كان ذكيا ، قوي الحفظ ، سريع الإدراك ، ت سنة ٧٢٨ هـــ . ينظر : تذكرة الحفاظ لمحمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨ هـــ) : ٤ / ١٩٢ ، طبقات الحفاظ لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (٩١١ هـــ) : ٥١٦ ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب لعبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد الحنبلي العكري (ت ١٠٨٩ هـــ) : ٨ / ١٤٢ .

ثالثاً : يمثل هذا الموضوع لوناً من ألوان التفسير ، وهو المسمى بـــ (التفسير المقارن) الذي يعرض النصوص والآراء ، ويوازن بينها ، ويبين الراجح من المرجوح .

رابعاً : إن مما اعتنى العلماء ببيانه ، والتأليف فيه : تأصيل قواعد الترجيح [1] ، وهذه الدراسة تعتبر تطبيقاً لتلك القواعد .

خامساً : إن هذه الدراسة تتيح للباحث الوقوف على كثير من كتب التفسير ، والحديث ، والفقه والأصول ، واللغة تبعاً لتنوع المسائل التي يعرض لها ابن جُزيّ ، مما يكسب الطالب توسعاً في العلوم المتنوعة .

سادساً : لما كان ابن جُزيّ رحمه الله يعتبر من المفسرين المتأخرين نوعاً ما ؛ فإن هذا قد أتاح له فرصة اطلاعه على كتب سابقيه وسبرها وجمع أقوال المفسرين ؛ وهذا يعطي قارئ كتاب التسهيل فكرة عما سبق من أقوال كتب التفسير قبله .

سابعاً : بيان مدى موافقته أو مخالفته لمن سبقه من المفسرين في تفسيره للآيات .

وغيرها من الأسباب التي تظهر في ثنايا هذا البحث .

حدود البحث :

من خلال العنوان يتضح أن البحث حدد بستة حدود ، وهي :

---

(١) من ذلك : **مقدمة في أصول التفسير** لشيخ الإسلام **ابن تيمية** ، وشرحه الشيخ ابن عثيمين رحمه الله ، **والقواعد الحسان لتفسير القرآن** للشيخ عبد الرحمن بن ناصر **السعدي** رحمه الله ، **وقواعد الترجيح** عند المفسرين (دراسة نظرية تطبيقية) للدكتور/ **حسين بن علي الحربي** (رئيس قسم الدراسات القرآنية في كلية المعلمين في جازان) ، رسالة ماجستير بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ج ٢ ، ط ١ ، عام ١٤١٧ هـــ - ١٩٩٦م ، **وقواعد التفسير** جمعاً ودراسة للدكتور / **خالد بن عثمان السبت** ، ج ٢ ، ط . د ، **وقواعد الترجيح المتعلقة بالنص عند ابن عاشور** في تفسيره التحرير والتنوير للدكتورة / **عبير بن عبد الله النعيم** ، رسالة دكتوراه ، بجامعة الملك سعود ، عام ١٤٢٨ هـــ - ١٤٢٩ هـــ .

وقد استفدت من بعض هذه الكتب فائدة كبيرة في الترجيح .

الحد الأول : ترجيحات : فلا يدخل في هذا البحث إلا ما صرّح ابن جُزيّ بترجيحه ، إما بلفظ صريح ، أو بأسلوب يفهم منه الترجيح .

الحد الثاني : ابن جُزيّ : فلا يدخل في البحث ترجيحات غيره ، ما لم يكن لابن جُزيّ ترجيح .

الحد الثالث : في التفسير : فلا يدخل في صلب الموضوع ما اختلف فيه أهل العلم مما ليس له أثر في معنى الآية ، وإن رجح فيه ؛ كالخلاف في القراءات التي لا تؤثر في المعنى [(١)] ، والخلاف في اللغة والإعراب مما لا تأثير فيه في المعنى .. ونحو ذلك .

الحد الرابع : من أول سورة الرعد إلى نهاية سورة القصص : فلا يدخل فيه غيره من سور القرآن .

الحد الخامس : من خلال كتابه : (التسهيل في علوم التنزيل) : فلا يدخل في هذا البحث ما اختاره ابن جُزيّ في تفسير القرآن الكريم في كتبه الأخرى غير هذا الكتاب .

الحد السادس : عرضاً ومناقشة : يتمثل في عرض ترجيحات ابن جُزيّ ودراستها ومناقشتها مناقشة علمية ، مع بيان القول الراجح مدعماً بالأدلة النقلية والعقلية .

مصطلحات البحث :

اقتصرت في هذه الخطة على بعض المصطلحات البارزة ، مكتفية بالمعنى الاصطلاحي فقط .

القاعدة :

الأمرُ الكليُّ الذي ينطبق على جزئيات كثيرة تفهم أحكامها منها [(٢)] .

---

(١) أشار العلماء أن للقراءات حالتين :
إحداهما : لا تعلق لها بالتفسير بحال ؛ كالاختلاف بينهم في وجوه النطق بالحروف والحركات ، كمقادير المد ، والإمالات ، والتخفيف ، والتسهيل ، والتحقيق ، والهمس .. ونحو ذلك .
والثانية : لها تعلق به من جهات متفاوتة ؛ كاختلاف القراء في حروف الكلمات ، واختلاف الحركات .. ونحو ذلك مما يؤثر في المعنى . ينظر : التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور (ت١٣٩٣ هـ) : ١ / ٥١ - ٥٥ .

(٢) شرح الكوكب المنير المسمَّى (مختصر التحرير) أو (المختبر المبتكر شرح المختصر في أصول الفقه) لمحمد بن أحمد بن

قواعد الترجيح :

ضـــوابط وأمور أغلبية يُتوصل بها إلى معرفة الراجح من الأقوال المختلفة في تفسير كتاب الله [١] .

القراءات المتواترة :

التواتر في اصطلاح القرَّاء : هي القراءة التي نقلها جمع لا يمكن تواطؤهم على الكذب عن مثلهم من أول السند إلى منتهاه [٢] .

السِّياق :

هو مجموع السِّباق واللِّحاق في الآية [٣] .

النظم :

هو تأليف الكلمات والجمل مرتبة المعاني ، متناسبة الدلالات ، على حسب ما يقتضيه العقل . وقيل : الألفاظ المترتبة المسوقة المعتبرة دلالاتها على ما يقتضيه العقل [٤] .

خطة البحث :

اقتضت طبيعة الموضوع أن يكون على مقدمة وقسمين وخاتمة وفهارس :

عبد العزيز بن علي الفتوحي الحنبلي المعروف بابن النجار (ت ٩٧٢ هـــ) : ١ / ٣٠ .

(١) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٣٩ . وينظر : فصول في أصول التفسير للدكتور / مساعد بن سليمان الطيار : ٩٨ .

(٢) ينظر : الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـــ) : ١ / ٢٠٨ .

(٣) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ١٢٦ .

(٤) ينظر : التعريفات لعلي بن محمد الجرجاني (ت ٨١٦ هـــ) : ٣١٠ .

أما المقدمة : ففيها التنويه بالقرآن الكريم ، وبيان فضله ، وأسباب اختيار الموضوع ، وحدود البحث ، والتعريف ببعض المصطلحات الواردة في الرسالة ، وخطة البحث ، ومنهج كتابته ، ثم أخيراً شكر وتقدير ودعاء .

القسم الأول : التعريف بابن جُزيّ ، وكتابه : (التسهيل) ، ومنهجه في الترجيح .

وفيه بابان :

الباب الأول : التعريف بابن جُزيّ بإيجاز :

وفيه فصلان :

الفصل الأول : حياة ابن جُزيّ الشخصية بإيجاز : وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : اسمه ونسبه ، وكنيته وشهرته .

المبحث الثاني : مولده ، ونشأته .

المبحث الثالث : معتقده ومذهبه .

الفصل الثاني : حياة ابن جُزيّ العلمية بإيجاز : وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : نشأته ومكانته العلمية .

المبحث الثاني : أشهر شيوخه وتلاميذه .

المبحث الثالث : آثاره ، مصنفاته ، وفاته .

الباب الثاني : التعريف بكتاب التسهيل ومنهج ابن جُزيّ في الترجيح :

وفيه فصلان :

الفصل الأول : التعريف بكتاب : (التسهيل لعلوم التنزيل) ، وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : القيمة العلمية للكتاب .

المبحث الثاني : نسخ الكتاب وطبعاته .

المبحث الثالث : منهج المصنف في كتابه .

الفصل الثاني : منهج ابن جُزيّ في الترجيح ، وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : تعريف الترجيح وبيان موجباته عند ابن جُزيّ .

المبحث الثاني : مصطلحات الترجيح وأساليبه في تفسير ابن جُزيّ .

المبحث الثالث : وجوه الترجيح عند ابن جُزيّ .

القسم الثاني : عرض المسائل التي فيها ترجيح لابن جُزيّ في التفسير، مرتبة حسب سور القرآن الكريم ، من أول سورة الرعد إلى نهاية سورة القصص .

١. المسائل الترجيحية في سورة : الرعد .

٢. المسائل الترجيحية في سورة : إبراهيم عليه السلام .

٣. المسائل الترجيحية في سورة : الحجر .

٤. المسائل الترجيحية في سورة : النحل .

٥. المسائل الترجيحية في سورة : الإسراء .

٦. المسائل الترجيحية في سورة : الكهف .

٧. المسائل الترجيحية في سورة : مريم – عليها السَّلام – .

٨. المسائل الترجيحية في سورة : طه .

٩. المسائل الترجيحية في سورة : الأنبياء .

١٠. المسائل الترجيحية في سورة : الحج .

١١. المسائل الترجيحية في سورة : المؤمنون .

١٢. المسائل الترجيحية في سورة : النُّور .

١٣. المسائل الترجيحية في سورة : الفرقان .

١٤. المسائل الترجيحية في سورة : الشعراء .

١٥. المسائل الترجيحية في سورة : النَّمل .

١٦. المسائل الترجيحية في سورة : القصص .

الخاتمة : وفيها أهم ما توصلت إليه من نتائج من خلال البحث .

الفهارس : وإتماماً للفائدة ، ولتسهيل الاستفادة من محتويات الرسالة وضعت عدة فهارس عامة ، وهي :

١. فهرس الآيات القرآنية الكريمة .
٢. فهرس الأحاديث النبوية الشريفة .
٣. فهرس الآثار عن الصحابة ﷺ والتابعين .
٤. فهرس الأعلام المترجم لهم في الرسالة .
٥. فهرس الغريب والمصطلحات العلمية .
٦. فهرس الأماكن والبلدان .
٧. فهرس الشواهد الشعرية .
٨. فهرس المصادر والمراجع .
٩. فهرس الموضوعات .

منهج البحث :

أولاً : ما يتعلق بالقسم الأول – الترجمة ووجوه ومصطلحات الترجيح وأساليبه في تفسير ابن جُزيّ – فمنهجي فيه كالتالي :

١. أورد ترجمة موجزة لابن جُزيّ الكلبي [١] .
٢. أذكر في أول ترجمته المصادر والمراجع التي رجعت إليها .
٣. أقوم باستقراء كتاب (التسهيل لعلوم التنزيل) لابن جُزيّ الكلبي [٢] من أول سورة الرعد إلى

---

(١) لقد استطرد الباحث علي محمد الزبيري رحمه الله في ترجمة ابن جُزيّ وحياته في رسالته : (ابن جُزيّ ومنهجه في التفسير) ، فكفّى ووفّى .

(٢) اطلعت على طبعتين عند هذا الاستقراء من كتاب : (التسهيل لعلوم التنزيل) لابن جُزيّ :
- الأولى : طبعة دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م ، ط ٤ ، ج ٤ .
- الثانية : طبعة دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤ م ، ط ١ ، ج ٢ .

نهاية سورة القصص ، وحصر مصطلحات الترجيح وأساليبه ووجوهه عند ابن جُزيّ .

٤. عند بيان هذه المصطلحات والأساليب والوجوه عند ابن جُزيّ أذكر مثالاً واحداً في المتن على كل مصطلح أو أسلوب أو وجه ترجيح من كلام ابن جُزيّ رحمه الله [١] .

ثانياً : ما يتعلق بالقسم الثاني – وهو دراسة المسائل – فعملي فيه إن شاء الله تعالى على النحو التالي :

١. أقوم بقراءة كتاب : (التسهيل) قراءة متأنية ، وأستعرضها إجمالاً من أول سورة الرعد إلى نهاية سورة القصص ، ومن ثم أستخرج المسائل التي فيها ترجيح لابن جُزيّ رحمه الله .

٢. أقف عند كل آية فيها ترجيح لابن جُزيّ ، وأدون ما يتعلق بها ، مرتبة المسائل وفق ترتيب المصحف .

٣. أُصدِّر المسألة بكتابة الآية كاملة بالرسم العثماني ، برواية حفص عن عاصم ، أو أكتفي بموضع الشاهد فقط ، وأقوم بعزو الآيات القرآنية ، بذكر اسم السورة ورقم الآية في المتن لكيلا تثقل الحواشي ، وأجعلها بين معكوفتين بخط صغير هكذا مثلاً : . [سورة الرعد : ٧] . وإن كانت الآية ضمن قول أحد أئمة العلم أذكرهما في الحاشية غالباً .

٤. إذا كان في الآية مسألتان أحدد ذلك بقول : (وفي الآية مسألتان) وإن لم يوجد إلا مسألة واحدة فأقول : (مسألة) .

٥. ثم اثني بوضع عنوان مختصر لكل مسألة يدل على مضمونها .

٦. ثم أثلث بذكر النص الكامل لابن جُزيّ في المسألة وأميزه عن بقية الكلام بعلامتي التنصيص هكذا (( )) ، أو أكتفي بمحل الشاهد فقط من الترجيح ، حسب ما تقتضي الدراسة .

٧. أقوم بدراسة هذه المسألة ، مبتدئةً بجمع جميع الأقوال الواردة في تفسير الآية المختلف فيها من المصادر التي اعتمدتها ، وأحاول الاستقصاء في ذلك قدر الطاقة والجهد ، و لم أستثن من الأقوال إلا ما شذَّ أو بعُد ، مما نصَّ أهل العلم على شذوذه أو بعده .

---

(١) أخص بذكر الأمثلة والشواهد من القسم المخصص لي ، أي : من أول سورة الرعد إلى نهاية سورة القصص إلا ما ندر .

٨. أحياناً أُصدِّر الدراسة بذكر القول الذي رجَّحه ابن جُزيّ ، ثم أذكر أقوال السلف في ذلك من الصحابة والتابعين ، وحيناً آخر أؤخره حسب ما يقتضيه سياق المسألة وطريقة عرضها ومناقشتها ، ومن ثم أعقب ذلك بذكر الموافقين لابن جُزيّ ممن تقدمه أو تأخر عنه من المفسرين [١] .

٩. أذكر دليل القول الراجح عند ابن جُزيّ إن وجد .

١٠. أذكر بقية الأقوال الواردة في تفسير الآية ، بعزوها إلى قائليها من السَّلف ، ومن قال به من المفسرين – حسب الترتيب السابق – ، مع ذكر أدلة كل قول عقبه مباشرة ، إن وجدت .

١١. ألتزم في ترتيب الموافقين والمخالفين الترتيب الزمني للوفيات ، ولا أخالف ذلك إلا لأمر يقتضيه المقام .

١٢. أقوم بدراسة الأقوال وأدلتها ، وبيان أوجه القوة والضعف فيها ، مستفيدةً في ذلك من أقوال أهل العلم والإتقان .

١٣. قد أحتاج في ثنايا البحث إلى اقتباس نصوصٍ منقولةٍ عن أهل العلم ، وأميِّزها عن غيرها بوضعها بين قوسين ، هكذا " " ، وإن احتجت إلى إضافة تعليق ، أو تفسير كلمة في النص المقتبس فأضعه محصوراً بين فاصلتين هكذا – – ، وإن حذفت شيئاً من النص المنقول حرفياً ، أضع مكان المحذوف ثلاث نقط ، هكذا " ... " .

١٤. وأخيراً أختم المسألة ببيان ما ترجح لدي حسب القرائن والأدلة ، معتمدةً في ذلك على الأدلة ، وقواعد الترجيح التي ذكرها أهل العلم .

---

(١) ومنهجي في ذكر الموافقين لابن جُزيّ هو بحسب عددهم ، فإن كان من وافقه القليل أذكر أسماءهم في المتن ، وأضع لكل واحد منهم علامة ترقيم مستقلة أو مشتركة ، وأدون المصدر أو المرجع في الحاشية .
فإن كان الموافق متقدماً على ابن جُزيّ رحمه الله أقول : وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ موافقاً فلان .. وفلان .
وإن كان الموافق متأخراً عنه أقول : ووافقه فلان .. وفلان .. وهكذا .
أما إذا كان من وافقه الأكثر من المفسرين فإنني أذكر أسماءهم ومصادرهم في الحاشية بعلامة ترقيم واحدة ، مستخدماً في ذلك إحدى العبارات التالية :
- موافقاً جمهور المفسرين .
- ووافقه كثير من المفسرين .
- ووافقه في ذلك أكثر المفسرين ، أو أهل التفسير ، أو عامة المفسرين .

ونحوها من العبارات الدالة على المقصود .

ثالثاً : وأما ما يتعلق بالحاشية ، فعملي فيها على النحو التالي :

١. بالنسبة لتخريج الأحاديث والآثار :

- أقوم بتخريج الأحاديث والآثار الواردة في متن ابن جُزيّ أو في الدراسة ، وعزوها إلى مواضعها من كتب السنة المعتمدة ، وإن لم أجد من أخرج الأثر مسنداً ، أعزوه إلى من ذكره من المفسرين وغيرهم .
- إن كان الحديث أو الأثر في الصحيحين أو في أحدهما أكتفي بالعزو إليهما ، أما إن كان في غيرهما فأعزوه إلى أحد أصحاب الصِّحاح أو السنن ، أو المسانيد أو المعاجم ونحوها .
- أكتفي بذكر من صحَّح الحديث أو ضعفه من المتقدمين أو المتأخرين أو منهما معاً ، إلا إذا كان الحديث أو الأثر يتعلق بالترجيح ، فاهتم ببيان صحَّة الحديث أو ضعفه ، بعد نقل أقوال أهل العلم .

٢. أوثق النصوص المنقولة عن أهل العلم توثيقاً علمياً دقيقاً من مصادرها الأصيلة – أمهات الكتب – ما استطعت إلى ذلك سبيلاً .

٣. أترجم لجميع الأعلام الوارد ذكرهم في المتن أو الدراسة أو الترجيح ، ترجمة موجزة مختصرة ، معقبةً ذلك بذكر مصادر للترجمة لا تقل عن ثلاثة – غالباً – .

٤. لم أترجم للصحابة ﷺ ، إلا لمن كان مبهماً منهم : كأن يذكر بكنيته أو لقبه ، أو جاء ذكره في متن حديث أو أثر ولم يكن معروفاً ، فأشير إلى اسمه ونسبه من خلال كتب تراجم الصحابة ﷺ .

٥. بالنسبة للشواهد الشعرية أقوم بعزوها إلى أصحابها ، من خلال الدواوين الشعرية ، والمصادر الشعرية المعتمدة ما استطعت .

٦. أقوم ببيان معاني الألفاظ الغريبة الواردة في البحث .

٧. أعرِّف بالمصطلحات الخاصة والأصولية الواردة في البحث .

٨. أعرِّف بالأماكن والبلدان من الكتب المعتمدة في ذلك .

٩. عند التعرض لمسألة فقهية أو عقدية أهتم ببيانها وبيان تفصيلاتها في الحاشية ، والرجوع في ذلك إلى المصادر الأصلية سواءً في الفقه والعقيدة ما استطعت إلى ذلك .

١٠. ألتزم الترتيب الزمني للوفيات في ذكر المفسرين والعلماء في المتن ، أو في الحاشية ، و لم أستثن ذلك إلا نادراً ، لأمر يقتضيه المقام .

١١. أذكر اسم المرجع أو المصدر في أول موضع يرد في الرسالة ؛ بذكر اسم الكتاب واسم المؤلف كاملين وتاريخ وفاته غالباً ، وإن تكرر اسم المصدر أو المرجع ، أكتفي بذكر اسم الكتاب أو المؤلف مختصراً .

أخيراً أذيل الرسالة بعدة فهارس عامة ، تسهل للقارئ الرجوع إلى المطلوب ، من غير تكلُّف أو عناء ، ملتزمةً في ترتيبها حروف المعجم ، باعتبار الحرف الأول للكلمة ، عدا فهرس الآيات القرآنية فعلى حسب ترتيب سور القرآن الكريم ، وفهرس الشواهد الشعرية فعلى القافية ، وفهرس الموضوعات فعلى حسب ترتيبها في البحث .

مفتاح الرموز والمختصرات المستخدمة في البحث :

من باب الاختصار والإيجاز أستخدم في الرسالة عدة رموز ومختصرات متعلقة بالمصادر والمراجع ، وذلك بعد ذكر المصدر والمرجع كاملاً في أول ذكر له في الرسالة ، ومن المختصرات في الرسالة :

أولاً : أكتفي تارة أخرى بذكر المؤلف دون ذكر كتابه ، فأقول مثلاً :

السمرقندي أي : في تفسيره : (بحر العلوم) .

الثعالبي أي : في تفسيره : (الجواهر الحسان) .

الآلوسي أي : في تفسيره : (روح المعاني) .

وهكذا بقية أصحاب كتب التفسير .

وإن كان العزو من كتب أخرى لهم فأسميها ، فأقول مثلاً : البغوي في تفسيره ، والبغوي في شرح السنة ، والزمخشري في أساس البلاغة .. وهكذا .

ثانياً: أختصر كثيراً اسم المصدر أو المرجع ، فأقول مثلاً :

تفسير (فلان) ، فلا أذكر اسم الكتاب كاملاً ، بل أنسب التفسير إلى مؤلفه ، فأقول مثلاً : تفسير البغوي ، أو تفسير البيضاوي ، أو ابن أبي زمنين .. ونحو ذلك .

ثالثاً : أذكر أحياناً اسم الكتاب دون مؤلفه ، نظراً لاشتهاره به ، فأقول مثلاً :

المحرر الوجيز ، أي : لابن عطية .

الكشاف ، أي : للزمخشري .

التحرير والتنوير ، أي : للطاهر بن عاشور .

والبداية والنهاية ، أي : لابن كثير .

ولسان العرب أي : لابن منظور .

وتهذيب اللغة ، أي : للأزهري .

ومقاييس اللغة : أي : لابن فارس ... وهكذا .

رابعاً : أختصر أحياناً اسم الكتاب ، فأقول مثلاً :

السِّير ، أي : سير أعلام النبلاء .

التَّقريب ، أي : تقريب التهذيب .

تاريخ البخاري ، أي : التاريخ الكبير للبخاري ... وهكذا .

الدراسات السابقة:

لقد وصل ابن جُزيّ رحمه الله إلى مكانة علمية مرموقة ، وكان لكتابه قيمة علمية عالية جذبت أنظار طلبة العلم فتسابقوا في استخراج كنوز هذا العلم – وإن كان هذا متأخراً – ، والغوص في أعماقه لاستخراج كنوز العلم والمعرفة ، وفي خلال بحثي وجدت عدة موضوعات ورسائل وبحوث تتعلق بهذا الإمام العلم ، فكان من أبرزها وأشملها :

١. **ابن جُزيّ وجهوده في التفسير من خلال كتابه : (التسهيل لعلوم التنزيل)** ، أعدَّها الباحث / **عبد الحميد محمد ندا** ، رسالة ماجستير [1] في جامعة الأزهر ، نوقشت في صيف

(١) ذكر الزُّبيري في رسالته : ابن جُزيّ ومنهجه في التفسير (١ / ١٩ – ٢٩) – التي سأذكرها بعد قليل – أن هذه الرسالة

١٤٠٠ هـ .

٢. **ابن جُزيّ ومنهجه في التفسير** (دراسة مُسهبة عن الإمام المفسر الأندلسي الشهيد ابن جُزيّ ، وتوضيح مُفصَّل لمنهجه في تفسيره : التسهيل لعلوم التنزيل) : أعدها الباحث / علي محمد **الزُّبيري** رحمه الله ، وهي رسالة أعدها الباحث لنيل درجة الماجستير في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، كلية القرآن الكريم ، قسم التفسير ، نوقشت في ١٤٠٣ هـ ، هذه الرسالة مطبوعة (ط ١) في مجلدين ، عام ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧ م ، دار القلم .

٣. **ابن جزئ ومنهجه فى التفسير من خلال كتابه : (التسهيل لعلوم التنزيل)** ، أعدَّها الباحث : **عبد الرحمن مسعد على بركة** ، جامعة سبها ، ليبيا ، 1994م .

٤. **ابن جُزيّ الكلبي ومنهجه في التفسير** ، للباحث / فراس يحيى عبد الجليل **الهيتي** ، رسالة ماجستير في جامعة صدام للعلوم الإسلامية ، العراق ، ١٩٩٥م .

٥. **ابن جُزيّ الكلبي ومنهجه في التفسير** ، للباحث / إقبال عمر **محجوب** ، رسالة ماجستير في جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية ، كلية القرآن الكريم ، ٢٠٠١م .

٦. **قواعد الترجيح عند ابن جُزيّ في تفسيره - دراسة تطبيقية -** ، أعدَّها الباحث : **عبد الله حمد الجمعان** ، رسالة ماجستير في جامعة الملك سعود ، إشراف : أ . د . : عبد الرحمن إبراهيم المطرودي ، نوقشت في عام ١٤٢١ هـ [1] .

✍ **وأول العقد المبارك من ترجيحات ابن جُزيّ في جامعة أم القرى ، كلية الدعوة وأصول الدين ، قسم الكتاب والسنة ، شعبة التفسير وعلوم القرآن - والتي تعتبر رسالتي هذه جزءً منه - كانت رسالة الدكتوراه للباحث : عبد الحي بن دخيل الله بن مسلم المحمَّدي ، إشراف : أ . د . عبد الله بن علي الغامدي ، نوقشت عام ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م . (من أول سورة العنكبوت وحتى آخر سورة غافر) .**

هي أول بحث ظهر يتناول ابن جُزيّ من خلال تفسيره في حدود علمه ، والله أعلم . وذكر عدَّة ملاحظات ومآخذ على هذه الرسالة شكلية وموضوعية .

(١) توجد نسخة من هذه الرسالة في مكتبة الملك فهد الوطنية .

وهناك موضوعات ورسائل جامعية أخرى لم تتعرض واحدة منها – حسب علمي – لجانب التفسير عند الإمام ابن جُزيّ [1] .

شكر وتقدير وعرفان :

وأنا على مشارف انتهاء رسالتي المتواضعة هذه أحمدُ من لا يكون الحمد الكامل إلا له ، الحمد على جميع نعمه ظاهرها وخفيها ، جليلها ودقيقها ، فما أصبح بنا من نعمة أو أحد من خلقه فمنه وحده لا شريك له ، قال تعالى : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ... ﴾ [2] أحمده ﷻ حمداً أورد

---

(١) ومن هذه الموضوعات والرسائل ما يلي :

١. **موقف ابن جُزيّ الكلبي الأندلسي من المعتزلة في تفسيره لكتاب التسهيل لعلوم التنزيل** ، **لعبد المجيد المحتسب** . مقال في مجلة دراسات (الجامعة الأردنية) ، علوم الشريعة والقانون، المجلد ١١ العدد ٤ تشرين الثاني ١٩٨٤ **م** .

٢. **ابن جُزيّ الكلبي وأثره في الفقه الإسلامي** ، رسالة أعدها الباحث : **سليمان أبي الريش** ، لنيل درجة الدكتوراه في جامعة الأزهر ، كلية الدعوة وأصول الدين بالقاهرة ، قدِّمت سنة ١٣٩٥ هـ . (ذكرها الزبيري في رسالته (١ / ١٨) .

٣. **البلاغة القرآنية في تفسير التسهيل لعلوم التنزيل للشيخ محمد بن أحمد بن جُزيّء الكلبي** ، وهي رسالة أعدها الباحثة : **هدى أحمد محمد زين** ، لنيل درجة الدكتوراه في كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات القاهرة ، سنة ٢٠٠٧ م ، إشراف : أ . د / عبد الفتاح لاشين ، أ . د / محمد حسن شرشر .

٤. **كتاب التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى الكلبي (المتوفى سنة ٧٤١ هـ) : دراسة نحوية** ، أعدها الباحث : **طاهر عبد الحي محمد شبانة** ، لنيل درجة الدكتوراه في جامعة القاهرة ، كلية دار العلوم ، قسم النحو والصرف والعروض ، إشراف : أ . د : أحمد محمد عبد الدائم .

٥. **استدراكات الفقيه ابن جُزيّ على القاضي ابن عطية في تفسير القرآن** ، أعدها الباحث : **شايع بن عبده الأسمري** ، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، ١١٢ .

٦. (**تخريج الأحاديث و الآثار في كتاب : التسهيل لعلوم التنزيل**) **للدكتور سامي بن مساعد الجهني** ، رسالة ماجستير من جامعة أم القرى ، ١٤١٨ هـ .

٧. **محمد بن أحمد جزى الكلبى وأثره فى الفقه والقضاء، من الموضوعات المسجلة بكلية الشريعة والقانون بالقاهرة .**

٨. **رسالة مسجلة بعنوان : (جهود ابن جُزيّ الكلبي في التفسير والبلاغة واللغة من خلال التسهيل لعلوم التنزيل)** للباحث **محمد عينو** ، إشراف د . عز الدين المعيار لنيل الدكتوراه من كلية اللغة العربية بمراكش سجل الرسالة ١١ نوفمبر ٢٠٠٤ م ، وستتم مناقشته قريباً إن شاء الله .

(٢) سورة النحل : ٥٣ .

به موارد الفضل والإحسان ، وأشكره شكراً أستمطر به سحائب الكرم والامتنان .

ثم أثني بالشكر والامتنان إلى **الوالدين الحبيبين** ، من غمراني بحبهما وأغدقا علي من حنانهما ، ولا يكفان عن الدعاء لي ؛ وما بلغني ربي المنعم هذا المقام إلا ببركة دعائهما لي ، أسأل الله أن يعلي مقامهما في الدنيا والآخرة ، وأن يقر عيونهم بي وبإخوتي ، وأن يكرمهما ربي الكريم الحنان المنان .

وأثلث بالشكر **لزوجي الدكتور فاضل كمال** على وقوفه بجانبي ، يدعمني ويسندني ، وأن يسامحني عن أي تقصير في حقه كان رغماً عني ، وأدعو له بما يحب أن أدعو له دائما : أن يرزقه الله عيش السعداء في الدارين ، وله مني كل شكر وتقدير وعرفان .

ثم كل الشكر .. وكل التقدير .. وكل الثناء العطر ، والعرفان بالجميل ، للشيخ الفاضل الجليل **فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور / عبد العزيز عزت** ، الذي وافق مشكوراً على أن يتولى الإشراف على هذه الرسالة ، ومن حسن حظي أنه أشرف على رسالتي للماجستير واليوم على رسالة الدكتوراه و لم أجد منه إلا كل حفاوة وتقدير ، سهل التعامل دؤوب حريص على عمله ، لا تقصده إلا وجدته في انشراح وارتياح وترحاب ، يشهد له بذلك كل طلابه وطالباته ، فيعطي ثمين وقته ، بل وقته كله لمن يسترشده ، ليس هذا فحسب ؛ بل ويقدم كل دعم نفسي ومعنوي ؛ يشحذ دائماً من همتي ويشد عضدي ، فأشكره جزيل الشكر .. وأسأله ﷻ أن يبارك في علمه وعمله ، ويخلفه خيراً في أبنائه وأحفاده ، وأن يجعل ما تعلمناه منه نوراً في صحائف أعماله يفرح بها يوم الدين .

كما لا يفوتني أن أشكر هذه الجامعة الغرَّاء ، التي فتحت ذراعيها لطلاب العلم وأخذت بأيدينا يداً بيد لننهض بأمتنا ، تلكم هي **جامعة أم القرى** ، ممثلة في كلية الدعوة وأصول الدين ، عميداً ووكلاء وإداريين ، وقسم الكتاب والسُّنة رئيساً وأساتذة ، وأخص منهم : من قام بتعليمي وتدريسي في السنة المنهجية ، فجزى الله جميع معلميّ الخير خير الجزاء .

ولجامعتي الحبيبة **جامعة الملك عبد العزيز** التي ابتعثني لأطلب العلم ، وأخدم ديني وأنفع أمَّتي ؛ فجزى الله القائمين عليها ، وكل من كان له دورٌ في تيسير هذا الابتعاث .

والشكر الجُزيّل والثناء العاطر للشيخين الكريمين :

فضيلة أ . د / فهد بن عبد الرحمن الرومي ، فضيلة أ . د / ورداني عبد الراضي حمودة .

على تفضلهما بقبول مناقشة هذه الرسالة ، وتكبدا مشاقَّ قراءتها ، وإعطائها من وقتهما رغم انشغالهما وكثرة أعبائهما ، فجزاهما الله خيراً ، وجعل ذلك في ميزان حسناتهما وأجزل لهما المثوبة وأعظم لهما الأجر .

وإلى كلِّ الأهل والأحباب والأخوات في الله وكل من كان له عليَّ فضل ، ممن خصَّني بدعوةٍ في ظهر الغيب ، أو غمرني بجميل سؤال وحسن اهتمام ، أو أعانني برأي أو نصح أو إرشاد ، وإلى كلِّ الحضور الذين جاؤوا مشكورين لمشاركتي هذه المناسبة أقول لهم : جزاكم الله خيراً على قدومكم ومشاركتهم .

وفي ختام كلامي أود أن أقول : إن أصبت فبفضل من الله وتوفيق ومنة ، وإن أخطأت فحسبي أني بشر أجتهد فأخطأ وأصيب ، وأسأل الله الإخلاص والقبول ، وأن يعينني على الاهتداء بهدي كتابه ، واستخراج كنوزه ، وأن نكمل السَّير على الطريق ، فما بدأه أئمتنا الأفاضل من تفسير لكتاب الله بما يلائم عصرهم وزمانهم أن نكمله نحن بما يلائم عصرنا وزماننا فكتاب الله قائم إلى قيام الساعة ، وهو الصالح لكل زمان ومكان وهو السبيل لتجديد عزِّ الإسلام ومجده التليد .

وصلى الله على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم ،،،،

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ،،،،

هناء عبد الله سليمان أبوداود

قسم الكتاب والسُّنة

تخصص التفسير وعلوم القرآن

في : 12 / 4 / ١٤٣٠هـ

القسم الأول

التعريف بابن جُزيّ ، وكتابه :
(التسهيل) ، ومنهجه في الترجيح

قال **لسان الدين ابن الخطيب** : كان رحمه الله على طريقة مثلى من العكوف على العلم والاشتغال بالنظر والتقييد والتدوين ، فقيهاً حافظاً ، قائماً على التدريس مشاركاً في فنون من العربية ، والفقه ، والأصول والقراءات ، والحديث ، والأدب ، حُفظَةً للتفسير ، مستوعباً للأقوال ، جمَّاعة للكتب ، ملوكى الخزانة ، حسن المجلس ممتع المحاضرة ، قريب الغور ، صحيح الباطن

الباب الأول

التعريف بابن جُزيّ بإيجاز

وفيه فصلان :

الفصل الأول
حياة ابن جُزيّ الشخصية

الفصل الثاني
حياة ابن جُزيّ العلمية

الفصل الأول

حياة ابن جُزيّ الشخصية

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : اسمه ونسبه ، وكنيته ولقبه .

المبحث الثاني : مولده ، ونشأته .

المبحث الثالث : معتقده ومذهبه .

المبحث الأول : اسمه ونسبه ، وكنيته وشهرته

اسمه:

هو محمَّد بن أحمد بن محمَّد بن عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمن بن يوسف [1] بن جُزيّ الكلبيُّ الأندلسيُّ [2] .

وهو معروف بمحمد بن جُزيّ ، ويقال له : محمد الكلبيُّ ، ومن اللطائف أن ابنه (محمد) يشاركه في هذه التسمية ، وهو كاتب أديب ، كما يشاركه فيها جده العلاَّمة الوزير ، فكل منهم يعرف بمحمد بن جُزيّ [3] .

ولكن إذا قيل : محمد بن أحمد بن محمد بن جُزيّ . فإنه يتميز عن ابنه وجده بلا نزاع .

---

(١) وقيل : يوسف بن سعيد بن جُزيّ الكلبي الغرناطي المالكي . ذكر ذلك **لسان الدين** ابن الخطيب (أبو عبد الله ابن سعد بن أحمد السلماني ت ٧٧٦ هـ) في ترجمة ولده أحمد في **الإحاطة في أخبار غرناطة** (١ / ٥١) ، وذكر إسماعيل باشا بن محمد أمين البغدادي (ت ١٣٣٩هـ) في إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون (٣ / ٤٧) أن اسم أبيه (إبراهيم) وقد أبعد النجعة في ذلك .

(٢) ينظر ترجمة الإمام ابن جُزيّ رحمه الله في :
الإحاطة : ٣ / ١٠ - ١٣ ، **الديباج المذهب** في معرفة أعيان علماء المذهب لإبراهيم بن علي بن محمد **بن فرحون** اليعمري المالكي (ت ٧٩٩ هـ) : ١ / ٢٩٢ ، غاية النهاية في **طبقات القراء** لأبي الخير ، محمد بن محمد بن محمد بن علي **ابن الجزري** الدمشقي الشافعي (ت ٨٣٣ هـ) : ٢ / ٧٥ ، **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة** للحافظ أحمد بن علي ، المشهور **بابن حجر** العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ) : ٥ / ٨٨ ، ٨٩ ، **نفخ الطيب من غصن الأندلس الرطيب** لأحمد بن محمد المقري التلمساني (ت ١٠٤١ هـ) : ٥ / ٥١٤ - ٥٤٠ **وشذرات الذهب** : ٦ / ٢٨٦ ، **وهدية العارفين** (أسماء المؤلفين وآثار المصنفين من كشف الظنون) لإسماعيل باشا البغدادي (١٣٣٩ هـ) : ٦ /١٦٠ ، **فهرس الفهارس** والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات لعبد الحي بن عبد الكبير **الكتاني** (ت ١٣٨٣ هـ) : ١ / ٣٠٦ ، **معجم المؤلفين** لعمر رضا **كحالة** (ت ١٤٠٧ هـ) : ٩ / ١١ ، **الأعلام** لخير الدين الزِّركلي : ٥ / ٣٢٥ .
وفي الرسائل الجامعية : (ابن جُزيّ ومنهجه في التفسير) للدكتور علي محمد الزُّبيري رحمه الله (١ / ١٣٩ وما بعدها) وهي دراسة مُسهبة تحليلية لابن جُزيّ وكتابه التسهيل ، وهي رسالة لنيل الماجستير من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

(٣) كما سيأتي في ترجمة ولده محمد بن جُزيّ ، وأما جدُّه فقد ذكره لسان الدين ابن الخطيب ذكراً عابراً في ترجمة ذي الوزارتين ابن الحكيم اللخمي الرندي (ت ٧٠٨ هـ) وهو يعدد مشايخ ابن الحكيم والمجيزين له في الإحاطة (٢ / ٣١٥) فقال : " ومنهم : الفقيه ، العلاَّمة الوزير ، أبو القاسم ، محمد بن عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمن بن يوسف ين جُزيّ الكلبي " .

هل هو ابن جُزيّ أو ابن جُزيء ؟

ذكر **الوادي آشي** في برنامجه جدهُ (محمد) فجعله **ابن جُزيّ** ، بالجيم والزاي والياء مصغَّراً [(١)] . وترجمَ له **لسانُ الدين بنُ الخطيب والمقّري** وضبطوه **ابن جُزيّ** [(٢)] . وذكر **ابن حجر** أنه ابن **جُزيّ** .

وفي ترجمة ولده (أحمد) : قال **ابن حجر** : **جُريّ** – بالجيم والرّاء مصغّراً وآخره تحتانية ثقيلة – [(٣)]. وقال **السُّيوطي** : **ابن جُزيّء** – بضم الجيم وبالزاي ثم بالياء المشددة ، وبعدها همزة – [(٤)]، أما **البغدادي** فذكر أنّه **ابن جزى** ، و لم يضبطهُ [(٥)] .

---

(١) ينظر : برنامج الوادي آشي لمحمد بن جابر الوادي آشي (ت ٧٤٩ هـ) : ٩٩ .
والوادي آشي هو : محمد بن جابر بن محمد بن قاسم ، أبو عبد الله ، شمس الدين الوادي آشي : فاضل أندلسي نسبته إلى وادي آش Guidix ، ووفاته بغرناطة سنة ٧٤٦ هـ . ينظر : الإحاطة : ٣ / ١٢٤ ، الديباج : ١ / ٣١١ ، غاية النهاية : ٢ / ٩٥ .

(٢) ينظر : الإحاطة : ٣ / ١٠ ، نفخ الطيب : ٥ / ٥٤٠ .
ولسان الدين ابن الخطيب ستأتي ترجمته في تلاميذ ابن جُزيّ رحمه الله .
والمقري هو : أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى ، أبو العباس المقري التلمساني : المؤرخ الاديب الحافظ ، صاحب (نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب) في تاريخ الأندلس السياسي والأدبي . ت سنة ١٠٤١ هـ . ينظر : تاريخ قضاة الأندلس (المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا) لأبي الحسن علي بن عبد الله بن الحسن النباهي المالقي الأندلسي (ت ٧٩٣هـ) : ١ / ١٦٩ ، ١٧٠ ، هدية العارفين : ٦ / ١٦٠ ، الأعلام : ١ / ٢٣٧ .

(٣) ينظر : الدرر الكامنة لابن حجر : ١ / ٣٤٧ ، ٥ / ٨٨ .
وابن حجر هو : أحمد بن عليّ بن محمد الكنانيّ العسقلاني الشافعي ، أبو الفضل ، شهاب الدين ، ابن حَجَر – وهو لقب لبعض آبائه– : من أئمة العلم والتاريخ ، وهو إمام منفرد بمعرفة الحديث وعلله في الأزمنة المتأخرة . أصله من عسقلان (بفلسطين) ، وتصانيفه كثيرة جليلة . ت سنة ٨٥٢ هـ . ينظر : الدُّرر الكامنة : ٥ / ١ للناشر ، شذرات الذهب : ٤ / ٢٧٠ ، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع لمحمد بن علي الشوكاني : ١ / ٨٧ .

(٤) ينظر : بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي : ١ / ٤٥٦ .
والسيوطي هو : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي ، أبو الفضل ، إمام محدث مؤرخ أديب برز في جميع الفنون وفاق الأقران ، صاحب التصانيف المشهورة ، ت سنة ٩١١ هـ . ينظر : شذرات الذهب : ٨ / ٥١، ٥٢ ، البدر الطالع : ٣٢٨ – ٣٣٥ ، الأعلام : ٣ / ٣٠١ ، ٣٠٢ .

(٥) ينظر : إيضاح المكنون للبغدادي : ٣ / ٤٧ .
والبغدادي هو : إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي : عالم بالكتب ومؤلفيها ، باباني الأصل بغدادي المولد والمسكن . ت سنة ١٣٣٩ هـ . ينظر : الأعلام : ١ / ٣٢٦ .

وهو **ابنُ جُزيّ** عند كحالة [1] .

إنّ هذا الخلاف في نسب المؤلف يمكن حصرهُ في دائرة أضيق ليكون على النحو الآتي :

1. ابن جُزيّء ، كما في بغية الوعاة ، وبتسهيل الهمز يصبح ابن جُزيّ كما أورده الوادي آشي في برنامجه ، والمقري في نفح الطيب .
2. ابن جُزيّ كما في معجم المؤلفين .
3. ابن جُرَيّ كما ورد عند ابن حجر في الدُّرّر – وهو خطأ – [2] .

- وذُكر في رسالة ماجستير [3] أن **السُّبكي** ذكره في نيل الابتهاج مهموزاً (جُزيّء) – بضم الجيم وفتح الزاي بعدها ياء ساكنة ثم همزة – و لم يضبطه بهذا اللفظ إلا السُّبكي ، وأنه تبعه أحد الباحثين المعاصرين [4] .

لكنني عند البحث في كتب التعريف بالكتب لم أقف على كتاب **للسُّبكي** باسم : (نيل الابتهاج) وما وقفت عليه هو كتاب : (نيل الابتهاج بتطريز الديباج في تراجم المالكية **للتنبكتي** [5]) .

- وذُكر في هذه الرسالة أيضاً أن القول بأن : ابن جُزيّء هذا غير صحيح ؛ لأن (جُزيّ) تصغير لاسم (جز) وهو جز بن أبي بكر كما جاء في كتاب الأنساب **للسمعاني** ،

---

(١) ترجم له عمر رضا كحالة مرتين ، مرة باسم : محمد بن جُزيّ ، ومرة باسم محمد الكلبي ؛ وهما شخصية واحدة ينظر : معجم المؤلفين لكحالة : ٨ / ٢٨٥ ، ٩ / ١١ .

(٢) قاله الزُّبيري ، ينظر : ابن جُزيّ ومنهجه في التفسير للزُّبيري : ١ / ١٤٣ .

(٣) هي : (قواعد الترجيح عند ابن جُزيّ في تفسيره – دراسة تطبيقية) لعبد الله حمد الجمعان ، وهي رسالة لنيل الماجستير من جامعة الملك سعود بالرياض عام ١٤٢١ هـ : ١٤ .

(٤) ذكر صاحب الرسالة السابقة أنه : عبد الرحمن علي بركة في كتابه : (ابن جُزيّ ومنهجه في التفسير) :٨٣ .

(٥) **السُّبكي** هو : عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي ، أبو نصر : قاضي القضاة ، المؤرخ ، الباحث ، ولد في القاهرة ، وانتقل إلى دمشق مع والده ، فسكنها وتوفي بها ، نسبته إلى سبك (من أعمال المنوفية بمصر) ، وكان طلق اللسان ، قوي الحجة ، ت بالطاعون سنة ٧٧١ هـ . ينظر : الدرر الكامنة : ٣ / ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، شذرات الذهب : ٦ / ٢٢١ ، البدر الطالع : ١ / ٤١٠ .

والتنبكتي هو : أحمد بابا بن أحمد بن أحمد بن عمر التكروري التنبكتي السوداني ، أبو العباس : مؤرخ ، من أهل تنبكت Tombouctou في إفريقية الغربية ، أصله من صنهاجة ، من بيت علم وصلاح ، وكان عالماً بالحديث والفقه ، وكان شديدا في الحق لا يراعي أحدا . ت سنة ١٠٣٦ هـ . ينظر : الأعلام : ١ / ١٠٢ .

وأما ضبطه بالهمز فإنما هو تصغير (جزء) ..

- ووجدت السمعاني قد ذكر في إحدى تراجمه عن رجل بالأندلس ، فقال :

" الجَزِّيّ : - بفتح الجيم وكسر الزاي المشددة ، هذه النسبة إلى جز ، وهو اسم لبعض أجداد المنتسب إليه ... كان **جده جز بن بكر** فيمن دخل الشام مع أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه " . اهـ [1] .

وعلى قول السمعاني يكون ابن (جَزيّ) - بالفتح - وليس (ابن جُزيّ) - بالضم - .

✌ واعتقد أن هذا ليس صواباً :

- **فالتسمية بـ (ابن جُزيّ) مشهورة عند العرب** [2] .
- **كما أن أغلب كتب التراجم خاصة من عاصروه وتلقوا عنه وهو لسان الدين بن الخطيب ترجموا له فقالوا : (ابن جُزيّ) وهو الراجح . والله أعلم .**

✍ نسبه [3] :

إن ابن جُزيّ ينحدر من أصل عربي قُحّ [4] ، من قبيلة كلب اليمانيَّة [5] ، وهذه النسبة إلى كلب بن وبَرَة بن تغلب ابن حلوان بن الحاف بن قضاعة ، التي يرجع نسبها إلى حمير [6] .

---

(١) ينظر : الأنساب : ٢ / ٥٨ .

(٢) قاله الزُّبيري ، ينظر : ابن جُزيّ ومنهجه في التفسير للزُّبيري : ١ / ١٤٣ .

(٣) ينظر : ابن جُزيّ ومنهجه في التفسير للزُّبيري : ١ / ١٤٤ .

(٤) **القحُّ** هو : المحض الخالص . ينظر (مادة : قحح) في : لسان العرب لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي : ٢ / ٥٥٣ ، تاج العروس من جواهر القاموس لمحمد مرتضى الحسيني الزبيدي : ٧ / ٣٧ .

(٥) ينظر : **الأنساب** لعبد الكريم السمعاني : ٥ / ٨٥ .

والسمعاني هو : عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي ، أبو سعد : مؤرخ رحالة من حفاظ الحديث . ت سنة ٥٦٢هـ . ينظر : سير أعلام النبلاء لأبي عبد الله ، محمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨ هـ) : ٢٢ / ١٠٧ - ١٠٩ ، الوافي بالوفيات لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت ٧٦٤ هـ) : ١٩ / ٦٠ ٦١ ، طبقات الشافعية لأبي بكر بن أحمد بن محمد بن قاضي شهبة (ت ٨٥١ هـ) : ٢ / ١٢ ، ١٣ .

(٦) ينظر : جمهرة أنساب العرب لعلي بن أحمد بن حزم (ت ٤٥٦ هـ) : ٢ / ٤٤٠ ، الأعلام : ٥ / ١٩٩ .

ويعود تاريخ استقرار سلف ابن جُزيّ بالأندلس إلى نهاية الثلث الأول من القرن الثاني للهجرة حيث نزل أحد أجداده بثغر (ولبه) [١] ؛ جنوب غرب إشبيلية ، بين سنة ١٢٥ هـ وسنة ١٢٧هـ . ويظهر أن هذه الأسرة تنقلت بين عدة مدن أندلسية قبل استقرارها **بغرناطة** [٢] ، وأن مدينة (جيان) [٣] كانت إحدى محطاتها في منتصف القرن السادس للهجرة ، وذلك كما يشير هو نفسه في هذا الكتاب أن أحد أجداده ؛ أبا بكر يحيى بن عبد الرحمن كان قاضياً بتلك المدينة سنة ٥٤٠ هـ [٤] .

كنيته وشهرته :

يكنى أبا القاسم ، واشتهر بابن جُزَيّ – مصغراً – بضم الجيم المعجمة وفتح الزاي – ، ويبدو أنه اسم لأحد أجداده [٥] .

---

(١) **وَلْبَة** أو **أُولْبَة** أو **غَالِبَة** (من اللاتينية : أُولُوبَا ، من الفينيقية : أُولُوسْ بَعْل أي قلعة بعل ، وهي حاليًا بالأسبانية : (Huelva) هي مدينة تقع في جنوب غرب إسبانيا ، وعاصمة مقاطعة ولبة في منطقة الأندلس ذاتية الحكم . تقع على ساحل خليج قادس في المحيط الأطلسي ، عند التقاء نهري وديال ولبلة . كانت المدينة تعرف بـ (أونوبا) في فترة الحكم الروماني ، وبـ (أَوْنَبة) – بالفتح ثم السكون وفتح النون وباء موحدة – في فترة الحكم العربي . ينظر : الموسوعة الحرة . قال **أبو عبد الله ، ياقوت بن عبد الله الحموي** في **معجم البلدان** (١ / ٢٨٣) : " قرية في غربي الأندلس على خليج البحر المحيط ، بها توفي أبو محمد أحمد بن علي بن حزم الإمام الأندلسي الظاهري صاحب التصانيف " .

(٢) **غَرْناطة** هي : – بفتح أوله وسكون ثانيه ثم ونون بعد الألف طاء مهملة – (Granada بالأسبانية) . قيل : الصحيح أغرناطة بالألف في أوله أسقطها العامّة كما أسقطوها من البيرة فقالوا : لبيرة ، وقيل : غرناطة بغير ألف ومعنى غرناطة : رمانة بلسان عجم الأندلس ، سمي البلد لحسنه بذلك . وهي أقدمُ مدُن كورة البيرة من أعمال الأندلس وأعظمها وأحسنها وأحصنها . ينظر : معجم البلدان : ٤ / ١٩٥ .

(٣) **جَيَّانُ** : – بالفتح ثم التشديد وآخره نون – (Jaén بالأسبانية) هي مدينة لها كورة واسعة بالأندلس تتصل بكورة البيرة مائلة عن البيرة إلى ناحية الجوف في شرقي قرطبة ، وهي مدينة وعاصمة مقاطعة تقع في جنوب أسبانيا وفي الشمال الغربي لإقليم الأندلس ذاتي الحكم . يبلغ عدد سكنها ١١٧.٥٤٠ نسمة ؛ إي : ما يعادل سدس سكان المقاطعة . تحمل جيَّان شعار العاصمة العالمية لزيت الزيتون وذلك لانتشار هذه الصناعة بها . ينظر : معجم البلدان : ٢ / ١٩٥ ، الموسوعة الحرة .

(٤) ينظر : تحقيق ودراسة كتاب التسهيل لعلوم التنزيل للإمام محمد بن أحمد بن محمد بن جُزيّ الكلبي الغرناطي المالكي الدكتور/ محمد بن سيدي محمد بن مولاي ، أستاذ بالمعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية موريتانيا (عام ١٤٢٧ هـ) : ٢٠ .

(٥) ينظر : تاريخ مقدمة ابن خلدون لعبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي (ت ٨٠٨ هـ) : ٢ / ٢٨٧ ، الأعلام : ٥ / ٢٣٠ ، ابن جُزيّ ومنهجه في التفسير للزُّبيري : ١ / ١٤١ ، ١٤٢ .

المبحث الثاني : مولده ونشأته

✍ مولده :

ولد محمد بن أحمد بن جُزيّ في يوم الخميس التاسع من ربيع الثاني عام ثلاثة وتسعين وستمائة هجرية ، في مدينة غرناطة عاصمة الأندلس آنذاك [١] .

✍ نشأته :

نشأ ابن جُزيّ في غرناطة في بيت علم عريق في الأصالة ، والحسب ، والنسب ، والشرف ، والعلم ، قال **لسان الدين ابن الخطيب** : " من أهل غرناطة وذوي الأصالة والنباهة فيها " [٢] ؛ إذ كان والده يعتبر من علماء الأندلس في ذلك الوقت ، ولعل ابن جُزيّ قد أخذ عن والده وذلك أن لوالده طلباً وسماعاً ، قال **ابن حجر** : " كان من أهل الأصالة والذكاء ... وكان محموداً ، وله طلب وسماع " [٣] .

وفي **نفح الطيب** : " وبيت بني جُزيّ بيت كبير ، مشهور بالمغرب والأندلس " [٤] .

فكانت لهذه البيئة العلمية الأصيلة أثر في عكوفه على طلب العلم منذ صباه ، حيث بدأ بتعلم القرآن الكريم في ما كان يسمى بالكتاتيب ؛ وتسمَّى في عرفهم بالمكاتب واحدها مكتب ، والتي كانت منتشرة في بلاد الأندلس ، وكان الأندلسيون يبدؤون بقراءة **ورش** عن **نافع** ويفردونها في القراءة ، حتى إذا انتهوا من القرآن كله انتقلوا إلى بقية القراءات السبع [٥] .

---

(١) ينظر : نفخ الطيب : ٥ / ٥١٦ . ولم يذكر في الإحاطة سنة مولده . والأندلس هي أسبانيا حالياً .
(٢) ينظر : الإحاطة : ٣ / ١٠ .
(٣) ينظر : الدرر الكامنة : ١ / ٣٢٦ .
(٤) ينظر : نفح الطيب : ٧ / ٢٨٢ .
(٥) ينظر : ابن جُزيّ ومنهجه في التفسير للزُّبيري : ١ / ١٨٦ .
ونافع هو : نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم الليثي مولاهم ، أبو رويم المدني ، إمام أهل المدينة في القراءة ، من العباد الفقهاء ، وأحد القراء السبعة المشهورين ، ت سنة ١٦٧ هـ . ينظر : المعارف لعبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) : ٥٨٢ ، الفهرست لمحمد بن إسحاق ابن النديم (ت ٣٨٥ هـ) : ٤٢ ، السِّير : ٧ / ٣٣٦ - ٣٣٨ . =

وتشير المصادر إلى أنه كان يملك مكتبة ضخمة متنوعة ، وأنه كان عاكفاً عليها مستفيداً منها حيث **تَضَلَّعَ** [1] من المعارف المختلفة كالقراءات ، والتفسير ، والحديث ، والفقه ، والأصول ، وأصول الدين ، وقد كان إضافة إلى ذلك شاعراً أديباً .

تولى الخطابة في ريعان شبابه بالجامع الأعظم بغرناطة ، فوفق في استمالة القلوب ، وتوجيه الناس بالأسلوب الحسن ، والبراعة والمنطق .

كان مشتغلاً بالعلم تحصيلاً وتأليفاً ، وبالعمل حتى بلغ الغاية القصوى في العلم والعمل . وأصبح بعد ذلك من مفتيي الأندلس ، ومن العلماء البارزين الذين لهم مكانة عالية ومقاماً محموداً وسيرة حسنة [2] .

= **وورش** هو : عثمان بن سعيد بن عدي المصري : من كبار القراء ، غلب عليه لقب (ورش) لشدة بياضه أصله من القيروان ، ومولده ووفاته بمصر سنة ١٩٧ هـ . ينظر : السِّير : ٩ / ٢٩٥ ، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار لمحمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨ هـ) : ١/ ٨٨ - ٩٤ ، غاية النهاية : ١ / ٤٤٦ .

(١) **تَضَلَّعَ** أي : امتلأ ما بينَ أضْلاعِه شِبَعاً وريَّاً ، أو تَضَلَّع : امتلأ رِيَّاً حتى بَلَغَ الماءُ أضْلاعَه فانْتَفخَتْ من كَثْرَةِ الشُّرْب . قال ابن فارس : " أي أن الشيء من كثرته ملأ أضلاعه " . فذلك كناية عن تكثره من العلوم المتنوعة . ينظر (مادة : ضلع) في : مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد **بن فارس** بن زكريا (ت ٣٩٥ هـ) : ٣ / ٣٦٩ ، لسان العرب : ٨ / ٢٢٥ ، تاج العروس : ٢١ / ٤٢٦ .

(٢) ينظر : الإحاطة : ٣ / ١٠ - ١٣ ، الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة للسان الدين ابن الخطيب أيضاً : ١ / ٤٦ .

المبحث الثالث : معتقده ومذهبه

احتلت العقيدة [1] الإسلامية أهمية عظمي في دين الله ؛ فالتمسُّك بالعقيدة السلفية الصحيحة الصافية النقية ، الموروثة عن سلفنا الأوائل ﷺ أجمعين ، العقيدة العظيمة القائمة على الكتاب والسنة واتباع سلف الأمَّة ، **هو غاية المسلم ؛ كيف لا ورأس أمرها التوحيد الذي لا يقبل الله تعالى عملا صالحاً من العبد إلا بعد أن توجد هذه العقيدة الصحيحة في قلبه وتستقر في نفسه ، وإلا ذهبت أعماله أدراج الرياح** . قال تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ . [سورة النحل : ٩٧] . وهي عقيدة واضحة لا لبس فيه ولا غموض ولا صعوبة ولا فلسفة مضلة ، بل كانت تعرض على البدوي فيفهمها ويقتنع بها ثم ينطلق بها إلى قومه وعشيرته فيؤمنون بها ، ويرضخون تحت لوائها .

ومعرفة عقيدة المفسِّر شيءٌ مهم جداً ؛ إذ هي في الغالب منطلق كل باحث وكاتب ، والعقيدة لأي مفسِّر هي القاعدة الفكرية التي على أساسها يبني المفسر ، وعلى ضوئها ينهج .

---

(١) قال الفيومي : " و (اعتقدت) كذا (عقدت) عليه القلب و الضمير ، حتى قيل : (العقيدة) ما يدين الإنسان به ، وله (عقيدة) حسنة سالمة من الشك . ينظر : المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي لأحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي (ت ٧٧٠هـ) (عقدت) : ٢ / ٤٢١ .

والعقيدة في الاصطلاح : هي جملة من الأمور التي تصدق بها النفوس ، وتطمئن إليها القلوب ، وتكون يقيناً عند أصحابها لا يمازجها ريب ، ولا يخالطها شك . ولذا تدور مادة (عقد) في اللغة على اللزوم والتأكيد والاستيثاق قال تعالى : ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ ... ﴾ .[سورة المائدة : ٨٩] . والعقيدة ليست أموراً عملية بل هي أمور علمية يجب على المسلم أن يعتقدها في قلبه ؛ لأنها جاءت عن طريق الكتاب والسنة . وأصول العقائد التي أمرنا الله ﷻ باعتقادها هي التي جاءت في حديث جبريل عليه السلام المشهور عندما سأله عن الإيمان فقال ﷺ : « ... أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ ... » . أخرجه البخاري ومسلم ، واللفظ لمسلم . فهي – أي العقيدة – تدور حول قضايا معينة أخبرنا بها الله تعالى ورسوله عليه السلام . و لم يكن للعقيدة مصطلح مستقل عند الأولين . وقد أطبق علماء الإسلام قديماً وحديثاً على استعمال كلمة (عقيدة) و (اعتقاد) في المسائل العلمية التي صحَّ بها الخبر عن الله ورسوله ﷺ ، والتي يجب أن ينعقد عليها قلب المسلم . وعليه ، فلا مشاحة في الاصطلاح ، إذا المعنى متفق عليه .

معتقد ابن جُزيّ :

نهج ابن جُزيّ رحمه الله **منهج السَّلف الصَّالح** ، ونحا منحى **أهل السُّنة والجماعة** في تقرير الأمور العقدية ، فنراه يميل بالجملة إلى الإيمان بالأسماء والصفات بلا تكييف ، ولا تشبيه ولا تأويل ، ولا تعطيل ، ويرد علم حقيقتها إلى الله ، وقد يطلق عليها أنها من المتشابه الذي يجب الإيمان به ، ولا يعلم حقيقته إلاَّ الله ، وقد أورد في كتابه (القوانين الفقهية) ما يدل على ذلك حيث قال :

(((تنبيه) :

ورد في القرآن والحديث ألفاظ يوهم ظاهرها التشبيه ؛ كقوله تعالى : ﴿ ...عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾ [1] ، وقوله تعالى : ﴿ ... بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ ... ﴾ [2] ، وكحديث نزول الله كل ليلة إلى سماء الدنيا وغير ذلك ، وهي كثيرة تفرق الناس فيها ثلاث فرق : (الفرقة الأولى) : السلف الصالح من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين ؛ آمنوا بها و لم يبحثوا عن معانيها ، ولا تأولوها بل أنكروا على من تكلم فيها ﴿ ... وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَا ... ﴾ [3] ، وهذه طريقة التسليم التي تعود إلى السلامة وبها أخذ مالك والشافعي وأكثر المحدثين ...)) . اهـ [4] .

وعند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ﴿٢٢﴾ ﴾ [5] قال : ((وهذه الآية وأمثالها من المشكلات ؛ التي يجب الإيمان بها من غير تكييف ولا تمثيل)) . اهـ [6] .

---

(١) سورة طه : ٥ .
(٢) سورة المائدة : ٦٤ .
(٣) سورة آل عمران : ٧ .
(٤) القوانين الفقهية لابن جُزيّ : ١٣ .
(٥) سورة الفجر : ٢٢ .
(٦) التسهيل لابن جُزيّ : ٤ / ١٩٨ .

وردَّ على الفرق المخالفة في مجال العقيدة من : **المعتزلة** [1] وغيرهم ، منتصراً لمذهب أهل السُّنة والجماعة [2] ، ورجَّح مذهب السَّلف في كثير من المسائل ؛ منها :

١. صفتي الحياء والعجب [3] .

٢. خلق الجنة والنار [4] .

٣. ثبوت الشفاعة [5] .

---

(١) **المعتزلة** : فرقة كلامية ظهرت في بداية القرن الثاني الهجري (٨٠هـ - ١٣١هـ) في البصرة (في أواخر العصر الأموي) ، وقد ازدهرت في العصر العباسي ، اعتمدت المعتزلة على العقل في تأسيس عقائدهم و قدموه على النقل ، و قالوا بأنّ العقل والفطرة السليمة قادران على تمييز الحلال من الحرام بشكل تلقائي .
سبب التسمية : في اعتزال واصل بن عطاء مجلس شيخه الحسن البصري يقول : إن مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن ولا كافر ، ويثبت المنزلة بين المنزلتين ، فقال الحسن البصري : (اعْتزِلنا واصل) ؛ فسمُّوا معتزلة . ولهم أصول خمسة اتفقوا عليها وهي : التوحيد ، والعدل ، والمنزلة بين المنزلتين ، والوعد والوعيد ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهناك عقائد أخرى للمعتزلة هي محل اختلاف بينهم ؛ منها : نفي رؤية اللهﷻ في الدنيا والآخرة .
والمعتزلة على تعدد فرقهم متفقون جميعاً على نفي صفات الله الأزلية ؛ فيقولون : إنه عالم بذاته ، قادر بذاته ... إلخ . ويزعمون أنه لم يكن له في الأزل اسم ولا صفة ، وأنه يستحيل رؤيته ﷻ بالأبصار في الآخرة ، وأنه ﷻ لا يرى نفسه ، ولا يراه غيره ... إلخ . ينظر : الفَرْق بين الفِرَق وبيان الفرقة الناجية لعبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي (ت ٤٢٩ هـ) : ٩٣ ، الملل والنحل لمحمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني (ت ٥٤٨ هـ) : ١ / ٤٥ ، المواقف لعضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي (ت ٧٥٦ هـ) : ٣ / ٦٥٢ ، ٦٧٠ .

(٢) **أهل السُّنة والجماعة** : هُم من كان على مثل ما كان عليه النبي ﷺ ، وسمُّوا أهل السُّنة ، لأنهم متمسِّكون بها وسُمُّوا (الجماعة) لأنهم الذين اجتمعوا على الحق و لم يتفرقوا في الدين ، واجتمعوا على أئمة الحق ؛ و لم يخرجوا عليهم ، واتبعوا ما أجمعَ عليه سلف الأمة . وأهل السُّنة والجماعة انقسموا بالنسبة لصفات اللهﷻ إلى مذهبين :
١. مذهب السَّلف : وهو الإيمان بما وصف الله به نفسه ، ووصف به نبيُّه دون تشبيه ، أو تكييف ، أو تعطيل أو تحريف .
٢. مذهب الخلف : - وهو في الأعم الأغلب - مذهب الأشعرية ومذهب الماتريدية ، وهما متقاربان ، وقد أثبتوا بعض الصفات للهﷻ ؛ صفات المعاني كالحياة والعلم والقدرة والإرادة ، وأوَّلوا الصفات الأخرى كالوجه واليد ... لأنها في نظرهم تستلزم التشبيه والتجسيم .
والجميع مقرُّون أن مذهب السَّلف أسلم طريقة ، وأقوم منهجاً ، وإن كان قد ادَّعى بعضهم أن طريقة الخلف أعلم . ينظر : ابن جُزيّ ومنهجه في التفسير للزُّبيري : ١ / ٥٥١ . وينظر : المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات لمحمد بن عبد الرحمن المغراوي : ١ / ٥٧ ، ٢٥٤ ، ٢٩٨ ، ٣٠٥ .

(٣) ينظر : التسهيل (سورة البقرة : ٢٦ ، الصافات : ١٢) : ١ / ٤٢ ، ٣ / ١٦٩ .

(٤) ينظر : التسهيل (سورة البقرة : ٢٤) : ١ / ٤٢ .

(٥) ينظر : التسهيل (سورة البقرة : ٤٨) : ١ / ٤٧ .

٤. مآل عصاة المؤمنين يوم القيامة [١] .

٥. الاستواء [٢] .

٦. الرؤية [٣] .

ومع ذلك فقد أوَّل هو بعض الأسماء الحسنى كاسمه (النور) [٤] ، وبعض الصفات كقوله تعالى : ﴿ ... بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ... ﴾ . [سورة المائدة : ٦٤] . مغلباً جانب السِّياق والمعنى العام للآية غافلاً عما تنطوي عليه من تقرير الصفة للباري ﷻ كما تليق بجلاله ، و لم يقصد بتأويله نفي الصفة لأنه قرَّر في موضع آخر من تفسيره أن ذلك من المتشابه الذي يجب الإيمان به وردّ علم حقيقته إلى الله .

لقد عرض **ابن جُزيّ** أدلة الربوبية والألوهية [٥] كطريقة القرآن الكريم في أسلوب العرض وإقامة البراهين ، وذكر أنها الأصحُّ والأوضح مما جرى عليه المتكلمون ، ومن ذلك الاستدلال على الخالق ﷻ ؛ كما هو دأب القرآن في كثير من سوره وآياته .

✖ **وأُخذ عليه** [٦] تأثره بما قعده الصوفية من تقسيم التوحيد مثلاً إلى توحيد العامة ، وتوحيد الخاصة ، **ومقام الفناء** [٧] ؛ وجعله هو الغاية القصوى في التوحيد .

---

(١) ينظر : التسهيل (سورة النساء : ٤٨) : ١ / ١٤٤ .
(٢) ينظر : التسهيل (سورة الأعراف : ٥٤ ، سورة طه : ٥) : ٢ / ٣٤ .
(٣) ينظر : التسهيل (سورة القيامة : ٢٦) : ٤ / ١٦٥ .
(٤) ينظر : التسهيل (سورة النور : ٣٥) : ٣ / ٦٧ .
(٥) ينظر : التسهيل (مثلاً : تفسير سورة الإخلاص) : ٤ / ٢٢٣ ، ٢٢٤ .
(٦) ينظر : ابن جُزيّ ومنهجه في التفسير للزُّبيري : ١ / ٥٣٠ .
(٧) تكلم ابن القيِّم (محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي) في كتابه (مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين : ١ / ١٥٤ - ١٨٦) عن الفناء بتفصيل وإسهاب كما تعرض له في مواضع عديدة من الكتاب ؛ لأن صاحب المتن (منازل السائرين) أبو إسماعيل عبد الله بن محمد الهروي المتوفى سنة ٤٨١ هـ أكثر من ذكره ، ومما قاله ابن القيم : " وهذا الإسم يطلق على ثلاثة معان : الفناء عن وجود السوى ، والفناء عن شهود السوى والفناء عن إرادة السوى ، فأما الفناء عن وجود السوى فهو فناء الملاحدة القائلين بوحدة الوجود ، وأنه ما ثم غير ، وأن غاية العارفين والسالكين الفناء في الوحدة المطلقة ونفى التكثر والتعدد عن الوجود بكل اعتبار ... وأما الفناء عن شهود السوى : فهو الفناء الذي يشير إليه أكثر الصوفية المتأخرين ، ويعدونه غاية ، وهو الذي بنى عليه أبو إسماعيل الأنصاري كتابه ، وجعله الدرجة الثالثة في كل باب من أبوابه ، وليس مرادهم فناء =

وقد يكون هذا راجعاً إلى تأثره ببيئة الأندلس في عصره ؛ حيث انتشار الطرق الصوفية بين المجتمع الأندلسي ، ولا يعني هذا أننا نصف ابن جُزيّ بالتصوف .

وهكذا نرى أن معتقد ابن جُزيّ في الغالب هو معتقد أهل السُّنة والجماعة [1] .

مذهب ابن جُزيّ :

المعروف أن المذهب الفقهي السائد في المغرب والأندلس هو مذهب **الإمام مالك بن أنس** إمام دار الهجرة ، وكانت كتب المذهب المالكي حتى هذا العصر هي التي تتصدر قائمة الكتب التي تدرس والتي تقتنى ، وابن جُزيّ كواحد من طلاب العلم في عصره نهل مما ينهل

= وجود ما سوى الله في الخارج ؛ بل فناؤه عن شهودهم وحسهم فحقيقته غيبة أحدهم عن سوى مشهوده ؛ بل غيبته أيضاً عن شهوده ونفسه ، لأنه يغيب بمعبوده عن عبادته ، وبمذكوره عن ذكره ، وبموجوده عن وجوده ، وبمحبوبه عن حبه ، وبمشهوده عن شهوده وقد يسمى حال مثل هذا سكراً اصطلاحاً ... إلى أن قال (١ / ١٥٥ / ١٥٦) : " وهذا الفناء يحمد منه شيء ، ويذم منه شيء ويعفى منه عن شيء ، فيحمد منه فناؤه عن حب ما سوى الله ، وعن خوفه ورجائه والتوكل عليه والإستعانة به ، والالتفات إليه بحيث يبقى دين العبد ظاهراً وباطناً كله لله ، وأما عدم الشعور والعلم بحيث لا يفرق صاحبه بين نفسه وغيره ، ولا بين الرب والعبد مع اعتقاده الفرق ، ولا بين شهوده ومشهوده بل لا يرى السوى ولا الغير ؛ فهذا ليس بمحمود ، ولا هو وصف كمال ، ولا هو مما يرغب فيه ويؤمر به ؛ بل غاية صاحبه أن يكون معذوراً لعجزه ، وضعف قلبه وعقله عن احتمال التمييز والفرقان ... " وقال (١ / ١٥٧) : " فزوال العقل والتمييز والغيبة عن شهود نفسه وأفعالها لا يحمد فضلا عن أن يكون في أعلى مراتب الكمال ؛ بل يذم إذا تسبب إليه وباشر أسبابه ، وأعرض عن الأسباب التي توجب له التمييز والعقل ، ويعذر إذا ورد عليه ذلك بلا استدعاء بأن كان مغلوباً عليه كما يعذر النائم والمغمى عليه ... وليس أيضا هذه الحال بلازمة لجميع السالكين بل هي عارضة لبعضهم ، منهم من يبتلى بها كأبي يزيد وأمثاله ، ومنهم من لا يبتلى بها وهم أكمل وأقوى فإن الصحابة ﷺ وهم سادات العارفين وأئمة الواصلين المقربين وقدوة السالكين لم يكن منهم من ابتلى بذلك مع قوة إرادتهم وكثرة منازلاتهم ، ومعاينة ما لم يعاينه غيرهم ولا شم له رائحة و لم يخطر على قلبه فلو كان هذا الفناء كمالاً لكانوا هم أحق به وأهله وكان لهم منه ما لم يكن لغيرهم " . اهـ . ويقول (١ / ١٦٦ ، ١٦٧) عن الفناء عن إرادة السوء فهو أن يفنى " بمراد محبوبه منه على مراده هو من محبوبه فضلا عن إرادة غيره ، واتحد مراده بمراد محبوبه – أعني المراد الديني الأمري لا المراد الكوني القدري – فصار المرادان واحداً ... وحقيقة ذلك فناؤه عن هوى نفسه وحظوظها بمراضى ربه وحقوقه " . اهـ .

(١) ينظر : ابن جُزيّ ومنهجه في التفسير للزُّبيري (منهج ابن جُزيّ العقائدي في التفسير) : ١ / ٥١٧ – ٥٩٢ ، ٢ / ٩٣٣ ، عَقِيدَةُ الإمَامِ أبي القاسم ابنِ جُزيّ علق عليها جلال علي عامر ، وهي مقدمة في العقيدة الإسلامية كتبها ابن جُزيّ وضمنها كتابه المسمَّى بالقوانين الفقهية : ١ / ٥٣٠ ، قواعد الترجيح عند ابن جُزيّ في تفسيره للجمعان : ٤٠ ، المفسرون بين التأويل والإثبات : ٢ / ٨٩٦ – ٩١٠ .

منه أقرانه ، فاستوعب الكثير من كتب الفقه المالكي على شيخه ؛ فهو مالكي المذهب ، ومن كبار المفتين في عصره من غير خلاف ، وقارب درجة الاجتهاد . لذا ترجم له **ابن فرحون** في طبقات المالكية في كتابه : (الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب)[1] . وابن جُزيّ وإن كان مالكي المذهب ؛ إلاَّ أنه لم يكن متعصباً لمذهب الإمام مالك ؛ فقد قال بعد أن ذكر المذاهب الفقهية والأئمة المجتهدين في كتابه (القوانين الفقهية) : ((فإنَّ كل واحد منهم مجتهدٌ في دين الله ، ومذاهبهم طرق موصلة إلى الله)) . اهـ[2] .

كما كان ابن جُزيّ رحمه الله مضْطَلِعاً[3] متشبعاً من بقية المذاهب ، ويشهد على ذلك كتابه : (القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية ، والتنبيه على مذهب الشافعية والحنفية والحنبلية) ، فهو كتاب في الفقه المقارن ؛ وهو لا يكتفي بذكر المذاهب الأربعة المشهورة ؛ بل يستطرد إلى ذكر غيرهم من المذاهب الأخرى[4] ؛ كل ذلك بعبارة سهلة ، وألفاظ مختصرة مع عظم الفائدة ؛ مما يدل على سعة علمه واطلاعه[5] .

---

(١) ينظر : الديباج المذهب : ١ / ٢٩٥ ، ٢٩٦ .
والإمام مالك هو : الإمام شيخ الإسلام مالك بن أنس الأصبحي ، أبو عبد الله المدني ، إمام دار الهجرة وعالمها ، صاحب المذهب المشهور ، وفضائله وأخلاقه وآدابه وعلمه يملأ الآفاق ، ت سنة ١٧٩هـ . ينظر : حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت ٤٣٠ هـ) : ٦ / ٣١٦ - ٣٥٦ ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لأحمد بن محمد بن خلكان (ت ٦٨١ هـ) : ٤ / ١٣٥ ، الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة لمحمد ابن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨ هـ) : ٢ / ٢٣٤ .
وابن فرحون هو : عبد الله بن محمد بن فرحون اليعمري المالكي ، أبو محمد : فقيه ، من العلماء بالحديث أصله من تونس ، ومولده ومنشأه في المدينة . ت سنة ٧٦٩ هـ . ينظر : الأعلام : ٤ / ١٢٦ .

(٢) ينظر : القوانين الفقهية لابن جُزيّ : ٧ .

(٣) قال ابن منظور : يقال : فلان **مضْطَلِعٌ** بهذا الأَمر ؛ أَي : قويٌّ عليه ، وهو مُفْتَعِلٌ من الضَّلاعةِ . ولا يقال : مُطَّلِعٌ بالإدغام . وقال أَبو نصر أَحمد بن حاتم : يقال : هو مُضْطلِعٌ بهذا الأَمر ومُطَّلِعٌ له ؛ فالاضْطلاعُ من الضَّلاعةِ وهي القوَّة ، والاطِّلاعُ من الفُلُوِّ من قولهم : اطَّلَعْتُ الثَّنِيَةَ ، أَي عَلَوْتُها ، أَي هو عالٍ لذلك الأَمرِ مالِكٌ له . ينظر : لسان العرب (مادة : ضلع) : ٨ / ٢٢٨ .

(٤) كمذهب الثوري ، وأبي ثور ، وسعيد بن المسيب ، والحسن البصري ، وغيرهم من علماء التابعين ، وأتباع التابعين . كما يذكر أحياناً المذهب الظاهري ، ويكاد يميل إليه ، أو يسكت عنه ، وأحياناً أخرى يهاجمه بشدة وينقده بعنف . ينظر : ابن جُزيّ ومنهجه في التفسير للزُّبيري : ٢ / ٧١٠ ، ٧١١ .

(٥) ينظر : ابن جُزيّ ومنهجه في التفسير للزُّبيري (النزعة الفقهية عند ابن جُزيّ) : ٢ / ٧٠٨ - ٧٢٩ ، تخريج الأحاديث والآثار في كتاب : التسهيل للدكتور الجهني : ١٤ ، قواعد الترجيح عند ابن جُزيّ للجمعان : ٤٣ .

الفصل الثاني

حياة ابن جُزيّ العلمية بإيجاز

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : نشأته ومكانته العلمية .

المبحث الثاني : أشهر شيوخه وتلاميذه .

المبحث الثالث : آثاره ، مصنفاته ، وفاته .

المبحث الأول : نشأته ومكانته العلمية

ظهر نبوغ ابن جُزيّ رحمه الله منذ اليفاعة ؛ حيث قدِّم خطيباً على حداثة سنِّه في (الجامع الكبير) ببلده ، فأمتع القلوب بحسن أسلوبه ، وملك الأفئدة ببراعة منطقه ووعظه وإرشاده ، وبرع في مختلف العلوم الإسلامية ؛ ولا عجب فقد نشأ في عصر [(١)] كان للحضارة الإسلامية الأندلسية دور كبير في بروز النهضة العلمية في حقل الدراسات التفسيرية ، وعلوم القرآن بصفة خاصة .

كان ابن جُزيّ إماماً في التفسير والقراءات والحديث والفقه والأصول واللغة والكلام ، وكان أديباً ، فاضلاً ، عذب الشمائل ، متواضعاً ، عاكفاً على العلم ، مشتغلاً بالنظر والتقييد والتدوين ، والإفتاء ، والجهاد ، وكان صحيح المذهب ، نقي الصدر ، اشتغل بالتدريس فتتلمذ على يديه كثير من الناس [(٢)] .

✍ ثناء العلماء عليه :

ولقد أثنى على ابن جُزيّ كثير من العلماء :

قال **لسان الدين ابن الخطيب** : " كان رحمه الله ، على طريقة مثلى من العكوف على العلم والاقتصاد على الاقتيات من حُرِّ النَّشَب [(٣)] ، والاشتغال بالنظر ، والتقييد والتدوين فقيها حافظاً ، قائماً على التدريس ، مشاركاً في فنون من العربية ، والفقه ، والأصول ،

---

(١) أسهب الزُّبيري في رسالته : (ابن جُزيّ ومنهجه في التفسير : ١ / ٤٧ - ١٢٣) في الحديث عن عصر ابن جزي والصورة السياسية للأندلس ودولة بني الأحمر ؛ وأمرائها الذين عاصرهم ابن جُزيّ وعلاقة هذه الدولة بجيرانها ، والحالة الدينية والإجتماعية والحركة العلمية والأدبية ؛ فلينظر هناك . وينظر : قواعد الترجيح عند ابن جُزيّ في تفسيره للجمعان : ١٩ - ٢٧ .

(٢) الإحاطة : ٣ / ١١ . وينظر : نفخ الطيب : ٥ / ٥١٤ ، ابن جُزيّ ومنهجه في التفسير للزُّبيري (مكانة ابن جُزيّ في التفسير) : ٢ / ٨٢٥ - ٨٤٢ .

(٣) **النَّشَب** هو : المال الأصيل . ينظر (مادة : نشب) في : العين للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥ هـ) : ٦ / ٢٦٩ ، لسان العرب : ١ / ٧٥٧ ، تاج العروس : ٤ / ٢٦٧ .

والقراءات ، والحديث ، والأدب ، حُفـَظَةً للتفسير ، مستوعباً للأقوال ، جمَّاعة للكتب ، ملوكى الخزانة ، حسن المجلس ، ممتع المحاضرة ، قريب الغور ، صحيح الباطن " . اهـ [1] .

وترجم له أيضاً في كتاب (ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب) ، فقال :

" مجتهد ، عاكف ، وروض فنون جاده من العلم كل واكف ، أقام رسم مجده ، ورفع عمد بيته في قبة العلم ونجده فأصبح صدر بلده ... فدوَّن الكثير ، وصنَّف ، وقرَّظ المسامع ، وشنَّف " . اهـ [2] .

وقال عنه **النباهي** : " محمد بن أحمد بن جزى الكلبي ، ذو البيت الأصيل ، والمجد الرفيع الأثيل " . اهـ [3] .

وقال **ابن الجزري** : " إمام مقرئ ، عارف " [4] .

وأقوال أهل العلم فيه غير ما تقدم كثيرةٌ .

ولكنه مع ما قيل فيه من الثناء العطر الجميل ، لم ينل من الشهرة ما يناسب مكانته العلمية الرفيعة ونبوغه المتميز ، وتفننه في المعارف المختلفة ، ومنهجيته المحكمة ، وطريقته المتفردة بل ظلت ولفترة طويلة شهرته محدودة ، ويكفي في التدليل على ذلك أن علامة كالسيوطي لا يشير إليه في طبقات المفسرين .

---

(١) الإحاطة : ٣ / ١١ .

(٢) ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب للسان الدين ابن الخطيب : ٢ / ٣٥٢ .

(٣) تاريخ قضاة الأندلس للنباهي : ١ / ١٧٧ . والنباهي سيأتي ترجمته في شيوخ ابن جُزيّ .

(٤) غاية النهاية : ٢ / ٧٥ .

وابن الجزري هو : محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف ، أبو الخير ، شمس الدين ، العمري الدمشقي ثم الشيرازي الشافعي ، الشهير بابن الجزري : شيخ الإقراء في زمانه ، ومن حفاظ الحديث ، ت سنة ٨٣٣ هـ . ينظر : طبقات المفسرين لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي :٥٤٩ ، شذرات الذهب : ٧ / ٢٠٤ ، الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية لطاشكبري زادة (ت ٩٦٨ هـ) : ١ / ٢٤ - ٢٩ .

ويتساءل البعض : هل يمكن أن يكون السبب في عدم اشتهاره هو أنه أندلسي نشأ بعيداً عن المشرق ؟ فأهل المغرب دائما يتهمون المشارقة بعدم الاهتمام اللازم بهم ، كما قال العلامة ابن حزم الأندلسي [1] :

أنا الشمس في جو العلوم منيرةٌ ولكن عيبي أن مطلعي الغـــــرب

ولو أنني من جانب الشرق طالع لجد على ما ضاع من ذكري النهب [2]

" الحق أن الأمر ليس كذلك فعشرات ومئات الأعلام من الشرق والغرب من علماء الإسلام وقادته لا يزالون في طي النسيان " [3] .

---

(١) ينظر : الذخيرة في محاسن أهل الجُزيّرة لأبي الحسن علي بن بسام الشنتريني (ت ٥٤٢هـــ) : ١ / ١٧٣ ، تاريخ الإسلام لمحمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨ هـــ) : ٣٠ / ٤١٤ ، نفخ الطيب : ٢ / ٨١ .
وابن حزم هو : علي بن أحمد بن سعيد بن حزم ، أبو محمد الأندلسي الظاهري ، كان إليه المنتهى في الذكاة وحدة الذهن وسعة العلم بالكتاب والسنة والمذاهب ، وكان ضليعاً في اللغة والأدب ، ت سنة ٤٥٦ هـــ . ينظر : معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب لأبي عبد الله ، ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت ٦٢٦ هـــ) : ٣ / ٥٤٦ – ٥٤٨ ، العبر في خبر من غبر لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي : ٣ / ٢٤١ ، البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة لمحمد بن يعقوب الفيروز أبادي (ت ٨١٧ هـــ) : ١ / ١٤٦ ، ١٤٧ .

(٢) **النهب** هو : ضرب من الركض . ينظر : لسان العرب (مادة : نهب) : ١ / ٧٧٤ .

(٣) قاله الزُّبيري في رسالته : ابن جُزيّ ومنهجه في التفسير : ١ / ١٥ .

المبحث الثاني : أشهر شيوخه وتلاميذه

أشهر شيوخه :

أقبل ابن جُزيّ رحمه الله على تلقي العلم والجد في طلبه ؛ وكان أبوه من أهل العلم مما جعله يكثر التلقي عن الشيوخ ويعرف قدر العلماء ومكانتهم ؛ هذا بالإضافة إلى نباهته وما أودعه الله في نفسه من الاهتمام في طلب بالعلم .

ولقد أخذ ابن جُزيّ عن جملة من أئمة علماء عصره ، ومن أشهرهم :

١. أبو جعفر ، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي ، العاصمي ، الجياني ، الغرناطي (ت ٧٠٨ هـ) خاتمة المحدثين ، ورأس العلماء المقرئين [١] ، قال عنه ابن جُزيّ في مقدمة تفسيره :

((... ثم ختم علم القرآن بالأندلس وسائر المغرب بشيخنا الأستاذ **أبو جعفر ابن الزبير** ، فلقد قطع عمره في خدمة القرآن ، وآتاه الله بسطةً في علمه ، وقوة في فهمه ، وله فيه تحقيق ونظر دقيق)) . اهـ [٢] .

٢. أبو عبد الله ، محمد بن أحمد بن داود بن موسى اللخمي ، الأندلسي ، المعروف **بابن الكماد** (ت ٧١٢ هـ) ، من جلة الفقهاء فائقا في الزهد والقناعة ودماثة الخلق ولين الجانب إليه الرحلة في القراءات ، محدثٌ حافظٌ ضابطٌ ثبتٌ ، من تصانيفه : (الممتع في القراءات) وغيره [٣] .

قال ابن جزي في تفسيره : ((قال المؤلف : قرأت القرآن على الأستاذ الصالح أبي عبد الله بن الكماد فلما بلغت إلى آخر سورة ...)) . اهـ [٤] .

---

(١) ينظر ترجمته في : الإحاطة : ١ / ٧٢ ، الديباج : ١ / ٤٢ ، الدرر الكامنة : ١ / ٩٦ ، البدر الطالع : ١ / ٣٣ ٣٤ .

(٢) مقدمة التسهيل لعلوم التنزيل : ١ / ١٠ .

(٣) ينظر ترجمته في : الديباج : ١ / ٢٩٨ ، غاية النهاية لابن الجزري : ٢ / ٥٨ ، بغية الوعاة : ١ / ١٩٩ .

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل : ٤ / ١١٢ .

٣. أبو عبد الله ، محمد بن عمر بن محمد بن رشيد الفهري ، السبتي ، الغرناطي ، المعروف **بابن رشيد** (ت ٧٢١ هـ) ، كان بحراً في علوم الإسناد والرواية ؛ مع التمكن في الدراية ، حافظٌ نظارٌ ، رحالةٌ متحل بالوقار ، مضطلع من العربية واللغة والأخبار ، عرف بجمع الكتب وحسن الخلق والتواضع والوقار ، من مصنفاته : (ملء العيبة فيما جمع بطول الغيبة) ، و (ترجمان التراجم) ومؤلفات أخرى [١] .

قال ابن جزي في تفسيره : ((حكى **شيخنا الخطيب أبو عبد الله بن رشيد** عن شيخه إمام البلغاء...)) . اهـ [٢] .

٤. أبو القاسم ، قاسم بن عبد الله بن محمد الشاط الأنصاري ، المعروف **بابن الشاط** (ت ٧٢٣ هـ) ، مؤلف : (إدرار الشروق على أنواء الفروق) ، وله كتب أخرى [٣] .

٥. أبو عبد الله ، محمد بن أحمد بن يوسف الهاشمي **الطنجالي** المالقي (ت ٧٢٤ هـ) ، خطيب متفق على صلاحه ورفقه بالناس وعطفه عليهم ، آخذا بسنن السلف سمتاً وهدياً وغضاً للبصر ، لا يتكلم إلا بذكر الله والعلم النافع ، كان مجاب الدعوة ، واستسقى ذات يوم ، فلم يبرحوا حتى سقوا ، وتذكر عنه كرامات كثيرة [٤] .

ذكر لسان الدين ابن الخطيب (ابن الشاط والطنجالي) عند ترجمة ابن جُزيّ من ضمن شيوخه ؛ فقال : " ... والخطيب الولى أبى عبد الله **الطنجالي** ، والأستاذ النظَّار المتفنن أبى القاسم ، قاسم بن عبد الله **بن الشاط** ... " . اهـ [٥] .

وسمع من مشايخ آخرين غير هؤلاء كثير . ومن الملاحظ في شيوخ ابن جُزيّ أنهم كانوا من ذوي الهمم العالية ، ومن المؤثرين في الحياة العامة ، وظهر تأثر ابن جُزيّ بهم واضحاً في مشاركته في الجهاد ، وانخراطه في صفوف المقاتلين .

---

(١) ينظر ترجمته في : الإحاطة : ٣ / ١٠٢ ، الديباج : ١ / ٣١٠ ، غاية النهاية لابن الجزري : ٢ / ١٩٣ .
(٢) التسهيل لعلوم التنزيل : ١ / ١٩٥ .
(٣) ينظر ترجمته في : الإحاطة : ٤ / ٢١٧ ، الديباج : ١ / ٢٢٥ ، هدية العارفين : ٥ / ٨٢٩ .
(٤) ينظر ترجمته في : الإحاطة ٣ / ١٨٦ ، تاريخ قضاة الأندلس : ١٥٥ ، الدرر الكامنة : ٥ / ٨٥ .
(٥) الإحاطة : ٣ / ١١ .

أشهر تلاميذه : أما تلاميذه فأهمهم أولاده الثلاثة :

١. أبو بكر ، **أحمد** بن محمد بن أحمد بن جُزيّ الكلبي ، (ت ٧٨٥ هـ) الشاعر ، الفقيه القاضي ، الكاتب ، الخطيب ، من مؤلفاته : شرح على ألفية ابن مالك ، وتقييدات على القوانين الفقهية ، ولما حفظ القرآن الكريم ألف له والده كتاباً في الحديث ليحفظه [١] ، وسيأتي الحديث عن الكتاب ضمن مؤلفات ابن جُزيّ .

٢. أبو عبد الله ، **محمد** بن جُزيّ ، (ت ٧٥٧ هـ) الفقيه ، الأصولي ، الكاتب ، الأديب الشاعر ، والعالم بالتاريخ ، والحساب واللغة ، والنحو والبيان ، نشأ بغرناطة في كنف والده ، وكان يعيره العناية التامة من حيث التربية والتعليم ، فقد ألف كتابه (تقريب الوصول) من أجله ، وأبو عبد الله هذا هو الذي دون رحلة ابن بطوطة الشهيرة ، وله تقييدات في الحديث ، وفوائد لطيفة ، وأشعار رقيقة [٢] .

٣. القاضي أبو محمد ، **عبد الله** بن جُزيّ ، العلاَّمة المعمِّر ، الإمام في اللغة والشعر ، بحرٌ في البيان والقراءات ، ولم نعثر على تاريخ وفاته [٣] .

٤. أبو عبد الله ، محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني اللوشي الأصل ، الغرناطي الأندلسي الشهير **بلسان الدين ابن الخطيب** (ت ٧٧٦هـ) : وزير مؤرخ أديب نبيل . وكان يلقب بذي الوزارتين : القلم والسيف ، ويقال له (ذو العمرين) لاشتغاله بالتصنيف في ليله ، وبتدبير المملكة في نهاره . ومن مؤلفاته : (الإحاطة في أخبار غرناطة) ، و (حمل الجمهور على سنن المشهور) ، وغيرها مما يربو على الستين كتاباً في فنون متنوعة [٤] .

جاء في مشيخة لسان الدين ابن الخطيب : " ... **وقرأت** على الخطيب الحسيب الصدر أبي القاسم ابن جزي رحمه الله تعالى ... " . اهـ [٥] .

---

(١) ينظر ترجمته في : الإحاطة : ١ / ٥٢ ، ونفح الطيب : ٥ / ٥١٧ – ٥٢٥ .
(٢) ينظر ترجمته في : الإحاطة : ٢ / ١٦٣ ، الدرر الكامنة : ٥ / ٤٢٨ ، نفح الطيب : ٥ / ٥٢٦ .
(٣) ينظر ترجمته في : الإحاطة : ٣ / ٣٩٨ ، ٣٩٩ ، نفح الطيب : ٥ / ٥٣٩ .
(٤) ينظر ترجمته في : الوفيات : ٣٧٢ ، ٣٧٣ ، نفح الطيب : ٥ / ٧٥ - ٨٠ ، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لمصطفى بن عبدالله القسطنطيني الرومي الحنفي (ت ١٠٦٧ هـ) : ١ / ١٥ .
(٥) نفح الطيب : ٥ / ٦٠٤ .

٥. **أبو الحسن النباهي** ، علي بن عبد الله بن الحسن الخدامي ، القاضي الفقيه الحسيب ، الخطيب الكاتب (ت ٧٩٣ هـ) [١] .

وقد ذكر النباهي ذكر شيخه ابن جُزيّ عرضاً في آخر ترجمته للقاضي أبي القاسم الشريف الغرناطي ، وأنه خلفه بعد وفاته أحمد المكني أبا جعفر أو أبا بكر بن جُزيّ قال فيه : " ... **بن شيخنا** الأستاذ الحافظ الخطيب الشهير أبي القاسم محمد بن أحمد بن جزى الكلبي ، ذو البيت الأصيل ... " . اهـ [٢] .

٦. **عبد الحق بن عطية** ، هو الفقيه عبد الحق بن محمد بن عطية المحاربي (ت ٧٧٠ هـ) ، القاضي الخطيب ، من كبار أعيان الأندلس وسليل بيت العلماء [٣] .

جاء في الإحاطة تعريف ابن عطية لأشياخه فقال : " **وأما أشياخي** ، فإني قرأت بالحضرة (يقصد العاصمة غرناطة) على الأستاذ الخطيب أبي الحسن القيجاطي ، والأستاذ الخطيب أبي القاسم **ابن جُزيّ** ... " . اهـ [٤] .

٧. أبو القاسم ، محمد بن محمد بن يوسف الأنصاري ، المعروف **بابن الخشاب** (ت ٧٧٤ هـ) علامة عالم بالفقه والقراءات [٥] . جاء في غاية النهاية في ترجمة ابن جُزيّ : : " **وقرأ عليه** أبو القاسم محمد بن محمد بن الخشاب " . اهـ [٦] .

٨. **أبو عبد الله الشّديِّد** ، محمد بن قاسم بن أحمد الأنصاري (ت٧٧٦ هـ) تقريباً [٧] قال لسان الدين ابن الخطيب عند ذكر مشيخته : " ... وجوَّد بحرف نافع على شيخنا أبي البركات ، وتلا على **شيخنا أبي القاسم بن جُزيّ**... " .

وتلاميذ الإمام ابن جُزيّ غير هؤلاء كثيرون .

---

(١) تاريخ قضاة الأندلس للنباهي : ١٧٧ .
(٢) ينظر ترجمته في : الإحاطة : ٤ / ٦٩ ، الأعلام : ٤ / ٣٠٦ .
(٣) ينظر ترجمته في : الإحاطة : ٣ / ٤٢٥ ، نفح الطيب : ٢ / ٥٢٦ .
(٤) الإحاطة (ترجمة عبد الحق بن عطية) : ٣ / ٤٣١ .
(٥) ينظر ترجمته في : غاية النهاية لابن الجزري : ٢ / ٢٢٦ ، الدرر الكامنة : ٥ / ٤٥٩ .
(٦) غاية النهاية لابن الجزري : ٢ / ٧٥ .
(٧) ينظر ترجمته في : الإحاطة : ٣ / ١٤٨ ، وابن جُزيّ ومنهجه في التفسير للزُّبيري : ١ / ٢١١ .

المبحث الثالث : آثاره ، مصنفاته ، وفاته

وعلى الرغم من ثناء العلماء على ابن جُزيّ إلاَّ أن مصنفاته لم تنل الشهرة المطلوبة ، و لم يذكر إقبالاً من قبل طلبة العلم عليها ، حتى أن تفسيره لم ينسب إليه حتى من قبل أقرب تلامذته كما سأذكر ذلك لاحقاً ، وكان هو الوحيد الذي اشتهر في بلاد المغرب ، ثم حين طبع اقتناه المشارقة واعتمد أهل العلم آراؤه مؤخراً [١] .

وإن الباحث ليجد لابن جُزيّ رحمه الله آثاراً خلدت له ذكراً في فنون متنوعة ، وعلوم شتى تشهد له بالعلم والفهم ونور البصيرة ، وهذه الآثار تتمثل في **مصنفاته** كما تتمثل في **شعره** [٢] .

ومن مصنفاته [٣] :

في التفسير وعلوم القرآن :

١. التسهيل في علوم التنزيل ، وهو تفسيره المطبوع : موضوع البحث [٤] .

٢. المختصر البارع في قراءة نافع .

٣. أصول القراءات الستة غير نافع .

وفي الحديث النبوي الشريف :

٤. الأنوار السنية في الألفاظ السنية .

---

(١) ينظر : علوم القرآن من خلال مقدمات التفاسير للدكتور محمد صفاء شيخ إبراهيم حقي ، أستاذ التفسير وعلوم القرآن بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية : ١ / ٤٦٣ .

(٢) ينظر : ابن جُزيّ ومنهجه في التفسير للزُّبيري (آثار بن جُزيّ) : ١ / ٢١٥ – ٢٤٠ .

(٣) ينظر : الإحاطة : ٣ / ١١ ، الديباج : ١ / ٢٩٥ ، الدرر الكامنة : ٥ / ٨٩ ، برنامج المجاري : ١ / ٨٧ ، نفح الطيب : ٥ / ٥١٥ ، هدية العارفين : ٦ / ١٦٠ ، فهرس الفهارس والأثبات : ٣ / ٣٦٤ .

(٤) هذا التفسير هو الذي نحن بصدد جمع ترجيحات ابن جُزيّ فيه ؛ وعرضها ومناقشتها مناقشة علمية ، وتوضيح منهج ابن جُزيّ في الترجيح .

٥. وسيلة المسلم في تهذيب صحيح مسلم .

٦. الدعوات والأذكار المخرجة من صحيح الأخبار .

وفي الفقه وأصوله :

٧. القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية ، والتنبيه على مذهب الشافعية والحنفية والحنبلية ، طبع عدة مرات .

٨. تقريب الوصول إلى علم الأصول .

٩. الصلاة: كتاب في الفقه والترغيب .

وفي العقائد :

١٠. النور المبين في قواعد عقائد الدين .

١١. الضروري من علوم الدين .

وفي النحو :

١٢. الفوائد العامة في لحن العامة .

وفي علم التاريخ والتراجم :

١٣. فهرسة كبيرة اشتملت على كثير من أهل المشرق والمغرب .

وقد نسب الأستاذ / **عبد الكريم الفضيلي** في مقدمة تحقيقه للقوانين لابن جُزيّ [١] كتاباً بعنوان : (الإشارات الصوفية) وذلك اعتماداً على نص محرف في هذا الكتاب (التسهيل لعلوم التنزيل) ، وهو :

---

(١) ينظر : القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية لابن جُزيّ ، تحقيق : عبد الكريم الفضيلي ؛ وهو كاتب معاصر . ذكر هذا الدكتور/ محمد بن سيدي محمد بن مولاي في تحقيقه لكتاب : (التسهيل) :٢٨ .

((وقد ذكرنا هذا في كتاب ما يستحسن من الإشارات الصوفية)) [1] .

والصواب الذي يوجد في المخطوطات الصحيحة ، هو كالتالي: ((وقد ذكرنا في كتابنا هذا ما يستحسن من الإشارات الصوفية .....)) ثم بدأ يوضح ذلك .

شعره [2] :

كان الإمام ابن جُزيّ شاعراً مجيداً ، حسن الشعر قوي الأسلوب ، وكان دائماً ينسج الشعر في الأغراض النبيلة ، تمثَّل ذلك في الرقائق والمدائح النبوية ، وقد احتفظ تلميذه لسان الدين ابن الخطيب وغيره بجملة طيِّبة منها .

ومن شعره قوله في **مدح النبي ﷺ** :

أَرومُ امتداحَ المصطَفى فيردُّني ... قُصوري عن إدْراكِ تِلك المناقِبِ
وَمَنْ لي بحَصْرِ البَحْرِ والبَحرُ زَاخِرٌ ... ومن لي بإحصاء الحصىَ والكواكبِ
وَلَوْ أنَّ كُلَّ العَالمِيـنَ تَألَّفُـوا ... على مدحه لم يبلغوا بعضَ واجِبِ
فَأمْسَكْـتُ عنْه هَيبةً وَتأدباً ... وخَوْفاً وإعظامـاً لأرفع جانـبِ
ورُبَّ سُكُـوتٍ كان فيه بلاغةٌ ... ورُبَّ كَلامٍ فيـه عَتْبٌ لعاتـبِ

ومن شعره أيضاً قوله :

يا ربُّ إنَّ ذنوبي اليوم قد كَثُرَتْ ... فَمَا أطِيقُ لها حَصْرَاً وَلا عَدَداً
وَليسَ لي بعذابِ النَّارِ من قِبَـلِ ... وَلا أطيقُ لها صَبْرَاً وَلا جَلَداً
فَانظرْ إلهي إلى ضَعْفِي وَمَسكَنتِي ... وَلا تذيقني حَرَّ الجَحِيمِ غَـدَاً

---

(١) ينظر مثلا : التسهيل : ١ / ٨ . طبعة دار الكتاب العربي ، لبنان ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م ، ط ٤ .
وقد وقع في هذا الوهم كل من الأستاذ / عبد الحميد محمد ندا في رسالته : (ابن جُزيّ وجهوده في التفسير من خلال التسهيل) : ٨٦ ، والدكتور / أبو الريش في رسالته : (عن ابن جُزيّ وأثره في الفقه الإسلامي) ، نقل ذلك كله الدكتور الزُّبيري في كتابه ابن جُزيّ ومنهجه في التفسير : ١ / ٢٤ .

(٢) ينظر : الإحاطة : ٣ / ١٢ ، ١٣ ، الديباج : ١ / ٢٩٦ ، نفح الطيب : ٥ / ٥١٥ - ٥١٧ .

ومن شعره أيضاً قوله :

وكم من صفحة كالشمس تبدو فيسلي حسنها قلب الحزين
غضضت الطرف عن نظري إليها محافظة على عرضـــي وديني

ومن نظمه أيضاً :

أيا من كففت النفس عنه تعففا وفي النفس من شوقي إليه لهيـــب
ألا إنما صبري كصبر وإنمـــــا على النفس من تقوى الإله رقيب

✍ وفاته :

توفي – رحمه الله تعالى – يوم الاثنين السابع من جمادى الأولى سنة إحدى وأربعين وسبعمائة ٧٤١هـــ ، في **موقعة (طريف)** [١] بين المسلمين والنصارى ، حيث قتل في ساحة الجهاد وهو يحرض المؤمنين ويشحذ هممهم ، وقد حقق الله له أمنية طالما تمناها ، وهي الشهادة في سبيل الله ، فمن آخر شعره يوم الوقيعة [٢] قوله :

قَصْدي المؤمل في جَهْري وإسْرَاري ومَطْلَبي من إلَهي الواحد البَاري
شهـــادةٌ في سَبيل الله خَالصـــةٌ تَمْحُو ذُنُوبي وتُنْجِيني مِنَ النَّارِ

---

(١) **طريف** هو : اسم جُزيرة في جنوب بلاد الأندلس (أسبانيا حالياً) ، في المثلث الذي في رأسه جبل طارق ، وهي تقابل مدينة سبتة المغربية ، كانت تسمى (جُزيّرة بالوما) في الجانب الأسباني ، وعرفت هذه الجُزيّرة فيما بعد باسم (طريف) على اسم (طريف بن مالك) أول قائد مسلم عبر البحر إلى أسبانيا أرسله موسى بن نصير قبل طارق بن زياد في رمضان عام ٩١ هـــ . ينظر : تاريخ ابن خلدون : ٤ / ١٥٠ ، معجم البلدان : ١ / ٢٦٢ ، ٢٦٣ .
وموقعة طريف (أو موقعة سالادو) : موقعة شهيرة وقعت بين المسلمين بقيادة ابن سلطان المغرب أبي الحسن المريني (أبو مالك) ، فاخترق سهول الجُزيّرة الخضراء معلناً الجهاد ، فاجتاح أراضي النصارى وحصل على غنائم لا تحصى ، غير أن النصارى من قشتالة وأراجون والبرتغال كونوا أسطولاً بحرياً متحداً ليستقر بالمضيق ، فيمنع الإمدادات عن جيوش المغرب ، وسارت قوى النصارى المتحدة للقاء المسلمين ، وبارك البابا هذه الحملة ، فباغتوا أبا مالك عند عودته بالوادي الذي كان يقع بين حدود النصارى و أرض المسلمين ، فكانت موقعة عظيمة قتل فيها (أبو مالك) ، وهزم جيشه هزيمة منكرة ، وفقد خلالها السلطان أبو الحسن المريني أولاده وزوجاته وانتهب معسكره . قال المقري في وصف هذه الموقعة : " وبالجملة فهذه الواقعة من الدواهي المعضلة الداء والأزراء ؛ التي = = تضعضع لها ركن الدين بالمغرب ، وقرت بذلك عيون الأعداء " . اهـــ . ينظر : نفح الطيب : ٥ / ١٥ . وينظر : شذرات الذهب : ٦ / ١٢٨ .
(٢) ينظر : ابن جُزيّ ومنهجه في التفسير للزُّبيري : ١ / ١٧٠ .

إنَّ المعَاصِـــي رجْسٌ لا يطهِّرُها إلا الصَّوَارِم في أيْمَان كفـَّارِ

ثم قال : في هذا اليوم أرجو أن يعطيني الله ما سألته في هذه الأبيات . وهكذا صدق ابن جُزيّ مع الله فصدقه الله .

وقد عاش ابن جُزيّ ٤٨ سنة فقط ، ولكن الله جعل له البركة في عمره ، فعمل أعمال المعمِّرين ، فرحمه الله تعالى رحمة واسعة ، وأسكنه فسيح جناته ، وغفر له ، وجعل ما قدَّمه علماً نافعاً لا ينقطع أجره عنه ، ويؤنس وحشته في قبره ، ويحشرنا وإيَّاه في زمرة سيِّد الخلق أجمعين ؛ نبيِّنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه وآله وزوجاته الطاهرات أمهات المؤمنين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

الباب الثاني

التعريف بكتاب : (التسهيل)
ومنهج ابن جُـزيّ في الترجـيـح

وفيه فصلان :

الفصل الأول
التعريف بـكتاب : (التسهيل لعلوم التنزيل)

الفصل الثاني
منهج ابن جُزيّ في الترجيح

الفصل الأول

التعريف بـكتاب
(التسهيل لعلوم التنزيل)

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : القيمة العلمية للكتاب .

المبحث الثاني : نسخ الكتاب وطبعاته .

المبحث الثالث : منهج المصنف في كتابه .

تمهيد

إنَّ أبا القاسم محمد بن أحمد بن جُزيّ رحمه الله مفسِّرٌ متبحرٌ في العلوم الشرعية ووسائلها ؛ من أدب ولغة ونحو ، ملماً بعلوم القرآن ، وبكل ما يحتاجه المفسر من مقومات التفسير ، حتى أصبح مفسراً لامعاً ساطعاً يشار إليه بالبنان .

✍ اسم الكتاب ونسبته إلى مؤلفه:

اسم الكتاب بلا نزاع هو : (التسهيل لعلوم التنزيل) فقد أثبته المؤلف في مقدمة الكتاب ، ومن الغريب أن **ابن الخطيب** وهو أشهر من ترجم لابن **جُزيّ** وأقربهم إليه لم يصرح باسم التسهيل مكتفياً بقوله : - بعد أن سرد معظم مؤلفات ابن جُزيّ - " ..... إلى غير ذلك مما قيده في التفسير والقرءات وغير ذلك " [(١)] ، وكذلك لم يصرح به **ابن فرحون** في الديباج المذهب ، ولا **ابن حجر** في الدرر الكامنة ، ولا **المقري** في نفح الطيب [(٢)] .

والسبب في ذلك : كما يرى الزُّبيري هو أن (التسهيل) كما يبدو هو آخر كتب ابن جُزيّ تأليفاً فلم يشتهر اسمه ؛ و لم ينتشر كما انتشرت كتبه الأخرى التي أخذها عنه تلامذته ودرسوا عليه فيها [(٣)] .

وأوَّل من صرَّح بنسبته له هو : محمد بن عبد الملك بن علي **القيسي** ، **المنتوري** ، الغرناطي (ت ٨٣٤ هـ) في مقدمة كتابه : (مناهج العلماء الأخيار) ، وهو من تلاميذ أحمد وعبد الله ابني أبي القاسم بن جُزيّ صاحب التفسير [(٤)] ، ثم نقله عنه **سليمان الجمل** [(٥)] في

---

(١) ينظر : الإحاطة : ٣ / ١٠ - ١٣ .

(٢) ينظر : الديباج المذهب : ١ / ٢٩٢ ، الدرر الكامنة : ٥ / ٨٨ ، ٨٩ ، نفخ الطيب : ٥ / ٥١٤ - ٥٤٠ .

(٣) ينظر : ابن جُزيّ ومنهجه في التفسير للزُّبيري : ١ / ٢٢٠ .

(٤) ينظر : الأعلام : ٦ / ٢٥٠ .

(٥) **الجمل** هو : سليمان بن عمر بن منصور العجيلي الأزهري ، المعروف بالجمل : مفسرٌ محدثٌ ، من أهل منية عجيل (إحدى قرى الغربية بمصر) انتقل إلى القاهرة ، له مؤلفات ، منها : الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية ، وهي حاشية على تفسير الجلالين . ت سنة ١٢٠٤ هـ . ينظر : تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار لعبد الرحمن بن حسن الجبرتي (ت ١٢٣٧ هـ) : ٢ / ٨٨ ، هدية العارفين : =

حاشيته على تفسير الجلالين ، وذكر (التسهيل) باسمه ثم توالى المترجمون له وخاصة في العصر الحديث [1] .

هكذا ذكر الزُّبيري ؛ لكنني عند الرجوع لكتاب الأعلام وترجمة (المنتوري) لم أجد له كتاباً باسم (مناهج العلماء الأخيار) ، وكذلك في كتب تراجم الرجال الأخرى ، وما وجدته له فهرسة تشتمل على رواياته .

ووجدت في ترجمة (القصَّار) محمد بن قاسم بن محمد بن علي القيسي ، الأندلسي الأصل الفاسي ، أبو عبد الله المعروف بالقصَّار (ت ١٠١٢ هـ) : محدث المغرب في وقته ، أن له كتاب : (مناهج العلماء الأخيار في تفسير أحاديث كتاب الأنوار) [2] .

✌ **فلا أدري أيهما الذي صرَّح بنسبة التسهيل لابن جُزيّ ؛ هل هو القيسي المنتوري في فهرسته ، أو القيسي (القصار) في كتاب : (مناهج العلماء الأخيار) .. فلم أقف على كلا الكتابين .**

= ٥ / ٤٠٦ ، الأعلام : ٣ / ١٣١ .

(١) ينظر : ابن جُزيّ ومنهجه في التفسير للزُّبيري : ١ / ٢٢١ .

(٢) ينظر : الأعلام : ٦ / ٢٥٠ .

المبحث الأول : القيمة العلمية للكتاب

احتل تفسير ابن جُزيّ (التسهيل لعلوم التنزيل) مكانة مرموقة عند أهل المغرب العربي عامة ، واشتهر شهرة واسعة لديهم لعظيم ما تضمنه من الفوائد والمعاني ، غير أنه لم يشتهر عند المشارقة كما ذكرنا سلفاً تلك الشهرة التي تليق بسِفْرٍ عظيمٍ هكذا ؛ وذلك لأسباب ربما تعود للظروف التي تعرضت لها بلاد الأندلس ، أو ظهور تفاسير لأناس لهم مكانة مرموقة في المشرق في عصره [1] .

ويعد تفسير ابن جُزيّ آخر التفاسير الأندلسية التي تناولت القرآن بأكمله ، وهو آخر التفاسير التي وصلت إلينا من هذه الديار ، واستطاع المصنف أن يقدمه في أبهى صورة وأحلى حلة ، بجمل رصينة ، وعبارات قوية جمعت بين الإيجاز وحسن العرض دون أن يخل بالمعاني المراد بيانها [2] .

لقد تضمن تفسير ابن جُزيّ كثيراً من تفاسير السلف للقرآن الكريم في عبارة وجيزة ، وأسلوب مبسط ، وحوى عدداً كبيراً من الحديث النبوي الشريف ؛ حتى أنه ليعتبر أقرب إلى التفسير بالمأثور من التفسير بالرأي ؛ وإن كان لم يعتن بتصحيح الروايات وتضعيفها [3] وإن كان أسهم بجهد لا بأس به في ذلك .

ومما يزيد في قيمة تفسير ابن جُزيّ أنه ابتدأه بمقدمتين :

المقدمة الأولى : في أصول التفسير وقواعده وما يتعلق به من علوم القرآن ، وقد جعلها في اثني عشر باباً .

---

(١) أمثال أبو حيان النحوي ؛ تنقل إلى أن أقام **بالقاهرة** ، وتوفى فيها بعد أن كف بصره (سنة ٧٤٥ هـ) ، وابن كثير (ت بدمشق سنة ٧٧٤ هـ) وغيرهما . ينظر : الأعلام للزِّركلي : ١ / ٣٢٠ ، ٧ ، ١٥٢ .

(٢) ينظر : علوم القرآن من خلال مقدِّمات التفاسير للدكتور محمد صفاء حقِّي : ١ / ٤٦٥ .

(٣) قام **الدكتور سامي بن مساعد الجهني** بتخريج الأحاديث والآثار الواردة في كتاب (التسهيل) لابن جُزيّ في رسالة ماجستير من جامعة أم القرى ، بعنو ان : (**تخريج الأحاديث والآثار في كناب : التسهيل لعلوم التنزيل**) . وحصل فيها على تقدير ممتاز ، مع التوصية بالطباعة .

المقدمة الثانية : وهي مقدمة لغوية خاصة بالألفاظ التي يكثر دورانها في القرآن الكريم ، وهذه المقدمة بمثابة معجم مصغر لألفاظ القرآن .

وتفسير ابن جُزيّ ينفرد بهاتين المقدمتين عن بقية كتب التفسير ، وإن كان **ابن عطية** [1] قد سبقه إلى كثير مما ذكره في المقدمة الأولى ، غير أنه يتعرض لأمور لم يذكرها ابن عطية ولا **القرطبي**[2] في تفسيرهما ، وانفرد عنهما بمقدمته الثانية .

إن ابن جُزيّ مفسرٌ له مكانته العلمية الخاصة وشخصيته المستقلة التي تجمع بين الأصالة والتجديد ، وتؤهله لأن يناقش كبار المفسرين ويزاحمهم بآرائه لما يمتلك من معارف نقلية وعقلية ومن قواعد الترجيح ، فقد يورد أقوال المفسرين ويتعقبها بالنقد والملاحظة ؛ **كأقوال ابن جرير الطبري** [3] ، وابن عطية **والزمخشري** [4] وغيرهم ، مما يكشف لنا جانباً من الشخصية التفسيرية المستقلة له ؛ فقد احتوى كتابه : (التسهيل لعلوم التنزيل) على آراء جديدة بالنسبة لعصر المؤلف ، وبيئته ، وظهرت فيه جهود مؤلف في مجالات وقضايا عديدة في مجال العقيدة ، وفي مجال الأحكام ، وفي مجال القصص ، وكذا في مجال التصوف وإصلاح

---

(١) **ابن عطية** هو : عبد الحق بن غالب بن عطية المحاربي الغرناطي ، أبو محمد الأندلسي ، كان فقيهاً عالماً بالتفسير والحديث واللغة والنحو ، ت سنة ٥٤٦ هـ . ينظر : سير أعلام النبلاء : ١٩ / ٥٨٦ ، تذكرة الحفاظ للذهبي : ٤ / ١٢٩٤ ، طبقات المفسرين للسيوطي : ١ / ٦٠ .

(٢) **القرطبي** هو : محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي أبو عبد الله ، القرطبي : من كبار المفسرين ، وكان صالحاً ورعاً متعبداً طارحاً للتكلف ، من كتبه : الجامع لأحكام القرآن ويعرف بـ (تفسير القرطبي) ، والتذكرة بأحوال الموتى وأحوال الآخرة وغير ذلك . ت سنة ٦٧١ هـ . ينظر : الديباج : ١ / ٣١٧ ، طبقات المفسرين للسيوطي : ٩٢ ، نفح الطيب : ٢ / ٦٨٥ .

(٣) **الطبري** هو : محمد بن جرير بن يزيد الطبري ، الشافعي ، أبو جعفر : المؤرخ المفسر الإمام . وهو أوثق من نقل التاريخ ، وفي تفسيره ما يدل على علم غزير ، وكان مجتهداً في أحكام الدين ولا يقلد أحداً . ت سنة ٣١٠ هـ . ينظر : طبقات الفقهاء لأبي إسحاق ، إبراهيم بن علي الشيرازي (ت ٤٧٦ هـ) : ١ / ١٠٢ ، السِّير : ١٤ ، ٢٦٧ ، البداية والنهاية لأبي الفداء ، إسماعيل بن عمر بن كثير (ت ٧٧٤ هـ) : ١١ / ١٤٥ .

(٤) **الزَّمخشَري** هو : محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري ، جار الله ، أبو القاسم : النحوي ، اللغوي ، الحنفي ، المتكلم ، المفسِّر . أشهر كتبه : الكشاف : في تفسير القرآن ، وأساس البلاغة وغير ذلك . وكان معتزليّ المذهب ، مجاهراً ، شديد الإنكار على المتصوفة ، ت سنة ٥٣٨ هـ . ينظر : وفيات الأعيان : ٥ / ١٦٨ ، البلغة : ١ / ٢٢٠ ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لأبي المحاسن يوسف بن تغري بردى الأتابكي (٨٧٤ هـ) : ٥ / ٢٧٤ .

النفس وتقويمها وضرورة تخلصها من الآفات ، وأيضاً في مجال اللغة والنحو وعلم البيان ؛ فله إسهاماتٌ إيجابية وكثيرٌ من الفوائد [1] .

ولهذا فإن كتابه هذا على صغر حجمه يعتبر كنزاً ثميناً جمع من الفوائد والنكات العلمية ما تكل عنه الكتب الكبيرة فهو عصارة لأقوال المفسرين وفيه من فنون العلم ما تقر به أعين القارئين والمطالعين ، وقد تميز بسمات تدل على التعمق والتفنن والتمكن من المعارف المختلفة فهو يهتم بالقراءات ، وبأسباب النزول ، وباللغة ، وبالأحكام الفقهية ، وبالتفسير بالأثر ، وبالاجتهاد الشخصي .. إلى غير ذلك .

وعلى كل حال ففي التسهيل إضافات تفسيرية كثيرة يدركها من لازم الكتاب وقارنه بكتب التفسير الأخرى .

---

(١) ينظر : ابن جُزيّ ومنهجه في التفسير للزُّبيري : ٢ / ٨٨٢ ، ٨٨٧ - ٨٨٩ ، تخريج الأحاديث والآثار في كتاب التسهيل لعلوم التنزيل للجهني : ٢٣ ، قواعد الترجيح عند ابن جُزيّ في تفسيره للجمعان : ٣٨ .

المبحث الثاني : نسخ الكتاب وطبعاته

إن كتاب : (التسهيل لعلوم التنزيل) للإمام محمَّد بن أحمد بن محمد بن جُزيّ الكلبي الغرناطي كتابٌ مختصرٌ في تفسير القرآن العظيم ، وسائر ما يتعلق به من العلوم ، وهو يحظى بعناية الكثيرين من طلاب العلم في العالم الإسلامي ، ووجوده مصحَّحاً ومدققاً يسدّ فراغاً في منظومة كتب التفسير المتنوعة .

طبعات كتاب (التسهيل لعلوم التنزيل) :

وقد طبع هذا الكتاب طبعات كثيرة أوَّلها [1] :

- ❖ طبعة المكتبة التجارية الكبرى بمصر ، ١٣٥٥ هـ ، وعلى غلافها : " عني بمقابلتها على عدة نسخ مخطوطة بالمكتبة الملكية ، وصحَّحها نخبة من العلماء " وهي في مجلدين . ثم توالت الطبعات بعد ذلك .

- ❖ فمنها : طبعة دار الكتاب العربي ببيروت ، ١٣٩٣هـ ، وهذه الطبعة هي التي اعتمد عليها الدكتور/ علي محمد الزُّبيري رحمه الله في دراسته عن ابن جُزيّ ومنهجه في التفسير ، والدكتور / سامي بن مساعد الجهني في تخريجه للأحاديث والآثار في كتاب التسهيل لابن جُزيّ (رسالة ماجستير في جامعة أم القرى) .

- ❖ ومنها : طبعة دار الكتاب العربي أيضاً ، ١٤٠٣هـ ، بتحقيق : لجنة إحياء التراث في دار الكتاب العربي .

---

(١) قام الدكتور : **محمد بن سيدي محمد بن مولاي** ، بتحقيق جيد لكتاب (التسهيل) لابن جُزيّ ، **وقد اعتمد خمس نسخ خطية** ، ونبَّه على أخطاء قلّ من ينتبه لها ، كما انه أعاد ترتيب الكتاب وأثبته بقراءة نافع كما وضعه المؤلف ، مع تخريج الأحاديث ... وقد قدَّمه للطباعة في إحدى الدور البيروتية . ينظر : تحقيق ودراسة كتاب التسهيل لعلوم التنزيل للإمام محمد بن أحمد بن محمد بن جُزيّ الكلبي الغرناطي المالكي الدكتور/ محمد بن سيدي محمد بن مولاي ، أستاذ بالمعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية موريتانيا (عام ١٤٢٧ هـ) : ٦ - ١٤ . وقد ذكر الدكتور محمد بن سيدي أنه كان يرجع إلى التسهيل من وقت لآخر لكثرة أخذ الشناقطة منه وذلك عند كتابته لأطروحته للدكتوراه والتي عنوانها : (التفسير والمفسرون ببلاد شنقيط) ، وأزعجه ما وجد فيها من أخطاء كثيرة ، ولذلك صرف همته في الحصول نسخ خطية من هذا الكتاب للاعتماد عليها في تصحيحه حسب الإمكان ، وإخراجه على الحالة اللائقة به ، وقد وفقه الله في ذلك .

❖ ومنها : طبعة دار الكتب الحديثة بالقاهرة ، تحقيق : محمد عبد المنعم اليونسي ، وإبراهيم عطوة عوض ، بدون تاريخ [١] . [٢]

❖ ومنها : طبعة دار الكتب العلمية ببيروت ، صحَّحه وخرج آياته : محمد سالم هاشم ، ط ١ ، ١٤١٥ هـ ، ١٩٩٥ م ، ج ٢ .

❖ ومنها : طبعة دار الأرقم ببيروت ، ١٤١٦هـ ، تحقيق : د. عبد الله الخالدي .

❖ وطبعات أخرى هي في الغالب مصورة من طبعة المكتبة التجارية المتقدمة الذكر ، وآخر طبعة لهذا الكتاب هي : طبعة المكتبة العصرية ببيروت ، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣ م [٣] ، تحقيق : رضا فرج الهمامي [٤] .

وكل هذه الطبعات مليئة بالأخطاء وينقصها الإشراف العلمي المطلوب .

ووُجد في المقدمتين في صدر الكتاب في آخر طبعة لهذا الكتاب - وهي طبعة المكتبة العصرية - مئات الأخطاء والكثير من هذه الأخطاء يغير المعنى .

ومن هذه الأخطاء التي وقعت فيهما كل المطابع التي طبعت الكتاب [٥] :

الخطأ الأول :

أن ابن جُزيّ صدر كتابه بمقدمتين إحداهما تتعلق بمعاني اللغات ورتَّبها على حروف المعجم وذلك حسب ترتيب المغاربة ، وهي طريقة ترتب الحروف كالتالي : أ ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز ط ظ كل من ص ض ع غ ف ق س ش هـ و ي ، وهذه الطريقة غير مجهولة في

---

(١) يوجد نسخة من هذه الطبعة في مكتبة جامعة الملك سعود . ينظر : فهرس مكتبات جامعة الملك سعود رقم : (ARA م ٢١٢ ج ق ت) .

(٢) ينظر : علوم القرآن من خلال مقدِّمات التفاسير للدكتور محمد صفاء حقّي : ١ / ٤٦٩ .

(٣) ذكر الدكتور / محمد بن سيدي محمد بن مولاي أغلب هذه الطبعات في تحقيقه لكتاب التسهيل لابن جُزيّ : ٧ .

(٤) يوجد في مكتبة الملك فهد الوطنية : طبعة المكتبة العصرية بتحقيق : رضا فرج الهمامي (رقم التسجيلة : ٣١٤٤٢٩) .

(٥) ينظر : تحقيق ودراسة كتاب التسهيل لابن جُزيّ للدكتور/ محمد بن سيدي محمد بن مولاي : ٩ - ١٣ .

الغرب الإسلامي ووضعت عليها مؤلفات كثيرة [1] .

وكان من الأحرى بمن أراد أن يرتب هذه المقدمة على طريقة المشارقة في ترتيب الحروف أن يبين ذلك .

أما الذين قاموا بطباعة التسهيل فكلهم غيَّروا هذه المقدمة ، وجعلوها حسب ترتيب المشارقة ولم يذكروا ما حصل في ذلك من التغيير ، ويمكن أن يكون ما فعلوه عن غير عمد ، لأنهم اعتمدوا المطبوع وليست عندهم مخطوطات للكتاب ، يتبينون من خلالها الترتيب الصحيح .

كما أن بعض هذه الطبعات جعلت المقدِّمات ملحقاً في نهاية الكتاب ، وذلك تغيير لا مبرر له ، ومن هذه الطبعات طبعة دار الكتاب العربي ببيروت ، ١٤٠٣هـ .

الخطأ الثاني :

أن المؤلف قال في مقدمته : ((وإنما بنينا هذا الكتاب على **قراءة نافع** لوجهين :

أحدهما : أنها القراءة المستعملة في بلادنا بالأندلس وسائر بلاد المغرب .

الأخرى : اقتداء بالمدينة شرفها الله ... إلخ)) . اهـ [2] .

ولم تلتزم أي طبعة بهذا بل إنها كلها غيرت القراءة إلى **قراءة عاصم** من رواية **حفص** [3] ولم

---

(١) من هذه المؤلفات : **التمهيد** لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ، للفقيه العلامة الحافظ أبي عمر يوسف بن عبد البر النمري الأندلسي (ت ٤٦٣هـ) . ومنها : **معجم ما استعجم** من أسماء البلاد والمواضع للوزير الفقيه أبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي (ت ٤٨٧هـ) . ومنها : **المحتوى الجامع في رسم الصحابة** وضبط التابع للطالب عبد الله ابن الشيخ محمد الأمين الجكني الشنقيطي . ومنها : **الحملة في رسم القرآن** لسيدي عبد الرحمن بن سيدي أبي بكر الشنقيطي المسومي . ومنها : **كشف العمى في رسم القرآن وضبطه** للشيخ محمد العاقب الجكني الشنقيطي . ومؤلفات أخرى كثيرة . ولقد أوضح الإمام الداني في كتابه القيم : (**المحكم في نقط المصاحف**) : طريقة المغاربة في ترتيب الحروف ، كما أوضح طريقة المشارقة – التي هي السائدة الآن – بشكل مفصل . ينظر : المحكم في نقط المصاحف لأبي عمرو ، عثمان بن سعيد الداني (ت ٤٤٤ هـ) : ٣١ ، ٣٢ .

(٢) ينظر : مقدمة التسهيل : ١ / ٧ .

(٣) **عاصم** هو : عاصم بن أبي النجود – بهدلة – الأسدي مولاهم ، أبو بكر الكوفي ، معدود في صغار التابعين ، وأحد القراء السبعة المشهورين ، نحوي فصيح ، صاحب نسك وأدب وفصاحة وحسن صوت بالقرآن ، ت سنة ١٢٧ هـ . ينظر : مشاهير علماء الأمصار لمح مد بن حبان بن أحمد التميمي البستي (ت ٣٥٤ هـ) : =

تعتذر عن ذلك .

هذا بالإضافة إلى الأخطاء المنتشرة التي تشوه جمال هذا الكتاب وتكدر صفاءه ورونقه وتنقص من مكانته .

وإن رغبة قرَّاء كتاب : (التسهيل) أكيدة في أن يروه صحيحاً منقى من التحريف والتصحيف ، فكثيراً ما يُثنى على هذا التفسير ثناءً عطراً ، ثم يُضاف أن مما يُزهَّد فيه ما فيه من الأخطاء ، والبعض يتمنى أن يجد هذا الكتاب من يعتني به ويخرجه في ثوب أنيق ، وحلة قشيبة ، ومن هؤلاء **الدكتور/ علي محمد الزُّبيري رحمه الله** الذي قدم دراسة مُسهبة عن ابن جُزيّ في مجلدين كبيرين يقول :

" وأقترح بالنسبة للتسهيل بصفة خاصة أن يعاد طبعه ، وأن يحقق تحقيقاً علمياً نافعاً يبرزه للناس عموماً ، ولطلبة العلم خصوصاً في ثوب قشيب ، بعد الرجوع إلى مخطوطاته الأصلية ومقارنتها ببعض ، وذلك لأن الطبعات الموجودة كلها مليئة بأخطاء فاحشة تحيل المعنى ، وبعض المواضع منه تلاحظ فيها أن النص مبتور ، كما أن بعض المواضع منه تحتاج إلى تعليق وتوضيح أو استدلال أو توجيه أو مقاربة ومقابلة ، ولا تجد شيئاً من ذلك في عمل من نشر الكتاب وزعم تحقيقه " . اهـ [1] .

وصف النسخ المخطوطة من هذا الكتاب :

١. نسخة المكتبة الوطنية للمملكة المغربية (الخزانة الحسنية) : (رقم المخطوطة : ٢٣٩٠) عدد الأوراق : ٢١٤ ورقة ، كتبت بتاريخ ١٠٢٤هـ ، الناسخ لم يعرف ، لأن مكان الاسم فيه انطماس ومحو .

= ١٦٥ ، معرفة القراء الكبار : ١/ ٨٨ - ٩٤ ، تهذيب الكمال لأبي الحجاج ، يوسف بن الزكي عبد الرحمن المزي (ت ٧٤٢ هـ) : ١٣ / ٤٧٣ - ٤٧٩ .

و**حفص** هو : حفص بن سليمان بن المغيرة الأسدي بالولاء ، أبو عمر ، ويعرف بحفيص : قارئ أهل الكوفة بزاز نزل بغداد ، وجاور بمكة . وكان أعلم أصحاب عاصم بقراءته ، وهو ابن امرأته وربيبه ، ومن طريقه قراءة أهل المشرق . ت سنة ١٨٠ هـ . ينظر : تاريخ بغداد لأبي بكر ، أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ) : ٨ / ١٨٦ ، معجم الأدباء : ٣ / ٢٢٥ ٢٢٦ ، غاية النهاية : ١ / ٢٢٩ ، ٢٣٠ .

(١) ابن جُزيّ ومنهجه في التفسير للزُّبيري : ٢ / ٩٤٦ .

٢. نسخة الخزانة الحسنية : (رقم : IIIII ز) ، وهذه النسخة تبدأ من سورة مريم إلى نهاية الكتاب ، عدد الأوراق : ١١٥ ورقة .

٣. نسخة الخزانة العامة بالمغرب : (الرقم د / ٦٢٧) ، عدد الأوراق ٢٨١ ورقة ، الناسخ : يحيى عزوزي ، تاريخ النسخ محله غير واضح ؛ لأن فيه انطماساً وعليه أثر الرطوبة ، ويبدو أن هذه النسخة قديمة جداً .

٤. نسخة الخزانة العامة بالمغرب (رقم د / ٦٨٠) ، من بداية الكتاب إلى سورة التوبة عدد الصفحات : ١٠٠ صفحة .

٥. نسخة الخزانة الملكية : (رقمها ١١١٩٧) ، وهي في الأصل من مكتبة **مكناس** . وعدد لوحاتها : ١٩٥ لوحة ، وهي بخط مغربي جميل وواضح ، الناسخ لم يذكر اسمه ولا تاريخ النسخ [١] .

٦. نسخة خزانة ابن يوسف **بمراكش** (رقم ٣٢٣ / ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥) ، وصف الكتاب : ٢٠٣٤٣ .

٧. نسخة برقم (٣٤ ق) في خزانة مسجد مولاي عبد الله الشريف بوزان ، ورقمها الترتيبي : (٣١) في دليل مخطوطات الخزانات الحبسية ، وصف الكتاب : ٤٨٣٧ .

٨. نسخة برقم (٣١٥ / ١ ، ٥٦٩) في مؤسسة الملك عبد العزيز **بالدار البيضاء** ، ورقمها الترتيبي : (١٩ ، ٢٠) في فهرس المخطوطات العربية والأمازيغية ، وصف الكتاب : ٥١٥٥ [٢] .

---

(١) ينظر : تحقيق ودراسة كتاب التسهيل لابن جُزيّ للدكتور/ **محمد بن سيدي محمد بن مولاي** : ١٤ .

(٢) ينظر : **موسوعة المخطوطات المغربية في الخزانات العامة والخاصة والحبسية** ، إصدار مركز نجيبويه للمخطوطات وحفظ التراث ، برمجة : هند حسين قنديل ، إشراف الدكتور : **أحمد بن عبد الكريم نجيب** .
ومَرَّاكُشُ : - بالفتح ثم التشديد وضم الكاف وشين معجمه - أعظم مدينة بالمغرب وأجلها ، وبها سرير ملك بني عبد المؤمن ، وهي في البرّ الأعظم ، بينها وبين البحر عشرة أيام في وسط بلاد البربر ، وكان أول من اختطها يوسف بن تاشفين من الملثمين الملقب بأمير المسلمين في حدود سنة ٤٧٠ هـ ، وبينها وبين جبل درَن الذي ظهر منه ابن تومرت المسمى بالمهدي ثلاثة فراسخ ، وهو في جنوبيها . ينظر : معجم البلدان : ٥ / ٩٤ .
ومكناس والدار البيضاء مدن مغربية ، وكانت الدار البيضاء عاصمة المغرب قديماً ، وهي أكبر مدينة فيها . و لم أقف عليهما في معجم البلدان للحموي . **والأمازيغية** هي : إحدى اللغات في شمال أفريقيا الغربي .

المبحث الثالث : منهج المصنف في كتابه

نستطيع أن نجمل المنهج الذي اتبعه ابن جُزيّ في تفسيره كالآتي :

١. رتب ابن جُزيّ تفسيره – كغيره من المفسرين المشهورين – حسب ترتيب المصحف الشريف ابتداءً بسورة الفاتحة ، وانتهاءً بسورة الناس .

٢. لم يفسر القرآن كله وإنما يختار الكلمات التي تحتاج إلى تفسير ويترك الباقي ؛ ولذا يعتبر تفسيره من التفسير الجملي ؛ فهو يجزئ الآية منذ البداية حسب جملها المتعددة ويفسر أهم الجمل فيها ؛ بل إنه قد يترك في تفسيره الآية والآيتين ؛ وليس الجملة والجملتين فقط بدون تفسير ، إمَّا لأنه قد فسرت آيات شبيهة بها ، أو لأنها من الوضوح بحيث لا تحتاج إلى تفسير .

٣. يحيل ابن جُزيّ عند تفسيره – لبعض الآيات – خاصة إذا تكررت الألفاظ المتشابهة أو تعددت القضية الواحدة – على مواضع أخرى من تفسيره ، وأحيانا لا يحيل .

٤. السِّمة البارزة في تفسير ابن جُزيّ هي الميل إلى الاختصار بقدر الإمكان مع التلخيص والجمع للأقوال ، لهذا فهو يبتعد عن الاسترسال في القصص ويشير إليها إشارة ، و لم يستطرد في الشواهد النحوية و لم يستوف القراءات ، و لم يستطرد في فروع الفقه .

٥. لم يسْر ابن جُزيّ على طريقة واحدة في التفسير ، فنجده مرَّة يقدم تفسير المفردات ، وقد يقدَّم سبب النزول ، ومرَّة يقدِّم المعنى العام ، ومرَّة يبدأ بذكر الإعراب ، ومرَّة بذكر الاشقاق ... وهكذا ، فهو ينوِّع فيما يبدأ به بحسب وضوح معنى الآية وغموضه وبحسب أهميته عنده .

٦. ومما هو جدير بالذكر كثرة ورود السؤال والجواب في تفسير ابن جُزيّ ، وغالباً ما يكون ذلك إيضاحاً لغموض ، أو دفعاً لإشكال ، أو إبرازاً لنكتة في السِّياق ، أو لطيفة في المعنى .

وقد استهل ابن جُزيّ كتابه : (التسهيل) بمقدمة أوضح فيها منهجه بشكل لا لبس فيه ، وحاول أن يرسم صورة لعمله في التأليف المبارك إذ يقول :

((قصدت به أربع مقاصد ، تتضمن أربع فوائد : الفائدة الأولى : جمع كثير من مسائل العلم في كتاب صغير الحجم تسهيلاً على الطالبين وتقريباً على الراغبين . الفائدة الثانية : ذكر نكت عجيبة وفوائد غريبة ... الفائدة الثالثة : إيضاح المشكلات إما بحل العقد المقفلات ... الفائدة الرابعة : تحقيق أقوال المفسرين ثم بين مراتب هم... إلخ)) .
اهـ [1] .

ثم أتبعها بمقدمتين مفيدتين :

إحداهما : تضمنت أبواباً متنوعة متعلقة بالقرآن .
والثانية : في تفسير معاني اللغات وقد رتبها على الحروف الأبجدية حسب الطريقة المغربية ، ولكنه راعى الحرف الأول فقط دون الذي يليه .

فنجده مثلاً : يقدم (أتى) قبل (أبى) ، و (إياب) قبل (إفك) ، و (أكل) قبل (أثاث) ، بينما الطريقة المستعملة حالياً في المعاجم هي مراعاة الحرف الأول ثم ما يليه ، وهكذا [2] .

وبالعموم فإن منهج ابن جُزيّ في جميع كتبه التي بأيدينا ؛ كالقوانين الفقهية ، وتقريب الوصول ، والتسهيل ، منهج فريد في الجمع والعرض والتنسيق والتبويب ، والوضوح ، فهذه الكتب صالحة لأن توضع كمناهج دراسية ، ولعله أرادها أن تكون كذلك ، وقد صرَّح في بعض كتبه بهذا المعنى ، لهذا لا نستغرب اهتمام الجماهير من العلماء المعاصرين بتدريس كتب ابن جُزيّ لطلابهم وحرصهم على ذلك [3] .

✍ مدى التزام ابن جُزيّ بمنهجه الذي خطَّه لنفسه في تفسيره :

قد نجح ابن جُزيّ إلى حد كبير في تطبيق منهجه على هذا الكتاب فهو ملتزم بما ألزم به نفسه من الإيجاز وعدم التطويل .

غير أنه في بعض الحالات النادرة القليلة يأتي بما يعتبر إخلالاً بهذا المنهج ، كما أنه قد يبالغ

---

(١) مقدمة التسهيل لابن جُزيّ : ١ / ٣ .
(٢) ينظر : مقدمة التسهيل : ١ / ١٥ .
(٣) ينظر : ابن جُزيّ ومنهجه في التفسير للزُّبيري : ١/ ٣٤٠ - ٣٤٧ .

في الإيجاز حتى يجاوز الحد الذي يمكن القارئ من فهم المراد .

فمن ذلك مثلاً :

١. أنه أطال الكلام في بعض الحالات بشكل كبير فانظر :

- عند قوله تعالى في سورة الأعراف : ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ... ﴾ . [سورة الأعراف : ١٥٧] . فقد أطال جداً [(١)] .
- وعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾ ﴾ . [سورة البروج : ٣] . فذكر هنا ستة عشر قولاً [(٢)] لا داعي لذكر أكثرها .
- وعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ ۞ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُواْ ٱلْمِحْرَابَ ﴾ . [سورة ص : ٢١] . ذكر عندها قصصاً واهية [(٣)] .

٢. أهم ملحوظة في مقدمة ابن جُزيّ في تفسيره هو كلام ابن جُزيّ عن النَّسْخ ، فقد اهتم بموضوع النسخ اهتماماً كبيراً فتعرض له في المقدمة وفي أثناء الشرح ، ولكنه في المقدمة تناول ما نسخته آية السيف ، وهي قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ... ﴾ . [سورة التوبة : ٥] . بإيجاز شديد وبعبارة مختصرة جداً تكاد تصل إلى حد الإخلال ، ويصعب معها فهم المراد [(٤)] .

ويظهر للدارس أن ابن جُزيّ من العلماء القائلين بوقوع النسخ بكثرة في القرآن الكريم ، والآيات المنسوخة عنده تبلغ ٢١٤ آية ، فآية السيف وحدها نسخت ١١٤ آية [(٥)] ، ولا يكلف نفسه الإتيان بدليل ولا برهان على النسخ ، ودعوى النسخ في كثير مما أورده غير مسلم بها ، وتحتاج إلى دليل ، فالنسخ ليس مجرد دعوى تقال ، وإنما هو النقل الصحيح ، ووجود التعارض الحقيقي الذي يتعذَّر معه الجمع بين الحكمين الشرعيين في الآية .

---

(١) ينظر : التسهيل : ٢ / ٤٧ - ٥١ (خمس صفحات) .

(٢) ينظر : التسهيل : ٢ / ٧٤٥ ، ٧٤٦ .

(٣) ينظر : التسهيل : ٣ / ١٨١ - ١٨٣ .

(٤) ينظر : مقدمة التسهيل : ١ / ١٠ ، ١١ .

(٥) ينظر : المرجع السابق : ١ / ١١ .

والمحققون من العلماء لا يكاد المكثر منهم تتجاوز آيات النسخ عنده العشرين آية ، والمقل منهم جعلها خمس آيات .

قال الإمام السيوطي :

قد أكثر الناس في المنسوخ من عدد وأدخلوا فيه آيا ليست تنحصر
فهـــاك تحرير آي لا مزيـــد لـــها عشرين حرَّرها الحـــذاق والكبر

وساق في نظمه هذه العشرين مع مناقشة الأقوال في ذلك [1] .

٣. ومما يؤخذ عليه مروره ببعض الموضوعات التي كثر فيها الجدل وتشعب الخلاف واختلط فيها الخطأ بالصواب و لم يبد رأيه فيها ؛ وذلك مثل تعيين الذبيح في قوله تعالى : ﴿ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [2] . [سورة الصافات : ١٠١ ، ١٠٢] . فقيل : إسحاق ؛ قاله جماعة منهم كعب الأحبار ، وقيل : إسماعيل ، قاله ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهما وجماعة ، وهو الصواب [3] .

٤. وفي أسباب النزول ذكر الصحيح ، وقد يذكر غير الصحيح .

✍ مصادره[4] :

لقد أورد ابن جُزيّ في مقدمته باباً خاصاً بذكر المفسرين وطبقاتهم ابتداء بعهد الصحابة ﷺ وانتهاء بشيخه أبي جعفر بن الزُّبير [5] .

---

(١) ينظر : إتقان السيوطي : ٣ / ٦٠ – ٦٦ ، وينظر : الناسخ والمنسوخ لأبي جعفر أحمد بن محمد النحاس (ت ٣٣٨ هـ) : ١ / ٤٢ وما بعدها .

(٢) ينظر : التسهيل : ٣ / ١٧٤ .

(٣) ينظر : النكت والعيون (تفسير الماوردي) لأبي الحسن ، علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري (ت ٤٥٠هـ) : ٥ / ٦٢ ، تفسير ابن كثير لأبي الفداء ، إسماعيل بن كثير القرشي (ت ٧٧٤ هـ) : ٤ / ١٥ .

(٤) ينظر : ابن جُزيّ ومنهجه في التفسير للزُّبيري : ١ / ٢٦٧ – ٣٣٣ .

(٥) ينظر : مقدمة التسهيل لابن جُزيّ : ١ / ٩ ، ١٠ .

ويظهر للمتبع انه اعتمد بشكل أكبر على تفسيرين ، هما :

المحرر الوجيز لابن عطية ، **والكشاف للزمخشري** ، وتفسير ابن عطية هو أهم مرجع له ، فقد قال عنه أنه : ((أحسن التآليف وأعدلها)) [1] . وقد تأثر به كثيراً من بداية الكتاب إلى نهايته ، وربما يتكرر ذكره في الصفحة الواحدة ، وذلك التأثر ظاهر في مجالات عدة ؛ كالتفسير بالمأثور واللغة .

كما تأثر بالكشاف للزمخشري ، ونقل عنه نقولات كثيرة واستفاد منه واصطحبه من بداية الكتاب إلى نهايته ، وخاصة في الإعراب واللغة والبلاغة ، كما تأثر به في طريقة العرض وإيراد السؤال والجواب ، وقد يقارن بين الاثنين ويرجح بينهما في بعض الأحيان .

وقد استفاد من **السهيلي** [2] كثيراً في مبهمات القرآن ، وذلك في كتابه : (التعريف والإعلام بما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام) وقد اعتمد على مراجع أخرى من كتب التفسير وعلوم القرآن ؛ كتفسير **مجاهد** [3] ، والطبري ، و**النقاش** [4] ، والماوردي ، **ومكي ابن أبي طالب** [5] وغيرهم .

---

(١) مقدمة التسهيل لابن جُزيّ : ١ / ١٠ .

(٢) **السهيلي** هو : عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الخثعمي السهيلي : حافظ ، عالم باللغة والسير ، ضرير . ولد في مالقة ، وعمي وعمره ١٧ سنة . ونبغ ، فاتصل خبره بصاحب مراكش فطلبه إليها وأكرمه ، فأقام يصنف كتبه إلى أن توفي بها سنة ٥٨١ هـ . ينظر : التكملة لكتاب الصلة لأبي عبد الله ، محمد بن عبد الله القضاعي (ت ٦٥٨ هـ) : ٣ / ٣٢ ، السِّير : ٢١ / ١٥٧ ، البلغة : ١٣١ .

(٣) **مجاهد** هو : مجاهد بن جبر ، أبو الحجاج المكي ، مولى بني مخزوم : تابعي ، مفسر من أهل مكة . قال الذهبي : شيخ القراء والمفسرين ، أخذ التفسير من ابن عباس ﷺ ، ت وهو ساجد سنة ١٠٤ هـ . ينظر : الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد بن منيع البصري الزهري (ت ٢٣٠ هـ) : ٥ / ٤٦٦ ، حلية الأولياء : ٣ / ٢٧٩ = = صفة الصفوة لأبي الفرج ، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ) : ٢ / ٢٠٨ .

(٤) تفسير النقاش هو : (شفاء الصدور) .
والنقاش هو : محمد بن الحسن بن محمد بن زياد بن هارون ، أبو بكر النقاش : عالم بالقرآن وتفسيره ، أصله من الموصل ، ومنشأه ببغداد ، وكان في مبدأ أمره يتعاطى نقش السقوف والحيطان فعرف بالنقاش ، من تصانيفه : (شفاء الصدور) في التفسير ، و (الاشارة) في غريب القرآن ، ت سنة ٣١٥ هـ . ينظر : تاريخ بغداد : ٢ / ٢٠١ – ٢٠٥ ، تاريخ الإسلام : ٢٦ / ٦١ – ٦٤ ، البداية والنهاية : ١١ / ٢٤٢ .

(٥) تفسير مكي هو : (الهداية في تفسير القرآن) .
ومكي : هو مكي بن أبي طالب محمد بن حموش بن محمد بن مختار القيسي ؛ أبو محمد ، ولد بالقيروان ، ورحل إلى مصر ومكة ، وأمضى بقية عمره في الأندلس ، له : الهداية إلى بلوغ النهاية ، والكشف عن وجوه =

وذكر ابن جُزيّ في مقدمته [1] تفسير **ابن الخطيب (الفخر الرازي)** [2] وغيره ، واستفاد من كتب القراءات وعللها ، واستفاد كذلك من كتب السُّنة والسِّيرة ، وكتب الفقه الأصول والعقائد ، وكتب النحو واللغة وغير ذلك [3] .

= القراءات السبع وعللها وحججها ، والتبصرة ، والرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة . ت سنة ٤٣٧هـ . ينظر : وفيات الأعيان ٤ / ٣٦١ ، السِّير : ١٧ / ٥٩١ ، البلغة : ٢٢٥ ، ٢٢٦ .

(١) ينظر : مقدمة التسهيل لابن جُزيّ : ١ / ١٠ .

(٢) **الفخر الرازي** هو : الإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين التميمي البكري الرازي ، كان إمام وقته في العلوم العقلية ، وأحد الأئمة في العلوم الشرعية ، صاحب التفسير الكبير والمؤلفات العديدة ، ت سنة٦٠٦هـ . ينظر : عيون الأنباء في طبقات الأطباء لأبي العباس ، أحمد بن القاسم السعدي (المعروف بابن أصيبعة) (ت ٦٦٨ هـ) : ١ / ٤٦٢ ، طبقات الشافعية الكبرى لعبد الوهاب بن علي السُّبكي (ت ٧٧١ هـ) : ٨ / ٩٤ ، البداية والنهاية : ١٣ / ٥٥ .

(٣) أكتفي بما ذكرت من مصادر لابن جُزيّ من غير تفصيل ، وللمزيد ينظر : ابن جُزيّ ومنهجه في التفسير للزُّبيري (١ / ٢٦٧ - ٣٣٣) فقد كتب عنها الزُّبيري في هذه الرسالة كتابة مُسْهبة ، وذكر كل مجموعة من هذه الكتب في مبحث مستقل .

الفصل الثاني

منهج ابن جُزيّ في الترجيح

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول

تعريف الترجيح وبيان موجباته عند ابن جُزيّ

المبحث الثاني

صيغ الترجيح وأساليبه في تفسير ابن جُزيّ

المبحث الثالث

وجوه الترجيح عند ابن جُزيّ

تمهيد

الناظر في أقوال السلف في تفسير القرآن ؛ والقارئ لكتب التفسير يجد أن الكثير من الآيات تحتمل أكثر من قول ، وهذه الأقوال التي ترد في التفسير متفاوتة في القوة ، ومختلفة في المعنى .

والكتب المصنفة في التفسير مشحونة بالغثِّ والسَّمين ، والباطل الواضح والحقِّ المبين ، والعلم إما نقل مُصدَّق عن معصوم ، وإما قولٌ عليه دليلٌ معلوم [1] .

والدَّارس للتَّفسير يحتاج للتَّمييز بين هذه الأقوال ، ويحرص على معرفة الصَّحيح من الضَّعيف والرَّاجح من المرجوح ، كما أنه يبحث عن الأقوى من الأقوال ، والأقرب إلى المراد ليقدمه على غيره . وبهذا تتفاوت منازل أهل العلم بالتفسير ؛ فكما قيل : ليس الفقه أن تعلم الخير من الشر ، وإنما الفقه أن **تعلم خير الخيرين ، وشر الشرَّين** [2] . وتلك مرتبة عالية من مراتب العلم ، يوفق الله لها من شاء من عباده .

ومن هنا كانت الحاجة ماسَّة للترجيح بين الأقوال ، والاختيار للأقوى منها حتى يقدم على غيره ، ويوضع في مترلته .

---

(١) ينظر : شرح (مقدمة في أصول التفسير) لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية لكل من : الشيخ محمد بن صالح العثيمين : ٩ ، الدكتور محمد بن عمر بن سالم بازمول : ١٤ ، والدكتور مساعد بن سليمان الطيار : ٢٤ .

(٢) ينظر : كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية : ١٤ / ٤٣٤ .

المبحث الأول
تعريف الترجيح وبيان موجباته عند ابن جُزيّ

الترجيح في اللغة[1] :

مصدر رجَّح يرجِّح ترجيحاً ، وتدور مادة (رَجَحَ) حول : الثقل ، والميل ، والرزانة ، والزيادة .

قال **ابن فارس** : " الراء والجيم والحاء : أصل واحد ، يدل على رزانة وزيادة ، يقال : رجح الشيء وهو راجح إذا رزن ، وهو من الرجحان "[2] .

ورَجَح الشيءُ ، وهو راجح ؛ إذا رَزَن ، ومنه قولهم : قوم مراجيح في الحِلْم .

ورجَح الميزان يَرْجحُ – بتثليث الجيم – رجحاناً ، إذا زاد جانب الموزون حتى مالت كفته . ونخلٌ مراجيحٌ ، أي : ثقال الأحمال . ويقال مجازاً لاعتقاد الرُّجْحان[3] ، ومنه : ترجَّحَ الرأي عنده ، أي : غلب على غيره .

ورجَّحْتُ الشيء – بتشديد الجيم – فضَّلته وقوَّيته[4] .

---

(١) ينظر (مادة : رجح) في : **كتاب العين** للفراهيدي : ٣ / ٧٨ ، **تهذيب اللغة** لأبي منصور ، محمد بن أحمد الأزهري (ت ٣٧٠ هـ) : ٤ / ٨٧ ، **المحكم والمحيط الأعظم** لأبي الحسن ، علي بن إسماعيل بن سيده (ت ٤٥٨ هـ) : ٣ / ٧٥ ، ٧٦ ، **أساس البلاغة** لأبي القاسم ، محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) : ٢٢١ ، **النهاية** في غريب الحديث والأثر لأبي السعادات ؛ المبارك بن محمد الجزري (ابن الأثير) (ت ٦٠٦ هـ) : ٢ / ١٩٨ ، **لسان العرب** لابن منظور : ٢ / ٤٤٥ ، ٤٤٦ ، **القاموس المحيط** لمجدد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت ٨١٧ هـ) : ٢٧٩ **تاج العروس** للزبيدي : ٦ / ٣٨٣ – ٣٨٦ . **وينظر** : **غريب الحديث** لأبي إسحاق ، إبراهيم الحربي (ت ٢٨٥ هـ) : ٢٤٥ .

(٢) مقاييس اللغة لابن فارس : ٢ / ٤٨٩ .

وابن فارس هو : أحمد بن فارس بن زكريا القزويني ، أبو الحسن الرازي ، إمام من أئمة اللغة والنحو والأدب ، وكان مع ذلك فقيهاً شافعياً ، مفسراً ، صاحب مصنفات كثيرة جليلة ، ت سنة ٣٩٥ هـ . ينظر : معجم الأدباء : ١ / ٥٣٣ – ٥٤٥ ، البلغة : ٦١ ، طبقات المفسرين لأحمد بن محمد الداودي (ت ٩٤٥ هـ) : ٩٢ . ٩٣ .

(٣) ينظر : إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول لمحمد بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٠ هـ) : ١ / ٤٥٥ .

(٤) ينظر : المصباح المنير للفيومي : ١ / ٢١٩ .

ومنه جاء الحديث الصحيح عَنِ ابن عَبَّاسٍ ﷺ قال : « كان اسْمُ جُوَيْرِيَةَ بَرَّةَ ، فكأن النبي ﷺ كَرِهَ ذلك ؛ فَسَمَّاهَا جُوَيْرِيَةَ كَرَاهَةَ أن يُقَالَ : خَرَجَ من عِنْدِ بَرَّةَ ، قال : وَخَرَجَ بعدما صلى فَجَاءَهَا ؛ فقالت : ما زِلْتُ بَعْدَكَ يا رَسُولَ اللَّهِ دَائِبَةً . قال : فقال لها : لقد قلت بَعْدَكِ كَلِمَاتٍ لو وُزِنَّ لَرَجَحْنَ بِمَا قُلْتِ ، سُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ ما خَلَقَ الله ، سُبْحَانَ اللَّهِ رضاء نَفْسِهِ ، سُبْحَانَ اللَّهِ زِنَةَ عَرْشِهِ ، سُبْحَانَ اللَّهِ مِدَادَ كَلِمَاتِهِ » [(١)] .

وعليه ؛ فإن التَّرجيح في اللغة يطلق على مطلق الزيادة والفضل ؛ بأي شيء كان حسياً أو معنوياً .

✍ تعريف الترجيح في الاصطلاح:

تباين المتقدمون والمتأخرون من علماء الأصول في تعريف (الترجيح) ؛ وذلك لتباين مواقفهم من الترجيح من حيث كون الترجيح من فعل المُرَجِّح أو هو وصف قائم بالدليل أو مضاف إليه [(٢)] .

تعريف الترجيح في الاصطلاح : " هو إثبات مرتبة في أحد الدليلين على الآخر " [(٣)] .

وفي اصطلاحات الأصولين المتقدِّمين ؛ كما يلي :

" تقوية أحد الطريقين على الآخر ، ليعلم الأقوى فيعمل به ، ويطرح الآخر " [(٤)] .

وقيل : " هو عبارة عن وفاء أحد الظنين على الآخر " [(٥)] .

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده في مسند ابن عباس ﷺ (٣٣٠٨) : ١ / ٣٥٣ . قال الشيخ شعيب الأرناؤوط : إسناده صحيح على شرط مسلم . وله أصل عند مسلم في صحيحه بلفظ : « لقد قلت بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ؛ لو وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ الْيَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ ، سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ عَدَدَ خَلْقِهِ ، وَرِضَا نَفْسِهِ ، وَزِنَةَ عَرْشِهِ ، وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ » .

(٢) ينظر : التعارض والترجيح عند الأصوليين وأثرهما في الفقه الاسلامي لمحمد إبراهيم الحفناوي : ٤١٥ .

(٣) ينظر : التعريفات للجرجاني : ٧٨ ، قواعد الفقه لمحمد عميم الإحسان المجددي البركتي (ت ١٤٠٢ هـ) : ٢٢٦ .

(٤) قاله محمد بن عمر **فخر الدين الرازي** (ت ٦٠٦ هـ) في كتابه (المحصول في علم الأصول : ٥ / ٥٢٩) .

(٥) قاله القاضي أبو بكر محمد بن عبد الله الشهير **بابن العربي** (ت ٥٤٣هـ) في كتابه (المحصول في أصول

وقيل : " إثبات الفضل في أحد جانبي المتقابلين " [١] .

وقيل : " بيان القوة لأحد المتعارضين على الآخر ، أو تغليب أحد المتقابلين " [٢] .

ومن **تعاريف المتأخرين** ما يلي :

هو " بيان قوة زيادة إحدى الإمارتين على الأخرى بدليل صحيح ليعمل بها " [٣] .

وقيل : " تقديم المجتهد بالقول أو بالفعل أحد الطريقين المتعارضين لما فيه من مزية معتبرة تجعل العمل به أولى من الآخر " [٤] .

وأما **المفسرون** فليس للترجيح عندهم حدّ أو تعريف متفق عليه ، واستعمالهم للترجيح في تفاسيرهم يدل على توسعهم في إطلاقه ، فهو عندهم يشمل كلّ تقديم لقول على آخر ، سواء كان تقديماً يلزم منه ردّ الأقوال الأخرى ، أم كان تقديماً لا يلزم منه ذلك .

والتَّرجيح الذي سرت عليه في هذا البحث فهو : تقوية أحد الأقوال في تفسير الآية لدليل ، أو لتضعيف وردِّ ما سواه [٥] .

وعليه ؛ فإن الترجيح بين المسائل هو تقديم أحد الأقوال المحتملة في تفسير الآية على غيره لما فيه من مزية معتبرة تجعل تقديمه أولى من غيره ، ولا يكون ذلك إلا في حال التقابل والتعارض ؛ لأن :

الفقه : ١٤٩) .

(١) قاله الشوكاني في إرشاد الفحول : ٤٥٥ .

(٢) ينظر : التوقيف على مهمات التعاريف لمحمد عبد الرؤوف المناوي (ت ١٠٣١ هـ) : ١٧٠ ، والكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية) لأبي البقاء ، أيوب بن موسى الكفوي (ت ١٠٩٤ هـ) : ٣١٥ .

(٣) ينظر : التعارض والترجيح للحفناوى : ٤١٢ .

(٤) التعارض والترجيح بين الأدلة الشرعية لعبد اللطيف عبد الله عزيز البرزنجى : ١ / ٨٩ .

(٥) ذكره الدكتور حسين الحربي في كتابه قواعد الترجيح عند المفسرين (١ / ٣٥) بلفظ : " تقوية أحد الأقوال في تفسير الآية لدليل أو قاعدة تقويه ، أو لتضعيف أو ردّ ما سواه " .

" من المعلوم أنه عند تنازع الخصمين تتخالف مزاعمهما نفياً وإثباتاً ، فيحتاج في فصل الخصومة إلى مرجِّح يرجَّح به في مبدأ الأمر زعم أحدهما على زعم الآخر ... " [1] .

وعليه ؛ فإن التَّرجيح يكون في الآيات التي وقع فيها الخلاف بين المفسرين في تفسيرها وبيانها ، فما لم يقع فيه خلاف فهو خارج عن موضوع البحث والدراسة .

✍ موجبات الترجيح عند ابن جُزيّ :

لقد حصر ابن جُزيّ رحمه الله موجبات الترجيح فذكر في أسباب الخلاف بين المفسرين اثني عشر سبباً هي :

١. اختلاف القراءات [2] .

٢. اختلاف وجوه الإعراب وإن اتفقت القراءات .

٣. اختلاف اللغويين في معنى الكلمة .

٤. اشتراك اللفظ بين معنيين فأكثر .

٥. احتمال العموم والخصوص .

٦. احتمال الإطلاق أو التقييد .

٧. احتمال الحقيقة أو المجاز .

٨. احتمال الإضمار أو الاستقلال .

٩. احتمال الكلمة زائدة .

---

(١) قاله أحمد الزرقا في كتابه (شرح القواعد الفقهية : ١٠٥) . وينظر : اللمع في أصول الفقه لأبي إسحاق = = الشيرازي (ت ٤٧٦ هـ) : ١١٨ .

(٢) هذه اللفظة جاءت **محرفة في التسهيل بلفظ** : ((**اختلاف القرآن**)) في طبعة دار الكتاب العربي ، لبنان ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ، ط ٤ (ص ٩) ، وفي طبعة دار إحياء التراث العربي ، لبنان ، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤ م ط ١ (ص ١٥) . وقد صحَّحها الدكتور : **محمد بن سيدي محمد بن مولاي** في تحقيقه لكتاب (التسهيل) لابن جُزيّ (ص ٧) إلى ((اختلاف القراءات)) .

١٠. احتمال حمل الكلام على الترتيب ، وعلى التقديم والتأخير .

١١. احتمال أن يكون الحكم منسوخاً [١] أو محكماً .

١٢. اختلاف الرواية في التفسير عن النبي ﷺ وعن السَّلف [٢] .

---

(١) **النَّسخ في اللغة** يطلق على معنيين :

= أحدهما : الرفع والإزالة ، يقال : نسخت الشمس الظلّ : أزالته ، والمعنى : أذهبت الظل وحلت محله .

وثانيهما : النقل والتصوير وتحويل شيء إلى شيء ، يقال : نسخت الكتاب ، أي : نقلته وصورته . ينظر (مادة : نسخ) في : تهذيب اللغة للأزهري : ٧ / ٨٤ ، معجم مقاييس اللغة لابن فارس : ٥ / ٤٢٤ ، المفردات في غريب القرآن للحسن بن محمد الرَّاغب (ت ٥٠٢ هـ) : ٤٩٠ ، لسان العرب : ٣ / ٦١ ، تاج العروس : ٧ / ٣٥٥ ، ٣٥٦ . وفي كتب الغريب : غريب الحديث للحربي : ٣ / ١٠٤٤ ، ١٠٤٥ ، غريب القرآن لأبي بكر ، محمد بن عزيز السجستاني (ت ٢٧٥ هـ) : ٤٥٩ ، التبيان في غريب القرآن لابن الهائم المصري : ١٠٢ .

أما في الاصطلاح فمن أشهر التعاريف عند الأصوليين والمفسرين للنسخ هو : رفع الحكم الثابت بخطاب متقدم بخطاب متراخ عنه . ينظر : الإحكام في أصول الأحكام لعلي بن محمد الآمدي (ت ٦٣١ هـ) : ٣ / ١١٤ ، ١١٥ ، روضة الناظر وجنة المناظر لعبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي (ت ٦٢٠ هـ) : ٦٩ ، مناهل العرفان في علوم القرآن لمحمد عبد العظيم الزرقاني (ت ١٣٦٧ هـ) : ٢ / ١٢٦ ، ١٢٧ ، مذكرة في أصول الفقه على روضة الناظر لابن قدامة للشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي (ت ١٣٩٣ هـ) : ٦٦ ، مباحث في علوم القرآن لمناع خليل القطان : ٢٣٢ ، مباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح : ٢٦٠ ، ٢٦١ .

(٢) مقدمة التسهيل : ١ / ٩ . وسيأتي إيراد أمثلة تطبيقية على ذلك لاحقاً بإذن الله .

المبحث الثاني
صيغ الترجيح وأساليبه في تفسير ابن جُزيّ

لقد رسم ابن جُزيّ رحمه الله لنفسه منهجاً في الترجيح بين الأقوال ؛ وهي التي نصَّ عليها في مقدمة كتابه : (التسهيل) ؛ وقد ذكر فيها أسباب تصنيفه لهذا السِّفر الجليل ومقاصده التي قصدها من تأليفه ؛ ومنها :

((تحقيق أقوال المفسرين السَّقيم منها والصَّحيح ، وتمييز الرَّاجح من المرجوح ، وذلك أن أقوال الناس على مراتب ؛ فمنها الصحيح الذي يعول عليه ، ومنها الباطل الذي لا يلتفت إليه ، ومنها ما يحتمل الصحة والفساد ، ثم إن هذا الاحتمال قد يكون متساوياً أو متفاوتاً والتفاوت قد يكون قليلا أو كثيراً)) . اهـ [1] .

صيغ الترجيح وأساليبه في تفسير ابن جُزيّ :

أولاً : الترجيح بصيغة (أفعل) التفضيل [2] : وهذه الصيغة من أكثر الصيغ التي استخدمها ابن جُزيّ رحمه الله في تفسيره ، وله في ذلك عدة عبارات وصيغ ؛ مثل : **أرجح** أو **أقوى** ، أو **أظهر** ، أو **أشهر أو أصح** ، **أو أحسن** ، **أو أولى** ، **أو أليق وأبلغ** ، **وأفصح وأبرع** [3] .

جعل ابن جُزيّ هذه الصيغة من صيغ الترجيح ، وثلَّث بها عند ذكره صيغ الترجيح عنده حيث قال : : ((**ثمَّ** ما أقول إن غيره أرجح ، أو أقوى ، أو أظهر ، أو أشهر)) [4] .

---

(١) مقدمة التسهيل لابن جُزيّ : ١ / ٣ .

(٢) **اسم التفضيل** هو : ما اشتق لما زاد على غيره في الفعل . ينظر : كليات الكفوي : ٩٥ . فكلمة (زاد على غيره) تفيد أن هذا الشيء اكتسب وصفاً زائداً على الأول ، وهذه الزيادة هي التي رجَحَ بها الفعل الثاني ، ومن هنا جُعل (أفعل التفضيل) من ألفاظ الترجيح عند المفسرين .

(٣) وللمزيد في معرفة منهج ابن جُزيّ في استخدامه لصيغ (أفعل) التفضيل ومدى التزامه بهذه الصيغة ؛ ينظر : قواعد الترجيح عند ابن جُزيّ في تفسيره للجمعان : ١٠٦ – ١١٩ .

(٤) مقدمة التسهيل : ١ / ٣ .

ومعنى قوله هذا : أنه إذا ذكر قولين وأحدهما أرجح ، أو أقوى ، أو أظهر ، أو أشهر فهذا دليلٌ على أن القول الآخر مرجوحاً ؛ فإن الحكم على أحد القولين بأنه أرجح أو أظهر وغير ذلك لا يدل على فساد القول الآخر أو بطلانه ؛ بل يحتمل الصحَّة ؛ ولكن القول الآخر أصحُّ أو أظهر ، وهذا ما يسمَّى عند المفسرين بـــ (تقديم الأولى) ، فإذا كانت الأقوال المختلفة في الآية محتملة ، وليس بينهما تعارض واضح ، وكان أحدهما أقوى في الدلالة سواءً في لفظ الآية ، أو دليل من السُّنة ، أو لغة العرب ، أو السِّياق أو غير ذلك فإنه يقدَّم على غيره من الأقوال .

قال **العز بن عبد السلام** : " وأولى الأقوال ما دل عليه الكتاب في موضع آخر أو السُّنة أو سياق الكلام ، وإذا احتمل الكلام معنيين ؛ وكان حمله على أحدهما أوضح وأشدُّ موافقة للسِّياق كان العمل عليه أوْلى " . اهـــ [1] .

وذكر **الماوردي** قبله من ضربي الدليل الذي يرجح به ، فقال : " ... والضرب الثاني : أن يكون دليلاً على صحة أحد المعنيين فيثبت حكمه ، ويكون مراداً ولا يقتضي سقوط المعنى الآخر ، ويجوز أن يكون مراداً " . اهـــ [2] .

وقد أشار ابن جُزيّ إلى هذا القول حيث قال في الترجيح بين الأقيسة بأنه يقدَّم : ((الأجلى على ما هو أقل جلاءً منه)) . اهـــ [3] .

---

(١) الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز في القرآن الكريم للعز بن عبد السلام (ت ٦٦٠ هـــ) : ٢٢٠ .

والعزُّ بن عبد السلام هو : عز الدين عبد العزيز بن عبد السَّلام الدمشقي السلمي ، لقب بشيخ الإسلام ، **وبسلطان العلماء** ، كان عالماً ورعاً زاهداً ، آمرا بالمعروف وناهيا عن المنكر ، ت سنة ٦٦٠ هـــ . ينظر : طبقات الشافعية الكبرى للسُّبكي : ٨ / ٢٠٩ - ٢٥٥ ، البداية والنهاية : ١٣ / ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة : ٢ / ١٠٩ .

(٢) النكت والعيون : ١ / ٤٠ .

والماوردي هو : علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي ، أبو الحسن الماوردي : من العلماء االباحثين ، أصحاب التصانيف الكثيرة النافعة ، وكان يميل إلى مذهب الاعتزال ، من كتبه : أدب الدنيا والدِّين ، والأحكام السُّلطانية ، والنكت والعيون وغير ذلك . ت ببغداد سنة ٤٥٠ هـــ . ينظر : وفيات الأعيان : ١ / ٣٢٦ ، السِّير : ١٨ / ٦٤ ، طبقات الشافعية الكبرى : ٥ / ٢٦٧ .

(٣) تقريب الوصول إلى علم الأصول لابن جُزيّ الكلبي ، اعتناء : جلال علي الجهاني : ١٢١ .

منهج ابن جُزيّ في الترجيح ـــــــ

هنا أمامه ، **وهو بعيد**)) . اهـ [1] .

وفي هذا المثال يتضح ترجيح ابن جُزيّ من خلال حكمه على القول الثاني بأنه بعيد ، وسياقه بصيغة التضعيف ، وذكره القول بصيغة الجزم ، وتقديمه على القول الآخر .

ثالثاً : ذكر قولين أو أكثر وتقديم أحدهما بالذكر ترجيحٌ للمتقدم منهما .

نصَّ ابن جُزيّ رحمه الله على هذه الصيغة في الدلالة على الترجيح حيث قال : ((ثم ما أقدم غيره عليه إشعارا بترجيح المتقدم)) [2] ، ويقصد بذلك أنه إذا ذكر قولين في المسألة دون أن ينص على الترجيح بأحد الصيغ لصريحة (كأشهر ، أو أحسن أو غيرهما) فإن المذكور أولاً هو الراجح عنده ، ولابدَّ أن يكون سياقه للقولين متساوياً وفي درجة واحدة ، كأن يصدر القولين بقوله : قال فلان ، أو قيل كذا . وصنيعه هذا إشعارٌ منه كما قال بترجيح المتقدِّم ، وكلمة (إشعار) معناها : الإعلام [3] ، أي هذا الأسلوب من أساليبه إعلامٌ وإخبارٌ بترجيح بترجيح المتقدِّم ، **وأسلوب من أساليب الترجيح** عند المؤلف إذا لم ينص كما قلنا على ترجيح قول ، **والأمثلة على ذلك** كثيرة جداً ، منها :

عند تفسير قوله تعالى : ﴿ أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُ ... ﴾ [4] قال ابن جُزيّ : ((﴿ أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ ﴾ قيل : يعني القيامة . وقيل : النصر على الكفار . وقيل : عذاب الكفار في الدنيا)) . اهـ [5] .

فهنا ذكر الأقوال بدرجة واحدة ، وقدَّم القول بأن المراد بأمر الله (القيامة) للدلالة على ترجيحه لهذا القول .

---

(١) التسهيل : ٢ / ١٣٩ .

(٢) مقدمة التسهيل : ١ / ٣ .

(٣) ينظر (مادة : شعر) في : تهذيب اللغة للأزهري : ١ / ٢٦٦ ، لسان العرب لابن منظور : ٤ / ٤١٤ .

(٤) سورة النحل : ١ .

(٥) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٤٩ .

رابعاً : ذكر القول الراجح بصيغة الجزم وتقديمه ، وذكر القول المرجوح بصيغة التضعيف [1] .

ذكر ابن جُزيّ رحمه الله على الصيغة ضمن صيغ الترجيح عنده حيث قال : ((ثم ما أقدم غيره عليه ... أو بالقول فيه قيل كذا)) [2] ، أي : إذا ذكر قولين أو أكثر وقدم أحد القولين بصيغة الجزم ، ثم ذكر القول الثاني بصيغة التضعيف وهي : (قيل : كذا) ؛ فهذا **أسلوب من أساليب ابن جُزيّ في الترجيح** ، وقد أكثر ابن جُزيّ من هذا الأسلوب في ترجيحه في ثنايا تفسيره ، ومن **الأمثلة على ذلك** :

قال ابن جُزيّ عند تفسير قوله تعالى : ﴿ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓاْ إِذًا مُّنظَرِينَ ﴾ [3] : ((﴿ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾ رد عليهم فيما اقترحوا ، والمعنى : **أن الملائكة لا تنزل إلا بالحق من الوحي والمصالح التي يريدها الله** ؛ لا باقتراح مقترح واختيار كافر ، **وقيل** : الحق هنا العذاب)) . اهـ [4] .

خامساً : ذكر القول الراجح فقط بدون حكايته عن أحد ، والسكوت عما عداه من الأقوال يعتبر ترجيحاً لهذا القول .

نصَّ ابن جُزيّ رحمه الله على هذا الأسلوب من أساليب الترجيح عنده حيث قال : ((وأما إذا ذكرت شيئاً دون حكاية قوله عن أحد فذلك إشارة إلى أني أتقلده وأرتضيه ؛ سواء كان من تلقاء نفسي ، أو مما أختاره من كلام غيري)) [5] .

✍ **مثال ذلك** : قال ابن جُزيّ عند تفسير قوله تعالى : ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ

---

(١) وللمزيد في معرفة منهج ابن جُزيّ في استخدامه لهذا الأسلوب وأغراض استخداماته ؛ ينظر : قواعد الترجيح عند ابن جُزيّ في تفسيره للجمعان : ١٤٧ - ١٤٩ .

(٢) مقدمة التسهيل : ١ / ٣ .

(٣) سورة الحجر : ٨ .

(٤) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٤٤ .

(٥) مقدمة التسهيل : ١ / ٣ .

إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودًا ﴿٧٨﴾ ﴾ [1] : ((﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ ... ﴾ هذه الآية إشارة إلى الصلوات المفروضة ، **فدلوك الشمس زوالها** ، والإشارة إلى الظهر والعصر ، وغسق الليل ظلمته ، وذلك إشارة إلى المغرب والعشاء ، وقرآن الفجر صلاة الصبح)) . اهـ [2] .

فقد اختلف أهل العلم والمفسرون في المراد بدلوك الشمس ؛ ولكننا نجد ابن جُزيّ يذكر القول الراجح في المراد بدلوك الشمس (زوالها) دون حكايته عن أحد ، وسكت عما عداه من الأقوال ترجيحاً له . ووجدت هذا القول الذي رجَّحه هو قول أكثر السلف ، وهو الصواب [3] .

سادساً : التصريح باسم قائل القول يعتبر ترجيحاً لهذا القول إذا كان قائله ممن يقتدى به .

والقائل الذي يقتدى به يكون في التفسير أو اللغة أو غير ذلك ، وقد ذكر في مقدمته طبقات المفسرين وترتيبهم عنده ؛ قدم المفسرون من الصحابة ﷺ ورتبهم حسب علمهم ومكانتهم في التفسير ؛ فأفضلهم ابن عباس ﷺ ، ثم المفسرون من التابعين وقدمَّ الحسن البصري ، ثم ذكر مفسرين آخرين [4] .

✍ **مثال ذلك** : قال ابن جُزيّ عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَٱلۡقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا يَرۡجُونَ نِكَاحٗا فَلَيۡسَ عَلَيۡهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعۡنَ ثِيَابَهُنَّ ﴾ [5] : ((﴿ فَلَيۡسَ عَلَيۡهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعۡنَ ثِيَابَهُنَّ ﴾ أباح الله لهذا الصنف من العجائز ما لم

---

(١) سورة الإسراء : ٧٨ .

(٢) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٧٧ .

(٣) ينظر : تهذيب اللغة للأزهري (مادة : ك د ل) : ١٠ / ٦٩ ، و (مادة : دلك) في : لسان العرب : ١٠ / ٤٢٨ ، تاج العروس : ٢٧ / ١٥٥ . وينظر : كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية في الفقه : ٢١ / ٤٣٥ ، ٢٢ / ٥٥١ ، الإبهاج في شرح المنهاج على منهاج الوصول إلى علم الأصول للبيضاوي لعبد الوهاب بن علي السُّبكي (ت ٧٥٦ هـ) : ١ / ٤٢ ، إتقان السيوطي : ٢ / ٣٨٢ .

(٤) ينظر : مقدمة التسهيل : ١ / ٩ ، ١٠ .

(٥) سورة النور : ٦٠ .

يبح لغيرهن من وضع الثياب . **قال ابن مسعود : إنما أبيح لهن وضع الجلباب الذي فوق الخمار والرداء** . وقال بعضهم : إنما ذلك في مترلها الذي يراها فيه ذوو محارمها)) . اهـ [1] .

فالمعنى الأول المأثور عن **عبد الله بن مسعود** ﷺ هو الراجح عنده ، ولذلك نصَّ على ذكر صاحبه فهو ممن يقتدى به ، وقدَّمه على القول الآخر إشعاراً بترجيحه ؛ **وهذا أسلوب من أساليب الترجيح عنده** .

من منهج ابن جُزيّ في ذكر الأقوال :

- لا ينسب الأقوال إلى أصحابها إلا قليلاً ، وذلك لقلة صحة إسنادها إليهم أو لاختلاف الناقلين في نسبتها إليهم .
- وإذا كان القول في غاية السقوط والبطلان لم يذكره تنزيهاً لكتابه ، وربما ذكره تحذيراً منه [2] .

بعض الجوانب المهمة في منهج ابن جُزيّ في استخدام صيغ الترجيح :

١. قد يذكر ابن جُزيّ عدة أقوال ويسوقها على سبيل التخيير ؛ مستخدماً كلمة (أو) التي تجعل الأقوال كلها محتملة ؛ **فهذا لا يعتبر أسلوباً من أساليب الترجيح عند ابن جُزيّ** ، وهو كثير في تفسيره .

مثال ذلك : قال ابن جُزيّ عند تفسير قوله تعالى : ﴿ قَالَ نَكِّرُواْ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِيٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [3] : ((﴿ أَتَهْتَدِيٓ ﴾ **يحتمل** أن يريد تهتدي لمعرفة عرشها ، **أو** للجواب عنه إذا سئلت ، **أو** للإيمان)) . اهـ [4] .

٢. أورد ابن جُزيّ رحمه الله كثيراً من صيغ الترجيح في ثنايا تفسيره و لم يذكرها في مقدمته

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٧٢ .
(٢) مقدمة التسهيل : ١ / ٩ .
(٣) سورة النمل : ٤١ .
(٤) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٩٦ .

ومن ذلك قوله : (فيه نظر) ، و (**والصَّحيح عندي**) ، و (والصواب كذا) ، و (وهذا القول يضعِّفه) ، وغير ذلك من الصيغ والتي يمكن إضافتها للصيغ المذكورة ؛ حيث تشاركها في المعنى ، مثل : (**والصَّحيح عندي**) تضاف لـــ (وهذا أصح) ... وهكذا .

✍ **مثال ذلك** : قال ابن جُزيّ عند تفسير قوله تعالى : ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ [1] : ((﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾ قيل : المعنى : لا يحيطون بمعلوماته ، كقوله : ﴿ ... وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ... ﴾ [2] ، **والصَّحيح عندي** : أن المعنى لا يحيطون بمعرفة ذاته ؛ إذ لا يعرف الله على الحقيقة إلا الله ، ولو أراد المعنى الأول لقال : ولا يحيطون بعلمه ، ولذلك استثنى ﴿ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾ هناك ، ولم يستثن هنا)) . اهـــ [3] .

٣. إذا احتمل عدة أقوال فلا يكون قد رجَّح فيها قولاً أو ارتضى بأي منها ؛ **فلا يعتبر هذا أسلوباً من أساليب الترجيح عند ابن جُزيّ** أيضاً .

✍ **مثال ذلك** : قال ابن جُزيّ عند تفسير قوله تعالى : ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ... ﴾ [4] : ((﴿ بِقَدَرِهَا ﴾ **يحتمل** أن يريد ما قدر لها من الماء ، **ويحتمل** أن يريد بقدر ما تحتمله على قدر صغرها وكبرها)) . اهـــ [5] .

إلاَّ إذا ذكر القولين بصيغة التخيير (أو) ثم ينص على ترجيح إحداهما ؛ عند ذلك **يعتبر هذا أسلوباً من أساليب الترجيح عند ابن جُزيّ** .

✍ **مثال ذلك** : قال ابن جُزيّ عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾ [6] : ((يحتمل أن

---

(١) سورة طه : ١١٠ .

(٢) سورة البقرة : ٢٥٥ .

(٣) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٣٣ .

(٤) سورة الرعد : ١٧ .

(٥) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٨٤ .

(٦) سورة إبراهيم عليه السلام : ٧ .

يريد كفر النعم **أو** الكفر بالإيمان ، **والأول أرجح** لمقابلته بالشكر)) . اهـ [1] .

(١) التسهيل : ٢ / ١٣٨ .

المبحث الثالث
وجوه الترجيح عند ابن جُزيّ

لقد بنى ابن جُزيّ رحمه الله على أسباب الخلاف بين المفسرين وجوه الترجيح عنده [(١)] ؛ وهي كما يلي :

✓ أولاً : وجوه الترجيح [(٢)] المتعلقة بالقرآن الكريم :

الوجه الأول : **تفسير بعض القرآن ببعض** . وهو على ضربين :

الضرب الأول : الترجيح بدلالة الآية نفسها [(٣)] :

✍ **مثال ذلك** : قال ابن جُزيّ عند تفسير ﴿ لَوۡ أَرَدۡنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهۡوٗا لَّٱتَّخَذۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [(٤)] : ((اللهو في لغة اليمن : الولد . وقيل : المرأة . و ﴿ مِن لَّدُنَّآ ﴾ أي : من الملائكة ، فالمعنى على هذا : لو أردنا أن نتخذ ولدا لاتخذناه من الملائكة لا من بني آدم ؛ فهو ردٌّ على من قال : إن المسيح ابن الله وعزير ابن الله ، **والظاهر أن اللهو بمعنى اللعب ؛ لاتصاله بقوله** : ﴿ ... لَٰعِبِينَ ﴾ [(٥)] ...)) . اهـ [(٦)] .

---

(١) لقد حصر ابن جُزيّ رحمه الله في مقدمته (١ / ٩) وجوه الترجيح عنده في اثني عشر وجهاً ، ولكنني عند استقراء تفسيره (التسهيل) وجدته في مقدمته يعقد لوجوه أخرى من الترجيح فصولاً ، كالقراءات ، ودلالة الإجماع وأسباب النزول ، والمكي والمدني ، والنسخ وعدمه ، والناحية البلاغية ، ومرجع الضمير ؛ ولم ينص على أنها من وجوه الترجيح عنده ولكنني وجدته يرجح بها في ثنايا تفسيره .

(٢) اختار المؤلف للترجيح بين الأقوال عبارة (الوجوه) ، ولم يذكر لفظة القواعد ، وتلك لفظة مليحة تحتاج إلى بحث وتحليل يكون فيها موازنة بين العبارتين للنظر في أيهما أولى بالمقام في باب الترجيح بين أقوال المفسرين ؛ هل يقال : قواعد الترجيح ، أو يقال : وجوه الترجيح ؟ قاله الدكتور مساعد الطيار .

(٣) وللمزيد في معرفة منهج ابن جُزيّ في **الترجيح بدلالة الآية نفسها** وأمثلة على ذلك ؛ ينظر : قواعد الترجيح عند ابن جُزيّ في تفسيره للجمعان : ١٧٢ – ١٨٥ .

(٤) سورة الأنبياء : ١٧ .

(٥) سورة الأنبياء : ١٦ .

(٦) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٢٤ .

الضرب الثاني : الترجيح بدلالة آية أخرى [١] ، وهذا الضرب يعتبر من **التفسير بالمأثور** ، وهو يشمل ما جاء في القرآن نفسه من البيان والتفصيل لبعض آياته ، وهو أشرف أنواع التفسير وأجلها حيث لا أحد أعلم بمراد كلام الله منه جل وعلا ، ويحتل المكانة الأولى في الترجيح عند المفسرين . وقد نصَّ ابن جُزيّ عند ذكره لأوجه الترجيح عنده فقال : ((تفسير بعض القرآن ببعض ؛ فإذا دل موضع من القرآن على المراد بموضع آخر حملناه عليه ورجَّحنا القول بذلك على غيره من الأقوال)) [٢] .

مثال ذلك : قال ابن جُزيّ عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ ... ﴾ [٣] : ((قيل : يدفعون الشرك بقول لا إله إلا الله ، وقيل : يدفعون من أساء إليهم بالتي هي أحسن ، **والأظهر** يفعلون الحسنات فيدرؤ ون بها السيئات ، **كقوله** : **﴿ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾** [٤])) . اهـ [٥] .

الوجه الثاني : الترجيح **بالمعنى المتبادر إلى الذهن** ؛ أو بظاهر لفظ الآية [٦] .

المراد بالظاهر هنا : هو الذي يغلب على الظن فهم معنى منه من غير قطع [٧] ، أو : ما سبق مراده إلى فهم سامعه [٨] .

---

(١) وللمزيد في معرفة منهج ابن جُزيّ في **الترجيح بدلالة آية أخرى** وأمثلة على ذلك ؛ ينظر : قواعد الترجيح عند ابن جُزيّ في تفسيره للجمعان : ١٨٧ – ٢٠٠ .

(٢) مقدمة التسهيل : ١ / ٩ .

(٣) سورة الرعد : ٢٢ .

(٤) سورة هود عليه السلام : ١١٤ .

(٥) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٣٤ .

(٦) وللمزيد في معرفة منهج ابن جُزيّ في **الترجيح بظاهر اللفظ** وأمثلة على ذلك ؛ ينظر : قواعد الترجيح عند ابن جُزيّ في تفسيره للجمعان : ٢٠٤ – ٢١٧ .

(٧) ينظر : المستصفى من علم الأصول لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي (ت ٥٠٥ هـ) : ١ / ١٩٦ ، الإحكام للآمدي : ٣ / ٥٨ .

(٨) ينظر : البحر المحيط في أصول الفقه لبدر الدين ، محمد بن بهادر بن عبد الله الزَّركشي (ت ٧٩٤ هـ) : ١ / ٣٧٥ .

فظاهر القرآن ما يتبادر منها إلى الذهن من المعاني ، وهو يختلف بحسب السِّياق وما يضاف إليه الكلام [١] ، فالكلمة الواحدة يكون لها معنى في سياق ، وآخر في سياق آخر .

وهذه القاعدة من القواعد التي اعتمدها أهل العلم في الترجيح ، فقد نُقل عن الشافعي رحمه الله أنه قال : " فسنّ رسول الله ﷺ الوضوء مرة ، فوافق ذلك **ظاهر القرآن** ، وذلك أقل ما يقع عليه اسم الغسل " . اهـ [٢].

فالأصل في نصوص القرآن الكريم أن تفسر على ظاهر معناها الذي يجرى على ما اقتضته النصوص ، وتطابق عليه دلائل الكتاب والسنة ، وهذه هي طريقة سلف الأمَّة في فهم نصوص الكتاب والسُّنة [٣] .

لذا فإنه لا يجوز أن يعدل عن ظاهر القرآن إلا بدليل يجب الرجوع إليه [٤] ، فمن خالف ظاهر القرآن فقوله مرجوح ، يقول الإمام **الطبري** رحمه الله عند بيانه لمرجع الضمير في قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴾ [٥] : " وغير جائز ترك الظاهر المفهوم من الكلام ، إلى باطن باطن لا دلالة على صحته " . اهـ [٦] .

ويقول **الشنقيطي** [٧] رحمه الله مبيناً إجماع أهل العلم على ذلك : " وقد أجمع جميع المسلمين على على

---

(١) ينظر : المجلى في شرح القواعد المثلى لكاملة بنت محمد بن جاسم بن علي آل جهام الكواري (أول شرح لمتن القواعد المثلى للشيخ العثيمين رحمه الله) : 274 .

(٢) كتاب الرِّسالة لأبي عبد الله ، محمد بن إدريس الشافعي (ت ٢٠٤ هـ) : ١٦٤ ، وينظر أيضاً : ٣٤١ من الرسالة ، البحر المحيط للزَّركشي : ٢ / ١١٨ ، ١١٩ .

والإمام الشافعي هو : الإمام الكبير محمد بن إدريس بن العباس المطلبي القرشي ، أبو عبد الله الشافعي المكي الإمام في العلم ، الفقيه المحدث الأصولي المجدد ، صاحب المناقب والفضائل ، ت سنة٢٠٤هـ . ينظر : الثقات لمحمد ابن حبان بن أحمد التميمي البستي : ٩ / ٣٠ ، ٣١ ، تهذيب الكمال : ٢٤ / ٣٥٥ - ٣٨٠ ، تقريب التهذيب لأحمد بن علي بن حجر : ٤٦٧ .

(٣) كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية في التفسير : ١٣ / ٣٨٠ .

(٤) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ١٣٧ .

(٥) سورة البقرة : ٤٥ .

(٦) تفسير الطبري : ١ / ٢٦١ .

(٧) **الشنقيطي** هو : محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي ، مفسرٌ ، لغويٌ ، فقيهٌ ، أصولي ، من أكابر علماء

أن العمل بالظاهر واجب حتى يرد دليل شرعي صارف عنه إلى المحتمل المرجوح وعلى هذا كل من تكلم في الأصول " . اهـ [1] .

وقد قرَّر ابن جُزيّ هذا الوجه من وجوه الترجيح ، واستعمله في تفسيره مرجِّحاً به ؛ وقال في سياق ذكره لوجوه الترجيح : ((أن يكون ذلك المعنى المتبادر إلى الذهن ؛ فإن ذلك دليل على ظهوره ورجحانه)) . اهـ [2] .

✍ **مثال ذلك** : قال ابن جُزيّ عند تفسير قوله تعالى : ﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ... ﴾ [3] : ((... وقال كثير من الناس في معنى الآية : إنها دليل على التمانع الذي أورده الأصوليون ، وذلك أنا لو فرضنا إلهين فأراد أحدهما شيئاً وأراد الآخر نقيضه فإما أن تنفذ إرادة كل واحد منهما ؛ وذلك محال ؛ لأن النقيضين لا يجتمعان وإما أن لا تنفذ إرادة واحد منهما ، وذلك أيضاً محال ؛ لأن النقيضين لا يرتفعان معا ولأن ذلك يؤدي إلى عجزهما وقصورهما فلا يكونان إلهين ، وإما أن ينفذ إرادة واحد منهما دون الآخر ؛ فالذي تنفذ إرادته هو الإله ، والذي لا تنفذ إرادته ليس بإله ؛ فالإله واحد ، وهذا الدليل إن سلمنا صحته فلفظ الآية لا يطابقه ؛ **بل الظاهر من اللفظ استدلال آخر أصحُّ من دليل التمانع** ، وهو أنه لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا لما يحدث بينهما من الاختلاف والتنازع في التدبير وقصد المغالبة ؛ ألا ترى أنه لا يوجد ملكان اثنان لمدينة واحدة ، ولا وليان لخطة واحدة !)) . اهـ [4] .

الوجه الثالث : **الترجيح بناء على الحقيقة والمجاز** [5] ، فالأصل أن تحمل نصوص الوحي على الحقيقة .

فمن القواعد التي نصَّ عليها أهل العلم : وجوب حمل نصوص الوحي على الحقيقة .

يقول **ابن عبد البرِّ** : " وحمل كلام الله تعالى ، وكلام نبيه ﷺ على الحقيقة أولى بذوي الديـــن

موريتانيا ، ت سنة ١٣٩٣هـ . ينظر : الأعلام : ٦ / ٤٥ .

(١) أضواء البيان : ٧ / ٢٦٩ .

(٢) مقدمة التسهيل : ١ / ٩ .

(٣) سورة الأنبياء : ٢٢ .

(٤) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٢٤ .

(٥) وللمزيد في معرفة منهج ابن جُزيّ في **الترجيح بناءً على الحقيقة والمجاز** وأمثلة على ذلك ؛ ينظر : قواعد الترجيح عند ابن جُزيّ في تفسيره للجمعان : ٢٢٣ - ٢٣٦ .

والحق ؛ لأنه يقص الحق ، وقوله الحق ، تبارك وتعالى علواً كبيراً " . اهـ [1] .

ويقول **ابن العربي** في أحكامه عند تأويل قوله تعالى : ﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ ﴾ :

" قيل : هو حقيقة ، وقيل : عبر به عن دمشق أو جبلها ، أو مسجدها ، **ولا يُعدل عن الحقيقة إلى المجاز إلا بدليل** " . اهـ [2] .

وقد استعمل جماعة من العلماء هذه القاعدة في الترجيح [3] ، ومنهم : النحاس رحمه الله تعالى ، فقد كان حريصاً على استعمال الكلمات والتراكيب في معانيها الحقيقية ، وعدم صرفها عن الحقيقة إلى المجاز إلا بدليل قوي ، أو قرينة واضحة .

وقال ابن جُزيّ مرجحاً الحقيقة على المجاز :

((تقديم الحقيقة على المجاز ، فإن الحقيقة أولى أن يحمل عليها اللفظ عند الأصوليين ، وقد يترجح المجاز إذا كثر استعماله حتى يكون أغلب استعمالا من الحقيقة . ويسمى مجازاً راجحاً والحقيقة مرجوحة)) [1] .

---

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ليوسف بن عبد الله بن عبد البرِّ النمري (ت ٤٦٣ هـ) : ٥ / ١٦ .
وابن عبد البرِّ هو : يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البرِّ النمري القرطبي المالكي ، أبو عمر : من كبار حفاظ الحديث ، مؤرخ ، أديب ، بحاثة . من كتبه : الاستيعاب ، والانتقاء في فضائل الثلاثة الفقهاء . ت سنة ٤٦٣ هـ . ينظر : وفيات الأعيان : ٧ / ٦٦ ، العبر في خبر من غبر : ٣ / ٢٥٧ ، الديباج المذهب : ٣٥٧ وسمَّاه ابن فرحون في الديباج : يوسف بن عمر بن عبد البرّ .

(٢) أحكام القرآن لابن العربي : ٤ / ٤١٣ .
وابن العربي هو : محمد بن عبد الله بن محمد المعافري الإشبيلي المالكي ، أبو بكر ، ابن العربي : قاض ، من حفاظ الحديث ، ختام علماء الأندلس وآخر أئمتها وحفاظها ، وهو غير محيي الدين ابن عربي ، ت سنة ٥٤٣ هـ . ينظر : وفيات الأعيان : ٤ / ٢٩٦ ، العبر للذهبي : ٤ / ١٢٥ ، الوفيات : ٢٦٢ ، ٢٦٣ .

(٣) **وقد أنكر جماعة من العلماء أصل وجود المجاز في القرآن الكريم** ، ومنهم : **شيخ الإسلام ابن تيمية** في عدة مواضع من كتبه ، بل ألف رسالة في الحقيقة والمجاز يبين فيها عدم صحة وقوع المجاز في القرآن ، وهي ضمن مجموع الفتاوى : ٢٠ / ٤٠٠ وما بعدها ، وألف الشيخ الشنقيطي رسالة سماها : (منع جواز المجاز ، في المتنزل للتعبد والإعجاز) . وينظر تقرير هذه القاعدة في : المحصول للفخر الرازي : ١ / ٥٧٦ ، البحر المحيط للزَّركشي : ٢ / ١٩١ ، قواعد الترجيح للحربي : ٢ / ٣٨٧ .

✍ **مثال ذلك** : قال ابن جُزيّ عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ ۚ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [٢] : ((﴿ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ المعنى : أن يوماً من أيام الآخرة مقداره ألف سنة من أعوام الدنيا ، ولذلك قال ﷺ : « يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم . وذلك خمسمائة سنة » . وقيل : المعنى إن يوماً واحداً من أيام العذاب كألف سنة لطول العذاب فإن أيام البؤس طويلة وإن كانت في الحقيقة قصيرة ، وفي كل واحد من الوجهين تهديد للذين استعجلوا العذاب ؛ **إلاَّ أنَّ الأوَّل أرجح ؛ لأن الألف سنة فيه حقيقة** . وقيل : إن اليوم المذكور في الآية هو يوم من الأيام الستة التي خلق الله فيها السموات والأرض)) . اهـ [٣] .

الوجه الرابع : الترجيح بناءً على دلالة سياق الآية [٤] .

المقصود بدلالة السِّياق : دلالة سابق النص القرآني ولاحقه على المعنى المراد [٥] .

وهذا الوجه من أوجه الترجيح اعتمده أئمة التفسير وغيرهم من أهل العلم ، ورجحوا به ، وقرروا أن " دلالة السِّياق محكمة ، وهي قاضية عند من له أدنى ذوق " [٦] .

وذكروا أن دلالة السِّياق " متفق عليها في مجاري كلام الله تعالى " [٧] .

رُوي عن **مسلم بن يسار** [٨] أنه قال : إذا حدثت عن الله فقف حتى تنظر ما قبله وما بعده [٩] .

---

(١) مقدمة التسهيل : ١ / ٩ .

(٢) سورة الحج : ٤٧ .

(٣) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٤٣ ، ٤٤ .

(٤) وللمزيد في معرفة منهج ابن جُزيّ في **الترجيح بالسِّياق** وأمثلة على ذلك ؛ ينظر : قواعد الترجيح عند ابن جُزيّ في تفسيره للجمعان : ٢٤٣ – ٢٥٦ .

(٥) ينظر : مقدمة التسهيل لابن جُزيّ : ١ / ٩ .

(٦) نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج لمحمد بن أحمد بن حمزة الرملي (ت ١٠٠٤هـ) : ٦ / ١٥١ .

(٧) البحر المحيط للزَّركشي : ٤ / ٣٥٧ ، ذكر ذلك في رده على من أنكر دلالة السِّياق ، ونسب الإنكار إلى الجهل ، وذكر أنه قد احتج بهذه الدلالة أحمد رحمه الله على الشافعي رحمه الله في مسألة : الواهب ليس له الرجوع في هبته .

(٨) **مسلم بن يسار** هو : مسلم بن يسار البصري ، أبو عبد الله المكي ، الإمام القدوة ، الثقة الفقيه ، العابد الزاهد ، ت سنة ١٠٠ هـ . ينظر : تهذيب الكمال : ٢٧ / ٥٥١ – ٥٥٤ ، السِّير : ٤ / ٥١٠ – ٥١٤ ، الكاشف : ٢ / ٢٦١ .

(٩) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن : ٢٢٩ ، ونقله عنه ابن تيمية في المجموع : ١٣ / ٣٧٤ .

وذكر **الزَّركشي** رحمه الله عدة أمور تعين على المعنى عند الإشكال ، ومنها :

" الرابع : دلالة السِّياق ، فإنها ترشد إلى تبيين المجمل ، والقطع بعدم احتمال غير المراد ، وتخصيص العام ، وتقييد المطلق ، وتنوع الدلالة ، وهو من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم ، فمن أهمله غلط في نظيره ، وغالط في مناظراته " . اهـ [1] .

وذكره ابن جُزيّ من ضمن وجوه ترجيحه فقال :

((أن يشهد بصحة القول سياق الكلام ، ويدل عليه ما قبله أو ما بعده)) [2] .

مثال ذلك : قال ابن جُزيّ عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ ﴾ [3] : ((﴿ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ﴾ أي : له ما قدامنا وما خلفنا ، وما نحن فيه من الجهات والأماكن ؛ فليس لنا الانتقال من مكان إلى مكان إلا بأمر الله . وقيل : ما بين أيدينا الدنيا إلى النفخة الأولى في الصور وما خلفنا الآخرة ، وما بين ذلك ما بين النفختين . وقيل : ما مضى من أعمارنا وما بقي منها ، والحال التي نحن فيها ، **والأوَّل أكثر مناسبة لسياق الآية**)) . اهـ [4] .

الوجه الخامس : الترجيح بناء على **قراءة أخرى** [5] ، وقد تكلَّم ابن جُزيّ في مقدمته عن القراءات ؛ وأقسامها من مشهورة وشاذة [6] ، ورجَّح بها عند تفسيره لبعض الآيات .

---

(١) البرهان في علوم القرآن لمحمد بن عبد الله الزَّركشي (ت ٧٩٤ هـ) : ٢ / ٢٠٠ ، ٢٠١ .
والزَّركشي هو : محمد بن عبد الله بن بهادر الزَّركشي ، أبو عبد الله المصري ، الإمام العالم العلامة ، صاحب التصانيف النافعة المشهورة ، وكان عالماً بالحديث والتفسير وعامة العلوم والفنون ، ت سنة ٧٩٤ هـ . ينظر : طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة : ٣ / ١٦٧ ، ١٦٨ ، الدرر الكامنة : ٥ / ١٣٣ ، ١٣٤ ، طبقات المفسرين للداوودي : ٣٠٢ .

(٢) مقدمة التسهيل : ١ / ٩ .

(٣) سورة مريم عليها السَّلام : ٦٤ .

(٤) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٧ .

(٥) وللمزيد في معرفة منهج ابن جُزيّ في **الترجيح بناءً على قراءة أخرى** وأمثلة على ذلك ؛ ينظر : قواعد الترجيح عند ابن جُزيّ في تفسيره للجمعان : ٢٦١ - ٢٧٩ .

(٦) ينظر : مقدمة التسهيل : ١ / ٧ .

وقد تقرر عند أهل العلم أن تنوع القراءات وتعددها بمنزلة تعدد الآيات .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله مقرراً هذه القاعدة :

" وكل قراءة منها مع القراءة الأخرى بمنزلة تعدد الآية مع الآية ، يجب الإيمان بها كلها ، **واتباع ما تضمنته من المعنى علماً وعملاً** ، لا يجوز ترك موجب إحداهما لأجل الأخرى ، ظناً أن ذلك تعارض " . اهـ [1] .

ويقول الشنقيطي رحمه الله :

" اعلم أولاً أن القراءتين إذا ظهر تعارضهما في آية واحدة ، لهما حكم الآيتين ، كما هو معروف عند العلماء " [2].

بل إن بعض أهل العلم ذهب إلى أن القراءة الشاذة قد يتوصل بها إلى تفسير القراءة المشهورة والمتواترة ، وتبيين معانيها [3] .

✍ **مثال ذلك** : قال ابن جُزيّ عند تفسير قوله تعالى : ﴿ ... فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا ۖ يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾ [4] : (((وسيعلم الكافر) [5] ، والمراد بالكافر الجنس ، بدليل قراءة الكفار بالجمع)) . اهـ [6] .

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية : ١٣ / ٣٩١ .

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن لمحمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي (ت ١٣٩٣هـ) : ١ / ٣٣٠ . وقد أشار إلى هذه القاعدة التفسيرية جماعة من أهل العلم ، وينظر على سبيل المثال : **برهان** الزَّركشي : ١ / ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، **وإتقان** السيوطي : ١ / ٢١٧ - ٢١٩ ، **وكليات** الكفوي : ٧٢٢ ، ٧٢٣ .

(٣) ينظر : فضائل القرآن لأبي عبيد : ١٩٥ ، وإتقان السيوطي : ١ / ٢١٩ .

(٤) سورة الرعد : ٤٢ .

(٥) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو (وسيعلم الكافر) على الإفراد ، وقرأ الباقون على الجمع ﴿ وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ ﴾ . فالحجة لمن وحد أنه أراد به أبا جهل فقط ، والحجة لمن جمع أنه أراد كل الكفار . ينظر : السبعة في القراءات لأبي بكر ، أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد البغدادي (ت ٣٢٤ هـ) : ٣٥٩ ، الحجة في القراءات السبع للحسين بن أحمد بن خالويه (ت ٣٧٠ هـ) : ٢٠٢ ، حجة القراءات لأبي زرعة ، عبد الرحمن بن محمد ابن زنجلة (ت ٤٠٣ هـ) : ٣٧٥ .

(٦) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٣٧ .

✓ ثانياً : وجوه الترجيح المتعلقة بالسُّنة النبوية الشريفة :

الوجه الأول : الترجيح بدلالة حديث النبي ﷺ [1] ؛ وهو نوع من أنواع التفسير بالمأثور .

والسنة هي الأصل الثاني من أصول الإسلام بعد القرآن الكريم ، ولا شك أن أعلم الناس بتفسير كلام الله تعالى وبيانه : رسول الله ﷺ ، وقد نص القرآن الكريم على ذلك ، فقال سبحانه : ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [2] ، وقال تعالى : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ... ﴾ [3] .

وبناءً عليه فإن تفسير النبي ﷺ لكلام الله سبحانه وتعالى أجل تفسير ، وقد نبّه أهل العلم على ذلك ، وبينوه ووضحوه غاية التوضيح والبيان ، وقد نصوا على جملة من القواعد التفسيرية التي تعين المفسر على تفسير القرآن الكريم ، والتي تتعلق بهذا الوجه المهم من أوجه الترجيح ، ومن القواعد التي ذكروها واستعملوها في الترجيح :

- إذا ثبت الحديث وكان نصاً في تفسير الآية فلا يصار إلى غيره ، وإذا عرف التفسير من جهة النبي ﷺ فلا حاجة إلى قول من بعده [4] .
- إذا ثبت الحديث عن رسول الله ﷺ استغني به عمن سواه [5] .
- إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه [6].
- كل تفسير خالف القرآن أو السنة أو إجماع الأمة فهو ردّ [7] .

---

(١) وللمزيد في معرفة منهج ابن جُزيّ في **الترجيح بدلالة حديث النبي ﷺ** وأمثلة على ذلك ؛ ينظر : قواعد الترجيح عند ابن جُزيّ في تفسيره للجمعان : ٢٨٥ – ٣٠٧ .

(٢) سورة النحل : ٤٤ .

(٣) سورة الحشر : ٧ .

(٤) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ١٩١ ، قواعد التفسير لخالد السبت : ١ / ١٤٩ .

(٥) قاله الشافعي رحمه الله في كتابه : الأم (٧ / ١٩٢) ، وينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٢٠٦ .

(٦) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٢٠٦ .

(٧) ينظر : مجموع فتاوى ابن تيمية : ١٣ / ١٤٥ ، ١٤٦ ، قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٢١٤ .

وقد اعتمد ابن جُزيّ هذا الوجه من وجوه الترجيح في تفسيره ، موافقاً في ذلك عامة أهل العلم [1] ، فممَّا قاله مقرراً لهذا الوجه : ((حديث النبي ﷺ ؛ فإذا ورد عنه عليه السلام تفسير شيء من القرآن عوَّلنا عليه ؛ لا سيَّما إن ورد في الحديث الصحيح)) [2] .

مثال ذلك : قال ابن جُزيّ عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴾ [3] : ((يعني أم القرآن ؛ لأنها سبع آيات ، وقيل : يعني السور السبع الطوال ، وهي : البقرة ، وآل عمران ، والنساء ، والمائدة ، والأنعام ، والأعراف ، والأنفال مع براءة ؛ والأول أرجح ؛ **لوروده في الحديث**)) . اهـ [4] .

الوجه الثاني : الترجيح بقول الصحابي وبقول من يقتدى به [5] ؛ ويعتبر من التفسير بالمأثور .

روي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال للخوارج عندما ناظرهم : جئت أحدثكم عن أصحاب رسول الله ﷺ ، عليهم نزل الوحي ، **وهم أعلم بتأويله** [6] .

وقد قرر أهل العلم أن فهم السلف للقرآن الكريم حجة يحتكم إليه ، فكل قول اعتمده سلف الأمة من الصحابة والتابعين لا يحاكم إلى قول من هو دونهم [7] .

---

(١) قرر هذا الوجه واعتمده كثير من العلماء المحققين ، ومنهم : الطبري فكثيراً ما كان يرجح بهذا الوجه فيقول : " وأولى القولين في ذلك بالصواب ما صحَّ به الخبر عن رسول الله ﷺ " ، وينظر مثالاً على ذلك في **تفسيره** : (٣ / ٥٠ ، ٥ / ٤٣ ، ٧ / ٢٥٩ ، ١٥ / ١٤٥) .
وذكر الزَّركشي في **البرهان** (٢ / ١٥٦) أن لطالب التفسير مآخذ كثيرة ، أمهاتها أربعة ، أولها : النقل عن النبي ﷺ ، وبنحوهما ذكر محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت ١٢٥٠ هـ) في مقدمة **تفسيره** (فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير) (١ / ١٢) .

(٢) مقدمة التسهيل : ١ / ٩ .

(٣) سورة الحجر : ٨٧ .

(٤) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٤٨ .

(٥) وللمزيد في معرفة منهج ابن جُزيّ في **الترجيح بقول لصحابي ومن يقتدى به** وأمثلة على ذلك ؛ ينظر : قواعد الترجيح عند ابن جُزيّ في تفسيره للجمعان : ٣١١ - ٣٣٠ .

(٦) أخرجه أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت ٢١١ هـ) في مصنفه (١٨٦٧٨) : ١٠ / ١٥٧ ، ١٥٨ ، والطبراني أبو القاسم سليمان بن أحمد (ت ٣٦٠ هـ)في المعجم الكبير (١٠٥٩٨) : ١٠ / ٢٥٧ ، وغيرهم .

(٧) ينظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام : ١٣ / ٣٦١ ، ٣٦٢ ، وإعلام الموقعين عن رب العالمين لأبي عبد الله محمد ابن أبي بكر الزرعي ، المعروف بابن قيِّم الجوزية (ت ٧٥١ هـ) ، عقد فصلاً بعنوان : (تفسير الصحابي للقرآن كفتواه) قرر فيها هذه القاعدة ، وبيان خلاف العلماء في المسألة . وينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٢٧١ ، قواعد التفسير للسبت : ١ / ٢٠٦ .

بل ذهب بعض أهل العلم إلى أن تفسير الصحابة في حكم المرفوع [1]، قال أبو عبد الله الحاكم [2] : " وتفسير الصحابي مسند " . اهـ [3] .

ونصَّ ابن جُزيّ على ذلك فذكره من ضمن وجوه ترجيحه فقال :

((أن يكون القول قول من يقتدى به من الصحابة ﷺ ، كالخلفاء الأربعة ، **وعبد الله بن عباس** ﷺ لقول رسول الله ﷺ : « اللهم فَقِّهْهُ في الدِّينِ وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ » [4])) [5] .

✍ **مثال ذلك** : قال ابن جُزيّ عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً ... ﴾ [6] : ((﴿ وَحَفَدَة ﴾ جمع حافد . **قال ابن عباس : هم أولاد البنين** . وقيل : الأصهار . وقيل : الخدم . وقيل : البنات ؛ إلا أن لفظ الذكور لا يدل عليهم . والحفدة في اللغة : الخدمة)) . اهـ [7] .

---

(١) **هذا ليس على إطلاقه** ، فإن قول الصحابي لا يعتبر مسنداً وله حكم الرفع إلاَّ إذا كان قوله فيما لا مجال للاجتهاد والرأي فيه ، ولم يكن الصحابي معروفاً بالأخذ عن بني إسرائيل . ينظر : معرفة علوم الحديث لمحمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥ هـ) : ٢٠ ، شرح نخبة الفكر في مصطلحات أهل الأثر لأبي الحسن علي بن سلطان محمد القاري الهروي المعروف " بملا علي القاري " (ت ١٠١٤هـ) : ١ / ٥٤٨ ، ٥٤٩ ، توجيه النظر إلى أصول الأثر لطاهر الجزائري الدمشقي (ت ١٣٣٨ هـ) : ١ / ٣٩٧ .

(٢) **الحاكم** هو : محمد بن عبد الله بن حمدويه الطهماني ، أبو عبد الله الحاكم النيسابوري ، الإمام الحافظ الثقة ، وكان من أهل الفضل والعلم والمعرفة والحفظ ، وله مصنفات عديدة ، ت سنة ٤٠٥هـ . ينظر : تاريخ بغداد : ٥ / ٤٧٣ ، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة : ١ / ١٩٣ ، ١٩٤ ، النجوم الزاهرة : ٤ / ٢٣٨ .

(٣) المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري : ٤ / ٦١٩ ، وذكر الحاكم أيضاً أن هذا هو مذهب الشيخين البخاري ومسلم ، فقال مثلاً (١ / ٧٢٦) : " وقد اتفقا [أي الشيخين] على أن تفسير الصحابي حديث مسند " ، وهذه العبارة تكررت في مستدركه كثيراً . ونقل ابن القيم في إعلام الموقعين (٤ / ١٥٣) كلام الحاكم بلفظ : " وتفسير الصحابي عندنا في حكم المرفوع " مبيناً مراده بقوله : " ومراده : انه في حكمه في الاستدلال به والاحتجاج ، لا أنه إذا قال الصحابي في الآية قولاً فلنا أن نقول هذا القول قول رسول الله ﷺ ، أو قال رسول الله ﷺ . وله وجه آخر ، وهو : أن يكون في حكم المرفوع ، بمعنى : أن رسول الله ﷺ بيّن لهم معاني القرآن وفسره لهم ، كما وصفه تعالى بقوله : ﴿ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ . [سورة النحل : ٤٤] . فبين لهم القرآن بياناً شافياً كافياً ، وكان إذا أشكل على أحد منهم معنى سأله عنه ، فأوضحه له ..)) إلى آخر كلامه رحمه الله .

(٤) أخرجه أحمد في مسنده في مسند ابن عباس ﷺ (٣١٠٢) : ١ / ٣٣٥ . قال الشيخ شعيب الأرناؤوط : إسناده صحيح على شرط مسلم .

(٥) مقدمة التسهيل : ١ / ٩ .

(٦) سورة النحل : ٧٢ .

(٧) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٥٨ .

الوجه الثالث : الترجيح بدلالة قول الجمهور وأكثر المفسرين [١] .

وإذا انفرد مفسِّرٌ في تفسير آية من كتاب الله ﷻ بقول خالف فيه عامة المفسرين من السلف ، و لم يكن لقوله دلالة واضحة قوية فهو قول شاذ ؛ لأنه خارج عن قول أهل التفسير ، فقولهم أولى بالصواب ؛ لأنهم إلى الحق أقرب ، ومن الخطأ أبعد [٢] .

ولقد نصَّ ابن جُزيّ على ذلك ، واعتمده في تفسيره فقال : ((أن يكون القول قول الجمهور وأكثر المفسرين ؛ فإن كثرة القائلين بالقول يقتضي ترجيحه)) [٣] .

✍ **مثال ذلك** : قال ابن جُزيّ عند تفسير قوله تعالى : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ... ﴾ [٤] : ((﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ الحسنى : الجنة ، والزيادة : النظر إلى وجه وجه الله . وقيل : الحسنى جزاء الحسنة بعشر أمثالها ، والزيادة : التضعيف فوق ذلك إلى سبعمائة ، والأوَّل أصحُّ ؛ لوروده في الحديث ، **وكثرة القائلين به**)) . اهـ [٥] .

✓ ثالثاً : وجوه الترجيح المتعلقة بالقواعد التفسيرية والأصولية :

الوجه الأول : الترجيح بأسباب النزول [٦] .

أسباب نزول القرآن الكريم وجه من أوجه الترجيح كما قرر ذلك أهل العلم ، فقد نصّ بعض أهل العلم على أن كل قول يؤيده سبب النزول مقدَّمٌ على ما ليس كذلك ؛ لأن سبب النزول الصريح الصحيح له حكم الرفع [٧] .

---

(١) وللمزيد في معرفة منهج ابن جُزيّ في **الترجيح بدلالة قول الجمهور وأكثر المفسرين** وأمثلة على ذلك ؛ ينظر : قواعد الترجيح عند ابن جُزيّ في تفسيره للجمعان : ٣٣٤ – ٣٥٠ .

(٢) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٢٨٨ .

(٣) مقدمة التسهيل : ١ / ٩ .

(٤) سورة هود عليه السلام : ٢٦ .

(٥) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ٩٢ .

(٦) وللمزيد في معرفة منهج ابن جُزيّ في **الترجيح بأسباب النزول** وأمثلة على ذلك ؛ ينظر : قواعد الترجيح عند ابن جُزيّ في تفسيره للجمعان : ٣٧٤ – ٣٩١ .

(٧) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٢٤١ ، قواعد التفسير للسبت : ١ / ٥٤ .

وقد أفرد ابن جُزيّ باباً مستقلاً في مقدمته في نزول القرآن على رسول الله ﷺ [1]، ولم ينص على ترجيحه بصحة سبب نزول الآيات ؛ لكنه اعتمد هذا الوجه من أوجه الترجيح ، واستدل به على الترجيح .

✍ **مثال ذلك** : قال ابن جُزيّ عند تفسير قوله تعالى : ﴿ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ ... ﴾ [2] : ((والمعنى : إن كان الخطاب لأهل الكتاب يا أهل الكتاب آمنوا بمحمد ﷺ ؛ ليعلم أهل الكتاب الذين لم يؤمنوا أن لا يقدروا على شئ من فضل الله الذي وعد من آمن منكم ؛ وهو تضعيف الأجر والنور والمغفرة لأنهم لم يسلموا فلم ينالوا شيئاً من ذلك ، وإن كان الخطاب للمسلمين فالمعنى : ليعلم أهل الكتاب الذين لم يؤمنوا أنهم لا يقدرون أن ينالوا شيئاً مما أعطى الله المسلمين من تضعيف الأجر والنور والمغفرة ، وقد روى في **سبب نزول الآية** : أن اليهود افتخرت على المسلمين فنزلت الآية في الرد عليهم ، **وهو يقوى هذا القول** ...)) . اهـ [3] .

الوجه الثاني : الترجيح بالمكي والمدني ، أو تاريخ ثبوت نزول الآية [4] .

إن تاريخ نزول الآية وجهٌ معتمدٌ من أوجه الترجيح عند أهل العلم ، واحتج به السلف رحمهم الله ، وقد نصّ أهل العلم أنه متى ما ثبت تاريخ نزول الآية أو السورة فهو مرجّح لما وافقه من أوجه التفسير [5] .

وقد أفرد ابن جُزيّ أيضاً باباً مستقلاً في مقدمته في السور المكية والمدنية [6]، ولم ينص على ترجيحه بتاريخ ثبوت نزول الآية أيضاً ؛ لكنه قد رجَّح به عند تفسيره لبعض الآيات .

---

(١) مقدمة التسهيل : ١ / ٤ .

(٢) سورة الحديد : ٢٩ .

(٣) التسهيل لابن جُزيّ : ٤ / ١٠١ .

(٤) وللمزيد في معرفة منهج ابن جُزيّ في **الترجيح بالمكي والمدني** وأمثلة على ذلك ؛ ينظر : قواعد الترجيح عند ابن جُزيّ في تفسيره للجمعان : ٣٩٦ – ٤١٣ .

(٥) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٢٥٨ .

(٦) مقدمة التسهيل : ١ / ٥ .

✍ **مثال ذلك** : قال ابن جُزيّ عند تفسير قوله تعالى : ﴿ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ﴾ [1] : ((﴿ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ ﴾ استثناء منقطع معناه : لكن من تولَّى ﴿ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ﴾ ، وقيل : هو استثناء من مفعول ﴿ فَذَكِّرْ ... ﴾ [2] والمعنى : ذكر كل أحد إلا من تولَّى حتى يئست منه فهو على هذا متصل ، وقيل : هو استثناء من قوله : ﴿ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴾ [3] أي : لا تسلط إلا على من تولَّى وكفر ، وهو على هذا متصل ولا نسخ فيه إذ لا موادعة فيه **وهذا بعيد ؛ لأن السورة مكية والموادعة بمكة ثابتة**)) . اهـ [4] .

ففي هذه الآية رجَّح ابن جُزيّ المعنى بالمكيّ والمدنيّ ؛ لأن سورة الغاشية مكيَّة [5] كما هو ثابت ، ، والموادعة بمكة ثابتة .

الوجه الثالث : الترجيح بناءً على العموم والخصوص [6] .

تقرر عند أهل العلم أن النص إذا كان دالاً على العموم [7] فإنه يجب حمله عليه في المعنى ، ولا يجوز يجوز أن يخصَّص إلا إذا ورد دليلٌ صحيحٌ على تخصيصه [1] ، فإذا لم يثبت تخصيص اللفظ العام ، أو تقييده فإن الأولى بقاء اللفظ على عمومه .

---

(١) سورة الغاشية : ٢٣ ، ٢٤ .
(٢) سورة الغاشية : 21 .
(٣) سورة الغاشية : ٢٢ .
(٤) التسهيل لابن جُزيّ : ٤ / ١٩٦ .
(٥) ينظر : إتقان السيوطي : ١ / ٧٧ ، ٧٨ .
(٦) وللمزيد في معرفة منهج ابن جُزيّ في **الترجيح بناءً على العموم والخصوص** وأمثلة على ذلك ؛ ينظر : قواعد الترجيح عند ابن جُزيّ في تفسيره للجمعان : ٤١٨ – ٤٢٩ .
(٧) **العام** هو : اللفظ المستغرق لجميع ما يصلح له بحسب وضعٍ واحدٍ دفعة واحدة بلا حصر . وللعموم صيغ كثيرة ذكرها أهل العلم ، بعضها متفق عليه ، وبعضها مختلف فيه ، تكلم عنها عامة علماء الأصول وغيرهم ، ومن أشهر صيغ العموم : (كل) ، و (مَن) الموصولة والاستفهامية والشرطية ، و (ما) ، و (جميع) ، و (عامة) و (كافة) ، و (قاطبة) ، و (إذا الشرطية) ، والجمع المعرف بلام الجنس ، واسم الجنس المحلى بلام الجنس ، والأسماء الموصولة ، والنكرة في سياق النفي ، أو النهي ، أو الشرط ، أو الاستفهام ... وغيرها . وليس هذا مقام الاستطراد في بيان هذه الألفاظ ودلالتها ، وخلاف العلماء فيها .
وللمزيد حول تعريف العام وصيغه ينظر : الإحكام في أصول الأحكام لأبي محمد علي بن حزم الأندلسي الظاهري (ت ٤٥٦هـ) : ٣ / ٣٧٩ وما بعدها ، البرهان في أصول الفقه لأبي المعالي ، عبد الملك بن عبد الله الجويني (ت ٤٧٨ هـ) : ١ / ٢٤٣ وما بعدها ، المحصول لابن العربي : ١ / ٧٣ وما بعدها ، الإحكام للآمدي : ٢ / ٢١٧ –

يقول **الشافعي** رحمه الله : " ولا يقال بخاص في كتاب الله ولا سنةٍ رسوله إلا بدلالة فيهما أو في واحدٍ منهما ، ولا يقال بخاص حتى تكون الآية تحتمل أن يكون أريد بهذا ذلك الخاص ، فأما ما لم تكن محتملة له فلا يقال فيها بما لم تحتمل الآية " . اهـ [٢] .

ويقول أيضاً : " فكل كلام كان عاماً ظاهراً في سنة رسول الله ﷺ فهو على ظهوره وعمومه ، حتى يُعلم حديث ثابت عن رسول الله ﷺ – بأبي هو وأمي – يدلُّ على أنه إنما أريد بالجملة العامة في الظاهر بعض الجملة دون بعض " . اهـ [٣] .

وذكر ابن جُزيّ العموم والخصوص في أسباب الترجيح عنده حيث قال في معرض سياقه لأسباب الترجيح :

((تقديم العمومي على الخصوصي ؛ فإن العمومي أولى لأنه الأصل إلا أن يدل دليل على التخصيص)) [٤] .

مثال ذلك : قال ابن جُزيّ عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾ ﴾ [٥] : ((﴿ مِنْ قَرْيَةٍ ﴾ يريد أهل القرية . وقال ابن عباس : هي قرية باليمن يقال لها : (حضور) ؛ بعث الله إليهم نبيا فقتلوه ، فسلط الله عليهم

---

٢٤٢ ، المسودة في أصول الفقه لشيخ الإسلام ابن تيمية وأبيه وجده ، جمعها وبيضها : شهاب الدين أبو العباس أحمد = = ابن محمد الحراني الحنبلي (ت ٧٤٥ هـ) : ٩١ ، وإرشاد الفحول للشوكاني : ٢٠٤ – ٢١٣ .

والخاص اصطلاحاً هو : اللفظ الذي لا يستغرق الصالح له من غير حصر . ينظر : دراسات في علوم القرآن الكريم للأستاذ الدكتور فهد بن عبد الرحمن الرومي (أستاذ الدراسات القرآنية بكلية المعلمين بالرياض) : ٥٢٧ ، ٥٣٦ مباحث في علوم القرآن للقطان : ٢٢١ ، ٢٢٦ .

(١) ينظر تقرير هذه القاعدة وتأكيدها – إضافة إلى المراجع السابقة – في : المستصفى للغزالي (٢٤٤ ، ٢٤٥) ، والتمهيد في تخريج الفروع على الأصول لأبي محمد عبد الرحيم بن الحسن الأسنوي (ت ٧٧٢ هـ) : (٢٨٠) ومذكرة الشنقيطي (٢١٧ ، ٢١٨) ، وقواعد الترجيح للحربي (٢ / ٥٢٧ وما بعدها) ، وفصول في أصول التفسير للطيار (١٠٢) ، وقواعد التفسير للسبت (٢ / ٥٩٩) .

(٢)كتاب الرسالة للإمام الشافعي : ٢٠٧ .

(٣) الرسالة : ٣٤١ ، وينظر : البحر المحيط للزَّركشي : ٢ / ١٩١ ، ومذكرة الشنقيطي : ٢١٧ .

(٤) مقدمة التسهيل : ١ / ٩ .

(٥) سورة الأنبياء : ١١ .

بختنصر ملك بابل فأهلكهم بالقتل . **وظاهر اللفظ أنه على العموم** ؛ لأن ﴿ كَمْ ﴾ للتكثير فلا يريد قرية معينة)) . اهـ [1] .

الوجه الرابع : الترجيح بناءً على النسخ وعدمه ، وقد أفرد ابن جُزيّ أيضاً باباً مستقلاً في مقدمته في الناسخ والمنسوخ [2] ، ولم ينص على ترجيحه بناءً على النسخ وعدمه ؛ لكنه عند تفسيره أحياناً لبعض الآيات يرجح المعنى مستنداً على إحكام الآية أو نسخها [3] .

✍ **مثال ذلك** : قال ابن جُزيّ عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [4] :

((﴿ سَكَرًا ﴾ : يعني الخمر ، ونزل ذلك قبل تحريمها ؛ فهي **منسوخة بالتحريم** . وقيل : إن هذا على وجه المنة بالمنفعة التي في الخمر ، ولا تعرض فيها لتحليل ولا تحريم ؛ فلا نسخ)) . اهـ [5] .

الوجه الخامس : الترجيح بالإظهار والإضمار [6] ، نصَّ ابن جُزيّ على ذلك فقال : ((تقديم **الاستقلال** على الإضمار ؛ إلا أن يدل دليلٌ على الإضمار)) [7] .

✍ **مثال ذلك** : قال ابن جُزيّ عند تفسير قوله تعالى : ﴿ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴾ [8] :

((ونصب ﴿ عَبْدَهُۥ ﴾ على أنه مفعول لـ ﴿ رَحْمَتِ ﴾ فإنها مصدر أضيف إلى الفاعل ونصب

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٢٣ .

(٢) مقدمة التسهيل : ١ / ١٠ ، ١١ .

(٣) وللمزيد في معرفة منهج ابن جُزيّ في **الترجيح بناءً على النسخ وعدمه** وأمثلة على ذلك ؛ ينظر : قواعد الترجيح عند ابن جُزيّ في تفسيره للجمعان : ٤٣٣ – ٤٤٨ .

(٤) سورة النحل : ٦٧ .

(٥) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٥٧ .

(٦) وللمزيد في معرفة منهج ابن جُزيّ في **الترجيح بالإظهار والإضمار** وأمثلة على ذلك ؛ ينظر : قواعد الترجيح عند ابن جُزيّ في تفسيره للجمعان : ٤٥١ – ٤٥٩ .

(٧) مقدمة التسهيل : ١ / ٩ .

(٨) سورة مريم عليها السَّلام : ٢ .

المفعول . وقيل : هو مفعول بفعل **مضمر تقديره** : **رحمة عبده** وعلى هذا يوقف على ما قبله ، **وهذا ضعيف** ؛ وفيه تكلف الإضمار من غير حاجة إليه ؛ وقطع العامل عن العمل بعد تهيئته له)) . اهـ [1] .

ورجح ابن جُزيّ هنا القول بالإظهار على القول بالإضمار .

الوجه السادس : الترجيح بناءً على الترتيب في الكلام [2] .

الأصل في كلام الله تعالى أن يوضع كل لفظ في موضعه تقديماً وتأخيراً ، وكل تقديم وتأخير في الكلام هو خلاف الأصل ، وإن كان أسلوب التقديم والتأخير أسلوب فصيح مستعمل عند العرب [3] ، إلا أن الأصل بقاء النص على ترتيبه ، فمتى ما أمكن تفسير النص القرآني على الترتيب الترتيب الموضوع له لا يلجأ إلى التقديم والتأخير ، يقول **الطبري** رحمه الله : " ولا وجه لتقديم شيء من كتاب الله عن موضعه ، أو تأخيره عن مكانه إلا بحجة واضحة " . اهـ [4] .

ويقول شيخ الإسلام **ابن تيمية** مقرراً هذه القاعدة : " والتقديم والتأخير على خلاف الأصل ، فالأصل إقرار الكلام على نظمه وترتيبه ، لا تغيير ترتيبه " . اهـ [5] .

ونصَّ ابن جُزيّ على ذلك فقال : ((حمل **الكلام على ترتيبه** ؛ إلا أن يدل دليل على التقديم والتأخير)) [6] .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٢ .

(٢) وللمزيد في معرفة منهج ابن جُزيّ في **الترجيح بالترتيب في الكلام** (**التقديم والتأخير**) وأمثلة على ذلك ؛ ينظر : قواعد الترجيح عند ابن جُزيّ في تفسيره للجمعان : ٤٦٣ – ٤٧٨ .

(٣) التقديم والتأخير في الكلام أحد أساليب البلاغة عند العرب ، وأحد الدلائل على التمكن في الفصاحة ، والملكة في الكلام وقد قالوا قديماً : إن أسلوب التقديم والتأخير له في القلوب أحسن موقع ، وأعذب مذاق .
إلا أن المحققين من أهل العلم **منعوا القول بالتقديم والتأخير وله وجه ظاهر صحيح بغيره** . وللمزيد حول هذه المسألة . ينظر : المحصول للرازي : ١ / ٥٧٢ ، برهان الزَّركشي : ٣ / ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، إتقان السيوطي : ٢ / ٣٣ .

(٤) تفسير الطبري : ١٣/ ٦٦ .

(٥) مجموع الفتاوى : ١٦ / ٢١٨ .

(٦) مقدمة التسهيل : ١ / ٩ .

ويقول **الشنقيطي** رحمه الله :

" لما تقرر في الأصول من وجوب الحمل على بقاء الترتيب إلا لدليل " . اهـ [1] .

✍ **مثال ذلك** : قال ابن جُزيّ عند تفسير قوله تعالى : ﴿ ... وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ ... ﴾ [2] : ((وتنوء معناه : تثقل ؛ يقال : ناء به الحمل إذا أثقله وقيل : معنى تنوء : تنهض بتحامل وتكلف ، والوجه على هذا أن يقال : إن العصبة تنوء بالمفاتح لكنه قلب كما جاء قلب الكلام عن العرب كثيراً ، **ولا يحتاج إلى قلب على القول الأول**)) . اهـ [3] .

ويظهر أن ابن جُزيّ هنا رجَّح القول الأول حيث فسَّره به ونصَّ على ذلك ، وساق القول الآخر على صيغة التضعيف (قيل) ، ثم ساق أنه يوافق قاعدته في الترجيح بترتيب الكلام ، وعدم اللجوء للتقديم والتأخير إلا بسبب .

✍ **مثال آخر** : قال ابن جُزيّ عند تفسير قوله تعالى : ﴿ ٱذْهَب بِّكِتَـٰبِى هَـٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾ [4] :

((﴿ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ ﴾ أي : تنحَّ إلى مكان قريب لتسمع ما يقولون ، وروي أنه دخل عليها من كوة فألقى إليها الكتاب ، وتوارى في الكوة . وقيل : إن التقدير : انظر ماذا يرجعون ، ثم تول عنهم ؛ **فهو من المقلوب ، والأوَّل أحسن**)) . اهـ [5] .

وفي هذا المثال أيضاً رجَّح القول بترتيب الكلام وعدم القول بالقلب ؛ متمشياً مع ما وضعه لنفسه من وجوه الترجيح .

---

(١) أضواء البيان : ٦ / ١٩٠ .
(٢) سورة القصص : ٧٦ .
(٣) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٩٤ .
(٤) سورة النمل : ٢٨ .
(٥) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٩٥ .

الوجه السَّابع : الترجيح بناءً على المطلق والمقيَّد [1] ؛ نصَّ ابن جُزيّ على ذلك فقال : ((تقديم الإطلاق على التقييد ؛ إلا أن يدل دليل على التقييد)) [2] .

✍ **مثال ذلك** : قال ابن جُزيّ عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ﴿٢٨﴾ ﴾ [3] : ((﴿ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ ﴾ أي : جعلناه غافلاً ؛ أو وجدناه غافلاً . وقيل : يعني أنه عيينة بن حصين الفزاري ، **والأظهر أنها مطلقة من غير تقييد**)) . اهـ [4] .

✓ رابعاً : وجوه الترجيح المتعلقة باللغة :

الوجه الأول : الترجيح بناءً **على المعنى الذي تدل عليه لغة العرب** .

الوجه الثاني : الترجيح بناءً **على الإعراب** .

الوجه الثالث : الترجيح بناءً على **التصريف والاشتقاق** [5] .

نصَّ ابن جُزيّ على هذه الأوجه الثلاثة فقال : ((أن يدل على صحة القول **كلام العرب من اللغة والإعراب أو التصريف أو الاشتقاق**)) [6] .

---

(١) **المطلق اصطلاحاً** هو : ما دل على الماهية بلا قيد من حيث هي هي .
والمقيد اصطلاحاً هو : ما دل على الحقيقة بقيد . ينظر : البحر المحيط للزَّركشي : ٣ / ٣ ، إرشاد الفحول للشوكاني : ٢٧٨ ، ٢٧٩ . وللمزيد من تعريفات المطلق عند الأولين ينظر : دراسات في علوم القرآن الكريم للأستاذ الدكتور فهد الرومي : ٥٥٨ ، ٥٦٠ ، مباحث في علوم القرآن للقطان : ٢٤٥ ، ٢٤٦ .
وللمزيد في معرفة منهج ابن جُزيّ في **الترجيح بناءً على المطلق والمقيَّد** وأمثلة على ذلك ؛ ينظر : قواعد الترجيح عند ابن جُزيّ في تفسيره للجمعان : ٤٨٢ – ٤٩٥ .

(٢) مقدمة التسهيل : ١ / ٩ .

(٣) سورة الكهف : ٢٨ .

(٤) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٨٧ .

(٥) وللمزيد في معرفة منهج ابن جُزيّ في **الترجيح بلغة وكلام العرب** ، **والترجيح بناءً على الإعراب** ، **والترجيح بناء على التصريف والاشتقاق** وأمثلة على ذلك ؛ ينظر : قواعد الترجيح عند ابن جُزيّ في تفسيره للجمعان : ٥٠٠ – ٥١٣ ، ٥١٨ – ٥٣٠ ، ٥٣٣ – ٥٤٥ .

(٦) مقدمة التسهيل : ١ / ٩ .

وذلك لأن القرآن الكريم لما كان نزوله بلغة العرب كان لا بد أن يُسلك في فهمه واستنباط المعاني منه مسلك العرب في فهمهم واستنباطهم .

✍ **الأمثلة على ذلك** :

١. الترجيح بناء على المعنى الذي تدل عليه لغة العرب :

قال ابن جُزيّ عند تفسير قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ ﴿١٥﴾ ﴾ [١] : ((﴿ أَكَادُ أُخۡفِيهَا ﴾ اضطرب الناس في معناه ، فقيل : أخفيها بمعنى أظهرها ، وأخفيت هذا من الأضداد . وقال ابن عطية : هذا قول مختل . وذلك أن المعروف في اللغة أن يقال : أخفى بالألف من الإخفاء ، وخفي بغير ألف بمعنى أظهر ، فلو كان بمعنى الظهور لقال : أخفيها – بفتح همزة المضارع – ، وقد قرىء بذلك في الشاذ ، وقال الزمخشري : قد جاء في بعض اللغات أخفي بمعنى خفي : أي أظهر ، فلا يكون هذا القول مختلا على هذه اللغة ، وقيل : أكاد بمعنى أريد فالمعنى : أريد إخفاءها . وقيل : إن المعنى إن الساعة آتية أكاد ، وتم هنا الكلام بمعنى أكاد أنفذها لقربها ، ثم استأنف الإخبار فقال أخفيها ، وقيل : المعنى أكاد أخفيها عن نفسي فكيف عنكم ، وهذه الأقوال ضعيفة ، وإنما الصحيح : أن المعنى أن الله أبهم وقت الساعة فلم يطلع عليه أحداً ، حتى أنه كاد أن يخفي وقوعها لإبهام وقتها ، ولكنه لم يخفها إذ أخبر بوقوعها ، **فالأخفى على معناه المعروف في اللغة ، وكاد على معناها من مقاربة الشيء دون وقوعه** ، وهذا المعنى هو اختيار المحققين)) . اهـ [٢] .

٢. الترجيح بناء على الإعراب :

قال ابن جُزيّ عند تفسير قوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ فَلَنۡ أَكُونَ ظَهِيرٗا لِّلۡمُجۡرِمِينَ ﴾ [٣] : ((الظهير : المعين ، والباء سببية ، والمعنى : بسبب إنعامك علي لا أكون

---

(١) سورة طه : ١٥ .

(٢) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ١١ ، ١٢ .

(٣) سورة القصص : ١٧ .

ظهيرا للمجرمين ؛ فهي معاهدة عاهد موسى عليها ربه . وقيل : الباء باء القسم ؛ **وهذا ضعيف** ؛ لأن قوله : ﴿ فَلَنۡ أَكُونَ ﴾ لا يصلح لجواب القسم . وقيل : جواب القسم محذوف ؛ تقديره : وحق نعمتك لأتوبن ﴿ فَلَنۡ أَكُونَ ظَهِيرٗا لِّلۡمُجۡرِمِينَ ﴾ وقيل : الباء للتحليف ؛ أي : اعصمني بحق نعمتك عليَّ ﴿ فَلَنۡ أَكُونَ ظَهِيرٗا لِّلۡمُجۡرِمِينَ ﴾)) . اهـ [1] .

٣. الترجيح بناء على التصريف والاشتقاق :

قال ابن جُزيّ عند تفسير قوله تعالى : ﴿ ... لِنَعۡلَمَ أَيُّ ٱلۡحِزۡبَيۡنِ أَحۡصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدٗا ﴾ [2] : ((و ﴿ أَحۡصَىٰ ﴾ فعل ماض ، و ﴿ أَمَدًا ﴾ مفعول به . وقيل : ﴿ أَحۡصَىٰ ﴾ اسم للتفضيل ، و ﴿ أَمَدًا ﴾ تمييز ، وهذا ضعيف ؛ **لأن أفعل من التي للتفضيل لا يكون من فعل رباعي إلا في الشاذ**)) . اهـ [3] .

بنى هنا ابن جُزيّ ترجيحه على أن (أفعل) **لا يكون من فعل رباعي إلا في الشاذ** ، وهذا ترجيح بناء على التصريف والاشتقاق .

الوجه الرابع : الترجيح بناءً على الناحية البلاغية .

وقد أفرد ابن جُزيّ أيضاً باباً مستقلاً في مقدمته في الفصاحة والبلاغة وأدوات البيان ؛ وذكر شروط الفصاحة ؛ وعرف البلاغة فقال : ((وأما البلاغة فهي سياق الكلام على ما يقتضيه الحال والمقال ؛ من الإيجاز والإطناب ، ومن التهويل والتعظيم والتحقير ، ومن التصريح والكناية والإشارة ، وشبه ذلك بحيث يهز النفوس ويؤثر في القلوب ، ويقود السامع إلى المراد أو يكاد)) . ثم ذكر بعد ذلك أدوات البيان كالمجاز ، والكناية ، والالتفات إلى غير ذلك من الأدوات [4] ، و لم

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ١٠٣ .
(٢) سورة الكهف : ١٢ .
(٣) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٨٣ .
(٤) مقدمة التسهيل : ١ / ١٢ - ١٤ .

ينص في مقدمته على ترجيحه بالبلاغة ؛ لكنه عند تفسيره أحياناً لبعض الآيات يرجح القول الذي يفيد معنى بلاغياً قوياً على غيره [1] .

✍ **مثال ذلك** : قال ابن جُزيّ عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [2] : ((﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ﴾ المعنى : إن صنع بكم صنع سوء فافعلوا مثله ، ولا تزيدوا عليه ، والعقوبة في الحقيقة إنما هي الثانية ، وسميت الأولى عقوبة **لمشاكلة اللفظ** ويحتمل أن يكون عاقبتم بمعنى : أصبتم ؛ كقوله في الممتحنة ﴿ ... فَعَاقَبْتُمْ ... ﴾ [3] بمعنى : غنمتم ، **فيكون في الكلام تجنيس**)) . اهـ [4] .

وهنا رجَّح ابن جُزيّ القول الأول وأن المراد بالعقوبة الأولى الصنيع ؛ وسمِّي عقوبة لمشاكلة اللفظ **والمشاكلة** من أنواع البديع في علم البلاغة ، واحتمل القول الثاني معتمداً على **التجنيس** وهو من أنواع البديع أيضاً [5] .

الوجه الخامس : الترجيح بناءً على مرجع الضمير ، ولم ينص ابن جُزيّ في مقدمته على ترجيحه بمرجع الضمير ؛ وإن كان قد ذكره في ثنايا تفسيره في غير موضع عندما تكلَّم عن مرجع الضمير ورجَّح به [6] .

---

(١) وللمزيد في معرفة منهج ابن جُزيّ في **الترجيح بالبلاغة** وأمثلة على ذلك ؛ ينظر : قواعد الترجيح عند ابن جُزيّ في تفسيره للجمعان : ٥٤٩ – ٥٦٢ .

(٢) سورة النحل : 126 .

(٣) سورة الممتحنة : 11 .

(٤) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٦٥ .

(٥) **المشاكلة** هي : أن تذكر الشيء بلفظ آخر لوقوعه في صحبته تحقيقاً أو تقديراً .
والتجنيس هو : اتفاق اللفظ مع اختلاف المعنى ، ولا يكون أحدهما حقيقة والآخر مجازاً بل يكونان حقيقتين ، ثم الاتفاق قد يكون في الحروف والصيغة أو في الحروف خاصة أو في أكثر الحروف لا في جميعها أو في الخط لا في اللفظ وهو تجنيس التصحيف .
ينظر : شرح نهج البلاغة لأبي حامد ، عز الدين بن هبة الله بن محمد بن محمد بن أبي الحديد المدائني (ت ٦٥٥ هـ) : ٨ / ١٦٢ ، الإيضاح في علوم البلاغة لأبي عبد الله ، محمد بن سعد الدين بن عمر القزويني المعروف بالخطيب القزويني (ت ٧٣٩ هـ) : ٣٢٧ ، مقدمة التسهيل لابن جُزيّ : ١ / ١٣ ، برهان الزَّركشي : ٣ / ٤٥٠ ، ٤٥١ ، إتقان السيوطي : ٣ / ٢٥٢ ، ٢٤٤ .

(٦) وللمزيد في معرفة منهج ابن جُزيّ في **الترجيح بناءً على مرجع الضمير** وأمثلة على ذلك ؛ ينظر : قواعد الترجيح عند

✍ **مثال ذلك** : قال ابن جُزيّ عند تفسير قوله تعالى : ﴿ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ... ﴾ [1] : ((﴿ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ ﴾ الضمير عائد على موسى ، ومعنى الذرية : شبان وفتيان من بني إسرائيل آمنوا به على خوف من فرعون ، وقيل : إن الضمير عائد على فرعون فالذرية على هذا من قوم فرعون ، وروي في هذا أنها امرأة فرعون ، وخازنته ، وامرأة خازنه ، **وهذا بعيد** ؛ لأن هؤلاء لا يقال لهم ذرية ، **ولأن الضمير ينبغي أن يعود على أقرب مذكور**)) . اهـ [2] .

فهنا رجَّح ابن جُزيّ أن الضمير عائد على موسى عليه السلام ؛ لأن الضمير ينبغي أن يعود لأقرب مذكور ، فهو وجه من وجوه الترجيح عنده .

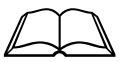

ابن جُزيّ في تفسيره للجمعان : ٥٦٦ - ٥٨٠ .

(١) سورة يونس عليه السلام : ٨٣ .

(٢) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ٩٧ .

القسم الثاني

عرض المسائل ومناقشتها

من أول سورة الرعد

إلى نهاية سورة القصص

بسم الله الرحمن الرحيم

سـورة الرعـد

قوله تعالى : ﴿ الٓمٓرٰۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ... ﴾ . [آية : ١] .

مسألة : في المراد بالكتاب في قوله : ﴿ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِۗ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن المراد بالكتاب السورة ، فقال : ((أي آيات هذه السورة)) . اهـ [(١)] .

الـدراسـة :

اختلف السلف وأهل العلم والمفسرون في **المراد بالكتاب في قوله تعالى : ﴿ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِۗ ﴾** على ثلاثة أقوال :

القول الأول : أن الإشارة إلى الكتب المتقدمة من **التوراة والإنجيل** ، قاله **مجاهد** [(٢)] ، وبنحوه قال **قتادة** [(٣)] .

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٢٩ .

(٢) أخرجه أبو جعفر ، محمد بن جرير بن يزيد الطبري (ت ٣١٠ هـ) في تفسيره المسمَّى (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) : ١٣ / ٩٢ ، وأخرجه ابن أبي حاتم عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي (ت ٣٢٧ هـ) في تفسيره (٧ / ٢٢١٥) . وينظر : الدر المنثور لعبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ) : ٤ / ٦٠٠ .

(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٣ / ٩٢) ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧ / ٢٢١٥) . وعزاه السيوطي في الدر (٤ / ٦٠٠) أيضاً إلى أبي الشيخ .

وقتادة هو : قتادة بن دعامة السدوسي ، أبو الخطاب : تابعي ، حافظ العصر ، قدوة المفسرين والمحدثين =

وذهب إليه **الزَّجَّاج** [١] ، وقاله غير واحد من المفسرين [٢].

فيكون المعنى : هذه الأقاصيص التي تسمعونها وما ذكر قبل هذه الآية من أخبار الرسل في آخر السورة المتقدمة قبلها ، تلك الآيات التي وصفت في التوراة والإنجيل ؛ فأراد بها الآيات التي أنزلها من قبل ذلك ، ولذلك قال ﴿ تِلْكَ ﴾ و (تلك) إشارة إلى غائب مؤنث [٣] .

واستبعد **ابن كثير** [٤] هذا القول .

القول الثاني : إشارة إلى **آيات السورة** ، والمراد بالكتاب : السورة ، أي : تلك الآيات آيات السورة الكاملة العجيبة في بابها ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٥] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٦] .

= البصري ، الضرير ، الأكمه مفسر الكلبي ، آية في الحفظ ، إماماً في النسب ، رأساً في العربية واللغة وأيام العرب ، وهو حجَّة بالإجماع إذا بيَّن السماع فإنه مدلسٌ معروفٌ بذلك ، وكان يرى القدر – نسأل الله العفو – ومع هذا فما توقف أحد في صدقه وعدالته وحفظه ، وكان لا يدعو إليه ولا يتكلم فيه . ت سنة ١١٨ هـ . ينظر : طبقات الفقهاء للشيرازي : ١ / ٩٤ ، صفة الصفوة : ٣ / ٢٥٩ ، السِّير : ٥ / ٢٦٩ .

(١) ينظر : معاني القرآن وإعرابه لأبي إسحاق ، إبراهيم بن السري الزَّجَّاج(ت ٣١١ هـ) : ٣ / ١٣٥ .
والزَّجَّاج هو : إبراهيم بن محمد بن السري (الزَّجَّاج) البغدادي ، أبو إسحاق : الإمام نحوي زمانه ، كان من أهل الفضل والدين حسن الاعتقاد ، جميل المذهب ، من أشهر تلاميذ المُبَرِّد ، وكان مع ذلك عالماً بالتفسير وعلوم القرآن ، صاحب كتاب : معاني القرآن ، وله كتاب الاشتقاق ، وكتاب العروض وغيرها . ت سنة ٣١١ هـ . ينظر : تاريخ بغداد : ٦ / ٨٩ ، وفيات الأعيان : ١ / ٤٩ ، السِّير : ١٤ / ٣٦٠ .

(٢) منهم : الثعلبي ، والسمعاني ، والبغوي . ينظر : تفسير الثعلبي المسمَّى (الكشف والبيان) لأبي إسحاق ، أحمد ابن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري (ت ٤٢٧ هـ) : ٥ / ٢٦٧ ، تفسير السمعاني المسمَّى (تفسير القرآن) لأبي المظفر ، منصور بن محمد السمعاني (ت ٤٨٩ هـ) : ٣ / ٦ ، تفسير البغوي للحسين بن مسعود بن الفَرَّاء البغوي (ت ٥١٦ هـ) : ٣ / ٥ .

(٣) ينظر : الكشف والبيان : ٥ / ١١٦ ، تفسير البغوي : ٢ / ٣٤٢ .

(٤) ينظر : تفسير ابن كثير : ٢ / ٤٩٩ .
وابن كثير هو : الإمام العالم الحافظ عماد الدين ، أبو الفداء : إسماعيل بن كثير القرشي ، الدمشقي ، أبدع في التفسير والتأريخ والفقه ، له مؤلفات عدة في مجالات متنوعة ، ت سنة ٧٧٤ هـ . ينظر : الدرر الكامنة : ١ / ٤٥٤ ، شذرات الذهب : ٣ / ٢٣١ ، البدر الطالع : ١ / ١٥٣ .

(٥) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٢٩ .

(٦) ومنهم : السمعاني ، والزمخشري ، والفخر الرازي ، والنسفي ، والخازن ، والنيسابوري ، والسمين الحلبي =

القول الثالث : أن المراد بالآيات جميع **القرآن** ، أو القرآن المنزل حينئذ ، قاله **ابن عباس** رضي الله عنه [١] ، وقاله جماعة من المفسرين [٢] .

وقد استبعد **ابن جُزيّ** [٣] أن يكون المراد بالكتاب القرآن على الإطلاق ؛ لتكرار القرآن بعد

= وابن عادل الحنبلي . ينظر : تفسير السمعاني : ٣ / ٦ ، ٧٥ ، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لأبي القاسم محمود بن عمر الزَّمخشري الخوارزمي (ت ٥٣٨ هـ) : ٢ / ٤٨٢ ، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب لفخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي (ت ٦٠٦ هـ) : ١٨ / ١٨٤ ، تفسير النسفي لأبي البركات ، عبد الله ابن أحمد بن محمود النسفى (ت ٧١٠ هـ) : ٢ / ٢٠٩ ، تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان للحسن بن محمد النيسابوري (ت ٧٢٨ هـ) : ٤ / ١٣٦ ، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون لشهاب الدين أبي العباس بن يوسف بن محمد بن إبراهيم المعروف بالسَّمين الحلبي (ت ٧٥٦ هـ) : ٤ / ٢٢٢ ، تفسير الخازن المسمَّى (لباب التأويل في معاني التنزيل) لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن (ت ٧٢٥ هـ) : ٣ / ٣٢٠ ، تفسير ابن عادل الحنبلي المسمَّى (اللباب في علوم الكتاب) لأبي حفص ، عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي (ت بعد ٨٨٠ هـ) : ١١ / ٢٣٤ .

(١) ينظر : تنوير المقباس من تفسير ابن عباس لمحمد بن يعقوب بن محمد الفيروز أبادي (ت ٨١٧ هـ) : ٢٠٥ .

(٢) ومنهم : الطبري ، وابن أبي زمنين ، والقشيري ، والواحدي ، والقرطبي ، وابن كثير ، والبقاعي ، والجلالين ، وأبو السعود ، والخطيب الشربيني ، والشوكاني ، والقاسمي ، والآلوسي ، والسعدي ، وسيد قطب ، والطاهر بن عاشور ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير الطبري : ١٣ / ٩١ ، تفسير ابن أبي زمنين المسمَّى (تفسير القرآن العزيز) لمحمد بن عبد الله بن أبي زمنين (ت ٣٩٩ هـ) : ٢ / ٣٤٤ ، تفسير القشيري المسمى : (لطائف الإشارات) لأبي القاسم ، عبد الكريم بن هوازن القشيري النيسابوري الشافعي (ت ٤٦٥ هـ) : ٢ / ٩٩ ، تفسير الواحدي المسمَّى (الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) لعلي بن أحمد الواحدي (ت ٤٦٨ هـ) : ١ / ٥٦٤ ، تفسير القرطبي المسمَّى (الجامع لأحكام القرآن) لمحمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت ٦٧١ هـ) : ٩ / ١١٨ ، تفسير ابن كثير : ٢ / ٤٩٩ ، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لبرهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (ت ٨٥٥ هـ) : ٤ / ١١٤ ، تفسير الجلالين لمحمد بن أحمد المحلى وعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١ هـ) : ٣٢١ ، تفسير أبي السعود المسمَّى (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم) لأبي السعود ، محمد بن محمد العمادي (ت ٩٥١ هـ) : ٥ / ٢ ، تفسير الخطيب الشربيني المسمَّى (السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربِّنا الحكيم الخبير) لمحمد بن أحمد الخطيب الشربيني المصري (ت ٩٧٧ هـ) : ٢ / ١٦١ ، فتح القدير للشوكاني : ٢ / ٤٢١ ، ٣ / ٦٦ ، تفسير القاسمي المسمَّى (محاسن التأويل) لمحمد جمال الدين القاسمي (ت ١٣٣٢ هـ) : ٩ / ٣٢٢ ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لأبي الفضل ، شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي (ت ١٢٧٠ هـ) : ١٣ / ٨٥ ، تفسير السعدي المسمَّى (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) لعبد الرحمن ابن ناصر السعدي (ت ١٣٧٦ هـ) : ٤١٢ ، في ظلال القرآن لسيِّد قطب (ت ١٣٨٧ هـ) : ٤ / ٢٠٤٣ ، التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور (ت ١٣٩٣ هـ) : ١٢ / ١٣٥ ، الوسيط لمحمَّد سيِّد طنطاوي : ٧ / ٤٣٨ .

(٣) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٢٩ .

ذلك في قوله تعالى بعدها : ﴿ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ... ﴾ .

وردُّ عليه بما يلي :

١. بأن قوله تعالى بعدها : ﴿ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ ... ﴾ ليس تكراراً ؛ بل عطف صفات فالواو عاطفة صفة على صفة ، فيكون قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ .... ﴾ إظهار في مقام الإضمار ، فلم يعطف خبراً على اسم الإشارة فحسب ؛ بل أتى بجملة كاملة مبتدئة بالموصول ﴿ وَٱلَّذِىٓ ﴾ للتقرير والتأكيد بأن آيات الكتاب هي منزلة من عند الله لا كما يقول المشركون أن محمَّداً يأتي به من تلقاء نفسه .

٢. و ﴿ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ : القرآن ؛ فالتعريف فيه للعهد ، ويكون التعريف دالاً على معنى الكمال في الجنس ، فهو الكتاب الكامل العجيب الغني عن الوصف المستحق باختصاص اسم الكتاب به ، وأنه هو الحق لأن أخباره صدق ، وأوامره ونواهيه عدل مؤيدة بالأدلة والبراهين القاطعة [١] ، وأخبر عن الذي أنزل بأنه الحق بصيغة القصر ، أي هو الحق لا غيره من الكتب ، فالقصر :

- " إمَّا **قصر إضافي** بالنسبة إلى كتب معلومة عندهم ، مثل : قصة رستم وإسفَنْديار اللتين عرفهما **النَّضر بن الحارث** ، فالمقصود : الرد على المشركين الذين زعموه كأساطير الأولين .
- أو **القصر حقيقي** إدعائي مبالغة لعدم الاعتداد بغيره من الكتب السابقة ، أي هو الحقُّ الكامل ، فكلُّ كتابٍ جاء قبله نسخ العمل به أو عين لأمَّة خاصة " [٢] .

---

(١) ينظر : تفسير القرطبي : ٩ / ٢٧٨ ، تفسير ابن كثير : ٢ / ٤٩٩ ، تفسير القاسمي : ٩ / ٣٢٢ ، تفسير السعدي : ٤١٢ ، التحرير والتنوير : ١٢ / ١٣٥ ، ١٣٦ .

(٢) التحرير والتنوير : ١٢ / ١٣٥ ، ١٣٦ .

والنَّضر بن الحارث هو : النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف ، من بني عبد الدار ، من قريش صاحب لواء المشركين ببدر ، كان من شجعان قريش ووجوهها ، ومن شياطينها (كما يقول ابن إسحاق) =

الترجيح :

يظهر لي – والله أعلم – **صحة القول الثالث ، وأن الراجح أن المراد بـــ ﴿ ٱلۡكِتَٰبِۗ ﴾ جميع القرآن ، أو القرآن المنزل حينئذ ؛ وهو خلاف ما ذهب إليه ابن جُزيّ ومن وافقه** ، إضافة لما تقدم ما يلي :

أولاً : دلالة السِّياق القرآني :

فالمراد بـــ ﴿ ٱلۡكِتَٰبِۗ ﴾ آيات القرآن قبل هذه السورة ، و لم يجر للكُتبِ المتقدِّمة ذِكْرٌ في هذا الموضع [1] .

ثانياً : النظائر القرآنية والدالة على أن معنى ﴿ ٱلۡكِتَٰبِۗ ﴾ هو : القرآن ومنها :

- قوله تعالى : ﴿ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾ . [سورة البقرة : ٢٥٢] .
- قوله تعالى : ﴿ الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ﴾ . [سورة يونس عليه السلام : ١] .
- قوله تعالى : ﴿ الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ﴾ . [سورة يوسف عليه السلام : ١] .
- قوله تعالى : ﴿ الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ ﴾ . [سورة الحجر : ١] .
- قوله تعالى : ﴿ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ﴾ . [سورة الشعراء : ٢] .

= له اطلاع على كتب الفرس وغيرهم ، قرأ تاريخهم في " الحيرة " . وقيل : هو أول من غنى على العود بألحان الفرس وهو ابن خالة النبي ﷺ ، ولما ظهر الإسلام استمر على عقيدة الجاهلية وآذى رسول الله ﷺ كثيراً ، وكان إذا جلس النبي ﷺ مجلسا للتذكير بالله والتحذير من مثل ما أصاب الأمم الخالية من نقمة الله ، جلس النضر بعده فحدث قريشاً **بأخبار ملوك فارس ورستم وإسفنديار** ، ويقول : أنا أحسن منه حديثاً ! إنما يأتيكم محمد بأساطير الأولين ! . وشهد وقعة " بدر " مع مشركي قريش ، فأسره المسلمون ، وقتلوه صبراً بأمر رسول الله ﷺ بعد انصرافهم من الوقعة سنة ٢ هـــ . ينظر : طبقات ابن سعد : ٥ / ٤٤٨ ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ليوسف ابن عبد الله بن عبد البر النمري (ت ٤٦٣ هـــ) : ٤ / ١٥٢٦ ، الإصابة في تمييز الصحابة لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـــ) : ٦ / ٤٣٠ .

(١) ينظر : تفسير القرطبي : ٨ / ٣٠٥ ، ٩ / ١١٨ ، فتح القدير للشوكاني : ٢ / ٤٢١ .

- قوله تعالى : ﴿ طسٓ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٖ ﴾ . [سورة النمل : ١] . وغير ذلك من الأدلة .

ثالثاً : معنى قوله تعالى : ﴿ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ أي : هذه الآيات ، أي القرآن [١] .

فإن ﴿ تِلۡكَ ﴾ وردت بمعنى : (هذه) بغير الغائب .

ونحوه قوله تعالى : ﴿ وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ﴾ . [سورة الأنعام : ٨٣] . أي : هذه ؛ لكنها لما انقضت صارت كأنها بعدت ، فقيل : ﴿ تِلۡكَ ﴾ [٢] ، وعبَّر باسم الإشارة الذي للبعيد للدلالة على بعد المكانة ورفعة المنزلة ، وسموّ الآيات .

إذا تقرر هذا فإن القول بأن المراد بـــ ﴿ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ القرآن هو الأصحُّ في تفسير الآية ؛ لأن القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك [٣] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) ينظر : السراج المنير للخطيب الشربيني : ٢ / ١٦١ .

(٢) ينظر : تفسير القرطبي : ١ / ١٥٧ .

(٣) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٣١٢ .

قوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ... ﴾ . [آية : ٢] .

مسألة : في المراد من قوله تعالى : ﴿ رَفَعَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ... ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن السموات مرفوعة بعمد غير مرئية ، فهي بغير شيء تقف إلاَّ قدرة الله ، فقال : ((﴿ بِغَيْرِ عَمَدٍ ﴾ أي : بغير شيء تقف إلاَّ قدرة الله)) . اهـ [(١)] .

الدراسة :

اختلف أهل العلم والمفسرون في **بيان معنى قوله : ﴿ تَرَوْنَهَا ﴾** ، وذلك على قولين :

القول الأول : أن في الكلام تقديم وتأخير ، والتقدير : رفع السموات تروها بغير عمد وهذا ما يشير إليه ظاهر الآية ، وأن **السموات لا عمد لها** ، وإلى هذا ذهب **مقاتل** [(٢)] ، **وجمهور** [(٣)] المفسرين [(٤)] .

---

(١) التسهيل : ٢ / ١٢٩ .

(٢) ينظر تفسيره : ٢ / ١٦٧ .

ومقاتل هو : مقاتل بن سليمان البلخي ، أبو الحسن ، كبير المفسرين ، إلا أنه متروك الحديث ، قال ابن المبارك : ما أحسن تفسيره لو كان ثقة ، ت سنة ١٥٠هـ . ينظر : الطبقات الكبرى : ٧ / ٣٧٣ ، تاريخ بغداد : ١٣ / ١٦٠ ، وفيات الأعيان : ٥ / ٢٥٥ .

(٣) نسبه إلى الجمهور : عبد الحق بن غالب بن عطية في تفسيره المسمَّى (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) (ت ٥٤٦ هـ) : ٣ / ٢٩١ ، وعبد الرحمن بن مخلوف الثعالبي المالكي في تفسيره المسمَّى (الجواهر الحسان في تفسير القرآن) (ت ٨٧٥ هـ) : ٣ / ٣٥٨ .

(٤) في تفاسيرهم ، منهم : أبو جعفر ، أحمد بن محمد النحاس (ت ٣٣٨ هـ) في معاني القرآن (٣ / ٤٦٧) ، والطبري (١٣ / ٩٤) ، والثعلبي (٥ / ٢٦٨) ، والسمعاني (٣ / ٧٥) ، والبغوي (٣ / ٥) ، والزمخشري (٢ / ٤٨٢) ، وابن عطية (٣ / ٢٩١) ، وأبو الفرج ، عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ) في زاد المسير (٤ / ٣٠٠) ، والقرطبي (٩ / ٢٧٩) ، وعبد الله بن عمر الشيرازي البيضاوي (ت ٦٨٥ هـ) في تفسيره المسمَّى (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) (٣ / ٣١٦) ، والخازن (٣ / ٣) =

قال **ابن عطية** : " وقال جمهور الناس : لا عمد للسموات البتَّة " . اهـ [١] .

الأدلة على ذلك :

١. **السِّياق القرآني** : السماء على الأرض مثل القبة ، يعني بلا عمد ، وهذا هو اللائق بالسِّياق .

٢. **النظائر القرآنية** : هذا المعنى هو الظاهر من قوله تعالى : ﴿ ... وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ... ﴾ . [سورة الحج : ٦٥] . فعلى هذا يكون قوله : ﴿ تَرَوْنَهَا ﴾ تأكيداً لنفي ذلك ، أي : هي مرفوعة بغير عمد كما ترونها ، وهذا الأكمل في القدرة [٢] .

✖ **واعتُرض** : بأنه إذا أمكن حمل الكلام على ظاهره فلا داعي إلى التقديم والتأخير [٣] ، ولا حاجة إلى مثل هذا التكلف [٤] .

القول الثاني : أن **السموات مرفوعة بعمد غير مرئية** ، فهي **بغير شيء تقف إلاَّ قدرة الله** ، وإليه ذهب **ابن عباس** ﷺ [٥] ، ومجاهد [٦] ، والحسن ، وقتادة [٧] ، **وجوَّزه** الزَّجَّاج

= وابن كثير (٢ / ٥٠٠) ، وأبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي (ت ٧٤٥ هـ) في البحر المحيط (٥ / ٣٥٤) ، والخطيب الشربيني (٢ / ١٦٢) ، والجلالين (٣٢١) ، وأبو السعود (٥ / ٣) ، والطاهر ابن عاشور (١٢ / ١٣٧) والشنقيطي (٢ / ٢٢٢) والسعدي (٤١٢) ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي (٧ / ٤٣٩) .

(١) المحرر الوجيز : ٣ / ٢٩١ .

(٢) ينظر : تفسير ابن كثير : ٢ / ٥٠٠ .

(٣) ينظر : التفسير الكبير للفخر الرازي : ١٨ / ١٨٦ .

(٤) ينظر : فتح القدير للشوكاني : ٣ / ٦٤ .

(٥) أخرجه الصنعاني في تفسيره (٢ / ٣٣١) ، وابن جرير في تفسيره (١٣ / ٩٤) ، ونسبه إليه ابن أبي زمنين في تفسيره (٢ / ٣٤٤) ، وعزاه السيوطي في الدر (٤ / ٦٠٠ ، ٦٠١) إلى ابن جرير وابن المنذر .

(٦) ينظر : تفسير مجاهد لأبي الحجاج ، مجاهد بن جبر المخزومي التابعي (ت ١٠٤ هـ) : ١ / ٣٢٣ . وأخرجه ابن جرير في تفسيره (١٣ / ٩٤) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٧ / ٢٢١٦) . وينظر : الدر المنثور : ٤ / ٦٠١ .

(٧) أخرجه ابن جرير عن الحسن وقتادة في تفسيره (١٣ / ٩٤) ، وكذا ابن أبي حاتم في تفسيره (٧ / ٢٢١٦) . وعزاه السيوطي في الدر (٤ / ٦٠٠) إلى عبد الرزاق ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وأبو الشيخ عن الحسن وقتادة . ونسبه إليهما غير واحد من المفسرين . =

والنحاس [١] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٢] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٣] .

قال **الفخر الرازي** :

" إنه رفع السماء بغير عمد ترونها ، أي : لها عمد في الحقيقة إلا أن تلك العمد هي قدرة الله تعالى وحفظه وتدبيره وإبقاؤه إياها في الجو العالي ، وأنهم لا يرون ذلك التدبير ، ولا يعرفون كيفية ذلك الإمساك " . اهـ [٤] .

✍ وهنا بيَّن الفخر الرزي أن هذه العمد غير المرئية هي : قدرة الله تعالى التي تمسك السموات والأرض .

قال **النحاس** :

" والقولان يرجعان إلى معنى واحد ؛ لأن من قال : إنها بعمد ؛ إنما يريد بالعمد قدرة الله جل وعز التي يمسك بها السموات والأرض " . اهـ [٥] .

= و**الحسن** هو : الحسن بن أبي الحسن ، واسم أبي الحسن يسار ، البصري ، أبو سعيد : تابعي ، كان إمام أهل البصرة وحبر الأمة ، وهو أحد العلماء الفقهاء العظماء الشجعان النساك ، ولد بالمدينة سنة ٢١هـ ، وشب في كنف علي بن أبي طالب ﷺ ، ت بالبصرة سنة ١١٠هـ . ينظر : الطبقات الكبرى : ٧ / ١٥٦ ، حلية الأولياء : ٢ / ١٣١ ، صفة الصفوة : ٣ / ٢٣٣ .

(١) ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج : ٣ / ١٣٦ ، معاني القرآن للنحاس : ٣ / ٤٦٧ .

و**النحاس** هو : أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي المصري ، أبو جعفر النَّحَّاس : مفسر ، أديب .كان من نظراء نفطويه وابن الأنباري . وصنف : تفسير القرآن ، وإعراب القرآن ، وتفسير أبيات سيبويه ، وناسخ القرآن ومنسوخه ، ومعاني القرآن : الجزء الأول منه وغيرها . ت سنة ٣٣٨ هـ . ينظر : العبر : ٢ / ٢٥٢ ، البداية والنهاية : ١١ / ٢٢٢ ، النجوم الزاهرة : ٣ / ٣٠٠ .

(٢) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٢٩ .

(٣) في تفاسيرهم ؛ منهم : الطبري (١٣ / ٩٤) ، والصنعاني (٢ / ٣٣١) ، والفخر الرازي (١٨ / ١٨٦) ، والشوكاني (٣ / ٦٤) ، والآلوسي (١٣ / ٨٧) ، والقاسمي (٩ / ٣٢٣) .

(٤) التفسير الكبير : ١٨ / ١٨٦ .

(٥) معاني القرآن للنحاس : ٥ / ٢٨١ . وينظر قبله : معاني القرآن وإعرابه للزجاج : ٣ / ١٣٦ . وينظر : تفسير السمر قندي المسمَّى (بحر العلوم) لعلي بن يحيى، علاء الدين السمرقندي (ت ٣٦٧ هـ) : ٢ / ٢١٥ .

الترجيح :

الذي أراه – والله أعلم – أن **القول الثاني هو الأرجح ، فالسموات مرفوعة على عمد غير مرئية ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** ؛ لما تقدم ولما يلي :

أولاً : من اللغة : العرب قد تقدم الحجَّة من آخر الكلمة إلى أوّلها ، ويكون يكون ذلك جائزاً . كما في الآية التي معنا : ﴿ رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَا ﴾ .

قال الشاعر [١] :

إذا أعجبتك الدهرَ حالٌ من امرى ... فدَعْهُ وواكِل حالَه والليالِيا

يجيءُن على ما كان من صالحٍ به ... وإن كان فيما لا يرى الناس آليا

معناه : وإن كان (فيما يرى) الناس لا يألو [٢] .

ثانياً : هذا القول هو قول **ابن عباس** ﷺ ؛ حبر هذه الأمة وهو قول جماعة من السَّلف .
من المقرر عند العلماء أن :

- **تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم** [٣] .

ثالثاً : **العلم الحديث** : عرف علماء الفلك كيفية رفع السموات على عمد غير مرئية عن طريق تلك السُّنة الكونية العجيبة المذهلة ؛ وهي سنة الجاذبية العامة [٤] التي قامت وتقوم

---

(١) ذكر البيتين أبو زكريا ، يحيى بن زياد الفَرَّاء (ت ٢٠٧ هـ) في معاني القرآن (٢ / ٤٩) من غير عزو ، وعزاه عبد القادر بن عمر البغدادي (ت ١٠٩٣ هـ) في خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب (٨ / ٤٩٣) إلى زهير بن أبي سلمى ؛ و لم أقف عليه في ديوان زهير .

(٢) ينظر : معاني القرآن للفَرَّاء : ٢ / ٤٩ .

(٣) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٢٧١ .

(٤) العمد غير المرئية في العلوم الكونية : =

بها السموات والأرض بأمر الله ، كما قال سبحانه : ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ .... ﴾ . [سورة الروم : ٢٥] .

وهذه الحقائق العلمية عن رفع السموات بغير عمد مرئية والتي توصل إليها علماء الفلك في عصرنا الحاضر ، وأثبتوها من خلال دراساتهم الجادة وأبحاثهم الطويلة ؛ نجد أن القرآن الكريم الذي نزل على نبي أمي ﷺ وعلى أمة أمية في واد غير ذي زرعٍ بين الجبال ، قد سبق العلماء في إثبات هذه الحقيقة العلمية ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾ لتكون سراجاً مضيئاً ، وليعلم الجميع أن هذا الكتاب حق ، وأنه تنزيل العزيز الحميد . وهذا ما قررته سورة الرعد في ابتدائها : ﴿ .... وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ﴾ .

والله تعالى أعلم بالصواب .

=

١. القوة النووية الشديدة .
٢. القوة النووية الضعيفة .
٣. القوة الكهرومغناطيسية .
٤. قوة الجاذبية .

ينظر : مقال للدكتور زغلول النجار عن قوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا .... ﴾ . [سورة الرعد : ٢] . نشر في جريدة الأهرام بتاريخ ١٧ / ٩ / ٢٠٠١ م . موقع : www.eagaz.com. وينظر : مجلة البحوث الإسلامية الصادرة عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء : ٢٦ / ١٩٣ .

قوله تعالى : ﴿ ... وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ ... ﴾ . [آية : ٣] .

مسألة : في المراد من قوله تعالى : ﴿ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن معنى ﴿ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ ﴾ يعني صنفين من الثمر ، فقال :

((﴿ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ ﴾ يعني صنفين من الثمر : كالأسود والأبيض ، والحلو والحامض ، فإن قيل : تقتضي الآية أنه تعالى خلق من كل ثمرة صنفين ، وقد خلق من كثير من الثمرات أصناف كثيرة ، والجواب : أن ذلك زيادة في الاعتبار ، وأعظم في الدلالة على القدرة ، فذكر الاثنين لأن دلالة غيرهما من باب أولى ، وقيل : إن الكلام تم في قوله تعالى : ﴿ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ ثم ابتدأ بقوله : ﴿ جَعَلَ فِيهَا زَوۡجَيۡنِ ﴾ يعني الذكر والأنثى ، **والأول أحسن**)) . اهـ [(١)] .

الدراسة :

اختلف السلف وأهل العلم والمفسرون في **بيان معنى قوله : ﴿ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ ﴾** على قولين :

القول الأول : أن **معنى ﴿ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ ﴾ صنفين** ؛ حيث جعل ﷻ كل نوع من أنواع ثمرات الدنيا صنفين [(٢)] ، قاله **ابن عباس** رضي الله عنه [(١)] ، والزَّجَّاج [(٢)] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [(٣)] ، ووافقه جماعة من المفسرين [(٤)] .

---

(١) التسهيل : ٢ / ١٢٩ .

(٢) أي : جعل من كل نوع من أنواع الثمرات الموجودة في الدنيا بين صنفين : إما في اللون : كالأبيض والأسود ، أو في الطعم : كالحلو والحامض ، أو في القدر : كالصغير والكبير ، أو في الكيفية : كالحار والبارد وما أشبه ذلك . ينظر : التسهيل : ٢ / ١٢٩ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ٤ ، البحر المحيط لأبي حيان : ٥ / ٣٥٥ .

واستدل له بأدلة منها :

١. نص الآية الكريمة في قوله تعالى : ﴿ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ ؛ فهي جملة ابتداء كلام تتعلق بالفعل الذي بعده : ﴿ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ﴾ .

٢. **النظائر القرآنية** : ومنها :

- قوله تعالى : ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴾ . [سورة يس : ٣٦] .
- وقوله تعالى : ﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴾ . [سورة ق : ٧] . (٥)

٣. أن كل ثمرة موجود منها نوعان .

---

(١) ينظر : تنوير المقباس : ٢٠٥ .

(٢) ينظر معانيه : ٣ / ١٣٧ .

(٣) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٢٩ .

(٤) منهم : النحاس ، وابن أبي زمنين ، والثعلبي ، والسمعاني ، والبغوي ، والزمخشري ، وابن عطية ، وابن الجوزي ، والفخر الرازي ، والعز بن عبد السلام ، والقرطبي ، والبيضاوي ، والنسفي ، والخازن ، وأبو حيان ، وابن كثير والثعالبي ، وابن عادل الحنبلي ، والجلالين ، وأبو السعود ، والخطيب الشربيني ، والشوكاني ، والقاسمي والآلوسي ، والسعدي . ينظر : معاني القرآن للنحاس : ٣ / ٤٦٨ ، تفسير ابن أبي زمنين : ٢ / ٣٤٥ ، الكشف والبيان : ٥ / ٢٦٩ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٧٦ ، تفسير البغوي : ٣ / ٦ ، الكشاف : ٢ / ٤٨٢ المحرر الوجيز : ٣ / ٢٩١ ، زاد المسير : ٤ / ٣٠٢ ، التفسير الكبير : ١٩ / ٥ ، تفسير العز بن عبد السلام (تفسير القرآن / اختصار النكت والعيون للماوردي) لعز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي الدمشقي الشافعي (ت ٦٦٠ هـ) : ٢ / ١٤٣ ، تفسير القرطبي : ٩ / ٢٨٠ ، ٢٨١ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٣١٧ تفسير النسفي : ٢ / ٢٠٩ تفسير الخازن : ٣ / ٣ ، تفسير ابن كثير : ٢ / ٥٠١ ، البحر المحيط : ٥ / ٣٥٤ ، تفسير الثعالبي : ٣ / ٣٥٩ ، تفسير ابن عادل : ١١ / ٢٤٣ ، تفسير الجلالين : ٣٢١ ، تفسير أبو السعود : ٥ / ٤ ، السراج المنير : ٢ / ١٦٣ ، فتح القدير : ٣ / ٦٤ ، تفسير القاسمي : ٩ / ٣٢٦ ، روح المعاني : ١٣ / ١٠٠ ، ١٠١ ، تفسير السعدي : ٤١٣ .

(٥) ينظر : تفسير الثعالبي : ٣ / ٣٥٩ .

الرد على الأدلة :

١. الاستدلال بقوله تعالى : ﴿ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ﴾ [١] في هذا المعنى ضعيف لأن إطلاق الزوج على الصنف بناءً على شيوع إطلاقه على صنف الذكر وصنف الأنثى ، فأطلق مجازاً على مطلق صنف من غير ما يتصف بالذكورة والأنوثة بعلاقة الإطلاق ، والقرينة قوله : ﴿ وَأَنۢبَتۡنَا ﴾ مع عدم التثنية ، كذلك قوله تعـــالى : ﴿ ... فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّن نَّبَاتٖ شَتَّىٰ ﴾ [٢] .

٢. الاستدلال بأن المراد بالزوجين الاثنين في قوله تعالى : ﴿ جَعَلَ فِيهَا زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ ﴾ الصنفين مرجوح ؛ لأن تنكير ﴿ زَوۡجَيۡنِ ﴾ في الآية للتنويع ، أي : جعل زوجين من كل نوع . والتثنية في زوجين أن كل فرد من الزوج يطلق عليه زوج ؛ كما تقدم في قوله تعالى : ﴿ ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖۖ مِّنَ ٱلضَّأۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡمَعۡزِ ٱثۡنَيۡنِ ... ﴾ [٣] . والوصف بقوله : ﴿ ٱثۡنَيۡنِ ﴾ للتأكيد تحقيقاً للامتنان [٤] .

٣. أما القول بأن كل ثمرة موجود منها نوعان ؛ فإن الله خلق من كثير من الثمرات أصناف كثيرة .

✓ **وأجيب على ذلك :**

بأن ذلك زيادة في الاعتبار ، وأعظم في الدلالة على القدرة ، وهذا غير ضار في معنى الآية [٥] .

---

(١) سورة ق : ٧ .

(٢) سورة طه : ٥٣ .

(٣) سورة الأنعام : ١٤٣ .

(٤) ينظر : التحرير والتنوير : ١٢ / ١٣٩ ، ١٤٠ .

(٥) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٢٩ ، تفسير الثعالبي : ٣ / ٣٥٩ .

القول الثاني : أن المراد بالزوجين في الآية : **الذكر والأنثى** ، وبه قال مجاهد [١] ، وذهب إليه **الفَرَّاء** [٢] ، ورجَّحه **الطبري** [٣] ، وقاله جماعة من المفسرين [٤] .

واستدل له بأدلة منها :

١. **النظائر القرآنية** : ومنها :

- قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰ ﴾ . [سورة النجم : ٤٥] .
- وقوله تعالى : ﴿ فَجَعَلَ مِنۡهُ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ﴾ . [سورة القيامة : ٣٩] .
- وقوله تعالى : ﴿ وَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ ... ﴾ . [سورة البقرة : ٣٥] .
- وقوله تعالى : ﴿ ... وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا ... ﴾ . [سورة النساء : ١] .

٢. **أدلة من اللغة** : الزوج في اللغة : الواحد الذي معه آخر نظير له . يقال : عنده زوجا نعال ، زوجا حمام . يعني : ذكرين أو أنثيين . وقيل : يعني ذكراً وأنثى . والعرب تسمي الاثنين زوجين ، والواحد من الذكور زوجاً لأنثاه ، وكذلك الأنثى الواحدة زوجاً وزوجةً لذكرها ، وكل اثنين زوج [٥] .

---

(١) عزاه السيوطي في الدر (٤ / ٦٠٢) إلى أبي الشيخ .

(٢) ينظر معانيه : ٢ / ٥٠ .

والفَرَّاء هو : يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي ، أبو زكريا ، المعروف بالفَرَّاء : الإمام النحوي المفسر . له مصنفات منها : معاني القرآن . ت سنة ٢٠٧ هـ . ينظر : تاريخ بغداد : ١٤ / ١٤٩ - ١٥٥ ، وفيات الأعيان : ٦ / ١٧٦ ، السِّير : ١٠ / ١١٨ .

(٣) ينظر : تفسير الطبري : ١٣ / ٩٦ ، ٢٧ / ٨ .

(٤) في تفاسيرهم ؛ منهم : السمر قندي (٢ / ٢١٦) ، والماوردي (٣ / ٩٣) ، وابن عبد السلام (٢ / ١٤٤) ، وسيد قطب (٤ / ٢٠٤٦) ، وابن عاشور (١٢ / ١٣٩ ، ١٤٠) ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي (٧ / ٤٤١) . قال بالزوجية **في النبات** : الماوردي ، والعز بن عبد السلام ، وخص بالزوجية **بالحيوان** : الطاهر بن عاشور ، وأن جملة : ﴿ جَعَلَ فِيهَا زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ ﴾ مستأنفة للاهتمام بهذا الجنس من المخلوقات ، وقال **بالزوجية في كل شيء** : السمر قندي ، وسيد قطب .

(٥) ينظر : تفسير الطبري : ١٣ / ٩٦ ، جمهرة اللغة لمحمد بن الحسن بن دريد (ت ٣٢١ هـ) ، باب الجيم والزاي : ١ / ٤٧٣ ، تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم لمعجد بن أبي نصر الحميدي =

٣. العلم الحديث : أثبت علم النبات في آخر أبحاثه الزوجية في النبات وجود عضو ذكري وعضو أنثوي في تركيب الزهرة [١] .

الترجيح :

الذي أراه – والله أعلم – أن **القول الثاني هو الراجح ، وأن المراد بالزوجين في الآية الذكر والأنثى ، وهذا خلاف ما ذهب إليه ابن جزي ومن وافقه ، يؤيد القول الراجح النظائر القرآنية واللغة والعلم الحديث كما ذكرنا ، ولقد تقرر عند العلماء أن : القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك** [٢] .

بل وأبعد من هذا بأن يكون كل شيء خلقه الله منه زوجين ذكر وأنثى ، أي طرفين متقابلين ، فقد أثبت العلم الحديث أن كل شيء خلقه الله منه زوجين اثنين ، **فالزوجية قاعدة الخلق في الكون كله** ، فالأشياء زوجية والأحياء زوجية (النبات والحيوان) ، حتى تركيب النـــواة في الذرة من زوجين من الالكترونات ؛ بروتونات موجبة ونيوترونات سالبة [٣] . **وهكذا نجد العلم الحديث يتوصل لحقائق أخبرنا عنها القرآن الكريم وأومأ إليها قبل ما يقارب أربعة عشر قرناً من الزمان ، فالقرآن الكريم هو الكتاب المعجز الذي أعجز خلقه فكل ما جاء به هو الحق .**

والله تعالى أعلم بالصواب .

= (ت ٤٨٨ هـــ) : ٣٠١ . وينظر : (مادة : زوج) في كل من : تهذيب اللغة للأزهري : ١١ / ١٠٥ ، لسان العرب لابن منظور : ٢ / ٢٩١ ، تاج العروس للزبيدي : ٦ / ٢٢ .

(١) ينظر : مقال (الزوجية في الكائنات الحية) للدكتور ميسرة نصوح السعدي ، والدكتور توفيق التميمي . موقع : www.islamset.com . وقد عرض البحث أمثلة للزوجية في النبات .

(٢) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٣١٢ .

(٣) ينظر : مقال (الزوجية في الكائنات الحية) موقع : www.islamset.com . وقد عرض البحث أمثلة للزوجية في النبات والحيوان وتركيب الذرة أيضاً . والغاية من هذا البحث تعريف ما توصل إليه العلم من أن كل شيء زوجي . وينظر : مجلة البحوث الإسلامية الصادرة عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء : ٢٦ / ١٩٢ .

قوله تعالى : ﴿ ... وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ... ﴾ . [آية : ٦] .

مسألة : في المراد بمغفرة الله للناس على ظلمهم :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن المراد بالمغفرة الستر والإمهال ، فقال : ((يريد ستره وإمهاله في الدنيا للكفار والعصاة ، وقيل : يريد مغفرته لمن تاب ، **والأول أظهر**)) . اهـ[1] .

الدراسة :

بعدما بين الله ﷻ في الآية المتقدمة استعجال الكفار بالعقوبة والعذاب وسؤالهم رسول الله ﷺ أن يأتيهم بالعذاب استهزاءً منهم به ؛ وقد حلت عقوبات أمثالهم من المكذبين فما لهم لا يعتبرون بها ؟ وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ ... ﴾ . [سورة الرعد : ٦] . قرر ﷻ غفرانه للناس على ظلمهم ، و ﴿ عَلَىٰ ﴾ بمعنى المصاحبة أي : مع ظلمهم[2] ، وظهر في الآية عدة مسائل :

١. هل الآية منسوخة ؟

٢. هل يراد بالمغفرة المتعارف منها أو المعنى اللغوي ؟

٣. ومن المراد بـ ﴿ لِّلنَّاسِ ﴾ الكفار والمشركون أو العصاة من الموحدين ؟

٤. وهل هذه المغفرة في الدنيا أو في الآخرة ؟

وقد أجاب أهل العلم عن هذه المسائل كالتالي :

المسألة الأولى : هل الآية منسوخة ؟ اختلف أهل العلم في هذه المسألة على قولين :

القول الأول : منسوخة بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ... ﴾ . [سورة النساء : ٤٨] . قاله **الضحاك**[3] .

---

(١) التسهيل : ٢ / ١٣١ .

(٢) ينظر : أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك لجمال الدين ابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١ هـ) : ٣ / ٤٢ .

(٣) **الضحاك** هو : الضحاك بن مزاحم الهلالي ، أبو القاسم ، وقيل : أبو محمد الخراساني ، كان من أوعية العلم وليس بالجود لحديثه ، ولم يلق ابن عباس ﷺ ، ولم يشافه أحداً من صحابة رسول الله ﷺ ، كما قال أبو حاتم =

القول الثاني : الآية **محكمة** ، وهو الذي عليه الأكثر ، قاله مجاهد [١] .

وأشار **ابن الجوزي** إلى فساد توهم من قال بأن الآية منسوخة بالآية السابقة الذكر ؛ لأن الظلم عام وتخصيصه بالشرك هاهنا يحتاج إلى دليل [٢] .

✓ **المسألة الثانية : هل يراد بالمغفرة المتعارف منها أو المعنى اللغوي ؟**

اختلف أهل العلم في هذه المسألة على قولين :

القول الأول : حمل المغفرة على المتعارف منها ، وهو مغفرة الذنوب [٣] وإلا حيث دلَّ

= ت سنة ١٠٢ هـ ، وقيل بعد ذلك . ينظر : التاريخ الكبير لأبي عبد الله ؛ محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري الجعفي (٢٥٦ هـ) : ٤ / ٣٣٢ ، السِّير : ٤ / ٥٩٨ - ٦٠٠ ، البداية والنهاية : ٩ / ٢٢٣ .

(١) ينظر : الناسخ والمنسوخ لهبة الله بن سلامة المقري (ت ٤١٠ هـ) : ١ / ٣٤٢ ، الناسخ والمنسوخ لعلي بن أحمد بن حزم الظاهري (ت ٤٥٦ هـ) : ١ / ٨٩ ، ناسخ القرآن ومنسوخه لهبة الله بن عبد الرحيم بن البارزي (ت ٧٣٨ هـ) : ١ / ٣٧ ، قلائد المرجان في بيان الناسخ والمنسوخ في القرآن لمرعي بن يوسف الكرمي (ت ١٠٣٣ هـ) : ١ / ١٢٦ .

(٢) ينظر : نواسخ القرآن لابن الجوزي : ١ / ١٨٣ .

وابن الجوزي هو : عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي ، الحنبلي ، من ولد الإمام أبي بكر الصديق ﷺ ، ابن الجوزي ، أبو الفرج : الواعظ ، صاحب التصانيف المشهورة في أنواع العلوم من التفسير والحديث والفقه والوعظ والزهد والتاريخ وغير ذلك ، له ثلاث مائة مصنف منها : تلقيح فهوم أهل الآثار في مختصر السير والأخبار ، وتلبيس إبليس ، وزاد المسير في علم التفسير ، وصفة الصفوة ، وغيرها ، ت سنة ٥٩٧ هـ . ينظر : وفيات الأعيان : ٣ / ١٤٠ ، البداية والنهاية : ١٣ / ٢٩ ، طبقات المفسرين للسيوطي : ١ / ٦١ .

(٣) **مسألة : هل يعفو الله عن الكبائر ؟**

- قالت **الأشاعرة** :

بجواز مغفرة الكبائر والصغائر بدون توبة ؛ لأنه سبحانه ذكر المغفرة مع الظلم ؛ أي : الذنب ولا يكون معه إلا قبل التوبة ؛ لأن التائب من الذنب كمن لا ذنب له . قاله من المفسرين : الفخر الرازي ، والبيضاوي ، والنسفي والنيسابوري ، والبقاعي ، وابن عادل . ينظر : التفسير الكبير : ١٨ / ١٨٣ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٣١٨ ، تفسير النسفي : ٢ / ٢١٠ ، ٢١١ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ١٤١ ، نظم الدرر : ٤ / ٢٣٩ ، تفسير ابن عادل : ١١ / ٢٥٦ .

- وقالت **المعتزلة** :

هو عفو عن الصغائر قبل التوبة وعن الكبائر بعدها . قاله الزمخشري في الكشاف (٢ / ٤٨٤) .

- وقالت **المرجئة** : هو عفو عن الصغائر والكبائر مطلقاً لما عرف من مذهبهم . =

الدليل على التقييد في غير الموحد فإن ظلمه – أي شركه – لا يغفر ، وما عدا الشرك فهو داخل تحت مشيئة الله [١] .

القول الثاني : المراد بالمغفرة معناها **اللغوي** : وهو **الستر بالإمهال** وتأخير العقاب إلى الآخرة كأنه قيل : أنه تعالى لا يعجل للناس العقوبة و إن كانوا ظالمين ؛ بل يستر عليهم بتأخيرها . لأن القوم لما طلبوا تعجيل العقاب ، فالجواب المذكور فيه يجب أن يكون محمولاً على تأخير العقاب حتى ينطبق الجواب على السؤال . وهذا القول **هو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٢] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٣] .

✖ **واعتُرض بما يلي :**

أولاً : إن تأخير العقاب لا يسمى مغفرة ، وإلا لوجب أن يقال : الكفار كلهم مغفور لهم لأجل أن الله تعالى أخر عقابهم إلى الآخرة ، وأن ذلك مخالف للظاهر ولاستعمال القرآن .

ثانياً : أنَّ الله تمدَّح بهذا ، والتَّمدُّح إنما يحصل بالتفضيل ، أما أداء الواجب ، فلا تمدح فيه ، وإن الله يغفر الصغائر لمجتنب الكبائر .

ثالثاً: أن ظاهر الآية يقتضي حصول المغفرة حال الظلم ، وأن حال حصول الظلم يمنع حصول التوبة ، قاله غير واحد من المفسرين [٤] .

= والإجماع منعقد على أنه تعالى عفو ، وأن عفوه ليس في حق الكافر بل في حق المؤمن .

والذي عليه أهل السُّنة والجماعة أن الله يعفو عن بعض الكبائر مطلقاً ويعذب ببعضها ؛ إلا أنه لا علم الآن بشيء من هذين البعضين بعينه . ينظر : اعتقاد الإمام المبجل ابن حنبل (ذيل طبقات الحنابلة) لمحمد بن أبي يعلى أبو الحسين : ٣٠٣ ، المواقف لعضد الدين الإيجي : ٣ / ٥٠٦ .

(١) وذلك في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ... ﴾ . [سورة النساء : ٤٨] .

(٢) التسهيل : ٢ / ١٣١ .

(٣) منهم : مقاتل ، والطبري ، وابن عطية ، والبقاعي ، وأبو السعود ، والطاهر بن عاشور . ينظر : تفسير مقاتل لأبي الحسن ، مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي (ت ١٥٠ هـ) : ٢ / ١٦٩ تفسير الطبري : ١٣ / ١٠٦ ، المحرر الوجيز : ٣ / ٢٩٦ ، نظم الدرر : ٤ / ٢٣٩ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ٧ ، التحرير والتنوير : ١٣ / ٩٣ .

(٤) منهم : الفخر الرازي ، وابن عادل . ينظر : التفسير الكبير : ١٩ / ١١ ، تفسير ابن عادل : ١١ / ٢٥٢ .

رابعاً : قالوا : إذا تحقق الوعيد فلو تحقق العفو وترك العقوبة بالنار لزم الخلف في الوعيد والكذب في الأخبار ، واللازم باطل فكذا الملزوم [١] ، وتكون الآية بظاهرها كالحث على الظلم لأنه سبحانه وعد المغفرة البالغة مع وجود الظلم .

✓ **وأجيب بما يلي :**

أولاً : أن المغفرة حقيقتها في اللغة : الستر ، وكونهم مغفورين بمعنى : مؤخر عذابهم إلى الآخرة لا محذور فيه ، وهو المناسب لاستعجالهم العذاب .

ثانياً : أن دعوى أن ذلك مخالف للظاهر ولاستعمال القرآن تحكم بحت على أسلوب القرآن بإرجاعه إلى ما أصَّلوه ، مع أن التحاكم إليه في الفروع والأصول ، وهو الحجة في اللغة والاستعمال .

ثالثاً: إن الكفار داخلون في عمومات الوعد بالثواب ودخول الجنة ، والخلف في الوعد لوم لا يليق بالكريم وفاقاً ؛ بخلاف الخلف في الوعيد فإنه ربما يعد كرماً ، والقول بالإحباط وبطلان استحقاق الثواب بالمعصية فاسد فكيف كان ترك عقابهم بالنار خلفا مذموماً و لم يكن ترك ثوابهم بالجنة كذلك ؟! [٢] ..

وإن " دعوى فساد اللزوم وتهويل خطبه فارغة ، لأنه لا محذور في ذلك ، لاسيما وهو المناسب لاستعجالهم العذاب المذكور قبل ، فالتلازم صحيح " [٣] . وأما وعده سبحانه وعد المغفرة البالغة مع وجود الظلم فيراد به المغفرة بالستر والإمهال ، ويكون قوله تعالى : ﴿ ... وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ . [سورة الرعد : ٦] . لتحقيق الوعيد بهم وإن كانوا تحت ستره وإمهاله ، ففيه اشارة إلى أن ذلك إمهال لا إهمال [٤] .

---

(١) ينظر : شرح المقاصد في علم الكلام لمسعود بن عمر التفتازاني (ت ٧٩١ هـ) : ٢ / ٢٣٦ .

(٢) ينظر : المرجع السابق .

(٣) قاله القاسمي ، ينظر تفسيره : ٩ / ٣٣١ .

(٤) ينظر : روح المعاني للآلوسي : ١٣ / ١٠٦ ، ١٠٧ .

✓ **المسألة الثالثة : ومن المراد بـــ ﴿ لِّلنَّاسِ ﴾ الكفار والمشركون أو العصاة من الموحدين ؟**

اختلف المفسرون **في المراد بالناس** على أربعة أقوال :

القول الأول : المراد بالناس **المعهودون ، وهم المستعجلون** المذكورون قبل ، وهم كفار أهل مكة ، قاله **ابن عباس** ﷺ [١] ، ومجاهد [٢] ، وقاله **الواحدي** [٣] ، **وابن عطية ، وابن الجوزي ، والبقاعي** من المفسرين [٤] .

✗ **واعتُرض على هذا :**

حيث قال **الآلوسي** [٥] : " والتخصيص بالكفار غير مختار " [٦] .

ويؤيد ذلك : ما روي عن سعيد بن المسيب قال : لما نزلت هذه الآية : ﴿ ... وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ... ﴾ قال رسول الله ﷺ : « لولا عفو الله تعالى وتجاوزه ما هنأ أحد العيش ، ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل أحد » [٧] .

---

(١) ينظر : تنوير المقباس : ٢٠٥ .

(٢) نسبه إليه ابن الجوزي والخازن . ينظر : زاد المسير : ٤ / ٣٠٦ ، تفسير الخازن : ٣ / ٦ .

(٣) **الواحدي** هو : علي بن أحمد الواحدي ، أبو الحسن ، المفسر العلامة ، صاحب التفاسير الثلاثة المشهورة : (البسيط ، الوسيط ، الوجيز) ، ت سنة ٤٦٨هـــ . ينظر : معجم الأدباء : ٣ / ٥٥٦ ، وفيات الأعيان : ٣ / ٣٠٣ ، السِّير : ١٨ / ٣٣٩ .

(٤) ينظر : تفسير الواحدي : ١ / ٥٦٦ ، المحرر الوجيز : ٣ / ٢٩٦ ، زاد المسير : ٤ / ٣٠٦ ، نظم الدرر : ٤ / ٢٣٩ .
والبقاعي هو : إبراهيم بن عمر بن حسن الرُباط بن علي بن أبي بكر برهان الدين ، وكنيَّ نفسه : بأبي الحسن الخرباوي البقاعي : مفسر ، له كتاب : " نظم الدرر في تناسب الآي والسور " ؛ وهو مؤلف لم يسبقه إليه أحد . ت سنة ٨٨٥ هـــ . ينظر : طبقات المفسرين للسيوطي : ١ / ٣٤٨ ، كشف الظنون : ٢ / ١٩٦١ ، شذرات الذهب : ٤ / ٣٣٩ .

(٥) **الآلوسي** هو : محمود بن عبد الله أفندي الحسيني ، أبو الفضل ، أو أبو الثناء ، كان فقيهاً محدثاً مفسراً ، وكان على اطلاع واسع بالشعر والأدب والأديان والفرق ، ت سنة ١٢٧٠هـــ . ينظر : الأعلام : ٧ / ١٧٦ .

(٦) ينظر : روح المعاني للآلوسي : ١٣ / ١٠٧ .

(٧) أورد هذا الأثر أغلب المفسرين عند تفسيرهم لهذه الآية . قال الزيلعي : رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (وذكر الأثر) ، ثم قال : كذلك رواه الثعلبي في تفسيره **وهو مرسل** . ينظر : تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في =

القول الثاني : أصحاب الكبائر ، قاله **الفخر الرازي** ، **والنيسابوري** ، **وابن عادل** [١] من المفسرين .

قال **الفخر الرازي** : " ترك العمل بهذا الدليل في حق الكفر ، فوجب أن يبقى معمولاً به في حق أهل الكبيرة وهو المطلوب " . اهـ [٢] .

القول الثالث : المؤمنون ، قاله **النسفي** [٣] .

قال ابن عباس ﷺ : ليس في القرآن آية أرجى من هذه [٤].

القول الرابع : الجنس ، أي عموم الناس من الكفار والعصاة من الموحدين ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٥] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٦] .

= تفسير الكشاف للزمخشري لجمال الدين عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي (ت ٧٦٢ هـ) : ٢ / ١٨٣ .

(١) ينظر : التفسير الكبير : ١٩ / ١١ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ١٤٠ ، تفسير ابن عادل : ١١ / ٢٥٢ .

والنيسابوري هو : الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري ، نظام الدين ، ويقال له الأعرج : مفسر ، له اشتغال بالحكمة والرياضيات . أصله من بدلة (قم) ومنشأه وسكنه في نيسابور . له كتب ، منها : غرائب القرآن ورغائب الفرقان يعرف بتفسير النيسابوري ، ولب التأويل ، وشرح الشافية في الصرف ، يعرف بشرح النظام . ت سنة ٧٢٨ هـ . ينظر : السِّير : ١٤ / ٢٣٦ ، طبقات المفسرين للداودي : ٤٢٠ ، كشف الظنون : ٢ / ١١٩٥ .

وابن عادل هو : سراج الدين عمر بن علي بن عادل الدمشقي ، أبو حفص الحنبلي ، الإمام الفقيه المفسر ، صاحب التفسير الكبير ، توفي بعد سنة ٨٨٠ هـ . ينظر : الأعلام : ٥ / ٥٨ ، هدية العارفين : ٥ / ٧٩٤ .

(٢) التفسير الكبير : ١٩ / ١١ .

(٣) ينظر : تفسير النسفي : ٢ / ٢١٠ .

والنسفي هو : عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي ، أبو البركات ، مفسر فقيه حنفي المذهب ، له مصنفات عديدة في الفقه والأصول ، ت سنة ٧١٠هـ . ينظر : الدرر الكامنة : ٢ / ٢٤٧ ، طبقات المفسرين للداوودي : ٢٦٣ ، الأعلام : ٤ / ٦٧ ، ٦٨ .

(٤) نسبه إليه : النسفي في تفسيره (٢ / ٢١٠) ، وأبو حيان في البحر المحيط (٥ / ٣٥٩) .

(٥) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٣١ .

(٦) في تفاسيرهم ؛ منهم : الطبري (١٣ / ١٠٦) ، وابن أبي زمنين (٢ / ٣٤٦) ، والماوردي (٣ / ٨٩) ، والعز بن عبد السلام (٢ / ١٤٥) ، والقرطبي (٩ / ٢٨٥) ، وأبو السعود (٥ / ٧) ، والآلوسي (١٣ / ١٠٦ ، ١٠٧) .

✓ **المسألة الرابعة : وهل هذه المغفرة في الدنيا أو في الآخرة ؟**

اختلف علماء التفسير على أقوال :

القول الأول : في الآخرة ، قاله الطبري [١] .

القول الثاني : في الدنيا ، قاله ابن عطية ؛ **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٢] .

الترجيح :

بعد عرض الأقوال يظهر لي – والله أعلم – **أن الظاهر من معنى المغفرة هنا إنما هو ستره في الدنيا وإمهاله للكفرة والعصاة ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** ، ويدل على ذلك إضافة على ما تقدم ما يلي :

أولاً : أن قرينة تأخير العذاب إلى أجل جارٍ على عذاب الدنيا وهو الذي يقبل التأخير كما قال تعالى : ﴿ إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلْعَذَابِ قَلِيلاً ۚ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ۝١٥ ﴾ [٣] . أي : عذاب الدنيا ، وهو ما أصاب قريش من جوع بعد أن كان يطعمهم من جوع [٤] .

ثانياً : دلالة الأسلوب القرآني :

وذلك في التيسير في لفظ ﴿ مَغْفِرَةٍ ﴾ وأنها منكرة مقللة ، وليس فيها مبالغة كما في قوله : ﴿ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ ... ﴾ [٥] . ونمط الآية يعطي هذا ، فالله ﷻ قد حكم عليهم بالنار وذلك في قوله تعالى قبلها : ﴿ ۞ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ

---

(١) ينظر : تفسير الطبري : ١٣ / ١٠٦ .

(٢) ينظر : المحرر الوجيز : ٣ / ٢٩٦ ، التسهيل : ٢ / ١٣١ .

(٣) سورة الدخان : ١٥ .

(٤) ينظر : التحرير والتنوير : ١٣ / ٩٣ .

(٥) سورة طه : ٨٢ .

جَدِيدٍ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝ ﴾ [١] .

ثم قال : ﴿ وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ ... ﴾ [٢] ؛ فلما ظهر سوء فعلهم وجب في نفس السامع تعذيبهم فأخبر بسيرته في الأمم ، وأنه يمهل مع ظلم الكفر [٣] .

وكذلك فإن التعبير عنه تعالى بقوله ﴿ ... وَإِنَّ رَبَّكَ ﴾ إنما هو للدلالة على كونهم مشركين وثنيين لا يأخذونه تعالى رباً ؛ بل النبي ﷺ هو الذي يأخذه رباً من بين قومه .

ثالثاً : دلالة السِّياق :

قال **الطاهر بن عاشور** [٤] : " سياق الآية يدل على أن المراد بالمغفرة هنا التجاوز عن **المشركين** في الدنيا بتأخير العقاب لهم إلى أجل أراده الله أو إلى يوم الحساب وأن المراد بالعقاب في قوله : ﴿ ... وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾ [٥] ضد تلك المغفرة وهو العقاب المؤجل في الدنيا أو عقاب يوم الحساب ، فمحمل الظلم على ما هو المشهور في اصطلاح القرآن من إطلاقه على الشرك .

ويجوز أن يحمل الظلم على **ارتكاب الذنوب بقرينة السِّياق** ؛ كإطلاقه في قوله تعالى : ﴿فَبِظُلۡمٖ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتۡ لَهُمۡ ... ﴾ [٦] ؛ فلا تعارض أصلاً بين هذا المحمل وبين قوله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ

---

(١)سورة الرعد : ٥ .

(٢) سورة الرعد : ٦ .

(٣) ينظر : المحرر الوجيز : ٣ / ٢٩٦ . وينظر : تفسير ابن عرفة لأبي عبد الله ، محمد بن محمد بن عرفة الورغمي (ت ٨٢٧ هـ) : ٢ / ٢٢٢٤ .

(٤) **الطاهر بن عاشور** هو : محمد الطاهر بن محمد بن عاشور الشريف الأندلسي ، كان ذا ذاكرة قوية نادرة ، وذلاقة في اللسان ، وحلاوة في التعبير ، رئيس المفتين المالكيين بتونس ، شيخ جامع الزيتونة ، ت سنة ١٣٩٣ هـ . ينظر : الأعلام : ٦ / ١٧٤ .

(٥) سورة الرعد : ٦ .

(٦) سورة النساء : ١٦٠ .

لِمَن يَشَآءُ ... ﴾ [١] كما هو ظاهر " . اهـ [٢] .

رابعاً : إن العفو والمغفرة لا يختصان بما بعد الموت أو بيوم القيامة ولا أن آثارهما تختص بذلك ، فله تعالى أن يبسط مغفرته على كل من شاء حتى على الظالم حين هو ظالم فيغفر له مظلمته إن اقتضته الحكمة ، وله أن يعاقب ، قال تعالى :

﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾ [٣] .

ولهذه النكتة عبر تعالى عن مورد المغفرة بقوله : ﴿ لِّلنَّاسِ ﴾ ولم يقل للمؤمنين أو للتائبين ونحو ذلك ، فلو التجأ أي واحد من الناس إلى رحمته وسأله المغفرة كان له أن يغفر له سواء في ذلك الكافر والمؤمن ، والمعاصي الكبيرة والصغيرة ، غير أن المشرك لو سأله أن يغفر له شركه انقلب بذلك مؤمناً غير مشرك .

خامساً : هذا القول تؤيده **القاعدة الترجيحية** التالية :

- **القول الذي تؤيده قرائن في السِّياق مرجح على ما خالفه** [٤] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) سورة النساء : ٤٨ .

(٢) التحرير والتنوير : ١٣ / ٩٣ .

(٣) سورة المائدة : ١١٨ .

(٤) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ٢ / ٢٩٩ .

سورة الرعد ـــــــ

سورة الرعد ـــــــ

سورة الرعد ـــــــ

سورة الرعد ـــــــ

سورة الرعد ـــــــ

سورة الرعد ـــــــ

سورة الرعد ـــــــ

سورة الرعد ـــــــ

سورة الرعد ـــــــ

✍ **وفي عود الضمير في قوله تعالى : ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰت ﴾ له أربعة أوجه :**

✓ **الوجه الأول** : أنه عائد على ﴿ مَّنْ ﴾ المكررة ، أي : لمن أسرّ القول ، ولمن جهر به ولمن استخفى ، ولمن ظهر جماعات من الملائكة تتعاقب في حفظه ، أي يعود الضمير إلى العبد ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** (١) ، ووافقه جماعة من المفسرين (٢) .

✓ **الوجه الثاني** : أنه يعود على (مِنْ) الأخيرة ﴿ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ ﴾ ، وهو قول ابن عبَّاسٍ ﷺ ، **ورجَّحه** الطبري (٣) .

للأدلة التالية :

١. قوله : ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ ﴾ أقرب إلى قوله : ﴿ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ ﴾ (٤) منه إلى ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ ﴾ (٥) ؛ فهي لقربها منه أولى بأن تكون من ذكره ، وأن يكون المعنى بذلك .

٢. **دلالة السِّياق** : وهو قول الله تعالى : ﴿ ... وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ﴾ (٦) ؛ على أنهم المعنيون بذلك ، وذلك أنه جل ثناؤه ذكر قوماً أهل معصية له وأهل وأهل ريبة يستخفون بالليل ويظهرون بالنهار ، ويمتنعون عند أنفسهم **بحرس يحرسهم ومنعة تمنعهم** من أهل طاعته أن يحولوا بينهم وبين ما يأتون من معصية الله ، ثم أخبر أن الله ﷻ إذا أراد بهم سوءً لم ينفعهم حرسهم ولا يدفع عنهم حفظهم (٧) .

---

(١) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٣٢ .

(٢) منهم : الزمخشري ، وابن عطية ، والفخر الرازي ، والبيضاوي ، والنسفي ، وابن كثير ، وأبو السعود ، والشوكاني ، والجلالين ، والطاهر بن عاشور ، والسعدي . ينظر : الكشاف : ٢ / ٤٨٦ ، المحرر الوجيز : ٣ / ٣٠١ ، التفسير الكبير : ١٩ / ١٥ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٣٢١ ، تفسير النسفي : ٢ / ٢١١ ، تفسير ابن كثير : ٢ / ٥٠٤ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ٨ ، فتح القدير : ٣ / ٦٩ ، تفسير الجلالين : ٣٢٣ ، تفسير التحرير والتنوير : ١٣ / ١٠٠ ، تفسير السعدي : ٤١٤ .

(٣) ينظر : تفسير الطبري : ١٣ / ١١٧ .

(٤) سورة الرعد : ١٠ .

(٥) سورة الرعد : ٩ .

(٦) سورة الرعد : ١١ .

(٧) ينظر : تفسير الطبري : ١٣ / ١١٧ .

✓ **الوجه الثالث** : أن الضمير في ﴿ لَهُۥ ﴾ **يعود على الله تعالى** ، أي : لله ملائكة يحفظون العبد من الآفات ، ويحفظون عليه أعماله ، ذهب إليه جماعة من المفسرين [١] .

✗ **وضعَّفه ابن جُزيّ** [٢] ؛ لأن الضمائر التي بعده تعود على العبد باتفاق .

✓ **الوجه الرابع** : عود الضمير **على النبيِّ ﷺ** .

قال ابن عباس رضي الله عنهما في معنى هذه الآية : لمحمد ﷺ حراس من الرحمن من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من شر الجن ، وطوارق الليل والنهار [٣] .

وقيل : نزلت هذه الآية [٤] في عامر بن الطفيل وإربد بن ربيعة اللذين تآمرا على قتل النبي ﷺ .

ويُردُّ على هذا القول بما يلي :

- عند التأكد من صحَّة قصة أربد بن قيس وعامر بن الطفيل ظهر أن **إسناد الخبر ضعيف** ولا يعول عليه [٥] .

---

(١) في تفاسيرهم ؛ منهم : الواحدي في الوجيز (١ / ٥٦٧) ، والبغوي (٣ / ٩) ، والقرطبي (٩ / ٢٩١) ، والخازن (٤ / ٧) .

(٢) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٣٢ .

(٣) نسبه إليه البغوي في تفسيره (٣ / ٩) ، والخازن في تفسيره (٤ / ٨) .

(٤) أخرج الطبراني وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما : « أن أربد بن قيس وعامر بن الطفيل قدما المدينة على رسول الله ﷺ فقال عامر : يا محمد ما تجعل لي إن أسلمت ؟ قال : لك ما للمسلمين ، وعليك ما عليهم . قال : أتجعل لي الأمر من بعدك ؟ قال : ليس ذلك لك ولا لقومك . فخرجا ، فقال عامر لأربد : إني أشغل عنك وجه محمد بالحديث فاضربه بالسيف فرجعا ، فقال عامر : يا محمد قم معي أكلمك . فقام معه ، ووقف يكلمه ، وسل أربد السيف ، فلما وضع يده على قائم السيف يبست ، والتفت رسول الله ﷺ فرآه فانصرف عنهما ، فخرجا ، حتى إذا كانا بالرقم أرسل الله على أربد صاعقة فقتلته ، فأنزل الله : ﴿ ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلۡمِحَالِ ﴾ . [سورة الرعد : ٨ - ١٣] . » . ينظر : لباب النقول في أسباب النزول لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١ هـ) : ١٣٠ .

(٥) أخرجه الطبراني في الكبير (١٠٧٦٠) : ١٠ / ٣١٢ ، وفي الأحاديث الطوال (٣٧) : ٢٧٨ . من حديث ابن عباس مطولاً . قال الهيثمي : رواه الطبراني في الأوسط والكبير بنحوه ... وفي إسنادهما عبد العزيز بن عمران وهو **ضعيف** . ينظر : مجمع الزوائد ومنبع الفوائد لعلي بن أبي بكر الهيثمي (ت ٨٠٧ هـ) : ٧ / ٤٢ . **فالرواية ضعيفة جداً** . وينظر : تخريج الأحاديث والآثار في كتاب : التسهيل لعلوم التنزيل) للدكتور سامي الجهني : ٦٩٢ .

سورة الرعد ـــــــ

للمعقبات ، أي معقبات من أجل أمر الله ، أي أمرهم بحفظه وقرئ : (بأمر الله) وهذه القراءة تعضد ذلك ، ولا يتعلق من أمر الله على هذا ليحفظونه ، وقيل : يتعلق به على أنهم يحفظونه من عقوبة الله إذا أذنب بدعائهم له واستغفارهم)) . اهـ [١] .

الـدراســـة :

الله ﷻ وَكَلَ بكلِّ إنسان معقباتٍ ؛ وهم الملائكة – على القول الراجح – الذين يعقب بعضهم بعضاً بالليل والنهار يحفظونه من أمر الله .

واختلف المفسرون في هذا الحفظ **هل هو من أجل أمر الله أو من عذاب الله ، وحاصل اختلافهم يرجع إلى معنى ﴿ مِنۡ ﴾ في قوله تعالى :** ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ [٢] مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ ... ﴾ [٣] .

وقد ذكر أهل العلم [٤] لـــ ﴿ مِنۡ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ ﴾ ثلاثة أوجه :

الوجه الأول : أن تكون ﴿ مِنۡ ﴾ للسببية ، أي : بسبب أمر الله . أي أن حفظهم له من أمر الله ، فتكون ﴿ مِنۡ ﴾ معناها الباء ، وحروف المعاني يقوم بعضها مقام بعض ، والتقدير : يحفظونه بأمر الله وب إعانته ، في رواية عن ابن عباس ﷺ [٥] ، وإليه ذهب مجاهد [٦] ، وسعيد بن جبير ، وقتادة [٧] وغيرهم ، وذكره **ابن الأنباري** [٨] .

---

(١) التسهيل : ٢ / ١٣٢ .

(٢) يجوز أن يكون ﴿يَحۡفَظُونَهُۥ﴾ : صفة لمعقبات ، وأن يكون حالاً مما يتعلق به الظرف . ينظر : إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات لأبي البقاء ، عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (ت ٦١٦ هـ) : ٢ / ٦٢ .

(٣) سورة الرعد : ١١ .

(٤) ذكر جميع أوجه ﴿مِنۡ﴾ في الآية السمين الحلبي . ينظر : الدر المصون : ٤ / ٢٣٣ .

(٥) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٣ / ١١٧) . وعزاه السيوطي في الدر (٤ / ٦١٢) إلى أبي الشيخ . وينظر : تنوير المقباس : ٢٠٦ .

(٦) ينظر تفسيره : ١ / ٣٢٦ . وأخرجه ابن جرير في تفسيره (١٣ / ١١٧) . وينظر : الدر المنثور : ٤ / ٦١٢ .

(٧) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٣ / ١١٧ ، ١١٨) عن سعيد بن جبير وقتادة . وينظر : الدر المنثور : ٤ / ٦١٢ .

(٨) نسبه إليه ابن عادل في تفسيره (١١ / ٢٦٨) . – ولم أقف عليه في أي من كتبه في حدود ما اطلعت – .
وابن الأنباري هو : محمد بن القاسم بن بشار بن الأنباري المقري النحوي ، أبو بكر ، من كتبه : المشكل والغريب ، والوقف والابتداء وغيرها . ت سنة ٣٠٤ هـ ، وقيل : ت سنة ٣٢٧ هـ . ينظر : معجم =

ويؤيد ذلك :

١. أن عليا كرَّم الله تعالى وجهه ، وابن عباس ﷺ ، وعكرمة وغيرهم قرؤوا : (بأمر الله) بالباء [١] ، وهي ظاهرة في السببية .

٢. أنه لا قدرة للملائكة ولا لأحد من الخلق على أن يحفظوا أحداً من أمر الله ومما قضاه عليه [٢] .

الوجه الثاني : أن تكون ﴿ مِنۡ ﴾ بمعنى (عن) ، أي : يحفظونه عن أمر الله ، وهذا قريب من الأول ، أي : حفظهم عن أمر الله لا من عند أنفسهم ، وهذا **قول الحسن** ، تقول : كسوته عن عري ، ومن عري . ومنه قوله ﷻ : ﴿ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ ... ﴾ . [سورة قريش : ٤] . [٣]

الوجه الثالث : أن تكون ﴿ مِنۡ ﴾ على بابها ، قاله العكبري .

" ﴿ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ ﴾ من الجنِّ ، والإنس ، فتكون ﴿ مِنۡ ﴾ على بابها " [٤] .

وأن يراد بأمر الله : نفس ما يحفظ منه كمردة الإنس ، والجن ، فتكون ﴿ مِنۡ ﴾ لابتداء الغاية [٥] .

= الأدباء : ٥ / ٤١٠ وما بعدها ، السِّير : ١٥ / ٢٧٤ ، صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار لأبي عبد الله ، محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحميري (ت بعد ٨٦٦ هـ) : ٣٧ وما بعدها .

(١) هذه القراءة **بالغة الشذوذ** ؛ وهي تحمل على التفسير ؛ وقد أوردها غير واحد من المفسرين عند تفسير الآية . ينظر : المحتسب لابن جني : ١ / ٣٥٥ ، إتحاف فضلاء البشر للبناء : ٣٣٩ .

(٢) ينظر : التفسير الكبير : ١٩ / ١٧ ، تفسير ابن عادل : ١١ / ٢٦٨ .

(٣) ينظر : تفسير القرطبي : ٩ / ٢٩٢ .

(٤) إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات : ٢ / ٦٢ .
والعكبري هو : عبد الله بن الحسين بن أبي البقاء العكبري ، أبو البقاء البغدادي ، الإمام الفقيه المفسر اللغوي الفرضي صاحب المصنفات العديدة النافعة ، ت سنة ٦١٦ هـ . ينظر : وفيات الأعيان : ٣ /١٠٠ - ١٠٢ ، تاريخ الإسلام : ٤٤ / ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، طبقات المفسرين للداودي : ٢١٩ .

(٥) ينظر : البحر المحيط لأبي حيان : ٥ / ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، تفسير ابن عادل : ١١ / ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، التحرير والتنوير : ١٣ / ١١٠ .

سورة الرعد ـــــــ

سورة الرعد ـــــــ

٢. " لا يحتاج في هذا المعنى إلى تقدير تقديم وتأخير ، بل وصفت المعقبات بثلاث صفات في الظاهر :

أحدها : ﴿ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ ﴾ ، أي : كائنة من بين يديه .

والثانية : ﴿ يَحۡفَظُونَهُۥ ﴾ أي : حافظات له .

والثالثة : كونها من أمر الله .

وإن جعلنا ﴿ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ ﴾ يتعلق بقوله : ﴿ يَحۡفَظُونَهُۥ ﴾ فيكون إذ ذاك ﴿ مُعَقِّبَٰتٞ ﴾ وصفت بصفتين :

إحداهما : يحفظونه من بين يديه ومن خلفه .

والثانية : قوله : ﴿ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ ﴾ أي : كائنة من أمر الله .

غاية ما في ذلك أنه بدىء بالوصف بالجملة قبل الوصف بالجار والمجرور ، وذلك شائع فصيح ، وكان الوصف بالجملة الدالة على الديمومة ، في الحفظ آكد ، فلذلك قدم الوصف بها " [1] .

الترجيح :

يظهر لي – والله أعلم – أن **حفظ الملائكة للعبد يحتمل الوجهين ، فهم يحفظونه من أجل أمر الله ومن عذاب الله** ، أي : بأمر الله وإعانته ، ومن عذاب الله باستغفارهم له ودعائهم له بالحفظ .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) البحر المحيط لأبي حيان : ٥ / ٣٦٤ ، ٣٦٥ .

سورة الرعد ـــــــ

سورة الرعد ـــــــ

سورة الرعد ـــــــ

سورة الرعد ـــــــ

سورة الرعد ـــــــ

سورة الرعد ـــــــ

سورة الرعد ـــــــ

من صفات الله ﷻ [١] .

إلاَّ أنَّ أمثال هذه الكلمات إذا وردت في حقِّ الله تعالى فإنَّها تحمل على نهايات الأغراض لا على مبادي الأعراض ، فيكون المراد بالحقد ههنا : هو أنه تعالى يريد إيصال الشَّر إليه ، مع أنه أخفى عنه تلك الإرادة [٢] .

واختلف المفسرون في معنى ﴿ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴾ بناء على اختلافهم في اشتقاقه وفي (ميمه) ، وحاصل اختلافهم على قولين :

القول الأول : أي : **شديد القوة** ، و ﴿ ٱلْمِحَالِ ﴾ : مشتق من الحيلة ، فالميم زائدة ، ووزنه : (مِفْعَل) ، قاله **ابن قتيبة** [٣] ، والزَّجَّاج [٤] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٥] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٦] .

وتفسيره عن ابن عباس ﷺ يدل على الفَتْح (مِفْعَل) ، لأنه قال : المعنى : وهو شديد العقوبة ، أي القوة والحَوْل ، من قولهم : لا حول ولا قوة إلا بالله [٧] .

✖ واعتُرض على هذا :

بأن مِحالة - بكسر الميم - لا تكون إلا مصدراً من : ماحلت فلاناً ، أماحله محالاً ، والمماحلة بعيدة المعنى من الحيلة .

---

(١) ينظر : زاد المسير : ٤ / ٣١٦ .

(٢) ينظر : التفسير الكبير : ١٩ / ٢٣ ، تفسير ابن عادل : ١١ / ٢٧٧ ، ٢٧٨ .

(٣) نسبه إليه الأزهري في تهذيب اللغة (مادة : محل) : ٥ / ٦٢ ، والزبيدي في تاج العروس (مادة : محل) : ٣٠ / ٣٩٥ . - ولم أقف عليه في أي من كتبه في حدود ما اطلعت - .
وابن قتيبة ويقال : القتبي ، وهو : عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، وقيل : المروزي ، العلامة الكبير ، ذو الفنون ، أبو محمد الكاتب ، صاحب تأليف وتصنيف ، ت سنة ٢٧٦ هـ . ينظر : الفهرست : ١١٥ ، تاريخ بغداد : ١٠ / ١٧٠ ، ١٧١ ، السِّير : ١٣ / ٢٩٦ - ٣٠٢ .

(٤) ينظر معانيه : ٣ / ١٤٣ .

(٥) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٣٢ .

(٦) منهم : السمر قندي ، وابن أبي زمنين ، والواحدي ، والسمعاني ، والسعدي . ينظر : تفسير السمر قندي : ٢ / ٢٢٠ ، تفسير ابن أبي زمنين : ٢ / ٣٥٠ ، تفسير الواحدي : ١ / ٥٦٨ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٨٥ ، تفسير السعدي : ٤١٥ .

(٧) ينظر : معاني القرآن للنحاس : ٣ / ٣٠٤ .

سورة الرعد ـــــــ

سورة الرعد ـــــــ

سورة الرعد ـــــــ

قلبوها ألفاً للتفرقة بينه وبين (مِحول) بمعنى : صبي ذي حول ، أي سنة " . اهـ [١] .

الترجيح :

يظهر لي – والله أعلم – أن **المِحال يشمل جميع ما قاله جماعة السلف وأهل اللغة والمفسرين من المكر ، والحيلة ، والقوة ، والأخذ وغيرها** لما تقدم ، ولما يلي :

أولاً : أصل المحل : الشدة [٢] ، ولذا فكل ما نقل عن الصحابة والتابعين من الاختلاف في تفسير ﴿ ٱلۡمِحَالِ ﴾ هو اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد ، لأنه يصدق معناه عليها جميعاً [٣] **فالمحال** – ككتاب – : الكيد ، وروم الأمر بالحيل ، والتدبير ، والمكر ، والقدرة والجدال ، والعذاب ، والعقاب ، والعداوة ، والمعاداة ، والقوة ، والشدة ، والهلاك ، والإهلاك ، يأتي أعداءه بما يريد من إنزال العذاب بهم من حيث لا يحتسبون [٤] .

ثانياً : يؤيد ذلك **القاعدة الترجيحية** التالية :

- **غالب ما نقل عن السلف من الاختلاف في التفسير هو اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد** [٥] .

ثالثاً : **الأصل توافق القراءات في الآية** [٦] ، فالقراءة بفتح الميم لـ (المَحال) وإن كانت شاذة فهي تحمل على التفسير ، ولذا نقول باحتمال جميع ما ورد في تفسير ﴿ ٱلۡمِحَالِ ﴾ من أقوال .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) التحرير والتنوير : ١٣ / ١٠٦ .

(٢) ينظر (مادة : محل) في : المحكم لابن سيده : ٣ / ٣٧٤ ، لسان العرب لابن منظور : ١١ / ٦١٦ ، تاج العروس للزبيدي : ٣٠ / ٢٩١ .

(٣) ينظر : معاني القرآن للنحاس : ٣ / ٣٠٤ ، تفسير العز بن عبد السلام : ٢ / ١٤٩ ، تفسير القرطبي : ٩ / ٢٩٩ .

(٤) ينظر : نظم الدرر : ٤ / ١٣٢ .

(٥) ينظر : الموافقات في أصول الفقه لإبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي الشهير بالشاطبي (ت ٧٩٠ هـ) : ٤ / ٢١٤ – ٢٢٠ ، تفسير القاسمي : ١ / ١٧ ، قواعد التفسير للسَّبت : ١ / ٢٠٨ .

(٦) ينظر : التحرير والتنوير : ١٣ / ١٠٧ . وينظر قبله : روح المعاني : ١٣ / ١٢٢ .

سورة الرعد ـــــــ

نظيره قوله تعالى : ﴿ ... وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا ﴾ [١] ، قاله **سعيد بن جبير** [٢] .

القول الرابع : لا يكافئون الشر بالشر ، ولكن يدفعونه بالخير ، قاله **ابن زيد** [٣] .

القول الخامس : إذا حرموا أعطوا ، وإذا ظلموا عفوا ، وإذا قطعوا وصلوا ، قاله **الحسن** [٤] .

القول السادس : إذا أذنبوا تابوا ، قاله **ابن كيسان** [٥] ، ورجَّحه **الواحدي** [٦] .

وزاد بعضهم : إذا هربوا أنابوا ، وإذا رأوا منكرا أمروا بتغييره [٧] .

القول السابع : **على العموم ؛ أي يفعلون الحسنات فيدرؤ ون بها السيئات** ، وهو **قول ابن عباس** ﷺ في رواية الضحاك عنه [٨] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٩] ، ووافقه **جماعة من**

---

(١) سورة القرقان : ٦٣ .

(٢) نسبه إليه غير واحد من المفسرين . ينظر : النكت والعيون للماوردي : ٣ / ١٠٩ ، تفسير القرطبي : ٩ / ٣١١ ، البحر المحيط لأبي حيان : ٥ / ٣٧٧ .

(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٣ / ١٤١) . وينظر : الدر المنثور : ٤ / ٦٣٨ .
وابن زيد هو : عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العمري المدني ، كان صاحب قرآن وتفسير ، جمع علم أبيه وجده وضع تفسيراً في مجلد ، وكتاباً في الناسخ والمنسوخ ، ت سنة ١٨٢هـ . ينظر : الفهرست : ٣١٥ ، السِّير : ٨ / ٣٤٩ ، التَّقريب : ٣٤٠ .

(٤) نسبه إليه : الفخر الرازي في التفسير الكبير (١٩ / ٣٥) ، وأبو السعود في تفسيره (٥ / ١٧) " ويروى أن شقيق بن إبراهيم البلخي دخل على عبد الله بن المبارك متنكراً ، فقال من أين أنت ؟ فقال : من بلخ ، فقال : وهل تعرف شقيقاً ؟ قال : نعم ، فقال : كيف طريقة أصحابه ؟ فقال : إذا منعوا صبروا ، وإن أعطوا شكروا ، فقال عبد الله : طريقة كلابنا هكذا ! . فقال : وكيف ينبغي أن يكون ؟ فقال : الكاملون هم الذين إذا منعوا شكروا وإذا أعطوا آثروا " . ينظر : التفسير الكبير : ١٩ / ٣٥ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ١٥٤ .

(٥) نسبه إليه : الزمخشري في الكشاف (٢ / ٤٩٥) ، وأبو حيان في البحر (٥ / ٣٧٧) ، وأبو السعود في تفسيره (٥ / ١٧) .

(٦) ينظر : تفسير الواحدي : ١ / ٥٧٠ ، ٥٧١ .
واستدلوا بالخبر : « لم أر شيئاً أحسن طلباً ولا أسرع إدراكاً من حسنة حديثة لذنبٍ قديمٍ » . أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٢ / ١٧٤) .

(٧) ذكره النسفي في تفسيره (٢ / ٢١٦) ، وأبو حيان في البحر المحيط (٥ / ٣٧٧) .

(٨) أخرجه ابن أبي شيبة وابن المنذر وأبي حاتم وأبو الشيخ عن الضحاك . ينظر : الدر المنثور :٤ / ٦٣٨ .

(٩) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٣٤ .

من المفسرين [١] .

واستدلوا بما يلي :

١. النظير القرآني : قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ . [سورة هود : ١١٤] . [٢]

٢. أدلة من السُّنة :

- عن أبي ذَرٍّ ﷺ قال : قال لي رسول اللَّهِ ﷺ : « اتَّقِ اللَّهِ حَيْثُمَا كُنْتَ ، وَأَتْبِعْ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا ، وَخَالِقِ الناس بِخُلُقٍ حَسَنٍ » [٣] .
- وقال ﷺ : « إن مَثَلَ الذي يَعْمَلُ السَّيِّئَاتِ ثُمَّ يَعْمَلُ الْحَسَنَاتِ كَمَثَلِ رَجُلٍ كانت عليه دِرْعٌ ضَيِّقَةٌ قد خَنَقَتْهُ ، ثُمَّ عَمِلَ حَسَنَةً فَانْفَكَّتْ حَلْقَةٌ ، ثُمَّ عَمِلَ حَسَنَةً أُخْرَى فَانْفَكَّتْ حَلْقَةٌ أُخْرَى ؛ حتى يَخْرُجَ إلى الأَرْضِ » [٤] .

الترجيح :

يظهر لي – والله أعلم – **أن الراجح أن المراد بقوله تعالى :** ﴿يَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ

---

(١) في تفاسيرهم ؛ منهم : ابن أبي زمنين (٢ / ٣٥٤) ، و الثعلبي (٥ / ٢٨٦) ، والقشيري (٢ / ١٠٧) والسمعاني (٣ / ٩٠) ، والبغوي (٣ / ١٦) ، والزمخشري (٢ / ٤٩٥) ، وابن عطية (٣ / ٣٠٩) والقرطبي (٩ / ٣١١) ، والبيضاوي (٣ / ٣٢٧) ، والنسفي (٢ / ٢١٦) ، والخازن (٤ / ١٨) ، والنيسابوري (٤ / ١٥٤) ، وابن كثير (٢ / ٥١١) ، وابن عادل (١١ / ٢٩٥) ، والجلالين (٣٢٥) والخطيب الشربيني (٢ / ١٧٥) ، والآلوسي (١٣ / ١٤٢) ، والسعدي (٤١٧) ، والطاهر بن عاشور (١٣ / ١٢٩ ، ١٣٠) .

(٢) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٣٤ .

(٣) أخرجه أبو عيسى ، محمد بن عيسى الترمذي السلمي (ت ٢٧٩ هـ) في سننه في كتاب البر والصلة ، بَاب ما جاء في مُعَاشَرَةِ الناس (١٩٨٧) : ٤ / ٣٥٥ . قال أبو عِيسَى : هذا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ ، **وحسَّنه** الألباني .

(٤) أخرجه أحمد في مسنده في مسند عقبة بن عامر ﷺ (١٧٣٤٥) : ٤ / ١٤٥ . قال الشيخ شعيب الأرناؤوط : **إسناده حسن** ، لأنه من رواية عبد الله بن المبارك ، وسماعه من ابن لهيعة قبل احتراق كتبه ، وباقي رجال الإسناد ثقات رجال الشيخين غير علي بن إسحاق .

ٱلسَّيِّئَةَ ﴾ يفعلون الحسنات فيدرؤون بها السيئات ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه لما تقدم ، ولما يلي :

أولاً : كل ما ذكره المفسرون وما نقل عن السلف من الاختلاف في التفسير هو اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد ، لأنه يصدق عليها جميعاً معنى دفع الحسنة بالسيئة .

ثانياً : هذا القول أعمُّ وأشمل من الأقوال الأخرى ؛ بل يتناولها بالعموم .

ثالثاً : الدليل من اللغة :

١. الدرء هو : الدفع والطرد ؛ وهو هنا مستعار لإزالة أثر الشيء فيكون :

✓ بعد حصول المدفُوع ، وذلك في حالة :

- إن صدرت منه سيئة أتبعها بحسنة ، وذلك طرد للسيئة ، خاصة فيما بينه وبين ربه .
- إن عامله أحد بإساءة لا يعامله بمثل معاملته ، بل يقابل ذلك بالإحسان [(١)] .

✓ وقبلَ حصوله : بأن يُعِدّ ما يمنع حصوله ، وذلك بالعدول عن فعل السيئة بعد العزم عليها ، فإن ذلك العدول حسنة [(٢)] . عن ابن عَبَّاس ﷺ عن النبي ﷺ فِيمَا يَرْوِي عن رَبِّهِ ﷻ قال : « ... وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فلم يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا الله له عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً ... » [(٣)] .

٢. جمع ﴿ وَيَدْرَءُونَ ﴾ جميعَ هذه المعاني ، ولهذا لم يعقب بما يقتضي أن المراد معاملة المُسيء بالإحسان كما أُتبع في :

- قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ... ﴾ . [سورة فصلت : ٣٤] .
- وقوله : ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴾ . [سورة المؤمنون : ٩٦] .

---

(١) ينظر : فتح القدير : ٣ / ٧٩ ، روح المعاني : ١٣ / ١٤٢ .

(٢) ينظر : البحر المحيط : ٥ / ٣٧٧ ، روح المعاني : ١٣ / ١٤٢ .

(٣) جزء من حديث أخرجه البخاري في كتاب الرقاق ، بَاب من هَمَّ بِحَسَنَةٍ أو بِسَيِّئَةٍ (٦١٢٦) : ٥ / ٢٣٨٠ .

قال **ابن عطية** :

" وبالجملة فإنهم لا يكافئون الشر بالشر وهذا بخلاف خلق الجاهلية " . اهـ [١] .

رابعاً : هذا القول تؤيده بعض **القواعد الترجيحية** عند المفسرين ؛ منها :

- **القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك** .
- **يجب حمل النصوص على العموم ما لم يرد نصٌّ بالتخصيص** [٢] .
- **غالب ما نقل عن السلف من الاختلاف في التفسير هو اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد** [٣] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) المحرر الوجيز : ٣ / ٣٠٩ . وينظر : البحر المحيط لأبي حيان : ٥ / ٣٧٧ .

(٢) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٣١٢ ، ٢ / ٥٢٧ .

(٣) ينظر : الموافقات للشاطبي : ٤ / ٢١٤ - ٢٢٠ ، تفسير القاسمي : ١ / ١٧ ، قواعد التفسير للسبت : ١ / ٢٠٨ .

قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾ ﴾ . [آية : ٢٥] .

مسألة: من هم المعنيون بالصفات المذكورة في قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ ... ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن الصفات في الآية للكفار ، فقال : ((وقيل : إنها في الخوارج ، **والأظهر** أنها في الكفار)) . اهـ [١] .

الدراسة :

اختلف المفسرون **فيمن هم المعنيون بالصفات المذكورة في قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ ... ﴾** على قولين :

القول الأول : هم الخوارج (الحرورية [٢]) ، قاله سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه [٣] .

واستدلوا :

١. بما أخرجه **الإمام البخاري** عن **مُصْعَب بن سَعْدٍ** قال : « سَأَلْتُ أبي ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلاً ﴾ [٤] هُمْ الْحَرُورِيَّةُ ؟ قال : لَا . هُمْ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى ؛ أَمَّا

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٣٤ .

(٢) **الحَرُورية** : - بفتح المهملة وضم الراء - نسبة إلى حروراء - بفتحتين وسكون الواو وراء أخرى وألف ممدودة - قرية بظاهر الكوفة ، وقيل موضع على ميلين منها . نزل بها الخوارج الذين خالفوا عليّا رضي الله عنه حين جرى أمر الحكمين على إثر وقعة الصفين، ونسبوا إليها . فيقال : لمن يعتقد مذهب الخوارج حروري ؛ لأن أول فرقة منهم خرجوا على عليّ رضي الله عنه بهذه البلدة فاشتهروا بالنسبة إليها، وهم فرق كثيرة ، لكن من أصولهم المتفق عليها بينهم : الأخذ بما دلّ عليه القرآن وردّ ما زاد عليه من الحديث مطلقاً . ينظر : الأنساب للسمعاني : ٢ / ٢٠٧ ، الملل والنحل للشهرستاني : ١ / ١٧٢ معجم البلدان للحموي : ٢ / ٢٤٥ ، فتح الباري لابن حجر : ١ / ٤٢٢ .

(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٣ / ١٤٣) . ونسبه إليه الثعلبي ، وابن عطية ، والقرطبي . ينظر : الكشف والبيان : ٥ / ٢٨٧ ، المحرر الوجيز : ٣ / ٣١١ ، تفسير القرطبي : ٩ / ٣١٤ .

(٤) سورة الكهف : ١٠٣ .

سورة الرعد ـــــــ

سورة الرعد ـــــــ

سورة الرعد ـــــــ

رابعاً : هذا القول تؤيده **القاعدة الترجيحية** التالية :

العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب [١] .

وعلى هذا لا تكون رواية الإمام البخاري – وهي رواية صحيحة – مخصِّصة للآية .

والله تعالى أعلم بالصواب .

= هذه الآية من الآيات المدنية فهي مكية بالإجماع . ينظر : إتقان السيوطي : ١ / ٤٢ .

(١) ينظر : القواعد الحسان لتفسير القرآن لعبد الرحمن بن ناصر السعدي (ت ١٣٧٦ هـ) : ١٠ ، قواعد التفسير للسبت : ٢ / ٥٩٣ ، قواعد الترجيح للحربي : ٢ / ٥٤٥ .

سورة الرعد ـــــــ

سورة الرعد ـــــــ

سورة الرعد ـــــــ

أولاً : " لأن كفرهم بهذا الاسم أشد لأنهم أنكروا أن يكون اللّهُ (رحمن) .
قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُواْ لِلرَّحْمَـٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحْمَـٰنُ ... ﴾ . [سورة الفرقان : ٦٠] . فأشارت الآية إلى كفرين من كفرهم : جحد الوحدانية ، وجحد اسم الرحمن .

ثانياً : ولأن صفة الرحمة مزيد اختصاص بتكذيبهم الرسول عليه السلام ، وتأييده بالقرآن لأن القرآن هُدًى ورحمة للناس " [1] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

(١) التحرير والتنوير : ١٣ / ١٤١ .

سورة الرعد ـــــــ

قال ابن كثير : " وهذا هو الظاهر من السِّياق " . اهـ [١] .

القول الثاني : **المراد** بـ ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ كفار قريش على الخصوص ، وعلى هذا فإن **فاعل** ﴿ تَحُلُّ ﴾ **ضمير المخاطب** ، **وهو النبي** ﷺ ؛ مرادا به حلوله الحديبية ، ووعد الله فتح مكة ، قاله **ابن عباس** رضي الله عنهما [٢] ، ومجاهد [٣] ، وقتادة [٤] ، وعكرمة [٥] ، ومقاتل [٦] ، وذهب إليه الفَرَّاء [٧] ، وقاله غير واحد من المفسرين [٨] . [٩]

ويؤيد ذلك : أن سورة الرعد مكية إلا آيات منها [١٠] ، ومن هذه الآيات هذه الآية ؛ فقد أجمع أهل العلم أن هذه الآية مدنية [١١] ؛ مما يرجِّح أن يكون فاعل ﴿ تَحُلُّ ﴾ هو النبي ﷺ ،

= والشوكاني ، والسعدي ، وسيد قطب ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : الكشاف : ٢ / ٤٩٩ ، تفسير القرطبي : ٩ / ٣٢١ ، تفسير الخازن : ٤ / ٢٣ ، ٢٤ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ١٦٢ ، البحر المحيط : ٥ / ٣٨٤ تفسير ابن كثير : ٢ / ٥١٧ ، نظم الدرر : ٤ / ١٥٣ ، تفسير ابن عادل : ١١ / ٣٠٩ ، فتح القدير : ٣ / ٨٤ ، تفسير السعدي : ٤١٨ ، الظلال : ٤ / ٢٠٥٩ ، الوسيط : ٧ / ٤٨٣ .

(١) ينظر : تفسير ابن كثير : ٢ / ٥١٧ .

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٣ / ١٥٦) ، وعزاه السيوطي أيضاً في الدر (٤ / ٦٥٥) إلى ابن مردويه من طريق العوفي . وينظر : تنوير المقباس : ٢٠٨ .

(٣) ينظر تفسيره : ١ / ٣٢٩ . وأخرجه ابن جرير في تفسيره (١٣ / ١٥٦) . وعزاه السيوطي أيضاً في الدر (٤ / ٦٥٥) إلى ابن أبي شيبة ، وابن المنذر ، وأبو الشيخ ، والبيهقي في الدلائل .

(٤) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢ / ٣٣٧) .

(٥) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٣ / ١٥٦) . وينظر : الدر المنثور : ٤ / ٦٥٥ .

(٦) ينظر تفسيره : ٢ / ١٧٨ .

(٧) ينظر معانيه : ٢ / ٥٤ .

(٨) منهم : الثوري (ونسبه إلى مجاهد) ، والسمر قندي ، وابن أبي زمنين ، الواحدي ، والسمعاني ، والجلالين . ينظر : تفسير الثوري لأبي عبد الله ، سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري (ت ١٦١ هـ) : ١ / ١٥٤ ، تفسير السمر قندي : ٢ / ٢٢٨ ، تفسير ابن أبي زمنين : ٢ / ٣٥٦ ، تفسير الواحدي : ١ / ٥٧٣ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٩٥ ، تفسير الجلالين : ٣٢٧ .

(٩) جوَّز الوجهين من المفسرين : الطبري ، الثعلبي ، والبغوي ، والفخر الرازي ، والبيضاوي ، والنسفي ، والسمين الحلبي ، وأبو السعود ، والآلوسي ، وابن عاشور . ينظر : تفسير الطبري : ١٣ / ١٥٥ ، الكشف والبيان : ٥ / ٢٩٤ ، تفسير البغوي : ٣ / ٢٠ ، التفسير الكبير : ١٩ / ٤٤ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٣٣١ ، تفسير النسفي : ٢ / ٢١٩ ، الدر المصون : ٤ / ٢٤٤ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ٢٣ ، روح المعاني : ١٣ / ١٥٩ ، تفسير التحرير والتنوير : ١٣ / ١٤٦ ، ١٤٧ .

(١٠) ينظر : إتقان السيوطي : ١ / ٤٢ .

(١١) ينظر : البيان في عدّ آي القرآن لأبي عمرو ، عثمان بن سعيد الأموي الداني (ت ٤٤٤هـ) : ١٩ ، برهان الزَّركشي : ١ / ٢٠٢ ، إتقان السيوطي : ١ / ٤٢ ، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي لأبي العلا ، محمد =

سورة الرعد ـــــــ

قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ۖ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ ... ﴾ . [آية : ٣٦] .

في الآية الكريمة مسألتان :

المسألة الأولى : في المراد بقوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن المراد بقوله تعالى : **﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ من أسلم من اليهود والنصارى** ؛ فقال : ((يعني : من أسلم من اليهود والنصارى كعبد الله بن سلام والنجاشي وأصحابه ، وقيل : يعني المؤمنين ؛ والكتاب على هذا هو القرآن)) . اهـ [١] .

الدراسة :

اختلف المفسرون في **المراد بقوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ ﴾** بناء على اختلافهم في تفسير ﴿ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ ، ويمكن حصر اختلافهم في ذلك في قولين :

القول الأول : ﴿ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ هو **القرآن** ، والمراد أن أهل القرآن يفرحون بما أنزل على محمد ﷺ من أنواع التوحيد والعدل والنبوة والبعث والأحكام والقصص ، مدحهم الله تعالى بأنهم يسرون بما أنزل إليك من أمر الدين ، وهو قول الحسن [٢] ، قتادة [٣] ، ورجَّحه **ابن أبي**

---

(١) التسهيل : ٢ / ١٣٦ .

(٢) نسب هذا القول للحسن من المفسرين : الخازن ، والنيسابوري ، وابن عادل ، والخطيب الشربيني . ينظر : تفسير الخازن : ٤ / ٢٥ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ١٦٣ ، تفسير ابن عادل : ١١ / ٣١٥ ، السراج المنير : ٢ / ١٨٢ .

(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٣ / ١٦٤) . وعزاه السيوطي في الدر (٤ / ٦٥٨) إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وأبو الشيخ . وذكر هذا القول ونسبه لقتادة من المفسرين : الماوردي (ونسبه إلى ابن زيد أيضاً) والبغوي ، وابن عطية ، وابن الجوزي ، والفخر الرازي ، والقرطبي (ونسبه إلى مجاهد وابن زيد أيضاً) والخازن وأبو حيان ، والنيسابوري ، وابن عادل ، والشوكاني ، ينظر : النكت والعيون : ٣ / ١١٦ ، تفسير البغوي : ٣ / ٢٢ ، المحرر الوجيز : ٣ / ٣١٦ ، زاد المسير : ٤ / ٣٣٥ ، التفسير الكبير : ١٩ / ٤٨ ، تفسير القرطبي : ٩ / ٣٢٥ ، تفسير الخازن : ٤ / ٢٥ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ١٦٣ ، البحر المحيط : ٥ / ٣٨٦ ، تفسير ابن عادل : ١١ / ٣١٥ ، السراج المنير : ٢ / ١٨٢ ، فتح القدير : ٣ / ٨٧ . وذكره من غير أن ينسبه لقائله : العز بن عبد السلام في تفسيره (٢ / ١٥٥) .

زمنين [١] من المفسرين .

الرد على ذلك :

١. هذا بعيد جدّاً ، لأنّ هذا الوصف ليس معهوداً بالنسبة للمسلمين .
٢. بالإضافة إلى ذلك فإنّها غير موافقة مع جملة ﴿ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ ﴾ لأنّه يلازم هذا الحديث أن يكون ﴿ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ ﴾ هو نفس ﴿ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ فالإثنان يشيران إلى القرآن ، في الوقت الذي نرى فيه من قرينة المقابلة أنّ المقصود من ﴿ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ غير ﴿ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ ﴾ .
٣. كما أن فرح المسلمين بنزول القرآن معلوم فلا فائدة فى ذكره [٢] .

وأُجيب عنه :

بأن المراد زيادة الفرح والاستبشار [٣] .

✓ **القول الثاني** : إن المراد بالكتاب **التوراة والإنجيل** ؛ قاله جمهور المفسرين .

❖ لكنهم اختلفوا في **المراد بـــ ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾** على قولين :

القول الأول : الذين آتيناهم الكتاب هم **الذين آمنوا بالرسول ﷺ من أهل الكتاب** ؛ كعبد الله بن سلام وكعب وأصحابهما ومن أسلم من النصارى [٤] ، وهو قول ابن عباس

---

(١) ينظر : تفسير ابن أبي زمنين : ٢ / ٣٥٨ .
ابن أبي زمنين هو : محمد بن عبد الله بن عيسى المري ، أبو عبد الله ، المعروف بابن أبي زمنين : فقيه مالكي ، من الوعاظ الادباء ، من أهل إلبيرة ، له كتب كثيرة في الفقه والمواعظ ، منها : أصول السُّنة ، وتفسير القرآن وغيرها . ت سنة ٣٩٩ هـــ . ينظر : العبر في خبر من غبر : ٣ / ٧٣ ، طبقات المفسرين للداودي : ٩٣، ٩٤ طبقات المفسرين للسيوطي : ١٠٤ .
(٢) ينظر : التفسير الكبير : ١٩ / ٤٨ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ١٦٤ ، تفسير ابن عادل : ١١ / ٣١٦ ، فتح القدير للشوكاني : ٣ / ٨٧ .
(٣) ينظر : تفسير ابن عادل : ١١ / ٣١٦ ، فتح القدير : ٣ / ٨٧ .
(٤) وهم ثمانون رجلاً : أربعون من نجران ، وثمانية من اليمن ، وإثنان وثلاثون من الحبشة ، وفرحوا بالقرآن ، لأنهم آمنوا به وصدقوه والأحزاب بقية أهل الكتاب وسائر المشركين . ينظر : الكشاف : ٢ / ٥٠١ ، تفسير القرطبي : ٩ / ٣٢٥ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٣٣٣ ، تفسير الخازن : ٤ / ٢٥ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ١٦٣ ، البحر المحيط : ٥ / ٣٨٦ ، تفسير ابن عادل : ١١ / ٣١٦ تفسير أبو السعود : ٥ / ٢٥ ، روح =

ﷺ [١] ، وابن زيد [٢] ، ومقاتل [٣] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٤] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٥] .

قال **القرطبي** :

" فاللفظ عام ، والمراد الخصوص " . اهـ [٦] .

وقال **كثير** [٧] من المفسرين :

كان ذكر الرحمن قليلا في القرآن في الابتداء ، فلما أسلم عبد الله بن سلام ﷺ وأصحابه ساءهم قلة ذكره في القرآن مع كثر ذكره في التوراة ، فلما كرر الله ذكره في القرآن فرحوا به ؛ فأنزل الله ﷻ : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ... ﴾ [٨] .

" والمعنى : مدحهم بأنهم لشدة إيمانهم يسرون بجميع ما يرد على النبي ﷺ من زيادات الشرع " [٩] .

= المعاني : ١٣ / ١٦٥ .

(١) ينظر : تنوير المقباس : ٢٠٩ .

(٢) أخرجه ابن جرير . ينظر : تفسير الطبري : ١٣ / ١٦٤ . وعزاه السيوطي أيضاً إلي أبي الشيخ . ينظر : الدر المنثور : ٤ / ٦٥٨ .

(٣) ينظر تفسيره : ٢ / ١٧٩ .

(٤) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٣٦ .

(٥) في تفاسيرهم ، منهم : الطبري (١٣ / ١٦٤) ، والسمر قندي (٢ / ٢٣٠) ، والقشيري (٢ / ١١١) ، والواحدي (١ / ٥٧٤) ، والسمعاني (٣ / ٩٨) ، والبغوي (٣ / ٢٢) ، والزمخشري (٢ / ٥٠١) ، والبيضاوي (٣ / ٣٣٣) ، والنسفي (٢ / ٢٢٠) ، والبقاعي (٤ / ١٥٨) ، والثعالبي (٣ / ٣٧٢) ، والجلالين (٣٢٨) ، وأبو السعود (٥ / ٢٥) ، والآلوسي (١٣ / ١٥٦) ، والسعدي (٤١٩) ، وابن عاشور (١٣ / ١٥٦) .

(٦) ينظر : تفسير القرطبي : ٩ / ٣٢٥ .

(٧) نسبه إلى أكثر المفسرين القرطبي والشوكاني . ينظر : تفسير القرطبي : ٩ / ٣٢٦ ، فتح القدير : ٣ / ٨٧ .

(٨) ينظر : تفسير السمعاني : ٣ / ٩٨ ، تفسير البغوي : ٣ / ٢٢ ، تفسير القرطبي : ٩ / ٣٢٦ ، تفسير الخازن : ٤ / ٢٥ ، تفسير ابن عادل : ١١ / ٣١٦ ، تفسير السراج المنير : ٢ / ١٨٢ ، فتح القدير : ٣ / ٨٧ .

(٩) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز (٣ / ٣١٥) .

القول الثاني : المراد بـ : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ **اليهود أعطوا التوارة ، والنصارى أعطوا الإنجيل** ، يفرحون بما أنزل في هذا القرآن ، لأنه مصدق لما معهم في الجملة ، وهو قول مجاهد ، والحسن ، وقتادة [١] ؛ وقاله ابن كثير [٢] .

✖ **وضُعِّف هذا القول بما يلي** :

١. أنّ همهم به أكثر من فرحهم ، فلا يعتد بفرحهم .
٢. وأيضاً فإنّ اليهود والنصارى ينكرون بعضه ، وقد فرق الله في هذه الآية بين الذين ينكرون بعضه وبين الذين آتيناهم الكتاب [٣] .
٣. هذا القول لا يصح ؛ لأ ن قوله : ﴿ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ ﴾ يعم جميع ما أنزل إليه ، ومعلوم أنهم لا يفرحون بكل ما أنزل إليه [٤] .

✓ **ويمكن أن يجاب على ذلك** :

بأن قوله : ﴿ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ ﴾ لا يفيد العموم ؛ بدليل جواز إدخال لفظتي الكل والبعض عليه ، ولو كانت كلمة (ما) للعموم لكان إدخال لفظ الكل عليه تكريراً ، وإدخال لفظ البعض عليه نقصاً [٥] .

الترجيح :

يظهر لي – والله أعلم – **أن الراجح أن المراد بـــ ﴿ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ التوراة والإنجيل ، ويكون المراد بقوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ هم الفريق الصادق من أهل الكتاب (اليهود والنصارى) في الاستمساك بدينه ، فمنهم من يفرح بما أنزل إلى رسول الله ﷺ من القرآن لمجرد تصديقه لما بين يديه وتعظيمه له وإن لم يؤمنوا** ؛ يدل على ذلك ما يلي :

---

(١) نسبه إلى الحسن وقتادة : الفخر الرازي في التفسير الكبير (١٩ / ٤٨) ، وأبو حيان في البحر المحيط – وزاد مجاهد – (٥ / ٣٨٧) ، وابن عادل في تفسيره (١١ / ٣١٥) .
(٢) ينظر : تفسير ابن كثير : ٢ / ٥١٩ .
(٣) ينظر : المحرر الوجيز : ٣ / ٣١٦ ، البحر المحيط : ٥ / ٣٨٧ ، روح المعاني : ١٣ / ١٦٥ .
(٤) ينظر : التفسير الكبير : ١٩ / ٤٨ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ١٦٤ ، تفسير ابن عادل : ١١ / ٣١٦ .
(٥) ينظر : التفسير الكبير : ١٩ / ٤٨ .

أولاً : سورة الرعد الراجح أنها مكية إلا آيات منها [١] ، فإما أن تكون هذه الآية مدنية فلا إشكال ، وأما وأنها لم تثبت أنها مدنية بل مكية ، وكان نزولها قبل أن يُسلم عبد الله بن سلام [٢] وأصحابه ؛ فلا يكون هو المراد بالآية .

ويكون المراد بقوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ هم اليهود والنصارى ممن لهم كتاب سماوي . مع أنّ المركز الأصلي لليهود في الجُزيّرة العربية كان المدينة وخيبر ، والمركز الأصلي للمسيحيين هو نجران وأمثالها ، ولكنّهم كانوا يتردّدون على مكّة ويعكسون أفكارهم ومعتقداتهم فيها ، ولهذا السبب كان أهل مكّة يعرفون علامات آخر نبي مرسل وكانوا ينتظرونه .

ثانياً : أهل الكتاب في تلقي القرآن ينقسمون فرقتين :

- فالفريق الأول : صدّقوا بالقرآن وفرحوا به ، وهم الذين ذُكروا في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ . [سورة المائدة : ٨٣] . وكلهم من النصارى مثل ورقة بن نوفل ، وكذلك غيره ممن بلغهم القرآن أيام مُقام النبي ﷺ بمكة قبل أن تبلغهم دعوة النبي ﷺ ، فإن اليهود كانوا قد سُرُّوا بنزول القرآن مصدّقاً للتوراة ، وكانوا يحسبون دعوة النبي مقصورة على العرب فكان اليهود يستظهرون بالقرآن على المشركين ، قال تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ... ﴾ . [سورة البقرة : ٨٩] . وكان النصارى يستظهرون به على اليهود .

- الفريق الثاني : لم يثبت لهم الفرحُ بالقرآن ، وهم نفس جماعة اليهود والنصارى الذين غلبهم التعصّب الطائفي وأمثاله، ولذلك لم يعبّر القرآن الكريم عنهم بأهل الكتاب ، لأنّهم لم يتّبعوا كتبهم السّماوية ؛ بل كانوا في الحقيقة أحزاباً [٣] .

---

(١) ينظر : إتقان السيوطي : ١ / ٤٢ .

(٢) أسلم عبد الله بن سلام وقت مقدم النبي ﷺ المدينة . ينظر : تذكرة الحفاظ للذهبي : ١ / ٢٦ .

(٣) ذكر الأحزاب بهذا التعبير لأنهم في الحقيقة ليس لهم دين ولا مذهب ، بل كانوا على شكل أحزاب وكتل =

وبهذا التفسير تظهر بلاغة التعبير عنهم بـ : ﴿ يَفْرَحُونَ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ ۚ قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُواْ وَإِلَيْهِ مََٔابِ ﴾ دون (يؤمنون) . فالمراد بـ ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ : الذين أوتوه إيتاء كاملاً ، وهو المجرد عن العصبية لما كانوا عليه وعن الحسد ، فهو كقوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ . [سورة البقرة : ١٢١] . (١)

قال **سيد قطب** : " والتعبير بالفرح هنا حقيقة نفسية في القلوب الصافية ؛ وهو فرح الالتقاء على الحق ، وزيادة اليقين بصحة ما لديهم ومؤازرة الكتاب الجديد له " . اهـ (٢) .

ثالثاً : إن فرح أهل الكتاب بالقرآن لموافقته ما في كتبهم ؛ لأن كلام الله كله من مشكاة واحدة ، وتخصيصهم لأنهم هم المنتفعون بالكتاب دون غيرهم ، فكأنه ما أنزل إلا إليهم (٣) .

رابعاً : يكون قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ ﴾ تتمة بمنزلة أن يقال : ومنهم من ينكر بعضه ، (قل) إلزاماً لهم ورداً لإنكارهم (٤) .

والله تعالى أعلم بالصواب .

= متفرقة اتحدوا في مخالفتهم للقرآن والإسلام .

(١) ينظر : تفسير ابن كثير : ٢ / ٥١٩ ، التحرير والتنوير : ١٣ / ١٥٦ ، ١٥٧ .

(٢) الظلال : ٤ / ٢٠٦٤ .

وسيد قطب هو : سيد قطب بن إبراهيم : مفكر إسلامي مصري ، من مواليد قرية " موشا " في أسيوط بمصر ، من جماعة الإخوان المسلمين ، فترأس قسم نشر الدعوة ، وتولى تحرير جريدتهم ، وسجن معهم ، فعكف على تأليف الكتب وهو في سجنه ، إلى أن صدر الأمر بإعدامه فأعدم سنة ١٣٨٧ هـ . له كتب كثيرة منها : تفسير : في ظلال القرآن ، و التصوير الفني في القرآن ، ومعالم في الطريق . ينظر : الأعلام :٣ / ١٤٧ .

(٣) ينظر : نظم الدرر : ٤ / ١٥٨ .

(٤) ينظر : تفسير أبي السعود : ٥ / ٢٥ .

المسألة الثانية : في المراد بالأحزاب :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن المراد بالأحزاب سائر كفار العرب ؛ فقال : ((قيل : هم بنو أمية وبنو المغيرة من قريش ، **والأظهر** أنها في سائر كفار العرب . وقيل : هم اليهود والنصارى ؛ لأنهم لا ينكروا القصاص والأشياء التي في كتبهم وإنما ينكرون البعض مما لا يعرفونه أو حرفوه)) . اهـ [١] .

الدراسة :

الأحْزاب : جمع حزب ، والطائفة المتحزبة : أي المجتمعة لأمر ما ، كعداوة وحرب وغير ذلك ، وكل قوم تشاكلت قلوبهم وأعمالهم فهم أحزاب ؛ وإن لم يلق بعضهم بعضاً [٢] .

اختلف السلف وأهل العلم والمفسرين **في المراد بـ ﴿ ٱلْأَحْزَابِ ﴾** على أقوال :

القول الأول : من قال أن المراد بـ ﴿ ٱلْكِتَـٰبَ ﴾ **القرآن** ، وأن الذين آتيناهم الكتاب هم **أهل القرآن يفرحون بما أنزل على محمد ﷺ من أنواع التوحيد والعدل والنبوة والبعث والأحكام والقصص** ، قال : المراد بـ **﴿ ٱلْأَحْزَابِ ﴾** الجماعات من اليهود والنصارى وسائر الكفار ممن ينكر [٣] بعضه ، وهو قول مجاهد ، والحسن ، وقتادة [٤] .

✍ **ومن المفسرين** [٥] من قال المراد بـ **﴿ ٱلْكِتَـٰبَ ﴾ التوراة والإنجيل** ، وأن الذين آتيناهم

---

(١) التسهيل : ٢ / ١٣٦ .

(٢) ينظر : لسان العرب (مادة حزب) : ١ / ٣٠٨ ، التحرير والتنوير : ١٣ / ١٥٧ .

(٣) قال سيد قطب : " ولم يذكر السِّياق هذا البعض الذي ينكرونه ، لأن الغرض هو ذلك الإنكار للرد عليه " . اهـ . ينظر : الظلال : ٤ / ٢٠٦٤ .

(٤) نسبه إلى الحسن وقتادة : الفخر الرازي في التفسير الكبير (١٩ / ٤٨) ، وأبو حيان في البحر المحيط – وزاد مجاهد – (٥ / ٣٨٧) ، وابن عادل في تفسيره (١١ / ٣١٥) .

(٥) منهم : الواحدي ، والسمعاني ، والزمخشري ، والقرطبي ، والبيضاوي ، والنسفي ، والنيسابوري ، وأبو حيان ، والبقاعي ، والجلالين ، وأبو السعود ، والآلوسي . ينظر : تفسير الواحدي : ١ / ٥٧٥ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٩٨ ، الكشاف : ٢ / ٥٠١ ، تفسير القرطبي : ٩ / ٣٢٦ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٣٣٣ ، تفسير النسفي : ٢ / ٢٢٠ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ١٦٣ ، البحر المحيط : ٥ / ٣٨٧ ، نظم الدرر : ٤ / ١٥٨ تفسير الجلالين : ٣٢٨ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ٢٥ ، روح المعاني : ١٣ / ١٦٥ .

الكتاب : المراد بهم من أسلم من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأصحابه ؛ **لكنهم قالوا** : المراد بـــ ﴿ **ٱلْأَحْزَابِ** ﴾ **المتحزبون على رسول الله ﷺ من اليهود والنصارى بالعداوة** ، وهم كفرتهم ؛ ككعب بن الأشرف و أصحابه ، والسيد والعاقب أسقفي نجران وأشياعهما ؛ لأنهم كانوا لا ينكرون الأقاصيص وبعض الأحكام والمعاني مما هو ثابت في كتبهم ، وكانوا ينكرون نبوة محمد عليه السلام وغير ذلك مما حرفوه وبدلوه من الشرائع ، والمراد بالبعض الذى أنكروه من خالف ما يعتقدونه على اختلاف اعتقادهم ، **واستظهره الطاهر بن عاشور** [١] .

✖ **واعتُرض** : بأن الأحزاب ينكرون كل القرآن .

✓ **وأُجيب** :

بأن الأحزاب لا ينكرون كل ما في القرآن ، لأنه ورد فيه إثبات الله تعالى وإثبات علمه وقدرته وحكمته وأقاصيص الأنبياء ، والأحزاب ما كانوا ينكرون كل هذه الأشياء [٢] .

القول الثاني : من قال أن المراد بـــ ﴿ **ٱلْكِتَٰبَ** ﴾ **التوراة والإنجيل** ، وأن الذين آتيناهم الكتاب هم **من أسلم من أهل الكتاب ، أو اليهود والنصارى** ، قال : المراد بـــ ﴿ **ٱلْأَحْزَابِ** ﴾ الذين ينكرون بعضه هم **بقية أهل الكتاب وسائر المشركين** ، قاله جماعة من المفسرين [٣] . [٤]

وقال **ابن جُزيّ** [٥] :

المراد بـــ ﴿ **ٱلْأَحْزَابِ** ﴾ الذين ينكرون بعضه هم سائر كفار العرب .

---

(١) ينظر : التحرير والتنوير : ١٣ / ١٥٧ .

(٢) ينظر : التفسير الكبير : ١٩ / ٤٨ ، تفسير الخازن : ٤ / ٢٥ ، نظم الدرر : ٤ / ١٥٨ ، تفسير ابن عادل : ١١ / ٣١٦ ، السراج المنير : ٢ / ١٨٢ .

(٣) في تفاسيرهم ؛ منهم : الفخر الرازي (١٩ / ٤٨) ، وابن عادل (١١ / ٣١٦) ، والقاسمي (٩ / ٣٧٠) ، وسيد قطب (٤ / ٢٠٦٤) ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي (٧ / ٤٩٢) .

(٤) ذكر القولين و لم يرجح جماعة من المفسرين ؛ منهم : الخازن (٤ / ٢٥) ، والنيسابوري (٤ / ١٦٣) ، والخطيب الشربيني في السراج (٢ / ١٨٢) .

(٥) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٣٦ .

الترجيح:

بناء على ما ترجَّح من أن المراد بقوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ هم الفريق الصادق من أهل الكتاب (اليهود والنصارى) في الاستمساك بدينه ..

يظهر لي – والله أعلم – **أن ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه هو الصواب ، وأن المراد بـــ ﴿ ٱلۡأَحۡزَابِ ﴾ سائر كفار العرب الذين أشركوا مع الله إلهاً آخر ؛ المنكرين لما فيه من التوحيد** ؛ لما يلي :

أولاً : سورة الرعد سورة مكية [(١)] فهي تخاطب المشركين ، وهذا يظهر بوضوح في السورة سواء في موضوعاتها أو أسلوب معانيها من الاستدلال على الوحدانية وقضايا العقيدة وتبكيت المشركين . و لم يكن هناك خطاب لأهل الكتاب حتى ينكروا بعض ما في القرآن .

ثانياً : أمر الله رسوله ﷺ برد إنكار المشركين بقوله تعالى : ﴿ ... قُلۡ إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشۡرِكَ بِهِۦٓ ... ﴾ بعد جملة : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ ... ﴾ [(٢)] .

✓ **ولا يمنع أن يكون المراد بـــ ﴿ ٱلۡأَحۡزَابِ ﴾ بقية أهل الكتاب** الذين لم يفرحوا بما أنزل على رسول الله ﷺ كما جاء في قوله تعالى : ﴿ فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَيۡنِهِمۡ ... ﴾ [(٣)] ؛ فمن أحزابهم من ينكر بعض القرآن .

" ولعل هؤلاء هم خبثاؤهم ودُهاتهم الذين توسموا أن القرآن يبطل شرائعهم فأنكروا بعضه وهو ما فيه من الإيماء إلى ذلك من إبطال أصول عقائدهم ، مثل عُبودية عيسى عليه السلام بالنسبة للنصارى ، ونبوءته بالنسبة لليهود .

أمر النبي ﷺ أن يعلن للفريقين بأنه ما أمر إلا بتوحيد الله ، فمن فرح بالقرآن فليزدد فرحاً ومن أنكر بعضه فليأخذ بما لا ينكره وهو عدم الإشراك . وقد كان النصارى يتبرؤون من

---

(١) سبق بيان ذلك . ينظر : إتقان السيوطي : ١ / ٤٢ .

(٢) ينظر : تفسير القاسمي : ٩ / ٣٧٠ .

(٣) سورة مريم – عليها السلام – : ٣٧ .

الشرك ويعُدّون اعتقاد بُنوة عيسى عليه السلام غير شرك . وهذه الآية من مجاراة الخصم واستنزال طائر نفسه كيلا ينفر من النظر " [1] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

(١) تفسير التحرير والتنوير : ١٣ / ١٥٧ . بتصرف .

قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ... ﴾ . [آية : ٤١] .

مسألة : في المراد بالأرض هنا وكيف يكون نقصها ؟

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجح ابن جُزيّ أن المراد بالأرض : أرض الكفار ، ونقصها هو بما يفتح الله على المسلمين منها ؛ فقال : ((والأرض أرض الكفار ، ونقصها هو بما يفتح الله على المسلمين منها ، والمعنى : أو لم يروا ذلك فيخافوا أن نمكنك منهم . وقيل : الأرض جنس ونقصها بموت الناس ، وهلاك الثمرات وخراب البلاد وشبه ذلك)) . اهـ [١] .

الدراسة :

اختلف السَّلف وأهل العلم والمفسرون في المراد **بنقصان الأرض** ، بناءً على اختلافهم في المراد بـ ﴿ ٱلْأَرْضَ ﴾ والمراد بالأطراف في هذه الآية الكريمة ، ويمكن حصر اختلافهم في قولين :

القول الأول : المراد بالأرض **أرض الكفار** ، وعلى هذا يكون **نقصها بما يفتح الله على المسلمين منها** ، وهو قول **ابن عباس** رضي الله عنه [٢] ، وقتادة [٣] ، والحسن ، والضحاك [٤] ، وذهب إليه الفَرَّاء [٥] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٦] ، ووافقه جماعة المفسرين [٧] .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٣٧ .

(٢) أخرجه عنه ابن جرير وابن مردويه ، ينظر : تفسير الطبري : ١٣ / ١٧٢ ، الدر المنثور ٤ / ٦٦٦ . وينظر : تنوير المقباس : ٢١٠ .

(٣) نسبه إليه السمعاني ، والبغوي . ينظر : تفسير السمعاني : ٣ / ١٠٠ ، تفسير البغوي : ٣ / ٢٤ .

(٤) نسبه إلى **الحسن** : الصنعاني وابن أبي زمنين . ينظر : تفسير الصنعاني : ٢ / ٣٣٩ ، تفسير ابن أبي زمنين : ٢ / ٣٥٩ . قال يوسف بن عبد الله بن عبد البرِّ النمري (ت ٤٦٣ هـ) في جامع بيان العلم وفضله (١ / ١٥٥) : وقول الحسن أيضاً حسن المعنى جداً . ونسبه إلى **الضحاك** : النحاس في معانيه (٣ / ٥٠٥) . وعزاه السيوطي في الدر (٤ / ٦٦٦) إلى سعيد بن منصور (ت ٢٢٧ هـ) في سننه (٢) : ٥ / ٤٤١) ، وابن أبي شيبة ، وابن جرير وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وعبد بن حميد .

(٥) ينظر معانيه : ٢ / ٥٦ .

(٦) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٣٧ .

(٧) منهم : مقاتل ، والطبري ، والنحاس ، وابن أبي زمنين ، والواحدي ، والزمخشري ، وابن عطية ، والبيضاوي =

استدل له من اللغة :

المراد بطرف الشيء هنا : جانبه ، وأطراف الأرض نواحيها [١] .

قال **ابن فارس** : " الطاء والراء والفاء أصلان ، فالأول يدل على حد الشيء وحرفه ، والثاني يدل على حركة في بعض الأعضاء " . اهـ [٢] .

والمعنى الأول هو المراد هنا .

وقال الرَّاغب : " وتنقيص طرف الشيء يدل على توهينه وإزالته ، ولذلك قال ﷻ : ﴿ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ﴾ " . اهـ [٣] .

والمعنى : أو لم ير كفار مكة أنا نفتح لمحمدٍ ﷺ الأرض بعد الأرض من حولهم ، فكيف لا يعتبرون ؟

القول الثاني : الأرض جنس ، وتنوعت أقوال السَّلف في معنى نقصها من أطرافها كما يلي :

- **بخراب الأرض وقبض أهلها** ، قاله مجاهد .

= والنسفي ، وأبو حيان ، وابن كثير ، والبقاعي ، والجلالين ، وأبو السعود ، والشوكاني ، والآلوسي ، والسعدي والشنقيطي ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير مقاتل : ٢ / ١٨٠ ، تفسير الطبري : ١٣ / ١٧٤ معاني القرآن للنحاس : ٣ / ٥٠٥ ، تفسير ابن أبي زمنين : ٢ / ٣٥٩ ، تفسير الواحدي : ١ / ٥٧٦ ، الكشاف : ٢ / ٥٠٢ ، ٥٠٣ ، المحرر الوجيز : ٣ / ٣١٩ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٣٣٤ ، تفسير النسفي : ٢ / ٢٢١ ، البحر المحيط : ٥ / ٣٨٩ ، تفسير ابن كثير : ٢ / ٥١٩ ، نظم الدرر : ٤ / ١٦٢ ، تفسير الجلالين : ٣٢٨ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ٢٨ ، فتح القدير : ٣ / ٩٠ ، روح المعاني : ١٣ / ١٧٣ ، تفسير السعدي : ٤٢٠ ، أضواء البيان : ٤ / ١٥٧ ، الوسيط : ٧ / ٤٩٦ .

(١) ينظر (مادة : طرف) في : تهذيب اللغة للأزهري :١٣ / ٢١٨ ، لسان العرب : ٩ / ٢١٦ .

(٢) ينظر : مقاييس اللغة (مادة : طرف) : ٣ / ٤٤٧ .

(٣) مفردات الرَّاغب (مادة : طرف) : ١ / ٣٠٢ .

والرَّاغب هو : الحسين بن محمد بن المفضَّل ، أبو القاسم الأصفهاني (أو الأصبهاني) المعروف بالرَّاغب : أديب من الحكماء العلماء ، من كتبه : محاضرات الأدباء ، والأخلاق ويسمَّى : أخلاق الرَّاغب ، وجامع التفاسير ، والمفردات في غريب القرآن وغير ذلك . ت سنة ٥٠٢ هـ . ينظر : السِّير : ١٨ /١٢٠ ، البلغة : ١ / ٩١ ، الأعلام : ٢ / ٢٥٥ .

- **بنقص البركة** ، ونقص الأنفس والثمرات .
- **بقبض الناس** ، وهو قول **عكرمة والشعبي** [١] .
- **بجور ولاتها** ، **رجّحه القرطبي** حيث قال :

" وهذا صحيح معنى ، فإن الجور والظلم يخرب البلاد بقتل أهلها وانجلائهم عنها ، وترفع من الأرض البركة " [٢] .

- **بموت علمائها وفقهائها وأهل الخير منها** ، وهو مرويٌّ عن أبي هريرة ﷺ [٣] ، وابن عباس ﷺ [٤] أيضاً ، **وعطاء** [٥] .

قال **ابن عطية** : " وكل ما ذكر يدخل في لفظ الآية " . وقاله **الثعالبي** أيضاً [٦] .

واستدل للقول الأخير (وهو موت علمائها وفقهائها وأهل الخير منها) بأدلة منها :

---

(١) ينظر : تفسير مجاهد : ١ / ٣٣٠ ، مصنف ابن أبي شيبة : ٧ / ٢١٤ ، تفسير الطبري : ١٣ / ١٧٢ ، ١٧٣ ، النكت والعيون : ٣ / ١٧٣ ، زاد المسير : ٤ / ٣٣٩ ، تفسير القرطبي : ٩ / ٣٣٣ ، تفسير الخازن : ٤ / ٢٩ ، تفسير الثعالبي : ٢ / ٢٧٣ ، السراج المنير : ٢ / ١٨٥ ، تفسير ابن عادل : ١١ / ٣٢٢ ، الدر المنثور : ٤ / ٦٦٦ ، فتح القدير : ٣ / ٩٠ .

(٢) تفسير القرطبي : ٩ / ٣٣٤ .

(٣) أخرجه الديلمي عنه . ينظر : كشف الخفاء (٢٨٦٣) : ٢ / ٤٣٧ . **وهو حديث ضعيف** .

(٤) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٣ / ١٧٤) . ونسبه السيوطي في الدر (٤ / ٦٦٥) إلى : عبد الرزاق ، وابن أبي شيبة ، ونعيم بن حماد في الفتن ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم .

(٥) نسبه إليه البغوي ، والقرطبي ، والخطيب الشربيني . ينظر : تفسير البغوي : ٣ / ٢٤ ، تفسير القرطبي : ٩ / ٣٣٤ ، السراج المنير : ٢ / ١٨٥ . قال ابن عبد البر : وقول عطاء في تأويل الآية حسنٌ جداً ، تلقاه أهل العلم بالقبول . ينظر : جامع بيان العلم وفضله : ١ / ١٥٥ .
وعطاء هو : عطاء بن أبي رباح القرشي مولاهم المكي ، من التابعين الثقات الأثبات الفضلاء ، وكان مفتي أهل مكة في زمانه ، ت سنة ١١٤هـ على الصحيح . ينظر : تاريخ البخاري : ٦ / ٤٦٣ ، ومعرفة الثقات : ٢ / ١٣٥ ، والتقريب : ٣٩١ .

(٦) ينظر : المحرر الوجيز : ٣ / ٣١٩ ، تفسير الثعالبي : ٣ / ٣٧٣ .
والثّعالبي هو : عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي ، أبو زيد الجزائري المالكي ، مفسرٌ فقيهٌ ، عاملٌ زاهدٌ ورع ، ت سنة ٨٧٥ هـ . ينظر : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع لشمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت ٩٠٢ هـ) : ٤ / ١٥٢ ، نفح الطيب : ٥ / ٢٧٩ ، ٤٢٥ ، الأعلام : ٣ / ٣٣١ .

١. من السُّنة : ماروي عن عبد اللَّهِ بن عَمْرِو بن الْعَاصِ ﷺ قال : سمعت رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقول : « إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ من الْعِبَادِ ؛ وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ ؛ حتى إذا لم يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ الناس رؤوسا جُهَّالًا ، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا » (١) .

٢. من الأثر : عن ابن عباس ﷺ « في قوله ﷻ : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ... ﴾ قال : موت علمائها وفقهائها » (٢) .

٣. اللغة :

قال **ابن الأعرابي** : والطرف الرجل الكريم ، وقول بعضهم : طرف كل شيء خياره . وجعلوا من هذا قول **علي** ﷺ : العلوم أودية في أي واد أخذت منها خسرت ، فخذوا من كل شيء طرفا . قال ابن عطية : يعني خياراً (٣) .

٤. من كلام العرب :

استشهد له بقول الفرزدق :

واسْأَلْ بِنا وبِكُم إِذا وَرَدَتْ مِنىً أَطْرافُ كُلِّ قبيلَةٍ مَنْ يَمْنَعُ (٤)

---

(١) أخرجه البخاري – واللفظ له – في كتاب العلم ، بَاب كَيْفَ يُقْبَضُ الْعِلْمُ (١٠٠) : ١ / ٤٩ ، وأخرج مسلم بنحوه في كتاب العلم ، بابَ رَفْعِ الْعِلْمِ وَقَبْضِهِ (٢٦٧٣) : ٤ / ٢٠٥٨ .

(٢) أخرجه الحاكم وصحَّحه . ينظر : المستدرك على الصحيحين : ٢ / ٣٨١ . قال الذهبي في التلخيص : طلحة بن عمرو قال أحمد : متروك . **فالحديث ضعيف** .

(٣) ينظر (مادة : طرف) في : تهذيب اللغة : ١٣ / ٢١٨ ، لسان العرب : ٩ / ٢١٦ . وينظر : المحرر الوجيز : ٣ / ٣١٩ .

(٤) نسبه إليه غير واحد من المفسرين عند تفسير الآية . ينظر مثلا : روح المعاني : ١٣ / ١٧٣ . ولم أقف عليه في ديوانه .

والفرزدق هو : همام بن غالب التميمي ، أبو فراس البصري ، له رواية للحديث لكنه ضعيف لفسقه ، قال ابن حبان : ((وكان الفرزدق هتاكاً للحرمات ، وقذافاً للمحصنات ، ومن كان فيه خصلة من هذه الخصال استحق مجانبة روايته على الأحوال)) ، إلا أنه شاعر فحل من فحول الشعراء ، ت سنة ١١٠هـ . ينظر : المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين لمحمد بن حيان بن أحمد بن أبي حاتم التميمي البستي (ت ٣٥٤ هـ) : ٢ / ٢٠٤ طبقات فحول الشعراء : ٢ / ٢٩٨ ، الأغاني : ١٠ / ٢٧٨ – ٢٨٠ .

✖ **وتُعقِّب بما يلي :**

١. استدلالهم بحديث عمرو بن العاص ﷺ ليس نصاً في المعنى الذي ذهبوا إليه ، فهو معنى عام .
٢. استدلالهم بما روي عن ابن عباس ﷺ لا يصحُّ ؛ لأن الحديث ضعيف كما ذكرت آنفاً .
٣. هذا القول بعيد ، لأن مقصود الآية : أنا أريناهم النقصان في أمورهم ، ليعلموا أن تأخير العقاب عنهم ليس عن عجز ، إلا أن يحمل قول ابن عباس ﷺ على موت أحبار اليهود والنصارى [١] .
٤. هذا القول بعيد أيضاً ؛ لكونه بعيداً عن ظاهر القرآن بحسب دلالة السِّياق [٢] .

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – أن **المراد بالأرض أرض الكفار ، ونقصها هو بما يفتح الله على المسلمين من بلادهم** ، فنقص دار الحرب وتزيد في دار الإسلام ، وذلك من آيات النصرة والغلبة ، والمعنى : أولم يروا ذلك فيخافوا أن نمكنك منهم ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** ، ويدل على ذلك إضافة على ما تقدَّم ما يلي :

أولاً : هذا القول يتعين إن كانت سورة الرعد سورة مدنية [٣] ، وقد سبق بيان أن السورة مكية إلا آيات منها [٤] ، أو تكون هذه الآية مدنية .

ثانياً : دلالة السِّياق القرآني [٥] : يمكن القول بأن هذه الآية من تباشير الظفر والنصر [٦] ، فلما وعد ﷻ رسوله ﷺ بأن يريه بعض ما وعده أو يتوفاه في الآية التي تسبقها وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ

---

(١) ينظر : تفسير القرطبي : ٩ / ٣٣٣ .
(٢) ينظر : أضواء البيان : ٤ / ١٥٧ . وسيتم شرح ذلك مفصَّلاً في الترجيح بإذن الله .
(٣) نص النحاس على مدنية سورة الرعد ، ينظر معانيه : ٣ / ٤٦٥ .
(٤) ينظر : إتقان السيوطي : ١ / ٤٢ .
(٥) ينظر : نظم الدرر : ٤ / ١٦٢ .
(٦) ينظر : الكشاف : ٢ / ٥٠٣ ، التفسير الكبير : ١٩ / ٥٤ ، تفسير النسفي : ٢ / ٢٢١ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ١٦٦ ، تفسير ابن عادل : ١١ / ٣٢٢ ، التحرير والتنوير : ١٣ / ١٧١ .

وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴾ . [سورة الرعد : ٤٠] . وأن عليه البلاغ ، طيب نفسه ﷺ بما ذكر من طلوع تباشير الظفر ، وأن انتقاص أرض الكفار وازدياد قوة المسلمين من أقوى العلامات على أنه تعالى ينجز وعده ، فالسِّياق أظهر أن الله قادر على الجزاء لمن أراد .

ثالثاً : القرينة القرآنية في نظير هذه الآية وهي قوله تعالى : ﴿ ... أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ ۚ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ . [سورة الأنبياء : ٤٤] .

فمعنى ﴿ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ ﴾ هنا أي : ننقص أرض الكفر ودار الحرب ، ونحذف أطرافها بتسليط المسلمين عليها وإظهارهم على أهلها ، وردها دار إسلام ﷺ بدليل القرينة الدالة على هذا المعنى ، وهي قوله بعده : ﴿ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ والاستفهام لإنكار غلبتهم . وقيل : لتقريرهم بأنهم مغلوبون لا غالبون ، فقوله : ﴿ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ دليل على أن نقص الأرض من أطرافها سبب لغلبة المسلمين للكفار ، وذلك إنما يحصل بالمعنى المذكور [١] .

ويؤيد ذلك **القاعدة الترجيحية** التالية :

القول الذي تؤيده قرائن في السِّياق مرجح على ما خالفه [٢] .

رابعاً : نظير آية سورة الرعد أيضاً قوله تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلْأَفَاقِ ... ﴾ . [سورة فصلت : ٥٣] . [٣]

خامساً : قد حسَّن **ابن عبد البرِّ** (قول الحسن) وتفسيره للآية وهو : ظهور المسلمين على المشركين ، وكذلك تلقى أهل العلم (تفسير عطاء) لنقصان الأرض من أطرافها بموت علمائها وفقهائها ؛ ولكن السَّلف لا يذكرون قول عطاء تفسيراً للآية على أنه المراد منها ، وإنما يذكرونه تهويلاً لخطب موت العلماء فهم من أسباب صلاح الأمة وكمالها ، وموهم نقص لها وخرابها [٤] .

---

(١) أضواء البيان : ٤ / ١٥٧ . بتصرف يسير .

(٢) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ٢ / ٢٩٩ .

(٣) ينظر : الكشاف : ٢ / ٥٠٣ ، التفسير الكبير : ١٩ / ٥٤ ، تفسير القاسمي : ٩ / ٢٧٥ .

(٤) ينظر : تفسير القاسمي : ٩ / ٢٧٥ ، ٢٧٦ .

كما قال الشاعر [١] :

الأرض تحيا إذا ما عاش عالمـها متى يمت عالم منها يمت طرف

كالأرض تحيا إذا ما الغيث حل بها وإن أبى عاد في أكنافها التلف

ولذا قال **الأزهري** : " وأطرافُ الأرض : نواحيها ، الواحد طَرَف ، ومنه قول الله ﷻ : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ... ﴾ . [آية : ٤١] . أي : من نواحيها ناحيةً ناحيةً ، وهذا على من فسّر نقصَها من أطرافها فتوح الأرضين . وأما من جعل نقصَها من أطرافها موتَ علمائها فهو من غير هذا ، والتفسير على القول الأول " . اهـ [٢] .

✌ **وهذا الترجيح يكون في عصر هؤلاء المفسرين الأخيار ؛ وقد كانوا يرون عز الإسلام وفتوحات المسلمين توغل في أرض الكفار وتفتح بلاد المشرق والمغرب ..**

✌ **أما في عصرنا هذا عصر اندحار قوة المسلمين – مع الأسف الشديد – ؛ وعصر الاكتشافات وعصر العلم ؛ فالمراد بنقصان الأرض من أطرافها هو نقصان طرفيها عند القطبين** ؛ وذلك لما يلي :

أولاً : توصل علماء الفلك من أن الكرة الأرضية تفلطحت عند القطبين وانبعجت عند خط الاستواء نتيجة سرعة دورانها حول نفسها التي تبلغ سرعتها نحو ألف ميل في الساعة وأن جزئيات من الغازات والعناصر المحيطة بوسط الكرة الارضية تنطلق بقوة الطرد المركزية إلى الخارج حول خط الاستواء مما يساعد على الانبعاج ، أي : **زيادة في شكلها عند خط الاستواء ونقص في طرفي القطبين** [٣] ، وأن هذا هو تفسير قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا

---

(١) نسب ابن عساكر هذين البيتين لأحمد بن غزال . ينظر : تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل لعلي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر (ت ٥٧١ هـ) (في ترجمة عبد الواحد بن عبد العزيز أبو القاسم المصري الواعظ : ٣٧ / ٢٥٦ .

(٢) ينظر : تهذيب اللغة للأزهري (مادة : طرف) : ١٣ / ٢١٩ .

والأزهري هو : محمد بن أحمد بن الأزهر ، أبو منصور الأزهري ، اللغوي الأديب الفقيه الورع العابد، كان شافعي المذهب ، منافحاً عنه ، إلا أنه غلب عليه علم اللغة فصنف فيه وأبدع ، ت سنة ٣٧٠هـ . ينظر : معجم الأدباء : ٥ / ١١٢ ، ١٣ ، العبر في خبر من غبر : ٢ / ٣٦٢ ، ٣٦٣ ، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة : ١ / ١٤٤ .

(٣) للمزيد ينظر : موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسُّنة ، إنقاص الأرض من أطرافها للدكتور زغلول النجار =

نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ... ﴾ وأنه من الإعجاز العلمي للقرآن الكريم الذي أنزل من قبل ألف وأربعمائة سنة ، هذه الإشارة العلمية الدقيقة إلى حقيقة إنقاص الأرض من أطرافها ، وهي حقيقة لم يدرك الإنسان شيئاً من دلالاتها العلمية إلا منذ عقود قليلة ، لتظل الآيات الكونية شاهدة باستمرار على أنه كلام الله الخالق ، وشاهدة للنبي الخاتم والرسول الخاتم الذي تلقاه بأنه ﷺ كان موصولاً بالوحي .

ثانياً : الآية الكريمة تدعونا **للنظر** ، والرؤية هنا رؤية ليست بصرية ولكن علمية .. فأين نحن اليوم من رؤية فتوح الأرضين وانتصارات الإسلام ؟! والقرآن صالح لكل زمان ومكان ، **ولذا نرجح تفسير الآية اليوم بما ثبت علمياً من حقيقة إنقاص الأرض من أطرافها .**

ثالثاً : كما أن تخصيص الأرض في قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ... ﴾ . بأنها أرض الكفار لا دليل عليه .

رابعاً : **السِّياق القرآني** : يدل سياق الآية على أنها تهديد للكفار ؛ فهو القادر على أن يميتهم ثم يحييهم للثواب والعقاب .

هذا التفسير العلمي لنقصان الأرض أوفق ؛ تنتظم معه كل العصور والأزمان ، فهو كتاب الله ، وخير مفسر للقرآن هو الزمن وأحداث الزمن ؛ فهو صالح لجميع البشر في كل العصور إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وفيه الإشارة إلى حقائق الكون والكائنات وحقائق العلم ، وتفسير جماعة معينة حسب حدود علمهم عرضة للأخذ والرد .

والله تعالى أعلم بالصواب .

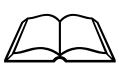

= القرآن وإعجازه العلمي لمحمد إسماعيل إبراهيم : ٨٠ ، ٨١ ، مجلة البحوث الإسلامية الصادرة عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء : ٢٦ / ١٩٣ .

سورة إبراهيم ـــــــ

ودليلهم :

١. ما روي عن ابن عباس ﷺ عن أبي بن كعب ﷺ عن النبي ﷺ في قوله تبارك وتعالى : ﴿ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّـٰمِ ٱللَّهِ ﴾ قال : « بنعم الله تبارك وتعالى » [٣] .

٢. قالوا : قد وجدنا لتسمية النعم بالأيام شاهداً في كلام العرب ، واستشهدوا لذلك بقول الشاعر [٤] :

وأيام لنا غُرٍّ طِوالٍ عصينا المَلْك فيها أن نَدِينا

وقالوا : فقد يكون إنما جعلها (غراً طوالاً) لإنعامهم على الناس فيها ، وقد يكون تسميتها (غراً) لعلوهم على الملك وامتناعهم منه ، فأيامهم غر لهم وطوال على أعدائهم [٥] .

✖ وردَّ عليه :

بأنه ليس للذي قال هذا القول من أن في هذا البيت دليلاً على أن الأيام معناها النعم وجه ؛ لأن الشاعر إنما وصف ما وصف من الأيام بأنها غر لعز عشيرته فيها ، وامتناعهم على الملك من الإذعان له بالطاعة ، وذلك كقول الناس : ما كان لفلان قط يوم أبيض . يعنون بذلك أنه لم يكن له يوم مذكور بخير ، وأما وصفه إيَّاها بالطول فإنها لا توصف بالطـــول إلاَّ في حال شدة ؛ كما قـال **النابغـــة الذبياني** :

= والماوردي (٣ / ١٢٢) ، والثعلبي (٥ / ٣٠٥) ، والبغوي (٣ / ٢٦) ، وابن الجوزي (٤ / ٣٤٦) ، والخازن (٤ / ٣٣) ، وابن كثير (٢ / ٥٢٤) ، وأبو حيان (٥ / ٣٩٥) ، وابن عادل الحنبلي (١١ / ٣٤١) ، والسيوطي (٥ / ٦) ، والشوكاني (٣ / ٩٤) ، والآلوسي (١٣ / ١٨٨) .

(١) نسبه إليه من المفسرين في تفاسيرهم : ابن جرير (١٣ / ١٨٣ - ١٨٥) ، والماوردي (٣ / ١٢٢) ، والثعلبي (٥ / ٣٠٥) ، والبغوي (٣ / ٢٦) ، وابن الجوزي (٤ / ٣٤٦) ، والخازن (٤ / ٣٣) ، وابن كثير (٢ / ٥٢٤) ، وأبو حيان (٥ / ٣٩٥) ، وابن عادل الحنبلي (١١ / ٣٤١) .

(٢) ينظر : الجلالين : ٣٣٠ .

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده في حديث ابن عباس ﷺ عن أبي بن كعب ﷺ (٢١١٦٦) : ٥ / ١٢٢ . **قال الشيخ شعيب الأرناؤوط : حديث صحيح ، وهذا إسناد ضعيف .**

(٤) هو عمرو بن كلثوم ، ينظر : معلقته في جمهرة أشعار العرب لأبي زيد ، محمد بن أبي الخطاب القرشي (ت ١٧٠ هـ) : ١١٩ .

(٥) ينظر : النكت والعيون : ٣ / ١٢٢ ، الدر المصون : ٤ / ٢٥١ ، ٢٥٢ .

كليني لهمٍ ، يا أميمةَ ، ناصبِ وليلٍ أقاسيهِ ، بطيءِ الكواكبِ [١]

فإنما وصفها الشاعر بالطول لشدة مكروهها على أعداء قومه [٢] .

القول الثاني : أنها **وقائع الله** في الأمم قبلهم ، كما وقع على قوم نوح وعاد وثمود ، ومنه أيام العرب لحروبها وملاحمها ، كيوم ذى قار ، ويوم الفجار ، قاله ابن عباس ﷺ [٣] أيضاً ، وابن زيد [٤] وغيرهما ، ومقاتل [٥] ، **واستظهره** غير واحد من المفسرين [٦] .

واستدل له من اللغة [٧] :

قَالَ **ابنُ السِّكِّيت** [٨] : العَرَبُ تَقُولُ : الأَيَّام في معنَى الوَقَائِعِ ، يقُولُونَ : هُوَ عَالِمٌ بَأَيَّامِ العَرَب ، أَيْ : وَقَائِعِهَا ، وَقَالَ شَمِرٌ : إِنَّمَا خَصُّوا الأَيَّامَ بالوَقَائِعِ دُونَ ذِكْرِ اللَّيَالِي ؛ لأَنَّ حُرُوبَهُمْ كَانَتْ نَهَارًا ، وإِذَا كَانَتْ لَيلاً ذَكَرُوهَا كَقَوْلِهِ :

لَيْلَةَ العُرْقُوبِ حَتَّى غَامَرَتْ جَعْفَرٌ يُدْعَى وَرَهْطُ ابْنِ شَكَلْ [٩]

وربما عبر العرب عن الشدة باليوم ، يقال : يوم أيوم ، كما يقال : ليلة ليلاء .

---

(١) ينظر : ديوان النابغة الذبياني : ١ .
والنابغة الذبياني هو : زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني الغطفاني المضري ، أبو أمامة : شاعر جاهلي ، من الطبقة الأولى . ت نحو ١٨ قبل الهجرة . ينظر : طبقات فحول الشعراء : ١ / ٥١ ، الأغاني : ١٠ / ٥ ، جمهرة أنساب العرب : ١ / ٢٥٣ .

(٢) ينظر : تفسير الطبري : ١٣ / ١٨٣ . بتصرف يسير .

(٣) نسبه إليه من المفسرين في تفاسيرهم : أبو حيان (٥ / ٣٩٥) ، والآلوسي (١٣ / ١٨٨) .

(٤) نسبه إليه من المفسرين في تفاسيرهم : الماوردي (٣ / ١٢٢) ، وابن الجوزي (٤ / ٣٤٦) ، وأبو حيان (٥ / ٣٩٥) ، والآلوسي (١٣ / ١٨٨) .

(٥) ينظر تفسيره : ٢ / ١٨٣ .

(٦) منهم : الزمخشري ، والبيضاوي ، والنسفي (واحتمل القول الأول أيضاً) ، والقاسمي . ينظر : الكشاف : ٢ / ٥٠٨ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٣٣٨ ، تفسير النسفي : ٢ / ٢٢٣ ، تفسير القاسمي : ١٠ / ٨ .

(٧) ينظر (مادة : وقع) في : تهذيب اللغة للأزهري : ١٥ / ٤٦٣ ، لسان العرب لابن منظور : ١٢ / ٦٥١ ، تاج العروس للزبيدي : ٣٤ / ١٤٥ .

(٨) **ابن السِّكِّيت** هو : يعقوب بن إسحاق ، أبو يوسف ، ابن السِّكيت البغدادي النحوي : إمام في اللغة والأدب . من كتبه : إصلاح المنطق ، مات ببغداد سنة ٢٤٤هـ . ينظر : الفهرست : ١ / ١٠٧ ، وفيات الأعيان : ٦ / ٣٩٥ ، السِّير : ١٢ / ١٦ .

(٩) البيت للبيد بن ربيعة العامري ، ينظر ديوانه : ٨٥ .

ولذا استظهره الزمخشري [١] للغلبة العرفية ، وأن العرب استعملته للوقائع .

القول الثالث : أنها **نعماؤه وبلاؤه** ، قاله ابن عباس [٢] ﷺ أيضاً ، وذهب إليه الزَّجَّاج [٣] ، والفَرَّاء [٤] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٥] ، ووافقه **ابن القيم** [٦] ، **وجماعة** **وجماعة** المفسرين [٧] .

والمعنى : عظهم بالترغيب والترهيب والوعد والوعيد [٨] ، والترغيب والوعد : أن يذكرهم ما أنعم الله عليهم وعلى من قبلهم ممن آمن بالرسل في سائر ما سلف من الأيام ، والترهيب والوعيد : أن يذكرهم بأس الله وعذابه وانتقامه ممن كذب الرسل ممن سلف من الأمم فيما سلف من الأيام ، مثل ما نزل بعاد وثمود وغيرهم من العذاب ، ليرغبوا في الوعد فيصدقوا ويحذروا من الوعيد فيتركوا التكذيب ، واجتزأ عنها بذكر الأيام عنها لأنها كانت معلومة عندهم .

---

(١) ينظر : الكشاف : ٢ / ٥٠٨ .

(٢) نسبه إليه من المفسرين في تفاسيرهم : الزمخشري (٢ / ٥٠٨) ، والنيسابوري (٤ / ١٧٣) . وينظر : تنوير المقباس : ٢١١ .

(٣) ينظر معانيه : ٣ / ١٥٥ .

(٤) ينظر معانيه : ٢ / ٥٨ . وعبارته : " وهو في المعنى كقولك : خذهم بالشدّة واللين " .

(٥) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٣٨ .

(٦) ينظر : مدارج السالكين لابن القيِّم : ١ / ٤٤٩ .

وابن القيِّم هو : محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي ، الحنبلي ، أبو عبد الله ، شمس الدين : الفقيه بل المجتهد المطلق ، المفسر النحوي ، الأصولي ، المتكلم ، الشهير بابن قيِّم الجوزية ، ألف تصانيف كثيرة منها : إعلام الموقعين ، والفوائد ، ومدارج السالكين وغير ذلك . ت سنة ٧٥١ هـ . ينظر : البداية والنهاية : ١٤ / ٢٣٤ ، الدرر الكامنة : ٥ / ١٣٧ ، النجوم الزاهرة : ١٠ / ٢٤٩ .

(٧) في تفاسيرهم ، منهم : الطبري (١٣ / ١٨٢) ، وابن أبي زمنين (٢ / ٣٦٢) ، والواحدي (١ / ٥٧٨) ، والبغوي (٣ / ٢٦) ، وابن عطية (٣ / ٣٢٤) ، والفخر الرازي (١٩ / ٦٦) ، والعز بن عبد السلام (٢ / ١٥٩) ، والخازن (٤ / ٣٣) ، وأبو حيان (٥ / ٣٩٥) ، والسمين الحلبي (٤ / ٢٥١ ، ٢٥٢) ، والبقاعي (٤ / ١٧٠) ، وابن عادل (١١ / ٣٤١) ، وأبو السعود (٥ / ٣٣) ، والخطيب الشربيني (٢ / ١٩١) ، والآلوسي (١٣ / ١٨٨) ، والسعدي (٤٢٢) ، وسيد قطب (٤ / ٢٠٨٨) ، والطاهر بن عاشور (١٣ / ١٩٠) ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي (٧ / ٥١٧ ، ٥١٨) .

(٨) ينظر : التفسير الكبير : ١٩ / ٦٦ ، تفسير الخازن : ٤ / ٣٣ ، تفسير ابن عادل : ١١ / ٣٤١ ، السراج المنير : ٢ / ١٩١ .

ودليلهم :

ما رواه **الإمام مسلم** [١] عن أُبَيُّ بن كَعْب ﷺ قال سمعت رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقول : « أنه بَيْنَمَا مُوسَى عليه السلام فِي قَوْمِهِ يُذَكِّرُهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ ، وَأَيَّامُ اللَّهِ نَعْمَاؤُهُ وَبَلَاؤُهُ .... » [٢] .

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن الرَّاجح هو القول الثالث ، فأيام الله تعمُّ النعم والنقم ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** ، ويدل على ذلك إضافة على ما تقدَّم ما يلي :

أولاً : صحة الحديث المستدل به لهذا القول والذي أخرجه **الإمام مسلم** في صحيحه ، ويقدم على الحديث المستدل به للقول الأول والذي أخرجه **الإمام أحمد** [٣] في مسنده ؛ فمعناه صحيح لكن إسناده ضعيف ؛ كما ذُكر .

ثانياً : الحديث المستدل به للقول الأول صحيح ، وإن صحَّ الحديث فعليه الفتوى ، لكن الآية هنا بصدد الاعتبار من التذكير بكل من السراء والضراء مما جرى عليهم وعلى غيرهم حسبما يتلى بعد ، وهو يبعد صحة الحديث [٤] .

ثالثاً : لفظة (الأيام) تعم المعنيين (النعم والنقم) لأن التذكير يقع بالوجهين جميعاً [٥] .

---

(١) **الإمام مسلم** هو : مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيرى النيسابوري ، أبو الحسين : حافظ ، من أئمة المحدثين . ولد بنيسابور ، ورحل إلى الحجاز ومصر والشام والعراق ، وتوفي بظاهر نيسابور . أشهر كتبه : صحيح مسلم ، جمع فيه اثني عشر ألف حديث ، كتبها في خمسة عشر سنة ، وهو أحد الصحيحين المعول عليهما عند أهل السُّنة في الحديث ، وقد شرحه كثيرون . ت سنة ٢٦١ هـ . ينظر : تاريخ بغداد : ١٣ / ١٠٠ – ١٠٣ ، تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر : ٥٨ / ٨٥ – ٩٥ ، المنتظم : ١٢ / ١٧١ .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الفضائل ، باب من فضائل الخضر عليه السلام (٢٣٨٠) : ٤ / ١٨٥٠ .

(٣) **الإمام أحمد بن حنبل** هو : أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني ، أبو عبد الله المروزي البغدادي ، إمام أهل السُّنة والجماعة ، وإمام أهل الحديث في زمانه، امتحن بخلق القرآن فثبت ، صاحب المناقب والفضائل ، ت سنة ٢٤١ هـ . ينظر : الحلية : ٩ / ١٦١ – ٢٣٣ ، الوافي بالوفيات : ٦ / ٢٢٥ – ٢٢٨ ، السِّير : ١١ / ١٧٧ – ٣٥٨ .

(٤) ينظر : روح المعاني : ١٣ / ١٨٨ .

(٥) ينظر : المحرر الوجيز : ٣ / ٣٢٤ ، البحر المحيط لأبي حيان : ٥ / ٣٩٥ .

رابعاً : التفسير بواقع الحال : وذلك أن أيام الله في حق موسى عليه السلام منها ما كان أيام المحنة والبلاء ؛ وهي الأيام التي كانت بنو إسرائيل فيها تحت قهر فرعون ، ومنها ما كان أيام الراحة والنعماء ، مثل : إنزال المن والسلوى ، وانفلاق البحر ، وتظليل الغمام [١] .

خامساً : القرينة القرآنية :

وهي قوله تعالى في ختام الآية : ﴿ ... إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ وصبار ، وشكور ، صفتا مبالغة ، وهما مشعرتان بأنّ أيام الله المراد بهما بلاؤه ونعماؤه ، أي : صبار على بلائه ، شكور لنعمائه . فإذا سمع بما أنزل الله من البلاء على الأمم ، أو بما أفاض عليهم من النعم ، تنبه على ما يجب عليه من الصبر إذا أصابه بلاء ، من والشكر إذا أصابته نعماء [٢] .

سادساً : هذا القول تؤيده **القاعدة الترجيحية** التالية :

- **القول الذي تؤيده قرائن في السِّياق مرجح على ما خالفه** [٣] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) ينظر : التفسير الكبير : ١٩ / ٦٦ ، ٦٧ .

(٢) ينظر : البحر المحيط لأبي حيان : ٥ / ٣٩٥ ، التحرير والتنوير : ١٣ / ١٩٠ ، ١٩١ .

(٣) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ٢ / ٢٩٩ .

قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾ . [آية : ٧] .

مسألة : في المراد بقوله تعالى : ﴿ وَلَئِن كَفَرْتُمْ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجح ابن جُزيّ أن المراد بقوله تعالى : ﴿ وَلَئِن كَفَرْتُمْ ﴾ كفر النعم ؛ فقال : ((يحتمل أن يريد كفر النعم أو الكفر بالإيمان ، **والأول أرجح** لمقابلته بالشكر)) . اهـ [١] .

الدراسة :

اختلف **المفسرون في المراد بالكفر** [٢] هنا على قولين :

القول الأول : المراد **كفران النعم** ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٣] ، ووافقه جماعة المفسرين [٤] .

---

(١) التسهيل : ٢ / ١٣٨ .

(٢) **الكُفْرُ في اللغة** ، بالضَّمِّ : **ضِدُّ الإيمان** ، ويُفتَحُ ، وأَصلُ الكُفْرِ من الكَفْرِ بالفتح مَصدَر كَفَرَ بمعنى السَّتْر ، كالكُفور والكُفران بضَمِّهما ، والكُفْرُ : **كفر النعمة** ، وهو نقيض الشكر . ووصف الليل بالكافر لستره الأشخاص ، والزراع لستره البذر في الأرض ، وكفر النعمة وكفرانها سترها بترك أداء شكرها ، قال تعالى : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ ... ﴾ . [سورة الأنبياء : ٩٤] . والكافر على الإطلاق متعارف فيمن يجحد الوحدانية أو النبوة أو الشريعة أو ثلاثتها ، وقد يقال كفر لمن أخل بالشريعة وترك ما لزمه من شر الله عليه ، ومن ذلك سمي الكافر كافرا لأنه ستر نعم الله ﷻ . قال الأزهري : ونعمه آياته الدالة على توحيده ، والنعم التي سترها الكافر هي الآيات التي أبانت لذوي التمييز أن خالقها واحد لا شريك له وكذلك إرساله الرسل بالآيات المعجزة والكتب المترلة والبراهين الواضحة نعمة منه ظاهرة ، فمن لم يصدق بها وردها فقد كفر نعمة الله أي سترها وحجبها عن نفسه . والكفران في جحود النعمة أكثر استعمالا ، والكفر في الدين أكثر ، والكفور فيهما جميعا . ولما كان الكفران يقتضي جحود النعمة صار يستعمل في الجحود ، قال : ﴿ ... وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ ... ﴾ . [سورة البقرة : ٤١] . أي جاحد له وساتر ، والكفور المبالغ في كفران النعمة وقوله : ﴿ ... إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ ﴾ . [سورة الحج : ٦٦] . والكفار في جمع الكافر المضاد للإيمان أكثر استعمالاً كقوله : ﴿ ... أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ ... ﴾ . [سورة الفتح : ٢٩] . وقوله في نفس الآية : ﴿ ... لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ... ﴾ . والكفرة في جمع كافر النعمة أشد استعمالاً ، كما في قوله تعالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴾ . [سورة عبس : ٤٢] . ينظر (مادة : كفر) في : مفردات الرَّاغب : ٤٣٣ - ٤٣٥ ، لسان العرب لابن منظور : ٥ / ١٤٤ - ١٤٧ ، تاج العروس للزبيدي : ١٤ / ٥٠ - ٥٣ .

(٣) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٣٨ .

(٤) منهم : الطبري (١٣ / ١٨٦) ، والثعلبي (٥ / ٣٠٦) ، والقشيري (٢ / ١١٧) ، والبغوي (٣ / ٢٧) =

لأن الكفر هنا مذكور في مقابلة الشكر [١] .

ووجه كون كفران النعم [٢] سبباً للعذاب : أنه لا يحصل الكفران إلاَّ عند الجهل بكون تلك النعمة من الله تعالى ، والجاهل بذلك جاهل بالله تعالى ، والجهل به سبحانه من أعظم أنواع العذاب [٣] .

القول الثاني : المراد الكفر بالإيمان ، قاله مقاتل [٤] ، والواحدي [٥] ، والقرطبي [٦] .

واحتمل **ابن عطية** و**الثعالبي** [٧] القولين .

قال **ابن عطية** :

" ومما يقضي بأن الشكر متضمن الإيمان أنه عادله بالكفر " . اهـ [٨] .

لكن بالرجوع للمعنى اللغوي للكفر ؛ فالكفر نقيض الإيمان ؛ لكنه يراد به أيضاً كفر النعمة وهو الأرجح لمقابلته الشكر كما ذكرنا .

= والزمخشري (٢ / ٥٠٩) ، والفخر الرازي (١٩ / ٦٨) ، والبيضاوي (٣ / ٣٣٩) ، والنسفي (٢ / ٢٢٤) ، والخازن (٤ / ٣٤) ، والنيسابوري (٤ / ١٧٣) ، وابن كثير (٢ / ٥٢٤) ، وأبو حيان (٥ / ٣٩٦) ، والبقاعي (٤ / ١٧٢) ، وابن عادل (١١ / ٣٤٣) ، والجلالين (٣٣٠) ، وأبو السعود (٥ / ٣٥) ، والخطيب الشربيني (٢ / ١٩٢) ، والشوكاني (٣ / ٩٤) ، والآلوسي (١٣ / ١٩١) ، والسعدي (٤٢٢) ، وسيد قطب (٤ / ٢٠٨٩) ، والطاهر بن عاشور (١٣ / ١٩٤) ، وطنطاوي (٢٤٠٨) .

(١) ينظر : التفسير الكبير : ١٩ / ٦٨ ، تفسير الخازن : ٤ / ٣٤ ، التسهيل : ٢ / ١٣٨ ، البحر المحيط : ٥ / ٣٩٦ روح المعاني : ١٣ / ١٩١ .

(٢) قال سيد قطب : " والكفر بنعمة الله قد يكون بعدم شكرها . أو بإنكار أن الله واهبها ، ونسبتها إلى العلم والخبرة والكد الشخصي والسعي ! كأن هذه الطاقات ليست نعمة من نعم الله ! وقد يكون بسوء استخدامها بالبطر والكبر على الناس واستغلالها للشهوات والفساد . وكله كفر بنعمة الله .. " . اهـ . الظلال : ٤ / ٢٠٨٩ . وقال الحرالي قبله : " شكر كل نعمة إظهارها على حدها من جاه أو مال أو علم أو طعام أو شراب أو غيره وإنفاق فضلها والقناعة منها بالأدنى " . اهـ . ينظر : فيض القدير شرح الجامع الصغير لعبد الرؤوف المناوي (ت ١٠٣١ هـ) : ٦ / ١٦ .

(٣) ينظر : التفسير الكبير : ١٩ / ٦٨ ، روح المعاني : ١٣ / ١٩١ .

(٤) ينظر تفسيره : ٢ / ١٨٤ .

(٥) ينظر تفسيره : ١ / ٥٧٨ .

(٦) ينظر تفسيره : ٩ / ٣٤٣ .

(٧) ينظر : المحرر الوجيز : ٣ / ٣٢٤ ، تفسير الثعالبي : ٣ / ٣٧٥ .

(٨) المحرر الوجيز : ٣ / ٣٢٤ .

سورة إبراهيم ـــــــ

قوله تعالى : ﴿ ۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴾ . [آية : ١٠] .

في الآية الكريمة مسألتان :

المسألة الأولى: في المراد بقوله تعالى : ﴿ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجح ابن جُزيّ أن المراد بقوله تعالى : ﴿ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ ﴾ أفي وجود الله شك ، أو في إلهيته شك ؛ فقال :

((المعنى أفي وجود الله شك ، أو في إلهيته شك ، وقيل : في وحدانيته)) . اهـ [١] .

الدراسة :

في قوله تعالى : **﴿ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ ﴾ مقدر فيه ضمير ، واختلف المفسرون في تقديره** على قولين :

القول الأول : أفي وجود الله شك أو في إلهيته شك ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ [٢] ، ووافقه غير واحد من المفسرين [٣] .

القول الثاني : أفي وحدانيته شك [٤] للدلائل الظاهرة عليه ، قاله ابن عباس ﷺ [٥] ،

---

(١) التسهيل : ٢ / ١٣٨ .

(٢) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٣٨ .

(٣) منهم : الطبري ، وابن عطية ، والنيسابوري . ينظر : تفسير الطبري : ١٣ / ١٩٠ ، المحرر الوجيز : ٣ / ٣٢٧ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ١٧٥ .

(٤) قال ابن عطية : " وقال أبو علي الفارسي تقديره : أفي وحدانية الله شك . وزعم بعض الناس أن أبا علي إنما فزع إلى هذه العبارة حفظاً للاعتزال ، وزوالاً عما تحتمله لفظة الألوهية من الصفات بحسب عمومها ، ولفظة الوحدانية مخلصة من هذا الاحتمال " . اهـ . ينظر : المحرر الوجيز : ٢ / ٣٢٧ .

(٥) ينظر : تنوير المقباس : ٢١١ .

ومقاتل [١] ، وجماعة من المفسرين [٢] .

واحتمل القرطبي **وجهاً ثالثاً** : أفي **قدرة الله** شك ؛ لأنهم متفقون عليها ومختلفون فيما عداها يدل عليه قوله : ﴿ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ خالقها ، ومخترعها ، ومنشئها وموجدها بعد العدم ؛ لينبه على قدرته فلا تجوز العبادة إلا له [٣] .

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – أن **المقدر في قوله تعالى : ﴿ أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ ﴾ : أفي وجوده ووحدانيته والإيمان به وحده شك** ، وهو يجمع بين القولين الأول والثاني ، قال بذلك جماعة من المفسرين [٤] .

فمراد الرسل تنزيهه ﷻ عن شائبة الشك ، وتسجيلاً على أقوامهم بسخافة العقول ، وهو سبحانه أظهر من كل ظاهر وأجلى من كل جلي حتى تكونوا من قبله في شك مريب فمقصد الرسل الأقصى الدعوة إلى الإيمان والتوحيد [٥] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) ينظر تفسيره : ١ / ٥٧٨ .

(٢) منهم : الواحدي ، وابن الجوزي ، والعز بن عبد السلام ، والقرطبي ، والخطيب الشربيني ، والجلالين المحلى والسيوطي . ينظر : تفسير الواحدي : ٢ / ١٨٥ ، زاد المسير : ٤ / ٣٥٠ ، تفسير العز بن عبد السلام : ٢ / ١٦١ ، تفسير القرطبي : ٩ / ٣٤٦ ، السراج المنير : ٢ / ١٩٣ ، تفسير الجلالين : ٣٣٠ .

(٣) ينظر : تفسير القرطبي : ٩ / ٣٤٦ .

(٤) منهم : أبو السعود ، والشوكاني ، والآلوسي ، والطاهر بن عاشور ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير أبي السعود : ٥ / ٣٦ ، فتح القدير : ٣ / ٩٧ ، روح المعاني : ١٣ / ١٩٥ ، التحرير والتنوير : ١٣ / ١٩٤ ، الوسيط : ٧ / ٥٢٨ .

(٥) ينظر : تفسير أبي السعود : ٥ / ٣٦ .

سورة إبراهيم ـــــــ

القول الثاني : أن يكون قولهم **إحالة لنبوة البشر** [١] .

أي : أن نبوة البشر **مستحيلة** .

وظاهر القول الثاني لا يقتضي أنهم أغمضوا هذا الإغماض ، فأقوام الرسل يعلمون أنهم أنبياء ولكنهم يكابرون .

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن الراجح هو القول الأول ، وأن يكون مراد قول الأقوام لرسلهم : ﴿ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا ﴾ استبعاداً لتفضيل بعض البشر على بعض بالنبوة ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** ، يدل على ذلك إضافة لما تقدم ، ولما يلي :

أولاً : كثرة القائلين به .

ثانياً : إن الكفرة طلبوا من رسلهم الإتيان بآية فقالوا : ﴿ فَأۡتُونَا بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ﴾ ولو كانت بعثتهم عندهم محالاً لما طلبوا منهم حجَّة [٢] .

ثالثاً : **القرينة القرآنية** : قول الرسل لأقوامهم في الآية التي بعدها : ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ ... ﴾ . [سورة إبراهيم عليه السلام : ١١] . أي : بالتفضيل والنبوة [٣] .

- ويحتمل أن طلبهم منهم السلطان إنما هو على جهة التعجيز ، أي : بعثتكم محال وإلا

= ينظر : الكشاف : ٢ / ٥١١ . وينظر : تفسير البيضاوي : ٣ / ٣٤١ . وقال الآلوسي : " والزمخشري تمالك في مذهبه حتى اعتقد أن الكفار كانوا يعتقدون تفضيل الملك " . اهـ . ينظر : روح المعاني : ١٣ / ١٩٧ . وينظر قبله السراج المنير : ٢ / ١٩٤ . ولكننا نجد القرآن الكريم يقص لنا في غير موضع تفضيل الأقوام نزول الملائكة عليهم ولكن نزول الملائكة يقتضي نزول العذاب ، كما أنه لو أنزل ملكاً لأنزله على هيئة بشر ليستطيعوا أن يخاطبوه وأن يفهموه .

(١) قال بعض الناس : قد ذهبوا بذلك مذهب البراهمة ، أو من يقول من الفلاسفة أن الأجناس لا يقع فيها هذا القياس . ينظر : المحرر الوجيز : ٣ / ٣٢٨ ، التسهيل : ٢ / ١٣٩ ، البحر المحيط لأبي حيان : ٥ / ٣٩٩ .

(٢) ينظر : المحرر الوجيز : ٣ / ٣٢٨ . وينظر : البحر المحيط لأبي حيان : ٥ / ٣٩٩ .

(٣) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٣٩ .

﴿ فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴾ .

أي : إنكم لا تفعلون ذلك أبداً . فتقوى بهذا الاحتمال منحاهم إلى مذهب الفلاسفة [١] .

رابعاً : هذا القول تؤيده **القاعدة الترجيحية** التالية :

- **القول الذي تؤيده قرائن في السِّياق مرجح على ما خالفه** [٢] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

(١) ينظر : المحرر الوجيز : ٣ / ٣٢٨ ، البحر المحيط لأبي حيان : ٥ / ٣٩٩ .

(٢) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ٢ / ٢٩٩ .

سورة إبراهيم ـــــــ

الثِّقَةُ بِمَا عِنْد اللهِ تَعالَى وَاليَأْسُ مِمَّا في أَيْدِي النَّاسِ . وقد ذكر المفسرون في **تكرار الأمر بالتوكل** قولين :

القول الأول : الأمر الأول **بالتوكل في ورود الرسل على الله** ، والثاني في **دفع أذى الكفار** وشرورهم ؛ **وهو ما رجّحه ابن جُزيّ** (١) ، ووافقه الفخر الرازي ، وابن عادل (٢) من المفسرين .

القول الثاني : الأمر الأول **لاستحداث التوكل** ، والثاني **للسعي في إدامته** وإبقائه وثبوته قاله **الزمخشري** (٣) ، وجماعة من المفسرين (٤) .

الـترجيح :

يظهر لي – **والله** أعلم – **أن تكرار الأمر بالتوكل في دفع أذى الكفار** ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** وذلك لما يلي :

أولاً : قرينة السِّياق القرآني .

إن الأمر الثاني بالتوكل في قوله تعالى : ﴿ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ فهو راجع إلى قولهم : ﴿ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ﴾ في نفس الآية ؛ أي : نتوكل على الله في دفع أذاكم (٥) .

قال **القاسمي** : " وحيث كانت أذية الكفار مما يوجب القلق والاضطراب القادح في التوكل ولذا قالوا على سبيل التوكيد القسمي مظهرين لكمال العزيمة : ﴿ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ﴾ أي من الكلام السيء والأفعال السخيفة . وقوله : ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ

---

(١) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٣٩ .

(٢) ينظر : التفسير الكبير : ١٩ / ٧٨ ، تفسير ابن عادل : ١١ / ٣٥٤

(٣) ينظر : الكشاف : ٢ / ٥١١ .

(٤) منهم : البيضاوي ، والنسفي ، والخازن ، وأبو حيان ، وأبو السعود ، والخطيب الشربيني ، والآلوسي . ينظر : تفسير البيضاوي : ٣ / ٣٤١ ، تفسير النسفي : ٢ / ٢٢٦ ، تفسير الخازن : ٤ / ٣٥ ، البحر المحيط : ٥ / ٤٠٠ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ٣٨ ، السراج المنير : ٢ / ١٩٥ ، روح المعاني : ١٣ / ١٩٩ . وكذلك صاحب الكليات ، ينظر : كليات الكفوي : ٦٣٠ .

(٥) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٣٩ .

ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ فيه اهتمام بالتوكل عليه سبحانه ، لأن مقام الدعوة تقتضيه . ولذا أعيد ذكره " . اهـ [١] .

ثانياً : هذا القول تؤيده **القاعدة الترجيحية** التالية :

- **القول الذي تؤيده قرائن في السِّياق مرجح على ما خالفه** [٢] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) تفسير القاسمي : ١٠ / ١٧ .

والقاسمي هو : جمال الدين (أو محمد جمال الدين) بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي ، من سلالة الحسين السبط : إمام الشام في عصره علماً بالدِّين وتضلعاً في فنون الأدب ، اطلع له الزِّركلي على ٧٢ مصنفاً ، منها : دلائل التوحيد ، والفتوى في الإسلام ، ومحاسن التأويل . ت سنة ١٣٣٢ هـ . ينظر : الأعلام للزِّركلي : ٢ / ١٣٥ ، مقدمة محاسن التأويل ، للقاسمي .

(٢) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ٢ / ٢٩٩ .

قوله تعالى : ﴿ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ ﴾ . [آية : ١٦] .

مسألة : في معنى الوراء في قوله تعالى : ﴿ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجح ابن جُزيّ أن معنى الوراء ما يستقبل من الزمان ؛ فقال : ((والوراء هنا : بمعنى ما يستقبل من الزمان ، وقيل : معناه هنا أمامه ، **وهو بعيد**)) . اهـ [١] .

الدراسة :

اختلف أهل اللغة والمفسرون في **معنى (الوراء) هنا** على ثلاثة أقوال :

القول الأول : (**الوراء**) هنا على بابه : **بمعنى ما يستقبل من الزمان** ، قاله مقاتل [٢] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٣] ، ووافقه **السمين الحلبي** [٤] ، وجماعة من المفسرين [٥] .

ودليل هذا القول : إطلاق (**وراء**) بمعنى : بعد في القرآن ، وفي كلام العرب :

- **فمنه في القرآن** : قوله تعالى : ﴿ ... وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴾ [٦] . أي : من بعده [٧] .
- ومنه **في كلام العرب** : قول النابغة الذبياني [٨] :

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة وليس **وراء** الله للمرء مذهب

---

(١) التسهيل : ٢ / ١٣٩ .

(٢) ينظر تفسيره : ٢ / ١٨٦ .

(٣) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٣٩ .

(٤) ينظر : الدر المصون : ٤ / ٢٥٧ .

(٥) منهم : ابن أبي زمنين ، وابن عطية ، والقرطبي ، والشوكاني ، والقاسمي ، والطاهر بن عاشور . ينظر : تفسير ابن أبي زمنين : ٢ / ٣٦٥ ، المحرر الوجيز : ٣ / ٣٣٠ ، تفسير القرطبي : ٩ / ٣٥٠ ، فتح القدير : ٣ / ١٠٠ ، تفسير القاسمي : ١٠ / ١٩ ، التحرير والتنوير : ١٣ / ٢١٠ .

(٦) سورة إبراهيم عليه السلام : ١٧ .

(٧) ينظر : فتح القدير : ٣ / ١٠٠ .

(٨) ينظر ديوانه : ٦ .

أي : ليس بعد الله مذهب [١] .

قال **ابن عطية** : " وذلك أن التقدير في هذه الحوادث بالأمام والوراء **إنما هو بالزمان** ، وما تقدم فهو أمام ، وهو بين اليد ؛ كما تقول في التوراة والإنجيل : إنها بين يدي القرآن والقرآن وراءهما على هذا ، وما تأخر في الزمان فهو وراء المتقدم ، ومنه قولهم لولد الولد : الوراء . وهذا الجبار العنيد وجوده وكفره وأعماله في وقت ما ؛ ثم بعد ذلك في الزمان يأتيه أمر جهنم .

وتلخيص هذا : أن يشبه الزمان بطريق تأتي الحوادث من جهته الواحدة متتابعة ، فما تقدم فهو أمام ، وما تأخر فهو وراء المتقدم ، وكذلك قوله : ﴿ ... **وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا** ﴾ . [سورة الكهف : ٧٩] . أي : غصبه وتغلبه يأتي بعد حذرهم وتحفظهم " . اهـ [٢] .

القول الثاني : (**الوراء**) هنا بمعنى : **أمام** [٣] ، أي : أمامه جهنم وهو صائر إليها ، قاله ابن عباس ﷺ [٤] ، وذهب إليه النحاس [٥] ، والفَرَّاء [٦] ، و**الأخفش** [٧] .

---

(١) ينظر : فتح القدير : ٣ / ١٠٠ ، أضواء البيان : ٢ / ٢٤٥ .

(٢) المحرر الوجيز : ٣ / ٣٣٠ ، ٣٣١ .

(٣) وهو معنى قول الزمخشري وغيره : " من بين يديه ، وأنشد :

عسى الكرب الذي أمسيت فيه يكون وراءه فرج قريب

وهذا وصف حاله في الدنيا ، لأنه مرصد لجهنم ، فكأنها بين يديه وهو على شفيرها ، أو وصف حاله في الآخرة حين يبعث ويوقف " . ينظر : الكشاف : ٢ / ٥١٣ ، البحر المحيط لأبي حيان : ٥ / ٤٠١ .

(٤) ولفظه : " من قدام هذا الجبار بعد الموت " . ينظر : تنوير المقباس : ٢١٢ .

(٥) ينظر معانيه : ٣ / ٥٢٢ .

(٦) قال الفَرَّاء : ولا يجوز أن تقول لرجل وراءكَ : هو بين يديك ، ولا لرجل بين يديك : هو وراءك ، إنما يجوز ذلك فى المواقيت من الأيّام والليالى والدهر أن تقول : وراءك بَرْد شديد ، وبين يديك بَرْد شديد ؛ لأنك أنت وراءهُ فجاز لأنه شيء يأتى ، فكأنه إذا لحقك صَار من ورائِك ، وكأنك إذا بلغته صَار بين يديك . فلذلك جاز الوجهان . ينظر : معاني القرآن للفَرَّاء ، عند تفسير قوله تعالى :﴿ وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ ﴾ : ٢ / ١٣١ .

(٧) ينظر معانيه : ٢ / ٥٩٨ .

والأخفش هو : سعيد بن مسعدة المجاشعي البلخي ، أبو الحسن البصري ، **الأخفش الأوسط** ، إمام في النحو ، عالم باللغة والأدب ، وهو صاحب المعاني ، ت سنة ٢١٥ هـ ، وقيل غير ذلك . ينظر : المعارف : ٥٤٥ ، ٥٤٦ ، السِّير :١٠ / ٢٠٦ - ٢٠٨ ، البلغة : ١٠٤ ، ١٠٥ .

سورة إبراهيم ـــــــ

ومن ورائك يوم أنت بالغه لا حاضر معجز عنه ولا باد

فوراء بمعنى : أمام في الأبيات .

القول الثالث : الوراء **من الأضداد** لأن أحدهما ينقلب إلى الآخر ، **ويقع على الخلف والقدَّام** ، قاله جماعة من أهل اللغة [١] ، **والعز بن عبد السلام** [٢] .

وأنكره ثعلب والزَّجَّاج [٣] . قالوا : ليس الوراء من الأضداد كما يقول بعض أهل اللغة ، ولكنه اسم لما توارى عنك ؛ سواء كان أمامك أو خلفك .

أى : استتر فصارت جهنم من ورائه لأنها لا ترى [٤] .

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – أن **معنى (الوراء) هنا في قوله تعالى : ﴿ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ ﴾ يقع على ما يستقبل من الزمان وعلى الأمام جميعاً** ، فلكل من القولين أدلته من القرآن ومن كلام العرب ، ويدل على ذلك إضافة على ما تقدَّم ؛ ما يلي :

أولاً : أن كل ما يستقبل من الزمان فهو أمام الإنسان سواء كان قريباً أو بعيداً ، ولا يشترط أن يكون حاضرا أمامه في الزمن القريب ، **فلا داعي لتضعيف ابن جُزيّ**

---

(١) منهم : أبو عبيدة ، وابن السِّكيت ، وقطرب ، وابن دريد ، والأزهري ، وابن منظور . ينظر : مجاز القرآن : ١ / ٣٣٧ . وينظر (مادة : وراء) في كل من : جمهرة اللغة : ٢ / ١٠٦٩ ، تهذيب اللغة : ١٥ / ٢١٩ ، لسان العرب : ١ / ١٩٣ ، تاج العروس : ١ / ٤٨٧ .

(٢) ينظر تفسيره : ٢ / ١٦١ .

(٣) نسب هذا الإنكار إلى ثعلب : أبو حيان في البحر المحيط (٥ / ٤٠٢) ، والسمين الحلبي في الدر المصون (٤ / ٢٥٧) . – ولم أقف عليه في كتبه في حدود ما اطلعت – . وينظر : معاني القرآن وإعرابه للزَّجاج : ٣ / ١٥٧ .

وثعلب هو : أحمد بن يحيى بن يزيد الشيباني مولاهم البغدادي ، العلامة المحدث ، إمام النحو ، أبو العباس ، صاحب " الفصيح والتصانيف " ، ت سنة ٢٩١ هـ . ينظر : تذكرة الحفاظ للذهبي : ٢ / ٦٦٦ ، المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد لبرهان الدين إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد بن مفلح (ت ٨٨٤ هـ) : ١ / ٢٠٥ – ٢٠٨ ، طبقات الحفاظ للسيوطي : ٢٩٤ .

(٤) هذا قول النحاس والزَّجَّاج . ينظر : معاني القرآن للنحاس : ٣ / ٥٢٢ ، معاني القرآن وإعرابه للزجاج : ٣ / ١٥٧ . وينظر (مادة : وراء) في : لسان العرب لابن منظور : ١ / ١٩٣ تاج العروس للزبيدي : ١ / ٤٨٧ .

لـــ (**الأمام**) ؛ لأن ما يستقبل من الزمان يشمل أمامه أيضاً .

ثانياً : السِّياق القرآني : دلت الآية الكريمة على أن جهنم تنتظر هذا الجبار العنيد [(١)] ، وتترصد له ، بحيث لا يستطيع الفرار منها ، أو الهرب عنها ، إنه مشهد الخيبة لكل جبار عنيد في الدنيا ، وهو يقف هذا الموقف ، ومن ورائه تخايل جهنم وصورته فيها ، فالمراد من الآية التنبيه من الغفلة فجهنم تترصد لكل جبار عنيد .. وهذا يتماشى مع كلا المعنيين للوراء [(٢)] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) والذي جاء ذكره في الآية قبلها ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَٱسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴾ . [سورة إبراهيم عليه السلام : ١٥] .

(٢) ينظر : الظلال لسيِّد قطب : ٤ / ٢٠٩٣ ، التحرير والتنوير لابن عاشور : ١٣ / ٢١٠ ، الوسيط لمحمَّد سيِّد طنطاوي : ٧ / ٥٣٧ .

سورة إبراهيم ـــــــ

القول الثاني : معنى برزوا : أي صاروا بالبُراز ، وهي الأرض المتسعة ، وهو المكان الذي ليس فيه شيء يستر أحداً ، قاله غير واحد من المفسرين [١] . [٢]

قال أهل اللغة [٣] : يقال للمكان الفضاء من الأرض البعيد الواسع : البُراز – وقيل بالفتح أيضاً – لظهوره .

القول الثالث : المعنى : بروزهم لله ، والله تعالى لا يتوارى عنه شيء حتى يبرز أنهم كانوا يستترون من العيون عند ارتكاب الفواحش ، ويظنون أنّ ذلك خاف على الله ، فإذا كان يوم القيامة انكشفوا لله عند أنفسهم ، وعلموا أن الله لا تخفى عليه خافية برزوا أو لم يبرزوا قاله غير واحد من المفسرين [٤] .

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – أن **معنى قوله تعالى : ﴿ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ﴾ يحتمل الأقوال الثلاثة** ؛ قاله **محمَّد سيِّد طنطاوي** [٥] ، فهي متلازمة يترتب بعضها على بعض ،

= تفسير القرطبي : ٩ / ٣٥٥ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٣٤٤ ، تفسير الخازن : ٤ / ٣٨ ، البحر المحيط : ٥ / ٤٠٦ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ٤١ ، فتح القدير : ٣ / ١٠٣ ، روح المعاني : ١٣ / ٢٠٥ ، التحرير والتنوير : ١٣ / ٢١٦ .

(١) منهم : ابن عطية ، وابن كثير ، والثعالبي . ينظر : المحرر الوجيز : ٣ / ١٠٣ ، تفسير ابن كثير : ٢ / ٥٢٨ ، تفسير الثعالبي : ٣ / ٣٧٩ .

(٢) قال أبو حيان : " وقال أبو عبد الله الرازي : تأويل الحكماء أنّ النفس إذا فارقت الجسد فكأنه زال الغطاء وبقيت متجردة بذاتها عارية عن كل ما سواها ، وذلك هو البروز لله تعالى . وهذا الرجل كثيراً ما يورد كلام الفلاسفة وهم مباينون لأهل الشرائع في تفسير كلام الله تعالى المنزل بلغة العرب ، والعرب لا تفهم شيئاً من مفاهيم أهل الفلسفة ، فتفسيرهم كاللغز والأحاجي ، ويسميهم هذا الرجل حكماء ، وهم من أجهل الكفرة بالله تعالى وبأنبيائه " . اهـ . ينظر : البحر المحيط : ٥ / ٤٠٦ .

(٣) ينظر (مادة : برز) في كل من : العين للخليل بن أحمد : ٧ / ٣٦٤ ، تهذيب اللغة للأزهري : ١٣ / ١٣٨ ، النهاية لابن الأثير : ١ / ١١٨ ، لسان العرب لابن منظور : ٥ / ٣٠٩ ، تاج العروس للزبيدي : ١٥ / ١٩ .

(٤) منهم : النيسابوري ، والبقاعي ، والشوكاني . ينظر : تفسير غرائب القرآن : ٤ / ١٨٧ ، نظم الدرر : ٤ / ١٨٠ ، فتح القدير : ٣ / ١٠٣ .

(٥) ينظر : الوسيط : ٧ / ٥٤٢ ، ٥٤٣ .

ومحمَّد سيِّد طنطاوي هو : شيخ الأزهر الشريف . وُلد الشيخ الدكتور محمد سيد طنطاوى بقرية سليم الشرقية مركز طما محافظة سوهاج ، عُين مدرسا بكلية أصول الدين ، ثم عميداً لكلية أصول الدين بأسيوط ، ثم عميداً لكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين ، ثم مفتياً لجمهورية مصر العربية ، ثم عُين شيخاً للأزهر الشريف في ٢٧ مارس ١٩٩٦ م . ينظر : موقع : أعلام وشخصيات مصرية .

فالبروز في اللغة : الظهور بعد الاستتار ، والخلق لم يكونوا عن الحقِّ ﷻ متسترين حتى يظهروا له ، **فيكون معنى البروز لله إما :**

١. صاروا بالبراز ، وهي الأرض المتسعة ، وهو المكان الذي ليس فيه شيء يستر أحداً واستعير ذلك لجمع يوم القيامة [١] . **وهذا المعنى تؤيده اللغة كما سبق وبيَّنت .**

٢. خروج الناس من قبورهم لحساب الله وحكمه [٢] . **وهذا المعنى يؤيده السِّياق القرآني** قال تعالى في تتمة الآية يحكي تخاصم الأتباع الضعفاء والمستكبرين القادة وأهل الرأي سواء في الموقف أو في النار [٣] . وهذا لن يكون إلا بعد خروج الناس من قبورهم : ﴿ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ ... ﴾ . [آية : ٢١] . مما يدل على أن بروزهم هذا يوم القيامة [٤] للحساب .

٣. الانكشاف عند الله تعالى [٥] ؛ فالخلق كانوا يستترون من الغير عند ارتكاب الفواحش ويظنون أن ذلك يخفى على الله تعالى فإذا كان يوم القيامة انكشفوا عند الله تعالى ، وعلموا أن الله لا يخفى عليه خافية ، فصاروا كأنهم ظهروا لله [٦] . [٧]

وذلك كما ذكره بعض أهل اللغة : أن البروز : الخروج من كل شيء يواري في براز من الأرض ، وهو الذي لا يكون فيه ما يتوارى فيه عن عين الناظر . وبرز : حصل في براز ، وذلك إما :

---

(١) ينظر : المحرر الوجيز : ٣ / ١٠٣ .

(٢) قال القاسمي بالقول الأول والثاني . ينظر : تفسير القاسمي : ١٠ / ٢٢ ، ٢٣ .

(٣) اختلف المفسرون هل هذا التخاصم يوم الحشر في موقف العرض أو في النار مما لا مجال لتفصيله هنا .

(٤) ينظر : تفسير ابن أبي زمنين : ٢ / ٣٦٧ ، الكشاف : ٢ / ٥١٥ .

(٥) ينظر (مادة : برز) في كل من : مفردات للرَّاغب :٤٣ ، التعاريف للمناوي : ١ / ١٢٧ .

(٦) ينظر : تفسير القشيري : ٢ / ١٢١ ، الظلال : ٤ / ٣٩٧ .

(٧) قال بالقولين الأخيرين كل من : الفخر الرازي ، والنسفي ، وابن عادل ، والخطيب الشربيني . ينظر : التفسير الكبير : ١٩ / ٨٥ ، تفسير النسفي : ٢ / ٢٢٧ ، تفسير ابن عادل : ١١ / ٣٦٦ ، السراج المنير : ٢ / ١٩٩ ، ٤٢٢ ، تفسير القاسمي : ١٠ / ٢٢ ، ٢٣ .

- أن يظهر بذاته : نحو : ﴿ ... وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً ... ﴾ [١] . ومنه المبارزة للقتال : وهو الظهور من الصف .
- وإما أن يظهر بفضله : وهو أن يسبق في فعل محمود .
- وإما أن ينكشف عنه ما كان مستوراً منه ، ومنه هذه الآية ، قوله تعالى : ﴿ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعًا ... ﴾ [٢] .

فالأقوال الثلاثة محتملة ؛ فهي متلازمة يترتب بعضها على بعض ؛ فهم يخرجون من قبورهم ، ثم يحشرون للحساب في الموقف ، وينكشف أمرهم الذي كانوا عليه في الدنيا ويتخاصم الضعفاء مع المستكبرين . والمعاني الثلاثة تتلاقى .

والله تعالى أعلم بالصواب .

المسألة الثانية : في معنى ﴿ مِن ﴾ في الموضعين في قوله تعالى : ﴿ ... فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ ... ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجح ابن جُزيّ أن ﴿ مِن ﴾ الأولى للبيان ، والثانية زائدة ؛ فقال : ((﴿ مِن ﴾ الأولى للبيان ، والثانية للتبعيض ، ويجوز أن يكونا للتبعيض معاً ، قاله الزمخشري . **والأظهر** أن الأولى للبيان ، والثانية زائدة . والمعنى : هل أنتم دافعون أو متحملون عنا شيئاً من عذاب الله)) . اهـ [٣] .

---

(١) سورة الكهف : ٤٧ .

(٢) ينظر (مادة : برز) في كل من : مفردات الرَّاغب :٤٣ ، التعاريف للمناوي : ١ / ١٢٧ .

(٣) التسهيل : ٢ / ١٤٠ .

الدراسة:

اختلف أهل العلم والمفسرون في **معنى ﴿ مِن ﴾** في الموضعين في قوله تعالى : ﴿ مِنۡ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍ ﴾ على قولين :

القول الأول : ﴿ مِن ﴾ الأولى للبيان ، والثانية للتبعيض [١] ، كأنه قيل : فهل أنتم مغنون عنا بعض الشيء الذي هو عذاب الله ، **أو يكونا للتبعيض معاً** [٢] ، أي : فهل أنتم مغنون عنا بعض شيء هو بعض عذاب الله ، أي : بعض بعض عذاب الله ، قاله **الزمخشري** [٣] ، وجماعة من المفسرين [٤] .

✖ **واعتُرض بأن :**

" هذا يقتضي التقديم في قوله : ﴿ مِن شَيۡءٍ ﴾ على قوله : ﴿ مِنۡ عَذَابِ ٱللَّهِ ﴾ لأنه جعل ﴿ مِن شَيۡءٍ ﴾ هو المبين بقوله : ﴿ مِنۡ عَذَابِ ٱللَّهِ ﴾ . و (من) التبيينية مقدم عليها ما تبيِّنه ولا يتأخر " [٥] .

✓ **وتعقَّبه السمين الحلبي** فقال :

" كلام الزمخشري صحيح من حيث المعنى ؛ فإن ﴿ مِنۡ عَذَابِ ٱللَّهِ ﴾ لو تأخر عن ﴿ شَيۡءٍ ﴾ كان صفة له ، ومبيناً ، فلما تقدم انقلب إعرابه من الصفة إلى الحال ، وأما معناه وهو البيان فباق لم يتغير " . اهـ [٦] .

---

(١) قال بهذا القول كل من الخازن (و لم يحدد أهي (من) الأولى أم الثانية) ، والجلالين . ينظر : تفسير الخازن : ٤ / ٣٨ ، تفسير الجلالين : ٣٣٣ .

(٢) قال بكونهما للتبعيض معاً : الفخر الرازي ، والخازن . ينظر : التفسير الكبير : ١٩ / ٨٦ ، تفسير الخازن : ٤ / ٣٨ .

(٣) ينظر : الكشاف : ٢ / ٥١٥ .

(٤) منهم : البيضاوي ، والنسفي ، وأبو السعود ، والجلالين ، والشوكاني ، وحكى محمَّد سيِّد طنطاوي قول الزمخشري . ينظر : تفسير البيضاوي : ٣ / ٣٤٤ ، تفسير النسفي : ٢ / ٢٢٨ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ٤١ ، تفسير الجلالين : ٣٣٣ ، فتح القدير : ٣ / ١٠٣ ، الوسيط : ٧ / ٥٤٣ ، ٥٤٤ .

(٥) البحر المحيط : ٥ / ٤٠٧ .

(٦) ينظر : الدر المصون : ٤ / ٢٦٠ . قال الآلوسي : " وقد أجاز جماعة تقديم (من) البيانية ، وصُحِّح ذلك ؛ لأنه إنما يفوت بالتقديم الوصفية لا البيانية ، وكذا أجاز كثير كابن كيسان وغيره تقديم الحال على صاحبها المجرور ، فلعل الذاهب إلى هذا الوجه في الآية يرى رأي المجوزين لكل من التقديمين " . اهـ . ينظر : روح المعاني : =

وأما قول الزمخشري : **ويجوز أن يكونا للتبعيض معاً** ، بمعنى : هل أنتم مغنون عنا بعض شيء هو بعض عذاب الله ؛ أي : بعض بعض عذاب الله .

فأجيب عليه بما يلي :

١. " وهذا يقتضى أن يكون بدلاً ، فيكون بدل عام من خاص ، وهذا لا يقال ؛ فإن بعضيه الشيء مطلقة ، فلا يكون لها بعض " [١] .

٢. " ولا معنى له ، وفيه أنه يفيد المبالغة في عدم الغناء كقولهم : أقل من القليل ، فنفى المعنى لا معنى له " [٢] .

✓ وردَّ السمين الحلبي فقال : " لا نزاع أنه يقال : بعض البعض ، وهي عبارة متداولة ، وذلك البعض المتبعض هو كل لأبعاضه بعض لكله ، وهذا كالجنس المتوسط ، هو نوع لما فوقه جنس لما تحته " . اهـ [٣] .

القول الثاني : ﴿ مِن ﴾ الأولى للبيان ، والثانية زائدة .

والمعنى : هل أنتم دافعون أو متحملون عنا شيئاً من عذاب الله ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٤] ، ووافقه أبو حيان ، والطاهر بن عاشور من المفسرين [٥] .

و ﴿ مِن ﴾ في ﴿ مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ ﴾ فيها وجهان :

أحدهما : أن تتعلق بمحذوف ؛ لأنها في الأصل صفة لـ ﴿ شَيْءٍ ﴾ فلما تقدمت نصبت على الحال .

والثاني : أنها تتعلق بـ ﴿مُّغْنُون ﴾ على أن يكون ﴿ مِن شَيْءٍ ﴾ واقعاً موقع المصدر ، أي

= ١٣ / ٢٠٦ .

(١) ينظر : البحر المحيط : ٥ / ٤٠٧ .

(٢) روح المعاني : ١٣ / ٢٠٦ .

(٣) ينظر : الدر المصون : ٤ / ٢٦٠ .

(٤) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٤٠ .

(٥) وقال الطاهر بن عاشور : " (من) الأولى بدلية ، أي غناء بدلا من عذاب الله ، والثانية مزيدة " . ينظر : البحر المحيط : ٥ / ٤٠٧ ، التحرير والتنوير : ١٣ / ٢١٦ ، ٢١٧ .

: غراء . و ﴿ مِن ﴾ في ﴿ مِن شَيْءٍ ﴾ لاستغراق الجنس ، صلة للتوكيد [١] .

ويوضح هذا **ما قاله أبو البقاء** حيث قال :

" و ﴿ مِن ﴾ زائدة أي شيئاً كائناً من عذاب الله ، ويكون محمولاً على المعنى ، تقديره : هل تمنعون عنا شيئاً ؟ ويجوز أن يكون ﴿ شَيْءٍ ﴾ واقعاً موقع المصدر ، أي : غراء ، فيكون ﴿ مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ ﴾ متعلقاً بـ ﴿مُّغْنُون ﴾ " . اهـ [٢] .

ومسوغ الزيادة كون الخبر في سياق الاستفهام ، فك أن الاستفهام دخل عليه وباشره ، وصارت الزيادة هنا كالزيادة في تركيب : فهل تغنون [٣] .

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن الراجح أن ﴿ مِن ﴾ الأولى للبيان ، والثانية استغراقية** لتأكيد المعنى ، ومعنى الاستغراق أنها تستغرق جميع أفراد النكرة ، ولا داعي للقول بالزيادة ، وتكون أعمق في المعنى المراد وهو التأكيد ، تنزيها للقرآن عن القول بالزيادة ، فلا زائد في القرآن ، ويتجنب القول بالزائد في القرآن الكريم [٤] .

---

(١) الوجه الثاني هو قول الحوفي نقله عنه السمين الحلبي . ينظر : الدر المصون : ٤ / ٢٦٠ .

(٢) التبيان في إعراب القرآن لأبي البقاء ، عبد الله بن الحسين العكبري (ت ٦١٦ هـ) : ٢ / ٧٦٧ .

(٣) ينظر : البحر المحيط لأبي حيان : ٥ / ٤٠٧ ، التحرير والتنوير : ١٣ / ٢١٧ .

(٤) مَسْأَلَةٌ لا زَائِدَ فِي الْقُرْآنِ :
قال الزركشي : " وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ فيه زَائِدٌ إلَّا بِتَأْوِيلٍ ، لِأَنَّ يقول إنَّ وَاضِعَ اللُّغَةِ لَا يَجُوزُ عليه الْعَبَثُ ؛ فَلَيْسَ فيها لَفْظٌ زَائِدٌ لَا لِفَائِدَةٍ . وَقَوْلُ الْعُلَمَاءِ : (ما) زَائِدَةٌ و (الباء) زَائِدَةٌ وَنَحْوَهَا ؛ فَمُرَادُهُمْ : أَنَّ الْكَلَامَ لَا يَخْتَلُّ مَعْنَاهُ بِحَذْفِهَا ؛ أَيْ : لَا تَتَوَقَّفُ دَلَالَتُهُ على مَعْنَاهُ الْأَصْلِيِّ على ذِكْرِ ذلك الزَّائِدِ ؛ لَا أَنَّهُ لَا فَائِدَةَ فيه أَصْلًا ، فإن ذلك لَا يَجُوزُ من وَاضِعِ اللُّغَةِ فَضْلًا عن كَلَامِ الْحَكِيمِ ، وَجَمِيعُ ما قِيلَ فيه زَائِدٌ فَفَائِدَتُهُ التَّوْكِيدُ ؛ لِأَنَّ الزِّيَادَةَ في الْكَلَامِ تَقْتَضِي أَنَّ ذلك لم يَصْدُرْ عن غَفْلَةٍ ، وَإِنَّمَا صَدَرَ عن قَصْدٍ وَتَأَمُّلٍ ، وَذَلِكَ من فَوَائِدِ التَّوْكِيدِ اللَّفْظِيِّ .
وقال ابن الْخَشَّاب في (الْمُعْتَمَدِ) : اُخْتُلِفَ في هذه الْمُسَاوَاةِ ، فَذَهَبَ الْأَكْثَرُونَ إلَى جَوَازِ إطْلَاقِ الزَّائِدِ في الْقُرْآنِ نَظَرًا إلَى أَنَّهُ نَزَلَ بِلِسَانِ الْقَوْمِ وَبِمُتَعَارَفِهِمْ ، وهو في كَلَامِهِمْ كَثِيرٌ ، وَلِأَنَّ الزِّيَادَةَ بِإِزَاءِ الْحَذْفِ هذا لِلِاخْتِصَارِ وَالتَّخْفِيفِ ، **وَذَلِكَ لِلتَّوْكِيدِ وَالتَّوْطِئَةِ** ، وَلَا خِلَافَ بَيْنَهُمْ أَنَّ في التَّنْزِيلِ مَحْذُوفَاتٍ جَاءَتْ لِلِاخْتِصَارِ لِمَعَانٍ رَائِقَةٍ فَكَذَلِكَ تَقُولُ في الزِّيَادَةِ ، وَمِنْهُمْ من لَا يَرَى الزِّيَادَةَ في شَيْءٍ من الْكَلَامِ ، وَيَقُولُ هذه الْأَلْفَاظُ التي يَحْمِلُونَهَا على الزِّيَادَةِ جَاءَتْ لِفَوَائِدَ وَمَعَانٍ تَخُصُّهَا ؛ فَلَا أَقْضِي عليها بِالزِّيَادَةِ ، وَمِمَّنْ كان يَرَى هذا **أبو مُحَمَّدٍ عبد اللَّهِ بن دُرُسْتَوَيْهِ** وكان عَالِيًا في هذا الْبَابِ مُغَالِيًا في عِلْمِ الِاشْتِقَاقِ ، وكان يُزَاحِمُ الزَّجَّاجَ فيه بِمَنْكِبِهِ ، وَيَذْكُرُ أَنَّهُ نَاظَرَهُ فيه .
قال ابن الْخَشَّابِ : وَالتَّحْقِيقُ أَنَّهُ إنْ أَرَادَ الْقَائِلُ بِالزِّيَادَةِ إثْبَاتَ مَعْنًى لَا حَاجَةَ إلَيْهِ فَهَذَا بَاطِلٌ ، وَلَا يَقُولُهُ أَحَدٌ لِأَنَّهُ =

فالضعفاء يخاصمون المستكبرين قائلين : هل أنتم مغنون عنَّا أي شيء من عذاب الله .

والله تعالى أعلم بالصواب .

= عَبَثٌ ، فَتَعَيَّنَ أَنَّ إِلَيْنَا بِهِ حَاجَةً ؛ لَكِنَّ الْحَاجَةَ إِلَى الْأَشْيَاءِ قد تَخْتَلِفُ بِحَسَبِ الْمَقْصِدِ ؛ فَلَيْسَتْ الْحَاجَةُ إلَى اللَّفْظِ الذي عَدَّ هَؤُلَاءِ زِيَادَةً كَالْحَاجَةِ إلَى اللَّفْظِ الذي رَأَوْهَا مَزِيدَةً عليه ؛ لِأَنَّ هذا بِالِاتِّفَاقِ مِنَّا وَمِنْهُمْ إنْ اخْتَلَّ اخْتَلَفَتْ بِهِ الْفَائِدَةُ فلم يَكُنْ الْكَلَامُ دُونَهُ كَلَامًا ، وَالَّذِي سَمَّوْهُ زَائِدًا إنْ اخْتَلَّ بِهِ كانت الْفَائِدَةُ دُونَهُ ، وَالْجُمْلَةُ مُقْتَصَرًا بها على ما يُمَيِّزُهُ أَكْثَرِيَّةُ فَائِدَةٍ وَأَقْرَبُ ، وَعَلَى هذا يَرْتَفِعُ الْخِلَافُ " . اهـ . ينظر : البحر المحيط في أصول الفقه للزَّركشي : ١ / ٣٧١ . وللمزيد ينظر : (زيادة الحروف بين التأييد والمنع وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم) ، رسالة دكتوراه في جامعة أمّ القرى ؛ للدكتورة : هيفاء عثمان عباس فدا ، ناقشت الرسالة ١٤١٦ هـ .

سورة إبراهيم ـــــــ

وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ [٢] ، ووافقه جماعة المفسرين [٣] .

القول الثاني : (ما) **في** ﴿ بِمَآ ﴾ موصولة بمعنى (من) ، **و** ﴿ **مِن قَبْلُ** ﴾ **يتعلق بـ** ﴿ **كَفَرْتُ** ﴾ ، أي : كفرت من قبل حين أبيت السجود لآدم عليه السلام بالذي أشركتمونيه [٤] وهو الله عز وجل ، أي : كفرت قبل كفركم [٥] ، قاله قتادة [٦] ، وذهب إليه الفَرَّاء [٧] ، والعز بن عبد السلام [٨] من المفسرين . [٩]

✖ واعتُرض بأن :

١. هذا القول بعيد ؛ لأن قصة السجود لآدم ليست في هذا السِّياق .

---

(١) ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج : ٣ / ١٦٠ ، معاني القرآن للنحاس : ٣ / ٥٢٥ .

(٢) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٤٠ .

(٣) منهم : الطبري ، والسمر قندي ، وابن أبي زمنين ، والثعلبي ، والواحدي ، والبغوي ، والزمخشري ، وابن الجوزي والفخر الرازي ، والقرطبي ، والخازن ، وأبو حيان ، والبقاعي ، والخطيب الشربيني ، والجلالين ، والشوكاني ، والقاسمي ، والآلوسي ، والسعدي ، وسيد قطب ، والطاهر بن عاشور ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير الطبري : ١٣ / ٢٠٠ ، تفسير السمر قندي : ٢ / ٢٤٠ ، تفسير ابن أبي زمنين : ٢ / ٣٦٧ ، الكشف والبيان : ٥ / ٣١٣ ، تفسير الواحدي : ١ / ٥٨١ ، تفسير البغوي : ٣ / ٣٢ ، الكشاف : ٢ / ٥١٨ ، زاد المسير : ٤ / ٣٥٧ ، التفسير الكبير : ١٩ / ٩١ ، تفسير القرطبي : ٩ / ٣٥٨ ، تفسير الخازن : ٤ / ٣٩ ، البحر المحيط : ٥ / ٤٠٩ ، نظم الدرر : ٤ / ١٨٢ ، السراج المنير : ٢ / ٢٠١ ، تفسير الجلالين : ٣٣٣ ، فتح القدير : ٣ / ١٠٤ ، تفسير القاسمي : ١٠ / ٢٥ ، روح المعاني : ١٣ / ٢١١ ، تفسير السعدي : ٤٢٥ ، الظلال : ٤ / ٢٠٩٧ ، التحرير والتنوير : ١٣ / ٢٢١ ، الوسيط : ٧ / ٥٤٦ ، ٥٤٧ .

(٤) تقول : أشركني فلان ، أي : جعلني له شريكاً ، ومعنى إشراكهم الشيطان بالله : طاعتهم له فيما كان يزينه لهم من عبادة الأوثان . ينظر : الكشاف : ٢ / ٥١٨ ، تفسير النسفي : ٢ / ٢٢٩ ، البحر المحيط لأبي حيان : ٥ / ٤٠٩ .

(٥) قال الفخر الرازي : " ووجه نظم الكلام على هذا التفسير أن إبليس كأنه يقول : لا تأثير لوسوستي في كفركم بدليل أني كفرت بالله قبل أن كفرتم ، وما كان كفري بسبب وسوسة أخرى وإلا لزم التسلسل فثبت بهذا أن سبب الوقوع في الكفر شيء آخر سوى ال وسوسة " . اهـ . ينظر : التفسير الكبير : ١٩ / ٩١ . قال النيسابوري : " وهذا التقرير يناسب أصول الأشاعرة " . اهـ . ينظر : تفسير غرائب القرآن : ٤ /١٩٠ .

(٦) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٣ / ٢٠٢) .

(٧) ينظر معانيه : ٢ / ٦٣ .

(٨) ينظر تفسيره : ٢ / ١٦٣ .

(٩) قال بجواز القولين كل من : الماوردي ، وابن عطية ، والفخر الرازي ، والبيضاوي ، والنسفي ، والقمي النيسابوري ، والسمين الحلبي ، وأبو السعود . ينظر : النكت والعيون : ٣ / ١٣١ ، المحرر الوجيز : ٣ / ٣٣٤ التفسير الكبير : ١٩ / ٩١ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٣٤٦ ، تفسير النسفي : ٢ / ٢٢٩ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ /١٩٠ ، الدر المصون : ٤ / ٢٦٥ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ٤٣ .

٢. إن في هذا القول ضعْف ، لأن فيه إطلاق (ما) على الله تعالى ، و (ما) الأصح فيها أنها لا تطلق على آحاد من يعلم [١] .

✓ **وأجيب بأن :**

" نحو (ما) هذه – يعني في إطلاقها على الله – (ما) في قولهم : سبحان ما سخركن لنا " [٢] .

" فيكون تعليلاً لعدم إصراخه ، فإن الكافر بالله سبحانه بمعزل من الإغاثة والإعانة ؛ سواء كان بالمدافعة أو الشفاعة ، وأما جعله تعليلاً لعدم إصراخهم إياه فلا وجه له ؛ إذ لا احتمال له حتى يحتاج إلى التعليل ، ولأن تعليل عدم إصراخهم بكفره يوهم أنهم بسبيل من ذلك لولا المانع من جهته " [٣] .

✗ **وقد منع بعضهم** إطلاق (ما) على الله تعالى : فجعل (سبحان) علماً على معنى التسبيح كما جعل (برة) علماً للمبرة . و (ما) مصدرية ظرفية ، ويكون ذلك من إبليس إقراراً على نفسه بكفره الأقدم [٤] .

✓ **وجوَّز أبو البقاء** [٥] القولين .

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن القول الأول هو الراجح ؛ فيكون ﴿ مِن قَبْلُ ﴾ يتعلق بـ ﴿ أَشْرَكْتُمُونِ ﴾** ، أي : كفرت اليوم بإشراككم إياىَّ مع الله من قبل هذا اليوم ، أي : في الدنيا ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** ؛ إضافة على ما تقدم لما يلي :

أولاً : دلالة السِّياق القرآني : هذا القول أوفق بسياق الآية ، فقد حكى الله ﷻ ما سيقوله

---

(١) ينظر : البحر المحيط : ٥ / ٤٠٩ .

(٢) الكشاف : ٢ / ٥١٨ .

(٣) ينظر : تفسير أبي السعود : ٥ / ٤٣ .

(٤) ينظر : البحر المحيط لأبي حيان : ٥ / ٤٠٩ .

(٥) ينظر : التبيان في إعراب القرآن للعكبري : ٢ / ٧٦٨ .

سورة إبراهيم ـــــــ

قوله تعالى : ﴿ وَأُدۡخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ تَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ . [آية : ٢٣] .

مسألة : في متعلق قوله تعالى : ﴿ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجَّح ابن جُزيّ أن ﴿ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ ﴾ يتعلق بـ ﴿ أُدۡخِلَ ﴾ ؛ فقال : ((﴿ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ ﴾ يتعلق بـ ﴿ أُدۡخِلَ ﴾ ، أو بـ ﴿ خَٰلِدِينَ ﴾ ، **والأول أحسن**)) . اهـ [١] .

الدراسة :

اختلف أهل اللغة والمفسرون في متعلق **﴿ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ ﴾** على قولين :

القول الأول : ﴿ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ ﴾ **يتعلق بـ ﴿ أُدۡخِلَ ﴾** [٢] . أي : أدخلتهم الملائكة الجنة بإذن الله وأمره ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٣] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٤] .

القول الثاني : ﴿ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ ﴾ **يتعلق بـ ﴿ خَٰلِدِينَ ﴾** ، حكاه ابن جُزيّ [٥] وغيره .

---

(١) التسهيل : ٢ / ١٤٠ .

(٢) قرأ الحسن ، وعمرو بن عبيد : (وأَدخل) بهمزة المتكلم مضارع ، أي : وأدخل أنا . وهي **قراءة بالغة الشذوذ** تحمل على التفسير . ينظر : المحتسب لابن جني : ١ / ٣٦١ ، التبيان في إعراب القرآن للعكبري : ٢ / ٧٦٨ ، اتحاف فضلاء البشر للبناء : ٣٤٢ . وعلى هذه القراءة فقوله : ﴿ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ ﴾ متعلق بما بعده ، أي تحيتهم فيها سلام بإذن ربهم . يعني : أن الملائكة يحيونهم بإذن ربهم . ينظر : التفسير الكبير : ١٩ / ٩٢ ، البحر المحيط لأبي حيان : ٥ / ٤١٠ . قال السمين الحلبي : " وقد عَلَّقه غيرُ الزمخشري بأُدْخِلُ ، ولا تنافرَ في ذلك ؛ لأنَّ كلَّ أحدٍ يعلم أن المتكلم – في قوله : وأُدْخِلُ أنا – هو الربُّ تعالى . وأحسنُ من هذين أن تتعلَّقَ في هذه القراءة بمحذوفٍ على أنه حالٌ " اهـ . ينظر : الدر المصون : ٤ / ٢٦٦ .

(٣) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٤٠ .

(٤) منهم : الزمخشري ، والقرطبي ، والبيضاوي ، والنسفي ، والنيسابوري ، وأبو حيان ، والسمين الحلبي ، وابن عادل ، وأبو السعود ، والشوكاني ، والقاسمي ، والآلوسي . ينظر : الكشاف : ٢ / ٥١٨ ، تفسير القرطبي : ٩ / ٣٥٨ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٣٦٤ ، تفسير النسفي : ٢ / ٢٢٩ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ١٩٠ ، البحر المحيط : ٥ /٤١٠ ، الدر المصون : ٤ / ٢٦٦ ، تفسير ابن عادل : ١١ / ٣٧٧ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ٤٣ ، فتح القدير : ٣ / ١٠٥ ، تفسير القاسمي : ١٠ / ٢٦ ، روح المعاني : ١٣ / ٢١٢ .

(٥) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٤٠ .

✓ قال السمين الحلبي : " وليس بممتنع " . اهـ [١] .

وهذ القول له نظير في القرآن :

قال تعالى : ﴿ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ . [سورة هود : ١٠٨] .

فعلق ﷻ الخلود بالمشيئة في هذه الآية .

✍ **وجوَّز العكبري** [٢] القولين .

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن الراجح أن قوله تعالى : ﴿ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ﴾ يتعلق بـ ﴿ أُدْخِلِ ﴾ أي : أدخلتهم الملائكة الجنة بإذن الله وأمره ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** ؛ إضافة على ما تقدم لما يلي :

أولاً : لا خلود إلا بدخول الجنة أولاً ، فدخول الجنة هو الأصل وهو الذي لا يكون إلا بإذن الله وأمره ، وبفضله ورحمته ، فبعد دخول الجنة بإذن الله ورحمته يكون الخلود فيها .

ثانياً : يؤيده **القاعدة الترجيحية** التالية :

حمل الآية على المعنى الذي استفاض النقل فيه عن أهل العلم وإن كان غيره محتملاً [٣] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) الدر المصون : ٤ / ٢٦٦ .

(٢) ينظر : التبيان في إعراب القرآن : ٢ / ٧٦٨ .

(٣) ينظر : قواعد التفسير للسَّبت : ٢ / ٨٠٤ .

قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ ﴾ . [آية : ٢٤] .

مسألة : في المراد بقوله تعالى : ﴿ كَلِمَةً طَيِّبَةً ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجَّح ابن جُزيّ أن المراد بالكلمة الطيبة : لا إله إلا الله ؛ فقال : ((قال ابن عباس وغيره هي : لا إله إلا الله . وقيل : كل حسنة)) . اهـ [١] .

الدراسة :

اختلف المفسرون في **المراد بالكلمة الطيبة** [٢] على أقوال منها :

القول الأول : هي : لا إله إلا الله ، وهي كلمة التوحيد ، قاله ابن عباس رضي الله عنه [٣] ، ومقاتل [٤] ، وجماعة [٥] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٦] ، ووافقه **جمهور** [١] المفسرين [٢] .

---

(١) التسهيل : ٢ / ١٤٠ .

(٢) الطيبة : النافعة . استعير الطيب للنفع لحُسن وقعه في النفوس كوقع الروائح الذكية . ينظر : التحرير والتنوير : ١٣ / ٢٢٤ .

(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٣ / ٢٠٣) . وعزاه السيوطي في الدر (٥ / ٢٠) إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والبيهقي في الأسماء والصفات عنه . وينظر : تنوير المقباس : ٢١٣ . وهو **أثر حسن** . ينظر : تخريج الأحاديث والآثار في كتاب : التسهيل لعلوم التنزيل للدكتور سامي الجهني : ٦٩٨ .

(٤) ينظر تفسيره : ٢ / ١٨٩ .

(٥) قاله أيضاً : الحكيم الترمذي ، والطبراني ، وابن مندة ، وأبو طالب المكي ، وابن تيمية ، وزين الدين العراقي ، والمباركفوري ، والشيخ محمد بن عبد الوهاب . ينظر : الأمثال من الكتاب والسُّنة لأبي عبد الله محمد بن علي الحكيم الترمذي (ت ٣٢٠ هـ) : ١ / ٣٢ ، الدعاء لأبي القاسم ، سليمان بن أحمد الطبراني (ت ٣٦٠ هـ) : ٤٥٩ ، الإيمان لمحمد بن إسحاق بن يحيى بن منده (ت ٣٩٥ هـ) : ١ / ٣٥٠ ، قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد لمحمد بن علي بن عطية الحارثي (المشهور بأبي طالب المكي) (ت ٢٨٦ هـ) : ٢ / ٢٩١ ، كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير : ١٥ / ٤٤١ ، طرح التثريب في شرح التقريب لزين الدين أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسيني العراقي (ت ٨٠٦ هـ) : ٢ / ٢٦٧ تحفة الأحوذي : ٨ / ٤٣٣ ، مسائل لخصها الإمام محمد بن عبد الوهاب (ت ١٢٠٦ هـ) : ٦٧ .

(٦) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٤٠ .

القول الثاني : هي الإيمان ، قاله مجاهد ، وابن جريج [٣] ، وجوَّزه القرطبي [٤] .

واستدل له من السُّنة :

بحديث أنس ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال : « إن مثل الإيمان كمثل شجرة ثابتة ، الإيمان عروقها والصلاة أصلها ، والزكاة فروعها ، والصيام أغصانها ، والتأذي في الله نباتها ، وحسن الخلق ورقها ، والكف عن محارم الله ثمرتها » [٥] .

القول الثالث : هي المؤمن نفسه ، قاله عطية العوفي ، والربيع [٦] . [٧]

---

(١) نسب هذا القول إلى جمهور المفسرين : السمعاني في تفسيره (٣ / ١١٣) ، والخازن في تفسيره (٤ / ٤٠) ، وابن القيِّم في التفسير القيِّم (٣٢٧) ، والخطيب الشربيني في السراج (٢ / ٢٠٢) .

(٢) منهم : النحاس ، والسمر قندي ، وابن أبي زمنين ، والواحدي ، والسمعاني ، والبغوي ، والزمخشري ، وابن الجوزي ، والفخر الرازي ، والخازن ، وابن كثير ، وابن عادل ، والخطيب الشربيني ، والجلالين ، والآلوسي ، والسعدي ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : معاني القرآن للنحاس : ٣ / ٥٢٦ ، تفسير السمر قندي : ٢ / ٢٤١ تفسير ابن أبي زمنين : ٢ / ٣٦٨ ، تفسير الواحدي : ١ / ٥٨٢ ، تفسير السمعاني : ٣ / ١١٣ ، تفسير البغوي : ٣ / ٣٢ ، الكشاف : ٢ / ٥١٩ ، زاد المسير : ٤ / ٣٥٨ ، التفسير الكبير : ١٩ / ٩٥ ، تفسير الخازن : ٤ / ٤٠ ، تفسير ابن كثير : ٢ / ٥٣١ ، تفسير ابن عادل : ١١ / ٣٧٩ ، السراج المنير : ٢ / ٢٠٢ تفسير الجلالين : ٣٣٣ ، روح المعاني : ١٣ / ٢١٣ ، تفسير السعدي : ٤٢٥ ، الوسيط : ٧ / ٥٥٠ . وذكره القرطبي في تفسيره (٩ / ٣٥٩) .

(٣) أخرجه ابن جرير عن مجاهد وابن جريج في تفسيره (١٣ / ٢٠٣ ، ٢٠٤) . وينظر : الدر المنثور : ٥ / ٢٠ .

(٤) ينظر تفسيره : ٩ / ٣٥٩ .

(٥) استشهد به القرطبي . ينظر : تفسير القرطبي : ٩ / ٣٥٩ . **ولم أقف له على سند** .

(٦) أخرجه ابن جرير عن عطية والربيع في تفسيره (١٣ / ٢٠٣ ، ٢٠٤) . وينظر : الدر المنثور : ٥ / ٢٠ .

وعطيَّة العوفي هو : عطية بن سعد بن جنادة ، أبو الحسن الجدلي الكوفي ، ضعيف ومدلس ، فقد ضعَّفه ابن حنبل ، وهشيم ، والثوري ، وابن معين ، وعدَّه ابن حجر في المرتبة الثالثة من مراتب المدلسين ، وهم الذين أكثروا من التدليس فلم يحتج الأئمة إلا بما صرحوا فيه بالسماع ، وقد قيل : إنه كان يجالس أبا سعيد الخدري ﷺ ، فلما مات جالس الكلبي فيروي عنه ويكنيه بأبي سعيد ، ت سنة ١٢٧هـ . ينظر : ضعفاء العقيلي : ٣ / ٣٥٩ ، الكامل في ضعفاء الرجال لعبدالله بن عدي بن عبدالله بن محمد الجرجاني (ت ٣٦٥ هـ) : ٥ / ٣٦٩ ، التقريب : ٣٩٣ .

والرَّبيع هو : الربيع بن أنس بن زياد البكري ، وثقه العجلي ، وذكره ابن حبان في ثقاته ، إلا أن رواية أبي جعفر الرازي عنه فيها اضطراب كثير ، وقال ابن حجر : "صدوق له أوهام ، ورمي بالتشيع " ، ت سنة ١٣٩هـ . ينظر : الثقات : ٦ /٣٠٠ ، مشاهير علماء الأمصار : ١٢٦ ، التقريب : ٢٠٥ .

(٧) ذكر القولين الثاني والثالث ولم يرجح كل من : الطبري ، والماوردي ، والعز بن عبد السلام ، والقرطبي . ينظر : تفسير الطبري : ١٣ / ٢٠٤ ، النكت والعيون : ٣ / ١٣٢ ، تفسير العز بن عبد السلام : ٢ / ١٦٣ ، تفسير القرطبي : ٩ / ٣٥٩ .

✖ **وتُعقَّب** :

بأنه خلاف الظاهر ، وكأن إطلاق الكلمة عليه نظير إطلاقها على عيسى عليه السلام [١] .

القول الرابع : هي جميع **طاعاته ، أو القرآن** ، قاله الأصم [٢] ، وذهب إليه الطاهر بن عاشور [٣] .

القول الخامس : هي **الثناء على الله** ، أو التسبيح والتنزيه ، حكاه أبو حيان [٤] . [٥]

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن الراجح أن الكلمة الطيبة هي : شهادة أن لا إله إلا الله ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** ؛ لما يلي :

أولاً : هذا القول هو قول ابن عباس رضي الله عنه حبر الأمَّة ، وهو حديث حسن .

ثانياً : (لا إله إلا الله) هي التي تثمر كل عمل صالح ، ويترتب عليها كل حسنة .

" **يقول جمهور المفسرون** :

الكلمة الطيبة هي : شهادة أن لا إله إلا الله ، فإنها تثمر جميع الأعمال الصالحة الظاهرة والباطنة ، فكل عمل صالح مرضي لله ثمرة هذه الكلمة " [٦] .

---

(١) ينظر : روح المعاني : ١٣ / ٢١٣ .

(٢) نسبه إليه أبو حيان في البحر (٥ / ٤١٠) .

والأصم هو : حاتم بن عنوان ، أبو عبد الرحمن ، المعروف بالأصم : زاهد ، اشتهر بالورع والتقشف ، له كلام مدون في الزهد والحكم ، من أهل بلخ ، زار بغداد واجتمع بأحمد بن حنبل . ت ٢٣٧ هـ . ينظر : حلية الأولياء : ٨ / ٧٣ – ٨٣ ، تاريخ بغداد : ٨ / ٢٤١ ، السِّير : ١١ / ٤٨٤ – ٤٨٧ .

(٣) ينظر : التحرير والتنوير : ١٣ / ٢٢٥ .

(٤) ينظر : البحر المحيط : ٥ / ٤١٠ .

(٥) ذكر جميع الأقوال أو بعضها أبو حيان في البحر (٥ / ٤١٠) ، والآلوسي في روح المعاني (١٣ / ٢١٣) .

(٦) نسب هذا القول ابن القيم إلى جمهور المفسرين . ينظر : التفسير القيِّم لابن القيِّم : ١ / ٣٢٧ .

قال ابن القيِّم :

" وَالْمَقْصُودُ أَنَّ كَلِمَةَ التَّوْحِيدِ إذَا شَهِدَ بها الْمُؤْمِنُ عَارِفًا بِمَعْنَاهَا وَحَقِيقَتِهَا نَفْيًا وَإِثْبَاتًا ، مُتَّصِفًا بِمُوجِبِهَا ، قَائِمًا قَلْبُهُ وَلِسَانُهُ وَجَوَارِحُهُ بِشَهَادَتِهِ ؛ فَهَذِهِ الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ هِيَ التي رَفَعَتْ هذا الْعَمَلَ من هذا الشَّاهِدِ ، أَصْلُهَا ثَابِتٌ رَاسِخٌ في قَلْبِهِ وَفُرُوعُهَا مُتَّصِلَةٌ بِالسَّمَاءِ ، وَهِيَ مُخْرِجَةٌ لِثَمَرَتِهَا كُلَّ وَقْتٍ " . اهـ [١] .

ثالثاً : كلمة التوحيد هي أساس كل خير ، وكل ما ذكره المفسرون لا يخرج عن هذا المعنى العام ، واختلافهم هنا من باب اختلاف التنوع لا التضاد ؛ لأنه يصدق عليها جميعاً معنى الخير و (لا إله إلا الله) هي التي تثمر كل عمل صالح ، وما ذكروه إنما هو من باب التمثيل .

رابعاً : هذا القول تؤيده بعض **القواعد الترجيحية** عند المفسرين ؛ منها :

- **غالب ما نقل عن السلف من الاختلاف في التفسير هو اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد** [٢] .
- **حمل الآية على المعنى الذي استفاض النقل فيه عن أهل العلم وإن كان غيره محتملاً** [٣] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) ينظر : التفسير القيِّم لابن القيِّم : ١ / ٣٢٨ ، ٣٢٩ .

(٢) ينظر : الموافقات للشاطبي : ٤ / ٢١٤ - ٢٢٠ ، تفسير القاسمي : ١ / ١٧ ، قواعد التفسير للسَّبت : ١ / ٢٠٨ .

(٣) ينظر : قواعد التفسير للسَّبت : ٢ / ٨٠٤ .

قوله تعالى : ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ ﴾ . [آية : ٢٦] .

مسألة: في المراد بقوله تعالى : ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجَّح ابن جُزيّ أن المراد بالكلمة الخبيثة : كلمة الكفر ؛ فقال : ((هي كلمة الكفر . وقيل : كل كلمة قبيحة)) . اهـ [١] .

الدراسة:

اختلف المفسرون في **المراد بالكلمة الخبيثة** [٢] على قولين :

القول الأول : هي : **كلمة الشرك** [٣] ، قاله ابن عباس ﷺ [٤] ، والضحاك [٥] ، ومقاتل [٦] ، وجماعة [٧] .

---

(١) التسهيل : ٢ / ١٤٠ .

(٢) قال قتادة : إن رجلاً لقي رجلاً من أهل العلم ، فقال : ما تقول في الكلمة الخبيثة ؟ فقال : ما أعلم لها في الأرض مستقراً ولا في السماء مصعداً إلا أن تلزم عنق صاحبها حتى يوافي بها يوم القيامة . ينظر : تفسير الطبري : ١٣ / ٢١٢ .

(٣) قال الماوردي والقرطبي : الكلمة الخبيثة : كلمة الكفر أو الكافر نفسه . ينظر : النكت والعيون : ٣ / ١٣٤ ، تفسير القرطبي : ٩ / ٣٦١ . وقال ابن عطية : والكلمة الخبيثة هي : كلمة الكفر وما قاربها من كلام السوء في الظلم ونحوه . ينظر : المحرر الوجيز : ٣ / ٣٣٦ .

(٤) أخرجه ابن جرير بسنده عن ابن عباس ﷺ قال : " ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ ﴾ وهي الشرك ﴿ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ﴾ يعني الكافر . قال : ﴿ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴾ يقول : الشرك ليس له أصل يأخذ به الكافر ولا برهان ، ولا يقبل الله مع الشرك عملاً " . ينظر : تفسير الطبري : ١٣ / ٢١٣ . وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم ، والبيهقي في الأسماء والصفات عنه . ينظر : الدر المنثور : ٥ / ٢٠ . وينظر : تنوير المقباس : ٢١٣ .

(٥) أخرجه ابن جرير بسنده عن الضحاك قال : ضرب الله مثل الكافر ﴿ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ ﴾ . قال : ليس لها أصل ولا فرع ، وليست لها ثمرة ، وليس فيها منفعة ؛ كذلك الكافر ليس يعمل خيراً ولا يقوله ، ولم يجعل الله فيه بركة ولا منفعة . ينظر : تفسير الطبري : ١٣ / ٢١٣ . وينظر : الدر المنثور : ٥ / ٢١ .

(٦) ينظر تفسيره : ٢ / ١٨٩ .

(٧) منهم : الطبراني ، وابن تيمية ، وابن القيِّم ، والمباركفوري . ينظر : الدعاء للطبراني : ٤٦٠ ، مجموع =

وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ [١] ، ووافقه **جمهور** [٢] المفسرين [٣] .

القول الثاني : هي : **الدعاء إلى الكفر** .

القول الثالث : هي : **تكذيب الحق** [٤] .

القول الرابع : هي : **ما يعمُ : الشرك بالله تعالى ، والدعاء إلى الكفر ، وتكذيب الحق** ، رجَّحه **البيضاوي** ، والآلوسي [٥] .

القول الخامس : هي : **كل كلمة قبيحة** ، قاله الرَّاغب [٦] .

القول السادس : هي : **الكذب** ، قاله **مسروق** [١] .

= الفتاوي لابن تيمية : ٤ / ٧٤ ، التفسير القيِّم : ٣٣٢ ، تحفة الأحوذي : ٨ / ٤٣٣ .

(١) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٤٠ .

(٢) نسب هذا القول إلى الجمهور : أبو حيان في البحر المحيط (٥ / ٤١١) .

(٣) منهم : النحاس ، والسمر قندي ، وابن أبي زمنين ، والثعلبي ، والقشيري ، والواحدي ، والسمعاني ، والبغوي والزمخشري ، وابن الجوزي ، والعز بن عبد السلام ، والقرطبي ، والنسفي ، والخازن ، وابن كثير ، وابن عادل الحنبلي ، والخطيب الشربيني ، والجلالين ، والسعدي ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : معاني القرآن للنحاس : ٣ / ٥٢٧ ، تفسير السمر قندي : ٢ / ٢٤٢ ، تفسير ابن أبي زمنين : ٢ / ٣٦٨ ، الكشف والبيان : ٥ / ٣١٦ تفسير القشيري : ٢ / ١٢٣ ، تفسير الواحدي : ١ / ٥٨٢ ، تفسير السمعاني : ٣ / ١١٤ ، تفسير البغوي : ٣ / ٣٣ ، الكشاف : ٢ / ٥١٩ ، زاد المسير : ٤ / ٣٦٠ ، تفسير العز بن عبد السلام : ٢ / ١٦٤ ، تفسير القرطبي : ٩ / ٣٦١ ، تفسير النسفي : ٢ / ٢٣٠ ، تفسير الخازن : ٤ / ٤١ ، تفسير ابن كثير : ٢ / ٥٣١ ، تفسير ابن عادل : ١١ / ٣٨١ ، السراج المنير : ٢ / ٢٠٣ ، تفسير الجلالين : ٣٣٤ ، تفسير السعدي : ٤٢٥ الوسيط : ٧ / ٥٥٢ .

(٤) حكى أبو السعود في تفسيره (٥ / ٤٤) القولين الثاني والثالث وزاد : "أو ما يعم الكل أو كل كلمة قبيحة" .

والبيضاوي هو : عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي ، أبو سعيد ، ناصر الدين البيضاوي ، كان إماما عارفاً بالفقه والتفسير والعربية والمنطق ، شافعي المذهب ، ت سنة ٦٨٥ هـ . ينظر: طبقات الشافعية الكبرى : ٨ / ١٥٧ ، البداية والنهاية : ١٣ / ٣٠٩ ، وطبقات المفسرين للداودي : ٢٥٤ ، ٢٥٥ .

(٥) ينظر : تفسير البيضاوي : ٣ / ٣٤٧ ، روح المعاني : ١٣ / ٢١٤ . وزاد الآلوسي : " أو كل كلمة لايرضاها الله تعالى " . وقال الشوكاني : " وذكر مثلاً للكلمة الخبيثة ، وهى كلمة الشرك ، أو ما هو أعم من ذلك من كلمات الشر " . ينظر : فتح القدير : ٣ / ١٠٦ .

والبيضاوي هو : عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي ، أبو سعيد ، ناصر الدين البيضاوي ، كان إماما عارفاً بالفقه والتفسير والعربية والمنطق ، شافعي المذهب ، ت سنة ٦٨٥ هـ . ينظر: طبقات الشافعية الكبرى : ٨ / ١٥٧ ، البداية والنهاية : ١٣ / ٣٠٩ ، وطبقات المفسرين للداودي : ٢٥٤ ، ٢٥٥ .

(٦) قال الرَّاغب : هي إشارة إلى كل كلمة قبيحة من كفر وكذب ، ونميمة وغير ذلك . ينظر : مفردات الرَّاغب : ١٤١ .

القول السابع : هي : **كل كلام لا يرضاه الله تعالى** [٢] .

القول الثامن : المراد بالكلمة الخبيثة **تعاليم أهل الشرك وعقائدهم** ، قاله الطاهر بن عاشور[٣] ؛ حيث ذكر أن ﴿ **كَلِمَةٍ** ﴾ مطلقة على القول والكلام ، كما دل عليه قوله : ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ ... ﴾ . [سورة إبراهيم عليه السلام : ٢٧] . والمقصود مَعَ التمثيل إظهارُ المقابلة بين الحالين ، إلا أن الغرض في هذا المقام بتمثيل كل حالة على حدة .

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن الراجح أن المراد بالكلمة الخبيثة هي : كلمة الشرك ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** ؛ لما يلي :

أولاً : كلمة الشرك هي أساس كل شر ، ولا يرجى بعدها أي خير أو منفعة ، وكل ما ذكره المفسرون لا يخرج عن هذا المعنى العام ، واختلافهم هنا من باب اختلاف التنوع ؛ لأنه يصدق عليها جميعاً معنى الخبث ، فكلمة الشرك مصدر كل خبيث ، وما ذكروه إنما هو من باب التمثيل .

ثانياً : قد تقرر عند أهل العلم أن : **حمل الآية على المعنى الذي استفاض النقل فيه عن أهل العلم وإن كان غيره محتملاً** [٤] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) نسبه إليه أبو حيان في البحر (٥ / ٤١١) .
ومسروق هو : مسروق بن الأجدع الوادعي ، أبو عائشة الهمداني ، أحد الأعلام العلماء العباد الثقات ، كان أعلم بالفتيا من شريح ، وحج مرة فما نام إلا ساجداً . ت سنة ٦٣هـ . ينظر : معرفة الثقات : ٢ / ٢٧٣ ، تهذيب الكمال : ٢٧ / ٤٥١ – ٤٥٦ ، الكاشف : ٢ / ٢٥٦ .

(٢) ذكر الأقوال جميعها أو بعضها أبو حيان في البحر المحيط (٥ / ٤١١) ، وأبو السعود في تفسيره (٥ / ٤٤) .

(٣) ينظر : تفسير التحرير والتنوير : ١٣ / ٢٢٥ .

(٤) ينظر : قواعد التفسير للسَّبت : ٢ / ٨٠٤ .

قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴾ . [آية : ٤١] .

مسألة : متى دعا إبراهيم عليه السلام لأبويه الكافرين بالمغفرة ؟ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجَّح ابن جُزيّ أن إبراهيم عليه السلام دعا لأبويه الكافرين بالمغفرة قبل أن يتبين له أن أباه عدو لله ؛ فقال : ((قيل : إنما دعا بالمغفرة لأبويه الكافرين بشرط إسلامهما . **والصَّحيح** : أنه دعا لهما قبل أن يتبين له أن أباه عدو لله ؛ حسبما ورد في براءة)) . اهـ [(١)] .

الدراسة :

اختلف أهل العلم والمفسرون **في الوقت الذي دعا إبراهيم عليه السلام لأبويه الكافرين بالمغفرة** على قولين :

القول الأول : أن إبراهيم عليه السلام دعا بالمغفرة لأبويه الكافرين **بشرط إسلامهما** ، قاله غير واحد من المفسرين [(٢)] .

✖ **واعتُرض** : بأن قوله تعالى : ﴿ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ [(٣)] لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ ﴾ . [سورة

---

(١) التسهيل : ٢ / ١٤٢ .

(٢) منهم : الثعلبي ، والواحدي ، والخازن . ينظر : الكشف والبيان : ٥ / ٣٢٣ ، تفسير الواحدي : ١ / ٥٨٥ ، تفسير الخازن : ٤ / ٥٠ .

(٣) أجمع أهل الكتاب على أن آزر كان عمَّه ، والعرب تسمِّى العمَّ أباً كما تسمِّى الخالة أمًّا ، فقد حكى الله ﷻ عن يعقوب عليه السلام أنه قال : ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ... ﴾ . [سورة البقرة : ١٣٣] . ومعلوم أن إسماعيل إنما هو عمه ويدل لذلك أن أبا إبراهيم كان اسمه تارخ – بالمثناة فوق المعجمة – كما عليه جمهور أهل النسب ، وقيل : المهملة . وعليه اقتصر الحافظ في الفتح ، لكن ادعى بعضهم أنه لقب له ؛ لأن آزر اسم صنم كان يعبده فصار له أسمان آزر وتارخ كيعقوب وإسرائيل . ينظر : السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون لعلي بن برهان الدين الحلبي (١٠٤٤ هـ) : ١ / ٤٨ . وقال السيوطي : يستنبط من قول إبراهيم عليه السلام : ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴾ ، وكان ذلك بعد موت عمه بمدة طويلة أن المذكور في القرآن بالكفر والتبري من الاستغفار له هو عمه لا أبوه الحقيق ي . ينظر : الحاوي للفتاوي في الفقه وعلوم التفسير والحديث والأصول والنحو والاعراب وسائر الفنون لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ) : ٢ / ٢٠٣ .

الممتحنة : ٤] . مستثنى من الأشياء التي يقتدى فيها بإبراهيم عليه السلام ، ولو كان استغفاره مشروطاً بإسلام أبيه لكان استغفاراً صحيحاً فلم يحتج إلى الاستثناء [١] .

القول الثاني : أن إبراهيم عليه السلام دعا لأبويه الكافرين بالمغفرة [٢] **قبل أن يتبين له أن أباه عدو لله** [٣] ، حسبما جاء في براءة وهو قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ... ﴾ [٤] ، قاله ابن عباس رضي الله عنهما [٥] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [١] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٢] .

---

(١) ينظر : الكشاف : ٢ / ٥٢٧ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٢٣٣ ، تفسير ابن عادل الحنبلي : ١١ / ٤٠٤ .

(٢) **فإن قيل : كيف جاز له أن يستغفر لأبويه وكانا كافرين ؟**

أجيب بوجوه :

الأول : أنّ المنع منه لا يعلم إلا بتوقيف ، فلعله لم يجد منه منعاً ، وظنّ كونه جائزاً .

الثاني : أراد بوالديه آدم وحواء .

الثالث : كان ذلك بشرط الإسلام .

الرابع : كانت أمه مؤمنة ، ولهذا خص أباه بالذكر في قوله : ﴿ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ﴾ .[التوبة : ١١٤] .

الخامس : قال ذلك قبل أن يتبين له أمر أبيه ، وقد بين الله عذر خليله في استغفاره لأبيه في سورة التوبة .

ينظر : معاني القرآن للنحاس : ٣ / ٥٣٧ ، النكت والعيون : ٣ / ١٣٩ ، تفسير السمعاني : ٣ / ١٢١ ، تفسير البغوي : ٣ / ٣٩ ، الكشاف : ٢ / ٥٢٧ ، زاد المسير : ٤ / ٣٦٩ ، تفسير النسفي : ٢ / ٢٣٣ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٢٣٣ ، البحر المحيط : ٥ / ٤٢٣ ، تفسير الثعالبي : ٣ / ٣٨٧ ، تفسير ابن عادل : ١١ / ٤٠٤ ، ٤٠٥ ، السراج المنير : ٢ / ٢١١ .

(٣) **متى تبين لإبراهيم عليه السلام أن أباه عدو له ؟**

القول الأول : لما مات على الكفر تبين له أنه عدو لله .

أخرج ابن أبي حاتم بسند صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : ما زال إبراهيم يستغفر لأبيه حتى مات فلما مات تبين له أنه عدو لله فلم يستغفر له . وأخرج عن محمد بن كعب ، وقتادة ، ومجاهد ، والحسن ، وغيرهم قالوا : كان يرجوه في حياته فلما مات على شركه تبرأ منه . ينظر : تفسير ابن أبي زمنين : ٢ / ٣٧٣ ، الحاوي للفتاوي لجلال الدين السيوطي : ٢ / ٢٠٣ .

القول الثاني : أوحي إليه أنه لن يؤمن .

قال البيضاوي : بأن مات على الكفر ، أو أوحي إليه بأنه لن يؤمن . ينظر : تفسير البيضاوي : ٣ / ١٧٦ . وينظر قبله : التفسير الكبير : ١٦ / ١٦٧ .

(٤) سورة التوبة : ١١٤ .

(٥) ينظر : تنوير المقباس : ١٦٧ .

سورة إبراهيم ـــــــ

رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه ؛ **إلا أن ابن جزي قد جزم بكفر أبويه معاً** ؛ يدل على هذا القول ما يلي :

أولاً : النظائر القرآنية :

- لما اقتدى المؤمنون بإبراهيم عليه السلام فاستغفروا لموتاهم المشركين ، واستغفر النَّبي ﷺ لعمه أبي طالب أنزل الله فيهم : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ ﴾ . [سورة التوبة : ١١٣ ، ١١٤] .
- وكذلك سيد الشفعاء محمَّد ﷺ لما استأذن ربه ﷻ أن يستغفر لأمِّه .

عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال : « زَارَ النبي ﷺ قَبْرَ أُمِّهِ فَبَكَى وَأَبْكَى من حَوْلَهُ ، فقال : اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي في أَنْ أَسْتَغْفِرَ لها فلم يُؤْذَنْ لي ، وَاسْتَأْذَنْتُهُ في أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا فَأُذِنَ لي فَزُورُوا الْقُبُورَ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الْمَوْتَ » [(١)] .

- وبيَّن ﷻ في سورة (الممتحنة) أن الاستغفار للمشركين مستثنى من الأسوة بإبراهيم عليه السلام ، والأسوة الاقتداء ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ... ﴾ . [سورة الممتحنة : ٤] . إلى قوله : ﴿ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ ... ﴾ . أي فلا أسوة لكم في إبراهيم عليه السلام في ذلك [(٢)] .

ثانياً : يتأيد هذا القول **القاعدة الترجيحية** التالية :

- **القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك** [(٣)] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الجنائز ، بَاب اسْتِئْذَانِ النبي ﷺ رَبَّهُ ﷻ في زِيَارَةِ قَبْرِ أُمِّهِ (٩٧٦) : ٢ / ٦٧١ .

(٢) ينظر : تفسير ابن كثير : ٣ / ١٢٤ ، ١٢٥ ، أضواء البيان : ٢ / ٤٢٨ .

(٣) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٣١٢ .

قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَـٰفِلاً عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ... ﴾ .[آية : ٤٢] .

مسألة: لمن الوعيد في الآية ؟ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله:

رجَّح ابن جُزيّ أن الوعيد في هذه الآية الكريمة للكفار ؛ فقال : ((هذا وعيدٌ للظالمين ، وهم الكفَّار على **الأظهر**)) . اهـ [(١)] .

الدراسة:

اختلف المفسرون **لمن الوعيد في الآية** على قولين :

القول الأول : الوعيد للظالمين ، قاله جماعة من المفسرين [(٢)] .

ولكنهم **لم يحددوا معنى الظلم هنا** ، فتركوه على إطلاقه .

القول الثاني : الوعيد للكفار ، قاله ابن عباس رضي الله عنهما [(٣)] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [(٤)] ، ووافقه جماعة من المفسرين [(٥)] .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٤٢ .

(٢) منهم : الثعلبي ، والقشيري ، والبغوي ، والزمخشري ، والفخر الرازي ، والبيضاوي ، والنسفي ، والخازن ، والنيسابوري ، وأبو حيان ، وابن كثير ، والثعالبي ، وابن عادل ، والخطيب الشربيني ، والسعدي . ينظر : الكشف والبيان : ٥ / ٣٢٤ ، تفسير القشيري : ٢ / ١٢٩ ، تفسير البغوي : ٣ / ٣٩ ، الكشاف : ٢ / ٥٢٨ ، التفسير الكبير : ١٩ / ١١ تفسير البيضاوي : ٣ / ٣٥٤ ، تفسير النسفي : ٢ / ٢٣٤ ، تفسير الخازن : ٤ / ٥١ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٢٠١ ، البحر المحيط : ٥ / ٤٢٤ ، تفسير ابن كثير : ٢ / ٥٤٢ ، تفسير الثعالبي : ٣ / ٣٨٨ ، تفسير ابن عادل : ١١ / ٤٠٥ ، السراج المنير : ٢ / ٢١٢ ، تفسير السعدي : ٤٢٧ .

(٣) ينظر : تنوير المقباس : ٢١٥ .

(٤) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٤٢ .

(٥) في تفاسيرهم ، منهم : الطبري (١٣ / ٢٣٦) ، وابن أبي زمنين (٢ / ٣٧٣) ، والسمر قندي (٢ / ٢٤٧) والواحدي (١ / ٥٨٥) ، والقرطبي (٩ / ٣٧٦) ، والجلالين (٣٣٦) ، وأبو السعود (٥ / ٥٥) ، والطاهر بن عاشور (١٣ / ٢٤٦) وقال محمَّد سيِّد طنطاوي (٧ / ٥٧٢) : كل من انحرف عن طريق الحق واتبع طريق الباطل .

قال الطاهر بن عاشور : " والمراد بالظلم هنا الشرك ، لأنه ظلم للنفس بإيقاعها في سبب العذاب المؤلم ، وظلم لله بالاعتداء على ما يجب له من الاعتراف بالوحدانية . ويشمل ذلك ما كان من الظلم دون الشرك مثل ظلم الناس بالاعتداء عليهم أو حرمانهم حقوقهم ؛ فإن الله غير غافل عن ذلك " . اهـ [١] .

واستدلوا على ذلك :

١. بالنظير القرآني :

قوله تعالى : ﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ ﴾ .[سورة آل عمران : ١٩٦ ، ١٩٧] .

٢. من السُّنة :

عن عبد اللَّهِ بن مسعود ﷺ قال : « لَمَّا نَزَلَتْ هذه الْآيَةُ : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ ... ﴾ [٢] شَقَّ ذلك على أَصْحَابِ النبي ﷺ ، وَقَالُوا : أَيُّنَا لم يَظْلِمْ نَفْسَهُ ؟! فقال رسول اللَّهِ ﷺ : ليس كما تَظُنُّونَ ، إنما هو كما قال لُقْمَانُ لِابْنِهِ : ﴿ ... يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [٣] » [٤] .

والحق : أن الظلم [٥] نوعان :

١ – ظلم يخرج من الملة ، ويراد به الشرك : كقوله تعالى : ﴿ ... وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ

---

(١) التحرير والتنوير : ١٣ / ٢٤٦ .

(٢) سورة الأنعام : ٨٢ .

(٣) سورة لقمان : ١٣ .

(٤) أخرجه البخاري في كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم ، بَاب ما جاء في الْمُتَأَوِّلِينَ (٦٥٣٨) : ٦ / ٢٥٤٢ ، وأخرج مسلم بمثله في كتاب الإيمان ، بَبَ صِدْقِ الْإِيمَانِ وَإِخْلَاصِهِ (١٢٤) : ١ / ١١٤ .

(٥) أصل الظلم عند أكثر أهل اللغة : وضع الشيء في غير موضعه . ينظر (مادة : ظلم) : تهذيب اللغة للأزهري : ١٤ / ٢٧٤ ، مفردات الرَّاغب : ٣١٥ ، تاج العروس للزبيدي : ٣٣ / ٣٣ .

سورة إبراهيم ـــــــ

كثير [١] .

ثانياً : دلالة السِّياق القرآني :

فالسِّياق يبيّن إمهال الله للظالم ، والتهديد والوعيد للظالمين ، وهذا يوحي بأن الوعيد للكفار الذين كذبوا الرسل ، أما المسلم الظالم لنفسه أو لغيره فإن الله ﷻ دائماً يفتح له باب التوبة والرحمة . وذلك كقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ . [سورة النحل : ١١٩] .

ثالثاً : يدخل مشركو مكة في هذه الآية دخولا أولياً [٢] ، وعلى هذا فالآية تسلية لرسول الله ﷺ ، ووعد له أكيد ، ووعيد للكفر وسائر الظالمين شديد .

❖ وقد أورد أغلب المفسرين قول **ميمون بن مهران** في قوله : ﴿ وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعۡمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ... ﴾ قال : هي تعزية للمظلوم ، ووعيد للظالم [٣] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) ينظر : المرجع السابق .

(٢) ينظر : الوسيط لمحمَّد سيِّد طنطاوي : ٧ / ٥٧٢ .

(٣) عزاه السيوطي في الدر (٥ / ٤٩) إلى ابن جرير ، وابن أبي حاتم ، والخرائطي في مساوئ الأخلاق .

وميمون بن مهران هو : ميمون بن مهران الرقى ، أبو أيوب : فقيه من القضاة ، كان مولى لامرأة بالكوفة ، وأعتقته ، فنشأ فيها ، ثم استوطن الرقة (من بلاد الجُزيّرة الفراتية) فكان عالم الجُزيّرة ، وسيدها . وكان ثقة في الحديث ، كثير العبادة . ت سنة ١١٧ هـ . ينظر : الجرح والتعديل : ٨ / ٢٣٣ ، العبر في خبر من غبر : ١ / ١٤٧ ، طبقات الحفاظ للسيوطي : ٤٦ .

قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ ... ﴾ . [آية : ٤٨] .

مسألة : في كيفية تبديل الأرض والسموات :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجَّح ابن جُزيّ أن تبديل الأرض : بأن تكون يوم القيامة بيضاء عفراء كقرصة النقي ، و ﴿ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ ﴾ تبديلها : بانشقاقها وانتشار كواكبها ، وخسوف شمسها وقمرها

فقال :

((وتبديل الأرض : بأن تكون يوم القيامة بيضاء عفراء كقرصة النقي ، هكذا ورد في الحديث الصحيح ، ﴿ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ ﴾ تبديلها : بانشقاقها وانتشار كواكبها ، وخسوف شمسها وقمرها . وقيل : تبدل أرضا من فضة ، وسماء من ذهب ، **وهذا ضعيف**)) . اهـ [1] .

الدراسة :

قال أهل اللغة [2] : **التبديل : التغيير** ، وقد يكون:

١. **في الذوات ؛ أي تبدل بغيرها** : وذلك : كقولك : بدلت الدراهم دنانير ؛ ومنه :
   - قوله تعالى : ﴿ ... بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا ... ﴾ . [سورة النساء : ٥٦] .
   - وقوله تعالى : ﴿ ... وَبَدَّلْنَـٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ... ﴾ . [سورة سبأ : ١٦] .
٢. **وفي الأوصاف** : وذلك : كقولك : بدلت الحلقة خاتماً ؛ إذا أذبتها وسويتها خاتماً ، فنقلتها من شكل إلى شكل ومنه : قوله تعالى : ﴿ ... فَأُوْلَـٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَـٰتٍ ... ﴾ . [سورة الفرقان : ٧٠] . ويقال : تبدل زيد ؛ إذا تغيرت أحواله .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٤٣ .

(٢) ينظر : (مادة : بدل) في كل من : لسان العرب لابن منظور : ١١ / ٤٨ ، تاج العروس للزبيدي : ٢٨ / ٦٤ .

✓ **ولذا اختلف السلف والمفسرون في معنى تبديل الأرض على قولين :**

القول الأول : أنه تبدل صفاتها وأحوالها ، تذهب آكامها وجبالها وأوديتها وأشجارها ، وتمد مد الأديم ، روي عن ابن عباس ﷺ [١] ، وقاله غير واحد من المفسرين [٢] .

واستدل له :

بما روي عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال : « ... وتُمَدُّ الْأَرْضُ مَدَّ الْأَدِيمِ ... » [٣] .

القول الثاني : أنها تبدل ذاتها ؛ أي تبدل بغيرها ، ثم في ذلك عدة أقوال ؛ منها :

الأول : أنها تبدل **أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي** ، قاله عبد الله بن مسعود ﷺ [٤] وذهب إليه مقاتل [٥] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٦] ، ووافقه **جماعة** [٧] من المفسرين [٨] .

---

(١) رواه شهر بن حوشب عن ابن عباس ﷺ . **وهو ضعيف** ؛ لضعف شهر بن حوشب . ينظر : بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث ، للحافظ نور الدين علي بن سليمان الهيثمي (زوائد الهيثمي) (ت ٢٨٢ هـ) : ٢ / ١٠٠١ . وينظر : تنوير المقباس : ٢١٥ .

(٢) منهم : السمعاني ، والقاسمي ، والسعدي . ينظر : تفسير السمعاني : ٣ / ١٢٥ ، تفسير القاسمي : ١٠ / ٣٩ تفسير السعدي : ٤٢٨ .

(٣) أخرجه ابن ماجه في سننه في كتاب الفتن ، بَاب فِتْنَةِ الدَّجَالِ وَخُرُوجِ عِيسَى (٤٠٨١) : ٢ / ١٣٦٥ . وأخرج الحاكم بنحوه في المستدرك : ٤ / ٤٨٨ ، ٤٨٩ ، والإمام أحمد في مسنده : ١ / ٣٧٥ . عن مؤثر بن عفازة عن عبدالله بن مسعود مرفوعاً . وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ووافقه الذهبي ، ثم البوصيري وفيه نظر ؛ لأن مؤثر بن عفازة ؛ لم يوثقه غير ابن حبان ، ولذلك قال الحافظ : " مقبول " . يعني عند المتابعة ، ولا يوجد له متابعاً فالحديث ضعيف غير مقبول بهذا السِّياق ، وبعضه في مسلم . ولذا **ضعَّفه** ناصر الدين الألباني بهذا السِّياق .

(٤) قال الهيثمي : رواه الطبراني في الأوسط والكبير ، وفيه جرير بن أيوب البجلي وهو متروك ، ورواه في الكبير **موقوفا على عبد الله وإسناده جيد** . ينظر : مجمع الزوائد : ٧ / ٤٥ .

(٥) ينظر تفسيره : ٢ / ١٩٦ .

(٦) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٤٣ .

(٧) نسبه ابن عطية إلى الأكثرية . ينظر : المحرر الوجيز : ٣ / ٣٤٧ .

(٨) منهم : الثوري ، والسمر قندي ، وابن أبي زمنين ، والقرطبي ، وابن كثير ، والجلالين . ينظر : تفسير الثوري : ١٥٨ ، تفسير السمر قندي : ٢ / ٢٤٩ ، تفسير ابن أبي زمنين : ٢ / ٣٧٦ ، تفسير القرطبي : ٩ / ٣٨٣ ، ٣٨٤ ، تفسير ابن كثير : ٢ / ٥٤٤ ، تفسير الجلالين : ٣٣٧ . وينظر : شرح سنن ابن ماجه للسيوطي : ٣١٦ .

سورة إبراهيم ـــــــ

ولا داعي لتضعيفه ؛ وقد أورده جمهور المفسرين عند تفسير هذه الآية ، وكذلك شراح الحديث كالحافظ **ابن حجر** [١] وغيره ؛ ولم يتعرض له أحد منهم بتضعيف أو ردّ – في حدود ما وقفت عليه من تفاسير وكتب – . والله أعلم .

القول الثاني : تبديل ﴿ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ﴾ : **بانشقاقها وانتشار كواكبها ، وخسوف شمسها وقمرها ؛ وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٢] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٣] .

ويؤيد هذا القول النظائر القرآنية :

فقد ورد في كثير من السور المكية من المفصل هذه العلامات ؛ وهي من أهوال يوم القيامة ومنها :

قوله تعالى : ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ﴾ . [سورة الانفطار : ١ ، ٢] .

- وقوله تعالى : ﴿ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴾ . [سورة التكوير : ١ ، ٢] .

❖ **وقال جماعة من المفسرين** [٤] : **بجواز تبديل الأرض في الذات وفي الصفات .**

الـترجيح :

---

(١) ينظر : فتح الباري لابن حجر : ١١ / ٣٧٥ .

(٢) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٤٣ .

(٣) منهم : النحاس ، وابن أبي زمنين ، والبقاعي ، والقاسمي . ينظر : معاني القرآن للنحاس : ٣ / ٥٤٥ ، تفسير ابن أبي زمنين : ٢ / ٣٧٦ ، نظم الدرر : ٤ / ١٩٦ ، تفسير القاسمي : ١٠ / ٤٠ .

(٤) منهم : العز بن عبد السلام ، والبيضاوي ، والنسفي ، والخازن ، وأبو السعود ، والخطيب الشربيني ، والشوكاني والآلوسي ، والطاهر بن عاشور ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : التفسير الكبير : ١٩ / ١١٥ ، ١١٦ ، تفسير العز بن عبد السلام : ٢ / ١٦٩ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، تفسير النسفي : ٢ / ٢٣٥ ، تفسير الخازن : ٤ / ٥٤ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ٦٠ ، السراج المنير : ٢ / ٢١٤ ، فتح القدير : ٣ / ١١٨ ، روح المعاني : ١٣ / ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، التحرير والتنوير : ١٣ / ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، الوسيط : ٧ / ٥٧٨ .

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن تبديل الأرض والسموات يكون في الذات وذلك بتبديل الأرض بأرض بيضاء عفراء كقرصة النقي ، وتبدل السموات بانشقاقها وانتشار كواكبها ، وخسوف شمسها وقمرها ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** ، لما تقدم ؛ إضافة لما يلي :

أولاً : أدلة هذا القول أقوى ؛ فالحديث أخرجه الشيخان ؛ وهو مقدم على غيره .

ثانياً : يقوي هذا القول **القواعد الترجيحية** التالية :

- **إذا ثبت الحديث وكان نصاً في تفسير الآية فلا يصار إلا إليه .**
- **إذا ثبت الحديث ؛ وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه .**
- **تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم** [1] .

❖ وإن كان تبديل الأرض لصفاتها وأحوالها تحتمله الآية لوجود النظائر القرآنية ، وقد قال بذلك جماعة من المفسرين كما ذكرت :

فيكون **التبديل للأرض في الذات وفي الصفات** .

ولكن : إذا فسرنا بجواز التبديل الأرض للذات وللصفات ؛ فكيف يمكن الجمع بينه وبين قوله تعالى : ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴾ . [سورة الزلزلة : ٤] . وهو أن تحدث أخبارها وهو أن تحدث بكل ما عمل عليها ؟

✓ **الجواب** : وجه الجمع بين الآيتين :

- أن الأرض تبدل أولاً : (صفتها مع بقاء ذاتها) كما تقدم فيومئذ تحدث أخبارها .
- ثم بعد ذلك تبدل تبديلاً ثانياً : وهو أن تبدل (ذاتها بغيرها) كما تقدم أيضاً .

ويدل على صحة هذا التأويل :

---

(١) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ٢ / ١٩١ ، ٢٠٦ ، ٢٧١ .

سورة إبراهيم ـــــــ

سورة الحجر ـــــــ

✖ **وضُعِّف هذا القول** لأنه لم يجر للتوراة والإنجيل ذكر حتى يشار إليهما [١] .

القول الثاني : المراد به **القرآن** ، وعطفه عطف الصفات ، قاله ابن عباس ﷺ [٢] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٣] ، ووافقه جماعة المفسرين [٤] .

قال **أبو السعود** [٥] : " ولقد فخم شأنه العظيم مع ما جمع فيه من وصفي الكتابية والقرآنية والقرآنية على الطريقتين :

إحداهما : اشتماله على صفات كمال جنس الكتب الإلهية ؛ فكأنه كلها .

والثانية : طريقة كونه ممتازاً عن غيره نسيج وحده ، بديعاً في بابه ، خارجاً عن دائرة البيان . وأخرت الطريقة الثانية لما أن الإشارة إلى امتيازه عن سائر الكتب بعد التنبيه على انطوائه على كمالات غيره من الكتب ؛ أدخل في المدح كيلا يتوهم من أول الأمر أن امتيازه عن غيره لاستقلاله بأوصاف خاصة به من غير اشتماله على نعوت كمال سائر الكتب الكريمة " . اهـ [٦] .

✖ **واعتُرض : بأنه إذا كان القرآن هو الكتاب ، والكتاب هو القرآن ، فأي فائدة في**

---

(١) ينظر : تفسير الخازن : ٤ / ٥٥ .

(٢) ينظر : تنوير المقباس : ٢١٦ .

(٣) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٤٣ .

(٤) منهم : السمر قندي ، والثعلبي ، والقشيري ، والواحدي ، والسمعاني ، والبغوي ، والفخر الرازي ، والبيضاوي والنسفي ، والخازن ، والنيسابوري ، والجلالين ، وأبو السعود ، والخطيب الشربيني ، والقاسمي ، والآلوسي ، والسعدي ، وسيد قطب ، والطاهر بن عاشور ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير السمر قندي : ٢ / ٢٥٠ الكشف والبيان : ٥ / ٣٣٠ ، تفسير القشيري : ٢ / ١٣٢ ، تفسير الواحدي : ١ / ٥٨٨ ، تفسير السمعاني : ٣ / ١٢٨ ، تفسير البغوي : ٣ / ٤٣ ، التفسير الكبير : ١٩ / ١٢٠ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٣٦١ ، تفسير النسفي : ٢ / ٢٣٧ ، تفسير الخازن : ٤ / ٥٥ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٢٠٩ ، تفسير الجلالين : ٣٣٨ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ٦٣ ، السراج المنير : ٢ / ٢١٧ ، تفسير القاسمي : ١٠ / ٤٦، روح المعاني : ١٤ / ٢ ، ٣ ، تفسير السعدي : ٤٢٩ ، الظلال : ٤ / ٢١٢٥ ، التحرير والتنوير : ١٤ / ٩ ، الوسيط : ٨ / ١٠ .

(٥) **أبو السُّعود** هو : محمد بن محمد بن مصطفى العمادي ، أبو السعود ، مفسرٌ شاعر، من علماء الترك المستعربين ، ت سنة ٩٥١ هـ . ينظر : تاريخ النور السافر عن أخبار القرن العاشر لعبد القادر بن شيخ العيدروسي (ت ١٠٣٧ هـ) : ١ / ٢١٥ ، شذرات الذهب : ١٠ / ٥٨٤ ، الأعلام : ٧ / ٥٩ .

(٦) تفسير أبي السعود : ٥ / ٦٣ . وينظر قبله : تفسير الخازن : ٤ / ٥٥ . وينظر : روح المعاني : ١٤ / ٢ ، ٣ ، التحرير والتنوير : ١٤ / ٩ .

الجمع بينهما ؟

✓ **وأُجيب** : أن كل واحد منهما يفيد معنى لا يفيده الآخر ، فإن الكتاب هو ما يكتب ، والقرآن هو ما يجمع بعضه إلى بعض [١] .

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن المراد بالكتاب القرآن ، وعطفه عطف الصفات ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** لما تقدم ؛ إضافة لما يلي :

أولاً : السِّياق القرآني :

لأنه لم يجر للتوراة والإنجيل ذكر حتى يشار إليهما ؛ كما ذكرت آنفاً .

ثانياً : تفسير جمهور المفسرين له بذلك .

ثالثاً : النظير القرآني :

قال تعالى : ﴿ تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ . [سورة **النمل** : ١] .

وهنا في **سورة النمل** تقدم وصف المنزل على رسول الله ﷺ **بالقرآنية** على **الكتابية** لكونه أوفق لسياق الآية ، وفي **سورة الحجر** تقدم وصف **القرآنية** على **الكتابية** ، فيرجح كون هذا من باب عطف الصفات .

والله تعالى أعلم بالصواب .

(١) ينظر : تفسير السمعاني : ٣ / ١٢٨ ، تفسير البغوي : ٣ / ٤٣ ، تفسير ابن عادل : ١١ / ٤٢٢ .

سورة الحجر ـــــــ

قبل أن يحل بهم ما حل [١] .

القول الثاني : في الآخرة ، قاله مقاتل [٢] .

وذلك إمَّا :

١. يوم القيامة إذا عاينوا حالهم وحال المسلمين ، ذهب إليه الجلالين [٣] ، و**الخطيب الشربيني** [٤] .

٢. أو إذا رأوا المسلمين دخلوا الجنة تمنوا أن يكونوا أسلموا ، قاله العز بن عبد السلام [٥] روى مجاهد عن ابن عباس ﷺ قال : ما يزال الله يدخل الجنة ، ويرحم ، ويشفع ؛ حتى يقول لمن كان من المسلمين : ادخلوا الجنة ؛ فحينئذ ﴿ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ﴾ [٦] .

١. أو إذا خرج عصاة المسلمين من النار ؛ قاله ابن عباس [٧] ، وأنس بن مالك [٨] ، وابن وابن مسعود أيضاً [٩] ﷺ أجمعين ، ومجاهد [١٠] ، والنخعي [١١] ، **وهذا هو المشهور** [١٢] [١٢] ، وهو ما **صحَّحه النحاس** [١] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٢] ، ووافقه جماعة من

---

(١) ينظر : البحر المحيط : ٥ / ٤٣٣ .

(٢) ينظر تفسيره : ٢ / ١٩٨ .

(٣) ينظر : تفسير الجلالين : ٣٣٨ .

(٤) ينظر : السراج المنير : ٢ / ٢١٧ .

والخطيب الشِّربيني هو : محمد بن أحمد الشربيني ، شمس الدين : فقيه شافعي ، مفسر . من أهل القاهرة ، له تصانيف ، منها : (السراج المنير) في تفسير القرآن ، ت سنة ٩٧٧ هـ . ينظر : هدية العارفين : ٦ / ٢٥٠ ، الأعلام : ٦ / ٦ .

(٥) ينظر : تفسير العز بن عبد السلام : ٢ / ١٧٠ .

(٦) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٤ / ٣) .

(٧) ينظر : تنوير المقباس : ٢١٦ .

(٨) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٤ / ٣) .

(٩) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٤ / ٣) . وينظر : الدر المنثور : ٥ / ٦٢ .

(١٠) أخرجه عبد الرزاق الصنعاني في تفسيره (٢ / ٣٤٥) ، وابن جرير في تفسيره (١٤ / ٣) .

(١١) أخرجه عبد الرزاق الصنعاني في تفسيره (٢ / ٣٤٥) .

والنخعي هو : إبراهيم بن يزيد بن قيس النخعي ، أبو عمران الكوفي ، إمام حافظ ، فقيه محدث ، ت سنة ١٩٦هـ . ينظر : تاريخ البخاري : ١ / ٣٣٣ ، الحلية : ٤ / ٢١٩ ، وطبقات الحفاظ : ٢٥ .

(١٢) قال بأن هذا القول هو المشهور : السمعاني ، والبغوي ، والخازن ، وابن عادل . ينظر : تفسير السمعاني :

سورة الحجر ـــــــ

سورة الحجر ـــــــ

سورة الحجر ـــــــ

قوله تعالى : ﴿ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓاْ إِذًا مُّنظَرِينَ ﴾ . [آية : ٨] .

مسألة : في معنى الحق هنا في قوله تعالى : ﴿ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن معنى الحق هنا : الحق من الوحي والمصالح التي يريدها الله ، فقال : ((﴿ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾ رد عليهم فيما اقترحوا ، والمعنى : أن الملائكة لا تنزل إلا بالحق من الوحي والمصالح التي يريدها الله ؛ لا باقتراح مقترح واختيار كافر ، وقيل : الحق هنا العذاب)) . اهـ [١] .

الدراسة :

اختلف المفسرون في **معنى الحق هنا في قوله تعالى : ﴿ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾** على قولين :

القول الأوَّل : معناه : **الوحي والمصالح التي يريدها الله** ، لا باقتراح مقترح واختيار كافر **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٢] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٣] .

واعتُرض :

بأن الأوفق بقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴾ [٤] أن يكون الوجه الذي يحق ملابسة التنزيل به لمثل غرضهم كونهم بصور

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٤٤ .

(٢) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٤٤ .

(٣) منهم : ابن عطية ، والقرطبي ، والثعالبي ، والشنقيطي . ينظر : المحرر الوجيز : ٣ / ٣٥١ ، تفسير القرطبي : ١٠ / ٤ ، تفسير الثعالبي : ٣ / ٣٩٥ ، أضواء البيان : ٢ / ٢٥٥ . وقال غير واحد من المفسرين : ﴿ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾ أى : تنزيلاً متلبساً بالحق الذى يحق عنده تنزيلنا لهم فيما تقتضيه الحكمة الإلهية والمشيئة الربانية . ومنهم : الزمخشري ، والبيضاوي ، والنسفي ، و أبو السعود ، والخطيب الشربيني ، والشوكاني ، وسيد طنطاوي . ينظر : الكشاف : ٢ / ٥٣٥ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٣٦٢ ، تفسير النسفي : ٢ / ٢٣٨ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ٦٨ ، السراج المنير : ٢ / ٢١٩ ، فتح القدير : ٣ / ١٢٢ ، الوسيط : ٨ / ١٨ .

(٤) سورة الأنعام : ٩ .

الرجال ، وذلك ليس من باب التنزيل بالوحي الذي لا يكاد يكون لهم أصلا [١] .

القول الثاني : المراد بالحق هنا **الموت** ، أي : لا ينزلون إلا بالموتِ ، أو **بعذاب الاستئصال** قاله الحسن [٢] ، ومقاتل [٣] ، وذهب إليه **أكثر** [٤] المفسرين [٥] .

القول الثالث : الحق هنا **الرسالة والعذاب** ؛ قاله مجاهد [٦] ، وغير واحد من المفسرين [٧] . [٧] .

قال البقاعي :

" أي بسبب عمل الأمر الثابت ، وهو معنى ما قال الإمام البخاري في كتاب التوحيد : قال مجاهد : بالرسالة والعذاب ، وأما على **الرسل** فبالحق من الأقوال ، وأما على **المنذرين** فبالحق من الأفعال من الهلاك والنجاة " . اهـ [٨] .

الـترجيح :

---

(١) ينظر : روح المعاني : ١٤ / ١٤ .

(٢) نسبه إليه الماوردي وابن الجوزي . ينظر : النكت والعيون :٣ / ١٤٩ ، زاد المسير : ٤ / ٣٨٤ .

(٣) ينظر : تفسيره : ٢ / ١٩٩ .

(٤) نسبه ابن عادل إلى المفسرين . ينظر : تفسير ابن عادل : ١١ / ٤٣١ .

(٥) منهم : الثعلبي ، والواحدي ، والبغوي ، والفخر الرازي ، والخازن ، وابن عادل ، والجلالين ، والقاسمي ، والآلوسي ، والسعدي ، وسيد قطب ، والطاهر بن عاشور . ينظر : الكشف والبيان : ٥ / ٣٣١ ، تفسير الواحدي : ١ / ٥٨٩ ، تفسير البغوي : ٣ / ٤٤ ، التفسير الكبير : ١٩ / ١٢٦ تفسير الخازن : ٤ / ٥٧ ، تفسير ابن عادل : ١١ / ٤٣١ ، تفسير الجلالين : ٣٣٨ ، تفسير القاسمي : ١٠ / ٤٨ ، روح المعاني : ١٤ / ١٤ ، تفسير السعدي : ٤٢٩ ، الظلال : ٤ / ٢١٢٧ ، التحرير والتنوير : ١٤ / ٩ .

(٦) ينظر تفسيره : ١ / ٣٣٩ . وأخرجه ابن جرير ، وعزاه السيوطي أيضاً إلى ابن أبي شيبة ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم . ينظر : تفسير الطبري : ١٤ / ٨ ، الدر المنثور : ٥ / ٦٧ . وسمي البخاري بقول مجاهد في الآية باباً من أبواب كتاب التوحيد . ينظر : صحيح البخاري : ٦ / ٢٧٣٤ .

(٧) منهم : الطبري ، والنحاس ، والسمر قندي ، والسمعاني ، والعز بن عبد السلام ، والبقاعي . ينظر : تفسير الطبري : ١٤ / ٨ ، معاني القرآن للنحاس : ٤ / ١١ ، تفسير السمر قندي : ٢ / ٢٥١ ، تفسير السمعاني : ٣ / ١٣٠ ، تفسير العز بن عبد السلام : ٢ / ١٧١ ، نظم الدرر : ٤ / ٢٠٦ .

(٨) نظم الدرر : ٤ / ٢٠٦ .

سورة الحجر ـــــــ

جوابها مراعاة لمناسبة عطف جوابها على قول : ﴿ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ﴾ وكان شأن ﴿ إِذًا ﴾ أن تكون في صدر جوابها ؛ وجملتها هي الجواب المقصود لقولهم : ﴿ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَٰٓئِكَةِ ... ﴾ . [سورة الحجر : ٧] .

وجملة : ﴿ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾ مقدمة من تأخير لأنها تعليل للجواب ، فقُدِّم لأنه أوقع في الرد ، ولأنه أسعد بإيجاز الجواب ، وتقدير الكلام : لو ما تأتينا بالملائكة إن كنت من الصادقين ؛ إذن ما كنتم مُنظرين بالحياة ولعجل لكم الاستئصال ؛ إذ ما تنزل الملائكة إلا مصحوبين بالعذاب الحاقّ . وهذا المعنى وارد في قوله تعالى : ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ ۚ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ ... ﴾ . [سورة العنكبوت : ٥٣] .[١]

خامساً : هذا القول تؤيده **القواعد الترجيحية** التالية :

- **القول الذي تؤيده قرائن في السِّياق مرجح على ما خالفه .**
- **القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك** [٢] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

(١) ينظر : التحرير والتنوير : ١٤ / ١٩ . وينظر قبله : الكشاف : ٢ / ٥٣٥ .

(٢) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٢٩٩ ، ٣١٢ .

سورة الحجر ـــــــ

قال ابن عباس ﷺ : لو فتح الله عليهم من السماء بابا فظلت الملائكة تعرج فيه ، يقول : يختلفون فيه جائين وذاهبين ، ﴿ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتۡ أَبۡصَٰرُنَا ... ﴾ [١] .

ويؤيد ذلك :

السِّياق القرآني : وفيه القرينة بقول الكفار : ﴿ لَّوۡ مَا تَأۡتِينَا بِٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٧ ﴾ . [سورة الحجر : ٧] .

القول الثاني : الضمائر **لكفار قريش** المعاندين المحتوم عليهم بالكفر ، قاله الحسن [٢] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٣] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٤] . [٥]

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن الراجح أن الضمائر في قوله تعالى : ﴿ وَلَوۡ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعۡرُجُونَ ۝١٤ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتۡ**

---

(١) أخرجه عبد الرزاق ، وابن جرير ، وعزاه السيوطي أيضاً إلى ابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم . ينظر : تفسير الصنعاني : ٢ / ٣٤٦ ، تفسير الطبري : ١٤ / ١٠ ، ١١ ، الدر المنثور : ٥ / ٦٨ . وسلسة إسناد عبد الرزاق : عن معمر عن قتادة عن ابن عباس ﷺ . وسلسة إسناد الطبري : حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة عن ابن عباس ﷺ . قال الحافظ في تهذيب التهذيب : قال الحاكم في علوم الحديث : **لم يسمع قتادة من صحابي غير أنس ﷺ** . اهـ . ينظر : تهذيب التهذيب : ٨ / ٣١٨ . **فالأثر فيه انقطاع** ؛ لأن قتادة لم يسمع من ابن عباس ﷺ .

(٢) أخرجه ابن جرير رواه عنه قتادة ، ونسبه البغوي وابن عادل إلى الحسن أيضاً . ينظر : تفسير الطبري : ١٤ / ١٠ ، ١١ ، تفسير البغوي : ٣ / ٤٥ ، تفسير ابن عادل : ١١ / ٤٣٦ .

(٣) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٤٤ .

(٤) منهم : الواحدي ، والزمخشري ، والقرطبي ، والنيسابوري ، وأبو حيان ، وابن كثير ، والبقاعي ، والجلالين ، والشوكاني ، والقاسمي ، والآلوسي ، والسعدي ، وسيد قطب ، والطاهر بن عاشور ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير الواحدي : ١ / ٥٨٩ ، الكشاف : ٢ / ٥٣٧ ، تفسير القرطبي : ١٠ / ٨ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٢١٣ ، البحر المحيط : ٥ / ٤٣٦ ، تفسير ابن كثير : ٢ / ٥٤٨ ، نظم الدرر : ٤ / ٢١٠ ، تفسير الجلالين : ٣٣٩ ، فتح القدير : ٣ / ١٢٣ ، تفسير القاسمي : ١٠ / ٥٠ ، روح المعاني : ١٤ / ١٩ ، تفسير السعدي : ٤٣٠ ، الظلال : ٤ / ٢١٢٩ ، التحرير والتنوير : ١٤ / ٢٦ ، الوسيط : ٨ / ٢٥ .

(٥) قال بجواز القولين جماعة من المفسرين ؛ منهم : ابن عطية ، والعز بن عبد السلام ، والبيضاوي ، والنسفي ، والثعالبي ، وأبو السعود . ينظر : المحرر الوجيز : ٣ / ٣٥٣ ، تفسير العز بن عبد السلام : ٢ / ١٧١ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٣٦٤ ، تفسير النسفي : ٢ / ٢٣٩ ، تفسير الثعالبي : ٣ / ٣٩٦ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ٧٠ .

أَبْصَـرُنَا ... ﴾ لكفار قريش المعاندين المختوم عليهم بالكفر ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه ؛ يدل على ذلك ما يلي :

أولاً : أن الضمير في ﴿ فَظَلُّواْ ﴾ **يعود على أقرب مذكور** ، ولذا فهو عائد على من عاد عليه في قوله : ﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم ﴾ وهم كفار قريش المعاندين المختوم عليهم بالكفر .

ثانياً : يتأيد هذا القول ببعض **القواعد الترجيحية المعتبرة** عند المفسرين ، منها :

- **توحيد مرجع الضمائر في السِّياق الواحد أولى من تفريقها .**
- **الأصل إعادة الضمير إلى أقرب مذكور ، ما لم يرد دليل بخلافه** [1] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

(١) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ٢ / ٦١٣ ، ٦٢١ .

قوله تعالى : ﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ ﴾ . [آية : ١٩] .

مسألة : في المراد بقوله تعالى : ﴿ مَّوْزُونٍ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن المراد بـ ﴿ مَّوْزُونٍ ﴾ مقدَّر بقدر ، فقال : ((أي : مقدَّر بقدر ؛ فالوزن على هذا استعارة . وقيل : المراد ما يوزن حقيقة ؛ كالذهب والأطعمة ، **والأوَّل أعمُّ وأحسن**)) . اهـ [١] .

الدراسة :

اختلف جماعة السلف وأهل العلم والمفسرون في **المراد بقوله تعالى** : ﴿ مَّوْزُونٍ ﴾ على قولين :

القول الأوَّل : ﴿ مَّوْزُونٍ ﴾ أي : **مقدَّر بقدر** ؛ فالوزن على هذا استعارة ؛ قاله ابن عباس رضي الله عنه [٢] ، ومجاهد [٣] ، وسعيد بن جبير [٤] ، وذهب إليه الزَّجَّاج [٥] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٦] ، ووافقه **جمهور** [٧] المفسرين [٨] .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٤٥ .

(٢) ينظر : تنوير المقباس : ٢١٧ .

(٣) ينظر تفسيره : ١ / ٣٤٠ . وأخرجه ابن جرير في تفسيره (١٤ / ١٦) ، وعزاه السيوطي أيضاً في الدر (٥ / ٧٠) إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم .

(٤) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٤ / ١٦) .

(٥) ينظر معانيه : ٣ / ١٧٦ .

(٦) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٤٥ .

(٧) نسب ابن عطية والثعالبي هذا القول إلى جمهور المفسرين . ينظر : المحرر الوجيز : ٣ / ٣٥٥ ، تفسير الثعالبي : ٣ / ٣٩٧ .

(٨) منهم : الطبري ، والنحاس ، وابن أبي زمنين ، والثعلبي ، والواحدي ، والبغوي ، والزمخشري ، وابن عطية ، والقرطبي ، والنيسابوري ، والبقاعي ، والجلالين ، وأبو السعود ، والشوكاني ، والقاسمي ، والآلوسي ، وسيد قطب ، والطاهر بن عاشور ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير الطبري : ١٤ / ١٥ ، معاني القرآن للنحاس : ٤ / ١٧ ، تفسير ابن أبي زمنين : ٢ / ٣٨٢ ، الكشف والبيان : ٥ / ٣٣٥ ، تفسير الواحدي : ١ / ٥٩٠ ، تفسير البغوي : ٣ / ٤٧ ، الكشاف : ٢ / ٥٣٧ ، المحرر الوجيز : ٣ / ٣٥٥ ، تفسير القرطبي : =

وعلى هذا يكون المعنى مقدر عند الله تعالى ؛ لأن الله ﷻ يعلم القدر الذي يحتاج إليه الناس في معايشهم وأرزاقهم ، فيكون إطلاق الوزن عليه مجازاً ، لأن الناس لا يعرفون مقادير الأشياء إلا بالوزن [١] .

واستدل له :

١. **بالنظائر القرآنية** : ومنها :

- قوله تعالى : ﴿ ... وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴾ . [سورة الرعد : ٨] .
- وقوله تعالى : ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾ . [سورة الحجر : ٢١] .

٢. **بكلام العرب** : ومنه :

قول الشاعر :

قد كنت قبل لقائكم ذا مرة عندى لكل مخاصم ميزانه [٢]

القول الثاني : المراد **ما يوزن حقيقة** ؛ كالذهب والأطعمة ؛ وهو قول ابن زيد [٣] ، والثوري [٤] ، ورجَّحه الفَرَّاء [٥] . [٦]

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن المراد بـــ ﴿ مَّوْزُونٍ ﴾ مقدَّر بقدر ؛ وهو**

= ١٠ / ١٣ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٢١٦ ، نظم الدرر : ٤ / ٢١٣ ، تفسير الجلالين : ٣٣٩ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ٧١ ، فتح القدير : ٣ / ١٢٦ ، تفسير القاسمي : ١٠ / ٥٢ ، روح المعاني : ١٤ / ٢٩ ، الظلال : ٤ / ٢١٣٤ ، التحرير والتنوير : ١٤ / ٣٥ ، الوسيط : ٨ / ٣٠ .

(١) ينظر : تفسير القرطبي : ١٠ / ١٣ ، تفسير الخازن : ٤ / ٦١ .

(٢) لم أهتد لقائله . وأورده جماعة من المفسرين عند تفسير الآية . ينظر : تفسير القرطبي : ١٠ / ١٣ ، فتح القدير : ٣ / ١٢٦ . **والميزان** : المقدار . ينظر (مادة : وزن) في : المحكم لابن سيده : ٩ / ١٠٩ ، لسان العرب : ١٣ / ٤٤٧ .

(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٤ / ١٧) . وينظر : الدر المنثور : ٥ / ٧٠ .

(٤) ينظر تفسيره : ١٥٩ .

(٥) ينظر معانيه : ٢ / ٧٢ .

(٦) قال بجواز القولين من المفسرين : البيضاوي ، والنسفي . ينظر : تفسير البيضاوي : ٣ / ٣٦٥ ، تفسير النسفي : ٢ / ٢٣٩ .

أعمُّ وأحسن ، وهو ما رجّحه ابن جُزيّ ، ووافقه جمهور المفسرين ، يدل على ذلك إضافة لما تقدم **القاعدة الترجيحية** التالية :

- **القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك** [١] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

(١) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٣١٢ .

قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ . [آية : ٢٠] .

مسألة : علام عطفت ﴿ مَن ﴾ في قوله تعالى : ﴿ وَ مَنِ لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ ﴾ ؟ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن ﴿ مَن ﴾ عطفت على ﴿ مَعَايِشَ ﴾ ، فقال : ((و﴿ مَن ﴾ معطوف على ﴿ مَعَايِشَ ﴾ . وقيل : على الضمير في ﴿ لَكُمْ ﴾ ، **وهذا ضعيف في النحو** ؛ لأنه عطف على الضمير المخفوض من غير إعادة الخافض ، **وهو قوي في المعنى** ؛ أي : جعلنا في الأرض معايش لكم وللحيوانات)) . اهـ [(١)] .

الدراسة :

ترتب على اختلاف المفسرين في المراد بقوله تعالى : ﴿ وَ مَنِ لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ ﴾ واختلافهم في معنى ﴿ مَن ﴾ ومعنى الآية ، **اختلافهم في علام عطفت ﴿ مَن ﴾** ، وحاصل اختلافهم يرجع إلى قولين :

✓ **القول الأوّل** : المراد بقوله تعالى : ﴿ وَ مَنِ لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ ﴾ **الدواب والأنعام** ؛ قاله مجاهد [(٢)] .

وقال آخرون : عنى بذلك الوحش خاصة [(٣)].

وعلى هذا يكون معنى الآية :

وجعلنا فيها معايش لمن لستم له برازقين من الدوابِّ والأنعام أي : جعلناها لكم وكفيناكم رزقها .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٤٥ .

(٢) ينظر : تفسير مجاهد : ١ / ٣٤٠ ، وأخرجه ابن جرير ، ينظر : تفسير الطبري : ١٤ / ١٨ .

(٣) أخرجه ابن جرير عن شعبة عن منصور ، ومنصور الذي يروي عنه شعبة بن الحجاج : هو منصور بن عبد الرحمن التميمي الغداني (بضم الغين) عن الشعبي ، وعنه وشعبة وابن علية ، وثقه ابن معين وأحمد وأبو داود ، وقال أبو حاتم : ليس بالقوي ، يكتب حديثه ولا يحتج به ، وقال النسائي : ليس بقوي ، ينظر : تفسير الطبري : ١٤ / ١٨ . وعزاه السيوطي أيضاً إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم . ينظر : الدر المنثور : ٥ / ٧٠ .

سورة الحجر ـــــــ

وهو مذهب الكوفيِّين ، وفيه قبح عند البصريِّين [١] ، فإنه لا يجوز عندهم عطف الظاهر على المضمر إلا بإعادة حرف الجر ، مثل : مررت به وبزيد ، ولا يجوز : مررت به وزيد إلا في الشعر .

✖ وأما **سيبويه** فهي عنده قبيحة لا تجوز إلا في الشعر [٢] ، كما قال :

فاليومَ قرَّبْتَ تَهْجُونا وتَشْتِمُنا فاذهب فما بك والأيَّامِ من عَجَبِ

✖ **وضعَّفه ابن جُزيّ وغيره** [٣] **فقال** : " **وهذا ضعيف في النحو** ؛ لأنه عطف على الضمير المخفوض من غير إعادة الخافض ، **وهو قوي في المعنى** " [٤] .

✓ **ويرد على ذلك** :

بأن **هذا القول ليس ضعيفاً في النحو** ؛ بل الضَّعف على مذهب البصريين ولسنا ملزمين بمذهبهم النحوي ، وقد صحَّح جماعة من علماء العربية [٥] جواز العطف من غير إعادة الخافض ، وقد ورد ذلك في كلام العرب نثراً ونظماً ، وإلى ذلك ذهب **ابن مالك** حيث قال :

وَعَوْدُ خَافِضٍ لَدَى عَطْفٍ عَلَى ضَمِيرِ خَفْضٍ لاَزِمَا قَدْ جُعِــلاَ
وَلَيْسَ عِنْدِي لازِما إِذْ قَــدْ أَتَى فِي النَّظْمِ وَالنَّثْرِ الصَّحِيحِ مُثْبَتَا [٦]

---

(١) استنصر الأنباري لمذهب البصريين ، وللمزيد من الرد على الكوفيين ينظر : الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين لأبي البركات الأنباري (ت ٥٧٧ هـ) (مسألة هل يجوز العطف على الضمير المخفوض) : ٢ / ٤٦٣ .

(٢) ينظر : كتاب سيبويه لعمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه (ت ١٨٠ هـ) : ٢ / ٣٨٣ . والبيت من شواهد سيبويه ذكره في كتابه من غير عزو .

وسيبويه هو : عمرو بن عثمان بن قنبر الفارسي ثم البصري ، أبو بشر ، إمام النحو وحجة العرب ، سمي سيبويه لأن وجنتيه كانتا كالتفاحتين ، وهو أول من بسط علم النحو ، ت سنة ١٨٠ على الأصح . ينظر : تاريخ بغداد : ١٢ / ١٩٥ ، الإكمال لابن ماكولا : ٤ / ٤١٩ ، ٤٢٠ ، معجم الأدباء : ٤ / ٤٩٩ - ٥٠٦ .

(٣) وممن **ضعَّفه** أيضاً : الطبري ، والزمخشري ، وابن عطية ، والنيسابوري ، والشوكاني . ينظر : تفسير الطبري : ١٤ / ١٨ ، الكشاف : ٢ / ٥٣٨ ، المحرر الوجيز : ٣ / ٣٥٥ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٢١٦ ، فتح القدير : ٣ / ١٢٦ .

(٤) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٤٥ .

(٥) منهم أبو حيان ، ينظر : البحر المحيط : ٢ / ١٥٦ .

(٦) ينظر : شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك لقاضي القضاة بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي المصري =

سورة الحجر ـــــــ

كأن الله تعالى عدد النعم في المعايش وهي ما يؤكل ويلبس ، ثم عدد النعم في الحيوان والعبيد والصناع وغير ذلك مما ينتفع به الناس وليس عليهم رزقهم .

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **جواز الوجهين** ، وتكون ﴿مَن﴾ في ﴿ وَ مَنِ لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴾ :

- في موضع نصب عطفاً به على ﴿ مَعَٰيِشَ ﴾ .
- أو في موضع جر عطفاً على الضمير المجرور في ﴿ لَكُمْ ﴾ .

كأنه قيل : جعلنا لكم معايش ، وجعلنا لكم من لستم برازقيه من العيال والمماليك والخدم والدواب وما أشبهها على طريقة التغليب .

✓ **وقد أجاز الوجهين جماعة من المفسرين** [1] ، ولكل قول أدلته .

والله تعالى أعلم بالصواب .

= الثعالبي ، والآلوسي ، والسعدي ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير الطبري : ١٤ / ١٨ ، معاني القرآن للنحاس : ٤ / ١٨ ، تفسير السمرقندي : ٢ / ٢٥٣ ، زاد المسير : ٤ / ٣٩٢ ، تفسير القرطبي : ١٠ / ١٣ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٢١٦ ، البحر المحيط : ٥ / ٤٣٨ ، تفسير الثعالبي : ٣ / ٣٩٧ ، روح المعاني : ١٤ / ٢٩ تفسير السعدي : ٤٣٠ ، الوسيط : ٨ / ٣١ .

(١) منهم : السمعاني ، والزمخشري ، والفخر الرازي ، والبيضاوي ، والنسفي ، وأبو السعود ، والشوكاني .
ينظر : تفسير السمعاني : ٣ / ١٣٤ ، الكشاف : ٢ / ٥٣٧ ، التفسير الكبير : ١٩ / ١٣٧ ، ١٣٨ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٣٦٥ ، تفسير النسفي : ٢ / ٢٣٩ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ٧١ ، فتح القدير : ٣ / ١٢٦ .

سورة الحجر ـــــــ

سورة الحجر ـــــــ

سورة الحجر ـــــــ

سورة الحجر ـــــــ

سورة الحجر ـــــــ

سورة الحجر ـــــــ

القول السادس : أن المستقدمين **من بني آدم من مات منكم** ؛ والمستأخرينَ **من بقي منكم فلم يمت** ، قاله مقاتل [٢] .

القول السابع : أن المستقدمين **من قتل في الجهاد** ، والمستأخرين **من لم يقتل** ، قاله **القرظي** [٣] .

القول الثامن : أن المستقدمين **أول الخلق** ، والمستأخرين **آخر الخلق** ، قاله الشعبي [٤] .

الـترجيح :

يظهر لي – والله أعلم – **أن الأوَّلى حمل الآية على العموم** [٥] ، **وحمل جميع أقوال السَّلف على التمثيل لا على الحصر ، فيكون معنى الآية : علمنا من اتصف بالتقدم والتأخر في الولادة ، والموت ، والإسلام ، وصفوف الصلاة ، والطاعة وغير ذلك** ؛ يدل على ذلك إضافة على ما تقدَّم ؛ ما يلي :

أولاً : دلالة السِّياق القرآني : لما قال سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ نبَّه على أنه لا يخفى على الله شيء من أحوالهم ؛ فيدخل فيه **علمه تعالى** بتقدمهم وتأخرهم في الحدوث والوجود ، وبتقدمهم وتأخرهم في أنواع الطاعات والخيرات ، ولا ينبغي أن نخص الآية بحالة دون حالة .

---

(١) ينظر : المحرر الوجيز : ٣ / ٣٥٨ .

(٢) ينظر تفسيره : ٢ / ٢٠١ .

(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٤ / ٢٣) .
والقرظي هو : محمد بن كعب القرظي المدني ، أبو حمزة ، تابعي ثقة ، رجل صالح ، كان من عباد أهل المدينة وعلمائهم بالقرآن ، ت سنة ١٠٨هـ . ينظر : معرفة الثقات : ٢ / ٢٥١ ، مشاهير علماء الأمصار : ٦٥ ، الإصابة : ٦ / ٣٤٥ .

(٤) نسبه إليه الماوردي في النكت والعيون (٣ / ١٥٦) .

(٥) قال **بالعموم** من المفسرين : ابن عطية ، والزمخشري ، والفخر الرازي ، والبيضاوي ، والنسفي ، والخازن ، والنيسابوري ، وأبو حيان ، وابن عادل ، وأبو السعود ، والقاسمي والطاهر بن عاشور . ينظر : المحرر الوجيز : ٣ / ٣٥٨ ، الكشاف : ٢ / ٥٣٨ – ٥٤٠ ، التفسير الكبير : ١٩ / ١٤٢ ، تفسير العز بن عبد السلام : ٢ / ١٧٣ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٣٦٧ ، تفسير النسفي : ٢ / ٢٤٠ ، تفسير الخازن : ٤ / ٦٤ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٢١٨ ، البحر المحيط : ٥ / ٤٣٩ ، تفسير ابن عادل : ١١ / ٤٤٩ ، ٤٥٠ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ٧٣ ، تفسير القاسمي :١٠ / ٥٤ ، روح المعاني : ١٤ / ٣٣ .

سورة الحجر ـــــــ

سورة الحجر ـــــــ

سورة الحجر ـــــــ

سورة الحجر ـــــــ

سورة الحجر ـــــــ

سورة الحجر ـــــــ

قولين :

القول الأوَّل : أن الباء **للسببية** ، أي : لأغوينهم بسبب إغوائك لي ؛ **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [١] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٢] .

قال ابن عباس رضي الله عنه : ﴿ **قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى** ﴾ أي : كما أضللتني [٣] ، وقاله جمهور [٤] المفسرين .

✖ **والمعتزلة** أوَّلوا الإغواء [٥] .

---

(١) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٤٦ .

(٢) منهم : الواحدي ، والآلوسي ، والطاهر بن عاشور . ينظر : تفسير الواحدي : ١ / ٥٩٢ ، روح المعاني : ١٤ / ٥٠ ، التحرير والتنوير : ١٤ / ٤٩ . واحتمله غير واحد من المفسرين ؛ منهم : ابن عطية ، وابن كثير ، ونقل الثعالبي قول ابن عطية ، وأبو السعود . ينظر : المحرر الوجيز : ٣ / ٣٦٢ ، تفسير ابن كثير : ٢ / ٥٥٢ ، تفسير الثعالبي : ٣ / ٤٠١ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ٧٨ .

(٣) وعلى هذا المعنى قال محمد بن كعب القرظي فيما حكى الطبري : (قاتل الله القدرية لإبليس أعلم بالله منهم) . يريد أنه علم أن الله يهدي ويضل . وجاء رجل من كبار الفقهاء يرمي بالقدر ، فجلس إلى طاووس في المسجد الحرام ، فقال له طاووس : تقوم أو تقام ؟ فقام الرّجل . فقيل له : أتقول هذا الرجل فقيه ، فقال : إبليس أفقه منه . قال : ربّ بما أغويتني ، وهذا يقول أنا أغوي نفسي . وقال الحسن : ﴿ أَغْوَيْتَنِى ﴾ لعنتني . وقيل : بما خيبتني من رحمتك ، وقيل : بما أهلكتني . وقالت فرقة ﴿ أَغْوَيْتَنِى ﴾ معناه : أهلكتني ، حكى ذلك الطبري وقال هو من قولك : غوى الفصيل ، ويغوي غوى : إذا انقطع عنه اللبن فمات . وقد حكي عن بعض طيىء : أصبح فلان غاوياً ؛ أي : مريضاً . قال ابن عطية : وهذا كله تفسير بأشياء لزمت إغواءه . اهـ . ينظر : تفسير الطبري : ٨ / ١٣٤ ، تفسير السمعاني : ٣ / ١٤٠ ، المحرر الوجيز : ٢ / ٣٨٠ ، البحر المحيط لأبي حيان : ٥ / ٢٧٦ ، روح المعاني : ٨ / ٩٤ .

(٤) نسب ابن عطية هذا المعنى إلى الجمهور . ينظر : المحرر الوجيز : ٢ / ٣٨٠ .

(٥) تأول المعتزلة : ﴿ أَغْوَيْتَنِى ﴾ أي : نسبتني إلى الغواية ، أو التسبب له بأمره إياه بالسجود لآدم عليه السلام ، فالمعتزلة يقولون : إن الإغواء شر ، والله عز وجل منزه عن فعل الشر ، ونسبته إلى الله على الحقيقة قبح .
وتمسك بعض المعتزلة في تأويل ما تقدم بقوله : ﴿ ... لَأُغْوِيَنَّهُمْ ... ﴾ . [سورة ص : ٨٢] . حيث أفاد أن الإغواء فعله فلا ينبغي أن ينسب إلى الله تعالى . **وهو تأويل باطل عند أهل السُّنة** . ينظر : تفسير السمعاني : ٣ / ١٤٠ **وأجيب** : بأن المراد به هنا الحمل على الغواية لا إيجادها ، وتأويل اللاحق للسابق أولى من العكس ، وبالجملة ضعف الإستدلال ظاهر فلا يصلح ذلك متمسكاً لهم .
ومعتقد أهل السُّنة والجماعة : أفعال العباد خلق الله وكسب من العباد : أي أن الله خلق أفعال العباد ، والعباد باشروها مختارين ، فصاروا بها عصاة ومطيعين ، فإذن أفعال العباد من الله خلقا وتقديراً ، ومن العبد فعلاً وتسبباً وكسباً ومباشرة ، وأن الله أراد بالإنظار إضلال بعض الناس ؛ فسبحانه من إله يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد ، وكل شيء يجري بتقديره ومشيئته ، ومشيئته تنفذ لا مشيئة للعباد إلاّ ما شاء لهم ، فما شاء لهم كان وما لم يشأ لم يكن . ينظر : درء تعارض العقل والنقل أو موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول لتقي الدين أحمد بن =

سورة الحجر ـــــــ

سورة الحجر ـــــــ

سورة الحجر ـــــــ

سورة الحجر ـــــــ

سورة الحجر ـــــــ

سورة الحجر ـــــــ

سورة الحجر ـــــــ

سورة الحجر ـــــــ

أولاً : لم يرد نص في تفسير الآية ، ولذا فكل ما ذكر من باب الاجتهاد للمفسرين .

ثانياً : تجويز جماعة من المفسرين لبعض الأقوال ؛ فجميعها محتملة في تفسير معنى الآية .

والله تعالى أعلم بالصواب .

سورة الحجر ـــــــ

سورة الحجر ـــــــ

سورة الحجر ـــــــ

سورة الحجر ـــــــ

سورة الحجر ـــــــ

سورة الحجر ـــــــ

سورة الحجر ـــــــ

سورة الحجر ـــــــ

سورة الحجر ـــــــ

سورة الحجر ـــــــ

سورة الحجر ـــــــ

سورة الحجر ـــــــ

سورة الحجر ـــــــ

واستدل له من السُّنة بأدلة منها :

- عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال قال ﷺ : « ألا أُنَبِّئُكُمْ ما العضة ؟ هِيَ : النَّمِيمَةُ الْقَالَةُ بين الناس ... » [١] .
- حَدِيثُ عُبَادَةَ ﷺ فِي الْبَيْعَةِ : « ... ولاَ يَعْضَه بَعْضُناً بَعْضاً ... » [٢] .

أي : لا يرميه بالعضيهة ، وهي البهتان والكذب ، معناه : أن يقول فيه ما ليس فيه ويعضهه [٣] .

القول الثالث : ﴿ عِضِين ﴾ من العضه ؛ وهو السحر والكهانة في كلام العرب [٤] ، والعاضه : الساحر ، والمعنى على هذا أنه سحر ، وهو قول عكرمة [٥] ، ورواية لمجاهد [٦] .

.

واستدل له :

١. **من السُّنة** : بحديث : « لَعَنَ الله الْوَاصِلَةَ وَالْمُسْتَوْصِلَةَ وَالْوَاشِمَةَ وَالْمُسْتَوْشِمَةَ » [٧] .

.

وفي رواية : « ... والعاضهة والمستعضهة » [٨] . وفسر بالساحر والمستسحرة ، فأصله الهاء [١] .

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب البر والصلة والآداب ، بَاب تحريم النميمة (٢٦٠٦) : ٤ / ٢٠١٢ .
(٢) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الحدود ، بَاب الْحُدُودُ كَفَّارَاتٌ لِأَهْلِهَا (١٧٠٩) : ٣ / ١٣٣٣ .
(٣) ينظر : لسان العرب (مادة : عضه) : ١٣ / ٥١٥ .
(٤) قاله الفَرَّاء : العِضُونَ في كلام العرب : السحر بعينه . ينظر معانيه : ٢ / ٧٧ .
(٥) أخرجه ابن جرير . ينظر : تفسير الطبري : ١٤ / ٦٦ . ونسبه السيوطي أيضاً إلى سعيد بن منصور ، وابن المنذر ، وعبد الرزاق في مصنفه . ينظر : الدر المنثور : ٥ / ٩٩ ، ١٠٢ .
(٦) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٤ / ٦٦) .
(٧) أخرجه البخاري في كتاب اللباس ، بابَ الوصل في الشعر (٥٥٨٩) : ٥ / ٢٢١٦ عن أبي هريرة ﷺ ، وأخرج مسلم بمثله في كتاب اللباس والزينة ، بَاب تَحْرِيمِ فِعْلِ الْوَاصِلَةِ وَالْمُسْتَوْصِلَةِ (٢١٢٤) : ٣ / ١٦٧٦ . عن ابن عمر ﷺ .
(٨) ينظر : كتر العمال في سنن الأقوال والأفعال لعلاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي (ت ٩٧٥ هـ) (٤٦٠٢٥) : ١٦ / ٢٥٥ . عن ابن عباس ﷺ . وسمي السحر عضهاً لأنه كذب وتخييل لا حقيقة له . وأخرجه ابن عدي في الكامل في ترجمة سلمة بن وهرام ؛ وقد روى عنه زمعة أحاديث مناكير وبذلك يكون

٢. من كلام العرب : قول الشاعر :

أعوذ بربي من النافثات في عقد العاضه المعضه [٢]

الترجيح:

يظهر لي – والله أعلم – **أن ﴿ عِضِين ﴾ واحدها : عضة ، ونقصانها الواو والهاء ، أي : هما لغتان ، والمعنى واحد ، وأنها تحتمل الأقوال الثلاثة** ، فمعنى ﴿ عِضِين ﴾ :

الأجزاء والأعضاء ، والبهتان والكذب ، والسحر .

ولكل قول أدلته ؛ سواء من النظائر القرآنية أو من السُّنة الصحيحة ، أو من كلام العرب ؛ إضافة لما تقدم ولما يلي :

أولاً : الذي عليه أكثر أهل التفسير أن المقتسمين سواء كانوا أهل الكتاب أو مشركي مكة فرَّقوا القول في القرآن وجزَّؤوه أجزاء ، وبهتوه ورموه بما ليس فيه ، لأن معنى التعضية التفريق ، والعضه البهت ورميه بالباطل من القول ؛ فهما متقاربان في المعنى [٣] .

وقد أخبرنا الله في كتابه بأنهم وصفوا رسول الله ﷺ بأنه شاعر وكاهن وساحر ، وأن قوله شعر وسحر وكهانة ؛ فهم بذلك قد **جزؤوه أجزاء ، وبهتوه ، ورموه بالسحر** على الوجه الأخص ؛ وأنبأنا به القرآن الكريم ؛ قال تعالى : ﴿ فَقَالَ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴾ . [سورة المدثر : ٢٤] . فردَّ الله عليهم ونفى ذلك عنه ، قال ﷻ : ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ . [سورة الحاقة : ٤١ – ٤٣] .

فالمعاني الثلاثة متوافقة وليست متعارضة .

حديثه حديث ضعيف . ينظر : الكامل في ضعفاء الرجال : ٣ / ٣٣٤ . وأورد هذه الآية جماعة من المفسرين في تفاسيرهم ، وأهل اللغة في كتبهم عند تفسير الآية .

(١) ينظر : البحر المحيط لأبي حيان : ٥ / ٤٤٤ .

(٢) أورده غير واحد من أهل اللغة والمفسرين عند تفسير الآية ؛ ولم أهتد لقائله .

(٣) ينظر : تفسير الطبري : ١٤ / ٦٦ .

ثانياً : يؤيد ذلك قول القاضي عياض في شرح قول عُبَادَةَ ﷺ فِي حديث الْبَيْعَةِ : « ... ولاَ يَعْضَه بَعْضُناً بَعْضاً ... » : " أي لا يسحر - بفتح الياء والضاد - والعضيهة والعضه السحر ، وتكون أيضاً النميمة ، وتكون أيضاً الرمي بالبهتان ، والعضيهة : الإفك والبهتان . وكله مما يصح أن يشتمل النهي عليه ، والله أعلم بمراد نبيِّه من ذلك " . اهـ [1] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

(١) ينظر : مشارق الأنوار على صحاح الآثار للقاضي أبي الفضل ، عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي المالكي (ت ٥٤٤ هـ) : ٢ / ٩٦ ، ٩٧ .

سورة الحجر ـــــــ

سورة الحجر ـــــــ

سورة الحجر ـــــــ

سورة الحجر ـــــــ

سورة الحجر ـــــــ

سورة النحل ـــــــ

القول الأوَّل : أي **بالنبوة** ، وهو قول عطاء [١] ، والثوري [٢] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٣] .

القول الثاني : أي **بالوحي** [٤] ، سمَّاه روحاً لأنه تحيا به القلوب والحق ، ويموت به الكفر والباطل ، وهو قول ابن عباس ﷺ [٥] ، ومقاتل [٦] ، ورجَّحه جماعة من المفسرين [٧] .

واستدل على هذا بما يلي :

١. النظائر القرآنية :

- قوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ ... ﴾ . [سورة الشورى : ٥٢] . [٨]
- وقوله : ﴿ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلۡعَرۡشِ يُلۡقِي ٱلرُّوحَ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ ۝١٥ يَوۡمَ هُم بَٰرِزُونَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنۡهُمۡ شَيۡءٞۚ لِّمَنِ

---

(١)نسبه إليه الثعلبي والبغوي . ينظر : الكشف والبيان : ٦ / ٦ ، تفسير البغوي : ٣ / ٦١ .

(٢) ينظر تفسيره : ١٦٤ .

(٣) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٥٠ .

(٤) قال السمر قندي : ﴿ بِٱلرُّوحُ ﴾ أي : بالوحي والنبوة والقرآن . ينظر : تفسير السمر قندي : ٢ / ٢٦٥ . وجمع القرطبي بين القولين فقال : ﴿ بِٱلرُّوحُ ﴾ أي : بالوحي ، وهو النبوة . ينظر : تفسير القرطبي : ١٠ / ٦٧ . وذكر القشيري ، والفخر الرازي ، والبيضاوي ، والنسفي ، والخطيب الشربيني : أن المراد بالروح الوحي أو القرآن . ينظر : تفسير القشيري : ٢ / ١٤٩ ، التفسير الكبير : ١٩ / ١٧٤ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٣٨٤ ، تفسير النسفي : ٢ / ٢٤٩ ، السراج المنير : ٢ / ٢٤٣ . أما الآلوسي فقال : ﴿ بِٱلرُّوحُ ﴾ أي : الوحي ... ويدخل في ذلك القرآن . ينظر : روح المعاني : ١٤ / ٩٣ . وينظر : تفسير القاسمي : ١٠ / ٧٨ .

(٥) ينظر : تنوير المقباس : ٢٢١ .

(٦) ينظر : تفسيره : ٢ / ٢١٣ . وعزاه السيوطي إلى ابن جرير ، وابن أبي حاتم . ينظر : الدر المنثور : ٥ / ١٠٩ .

(٧) منهم : الطبري ، وابن أبي زمنين ، والثعلبي ، والواحدي ، والبغوي ، والزمخشري ، والخازن ، وابن كثير ، وابن عادل الحنبلي ، والجلالين ، وأبو السعود ، والشوكاني ، والسعدي ، وابن عاشور ، والشنقيطي ، ومحمد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير الطبري : ١٤ / ٧٦ ، تفسير ابن أبي زمنين : ٢ / ٣٩٥ ، الكشف والبيان : ٦ / ٦ ، تفسير الواحدي : ١ / ٦٠٠ ، تفسير البغوي : ٣ / ٦١ ، الكشاف : ٢ / ٥٥٤ ، تفسير الخازن : ٤ / ٧٩ ، تفسير ابن كثير : ٢ / ٥٦٢ ، تفسير ابن عادل : ١١ / ٦ ، تفسير الجلالين : ٣٤٦ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ٩٥ ، فتح القدير : ٣ / ١٤٧ ، تفسير السعدي : ٤٣٥ ، التحرير والتنوير : ١٤ / ٩٨ ، أضواء البيان : ٢ / ٤١٤ ، الوسيط : ٨ / ١٠١ . وينظر (مادة : روح) في : تهذيب اللغة للأزهري : ٥ / ١٤٥ ، الصحاح للجوهري : ١ / ٣٢٣ ، لسان العرب : ٢ / ٤٦٣ . وينظر : مدارج السالكين لابن القيِّم : ٣ / ٢٥٨ ، ٢٥٩ مسائل لخصها الإمام محمد بن عبد الوهاب : ٦٦ .

(٨) ينظر : تفسير ابن كثير : ٢ / ٥٦٢ .

سورة النحل ـــــــ

سورة النحل ـــــــ

▪ قوله تعالى : ﴿ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ ... ﴾ . [سورة الواقعة : ٨٩] . على قراءة من ضمَّ الراء [١] . قال أبو عبيدة : فروح ، أي : حياة وبقاء لا موت فيه . وقال ابن قتيبة : فروح ، أي : فرحمة [٢] .

وبناء على ما تقدم يظهر لي – والله أعلم – **أن الراجح أن المراد بـ ﴿ بِٱلرُّوحِ ﴾ الوحي أو القرآن ، قال بذلك جماعة من المفسرين** [٣] ؛ **خلافاً لما ذهب إليه ابن جُزيّ ومن وافقه** ؛ إضافة لما تقدم ما يلي :

أولاً : أطلق ﷻ على وحيه اسم الروح ، على سبيل التشبيه ، ووجه الشبه : أن بسببهما تكون الحياة الحقة ، فكما أن بالروح تحيا الأبدان والأجساد ، فكذلك بالوحى والقرآن تحيا القلوب والنفوس وتؤدى رسالتها فى هذه الحياة .

ثانياً : نص غير واحد العلماء على **تفسير الروح بالوحي** ؛ كابن القيِّم [٤] ، إضافة لكثرة من فسره بذلك من المفسرين كما تقدم .

ثالثاً : **السِّياق القرآني** : لأن الإنذار يكون **بالوحي وبالقرآن** ، وهو أبلغ من أي شيء آخر ، قال تعالى : ﴿ ... وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ... ﴾ . [سورة الأنعام : ١٩] . وقال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِ ... ﴾ . [سورة الأنبياء : ٤٥] .

رابعاً : النظائر القرآنية لهذا القول ، ويؤيد هذا **القاعدة الترجيحية** التالية :

▪ **القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك** [٥] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) قرأ رويس بضم الراء ، وانفرد بها ابن مهران . والباقون بفتح الراء . ينظر : المحتسب لابن جني : ٢ / ٣١٠ إتحاف فضلاء البشر : ٥٣١ .

(٢) ينظر : نزهة الأعين النواظر : ٣٢٢ – ٣٢٤ . وينظر : كليات الكفوي : ٤٧٠ ، ٤٧١ ، كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية في التفسير : ١٢ / ٢٤٨ .

(٣) قال بذلك : القشيري ، والفخر الرازي ، والبيضاوي ، والنسفي ، والخطيب الشربيني . ينظر : تفسير القشيري : ٢ / ١٤٩ ، التفسير الكبير : ١٩ / ١٧٤ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٣٨٤ ، تفسير ا لنسفي : ٢ / ٢٤٩ ، السراج المنير : ٢ / ٢٤٣ ، روح المعاني : ١٤ / ٩٣ .

(٤) ينظر : الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسُّنة لأبي عبد الله ، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي ، ابن قيِّم الجوزية (ت ٧٥١ هـ) : ٢١٧ ، ٢١٨ .

(٥) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٣١٢ .

قوله تعالى : ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾ ﴾ . [آية : ٤] .

مسألة : في معنى قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن معنى ﴿ خَصِيم ﴾ متكلم يخاصم عن نفسه ، فقال : ((فيه وجهان : أحدهما : أن معناه متكلم يخاصم عن نفسه . والثاني : يخاصم في ربه ودينه ، وهذا في الكفار . **والأوَّل أعمّ**)) . اهـ [١] .

الدراسة :

اختلف المفسرون في **معنى ﴿ خَصِيم [٢] ﴾** على قولين :

القول الأوَّل : أن معناه متكلم يخاصم عن نفسه ، منازع للخصوم بعد أن كان نطفة قذرة ، وجماداً لا حس له ولا حركة ؛ **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٣] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٤] .

ومعنى الآية : أن الله أنشأ الآدمي من نطفة ، ثم لم يزل ينقله من طور إلى طور ، حتى صار عاقلا متكلماً ، ذا ذهن ورأي ، يخاصم ويجادل ، فليشكر العبد ربه الذي أوصله إلى هذه الحال ، التي ليس في إمكانه القدرة على شيء منها ، وذلك إشارة إلى أعلى ما حصل عليه الآن ، لأن أعلى أحوال الناطق أن يقدر على المخاصمة والذب عن نفسه بالكلام الفصيح [٥] .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٥٠ .

(٢) **الخصيم** هو : (فعيلٌ) صيغة مبالغة من خَصِمَ ؛ بمعنى اخْتَصَمَ ، ويجوز أن يكون بمعنى مخاصم ؛ كالنسيب بمعنى المناسب ، والعشير بمعنى المعاشر ، ورجّحه ابن منظور . وقال الرَّاغب : الكثير الخصومة ، والخصم المختص بالخصومة . وقال أهل اللغة : خصيمك الذي يخاصمك . ينظر : (مادة : خصم) في : مفردات الرَّاغب : ١٤٩ ، لسان العرب : ١٢ / ١٨٢ .

(٣) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٥٠ .

(٤) منهم : القشيري ، والسمعاني ، والفخر الرازي ، والبقاعي ، وابن عادل الحنبلي ، والطاهر بن عاشور . ينظر : تفسير القشيري : ٢ / ١٤٩ ، تفسير السمعاني : ٣ / ١٥٩ ، التفسير الكبير : ١٩ / ١٨٠ ، نظم الدرر : ٤ / ٢٤٦ ، تفسير ابن عادل : ١٢ / ١١ ، التحرير والتنوير : ١٤ / ١٠٣ .

(٥) ينظر : التفسير الكبير : ١٩ / ١٨٠ ، روح المعاني : ١٤ / ٩٦ .

قال **السمعاني** : " مخاصم مفصح عما في ضميره بالخصومة ، والخصومة : قد تكون حسنة ، وقد تكون قبيحة ؛ فالحسن منها ما كان لإظهار الحق ، والقبيح ما كان لدفع الحق ، ومعنى الآية بيان القدرة ، وهي أن الله تعالى خلق النطفة من كائن بهذه الحالة " . اهـ [١] .

وسياق الآية **سياق المدح** ، لأنه تعالى قواه على منازعة الخصوم ، وجعله مبين الحق من الباطل ، ونقله من حالة الضعف والامتهان وهو كونه نطفة إلى الحالة العالية الشريفة وهي : حالة النطق والإبانة ، وإذا هنا للمفاجأة ، وبعد خلقه من النطفة لم تقع المفاجأة بالمخاطبة إلا بعد أحوال تطور فيها ، فتلك الأحوال محذوفة ، وتقع المفاجأة بعدها [٢] .

القول الثاني : يخاصم في ربه ودينه ، وهذا في الكفار ، قاله الحسن البصري [٣] ، وذهب إليه جماعة من المفسرين [٤] . [٥]

ذكر ﷻ أنه خلق جنس الإنسان من نطفة مهينة ضعيفة ؛ فلما استقل ودرج إذا هو يخاصم ربه تعالى ، ويكذبه ويحارب رسله ، وهو إنما خلق ليكون عبداً لا ضداً ، والغرض منه وصف الإنسان بالإفراط في الوقاحة والجهل ، والتمادي في كفران النعمة [٦] .

قال **الواحدي** : " نزلت الآية في أبي بن خلف الجمحي حين جاء بعظم رميم إلى رسول الله

---

(١) تفسير السمعاني : ٣ / ١٥٩ .

(٢) ينظر : التفسير الكبير : ١٩ / ١٨٠ ، روح المعاني : ١٤ / ٩٦ .

(٣) قال الحسن : يعرفه فاحش ما ارتكب من تضييع النعمة بالخصومة في الكفر . نقله عنه الماوردي . ينظر : النكت والعيون : ٣ / ١٧٩ .

(٤) منهم : مقاتل ، والطبري ، والسمر قندي ، وابن أبي زمنين ، والواحدي ، والبغوي ، وابن الجوزي ، والقرطبي ، والبيضاوي ، والنسفي ، والخازن ، وأبو حيان ، وابن كثير ، والجلالين ، والشوكاني ، والقاسمي ، وسيد قطب ، والشنقيطي ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير مقاتل : ٢ / ٢١٤ ، تفسير الطبري : ١٤ / ٧٨ ، تفسير السمر قندي : ٢ / ٢٦٦ ، تفسير ابن أبي زمنين : ٢ / ٣٩٥ ، تفسير الواحدي : ١ / ٦٠٠ ، تفسير البغوي : ٣ / ٦٣ ، زاد المسير : ٤ / ٤٢٩ ، تفسير القرطبي : ١٠ / ٦٨ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٣٨٦ ، تفسير النسفي : ٢ / ٢٤٩ ، تفسير الخازن : ٤ / ٧٩ ، البحر المحيط : ٥ / ٤٦٠ ، تفسير ابن كثير : ٢ / ٥٦٢ ، تفسير الجلالين : ٣٤٦ ، فتح القدير : ٣ / ١٤٧ ، تفسير القاسمي : ١٠ / ٧٩ ، الظلال : ٤ / ٢١٦٠ ، أضواء البيان : ٢ / ٣٣١ ، الوسيط : ٨ / ١٠٤ .

(٥) واحتمل القولين جماعة من المفسرين ؛ منهم : الزمخشري ، وابن عطية ، والعز بن عبد السلام ، والثعالبي ، وأبو السعود ، والسعدي . ينظر : الكشاف : ٢ / ٥٥٥ ، المحرر الوجيز : ٣ / ٣٧٩ ، تفسير العز بن عبد السلام : ٢ / ١٨٦ ، تفسير الثعالبي : ٣ / ٤١١ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ٨٧ ، تفسير السعدي : ٤٣٤ .

(٦) ينظر : تفسير ابن كثير : ٢ / ٥٦٢ .

سورة النحل ـــــــ

سورة النحل ـــــــ

٢. المشهور أن آية سورة يس هي النازلة في تلك القصة [١] ، والصحيح أن الآية التي معنا عامة في الكلّ [٢] .

٣. القول الأوَّل أوفق ، لأن هذه الآيات مذكورة لتقرير وجه الاستدلال على وجود الصانع الحكيم ، لا لتقرير وقاحة الناس وتماديهم في الكفر والكفران [٣] .

٤. إن معنى ترتّب الشيء على غير ما يظن أن يترتبَ عليه لم يُوضع له حرف ؛ ولذا فالإتيان بحرف (إذا) المفاجأة **استعارةٌ تبعية** ؛ استعير الحرف الدال على معنى المفاجأة لمعنى ترتّب الشيء على غير ما يظن أن يترتبَ عليه [٤] .

قال الطاهر بن عاشور : " ولا مفاجأةَ بالحقيقة هنا لأن الله لم يفجأه ذلك ولا فَجَأ أحداً ، ولكن المعنى أنّه بحيث لو تدبر النّاظر في خلق الإنسان لترقب منه الاعتراف بوحدانية خالقه وبقدرته على إعادة خلقه ، فإذا سمع منه الإشراك والمجادلة في إبطال الوحدانية وفي إنكار البعث كان كمن فجأه ذلك . ولما كان حرف المفاجأة يدل على حصول الفَجْأة للمتكلم به تعيّن أن تكون المفاجأة استعارة تبعية . فإقحام حرف المفاجأة جعل الكلام مفهماً أمرين هما :

- التعجيب من تطوّر الإنسان من أمهن حالة إلى أبدع حالة ، وهي حالة الخصومة والإبانة الناشئتين عن التفكير والتعقل .
- والدلالة على كفرانه النعمة وصرفه ما أنعم به عليه في عصيان المنعِم عليه .

فالجملة في حدّ ذاتها تنويه ، ووجود حرف المفاجأة أدمج مع التنويه التعجيب . ولو قيل : فهو خصيم أو فكان خصيماً لم يحصل هذا المعنى البليغ " . اهـ [٥] .

---

(١) روح المعاني : ١٤ / ٩٦ .
(٢) ينظر : تفسير السمعاني : ٣ / ١٥٩ ، تفسير البغوي : ٣ / ٦٢ ، التفسير الكبير : ١٩ / ١٨٠ ، تفسير ابن عادل : ١٢ / ١١ ، روح المعاني : ١٤ / ٩٧ ، التحرير والتنوير : ١٤ / ١٠٣ .
(٣) ينظر : التفسير الكبير : ١٩ / ١٨٠ ، تفسير ابن عادل : ١٢ / ١١ ، روح المعاني : ١٤ / ٩٦ .
(٤) التحرير والتنوير : ١٤ / ١٠٣ . بتصرف يسير .
(٥) المرجع السابق .

الترجيح:

يظهر لي – والله أعلم – **أن معنى ﴿ خَصِيم ﴾ يحتمل القولين** ؛ فالإنسان يخاصم عن نفسه وكذلك مخاصم لخالقه .

- فهو منطيق مجادل عن نفسه مكافح للخصوم ، وهذا أنسب بمقام الامتنان بإعطاء القدرة على الاستدلال بذلك على قدرته تعالى ووحدته .
- أو مخاصم لخالقه منكر له ، وهذا أنسب بمقام تقرير وقاحة الناس وتماديهم في الكفر [١] .

✌ فللمعنيان ملائمان للمقام ؛ إلا أن في الثاني زيادة ملائمة مع قوله : ﴿ ... تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ . [سورة النحل : ٣] . ثم أنه أدمج فيه المعنى الأوَّل [٢] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) ينظر : الكشاف : ٢ / ٥٥٥ ، المحرر الوجيز : ٣ / ٣٧٩ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ٨٧ ، تفسير السعدي : ٤٣٤ .

(٢) ينظر : روح المعاني : ١٤ / ٩٧ .

سورة النحل ـــــــ

ويدل عليه :

١. **النظير القرآني** : وهو قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ... ﴾ . [سورة الأنعام : ٩٧] . (٣)

٢. **القراءة الشاذة** : بضمتين (وبالنُّجُم) ، وضمة وسكون (وبالنُّجْم) (٤) .

✖ **واعتُرض** : بأن جميع النجوم لا يهتدي بها إلا العارف بمطالعها ومغاربها ، والمفرق بين الجنوبي والشمالي منها ؛ وذلك قليل في الآخرين (٥) .

✓ **وأجيب عليه** : بأن الله أطلق ذلك في القرآن ، فكان القول به أوْلى ، ولا دليل على التخصيص .

القول الثاني : أن **المراد بـــ ﴿ وَبِٱلنَّجْمِ ﴾ الثريا** ، قاله **ابن سيده** (٦) .

---

(١) نسب هذا القول إلى أهل التفسير وأهل اللغة النحاس في معانيه (٤ / ٦١) ، ونسبه أبو حيان إلى جمهور المفسرين . ينظر : البحر المحيط : ٥ / ٤٦٦ .

(٢) منهم : النحاس ، وابن أبي زمنين ، والواحدي ، والزمخشري ، وابن عطية ، والفخر الرازي ، والقرطبي ، والبيضاوي والنيسابوري ، وأبو حيان ، والثعالبي ، وأبو السعود ، والخطيب الشربيني ، والشوكاني ، والآلوسي وسيد قطب ، وابن عاشور ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : معاني القرآن للنحاس : ٤ / ٦١ ، تفسير ابن أبي زمنين : ٢ / ٣٩٢ ، تفسير الواحدي : ١ / ٦٠٢ ، الكشاف : ٢ / ٥٦٠ ، المحرر الوجيز : ٣ / ٣٨٤ ، التفسير الكبير : ٢٠ / ٩ ، تفسير القرطبي : ١٠ / ٩١ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٣٩٠ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٢٥١ ، البحر المحيط : ٥ / ٤٦٦ ، تفسير الثعالبي : ٣ / ٤١٤ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ١٠٤ السراج المنير : ٢ / ٢٥٠ ، فتح القدير : ٣ / ١٥٣ ، روح المعاني : ١٤ / ١١٦ ، الظلال : ٤ / ٢١٦٤ ، التحرير والتنوير : ١٤ / ١٢٢ ، الوسيط : ٨ / ١٢٢ .

(٣) ينظر : التحرير والتنوير : ١٤ / ١٢٢ .

(٤) قرأ الحسن : – بضم النون والجيم – (النُّجُم) ومراده النجوم أيضاً ، ويجوز أن يكون النجم جمع نجم كسقف وسقف . وقرأ الحسن أيضاً (النُّجْم) – بضم النون وسكون الجيم – ، ومراده النجوم فقصره ، وهي قراءات شاذة لكنها تحمل على التفسير أوردها غير واحد من المفسرين . ينظر : تفسير البيضاوي : ٣ / ٣٩٠ ، تفسير القرطبي : ١٠ / ٩١ ، البحر المحيط : ٥ / ٤٦٦ . وينظر : المحتسب لابن جني : ٢ / ٨ ، إتحاف فضلاء البشر : ٣٥٠ . وقرأ الجمهور – بفتح النون وسكون الجيم – ﴿ وَبِٱلنَّجْمِ ﴾ .

(٥) ينظر : أحكام القرآن لابن العربي : ٣ / ١٢٨ .

(٦) ينظر : المحكم لابن سيده (مادة : نجم) : ٧ / ٤٦٩ .

وابن سيده هو : علي بن إسماعيل المرسي ، أبو الحسن الأعمى اللغوي الشاعر ، لا يعلم بالأندلس أشد اعتناء منه باللغة ، ولا أعظم تأليفاً ، ت سنة ٤٥٨هـــ . ينظر : العبر للذهبي : ٣ / ٢٤٥ ، البلغة : ١٤٨ ، لسان الميزان لأبي الفضل ، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي (ت ٨٥٢ هـــ) : ٤ / ٢٠٥ .

واستدل له : بأن العرب إذا أطلقت لفظ : (النجم) قصدت به الثريا [١] .

✖ **واعتُرض** : بأن هذا لا ينهض دليلاً لتخصيص ما جاء في القرآن عاماً ، فقد يكون :

- عند غيرهم معرفة بشيء من النجوم وكيفية الاهتداء بها لا يعلمه العرب ولا يدركونه .
- كما أن الثريا لا يهتدي بها إلا من يهتدي بجميع النجوم [٢] .

القول الثالث : أن المراد بـــ ﴿ **وَبِٱلنَّجْمِ** ﴾ **الجَدْي والفَرْقَدَان** ؛ وإنما الهدى بهما لكل أحد ، قاله ابن عباس [٣] ﷺ ، ومقاتل [٤] ، وهو قول الفَرَّاء [٥] ، وغير واحد من المفسرين [٦] . [٦] .

واستدلوا :

١. **من السُّنة** : **بالحديث التالي** : قال ابن عباس ﷺ : سألت رسول الله ﷺ عن قوله تعالى : ﴿ وَعَلَـٰمَـٰتٍۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ قال : « هو الجدي يا ابن عباس ؛ عليه قبلتكم وبه تهتدون في بركم وبحركم » [٧] .

✖ **وتعقَّبه أبو حيان** فقال : " ولو صحَّ هذا لم يعدل أحد عنه " . اهـــ [٨] .

٢. إن هذه النجوم بعينها هي المرادة بقوله تعالى : ﴿ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ لأنهن لا يزلن عن أماكنهن شتاء ولا صيفاً ، وبها يعرفون الطرق في البر والبحر [٩] .

قال **ابن العربي** : " وإنما الهدى لكل أحد بالجدي والفرقدين ؛ لأنهما من النجوم المنحصـــرة

---

(١) ينظر : مفردات الرَّاغب (مادة : نجم) : ٤٨٣ ، نزهة الأعين النواظر : ٥٨٠ .
(٢) ينظر : أحكام القرآن لابن العربي : ٣ / ١٢٨ .
(٣) ينظر : تنوير المقباس : ٢٢٢ .
(٤) ينظر تفسيره : ٢ / ٢١٦ .
(٥) ينظر معانيه : ٢ / ٨٢ .
(٦) منهم : الطبري ، والسمر قندي ، وابن العربي ، وقدم السمعاني قول الفَرَّاء . ينظر : تفسير الطبري : ١٤ / ٩٢ ، تفسير السمر قندي : ٢ / ٢٦٨ ، أحكام القرآن لابن العربي : ٣ / ١٢٨ ، تفسير السمعاني : ٣ / ١٦٤ .
(٧) أخرجه أبو شجاع ، شيرويه بن شهردار بن شيرويه الديلمي الهمذاني الملقب إلكيا (ت ٥٠٩ هـــ) في الفردوس بمأثور الخطاب (٢٦٤٧) : ٢ / ١٢٤ . **فالحديث ضعيف** .
(٨) البحر المحيط : ٥ / ٤٦٧ .
(٩) ينظر : تفسير مقاتل : ٢ / ٢١٦ .

المطلع ، الظاهرة السمت ، الثابتة في المكان " . اهـ [١] .

الترجيح:

يظهر لي – والله أعلم – **صحة القول الأوَّل ، فالراجح أن المراد بـ بالنجم هنا في قوله تعالى : ﴿ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ جميع النجوم ، فاللام للجنس ؛ وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** ، يدل على ذلك إضافة لما تقدم ما يلي :

أولاً : القول بالعموم أولى وأرجح ، يؤيده **القواعد الترجيحية** التالية :

- **القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك .**
- **يجب حمل النصوص على العموم ما لم يرد نصٌّ بالتخصيص** [٢] .

ثانياً : **القراءة التفسيرية** : وهي قراءة الحسن وهي : (وبالنُّجُم) و (بالنُّجْم) وإن كانت قراءة شاذة كما بيَّنا ولكنها تحمل على التفسير .

ثالثاً : ذكرت غير واحد من كتب الفقه الاهتداء بالنجوم وأقسامها [٣] ، وكيفية الاهتداء بها في السفر لتحديد القبلة ؛ و لم تعين نجوماً معينة للاهتداء ؛ فكان القول بالعموم أعم وأوفق لواقع الأمر .

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي : ٣ / ١٢٨ .

(٢) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٣١٢ ، ٢ / ٥٢٧ .

(٣) النجوم أقسام : احداها : منازل القمر الثمانية والعشرون ، فالاستدلال بها كالاستدلال بالشمس والقمر سواء لأنها تطلع من المشرق وتغرب في المغرب ، وهي : السرطان ، والبطين ، والثريا ، والدبران ، والهقعة ، والهنعة والذراع ، والنثرة ، والطرف ، والجبهة ، والزبرة ، والصرفة ، والعواء ، والسماك ، والغفر ، والزباني ، والإكليل والقلب ، والشولة ، والنعايم ، والبلدة ، وسعد الذابح ، وسعد بلع ، وسعد الاحبية ، وسعد السعود ، والفرع المتقدم ، والفرع المؤخر ، وبطن الحوت ؛ فمن عرف كل منزل منها بعينه امكنه الاستدلال بها .... وأثبت الدلة على نفس الكعبة القطبان الشمال والجنوبي والقطب الشمالي ... ويقرب من القطب الشمالي نجم صغير يسميه الفقهاء (القطب) وهو كوكب خفي يمتحن الناس به أبصارهم ؛ يرى إذا لم يكن في السماء قمر ، وحوله انجم دائرة كفراشة الرحا في أحد طرفيها (الفرقدان) وفي الآخر (الجدي) ؛ وهو كوكب نير معروف إذا ج لهه المصلي خلفه كان مستقبلا القبلة في الشام والجُزيّرة العراق وخراسان ... ينظر : شرح العمدة في الفقه لأبي العباس ، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت ٧٢٨ هـ) : ٤ / ٥٥٣ . وينظر أيضاً : الكافي في فقه الإمام أحمد بن حنبل : ١ / ١٢٠ ، شرح منتهى الإرادات المسمَّى (دقائق أولي النهى لشرح المنتهى) لمنصور ابن يونس بن إدريس البهوتي (ت ١٠٥١ هـ) : ١ / ١٧٢ .

والله تعالى أعلم بالصواب .

سورة النحل ـــــــ

سورة النحل ـــــــ

سورة النحل ـــــــ

أولاً : الضميران عائدان إلى الكفار على طريق الالتفات في قراءة الجمهور ، وعلى تناسق الضمائر في قراءة **عاصم** [١] . وقراءة الجمهور فيها زيادة تبيين لصرف الخطاب إلى المشركين [٢] ، وتفسير الآية بمجموع القراءتين المتواترتين أوْلى .

ثانياً : القرينة القرآنية ودلالة السِّياق :

جملة ﴿ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ لإثبات البعث وأنه من لوازم الألوهية [٣] ، وذلك عقب الكلام على إثبات الوحدانية لله تعالى ، لأن هذين هما أصل إبطال عقيدة المشركين ، **وتمهيدٌ** لوجه التلازم بين إنكار البعث وبين إنكار التوحيد في قوله تعالى بعدها : ﴿ ... فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴾ . [سورة النحل : ٢٢] . [٤]

- إن عود الضمير في ﴿ **يَشْعُرُونَ** ﴾ للأصنام ، أو عوده للأصنام في كلا الضميرين يفيد بعدم علم الأصنام بوقت مبعثها أو مبعث عابديها ؛ وهو أمرٌ ليس ذا أهمية حتى يخبرنا الله به ؛ والآية في معرض تقرير إنكار الكفار للبعث واستكبارهم ، ولذا فإن عود الضميرين للكفار **أوفق للسياق** – خاصة على قراءة الجمهور – .

ثالثاً : قول ابن عباس ﷺ (عن عدم علم الأصنام بوقت مبعثها) لم أجده مسنداً ؛ كما أنه لا يعتبر نصاً في تفسير الآية .

رابعاً : يقوى القول بعود الضميرين إلى كفار قريش بعض **القواعد الترجيحية المعتبرة** عند المفسرين ، منها :

- **اتحاد معنى القراءتين أولى من اختلافه .**

---

(١) اختلف في قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ ﴾ في قوله تعالى قبلها : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ . [سورة النحل : ٢٠] . فعاصم ويعقوب : بياء الغيبة على الالتفات من خطاب عام للمؤمنين إلى غيب خاص للكافرين ، وافقهما الحسن ، وقرأ الجمهور : بتاء الخطاب (تدعون) مناسبة لـ ﴿ تُسِرُّونَ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴾ . [سورة النحل : ١٩] . التفاتاً من الخطاب العام إلى الخاص . ينظر : إتحاف فضلاء البشر للبناء : ٣٥٠ .

(٢) ينظر : التحرير والتنوير : ١٤ / ١٢٦ .

(٣) ينظر : الكشاف : ٢ / ٥٦١ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٣٩٢ ، تفسير النسفي : ٢ / ٢٥٣ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ١٠٦ ، تفسير القاسمي : ١٠ / ٩٢ ، روح المعاني : ١٤ / ١٢١ .

(٤) ينظر : التحرير والتنوير : ١٤ / ١٢٦ .

- **القول الذي تؤيده قرائن في السِّياق مرجح على ما خالفه .**
- **توحيد مرجع الضمائر في السِّياق الواحد أولى من تفريقها [١] .**

والله تعالى أعلم بالصواب .

(١) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ١٠٠ ، ٢ / ٢٩٩ ، ٦١٣ .

سورة النحل ـــــــ

القول الثاني : أن ﴿ وَاصِبًا ﴾ معناه : **دائماً** ، أي له جلَّ وعلا : الطاعة والذل والخضوع دائماً ، قاله ابن عباس ﷺ أيضاً [١] ، ومجاهد [٢] ، وعكرمة ، والضحاك ، وقتادة [٣] . [٤] وقاله الثوري [٥] ، ومقاتل [٦] ، وأهل اللغة [٧] ، وقاله جماعة المفسرين [٨] .

واستدلوا بأدلة منها :

١. النظير القرآني :

وهو قوله تعالى : ﴿ ... وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ۝٨ دُحُورًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴾ . [سورة الصافات : ٨ ، ٩] . أي دائم [٩] .

= البيضاوي : ٣ / ٤٠٣ ، تفسير النسفي : ٢ / ٢٥٩ ، تفسير الثعالبي : ٣ / ٤٢٧ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ١١٩ ، وينظر : كليات الكفوي (فصل الواو) : ٩٥٠ .

(١) ينظر : تنوير المقباس : ٢٢٥ .

(٢) ينظر تفسيره : ١ / ٣٨٤ .

(٣) نسبه إليه الصنعاني . ينظر : تفسير الصنعاني : ٢ / ٣٥٧ .

(٤) أخرجه الطبري بسنده عن ابن عباس ﷺ ، ومجاهد ، وعكرمة ، والضحاك ، وقتادة . ينظر : تفسير الطبري : ١٤ / ١١٩ . وينظر : الدر المنثور : ٥ / ١٣٧ .

(٥) ينظر تفسيره : ١٦٥ .

(٦) ينظر تفسيره : ٢ / ٢٢٥ .

(٧) نسب ابن الجوزي هذا القول إلى اللغويين . ينظر : زاد المسير : ٤ / ٤٥٥ . قاله الفَرَّاء ، وأبو عبيدة ، والزَّجَّاج . ينظر : معاني القرآن للفراء : ٢ / ٨٧ ، مجاز القرآن لأبي عبيدة : ١ / ٣٦١ ، معاني القرآن وإعرابه للزجاج : ٣ / ٢٠٣ . ومن كتب غريب القرآن ؛ ينظر : غريب القرآن للسجستاني : ٤٨١ ، مفردات الرَّاغب : ٥٢٤ ، تذكرة الأريب في تفسير الغريب لأبي الفرج ، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ) : ١ / ٢٨٩ ، التبيان في تفسير غريب القرآن لهائم المصري : ٢٦٠ .

(٨) منهم : الصنعاني ، والنحاس ، والسمر قندي ، وابن أبي زمنين ، والواحدي ، والسمعاني ، وابن عطية ، والفخر الرازي ، والقرطبي ، والخازن ، والنيسابوري ، والسمين الحلبي ، وابن عادل الحنبلي ، والجلالين ، والخطيب الشربيني ، والسعدي ، والشنقيطي . ينظر : تفسير الصنعاني : ٢ / ٣٥٧ ، معاني القرآن للنحاس : ٤ / ٧٢ ، تفسير السمر قندي (وقال : أي دائماً خالصاً) : ٢ / ٢٧٧ ، تفسير ابن أبي زمنين : ٢ / ٤٠٦ ، تفسير الواحدي : ١ / ٦٠٩ ، تفسير السمعاني : ٣ / ١٧٨ ، تفسير القرطبي : ١٠ / ١١٤ ، المحرر الوجيز : ٣ / ٤٠٠ ، التفسير الكبير : ٢٠ / ٤١ ، تفسير الخازن : ٤ / ٩٥ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٢٦٩ ، الدر المصون : ٤ / ٣٣٤ ، تفسير ابن عادل : ١٢ / ٨٠ ، تفسير الجلالين : ٣٥٢ ، السراج المنير : ٢ / ٢٦٦ ، تفسير السعدي : ٤٤٢ ، أضواء البيان : ٢ / ٣٨٣ .

(٩) ينظر : تفسير الصنعاني : ٢ / ٣٥٧ ، معاني القرآن للنحاس : ٤ / ٧٢ ، أضواء البيان : ٢ / ٣٨٣ .

٢. من السُّنة : وهو الأثر المرويُّ عن ابن عباس ﷺ أنه لما سئل عن قوله تعالى : ﴿ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا ﴾ ؛ قال له : الواصب الدائم [١] .

٣. من كلام العرب :

استشهد له بقول **أمية بن أبي الصلت الثقفي :**

ولَهُ الدِّين وَاصباً ولهُ الملكُ وحَمدٌ لهُ عَلَى كُلِّ حَال [٢]

وقول الشاعر [٣] :

لا أبْتَغِي الحَمْدَ القَليلَ بَقاؤهُ يَوْماً بِذمِّ الدَّهْرِ أجْمعَ وَاصِبَا

الترجيح:

يظهر لي – والله أعلم – **صحة القول الثاني ، وأن الراجح أن معنى : ﴿ وَاصِبًا ﴾ : دائماً وهو خلاف ما ذهب إليه ابن جُزيّ ومن وافقه** ؛ إضافة لما تقدم ما يلي :

أولاً : معنى الآية :

فالله ﷻ له الدين والطاعة دائماً أبداً ؛ لأنه لا يضعف سلطانه ، ولا يعزل عن سلطانه ، ولا يموت ولا يغلب ، ولا يتغير له حال بخلاف ملوك الدنيا . فإن الواحد منهم يكون مطاعاً له

---

(١) أخرجه ابن الأنباري في الوقف والابتداء ، ونقله عنه السيوطي . ينظر : الدر المنثور :٥ / ١٣٧ .

(٢) نسبه إليه السيوطي والشنقيطي . ينظر : الدر المنثور : ٥ / ١٣٧ ، أضواء البيان : ٢ / ٣٨٣ .

وأمية بن أبي الصلت هو : أمية بن عبد الله أبي الصلت بن أبي ربيعة بن عوف الثقفي : شاعر جاهلي حكيم ، من أهل الطائف ، قدم دمشق قبل الاسلام ، وكان مطلعاً على الكتب القديمة ، يلبس المسوح تعبداً ، وهو ممن حرموا على أنفسهم الخمر ونبذوا عبادة الأوثان في الجاهلية ، ورحل إلى البحرين فأقام ثماني سنين ظهر في أثنائها الإسلام ، وعاد إلى الطائف ، فسأل عن خبر محمد بن عبد الله ﷺ فقيل له : يزعم أنه نبي . فخرج حتى قدم عليه بمكة وسمع منه آيات من القرآن ، وانصرف عنه ، فتبعته قريش تسأله عن رأيه فيه ، فقال : أشهد أنه على الحق ، قالوا : فهل تتبعه ؟ فقال : حتى أنظر في أمره ، وخرج إلى الشام . وهاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة ، وحدثت وقعة بدر ، وعاد أمية من الشام ، يريد الإسلام ، فعلم بمقتل أهل بدر وفيهم ابنا خال له ، فامتنع . وأقام في الطائف إلى أن مات سنة ٥ هـ . ينظر : تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر : ٩ / ٢٨٦ ، المنتظم : ٣ / ١٤٢ ، ١٤٣ ، البداية والنهاية : ٢ / ٢٢٦ .

(٣) هو أبو الأسود الدؤلي . ينظر : الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني : ١٢ / ٣٦٠ .

السلطنة والحكم ، والناس يخافونه ويطعمون فيما عنده برهة من الزمن ، ثم يعزل أو يموت ، أو يذل بعد عز ، ويتضع بعد رفعة ، فيبقى لا طاعة له ولا يعبأ به أحد [١] .

ثانياً : هذا القول مرويٌّ عن جمع من السَّلف ، وبذلك يتأيد **بالقواعد الترجيحية** التالية :

- **تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم.**
- **القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك** [٢] .

✍ وإن كان القول الآخر محتملاً أيضاً فطاعة الله واجبة وثابتة أبداً دائماً ، وعليهما يحمل معنى الآية ، وقد قد جمع بين القولين : جماعة من المفسرين [٣] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) ينظر : أضواء البيان : ٢ / ٣٨٣ .

(٢) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٢٧١ ، ٣١٢ .

(٣) منهم : الطبري ، والثعلبي ، والقشيري ، والبغوي ، والعز بن عبد السلام ، والبقاعي ، والشوكاني ، وابن عاشور . ينظر : تفسير الطبري : ١٤ / ١١٨ ، الكشف والبيان : ٦ / ٢٢ ، تفسير القشيري : ٢ / ١٥٩ ، تفسير البغوي : ٣ / ٧٢ ، تفسير العز بن عبد السلام : ٢ / ١٩٤ ، نظم الدرر : ٤ / ٢٧٧ ، فتح القدير : ٣ / ١٦٩ التحرير والتنوير : ١٤ / ١٧٦ ، الوسيط : ٨ / ١٦٨ . وينظر : المحكم لابن سيده (مادة : وصب) : ٨ / ٣٨٨ ، تفسير غريب ما في الصحيحين : ١ / ٣١٣ .

قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ ... ﴾ . [آية : ٦١] .

مسألة : في المراد بقوله تعالى : ﴿ مِن دَآبَّةٍ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن المراد بقوله تعالى : ﴿ مِن دَآبَّةٍ ﴾ بني آدم وغيرهم ، فقال : ((﴿ مِن دَآبَّةٍ ﴾ يعم بني آدم وغيرهم ، وهذا يقتضي أن تهلك الحيوانات بذنوب بني آدم ، وقد ورد ذلك في الأثر . وقيل : يعني بني آدم خاصة)) . اهـ [١] .

الدراسة :

لما حكى سبحانه عن القوم عظيم كفرهم بيَّن سعة كرمه وحلمه ؛ حيث لم يعاجلهم بالعقوبة و لم يؤاخذهم بظلمهم ، واختلف المفسرون في **المراد بقوله تعالى : ﴿ مِن دَآبَّةٍ ﴾** على قولين :

القول الأوَّل : أنه يعمُّ بني آدم وغيرهم ؛ قاله **جماعة من السَّلف** [٢] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٣] ، ووافقه جماعة المفسرين [٤] .

ومعنى الآية : أي ما ترك عليها شيئاً من دابة قط ؛ بل أهلكها بالمرَّة .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٥٦ .

(٢) سيأتي تفصيل أقوالهم لاحقاً .

(٣) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٥٦ .

(٤) منهم : مقاتل ، والطبري ، والسمر قندي ، وابن أبي زمنين ، والسمعاني ، والبغوي ، والزمخشري ، واحتمله ابن عطية ، والبيضاوي ، والنسفي ، والخازن ، وأبو حيان ، وابن كثير ، والبقاعي ، والثعالبي ، والجلالين ، وأبو السعود ، والخطيب الشربيني ، والآلوسي ، والسعدي ، والشنقيطي ، وابن عاشور ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي .
ينظر : تفسير مقاتل : ٢ / ٢٢٧ ، تفسير الطبري : ١٤ / ١٢٥ ، تفسير السمر قندي : ٢ / ٢٧٩ ، تفسير ابن أبي زمنين (قال : حيوان الأرض) : ٢ / ٤٠٧ ، تفسير السمعاني : ٤ / ٣٦٥ ، تفسير البغوي : ٣ / ٧٤ ، الكشاف : ٢ / ٥٧٢ ، المحرر الوجيز : ٣ / ٤٠٣ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٤٠٥ ، تفسير النسفي : ٢ / ٢٦٠ تفسير الخازن : ٤ / ٩٧ ، البحر المحيط : ٥ / ٤٩٠ ، تفسير ابن كثير : ٢ / ٥٧٤ ، نظم الدرر : ٤ / ٢٨١ ، تفسير الثعالبي : ٣ / ٤٢٩ ، تفسير الجلالين : ٣٥٤ ، تفسير أبي السعود : ٥ / 122 ، السراج المنير : ٢ / ٢٦٩ ، روح المعاني : ١٤ / ١٧٠ ، تفسير السعدي : ٤٤٣ ، أضواء البيان : ٢ / ٣٨٩ - ٣٩١ ، التحرير والتنوير : ١٤ / ١٨٨ ، ١٩٠ ، الوسيط : ٨ / ١٧٧ .

واقتضى قوله تعالى : ﴿ مِن دَآبَّةٍ [١] ﴾ هلاك الحيوانات بذنوب بني آدم ؛ لأنها مخلوقة لمنافع العباد ومصالحهم كما يشعر به قوله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ... ﴾ . [سورة البقرة : ٢٩] . [٢]

قال ابن عاشور : " والاقتصار على ذكر دابّة في هذه الآية إيجاز ، لأنه إذا كان ظلم الناس مفضياً إلى استئصال الدوابّ كان العِلم بأنه مفض إلى استئصال الظالمين حاصلاً بدلالة الاقتضاء " . اهـ [٣] .

واستدل على ذلك بما يلي :

١. النظير القرآني :

- قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ ... ﴾ . [سورة فاطر : ٤٥] .
- وقوله : ﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ۚ ... ﴾ . [سورة الكهف : ٥٨] .

٢. جملة من الآثار :

- عن **ابن مسعود** ﷺ قال : « كاد الجُعَل [٤] أن يعذب في جحره بذنب ابن آدم ، ثم قرأ : ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ ... ﴾ » [٥] .
- وسمع **أبو هريرة** ﷺ رجلاً وهو يقول : إن الظَّالم لا يضرُّ إلاَّ نفسه . فقال : « بلى والله ، حتى إن الحبارى [٦] لتموت في وكرها بظلم الظالم » [١] .

---

(١) **الدَّابَّة** هي : اسمُ (مَا دَبَّ مِنَ الحَيَوَانِ) مُمَيِّزِهِ وغيرِ مُمَيِّزِهِ . ينظر (مادة : دب) في : لسان العرب : ١ / ٣٦٩ ، ٣٧٠ ، تاج العروس : ٢ / ١٥٦ .

(٢) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٥٦ ، روح المعاني : ١٤ / ١٧٠ ، التحرير والتنوير : ١٤ / ١٩٠ .

(٣) التحرير والتنوير : ١٤ / ١٩٠ .

(٤) **الجُعَل** هو : دابة سوداء من دواب الأرض ، قيل : أبو جَعران ، بفتح الجيم ، وجمعه جعلان . ينظر : لسان العرب (مادة : جعل) : ١١ / ١١٢ .

(٥) نسبه السيوطي في الدر (٥ / ١٤٠) إلى ابن أبي شيبة ، وابن جرير (١٤ / ١٢٦) ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والبيهقي في الشعب . وأخرجه الحاكم وصحَّحه (٣٦٠٢) : ٢ / ٤٦٤ . وقال الذهبي في التلخيص : **صحيح** .

(٦) قال ابن قتيبة : وانما خصت الحبارى من بين الطير لأنها أبعدها نجعة ، بلغني أنها تذبح بالبصرة فتوجد في =

- وقال **قتادة** في الآية : قد فعل الله ذلك من زمن نوح فأهلك من على الأرض إلاَّ من كان في سفينة نوح عليه السلام [٢] .
- وقال **السدي** : المعنى لأقحط المطر ؛ فلم تبق دابة إلاَّ هلكت [٣] .

٣. لما تقرر في الأصول من : أن النكرة في سياق النفي إذا زيدت قبلها لفظة (من) تكون نصاً صريحاً في العموم . وعليه فقوله : ﴿ مِن دَآبَّةٍ ﴾ يشمل كل ما يطلق عليه اسم الدابة نصاً [٤] .

القول الثاني : يعني **بني آدم خاصة** ، قاله ابن جريج [٥] ، وأبو عبيدة [٦] .

القول الثالث : المعنى المراد : **من دابة كافرة فهو خاص** ، قاله جماعة من المفسرين [٧] .

ويدل على هذا التخصيص :

١. قوله تعالى : ﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ... ﴾ . [سورة الأنفال : ٥٥] .

٢. وقوله تعالى : ﴿ ... أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ... ﴾ . [سورة الأعراف : ١٧٩] . [٨]

٣. أن الله لا يعاقب أحداً بذنب أحد .

واحتجُّوا : بقول الله تعالى : ﴿ ... وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ... ﴾ . [سورة الإسراء : ١٥] .

= حواصلها الحبة الخضراء صحاحاً ، وبين البصرة وبين منابت البطم مسيرة أيام وأيام . ينظر : غريب الحديث لابن قتيبة : ٢ / ٣٩٦ ، ٣٩٧ . وينظر : الفائق في غريب الحديث للزمخشري : ٢ / ٣٣٠ .

(١) عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد ، وابن أبي الدنيا ، وابن جرير ، والبيهقي في الشعب . ينظر : تفسير الطبري : ١٤ / ١٢٦ ، الدر المنثور : ٥ / ١٤٠ .

(٢) عزاه السيوطي إلى عبد الرزاق ، وعبد بن حميد ، وابن جرير ، وابن المنذر . ينظر : الدر المنثور : ٥ / ١٤٠ .

(٣) نسبه ابن الجوزي إليه . ينظر : زاد المسير : ٤ / ٤٥٩ .

(٤) ينظر : المحرر الوجيز : ٣ / ٤٠٣ ، أضواء البيان : ٢ / ٣٩١ .

(٥) نسبه إليه ابن الجوزي . ينظر : زاد المسير : ٤ / ٤٥٩ .

(٦) نسبه إليه الرَّاغب في مفرداته (١٦٤) . – ولم أقف عليه في كتب أبي عبيدة في حدود ما اطلعت – .

(٧) ونسبوه إلى ابن عباس رضي الله عنهما ، منهم : الواحدي ، والقرطبي ، والنيسابوري ، والشوكاني . ينظر : تفسير الواحدي : ١ / ٦١٠ ، تفسير القرطبي : ١٠ / ١١٩ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٢٧٤ ، فتح القدير : ٣ / ١٧١ .

(٨) ينظر : التفسير الكبير : ٢٠ / ٤٩ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٢٧٤ ، .

✖ **واعتُرض : قالوا : فيكف يعمُّ بالهلاك مع أن فيهم مؤمناً ليس بظالم ؟**

✓ **وأُجيب** بأنَّ : إهلاك الظالم انتقامٌ منه ، وإهلاك غيره إن كان من أهل التكليف فلأجل توفير أجره ، وإن كان من غيرهم فبشؤم ظلم الظالمين [١] .

ومثل هذا قوله : ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً ... ﴾ . [سورة الأنفال : ٢٥] .

وفى معنى هذا أحاديث منها :

- ما أخرجه الشيخان عن زَيْنَبَ ابنة جَحْشٍ – رضي الله عَنْه ا – « أَنَّ النبي ﷺ دخل عليها فَزِعًا يقول : لَا إِلَهَ إلا الله ، وَيْلٌ لِلْعَرَبِ من شَرٍّ قد اقْتَرَبَ ! فُتِحَ الْيَوْمَ من رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هذه – وَحَلَّقَ بِإِصْبَعِهِ الْإِبْهَامِ وَالَّتِي تَلِيهَا – . قالت زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ ، فقلت : يا رَسُولَ اللَّهِ ، أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ ؟ قال : نعم إذا كَثُرَ الْخَبَثُ » [٢] .
- وفي صحيح الإمام مسلم عن عَبْدَ اللَّهِ بن عُمَرَ ﷺ قال : سمعت رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقول : « إذا أَرَادَ الله بِقَوْمٍ عَذَابًا أَصَابَ الْعَذَابُ من كان فِيهِمْ ؛ ثُمَّ بُعِثُوا على أَعْمَالِهِمْ » [٣] .

.

ويمكن أن يقال : إن الذين لم يظلموا قد تسببوا للعقوبة بأسباب : كترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وترك التغيير ، ومداهنة أهل الظلم ومداومة جوارهم ، فتكون الإصابة المتعديه للظالم إلى غيره مختصة بمن ترك ما يجب عليه عند ظهور الظلم [٤] .

---

(١) ينظر : الكشاف : ٢ / ٥٧٢ ، المحرر الوجيز : ٣ / ٤٠٣ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٤٠٥ ، تفسير النسفي : ٢ / ٢٦٠ ، تفسير أبي السعود : ٥ / 122 ، روح المعاني : ١٤ / ١٧٠ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء ، بَاب قِصَّةِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ (٣١٦٨) : ٣ / ١٢٢١ ، وأخرج مسلم بمثله في كِتَاب الْفِتَنِ وَأَشْرَاطِ السَّاعَةِ ، بَبَ اقْتِرَابِ الْفِتَنِ وَفَتْحِ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ (٢٨٨٠) : ٤ / ٢٢٠٧ .

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، بَاب الْأَمْرِ بِحُسْنِ الظَّنِّ بِاللَّهِ تَعَالَى عِنْدَ الْمَوْتِ (٢٨٧٩) : ٤ / ٢٢٠٦ .

(٤) ينظر : المحرر الوجيز : ٣ / ٤٠٣ .

القول الرابع : الجن والإنس ، قاله ابن عباس ﷺ [١] ، وذهب إليه الزَّجَّاج [٢] .

وقيل في معنى الآية : لو يؤاخذ الله آباء الظالمين بظلمهم انقطع النسل ، و لم توجد الأبناء فلم يبق في الأرض أحد [٣] .

الترجيح :

يظهر لي – والله أعلم – **صحة القول الأوَّل ، فالراجح أن قوله تعالى : ﴿مِن دَآبَّةٍ﴾ يعم بني آدم وغيرهم من الحيوانات ؛ وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** ؛ إضافة لما تقدم ، ما يلي :

أولاً : هذا القول مرويٌّ عن جمع من السَّلف ؛ وهم الأكثر فهماً لنصوص الوحي .

ثانياً : حديث ابن مسعود ﷺ **الصحيح** جاء في معنى هذا القول .

ثالثاً : إذا ثبت في الأحاديث الصحيحة : أن العذاب إذا نزل بقوم عمَّ الصَّالح والطَّالح ، فلا إشكال في شمول الهلاك للحيوانات التي لا تعقل . وإذا أراد الله إهلاك قوم أمر نبيهم ومن آمن منهم أن يخرجوا عنهم ؛ لأن الهلاك إذا نزل عمَّ [٤] .

رابعاً : يتأيد هذا القول **بالقواعد الترجيحية** التالية :

- **تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم** .
- **إذا ثبت الحديث ؛ وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه** [٥] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) ينظر : تنوير المقباس : ٢٢٦ .

(٢) نسبه ابن الجوزي إليه في زاد المسير (٤ / ٤٥٩) . – و لم أقف عليه في كتب الزَّجاج في حدود ما اطلعت – .

(٣) أورد هذا المعنى كثير من المفسرين في تفاسيرهم . منهم : البغوي في تفسيره (٣ / ٧٤) ، والخطيب الشربيني في السراج المنير (٢ / ٢٦٩) .

(٤) ينظر : أضواء البيان : ٢ / ٣٩٢ .

(٥) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٢٧١ ، ٢ / ٨٠٤ .

سورة النحل ـــــــ

السَّلف [١] ، وهو المشهور عند أهل اللغة [٢] ، وجمهور العلماء من الخلف [٣] .

يدلُّ على ذلك : قول الأخطل :

بِئْسَ الصُّحَاةُ وبِئْسَ الشَّرْبُ شَرْبُهُم إذَا جَرَى فِيهِمُ المُزَّاءُ والسَّكَرُ [٤]

القول الثاني : السَّكَر الطُّعْم ، قاله أبو عبيدة ، **ورجَّحه** ابن جرير [٥] .

وأنشد أبو عبيدة [٦] :

جعلت أعراض الكرام سكراً ؛ أي : تنقلت بأعراضهم .

واستدل له :

بأن السَّكر ما يطعم من الطعام ، ويحل شربه من ثمار النخيل والأعناب ، وهو الرزق الحسن فاللفظ مختلف والمعنى واحد ؛ مثل قوله تعالى : ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ... ﴾ . [سورة يوسف عليه السلام : ٨٦] . [٧]

= وابن أبي حاتم .

(١) روي عن ابن مسعود رضي الله عنه ، وابن عمر رضي الله عنه ، وأبو رزين ، والحسن ، ومجاهد ، والشعبي ، والنخعي ، وابن أبي ليلى ، والكلبي ، وابن جبير ، وأبو ثور ، وغيرهم . ينظر : تفسير مجاهد : ١ / ٣٤٨ ، تفسير الطبري : ١٤ / ١٣٧ ، البحر المحيط : ٥ / ٤٩٥ ، أضواء البيان : ٢ / ٤٠٤ .

(٢) قال ابن عطية والقرطبي بشهرة هذا القول عند أهل اللغة . ينظر : المحرر الوجيز : ٣ / ٤٠٥ ، تفسير القرطبي : ١٠ / ١٢٨ . وينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج : ٣ / ٢٠٩ ، تهذيب اللغة للأزهري (مادة : سكر) : ١٠ / ٣٥ .

(٣) نسب الشنقيطي ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي هذا القول إلى الجمهور . ينظر : أضواء البيان : ٢ / ٤٠٤ ، الوسيط : ٨ / ١٨٦ .

(٤) ينظر : ديوان الأخطل : ٨٠ .
والأخطل هو : غياث بن غوث بن الصلت التغلبي ، أبو مالك ، وكان نصرانياً من أهل الجزيرة ، إلا أن محله في الشعر أكبر من أن يحتاج إلى وصف ، ت سنة ٩٠ هـ . ينظر : طبقات فحول الشعراء : ٢ / ٢٩٨ ، الأغاني : ٨ / ٢٩٠ - ٢٩٤ ، تاريخ مدينة دمشق : ٤٨ / ١٠٤ - ١٢٣ .

(٥) ينظر : تفسير الطبري : ١٤ / ١٣٨ .

(٦) هذا البيت من شواهد أبي عبيدة في مجازه ؛ نسبه لجندل ، ولم يتبين من هو جندل ، وأبو عبيدة هو الذي جعل السَّكَر الطُّعْم ولم يقله غيره . ينظر : مجاز القرآن لأبي عبيدة : ١ / ٣٦٣ .

(٧) ينظر : تفسير الطبري : ١٤ / ١٣٧ .

سورة النحل ـــــــ

سورة النحل ـــــــ

سورة النحل ـــــــ

فوجب أن يقال الرجوع عن كونه حسناً بحسب الشريعة ، وهذا إنما يكون كذلك إذا كانت محرمة " . اهـ [١] .

الترجيح:

يظهر لي – والله أعلم – **بأن ﴿ سَكَرًا ﴾ : يعني الخمر ، ونزل ذلك قبل تحريمها ؛ فهي منسوخة بالتحريم ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** ؛ إضافة لما تقدم ، ما يلي :

أولاً : هذا القول مرويٌّ عن جمع من السَّلف ، **ومن المقرر عند العلماء : تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم** [٢] .

ثانياً : القول بنسخ الآية بالتحريم جاء في أغلب كتب الناسخ والمنسوخ ، وكذلك نقل عن كثير من أئمة التفسير .

ولا مانع أن تكون الآية **جامعة بين العتاب والمنة** ؛ العتاب على اتخاذ ما يحرم ، وبالمنة على اتخاذ ما يحل وهو الخل والزبيب والتمر ، والامتنان يومئذٍ بمباح ، وذلك قبل تحريم الخمر ، وقد جوّزه جماعة من أئمة التفسير – كما رأينا – .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) التفسير الكبير : ٢٠ / ٥٦ .

(٢) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٢٧١ .

سورة النحل ـــــــ

واستدل له :

١. من اللغة : أن أزدل العمر في اللغة : أسوؤه وأردؤه [١] .

٢. النظير القرآني :

- قوله ﷻ : ﴿ ... وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴾ . [سورة الشعراء : ١١١] .
- وقوله تعالى : ﴿ ... إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا ... ﴾ . [سورة هود عليه السلام : ٢٧] .

وفي مقداره من السنين ثلاثة أقوال :

✓ **الأوَّل** : أن حَدَّهُ خمسة وسبعون عاماً ، قاله علي رضي الله عنه [٢] ، وذهب إليه ابن كثير [٣] .

قالوا :

- لأنه في هذا السن يحصل له ضعف القوى والخرف وسوء الحفظ وقلة العلم ، ولهذا قال ﷻ : ﴿ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا ﴾ أي بعد ما كان عالما أصبح لا يدري شيئاً من الفند والخرف .
- لا عمر أسوأ حالا من عمر الهرم ، يصير إلى حالة شبيهة بحال الطفولة في النسيان وأن يعلم شيئاً ثم يسرع في نسيانه فلا يعلمه إن سئل عنه [٤] .

✓ **الثاني** : أن حَدَّهُ ثمانون عاماً ، حكاه **قطرب** [٥] .

---

(١) **أرذل** : من رذل يرذل رذالة ، والأرذل والرذالة أردأ الشئ وأوضعه . وقال الرَّاغب : الرذل والرذال المرغوب عنه لرداءته . ينظر (مادة : رذل) في : تهذيب اللغة للأزهري : ١٤ / ٣٠٢ ، مفردات الرَّاغب : ١٩٤ ، لسان العرب : ١١ / ٢٨١ ، تاج العروس : ٢٩ / ٦٧ .

(٢) أخرجه ابن جرير . ينظر : تفسير الطبري : ١٤ / ١٤٢ ، الدر المنثور : ٥ / ١٤٦ .

(٣) ينظر : تفسير ابن كثير : ٢ / ٥٧٨ .

(٤) ينظر : تفسير ابن أبي زمنين : ٢ / ٤١٠ ، الكشاف : ٢ / ٥٧٨ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٤١٠ ، تفسير ابن كثير : ٢ / ٥٧٨ .

(٥) نسبه السمعاني وابن الجوزي إليه . ينظر : تفسير السمعاني :٣ / ١٨٧ ، زاد المسير : ٤ / ٤٦٧ .
وقُطْرُب هو : محمد بن المستنير بن أحمد ، أبو علي ، الشهير بقُطْرُب : نحوي ، عالم بالأدب واللغة ، من أهل البصرة . من الموالي . كان يرى رأي المعتزلة النظامية . وهو أوَّل من وضع " المثلث " في اللغة . وقطرب لقب دعاه به أستاذه " سيبويه " فلزمه . ت سنة ٢٠٦ هـ . ينظر : الفهرست : ١ / ٧٨ ، تاريخ بغداد : ٣ / ٢٩٨ وفيات الأعيان : ٤ / ٣١٢ .

✓ **الثالث** : أن حَدَّهُ تسعون عاماً ، قاله قتادة [١] .

القول الثاني : أن أرذل العمر **لا يحصر إلى مدة معينة ، وأنه يختلف بحسب الناس ؛ وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٢] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٣] .

واستدل له بما يلي :

١. أرذل العمر يختلف بحسب الناس ؛ وربَّ من يكون ابن خمسين سنة وهو في أرذل عمره ورب ابن مائة أو تسعين ليس في أرذل عمره .
٢. الهرم يختلف باختلاف الأبدان والبلدان ، والصحة والاعتلال على تفاوت الأمزجة المعتدلة .

✓ **ولعل من قيَّد بسن معين بنى على الأغلب** [٤] .

الترجيح:

يظهر لي – والله أعلم – **صحة القول الثاني ، فالراجح أن أرذل العمر لا يحصر إلى مدة معينة ، وأنه يختلف بحسب الناس ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** ؛ إضافة لما تقدم ما يلي :

أولاً : أرذل العمر هو أسوؤه وأردؤه ؛ كما ثبت في كتب اللغة ، ولكن بمشاهدة الواقع نجد أنه بإمكان الإنسان أن يصل لمرحلة الشيخوخة وهو يتمتع بصحة جيدة ؛ لا يعاني من خرف أو ذهاب عقل ؛ وقد أثبت العلم الحديث إمكانية ذلك . وطبقا لما ذكرته دراسة لـــ (مؤسسة مارك آرثر) للمسنين في (أمريكا) ، فإن كبار السن يتمتعون بالذهن الواعي والقدرة على التركيز إذا طبقوا ستَّ أمور جوهرية في حياتهم وهي :

---

(١) نسبه ابن الجوزي وأبو السعود إليه . ينظر : زاد المسير : ٤ / ٤٦٧ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ١٢٦ .
(٢) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٥٨ .
(٣) منهم : ابن عطية ، وأبو حيان ، والثعالبي ، والآلوسي ، والشنقيطي ، وابن عاشور . ينظر : المحرر الوجيز : ٣ / ٤٠٧ ، البحر المحيط : ٥ / ٤٩٨ ، تفسير الثعالبي : ٣ / ٤٣٣ ، روح المعاني : ١٤ / ١٨٧ ، أضواء البيان : ٢ / ٤١٠ ، التحرير والتنوير : ١٤ / ٢١٢ .
(٤) ينظر : المحرر الوجيز : ٣ / ٤٠٧ ، روح المعاني : ١٤ / ١٨٧ ، التحرير والتنوير : ١٤ / ٢١٢ .

١. دوام على الأداء الحركي :

إن التدريبات الجسمانية تزيد من قدرة الإنسان على أداء وظائفه، ومن قوته وتحمله ، ومرونته وتوازنه ، وتساعد على أن يظل المسن محتفظاً بوزن صحي ، وتقلل بشكل مؤثر من خطر الإصابة بالكثير من الأمراض المزمنة ، والأكثر من ذلك أن المشي يومياً أو السباحة تعمل على رفع كفائته ، ليس العناية البدنية فحسب ؛ ولكن اللياقة الذهنية والصحة النفسية أيضاً ، إحدى الدراسات أثبتت مؤخراً أن المشي لمدة (٤٥) خمس وأربعين دقيقة لمدة ثلاثة أيام في الأسبوع تزيد بشكل مؤثر من القدرة على التركيز والرغبة في العمل عند كبار السن ، وتخفف من القلق والشعور بالإحباط ؛ وهي مشكلة لدى كبار السن ، وتوصل العلماء إلى أن التمرينات تساعد الناس على أن يعيشوا أفضل وأطول .

٢. الاهتمام بالأساسيات :

إن نمط الحياة المتزن لا يقلل من احتمالات التعرض للموت فقط بل وأيضا يبدو به الإنسان أكبر سناً من حقيقة عمره ، وذلك بالعمل على التقليل من تناول منتجات التبغ ، وتعاطي جرعات التطعيم والتي تشمل الأنفلونزا ، ولقاح أمراض الرئة ، والحرص على حماية الجلد من التعرض للشمس لفترات طويلة بارتداء الملابس واستخدام المستحضرات العاكسة للشمس .

٣. تناول الطعام المتنوع :

تناول الطعام المتنوع يعطي الجسم كميات كافية من الفيتامينات المعادن ، والمركبات الصحية الأخرى ؛ والتي تقلل من خطر الإصابة بالأمراض المزمنة ؛ مثل : السكر ، وتصلب الشرايين ، وذلك بتناول الأغذية الصحية ، مثل : المواد المقاومة للأكسدة ، والأحماض الدهنية الأساسية التي يمكن أن تلعب دوراً للتعامل مع الشيخوخة .

٤. الاحتفاظ بذهن نشط :

وذلك بالحرص على النشاط والعرف على العالم ، والاستمرار في تعلم أشياء جديدة ، والتعرف على شخصيات ممتعة ، والاستمتاع بخبرات في قراءة الأدب وكتب العلم ، والحقيقة القائلة بأن كبار يفقدون خلايا المخ قد تم نقضها ؛ فكبار السن الذين يسير نشاطهم الذهني منتظماً يتم لديهم بناء لخلايا المخ ، وهذا المخزون يمكن حسابه من نتائج دراسة طويلة الأمد نقلاً عن الاجتماع السنوي في الربيع الماضي للأكاديمية الأمريكية لدراسة الجهاز العصبي ، والتي تؤكد على أن الأشخاص الذين ينخرطون في أنشطة ذهنية وفسيولوجية ومنتصف حياتهم تقل نسبة أصابتهم بمرض " الزهايمر " ؛ وهو الخرف المبكر .

٥. التفاؤل المستمر:

الباحثون في مركز (نيو إنجلاند المئوي) وجدوا أن خاصية واحدة مشتركة بين الأشخاص فوق سن المائة ، وهي الحس بالمرح والموقف الإيجابي والمعنوي تجاه الحياة ، فالتفاؤل مرتبط بالحصول على صحة جيدة ، ويخفف من مستوى الضغوط ويطيل العمر ، وذلك بدوام النظر للجانب المشرق في الحياة [1] .

والعكس صحيح ، فلو أسرف الإنسان على نفسه ، وأهمل صحته وغذاءه ، وضيع عمره فيما لذَّ وطاب من غير مبالاة ، فإن صحته ستتدهور وسيعاني من أمراض مستعصية وهو في مقتبل العمر ؛ وناهيك عن هذا إن كان مسرفاً على نفسه بتعاطي المسكرات والمفترات ؛ والتي لها الأثر السلبي على صحته ، وبالتالي سيصل إلى أرذل العمر في الوقت الذي يفترض فيه أن يكون في سن الشباب والنضج والحيوية .

ثانياً : الطاعات لها أثرها الطيب في نشاط عقل الإنسان وحيويته . وقد جاء عن ابن عباس ﷺ قال : « من قرأ القرآن لم يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم بعد علم شيئاً .

(١) موقع : إسلام أون لاين ، مقال : الشيخوخة إلى أين ؟ .

سورة النحل ـــــــ

سورة النحل ـــــــ

سورة النحل ـــــــ

سورة النحل ـــــــ

سورة النحل ـــــــ

ثانياً: السِّياق القرآني : هذا المعنى هو الأقرب إلى سياق آيات السورة الكريمة ، لأن السورة الكريمة مكية [١] ، ومن أهدافها الأساسية دعوة الناس إلى إخلاص العبادة لله ﷻ ، ونبذ الإِشراك والمشركين ، وإقامة الأدلة المتنوعة على بطلان كل عبادة لغير الله تعالى [٢] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

(١) سبق الحديث عن مكية سورة النحل . ينظر : ص : ٣٥٠ من هذا البحث .
(٢) ينظر : الوسيط لمحمَّد سيِّد طنطاوي : ٨ / ١٩٥ .

سورة النحل ـــــــ

سورة النحل ـــــــ

✖ **وضُعِّف لما يلي :**

١. " لا قرينة على تقدير خلاف الظاهر ، وقد قيد الحفدة بأنهم من الأزواج ؛ فالأعوان الذين لا يكونون من قبل المرأة لا يدخلون تحت هذه الآية " [١] .

٢. إن السِّياق للامتنان ولا يمتن بذلك .

✓ **وأجيب** : بأن الامتنان باعتبار الخدمة . ولا يخفى أنه مصحِّح لا مرجِّح [٢] .

القول الثالث : البنات ، قاله **الخليل بن أحمد** [٣] ، وحكاه الزَّجَّاج [٤] .

قالوا : عبر عنهن بذلك إيذاناً بوجه المنَّة فإنهن في الغالب يخدمن في البيوت أتم خدمة [٥] .

القول الرابع : البنون أنفسهم ، جوَّزه الزمخشري ، والبيضاوي [٦] .

كأنه قيل : وجعل لكم منهنّ أولاداً هم بنون وهم حافدون ، أي جامعون بين الأمرين [٧] .

.

✓ **والصواب** : أن البنين هم غير الحفدة ، لأن الله ذكر الاثنين في موضع الامتنان ، ولما اشتهر بأن الحفدة هم أولاد الأوَّلاد [٨] .

---

(١) التفسير الكبير : ٢٠ / ٦٦ .
(٢) ينظر : روح المعاني : ١٤ / ١٩٠ .
(٣) ينظر : العين : ٣ / ١٨٥ .
والخليل هو : الخليل بن أحمد الفراهيدي ، أبو عبد الرحمن البصري ، صاحب العربية ، ومنشئ علم العروض ، وإمام أهل البصرة في العربية ، ت سنة ١٧٠ هـ . ينظر : المعارف : ٥٤١ ، معجم الأدباء : ٣ / ٣٠٠ - ٣٠٣ ، السِّير : ٧ / ٤٢٩ - ٤٣١ .
(٤) ينظر معانيه : ٣ / ٢١٢ .
(٥) ينظر : تفسير أبي السعود : ٥ / ١٢٨ ، روح المعاني : ١٤ / ١٩٠ .
(٦) ينظر : الكشاف : ٢ / ٥٧٩ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٤١١ . وقيل : البنون صغار الأوَّلاد ، والحفدة كبارهم . وقال مقاتل : بعكسه . ينظر : تفسير مقاتل : ٢ / ٢٣٠ ، النكت والعيون للماوردي : ٣ / ٢٠٣ .
(٧) ينظر : الكشاف : ٢ / ٥٧٩ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٤١١ .
(٨) ينظر : تفسير الخازن : ٤ / ١٠٥ ، السراج المنير : ٢ / ٢٧٩ .

سورة النحل ـــــــ

سورة النحل ـــــــ

أزواج البشر جعل الله لهم البنين ، ومنهم جعل الخدمة فمن لم تكن له قط زوجة فقد جعل الله له حفدة وحصل تحت النعمة ، وأولئك الحفدة هم من الأزواج وهكذا تترتب النعمة التي تشمل جميع العالم ، وتستقيم لفظة الحفدة على مجراها في اللغة ؛ إذ البشر بجملتهم لا يستغني أحد منهم عن حفدة " . اهـ [١] .

ثالثاً : لم يدلّ ظاهر التنزيل ولم يأت على لسان رسوله ﷺ ولم يظهر بحجة عقل على أنه عُنى بذلك نوعاً من الحفدة دون نوع منهم ، وهم من نعم الله علينا ؛ لذا لم يكن لنا أن نوجه ذلك إلى خاص من الحفدة دون عام ؛ إلا ما اجتمعت الأمة عليه أنه غير داخل فيهم [٢] .

✌ وإن كان **المشهور** أن الحفدة مراد بهم (أولاد الأوَّلاد) كما جاء عن ابن عباس رضي الله عنه وهو حديث صحيح .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) المحرر الوجيز : ٣ / ٤٠٨ .

(٢) ينظر : تفسير الطبري : ١٤ / ١٤٧ .

سورة النحل ـــــــ

واختلف المفسرون **فيمن أريد بالمثل** على أقوال :

القول الأوَّل : الرجل الأبكم أبو جهل ، والذي يأمر بالعدل عمار بن ياسر ﷺ [١] .

القول الثاني : الرجل الأبكم أبي بن خلف ، والذي يأمر بالعدل حمزة بن عبد المطلب ﷺ [٢] ، قاله الواحدي [٣] .

✖ **وتعقَّب أبو حيان** القولين فقال :

" وما روي من أن الأبكم أبو جهل والآمر بالعدل عمار ، أو الأبكم أبي ابن خلف والآمر عثمان بن مظعون **لا يصح إسناده** " . اهـ [٤] .

القول الثالث : أنها نزلت في **عثمان بن عفان** ﷺ هو الذي يأمر بالعدل ، وفي مولى له (هو : **أسيد بن أبي العيص** [٥]) كان يكره الإسلام ، وينهى عثمان ﷺ عن النفقة في سبيل الله ؛ وهو الأبكم [٦] ، وبه قال ابن عباس ﷺ [٧] ، وذهب إليه ابن جرير [٨] ، والنحاس [٩] .

✖ **وضعِّف** : لأن المقصود إبانة التفرقة بين رجلين موصوفين بالصفات المذكورة ، وذلك غير مختص بشخص معين ، بل أيما حصل التفاوت في الصفات المذكورة حصل المقصود [١٠] .

---

(١) حكى هذا القول غير واحد من المفسرين . ينظر : تفسير القرطبي : ١٠ / ١٤٩ ، التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٥٩ ، روح المعاني : ١٤ / ١٩٨ .

(٢) وقيل : الذي يأمر بالعدل عثمان بن مظعون ﷺ . ينظر : تفسير الخازن : ٤ / ١٠٦ .

(٣) ينظر : تفسير الواحدي : ١ / ٦١٤ .

(٤) البحر المحيط : ٥ / ٥٠٣ .

(٥) ينظر : إتقان السيوطي : ٤ / ٣٨٩ .

(٦) ينظر : أسباب النزول للواحدي : ١٨٩ .

(٧) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٤ / ١٥١) ، وعزاه السيوطي أيضاً لابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه ، وابن عساكر ، ولابن سعد ، وابن أبي شيبة ، والبخاري في تاريخه وابن مردويه ، والضياء في المختارة ، ونسبه إليه ابن الجوزي في زاد المسير (٤ / ٤٧٣) . وينظر : الدر المنثور : ٥ / ١٥١ ، ١٥٢ .

(٨) ينظر : تفسير الطبري : ١٤ / ١٥١ .

(٩) ينظر : معاني القرآن للنحاس : ٤ / ٩٤ .

(١٠) ينظر : التفسير الكبير : ٢٠ / ٧١ .

القول الرابع : **مثل ضربه الله تعالى للمؤمن والكافر** ، فالكافر هو الأبكم ، والذي يأمر بالعدل هو المؤمن ، قاله ابن عباس ﷺ [١] في رواية عنه ، و **حسَّنه** القرطبي [٢] ، وقاله الجلالين [٣] .

القول الخامس : الأبكم الذي لا يقدر على شيء **هو الوثن** ، والذي يأمر بالعدل **هو الله تعالى** ، وهو قول ابن عباس ﷺ [٤] أيضاً ، و مجاهد [٥] ، وقتادة [٦] ، والحسن [٧] ، ومقاتل ومقاتل [٨] ، والسدي [٩] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [١٠] ، ووافقه **جمهور** [١١] المفسرين [١٢] [١٢] .

✖ **وتُعقِّب بأن** : **الأوَّلى** بأن يكون المقصود منه كل عبد موصوف بهذه الصفات المذمومة ،

---

(١) نسبه إليه ابن عطية وابن الجوزي . ينظر : المحرر الوجيز :٣ / ٤١١ ، زاد المسير : ٤ / ٤٧٣ .
(٢) ينظر : تفسير القرطبي : ١٠ / ١٤٩ .
(٣) ينظر : تفسير الجلالين : ٣٥٦ .
(٤) ينظر : تنوير المقباس : ٢٢٧ .
(٥) نسبه ابن الجوزي إليه في زاد المسير (٤ / ٤٧٣) .
(٦) نسبه إليه الصنعاني في تفسيره (٢ / ٣٥٩) ، وابن الجوزي في زاد المسير (٤ / ٤٧٣) .
(٧) نسبه النحاس إليه في معانيه (٤ / ٩٤) .
(٨) ينظر تفسيره : ٢ / ٢٣١ .
(٩) نسبه السمر قندي إليه . ينظر : تفسير السمر قندي : ٢ / ٢٨٣ .
(١٠) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٥٩ .
(١١) قال ابن القيم : هذا أصح الأقوال في الآية ، وهو الذي لم يذكر كثير من المفسرين غيره ، ومن ذكر غيره قدمه على الأقوال ثم حكاها بعده كما فعل البغوي ؛ فإنه جزم به وجعله تفسير الآية . ينظر : التفسير القيِّم لابن القيِّم : ١ / ١٦ .
(١٢) منهم : السمر قندي ، وابن أبي زمنين ، والثعلبي ، والسمعاني ، والبغوي ، والزمخشري ، وابن عطية ، والنسفي والنيسابوري ، والخازن ، وابن القيم في غير واحد من كتبه ، والبقاعي ، والثعالبي ، وابن عادل ، وأبو السعود ، والشوكاني ، والقاسمي ، والآلوسي ، والسعدي ، وسيد قطب ، وابن عاشور . ينظر : تفسير السمر قندي : ٢ / ٢٨٣ ، تفسير ابن أبي زمنين : ٢ / ٤١٢ ، الكشف والبيان : ٦ / ٣٢ ، تفسير السمعاني : ٣ / ١٩٠ ، تفسير البغوي : ٣ / ٧٨ ، الكشاف : ٢ / ٥٨٢ ، المحرر الوجيز : ٣ / ٤١١ ، تفسير النسفي : ٢ / ٢٦٥ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٢٩٠ ، تفسير الخازن : ٤ / ١٠٦ ، ولابن القيم في : [الأمثال في القرآن : ٢٢ – ٢٥ ، إعلام الموقعين : ١ / ١٦١ ، التفسير القيِّم : ١ / ١٦] ، نظم الدرر : ٤ / ٢٩٥ ، تفسير الثعالبي : ٣ / ٤٣٥ ، تفسير ابن عادل : ١٢ / ١٢٦ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ١٣٠ ، فتح القدير : ٣ / ١٨١ ، تفسير القاسمي : ١٠ / ١٣٦ ، روح المعاني : ١٤ / ١٩٨ ، تفسير السعدي : ٤٤٥ ، الظلال : ٤ / ٢١٨٤ ، التحرير والتنوير : ١٤ / ٢٢٧ .

سورة النحل ـــــــ

فمقصود سياق الآية بيان دلائل التوحيد وبطلان عقائد المشركين [١] .

ثانياً : على **فرض صحة الرواية** بأن الآية نزلت في عثمان بن عفان ﷺ ، وأنه هو الذي يأمر بالعدل ، وفي مولى له كان يكره الإسلام ، وينهى عثمان ﷺ عن النفقة في سبيل الله ؛ وهو الأبكم ؛ فإن خصوص السبب لا ينافي العموم [٢] .

ثالثاً : هذا القول تؤيده **القاعدة الترجيحية** التالية :

- **العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب** [٣] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) ينظر : تفسير أبي السعود : ٥ / ١٣٠ ، روح المعاني : ١٤ / ١٩٨ ، الوسيط : ٨ / ٢٠٢ .

(٢) ينظر : روح المعاني : ١٤ / ١٩٨ .

(٣) ينظر : القواعد الحسان للسعدي : ١٠ ، قواعد التفسير للسبت : ٢ / ٥٩٣ ، قواعد الترجيح للحربي : ٢ / ٥٤٥ .

قوله تعالى : ﴿ ... إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٠﴾ ۞ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا ... ﴾ . [آية : ١١٠ ، ١١١] .

مسألة : في متعلق قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَأْتِي ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَأْتِي ﴾ يتعلق بمحذوف تقديره : اذكر ، فقال : ((يحتمل أن يتعلق بـ (غفور رحيم) ، أو بمحذوف تقديره : اذكر ؛ **وهذا أظهر**)) . اهـ [١] .

الدراسة :

اختلف المفسرون في **متعلق قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَأْتِي** [٢] **﴾** على قولين :

القول الأوَّل : أن يتعلق بـ (غفور رحيم) ، فهو منصوب على الظرفية ، قاله النحاس وابن عطية ، والآلوسي [٣] .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٦٣ .

(٢) عن كعب الأحبار قال : قال لي عمر بن الخطاب ﷺ يوما وأنا عنده : « يا كعب خوفنا » قال : فقلت : « يا أمير المؤمنين ، أو ليس فيكم كتاب الله وحكمة رسول الله ﷺ ؟ » قال : « بلى ، ولكن يا كعب خوفنا » قال : قلت : « يا أمير المؤمنين اعمل عمل رجل لو وافيت القيامة بعمل سبعين نبيا لازدرأت عملك مما ترى » قال : فأطرق عمر وأنكس ونكس مليا ، قال : ثم أفاق قال : « زدنا يا كعب زدنا » قال : قلت : « يا أمير المؤمنين ، لو فتح من جهنم قدر منخر ثور بالمشرق ورجل بالمغرب لغلا دماغه حتى يسيل من حرها » قال : فأطرق عمر ونكس مليا قال : ثم أفاق ، فقال : « زدنا يا كعب » قال : قلت : « يا أمير المؤمنين إن جهنم لتزفر يوم القيامة زفرة ما بقي ملك مقرب ولا نبي مصطفى إلا خر جاثيا على ركبتيه » قال : « ويقول : رب نفسي نفسي لا أسألك اليوم إلا نفسي » قال : فأطرق عمر مليا قال : قلت : « يا أمير المؤمنين ، أوليس تجدون هذا في كتاب الله ؟ » قال : « كيف ؟ » قال : قلت : « قول الله سبحانه : ﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا ... ﴾ . الآية . عزاه السيوطي إلى ابن المبارك ، وابن أبي شيبة ، وأحمد في الزهد ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم . وأخرجه عبد الرزاق . ينظر : تفسير الصنعاني : ٢ / ٣٦٣ ، ٣٦٤ ، الدر المنثور : ٥ / ١٧٣ . وأورده غير واحد من المفسرين عند تفسير الآية .

(٣) ينظر : إعراب القرآن لأبي جعفر ، أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس (ت ٣٣٨ هـ) : ٢ / ٤١٠ ، المحرر الوجيز : ٣ / ٤٢٦ ، روح المعاني : ١٤ / ٢٤٠ .

يعني : أنه تعالى يعطي الرحمة والغفران في ذلك اليوم الذي يعظم احتياج الإنسان فيه إلى الرحمة والغفران .

واستدل له بما يلي :

١. بارتباط النظم عليه .

٢. ومقابلته لقوله تعالى : ﴿ ... فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾ . [سورة النحل : ١٠٩] . ولا يضر تقييد الرحمة بذلك اليوم ؛ لأن الرحمة في غيره تثبيت بالطريق الأوَّلى ، والمراد بهذا اليوم يوم القيامة ﴿ تُجَٰدِلُ عَن نَّفۡسِهَا ﴾ تدافع وتسعى في خلاصها بالاعتذار ، ولا يهمها شأن غيرها من ولد ووالد وقريب [١] .

القول الثاني : أن يتعلق بمحذوف تقديره : اذكر ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ [٢] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٣] .

قالوا : لأن معنى القرآن العظة والإنذار والتذكير ، أي : اذكر يوم تأتي كل نفس ؛ أي : كل إنسان يجادل عن نفسه .

وتصديق هذا قوله تعالى :

﴿ يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ ﴿٣٧﴾ ﴾ . [سورة عبس : ٣٤ - ٣٧] . [٤]

الترجيح:

يظهر لي – والله أعلم – **احتمال القولين ؛ فيكون قوله تعالى : ﴿ يَوۡمَ تَأۡتِي ﴾ يتعلق بـ (غفور رحيم) ، أو بمحذوف تقديره : اذكر ، إضافة لما تقدم** ؛ ما يلي :

---

(١) ينظر : روح المعاني : ١٤ / ٢٤٠ .

(٢) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٦٣ .

(٣) منهم : الواحدي ، والثعالبي ، والخطيب الشربيني . ينظر : تفسير الواحدي : ١ / ٦٢١ ، تفسير الثعالبي : ٣ / ٤٤٤ ، السراج المنير : ٢ / ٢٩٥ .

(٤) ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج : ٣ / ٢٢١ . وينظر : التفسير الكبير : ٢٠ / ١٠١ .

أولاً : ذكر **جماعة من أئمة اللغة والتفسير** [١] القولين من غير ترجيح ، واحتمل السمين الحلبي القولين [٢] .

ثانياً : لكل قول أدلة استدل بها مما يشهد بصحة القولين .

والله تعالى أعلم بالصواب .

(١) منهم : الزَّجَّاج ، ونقله عنه : [ابن الجوزي ، والفخر الرازي ، والنيسابوري] ، والنحاس ، والزمخشري والعكبري ، والقرطبي ، والبيضاوي ، والنسفي ، وأبو حيان ، وابن عادل ، وأبو السعود ، والشوكاني والقاسمي ، وابن عاشور ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج : ٣ / ٢٢١ ، إعراب القرآن للنحاس : ٢ / ٤١٠ ، الكشاف : ٢ / ٥٩٥ ، زاد المسير : ٤ / ٤٩٩ ، التفسير الكبير : ٢٠ / ١٠١ التبيان في إعراب القرآن للعكبري : ٢ / ٨٠٨ ، تفسير القرطبي : ١٠ / ١٩٣ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٤٢٣ ، تفسير النسفي : ٢ / ٢٧٣ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٣١١ ، البحر المحيط : ٥ / ٥٢٣ ، تفسير ابن عادل : ١٢ / ١٧١ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ١٤٤ ، فتح القدير : ٣ / ١٩٨ ، تفسير القاسمي : ١٠ / ١٦٧ ، التحرير والتنوير : ١٤ / ٣٠١ ، الوسيط : ٨ / 244 .

(٢) ينظر : الدر المصون : ٤ / ٣٦٢ .

قوله تعالى : ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ . [آية : ١١٢] .

مسألة : في المراد بالقرية المذكورة في الآية :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن القرية غير معينة ، فقال : ((قيل : إن القرية المذكورة مكة كانت بهذه الصفة التي ذكرها الله ﴿ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ ﴾ يعني : بنبوة محمد ﷺ ، فأصابهم الجدب والخوف من غزو النبي ﷺ . وقيل : إنما قصد قرية غير معينة أصابها ذلك فضرب الله بها مثلا لمكة ، **وهذا أظهر** ؛ لأن المراد وعظ أهل مكة بما جرى لغيرهم)) . اهـ [١] .

الدراسة :

اختلف المفسرون في **المراد بالقرية المذكورة في الآية** على قولين :

القول الأوَّل : إن القرية المذكورة **مكة** كانت بهذه الصفة التي ذكرها الله ﴿ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ ﴾ يعني : بنبوة محمد ﷺ ، فأصابهم الجدب والخوف من غزو النبي ﷺ ، قاله ابن عباس رضي الله عنهما [٢] ، ومجاهد [٣] ، وقتادة [٤] ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وحكاه **الإمام مالك** عن **الزُّهري** ، نقله عنهم ابن كثير [٥] وغيره .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٦٣ .

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٤ / ١٨٦) . وينظر : تنوير المقباس : ٢٣١ ، الدر المنثور : ٥ / ١٧٤ .

(٣) ينظر تفسيره : ١ / ٣٥٤ . وأخرجه ابن جرير ، وعزاه السيوطي أيضاً إلى ابن أبي شيبة ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر . ينظر : تفسير الطبري : ١٤ / ١٨٦ ، الدر المنثور : ٥ / ١٧٤ .

(٤) أخرجه عبد الرزاق وابن جرير . ينظر : تفسير الصنعاني : ٢ / ٣٦٠ ، تفسير الطبري : ١٤ / ١٨٦ .

(٥) ينظر : تفسير ابن كثير : ٢ / ٥٩٠ .

والزُّهري هو : محمد بن مسلم بن عبد الله ابن شهاب الزهري ، من بنى زهرة بن كلاب ، من قريش ، أبو بكر : أوَّل من دون الحديث ، وأحد أكابر الحفاظ والفقهاء . تابعي ، من أهل المدينة ، كان يحفظ ألفين ومئتى حديث ، نصفها مسند . وعن أبى الزناد قال : كنا نطوف مع الزهري ومعه الألواح والصحف ويكتب كل ما يسمع . نزل الشام واستقر بها ، وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عماله : عليكم بابن شهاب فإنكم لا تجدون أحدا أعلم بالسُّنة الماضية منه . ت سنة ١٢٤ هـ . ينظر : تاريخ البخاري : ١ / ٢٢٠ ، الجرح والتعديل : ٨ / ٧١ - ٧٣ ، الكاشف : ٢ / ٢١٩ .

سورة النحل ـــــــ

✓ وقوله : ﴿ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ ﴾ ذكر نظيره عن أهل مكة في آيات كثيرة : كقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴾ . [سورة إبراهيم عليه السلام : ٥٧] .

✓ وقوله : ﴿ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴾ وقع نظيره قطعاً لأهل مكة ؛ فقد فسر **ابن مسعود** رضي الله عنه آية (الدخان) بما يدل على ذلك ، وأخرج **الشيخان عنه** رضي الله عنه قال : « إنما كان هذا لِأَنَّ قُرَيْشًا لَمَّا اسْتَعْصَوْا على النبي ﷺ دَعَا عليهم بسنينَ كَسنِي يُوسُفَ ، فَأَصَابَهُمْ قَحْطٌ وَجَهْدٌ حتى أَكَلُوا الْعِظَامَ ، فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَنْظُرُ إلى السَّمَاءِ فَيَرَى ما بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا كَهَيْئَةِ الدُّخَانِ [١] من الْجَهْدِ ، فَأَنْزَلَ الله تَعَالَى : ﴿ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴾ [٢] ، قال فَأُتِيَ رسول اللَّهِ ﷺ ، فَقِيلَ : يا رَسُولَ اللَّهِ ، اسْتَسْقِ اللَّهَ لِمُضَرَ ؛ فَإِنَّهَا قد هَلَكَتْ . قال : لِمُضَرَ إِنَّكَ لَجَرِيءٌ ، فَاسْتَسْقَى فَسُقُوا ، فَنَزَلَتْ : ﴿ ... إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴾ [٣] ، فلما أَصَابَتْهُمْ الرَّفَاهِيَةُ عَادُوا إلى حَالِهِمْ حين أَصَابَتْهُمْ الرَّفَاهِيَةُ فَأَنْزَلَ الله عز وجل : ﴿ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴾ [٤] ، قال : يَعْنِي يوم بَدْرٍ » [٥] .

وفي تفسير ابن مسعود رضي الله عنه لهذه الآية الكريمة [٦] ما يدل دلالة واضحة أن ما أذيقت هذه القرية المذكورة في (سورة النحل) من لباس الجوع أذيقه أهل مكة ، حتى أكلوا العظام ، وصار الرجل منهم يتخيل له مثل الدخان من شدة الجوع .

✓ وأما الخوف المذكور في آية النحل فقد ذكر جل وعلا مثله عن أهل مكة أيضاً على

---

(١) ثبت في صحيح مسلم أن الدخان من أشراط الساعة . ولا مانع من حمل الآية الكريمة على الدخانين : الدخان الذي مضى ، والدخان المستقبل جمعاً بين الأدلة ، والتفسيرات المتعددة في الآية إن كان يمكن حمل الآية على جميعها فهو أولى . ينظر : أضواء البيان : ٢ / ٤٥٧ .

(٢) سورة الدخان : ١٠ .

(٣) سورة الدخان : ١٥ .

(٤) سورة الدخان : ١٦ .

(٥) أخرجه البخاري – واللفظ له – في صحيحه في كتاب التفسير ، بَاب ﴿ يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٤٤٤٥) : ٤ / ١٨٢٣ ، وأخرج مسلم بنحوه في صحيحه في كتاب صفة القيامة والجنة والنار ، بَاب الدخان (٢٧٩٨) : ٤ / ٢١٥٦ .

(٦) وهذا التفسير من ابن مسعود رضي الله عنه له حكم الرفع ؛ لما تقرر في علم الحديث : من أن تفسير الصحابي المتعلق بسبب النزول له حكم الرفع . ينظر : النكت على كتاب ابن الصلاح لأحمد بن علي بن حجر (ت ٨٥٢ هـ) : ٢ / ٥٣٠ .

سورة النحل ـــــــ

مكة [١] .

٢. هذه الآية نزلت بالمدينة في قول مقاتل [٢] وبعض المفسرين [٣] ، لأن الله ﷻ وصف هذه القرية بصفات ستة كانت هذه الصفات موجودة في أهل مكة ، فضربها الله مثلاً لأهل المدينة يحذرهم أن يصنعوا مثل صنيعهم ، فيصيبهم ما أصابهم من الجوع والخوف ، ويشهد لصحَّة هذا القول أ ن الخوف المذكور في هذه الآية في قوله : ﴿ فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ ﴾ هو البعوث والسرايا التي كان النبي ﷺ يبعثها في قول جميع المفسرين ؛ لأَن النبي ﷺ لم يؤمر بالقتال ، وهو بمكة وإنما أُمر بالقتال لما هاجر إلى المدينة فكان يبعث البعوث والسرايا إلى حول مكة يخوّفهم بذلك ، وهو بالمدينة ، والله أعلم بمراده [٤] .

لكن : سورة النحل مكية اتفاقاً عند جمهور المفسرين إلا الآيات الثلاثة الأخيرة فمدنية [٥] ، فهذه الآية مكية ، وعلى هذا لم يضرب فيها المثل بمكة لأهل المدينة .

القول الثاني : إنما **قصد قرية** [٦] **غير معينة** أصابها ذلك فضرب الله بها مثلاً لمكة [٧] ، على معنى التحذير لأهلها ولغيرها من القرى إلى يوم القيامة ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٨] ،

---

(١) ينظر : تفسير ابن كثير : ٢ / ٥٩٠ ، أضواء البيان : ٢ / ٤٥٥ - ٤٥٩ ، التحرير والتنوير : ١٤ / ٣٠٤ . ٣٠٥ .

(٢) ينظر : تفسير مقاتل : ٢ / ٢١٣ .

(٣) نقل الخازن هذا القول و**صحَّحه** . ينظر : تفسير الخازن : ٤ / ١١٩ .

(٤) ينظر : تفسير الخازن : ٤ / ١١٩ ، ١٢٠ .

(٥) سبق الحديث عن مكية سورة النحل . ينظر : ص : ٣٥٠ .

(٦) قال الزمخشري : " فيجوز أن تراد قرية مقدرة على هذه الصفة ، وأن تكون في قرى الأوَّلين قرية كانت هذه حالها ، فضربها الله مثلا لمكة إنذاراً من مثل عاقبتها " . اهـ . وقاله الآلوسي ، والقاسمي ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي و لم يجوز أبو حيان أنْ يراد قرية مقدرة على هذه الصفة ، بل لا بد من وجودها لقوله : ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون . و لم يمنع الآلوسي ذلك . ينظر : الكشاف : ٢ / ٥٩٦ ، البحر المحيط : ٥ / ٥٢٤ ، روح المعاني : ١٤ / ٢٤٢ ، تفسير القاسمي : ١٠ / ١٦٨ ، الوسيط : ٨ / ٢٤٦ . وقال البقاعي : قرية من قرى الماضين التي تعرفونها كقرية هود أو صالح أو لوط أو شعيب عليهم السلام كان حالها كحالهم ، ينظر : نظم الدرر : ٤ / ٣١٦ . وجوَّز العز بن عبد السلام أن تكون القرية هي مكة ، أو المدينة ، أو كل مدينة كانت على هذه الصفة من سائر القرى . ينظر : تفسير العز بن عبد السلام : ٢ / ٢٠٦ .

(٧) ذهب بعض المفسرين أن الله جعل هذه القرية مثلاً لأهل مكة خاصة ؛ أو لكل قوم أنعم الله تعالى عليهم فأبطرتهم النعمة ففعلوا ما فعلوا ، فبدَّل الله تعالى بنعمتهم نقمة . ينظر : تفسير البيضاوي : ٣ / ٤٢٣ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ١٤٥ .

(٨) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٦٣ .

ووافقه جماعة من المفسرين [١] .

القول الثالث : إن القرية المذكورة هي **المدينة** ، حكاه الطبري [٢] .

واستدل له : بما روي عن حفصة أم المؤمنين – رضي الله عنها – أنها كانت تسأل في وقت حصر عثمان بن عفان ﷺ : ما صنع الناس – وهي صادرة من الحج من مكة – ؟ فقيل لها : قتل . فقالت : والذي نفسي بيده إنها القرية – تعني المدينة – التي قال الله لها : ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا ... ﴾ [٣] . الآية . [٤]

✖ **وتُعقِّب هذا القول** : بأن الذي يفهم من قول حفصة – رضي الله عنها – أن المراد بالقرية قرية غير معينة ، وأن قولها على سبيل التمثيل لا على وجه التفسير ، وقد أرادت أن المدينة قد حصلت في محذور الملل ، وحل بها ما حل بالتي جعلت مثلاً [٥] .

الترجيح :

يظهر لي – والله أعلم – **صحَّة القول الثاني ، وأن الراجح أن القرية المذكورة في الآية قرية غير معينة أصابها ذلك ؛ فضرب الله بها مثلاً لمكة ، على معنى التحذير لأهلها ولغيرها من القرى إلى يوم القيامة ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** ؛ إضافة لما تقدم ولما يلي :

أولاً : " لأن تنكير ﴿ قَرْيَةً ﴾ يفيد ذلك " [٦] .

---

(١) منهم : ابن عطية ، والفخر الرازي ، والنسفي ، والنيسابوري ، وابن كثير ، والثعالبي ، والشوكاني . ينظر : المحرر الوجيز : ٣ / ٤٢٦ ، التفسير الكبير : ٢٠ / ١٠٢ ، تفسير النسفي : ٢ / ٢٧٣ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٣١٢ ، تفسير ابن كثير : ٢ / ٥٩٠ ، تفسير الثعالبي : ٣ / ٤٤٥ ، فتح القدير : ٣ / ١٩٩ .

(٢) ينظر : تفسير الطبري : ١٤ / ١٨٦ .

(٣) سورة النحل : ١١٢ .

(٤) أخرجه ابن جرير ، وعزاه السيوطي أيضاً إلى ابن أبي حاتم أيضاً . ينظر : تفسير الطبري : ١٤ / ١٨٦ ، الدر المنثور : ٥ / ١٧٤ .

(٥) ينظر : المحرر الوجيز : ٣ / ٤٢٦ ، زاد المسير : ٤ / ٥٠٠ ، تفسير الثعالبي : ٣ / ٤٤٥ .

(٦) فتح القدير : ٣ / ١٩٩ .

ثانياً: الأقرب أنها غير مكة لأنها ضربت مثلاً لمكة فالسورة مكية ، ومَثَلُ مكة يكون غير مكة [١] .

ثالثاً: يكون الوعيد أبلغ والمثل أكمل وغير مكة مثلها ، ولأن المراد وعظ أهل مكة بما جرى لغيرهم ، وعلى فرض إرادتها ففى المثل إنذار لغيرها من مثل عاقبتها [٢] .

وعلى كل حال ، فيجب على كل عاقل أن يعتبر بهذا المثل ، وألا يقابل نعم الله بالكفر والطغيان ؛ لئلا يحل به ما حل بهذه القرية المذكورة ، ولكن الأمثال لا يعقلها عن الله إلاَّ من أعطاه الله علماً .

لقوله تعالى : ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ . [سورة العنكبوت : ٤٣] . [٣]

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) ينظر : التفسير الكبير : ٢٠ / ١٠٢ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٣١٢ .
(٢) ينظر : التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٦٣ ، فتح القدير : ٣ / ١٩٩ .
(٣) ينظر : أضواء البيان : ٢ / ٤٥٩ .

قوله تعالى : ﴿ وَءَاتَيْنَـٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ... ﴾ . [آية : ١٢٢] .

مسألة : في المراد بقوله تعالى عن إبراهيم عليه السلام : ﴿ وَءَاتَيْنَـٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ... ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن المراد بقوله تعالى عن إبراهيم عليه السلام : ﴿ وَءَاتَيْنَـٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ... ﴾ لسان الصدق ، وأن جميع الأمم متفقون عليه ، فقال : ((﴿ وَءَاتَيْنَـٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ... ﴾ يعني لسان الصدق ، وأن جميع الأمم متفقون عليه ، وقيل : يعني المال والأوَّلاد)) . اهـ [١] .

الدراسة :

اختلف السلف وأهل العلم والمفسرون في **المراد بقوله تعالى عن إبراهيم عليه السلام : ﴿ وَءَاتَيْنَـٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ... ﴾** هنا على أقوال :

القول الأوَّل : أنه الذكر والثناء الحسن في الناس كلهم ، قاله ابن عباس رضي الله عنهما [٢] ، والواحدي ، والجلالين المحلى والسيوطي [٣] . والثناء الحسن هو لسان الصدق [٤] ، وهو قول مجاهد [٥] ، وحكاه النحاس [٦] .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٦٤ .

(٢) نسبه ابن الجوزي إليه . ينظر : زاد المسير : ٤ / ٥٠٤ .

(٣) ينظر : تفسير الواحدي : ١ / ٦٢٣ ، تفسير الجلالين : ٣٦٣ .

(٤) قال بذلك جماعة من أهل اللغة ، منهم : الفَرَّاء ، وأبو عبيدة ، والأزهري ، وابن منظور . ينظر : معاني القرآن للفراء : ٢ / ٢٤٢ ، مجاز القرآن لأبي عبيدة : ٢ / ٨٧ ، (مادة : حسن) في : تهذيب اللغة للأزهري : ٤ / ١٨٤ ، لسان العرب : ١٣ / ١١٦ . وقال مالك أيضاً : لسان الصدق هو الثناء الحسن . ينظر : أحكام القرآن لابن العربي : ٣ / ٤٥٨ . وينظر : آداب النفوس لأبي عبد الله ، الحارث بن أسد المحاسبي (ت ٢٤٠ هـ) : ٩٧ ، أحكام القرآن للجصاص : ٥ / ٢١٤ ، إتقان السيوطي : ٢ / ٣١٩ ، تاج العروس (مادة : لسن) : ٣٦ / ١١٧ ، أضواء البيان للشنقيطي : ٦ / ١٥٨ .

(٥) ينظر تفسيره : ١ / ٣٥٤ . وعزاه السيوطي أيضاً إلى ابن أبي شيبة ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم . ينظر : الدر المنثور : ٥ / ١٧١ .

(٦) ينظر : معاني القرآن للنحاس : ٤ / ١١١ .

القول الثاني : النبوة [١] ، قاله الحسن .

القول الثالث : ليس من أهل دين إلا يرضاه ويتولاه ، قاله قتادة [٢] ، وحكاه ابن أبي زمنين [٣] عنه .

القول الرابع : أنها **الصلاة عليه مقرونة بالصلاة على محمد ﷺ** ، قاله **مقاتل بن حيان** [٤] .

.

القول الخامس : الأوَّلاد الأبرار [٥] **على الكبر** ، حكاه الثعلبي [٦] .

القول السادس : المال يصرفه في وجوه الخير والبر .

القول السابع : العمر الطويل في السعة والطاعة [٧] .

ورجَّح ابن جُزيّ [٨] **أنه :**

لسان الصدق ، وأن جميع الأمم متفقون عليه ، ووافقه **جمهور** [٩] المفسرين [١٠] .

قال **قتادة** [١] : حبَّبه للناس حتى أن أرباب الملل يتولونه ويثنون عليه ، وأمّا المسلمون واليهود

---

(١) قال البغوي : الرسالة والخلة . ينظر تفسيره : ٣ / ٨٩ . وكذا قال الخازن وابن عادل ، ينظر : تفسير الخازن : ٤ / ١٢٢ ، تفسير ابن عادل : ١٢ / ١٨٤ . وقال الثعلبي : الرسالة والحكمة والثناء الحسن . ينظر : الكشف والبيان : ٦ / ٥٠ .

(٢) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣ / ٩٦) ، وابن جرير في تفسيره (١٤ / ١٩٣) . وعزاه السيوطي أيضاً إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم . ينظر : الدر المنثور : ٥ / ١٧١ .

(٣) ينظر : تفسير ابن أبي زمنين : ٢ / ٤٢٢ .

(٤) **مقاتل بن حيان** هو : مقاتل بن حيان النبطي البلخي ، أبو بسطام ، كان من العلماء العاملين ، ذا نسك ودين ، ت سنة ١٥٠هـ . ينظر : تهذيب الكمال : ٧ / ٢٠٨ ، السِّير : ٦ /٣٤٠ ، الكاشف : ٢ /٢٩٠ .

(٥) جاء في رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : ولدا صالحاً . ينظر : تنوير المقباس : ٢٣٢ .

(٦) ينظر : الكشف والبيان : ٦ / ٥٠ .

(٧) ينظر الأقوال جميعها أو بعضها في : زاد المسير لابن الجوزي : ٤ / ٥٠٤ ، روح المعاني للآلوسي : ١٤ / ٢٥٠ .

(٨) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٦٤ .

(٩) نسب ابن عطية هذا القول للجمهور . ينظر : المحرر الوجيز : ٣ / ٤٣١ .

(١٠) منهم : الطبري ، والزمخشري ، وابن عطية ، والبقاعي ، وأبو السعود . ينظر : تفسير الطبري : ١٤ / ١٩٢ ، الكشاف : ٢ / ٦٠٠ ، المحرر الوجيز : ٣ / ٤٣١ ، نظم الدرر : ٤ / ٣٢١ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ١٤٩ .

واليهود والنصارى فظاهر ، وأمّا كفار قريش وسائر العرب فلا فخر لهم إلا به ، وتحقيق القول أنّ الله تعالى أجاب دعاءه في قوله : ﴿ وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴾ . [سورة الشعراء : ٨٤] .

ورجَّح بعض العلماء أن حسنة الدنيا التي آتاها الله لإبراهيم عليه السلام هي :
الذرية الطيبة ، والثناء الحسن .

قال **الشنقيطي** :

" قال بعض العلماء : الحسنة التي آتاه الله في الدنيا : **الذرية الطيبة ، والثناء الحسن** . ويستأنس لهذا بأن الله بين أنه أعطاه بسبب إخلاصه لله ، واعتزاله أهل الشرك : الذرية الطيبة . وأشار أيضاً لأنه جعل له ثناءً حسناً باقياً في الدنيا .

قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا نَبِيّٗا ۝٤٩ وَوَهَبۡنَا لَهُم مِّن رَّحۡمَتِنَا وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ صِدۡقٍ عَلِيّٗا ﴾ . [سورة مريم عليها السلام : ٤٩ ، ٥٠] .

وقال : ﴿ ... وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلۡكِتَٰبَ ... ﴾ . [سورة العنكبوت : ٢٧] .

وقال : ﴿ وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴾ . [سورة الشعراء : ٨٤] . " . اهـ [٢] .

الترجيح :

يظهر لي – والله أعلم – **أن الله قد جمع لإبراهيم عليه السلام خير الدنيا من كل ما يحتاج المؤمن إليه ليحيا حياة طيبة ، كهدايته إلى الدين الحق ، ومنحه نعمة النبوة ، وإعطائه الذرية الصالحة ، والسيرة الحسنة ، والمال الوفير ؛ وتمتيعه بالنعم ليتقوى على القيام بحقوق العبودية ؛ فلا مانع أن يكون ما آتاه الله شاملاً لذلك كله ولما عداه من خصال الخير** [٣] ،

---

(١) ذكره عنه الخطيب الشربيني في السراج المنير (٢ / ٣٠٠ ، ٣٠١) .
(٢) أضواء البيان : ٢ / ٤٦٤ .
(٣) قال بالعموم جماعة من أهل التفسير منهم : القرطبي ، وابن كثير ، والشوكاني ، والقاسمي ، والسعدي ، والطاهر ابن عاشور ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير القرطبي : ١٠ / ١٩٨ ، تفسير ابن كثير : ٢ / ٥٩٢ ، فتح القدير : ٣ / ٢٠٢ ، تفسير القاسمي : ١٠ / ١٧٥ ، تفسير السعدي : ٤٥٢ ، التحرير والتنوير : ١٤ / ٣١٧ ،

إضافة لما تقدم ما يلي :

أولاً : أشار القرآن الكريم إلى جانب من هذه النعم ، كما جاء في الآيات القرآنية السالفة الذكر ؛ و لم تحصر الآيات حسنة الدنيا في هذه النعم فحسب .

قال **ابن القيم** :

" فَأَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ أتى خَلِيلَهُ أَجْرَهُ في الدُّنْيَا من النِّعَمِ التي أَنْعَمَ بها عليه في نَفْسِهِ ، وَقَلْبِهِ ، وَوَلَدِهِ ، وَمَالِهِ ، وَحَيَاتِهِ الطَّيِّبَةِ ، وَلَكِنْ ليس ذلك أَجْرُ تَوْفِيَةٍ " . اهـ [١] .

" ونتيجة جهاده في الله حق جهاده ، وقنوته وإخلاصه وشكره لربّه ، زاده الله من كل ضروب الخير والفضل والنعم ، كما قال تعالى : ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ... ﴾ . أي : وهبه حسنات كثيرة عامة شاملة لا تختص بنوع معين حسنات بكل معانيها .

فمن هذه الحسنات الموهوبة : الولد الصالح ، والثناء الحسن فى الدنيا حتى إن أهل الأديان يتولونه ويثنون عليه ، وأما لسان الصدق والنبوة فلا يوازيهما حسنة ، كما قال تعالى حكاية عنه : ﴿ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴾ . [سورة الشعراء : ٨٣ ، ٨٤] .

ومن هذه الحسنات الموهوبة : شكر الخليل نعم ربّه ابتداءً وختاماً ، ظاهراً وباطناً ، سراً وعلناً ، خالصاً مخلصاً ، موصولاً عدلاً خضوعاً واستكانة ، تعبداً ورقاً لرب العالمين مولي النعم ، غير مشرك في شكره شريكاً من الآلهة والأنداد كما يفعل المشركون ، سائلا ربّه في أن يوفقه لذكره وشكره وحسن عبادته حتى يكون أهلا لجنته ودار كرامته التي لا لغو فيها ولا تأثيم قائلاً :﴿ وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ . [سورة الشعراء : ٨٥] . " [٢] .

ثانياً : لفظ : (الحسنة) احتمل عدة معانٍ ، و لم يمتنع إرادة الجميع ؛ فيحمل عليها جميعاً .

الوسيط : ٨ / ٢٥٨ . وينظر : مجلة جامعة أم القرى ، العدد ٢٤ ، (منهج إبراهيم في الدعوة كما عرضه = = القرآن الكريم) للدكتور منظور بن محمد بن محمد رمضان (أستاذ مساعد بقسم الدراسات القرآنية بكلية المعلمين بمكة) : ١٨٥ ، ١٨٦ .

(١) إعلام الموقعين لابن القيم : ٢ / ١٨٣ .

(٢) ينظر : مجلة جامعة أم القرى ، منهج إبراهيم عليه السلام في الدعوة كما عرضه القرآن الكريم للدكتور منظور بن محمد بن محمد رمضان ؛ أستاذ مساعد بقسم الدراسات القرآنية بكلية المعلمين بمكة : ١٨٥ ، ١٨٦ .

ثالثاً : كل ما ذكره السَّلف والتابعين والمفسرون لا يخرج عن هذا المعنى العام ، واختلافهم هنا من باب اختلاف التنوع ؛ لأن **الحسنة** تصدق عليها جميعاً .

رابعاً : **ذكر أغلب الأقوال من غير ترجيح جماعة من المفسرين** ؛ منهم : الماوردي ، والسمعاني ، وابن الجوزي ، والبيضاوي ، والنسفي ، والنيسابوري ، والآلوسي [١] .

خامساً : يؤيد ذلك **القواعد الترجيحية** التالية :

- **إذا احتمل اللفظ معانٍي عدة ولم يمتنع إرادة الجميع حمل عليها** [٢] .
- **غالب ما نقل عن السَّلف من الاختلاف في التفسير هو اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد** [٣] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

(١) ينظر : النكت والعيون : ٣ / ٢١٩ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٢٠٩ ، زاد المسير : ٤ / ٥٠٤ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٤٢٦ ، تفسير النسفي : ٢ / ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٣١٥ ، روح المعاني : ١٤ / ٢٥٠ .

(٢) ينظر : قواعد التفسير للسبت : ٢ / ٨٠٧ .

(٣) ينظر : الموافقات للشاطبي : ٤ / ٢١٤ - ٢٢٠ ، تفسير القاسمي : ١ / ١٧ ، قواعد التفسير للسبت : ١ / ٢٠٨ .

سـورة الإسـراء

قوله تعالى : ﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ ... ﴾ . [آية : ١] .

مسألة : هل الفعل ﴿ أَسْرَى ﴾ فعل متعدي أو غير متعدٍّ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن الفعل ﴿ أَسْرَى ﴾ فعل غير متعدٍّ ، فقال : ((وأسرى وسرى لغتان وهو فعل غير متعدٍّ ، واختار ابن عطية أن يكون أسرى هنا متعدياً ، أي : أسرى الملائكة بعبده ، **وهو بعيد**)) . اهـ [١] .

الدراسة :

اختلف المفسرون في **الفعل ﴿ أَسْرَى ﴾ هل هو فعل متعدي أو غير متعدٍّ** على قولين :

القول الأوَّل : أن الفعل **﴿ أَسْرَى ﴾ فعل غير متعدٍّ** [٢] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٣] ووافقه **جمهور** [٤] المفسرين [٥] .

قال **الجمل** : " يقال : أسرى وسرى ، بمعنى : سار في الليل ، وهما لازمان ، لكن مصدر الأوَّل (الإسراء) ومصدر الثاني (السُرى) – بضم السين كالهدى – ؛ فالهمزة ليست للتعدية إلى المفعول ، وإنما جاءت التعدية هنا من الباء . ومعنى أسرى به : صيَّره سارياً في الليل " . اهـ [٦] .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٦٦ .

(٢) حكى الحميدي والبقاعي القول بأن ﴿ أَسْرَى ﴾ فعل متعدي وقاصر (أي : غير متعدٍّ) . ينظر : تفسير غريب ما في الصحيحين : ٢٠٣ ، نظم الدرر : ٤ / ٣٢٨ .

(٣) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٦٦ .

(٤) نسب ابن عادل هذا القول للجمهور . ينظر : تفسير ابن عادل : ١٢ / ١٩٤ .

(٥) منهم : أبو حيان ، والثعالبي ، وابن عادل ، والقاسمي ، والآلوسي ، والطاهر بن عاشور ، وحكى محمَّد سيِّد طنطاوي قول الجمل – التالي ذكره – . ينظر : البحر المحيط : ٥ / ٥ ، تفسير الثعالبي : ٣ / ٤٥٠ ، تفسير ابن عادل : ١٢ / ١٩٤ ، تفسير القاسمي : ١٠ / ١٨٣ ، روح المعاني : ١٥ / ٤ ، التحرير والتنوير : ١٥ / ١١ ، الوسيط : ٨ / ٢٨١ .

(٦) الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية (حاشية على تفسير الجلالين تعرف بحاشية الجمل) (ت ١٢٠٤ هـ) : ٢ / ٦٠٨ . نقلاً عن الوسيط لمحمَّد سيِّد طنطاوي (٨ / ٢٨١) .

قال أهل اللغة : سرى وأسرى لغتان بمعنى واحد . قال الله ﷻ : ﴿ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ ... ﴾ . [سورة الإسراء : ١] . وقال في موضع آخر : ﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴾ [1] . [سورة الفجر : ٤] . فنزل القرآنُ باللُّغتين .

فمن قال : أسْرَى ، قال : يُسري إسراء ، ومن قال : سرى ، قال : يَسري سرى [2] .

كما قاله **رؤبة** :

ولَيْلَةٍ ذَاتِ ندى سَرَيْتُ ولَمْ يَلِتْنِي عَنْ سُرَاها لَيْتُ [3]

وقاله النابغة الذبياني :

سرتْ عليه من الجوزاءِ ساريةٌ تزجي الشَّمالُ عليهِ جامِدَ البَرَدِ [4]

✓ واعترض **السهيلي** على قول أهل اللغة هذا قائلاً :

" اتفقت الرواة على تسميته إسراء ، و لم يسمه أحد منهم سُرى ، وإن كان أهل اللغة قد قالوا : سرى ، وأسرى بمعنى واحد ، فدل على أن أهل اللغة لم يحققوا في العبارة .. . إلى أن قال : لا يجوز أن يقال : سرى بعبده ، بوجه من الوجوه ؛ فلذلك لم تأت التلاوة إلا بوجه واحد في هذه القصة " . اهـ [5] .

القول الثاني : أن الفعل ﴿ **أَسْرَى** ﴾ **فعل متعدي** ، أي : أسرى الملائكة بعبده ، رجَّحه ابن عطية ، والسهيلي [6] .

---

(١) حذفت الياء في القرآن لتوافق الفواصل أو للتحفيف . ينظر : برهان الزَّركشي : ٣ / ١٠٧ .

(٢) السُّرَي : سَيْرُ الليلِ عامَّتِه . وقيل : السُّرَي : سير الليل كله ، تذكره العرب وتؤنثه . وسريت سرى ومسرى ، وأسريت : بمعنى : إذا سرت ليلا . بالألف : لغة أهل الحجاز . وجاء القرآن العزيز بهما جميعاً . ينظر : معاني القرآن للأخفش : ٢ / ٦٩ ، معاني القرآن وإعرابه للزجاج : ٣ / ٢٢٥ . وينظر : (مادة : سري) في : تهذيب اللغة للأزهري : ١٣ / ٣٧ ، مقاييس اللغة لابن فارس : ٣ / ١٥٤ ، المحكم لابن سيده : ٨ / ٥٧٠ ، لسان العرب : ١٤ / ٣٨١ ، ٣٨٢ . وعليه تفسير المفسرين .

(٣) نقله عنه الكثير ؛ منهم : ابن منظور . ينظر : لسان العرب (مادة : ليت) : ٢ / ٨٨ .

(٤) ينظر : ديوان النابغة الذبياني : ١٩ .

(٥) الروض الأنف لأبي القاسم ، عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الخثعمي السهيلي المالكي النحوي (ت ٥٨١ هـ) : ٢ / ١٨٧ .

(٦) ينظر : المحرر الوجيز : ٣ / ٤٣٤ ، الروض الأنف : ٢ / ١٨٧ - ١٩٠ .

✓ **ذكر ابن عطية أنَّ مفعولَ ﴿ أَسْرَى ﴾ محذوف وأنَّ التعديةَ بالهمزة** فقال :

" ويَظْهر أنَّ ﴿ أَسْرَى ﴾ مُعَدَّاةٌ بالهمزةِ إلى مفعولٍ محذوف ، تقديره : أسرى الملائكة بعبده إذ هو فعلٌ يقتضي النَّقْلة ؛ كمشى وجرى وأحضر وانتقل ، فلا يَحْسُنُ إسنادُ شيءٍ من هذا مع وجودِ مَنْدوحةٍ عنه ، فإذا وقع في الشريعة شيءٌ من ذلك تَأَوَّلْناه نحو : « ... اَتَيْتُه هَرْوَلة » [(١)] " . اهـ [(٢)] .

✓ **ويردَّ عليه بأن :**

﴿ أَسْرَى ﴾ بمعنى : سرى ، وليست الهمزة فيه للتعدية ، وعدّيا بالباء في ﴿ بِعَبْدِهِۦ ﴾ ، ولا يلزم من تعديته بالباء المشاركة في الفعل ، بل المعنى : جعله يسرى [(٣)] ، لأن السرى يدل على الانتقال كمشى وجرى ، وهو مستحيل على الله تعالى ، فهو كقوله : ﴿ ... وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ ... ﴾ . [سورة البقرة : ٢٠] . فيكون (سَرى) و (أسْرى) بمعنى كـ (سَقَى) و (أَسْقى) ، ولذلك قال المفسرون [(٤)] : معناه سرى بعبده .

وإنما احتاج ابن عطية إلى هذه الدعوى اعتقاد أنه إذا كان ﴿ أَسْرَى ﴾ بمعنى سرى لزم من كون الباء للتعدية مشاركة الفاعل للمفعول ؛ وهذا شيء ذهب إليه **المُبَرِّد** [(٥)] ،

---

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب التوحيد ، باب ما يذكر في الذات والنعوت (٦٩٧٠) : ٦ / ٢٦٩٤ ، وأخرج مسلم بمثله في صحيحه في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب الحث على ذكر الله تعالى (٢٦٧٥) : ٦ / ٢٠٦١ . كلاهما عن أبي هريرة ﷺ .

(٢) المحرر الوجيز : ٣ / ٤٣٤ . بتصرف يسير .

(٣) قال الزَّجَّاج : معنى ﴿ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا ﴾ : سيَّر عبده . ينظر : معانيه : ٣ / ٢٢٥ .

(٤) ينظر : تفسير الطبري : ١٥ / ٢ ، تفسير السمعاني : ٣ / ١٤٥ ، الكشاف : ٢ / ٦٠٤ ، التفسير الكبير : ٢٠ / ١١٧ ، تفسير القرطبي : ١٠ / ١٠٥ ، تفسير النسفي : ٢ / ٢٧٧ ، تفسير الخازن : ٤ / ١٢٧ ، تفسير ابن عادل : ١٢ / ١٩٤ ، فتح القدير للشوكاني : ٣ / ٢٠٦ ، أضواء البيان : ٣ / ٨ .

(٥) لم أقف عليه في أي من كتبه – في حدود ما اطلعت – ، ونسبه إليه أبو حيان ، والسمين الحلبي ، والزَّركشي ، وابن عادل ، والآلوسي . ينظر : البحر المحيط : ٥ / ٥ ، الدر المصون : ٤ / ٣٦٨ ، البرهان : ٤ / ٢٥٥ تفسير ابن عادل : ١٢ / ١٩٥ ، روح المعاني : ١٥ / ٤ .

و**المُبَرِّد** هو : محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي ، أبو العباس البصري ، المشهور بالمُبَرِّد ، نحوي مؤرخ شيخ أهل النحو والعربية ، وإليه انتهى علمهما في بغداد ، صاحب تأليف وتصنيف ، ت سنة٢٨٥هـ ، وقيل : ٢٨٦ هـ . ينظر : تاريخ بغداد : ٣ / ٣٨٠ – ٣٨٧ ، ومعجم الأدباء : ٥ / ٤٧٩ – ٤٨٦ ، ولسان الميزان : ٥ /٤٣٠ ، ٤٣١ .

والسهيلي [١] خلافاً للجمهور . فقد زعموا أن بين تعدية الباء والهمزة فرقاً ، وأنك إذا قلت : ذهبت بزيد كنت مصاحباً له في الذهاب .

✖ وردَّ الجمهور على المُبَرِّد بقوله تعالى : ﴿ ... ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ ... ﴾ [٢] ؛ أي : أذهبه ؛ لأن مصاحبته تعالى لهم في الذهاب مستحيلة [٣] .

ثم جوَّز ابن عطية [٤] **أن يكون ﴿ أَسۡرَىٰ ﴾ بمعنى : سرى على حذف مضاف** ؛ كنحو قوله تعالى : ﴿ ... ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ ... ﴾ . [سورة البقرة : ٢٠] . يعني أن يكون التقدير : أسرت ملائكته بعبده ، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه .

✓ **ويرد عليه بأن** : هذا أيضاً مبني على اعتقاد أنه يلزم المشاركة وأن الباء للتعدية ، والباء لا يَلْزَمُ فيها ذلك . فإذا قلتَ : (ذهبْتُ بزيد) . فلا بد أن تكونَ قد صاحَبْتَه في الذهاب فذهبْتَ معه ، وإذا قلت : (أَذْهَبْتَه) جاز أن يكونَ قد صَحِبْتَه وألاَّ يكونَ [٥] .

.

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن أسرى وسرى لغتان** [٦] ، **وهو فعل غير متعدٍّ متعدٍّ وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** ، لما تقدم ؛ إضافة لما يلي :

أولاً : أكثر أهل اللغة على ذلك ؛ خلافاً للمُبرَّد والسهيلي .

---

(١) ينظر : الروض الأنف : ٢ / ١٨٧ – ١٩٠ .

(٢) سورة البقرة : ١٧ .

(٣) نسب السمين الحلبي هذا الرد للجمهور ؛ ينظر : الدر المصون : ١ / ١٣٢ ، ٤ / ٣٦٨ . وينظر : البحر المحيط لأبي حيان : ٦ / ٥ ، روح المعاني : ١٥ / ٤ . وينظر : برهان الزَّركشي : ٤ / ٢٥٤ ، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لأبي محمد ، جمال الدين عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن يوسف ، ابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١ هـ) : ١٣٨ ، تفسير ابن عادل : ١٢ / ١٩٥ ، إتقان السيوطي : ٢ / ٤٦٢ ، تاج العروس (مادة : ذهب) : ٢ / ٤٥٠ ، التحرير والتنوير : ١٥ / ١١ .

(٤) ينظر : المحرر الوجيز : ٣ / ٤٣٤ .

(٥) ينظر : الدر المصون : ١ / ١٣٢ ، ٤ / ٣٦٨ ، البحر المحيط لأبي حيان : ٦ / ٥ ، روح المعاني : ١٥ / ٤ . وينظر : تفسير ابن عادل : ١ / ٣٧٧ ، ١٢ / ١٩٥ ، التحرير والتنوير : ١٥ / ١١ .

(٦) قال القاسمي : فرق بعضهم بين أسرى وسرى بالمبالغة في (أسرى) لإفادة السرعة في السير ، ولذا أوثر على (سرى) . ينظر : تفسير القاسمي : ١٠ / ١٨٣ .

ثانياً : في قوله تعالى : ﴿ فَأَسْرِ ﴾ قراءتان متواترتان ؛ بقطع الهمزة ووصلها ؛ مما يقتضي أنهما بمعنى واحد ، قرىء قوله تعالى : ﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ ﴾ . [سورة هود عليه السلام : ٨١] . و ﴿ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِيَ ﴾ . [سورة الشعراء : ٥١] . بالقطع والوصل [١] ، ويبعد مع القطع تقدير مفعول محذوف ؛ إذ لم يصرح به في موضع فيستدل بالمصرح على المحذوف [٢] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) اختلف في ﴿ فَأَسْرِ ﴾ في سورة هود عليه السلام : ٨١ ، وفي الحجر : ٦٥ ، وفي الدخان : ٢٣ ﴿ فَأَسْرِ بِعِبَادِي ﴾ وفي طه : ٧٧ ، والشعراء : ٥٢ ﴿ أَنْ أَسْرِ ﴾ :

- فنافع وابن كثير وأبو جعفر : **بهمزة وصل** ؛ تثبت ابتداء مكسورة مع كسر نون إن للساكنين ، وافقهم ابن محيصن .
- والباقون : **بهمزة قطع** مفتوحة ؛ تثبت درجا وابتداء . وهما لغتان فصيحتان .

يقال : سرى وأسرى للسير ليلا ، وقيل : أسرى لأول الليل وسرى لآخره ، وأما سار فمختص بالنهار . ينظر : حجة القراءات لابن زنجلة : ٣٤٧ ، إتحاف فضلاء البشر للبناء : ٣٢٤ ، ٣٢٥ .

(٢) ينظر : البحر المحيط لأبي حيان : ٥ / ٥ . ونقله عنه الآلوسي ، ينظر : روح المعاني : ١ / ٤ .

قوله تعالى : ﴿ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَـٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ عَجُولاً ﴾ . [آية : ١١] .

مسألة : المراد بـ ﴿ ٱلْإِنسَـٰنُ ﴾ في الموضعين في قوله تعالى : ﴿ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَـٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ عَجُولاً ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن المراد بـ ﴿ ٱلْإِنسَـٰنُ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَـٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ﴾ اسم جنس ، فقال : ((وقيل : إن الآية نزلت في النضر بن الحارث حين قال : ﴿ وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَـٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ ... ﴾ [1] . الآية . وقد تقدم أن الصحيح في قائلها إنه أبو جهل ، ﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ عَجُولاً ﴾ الإنسان هنا وفي الذي قبله اسم جنس ، وقيل : يعني هنا آدم ، **وهو بعيد**)) . اهـ [2] .

الدراسة :

اختلف المفسرون **في المراد بـ ﴿ ٱلْإِنسَـٰنُ ﴾ في الموضعين في قوله تعالى :** ﴿ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَـٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ عَجُولاً ﴾ على ثلاثة أقوال :

القول الأوَّل : الإنسان في الموضعين **اسم جنس** ، قاله جماعة من السَّلف ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [3] ، ووافقه جماعة المفسرين [4] .

---

(١) سورة الأنفال : ٣٢ .

(٢) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٦٨ .

(٣) ينظر : المرجع السابق .

(٤) منهم : الثوري ، والصنعاني ، والطبري ، وابن أبي زمنين ، والثعلبي ، والواحدي ، والسمعاني ، والبغوي ، والزمخشري ، والقرطبي ، والخازن ، والنيسابوري ، وأبو حيان ، وابن كثير ، والبقاعي ، والجلالين ، وأبو السعود ، والشوكاني ، والآلوسي ، والسعدي ، والشنقيطي ، وابن عاشور . ينظر : تفسير الثوري : ١٦٩ ، تفسير الصنعاني : ٢ / ٣٧٤ ، تفسير الطبري : ١٥ / ٤٧ ، تفيسير ابن أبي زمنين : ٣ / ١٤ ، الكشف والبيان : ٦ / ٨٧ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٦٢٩ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٢٢٢ ، تفسير البغوي : ٣ / ١٠٧ الكشاف : ٢ / ٦٠٩ ، تفسير القرطبي : ١٠ / ٢٢٦ ، تفسير الخازن : ٤ / ١٥١ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٣٢٩ ، البحر المحيط : ٤ / ١٢ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٢٧ ، نظم الدرر : ٤ / ٣٦٦ ، تفسير الجلالين : ٣٦٧ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ١٥٨ ، فتح القدير : ٣ / ٢١١ ، روح المعاني : ١٥ / ٢٣ ، تفسير السعدي : ٤٥٤ أضواء البيان : ٣ / ٥٥ ، التحرير والتنوير : ١٥ / ٤٢ .

✓ **وأقوال السلف في المراد بالإنسان في الموضعين كما يلي :**

- عن **ابن عباس** ﷺ : يعني قول الإنسان : اللهم العنه واغضب عليه ؛ فلو يُعَجل له ذلك كما يُعجِل له الـــخير ، لهلك ...
- وعن **مجاهد** قال : ذلك دعاء الإنسان بالشر على ولده وعلى امرأته ، فيعجل فيدعو عليه ولا يحب أن يصيبه .
- وعن **قتادة** قال : يدعو على ماله فيلعن ماله وولده ، ولو استجاب الله له لأهلكه [١] .
- وعن **الحسن** قال : ذلك دعاء الإنسان بالشر على ولده وعلى امرأته ، يغضب أحدهم فيدعو عليه ، فيسب نفسه ويسب زوجته وماله وولده ، فإن أعطاه الله ذلك شق عليه فيمنعه ذلك ، ثم يدعو بالخير فيعطيه [٢].

ويشهد له النظير القرآني : قوله تعالى : ﴿ ۞ وَلَوۡ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسۡتِعۡجَالَهُم بِٱلۡخَيۡرِ لَقُضِيَ إِلَيۡهِمۡ أَجَلُهُمۡ ... ﴾ . [سورة يونس عليه السلام : ١١] [٣] .

قال الشنقيطي : " وهو أصحُّ لدلالة آية يونس عليه السلام عليه " [٤] .

✓ **واستندوا في هذا القول** على أن المراد بالإنسان الجنس : أنَّ لا أحد من النَّاس يعرى عن عجلةٍ ، ولو تركها لكان تركها أصلح له في الدِّين والدُّنيا [٥] .

وقد قال ﷺ : « ... لَا تَدْعُوا على أَنْفُسكُمْ ، ولا تَدْعُوا على أَوْلَادِكُمْ ، ولا تَدْعُوا على أَمْوَالِكُمْ ، لَا تُوَافِقُوا من اللَّهِ سَاعَةً يُسْأَلُ فيها عَطَاءٌ فَيَسْتَجِيبُ لَكُمْ » [٦] .

القول الثاني : المراد بالإنسان في الموضعين **هو النضر بن الحارث** ، رُوي عن ابن عبـــاس

---

(١) أخرجه ابن جرير عن ابن عباس ﷺ ، ومجاهد ، وقتادة . ينظر : تفسير الطبري : ١٥ / ٤٧ ، ٤٨ .

(٢) عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم . ينظر : الدر المنثور : ٥ / ٢٤٦ .

(٣) ينظر : الكشف والبيان : ٦ / ٨٧ ، أضواء البيان : ٣ / ٥٥ .

(٤) أضواء البيان : ٣ / ٥٥ .

(٥) ذكره ابن عادل . ينظر تفسيره : ١٢ / ٢٢٠ .

(٦) جزء من حديث طويل أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الزهد والرقائق ، بَاب حديث جَابِرٍ الطَّوِيلِ وَقِصَّةِ أبي الْيَسَرِ (٣٠٠٩) : ٤ / ٢٣٠٤ . من حديث جابر ﷺ الطويل .

ﷺ [١] أيضاً .

حيث قال : ﴿ وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَـٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ ... ﴾ [٢] . فأجاب الله دعاءه وضربت رقبته .

✖ وردّ هذا القول لما جاء في الصحيح أن قائلها هو أبو جهل .

فقد أخرج **الشيخان** عن أَنَسَ بن مَالِكٍ ﷺ قال : « قال أبو جَهْلٍ : اللهم إن كان هذا هو الْحَقَّ من عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً من السَّمَاءِ أو ائْتِنَا بعَذَابٍ أَلِيمٍ فَنَزَلَتْ : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ... ﴾ [٣] . الْآيَةَ . » [٤] .

القول الثالث : الإنسان في الموضع الأوَّل يراد به **الجنس** ؛ وفي الموضع الثاني قوله تعالى : ﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ عَجُولاً ﴾ **يراد به آدم** عليه السلام ، قاله سلمان الفارسي ، ومقاتل [٥] .

- عن سلمان الفارسي ﷺ قال : « أول ما خلق الله من آدم عليه السلام رأسه ، فجعل ينظر وهو يخلق ، وبقيت رجلاه ، فلما كان بعد العصر ، قال : يا رب اعجل قبل الليل ، فذلك قوله : ﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ عَجُولاً ﴾ [٦] .

والمعنى : فأنتم ذوو عجلة موروثة من أبيكم [٧] .

---

(١) ينظر : تنوير المقباس : ٢٣٤ . وقال د . سامي في رسالته (تخريج الأحاديث والآثار في كتاب : التسهيل لعلوم التنزيل : ٧٢٧) لم أقف عليه .

(٢) سورة الأنفال : ٣٢ .

(٣) سورة الأنفال : ٣٣ ، ٣٤ .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب التفسير ، باب ﴿ وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَـٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (٤٣٧١) : ٤ / ١٧٠٤ ، وأخرج مسلم بمثله في صحيحه في كتاب صفة القيامة والجنة والنار ، باب في قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ﴾ الآية (٢٧٩٦) : ٤ / ٢١٥٤ .

(٥) وقال أيضاً : وكذلك النضر يستعجل بالدعاء على نفسه كعجلة آدم عليه السلام ، في خلق نفسه . ينظر تفسيره : ٢ / ٢٥١ . وقال بقوله السمرقندي ، ينظر تفسيره : ٢ / ٣٠٣ .

(٦) عزاه السيوطي في الدر (٥ / ٢٤٦) إلى ابن أبي شيبة ، وابن جرير (١٥ / ٤٨) ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وابن عساكر .

(٧) ينظر : المحرر الوجيز : ٣ / ٤٤١ .

قال **النيسابوري** : " وليس هذا القول بالحقيقة مغايراً للأول ؛ لأن أصل الآدمي إذا كان كذلك كان كل فرد منه متصفاً به لا محالة " . اهـ [١] .

✖ **وتعقَّبه أبو حيان** فقال : " وهذا القول تنبو عنه ألفاظ الآية " . اهـ [٢] .

✖ **وذكر ابن جزي أن** المراد بالإنسان آدم عليه السلام قول بعيد [٣] ؛ لعدم توافقه مع سياق الآيات .

القول الرابع : يراد بالإنسان في الموضعين **الكافر** ؛ وبالدعاء استعجاله بالعذاب استهزاء ، جوَّزه الزمخشري ، والبيضاوي [٤] . [٥]

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن الراجح أن المراد بالإنسان في الموضعين في قوله تعالى** : ﴿ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴾ **الجنس وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** ؛ **أسند إليه حال بعض أفراده** ؛ **وهو الكافر** [٦] ، يدل على ذلك إضافة على ما تقدَّم ما يلي :

أولاً : السِّياق القرآني :

ومناسبتها لما قبلها أن بعض من لا يؤمن بالآخرة كان يدعو على نفسه بتعجيل ما وعد به من الشر في الآخرة [٧] .

ثانياً : هذا القول مرويٌّ عن جمع من السَّلف ، وهم أثر فهماً لنصوص الوحي .

---

(١) تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٣٢٩ . وينظر : تفسير ابن عادل : ١٢ / ٢٢٠ .
(٢) البحر المحيط لأبي حيان : ٤ / ١٢ .
(٣) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٦٨ .
(٤) ينظر : الكشاف : ٢ / ٦٠٩ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٤٣٤ .
(٥) وذكر الأقوال في الآية من غير ترجيح : الماوردي ، وابن عطية ، والعز بن عبد السلام ، والنسفي . ينظر : النكت والعيون (اسم جنس / آدم) : ٣ / ٢٣٢ ، المحرر الوجيز (اسم جنس / آدم / قريش لما استعجلت العذاب) : ٣ / ٤٤١ ، تفسير العز بن عبد السلام (اسم جنس / آدم) : ٢ / ٢١٤ تفسير النسفي (اسم جنس / الكافر / النضر) : ٢ / ٢٨٠ .
(٦) قاله أبو السعود ونقله الآلوسي عنه . ينظر : تفسير أبي السعود : ٥ / ١٥٨ ، روح المعاني : ١٥ / ٢٣ .
(٧) ينظر : البحر المحيط لأبي حيان : ٤ / ١٢ ، فتح القدير للشوكاني : ٣ / ٢١١ .

ثالثاً : قوله تعالى : ﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ عَجُولاً ﴾ تذييل ، فالإنسان هنا مراد به الجنس لأنه المناسب للتذييل ، أي وما هؤلاء الكافرون الذين لا يؤمنون بالآخرة إلا من نوع الإنسان ، وفي نوع الإنسان الاستعجال فإن ﴿كَانَ﴾ تدل على أن اسمها متصف بخبرها اتصافاً متمكناً كقوله تعالى : ﴿ ... وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلاً ﴾ . [سورة الكهف : ٥٤] . (١)

رابعاً : يتأيد هذا القول **بالقواعد الترجيحية** التالية :

- **تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم .**
- **القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك** (٢) .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) ينظر : التحرير والتنوير : ١٥ / ٤٢ .

(٢) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٢٧١ ، ٣١٢ .

قوله تعالى : ﴿ كُلاًّ نُّمِدُّ هَـٰؤُلَآءِ وَهَـٰؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ﴾ . [آية : ٢٠] .

مسألة : في معنى قوله تعالى : ﴿ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن معنى قوله تعالى : ﴿ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ﴾ : رزق الدنيا ، فقال : ((**﴿ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ﴾** يعني : رزق الدنيا . وقيل : من الطاعات لمن أراد الآخرة ، ومن المعاصي لمن أراد الدنيا ، **والأوَّل أظهر**)) . اهـ [١] .

الدراسة :

اختلف المفسرون في **معنى قوله تعالى : ﴿ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ﴾** على قولين :

القول الأوَّل : يعني : **رزق الدنيا** ، قاله ابن عباس ﷺ [٢] ، والحسن [٣] ، وقتادة [٤] ، والسدي [٥] ، ومقاتل [٦] ، وذهب إليه الفَرَّاء [٧] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٨] ، وهو ما **أجمع** [٩] عليه أهل التفسير [١٠] .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٦٩ .

(٢) قال ابن عباس ﷺ : رزق ربك . أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٥ / ٦٠) ، وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر . ينظر : الدر المنثور : ٥ / ٢٥٦ . وينظر : تنوير المقباس : ٢٣٥ .

(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٥ / ٦٠) ، وعزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم ، وأبو نعيم في الحلية . ينظر : الدر المنثور : ٥ / ٢٥٦ .

(٤) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٥ / ٦٠) ، وعزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم . ينظر : الدر المنثور : ٥ / ٢٥٥ ٢٥٦ .

(٥) عزاه السيوطي في الدر (٥ / ٢٥٦) لابن أبي حاتم .

(٦) ينظر تفسيره : ٢ / ٢٥٤ .

(٧) ينظر معانيه : ٢ / ٩٩ .

(٨) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٦٩ .

(٩) ذكر السمعاني وابن الجوزي إجماع أهل التفسير على هذا القول . ينظر : تفسير السمعاني : ٣ / ٢٢٩ ، زاد المسير : ٥ / ٢١ .

(١٠) منهم : الطبري ، والنحاس ، والسمر قندي ، والجصاص ، والثعلبي ، والماوردي ، والواحدي ، والسمعاني ، والبغوي ، والزمخشري ، والفخر الرازي ، وابن الجوزي ، والعز بن عبد السلام ، والقرطبي ، والبيضاوي ، والنسفي ، والخازن ، والنيسابوري ، وابن تيمية ، وأبو حيان ، وابن عادل ، والجلالين ، والشوكاني =

قال ابن عباس ﷺ : فيرزق من أراد الدنيا ، ويرزق من أراد الآخرة .
وقال قتادة والحسن : وإن الله ﷻ قسم الدنيا بين البر والفاجر ؛ والآخرة خصوصاً عند ربك للمتقين [١] .

واستدل له بما يلي :

١. من السُّنة :

عن النبي ﷺ أنه قال : « إِنَّ اللَّهَ قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَخْلاَقَكُمْ كما قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَرْزَاقَكُمْ ، وَإِنَّ اللَّهَ ﷻ يعطي الدُّنْيَا من يُحِبُّ وَمَنْ لاَ يُحِبُّ ، وَلاَ يعطي الإيمان إِلاَّ لِمَنْ أَحَبَّ » [٢] .

٢. دلالة السِّياق القرآني : يتناسب هذا المعنى مع :

- قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾ . أي : إن رزقه في الدنيا لا يضيق عن مؤمن ولا كافر .
- و ما بعدها أيضاً قوله تعالى : ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ... ﴾ . [سورة الإسراء : ٢١] . فهي تدل دلالة ما على أن العطاء في التي قبلها الرزق [٣] .

= والقاسمي ، والسعدي ، وسيد قطب ، والطاهر بن عاشور . ينظر : تفسير الطبري : ١٥ / ٦٠ ، معاني القرآن للنحاس : ٤ / ١٣٩ ، تفسير السمرقندي : ٢ / ٣٠٦ ، أحكام القرآن للجصاص : ٥ / ١٩ ، الكشف والبيان : ٦ / ٩١ ، ٩٢ ، النكت والعيون : ٣ / ٢٣٧ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٦٣١ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٢٢٩ ، تفسير البغوي : ٣ / ١١٠ ، الكشاف : ٢ / ٦١٤ ، التفسير الكبير : ٢٠ / ١٤٥ ، زاد المسير : ٥ / ٢١ ، تفسير العز بن عبد السلام : ٢ / ٢١٥ ، تفسير القرطبي : ١٠ / ٢٣٦ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٤٣٨ ، تفسير النسفي : ٢ / ٢٨٢ ، تفسير الخازن : ٤ / ١٥٤ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير : ١٣ / ٣٢٥ ، البحر المحيط : ٦ / ١٩ ، تفسير ابن عادل : ١٢ / ٢٤٥ تفسير الجلالين : ٣٦٨ ، فتح القدير : ٣ / ٢١٧ ، تفسير القاسمي : ١٠ / ٢١٧ ، تفسير السعدي : ٤٥٥ ، الظلال : ٤ / ٢٢١٩ ، التحرير والتنوير : ١٥ / ٦٢ .

(١) أخرجه عن ابن عباس ﷺ ، وقتادة والحسن ابن جرير في تفسيره (١٥ / ٦٠) . وينظر : الدر المنثور : ٥ / ٢٥٥ ، ٢٥٦ .

(٢) أخرجه الحاكم في مستدركه في كتاب الإيمان ، باب (٩٤) : ١ / ٨٨ . عن ابن مسعود ﷺ . قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد تفرد به أحمد بن جناب المصيصي ، وهو شرط من شرطنا في هذا الكتاب أنا نخرج أفراد الثقات إذا لم نجد لها علة ، وقد وجدنا لعيسى بن يونس فيه متابعين ، أحدهما من شرط هذا الكتاب وهو سفيان بن عقبة أخو قبيصة . وقال الذهبي : **صحيح الإسناد** . وجاء في رواية أخرى للحاكم وكذلك لأحمد وغيره بلفظ : « ولا يعطي الدين إلا من أحب » .

(٣) ينظر : المحرر الوجيز : ٣ / ٤٤٦ ، تفسير الثعالبي : ٣ / ٤٦٠ .

٣. وعطاء الله ﷻ للمؤمن والكافر مصداق :

- قوله تعالى : ﴿ ... وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ... ﴾ . [سورة الأعراف : ١٥٦] .
- وقوله فيما رواه عنه نبيُّه ﷺ : « ... سَبَقَتْ رَحْمَتِي غَضَبِي » [١] . [٢]

✍ فهذه الآية للتنبيه على أن الله تعالى لم يترك خلقه من أثر رحمته حتى الكفرة منهم الذين لا يؤمنون بلقائه ، فقد أعطاهم من نعمة الدنيا على حسب ما قدر لهم ، وأعطى المؤمنين خيري الدنيا والآخرة [٣] .

القول الثاني : معناه : **من الطاعات** لمن أراد الآخرة ، **ومن المعاصي** لمن أراد الدنيا ، قاله ابن عباس رضي الله عنهما [٤] أيضاً .

فيكون العطاء عبارة عما قسم الله للعبد من خير أو شر .

✘ **واعتُرض عليه بأن** : لفظ (العطاء) لا يصلح لمن يمد بالمعاصي التي توبقه [٥] .

القول الثالث : معناه : **من السعادة والشقاوة** ، قاله ابن كثير [٦] .

✓ لكن الآثار الواردة في (تفسير العطاء) تبين أن المراد به : الرزق ؛ قال بذلك **جمهور المفسرين** ؛ ويصح تفسير ابن كثير هذا إذا اعتبرنا أن عطاء الله للعبد من أسباب السعادة والله أعلم .

القول الرابع : معناه : ما عجل **لأحدهما** من **العطايا العاجلة** ، وما أعد للآخر من **العطايا الآجلة** ، قاله أبو السعود ، والآلوسي [٧] .

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد ، بَاب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظ ﴾ (٧١١٤) : ٦ / ٢٧٤٥ ، وأخرجه مسلم مختصراً في كِتَاب التوبة ، بَاب في سِعَةِ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَأَنَّهَا سَبَقَتْ غَضَبَهُ (٢٧٥١) : ٤ / ٢١٠٨ . كلاهما عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) ينظر : التحرير والتنوير : ١٥ / ٦٢ .

(٣) ينظر : المرجع السابق : ١٥ / ٦١ ، ٦٢ .

(٤) نسبه إليه ابن عطية ، والثعالبي ، وأبو حيان . ينظر : المحرر الوجيز : ٣ / ٤٤٦ ، تفسير الثعالبي : ٣ / ٤٦٠ البحر المحيط : ٦ / ١٩ . **ولم أقف له على سند** .

(٥) ينظر : المحرر الوجيز : ٣ / ٤٤٦ ، تفسير الثعالبي : ٣ / ٤٦٠ ، البحر المحيط : ٦ / ١٩ .

(٦) ينظر : تفسير ابن كثير : ٣ / ٣٤ .

(٧) ينظر : تفسير أبو السعود : ٥ / ١٦٤ ، روح المعاني : ١٥ / ٤٨ .

وهذا القول معناه : أن الله يعجل للكافر عطاياه في الدنيا ، ويعطي المؤمن في الآخرة .

✖ **ويردُّه** : الآثار السابقة الذكر عن ابن عباس ﷺ ، وقتادة ، والحسن ؛ نعم إن الآخرة للمتقين ؛ لكن في الدنيا **يرزق الله الكافر والمؤمن** .

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن الله ﷻ يمد من يريد الدنيا ، ومن يريد الآخرة ويوسع عليهما في الرزق ؛ مثل الأموال والأوَّلاد وغيرهما من أسباب العز والزينة في الدنيا ؛ إذ لَا حَظَّ للكافر في الآخرة** [(١)] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ووافقه جمهور المفسرين** ، يدل على ذلك إضافة إلى ما تقدَّم ؛ ما يلي :

أولاً : لأن عطاءه سبحانه لا يضيق عن أحد مؤمناً كان أو كافراً ؛ لأن الكل مخلوقون في دار العمل [(٢)] .

ثانياً : هذا القول مرويٌّ عن جمع من السَّلف ، وهم أكثر فهماً لنصوص الوحي .

ثالثاً : يؤيد هذا القول **القواعد الترجيحية** التالية :

- **إذا ثبت الحديث ؛ وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه** .
- **تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم** .
- **القول الذي تؤيده قرائن في السِّياق مرجح على ما خالفه** [(٣)] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) ينظر : التفسير الكبير : ٢٠ / ١٤٥ ، تفسير الخازن : ٤ / ١٥٤ ، تفسير ابن عادل : ١٢ / ٢٤٥ .
(٢) ينظر : التفسير الكبير : ٢٠ / ١٤٥ .
(٣) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٢٠٦ ، ٢٧١ ، ٢٩٩ .

قوله تعالى : ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ... ﴾ . [آية : ٢٦] .

مسألة : لمن الخطاب في الآية :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح **ابن جُزيّ أن الخطاب لجميع الناس لصلة قرابتهم والإحسان إليهم** ، فقال : ((﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ ... ﴾ خطاب لجميع الناس لصلة قرابتهم والإحسان إليهم . وقيل : هو خطاب خاص بالنبي ﷺ أن يؤتي قرابته حقهم من بيت المال ، **والأوَّل أرجح**)) . اهـ [(١)] .

الدراسة :

اختلف المفسرون **لمن الخطاب في الآية** على قولين :

القول الأوَّل : الخطاب **لجميع الناس** لصلة قرابتهم والإحسان إليهم ، وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما [(٢)] ، والحسن [(٣)] ، ومقاتل [(٤)] ، **وهو ما رجحه ابن جُزيّ** [(٥)] ، ووافقه **جمهور** [(٦)] المفسرين [(٧)] . [(٨)]

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٧٠ .

(٢) ينظر : تنوير المقباس : ٢٣٥ .

(٣) أخرجه ابن جرير ، وعزاه السيوطي إلى ابن أبي شيبة ، وابن المنذر . ينظر : تفسير الطبري : ١٥ / ٧٢ ، الدر المنثور : ٥ / ٢٧٢ .

(٤) ينظر : تفسيره : ٢ / ٢٥٥ .

(٥) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٧٠ .

(٦) نسب السمعاني ، والبغوي ، وابن عطية ، وابن عادل هذا القول إلى الأكثرين . ينظر : تفسير السمعاني : ٣ / ٢٣٤ ، تفسير البغوي : ٣ / ١١٢ ، المحرر الوجيز : ٣ / ٤٤٩ ، تفسير ابن عادل : ١٢ / ٢٦٢ .

(٧) منهم : الطبري ، والثعلبي ، والسمعاني ، والبغوي ، والزمخشري ، وابن عطية ، وقدَّمه ابن الجوزي ، والبيضاوي والنيسابوري ، وأبو حيان ، والبقاعي ، والخطيب الشربيني ، والآلوسي ، والطاهر بن عاشور ، و**استظهره** محمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير الطبري : ١٥ / ٧٢ ، الكشف والبيان : ٦ / ٩٥ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٢٣٤ تفسير البغوي : ٣ / ١١٢ ، الكشاف : ٢ / ٦١٩ ، المحرر الوجيز : ٣ / ٤٤٩ زاد المسير : ٥ / ٢٧ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٤٤١ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٣٤٣ ، البحر المحيط : ٦ / ٢٧ ، نظم الدرر : ٤ / ٣٧٦ السراج المنير : ٢ / ٣٣٤ ، روح المعاني : ١٥ / ٦٣ ، التحرير والتنوير : ١٥ / ٧٦ ، ٧٧ ، الوسيط : ٨ / ٣٣١ .

(٨) لم يتعرض جماعة من المفسرين لموضوع لمن الخطاب في الآية ؛ وفي هذا دلالة على أن الخطاب لجميع الناس =

وجاء في تفسير الآية الآثار التالية :

قال **ابن عباس** ﷺ : هو أن تصل ذا القرابة وتطعم المسكين ، وتحسن إلى ابن السبيل [١] .

وقال **الحسن** : هو أن توفيهم حقهم إن كان يسيراً ، وإن لم يكن عندك ﴿ ... فَقُل لَّهُمْ قَوْلاً مَّيْسُورًا ﴾ وقل لهم الخير [٢] .

وسأل رجل **الحسن** ، قال : أعطي قرابتي زكاة مالي ؟ فقال : إن لهم في ذلك لحقاً سوى الزكاة ، ثم تلا هذه الآية : ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ ... ﴾ [٣] .

واستدل له بالقرائن في سياق الآية :

١. قوله تعالى : ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ ... ﴾ معطوف على قوله : ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ... ﴾ . [سورة الإسراء : ٢٣] . والمعنى : أنك بعد فراغك من بر الوالدين يجب أن تشتغل ببر سائر الأقارب الأقرب فالأقرب ، ثم بإصلاح أحوال المساكين وأبناء السبيل [٤] .

٢. العطف بـ ﴿ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ... ﴾ .

قال ابن عطية : " والقول الأوَّل أبين - أي القول الأوَّل - ، ويعضده العطف بـ ﴿ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ... ﴾ " . اهـ [٥] .

القول الثاني : الخطاب **خاصٌّ بالنبي ﷺ أن يؤتي قرابته** حقَّهم من بيت المال ، قاله **علي بن**

= ومن هؤلاء المفسرين : النحاس ، والسمرقندي ، والواحدي ، والنسفي ، وابن كثير ، والجلالين ، وأبو السعود ، والقاسمي ، والسعدي . ينظر : معاني القرآن للنحاس : ٤ / ١٤٤ ، تفسير السمرقندي : ٢ / ٣٠٨ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٦٣٢ ، تفسير النسفي : ٢ / ٢٨٤ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٣٧ ، تفسير الجلالين : ٣٦٩ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ١٦٧ ، تفسير القاسمي : ١٠ / ٢٢١ ، تفسير السعدي : ٤٥٦ .

(١) أخرجه ابن جرير . ينظر : تفسير الطبري : ١٥ / ٧٢ . وعزاه السيوطي أيضاً إلى ابن أبي حاتم . ينظر : الدر المنثور : ٥ / ٢٧٢ .

(٢) عزاه السيوطي إلى ابن أبي شيبة ، وابن المنذر . ينظر : الدر المنثور : ٥ / ٢٧٢ .

(٣) أخرجه ابن جرير . ينظر : تفسير الطبري : ١٥ / ٧١ .

(٤) ينظر : تفسير الطبري : ١٥ / ٧٢ ، التفسير الكبير : ٢٠ / ١٥٤ ، البحر المحيط لأبي حيان : ٦ / ٢٧ ، نظم الدرر : ٤ / ٣٧٦ .

(٥) المحرر الوجيز : ٣ / ٤٤٩ .

الحسين [١] . [٢]

عن علي بن الحسين أنه قال لرجل من أهل الشام : أقرأت القرآن قال : نعم . قال : أفما قرأت في بني إسرائيل فآت ذا القربى حقه . قال : وإنكم القرابة الذي أمر الله تعالى أن يؤتى حقه قال : نعم [٣] .

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال : « لما أنزلت : ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ ... ﴾ دعا رسول الله ﷺ فاطمة – رضي الله عنها – فأعطاها فدك » [٤] .

قال ابن كثير : " وهذا الحديث مشكل لو صح إسناده ؛ لأن الآية مكية ، وفدك إنما فتحت مع خيبر سنة سبع من الهجرة ؛ فكيف يلتئم هذا مع هذا ؟ فهو إذاً حديث منكر ، والأشبه أنه من وضع الرافضة . والله أعلم " . اهـ [٥] .

✖ **وضُعِّف** : بأنه لا قرينة على التخصيص ، و لم يجر له ذكر قبله [٦] .

❖ وقال الشوكاني : " والخطاب إمَّا لرسول الله ﷺ تهييجاً وإلهاباً لغيره من الأمَّة ، أو لكلِّ من هو صالحٌ لذلك من المكلفين كما فى قوله تعالى : ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ ... ﴾ . [سورة الإسراء : ٢٣] . " اهـ [٧] .

---

(١) نسبه إليه ابن الجوزي وغير واحد من المفسرين . ينظر : زاد المسير : ٥ / ٢٧ .
وعلي بن الحسين هو : علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي ، أبو عبد الله العلوي الكوفي ، الإمام الثقة العابد الفقيه ، الفاضل المشهور ، قال الزهري : ما رأيت قرشياً أفضل منه ، ت سنة ٩٤هـ . ينظر : الكاشف : ٢ / ٣٧ ، التقريب : ٤٠٠ ، طبقات الحفاظ : ٣٧ .

(٢) قال بالقولين من غير ترجيح : الفخر الرازي ، والقرطبي ، والخازن ، وابن عادل . ينظر : التفسير الكبير : ٢٠ / ١٥٤ ، تفسير القرطبي : ١٠ / ٢٤٧ ، تفسير الخازن : ١٥٦ ، ١٥٧ ، تفسير ابن عادل : ١٢ / ٢٦٢ .

(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٥ / ٧٢) . ونسب السمعاني ، والبغوي ، وابن عطية هذا القول إليه . ينظر : تفسير السمعاني : ٣ / ٢٣٤ ، تفسير البغوي : ٣ / ١١٢ ، المحرر الوجيز : ٣ / ٤٤٩ . ورواه الشيعة عن الصادق .

(٤) عزاه السيوطي في الدر (٥ / ٢٧٣) إلى البزار ، وأبو يعلى ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه . قال الهيثمي في مجمع الفوائد (٧ / ٤٩) : رواه الطبراني وفيه عطية العوفي وهو ضعيف متروك . وينظر : لباب النقول للسيوطي : ١٣٦ .

(٥) تفسير ابن كثير : ٣ / ٣٧ . وللمزيد : ينظر : شبهات الرافضة حول الصحابة ﷺ وردها لعلي بن نايف الشحود : ١ / ١٢٦ ، ٣١١ .

(٦) ينظر : روح المعاني : ١٥ / ٦٣ .

(٧) فتح القدير : ٣ / ٢٢١ .

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **صحة القول الأوَّل ، فالراجح أن الخ طاب لجميع الناس لصلة قرابتهم والإحسان إليهم ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ووافقه جمهور المفسرين** ، إضافة لما تقدم ؛ ولما يلي :

أولاً : وجود القرائن في السِّياق كما أسلفنا .

ثانياً : يتأيد هذا القول ببعض **القواعد الترجيحية** التالية :

- **تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم .**
- **القول الذي تؤيده قرائن في السِّياق مرجح على ما خالفه** [(١)] .

ثالثاً : الآية ليس لها تعلق بحقوق قرابة النبي ﷺ ، لأن حقوقهم في المال تقررت بعد الهجرة لما فرضت الزكاة وشرعت المغانم والأفياء وقسمتها [(٢)] .

وبما أن الخطاب لجميع الناس ؛ فيدخل في الخطاب رسول الله ﷺ بأن يؤتي ذوي قرابته حقَّهم من الصلة والإحسان .

❖ وحكى الطبري أن الآية وصية للناس كلهم بصلة قرابتهم ، خوطب بذلك النبي ﷺ والمراد الأمة [(٣)] .

قال الطبري : " إن الله ﷻ عقب ذلك بعد حضه عباده على بر الآباء والأمهات ، فالواجب أن يكون ذلك حضا على صلة أنسابهم دون أنساب غيرهم التي لم يجر لها ذكر ، وخرج ذلك مخرج الخطاب لنبي الله ﷺ والمراد بحكمه جميع من لزمته فرائض الله ؛ يدل على ذلك ابتداؤه الوصية بقوله جل ثناؤه : ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ ... ﴾ . [سورة الإسراء : ٢٣] . فوجه الخطاب بقوله :

---

(١) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٢٧١ ، ٢ / ٢٩٩ .

(٢) ينظر : التحرير والتنوير : ١٥ / ٧٦ .

(٣) ينظر : تفسير الطبري : ١٥ / ٧٢ . ونسب هذا القول إلى **جمهور المفسرين** ابن عطية ، والثعالبي . ينظر : المحرر الوجيز : ٣ / ٤٤٩ ، تفسير الثعالبي : ٣ / ٤٦٩ . ولم أجد في كلام باقي المفسرين ما يدل على هذا الإجماع .

﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ ... ﴾ إلى نبي الله ﷺ ، ثم قال : ﴿ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ... ﴾ فرجع بالخطاب به إلى الجميع ، ثم صرف الخطاب بقوله : ﴿ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ﴾ إلى إفراده به .

والمعني بكل ذلك جميع من لزمته فرائض الله ﷻ : أفرد بالخطاب رسول الله ﷺ وحده ؛ أو عمَّ به هو وجميع أمَّته" اهـ [1] .

قال ابن العربي :

" ويدخل في ذلك قرابة رسول الله ﷺ دخولاً متقدماً ؛ أو من طريق الأوَّلى من جهة أن الآية للقرابة الأدنين المختصين بالرجل ، فأما قرابة رسول الله ﷺ فقد أبان الله على الاختصاص حقهم ، وأخبر أن محبَّتهم هي أجر النبي ﷺ على هداه لل" . اهـ [2] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

(١) تفسير الطبري : ١٥ / ٧٢ .
(٢) أحكام القرآن لابن العربي : ٣ / ١٨٩ ، ١٩٠ .

قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولاً ﴾ . [آية : ٣٧] .

مسألة : في معنى قوله تعالى : ﴿ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن معنى قوله تعالى : ﴿ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ ﴾ : أي : لن تجعل فيها خرقا بمشيك عليها ، فقال : ((أي : لن تجعل فيها خرقا بمشيك عليها ، والخرق هو القطع وقيل : معناه لا تقدر أن تستوفي جميعها بالمشي . والمراد بذلك تعليل النهي عن الكبر والخيلاء)) . اهـ [١] .

الدراسة :

اختلف المفسرون في **معنى قوله تعالى : ﴿ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ ﴾** على قولين :

القول الأوَّل : معناه : لن **تجعل فيها خرقا بمشيك عليها** ؛ أو تثقب الأرض إلى الجانب الآخر ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٢] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٣] .

واستدل له :

١. من اللغة : الخرق في اللغة : الثقب ، وذلك اعتباراً بالخرق في الأذن [٤] .

القرينة القرآنية : قوله بعده : ﴿ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولاً ﴾ أي : أنت أيها المتكبر

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٧١ .

(٢) ينظر : المرجع السابق .

(٣) منهم : الواحدي ، والسمعاني ، والبغوي ، والزمخشري ، والفخر الرازي ، والبيضاوي ، والنسفي ، والنيسابوري وابن عادل ، والجلالين ، وأبو السعود ، والخطيب الشربيني ، والقاسمي ، والآلوسي ، والشنقيطي ، والطاهر بن عاشور . ينظر : تفسير الواحدي : ٢ / ٦٣٥ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٢٤٢ ، تفسير البغوي : ٣ / ١١٥ ، الكشاف : ٢ / ٦٢٤ ، التفسير الكبير : ٢٠ / ١٦٩ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٤٤٦ ، تفسير النسفي : ٢ / ٢٨٦ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٣٤٩ ، تفسير ابن عادل : ١٢ / ٢٨٧ ، تفسير الجلالين : ٣٧٠ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ١٧٢ ، السراج المنير : ٢ / ٣٤١ ، تفسير القاسمي : ١٠ / ٢٢٨ ، روح المعاني : ١٥ / ٧٥ ، أضواء البيان : ٣ / ١٥٦ ، التحرير والتنوير : ١٥ / ١٠٤ .

(٤) ينظر : مفردات الرَّاغب (مادة : ثقب) : ١٤٦ ، كليات الكفوي : ٧٣٠ .

المختال : ضعيف ، حقير ، عاجز ، محصور بين جمادين أنت عاجز عن التأثير فيهما . فالأرض التي تحتك لا تقدر أن تؤثر فيها فتخرقها بشدة وطئك عليها ، والجبال الشامخة فوقك لا يبلغ طولك طولها ، فاعرف قدرك ولا تتكبر ، ولا تمش في الأرض مرحاً [١] .

✖ **وتعقَّبه :**

أبو عبيدة فقال : " وليس بشئ " [٢] .

وابن عطية فقال : " وليس هذا المعنى في الآية " [٣] .

القول الثاني : معناه : **لا تقدر أن تستوفي جميعها بالمشي** ، أي : لن تقطعها كلها ؛ قاله **جمهور** أهل اللغة [٤] ، ورجَّحه ابن جرير [٥] ، وجماعة من المفسرين [٦] .

والمعنى : أنك لن تخرق الأرض بمشيك عليها تكبراً ، وفيه تهكم بالمختال المتكبر .

واستشهد له :

١. من اللغة :

خرق الثوب ؛ أى : شقَّه ، وخَرَق الأرض يَخْرِقُها : قطعها ، والخرق : المفازة ؛ أي : الواسع من الأرض ؛ لأن الرياح تخترقها .

---

(١) ينظر : أضواء البيان للشنقيطي : ٣ / ١٥٦ .

(٢) مجاز القرآن لأبي عبيدة : ١ / ٣٨٠ .

(٣) المحرر الوجيز : ٣ / ٤٥٧ .

(٤) ومنهم : الخليل بن أحمد ، وأبو عبيدة ، والسجستاني ، والأزهري ، وابن فارس ، وابن سيده ، وابن منظور ، والزبيدي . ينظر (مادة : خرق) في كل من : العين : ٤ / ١٤٩ ، تهذيب اللغة : ٧ / ١٣ ، مقاييس اللغة : ٢ / ١٧٢ ، المحكم : ٤ / ٥٣٣ ، لسان العرب : ١٠ / ٧٥ ، تاج العروس : ٢٥ / ٢١٩ ، المعجم الوسيط : ١ / ٢٢٩ . وينظر : مجاز القرآن (سورة الإسراء) : ١ / ٣٨٠ ، غريب القرآن للسجستاني : ١٤٢ ، المخصص (باب الأرض الواسعة والمطمئنة) : ٣ / ٧٧ ، التبيان في تفسير غريب القرآن للهائم المصري : ٢٦٦ .

(٥) ينظر : تفسير الطبري : ١٥ / ٨٨ .

(٦) منهم : النحاس ، والثعلبي ، وابن عطية ، والقرطبي ، والخازن ، وحكاه ابن كثير ، والبقاعي ، والثعالبي ، والشوكاني . ينظر : معاني القرآن للنحاس : ٤ / ١٥٧ ، الكشف والبيان : ٦ / ١٠٠ ، المحرر الوجيز : ٣ / ٤٥٧ ، تفسير القرطبي : ١٠ / ٢٦٢ ، تفسير الخازن : ٤ / ١٦٠ ، ابن كثير : ٣ / ٤١ نظم الدرر : ٤ / ٣٨١ ، تفسير الثعالبي : ٣ / ٤٧٥ ، فتح القدير : ٣ / ٢٢٨ .

٢. من كلام العرب : بقول رؤبة بن العجاج [١] :

وقاتم الأعْماقِ خاوِي المُخترَقْ

يعني بالمخترق : المقطَّع [٢] .

✓ قال النحاس : " **وهذا أبين** ؛ كأنه مأخوذ من الخرق ، وهو الصحراء الواسعة . ويقال : فلان أخرق من فلان ، أي : أكثر سفراً وعزاً ومنعة " . اهـ [٣] .

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن كلا القولين محتمل ؛ فالمتكبر المختال في مشيته لن يثقب الأرض ، ولن يقطعها كلها ، فلا تقدر أن يستوفي جميعها بالمشي** ، يدل على ذلك ما يلي :

أولاً : الخرق لأهل اللغة فيه قولان :

- أحدهما : أن المعنى : إنك لن تثقب الأرض .
- والآخر : لن تقطعها كلها ، قاله جمهور أهل اللغة .

✓ وقد ذكر بعض أهل اللغة [٤] القولين في تفسير الآية و لم يرجحوا بينهما .

ثانياً : ذكر القولين جماعة من المفسرين [٥] أيضاً ؛ و لم يرجحوا بينهما .

ثالثاً : كلا القولين المراد بهواحد – وهو تعليل النهي عن الكبر والخيلاء – ؛ وهو التهكم بالمختال المتكبر .

---

(١) نسبه إليه أبو الفرج الأصبهاني في الأغاني (٢٠ / ٣٦٢) .
(٢) ينظر : مجاز القرآن لأبي عبيدة : ١ / ٣٨٠ ، تفسير الطبري : ١٥ / ٨٨ .
(٣) معاني القرآن للنحاس : ٤ / ١٥٧ .
(٤) قال الرَّاغب والكفوي بالقولين من غير ترجيح . ينظر : المفردات (مادة : خرق) :١٤٦ ، الكليات : ٧٣٠ .

(٥) ذكر القولين من غير ترجيح : الماوردي ، وابن الجوزي ، وأبو حيان ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : النكت والعيون : ٣ / ٢٤٤ ، زاد المسير : ٥ / ٣٦ ، البحر المحيط : ٦ / ٣٤ ، الوسيط : ٨ / ٣٥٣ .

عن قتادة في قوله : ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ﴾ قال : لا تمش فخراً وكبراً ، فإن ذلك لا يبلغ بك الجبال ، ولا أن تخرق الأرض بفخرك وكبرك [1] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٥ / ٨٨) ، وعزاه السيوطي أيضاً في الدر (٥ / ٢٧٨) إلى ابن أبي حاتم .

قوله تعالى : ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴾ . [آية : 44] .

مسألة : اختلاف أهل العلم في التسبيح :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن تسبيح السموات والأرض ومن فيهن لله رب العالمين تسبيح حقيقة ، فقال : ((اختلف في كيفية هذا التسبيح : فقيل : هو تسبيح بلسان الحال ؛ أي : بما تدل عليه صنعتها من قدرة وحكمة . وقيل : إنه تسبيح حقيقة ، **وهذا أرجح** لقوله : ﴿ لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡ ﴾)) . اهـ [1] .

الدراسة :

اختلف أهل العلم والمفسرون **في التسبيح** على قولين :

القول الأوَّل : أن **تسبيح الجمادات تسبيح بلسان الحال** ؛ وهو تنزيه الله تعالى بما تدل عليه صنعتها من قدرة وحكمة ، قاله **ابن حزم** [2] من الظاهرية ، وجماعة من المفسرين [3] .

قالوا :

﴿ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ ﴾ أي : ما من شيءٍ إلا وفيه دليل أن الله ﷻ خالِقُه ، وأنَّ خالِقَه حكيمٌ مُبَرَّأٌ من الأسواء ، ولكنكم أيها الكفار لا تفقهون أثر الصَّنْعَةِ في هذه المخلوقات .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٧٢ .

(٢) بالغ ابن حزم (علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري ، أبو محمد : ت ٤٥٦ هـ) في ترجيح القول الأوَّل ، وردَّ القول الثاني في كتابه : (الفصل في الملل والأهواء والنحل) وفيه الكثير من الغرائب . ينظر : ١ / ٦٩ – ٧٢ .

(٣) منهم : الواحدي ، والزمخشري ، والفخر الرازي ، والبيضاوي ، والنيسابوري ، وأبو السعود ، والطاهر بن عاشور . ينظر : تفسير الواحدي : ٢ / ٦٣٥ ، الكشاف : ٢ / ٦٢٦ ، التفسير الكبير : ٢٠ / ١٧٥ ، ١٧٦ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٤٤٨ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٣٥٣ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ١٧٥ ، التحرير والتنوير : ١٥ / ١١٤ . قال الآلوسي : **وهو قول كثير من الأشاعرة** . ينظر : ما دلَّ عليه القرآن مما يعضد الهيئة الجديدة القويمة بالبرهان لمحمود شكري الألوسي (ت ١٣٤٢ هـ) : ٩٠ .

✖ **واعتُرض** :

قال **الزَّجَّاج** : " وليس هذا بشيء ؛ لأن الذين خوطبوا بهذا كانوا مُقرِّين بأن الله خالقُهم وخالِقُ السماء والأرض ومَنْ فيهن ، فكيف يجهلون الخِلْقَة وهم عارفون بها " . اهـ [١] .

✖ **واستبعده السمر قندي** وقال : " وهو خلاف أقاويل المفسرين " [٢] .

وقال **السمعاني** : " واعلم أنّ لله تعالى علماً في الجمادات لا يقف عليه غيره ، فينبغي أن يوكل علمه إليه " [٣] .

ونفى ابن حزم أن يكون للجمادات تسبيح وتمييز بالمعنى الموجود في الإنسان ؛ وذكر أن التسبيح [٤] من الأسماء المشتركة ، والمعنى هو ما قام عليه الدليل ، فقال :

" فالتسبيح عندنا إنما هو قول : (سبحان الله وبحمده) وبالضرورة نعلم أن الحجارة والخشب والهوام والحشرات والألوان لا تقول : سبحان الله (بالسين والباء والحاء والألف والنون واللام والهاء) هذا ما لا يشك فيه من له مسكة عقل " . اهـ [٥] .

قال **القاسمي** :

" وهو – أي : قول ابن حزم – حق لا شبهة فيه ولا يسوغ إنكاره لأحد ، إلا أنه لا ينفي أن يكون له تسبيح وفيه تمييز يناسبه ؛ فيرجع الخلاف لفظياً " . اهـ [٦] .

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للزَّجاج : ٣ / ٢٤٢ .

(٢) تفسير السمر قندي : ٢ / ٣١٣ .

والسَّمر قندي هو : نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي ، أبو الليث : الملقب بإمام الهدى ، من أئمة الحنفية ، من الزهاد المتصوفين ، له تصانيف نفيسة ، ت سنة ٣٧٣هـ ، وقيل : ٣٧٥ هـ . ينظر : الجواهر المضية في طبقات الحنفية لعبد القادر بن أبي الوفاء محمد بن أبي الوفاء القرشي (ت ٧٧٥ هـ) : ٢ / ١٩٦ ، تاج التراجم في طبقات الحنفية لأبي الفداء ، زين الدين قاسم بن قطلوبغا السودوني (٨٧٩ هـ) : ٣١٠ ، طبقات المفسرين للداودي : ٩١ ٩٢ .

(٣) تفسير السمعاني : ٣ / ٢٤٤ .

(٤) **التسبيح** في أصل اللغة : هو تنزيه الله تعالى عن السوء . ينظر (مادة : سبح) في : العين : ٣ / ١٥١ ، لسان العرب : ٢ / ٤٧١ ، تاج العروس : ٦ / ٤٤٥ . والتسبيح في الشرع : هو قول : (سبحان الله وبحمده) .

(٥) الفصل في الملل لابن حزم : ١ / ٧٠ – ٧٢ .

(٦) تفسير القاسمي : ١٠ / ٢٣٥ .

القول الثاني : أن كل المخلوقات من **أحياء وجمادات تسبح الله تسبيح حقيقة** (بلسان المقال) ، قاله مقاتل [١] ، وذهب إليه الزَّجَّاج [٢] ، والرَّاغب [٣] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٤] ، ووافقه جماعة المفسرين [٥] .

و ﴿ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ ﴾ أي : يقول سبحان الله العظيم وبحمده ، أو يقول : سبحان الله وبحمده [٦] .

قال الزَّجَّاج : " قيل : إنَّ كل ما خلق الله يسبِّحُ بحَمْدِه ، وإنَّ صَرِيرَ السَّقْفِ وصريرَ الباب من التسبيح ، فيكون على هذا الخطاب للمشركين وحدهم في ﴿ لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ وجائز أن يكون تَسْبِيحُ هذه الأشياء بما الله به أعلم لا يُفْقَهُ مِنْه إلاَّ ما عُلِّمنا " . اهـ [٧] .

ويؤيد هذا القرينة القرآنية : أ نه لو كان التسبيح هو مجرد دلالتها على صانعها لم يقل : ﴿ لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ فإن كل عاقل يفقه دلالتها على صانعه [٨] .

---

(١) ينظر تفسيره : ٢ / ٢٥٩ .

(٢) ينظر معانيه : ٣ / ٢٤٢ .

(٣) ينظر مفرداته (مادة : سبح) : ٢٢١ .

(٤) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٧٢ .

(٥) منهم : الطبري ، والنحاس ، والسمر قندي ، وابن أبي زمنين ، والثعلبي ، والسمعاني ، والبغوي ، والقرطبي ، والنسفي ، وأبو حيان ، وابن القيم ، والخازن ، وابن كثير ، والبقاعي ، والثعالبي ، وابن عادل ، والجلالين ، والخطيب الشربيني ، والشوكاني ، والقاسمي ، والآلوسي ، وسيد قطب ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير الطبري : ١٥ / ٩٢ ، معاني القرآن للنحاس : ٤ / ١٦٠ ، تفسير السمر قندي : ٢ / ٣١٢ ، تفسير ابن أبي زمنين : ٣ / ٢٣ ، الكشف والبيان : ٦ / ١٠٢ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٢٤٤ ، تفسير البغوي : ٣ / ١١٦ ، ١١٧ ، تفسير القرطبي : ١٠ / ٢٦٨ ، تفسير النسفي : ٢ / ٢٨٨ ، البحر المحيط : ٦ / ٣٨ ، الروح لابن القيم : ٧٢ ، الخازن : ٤ / ١٦٢ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٤٣ ، نظم الدرر : ٤ / ٣٨٥ ، تفسير الثعالبي : ٣ / ٤٧٧ ، تفسير ابن عادل : ١٢ / ٢٩٧ ، تفسير الجلالين : ٣٧٠ ، السراج المنير : ٢ / ٣٤٤ ، فتح القدير : ٣ / ٢٣١ ، تفسير القاسمي : ١٠ / ٢٣٢ ، روح المعاني : ١٥ / ٨٥ ، الظلال : ٤ / ٢٢٣٠ ، ٢٢٣١ ، الوسيط : ٨ / ٣٦١ .

(٦) ينظر : السراج المنير : ٢ / ٣٤٤ ، تفسير الجلالين : ٣٧٠ .

(٧) ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزَّجَّاج : ٣ / ٢٤٢ . ونقله عنه الأزهري وابن منظور . ينظر (مادة : سبح) : تهذيب اللغة : ٤ / ١٩٧ ، لسان العرب : ٢ / ٤٧٢ .

(٨) ينظر : مفردات الرَّاغب (مادة : سبح) : ٢٢١ ، التسهيل : ٢ / ١٧٢ ، الرُّوح لابن القيِّم : ٧٢ ، تفسير ابن عادل : ١٢ / ٢٩٧ ، فتح القدير : ٣ / ٢٣١ .

✓ **وأجيب :**

١. بأن قوله سبحانه : ﴿ لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ خطاباً للمشركين [١] ، لأنهم لا يستدلون ولا يعتبرون [٢] .

٢. ولهذا ختم الآية بقوله : ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ حين لا يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وسوء نظركم [٣] .

٣. إذا لم يفقهوا التسبيح و لم يستوضحوا الدلالة على الخالق فيكون التسبيح المسند إلى السموات والأرض ومن فيهن على سبيل المجاز قدراً مشتركاً بين الجميع ، وإن كان يصدر التسبيح حقيقة ممن فيهن من ملك وإنس وجان ولا يحمل نسبته إلى السموات والأرض على المجاز ، ونسبته إلى الملائكة والثقلين على الحقيقة لئلا يكون جمعاً بين المجاز والحقيقة بلفظ واحد [٤] .

✍ **ثم اختلفوا هل هو مخصص بذوات الأرواح أو لا على قولين :**

القول الأوَّل : هو **تسبيح خاص بكل حيٍّ ونامٍ** ، وليس ذلك في الجمادات ، وبه قال جمع من السَّلف ؛ منهم : الضحاك ، والحسن ، وعكرمة ، وقتادة وغيرهم ، وبهذا القول قال جماعة من المفسرين [٥] .

عن الضحاك والحسن قالا في قوله : ﴿ وَإِنْ مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ ﴾ : كل شيء فيه الروح [٦] .

---

(١) وجوَّز ابن عاشور أن يكون الخطاب لجميع الناس باعتبار انتفاء تمام العلم بذلك التسبيح . ينظر : التحرير والتنوير : ١٥ / ١١٤ .

(٢) ينظر : تفسير الواحدي : ٢ / ٦٣٥ ، الكشاف : ٢ / ٦٢٦ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٤٤٨ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٣٥٤ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ١٧٥ ، التحرير والتنوير : ١٥ / ١١٤ .

(٣) ينظر : تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٣٥٤ .

(٤) ينظر : الكشاف : ٢ / ٦٢٦ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٤٤٨ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٣٥٤ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ١٧٥ .

(٥) منهم : النحاس ، والسمر قندي ، وسيد قطب . ينظر : معاني القرآن للنحاس : ٤ / ١٦٠ ، تفسير السمر قندي : ٢ / ٣١٢ ، الظلال : ٤ / ٢٢٣٠ ، ٢٢٣١ . وقدَّمه الماوردي ، وتبعه العز . ينظر : النكت والعيون : ٣ / ٢٤٥ ، تفسير العز بن عبد السلام : ٢ / ٢١٩ .

(٦) أخرجه عنهما الصنعاني في تفسيره (٢ / ٣٧٩) ، وابن جرير في تفسيره (١٥ / ٩٢) . وعزاه السيوطي في الدر (٥ / ٢٤٩) إلى أبي الشيخ .

ومن هذا قول عكرمة : الشجرة تسبح ، والأسطوانة لا تسبح [١] .

وقال **يزيد الرقاشي** للحسن – وهما في طعام ، وقد قدم الخوان – : أيسبح هذا الخوان يا أبا سعيد ؟ فقال : قد كان يسبح مرة [٢] .

وقد استدل لذلك : بحديث ابن عَبَّاسٍ ﷺ قال : « مَرَّ النبي ﷺ بِقَبْرَيْنِ ، فقال : إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ وما يُعَذَّبَانِ في كَبِيرٍ ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ من الْبَوْلِ ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ ، ثُمَّ أَخَذَ جَرِيدَةً رَطْبَةً فَشَقَّهَا نِصْفَيْنِ ، فَغَرَزَ في كل قَبْرٍ وَاحِدَةً ، قالوا : يا رَسُولَ اللَّهِ لِمَ فَعَلْتَ هذا ؟ قال : لَعَلَّهُ يُخَفِّفُ عنهما ما لم يَيْبَسَا » [٣] .

إشارة إلى أنهما ما داما رطبين يسبحان ، فإذا يبسا صارا جماداً ، والله أعلم [٤] .

القول الثاني : هو **عامٌّ في كل ما خلقه الله تعالى من ذوات الأرواح وغيرهم** ؛ من الحيوانات والجمادات والنباتات ، قاله جماعة من السَّلف أيضاً ، و هذا **أشهر** القولين [٥] ، وذهب إليه مقاتل [٦] ، وجماعة من المفسرين [٧] .

---

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٥ / ٩٢) .

(٢) أورده السمر قندي وغيره . ينظر : تفسير السمر قندي : ٢ / ٣١٢ . يريد أن الشجرة في زمن ثمرها واعتدالها كانت تسبح وأما الآن فقد صار خواناً مدهوناً . **والخوان** هو : المائدة (معربة) ، وجمعه الخون . ينظر : العين للفراهيدي (مادة : خون) : ٤ / ٣٠٩ .
ويزيد الرقاشي هو : يزيد بن أبان الرقاشي ،كان زاهداً عابداً ، إلا أنه ضعيف الحديث ، قال عنه ابن حنبل : منكر الحديث ، وقال النسائي : متروك الحديث . ينظر : ضعفاء العقيلي : ٤ / ٣٧٣ ، الكامل لابن عدي : ٧ / ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، التقريب : ٥٩٩ .

(٣) أخرجه البخاري – واللفظ له – في صحيحه في كتاب الوضوء ، بَاب ما جاء في غَسْلِ الْبَوْلِ (٢١٥) : ١ / ٨٨ وأخرج مسلم بنحوه في صحيحه في كتاب الطهارة ، بَاب الدَّلِيلِ على نَجَاسَةِ الْبَوْلِ وَوُجُوبُ الِاسْتِبْرَاءِ منه (٢٩٢) : ١ / ٢٤٠ .

(٤) ينظر : تفسير القرطبي : ١٠ / ٢٦٧ .

(٥) قاله ابن كثير في تفسيره (٣ / ٤٣) .

(٦) ينظر تفسيره : ٢ / ٢٥٩ .

(٧) منهم : الطبري ، وابن أبي زمنين ، والثعلبي ، والسمعاني ، والبغوي ، وقدَّمه ابن الجوزي ، والقرطبي ، والخازن ، وأبو حيان ، وابن كثير ، والبقاعي ، والشوكاني ، والقاسمي ، والآلوسي ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير الطبري : ١٥ / ٩٢ ، تفسير ابن أبي زمنين : ٣ / ٢٣ ، الكشف والبيان : ٦ / ١٠٢ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٢٤٤ ، تفسير البغوي : ٣ / ١١٦ ، ١١٧ ، زاد المسير : ٥ / ٣٩ ، تفسير القرطبي : ١٠ / ٢٦٨ ، الخازن : ٤ / ١٦٢ ، البحر المحيط : ٦ / ٣٨ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٤٣ ، نظم الدرر : ٤ / ٣٨٥ ، فتح القدير : ٣ / ٢٣١ ، تفسير القاسمي : ١٠ / ٢٣٢ ، روح المعاني : ١٥ / ٨٥ ، الوسيط : ٨ / ٣٦١ .

ويؤيد حمل الآية على العموم :

١. من القرآن :

- قوله تعالى : ﴿ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴾ . [سورة ص : ١٨] . فذكر الله للجبال تسبيحاً ، **والأصل حمل اللفظ على ظاهره .**

قال القرطبي : " ولو كان ذلك التسبيح تسبيح دلالة فأي تخصيص لداود عليه السلام ، وإنما ذلك تسبيح المقال بخلق الحياة والإنطاق بالتسبيح " . اهـ [(١)] .

- وقوله تعالى : ﴿ ... وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ... ﴾ . [سورة البقرة : ٧٤] . فتصريحه تعالى بأن بعض الحجارة يهبط من خشية الله دليل واضح في ذلك . لأن تلك الخشية بإدراك يعلمه الله ونحن لا نعلمه .
- وقوله تعالى : ﴿ ... وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴾ . [سورة مريم عليها السلام : ٩٠] .
- وقوله تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ... ﴾ . [سورة الأحزاب : ٧٢] . فتصريحه جل وعلا بأن السماء والأرض والجبال أبت وأشفقت أي خافت دليل على أن ذلك واقع بإرادة وإدراك يعلمه هو جل وعلا ونحن لا نعلمه [(٢)] .
- وكذلك قوله عز وجل : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ... ﴾ . [سورة الحج : ١٨] . فسُجودُ هذه المخلوقات عبادةٌ منها لخالقها لا نَفْقَهُها عنها كما لا نَفْقَه تسبيحَها . ونحو ذلك من الآيات [(٣)] .

٢. من السُّنة :

- ما أخرجه **الإمام البخاري** عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : « ... وَلَقَدْ كنا نَسْمَعُ تَسْبِيحَ الطَّعَامِ وهو يُؤْكَلُ » [(٤)] .
- وما أخرجه **الإمام البخاري** عن ا بن عُمَرَ رضي الله عنه قال : « كان النبي ﷺ يَخْطُبُ إلى

---

(١) تفسير القرطبي : ١٠ / ٢٦٨ .

(٢) ينظر : أضواء البيان : ٣ / ٣٣٩ .

(٣) ينظر : تهذيب اللغة للأزهري (مادة : سبح) : ٤ / ١٩٧ .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب المناقب ، بَاب عَلَامَاتِ النُّبُوَّةِ في الْإِسْلَامِ (٣٣٨٦) : ٣ / ١٣١٢ .

جِذْعٍ ، فلما اتَّخَذَ الْمِنْبَرَ تَحَوَّلَ إليه ؛ فَحَنَّ الْجِذْعُ ، فَأَتَاهُ فَمَسَحَ يَدَهُ عليه » [١] .

- وما أخرجه **الإمام مسلم** عن جَابِرِ بن سَمُرَةَ ﷺ قال : قال رسول اللَّهِ ﷺ : « إني لَأَعْرِفُ حَجَرًا بِمَكَّةَ كان يُسَلِّمُ عَلَيَّ قبل أَنْ أُبْعَثَ إني لَأَعْرِفُهُ الْآنَ » [٢] .
- وحديث أبي ذر ﷺ : « ... فتناول النبي ﷺ سبع حصيات أو تسع حصيات ؛ فسبحن في يده ... » [٣] .

قال القرطبي : " وإذا ثبت ذلك في جماد واحد جاز في جميع الجمادات ، ولا استحالة في شيء من ذلك ؛ فكلُّ شيءٍ يسبِّح للعموم " . اهـ [٤] .

٣. من الأثر :

قال إبراهيم النخعي : وإنّ من شيء جماد وحيّ إلا يسبح بحمده ، حتى صرير الباب ونقيض السقف .

وقال مجاهد : كل الأشياء تسبح لله حياً كان أو ميتاً أو جماداً ، وتسبيحها : سبحان الله وبحمده [٥] . [٦]

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن الراجح أن تسبيح السموات والأرض ومن فيهن لله رب العالمين تسبيح حقيقة ، وأنه على العموم في كل ما خلقه الله تعالى من ذوات الأرواح وغيرهم من الحيوانات والجمادات والنباتا ت ، وهو المنقول عن**

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب المناقب ، بَاب عَلَامَاتِ النُّبُوَّةِ فِي الْإِسْلَامِ (٣٣٩٠) : ٣ / ١٣١٣ .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الفضائل ، بَاب تَفْضِيلِ نَبِيِّنَا ﷺ على جَمِيعِ الْخَلَائِقِ (٢٢٧٨) : ٤ / ١٧٨٢ .

(٣) جزء من حديث أخرجه البزار في مسنده من حديث سويد بن يزيد عن أبي ذر ﷺ (٤٠٤٠) : ٩ / ٤٣١ . قال الهيثمي : رواه البزار بإسنادين ، ورجال أحدهما ثقات وفي بعضهم ضعف . ينظر : مجمع الزوائد : ٨ / ٢٩٩ .

(٤) تفسير القرطبي : ١٠ / ٢٦٨ .

(٥) نسبه إلى إبراهيم ومجاهد : البغوي ، والسمعاني . ينظر : تفسير البغوي : ٣ / ١١٧ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٢٤٤ .

(٦) جمع السيوطي الكثير من آثار السَّلف التي ذكرها الطبري وغيره من المفسرين . ينظر : الدر المنثور : ٥ / ٢٨٩ – ٢٩٦ .

السَّلف [١] ، **وما رجّحه ابن جُزيّ وجمهور المفسرين** ؛ يدل على ذلك إضافة لما تقدم ، ولما يلي :

أولاً : " ومدافعة عموم هذه الآية بمجرد الاستبعادات ليس دأب من يؤمن بالله سبحانه ويؤمن بما جاء من عنده " [٢] .

ثانياً : يتأيد هذا القول بالقرينة القرآنية ، والنظائر القرآنية ، والأحاديث الصحيحة ؛ وعلى هذا يترجح هذا القول **بالقواعد الترجيحية** التالية :

- **إذا ثبت الحديث ؛ وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه .**
- **القول الذي تؤيده قرائن في السِّياق مرجح على ما خالفه .**
- **القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك** [٣] .

ثالثاً : هنا التسبيح يدور بين الحقيقة اللغوية (وهي أن التسبيح في أصل اللغة : هو تنزيه الله تعالى عن السوء) ، والحقيقة الشرعية (وهي أن التسبيح هو قول : سبحان الله وبحمده) : **والقاعدة الترجيحية المعتبرة** عند العلماء تنص على أنه :

- **إذا اختلفت الحقيقة الشرعية والحقيقة اللغوية في تفسير كلام الله تعالى قدمت الشرعية** [٤] .

✍ يبقى الإشكال في **الكفار الدهريين** ومن على شاكلتهم ممن ينكرون وجود الله أنهم لا يسبحون الله ، فعند ذلك يكون تسبيح الدلالة وارد هنا ، فيجتمع تسبيح الحال وتسبيح المقال ، وبذلك يرتفع الإشكال [٥] .

---

(١) صحَّح البغوي والخازن هذا القول ، وذكرا أن هذا القول هو المنقول عن السلف . ينظر : تفسير البغوي : ٣ / ١١٦ ، ١١٧ ، تفسير الخازن : ٤ / ١٦٢ .

(٢) فتح القدير للشوكاني : ٣ / ٢٣١ .

(٣) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٢٠٦ ، ٢٩٩ ، ٣١٢ .

(٤) ينظر : المرجع السابق : ٢ / ٤٠١ .

(٥) قال ابن حزم : " والكافر الدهري شيء لا يشك في أنه شيء ، وهو لا يسبح بحمد الله تعالى البتَّة ، فصحَّ ضرورة أن الكافر يسبح إذ هو من جملة الأشياء التي تسبح بحمد الله تعالى ، وأن تسبيحه ليس هو قوله : (سبحان الله وبحمده) بلا شك ، ولكنه تنزيه الله تعالى بدلائل خلقه وتركيبه عن أن يكون الخالق مشبها لشيء مما خلق ، وهذا يقين لا شك فيه " . اهـ . ينظر : الفصل في الملل : ١ / ٧٢ .

✍ وقد جمع ابن العربي ، والبقاعي ، والسعدي بين تسبيح الجمادات **بلسان الحال** ، **ولسان المقال** [١] .

وقال القاسمي :

" وقد وافق العلم الحديث الآن – كما قال بعض الفضلاء – على أن في الجماد أثراً في الحياة وأن ما فيه من الجواهر الفردة ودقائق المادة ليست ميتة ، بل هي عناصر حية لها صور من صور الحياة الدنيا المشاهدة في جميع أنواع المادة مثل : الجذب والدفع ، والتأثر بالمؤثرات الخارجية ، وتغير قوة التوازن ، وتجمع الدقائق على أشكال منتظمة طبقاً لتراكيب محدودة ، وإفراز مركبات كيماوية مختلفة ؛ فما يقوله العلم الجديد عن مشابهة الأجسام غير الحية للأجسام الحية يطابق تصورات الأقدمين والشعراء في ذلك " . اهـ [٢] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) فصل ابن العربي القول في هذه المسألة وبيَّنه بياناً شافياً . ينظر : أحكام القرآن لابن العربي : ٣ / ٢٠٤ – ٢٠٦ وينظر : نظم الدرر : ٤ / ٣٨٥ . وقد نقل أقوالا كثيرة من مزامير داود عليه السلام . ونص السعدي أن كل مخلوق من حيوان ناطق ، وغير ناطق ، ومن أشجار ، ونبات ، وجامد ، وحي وميت ﴿ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾ بلسان الحال ، ولسان المقال . ينظر : تفسير السعدي : ٤٥٩ .

(٢) تفسير القاسمي : ١٠ / ٢٣٥ . وعلى سبيل المثال ينظر : موقع د . زغلول النجار ، كتاب : (رسائل من الماء) وتحدثه عن دراسة عن الماء **وتعرضه لقوى سلبية وإيجابية ؛ وتأثره بها سلباً وإيجاباً** يظهر في شكل بلورات الماء بأشكال هندسية لها علاقة مباشرة القوى التي أثرت فيه ؛ بالرغم من أن التركيب الكيميائي للماء واحد .

سورة الإسراء ـــــــ

سورة الإسراء ـــــــ

قد وضع على رأسه تراباً ، ثم انصرف إلى حيث أراد أن يذهب " . اهـ [١] .

قال **ابن عطية** : " وقوله : ﴿ مَّسْتُورًا ﴾ أظهر ما فيه أن يكون نعتاً للحجاب ، أي : مستوراً عن أعين الخلق ؛ لا يدركه أحد برؤية كسائر الحجب ، وإنما هو من قدرة الله وكفايته وإضلاله " . اهـ [٢] .

وقال **أبو حيان** :

" والظاهر إقرار ﴿ مَّسْتُورًا ﴾ على موضوعه من كونه اسم مفعول أي : ﴿ مَّسْتُورًا ﴾ عن أعين الكفار فلا يرونه ، أو ﴿ مَّسْتُورًا ﴾ به الرسول عن رؤيتهم " . اهـ [٣] .

القول الثاني : أنه **يحجب الكفار عن فهم القرآن** ، قاله قتادة ، وابن زيد [٤] ، ومقاتل [٥] ، [٥] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٦] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٧] .

عن قتادة وابن زيد قالا : هي الأكنة على قلوبهم [٨] .

واستدل له :

١. من اللغة : قال أهل اللغة : تأويل الحجاب : الطبع على قلوبهم [٩] .

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام : ٣ / ٨ ، ٩ .
(٢) المحرر الوجيز : ٣ / ٤٦٠ . وينظر : تفسير القرطبي : ١٠ / ٢٧١ .
(٣) البحر المحيط : ٦ / ٣٩ .
(٤) أخرجه عبد الرزاق ، وابن جرير . ينظر : تفسير الصنعاني : ٢ / ٣٧٩ ، تفسير الطبري : ١٥ / ٩٣ .
(٥) ينظر تفسيره : ٢ / ٢٥٩ .
(٦) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٧٢ .
(٧) منهم : الطبري ، والثعلبي ، والبغوي ، والزمخشري ، والبيضاوي ، والخازن ، وابن القيِّم ، وابن كثير ، والخطيب الشربيني ، والقاسمي ، والآلوسي ، والسعدي ، وسيد قطب . ينظر : تفسير الطبري : ١٥ / ٩٣ ، الكشف والبيان : ٦ / ١٠٣ ، تفسير البغوي : ٣ / ١١٧ ، الكشاف : ٢ / ٦٣٧ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٤٤٩ ، تفسير الخازن : ٤ / ١٦٢ ، التفسير القيِّم : ١ / ١٦ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٤٤ ، السراج المنير : ٢ / ٣٤٥ ، تفسير القاسمي : ١٠ / ٢٣٦ ، روح المعاني : ١٥ / ٨٧ ، تفسير السعدي : ٤٥٩ ، الظلال : ٤ / ٢٢٣٢ .
(٨) أخرجه ابن جرير عن قتادة وابن زيد . ينظر : تفسير الطبري : ١٥ / ٩٣ .
(٩) نسب الزَّجَّاج وابن منظور هذا القول إلى أهل اللغة ، وقاله الأزهري . ينظر : معاني القرآن للزجاج : ٣ / ٢٤٢ تهذيب اللغة (مادة : ستر) : ١٢ / ٢٦٦ ، لسان العرب (مادة : ستر) : ٤ / ٣٤٣ . وينظر : برهان الزَّركشي : ٢ / ٢٨٥ .

٢. **النظائر القرآنية** : الآيات الشاهدة لهذا المعنى كثيرة :

- كقوله تعالى : ﴿ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ﴾ . [سورة فصلت : ٥] .
- وقوله تعالى : ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ ... ﴾ . [سورة البقرة : ٧] .
- وقوله : ﴿ ... إِنَّا جَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗا ... ﴾ . [سورة الكهف : ٥٧] . (١)

٣. **القرينة القرآنية** : قوله تعالى بعدها : ﴿ وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۚ ... ﴾ . [سورة الإسراء : ٤٦] . (٢)

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن كلا القولين صحيحٌ في ذاته ، وأن كلَّ واحدٍ منهما يحكى حالات معينة** ، قال بذلك الثعالبي ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي (٣) ، ويكون معنى قوله تعالى : ﴿ جَعَلۡنَا بَيۡنَكَ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ حِجَابٗا مَّسۡتُورٗا ﴾ :

✓ أن الله أخبر نبيه ﷺ أن يستره من الكفار إذا أرادوا به شراً ، ويحجبه منهم .

✓ أنه يحجب الكفار عن فهم القرآن .

يدل على ذلك ما يلي :

أولاً : جواز إطلاق الحجاب على ما يصلح للمعنيين ؛ إما للحمل على حقيقة اللفظ ، وحقيقة الحجاب : الساتر الذي يحجب البصر عن رؤية ما وراءه ، وإما للحمل على ما له نظير في القرآن .

ويشهد لذلك ما نقله **الجمل** فى حاشيته على الجلالين فقد قال – رحمه الله – : قوله :

---

(١) ينظر : أضواء البيان : ٣ / ١٥٩ .
(٢) ينظر : التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٧٢ .
(٣) ينظر : تفسير الثعالبي : ٣ / ٤٧٧ ، الوسيط لمحمَّد سيِّد طنطاوي : ٨ / ٣٦٤ .

" ﴿ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴾ ، أى : ساتراً لك عنهم فلا يرونك وهذا بالنسبة لبعضهم ، كان يحجب بصره عن رؤية النبى ﷺ إذا أراده بمكروه وهو يقرأ القرآن ، وبعضهم كان يحجب قلبه عن إدراك معانى القرآن .. وبعضهم كان ينفر عند قراءة القرآن " . اهـ [١] .

ثانياً : التفسير بواقع الحال ، فقد ثبت حمايته ﷻ له ﷺ وستره عن أعين المشركين في كتب السِّيرة ، كما أن الله قد حجب فهم القرآن عن الكفار كما جاء في النظائر القرآنية للآية .

قال **الثعالبي** : " يحتمل أن يريد به حماية نبيِّه منهم وقت قراءته وصلاته بالمسجد الحرام كما هو معلوم مشهور ، ويحتمل أنه أراد أنه جعل بين فهم الكفرة وبين فهم ما يقرأه ﷺ حجاباً فالآية على هذا التأويل في معنى التي بعدها " . اهـ [٢] .

ثالثاً : جمع بين القولين جماعة من المفسرين [٣] ، مما يدل على صحة كل منهما .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) حاشية الجمل على الجلالين : ٢ / ٢٦٨ . بتصرف وتلخيص . نقلاً عن الوسيط لمحمَّد سيِّد طنطاوي (٨ / ٣٦٤) .

(٢) تفسير الثعالبي : ٣ / ٤٧٧ .

(٣) قال بالقولين من غير ترجيح : النحاس ، والسمر قندي ، والماوردي ، وابن الجوزي ، والفخر الرازي ، والعز بن عبد السلام ، والنيسابوري ، وابن عادل ، وأبو السعود ، والطاهر بن عاشور ، والشنقيطي . ينظر : معاني القرآن للنحاس : ٤ / ١٦٠ ، تفسير السمرقندي : ٢ / ٣١٣ ، النكت والعيون : ٣ / ٢٤٦ ، زاد المسير : ٥ / ٤١ ، التفسير الكبير : ٢٠ / ١٧٦ ، ١٧٧ ، تفسير العز بن عبد السلام : ٢ / ٢٢٠ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٣٥٥ ، تفسير ابن عادل : ١٢ / ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ١٧٥ ، التحرير والتنوير : ١٥ / ١١٦ ، أضواء البيان : ٣ / ١٥٩ .

قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ ... ﴾ . [آية : ٥٢] .

مسألة : في معنى ﴿ بِحَمْدِهِ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن ﴿ بِحَمْدِهِ ﴾ في موضع الحال ؛ أي : حامدين له ، فقال :

((و ﴿ بِحَمْدِهِ ﴾ في موضع الحال ؛ أي : حامدين له . وقيل : معنى بحمده : بأمره)) . اهـ [١] .

الدراسة :

اختلف المفسرون في **معنى ﴿ بِحَمْدِهِ ﴾** على ثلاثة أقوال :

القول الأوَّل : معنى ﴿ بِحَمْدِهِ ﴾ : **بأمره** ، قاله ابن عباس رضي الله عنه [٢] ، وابن جريج [٣] ، ومقاتل [٤] ، وذهب إليه جماعة من المفسرين [٥] .

وقال قتادة : بمعرفته وطاعته [٦] .

قال الزَّجَّاج : " أي : تستجيبون مقرِّين أنه خالقكم " [٧] .

قال ابن عادل : " لأنَّهم لما أجابوه بالتَّسبيح والتَّحميد ، كان ذلك معرفة منهم وطاعة ،

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٧٣ .
(٢) أخرجه ابن جرير في تفسير (١٥ / ١٠١) ، وعزاه السيوطي في الدر (٥ / ٣٠٠) إلى ابن أبي حاتم . وينظر : تنوير المقباس : ٢٣٨ .
(٣) أخرجه ابن جرير في تفسير (١٥ / ١٠١) ، ونسبه الماوردي إليه . ينظر : النكت والعيون : ٣ / ٢٤٩ .
(٤) ينظر تفسيره : ٢ / ٢٦٠ .
(٥) منهم : النحاس ، والسمر قندي ، والبغوي ، والخازن ، وابن عادل ، وابن كثير ، والجلالين . ينظر : معاني القرآن للنحاس : ٤ / ١٦٥ ، تفسير السمر قندي : ٢ / ٣١٥ ، تفسير البغوي : ٣ / ١١٩ ، تفسير الخازن : ٤ / ١٦٣ ، تفسير ابن عادل : ١٢ / ٣٠٩ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٤٦ ، تفسير الجلالين : ٣٧١ .
(٦) أخرجه ابن جرير ، وابن أبي حاتم . ينظر : تفسير الطبري : ١٥ / ١٠١ ، الدر المنثور : ٥ / ٣٠١ .
(٧) ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزَّجَّاج : ٣ / ٢٤٥ . وينظر : معاني القرآن للنحاس : ٤ / ١٦٥ .

ولكنَّهم لا ينفعهم ذلك في ذلك اليوم " [١] .

وتعقَّب ابن عطية أقوال السلف فقال :

" وهذا كله تفسير لا يعطيه اللَّفظ ، ولا شك أن جميع ذلك بأمر الله تعالى " . اهـ [٢] .

القول الثاني : معنى ﴿ بِحَمْدِهِۦ ﴾ : **بقدرته ، و بدعائه إياكم** ، **رجَّحه** الطبري ، و**صحَّحه** القرطبي [٣] .

قالوا : لأن " النفخ في الصور إنما هو سبب لخروج أهل القبور ، وبالحقيقة إنما هو خروج الخلق بدعوة الحق " [٤] .

قال **الطبري** في معناه : " ولله الحمد في كل حال ، كما يقول القائل : فعلت ذلك الفعل بحمد الله . يعني : لله الحمد عن كل ما فعلته ، وكما قال الشاعر [٥] :

فإني بحمد الله لا ثوب فاجر لبست ولا من غدرة أتقنع

بمعنى : فإني والحمد لله لا ثوب فاجر لبست " . اهـ [٦] .

ومعنى كلام الطبري : أي أخطأت والحمد لله .

✖ **وتعقَّبه أبو حيان** : وذكر أن هذا معنى متكلفٌ نحا إليه الطبري ؛ وأن ﴿ بِحَمْدِهِۦ ﴾ هو اعتراض بين المتعاطفين ؛ إذ معناه : والحمد لله . كما أن (فإني والحمد لله) في قول الشاعر اعتراض بين اسم (إن) وخبرها [٧] .

---

(١) تفسير ابن عادل : ١٢ / ٣٠٩ .
(٢) المحرر الوجيز : ٣ / ٤٦٣ .
(٣) ينظر : تفسير الطبري : ١٥ / ١٠١ ، تفسير القرطبي : ١٠ / ٢٧٦ .
(٤) تفسير القرطبي : ١٠ / ٢٧٦ .
(٥) نسبه الدينوري وجماعة إلى غيلان بن سلمة . ينظر : المجالسة وجواهر العلم لأبي بكر أحمد بن مروان بن محمد الدينوري القاضي المالكي (ت ٣٣٣هـ) : ٥١٣ .
(٦) تفسير الطبري : ١٥ / ١٠١ .
(٧) البحر المحيط : ٦ / ٤٦ .

✖ **وتعقَّبه السمين الحلبي** فقال : " وفيه قَلَقٌ " [١] .

✍ وعلى القولين الأوَّل والثاني : يكون ﴿ بِحَمْدِهِۦ ﴾ متعلقة بـــ ﴿ يَدْعُوكُمْ ﴾ ، جوَّزه العكبري [٢] .

القول الثالث : أن ﴿ بِحَمْدِهِۦ ﴾ في موضع الحال ؛ **أي : حامدين له** ، قاله العكبري [٣] ، **، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٤] ، ووافقه جماعة المفسرين [٥] . [٦]

قال سعيد بن جبير : يخرجون من قبورهم وينفضون التراب عن رؤوسهم ، ويقولون : سبحانك وبحمدك [٧].

قال الزمخشري : " وهي مبالغة في انقيادهم للبعث ، كقولك لمن تأمره بركوب ما يشقّ عليه فيتأبى ويتمنع : ستركبه وأنت حامد شاكر ، يعني : أنك تحمل عليه وتعتسر قسراً حتى أنك تلين لين المسمح الرَّاغب فيه الحامد عليه " اهـــ [٨] .

وهذا يذكر في معرض التهديد [٩] .

---

(١) الدر المصون : ٤ / ٣٩٩ .

(٢) ينظر : التبيان في إعراب القرآن للعكبري : ٢ / ٨٢٤ .

(٣) ينظر : المرجع السابق .

(٤) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٧٣ .

(٥) منهم : الواحدي ، والسمعاني ، والزَّمخشري ، وقدَّمه ابن الجوزي في زاد المسير (و **رجَّحه** في تذكرة الأريب في تفسير الغريب) ، والعز بن عبد السلام ، والنسفي ، والنيسابوري ، وأبو حيان ، والسمين الحلبي ، والثعالبي ، وأبو السعود ، والشوكاني ، والآلوسي ، والسعدي ، وسيد قطب ، والطاهر بن عاشور ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير الواحدي : ٢ / ٦٣٧ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٢٤٨ ، الكشاف : ٢ / ٦٢٨ ، زد المسير : ٥ / ٤٥ ، تذكرة الأريب في تفسير الغريب : ١ / ٣٠٥ ، تفسير العز بن عبد السلام : ٢ / ٢٢١ ، تفسير النسفي : ٢ / ٢٨٩ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٣٥٧ ، البحر المحيط : ٦ / ٤٥ ، الدر المصون : ٤ / ٣٩٩ ، تفسير الثعالبي : ٣ / ٤٧٩ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ١٧٨ ، فتح القدير : ٣ / ٢٣٤ ، روح المعاني : ١٥ / ٩٣ ، تفسير السعدي : ٤٦٠ ، الظلال : ٤ / ٢٢٣٣ ، ٢٢٣٤ ، التحرير والتنوير : ١٥ / ١٣٠ ، الوسيط : ٨ / ٣٧٠ ، ٣٧١ .

(٦) قال بالأقوال من غير أن يرجح : الفخر الرازي ، والخطيب الشربيني . ينظر : التفسير الكبير : ٢٠ / ١٨١ ، السراج المنير : ٢ / ٣٤٨ .

(٧) عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم . ينظر : الدر المنثور : ٥ / ٣٠١ .

(٨) الكشاف : ٢ / ٦٢٨ .

(٩) ينظر : التفسير الكبير : ٢٠ / ١٨١ .

واستدل على ذلك بما يلي :

١. **النظير القرآني :** ﴿ ... وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ ... ﴾ . [سورة الإسراء : 44] .
أي : حامدين له .

٢. **من السُّنة :**

عن ابن عمر ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « وليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في قبورهم ولا منشرهم ، وكأني أنظر إلى أهل لا إله إلا الله وهم ينفضون التراب عن رؤوسهم ويقولون : ﴿ ... ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ... ﴾ [١] » [٢] .

الـترجيح :

يظهر لي – والله أعلم – **أن الراجح أن ﴿ بِحَمْدِهِۦ ﴾ في موضع الحال ؛ أي : حامدين له وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ووافقه جمهور المفسرين** ، يدل على ذلك إضافة لما تقدم ؛ ما يلي :

أولاً : الحمد اللفظي لغة : الثناء باللسان على الجميل الاختياري على جهة التعظيم [٣] .
وعلى هذا يحمل قوله تعالى : ﴿ **بِحَمْدِهِۦ** ﴾ على حقيقته ؛ أي :حامدين له .

ثانياً : يؤيد هذا القول **بالقاعدة الترجيحية** التالية :
يجب حمل نصوص الوحي على الحقيقة ما لم يصرفها قرينة صارفة عن المعنى الحقيقي [٤] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) سورة فاطر : ٣٤ .
(٢) أخرجه أبو القاسم ، سليمان بن أحمد الطبراني (ت ٣٦٠ هـ) في المعجم الأوسط في باب الياء / من اسمه يعقوب (٩٤٧٨) : ٩ / ١٨١ . قال العجلوني : رواه أبو يعلى والطبراني والبيهقي في الشعب **بسند ضعيف** .
ينظر : كشف الخفاء للعجلوني : ٢ / ٢٢٢ .
(٣) ينظر : تهذيب الأسماء للنووي : ٣ / ٦٦ ، فتح القدير للشوكاني : ١ / ١٩ .
(٤) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ٣ / ٣٨٧ .

قوله تعالى : ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودًا ﴿٧٨﴾ ﴾ . [آية : ٧٨] .

مسألة : في أوجه إعراب قوله تعالى : ﴿ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن قوله تعالى : ﴿ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ ﴾ منصوب بالعطف على موضع اللام في قوله : ﴿ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ ﴾ فإن اللام فيه ظرفية بمعنى : علم ، فقال : ((وانتصب ﴿ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ ﴾ بالعطف على موضع اللام في قوله : ﴿ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ ﴾ فإن اللام فيه ظرفية بمعنى : علم ، وقيل : هو عطف على الصلاة . وقيل : مفعول بفعل مضمر تقديره : اقرأ قرآن الفجر)) . اهـ [١] .

الدراسة :

في قوله تعالى : ﴿ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ ﴾ ثلاثة أوجه :

الوجه الأوَّل : أنه **منصوب بالعطف على ﴿ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾** ، قاله جماعة من أهل اللغة [٢] ، **وجمهور** [٣] **القراء والمفسرين** [٤] .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٧٧ .

(٢) منهم : الفَرَّاء ، والأزهري ، وابن سيده ، وابن منظور . ينظر معاني القرآن للفَرَّاء : ٢ / ١٠٨ ، (مادة : دلك) في تهذيب اللغة : ١٠ / ٦٩ ، لسان العرب : ١٠ / ٤٢٨ ، تاج العروس : ٢٧ / ١٥٥ .

(٣) نسب الآلوسي والطاهر بن عاشور هذا القول إلى جمهور المفسرين ، ونسبه الآلوسي أيضاً إلى جمهور القراء . ينظر : روح المعاني : ١٥ / ١٣٥ ، التحرير والتنوير : ١٥ / ١٨٣ .

(٤) منهم : الطبري ، والسمر قندي ، وابن أبي زمنين ، و **صحَّحه** ابن عطية ، وابن الجوزي ، والفخر الرازي ، والنسفي ، وأبو حيان ، والبقاعي ، والخطيب الشربيني ، والطاهر بن عاشور ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير الطبري : ١٥ / ١٣٩ ، تفسير السمر قندي : ٢ / ٣٢٥ ، تفسير ابن أبي زمنين : ٣ / ٣٤ ، المحرر الوجيز : ٣ / ٤٧٨ ، زاد المسير : ٥ / ٧٣ ، التفسير الكبير : ٢١ / ٢٣ ، تفسير النسفي : ٢ / ٢٩٧ ، البحر المحيط : ٦ / ٦٨ ، نظم الدرر : ٤ / ٤١٥ ، السراج المنير : ٢ / ٣٣٤ ، التحرير والتنوير : ١٥ / ١٨٣ ، الوسيط : ٨ / ٤٠٩ . وينظر : تحفة الأحوذي للمباركفوري : ٨ / ٤٥٢ .

ويستدل لهذا الوجه :

١. بما أجمع عليه **اللغويون والمفسرون** على أن **التقدير : وأقم قرآن الفجرِ** ، عطفاً على الصلاة ؛ حتى تدخل الصلوات الخمس في هذه الآية [١] .

قال الأزهري :

" والذي هو أَشْبَهُ بالحقِّ في قول الله جل وعز : ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ ... ﴾ . الآية . أَنَّ دُلُوكَها : زَوَالُهَا نصفَ النَّهَارِ حتى تكون الآيةُ مُنْتَظمةً للصَّلوات الخمسِ ، المعنى – والله أَعْلم – : أَقِمِ الصَّلاةَ يا محمَّدُ ، أي : أدِمها في وقت زَوَال الشَّمْس إلى غَسَقِ اللَّيْل ، فيدْخُل فيها صلاتَا العَشيِّ ، وهما الظُّهْرُ والعَصْرُ ، وصلاتَا العِشَاء في غَسَقِ اللَّيْل فهذه أربعُ صَلوَاتٍ ، والخامسةُ قوله جلّ وعزّ : ﴿ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ﴾ . **أَيْ : وأَقِمْ صلاةَ الفَجْر** ، فَهَذِه خَمْسُ صُلواتٍ فُرضتْ على مُحمَّدٍ ﷺ وأُمَّتِهِ . وإذا جعلْتَ الدُّلُوكَ غروبَ الشَّمْسِ كانَ الأمْرُ في هذه الآيةِ مَقْصُوراً على ثلاثِ صَلَوَاتٍ " . اهـ [٢] .

قال الفخر الرازي : " وحمل كلام الله تعالى على ما يكون أكثر فائدة أوْلى ، فوجب أن يكون المراد من الدلوك الزوال " . اهـ [٣] .

٢. بما قاله **القراء** بعطفه على الصلاة :

قال **زكريا الأنصاري** : " والأجود الوقف على ﴿ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ﴾ لأنه معطوف على الصلاة ". اهـ [٤] .

---

(١) وذلك على أن المراد **بالدلوك** : زوال الشمس لا غروبها ، وهو قول أكثر السَّلف ، وهو الصواب . و ﴿ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ﴾ هو صلاة الصبح ، سميت قرآناً لأنه ركنها ، كما سميت ركوعاً وسجوداً ، فهو من تسمية الكل باسم جزئه المهم . ينظر : تهذيب اللغة للأزهري (مادة : ك د ل) : ١٠ / ٦٩ ، و (مادة : دلك) في : لسان العرب : ١٠ / ٤٢٨ ، تاج العروس : ٢٧ / ١٥٥ . وينظر : كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية في الفقه : ٢١ / ٤٣٥ ، ٢٢ / ٥٥١ ، الإبهاج في شرح المنهاج للسُّبكي : ١ / ٤٢ ، إتقان السيوطي : ٢ / ٣٨٢ .

(٢) تهذيب اللغة للأزهري (مادة : د ل ك) : ١٠ / ٦٩ .

(٣) التفسير الكبير : ٢١ / ٢٣ .

(٤) المقصد لتلخيص ما في المرشد في الوقف والابتداء لزكريا بن محمد الأنصاري : ٤٥٦ .

وزكريا الأنصاري هو : زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري المصري الشافعي ، أبو يحيى : شيخ الاسلام قاض مفسر ، من حفاظ الحديث ، وكف بصره سنة ٩٠٦ هـ . ت سنة ٩٢٦هـ . ينظر : الضوء اللامع : =

الوجه الثاني : أنه **منصوبٌ على الإغراء** ، أي : **وعليك قرآن الفجرِ** ، كذا قدَّره الأخفش [١] ، وتبعه أبو البقاء [٢] ، وجوَّزه الطاهر ابن عاشور [٣] .

✖ **ورُدَّ هذا الوجه** : لأن أسماء الأفعال لا تعمل مضمرة [٤] .

الوجه الثالث : أنه **منصوب بإضمار فعلٍ** ، أي : اقرأ قرآن الفجر ، قاله مكي [٥] ، وابن عطية [٦] . [٧]

الوجه الرابع : أنه **منصوب بالعطف على موضع اللام** في قوله : ﴿ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ ﴾ فإن اللام فيه ظرفية بمعنى : علم ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٨] .

✖ **ولم أجد أحداً من اللغوين أو المفسرين ذهب إلى ما قاله ابن جُزيّ في حدود ما وقفت عليه ؛ مما يرجِّح ضعفه .**

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن الرَّاجح أن قوله تعالى : ﴿ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ ﴾ عطف على ﴿ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ ، والتقدير : وأقم قرآن الفجرِ ، وحينئذٍ تدخل الصلوات الخمس في هذه الآية ، وذلك خلافاً لما ذهب إليه ابن جُزيّ** ؛ يدل على ذلك إضافة لما تقدم ، ولما يلي :

= ٣ / ٢٣٤ ، البدر الطالع : ١ / ٢٥٢ ، الأعلام : ٣ / ٤٦ .

(١) ينظر معانيه : ٢ / ٦١٥ .

(٢) قال أبو البقاء بالوجهين الأوَّل والثاني . ينظر : التبيان في إعراب القرآن لأبي البقاء العكبري :٢ / ٨٣٠ .

(٣) ينظر : التحرير والتنوير : ١٥ / ١٨٣ .

(٤) وهو قول البصريين ، ولا تعملُ مضمرةً أي : بأن تحذف ويبقى معمولها ، وهو الأصحُّ ، قاله السيوطي . وجوَّز الكسائي أن يتصرف فيها بتقدم معمولها عليها إجراء لها مجرى أصولها . وجوز ابن مالك إعمالها مضمرة . ينظر : الدر المصون : ٤ / ٤١٣ ، تفسير ابن عادل : ١٢ / ٣٥٩ ، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١ هـ) : ٣ / ١٠٣ ، ١٠٤ .

(٥) ينظر : مشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب القيسي (٤٣٧ هـ) : ١ / ٤٣٤ .

(٦) ينظر : المحرر الوجيز : ٣ / ٤٧٨ .

(٧) ذكر السمين الحلبي ، وابن عادل ، والخطيب الشربيني الأوجه الثلاثة الأوَّلى من غير ترجيح . ينظر : الدر المصون : ٤ / ٤١٣ ، تفسير ابن عادل : ١٢ / ٣٥٩ ، السراج المنير : ٢ / ٣٦٣ .

(٨) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٧٧ .

أولاً : إجماع جمهور القراء والمفسرين على ذلك .

ثانياً : يؤيد هذا القول **القاعدة الترجيحية** التالية :

- **التقدير الموافق لغرض الآية** [١] **وأدلة الشرع مقدم على غيره** [٢] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ٢ / ٦٣٤ .

(٢) والأصح : التقدير الموافق لدلالة الآية ومقصودها .

قوله تعالى : ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ ﴾ . [آية : ٨٠] .

مسألة: في معنى قوله تعالى : ﴿ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن معنى قوله تعالى : ﴿ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴾ : قوَّة ورياسة تنصرني بها على الأعداء ، فقال : ((قيل : معناه حجَّة تنصرني بها وتظهر بها صدقي . وقيل : قوَّة ورياسة تنصرني بها على الأعداء ، **وهذا أظهر**)) . اهـ [١] .

الدراسة :

اختلف المفسرون في **معنى قوله تعالى : ﴿ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴾** على قولين :

القول الأوَّل : معناه : **حجَّة** تنصرني بها وتظهر بها صدقي ، قاله مجاهد [٢] ، **وابن فارس** [٣] وذهب إليه جماعة من المفسرين [٤] .

القول الثاني : قوَّة ورياسة تنصرني بها على الأعداء ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٥] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٦] ، وهو **أشهر** الأقوال [٧] .

قال الحسن البصري في تفسيرها : وعده ربه ليتزعنَّ مُلك فارس وعزَّ فارس ؛ وليجعلنَّه له

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٧٧ .

(٢) ينظر تفسيره : ١ / ٣٦٨ . وأخرجه ابن جرير في تفسيره (١٥ / ١٥١) .

(٣) ينظر : معجم مقاييس اللغة (مادة : سلط) :٣ / ٩٥ .

(٤) منهم : النحاس ، وحكاه ابن أبي زمنين والثعالبي عن مجاهد ، والخازن ، وابن تيمية ، والشوكاني ، والسعدي . ينظر : إعراب القرآن للنحاس : ٢ / ٤٣٧ ، تفسير ابن أبي زمنين : ٣ / ٣٦ ، تفسير الخازن : ٤ / ١٧٩ ، كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية في التفسير : ١٣ / ١٢ ، تفسير الثعالبي : ٣ / ٤٩٣ ، فتح القدير : ٣ / ٢٥٢ ، تفسير السعدي : ٤٦٥ .

(٥) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٧٧ .

(٦) منهم : الطبري ، وقدَّمه ابن الجوزي ، وابن كثير ، والجلالين ، والخطيب الشربيني ، والقاسمي ، وسيد قطب . ينظر : تفسير الطبري : ١٥ / ١٥١ ، زاد المسير : ٥ / ٧٨ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٦٠ ، تفسير الجلالين : ٣٧٥ ، السراج المنير : ٢ / ٣٦٧ ، تفسير القاسمي : ١٠ / ٢٧٥ ، الظلال : ٤ / ٢٢٤٧ .

(٧) قاله المباركفوري ، ينظر : تحفة الأحوذي : ٨ / ٤٥٦ .

ومُلك الروم وعزَّ الرُّوم ؛ وليجعلنَّه له [١] .

وقال قتادة : إن نبي الله ﷺ علم أن لا طاقة له بهذا الأمر إلا بسلطان ، فسأل سلطاناً نصيراً لكتاب الله ، ولحدود الله ، ولفرائض الله ، ولإقامة دين الله ؛ فإن السلطان رحمة من الله جعله بين أظهر عباده ، ولولا ذلك لأغار بعضهم على بعض فأكل شديدهم ضعيفهم [٢] .

ويستدل على ذلك :

١. دلالة السِّياق :

جاء قوله تعالى : ﴿ وَٱجۡعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا ﴾ " عقيب خبر الله عما كان المشركون هموا به من إخراجه من مكة ؛ فأعلمه الله ﷻ أنهم لو فعلوا ذلك عوجلوا بالعذاب عن قريب ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَسۡتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ لِيُخۡرِجُوكَ مِنۡهَا وَإِذٗا لَّا يَلۡبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾ [٣] . ثم أمره بالرغبة إليه في إخراجه من بين أظهرهم إخراج صدق ، ويدخله بلدة غيرها بمدخل صدق ، وأن يجعل له سلطاناً نصيراً على أهل البلدة التي أخرجه أهلها منها ، وعلى كل من كان لهم شبيهاً " [٤] .

.

٢. **بالواقع** ، كما قال ابن كثير :

" وهو الأرجح لأنه لابد مع الحق من قهر لمن عاداه وناوأه ، ولهذا يقول تعالى : ﴿ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ ... ﴾ إلى قوله : ﴿ ... وَأَنزَلۡنَا ٱلۡحَدِيدَ ... ﴾ [٥] . الآية . وعن عمر بن الخطاب ﷺ : « إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن » [٦] . أي : ليمنع بالسلطان عن ارتكاب الفواحش والآثام ما لا يمتنع كثير من الناس بالقرآن ، وما فيه من الوعيد الأكيد والتهديد الشديد ، وهذا هو الواقع " . اهـ [٧] .

---

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٥ / ١٥٠) .

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٥ / ١٥١) . وقال السيوطي : أخرجه الحاكم و**صحَّحه** ، والبيهقي في الدلائل . ينظر : الدر المنثور : ٥ / ٣٢٨ ، ٣٢٩ .

(٣) سورة الإسراء : ٧٦ .

(٤) تفسير الطبري : ١٥ / ١٥١ .

(٥) سورة الحديد :٢٥ .

(٦) عزاه السيوطي إلى الخطيب . ينظر : الدر المنثور : ٥ / ٣٢٩ . وينظر : كنز العمال : ٥ / ٢٩٩ .

(٧) تفسير ابن كثير : ٣ / ٦٠ .

ورسول الله ﷺ كان يمتلك الحجَّة البيِّنة ، وتلك آيات القرآن تتنزل عليه وأعْظِمها من حجة لكن واقع عناد الكفر يحتاج إلى قوة وعز وغلبة ليُقهر طغيانه .

الترجيح:

يظهر لي – والله أعلم – **أن الأقوال** (١) **كلها محتملة** (٢) **، أي أن المراد بالسلطان النصير : الحجَّة البيِّنة ، والقوَّة والرياسة التي ينصر الله بها نبيه ﷺ على الأعداء ؛ والملك العزيز ،** يدل على ذلك **ما يلي :**

أولاً : احتمال اللغة (٣) لجميع الأقوال :

فللسلطان لغة : " اسم مصدر يطلق على السُّلطة وعلى الحجَّة وعلى المُلك . وهو في هذا المقام كلمة جامعة ؛ على طريقة استعمال المشترك في معانيه أو هو من عموم المشترك ، تشمل أن يجعل له الله تأييداً وحجَّة وغلبة ومُلكاً عظيماً ، وقد آتاه الله ذلك كله ، فنصره على أعدائه ، وسخر له ذلك بنهوض حجَّته وظهور دلائل صدقه ، ونصره بالرعب " (٤) ، واستجاب له ذلك في حياته وتَّمه بعد وفاته :

- بقوله تعالى : ﴿ ... فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ... ﴾ . [سورة المائدة : ٥٦] .
- وقوله تعالى : ﴿ ... وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ... ﴾ . [سورة المائدة : ٦٧] .
- وقوله تعالى : ﴿ ... لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ... ﴾ . [سورة التوبة : ٣٣] .

---

(١) قال بالقولين من غير ترجيح من المفسرين : الواحدي ، والزمخشري ، والفخر الرازي ، والعز بن عبد السلام ، والبيضاوي ، والنسفي ، والنيسابوري ، والبقاعي ، وأبو السعود ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير الواحدي : ٢ / ٦٤٥ ، الكشاف : ٢ / ٦٤٣ ، التفسير الكبير : ٢١ / ٢٨ ، تفسير العز بن عبد السلام : ٢ / ٢٢٨ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٤٦٣ ، تفسير النسفي : ٢ / ٢٩٧ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٣٧٩ ، نظم الدرر : ٤ / ٤١٨ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ١٩٠ ، الوسيط : ٨ / ٤١٢ ، ٤١٣ .

(٢) قال بذلك جماعة من المفسرين منهم : أبو حيان ، والآلوسي ، والطاهر بن عاشور . ينظر : البحر المحيط : ٦ / ٧٢ ، روح المعاني : ١٥ / ١٤٤ ، التحرير والتنوير : ١٥ / ١٨٧ .

(٣) اشتقاقُ السُّلْطان من السَّلِيط ، قال : و **السَّلِيط** هو ما يُضاءُ به ، ومن هذا قيل للزَّيْت : السَّلِيط . والسلطان الحجَّة . وقال الليث : السلطان قدرة الملك . ينظر : (مادة : سلط) في : العين : ٧ / ٢١٣ ، تهذيب اللغة للأزهري : ١٢ / ٢٣٥ ، لسان العرب : ٧ / ٣٢١ ، تاج العروس : ١٩ / ٣٧٣ ، ٣٧٤ .

(٤) التحرير والتنوير : ١٥ / ١٨٧ . بتصرف يسير .

- وقوله تعالى : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا ... ﴾ .

[سورة النور : ٥٥] .

ووعد ليترعنّ مُلك فارس والرُّوم ، فيجعله له [١] .

قال الآلوسي : " والحق أن المراد من السلطان كل ما يفيده الغلبة على أعداء الله تعالى وظهور دينه جل شأنه " . اهـ [٢] .

ثانياً : من جملة ما قيل عن المراد بالسلطان : **ملكاً عزيزاً** . والملك العزيز : هو المؤيد بالقدرة والحجَّة [٣] ؛ فلم يكن ﷺ ملكاً ولا مالكاً .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) ينظر : الكشاف : ٢ / ٦٤٣ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٤٦٣ .

(٢) روح المعاني : ١٥ / ١٤٤ .

(٣) نقله السمعاني وجماعة من المفسرين من جملة الأقوال في الآية . ينظر : تفسير السمعاني :٣ / ٢٧١ .

قوله تعالى : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾ . [آية : ٨٥] .

في الآية مسألتان :

المسألة الأولى : في المراد بـ ﴿ ٱلرُّوحِ ﴾ هنا في الآية :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن المراد بـ ﴿ ٱلرُّوحِ ﴾ هنا : هو الذي في الجسم ، فقال : ((والروح هنا عند الجمهور : هو الذي في الجسم . وقد يقال فيه : النفس . وقيل : الروح هنا جبريل . وقيل : القرآن . **والأوَّل هو الصواب** ؛ لدلالة ما بعده على ذلك)) . اهـ [١] .

الدراسة :

اختلف المفسرون في **المراد بـ ﴿ ٱلرُّوحِ ﴾** [٢] على أقوال منها :

القول الأوَّل : الروح هنا **هو الذي في الجسم** ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٣] ، ووافقه **جمهور** [٤] المفسرين [٥] .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٧٨ .

(٢) يعتبر لفظ ﴿ ٱلرُّوحِ ﴾ من الألفاظ التي تحمل معاني متعددة ؛ وهذا من باب الوجوه والنظائر ، لقد ذكر أهل التفسير للروح ثمانية معانٍ متعددة ذكرتها سابقاً فيما تقدم من البحث . ينظر : ص ٣٢٠ ، ٣٢١ . وقال الشوكاني : " وقد حكى بعض المحققين أن أقوال المختلفين فى الروح بلغت إلى ثمانية عشر مائة قول ؛ فانظر إلى هذا الفضول الفارغ والتعب العاطل عن النفع بعد أن علموا أن الله سبحانه قد استأثر بعلمه ، و لم يطلع عليه أنبياءه ولا أذن لهم بالسؤال عنه ولا البحث عن حقيقته ؛ فضلا عن أممهم المقتدين بهم " . اهـ . ينظر : فتح القدير : ٣ / ٢٥٤ .

(٣) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٧٨ .

(٤) نسب الزمخشري ، والنسفي ، وابن جُزيّ وأغلب المفسرين هذا القول إلى الجمهور . ينظر : الكشاف : ٢ / ٦٤٥ ، تفسير النسفي : ٢ / ٢٩٨ ، التسهيل : ٢ / ١٧٨ .

(٥) منهم : الجصاص ، والواحدي ، والسمعاني ، والبغوي ، والزمخشري ، و **صوَّبه** ابن عطية ، وقدَّمه ابن الجوزي ، والفخر الرازي ، والقرطبي ، والبيضاوي ، والنسفي ، و **صحَّحه** الخازن ، و **استظهره** أبو حيان ، وابن كثير ، والبقاعي ، وابن عادل ، والجلالين ، وأبو السعود ، والشوكاني ، و **استظهره** الآلوسي ، وسيد قطب ، والطاهر ابن عاشور . ينظر : أحكام القرآن للجصاص : ٥ / ٣٣ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٦٤٦ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٢٧٤ ، تفسير البغوي : ٣ / ١٣٥ ، الكشاف : ٢ / ٦٤٥ ، المحرر الوجيز : ٣ / ٤٨١ ، زاد المسير : =

وهذا المعنى هو الذي في قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى ... ﴾ . [سورة ص : 72] . (١)

قال ابن عطية : " فـ ﴿ ٱلرُّوحِ ﴾ اسم جنس على هذا ، وهذا هو الصواب وهو المشكل الذي لا تفسير له " (٢) .

وقال الآلوسي : " الظاهر عند المنصف أن السؤال كان عن حقيقة الروح الذي هو مدار البدن الانساني ومبدأ حياته ؛ لأن ذلك من أدق الأمور التي لا يسع أحداً إنكارها ، ويشرئب كل إلى معرفتها ، وتتوفر دواعي العقلاء إليها ، وتكل الأذهان عنها ، ولا تكاد تعلم إلا بوحي " . اهـ (٣) .

✖ **واعترض ابن القيِّم على قول الجمهور** فقال :

" ومعلوم أنهم إنما سألوه عن أمر لا يعرف إلا بالوحي ، وذلك هو الروح الذي عند الله لا يعلمها الناس ، وأما أرواح بنى آدم فليست من الغيب ، وقد تكلم فيها طوائف من الناس من أهل الملل وغيرهم ؛ فلم يكن الجواب عنها من أعلام النبوة " . اهـ (٤) .

القول الثاني : الروح **النفس** (٥) .

القول الثالث : الروح **خلق من خلق الله تعالى ، وصورهم على صورة بني آدم** ، وهو

= ٥ / ٨٢ ، التفسير الكبير : ٢١ / ٣٠ ، ٣١ ، تفسير القرطبي : ١٠ / ٣٢٤ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٤٦٤ تفسير النسفي : ٢ / ٢٩٨ ، تفسير الخازن : ٤ / ١٨٢ ، البحر المحيط : ٦ / ٧٤ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٦٢ نظم الدرر : ٤ / ٤٢٠ ، تفسير الثعالبي : ٣ / ٤٩٤ ، تفسير ابن عادل : ١٢ / ٣٧٦ ، تفسير الجلالين : ٣٧٥ تفسير أبي السعود : ٥ / ١٩٢ ، فتح القدير : ٣ / ٢٥٤ ، روح المعاني : ١٥ / ١٥١ ، الظلال : ٤ / ٢٢٤٩ التحرير والتنوير : ١٥ / ١٩٧ . **ورجَّحه ابن حجر** ، ينظر : فتح الباري لابن حجر : ٨ / ٤٠٣ .

(١) ينظر : التحرير والتنوير : ١٥ / ١٩٦ .

(٢) المحرر الوجيز : ٣ / ٤٨١ . وينظر : البحر المحيط لأبي حيان : ٦ / ٧٤ .

(٣) روح المعاني : ١٥ / ١٥١ . وينظر قبله : تفسير أبو السعود : ٥ / ١٩٢ .

(٤) الروح لابن القيِّم : ١ / ١٥ .

(٥) اختلف الناس هل الروح النفس أم هما شيئان ؟ قال ابن الجوزي : " فلا يحتاج إلى ذكر اختلافهم لأنه لا برهان على شيء من ذلك ، وإنما هو شيء أخذوه عن الطب والفلاسفة ، فأما السلف فإنهم أمسكوا عن ذلك لقوله تعالى : ﴿ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾ فلما رأوا أن القوم سألوا عن الروح فلم يجابوا ، والوحي يتزل والرسول حي علموا أن السكوت عمَّا لم يحط بحقيقة علمه أوْلى " . ينظر : زاد المسير : ٥ / ٨٢ .

مرويٌّ عن ابن عباس ﷺ [١] ، وقاله ابن القيِّم [٢] .

وتعقَّبه :

- **ابن عطية** فقال : " وهذا قول ضعيف لم يأت به سند " [٣] .
- و**الفخر الرازي** فقال : " ولم أجد في القرآن ولا في الأخبار الصحيحة شيئاً يمكن التمسك به في إثبات هذا القول ، وأيضاً فهذا شيء مجهول فيبعد صرف هذا السؤال إليه " . اهـ [٤] .
- وكذا **ابن حجر** فقال : " ولا دلالة في ذلك لما رجَّحه " [٥] .

القول الرابع : الروح هنا **جبريل** عليه السلام ، وكان ابن عباس ﷺ يكتمه ، قاله الحسن وقتادة [٦] . ويكتمه : أي يجعله من المكتوم الذي لا يفسر [٧] .

القول الخامس : الروح **الوحي بالقرآن** ، قاله الحسن البصري [٨] ، و**رجَّحه** القاسمي [٩] ، ، و**استحسنه** الآلوسي [١٠] .

واستدل له بما يلي :

١. إن الله تعالى سمَّى القرآن في هذه الآية ، وفي كثيرٍ من الآيات روحًا :

---

(١) عزاه السيوطي إلى آدم بن أبي أياس ، وسعيد بن منصور ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وأبو الشيخ في العظمة وابن مردويه ، والبيهقي في الأسماء والصفات . ينظر : الدر المنثور : ٥ / ١٠٩ . ونسبه إليه غير واحد من المفسرين . ينظر : معاني القرآن للنحاس : ٤ / ٥٣ ، زاد المسير : ٥ / ٨٢ .

(٢) ينظر : الرُّوح لابن القيِّم : ١ / ١٥ .

(٣) المحرر الوجيز : ٣ / ٣٧٨ .

(٤) التفسير الكبير : ٢١ / ٣٣ .

(٥) فتح الباري لابن حجر : ٨ / ٤٠٣ .

(٦) أخرجه ابن جرير عن قتادة ، وأخرجه عبد الرزاق عن قتادة والحسن . ينظر : تفسير الطبري : ١٥ / ١٥٦ ، تفسير الصنعاني : ٢ / ٣٨٨ . ونسبه إليهما غير واحد من المفسرين .

(٧) قاله السمر قندي . ينظر تفسيره : ٢ / ٣٢٧ .

(٨) نسبه ابن الجوزي والزَّركشي إليه . ينظر : زاد المسير : ٥ / ٨٢ ، البرهان : ٤ / ٤٥ .

(٩) ينظر : تفسير القاسمي : ١٠ / ٢٩٤ .

(١٠) ينظر : روح المعاني : ١٥ / ١٥٣ .

سورة الإسراء ـــــــ

٢. النظير القرآني :

قال القاسمي : " قوله تعالى : ﴿ ۞ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ ... ﴾ [١] وقوله تعالى : ﴿ عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ۝٢ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴾ [٢] . أي : بعضهم ينكره وبعضهم يتردد في صحته . وذلك لأنهم قوم جاهليون لا عهد لهم بالعلوم والمعارف ؛ فضلاً عن الوحي وخصائص النبوة للأمية والجهالة الفاشيتين فيهم . كما أشير إليه بقوله تعالى : ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ أي مما تناله مشاعركم وتصل إليه فطنكم ، وما هو في جنب معلومات لا تحصى إلا كالقطرة من البحر والذرة من الكثيب . **والقاعدة أن القرآن متجاوب الأطراف ، يفسر بعضه بعضاً .**

وجميع ما ذكره المتقدمون غير ما ذكرناه ؛ جريٌ مع ما يحتمله نظم الآية الكريمة " . اهـ [٣] .

✖ **واعتُرض على هذا القول** بأنه : " قد ذكر الله تعالى الروح في مواضع من القرآن ؛ فغالب الظن أن الناقلين نقلوا تفسيره من موضعه إلى موضع لا يليق به ، وظنوه مثله ، وإنما هو الروح الذي يحيى به ابن آدم " [٤] .

❖ **ذكر جميع الأقوال من غير ترجيح جماعة من المفسرين ، منهم :** السمر قندي ، والثعلبي ، والعز بن عبد السلام ، والخطيب الشربيني [٥] .

الترجيح:

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن الراجح أن المراد بـــ ﴿ ٱلرُّوحِ ﴾ هنا هو الذي في الجسم ؛ وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ووافقه الجمهور ، وهو ما ترتاح إليه النفس ؛** إضافة لما تقدم ؛ ولما يلي :

أولاً : رجَّح الطاهر بن عاشور هذا القول بأن المراد بـــ ﴿ ٱلرُّوحِ ﴾ هنا هو الذي في الجسم

---

(١) سورة يونس عليه السلام : 53 .
(٢) سورة النبأ : ١- ٣ .
(٣) تفسير القاسمي : ١٠ / ٢٩٤ ، ٢٩٥ .
(٤) هذا قول أبي سليمان الدمشقي ؛ نقله ابن الجوزي عنه . ينظر : زاد المسير : ٥ / ٨٢ . بتصرف يسير .
(٥) ينظر : تفسير السمرقندي : ٢ / ٣٢٧ ، الكشف والبيان : ٦ / ١٣٠ ، ١٣١ ، تفسير العز بن عبد السلام : ٢ / ٢٢٩ ، السراج المنير : ٢ / ٣٧٠ ، ٣٧١ .

بالروح الواردة في كتب اليهود السائلين عن الروح كما ثبت في الحديث الصحيح في سبب النزول [١] ، فهذا المعنى هو الوحيد الوارد في التوراة .

قال الطاهر بن عاشور : " إن الروح الذي في الجسم هو الأمر المشكل الذي لم تتضح حقيقته ، وأما الروح بمعنى جبريل عليه السلام فيشبه أن يكون السؤال عنه سؤالاً عن معنى مصطلح قرآني . وقد ثبت أن اليهود سألوا عن الروح ، ومرادهم الروح التي في الجسم ؛ لأنه هو الوارد في أول كتابهم وهو سفر التكوين من التوراة لقوله في الإصحاح الأوَّل : (وروح الله يرف على وجه المياه [٢]) [٣] . وليس الروح بالمعاني الأخرى بوارد في كتبهم " . اهـ [٤] .

ثانياً : على قول الجمهور هذا يكون قوله تعالى : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ﴾ ورد **معترضاً دلالة على خسار الظالمين وضلالهم** ، وأنهم مشتغلون عن تدبر الكتاب والانتفاع به إلى التعنت بسؤال ما اقتضت الحكمة سد طريق معرفته [٥] .

---

(١) أخرج الشيخان – واللفظ للبخاري – عن عبد اللَّهِ رضي الله عنه قال : « بَيْنَا أنا أَمْشِي مع النبي ﷺ في خَرِبِ الْمَدِينَةِ وهو يَتَوَكَّأُ على عَسِيبٍ معه ؛ فَمَرَّ بنَفَرٍ من الْيَهُودِ ؛ فقال بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : سَلُوهُ عن الرُّوحِ . وقال بَعْضُهُمْ : لَا تَسْأَلُوهُ لَا يَجِيءُ فيه بشَيْءٍ تَكْرَهُونَهُ . فقال بَعْضُهُمْ : لَنَسْأَلَنَّهُ . فَقَامَ رَجُلٌ منهم ؛ فقال : يا أَبَا الْقَاسِمِ ما الرُّوحُ ؟ فَسَكَتَ . فقلت : إنه يُوحَى إليه . فَقُمْتُ ، فلما انْجَلَى عنه فقال : (وَيَسْأَلُونَكَ عن الرُّوحِ قُلْ الرُّوحُ من أَمْرِ رَبِّي وما أوتوا من الْعِلْمِ إلا قَلِيلًا) . قال الْأَعْمَشُ : هَكَذَا في قِرَاءَتِنَا . ينظر : صحيح البخاري ، كتاب العلم ، باب قول الله تعالى : ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (١٢٥) : ١ / ٥٨ ، صحيح مسلم ، كتاب صفة القيامة والجنة والنار ، لبب سُؤَالِ الْيَهُودِ النبي ﷺ عن الرُّوحِ (٢٧٩٤) : ٤ / ٢١٥٢ .
وأخرج الطبري عن عبد الله بزيادة : « فقالت اليهود : هكذا نجده عندنا » . وأخرج أيضاً من طريق العوفي عن ابن عبّاس رضي الله عنهما في هذه القصة : أن اليهود قالوا للنبي ﷺ أخبرنا ما الروح ؟ وكيف يعذب الروح في الجسد وإنما الروح من الله عز وجل ؟ ولم يكن نزل عليه فيه شيء ، فلم يحر إليهم شيئاً ؛ فأتاه جبرائيل عليه السلام بهذه الآية . ينظر : تفسير الطبري : ١٥ / ١٥٦ .

(٢) ينظر : الكتاب المقدس ، العهد القديم ، سفر التكوين ، الإصحاح الأوَّل : ١ – ١ . موقع :
ST-TAKLA.ORG/PUB_OLDTEST/ARABIC-OLD-TESTAMENT-BOOKS/-

(٣) قال صالح الهاشمي : " انظر – عافاك الله – إلى سوء هذا التعبير وسماجته ، كأنهم يعتقدون أن حياة الباري تزايله وتفارق ذاته " . ينظر : تخجيل من حرف التوراة والإنجيل لصالح بن الحسين الجعفري الهاشمي : ٣ / ٦٥ .
وينظر : الطعن في القرآن الكريم و الرد على الطاعنين في القرن الرابع عشر الهجري، رسالة لنيل درجة الدكتوراه مقدمة من الطالب : عبد المحسن بن زبن بن متعب المطيري المعيد بكلية الشريعة – جامعة الكويت : ٥٥ .

(٤) التحرير والتنوير : ١٥ / ١٩٧ . بتصرف يسير .

(٥) روح المعاني : ١٥ / ١٥٣ . بتصرف يسير .

سورة الإسراء ـــــــ

الدراسة :

اختلف المفسرون **لمن الخطاب في قوله تعالى :** ﴿ **وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً** ﴾ على قولين :

القول الأوَّل : الخطاب عام لجميع الناس ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [١] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٢] .

واستدل له من السُّنة بما يلي :

١. عن عطاء بن يسار قال : « نزلت بمكة ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً ﴾ فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة أتاه أحبار اليهود ؛ فقالوا : يا محمد ألم يبلغنا أنك تقول : ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً ﴾ أفعنيتنا أم قومك ؟ قال : كُلاًّ قَدْ عَنَيْتُ . قالوا : فإنك تتلو أنا أوتينا التوراة وفيها تبيان كل شيء . فقال رسول الله ﷺ : هي في علم الله قليل ، وقد آتاكم الله ما عملتم به انتفعتم . فأنزل الله : ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَـٰمٌ ... ﴾ إلى قوله : ﴿ ... إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾ . [سورة لقمان : ٢٧ ، ٢٨] . » [٣] .

٢. وعن ابن جريج في قوله ﷻ : ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً ﴾ قال : يا محمد والناس أجمعون [٤] .

قال ابن عطية : " وهذا هو الصَّحيح لأن قوله ﴿ قُلِ ٱلرُّوحُ ﴾ إنما هو أمر بالقول لجميع العالم ؛ إذ كذلك هي أقواله كلها " . اهـ [٥] .

---

(١) ينظر : المرجع السابق .

(٢) منهم : الطبري ، والزمخشري ، والفخر الرازي ، والقرطبي ، والنسفي ، والبيضاوي ، والخازن ، والنيسابوري . ينظر : تفسير الطبري : ١٥ / ١٥٧ ، الكشاف : ٢ / ٦٤٥ ، التفسير الكبير : ٢١ / ٤٤ ، ٤٥ ، تفسير القرطبي : ١٠ / ٣٢٤ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٤٦٤ ، ٤٦٥ ، تفسير النسفي : ٢ / ٢٩٨ ، تفسير الخازن : ٤ / ١٨٢ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٣٨١ .

(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٥ / ١٥٧) . وعزاه السيوطي إلى ابن إسحاق أيضاً . ينظر : الدر المنثور : = = ٥ / ٣٣٣ . قال العراقي : الحديث غير صحيح .

(٤) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٥ / ١٥٧) . وعزاه السيوطي أيضاً إلى ابن المنذر . ينظر : الدر المنثور : ٥ / ٣٣٣ .

(٥) المحرر الوجيز : ٣ / ٤٨٢ . وينظر : التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٧٨ .

القول الثاني : الخطاب **لطائفة من اليهود** ، وهم الذين سألوا عن الروح ، قاله أبو حيان [١] .

ويقوي هذا القول قراءة عبد الله بن مسعود ﷺ والأعمش : (وما أوتوا) [٢] – بضمير الغيبة – عائداً على السائلين .

القول الثالث : الخطاب **لليهود بجملتهم** ، قاله مجاهد [٣] ، وقتادة [٤] ، ومقاتل [٥] ، والأكثرون [٦] . [٧]

القول الرابع : الخطاب **لأهل الكتاب** ، قاله عبد الله بن مسعود ﷺ [٨] .

الترجيح:

يظهر لي – والله أعلم – **أن الراجح أن قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾ خرج خطاباً لمن خوطب به والمراد به جميع الخلق ؛ لأن علم كل أحد سوى الله وإن كثر في علم الله قليل ، وقد رجّحه غير واحد من المفسرين** [٩] **؛ وهو قريب مما ذهب إليه ابن**

---

(١) ينظر : البحر المحيط : ٦ / ٧٤ .

(٢) هذه **القراءة بالغة الشذوذ** . ينظر : إتحاف فضلاء البشر للبناء : ٣٦١ . ولم أجدها في مختصر ابن خالويه ، ولا محتسب ابن جني ، وقد أوردها غير واحد من المفسرين . ينظر : تفسير القرطبي : ١٠ / ٣٢٤ ، البحر المحيط : ٦ / ٧٤ . وهي قراءة تفسيرية تحمل على التفسير .

(٣) ينظر تفسيره : ١ / ٣٦٩ .

(٤) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٥ / ١٥٧) . وينظر : الدر المنثور : ٥ / ٣٣٣ .

(٥) ينظر تفسيره : ٢ / ٢٧٠ .

(٦) نسب ابن الجوزي وابن عادل هذا القول إلى الأكثرين . ينظر : زاد المسير : ٥ / ٨٣ ، تفسير ابن عادل : ١٢ / ٣٨٠ .

(٧) ومنهم : النحاس ، وابن أبي زمنين ، وقدَّمه الماوردي ، والواحدي ، وقدَّمه ابن الجوزي . ينظر : معاني القرآن للنحاس : ٤ / ١٩١ ، تفسير ابن أبي زمنين : ٣ / ٣٩ ، النكت والعيون : ٣ / ٢٧١ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٦٤٦ ، زاد المسير : ٥ / ٨٢ .

(٨) أخرج ابن أبي حاتم عن يزيد بن زياد أنه بلغه أن رجلين اختلفا في هذه الآية ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾ فقال أحدهما : إنما أريد بها أهل الكتاب . وقال الآخر : بل إنه محمد ﷺ . فانطلق أحدهما إلى ابن مسعود ﷺ فسأله ، فقال : ألست تقرأ سورة البقرة ؟ فقال : بلى . فقال : وأي العلم ليس في سورة البقرة ! إنما أريد بها أهل الكتاب . ينظر : الدر المنثور : ٥ / ٣٣٢ .

(٩) ومنهم : الطبري ، والبقاعي ، والطاهر بن عاشور . ينظر : تفسير الطبري : ١٥ / ١٥٧ ، نظم الدرر : ٤ / ٤٢١ ، التحرير والتنوير : ١٥ / ١٩٨ .

سورة الإسراء ـــــــ

قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ ۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَـٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ ﴾ . [آية : ١٠١] .

مسألة : لمن الخطاب في قوله تعالى : ﴿ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن الخطاب لمحمَّد ﷺ ، فقال : ((﴿ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ أي : اسأل المعاصرين لك من بني إسرائيل عما ذكرنا من قصة موسى لتزداد يقيناً ، والآية على هذا خطاب لمحمَّد ﷺ . وقال الزمخشري : إن المعنى : قلنا لموسى اسأل بني إسرائيل من فرعون ، أي : اطلب منه أن يرسلهم معك ، فهو كقوله : أن أرسل معنا بني إسرائيل ، فلا يرد قوله اسأل لموسى على إضمار القول ، وقال أيضاً : يحتمل أن يكون المعنى : اسأل بني إسرائيل أن يعضدوك ويكونوا معك ، وهذا أيضاً على أن يكون الخطاب لموسى ؛ **والأوَّل أظهر**)) . اهـ [(١)] .

الدراسة :

اختلف المفسرون في **لمن الخطاب في قوله تعالى : ﴿ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾** على قولين :

القول الأوَّل : أن الخطاب لمحمَّد ﷺ ، قاله مقاتل [(٢)] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [(٣)] ، ووافقه جماعة من المفسرين [(٤)] .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٨٠ .

(٢) ينظر تفسيره : ٢ / ٢٧٤ .

(٣) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٨٠ .

(٤) منهم : الطبري ، وابن أبي زمنين ، وقدَّمه الماوردي ، والواحدي ، والبغوي ، وابن عطية ، وقدَّمه ابن الجوزي ، والقرطبي ، والخازن ، والنيسابوري ، وأبو حيان ، والبقاعي ، والجلالين ، والقاسمي ، والآلوسي ، والسعدي ، وسيد قطب ، وابن عاشور . ينظر : تفسير الطبري : ١٥ / ١٧٣ ، تفسير ابن أبي زمنين : ٣ / ٤٣ ، النكت والعيون : ٣ / ٢٧٧ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٦٤٩ ، تفسير البغوي : ٣ /١٤٠ ، المحرر الوجيز : ٣ / ٤٨٨ ، زاد المسير : ٥ / ٩٤ ، تفسير القرطبي : ١٠ / ٣٣٦ ، تفسير الخازن : ٤ / ١٨٧ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٣٩٥ ، البحر المحيط : ٦ / ٨٢ ، نظم الدرر : ٤ / ٤٣٢ ، تفسير الجلالين : ٣٧٧ ، تفسير القاسمي : ١٠ / ٣٠٦ ، روح المعاني : ١٥ / ١٨٤ ، تفسير السعدي : ٤٦٨ ، الظلال : ٤ / ٢٢٥٢ ، التحرير والتنوير : ١٥ / ٢٢٦ .

أي : اسأل المعاصرين لك من بني إسرائيل عما ذكرنا من قصة موسى لتزداد يقيناً [١] .

وقيل : فسْل يا رسول الله المؤمنين من بني إسرائيل ، وهم عبد الله بن سلام وأصحابه [٢] عن الآيات لتزداد يقيناً وطمأنينة قلب ، لأن الدلالة إذا تضافرت كان ذلك أقوى وأثبت ، كقول إبراهيم عليه السلام : ﴿ ... وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ... ﴾ . [سورة البقرة : ٢٦٠] .

وقيل : هذا سؤال استشهاد ليعرف اليهود صحة ما يقول محمد عليه السلام بقول علمائهم [٣] .

وعن الحسن ﴿ فَسْئَلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ قال : سؤالك إياهم نظرك في القرآن [٤] .

واستدل لهذا القول :

١. بقراءة الجمهور [٥] : بالأمر ﴿ فَسْئَلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ .
٢. **بدلالة السِّياق** : لما كان اليهود الذين أمروا قريشاً بسؤال النبي ﷺ عن الروح – كما في بعض الروايات – وعن أهل الكهف وذي القرنين الوارد قصتهما في الكهف ، نبههم على سؤالهم – إن كانوا يقلبون كلامهم – عن أمر موسى عليه السلام في كونه كهذا النبي الكريم في أنه بشر مع كونه رسولاً ، وفي كونه أتى بالخوارق فكذب بها المعاندون فاستؤصل المكذب ، فقال تعالى : ﴿ فَسْئَلْ ﴾ يا محمد ﴿ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ أي : عامة الذين نبهوا قريشاً على أمر الروح عن حديث موسى عليه السلام ، أو المؤمنين كعبد الله بن سلام وأصحابه [٦] .

القول الثاني : أن **الخطاب لموسى عليه السلام** ، قاله ابن عباس رضي الله عنه [٧] ، **ورجَّحه** الزمخشري [٨] ،

---

(١) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٨٠ .
(٢) قاله ابن عباس رضي الله عنه . ينظر : تنوير المقباس : ٢٤٢ .
(٣) ينظر : تفسير الواحدي : ٢ / ٦٤٩ ، تفسير القرطبي : ١٠ / ٣٣٦ ، نظم الدرر : ٤ / ٤٣٢ ، التحرير والتنوير : ١٥ / ٢٢٦ .
(٤) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٥ / ١٧٣) .
(٥) وقرأ الكسائي وابن كثير : (فسل بني إسرائيل) بغير همز يكون على التخفيف ، وعلى لغة من قال : سال يسال . ينظر : إتحاف فضلاء البشر : ٣٦٢ .
(٦) ينظر : نظم الدرر : ٤ / ٤٣٢ .
(٧) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٥ / ١٧٣) ، وعزاه السيوطي في الدر (٥ / ٣٤٤) إلى سعيد بن منصور ، وأحمد في الزهد ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه .
(٨) ينظر : الكشاف : ٢ / ٦٥٢ .

سورة الإسراء ـــــــ

لقوة من عدوه على مدافعة العذاب ، وإنما كان جهلاً وعناداً ، ليكون ذلك تسلية لك ، وعلماً على خبث طباعهم ، وحجة قاطعة عليهم [١] .

❖ **قال بالقولين من غير ترجيح جماعة من المفسرين ، منهم :** البيضاوي ، وابن عادل ، وأبو السعود ، وجوَّزهما الخطيب الشربيني ، **والشوكاني** ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي [٢] .

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن الراجح أن الخطاب لمحمَّد ﷺ ، أي : اسأل المعاصرين لك من بني إسرائيل عما ذكرنا من قصة موسى لتزداد يقيناً ؛ وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** ، يدل على ذلك إضافة لما تقدم ، ولما يلي :

أولاً : هذا القول يؤيده قراءة الجمهور وهي القراءة المتواترة التي يستند إلى معناها .

ثانياً : القول الثاني تؤيده قراءة بالغة الشذوذ ، وعلى هذا يتأيد القول الراجح **بالقاعدة الترجيحية** التالية :

- **معنى القراءة المتواترة أولى بالصواب من معنى القراءة الشاذة** [٣] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) ينظر : نظم الدرر : ٤ / ٤٣٢ ، روح المعاني : ١٥ / ١٨٤ .

(٢) ينظر : تفسير البيضاوي : ٣ / ٤٦٩ ، تفسير ابن عادل : ١٢ / ٣٩٩ ، ٤٠٠ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ١٩٨ السراج المنير : ٢ / ٣٧٩ ، فتح القدير : ٣ / ٢٦٣ ، الوسيط : ٨ / ٤٤٤ .
والشوكاني هو : محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، إمام فقيه مجتهد مفسر ، من كبار علماء اليمن ، ت سنة ١٢٥٠هـ . ينظر : البدر الطالع (ترجم لنفسه) : ١ / ٤٧٨ ، أبجد العلوم للقنوجي : ٣ / ٢٠١ – ٢٠٥ الأعلام : ٦ / ٢٩٨ .

(٣) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ١٠٤ .

سورة الإسراء ـــــــ

القول الثاني : هم **ناس من اليهود أعطوا العلم بالتوراة بصفة محمد ﷺ ونعته** ، قاله ابن عباس رضي الله عنه [١] ، ومجاهد [٢] ، **واستظهره** القرطبي [٣] .

واستدل له بدلالة السِّياق القرآني :

بقوله من قبله : ﴿ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾ يعني القرآن ؛ كانوا إذا سمعوا ما أنزل الله تعالى من القرآن سجدوا ، وقالوا : ﴿ ... سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً ﴾ . [سورة الإسراء : ١٠٨] . [٤]

القول الثالث : أنهم **الذين كانوا على الحنيفية قبل البعثة** ، حكاه البغوي [٥] .

الترجيح:

يظهر لي – والله أعلم – **أن المراد بالذين أوتوا العلم : من كانوا على الحنيفية قبل البعثة أمثالُ ورقة بن نَوفل ، فقد تسامع أهل مكة بشهادته للنبي ﷺ** [٦] ، **وذلك خلافاً لما ذهب إليه ابن جُزيّ ومن وافقه** ؛ يدل على ذلك أن **سورة الإسراء مكية** [٧] ، فالآية لم تنزل في مؤمني أهل الكتاب ؛ لأن عبد الله بن سلام رضي الله عنه ما أسلم إلاَّ بالمدينة [٨] ، وكذلك القوم من أهل الكتاب ، فالأوَّلى أن يكون الذين أوتوا العلم من كانوا على الحنيفية قبل البعثة ؛ كورقة بن نوفل .. **لكن يصدق عليها بعد ذلك من آمن بعد نزول هذه السورة من علماء أهل الكتاب ، أمثال : عبد الله بن سلام ، وسلمان الفارسي** رضي الله عنهما ؛ **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ**

= وابن كثير ، والجلالين ، والشوكاني ، والسعدي ، وسيد قطب . ينظر : تفسير الطبري : ١٥ / ١٨٠ ، تفسير السمر قندي : ٢ / ٣٣٢ ، تفسير ابن أبي زمنين : ٣ / ٤٥ ، الكشف والبيان : ٦ / ١٤٠ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٦٥٠ ، زاد المسير : ٥ / ٩٧ ، البحر المحيط : ٦ / ٨٥ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٦٩ ، تفسير الجلالين : ٣٧٧ ، فتح القدير : ٣ / ٢٦٤ تفسير السعدي : ٤٦٨ ، الظلال : ٤ / ٢٢٥٤ .

(١) ينظر : تنوير المقباس : ٢٤٣ .

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٥ / ١٨١) . وينظر : الدر المنثور : ٥ / ٣٤٧ .

(٣) ينظر : تفسير القرطبي : ١٠ / ٣٤٠ . وقال النسفي : أي التوراة قبل نزول القرآن . ينظر : تفسير النسفي : ٢ / ٣٠٣ .

(٤) ينظر : تفسير القرطبي : ١٠ / ٣٤٠ .

(٥) ينظر : تفسير البغوي : ٣ / ١٤١ .

(٦) ينظر : التحرير والتنوير : ١٥ / ٢٣٣ .

(٧) ينظر : إتقان السيوطي : ١ / ٣٧ .

(٨) سبق بيان ذلك سابقاً ، ينظر : ص ١٨١ من هذه الرسالة .

ومن وافقه .

ولقد جاء لفظ بعض المفسرين [١] عاماً فقالوا : وهم **العلماء الذين قرؤوا الكتب السالفة** من قبل تنزيله ، وعرفوا حقيقة الوحي وأمارات النبوة ، وتمكنوا من التمييز بين الحق والباطل والمحق والمبطل ، ورأوا فيها نعته ﷺ ونعت ما أنزل إليه ، وثبت عندهم أنه النبيّ العربيّ الموعود في كتبهم .

ونجد في : قصة النجاشي ، وسلمان ﷺ ، وعبد الله بن سلام ﷺ وغيرهم شواهد كثيرة لهذا المعنى تعج بها كتب السِّير [٢] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) منهم : الزمخشري ، والبيضاوي ، وأبو السعود ، والخطيب الشربيني ، والشوكاني ، والقاسمي ، والآلوسي .
ينظر : الكشاف : ٢ / ٦٥٤ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٤٧١ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ١٩٩ ، السراج المنير : ٢ / ٣٨٢ ، فتح القدير : ٣ / ٢٦٤ ، تفسير القاسمي : ١٠ / ٣٠٩ ، روح المعاني : ١٥ / ١٩٠ .

(٢) ينظر مثلاً : سيرة ابن إسحاق : ٢ / ٦٦ وما بعدها ، الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء لأبي الربيع ، سليمان بن موسى الكلاعي الأندلسي (ت ٦٣٤ هـ) : ١ / ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، صحيح السيرة النبوية لمحمَّد ناصر الدين الألباني (ت ١٤٢٠ هـ) : ٧٩ ، ١٦٤ ، ١٦٥ .

قوله تعالى : ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَـٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ ﴾ . [آية :١١٠] .

مسألة : في معنى قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن معنى قوله تعالى : **﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴾ التوسط بين الإسرار والجهر** ، فقال : ((المخافتة هي الإسرار ، وسبب الآية أن رسول الله ﷺ جهر بالقرآن في الصلاة ، فسمعه المشركون ، فسبوا القرآن ومن أنزله ، فأمر رسول الله ﷺ بالتوسط بين الإسرار والجهر ؛ ليسمع أصحابه الذين يصلون معه ولا يسمع المشركون . وقيل : المعنى لا تجهر بصلاتك كلها ، ولا تخافت بها كلها ، واجعل منها سرا وجهرا حسبما أحكمته السُّنة . وقيل : الصلاة هنا الدعاء)) . اهـ [١] .

الدراسة :

الجهر في اللغة : الإعلان ، والخفت ضد الجهر . يقال : خفت صوته خُفُوتا : إذا انقطع كلامه وضعف وسكن ، **والخَفْتُ** : إسرارُ المَنْطِقِ ، وهو ضِدُّ الجَهْرِ ، كالمُخافتةِ ، وهو إخفاءُ الصَّوْتِ ، وخافت الرجل بقراءته : إذا لم يرفع بها صوته . وخفت الزرع : إذا ذبل [٢] .

واختلف السَّلف والمفسرون في **معنى قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴾** على أقوال منها :

القول الأوَّل : معناها : **التوسط بين الإسرار والجهر** ، قاله ابن عباس رضي الله عنه [٣] ،

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٨١ .

(٢) ينظر (مادة : جهر) و (مادة : خفت) في : تهذيب اللغة للأزهري : ٦ / ٣٣ ، ٧ / ١٣٤ ، لسان العرب : ٢ / ٣٠ ، ٤ / ١٥٠ ، تاج العروس : ٤ / ٥١١ ، ١٠ / ٤٩٠ .

(٣) سيأتي ذكر حديث المرويٌّ عنه رضي الله عنه .

وقتادة [١] ، وذهب إليه الزَّجَّاج [٢] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٣] ، ووافقه **جمهور** [٤] المفسرين [٥] .

وعلى هذا المراد بـــ ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا ﴾ أى : بقراءة صلاتك على حذف المضاف ؛ للعلم بأن الجهر والمخافتة من نعوت الصوت لا من نعوت أفعال الصلاة ، فهو من إطلاق الكل وإرادة الجزء [٦] .

ويستدل له بالسُّنة الصحيحة : بما أخرجه الشيخان **عن ابن عَبَّاس** ﷺ في قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا ﴾ قال : « نَزَلَتْ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُخْتَفٍ بِمَكَّةَ ؛ كان إذا صلَّى بِأَصْحَابِهِ رَفَعَ صَوْتَهُ بِالْقُرْآنِ ؛ فإذا سَمِعَهُ الْمُشْرِكُونَ سَبُّوا الْقُرْآنَ وَمَنْ أَنْزَلَهُ وَمَنْ جاء بِهِ ، فقال اللهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ ﷺ : ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ ﴾ أَيْ : بِقِرَاءَتِكَ فَيَسْمَعَ الْمُشْرِكُونَ فَيَسُبُّوا الْقُرْآنَ ﴿ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا ﴾ عن أَصْحَابِكَ فلا تُسْمِعُهُمْ ﴿ وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴾ » [٧] .

- وروي أنّ **أبا بكر** ﷺ كان يخفي صوته بالقراءة في صلاته ، ويقول : أناجي ربي ، وقد علم حاجتي ، وكان **عمر** ﷺ يرفع صوته ، ويقول : أزجر الشيطان وأوقظ

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢ / ٣٩٢) .

(٢) ينظر معانيه : ٣ / ٢٦٣ ، ٢٦٤ .

(٣) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٨١ .

(٤) نسبه الآلوسي إلى الأكثرين . ينظر : روح المعاني : ١٥ / ١٩٤ .

(٥) منهم : مقاتل ، والطبري ، والواحدي ، والزمخشري ، والبيضاوي ، وقدَّمه الخازن ، والنيسابوري ، والبقاعي ، وقدَّمه ابن عادل ، والجلالين ، وأبو السعود ، وقدَّمه الخطيب الشربيني ، والشوكاني ، والقاسمي ، والآلوسي ، والسعدي ، وسيد قطب . ينظر : تفسير مقاتل : ٢ / ٢٧٧ ، تفسير الطبري : ١٥ / ١٨٨ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٦٥١ ، الكشاف : ٢ / ٦٥٥ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٤٧٢ ، تفسير الخازن : ٤ / ١٨٩ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٣٩٨ ، نظم الدرر : ٤ / ٤٣٩ ، تفسير ابن عادل : ١٢ / ٤١١ ، تفسير الجلالين : ٣٧٨ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ٢٠٠ ، السراج المنير : ٢ / ٣٨٣ ، فتح القدير : ٣ / ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، تفسير القاسمي : ١٠ / ٣١١ ، روح المعاني : ١٥ / ١٩٤ ، تفسير السعدي : ٤٦٨ ، الظلال : ٤ / ٢٢٥٤ .

(٦) ينظر : أحكام القرآن لابن العربي : ٣ / ٢١٨ ، زاد المسير : ٥ / ١٠٠ ، فتح القدير للشوكاني : ٣ / ٢٦٥ ، تفسير القاسمي : ١٠ / ٣١١ .

(٧) أخرجه البخاري – واللفظ له – في صحيحه في كتاب التفسير ، باب ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا ﴾ (٤٤٤٥) : ٤ / ١٧٤٩ ، وأخرج مسلم بنحوه في صحيحه في كتاب الصلاة ، بَاب التَّوَسُّطِ فِي الْقِرَاءَةِ فِي الصَّلَاةِ الْجَهْرِيَّةِ بين الْجَهْرِ وَالْإِسْرَارِ إذا خَافَ من الْجَهْرِ مَفْسَدَةً (٤٤٦) : ١ / ٣٢٩ .

الوسنان ، فأمر أبا بكر أن يرفع قليلاً وعمر أن يخفض قليلاً [١] .

القول الثاني : المعنى : **لا تجهر بصلاتك كلها ، ولا تخافت بها كلها** ، واجعل منها سراً وجهراً حسبما أحكمته السُّنة ، قاله السمر قندي وغيره [٢] .

عن ابن عباس ﷺ في قوله : ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ ﴾ لا تجعلها كلها جهراً ، ﴿ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا ﴾ قال : لا تجعل كلها سراً [٣] .

القول الثالث : الصلاة هنا **الدعاء** ، وهذا القول مرويٌّ عن عائشة [٤] – رضي الله عنها – – وقاله مجاهد [٥] ، وجمع من السَّلف [٦] ، وحسَّنه **النحاس** [٧] . [٨]

ويستدل على ذلك :

١. بالتوقيف عن عائشة – رضي الله عنها – .

٢. لأن المعروف من كلام العرب أن الصلاة معناها : الدعاء ، وهو أصل معانيها [٩] ، ولا يقال للقراءة صلاة إلا على المجاز .

---

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٥ / ١٨٦) . وعزاه السيوطي أيضاً لسعيد بن منصور ، وابن المنذر والبيهقي في شعب الإيمان . ينظر : الدر المنثور : ٥ / ٣٥٠ .

(٢) ينظر : تفسير السمر قندي : ٢ / ٣٣٣ . وينظر : تفسير القشيري : ٢ / ٢٠٥ .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم . ينظر : الدر المنثور : ٥ / ٣٥١ .

(٤) أخرجه البخاري – واللفظ له – في صحيحه في كتاب التفسير ، باب الدعاء في الصلاة (٥٩٦٨) : ٥ / ٢٣٣١ ، وأخرج مسلم بنحوه في صحيحه في كتاب الصلاة ، بَاب التَّوَسُّطِ فِي الْقِرَاءَةِ فِي الصَّلَاةِ الْجَهْرِيَّةِ بين الْجَهْرِ وَالْإِسْرَارِ إذا خَافَ من الْجَهْرِ مَفْسَدَةً (٤٤٧) : ١ / ٣٢٩ .

(٥) ينظر تفسيره : ١ / ٣٧٢ .

(٦) منهم : عروة بن الزبير ، وسعيد بن جبير ، ومكحول ، وأبو عياض . نقله عنهم ابن كثير ، ينظر تفسيره : ٣ / ٧٠ .

(٧) ينظر : معاني القرآن للنحاس : ٤ / ٢٠٧ .

(٨) ذكر الأقوال كلها من غير ترجيح : الثعلبي ، والبغوي ، وابن عطية ، والفخر الرازي ، والعز بن عبد السلام ، والقرطبي ، والنسفي ، وأبو حيان ، وابن كثير ، والثعالبي . ينظر : الكشف والبيان : ٦ / ١٤١ ، ١٤٢ ، تفسير البغوي : ٣ / ١٤٢ ، المحرر الوجيز : ٣ / ٤٩٢ ، التفسير الكبير : ٢١ / ٥٩ ، تفسير العز بن عبد السلام : ٢ / ٢٣٦ ، تفسير القرطبي : ١٠ / ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، تفسير النسفي : ٢ / ٣٠٤ ، البحر المحيط : ٦ / ٨٧ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٦٩ ، ٧٠ ، تفسير الثعالبي : ٣ / ٥٠٣ .

(٩) وبه صدَّر الجوهري الترجمة . والصلاة أيضاً الركوع والسجود . ينظر : الصِّحاح للجوهري (مادة : صلا) : ٥ / ١٩١٤ ، (مادة : صلو) في : لسان العرب : ١٤ / ٤٦٤ ، تاج العروس : ٣٨ / ٤٣٨ .

سورة الإسراء ـــــــ

احتمال القولين والجمع بينهما بأنها نزلت في الدعاء داخل الصلاة [١] ؛ ولا مانع أيضاً من تعدد الأسباب [٢] .

ويشهد لذلك حديث أبي هريرة ﷺ قال : « كان رسول الله ﷺ إذا صلى عند البيت رفع صوته بالدعاء .. فنزلت » [٣] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

(١) ينظر : فتح الباري لابن حجر : ٨ / ٤٠٦ .

(٢) ينظر : المرجع السَّابق : ٨ / ٥٣١ . وينظر : نظم الدرر : ٤ / ٤٣٩ ، إتقان السيوطي : ١ / ٩٧ .

(٣) أخرجه ابن مردويه . ينظر : لباب النقول للسيوطي : ١٤٢ ، وعزاه في الدر (٥ / ٣٥١) لمحمَّد بن نصر .

سـورة الكهـف

قوله تعالى : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ﴾ . [آية : ١] .

مسألة : في معنى قوله تعالى : ﴿ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن معنى قوله تعالى : ﴿ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ﴾ عموم أنواع الميل والعوج ، فقال : ((العِوج - بكسر العين - في المعاني التي لا تحسن وبالفتح في الأشخاص كالعصا ونحوها ، ومعناه : عدم الاستقامة . وقيل فيه هنا : معناه لا تناقض فيه ولا خلل . وقيل : لم يجعله مخلوقا . **واللفظ أعمُّ من ذلك**)) . اهـ [١] .

الدراسة :

اختلف المفسرون في **معنى** : ﴿ **وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ** [٢] ﴾ على أقوال منها :

القول الأوَّل : معناه : **لا تناقض فيه ولا خلل** ، قاله الجلالين [٣] .

القول الثاني : يعني : **لم يجعله مخلوقاً** [٤] .

القول الثالث : المعنى : **لم يجعل فيه اختلافاً** ، قاله ابن عباس رضي الله عنه [٥] ، ومقاتل [٦] .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٨٢ .

(٢) **العوج** هو : الانعطاف فيما كان قائما فمال كالرمح والحائط . قال أهل اللغة : العوج في المعاني كالعوج في الأعيان فالمراد منه نفيُ التَّناقضِ . ينظر : لسان العرب (مادة : عوج) : ٢ / ٣٣١ ، التفسير الكبير : ٢١ / ٦٤ ، تفسير ابن عادل : ١٢ / ٤١٨ .

(٣) ينظر : تفسير الجلالين : ٣٨١ .

(٤) روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنه أنَّه قال في قوله تعالى : ﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ ... ﴾ . [سورة الزمر : ٢٨] . أي غير مخلوقٍ . نقله عنه النحاس وغيره . ينظر : معاني القرآن للنحاس : ٤ / ٢١٢ .

(٥) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٥ / ١٩١) .

(٦) ينظر تفسيره : ٢ / ٢٨٧ .

وذهب إليه الزَّجَّاج [١] ، وجماعة من المفسرين [٢] .

ويستدل له بالنظير القرآني : قوله تعالى : ﴿ ... وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ . [سورة النساء : ٨٢] .

القول الرابع : لم يترله مخالفاً للتوراة والإنجيل ، وسائر الكتب بالتوحيد ، وصفة محمد ﷺ ونعته ، قاله ابن عباس رضي الله عنه [٣] أيضاً .

القول الخامس : عموم جميع أنواع الميل والعوج ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ [٤] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٥] .

ويستدل لذلك من اللغة :

جاء لفظ ﴿ عِوَجَاۜ ﴾ بصيغة التنكير ، ليشمل النهى جميع أنواع الميل والعوج ، إذ النكرة فى سياق النفى تعمُّ [٦] ، أى : لم يجعل له سبحانه وتعالى أى شئ من العوج ، والمعنى أنه في غاية الاستقامة لا تناقض ولا اختلاف في معانيه ، ولا اختلال في تراكيبه ومبانيه ، ولا انحراف من الدعوة إلى جانب الحق [٧] .

---

(١) ينظر معانيه : ٣ / ٢٦٧ .

(٢) منهم : الطبري ، والسمر قندي ، وابن أبي زمنين ، والواحدي ، والبغوي ، وابن الجوزي ، والقرطبي ، وابن عادل . ينظر : تفسير الطبري : ١٥ / ١٩٠ ، تفسير السمر قندي : ٢ / ٣٣٤ ، تفسير ابن أبي زمنين : ٣ / ٤٧ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٦٥٣ ، تفسير البغوي : ٣ / ١٤٤ ، زاد المسير : ٥ / ١٠٣ ، تفسير القرطبي : ١٠ / ٣٤٨ ، تفسير ابن عادل : ١٢ / ٤١٧ ، ٤١٨ .

(٣) نزلت في شأن اليهود حين قالوا القرآن مخالف لسائر الكتب . ينظر : تنوير المقباس : ٢٤٣ .

(٤) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٨٢ .

(٥) منهم : الزمخشري ، وابن عطية ، والبيضاوي ، والنسفي ، والخازن ، وأبو حيان ، وأبو السعود ، والشوكاني ، والقاسمي ، والآلوسي ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : الكشاف : ٢ / ٦٥٧ ، المحرر الوجيز : ٣ / ٤٩٥ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٤٧٤ ، تفسير النسفي : ٣ / ٣ ، تفسير الخازن : ٤ / ١٩١ ، البحر المحيط : ٦ / ٩٤ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ٢٠٢ ، فتح القدير : ٣ / ٢٦٩ ، تفسير القاسمي : ١١ / ٥ ، روح المعاني : ١٥ / ٢٠٠ ، الوسيط : ٨ / ٤٦٦ .

(٦) ينظر : البحر المحيط : ٦ / ٩٤ .

(٧) ينظر : المحرر الوجيز : ٣ / ٤٩٥ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٤٧٤ ، البحر المحيط : ٦ / ٩٤ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ٢٠٢ ، فتح القدير للشوكاني : ٣ / ٢٦٩ ، تفسير القاسمي : ١١ / ٥ ، روح المعاني : ١٥ / ٢٠٠ ، الوسيط : ٨ / ٤٦٦ .

الترجيح:

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن معنى قوله تعالى : ﴿ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ﴾ عموم أنواع الميل والعوج** ؛ **وهو ما رجحه ابن جُزيّ ومن وافقه** ؛ إضافة لما تقدم أن : القول بالعموم أولى وأرجح ، يؤيده **القاعدة الترجيحية** التالية :

- **يجب حمل النصوص على العموم ما لم يرد نصٌّ بالتخصيص** [١] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

(١) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ٢ / ٥٢٧ .

قوله تعالى : ﴿ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ ... ﴾ . [آية : ٢] .

مسألة : في معنى ﴿ قَيِّمًا ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن معنى ﴿ قَيِّمًا ﴾ مستقيماً ، فقال : ((﴿ قَيِّمًا ﴾ أي : مستقيماً . وقيل : قيِّماً على الخلق بأمر الله تعالى . وقيل : قيِّماً على سائر الكتب بتصديقها)) . اهـ [١] .

الدراسة :

اختلف المفسرون في **معنى ﴿ قَيِّمًا ﴾** على ثلاثة أقوال :

القول الأوَّل : معناه : **قيِّماً على الخلق ومصالح العباد** وما لابد لهم منه من الشرائع ، **صحَّحه** ابن عطية [٢] ، وقاله جماعة من المفسرين [٣] .

والقيِّم : صفة مبالغة من القيام المجازي الذي يطلق على دوام تعهد شيء وملازمة صلاحه ، لأن التعهد يستلزم القيام لرؤية الشيء والتيقظ لأحواله .

وقوله : ﴿ قَيِّمًا ﴾ إشارة إلى أنه مكمل لغيره مصلح بحسن بيانه وإرشاده لأحوال معاشه ومعاده ، فتكون الآية نظير قوله تعالى : ﴿ ... لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ . [سورة البقرة : ٢] . وليس هو تأكيداً لنفي العوج .

فقوله : ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ إشارة إلى كونه في نفسه بالغاً في الصحة وعدم الإخلال إلى حيث يجب على العاقل أن لا يرتاب فيه ، وقوله : ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ إشارة إلى كونه سبباً لهداية الخلق ولكمال حالهم . فقوله تعالى : ﴿ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا ﴾ قائم مقام قوله تعالى : ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ قَيِّمًا ﴾ قائم مقام قوله تعالى : ﴿ هُدًى

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٨٢ .

(٢) ينظر : المحرر الوجيز : ٣ / ٤٩٥ .

(٣) منهم : الفخر الرازي ، والقاسمي ، وابن عاشور . ينظر : التفسير الكبير : ٢١ / ٦٤ ، تفسير القاسمي : ١١ / ٦ التحرير والتنوير : ١٥ / ٢٤٨ .

لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [١] .

قال ابن عطية : " وهذا المعنى يؤيده ما بعده من النذارة والبشارة اللذين عما العالم " [٢] .

القول الثاني : قيِّماً على سائر الكتب بتصديقها ، قاله ابن عباس ﷺ [٣] ، والفَرَّاء [٤] . [٥]

أي : مهيمناً عليها ، وعلى هذا التفسير فالآية كقوله تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ... ﴾ . [سورة المائدة : ٤٨] .

القول الثالث : معنى ﴿ **قَيِّمًا** ﴾ **عدلاً مستقيماً** ، وهو قول ابن عباس ﷺ [٦] أيضاً ، والضحاك [٧] ، ومقاتل [٨] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٩] ، ووافقه عامة أهل اللغة [١٠] **وجمهور** [١١] المفسرين [١٢] . [١٣]

---

(١) ينظر : التفسير الكبير : ٢١ / ٦٤ ، التحرير والتنوير : ١٥ / ٢٤٨ .

(٢) المحرر الوجيز : ٣ / ٤٩٥ .

(٣) ينظر : تنوير المقباس : ٢٤٣ .

(٤) ينظر : معاني القرآن للفَرَّاء : ٢ / ١١٢ .

(٥) قال بجواز القولين الثاني والثالث : العز بن عبد السلام ، والنسفي ، والبقاعي . ينظر : تفسير العز بن عبد السلام : ٢ / ٢٣٧ ، تفسير النسفي : ٣ / ٣ ، نظم الدرر : ٤ / ٤٤٢ .

(٦) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٥ / ١٩٠) .

(٧) عزاه السيوطي في الدر (٥ / ٣٥٩) إلى ابن المنذر .

(٨) ينظر تفسيره : ٢ / ٢٧٨ .

(٩) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٨٢ .

(١٠) قال الزَّجَّاج : **القيِّم** هو : المستقيم . ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج : ٣ / ٢٦٧ ، تهذيب اللغة للأزهري (باب القاف والميم) : ٩ / ٢٦٨ ، لسان العرب (مادة : قوم) : ١٢ / ٥٠٢ ، تاج العروس ، فصل القاف : ٣٣ / ٣١٩ .

(١١) نسب الشنقيطي هذا القول إلى الجمهور . ينظر : أضواء البيان : ٣ / ١٩٣ .

(١٢) منهم : الطبري ، وقدَّمه الماوردي ، والواحدي ، والبغوي ، والزمخشري ، وابن عطية ، وابن الجوزي ، والخازن وأبو حيان ، ولم يذكر ابن كثير غيره ، والثعالبي ، والجلالين ، والآلوسي ، وسيد قطب ، والشنقيطي ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير الطبري : ١٥ / ١٩٠ ، النكت والعيون : ٣ / ٢٨٤ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٦٥٣ ، تفسير البغوي : ٣ / ١٤٤ ، الكشاف : ٢ / ٦٥٧ ، المحرر الوجيز : ٣ / ٤٩٥ ، زاد المسير : ٥ / ١٠٣ ، تفسير الخازن : ٤ / ١٩١ ، البحر المحيط : ٦ / ٩٤ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٧٢ ، تفسير الثعالبي : ٣ / ٥٠٦ ، تفسير الجلالين : ٣٨١ ، روح المعاني : ١٥ / ٢٠١ ، الظلال : ٤ / ٢٢٥٩ ، أضواء البيان : ٣ / ١٩٣ ، الوسيط : ٨ / ٤٦٥ .

(١٣) ذكر جميع الأقوال من غير ترجيح : البيضاوي ، والنيسابوري ، وأبو السعود ، والشوكاني . ينظر : =

واستدل له :

١. **النظير القرآني** : قوله تعالى : ﴿ ... دِينًا قِيَمًا [(١)] ... ﴾ . [سورة الأنعام : ١٦١] .

٢. يقوي هذا المعنى قوله سبحانه قبله : ﴿ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ﴾ [(٢)] ، فنفي العوج ينفي عنه الاختلاف والتناقض وإثبات الاستقامة ، وعليه فإن قوله ﷻ : ﴿ **قَيِّمًا** ﴾ هو **تأكيد في المعنى** لقوله تعالى : ﴿ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ﴾ ؛ لأنه قد يكون الشيء مستقيماً في الظاهر وهو لا يخلو من اعوجاج في حقيقة الأمر ؛ ولذا جمع تعالى بين نفي العوج وإثبات الاستقامة [(٣)] .

٣. هذا المعنى كقوله تعالى : ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَـٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ . [سورة فصلت : ٤٢] . " فلا خلل في لفظه ولا في معناه ، والمراد من هذا أنه معتدل ؛ لا إفراط فيما اشتمل عليه من التكاليف حتى يشق على العباد ، ولا تفريط فيه بإهمال ما يحتاج إليه حتى يحتاج إلى كتاب آخر " [(٤)] .

✖ **واعترض الفخر الرازي** على هذا المعنى قائلاً :

" **وهذا عندي مشكل** ؛ لأنه لا معنى لنفي الاعوجاج إلا حصول الاستقامة ، فتفسير القيم بالمستقيم يوجب التكرار وأنه باطل بل الحق ما ذكرناه وأن المراد من كونه : ﴿ قَيِّمًا ﴾ أنه سبب لهداية الخلق وأنه يجري مجرى من يكون قيماً للأطفال ، فالأرواح البشرية كالأطفال ، والقرآن كالقيم الشفيق القائم بمصالحهم " . اهـ [(٥)] .

= تفسير البيضاوي : ٣ / ٤٧٥ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٤٠٤ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ٢٠٢ ، فتح القدير : ٣ / ٢٦٩ .

(١) قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي : ﴿ قِيَمًا ﴾ بكسر القاف وفتح الياء مخففة، وقرأ الباقون :- بكسر القاف وكسر الياء مشددة - (قيِّما) أي ديناً مستقيماً . ينظر : إتحاف فضلاء البشر للبناء : ٢٧٨ .

(٢) سورة الكهف : ١ .

(٣) ينظر : الكشاف : ٢ / ٦٥٧ . وينظر : تفسير النسفي : ٣ / ٣ ، البحر المحيط : ٦ / ٩٤ ، فتح القدير للشوكاني : ٣ / ٢٦٩ ، روح المعاني : ١٥ / ٢٠١ ، الظلال : ٤ / ٢٢٥٩ ، أضواء البيان : ٣ / ١٩٣ .

(٤) روح المعاني : ١٥ / ٢٠١ .

(٥) التفسير الكبير : ٢١ / ٦٤ . ونقله عنه الخطيب الشربيني كأنه ارتضاه . ينظر : السراج المنير : ٢ / ٣٨٧ .

الترجيح:

يظهر لي – والله أعلم – **أن الراجح ما ذهب إليه ابن جُزيّ موافقاً في ذلك الجمهور ، وأن معنى ﴿ قَيِّمًا ﴾ عدلاً مستقيماً ؛ لا اختلاف فيه ولا تفاوت ؛ بل بعضه يصدق بعضاً وبعضه يشهد لبعض ، لا عوج فيه ولا ميل عن الحق** [(١)] ، إضافة لما تقدم ؛ ولما يلي :

أولاً : أما القول بأن المعنى : قيِّماً على الخلق بأمر الله تعالى فيرجع إلى قول الجمهور [(٢)] ، وما ذهب إليه الفَرَّاء – من أن القرآن قيِّمٌ على سائر الكتب بتصديقها – فقد **تعقبه ابن عطية** بقوله : " وهذا محتمل وليس من الاستقامة " [(٣)] .

ثانياً : أكثر أهل اللغة والتفسير على هذا المعنى ، ويتأيد بالنظير القرآني والقراءات المتواترة لهذا النظير .

ثالثاً : يؤيد هذا القول **القاعدة الترجيحية** التالية :

- **القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك** [(٤)] .

وبهذا يظهر أن قول الجمهور أصحُّ الأقوال وأجمعها .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) ينظر : تفسير الطبري : ١٥ / ١٩٠ .
(٢) ينظر : أضواء البيان : ٣ / ١٩٣ .
(٣) المحرر الوجيز : ٣ / ٤٩٥ .
(٤) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٣١٢ .

قوله تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴾ . [آية : ٩] .

مسألة : في المراد بـ ﴿ٱلرَّقِيم﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن ﴿ٱلرَّقِيم﴾ **اسم كلبهم** ، فقال : ((**والرقيم : اسم كلبهم** . وقيل : هو لوحٌ رقمت فيه أسماؤهم على باب الكهف . وقيل : كتاب فيه شرعهم ودينهم . وقيل : هو القرية التي كانت بإزاء الكهف . وقيل : الجبل الذي فيه الكهف . وقال ابن عباس : لا أدري ما الرقيم)) . اهـ [١] .

الدراسة :

اختلف المفسرون في **المراد بـ ﴿ٱلرَّقِيم﴾** على أقوال [٢] كثيرة منها :

القول الأوَّل : الرقيم : اسم كلبهم ، قاله أنس بن مالك ﷺ [٣] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٤] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٥] .

وهو اعتقاد أمية بن أبي الصلت حيث يقول :

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٨٢ .

(٢) ذكر جميع الأقوال من غير ترجيح : الثعلبي ، ابن عطية ، وابن الجوزي ، والعز بن عبد السلام ، والقرطبي ، والبيضاوي ، والنسفي ، وأبو حيان ، والثعالبي ، وابن عادل ، والخطيب الشربيني ، والشوكاني . ينظر : الكشف والبيان : ٦ / ١٤٥ - ١٤٧ ، المحرر الوجيز : ٣ / ٤٩٧ ، ٤٩٨ ، زاد المسير : ٥ / ١٠٧ ، ١٠٨ ، تفسير العز بن عبد السلام : ٢ / ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، تفسير القرطبي : ١٠ / ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٤٧٩ ، تفسير النسفي : ٣ / ٤ ، البحر المحيط : ٦ / ٩٨ ، تفسير الثعالبي : ٣ / ٥٠٨ ، ٥٠٩ ، تفسير ابن عادل : ١٢ / ٤٣٠ ، السراج المنير : ٢ / ٣٨٩ ، فتح القدير : ٣ / ٢٧٢ .

(٣) عزاه السيوطي في الدر (٥ / ٣٦٢) إلى ابن أبي حاتم .

(٤) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٨٢ .

(٥) منهم : الزمخشري ، والنيسابوري ، وأبو السعود ، والقاسمي ، والآلوسي . ينظر : الكشاف : ٢ / ٦٥٩ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٤٠٦ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ٢٠٦ ، تفسير القاسمي : ١١ / ٩ ، روح المعاني : ١٥ / ٢٠٩ .

وليسَ بها إلا الرَّقيمُ مُجاوِراً وصِيدَهُمُ ، والقومُ بالكهفِ هُمَّدُ [١]

القول الثاني : الرقيم الكتاب ، قاله ابن عباس ﷺ [٢] ، وهو قول أهل اللغة ، وذهب إليه جماعة من المفسرين [٣] .

واستدل له :

١. من اللغة [٤] : الراء والقاف والميم أصل واحد يدل على خط وكتابة وما أشبه ذلك ، فالرقم الخط ، و**الرقيم** الكتاب ، والأصل فيه : المرقوم ، ثم نقل إلى (فعيل) بمعنى مرقوم ، كما يقول للمقتول قتيل ، وللمجروح جريح ، والرقم الكتابة .

ومنه قوله تعالى : ﴿ كِتَٰبٌ مَّرۡقُومٞ ﴾ . [سورة المطففين : ٩] . أي : مكتوب [٥] .

٢. ومن كلام العرب : قول **العجاج** في أرجوزة له :

ومستقرِّي المُصْحف الرقيم [٦]

قال ابن كثير : " وهذا هو الظاهر من الآية ، وهو ترجيح ابن جرير " [٧] .

---

(١) نقله عنه جماعة من المفسرين . ينظر : الكشاف : ٢ / ٦٥٩ .

(٢) عزاه السيوطي في الدر (٥ / ٣٦٢) إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم من طريق علي ﷺ .

(٣) منهم : الطبري ، والنحاس ، والسمر قندي ، وابن كثير ، والطاهر بن عاشور ، والشنقيطي . ينظر : تفسير الطبري : ١٥ / ١٩٩ ، معاني القرآن للنحاس : ٤ / ٢١٩ ، تفسير السمر قندي : ٢ / ٣٣٥ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٧٤ ، التحرير والتنوير : ١٥ / ٢٦٠ ، أضواء البيان : ٣ / ٢٠٦ .

(٤) ينظر : معجم مقاييس اللغة (مادة : رقم) : ٢ /٢٦٠ . وينظر (مادة : رقم) في : تهذيب اللغة للأزهري : ٩ / ١٢٢ ، لسان العرب : ١٢ / ٢٥٠ ، تاج العروس : ٣٢ / ٢٧٨ . وينظر : غريب القرآن للسجستاني : ٢٣٩ .

(٥) ينظر : معاني القرآن للنحاس : ٤ / ٢١٩ ، التفسير الكبير : ٢١ /٧٠ .

(٦) نقله الشوكاني عنه . ينظر : فتح القدير :٣ / ٢٧٢ .
والعجاج هو : عبد الله بن رؤبة بن لبيد بن صخر بن كنيف التميمي السعدي ، يكنى أبا الشعثاء ، ويعرف بالعجاج : راجزٌ مجيدٌ ، من الشعراء ، ولد في الجاهلية وقال الشعر فيها . ثم أسلم ، وعاش إلى أيام الوليد بن عبد الملك ، وهو والد رؤبة بن العجاج الراجز المشهور . ت نحو ٩٠ هـ . ينظر : طبقات فحول الشعراء : ٢ / ٧٣٨ ، الوافي بالوفيات : ١٤ / ٩٩ ، الإصابة : ٥ / ٨٧ .

(٧) تفسير ابن كثير : ٣ / ٧٤ .

ثم اختلفوا فيما كتب في الكتاب على أقوال :

- هو كتاب رقمت فيه أسماؤهم وأنسابهم وقصتهم على باب الكهف ، قاله ابن عباس ﷺ [١] أيضاً ، **وسعيد بن جبير** [٢] ، وذهب إليه الفَرَّاء [٣] ، وجماعة [٤] من المفسرين [٥] .

قال الفَرَّاء : " و ﴿ٱلرَّقِيمِ﴾ : لَوْح رَصَاصٍ كتبت فيه أنسابُهم ودِينهم ومِمَّ هربوا " [٦] .

وقال البغوي : " وهو أظهر الأقاويل " [٧] .

- هو كتاب كتبوا فيه شرعهم ودينهم .
- هو كتاب كتبه رجلان صالحان يكتمان إيمانهما ؛ وكتبا فيه أمر الفتية ، قاله مقاتل [٨] .

قال النحاس : " والروايات التي رويت عن ابن عباس ﷺ ليست بمتناقضة ؛ لأن القول الأوَّل إنما سمعه من كعب ، والقول الثاني يجوز أن يكون عرف الرقيم بعده " [٩] .

القول الثالث : هو **القرية** التي كانت بإزاء الكهف ، قاله كعب ﷺ [١٠] .

---

(١) نسبه القرطبي إليه . ينظر : تفسير القرطبي : ١٠ / ٣٥٧ .

(٢) عزاه السيوطي في الدر (٥ / ٣٦٢) إلى ابن جرير (في تفسيره : ١٥ / ١٩٩) ، وابن أبي شيبة ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم . وقال ابن حجر (في فتح الباري : ٨ / ٤٠٧) : " **وإسناده صحيح على شرط البخاري** " .

(٣) ينظر معانيه : ٢ / ١١٣ .

(٤) قال الفخر الرازي : هذا قول جميع أهل المعاني والعربية (وكأنه يرتضيه) . ينظر : التفسير الكبير : ٢١ / ٧٠ .

(٥) منهم : الواحدي ، والبغوي ، والخازن ، والجلالين ، والسعدي ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير الواحدي : ٢ / ٦٥٤ ، تفسير البغوي : ٣ / ١٤٥ ، تفسير الخازن : ٤ / ١٩٢ ، تفسير الجلالين : ٣٨١ ، تفسير السعدي : ٤٧١ ، الوسيط : ٨ / ٤٧٤ .

(٦) معاني القرآن للفَرَّاء : ٢ / ١١٣ .

(٧) تفسير البغوي : ٣ / ١٤٥ .

(٨) ينظر تفسيره : ٢ / ٢٨٠ .

(٩) معاني القرآن للنحاس : ٤ / ٢١٩ . وينظر : تفسير القرطبي : ١٠ / ٣٥٧ .

(١٠) عن ابن عباس ﷺ قال : يزعم كعب أن الرقيم القرية . ينظر : تفسير الطبري : ١٥ / ١٩٨ .

القول الرابع : هو **الجبل** الذي فيه الكهف ، وهو مرويٌّ عن ابن عباس ﷺ أيضاً [١] .

القول الخامس : هو **الوادي** الذي فيه الكهف ، وهو مرويٌّ عن ابن عباس ﷺ أيضاً ، وقتادة [٢] ، وابن أبي زمنين [٣] من المفسرين .

القول السادس : **غير معلوم** ، قاله ابن عباس ﷺ أيضاً .

فعن ابن عباس ﷺ قال : لا أدري ما الرقيم ؛ أكتاب أم بنيان [٤] . وقال ﷺ أيضاً : كل القرآن أعلمه إلا أربعاً : غسلين ، وحنانا ، والأوَّاه ، والرَّقيم [٥] .

الترجيح:

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن الرقيم الكتاب** ، سواء كان **كتاب** فيه شرعهم الذي تمسكوا به ، أو **لوح** كتبت فيه أسماؤهم وأنسابهم وقصتهم وسبب خروجهم أو **صخرة** نقشت فيها أسماؤهم ؛ هذا ما **رجَّحه** الطبري ، و **استظهره** الشنقيطي بدلالة القرآن واللغة ، **ونصَّ عليه** ابن عاشور [٦] ، **وهو قول أكثر المفسرين** ، **خلافاً لما ذهب إليه إليه ابن جُزيّ ومن وافقه** ، وقد استدل لهذا القول بالنظير القرآني وقول أهل اللغة ، وعلى هذا يتأيد ببعض **القواعد الترجيحية** منها :

- **القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك .**
- **القول الذي يؤيده تصريف الكلمة وأصل اشتقاقها أولى بتفسير الآية** [٧] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٥ / ١٩٩) .

(٢) أخرجه ابن جرير ، وابن أبي حاتم من طريق العوفي عن ابن عباس ﷺ ، وأخرجه ابن جرير عن قتادة . ينظر : تفسير الطبري : ١٥ / ١٩٨ ، الدر المنثور : ٥ / ٣٦٢ .

(٣) ينظر : تفسير ابن أبي زمنين : ٣ / ٤٩ .

(٤) أخرجه سعيد بن منصور ، وعبد الرزاق ، والفريابي ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والزَّجَّاجي في أماليه ، وابن مردويه . ينظر : تفسير الطبري : ١٥ / ١٩٩ ، الدر المنثور : ٥ / ٣٦٢ . **وهو صحيح** . ينظر : تخريج الأحاديث والآثار في كتاب : التسهيل لعلوم التنزيل للدكتور سامي الجهني : ٧٣٥ .

(٥) أخرجه عبد الرزاق وابن جرير . ينظر : تفسير الطبري : ١٥ / ١٩٩ ، الدر المنثور : ٥ / ٣٦٢ .

(٦) ينظر : تفسير الطبري : ١٥ / ١٩٩ ، أضواء البيان : ٣ / ٢٠٦ ، التحرير والتنوير : ١٥ / ٢٦٠ .

(٧) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٣١٢ ، ٢ / ٥١١ .

قوله تعالى : ﴿ ۞ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ۗ ... ﴾ . [آية : ١٧] .

مسألة : في معنى قوله تعالى : ﴿ ۞ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ **أن معنى الآية : أن الشمس لا تصيبهم عند طلوعها ، ولا عند غروبها لئلا يحترقوا بحرِّها** ، فقال : ((ومعنى الآية : أن الشمس لا تصيبهم عند طلوعها ، ولا عند غروبها لئلا يحترقوا بحرِّها . فقيل : إن ذلك كرامة لهم وخرق عادة . وقيل : كان باب الكهف شماليا يستقبل بنات نعش ؛ فلذلك لا تصيبهم الشمس ، **والأوَّل أظهر** لقوله : ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾)) . اهـ [١] .

الدراسة :

معنى ﴿ تَّزَٰوَرُ ﴾ تميل [٢] ، و ﴿ تَّقْرِضُهُمْ ﴾ أصل القرض : القطع ، وقرضت موضع كذا : إذا قطعته فجاوزته أو عدلت عنه [٣] ، فالشمس كانت تميل عن الكهف ذات اليمين وتتجاوزه أو تعدل عنه ذات الشمال .. **واتفق أكثر المفسرين** على أن الشمس لم تصبهم البتَّة ، وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما [٤] ، ولكنهم **اختلفوا في منشأ ذلك** على قولين :

القول الأوَّل : كان **باب الكهف شمالياً يستقبل بنات نعش** ، فهم في مقنأة [٥] أبداً لا تقع

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٨٤ .

(٢) قاله ابن عباس رضي الله عنهما ، وسعيد بن جبير ، وقتادة . نقله ابن كثير عنهم ، ينظر تفسيره : ٣ / ٧٦ . وينظر : تهذيب اللغة للأزهري (باب الزاي والراء) : ١٣ / ١٦٥ ، مفردات الرَّاغب (مادة : زور) : ٢١٧ ، لسان العرب (مادة : زور) : ٤ / ٣٣٤ ، كليات الكفوي : ٣٢٠ .

(٣) ينظر : تهذيب اللغة للأزهري (باب القاف والضاد) : ٨ / ٢٦٧ ، المحكم لابن سيده (باب القاف والضاد والراء) : ٢١٧ ، لسان العرب (مادة : قرض) : ٧ / ٢١٦ .

(٤) نسبه إليه : القرطبي ، وأبو حيان ، والثعالبي . ينظر : تفسير القرطبي : ١٠ / ٣٦٩ ، البحر المحيط : ٦ / ١٠٤ ، تفسير الثعالبي : ٣ / ٥١٣ .

(٥) **المقنأة** هي : المكان الذي لا يطلع عليه الشمس . ينظر : إصلاح المنطق لأبي يوسف ، يعقوب بن إسحاق بن السِّكِّيت (ت ٢٤٤ هـ) : ١١٩ ، معجم مقاييس اللغة لابن فارس (مادة : قنا) : ٥ / ٣٠ .

الشمس عليهم عند الطلوع ولا عند الغروب ولا عند الاستواء فتؤذيهم بحرها ، ولكن اختار الله لهم مضجعاً في متسع ينالهم فيه برد الريح ونسيمها ، ويدفع عنهم كرب الغار وغمه ، قاله **ابن قتيبة** [١] ، وجماعة من المفسرين [٢] .

وجزم **ابن كثير** في تفسير بأن الآية تدل على أن باب الكهف كان من نحو الشمال ، قال : " لأنه تعالى أخبر أن الشمس إذا دخلته عند طلوعها تزاور عنه ﴿ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ ﴾ أي : يتقلص الفئ يمنة ، كما قال ابن عباس ﷺ ، وسعيد بن جبير ، وقتادة ﴿ تَّزَٰوَرُ ﴾ أي : تميل وذلك أنها كلما ارتفعت في الأفق تقلص شعاعها بارتفاعها حتى لا يبقى منه شيء عند الزوال في مثل ذلك المكان ، ولهذا قال : ﴿ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ ﴾ أي : تدخل إلى غارهم من شمال بابه وهو من ناحية المشرق فدل على صحة ما قلناه ، وهذا بين لمن تأمله وكان له علم بمعرفة الهيئة وسير الشمس والقمر والكواكب .

وبيانه : أنه لو كان باب الغار من ناحية الشرق لما دخل إليه منها شيء عند الغروب ، ولو كان من ناحية القبلة لما دخل منها شيء عند الطلوع ولا عند الغروب ، ولا تزاور الفئ يميناً ولا شمالاً ولو كان من جهة الغرب لما دخلته وقت الطلوع بل بعد الزوال و لم تزل فيه إلى الغروب ؛ فتعين ما ذكرناه ؛ ولله الحمد " . اهـ [٣] .

وعلى هذا القول يكون قوله : ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ راجعة إلى ما ذكر من شأنهم وحديثهم ، أي ذلك المذكور إلى هدايتهم إلى التوحيد وإخراجهم من بين عبدة الأوثان ، وإيوائهم إلى ذلك الكهف ، وحمايتهم من عدوهم إلى آخر حديثهم من آيات الله [٤] .

✖ **واعترض عليه الزَّجَّاج** بقوله : " وهذا التفسير ليس ببيِّن " [٥] .

القول الثاني : معنى الآية : أنهم في ظل نهارهم كله **لا تصيبهم الشمس عند طلوعها ولا**

---

(١) نسبه البغوي وغيره إليه . ينظر : تفسير البغوي : ٣ / ١٥٤ . و لم أقف عليه في كتبه .

(٢) منهم : السمر قندي ، والثعلبي ، والواحدي ، وابن عطية ، والبيضاوي ، وابن كثير . ينظر : تفسير السمر قندي : ٢ / ٣٤٠ ، الكشف والبيان : ٦ / ١٦٠ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٦٥٥ ، المحرر الوجيز : ٣ / ٥٠٣ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٤٨٣ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٧٦ .

(٣) تفسير ابن كثير : ٣ / ٧٦ .

(٤) ينظر : تفسير البيضاوي : ٣ / ٤٨٣ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٧٦ .

(٥) ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزَّجاج : ٣ / ٢٧٤ .

عند غروبها لئلا يحترقوا بحرِّها ، مع أنهم في مكان واسع منفتح معرض لإصابة الشمس وأن ما صنعه الله بهم – من ازورار الشمس وقرضها طالعة وغاربة – آية من آياته ، واختصاصاً لهم بالكرامة ، قاله الزَّجَّاج [١] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٢] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٣] . [٤]

ويؤيد هذا القول :

١. **القرينة القرآنية** : قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ . إذ لو كان الأمر كما ذكره أصحاب القول الأوَّل لكان ذلك أمراً معتاداً مألوفاً ، وليس فيه غرابة حتى يقال فيه ﴿ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ [٥] .

٢. ويؤيده أيضاً إطلاق الفجوة وعدم تقييدها بكونها إلى جهة كذا [٦] ، ومما يدل على على أن الفجوة المكان الواسع قول الشاعر :

ونحن ملأنا كلَّ وادٍ وفجوةٍ رجالاً وخيلاً غير ميلٍ ولا عُزْلِ [٧]

الترجيح :

يظهر لي – والله أعلم – **احتمال القولين ؛ فالشمس لم تصب أصحاب الكهف البتَّة ، وقد**

---

(١) ينظر معانيه : ٣ / ٢٧٣ ، ٢٧٤ .

(٢) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٨٤ .

(٣) منهم : الطبري ، والزمخشري ، والنسفي ، والخازن ، وأبو السعود ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير الطبري : ١٥ / ٢١٣ ، الكشاف : ٢ / ٦٦٢ ، تفسير النسفي : ٣ / ٦ ، تفسير الخازن : ٤ / ٢٠٤ ، الوسيط : ٨ / ٤٨٥ .
ومال إليه بعض الميل ابن الجوزي ، والفخر الرازي ، والقرطبي ، والثعالبي ، وابن عادل ، ووجه الشوكاني قول الزَّجَّاج المذكور بقرينة الآية المذكورة . ينظر : زاد المسير : ٥ / ١١٧ ، ١١٨ ، التفسير الكبير : ٢١ / ٨٥ ، تفسير القرطبي : ١٠ / ٣٦٩ ، تفسير الثعالبي : ٣ / ٥١٣ ، تفسير ابن عادل : ١٢ / ٤٤٢ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ٢١١ ، فتح القدير : ٣ / ٢٧٥ .

(٤) ذكر القولين من غير ترجيح : الماوردي ، والبغوي ، والنيسابوري ، وأبو حيان . ينظر : النكت والعيون للماوردي : ٣ / ٢٩١ ، تفسير البغوي : ٣ / ١٥٤ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٤٠٨ ، ٤٠٩ ، البحر المحيط : ٦ / ١٠٤ .

(٥) ينظر : التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٨٤ ، فتح القدير للشوكاني : ٣ / ٢٧٥ ، أضواء البيان : ٣ / ٢٢٠ .

(٦) ينظر : فتح القدير للشوكاني : ٣ / ٢٧٥ ، الوسيط : ٨ / ٤٨٦ .

(٧) أورد هذا البيت غير واحد من المفسرين عند تفسير الآية و لم ينسبوه لقائله . ينظر مثلا : النكت والعيون للماوردي : ٣ / ٢٩١ .

هيأ الله الأسباب لذلك بوضع عجيب هو من آيات قدرة الله ﷻ ، يسّره الله لهم بحكمته ليكون داخلُ الكهف بحالة اعتدال فلا ينتاب البِلى أجسادَهم ، فرغم أنهم كانوا في مكان متسع لكن الشمس كانت تميل عنهم ذات اليمين وذات الشمال [١] ؛ مما يدل على أن باب الكهف كان شمالياً ، نصَّ على ذلك القاسمي والطاهر بن عاشور [٢] .

قال القاسمي : " وقد دلت الآية على أن باب الكهف كان مفتوحاً إلى جانب الشمال ، فإذا طلعت الشمس كانت على يمين الكهف ، وإذا غربت كانت على شماله ، فيقع شعاعها على جانبيه ؛ يحلل عفونته ويعدل هواءه ، ولا يقطع عليهم فيؤذيهم ... وقوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ أي إرشادهم إلى هذا الغار الذي جعلهم فيه أحياء ، وشعاع الشمس والريح تدخل عليهم فيه ؛ لتبقى أبدانهم آية من آيات الله الدالة على عنايته وتوفيقه للمخلصين " . اهـ [٣] .

وكأن المفسرين القديرين قد جمعا بين القولين ؛ فلم تصب أصحاب الكهف الشمس بأسباب ووضع عجيب هو من آيات قدرة الله .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) التعريف في ﴿ ٱلْيَمِينِ ﴾ ، و ﴿ ٱلشِّمَالِ ﴾ عوض عن المضاف إليه ، أي يمين الكهف وشماله . ينظر : التحرير والتنوير : ١٥ / ٢٧٩ .

(٢) ينظر : تفسير القاسمي : ١١ / ١٥ ، التحرير والتنوير : ١٥ / ٢٧٩ . وينظر قبلهما : نظم الدرر : ٤ / ٤٥٢ ، ٤٥٣ .

(٣) تفسير القاسمي : ١١ / ١٥ .

قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ... ﴾ . [آية : ٢٠] .

مسألة : في معنى : ﴿ يَرْجُمُوكُمْ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن معنى ﴿ يَرْجُمُوكُمْ ﴾ : يقتلوكم بالحجارة ، فقال : ((أي : إن يظفروا بكم يقتلوكم بالحجارة . وقيل : المعنى يرجموكم بالقول ، **والأوّل أظهر**)) . اهـ [١] .

الدراسة :

اختلف أهل العلم والمفسرون في **معنى ﴿ يَرْجُمُوكُمْ ﴾** على قولين :

القول الأوّل : معناه : يقتلوكم ، وهو قول ابن عباس رضي الله عنه [٢] .

فمعنى ﴿ يَرْجُمُوكُمْ ﴾ : يقتلوكم بالحجارة ، قاله الزَّجَّاج [٣] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٤] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٥] .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٨٥ .

(٢) ينظر : تنوير المقباس : ٢٤٥ . وقاله مقاتل ، والسمر قندي ، والواحدي ، والنسفي من المفسرين ، (ولم يذكروا الرجم بالحجارة) . ينظر : تفسير مقاتل : ٢ / ٢٨٤ ، تفسير السمر قندي : ٢ / ٣٤٢ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٦٥٧ ، تفسير النسفي : ٣ / ٨ .

(٣) ينظر معانيه : ٣ / ٢٧٦ .

(٤) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٨٥ .

(٥) منهم : ابن أبي زمنين ، والزمخشري ، و **صحَّحه** ابن عطية ، والفخر الرازي ، والقرطبي ، والبيضاوي ، والنيسابوري ، و **استظهره** أبو حيان ، والبقاعي ، و **صحَّحه** الثعالبي ، والجلالين ، والشوكاني ، والقاسمي ، والآلوسي ، والسعدي ، وسيد قطب ، والطاهر بن عاشور ، والشنقيطي . ينظر : تفسير ابن أبي زمنين : ٣ / ٥٣ ، الكشاف : ٢ / ٦٦٤ ، المحرر الوجيز : ٣ / ٥٠٦ ، التفسير الكبير : ٢١ / ٨٨ ، تفسير القرطبي : ١٠ / ٣٥٧ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٤٨٥ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٤١٠ ، البحر المحيط : ٦ / ١٠٨ ، نظم الدرر : ٤ / ٤٥٨ ، تفسير الثعالبي : ٣ / ٥١٦ ، تفسير الجلالين : ٣٨٣ ، فتح القدير : ٣ / ٢٧٦ ، تفسير القاسمي : ١١ / ١٨ ، روح المعاني : ١٥ / ٢٣١ ، تفسير السعدي : ٤٧٣ ، الظلال : ٤ / ٢٢٦٤ ، التحرير والتنوير : ١٥ / ٢٨٦ ، أضواء البيان : ٣ / ٢٥٠ .

واستدل له :

١. النظير القرآني : جاء في مواضع أخر أنه هو فعل الكفار مع الرسل وأتباعهم ، ومنها :

قوله تعالى : ﴿ ... وَلَا يَزَالُونَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَـٰعُوا۟ ... ﴾ . [سورة البقرة : ٢١٧] .

٢. الرجم بمعنى القتل كثير في التنزيل :

- كقوله تعالى : ﴿ ... وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَـٰكَ ... ﴾ . [سورة هود عليه السلام : ٩١] .
- وقوله تعالى : ﴿ ... أَن تَرْجُمُونِ ﴾ . [سورة الدخان : ٢٠] .

٣. الرجم بالحجارة من أخبث القتل ، وكان ذلك عادة فيما سلف فيمن خالف في أمر عظيم إذ هو أشفى للقلوب وللناس فيه مشاركة ، ولهذا خصَّه من بين أنواع ما يقع به القتل [(١)] .

القول الثاني : المعنى : **يرجموكم بالقول** ، قاله مجاهد [(٢)] ، وابن جريج [(٣)] ، ورجَّحه الطبري [(٤)] . [(٥)]

والمراد الرجم بالقول ؛ أي السب والشتم ، وهو للنفوس الأبية أعظم من القتل [(٦)] .

الترجيح:

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن معنى ﴿ يَرْجُمُوكُمْ ﴾ : يقتلوكم بالحجارة** ،

---

(١) ينظر : الكشاف : ٢ / ٦٦٤ ، المحرر الوجيز : ٣ / ٥٠٦ ، تفسير القرطبي : ١٠ / ٣٥٧ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٤١٠ ، البحر المحيط لأبي حيان : ٦ / ١٠٨ ، فتح القدير للشوكاني : ٣ / ٢٧٦ ، روح المعاني : ١٥ / ٢٣١ .

(٢) نسبه ابن الجوزي إليه . ينظر : زاد المسير : ٥ / ١٢٢ .

(٣) أخرجه ابن جرير عن الحجاج عن ابن جريج . ينظر : تفسير الطبري : ١٥ / ٢٢٤ .

(٤) ينظر : تفسير الطبري : ١٥ / ٢٢٤ . وقدَّمه الثعلبي . ينظر : الكشف والبيان : ٦ / ١٦٢ .

(٥) ذكر القولين من غير ترجيح : العز بن عبد السلام ، والخازن ، وابن عادل . ينظر : تفسير العز بن عبد السلام : ٢ / ٢٤٣ ، تفسير الخازن : ٤ / ٢٠٦ ، تفسير ابن عادل : ١٢ / ٤٥١ .

(٦) ينظر : روح المعاني : ١٥ / ٢٣١ .

وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه ، إضافة لما تقدم ؛ ولما يلي :

أولاً : قال أهل اللغة : أصل الرَّجم : الرمي بالحجارة ، والرَّجم : القتل ، أي بالرجام ؛ وهي الحجارة [١] على المرجوم حتى يموت ، وهو قتل إذلال وإهانة وتعذيب [٢] .

ثانياً : يعتمد قول ابن عباس ﷺ وقوله بأن معنى ﴿ يَرْجُمُوكُمْ ﴾ : يقتلوكم ، وهو ترجمان القرآن ، وهو ما عليه أكثر المفسرين .

ثالثاً : يتأيد هذا القول ببعض **القواعد الترجيحية** ؛ منها :

- **القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك .**
- **القول الذي يؤيده تصريف الكلمة وأصل اشتقاقها أولى بتفسير الآية** [٣] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) ينظر (مادة : رجم) في : العين للخليل بن أحمد : ٦ / ١١٩ ، تهذيب اللغة للأزهري : ١١ / ٤٨ ، معجم مقاييس اللغة لابن فارس : ٢ / ٤٩٣ ، لسان العرب لابن منظور : ١٢ / ٢٢٦ . وينظر : التفسير الكبير للفخر الرازي : ٢١ / ٨٨ .

(٢) ينظر : التحرير والتنوير لابن عاشور : ١٥ / ٢٨٦ .

(٣) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٣١٢ ، ٢ / ٥١١ .

سورة الكهف ـــــــ

وقاله **جمهور** [١] المفسرين [٢] .

وعن ابن عباس ﷺ [٣] : لا تحديد بمدة بل ولو طال ما بين اليمين **والثُّنيا** [٤] . وجمهور الفقهاء على أن قوله : ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾ لا دلالة فيه على جواز تأخير الثنيا ، واستدلوا بأن السُّنة وردت بخلافه [٥] .

قال القرطبي معقباً على قول ابن عباس ﷺ [٦] : " فيحمل على تدارك التبرك بالاستثناء

---

(١) نسبه ابن الجوزي والشنقيطي إلى الجمهور . ينظر : زاد المسير : ٥ / ١٢٨ ، أضواء البيان : ٣ / ٢٥٤ .

(٢) منهم : ابن أبي زمنين ، وابن العربي ، وقدَّمه ابن الجوزي ، وقاله الفخر الرازي ، والخازن ، وابن عادل ، والجلالين ، والشوكاني ، والشنقيطي . ينظر : تفسير ابن أبي زمنين : ٣ / ٥٥ ، أحكام القرآن لابن العربي : ٣ / ٢٢٧ ، زاد المسير : ٥ / ١٢٨ ، التفسير الكبير : ٢١ / ٩٤ ، تفسير الخازن : ٤ / ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، تفسير ابن عادل : ١٢ / ٤٦٠ ٤٦١ ، تفسير الجلالين : ٣٨٤ ، فتح القدير : ٣ / ٢٧٨ ، أضواء البيان : ٣ / ٢٥٦ .

(٣) للسلف في مدة النسيان إلى الذكر خلاف ، وقد اشتهر عن ابن عباس ﷺ على السُّنة العلماء جواز الاستثناء في اليمين وإن طال الزمان ؛ فعن ابن عباس ﷺ : يستثني ولو بعد سنة ما لم يحنث . وعن سعيد بن جبير : ولو بعد يوم أو أسبوع أو شهر أو سنة وهو قول ابن عباس بعينه . وعن طاوس : هو استثناء ما دام في مجلسه . وعن عطاء : يستثني على مقدار حلب ناقة غزيرة . ينظر أقوال السلف في الدر المنثور : ٥ / ٣٧٨ .

(٤) **الثُّنْيا** هي : من استثْنيتُ الشيء ، أي : زوَيْتُه لنفسي ، والثُّنْيا – بالضم – الاسم من الاستثناء : وهي كل ما استثنيته . وإنما عبر عنها بذلك لأن بعدها (إن شاء الله) . ينظر (مادة : ثنى) في : المحكم : ١٠ / ٢٠٠ ، لسان العرب : ١٤ / ١٢٥ ، تاج العروس : ٣٧ / ٢٩٧ .

(٥) **عند جمهور الفقهاء** لا أثر له في الأحكام ما لم يكن موصولاً . قالوا : إن الآيات الكثيرة دلت على وجوب الوفاء بالعهد والعقد فإذا أتى بالعهد وجب عليه الوفاء بمقتضاه خال فنا هذا الدليل فيما إذا كان الاستثناء متصلاً بناء على أن المستثنى منه مع الاستثناء وأداته كالكلام الواحد ، فإذا كان منفصلاً لم يمكن هذا التوجيه فوجب الرجوع إلى أصل الدليل . كما استدل الجمهور بأنه لو صحَّ الاستثناء لبطل جميع الإقرارات والطلاق والعتاق ، وأيضا فكان يلزم أن لا يعرف الصدق من الكذب لإمكان تعليق الكذب بعد مدة بما يخرجه عن الكذب ، واستدلوا بما أخرجه أحمد ومسلم والترمذي عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « من حَلَفَ على يَمِينٍ فَرَأَى غيرها خَيْرًا منها فَلْيَأْتِ الذي هو خَيْرٌ وَلْيُكَفِّرْ عن يَمِينِهِ » . فاقتصر ﷺ على ذكر التكفير ، ولم يقل فليستثن مع اختياره لأمته أيسر الأمور وأسهلها . ينظر : رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب لعبد الوهاب بن علي السُّبكي (ت ٧٧١ هـ) : ٣ / ٢٥٤ ، إجابة السائل شرح بغية الآمل لمحمَّد بن إسماعيل الأمير الصنعاني (ت ١١٨٢ هـ) : ١ / ٣٢٣ .

(٦) **في قول ابن عباس ﷺ فيما نسب إليه من القول بالاستثناء المتأخر أقوال أخرى ؛ وهي كما يلي :**

القول الأوَّل : لم يصح عن ابن عباس ﷺ ، قاله إمام الحرمين والغزالي والسبكي ؛ لما يلزم من ارتفاع الثقة بالعهود والمواثيق لإمكان تراخي المستثنى . قال الغزالي : لعله لا يصح النقل عنه ؛ إذ لا يليق ذلك بمنصبه ، وإن صح فلعله أراد به إذا نوى الاستثناء أولا ، ثم أظهر نيته بعده فيدين فيما بينه وبين الله تعالى فيما يراه ، وأما جواز التأخير بدون هذا التأويل فيرده اتفاق أهل اللغة على خلافه لأنه جزء من الكلام يحصل به الإتمام . =

سورة الكهف ـــــــ

- ومتعلقة بما بعدها ؛ وهو قوله تعالى : ﴿ ... وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَـٰذَا رَشَدًا ﴾ .

الثاني : المعنى : إذا نسيت الاستثناء فاذكرها بعد ما ذكرت واستثن ؛ **وهذا في غير اليمين** ، قاله جماعة من المفسرين [١] .

قال ابن عطية :

" وتكلم الناس في هذه الآية في الاستثناء في اليمين ؛ **والآية ليست في الأيمان** ؛ وإنما هي في سنة الاستثناء في غير اليمين " . اهـ [٢] .

وقال محمَّد سيِّد طنطاوي :

" قوله : ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾ **تأكيد لما قبله** ؛ أى : لا تقولن أفعل غداً إلاَّ ملتبساً بقول : إن شاء الله ، واذكر ربك سبحانه إذا نسيت تعليق القول بالمشيئة ، أى : عند تذكرك بأنك لم تقرن قولك بمشيئة الله ، فأت بها " . اهـ [٣] .

القول الثاني : الكلام مستأنف لا تعلق له بما قبله ؛ والآية ليست في الاستثناء ؛ قاله جماعة من المفسرين [٤] .

قال **الجصاص** : " واحتج ابن عباس ﷺ ومن تابعه في إجازة الاستثناء متراخياً عن اليمين بقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ... ﴾ . فتأولوا قوله : ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾ على الاستثناء وهذا غير واجب " . اهـ [٥] .

---

(١) منهم : مقاتل ، والسمر قندي ، والواحدي ، وابن عطية ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير مقاتل : ٢ / ٢٨٥ ، تفسير السمر قندي : ٢ / ٣٤٣ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٦٥٨ ، المحرر الوجيز : ٣ / ٥٠٩ ، الوسيط : ٨ / ٥٠٠ .

(٢) المحرر الوجيز : ٣ / ٥٠٩ .

(٣) الوسيط : ٨ / ٥٠٠ .

(٤) منهم : الجصاص ، والقرطبي ، وقاله البيضاوي (وجوز جميع أقوال هذا القول) ، و **استظهره** أبو حيان ، والطاهر بن عاشور . ينظر : أحكام القرآن للجصاص : ٥ / ٤٢ ، تفسير القرطبي : ١٠ / ٣٨٦ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٤٩٠ ، البحر المحيط : ٦ / ١١١ ، التحرير والتنوير : ١٥ / ٢٩٧ ، ٢٩٨ .

(٥) أحكام القرآن للجصاص : ٥ / ٤٢ . =

وعلى هذا القول ففيه وجوه منها :

الوجه الأوَّل : المعنى : اذكر ربك **إذا غضبت** [١] ، قاله عكرمة [٢] .

وقال وهب : مكتوب في الإنجيل : ابن آدم اذكرني حين تغضب أذكرك حين أغضب .
وقال الضحاك والسدي : هذا في الصلاة [٣] ، فعن أنس ﷺ قال : قال النبي ﷺ : « من نَسِيَ صَلَاةً فَلْيُصَلِّهَا إذا ذَكَرَهَا ... » [٤] .

الوجه الثاني : اذكر **إذا نسيت شيئاً** ليذكرك ما نسيت ، **استظهره** الزمخشري [٥] ، وقدَّمه الماوردي [٦] .

الوجه الثالث : اذكر ربك **إذا نسيت ذكره** ، أي : ارجع إلى الذكر إذا غفلت عنه ، واذكره في كل حال ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٧] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٨] . [٩]

= و**الجصاص** هو : أحمد بن علي الجصاص ، أبو بكر الرازي ، الإمام الفقيه الحنفي الزاهد الكبير الشأن ، صاحب أحكام القرآن ، وكان إمام الحنفية في وقته ، ت سنة ٣٧٠هـ . ينظر: السِّير : ١٦ / ٣٤٠ ، ٣٤١ ، الجواهر المضية : ١ / ٨٤ ، تاج التراجم : ٩٦ .

(١) اذكر ربك إذا غضبت – بالغين والضاد المعجمتين – فمعناه التثبت عند الغضب ، فإنه موضع عجلة ومزلة قدم والمرء يؤاخذ بما ينطق به فمه . ومن رواه – بالعين والصاد المهملتين – (عصيت) ، فهو خطاب للنبي ﷺ والمراد به أمته لاستحالة المعصية على الأنبياء شرعاً بالخبر الوارد الصادق في تنزيههم عنها . ينظر : أحكام القرآن لابن العربي : ٣ / ٢٢٨ ، ٢٢٩ .

(٢) أخرجه ابن جرير بلفظ : (إذا عصيت) في تفسيره (١٥ / ٢٢٩) ، وعزاه السيوطي في الدر (٥ / ٣٧٨) إلى ابن أبي شيبة ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والبيهقي في شعب الإيمان .

(٣) نسبه إليهما البغوي في تفسيره (٣ / ١٥٧) .

(٤) جزء من حديث أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب مواقيت الصلاة ، بَاب من نَسِيَ صَلَاةً فَلْيُصَلِّ إذا ذكرها (٥٧٢) : ١ / ٢١٥ ، وأخرج مسلم بمثله في صحيحه في كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، بَاب قَضَاءِ الصَّلَاةِ الْفَائِتَةِ وَاسْتِحْبَابِ تَعْجِيلِ قَضَائِهَا (٦٨٤) : ١ / ٤٧٧ .

(٥) ينظر : الكشاف : ٢ / ٦٦٩.

(٦) ينظر : النكت والعيون : ٣ / ٢٩٩ .

(٧) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٨٦ .

(٨) منهم : الطبري ، وأبو حيان ، والقاسمي . ينظر : تفسير الطبري : ١٥ / ٢٢٩ ، البحر المحيط : ٦ / ١١١ ، تفسير القاسمي : ١١ / ٢٨ .

(٩) ذكر أغلب الأقوال من غير ترجيح : الثعلبي ، والبغوي ، والعز بن عبد السلام ، والنسفي ، وابن كثير ، والثعالبي وأبو السعود ، والخطيب الشربيني . ينظر : الكشف والبيان : ٦ / ١٦٤ ، تفسير البغوي : ٣ / ١٥٧ ، تفسير العز بن عبد السلام : ٢ / ٢٤٤ ، تفسير النسفي : ٣ / ١١ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٨٠ ، تفسير الثعالبي :

ولذلك قالت عائشة – رضي الله عنها – : « كان رسول الله ﷺ يذكر الله على كل أحيانه » [١] . [٢]

✖ **واستبعد الفخر الرازيّ** هذا القول بوجوهه الثلاثة حيث قال :

" وهذا بعيد ، لأن تعلق هذا الكلام بما قبله يفيد إتمام الكلام في هذه الق ضيقِ ، وجعله مستأنفاً يصير الكلام مبتدأ منقطعاً ؛ وذلك لا يجوز " . اهـ [٣] .

ولكن **الجصاص قبله** قد حكى جواز ذلك فقال :

" قوله تعالى : ﴿ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾ يصحُّ أن يكون كلاماً مبتدأ مستقلاً بنفسه من غير تضمين له بما قبله ، وغير جائز فيما كان هذا سبيله تضمينه بغيره " . اهـ [٤] .

الترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن الكلام مستأنف لا تعلق له بما قبله ؛ والآية ليست في الاستثناء ، ومعنى قوله تعالى : ﴿ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾ اذكر ربك إذا نسيت ذكره ، أي : اذكر الله في كل حال ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** ، إضافة لما تقدم ؛ ولما يلي :

أولاً : استدل عليه من اللغة : لأن أحد معاني النسيان في كلام العرب : الترك [٥] . أي : اذكر ربك إذا تركت ذكر الله وسهوت وغفلت .

---

٣ / ٥١٩ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ٢١٧ ، السراج المنير : ٢ / ٤٠٤ ، ٤٠٥ .

(١) أخرجه أبو يعلى (أحمد بن علي بن المثنى ، أبو يعلى الموصلي التميمي : ت ٣٠٧ هـ) في مسنده في مسند عائشة – رضي الله عنها – (٤٩٣٧) : ٨ / ٣٥٥ . قال الشيخ حسين أسد : **إسناده صحيح** . و**صحَّحه** د . سامي الجهني . ينظر : تخريج الأحاديث والآثار في التسهيل : ٧٣٩ .

(٢) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٨٦ .

(٣) التفسير الكبير : ٢١ / ٩٤ .

(٤) أحكام القرآن للجصاص : ٥ / ٤٢ .

(٥) ينظر : تفسير الطبري : ١٥ / ٢٢٩ ، وينظر : (مادة : نسي) في : تهذيب اللغة للأزهري : ١٣ / ٥٥ ، لسان العرب : ١٥ / ٣٢٢ ، تاج العروس : ٤٠ / ٧٤ .

ثانياً : رُوي عن مالك [١] أن قوله : ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ... ﴾ . إنما قصد بذلك ذكر الله عند السهو وليس باستثناء .

قال ابن العربي : " الذي قاله مالك من أن النبي ﷺ أمر أن يذكر الله عند السهو والغفلة يصح أن يكون تفسيراً لقوله ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾ " . اهـ [٢] .

وقال القرطبي : " وقيل : اذكره إذا نسيت غيره أو نسيت نفسك فذلك حقيقة الذكر وهذه الآية مخاطبة للنبي ﷺ ، وهي استفتاح كلام على الأصح وليست من الاستثناء في اليمين بشيء ، وهي بعد تعم جميع أمته لأنه حكم يتردد في الناس لكثرة وقوعه " . اهـ [٣] .

ثالثاً : يتأيد هذا القول ببعض **القواعد الترجيحية** ؛ منها :

- **إذا ثبت الحديث ؛ وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه .**
- **القول الذي يؤيده تصريف الكلمة وأصل اشتقاقها أولى بتفسير الآية** [٤] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) نسبه إليه ابن العربي في أحكامه (٣ / ٢٢٨) .
(٢) أحكام القرآن لابن العربي : ٣ / ٢٢٨ .
(٣) تفسير القرطبي : ١٠ / ٣٨٦ .
(٤) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٢٧١ ، ٢ / ٥١١ .

سورة الكهف ـــــــ

سورة الكهف ـــــــ

سورة الكهف ـــــــ

وتُعقب :

١. إن أكثر الروايات – وهي عن خباب وسلمان ﷺ – تؤيد القول الأوَّل ، وثبت صحة بعضها – كما بيَّنا – .

٢. سورة الكهف مكية لا خلاف في ذلك ؛ إلا أنه قد روي عن ابن عباس ﷺ وقتادة [١] أن منها آية مدنية [٢] ، وهي قوله : ﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ ... ﴾ [٣] .

قال الآلوسي :

" وعليه تكون الآيات مستثناة من حكم السورة ، وكم مثل ذلك " . اهـ[٤] .

القول الرابع : أن الآية **مطلقة من غير تقييد** ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٥] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٦] .

ذكر الطاهر بن عاشور أن ﴿ مَنۡ ﴾ تصدق في كل من اتصف بالصلة [٧] .

واستدل له بالنظير القرآني : تكرر في القرآن نهى نبيه ﷺ عن اتباع مثل هذا الغافل عن ذكر الله المتبع هواه :

- كقوله تعالى : ﴿ فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورٗا ﴾ [١] .

---

(١) نسبه إليهما ابن الجوزي . ينظر : زاد المسير : ٥ / ١٠٢ .

(٢) قال بمدنية الآية : الزَّركشي ، والنيسابوري ، وزكريا الأنصاري ، وأبو السعود ، والكرمي . ينظر : برهان الزَّركشي : ١ / ٢٠١ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٤٠١ ، المقصد لتلخيص ما في المرشد في الوقف والابتداء : ٤٦٠ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ٢٠٢ ، الناسخ والمنسوخ للكرمي : ١٣٦ .

(٣) سورة الكهف : ٢٨ .

(٤) روح المعاني : ١٥ / ٢٦٢ .

(٥) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٨٧ .

(٦) فسروا قوله تعالى : ﴿ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ ﴾ : بـ (وجدناه غافلا) و لم يقيدوه بشخص معين . ومنهم : الواحدي والزمخشري ، والفخر الرازي ، والنسفي ، وابن كثير ، والثعالبي ، والقاسمي ، والسعدي ، وسيد قطب ، ونص عليه الطاهر بن عاشور ، والشنقيطي . ينظر : تفسير الواحدي : ٢ / ٦٥٩ ، الكشاف : ٢ / ٦٧١ ، التفسير الكبير : ٢١ / ٩٩ ، تفسير النسفي : ٣ / ١٢ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٨٢ ، تفسير الثعالبي : ٣ / ٥٢١ ، تفسير القاسمي : ١١ / ٣٧ ، تفسير السعدي : ٤٧٥ ، الظلال : ٤ / ٢٢٦٨ ، ٢٢٦٩ ، التحرير والتنوير : ١٥ / ٣٠٦ ، أضواء البيان : ٣ / ٢٦٤ .

(٧) ينظر : التحرير والتنوير : ١٥ / ٣٠٦ .

- وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ ... ﴾ [٢] .
- وقوله تعالى : ﴿ وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ۝٩ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ۝١١ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴾ [٣] إلى غير ذلك من الآيات [٤] .

الترجيح:

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن الآية مطلقة من غير تقييد** ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** ؛ يدل على ذلك إضافة لما تقدم ؛ ولما يلي :

أولاً : الرواية عن خباب ﷺ صحيحة ؛ لكن جاء في رواية عن ابن عمر ﷺ وغيره أن المراد بقوله تعالى : ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ... ﴾ أنهم الذين يشهدون الصلوات المكتوبة [٥] .

وعلى هذا فالمراد من قوله تعالى : ﴿ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ ﴾ أنهم الذين يشهدون الصلوات المكتوبات ؛ وأنها ليست خاصة بالنفر المذكورين في حديث خباب ﷺ – وهم الأَقْرَعِ وَعُيَيْنَةَ – دون ما سواهم من الناس ؛ نصَّ على ذلك **أبو جعفر الطحاوي** ؛ وروى حديثاً بإسناده من طريقين عن ابن عُمَرَ ﷺ في هذه الآيَةِ ينصُّ على أنَّ المرَاد بها الَّذِينَ يَشْهَدُونَ الصَّلَوَاتِ الْمَكْتُوبَاتِ [٦] .

---

(١) سورة الإنسان : ٢٤ .

(٢) سورة الأحزاب : ٤٨ .

(٣) سورة القلم : ٩ – ١٣ .

(٤) ينظر : أضواء البيان : ٣ / ٢٦٤ .

(٥) أخرجه ابن جرير ، وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه عن نافع عن عبد الله بن عمر ﷺ ، وإلى ابن أبي شيبة وابن المنذر عن ابن عباس ﷺ مثله ، وإلى ابن أبي حاتم وابن مردويه من طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : نزلت في صلاة الصبح وصلاة العصر ، وإلى ابن أبي حاتم عن عبيد الله بن عدي ابن الخيار في هذه الآية قال : هم الذين يقرأون القرآن . ينظر : تفسير الطبري : ٧ / ٢٠٤ ، الدر المنثور : ٥ / ٣٨٢ .

(٦) ينظر : شرح مشكل الآثار لأبي جعفر ، أحمد بن محمد بن سلامة الطَّحاويّ (ت ٣٢١ هـ) : ١ / ٣٤١ ، ٣٤٢ .

والطَّحاويّ هو : أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة الأزدي الطحاوي ، أبو جعفر : فقيه انتهت إليه رياسة الحنفية بمصر ، ولد ونشأ في (طحا) من صعيد مصر ، وتفقه على مذهب الشافعي ، ثم تحول حنفيا ، وهو ابن أخت المزني . من تصانيفه : شرح معاني الآثار في الحديث ، وبيان السُّنة . ت ٣٢١ هـ . ينظر : =

ثانياً : دلالة الآية الأرجح أن تكون عامة والآية مطلقة من غير تقييد ؛ والغافلون عن ذكر موجودون في كل زمان ومكان وتصدق فيهم الآية ؛ ويؤيد ذلك **واقع الحياة** ، وفي هذا قال سيد قطب :

" ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا ﴾ .. أغفلنا قلبه حين اتجه إلى ذاته ، وإلى ماله وإلى أبنائه ، وإلى متاعه ولذائذه وشهواته ، فلم يعد في قلبه متسع لله . والقلب الذي يشتغل بهذه الشواغل ، ويجعلها غاية حياته لا جرم يغفل عن ذكر الله ، فيزيده الله غفلة ، ويملي له فيما هو فيه ، حتى تفلت الأيام من بين يديه ، ويلقى ما أعده الله لأمثاله الذين يظلمون أنفسهم ، ويظلمون غيرهم " . اهـ [١] .

ثالثاً : هذا القول تؤيده بعض **القواعد الترجيحية** وهي :

- **القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك** .
- **إذا دار الكلام بين أن يكون مقيداً أو مطلقاً فإنه يحمل على إطلاقه** [٢] .
- **العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب** [٣] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

= الأنساب للسمعاني : ٤ / ٥٣ ، تاريخ الإسلام : ٢٤ / ٧٧ ، تاج التراجم : ١٠٠ .

(١) الظلال : ٤ / ٢٢٦٩ .

(٢) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٣١٢ ، ٢ / ٥٥٥ .

(٣) ينظر : القواعد الحسان للسعدي : ١٠ ، قواعد التفسير للسبت : ٢ / ٥٩٣ ، قواعد الترجيح للحربي : ٢ / ٥٤٥ .

قوله تعالى : ﴿ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ ... ﴾ . [آية : ٣٤] .

مسألة : في المراد بالثُمُر – بضم الثاء والميم – :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن الثمر – بضم الثاء والميم – أصناف المال من الذهب والفضة والحيوان وغير ذلك ، فقال : ((– بضم الثاء والميم – أصناف المال من الذهب والفضة والحيوان وغير ذلك ، قاله ابن عباس وقتادة . وقيل : هو الذهب والفضة خاصة ، وهو من ثمر ماله إذا أكثره ، ويجوز إسكان الميم تخفيفاً ، وأما بفتح الثاء والميم فهو المأكول من الشجر ، ويحتمل المعنى الآخر)) . اهـ [1] .

الدراسة :

اختلف القرّاء في قوله : ﴿ **ثَمَرٌ** ﴾ على **ثلاثة أوجه من القراءات الثابتة المتواترة** ؛ ولكل منها وجه في العربية كما يلي :

" قرأ **عاصم** : ﴿ **ثَمَرٌ** ﴾ . بفتح الثاء والميم في الحرفين ؛ جمع ثمرة وثمر ، كبقرة وبقر ، الفرق بين الواحد والجمع إسقاط الهاء ، وحجته قوله قبلها : ﴿ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا ... ﴾ يعني : ثمرها .

وقرأ **أبو عمرو** : (**ثُمْرٌ**) – بضم الثاء وإسكان الميم فيهما تخفيفاً – ، جمع ثمرة ، كبَدَنة وبُدْن ، وخَشَبة وخُشْب ، وثَمَرة وثُمْر ، ويجوز أن يكون جمع ثمار ، كما يخفف (كُتْب) ويجوز أن يكون ثُمُر واحدة كعُنُق وطُنُب ، فعلى أي هذه الوجوه جاز إسكان العين منه .

وقرأ **الباقون** [2] : (**ثُمُرٌ**) – بضم الثاء والميم – جمع ثِمَار وثُمُر ؛ كقولك : كِتَاب وكُتُب

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٨٨ .

(٢) وهم : ابن كثير ، ونافع ، وابن عامر الشامي ، وحمزة ، والكسائي .
قال ابن جرير : " وأولى القراءات في ذلك عندي بالصواب : قراءة من قرأ : (وكان له ثُمُر) – بضم الثاء والميم – لإجماع الحجة من القراء عليه ، وإن كانت جمع ثمار كما الكتب جمع كتاب " . اهـ . ينظر : تفسير الطبري : ١٥ / ٢٤٦ . ويرد قول الطبري هذا ولا اعتبار به لأن كلاً من القراءات الباقية قراءات متواترة ثابتة عن الرسول ﷺ .

وحِمَار وحُمُر " [١] .

واتفق السلف وأهل العلم والمفسرون على أن قراءة ﴿ ثَمَرٌ ﴾ – بفتح الثاء والميم – هي المأكول من الشجر [٢] ؛ لكنهم اختلفوا في المراد بالثُمُر – بضم الثاء والميم – على ثلاثة أقوال :

القول الأوَّل : أصناف المال من الذهب والفضة والحيوان وغير ذلك ، قاله ابن عباس رضي الله عنه [٣] ، وقتادة [٤] ، وذهب إليه مقاتل [٥] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٦] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٧] .

قالوا : " لأن تثميره أكثر " [٨] .

---

(١) حجة القراءات لابن زنجلة : ٤١٦ . وينظر : السبعة في القراءات لابن مجاهد : ٢٦٤ ، التيسير في القراءات السبع لأبي عمرو ، عثمان بن سعيد الداني (ت ٤٤٤ هـ) : ١٤١ ، تحبير التيسير في القراءات العشر لأبي الخير ، شمس الدين محمد بن محمد بن الجزري (ت ٨٣٨ هـ) : ٤٤٤ ، إتحاف فضلاء البشر : ٣٦٦ .
وأبو عمرو هو : أبو عمرو بن زبان – على الأصح – بن عمار المازني البصري ، يلقب أبوه بالعلاء ، كان قليل الحديث ، بحراً في كلام العرب ، رأساً في القرآن ، أحد القراء السبعة المشهورين ، ت سنة ١٥٤ هـ . ينظر : المعارف : ٥٣١ ، مشاهير علماء الأمصار : ١٥٣ ، تهذيب الكمال : ٣٤ / ١٢٠ – ١٣٠.

(٢) ينظر : المحرر الوجيز : ٣ / ٥١٦ ، التسهيل : ٢ / ١٨٨ ، البحر المحيط لأبي حيان : ٦ / ١١٩ . ورَوَى الأَزهريُّ بسَنَدِه ، قال : قال سَلّام أَبو المُنْذِر القارىء في قوله تعالى : ﴿ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ ﴾ مفتوح : جَمْع ثَمَرة ، ومَن قرأَ : (ثُمُر) قال : مِن كلّ المالِ . ينظر : تهذيب اللغة للأزهري : ١٥ / ٦٢ . وينظر : تاج العروس : ١٠ / ٣٢٨ كلاهما في (مادة : ثمر) .

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥ / ٢٤٥) ، وعزاه السيوطي في الدر (٥ / ٣٩٠) إلى ابن أبي حاتم . وينظر : تنوير المقباس : ٢٤٧ . **وهو أثر حسن** . **وحسَّنه** د . الجهني في رسالته : ٧٤٣ .

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥ / ٢٤٥) ، وأخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢ / ٤٠٤) ، وعزاه السيوطي في الدر (٥ / ٣٩٠) إلى أبي عبيد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم أيضاً . **وصحَّحه** د . الجهني في رسالته : ٧٤٣ .

(٥) ينظر تفسيره : ٢ / ٢٨٨ .

(٦) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٨٨ .

(٧) منهم : النحاس و**حسَّنه** ، والسمر قندي ، والثعلبي ، والبغوي ، والزمخشري ، وابن عطية ، والقرطبي ، والنسفي والخازن ، والنيسابوري ، وقدَّمه السمين الحلبي ، و **استظهره** ابن كثير ، ولم يقل بغيره الجلالين ، والآلوسي ، والطاهر بن عاشور ، ونقله عنه محمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : معاني القرآن للنحاس : ٤ / ٢٣٩ ، تفسير السمر قندي : ٢ / ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، الكشف والبيان : ٦ / ١٧٠ ، تفسير البغوي : ٣ / ١٦٢ ، الكشاف : ٢ / ٦٧٤ ، المحرر الوجيز : ٣ / ٥١٦ ، تفسير القرطبي : ١٠ / ٤٠٣ ، تفسير النسفي : ٣ / ١٣ ، تفسير الخازن : ٤ / ٢١٢ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٤٣٠ ، الدر المصون : ٤ / ٤٥٤ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٨٤ ، تفسير الجلالين : ٣٨٥ ، روح المعاني : ١٥ / ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، التحرير والتنوير : ١٥ / ٣١٨ ، الوسيط : ٨ / ٥١٥ .

(٨) ذكره الماوردي في النكت (٣ / ٣٠٦) .

والتقدير على هذا القول : أنه جمع ثَمَرة على ثِمَار ، ثم جمع ثِمَاراً على ثُمْر [١] .

ويستشهد لهذا القول :

١. من اللغة :﴿ ثَمَرٌ ﴾ مأخوذة من : أثمر الرجل ، إذا كَثُر ماله [٢] .

قال الطاهر بن عاشور : " مشتقاً من اسم الثمرة على سبيل المجاز أو الاستعارة ؛ لأن الأرباح وعفو المال يُشبهان ثمر الشجر ، وشَاع هذا المجاز حتى صار حقيقة " . اهـ [٣] .

وذكر أهل اللغة : أنه (ثُمْر) - بالضمِّ - أنواع الأموال من الذهب والفضة وغيرهما ، و (ثَمْر) - بالفتح - حمل الشجر [٤] .

٢. من كلام العرب : بيت النابغة الذبياني [٥] :

مَهْلاً فداءً لك الأقوامُ كلُّهمُ وما أُثَمِّرُ مِنْ مالٍ ومِنْ وَلَدِ

٣. بالقراءة المتواترة : وهي قراءة أبو عمرو : (ثُمْرٌ) - بضم الثاء وإسكان الميم فيهما تخفيفاً - ، فيكون جمع ثمرة كخَشَبة وخُشْب [٦] ، قاله أبو عبيدة [٧] .

القول الثاني : هو **الذهب والفضة خاصة** ، قاله مجاهد [٨] .

عن مُجاهد قال : ما كان في القُرآن من (ثُمُرٍ) - بالضمِّ - فهو مال : وما كان من

---

(١) **ثَمر** هي : اسم جنس جمعي لثمرة ، وثمار جمع حقيقي ، وثُمر جمع ثِمَار فهي جمع الجمع . ينظر (مادة : ثمر) في : تهذيب اللغة للأزهري : ١٥ / ٦٢ ، لسان العرب : ٤ / ١٠٧ ، تاج العروس : ١٠ / ٣٣٠ .

(٢) ينظر : تهذيب اللغة للأزهري (مادة : ثمر) : ١٥ / ٦٢ ، المخصص لابن سيده : ٤ / ٣٥٦ .

(٣) التحرير والتنوير : ١٥ / ٣١٩ .

(٤) ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج : ٣ / ٢٨٥ ، لسان العرب (مادة : ثمر) : ٤ / ١٠٦ . وينظر : السراج المنير : ٢ / ٤١٦ .

(٥) ينظر ديوانه : ٢٢ .

(٦) ينظر : تفسير ابن كثير : ٣ / ٨٤ .

(٧) ينظر مجازه : ١ / ٤٠٢ .

(٨) ينظر تفسيره : ١ / ٣٧٦ . وأسنده الفَرَّاء (٢ / ١٢٠) . وأخرجه عبد الرزاق والطبري بسنديهما عنه . ينظر : تفسير الصنعاني : ٢ / ٤٠٤ ، تفسير الطبري : ١٥ / ٢٤٥ . وينظر تغليق التعليق لأبي الفضل ، أحمد بن علي ابن حجر (ت ٨٥٢ هـ) : ٤ / ٢٤٣ . وعزاه السيوطي في الدر (٥ / ٣٩٠) إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم .

سورة الكهف ـــــــ

والأعناب من الذهب والورق بهما " . اهـ [١] .

وقال **ابن القيِّم** : " وقد قيل إن الثمار هنا وفي [آية البقرة : ٢٦٦] [٢] المراد بها المنافع والأموال ، **والسِّياق** يدل على أنها الثمار المعروفة لا غيرها ، لقوله هنا : ﴿ ... لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ... ﴾ ، ثم قال تعالى : ﴿ فَأَصَابَهَآ ﴾ أي : الجنة ﴿ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ ﴾ . وفي الكهف : ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا ... ﴾ [٣] ، وما ذلك إلا ثمار الجنة " . اهـ [٤] .

القول الثالث : الثُّمُر الأصل الذي له نماء ، والثَّمر الثمرة ، قاله ابن زيد [٥] ، وابن أبي زمنين من المفسرين [٦] .

قال النحاس : " وكأنه يريد بالأصل الشجر وما أشبهها " [٧] .

قالوا : " لأن في النماء تكثيراً " [٨] .

❖ **ذكر الأقوال من غير ترجيح جماعة من المفسرين ، منهم** : الطبري ، والفخر الرازي ، والعز بن عبد السلام ، وأبو حيان ، والثعالبي ، وابن عادل ، وأبو السعود ، والشوكاني [٩] .

الترجيح:

---

(١) المخصص لابن سيده : ٣ / ١٥٢ .

(٢) وهي قوله تعالى : ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ .

(٣) سورة الكهف : ٤٢ .

(٤) التفسير القيِّم لابن القيِّم : ١ / ٢٦٩ .

(٥) أخرجه الطبري بسنده عنه . ينظر : تفسير الطبري : ١٥ / ٢٤٦ .

(٦) ينظر : تفسير ابن أبي زمنين : ٣ / ٦٢ .

(٧) معاني القرآن للنحاس : ٤ / ٢٣٩ .

(٨) ذكره الماوردي . ينظر : النكت والعيون : ٣ / ٣٠٦ .

(٩) ينظر : تفسير الطبري : ١٥ / ٢٤٦ ، التفسير الكبير : ٢١ / ١٠٦ ، تفسير العز بن عبد السلام : ٢ / ٢٤٨ ، البحر المحيط : ٦ / ١١٩ ، تفسير الثعالبي : ٣ / ٥٢٤ ، تفسير ابن عادل : ١٢ / ٤٨٦ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ٢٢١ ، فتح القدير : ٣ / ٢٨٦ .

يظهر لي – والله أعلم – **أن المراد بالثُّمُر – بضم الثاء والميم – أصناف المال من الذهب والفضة والحيوان وغير ذلك ، وهو قول ترجمان القرآن ابن عباس ﷺ ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ووافقه جمهور المفسرين** ؛ إضافة لما تقدم ، ولما يلي :

أولاً : إن معنى قوله تعالى : ﴿ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ ﴾ أي : كانت له إلى الجنتين الموصوفتين الأموال الكثيرة من الذهب والفضة وغيرهما ، فكان متمكناً من عمارة الجنتين ، من ثَّمر ماله : إذا كثره ، وليس المراد به الثمار المعروفة ، قال بذلك جماعة من المفسرين [(١)] .

وإذا سلمنا بأن المراد بـــ (الثُّمُر) الثمار المعروفة ؛ فـما الفائدة في ذكر الثمر بعد ذكر الجنتين ؛ وقد علم أن صاحب الجنة لا يخلو من ثمر ؟

أجاب عن ذلك **ابن الجوزي** بأجوبة ثلاثة :

" أحدها : أنه لم **يكن** أصل الأرض ملكا له ؛ وإنما كانت له الثمار ؛ قاله ابن عباس ﷺ .
والثاني : أن ذكر الثمر دليل على كثرة ما يملك من الثمار في الجنتين وغيرهما ، ذكره ابن الأنباري .

والثالث : إنا قد **ذكرنا** أن المراد بالثمر الأموال من الأنواع ؛ وذكرنا أنها الذهب والفضة وذلك يخالف الثمر المأكول " . اهـــ [(٢)] .

والقول الثالث قد ثبت عن ابن عباس ﷺ وقتادة ؛ وبهذا يترجح أن المراد **بالثُّمُر** الأموال .

وقال ابن عطية :

" كأنها ثمار وثمر ، ككتاب وكتب ، وأما من قرأ – بفتح الثاء والميم – فلا إشكال في أن المعنى : ما في رؤوس الشجر من الأكل ؛ ولكن فصاحة الكلام تقتضي أن يعبر إيجازا عن هلاك الثمر والأصول بهلاك الثمر فقط ؛ فخصصها بالذكر إذ هي مقصود المستغل ؛ وإذ هلاك الأصول إنما يسوء منه هلاك الثمر الذي كان يرجى في المستقبل " . اهـــ [(٣)] .

---

(١) ينظر : الكشاف : ٢ / ٦٧٤ ، التفسير الكبير : ٢١ / ١٠٦ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٤٩٦ ، تفسير النسفي : ٣ / ١٣ ، البحر المحيط لأبي حيان : ٦ / ١١٩ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ٢٢١ ، السراج المنير : ٢ / ٤١٦ .
(٢) زاد المسير : ٥ / ١٤١ ، ١٤٢ .
(٣) المحرر الوجيز : ٣ / ٥١٦ .

ثانياً : يؤيد هذا القول قراءة أبي ﷺ [١] : (وآتيناه ثمراً كثيراً) أي : أموالاً كثيرة ؛ وتحمل على التفسير .

ثالثاً : تقوى هذا القول **بالقراءة المتواترة الثابتة** ؛ وهي قراءة أبي عمرو : (ثُمْرٌ) – بضم الثاء وإسكان الميم فيهما تخفيفاً – ، فيكون جمع ثمرة ؛ كخَشَبَة وخُشْب ، وبذلك فإنه يتأيد **بالقاعدة الترجيحية** التالية :

- **اتحاد معنى القراءتين أولى من اختلافه** [٢] .

رابعاً : يتأيد هذا القول بوجه من وجوه اللغة – كما ذكرت آنفاً – .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) هذه **القراءة بالغة الشذوذ** تحمل على التفسير . ينظر : إتحاف فضلاء البشر : ٣٦٦ . ولم أقف عليها في مختصر ابن خالويه ولا في محتسب ابن جني ، وقد أوردها غير واحد من المفسرين في تفاسيرهم . ينظر : المحرر الوجيز : ٣ / ٥١٦ ، البحر المحيط لأبي حيان : ٦ / ١١٩ ، روح المعاني : ١٥ / ٢٧٥ .

(٢) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ١٠٠ .

قوله تعالى : ﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ ﴾ . [آية : ٤٦] .

مسألة : في المراد بالباقيات الصالحات :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن الباقيات الصالحات هي : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله والله أكبر ، فقال : ((﴿ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ ﴾ هي : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، هذا قول الجمهور ، وقد روي ذلك عن النبي ﷺ . وقيل : الصلوات الخمس . وقيل : الأعمال الصالحات على الإطلاق)) . اهـ [١] .

الدراسة :

أقوال العلماء والمفسرين في ﴿ٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾ كلها راجعة إلى شيء واحد ، وهو الأعمال التي ترضي الله [٢] ؛ وقد اختلفوا في **المراد بها على التحديد** على ثلاثة أقوال :

القول الأوَّل : هي **الكلمات المأثور فضلها : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله والله أكبر** ؛ قاله ابن عباس رضي الله عنه [٣] ، ومجاهد [٤] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٥] ، ووافقه **جمهور** العلماء [٦] ، وجماعة من المفسرين [٧] .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٨٩ .

(٢) ينظر : أضواء البيان : ٢ / ٣٩٢ .

(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٥ / ٢٥٤) ، وعزاه السيوطي إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر . ينظر : الدر المنثور : ٥ / ٣٩٦ . وينظر : تنوير المقباس : ٢٤٨ . و**صحَّحه** د . سامي الجهني في رسالته : ٧٤٤ .

(٤) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢ / ٤١٠) .

(٥) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٨٩ .

(٦) نسب ابن جُزيّ والشنقيطي وغيرهما هذا القول إلى الجمهور . ينظر : ا لتسهيل : ٢ / ١٨٩ ، أضواء البيان : ٣ / ٢٨١ . ولكن بالاستقراء لم أجد هذا هو قول جمهور المفسرين ، **وربما يقصد جمهور السلف** ؛ والله أعلم .

(٧) منهم : مقاتل ، وقدَّمه ابن الجوزي ، والثعالبي ، والجلالين (قالا : زاد بعضهم : ولا حول ولا قوة إلا بالله) . ينظر : تفسير مقاتل : ٢ / ٢٩١ ، زاد المسير : ٥ / ١٤٩ ، تفسير الثعالبي : ٣ / ٥٢٨ ، تفسير الجلالين : ٣٨٧ .

واستدل على ذلك بالسُّنة [١] **، ومنها :**

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « خُذُوا جُنَّتَكُمْ ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ ، أَمِنْ عَدُوٍّ قَدْ حَضَرَ ؟ قَالَ : لا ، وَلَكِنْ جُنَّتُكُمْ مِنَ النَّارِ ، قَوْلُ : سُبْحَانَ اللهِ ، وَالْحَمْدُ للهِ ، وَلا إِلَهَ إِلا اللهُ ، وَاللهُ أَكْبَرُ ، فَإِنَّهُنَّ يَأْتِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُجَنِّبَاتٍ وَمُعَقِّبَاتٍ ، وَهُنَّ الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ » [٢] .

- وعَنْ سَمُرَةَ بن جُنْدَب ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلى اللَّهِ أَرْبَعٌ : سُبْحَانَ اللهِ ، وَالْحَمْدُ للهِ ، وَلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ ، وَاللهُ أَكْبَرُ ، لَا يَضُرُّكَ بِأَيِّهِنَّ بَدَأْتَ ... » [٣] .

- وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ أَنّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « اسْتَكْثِرُوا مِنَ الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ . قِيلَ : وَمَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : التَّكْبِيرُ ، وَالتَّهْلِيلُ ، وَالتَّسْبِيحُ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ، وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلا بِاللَّهِ » [٤] .

- وعن **سَعِيدِ بن الْمُسَيَّب** قال عن الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ : إِنَّهَا قَوْلُ الْعَبْدِ : اللهُ أَكْبَرُ ، وَسُبْحَانَ اللهِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ، وَلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ [٥] .

---

(١) أخرج الطبري وأورد السيوطي عدداً من الأحاديث والآثار عن جمع من السلف وهم : ابن عباس ، وأبو سعيد الخدري ، والنعمان بن بشير ، وأبو هريرة ، وأبو الدرداء ، وأنس ، وسمرة بن جندب ، وعائشة ، وعلي ، وعثمان بن عفان ، وابن عمر ﷺ أجمعين ، وسعيد بن المسيب ، والحسب البصري والتي تبين أن الباقيات الصالحات هي : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر . ينظر : تفسير الطبري : ١٥ / ٢٥٤ - ٢٥٦ . وينظر : الدر المنثور : ٥ / ٣٩٦ - ٣٩٩ .

(٢) أخرجه الحاكم في مستدركه (١٩٨٥) : ١ / ٧٢٥ . قال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه . و**أقرَّه** الذهبي . وقال الهيثمي : رواه الطبراني في الصغير والأوسط ورجاله في الصغير رجال الصحيح غير داود بن بلال وهو ثقة . ينظر : مجمع الزوائد : ١٠ / ٨٧ . و**صحَّحه** الألباني .

(٣) جزء من حديث أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الآداب ، بَاب كَرَاهَةِ التَّسْمِيَةِ بِالْأَسْمَاءِ الْقَبِيحَةِ وَبِنَافِعٍ وَنَحْوِهِ (٢١٣٧) : ٣ / ١٦٨٥ . وجاء بلفظ : « خَيْرُ الْكَلَامِ أَرْبَعٌ ... » . وبلفظ : « أَفْضَلُ الْكَلَامِ أَرْبَعٌ ... » .

(٤) أخرجه ابن حبان في صحيحه ، ذكر البيان بأن الكلمات التي ذكرناها مع التبري من الحول والقوة إلا بالله مع الباقيات الصالحات (٨٤٠) : ٣ / ١٢١ . قال الحاكم : هذا أصح إسناد المصريين فلم يخرجاه . وقال الهيثمي : رواه أحمد وأبو يعلى إلا أنه قال : « وما هن » بدل « وما هي » **وإسنادهما حسن** . ينظر : مجمع الزوائد : ١٠ / ٨٩ . وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط : حسن لغيره ، وهذا إسناد ضعيف . **وضعّفه** الألباني .

(٥) أخرجه أبو عبد الله ، مالك بن أنس (ت ١٧٩ هـ) في الموطأ موقوفاً على سعيد بن المسيب في كتاب =

القول الثاني : هي : **الصلوات الخمس** ، قاله ابن عباس ﷺ في رواية عنه [١] ، و هو قول مرويٌّ عن جماعة من السَّلف [٢] ، وذهب إليه الأزهري [٣] ورجَّحه السمر قندي ، وابن العربي [٤] من المفسرين .

وذكر ابن العربي الأقوال في المراد بالباقيات الصالحات ثم ذكر القول الأخير ؛ وقال :

" أنها الصلوات الخمس ، وروي عن ابن عباس وغيره ، وبه أقول وإليه أميل ، وليس في الباب حديث صحيح ، أما أن فضل التسبيح والتكبير والتهليل والحوقلة مشهور في الصحيح كثير ، ولا مثل للصلوات الخمس في ذلك بحساب ولا تقدير ؛ والله أعلم " . اهـ [٥] .

القول الثالث : **هي الأعمال الصالحات على الإطلاق** ، وهو مرويٌّ عن ابن عباس ﷺ أيضاً [٦] ، وهو قول قتادة [٧] ، وقاله جماعة من المفسرين [٨] .

= القرآن ، باب ما جاء في ذِكْرِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى (٤٩١) : ١ / ٢١٠ .

وسعيد بن المسيب هو : سعيد بن المسيب بن حزْن بن أبي وهب المخزومي القرشي ، أبو محمد ، عالم أهل المدينة ، وسيد التابعين في زمانه ، المحدث الفقيه ، الزاهد الورع العابد ، ت سنة ٩٤هـ . ينظر : مشاهير علماء الأمصار : ٦٣ ، حلية الأوَّلياء : ٢ / ١٦١ ، السِّير : ٤ / ٢١٧ - ٢٤٦ .

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٥ / ٢٥٣ ، ٢٥٤) ، وعزاه السيوطي في الدر (٥ / ٣٩٨) إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه . وينظر : تنوير المقباس : ٢٤٨ .

(٢) ومنهم : الثوري (ينظر تفسيره : ١٧٨) ، والحسن البصري (قال ابن أبي زمنين في تفسيره (٣ / ٦٦) : في تفسير الحسن : الفرائض) ، وسعيد بن جبير ، وإبراهيم النخعي وغيرهم (أخرجه ابن جرير عنهما في تفسيره : ١٥ / ٢٥٣ ، ٢٥٤) .

(٣) ينظر : تهذيب اللغة : ٩ / ٢٦١ .

(٤) ينظر : تفسير السمر قندي : ٢ / ٣٤٩ ، أحكام القرآن لابن العربي : ٣ / ٢٣٥ ، ٢٣٦ .

(٥) أحكام القرآن لابن العربي : ٣ / ٢٣٥ ، ٢٣٦ .

(٦) نسبه إليه السمر قندي . ينظر تفسيره : ٢ / ٣٤٩ .

(٧) قال قتادة : كل عمل أريد به وجه الله . عزاه السيوطي إلى ابن المنذر ، وابن أبي شيبة ، وابن أبي حاتم . ينظر : الدر المنثور : ٥ / ٣٩٩ . ونسبه إليه غير واحد من المفسرين .

(٨) منهم : الطبري ، والواحدي ، والزمخشري ، وابن عطية ، والفخر الرازي ، والقرطبي ، والبيضاوي ، والنيسابوري والبقاعي ، وأبو السعود ، والشوكاني ، والآلوسي ، والسعدي ، وسيد قطب ، والشنقيطي ، والطاهر بن عاشور ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير الطبري : ١٥ / ٢٥٦ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٦٦٣ ، الكشاف : ٢ / ٦٧٨ ، المحرر الوجيز : ٣ / ٥٢٠ ، التفسير الكبير : ٢١ / ١١٢ ، تفسير القرطبي : ١٠ / ٤١٤ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٥٠١ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٤٣٣ ، نظم الدرر : ٤ / ٤٧٢ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ٢٢٥ ، فتح القدير : ٣ / ٢٩٠ ، روح المعاني : ١٥ / ٢٨٧ ، تفسير السعدي : ٤٧٩ ، الظلال : ٤/ ٢٢٧٢ ، أضواء البيان : ٣ / ٢٨١ ، التحرير والتنوير : ١٥ / ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، الوسيط : =

عن ابن عباس ﷺ قال : ﴿ٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾ قال : هي ذكر الله : لا إله إلا الله ، والله أكبر ، وسبحان الله ، والحمد لله ، وتبارك الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، وأستغفر الله وصلى الله على محمد رسول الله ﷺ ، والصلاة ، والصيام ، والحج ، والصدقة ، والعتق والجهاد ، والصلة ، وجميع أعمال الحسنات ، وهن الباقيات الصالحات التي تبقى لأهلها في الجنة » [١] .

ويستدل على هذا القول بما يلي :

١. رواية ابن عباس ﷺ لكل قول دليل على أن ﴿ٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾ لفظ عام يشمل كل قول وفعل فيه مرضاة الله ويبقى ثوابه [٢] .

٢. اللغة :

قال أهل اللغة [٣] : ﴿ٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾ كل عمل صالح يبقي ثوابه .

قال النحاس بعد ذكر الأقوال عن ابن عباس ﷺ : " ولا يمتنع شيء من هذا عند أهل اللغة ؛ لأنه كل ما بقي ثوابه جاز أن يقال له هذا " [٤] .

وقال القاسمي : " وقع في كلام السلف تفسير ﴿ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ ﴾ بالصلوات وأعمال الحج ، والصدقات ، والصوم ، والجهاد ، والعتق ، وقول : (سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر) والكلام الطيب ، وبغيرهما مما روي مرفوعاً وموقوفاً . والمرفوع من ذلك كله لم يخرَّج في الصحيحين ، وكله على طريق التمثيل . وإن اللفظ الكريم يتناولها لكونها من أفراده " . اهـ [٥] .

= ٨ / ٥٢٧ .

(١) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه . ينظر : الدر المنثور : ٥ / ٣٩٨ .

(٢) ينظر : المحرر الوجيز : ٣ / ٥٢٠ .

(٣) ومنهم : الزَّجَّاج ، وابن سيده ، وابن منظور ، والكفوي . ينظر (مادة : بقي) : معاني القرآن وإعرابه للزجاج : ٣ / ٢٩٢ ، المحكم : ٦ / ٥١٢ ، لسان العرب : ١٤ / ٨٠ ، الكليات : ٢٣٨ ، المعجم الوسيط : ١ / ٦٦ .

(٤) معاني القرآن للنحاس : ٤ / ٢٥٠ . وقال بمثله القرطبي ، ينظر تفسيره : ١٠ / ٤١٤ .

(٥) تفسير القاسمي : ١١ / ٥١ .

وكذا قال **الشهاب الخفاجي** [١] قبله .

✖ وتعقَّبه الآلوسي :

بأن هذا القول يبعده الرواية الصحيحة الثابتة عن رسول الله ﷺ بلفظ : « وَهُنَّ الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ » والتي رواها الحاكم وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه ؛ والمفيدة للحصر بعد التنصيص على ما لا عموم فيه .

ثم استدرك الآلوسي قائلاً :

" وأيّاً ما كان فـ ﴿ٱلْبَٰقِيَٰتُ﴾ صفة لمقدر ، كالكلمات ، أو الأعمال ، وإسناد الباقيات إلى ذلك مجاز ، أي : الباقي ثمرتها وثوابها " [٢] .

❖ **ذكر جميع الأقوال من غير ترجيح جماعة من المفسرين ، منهم** : الثعلبي ، والبغوي ، والنسفي ، **والخازن** ، وابن كثير ، وأبو حيان ، وابن عادل [٣] .

الترجيح:

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن ﴿ٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾ لفظ عام ، يشمل كل قول ، أو عمل يرضى الله ﷻ ويدخل فى ذلك دخولا أولياً : الصلوات الخمس وغيرها مما ذكره ابن جُزيّ والمفسرون غيره من أقوال** [٤] ؛ يدل على ذلك إضافة لما تقدم

---

(١) ينظر : حاشية الشهاب الخفاجي (ت ١٠٦٩ هـ) المسمَّاة (عناية القاضي وكفاية الراضي) حاشية على تفسير البيضاوي : ٦ / ١٨٤ .
والشهاب الخفاجي هو : أحمد بن محمد بن عمر ، شهاب الدين الخفاجي المصري : قاضي القضاة وصاحب التصانيف في الأدب واللغة ، من أهم كتبه : عناية الراضي وكفاية القاضي (حاشية على تفسير البيضاوي) . ت سنة ١٠٦٩هـ . ينظر : اكتفاء القنوع بما هو مطبوع لإدورد فنديك : ٣٦٦ ، الأعلام : ١ / ٢٣٨ .

(٢) روح المعاني : ١٥ / ٢٨٧ .

(٣) ينظر : الكشف والبيان : ٦ / ١٧٣ ، ١٧٤ ، تفسير البغوي : ٣ / ١٦٤ ، ١٦٥ ، تفسير النسفي : ٣ / ١٦ ، تفسير الخازن : ٤ / ٢١٤ ، ٢١٥ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٨٨ ، البحر المحيط لأبي حيان : ٦ / ١٢٧ ، تفسير ابن عادل : ١٢ / ٥٠١ ، ٥٠٢ .
والخازن هو : علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الصوفي ، علاء الدين ، اشتهر بالخازن لأنه كان خازن الكتب السّمَيساطية ، كان من أهل العلم ، جمع وألف وحدث ببعض مصنفاته ، ت سنة ٧٢٥ هـ . ينظر : الدرر الكامنة : ٤ / ١١٥ ، ١١٦ ، طبقات الشافعية : ٣ / ٤٢ ، طبقات الداودي : ٢٦٧ ، ٢٦٨ .

(٤) قال أبو السعود : " و يدخل فيها أعمال فقراء المؤمنين الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه دخولاً

ولما يلي :

أولاً : " الأعمال الصالحة جميعها تبقى لصاحبها في الآخرة ، وعليها يجازي ويثاب ، وإن الله ﷻ لم يخصص من قوله : ﴿ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا ﴾ بعضاً دون بعض في كتاب ولا بخبر عن رسول الله ﷺ .

وأما الحديث الصحيح الثابت عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ والذي جاء بالتخصيص بلفظ : « وَهُنَّ الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ » . فإن هذا الخبر عن رسول الله ﷺ إنما ورد بأن : « قول : سُبْحَانَ الله ، وَالْحَمْدُ لله ، وَلا إِلَهَ إِلا اللهُ ، وَاللهُ أَكْبَرُ ... وَهُنَّ الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ » ولم يقل : هُنَّ **جميع** الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ ؛ ولا **كل** الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ . وجائز أن تكون هذه باقيات صالحات ؛ وغيرها من أعمال البرِّ أيضاً باقيات صالحات " [1] .

ثانياً : **القرينة في السِّياق** : " بقرينة ما بعدها فـ ﴿ ٱلصَّٰلِحَٰتُ ﴾ صفة جرت على غير ما هي له بحسب الأصل ، أو هناك مقدر مرفوع بالوصف ؛ أي : الأعمال الصالحات الباقيات أي التي لا زوال لها ، أي لا زوال لخيرها ، وهو ثوابها الخالد ، فهي خيرٌ من زينة الحياة الدنيا التي هي غير باقية " [2] .

قال الطاهر بن عاشور : " وكان مقتضى الظاهر في ترتيب الوصفين أن يقدم ﴿ ٱلصَّٰلِحَٰتُ ﴾ على ﴿ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ﴾ لأنهما وإن كانا وصفين لموصوف محذوف إلا أن أعرفهما في وصفية ذلك المحذوف هو ﴿ ٱلصَّٰلِحَٰتُ ﴾ ، لأنه قد شاع أن يقال : الأعمال الصالحات ولا يقال الأعمال الباقيات ، ولأن بقاءها مترتب على صلاحها ، فلا جرم أن الصالحات وصف قام مقام الموصوف وأغنى عنه كثيراً في الكلام حتى صار لفظ : ﴿ ٱلصَّٰلِحَٰتُ ﴾ بمنزلة الاسم الدال على عمل خير ، وذلك كثير في القرآن قال تعالى : ﴿ ... وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ... ﴾ [3] .....

ولكن خولف مقتضى الظاهر هنا ، فقدم ﴿ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ﴾ للتنبيه على أن ما ذكر قبله إنما

أوليا " . ينظر : تفسير أبي السعود : ٥ / ٢٢٥ . وكذلك ينظر : روح المعاني : ١٥ / ٢٨٧ .

(١) تفسير الطبري : ١٥ / ٢٥٦ . بتصرف يسير .

(٢) روح المعاني : ١٥ / ٢٨٧ . وينظر : التحرير والتنوير : ١٥ / ٣٣٢ .

(٣) سورة الكهف : ١٠٧ .

كان مفصولاً لأنه ليس بباق ، وهو المال والبنون ، كقوله تعالى : ﴿ ... وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْأَخِرَةِ إِلَّا مَتَـٰعٌ ﴾ [١] ، فكان هذا التقديم قاضياً لحق الإيجاز لإغنائه عن كلام محذوف ، تقديره : أن ذلك زائل أو ما هو بباق والباقيات من الصالحات خير منه ، فكان قوله : ﴿ ... فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَـٰحُ ... ﴾ [٢] مفيداً للزوال بطريقة التمثيل وهو من دلالة التضمن ، وكان قوله : ﴿ وَٱلْبَـٰقِيَـٰتُ ﴾ مفيداً زوال غيرها بطريقة الالتزام ، فحصل دلالتان غير مطابقتين وهما أوقع في صناعة البلاغة ، وحصل بثانيتهما تأكيد لمفاد الأوَّلى فجاء كلاماً مؤكداً موجزاً " . اهـ [٣] .

ثالثاً : كل عمل صالح يبقي ثوابه باقٍ لصاحبه غير زائل ؛ ولا فانٍ كزينة الحياة الدنيا ، ولأنه أيضاً صالح لوقوعه على الوجه الذي يرضي الله تعالى [٤] .

قال الخطيب الشربيني :

" أعمُّها ، وأولاها أنها أعمال الخيرات التي تبقى ثمراتها أبد الآباد فيندرج في ذلك : الصلاة وأعمال الحج ، وصيام رمضان ، وسبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا باللّه ، والكلام الطيب وغير ذلك من كل عمل وقول دعاك لمحبة اللّه تعالى ومعرفته وخدمته ، وأما ما دعاك من قول أو عمل إلى الاشتغال بأحوال الخلق فهو خارج عن ذلك ؛ لأن كل ما سوى الحق فهو فانٍ لذاته فكان الاشتغال به والإنفاق عليه باطلاً وسعياً ضائعاً ، وأما الحق لذاته فهو الباقي الذي لا يقبل الزوال ، لا جرم كان الاشتغال بمحبته ومعرفته وطاعته وخدمته هو الذي يبقى بقاء لا يزول " . اهـ [٥].

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) سورة الرعد : ٢٦ .
(٢) سورة الكهف : ٤٥ .
(٣) التحرير والتنوير : ١٥ / ٣٣٢ ، ٣٣٣ .
(٤) ينظر : أضواء البيان : ٢ / ٣٩٢ .
(٥) السراج المنير : ٢ / ٤٢١ ، ٤٢٢ .

قوله تعالى : ﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾ ﴾ . [آية : ٥٨] .

مسألة : في الموقع الإعرابي لقوله تعالى : ﴿ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن ﴿ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ﴾ صفتان اعترضتا بين المبتدأ والخبر توطئة لما ذكر بعد من ترك المؤاخذة ، فقال : ((﴿ لَوْ يُؤَاخِذُهُم ﴾ الضمير لكفار قريش ، أو لسائر الناس ؛ لقوله : ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ ... ﴾ [١] ، والجملة خبر المبتدأ و ﴿ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ﴾ صفتان اعترضتا بين المبتدأ والخبر توطئة لما ذكر بعد من ترك المؤاخذة ، ويحتمل أن يكون ﴿ ٱلْغَفُورُ ﴾ هو الخبر ، و﴿ يُؤَاخِذُهُمْ ﴾ بيان لمغفرته ورحمته ، **والأوَّل أظهر**)) . اهـ [٢] .

الدراسة :

اختلف بعض المفسرين [٣] في **الموقع الإعرابي لقوله تعالى : ﴿ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم ﴾** على قولين :

القول الأوَّل : ﴿ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ﴾ صفتان ، وجملة ﴿ لَوْ يُؤَاخِذُهُم ﴾ خبر المبتدأ ﴿ وَرَبُّكَ ﴾ ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ [٤] ، ووافقه أبو حيان [٥] .

القول الثاني : ﴿ ٱلْغَفُورُ ﴾ هو الخبر ، و﴿ يُؤَاخِذُهُمْ ﴾ بيان لمغفرته ورحمته ، قاله أبو السعود ، والآلوسي ، والطاهر بن عاشور [٦] من المفسرين .

---

(١) سورة النحل : ٦١ .

(٢) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٩١ .

(٣) لم يتطرق للموقع الإعرابي لهذه الآية – في حدود ما اطلعت – إلا المفسرون المذكورون لاحقاً . وتصفحت كتب إعراب القرآن المتيسرة لدي أمثال كتاب : الزَّجَّاج ، والنحاس ، وابن سيده ، ومكي بن أبي طالب ، والعكبري فلم يذكر إعرابها أيّ من هؤلاء الأئمة الأفاضل .

(٤) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٩١ .

(٥) ينظر : البحر المحيط : ٦ / ١٣٢ ، ١٣٣ .

(٦) ينظر : تفسير أبي السعود : ٥ / ٢٣١ ، روح المعاني : ١٥ / ٣٠٤ ، التحرير والتنوير : ١٥ / ٣٥٦ .

وعلَّل ابن عاشور ذلك قائلاً :

" لأنه المناسب للمقام ولما بعده من جملة ﴿ لَوۡ يُؤَاخِذُهُم ﴾ فيكون ذكر ﴿ ٱلۡغَفُورُ ﴾ إدماجاً في خلال المقصود ... وقوله : ﴿ ذُو ٱلرَّحۡمَةِ ﴾ فهو المقصود تمهيداً لجملة ﴿ لَوۡ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ ﴾ ، فلذلك كانت تلك الجملة بياناً لجملة : ﴿ وَرَبُّكَ ٱلۡغَفُورُ ذُو ٱلرَّحۡمَةِ ﴾ باعتبار ﴿ ٱلۡغَفُورُ ﴾ الخبر " . اهـ [1] .

الترجيح :

يظهر لي – والله أعلم – **أن ﴿ ٱلۡغَفُورُ ذُو ٱلرَّحۡمَةِ ﴾ صفتان ، وجملة ﴿ لَوۡ يُؤَاخِذُهُم ﴾ خبر المبتدأ ﴿ وَرَبُّكَ ﴾ ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ وأبو حيان** .

لأن جملة ﴿ وَرَبُّكَ ٱلۡغَفُورُ ذُو ٱلرَّحۡمَةِ ﴾ لو كان ﴿ ٱلۡغَفُورُ ﴾ فيها هو الخبر ووقفنا عليها لم يتم المعنى عندها **والأظهر** أن يكون ﴿ ٱلۡغَفُورُ ذُو ٱلرَّحۡمَةِ ﴾ صفتان اعترضتا بين المبتدأ والخبر توطئة لما ذكر بعد من ترك المؤاخذة [2] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) التحرير والتنوير : ١٥ / ٣٥٦ ، ٣٥٧ .

(٢) ينظر : التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٩١ .

سورة الكهف ـــــــ

سورة الكهف ـــــــ

سورة الكهف ـــــــ

الثاني : أن موسى ﷺ لما أخبره يوشع بأمر الحوت رجع إلى مكانه ؛ فرأى أثر الحوت في البحر ودائرته التي يجري فيها فعجب من عود الحوت حياً " . اهـ [١] .

واستدل بجملة من الآثار في تفسير قوله تعالى ﴿ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴾ منها :

- عن **ابن عباس** ﷺ قال : يعني كان سرب الحوت في البحر لموسى عجباً .
- وعنه ﷺ أيضاً قال : جعل الحوت لا يمس شيئا من البحر إلا يبس حتى يكون صخرة فجعل نبي الله ﷺ يعجب من ذلك [٢] .
- وعن **قتادة** قال : فكان موسى اتخذ سبيله في البحر عجباً ؛ فجعل يعجب من سرب الحوت [٣] .
- وعنه أيضاً قال : عجب موسى أن تسرب حوت مملح في مكتل [٤] .
- وعن **مجاهد** قال : موسى يعجب من أثر الحوت في البحر ودوراته التي غاب فيها [٥] .

وموضع العجب : أن يكون حوت قد مات فأكل شقه الأيسر ثم حي بعد ذلك .

قال ابن زيد : عجب والله ! حوت كان يؤكل منه أدهراً ، أي شيء أعجب من حوت كان دهرا من الدهور يؤكل منه ؛ ثم صار حياً حتى حشر في البحر [٦] .

❖ **وقال بالقولين الأوَّليين من غير ترجيح جماعة من المفسرين ، منهم** : السمر قندي ، والثعلبي ، والبغوي ، وابن عطية ، والقرطبي [٧] .

---

(١) النكت والعيون : ٣ / ٣٢٤ .

(٢) أخرج ابن جرير الأثرين عن ابن عباس ﷺ في تفسيره (١٥ / ٢٧٥) .

(٣) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢ / ٤٠٥) ، وابن جرير في تفسيره (١٥ / ٢٧٥) .

(٤) من الروايات التفسيرية التي أوردها ابن حجر في فتح الباري ؛ ونسبها لقتادة من طريق ابن أبي حاتم . ينظر : فتح الباري : ٨ / ٤١٦ . ولم أقف عليها في تفسير بن أبي حاتم .

(٥) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٥ / ٢٧٥) . وعزاه السيوطي إلى ابن أبي شيبة ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ينظر : الدر المنثور : ٥ / ٤٢٣ .

(٦) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٥ / ٢٧٥) . وأورده غير واحد من المفسرين عند تفسير الآية .

(٧) ينظر : تفسير السمر قندي : ٢ / ٣٥٤ ، الكشف والبيان : ٦ / ١٨٢ ، تفسير البغوي : ٣ / ١٧٢ ، المحرر

الترجيح:

يظهر لي – والله أعلم – **أن الراجح أن يكون قوله تعالى : ﴿ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴾ من كلام يوشع عليه السلام ، أي : اتخذ الحوت سبيله في البحر عجباً للناس ، وإعراب ﴿ عَجَبًا ﴾ مفعول ثان لـــ ﴿ وَٱتَّخَذَ ﴾ مثل : ﴿ سَرَبًا ﴾** [(١)] **، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه ، كما يجوز الوجهان الآخران السابقا الذكر** [(٢)] **واللذان حكاهما السمين الحلبي** ، يدل على ذلك إضافة لما تقدم ، ولما يلي :

أولاً : " سياق الآية يدل عليه ، لذا اكتفى به بعض المفسرين دون أن يشير إلى غيره " [(٣)] .

ثانياً : يؤيد كونه من كلام فتى موسى عليه السلام **القراءة التفسيرية** ؛ قراءة أبي حيوة : (واتخاذ) بالنصب على أنه معطوف على المنصوب في ﴿ أَذْكُرَهُۥ ﴾ [(٤)] .

ثالثاً : يؤيد ذلك بعض **القواعد الترجيحية** المعتبرة عند المفسرين ، منها :

- **توحيد مرجع الضمائر في السِّياق الواحد أولى من تفريقها .**
- **الأصل إعادة الضمير إلى أقرب مذكور ، ما لم يرد دليل بخلافه** [(٥)] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

الوجيز : ٣ / ٥٢٩ ، تفسير القرطبي : ١١ / ١٤ .

(١) سورة الكهف : ٦١ .

(٢) صفة لمصدر محذوف ؛ أي : اتخاذاً عجباً ، أو منصب بفعل منه مضمر ، أي : أعجبُ عجباً .

(٣) الوسيط : ٨ / ٥٥٠ .

(٤) ذكرها ابن عطية ، والآلوسي في تفسيرهما . ينظر : المحرر الوجيز : ٣ / ٥٢٩ ، روح المعاني : ١٥ / ٣١٨ . وهي **قراءة بالغة الشذوذ** لكنها تحمل على التفسير . ينظر : إتحاف فضلاء البشر : ٣٦٩ . ولم أقف عليها في مختصر ابن خالويه ولا محتسب ابن جني .

(٥) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ٢ / ٦١٣ ، ٦٢١ .

قوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَـٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَـٰلِحًا ... ﴾ . [آية : ٨٢] .

في الآية مسألتان :

المسألة الأولى : في المراد بالكنز المذكور في الآية :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن المراد بكنز اليتيمين مال عظيم ، فقال : ((قيل : مال عظيم . وقيل : كان علما في صحف مدفونة ، **والأوّل أظهر**)) . اهـ [(١)] .

الدراسة :

اختلف السَّلف وأهل العلم والمفسرون في **المراد بكنز اليتيمين** على قولين :

القول الأوّل : الكنز **مال مدفون من ذهب وفضة** ، قاله عكرمة ، وقتادة [(٢)] وغير واحد ، وذهب إليه الزَّجَّاج [(٣)] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [(٤)] ، ووافقه جماعة من المفسرين [(٥)] .

واستدل له :

١. **من السُّنة** : بما روي عن أبي الدَّرداء ﷺ : عن النبي ﷺ في قوله : ﴿ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٩٤ .

(٢) أخرجه ابن جرير عن عكرمة وقتادة . ينظر : تفسير الطبري : ١٦ / ٦ .

(٣) ينظر معانيه : ٣ / ٣٠٧ .

(٤) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٩٤ .

(٥) منهم : الطبري ، والواحدي ، **واستظهره** الزمخشري ، وقدَّمه ابن الجوزي ، و**صحَّحه** الفخر الرزي ، والقرطبي ، والبيضاوي ، **واستظهره** أبو حيان ، وابن كثير ، والبقاعي ، والجلالين ، وأبو السعود ، والآلوسي ، ولم يقل بغيره : سيد قطب ، وابن عاشور ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير الطبري : ١٦ / ٦ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٦٧٠ ، الكشاف : ٢ / ٦٩٣ ، زاد المسير : ٥ / ١٨١ ، التفسير الكبير : ٢١ / ١٣٨ ، تفسير القرطبي : ١١ / ٣٨ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٥١٧ ، البحر المحيط : ٦ / ١٤٧ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٩٩ ، نظم الدرر : ٤ / ٤٩٨ ، تفسير الجلالين : ٣٩٣ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ٢٣٨ ، روح المعاني : ١٦ / ١٢ ، الظلال : ٤ / ٢٢٨١ ، التحرير والتنوير : ١٦ / ١٤ ، الوسيط : ٨ / ٥٦١ .

لَّهُمَا ﴾ قال : « ذهب وفضة » [١] .

٢. **من اللغة** : المعروف من كلام العرب أن الكنز هو المال المدفون [٢] .

قال الزَّجَّاج : " والمعروف فى اللغة أن الكنز إذا أُفْرِد فمعناه : المالُ المدفونُ ؛ فإذا لم يكن المال قيل : كنزُ علمٍ ، وكنزُ فهم . والكنز ههنا بالمَال أشبَهُ ؛ لأن العلم لا يكاد يتعلم إلا بمعلم ، والمال لا يحتاج أن ينتفع فيه بغيره " . اهـ [٣] .

وقال النحاس : " وهذا القول أولى من جهة اللغة " [٤] .

٣. **دلالة السِّياق** :

قال ابن كثير : " وهو ظاهر السِّياق من الآية " [٥] .

القول الثاني : الكنز كان **علماً في صحف مدفونة** ، قاله ابن عباس ﷺ أيضاً ، وسعيد بن جبير [٦] ، ومجاهد [٧] .

واستدل له :

١. **من السُّنة** : بحديث ابن عباس ﷺ ﴿ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا ﴾ قال : « ما كان ذهباً ولا فضة ؛ ولكن كان صحف علم » [٨] .

٢. **القرينة في السِّياق** : قوله تعالى بعدها في الآية نفسها : ﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا ﴾

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه في كتاب التفسير ، بَاب وَمِنْ سُورَةِ الكَهْف (٣١٥٢) : ٥ / ٣١٣ . قال أبو عِيسَى : هذا حديث غريب . وأخرجه الحاكم في مستدركه في كتاب التفسير ، باب تفسير سورة الكهف (٣٣٩٧) : ٢ / ٤٠١ . **وقال الألباني : ضعيف جداً** .

(٢) ينظر (مادة : كنز) في لسان العرب : ٥ / ٤٠١ ، تاج العروس : ١٥ / ٣٠٤ .

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج : ٣ / ٣٠٧ .

(٤) معاني القرآن للنحاس : ٤ / ٢٨١ .

(٥) تفسير ابن كثير : ٣ / ٩٩ .

(٦) أخرجه ابن جرير عن ابن عباس ﷺ وسعيد بن جبير . ينظر : تفسير الطبري : ١٦ / ٦ .

(٧) ينظر تفسيره : ١ / ٣٧٩ . وأخرجه ابن جرير . ينظر : تفسير الطبري : ١٦ / ٦ .

(٨) أخرجه الحاكم في مستدركه في كتاب التفسير ، باب تفسير سورة الكهف (٣٣٩٦) : ٢ / ٤٠٠ . قال الحاكم هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . وقال الذهبي في التلخيص : **صحيح** .

والرجل الصالح يكون كتره العلم لا المال ؛ إذ كتر المال لا يليق بالصلاح ، وقد جاء في ذم الكانز قوله تعالى : ﴿ ... وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ . [سورة التوبة : ٣٤] . (١)

✓ **وأجيب** : بأن المذموم ما لم تؤد منه الحقوق ؛ بل لا يقال لما أديت زكاته كتر شرعاً ؛ كما يدل عليه عند القائلين بالمفهوم حديث : « ما بَلَغَ أَنْ تُؤَدَّى زَكَاتُهُ فَزُكِّيَ فَلَيْسَ بِكَنْزٍ » (٢) . " فإن النبي ﷺ بصدد بيان الأحكام الشرعية لا المفاهيم اللغوية ؛ لأنها معلومة للمخاطبين ولا يعتبر في مفهومه اللغوي المراد هنا شيء من الإخراج وعدمه ، والوصف بالصلاح قرينة على أنه لم يكن من الكتر المذموم " (٣) .

قال ابن فارس : " وكل كتر فى القرآن فهو المال إلا الذى فى سورة الكهف ﴿ وَكَانَ تَحۡتَهُۥ كَنزٞ لَّهُمَا ﴾ فإنه أراد صحفاً وعلماً " (٤) .

القول الثالث : الكتر **لوحٌ من ذهب** ، قاله ابن عباس رضي الله عنه (٥) ، ومقاتل (٦) ، وجوَّزه الزَّجَّاج (٧) ، واحتمله النحاس والبغوي (٨) ، و لم يقل النسفي (٩) بغيره .

واستدل له من السُّنة :

بحديث أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إِنَّ الْكَنْزَ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ لَوْحٌ مِنْ ذَهَبٍ

---

(١) حكاه الفخر الرازي في تفسيره (٢١ / ١٣٨) .

(٢) أخرجه أبو داود (سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي : ت ٢٧٥ هـ) في سننه في كتاب الزكاة ، بَاب الْعُرُوضِ إذا كانت لِلتِّجَارَةِ هل فيها من زَكَاةٍ (١٥٦٤) : ٢ / ٩٥ . عن أم سلمة رضي الله عنها . الحكم على الكتاب بشكل عام : ذكر الإمام أبو داود مصنف هذا الكتاب أن الأحاديث التي في كتابه هي أصح ما عرف في الباب ، وقال ما كان في كتابي من حديث فيه وهن شديد فقد بينته ، وما لم أذكر فيه شيئا فهو صالح . **قال الألباني : حسن المرفوع منه فقط .**

(٣) روح المعاني : ١٦ / ١٣ .

(٤) نقله السيوطي عن ابن فارس ، وقاله الكفوي . ينظر : الإتقان : ١ / ١٠٩ ، الكليات : ٧٤١ . – و لم أقف على قول ابن فارس في كتبه في حدود ما اطلعت – .

(٥) ينظر : تنوير المقباس : ٢٥١ .

(٦) ينظر تفسيره : ٢ / ٢٩٩ .

(٧) ينظر معانيه : ٣ / ٣٠٧ .

(٨) ينظر : معاني القرآن للنحاس : ٤ / ٢٨١ ، تفسير البغوي : ٣ / ١٧٧ .

(٩) ينظر تفسيره : ٣ / ٢٤ .

مُصْمَتٍ ، عَجِبْتُ لِمَنْ أَيْقَنَ بِالْقَدَرِ لِمَ نَصَبَ ، وَعَجِبْتُ لِمَنْ ذَكَرَ النَّارَ لِمَ ضَحِكَ ، وَعَجِبْتُ لِمَنْ ذَكَرَ الْمَوْتَ لِمَ غَفَلَ ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ؛ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ » (١) .

قال **النحاس** : " ويحتمل أن يكون كما روى أنه لوح من ذهب مكتوب فيه : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فهذا يجمع المال والعلم " (٢) .

القول الرابع : الكنز **لوحٌ من ذهب أو فضة مودعاً فيه علم** ، قاله الجصاص .

قال **الجصاص** : " ولما تأولوه على الصحف ، وعلى العلم ، وعلى الذهب ، وعلى الفضة دل على أن اسم الكنز يقع على الجميع ؛ لولاه لم يتأولوه عليه " . اهـ (٣) .

قال **ابن كثير** : " وهذا الذي ذكره هؤلاء الأئمة ؛ وورد به الحديث المتقدم وإن صح لا ينافي قول عكرمة : أنه كان مالاً ؛ لأنهم ذكروا أنه كان لوحاً من ذهب وفيه مال جُزّيل أكثر ما زادوا أنه كان مودعا فيه علم وهو حكم ومواعظ ، والله أعلم ". اهـ (٤) .

✖ **وتعقَّب الآلوسي هذا القول** :

بأن ظاهر قول ابن عباس ﷺ : « ما كان ذهباً ولا فضةً ؛ ولكن كان صحفَ علمٍ » . يأباه (٥) .

---

(١) أخرجه البزار في مسنده (البحر الزخار لأبي بكر ، أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار : ت ٢٩٢ هـ) ، في مسند أبي ذر ﷺ (٤٠٦٥) : ٩ / ٤٥٤ . قال الزيلعي : روي مرفوعاً وموقوفاً . فالمرفوع رواه البزار في مسنده عن أبي ذر وقال : لا نعلمه يروى عن أبي ذر إلا من هذا الوجه بهذا الإسناد . والموقوف روي عن ابن عباس وعن علي ﷺ ، فحديث ابن عباس ﷺ له ثلاث طرق :
أحدها عند الطبراني في كتاب الدعاء له . والثاني عند الدار قطني في غرائب مالك ، ثم قال : هذا باطل عن مالك وجعفر بن محمد ومحمد بن صالح مجهولان . والثالث : عند ابن عدي في الكامل عن أبين بن سفيان عن أبي حازم عن ابن عباس نحوه ، قال ابن عدي : وأبين بن سفيان أحاديثه كلها مناكير . بتصرف . وقال الهيثمي : " رواه البزار من طريق بشر بن المنذر عن الحرث بن عبدالله اليحصبي ؛ و لم أعرفهما وبقية رجاله ثقات " . اهـ .
ينظر : تخريج الأحاديث والآثار للزيلعي : ٢ / ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، مجمع الزوائد للهيثمي : ٧ / ٥٤ فيظهر لنا أيضاً أن هذا الحديث **ضعيف** أيضاً .
(٢) معاني القرآن للنحاس : ٤ / ٢٨١ . وينظر : تفسير البغوي : ٣ / ١٧٧ .
(٣) أحكام القرآن للجصاص : ٥ / ٤٤ .
(٤) تفسير ابن كثير : ٣ / ١٠٠ .
(٥) ينظر : روح المعاني : ١٦ / ١٣ .

الترجيح:

لعل **الرَّاجح** – والله أعلم – **هو القول الأوَّل ، وأن الكنز هو مال مدفون من ذهب وفضة وهو قول عكرمة وقتادة ؛ وهو ما رجحه ابن جُزيّ ومن وافقه** ، إضافة لما تقدم ولما يلي :

أولاً : وإن كان الحديث الذي استدل به ضعيفاً لكنه يتسق مع ظاهر الآية وإطلاق اللفظ ، وسائر الأخبار ليست مرفوعة ، ولذلك قال الطبري :

"وأولى التأويلين في ذلك بالصواب القول الذي قال به عكرمة ، لأن المعروف من كلام العرب أن الكنز اسم لما يكنز من مال ، وأن كل ما كنز فقد وقع عليه اسم كنز ، فإن التأويل مصروف إلى الأغلب من استعمال المخاطبين بالتنزيل ، ما لم يأت دليل يجب من أجله صرفه إلى غير ذلك " . اهـ [1] .

ثانياً : يؤيد هذا القول **القاعدة الترجيحية** التالية :

- **إذا دار الكلام بين أن يكون مقيداً أو مطلقاً فإنه يحمل على إطلاقه** [2] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

(١) تفسير الطبري : ١٦ / ٦ .

(٢) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ٢ / ٥٥٥ .

المسألة الثانية: في المراد بالأب في قوله تعالى : ﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن المراد بالأب : الأقرب ، فقال : ((قيل : إنه الأب السابع . **وظاهر اللفظ** أنه الأقرب)) . اهـ [١] .

الدراسة :

اختلف المفسرون في **المراد بالأب في قوله تعالى : ﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا ﴾** على قولين :

القول الأوَّل : إنه الأب **الأقرب** [٢] الذي ولدهما ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٣] ، ووافقه جمع من المفسرين [٤] .

عن ابن عباس ﷺ في قوله : ﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا ﴾ قال : حفظا بصلاح أبيهما وما ذكر منهما صلاحا [٥] .

قال ابن عطية : " ظاهر اللفظ والسابق منه أنه والدهما دنية " [٦] .

القول الثاني : إنه الأب **السابع** ، قاله **جعفر بن محمد الصادق** [٧] ، وذهب إليه الثعلبي ،

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٩٤ .

(٢) قال مقاتل : ﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا ﴾ يعني : ذا أمانة ، اسم الأب : كاشح ، واسم الأم : دهنا ، واسم أحد الغلامين ، أصرم ، والآخر : صريم . ينظر : تفسير مقاتل : ٢ / ٢٩٩ .

(٣) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٩٤ .

(٤) منهم : مقاتل ، والطبري ، والسمر قندي ، والبغوي ، و**استظهره** ابن عطية ، والبيضاوي ، و**استظهره** أبو حيان والثعالبي ، وأبو السعود ، والخطيب الشربيني ، و**استظهره** الآلوسي ، والسعدي ، وسيد قطب ، وابن عاشور ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير مقاتل : ٢ / ٢٩٩ ، تفسير الطبري : ١٦ / ٧ ، تفسير السمر قندي : ٢ / ٣٥٨ ، تفسير البغوي : ٣ / ١٧٧ ، المحرر الوجيز : ٣ / ٥٣٧ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٥١٧ ، البحر المحيط : ٦ / ١٤٧ ، تفسير الثعالبي : ٣ / ٥٣٩ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ٢٣٩ ، السراج المنير : ٢ / ٤٤١ ، روح المعاني : ١٦ / ١٣ ، تفسير السعدي : ٤٨٣ ، الظلال : ٤ / ٢٢٨١ ، التحرير والتنوير : ١٦ / ١٤ ، الوسيط : ٨ / ٥٦١ .

(٥) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٦ / ٧) .

(٦) المحرر الوجيز : ٣ / ٥٣٧ . وينظر : تفسير القرطبي : ١١ / ٣٨ ، تفسير الثعالبي : ٣ / ٥٣٩ ، التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٩٤ .

(٧) عن جعفر قال : ... وكان بينهما وبين الأب الذي حفظا به سبعة آباء . أخرجه ابن جرير . ينظر : تفسير

والعز بن عبد السلام [١] من المفسرين .

قال **محمد بن المنكدر** : إن الله يصلح بصلاح الرجل الصالح ولده ، وولد ولده ، وأهل دويرات حوله ؛ فما يزالون في حفظ الله ما دام فيهم [٢] .

الترجيح:

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن ظاهر اللفظ والأسبق إلى الذهن أن المراد بالأب في قوله تعالى : ﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَلِحًا ﴾ هو الأب الأقرب ؛ وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** ، وقد ذكر أهل التفسير تفصيلاً في القصة ؛ فذكروا اسم الغلامين ، واسم أبيهما ، واسم امهما ؛ وقيل : هو الأب السابع ؛ **وليس في هذا كبير فائدة ولا يترتب عليه عمل ..**

" وأيا ما كان ففي الآية دلالة على أن صلاح الآباء يفيد العناية بالأبناء " [٣] .

والفائدة من القصة التي يدل عليها السِّياق هي أن الله تعالى يحفظ عبده الصالح في نفسه وفي ولده .

قال ابن كثير : " فيه دليل على أن الرجل الصالح يحفظ في ذريته ، وتشمل بركة عبادته لهم في الدنيا والآخرة بشفاعته فيهم ورفع درجتهم إلى أعلى درجة في الجنة ؛ لتقر عينه بهم كما جاء في القرآن ووردت به السُّنة " . اهـ [٤] .

الطبري : ١٦ / ٦ . ونسبه إليه أغلب المفسرين .

= **وجعفر بن محمد الصادق** هو : جعفر بن محمد الباقر بن علي الهاشمي ، أبو عبد الله ، إمام فقيه ، وأحد سادات أهل البيت وفضلائهم وأشرافهم ، ولقب بالصادق لصدقه في مقالته ، ت سنة ٢٨٤هـ . ينظر : تاريخ البخاري : ٢ / ١٩٨ ، تهذيب الكمال : ٥ / ٧٤ – ٩٧ ، التقريب : ١٤١ .

(١) ينظر : الكشف والبيان : ٦ / ١٨٨ ، تفسير العز بن عبد السلام : ٢ / ٢٦٠ .

(٢) عزاه السيوطي إلى ابن المبارك ، وابن أبي شيبة عن محمد بن المنكدر موقوفاً ، وعزاه إلى ابن مردويه عن جابر ﷺ مرفوعاً . ينظر : الدر المنثور : ٤ / ٤٢٢ .

ومحمد بن المنكدر هو : محمد بن المنكدر بن عبد الله بن الهدير (بالتصغير) بن عبد العزى القرشى التيمى (من بنى تيم بن مرة) المدنى : زاهد ، من رجال الحديث ، من أهل المدينة . أدرك بعض الصحابة وروى عنهم . ت سنة ١٣٠ هـ . ينظر : الثقات : ٥ / ٣٥٠ ، تذكرة الحفاظ للذهبي : ١ / ١٢٧ ، طبقات الحفاظ : ٥٨ .

(٣) روح المعاني : ١٦ / ١٣ .

(٤) ينظر : تفسير بن كثير : ٣ / ١٠٠ .

✓ ولا يستبعد أن يدخل معهم ذريته وإن بعدوا عنه .

فقد رُوي : « أن الله تعالى يحفظ العبد الصالح في سبعة من ذريته » [١] .

" وعلى هذا يدل قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ وَلِيِّيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَـٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾ . [سورة الأعراف : ١٩٦] . " [٢] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

(١) الحديث لم أقف له على سند في حدود ما اطلعت . وذكره القرطبي بهذا اللفظ في تفسيره (١١ / ٣٨) ، وأورده ابن عطية وأبو حيان بلفظ : « إن الله يحفظ الرجل الصالح في ذريته » . ينظر : المحرر الوجيز : ٣ / ٥٣٧ ، البحر المحيط : ٦ / ١٤٧ .

(٢) تفسير القرطبي : ١١ / ٣٨ .

قوله تعالى : ﴿ ۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ۖ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ ﴾ . [آية : ٩٩] .

مسألة : في عود الضمير في قوله تعالى : ﴿ بَعْضَهُمْ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن الضمير في قوله تعالى : ﴿ بَعْضَهُمْ ﴾ لجميع الناس ، فقال :

((الضمير في : ﴿ وَتَرَكْنَا ﴾ لله ﷻ ، و ﴿ يَوْمَئِذٍ ﴾ يحتمل أن يريد به يوم القيامة ؛ لأنه قد تقدم ذكره ، فالضمير في قوله : ﴿ بَعْضَهُمْ ﴾ على هذا لجميع الناس ، أو يريد بقوله : ﴿ يَوْمَئِذٍ ﴾ يوم كمال السد ، والضمير في قوله : ﴿ بَعْضَهُمْ ﴾ على هذا ليأجوج ومأجوج **والأوَّل أرجح** ، لقوله بعد ذلك : ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ ﴾ فيتصل الكلام ، و ﴿ يَمُوجُ ﴾ عبارة عن اختلاطهم واضطرابهم)) . اهـ [1] .

الدراسة :

قوله ﷻ : ﴿ يَمُوجُ ﴾ من الموج ؛ بمعنى الاضطراب والاختلاط . يقال : ماج البحر إذا اضطرب موجه وهاج واختلط . ويقال : ماج القوم إذا اختلط بعضهم ببعض ، وتزاحموا حائرين فزعين [2] . وأصل الموج : حركة الماء ؛ فاستعمل في حركتهم على سبيل الاستعارة والجامع سرعة الاضطراب وتتابعه في الكثرة ، وشدة الحركة [3] .

ولقد اختلف المفسرين في **على من يعود الضمير في ﴿ بَعْضَهُمْ ﴾** ؛ وهو مترتب على المراد بـ ﴿ يَوْمَئِذٍ ﴾ هل هو يوم القيامة ، أو يوم كمال السد ، أو يوم خروج يأجوج ومأجوج من السد .. وحاصل اختلافهم يرجع إلى قولين :

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٩٦ .

(٢) ينظر : غريب القرآن للسجستاني : ٥١٣ . وينظر (مادة : موج) في : مفردات الرَّاغب : ٤٧٧ ، تهذيب اللغة للأزهري : ١١ / ١٥٣ ، لسان العرب : ٢ / ٣٧٠ ، تاج العروس : ٦ / ٢٢٠ .

(٣) ينظر : الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني : ٢٧٦ ، برهان الزَّركشي : ٣ / ٤٤١ ، إتقان السيوطي : ٣ / ١٢٠ .

✓ **القول الأوَّل** : الضمير في قوله : ﴿ بَعْضَهُمْ ﴾ **عائد إلى جميع الناس** ؛ وذلك بناء على أن المراد بـــ ﴿ يَوْمَئِذٍ ﴾ يوم القيامة ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** (١) ، ووافقه جماعة من المفسرين (٢) .

عن ابن عباس ﷺ قال : « الإنس والجن يموج بعضهم في بعض » (٣) .

وقال الطبري : " يختلط جنُّهم بإنسهم " (٤) .

قال الآلوسي : " ولعل ذلك لعظائم تقع قبل النفخة الأوَّلى " (٥) .

✓ **القول الثاني** : الضمير في قوله : ﴿ بَعْضَهُمْ ﴾ عائد **إلى يأجوج ومأجوج** (٦) ، استظهره أبو حيان (٧) ، وقوله : ﴿ يَوْمَئِذٍ ﴾ فيه وجوه :

الأوَّل : يوم كمال السد مختلطين لكثرتهم ، قاله جماعة من المفسرين (٨) .

والمعنى : وجعلنا وصيرنا بمقتضى حكمتنا وإرادتنا وقدرتنا ، قبائل يأجوج ومأجوج يموج

---

(١) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٩٦ .

(٢) منهم : الطبري ، وجوَّزه النحاس ، والثعلبي ، والواحدي ، والزمخشري ، واحتمله ابن عطية ، وحسَّنه القرطبي ، وجوَّزه البيضاوي والنسفي وأبو السعود ، و **استظهره** الآلوسي ، وسيد قطب ، والشنقيطي . ينظر : تفسير الطبري : ١٦ / ٢٨ ، معاني القرآن للنحاس : ٤ / ٢٩٦ ، الكشف والبيان : ٦ / ٢٠٠ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٦٧٢ ، الكشاف : ٢ / ٦٩٨ ، المحرر الوجيز : ٣ / ٥٤٤ ، تفسير القرطبي : ١١ / ٦٥ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٥٢٤ ، تفسير النسفي : ٣ / ٢٧ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ٢٤٧ ، روح المعاني : ١٦ / ٤٣ الظلال : ٤ / ٢٢٩٤ ، أضواء البيان : ٣ / ٣٤١ ، ٣٤٢ .

(٣) عزاه السيوطي إلى ابن أبي شيبة ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم . ينظر : الدر المنثور : ٥ / ٤٦٣ . وأورده ابن كثير . ينظر : تفسير ابن كثير : ٣ / ١٠٧ .

(٤) تفسير الطبري : ١٦ / ٢٨ .

(٥) روح المعاني : ١٦ / ٤٣ .

(٦) قال باحتمال القولين : السمين الحلبي ، والثعالبي ، والخطيب الشربيني ، والسعدي ، ينظر : الدر المصون : ٤ / ٤٨٤ ، تفسير الثعالبي : ٣ / ٥٤٣ ، السراج المنير : ٢ / ٤٥٠ ، تفسير السعدي : ٤٨٧ . وذكرهما الخازن (٤ / ٢٣٥) ، وابن عادل (١٢ / ٥٧٠) من غير ترجيح .

(٧) ينظر : البحر المحيط : ٦ / ١٥٦ . وقال بالوجهين في ﴿ يَوْمَئِذٍ ﴾ يوم خروجهم من السد أو حجزهم في السد .

(٨) ومنهم : مقاتل ، واحتمله ابن عطية ، وابن الجوزي ، و **استظهره** القرطبي ، و لم يقل بغيره الطاهر بن عاشور ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير مقاتل : ٢ / ٣٠٢ ، المحرر الوجيز : ٣ / ٥٤٤ ، تذكرة الاريب في تفسير الغريب لابن الجوزي : ١ / ٣٢٥ ، تفسير القرطبي : ١١ / ٦٥ ، التحرير والتنوير : ١٦ / ٤٠ ، الوسيط : ٨ / ٥٧٧ .

بعضهم في بعض . أى : يتزاحمون ويضطربون من شدة الحيرة لأنهم بعد بناء السد ، صاروا لا يجدون مكانا ينفذون منه إلى ما يريدون النفاذ إليه ، فهم خلفه في اضطراب وهرج . قالوا : هذا هو الأقرب لسياق الآية .

الثاني : يوم خروج يأجوج ومأجوج من السد مزدحمين في البلاد [١] ، قاله ابن عباس [٢] رضي الله عنه أيضاً ، وذهب إليه جماعة من المفسرين [٣] .

واستدل له :

بقول **السدي** في الآية : ذلك حين يخرجون على الناس .

وقال **ابن زيد** : هذا أول يوم القيامة ؛ ثم ينفخ في الصور على أثر ذلك [٤] .

وذلك كقوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ ... ﴾ . [سورة الأنبياء : ٩٦ ، ٩٧] . [٥]

الترجيح :

يظهر لي – والله أعلم – **أن الراجح أن الضمير في قوله : ﴿ بَعْضَهُمْ ﴾ عائد إلى جميع الناس ؛ وذلك بناء على أن المراد بـــ ﴿ يَوْمَئِذٍ ﴾ يوم القيامة ؛ وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** ، إضافة لما تقدم ؛ ولما يلي :

---

(١) جاء في صفتهم وكثرتهم غير واحد من الأحاديث ؛ أخرج بعضها مسلم في صحيحه ، وأوردها جمع من المفسرين في تفاسيرهم عند تفسيرهم للآية ؛ ولكنها ليست تفسيراً للآية .

(٢) ينظر : تنوير المقباس : ٢٥٢ .

(٣) منهم : ابن أبي زمنين ، وقدَّمه الماوردي ، والبغوي ، والفخر الرازي (وقال : **هو الأقرب**) ، والنيسابوري ، وابن كثير ، والبقاعي ، والجلالين ، والشوكاني . ينظر : تفسير ابن أبي زمنين : ٣ / ٨٤ ، النكت والعيون : ٣ / ٣٤٥ ، تفسير البغوي : ٣ / ١٨٤ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٤٦٢ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ١٠٧ ، النهاية في الملاحم والفتن لابن كثير أيضاً : ١ / ١٠٠ ، نظم الدرر : ٤ / ٥٠٨ ، تفسير الجلالين : ٣٩٥ ، فتح القدير : ٣ / ٣١٥ . **وجوّزه** : النحاس ، والزمخشري ، والبيضاوي ، والنسفي ، وأبو السعود . ينظر : معاني القرآن للنحاس : ٤ / ٢٩٦ ، الكشاف : ٢ / ٦٩٨ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٥٢٤ ، تفسير النسفي : ٣ / ٢٧ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ٢٤٧ . وقاله ابن حجر في فتح الباري : ١٣ / ١٠٦ .

(٤) عزاهما السيوطي عن السدي وابن زيد إلى ابن أبي حاتم . ينظر : الدر المنثور : ٥ / ٤٦٣ .

(٥) ينظر : تفسير ابن كثير : ٣ / ١٠٧ ، نظم الدرر : ٤ / ٥٠٨ .

أولاً : القرينة القرآنية : ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ ﴾ لقيام الساعة ؛ فيتسق معنى الآية [١] .

ثانياً : دلالة السِّياق القرآني : قد تقدم ذكر يوم القيامة [٢] ، وذلك في قوله تعالى قبلها : ﴿ ... فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ... ﴾ . [سورة الكهف : ٩٨] . يعني فإذا دنا مجيء يوم القيامة ، وشارف أن يأتي جعل السد دكاً .

قال **الشنقيطي** :

" ولا ينبغي العدول عن هذا القول **لموافقته لظاهر سياق القرآن العظيم** . وإذا تقرر أن معنى ﴿ يَوْمَئِذٍ ﴾ يوم إذ جاء الوعد بخروجهم وانتشارهم ، فاعلم أن الضمير في قوله : ﴿ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ ﴾ على القول بأنه لجميع بني آدم فالمراد يوم القيامة . وإذاً فقد دلت الآية على اقترانه بالخروج إذا دك السد ، وقربه منه " . اهـ [٣] .

وعلى القول بأن الضمير في ﴿ بَعْضَهُمْ ﴾ عائد إلى يأجوج ومأجوج كما ذكر جماعة من المفسرين ؛ فإن قوله تعالى : ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ ﴾ يدل في الجملة على أن خروجهم سيكون قرب يوم القيامة ؛ وعلى هذا تدل آية الأنبياء المشار إليها أيضاً ؛ وهي قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ ... ﴾ . [سورة الأنبياء : ٩٦ ، ٩٧] . لأن قوله : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ ﴾ اتبع بقوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ... ﴾ [٤] .

قال **الفخر الرازي** بعد أن ذكر جميع الأقوال : " وكل ذلك محتمل ، إلا أن الأقرب أن المراد الوقت الذي جعل الله ذلك السد دكاً ، فعنده ماج بعضهم في بعض [٥] ، وبعده نفخ في الصور ، وصار ذلك من آيات القيامة " . اهـ [٦] .

---

(١) ذكره ابن عطية ، ينظر : المحرر الوجيز : ٣ / ٥٤٤ . وينظر : ا لتسهيل : ٢ / ١٩٦ ، السراج المنير : ٢ / ٤٥٠ .

(٢) ينظر : تفسير القرطبي : ١١ / ٦٥ ، التسهيل : ٢ / ١٩٦ .

(٣) أضواء البيان : ٣ / ٣٤٢ .

(٤) ينظر : المرجع السابق : ٣ / ٣٤٢ .

(٥) قد رجح الفخر الرازي أن الضمير عائد إلى يأجوج ومأجوج .

(٦) التفسير الكبير : ٢١ / ١٤٧ .

ثالثاً : يؤيد هذا القول **القاعدة الترجيحية** التالية :

- **القول الذي تؤيده قرائن في السِّياق مرجَّح على ما خالفه** [١] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

(١) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٢٩٩ .

قوله تعالى : ﴿ قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلاً ﴿١٠٣﴾ ﴾ . [آية : ١٠٣] .

مسألة : فيمن أريد بالآية :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن الآية في كفار العرب ، فقال : ((﴿ قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلاً ﴿١٠٣﴾ ﴾ الآية في كفار العرب ، كقوله : ﴿ ...كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ ... ﴾ [١] وقيل : في الرهبان ؛ لأنهم يتعبدون ويظنون أن عبادتهم تنفعهم ، وهي لا تقبل منهم)) . اهـ [٢] .

الدراسة :

قوله تعالى : ﴿ بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلاً ﴾ أي : الذين أتعبوا أنفسهم في عمل يرجون به فضلاً ونوالاً فنالوا هلاكاً وبواراً ، **واختلف السلف والمفسرون فيمن أريد بهم** على أربعة أقوال :

القول الأوَّل : الآية في كفار العرب ، وهو مرويٌّ عن **علي** ﷺ ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٣] ، ووافقه ابن عطية ، والثعالبي ، وابن عاشور [٤] من المفسرين .

واستدل له :

١. بالقرينة القرآنية :

قوله تعالى بعدها : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ... ﴾ [٥] . [٦]

---

(١) سورة الكهف : ١٠٥ .
(٢) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٩٦ ، ١٩٧ .
(٣) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٩٦ .
(٤) ينظر : المحرر الوجيز : ٣ / ٥٤٥ ، تفسير الثعالبي : ٣ / ٥٤٥ ، التحرير والتنوير : ١٦ / ٤٦ .
(٥) سورة الكهف : ١٠٥ .
(٦) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٩٦ ، أحكام القرآن لابن العربي : ٣ / ٢٤٤ ، تفسير الثعالبي : ٣ / ٥٤٥ ، أضواء البيان : ٣ / ٣٥٠ .

٢. من الأثر :

سئل **علي بن أبي طالب** ﷺ : من ﴿... هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلاً﴾ ؟ قال : فجرة قريش [١] .

القول الثاني : الآية في القسيسين والرهبان ، وهو مرويٌّ عن **علي** ﷺ أيضاً ، ومصعب بن سعد [٢] ، وذهب إليه مقاتل ، والزمخشري ، وابن الجوزي [٣] من المفسرين .

واستدل له من الأثر :

عن **علي** ﷺ قال : هم الرهبان الذين حبسوا أنفسهم في السواري [٤] .

" لأنهم يتعبدون ويظنون أن عبادتهم تنفعهم ، وهي لا تقبل منهم " [٥] .

القول الثالث : الآية في أهل حروراء [٦] ، أي الخوارج ، قاله ابن عباس ﷺ [٧] ، وروي عن **علي بن أبي طالب** ﷺ [٨] أيضاً .

واستدل له من الأثر :

عن **علي** ﷺ أنه سئل عن هذه الآية : ﴿ قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلاً ﴾ قال : لا أظن إلا أن الخوارج منهم [٩] .

✖ **واستُشكل** : بأن قوله تعالى ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ... ﴾ [١٠] يأباه ؛ لأنهم لا ينكرون البعث وهم غير كفرة .

---

(١) عزاه السيوطي إلى ابن مردويه . ينظر : الدر المنثور : ٥ / ٤٦٥ .
(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٦ / ٣٣) عن علي ﷺ ومصعب بن سعد .
(٣) ينظر : تفسير مقاتل : ٢ / ٣٠٣ ، الكشاف : ٢ / ٦٩٩ ، زاد المسير : ٥ / ١٩٧ .
(٤) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم . ينظر : الدر المنثور : ٥ / ٤٦٥ .
(٥) التسهيل : ٢ / ١٩٦ .
(٦) سبق التعريف بهم . ينظر : مسائل سورة الرعد : ص١٦٥ .
(٧) ينظر : تنوير المقباس : ٢٥٣ .
(٨) ينظر : تفسير الثوري : ١٧٩ . وأخرجه ابن جرير في تفسيره (١٦ / ٣٤) .
(٩) عزاه السيوطي إلى عبد الرزاق ، والفريابي ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم . ينظر : الدر المنثور : ٥ / ٤٦٥ .
(١٠) سورة الكهف : ١٠٥ .

✓ **وأجيب** : " بأنه لا يلزم أن يكونوا متصلين بهم من كل الوجوه ، بل يكفي كونهم على الضلال ، مع أنه يجوز أن يكون – كرم الله تعالى وجهه – معتقداً لكفرهم ، واستحسن أنه تعريض بهم على سبيل التغليظ لا تفسيراً للآية " [١].

القول الرابع : الآية في أهل الكتاب ، وهو مرويٌّ عن **علي** ﷺ [٢] أيضاً ، وقاله سعد بن أبي وقاص ﷺ [٣] ، وذهب إليه ابن أبي زمنين [٤] من المفسرين . [٥]

واستدل له :

١. بالنظير القرآني :

قوله تعالى عن الرهبان الذين يتقربون إلى الله على غير شرع صحيح : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ۝٤ ﴾ . [سورة الغاشية : ٢ - ٤] .

٢. من السُّنة :

بما **أخرج الإمام البخاري** عن مُصْعَب بن سَعْدٍ قال سَأَلْتُ أبي ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً ﴾ هُمْ الْحَرُورِيَّةُ ؟ قال : لَا ، هُمْ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى ؛ أَمَّا الْيَهُودُ فَكَذَّبُوا مُحَمَّدًا ﷺ ، وَأَمَّا النَّصَارَى كفروا بِالْجَنَّةِ ، وَقَالُوا : لَا طَعَامَ فيها ولا شَرَابَ . وَالْحَرُورِيَّةُ ﴿ الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ ... ﴾ [٦] ، وكان سَعْدٌ يُسَمِّيهِمْ الْفَاسِقِينَ » [٧] .

---

(١) ينظر : روح المعاني : ١٦ / ٤٨ . بتصرف يسير .

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٦ / ٣٣) .

(٣) سيأتي تخريجه لاحقاً بإذن الله .

(٤) ينظر : تفسير ابن أبي زمنين : ٣ / ٨٥ .

(٥) ذكر الأقوال من غير ترجيح : الماوردي ، والبغوي ، والعز بن عبد السلام ، والخازن . ينظر : النكت والعيون : ٣ / ٣٤٧ ، تفسير البغوي : ٣ / ١٨٥ ، تفسير العز بن عبد السلام : ٢ / ٢٦٥ ، تفسير الخازن : ٤ / ٢٣٦ .

(٦) سورة البقرة : ٢٧ .

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب التفسير ، بَاب ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً ﴾ (٤٤٥١) : ٤ / ١٧٥٨ .

✖ **وتضعَّف الأقوال الثلاثة الأخيرة :**

١. **بالقرينة القرآنية** : قوله تعالى بعد ذلك : ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ ... ﴾ [١] . " وليس من هذه الطوائف من يكفر بلقاء الله ، وإنما هذه صفة مشركي عبدة الأوثان " [٢] .

٢. هذه الآية مكيَّة قبل خطاب اليهود والنصارى ، وقبل وجود الخوارج بالكلية [٣] .

الترجيح:

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أنه عند التحقيق : أن الآية نازلة في الكفار الذين يعتقدون أن كفرهم صواب وحق ، وأن فيه رضى ربهم ، وهو ما رجّحه ابن جُزيّ ومن وافقه .**

والعلماء من الصحابة ﷺ ومن بعدهم حملوا عليهم غيرهم ، وألحقوا بهم من سواهم ممن كان في معناهم ، والقول بأنهم الرهبان ، أو الحرورية ، أو أهل الكتاب الكافرون بالنَّبي ﷺ كل ذلك تشمله هذه الآية ؛ فالآية عامة في كل عامل عملاً يحسبه فيه مصيباً وأن عمله مقبول ، وهو مسخط لربه وعمله مردود من أي أهل دين كانوا ؛ قال بذلك جماعة من المفسرين [٤] ؛ يدل على ذلك ما يلي :

أولاً : النظائر القرآنية :

- قوله تعالى : ﴿ وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَـٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا ﴾ . [سورة الفرقان : ٢٣] .

---

(١) سورة الكهف : ١٠٥ .

(٢) المحرر الوجيز : ٣ / ٥٤٥ . وينظر : تفسير الثعالبي : ٣ / ٥٤٥ .

(٣) ينظر : تفسير ابن كثير : ٣ / ١٠٨ .

(٤) ومنهم : الطبري ، وابن العربي ، وابن الجوزي ، والفخر الرازي ، وابن تيمية ، والنيسابوري ، وأبو حيان ، وابن كثير ، وأبو السعود ، والشنقيطي . ينظر : تفسير الطبري : ١٦ / ٣٤ ، أحكام القرآن لابن العربي : ٣ / ٢٤٥ كشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي : ١ / ٢٤٤ ، التفسير الكبير : ٢١ / ١٤٨ ، جامع الرسائل لأبي العباس ، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت ٧٢٨ هـ) : ٢٣١ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٤٦٢ ، البحر المحيط : ٦ / ١٥٧ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ١٠٨ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ٢٤٩ ، أضواء البيان : ٣ / ٣٥٠ .

- وقوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا ... ﴾ . [سورة النور : ٣٩] .(١)

- وقوله تعالى : ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنٗا ... ﴾ . [سورة فاطر : ٨] .

ثانياً : الأقوال الثلاثة الأخيرة مرويَّةٌ عن علي ﷺ ؛ وهذا دليل على أنه ذكر أقواماً أخذوا بحظهم من صدر الآية ، فالآية تشمل الحرورية كما تشمل اليهود والنصارى وغيرهم ؛ لا أنها نزلت في هؤلاء على الخصوص ولا هؤلاء ؛ بل هي أعم من هذا (٢) .

ثالثاً : انتصب ﴿ أَعۡمَٰلٗا ﴾ على التمييز وجمع ؛ والقياس أن يكون مفرداً ؛ **أي أنواعاً من الأعمال** ؛ لأن أعمالهم في الضلال مختلفة وليسوا مشتركين في عمل واحد (٣) ، فمنهم من يعبد الملائكة ، ومنهم من يعبد النجوم ، ومنهم من يعبد الأنبياء ، ومنهم من يعبد الأوثان ، ومنهم من يكفر بغير ذلك .

قال أبو حيان :

" وينبغي حمل هذه الأقوال على التمثيل على الحصر ؛ إذ الأخسرون أعمالاً هم كل من دان بدين غير الإسلام ، أو راءى بعمله ، أو أقام على بدعة تؤول به إلى الكفر والأخسر من أتعب نفسه فأدى تعبه به إلى النار " . اهـ (٤) .

رابعاً : وهذه الآية وإن كانت في اليهود والنصارى كما ثبت في صحيح البخاري ؛ إلا أنها عامة بلفظها ، في كل من عمل عملاً يظنه حسناً وإلى الله مقرباً ، وحقيقة عمله أنه سيء وهو فيه لله مسخط – والعياذ بالله – ، وهذا من الجهل بدين الله (٥) .

---

(١) ينظر : تفسير ابن كثير : ٣ / ١٠٨ .

(٢) ينظر : المحرر الوجيز : ٣ / ٥٤٥ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ١٠٨ ، تفسير الثعالبي : ٣ / ٥٤٥ .

(٣) ينظر : تفسير البيضاوي : ٣ / ٥٢٥ ، تفسير النسفي : ٣ / ٢٨ ، البحر المحيط لأبي حيان : ٦ / ١٥٧ ، الدر المصون : ٤ / ٤٨٥ ، نظم الدرر : ٤ / ٥٠٩ ، تفسير ابن عادل : ١٢ / ٥٧٢ ، السراج المنير : ٢ / ٤٥١ ، كليات الكفوي : ١٠٢٠ ، فتح القدير للشوكاني : ٣ / ٣١٥ ، الوسيط لمحمَّد سيِّد طنطاوي : ٨ / ٥٨٣ .

(٤) البحر المحيط : ٦ / ١٥٧ .

(٥) ينظر : مجلة البحوث الإسلامية ، مقال بعنوان : أسباب حصول الفتن وسبيل النجاة منها ، لسماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن محمد آل الشيخ : ٥٤ / ١٩٨ .

وقد قيل :

ما يبلغ الأعداء من جاهل ما يبلغ الجاهل من نفسه [١]

خامساً : هذا القول تؤيده **القاعدة الترجيحية** التالية :

العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب [٢] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

(١) نُسب لصالح بن عبد القدوس . ينظر : العقد الفريد لأحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي (ت ٣٢٨ هـ) : ٢ / ٢٥٥ .

(٢) ينظر : القواعد الحسان للسعدي : ١٠ ، قواعد التفسير للسبت : ٢ / ٥٩٣ ، قواعد الترجيح للحربي : ٢ / ٥٤٥ .

سـورة مريـم - عليها السلام -

قوله تعالى : ﴿ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢ ﴾ . [آية : ٢] .

مسألة : في الموقع الإعرابي لـ ﴿ عَبْدَهُۥ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن ﴿ عَبْدَهُۥ ﴾ مفعول لـ ﴿ رَحْمَتِ ﴾ ، فقال :

((ونصب ﴿ عَبْدَهُۥ ﴾ على أنه مفعول لـ ﴿ رَحْمَتِ ﴾ فإنها مصدر أضيف إلى الفاعل ونصب المفعول . وقيل : هو مفعول بفعل مضمر تقديره : رحمة عبده ، وعلى هذا يوقف على ما قبله ، **وهذا ضعيف** ؛ وفيه تكلف الإضمار من غير حاجة إليه ، وقطع العامل عن العمل بعد تهيئته له)) . اهـ [١] .

الدراسة :

اختلف أهل العلم والمفسرون في **﴿ عَبْدَهُۥ ﴾ هل هو مفعول لـ ﴿ رَحْمَتِ ﴾ أو مفعول بفعل مضمر** على قولين :

القول الأول : أن **﴿ عَبْدَهُۥ ﴾** [٢] **مفعول لـ ﴿ رَحْمَتِ ﴾** ، قاله الأخفش [٣] ، والعكبري [٤] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٥] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٦] .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٢ .

(٢) يقرأ في الشاذ : (ذَكَّر رحمتَ ربك عبدُه) على الفعل الماضي لـ (ذَكَر) ، و (رحمتَ) مفعول ، و (عبدُه) فاعل ، وهي قراءة الحسن . ينظر : مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه : ٨٦ ، المحتسب لابن جني : ٢ / ٣٧ ، إتحاف فضلاء البشر للبناء : ٣٧٥ ، ٣٧٦ . وأورد هذه القراءة الشاذة العكبري وغير واحد من المفسرين . ينظر : التبيان في إعراب القرآن لأبي البقاء العكبري : ٢ / ٨٦٥ .

(٣) ينظر معانيه : 2 / 624 .

(٤) ينظر : التبيان في إعراب القرآن للعكبري : ٢ / ٨٦٥ .

(٥) ينظر : التسهيل : ٣ / ٢ .

(٦) منهم : الطبري ، والسمعاني ، وابن عطية ، والقرطبي ، والنسفي ، وأبو حيان ، والبقاعي ، وابن عادل ، والجلالين ، والخطيب الشربيني ، والشوكاني ، والآلوسي ، والشنقيطي ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير الطبري : ١٦ / ٤٥ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٢٧٦ ، المحرر الوجيز : ٤ / ٤ ، تفسير القرطبي : ١١ / ٧٥ تفسير النسفي : ٣ / ٣٠ ، البحر المحيط : ٦ / ١٦٣ ، نظم الدرر : ٤ / ٥٢٠ ، تفسير ابن عادل : =

قالوا : ﴿ رَحْمَتِ ﴾ مصدر أضيف إلى الفاعل ونصب المفعول .

والتقدير : أَنْ ذَكَرَ اللهُ رحمتَه عبدَه [١] . [٢]

والمعنى : هذا الذى نذكره لك يا محمد ، هو جانب من قصة عبدنا زكريا ، وطرف من مظاهر الرحمة التى اختصصناه بها ، ومنحناه إياها .

وذلك لأن : " ﴿ رَحْمَتِ ﴾ مصدر بني على التاء ، لا أنها دالة على الوحدة حتى تمنع من العمل ؛ لأن صيغة الوحدة ليست الصيغة التي اشتق منها الفعل ولا الفعل دال على الوحدة فلا يعمل المصدر لذلك عمل الفعل إلا شذوذاً كما نصَّ عليه النحاة " [٣] .

القول الثاني : في الآية **تقديم وتأخير ، و ﴿ عَبْدَهُۥ ﴾ مفعول لـــ ﴿ ذِكْرُ ﴾ على أنه مصدر أضيف إلى فاعله على الاتساع** ، والمعنى : ذَكَرَ ربُّك عبدَهُ بالرَّحمة ، قاله مقاتل [٤] ، وذهب إليه الفَرَّاء والزَّجَّاج [٥] ، وذهب إليه السمر قندي ، والثعلبي ، والبغوي ، والنيسابوري [٦] من المفسرين .

= ١٣ / ٤ ، تفسير الجلالين : ٣٩٦ ، السراج المنير : ٢ / ٤٥٦ ، تفسير أبو السعود : ٥ / ٢٥٣ ، فتح القدير : ٣ / ٣٢١ ، روح المعاني : ١٦ / ٥٨ ، أضواء البيان : ٣ / ٣٥٩ ، الوسيط : ٩ / ١٣ . وينظر : عمدة القاري شرح صحيح البخاري لبدر الدين محمود بن أحمد العيني (ت ٨٥٥ هـــ) : ١٦ / ٢٠ .

(١) أوضح الفخر الرازي كيفية كون زكريا رحمة وذلك بوجهين :

" أحدهما : أن يكون رحمة على أمته لأنه هداهم إلى الإيمان والطاعات .

والآخر : أن يكون رحمة على نبينا محمد ﷺ ، وعلى أمة محمد ﷺ ؛ لأن الله تعالى لما شرح لمحمد ﷺ طريقه في الإخلاص والابتهال في جميع الأمور إلى الله تعالى صار ذلك لفظاً داعياً له ولأمته إلى تلك الطريقة؛ فكان زكرياء رحمة ، ويحتمل أن يكون المراد أن هذه السورة فيها ذكر الرحمة التي رحم بها عبدة زكرياء " . ينظر : التفسير الكبير : ٢١ / ١٥٣ .

(٢) ينظر : تفسير الطبري : ١٦ / ٤٥ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٦٧٥ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٢٧٦ ، المحرر الوجيز : ٤ / ٤ ، التسهيل : ٣ / ٢ .

(٣) روح المعاني : ١٦ / ٥٨ . وينظر قبله : نظم الدرر : ٤ / ٥٢٠ ، السراج المنير : ٢ / ٤٥٦ .

(٤) ينظر تفسيره : ٢ / ٣٠٦ .

(٥) ينظر : معاني القرآن للفَرَّاء : 2 / 136 ، معاني القرآن وإعرابه للزَّجاج : ٣ / ٣١٨ . ونقله ابن الجوزي عن الفَرَّاء و لم يقل بغيره . ينظر : زاد المسير : ٥ / ٢٠٦ .

(٦) ينظر : تفسير السمر قندي : ٢ / ٣٦٧ ، الكشف والبيان : ٦ / ٢٠٦ ، تفسير البغوي : ٣ / ١٨٨ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٤٦٧ .

ومعنى ذكر الرحمة : بلوغها وإصابتها ؛ كما يقال : ذكرني معروف فلان ؛ أى : بلغني [١] .

عن ابن عباس ﷺ في قوله : ﴿ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴾ قال : ذكره الله برحمته منه حيث دعاه [٢] .

✍ فَجَعَلَ الرحمةَ ذاكرةً له **مجازاً** [٣] .

وقال الخليل بن أحمد : " قوله جل ذكره : ﴿ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴾ نصب ﴿ **عَبْدَهُۥ** ﴾ على فقدان الخافض ؛ أي : لعبده ، فلما أسقط اللام نصب " . اهـ [٤] .

القول الثالث : أن ﴿ **عَبْدَهُۥ** ﴾ **مفعول بفعل مضمر** ؛ تقديره : رحمة عبده .

✖ قال **ابن جُزيّ** : " وعلى هذا يوقف على ما قبله ، **وهذا ضعيف** ؛ وفيه تكلف الإضمار من غير حاجة إليه ، وقطع العامل عن العمل بعد تهيئته له " . اهـ [٥] .

✖ و لم أقف على هذا القول عند أيٍّ من المفسرين أو أهل العلم – في حدود ما اطلعت – ، وأكتفي بنقله عن ابن جُزيّ فحسب .

❖ **وذهب إلى جواز القولين الأول والثاني البيضاوي** [٦] ، وذكرهما **السمين الحلبي** و لم يرجح [٧] .

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن الراجح أن ﴿ عَبْدَهُۥ ﴾ مفعول لـ ﴿ رَحْمَتِ ﴾ فإنها مصدر أضيف إلى الفاعل ونصب المفعول ، والتقدير : أَنْ ذَكَرَ اللهُ رحمتَه عبدَه** ، **وهو ما رجحه ابن جُزيّ ومن وافقه** ، لما تقدم ولما يلي :

---

(١) ينظر : فتح القدير : ٣ / ٣٢١ .
(٢) عزاه السيوطي إلى إسحاق بن بشر وابن عساكر . ينظر : الدر المنثور : ٥ / ٤٨٦ .
(٣) الدر المصون : ٤ / ٤٩٠ .
(٤) الجمل في النحو للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥ هـ) : ١٢٠ .
(٥) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٢ .
(٦) ينظر : تفسير البيضاوي : ٤ / ٣ .
(٧) ينظر : الدر المصون : ٤ / ٤٨٩ ، ٤٩٠ .

أولاً : القول بأن " الكلام فيه تقديم وتأخير فيه تعسَّف " [١] .

ثانياً : القول الثاني على المجاز (فَجَعَلَ الرحمةَ ذاكرةً له) والقول على الحقيقة مقدم على القول بالمجاز .

ثالثاً : القول الثالث لم أجده إلا عند ابن جُزيّ في تفسيره – في حدود ما اطلعت – ؛ وقد ضعَّفه كما ذكرت .

رابعاً : يؤيد هذا القول **القاعدة الترجيحية** التالية :

- **يجب حمل نصوص الوحي على الحقيقة** [٢] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) المحرر الوجيز : ٤ / ٤ .

(٢) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ٢ / ٣٨٧ .

قوله تعالى : ﴿ يَـٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَـٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴾ . [آية : ٧] .

مسألة : في معنى قوله تعالى : ﴿ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن معنى قوله تعالى : ﴿ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴾ من سمي باسمه ، فقال : ((﴿ سَمِيًّا ﴾ يعني من سمي باسمه . وقيل : مثيلاً ونظيراً ، **والأول أحسن هنا**)) . اهـ [١] .

الدراسة :

السَّمى في اللغة [٢] : سميُّك من اسمُه اسمُك . وفي اشْتِقاق الاسمِ قَوْلان :

- الأول : أَنَّه مُشتَقٌّ من السُّمُو – وهو رَأي البَصْريين – .
- والثاني : من السِّمةِ – وهي العَلامة – وهو رأي الكوفيين – .

قالَ الرَّاغب : " الاسْمُ ما يُعْرَفُ به ذاتُ الشيءِ وأَصْلُه سِمْوٌ بدَلالةِ قوْلهم : أَسْماء ، وسُمَيّ وأَصْلُه مِن السُّمُوِّ ، وهو الذي به رُفِعَ ذِكْر المُسَمّى فيُعْرَفُ به " . اهـ [٣] .

واختلف السَّلف والمفسرون في **معنى قوله تعالى : ﴿ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴾** هنا على قولين :

القول الأول : يعني : لم يجعل الله من قبله أحداً يتسمَّى باسمه [٤] ، قال ابن عباس رضي الله عنه ،

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٢ .

(٢) ينظر : تهذيب اللغة للأزهري (باب السين والميم) : ١٣ / ٧٩ ، المخصَّص لابن سيده : ٥ / ٢١٥ ، لسان العرب لابن منظور (مادة : سما) : ١٤ / ٤٠١ ، تاج العروس للزبيدي (مادة : سما) : ٣٨ / ٣٠٨ .

(٣) مفردات الرَّاغب (مادة : سما) : ٢٤٤ .

(٤) قال الشوكاني : " وفي إخباره سبحانه بأنه لم يسم بهذا الاسم قبله أحد فضيلة له من جهتين :
- الأولى : أن الله سبحانه هو الذى تولى تسميته به و لم يكلها إلى الأبوين .
- والجهة الثانية : أن تسميته باسم لم يوضع لغيره يفيد تشريفه وتعظيمه " . اهـ . ينظر : فتح القدير : ٣ / ٣٢٣ . وينظر : أضواء البيان : ٣ / ٣٦٧ . وينظر قبلهما : زاد المسير : ٥ / ٢١١ .

وقال الزمخشري : " وهذا شاهد على أنّ الأسامي السنع جديرة بالأثرة ، وإياها كانت العرب تنتحي =

وقتادة [١] ، وابن جريج ، وابن زيد [٢] ، وذهب إليه الفَرَّاء [٣] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٤] ، ووافقه **أكثر** [٥] المفسرين [٦] .

عن **ابن عباس** ﷺ في قوله : ﴿ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴾ قال : « لم يسم أحد يحيى قبله » [٧] .

✓ **والحديث صحيح .**

القول الثاني : يعني : **مثيلاً ونظيراً** ، روي عن ابن عباس ﷺ أيضاً [٨] .

= في التسمية لكونها أنبه وأنوه وأنزه عن النبز ، حتى قال القائل في مدح قوم :

سُنْعُ الأَسَامِي مُسْبِلِي أُزُر حُمْرٍ نَمَسُّ الأَرْضَ بِالْهدْبِ "

ينظر : الكشاف : ٣ / ٧ .

(١) أخرجه عبد الرزاق وابن جرير ، وعزاه السيوطي أيضاً إلى أحمد في الزهد ، وعبد بن حميد . ينظر : تفسير الصنعاني : ٣ / ٤ ، تفسير الطبري : ١٦ / ٥٠ ، الدر المنثور : ٥ / ٤٨١ .

(٢) أخرجه ابن جرير عن قتادة ، وابن جريج ، ابن زيد ، ونسبه ابن كثير إليهم . ينظر : تفسير الطبري : ١٦ / ٥٠ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ١١٣ .

(٣) ينظر معانيه : 2 / ١٣٧ .

(٤) ينظر : التسهيل : ٣ / ٢ .

(٥) نسب ابن الجوزي ، والشوكاني هذا القول إلى الأكثرية . ينظر : زاد المسير : ٥ / ٢١٠ ، فتح القدير : ٣ / ٣٢٣ .

(٦) منهم : مقاتل ، والطبري ، ونقل ابن أبي زمنين قول قتادة ، والواحدي ، والسمعاني ، والزمخشري ، وابن عطية ، وقدَّمه ابن الجوزي ، والقرطبي ، والبيضاوي ، والنسفي ، والخازن ، والنيسابوري ، والبقاعي ، والثعالبي ، والجلالين ، وأبو السعود ، والخطيب الشربيني ، والشوكاني ، والآلوسي ، والسعدي ، وسيد قطب ، والشنقيطي ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير مقاتل : ٢ / ٣٠٧ ، تفسير الطبري : ١٦ / ٥٠ ، تفسير ابن أبي زمنين : ٣ / ٨٨ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٦٧٦ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٢٧٩ ، الكشاف : ٣ / ٧ المحرر الوجيز : ٤ / ٦ ، زاد المسير : ٥ / ٢١٠ ، تفسير القرطبي : ١١ / ٨٣ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ٦ ، تفسير النسفي : ٣ / ٣١ ، تفسير الخازن : ٤ / ٢٣٩ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٤٧١ ، نظم الدرر : ٤ / ٥٢٢ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ٨ ، تفسير ابن عادل : ١٣ / ١٦ ، تفسير الجلالين : ٣٩٧ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ٢٥٥ ، السراج المنير : ٥ / ١٥٤ ، فتح القدير : ٣ / ٣٢٣ ، روح المعاني : ١٦ / ٦٥ ، تفسير السعدي : ٤٩٠ ، الظلال : ٤ / ٢٣٠٢ ، أضواء البيان : ٣ / ٣٦٧ ، الوسيط : ٩ / ١٧ .

(٧) عزاه السيوطي إلى الفريابي ، وابن أبي شيبة ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والحاكم **وصحَّحه** (في مستدركه رقم ٤١٤٦ : ٢ / ٦٤٥) . ينظر : الدر المنثور : ٥ / ٤٨١ . وقال الذهبي في التلخيص : **صحيح** .

(٨) نسبه إليه الجصاص وغير واحد من المفسرين . ينظر : أحكام القرآن للجصاص : ٥ / ٤٧ . وقال ابن حجر : وصله بن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس . ينظر : فتح الباري : ٦ / ٤٦٨ .

وقاله مجاهد [١] ، وروي عن سعيد بن جبير [٢] ، وعطاء مثله [٣] ، ومال إليه النحاس [٤] [٤] بعض الميل ، **ورجَّحه** القاسمي [٥] ، وقاله الطاهر بن عاشور [٦] .

✓ وهذا المعنى مأخوذ من معنى قوله : ﴿ ... فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ﴾ [٧] ؛ أي : شبيهاً " [٨] .

✖ **وتُعقِّب** : بأن هذا القول " كأنه من المساماة والسُّمو ، وفي هذا بعد لأنه لا يفضل على إبراهيم وموسى ؛ اللهم إلا أن يفضل في خاص بالسؤود والحصر " [٩] .

❖ **وقيل : المعنى أنه لم يكن له مثل ؛ لأنه لم يعص ، ولم يهم بمعصية قط .**

وقد روي هذا في خبر مسند عن ابن عباس ﷺ أن النبي ﷺ قال : « ما أَحَدٌ مِنَ الناس إلاَّ وقد أَخْطَأَ أو هَمَّ بِخَطِيئَةٍ ليس يحيى بن زَكَرِيَّا ... » [١٠] .

---

(١) ينظر تفسيره : ١ / ٣٨٤ . وأخرجه سفيان الثوري ، وابن جرير . ينظر : تفسير سفيان الثوري : ١٨٢ ، تفسير الطبري : ١٦ / ٤٩ .

(٢) عزى السيوطي القول عن مجاهد وابن جبير إلى أحمد في الزهد ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم . ينظر : الدر المنثور : ٥ / ٤٨٢ .

(٣) عزاه السيوطي في الدر (٥ / ٤٨٢) إلى عبد بن حميد .

(٤) ينظر معانيه : ٤ / ٣١٣ .

(٥) ينظر : تفسير القاسمي : ١١ / ١١٢ .

(٦) ينظر : التحرير والتنوير : ١٦ / ٦٩ .

(٧) سورة مريم – عليها السَّلام – : ٦٥ .

(٨) حكاه ابن كثير في تفسيره ه (٣ / ١١٣) ، والآلوسي في روح المعاني (١٦ / ٦٥) .

(٩) المحرر الوجيز : ٤ / ٦ . وينظر : التفسير الكبير : ٢١ / ١٥٨ ، تفسير القرطبي : ١١ / ٨٣ ، تفسير ابن عادل : ١٣ / ١٧ ، السراج المنير : ٢ / ٤٥٧ ، ٤٥٨ ، فتح القدير : ٣ / ٣٢٣ ، تفسير السعدي : ٤٩٠ ، أضواء البيان : ٣ / ٣٦٧ .

(١٠) جزء من حديث أخرجه أحمد في مسنده في مسند ابن عباس ﷺ (٢٩٤٥) : ١ / ٣٢٠ . قال أبو الفضل ، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ) في تلخيص الحبير في أحاديث الرافعي الكبير (٤ / ١٩٩) : " رَوَاهُ أَحْمَدُ وأبو يَعْلَى وَالْحَاكِمُ من حديث بن عَبَّاسٍ ... وهو من رِوَايَةِ عَلِيِّ بن زَيْدِ بن جُدْعَانَ عن يُوسُفَ بن مِهْرَانَ ؛ **وَهُمَا ضَعِيفَانِ** ، وَلَهُ طَرِيقٌ أُخْرَى عِنْدَ الْبَزَّارِ من رِوَايَةِ مُحَمَّدِ بن عَوْنٍ الْخُرَاسَانِيِّ وهو **ضَعِيفٌ** ، وفي الْبَاب عن أبي هُرَيْرَةَ في الطَّبَرَانِيِّ في الْأَوْسَطِ وَكَامِلِ بن عَدِيٍّ في تَرْجَمَةِ حَجَّاجِ بن سُلَيْمَانَ ، وَأَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ إلَى الْحَسَنِ عن النبي ﷺ مُرْسَلًا ، وَأَخْرَجَهُ عبد الرَّزَّاقِ من طَرِيقِ سَعِيدِ بن الْمُسَيِّبِ مُرْسَلًا أَيْضًا " اهـ . وقال شعيب الأرناؤوط : **إسناده ضعيف** . وقال ابن عادل في متنه : وفي هذا نظر ؛ لأنه كان ينبغي أن تسمى الأنبياء كلهم والأولياء بـ (يحيى) . ينظر : تفسير ابن عادل : ١٣ / ١٧ .

✖ والحديث ضعيف .

❖ **وقال ابن عباس ﷺ : أي لم تلد العواقر مثله ولدا** [١] .

فيكون هذا إجمالاً لما نزل بعده من قوله تعالى : ﴿ ... مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [٢] . [٣]

قال الطاهر بن عاشور : " وعندي : أن السّمِيّ هنا هو الموافق في الاسم الوصفي بإطلاق الاسم على الوصف ، فإن الاسم أصله في الاشتقاق (وسَم) ، والسمة : أصلها وسمة ، كما في قوله تعالى : ﴿ ... لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴾ [٤] ، أي يصفونهم أنهم إناث ومنه قوله الآتي : ﴿ ... هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾ [٥] ، أي لا مثيل لله تعالى في أسمائه . وهذا أظهر في الثناء على يحيى والامتنان على أبيه . والمعنى : أنه لم يجيء قبل يحيى من الأنبياء من اجتمع له ما اجتمع ليحيى فإنه أعطي النبوءة وهو صبيّ ، قال تعالى : ﴿ ... وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾ [٦] ، وجعل حصوراً ليكون غير مشقوق عليه في عصمته عن الحرام ، ولئلا تكون له مشقة في الجمع بين حقوق العبادة وحقوق الزوجة ، وولد لأبيه بعد الشيخوخة ولأمّه بعد العَقر ، وبُعث مبشراً برسالة عيسى عليه السلام ، ولم يكن هو رسولاً ، وجعل اسمه العلم مبتكراً غير سابق من قبله . وهذه مزايا وفضائل وهبت له ولأبيه ، وهي لا تقتضي أنه أفضل الأنبياء لأنّ الأفضلية تكون بمجموع فضائل لا ببعضها وإن جلّت ، ولذلك قيل : (المزيّة لا تقتضي الأفضليّة) ، وهي كلمة صدق " . اهـ [٧] .

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **صحَّة القول الأول ورجحانه ؛ وأن معنى قوله تعالى : ﴿ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴾ لم يجعل الله من قبله أحداً يتسمَّى باسمه ، وهو**

---

(١) أخرجه ابن جرير ، وعزاه السيوطي أيضاً إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم . ينظر : تفسير الطبري : ١٦ / ٤٩ ، الدر المنثور : ٥ / ٤٨١ .

(٢) سورة آل عمران : ٣٩ .

(٣) حكاه أبو السعود في تفسيره (٥ / ٢٥٥) .

(٤) سورة النجم : ٢٧ .

(٥) سورة مريم – عليها السَّلام – : ٦٥ .

(٦) سورة مريم – عليها السَّلام – : ١٢ .

(٧) التحرير والتنوير : ١٦ / ٦٩ .

ما رجَّحه ابن جُزيّ ، ووافقه أكثر المفسرين ، ويدل على ذلك إضافة على ما تقدَّم ولما يلي :

أولاً : من اللغة : فإن سميُّك من تسمَّى باسمك ، وحمل السَّمي على النظير عدول عن الظاهر لغير ضرورة .

قال الفخر الرزاي :

" واعلم أن الوجه الأوّل أولى ، وذلك لأن حمل السّمي على النظير وإن كان يفيد المدح والتعظيم ولكنه عدول عن الحقيقة من غير ضرورة وإنه لا يجوز ، وأما قول الله تعالى : ﴿ ... هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ﴾ فهناك إنما عدلنا عن الظاهر لأنه قال : ﴿ ... فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ﴾ [1] ، ومعلوم أن مجرد كونه تعالى مسمى بذلك الاسم لا يقتضي وجوب عبادته ، فلهذه العلة عدلنا عن الظاهرة ، أما ههنا لا ضرورة في العدول عن الظاهر فوجب إجراؤه عليه ، ولأن في تفرده بذلك الاسم ضرباً من التعظيم لأنا نشاهد أن الملك إذا كان له لقب مشهور فإن حاشيته لا يتلقبون به بل يتركونه تعظيماً له فكذلك ههنا " . اهـ [2] .

ثانياً : صحة حديث ابن عباس ﷺ في معنى الآية ؛ وأنه لم يسمَّ أحد قبله بيحيى ، وبهذا يتأيد هذا القول **بالقاعدة الترجيحية** التالية :

- **إذا ثبت الحديث ؛ وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه** [3] .

.

ثالثاً : موافقته للسِّياق ، وهو المتبادر عند الإطلاق .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) سورة مريم – عليها السَّلام – : ٦٥ .

(٢) التفسير الكبير : ٢١ / ١٥٨ . وينظر : تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٤٧١ ، فتح القدير للشوكاني : ٣ / ٣٢٣ ، أضواء البيان : ٣ / ٣٦٧ .

(٣) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٢٠٦ .

سورة مريم ـــــــ

القول الثاني : معناه : **كتبه لهم** ، قاله ابن عباس ﷺ [١] ، وروي عن مجاهد [٢] أيضاً ، وقاله مقاتل [٣] ، وقدَّمه ابن الجوزي [٤] .

ويستدل له من اللغة : فقد يطلق الوحى على الكتابة .

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **احتمال الوجهين ، بأن الوحي قد يكون بالإشارة أو الكتابة ، قال بذلك جماعة من المفسرين** [٥] ، يدل على ذلك ما يلي :

أولاً : من اللغة : أصل الوحي في اللغة : إعلام في خفاء ، ولذلك صار الإلهام يسمى وحياً قال الأزهري : وكذلك الإشارة والإيماء يسمى وحياً ، والكتابة تسمى وحياً [٦] .

ولذا قال ابن عطية : " وكلا الوجهين وحي " [٧] .

ثانياً : يؤيد ذلك **القاعدة الترجيحية** التالية : **إذا احتمل اللفظ معانٍي عدة ولم يمتنع إرادة الجميع حمل عليها** [٨] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) نسبه السيوطي إلى ابن أبي حاتم . ينظر : الدر المنثور : ٥ / ٤٨٣ .

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٦ / ٥٤) .

(٣) ينظر تفسيره : ٢ / ٣٠٨ .

(٤) ينظر : زاد المسير : ٥ / ٢١٢ .

(٥) ومنهم : الطبري ، وابن عطية ، والبقاعي ، والثعالبي ، والشنقيطي ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير الطبري : ١٦ / ٥٣ ، المحرر الوجيز : ٤ / ٧ ، نظم الدرر : ٤ / ٥٢٤ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ٩ ، أضواء البيان : ٣ / ٣٧٢ ، الوسيط : ٩ / ١٩ .
وذكر جماعة من المفسرين القولين من غير ترجيح ، ومنهم : العز بن عبد السلام ، والقرطبي، وأبو حيان ، وابن كثير ، وابن عادل ، والآلوسي . ينظر : تفسير العز بن عبد السلام : ٢ / ٢٧١ ، تفسير القرطبي : ١١ / ٨٥ ، البحر المحيط : ٦ / ١٦٧ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ١١٤ ، تفسير ابن عادل : ١٣ / ٢٣ ، روح المعاني : ١٦ / ٧١ .

(٦) ينظر : مادة (وحي) في كل من : تهذيب اللغة : ٥ / ١٩ ، مفردات الرَّاغب : ٥١٥ ، لسان العرب : ١٥ / ٣٨١ ، تاج العروس : ٤٠ / ١٧١ .

(٧) المحرر الوجيز : ٤ / ٧ .

(٨) ينظر : قواعد التفسير للسبت : ٢ / ٨٠٧ .

سورة مريم ـــــــ

قال ابن كثير : " وهذا الذي قالوه هو ظاهر القرآن " [٢] .

ويستدل لذلك :

١. بالنظير القرآني :

- قوله تعالى : ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴾ . [سورة الشعراء : ١٩٣] .
- وقوله تعالى : ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ... ﴾ . [سورة النحل : ١٠٢] .

٢. بقوله تعالى : ﴿ ... فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ ﴾ . [سورة مريم عليها السلام : ١٧- ١٩] .

ووجه الدلالة فيه : أن المتمثل لها مغاير للبشر ؛ ولو كان بشراً – يعني عيسى عليه السلام – لم يكن لذلك معنى ، فدل على أن المقصود بجبريل عليه السلام [٣] .

---

(١) منهم : الطبري ، و **حسَّنه** النحاس ، والسمر قندي ، والثعلبي ، والواحدي ، و **صحَّحه** السمعاني ، و **صحَّحه** البغوي ، والزمخشري ، وابن عطية ، وابن الجوزي ، والفخر الرازي (قال : **هو الأقرب**) ، و**استظهره** القرطبي والبيضاوي ، والنسفي ، والخازن ، والنيسابوري ، و **استظهره** أبو حيان ، وابن كثير ، والبقاعي ، والثعالبي ، و**صحَّحه** ابن عادل ، والجلالين ، و أبو السعود ، والخطيب الشربيني ، والشوكاني ، والقاسمي ، والآلوسي ، والسعدي ، وقال سيد قطب (الروح الأمين) ، وقال الطاهر بن عاشور (قال : الروح : الملك) ، و **استظهره** الشنقيطي ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير الطبري : ١٦ / ٦٠ ، معاني القرآن للنحاس : ٤ / ٣١٨ تفسير السمر قندي : ٣ / ٣٧١ ، الكشف والبيان : ٦ / ٢٠٩ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٦٧٧ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٢٨٣ ، تفسير البغوي : ٣ / ١٩١ ، الكشاف : ٣ / ١١ ، المحرر الوجيز : ٤ / ٩ ، زاد المسير : ٥ / ٢١٦ ، التفسير الكبير : ٢١ / ١٦٧ ، تفسير القرطبي : ١١ / ٩٠ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ٨ ، تفسير النسفي : ٣ / ٣٣ ، تفسير الخازن : ٤ / ٢٤١ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٤٧٧ ، البحر المحيط : ٦ / ١٧٠ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ١١٦ ، نظم الدرر : ٤ / ٥٢٧ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ١١ ، تفسير ابن عادل : ١٣ / ٣٣ ، تفسير الجلالين : ٣٩٨ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ٢٦٠ ، السراج المنير : ٢ / ٤٦١ ، فتح القدير : ٣ / ٣٢٧ ، تفسير القاسمي : ١١ / ١١٥ ، روح المعاني : ١٦ / ٧٥ ، تفسير السعدي : ٤٩١ ، الظلال : ٤ / ٢٣٠٦ ، التحرير والتنوير : ١٦ / ٨٠ ، أضواء البيان : ٣ / ٣٨٦ ، الوسيط : ٩ / ٢٤ . وينظر : النبوات لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ، أبو العباس (ت ٧٢٨ هـ) : ٢٩٣ ، إتقان السيوطي : ٢ / ٤١٤ .

(٢) تفسير ابن كثير : ٣ / ١١٦ .

(٣) ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزَّجَّاج : ٣ / ٣٢٢ ، التفسير الكبير : ٢١ / ١٦٧ ، تفسير القرطبي : ١١ / =

٣. من الأثر :

عن ابن عباس ﷺ وعن مرة عن عبد الله ﷺ قالا : « خرجت مريم إلى جانب المحراب بحيض أصابها ، فلما طهرت إذ هي برجل معها ، وهو قوله : ﴿ ... فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ وهو جبريل عليه السلام ... » [(١)] .

✓ **والأثر صحيح .**

قال **ابن جُزيّ** :

" **والأول هو الصحيح** ؛ لأن جبريل هو الذي تمثَّل لها باتفاق " [(٢)] .

القول الثاني : يعني **روح عيسى** عليه السلام ، قاله مجاهد والحسن [(٣)] ، وذهب إليه الفَسَوي [(٤)] ، وهو قول أبي مسلم الأصفهاني [(٥)] . [(٦)]

✘ نسب السيوطي هذا القول إلى مجاهد والحسن ، ولا أعلم صحة نسبته إليهما ؛ فالإمام

= ٩٠ ، أضواء البيان : ٣ / ٣٨٦ .

(١) جزء من حديث أخرجه الحاكم في مستدركه في كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين ، ذكر نبي الله وروحه عيسى بن مريم صلوات الله وسلامه عليهما (٤١٥٦) : ٢ / ٦٤٨ . قال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه . وقال الذهبي في التلخيص : **على شرط مسلم** .

(٢) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٣ .

(٣) نسبه جلال الدين السيوطي إلى مجاهد والحسن في مفحمات الأقران في مبهمات القرآن : ١٤٣ .

(٤) ينظر : المعرفة والتاريخ لأبي يوسف ، يعقوب بن سفيان الفسوي (ت٢٧٧ هـ) : ٣ / ٣١٩ .
والفَسَوي هو : يعقوب بن سفيان بن جوان الفارسي الفسوي ، أبو يوسف : من كبار حفاظ الحديث . من أهل " فسا " بإيران ، عاش بعيدا عن وطنه في طلب الحديث ، نحو ثلاثين سنة ، وروى عن أكثر من ألف شيخ ت سنة ٢٧٧ هـ . ينظر : تهذيب الكمال : ٣٤ / ٤١٧ ، تذكرة الحفاظ للذهبي : ٢ / ٥٨٢ ٥٨٣ ، النجوم الزاهرة : ٣ / ٧٧ .

(٥) نسبه إليه الآلوسي في روح المعاني (١٦ / ٧٥) .
وأبو مسلم الأصفهاني هو : محمد بن بحر الأصفهاني ، أبو مسلم : وال ، من أهل أصفهان ، معتزلي . من كبار الكتاب ، كان عالما بالتفسير وبغيره من صنوف العلم ، وله شعر ، من كتبه (جامع التأويل) في التفسير ، أربعة عشر مجلداً ، جمع سعيد الأنصاري الهندي نصوصا منه وردت في (مفاتيح الغيب) المعروف بتفسير الفخر الرازي ، وسماها (ملتقط جامع التأويل لمحكم التنزيل) في جزء صغير . ت سنة ٣٢٢ هـ . ينظر : الفهرست : ١٩٦ ، معجم الأدباء : ٥ / ٢٣٩ ، بغية الوعاة : ١ / ٥٩ .

(٦) قال الزَّجَّاج ، والماوردي ، والعز بن عبد السلام بالقولين . ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج : ٣ / ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، النكت والعيون : ٣ / ٣٦٢ ، تفسير العز بن عبد السلام : ٢ / ٢٧٣ .

الطبري [١] جامع الآثار لم يورد قولاً آخر للمراد من الآية غير جبريل عليه السلام ؛ ولو جاء عنهم لكان ابن جرير أولى الناس بإيراده عنهم . والله أعلم .

واستدل له :

١. من القرآن : بقوله تعالى : ﴿ ... إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ... ﴾ . [سورة النساء : ١٧١] . فقالوا : عيسى روح من الله عز وجل .

٢. من الأثر :

عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال : « كان روح عيسى بن مريم من تلك الأرواح التي أخذ عليها الميثاق في زمن آدم ، فأرسله الله إلى مريم في صورة بشر فتمثل لها بشراً سوياً ، ﴿ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَـٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴾ [٢] ، فحمل الذي يخاطبها فدخل من فيها » [٣] .

✖ **وردَّ ابن القيِّم هذا القول** عندما تحدث عن خلق عيسى عليه السلام حيث قال :

" أرسل الله الملك إلى أمه فنفخ في فرجها نفخة فحملت بالمسيح كما قال تعالى : ﴿ ...

---

(١) ينظر : تفسير الطبري : ١٦ / ٦٠ .

(٢) سورة مريم – عليها السَّلام – : ٢٠ .

(٣) أخرجه الحاكم في مستدركه في كتاب التفسير ، تفسير سورة مريم – عليها السَّلام – (٣٤١٢) : ٢ / ٤٠٥ . من طريق أبي جعفر الرازى ، عن الربيع بن أنس ، عن أبى العالية ، عن أُبَيّ رضي الله عنه . وأورده ابن كثير . ينظر تفسيره : ٣ / ١١٦ . قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه . وقال الذهبي في التلخيص : **صحيح** . وقال الدكتور محمد حسين الذهبي في كتابه التفسير والمفسرون (١ / ٦٣) عن الرواية عن أُبَيّ رضي الله عنه في التفسير ومبلغها من الصحة – من طريق أبي جعفر الرازى ، عن الربيع بن أنس ، عن أبى العالية عنه رضي الله عنه – : " وهذه طريق صحيحة ، وقد ورد عن أُبَيّ نسخة كبيرة فى التفسير ، يرويها **أبو جعفر الرازى** بهذا الإسناد إلى أُبَيّ ، وقد خَرَّج ابن جرير وأبى حاتم منها كثيراً ، وأخرج الحاكم منها أيضاً فى مستدركه ، والإمام أحمد من مسنده " . اهـ . وقال ابن القيِّم في كتاه الروح (١٦٢) : " وأما حديث أبى بن كعب هو عن النبي صلى الله عليه وسلم ، **وغايته لو صحَّ ولم يصح أن يكون من كلام أبى ، وهذا الإسناد يروى به أشياء منكرة جدا مرفوعة وموقوفة** وأبو جعفر الرازي **وُثِّق وضُعِّف** ، وقال على بن المدينى : كان ثقة . وقال أيضاً : كان يخلط . وقال ابن معين : هو ثقة . وقال أيضاً : يكتب حديثه إلا أنه يخطئ . وقال الإمام أحمد : ليس بقوى في الحديث . وقال أيضاً : صالح الحديث . وقال الفلاس : سيء الحفظ . وقال أبو زرعة : يهم كثيراً . وقال ابن حبان : ينفرد بالمناكير عن المشاهير ." . اهـ .

سورة مريم ـــــــ

أولاً : موافقته لظاهر القرآن ، والنظير القرآني ، ووجود القرائن في السِّياق .

ثانياً : نقل هذا القول **عبد الله بن عباس** ﷺ **ترجمان القرآن** وجماعة من السلف ، واتفق عليه المفسرون ، وأما القول الثاني أنه عيسى عليه السلام فضعيف من جهة الرواية ؛ فلا يعتمد عليه في مقابل القول الراجح هذا .

ثالثاً : يتأيد هذا القول ببعض **القواعد الترجيحية** التالية :

- **تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم** .
- **القول الذي تؤيده قرائن في السِّياق مرجح على ما خالفه** [١] .

رابعاً : استدل للقول الثاني من السُّنة عن أبي بن كعب ﷺ ؛ وهو من فضلاء الصحابة ؛ وإن كان إسناد الرواية صحيحاً فلا يستبعد أن يكون من الإسرائيليات كما ذكر ابن كثير – رحمه الله – ؛ فقد كان ﷺ حَبْراً من أحبار اليهود ، العارفين بأسرار الكتب القديمة وما ورد فيها [٢] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٢٧١ ، ٢٩٩ .

(٢) ينظر : التفسير والمفسرون للذهبي : ١ / ٦٢ .

قوله تعالى : ﴿ قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ﴿١٨﴾ ﴾ . [آية : ١٨] .

مسألة: في معنى ﴿ تَقِيًّا ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن معنى ﴿ تَقِيًّا ﴾ : إن كنت ممن يتقي الله فابعد عني ؛ فإني أعوذ بالله منك ، فقال : ((لما رأت الملك الذي تمثل لها في صورة البشر قد دخل عليها خافت أن يكون من بني آدم فقالت له هذا الكلام . ومعناه : إن كنت ممن يتقي الله فابعد عني ؛ فإني أعوذ بالله منك . وقيل : إن تقيا اسم رجل معروف بالشر عندهم ؛ **وهذا ضعيف وبعيد**)) . اهـ [(١)] .

الدراسة :

لما أتى جبريل عليه السلام مريم عليها السلام ، وتمثل لها في صورة بشر سوي تام الخلق ؛ بادرته بالتعوذ منه قبل أن يكلمها فقالت : ﴿ ... إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ﴾ .

واختلف السَّلف والمفسرون في **معنى ﴿ تَقِيًّا ﴾** على قولين :

القول الأول : معناه : **إن كنت ممن يتقي الله** [(٢)] فابعد عني ؛ فإني أعوذ بالله منك ، قاله ابن عباس رضي الله عنه [(٣)] ، والسدي [(٤)] ، **وأبو وائل** [(٥)] .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٣ .

(٢) قال أبو حيان : " وتعليقها الاستعاذة على شرط تقواه لأنه لا تنفع الاستعاذة ولا تجدي إلاّ عند من يتقي الله ، أي : إن كان يرجى منك أن تتقي الله وتخشاه وتحفل بالاستعاذة به فإني عائذة به منك . وجواب الشرط محذوف ؛ أي : فإني أعوذ " . وقال الزَّجَّاج قبله : " فستتعظ بتعويذي بالله منك . وقيل : فاخرج عني . وقيل : فلا تتعرض لي " . ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج : ٣ / ٣٢٣ ، البحر المحيط : ٦ / ١٧٠ . وينظر قبله : تفسير السمعاني : ٣ / ٢٨٣ ، تفسير البغوي : ٣ / ١٩١ . وقال الآلوسي : " ومجيء هذا التذكير بصيغة الشرط المؤذن بالشك في تقواه قصد لتهييج خشيته ، وكذلك اجتلاب فعل الكون الدال على كون التّقوى مستقرة فيه . وهذا أبلغ وعظٍ وتذكيرٍ وحثّ على العمل بتقواه" اهـ . ينظر : التحرير والتنوير : ١٦ / ٨١ .

(٣) ينظر : تنوير المقباس : ٢٥٤ . وعزاه السيوطي في الدر (٥ / ٤٩٥) إلى إسحاق بن بشر ، وابن عساكر من طريق جويبر عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنه (في حديث طويل) .

(٤) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٦ / ٦١) .

(٥) قال أبو وائل : (وذكر قصة مريم) فقال : قد علمت أن التقي ذو نهية حين قالت : ﴿ قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ = =

وذهب إليه مقاتل [١] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٢] ، ووافقه **جمهور** [٣] المفسرين [٤] .

✓ **وهنا** أرادت مريم – عليها السَّلام – إن كان يرجى منك أن تتقي الله وتخشاه وتحفل بالاستعاذة ، فإني عائذة به منك .

لكالنظير القرآني : قوله تعالى : ﴿ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَۚ ... ﴾ [٥] . [٦]

مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴾ . أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الأبيياء ، مقدمة بَاب ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا ... ﴾ : ٣ / ١٢٦٧ . قال ابن حجر في فتح الباري (٦ / ٤٧٩) : " وصله عبد بن حميد من طريق عاصم " . و ينظر : تغليق التعليق لابن حجر أيضاً (٤ / ٣٧) . وأخرجه ابن جرير ونسبه إلى **ابن زيد** في تفسيره (١٦ / ٦١) . ونسبه الثعلبي في الكشف والبيان (٦ / ٢١٠) إلى **علي بن أبي طالب** ﷺ . ونسبه إلى أبي وائل الماوردي في النكت والعيون (٣ / ٣٦٣) ، ونسبه السيوطي وغير واحد من المفسرين إلى أبي وائل ، وعزاه السيوطي في الدر (٥ / ٥٠٠) إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم .

وأبو وائل : هو شقيق بن سلمة الأسدي الكوفي شيخ الكوفة وعالمها ، مخضرم جليل روى عن عمر وعثمان وعلى وابن مسعود وعائشة ﷺ وجماعة ، يقال أسلم في حياة النبي ﷺ و لم يره . ت في خلافة عمر بن عبد العزيز سنة ٨٢ هـ رحمه الله تعالى . ينظر : طبقات ابن سعد : ٦ / ٩٦ ، وفيات الأعيان : ٢ / ٤٧٦ ، تذكرة الحفاظ للذهبي : ١ / ٦٠ .

(١) ينظر تفسيره : ٢ / ٣٠٩ .

(٢) ينظر : التسهيل : ٣ / ٣ .

(٣) قال ابن الجوزي : " هذا هو القول عند المحققين " . ينظر : زاد المسير : ٥ / ٢١٧ .

(٤) منهم : الطبري ، والنحاس ، والسمر قندي ، وابن أبي زمنين ، والثعلبي ، والواحدي ، والسمعاني ، والبغوي ، والزمخشري ، وابن عطية ، وابن الجوزي ، وقال الفخر الرازي (**هو الوجه**) ، والبيضاوي ، والنسفي ، والخازن وابن تيمية ، والنيسابوري ، وأبو حيان ، وابن كثير ، والثعالبي ، و**صحَّحه** ابن عادل ، والجلالين ، وأبو السعود والخطيب الشربيني ، والشوكاني ، والقاسمي ، والآلوسي ، وسيد قطب ، والسعدي ، والطاهر بن عاشور ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير الطبري : ١٦ / ٦١ ، معاني القرآن للنحاس : ٤ / ٣١٩ ، تفسير السمر قندي : ١ / ٢٣٨ ، تفسير ابن أبي زمنين : ٣ / ٩١ ، الكشف والبيان : ٦ / ٢١٠ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٦٧٧ تفسير السمعاني : ٣ / ٢٨٣ ، تفسير البغوي : ٣ / ١٩١ ، الكشاف : ٣ / ١١ ، المحرر الوجيز : ٤ / ٩ ، زاد المسير : ٥ / ٢١٧ ، التفسير الكبير : ٢١ / ١٦٩ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ٩ ، تفسير النسفي : ٣ / ٣٣ ، تفسير الخازن : ٤ / ٢٤١ ، دقائق التفسير لابن تيمية : ١ / ٣١٠ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٤٧٧ ، البحر المحيط : ٦ / ١٧٠ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ١١٦ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ١١ ، تفسير ابن عادل : ١٣ / ٣٤ ، تفسير الجلالين : ٣٩٨ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ٢٦٠ ، السراج المنير : ٢ / ٤٦٢ ، فتح القدير : ٣ / ٣٢٨ تفسير القاسمي : ١١ / ١١٥ ، روح المعاني : ١٦ / ٧٦ ، ٧٧ ، تفسير السعدي : ٤٩١ ، الظلال : ٤ / ٢٣٠٥ ، التحرير والتنوير : ١٦ / ٨١ ، الوسيط : ٩ / ٢٤ .

(٥) سورة هود عليه السلام : ٨٦ .

(٦) ينظر : الكشاف : ٣ / ١١ .

القول الثاني : إن ﴿ تَقِيًّا ﴾ **اسم رجل معروف بالشر** عندهم في ذلك الزمان ؛ حكي عن ابن عباس ﷺ [١] في رواية أخرى عنه ، ونقل عن وهب بن منبه [٢] .

✖ **وتعقَّبه** :

ابن عطية فقال : " وهو ضعيف ذاهب مع التخرص " [٣] .

✖ وضعَّفه واستبعده ابن جُزيّ [٤] أيضاً .

✖ **وابن تيمية** فقال :

" وما يقول بعض الجهال من أنه كان فيهم رجل فاجر اسمه تقي فهو من نوع الهذيان ، وهو من الكذب الظاهر الذي لا يقوله إلا جاهل " . اهـ [٥] .

✖ **وأبو حيان** – ومثله الآلوسي – فقال :

" وقول من قال : إنه اسم رجل صالح أو رجل فاسد ليس بسديد " [٦] .

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن معنى ﴿ تَقِيًّا ﴾ : إن كنت ممن يتقي الله فابعد عني ؛ فإني أعوذ بالله منك ، هو ما رجَّحه ابن جُزيّ وجمهور المفسرين** ، يدل على ذلك إضافة لما تقدم ما يلي :

أولاً : نقل هذا القول عن **ترجمان القرآن** عبد الله بن عباس ﷺ في حديث مسند ، ويقويه

---

(١) قال ابن الجوزي بذلك . ونسب ذكره إلى ابن الأنباري والماوردي . ينظر : زاد المسير : ٥ / ٢١٧ ، النكت والعيون : ٣ / ٣٦٣ . ونسبه العز بن عبد السلام إلى ابن عباس ﷺ في تفسيره (٢ / ٢٧٤) .

(٢) أخرج ابن جرير بسنده عن وهب بن منبه قالت : إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا ، ولا ترى إلا أنه رجل من بني آدم . ينظر : تفسير الطبري : ١٦ / ٦١ . قال وهب بن منبه : حكاه مكي وغيره . ينظر : زاد المسير : ٥ / ٢١٧ ، تفسير القرطبي : ١١ / ٩١ . ونسب ابن عطية هذا القول أيضاً إلى وهب بن منبه . ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ٩ .

(٣) المحرر الوجيز : ٤ / ٩ .

(٤) ينظر : التسهيل : ٣ / ٣ .

(٥) دقائق التفسير لابن تيمية : ١ / ٣١٠ .

(٦) البحر المحيط : ٦ / ١٧٠ . وينظر : روح المعاني : ١٦ / ٧٧ .

الرواية عن **أبي وائل** معلقاً في صحيح **البخاري** ووصله **ابن حجر** في تغليق التعليق – كما بيَّنت – ، أما القول الآخر فقد نسب لابن عباس ﷺ نسبة عند بعض المفسرين ، و لم أقف عليه مسنداً .

ثانياً : الرواية الثانية لابن عباس ﷺ المستدل بها للقول الثاني وردت بصيغة الحكاية و لم تثبت عنه ؛ وإنما نسبه لابن عباس ﷺ بعض المفسرين ، و لم أقف عليه مسنداً . وما روي عن وهب عن منبه ردَّه غير واحد من المفسرين كما ذكرت آنفاً ، ولا يستبعد أن يكون من الإسرائيليات [١] .

ثالثاً : يؤيد هذا القول **القاعدة الترجيحية** التالية :

- **القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك** [٢] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) قال الذهبي : " وهب بن منبه : أبو عبد الله اليماني صاحب القصص من أحبار علماء التابعين ... وكان ثقة صادقا كثير النقل من كتب الإسرائيليات " . ينظر : ميزان الاعتدال في نقد الرجال لشمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨ هـ) : ٧ / ١٤٨ .

(٢) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٣١٢ .

قوله تعالى : ﴿ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ ﴾ . [آية : 24] .

مسألة : في المراد بـــ ﴿ سَرِيًّا ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن ﴿ سَرِيًّا ﴾ جدولاً ، وهي ساقية من ماء كان قريبا من جذع النخلة ، فقال : ((﴿ سَرِيًّا ﴾ جدولاً ، وهي ساقية من ماء كان قريبا من جذع النخلة ؛ وروي أن النبي ﷺ فسره بذلك . وقيل : يعني عيسى ؛ فإن السري الرجل الكريم)) . اهـــ [١] .

الدراسة :

السَّريُّ في اللغة يطلق على معنيين :

أحدهما : أنه الرَّجُلُ المرتفع القدر . والثاني : أنه الجدول أو النهر الصغير .

وبناءً على هذا اختلف أهل العلم والمفسرون **في المراد بـــ ﴿ سَرِيًّا ﴾** ، وحاصل اختلافهم يرجع إلى قولين :

القول الأول : ﴿ سَرِيًّا ﴾ جدولاً [٢] ، قاله البراء بن عازب رضي الله عنه [٣] ، وقتادة [٤] ، والثوري [٥] ، وهو قول أهل اللغة [٦] .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٤ .

(٢) وجاء عن جماعة من السلف هو النهر ؛ أو هو النهر الصغير باللغة النبطية أو السريانية . منهم : ابن عباس رضي الله عنه ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، والضحاك وغيرهم . ينظر : تفسير مجاهد : ١ / ٣٨٥ ، تفسير الطبري : ١٦ / ٦٩ ٧٠ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ١١٨ ، تنوير المقباس : ٢٥٥ ، الدر المنثور : ٥ / ٥٠٣ . وقال الفَرَّاء : السري : النهر . ينظر : معانيه : 2 / ١٤٠ . وسمي بذلك لأن الماء يسري فيه . ينظر : تفسير القرطبي : ١١ / ٩٤ .

(٣) سيأتي لاحقاً تخريج الحديث عن البراء بن عازب رضي الله عنه .

(٤) أخرجه عبد الرزاق ، وابن جرير . ينظر : تفسير الصنعاني :٣ / ٦ ، تفسير الطبري : ١٦ / ٧٠ .

(٥) ينظر تفسيره : ٢٨٤ .

(٦) نسب الأزهري ، وابن منظور ، والمرتضى الزبيدي هذا القول إليهم ، وفَسَّره أهل اللغة بأنَّه : نَهْرٌ (صَغِيرٌ يَجْرِي إلى النَّخْلِ) . ينظر : تهذيب اللغة للأزهري ، باب السين والراء : ١٣ / ٣٩ ، لسان العرب (مادة : سرا) : ١٤ / ٣٨٠ ، تاج العروس (مادة : سري) : ٣٨ /٢٦٥ . وينظر : المحكم والمحيط الأعظم (مادة : سري) : ٨ / ٥٧١ ، المصباح المنير (مادة : سريت) : ٢٧٥ .

وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ [١] ، ووافقه **جمهور** [٢] المفسرين [٣] .

ويستدل له :

١. بالقرينة القرآنية :

- قوله تعالى بعده : ﴿ وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ﴾ . [سورة مريم – عليها السلام – : 25] .
- وقوله تعالى : ﴿ فَكُلِي وَٱشۡرَبِي ... ﴾ . [سورة مريم – عليها السلام – : 26] . قرينة على أن ذلك المأكول والمشروب هو ما تقدم الامتنان به في قوله : ﴿ ... قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا ﴾ [٤] .

٢. بالنظير القرآني :

قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلۡنَا ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةٗ وَءَاوَيۡنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبۡوَةٖ ذَاتِ قَرَارٖ وَمَعِينٖ ﴾ . [سورة المؤمنون : ٥٠] . لأن المعين : الماء الجاري . والظاهر أنه الجدول المعبر

---

(١) ينظر : التسهيل : ٣ / ٤ .

(٢) نسب السمعاني ، وابن الجوزي ، وأبو حيان ، والشوكاني وغيرهم هذا القول إلى جمهور المفسرين . ينظر : تفسير السمعاني : ٣ / ٢٨٦ ، زاد المسير : ٥ / ٢٢٢ ، البحر المحيط : ٦ / ١٧٣ ، فتح القدير : ٣ / ٣٢٩ .

(٣) منهم : مقاتل ، والطبري ، ولم يقل النحاس وابن أبي زمنين بغيره ، والسمر قندي ، والواحدي ، والسمعاني ، والبغوي ، والزمخشري ، والبيضاوي ، والخازن ، و **استظهره** ابن كثير ، والبقاعي ، والجلالين ، وأبو السعود ، والخطيب الشربيني ، والآلوسي ، والسعدي ، و **رجَّحه** سيد قطب ، ولم يقل الطاهر بن عاشور بغيره ، والشنقيطي ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير مقاتل : ٢ / ٣١٠ ، تفسير الطبري : ١٦ / ٧١ ، معاني القرآن للنحاس : ٤ / ٣٢٥ ، تفسير السمر قندي : ٢ / ٤٧٢ ، تفسير ابن أبي زمنين : ٣ / ٩٣ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٦٧٩ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٢٨٦ ، تفسير البغوي : ٣ / ١٩٢ ، الكشاف : ٣ / ١٤ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ١١ ، الخازن : ٤ / ٢٤٣ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ١١٨ ، نظم الدرر : ٤ / ٥٢٩ ، تفسير الجلالين : ٣٩٨ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ٢٦٢ ، السراج المنير : ٢ / ٤٦٤ ، روح المعاني : ١٦ / ٨٣ تفسير السعدي : ٤٩٢ ، الظلال : ٤ / ٢٣٠٧ ، التحرير والتنوير : ١٦ / ٨٧ ، أضواء البيان : ٣ / ٣٩٦ ، الوسيط : ٩ / ٣٠ .
وقدَّم قول الجمهور : ابن الجوزي ، والفخر الرازي ، والنسفي ، والنيسابوري ، وأبو حيان ، والشوكاني . ينظر : زاد المسير : ٥ / ٢٢٢ ، التفسير الكبير : ٢١ / ١٧٥ ، تفسير النسفي : ٣ / ٣٤ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٤٨٠ ، البحر المحيط : ٦ / ١٧٣ ، فتح القدير : ٣ / ٣٢٩ .

(٤) ينظر : تفسير السمعاني : ٣ / ٢٨٦ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ١١٨ ، أضواء البيان : ٣ / ٣٩٦ .

عنه بالسَّري في هذه الآية [١] .

٣. من السُّنة :

عن **ابن عمر** رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إِنَّ السَّرِيَّ الذي قال اللَّهُ عز وجل : ﴿ قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴾ نَهْرٌ أَخْرَجَهُ اللَّهُ لِتَشْرَبَ منه » [٢] .

٤. من كلام العرب : ومنه قول **لبيد** :

فتوسَّطا عرضَ السَّريَّ وصدَّعا مسجورةً متجاوراً قُلاَّمُهَا [٣]

قال أبو السعود :

" والأول هو **الموافق** لمقام بيان ظهور الخوارق والمتبادر من النظم الكريم " . اهـ [٤].

---

(١) ينظر : أضواء البيان : ٣ / ٣٩٦ .

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ، باب عِكْرِمَةُ مولى ابن عَبَّاسٍ عَنِ ابن عُمَرَ (١٣٣٠٣) : ١٢ / ٣٤٦ .
وقد روي الخبر من حديث البراء بن عازب ومن حديث ابن عمر :
فحديث البراء بن عازب :
- رواه **الطبراني** في معجمه الصغير ، قال الطبراني : لم يرفعه عن أبي إسحاق إلا أبو سنان .
- ورواه **ابن عدي** في الكامل وأعله بمعاوية بن يحيى وضعفه عن النسائي وابن المديني وابن معين ووافقهم .
- ورواه **الحاكم** في مستدركه **موقوفا** على البراء ، وقال : صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه .
- وذكره **البخاري** في صحيحه في كتاب بدء الخلق تعليقا .
- وكذلك رواه **عبد الرزاق** في تفسيره رواه **موقوفاً** .
- ورواه **ابن مردويه** من حديث آدم بن أبي إياس عن إسرائيل **موقوفاً** .
- وكذلك رواه **الطبري** في تفسيره .

وأما حديث ابن عمر : فرواه **الطبراني** في معجمه ، وكذلك رواه **أبو نعيم** في الحلية في ترجمة عكرمة . وهو حديث غريب ، وأيوب بن نهيك هذا هو الحلبي . قال أبو حاتم : ضعيف . وقال أبو زرعة : منكر الحديث .
ينظر : تخريج الأحاديث والآثار للزيلعي : ٢ / ٣٤٦ . بتصرف .
والحديث كما نرى قد ورد مرفوعاً وموقوفاً ، **والموقوف أصح** . وقد **صحَّح الألباني** رواية الطبراني في السلسلة الصحيحة (١١٩١) وقال : وله شاهد من حديث ابن عمر (وذكر حديث ابن عمر المتقدم الذي أخرجه الطبراني) ثم قال : **وهذا إسناده ضعيف وفيما قبله غنية عنه** . وكذا **ضعَّفه** د . سامي الجهني في رسالته (تخريج الأحاديث والآثار في التسهيل) : ٧٦١ ، ٧٦٢ .

(٣) ينظر : ديوان لبيد بن ربيعة العامري : ١٠١ .

(٤) تفسير أبي السعود : ٥ / ٢٦٢ .

✖ **واعتُرض عليه بما يلي :**

١. لو كان السَّري المراد به النهر لكان يكون إلى جنبها ؛ ولا يكون النهر تحتها ، قاله ابن زيد [١] .

٢. وقالوا أيضاً : " لا يجوز أن يجاب عنه بأن المراد منه أنه جعل النهر تحت أمرها يجري بأمرها ويقف بأمرها كما في قوله : ﴿ ... وَهَـٰذِهِ ٱلْأَنْهَـٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ... ﴾ [٢] ، لأن هذا حمل للفظ على مجازه ؛ ولو حملناه على عيسى عليه السلام لم يحتج إلى هذا المجاز " . [٣]

✓ **وأُجيب** بأن : " المعنى قد جعل ربك تحت قدمك نهراً " [٤] .

القول الثاني : يعني **عيسى** عليه السلام ؛ فإن السَّري الرَّجل الكريم [٥] ، قاله الحسن [٦] ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم [٧] ، وذهب إليه القرطبي [٨] ، والقاسمي [٩] ، **وقدَّمه** جماعة من المفسرين [١٠] .

---

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٦ / ٧٠) ، وعزاه السيوطي في الدر (٥ / ٥٠٢) إلى ابن أبي حاتم .

(٢) سورة الزخرف : ٥١ .

(٣) ذكره الفخر الرازي في تفسيره . ينظر : التفسير الكبير : ٢١ / ١٧٥ .

(٤) فتح القدير : ٣ / ٣٢٩ .

(٥) **السَّري** هو : الرفيع في كلام العرب ، ومعنى سرو الرجل يسرو : أي ارتفع يرتفع فهو رفيع ؛ مأخوذ من سراة كل شيء : ما ارتفع منه وعلا ، وجمع السراة : سروات . وقال الفيومي : السَّري الرئيس . ينظر : تهذيب اللغة للأزهري ، باب السين والراء : ١٣ / ٣٨ ، لسان العرب (مادة : سرا) : ١٤ / ٣٧٨ ، المصباح المنير (مادة : سريت) : ٢٧٥ .

(٦) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٦ / ٧٠) ، وعزاه السيوطي في الدر (٥ / ٥٠٢) إلى ابن أبي حاتم .

(٧) أخرجه ابن جرير عن الحسن وابن زيد في تفسيره (١٦ / ٧٠ ، ٧١) ، ونسبه إليهما ابن كثير في تفسيره (٣ / ١١٨) وغير واحد من المفسرين .

(٨) ينظر : تفسير القرطبي : ١١ / ٩٤ .

(٩) قال القاسمي : أي سيداً نبيلاً رفيعاً . يعني عيسى عليه السلام . ينظر : تفسير القاسمي : ١١ / ١١٨ .

(١٠) منهم : الثعلبي ، والماوردي ، وابن عطية ، والعز بن عبد السلام ، والسمين الحلبي ، والثعالبي ، وابن عادل . ينظر : الكشف والبيان : ٦ / ٢١١ ، النكت والعيون : ٣ / ٣٦٥ ، ٣٦٦ ، المحرر الوجيز : ٤ / ١١ تفسير العز بن عبد السلام : ٢ / ٢٧٥ ، الدر المصون : ٤ / ٤٩٩ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ١٤ ، تفسير ابن عادل : ١٣ / ٤٤ ، ٤٥ .

واستدل له من كلام العرب : بقول الشاعر :

تَلْقَى السَّرِيَّ من الرّجال بنفسه وابنُ السَّرِيِّ إذا سَرَا أَسرَاهُمَا [١]

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أنَّ الرَّاجح أن المراد بـــ ﴿ سَرِيًّا ﴾ جدولاً ، وهو ما رجّحه ابن جُزيّ وجمهور المفسرين** ؛ إضافة لما تقدم ، ولما يلي :

أولاً : اتفق جماعة السلف إلا الحسن وعبد الرحمن بن زيد على أن السري هو النهر والجدول ، وقد روي أن الحسن رجع إلى هذا القول [٢] .

ثانياً : " حديث عبد الله بن عمر ﷺ المرفوع إلى النَّبي ﷺ – وإن كانت طرقه لا يخلو شيء منها من ضعف – أقرب إلى الصواب من دعوى أن السري عيسى عليه السلام بغير دليل يجب الرجوع إليه " [٣] .

ثالثاً : لو كان ﴿ سَرِيًّا ﴾ وصفا لعيسى عليه السلام كان : غلاما سريًّا ، وقلَّما تقول العرب : رأيت عندك نبيلاً ، حتى يقولوا : رجلاً نبيلاً [٤] .

رابعاً : يتأيد هذا القول بالقرينة القرآنية ، والنظائر القرآنية ، وباللغة ، وظاهر النظم الكريم وعلى هذا يترجح هذا القول **بالقواعد الترجيحية** التالية :

- **القول الذي تؤيده قرائن في السِّياق مرجح على ما خالفه .**
- **القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك** [٥] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) أسراهُما : أي أشرَفهُما . لم أهتد لقائل هذا البيت ، وقد استشهد به بعض أهل اللغة . ينظر : تهذيب اللغة للأزهري ، باب السين والراء : ١٣ / ٣٨ ، لسان العرب (مادة : سرا) : ١٤ / ٣٨٠ .

(٢) ينظر : المحكم والمحيط الأعظم (مادة : سري) : ٨ / ٥٧١ ، لسان العرب (مادة : سرا) : ١٤ / ٣٨٠ .

(٣) أضواء البيان : ٣ / ٣٩٦ .

(٤) قاله ابن الجوزي . ينظر : زاد المسير : ٥ / ٢٢٢ . بتصرف يسير .

(٥) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٢٩٩ ، ٣١٢ .

قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ . [آية : ٣٦] .

مسألة : من المتكلم في هذه الآية :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن هذه الآية من كلام عيسى عليه السلام ، فقال : ((من كلام عيسى ، وقرىء بفتح الهمزة ، تقديره : ولأن الله ربي وربكم فاعبدوه ، وبكسرها لابتداء الكلام . وقيل : هو من كلام النبي ﷺ ، والمعنى : يا محمد قل لهم ذلك عيسى ابن مريم ، وأن الله ربي وربكم **والأوَّل أظهر**)) . اهـ [١] .

الدراسة :

في قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى ﴾ قراءتان متواترتان سبعيتان :

قرأ **نافع وابن كثير** وأبو عمرو : بفتح الهمزة ﴿ وأَنَّ الله ﴾ :

- على حذف حرف الجر اللام متعلقاً بما بعده ، والمعنى : لوحدانيته أطيعوه [٢] .
- أو عطفاً على :
  - الصلاة ؛ قوله تعالى : ﴿ ... وَأَوْصَـٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾ . [سورة مريم – عليها السلام – : ٣١] . أي : بالصلاة [٣] .
  - أو قوله تعالى : ﴿ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ... ﴾ . [سورة مريم – عليها السلام – : ٣٠] .

وقرأ الباقون [٤] : بكسرها ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى ﴾ على الاستئناف [٥] .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٥ .

(٢) وإليه ذهب الزمخشري تابعاً للخليل وسيبويه حيث قال : " كقوله : ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾ . [سورة الجن : ١٨] . " . أي : ولأن المساجد لله . ينظر : الكشاف : ٣ / ٣٧٨ .

(٣) وإليه ذهب الفَرَّاء . ينظر معانيه : 2 / ١٤٢ . قال أبو حيان : وهذا في غاية البعد للفصل الكثير . ينظر : البحر المحيط : ٦ / ١٧٩ .

(٤) وهم : ابن عامر وعاصم والكسائي وحمزة ؛ باقي القراء السبعة .

(٥) ينظر : الحجة في القراءات السبع لابن خالويه : ٢٣٨ ، حجة القراءات لابن زنجلة : ٤٤٤ ، إتحاف فضلاء =

واختلف المفسرون هل هذه الآية **من كلام النبي ﷺ أو من كلام عيسى عليه السلام** على قولين :

القول الأول : أنها **من كلام عيسى** عليه السلام ، قاله مقاتل [١] ، وهو قول أبي مسلم الأصفهاني [٢] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٣] ، ووافقه **أكثر** [٤] المفسرين [٥] . [٦]

واستدل له :

١. بالنظير القرآني :

قوله تعالى بلسان عيسى عليه السلام : ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ... ﴾ . [سورة المائدة : ١١٧] .

= البشر للبناء : ٣٧٨ . وينظر : مشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب : ٢ / ٤٥٥ ، التبيان في إعراب القرآن للعكبري : ٢ / ٨٧٥ . وينظر : تفسير البغوي : ٣ / ١٩٥ ، التفسير الكبير : ٢١ / ١٨٧ ، التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٥ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ٢٦٥ .

وابن كثير هو : عبد الله بن كثير بن عمرو بن هرمز ، أبو معبد الكناني الداري ، إمام أهل مكة في القراءة ، كان فصيحاً بليغاً مفوهاً واعظاً ، أحد القراء السبعة المشهورين ، ت سنة ١٢٢ هـ . ينظر : طبقات ابن سعد : ٥ / ٤٨٤ ، الفهرست : ٤٢ وفيات الأعيان : ٣ / ٤١ ، ٤٢ .

(١) ينظر تفسيره : ٢ / ٣١٢ .

(٢) نسبه إليه : الفخر الرازي ، والنيسابوري ، وابن عادل . ينظر : التفسير الكبير : ٢١ / ١٨٧ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٤٨٥ ، تفسير ابن عادل : ١٣ / ٦٦ .

(٣) ينظر : التسهيل : ٣ / ٥ .

(٤) نسب السمعاني هذا القول إلى جمهور المفسرين . ينظر : تفسير السمعاني : ٣ / ٢٩٢ .

(٥) منهم : الطبري ، وابن أبي زمنين ، والواحدي ، والسمعاني ، واحتمله ابن عطية ، وابن الجوزي ، والقرطبي ، والبيضاوي ، والنسفي ، والخازن ، وابن كثير ، والبقاعي ، والثعالبي ، وأبو السعود ، والخطيب الشربيني والشوكاني ، والقاسمي ، والآلوسي ، وسيد قطب ، والشنقيطي ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير الطبري : ١٦ / ٨٥ ، تفسير ابن أبي زمنين : ٣ / ٩٥ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٦٨٠ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٢٩٢ ، المحرر الوجيز : ٤ / ١٥ ، زاد المسير : ٥ / ٢٣٢ ، تفسير القرطبي : ١١ / ١٠٧ ، ١٠٨ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ١٦ ، تفسير النسفي : ٣ / ٣٦ ، تفسير الخازن : ٤ / ٢٤٦ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ١٢١ ، نظم الدرر : ٤ / ٥٣٣ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ١٨ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ٢٦٥ ، السراج المنير : ٢ / ٤٧٠ ، فتح القدير : ٣ / ٣٣٣ ، تفسير القاسمي : ١١ / ١٢١ ، روح المعاني : ١٦ / ٩٢ ، الظلال : ٤ / ٢٣٠٨ ، أضواء البيان : ٣ / ٤١٦ ، الوسيط : ٩ / ٣٧ .

(٦) قال بالقولين من غير ترجيح : الفخر الرازي ، وأبو حيان ، والطاهر بن عاشور . ينظر : التفسير الكبير : ٢١ / ١٨٧ ، البحر المحيط : ٦ / ١٧٩ ، التحرير والتنوير : ١٦ / ١٠٤ ، ١٠٥ .

٢. دلالة السِّياق القرآني :

قال البقاعي : " ولما كان لسان الحال ناطقاً عن عيسى عليه السلام بأن يقول : وقد قضاني الله فكنت كما أراد ، فأنا عبد الله ورسوله فاعتقدوا ذلك ولا تعتقدوا سواه من الأباطيل ، عطف عليه في قراءة الحرميين وأبي عمرو قوله : ﴿ وأَنَّ الله ﴾ أي الذي له ذلك ﴿ فَٱعۡبُدُوهُ ﴾ وحده لتفرده بالإحسان كما أعبده ، وقراءة الباقين بالكسر على أنه مقول عيسى عليه السلام الماضي " . اهـ [١] .

وعلى هذا :

تكون الجمل من قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ ... ﴾ [٢] إلى آخرها جملَ اعتراض .

قال **البقاعي** :

" ويكون اعتراض ما تقدم من كلام الله بينهما للتأكيد والاهتمام " [٣] .

القول الثاني : أنها **من كلام النبي** ﷺ ، ذهب إليه ابن عطية ، والنيسابوري ، واحتمله الثعالبي [٤] من المفسرين .

واستدل له : بظاهر السِّياق .

قال ابن عطية : " وليس يقتضي ظاهر الآية قائلاً من البشر سوى محمد ﷺ " [٥] .

✖ واعتُرض :

بأن النبي ﷺ لم يجر له ذكر فيما تقدم من الآيات ، بل كان الكلام فيما سبق على لسان عيسى عليه السلام .

---

(١) نظم الدرر : ٤ / ٥٣٣ .
(٢) سورة مريم – عليها السَّلام – : ٣٤ .
(٣) نظم الدرر : ٤ / ٥٣٣ .
(٤) ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ١٥ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٤٨٥ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ١٨ .
(٥) المحرر الوجيز : ٤ / ١٥ .

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ من كلام عيسى عليه السلام ، وهو ما رجحه ابن جُزيّ ووافقه أكثر المفسرين** ، إضافة لما تقدم ما يلي :

أولاً : يتأيد هذا القول بالنظير القرآني ، ولهذا يترجح **بالقاعدة الترجيحية** التالية :

- **القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك** [١] .

ثانياً : من الأثر :

عن وهب بن منبه قال : عهد إليهم حين أخبرهم عن نفسه ومولده وموته وبعثه ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ أي : إني وإياكم عبيد الله فاعبدوه ولا تعبدوا غيره [٢] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٣١٢ .

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٦ / ٨٥) . ونسبه إليه غير واحد من المفسرين .

قوله تعالى : ﴿ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ ... ﴾ . [آية : ٤٧] .

مسألة : معنى تسليم إبراهيم عليه السلام على أبيه (حكم ابتداء الكافر بالسلام المشروع) :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن معنى تسليم إبراهيم عليه السلام على أبيه وداع مفارقة ، فقال : ((﴿ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَ ﴾ وداع مفارقة . وقيل : مسالمة لا تحية ؛ لأن ابتداء الكافر بالسلام لا يجوز)) . اهـ [١] .

الدراسة :

اختلف السلف والخلف والمفسرون في **معنى تسليم إبراهيم عليه السلام على أبيه** على قولين :

القول الأول : هو تحية [٢] **مفارق ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٣] ، ووافقه القرطبي ، والشوكاني [٤] من المفسرين [٥] .

وجوَّزوا تحية الكافر ، وأن يبدأ بالسلام المشروع [٦] ، وهو مذهب **سفيان بن عيينة** ، ووجه في مذهب **الشافعي** [٧] .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٦ .

(٢) قال الجصاص : التحية التي هي دعاء بالسلامة والأمن ؛ نحو تسليم المسلمين بعضهم على بعض . ينظر : أحكام القرآن للجصاص : ٥ / ٢١٦ .

(٣) ينظر : التسهيل : ٣ / ٦ .

(٤) ينظر : تفسير القرطبي : ١١ / ١١٢ ، فتح القدير : ٣ / ٣٣٦ .

(٥) نسب الشوكاني هذا القول إلى الجمهور . ينظر : فتح القدير : ٣ / ٣٣٦ . وبعد البحث وجدت الجمهور مع القول الثاني .

(٦) قال ابن القيِّم : وروي عن ابن عباس رضي الله عنه ، وأبو أمامة ، وابن محيريز . ينظر : زاد المعاد في هدي خير العباد لأبي عبد الله ، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي ، المعروف بابن قيِّم الجوزية أو ابن القيِّم (ت ٧٥١ هـ) : ٢ / ٤٢٥ .

(٧) قاله الماوردي في الحاوي ؛ ولكن قال : يقال له (السلام عليك) فقط بدون ذكر الرحمة ، وبلفظ الإفراد . وقال النووي : **وهذا شاذٌ ضعيف** . ينظر : المجموع لمحي الدين بن شرف النووي، أبو زكريا (ت ٦٧٦هـ) : ٤ / ٥٠٧ ، ٥٠٨ .

وسفيان بن عيينة هو : سفيان بن عيينة بن أبي عمران الهلالي ، أحد الأئمة الأعلام ، كان ذو عقل رصين ، وعلم مكين ، مستنبط للمعاني ، الإمام الثبت الحجة الثقة ، ت سنة١٩٨ هـ . ينظر : تاريخ البخاري : ٤ / =

واستدل له من القرآن الكريم :

- وقوله سبحانه : ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ . [سورة الممتحنة : ٨] .

- وقوله سبحانه : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ... ﴾ . [سورة الممتحنة : ٤] .

✖ **وتُعقِّب :**

بأن ما استدَّل به مُتأوَّل ، وهو محجُوج بما ثبت في صحيح مسلم [(١)] :

عن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال : « لَا تبدؤوا الْيَهُودَ ولا النَّصَارَى بِالسَّلَامِ ، فإذا لَقِيتُمْ أَحَدَهُمْ في طَرِيقٍ فَاضْطَرُّوهُ إلى أَضْيَقِهِ » [(٢)] .

✓ **وأجاب القرطبي** : بأن " في الباب حديثان صحيحان :

الأول : ما أخرجه **الإمام مسلم** عن أبي هريرة ﷺ – وهو المذكور آنفاً – .

الثاني : ما أخرجه الشيخان عن أسامة بن زيد ﷺ « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَكِبَ على حِمَارٍ على قَطِيفَةٍ **فَدَكِيَّةٍ** ، وَأَرْدَفَ أُسَامَةَ بن زَيْدٍ وَرَاءَهُ يَعُودُ سَعْدَ بن عُبَادَةَ في بَنِي الْحَارِثِ بن الْخَزْرَجِ قبل وَقْعَةِ بَدْرٍ ، قال : حتى مَرَّ بِمَجْلِسٍ فيه عبد اللَّهِ بن أُبَيٍّ بن سَلُولَ – وَذَلِكَ قبل أَنْ يُسْلِمَ عبد اللَّهِ بن أُبَيٍّ – ، فإذا في الْمَجْلِسِ أَخْلَاطٌ من الْمُسْلِمِينَ وَالْمُشْرِكِينَ عَبَدَةِ الْأَوْثَانِ وَالْيَهُودِ وَالْمُسْلِمِينَ ، وفي الْمَجْلِسِ عبد اللَّهِ بن رَوَاحَةَ ؛ فلما غَشِيَتْ الْمَجْلِسَ

= ٩٤ ، الحلية : ٧ / ٢٧٠ – ٣١٨ ، الكاشف : ١ / ٤٤٩ .

(١) ينظر : البحر المحيط لأبي حيان : ٦ / ١٨٤ ، روح المعاني : ١٦ / ٩٩ .

(٢) أخرج البخاري بنحوه في الأدب المفرد ، باب لا يبدأ أهل الذمة بالسلام (١١٠٣) : ٣٧٨ ، وأخرجه مسلم – واللفظ له – في صحيحه في كتاب السلام ، بَاب النَّهْيِ عن ابْتِدَاءِ أَهْلِ الْكِتَابِ بِالسَّلَامِ وَكَيْفَ يُرَدُّ عليهم (٢١٦٧) : ٤ / ١٧٠٧ .

عَجَاجَةُ الدَّابَّةِ خَمَّرَ عبد اللَّهِ بن أُبَيٍّ أَنْفَهُ بِرِدَائِهِ ، ثُمَّ قال : لَا تُغَبِّرُوا عَلَيْنَا . فَسَلَّمَ رسول اللَّهِ ﷺ عليهم ... » . الحديث [١] .

" فالأول : يفيد ترك السلام عليهم ابتداء ؛ لأن ذلك إكرام والكافر ليس أهله ، والحديث الثاني يُجوِّز ذلك .

قال الطبري : ولا يعارض ما رواه أسامة بحديث أبي هريرة ؛ فإنه ليس في أحدهما خلاف للآخر ، وذلك أن حديث أبي هريرة مخرجه العموم ، وخبر أسامة يبين أن معناه الخصوص .

وقال النخعي : إذا كانت لك حاجة عند يهودي أو نصراني فابدأه بالسلام [٢] . فبان بهذا أن حديث أبي هريرة رضي الله عنه : « لَا تبدؤوا الْيَهُودَ ولا النَّصَارَى بِالسَّلَامِ ... » إذا كان لغير سبب يدعوكم إلى أن تبدءوهم بالسلام ؛ من : قضاء ذمام ، أو حاجة تعرض لكم قبلهم ، أو حق صحبة ، أو جوار ، أو سفر .

قال **الطبري** [٣] : وقد روى عن السَّلف أنهم كانوا يسلمون على أهل الكتاب . وفعله ابن مسعود رضي الله عنه بدهقان صحبه في طريقه . قال **علقمة** : فقلت له : يا أبا عبد الرحمن أليس يكره أن يبدءوا بالسلام ؟ قال : نعم ، ولكن حقَّ الصحبة [٤] .

---

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري – واللفظ له – في صحيحه في كتاب التفسير ، بَاب ﴿ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًا ﴾ (٤٢٩٠) : ٤ / ١٦٦٣ ، وأخرج مسلم بنحوه في صحيحه في كتاب الجهاد والسير ، بَاب في دُعَاءِ النبي ﷺ وَصَبْرِهِ على أَذَى الْمُنَافِقِينَ (١٧٩٨) : ٣ / ١٤٢٢ .
وفدكِّية : نسبة إلى فدك ، وهي قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان وقيل ثلاثة أفاءها الله على رسوله ﷺ في سنة سبع صلحاً . ينظر : معجم البلدان : ٤ / ٢٣٨ .

(٢) أخرجه ابن حجر في المطالب العالية ؛ باب السلام على الكفار (٢٦٥٤) : ١١ / ٦٧٩ . وهذا هو قول علقمة والنخعي : وهو جواز ابتداء الكفار بالسلام لضرورة أو حاجة أو سبب . ينظر : شرح النووي على صحيح مسلم : ١٤ / ١٤٥ ، نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت ١٢٥٥ هـ) : ٨ / ٢٢٦ .

(٣) أقوال الطبري لم أقف عليها في أي من كتبه – في حدود ما اطلعت – . ونسبها إليه القرطبي وابن حجر . ينظر : تفسير القرطبي : ١١ / ١١٢ ، فتح الباري : ١١ / ٣٩ .

(٤) أخرجه أبو بكر ، أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨ هـ) في شعب الإيمان ؛ فصل في السلام على أهل الذمة (٨٩١٠) : ٦ / ٤٦٣ . وقال ابن حجر : أخرجه الطبري **بسند صحيح** عن علقمة .
و**علقمة** هو : علقمة بن قيس بن عبد الله النخعي ، أبو شبل الكوفي ، إمام فقيه مجود ، ثقة ثبت ت سنة ٦١هـ . ينظر : تاريخ البخاري : ٧ / ٤١ ، معرفة الثقات : ٢ / ١٤٥ – ١٤٧ ، تذكرة الحفاظ : =

وكان **أبو أمامة** ﷺ إذا انصرف إلى بيته لا يمر بمسلم ولا يهودي ولا نصراني إلا سلَّم عليه . فقيل له في ذلك ؛ فقال : أمرنا أن نفشي السلام [١] .

وسئل **الأوزاعي** عن مسلم مرَّ بكافر فسلم عليه ؛ فقال : إن سلمت فقد سلم الصالحون قبلك ، وإن تركت فقد ترك الصالحون قبلك .

وروى عن الحسن البصري أنه قال : إذا مررت بمجلس فيه مسلمون وكفار فسلِّم عليهم " . اهـ [٢] .

قال القرطبي : " **الأظهر من الآية** ما قاله سفيان بن عيينة " [٣] .

القول الثاني : هو توديع ومتاركة [٤] ، **وهو مسالمة لا تحية** ؛ لأن ابتداء الكافر بالسلام لا يجوز ، قاله **جمهور** [٥] المفسرين [٦] . [١]

= ١ / ٤٨ .

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه في أهل الذمة يبدؤون بالسلام (٢٥٧٥١) : ٥ / ٢٤٩ . عن محمد بن زياد الألهاني وشرحبيل بن مسلم . وقال ابن حجر : أخرجه الطبري **بسند جيد** عنه .
وأبو أمامة هو : صدي بن عجلان بن وهب الباهلي ، أبو أمامة : **صحابي** ، له في الصحيحين ٢٥٠ حديثاً ، وهو آخر من مات من الصحابة بالشام ، ت سنة ٨١ هـ . ينظر : الهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسداد (رجال صحيح البخاري) لأبي نصر ، أحمد بن محمد بن الحسين البخاري الكلاباذي (ت ٣٩٨ هـ) : ١ / ٣٦٦ ، الاستيعاب : ٢ / ٧٣٧ ، تهذيب التهذيب : ٤ / ٣٦٨ ،

(٢) تفسير القرطبي : ١١ / ١١٢ . بتصرف يسير . وينظر : فتح الباري لابن حجر : ١١ / ٣٩ .
و**الأوزاعي** هو : عبد الرحمن بن عمرو بن أبي عمرو الأوزاعي ، أبو عمرو ، الإمام العلم الفقيه ، شيخ الإسلام ، ثقة جليل ، إمام عصره وفقيه زمانه ، ت سنة ١٥٧هـ . ينظر : حلية الأولياء : ٦ / ١٣٥ - ١٤٩ ، السِّير : ٧ / ١٠٧ - ١٣٤ ، التقريب : ٣٤٧ .

(٣) تفسير القرطبي : ١١ / ١١٢ .

(٤) قال الماوردي : " وهو أظهر أنه سلام بر وإكرام ، فقابل جفوة أبيه بالبر تأدية لحق الأبوة وشكراً لسالف التربية " . اهـ . ينظر : النكت والعيون : ٣ / ٣٧٥ . وينظر : تفسير العز بن عبد السلام : ٢ / ٢٧٩ .

(٥) نسب ابن عطية ، والقرطبي ، وأبو حيان ، والثعالبي هذا القول إلى الجمهور . ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ١٩ ، تفسير القرطبي : ١١ / ١١١ ، البحر المحيط : ٦ / ١٨٤ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ٢٢ .

(٦) منهم : مقاتل ، والطبري ، والجصاص ، والثعلبي ، والواحدي ، والبغوي ، والزمخشري ، وابن الجوزي ، والفخر الرازي ، والبيضاوي ، والنسفي ، والخازن ، والنيسابوري ، وأبو حيان ، والبقاعي ، وابن عادل ، وابن كثير ، والجلالين وأبو السعود ، والخطيب الشربيني ، والآلوسي ، والسعدي ، وسيد قطب ، والشنقيطي ، والطاهر بن عاشور ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير مقاتل : ٢ / ٣١٤ ، تفسير الطبري : ١٦ / ٩٢ ، أحكام القرآن للجصاص : ٥ / ٢١٦ ، الكشف والبيان : ٦ / ٢١٦ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٦٨٢ ، تفسير البغوي : ٣ / ١٩٨ ، الكشاف : ٣ / ٢٣ ، زاد المسير : ٥ / ٢٣٧ ، التفسير الكبير : ٢١ / ١٩٥ ، تفسير البيضاوي : =

قال الطبري :

" معناه : أمنةً مني لك " [٢] . وإنما أمَّنه مع كفره لأنه لم يؤمر بقتاله [٣] .

" وذلك على طريقة مقابلة السيئة بالحسنة ؛ أي : لا أصيبك بمكروه بعد ، ولا أشافهك بما يؤذيك ولكن ﴿ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيَ ﴾ " [٤] .

واستدل له :

١. بالنظير القرآني :

- قوله تعالى : ﴿ ... وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا ﴾ . [سورة الفرقان : ٦٣] .
- وقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ . [سورة القصص : ٥٥] .

٢. إن السلام الذي معناه التحية إنما خصَّ به هذه الأمَّة ؛ لحديث أنس بن مالك ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « أُعْطِيتُ ثَلاثَ خِصَالٍ : صَلاةً فِي الصُّفُوفِ ، وَأُعْطِيتُ السَّلامَ ، وَهِيَ تَحِيَّةُ أَهْلِ الْجَنَّةِ ... » [٥] .

= ٤ / ١٩ ، تفسير النسفي : ٣ / ٣٩ ، تفسير الخازن : ٤ / ٢٤٨ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٤٩٢، البحر المحيط : ٦ / ١٨٤ ، نظم الدرر : ٤ / ٥٣٨ ، تفسير ابن عادل : ١٣ / ٧٩ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ١٢٤ ، تفسير الجلالين : ٤٠١ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ٢٨٦ السراج المنير : ٢ / ٤٧٤ ، روح المعاني : ١٦ / ٩٩ ، تفسير السعدي : ٤٩٥ ، الظلال : ٤ / ٢٣١٢ ، أضواء البيان : ٣ / ٤٢٨ ، التحرير والتنوير : ١٦ / ١٢١ ، الوسيط : ٩ / ٤٣ .

(١) قال بالقولين من غير ترجيح : السمعاني ، وابن عطية ، والفخر الرازي ، والثعالبي . ينظر : تفسير السمعاني : ٣ / ٢٩٦ ، المحرر الوجيز : ٤ / ١٩ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ٢٢ .

(٢) تفسير الطبري : ١٦ / ٩٢ .

(٣) ينظر : تفسير القرطبي : ١١ / ١١١ ، فتح القدير للشوكاني : ٣ / ٣٣٦ .

(٤) تفسير أبي السعود : ٥ / ٢٨٦ .

(٥) جزء من حديث أخرجه الهيثمي في زوائد مسند الحارث في كتاب الصلاة ، باب التأمين (١٧٢) : ١ / ٢٨٥ . قال الحافظ ابن حجر : أخرجه ابن خزيمة في صحيحه من وجه آخر عن زربي لكن قال ابن بنت الحر، ولم يثبت لضعف زربي . ينظر : المطالب العالية لابن حجر : ٤ / ٧٧ . وأخرج ابن جرير **بسند صحيح** عن قتادة في قوله : ﴿ ... وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا ... ﴾ . [سورة يوسف عليه السلام : ١٠٠] . قال : « كانت تحية من قبلكم فأعطى الله هذه الأمة السلام تحية أهل الجنة » . ينظر : فتح الباري لابن حجر : ١٢ / ٣٧٦ .

قال **المناوي** : " وإنما امتنع السَّلام على الكافر لأنه لا سلامة له ؛ إذ هو مخزي في الدنيا بالحرب والقتل والسبي وفي الآخرة بالعذاب الأبدي " . اهـ [١] .

قال الشوكاني : " **والأوَّل أوْلى** " [٢] .

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن الراجح هو القول الثاني ؛ وهو عدم جواز ابتداء الكفار بالسلام المشروع ، وبه قطع الجمهور ، وهو المذهب الصحيح ؛ خلافاً لما ذهب إليه ابن جُزيّ ومن وافقه . ويجوز الابتداء بالسلام على جمع فيهم مسلمون وكفار أو مسلم وكفار ويقصد المسلمين لحديث أسامة** ﷺ [٣] ، لما تقرر عند العلماء أنه :

- **إذا ثبت الحديث ؛ وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه** [٤] .

✓ وللعلماء في هذه حكم ابتداء الكفار بالسلام بعض التفصيل كما يلي :

أولاً : في حالة الاضطرار إلى السَّلام على الكفار :

قال **النووي** : " إذا اضطر إلى السَّلام على الظلمة بأن خاف ترتب مفسدة في دين أو دنيا إن لم يسلِّم سلَّم " [٥] .

---

(١) فيض القدير للمناوي : ١ / ٣٧٧ .

والمناوي هو : محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي الحدادي ثم المناوي القاهري ، زين العابدين : من كبار العلماء بالدين والفنون . انزوى للبحث والتصنيف ، وكان قليل الطعام كثير السهر ، له نحو ثمانين مصنفاً ، منها الكبير والصغير ، والتام والناقص . عاش في القاهرة ، وتوفي بها سنة ١٠٣١ هـ . من كتبه : التوقيف على مهمات التعاريف ، واليواقيت والدرر وغير ذلك . ينظر : كشف الظنون : ١ / ٧١ ، ٤٠٨ ، الأعلام : ٦ / ٢٠٤ .

(٢) فتح القدير : ٣ / ٣٣٦ .

(٣) قاله النووي في المجموع : ٤ / ٥٠٩ .

(٤) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٢٧١ .

(٥) المجموع للنووي : ٤ / ٥٠٩ .

والنووي هو : الإمام محيي الدين يحيى بن شرف بن حسن الحازمي ، أبو زكريا النووي ثم الدمشقي الشافعي ، شيخ المذهب ، وكبير الفقهاء في زمانه ، صاحب التصانيف العديدة المفيدة ، ت سنة ٦٧٧هـ . ينظر : طبقات الشافعية للسبكي : ٨ / ٣٩٥ – ٤٠٠ ، البداية والنهاية : ١٣ / ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة : ٢ / ١٥٣ – ١٧٥ .

وقال ابن العربي المالكي : " السلام اسم من أسماء الله ... فإذا قلت : (السلام عليكم) فيحتمل : الله رقيب عليكم " [١].

ثانياً : تحية ذمي بغير السلام :

" قال **المتولي وغيره** : له ذلك ، بأن يقول : هداك الله ، أو أنعم الله صباحك . وهذا لا بأس به إن احتاج إلى تحيته لدفع شره أو نحوه . فيقول : صبحك الله بالخير ، أو بالسعادة ، أو بالعافية ، أو بالمسرة ونحوه ، فإن لم يحتج فالاختيار ألا يقول شيئاً ، فإن ذلك بسط وإيناس وإظهار مودة ، وقد أُمرنا بالإغلاظ عليهم ، ونُهينا عن ودِّهم " [٢] .

ثالثاً : السلام على الكفار بلفظ يقتضي خروجهم عنه :

المراد منع ابتداء الكفار بالسلام المشروع ، فأما لو سلم عليهم بلفظ يقتضي خروجهم عنه ؛ كأن يقول : (السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين) فهو جائز [٣] ؛ كما كتب النبي ﷺ إلى هرقل وغيره : « سلام على من اتبع الهدى ... » [٤] .

وبالنظر إلى فقه الواقع ، والإسلام لم يعد له قوته وعزه ومكانته ؛ بل أصبح يوصم بالتطرف والإرهاب والعنف ، وهو دين الرحمة والسلام ؛ والإغلاظ لأهل الكفر سيفهم بطريقة خاطئة ؛ فأرى – والله أعلم – تحية الكافر بغير السلام إن احتاج إلى تحيته لدفع شره أو نحوه ، خاصة لمن لم يكن محارباً ولا مقاتلاً في الدين ، لأن ديننا دين السلام .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي : ١ / ٥٩٢ .

(٢) المجموع للنووي : ٤ / ٥٠٩ .

والمتولي هو : عبد الرحمن بن مأمون النيسابوري ، أبو سعد ، المعروف بالمتولي : فقيه مناظر ، عالم بالأصول . ولد بنيسابور ، وتعلم بمرو ، له : تتمة الابانة ، للفوراني في فقه الشافعية (لم يكمله) ، وكتاب في الفرائض مختصر . ت سنة ٤٧٨ هـ . ينظر : طبقات الفقهاء : ١ / ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، العبر للذهبي : ٣ / ٢٩٢ ، شذرات الذهب : ٣ / ٣٥٨ .

(٣) ينظر : فتح الباري لابن حجر : ١١ / ٤٠ .

(٤) جزء من حديث أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب التفسير ، باب كَيْفَ كان بَدْءُ الْوَحْيِ إلى رسول اللَّهِ ﷺ (٧) : ١ / ٧ ، وأخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الجهاد والسير ، بَاب كِتَابِ النبي ﷺ إلى هِرَقْلَ يَدْعُوهُ إلى الْإِسْلَامِ (١٧٧٣) : ٣ / ١٣٩٣ . عن ابن عباس رضي الله عنهما .

قوله تعالى : ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا ٥٦ وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيّٗا ٥٧ ﴾ . [آية : ٥٧] .

مسألة : في المراد بقوله تعالى عن إدريس عليه السلام : ﴿ وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيّٗا ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن المراد بقوله تعالى عن إدريس عليه السلام : ﴿ وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيّٗا ﴾ أنه في السماء الرابعة ، فقال : ((﴿ وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيّٗا ﴾ في حديث الإسراء : « وإنه في السماء الرابعة » . وقيل : يعني رفعة النبوة وتشريف مترلته ، **والأول أشهر** ، ورجَّحه الحديث)) . اهـ [1] .

الدراسة :

اختلف أهل العلم والمفسرون في **معنى قوله تعالى عن إدريس عليه السلام : ﴿ وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيّٗا ﴾** على قولين :

القول الأول : إنه **في السماء الرابعة** [2] ، قاله جماعة من السَّلف [3] ، **وهو ما رجَّحه ابن**

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٧ .

(٢) أخرج الطبري عن ابن عباس رضي الله عنهما : « رفع إلى السماء السادسة فمات فيها » . وقيل : إلى الجنة . وأخرج الطبري أيضاً بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سأل كعب رضي الله عنه فقال له : ما قول الله تعالى لإدريس : ﴿ وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيّٗا ﴾ ؟ قال كعب : « أما إدريس ؛ فإن الله أوحى إليه إني رافع لك كل يوم مثل عمل جميع بني آدم ، فأحب أن تزداد عملاً . فأتاه خليل له من الملائكة ؛ فقال : إن الله أوحى إلي كذا وكذا ، فكلِّم لي ملك الموت فليؤخرني حتى أزداد عملاً . فحمله بين جناحيه ، ثم صعد به إلى السماء ، فلما كان في السماء الرابعة تلقاهم ملك الموت منحدراً ، فكلَّم ملك الموت في الذي كلَّمه فيه إدريس ، فقال : وأين إدريس ؟ فقال : هو ذا على ظهري . قال ملك الموت : فالعجب ، بعثت أقبض روح إدريس في السماء الرابعة ، فجعلت أقول : كيف أقبض روحه في السماء الرابعة وهو في الأرض ؟ فقبض روحه هناك ، فذلك قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيّٗا ﴾ » . ينظر : تفسير الطبري : ١٦ / ٩٦ . وينظر : الدر المنثور : ٥ / ٥١٧ – ٥٢٤ . قال ابن كثير : **هذا من أخبار كعب الأحبار الإسرائيليات ، وفي بعضه نكارة** . وقال ابن حجر : **وهذا من الاسرائيليات والله أعلم بصحة ذلك** . ينظر : تفسير ابن كثير : ٣ / ١٢٧ ، فتح الباري لابن حجر : ٦ / ٣٧٥ .

(٣) قاله أبي سعيد الخدري وأنس بن مالك – رضي الله عنها – ، وقاله مجاهد . أخرجه عنهم ابن جرير . ينظر : تفسير الطبري : ١٦ / ٩٧ .

جُزيّ [١] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٢] .

واستدل له : بما ثبت عن أنس بن مالك ﷺ أن النبي ﷺ قال : « لَمَّا عُرِجَ بِي رأيت إِدْرِيسَ فِي السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ » [٣] .

✖ وتُعقِّب :

١. بإن " الرِّفعة المقرونة بالمكان تكون رفعة في المكان ؛ لا في الدَّرجة " [٤] .

٢. الاستدلال بحديث الإسراء لا حجَّة فيه لهذا القول ؛ لأنه ذكر فيه عدَّة أنبياء غيره وجدوا في السموات [٥] .

✓ وأجيب :

بأن فيه نظراً ، لأنه ورد مثله ؛ بل ما هو أظهر منه ، كقوله :

وكن في مَكانٍ إذَا ما سَقَطْتَ تَقُومُ وَرِجْلَاكَ في عافِيَهْ [٦]

---

(١) ينظر : التسهيل : ٣ / ٧ .

(٢) منهم : مقاتل ، والطبري ، والنحاس ، والسمر قندي ، والثعلبي ، وقدَّمه الماوردي ، والواحدي ، والسمعاني ، وقدَّمه ابن الجوزي ، والفخر الرازي ، و**صحَّحه** القرطبي ، والعز بن عبد السلام ، و**صحَّحه** الخازن ، وابن كثير والبقاعي ، والجلالين ، و **صحَّحه** الشوكاني ، واحتمله القاسمي . ينظر : تفسير مقاتل : ٢ / ٣١٦ ، تفسير الطبري : ١٦ / ٩٦ ، معاني القرآن للنحاس : ٤ / ٣٣٨ ، تفسير السمر قندي : ٢ / ٣٧٨ ، الكشف والبيان : ٦ / ٢١٩ ، النكت والعيون : ٣ / ٣٧٧ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٦٨٤ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٣٠٠ ، زاد المسير : ٥ / ٢٤١ ، التفسير الكبير : ٢١ / ١٩٩ ، تفسير القرطبي : ١١ / ١١٧ ، ١١٨ ، تفسير العز بن عبد السلام : ٢ / ٢٨٢ ، تفسير الخازن : ٤ / ٢٥٠ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ١٢٧ ، نظم الدرر : ٤ / ٥٤٢ ، تفسير الجلالين : ٤٠٢ ، فتح القدير : ٣ / ٣٢٩ ، تفسير القاسمي : ١١ / ١٣٥ .

(٣) أخرجه الشيخان مطولاً : أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب بدء الخلق ،بَاب ذِكْرِ الْمَلَائِكَةِ (٣٠٣٥) : ٣ / ١١٧٢ ، وله أطراف ، وأخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان ، بَاب الْإِسْرَاءِ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى السَّمَاوَاتِ وَفَرْضِ الصَّلَوَاتِ (١٦٢) : ١ / ١٤٥ . وأخرجه الترمذي مختصراً في سننه في كتاب التفسير ، بَاب وَمِنْ سُورَةِ الْكَهْفِ (٣١٥٧) : ٥ / ٣١٦ . قال أبو عِيسَى : وهذا **حَدِيثٌ حَسَنٌ** ، وقد رَوَاهُ سَعِيدُ بن أبي عَرُوبَةَ وَهَمَّامٌ وَغَيْرُ وَاحِدٍ عن قَتَادَةَ عن أَنَسٍ عن مَالِكِ بن صَعْصَعَةَ عن النبي ﷺ حَدِيثَ الْمِعْرَاجِ بِطُولِهِ وَهَذَا عِنْدَنَا مُخْتَصَرٌ من ذَاكَ .

(٤) التفسير الكبير : ٢١ / ١٩٩ .

(٥) ينظر : التحرير والتنوير : ١٦ / ١٣١ .

(٦) أورده القاسمي في تفسيره (١١ / ١٣٥) ، والآلوسي في روح المعاني (١٦ / ١٠٧) . والشعر لابن =

القول الثاني : يعني **رفعة النبوة وتشريف منزلته** ، رُوي عن الحسن [١] ، وقاله جماعة من المفسرين [٢] .

واستدل له :

١. **بالنظير القرآني** : قوله تعالى للنبي ﷺ : ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ . [سورة الشرح : ٤] .

٢. قد أنزل الله على إدريس عليه السلام ثلاثين صحيفة ، وهو أوَّل من خط بالقلم ، وأوَّل من خاط الثياب ولبسها ، وكانوا يلبسون الجلود ، ونظر في علم النجوم والحساب ، وأوَّل من اتَّخذ السِّلاح ، وقاتل الكُفَّار ، وأوَّل مرسل بعد آدم عليه السلام ، وأوَّل من اتخذ الموازين والمكاييل [٣] .

قال الآلوسي مؤيداً لهذا القول :

" وهذا الرفع لاقتضائه علو الشأن ورفعة القدر كان فيه من المدح ما فيه ؛ وإلاَّ فمجرد الرفع إلى مكان عالٍ حساً ليس بشئ ؛ فالنار يعلوها الدخان ، وربما يعلو الغبار عمائم الفرسان " . اهـ [٤] .

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن الصحيح أن قوله تعالى عن إدريس عليه السلام : ﴿ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ يحتمل القولين ؛ فالله ﷻ قد جمع له بين الرفعتين : رفعة المكان ورفعة المكانة** ؛ يدل على ذلك ما يلي :

= وكيع التنيسي نسبه إليه ابن خلكان في وفيات الأعيان (٢ / ١٠٦) .

(١) نسبه الآلوسي ، والطاهر بن عاشور إليه . ينظر : روح المعاني : ١٦ / ١٠٧ ، التحرير والتنوير : ١٦ / ١٣١ .

(٢) منهم : الزمخشري ، وقدَّمه ابن عطية ، والبيضاوي ، والنسفي ، وقدَّمه النيسابوري ، وأبو حيان ، وأبو السعود والقاسمي ، والآلوسي ، والسعدي ، وسيد قطب ، والطاهر بن عاشور . ينظر : الكشاف : ٣ / ٢٦ ، المحرر الوجيز : ٤ / ٢١ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ٢٢ ، تفسير النسفي : ٣ / ٤٠ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٤٩٤ البحر المحيط : ٦ / ١٨٩ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ٢٧١ ، تفسير القاسمي : ١١ / ١٣٥ ، روح المعاني : ١٦ / ١٠٥ ، تفسير السعدي : ٤٩٦ ، الظلال : ٤ / ٢٣١٣ ، التحرير والتنوير : ١٦ / ١٣١ .

(٣) ينظر : تفسير السمر قندي : ٢ / ٣٧٨ ، الكشاف : ٣ / ٢٦ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٤٩٤ ، التسهيل : ٣ / ٦ ، البحر المحيط لأبي حيان : ٦ / ١٨٩ ، تفسير ابن عادل : ١٣ / ٨٣ .

(٤) روح المعاني : ١٦ / ١٠٧ .

سورة مريم ـــــــ

قوله تعالى : ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ ﴾ . [آية : ٦٤] .

في الآية مسألتان :

المسألة الأولى : في معنى قوله تعالى : ﴿ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن معنى قوله تعالى : ﴿ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ﴾ أي : له ما قدَّامنا وما خلفنا ، وما نحن فيه من الجهات والأماكن ، فليس لنا الانتقال من مكان إلى مكان إلا بأمر الله ، فقال :

((﴿ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ﴾ أي : له ما قدامنا وما خلفنا ، وما نحن فيه من الجهات والأماكن ؛ فليس لنا الانتقال من مكان إلى مكان إلا بأمر الله . وقيل : ما بين أيدينا الدنيا إلى النفخة الأولى في الصور وما خلفنا الآخرة ، وما بين ذلك ما بين النفختين . وقيل : ما مضى من أعمارنا وما بقي منها ، والحال التي نحن فيها ، **والأول أكثر مناسبة لسياق الآية**)) . اهـ [(١)].

الدراسة :

هذه الآية حكاية لقول جبريل عليه السلام [(٢)] – عن نفسه والملائكة – حين استبطأه رسول الله ﷺ

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٧ .

(٢) قال الفخر الرازي : " إن ظاهر قوله تعالى : ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ... ﴾ خطاب جماعة لواحد ، وذلك لا يليق إلا بالملائكة الذين يتزلون على الرسول ﷺ " . ينظر : التفسير الكبير : ٢١ / ٢٠٤ . وينظر : إتقان السيوطي : ١ / ١٠٣ . وعلى هذا تكون هذه الآية غير متصلة بما قبلها . وجوَّز أبو مسلم وابن بحر : أنّ هذه الآية من تمام حكاية كلام أهل الجنة ؛ بتقدير فعل يقولون حالاً من قوله : ﴿ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴾ . [سورة مريم – عليها السَّلام – : ٦٣] . ، أي وما نتزل في هذه الجنة إلاّ بأمر ربّك . وعلى هذا تكون الآية متصلة بما قبل . ينظر : النكت والعيون : ٣ / ٣٨١ ، تفسير القرطبي : ١١ / ١٢٩ ، البحر المحيط : ٦ / ١٩٣ ، روح المعاني : ١٦ / ١١٥ ، التحرير والتنوير : ١٦ / ١٣٩ .

بالوحي [١] ، وقد اختلف المفسرون في **معنى قوله تعالى : ﴿ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ﴾** على أقوال منها :

القول الأول : معناه : له ما قدامنا وما خلفنا ، وما نحن فيه من الجهات والأماكن فليس لنا الانتقال من مكان إلى مكان إلا بأمر الله ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ [٢] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٣] .

واستدل بدلالة السِّياق .

قال ابن جُزيّ : " والأول أكثر مناسبة لسياق الآية " [٤] .

القول الثاني : معنى : ﴿ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا ﴾ الدنيا إلى النفخة الأولى في الصور ، ﴿ وَمَا خَلْفَنَا ﴾ الآخرة ، ﴿ وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ﴾ ما بين النفختين ، و هذا قول أبي العالية [٥] وجماعة من السلف [٦] ، وذهب إليه الفَرَّاء [٧] ، **و** قاله السمرقندي ، والجلالين [٨] من المفسرين .

✖ **وتعقَّب ابن عطية** قول أبي العالية هذا فقال : " إنما يتصور في بني آدم ، وهذه المقالة هي

---

(١) أخرج الشيخان عن ابن عَبَّاسٍ ﷺ قال : قال رسول اللَّهِ ﷺ لِجِبْرِيلَ : « ألا تَزُورُنَا أَكْثَرَ مِمَّا تَزُورُنَا . قال فَنَزَلَتْ : ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ ... ﴾ . الْآيَةَ » . وقد روي في سبب نزولها أقوال أخرى . قال ابن عاشور عن الرواية السابقة : " وهو **أصحُّ** ما روي في سبب نزولها وأليقه بموقعها هنا . ولا يلتفت إلى غيره من الأقوال في سبب نزولها " . ينظر : التحرير والتنوير : ١٦ / ١٣٩ .

(٢) ينظر : التسهيل : ٣ / ٧ .

(٣) منهم : الزمخشري ، وابن عطية ، والنسفي ، والبيضاوي ، والنيسابوري ، والثعالبي ، والشوكاني ، والطاهر ابن عاشور ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : الكشاف : ٣ / ٣١ ، المحرر الوجيز : ٤ / ٢٤ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ٢٥ ، تفسير النسفي : ٣ / ٤٢ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٤٩٧ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ٢٨ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ٢٧٣ ، فتح القدير : ٣ / ٣٤٢ ، التحرير والتنوير : ١٦ / ١٣٩ ، الوسيط : ٩ / ٥٥ .

(٤) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٧ .

(٥) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٦ / ١٠٣) .

(٦) وهم : عكرمة ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير وقتادة في رواية عنهما ، والسدي ، والربيع بن أنس ، أخرجه عنهم الطبري ، ونسبه إليهم ابن كثير . ينظر : تفسير ابن كثير : ٣ / ١٣١ ، تفسير الطبري : ١٦ / ١٠٣ . وينظر : الدر المنثور : ٥ / ٥٣١ .

(٧) ينظر معانيه : 2 / 144 . قال : وما بين النفختين : أربعون سنة .

(٨) ينظر : تفسير السمرقندي : ٢ / ٣٨١ ، تفسير الجلالين : ٤٠٣ .

للملائكة ؛ فتأمَّله " [١] .

القول الثالث : معنى : ﴿ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا ﴾ **من أمر الآخرة** ، ﴿ وَمَا خَلْفَنَا ﴾ **ما مضى من أمر الدنيا** ، ﴿ وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ﴾ **ما يكون من هذا الوقت إلى قيام الساعة** ، قاله ابن عباس ﷺ ، وقتادة [٢] ، وجماعة من السلف [٣] أيضاً ، وذهب إليه ابن جرير [٤] ، ، وجماعة من المفسرين [٥] . [٦]

واستدل له ابن جرير :

١. بالأغلب في استعمال في لغة العرب :

إن معنى ﴿ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا ﴾ من أمر الآخرة ، لأن ذلك لم يجئ وهو جاء ؛ فهو بين أيديهم ، فإن الأغلب في استعمال الناس إذا قالوا : هذا الأمر بين يديك . أنهم يعنون به ما لم يجئ ، وأنه جاء .

﴿ وَمَا خَلْفَنَا ﴾ من أمر الدنيا ، وذلك ما قد خلفوه فمضى فصار خلفهم بتخليفهم إياه وكذلك تقول العرب لما قد جاوزه المرء وخلفه : هو خلفه ووراءه . ﴿ وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ﴾ ما بين ما لم يمض من أمر الدنيا إلى الآخرة ؛ لأن ذلك هو الذي بين ذينك الوقتين .

٢. أن ذلك هو الظاهر الأغلب ، وإنما يحمل تأويل القرآن على الأغلب من معانيه ما لم يمنع من ذلك ما يجب التسليم له [٧] .

---

(١) المحرر الوجيز : ٤ / ٢٤ .

(٢) أخرجه ابن جرير عن ابن عباس وقتادة في تفسيره (١٦ / ١٠٤) . وأخرج عبد الرزاق عن قتادة في تفسيره (٣ / ١٠) . وينظر : تنوير المقباس : ٢٥٨ .

(٣) وهم : سعيد بن جبير ، والضحاك ، وابن جريج ، والثوري ، نسبه إليهم ابن كثير في تفسيره (٣ / ١٣١) .

(٤) ينظر : تفسير الطبري : ١٦ / ١٠٥ .

(٥) منهم : مقاتل ، ونسبه النحاس إلى سعيد بن جبير و لم يذكر غيره ، وذكر ابن أبي زمنين تفسير قتادة فحسب ، والسمر قندي ، والواحدي ، والخطيب الشربيني . ينظر : تفسير مقاتل : ٢ / ٣١٧ ، معاني القرآن للنحاس : ٤ / ٣٤٤ ، تفسير السمر قندي : ٣ / ٣٨١ ، تفسير ابن أبي زمنين : ٣ / ١٠١ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٦٨٤ ، السراج المنير : ٢ / ٤٨٣ .

(٦) ذكر ابن كثير القولين الثاني والثالث و لم يرجح بينهما . ينظر : تفسير ابن كثير :٣ / ١٣١ .

(٧) ينظر : تفسير الطبري : ١٦ / ١٠٥ . بتصرف يسير .

✖ **وتعقَّب ابن عطية** هذا القول فقال :

" وقال ابن عباس وقتادة – فيما روي وما أراه صحيحاً عنهما – : ما بين الأيدي هي الآخرة وما خلف هو الدنيا . وهذا مختل المعنى إلا على التشبيه بالمكان ؛ لأن ما بين اليد إنما هو ما تقدم وجوده في الزمن بمثابة التوراة والإنجيل من القرآن " . اهـ [١] .

القول الرابع : معناه : ما مضى من أعمارنا وما بقي منها ، والحال التي نحن فيها . [٢]

الترجيح:

يظهر لي – والله أعلم – **أن الراجح هو القول الأول ؛ وأن معنى قوله تعالى : ﴿ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ﴾ : له ما قدَّامنا وما خلفنا ، وما نحن فيه من الجهات والأماكن فليس لنا الانتقال من مكان إلى مكان إلا بأمر الله ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** ؛ يدل على ذلك **دلالة السِّياق** ..

فالآية في مقام **الحديث عن الملائكة** ، وتركيب الجملة يفيد أن الله ﷻ هو المالك لجميع أمورهم ، ومحيط بكل أعمالهم ؛ ما مضى وما هو آت في جميع الأماكن والأزمان ؛ فلا يتزلون إلا بأمره ومشيئته ﷻ ، ولا يتقدمون على أمر إلا بإذنه ؛ لا تخفى عليه خافية ولا يعزب عنه مثقال ذرة ، وهذا المعنى **يرجِّحه السِّياق والمقام** ، وقاله جماعة من المفسرين [٣] .

.

والله تعالى أعلم بالصواب .

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

---

(١) المحرر الوجيز : ٤ / ٢٤ .

(٢) ذكر جميع الأقوال و لم يرجح بينهما : الثعلبي ، والسمعاني ، والبغوي ، والقرطبي ، وأبو حيان ، وابن عادل . ينظر : الكشف والبيان : ٦ / ٢٢٣ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٣٠٥ ، تفسير البغوي : ٣ / ٢٠٣ ، تفسير القرطبي : ١١ / ١٢٩ ، البحر المحيط : ٦ / ١٩٢ ، ١٩٣ ، تفسير ابن عادل : ١٣ / ١٠٠ .

(٣) ينظر : الكشاف : ٣ / ٣١ ، المحرر الوجيز : ٤ / ٢٤ ، التفسير الكبير : ٢١ / ٢٠٤ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٤٩٨ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ٢٧٣ ، فتح القدير : ٣ / ٣٤٢ ، تفسير القاسمي : ١١ / ١٣٩ .

المسألة الثانية: في معنى النسيان في قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن معنى النسيان في قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ الذهول ، فقال : ((﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ هو فعيل من النسيان بمعنى الذهول ، وقيل : بمعنى الترك ، **والأوَّل أظهر**)) . اهـ [(١)].

الدراسة :

اختلف المفسرون في **معنى النسيان في قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾** على قولين :

القول الأول : النسيان **بمعنى الترك** ، قاله جماعة من المفسرين [(٢)] .

واستدل له :

١. بالنظير القرآني :

قوله تعالى لرسوله ﷺ : ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴾ . [سورة الضحى : ٣] .

٢. هذا القول هو الأوفق لسبب النزول [(٣)] .

القول الثاني : النسيان **بمعنى الذهول ، استظهره** ابن عطية [(٤)] **، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ**

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٧ .

(٢) منهم : الواحدي ، والسمعاني ، والبغوي ، والزمخشري ، والفخر الرازي ، والبيضاوي ، وابن عادل ، والجلالين وأبو السعود ، والخطيب الشربيني ، والقاسمي ، والآلوسي ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير الواحدي : ٢ / ٦٨٤ ، تفسير البغوي : ٣ / ٢٠٣ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٣٠٥ ، الكشاف / ٣ / ٣١ ، التفسير الكبير : ٢١ / ٢٠٤ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ٢٥ ، تفسير ابن عادل : ١٣ / ١٠٠ ، تفسير الجلالين : ٤٠٣ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ٢٧٣ ، السراج المنير : ٢ / ٤٨٣ ، تفسير القاسمي : ١١ / ١٣٩ ، روح المعاني : ١٦ / ١١٤ ، الوسيط : ٩ / ٥٥ .

(٣) سبب النزول المرويُّ سابقاً والذي أخرجه الشيخان في استبطاء رسول الله ﷺ جبريل بالوحي (ينظر : ص ٥٧٤ من هذه الرسالة) . وينظر : روح المعاني : ١٦ / ١١٤ .

(٤) ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ٢٤ .

ووافقه الثعالبي [١] من المفسرين .

✖ **واعتُرض** : بأن هذا المعنى لا يجوز عليه سبحانه ، فلا حاجة إلى نفيه عنه ﷻ [٢] .

✓ **ورُجِّح** بأنه :

١. أوفق بصيغة المبالغة ، فـ ﴿ **نَسِيًّا** ﴾ صيغة مبالغة ومعناها : كثير النسيان ، وهي أبلغ .

٢. فيه من إبقاء اللفظ على حقيقته .

٣. كثيراً ما جاء في القرآن نفي ما لا يجوز عليه ﷻ [٣] ، كقوله تعالى : ﴿ ... **لَا تَأْخُذُهُ** سِنَةٌ **وَلَا نَوْمٌ** ... ﴾ . [سورة البقرة : ٢٥٥] .

٤. قوله تعالى : ﴿ **وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا** ﴾ نفي للنسيان مطلقاً ؛ سواء أكان بمعنى الذهول أم بمعنى الترك ؛ فالأولى أن يكون المنفي هو الذي بمعنى الذهول الذي هو نقص .

✖ **وتُعقِّب بأن** :

" قوله تعالى : ﴿ **وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا** ﴾ نفي للنسيان مطلقاً ، فيتمكن ذلك في النسيان الذي هو نقص ، وهو الذهول عن شيء معلوم ، وأما النسيان بمعنى الترك فلا ينتفي مطلقاً ، ومن ذلك :

- قوله تعالى : ﴿ ... **وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ** ... ﴾ . [سورة البقرة : ١٧] .
- وقوله : ﴿ **وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ** ... ﴾ . [سورة الكهف : ٩٩] .

فلو قال : (نسيك) أو نحوه من التقييد لصحَّ حمله على الترك ، ولا حاجة بنا أن نقول إن التقييد في النية ؛ لأن المعنى الآخر أظهر " . اهـ [٤] .

الترجيح:

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **احتمال القولين ؛ وأن معنى النسيان هنا في قوله**

---

(١) ينظر : التسهيل : ٣ / ٧ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ٢٨ .
(٢) ينظر : روح المعاني : ١٦ / ١١٤ .
(٣) ينظر : المرجع السابق .
(٤) المحرر الوجيز : ٤ / ٢٤ . بتصرف يسير .

تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ يحتمل الترك ويحتمل الذهول .

يدل على ذلك أن النسيان لفظ مشترك بين معنيين ؛ فعند الرجوع إلى كتب اللغة والمعاجم نجد أن :

أحدهما : ترك الشيء على ذهول و غفلة ، و ذلك خلاف الذكر له .
والثاني : الترك عن علم وقصد [١] .

وبذلك جاء القرآن الكريم والسُّنة المطهرة ، وكلام العرب .

- ✓ أما المعنى الأول ؛ وهو النسيان بمعنى : الذهول عن شيء معلوم ؛ فهذا لا يوصف الله تعالى به إطلاقاً :
  - لقوله تعالى : ﴿ ... لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴾ [٢] .
  - وقوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ وهي الآية التي معنا .
- ✓ وأما المعنى الثاني ، وهو النسيان بمعنى : الترك عن علمٍ وقصدٍ فهو ثابت لله تعالى .
  - لقوله تعالى : ﴿ ... نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡ ... ﴾ [٣] .
  - وقوله : ﴿ ... وَقِيلَ ٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰكُمۡ كَمَا نَسِيتُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَا ... ﴾ [٤] .

ونتره الله تعالى عن صفة النقص والذهول عن المعلوم ، كما أن أمثال هذه الصفات لا تطلق على الله تعالى إلاّ مقيدة ، فالجزاء من جنس العمل ، فالله يمكر بالماكرين ، ويخادع المخادعين ، وينسى من نسيه [٥] .

---

(١) ينظر : المصباح المنير للفيومي (لفظ : النسوة) : ٢ / ٦٠٤ ، المعجم الوسيط (مادة نسي) : ٢ / ٩٢٠ .
وينظر : المحلى في شرح القواعد المثلى لكاملة الكواري : ١١ / ٥ ، ٦ .
(٢) سورة طه : ٥٢ .
(٣) سورة التوبة : ٦٧ .
(٤) سورة الجاثية : ٣٤ .
(٥) ينظر : المحلى شرح القواعد المثلى : ١١ / ٥ ، ٦ .

والله تعالى أعلم بالصواب .

قوله تعالى : ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ﴾ . [آية : ٧٤] .

مسألة: في أصل ﴿ وَرِءْيًا ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن ﴿ وَرِءْيًا ﴾ من الرؤية ، ومعناه منظر حسن ، فقال :

((بهمزة ساكنة قبل الياء ، معناه : منظر حسن ، وهو من الرؤية ، والرئي اسم المرئي ، وقرىء بتشديد الياء من غير همز ، وهو تخفيف من الهمز ، فالمعنى متفق . وقيل : هو من ري الشارب ؛ أي : التنعم بالمشارب والمآكل ، وقرأ ابن عباس : (زيا) بالزاي [1])) . اهـ [2] .

الدراسة :

ترتب على اختلاف القراءات في ﴿ وَرِءْيًا ﴾ اختلاف المفسرين في أصلها ..

واتفق جمهور [3] المفسرين [4] أن :

---

(١) هذه **قراءة بالغة الشذوذ** تحمل على التفسير ، وهي قراءة سعيد بن جبير ، ويزيد البربري ، والأعْسَمُ المكيِّ . ينظر : مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه : ٨٩ ، المحتسب لابن جني : ٢ / ٤٤ ، إتحاف فضلاء البشر للبناء : ٣٧٩ .

(٢) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٨ .

(٣) نسب الشوكاني هذا القول إلى الجمهور . ينظر : فتح القدير : ٣ / ٣٧٤ .

(٤) منهم : الطبري ، والسمر قندي ، وابن أبي زمنين ، والثعلبي ، والواحدي ، والسمعاني ، والبغوي ، والزمخشري ، وابن عطية ، ونسب ابن الجوزي القول للزَّجَّاج ، والفخر الرازي ، والقرطبي ، والبيضاوي ، والنسفي ، والخازن والنيسابوري ، وأبو حيان ، وابن كثير ، والجلالين ، وأبو السعود ، والخطيب الشربيني ، والشوكاني ، والقاسمي والآلوسي ، والسعدي ، والطاهر بن عاشور . ينظر : تفسير الطبري : ١٦ / ١١٧ ، تفسير السمر قندي : ٢ / ٣٨٥ ، تفسير ابن أبي زمنين : ٣ / ١٠٣ ، الكشف والبيان : ٦ / ٢٢٨ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٦٨٧ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٣١٠ ، تفسير البغوي : ٣ / ٢٠٧ ، الكشاف : ٣ / ٣٨ ، المحرر الوجيز : ٤ / ٢٩ زاد المسير : ٥ / ٢٥٨ ، التفسير الكبير : ٢١ / ٢١١ ، تفسير القرطبي : ١١ / ١٤٣ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ٣٠ ، تفسير النسفي : ٣ / ٤٥ ، تفسير الخازن : ٤ / ٢٥٩ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٥٠٥ ، البحر المحيط : ٦ / ١٩٨ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ١٣٥ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ٣٣ ، تفسير الجلالين : ٤٠٤ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ٢٧٧ ، السراج المنير : ٢ / ٤٨٨ ، فتح القدير : ٣ / ٣٧٤ ، تفسير القاسمي : ١١ / ١٤٢ ، روح المعاني : ١٦ / ١٢٦ ، تفسير السعدي : ٤٩٩ ، التحرير والتنوير : ١٦ / ١٥٤ .

﴿ رِءْيًا ﴾ بالهمز [١] **من رُؤية العيْن** ، وهو منظر حسن ، قاله ابن عباس رضي الله عنه [٢] ، ومجاهد [٣] وغير واحد ، وقاله الزَّجَّاج [٤] ، وابن جُزيّ [٥] .

لكنهم اختلفوا في (ريًّا) مشددا بغير همز [٦] ... فلهم فيها تفسيران [٧] ، ويتوجه بتوجيهين :

- **التوجيه الأول** : أن يكون من ذلك على قلب الهمزة ياء وادغامها ، وهي من **الرؤية** أيضاً ؛ فالمعنى متفق ، **جوّده** الفَرَّاء [٨] ، و **صوَّبه** الطبري [٩] ، **وهو ما رجَّحه ابن**

---

(١) قرأ أكثر القراء بهذا الوجه ؛ وهم : ابن كثير ، وأبو عمرو ، وعاصم ، وحمزة ، والكسائي . ينظر : السبعة في القراءات لابن مجاهد : ٤١١ ، حجة القراءات لابن زنجلة : ١ / ٤٤٦ ، إتحاف فضلاء البشر للبناء : ٣٧٩ .

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٦ / ١١٧) . وينظر : تنوير المقباس : ٢٥٨ .

(٣) ينظر تفسيره : ١ / ٣٩٠ . وأخرجه ابن جرير في تفسيره (١٦ / ١١٨) .

(٤) ينظر معانيه : ٣ / ٣٤٢ .

(٥) ينظر : التسهيل : ٣ / ٨ .

(٦) قرأ نافع غير ورش وابن عامر (ريًّا) مشددًّا بغير همز . ينظر : السبعة في القراءات لابن مجاهد : ٤١١ ، حجة القراءات لابن زنجلة : ١ / ٤٤٧ ، إتحاف فضلاء البشر : ٣٧٩ .

(٧) ذكر التفسيرين و لم يرجح بينهما : **جماعة من أهل اللغة** ، منهم : الزَّجَّاج في معانيه (٣ / ٣٤٢) ، وقاله ابن منظور ، والمرتضى الزبيدي . ينظر (مادة : رأى) في : لسان العرب : ١٤ / ٢٩٦ ، تاج العروس : ٣٨ / ١٠٤ ، ١٠٥ ، والكفوي في كلياته : (٤٨٣) . ومن **كتب الغريب** ، ينظر : غريب القرآن للسجستاني : ٢٤٨ ، مفردات الرَّاغب (مادة : رأى) : ٢١٠ ، التبيان في تفسير غريب القرآن للهائم المصري : ٢٨٣ . ومن كتب **القراءات** : السبعة في القراءات لابن مجاهد : ٤١١ ، حجة القراءات لابن زنجلة : ١ / ٤٤٦ ، إتحاف فضلاء البشر للبنَّاء : ٣٧٩ .
وجماعة من المفسرين ، منهم : البغوي ، والزمخشري ، وابن عطية ، وابن الجوزي ، والفخر الرازي ، والبيضاوي والنسفي ، والنيسابوري ، وأبو حيان ، والسمين الحلبي ، وابن عادل ، والثعالبي ، وأبو السعود ، والشوكاني ، والآلوسي ، والطاهر بن عاشور . ينظر : تفسير البغوي : ٣ / ٢٠٧ ، الكشاف : ٣ / ٣٨ ، المحرر الوجيز : ٤ / ٢٩ ، زاد المسير : ٥ / ٢٥٨ ، التفسير الكبير : ٢١ / ٢١١ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ٣٠ ، تفسير النسفي : ٣ / ٤٥ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٥٠٥ ، البحر المحيط : ٦ / ١٩٨ ، الدر المصون : ٤ / ٥٢٠ تفسير ابن عادل : ١٣ / ١٢٥ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ٣٤ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ٢٧٧ ، فتح القدير : ٣ / ٣٧٤ روح المعاني : ١٦ / ١٢٦ ، التحرير والتنوير : ١٦ / ١٥٥ .

(٨) ينظر معانيه : 2 / ١٤٥ .

(٩) رجَّح الطبري أيضاً القراءة بالهمز ، وعلَّل ذلك بإجماع الحجة من أهل التأويل على أن معناه المنظر ، ولذلك المهموز أولى . لكن القراءة بالتشديد من غير همز قراءة سبعية متواترة ، فالقراءتان صحيحتان . ولكنه استدرك قائلا : " فإن قرأ قارئ ذلك بترك الهمز وهو يريد هذا المعنى فغير مخطئ في قراءته " . ينظر : تفسير الطبري : ١٦ / ١١٨ .

جُزيّ [١] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٢] .

قال الفَرَّاء :

" وأهْلُ المدينة يَقْرؤُونها بغير همز (وريّاً) ، وهو وجه جيِّد ؛ لأَنَّه مع آياتٍ لَسْنَ مهموزاتِ الأَواخِر " . اهـ [٣] .

- **التوجيه الثاني** : من **الريِّ** [٤] ضد العطش ؛ أي : التنعم بالمشارب والمآكل ، جوَّزه النحاس [٥] ، وقاله ابن أبي زمنين والسمعاني [٦] من المفسرين .

ومعناه : " الارتواء من النعمة ، فإن المتنعم يظهر فيه ارتواء النعمة ، والفقير يظهر عليه ذيول الفقر " [٧] .

الترجيح:

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – أن (**ريَّا**) **مشدداً بغير همز يحتمل التوجيهين** :

- يحتمل أن يكون مهموز الأصل من **الرؤية** ، وهو المنظر الحسن ، سهلت همزته بإبدالها ياء ثم أدغمت الياء في الياء .
- ويحتمل أن يكون من **الريّ** ضد العطش ، الذي هو التنعم بالمشارب والمآكل .

يدل على ذلك ما يلي :

أولاً : احتمال القولين لجماعة من أهل اللغة ، والقراء ، والمفسرين ، وكذلك كتب الغريب

---

(١) ينظر : التسهيل : ٣ / ٩ .

(٢) منهم : النحاس و**حسَّنه** ، وكذلك القرطبي ، و**استظهره** الشنقيطي . ينظر : معاني القرآن للنحاس : ٤ / ٣٥٣ تفسير القرطبي : ١١ / ١٤٣ ، أضواء البيان : ٣ / ٤٨٥ .

(٣) ينظر : معاني القرآن للفرَّاء : 2 / ١٤٥ . وينظر : معاني القرآن للنحاس : ٤ / ٣٥٣ ، تفسير القرطبي : ١١ / ١٤٣ .

(٤) قال أبو شامة : " فلا يكون في الكلمة إبدال ، ولذلك امتنع السوسي من إبدال همزها " . ينظر : إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع لعبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم أبي شامة (ت٦٦٥ هـ) : ٢ / ٥٨٥ .

(٥) معاني القرآن للنحاس : ٤ / ٣٥٣ .

(٦) ينظر : تفسير ابن أبي زمنين : ٣ / ١٠٣ ، ١٠٤ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٣١٠ .

(٧) تفسير البغوي : ٣ / ٢٠٧ .

كما ظهر .

ثانياً : يتفق معنى الآية في كلا القراءتين سواء بهمز أو بغير همز ، أو من الرؤية أو من الريِّ الذي هو التنعم : أنهم كانوا منعَّمين في منظر حسن ، وغضارة عيش [١] ، وسرور حال .

ثالثاً : يؤيد هذا القول **القواعد الترجيحية** التالية :

- **إذا ثبتت القراءة فلا يجوز ردَّها أو ردّ معناها ، وهي بمنزلة آية مستقلة .**
- **اتحاد معنى القراءتين أولى من اختلافه** [٢] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) **غضارة عيش** : أي سعته . ينظر : العين للخليل بن أحمد (مادة : غضر) : ٤ / ٣٦٥ .

(٢) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٨٩ ، ١٠٠ .

قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَـٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَـٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾ ﴾ . [آية : ٨٥ - ٨٧] .

مسألة : في المراد بـــ ﴿ عَهْدًا ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن المراد بـــ ﴿ عَهْدًا ﴾ الإذن في الشفاعة ، فقال : ((﴿ عَهْدًا ﴾ يريد به الإيمان والأعمال الصالحة ، ويحتمل أن يريد به الإذن في الشفاعة ، **وهذا أرجح** ؛ لقوله : ﴿ ... لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَـٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَـٰنُ ... ﴾ [(١)] . والظاهر أن ذلك إشارة إلى شفاعة سيدنا محمد ﷺ في الموقف حين ينفرد بها ، ويقول غيره من الأنبياء : نفسي .. نفسي)) . اهـــ [(٢)] .

الدراسة :

اختلف المفسرون في **المراد بالعهد** الذي اتخذه المؤمنون [(٣)] عند الرحمن في الآية على

---

(١) سورة طه : ١٠٩ .

(٢) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ١٠ .

(٣) اختلف أهل العلم في الاستثناء في الآية ؛ وهل المراد بالذين يملكون الشفاعة المجرمون أو المؤمنون ، **وكلا القولين حق ويشهد له قرآن** ، قاله الشنقيطي ، وذلك كما يلي :

القول الأول : الواو في قوله : ﴿ لَّا يَمْلِكُونَ ﴾ راجعة إلى ﴿ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ المذكورين في قوله : ﴿ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ﴾ **فالاستثناء منقطع** ؛ قاله القرطبي ، وابن كثير ، والطاهر بن عاشور .

أي : **لا يملك المجرمون الشَّفاعة** ، أي لا يستحقون أن يشفع فيهم شافع يخلصهم مما هم فيه من الهول والعذاب . وهذا الوجه من التفسير تشهد له آيات من كتاب الله ؛ كقوله تعالى : ﴿ فَمَا لَنَا مِن شَـٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴾ . [سورة الشعراء : ١٠٠ ، ١٠١] . وغيرها من الآيات . و ﴿ مَنِ ﴾ في محل نصب . والمعنى : لكن من اتخذ عند الرحمن عهداً يملكون الشفاعة ، أي بتمليك الله إياهم وإذنه لهم فيها .

القول الثاني : الواو في قوله : ﴿ لَّا يَمْلِكُونَ ﴾ راجعة إلى ﴿ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ و ﴿ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ المذكورين في قوله : ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَـٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴾ **فالاستثناء متصل** ، قاله ابن عطية وأبو حيان ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . و ﴿ مَنِ ﴾ بدل من الواو في ﴿ لَّا يَمْلِكُونَ ﴾ أي لا يملك من جميعهم أحد الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً **وهم المؤمنون** . ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ٣٢ ، تفسير القرطبي : ١١ / ١٥٣ ، البحر المحيط : ٦ / ٢٠٤ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ١٣٩ ، أضواء البيان : ٣ / ٥١٥ ، ٥١٦ ، التحرير والتنوير : ١٦ / ١٦٨ ، الوسيط : ٩ / ٧٢ ، ٧٣ .

قولين :

القول الأول : المراد بالعهد في الآية : **الإيمان والأعمال الصالحة** ، قاله قتادة ، وابن جريج [١] ، وذهب إليه **جمهور** [٢] المفسرين [٣] .

✓ واختلفت **أقوال السلف** في تفسير ذلك ؛ ومنها ما يلي :

١. قيل : **العهد هو : شهادة أن لا إله إلا الله .**

قال ابن عباس ﷺ : « **العهد : شهادة أن لا إله إلا الله** ، ويبرأ إلى الله من الحول والقوة ولا يرجو إلا الله » [٤] ، وقاله الفَرَّاء [٥] ، وجماعة من المفسرين [٦] .

وعن ابن عمر ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « ... من قال : لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ ؛ كان له بها عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ ... » [٧] .

٢. وقيل : **العهد هو : المحافظة على الصلوات الخمس .**

---

(١) أخرجه عن قتادة وابن جريج ابن جرير في تفسيره (١٦ / ١٢٨) .

(٢) نسب الآلوسي هذا القول إلى الجمهور . ينظر : روح المعاني : ١٦ / ١٣٨ .

(٣) منهم : الزمخشري ، وابن الجوزي ، والقرطبي ، والنسفي ، وأبو حيان ، والبقاعي ، والشوكاني ، والقاسمي ، والآلوسي ، والسعدي ، و**استظهره** الشنقيطي . ينظر : الكشاف : ٣ / ٤٥ ، زاد المسير : ٥ / ٢٦٤ ، تفسير القرطبي : ١١ / ١٥٤ ، تفسير النسفي : ٣ / ٤٨ ، البحر المحيط : ٦ / ٢٠٤ ، نظم الدرر : ٤ / ٥٥٨ ، فتح القدير : ٣ / ٣٥١ ، تفسير القاسمي : ١١ / ١٤٨ ، روح المعاني : ١٦ / ١٣٨ ، تفسير السعدي : ٥٠١ ، أضواء البيان : ٣ / ٥١٧ .

(٤) عزاه السيوطي في الدر (٥ / ٥٤١) إلى ابن جرير (في تفسيره : ١٦ / ١٢٨) ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والبيهقي في الأسماء والصفات . وينظر : تنوير المقباس : ٢٥٩ .

(٥) ينظر معانيه : 2 / ١٤٦ .

(٦) منهم : مقاتل ، والسمر قندي ، والثعلبي ، والواحدي ، والسمعاني ، والبغوي ، والفخر الرازي ، وابن كثير ، والخازن ، وابن عادل ، والجلالين والخطيب الشربيني . ينظر : تفسير مقاتل : ٢ / ٣٢٢ ، تفسير السمر قندي : ٢ / ٣٨٧ ، الكشف والبيان : ٦ / ٢٣١ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٦٨٩ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٣١٥ ، تفسير البغوي : ٣ /٢٠٩ ، التفسير الكبير : ٢١ / ٢١٣ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ١٣٩ ، تفسير الخازن : ٤ / ٢٦١ ، تفسير ابن عادل : ١٣ / ١٤٨ ، تفسير الجلالين : ٤٠٥ ، السراج المنير : ٢ / ٤٨٩ . وينظر : تاج العروس (مادة : عهد) : ٨ / ٤٥٤ .

(٧) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير في مسند ابن عمر ﷺ (١٣٥٩٥) : ١٢ / ٤٣٦ . قال الهيثمي في مجمع الزوائد : " رواه الطبراني وفيه أيوب بن عتبة وهو ضعيف وفيه توثيق لين " . ينظر : مجمع الزوائد : ١٠ / ٣٥٨ و**ضعَّفه** الألباني .

عن عبادة بن الصامت ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « خَمْسُ صَلَوَاتٍ كَتَبَهُنَّ الله على الْعِبَادِ ؛ فَمَنْ جاء بهنَّ و لم يُضَيِّعْ مِنْهُنَّ شيئاً اسْتِخْفَافًا بحَقِّهِنَّ كان له عِنْدَ اللَّهِ عَهْدٌ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ ، وَمَنْ لم يَأْتِ بِهِنَّ فَلَيْسَ له عِنْدَ اللَّهِ عَهْدٌ ؛ إن شَاءَ عَذَّبَهُ ، وَإِنْ شَاءَ أَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ » (١) .

٣. وقيل : **العهد هو أن يقول العبد صباح مساء** : « اللهم فَاطِرَ السم وات وَالأَرْضِ ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ؛ إني أَعْهَدُ إِلَيْكَ في هذه الْحَيَاةِ الدُّنْيَا أني أَشْهَدُ أن لاَ إِلَهَ إلا أنت وَحْدَكَ لاَ شَرِيكَ لك ، وأن مُحَمَّداً عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ ، فَإِنَّكَ إن تكلني إلى نفسي تقربني مِنَ الشَّرِّ وتباعدني مِنَ الْخَيْرِ ، وإني لاَ أَثِقُ إِلاَّ بِرَحْمَتِكَ ، فَاجْعَلْ لي عِنْدَكَ عَهْداً تُوَفِّينِيهِ يوم الْقِيَامَةِ إنك لاَ تَخْلِفُ الْمِيعَادَ » (٢) .

قال السعدي :

" وسمى الله الإيمان به ، واتباع رسله ﴿ عَهْدًا ﴾ لأنه عهد في كتبه ، وعلى السُّنة رسله بالجزاء الجميل لمن اتبعهم " . اهـ (٣) .

القول الثاني : المراد بالعهد (٤) **الإذن والأمر** ، أي : **الإذن في الشفاعة ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** (٥) ، واحتمله ابن عطية والثعالبي ، وجوَّزه القاسمي (١) . (٢)

---

(١) أخرجه أبوداود في سننه في كتاب الصلاة ، بَاب فِيمَنْ لم يُوتِرْ (١٤٢٠) : ٢ / ٦٢ . وأخرجه النسائي والدارمي والبيهقي وغيرهم . قال ابن الملقن : " رواه مالك ، والنسائي ، وأبو داود ، وابن ماجه من رواية عبادة بن الصامت . قال ابن عبد البر : هذا حديث صحيح ثابت . قلت : وصحَّحه ابن حبان أيضاً " . اهـ . ينظر : خلاصة البدر المنير في تخريج كتاب الشرح الكبير للرافعي لأبي حفص ، سراج الدين عمر بن علي بن أحمد الأنصاري الشافعي ، المعروف بابن الملقن (ت ٨٠٤ هـ) : ١ / ٢٨٣ . **وصحَّحه** الألباني .

(٢) أخرجه أحمد في مسنده في مسند عبد الله بن مسعود ﷺ (٣٩١٦) : ١ / ٤١٢ . قال الهيثمي : " رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح إلا أن عون بن عبد الله لم يسمع من ابن مسعود " . ينظر : مجمع الزوائد : ١٠ / ١٧٤ . وقال شعيب الأرناؤوط : رجاله ثقات رجال الصحيح . وعزاه السيوطي في الدر المنثور إلى ابن أبي شيبة وابن أبي حاتم ، والطبراني ، والحاكم وصحَّحه ، وابن مردويه عن ابن مسعود موقوفاً عليه ، وعزاه أيضاً إلى الحكيم الترمذي نحوه مرفوعاً عن أبي بكر الصديق ﷺ . ينظر : الدر المنثور : ٥ / ٥٤١ . وقال الشنقيطي : **والظاهر أن المرفوع لا يصح** . ينظر : أضواء البيان : ٣ / ٥١٧ .

(٣) تفسير السعدي : ٥٠١ .

(٤) **العهد** في اللغة : الوصية والأمر . من قولهم : عهد الأمير إلى فلان بكذا ؛ إذا أمره به . ينظر : تاج العروس (مادة : عهد) : ٨ / ٤٥٤ .

(٥) ينظر : التسهيل : ٣ / ١٠ .

أي : لا يملك العباد أن يشفعوا إلا من أذن الله ﷻ له بالشفاعة وأمره بها .

واستدل له بالنظائر القرآنية :

- قوله تعالى : ﴿ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ﴾ . [سورة النجم : ٢٦] .
- وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥ ... ﴾ . [سورة سبأ : ٢٣] .
- وقوله تعالى :يَوۡمَئِذٖ ﴿ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا ﴾ . [سورة طه : ١٠٩] . وغيرها من الآيات .

قال ابن جُزيّ :

" **والظاهر** أن ذلك إشارة إلى شفاعة سيدنا محمد ﷺ في الموقف حين ينفرد بها ، ويقول غيره من الأنبياء : نفسي .. نفسي " . اهـ [٣] .

✖ **وردَّ عليه الآلوسي** بقوله : " وهو خلاف الظاهر جداً " [٤] .

الترجيح:

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن المراد بالعهد الذي يملكه المؤمن في الآية هو الإيمان والعمل الصالح** ، والقول بأنه لا إله إلا الله ، وغيره من الأقوال يدخل في ذلك [٥] ؛ **وذلك خلافاً لما ذهب إليه ابن جُزيّ ومن وافقه** ؛ يدل على ذلك إضافة لما تقدم ما يلي :

---

(١) ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ٣٣ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ٣٩ ، تفسير القاسمي : ١١ / ١٤٨ .

(٢) قال بالقولين من غير ترجيح : البيضاوي ، والنيسابوري ، وأبو السعود . ينظر : تفسير البيضاوي : ٤ / ٣٤ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٥٠٩ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ٢٨٢ .

(٣) التسهيل : ٣ / ١٠ . واحتمله قبله ابن عطية . ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ٣٣ .

(٤) روح المعاني : ١٦ / ١٣٨ .

(٥) ينظر : أضواء البيان : ٣ / ٥١٧ .

أولاً : السِّياق القرآني :

قوله تعالى : ﴿ لَّا يَمْلِكُونَ ﴾ سواء أكان يعود إلى ﴿ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ فحسب ، أو إلى ﴿ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ و ﴿ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ المذكورين في قوله : ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴾ أو كان الاستثناء منفصلاً أو متصلاً فالذي يملك الشفاعة هو المؤمن لا غير ؛ فالمجرمين لا شفاعة لهم لأنفسهم ومن باب أولى لا لغيرهم والعهد الذي يتخذه المؤمن هو الإيمان والعمل الصالح ، والقول بأن الظاهر شفاعة سيدنا محمد ﷺ في الموقف حين ينفرد بها ، ويقول غيره من الأنبياء : نفسي .. نفسي فهذا القول صحيح في نفسه [١] ؛ لكنه ليس المراد هنا في الآية ؛ لأن النبي محمد ﷺ لم يتقدم له ذكر ، وإنما الحديث عن المتقين والمجرمين ؛ والمجرمين ليس لهم شفاعة .

ثانياً : يؤيد هذا **القاعدة الترجيحية** التالية :

- **إعادة الضمير إلى المحدث عنه أولى من إعادته إلى غيره** [٢] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

(١) ينظر : أضواء البيان : ٣ / ٥١٧ .

(٢) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ٢ / ٦٠٣ .

سـورة طـه

قوله تعالى : ﴿ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ۝٧ ﴾ . [آية : ٧] .

مسألة : في المراد بـ ﴿ ٱلسِّرَّ ﴾ و ﴿ وَأَخْفَى ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن ﴿ ٱلسِّرَّ ﴾ الكلام الخفي ، والأخفى ما في النفس ، فقال :

((﴿ ٱلسِّرَّ ﴾ : الكلام الخفي ، والأخفى : ما في النفس . وقيل : ﴿ ٱلسِّرَّ ﴾ ما في نفوس البشر ، والأخفى : ما انفرد الله بعلمه)) . اهـ [١] .

الدراسة :

اختلف المفسرون في **المراد بقوله تعالى : ﴿ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴾** على قولين :

القول الأول : يعلم السرَّ ويعلم ما هو أخفى من السرَّ ، نقل عن جماعة من السَّلف [٢] ، وقاله جماعة من المفسرين [٣] .

على أن قوله : ﴿ وَأَخْفَى ﴾ اسم تفضيل ، والتنكير للمبالغة في الخفاء .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ١١ .

(٢) سيتم ذكر أقوال بعض السلف لاحقاً .

(٣) ونقل بعضهم جميع أقوال السلف في هذا القول و لم يرجحوا بينها ؛ وبعضهم رجح أحدها ؛ ومنهم : الطبري ، والنحاس ، والسمر قندي ، والجصاص ، والبغوي ، وابن عطية ، والبيضاوي ، **واستظهره** أبو حيان ، وابن كثير والبقاعي ، والجلالين ، وأبو السعود ، والشوكاني ، والسعدي ، وسيد قطب ، و لم يقل ابن عاشور بغيره ، والشنقيطي ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير الطبري : ١٦ / ١٤١ ، إعراب القرآن للنحاس : ٣ / ٣٣ ، تفسير السمر قندي : ٢ / ٣٩٠ ، أحكام القرآن للجصاص : ٥ / ٤٩ ، تفسير البغوي : ٣ / ٢١٢ ، المحرر الوجيز : ٤ / ٣٧ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ٤١ ، البحر المحيط : ٦ / ٢١٤ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ١٤٤ ، نظم الدرر : ٥ / ١٠ ، تفسير الجلالين : ٤٠٦ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ٥ ، فتح القدير : ٣ / ٣٥٧ ، تفسير السعدي : ٥٠١ ، الظلال : ٤ / ٢٣٢٨ ، التحرير والتنوير : ١٦ / ١٨٩ ، أضواء البيان : ٤ / ٦ ، الوسيط : ٩ / ٨٨ .
وينظر : المغرب في ترتيب المعرب لناصر بن عبد السيد أبي المكارم ابن على برهان الدين الخوارزمي المطرزى (ت ٦١٠ هـ) : ٢ / ٤٢٩ .

قال ابن عاشور : " والمعنى : إنه يعلم السرَّ وأخفى من السرِّ في الأحوال التي يجهر فيها القائل بالقول لإسماع مخاطبه ، أي : فهو لا يحتاج إلى الجهر لأنه يعلم السر وأخفى . وهذا أسلوب متبع عند البلغاء شائع في كلامهم بأساليب كثيرة . وذلك في كل شرط لا يقصد به التعليق بل يقصد التحقيق " . اهـ [١] .

ثم تنوعت أقوال السلف في تفسيرها ؛ ومنها :

✓ ﴿ ٱلسِّرَّ ﴾ **الكلام الخفي** ، و ﴿ وَأَخۡفَى ﴾ **ما في النفس** ؛ قاله ابن عباس ﷺ ، والحسن وعكرمة [٢] ، وهو قول الفَرَّاء [٣] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٤] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٥] .

قال الفخر الرازي : " وهذا أظهر ؛ فكأنه تعالى بيَّن أنه يعلم السرَّ الذي لا يسمع وما هو أخفى منه ؛ فكيف لا يعلم الجهر ؟! والمقصود منه زجر المكلف عن القبائح ظاهرة كانت أو باطنة ، والترغيب في الطاعات ظاهرة كانت أو باطنة " . اهـ [٦] .

✓ ﴿ ٱلسِّرَّ ﴾ **ما حدثت به نفسك** ، و ﴿ وَأَخۡفَى ﴾ **ما لم تحدثك به** ، قاله ابن عباس ﷺ أيضاً وغير واحد [٧] ، وقاله مقاتل [٨] ، وأبو عبيدة [٩] ، والمبرِّد [١٠] ، وقاله غير واحد

---

(١) التحرير والتنوير : ١٦ / ١٨٩ .

(٢) أخرجه عن ابن عباس ﷺ ، والحسن ، وعكرمة ابن جرير في تفسيره (١٦ / ١٣٩ ، ١٤٠) . وعزاه السيوطي في الدر (٥ / ٥٥٣) عن الحسن وعكرمة إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٣) ينظر معانيه : 2 / ١٤٨ .

(٤) ينظر : التسهيل : ٣ / ١١ .

(٥) منهم : الطبري ، والزمخشري ، و **استظهره** الفخر الرازي ، والبيضاوي ، والنسفي ، والبقاعي ، والشوكاني ، والآلوسي . ينظر : تفسير الطبري : ١٦ / ١٤١ ، الكشاف : ٣ / ٥٤ ، التفسير الكبير : ٢١ / ٨ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ٤١ ، تفسير النسفي : ٣ / ٥١ ، نظم الدرر : ٥ / ١٠ ، فتح القدير : ٣ / ٣٥٧ ، روح المعاني : ١٦ / ١٦٢ .

(٦) التفسير الكبير : ٢١ / ٨ .

(٧) منهم : سعيد بن جبير ، والضحاك ، وقتادة ؛ أخرجه عنهم ابن جرير في تفسيره (١٦ / ١٣٩ ، ١٤٠) . وأخرجه عبد الرزاق عن قتادة في تفسيره (٣ / ١٥) . وينظر : الدر المنثور : ٥ / ٥٥٣ .

(٨) ينظر تفسيره : ٢ / ٣٢٥ .

(٩) ينظر مجازه : ٢ / ١٦ .

(١٠) ينظر : الكامل في اللغة والأدب للمُبرِّد : ٢ / ٨٧٦ .

واحد من المفسرين [١] . [٢]

✓ ﴿ ٱلسِّرَّ ﴾ **الذي تستره من الناس** ، و ﴿ وَأَخۡفَى ﴾ **الوسوسة** ، قاله مجاهد [٣] .

كما قال تعالى : ﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ وَنَعۡلَمُ مَا تُوَسۡوِسُ بِهِۦ نَفۡسُهُۥۖ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ ﴿١٦﴾ ﴾ . [سورة ق : ١٦] .

القول الثاني : ﴿ ٱلسِّرَّ ﴾ : **أنه يعلم أسرار العباد** ، و ﴿ وَأَخۡفَى ﴾ **سرَّه فلا يعلم** ؛ وهو قول زيد بن أسلم [٤] ، وقاله الزَّجَّاج [٥] . [٦]

على أن قوله : ﴿ وَأَخۡفَى ﴾ فعل ماضٍ .

واستدل له بالنظير القرآني : قوله تعالى : ﴿ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ . [سورة طه : ١١٠] .

وتُعقِّب :

✗ أنكره **ابن جري** فقال : " إن الأخفى ما ليس فى سر الإنسان وسيكون فى نفسه " [٧] .

.

---

(١) منهم : الواحدي ، والجلالين . ينظر : تفسير الواحدي : ٢ / ٦٩٢ ، تفسير الجلالين : ٤٠٦ .

(٢) قال أبو السعود باحتمال القولين الأوليين . ينظر : تفسير أبي السعود : ٦ / ٥ .

(٣) ينظر تفسيره : ١ / ٣٩٣ . وأخرجه ابن جرير في تفسيره (١٦ / ١٣٩) ، وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد وابن المنذر ، وابن أبي حاتم . ينظر : الدر المنثور : ٥ / ٥٥٣ .

(٤) أخرجه السيوطي عن زيد بن أسلم ، وعزاه إلى أبي الشيخ في العظمة . ينظر : العظمة لأبي الشيخ الأصبهاني : ٢ / ٥١٦ ، الدر المنثور : ٥ / ٥٥٤ . ونسبه إلى زيد بن أسلم : الثعلبي في الكشف والبيان (٦ / ٢٣٨) . وأخرجه ابن جرير هذا الأثر عن ابن زيد . ينظر تفسيره : ١٦ / ١٤٠ . ونسبه السمعاني ، وابن الجوزي ، والقرطبي إليه . ينظر : تفسير السمعاني : ٣ / ٣٢١ ، زاد المسير : ٥ / ٢٧١ ، تفسير القرطبي : ١١ / ١٧٠ .

(٥) ينظر معانيه : ٣ / ٣٥٠ .

(٦) جوّز **العكبري** القولين ، وأن يكون ﴿ وَأَخۡفَى ﴾ اسم تفضيل ، أو فعل ماضٍ . وذكر السمين الحلبي ذلك التجويز و لم يرجح بينهما . وقال بمثله ابن عادل ونقل أقوال السلف . ينظر : التبيان في إعراب القرآن للعكبري : ٢ / ٨٨٥ ، الدر المصون : ٥ / ٨ ، تفسير ابن عادل : ١٣ / ١٧٧ . ونقل الثعلبي ، والسمعاني ، والقرطبي ، والخازن ، والخطيب الشربيني القولين و لم يرجح بينهما . ينظر : الكشف والبيان : ٦ / ٢٣٨ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٣٢١ ، تفسير القرطبي : ١١ / ١٧٠ ، تفسير الخازن : ٤ / ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، السراج المنير : ٢ / ٤٩٧ .

(٧) تفسير الطبري : ١٦ / ١٤٠ .

وقال **الزمخشري** : " وليس بذاك . فإن قلت : كيف طابق الجزاء الشرط ؟ قلت : معناه : إن تجهر بذكر الله من دعاء أو غيره فاعلم أنه غني عن جهرك . فإما أن يكون نهياً عن الجهر كقوله : ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ ... ﴾ [١] وإما أن يكون تعليماً للعباد أن الجهر ليس لإسماع الله وإنما هو لغرض آخر " . اهـ [٢].

✖ وضعَّفه أيضاً **ابن عطية** [٣] .

✖ وقال **الآلوسي** : " وهو خلاف الظاهر جداً ، فالمعول عليه أنه (أفعل) تفضيل ، والتنكير للمبالغة في الخفاء " . اهـ [٤] .

✖ وقال **الشنقيطي** : " وهو ظاهر السقوط كما لا يخفى " . اهـ [٥] .

الترجيح:

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أنَّ الرَّاجح أنَّ المراد بقوله تعالى : ﴿ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴾ يعلم السرَّ ويعلم ما هو أخفى من السرَّ ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن ووافقه ، غير أن ابن جُزيّ رجَّح قولا من أقوال السلف في تفسيرها ؛ والراجح أن جميع ما قاله السلف في تفسير ذلك على سبيل التمثيل لا على التضاد ، وكلها أوجه معروفة وكلها حق ويشهد لها قرآن ، قاله الشنقيطي** [٦] ؛ يدل على ذلك إضافة إلى ما تقدم ما يلي :

أولاً : من اللغة : أن ذلك هو الظاهر من الكلام ، ولو كان معنى ذلك ما فسَّره زيد بن أسلم لكان الكلام : وأخفى الله سرَّه ؛ لأن (أخفى) فعل واقع متعدٍّ ، وفي انفراد (أخفى) من مفعوله – والذي يعمل فيه – لو كان بمعنى فعل الدليل الواضح على أنه بمعنى (أفعل) ، وحُذف الجار والمجرور ، وتفسير الكلام : فإنه يعلم السر وأخفى منه [٧] .

---

(١) سورة الأعراف : ٢٠٥ .
(٢) الكشاف : ٣ / ٥٤ .
(٣) ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ٣٧ .
(٤) روح المعاني : ١٦ / ١٦٢ .
(٥) أضواء البيان : ٤ / ٧ .
(٦) ينظر : المرجع السابق : ٤ / ٦ .
(٧) ينظر : تفسير الطبري : ١٦ / ١٤٠ . بتصرف . وينظر : برهان الزركشي ، حذف الجار والمجرور : ٣ / ١٥٣

ثانياً : إن المعنى الظاهر للآية :

" أن علمه تعالى محيط بجميع الأشياء ، دقيقها وجليها ، خفيها وظاهرها ، فسواء جهرت بقولك أو أسررته ، فالكل سواء بالنسبة لعلمه تعالى " [١] .

ثالثاً : إن معنى الآية على ما قاله زيد بن أسلم صحيح ؛ لأنه تعالى محيط بجميع الأشياء فلا يعزب عنه شيء قط ، ولا يحيط به شيء من الأشياء فلا يطلع على غيوبه أحد ، إلا أن اللفظ يحصل فيه بشاعة إذا حمل على هذا التفسير [٢] .

رابعاً : قوله تعالى : ﴿ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى ﴾ احتمل عدة معانٍ – على ما ذكر السَّلف في القول الأوَّل – ، و لم يمتنع إرادة الجميع ؛ فيحمل عليها جميعاً .

خامساً : يؤيد ذلك **القاعدة الترجيحية** التالية :

- **إذا احتمل اللفظ معانيَ عدة ولم يمتنع إرادة الجميع حمل عليها** [٣] .
- **غالب ما نقل عن السلف من الاختلاف في التفسير هو اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد** [٤] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

١٥٣ ١٥٤ ، إتقان السيوطي : ٣ / ٢٦٨ .

(١) تفسير السعدي : ٥٠٢ .

(٢) ينظر : تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٥١٦ . بتصرف يسير .

(٣) ينظر : قواعد التفسير للسبت : ٢ / ٨٠٧ .

(٤) ينظر : الموافقات للشاطبي : ٤ / ٢١٤ – ٢٢٠ ، تفسير القاسمي : ١ / ١٧ ، قواعد التفسير للسبت : ١ / ٢٠٨ .

قوله تعالى : ﴿ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَۖ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ﴾ . [آية : 12] .

مسألة : في سبب أمر الله النبي موسى عليه السلام بخلع نعليه :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن الله أمر النبي موسى عليه السلام بخلع نعليه ليتأدب ، ويعظم البقعة المباركة ويتواضع في مقام مناجاة الله ، فقال : ((﴿ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ ﴾ قيل : إنما أمر بخلع نعليه لأنهما كانتا من جلد حمار ميت ، فأمر بخلع النجاسة . واختار **ابن عطية** أن يكون أمر بخلعهما ليتأدب ، ويعظم البقعة المباركة ، ويتواضع في مقام مناجاة الله ، **وهذا أحسن**)) . اهـ [1] .

الدراسة :

اختلف السَّلف والمفسرون في **سبب أمر الله النبي موسى عليه السلام بخلع نعليه** على ثلاثة أقوال :

القول الأول : إنما أمر بخلع نعليه **لأنهما كانتا من جلد حمار ميت** ، فأمر بخلع النجاسة ، قاله ابن عباس [2] ، وكعب ، وعلي رضي الله عنه [3] أجمعين ، وقاله **عامة** [4] المفسرين [5] .

واستدل له من السُّنة :

بما رواه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « كان على مُوسَى يوم كَلَّمَهُ رَبُّهُ كِسَاءُ صُوفٍ ، وَجُبَّةُ صُوفٍ ، و**كُمَّةُ** صُوفٍ ، وَسَرَاوِيلُ صُوفٍ ، وَكَانَتْ نَعْلَاهُ من جِلْدِ حِمَارٍ

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ١١ .

(٢) ينظر : تنوير المقباس : ٢٦٠ .

(٣) أخرجه عبد الرزاق عن كعب وعلي – رضي الله عنهما – في تفسيره (٣ / ١٦) ، وعزاه السيوطي أيضاً في الدر (٥ / ٥٥٨ ، ٥٥٩) عن علي رضي الله عنه إلى الفريابي ، وعبد بن حميد ، وابن أبي حاتم ، وعن كعب إلى عبد بن حميد .

(٤) نسبه إلى عامة المفسرين : السمر قندي ، والنيسابوري ، والسعدي . ينظر : تفسير السمر قندي : ٢ / ٣٩١ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٥٢٠ ، تفسير السعدي : ٥٠٣ .

(٥) منهم : مقاتل ، ابن أبي زمنين ، والثعلبي ، والواحدي ، وابن الجوزي ، والخازن . ينظر : تفسير مقاتل : ٢ / ٣٢٥ تفسير ابن أبي زمنين : ٣ / ١١١ ، الكشف والبيان : ٦ / ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٦٩٢ تذكرة الأريب في تفسير الغريب لابن الجوزي : ١ / ٣٣٥ ، تفسير الخازن : ٤ / ٢٦٥ .

مَيِّتٍ » [١] .

القول الثاني : إنما الله أمره بخلعها ليطأ الأرض بقدميه **لينال بركة الوادي المقدس** ، قاله مجاهد ، وابن جريج [٢] ، وعكرمة [٣] ، وذهب إليه الطبري [٤] . [٥]

واستدل له :

١. بالقرينة القرآنية :

قوله تعالى عقب ذلك : ﴿ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾ دليلاً واضحاً على أنه إنما أمره بخلعهما لينال بركة الوادي المقدس .

٢. لا دلالة في ظاهر التنزيل على أنه أمر بخلعهما من أجل أنهما من جلد حمار ولا لنجاستهما ، والحديث المرويُّ عن ابن مسعود ﷺ مرفوعاً إلى النبي ﷺ ضعيف ، ولو كان صحيحاً لم نتعدَّاه إلى غيره ؛ ولكن في إسناده نظر يجب التثبت فيه [٦] .

وجوَّز **ابن العربي** القولين حيث قال :

" إن قلنا : إن خلع النعلين كان لينال بركة التقديس فما أجدره بالصحَّة فقد استحق التنزيه عن النعل ، واستحق الواطئ التبرك بالمباشرة ؛ كما لا تدخل الكعبة بنعلين ، وكما كان مالك لا يركب دابة بالمدينة براً بتربتها المحتوية على الأعظم الشريفة والجثة الكريمة .

وإن قلنا : برواية ابن مسعود – وإن لم تصحّ – فليس بممتنع أن يكون موسى أمر بخلع نعليه

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه في كتاب اللباس ، بَاب ما جاء في لبس الصوف (١٧٣٤) : ٤ / ٢٢٤ . قال أبو عِيسَى : هذا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إلا من حديث حُمَيْدٍ الْأَعْرَجِ ، وَحُمَيْدٌ هو بن عَلِيٍّ الْكُوفِيُّ ، قال : سَمِعْت مُحَمَّدًا يقول : حُمَيْدُ بن عَلِيٍّ الْأَعْرَجُ مُنْكَرُ الحديث ، وَحُمَيْدُ بن قَيْسٍ الْأَعْرَجُ الْمَكِّيُّ صَاحِبُ مُجَاهِدٍ ثِقَةٌ **وَالْكُمَّةُ** : الْقَلَنْسُوَةُ الصَّغِيرَةُ . **وقال الألباني : ضعيف جداً** .

(٢) أخرجه ابن جرير عن مجاهد وابن جريج . ينظر : تفسير الطبري : ١٦ / ١٤٤ .

(٣) عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد ، وابن أبي حاتم . ينظر : الدر المنثور : ٥ / ٥٥٩ .

(٤) ينظر : تفسير الطبري : ١٦ / ١٤٤ .

(٥) ذكر القولين من غير ترجيح : الماوردي ، والسمعاني ، والبغوي ، والعز بن عبد السلام ، وابن عادل ، والخطيب الشربيني . ينظر : النكت والعيون : ٣ / ٣٩٦ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٣٢٣ ، تفسير البغوي : ٣ / ٢١٣ ، تفسير العز بن عبد السلام : ٢ / ٢٩٥ ، تفسير ابن عادل : ١٣ / ١٨٩ ، السراج المنير : ٢ / ٥٠١ .

(٦) ينظر : تفسير الطبري : ١٦ / ١٤٤ . بتصرف .

وكان أول تعبد أحدث إليه ، كما كان أول ما قيل لمحمد ﷺ : ﴿ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴾ . [سورة المدثر : ٢ - ٥] . " . اهـ [١] .

القول الثالث : أن يكون أمر بخلعهما **ليتأدب ، ويعظم البقعة المباركة ، ويتواضع في مقام مناجاة الله** ، وهو قول مجاهد أيضاً [٢] ، وذهب إليه ابن عطية [٣] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٤] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٥] . [٦]

واستدل له :

١. القرينة القرآنية :

قوله تعالى عقب ذلك : ﴿ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾ ، والباء تفيد التعليل ، فخلع موسى عليه السلام لنعليه احتراماً للبقعة المقدسة ؛ وكأنه قال تعالى : اخلع نعليك لأنك بالوادي المقدس طوى [٧] .

" العرف عند الملوك أن تخلع النعلان ويبلغ الإنسان إلى غاية تواضعه ؛ فكأن موسى عليه السلام أمر بذلك على هذا الوجه ، ولا نبالي كيف كانت نعلاه من ميتة أو غيرها " [٨] .

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي : ٣ / ٣٥٤ .

(٢) نسبه السمعاني ، والبغوي إليه . ينظر : تفسير السمعاني : ٣ / ٣٢٣ ، تفسير البغوي : ٣ / ٢١٣ .

(٣) ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ٣٩ .

(٤) ينظر : التسهيل : ٣ / ١١ .

(٥) منهم : الزمخشري ، والبيضاوي ، و **استظهره** أبو حيان ، والبقاعي ، وأبو السعود ، والشوكاني ، والقاسمي ، والسعدي ، وسيد قطب ، والشنقيطي ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : الكشاف : ٣ / ٥٧ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ٤٣ ، البحر المحيط : ٦ / ٢١٦ ، نظم الدرر : ٥ / ١٣ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ٧ ، فتح القدير : ٣ / ٣٥٨ تفسير القاسمي : ١١ / ١٥٦ ، تفسير السعدي : ٥٠٣ ، الظلال : ٤ / ٢٣٣١ ، أضواء البيان : ٣ / ٤٣١ ، الوسيط : ٩ / ٩١ .

(٦) ذكر الأقوال الثلاثة من غير أن يرجح : الفخر الرازي ، والقرطبي ، والنسفي ، وابن كثير ، والآلوسي . ينظر : التفسير الكبير : ٢٢ / ١٥ ، ١٦ ، تفسير القرطبي : ١١ / ١٧٣ ، تفسير النسفي : ٣ / ٥١ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ١٤٤ ، روح المعاني : ١٦ / ١٦٩ . وجوَّز الطاهر بن عاشور القولين الأول والثالث . ينظر : التحرير والتنوير : ١٦ / ١٩٧ .

(٧) ينظر : الكشاف : ٣ / ٥٧ ، التفسير الكبير : ٢٢ / ١٦ ، أضواء البيان : ٣ / ٤٣١ .

(٨) المحرر الوجيز : ٤ / ٣٩ .

الترجيح:

يظهر لي – والله أعلم – **أن الأليق أن موسى عليه السلام أمر بخلع نعليه ليتأدب ، ويعظم البقعة المباركة ، ويتواضع في مقام مناجاة الله ، وهذا ما ذهب إليه ابن عطية ؛ وهو ما رجّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** ، يدل على ذلك ما يلي :

أولاً : القرينة القرآنية والتي تفيد أن سبب خلع موسى عليه السلام نعليه قداسة المكان ، وتعظيم البقعة المباركة ؛ والتأدب بين يدي الله .

ثانياً : يؤيد هذا القول **القاعدة الترجيحية** التالية :

- **القول الذي تؤيده قرائن في السِّياق مرجَّح على ما خالفه** [1] .

ثالثاً : تأول **الطبري** هذه القرينة بأنها تدل دلالةً واضحةً على أنه أمر بخلعهما لينال بركة الوادي المقدس ؛ لكنني أميل لما ذكر آنفاً أنها قرينة للتأدب والوقوف بين يدي الله ؛ وتعظيم البقعة المباركة ، فالمكان المقدس عادة له هيبته ؛ ومن شأن من كان فيه أن يكون متأدباً ، متواضعاً .

والله تعالى أعلم بالصواب .

(١) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٢٩٩ .

قوله تعالى : ﴿ ... وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِىٓ ﴾ . [آية : ١٤] .

مسألة : في معنى قوله تعالى : ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِىٓ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن معنى قوله تعالى : ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِىٓ ﴾ عند ذكري ، فقال : ((﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِىٓ ﴾ قيل : المعنى لتذكرني فيها ، وقيل : لأذكرك بها ، فالمصدر على الأول مضاف للمفعول ، وعلى الثاني مضاف للفاعل ، وقيل : معنى لذكري : عند ذكري ؛ كقوله : أقم الصلاة لدلوك الشمس ، أي : عند دلوك الشمس ، **وهذا أرجح** لأن النبي ﷺ استدل بالآية على وجوب الصلاة على الناسي إذا ذكرها)) . اهـ [١] .

الدراسة :

بناء على اختلاف أهل العلم والمفسرين في اللام في قوله : ﴿ لِذِكۡرِىٓ ﴾ هل هي بمعنى الوقت أو هي للتعليل ، وياء المتكلم فاعل في الأصل أو مفعول ، وهل يحتمل الكلام تقدير مضاف أو لا ؟ ... **ولمثل هذه الاعتبارات تعددت الأقوال في معنى قوله تعالى : ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِىٓ ﴾** ؛ منها :

القول الأول : اللام هي اللام الوقتية ، أي : **أقم الصلاة عند ذكري** ؛ قاله ابن عباس رضي الله عنه [٢] ، وغير واحد من السَّلف [٣] .

وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ [٤] ، وقدَّمه ابن الجوزي [٥] ونسبه للأكثرين ، وجوَّزه الطاهر بن عاشور [٦] .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ١١ .

(٢) ينظر : تنوير المقباس : ٢٦٠ .

(٣) نقل السيوطي أقوال السلف المأثورة في ذلك : ومنهم : أنس رضي الله عنه ، وأبو هريرة رضي الله عنه ، وإبراهيم النخعي وغيرهم . ينظر : الدر المنثور : ٥ / ٥٦١ ، ٥٦٢ .

(٤) ينظر : التسهيل : ٣ / ١١ .

(٥) ينظر : زاد المسير : ٥ / ٢٧٥ . وربما يعني كثيرٌ من السلف .

(٦) ينظر : التحرير والتنوير : ١٦ / ٢٠١ .

ويستدل على ذلك :

١. بالنظير القرآني :

- قوله تعالى : ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ ... ﴾ . [سورة الإسراء : ٧٨] . أي : عند دلوك الشمس .
- وقوله تعالى : ﴿ وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ... ﴾ . [سورة الأنبياء : ٤٧] . (١) . أي : في وقت يوم القيامة .

٢. من السُّنة : استدل النبي ﷺ بالآية على وجوب الصلاة على الناسي إذا ذكرها .

وذلك فيما أخرجه الشيخان عن أنس ﷺ عن النبي ﷺ قال : « من نَسِيَ صَلَاةً فَلْيُصَلِّ إذا ذَكَرَهَا لَا كَفَّارَةَ لها إلا ذلك ، ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴾ » (٢) . (٣)

٣. قُرئ في الشاذ : (للذِّكرى) (٤) ، معناه : في وقت ذكرك . أي هي دالة على الزمن كما في قوله : ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ ... ﴾ . [سورة الإسراء : ٧٨] .

✖ واعتُرض بما يلي :

١. " هذه اللام الوقتية يليها أسماء الزمان والظروف ، فلعل المضاف محذوف ؛ أي : لذكر صلاتي ، وذكر الصلاة هو ذكر الله ، و (الذكر) مصدر إلا أن يقدر زمان محذوف ، أي : عند وقت ذكري ؛ وهذا محتمل " (٥).

٢. لو كان المعنى : (حين تذكرها) لكان التنزيل : أقم الصلاة لذكرها ، كقوله ﷺ في الحديث السابق : « من نَسِيَ صَلَاةً فَلْيُصَلِّ إذا ذَكَرَهَا .... » (٦) .

---

(١) ينظر : التفسير القيِّم لابن القيِّم : ٣ / ٢٧ ، التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ١١ .

(٢) سبق تخريجه ص ٤٨٣ ، أخرجه البخاري ومسلم ؛ وهو صحيح .

(٣) ينظر : التسهيل : ٣ / ١١ .

(٤) وهي قراءة ابن شهاب الزهري أوردها غير واحد من المفسرين في تفاسيرهم . ينظر : تفسير الطبري : ١٦ / ١٤٨ ، فتح القدير : ٣ / ٣٦١ . وهي **قراءة بالغة الشذوذ** تحمل على التفسير . ينظر : مختصر في شواذ القرآن : ٩٠ ، إتحاف فضلاء البشر للبناء : ٣٨١ . ولم أقف عليها في محتسب ابن جني .

(٥) التفسير القيِّم لابن القيِّم : ٣ / ٢٧ . بتصرف يسير .

(٦) ينظر : تفسير الطبري : ١٦ / ١٤٨ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٥٢٢ .

✖ **وتَعقَّب الآلوسي** هذا القول : بأن قائل هذا القول ظن أنه لو يقل بهذا القول لم يصح التعليل ، وهو من بعض الظن ؛ فإن التعليل صحيح ، لكن ما أراده ﷺ هو أنه إذا ذكر الصلاة انتقل من ذكرها إلى ذكر ما شرعت له ، وهو ذكر الله تعالى فيحمله على إقامتها .

ونقل قول بعض المحققين : " أنه لما جعل المقصود الأصلى من الصلاة ذكر الله تعالى ؛ وهو حاصل مطلوب في كل وقت ، فإذا فاتالوقت المحدود له ينبغى المبادرة إليه ما أمكنه ؛ فهو من إشارة النص لا من منطوقه " [١] .

القول الثاني : اللام للتعليل ، أي : لأجل أن تذكرني فيها ، قاله مجاهد [٢] ، ومقاتل [٣] ، ورجّحه الطبري [٤] ، وجماعة من المفسرين [٥] . [٦]

والمصدر مضاف للمفعول ، و ﴿ لِذِكۡرِيٓ ﴾ متعلق بـــ ﴿ وَأَقِمِ ﴾ ، قاله العكبري [٧] .

قالوا : إنَّ الصلاة لا تكون إلا بذكر الله [٨] .

القول الثالث : اللام للتعليل أيضاً ، والمعنى : لأذكرك بها ، والمصدر مضاف للفاعل ،

---

(١) روح المعاني : ١٦ / ١٧١ . بتصرف .

(٢) ينظر تفسيره : ١ / ٣٩٤ . وعزاه السيوطي إلى ابن أبي شيبة ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم . ينظر : الدر المنثور : ٥ / ٥٦١ .

(٣) ينظر تفسيره : ٢ / ٣٢٦ .

(٤) ينظر : تفسير الطبري : ١٦ / ١٤٨ .

(٥) منهم : السمر قندي ، واقتصر ابن أبي زمنين على قول مجاهد ، والواحدي ، والخازن ، والبقاعي ، والجلالين ، والخطيب الشربيني ، و **استظهره** الآلوسي ، و لم يقل السعدي بغيره ، والطاهر بن عاشور ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير السمر قندي : ٢ / ٣٩١ ، تفسير ابن أبي زمنين : ٣ / ١١٢ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٦٩٢ ، تفسير الخازن : ٤ / ٢٦٥ ، نظم الدرر : ٥ / ١٤ ، تفسير الجلالين : ٤٠٧ ، السراج المنير : ٢ / ٥٠٢ ، روح المعاني : ١٦ / ١٧١ ، تفسير السعدي : ٥٠٣ ، التحرير والتنوير : ١٦ / ٢٠١ ، الوسيط : ٩ / ٩٢ .

(٦) ذكر القولين الأوليين و لم يرجح : الزَّجَّاج ، والثعلبي ، والسمعاني . ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج : ٣ / ٣٥٢ ، الكشف والبيان : ٦ / ٢٤٠ ، ٢٤١ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٣٢٤ ، واحتمل ابن عطية القولين الثاني والثالث . ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ٣٩ .

(٧) ينظر : التبيان في إعراب القرآن للعكبري : ٢ / ٨٨٧ .

(٨) قاله الزَّجَّاج في معانيه (٣ / ٣٥٢) . وينظر : روح المعاني : ١٦ / ١٧١ .

حكاه ابن جُزيّ[١] .

الترجيح:

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **احتمال المعاني الثلاثة لقوله تعالى : ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴾** ؛ قاله الجصاص ، وذلك لأن :

"جميع المعاني هي غير متنافية ؛ فكأنه قال : **أقم الصلاة إذا ذكرت الصلاة المنسية ؛ لتذكرني فيها بالتسبيح والتعظيم ؛ لأن أذكرك بالثناء والمدح** ، فيكون جميع هذه المعاني مرادة بالآية ؛ وكلها حق . وهذا الذي ورد به الأثر من إيجاب قضاء الصلاة المنسية عند الذكر لا خلاف بين الفقهاء فيه "[٢] .

يدل على ذلك ما يلي :

أولاً : ذكر أئمة علماء التفسير[٣] لجميع المعاني وعدم الترجيح بينهم ؛ مما يدل على احتمال احتمال القول بهم جميعاً .

ثانياً : يؤيد هذا القول **القاعدة الترجيحية** التالية :

- **إذا احتمل اللفظ معانٍ عدة ولم يمتنع إرادة الجميع حمل عليها**[٤] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) ينظر : التسهيل : ٣ / ١١ . وقد نقل هذا القول غير واحد من المفسرين و لم ينسبوه لأحد .

(٢) أحكام القرآن للجصاص : ٥ / ٥٠ . بتصرف يسير . وينظر : التفسير القيِّم لابن القيِّم : ٣ / ٣٧ .

(٣) ذكر الأقوال من غير ترجيح : النحاس ، والماوردي ، والزمخشري ، والفخر الرازي ، والقرطبي ، والعز بن عبد السلام ، البيضاوي ، والنسفي ، والنيسابوري ، وأبو حيان ، وابن عادل ، وأبو السعود ، والشوكاني ، والقاسمي . ينظر : إعراب القرآن للنحاس : ٣ / ٣٤ ، النكت والعيون : ٣ / ٣٩٧ ، الكشاف : ٣ / ٥٧ ، التفسير الكبير : ٢٢ / ١٨ ، تفسير القرطبي : ١١ / ١٧٧ ، تفسير العز بن عبد السلام : ٢ / ٢٩٥ ، تفسير البيضاوي : ٤/ ٤٤ ، تفسير النسفي : ٣ / ٥٢ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٥٢١ ، ٥٢٢ ، البحر المحيط : تفسير ابن عادل : ١٣ / ١٩٥ ، ١٩٦ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ٨ ، فتح القدير : ٣ / ٣٥٨ ، تفسير القاسمي : ١١ / ١٥٧ .

(٤) ينظر : قواعد التفسير للسبت : ٢ / ٨٠٧ .

قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ ﴿١٥﴾ ﴾ . [آية : ١٥] .

مسألة : في ذكر الاختلاف في معنى : ﴿ أَكَادُ أُخۡفِيهَا ﴾ أهو من الخفاء أم من الظهور :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن معنى ﴿ أَكَادُ أُخۡفِيهَا ﴾ : أن الله أبْهم وقت الساعة فلم يطلع عليه أحداً ، حتى أنه كاد أن يخفي وقوعها لإبهام وقتها ، ولكنه لم يخفها إذ أخبر بوقوعها ، فالأخفى على معناه المعروف في اللغة ، وكاد على معناها من مقاربة الشيء دون وقوعه فقال :

((﴿ أَكَادُ أُخۡفِيهَا ﴾ اضطرب الناس في معناه ، فقيل : أخفيها بمعنى أظهرها ، وأخفيت هذا من الأضداد .

وقال ابن عطية : هذا قول مختل . وذلك أن المعروف في اللغة أن يقال : أخفى بالألف من الإخفاء ، وخفي بغير ألف بمعنى أظهر ، فلو كان بمعنى الظهور لقال : أخفيها – بفتح همزة المضارع – ، وقد قرىء بذلك في الشاذ ، وقال الزمخشري : قد جاء في بعض اللغات أخفي بمعنى خفي : أي أظهر ، فلا يكون هذا القول مختلا على هذه اللغة ، وقيل : أكاد بمعنى أريد فالمعنى : أريد إخفاءها . وقيل : إن المعنى إن الساعة آتية أكاد ، وتم هنا الكلام بمعنى أكاد أنفذها لقربها ، ثم استأنف الإخبار فقال أخفيها ، وقيل : المعنى أكاد أخفيها عن نفسي فكيف عنكم ، **وهذه الأقوال ضعيفة ، وإنما الصَّحيح** : أن المعنى أن الله أبهم وقت الساعة فلم يطلع عليه أحداً ، حتى أنه كاد أن يخفي وقوعها لإبهام وقتها ، ولكنه لم يخفها إذ أخبر بوقوعها ، فالأخفى على معناه المعروف في اللغة ، وكاد على معناها من مقاربة الشيء دون وقوعه ، **وهذا المعنى هو اختيار المحققين**)) . اهـ [1] .

الدراسة :

هذه آية مُشْكلة ؛ فقد اختلف السلف وأهل اللغة والمفسرون في **معنى ﴿ أَكَادُ أُخۡفِيهَا ﴾**

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ١١ ، ١٢ .

أهو من الخفاء أم من الظهور على أقوال منها :

القول الأول : أخفيها **بمعنى أظهرها** ، قاله ابن عباس ﷺ [١] ، وذهب إليه **ابن جني** [٢] ، وابن سيده [٣] ، واحتمله جماعة من المفسرين [٤] .

واستدل له بقول بعض أهل اللغة :

قال بعض اللغويين [٥] : يجوز أن يكون ﴿ أُخۡفِيهَا ﴾ - بضم الألف - معناه : أظهرها ؛ لأنه يقال : خفيت الشئ وأخفيته ؛ من حروف الأضداد يقع على الستر والإظهار .

والهمزة هنا للسلب والإزالة ؛ أي : أزلت الخفاء وهو الظهور ، وإذا أزلت الظهور صار للستر كقولك : أعجمت الكتاب أزلت عنه العجمة [٦] .

✖ **وتعقَّبه ابن عطية** فقال : " وهذا قول مختل " [٧] .

وذلك أن المعروف في اللغة أن يقال : خَفَيْتُ الشيءَ : أظهَرْتُه ، وأَخْفَيْتُه : سترته .

✓ **وأُجيب بما يلي** :

١. قُرِىء في الشَّاذ : - بفتح همزة المضارع - (أَخفيها) ، وهي قراءة الحسن [١] ، وسعيد

---

(١) ينظر : تنوير المقباس : ٢٦٠ .

(٢) ينظر : سر صناعة الإعراب لابن جني : ١ / ٣٨ .
وابن جني هو : عثمان بن جني الموصلي ، أبو الفتح : من أحذق أهل الأدب وأعلمهم بالنحو والتصريف ، وعلمه بالتصريف أقوى وأكمل من علمه بالنحو ، وله شعر . ت ٣٩٢ هـ . ينظر : وفيات الأعيان : ٣ / ٢٤٦ ، البداية والنهاية : ١١ / ٣٣١ ، بغية الوعاة : ٢ / ١٣٢ .

(٣) ينظر : المحكم والمحيط الأعظم (مادة : خفي) : ١ / ٣٤٤ .

(٤) منهم : الزمخشري ، والبيضاوي ، وأبو السعود . ينظر : الكشاف : ٣ / ٥٨ ، تفسير البيضاوي : ٤/ ٤٤ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ٨ .

(٥) قاله ابن دريد ، والأزهري ، وابن فارس ، وابن منظور ، والزبيدي . ينظر : جمهرة اللغة (مادة : خفواي) : ٢ / ١٠٥٥ ، تهذيب اللغة للأزهري (باب الخاء والفاء) : ٧ / ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، مقاييس اللغة (مادة : خفي) : ٢/ ٢٠٢ ، لسان العرب (مادة : خفا) : ١٤ / ٢٣٤ ، تاج العروس (مادة : خفي) : ٣٧ / ٥٦٢ .

(٦) ينظر : سر صناعة الإعراب لابن جني : ١ / ٣٨ . وهذا القول مرويٌّ عن أبي علي الفارسي كما نقله عنه الآلوسي وغيره . ينظر : روح المعاني : ١٦ / ١٧٢ .

(٧) المحرر الوجيز : ٤ / ٤٠ .

بن جبير [٢]، وأبي بن كعب [٣]، أي : أكاد أظهرها ، من خَفلَهَ إذا أظهره ، أي : قرب إظهاره ، قاله الفَرَّاء [٤]. كقوله تعالى : ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ ... ﴾ . [سورة القمر : ١] .

٢. جاء في بعض اللغات : أخفيت وخفيت بمعنىً ، أي : أظهرت ، حكاه أبو عبيدة [٥] .

وبه فُسِّر قول الشاعر :

فَإنْ تَدْفِنُوا الدَّاءَ لاَ نُخْفِهِ وَإنْ تَبْعَثُوا الْحَرْبَ لا نَقْعُدِ [٦]

أى : وإن دفنوا الداء لا نُظهره .. فلا يكون هذا القول مختلاً على هذه اللغة [٧] .

٣. " هذه القراءة أبين في المعنى ؛ لأن معنى أكاد أظهرها : أخفيتها وَكِدتُ أُظْهِرُها " . قاله الزَّجَّاج [٨] .

✖ وتُعقِّب بأن :

١. هذا القول ليس بالمعروف ، و المعروف من معنى الإخفاء في كلام العرب : الستر ، يقال : قد أخفيت الشيء ؛ إذا سترته .

٢. أما الاستدلال بهذا البيت فجاء عن الفَرَّاء – في أحد قوليه – : نَخفه – بفتح النون – : من خفيته ، أخفيه : أستره ؛ وهو أولى بالصواب لأنه المعروف من كلام العرب [٩] .

---

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٦ / ١٥٠) . ونسبها البغوي وغيره إليه . ينظر : تفسير البغوي : ٣ / ٢١٤ .
(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٦ / ١٥٠) . وعزاها السيوطي إلى ابن أبي حاتم ، وابن الأنباري . ينظر : الدر المنثور : ٥ / ٥٦٣ .
(٣) عزاها السيوطي في الدر (٥ / ٥٦٤) إلى ابن الأنباري عن الفَرَّاء في معانيه (٢ / ١٥٠) .
(٤) ينظر معانيه : ٢ / ١٥٠ .
(٥) حكاه أبو عبيدة عن أبي الخطاب أحد رؤساء اللغة . ينظر : الكشاف : ٣ / ٥٨ ، تفسير القرطبي : ١١ / ١٨٢ روح المعاني : ١٦ / ١٧٢ .
(٦) نسبه الأكثرون إلى امرئ القيس . ووقفت عليه في ديوان عمرو بن معدي يكرب :١٥ .
(٧) ينظر : التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ١٢ .
(٨) ينظر معانيه : ٣ / ٣٥٣ .
(٩) ينظر : تفسير الطبري : ١٦ / ١٥٠ ، إعراب القرآن للنحاس : ٣ / ٣٥ .

٣. لما أشكل على بعض أهل اللغة كالزَّجَّاج معنى ﴿ أُخْفِيهَا ﴾ وهي القراءة الصحيحة الثابتة ذهبوا إلى أن معنى (أَخفيها) أظهرها ؛ والقراءة بـــ (أَخفيها) قراءة شاذة ؛ فكيف تود القراءة الصحيحة الشائعة المتواترة إلى الشاذة ؟! .. قاله **النحاس** [١] .

٤. و لم يستجز **الطبري** كذلك القراءة بها لخلافها قراءة الحجَّة التي لا يجوز خلافها فيما جاءت به نقلاً مستفيضاً [٢] .

القول الثاني : المعنى : **أكاد أسترها من نفسي ؛ لأنه لم يطلع عليها مخلوقاً** ، وهو مرويٌّ عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ﷺ [٣] أيضاً ، ومجاهد [٤] ، وقتادة ، **وأبو صالح** [٥] ، ورجَّحه الطبري [٦] ، **وأكثر** [٧] المفسرين [٨] .

واستدل له :

١. بوجه من وجوه القراءة : قرئ في الشاذ : (أكاد أخفيها من نفسي) [٩] .

---

(١) ينظر : إعراب القرآن للنحاس : ٣ / ٣٥ .

(٢) ينظر : تفسير الطبري : ١٦ / ١٥٠ .

(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٦ / ١٤٩) . وعزاه السيوطي إلى سعيد بن منصور ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم . ينظر : الدر المنثور : ٥ / ٥٦٣ .

(٤) ينظر تفسيره : ١ / ٣٩٥ . وأخرجه ابن جرير في تفسيره (١٦ / ١٤٩) . وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد وابن الأنباري في المصاحف . ينظر : الدر المنثور : ٥ / ٥٦٣ .

(٥) أخرجه ابن جرير عن قتادة وأبو صالح في تفسيره (١٦ / ١٤٩) .
وأبو صالح هو : باذام ، وقيل : باذان ، مولى أم هانئ ، عامة ما يرويه تفسير ، مختلف فيه ، وروايته عن ابن عباس ضعيفة ؛ لأنه لم يسمع منه ، كما قال ابن حبان . ينظر : تاريخ البخاري : ٢ / ١٤٤ ، الكامل في الضعفاء : ٢ / ٦٨ - ٧٠ ، السِّير : ٥ / ٣٧ ، ٣٨ .

(٦) ينظر تفسيره : ١٦ / ١٤٩ .

(٧) نسب البغوي ، و الخازن ، والخطيب الشربيني هذا القول إلى أكثر المفسرين . ينظر : تفسير البغوي : ٣ / ٢١٤ تفسير الخازن : ٤ / ٢٦٥ ، السراج المنير : ٢ / ٥٠٢ .

(٨) منهم : الثوري ، والسمر قندي ، و لم يذكر ابن أبي زمنين غير قول قتادة ، والثعلبي ، وقدَّمه ابن الجوزي ونسبه إلى جماعة من السلف ، ونسب الخازن هذا القول إلى أكثر المفسرين و لم يذكر غيره ، والسعدي ، والشنقيطي . ينظر : تفسير الثوري : ١٩٣ ، تفسير السمر قندي : ٢ / ٣٩٢ ، تفسير ابن أبي زمنين : ٣ / ١١٢ ، الكشف والبيان : ٦ / ٢١٤ ، زاد المسير : ٥ / ٢٧٥ ، تفسير الخازن : ٤ / ٢٦٥ ، تفسير السعدي : ٥٠٣ . واحتمله جماعة من المفسرين ؛ منهم : الزمخشري ، والبيضاوي ، وأبو السعود . ينظر : الكشاف : ٣ / ٥٨ ، تفسير البيضاوي : ٤/ ٤٤ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ٨ ، دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب للشنقيطي : ٥٦ .

(٩) أخرجه ابن جرير عن ابن مسعود وأبي بن كعب ﷺ في تفسيره (١٦ / ١٤٩) ، ونسبها السيوطي في الدر =

٢. موافقته أقوال أهل العلم من الصحابة والتابعين [١] .

٣. باستعمال العرب :

على عادة العرب إذا بالغوا في كتمان الشيء يقولون : كتمت سرَّك من نفسي ، أي : أخفيته عن نفسي من شدة استراري به ، ولو قدرت أخفيه عن نفسي أخفيته . فخاطبهم بما جرى به استعمالهم ومنطقهم ، قاله المُبرَّد وقطرب [٢] ، والطبري [٣] .

ومعنى الآية : أن الله بالغ فى إخفاء الساعة ؛ فذكره بأبلغ ما تعرفه العرب .

✖ واعتُرض عليه بأنه :

١. " لا دليل في الكلام على هذا المحذوف ، ومحذوف لا دليل عليه مطرح " [٤] .

٢. هذا القول بعيد ، لأن الإخفاء إنما يصح فيمن يصلح له الإظهار ، وذلك مستحيل على الله تعالى ؛ لأن كل معلوم معلوم له ، فالإظهار والإسرار منه مستحيل [٥] .

✓ ويردُّ على هذا بأن :

١. " القرينة على هذا المحذوف إثباته في المصاحف ، وكونه قرينة خارجية لا يضر ؛ إذ لا يلزم في القرينة وجودها في الكلام .

٢. أن هذا من المبالغة في الإخفاء ؛ ونحو هذا من المبالغة قوله ﷺ في حديث السبعة الذين يظلهم تحت ظله : « ... وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حتى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ ما صَنَعَتْ

= (٥ / ٤٦٣) عن ابن عباس ﷺ إلى ابن أبي حاتم ، وابن الأنباري . وفي بعض القراءة : (أكاد أخفيها من نفسي فكيف أظهركم عليها) . وقد أورد غير واحد من المفسرين القراءتين في تفسيرهم . وهي قراءات شاذة تحمل على التفسير . ينظر : تفسير السمعاني : ٣ / ٣٢٤ ، تفسير البغوي : ٣ / ٢١٤ .

(١) جمع الطبري والسيوطي أقوال السلف . ينظر : تفسير الطبري : ١٦ / ١٤٩ ، الدر المنثور : ٥ / ٥٦٣ .

(٢) نسب هذا القول إلى المُبَرِّد وقطرب : السمعاني في تفسيره (٣ / ٣٢٤) ، والبغوي في تفسيره (٣ / ٢١٤) ، وابن الجوزي في زاد المسير (٥ / ٢٧٦) . - ولم أقف عليه في كتبهما في حدود ما اطلعت - .

(٣) ينظر : تفسير الطبري : ١٦ / ١٥١ .

(٤) الكشاف : ٣ / ٥٨ .

(٥) ينظر : التفسير الكبير : ٢٢ / ١٩ .

يَمِينُهُ » [١] . وبهذا يندفع ما قيل أن إخفاء ذلك من نفسه سبحانه محال فلا يناسب دخول كاد عليه " [٢] .

❖ **وهناك أقوال أخرى منتزعة من كلام العرب ؛ منها :**

القول الأول : ﴿ أَكَادُ ﴾ **بمعنى أريد** ؛ فالمعنى : أريد إخفاءها ، قاله أبو مسلم ، كما نقل عن الأخفش ، وذكره ابن الأنباري [٣] .

ويستدل له :

١. بالنظير القرآني :

قوله تعالى : ﴿ ... كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ... ﴾ . [سورة يوسف عليه السلام : ٧٦] .

٢. من كلام العرب : بقول الشاعر :

كادَتْ وكِدْتُ وتلك خيرُ إرادةٍ لو عادَ من لَهْوِ الصَبابَةِ ما مَضى [٤]

القول الثاني : إن المعنى : **إن الساعة آتية أكاد ، وتم هنا الكلام بمعنى : أكاد أنفذها لقربها ثم استأنف الإخبار** فقال : ﴿ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ﴾ ، ذكره ابن الأنباري [٥] ، **وصحَّح معناه النحاس** حيث قال :

" وهذا معنى صحيح ؛ لأن الله جل وعز قد أخفى الساعة التي هي يوم القيامة والساعة التي

---

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري – واللفظ له – في صحيحه في كتاب المحاربين من أهل الكفر والردة ، بَاب فضل من ترك الفواحش (٦٤٢١) : ٦ / ٢٤٩٦ ، وأخرج مسلم بنحوه في صحيحه في كتاب الزكاة ، بَاب فضل إخفاء الصدقة (١٠٣١) : ٢ / ٧١٥ . كلاهما عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) روح المعاني : ١٦ / ١٧٢ .

(٣) نسبه إلى أبي مسلم والأخفش وابن الأنباري غير واحد من المفسرين ، ولم أقف عليه في أي من كتبهم . ينظر : التفسير الكبير : ٢٢ / ١٩ ، فتح القدير : ٣ / ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، روح المعاني : ١٦ / ١٧٢ .

(٤) نسب البيت إلى الأخفش ابن منظور والآلوسي . ينظر : لسان العرب (مادة : كاد) : ٣ / ٣٨٢ ، روح المعاني : ١٦ / ١٧٢ .

(٥) نسبه الماوردي ، والقرطبي إليه . ينظر : النكت والعيون :٣ / ٣٩٧ ، تفسير القرطبي : ١١ / ١٨٣ .

يموت فيها الإنسان ليكون الإنسان يعمل والأمر عنده مبهم ولا يؤخر التوبة " . اهـ [١] .

ومثله قول الشاعر :

هممتُ و لم أفعَلْ وكدتُ وليتني تركتُ على عثمانَ تبكي حلائلُه [٢]

أى : وكدت أفعل .

✖ **وتعقَّبه ابن عطية** فقال : " وهذا قلق " [٣] ، **واستبعده الفخر الرازي** [٤] .

القول الثالث : ﴿ أَكَادُ ﴾ **زائدة للتأكيد أو صلة في الكلام** ، والمعنى : الساعة آتية أخفيها أجازه الأخفش [٥] ، وقطرب [٦] ، وقاله الثعلبي ، والواحدي [٧] من المفسرين . [٨]

---

(١) ينظر : إعراب القرآن للنحاس : ٣ / ٣٥ .

(٢) الشاعر هو ضابئ البراجمي ؛ نسبه إليه ابن دريد في الاشتقاق (٢١٨) . وأورد البيت أكثر المفسرين عند تفسير الآية من غير نسبة .

(٣) المحرر الوجيز : ٤ / ٤٠ .

(٤) ينظر : التفسير الكبير : ٢٢ / ٢٠ .

(٥) الأخفش : هو الأخفش الأصغر ؛ شيخ النحاس وصرَّح بنقله عنه . ينظر : إعراب القرآن للنحاس :٣ / ٣٥ . **والأخفش الأصغر أو الصغير** هو : علي بن سليمان بن الفضل ، أبو الحاسن ، المعروف بالأخفش الأصغر : نحوي من العلماء ، له تصانيف ، منها : شرح سيبويه ، والأنواء ، والمهذب . وكان ابن الرومي مكثراً من هجوه . وكان في غاية الفقر ، إلا أنه كان إماماً عالماً من علماء اللغة وأئمتهم ، وأخذ عنه النحاس عندما زار الأخفش مصر سنة ٢٨٧هـ ، ت سنة ٣١٥ هـ . ينظر : تاريخ بغداد : ١١ / ٤٣٣ ، معجم الأدباء : ٤ / ١٢٦ - ١٣١ ، البلغة : ١٥٣ .

(٦) نسبه إلى الأخفش وقطرب : ابن منظور ، والمرتضى الزبيدي . ينظر (مادة : كاد) في : لسان العرب : ٣ / ٣٨٤ ، تاج العروس : ٩ / ١١٩ .

(٧) ينظر : الكشف والبيان : ٦ / ٢١٤ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٦٩٢ .

(٨) ذكر الأقوال من غير ترجيح : الماوردي ، والسمعاني ، والبغوي ، وابن الجوزي ، والقرطبي ، والعز بن عبد السلام ، والنسفي ، وأبو حيان ، وابن عادل ، والخطيب الشربيني ، والشوكاني ، والقاسمي ، والآلوسي . ينظر : النكت والعيون : ٣ / ٣٩٧ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٣٢٤ ، تفسير البغوي : ٣ / ٢١٤ ، زاد المسير : ٥ / ٢٧٥ ، تفسير القرطبي : ١١ / ١٨٢ - ١٨٥ ، تفسير العز بن عبد السلام : ٢ / ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، تفسير النسفي : ٣ / ٥٢ ، البحر المحيط : ٦ / ٢١٨ ، ٢١٩ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ١٤٥ ، تفسير ابن عادل : ١٣ / ١٩٩ - ٢٠٣ ، السراج المنير : ٢ / ٥٠١ ، فتح القدير : ٣ / ٣٥٩ ، تفسير القاسمي : ١١ / ١٥٨ ، روح المعاني : ١٦ / ١٧٢ .

واستدل له :

١. **بالنظير القرآني :** قوله تعالى : ﴿ ... إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَا ... ﴾ . [سورة النور : ٤٠] .

٢. **من اللغة :** إذا كانت (كاد) مثبتة فى اللفظ فالفعل غير واقع فى الحقيقة ؛ كقولك : كاد زيد يقوم . أي قارب ذاك و لم يقم [١] .

٣. **من كلام العرب :** قول الشاعر :

سَرِيعٍ إِلى الهَيْجَاءِ شَاكٍ سلاحُهُ فَما إِنْ يَكادُ قِرْنُه يَتَنَفَّسُ [٢]

✖ **واعتُرض :** قال السمين الحلبي : " ولا حُجَّةَ في شيءٍ منه " [٣] .

✖ **وقال الطبري قبله** عن هذه الأقوال الثلاثة :

" وكل هذه الأقوال التي ذكرنا توجيه للكلام إلى غير وجهه المعروف ، وغير جائز توجيه معاني كلام الله إلى غير الأغلب عليه من وجوهه عند المخاطبين به ، ففي ذلك مع خلافهم تأويل أهل العلم فيه شاهد عدل على خطأ ما ذهبوا إليه فيه " . اهـ [٤] .

الترجيح :

يظهر لي – والله أعلم – **أن الرَّاجح ما ذهب إليه ابن جُزيّ فلم يقل بأي من الأقوال التي ذكرت ، وبيَّن أن " الصحيح أن المعنى أن الله أبهم وقت الساعة فلم يطلع عليه أحد اً ، حتى أنه كاد أن يخفي وقوعها لإبهام وقتها ، ولكنه لم يخفها إذ أخبر بوقوعها ، فالأخفى على معناه المعروف في اللغة ، وكاد [٥] على معناها من مقاربة الشيء دون وقوعه ،**

---

(١) ينظر : أصول النحو لابن السراج (ت ٣١٦ هـ) : ١ / ١٩٥ ، إعراب القرآن للنحاس : ٣ / ٣٥ ، اللباب لأبي البقاء العكبري : ١ / ١٩٥ ، همع الهوامع للسيوطي : ١ / ٤٨٣ .

(٢) نسبه إلى زيد الخيل غير واحد من المفسرين وكذا المرتضى الزبيدي . ينظر : البحر المحيط : ٦ / ٢١٩ ، تاج العروس (مادة : كاد) : ٩ / ١١٩ .

(٣) الدر المصون : ٥ / ١١ .

(٤) تفسير الطبري : ١٦ / ١٤٩ . بتصرف يسير .

(٥) قال المرتضى الزبيدي : " قال شَيْخُنَا : والأَكثر على بقائها على أَصْلِها " . ينظر : تاج العروس (مادة : كاد) : ٩ / ١٢٠ .

وهذا المعنى هو اختيار المحققين " [١] ، **ووافقه جماعة من المفسرين** [٢] ، يدل على ذلك ما يلي :

أولاً : القرينة القرآنية :

قوله تعالى : ﴿ لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴾ .

" إنما يليق بالإخفاء لا بالإظهار ؛ إذ لو كان المكلف عارفاً وقت القيامة وكذا وقت الموت اشتغل بالمعاصي إلى قريب من ذلك الوقت ثم تاب فيكون إغراء على المعصية " [٣] .

ثانياً : النظير القرآني :

- قوله تعالى : ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ... ﴾ . [سورة النمل : ٦٥] .
- وقوله تعالى : ﴿ ... ثَقُلَتْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ ... ﴾ . [سورة الأعراف : ١٨٧] . [٤]

ثالثاً : يؤيد هذا القول بعض **القواعد الترجيحية** التالية ، وهي :

- **القول الذي تؤيده قرائن في السِّياق مرجَّح على ما خالفه .**
- **القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك** [٥] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ١١ ، ١٢ .

(٢) منهم : ابن عطية ، والفخر الرازي ، والنيسابوري ، والثعالبي (**وقال : هو الأقوى عندي**) ، والجلالين والطاهر بن عاشور ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ٤٠ ، التفسير الكبير : ٢٢ / ١٩ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٥٢٢ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ٤٨ ، تفسير الجلالين : ٤٠٧ ، التحرير والتنوير : ١٦ / ٢٠١ ، الوسيط : ٩ / ٩٢ .

(٣) ينظر : تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٥٢٢ . وينظر قبله : التفسير الكبير : ٢٢ / ١٩ .

(٤) ينظر : تفسير ابن كثير : ٣ / ١٤٥ .

(٥) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٢٩٩ ، ٣١٢ .

قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا ... ﴾ . [آية : ١٦] .

في الآية مسألتان :

المسألة الأولى : عود الضمير في قوله تعالى : ﴿ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن الضمير للسَّاعة ، فقال : ((﴿ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا ﴾ الضمير للساعة أي : لا يصدنك عن الإيمان بها والاستعداد لها . وقيل : الضمير للصلاة ، **وهو بعيد**)) . اهـ [١] .

الدراسة :

اختلف المفسرون في **عود الضمير في قوله تعالى : ﴿ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا ﴾** على قولين :

القول الأول : الضمير للساعة ، أي : لا يصدَّنك عن الإيمان بها والاستعداد لها ، قاله ابن عباس رضي الله عنه [٢] ، ومقاتل [٣] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٤] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٥] .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ١٢ .

(٢) ينظر : تنوير المقباس : ٢٦٠ .

(٣) ينظر تفسيره : ٢ / ٣٢٦ .

(٤) ينظر : التسهيل : ٣ / ١٢ .

(٥) منهم : الطبري ، والسمر قندي ، والثعلبي ، والواحدي ، والسمعاني ، والبغوي ، والزمخشري ، وابن عطية ، وابن الجوزي ، وقال الفخر الرازي : (**وهذا أوْلى**) ، والقرطبي ، والنيسابوري ، وأبو حيان ، وابن كثير ، والثعالبي ، وابن عادل ، والجلالين ، والخطيب الشربيني ، وأبو السعود ، والشوكاني ، والقاسمي ، و **استظهره** الآلوسي ، والسعدي ، والطاهر بن عاشور ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير الطبري : ١٦ / ١٥٣ ، تفسير السمر قندي : ٢ / ٣٩٢ ، الكشف والبيان : ٦ / ٢٤١ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٦٩٣ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٣٢٥ ، تفسير البغوي : ٣ / ٢١٤ ، الكشاف : ٣ / ٥٨ ، المحرر الوجيز : ٤ / ٤٠ ، زاد المسير : ٥ / ٢٧٧ ، التفسير الكبير : ٢٢ / ٢٠ ، تفسير القرطبي : ١١ / ١٨٥ ، تفسير الخازن : ٤ / ٢٦٦ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٥٢٣ ، البحر المحيط : ٦ / ٢١٩ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ١٤٥ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ٤٨ ، تفسير ابن عادل : ١٣ / ٢٠٥ ، تفسير الجلالين : ٤٠٧ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ٩ ، السراج المنير : ٥ / ٢٤١ ، فتح القدير : ٣ / ٣٥٩ ، تفسير القاسمي : ١١ / ١٥٨ ، روح المعاني : ١٦ / ١٧٣ ،

واستدل له : بأن الضمير يجب عوده إلى أقرب مذكور ؛ وهو هنا الساعة [١] .

القول الثاني : الضمير للصلاة ، جوَّزه أبو مسلم [٢] ، والزمخشري [٣] ، واحتمله ابن عطية [٤] ، والثعالبي [٥] . [٦]

" قال أبو مسلم : الضمير في (عَنْهَا) للصَّلاة ، وفي (بِهَا) للسَّاعة ، قال : وهذا جائز في اللغة " [٧] .

واستدل له بكلام العرب :

قال **المبرَّد** [٨] : " العرب تلف الخبرين المختلفين ، ثم ترمي بتفسيرهما جملةً ، ثقةً بأن السامع يرد إلى كل خَبَرهُ " .

✖ **واعتُرض** : " بأنَّ هذا إنما يصار إليه عند الضرورة ؛ ولا ضرورة ههنا " [٩] .

✖ واستبعده ابن جُزيّ ، والشوكاني [١٠] .

الترجيح:

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **صحَّة القول الأول ؛ فالرَّاجح أن الضمير في قوله تعالى : ﴿ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا ﴾ للسَّاعة ؛ وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** ؛ يدل على ذلك إضافة لما تقدم ؛ **القواعد الترجيحية** التالية :

تفسير السعدي : ٥٠٣ ، التحرير والتنوير : ١٦ / ٢٠٣ الوسيط : ٩ / ٩٤ .

(١) ينظر : التفسير الكبير : ٢٢ / ٢٠ ، تفسير ابن عادل : ١٣ / ٢٠٥ ، السراج المنير : ٢ / ٥٠٣ .

(٢) نسبه الفخر الرازي إليه . ينظر : التفسير الكبير : ٢٢ / ٢٠ .

(٣) ينظر : الكشاف : ٣ / ٥٨ .

(٤) ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ٤٠ .

(٥) ينظر : تفسير الثعالبي : ٤ / ٤٨ .

(٦) احتمل القولين : البيضاوي ، والنسفي . ينظر : تفسير البيضاوي : ٤ / ٤٤ ، تفسير النسفي : ٣ / ٥٢ .

(٧) نقله الفخر الرازي ، وابن عادل ، والخطيب الشربيني عنه . ينظر : التفسير الكبير : ٢٢ / ٢٠ ، تفسير ابن عادل : ١٣ / ٢٠٥ ، السراج المنير : ٢ / ٥٠٣ .

(٨) الكامل في اللغة والأدب لأبي العباس ، محمد بن يزيد المُبَرِّد (ت ٢٨٥ هـ) : ١/ ١٦٦ .

(٩) التفسير الكبير : ٢٢ / ٢٠ .

(١٠) ينظر : التسهيل : ٣ / ١٢ ، فتح القدير : ٣ / ٣٥٩ .

- **توحيد مرجع الضمائر في السِّياق الواحد أولى من تفريقها .**
- **الأصل إعادة الضمير إلى أقرب مذكور ، ما لم يرد دليل بخلافه** [١] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

المسألة الثانية :لمن الخطاب في قوله تعالى : ﴿ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن الخطاب لموسى عليه السلام ، فقال : ((والخطاب لموسى عليه السلام . وقيل : لمحمد ﷺ ، **وذلك بعيد**)) . اهـ [٢] .

الدراسة :

اختلف أهل العلم والمفسرون **لمن الخطاب في قوله تعالى :** ﴿ فَلَاَ يَصُدَّنَّكَ **عَنْهَا** مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا [٣] ﴾ على قولين :

القول الأول : الخطاب لموسى عليه السلام ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ [٤] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٥] .

---

(١) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ٢ / ٦١٣ ، ٦٢١ .

(٢) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ١٢ .

(٣) ﴿ مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا ﴾ هو المَنْهيُّ صورةً ، والمرادُ غيرُه ، فهو من باب " لا أعرفنَّك تفعل كذا و لا أُرَيَنَّك هَهنا " . وقيل : إنَّ صَدَّ الكافر عن التصديقِ بها سببٌ للتكذيب ، فذكر السببَ ليدُلَّ على المسبَّب . فالمراد نهي موسى عليه السلام عن ملابسة صد الكافر عن الإيمان بالساعة ؛ أي لا تكن ليِّن الشكيمة لمن يصدك ولا تصغ إليه ، فيكون لينك له مجرئاً إيَّاه على أن يصدك ، فوقع النهي عن المسبب . والمراد النهي عن السبب . ينظر : تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٥٢٣ ، الدر المصون : ٥ / ١٢ ، نظم الدرر : ٥ / ١٥ ، تفسير ابن عادل : ١٣ / ٢٠٥ ، السراج المنير : ٢ / ٥٠٢ ، التحرير والتنوير : ١٦ / ٢٠٣.

(٤) ينظر : التسهيل : ٣ / ١٢ .

(٥) منهم : الطبري ، والزمخشري ، وقال الفخر الرازي (**هو الأقرب**) ، والبيضاوي ، وقال النيسابوري أيضاً (**هو**

واستدل له : بأن الكلام أجمع خطاب لموسى عليه السلام [١] .

القول الثاني : **الخطاب لمحمد** ﷺ ، قاله النقاش [٢] ، ومقاتل [٣] ، وذهب إليه ابن الجوزي [٤] ، واحتمله الفخر الرازي ، وابن عادل [٥] .

✖ **واستبعده** ابن عطية ، وابن جُزيّ ، والآلوسي [٦] .

وجعل **ابن كثير** الخطاب عاماً ؛ فقال : " المراد بهذا الخطاب آحاد المكلفين ؛ أي : لا تتبعوا سبيل من كذب بالساعة وأقبل على ملاذ في دنياه ، وعصى مولاه واتبع هواه ، فمن وافقهم على ذلك فقد خاب وخسر " . اهـ [٧] .

الترجيح:

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن الخطاب لموسى عليه السلام ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** ؛ يدل على ذلك إضافة لما تقدم ؛ **القواعد الترجيحية** التالية :

- **توحيد مرجع الضمائر في السِّياق الواحد أولى من تفريقها .**
- **الأصل إعادة الضمير إلى أقرب مذكور ، ما لم يرد دليل بخلافه** [٨] .

هو الأقرب) ، **واستظهره** أبو حيان ، وابن عادل ، وأبو السعود ، وقال الخطيب الشربيني أيضاً (**هو الأقرب**) والآلوسي ، والطاهر بن عاشور . ينظر : تفسير الطبري : ١٦ / ١٥٣ ، الكشاف : ٣ / ٥٨ ، التفسير الكبير = = ٢٢ / ٢١ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ٤٤ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٥٢٣ ، البحر المحيط : ٦ / ٢١٩ تفسير ابن عادل : ١٣ / ٢٠٥ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ٩ ، السراج المنير : ٢ / ٥٠٢ ، روح المعاني : ١٦ / ١٧٣ ، التحرير والتنوير : ١٦ / ٢٠٣ . وقال النسفي : الخطاب لموسى والمراد أمته ، واستبعده أبو حيان . ينظر : تفسير النسفي : ٣ / ٥٢ ، البحر المحيط : ٦ / ٢١٩ .

(١) ينظر : التفسير الكبير : ٢٢ / ٢٠ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٥٢٣ ، تفسير ابن عادل : ١٣ / ٢٠٥ ، السراج المنير : ٢ / ٥٠٢ .

(٢) نسبه ابن عطية إليه . ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ٤٠ .

(٣) ينظر تفسيره : ٢ / ٣٢٦ .

(٤) قال : الخطاب لمحمد ﷺ والمراد أمته . ينظر : زاد المسير : ٥ / ٢٧٧ .

(٥) ينظر : التفسير الكبير : ٢٢ / ٢٠ ، تفسير ابن عادل : ١٣ / ٢٠٥ .

(٦) ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ٤٠ ، التسهيل : ٣ / ١٢ ، روح المعاني : ١٦ / ١٧٣ .

(٧) تفسير ابن كثير : ٣ / ١٤٥ .

(٨) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ٢ / ٦١٣ ، ٦٢١ .

والله تعالى أعلم بالصواب .

قوله تعالى : ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ ﴾ . [آية : ١٧] .

مسألة : سبب سؤال الله ﷻ لموسى عليه السلام عن ما في يمينه :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن الله ﷻ إنما سأل موسى عليه السلام عن ما في يمينه ليريه عظيم ما يفعله في العصا من قلبها حية ، فمعنى السؤال تقرير أنها عصى ؛ فيتبين له الفرق بين حالها قبل أن يقلبها ، وبعد أن قلبها ، فقال : ((﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴾ إنما سأله ليريه عظيم ما يفعله في العصا من قلبها حية ، فمعنى السؤال تقرير أنها عصى ؛ فيتبين له الفرق بين حالها قبل أن يقلبها ، وبعد أن قلبها ، وقيل : إنما سأله ليؤنسه ويبسطه بالكلام)) . اهـ [١] .

الدراسة :

اختلف المفسرون **في سبب سؤال الله ﷻ لموسى عليه السلام عن ما في يمينه** على قولين :

القول الأول : إنما سأله ليريه عظيم ما يفعله في العصا من قلبها حية ، فمعنى **السؤال تقرير** أنها عصى ؛ فيتبين له الفرق بين حالها قبل أن يقلبها ، وبعد أن قلبها ، لتقع المعجزة بعد التثبت منها والتأمل فيها ، قاله الزَّجَّاج [٢] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٣] ، ووافقه جماعة [٤] من المفسرين [٥] .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ١٢ .

(٢) ينظر معانيه : ٣ / ٣٥٤ .

(٣) ينظر : التسهيل : ٣ / ١٢ .

(٤) نسب ابن العربي هذا القول إلى العلماء فقال : " قال علماؤنا " ثم ذكر هذا القول . ينظر : أحكام القرآن لابن العربي : ٣ / ٢٥٧ .

(٥) منهم : الطبري ، والماوردي ، والسمعاني ، والزمخشري ، وابن عطية ، وقدَّمه ابن الجوزي ، والعز بن عبد السلام السلام والقرطبي ، والبيضاوي ، والخازن ، والنيسابوري ، وأبو حيان ، والبقاعي ، والثعالبي ، والجلالين ، وأبو السعود ونقل الشوكاني قول الزَّجَّاج ولم يذكر غيره ، والقاسمي ، والسعدي ، وسيد قطب ، والطاهر بن عاشور ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير الطبري : ١٦ / ١٥٤ ، النكت والعيون : ٣ / ٣٩٩ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٣٢٥ ، الكشاف : ٣ / ٥٩ ، المحرر الوجيز : ٤ / ٤١ ، زاد المسير : ٥ / ٢٧٨ ، تفسير العز ابن عبد السلام : ٢ / ٢٩٦ ، تفسير القرطبي : ١١ / ١٨٦ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ٤٥ ، تفسير الخازن : ٤ / ٢٦٦ تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٥٢٤ ، البحر المحيط : ٦ / ٢١٩ ، نظم الدرر : ٥ / ١٥ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ٤٨ ، تفسير الجلالين : ٤٠٧ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ١٠ ، فتح القدير : ٣ / ٣٦١ ، تفسير القاسمي : =

ويستدل له :

١. بالقرينة القرآنية :

قوله تعالى بعدها : ﴿ قَالَ أَلْقِهَا يَـٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾ . [سورة طه : ١٩] .

يوضح أن السؤال كان ذريعة إلى غرض سيأتي ، وأن هذا الاستفهام مستعمل في التنبيه إلى أهمية المسؤول عنه [١] .

٢. هذا القول على عادة العرب :

ونظيره : أن تقول لمن تخاطبه وعندك ماء : ما هذا ؟ فيقول : ماء . فتضع عليه شيئاً من الصبغ ؛ فإن قال : لم يزل هكذا ! قلت له : ألست قد اعترفت بأنه ماء . فتثبت عليه الحجة [٢] .

" ويقول الرجل لغيره : هل تعرف هذا ؟ وهو لا يشك أنه يعرفه ، ويريد به أن ينضم إقراره بلسانه إلى معرفته بقلبه " [٣] .

القول الثاني : إنما سأله ليؤنسه ويبسطه بالكلام ، حكاه **أبو سليمان الدمشقي** [٤] ، وقاله السمر قندي [٥] من المفسرين ، وذكره الزَّركشي والسيوطي [٦] . [٧]

= ١١ / ١٥٩ ، تفسير السعدي : ٥٠٤ ، الظلال : ٤ / ٢٣٣٢ ، التحرير والتنوير : ١٦ / ٢٠٧ الوسيط : ٩ / ٩٥ . وينظر : تهذيب اللغة للأزهري (باب اللفيف من حرف الميم) : ١٥ / ٤٤٩ ، تاج العروس (مادة : لوما) : ٤٠ / ٤٩٢ ، ٤٩٣ .

(١) ينظر : التحرير والتنوير : ١٦ / ٢٠٧ .

(٢) ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزَّجَّاج : ٣ / ٣٥٤ .

(٣) تفسير السمعاني : ٣ / ٣٢٥ .

(٤) نسبه ابن الجوزي إليه . ينظر : زاد المسير : ٥ / ٢٧٨ .
وأبو سليمان الدمشقي هو : عبد الرحمن بن أحمد العنْسي ، أبو سليمان الداراني الدمشقي ، إمام ثقة ، زاهد ورع عابد ، ت سنة ٢٠٥ هـ . ينظر : تاريخ بغداد : ١٠ / ٢٤٨ - ٢٥٠ ، الثقات : ٨ / ٣٧٦ ، السِّير : ١٠ / ١٨٢ - ١٨٦ .

(٥) ينظر : تفسير السمر قندي : ٢ / ٣٩٢ .

(٦) ينظر : برهان الزَّركشي : ٢ / ٣٤٣ ، إتقان السُّيوطي : ٣ / ٢١٦ .

(٧) ذكر القولين من غير ترجيح : الفخر الرازي ، والنسفي ، وابن كثير ، وابن عادل ، والخطيب الشربيني . ينظر : التفسير الكبير : ٢٢ / ٢٣ ، تفسير النسفي : ٣ / ٥٢ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ١٤٥ ، تفسير ابن عادل : =

الترجيح :

يظهر لي – والله أعلم – **أن الراجح أن الله ﷻ إنما سأل موسى عليه السلام عن ما في يمينه ليريه عظيم ما يفعله في العصا من قلبها حية ، فمعنى السؤال تقرير أنها عصى ؛ فيتبين له الفرق بين حالها قبل أن يقلبها ، وبعد أن قلبها ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** ، يدل على ذلك إضافة لما تقدم ؛ ما يلي :

أولاً : وجود القرينة القرآنية ؛ ومجيء هذا القول على عادة العرب .

ثانياً : يؤيده **القاعدة الترجيحية** التالية :

- **القول الذي تؤيده قرائن في السِّياق مرجَّح على ما خالفه** [١] .

✌ ولا مانع أن يكون في هذا السؤال وما قبله من خطابه تعالى لموسى عليه السلام استئناس عظيم وتشريف كريم [٢] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

= ١٣ / ٢٠٩ ، السراج المنير : ٢ / ٥٠٢ .

(١) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٢٩٩ .

(٢) ينظر : البحر المحيط لأبي حيان : ٦ / ٢٢٠ .

قوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ . [آية : 50] .

مسألة : في معنى وإعراب قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن معنى ﴿ ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ﴾ : أن الله أعطى خلقه كل شيء يحتاجون إليه ، فخلقه على هذا بمعنى المخلوقين ، وإعرابه مفعول أول ، وكل شيء مفعول ثان ، فقال : ((﴿ ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ﴾ المعنى : أن الله أعطى خلقه كل شيء يحتاجون إليه ، فخلقه على هذا بمعنى المخلوقين ، وإعرابه مفعول أول ، و ﴿ كُلَّ شَىۡءٍ ﴾ مفعول ثان . وقيل : المعنى أعطى كل شيء خلقته وصورته ؛ أي : أكمل ذلك وأتقنه ؛ فالخلق على هذا بمعنى الخلقة ، وإعرابه : مفعول ثان ، و ﴿ كُلَّ شَىۡءٍ ﴾ مفعول أول **والمعنى الأول أحسن**)) . اهـ [١] .

الدراسة :

كان جواب موسى عليه السلام لفرعون عندما سأله : ﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴾ [٢] ﴿ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ ، واختلف أهل العلم والمفسرون في **معنى وإعراب قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ﴾** [٣] على قولين :

- ✓ **القول الأول : ﴿ خَلۡقَهُۥ ﴾ مفعول أول ، و ﴿ كُلَّ شَىۡءٍ ﴾ مفعول ثان** ، والمعنى : أن الله أعطى خلقه كل شيء يحتاجون إليه ويرتفقون به ، فـ ﴿ **خَلۡقَهُۥ** ﴾ على هذا بمعنى المخلوقين ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٤] ، ووافقه العكبري [٥] ، والخازن [٦] .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ١٣ ، ١٤ .

(٢) سورة طه : ٤٩ .

(٣) قال الزمخشري : " ولله در هذا الجواب ما أخصره ، وما أجمعه ، وما أبينه لمن ألقى الذهن ونظر بعين الإنصاف وكان طالباً للحق " . اهـ . ينظر : الكشاف : ٣ / ٦٨ .

(٤) ينظر : التسهيل : ٣ / ١٣ .

(٥) ينظر : التبيان في إعراب القرآن للعكبري : ٢ / ٨٨٤ .

(٦) ينظر : تفسير الخازن : ٤ / ٢٧١ .

وقدم المفعول الثاني ﴿ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ للاهتمام بيانه [١] .

واستدل له بالنظير القرآني : قوله تعالى : ﴿ ... فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ ... ﴾ . [سورة الأنعام : ٩٩] . [٢]

✓ **القول الثاني : ﴿ خَلْقَهُ ﴾ مفعول ثان ، و ﴿ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ مفعول أول** ، فالخلق على هذا بمعنى الخَلْقَة .

❖ **واختلفت أقوال السَّلف** [٣] في معنى الآية على هذا الوجه في الإعراب على أربعة معاني :

المعنى الأول : أعطى كل حيوان نظيره في الخلق والصورة : حيث زوج الحصان بالفرس ، والبعير بالناقة ، والرجل بالمرأة ، و لم يزوج شيئاً من ذلك بخلاف جنسه ، وهذا القول مرويٌّ عن ابن عباس ﷺ [٤] ، والسدي [٥] ، وسعيد بن جبير [٦] ، وقاله الفَرَّاء [٧] ، **ورجَّحه ورجَّحه الطبري** [٨] .

المعنى الثاني : أعطى كل شيء ما يصلحه ؛ وهذا مرويٌّ عن الحسن وقتادة [٩] .

المعنى الثالث : سوَّى خلق كل دابة ثم هداها لما يصلحها ، وعلمها إيَّاه ، و لم يجعل الناس في خلق البهائم ، ولا خلق البهائم في خلق الناس ، **ولكن** خلق كل شيءٍ فقدره تقديراً ،

---

(١) ينظر : تفسير البيضاوي : ٤ / ٥٤ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ٢٠ .
(٢) ينظر : التحرير والتنوير : ١٦ / ٢٣٣ .
(٣) ذكر الثعلبي ، والماوردي ، والعز بن عبد السلام جميع أقوال السلف و لم يرجحوا بينهم . ينظر : الكشف والبيان : ٦ / ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، النكت والعيون : ٣ / ٤٠٦ ، تفسير العز بن عبد السلام : ٢ / ٣٠٠ .
(٤) أخرجه ابن جرير ونسبه ابن كثير إليه . ينظر : تفسير الطبري :١٦ / ١٧٢ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ١٥٦ .
(٥) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٦ / ١٧٢) .
(٦) نسب القرطبي هذا القول أيضاً إلى ابن عباس ﷺ ، والسدي ، وسعيد بن جبير . ينظر : تفسير القرطبي : ١١ / ٢٠٤ .
(٧) ينظر معانيه : 2 / ١٥٤ .
(٨) ينظر : تفسير الطبري : ١٦ / ١٧١ .
(٩) أخرجه عبد الرزاق ، وابن جرير ، وعزاه السيوطي أيضاً عن الحسن إلى سعيد بن منصور ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر . ينظر : تفسير الصنعاني : ٣ / ١٧ ، تفسير الطبري : ١٦ / ١٧٢ ، الدر المنثور : ٥ / ٥٨١ .

قاله مجاهد [١] ، وسعيد بن جبير [٢] ، ومقاتل [٣] .

ومنه قول الشاعر :

وله في كل شيء خلقهُ وكذاك الله ما شاء فعل [٤]

المعنى الرابع : أعطى كل شيء خلقته وصورته ؛ أي : أكمل ذلك وأتقنه ليطابق المنفعة المنوطة به ، قاله الضحاك ، وذهب إليه جماعة من أهل اللغة [٥] ، ومن المفسرين [٦] .

قال الضحاك : ﴿ أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَه ﴾ ، يعني اليد للبطش ، والرجل للمشي واللسان للنطق ، والعين للنظر ، والأذن للسمع [٧] .

✓ قال ابن عطية : " وهذا القول أشرف معنى وأعم في الموجودات " [٨] .

الترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أنه " لا مانع من شمول الآية الكريمة لجميع الأقوال المذكورة ، قال بذلك القرطبي ، والشنقيطي ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي** [٩] **.. لأنه لا**

---

(١) أخرجه ابن جرير ، وعزاه السيوطي أيضاً عن الحسن إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم . ينظر : تفسير الطبري : ١٦ / ١٧٢ ، الدر المنثور : ٥ / ٥٨١ ، ٥٨٢ .

(٢) عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم . ينظر : الدر المنثور : ٥ / ٥٨٢ .

(٣) ينظر تفسيره : ٢ / ٣٣١ .

(٤) لم أقف على قائله ، وأورده غير واحد من المفسرين عند تفسير الآية . ينظر مثلاً : النكت والعيون للماوردي : ٣ / ٤٠٦ .

(٥) منهم : الزَّجَّاج ، والأزهري ، وابن سيده ، وابن منظور . ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزَّجَّاج : ٣ / ٣٥٨ ، تهذيب اللغة ، باب الهاء والدال : ٦ / ٢٠١ ، المحكم والمحيط الأعظم (مادة : هدى) : ٤ / ٣٧١ ، لسان العرب (مادة : هدى) : ١٥ / ٣٥٤ .

(٦) منهم : الواحدي ، والسمعاني ، وابن عطية ، وقدَّمه ابن الجوزي ، وأبو حيان ، والبقاعي ، والثعالبي ، والشوكاني ، و لم يقل القاسمي بغيره ، و **استظهر** الآلوسي لفظه ومعناه . ينظر : تفسير الواحدي : ٢ / ٦٩٦ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٣٣٤ ، المحرر الوجيز : ٤ / ٤٧ ، زاد المسير : ٥ / ٢٩١ البحر المحيط : ٦ / ٢٣٢ ، نظم الدرر : ٥ / ٢٢ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ٥٧ ، فتح القدير : ٣ / ٣٦٨ ، تفسير القاسمي : ١١ / ١٦٧ ، روح المعاني : ١٦ / ٢٠١ .

(٧) نسبه البغوي والشوكاني وغيرهما إليه . ينظر : تفسير البغوي : ٣ / ٢٢٠ ، فتح القدير : ٣ / ٣٦٨ .

(٨) المحرر الوجيز : ٤ / ٤٧ .

(٩) ينظر : تفسير القرطبي : ١١ / ٢٠٤ ، أضواء البيان : ٤ / ٢٠ ، الوسيط : ٩ / ١١٤ .

لا شكّ أن الله أعطى الخلائق كل شيء يحتاجون إليه في الدنيا ، ولا شكّ أنه أعطى كل صنف شكله وصورته المناسبة له ، وأعطى كل عضو شكله الملائم للمنفعة المنوطة به ، وأعطى كل ذكر وأنثى الشكل المناسب له من جنسه ، وأعطى كل شيء ما يصلحه ، فسبحانه جل وعلا ما أعظم شأنه وأكمل قدرته" [(١)] ، يدل على ذلك ما يلي :

أولاً : إن مثل هذا الاختلاف من اختلاف السلف في معاني الآيات ليس اختلافاً حقيقياً متضاداً يكذب بعضه بعضاً ، ولكنه اختلاف تنوعي لا يكذب بعضه بعضاً ، والآيات تشمل جميعه ، فينبغي حملها على شمول ذلك كله .

ثانياً : جوَّز القولين قبل الشنقيطي ومحمَّد سيِّد طنطاوي جماعة من المفسرين ، منهم : الزمخشري ، والفخر الرازي ، والبيضاوي ، والنسفي ، وابن عادل ، وأبو السعود ، والشوكاني ، وابن عاشور [(٢)] .

ثالثاً : يتأيد هذا القول ببعض **القواعد الترجيحية** ؛ منها :

- **إذا احتمل اللفظ معانٍي عدة ولم يمتنع إرادة الجميع حمل عليها** [(٣)] .
- **غالب ما نقل عن السلف من الاختلاف في التفسير هو اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد** [(٤)] .

" وفي هذه الأشياء المذكورة في معنى هذه الآية الكريمة براهين قاطعة على أنه جل وعلا رب كل شيء ، وهو المعبود وحده جل وعلا : ﴿ ... لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾ . [سورة القصص : ٨٨] . " [(٥)]

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) أضواء البيان : ٤ / ٢٠ . بتصرف . وينظر : الوسيط لمحمد سيِّد طنطاوي : ٩ / ١١٤ .

(٢) ينظر : الكشاف : ٣ / ٦٨ ، التفسير الكبير : ٢٢ / ٥٨ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ٥٤ ، تفسير النسفي : ٣ / ٥٧ ، تفسير ابن عادل : ١٣ / ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ٢٠ ، فتح القدير : ٣ / ٣٦٨ ، التحرير والتنوير : ١٦ / ٢٣٢ .

(٣) ينظر : قواعد التفسير للسبت : ٢ / ٨٠٧ .

(٤) ينظر : الموافقات للشاطبي : ٤ / ٢١٤ - ٢٢٠ ، تفسير القاسمي : ١ / ١٧ ، قواعد التفسير للسبت : ١ / ٢٠٨ .

(٥) أضواء البيان : ٤ / ٢٠ .

قوله تعالى : ﴿ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ ﴾ . [آية : ٥٨] .

مسألة : في معنى ﴿ مَكَانًا سُوًى ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن معنى ﴿ مَكَانًا سُوًى ﴾ مستوى في القرب منا ومنكم ، فقال : ((﴿ مَكَانًا سُوًى ﴾ معناه : مستوى في القرب منا ومنكم . وقيل : معناه : مستوى الأرض ليس فيه انخفاض ولا ارتفاع ، وقرىء بكسر السين وضمها ، والمعنى متفق)) . اهـ [1] .

الدراسة :

اختلف أهل العلم والمفسرون في **معنى ﴿ مَكَانًا سُوًى [2] ﴾** على قولين :

القول الأول : معناه : **عدلاً ونصفة** ، أي : مستوى في القرب منا ومنكم ، وهو قول جماعة من السلف [3] .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ١٥ .

(٢) قرأ نافع وأبي عمرو والكسائي و ابن كثير بالكسر : (سِوى) ، وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة ﴿ سُوًى ﴾ بضم السين . قيل : لكل قراءة معنى ، والحجة لمن ضم : أنه أراد مكاناً مساوياً بيننا وبينك ، والحجة لمن كسر : أنه أراد مكاناً مستوياً ؛ أي : لا مانع فيه من النظر . ينظر : الحجة في القراءات السبع لابن خالويه : ٢٤١ ، التيسير في القراءات السبع لأبي عمرو الداني : ١٥١ . قال الأخفش : "سوى" مقصورٌ إنْ كَسَرْتَ سينَه أو ضَمَمْتَ ، وممدودٌ إنْ فَتَحْتَها ، ثلاثُ لغات ، ويكون فيها جميعها بمعنى غير ، وبمعنى عَدْل ووسط بين الفريقين . واختار أبو عبيد وأبو حاتم كسر السين لأنها اللغة العالية الفصيحة . وقال النحاس : والكسر أعرف وأشهر . ورجَّح الطبري وابن زنجلة ، والثعلبي ، والقرطبي وغيرهم أن (سِوى) و ﴿ سُوًى ﴾ لغتان . وقال ابن جرير أيضاً : " وللعرب في ذلك إذا كان بمعنى العدل والنصف لغة هي أشهر من الكسر والضم وهو الفتح ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ... ﴾ . [سورة آل عمران : ٦٤] . وإذا فتح السين منه مد ، وإذا كسرت أو ضمت قصر ... ونظير ذلك من الأسماء : طوى وطوى ، وثنى وثنى ، وعدى وعدى " . اهـ . ينظر : تفسير الطبري : ١٦ / ١٧٦ ، حجة القراءات لابن زنجلة : ٤٥٣ ، تفسير القرطبي : ١١ / ٢١٢ .

(٣) قال **ابن عباس** رضي الله عنهما : منصف بينهم . ذكره البخاري في صحيحه . وقال **مجاهد** بمثله . أخرجه ابن جرير ، وعزاه السيوطي أيضاً إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم . وقال **قتادة** : مكاناً عدلاً بيننا وبينك . أخرجه عبد الرزاق ، وابن جرير ، وعزاه السيوطي أيضاً إلى عبد بن حميد . وقال **السدي** : عدلاً . أخرجه ابن جرير ، وعزاه السيوطي أيضاً إلى ابن أبي حاتم . ينظر : تفسير مجاهد : ١ / ٣٩٨ ، تفسير الصنعاني : ٣ / ١٧ =

وذهب إليه مقاتل [١]، وهو قول جماعة من أهل اللغة [٢]، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٣]، ووافقه جماعة [٤] من المفسرين [٥].

وذلك ليتمكن جميع الناس أن يحضروا.

واستدل له:

١. من اللغة:

﴿ سُوًى ﴾ أصله من:

- الاستواء؛ يقال: مكان سوى وسواء؛ لأن المسافة من الوسط إلى الطرفين مستوية لا تفاوت فيها [٦].

= صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، مقدمة باب قول الله ﷻ: ﴿ وَهَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝١٥ إِذۡ رَءَا نَارٗا فَقَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا ... ﴾ إلى قوله: ﴿ ... إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ﴾: ٣ / ١٢٤١، ١٢٤٢ تفسير الطبري: ١٦ / ١٧٦، الدر المنثور: ٥ / ٥٨٤. وأقوال السلف متقاربة بمعنى واحد.

(١) قال مقاتل: عدلاً. ينظر تفسيره: ٢ / ٣٣٢.

(٢) منهم: الفَرَّاء، وأبو عبيدة، والزَّجَّاج، وابن دريد، وأبو علي الفارسي - نسبه أبو حيان وغيره إليه -، وابن سيده، والعكبري. ينظر: معاني القرآن للفَرَّاء: ٢ / ١٥٥، مجاز القرآن لأبي عبيدة: ٢ /٢٠، معاني القرآن وإعرابه للزَّجَّاج: ٣ / ٣٦٠، جمهرة اللغة لابن دريد: ١ / ٢٣٧، البحر المحيط: ٦ / ٢٣٦، المخصص: ٤ / ٤٥٤، الكليات: ٥٢٠.

(٣) ينظر: التسهيل: ٣ / ١٥.

(٤) نسب النحاس هذا القول إلى أهل التفسير، ونسبه الشنقيطي إلى المفسرين أيضاً. ينظر: إعراب القرآن للنحاس: ٣ / ٤٢، أضواء البيان: ٤ / ٢٨.

(٥) منهم: الطبري، وذكر ابن أبي زمنين قول مجاهد، وقدَّمه الماوردي، والواحدي، والزمخشري، وابن عطية، وابن الجوزي **وحسَّنه**، والقرطبي، والبيضاوي، والنسفي، والخازن، وأبو حيان، والبقاعي، والثعالبي، وابن عادل، والجلالين، وأبوالسعود، والخطيب الشربيني، والشنقيطي، ومحمَّد سيِّد طنطاوي. ينظر: تفسير الطبري: ١٦ / ١٧٦، تفسير ابن أبي زمنين: ٣ / ١١٨، النكت والعيون: ٣ / ٤٠٨، تفسير الواحدي: ٢ / ٦٩٨، الكشاف: ٣ / ٧٢، المحرر الوجيز: ٤ / ٤٩، زاد المسير: ٥ / ٢٩٤، تفسير القرطبي: ١١ / ٢١٢، تفسير البيضاوي: ٤ / ٥٧، تفسير النسفي: ٣ / ٥٨، تفسير الخازن: ٤ / ٢٧٢، البحر المحيط: ٦ / ٢٣٦، نظم الدرر: ٥ / ٢٦، تفسير الثعالبي: ٤ / ٥٨، تفسير ابن عادل: ١٣ / ٢٨٦، تفسير الجلالين: ٤١٠، تفسير أبي السعود: ٦ / ٢٤، السراج المنير: ٢ / ٥١٨، ٥١٩، أضواء البيان: ٤ / ٢٨، الوسيط: ٩ / ١١٩.

(٦) ينظر: الكشاف: ٣ / ٧٢، تفسير النسفي: ٣ / ٥٨، البحر المحيط: ٦ / ٢٣٦، أضواء البيان: ٤ / ٢٨.

- أو من التسوية ، فكأن المعنى : مكاناً تستوي مسافته على الفريقين ، قاله أبو علي [١] .

٢. من إطلاق العرب : ما أنشده أبو عبيدة شاهداً لذلك :

وَإنَّ أبَانَا كَانَ حَلَّ بِبَلْدَةٍ سِوًى بَيْنَ قَيْسٍ قَيْسِ عَيْلاَنَ والفِزَرْ [٢]

يعني : حل ببلدة مستوية مسافتها بين قَيْسِ عَيْلاَنَ والفِزَرْ .

القول الثاني : معناه : **مستوى الأرض ليس فيه انخفاض ولا ارتفاع** ؛ قاله ابن زيد [٣] ، وجماعة من المفسرين [٤] .

" ومراده : مكاناً يتبين الواقفون فيه ، ولا يكون ما يستر أحدا منهم ليرى كل ما يصدر منك ومن السحرة ، وفيه من إظهار الجلادة وقوة الوثوق بالغلبة ما فيه " [٥] .

القول الثالث : بمعنى غير ، والمراد مكانا غير هذا المكان ، قاله **الكلبي** [٦] .

✖ **وتعقَّبه أبو حيان** بقوله : " وليس بشئ ؛ لأن ﴿ سُوًى ﴾ بهذا المعنى لا تستعمل إلا مضافة لفظاً ؛ ولا تقطع عن الإضافة " . اهـ [٧] .

---

(١) هو أبو علي الفارسي ؛ نسبه الفخر الرازي وأبو شامة إليه . ينظر : التفسير الكبير : ٢٢ / ٦٣ . وينظر : إبراز المعاني من حرز الأماني لأبي شامة : ٢ / ٥٨٩ .

(٢) والفزر : لقب لسعد بن زيد مناة بن تميم . ينظر : مجاز القرآن لأبي عبيدة : ٢ / ٢٠ . وينظر : تفسير الطبري : ١٦ / ١٧٦ ، أضواء البيان : ٤ / ٢٩ .

(٣) قال ابن زيد : مكاناً مستوياً يتبين الناس سواء فيه ، لا يكون صوت ولا شيء يتغيب بعض ذلك عن بعض مستو حين يرى . أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٦ / ١٧٦) . وعزاه السيوطي أيضاً إلى ابن أبي حاتم . ينظر : الدر المنثور : ٥ / ٥٨٤ .

(٤) منهم : الثعلبي ، والشوكاني ، والقاسمي ، **وحسَّنه الآلوسي جداً** . ينظر : الكشف والبيان : ٦ / ٢٤٩ ، فتح القدير : ٣ / ٣٧١ ، تفسير القاسمي : ١١ / ١٧٠ ، روح المعاني : ١٦ / ٢١٧ .

(٥) روح المعاني : ١٦ / ٢١٧ .

(٦) نسبه القرطبي إليه . ينظر : تفسير القرطبي : ١١ / ٢١٢ .
والكلبي هو : محمد بن السائب بن بشر ، أبو النضر الكوفي : نسابةٌ مفسر ، إلا أنه شيعي متروك الحديث ، سئل الإمام أحمد عن تفسيره فقال : كذب ، فقيل : يحل النظر فيه ؟ قال : لا ، ت سنة ١٤٦ هـ . ينظر : تاريخ البخاري : ١ / ١٠١ ، طبقات ابن سعد : ٦ / ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، السِّير : ٦ / ٢٤٨ ، ٢٤٩ .

(٧) البحر المحيط : ٦ / ٢٣٧ . وينظر : روح المعاني : ١٦ / ٢١٧ .

الترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **صحَّة القول الأول ، وأن الرَّاجح أن معنى ﴿ مَكَانًا سُوًى ﴾ عدلاً ونصفة ؛ مستوى في القرب منا ومنكم ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** ، إضافة لما تقدم ؛ ولما يلي :

أولاً : هذا القول هو ما اتفقت عليه عبارات السَّلف ، وهو البيِّن في اللغة ، وما ذكرته معظم كتب الغريب [١] .

ثانياً : هذا القول هو الظاهر من السِّياق .

- ولكننا عند النظر في قول **ابن عباس** ﷺ ، **ومجاهد** ، **وقتادة** وغيرهم نجد أنه يصف المكان بالاستواء **باعتبار المسافة** (وهو القول الأول) ، **ووصف ابن زيد** المكان **باعتبار ارتفاعه وانخفاضه عن الأرض** (وهو القول الثاني) قاله **النيسابوري** [٢] ، فلا يتعارض قول ابن عباس ﷺ ومجاهد بقول ابن زيد ؛ ويحتمل القولين .
- ✓ وقد **احتملهما الطاهر بن عاشور** [٣] من المفسرين .
- ✓ **وذكر الأقوال من غير ترجيح** : البغوي ، والفخر الرازي ، وابن كثير [٤] ، مما يدل على احتمالهما معاً .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) ينظر : غريب القرآن للسجستاني : ٢٨١ ، التبيان في تفسير غريب القرآن للهائم المصري : ٢٨٨ . وينظر أيضاً غريب الحديث لأبي سليمان ، أحمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي البستي (ت ٣٨٨ هـ) : ٢ / ١٨٨ .

(٢) ينظر : تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٥٥٤ .

(٣) ينظر : التحرير والتنوير : ١٦ / ٢٤٦ .

(٤) ينظر : تفسير البغوي : ٣ / ٢٢١ ، التفسير الكبير : ٢٢ / ٦٣ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ١٥٧ .

قوله تعالى : ﴿ قَالُواْ لَن نُّؤۡثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ... ﴾ . [آية : ٧٢] .

مسألة : في نوع الواو في قوله تعالى : ﴿ **وَٱلَّذِى فَطَرَنَا** ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن الواو في قوله تعالى : ﴿ **وَٱلَّذِى فَطَرَنَا** ﴾ **عاطفة** ، فقال :

((﴿ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ﴾ معطوف على ﴿ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ ﴾ . وقيل : هي واو القسم)) . اهـ [١] .

الدراسة :

اختلف المفسرون في **نوع الواو في قوله تعالى** : ﴿ **وَٱلَّذِى فَطَرَنَا** ﴾ على قولين :

القول الأول : الواو واو القسم ، احتمله الطبري [٢] ، وقدَّمه الماوردي ، والخازن [٣] من المفسرين .

وجوابه محذوف لدلالة المذكور عليه ، أي : وحق الذي فطرنا لن نؤثرك ...

واعتُرض بأنه :

١. لا يجوز أن يكون الجواب ﴿ لَنۡ نُّؤۡثِرَكَ ﴾ عند من يجوز تقديم الجواب .

٢. لا يجاب القسم بـ ﴿ لَنۡ ﴾ إلا في شاذٍّ من الشعر ، قاله أبو حيان [٤] .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ١٦ .
(٢) ينظر : تفسير الطبري : ١٦ / ١٨٩ .
(٣) ينظر : النكت والعيون : ٣ / ٤١٤ ، تفسير الخازن : ٤ / ٢٧٤ . واحتمل صحته محمَّد سيِّد طنطاوي في الوسيط (٩ / ١٢٩) .
(٤) ينظر : البحر المحيط : ٦ / ٢٤٣ . وينظر : الدر المصون : ٥ / ٤١ ، تفسير ابن عادل : ١٣ / ٣٢٢ ، روح المعاني : ١٦ / ٢٣٢ .

ولهذا قال **ابن هشام** في مغني اللبيب : " ويجب أن يقدر : والذي فطرنا لا نؤثرك " [١] .

القول الثاني : الواو عاطفة ، و جملة ﴿ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ﴾ معطوف على ﴿ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ ﴾ ، قاله ابن عباس ﷺ [٢] ، ووهب بن منبه [٣] ، وذهب إليه مقاتل [٤] ، والأخفش [٥] ، والعكبري [٦] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٧] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٨] . [٩]

---

(١) مغني اللبيب لابن هشام : ٨٠٥ .
وابن هشام هو : جمال الدين عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري ، أبو محمد ، أتقن العربية وفاق أقرانه فلم يبق له نظير في زمانه ، بل كان يقال : ابن هشام أنحى من سيبويه ، ت سنة ٧٦١ هـ . ينظر : الدرر الكامنة : ٣ / ٩٣ – ٩٥ ، النجوم الزاهرة : ١٢ / ١٥٧ ، البدر الطالع : ١ /٤٠٠ – ٤٠٢ .

(٢) ينظر : تنوير المقباس : ٢٦٤ .

(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٦ / ١٨٩) .

(٤) ينظر تفسيره : ٢ / ٣٣٤ .

(٥) ينظر معانيه : ٢ / ٦٣٢ .

(٦) ينظر : إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات للعكبري : ٢ / ١٢٤ .

(٧) ينظر : التسهيل : ٣ / ١٦ .

(٨) ومنهم : الطبري ، وابن أبي زمنين ، والسمر قندي ، والثعلبي ، والواحدي ، والبغوي ، وأبو حيان ، وقدَّمه ابن عادل ، وأبو السعود ، والخطيب الشربيني ، والشوكاني ، والقاسمي ، والآلوسي ، والسعدي ، والطاهر بن عاشور ، والشنقيطي ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير الطبري : ١٦ / ١٨٩ ، تفسير ابن أبي زمنين : ٣ / ١٢٠ ، تفسير السمر قندي : ٢ / ٤٠٦ ، الكشف والبيان : ٦ / ٢٥٣ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٧٠٠ ، تفسير البغوي : ٣ / ٢٢٥ البحر المحيط : ٦ / ٢٤٣ ، تفسير ابن عادل : ١٣ / ٣٢٢ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ٢٩ ، السراج المنير : ٢ / ٥٢٤ ، فتح القدير : ٣ / ٣٧٦ ، تفسير القاسمي : ١١ / ١٧٧ ، روح المعاني : ١٦ / ٢٣٢ ، تفسير السعدي : ٥٠٩ ، التحرير والتنوير : ١٦ / ٢٦٦ ، أضواء البيان : ٣ / ٢٦٤ ، الوسيط : ٩ / ١٢٩ .

(٩) ذكر القولين من غير ترجيح : الفَرَّاء ، والزَّجَّاج ، ومكي بن أبي طالب ، والسمعاني ، والزمخشري ، وابن عطية ، وابن الجوزي ، والفخر الرازي ، والقرطبي ، والبيضاوي ، والنسفي ، والنيسابوري ، وابن كثير ، والثعالبي ، والجلالين . ينظر : معاني القرآن للفَرَّاء : ٢ / ١٥٩ ، معاني القرآن وإعرابه للزَّجاج : ٣ / ٣٦٨ ، مشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب : ٢ / ٤٧٠ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٣٤٢ ، الكشاف : ٣ / ٧٨ ، المحرر الوجيز : ٤ / ٥٣ ، زاد المسير : ٥ / ٣٠٧ ، التفسير الكبير : ٢٢ / ٧٧ ، تفسير القرطبي : ١١ / ٢٢٥ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ٦١ ، تفسير النسفي : ٣ / ٦١ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٥٥٨ ، ٥٥٩ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ١٦٠ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ٦١ ، تفسير الجلالين : ٤١٢ .

أي لن نختارك ﴿ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ ولا على ﴿ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ﴾ أي خلقنا ، " وإنما أُخَّر ذِكْرَ البارِيْ تعالى لأنه من باب الترقِّي من الأدنى إلى الأعلى " (١) .

" وجيء بالموصول للإيماء إلى التّعليل ، لأنّ الفاطر هو المستحق بالإيثار " (٢) .

الترجيح:

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن الراجح أن الواو عاطفة ، و جملة ﴿ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ﴾ معطوف على ﴿ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** ؛ يدل على ذلك إضافة لما تقدم : **دلالة السِّياق القرآني والظاهر من النظم** .

قال **أبو حيان** : " لما لاحت لهم حجة الله في المعجزة بدؤوا بها ثم ترقوا إلى القادر على خرق العادة وهو الله تعالى ، وذكروا وصف الاختراع وهو قولهم : ﴿ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ﴾ تبييناً لعجز فرعون وتكذيبه في ادعاء ربوبيته وإلاهيته ، وهو عاجز عن صرف ذبابة فضلاً عن اختراعها " . اهـ (٣) .

وقال **البقاعي** مشيراً إلى دلالة السِّياق : " ﴿ وَٱلَّذِى ﴾ أي : ولا نؤثرك بالاتباع على الذي ﴿ فَطَرَنَا ﴾ أي ابتدأ خلقنا ؛ إشارة إلى شمول ربوبيته ﷻ لهم وله ولجميع الناس ، وتنبيهاً على عجز فرعون عند من استحقه ، وفي جميع أقوالهم هذه من تعظيم الله تعالى عبارة وإشارة وتحقير فرعون أمر عظيم " . اهـ (٤) .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) الدر المصون : ٥ / ٤١ . وينظر : السراج المنير : ٢ / ٥٢٤ .
(٢) التحرير والتنوير : ١٦ / ٢٦٦ .
(٣) البحر المحيط : ٦ / ٢٤٣ .
(٤) نظم الدرر : ٥ / ٣٢ . وينظر : السراج المنير : ٢ / ٥٢٤ .

قوله تعالى : ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ قَدۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ عَدُوِّكُمۡ وَوَٰعَدۡنَٰكُمۡ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنَ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰ ﴿٨٠﴾ ﴾ . [آية : ٨٠] .

مسألة : لمن الخطاب في الآية :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن الخطاب لبني إسرائيل الذين كانوا في عصر موسى عليه السلام بعد خروجهم من البحر وإغراق فرعون ، فقال : ((﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾ خطاب لهم بعد خروجهم من البحر وإغراق فرعون . وقيل : هو خطاب لمن كان منهم في عصر رسول الله ﷺ ، **والأوَّل أظهر**)) . اهـ [١] .

الدراسة :

اختلف المفسرون **فيمن له الخطاب في الآية** على قولين :

القول الأول : الخطاب لبني إسرائيل **الذين كانوا في عصر موسى** عليه السلام بعد خروجهم من البحر وإغراق فرعون ؛ **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٢] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٣] .

والمراد : حكاية لخطاب بني إسرائيل الذين كانوا في عصر موسى عليه السلام بعد خروجهم من البحر وإغراق فرعون .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ١٦ .

(٢) ينظر : التسهيل : ٣ / ١٦ .

(٣) ومنهم : الطبري ، وقال الزمخشري (**والوجه هو الأوّل**) ، و**استظهره** ابن عطية ، والنسفي ، والنيسابوري ، و**استظهره** أبو حيان ، وقال الثعالبي (**والمعنى الأول أظهر وأبين**) ، وأبو السعود ، والشوكاني ، والآلوسي . ينظر : تفسير الطبري : ١٦ / ١٩٣ ، الكشاف : ٣ / ٨٠ ، المحرر الوجيز : ٤ / ٥٥ ، تفسير النسفي : ٣ / ٦٣ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٥٦٣ ، البحر المحيط : ٦ / ٢٤٦ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ٦٢ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ٣٢ ، فتح القدير : ٣ / ٣٧٨ ، روح المعاني : ١٦ / ٢٣٨ .

وتقدير الكلام : قلنا ؛ عطفاً على ﴿ أَوْحَيْنَآ ﴾ [١] . أي : وقلنا يا بني إسرائيل [٢] .

القول الثاني : الخطاب لليهود **المعاصرين لرسول الله ﷺ** ، **رجّحه** الخطيب الشربيني [٣] ، والطاهر بن عاشور [٤] ، واحتمله جماعة من المفسرين [٥] . [٦]

قالوا : " لأن النعمة على الآباء معدودة من النعم على الأبناء " [٧] .

وهو إنشاء خطاب لليهود المعاصرين لنبيِّنا ﷺ .

والمعنى : هذا فعلنا بأسلافكم وتكون الآية على هذا اعتراضاً في أثناء قصة موسى عليه السلام ، **والقصد به توبيخ هؤلاء الحضور** ؛ إذ لم يصبر سلفهم على أداء شكر نعم الله تعالى ؛ فهو على حذف مضاف ، أي : أنجينا آباءكم من تعذيب آل فرعون ؛ وهي مثل ما تقدم آنفاً في قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا ... ﴾ [٨] . [٩]

✖ **وتُعقِّب** : بأنه يرده ما سيأتي من قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴾ [١٠] ضرورة استحالة حمله على الإنشاء ، فالوجه هو الحكاية لخطاب بني إسرائيل في عهد موسى عليه السلام [١١] .

---

(١) سورة طه : ٧٧ .
(٢) ينظر : تفسير النسفي : ٣ / ٦٣ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ٣٢ ، روح المعاني : ١٦ / ٢٣٨ .
(٣) ينظر : السراج المنير : ٢ / ٥٢٧ .
(٤) ينظر : التحرير والتنوير : ١٦ / ٢٧٣ .
(٥) منهم : ابن عطية ، والنيسابوري ، والشوكاني . ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ٥٥ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٥٦٣ ، فتح القدير : ٣ / ٣٧٨ .
(٦) جوَّز البيضاوي القولين . ينظر : تفسير البيضاوي : ٤ / ٦٣ . ولم يتعرض غير واحد من المفسرين لمن الخطاب في الآية كالسمر قندي ، والثعلبي ، والبغوي ، وابن كثير ، والخازن ، وابن عادل وغيرهم .
(٧) ينظر : تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٥٦٣ ، السراج المنير : ٢ / ٥٢٧ ، فتح القدير : ٣ / ٣٧٨ .
(٨) سورة طه : ٧٤ .
(٩) ينظر : التحرير والتنوير : ١٦ / ٢٧٣ .
(١٠) سورة طه : ٨٣ .
(١١) تفسير أبي السعود : ٦ / ٣٢ ، ٣٣ .

الترجيح:

بناء على ما سبق يظهر لي – والله **أعلم – أن الخطاب لبني إسرائيل الذين كانوا في عصر موسى عليه السلام بعد خروجهم من البحر وإغراق فرعون ؛ وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** ؛ إضافة لما تقدم ، ما يلي :

أولاً : دلالة السِّياق واتحاد المخاطب وهو موسى عليه السلام وقومه – بنو إسرائيل – الذين كانوا في عصره .

ثانياً : دلالة اللحاق ، أو القرينة في السِّياق : وهي في قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴾ [1] وذلك بضرورة استحالة حمله على الإنشاء كما ذكرنا .

ثالثاً : أكثر المفسرين على هذا القول .

رابعاً : يؤيده **القاعدة الترجيحية** التالية :

- **القول الذي تؤيده قرائن في السِّياق مرجح على ما خالفه** [2] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) سورة طه : ٨٣ .

(٢) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٢٩٩ .

قوله تعالى : ﴿ ... وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ... ﴾ . [آية : ٩٧]

مسألة : في معنى ﴿ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن معنى ﴿ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ﴾ من الإحراق بالنار ، والمقصود به إذابته وإفساد صورته ، فقال : ((﴿ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ﴾ من الإحراق بالنار ، وقرئ – بفتح النون وضم الراء – بمعنى : نبرده بالمبرد ، وقد حمل بعضهم قراءة الجماعة على أنها من هذا المعنى ؛ لأن الذهب لا يفنى بالإحراق بالنار ، **والصحيح** أن المقصود بإحراقه بالنار إذابته وإفساد صورته ؛ فيصح حمل قراءة الجماعة على ذلك)) . اهـ [١] .

الدراسة :

في قوله تعالى ﴿ **لَّنُحَرِّقَنَّه** ﴾ وجهان للقراءة :

١. قُرئ في الشَّاذ : (لنَحرُقنه) [٢] – بفتح النون وضم الراء مخففة – ، واتفق أهل العلم والمفسرون على معناها ؛ فهي من الحرق ؛ أي : **البرد بالمبْرَد** .

٢. وقرأ الجمهور [٣] : ﴿ لَّنُحَرِّقَنَّه ﴾ – بضم النون و كسر الراء وتشديدها – ... لكن بعض أهل العلم والمفسرين **اختلفوا في معنى هذه القراءة المتواترة السبعية** على قولين :

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ١٨ .

(٢) من أحرقه يحرقه بمعنى : لنحرقنه بالنار إحراقة واحدة . وهي **قراءة بالغة الشذوذ** تحمل على التفسير ، أوردها غير واحد من المفسرين في تفاسيرهم . ينظر مثلاً : تفسير الطبري : ١٦ / ٢٠٨ ، فتح القدير للشوكاني : ٣ / ٣٨٤ وينظر : مختصر في شواذ القرآن : ٩٢ ، المحتسب لابن جني : ٢ / ٦٨ ، تحبير التيسير في القراءات العشر لابن الجزري : ٤٦٢ ، إتحاف فضلاء البشر : ٣٨٨ .

(٣) وهم القراء السبعة المشهورون .

القول الأول : ﴿ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ﴾ **من الإحراق بالنار** ، قاله **ابن عباس** ﷺ [١] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٢] ، ووافقه جماعة المفسرين [٣] .

والمعنى : لنحرقنه بالنار قطعة قطعة [٤] .

✖ **واعتُرض** : بأن الذهب لا يفنى بالإحراق بالنار ؛ فيترتب برده لا إحراقه [٥] .

✓ **وأُجيب** : بأن المقصود بإحراقه بالنار إذابته وإفساد صورته حتى يصير قطعاً ، **وهو ما رجحه ابن جُزيّ** [٦] ، ووافقه الطاهر بن عاشور [٧] .

القول الثاني : معنى ﴿ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ﴾ **من الحرق ، أي البرد بالمبْرَد** ، ذهب إليه الزَّجَّاج [٨] ، وقاله ابن سيده [٩] . [١٠]

وذكر أبو عليّ الفارسي أن التشديد قد يكون مبالغة في حرق ؛ إذا برد بالمبْرَد [١] .

---

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٦ / ٢٠٨) . وينظر : تنوير المقباس : ٢٦٦ .
(٢) ينظر : التسهيل : ٣ / ١٨ .
(٣) ومنهم : الطبري ، والثعلبي ، والواحدي ، والسمعاني ، والزمخشري ، والفخر الرازي ، والنسفي = = والنيسابوري ، و**استظهره** أبو حيان والسمين الحلبي ، والجلالين ، وأبو السعود ، والشوكاني ، والآلوسي ، ولم يقل الطاهر ابن عاشور بغيره ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير الطبري : ١٦ / ٢٠٨ الكشف والبيان : ٦ / ٢٥٩ تفسير الواحدي : ٢ / ٧٠٤ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٣٥٣ ، الكشاف : ٣ / ٨٦ ، التفسير الكبير : ٢٢ / ٩٨ ، تفسير النسفي : ٣ / ٦٦ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٥٦٩ ، البحر المحيط : ٦ / ٢٥٧ ، الدر المصون : ٥ / ٥٢ ، تفسير الجلالين : ٤١٥ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ٤٠ ، فتح القدير : ٣ / ٣٨٤ ، روح المعاني : ١٦ / ٢٥٧ ، التحرير والتنوير : ١٦ / ٣٠٠ ، الوسيط : ٩ / ١٤٧ .
(٤) ينظر : تفسير الطبري : ١٦ / ٢٠٨ .
(٥) حكاه الفخر الرازي والنيسابوري . ينظر : التفسير الكبير : ٢٢ / ٩٨ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٥٦٩ .
(٦) ينظر : التسهيل : ٣ / ١٨ .
(٧) ينظر : التحرير والتنوير : ١٦ / ٣٠٠ .
(٨) ينظر معانيه : ٣ / ٣٧٥ .
(٩) ينظر : المحكم والمحيط الأعظم (مادة : حرق) : ٢ / ٥٧٥ .
(١٠) ذكر القولين من غير ترجيح : ابن عطية ، والبيضاوي ، وابن عادل . ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ٦٢ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ٦٨ ، تفسير ابن عادل : ١٣ / ٣٧٧ ، ٣٧٨ . وجمع بين القولين (أي : النار والمُبَرِّد) : مقاتل ، والبقاعي ، والخطيب الشربيني . ينظر : تفسير مقاتل : ٢ / ٣٤٠ ، نظم الدرر : ٥ / ٤٣ ، السراج المنير : ٢ / ٥٣٤ .

ويؤيده : ما قرئ في الشاذ : (لَنحرُقنه) – بفتح النون وضم الراء مخففة – ، ومعناها : نبرده بالمبْرَد .

الترجيح:

يظهر لي – والله أعلم – **أن ﴿ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ﴾ من الإحراق بالنار ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ووافقه جماعة المفسرين** ، يدل على ذلك إضافة إلى ما تقدم ؛ ما يلي :

أولاً : المشهور في اللغة أن الإحراق يكون بالنار ، وهو المتبادر إلى الذهن .

ثانياً : هذا المعنى هو **قول ترجمان الأمة عبد الله بن عباس** ﷺ ، ورجَّحه عامة المفسرين واتفقوا عليه .

ثالثاً : يؤيد هذا القول بعض **القواعد الترجيحية المعتبرة** ؛ وهي :

- **معنى القراءة المتواترة أولى بالصواب من معنى القراءة الشاذة .**
- **تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم .**
- **ليس كل ما ثبت في اللغة صحَّ حمل آيات التنزيل عليه** [٢] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) نقله عن أبي علي الفارسي : الزمخشري في الكشاف (٣ / ٨٦) ، وأبو حيان في البحر المحيط (٦ / ٢٥٧) .
(٢) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ١٠٤ ، ٢٧١ ، ٢ / ٣٦٣ .

قوله تعالى : ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ . [آية : ١١٠] .

مسألة : في معنى قوله تعالى : ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن معنى قوله تعالى : ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾ : لا يحيطون بمعرفة ذاته ، فقال : ((قيل : المعنى لا يحيطون بمعلوماته ؛ كقوله : ﴿ ... وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ... ﴾ [١] ، **والصحيح عندي** : أن المعنى لا يحيطون بمعرفة ذاته ؛ إذ لا يعرف الله على الحقيقة إلا الله ، ولو أراد المعنى الأول لقال : ولا يحيطون بعلمه ، ولذلك استثني ﴿ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾ هناك ، و لم يستثن هنا)) . اهـ [٢] .

الدراسة :

ترتب على اختلاف المفسرين في عود ضمير الكناية في قوله تعالى : ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾ **اختلافهم في معنى الآية** .. وحاصل اختلافهم يرجع إلى قولين :

القول الأول : ضمير الكناية يرجع إلى ﴿ مَا ﴾ أي : هو يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم وهم لا يعلمونه ، قاله **ابن عباس** رضي الله عنهما [٣] ، وجماعة من المفسرين [٤] .

والمعنى : لا يحيطون بمعلوماته .

---

(١) سورة البقرة : ٢٥٥ .

(٢) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٢٠ .

(٣) ينظر : تنوير المقباس : ٢٦٦ .

(٤) منهم : السمر قندي ، والثعلبي ، والواحدي ، والزمخشري ، وقال الفخر الرازي (**والأوَّل أوْلى**) ، والبيضاوي ، والنيسابوري ، وأبو حيان ، وقال البقاعي عنه (**الأقرب عندي**) ، وابن كثير ، والجلالين ، وأبو السعود ، والخطيب الشربيني ، والآلوسي ، والطاهر بن عاشور . ينظر : تفسير السمر قندي : ٢ / ٤١٣ ، الكشف والبيان : ٦ / ٢٦١ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٧٠٦ ، الكشاف : ٣ / ٨٩ التفسير الكبير : ٢٢ / ١٠٤ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ٧١ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٥٧٢ ، البحر المحيط : ٦ / ٢٦٠ ، نظم الدرر : ٥ / ٤٨ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ١٦٧ ، تفسير الجلالين : ٤١٦ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ٤٣ ، السراج المنير : ٢ / ٥٣٦ ، روح المعاني : ١٦ / ٢٦٥ ، التحرير والتنوير : ١٦ / ٣١١ .

واستدل له بالنظير القرآني :

- قوله تعالى : ﴿ ... وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ... ﴾ [١] . [٢]
- وقوله تعالى : ﴿ ... إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [٣] .

✖ **وتعقَّبه ابن جُزيّ** بقوله :

" ولو أراد المعنى الأول لقال : ولا يحيطون بعلمه ، ولذلك استثني ﴿ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾ هناك ولم يستثن هنا " [٤] .

القول الثاني : ضمير الكناية **يرجع إلى الله ﷻ** ؛ قاله مقاتل [٥] ، والطبري [٦] .

والمعنى : لا يحيطون بمعرفة ذاته ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ [٧] ، ووافقه السمعاني ، والقرطبي [٨] . [٩]

إذ لا يعرف الله حق المعرفة إلا الله [١٠] ، " والله يحيط بالأشياء ، ولا يحاط به ؛ لأن الإحاطة بالشيء هي العلم بالشيء من كل جهة يجوز أن يعلم ، والله تعالى لا يقدر قدره ، ولا يبلغ كنه عظمته ، وأما سائر الأشياء فإن الله يعلم كل شيء بكل جهة يجوز أن تعلم " [١١] .

---

(١) سورة البقرة : ٢٥٥ .
(٢) ينظر : نظم الدرر : ٥ / ٤٨ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ١٦٧ ، التحرير والتنوير : ١٦ / ٣١١ .
(٣) سورة البقرة : ٣٠ .
(٤) التسهيل : ٣ / ٢٠ .
(٥) ينظر تفسيره : ٢ / ٣٤١ .
(٦) ينظر تفسيره : ١٦ / ٢١٥ .
(٧) ينظر : التسهيل : ٣ / ٢٠ .
(٨) ينظر : تفسير السمعاني : ٣ / ٣٥٦ ، تفسير القرطبي : ١١ / ٢٤٨ .
(٩) قال بالقولين من غير ترجيح : البغوي ، والنسفي ، وابن عادل . ينظر : تفسير البغوي : ٣ / ٢٣٢ ، تفسير النسفي : ٣ / ٦٨ ، تفسير ابن عادل : ١٣ / ٣٩٤ . ولم يتعرض ابن عطية لمعنى الآية . . وجمع بين القولين : الشوكاني ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : فتح القدير : ٣ / ٣٨٧ ، الوسيط : ٩ / ١٥٤ .
(١٠) ينظر : التسهيل : ٣ / ٢٠ .
(١١) تفسير السمعاني : ٣ / ٣٥٦ . وينظر : تفسير القرطبي : ١١ / ٢٤٨ .

الترجيح:

يظهر لي – والله أعلم – **صحة القول الأول ، وأن الراجح أن ضمير الكناية يرجع إلى ﴿ مَا ﴾ أي : هو يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم وهم لا يعلمونه ، ومعنى قوله تعالى : ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾ : لا يحيطون بمعلوماته ، خلافاً لما ذهب إليه ابن جُزيّ ومن وافقه** ؛ إضافة لما تقدم ، ولما يلي :

أولاً : الضمير يجب عوده إلى أقرب مذكور ، والأقرب ههنا قوله : ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ .

ثانياً : أنه تعالى أورد ذلك مورد الزجر ليعلم أن سائر ما يقدمون عليه وما يستحقون به المجازاة معلوم لله تعالى [١] .

ثالثاً : تفسير الحجَّة من المفسرين للآية بهذا المعنى ، ودلالة السِّياق عليه .

رابعاً : يؤيد ذلك بعض **القواعد الترجيحية المعتبرة** عند المفسرين ، منها :

- **توحيد مرجع الضمائر في السِّياق الواحد أولى من تفريقها .**
- **الأصل إعادة الضمير إلى أقرب مذكور ، ما لم يرد دليل بخلافه** [٢] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) ينظر : التفسير الكبير : ٢٢ / ١٠٤ .

(٢) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ٢ / ٦١٣ ، ٦٢١ .

قوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾ ﴾ . [آية : 113] .

مسألة : في معنى قوله تعالى : ﴿ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن معنى قوله تعالى : **﴿ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴾ تذكراً** ، فقال : ((﴿ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴾ أي : تذكراً . وقيل : شرفاً ، **وهو هنا بعيد**)) . اهـ [١] .

الدراسة :

اختلف أهل العلم والمفسرون في **معنى قوله تعالى : ﴿ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴾** على قولين :

القول الأول : معناه : **تذكراً** ، قاله الزَّجَّاج [٢] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٣] ، ووافقه جماعة المفسرين [٤] .

أي : يجدد لهم القرآن **عبرة وعظة** ؛ ولعل الوعيد يحدث لهم تذكر العذاب ؛ فيزجرهم عن المعاصي [٥] .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٢٠ .

(٢) ينظر معانيه : ٣ / ٣٨٠ .

(٣) ينظر : التسهيل : ٣ / ٢٠ .

(٤) منهم : الطبري ، والثعلبي ، والواحدي ، والسمعاني ، والبغوي ، وابن الجوزي ، والقرطبي ، والبيضاوي ، والنيسابوري ، و**استظهره** أبو حيان ، والبقاعي ، وابن عادل ، والجلالين ، وأبو السعود ، والشوكاني ، والقاسمي والآلوسي ، وسيد قطب ، وابن عاشور ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير الطبري : ١٦ / ٢١٩ ، الكشف والبيان : ٦ / ٢٦٢ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٧٠٦ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٣٥٧ ، تفسير البغوي : ٣ / ٢٣٢ زاد المسير : ٥ / ٣٢٥ ، تفسير القرطبي : ١١ / ٢٥٠ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ٧٢ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٥٧٣ ، البحر المحيط : ٦ / ٢٦١ ، نظم الدرر : ٥ / ٤٩ ، تفسير ابن عادل : ١٣ / ٣٩٧ ، تفسير الجلالين : ٤١٧ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ٤٤ ، فتح القدير : ٣ / ٣٨٩ ، تفسير القاسمي : ١١ / ١٩٦ ، روح المعاني : ١٦ / ٢٦٧ ، الظلال : ٤ / ٢٣٥٣ ، التحرير والتنوير : ١٦ / ٣١٤ ، الوسيط : ٩ / ١٥٦ . وينظر : كليات الكفوي ، فصل الذال : ٤٦٤ .

(٥) ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزَّجاج : ٣ / ٣٧٩ .

" ولهذه النكتة أسند التقوى إليهم ، والإحداث إلى القرآن " [١] .

وقال **قتادة : جدّاً وورعاً** [٢] . فالتذكر يعلي الهمم ؛ ويدفع لفعل الخير وتجنب الشر ، ولهذا قال غير واحد من المفسرين [٣] أيضاً : **طاعة وعبادة** .

وقالوا : لأن الذكر يطلق على العبادة [٤] .

❖ **وهي أقوال متقاربة** .

القول الثاني : معناه : **شرفاً بإيمانهم به** ، قاله السمر قندي [٥] . [٦]

واستدل له بالنظير القرآني :

قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ... ﴾ . [سورة الزخرف : ٤٤] .

✖ وتُعقِّب :

قال ابن جُزيّ : " وهو هنا بعيد " [٧] .

وقال **الآلوسي** : " ولا يخفى أن هذا ليس بشئ " [٨] .

---

(١) تفسير البيضاوي : ٤ / ٧٢ . وقال أبو حيان : " وأسند ترجي التقوى إليهم وترجي إحداث الذكر للقرآن لأن التقوى عبارة عن انتفاء فعل القبيح ، وذلك استمرار على العدم الأصلي فلم يسند للقرآن ، وأسند إحداث الذكر إلى القرآن لأنه أمر حدث بعد أن لم يكن ، والظاهر أن ﴿ أَوْ ﴾ هنا لأحد الشيئين . قيل : ﴿ أَوْ ﴾ كقولهم : جالس الحسن أو ابن سيرين ؛ أي : لا تكن خالياً منهما " . اهـ . ينظر : البحر المحيط : ٦ / ٢٦١ .

(٢) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣ / ١٩) . وعزاه السيوطي أيضاً في الدر (٥ / ٦٠١) إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم .

(٣) منهم : الزمخشري ، والخازن ، وابن كثير . ينظر : الكشاف : ٣ / ٩٠ ، تفسير الخازن : ٤ / ٢٨١ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ١٦٧ .

(٤) ينظر : الكشاف : ٣ / ٩٠ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ١٦٧ .

(٥) ينظر : تفسير السمر قندي : ٢ / ٤١٣ .

(٦) ذكر القولين من غير ترجيح : ابن عطية في المحرر الوجيز (٤ / ٦٥) ، وجوَّزهما النسفي . ينظر : تفسير النسفي : ٣ / ٦٩ .

(٧) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٢٠ .

(٨) روح المعاني : ١٦ / ٢٦٧ .

الترجيح:

يظهر لي – والله أعلم – **صحة القول الأول ، وأن الراجح أن معنى قوله تعالى : ﴿ أَوۡ تُحۡدِثُ لَهُمۡ ذِكۡرٗا ﴾ تذكراً ، وهو قريب من قول قتادة ؛ وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** ، إضافة لما تقدم ؛ ما يلي :

أولاً : دلالة السِّياق :

آية الزخرف في معرض الحديث عن القرآن ؛ قال تعالى قبلها : ﴿ فَٱسۡتَمۡسِكۡ بِٱلَّذِيٓ أُوحِيَ إِلَيۡكَ ... ﴾ . [سورة الزخرف : ٤٣] . والمعنى هنا أن القرآن شرف للنبي ﷺ ولقومه ، وكذا فسرها المفسرون ؛ أما في الآية التي معنا فهي تذكر أن القرآن قد أحدث لهم ذكراً ؛ وأن أمراً لم يكونوا يعلمونه قد حدث ؛ فالقرآن أحدث لهم التذكر والعظة والعبرة ؛ وأوجد فيهم الهمة العالية والورع ؛ فأصبحوا يقبلون على العبادة والطاعة ؛ فصدر الآية تحدث عن التقوى وهو ترك المعاصي ، وآخرها بالتذكر والجد وفعل الطاعات والقربات ؛ فالآية متضمنة لتخلية ثم تحلية [(١)] ، فهذا المعنى هو المفهوم من سياق الآية .

ثانياً : يؤيده **القاعدة الترجيحية** التالية :

- **تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم** [(٢)] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) ينظر : تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٥٧٣ ، روح المعاني : ١٦ / ٢٦٧ .

(٢) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٢٧١ .

قوله تعالى : ﴿ ... وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾ . [آية : ١١٤] .

مسألة : في معنى الآية :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن معنى الآية : إذا أقرأك جبريل القرآن فاستمع إليه ، واصبر حتى يفرغ وحينئذ تقرأه أنت ، فقال : ((﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُ ﴾ أي : إذا أقرأك جبريل القرآن فاستمع إليه ، واصبر حتى يفرغ وحينئذ تقرأه أنت ، فالآية كقوله : ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴾ [١] . وقيل : كان النبي ﷺ إذا أوحي إليه القرآن يأمر بكتبه في الحين ، فأمر بأن يتأنى حتى تفسر له المعاني ، **والأول أشهر**)) . اهـ [٢] .

الدراسة :

اختلف السَّلف والمفسرون في **معنى قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُ ﴾** على أقوال منها :

القول الأول : معنى الآية : **إذا أقرأك جبريل القرآن فاستمع إليه ، واصبر حتى يفرغ وحينئذ تقرأه أنت .**

قاله **ابن عباس** رضي الله عنه [٣] ، والسدي [٤] ، ومقاتل [٥] ، وذهب إليه الفَرَّاء [٦] .

---

(١) سورة القيامة : ١٦ .

(٢) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٢٠ .

(٣) ينظر : تنوير المقباس : ٢٦٧ . وعزاه السيوطي إلى ابن مردويه . ينظر : الدر المنثور : ٥ / ٦٠٢ .

(٤) عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم . ينظر : الدر المنثور : ٥ / ٦٠٢ . وذكر السيوطي في لباب النقول سبباً آخر في نزول الآية ؛ ثم قال : **وهذا أصحّ** . ينظر : لباب النقول للسيوطي : ١٤٧ .

(٥) ينظر تفسيره : ٢ / ٣٤٢ .

(٦) ينظر معانيه : 2 / ١٦٥ .

وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ [١] ، ووافقه **جمهور** [٢] المفسرين [٣] ، وهو **المشهور** [٤] .

واستدل له :

١. بالنظير القرآني : قوله ﷻ : ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴾ [٥] . [٦]

٢. بما أخرجه الشيخان عن ابن عَبَّاسٍ ﷺ في قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴾ قال : « كان رسولُ اللَّهِ ﷺ يُعَالِجُ من التَّنْزِيلِ شِدَّةً ، وكان مِمَّا يُحَرِّكُ شَفَتَيْهِ ؛ فقال ابن عَبَّاسٍ : فَأَنَا أُحَرِّكُهُمَا لَكُمْ كما كان رسول اللَّهِ ﷺ يُحَرِّكُهُمَا . وقال سَعِيدٌ : أنا أُحَرِّكُهُمَا كما رأيت ابن عَبَّاسٍ يُحَرِّكُهُمَا ؛ فَحَرَّكَ شَفَتَيْهِ ، فَأَنْزَلَ الله تَعَالَى : ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴾ [٧] . قال : جَمْعُهُ له في صَدْرِكَ وَتَقْرَأَهُ . ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴾ [٨] ، قال : فَاسْتَمِعْ له وَأَنْصِتْ . ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَه ﴾ [٩] ، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا أَنْ تَقْرَأَهُ ، فَكَانَ رسول اللَّهِ ﷺ

---

(١) ينظر : التسهيل : ٣ / ٢٠ .

(٢) نسبه الشوكاني إلى المفسرين . ينظر : فتح القدير : ٣ / ٣٨٩ .

(٣) منهم : السمر قندي ، وابن أبي زمنين ، والواحدي ، والسمعاني ، والبغوي ، والزمخشري ، وقدَّمه ابن الجوزي ، والقرطبي ، والبيضاوي ، والنسفي ، والخازن ، وأبو حيان ، وابن كثير ، والبقاعي ، والجلالين ، وأبو السعود ، والخطيب الشربيني ، والشوكاني ، والقاسمي ، والآلوسي ، والسعدي ، وسيد قطب ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي .
ينظر : تفسير السمر قندي : ٢ / ٤١٣ ، تفسير ابن أبي زمنين : ٣ / ١٣٠ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٧٠٦ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٣٥٨ ، تفسير البغوي : ٣ / ٢٣٢ ، الكشاف : ٣ / ٩٠ ، زاد المسير : ٥ / ٣٢٦ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ٧٢ ، تفسير النسفي : ٣ / ٦٩ ، تفسير الخازن : ٤ / ٢٨٢ ، البحر المحيط : ٦ / ٢٦١ تفسير ابن كثير : ٣ / ١٦٨ ، نظم الدرر : ٥ / ٤٩ ، ٥٠ ، تفسير الجلالين : ٤١٧ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ٤٤ ، السراج المنير : ٢ / ٥٣٧ ، فتح القدير : ٣ / ٣٨٩ ، تفسير القاسمي : ١١ / ١٩٦ ، روح المعاني : ١٦ / ٢٦٨ ، تفسير السعدي : ٥١٤ ، الظلال : ٤ / ٢٣٥٣ ، أضواء البيان : ٤ / ١٠٣ ، الوسيط : ٩ / ١٥٧ .

(٤) قال السمعاني وابن جُزيّ بذلك . ينظر : تفسير السمعاني : ٣ / ٣٥٨ ، التسهيل : ٣ / ٢٠ .

(٥) سورة القيامة : ١٦ .

(٦) ينظر : تفسير البغوي : ٣ / ٢٣٢ ، الكشاف : ٣ / ٩٠ ، التسهيل : ٣ / ٢٠ ، تفسير القاسمي : ١١ / ١٩٦ ، تفسير السعدي : ٥١٤ ، أضواء البيان : ٤ / ١٠٣ . وينظر : فتح الباري لابن حجر : ١ / ٣٠ ، عمدة القاري للعيني : ١ / ٧١ ، تحفة الأحوذي : ٩ / ١٧٤ .

(٧) سورة القيامة : ١٦ ، ١٧ .

(٨) سورة القيامة : ١٨ .

(٩) سورة القيامة : 19 .

بَعْدَ ذلك إذا أَتَاهُ جِبْرِيلُ اسْتَمَعَ ، فإذا انْطَلَقَ جِبْرِيلُ قَرَأَهُ النبي ﷺ كما قَرَأَهُ » [١] .

القول الثاني : معنى الآية : **كان النبي ﷺ إذا أوحي إليه القرآن يأمر بكتبه في الحين ، فأمر بأن يتأنى حتى تفسر له المعاني** ، روي عن ابن عباس رضي الله عنه [٢] أيضاً ، ومجاهد [٣] ، وقتادة [٤] [٤] وذهب إليه الزَّجَّاج [٥] ، وقاله الطبري [٦] من المفسرين . [٧]

✖ **وتعقَّبه الآلوسي** بقوله :

" وليس بذاك فان تبليغ المجمل وتلاوته قبل البيان مما لا ريب في صحته ومشروعيته . ومثله ما قيل : إنه نهى عن الأمر بكتابته قبل أن تفسر له المعاني وتتقرر عنده عليه السلام ؛ بل هو دونه بكثير " . اهـ [٨] .

❖ **وجمع الفخر الرازي بين القولين** فقال :

" قوله : ﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ ﴾ يحتمل أن يكون المراد لا تعجل بقراءته في نفسك ، ويحتمل أن لا تعجل في تأديته إلى غيرك ، ويحتمل في اعتقاد ظاهره ، ويحتمل في تعريف الغير ما يقتضيه ظاهره ، وأما قوله : ﴿ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ﴾ فيحتمل أن يكون المراد من قبل أن يقضى إليك تمامه ، ويحتمل أن يكون المراد من قبل أن يقضى إليك بيانه ،

---

(١) أخرجه البخاري – واللفظ له – في صحيحه في المقدمة ، باب كَيْفَ كان بَدْءُ الْوَحْيِ إلى رسول اللَّهِ ﷺ (٥) : ١ / ٦ ، وأخرج مسلم بنحوه في صحيحه في كتاب الصلاة ، بَاب الِاسْتِمَاعِ لِلْقِرَاءَةِ (٤٤٨) : ١ / ٣٣٠ .

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٦ / ٢٢٠) . وعزاه السيوطي أيضاً إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم . ينظر : الدر المنثور : ٥ / ٦٠٢ .

(٣) ينظر تفسيره : ١ / ٤٠٣ . وأخرجه ابن جرير في تفسيره (١٦ / ٢٢٠) ، ونسبه البغوي إليه ، وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم . ينظر : تفسير البغوي : ٣ / ٢٣٢ ، الدر المنثور : ٥ / ٦٠٢ .

(٤) أخرجه عبد الرزاق ، وابن الجعد ، وابن جرير . ينظر : تفسير الصنعاني : ٣ / ٢٠ ، مسند ابن الجعد لعلي بن الجعد بن عبيد (ت ٢٣٠ هـ) : ١٥٧ ، تفسير الطبري : ١٦ / ٢٢٠ . ونسب البغوي هذا القول لقتادة أيضاً ، وعزاه السيوطي أيضاً إلى عبد بن حميد . ينظر : تفسير البغوي : ٣ / ٢٣٢ ، الدر المنثور : ٥ / ٦٠٢ .

(٥) ينظر معانيه : ٣ / ٣٧٩ .

(٦) ينظر : تفسير الطبري : ١٦ / ٢١٩ .

(٧) ذكر القولين من غير ترجيح : الثعلبي ، والماوردي ، وابن عطية ، والعز بن عبد السلام ، والقرطبي ، والطاهر بن عاشور . ينظر : الكشف والبيان : ٦ / ٢٦٢ ، النكت والعيون : ٣ / ٤٢٩ ، المحرر الوجيز : ٤ / ٦٦ ، تفسير العز بن عبد السلام : ٢ / ٣١٤ ، تفسير القرطبي : ١١ / ٢٥٠ ، التحرير والتنوير : ١٦ / ٣١٧ .

(٨) روح المعاني : ١٦ / ٢٦٨ .

لأن هذين الأمرين لا يمكن تحصيلهما إلاَّ بالوحي ، ومعلوم أنه ﷺ لا ينهى عن قراءته لكي يحفظه ويؤديه ؛ فالمراد إذن أن لا يبعث نفسه ولا يبعث غيره عليه حتى يتبين بالوحي تمامه أو بيانه أو هما جميعاً ، لأنه يجب التوقف في معنى الكلام ما لم يأت عليه الفراغ لما يجوز أن يحصل عقيبه من استثناء أو شرط أو غيرهما من المخصصات فهذا هو التحقيق في تفسير الآية " . اهـ [١] .

وزاد النيسابوري : " ويؤكد هذه المعاني قوله : ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ لأن معرفة البيان علم زائد على معرفة الإجمال " . اهـ [٢] .

الترجيح:

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن المشهور أن معنى الآية : إذا أقرأك جبريل القرآن فاستمع إليه ، واصبر حتى يفرغ وحينئذ تقرأه أنت ؛ وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** ؛ إضافة لما تقدم ؛ ما يلي :

أولاً : المشهور من الروايات عن ابن عباس ﷺ ترجمان القرآن هذا المعنى ، وهو الأصحَّ كما ذكر السيوطي .

ثانياً : هذا المعنى هو ما أجمع عليه عامة المفسرين .

ثالثاً : هذا القول تؤيده **القواعد الترجيحية** التالية :

- **القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك .**
- **إذا ثبت الحديث ؛ وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه** [٣] .

.

---

(١) ينظر : التفسير الكبير : ٢٢ / ١٠٦ . ونقله النيسابوري أيضاً . ينظر : تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٥٧٤ .
(٢) تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٥٧٤ .
(٣) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٣١٢ ، ٢٠٦ .

والله تعالى أعلم بالصواب .

قوله تعالى : ﴿ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ ﴾ . [آية : ١١٧] .

مسألة : في سبب اختصاص آدم عليه السلام بقوله : ﴿ فَتَشْقَىٰٓ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن سبب اختصاص آدم عليه السلام بقوله ﴿ فَتَشْقَىٰٓ ﴾ لأنه كان المخاطب أولاً والمقصود بالكلام ، فقال : ((وخص آدم بقوله : ﴿ فَتَشْقَىٰٓ ﴾ لأنه كان المخاطب أولاً ، والمقصود بالكلام . وقيل : لأن الشقاء في معيشة الدنيا مختصٌّ بالرجال)) . اهـ [١] .

الدراسة :

اختلف المفسرون في **سبب اختصاص آدم عليه السلام بقوله ﴿ فَتَشْقَىٰٓ ﴾** على أقوال منها :

القول الأول : لم يقل : لتشقيا ؛ **مراعاة لرؤوس الآي** ، قاله العكبري [٢] .

القول الثاني : خص آدم عليه السلام بذلك القول **لأن الشقاء في معيشة الدنيا مختص بالرجال** قاله جماعة من المفسرين [٣] . [٤]

ويؤيده :

١. القرينة القرآنية : قوله تعالى : ﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴾ . [سورة طه : ١١٨ ، ١١٩] .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٢٠ .

(٢) ينظر : إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات للعكبري : ٢ / ١٢٨ .

(٣) منهم : الثعلبي ، والبغوي ، والنيسابوري ، والجلالين ، والشنقيطي . ينظر : الكشف والبيان : ٦ / ٢٦٣ ، تفسير البغوي : ٣ / ٢٣٣ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٥٧٧ ، تفسير الجلالين : ٤١٧ ، أضواء البيان : ٤ / ١٠٧ . **وصحَّح العكبري هذا المعنى أيضاً** حيث قال بعد أن ذكر القول الأول : "مع أن المعنى صحيح لأن آدم عليه السلام هو المكتسب وكان أكثر بكاء على الخطيئة منها " . اهـ . ينظر : إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات للعكبري : ٢ / ١٢٨ .

(٤) ذكر القولين الأولين من غير ترجيح : السمين الحلبي ، وابن عادل . ينظر : الدر المصون : ٥ / ٦٠ ، تفسير ابن عادل : ١٣ / ٤٠٤ .

" فإنه بيان وتذكير لما له في الجنة من أسباب الكفاية وأقطاب الكفاف التي هي الشبع والريّ والكسوة والسكن ؛ مستغنياً عن اكتسابها والسعي في تحصيل أغراض ما عسى ينقطع ويزول منها بذكر نقائضها ليطرق سمعه بأصناف الشقوة المحذر عنها " [١] .

٢. من الأثر :

- عن الحسن قال : عنى به شقاء الدنيا ، فلا تلقى ابن آدم إلا شقياً ناصباً [٢] .
- عن سعيد بن جبير قال : إن آدم عليه السلام لما أهبط إلى الأرض استقبله ثور أبلق فقيل له : اعمل عليه ، فجعل يمسح العرق عن جبينه ويقول : هذا ما وعدني ربي ﴿ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴾ ... [٣] .

القول الثالث : خص آدم عليه السلام و لم يقل : فتشقيا ؛ **لأن حواء تبعاً له** ، قاله **سفيان بن عيينة** . [٤]

واستدل له :

١. من الأثر :

عن **سفيان بن عيينة** قال : لم يقل فتشقيان ؛ لأنها دخلت معه ، فوقع المعنى عليهما جميعاً وعلى أولادهما [٥] .

٢. النظير القرآني :

- قوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ ... ﴾ . [سورة الطلاق : ١] .
- وقوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ۖ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١﴾ قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَـٰنِكُمْ ۚ ... ﴾ . [سورة التحريم : ١ ،

---

(١) تفسير البيضاوي : ٤ / ٧٤ . وينظر قبله : الكشاف : ٣ / ٩٢ ، ٩٣ . وينظر : أضواء البيان : ٤ / ١٠٧ .

(٢) عزاه السيوطي إلى ابن أبي شيبة ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم . ينظر : مصنف ابن أبي شيبة (٣٥٣١١) : ٧ / ١٩٨ ، الدر المنثور : ٥ / ٦٠٥ .

(٣) عزاه السيوطي في الدر (٥ / ٦٠٥) إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وأبو نعيم في الحلية ، وابن عساكر .

(٤) جوَّز النسفي الأقوال الثلاثة ؛ ينظر : تفسير النسفي : ٣ / ٧٠ .

(٥) عزاه السيوطي في الدر (٥ / ٦٠٥) إلى ابن أبي حاتم .

٢] . فدخل جميع المسلمين في المعنى معه ، وإنما كلم النبي ﷺ وحده [١] .

القول الرابع : خص آدم عليه السلام بذلك **لأنه كان المخاطب أولاً ، والمقصود بالكلام فاكتفى به** ، قاله الفَرَّاء [٢] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٣] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٤] . [٥]

واستدل له :

١. بالنظير القرآني :

قوله تعالى : ﴿ ... عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴾ [سورة ق : ١٧] . أي : قعيدان [٦] .

.

٢. دلالة السِّياق القرآني :

آدم عليه السلام كان المخاطب وحده من أول القصة . قال تعالى : ﴿ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ ١١٦ فَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوّٞ لَّكَ وَلِزَوۡجِكَ فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلۡجَنَّةِ فَتَشۡقَىٰٓ ﴾ . [سورة طه : ١١٦ ، ١١٧] .

الترجيح:

يظهر لي – والله أعلم – **عدم امتناع احتمال جميع الأقوال ؛ وأن آدم عليه السلام خُصَّ بقوله : ﴿ فَتَشۡقَىٰٓ ﴾ لأصالته في الأمور ، واستلزام سعادته لسعادتها وشقائه لشقائها ، مع ما فيه من مراعاة الفواصل** [٧] .

---

(١) ينظر : السراج المنير : ٢ / ٥٣٩ .

(٢) ينظر معانيه : 2 / ١٦٥ .

(٣) ينظر : التسهيل : ٣ / ٢٠ .

(٤) منهم : الطبري ، والنحاس ، وقدَّمه الماوردي ، وابن عطية ، وقدَّمه ابن الجوزي ، والقرطبي (وزاد : وأيضاً لما كان الكادّ عليها والكاسب لها كان بالشقاء أخص) ، والشوكاني . ينظر : تفسير الطبري : ١٦ / ٢٢٢ ، إعراب القرآن للنحاس : ٣ / ٥٨ ، النكت والعيون : ٣ / ٤٠٣ ، المحرر الوجيز : ٤ / ٦٧ ، زاد المسير : ٥ / ٣٢٩ ، تفسير القرطبي : ١١ / ٢٥٣ ، فتح القدير : ٣ / ٣٨٩ .

(٥) ذكر الخطيب الشربيني الأقوال جميعاً و لم يرجح ؛ ينظر : السراج المنير : ٢ / ٥٣٩ .

(٦) ينظر : تفسير الطبري : ١٦ / ٢٢٢ .

(٧) قال بذلك جماعة من المفسرين ؛ منهم : الزمخشري ، والفخر الرازي ، والبيضاوي ، وأبو حيان ، وأبو السعود ، ، والآلوسي ، والقاسمي ، والطاهر بن عاشور . ينظر : الكشاف : ٣ / ٩٢ ، التفسير الكبير : ٢٢ / ١٠٨ ،

والمرأة تبع لزوجها ، وشقاء الكد والعمل يتولاه الرجال أكثر من النساء ، وهو المكلف بأن يقدم لها ما تحتاجه من مطالب الحياة [١] **، ولأن الكلام من أول القصة مع آدم وحده والمرأة ذكرت فيما خوطب به آدم بدليل قوله : ﴿ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ ﴾** [٢] **فهي ذكرت فيما خوطب به آدم** [٣] ، يدل على ذلك ما يلي :

أولاً : جمع جماعة من المفسرين لجميع الأقوال أو معظمها كما بيَّنا آنفاً .

ثانياً : لكل قول أدلته سواء من النظائر القرآنية ، أو الأثر ، أو دلالة السِّياق ، أو القرينة القرآنية ، وأما مراعاة رؤوس الآي فنجدها متقررة في غير موضع من القرآن الكريم . **مثاله** :

في قصة موسى عليه السلام مع فرعون موضعين مثلاً في نفس الموضوع مع اختلاف رؤوس الآي مراعاة للفواصل ، أحدهما في سورة الأعراف والآخر في سورة طه وهما :

الموضع الأول : قوله تعالى : ﴿ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ **ٱلۡعَٰلَمِينَ** ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ **وَهَٰرُونَ** ﴿١٢٢﴾ قَالَ فِرۡعَوۡنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ ... فَسَوۡفَ **تَعۡلَمُونَ** ﴿١٢٣﴾ ﴾ [٤] .

الموضع الثاني : قوله تعالى : ﴿ ... وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيۡثُ **أَتَىٰ** ﴿٦٩﴾ فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ **وَمُوسَىٰ** ﴿٧٠﴾ قَالَ ءَامَنتُمۡ لَهُۥ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ ... وَلَتَعۡلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابٗا **وَأَبۡقَىٰ** ﴿٧١﴾ ﴾ [٥] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

تفسير البيضاوي : ٤ / ٧٤ ، البحر المحيط : ٦ / ٢٦٣ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ٤٥ ، روح المعاني : ١٦ / ٢٧١ ، تفسير القاسمي : ١١ / ١٩٨ ، التحرير والتنوير : ١٦ / ٣٢١ .

(١) وقد أخذ العلماء من هذه الآية أن **النفقة التي تجب للمرأة على زوجها هذه الأربعة** : الطعام ، والشراب والكسوة ، والمسكن ، فإذا أعطاها هذه الأربعة فقد خرج إليها من نفقتها ، فإن تفضل بعد ذلك فهو مأجور . ينظر : تفسير القرطبي : ١١ / ٢٥٣ .

(٢) سورة طه : ١١٧ .

(٣) ينظر : دفع إيهام الاضطراب عن آيات الخطاب للشنقيطي : ٥٨ .

(٤) سورة الأعراف : ١٢١ - ١٢٣ .

(٥) سورة طه : ٦٩ - ٧١ .

قوله تعالى : ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾ ﴾ . [آية : 129] .

مسألة : المراد بالأجل المسمَّى في الآية :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن المراد بالأجل المسمَّى يوم بدر ، فقال : ((والمراد بالأجل المسمَّى يوم بدر ، وبذلك ورد تفسيره في البخاري . وقيل : المراد به أجل الموت . وقيل : القيامة)) . اهـ [١] .

الدراسة :

﴿ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴾ معطوف على ﴿ كَلِمَةٌ ﴾ [٢] ، أو على الضمير المستتر في : ﴿ لَكَانَ ﴾ [٣] ، ومعنى الآية : ولولا العِدة بتأخير عذابهم وأجلٌ مسمَّى سبقت من ربك لكان العذاب ، أو لكان الأخذ العاجل والأجل المسمَّى لازمين لهم في الدنيا كما لزم القرون الماضية الكافرة ، واختلف المفسرون في **المراد بالأجل المسمَّى في الآية** على ثلاثة أقوال :

القول الأول : المراد بالأجل المسمَّى في الآية **يوم بدر** ، قاله السدي [٤] ، وذهب إليه الفَرَّاء [٥] ، وقدَّمه الماوردي ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٦] ، موافقاً ابن عطية [٧] من المفسرين .

واستدل له : بما **أخرجه الإمام البخاري** عن عبد اللَّهِ بن مسعود رضي الله عنه قال : « خَمْسٌ قد

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٢١ .

(٢) قال الفَرَّاء وابن قتيبة : في هذه الآية تقديم وتأخير . و **استظهر** أبو حيان العطف ، وقال : " وأخر المعطوف عن المعطوف عليه ، وفصل بينهما بجواب ﴿ وَلَوْلَا ﴾ لمراعاة الفواصل ورؤوس الآي " . اهـ . ينظر : معاني القرآن للفَرَّاء : ٢ / ١٥٩ ، البحر المحيط : ٦ / ٢٦٨ .

(٣) جوَّز الزَّمخشري هذا الوجه من الإعراب . ينظر : الكشاف : ٣ / ٩٦ .

(٤) عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم . ينظر : الدر المنثور : ٥ / ٦١٠ .

(٥) ينظر معانيه : 2 / ١٦٦ .

(٦) ينظر : النكت والعيون : ٣ / ٤٣٢ ، التسهيل : ٣ / ٢١ .

(٧) احتمل ابن عطية الأقوال الثلاثة جميعها ؛ ثم قال : " وكون اللزام يوم بدر أبلغ في آيات نبينا عليه السلام " . ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ٦٩ .

مَضَيْنَ : اللِّزَامُ ، وَالرُّومُ ، وَالْبَطْشَةُ ، وَالْقَمَرُ ، وَالدُّخَانُ » [١] .

وفي رواية النسائي عن ابن مسعود ﷺ أيضاً : « مضى اللِّزَامُ ، والبَطْشُ يوم بدر ، ومضى الدُّخَانُ ، وَالْقَمَرُ ، وَالرُّومُ » [٢] .

✖ **وتُعقِّب** :

" بأنه ينافي كون الكلمة هي العِدة بتأخير عذاب هذه الأمَّة .

✓ **وأجيب** :

بأن المراد من ذلك العذاب هو عذاب الاستئصال ، و لم يقع يوم بدر " [٣] .

القول الثاني : المراد بالأجل المسمَّى في الآية **يوم القيامة** ، قاله قتادة [٤] ، ومقاتل [٥] ، وجماعة من أهل اللغة [٦] ، وجماعة من المفسرين [٧] . [٨]

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب التفسير ، بَاب ﴿ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴾ (٤٥٤٨) : ٤ / ١٨٢٥ .

(٢) أخرجه النسائي في سننه الكبرى في كتاب التفسير ، بَاب قوله تعالى : ﴿ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴾ (١١٣٧٤) : ٦ / ٤٢٢ .

(٣) حكى الآلوسي التعقيب على هذا القول والإجابة عليه . ينظر : روح المعاني : ١٦ / ٢٨٠ .

(٤) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٦ / ٢٣٢) .

(٥) ينظر تفسيره : ٢ / ٣٤٥ .

(٦) منهم : الزَّجَّاج ، وابن سيده ، وابن منظور . ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج : ٣ / ٣٨٠ ، المحكم والمحيط الأعظم (مادة : أجل) : ٧ / ٤٨٨ ، لسان العرب (مادة : أجل) : ١١ / ١١ .

(٧) منهم : السمر قندي ، والثعلبي ، والواحدي ، والسمعاني ، والبغوي ، وابن الجوزي ، وقال الفخر الرازي (**وهو أقرب**) ، والقرطبي ، والنسفي ، والخازن ، والنيسابوري ، وابن عادل ، و **استحسن** الخطيب الشربيني قول الفخر الرازي (**وهو أقرب**) ، والطاهر بن عاشور . ينظر : تفسير السمر قندي : ٢ / ٤١٦ ، الكشف والبيان : ٦ / ٢٦٦ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٧٠٨ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٣٦٣ ، تفسير البغوي : ٣ / ٢٣٦ زاد المسير : ٥ / ٣٣٣ ، التفسير الكبير : ٢٢ / ١١٥ ، تفسير القرطبي : ١١ / ٢٦٠ ، تفسير النسفي : ٣ / ٧١ ، تفسير الخازن : ٤ / ٢٨٦ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٥٨١ ، تفسير ابن عادل : ١٣ / ٤٢١ ، السراج المنير : ٥ / ٣٢٧ ، التحرير والتنوير : ١٦ / ٣٣٧ .

(٨) قال بجواز القولين الأول والثاني : العز بن عبد السلام ، البيضاوي ، وأبو السعود ، والشوكاني . ينظر : تفسير العز بن عبد السلام : ٢ / ٣١٦ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ٧٦ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ٤٩ ، فتح القدير : ٣ / ٣٩٣ .

" لأن الله تعالى وعدهم بالعذاب ليوم القيامة " [١] .

واستدل له بالنظير القرآني :

- قوله تعالى : ﴿ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴾ . [سورة القمر : ٤٦] . [٢]
- وقوله تعالى : ﴿ قُلْ مَا يَعْبَؤُاْ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ۖ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴾ . [سورة الفرقان : ٧٧] . [٣]

القول الثالث : المراد بالأجل المسمَّى في الآية **أجل الموت** ، قاله مجاهد [٤] ، وذهب إليه الآلوسي [٥] ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي [٦] . [٧]

الترجيح:

يظهر لي – والله أعلم – **صحَّة القول الثاني ، وأن الرَّاجح أن المراد بالأجل المسمَّى في الآية يوم القيامة ، وهو قول جماعة من أهل اللغة وجماعة من المفسرين ؛ خلافاً لما ذهب إليه ابن جُزيّ ومن وافقه** ؛ يدل على ذلك إضافة لما تقدم ؛ ولما يلي :

أولاً : يظهر أنه شاع في عصر الصحابة تأويل اسم اللِّزام أنه عذاب توعد الله به مشركي قريش . وهذا ما أخرجه الإمام البخاري عن ابن مسعود ﷺ بأنه عذاب يوم بدر ؛ وكأنه يريد بذلك إبطال أن يكون اللِّزام مترقباً في آخر الدنيا ، وليس في القرآن ما يحوج إلى تأويل

---

(١) لسان العرب (مادة : أجل) : ١١ / ١١ .

(٢) ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزَّجاج : ٣ / ٣٨٠ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٣٦٣ ، التفسير الكبير : ٢٢ / ١١٥ .

(٣) ينظر : التحرير والتنوير : ١٦ / ٣٣٧ .

(٤) ينظر تفسيره : ١ / ٤٠٦ . وأخرجه ابن جرير في تفسيره (١٦ / ٢٣٢) ، وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر . ينظر : الدر المنثور : ٥ / ٦١٠ .

(٥) ينظر تفسيره : ١٦ / ٢٨٠ .

(٦) ينظر : الوسيط : ٩ / ١٦٧ .

(٧) جوَّز أبو حيان الأقوال الثلاثة . ينظر : البحر المحيط : ٦ / ٢٦٨ . وذكرها الثعالبي واستبعد أن يكون اللزام يوم بدر ، ولم يرجح بين القولين الآخرين . ينظر : تفسير الثعالبي : ٤ / ٧٣ .

اللِزام بهذا [١] .

ثانياً: ما أخرجه **الإمام البخاري** من تفسير ابن مسعود ﷺ ؛ وليس هو من تفسير النبي ﷺ [٢] .

ثالثاً: هذا القول هو قول جماعة المفسرين .

رابعاً: تأيد هذا القول بالنظائر القرآنية ، وهذا يؤيده **القاعدة الترجيحية** التالية :

- **القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك** [٣] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

(١) ينظر : التحرير والتنوير : ١٦ / ٣٣٧ .
(٢) ينظر : تفسير الثعالبي : ٤ / ٧٣ .
(٣) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٣١٢ .

سـورة الأنـبـياء

قوله تعالى : ﴿ ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ ۝١ ﴾ . [آية : ١] .

مسألة : في المراد بالناس هنا في الآية :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن المراد بالناس في قوله تعالى : ﴿ ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ ﴾ لفظ عام فقال : ((﴿ ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ ﴾ الناس لفظ عام . وقال ابن عباس : المراد هنا المشركون من قريش ؛ بدليل ما بعد ذلك ، لأنه من صفاتهم)) . اهـ [١] .

الدراسة :

اختلف أهل العلم والمفسرون في **المراد بالناس في قوله تعالى :** ﴿ ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ ﴾ على قولين :

القول الأول : الناس لفظ عام ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ [٢] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٣] .

قال **ابن عطية** : " عام في جميع الناس المعنى ؛ وإن كان المشار إليه في ذلك الوقت كفار قريش ؛ ويدل على ذلك ما بعد من الآيات " . اهـ [٤] .

القول الثاني : المراد **بالناس هنا المشركون من قريش** ، قاله ابن عباس رضي الله عنهما [٥] ، ومقاتل [٦]

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٢٢ .

(٢) ينظر : التسهيل : ٣ / ٢٢ .

(٣) منهم : الطبري ، وابن عطية ، والخازن ، وابن كثير ، والشوكاني ، والسعدي . ينظر : تفسير الطبري : ١٧ / ١ المحرر الوجيز : ٤ / ٧٣ ، تفسير الخازن : ٤ / ٢٨٨ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ١٧٣ ، فتح القدير : ٣ / ٣٩٧ ، تفسير السعدي : ٥١٨ .

(٤) المحرر الوجيز : ٤ / ٧٣ .

(٥) ينظر : تنوير المقباس : ٢٦٨ . وقال د . سامي الجهني في رسالته (تخريج الأحاديث والآثار في التسهيل : ٧٧٢) عن قول ابن عباس رضي الله عنهما هذا : لم أجده .

(٦) ينظر تفسيره : ٢ / ٣٥١ .

وجماعة من المفسرين [١] .

واستدل على ذلك بالقرينة القرآنية :

وهو ما يتلوه من صفات المشركين ، وهو قوله تعالى بعدها : ﴿ ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ ۝١ مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّن رَّبِّهِم مُّحۡدَثٍ إِلَّا ٱسۡتَمَعُوهُ وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ ۝٢ لَاهِيَةٗ قُلُوبُهُمۡ ... ﴾ . [سورة الأنبياء : ١ - ٣] .

قال **ابن عاشور** : " وأصل النظم : اقترب للناس الحساب . وإنما نظم التركيب على هذا النظم بأن قدم ما يدل على المضاف إليه وعُرِّف (الناس) تعريف الجنس ليحصل ضرب من الإبهام ثم يقع بعده التَّبيين ، ولِما في تقديم الجار والمجرور من الاهتمام بأن الاقتراب للناس ليعلم السامع أن المراد تهديد المشركين ؛ لأنهم الذين يُكنَّى عنهم بالناس كثيراً في القرآن ، وعند التقديم احتيج إلى تقدير مضاف فصار مثل : اقترب حساب للناس الحساب ، وحذف المضاف لدلالة مفسره عليه . ولما كان الحساب حساب الناس المذكورين جيء بضمير الناس ليعود إلى لفظ الناس فيحصل تأكيد آخر وهذا نمط بديع من نسج الكلام " . اهـ [٢] .

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – أن **الراجح أن المراد بـ (الناس) كل من له مدخل في الحساب وهم جميع المكلفين ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه ، وما روي عن ابن عباس ﷺ أن المراد بالناس المشركون فمن باب إطلاق اسم الجنس على بعضه للدليل القائم ؛ وهو ما يتلوه من صفات المشركين من الغفلة والإعراض وغيرهما ، فهذا لا ينافي كون (الناس) تعريفاً للجنس ، قال بذلك جماعة من المفسرين [٣] ، فيدخل في الجنس المشركون لأنهم المقصودون بالذكر بعد هذه الآية .**

---

(١) ومنهم : الماوردي ، والواحدي ، وابن الجوزي ، والقرطبي ، والنسفي ، والبيضاوي ، وأبو حيان ، والجلالين وأبو السعود ، والخطيب الشربيني ، والآلوسي ، والطاهر بن عاشور . ينظر : النكت والعيون : ٣ / ٤٣٥ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٧١٠ ، زاد المسير : ٥ / ٣٣٩ ، تفسير القرطبي : ١١ / ٢٦٧ ، تفسير النسفي : ٣ / ٧٣ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ٨١ ، البحر المحيط : ٦ / ٢٧٤ ، تفسير الجلالين : ٤٢٠ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ٥٣ ، السراج المنير : ٢ / ٥٤٨ ، روح المعاني : ١٧ / ٢ ، التحرير والتنوير : ١٧ / ٨ .

(٢) التحرير والتنوير : ١٧ / ٩ ، ١٠ .

(٣) منهم : الزمخشري ، والفخر الرازي ، والنيسابوري ، وابن عادل . ينظر : الكشاف : ٣ / ١٠٢ ، التفسير الكبير : ٢٢ / ١٢١ ، تفسير غرائب القرآن : ٥ / ٥ ، تفسير ابن عادل : ١٣ / ٤٤٢ .

✓ قال **السمر قندي** : " وهم كفار مكة ومن كان مثل حالهم " [١] .

✓ وقال **القاسمي** : " ﴿ ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ ﴾ أي دنا لأهل مكة ما وعدوا به من الحساب الأخروي وهو عذابهم ... ولا يخفى من عموم (الناس) من الترهيب البليغ . وإن حق الناس أن يتنبهوا لدنو الساعة ليتلافوا تفريطهم بالتوبة والندم " . اهـ [٢] .

✓ وحسَّنه **الآلوسي** حيث قال : " ووجه حسنه ههنا كون أولئك البعض هم الأكثرون ، وللأكثر حكم الكل شرعاً وعرفاً " . اهـ [٣] .

✓ وقال **محمَّد سيِّد طنطاوي** : " قال تعالى : ﴿ ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ ... ﴾ بلفظ العموم ، مع أن ما بعده من ألفاظ الغفلة والإعراض يشعر بأن المراد بهم الكافرون ، للتنبيه على أن الحساب سيشمل الجميع ، إلا أنه بالنسبة للكافرين سيكون حسابا عسيرا " . اهـ [٤] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) تفسير السمر قندي : ٢ / ٤١٩ . وينظر : نظم الدرر للبقاعي : ٥ / ٦٣ .
(٢) تفسير القاسمي : ١١ / ٢٢٨ ،
(٣) ينظر : روح المعاني : ١٧ / ٢ .
(٤) الوسيط : ٩ / ١٨٣ .

قوله تعالى : ﴿ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۗ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ۖ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ . [آية : ٣] .

مسألة : في إعراب قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن إعراب قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾ بدل من الضمير في قوله : ﴿ وَأَسَرُّواْ ﴾ ، فقال : ((الواو في ﴿ وَأَسَرُّواْ ﴾ ضمير فاعل يعود على ما قبله ، و ﴿ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾ بدل من الضمير . وقيل : إن الفاعل هو ﴿ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾ وجاء ذلك على لغة من قال : أكلوني البراغيث ، وهي لغة بني الحارث بن كعب . وقال سيبويه : لم تأت هذه اللغة في القرآن . ويحتمل أن يكون ﴿ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾ منصوباً بفعل مضمر على الذم أو خبر ابتداء مضمر ، **والأول أحسن**)) . اهـ [١] .

الدراسة :

جاء قوله تعالى : ﴿ ... وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ... ﴾ و لم يقل : (وأسر النجوى) والفعل متقدم ؛ فكيف جاء فعل (أسرَّ) متقدماً مجموعاً ؟ .. وقد **اختلف النحاة والمفسرون في إعراب قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾** على أوجه [٢] معروفة كما يلي :

✓ **أحدها : الرفع : وفيه أربعة أوجه :**

الوجه الأول : أن يكون ﴿ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾ بدل من الواو في ﴿ وَأَسَرُّواْ ﴾ بدل بعض من كل ، قاله سيبويه [٣] ، **وجوَّده** الزَّجَّاج [٤] ، وقاله مكي بن أبي طالب [٥] .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٢٢ .

(٢) ذكر أبو حيان والسمين الحلبي أن النحاة جوَّزوا فيها وجوهاً : الرفع ، والنصب ، والجر . ينظر : البحر المحيط : ٦ / ٢٧٥ ، الدر المصون : ٥ / ٧١ .

(٣) ينظر : كتاب سيبويه :٢ / ٤١ .

(٤) ينظر معانيه : ٣ / ٣٨٣ .

(٥) ينظر مشكله : ٢ / ٤٧٧ .

وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ [١] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٢] .

وذلك إشعارٌ بأنهم الموسومون بالظلم الفاحش فيما أسرّوا به [٣] .

وقال المُبَرِّد : " وهو كقولك : إن الذين في الدار انطلقوا بنو عبد الله . فـ (بنو) بدل من الواو في (انطلقوا) " [٤] .

الوجه الثاني : **أن يكون ﴿ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ﴾ فاعلاً** [٥] ، وإظهار ضمير الجمع والتثنية في الفعل إذا تقدم جائز ، على لغة من قال : أكلوني البراغيث [٦] ، ذهب إليه أبو عبيدة [٧] ، وجوَّزه الأخفش والعكبري [٨] ، و **حسَّنه** القرطبي وأبو حيان [١] ، وأجازه جماعة من

---

(١) ينظر : التسهيل : ٣ / ٢٢ .

(٢) منهم : الزمخشري (وقدَّمه) ، وابن الجوزي ، وقدَّمه الفخر الرازي والعكبري ، والقرطبي ، وقدَّمه البيضاوي ، والنسفي ، والنيسابوري (**وقال هو الأقوى**) ، والجلالين ، وقدَّمه أبو السعود ، وقدَّمه الآلوسي ، و **استظهره** الشنقيطي ، والطاهر بن عاشور . ينظر : الكشاف : ٣ / ١٠٢ ، زاد المسير : ٥ / ٣٤٠ ، التفسير الكبير : ٢٢ / ١٢٢ ، التبيان في إعراب القرآن للعكبري : ٢ / ٩١١ ، تفسير القرطبي : ١١ / ٢٨٦ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ٨٢ ، تفسير النسفي : ٣ / ٧٤ ، تفسير غرائب القرآن : ٥ / ٦ ، تفسير الجلالين : ٤٢٠ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ٥٤ ، روح المعاني : ١٧ / ٧ ، أضواء البيان : ٤ / ١٣٤ ، التحرير والتنوير : ١٧ / ١٣ .

(٣) ينظر : الكشاف : ٣ / ١٠٢ ، التفسير الكبير : ٢٢ / ١٢٢ .

(٤) لم أقف عليه في حدود ما اطلعت في كتبه ، ونسبه إليه البغوي والقرطبي . ينظر : تفسير القرطبي : ١١ / ٢٨٦ ، تفسير البغوي : ٣ / ٢٣٨ .

(٥) جاء عن قتادة يقول : أسروا الذين ظلموا النجوى . ينظر : الدر المنثور : ٥ / ٦١٦ .

(٦) مذهب جمهور العرب أنَّ الفعل إذا أُسندَ إلى ظاهر مثنى أو جمع وجب تجريده من علامة تدل على تثنيته أو جمعه . فيكون حكمه مع المثنى والجمع كحكمه مع المفرد . فيقولون : قام الرجلان . وقام المحمدون . وقامت النساء كما يقولون : قامَ الرجلُ . وقامَ محمدٌ . وقامت المرأة . قال ابن مالك في الألفية :

وجـــرد الفعل إذا ما أُسندا لاثنين أو جمعٍ كفازَ الشهدا

وهناك من العرب من يخالف الجمهور فيلحقون الفعل المسند إلى الظاهر المثنى أو الجمع علامة تدل على تـــثـــنية الفاعل أو جمعه ، فيجعلون علاقة الفعل بالفاعل من حيث العدد كعلاقته به من حيث التذكير و التأنيث . قال سيبويه : " و أعلم أن من العرب من يقول : ضربوني قومك ، وضربابي أخواك ، فشبهوا هذا بالتاء التي يظهرونها في : قالت ، فكأنّهم أرادوا أن يجعلوا للجمع علامة كما جعلوا للمؤنث علامة " . وقد أطلق النحاة على هذه اللغة (لغة أكلوني البراغيث) . ينظر : كتاب سيبويه : ٢ / ٤١ ، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك : ٢ / ٧٨ - ٨٠ .

(٧) ينظر مجازه : ٢ / ٣٤ .

(٨) ينظر : معاني القرآن للأخفش : ٢ / ٦٣٢ ، التبيان في إعراب القرآن للعكبري : ٢ / ٩١١ .

المفسرين [٢] .

قال أبو عبيدة عن لغة (أكلوني البراغيث) :

" قد تفعل العرب هذا فيُظهرون عدد القوم في فعلهم إذا بدؤوا بالفعل " [٣] .

✖ **وتعقَّب الأخفش الوجه الأول** مجيزاً لهذا الوجه قائلاً : " وقد تعسف بعض النحاة في تأويلها وردِّها للبدل ، وهو تكلف مستغنى عنه ؛ فإن تلك اللغة – أي لغة : أكلوني البراغيث – مشهورة ولها وجه من القياس واضح " . اهـ [٤] .

واستدل له :

١. **بالنظير القرآني : قوله تعالى** : ﴿ ... ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ ... ﴾ [٥] . [٦]

٢. **من السُّنة** : عن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال : « **يَتَعَاقَبُونَ** فِيكُمْ **مَلَائِكَةٌ** بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ ... » [٧] .

٣. **من كلام العرب** : قول الشاعر [٨] :

---

(١) ونسب أبو حيان هذه اللغة لأَزْدِ شَنُوءة . ينظر : تفسير القرطبي : ١١ / ٢٨٦ ، البحر المحيط : ٦ / ٢٧٥ . = = وحكاها البصريون عن طيء ، كما حكيت عن بني الحارث بن كعب .

(٢) منهم : الطبري ، والثعلبي ، والزمخشري ، وابن عطية ، والنسفي ، والنيسابوري ، وابن عادل ، والشوكاني . ينظر : تفسير الطبري : ١٧ / ٢ ، الكشف والبيان : ٦ / ٢٦٩ ، الكشاف : ٣ / ١٠٢ ، المحرر الوجيز : ٤ / ٧٤ ، تفسير النسفي : ٣ / ٧٤ ، تفسير غرائب القرآن : ٥ / ٥ ، ٦ ، تفسير ابن عادل : ١٣ / ٤٤٧ ، فتح القدير : ٣ / ٣٩٧ ، ٣٩٨ .

(٣) ينظر : مجاز القرآن : ٢ / ٣٤ .

(٤) لم أقف عليه في كتب الأخفش في حدود ما اطلعت ، ونقله أبو حيان وابن حجر عنه . ينظر : البحر المحيط : ٦ / ٢٧٥ ، فتح الباري (عند شرح حديث : « يتعاقبون فيكم ملائكة ... » : ٢ / ٣٤ .

(٥) سورة المائدة : ٧١ .

(٦) وهناك آية ثالثة انفرد بها الزمخشري في جواز حملها على هذه اللغة ، وهي قوله تعالى : ﴿ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴾ . [سورة مريم : ٣٣] . فقد جوَّز أن تكون (من) فاعلاً للفعل (يملكون) وان (الواو) علامة للفاعلين . ينظر : الكشاف : ٣ / ٤٥ .

(٧) جزء من حديث **سبق تخريجه** ص ١٣٧ ، أخرجه البخاري ومسلم ؛ وهو صحيح .

(٨) البيت لأحيحة بن الجلاح من شعراء الجاهلية لم يدرك الإسلام ، وكان قومه لاموه في ابتياعه النخيل . ينظر : محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء لأبي القاسم ، الحسين بن محمد بن المفضل الأصفهاني (ت ٥٠٢ هـ) : ٢ / ٦١٦ . وقد أورده جماعة من المفسرين عند تفسير الآية .

يَلُومُونَنِي فِي اشْتِرَاءِ النَّخيلِ أَهْلِي فَكُلُّهُمُ يَعْذِلُ

وقول لسان الدين ابن الخطيب [١] :

يَلُومُونَنِي فِي الحُبِّ قَوْمي جَهَالةً وَمَا كَانَ طَبْعاً فهَوْل لَيس يَحُولُ

والشاهد في البيتين : (يَلُومُونَنِي) حيث ألحق به واو الجمع مع إسناده إلى اسم ظاهر دالٍّ على الجمع وهو (أَهْلِي) في البيت الأول و (قَوْمي) في البيت الثاني – على لغة بني الحرث بن كعب – .

وضعَّف بعضهم هذه اللغة .

قال **سيبويه** [٢] : لغة (أكلوني البراغيث) ليست في القرآن .

وقال **الفخر الرازي** : " أكثر النحويين أنكروا هذا القول لاتفاق الأكثرين على أن قوله : (أكلوني البراغيث) وأمثالها **لغة ركيكة** ، والله أعلم " [٣] .

وقال **بعضهم** : إنَّ مذهب النحاة الذين منعوا حمل القرآن على (لغة أكلوني البراغيث) صحيح ، وذلك لأمرين :

- **أولهما** : أننا إذا وافقنا النحاة الذين يجيزون حمل القرآن على هذه اللغة لترتب على ذلك أمر آخر ، وهو أنَّ هذه اللغة تغدو لغة قياسية ، يجوز أن نتحدث بها شعراً ونثراً قياساً على ما ورد في القرآن ، لأنَّ النحاة مجمعون على صحة القياس على ما ورد فيه .

ووجود آية واحدة كافٍ للقياس عليها ، فكيف الأمر وقد وردت فيه أكثر من آية ظاهرها أنها محمولة على هذه اللغة أليس بكافٍ لجعلها لغة قياسية ؟

ولا أظن أحداً من الباحثين القدامى أو المحدثين قد أجاز جعل هذه اللغة لغة قياسية .

---

(١) ينظر ديوانه : ٥٢٢ .

(٢) ينظر : كتاب سيبويه : ٢ / ٤١ . ونسب هذا القول إلى سيبويه : ابن عطية والثعالبي وغيرهما إليه . ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ٧٤ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ٨٠ . ولم أقف عليه نصًّا كما قالوه في أي من كتبه – في حدود ما اطلعت – .

(٣) التفسير الكبير : ٨ / ١٦٣ .

- **والأمر الثاني** : هو أنَّ لحوق الفعل المسند للظاهر المتعدد علامة تدل على تعدد الفاعلين إنما يمثل مرحلة أولية من مراحل اللغة العربية [١] .

وعلى الرغم من ذهابنا إلى أن (لغة : أكلوني البراغيث) لغة قديمة ، وأن العربية الفصحى قد تخطتها في مراحلها المتطورة ؛ إلاَّ أن هذه اللغة قد بقي لها أثر في العربية وخاصة في لغة الشعر ، وذلك واضح في شواهد شعرية استدل بها النحاة على هذه اللغة .

وقد بقيت هذه اللغة شائعة في كثير من اللهجات العربية الحديثة ، كالقول مثلاً في لغة الخطاب في مصر : (ظلموني الناس) و (زارونا الجيران) .

وكذلك العراقيون فيقولون مثلاً : (ذهبوا الأولاد) و (حضروا الضيوف) ، وهذا مما يجعلنا نذهب إلى أنَّ كثيراً من اللهجات العامية له أصل في اللغة العربية الفصحى ؛ إما أصل عربي قديم . وإما أصل فصيح مستعمل [٢] .

الوجه الثالث : **أن يكون ﴿ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾ مرفوعاً بفعلٍ مقدرٍ** ؛ تقديره : يقولُ الذين ظلموا ﴿ هَلۡ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ... ﴾ ؛ قاله النحاس [٣] .

ويستدل له :

١. بالنظير القرآني :

قوله تعالى : ﴿ ... وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ۝٢٣ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم ... ﴾ .

[سورة الرعد : ٢٣ ، ٢٤] .

٢. القرينة القرآنية : قوله تعالى بعده : ﴿ هَلۡ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ ﴾ . فهذا الذي قالوه ، والمعنى : قالوا : هل هذا إلاَّ بشر مثلكم .

الوجه الرابع : **أن يكون ﴿ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾ خبر ابتداء مضمر .**

---

(١) ينظر : مجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلد (٢٤) ؛ بحث للدكتور سليم النعيمي بعنوان (نقد الكتب) : ٣٠٢ .

(٢) ينظر : مقالان ، الأول بعنوان : دراسات في اللغة والنحو ، للدكتور عدنان محمد ، والثاني : ظواهر لغوية من لهجة طيئ القديمة ، للدكتور رمضان عبد التواب ، خبير بلجنة اللهجات . بتصرف .

(٣) وذكر النحاس بأن هذا الوجه هو أحسن وجوه الإعراب . ينظر إعرابه : ٣ / ٦٤ .

✓ **الثاني : النصب : أن يكون ﴿ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾ منصوباً بفعل مضمر على الذم** ، جوَّزه الزَّجَّاج [١] .

✓ **الثالث : الجر : أن يكون ﴿ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾ مجروراً صفة للناس** ؛ بمعنى : اقترب للناس الذين ظلموا حسابهم ؛ أجازه الفرَّاء [٢] .

✗ **واستبعده السمين الحلبي** [٣] .

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **احتمال جميع وجوه الإعراب ، فلكل وجهٍ حجَّته** ، وقد ذكر وجوه الإعراب – جميعها أو بعضها – من غير أن يرجِّح جماعة من المفسرين ، منهم : الثعلبي ، والبغوي ، وأبو حيان ، والثعالبي ، وابن عادل ، والخطيب الشربيني ، والشوكاني ، والقاسمي [٤] .

✌ وإن **كان الأجود والأحسن هو الوجه الأول ؛ وهو أن يكون ﴿ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾ بدل من الواو في ﴿ وَأَسَرُّواْ ﴾** ، **وهو ما رجّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** ، ويدل على ذلك إضافة على ما تقدَّم ما يلي :

أولاً : ترجيح جماعة من المفسرين لهذا الوجه وتقديمه على سائر وجوه الإعراب الأخرى .

ثانياً : يتأيد هذا القول **بالقاعدة الترجيحية** التالية :

- **يجب حمل كتاب الله على الأوجه الإعرابية القوية والمشهورة** [٥] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) ينظر معانيه : ٣ / ٣٨٣ .
(٢) ينظر معانيه : ٢ / ١٧٠ .
(٣) ينظر : الدر المصون : ٥ / ٧٢ .
(٤) ينظر : الكشف والبيان : ٦ / ٢٦٩ ، تفسير البغوي : ٣ / ٢٣٨ ، البحر المحيط : ٦ / ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ٨٠ ، ٨١ ، تفسير ابن عادل : ١٣ / ٤٤٦ – ٤٤٨ ، السراج المنير : ٢ / ٥٤٨ ، فتح القدير : ٣ / ٣٩٧ ، ٣٩٨ ، تفسير القاسمي : ١١ / ٢٣٣ .
(٥) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ٢ / ٦٤٥ .

قوله تعالى : ﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾ ﴾ . [آية : ١١] .

مسألة : في تعيين القرية المذكورة في الآية :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أنه لا يراد قرية معينة ، فقال : ((﴿ مِنْ قَرْيَةٍ ﴾ يريد أهل القرية . وقال ابن عباس : هي قرية باليمن يقال لها : (حضور) ؛ بعث الله إليهم نبيا فقتلوه ، فسلط الله عليهم بختنصر ملك بابل فأهلكهم بالقتل . **وظاهر اللفظ أنه على العموم** ؛ لأن ﴿كَمْ﴾ للتكثير فلا يريد قرية معينة)) . اهـ [١] .

الدراسة :

اختلف المفسرون في **القرية المذكورة في الآية** على قولين :

القول الأول : لا يراد قرية معينة ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ [٢] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٣] .

واستدل له :

١. بأن ﴿كَمْ﴾ للتكثير [٤] .

٢. النظير القرآني :

وهذا المعنى المذكور هنا جاء مبيناً في مواضع كثيرة من كتاب الله .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٢٣ .

(٢) ينظر : التسهيل : ٣ / ٢٣ .

(٣) منهم : الزمخشري ، واحتمله ابن عطية ، والفخر الرازي ، والبيضاوي ، والنيسابوري ، وأبو حيان ، والبقاعي ، وابن عادل ، وأبو السعود ، والشوكاني ، والآلوسي ، والطاهر بن عاشور ، والشنقيطي . ينظر : الكشاف : ٣ / ١٠٦ ، المحرر الوجيز : ٤ / ٧٦ ، التفسير الكبير : ٢٢ / ١٢٦ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ٨٥ ، تفسير غرائب القرآن : ٥ / ٨ ، البحر المحيط : ٦ / ٢٧٨ ، نظم الدرر : ٥ / ٧١ ، تفسير ابن عادل : ١٣ / ٤٥٦ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ٥٩ ، فتح القدير : ٣ / ٤٠٠ ، روح المعاني : ١٧ / ١٥ ، التحرير والتنوير : ١٧ / ٢٤ ، أضواء البيان : ٤ / ١٣٧ .

(٤) ينظر : تفسير الطبري : ١٧ / ٧ ، التسهيل : ٣ / ٢٣ ، البحر المحيط لأبي حيان : ٦ / ٢٧٨ ، الدر المصون : ٥ / ٧٤ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ٥٩ ، فتح القدير للشوكاني : ٣ / ٤٠٠ ، التحرير والتنوير : ١٧ / ٢٤ .

- قوله تعالى : ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴾ . [سورة الإسراء : ١٧] .
- وقوله تعالى : ﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴾ . [سورة الحج : ٤٥] .
- وقوله تعالى : ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴾ . [سورة الطلاق : ٨ ، ٩] . إلى غير ذلك من الآيات [١] .

القول الثاني : هي قرية باليمن يقال لها : حَضُور [٢] ؛ بعث الله إليهم نبيا فقتلوه ، فسلط الله عليهم بختنصر ملك بابل فأهلكهم بالقتل ، قاله ابن عباس ﷺ [٣] ، وابن جريج [٤] ، ومقاتل [٥] ، وجماعة [٦] من المفسرين [٧] . [٨]

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن الرَّاجح أن ظاهر اللفظ في قوله تعالى : ﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ ﴾ يدل على العموم فلا يريد قرية معينة ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** ، يدل على ذلك إضافة لما تقدم ما يلي :

---

(١) ينظر : أضواء البيان : ٤ / ١٣٧ ، ١٣٨ .

(٢) أخرج عبد الرزاق في تفسيره (٣ / ٢٢) ، وعزا السيوطي في الدر (٥ / ٦١٨) إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر عن الكلبي ﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ ﴾ قال : هي حصون بني أزد . وجاء في رواية عن ابن عباس ﷺ : أن الآية نزلت في حضور وسحول ؛ قريتين باليمن تنسب إليهما الثياب . ينظر : الكشاف : ٣ / ١٠٦ .
وحَضُور هي : – بالفتح ثم الضم وسكون الواو – وراء بلدة باليمن من أعمال زبيد ، سميت بحضور بن عدي بن مالك بن زيد بن سدد بن حمير بن سبأ . ينظر : معجم البلدان للحموي : ٢ / ٢٧٢ .

(٣) نسبه السيوطي إلى ابن مردويه . ينظر : الدر المنثور : ٥ / ٦١٨ .

(٤) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٧ / ٧) .

(٥) ينظر تفسيره : ٢ / ٣٥٣ .

(٦) قال القرطبي : " وقال أهل التفسير والأخبار : إنه أراد أهل حضور " . ينظر : تفسير القرطبي : ١١ / ٢٧٤ ، وينظر : فتح القدير للشوكاني : ٣ / ٤٠١ .

(٧) منهم : السمر قندي و لم يذكر غير قول ابن عباس ﷺ ، والثعلبي ، والواحدي ، والقرطبي . ينظر : تفسير السمر قندي : ٢ / ٤٢١ ، الكشف والبيان : ٦ / ٢٧١ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٧١٢ ، تفسير القرطبي : ١١ / ٢٧٤ . وقاله السهيلي في الروض الأنف (١ / ٣٤) .

(٨) احتمل الثعالبي القولين . ينظر : تفسير الثعالبي : ٤ / ٨٢ .

أولاً : دلالة السِّياق القرآني :

ظاهر الآية في هذا السِّياق ونظائره يدل على الكثرة والعموم [١] ، ولعل ابن عباس ﷺ أراد أن قرية (حضور) إحدى القرى التي شملتها هذه الآية ، فهذه الرواية وغيرها محمولة على سبيل التمثيل لا التعيين في القرية [٢] .

ثانياً : لم يتعرض لاسم القرية جماعة من المفسرين [٣] ؛ وفي ذلك دلالة على أن المراد ليس قرية بعينها .

ثالثاً : ما الدليل على الحصر في القرية – أو القريتين كما ذكر في بعض الروايات – التي ذكرها ابن عباس ﷺ ؟ قال بذلك **ابن عادل** [٤] .

رابعاً : يؤيد ذلك **القواعد الترجيحية** التالية :

- **القول الذي تؤيده قرائن في السِّياق مرجح على ما خالفه .**
- **القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك** [٥] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) ينظر : الكشاف للزمخشري : ٣ / ١٠٦ ، التفسير الكبير للفخر الرازي : ٢٢ / ١٢٦ ، التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٢٣ ، نظم الدرر للبقاعي : ٥ / ٧١ ، روح المعاني للآلوسي : ١٧ / ١٥ .

(٢) ينظر : الكشاف : ٣ / ١٠٦ ، التفسير الكبير : ٢٢ / ١٢٦ ، تفسير غرائب القرآن للنيسابوري : ٥ / ٨ ، البحر المحيط لأبي حيان : ٦ / ٢٧٨ ، روح المعاني : ١٧ / ١٥ ، التحرير والتنوير : ١٧ / ٢٤ .

(٣) منهم : ابن أبي زمنين ، والسمعاني ، والبغوي ، وابن الجوزي ، والنسفي ، والسعدي ، والجلالين . ينظر : تفسير ابن أبي زمنين : ٣ / ١٤٢ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٣٧٠ ، تفسير البغوي : ٣ / ٢٤٠ ، زاد المسير : ٥ / ٣٤٢ ، تفسير النسفي : ٣ / ٧٥ ، تفسير السعدي : ٥٢٠ ، تفسير الجلالين : ٤٢١ .

(٤) تفسير ابن عادل : ١٣ / ٤٥٦ .

(٥) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٢٩٩ ، ٣١٢ .

قوله تعالى : ﴿ لَوۡ أَرَدۡنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهۡوٗا لَّٱتَّخَذۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ . [آية : ١٧] .

في الآية مسألتان :

المسألة الأولى : في معنى ﴿ لَهۡوٗا ﴾ في الآية :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن اللهو هنا في هذه الآية بمعنى اللعب ، فقال : ((اللهو في لغة اليمن : الولد . وقيل : المرأة . و ﴿ مِن لَّدُنَّآ ﴾ أي : من الملائكة ، فالمعنى على هذا : لو أردنا أن نتخذ ولدا لاتخذناه من الملائكة لا من بني آدم ؛ فهو ردٌّ على من قال : إن المسيح ابن الله وعزير ابن الله ، **والظاهر أن اللهو بمعنى اللعب ؛ لاتصاله بقوله** : ﴿ ... لَٰعِبِينَ ﴾ [1] . وقال الزمخشري : المعنى على هذا : لو أردنا أن نتخذ لهوا لكان ذلك في قدرتنا ، ولكن ذلك لا يليق بنا ؛ لأنه مناقض للحكمة ، **وفي كلا القولين نظر**)) . اهـ [2] .

الدراسة :

أصل اللهو في اللغة [3] : قال ابن فارس : " اللام والهاء والحرف المعتل أصلان صحيحان ، أحدهما : يدل على شغل عن شيء بشيء ، والآخر : على نبذ شيء من اليد " اهـ .

والأوَّل هو المراد هنا ؛ فاللهو هو كل شيء شغلك عن شيء فيكون قد ألهاك . واللهو : اللعب .

وترتب على الاختلاف في **معنى ﴿ لَهۡوٗا ﴾** هنا في هذه الآية اختلاف المفسرين في **معنى الآية** وحاصل اختلافهم في معنى اللهو ها هنا يرجع إلى ثلاثة أقوال :

---

(١) سورة الأنبياء : ١٦ .

(٢) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٢٤ .

(٣) ينظر (مادة : لهو) في : العين للخليل بن أحمد : ٤ / ٨٧ ، معجم مقاييس اللغة : ٥ / ٢١٣ ، لسان العرب : ١٥ / ١٥٨ ، ٢٥٩ ، تاج العروس : ٣٩ / ٤٩٧ .

القول الأول : اللهو هنا الولد ، قاله ابن عباس ﷺ في رواية الكلبي [١] ، وهو قول السدي [٢] ، وعكرمة [٣] ، وذهب إليه مقاتل [٤] .

القول الثاني : اللهو هنا المرأة ، وهي لغة أهل اليمن ، قاله ابن عباس ﷺ أيضاً في رواية [٥] وهو قول الحسن [٦] ، وقتادة [٧] ، ومجاهد [٨] ، وجماعة من أهل اللغة [٩] ، **واستظهره** السمعاني وابن عادل [١٠] من المفسرين .

قالوا : " لأن الوطأ يسمى لهواً في اللغة ، والمرأة محل الوطأ " [١١] .

واستدلوا من كلام العرب : بقول **امرئ القيس** :

أَلاَ زَعَمَتْ بَسْبَاسَةُ اليَوْمَ أَنَّني كَبِرتُ وَأَلاَّ يُحْسِنُ اللَّهْوَ أَمْثَالِي [١٢]

وقد جمع جماعة من المفسرين [١٣] بين القولين ، فقالوا : (لهوا) : ولداً وامرأة .

---

(١) نسبه الآلوسي إليه . ينظر : روح المعاني : ١٧ / ١٨ .

(٢) عزاه السيوطي في الدر (٥ / ٦٢٠) إلى ابن أبي حاتم .

(٣) عزاه السيوطي في الدر (٥ / ٦١٩) إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم .

(٤) ينظر تفسيره : ٢ / ٣٥٤ .

(٥) نسبه إليه الفراء ، والبغوي . ينظر : معاني القرآن للفرّاء: ٢ / ١٧١ ، تفسير البغوي : ٣ / ٢٤١ .

(٦) أخرجه ابن جرير ، وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم . ينظر : تفسير الطبري : ١٧ / ١٠ ، الدر المنثور : ٥ / ٦٢٠ .

(٧) أخرجه عبد الرزاق ، وابن جرير . وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم . ينظر : تفسير الصنعاني : ٣ / ٢٢ ، تفسير الطبري : ١٧ / ١٠ ، الدر المنثور : ٥ / ٦٢٠ .

(٨) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٧ / ١٠) .

(٩) منهم : ابن سيده ، وابن منظور ، وأبو البقاء . ينظر (مادة : لهو) في : المحكم والمحيط الأعظم : ٤ / ٤٢٣ ، لسان العرب : ١٥ / ٢٥٩ ، الكليات : ٨٠١ .

(١٠) ينظر : تفسير السمعاني : ٣ / ٣٧٢ ، تفسير ابن عادل : ١٣ / ٤٦٠ .

(١١) تفسير السمعاني : ٣ / ٣٧٢ . وينظر : تفسير ابن عادل : ١٣ / ٤٦٠ .

(١٢) نسبه إليه القرشي . ينظر : جمهرة أشعار العرب للقرشي :١٣ .

وامرؤ القيس هو : امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي ، من بني آكل المرار : أشهر شعراء العرب على الإطلاق ، يماني الأصل ، اشتهر بلقبه ، واختلف المؤرخون في اسمه ، فقيل : حندج ، وقيل : مليكة ، وقيل : عدي . وكان أبوه ملك أسد وغطفان ، وأمه أخت المهلهل الشاعر ، فلقنه المهلهل الشعر ، فقاله وهو غلام ، ت سنة ٨٠ قبل الهجرة . ينظر : طبقات فحول الشعراء : ١ / ٥١ ، الأغاني : ٩ / ٩٣ ، بغية الطلب في تاريخ حلب لكمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جرادة (ت ٦٦٠ هـ) : ٤ / ١٩٩١ .

(١٣) منهم : الطبري ، والنحاس ، والماوردي ، والواحدي ، وابن الجوزي ، والعز بن عبد السلام ، والنسفي =

ويكون معنى الآية على هذا : لو أردنا لاتخذنا نساءً أو ولداً من أهل السماء لا من أهل الأرض .

ويكون ظاهر هذه الآية ردٌّ على من قال : المسيح ابن الله ، وعزير ابن الله – تعالى الله عما يقولون علوا كبيراً – [١] .

قال **الرَّاغب** : " ومن قال : أراد باللهو المرأة والولد فتخصيص لبعض ما هو من زينة الحياة الدنيا التي جعل لهواً ولعباً " [٢] .

وقال **ابن تيمية** : " والذين فسروا اللهو بالولد والزوجة قالوا : ذلك لأن من المشركين من جعل لله ولدا وصاحبة ، وقالوا إنه ضاهى الحق ، وهم يسمون المرأة لهوا والولد لهواً ، وقال ابن قتيبة [٣] : أصل اللهو الجماع ، وكنى عنه باللهو " . اهـ [٤] .

القول الثالث : اللهو بمعنى اللعب [٥] ، روي عن ابن عباس [٦] ﷺ أيضاً ، **وهو ما رجَّحه**

= وابن كثير ، والجلالين . ينظر : تفسير الطبري : ١٧ / ١٠ ، إعراب القرآن للنحاس : ٣ / ٦٧ ، النكت والعيون : ٣ / ٤٤٠ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٧١٣ ، تذكرة الأريب في تفسير الغريب لابن الجوزي : ١ / ٣٤٥ ، تفسير العز بن عبد السلام : ٢ / ٣٢٠ ، تفسير النسفي : ٣ / ٧٦ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ١٧٦ ، تفسير الجلالين : ٤٢١ .

(١) ينظر : تفسير مقاتل : ٢ / ٣٥٤ ، الكشف والبيان للثعلبي : ٦ / ٢٧٢ ، المحرر الوجيز لابن عطية : ٤ / ٧٧ تفسير ابن كثير : ٣ / ١٧٦ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ٨٣ .

(٢) مفردات الرَّاغب (مادة : لهو) : ٤٥٥ .

(٣) عزاه السمر قندي وابن الجوزي وابن تيمية لابن قتيبة . ينظر : تفسير السمر قندي : ٢ / ٤٢٢ ، زاد المسير : ٥ / ٣٤٤ ، جامع الرسائل لابن تيمية : ١ / ٢١ . وينظر : تاج العروس (مادة : لهو) : ٣٩ / ٥٠١ ، ٥٠٢ . – ولم أقف عليه في كتبه في حدود ما اطلعت – .

(٤) جامع الرسائل لابن تيمية : ١ / ٢١ .

(٥) قال أبو هلال ، الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري في كتابه (الفرق بين المعاني : ٢٧٩) : " الفرق بين اللهو واللعب : أنه لا لهو إلا لعب وقد يكون لعب ليس بلهو ؛ لأن اللعب يكون للتأديب كاللعب بالشطرنج وغيره ، ولا يقال لذلك لهو وإنما لعب لا يعقب نفعًا ، وسمِّي لهواً لأنه يشغل عما يعني ؛ من قولهم : ألهاني الشيء أي شغلني ، ومنه قوله تعالى : (ألهاكم التكاثر) " . اهـ . وقال الكفوي في كلياته (٧٩٩) : " اللهو : صرف الهم بما لا يحسن أن يصرف به ، واللعب : طلب الفرح بما لا يحسن أن يطلب به . وقيل : اللهو الاستمتاع بلذات الدنيا ، واللعب : العبث . وقيل : اللهو : الميل عن الجد إلى الهزل ، واللعب : ترك ما ينفع بما لا ينفع . وقيل : اللهو : الإعراض عن الحق ، واللعب : الإقبال على الباطل " . اهـ .

(٦) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر . ينظر : الدر المنثور : ٥ / ٦٢٠ .

ابن جُزيّ [١] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٢] .

ويكون معنى الآية على هذا : لو أردنا أن نتخذ لهوا لكان ذلك في قدرتنا ، ولكن ذلك لا يليق بنا ؛ لأنه مناقض للحكمة ، قاله الزمخشري [٣] ، وجماعة من المفسرين [٤] .

✖ وقد **اعترض ابن جُزيّ** على المعنيين – المعنى على القول الأول والثاني ، والمعنى الذي ذكره الزمخشري على القول الثالث – ، وقال : " وفي كلا القولين نظر " [٥] .

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن ﴿ لَهْوًا ﴾ بمعنى اللعب ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه ، ومعنى الآية كما قال سيد قطب** : " ولو أراد الله سبحانه أن يتخذ لهواً لاتخذه من لدنه ؛ لهواً ذاتياً لا يتعلق بشيء من مخلوقاته الحادثة الفانية .

وهو مجرد فرض جدلي : ﴿ لَوۡ أَرَدۡنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهۡوٗا لَّٱتَّخَذۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ ... ﴾ و ﴿ لَوۡ ﴾ – كما يقول النحاة – حرف امتناع لامتناع ؛ تفيد امتناع وقوع فعل الجواب لامتناع وقوع فعل الشرط فالله سبحانه لم يرد أن يتخذ لهواً فلم يكن هناك لهو ؛ لا من لدنه ولا من شيء خارج عنه " [٦] ، يدل على ذلك إضافة لما تقدم ؛ ولما يلي :

أولاً : القرينة القرآنية : قوله تعالى قبل الآية التي معنا : ﴿ وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴾ . [سورة الأنبياء : ١٦] . [٧]

---

(١) ينظر : التسهيل : ٣ / ٢٤ .

(٢) منهم : الزمخشري ، والبيضاوي ، و أبو السعود ، والخطيب الشربيني ، والقاسمي ، و **استظهره** الآلوسي ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : الكشاف : ٣ / ١٠٧ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ٨٦ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ٦٠ السراج المنير : ٢ / ٥٥٣ ، تفسير القاسمي : ١١ / ٢٣٩ ، روح المعاني : ١٧ / ١٨ ، الظلال : ٤ / ٢٣٧١ ، الوسيط : ٩ / ١٩٤ .

(٣) ينظر : الكشاف : ٣ / ١٠٧ .

(٤) منهم : الفخر الرازي ، والبيضاوي ، والنيسابوري ، والبقاعي . ينظر : التفسير الكبير : ٢٢ / ١٢٧ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ٨٦ ، تفسير غرائب القرآن : ٥ / ٩ ، نظم الدرر : ٥ / ٧٣ .

(٥) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٢٤ .

(٦) الظلال : ٤ / ٢٣٧١ . وينظر : الوسيط لمحمَّد سيِّد طنطاوي : ٩ / ١٩٤ . وينظر قبله : تفسير القاسمي : ١١ / ٢٣٩ .

(٧) ينظر : التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٢٤ ، روح المعاني : ١٧ / ١٨ .

ثانياً : " إن نفي الولد سيجيء مصرحاً إن شاء الله تعالى [١] ، ويعلم من ذلك أن كون المراد الرد على النصارى وأضرابهم غير مناسب هنا " [٢] .

ثالثاً : يتأيد هذا القول **بالقاعدة الترجيحية** التالية :

- **القول الذي تؤيده قرائن في السِّياق مرجح على ما خالفه** [٣] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

المسألة الثانية : في نوع ﴿ إِن ﴾ في قوله تعالى : ﴿ إِن كُنَّا فَعِلِينَ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن **﴿ إِن ﴾ هنا شرطية وجوابها فيما قبلها** ، فقال : ((﴿ إِن كُنَّا فَعِلِينَ ﴾ يحتمل أن تكون ﴿ إِن ﴾ شرطية وجوابها فيما قبلها ، أو نافية ، **والأول أظهر**)) . اهـ [٤] .

الدراسة :

اختلف المفسرون في **نوع ﴿ إِن ﴾ في قوله تعالى : ﴿ إِن كُنَّا فَعِلِينَ ﴾** على قولين :

القول الأول : ﴿ إِن ﴾ شرطية وجواب الشرط محذوف لدلالة جواب ﴿ لَوْ ﴾ عليه ، والتقدير : إن كنا فاعلين اتخذناه ولكنا لم نفعله ، لأنه لا يليق بالربوبية ، **وهو ما رجَّحه ابن**

---

(١) وذلك في قوله تعالى في سورة الأنبياء نفسها : ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَـٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ﴾ . [سورة الأنبياء : ٢٦] .

(٢) روح المعاني : ١٧ / ١٨ .

(٣) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٢٩٩ .

(٤) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٢٤ .

جُزيّ [١] ، وهو قول النحويين [٢] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٣] .

واستدل له بدلالة السِّياق القرآني :

قال الآلوسي :

" الظاهر من السِّياق أن ﴿ إن ﴾ شرطية ؛ والجواب محذوف ثقة بدلالة ما قبل عليه ، أي : إن كنا فاعلين لاتخذناه من لدنا " . اهـ [٤] .

القول الثاني : ﴿ إن ﴾ نافية ، أي : **ما كنا فاعلين** ، قاله مجاهد [٥] ، وقتادة [٦] ، وجماعة من السَّلف [٧] ، ومقاتل [٨] ، وجمهور [٩] المفسرين [١٠] .

واستدل له بالنظير القرآني :

قوله تعالى : ﴿ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴾ . [سورة فاطر : ٢٣] . أي : ما أنت إلاَّ نذير [١١] .

---

(١) ينظر : التسهيل : ٣ / ٢٤ .

(٢) نسبه ابن الجوزي إلى النحويين . ينظر : زاد المسير : ٥ / ٣٤٤ .

(٣) منهم : البيضاوي ، والنسفي ، **واستظهره** أبو حيان ، والبقاعي ، والجلالين ، وأبو السعود ، والخطيب الشربيني ، والقاسمي ، والآلوسي . ينظر : تفسير البيضاوي : ٤ / ٨٦ ، تفسير النسفي : ٣ / ٧٦ ، البحر المحيط : ٦ / ٢٨٠ ، نظم الدرر : ٥ / ٧٣ ، تفسير الجلالين : ٤٢١ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ٦٠ ، السراج المنير : ٢ / ٥٥٣ ، تفسير القاسمي : ١١ / ٢٣٩ ، روح المعاني : ١٧ / ١٩ .

(٤) روح المعاني : ١٧ / ١٩ . وينظر قبله : البحر المحيط : ٦ / ٢٨٠ .

(٥) عزاه السيوطي في الدر (٥ / ٦٢٠) إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم .

(٦) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣ / ٢٢) ، وابن جرير في تفسيره (١٧ / ١٠) .

(٧) نسبه ابن كثير إلى السدي ، وإبراهيم النخعي ، ومغيرة بن مقسم أيضاً . ينظر : تفسير ابن كثير : ٣ / ١٧٦ .

(٨) ينظر تفسيره : ٢ / ٣٥٤ .

(٩) نسبه الزَّجَّاج ، وابن الجوزي ، والشوكاني نقلاً عن الواحدي إلى المفسرين . ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزَّجاج : ٣ / ٣٨٧ ، زاد المسير : ٥ / ٣٤٤ ، فتح القدير : ٣ / ٤٠١ .

(١٠) منهم : الطبري ، وابن أبي زمنين ، والثعلبي ، والواحدي ، والسمعاني ، وقدَّمه ابن الجوزي ، والقرطبي ، والخازن ونسب ابن كثير هذا القول لجماعة من السلف ، وسيد قطب ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير ابن أبي زمنين : ٣ / ١٤٢ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٧١٣ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٣٧٢ ، زاد المسير : ٥ / ٣٤٤ ، تفسير القرطبي : ١١ / ٢٧٦ ، تفسير الخازن : ٤ / ٢٩٠ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ١٧٦ ، الظلال : ٤ / ٢٣٧١ ، الوسيط : ٩ / ١٩٤ .

(١١) ينظر : معاني القرآن للفرَّاء : ٢ / ١٧١ ، تفسير القرطبي : ١١ / ٢٧٦ .

❖ **وجوَّز جماعة من النحويين [١] والمفسرين [٢] الوجهين .**

قال **الطاهر بن عاشور** :

" وجملة : ﴿ إِن كُنَّا فَـٰعِلِينَ ﴾ إن جعلت ﴿ إِن ﴾ شرطية فارتباطها بالتي قبلها ارتباط الشرط بجزائه المحذوف الدال عليه جواب ﴿ لَوْ ﴾ ، وهو جملة ﴿ لَّٱتَّخَذْنَـٰهُ ﴾ فيكون تكريراً للتلازم ؛ وإن جعلت ﴿ إِن ﴾ حرف نفي كانت الجملة مستأنفة لتقرير الامتناع المستفاد من ﴿ لَوْ ﴾ ، أي : ما كنا فاعلين لهواً " . اهـ [٣] .

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن ﴿ إِن ﴾ في قوله تعالى : ﴿ إِن كُنَّا فَـٰعِلِينَ ﴾ تحتمل الوجهين ، وكونها شرطية أظهر ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** .

قال **الفرَّاء** : " وهو أشبه الوجهين بمذهب العربية " [٤] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) منهم : الزَّجَّاج ، والفرَّاء ، والسمين الحلبي . ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزَّجاج : ٣ / ٣٨٧ ، معاني القرآن للفرَّاء : ٢ / ١٧١ ، الدر المصون : ٥ / ٧٥ .

(٢) منهم : السمر قندي ، والماوردي ، والبغوي ، وابن عطية ، والعز بن عبد السلام ، والثعالبي ، وابن عادل ، والطاهر بن عاشور . ينظر : تفسير السمر قندي : ٢ / ٤٢٢ ، النكت والعيون : ٣ / ٤٤٠ ، تفسير البغوي : ٣ / ٢٤١ ، المحرر الوجيز : ٤ / ٧٧ ، تفسير العز بن عبد السلام : ٢ / ٣٢٠ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ٨٣ ، تفسير ابن عادل : ١٣ /٤٦٠ ، التحرير والتنوير : ١٧ / ٢٨٠ .

(٣) التحرير والتنوير : ١٧ /٢٨٠ .

(٤) معاني القرآن للفرَّاء : ٢ / ١٧١ .

قوله تعالى : ﴿ ... كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ . [آية : ٣٣] .

مسألة : في صفة الفلك وكيفيته في قوله تعالى : ﴿ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أنه لا يعلم صفة ﴿ فَلَكٍ ﴾ ولا كيفيته إلا بإخبار صحيح عن الشارع وذلك غير موجود ، فقال : ((ومعنى الفلك : جسم مستدير . وقال بعض المفسرين : إنه من موج ، **وذلك بعيد** . **والحق** : أنه لا يعلم صفته وكيفيته إلا بإخبار صحيح عن الشارع وذلك غير موجود)) . اهـ [١] .

الدراسة :

اختلف السَّلف والمفسرون في **صفة الفلك في قوله تعالى : ﴿ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ على أقوال منها :**

القول الأول : المراد بالفلك هنا السماء ، وهو المشهور [٢] عن ابن عباس رضي الله عنه [٣] ، والسدي [٤] ، وقاله قتادة [٥] ، وابن دريد [٦] ، وذهب إليه السمعاني ، والآلوسي [٧] من المفسرين .

وفيه القول باستدارة السماء .

القول الثاني : الفلك ليس بجسم ، وإنما هو **مدار هذه النجوم** ، أي : مجراها وسرعة سيرها

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٢٦ .

(٢) ذكر الآلوسي ذلك . ينظر : روح المعاني : ١٧ / ٤٠ .

(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٧ / ٢٢) ، وعزاه السيوطي أيضاً إلى ابن أبي شيبة ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم . ينظر : الدر المنثور : ٥ / ٦٢٧ .

(٤) نسبه الآلوسي إليه . ينظر : روح المعاني : ١٧ / ٤٠ .

(٥) أخرجه عبد الرزاق ، وابن جرير عند تفسير قوله تعالى في [سورة يس : ٤٠] : ﴿ ... وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ ، ونسبه السمر قندي إليه . ينظر : تفسير الصنعاني : ٣ / ٢٤ ، تفسير الطبري : ٢٣ / ٨ ، تفسير السمر قندي : ٢ / ٤٢٥ .

(٦) ينظر : جمهرة اللغة : ٢ / ٩٦٩ .

(٧) ينظر : تفسير السمعاني : ٣ / ٣٧٩ ، روح المعاني : ١٧ / ٤٠ .

وهو قول الضحاك [١] ، وقول أهل اللغة [٢] ، وقاله جماعة من المفسرين [٣] .

القول الثالث : الفلك أجسام تدور النجوم عليها ، استظهره أبو حيان [٤] ، وعليه **الأكثرون** [٥] ، واختلفت أقوال السلف [٦] في كيفية الفلك ؛ منها :

- **الفلك كهيئة حديدة الرحى** ؛ قاله مجاهد [٧] ، وابن جريج [٨] .
- **الفلك طاحونة مستديرة** كهيئة فلكة المغزل ، قاله ابن عباس ﷺ [٩] ، والحسن [١٠] ، ومجاهد في رواية [١١] ، وقاله جماعة من المفسرين [١٢] .
- **الفلك موج مكفوف** تجري الشمس والقمر والنجوم فيه [١٣] .

أي : مجموع تجري فيه الكواكب بدليل قوله : ﴿ يَسْبَحُونَ ﴾ ، والسباحة لا تكون إلا

---

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٧ / ٢٣) .

(٢) نسبه الطاهر بن عاشور إلى أهل اللغة . ينظر : التحرير والتنوير : ١٧ / ٦١ . وينظر (مادة : فلك) : مفردات الرَّاغب : ٣٨٥ ، لسان العرب : ١٠ / ٤٧٨ ، تاج العروس : ٢٧ / ٣٠٢ ، كليات الكفوي : ٥١٦ . وينظر : التبيان في غريب القرآن للهائم المصري : ٢٩٥ .

(٣) منهم : الثعلبي ، والواحدي ، وابن عادل . ينظر : الكشف والبيان : ٦ / ٢٧٤ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٧١٥ ، تفسير ابن عادل : ١٣ / ٤٩٣ .

(٤) ينظر : البحر المحيط : ٦ / ٢٨٨ .

(٥) نسب النيسابوري هذا القول إلى الأكثرين . ينظر : تفسير غرائب القرآن : ٥ / ١٨ .

(٦) **نقل أقوال السلف ولم يرجح** : البغوي ، والقرطبي . ينظر : تفسير البغوي : ٣ / ٢٤٣ ، تفسير القرطبي : ١١ / ٢٨٦ . **ولم يتعرض لمعنى الفلك** كل من : الزمخشري ، والبيضاوي ، وأبو السعود ، والسعدي ، والشنقيطي .

(٧) ينظر : تفسير مجاهد : ١ / ٤١٠ . وأخرجه ابن جرير في تفسيره (١٧ / ٢٢) . وعزاه السيوطي أيضاً إلى ابن أبي شيبة ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم . ينظر : الدر المنثور : ٥ / ٦٢٨ .

(٨) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٧ / ٢٢) .

(٩) عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم ، وأبو الشيخ في العظمة . ينظر : الدر المنثور : ٥ / ٦٢٧ .

(١٠) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٧ / ٢٣) .

(١١) عزاه السيوطي أيضاً إلى عبد بن حميد . ينظر : الدر المنثور : ٥ / ٦٢٨ .

(١٢) ذكر ابن أبي زمنين قول الحسن ، وقاله الجلالين ، والخطيب الشربيني . ينظر : تفسير ابن أبي زمنين : ٤ / ٤٥ تفسير الجلالين : ٤٢٣ ، السراج المنير : ٢ / ٥٥٨ .

(١٣) نسب النسفي ، وأبو حيان ، والآلوسي هذا القول إلى جمهور المفسرين . ينظر : تفسير النسفي : ٣ / ٨٠ ، البحر المحيط : ٦ / ٢٨٨ ، روح المعاني : ١٧ / ٤٠ . ولم أجد في حدود ما اطلعت مفسراً قال بهذا القول ؛ وإنما ورد حديث عن ابن عباس ﷺ قال : قال رجل : يا رسول الله ما هذه السماء ؟ قال : " موج مكفوف عنكم " قال ابن كثير : **إسناده غريب** . ينظر : تفسير ابن كثير : ٣ / ١٧٨ . وجاءت روايات متعددة بألفاظ متعددة في هذا المعنى .

في الماء .

✖ **ورُدَّ** : بأنه يقال : فرس سابح ؛ إذا كان يحسن مد اليدين في الجري [١] .

✖ وقال **ابن جُزيّ** : " وهذا بعيد " [٢] .

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن الرَّاجح أنه لا يعلم صفة ولا كيفية الفلك إلا بإخبار صحيح عن الشارع وذلك غير موجود ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ووافقه الطبري ، والفخر الرازي ، والخازن** [٣] .

قال **الطبري** :

" الفلك في كلام العرب كل شيء دائر ، وجمعه أفلاك ، وإذ كان كل ما دار في كلامها ولم يكن في كتاب الله ولا في خبر عن رسول الله ﷺ ، ولا عمن يقطع بقوله العذر دليل يدل على أي ذلك هو من أي كان ؛ الواجب أن نقول فيه ما قال ، ونسكت عما لا علم لنا به " . اهـ [٤] .

وذكر **ابن تيمية** أنه قد ثبت بالكتاب والسنة والإجماع من علماء الأمَّة أن الأفلاك مستديرة [٥] .

وقال **الطاهر بن عاشور** :

" والفلك فسَّره أهل اللغة بأنه : مدار النجوم ، كذلك فسَّره المفسرون بهذه الآية ، ولم يذكروا أنه مستعمل في هذا المعنى في كلام العرب ، ويغلب على ظنه أنه من مصطلحات

---

(١) ينظر : النهاية في غريب الأثر لابن الأثير (مادة : سبح) : ٢ / ٣٣٢ ، تفسير غرائب القرآن : ٥ / ١٨ ، ١٩ .

(٢) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٢٦ .

(٣) ينظر : تفسير الطبري : ١٧ / ٢٣ ، التفسير الكبير : ٢٢ / ١٤٥ تفسير الخازن : ٤ / ٢٩٤ .

(٤) تفسير الطبري : ١٧ / ٢٣ .

(٥) ينظر : منهاج السنة النبوية لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ، أبو العباس (ت ٧٢٨ هـ) : ٥ / ٤٤٢ . وينظر : أضواء البيان : ٨ / ٤٢٥ .

القرآن ، ومنه أخذه علماء الإسلام ، وهو أحسن ما يعبر عنه عن الدوائر المفروضة التي يضبط بها سير كوكب من الكواكب وخاصة سير الشمس وسير القمر .

والأظهر أن القرآن نقله من فلك البحر ، وهو : الموج المستدير ، بتنزيل اسم الجمع منزلة المفرد، والأصل الأصيل في ذلك كله فَلْكة المغزل – بفتح الفاء وسكون اللام – وهي خشبة مستديرة في أعلاها مسمار مثني يدخل في الغزل ويدار لينفتل الغزل " . اهـ [١] .

وقال **القاسمي** :

" قال بعض علماء الفلك : تشير الآية إلى حركة هذه الكواكب كآية : ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ۝١٥ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ﴾ [٢] ، وهما تدلان على أن حركة الكواكب ذاتية . لا كما يقول القدماء من أن الكواكب مركوزة في أفلاكها التي تدور بها ، وبدورانها تتحرك الكواكب " [٣] .

وعرف **السيوطي** فَلَكُ البروجِ بأنه :

دائرة ترسمها الشمس بسيرها من المشرق إلى المغرب في السَّنة [٤] .

هذا هو معنى الفلك عند علماء المسلمين ؛ فما معنى الفلك عند الكونيين اليوم ؟

عرفت دائرة معارف القرن العشرين لفريد وجدي عالم الفلك بأنه : عالم مداره الأجرام العلوية ، أي الشموس والسيارات والثوابت وتوابعها وذوات الأذناب ، وهو قسمان نظري وعملي :

- فالأول : يصف تلك الأجرام ويبين لنا أبعادها عن الشمس وحركتها وفصولها السنوية وهيئاتها .
- الثاني : يبحث عن كيفية رصد تلك الأجرام .

---

(١) التحرير والتنوير : ١٧ / ٦١ .
(٢) سورة التكوير : ١٥ ، ١٦ .
(٣) تفسير القاسمي : ١١ / ٢٥٣ .
(٤) معجم مقاليد العلوم لأبي الفضل ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ) : ١٣٩ .

وبهذا يظهر أن كلمة (الفلك) وضعت في اللغة العربية للاستدارة ، إذ هي تطلــق على الرحى ، وعلى الأرض ، وكثيب الرمل المرتفع ، وتطلق على الموج المستدير المتردد ، ثم نقلت وأطلقت على هذا العلم وما يتعلق به [1] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

(١) نقله الشيخ إسماعيل القريشي في مقاله : التفكر في خلق الله ، ألفاظ كونية عن : معجم المصطلحات الفنية (ملحق بموسوعة بهجة المعرفة – الكون –) : ٣٤٢ ، ٣٤٣ ، من مجلة : " الإعجاز العلمية " مجلة فصلية تصدر عن هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسُّنة ، رابطة العالم الإسلامي ، العدد الرابع .

قوله تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴾ . [آية : ٣٤] .

مسألة : سبب الآية :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن سبب الآية أنهم تمنوا موته ليشمتوا به ، فقال : ((﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ﴾ [(١)] سببها : أن الكفار طعنوا على النبي ﷺ بأنه بشر يموت . وقيل : إنهم تمنوا موته ليشمتوا به ، **وهذا أنسب لما بعده**)) . اهـ [(٢)] .

الدراسة :

اختلف أهل العلم والمفسرون **في سبب الآية** على ثلاثة أقوال :

القول الأول : سبب الآية : أن الكفار تمنوا موت النبي ﷺ ليشمتوا به ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ [(٣)] ، ووافقه **أكثر** [(٤)] المفسرين [(٥)] .

---

(١) **استدل بهذه الآية الكريمة أن الخضر عليه السلام مات وليس بحي إلى الآن** ؛ لأنه بشر سواء كان ولياً أو نبياً أو رسولاً . والدليل على أن الخضر ليس بباقٍ في الدنيا أربعة أشياء القرآن (هذه الآية التي معنا) والسُّنة ، وإجماع المحققين من العلماء ، والمعقول ، نقله ابن القيم عن ابن الجوزي . ينظر : نقد المنقول والمحك المميز بين المردود والمقبول لأبي عبد الله ، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي ، المعروف بابن قيِّم الجوزية أو ابن القيِّم (ت ٧٥١ هـ) : ١ / ٦٣ .

(٢) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٢٦ .

(٣) ينظر : التسهيل : ٣ / ٢٦ .

(٤) نسب النيسابوري هذا القول إلى الأكثرين . ينظر : تفسير غرائب القرآن : ٥ / ٢٠ .

(٥) منهم : الثعلبي ، والواحدي ، والسمعاني ، والبغوي ، والزمخشري ، والقرطبي ، والبيضاوي ، والنسفي ، والخازن والبقاعي ، وأبو السعود ، والخطيب الشربيني ، والشوكاني ، ولم يقل الآلوسي بغيره ، والسعدي ، ولم يقل الطاهر بن عاشور بغيره ، و **استظهره** الشنقيطي ، وحكى محمَّد سيِّد طنطاوي قول القرطبي . ينظر : الكشف والبيان : ٦ / ٢٧٥ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٧١٥ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٣٧٩ ، تفسير البغوي : ٣ / ٢٤٤ الكشاف : ٣ / ١١٧ ، تفسير القرطبي : ١١ / ٢٨٧ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ٩٣ ، تفسير النسفي : ٣ / ٨٠ تفسير الخازن : ٤ / ٢٩٤ ، نظم الدرر : ٥ / ٨٢ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ٦٦ ، السراج المنير : ٢ / ٥٥٨ ، فتح القدير : ٣ / ٤٠٦ ، روح المعاني : ١٧ / ٤٤ ، تفسير السعدي : ٥٢٣ ، التحرير والتنوير : ١٧ / ٦٣ ، أضواء البيان : ٤ / ١٤٥ ، الوسيط : ٩ / ٢٠٧ .

قال **القرطبي** : " نزلت حين قالوا : نتربَّص بمحمَّد ريب المنون ؛ وذلك أن المشركين كانوا يدفعون نبوته ؛ ويقولون : شاعر نتربص به ريب المنون ، ولعله يموت كما مات شاعر بني فلان . فقال الله تعالى : قد مات الأنبياء من قبلك وتولى الله دينه بالنصر والحياطة ؛ فهكذا نحفظ دينك وشرعك " [١] .

القول الثاني : سبب الآية : أن الكفار طعنوا على النبي ﷺ بأنه بشر يموت ، قاله السمرقندي ، والجلالين [٢] من المفسرين .

القول الثالث : لما نعى جبريل للنبي ﷺ نفسه قال : يا رب فمن لأمتي ؟ فنزلت ، قاله ابن جريج [٣] .

القول الرابع : إن قوماً قالوا : إن محمداً لن يموت وإنما هو مخلد ، فأنكر ذلك الرسول ﷺ فنزلت ، قاله مقاتل [٤] ، وحكاه عنه ابن الجوزي [٥] .

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن جميع الأقوال المذكورة في سبب نزول قوله تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ... ﴾ أسباب ظنية ؛ لم تثبت بأي طريق صحيح ؛ وكلها محتملة ؛ وقد ذكر بعض الأقوال ولم يرجح جماعة من المفسرين** [٦] .

كما أن الطبري ، وابن كثير ، والثعالبي لم يذكروا للآية سبباً [٧] .

✌ **لكن الأقرب : أن يكون سبب الآية أنهم تمنوا موت الرسول ﷺ ليشمتوا به ، فنفى الله تعالى عنه الشماتة بهذا ، أي قضى الله تعالى أن لا يخلد في الدنيا بشراً فلا أنت**

---

(١) تفسير القرطبي : ١١ / ٢٨٧ . وينظر : أضواء البيان للشنقيطي : ٤ / ١٤٤ ، ١٤٥ .
(٢) ينظر : تفسير السمرقندي : ٢ / ٤٢٥ ، تفسير الجلالين : ٤٢٣ .
(٣) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر . ينظر : الدر المنثور : ٥ / ٦٢٨ ، لباب النقول : ١٤٧ .
(٤) ينظر تفسيره : ٢ / ٣٥٧ .
(٥) ينظر : زاد المسير : ٥ / ٣٥٠ .
(٦) منهم : ابن عطية ، والفخر الرازي ، والنيسابوري ، وأبو حيان ، وابن عادل . ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ٨١ التفسير الكبير : ٢٢ / ١٤٦ ، تفسير غرائب القرآن : ٥ / ٢٠ ، البحر المحيط : ٦ / ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، تفسير ابن عادل : ١٣ / ٤٩٥ .
(٧) ينظر : تفسير الطبري : ١٧ / ٢٤ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ١٧٩ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ٨٥ .

ولا هم إلا عرضة للموت أفإن مت أنت أيبقى هؤلاء ؟ ! .. لا . وفي معناه قول الفرزدق [١] :

فَقُلْ للشَّامِتِينَ بِنَا أَفِيقُوا سيلقى الشَّامِتُونَ كَمَا لَقِينَا

وقول **الإمام الشافعي** :

تمنَّى رجالٌ أن أموتَ وإنْ أمُتْ فتلكَ سبيلٌ لستُ فيها بأوحدِ

فَقلْ للذِي يبغِي خلافَ الذِي مَضَى تهيــأ لأخرى مثلــها فكأن قدِ [٢]

وهو ما رجّحه ابن جُزيّ ، ووافقه أكثر المفسرين ، واستظهره الشنقيطي [٣] ؛ إضافة لما تقدم ، ولما يلي :

أولاً : لأن السورة مكية [٤] ، أي : نزلت الآية في الوقت الذي كان يُكذب ويُتمنى موته صلوات الله وسلامه عليه .

ثانياً : القرينة القرآنية : هذا السبب أنسب لما بعده ؛ وهو قوله تعالى : ﴿ ... **أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَـٰلِدُونَ** ﴾ [٥] ؛ فمعنى الآية : أن الله لم يجعل لبشر قبل نبيه الخلد ؛ أي : دوام البقاء في الدنيا ، بل كلهم يموت [٦] .

ثالثاً : يتأيد هذا القول **بالقاعدة الترجيحية** التالية :

- **القول الذي تؤيده قرائن في السِّياق مرجح على ما خالفه** [٧] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) نسبه إليه أبو القاسم الأصفهاني في محاضرات الأدباء (٢ / ٥٢٠) . ولم أقف عليه في ديوان الفرزدق .
(٢) ديوان الإمام الشافعي لمحمَّد بن إدريس الشَّافعي (ت ٢٠٤ هـ) : ٣٦ .
(٣) ينظر : أضواء البيان للشنقيطي : ٤ / ١٤٥ .
(٤) ينظر : برهان الزَّركشي : ١ / ١٩٣ ، إتقان السيوطي : ١ / ٣٦ .
(٥) سورة الأنبياء : ٣٤ .
(٦) ينظر : التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٢٦ ، أضواء البيان للشنقيطي : ٤ / ١٤٥ .
(٧) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٢٩٩ .

قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ . [آية : ٣٦] .

مسألة: في إعراب ومعنى قوله تعالى : ﴿ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن جملة ﴿ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴾ في موضع الحال أي : كيف ينكرون ذمك لآلهتهم وهم يكفرون بالرحمن ؟ فهم أحق بالملامة ، فقال : ((﴿ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴾ الجملة في موضع الحال ؛ أي : كيف ينكرون ذمك لآلهتهم وهم يكفرون بالرحمن ؟ فهم أحق بالملامة . وقيل : معنى : ﴿ بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ تسميته بهذا الاسم ؛ لأنهم أنكروها . **والأول أغرق في ضلالهم**)) . اهـ [١] .

الدراسة :

اختلف المفسرون في **إعراب ومعنى قوله تعالى : ﴿ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴾** على قولين :

القول الأول : جملة ﴿ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴾ في موضع الحال [٢] **؛ أي : كيف ينكرون ذمك لآلهتهم وهم يكفرون بالرحمن ؟ فهم أحق بالملامة ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٣] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٤] .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٢٦ .

(٢) الجملة حالية من فاعل القول المقدر ، أي : يقولون ذلك وهم على هذه الحالة .

(٣) ينظر : التسهيل : ٣ / ٢٦ .

(٤) منهم : الواحدي ، والزمخشري ، وابن عطية ، والفخر الرازي ، والنسفي ، و **استظهره** أبو حيان ، والسمين الحلبي ، وابن كثير ، وابن عادل ، وأبو السعود ،والشوكاني ، والقاسمي ، والآلوسي ، وسيد قطب ، والشنقيطي والطاهر بن عاشور ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير الواحدي : ٢ / ٧١٦ ، الكشاف : ٣ / ١١٨ ، المحرر الوجيز : ٤ / ٨٢ ، التفسير الكبير : ٢٢ / ١٤٧ ، تفسير النسفي : ٣ / ٨٠ ، البحر المحيط : ٦ / ٢٩٠ الدر المصون : ٥ / ٨٥ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ١٧٩ ، تفسير ابن عادل : ١٣ / ٤٩٨ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ٦٦ ، فتح القدير : ٣ / ٤٠٧ تفسير القاسمي : ١١ / ٢٥٥ ، روح المعاني : ١٧ / ٤٨ ، الظلال : ٤ / ٢٣٧٩ ، أضواء البيان : ٤ / ١٤٨ ، التحرير والتنوير : ١٧ / ٦٦ ، الوسيط : ٩ / ٢٠٩ .

واستدل له بالنظير القرآني :

هذا المعنى الذي دلت عليه الآية جاء مبيناً في سورة الفرقان في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَـٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولاً ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلاً ﴾ . [سورة الفرقان : 41 ، ٤٢] . (١)

القول الثاني : ﴿ ٱلرَّحْمَـٰنِ ﴾ مصدر مضاف إلى المفعول لا غير ؛ ومعنى : ﴿ بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ﴾ تسميته بهذا الاسم ؛ لأنهم أنكروها ، قاله ابن عباس رضي الله عنه (٢) ، ومقاتل (٣) ، وذهب إليه جماعة من المفسرين (٤) .

قال السمعاني : " وذلك لأنهم كانوا يقولون : لا نعرف الرَّحمن إلا مسيلمة " (٥) .

واستدل له : بما ثبت عن مقولة الكفار وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُواْ لِلرَّحْمَـٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحْمَـٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴾ . [سورة الفرقان : ٦٠] .

✖ قال الآلوسي : " وليس بشيء كما لا يخفى " (٦) .

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – أن **الراجح أن جملة ﴿ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَـٰنِ هُمْ كَـٰفِرُونَ ﴾ في موضع الحال ؛ أي : كيف ينكرون ذمك لآلهتهم وهم يكفرون بالرحمن ؟ فهم أحق بالملامة ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه ، وهو الظاهر من سياق الآيات ، فالكفار قد أنكروا اسم ﴿ ٱلرَّحْمَـٰنِ ﴾ وثبت هذا في سورة الفرقان كما**

---

(١) ينظر : تفسير ابن كثير : ٣ / ١٧٩ ، أضواء البيان : ٤ / ١٤٨ .
(٢) ينظر : تنوير المقباس : ٢٧١ .
(٣) ينظر تفسيره : ٢ / ٣٥٨ .
(٤) منهم : الطبري ، والسمعاني ، والبغوي ، وابن الجوزي ، والخازن ، والثعالبي ، والخطيب الشربيني . ينظر : تفسير الطبري : ١٧ / ٢٦ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٣٨٠ ، تفسير البغوي : ٣ / ٢٤٤ ، زاد المسير : ٥ / ٣٥٠ ، تفسير الخازن : ٤ / ٢٩٤ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ٨٧ ، السراج المنير : ٢ / ٥٥٨ .
(٥) تفسير السمعاني : ٣ / ٣٨٠ . وينظر : تفسير البغوي : ٣ / ٢٤٤ .
(٦) روح المعاني : ١٧ / ٤٨ .

ذكرنا ؛ لكن الراجح ما ذكره ابن جُزيّ لأنه أغرق في ضلالهم [١] **، وقد رجَّحه بعض أئمة النحو كالزمخشري ، والسمين الحلبي** [٢] .

قال **سيد قطب** مفسراً للآية :

" إن هؤلاء الكفار يكفرون بالرحمن ، خالق الكون ومدبره ؛ ليستنكرون على الرسول ﷺ أن يذكر آلهتهم الأصنام بالسوء ، بينما هم يكفرون بالرحمن دون أن يتحرجوا أو يتلوموا .. وهو أمرٌ عجيبٌ جدُّ عجيب !

وإنهم ليلقون رسول الله ﷺ بالهزء ، يستكثرون عليه أن ينال من أصنامهم تلك : ﴿ ... أَهَـٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ ... ﴾ . [سورة الأنبياء : ٣٦] . ولا يستكثرون على أنفسهم – وهم عبيد من عبيد الله – أن يكفروا به ، ويعرضوا عما أنزل لهم من قرآن .. وهي مفارقة عجيبة تكشف عن مدى الفساد الذي أصاب فطرتهم وتقديرهم للأمور ! " . اهـ [٣] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) ينظر : التسهيل : ٣ / ٢٦ .

(٢) قالوا الجملة حالية . وذكر الزمخشري وجها آخر قائلا : " والجملة في موضع الحال أي : يَتَّخِذُونَكَ هُزُواً ؛ وهم على حال هي أصل الهزء والسخرية وهي الكفر بالله " . اهـ . فجعل الجملة الحالية العامل فيها ﴿ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا ﴾ المحذوفة وكررهم على سبيل التوكيد ، وذكر السمين الحلبي وابن عادل أن الجملة حالية وذكرا الوجهين و لم يرجحا بينهما أيضاً . ينظر : الكشاف : ٣ / ١١٨ ، الدر المصون : ٥ / ٨٥ ، تفسير ابن عادل : ١٣ / ٤٩٨ .

(٣) الظلال : ٤ / ٢٣٧٩ .

قوله تعالى : ﴿ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴾ . [آية : ٥٨] .

مسألة: في عود الضمير في قوله تعالى : ﴿ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن الضمير في قوله تعالى : ﴿ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴾ للصنم الكبير ، فقال : ((﴿ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴾ الضمير للصنم الكبير ، أي : يرجعون إليه فيسألونه فلا يجيبهم فيظهر لهم أنه لا يقدر على شيء . وقيل : الضمير لإبراهيم عليه السلام ؛ أي : يرجعون إليه فيبين لهم الحق)) . اهـ [(١)] .

الدراسة :

اختلف المفسرون في **عود الضمير في قوله تعالى : ﴿ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴾** على قولين :

القول الأول : الضمير للصنم الكبير ، أي : يرجعون إليه فيسألونه فلا يجيبهم ؛ فيظهر لهم أنه لا يقدر على شيء ، قاله مقاتل [(٢)] ، وهو قول الكلبي [(٣)] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [(٤)] ووافقه جماعة من المفسرين [(٥)] .

واستدل له بالقرينة القرآنية :

قوله تعالى بعدها : ﴿ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ... ﴾ . [سورة الأنبياء : ٦٤] . وذلك حين رأوا

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٢٨ .

(٢) ينظر تفسيره : ٢ / ٣٦٢ .

(٣) نسبه إليه غير واحد من المفسرين . ينظر مثلاً : البحر المحيط لأبي حيان : ٦ / ٣٠١ .

(٤) ينظر : التسهيل : ٣ / ٢٨ .

(٥) منهم : السمر قندي ، وابن أبي زمنين ، والثعلبي ، والزمخشري ، وقدَّمه ابن الجوزي ، وابن كثير ، والجلالين ، والقاسمي ، والآلوسي ، والسعدي ، وسيد قطب ، والطاهر بن عاشور . ينظر : تفسير السمر قندي : ٢ / ٤٣٠ تفسير ابن أبي زمنين : ٣ / ١٥١ ، الكشف والبيان : ٦ / ٢٧٩ ، الكشاف : ٣ / ١٢٤ ، زاد المسير : ٥ / ٣٥٨ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ١٨٣ ، تفسير الجلالين : ٤٢٦ ، تفسير القاسمي : ١١ / ٢٦٥ ، روح المعاني : ١٧ / ٦٢ ، تفسير السعدي : ٥٢٦ ، الظلال : ٤ / ٢٣٨٦ ، التحرير والتنوير : ١٧ / ٩٨ .

ما حل بأصنامهم من الإهانة والخزي [١] .

قال **الزمخشري** :

" ومعنى هذا : لعلهم يرجعون إليه كما يرجع إلى العالم في حل المشكلات ، فيقولون له : ما لهؤلاء مكسورة ومالك صحيحاً والفأس على عاتقك ؟ قال هذا بناء على ظنه بهم ، لما جرب وذاق من مكابرتهم لعقولهم واعتقادهم في آلهتهم وتعظيمهم لها . أو قاله مع علمه أنهم لا يرجعون إليه استهزاء بهم واستجهالاً ، وأن قياس حال من يسجد له ويؤهله للعبادة أن يرجع إليه في حل كل مشكل .

فإن قلت : فإذا رجعوا إلى الصنم بمكابرتهم لعقولهم ورسوخ الإشراك في أعراقهم ، فأي فائدة دينية في رجوعهم إليه حتى يجعله إبراهيم صلوات الله عليه غرضاً ؟

قلت : إذا رجعوا إليه تبين أنه عاجز لا ينفع ولا يضر ، وظهر أنهم في عبادته على جهل عظيم " . اهـ [٢] .

وقال **ابن كثير** :

" ذكروا أنه وضع القدوم في يد كبيرهم لعلهم يعتقدون أنه هو الذي غار لنفسه وأنف أن تعبد معه هذه الأصنام الصغار فكسرها " . اهـ [٣] .

✘ **وضَعَّف ابن عطية** هذا القول ؛ وذلك لدخول الترجي في الكلام [٤] .

✓ **وتعقبه الآلوسي** بقوله : " لا إشكال في دخول (لعل) في الكلام ؛ ولعل هذا الوجه أسرع الأوجه تبادراً " . اهـ [٥] .

القول الثاني : الضمير لإبراهيم عليه السلام ؛ أي : يرجعون إليه فيبين لهم الحق ، قاله

---

(١) ينظر : تفسير السعدي : ٥٢٦ .
(٢) الكشاف : ٣ / ١٢٤ .
(٣) تفسير ابن كثير : ٣ / ١٨٣ .
(٤) ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ٨٦ .
(٥) روح المعاني : ١٧ / ٦٢ .

الزَّجَّاج [١] ، **واستظهره** ابن عطية والثعالبي [٢] ، وذهب إليه **جمهور** [٣] المفسرين [٤] .

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **احتمال القولين ؛ فيحتمل عود الضمير في قوله تعالى : ﴿ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴾ إلى الصنم الكبير ، يرجعون إليه فيسألونه فلا يجيبهم ؛ فيظهر لهم أنه لا يقدر على شيء ، ويحتمل عوده إلى إبراهيم عليه السلام ؛ يرجعون إليه فيبين لهم الحق ، وقد قيل بكلٍّ .**

✌ **وقد جوَّز القولين جماعة من المفسرين ، منهم :** البغوي ، والفخر الرازي ، والبيضاوي والنسفي ، والخازن ، والنيسابوري ، والسمين الحلبي ، وابن عادل [٥] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) ينظر معانيه : ٣ / ٣٩٦ .

(٢) ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ٨٦ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ٩٠ .

(٣) نسب الآلوسي هذا القول إلى الجمهور . ينظر : روح المعاني : ١٧ / ٦٢ .

(٤) منهم : الواحدي ، والقرطبي ، وأبو حيان ، والبقاعي ، وأبو السعود ، والخطيب الشربيني ، والشوكاني . ينظر : تفسير الواحدي : ٢ / ٧١٨ ، تفسير القرطبي : ١١ / ٢٩٨ ، البحر المحيط : ٦ / ٣٠١ ، نظم الدرر : ٥ / ٩٢ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ٧٤ ، السراج المنير : ٢ / ٥٦٤ ، فتح القدير : ٣ / ٤١٣ .

(٥) ينظر : تفسير البغوي : ٣ / ٢٤٨ ، التفسير الكبير : ٢٢ / ١٥٨ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ٩٨ ، تفسير النسفي : ٣ / ٨٤ ، تفسير الخازن : ٤ / ٢٩٨ ، تفسير غرائب القرآن : ٥ / ٣٠ ، الدر المصون : ٥ / ٩٥ تفسير ابن عادل : ١٣ / ٥٢٦ .

قوله تعالى : ﴿ قَالُواْ سَمِعۡنَا فَتًى يَذۡكُرُهُمۡ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبۡرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ ﴾ . [آية : 60] .

مسألة : في إعراب ﴿ إِبۡرَٰهِيمُ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبۡرَٰهِيمُ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن إعراب ﴿ إِبۡرَٰهِيمُ ﴾ ، فقال : ((قيل : إن إعراب ﴿ إِبۡرَٰهِيمُ ﴾ منادى . وقيل : خبر ابتداء مضمر . وقيل : رفع على الإهمال . **والصَّحيح** : أنه مفعول لم يسم فاعله لأن المراد الاسم لا المسمَّى ، **وهذا اختيار ابن عطية والزَّمخشري**)) . اهـ [١] .

الدراسة :

بناء على الا خلاف بين النحويين [٢] على تسلط القول على المفرد الذي يؤدي معنى جملة ولا هو مقتطع من جملة ، ولا هو مصدر لـ (قال) ، ولا هو صفة لمصدره نحو : قلت زَيْداً ، أي : قلت هذا اللفظ .. اختلف النحويون والمفسرون في **إعراب ﴿ إِبۡرَٰهِيمُ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبۡرَٰهِيمُ ﴾** على أربعة وجوه :

الوجه الأول : منادى .

الوجه الثاني : خبر ابتداء مضمر [٣] ، قاله مكي بن أبي طالب [٤] ، والبيضاوي والشوكاني [٥] من المفسرين .

وعلى هذه الوجهين فهو مقتطع من جملة ، وتلك الجملة محكية بـ (يُقَالُ) [٦] .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٢٨ .

(٢) أجاز هذا جماعة كالزَّجَّاجي ، والزمخشري ، وابن خروف (علي بن محمد النحوي ت ٦٠٩ هـ) وابن مالك (ت ٦٧١ هـ) ، ومنعه آخرون . ينظر : تفسير ابن عادل : ١٣ / ٥٢٨ .

(٣) جوَّز الزَّجَّاج ، والسمر قندي ، والفخر الرازي الوجهين الأول والثاني . ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزَّجاج : ٣ / ٣٩٦ ، تفسير السمر قندي : ٢ / ٤٣٠ ، التفسير الكبير : ٢٢ / ١٥٩ .

(٤) ينظر مشكله : ٢ / ٤٨٠ .

(٥) ينظر : تفسير البيضاوي : ٤ / ٩٩ ، فتح القدير : ٣ / ٤١٤ .

(٦) حكاه ابن عادل في تفسيره (١٣ / ٥٢٨) .

الوجه الثالث : مفعول لم يسمَّ فاعله ، وهذا اختيار الزَّمخشري وابن عطية [١] ، وجوَّزه البيضاوي [٢] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٣] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٤] .

قال **الزمخشري** وغيره : " لأن المراد الاسم لا المسمَّى " [٥] .

الوجه الرابع : رفع على الإهمال ، قاله **الأعلم** [٦] .

واستدل له بأنه :

" لم يتقدمه عامل يؤثر في لفظه ؛ إذ القول لا يؤثر إلا في المفرد المتضمن لمعنى الجملة فبقي مهملاً ، والمهمل إذا ضم إلى غيره ارتفع ، نحو قولهم : واحد واثنان ، وإذا عدوا و لم يدخلوا عاملاً لا في اللفظ ولا في التقدير وعطفوا بعض أسماء العدد على بعض " [٧] .

✖ **وتعقَّبه :**

ابن عطية فقال : " لما رأى وجوه الرفع كأنها لا توضح المعنى الذي قصدوه ذهب إلى رفعه بغير شيء كما قد يرفع التجرد والعرو عن العوامل الابتداء " . اهـــ [٨] .

و**الآلوسي** أيضاً فقال : " ولا يخفى أن كلام هذا الأعلم لا يقوله إلا الأجهل ، ولأن يكون

---

(١) ينظر : الكشاف : ٣ / ١٢٤ ، المحرر الوجيز : ٤ / ٨٧ .

(٢) ينظر : تفسير البيضاوي : ٤ / ٩٩ .

(٣) ينظر : التسهيل : ٣ / ٢٨ .

(٤) منهم : النسفي ، و**صحَّحه** النيسابوري ، واحتمله ابن عادل ، وأبو السعود ، والآلوسي ، والطاهر بن عاشور . ينظر : تفسير النسفي : ٣ / ٨٤ ، تفسير غرائب القرآن : ٥ / ٣٠ ، تفسير ابن عادل : ١٣ / ٥٣٠ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ٧٤ ، روح المعاني : ١٧ / ٦٤ ، التحرير والتنوير : ١٧ / ٩٩ .

(٥) الكشاف : ٣ / ١٢٤ . وينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ٨٧ ، التسهيل : ٣ / ٢٨ .

(٦) نسبه ابن عطية إليه . ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ٨٧ .
و**الأعلم** هو : يوسف بن سليمان بن عيسى الشنتمري الأندلسي ، **أبو الحجاج** الإشبيلي المعروف بالأعلم : عالم بالأدب واللغة . كفَّ بصره في آخر عمره ومات في إشبيلية ، كان مشقوق الشفة العليا ، فاشتهر بالأعلم . ت سنة ٤٧٦ هـــ . ينظر : السِّير : ١٨ / ٥٥٥ – ٥٥٧ ، الوافي بالوفيات : ٢٩ / ٩٠ ، بغية الوعاة : ٢ / ٣٥٦ .

(٧) روح المعاني : ١٧ / ٦٤ .

(٨) المحرر الوجيز : ٤ / ٨٧ .

الرجل أفلح أعلم خير له من أن ينطق بمثله ويتكلم " . اهـ [١] .

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **جواز الأوجه الثلاثة الأولى ، فيجوز أن يكون إعراب ﴿ إِبۡرَٰهِيمُ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبۡرَٰهِيمُ ﴾ :**

- ✓ منادى .
- ✓ أو خبر ابتداء مضمر
- ✓ أو مفعول لم يسم فاعله .

قال بذلك **العكبري** [٢] ، وذكر **القرطبي وأبو حيان** هذه الوجوه من الإعراب و لم يرجِّحا وجهاً منها [٣] ؛ فكلٌّ وجهٍ من الإعراب صحيح .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) روح المعاني : ١٧ / ٦٤ .

(٢) ينظر : التبيان في إعراب القرآن لأبي البقاء العكبري : ٢ / ٩٢١ .

(٣) ذكر القرطبي وأبو حيان جميع الأوجه وأبطل أبو حيان قول الأعلم ؛ و لم يرجحا وجهاً من الإعراب . ينظر : تفسير القرطبي : ١١ / ٢٩٩ ، البحر المحيط : ٦ / ٣٠٢ .

قوله تعالى : ﴿ وَلُوطًا ءَاتَيْنَـٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ... ﴾ . [آية : ٧٤] .

مسألة : بم انتصب ﴿ وَلُوطًا ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن ﴿ وَلُوطًا ﴾ انتصب بالعطف على موسى وهارون ، أو ﴿ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ (١) ، فقال : ((﴿ وَلُوطًا ﴾ قيل : إنه انتصب بفعل مضمر يفسره ﴿ ءَاتَيْنَـٰهُ ﴾ ، **والأظهر** أنه انتصب بالعطف على موسى وهارون ، أو ﴿ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ (٢) ، وانتصب ﴿ وَنُوحًا ﴾ (٣) و ﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ ﴾ (٤) وما بعدهم بالعطف أيضاً . وقيل : بفعل مضمر تقديره : اذكر)) . اهـ (٥) .

الدراسة :

قال تعالى : ﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ ... ﴿٥١﴾ ... وَنَجَّيْنَـٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَـٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ... **وَلُوطًا** ءَاتَيْنَـٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ... وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ ... وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ ... ﴾ . [سورة الأنبياء : ٥١ - ٧٨] .

اختلف أهل العلم والمفسرون **بم انتصب ﴿ وَلُوطًا ﴾** على ثلاثة أقوال :

القول الأول : ﴿ وَلُوطًا ﴾ منصوب بفعل مضمر يفسره ﴿ ءَاتَيْنَـٰهُ ﴾ لأن قبله فعلاً ، قاله الزَّجَّاج (٦) ، ومكي بن أبي طالب (٧) ، والعكبري (٨) ، وجماعة من المفسرين (٩) .

---

(١) سورة الأنبياء : ٥١ .
(٢) سورة الأنبياء : ٥١ .
(٣) سورة الأنبياء : ٧٦ .
(٤) سورة الأنبياء : ٧٨ .
(٥) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٢٩ .
(٦) ينظر معانيه : ٣ / ٣٩٨ .
(٧) ينظر مشكله : ٢ / ٤٨١ .
(٨) ينظر : التبيان في إعراب القرآن للعكبري : ٢ / ٩٢٣ .
(٩) منهم : الثعلبي ، والبغوي ، وابن عطية ، والقرطبي ، والنسفي ، والشوكاني ، والشنقيطي ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : الكشف والبيان : ٦ / ٢٨٤ ، تفسير البغوي : ٣ / ٢٥٢ ، المحرر الوجيز : ٤ / ٩٠ =

قال الزَّجَّاج : " فالمعنى : وأوحينا إليهم وآتينا لوطاً وآتيناه حكماً وعلماً " [١] ، فهي من الاشتغال ، قاله السمين الحلبي [٢] ، وأبو حيان [٣] .

كما قال في الخلاصة :

فالسابق انصبه بفعل أضمرا حتماً موافق لما قد أظهرا [٤]

القول الثاني : ﴿ وَلُوطًا ﴾ منصوب بفعل مضمر تقديره : اذكر ، جوَّزه الزَّجَّاج [٥] ، وابن الجوزي [٦] ، واحتمله العكبري [٧] . [٨]

قال ابن الجوزي : " وهذا جائز لأن ذكر ﴿ إِبْرَاهِيمَ ﴾ [٩] قد جرى ؛ فحمل لوط على معنى : واذكر " [١٠] .

القول الثالث : ﴿ وَلُوطًا ﴾ منصوب بالعطف على جملة ﴿ إِبْرَاهِيمَ ﴾ [١١] ، وهو قول أبي مسلم [١٢] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [١٣] ، ووافقه ابن عاشور [١٤] . [١٥]

= تفسير القرطبي : ١١ / ٣٠٦ ، تفسير النسفي : ٣ / ٨٦ ، فتح القدير : ٣ / ٤١٦ ، أضواء البيان : ٤ / ١٦٨ ، الوسيط : ٩ / ٢٣١ . **ولم يتعرض الزمخشري ولا البيضاوي ولا الثعالبي لإعرابه** .

(١) معاني القرآن وإعرابه للزَّجاج : ٣ / ٣٩٨ .

(٢) ينظر : الدر المصون : ٥ / ١٠٠ .

(٣) ينظر : البحر المحيط : ٦ / ٣٠٦ .

(٤) ينظر : شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك : ٢ / ١٢٩ .

(٥) ينظر معانيه : ٣ / ٣٩٩ .

(٦) ينظر : زاد المسير : ٥ / ٣٦٩ .

(٧) ينظر : التبيان في إعراب القرآن للعكبري : ٢ / ٩٢٤ .

(٨) جوَّز الوجهان الأول والثاني : الفرَّاء في معانيه (٢ / ١٧٨) والطبري في تفسيره (١٧ / ٤٩) والخطيب الشربيني في السراج المنير (٢ / ٥٦٩) ، وذكر الوجهين و لم يرجح : أبو السعود في تفسيره (٦ / ٧٨) ، والبقاعي في نظم الدرر (٥ / ٩٨) ، و الآلوسي في روح المعاني (١٧ / ٧٢) .

(٩) سورة الأنبياء : ٥١ .

(١٠) زاد المسير : ٥ / ٣٦٩ .

(١١) سورة الأنبياء : ٥١ .

(١٢) نسبه إليه : الفخر الرازي ، والنيسابوري ، وابن عادل . ينظر : التفسير الكبير : ٢٢ / ١٦٦ ، تفسير غرائب القرآن : ٥ / ٣٥ ، تفسير ابن عادل : ١٣ / ٥٤٧ .

(١٣) ينظر : التسهيل : ٣ / ٢٩ .

(١٤) ينظر : التحرير والتنوير : ١٧ / ١١١ .

(١٥) ذكر القولين الأول والثالث و لم يرجح : الفخر الرازي ، والنيسابوري ، وابن عادل . ينظر : التفسير الكبير : =

وذكر ابن جُزيّ أن الأظهر أنه منصوب بالعطف على موسى وهارون [١] ، **ولم يجر ذكر** لموسى وهارون عليهما السلام في السورة بأكملها ؛ فكيف يعطف ﴿ **وَلُوطًا** ﴾ عليهما ؟! .

قال أبو مسلم : " ولا بُدَّ من ضمير في قوله : ﴿ وَلُوطًا ﴾ كأنه قال : وآتينا لوطاً ، فهو منصوب بفعل مقدر يفسره الظاهر بعده تقديره : وآتينا لوطاً آتيناه ، فهي من **الاشتغال** [٢] والنصب في مثله هو الرَّاجح ، ولذلك لم يقرأ به لعطف جملته على جملة فعلية وهو أحد المرجحات " . اهـ [٣] .

قال الطاهر بن عاشور : " ولأجل البُعد أُعيد فعل الإيتاء ليظهر عطفه على ﴿ ... ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ ... ﴾ [٤] ، ولم يُعَد في قصة نوح عليه السلام عَقِب هذه " . اهـ [٥] .

الترجيح:

يظهر لي – والله أعلم – **جواز أوجه الإعراب الثلاثة ، فيجوز أن يكون قوله : ﴿ وَلُوطًا ﴾ :**

انتصب **بفعل مضمر يفسره ﴿ ءَاتَيْنَٰهُ ﴾** فهو من الاشتغال ، أو انتصب **بفعل مضمر تقديره : اذكر** ، أو انتصب **بالعطف على جملة ﴿ إِبْرَٰهِيمَ ﴾** .

فكلُّ وجهٍ منهم جائز في اللغة .

والله تعالى أعلم بالصواب .

= ٢٢ / ١٦٦ ، تفسير غرائب القرآن : ٥ / ٣٥ ، تفسير ابن عادل : ١٣ / ٥٤٧ .

(١) ينظر : التسهيل : ٣ / ٢٩ .

(٢) قال ابن عقيل في شرح ألفية ابن مالك : " **الاشتغال** : أن يتقدم اسم ويتأخر عنه فعل قد عمل في ضمير ذلك الاسم أو في سببه، وهو المضاف إلى ضمير الاسم السابق ، فمثال المشتغل بالضمير : زيداً ضربته ، وزيداً مررت به ، ومثال المشتغل بالسببي : زيدا ضربت غلامه ، وهذا هو المراد بقوله : إن مضمر اسم إلى آخره . والتقدير إن شغل مضمر اسم سابق فعلاً عن ذلك الاسم المضمر لفظاً ؛ نحو : زيداً ضربته ، أو بنصبه محلاً ؛ نحو : زيداً مررت به ، فكل واحد من (ضربت) و (مررت) اشتغل . ينظر : شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك : ٢ / ١٢٩ .

(٣) ينظر : التفسير الكبير : ٢٢ / ١٦٦ ، تفسير غرائب القرآن : ٥ / ٣٥ ، تفسير ابن عادل : ١٣ / ٥٤٧ .

(٤) سورة الأنبياء : ٥١ .

(٥) التحرير والتنوير : ١٧ / ١١١ .

قوله تعالى : ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ [١] إِذ ذَّهَبَ مُغَـٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ أَن لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَـٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ . [آية : 87] .

في الآية مسألتان :

المسألة الأولى : في معنى قوله تعالى : ﴿ إِذ ذَّهَبَ مُغَـٰضِبًا ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن معنى قوله تعالى : ﴿ إِذ ذَّهَبَ مُغَـٰضِبًا ﴾ أن يونس عليه السلام ذهب مغاضباً لقومه ، فقال : ((﴿ إِذ ذَّهَبَ مُغَـٰضِبًا ﴾ أي : مغاضباً لقومه ؛ إذ كان يدعوهم إلى الله فيكفرون حتى أدركه ضجر منهم فخرج عنهم ، ولذلك قال الله : ﴿ ... وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ ... ﴾ [٢] . **ولا يصحُّ** قول من قال : مغاضباً لربِّه)) . اهـ [٣] .

الدراسة :

إن يونس بن متى عليه السلام بعثه الله إلى أهل قرية نينوى [٤] ، فدعاهم إلى الله تعالى فأبوا عليه وتمادوا على كفرهم فخرج من بين أظهرهم مغاضباً [٥] فالتقمه الحوت ، و قوله :

---

(١) لقب يونس عليه السلام بذي النون لابتلاع الحوت له ؛ فإن النون من أسماء الحوت ، قال بذلك جمهور المفسرين . ينظر : تفسير السمعاني : ٣ / ٤٠٢ ، الكشاف : ٣ / ١٣٢ ، المحرر الوجيز لابن عطية : ٤ / ٩٦ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ١٠٥ ، تفسير النسفي : ٣ / ٨٩ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ١٩٣ ، فتح القدير للشوكاني : ٣ / ٤٢٠ ، أضواء البيان للشنقيطي : ٤ / ٢٤٠ . وقيل : سمي ذا النون لأنه رأى صبياً مليحاً فقال : دسموا نونته لئلا تصيبه العين . وحكى ثعلب عن ابن الأعرابي أن نونة الصبي هي الثقبة التي تكون في ذقن الصبي الصغير ، ومعنى دسِّموا : سوِّدوا . ينظر : تفسير القرطبي : ١١ / ٣٢٩ ، فتح القدير : ٣ / ٤٢٠ .

(٢) سورة القلم : ٤٨ .

(٣) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٣١ .

(٤) **نِيْنَوَى** : - بكسر أوله وسكون ثانيه وفتح النون والواو - (بوزن طيطوى) وهي قرية يونس بن متى عليه السلام بالموصل . ينظر : معجم البلدان للحموي : ٥ / ٣٣٩ .

(٥) ووعد يونس عليه السلام قومه بالعذاب بعد ثلاث ، فلما تحققوا منه ذلك ؛ وعلموا أن النبي لا يكذب خرجوا إلى الصحراء بأطفالهم وأنعامهم ومواشيهم وفرقوا بين الأمهات وأولادها ثم تضرعوا إلى الله عز وجل وجأروا إليه ، ورغت الإبل وفصلانها ، وخارت البقر وأولادها ، وثغت الغنم وحملانها ؛ فرفع الله عنهم العذاب قال الله تعالى : ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَـٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَـٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ . [سورة يونس عليه السلام : ٩٨] . ينظر : تفسير ابن كثير : ٣ / ١٩٢ .

﴿ مُغَـضِبًا ﴾ حال من فاعل ﴿ ذَّهَبَ ﴾ ، والمفاعلة هنا يحتمل أن يكون بمعنى : غضبان ، فلا مشاركة ؛ كعاقبت وسافرت ، وتحتمل أن تكون على بابها من المشاركة ، غاضَبْتُ فُلَاناً : أَغْضَبْتُه وأَغْضَبَنِي ؛ والعامة على ﴿ مُغَـضِبًا ﴾ اسم فاعل [١] .

ثم اختلف السلف وأهل العلم والمفسرون في **معنى قوله تعالى : ﴿ إِذ ذَّهَبَ مُغَـضِبًا ﴾ التي تقتضي المشاركة** على قولين [٢] :

القول الأول : معناه : **مغاضباً لقومه** [٣] **لكفرهم** ، قاله ابن عباس ﷺ [٤] ، والضحاك [٥]

---

(١) ينظر : الدر المصون : ٥ / ١٠٤ ، تفسير ابن عادل : ١٣ / ٥٧٧ . وينظر : تاج العروس (مادة : غضب) : ٣ / ٤٨٦ .

(٢) وهناك قولان آخران وهما :
الأول : خرج مغاضباً للملك الذي كان في وقته ، واسمه : حزقيا ، وهو قول الأخفش وثعلب .
الثاني : لم يغاضب ربه ، ولا قومه ، ولا الملك ، ولكنه مأخوذ من غضب ؛ إذا أنف ، وذلك أنه لما وعد قومه بالعذاب وخرج عنهم تابوا وكشف الله عنهم العذاب ؛ فلما رجع وعلم أنهم لم يهلكوا أنف من ذلك فخرج عنهم . ومن استعمال الغضب في هذا المعنى قول الشاعر : وأغضب أن تهجى تميم بعامر ... أي : أنف . قال القرطبي : وهذا فيه نظر ؛ فإنه يقال لصاحب هذا القول : إن تلك المغاضبة وإن كانت من الأنفة فالأنفة لا بد أن يخالطها الغضب ، وذلك الغضب وإن دق على من كان ؟! وأنت تقول : لم يغضب على ربه ولا على قومه ! . ينظر : معاني القرآن للأخفش : ٢ / ٦٣٥ ، ياقوتة الصراط لثعلب : ٣٦٢ ، تفسير القرطبي : ١١ / ٣٣١ فتح القدير للشوكاني : ٣ / ٤٢٠ .

(٣) وفي غضبه عليهم ثلاثة أقوال :
أحدها : أن الله تعالى أوحى إلى بني نبي يقال له : (شعيا) أن ائت فلان الملك فقل له : يبعث نبيّاً أميناً إلى بني إسرائيل ، وكان قد غزا بني إسرائيل ملك وسبا منهم الكثير ، فأوحى النبي والملك أن يبعثا يونس إلى ذلك الملك ليكلمه حتى يرسلهم ، فقال يونس لشعيا : هل أمرك الله بإخراجي ؟ قال : لا . قال : فهل سماني لك ؟ قال : لا . قال : فهاهنا غيري من الأنبياء . فألحوا عليه فخرج مغاضباً للنبي والملك ولقومه ، هذا مرويٌّ عن ابن عباس ﷺ .
والثاني : أنه عانى من قومه أمراً صعباً من الأذى والتكذيب ، فخرج عنهم قبل أن يؤمنوا ضجراً ، وما ظن أن هذا الفعل نوجب عليه ما جرى من العقوبة ، ذكره ابن الأنباري . وقد روي عن وهب بن منبه قال لما حملت عليه أثقال النبوة ضاق بها ذرعا و لم يصبر ، فقذفها من يده وخرج هارباً .
والثالث : أنه لما أوعدهم العذاب فتابوا ورفع عنهم قيل له : ارجع إليهم . فقال : كيف أرجع فيجدوني كاذباً فانصرف مغاضباً لقومه عاتباً على ربه . ينظر : زاد المسير لابن الجوزي : ٥ / ٣٨١ ، ٣٨٢ . وروي غير ذلك . ينظر قبله : تفسير البغوي : ٣ / ٢٦٥ .

(٤) أخرجه ابن جرير ، ونسبه الثعلبي والسمعاني إليه ، وعزاه السيوطي أيضاً إلى البيهقي في الأسماء والصفات . ينظر : تفسير الطبري : ١٧ / ٧٦ ، الكشف والبيان : ٦ / ٣٠١ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٤٠٢ . الدر المنثور : ٥ / ٦٦٥ .

(٥) أخرجه ابن جرير ، ونسبه الثعلبي وابن كثير إليه ، وعزاه السيوطي أيضاً إلى ابن أبي شيبة ، وابن المنذر ، وابن =

ومقاتل [١] ، **وصحَّحه القاضي عياض** [٢] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٣] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٤] .

" قال أهل العلم : و لم يكن يونس عليه السلام من أولي العزم من الرسل ، وكان ضيق الصدر ، فلما وضع عليه أعباء النبوة تفسخ تحتها كما يتفسخ الربع ، وهذا القول مأثور عن السلف " [٥] .

واستدل له : بقول الله لنبيِّه ﷺ : ﴿ ... وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ ... ﴾ [٦] . [٧]

قال ابن عباس رضي الله عنه : نهاه أن يتشبه بصاحب الحوت ؛ حيث لم يصبر صبر أولي العزم [٨] .

القول الثاني : معناه : **مغاضباً لربِّه** ، روي عن ابن مسعود رضي الله عنه [١] ، وبه قال الحسن

= أبي حاتم . ينظر : تفسير الطبري : ١٧ / ٧٦ ، الكشف والبيان : ٦ / ٣٠١ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ١٩٢ ، الدر المنثور : ٥ / ٦٦٥ .

(١) ينظر تفسيره : ٢ / ٣٦٧ .

(٢) ينظر : الشفاء بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض بن موسى اليحصبي (ت٥٤٤ هـ) : ٢ / ٩٢ .
والقاضي عياض هو : عياض بن موسى بن عياض اليحصبي ، أبو الفضل الأندلسي المالكي ، الإمام العلامة الحافظ ، شيخ الإسلام القاضي ، صاحب التصانيف ، ت سنة ٥٤٤هـ . ينظر : وفيات الأعيان : ٣ / ٤٨٣ - ٤٨٥ ، تذكرة الحفاظ : ٤ / ١٣٠٤- ١٣٠٧ ، السِّير : ٢٠ / ٢١٢ - ٢١٨ .

(٣) ينظر : التسهيل : ٣ / ٣١ .

(٤) منهم : الصنعاني ، والسمر قندي ، وابن أبي زمنين ، والواحدي ، و **رجَّحه** السمعاني ، والزمخشري ، واحتمله الفخر الرازي ، والبيضاوي ، والنسفي ، وابن كثير ، والبقاعي ، ومال إليه الثعالبي (نقل تصحيح القاضي عياض له) ، والجلالين ، وأبو السعود ، والآلوسي ، والشنقيطي ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير الصنعاني : ٣ / ١٥٨ ، تفسير السمر قندي : ٢ / ٤٣٨ ، تفسير ابن أبي زمنين : ٣ / ١٥٧ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٧٢٢ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٤٠٣ ، الكشاف : ٣ / ١٣٢ ، التفسير الكبير : ٢٢ / ١٨٦ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ١٠٥ ، تفسير النسفي : ٣ / ٨٩ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ١٩٢ ، نظم الدرر : ٥ / ١٠٥ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ٩٧ ، تفسير الجلالين : ٤٢٩ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ٨٢ ، روح المعاني : ١٧ / ٨٣ ، أضواء البيان : ٤ / ٢٤١ ، الوسيط : ٩ / ٢٤٤ .
وقال به : مكي بن أبي طالب في مشكل إعراب القرآن (٢ / ٤٨١) ، وابن حزم في الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤ / ١٣) ، والتفتازاني في شرح المقاصد في علم الكلام (٢ / ١٩٧) .

(٥) تفسير السمعاني : ٣ / ٤٠٣ .

(٦) سورة القلم : ٤٨ .

(٧) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٣١ .

(٨) نسبه ابن القيِّم إليه وإلى غيره من السلف . ينظر : التفسير القيِّم : ٤٩٨ ، عدَّة الصابرين وذخيرة الشاكرين لابن القيِّم أيضاً : ٢٤ .

والشعبي ، وسعيد بن جبير ، وعروة بن الزبير وجماعة [٢] ، وذهب إليه الطبري [٣] ، **وبالغ في نصرته ابن قتيبة** [٤] ، واستحسنه **المهدوي** [٥] ، وذهب إليه النحاس [٦] ، **وصحَّحه ابن سيده** [٧] ، ورجَّحه القرطبي [٨] وحسَّن قول النحاس . [٩]

وكره هذا القول كثير من العلماء ؛ لأن من أغضب ربه فقد ارتكب كبيرة عظيمة[١٠] ولا يناسب منصب النبُوَّة [١١] .

✖ قال **ابن حزم مشنعاً** على أصحاب هذا القول : " أما أخبار الله تعالى أن يونس ذهب مغاضباً فلم يغاضب ربه قط ؛ ولا قال الله تعالى أنه غاضب ربه ؛ فمن زاد هذه الزيادة كان قائلاً على الله الكذب ، وزائداً في القرآن ما ليس فيه ، هذا لا يحل ولا يجوز أن يظن بمن له أدنى مسكة من عقل ؛ أنه يغاضب ربه تعالى فكيف أن يفعل ذلك نبيٌّ من

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم **وصحَّح** ابن حجر إسناده . ينظر : فتح الباري : ٦ / ٤٥٢ .

(٢) نسبه الثوري إلى سعيد بن جبير ، وأخرجه ابن جرير عن الشعبي ؛ ونسب البغوي هذا القول إلى سعيد وعروة وجماعة ، ونسبه ابن الجوزي وابن كثير إلى الحسن ، والشعبي ، وسعيد ، وعروة . ينظر : تفسير الثوري : ٢٠٤ تفسير الطبري : ١٧ / ٧٦ ، تفسير البغوي : ٣ / ٢٦٥ ، زاد المسير : ٣ / ٣٨٢ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ١٩٢ .

وعروة بن الزبير هو : عروة بن الزبير بن العوام المدني ، التابعي الثقة الإمام الورع الزاهد العابد ، كان رجلاً صالحاً لم يدخل في شيء من الفتن ، وهو صاحب القصة المشهورة عندما قطعت رجله ، وقتل أحد أولاده الأربعة ، ت سنة ٩٩هـ . ينظر : معرفة الثقات : ٢ / ١٣٣ ، مشاهير علماء الأمصار : ١ / ٦٤ ، الحلية : ٢ / ١٧٦ - ١٨٣ .

(٣) ينظر : تفسير الطبري : ١٧ / ٧٧ .

(٤) ينظر : تأويل مختلف الحديث لأبي محمد ، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦ هـ) : ٦٩ .

(٥) نسبه القرطبي إليه في تفسيره (١١ / ٣٢٩) .

و**المهدوي** هو : أحمد بن عمار المهدوي ، أبو العباس ، كان رأساً في القراءات والعربية والتفسير، صنف كتباً مفيدة ، ت بعد ٤٣ هـ . ينظر : الوافي بالوفيات : ٧ / ١٦٩ ، معرفة القراء الكبار : ١ / ٣٩٩ ، طبقات الداوودي : ١١١ ، ١١٢ .

(٦) ينظر إعرابه : ٣ / ٧٧ .

(٧) ينظر : المحكم والمحيط الأعظم (مادة : غضب) : ٥ / ٤١١ .

(٨) ينظر : تفسير القرطبي : ١١ / ٣٢٩ .

(٩) نسبه الفخر الرازي إلى أكثر المفسرين . ينظر : التفسير الكبير : ٢٢ / ١٨٥ . لكني أجد أن الأكثرية قالوا بالقول الأول واعترضوا على القول الثاني فلا يصحُّ إلا بتأويل النحاس الذي سأذكره لاحقاً . قال ابن عبد البر : هذا قول المتقدمين ، أما المتأخرين فقالوا بالأقوال الأخرى . بتصرف . ينظر : التمهيد لابن عبد البرِّ :١٨ / ٤٥ .

(١٠) ينظر : تفسير السمعاني : ٣ / ٤٠٢ ، التفسير الكبير للفخر الرازي : ٢٢ / ١٨٥ .

(١١) ينظر : البحر المحيط لأبي حيان : ٦ / ٣١١ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ٩٧ .

الأنبياء ، فعلمنا يقيناً أنه إنما غاضب قومه ، و لم يوافق ذلك مراد الله ﷻ فعوقب بذلك ، وأن كان يونس عليه السلام لم يقصد بذلك إلا إرضاء الله ﷻ " . اهـ [١].

✖ وقال **ابن جُزيّ** : " ولا يصحُّ قول من قال : مغاضباً لربِّه " [٢].

✓ **وأجيب** :

١. " لأن العُقوبة لم تحل به إلا لمُغاضبته لربِّه " [٣] .

٢. قال **النحاس** : " وربما أنكر هذا من لا يعرف اللغة وهذا قول صحيح . والمعنى : **مغاضباً من أجل ربه** ؛ كما تقول : غضبت لك ؛ أي : من أجلك . والمؤمن يغضب لله جل وعز إذا عُصي " . اهـ [٤] .

قال **الشنقيطي** وغيره : " وغير هذا لا يصحُّ في الآية " [٥] .

❖ **وذكر القولين من غير ترجيح** : الثعلبي ، والبغوي ، وابن عطية ، والخازن ، والخطيب الشربيني ، والشوكاني ، والطاهر بن عاشور [٦] .

الترجيح:

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – أن **الراجح أن معنى قوله تعالى عن يونس** عليه السلام **﴿ ذَّهَبَ مُغَـٰضِبًا ﴾ مغاضباً لقومه لكفرهم ومخالفتهم أمر ربهم ؛ وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه ، فهو الحسن الصحيح الذي لا اعتراض عليه** [٧] .

---

(١) الفصل في الملل : ٤ / ١٣ .
(٢) ينظر : التسهيل : ٣ / ٣١ .
(٣) ينظر : المحكم والمحيط الأعظم : ٥ / ٤١١ .
(٤) إعراب القرآن للنحاس : ٣ / ٧٧ . وينظر : تفسير القرطبي : ١١ / ٣٢٩ .
(٥) أضواء البيان للشنقيطي : ٤ / ٢٤١ . وينظر قبله : البحر المحيط لأبي حيان : ٦ / ٣١١ ، تفسير ابن عادل : ١٣ / ٥٧٧ .
(٦) ينظر : الكشف والبيان : ٦ / ٣٠١ ، تفسير البغوي : ٣ / ٢٦٥ ، المحرر الوجيز : ٤ / ٩٦ ، تفسير الخازن : ٤ / ٣١٨ ، السراج المنير : ٢ / ٥٨١ ، ٥٨٢ ، فتح القدير : ٣ / ٤٢٠ ، التحرير والتنوير : ١٧ / ١٣١ .
(٧) ينظر : تفسير السمعاني : ٣ / ٤٠٣ .

✓ يدل عليه **القواعد الترجيحية** التالية :

- **كل قول طعن في عصمة النبوة ومقام الرسالة فهو مردود .**
- **القول الذي يعظم مقام النبوة ، ولا ينسب إليها ما لا يليق بها أولى بتفسير الآية** [١] .

✍ **وفي الآية وقفات :**

الأولى : احتج الطاعنون في عصمة الأنبياء بهذه القصة من وجوه ، وردَّ الفخر الرازي على جميع شبههم من وجوه عدَّة [٢] . وغاية ما في الباب أن تلك المغاضبة ترك الأولى ؛ وهو الصبر على مشاق الرسالة بعد أدائها إلى أن يأذن الله له في المهاجرة [٣] .

الثانية : " إن يونس عليه السلام لم يصبر على تكاليف الرسالة ، فضاق صدراً بالقوم ، وألقى عبء الدعوة ، وذهب مغاضباً ، ضيق الصدر ، حرج النفس ؛ فأوقعه الله في الضيق الذي تهون إلى جانبيه مضايقات المكذبين . لولا أن ثاب إلى ربه ! واعترف بظلمه لنفسه ودعوته وواجبه لما فرج الله عنه هذا الضيق . ولكنها القدرة حفظته ونجته من الغم الذي يعانيه .

أصحاب الدعوات لا بد أن يحتملوا بتكاليفها ، وأن يصبروا على التكذيب بها ، والإيذاء من أجلها . وتكذيب الصادق الواثق مرير على النفس حقاً . ولكنه بعض تكاليف الرسالة ؛ فلا بد لمن يكلفون حمل الدعوات أن يصبروا ويحتملوا ، ولا بد أن يثابروا ويثبتوا . ولا بد أن يكرروا الدعوة ويبدئوا فيها ويعيدوا .

إنهم لا يجوز لهم أن ييأسوا من صلاح النفوس واستجابة القلوب ، مهما واجهوا من إنكار وتكذيب ، ومن عتو وجحود . فإذا كانت المرة المائة لم تصل إلى القلوب ، فقد تصل المرة الواحدة بعد المائة " [٤] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

---

(١) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٣٢٨ .
(٢) لمعرفة هذه الوجوه والرد على هذه الشبهة ينظر : التفسير الكبير للفخر الرازي : ٢٢ / ١٨٥ .
(٣) ينظر : المرجع السابق : ٢٢ / ١٨٥ ، تفسير غرائب القرآن للنيسابوري : ٥ / ٤٧ .
(٤) الظلال لسيد قطب : ٤ / ٢٣٩٣ .

المسألة الثانية: في معنى قوله تعالى : ﴿ فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن معنى قوله تعالى : ﴿ فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾ ظن أن نضيق عليه ، فقال : ((﴿ فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾ أي : ظن أن نضيق عليه ؛ فهو من معنى قوله : ﴿ ... وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ ... ﴾ [١] . وقيل : هو من القدر والقضاء ؛ أي : ظن أن لن نضيق عليه بعقوبة . **ولا يصح** قول من قال : إنه من القدرة)) . اهـ [٢] .

الدراسة :

قرأ الجمهور ﴿ نَّقْدِرَ ﴾ – بفتح النون وكسر الدال – ، واختلف أهل العلم والمفسرون في معنى الآية على هذه القراءة على أربعة أقوال :

القول الأول : ظن أن لن نضيِّق عليه في بطن الحوت ، يروى نحو هذا عن ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد [٣] ، ورجَّحه ابن جرير [٤] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٥] ، ووافقه **كثير** [٦] من المفسرين [٧] وأهل العلم [٨] .

واستدل له بالنظير القرآني : فهو من معنى قوله : ﴿ ... وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾ .

---

(١) سورة الطلاق : ٧ .

(٢) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٣١ .

(٣) أخرجه ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد ؛ ونسبه ابن كثير إليهما . ينظر : تفسير الطبري : ١٧ / ٧٨ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ١٩٣ .

(٤) ينظر : تفسير الطبري : ١٧ / ٧٩ .

(٥) ينظر : التسهيل : ٣ / ٣١ .

(٦) نسب الثعلبي ، والقرطبي ، والشوكاني هذا القول إلى كثير من العلماء . ينظر : الكشف والبيان : ٦ / ٣٠٢ ، تفسير القرطبي : ١١ / ٣٣١ ، فتح القدير : ٣ / ٤٢١ .

(٧) منهم : النسفي ، والسمين الحلبي ، والثعالبي ، وابن عادل ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير النسفي : ٣ / ٨٩ ، الدر المصون : ٥ / ١٠٥ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ٩٨ ، تفسير ابن عادل : ١٣ / ٥٧٧ ، الوسيط : ٩ / ٢٤٤ .

(٨) نسبه إلى أهل العلم : الطحاوي في شرح مشكل الآثار (٢ / ٢٩) ، والقاضي عياض في كتاب الشفا (٢ / ٩٢) ، وابن حزم في الفصل في الملل (٤ / ١٣) ، وعضد الدين الإيجي في المواقف (٣ / ٤٤٢) ، والتفتازاني في شرح المقاصد في علم الكلام (٢ / ١٩٧) .

[سورة الطلاق : ٧] .[١]

القول الثاني : هو **من القدر والقضاء ؛ أي : ظن أن لن نضيق عليه بعقوبة** ، رواه العوفي [٢] عن ابن عباس ﷺ [٣] أيضاً ، وقتادة والكلبي [٤] ، ومجاهد [٥] ، والضحاك [٦] ، ، والحسن [٧] ، وذهب إليه الفرَّاء [٨] ، والزَّجَّاج [٩] ، وقاله جماعة من المفسرين [١٠] .

واستدل له :

١. **النظير القرآني** : قوله تعالى : ﴿ ... فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴾ .[سورة القمر : ١٢] . أي : قدَّر .

٢. **من السُّنة** : قوله ﷺ : " ... فَإِنْ غُمَّ عَلَيْكُمْ فَاقْدُرُوا له ... " [١١] . أي : قدِّروا له .

٣. **من كلام العرب** : العرب تقول : قَدْر وقَدَر بمعنىً واحد [١٢] .

---

(١) ينظر : التسهيل : ٣ / ٣١ ، فتح القدير : ٣ / ٤٢١ .

(٢) نسبه ابن كثير إليه ، وعزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم . ينظر : الدر المنثور : ٥ / ٦٦٥ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ١٩٣ .

(٣) أخرجه ابن جرير ، ونسبه ابن كثير إليه ، وعزاه السيوطي أيضاً إلى البيهقي في الأسماء والصفات . ينظر : تفسير الطبري : ١٧ / ٧٨ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ١٩٣ ، الدر المنثور : ٥ / ٦٦٥ . وينظر : تنوير المقباس : ٢٧٤ .

(٤) نسبه الصنعاني إليهما ، وعزاهما السيوطي إلى ابن جرير . ينظر : تفسير الصنعاني : ٣ / ٢٧ ، تفسير الطبري : ١٧ / ٧٨ ، ٧٩ ، الدر المنثور : ٥ / ٦٦٥ .

(٥) عزاه السيوطي إلى ابن أبي شيبة ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والبيهقي في الأسماء والصفات . ينظر : الدر المنثور : ٥ / ٦٦٥ . ونسبه الشوكاني إلى قتادة ومجاهد . ينظر : فتح القدير :٣ / ٤٢١ .

(٦) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٧ / ٧٨ ، ٧٩) ، وعزاه السيوطي أيضاً في الدر (٥ / ٦٦٥) إلى ابن أبي حاتم وعزاه ابن الجوزي إلى مجاهد وقتادة والضحاك . ينظر : زاد المسير :٣ / ٣٨٢ .

(٧) عزاه السيوطي في الدر (٥ / ٦٦٥) إلى البيهقي في الأسماء والصفات .

(٨) ينظر معانيه : ٢ / ١٧٩ .

(٩) ينظر معانيه : ٣ / ٤٠٢ .

(١٠) منهم : ابن أبي زمنين ، والواحدي ، والخازن ، وأبو حيان ، وقال البقاعي (**وهو أحسن الأقوال وأقومها**) . ينظر : تفسير ابن أبي زمنين : ٣ / ١٥٧ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٧٢٢ ، تفسير الخازن : ٤ / ٣١٨ ، البحر المحيط : ٦ / ٣١١ ، نظم الدرر : ٥ / ١٠٥ .

(١١) جزء من حديث أخرجه البخاري – واللفظ له – في صحيحه في كتاب الصوم ،بَاب هل يُقَالُ رَمَضَانُ أو شَهْرُ رَمَضَانَ (١٨٠١) : ٢ / ٦٧٢ ، وأخرج مسلم بنحوه في صحيحه في كتاب الصيام ، بَاب وُجُوبِ صَوْمِ رَمَضَانَ لِرُؤْيَةِ الْهِلَالِ وَالْفِطْرِ لِرُؤْيَةِ الْهِلَالِ (١٠٨٠) : ٢ / ٧٥٩ . عن ابن عمر ﷺ .

(١٢) ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزَّجاج : ٣ / ٤٠٢ . وينظر : تهذيب اللغة للأزهري (مادة : قدر) : =

ومنه قول الشاعر :

ولا عائداً ذاك الزمان الذي مضى تباركت ما تُقدِّر يقع ولك الشكر [١]

٤. بالقراءات الشاذة :

هناك ثلاث قراءات شاذة وهي :

- (فظن أن لن نُقدِّر) – بضم النون وتشديد الدال – من التَّقْدير .
- (أن لن يُقدَّر) – بضم الياء والتشديد مبنيا للمفعول – .
- (يُقدَر) – بضم الياء وفتح الدال مخففا مبنيا للمفعول – . [٢]

القول الثالث : إنه من **القدرة** ، **ومعنى الآية** : **أنه وقع في ظنه أن الله تعالى لا يقدر على معاقبته** . وقد حكي هذا القول عن الحسن [٣] ، وسعيد بن أبي الحسن [٤] . [٥]

وتأول الزمخشري القراءة بالتخفيف فقال :

" والمخفَّف يصح أن يفسر بالقدرة ، على معنى : أن لن نعمل فيه قدرتنا ، وأن يكون من

= ٩ / ٣٨ .

(١) نسبه ابن فورك وابن الجوزي إلى أبي صخر الهمذاني . ينظر : مشكل الحديث وبيانه لمحمد بن الحسن بن فورك الأصبهاني (ت ٤٠٦ هـ) : ٢٩٩ ، زاد المسير : ٥ / ٣٨٢ .

(٢) أورد هذه القراءات الشاذة غير واحد من المفسرين ، ينظر : زاد المسير : ٣ / ٣٨٢ ، تفسير القرطبي : ١١ / ٣٣٢ ، فتح القدير للشوكاني : ٣ / ٤٢١ . وينظر : إتحاف فضلاء البشر للبناء : ٣٩٣ ، ٣٩٤ .

(٣) أخرجه ابن جرير ، و نسبه ابن الجوزي إليه ؛ ونسبه الشوكاني إلى الحسن وسعيد بن جبير . ينظر : تفسير الطبري : ١٧ / ٧٩ ، زاد المسير : ٣ / ٣٨٣ ، فتح القدير : ٣ / ٤٢١ .

وسعيد بن أبي الحسن هو : سعيد بن أبي الحسن بن يسار البصري ، أخو الحسن البصري ، من ثقات التابعين . وثقه النسائي وغيره . ولما توفي حزن عليه أخوه وبكى . قيل : مات قبله بعام . والصحيح أنه ت سنة مائة ، وكان يسمَّى راهباً لدينه رحمه الله . ينظر : الجرح والتعديل : ٤ / ٧٢ ، التعديل والتجريح لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح للباجي : ٣ / ١٠٩٦ ، السِّير : ٤ / ٥٨٨ ، ٥٨٩ .

(٤) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٧ / ٧٩) .

(٥) ذكر الأقوال الثلاثة وتأول القول الثالث كما قال الزمخشري (والذي سأذكره لاحقاً) ولم يرجح : الفخر الرازي والبيضاوي ، والنيسابوري ، وأبو السعود . ينظر : التفسير الكبير : ٢٢ / ١٨٥ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ١٠٥ تفسير غرائب القرآن للنيسابوري : ٥ / ٤٧ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ٨٢ .

باب التمثيل ، بمعنى : فكانت حاله ممثلة بحال من ظنّ أن لن نقدر عليه في مراغمته قومه ، من غير انتظار لأمر الله . ويجوز أن يسبق ذلك إلى وهمه بوسوسة الشيطان ، ثم يردعه ويرده بالبرهان ، كما يفعل المؤمن المحقق بـنزغات الشيطان وما يوسوس إليه في كل وقت . ومنه قوله تعالى : ﴿ ... وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴾ . [سورة الأحزاب : ١٠] . " . اهـ [(١)] .

✖ وتُعقِّب :

١. بأن في الآية سؤالاً معروفاً يعدُّ من مشكلات القرآن ، وهو أنه قال : ﴿ فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾ فكيف يظن هذا بالله ، ومن ظن هذا بالله فقد كفر ؟

ولهذا ردَّ **الطبري** ، **والسمعاني** ، **وابن عطية** ، **وابن حزم** ، **والقرطبي** ، **والشوكاني** ، **والآلوسي** ، **والشنقيطي** [(٢)] هذا القول وقالوا : هذا قول باطل مردود ؛ لأن الظن بالله كفر ومثل ذلك لا يقع من الأنبياء – عليهم الصَّلاة والسَّلام – .

٢. أن مثله عن المؤمن بعيد فضلاً عن النبي المعصوم لأنه كفر [(٣)] .

قال ابن حزم :

" قوله تعالى : ﴿ فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾ فليس على ما ظنوه من الظن السخيف الذي لا يجوز أن يظن بضعيفة من النساء أو بضعيف من الرجال إلا أن يكون قد بلغ الغاية من الجهل ، فكيف بنبيٍّ مفضل على الناس في العلم ، ومن المحال المتيقن أن يكون نبي يظن أن الله تعالى الذي أرسله بدينه لا يقدر عليه وهو يرى أن آدمياً مثله يقدر عليه ، ولا شك في أن من نسب هذا للنبي ﷺ الفاضل فإنه يشتد غضبه لو نسب ذلك إليه أو إلى ابنه فكيف إلى يونس عليه السلام الذي يقول فيه رسول الله ﷺ : « لا تفضلوني على يونس بن متى » [(٤)] . فقد

---

(١) الكشاف : ٣ / ١٣٢ .

(٢) ينظر : تفسير الطبري : ١٧ / ٧٩ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٤٠٤ ، المحرر الوجيز : ٤ / ٩٧ ، الفصل في الملل : ٤ / ١٣ ، تفسير القرطبي : ١١ / ٣٣١ ، فتح القدير : ٣ / ٤٢١ ، روح المعاني : ١٧ / ٨٤ ، أضواء البيان : ٤ / ٢٤١ .

(٣) ينظر : التفسير الكبير : ٢٢ / ١٨٦ ، روح المعاني : ١٧ / ٨٤ .

(٤) قال الزيلعي : غريب جداً . وقال الألباني : " **لا أعرف له أصلا بهذا اللفظ** " . ينظر : تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزيلعي : – ١ / ٢٦٤ ، شرح العقيدة الطحاوية لمحمد ناصر الدين الألباني : ١٧٢ . **والصَّحيح** هو رواية : « لَا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ أنا خَيْرٌ من يُونُسَ بن مَتَّى » . متفق عليه . وفي رواية : « من

بطل ظنهم بلا شك " . اهـ [١] .

وعن ابن عباس ﷺ أنه دخل يوماً على معاوية ؛ فقال : لقد ضربتني أمواج القرآن البارحة فغرقت فيها فلم أجد لنفسي خلاصاً إلا بك . قال : وما هي يا معاوية ؟ فقرأ الآية ، فقال : أو يظن نبيُّ الله أن لا يقدر عليه ؟ قال : هذا من القَدر لا من القدرة [٢] .

القول الرابع : هو **استفهام معناه : أفظنّ أن لن نقدر عليه ؟** قاله ابن زيد [٣] .

✖ **وردَّ الطبري** القول بالاستفهام ؛ وذكر أنه لا دلالة فيه على ذلك ؛ والعرب لا تحذف من الكلام شيئاً لهم إليه حاجة إلا وقد أبقت دليلاً على أنه مراد في الكلام [٤] .

وقال **الثعلبي** بعد أن ذكر القول الرابع هذا :

" والتأويلات المتقدمة أوْلى بالأنبياء وأبعد من الخطأ " [٥] .

الترجيح:

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **احتمال القولين الأول والثاني ؛ وأن معنى قوله تعالى : ﴿ فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾ أن لن نضيِّق عليه ، أو لن نقدر عليه ونقضي عليه بعقوبة ؛ فهذان وجهان من التفسير لا يكذب أحدهما الآخر ، قاله الشنقيطي** [٦] ، يدل على ذلك إضافة لما تقدم ولما يلي :

أولاً : ذكر جماعة من المفسرين ومن أهل اللغة [٧] القولين و لم يرجِّحوا بينهما ؛ مما يدل على

قال أنا خَيْرٌ من يُونُسَ بن مَتَّى فَقَدْ كَذَبَ » . أخرجه البخاري . قال ابن حجر : " قيل : إنه قاله قبل أن يعلم أنه أفضل من الجميع " . ينظر : فتح الباري : ٦ / ٤١٣ ، وينظر : تحفة الأحوذي : ٨ / ٤٢٩ .

(١) الفصل في الملل لابن حزم : ٤ / ١٣ .

(٢) ينظر : تفسير النسفي : ٣ / ٨٩ .

(٣) أخرجه ابن جرير ونسبه الثعلبي إليه . ينظر : تفسير الطبري : ١٧ / ٧٩ ، الكشف والبيان : ٣ / ٣٠٣ . ونسبه ابن الجوزي والقرطبي إلى سليمان ابن المعتمر . ينظر : زاد المسير : ٣ / ٣٨٣ ، تفسير القرطبي : ١١ / ٣٣٢ .

(٤) ينظر : تفسير الطبري : ١٧ / ٧٩ .

(٥) الكشف والبيان : ٣ / ٣٠٣ .

(٦) ينظر : أضواء البيان للشنقيطي : ٤ / ٢٤٠ .

(٧) ذكر القولين الأول والثاني و لم يرجح : مقاتل ، والثعلبي ، والسمعاني ، والزمخشري ، وابن عطية ، والفخر الرازي والقرطبي ، وابن كثير ، والخطيب الشربيني ، والشوكاني ، والآلوسي ، والشنقيطي ، والطاهر بن عاشور . =

صحة كل منهما .

ثانياً : يتأيد هذا القول **بالقاعدة الترجيحية** التالية :

- **إذا احتمل اللفظ معانيَ عدة ولم يمتنع إرادة الجميع حمل عليها** [1] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

= ينظر : تفسير مقاتل (عند تفسير هذه الآية ذكر قولاً وعند تفسير آية الطلاق المذكورة ذكر القول الثاني) : ٢ / ٣٦٧ ، ٣ / ٣٧٣ ، الكشف والبيان : ٣ / ٣٠٢ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٤٠٤ ، الكشاف : ٣ / ١٣٢ ، المحرر الوجيز : ٤ / ٩٧ ، التفسير الكبير : ٢٢ / ١٨٦ ، تفسير القرطبي : ١١ / ٣٣٢ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ١٩٣ ، السراج المنير : ٢ / ٥٨٢ ، فتح القدير : ٣ / ٤٢١ ، روح المعاني : ١٧ / ٨٤ أضواء البيان : ٤ / ٢٤١ ، التحرير والتنوير : ١٧ / ١٣١ . **ومن أهل اللغة** : الأزهري في تهذيب اللغة (مادة : قدر) : ٩ / ٣٩ ، وابن منظور في لسان العرب (مادة : قدر) : ٥ / ٧٧ .

(١) ينظر : قواعد التفسير للسبت : ٢ / ٨٠٧ .

قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ . [آية : 104] .

مسألة : في المراد بـ ﴿ ٱلسِّجِلِّ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن المراد بـ ﴿ ٱلسِّجِلِّ ﴾ الصحيفة ، فقال : ((السِّجل : الصحيفة والكتاب مصدر ؛ أي : كما يطوي السِّجل ليكتب فيه ، أو ليصان الكتاب الذي فيه . وقيل : السِّجل رجل كاتب ، **وهذا ضعيف** . وقيل : هو ملك في السماء الثانية ترفع إليه الأعمال ، **وهذا أيضا ضعيف**)) . اهـ [١] .

الدراسة :

اختلف السَّلف وأهل العلم والمفسرون في **المراد بـ ﴿ ٱلسِّجِلِّ ﴾** هنا في الآية على ثلاثة أقوال :

القول الأول : السِّجل : الصحيفة [٢] ، قاله ابن عباس ﷺ [٣] ، ونصَّ عليه مجاهد [٤] ، وقتادة [٥] ، وذهب إليه مقاتل [٦] ، والفرَّاء [٧] ، وابن جرير [٨] ، **وهو ما رجَّحه ابن**

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٣٣ .

(٢) جاء في غير واحد من التفاسير أن السِّجل : اسم للطُّومار الذي يكتب فيه . ينظر : التفسير الكبير : ٢٢ / ١٩٧ **والطُّومار** هو مسمَّى للصحيفة التي تكتب فيها الرسائل قديماً . ينظر : لسان العرب (مادة : طمر) : ٤ / ٥٠٣ .

(٣) ينظر : تنوير المقباس : ٢٧٦ . وعزاه السيوطي في الدر (٥ / ٦٨٤) إلى عبد بن حميد ، وابن جرير (في تفسيره : ١٧ / ١٠٠) ، وابن المنذر .

(٤) ينظر : تفسير مجاهد : ١ / ٤١٧ . وأخرجه البخاري معلقاً في صحيحه في كتاب التفسير ، باب تفسير سورة الأنبياء (٤٤٦٢) : ٤ / ١٧٦٥ . ووصله ابن حجر في تغليق التعليق (٤ / ٢٥٨) ، وعزاه السيوطي في الدر (٥ / ٦٨٤) إلى عبد بن حميد ، وابن جرير (في تفسيره : ١٧ / ١٠٠) ، وابن المنذر .

(٥) نسبه إليه : ابن كثير والآلوسي . ينظر : تفسير ابن كثير : ٣ / ٢٠١ ، روح المعاني : ١٧ / ٩٩ .

(٦) ينظر تفسيره : ٢ / ٣٧٢ .

(٧) ينظر معانيه : ٢ / ١٨٢ .

(٨) ينظر : تفسير الطبري : ١٧ / ١٠٠ .

جُزيّ [١] ، ووافقه **أكثر** [٢] المفسرين [٣] .

واستدل له :

١. أنه **المعروف في كلام العرب** [٤] ؛ فالسِّجِل : الصحيفة ؛ وبعضهم خصَّه بصحيفة العهد العهد وهو اسم مشتق من المساجلة ، وهي المكاتبة وأصلها من السَّجْل الدلو الملأى . يقال : ساجلت الرجل ؛ إذا نزعت دلواً ونزع دلواً ؛ ثم استعيرت للمكاتبة والمراجعة في الكلام [٥] . ومنه قول **الفضل بن العباس بن عتبة :**

من يُساجلْني يساجلْ ماجداً يملأُ الدَّلْوَ إلى عَقْد الكَرَبْ [٦]

---

(١) ينظر : التسهيل : ٣ / ٣٣ .

(٢) نسب البغوي ، والفخر الرازي ، والنيسابوري ، وابن عادل هذا القول إلى الأكثرين . ينظر : تفسير البغوي : ٣ / ٢٧١ ، التفسير الكبير : ٢٢ / ١٩٧ ، تفسير غرائب القرآن : ٥ / ٥٧ ، تفسير ابن عادل : ١٣ / ١٦٤ .

(٣) منهم : ابن أبي زمنين (ولم يذكر غير قول قتادة) ، والثعلبي ، والسمعاني (**وقال : هو أصح الأقوال**) ، والزمخشري ، وابن الجوزي ، والفخر الرازي ، والقرطبي ، والبيضاوي ، والنسفي ، والخازن (وقدَّم قول ابن عباس ﷺ) ، والسمين الحلبي ، وابن كثير و **صحَّحه** ، وأبو السعود ، والشوكاني (**وقال : الأوَّل أوْلى**) ، والقاسمي ، والآلوسي ، والسعدي ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير ابن أبي زمنين : ٣ / ١٦٣ ، الكشف والبيان : ٦ / ٣١١ تفسير السمعاني : ٣ / ٤١٢ ، الكشاف : ٣ / ١٣٨ ، تذكرة الأريب في تفسير الغريب : ١ / ٣٥٢ ، التفسير الكبير : ٢٢ / ١٩٧ ، تفسير القرطبي : ١١ / ٣٤٧ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ١١٠ ، تفسير النسفي : ٣ / ٩٢ تفسير الخازن : ٤ / ٣٢٥ ، الدر المصون : ٥ / ١١٥ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٢٠١ تفسير أبي السعود : ٦ / ٨٨ ، فتح القدير : ٣ / ٤٢٩ ، تفسير القاسمي : ١١ / ٢٩٦ ، روح المعاني : ١٧ / ٩٩ ، تفسير السعدي : ٥٣١ ، الوسيط : ٩ / ٢٥٦ .

وينظر : غريب القرآن للسجستاني : ٢٨١ ، التبيان في تفسير غريب القرآن لهائم المصري : ٢٩٨ ، حاشية ابن القيم على سنن أبي داود لأبي عبد الله ، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي المعروف بابن قيِّم الجوزية أو ابن القيِّم (ت ٧٥١ هـ) : ٨ / ١١٠ ، إتقان السيوطي : ٢ / ٣٢١ .

(٤) ينظر : تفسير الطبري : ١٧ / ١٠٠ .

(٥) ينظر (مادة : سجل) في : العين للفراهيدي : ٦ / ٥٤ ، مفردات الرَّاغب : ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، المحكم لابن سيده : ٧ / ٢٧٣ ، لسان العرب لابن منظور : ١١ / ٣٢٥ ، ٣٢٦ .

(٦) نسبه إليه الثعلبي في الكشف والبيان (٦ / ٣١٢) ، وأبو القاسم ، ج ار الله محمود بن عمر الزَّمخشري (ت ٥٣٨ هـ) في المستقصى في أمثال العرب (٢ / ١١٣) . وغير واحد من المفسرين .

والفضل بن العباس بن عتبة هو : الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب ، من قريش : شاعر ، من فصحاء بني هاشم كان معاصراً للفرزدق والأحوص ، وله معهما أخبار ، وكان شديد السمرة ، جاءته من جدته وكانت حبشية ويقال له (الأخضر) لذلك . ويلقب بالفضل اللهبي نسبة إلى أبي لهب ، ت نحو ٩٥ هـ . ينظر : الأغاني : ١٦ / ١٨٥ ، تاريخ دمشق لابن عساكر : ٤٨ / ٣٣٧ ، الوافي بالوفيات : ٢٤ / ٣٨ .

فعلى هذا يكون معنى الكلام : يوم نطوي السماء كطي السِّجل للكتاب ؛ أي : كطي الصحيفة على ما كتب فيها ، وعلى هذا فطي السِّجل مصدر مضاف إلى مفعوله ، لأن السِّجل على هذا المعنى مفعول الطي [١] .

كقوله تعالى : ﴿ فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ﴾ . [سورة الصافات : ١٠٣] . أي : على الجبين وله نظائر في اللغة [٢] .

قال الشاعر :

..... فَخَرَّ صَرِيعاً لليَدَيْنِ وللْفَمِ [٣]

أي : **على** اليدين **وعلى** الفم [٤] .

القول الثاني : السِّجل ملك في السماء الثانية [٥] ، وهو الذي يطوي كتب أعمال بني آدم إذا رفعت إليه ، رُوي عن علي ﷺ [٦] ، وابن عمر ﷺ [٧] ، وقاله السدي [٨] ، وقدَّمه السمر قندي ، وقاله الواحدي [٩] من المفسرين . [١٠]

---

(١) ينظر : تفسير الطبري : ١٧ / ١٠٠ ، المحرر الوجيز لابن عطية : ٤ / ١٠٢ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٢٠١ ، أضواء البيان للشنقيطي : ٤ / ٢٤٩ ، الوسيط لمحمَّد سيِّد طنطاوي : ٩ / ٢٥٦ .

(٢) ينظر : حاشية ابن القيم على سنن أبي داود : ٨ / ١١٠ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٢٠١ .

(٣) نسبه ابن عبد ربه الأندلسي إلى ربيعة بن مكدم (الشاعر الجاهلي) في العقد الفريد (٥ / ١٤٩) .

(٤) ينظر : أدب الكاتب لأبي محمد ، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦ هـ) : ٤٠١ ، شرح نهج البلاغة للمدائني : ١ / ١٠٢ ، مغني اللبيب : ٢٨٠ .

(٥) وقيل : في السماء الثالثة . ترفع إليه الحفظة الموكلون بالخلق أعمال بني آدم في كل خميس واثنين ، وكان من أعوانه (فيما ذكروا) هاروت وماروت ، وقيل : إنه لا يطوي الصحيفة حتى يموت صاحبها فيرفعها ويطويها إلى يوم القيامة . ينظر : أضواء البيان للشنقيطي : ٤ / ٢٤٩ .

(٦) عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد . ينظر : الدر المنثور : ٥ / ٦٨٣ .

(٧) عزاه السيوطي إلى ابن جرير ، وابن أبي حاتم . ينظر : تفسير الطبري : ١٧ / ٩٩ ، الدر المنثور : ٥ / ٦٨٣ .

(٨) نسبه الثوري إليه ، وعزاه السيوطي إلى ابن جرير ، وابن أبي حاتم . ينظر : تفسير الثوري : ٢٠٦ ، تفسير الطبري : ١٧ / ١٠٠ ، الدر المنثور : ٥ / ٦٨٣ . ونسبه ابن الجوزي إلى كل من علي ، وابن عمر ﷺ والسدي . ينظر : زاد المسير : ٥ / ٣٩٥ .

(٩) ينظر : تفسير السمر قندي : ٢ / ٤٤٤ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٧٢٥ .

(١٠) ذكر القولين الأول والثاني ولم يرجح : البغوي ، والنيسابوري ، وابن عادل ، والجلالين ، والشنقيطي . ينظر : تفسير البغوي : ٣ / ٢٧١ ، تفسير غرائب القرآن : ٥ / ٥٦ ، ٥٧ ، تفسير ابن عادل : ١٣ / ١٦٤ ، تفسير الجلالين : ٤٣١ ، أضواء البيان : ٤ / ٢٤٩ .

قالوا : واللام زائدة ؛ أي : كطي السِّجل للكتب [١] .

✖ وردَّ **الطبري** هذا القول فلا يوجد في الملائكة ملك ذلك اسمه [٢].

✖ وردَّ **الطاهر بن عاشور** القولين الأول والثاني فقال :

" ولا يحسن حملهُ – أي السِّجل – هنا على معنى **الصحيفة** لأنه لا يلائم إضافة الطيّ إليه ولا إردافه لقوله : (للكتاب) أو ﴿ لِلْكُتُبِ ﴾ [٣] ، ولا حملهُ على معنى **المَلَك** الموكَل بصحائف الأعمال لأنه لم يكن مشهوراً فكيف يشبه بفعله " . اهـ [٤] .

القول الثالث : السِّجل كاتب للنبي ﷺ ، رُوي عن ابن عباس رضي الله عنه [٥] . [٦]

✖ قال **السمعاني** : " وهو قول غريب " [٧] .

✖ **وردَّ هذا القول لما يلي :**

١. لا يعرف في الصحابة أحد اسمه السِّجل . وكتاب النبي ﷺ معروفون وليس فيهم أحد اسمه السِّجل ، قاله الطبري [٨] .

---

(١) ينظر : تفسير البغوي : ٣ / ٢٧١ ، تفسير الجلالين : ٤٣١ .

(٢) تفسير الطبري : ١٧ / ١٠٠ . وينظر : تفسير القرطبي : ١١ / ٣٤٧ .

(٣) اختلف في ﴿ لِلْكُتُبِ ﴾ . [سورة الأنبياء : ١٠٤] .

فحفص وحمزة والكسائي وخلف : – بضم الكاف والتاء بلا ألف على الجمع – ﴿ لِلْكُتُبِ ﴾ وافقهم الأعمش .

والباقون : – بكسر الكاف وفتح التاء مع الألف – على الإفراد (للكتاب) والرسم يحتملها . ينظر : إتحاف فضلاء البشر للبناء : ٣٩٥ .

(٤) ينظر : التحرير والتنوير : ١٧ / ١٥٩ .

(٥) نسبه ابن الجوزي إليه ، وعزاه السيوطي إلى ابن جرير ، وابن أبي حاتم . ينظر : تفسير الطبري : ١٧ / ١٠٠ ، زاد المسير : ٥ / ٣٩٥ ، الدر المنثور : ٥ / ٦٨٤ . وقال الزَّجَّاج : السجل هو الرجل بلغة أهل الحبشة .

(٦) ذكر الأقوال كلها و لم يرجح : الماوردي ، والعز بن عبد السلام ، وأبو حيان ، والفيروز آبادي ، والخطيب الشربيني . ينظر : النكت والعيون : ٣ / ٤٧٤ ، تفسير العز بن عبد السلام : ٢ / ٣٤٠ ، البحر المحيط : ٦ / ٣١٧ ، القاموس المحيط (مادة : سجل) : ١٣٠٩ ، السراج المنير : ٢ / ٥٨٨ .

(٧) تفسير السمعاني : ٣ / ٤١٢ .

(٨) ينظر : تفسير الطبري : ١٧ / ١٠٠ . وينظر : الكشف والبيان للثعلبي : ٦ / ٣١١ ، التفسير الكبير : ٢٢ / ١٩٧ ، تفسير القرطبي : ١١ / ٣٤٧ ، تفسير ابن عادل : ١٣ / ٦١٤ ، روح المعاني للآلوسي : ١٧ / ٩٩ .

٢. لم يوجد هذا القول إلاَّ في هذا الخبر ، وهو حصرٌ مردودٌ [١] .

٣. والآية مكيَّة [٢] ، و لم يكن لرسول الله ﷺ كاتب بمكة [٣] .

٤. " قد صرح جماعة من الحفاظ بوضعه ؛ وإن كان في سنن **أبي داود** ، منهم شيخنا الحافظ الكبير أبو **الحجاج المزي** " قاله **ابن كثير** [٤] .

وقال الآلوسي : " خبرٌ واه جداً " [٥] .

وقال الشنقيطي : " وهو ظاهر السقوط كما ترى " [٦] .

وقال **ابن كثير** أيضاً تعقيباً على قول الطبري : " وصدق رحمه الله في ذلك وهو من أقوى الأدلة على نكارة هذا الحديث ، وأما من ذكره في أسماء الصحابة فإنما اعتمد على هذا الحديث لا على غيره . والله أعلم " . اهـــ [٧] .

✖ وكذلك ضعَّف **ابن عطية وابن جُزيّ** [٨] القولين الأخيرين ؛ فهو أثرٌ منكرٌ لا يصحُّ .

---

(١) قاله السهيلي . ينظر : فتح الباري لابن حجر : ١٧ / ٩٩ . – و لم أقف عليه في أي من كتب السهيلي في حدود ما اطلعت – .

(٢) قال بمكيَّة سورة الأنبياء : الزَّركشي في البرهان (١ / ١٩٣) ، والسيوطي في الإتقان : ١ / ٣٦ .

(٣) ينظر : حاشية ابن القيم على سنن أبي داود : ٨ / ١١٠ .

(٤) تفسير ابن كثير : ٣ / ٢٠١ .

وأبو داود هو : سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير الأزدي السجستاني : إمام أهل الحديث في زمانه ، أصله من سجستان ، له : السنن مطبوع في جزءان ، وهو أحد الكتب الستة ، جمع فيه ٤٨٠٠ حديث انتخبها من ٠٠٠ ، ٥٠٠ حديث ، وله مصنفات غير ذلك . ت سنة ٢٧٥ هـــ . ينظر : تاريخ بغداد : ٩ / ٥٥ – ٥٨ ، تاريخ الإسلام : ٢٠ / ٣٥٧ – ٣٦٣ ، البداية والنهاية : ١١ / ٥٤ – ٥٦ .

وأبو الحجَّاج المزِّي هو : يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف ، أبو الحجاج ، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزي : محدث الديار الشامية في عصره . مهر في اللغة ، ثم في الحديث ومعرفة رجاله ، وصنف كتبا ، منها : تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، و تحفة الاشراف بمعرفة الأطراف وغيرها . ت سنة ٧٤٢ هـــ . ينظر : طرح التثريب لأبي الفضل العراقي : ١ / ١٠٩ ، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة : ٣ / ٧٤ ، ٧٥ ، شذرات الذهب : ٦ / ١٣٦ .

(٥) روح المعاني للآلوسي : ١٧ / ٩٩ .

(٦) أضواء البيان للشنقيطي : ٤ / ٢٤٩ .

(٧) تفسير ابن كثير : ٣ / ٢٠١ .

(٨) ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ١٠٢ ، التسهيل : ٣ / ٣٣ .

وقد رجَّح **البقاعي وسيد قطب وابن عاشور** [١] أن **المراد بالسِّجل كاتب الصحيفة الذي له العلوّ والقدرة على مكتوبه** ؛ وليس كاتب للنبي ﷺ فليس السجل باسم صحابي ؛ وذلك لما يلي :

١. السِّجِل يطلق على الكتاب وعلى الكاتب ، قاله بعض أهل اللغة [٢] ، ولعله تسمية على تقدير مضاف محذوف أي : صاحب السِّجل .

٢. المراد بالسِّجل الكاتب الذي يكتب الصحيفة ثم يطويها عند انتهاء كتابتها ، وذلك عمل معروف ؛ فالتشبيه بعمله رشيق [٣] .

٣. اختير للفاعل (كاتب الصحيفة) لفظ السجل لأن هذه المادة تدور على العلو ، وللمطوي لفظاً الكتاب الدال على الجمع ، لكونه لازماً للطي ، مع أن ذلك أنسب لما جعل كل منهما مثالاً له [٤] .

الترجيح:

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن الراجح أن المراد بـــ ﴿ ٱلسِّجِلِّ ﴾ الصحيفة وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** ، يدل على ذلك إضافة لما تقدم ولما يلي :

أولاً : السِّجل يطلق على الصحيفة وعلى الكاتب الذي وإن كان له العلوّ والقدرة على مكتوبه ؛ لكن المعروف في اللغة أن السِّجل هو الصحيفة كما ذكر **الطبري** [٥] .

ثانياً : الطيُّ لغة [٦] هو : الدرج الذي هو ضدُّ النشر .

والكتب عبارة عن الصحائف ، وما كتب فيها فسجلُّها بعض أجزائها ، وبه يتعلق الطيّ

---

(١) ينظر : نظم الدرر للبقاعي : ٥ / ١١٦ ، الظلال : ٤ / ٢٣٩٩ ، التحرير والتنوير : ١٧ / ١٥٩ .
(٢) ينظر (مادة : سجل) في : المحيط في اللغة للصاحب بن عباد : ٧ / ١٢ ، تاج العروس للزبيدي : ٢٩ / ١٧٨ ، ١٧٩ . وينظر : نظم الدرر للبقاعي : ٥ / ١١٦ ، التحرير والتنوير لابن عاشور : ١٧ / ١٥٩ .
(٣) ينظر : التحرير والتنوير : ١٧ / ١٥٩ .
(٤) ينظر : نظم الدرر : ٥ / ١١٦ .
(٥) ينظر : تفسير الطبري : ١٧ / ١٠٠ .
(٦) ينظر (مادة : طوي) في : المحكم لابن سيده : ٩ / ٢٥٣ ، لسان العرب : ١٥ / ١٨ .

حقيقة [١] ، والقصد من الآية تشبيه طي الله ﷻ للسماء كطي الصحيفة على ما فيها .

ثالثاً : يؤيد هذا **القاعدة الترجيحية** التالية :

- **يجب حمل كلام الله تعالى على المعروف من كلام العرب دون الشاذ والضعيف والمنكر** [٢] .

قال محمَّد سيِّد طنطاوي :

" والمعنى : إن الملائكة تتلقى هؤلاء الأخيار الذين سبقت لهم من الله تعالى الحسنى بالفرح والسرور ، يوم يطوى سبحانه السماء طياً مثل طيِّ الصحيفة على ما فيها من كتابات .

وفى هذا التشبيه إشعار بأن هذا الطى بالنسبة لقدرته تعالى فى منتهى السهولة واليسر ، حيث شبه طيه السماء بطى الصحيفة على ما فيها " . اهـ [٣] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) ينظر : تفسير أبي السعود : ٦ / ٨٨ ، روح المعاني للآلوسي : ١٧ / ٩٩ .
(٢) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ٢ / ٣٦٩ .
(٣) الوسيط : ٩ / ٢٥٦ .

قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ . [آية : ١٠٥] .

مسألة : في المراد بـــ ﴿ ٱلْأَرْضَ ﴾ هنا في الآية :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن المراد بـــ ﴿ ٱلْأَرْضَ ﴾ هنا في الآية على الإطلاق في مشارق الأرض ومغاربها ، فقال : ((﴿ ٱلْأَرْضَ ﴾ هنا على الإطلاق في مشارق الأرض ومغاربها . وقيل : الأرض المقدسة ، وقيل : أرض الجنة . **والأوَّل أظهر**)) . اهـــ [١] .

الدراسة :

اختلف المفسرون في **المراد بـــ ﴿ ٱلْأَرْضَ ﴾ هنا في الآية** على ثلاثة أقوال :

القول الأول : المراد بها **الأرض المقدسة** التي يرثها الصالحون من بني إسرائيل .

واستدل له :

بقوله تعالى : ﴿ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا ... ﴾ . [سورة الأعراف : ١٣٧] . [٢]

✖ **وتعقَّبه الطاهر بن عاشور** فقال :

" إن الوعد المتحدّث عنه هنا هو غير ما وعد الله بني إسرائيل على لسان موسى عليه السلام من إعطائهم الأرض المقدسة . وهو الوعد الذي ذكر في قوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام : ﴿ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ... ﴾ . [سورة المائدة : ٢١] . وأنه غير الإرث الذي أورثه الله بني إسرائيل من المُلك والسلطان لأن ذلك وعد كان قبل داوود عليه السلام . فإن مُلك داوود عليه السلام أحد مظاهره " . اهـــ [٣] .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٣٣ .

(٢) حكاه الطبري في تفسيره (١٧ / ١٠٤) ، والفخر الرازي في تفسيره (٢٢ / ١٩٩) .

(٣) التحرير والتنوير : ١٧ / ١٦٣ .

القول الثاني : المراد بها **أرض الجنة** يورثها الله يوم القيامة عبادة الصالحين ؛ وهو قول ابن عباس ﷺ [١] ، ومجاهد [٢] ، والثوري [٣] ، وأبي العالية وابن زيد [٤] ، وسعيد بن جبير [٥] ، والشعبي [٦] ، وقاله مقاتل [٧] ، **وحسَّنه** النحاس ، والقرطبي ، وقاله الآلوسي [٨] ، **وأكثر** [٩] المفسرين [١٠] .

واستدل له :

١. بالنظير القرآني :

- قوله سبحانه : ﴿ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ... ﴾ . [سورة الزمر : ٧٤] . [١١]
- قوله سبحانه : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ ... ﴾ . [سورة

---

(١) أخرجه أبو الشيخ في الأحاديث المختارة ، وعزاه السيوطي إلى الفريابي ، وابن جرير ، وابن أبي حاتم . ينظر : تفسير الطبري : ١٧ / ١٠٤ ، الأحاديث المختارة (١٧٠) : ١٠ / ١٧٣ ، الدر المنثور : ٥ / ٦٨٥ .

(٢) ينظر تفسيره : ١ / ٤١٧ . وأخرجه ابن جرير في تفسيره (١٧ / ١٠٤) .

(٣) ينظر تفسيره : ٢٠٧ .

(٤) عزاه عن أبي العالية وابن زيد السيوطي في الدر (٥ / ٦٨٦) إلى ابن جرير في تفسيره (١٧ / ١٠٤) .

(٥) أخرجه ابن جرير عن سعيد بن جبير في تفسيره (١٧ / ١٠٤) . ونسب الفخر الرازي والقرطبي هذا القول ابن عباس ﷺ ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، وأبو العالية وغيرهم . ينظر : التفسير الكبير : ٢٢ / ١٩٩ ، تفسير القرطبي : ١١ / ٣٤٩ .

(٦) أخرجه الحاكم في مستدركه على الصحيحين في كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين ،ذكر نبي الله داود صاحب الزبور عليه السلام (٤١٣٦) : ٢ / ٦٤٢ .

(٧) ينظر تفسيره : ٣ / ١٤١ .

(٨) قال النحاس والقرطبي : وهو أحسن ما قيل فيه . ينظر : إعراب القرآن للنحاس : ٣ / ٨٣ ، تفسير القرطبي : ١١ / ٣٤٩ . وينظر : روح المعاني : ١٧ / ١٠٤ .

(٩) نسب ابن الجوزي والآلوسي هذا القول إلى الأكثرين . زاد المسير : ٥ / ٣٩٧ ، روح المعاني : ١٧ / ١٠٤ .

(١٠) منهم : ابن أبي زمنين ، وقدَّمه الثعلبي ، والواحدي ، وقدَّمه ابن الجوزي ، والنسفي ، وقدَّمه الخازن والنيسابوري ، وذكر أبو حيان قول ابن عباس ﷺ وقدَّمه ، وقدَّمه ابن عادل ، والجلالين ، والخطيب الشربيني . ينظر : تفسير ابن أبي زمنين : ٣ / ١٦٤ ، الكشف والبيان : ٦ / ٣١٣ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٧٢٥ ، زاد المسير : ٥ / ٣٩٧ ، تفسير النسفي : ٣ / ٩٣ ، تفسير الخازن : ٤ / ٣٢٥ ، تفسير غرائب القرآن : ٥ / ٥٧ ، البحر المحيط : ٦ / ٣١٨ ، تفسير ابن عادل : ١٣ / ٦١٩ ، تفسير الجلالين : ٤٣١ ، السراج المنير : ٢ / ٥٨٩ .

(١١) ينظر : تفسير الطبري : ١٧ / ١٠٥ ، تفسير القرطبي : ١١ / ٣٤٩ ، فتح القدير للشوكاني : ٣ / ٤٣٠ ، روح المعاني : ١٧ / ١٠٤ ، أضواء البيان للشنقيطي : ٤ / ٢٤٩ ، ٢٥٠ .

المؤمنون : ١٠ ، ١١] .[١]

٢. دلالة السِّياق القرآني :

قال الآلوسي : " وهو أوفق بالمقام " [٢] .

٣. أرض الجنة هي الأرض التي خصَّ الله بها الصالحين لأنها لهم خلقت ؛ وغيرهم إذا حصلوا فيها فعلى وجه التبع .

٤. الآية ذكرت عقيب ذكر الإعادة ، وليس بعد الإعادة أرض يستقر بها الصالحون ويمتن بها عليهم سوى أرض الجنة [٣] .

✍ **ذكر البيضاوي [٤] القول الأول والثاني ولم يرجح بينهما .**

القول الثالث : المراد الأرض على الإطلاق في مشارق الأرض ومغاربها ؛ قاله ابن عباس ﷺ أيضاً ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٥] ، ووافقه جماعة [٦] من المفسرين [٧] . [٨] [٨]

قال ابن عباس ﷺ : أراد أن أراضي الكفار يفتحها المسلمون ؛ وهذا حكم من الله تعالى بإظهار الدين وإعزاز المسلمين [٩] .

---

(١) ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزَّجاج : ٣ / ٤٠٧ .
(٢) روح المعاني : ١٧ / ١٠٤ .
(٣) ينظر : التفسير الكبير : ٢٢ / ١٩٩ ، روح المعاني : ١٧ / ١٠٤ .
(٤) ينظر تفسيره : ٤ / ١١١ .
(٥) ينظر : التسهيل : ٣ / ٣٣ .
(٦) نسب الشوكاني هذا القول إلى أكثر المفسرين . فتح القدير : ٣ / ٤٣٠ . **وأجد الأكثرية مع القول الثاني .**
(٧) منهم : الزمخشري (ولم يحدد ما المراد بالأرض ؛ فهي على الإطلاق) ، وقدَّمه ابن عطية وأبو السعود ، والشوكاني ، وسيد قطب ، ومال إليه ابن عاشور . ينظر : الكشاف : ٣ / ١٣٩ ، المحرر الوجيز : ٤ / ١٠٣ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ٨٨ ، فتح القدير : ٣ / ٤٣٠ ، الظلال : ٤ / ٢٤٠٠ ، التحرير والتنوير : ١٧ / ١٦٣ .
(٨) ذكر جميع الأقوال ولم يرجح : الطبري ، والسمر قندي ، والماوردي ، والسمعاني ، والبغوي ، والفخر الرازي . ينظر : تفسير الطبري : ١٧ / ١٠٤ ، ١٠٥ ، تفسير السمر قندي : ٢ / ٤٤٥ ، النكت والعيون : ٣ / ٤٧٥ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٤١٣ ، تفسير البغوي : ٣ / ٢٧١ ، التفسير الكبير : ٢٢ / ١٩٩ .
(٩) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٧ / ١٠٤) . ونسبه السمعاني والبغوي والخازن وغيرهم إليه . ينظر : تفسير

واستدل له بالنظير القرآني :

- قوله تعالى : ﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ . [سورة الأعراف : ١٢٨] .
- وقوله تعالى : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ... ﴾ . [سورة النور : ٥٥] .
- وقوله تعالى : ﴿ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴾ . [سورة الأحزاب : ٢٧] . وغير ذلك من الآيات [١] .

قال **الشوكاني** :

" **والظَّاهر** أن هذا تبشير لأمة محمد ﷺ بوراثة أرض الكافرين " . اهـ [٢] .

✖ **واستُشكل** : بأن الأرض التي في الدنيا قد ورثها الصالحون وغيرهم ، قاله النحاس [٣] .

✓ **ويجاب عليه** : بأنه قد يراد بـ ﴿ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴾ أمة محمَّد ﷺ ؛ كما رجَّحه كثير من المفسرين ؛ أي : المؤمنون الصالحون منهم ، لكنه قد يراد بـ ﴿ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴾ **الصالحون من البشر الذين يأخذون بالسنن الكونية** التي أودعها الله في الكون فيمكن الله لهم في الأرض ؛ لأن الله ﷻ يعطي الدنيا لمن يحب ومن لا يحب .

قال تعالى : ﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ﴾ . [سورة الإسراء : ٢٠] .

الترجيح:

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **احتمال القولين الثاني والثالث ؛ فيحتمل أن يراد بالأرض هنا : أرض الجنة كما ذهب إلى ذلك جماعة من السَّلف والكثيرون ؛ ويحتمل الأرض على الإطلاق في مشارق الأرض ومغاربها ؛ ف يكون المراد بالأرض التى**

السمعاني : ٣ / ٤١٣ ، تفسير البغوي : ٣ / ٢٧١ ، تفسير الخازن : ٤ / ٣٢٥ .

(١) ينظر : فتح القدير للشوكاني : ٣ / ٤٣٠ ، أضواء البيان للشنقيطي : ٤ / ٢٤٩ ، ٢٥٠ .

(٢) فتح القدير : ٣ / ٤٣٠ .

(٣) ينظر : إعراب القرآن للنحاس : ٣ / ٨٣ .

يرثها العباد الصالحون ما يشمل أرض الجنة وأرض الدنيا ؛ قال بذلك ابن كثير ، والطاهر بن عاشور ، والشنقيطي ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي[١] **؛ يدل على ذلك ما يلي :**

أولاً : كلاهما حق ويشهد له القرآن ، قاله الشنقيطي [٢] .

ثانياً : قد صدق الله وعده في الحالين وعلى الاحتمالين [٣] .

ثالثاً : لم يرد نص يخصص أحد المعنيين [٤] .

وزاد البقاعي فقال : " جنسها الشامل لبقاع أرض الدنيا كلها ، ولأرض المحشر ، والجنة ، وغير ذلك مما يعلمه الله " [٥] .

✌ **على أن الأرجح أن يراد بالأرض هنا الأرض على الإطلاق في مشارق الأرض ومغاربها ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ، ووافقه الشوكاني ، وسيد قطب ، والطاهر بن عاشور** [٦] ؛ يدل على ذلك إضافة إلى ما تقدم ما يلي :

أولاً : **جملة من الأحاديث** تؤيد هذا المعنى ؛ منها :

- حديث البخاري وغيره عن خباب ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « ... والله لَيَتِمَّنَّ هذا الْأَمْرُ حتى يَسيرَ الرَّاكِبُ من صَنْعَاءَ إلى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إلا اللَّهَ وَالذِّئْبَ على غَنَمِهِ وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ » [٧] .

- حديث مسلم وغيره عن ثَوبان ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ زَوَى لي الْأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا ؛ وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا ما زوى لي منها ... » [٨] .

---

(١) ينظر : تفسير ابن كثير : ٣ / ٢٠٢ ، التحرير والتنوير : ١٧ / ١٦٣ ، أضواء البيان : ٤ / ٢٤٩ ، الوسيط : ٩ / ٢٥٨ . وقال السعدي بالقول الثاني واحتمل القول الثالث . ينظر : تفسير السعدي :٥٣٢ .

(٢) ينظر : أضواء البيان للشنقيطي : ٤ / ٢٤٩ .

(٣) ينظر : التحرير والتنوير : ١٧ / ١٦٣ .

(٤) ينظر : الوسيط : ٩ / ٢٥٨ .

(٥) نظم الدرر : ٥ / ١١٧ .

(٦) ينظر : التسهيل : ٣ / ٣٣ ، الظلال : ٤ / ٢٤٠٠ ، فتح القدير : ٣ / ٤٣٠ ، التحرير والتنوير : ١٧ / ١٦٣ .

(٧) جزء من حديث أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الإكراه ، بَاب من اخْتَارَ الضَّرْبَ وَالْقَتْلَ وَالْهَوَانَ على الْكُفْرِ (٦٥٤٤) : ٦ / ٢٥٤٦ .

(٨) جزء من حديث أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض

- عن تميم الداري ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « لَيَبْلُغَنَّ هذا الأَمْرُ ما بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ ، وَلاَ يَتْرُكُ اللهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلاَ وَبَرٍ إلا أَدْخَلَهُ اللهُ هذا الدِّينَ بِعِزِّ عَزِيزٍ أو بِذُلِّ ذَلِيلٍ ... » [(١)] .

ثانياً : " في **إطلاق اسم الأرض** ما يصلح لإرادة أن سلطان العالم سيكون بيد المسلمين ما استقاموا على الإيمان والصلاح " [(٢)] ، فهذا القول أشبه بقوله ﷻ : ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ... ﴾ . [أول سورتي الجمعة والتغابن] . والأرض إذا ذكرت فهي دالة على الأرض التي نعرفها [(٣)] .

قال سيد قطب :

" لقد استخلف الله آدم في الأرض لعمارتها وإصلاحها ، وتنميتها وتحويرها ، واستخدام الكنوز والطاقات المرصودة فيها ، واستغلال الثروات الظاهرة والمخبوءة ، والبلوغ بها إلى الكمال المقدر لها في علم الله .

ولقد وضع الله للبشر منهجاً كاملاً متكاملاً للعمل على وفقه في هذه الأرض ؛ منهجاً يقوم على الإيمان والعمل الصالح . وفي الرسالة الأخيرة للبشر فصل هذا المنهج ، وشرع له القوانين التي تقيمه وتحرسه ؛ وتكفل التناسق والتوازن بين خطواته .

في هذا المنهج ليست عمارة الأرض واستغلال ثرواتها والانتفاع بطاقاتها هو وحده المقصود . ولكن المقصود هو هذا مع العناية بضمير الإنسان ، ليبلغ الإنسان كماله المقدر له في هذه الحياة . فلا ينتكس حيواناً في وسط الحضارة المادية الزاهرة ؛ ولا يهبط إلى الدرك بإنسانيته وهو يرتفع إلى الأوج في استغلال موارد الثروة الظاهرة والمخبوءة ....

وحيثما اجتمع إيمان القلب ونشاط العمل في أمَّة فهي الوارثة للأرض في أية فترة من فترات التاريخ ؛ ولكن حين يفترق هذان العنصران فالميزان يتأرجح ، وقد تقع الغلبة للآخذين

ببعض (٢٨٨٩) : ٤ / ٢٢١٥ .

(١) جزء من حديث أخرجه أحمد في مسنده في مسند تميم الدري ﷺ (١٦٩٩٨) : ٤ / ١٠٣ . قال الشيخ شعيب الأرناؤوط : **إسناده صحيح** على شرط مسلم .

(٢) التحرير والتنوير : ١٧ / ١٦٣ .

(٣) أورده الزَّجَّاج . ينظر معانيه : ٣ / ٤٠٧ .

بالوسائل المادية حين يهمل الأخذ بها من يتظاهرون بالإيمان ، وحين تفرغ قلوب المؤمنين من الإيمان الصحيح الدافع إلى العمل الصالح ، وإلى عمارة الأرض ، والقيام بتكاليف الخلافة التي وكلها الله إلى هذا الإنسان .

وما على أصحاب الإيمان إلا أن يحققوا مدلول إيمانهم ، وهو العمل الصالح ، والنهوض بتبعات الخلافة ليتحقق وعد الله ، وتجري سنته : ﴿ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴾ " . اهـ [١] .

ثالثاً : يؤيد ذلك **القواعد الترجيحية** التالية :

- **إذا ثبت الحديث ؛ وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه .**
- **إذا دار اللفظ بين أن يكون مقيداً أو مطلقاً فإنه يحمل على إطلاقه** [٢] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

(١) الظلال : ٤ / ٢٤٠٠ .

(٢) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٢٠٦ ، ٢ / ٥٥٥ .

سـورة الحـج

قوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ۝١ يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ۝٢ ﴾ . [آية : 1 ٢] .

مسألة : في الاختلاف في وقت الزلزلة المذكورة في الآية :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن وقت الزلزلة والشدائد المذكورة بعد ذلك قبل القيامة ، فقال : ((واختلف هل الزلزلة والشدائد المذكورة بعد ذلك في الدنيا بين يدي القيامة أو بعد أن تقوم القيامة ؟ **والأرجح** : أن ذلك قبل القيامة ؛ لأن في ذلك الوقت يكون ذهول المرضعة ووضع الحامل لا بعد القيامة)) . اهـ [١] .

الدراسة :

الزلزلة لغة [٢] : أصله من الزلل ، والزلزلة : الاضطراب والحركة الشديدة ، وتكرير حروف لفظه تنبيه على تكرير معنى الزلل فيه .

والزلزلة حقيقتها : " تحرك عنيف في جهة من سطح الأرض من أثر ضغط مجاري الهواء الكائن في طبقات الأرض القريبة من ظاهر الأرض ، وهي من الظواهر الأرضية المرعبة ينشأ عنها تساقط البناء وقد ينشأ عنها خسف الأشياء في باطن الأرض " [٣] .

واختلف العلماء في **وقت هذه الزلزلة المذكورة هنا** ، هل هي بعد قيام الناس من قبورهم يوم نشورهم إلى عرصات القيامة ، أو هي عبارة عن زلزلة الأرض قبل قيام الناس من

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٣٤ .

(٢) ينظر : مفردات الرَّاغب (مادة : زل) : ٢١٤ ، تذكرة الأريب في تفسير الغريب لابن الجوزي : ٢ / ٦ ، لسان العرب (مادة : زلل) : ١١ / ٣٠٧ .

(٣) التحرير والتنوير لابن عاشور : ١٧ / ١٨٧ .

القبور ؟ على قولين [١] :

القول الأول : الزلزلة التي هي أحد أشراط الساعة التي تكون في الدنيا بين يدي القيامة وهي كائنة في آخر عمر الدنيا ، وأول أحوال الساعة ، وتكون قبل طلوع الشمس من مغربها ، قال بهذا القول جماعة من السَّلف ؛ منهم : علقمة [٢] ، والشعبي [٣] ، **وعبيد بن عمير** [٤] ، وابن جريج [٥] ، ومقاتل [٦] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٧] ، ووافقه **جمهور** [٨] المفسرين [٩] .

قال علقمة والشعبي : وإضافتها إلى الساعة على هذا لكونها من إمارتها [١٠] .

واستدل لهذا القول : (بحديث الصور) الذي أخرجه ابن جرير [١١] **– والذي قال فيه قبل أن يذكره : " وفي إسناده نظر " – الآتي :**

---

(١) هذان القولان على أن الزلزلة على حقيقتها ؛ وقيل : هي مجاز عن الأهوال والشدائد التي تكون في ذلك اليوم ، وفي التعبير عنها بالشيء إيذان بأن العقول قاصرة عن إدراك كنهها ، والعبارة ضيقة لا تحيط بها إلا على وجه الإبهام . احتمله ابن عطية ، وقاله البيضاوي ، والقرطبي . ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ١٠٦ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ١١٣ ، تفسير القرطبي : ١٢ / ٤ .

(٢) نسبه الثوري إليه في تفسيره (٢٠٨) ، وعزاه السيوطي في الدر (٦ / ٧) إلى ابن أبي شيبة ، وعبد بن حميد وابن جرير (في تفسيره : ١٧ / ١٠٩) ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم .

(٣) عزاه السيوطي في الدر (٦ / ٧) إلى ابن جرير (في تفسيره : ١٧ / ١٠٩) ، وابن المنذر .

(٤) عزاه السيوطي في الدر (٦ / ٧) إلى ابن أبي شيبة ، وابن المنذر .
وعبيد بن عمير هو : عبيد بن عمير المكي ، أبو عاصم الليثي ، كان قاص أهل مكة في زمانه ، من كبار التابعين وكان بليغاً فصيحاً ، عالماً ثقة ، ت سنة ٧٤ هـ . ينظر : تاريخ البخاري : ٥ / ٤٥٥ ، معرفة الثقات : ٢ / ١١٨ ، الكاشف للذهبي : ١ / ٦٩١ .

(٥) عزاه السيوطي في الدر (٦ / ٧) إلى ابن جرير (في تفسيره : ١٧ / ١١٠) ، وابن المنذر .

(٦) قال مقاتل : وذلك قبل النفخة الأولى . ينظر تفسيره : ٢ / ٣٧٤ .

(٧) ينظر : التسهيل : ٣ / ٣٤ .

(٨) نسبه إلى الجمهور : ابن عطية ، والقرطبي ، وأبو حيان ، والثعالبي ، والشوكاني . ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ١٠٦ ، تفسير القرطبي : ١٢ / ٣ ، البحر المحيط : ٦ / ٣٢٤ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ١٠٦ ، فتح القدير : ٣ / ٤٣٥ .

(٩) ومنهم : السمر قندي ، والواحدي ، وأبو حيان ، والجلالين . ينظر : تفسير السمر قندي : ٢ / ٤٤٧ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٧٢٧ ، البحر المحيط : ٦ / ٣٢٤ ، تفسير الجلالين : ٤٣٣ .

(١٠) أخرجه عنهما ابن المنذر وغيره . ينظر : الدر المنثور : ٦ / ٧ . ونسبه إليهما : أبو السعود والآلوسي ، ينظر : تفسير أبي السعود : ٦ / ٩١ ، روح المعاني : ١٧ / ١١١ .

(١١) ينظر : تفسير الطبري : ١٧ / ١١٠ .

عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « لما فرغ الله من خلق السماوات والأرض خلق الصور ، فأعطاه إسرافيل فهو واضعه على فيه ، شاخص ببصره إلى العرش ، ينتظر متى يؤمر . قال أبو هريرة : يا رسول الله ، وما الصور ؟ قال : قرن . قال : وكيف هو ؟ قال : قرن عظيم ينفخ فيه ثلاث نفخات ، الأولى : نفخة الفزع ، والثانية : نفخة الصعق ، والثالثة : نفخة القيام لرب العالمين ، يأمر الله ﷻ إسرافيل بالنفخة الأولى ؛ فيقول : انفخ نفخة الفزع . فيفزع أهل السماوات والأرض إلا من شاء الله ، ويأمره الله فيديمها ويطولها فلا يفتر ، وهي التي يقول الله : ﴿ وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ مَّا لَهَا مِن فَوَاقٖ ﴾ [١] ، فيسير الله الجبال فتكون سراباً ، وترج الأرض بأهلها رجّاً ، وهي التي يقول الله : ﴿ يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ۝٧ قُلُوبٞ يَوۡمَئِذٖ وَاجِفَةٌ ﴾ [٢] ، فتكون فتكون الأرض كالسفينة الموبقة في البحر تضربها الأمواج تكفأ بأهلها ، أو كالقنديل المعلق بالعرش ترجحه الأرواح ، فتميد الناس على ظهرها ، فتذهل المراضع ، وتضع الحوامل ، وتشيب الولدان ، وتطير الشياطين هاربة حتى تأتي الأقطار ؛ فتلقاها الملائكة فتضرب وجوهها فترجع ، ويولي الناس مدبرين ينادي بعضهم بعضاً ، وهو الذي يقول الله يوم التناد : ﴿ يَوۡمَ تُوَلُّونَ مُدۡبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۗ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ﴾ [٣] ، فبينما هم على ذلك إذ تصدعت الأرض من قطر إلى قطر ، فرأوا أمراً عظيماً وأخذهم وأخذهم لذلك من الكرب ما الله أعلم به ؛ ثم نظروا إلى السماء فإذا هي كالمهل ، ثم خسف شمسها وخسف قمرها ، وانتثرت نجومها ثم كشطت عنهم . قال رسول الله ﷺ : والأموات لا يعلمون بشيء من ذلك . فقال أبو هريرة : فمن استثنى الله حين يقول : ﴿ ... فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ... ﴾ [٤] ؟ قال : أولئك الشهداء ، وإنما يصل الفزع إلى الأحياء ، أولئك أحياء عند ربهم يرزقون ، وقاهم الله فزع ذلك اليوم وآمنهم ، وهو عذاب الله يبعثه على شرار خلقه ، وهو الذي يقول : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ﴾ [٥] .

---

(١) سورة ص : ١٥ .

(٢) سورة النازعات : ٦ – ٨ .

(٣) سورة غافر : ٣٣ .

(٤) سورة النمل : ٨٧ .

(٥) قال ابن كثير : " وهذا الحديث قد رواه الطبراني الأحاديث الطوال (٣٦) ، وابن جرير ، وابن أبي حاتم وغير واحد مطولاً جداً " . اهـ . ينظر : تفسير ابن كثير : ٣ / ٢٠٥ . وقال الثعالبي : " وهذا الحديث =

" والغرض منه : أنه دل على أن هذه الزلزلة كائنة قبل يوم الساعة أضيفت إلى الساعة لقربها منها ، كما يقال : أشراط الساعة ونحو ذلك " (١) .

✓ **ورجَّح ابن جُزيّ هذا القول** فقال :

" والأرجح : أن ذلك قبل القيامة ؛ لأن في ذلك الوقت يكون ذهول المرضعة ووضع الحامل لا بعد القيامة " (٢) .

وعى هذا فتكون **الزلزلة حقيقية** في آخر عمر الدنيا وأول ابتداء الساعة .

✗ **وتعقَّب الطبري الحديث بأنه** : " لولا مجيء الصِّحاح من الأخبار عن رسول الله ﷺ بخلافه ، ورسول الله ﷺ أعلم بمعاني وحي الله وتتريله " (٣) .

✗ **وتعقَّبه الشنقيطي** أيضاً فقال : " وهذا القول من حيث المعنى له وجه من النظر ، ولكنه لم يثبت ما يؤيده من النقل ، بل الثابت من النقل يؤيد خلافه . وهو القول الآخر ... وحجَّة من قال بهذا القول حديث مرفوع ، جاء بذلك ، إلا أنه ضعيف لا يجوز الاحتجاج به " . اهـ (٤) .

✓ **وأجيب على الاستشكال** : بأن ذلك الوقت لا حمل فيه ولا وضع ولا شيب **من وجهين** :

الوجه الأول : هو ما ذكره بعض أهل العلم ، من أن من ماتت حاملاً تبعث حاملاً ، فتضع حملها من شدة الهول والفزع ، ومن ماتت مرضعة بعثت كذلك ، ولكن هذا يحتاج إلى دليل .

✗ وتعقَّبه **ابن عطية** فقال : " وهذا ضعيف " (٥) .

= ذكره الطبرى والثعلبى و **صحَّحه** ابن العربى فى سراج المريدين . وقال عبد الحق : بل هو حديث منقطع لا يصحُّ " . ينظر : تفسير الثعالبي : ٤ / ١٠٧ .

(١) تفسير ابن كثير : ٣ / ٢٠٥ .

(٢) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٣٤ .

(٣) ينظر : تفسير الطبري : ١٧ / ١١١ . وينظر : نظم الدرر للبقاعي : ٥ / ٢١٤ .

(٤) أضواء البيان : ٤ / ٢٥٧ .

(٥) المحرر الوجيز : ٤ / ١٠٦ .

الوجه الثاني : أن ذلك **كناية** عن شدة الهول كقوله تعالى : ﴿ ... يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴾ [١] . ومثل ذلك من أساليب اللغة العربية المعروفة [٢] .

✖ **ولا داعي إلى القول بالكناية والمجاز ؛ فالزلزلة حقيقية** إذ هي الأصل ويدل عليها وجود المرضعة والحامل .

القول الثاني : الزلزلة المذكورة كائنة يوم القيامة بعد البعث من القبور ؛ أي : **بعد أن تقوم القيامة** ، وهذا القول مرويٌّ عن ابن عباس ﷺ [٣] ، وأبي سعيد الخدري ﷺ [٤] ، وجماعة من السلف [٥] ، و**رجَّحه** الطبري ، و **صحَّحه** السمعاني [٦] ، و**أيَّده** الثعالبي والشنقيطي [٧] [٧] وذهب إليه جماعة من المفسرين [٨] .

ساق ابن كثير سبعة أحاديث [٩] **استدل بها أصحاب هذا القول ؛ ومنها :**

الحديث الصحيح الذي أخرجه البخاري ومسلم الذي صرح فيه الرسول ﷺ بذلك :

عن أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ عن النبي ﷺ قال : « يقول الله : يا آدَمُ . فيقول : لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ ، وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ . قال يقول : أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ . قال : وما بَعْثُ النَّارِ ؟ قال : من كل أَلْفٍ تسعمائة وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ ؛ فَذَاكَ حين يَشِيبُ الصَّغِيرُ ﴿ ... وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾

---

(١) سورة المزمل : ١٧ .

(٢) ينظر : تفسير السمعاني : ٣ / ٤١٧ ، التفسير الكبير للفخر الرازي : ٢٣ / ٥ ، فتح الباري لابن حجر : ١١ / ٣٩٠ ، شرح النووي على صحيح مسلم : ٣ / ٩٧ ، أضواء البيان للشنقيطي : ٤ / ٢٦٠ ، ٢٦١ .

(٣) قال ابن عباس ﷺ : زلزلة الساعة قيامها . نسبه إليه غير واحد من المفسرين . ينظر : تفسير البغوي : ٣ / ٢٧٣ .

(٤) أخرجه البخاري ومسلم ، وسأذكره لاحقاً .

(٥) منهم : عمران بن حصين ، وأنس ، وابن عباس ، وأبي موسى ﷺ أجمعين ، أخرجه عنهم ابن جرير والترمذي والنسائي والحاكم وغيرهم .

(٦) ينظر : تفسير الطبري : ١٧ / ١١١ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٤١٦ .

(٧) ينظر : تفسير الثعالبي : ٤ / ١٠٧ ، أضواء البيان : ٤ / ٢٥٨ .

(٨) منهم : ابن الجوزي وقدَّمه ، والبقاعي ، وأبو السعود ، والآلوسي ، والسعدي . ينظر : زاد المسير : ٥ / ٤٠٢ ، نظم الدرر : ٥ / ١٣١ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ٩١ ، روح المعاني : ١٧ / ١١١ ، تفسير السعدي : ٥٣٢ .

(٩) ينظر : تفسير ابن كثير : ٣ / ٢٠٥ ، ٢٠٦ .

﴾ [١] . فَاشْتَدَّ ذلك عليهم ، فَقَالُوا : يا رَسُولَ اللَّهِ ، أَيُّنَا ذلك الرَّجُلُ ؟ قال : أَبْشِرُوا ، فإن من يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَلْفًا وَمِنْكُمْ رَجُلٌ . ثُمَّ قال : وَالَّذِي نَفْسِي بيده ، إني لَأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ . قال : فَحَمِدْنَا اللَّهَ وَكَبَّرْنَا ، ثُمَّ قال : وَالَّذِي نَفْسِي بيده إني لَأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، إِنَّ مَثَلَكُمْ في الْأُمَمِ كَمَثَلِ الشَّعَرَةِ الْبَيْضَاءِ في جِلْدِ الثَّوْرِ الْأَسْوَدِ ، أو كالرقمة في ذِرَاعِ الْحِمَارِ » [٢] .

قال **الثعالبي** : " وهذا الحديث **نص صريح** فى أنه يوم القيامة ... والذى عليه المحققون أن هذه الأهوال هى بعد البعث " [٣] .

✖ **وأنكر ابن عطية** قبله هذه الدلالة من الحديث فقال : " وهذا الحديث لا حجَّة فيه ؛ لأنه يحتمل أن النبي ﷺ قرأ الآية المتضمنة ابتداء أمر الساعة ، ثم قصد في تذكيره وتخويفه إلى فصل من فصول يوم القيامة فنص ذكره ، وهذا من الفصاحة " . اهـ [٤] .

❖ **وجوَّز الفخر الرازي القولين ، وتبعه ابن عادل ، وكذلك الطاهر بن عاشور** [٥] **فتكون الزلزلة في الدنيا أو في وقت الحشر ؛ وذكر جماعة من المفسرين القولين ولم يرجحوا بينهما** [٦] .

قال الفخر الرازي : " واعلم أنه ليس في اللفظ دلالة على شيء من هذه الأقسام ، لأن هذه الإضافة تصح وإن كانت الزلزلة قبلها ، وتكون من أماراتها وأشراطها ، وتصح إذا كانت

---

(١) سورة الحج : ٢ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه – بهذا اللفظ وبلفظ آخر – في كتاب الرقاق ، باب قول الله ﷻ : ﴿ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾ (٦١٦٥) : ٥ / ٢٣٩٢ ، وأخرج مسلم بمثله في صحيحه في كتاب الإيمان ، بَاب قَوْلِهِ يقول الله لِآدَمَ أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ (٢٢٢) : ١ / ٢٠١ .

(٣) تفسير الثعالبي : ٤ / ١٠٧ . وينظر : أضواء البيان : ٤ / ٢٥٩ .

(٤) المحرر الوجيز : ٤ / ١٠٦ .

(٥) ينظر : التفسير الكبير : ٢٣ / ٤ ، تفسير ابن عادل : ١٤ / ٥ ، التحرير والتنوير : ١٧ / ١٨٧ .

(٦) ومنهم : الزَّجَّاج ، والماوردي ، والبغوي ، والزمخشري ، والعز بن عبد السلام ، والقرطبي ، والنسفي ، والخازن والنيسابوري ، وابن كثير ، والخطيب الشربيني ، والشوكاني ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج : ٣ / ٤٠٩ ، النكت والعيون : ٤ / ٥ ، تفسير البغوي : ٣ / ٢٧٣ ، الكشاف : ٣ / ١٤٢ ، تفسير العز بن عبد السلام : ٢ / ٣٤٣ ، تفسير القرطبي : ١٢ / ٣ ، ٤ ، تفسير النسفي : ٣ / ٩٤ ، تفسير الخازن : ٥ / ٢ تفسير غرائب القرآن : ٥ / ٦٣ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٢٠٤ – ٢٠٦ ، السراج المنير : ٢ / ٥٩٣ ، فتح القدير : ٣ / ٤٣٤ ، ٤٣٥ ، الوسيط : ٩ / ٢٧٤ ، ٢٧٥ .

فيها ومعها ، كقولنا آيات الساعة وأمارات الساعة ". اهـ [١] .

الترجيح:

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن الرَّاجح وما تميل إليه النفس أن الزلزلة التي هي أحد أشراط الساعة التي تكون في الدنيا بين يدي القيامة وهي كائنة في آخر عمر الدنيا ، وأول أحوال الساعة ، وهي زلزلة حقيقية ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ، ووافقه الجمهور** ، يدل على ذلك إضافة لما تقدم ما يلي :

أولاً : نعم القول الذي رجَّحه ابن جُزيّ مستنده ضعيف ، لكن ابن جُزيّ لم يعوِّل عليه ؛ وإنما عوَّل على الشدائد التي ذكرت بعد ذلك من ذهول المرضعة ووضع الحامل فهي في الدنيا لا بعد القيامة .

ثانياً : حمل الكلام على الحقيقة أولى من حمله على المجاز ، ومن **المقرر عند العلماء** أنه :

- **يجب حمل نصوص الوحي على الحقيقة** [٢] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) التفسير الكبير : ٢٣ / ٤ .

(٢) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ٢ / ٣٨٧ .

قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا ... ﴾ . [آية : ٢] .

مسألة : في عود الضمير في ﴿ تَرَوْنَهَا ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن الضمير في ﴿ تَرَوْنَهَا ﴾ للزلزلة ، فقال : ((والضمير : للزلزلة ، وقيل : للساعة ، **وذلك ضعيف لما ذكرنا** ؛ إلا أن يريد ابتداء أمرها)) . اهـ [١] .

الدراسة :

اختلف أهل العلم والمفسرون **في عود الضمير في ﴿ تَرَوْنَهَا ﴾** على قولين :

القول الأول : الضمير في ﴿ تَرَوْنَهَا ﴾ للزلزلة ، قاله ابن عباس رضي الله عنه [٢] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٣] ، و**استظهره** أبو حيان [٤] ، وقدَّمه السمين الحلبي [٥] ، وقاله الآلوسي [٦] ، و**جمهور** [٧] المفسرين [٨] .

واستدل له بما يلي :

١. القرينة القرآنية : ﴿ تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٣٤ .
(٢) ينظر : تنوير المقباس : ٢٧٦ .
(٣) ينظر : التسهيل : ٣ / ٣٤ .
(٤) ينظر : البحر المحيط : ٦ / ٣٢٤ .
(٥) ينظر : الدر المصون : ٥ / ١٢١ .
(٦) ينظر : روح المعاني : ١٧ / ١١١ .
(٧) نسب ابن عطية والقرطبي هذا القول للجمهور . ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ١٠٦ ، تفسير القرطبي : ١٢ / ٤ .
(٨) ومنهم : الطبري ، والماوردي ، والواحدي ، والزمخشري ، وابن الجوزي ، والفخر الرازي (**وقال هو الأقرب**) والبيضاوي ، والنيسابوري ، والبقاعي ، وأبو السعود ، والشوكاني ، والشنقيطي ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي .
ينظر : تفسير الطبري : ١٧ / ١١٤ ، النكت والعيون : ٤ / ٦ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٧٢٧ ، الكشاف : ٣ / ١٤٣ ، زاد المسير : ٥ / ٤٠٤ ، التفسير الكبير : ٢٣ / ٥ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ١١٣ ، تفسير غرائب القرآن : ٥ / ٦٣ ، نظم الدرر : ٥ / ١٣١ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ٩١ ، فتح القدير : ٣ / ٤٣٥ ، أضواء البيان : ٤ / ٢٥٥ ، الوسيط : ٩ / ٢٧٣ .

حَمْلَهَا ... ﴾ فيكون الذهول والوضع حقيقة ؛ لأنه في الدنيا [١] .

٢. إن مشاهدتها هي التي توجب الخوف الشديد [٢] .

٣. لأنها هي المتحدث عنها [٣] .

القول الثاني : الضمير في ﴿ تَرَوْنَهَا ﴾ للسَّاعة ، قاله جماعة من المفسرين [٤] .

فيكون الذهول والوضع عبارة عن شدة الهول في ذلك اليوم ، ولا ذهول ولا وضع هناك كقوله تعالى : ﴿ ... يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَانَ شِيبًا ﴾ [٥] .

✖ **– وكما ذكرنا في المسألة السابقة – أنه لا داعي إلى القول بالكناية والمجاز ؛ فالزلزلة حقيقية** إذ هي الأصل ويدل عليها وجود المرضعة والحامل .

✖ ولذلك ضعَّفه **ابن جُزيّ** فقال : " وذلك ضعيف ... إلا أن يريد ابتداء أمرها " [٦] .

✖ وقال **ابن عطية** قبله : " أي : يوم يرون ابتداءها في الدنيا ؛ فيصح لهم بهذا التأويل أن لا يلزمهم وجود الرضاع والحمل في يوم القيامة " [٧].

الترجيح:

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **احتمال القولين ؛ فيجوز أن يعود الضمير في ﴿ تَرَوْنَهَا ﴾ على الزلزلة ، ويجوز أن يعود على الساعة ، قال بذلك الطاهر بن عاشور** [٨] .

---

(١) ينظر : التسهيل : ٣ / ٣٤ ، البحر المحيط لأبي حيان : ٦ / ٣٢٤ .
(٢) ينظر : التفسير الكبير : ٢٣ / ٥ .
(٣) ينظر : البحر المحيط لأبي حيان : ٦ / ٣٢٤ ، روح المعاني للآلوسي : ١٧ / ١١١ ، الوسيط : ٩ / ٢٧٣ .
(٤) منهم : الثعلبي ، والسمعاني ، والبغوي ، والخازن . ينظر : الكشف والبيان : ٧ / ٦ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٤١٦ ، تفسير البغوي : ٣ / ٢٧٣ ، تفسير الخازن : ٥ / ٢ .
(٥) سورة المزمل : ١٧ .
(٦) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٣٤ .
(٧) المحرر الوجيز : ٤ / ١٠٦ .
(٨) ينظر : التحرير والتنوير : ١٧ / ١٨٨ .

وقال بالوجهين من غير ترجيح جماعة من المفسرين [١] دلالة على جواز كليهما .

- فيجوز أن يعود الضمير في ﴿ تَرَوْنَهَا ﴾ على الزلزلة .
- ويجوز أن يعود على الساعة ويراد بها ابتداء أمرها ؛ كما ذكر ابن عطية وابن جُزيّ .

قال **الطاهر بن عاشور** :

" وضمير النصب في ﴿ تَرَوْنَهَا ﴾ يجوز أن يعود على ﴿ زَلْزَلَةَ ﴾ ، وأطلقت الرؤية على إدراكها الواضح الذي هو كرؤية المرئيات لأنّ الزلزلة تُسمع ولا ترى ، ويجوز أن يعود إلى الساعة " . اهـ [٢] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) ومنهم : ابن عطية ، والنسفي ، وابن عادل . ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ١٠٦ ، تفسير النسفي : ٣ / ٩٤ ، تفسير ابن عادل : ١٤ / ٥ ، ٦ .

(٢) التحرير والتنوير : ١٧ / ١٨٨ .

سورة الحج ـــــــ

الدراسة :

اختلف المفسرون في **نوع الباء في قوله تعالى** : ﴿ **ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ** ﴾ على قولين :

القول الأول : **الباء للسببية** ، قاله **الزمخشري** ، **وابن عطية** [١] ، وجماعة من المفسرين [٢] .

أي : ذلك المذكور من أمر الإنسان والنبات حاصل بأن الله هو الحق ؛ هكذا قدَّره **الزمخشري** ، وبهذا المعنى أيضاً فسره **ابن عطية** ، **والنسفي** [٣] .

قال **ابن عطية** قوله : " ﴿ **وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ** ... ﴾ [٤] ليس بسبب لما ذكر ؛ ولكن المعنى أن الأمر مرتبط بعضه ببعض ، أو على تقدير : والأمر أن الساعة " . اهـ [٥] .

✖ **وتعقَّبه ابن جُزيّ** بقوله : " **وهذان الجوابان اللذان ذكر ابن عطية ضعيفان** .

أما قوله : (إن الأمر مرتبط بعضه ببعض) فالارتباط هنا إنما يكون بالعطف ، والعطف لا يصحّ .

وأما قوله : (على تقدير : الأمر أن الساعة) ؛ فذلك استئناف وقطع للكلام الأول ، ولا شك أن المقصود من الكلام الأول هو إثبات الساعة ؛ فكيف يجعل ذكرها مقطوعا مما قبله " . اهـ [٦] .

القول الثاني : **الباء ليست بسببية** ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٧] ، وقاله القرطبي [٨] ، **واستظهره** أبو حيان [٩] ، وقاله الشوكاني [١٠] .

---

(١) ينظر : الكشاف : ٣ / ١٤٦ ، المحرر الوجيز : ٤ / ١٠٩ .
(٢) منهم : البيضاوي ، والبقاعي ، وأبو السعود ، والجلالين ، والقاسمي . ينظر : تفسير البيضاوي : ٤/ ١١٥ ، نظم الدرر : ٥ / ١٣٥ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ٩٥ ، تفسير الجلالين : ٤٣٤، تفسير القاسمي : ١٢ / ١٠ .
(٣) ينظر : الكشاف : ٣ / ١٤٦ ، المحرر الوجيز : ٤ / ١٠٩ ، تفسير النسفي : ٣ / ٩٦ .
(٤) سورة الحج : ٧ .
(٥) المحرر الوجيز : ٤ / ١٠٩ .
(٦) التسهيل : ٣ / ٣٥ ، ٣٦ .
(٧) ينظر : التسهيل : ٣ / ٣٦ .
(٨) ينظر : تفسير القرطبي : ١٢ / ١٥ .
(٩) ينظر : البحر المحيط : ٦ / ٣٢٨ .
(١٠) ينظر : فتح القدير : ٣ / ٤٣٧ .

قال **ابن جُزيّ** :

" وإنما يقدر لها فعل تتعلق به ، ويقتضيه المعنى ، وذلك أن يكون التقدير : ذلك الذي تقدم من خلقة الإنسان والنبات شاهد بأن الله هو الحق ، وأنه يحيي الموتى ، وبأن الساعة آتية فيصح عطف : ﴿ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ﴾ على ما قبله بهذا التقدير ، وتكون هذه الأشياء المذكورة بعد قوله : ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ مما استدل عليها بخلقة الإنسان والنبات " . اهـ [١].

" والمعنى : أنه المتفرد بهذه الأمور وأنها من شأنه لا يدعى غيره أنه يقدر على شيء منها فدل سبحانه بهذا على أنه الحق الحقيقي الغني المطلق وأن وجود كل موجود مستفاد منه والحق هو الموجود الذي لا يتغير ولا يزول " [٢] .

❖ وذكر **السمين الحلبي وابن عادل القولين** و لم يرجحا بينهما [٣] .

الترجيح :

يظهر لي – والله أعلم – **أن الراجح أن الباء في قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ﴾ ليست سببية ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه ؛ بل للملابسة ، وهو ما جوَّزه ابن عاشور** فقال :

" ويجوز أن تكون **الباء للملابسة** ، أي كان ذلك الخلق وذلك الإنبات البهيج ملابساً لحقيّة إلهيّة الله . وهذه الملابسة ملابسة الدليل لمدلوله ، وهذا أرشق من حمل الباء على معنى السببية وهو أجمع لوجوه الاستدلال " . اهـ [٤] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) التسهيل : ٣ / ٣٦ . وينظر : تفسير القرطبي قبله : ١٢ / ١٥ ، البحر المحيط لأبي حيان : ٦ / ٣٢٨ ، فتح القدير للشوكاني : ٣ / ٤٣٧ .

(٢) فتح القدير للشوكاني : ٣ / ٤٣٧ .

(٣) ينظر : الدر المصون : ٥ / ١٢٨ ، تفسير ابن عادل : ١٤ / ٢٥ .

(٤) التحرير والتنوير : ١٧ / ٢٠٤ .

قوله تعالى : ﴿ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾ ﴾ . [آية : 15] .

مسألة : في معنى قوله تعالى : ﴿ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن الضمير في ﴿ يَنصُرَهُ ﴾ عائد على ﴿ مَن ﴾ ، والمعنى على هذا : من ظن بسبب ضيق صدره وكثرة غمه أن لن ينصره الله فليختنق وليمت بغيظه ؛ فإنه لا يقدر على غير ذلك ، فموجب الاختناق على هذا القنوط والسخط من القضاء وسوء الظن بالله حتى ييئس من نصره ، فقال :

((﴿ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ ﴾ السبب هنا : الحبل ، والسماء هنا : سقف البيت وشبهه من الأشياء التي تعلق منها الحبال ، والقطع هنا : يراد به الاختناق بالحبل [١] ، يقال : قطع الرجل : إذا اختنق . ويحتمل أن يراد به قطع الرجل من الأرض بعد ربط الحبل في العنق وربطه في السقف ، والمراد بالاختناق هنا ما يفعله من اشتد غيظه وحسرته أو طمعا فيما لا يصل إليه ؛ كقوله للحسود : مت كمداً أو اختنق ؛ فإنك لا تقدر على غير ذلك . وفي معنى الآية قولان : الأول : أن الضمير في ﴿ يَنصُرَهُ ﴾ لسيدنا محمد ﷺ ، والمعنى على هذا : من كان من الكفار يظن أن لن ينصر الله محمداً فليختنق بحبل فإن الله ناصره ولا بد على غيظ الكفار فموجب الاختناق هو الغيظ من نصرة سيدنا محمد ﷺ . والقول الثاني : أن الضمير في ﴿ يَنصُرَهُ ﴾ عائد على ﴿ مَن ﴾ ، والمعنى على هذا : من ظن بسبب ضيق صدره وكثرة غمه أن لن ينصره الله فليختنق وليمت بغيظه ؛ فإنه لا يقدر على غير ذلك ، فموجب الاختناق على هذا القنوط والسخط من القضاء وسوء الظن بالله حتى ييئس من نصره . ولذلك فسر بعضهم ﴿ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ ﴾ بمعنى : أن لن يرزقه ، **وهذا القول أرجح من الأول ...**)) . اهـ [٢] .

---

(١) قاله ابن عباس رضي الله عنهما ، وقال ابن عطية : **والجمهور** على أن القطع هنا هو الاختناق . ينظر : روح المعاني : ١٧ / ١٢٦ ، المحرر الوجيز : ٤ / ١١١ .

(٢) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٣٧ .

الدراسة :

هذه الآية مُشْكلة ؛ وقد تكلم النحويون والمفسرون في **معنى قوله تعالى :** ﴿ **مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ** ﴾ وفي بيان ما أشكل منها ؛ وبناء على اختلافهم في عود الضمير في : ﴿ يَنصُرَهُ ﴾ **اختلفوا في معناها** ؛ وحاصل اختلافهم يرجع إلى قولين :

القول الأول : أن الضمير في ﴿ يَنصُرَهُ ﴾ **لسيدنا محمد ﷺ** ، والمعنى على هذا : **من كان من الكفار يظن أن لن ينصر الله محمداً فليختنق بحبل يشده إلى سقف بيته** [(١)] ؛ **فإن الله ناصره ، فموجب الاختناق هو الغيظ من نصرة سيدنا محمد ﷺ** .

قاله ابن عباس رضي الله عنهما [(٢)] ، وجماعة من السَّلف [(٣)] ، ومقاتل [(٤)] ، وذهب إليه الفرَّاء [(٥)] ، والزَّجَّاج [(٦)] ، **ورجَّحه** النحاس [(٧)] .

---

(١) في المراد **بالسماء** قولان :
- أحدهما : **سقف بيته** ، والمعنى فليشدد حبلاً في سقف بيته فليختنق به ، ثم ليقطع الحبل ليموت مختنقاً ، هذا **قول الأكثرين** ، لأن العرب تسمى كل ما علاك سماء .
- والثاني : أنها **السماء المعروفة** ، والمعنى فليقطع الوحي عن رسول الله ﷺ إن قدر ، قاله ابن زيد .

ينظر : تفسير الطبري : ١٧ / ١٢٦ ، زاد المسير لابن الجوزي : ٥ / ٤١٤ ، الدر المنثور : ٦ / ١٦ ، أضواء البيان للشنقيطي : ٤ / ٢٨٧ .

قال ابن عطية : " وأبين وجوه هذه الآية أن يكون مثلاً ، ويكون النصر المعروف ، والقطع الاختناق ، والسماء الارتفاع في الهواء سقف أو شجرة أو نحوه . ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ١١١ .

(٢) نسبه إليه الثوري وابن كثير ، وعزاه السيوطي في الدر (٦ / ١٥) إلى الفريابي ، وعبد بن حميد ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والحاكم وصحَّحه ، وابن مردويه . ينظر : تفسير الثوري : ٢٠٨ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٢١١ . وينظر : تنوير المقباس : ٢٧٨ .

(٣) قال بهذا القول : مجاهد ، وعكرمة ، وعطاء ، وأبو الجوزاء ، وقتادة وغيرهم ، أخرج أقوالهم ابن جرير ، ونسبه إليهم أبو حيان وابن كثير ، وعزاه إليهم السيوطي . ينظر : تفسير الطبري : ١٧ / ١٢٦ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٢١١ ، البحر المحيط لأبي حيان : ٦ / ٣٣٢ ، الدر المنثور : ٦ / ١٦ .

(٤) ينظر تفسيره : ٢ / ٣٧٩ .

(٥) ينظر معانيه : ٢ / ١٨٧ .

(٦) ينظر معانيه : ٣ / ٤١٧ .

(٧) وقال : **من أحسن ما قيل فيها** . ينظر : إعراب القرآن للنحاس : ٣ / ٩٠ .

سورة الحج ـــــــ

ومجاهد [١] ، وقاله أبو عبيدة [٢] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٣] ، و **استظهره** أبو حيان والسمين الحلبي ، ووافقه ابن عادل [٤] ، وجماعة من المفسرين [٥] . [٦]

قال **النحاس** : " وهذا القول أيضاً معروف في اللغة ، وهو قول أبي عبيدة ، وحكى أهل اللغة أنه يقال : أرض منصورة ؛ أي : ممطورة " [٧] .

قال **أبو عبيدة** : " مجازه : أن لن يرزقه الله ، وأن لن يعطيه الله ، قال : وقف علينا سائل من بني بكر على حلقة في المسجد الجامع فقال : من ينصرني نصره الله ؛ أي : من يعطيني أعطاه الله ، ويقال : نصر المطر أرض كذا ، أي : جادها وأحياها " . اهـ [٨] .

ومنه قول الشاعر[٩] :

وإنك لا تعطي امرءًا فوقَ حقه ولا تَمِلك الشِقَّ الذي الغيث ناصرهُ

أي : معطيه .

---

(١) أخرجه ابن جرير ، وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد ، ابن جرير ، وابن المنذر . ينظر : تفسير الطبري : ١٧ / ١٢٧ ، الدر المنثور : ٦ / ١٥ .

(٢) ينظر مجازه : ٢ / ٤٦ .

(٣) ينظر : التسهيل : ٣ / ٣٧ .

(٤) ينظر : البحر المحيط : ٦ / ٣٣٢ ، الدر المصون : ٥ / ١٣٢ ، تفسير ابن عادل : ١٤ / ٣٧ .

(٥) منهم : ابن الجوزي وقدَّمه ، والبقاعي ، وسيد قطب . ينظر : زاد المسير : ٥ / ٤١٢ ، نظم الدرر : ٥ / ١٣٩ الظلال : ٤ / ٢٤١٣ ، ٢٤١٤ .

(٦) ذكر القولين و لم يرجح : الثعلبي ، والسمعاني ، وابن عطية ، والفخر الرازي ، والعز بن عبد السلام ، والقرطبي ، والنيسابوري . وزاد ابن عطية وغيره معنى آخر فقال : " وتحتمل الآية معنى آخر ، وهو أن يراد به الكفار وكل من يغتاظ بأن ينصره الله ويطمع أن لا ينصر ، قيل له : من ظن أن هذا لا ينصر فليمت كمداً ؛ هو منصور لا محالة فليختنق هذا الظان غيظاً وكمداً . ويؤيد هذا أن الطبري والنقاش قالا : ويقال : نزلت في نفر من بني أسد وغطفان ، قالوا : نخاف أن ينصر محمد فينقطع الذي بيننا وبين حلفائنا من يهود من المنافع " . اهـ . ينظر : الكشف والبيان : ٧ / ١١ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٤٢٦ ، المحرر الوجيز : ٤ / ١١١ ، التفسير الكبير : ٢٣ / ١٦ ، تفسير العز بن عبد السلام : ٢ / ٣٤٧ ، تفسير القرطبي : ١٢ / ٢١ ، تفسير غرائب القرآن : ٥ / ٦٩ .

(٧) معاني القرآن للنحاس : ٤ / ٣٨٨ .

(٨) مجاز القرآن لأبي عبيدة : ٢ / ٤٦ .

(٩) الشاعر هو الفقعسي وهو شاعر جاهلي ، نسبه إليه غير واحد من المفسرين عند تفسير الآية . ينظر مثلاً : تفسير القرطبي : ١٢ / ٢٢ .

واستدل له ابن جُزيّ بوجهين :

" **أحدهما** : أن هذا القول مناسب لمن يعبد الله على حرف ؛ لأنه إذا أصابته فتنة انقلب وقنط حتى ظن أن الله لن ينصره ، فيكون هذا الكلام متصلاً بما قبله ، ويدل على ذلك قوله قبل هذه الآية ﴿ ... إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ [١] ، أي : الأمور بيد الله فلا ينبغي لأحد أن يتسخَّط من قضاء الله ، ولا ينقلب إذا أصابته فتنة .

والوجه الثاني : أن الضمير في ﴿ يَنصُرَهُ ﴾ على هذا القول يعود على ما تقدمه ، وأما على القول الأول فلا يعود على مذكور قبله ؛ لأن النبي ﷺ لم يذكر قبل ذلك بحيث يعود الضمير عليه ، ولا يدل سياق الكلام عليه دلالة ظاهرة " . اهـ [٢] .

✖ **وتعقَّبه الشنقيطي** فقال : " وهذا القول الأخير ظاهر السقوط كما ترى " [٣] .

✓ **وأجيب على ابن جُزيّ :**

من أنه ﷺ وإن لم يجر له ذكر ، فإن الآية التي قبلها وهي قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ... ﴾ [٤] فيها ما يدل عليه وهو ذكر الإيمان ؛ والإيمان لا يتم إلا بالله ورسوله ، والانقلاب عن الدين المذكور في قوله : ﴿ ... ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ ... ﴾ [٥] انقلاب عما جاء به محمد ﷺ [٦] .

الترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن الراجح هو القول الأول ؛ فهو أقرب الأقوال إلى الصواب ؛ فللضمير في ﴿ يَنصُرَهُ ﴾ لسيِّدنا محمَّد ﷺ ، والمعنى على هذا : من كان من الكفار يظن أن لن ينصر الله محمداً فليختنق بحبل يشده إلى سقف بيته ؛ فإن الله ناصره ، فموجب الاختناق هو الغيظ من نصرة سيدنا محمد ﷺ ؛ وهو ما رجَّحه جمهور**

---

(١) سورة الحج : ١٤ .
(٢) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٣٧ . وينظر : البحر المحيط لأبي حيان : ٦ / ٣٣٢ .
(٣) أضواء البيان : ٤ / ٢٨٨ .
(٤) سورة الحج : ١٤ .
(٥) سورة الحج : ١١ .
(٦) ينظر : تفسير القرطبي : ١٢ / ٢١ ، السراج المنير : ٢ / ٥٩٩ ، أضواء البيان : ٤ / ٢٨٨ .

المفسرين ، **خلافاً لما ذهب إليه ابن جُزيّ ومن وافقه** ؛ يدل على ذلك إضافة لما تقدم ؛ولما يلي :

أولاً : أن قول **ابن عباس ﷺ وأصحابه** أولى وأظهر في المعنى ، وأبلغ في التهكم ، قاله **ابن كثير** (١) .

ثانياً : أن هذا القول مؤيد **بالنظائر القرآنية** التي تشهد لهذا المعنى ؛ **ويدل عليه السِّياق** كما ذكر ابن جُزيّ ، وعليه تؤيده **القواعد الترجيحية** التالية :

- **القول الذي تؤيده قرائن في السِّياق مرجح على ما خالفه** .
- **القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك** (٢) .

ثالثاً : لأنه المتبادر عند إطلاق كلمة النصر ، وعليه عامة المفسرين .

قال **السعدي** : " وهذه الآية الكريمة فيها من الوعد والبشارة بنصر الله لدينه ، ولرسوله ، وعباده المؤمنين ما لا يخفى ، ومن تأييس الكافرين الذين يريدون أن يطفؤوا نور الله بأفواههم ، والله متم نوره ولو كره الكافرون " . اهـ (٣) .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) ينظر : تفسير ابن كثير : ٣ / ٢١١ .

(٢) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٢٩٩ ، ٣١٢ .

(٣) تفسير السعدي : ٥٣٥ .

قوله تعالى : ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ ... ﴾ . [آية : ٢٧] .

مسألة : لمن الخطاب في الآية :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن الخطاب لإبراهيم عليه السلام ، فقال : ((﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ ... ﴾ خطاب لإبراهيم . وقيل : لسيِّدنا محمَّد ﷺ ، **والأوَّل هو الصَّحيح**)) . اهـ [١] .

الدراسة :

اختلف أهل العلم والمفسرون **لمن الخطاب في الآية** على قولين :

القول الأول : الخطاب لإبراهيم عليه السلام ، قاله ابن عباس رضي الله عنه [٢] ، ومجاهد [٣] ، وجماعة من السَّلف [٤] ، وذهب إليه الزَّجَّاج [٥] ، **وقدَّمه** الماوردي [٦] ، و **استظهره** النسفي والنيسابوري [٧] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٨] ، و **استظهره** أبو حيان [٩] ، ووافقه **جمهور** [١٠] المفسرين [١١] .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٣٩ .

(٢) عزاه السيوطي في الدر (٦ / ٣٢ ، ٣٥) إلى ابن أبي شيبة في المصنف ، وابن منيع ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والحاكم و**صحَّحه** ، والبيهقي في سننه ، وأورد غير واحد من الروايات لابن عباس بألفاظ مختلفة .

(٣) نسبه إليه الثوري في تفسيره (٢١٠) ، وعزاه السيوطي في الدر (٦ / ٣٣ ، ٣٤) إلى عبد بن حميد ، وابن أبي حاتم ، وسعيد بن منصور ، وابن المنذر ، والبيهقي في الشعب بروايات مختلفة .

(٤) منهم : سعيد بن جبير ، وعبيد بن عمير ، وعلي بن أبي طلحة ، وعكرمة ، وعطاء . ينظر : تفسير الطبري : ١٧ / ١٤٤ . وينظر : الدر المنثور : ٦ / ٣٣ - ٣٥ .

(٥) ينظر معانيه : ٣ / ٤٢٢ .

(٦) ينظر : النكت والعيون : ٤ / ١٨ .

(٧) ينظر : تفسير النسفي : ٣ / ١٠١ ، تفسير غرائب القرآن : ٥ / ٧٧ .

(٨) ينظر : التسهيل : ٣ / ٣٩ .

(٩) ينظر : البحر المحيط : ٦ / ٣٣٧ .

(١٠) نسب هذا القول إلى جمهور المفسرين : الفخر الرازي ، وابن الجوزي ، والخطيب الشربيني ، والشنقيطي ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : التفسير الكبير : ٢٣ / ٢٥ ، زاد المسير : ٥ / ٤٢٣ ، السراج المنير : ٢ / ٦٠٦ أضواء البيان : ٤ / ٢٩٩ ، الوسيط : ٩ / ٣٠٢ .

(١١) منهم : الشافعي ، والطبري ، ولم يذكر السمر قندي غيره ، والثعلبي ، ولم يذكر السمعاني غيره ، والبغوي =

" قال جماعة المفسرين : لما فرغ إبراهيم من بناء البيت جاءه جبريل ؛ فأمره أن يؤذن فى الناس بالحج ، فقال : يا رب من يبلغ صوتى ؟ فقال الله سبحانه : أذن وعلي البلاغ . فعلا المقام فأشرف به حتى صار كأعلى الجبال ، فأدخل أصبعيه فى أذنيه ، وأقبل بوجهه يمينا وشمالا وشرقا وغربا ، وقال : يا أيها الناس ، كتب عليكم الحج إلى البيت فأجيبوا ربكم . فأجابه من كان فى أصلاب الرجال وأرحام النساء : لبَّيك اللهم لبَّيك " [١] .

القول الثاني : الخطاب لمحمد ﷺ أمر أن يفعل ذلك فى حجَّة الوداع ، قاله **الحسن** [٢] ، **ومال إليه النحاس** [٣] ، **و مال إليه أيضاً القرطبي** [٤] من المفسرين ، وهو اختيار أكثر المعتزلة [٥] . [٦]

واستدل له : بحديث أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال : « خَطَبَنَا رسول اللَّهِ ﷺ فقال : أَيُّهَا الناس قد

= ولم يذكر ابن العربي وابن عطية غيره ، وقدَّمه ابن الجوزي ، والفخر الرازي ، والبيضاوي ، والخازن ، والنيسابوري ، وابن كثير ، ولم يذكر الثعالبي غيره ، وابن عادل ، وأبو السعود ، والشوكاني ، والآلوسي ، والسعدي ، ولم يذكر سيد قطب والطاهر ابن عاشور غيره ، والشنقيطي ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : أحكام القرآن لأبي عبد الله ، محمد بن إدريس الشَّافعي (ت ٢٠٤ هـ) : ١ / ١٢٠ ، تفسير الطبري : ١٧ / ١٤٤ ، تفسير السمر قندي : ٢ / ٤٥٦ الكشف والبيان : ٧ / ١٨ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٤٣٤ ، تفسير البغوي : ٣ / ٢٨٣ ، أحكام القرآن لابن العربي : ٣ / ٢٨٠ ، المحرر الوجيز : ٤ / ١١٧ ، زاد المسير : ٥ / ٤٢٣ ، التفسير الكبير : ٢٣ / ٢٥ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ١٢٣ ، تفسير الخازن : ٥ / ١٣ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٢١٧ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ١١٦ ، تفسير ابن عادل : ١٤ / ٧٠ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ١٠٤ ، فتح القدير : ٣ / ٤٨٤ ، روح المعاني : ١٧ / ١٤٣ ، تفسير السعدي : ٥٣٧ ، الظلال : ٤ / ٢٤١٨ ، التحرير والتنوير : ١٧ / ٢٤٣ ، أضواء البيان : ٤ / ٢٩٩ ، الوسيط : ٩ / ٣٠٢ .

(١) فتح القدير : ٣ / ٤٨٤ . قال الطبري قبله : " وقد اختلف في صفة تأذين إبراهيم بذلك " . ينظر : تفسير الطبري : ١٧ / ١٤٤ .

(٢) نسبه إليه : الثعلبي ، والبغوي ، والزمخشري ، وابن الجوزي ، والنسفي ، والخازن ، وأبو حيان . ينظر : الكشف والبيان : ٧ / ١٨ ، تفسير البغوي : ٣ / ٢٨٣ ، الكشاف : ٣ / ١٥٣ ، زاد المسير : ٥ / ٤٢٣ ، تفسير النسفي : ٣ / ١٠١ ، تفسير الخازن : ٥ / ١٣ ، البحر المحيط : ٦ / ٣٣٨ . **ولم أقف عليه مسنداً في أي من كتب الآثار** .

(٣) ينظر : إعراب القرآن للنحاس : ٣ / ٩٥ .

(٤) ينظر : تفسير القرطبي : ١٢ / ٣٨ .

(٥) نسب هذا القول إلى المعتزلة : الفخر الرازي ، والنيسابوري ، وابن عادل ، والخطيب الشربيني إليهم . ينظر : التفسير الكبير : ٢٣ / ٢٥ تفسير غرائب القرآن : ٥ / ٧٧ ، تفسير ابن عادل : ١٤ / ٧١ ، السراج المنير : ٢ / ٦٠٦ .

(٦) ذكر القولين من غير ترجيح : الزَّمخشري ، والخطيب الشربيني . ينظر : الكشاف : ٣ / ١٥٣ ، السراج المنير : ٢ / ٦٠٧ .

فَرَضَ اللهُ عَلَيْكُمْ الْحَجَّ فَحُجُّوا ... » [١] .

✖ **وتُعقِّب** :

بأن الحديث **ليس نصاً في تفسير الآية** ، وإنما أمر منه ﷺ بالحج عموماً .

وأورد النحاس وتبعه القرطبي دليلين على هذا القول :

١. أن القرآن أنزل على النبي ﷺ ؛ فكل ما فيه من المخاطبة فهي له إلاَّ أن يدل دليلٌ قاطعٌ على غير ذلك .

٢. قوله تعالى في الآية التي قبلها : ﴿ ... أَن لَّا تُشْرِكْ بِي ... ﴾ [٢] ، وهذا مخاطبة لمشاهد ، وإبراهيم عليه السلام غائب ، فيكون الخطاب من قوله : ﴿ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي ﴾ للنبي محمد ﷺ ، ونسبا هذا القول لأهل النظر [٣] .

✖ **وتُعقِّب هذا القول** :

- بأنه يأباه كون السورة مكيَّة [٤] ، قاله أبو السعود [٥] .
- هو خلاف الظَّاهر جداً ولا قرينة عليه ، قاله الآلوسي [٦] .

الترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن الرَّاجح أن الخطاب لإبراهيم عليه السلام ، وهو قول جماعة السَّلف ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ، ووافقه جمهور المفسرين** ، يدل على ذلك

---

(١) جزء من حديث أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الحج ، بَاب فَرْضِ الْحَجِّ مَرَّةً فِي الْعُمُرِ (١٣٣٧) : ٢ / ٩٧٥ .

(٢) سورة الحج : ٢٦ .

(٣) إعراب القرآن للنحاس : ٣ / ٩٥ . وينظر : تفسير القرطبي : ١٢ / ٣٨ .

(٤) قال ابن عباس رضي الله عنهما في **أظهر الروايتين** : هي مكيَّة إلاَّ قوله تعالى : ﴿ ۞ هَـٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمْ ... ﴾ وآيتين بعد هذه الآية . [سورة الحج : ١٩ – ٢١] . وقوله تعالى : ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ ... ﴾ . الآية . [سورة الحج : ٣٩] . وعن ابن عباس رضي الله عنهما في رواية أخرى : أن هذه السورة مدنية إلا آيات فيها نزلت بمكة . ينظر : تفسير السمعاني : ٣ / ٤١٦ .

(٥) ينظر : تفسير أبي السعود : ٦ / ١٠٤ .

(٦) ينظر : روح المعاني : ١٧ / ١٤٣ .

إضافة لما تقدم ؛ ولما يلي :

أولاً : دلالة السِّياق القرآني :

سياق الآيات يدل على أن الخطاب لإبراهيم عليه السلام .

ثانياً : لأن التوافد على هذا البيت موجود منذ عهد إبراهيم عليه السلام [(١)] .

ثالثاً : هذا القول هو الثابت عن جماعة كبيرة من السَّلف خلافاً لما زعمه الحسن ، مما يؤيد رجحان هذا القول .

قال **ابن كثير** بعد أن ذكر صفة تأذين إبراهيم عليه السلام :

" هذا مضمون ما ورد عن ابن عباس رضي الله عنه ، ومجاهد ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير ، وغير واحد من السلف والله أعلم ، وأوردها ابن جرير وابن أبي حاتم مطولة " . اهـ [(٢)] .

رابعاً : يؤيده **القواعد الترجيحية** التالية :

- **تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم .**
- **القول الذي تؤيده قرائن في السِّياق مرجَّح على ما خالفه [(٣)] .**

✌ **" والتوفيق بين القولين :**

أن النبي صلى الله عليه وسلم إنما أمره الله بذلك إحياء لسنة إبراهيم عليه السلام " [(٤)] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) ينظر : الوسيط لمحمَّد سيِّد طنطاوي : ٩ / ٣٠٢ .
(٢) تفسير ابن كثير : ٣ / ٢١٧ .
(٣) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٢٧١ ، ٢٩٩ .
(٤) عمدة القاري لبدر الدين العيني : ٩ / ١٢٨ .

قوله تعالى : ﴿ ... وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ [1] يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ... ﴾ . [آية : ٤٠] .

مسألة : في معنى قوله تعالى : ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن قوله تعالى : ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ ﴾ تقوية للإذن في القتال وإظهار للمصلحة التي فيه ، كأنه يقول : لولا القتال والجهاد لاستولى الكفار على المسلمين وذهب الدين ، فقال : ((﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ ﴾ الآية تقوية للإذن في القتال وإظهار للمصلحة التي فيه ، كأنه يقول : لولا القتال والجهاد لاستولى الكفار على المسلمين وذهب الدين . وقيل : المعنى : لولا دفع ظلم الظلمة بعدل الولاة ، **والأول أليق بسياق الآية**)) . اهـ [2] .

الدراسة :

اختلف أهل العلم والمفسرون في **معنى قوله تعالى : ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ ﴾** على أقوال [3] منها :

---

(١) **ما الصوامع والبيع والصلوات والمساجد ؟**

قال الفخر الرازي : " الجواب : ذكروا فيها وجوهاً :

أحدها : الصوامع للنصارى ، والبيع لليهود ، والصلوات للصابئين ، والمساجد للمسلمين ، عن أبي العالية .

وثانيها : الصوامع للنصارى ؛ وهي التي بنوها في الصحارى ، والبيع لهم أيضاً ؛ وهي التي يبنونها في البلد ، والصلوات لليهود ، قال الزَّجَّاج : وهي بالعبرانية صلوتاً .

وثالثها : الصوامع للصابئين ، والبيع للنصارى ، والصلوات لليهود ، عن قتادة .

ورابعها : أنها بأسرها أسماء المساجد عن الحسن ، أما الصوامع فلأن المسلمين قد يتخذون الصوامع ، وأما البيع فأطلق هذا الاسم على المساجد على سبيل التشبيه ، وأما الصلوات فالمعنى أنه لولا ذلك الدفع لانقطعت الصلوات ولخربت المساجد " . اهـ . ينظر : التفسير الكبير : ٢٣ / ٣٦ .

(٢) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٤٢ .

(٣) ذكر ابن جرير وغيره جملة من الأقوال : عن علي ﷺ قال : لولا دفاع الله بأصحاب محمد عن التابعين لهدمت صوامع وبيع . وعن مجاهد : يقول دفع بعضهم بعضاً في الشهادة وفي الحق وفيما يكون من قبل هذا ، يقول : لولاهم لأهلكت هذه الصوامع وما ذكر معها ، **ورجَّحه النحاس** . وعن ابن عباس ﷺ : يدفع بالمحسن عن المريء . وأخرج البيهقي في شعب الإيمان عن ابن عباس ﷺ قال : يدفع الله بمن يصلي عمن لا يصلي ، وبمن يحج عمن لا يحج ، وبمن يزكي عمن لا يزكي . وقال الضحاك : يدفع الإسلام وأهله عن أهل الذمة . ينظر : =

القول الأول : الآية تقوية للإذن في القتال وإظهار للمصلحة التي فيه ، كأنه يقول : لولا القتال والجهاد لاستولى الكفار على المسلمين وذهب الدين ، قاله ابن زيد [١] ، ومجاهد [٢] ، وهو ما **رجَّحه ابن جُزيّ** [٣] ، ووافقه **أكثر**[٤] المفسرين [٥] .

قال **السمعاني** :

" القول المعروف أن الدفع هاهنا هو دفع المجاهدين عن الدين وعن سائر المسلمين " [٦] .

وقال **ابن عطية** : " هذا أصوب ما قيل فى تأويل الآية " [٧] . وقاله الثعالبي [٨] أيضاً .

وجوَّز الطاهر بن عاشور معنىً آخر في الآية **موافقاً الفرَّاء** [٩] فيه فقال :

" ويجوز أن يكون المراد : لولا ما سبق قبل الإسلام من إذن الله لأمم التوحيد بقتال أهل الشرك (كما قاتل داوود عليه السلام جالوت ، وكما تغلّب سليمان عليه السلام على مَلِكَة سبأ) . لَحق المشركون معالم التوحيد (كما محق بختنصر هيكل سليمان عليه السلام) فتكون هذه الجملة

= تفسير الطبري : ١٧ / ١٧٤ ، ١٧٥ ، إعراب القرآن للنحاس : ٣ / ١٠١ ، شعب الإيمان للبيهقي : ٦ / ٩٧ ، تفسير النيسابوري : ٥ / ٨٣ .

(١) أخرجه ابن جرير ، وعزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم . ينظر : تفسير الطبري : ١٧ / ١٧٤ ، الدر المنثور : ٦ / ٥٩ .

(٢) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر . ينظر : الدر المنثور : ٦ / ٥٩ .

(٣) ينظر : التسهيل : ٣ / ٤٢ .

(٤) نسب النحاس هذا القول إلى أكثر أهل التفسير . ينظر : إعراب القرآن للنحاس : ١ / ٢٥٥ .

(٥) منهم : السمر قندي ، والثعلبي : (وزاد : وإقامة الحدود وكف الظلم) ، والسمعاني ، والبغوي ، وابن عطية ، والفخر الرازي ، والقرطبي ، والخازن (وزاد : وإقامة الحدود) ، والثعالبي ، والخطيب الشربيني ، والشوكاني ، والآلوسي ، والقاسمي ، والسعدي ، وسيد قطب ، والطاهر بن عاشور ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير السمر قندي : ٢ / ٤٦٢ ، الكشف والبيان : ٧ / ٢٥ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٤٤٢ ، تفسير البغوي : ٣ / ٢٩٠ ، المحرر الوجيز : ٤ / ١٢٤ ، التفسير الكبير : ٢٣ / ٣٦ ، تفسير القرطبي : ١٢ / ٧٠ ، تفسير الخازن : ٥ / ٢٠ تفسير الثعالبي : ٤ / ١٢٧ ، السراج المنير : ٢ / ٦١٤ ، فتح القدير : ٣ / ٤٥٧ ، روح المعاني : ١٧ / ١٦٢ تفسير القاسمي : ١٢ / ٣٠ ، تفسير السعدي : ٥٣٩ ، الظلال : ٤ / ٢٤٢٥ ، التحرير والتنوير : ١٧ / ٢٧٦ الوسيط : ٩ / ٣١٨ .

(٦) تفسير السمعاني : ٣ / ٤٤٢ .

(٧) المحرر الوجيز : ٤ / ١٢٤ .

(٨) ينظر : تفسير الثعالبي : ٤ / ١٢٧ .

(٩) ينظر معانيه : ٢ / ١٩٥ .

تذييلاً لجملة : ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ ... ﴾ [١] ، أي : أذن للمسلمين بالقتال كما أذن لأمم قبلَهم لكيلا يطغى عليهم المشركون كما طغوا على من قبلهم حين لم يأذن الله لهم بالقتال ، فالتعريف في ﴿ ٱلنَّاسَ ﴾ تعريف الجنس " . اهـ [٢] .

القول الثاني : معنى الآية : **ولولا دفع الله المشركين بالمسلمين** ، قاله ابن جريج [٣] ، ومجاهد [٤] أيضاً ، ومقاتل [٥] ، وذهب إليه **الزمخشري** ، **والبيضاوي** ، **وأبو السعود** [٦] من من المفسرين [٧] .

✓ **والقول الأول والثاني متقاربان .**

القول الثالث : معنى الآية : لولا **دفع ظلم الظلمة بعدل الولاة** [٨] . [٩]

الترجيح:

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن كل الأقوال محتملة لكن الأصوب أن الآية تقوية للإذن في القتال وإظهار للمصلحة التي فيه ، كأنه يقول : لولا القتال والجهاد لاستولى الكفار على المسلمين وذهب الدين ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ، ووافقه أكثر المفسرين** ، إضافة لما تقدم ؛ ولما يلي :

---

(١) سورة الحج : ٣٩ .
(٢) التحرير والتنوير : ١٧ / ٢٧٧ .
(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٧ / ١٧٤) .
(٤) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر . ينظر : الدر المنثور : ٦ / ٥٩ .
(٥) ينظر تفسيره : ٢ / ٣٨٥ .
(٦) ينظر : الكشاف : ٣ / ١٦٢ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ١٢٩ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ١٠٩ .
(٧) بعض المفسرين اعتبر القولين الأول والثاني قولاً واحداً ، لكن الطبري أوردهما كقولين منفصلين . ينظر : تفسير الطبري : ١٧ / ١٧٤ .
(٨) أورده غير واحد من المفسرين و لم ينسبوه لأحد . ينظر مثلاً : المحرر الوجيز : ٤ / ١٢٤ .
(٩) ذكر **ابن جرير** أقوالاً جاءت عن جماعة من السلف وجوَّزها جميعاً . ينظر : تفسير الطبري : ١٧ / ١٧٤ . وجوّز **العز بن عبد السلام** جميع الأقوال ، وكذلك نقل **أبو حيان** جميع الأقوال وقال : " والذي يظهر : أن المدفوع بهم هم المؤمنون ، ولولا ذلك لفسدت الأرض ، لأن الكفر كان يطبقها ويتمادى في جميع أقطارها ، ولكنه تعالى لا يخلي زماناً من قائمٍ يقوم بالحق ويدعو إلى الله تعالى ، إلى أن جعل ذلك في أمّة محمد ﷺ " . اهـ . وذكر العز بن عبد السلام ، والنيسابوري ، وابن عادل (عند تفسير نظيرها في سورة البقرة ، آية : ٢٥١) **جميع الأقوال ولم يرجحوا قولاً** . ينظر : تفسير العز بن عبد السلام : ٢ / ٣٥٧ ، تفسير النيسابوري : ٥ / ٨٣ ، البحر المحيط : ٢ / ٢٧٩ ، تفسير ابن عادل : ٤ / ٢٩٣ .

سورة الحج ـــــــ

سورة الحج ـــــــ

سورة الحج ـــــــ

قال **السمعاني** : " وهذا القول هو الأوْلى ؛ لأنه قد سبق ذكر العذاب " [١] .

قال **ابن كثير** : " أي : هو تعالى لا يَعجَل ، فإن مقدار ألف سنة عند خلقه كيوم واحد عنده بالنسبة إلى حكمه ، لعلمه بأنه على الانتقام قادر ، وأنه لا يفوته شيء ، وإن أجَّلَ وأنظَر وأملى " . اهـ [٢] .

✓ **الوجه الثاني : التشبيه وقع في الطول للعذاب فيه والشدة** ، المعنى : **إن يوماً واحداً من أيام العذاب كألف سنة لطول العذاب** ؛ فإن أيام البؤس طويلة وإن كانت في الحقيقة قصيرة ، ذهب إليه الأخفش [٣] ، وقاله غير واحد من المفسرين [٤] . [٥]

والمعنى :

أنهم لو عرفوا حال الآخرة ما استعجلوه ، وهذا القول قريب من **قول أبي مسلم** ، وقال عنه **الفخر الرازي** : " وهو أولى الوجوه " [٦] . وقدَّمه **النيسابوري** [٧] .

الوجه الثالث : التشبيه وقع في التحديد ، المعنى : إن اليوم المذكور في الآية **هو يوم من الأيام الستة التي خلق الله فيها السموات والأرض** ، قاله ابن عباس ﷺ [٨] أيضاً ، ومقاتل [٩] ، ونصَّ عليه **الإمام أحمد بن حنبل** [١٠] ، وقدَّمه الماوردي ، والقرطبي ،

---

(١) تفسير السمعاني : ٣ / ٤٤٦ .

(٢) تفسير ابن كثير : ٣ / ٢٢٩ . وينظر : تفسير القاسمي : ١٢ / ٣٤ .

(٣) ينظر معانيه : ٢ / ٦٣٨ .

(٤) منهم : الواحدي ، والزمخشري ، والنسفي ، ولم يذكر البقاعي والثعالبي غيره (قال الثعالبي : قالت فرقة) . ينظر : تفسير الواحدي : ٢ / ٧٣٧ ، الكشاف : ٣ / ١٦٤ ، تفسير النسفي : ٣ / ١٠٨ ، نظم الدرر : ٥ / ١٦١ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ١٢٩ .

(٥) جوَّز القولين الأول والثاني : البيضاوي ، والخطيب الشربيني . ينظر : تفسير البيضاوي : ٤ / ١٣١ ، السراج المنير : ٢ / ٦١٧ .

(٦) نسب الفخر الرازي هذا القول إلى أبي مسلم . ينظر : التفسير الكبير :٢٣ / ٤١ .

(٧) ينظر : تفسير غرائب القرآن : ٥ / ٨٩ .

(٨) نسبه البغوي إليه ، وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم . ينظر : تفسير الطبري : ١٧ / ١٨٣ ، تفسير البغوي : ٣ / ٢٩١ ، الدر المنثور : ٦ / ٦٢ .

(٩) ينظر تفسيره : ٢ / ٣٨٦ .

(١٠) ينظر : الرد على الزنادقة والجهمية لأبي عبد الله ، أحمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١ هـ) : ١ / ١١ .

والخازن [١] ، وقاله الشنقيطي [٢] . [٣]

القول الثاني : العذاب المستعجل به **العذاب الدنيوي** ، قاله أبو السعود [٤] ، ووافقه الآلوسي [٥] .

✖ قال **أبو السعود معترضاً** على القول الأول مستدلاً بدلالة السِّياق :

" وحمل المستعجل به على عذاب الآخرة ؛ وجعل اليوم عبارة عن يوم العذاب المستطال لشدته ، أو عن أيام الآخرة الطويلة حقيقة ، أو المستطالة لشدة عذابها **مما لا يساعده سباق النظم الجليل ولا سياقه** ، فإن كلا منهما ناطق بأن المراد هو العذاب الدنيوي ، وأن الزمان الممتد هو الذي مر عليهم قبل حلوله بطريق الإملاء والإمهال لا الزمان المقارن له ، ألا يرى إلى قوله تعالى : ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا ... ﴾ [٦] ... ... صريح في أن المراد هو الأخذ العاجل الشديد بعد الإملاء المديد " . اهـ [٧] .

الترجيح:

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن الراجح أن العذاب المستعجل به هو العذاب الأخروي ، وأن معنى التشبيه في قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾** أن **يوماً من أيام الآخرة مقداره ألف سنة من أعوام الدنيا ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** ؛ يدل على ذلك إضافة ما تقدم ؛ ولما يلي :

أولاً : دلالة السِّياق القرآني : قال **الطبري** عن هذا القول : وهو **أشبه بالحق** في ذلك " .

---

(١) ينظر : النكت والعيون : ٤ / ٣٣ ، تفسير القرطبي : ١٢ / ٧٨ ، تفسير الخازن : ٥ / ٢١ .

(٢) ينظر : أضواء البيان : ٥ / ٢٧٨ .

(٣) ذكر الأقوال جميعها أو بعضها من غير ترجيح : الثعلبي ، والبغوي ، وابن عطية ، وأبو حيان ، وابن عادل ، والشوكاني ، والسعدي ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : الكشف والبيان : ٧ / ٢٨ ، تفسير البغوي : ٣ / ٢٩١ ، المحرر الوجيز : ٤ / ١٢٧ ، البحر المحيط : ٦ / ٣٥٠ ، ٣٥١ ، تفسير ابن عادل : ١٤ / ١١٣ ، فتح القدير : ٣ / ٤٦٠ ، تفسير السعدي : ٥٤١ ، الوسيط : ٩ / ٣٢٤ .

(٤) تفسير أبي السعود : ٦ / ١١٢ .

(٥) روح المعاني : ١٧ / ١٧٠ .

(٦) سورة الحج : ٤٨ .

(٧) تفسير أبي السعود : ٦ / ١١٢ .

واستدل لذلك **بدلالة السِّياق** أيضاً فقال :

" وذلك أن الله تعالى ذكره أخبر عن استعجال المشركين رسول الله ﷺ بالعذاب ثم أخبر عن مبلغ قدر اليوم عنده ثم أتبع ذلك قوله : ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ... ﴾ [١] ، فأخبر عن إملائه أهل القرية الظالمة وتركه معاجلتهم بالعذاب ؛ فبين بذلك أنه عنى بقوله : ﴿ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ نفي العجلة عن نفسه ووصفها بالأناة والانتظار ... وكان تأويل الكلام : وإن يوما من الأيام التي عند الله يوم القيامة يوم واحد كألف سنة من عددكم ، وليس ذلك عنده ببعيد وهو عندكم بعيد ؛ فلذلك لا يعجل بعقوبة من أراد عقوبته حتى يبلغ غاية مدته " . اهـ [٢] .

ثانياً : القول بالحقيقة هو الأولى لأنه الأصل :

قال **ابن جُزيّ** : " وفي كل واحد من الوجهين – أي الأول والثاني – تهديد للذين استعجلوا العذاب ؛ **إلاَّ أنَّ الأوَّل أرجح** ؛ لأن الألف سنة فيه حقيقة " . اهـ [٣] .

ثالثاً : حمل الكلام على الحقيقة أولى من حمله على المجاز ، ومن **المقرر عند العلماء** أنه :

- **يجب حمل نصوص الوحي على الحقيقة** [٤] .

✍ ولكن يوم القيامة بالنسبة إلى المؤمنين يقصر ويخف حتى يكون كنصف نهار .

عن إبراهيم قال : ما طول ذلك اليوم على المؤمن إلا كما بين الأولى والعصر [٥] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) سورة الحج : ٤٨ .
(٢) تفسير الطبري : ١٧ / ١٨٤ . وينظر : معاني القرآن للنحاس : ٤ / ٤٢٣ .
(٣) التسهيل : ٣ / ٤٤ .
(٤) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ٢ / ٣٨٧ .
(٥) عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم . ينظر : الدر المنثور : ٦ / ٦٢ .

سورة الحج ـــــــ

ومقاتل [١] ، ورجَّحه الطبري [٢] ، والنحاس [٣] ، والقاضي عياض [٤] ، وقاله رواة اللغة [٥] **وأكثر** [٦] المفسرين [٧] .

واستدل له :

١. بالنظير القرآني :

قال الله تعالى : ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ ... ﴾ . [سورة البقرة : ٧٨] . أي : إلا قراءة ؛ لأن الأمي لا يعلم القرآن من المصحف ؛ وإنما يعلمه قراءة [٨] .

٢. من كلام العرب :

بقول حسَّان بن ثابت ﷺ في عثمان ﷺ حين قتل :

تَمَنَّى كِتَابَ اللهِ أَوَّلَ لَيْلِهِ وآخِرَهُ لاَقى حِمَامَ المَقَادِرِ

---

(١) ينظر تفسيره : ٢ / ٣٨٦ .

(٢) ينظر : تفسير الطبري : ١٧ / ١٩٠ .

(٣) ينظر معانيه : ٤ / ٤٢٥ .

(٤) ينظر : كتاب الشفا : ٢ / ١١٥ .

(٥) نسبه إلى رواة اللغة : الفخر الرازي ، وأبو حيان ، والطاهر بن عاشور . ينظر : التفسير الكبير : ٣٢ / ٤٥ ، البحر المحيط : ٦ / ٣٥٣ ، التحرير والتنوير : ١٧ / ٢٩٧ . وينظر : العين للفراهيدي ، باب الميم والنون : ٨ / ٣٩٠ ، معاني القرآن وإعرابه للزَّجاج : ٣ / ٤٣٣ ، (مادة : مني) في : معجم مقاييس اللغة : ٥ / ٢٧٧ ، المحكم لابن سيده : ١٠ / ٥١١ ، لسان العرب : ١٥ / ٢٩٥ ، تاج العروس : ٣٩ / ٥٦٣ . وينظر : كليات الكفوي : ١٨٧ .

(٦) نسبه إلى أكثر المفسرين : السمعاني ، والبغوي ، وابن الجوزي ، والخازن ، وابن كثير ، والشنقيطي . ينظر : تفسير السمعاني : ٣ / ٤٤٧ ، تفسير البغوي : ٣ / ٢٩٣ ، زاد المسير : ٥ / ٤٤١ ، تفسير الخازن : ٥ / ٢٣ تفسير ابن كثير : ٣ / ٢٣١ ، أضواء البيان : ٥ / ٢٨٤ .

(٧) ومنهم : السمر قندي ، وابن أبي زمنين ونسبه لقتادة ، والماوردي ، والواحدي ، وقدَّمه ابن الجوزي ، والعز بن عبد السلام ، والقرطبي ، والنسفي ، وابن كثير ، والثعالبي (ونقل قول القاضي عياض) ، والجلالين ، والشوكاني ، والسعدي . ينظر : تفسير السمر قندي : ٢ / ٤٦٥ ، تفسير ابن أبي زمنين : ٣ / ١٨٦ ، تفسير الماوردي : ٤ / ٣٤ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٧٣٧ ، زاد المسير : ٥ / ٤٤٢ ، تفسير العز بن عبد السلام : ٢ / ٣٦٠ ، تفسير القرطبي : ١٢ / ٧٩ ، تفسير النسفي : ٣ / ١٠٨ ، ١٠٩ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٢٣٠ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ١٣٣ ، تفسير الجلالين : ٤٤١ ، فتح القدير : ٣ / ٤٦٢ ، تفسير السعدي : ٥٤٢ .

(٨) ينظر : التفسير الكبير للفخر الرازي : ٢٣ / ٤٥ .

وقال آخر :

تَمَنَّى كِتَابَ اللَّهِ أَوَّلَ لَيْلَة تَمَنِّي دَاوُدَ الزَّبُورَ عَلَى رِسْلِ [١]

٣. القرينة القرآنية :

قال ابن جرير : " **هذا القول أشبه بتأويل الكلام** ، بدلالة قوله : ﴿... فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ...﴾ [٢] على ذلك ؛ لأن الآيات التي أخبر الله جل ثناؤه أنه يحكمها لا شك أنها آيات تتزيله ، فمعلوم أن الذي ألقي فيه الشيطان هو ما أخبر الله تعالى ذكره أنه نسخ ذلك منه وأبطله ، ثم أحكمه بنسخه ذلك منه " . اهـ [٣] .

القول الثاني : ﴿ **تَمَنَّىٰٓ** ﴾ **من التمني** ؛ **بمعنى** : **حب الشيء** ؛ أي : تمنى النبي ﷺ مقاربة قومه واستئلافهم ، ألقى الشيطان ذلك في هذه الأمنية ليعجبهم ذلك ، قاله ابن عباس [٤] رضي الله عنه ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٥] ، ومال إليه القاسمي [٦] ، والطاهر بن عاشور [٧] ، وقاله وقاله جماعة من المفسرين [٨] . [٩]

---

(١) ذكر هذين البيتين جماعة من أهل اللغة والمفسرين عند تفسيرهم للآية التي معنا . ينظر مثلاً : الكشف والبيان للثعلبي : ٧ / ٣٠ ، تفسير السمرقندي : ٢ / ٤٦٤ ، ٤٦٥ ، تاج العروس (مادة : مني) : ٣٩ / ٥٦٣ . ولم اهتد لقائل البيت الثاني .

(٢) سورة الحج : ٥٢ .

(٣) تفسير الطبري : ١٧ / ١٩٠ .

(٤) قال ابن عباس رضي الله عنه : إن أمنيته أن يسلم قومه . ينظر : الدر المنثور : ٦ / ٦٥ .

(٥) ينظر : التسهيل : ٣ / ٤٤ .

(٦) ينظر : تفسير القاسمي : ١٢ / ٤٩ ، ٥٤ .

(٧) ينظر : التحرير والتنوير : ١٧ / ٢٩٧ .

(٨) منهم : البغوي ، والزمخشري ، وأبو حيان ، وسيد قطب . ينظر : تفسير البغوي : ٣ / ٢٩٣ ، الكشاف : ٣ / ١٦٦ ، البحر المحيط : ٦ / ٣٥٢ ، الظلال : ٤ / ٢٤٣٣ .

(٩) ذكر القولين ولم يرجح : السمعاني ، وابن عطية ، والفخر الرازي ، والبيضاوي ، والخازن ، والنيسابوري ، وابن عادل . ينظر : تفسير السمعاني : ٣ / ٤٤٧ ، المحرر الوجيز : ٤ / ١٢٨ ، ١٢٩ ، التفسير الكبير : ٢٣ / ٤٥ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ١٣٣ ، ١٣٤ ، تفسير الخازن : ٥ / ٢٣ ، تفسير غرائب القرآن : ٥ / ٩٠ ، ٩١ ، تفسير ابن عادل : ١٤ / ١١٨ .
وجوَّز الفراء ، والبقاعي ، والخطيب الشربيني القولين ، ينظر : معاني القرآن للفراء : ٢ / ١٩٦ ، نظم الدرر : ٥ / ١٦٤ ، السراج المنير : ٢ / ٦١٨ . ولم يتعرض **الآلوسي** للروايات في الآية ، وقال : " والتمني على ما قال أبو مسلم : نهاية التقدير ... والأمنية على ما قال الرَّاغب : الصورة الحاصلة في النفس من التمني . ينظر : روح المعاني : ١٧ / ١٧٣ .

✖ **واعتُرض على هذا القول :**

بأن تمنِّي القلب كيف يكون فتنة للذين في قلوبهم مرض وهم المنافقون ، وللقاسية قلوبهم وهم المشركون ؟

قال تعالى في الآية التي تليها : ﴿ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَـٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ... ﴾ . [سورة الحج : ٥٣] .

✓ **وأُجيب** : بأنه إذا قوي التمني اشتغل الخاطر به فحصل السَّهو في الأفعال الظاهرة بسببه فيصير ذلك فتنة لمن ضعفت عقيدته في النبي ﷺ [(١)] .

الترجيح:

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن معنى ﴿ تَمَنَّىٰٓ ﴾ و ﴿ أُمْنِيَّتِهِۦ ﴾ في هذه الآية من التمني ؛ بمعنى : حب الشيء ؛ وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** ، إضافة لما تقدم ، ولما يلي :

أولاً : من اللغة : على الرغم من تفسير رواة اللغة التمني بالقراءة ؛ إلا أن الذي تميل إليه النفس أن يكون معنى ﴿ تَمَنَّىٰٓ ﴾ أراد وأحب واشتهى ، **وهذا المعنى أشهر في اللفظ** ؛ كما قال **ابن عطية وابن جُزيّ** [(٢)] .

وقد قال **أهل اللغة** [(٣)] : تمنَّاهُ تَمَنّياً : أَرادَهُ ، والتمني : حديث النفس بما يكون وبما لا يكون والتمني السؤال للرب في الحوائج .

وفي الحديث : « إذا تَّمنى أحدكم فليكثر فإنما يسأل ربه ﷻ » [(٤)] .

وتمنّيت الشيء ، أي : قدّرته وأحببتُ أن يَصير إليّ ، من (المَنا) وهو (القَدَر) .

---

(١) ينظر : تفسير غرائب القرآن : ٥ / ٩٢ ، تفسير ابن عادل : ١٤ / ١٢٣ .

(٢) ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ١٢٨ ، التسهيل : ٣ / ٤٤ .

(٣) ينظر (مادة : مني) في : تهذيب اللغة للأزهري : ١٥ / ٣٨٣ ، لسان العرب : ١٥ / ٢٩٤ ، تاج العروس : ٣٩ / ٥٦٢ .

(٤) أخرجه الطبراني في الأوسط (٢٠٤٠) : ٢ / ٣٠١ . عن عائشة – رضي الله عنها – . قال الهيثمي : رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح . ينظر : مجمع الزوائد : ١٠ / ١٥٠ .

وقال ابن الأثير :

التمني تشهي حصول الأمر المرغوب فيه وحديث النفس بما يكون وما لا يكون [١] .

وقال **الطاهر بن عاشور** :

" وعندي في صحة إطلاق لفظ الأمنية على القراءة شك عظيم ... فلا أظن أن القراءة يقال لها : أمنية " . اهـ [٢] .

ثانياً : دلالة السِّياق القرآني :

هذا المعنى يناسب سياق الآية ومفهومها ؛ فالله ﷻ يخبر نبيَّه ﷺ أن ما من رسول ولا نبي إلاَّ وله أمنية في قومه ، وهي أن يتبعوه وينحازوا إلى ما يدعوهم إليه .

قال **الطاهر بن عاشور** :

" ويجوز أن يكون المعنى : أن النبي إذا تمنّى هدْي قومه ، أو حرَص على ذلك فلقي منهم العناد ، وتمنّى حصول هداهم بكل وسيلة ألقى الشيطان في نفس النبي خاطر اليأس من هداهم عسى أن يُقْصر النبيءُ من حرصه أو أن يضجره ، وهي خواطر تلوح في النفس ولكن العصمة تعترضها فلا يلبث ذلك الخاطر أن ينقشع ويرسخ في نفس الرسول ما كلّف به من الدأب على الدعوة والحرص على الرشد . فيكون معنى الآية على هذا الوجه ملوّحاً إلى قوله تعالى : ﴿ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ . [سورة الأنعام : ٣٥] . " . اهـ [٣] .

ثالثاً : يؤكد هذا المعنى الغرض من الآية ؛ فقد كان نبيُّنا ﷺ يحب ائتلاف قومه ؛ وكان من ذلك في المقام الأعلى . قال تعالى : ﴿ فَلَعَلَّكَ بَـٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَـٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ . [سورة الكهف : ٦] . وقال : ﴿ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ

---

(١) ينظر : النهاية في غريب الأثر (مادة : مني) : ٤ / ٣٦٧ .
(٢) التحرير والتنوير : ١٧ / ٢٩٩ .
(٣) المرجع السابق : ١٧ / ٢٩٩ ، ٣٠٠ . وينظر قبله : الظلال : ٤ / ٢٤٣٣ .

بِمُؤْمِنِينَ ﴾ . [سورة يوسف عليه السلام : ١٠٣] . فكان الغرض من الآية تسلية من الله لرسوله صلوات الله وسلامه عليه ؛ أي : لا يه ولنك ذلك ولا يحزنك ؛ فقد أصاب مثل هذا من قبلك من المرسلين والأنبياء [١] .

رابعاً : يتأيد هذا القول **بالقاعدة الترجيحية** التالية :

- **في تفسير القرآن بمقتضى اللغة يراعى المعنى الأغلب والأشهر دون الشاذ أو القليل** [٢] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

المسألة الثانية : في الاختلاف في كيفية إلقاء الشيطان :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن كيفية إلقاء الشيطان بأن الشيطان هو الذي تكلم بذلك وظن الناس أن النبي ﷺ هو المتكلم به ؛ لأنه قرب صوته من صوت النبي ﷺ حتى التبس الأمر على المشركين ، فقال : ((واختلف في كيفية إلقاء الشيطان ، فقيل : إن الشيطان هو الذي تكلم بذلك وظن الناس أن النبي ﷺ هو المتكلم به ؛ لأنه قرب صوته من صوت النبي ﷺ حتى التبس الأمر على المشركين . وقيل : إن النبي ﷺ هو الذي تكلم بذلك على وجه الخطأ والسهو ؛ لأن الشيطان ألقاه ووسوس في قلبه حتى خرجت تلك الكلمة على لسانه من غير قصد . والقول الثاني أشهر عند المفسرين والناقلين لهذه القصة ، **والقول الأوَّل أرجح** ؛ لأن النبي ﷺ معصوم في التبليغ ، فمعنى الآية : أن كل نبي وكل رسول قد جرى له مثل ذلك من إلقاء الشيطان)) . اهـ [٣] .

---

(١) ينظر : البحر المحيط لأبي حيان : ٦ / ٣٥٢ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٢٣٠ ، فتح القدير للشوكاني : ٣ / ٤٦٢ .
(٢) ينظر : قواعد التفسير للسبت : ١ / ٢١٣ .
(٣) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٤٤ .

الدراسة :

جاء فى سبب نزول هذه الآية روايات مختلفة ؛ قال عامة المفسرين في سبب نزولها :

" أنه ﷺ لما شقَّ عليه إعراض قومه عنه تمنى في نفسه أن لا يترل عليه شيء ينفرهم عنه لحرصه على إيمانهم . وكان ذات يوم جالساً في نادٍ من أنديتهم ، وقد نزل عليه سورة ﴿ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ﴾ [(١)] ، فأخذ يقرؤها عليهم حتى بلغ قوله : ﴿ أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ ﴾ [(٢)] ، وكان ذلك التمني في نفسه فجرى على لسانه : (تلك الغرانيق العلى * منها الشفاعة ترتجى) ، فلما سمعت قريش ذلك فرحوا ، ومضى رسول الله ﷺ في قراءته حتى ختم السورة ، فلما سجد في آخرها سجد معه جميع من في النادي من المسلمين والمشركين ، فتفرقت قريش مسرورين وقالوا : قد ذكر محمد آلهتنا بأحسن الذكر . فأتاه جبرائيل ، وقال : ما صنعت ؟ تلوت على الناس ما لم آتك به عن الله ! . فحزن رسول الله ﷺ وخاف خوفاً شديداً ، فأنزل الله تعالى هذه الآية [(٣)].

✖ وفي مشكل هذا الحديث مأخذين :

الأول : من ناحية السند : [(٤)] فهو واهي الأصل .

---

(١) سورة النجم : ١ ، ٢ .

(٢) سورة النجم : ١٩ ، ٢٠ .

(٣) ينظر : الكشف والبيان للثعلبي : ٧ / ٢٩ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٤٤٧ ، ٤٤٨ ، الكشاف للزمخشري : ٣ / ١٦٦ ، المحرر الوجيز لابن عطية : ٤ / ١٢٨ ، تفسير الخازن : ٥ / ٢٢ ، تفسير غرائب القرآن للنيسابوري : ٥ / ٩٠ ، فتح القدير للشوكاني : ٣ / ٤٦١ ، أضواء البيان للشنقيطي : ٥ / ٢٨٥ . وينظر : تخريج الأحاديث والآثار للزيلعي : ٢ / ٣٩٢ .

(٤) المفسرون يروون هذه القصة عن ابن عباس ﷺ من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس ﷺ . ومعلوم أن الكلبي متروك ، وقد بين **البزار** : أنها لا تعرف من طريق يجوز ذكره إلا طريق أبي بشر عن سعيد بن جبير ، مع الشك الذي وقع في وصله ، وقد اعترف **الحافظ ابن حجر** مع انتصاره لثبوت هذه القصة بأن طرقها كلها إما منقطعة أو ضعيفة إلا طريق سعيد بن جبير . وإذا علمت ذلك فاعلم أن طريق سعيد بن جبير ، لم يروها بها أحد متصلة إلا أمية بن خالد ، وهو وإن كان ثقة فقد شك في وصلها .

فقد أخرج البزار وابن مردويه من طريق أمية بن خالد عن شعبة عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس فيما أحسب ، ثم ساق حديث القصة المذكورة ، وقال **البزار** : لا يرى متصلاً إلا بهذا الإسناد ، تفرد بوصله أمية بن خالد ، وهو ثقة مشهور ، وقال البزار : وإنما يروى من طريق الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس . والكلبي متروك . فتحصل أن قصة الغرانيق ، لم ترد متصلة إلا من هذا الوجه الذي شك رواية في =

قال **الفخر الرازي** :

" هذه **القصة موضوعة** ؛ أكثر ما في الباب أنّ جمعاً من المفسرين ذكروها ، لكنهم ما بلغوا حد التواتر ، وخبر الواحد لا يعارض الدلائل النقلية والعقلية المتواترة " . اهـ [1] .

✓ **والذي جاء في الصحيح :**

- عن عبد اللَّهِ ﷺ قال : « قَرَأَ النبي ﷺ (النَّجْمَ) بِمَكَّةَ فَسَجَدَ فيها ، وَسَجَدَ من معه

= الوصل ، ومعلوم أن ما كان كذلك لا يحتج به لظهور ضعفه ، ولذا قال **الحافظ ابن كثير** في تفسيره : إنه لم يرها مسندة من وجه صحيح .

وعن **البيهقي** أنه قال : هي غير ثابتة من جهة النقل . وذكر عن إمام الأئمة **ابن خزيمة** : أن هذه القصة من وضع الزنادقة . وأبطلها **النحاس في الناسخ والمنسوخ** ، وكذلك **ابن العربي المالكي** ، **والقاضي عياض** ، **وأجاب الفخر الرازي عن هذه القصة في عشر مقامات حسان** ، **والقرطبي** ، **ونزَّه أبو حيان** تفسيره عن ذكر هذه الروايات ، **وأبطلها ابن عادل** ، **والخطيب الشربيني** ، **والشوكاني** ، **والشنقيطي** ، **والطاهر بن عاشور** وجماعات كثيرة **سنداً ومتناً** ، وتصدى لقصة الغرانيق **الشيخ الألباني في كتابه** : (**نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق**) فجمع طرق هذه الروايات من مظانها من كتب التفسير والسير ، وكرَّ عليها بالنقد والتفنيد ، وبيَّن بطلان أسانيها ، ونكارة متونها ، وقال : " تلك هي روايات القصة وهي كلها كما رأيت معلة بالإرسال والضعف والجهالة ؛ فليس فيها ما يصلح للاحتجاج به لاسيما في مثل هذا الأمر الخطير . ثم إن مما يؤكد ضعفها بل بطلانها ما فيها من الاختلاف والنكارة مما لا يليق بمقام النبوة والرسالة ... " . ثم شرع في ذكر ما يؤيد بطلان هذه القصة وبيان تعارض الروايات وتناقضها مما يسقط الاحتجاج بها ؛ فكيف وهي ضعيفة ؟! .

وقال الدكتور سامي الجهني : **هذا الحديث منكر** ، وأبطل أهل التحقيق هذه الرواية ؛ فقالوا : **هذه الرواية باطلة موضوعة لوجوه من القرآن ، والسُّنة ، والمعقول .**

وقراءته ﷺ سورة النجم وسجود المشركين ثابت في الصحيح ، و لم يذكر فيه شيء من قصة الغرانيق . وعلى هذا القول الصحيح وهو أنها باطلة فلا إشكال .

وأما على ثبوت القصة كما هو رأي **الحافظ ابن حجر فإنه قال في فتح الباري** : " فإن الطرق إذا كثرت وتباينت مخارجها دل ذلك على أن لها أصلاً ، وقد ذكرت أن ثلاثة أسانيد منها على شرط الصحيح ، وهي مراسيل يحتج بمثلها من يحتج بالمرسل وكذا من لا يحتج به لاعتضاد بعضها ببعض " . اهـ . فللعلماء عن ذلك أجوبة كثيرة أحسنها ، وأقربها هو القول الثاني في المسألة (سيذكر لاحقاً) . ينظر : الناسخ والمنسوخ للنحاس : ٥٧١ ، ٥٧٢ ، أحكام القرآن لابن العربي : ٣ / ٣٠٧ ، الشفا للقاضي عياض : ٢ / ١٠٩ - ١١٥ ، المحرر الوجيز لابن عطية : ٤ / ١٢٨ ، زاد المسير : ٥ / ٤٤١ ، التفسير الكبير للفخر الرازي : ٢٣ / ٤٤ ، تفسير القرطبي : ١٢ / ٨٠ ، تفسير النسفي : ٣ / ١٠٩ ، تخريج الأحاديث والآثار للزيلعي : ٢ / ٣٩١ - ٣٩٥ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٢٣٠ ، فتح الباري لابن حجر : ٨ / ٤٣٩ ، تفسير ابن عادل : ١٤ / ١١٧ ، السراج المنير : ٢ / ٦١٩ ، فتح القدير للشوكاني : ٣ / ٤٦١ ، أضواء البيان : ٥ / ٢٨٥ ، نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق للشيخ محمد ناصر الدين الألباني (ت ١٤٢٠ هـ) : ٣٥ ، ٣٦ ، تخريج الأحاديث والآثار في التسهيل للدكتور سامي الجهني : ٧٨٩ .

(١) التفسير الكبير : ٢٣ / ٤٥ . وينظر : تفسير ابن عادل : ١٤ / ١١٨ .

سورة الحج ـــــــ

العلى * منها الشفاعة ترتجى) في قراءته ﷺ وصحة هذه الرواية – وقد أعاذنا الله من صحتها – [١] ؛ فقد اختلف أهل العلم والمفسرون في كيفية إلقاء الشيطان لها على أقوال [٢] منها :

القول الأول : أن **النبي ﷺ هو الذي تكلم بذلك على وجه الخطأ والسهو** ؛ لأن الشيطان ألقاه ووسوس في قلبه حتى خرجت تلك الكلمة على لسانه من غير قصد ، قاله ابن عباس رضي الله عنه [٣] ، وسعيد بن جبير [٤] ، والأكثرون من السَّلف [٥] ، وقاله قتادة ومقاتل [٦] [٦] وهو القول **المشهور** [٧] ، وقاله **أكثر** [٨] المفسرين [٩] .

✖ **ورُدَّ هذا القول : بأن هذا مما لا يجوز على النبي ﷺ ؛ فهو ﷺ معصوم في التبليغ – كما ذكت آنفاً – لا قصداً ولا سهواً .**

✓ قال **القاضي عياض في (الشفاء)** بعد أن ذكر الدليل على صدق النبي ﷺ : " إن الأمة أجمعت فيما طريقه البلاغ أنه معصوم فيه من الإخبار عن شيء بخلاف ما هو عليه ؛ لا

---

(١) قال القاضي عياض بذلك . ينظر : كتاب الشفا للقاضي عياض : ٢ / ١١٤ .

(٢) لمعرفة المزيد من الأقوال ؛ ينظر : كتاب الشفا للقاضي عياض : ٢ / ١١٤ وما بعدها ، التفسير الكبير : ٢٣ / ٤٥ وما بعدها ، تفسير ابن عادل : ١٤ / ١١٩ وما بعدها .

(٣) عزاه السيوطي إلى البزار ، والطبراني ، وابن مردويه ، والضياء في المختارة بسند رجاله ثقات ، وعزاه السيوطي عن ابن عباس من طرق كثيرة كلها **أحاديث مرسلة** . ينظر : الدر المنثور : ٦ / ٦٥ ، ٦٦ . وينظر : تنوير المقباس : ٢٨٢ .

(٤) عزاه السيوطي إلى ابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه **بسند صحيح** . ينظر : تفسير الطبري : ١٧ / ١٨٩ ، الدر المنثور : ٦ / ٦٥ .

(٥) أخرجه الطبري عن جماعة من السلف ، ونسبه السمعاني إليهم ، وعزى السيوطي هذا القول إلى جماعة من السلف ؛ ومنهم : أبي العالية ، والضحاك ، وعكرمة ، والسدي . ينظر : تفسير الطبري : ١٧ / ١٨٨ ، ١٨٩ تفسير السمعاني : ٣ / ٤٤٩ . الدر المنثور : ٦ / ٦٦ – ٦٩ .

(٦) روى قتادة ومقاتل : أن النبي ﷺ كان يقرأ في الصلاة عند مقام إبراهيم ﷺ فنعس ، فقال : ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴾ (تلك الغرانيق العلى ، عندها الشفاعة ترتجى) . عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم . ينظر : تفسير مقاتل : ٢ / ٣٨٧ ، الدر المنثور : ٦ / ٦٨ .

(٧) قال بذلك ابن عطية ، والقرطبي ، وابن جُزيّ . ينظر : المحرر الوجيز لابن عطية : ٤ / ١٢٨ ، تفسير القرطبي : ١٢ / ٨٠ ، التسهيل : ٣ / ٤٤ .

(٨) نسبه البغوي إلى الأكثرين . ينظر : تفسير البغوي : ٣ / ٢٩٣ .

(٩) منهم : الثعلبي ، وقدَّمه الماوردي ، والواحدي ، والعز بن عبد السلام ، والجلالين ، والسعدي . ينظر : الكشف والبيان : ٧ / ٢٩ ، ٣٠ ، تفسير الماوردي : ٤ / ٣٤ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٧٣٧ ، تفسير العز بن عبد السلام : ٢ / ٣٦٠ ، تفسير الجلالين : ٤٤١ ، تفسير السعدي : ٥٤٢ .

قصداً ولا عمداً ، ولا سهواً ولا غلطاً " . اهـ [١] .

✓ وقال **النسفي** :

" وهذا القول غير مرضى لأنه لا يخلو إما : أن يتكلم النبى عليه السلام بها عمداً ، وهذا لا يجوز لأنه كفر ، ولأنه بعث طاعناً للاصنام لا مادحاً لها ، أو أجرى الشيطان ذلك على لسان النبى عليه السلام جبراً بحيث لا يقدر على الامتناع منه وهو ممتنع ؛ لأن الشيطان يقدر على ذلك على لسانه سهواً وغفلة ، وهو مردود أيضاً لأنه لا يجوز مثل هذه الغفلة عليه فى حال تبليغ الوحى ، ولو جاز ذلك لبطل الاعتماد على قوله ، ولأنه تعالى قال فى صفة المنزل عليه : ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَـٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ... ﴾ [٢] . وقال : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴾ [٣] " . اهـ [٤] .

القول الثاني : أن **الشيطان هو الذي تكلم بذلك وظن الناس أن النبي ﷺ هو المتكلم به** ؛ لأنه قرب صوته من صوت النبي ﷺ حتى التبس الأمر على المشركين ؛ ذهب إليه **الأزهري** [٥] وغيره ، **واستحسنه ابن العربي** [٦] ، **ورجَّحه القاضي عياض** [٧] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٨] موافقاً **القرطبي** [٩] ، **وحسَّنه الخطيب الشربيني** [١٠] ، ومال إليه **القاسمي** [١١] ، **ورجَّحه الشنقيطي** [١٢] ، وجَّوزه **الطاهر بن عاشور** [١٣] ، ووافقه جماعة من

---

(١) كتاب الشفا : ٢ / ١١٢ .
(٢) سورة فصلت : ٤٢ .
(٣) سورة الحجر : ٩ .
(٤) تفسير النسفي : ٣ / ١٠٩ .
(٥) نسبه إليه : النحاس والسمعاني . ينظر : الناسخ والمنسوخ للنحاس : ٥٧٥ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٤٤٩ . ولم أقف على قول الأزهري في أي من كتبه – في حدود ما اطلعت – .
(٦) ينظر : أحكام القرآن : ٣ / ٣٠٧ .
(٧) ينظر : كتاب الشفا : ٢ / ١١٥ .
(٨) ينظر : التسهيل : ٣ / ٤٤ .
(٩) ينظر : تفسير القرطبي : ١٢ / ٨٠ ، ٨٢ .
(١٠) ينظر : السراج المنير : ٢ / ٦٢٠ .
(١١) ينظر : تفسير القاسمي : ١٢ / ٤٩ ، ٥٤ .
(١٢) ينظر : أضواء البيان : ٥ / ٢٨٧ .
(١٣) ينظر : التحرير والتنوير : ١٧ / ٢٩٩ ، ٣٠٠ .

المفسرين [١] .

قال **ابن عطية** :

" لا خلاف أن إلقاء الشيطان إنما هو لألفاظ مسموعة وقعت بها الفتنة " . اهـ [٢] .

وقال **ابن العربي** : " هذه الآية نصٌّ في براءة النبيّ مما نسب إليه ... وأن الشيطان زاد في قوله ﷺ ؛ لا أنه عليه السلام قاله " .

وقال : " وقد سبق إلى ذلك **الطبري** لجلالة قدره ، وسعة علمه ، وشدة ساعده في النظر فصوَّب على هذا المعنى وحوَّم عليه " . اهـ [٣] .

وقال **النسفي** : " وكان الشيطان يتكلم فى زمن النبى عليه السلام ويسمع كلامه ؛ فقد روى أنه نادى يوم أُحد : ألا إن محمداً قد قتل . وقال يوم بدر : ﴿ ... لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ... ﴾ [٤] " . اهـ [٥] .

✖ **وضُعِّف** :

بأن هذا يفضي إلى ارتفاع الوثوق عن كل ما يتكلم به النبي ﷺ [٦] .

✓ **وأُجيب** : " أن الإنصاف أنه غير ضعيف ، ولا يفضي إلى ارتفاع الوثوق ؛ لقوله سبحانه في تتمة الآية نفسها : ﴿ ... فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَـٰنُ ... ﴾ [٧] " [٨] .

---

(١) ومنهم : ابن عطية ومال إليه ، والنسفي ، واحتمله الخازن ، والثعالبي (ونقل قول القاضي عياض) والشوكاني ، وسيد قطب . ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ١٢٨ ، تفسير النسفي : ٣ / ١٠٩ ، تفسير الخازن : ٥ / ٢٣ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ١٣٣ ، فتح القدير : ٣ / ٤٦٢ ، الظلال : ٤ / ٢٤٣٣ .

(٢) المحرر الوجيز : ٤ / ١٢٩ .

(٣) أحكام القرآن لابن العربي : ٣ / ٣٠٦ ، ٣٠٧ . بتصرف .

(٤) سورة الأنفال : ٤٨ .

(٥) تفسير النسفي : ٣ / ١٠٩ . وينظر قبله : الناسخ والمنسوخ للنحاس : ٥٧٥ .

(٦) قاله الفخر الرازي وابن عادل . ينظر : التفسير الكبير للفخر الرازي :٢٣ / ٤٤ ، تفسير ابن عادل : ١٤ / ١٢٠ .

(٧) سورة الحج : ٥٢ .

(٨) تفسير النيسابوري : ٥ / ٩١ .

❖ **وذكر القولين ولم يرجح جماعة من المفسرين** ، منهم : السمر قندي ، والسمعاني ، والزمخشري ، والفخر الرازي ، والبيضاوي ، والنيسابوري ، وابن عادل ، وأبو السعود [١] .

الترجيح:

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن الشيطان هو الذي تكلم بذلك وظن الناس أن النبي ﷺ هو المتكلم به ؛ لأنه قرب صوته من صوت النبي ﷺ حتى التبس الأمر على المشركين ؛ وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ موافقاً للقرطبي ، وتبعه الخطيب الشربيني والشنقيطي ، يدل على ذلك إضافة لما تقدم وما يلي :**

أولاً : القرينة القرآنية :

قال **الشنقيطي** : " وهذا القول الذي زعمه كثير من المفسرين : وهو أن الشيطان ألقى على لسان النَّبي ﷺ ، هذا الشرك الأكبر والكفر البواح الذي هو قولهم : (تلك الغرانيق العلا * وإن شفاعتهن لترتجى) يعنون : اللات والعزى ، ومناة الثالثة الأخرى ، الذي لا شك في بطلانه في نفس سياق آيات النجم التي تخللها إلقاء الشيطان المزعوم **قرينة قرآنية** واضحة على بطلان هذا القول لأن النَّبي ﷺ قرأ بعد موضع الإلقاء المزعوم بقليل قوله تعالى : ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴾ [٢] ، قال : ﴿ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ... ﴾ [٣] ، وليس من المعقول أن النَّبي النَّبي ﷺ يسب آلهتهم هذا السب العظيم في سورة النجم متأخراً عن ذكره لها بخير المزعوم ، إلا وغضبوا ، ولم يسجدوا لأن العبرة بالكلام الأخير " . اهـ [٤] .

ثانياً : قصة الغرانيق موضوعة كما ذكرنا ، وعلى القول بصحة هذه الرواية ؛ فإن أحسن الأقوال وأقربها للصواب هو القول الثاني الذي رجَّحه ابن جُزيّ ؛ لأن القول الأول فيه طعن

---

(١) ينظر : تفسير السمر قندي : ٢ / ٤٦٥ ، ٤٦٦ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٤٤٩ ، الكشاف : ٣ / ١٦٧ ، التفسير الكبير : ٢٣ / ٤٤ – ٤٨ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ١٣٤ ، تفسير غرائب القرآن : ٥ / ٩١ ، ٩٢ ، تفسير ابن عادل : ١٤ / ١١٩ – ١٢٣ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ١١٣ .

(٢) سورة النجم : ١٩ ، ٢٠ .

(٣) سورة النجم : ٢٣ .

(٤) أضواء البيان : ٥ / ٢٨٥ ، ٢٨٦ .

في عصمة النبوة فهو مردود ، وبهذا يترجَّح قول ابن جُزيّ .

ثالثاً : يؤيد هذا القول **القواعد الترجيحية المعتبرة** التالية :

- **كل قول طعن في عصمة النبوة ومقام الرسالة فهو مردود .**
- **القول الذي يعظم مقام النبوة ، ولا ينسب إليها ما لا يليق بها أولى بتفسير الآية** [1] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

(١) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٣٢٨ .

قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُواْ أَوْ مَاتُواْ [١] لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ... ﴾ [٢] . [آية : 58] .

مسألة : في المراد بقوله تعالى : ﴿ رِزْقًا حَسَنًا ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن المراد بقوله تعالى : ﴿ رِزْقًا حَسَنًا ﴾ الرزق في الجنة بعد يوم القيامة ، فقال : ((﴿ رِزْقًا حَسَنًا ﴾ يحتمل أن يريد به الرزق في الجنة بعد يوم القيامة ؛ أو رزق الشهداء في البرزخ ، **والأوَّل أرجح** ، لأنه يعمُّ الشهداء والموتى)) . اهـ [٣] .

---

(١) **استدل بقوله : ﴿ ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوْ مَاتُواْ ﴾ الصحابي فَضَالة بن عبيد الأنصاري على أن المقتول والميت في سبيل الله سواء في الفضل** ؛ عزاه السيوطي إلى ابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم . ينظر : تفسير الطبري : ١٧ / ١٩٤ ، ١٩٥ ، الدر المنثور : ٦ / ٧١ . **وقال بذلك جماعة من المفسرين** ؛ منهم : الفخر الرازي ، والبيضاوي ، والنيسابوري ، وأبو حيان ، وابن كثير ، والبقاعي ، وابن عادل ، وسيد قطب ، والطاهر بن عاشور ، والشنقيطي . ينظر : التفسير الكبير : ٢٣ / ٥٠ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ١٣٧ ، تفسير غرائب القرآن : ٥ / ٩٤ ، البحر المحيط : ٦ / ٣٥٤ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٢٣٢ ، نظم الدرر : ٥ / ١٦٧ ، تفسير ابن عادل : ١٤ / ١٣١ ، الظلال : ٤ / ٢٤٣٨ ، التحرير والتنوير : ١٧ / ٣٠٩ ، أضواء البيان : ٥ / ٢٩٢ .
وخالف آخرون ففضلوا المقتول ، وقالوا : ظاهر الشريعة يدل على أن المقتول أفضل ؛ قاله ابن عطية والقرطبي . وقال بعض أهل العلم : إن المقتول في سبيل الله والميت في سبيل الله شهيد ان ؛ ولكن للمقتول مزية ما أصابه في ذات الله . ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ١٣٠ ، تفسير القرطبي : ١٢ / ٨٨ .
وقال أبو السعود : " وإنما سوَّى بينهما في الوعد لاستوائهما في القصد وأصل العمل ؛ على أن مراتب الحسن متفاوتة ؛ فيجوز تفاوت حال المرزوقين حسب تفاوت الأرزاق الحسنة " . اهـ . ينظر : تفسير أبي السعود : ٦ / ١١٦ .

(٢) **جاء في سبب نزول الآية قولان :**
الأول : أنه لما مات بالمدينة عثمان بن مظعون وأبو سلمة بن عبد الأسد ؛ قال بعض الناس : من قتل في سبيل الله أفضل ممن مات حتف أنفه ؛ فنزلت هذه الآية مسوِّية بينهم ، وأن الله يرزق جميعهم رزقاً حسناً . أورده غير واحد من المفسرين . ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ١٣٠ ، تفسير القرطبي : ١٢ / ٨٨ ، البحر المحيط : ٦ / ٣٥٤ روح المعاني : ١٧ / ١٨٨ .
الثاني : أن طوائف من أصحاب النبي ﷺ قالوا : يا رسول الله ، هؤلاء الذين قتلوا قد علمنا ما أعطاهم الله من الخير ، ونحن نجاهد معك كما جاهدوا ، فما لنا إن متنا معك ؟ فنزلت الآية . أورده غير واحد من المفسرين . ينظر مثلاً : الكشاف للزمخشري : ٣ / ١٦٨ ، التفسير الكبير للفخر الرازي : ٢٣ / ٥٠ ، تفسير النيسابوري : ٥ / ٩٤ ، تفسير ابن عادل : ١٤ / ١٣١ ، روح المعاني للآلوسي : ١٧ / ١٨٨ . **وهذان السببان ظنيان لم أقف عليهما مسندين في كتب المتون الصحيحة .**

(٣) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٤٥ .

سورة الحج ـــــــ

الترجيح:

يظهر لي – والله أعلم – **أن المراد بقوله تعالى : ﴿ رِزْقًا حَسَنًا ﴾ الرزق في الجنَّة بعد يوم القيامة ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** ، يدل على ذلك ما يلي :

أولاً : أنَّ الرِّزق في الجنَّة يعمُّ الشهداء والموتى ؛ قاله ابن جُزيّ [١] .

ثانياً : أنَّ الرِّزق الحسن الذي لا ينقطع أبداً هو رزق الجنَّة ؛ قال بذلك جماعة من المفسرين [٢] .

ثالثاً : هذا القول هو المرويُّ عن **ابن عباس** ﷺ ترجمان الأمَّة ؛ ويؤيد هذا القول بعض **القاعدة الترجيحية** التالية :

- **تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم** [٣] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٤٥ .

(٢) ينظر : تفسير السمعاني : ٣ / ٤٥١ ، تفسير البغوي : ٣ / ٢٩٥ ، تفسير النسفي : ٣ / ١١٠ ، تفسير الخازن : ٥ / ٢٥ ، تفسير ابن عادل : ١٤ / ١٣١ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ١١٦ ، فتح القدير : ٣ / ٤٦٤ .

(٣) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٢٧١ .

سورة الحج ـــــــ

ذكر من العلم والإحاطة به وإثباته في اللوح المحفوظ ، ذهب إليه مقاتل [١] ، **ورجَّحه** الطبري [٢] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٣] ، **واستظهره** أبو حيان [٤] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٥] . [٦]

واستدل لذلك بدلالة السِّباق أيضاً : قوله تعالى قبلها في نفس الآية : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ... ﴾ . [سورة الحج : 70] .

الترجيح:

يظهر لي – والله أعلم – **أن الإشارة بـــ ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ إلى كتب المعلومات في الكتاب ؛ أي : ما ذكر من العلم والإحاطة به وإثباته في اللوح المحفوظ ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** ، إضافة لما تقدم ، ولما يلي :

أولاً : إلحاق الكلام بما هو أقرب أولى : قال الطبري :

" وذلك أن قوله : ﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ إلى قوله : ﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ﴾ أقرب ، وهو له مجاور من قوله : ﴿ ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ متباعد مع دخول قوله : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ بينهما ؛ فإلحاقه بما هو

---

(١) ينظر تفسيره : ٢ / ٣٨٩ .
(٢) ينظر تفسيره : ١٧ / ٢٠١ .
(٣) ينظر : التسهيل : ٣ / ٤٦ .
(٤) ينظر تفسيره : ٦ / ٣٥٨ .
(٥) ومنهم : السمر قندي ، والثعلبي ، والواحدي ، والبغوي ، والزمخشري ، وابن الجوزي ، والفخر الرازي ، والنسفي والخازن ، والنيسابوري ، والبقاعي ، وابن كثير ، وابن عادل ، والجلالين ، والخطيب الشربيني ، والسعدي . ينظر : تفسير السمر قندي : ٢ / ٤٦٩ ، الكشف والبيان : ٧ / ٣٣ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٧٤٠ ، تفسير البغوي : ٣ / ٢٩٧ ، الكشاف : ٣ / ١٧١ ، زاد المسير : ٥ / ٤٥٠ ، التفسير الكبير : ٢٣ / ٥٨ ، تفسير النسفي : ٣ / ١١٣ ، تفسير الخازن : ٥ / ٢٧ ، تفسير غرائب القرآن : ٥ / ١٠٠ نظم الدرر : ٥ / ١٧٥ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٢٣٥ ، تفسير ابن عادل : ١٤ / ١٤٦ ، تفسير الجلالين : ٤٤٣ ، السراج المنير : ٢ / ٦٢٥ ، تفسير السعدي : ٥٤٥ .
(٦) جمع بين القولين : ابن عطية ، والبيضاوي ، وأبو السعود ، والشوكاني ، والآلوسي ، والطاهر بن عاشور ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ١٣٣ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ١٤٠ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ١١٩ ، فتح القدير : ٣ / ٤٦٨ ، روح المعاني : ١٧ / ١٩٨ ، التحرير والتنوير : ١٧ / ٣٣١ ، الوسيط : ٩ / ٣٤٠ .

أقرب أولى ما وجد للكلام ، **وهو كذلك مخرج في التأويل صحيح** " . اهـ [١] .

ثانياً : يتأيد هذا القول **بالقاعدة الترجيحية** التالية :

- **مهما أمكن إلحاق الكلام بما يليه ؛ أو بنظيره فهو الأولى** [٢] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) ينظر : تفسير الطبري : ١٧ / ٢٠١ .

(٢) ينظر : قواعد التفسير للسبت : ١ / ٢٤٩ .

قوله تعالى : ﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ... ﴾ . [آية : ٧٨] .

مسألة : في عود الضمير في قوله تعالى : ﴿ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن الضمير في قوله : ﴿ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ﴾ لله تعالى ، فقال :

((﴿ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ﴾ الضمير لله تعالى ، ومعنى : ﴿ مِن قَبْلُ ﴾ في الكتب المتقدمة ، ﴿ وَفِي هَٰذَا ﴾ أي : في القرآن . وقيل : الضمير لـ ﴿ إِبْرَٰهِيمَۚ ﴾ ، والإشارة إلى قوله : ﴿ ... وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ... ﴾ [1] ، ومعنى ﴿ مِن قَبْلُ ﴾ على هذا : من قبل وجودكم ، وهنا يتم الكلام على هذا القول ، ويكون قوله ﴿ وَفِي هَٰذَا ﴾ مستأنفاً ؛ أي : وفي هذا البلاغ ، **والقول الأوَّل أرجح وأقل تكلفاً**)) . اهـ [2] .

الدراسة :

اختلف السَّلف والمفسرون في **عود الضمير في قوله : ﴿ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ﴾** على قولين :

القول الأول : الضمير لله تعالى ، ومعنى : ﴿ مِن قَبْلُ ﴾ **في الكتب المتقدمة** ، ﴿ وَفِي هَٰذَا ﴾ أي : **في القرآن** ، قاله ابن عباس رضي الله عنه [3] ، ومجاهد [4] ، وقتادة وجماعة من السَّلف [5] ، وقاله مقاتل [6] ، والثوري [7] .

---

(١) سورة البقرة : ١٢٨ .

(٢) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٤٧ ، ٤٨ .

(٣) ينظر : تنوير المقباس : ٢٨٤ .

(٤) ينظر تفسيره : ٢ / ٤٢٨ .

(٥) أخرجه ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنه ، وابن جريج ، وقتادة ، ومجاهد ، والضحاك ، ونسب ابن كثير هذا القول لمن تقدم لمن السلف وكذلك لعطاء ، والسدي ، ومقاتل بن حيان ، ونسبه الثعالبي والسيوطي إلى ابن عباس رضي الله عنه ومجاهد ، وقتادة . ينظر : تفسير الطبري : ١٧ / ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٢٣٧ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ١٤٠ ، الدر المنثور : ٦ / ٨٠ ، ٨١ .

(٦) ينظر تفسيره : ٢ / ٣٩١ .

(٧) ينظر تفسيره : ٢١٥ .

وذهب إليه الزَّجَّاج [١] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٢] ، ووافقه الزَّركشي [٣] ، **وجمهور** [٤] المفسرين [٥] .

واستدل له بالقراءة الشاذة : قراءة أبي بن كعب ﷺ : (الله سمَّاكم المسلمين) [٦] .

القول الثاني : **الضمير لـ ﴿ إِبْرَٰهِيمَ ﴾** ، والإشارة إلى قوله : ﴿ ... وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ... ﴾ [٧] ، **ومعنى ﴿ مِن قَبْلُ ﴾** على هذا : **من قبل وجودكم** ، قاله ابن زيد زيد [٨] ، والحسن [٩] .

---

(١) ينظر معانيه : ٣ / ٤٤٠ .

(٢) ينظر : التسهيل : ٣ / ٤٧ ، ٤٨ .

(٣) ينظر : البرهان : ٤ / ٣٣ .

(٤) نسب البغوي وابن الجوزي هذا القول إلى جمهور المفسرين . ينظر : تفسير البغوي : ٣ / ٣٠٠ ، زاد المسير : ٥ / ٤٥٧ .

(٥) منهم : الطبري ، والنحاس ، و**صحَّحه** السمر قندي ، والجصاص ، وابن أبي زمنين ، وقال الثعلبي (**وهذا الوجه أوْلى بالصواب**) ، وقدَّمه الماوردي ، والواحدي ، والبغوي ، والزمخشري ، ومال إليه ابن عطية ، وقدَّمه ابن الجوزي ، وقال الرازي (**وهذا الوجه أقرب**) ، ومال إليه القرطبي ، والبيضاوي ، والنسفي ، وقدَّمه الخازن ، ومال إليه السمين الحلبي ، و **صوَّبه** ابن كثير ، ومال إليه الثعالبي وابن عادل ، والجلالين ، وأبو السعود ، والخطيب الشربيني ، والشوكاني ، والقاسمي ، والآلوسي ، وسيد قطب ، وابن عاشور ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير الطبري : ١٧ / ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، معاني القرآن للنحاس : ٤ / ٤٣٦ ، تفسير السمر قندي : ٢ / ٤٧٢ ، أحكام القرآن للجصاص : ٥ / ٩٠ ، تفسير ابن أبي زمنين : ٣ / ١٩١ ، الكشف والبيان : ٧ / ٣٦ ، النكت والعيون : ٤ / ٤٣ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٧٤٢ ، تفسير البغوي : ٣ / ٣٠٠ ، الكشاف : ٣ / ١٧٥ ، المحرر الوجيز : ٤ / ١٣٥ ، زاد المسير : ٥ / ٤٥٧ ، التفسير الكبير : ٢٣ / ٦٥ ، تفسير القرطبي : ١٢ / ١٠١ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ١٤٤ ، تفسير النسفي : ٣ / ١١٥ ، تفسير الخازن : ٥ / ٣٠ الدر المصون : ٥ / ١٧٠ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٢٣٧ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ١٤٠ ، تفسير ابن عادل : ١٤ / ١٦٠ ، تفسير الجلالين : ٤٤٥ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ١٢٢ السراج المنير : ٢ / ٦٢٩ ، فتح القدير : ٣ / ٤٧١ ، تفسير القاسمي : ١٢ / ٦٩ ، روح المعاني : ١٧ / ٢١٠ ، الظلال : ٤ / ٢٤٤٦ ، التحرير والتنوير : ١٧ / ٣٥١ ، الوسيط : ٩ / ٣٤٩ .

(٦) أوردها غير واحد من المفسرين . ينظر مثلاً : التسهيل : ٣ / ٤٨ . وهي **قراءة بالغة الشذوذ** تحمل على التفسير . ينظر : إتحاف فضلاء البشر للبناء : ٤٠١ .ولم أقف عليها في مختصر ابن خالويه ولا محتسب ابن جني ، وقال د . الجهني في رسالته (٧٩١) عن هذا الأثر : لم أجده .

(٧) سورة البقرة : ١٢٨ .

(٨) نسبه إليه : البغوي ، وابن عطية ، وابن الجوزي ، والثعالبي ، وعزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم . ينظر : تفسير البغوي : ٣ / ٣٠٠ ، المحرر الوجيز : ٤ / ١٣٥ ، زاد المسير : ٥ / ٤٥٧ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ١٤٠ ، الدر المنثور : ٦ / ٨١ .

(٩) نسبه إليه : أبو حيان ، والآلوسي . ينظر : البحر المحيط : ٦ / ٣٦١ ، روح المعاني : ١٧ / ٢١٠ .

وجوَّزه الزَّجَّاج [١] ، **واستظهره** أبو حيان [٢] ، وقاله البقاعي ، والسعدي [٣] . [٤]

✖ **وتعقَّبه النحاس** فقال : " هذا القول **مخالف** لقول العلماء الأئمة " [٥] .

واستدل له :

١. الضمير يرجع إلى أقرب مذكور ، وأقرب مذكور للضمير المذكور : هو ﴿ إِبْرَٰهِيمَۚ ﴾ .

✖ **وتُعُقِّب بأنه** :

- قد يجيء الضمير متصلاً بشيء وهو لغيره ، قاله **الزَّركشي** ؛ وذكر هذه الآية مثالاً على ذلك [٦] .

- " إنَّ محل رجوع الضمير إلى أقرب مذكور محله ما لم يصرف عنه صارف ، وهنا قد صرف عنه صارف ، لأن قوله : ﴿ وَفِي هَـٰذَا ﴾ يعني القرآن ، دليل على أن المراد بالذي سمَّاهم المسلمين فيه : هو الله لا إبراهيم ، وكذلك سياق الجمل المذكورة قبله نحو : ﴿ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ يناسبه أن يكون هو سمَّاكم : أي الله المسلمين " [٧] .

٢. ولكل نبيّ دعوة مستجابة ، ودعا إبراهيم عليه السلام ؛ فقال : ﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ... ﴾ [٨] ، فاستجاب الله له فجعلها أمة محمَّد ﷺ [٩] .

وقيل : " وتسميتهم بمسلمين في القرآن وإن لم تكن منه كانت بسبب تسميته من قبل في

---

(١) ينظر معانيه : ٣ / ٤٤٠ .
(٢) ينظر : البحر المحيط : ٦ / ٣٦١ .
(٣) ينظر : نظم الدرر : ٥ / ١٨٠ ، تفسير السعدي : ٥٤٧ .
(٤) ذكر القولين من غير ترجيح : السمعاني ، والعز بن عبد السلام ، والنيسابوري . ينظر : تفسير السمعاني : ٣ / ٤٥٩ ، تفسير العز بن عبد السلام : ٢ / ٣٦٧ ، تفسير غرائب القرآن : ٥ / ١٠٣ .
(٥) إعراب القرآن للنحاس : ٣ / ١٠٦ .
(٦) ينظر : البرهان : ٤ / ٣٣ .
(٧) أضواء البيان للشنقيطي : ٥ / ٣٠٣ . وينظر : الوسيط لمحمَّد سيِّد طنطاوي : ٩ / ٣٤٩ .
(٨) سورة البقرة : ١٢٨ .
(٩) ينظر : البحر المحيط : ٦ / ٣٦١ .

قوله : ﴿ ... وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ... ﴾ [١] " . اهـ [٢] .

" أي : لدخول أكثرهم في الذرية ؛ فجعل مسمِّياً لهم مجازاً " [٣] .

✖ **وتعقَّب الآلوسي** القول بالمجاز فقال : " ويلزم عليه الجمع بين الحقيقة والمجاز ، وفي جوازه خلاف مشهور " [٤] .

✖ **وضعَّف ابن عطية وابن جُزيّ هذا القول فإن فيه تكلفاً** ؛ قال **ابن عطية** :

" وهذه اللفظة – أي : ﴿ وَفِي هَـٰذَا ﴾ – تضعِّف قول من قال : الضمير لـ ﴿ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ ولا يتوجه إلاَّ على تقدير محذوف من الكلام مستأنف " . اهـ [٥] .

الترجيح:

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أنَّ الرَّاجح أن الضمير في قوله : ﴿ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ﴾ لله تعالى ، ومعنى : ﴿ مِن قَبْلُ ﴾ في الكتب المتقدمة ، ﴿ وَفِي هَـٰذَا ﴾ أي : في القرآن ؛ وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ؛ ووافقه جمهور المفسرين** ، إضافة لما تقدم ؛ ولما يلي :

أولاً : القرينة القرآنية :

" وفي هذه الآيات **قرينتان** تدلان على أن قول عبد الرحمن بن زيد بن أسلم غير صواب .

القرينة الأولى : أن الله قال ﴿ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَـٰذَا ﴾ أي : القرآن ومعلوم أن إبراهيم عليه السلام لم يسمِّهم المسلمين في القرآن ، لنزوله بعد وفاته بأزمان طويلة ؛ كما نبَّه على هذا **ابن جرير** [٦] .

القرينة الثانية : أن **الأفعال كلها في السِّياق** المذكور راجعة إلى الله ، لا إلى إبراهيم فقوله : ﴿ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ ﴾ أي : الله ، ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ أي : الله ،

---

(١) سورة البقرة : ١٢٨ .
(٢) تفسير البيضاوي : ٤ / ١٤٤ . وينظر : تفسير أبي السعود : ٦ / ١٢٢ .
(٣) ينظر : تفسير القاسمي : ١٢ / ٦٩ .
(٤) روح المعاني : ١٧ / ٢١٠ .
(٥) المحرر الوجيز : ٤ / ١٣٥ . وينظر : التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٤٨ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ١٤٠ .
(٦) ينظر تفسيره : ١٧ / ٢٠٨ . وينظر : التحرير والتنوير : ١٧ / ٣٥١ ، أضواء البيان : ٥ / ٣٠٢ .

﴿ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾ أي : الله " [١] .

ثانياً : من السُّنة :

قال رسول الله ﷺ : « ... وَمَنْ ادَّعَى دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ فإنه من جُثَا جَهَنَّمَ . فقال رَجُلٌ : يا رَسُولَ اللَّهِ ، وَإِنْ صلى وَصَامَ ؟ قال : وَإِنْ صلى وَصَامَ ؛ فَادْعُوا **بِدَعْوَى اللَّهِ الذي سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ** الْمُؤْمِنِينَ عِبَادَ اللَّهِ » [٢] .

ثالثاً : هذا القول أقرب ؛ لأنه تعالى قال في الآية نفسها : ﴿ لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ ، فبين أنه سمَّاهم بذلك لهذا الغرض ، وهذا لا يليق إلا بالله [٣] .

رابعاً : يؤيده **القواعد الترجيحية** التالية :

- **إذا ثبت الحديث ؛ وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه .**
- **القول الذي تؤيده قرائن في السِّياق مرجح على ما خالفه .**
- **توحيد مرجع الضمائر في السِّياق الواحد أولى من تفريقها .**
- **الأصل إعادة الضمير إلى أقرب مذكور ما لم يرد دليل بخلافه** [٤] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) أضواء البيان للشنقيطي : ٥ / ٣٠٣ . وينظر : الوسيط لمحمَّد سيِّد طنطاوي : ٩ / ٣٤٩ .

(٢) جزء من حديث طويل أخرجه الترمذي – وأخرجه غيره – في سننه في كتاب الأمثال ، بَاب ما جاء في مَثَلِ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ وَالصَّدَقَةِ (٢٨٣٦) : ٥ / ١٤٨ . قال الترمذي : **هذا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ** . و**صحَّحه** الألباني . عن الحارث الأشعري ﷺ .

(٣) التفسير الكبير للفخر الرازي : ٢٣ / ٦٥ . بتصرف يسير . وينظر : السراج المنير للخطيب الشربيني : ٢ / ٦٢٩ .

(٤) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٢٠٦ ، ٢٩٩ ، ٢ / ٦١٣ ، ٦٢١ .

سـورة المؤمـنـون

قوله تعالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ . [آية : ١٠ ، ١١] .

مسألة : في المراد بـ ﴿ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن المراد بـ ﴿ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴾ المستحقون للجنَّة ، فقال : ((﴿ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴾ أي : المستحقون للجنَّة ، فالميراث استعارة . وقيل : إن الله جعل لكل إنسان مسكناً في الجنة ومسكناً في النار ؛ فيرث المؤمنون مساكن الكفار في الجنَّة)) . اهـ [١] .

الدراسة :

اختلف أهل العلم والمفسرون في **المراد بـ ﴿ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴾** على قولين :

القول الأول : المراد بـ ﴿ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴾ المستحقون للجنَّة ، فالميراث استعارة [٢] **، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٣] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٤] .

القول الثاني : إن الله جعل لكل إنسان مسكناً في الجنة ومسكناً في النار ؛ **فيرث المؤمنون مساكن الكفار في الجنَّة** ، قاله مجاهد ، وابن جريج ، وسعيد بن جبير [٥] ، وجماعة من

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٤٩ .

(٢) قال الجرجاني : " الاستعارة في الجملة أن يكون لفظ الأصل في الوضع اللغوي معروفاً تدل الشواهد على أنه اختص به حين وضع ؛ ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل ، وينقله إليه نقلاً غير لازم فيكون هناك كالعارية " . اهـ . ينظر : أسرار البلاغة لأبي بكر ، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) : ٢٢ .

(٣) ينظر : التسهيل : ٣ / ٤٩ .

(٤) منهم : الزمخشري ، والبيضاوي ، والنسفي ، والنيسابوري ، وأبو حيان ، والبقاعي ، وأبو السعود ، والشوكاني والآلوسي ، والشنقيطي ، والطاهر بن عاشور . ينظر : الكشاف : ٣ / ١٨١ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ١٤٨ ، تفسير النسفي : ٣ / ١١٧ ، تفسير غرائب القرآن : ٥ / ١١٠ ، ١١١ ، البحر المحيط : ٦ / ٣٦٨ ، نظم الدرر : ٥ / ١٨٥ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ١٢٥ ، فتح القدير : ٣ / ٤٧٤ ، روح المعاني : ١٨ / ١٢ ، أضواء البيان : ٣ / ٤٧٢ ، التحرير والتنوير : ١٨ / ٢٠ .

(٥) أخرجه ابن جرير عن مجاهد وابن جريج في تفسيره (١٨ / ٦) ، ونسبه الثعلبي إلى مجاهد في الكشف والبيان

المفسرين [١] .

واعتُرض :

لم سُمِّي ما يجدونه من الثواب والجنة بالميراث ؟ مع أنه سبحانه حكم بأن الجنة حقهم في قوله : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ... ﴾ [٢] .

وأجيب من وجوه [٣] ؛ يستغنى عن ذكرها بما جاء **في السُّنة** [٤] :

- عن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ قال : قال رسول اللَّهِ ﷺ : « ما مِنْكُمْ من أَحَدٍ إلا له مَنْزِلَانِ ؛ مَنْزِلٌ في الْجَنَّةِ ، وَمَنْزِلٌ في النَّارِ ، فإذا مَاتَ فَدَخَلَ النَّارَ وَرِثَ أَهْلُ الْجَنَّةِ مَنْزِلَهُ ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴾ » [٥] .

(٧ / ٤٠) ، ونسبه ابن كثير في تفسيره (٣ / ٢٤١) إلى سعيد بن جبير .

(١) ومنهم : الطبري ، والنحاس ، وابن أبي زمنين ، والماوردي ، والثعلبي ، والواحدي ، والسمعاني ، والبغوي ، وابن الجوزي ، والفخر الرازي ، والعز بن عبد السلام ، والخازن ، وابن كثير ، وابن عادل . ينظر : تفسير الطبري : ١٨ / ٥ ، معاني القرآن للنحاس : ٤ / ٤٤٥ ، تفسير ابن أبي زمنين : ٣ / ١٩٥ ، النكت والعيون : ٤ / ٤٧ ، الكشف والبيان : ٧ / ٤٠ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٧٤٤ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٤٦٤ تفسير البغوي : ٣ / ٣٠٣ ، زاد المسير : ٥ / ٤٦١ ، التفسير الكبير : ٢٣ / ٧٢ ، تفسير العز بن عبد السلام : ٢ / ٣٦٩ ، تفسير الخازن : ٥ / ٣٣ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٢٤٠ ، ٢٤١ ، تفسير ابن عادل : ١٤ / ١٧٤ .

(٢) سورة التوبة : ١١١ .

(٣) ذكر الفخر الرازي هذه الوجوه فقال : " وأيضاً : فقد قال الفقهاء إنه لا فرق بين ما ملكه الميت وبين ما يقدر فيه الملك في أنه يورث عنه ، كذلك قالوا في الدية التي إنما تجب بالقتل إنما تورث مع أنه مالكها على التحقيق وهذا يؤيد ما ذكر ، فإن قيل : إنه تعالى وصف كل الذي يستحقونه إرثاً ، وعلى ما قلتم فإنه يدخل في الإرث ما كان يستحقه غيرهم لو أطاع .

فالجواب : لا يمتنع أنه تعالى جعل ما هو (منزلة) لهذا المؤمن بعينه منزلة لذلك الكافر لو أطاع ؛ لأنه عند ذلك كان يزيد في المنازل فإذا أمن هذا عدل بذلك إليه .

الثاني : أنَّ انتقال الجنة إليهم من دون محاسبة ومعرفة بمقاديره يشبه انتقال المال إلى الوارث .

الثالث : أنَّ الجنة كانت مسكن أبينا آدم – عليه السلام – فإذا انتقلت إلى أولاده كان ذلك شبيهاً بالميراث " . اهـ . ينظر : التفسير الكبير : ٢٣ / ٧٢ . وينظر : تفسير ابن عادل : ١٤ / ١٧٤ ، ١٧٥ .

(٤) قاله النحاس : ينظر : معاني القرآن للنحاس : ٤ / ٤٤٥ . وأورد هذا الحديث غير واحد من المفسرين عند تفسيرهم لهذه الآية .

(٥) أخرجه ابن ماجه – وغيره – في سننه في كتاب الزهد ، بلَب صِفَةِ الْجَنَّةِ (٤٣٤١) : ٢ / ١٤٥٣ . **صحَّحه** القرطبي ، و **صحَّحه** ابن حجر ؛ حيث قال : **ووقع عند ابن ماجة أيضاً وأحمد بسند صحيح** .. وذكر الحديث . ينظر : تفسير القرطبي : ١٢ / ١٠٨ ، فتح الباري : ١١ / ٤٤٢ . وقال أحمد بن أبي بكر بن =

- وعن أبي هريرة ﷺ في قوله تعالى : ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴾ قال : « يرثون مساكنهم ومساكن إخوانهم الذين أعدت لهم إذا أطاعوا الله » [١] .

وقال ابن كثير [٢] : " **بل أبلغ من هذا أيضاً** " ؛ وذكر أحاديث تؤيد القول الثاني وهي :

- ما ثبت في صحيح مسلم عن النبي ﷺ قال : « يجئ يوم الْقِيَامَةِ نَاسٌ من الْمُسْلِمِينَ بِذُنُوبٍ أَمْثَالِ الْجِبَالِ فَيَغْفِرُهَا الله لهم وَيَضَعُهَا على الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى » .

- وفي لفظ له : قال رسول الله ﷺ : « إذا كان يَوْمُ الْقِيَامَةِ دَفَعَ الله ﷻ إلى كل مُسْلِمٍ يَهُودِيًّا أو نَصْرَانِيًّا ، فيقول : هذا فِكَاكُكَ من النَّارِ » [٣] .

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أنَّ الرَّاجح هو القول الأوَّل ؛ وأن المراد بـــ ﴿ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴾ المستحقون للجنَّة ، فالميراث استعارة ؛ وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** ، يدل على ذلك ما يلي :

أولاً : الأحاديث التي ذكرت في وراثة أهل الجنة لمنازل أهل النار صحيحة ؛ **إلا أنه لا يصحُّ حمل الآية عليها ، لأن الله أخبرنا في كتابه العزيز أن أهل الجنة استحقوها بما قدَّموا من أعمال** – ودخول الجنة قبل كل شيء برحمة الله وفضله كما جاء في الحديث [٤] – ،

= إسماعيل الكناني في مصباح الزَّجَّاجة في زوائد ابن ماجه (٤ / ٢٦٦) : هذا إسناد صحيح على شرط الشيخين و**صحَّحه** الألباني في السلسة الصحيحة .

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه على الصحيحين – **وصحَّحه** – في كتاب التفسير ، تفسير سورة المؤمنون (٣٤٨٥) : ٢ / ٤٢٧ . وعزاه السيوطي أيضاً إلى عبد الرزاق ، وعبد بن حميد ، وابن جرير . ينظر : الدر المنثور : ٦ / ٩٠ .

(٢) تفسير ابن كثير : ٣ / ٢٤١ .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب التوبة ، بَاب قَبُولِ تَوْبَةِ الْقَاتِلِ وَإِنْ كَثُرَ قَتْلُهُ (٢٧٦٧) : ٤ / ٢١١٩ ٢١٢٠ . كلا الحديثين عن أبي بردة عن أبيه – رضي الله عنهما – .

(٤) عن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ قال : قال رسول اللَّهِ ﷺ : « قَارِبُوا وَسَدِّدُوا ، وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَنْ يَنْجُوَ أَحَدٌ مِنْكُمْ بِعَمَلِهِ . قالوا : يا رَسُولَ اللَّهِ ، ولا أنت ؟ قال : ولا أنا إلا أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ الله بِرَحْمَةٍ منه وَفَضْلٍ » . أخرج البخاري بنحوه في صحيحه في كتاب المرضى ، بَاب نهي تَمَنِّي الْمَرِيضِ الْمَوْتَ (٥٣٤٩) : ٥ / ٢١٤٧ ، وأخرجه مسلم – واللفظ له – في صحيحه في كتاب صفة القيامة والجنة والنار ، لبب لَنْ يَدْخُلَ أَحَدٌ الْجَنَّةَ بِعَمَلِهِ بَلْ بِرَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى (٢٨١٦) : ٤ / ٢١٧٠ . والحديث جاء بألفاظ متعددة عند مسلم ، وكذا عند البخاري .

وهذا لا ينافي أن أهل الجنة يرثون منازل أهل النار ؛ ويكون ذلك زيادة في النعيم .

- قال الشنقيطي : " قد جاء حديث يدل لما ذُكر من أن لكل أحد متزلاً في الجنة ومتزلاً في النار، إلا أن حمل الآية عليه غير صواب ، لأن أهل الجنة يرثون من الجنة منازلهم المعدَّة لهم بأعمالهم وتقواهم ، كما قد قال تعالى : ﴿ ... **وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ** ﴾ [١] . ونحوها من الآيات . ولو فرضنا أنهم يرثون منازل أهل النار فحمل الآية على ذلك يوهم أنهم ليس لهم في الجنة إلا ما أورثوا من منازل أهل النار ، والواقع بخلاف ذلك كما ترى " . اهـ [٢] .

- وقال الآلوسي قبله : " وبتقدير أرثه إيَّاها فهو ليس حقيقاً بأن يسمى وارثاً ؛ لما أن ذلك إنما يكون في الأغلب بعد كدٍّ ونصب ؛ وإرثهم إيَّاها من الكفار حيث فوتوها على أنفسهم لأنه تعالى خلق لكل متزلاً في الجنة ومتزلاً في النار " . اهـ [٣] .

ثانياً : معنى الآية : صارت الجنة إلى أهلها كما يصير الميراث إلى أهله ، والإرث قد يستعمل في اللغة ، ولا يراد به زوال الملك عن الميت إلى الحي ، كما يقال : هذا العمل يورثك الشرف ويورثك العار ؛ أي : يُصيرك إليه ، ومنهم من يقول : إنهم أعطوا تلك المنازل من غير تعب في الحال فصار شبيهاً بالميراث [٤] .

✍ وقد جمع **ابن عطية ، والقرطبي ، والثعالبي ، والخطيب الشربيني ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي** [٥] بين القولين ؛ فذكروا وراثة المؤمن لمترل الكافر ، واحتملوا أحقِّية المؤمن لمترله في الجنة بسبب أعماله الصالحة .

قال **ابن عطية** : " ويحتمل أن يسمي تعالى الحصول على الجنة وراثةً من حيث حصَّلوها

---

(١) سورة الأعراف : ٤٣ .

(٢) أضواء البيان : ٣ / ٤٧٢ . عند تفسيره قوله تعالى : ﴿ تِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنۡ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّٗا ﴾ . [سورة مريم - عليها السلام - : ٦٣] .

(٣) روح المعاني : ١٨ / ١٢ .

(٤) ينظر : التفسير الكبير للفخر الرازي : ١٤ / ٦٧ ، ٦٨ ، تفسير النيسابوري : ٣ / ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، تفسير ابن عادل : ٩ / ١٢٠ عند تفسير قوله تعالى : ﴿ ... وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ .

(٥) ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ١٣٧ ، تفسير القرطبي : ١٢ / ١٠٨ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ١٤٣ ، السراج المنير : ٢ / ٦٣٣ ، الوسيط : ١٠ / ١٥ .

دون غيرهم ، فهو اسم مستعار على الوجهين " [١] .

وقال **الخطيب الشربيني** : " ﴿ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴾ أي : المستحقون لهذا الوصف ، فيرثون منازل أهل الجنة في الجنة " [٢] .

وقال **محمَّد سيِّد طنطاوي** :

" وعبَّر سبحانه عن حلولهم فى الجنة بقولهم : ﴿ يَرِثُونَ ﴾ للإشعار بأن هذا النعيم الذى نزلوا به ، قد **استحقُّوه بسبب أعمالهم الصالحة** ، كما يملك الوارث ما ورثه عن غيره ، ومن المعروف أن ما يملكه الإنسان عن طريق **الميراث يعتبر أقوى أسباب الملك** " . اهـ [٣] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) المحرر الوجيز : ٤ / ١٣٧ . وينظر : تفسير القرطبي : ١٢ / ١٠٨ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ١٤٣ .
(٢) السراج المنير : ٢ / ٦٣٣ .
(٣) الوسيط : ١٠ / ١٥ .

قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ . [آية : ٣١] .

مسألة : في المراد بـــ ﴿ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن المراد بـــ ﴿ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴾ ثمود ؛ ورسولهم صالح عليه السلام ، فقال :

((﴿ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴾ قيل : إنهم عاد ورسولهم هود ؛ لأنهم الذين يلون قوم نوح . وقيل : إنهم ثمود ورسولهم صالح ، **وهذا أصح** ؛ لقوله : ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ ... ﴾ [١] ، وثمود هم الذين أهلكوا بالصيحة ، وأما عاد فأهلكوا بالريح)) . اهـــ [٢] .

الدراسة :

اختلف المفسرون في المراد بـــ ﴿ قَرْنًا [٣] ءَاخَرِينَ ﴾ على قولين :

القول الأول : المراد بـــ ﴿ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴾ **عاد ورسولهم هود** عليه السلام ، وهو القول المأثور عن **ابن عباس** رضي الله عنهما [٤] ، وقاله مقاتل [٥] ، **واستظهره وصحَّحه السمعاني** ، **واستظهره البغوي**[٦] أيضاً ، **وصحَّحه الخازن** ، **واستظهره أبو حيان** [٧] ، وقاله **أكثر** [٨] المفسرين [٩] .

---

(١) سورة المؤمنون : ٤١ .

(٢) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٥١ .

(٣) عن أبي مالك في قوله : ﴿ قَرْنًا ﴾ قال : أمَّة . عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم . ينظر : الدر المنثور : ٦ / ٩٨ .

(٤) نسبه إليه جماعة من المفسرين ؛ منهم : الزمخشري ، والفخر الرازي ، وابن عادل ، وأبو السعود ، والقاسمي ، والآلوسي . ينظر : الكشاف : ٣ / ١٨٧ ، التفسير الكبير : ٢٣ / ٨٥ ، تفسير ابن عادل : ١٤ / ٢٠٢ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ١٣٢ ، تفسير القاسمي : ١٢ / ٨٢ ، روح المعاني : ١٨ / ٣٣ .

(٥) ينظر تفسيره : ٢ / ٣٩٦ .

(٦) ينظر : تفسير السمعاني : ٣ / ٤٧٣ ، تفسير البغوي : ٣ / ٣٠٨ .

(٧) ينظر : تفسير الخازن : ٥ / ٣٧ ، البحر المحيط : ٦ / ٣٧٣ .

(٨) نسب هذا القول إلى أكثر المفسرين : ابن الجوزي ، والفخر الرازي ، وأبو حيان ، وابن عادل ، وأبو السعود ، والشوكاني ، والقاسمي ، والآلوسي . ينظر : زاد المسير : ٥ / ٤٧١ ، التفسير الكبير : ٢٣ / ٨٥ ، البحر المحيط : ٦ / ٣٧٣ ، تفسير ابن عادل : ١٤ / ٢٠٢ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ١٣٢ ، فتح القدير : ٣ / ٤٨٢ ، تفسير القاسمي : ١٢ / ٨٢ ، روح المعاني : ١٨ / ٣٣ .

(٩) منهم : السمر قندي ، و لم يذكر الثعلبي غيره ونسبه للمفسرين ، والواحدي ، والزمخشري ، وقدَّمه ابن = =

واستدل له :

١. أن ظاهر ترتيب قَصَص القرآن أن عاداً أقدم ؛ فقد جاءت قصتهم على إثر قصة نوح عليه السلام فى كل من سورة : الأعراف ، وهود عليه السلام ، والشعراء [١] .

٢. ولقوله تعالى : ﴿ ... وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ ... ﴾ . [سورة الأعراف : ٦٩] . [٢]

✖ واستُشكل ظاهر هذا عليه :

" أن المصرح به في غير هذه السورة أن عاداً أهلكوا بريح عاتية " [٣] ؛ قال تعالى : ﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُواْ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴾ . [سورة الحاقة : ٦] .

✓ وأجيب : بأن الله قد جمع لهم بين الصيحة والريح .

جاء في التفاسير : صاح بهم جبريل عليه السلام صيحة واحدة مع الريح التي أهلكهم الله تعالى بها فماتوا عن آخرهم ، وفي ذكر كل على حدة إشارة إلى أن كلا لو انفرد لتدميرهم لكفى [٤] .

= = الجوزي والفخر الرازي ، والنسفي ، وقدَّمه النيسابوري ، وابن كثير ، والثعالبي ، وقدَّمه ابن عادل ، والجلالين وأبو السعود ، وقدَّمه القاسمي ، **ورجَّحه** سيد قطب ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير السمر قندي : ٢ / ٤٧٩ ، الكشف والبيان : ٧ / ٤٦ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٧٤٦ الكشاف : ٣ / ١٨٧ ، زاد المسير : ٥ / ٤٧١ ، التفسير الكبير : ٢٣ / ٨٥ ، تفسير النسفي : ٣ / ١٢١ ، تفسير غرائب القرآن : ٥ / ١١٩ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٢٦٤ ، البداية والنهاية لابن كثير أيضاً : ١ / ١٢٣ تفسير الثعالبي : ٤ / ١٤٩ ، تفسير ابن عادل : ١٤ / ٢٠٢ ، تفسير الجلالين : ٤٤٩ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ١٣٢ ، تفسير القاسمي : ١٢ / ٨٢ الظلال : ٤ / ٢٤٦٦ ، الوسيط : ١٠ / ٣٠ .

(١) ينظر : سورة الأعراف [الآيات : ٥٩ - ٦٥] ، سورة هود عليه السلام [الآيات : ٢٥ - ٥٠] ، سورة الشعراء [الآيات : ١٠٥ - ١٢٤] .

(٢) ينظر : الكشاف للزمخشري : ٣ / ١٨٧ ، تفسير النسفي : ٣ / ١٢١ ، تفسير غرائب القرآن : ٥ / ١١٩ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ١٤٩ ، تفسير ابن عادل : ١٤ / ٢٠٢ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ١٣٢ ، الوسيط لمحمَّد سيِّد طنطاوي : ١٠ / ٣٠ .

(٣) روح المعاني : ١٨ / ٣٣ .

(٤) ينظر : تفسير القرطبي : ١٢ / ١٢٤ ، فتح القدير : ٣ / ٤٨٣ ، روح المعاني : ١٨ / ٣٣ . وقال الآلوسي : " كما روي ذلك في الأحاديث " . اهـ . ولم أقف عليها - في حدود ما اطلعت - .

قال **ابن كثير** :

" **والظَّاهر** أنه اجتمع عليهم صيحة مع الريح الصرصر العاصف القوي الباردة " . اهـ [١] .
وقال بذلك **أبو السعود** [٢] أيضاً .

القول الثاني : المراد بـ ﴿ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴾ **ثمود ورسولهم صالح** عليه السلام ، قاله أبو سليمان الدمشقي [٣] ، والطبري [٤] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٥] ، **واستظهره** السعدي والطاهر بن عاشور [٦] . [٧]

واستدل له :

بقوله : ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ ... ﴾ [٨] ، وثمود هم الذين أهلكوا بالصيحة ، وهذه القصة تشبه قصتهم ، وأما عاد فأهلكوا بالريح كما ذكرت آنفاً [٩] .

قال **القرطبي** :

" وممن أخذ بالصيحة أيضاً أصحاب مدين قوم شعيب ؛ فلا يبعد أن يكونوا هم " [١٠] .

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن المراد بـ ﴿ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴾ عاد ورسولهم هود** عليه السلام **؛ وهو ما قاله جمهور المفسرين ؛ وذلك خلافاً لما ذهب إليه ابن جُزيّ ومن**

---

(١) تفسير ابن كثير : ٣ / ٢٦٤ .
(٢) ينظر : تفسير أبي السعود : ٦ / ١٣٥ .
(٣) نسبه ابن الجوزي والآلوسي إليه . ينظر : زاد المسير : ٥ / ٤٧١ ، روح المعاني : ١٨ / ٣٣ .
(٤) ينظر : تفسير الطبري : ١٨ / ١٩ .
(٥) ينظر : التسهيل : ٣ / ٥١ .
(٦) ينظر : تفسير السعدي : ٥٥١ ، التحرير والتنوير : ١٨ / ٤٩ .
(٧) ذكر الأقوال و لم يرجح : ابن عطية ، والقرطبي ، والشوكاني ، والآلوسي . ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ١٢٤ ، تفسير القرطبي : ١٢ / ١٢١ .فتح القدير : ٣ / ٤٨٢ ، روح المعاني : ١٨ / ٣٣ . وجوَّز البيضاوي القولين . ينظر : تفسير البيضاوي : ٤ / ١٥٤ .
(٨) سورة المؤمنون : ٤١ .
(٩) ينظر : التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٥١ ، تفسير السعدي : ٥٥١ ، التحرير والتنوير : ١٨ / ٤٩ .
(١٠) تفسير القرطبي : ١٢ / ١٢١ .

وافقه ، ويدل على ذلك – إضافة على ما تقدَّم – ترجيح جمهور المفسرين لهذا القول وتصحيحهم له .

وقد أسند بعض المفسرين هذا القول إلى **ابن عباس** ﷺ ؛ والله أعلم بصحة الرواية – فلم أقف عليه في حدود ما اطلعت مسنداً في مظانه – ؛ ولو صحَّ لكان مؤكداً قوياً لقول الجمهور .

قال **محمَّد سيِّد طنطاوي** :

" وعلى أية حال فإن سورة (المؤمنون) فى عرضها لقصص الأنبياء تحرص على بيان أن استقبال المكذبين لأنبيائهم كان متشابهاً فى القبح والتكذيب " . اهـ [1] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

(١) الوسيط : ١٠ / ٣١ .

قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًا ... ﴾ . [آية : 51] .

مسألة : لمن الخطاب في الآية :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن هذا النداء ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ ﴾ ليس على ظاهره ؛ لأن الرسل كانوا في أزمنة متفرقة ، وإنما المعنى : أن كل رسول في زمانه خوطب بذلك ، فقال :

((﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ ﴾ هذا النداء ليس على ظاهره ؛ لأن الرسل كانوا في أزمنة متفرقة ، وإنما المعنى : أن كل رسول في زمانه خوطب بذلك . وقيل : الخطاب لسيِّدنا محمد ﷺ ، وأقامه مقام الجماعة ، **وهذا بعيد**)) . اهـ [(١)] .

الدراسة :

اختلف أهل العلم والمفسرون في لمن الخطاب في الآية على ثلاثة أقوال :

القول الأول : الخطاب لسيِّدنا محمد ﷺ ، وأقامه مقام الجماعة ، قاله ابن عباس رضي الله عنه [(٢)] ، الحسن ، ومجاهد ، وقتادة ، والسدي ، والكلبي ، وجماعة [(٣)] ، وقاله مقاتل [(٤)] ، وذهب إليه الفَرَّاء [(٥)] ، **وابن خالويه** [(٦)] ، وقاله السمر قندي ، **واستظهره النيسابوري** [(٧)] من المفسرين

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٥٢ .

(٢) ينظر : تنوير المقباس : ٢٨٧ .

(٣) نسب السمعاني والبغوي وأبو السعود هذا القول إلى الحسن ، ومجاهد ، وقتادة ، والسدي ، والكلبي وجماعة . ونسبه ابن الجوزي إلى ابن عباس رضي الله عنه ، والحسن ، ومجاهد ، وقتادة . ينظر : تفسير السمعاني : ٣ / ٤٧٨ ، تفسير البغوي : ٣ / ٣١٠ ، زاد المسير : ٥ / ٤٧٧ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ١٣٨ .

(٤) ينظر تفسيره : ٢ / ٣٩٨ .

(٥) ينظر معانيه : ٢ / ٢٠٤ .

(٦) ينظر : الحجة في القراءات السبع : ١٥٠ .
وابن خالويه هو : الحسين بن أحمد بن خالويه ، أبو عبد الله : لغوي ، من كبار النحاة ، أصله من همذان . وانتقل إلى الشام فاستوطن حلب ، وعظمت بها شهرته ، فأحله بنو حمدان منزلة رفيعة ، وعهد إليه سيف الدولة بتأديب أولاده . من كتبه : شرح مقصورة ابن دريد ، ومختصر في شواذ القرآن وغير ذلك . ت سنة ٣٧٠ هـ ينظر : البداية والنهاية : ١١ / ٢٩٧ ، البلغة : ٩٠ ، لسان الميزان : ٢ / ٢٦٧ .

(٧) ينظر : تفسير السمر قندي : ٢ / ٤٨٢ ، تفسير غرائب القرآن : ٥ / ١٢٣ .

وقاله الزَّركشي في البرهان والسُّيوطي في الإتقان [١] .

واستدل له بالنظير القرآني :

قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ ... ﴾ [٢] ؛ وهو نعيم بن مسعود ﷺ .

✖ **وتعقَّب ابن عطية** القول بأن الخطاب للرسول ﷺ **وأقامه مقام الرسل** بقوله :

" هذا **مما لا يثبت مع النظر** ؛ **والوجه في هذا أن يكون الخطاب لمحمَّد** ﷺ وخرج بهذه الصيغة ليفهم وجيزاً أن هذه المقالة قد **خوطب بها كل نبي** ؛ أو هي طريقتهم التي ينبغي لهم الكون عليها ، وهذا كما تقول لتاجر : يا تجار ؛ ينبغي أن تجتنبوا الربا . فأنت تخاطبه بالمعنى وقد اقترن بذلك أن هذه المقالة تصلح لجميع صنفه " . اهـ [٣] .

✖ وكذا قال **الزَّجَّاج** [٤] قبله ، **ونقله عنه النحاس وابن أبي زمنين ، وقاله الواحدي ، وابن سيده ، وابن منظور** [٥] .

✖ **واستبعد ابن جُزيّ** [٦] أن يكون الخطاب لسيِّدنا محمد ﷺ .

القول الثاني : الخطاب لعيسى عليه السلام ، روي عن **حفص بن أبي جبلة** [٧] ؛ وقاله **الطبري ، والثعلبي** [٨] من المفسرين .

---

(١) ينظر : البرهان : ٢ / ٢٣٤ ، الإتقان : ٣ / ٩٠ .
(٢) سورة آل عمران : ١٧٣ .
(٣) المحرر الوجيز : ٤ / ١٤٦ .
(٤) ينظر معانيه : ٤ / ١٥ .
(٥) ينظر : معاني القرآن للنحاس : ٤ / ٣٦٥ ، تفسير ابن أبي زمنين : ٣ / ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٧٤٨ ، (مادة : طيب) في : المحكم والمحيط الأعظم : ٩ / ٢٢٦ ، لسان العرب : ١ / ٥٦٥ .
(٦) ينظر : التسهيل : ٣ / ٥٢ .
(٧) أورد هذا الأثر عنه ابن الأثير وابن حجر في ترجمته .
وحفص بن أبي جبلة هو : حَفْصُ بن أبي جَبَلَة الفَزَارِيّ ، وهو مولى بني تميم . قال ابن الأثير : ذكره عبدان في الصحابة ، وقال : لا أدري له صحبة أم لا ؟ وضعه بعض أصحابنا في المسند ، وهو مولى بني تميم . وقال ابن حجر : **تابعي أرسل** ... ، وعزاه السيوطي إلى عبدان في الصحابة ؛ قال السيوطي : مرسل حفص تابعي .
ينظر : أسد الغابة : ٢ / ٤٤ ، الإصابة : ٢ / ٢١٣ ، الدر المنثور : ٦ / ١٠٢ .
(٨) ينظر : تفسير الطبري : ١٨ / ٢٨ ، الكشف والبيان : ٧ / ٤٩ .

قال **عمرو بن شرحبيل** في الآية : كان عيسى عليه السلام يأكل من غزل أمه [١] ؛ وهو أطيب الطيبات .

والمشهور عنه أنه كان يأكل من بقل البرية [٢] .

واستدل له :

بلتصال الآية بذكره ؛ قال تعالى قبل هذه الآية : ﴿ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾ . [سورة المؤمنون : ٥٠] .

القول الثالث : هذا النداء والخطاب ليس على ظاهرهما ؛ لأن الرسل كانوا في أزمنة متفرقة ، وإنما المعنى : أن كل رسول في زمانه خوطب بذلك ، قاله **الزمخشري** [٣] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٤] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٥] . [٦]

وجوَّز **الزمخشري** أن يكون الإعلام **على سبيل الحكاية** لرسول الله ﷺ على وجه الإجمال لما خوطب به كل رسول في عصره ؛ جيء بها إثر حكاية إيواء عيسى عليه السلام وأمه إلى الربوة [٧] وقاله **أبو السعود والآلوسي** [٨] .

وأوَّل من قال بأن : " النداء والخطاب ليسا على ظاهرهما ، **لأن الرسل كانوا في أزمنة**

---

(١) عزاه السيوطي في الدر (٦ / ١٠٢ ، ١٠٣) إلى عبد بن حميد ، وابن جرير في تفسيره (١٨ / ٢٨) ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وأبو نعيم في الحلية .
وعمرو بن شرحبيل هو : عمرو بن شرحبيل ، أبو ميسرة الهمداني ، من كبار التابعين ، من أهل الكوفة من العباد . ت سنة ٦٣ هـ . ينظر : الثقات : ٥ / ١٦٨ ، الكاشف : ٢ / ٧٨ ، الإصابة : ٦ / ٦٠٨ .

(٢) ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ١٤٦ ، تفسير القرطبي : ١٢ / ١٢٨ ، البحر المحيط : ٦ / ٣٧٧ .

(٣) ينظر : الكشاف : ٣ / ١٩٢ .

(٤) ينظر : التسهيل : ٣ / ٥٢ .

(٥) منهم : الزمخشري ، واحتمله ابن عطية ، والفخر الرازي ، وأبو حيان ، وابن عادل . ينظر : الكشاف : ٣ / ١٩٢ ، المحرر الوجيز : ٤ / ١٤٦ ، التفسير الكبير : ٢٣ / ٩١ ، البحر المحيط : ٦ / ٣٧٧ ، تفسير ابن عادل : ١٤ / ٢٢٥ .

(٦) قال بجميع الأقوال ولم يرجح : السمعاني ، والبغوي ، والقرطبي ، والنسفي ، والخازن ، والشوكاني . ينظر : تفسير السمعاني : ٣ / ٤٧٨ ، تفسير البغوي : ٣ / ٣١٠ ، تفسير القرطبي : ١٢ / ١٢٧ ، ١٢٨ ، تفسير النسفي : ٣ / ١٢٤ ، تفسير الخازن : ٥ / ٣٨ ، فتح القدير : ٣ / ٤٨٦ .

(٧) ينظر : الكشاف : ٣ / ١٩٢ ، ١٩٣ .

(٨) ينظر : تفسير أبي السعود : ٦ / ١٣٨ ، روح المعاني : ١٨ / ٣٩ .

متفرقة " الزمخشري في : (الكشاف) ، وتبعه الفخر الرازي ، والبيضاوي ، والنسفي ، وابن جُزيّ ، وابن عادل [١] وغيرهم .

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن الرَّاجح أن النداء والخطاب في قوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَـٰلِحًا ... ﴾ لجميع المرسلين باعتبار زمان كلٍّ وعهده** ؛ قاله **ابن كثير ، وصحَّحه الثعالبي ، ورجَّحه الخطيب الشربيني** ، وقاله **السعدي والشنقيطي ، والطاهر بن عاشور ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي** [٢] .

قال **محمَّد سيِّد طنطاوي** :

" ووجه سبحانه الخطاب إلى الرسل جميعاً ، مع أن الموجود منهم عند نزول الآية واحد فقط وهو الرسول ﷺ ؛ للدلالة على أن كل رسول أمر فى زم انه بالأكل من الطيبات التى أحلها تعالى وبالعمل الصالح " . اهـ [٣] .

وهو قول قريب مما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه ، يدل على ذلك إضافة لما تقدم ؛ ولما يلي :

أولاً : النص الصريح في الحديث الصحيح [٤] :

وعن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال : قال رسول اللَّهِ ﷺ : « أَيُّهَا الناس ، إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إلا طَيِّبًا **وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ** ؛ فقال : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَـٰلِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ ، وقال : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقۡنَـٰكُمۡ ... ﴾ [٥] ، ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إلى

---

(١) ينظر : الكشاف : ٣ / ١٩٢ ، التفسير الكبير : ٢٣ / ٩١ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ١٥٨ ، تفسير النسفي : ٣ / ١٢٤ ، التسهيل : ٣ / ٥٢ ، تفسير ابن عادل : ١٤ / ٢٢٥ .

(٢) ينظر : تفسير ابن كثير : ٣ / ٢٤٧ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ١٥٢ ، السراج المنير : ٢ / ٦٤٥ ، تفسير السعدي : ٥٥٣ ، أضواء البيان : ٥ / ٣٣٤ ، التحرير والتنوير : ١٨ / ٦٨ ، الوسيط : ١٠ / ٤٠ .

(٣) الوسيط : ١٠ / ٤٠ .

(٤) قال الثعالبي بذلك . ينظر : تفسير الثعالبي : ٤ / ١٥٢ .

(٥) سورة البقرة : ١٧٢ .

إلى السَّمَاءِ : يا رَبِّ .. يا رَبِّ ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ ! » [١] .

ثانياً : القرينة القرآنية :

قوله تعالى بعدها : ﴿ **فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم** بَيۡنَهُمۡ زُبُرٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ﴾ . [سورة النور : ٥٣] . والضمير لأمم الرسل المذكورين [٢] .

ثالثاً : دلالة السِّياق :

قال **الفخر الرازي** :

" وإنما خاطب جميع الرسل بذلك ليعتقد السامع أنّ أمراً خوطب به جميع الرسل ووصوا به حقيق أنّ يؤخذ به ويعمل عليه ، **وهو أقرب ؛ لأنه أوفق للفظ الآية** " [٣] .

رابعاً : يؤيد ذلك **القواعد الترجيحية** التالية :

- **إذا ثبت الحديث وكان نصاً في تفسير الآية فلا يصار إلا إليه .**
- **القول الذي تؤيده قرائن في السِّياق مرجح على ما خالفه** [٤] .

فيدخل تحته عيسى دخولا أولياً ، أو يكون ابتداء كلام ذكر تنبيهاً على أن تهيئة أسباب التنعم لم تكن خاصة ، وأن إباحة الطيبات للأنبياء شرع قديم ، واحتجاجاً على الرهبانية في رفض الطيبات ؛ قاله البيضاوي [٥] **، والقاسمي** [٦] .

وقال **الطاهر بن عاشور** :

" والغرض من هذا : بيان كرامة الرسل عند الله ونزاهتهم في أمورهم الجسمانيَّة والروحانيَّة

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الزكاة ، بَاب قَبُولِ الصَّدَقَةِ من الْكَسْبِ الطَّيِّبِ وَتَرْبِيَتِهَا (١٠١٥) : ٢ / ٧٠٣ .

(٢) ينظر : تفسير آيات من القرآن الكريم للشيخ محمد بن عبد الوهاب (ت ١٢٠٦ هـ) : ٢٦٩ .

(٣) التفسير الكبير للفخر الرازي : ٢٣ / ٩١ . بتصرف يسير .

(٤) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ١٩١ ، ٢٩٩ .

(٥) ينظر : تفسير البيضاوي : ٤ / ١٥٨ .

(٦) ينظر : تفسير القاسمي : ١٢ / ٨٦ .

فالأكل من الطيبات نزاهة جسميَّة والعمل الصالح نزاهة نفسانيَّة .

والمناسبة لهذا الاستئناف :

هي قوله : ﴿ ... وَءَاوَيْنَـٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾ [١] . وليحصل من ذلك الرد على اعتقاد الأقوام المعلّلين تكذيبهم رسلهم بعلة أنهم يأكلون الطعام ؛ كما قال تعالى في الآية السابقة : ﴿ ... مَا هَـٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴾ [٢] ، وقال : ﴿ وَقَالُواْ مَالِ هَـٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ... ﴾ [٣] ، وليبطل بذلك ما ابتدعه النصارى من الرهبانيَّة " . اهـ [٤] .

وذكر **الشيخ محمد بن عبد الوهاب** في الآية مسائل منها :

" **الأولى** : أن الله أمر الرسل بهذا مع اختلاف أزمنتهم وأمكنتهم ؛ فيدل على أنه من عظيم الأمور .

الثانية : أن الرسل إذا أمروا بذلك فغيرهم أوْلى بالحاجة إلى ذلك ؛ فأفاد أن هذا يحتاج إليه أعلم الناس حاجة شديدة .

الثالثة : إذا فرض هذا على الرسل مع اختلاف الأزمنة والأمكنة ؛ فكيف بأمة واحدة نبيُّها واحد وكتابها واحد ؟

الرابعة : الأمر بالأكل من الطيبات ، ففيه ردّ على الغلاة الذين يمتنعون عنها ، وفيه ردّ على الجفاة الذين لا يقتصرون عليها .

الخامسة : الأمر بإصلاح العمل مع الأكل من الطيبات ، ففيه رد على ثلاث طوائف :

أولهم : الآكلون الطيبات بلا شكر ، والشكر هو العمل المرضي .

وثانيهم : من يعمل العمل غير الخالص مثل المرائي وقاصد الدنيا .

---

(١) سورة المؤمنون : ٥٠ .

(٢) سورة المؤمنون : ٣٣ .

(٣) سورة الفرقان : ٧ .

(٤) التحرير والتنوير : ١٨ / ٦٨ . وينظر : الوسيط لمحمَّد سيِّد طنطاوي : ١٠ / ٤٠ .

وثالثهم : الذي يعمل مخلصاً لكنه على غير الأمر .

السادسة : المسألة العظيمة التي سيق الكلام لأجلها ، وهي فرض الاجتماع في المذهب ، وتحريم الافتراق : فإذا فرضه على الأنبياء مع اختلاف الأزمنة والأمكنة فكيف بأمَّة واحدة ، ونبيها واحد ، وكتابها ودينها واحد ؟

السابعة : ذكره سبحانه فعلهم الذي صدر عنهم بعد ما عرفوا الوصية العظيمة بالاجتماع والنهي عن الافتراق ، وأنهم تقطعوا أمرهم بينهم زبراً كل حزب بما لديهم فرحون ، فذكر أنهم قابلوا الوصية بعد ما سمعوها بما يضادها غاية المضادة ، وهو أنهم تركوا الاجتماع وتفرقوا ، ثم بعد ذلك كل فرقة صنفت لها كتبها غير كتب الآخرين ، ثم كل فرقة فرحت بما تركت من الهدى ، وفرحت بما ابتدعته من الضلال .

كما قال الشاعر :

حَلَفتْ لنا أن لا تخون عهودها فكأنها حلفت لنا أن لا تفي " [1]

والله تعالى أعلم بالصواب .

(١) تفسير آيات من القرآن الكريم للشيخ محمد بن عبد الوهاب : ٢٦٩ ، ٢٧٠ . ولم أهتد لقائل البيت .

قوله تعالى : ﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ ﴾ . [آية : ٧١] .

في الآية مسألتان :

المسألة الأولى :في المراد بـ ﴿ ٱلْحَقُّ ﴾ هنا في الآية :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن المراد بـ ﴿ ٱلْحَقُّ ﴾ هنا في الآية : الصواب والأمر المستقيم ، فقال : ((و ﴿ ٱلْحَقُّ ﴾ هنا يراد به الصواب والأمر المستقيم ، فالمعنى : لو كان الأمر على ما تقتضي أهواؤهم من الشرك بالله واتباع الباطل لفسدت السموات والأرض ؛ كقوله : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ... ﴾ [1] . وقيل : إن الحق في الآية هو الله تعالى ، **وهذا بعيد في المعنى** ، وإنما حمله عليه أن جعل الاتباع حقيقة و لم يفهم فيه الاستعارة ، وإنما الحق هنا هو المذكور في قوله : ﴿ ... بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴾ [2])) . اهـ [3] .

الدراسة :

اختلف أهل العلم والمفسرون في **المراد بـ ﴿ ٱلْحَقُّ ﴾ هنا في الآية** على أقوال [4] منها :

القول الأول : ﴿ ٱلْحَقُّ ﴾ هنا يراد به **الصواب والأمر المستقيم** ، **رجَّحه** ابن عطية [5] ،

---

(١) سورة الأنبياء : ٢٢ .

(٢) سورة المؤمنون : ٧٠ .

(٣) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٥٤ .

(٤) قال الفخر الرازي : " وفي تفسيره وجوه :

الأول : أن القوم كانوا يرون أن الحق في اتخاذ آلهة مع الله تعالى ، لكن لو صح ذلك لوقع الفساد في السموات والأرض على ما قررناه في دليل التمانع في قوله :﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ... ﴾ . [سورة الأنبياء : ٢٢]

والثاني : أن أهواءهم في عبادة الأوثان وتكذيب محمد ﷺ ؛ وهما منشأ المفسدة ، والحق هو الإسلام . فلو اتبع الإسلام قولهم لعلم الله حصول المفاسد عند بقاء هذا العالم ، وذلك يقتضي تخريب العالم وإفناءه.

والثالث : أن آراءهم كانت متناقضة فلو اتبع الحق أهواءهم لوقع التناقض ولاختل نظام العالم . ينظر : التفسير الكبير : ٢٣ / ٩٧ ، ٩٨ .

(٥) ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ١٥١ .

وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ [١] ، ومال إليه الثعالبي [٢] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٣] .

قال **ابن عطية** : " وهذا هو الأحرى " [٤] .

" فالمعنى : لو كان الأمر على ما تقتضي أهواءهم من الشرك بالله واتباع الباطل لفسدت السموات والأرض " [٥] .

- وقيل : الحق في الآية هو **التنزيل ؛ أي : القرآن** ، حكاه **الفَرَّاء** [٦] ، وجوَّزه **الزَّجَّاج** [٧] ، وقاله الواحدي والجلالين [٨] من المفسرين .

والمعنى : " لو كان التنزيل بما يحبون لفسدت السموات والأرض " [٩] .

✓ **وهذا القول والقول الأول متقاربان ؛ والمقصود** : ولو اتبع الحق الذي جاء به الرسول ﷺ ؛ وهو القرآن وهو الأمر المستقيم .

قال تعالى في سورة المؤمنون نفسها بعد هذه الآية : ﴿ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [١٠] .

واستدل له :

١. بالنظير القرآني لمعنى الآية : قوله تعالى في سورة الأنبياء : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا

---

(١) ينظر : التسهيل : ٣ / ٥٤ .
(٢) ينظر تفسيره : ٤ / ١٥٧ .
(٣) منهم : النيسابوري ، وأبو السعود ، والشوكاني (وقال هو **الأولى**) ، والقاسمي ، والطاهر بن عاشور ، ومال إليه محمَّد سيِّد طنطاوي (وقال : المراد بالحق هنا ما يقابل الباطل) . ينظر : تفسير غرائب القرآن : ٥ / ١٢٩ تفسير أبي السعود : ٦ / ١٤٤ ، فتح القدير : ٣ / ٤٩٣ ، تفسير القاسمي : ١٢ / ٩٣ ، التحرير والتنوير : ١٨ / ٩٢ ، الوسيط : ١٠ / ٥٢ .
(٤) المحرر الوجيز : ٤ / ١٥١ .
(٥) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٥٤ .
(٦) ينظر معانيه : ٢ / ٢٠٦ .
(٧) ينظر معانيه : ٣ / ١٩٦ .
(٨) ينظر : تفسير الواحدي : ٢ / ٧٥١ ، تفسير الجلالين : ٤٥٢ .
(٩) تفسير الواحدي : ٢ / ٧٥١ .
(١٠) سورة المؤمنون : ٧٣ .

ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ... ﴾ [١] .

٢. **دلالة السِّياق** : فالحق هنا هو المذكور في قوله : ﴿ بَلۡ جَآءَهُم بِٱلۡحَقِّ وَأَكۡثَرُهُمۡ لِلۡحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴾ [٢] " [٣] .

٣. **دلالة اللِّحاق** : القول بأن الحق في الآية هنا هو ما جاء به الرسول ﷺ هو **الأقرب إلى سياق الآيات** ؛ كما يشير إلى ذلك قوله تعالى في الآية نفسها : ﴿ بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِذِكۡرِهِمۡ فَهُمۡ عَن ذِكۡرِهِم مُّعۡرِضُونَ ﴾ انتقال من توبيخهم على كراهيتهم للحق ، إلى توبيخهم على نفورهم عن ﴿ ذِكۡرِهِم ﴾ [٤] .

القول الثاني : الحق في الآية هو **الله تعالى** ، قاله مجاهد [٥] ، وأبو صالح [٦] ، و ابن جريج [٧] ، وقتادة [٨] ، ومقاتل [٩] ، وقاله **أكثر** [١٠] المفسرين [١١] . [١٢]

---

(١) سورة الأنبياء : ٢٢ .

(٢) سورة المؤمنون : ٧٠ .

(٣) التسهيل : ٣ / ٥٤ . وينظر : فتح القدير : ٣ / ٤٩٣ ، التحرير والتنوير : ١٨ / ٩٢ ، الوسيط : ١٠ / ٥٢ .

(٤) ينظر : الوسيط لمحمَّد سيِّد طنطاوي : ١٠ / ٥٢ .

(٥) نسبه إليه ابن عطية ، وابن الجوزي ، والقرطبي ، والشوكاني ، والشنقيطي . ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ١٥١ ، زاد المسير : ٥ / ٤٨٤ ، تفسير القرطبي : ١٢ / ١٤٠ ، فتح القدير : ٣ / ٤٩٣ ، أضواء البيان : ٥ / ٣٤٢ .

(٦) نسبه الثوري إليه ، وأخرجه ابن جرير في تفسيره (١٨ / ٤٢) ؛ وعزاه السيوطي أيضاً في الدر (٦ / ١١٠) إلى ابن أبي شيبة وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، ونسبه إليه غير واحد من المفسرين ، كابن عطية والقرطبي ، والشوكاني ، والشنقيطي . ينظر : تفسير الثوري : ٢١٨ ، المحرر الوجيز : ٤ / ١٥١ ، تفسير القرطبي : ١٢ / ١٤٠ ، فتح القدير : ٣ / ٤٩٣ أضواء البيان : ٥ / ٣٤٢ .

(٧) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٨ / ٤٢) ، ونسبه إليه غير واحد من المفسرين .

(٨) نسبه الزمخشري إليه . ينظر : الكشاف : ٣ / ١٩٨ .

(٩) ينظر تفسيره : ٢ / ٤٠١ .

(١٠) نسبه إلى الأكثرين : العز بن عبد السلام ، والقرطبي ، والشوكاني ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير العز بن عبد السلام : ٢ / ٣٧٩ ، تفسير القرطبي : ١٢ / ١٤٠ ، فتح القدير : ٣ / ٤٩٣ ، الوسيط : ١٠ / ٥٢ .

(١١) منهم : الطبري ، وقدَّم النحاس هذا القول ونسبه لأهل التفسير ، والسمر قندي ، والثعلبي ، وقدَّمه الماوردي وابن الجوزي ، والنسفي ، وابن كثير . ينظر : تفسير الطبري : ١٨ / ٤٢ ، إعراب القرآن للنحاس : ٣ / ١١٩ تفسير السمر قندي : ٢ / ٤٨٦ ، الكشف والبيان : ٧ / ٥٢ ، النكت والعيون : ٤ / ٦٢ ، زاد المسير : ٥ / ٤٨٤ ، تفسير النسفي : ٣ / ١٢٦ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٢٥١ .

(١٢) ذكر القولين و لم يرجح بينهما جماعة من المفسرين ، ومنهم : السمعاني ، والبغوي ، والخازن ، وابن عادل ، والشنقيطي . ينظر : تفسير السمعاني : ٣ / ٤٨٤ ، تفسير البغوي : ٣ / ٣١٣ ، ٣١٤ ، تفسير الخازن : ٥ / ٤١ ، تفسير ابن عادل : ١٤ / ٢٤٢ ، أضواء البيان : ٥ / ٣٤٢ ، ٣٤٣ .

وتقديره في العربية : ولو اتبع صاحب الحق ؛ قاله **النحاس** [١] .

والمعنى : ولو جعل لنفسه شريكاً لفسدت السموات والأرض ومن فيهن [٢] .

قال **ابن كثير** :

" والمراد لو أجابهم الله إلى ما في أنفسهم من الهوى وشرع الأمور على وفق ذلك لفسدت السماوات والأرض ومن فيهن ، أي لفساد أهوائهم واختلافها ؛ كما أخبر عنهم في قولهم : ﴿ ... لَوْلَا نُزِّلَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ [٣] ، ثم قال : ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ... ﴾ [٤] ، وقال تعالى : ﴿ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ... ﴾ [٥] ، وقال : ﴿ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴾ [٦] .

ففي هذا كله تبيين عجز العباد واختلاف آرائهم وأهوائهم ، وأنه تعالى هو الكامل في جميع صفاته ، وأقواله وأفعاله ، وشرعه وقدره ، وتدبيره لخلقه تعالى وتقدَّس ؛ فلا إله غيره ولا رب سواه ، **ولهذا قال** : ﴿ ... بَلْ أَتَيْنَـٰهُم بِذِكْرِهِمْ ... ﴾ [٧] ؛ أي : القرآن ، ﴿ ... فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴾ [٨] " . اهـ [٩] .

✖ **وأنكر ابن عطية** هذا القول فقال :

" وهذا ليس من نمط الآية ... ومن قال إن ﴿ ٱلْحَقُّ ﴾ في الآية الله تعالى بشعت له لفظة ﴿ ٱتَّبَعَ ﴾ وصعب عليه ترتيب الفساد المذكور في الآية ؛ **لأن لفظة الاتباع على كلا الوجهين إنما هي استعارة** ؛ بمعنى : أن تكون أهواؤهم يصوبها الحق ويقررها ؛ فنحن نحد الله

---

(١) ينظر : إعراب القرآن للنحاس : ٣ / ١١٩ .
(٢) ينظر : تذكرة الأريب في تفسير الغريب لابن الجوزي : ٢ / ١٨ .
(٣) سورة الزخرف : ٣١ .
(٤) سورة الزخرف : ٣٢ .
(٥) سورة الإسراء : ١٠٠ .
(٦) سورة النساء : ٥٣ .
(٧) سورة المؤمنون : ٧١ .
(٨) سورة المؤمنون : ٧١ .
(٩) تفسير ابن كثير : ٣ / ٢٥١ .

تعالى قد قرر كفر أمم وأهواءهم فليس في ذلك فساد سماوات ، وأما الحق نفسه الذي هو الصواب فلو كان طبق أهوائهم لفسد كل شيء " . اهـ [١] .

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن الرَّاجح هو القول الأول ؛ وأن المراد بالحق في قوله تعالى : ﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ﴾ هو الصواب والأمر المستقيم ، وهو الحق الذي جاء به الرسول ﷺ ؛ وهو القرآن ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** ، يدل على ذلك إضافة لما تقدم ولما يلي :

أولاً : قد ردَّ **ابن عطية** القول الثاني رداً صحيحاً ، وقال **ابن جُزيّ** [٢] بمثل كلام ابن عطية واستبعد معنى الآية هذا على هذا القول .

وقال **الشوكاني** : " ولا يصحُّ أن يكون المراد به هنالك الله سبحانه " [٣] .

ثانياً : استدل له بالنظير القرآني لمعنى الآية ، ودلالة السِّياق ؛ اللِّحاق والسِّباق .

وعلى هذا يؤيده **القواعد الترجيحية** التالية :

- **القول الذي تؤيده قرائن في السِّياق مرجَّح على ما خالفه** [٤] .
- **مهما أمكن إلحاق الكلام بما يليه ؛ أو بنظيره فهو الأولى** [٥] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

(١) المحرر الوجيز : ٤ / ١٥١ .
(٢) ينظر : التسهيل : ٣ / ٥٤ .
(٣) ينظر : فتح القدير : ٣ / ٤٩٣ .
(٤) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٢٩٩ .
(٥) ينظر : قواعد التفسير للسبت : ١ / ٢٤٩ .

المسألة الثانية : في معنى قوله تعالى : ﴿ بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِذِكۡرِهِمۡ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن معنى قوله تعالى : ﴿ بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِذِكۡرِهِمۡ ﴾ بفخرهم وشرفهم ، فقال : ((﴿ بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِذِكۡرِهِمۡ ﴾ يحتمل أن يكون بتذكيرهم ووعظهم ، أو بفخرهم وشرفهم ، **وهذا أظهر**)) . اهـ [١] .

الدراسة :

في قوله تعالى : ﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلۡحَقُّ أَهۡوَآءَهُمۡ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِذِكۡرِهِمۡ فَهُمۡ عَن ذِكۡرِهِم مُّعۡرِضُونَ ﴾ انتقال من تشنيعهم بكراهة الحق إلى تشنيعهم بالإعراض عما جبلت عليه كل نفس من الرغبة فيما فيه خيرها والمراد بالذكر هنا : القرآن ؛ قاله قتادة [٢] وعليه أهل التفسير ، لكنهم اختلفوا في **معنى قوله تعالى : ﴿ بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِذِكۡرِهِمۡ [٣] ﴾** على قولين :

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٥٤ .

(٢) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣ / ٤٨) .

(٣) **ورود الذكر في القرآن :**

" **الذكر** ورد على ثمانية أوجه :

الأول : بمعنى **الطاعة** ، قوله تعالى : ﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ﴾ . [سورة البقرة : ٦٣] . أي : أطيعوني أغفر لكم .

الثاني : **العمل** ، قال تعالى : ﴿ ... خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ وَٱذۡكُرُواْ مَا فِيهِ ... ﴾ . [سورة البقرة : ٦٣] . أي : اعملوا بما فيه .

الثالث : **العِظَة** ، قال تعالى : ﴿ وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ . [سورة الذريات : ٥٥] . أي : العِظَة ، ومثله : ﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ ... ﴾ . [سورة الأنعام : ٤٤] .أي : ما وعظوا به .

الرابع : **الشَّرف** ، قال تعالى : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَ... ﴾ . [سورة الزخرف : ٤٤] . ومثله : ﴿ ... بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِذِكۡرِهِمۡ ... ﴾ . [سورة المؤمنون : ٧١] . أي : بشرفهم ، وقوله : ﴿ ... هَٰذَا ذِكۡرُ مَن مَّعِيَ وَذِكۡرُ مَن قَبۡلِي ... ﴾ . [سورة الأنبياء : ٢٤] . أي : شرف .

الخامس : **القرآن** ، قال تعالى : ﴿ ... أَءُنزِلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ مِنۢ بَيۡنِنَا ... ﴾ . [سورة ص : ٨] . أي : القرآن ، ومثله : ﴿ وَهَٰذَا ذِكۡرٞ مُّبَارَكٌ أَنزَلۡنَٰهُۚ ... ﴾ . [سورة الأنبياء : ٥٠] .

السادس : **التوراة** ، قال تعالى : ﴿ ... فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ... ﴾ . [سورة النحل : ٤٣] . أي : التوراة .

السابع : **البيان** ، قال تعالى : ﴿ ... أَوَعَجِبۡتُمۡ أَن جَآءَكُمۡ ذِكۡرٞ مِّن رَّبِّكُمۡ ... ﴾ . [سورة الأعراف : ٦٣] .

الثامن : **الصلاة** ، قال تعالى : ﴿ ... فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ ... ﴾ . [سورة الجمعة : ٩] . ينظر : تفسير ابن عادل : ٣ / ٧٥ ، ٧٦ .

القول الأول : معناه : القرآن والأدلَّة ؛ أي **بيَّنا لهم** ، قاله **ابن عباس** ﷺ [١] ، وحكاه الطبري والفخر الرازي [٢] ، وقدمَّه الماوردي [٣] .

القول الثاني : معناه : القرآن الذي هو **فخرهم وشرفهم** ، قاله **ابن عباس** ﷺ [٤] أيضاً ، وقتادة وغيره [٥] ، ومقاتل [٦] ، والزَّجَّاج [٧] ، وذهب إليه الفَرَّاء [٨] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٩] ، ووافقه جماعة من المفسرين [١٠] .

❖ وذكر **ابن جرير والفخر الرازي** أن القول الأول والثاني **متقاربان في المعنى** [١١] .

القول الثالث : معناه : القرآن الذي هو **الذكر الذي كانوا يتمنونه** في قوله : ﴿ لَوۡ أَنَّ عِندَنَا ذِكۡرٗا مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٦٨ لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴾ [١٢] ؛ حكاه جماعة من المفسرين [١٣] .

---

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٨ / ٤٣) ، وعزاه السيوطي أيضاً في الدر (٦ / ١١٠) إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم .

(٢) ينظر : تفسير الطبري : ١٨ / ٤٣ ، التفسير الكبير : ٢٣ / ٩٨ .

(٣) ينظر : النكت والعيون : ٤ / ٦٣ .

(٤) نسبه إليه : البغوي ، والخازن ، وابن عادل . ينظر : تفسير البغوي : ٣ / ٣١٤ ، تفسير الخازن : ٥ / ٤١ ، تفسير ابن عادل : ١٤ / ٢٤٣ . وينظر : تنوير المقباس : ٢٨٩ .

(٥) نسبه الماوردي والقرطبي إلى قتادة وسفيان . ينظر : النكت والعيون : ٤ / ٦٣ ، تفسير القرطبي : ١٢ / ١٤١ .

(٦) ينظر تفسيره : ٢ / ٤٠١ .

(٧) ينظر معانيه : ٤ / ١٩ .

(٨) ينظر معانيه : ٢ / ٢٠٦ .

(٩) ينظر : التسهيل : ٣ / ٥٤ .

(١٠) منهم : السمر قندي وابن أبي زمنين والثعلبي والواحدي و لم يذكروا غيره ، والبغوي في شرح السُّنة ، و لم يذكر ابن الجوزي والخازن والبقاعي غيره ، وابن عادل ، والجلالين ، وأبو السعود ، والشوكاني ، والآلوسي ، و لم يذكر محمَّد سيِّد طنطاوي غيره . ينظر : تفسير السمر قندي : ٢ / ٤٨٦ ، تفسير ابن أبي زمنين : ٣ / ٢٠٦ ، الكشف والبيان : ٧ / ٥٢ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٧٥١ ، شرح السُّنة للبغوي : ٤ / ٤٢٦ ، زاد المسير : ٥ / ٤٨٤ ، تفسير الخازن : ٥ / ٤١ ، نظم الدرر : ٥ / ٢١٣ ، تفسير ابن عادل : ١٤ / ٢٤٣ ، تفسير الجلالين : ٤٥٢ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ١٤٤ ، فتح القدير : ٣ / ٤٩٣ ، روح المعاني : ١٨ / ٥٣ ، الوسيط : ١٠ / ٥٢ .

(١١) ينظر : تفسير الطبري : ١٨ / ٤٣ ، التفسير الكبير : ٢٣ / ٩٨ .

(١٢) سورة الصافات : ١٦٨ ، ١٦٩ .

(١٣) منهم : البغوي ، والزمخشري ، والبيضاوي ، والنسفي ، والنيسابوري ، والشنقيطي . ينظر : تفسير البغوي : ٣ / ٣١٤ ، الكشاف : ٣ / ١٩٨ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ١٦٣ ، تفسير النسفي : ٣ / ١٢٧ =

القول الرابع : معناه : القرآن الذي فيه **تذكيرهم ووعظهم** ، قاله **ابن عباس** ﷺ [١] أيضاً وجوَّزه الزَّجَّاج [٢] ، وقدَّمه الثعالبي [٣] ، وقاله السمعاني وأبو حيان [٤] من المفسرين . [٥]

واستدل له بقراءة : (بذكراهم) بألف التأنيث [٦] .

✓ **ورُجِّح القولان الثاني والثالث** : بأن التشنيع عليهما أشد ؛ فإن الإعراض عن **وعظهم** ليس بمثابة إعراضهم عن **شرفهم وفخرهم** ، أو عن **كتابهم الذي تمنوه** في الشناعة والقباحة [٧] .

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **صحة القول الثاني ، وأنَّ الرَّاجح أن معنى قوله تعالى : ﴿ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ ﴾ بفخرهم وشرفهم ، هو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** ، يدل على ذلك إضافة لما تقدم ؛ ولما يلي :

أولاً : النظير القرآني : قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ... ﴾ . [سورة الزخرف :

= تفسير غرائب القرآن : ٥ / ١٢٩ ، أضواء البيان : ٥ / ٣٤٣ .

(١) نسبه إليه : ابن عطية ، والثعالبي ، والآلوسي . ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ١٥١ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ١٥٨ ، روح المعاني : ١٨ / ٥٣ .

(٢) ينظر معانيه : ٤ / ١٩ .

(٣) ينظر : تفسير الثعالبي : ٤ / ١٥٨ .

(٤) ينظر : تفسير السمعاني : ٣ / ٤٨٤ ، البحر المحيط : ٦ / ٣٨٢ .

(٥) قال بالأقوال أو بعضها من غير ترجيح جماعة من المفسرين ؛ منهم : الزمخشري ، وابن عطية ، والفخر الرازي ، والقرطبي ، والبيضاوي ، والنسفي ، والنيسابوري ، والقاسمي ، والسعدي ، والشنقيطي ، والطاهر بن عاشور . ينظر : الكشاف : ٣ / ١٩٨ ، المحرر الوجيز : ٤ / ١٥١ ، التفسير الكبير : ٢٣ / ٩٨ ، تفسير القرطبي : ١٢ / ١٤١ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ١٦٣ ، تفسير النسفي : ٣ / ١٢٧ ، تفسير غرائب القرآن : ٥ / ١٢٩ ، تفسير القاسمي : ١٢ / ٩٣ ، تفسير السعدي : ٥٥٦ ، أضواء البيان : ٥ / ٣٤٣ ، التحرير والتنوير : ١٨ / ٩٥ .

(٦) وردت هذه القراءة في غير واحد من كتب التفسير . ينظر : التفسير الكبير للفخر الرازي : ٢٣ / ٩٨ ، تفسير ابن عادل : ١٤ / ٢٤٣ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ١٤٥ ، روح المعاني للآلوسي : ١٨ / ٥٣ . وهي **قراءة بالغة الشذوذ** تحمل على التفسير ، وهي قراءة عيسى وعمر عن أبي عمرو . ينظر : مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه : ١٠٠ ، إتحاف فضلاء البشر للبناء : ٤٠٥ .

(٧) ينظر : تفسير أبي السعود : ٦ / ١٤٤ ، روح المعاني للآلوسي : ١٨ / ٥٣ .

٤٤] .[(١)]

ثانياً : لأن نزول هذا الكتاب على رجل منهم ، والقرآن بلسانهم ؛ قاله قتادة وغيره [(٢)] .

ثالثاً : القرآن فخرهم وشرفهم خاصة ؛ مما يوجب الإقبال عليه والاعتناء به لا الإعراض عنه [(٣)] .

رابعاً : تؤيده **القاعدة الترجيحية** التالية :

- **القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك** [(٤)] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) ينظر : تفسير البغوي : ٣ / ٣١٤ ، أضواء البيان للشنقيطي : ٥ / ٣٤٣ .
(٢) ينظر : تفسير السمر قندي : ٢ / ٤٨٦ ، النكت والعيون : ٤ / ٦٣ ، تفسير النسفي : ٣ / ١٢٧ .
(٣) ينظر : تفسير أبي السعود : ٦ / ١٤٤ ، روح المعاني للآلوسي : ١٨ / ٥٣ .
(٤) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٣١٢ .

قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُواْ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴾ . [آية : ٧٦ ، ٧٧] .

مسألة : في المراد بقوله تعالى : ﴿ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا [١] ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن المراد بالباب ذا العذاب الشديد عذاب الآخرة ، فقال : ((﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ ﴾ قيل : إن هذا العذاب هو الجوع بالقحط ، وأن الباب ذا العذاب الشديد المتوعد به بعد هذا يوم بدر ، **وهذا مردود** بأن العذاب الذي أصابهم إنما كان بعد بدر ، وقيل : إن العذاب الذي أخذهم هو يوم بدر ، والباب المتوعد به هو القحط . وقيل : الباب ذو العذاب الشديد عذاب الآخرة ؛ **وهذا أرجح** ...)) . اهـ [٢] .

الدراسة :

اختلف أهل العلم والمفسرون **في المراد بالباب ذا العذاب الشديد المتوعد به في الآية** على أقوال منها :

القول الأول : إن هذا العذاب هو الجوع بالقحط ، وإن الباب ذا العذاب الشديد هو **يوم بدر** ؛ قاله **ابن عباس** رضي الله عنهما [٣] ، وابن جريج [٤] .

---

(١) قال الطاهر بن عاشور : " وفتح الباب تمثيل لمفاجأتهم بالعذاب بعد أن كان محجوزاً عنه حسب قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ... ﴾ . [سورة الأنفال : ٣٣] . شبهت هيئة إصابتهم بالعذاب بعد أن كانوا في سلامة وعافية بهيئة ناس في بيت مغلق عليهم ففتح عليهم باب البيت من عدو مكروه ، أو تقول : شبهت هيئة تسليط العذاب عليهم بهيئة فتح باب اختزن فيه العذاب فلما فتح الباب انهال العذاب عليهم . ووصف ﴿ بَابًا ﴾ بكونه ﴿ ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾ دون أن يضاف باب إلى عذاب فيقال : باب عذاب كما قال تعالى : ﴿ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴾ . [سورة الفجر : ١٣] . لأن ﴿ ذَا عَذَابٍ ﴾ يفيد من شدة انتساب العذاب إلى الباب ما لا تفيده إضافة باب إلى عذاب ، وليتأتى بذلك وصف ﴿ عَذَابٍ ﴾ بـ ﴿ شَدِيدٍ ﴾ بخلاف قوله : ﴿ سَوْطَ عَذَابٍ ﴾ فقد استغني عن وصفه بـ ﴿ شَدِيدٍ ﴾ بأنه معمول لفعل (صب) الدال على الوفرة " . اهـ . ينظر : التحرير والتنوير : ١٨ / ١٠٣ . بتصرف .

(٢) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٥٤ .

(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٨ / ٤٥) ، ونسبه إليه البغوي في تفسيره (٣ / ٣١٤) ، والقرطبي في تفسيره (١٢ / ١٤٣) ، وعزاه السيوطي أيضاً في الدر (٦ / ١١١) إلى ابن أبي شيبة ، وابن مردويه .

(٤) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٨ / ٤٥) . وينظر : الدر المنثور : ٦ / ١١١ .

ورجَّحه الطاهر بن عاشور [١] ، وقاله جماعة من المفسرين [٢] .

✖ **وهذا مردود** : بأن العذاب الذي أصابهم إنما كان بعد بدر [٣] .

القول الثاني : إن العذاب الذي أخذهم هو يوم بدر ، والباب ذا العذاب الشديد هو **الجوع والقحط** ، قاله **ابن عباس** ﷺ أيضاً ، ومجاهد [٤] ، ومقاتل [٥] ، **ورجَّحه الطبري** [٦] ، **وحسَّنه ابن عطية** [٧] ، وقاله جماعة من المفسرين [٨] .

واستدل له :

بما روي عن **ابن عباس** ﷺ أن **ابن أثال الحنفي** لما أتى النبي ﷺ وهو أسير ؛ فخلى سبيله فلحق بمكة ، فحال بين أهل مكة وبين الميرة من اليمامة حتى أكلت قريش **العلهز** [٩] ، فجاء فجاء أبو سفيان إلى النبي ﷺ ؛ فقال : ألست تزعم يا محمد أنك بعثت رحمة للعالمين ؟! قال : بلى . قال : قد قتلت الآباء بالسيف ، والأبناء بالجوع ، فأنزل الله : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ ... ﴾ [١٠] .

---

(١) ينظر : التحرير والتنوير : ١٨ / ١٠٣ .

(٢) منهم : ابن أبي زمنين ، والواحدي ، وقدَّمه الخازن وابن عادل ، والجلالين ، وقدمَّه الخطيب الشربيني . ينظر : تفسير ابن أبي زمنين : ٣ / ٢٠٧ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٧٥١ ، تفسير الخازن : ٥ / ٤٢ ، تفسير ابن عادل : ١٤ / ٢٤٦ ، تفسير الجلالين : ٤٢٣ ، السراج المنير : ٢ / ٦٥٠ .

(٣) ينظر : المحرر الوجيز لابن عطية : ٤ / ١٥٢ ، التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٥٤ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ١٥٩ .

(٤) ينظر تفسيره : ٢ / ٤٣٣ ، ٤٣٤ . وأخرجه ابن جرير في تفسيره (١٨ / ٤٥) ، ونسبه القرطبي إليه في تفسيره (١٢ / ١٤٣) .

(٥) ينظر تفسيره : ٢ / ٤٠١ .

(٦) ينظر : تفسير الطبري : ١٨ / ٤٥ .

(٧) ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ١٥٢ .

(٨) منهم : الماوردي وقدَّمه ، والبيضاوي ، والنسفي ، والنيسابوري . ينظر : النكت والعيون : ٤ / ٦٤ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ١٦٤ ، تفسير النسفي : ٣ / ١٢٧ ، تفسير غرائب القرآن : ٥ / ١٣٠ .

(٩) **العلهز** هو : شيء يتخذونه في سنين المجاعة يخلطون الدم بالوبر ثم يشوونه بالنار ويأكلونه . وقيل : كانوا يخلطون فيه القردان . ويقال للقُراد الضخم : علهز . وقيل : العلهز شيء ينبت ببلاد بني سليم له أصل كأصل البردي . ينظر : غريب الحديث للحربي : ٢ / ٧٢٧ ، الفائق في غريب الحديث : ٣ / ٢٢ ، غريب الحديث لأبي الفرج ، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ) : ٢ / ١٢٥ ، النهاية في غريب الأثر (مادة : علهز) : ٣ / ٢٩٣ .

(١٠) أخرجه ابن جرير – **وصحَّحه** – في تفسيره (١٨ / ٤٥) ، وعزاه السيوطي أيضاً في الدر (٦ / ١١١) إلى أبي نعيم في المعرفة ، والبيهقي في الدلائل . =

قال **الطبري** : " وهذا القول الذي قاله مجاهد **أوْلى بتأويل الآية** ؛ **لصحة الخبر** الذي ذكرناه قبل عن ابن عباس ﷺ أن هذه الآية نزلت على رسول الله ﷺ في قصة المجاعة التي أصابت قريشا بدعاء رسول الله ﷺ عليهم وأمر ثمامة بن أثال ، وذلك لا شك أنه كان بعد وقعة بدر " . اهـ [١] .

وأصله في الصحيحين :

عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال : « إنما كان هذا لِأَنَّ قُرَيْشًا لَمَّا اسْتَعْصَوْا على النبي ﷺ دَعَا عليهم بِسِنِينَ كَسِنِي يُوسُفَ ... » [٢] .

حتى فتحنا عليهم **باب الجوع** الذى هو أشد من الأسر والقتل [٣] .

القول الثالث : الباب ذا العذاب الشديد **عذاب الآخرة** ، حكاه الماوردي والفخر الرازي [٤] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٥] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٦] . [٧]

قال عكرمة [٨] : هو باب من أبواب جهنم ، عليه من الخزنة أربعمائة ألف ، سودٌ وجوههم

= **وابن أثال الحنفي** هو : ثمامة بن أثال بن النعمان اليمامي ، من بني حنيفة ، أبو أمامة : **صحابي** ، كان سيد أهل اليمامة ، له شعر . ولما ارتد أهل اليمامة في فتنة (مسيلمة) ثبت هو على إسلامه ، ولحق بالعلاء بن الحضرمي ، في جمع ممن ثبت معه ، فقاتل المرتدين من أهل البحرين ، وقتل بُعيد ذلك سنة ١٢ هـ . ينظر : طبقات ابن سعد : ٥ / ٥٥٠ ، أسد الغابة : ١ / ٣٦٣ - ٣٦٥ ، الإصابة : ١ / ٤١٠ ، ٤١١ .

(١) تفسير الطبري : ١٨ / ٤٦ .

(٢) جزء من حديث سبق تخريجه ص ٣٨١ ، أخرجه البخاري ومسلم ؛ وهو صحيح .

(٣) ينظر : تفسير البيضاوي : ٤ / ١٦٤ ، تفسير النسفي : ٣ / ١٢٧ .

(٤) ينظر : النكت والعيون : ٤ / ٦٤ ، التفسير الكبير : ٢٣ / ٩٩ .

(٥) ينظر : التسهيل : ٣ / ٥٤ .

(٦) منهم : الزمخشري ، واحتمله النيسابوري ، وابن كثير ، وقال أبو السعود (**وهو الوجه**) وتبعه الآلوسي ، وسيد قطب ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : الكشاف : ٣ / ٢٠٠ ، تفسير غرائب القرآن : ٥ / ١٣٠ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٢٥٣ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ١٤٦ ، روح المعاني : ١٨ / ٥٦ ، الظلال : ٤ / ٢٤٧٦ ، الوسيط : ١٠ / ٥٥ .

(٧) ذكر بعض الأقوال و لم يرجح من المفسرين : النحاس ، والثعلبي ، والماوردي ، والفخر الرازي ، والقرطبي ، وأبو حيان ، والبقاعي ، والشوكاني ، والقاسمي . ينظر : معاني القرآن للنحاس : ٤ / ٤٨٠ ، الكشف والبيان : ٧ / ٥٣ ، النكت والعيون : ٤ / ٦٤ ، التفسير الكبير : ٢٣ / ٩٩ ، تفسير القرطبي : ١٢ / ١٤٣ ، البحر المحيط : ٦ / ٣٨٣ ، نظم الدرر : ٥ / ٢١٥ ، فتح القدير : ٣ / ٤٤٩ ، تفسير القاسمي : ١٢ / ٩٦ .

(٨) نسبه إليه : النحاس والقرطبي . ينظر : إعراب القرآن للنحاس :٣ / ١٢٠ ، تفسير القرطبي : ١٢ / ١٤٣ .

كالحة أنيابهم ، وقد قلعت الرحمة من قلوبهم ، إذا بلغوه فتحه الله ﷻ عليهم .

والمعنى : لو امتحناهم بكل محنة من **القتل والجوع** فما رؤي فيهم استكانة ولا انقياد ؛ حتى إذا عذبوا **بنار جهنم** أبلسوا [١] .

واستدل له :

بأن الباب ذا العذاب الشديد **هو عذاب الآخرة** ؛ لأنه أشد من عذاب الدنيا كما ينبيء عنه التهويل بفتح الباب والوصف بالشدة [٢] .

✓ **وقال الثعالبي** :

" الآية توعد بعذاب غير معين ؛ وهذا هو الصواب " [٣] .

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن الراجح أن المراد بالباب ذا العذاب الشديد في قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا ذَا عَذَابٖ شَدِيدٍ إِذَا هُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ ﴾ هو عذاب الآخرة ؛ وهو ما رجّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** ؛ يدل على ذلك إضافة لما تقدم ، ولما يلي :

أولاً : الخبر المرويُّ عن **ابن عباس** ﷺ والذي استدل به **الطبري** على صحة القول بأن الباب ذا العذاب الشديد هو **الجوع** ؛ هو سبب في نزول قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدۡ أَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡعَذَابِ ... ﴾ وليس سبباً في نزول الآية التي معنا وليس تفسيراً لها .

ثانياً : **القرينة القرآنية** : قوله تعالى : ﴿ إِذَا هُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ ﴾ أي : يائسون من الخير ، وإنما يقع لهم اليأس في الآخرة . كقوله تعالى : ﴿ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبۡلِسُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴾ . [سورة الروم : ١٢] . [٤]

---

(١) ينظر : تفسير البيضاوي : ٤ / ١٦٤ ، تفسير النسفي : ٣ / ١٢٧ .
(٢) ينظر : التسهيل : ٣ / ٥٥ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ١٤٦ ، روح المعاني : ١٨ / ٥٦ .
(٣) تفسير الثعالبي : ٤ / ١٥٩ .
(٤) ينظر : التسهيل : ٣ / ٥٥ ، روح المعاني : ١٨ / ٥٦ .

ثالثاً : يتأيد هذا القول **بالقاعدة الترجيحية** التالية :

- **القول الذي تؤيده قرائن في السِّياق مرجح على ما خالفه** [١] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

(١) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٢٩٩ .

قوله تعالى : ﴿ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَۚ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴾ . [آية : ٩٦] .

مسألة : في المراد بقوله تعالى : ﴿ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن قوله تعالى : **﴿ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ﴾ أمر بالصفح والاحتمال وحسن الخلق** ، فقال : ((﴿ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ﴾ قيل : التي هي أحسن لا إله إلا الله ، و ﴿ ٱلسَّيِّئَةَ ﴾ الشرك ، **والأظهر** أنه أمر بالصفح والاحتمال وحسن الخلق ، **وهو محكم غير منسوخ** ، وإنما نسخ ما يقتضيه من مسالمة الكفار)) . اهـ [١] .

الدراسة :

اختلف السَّلف وأهل العلم والمفسرون في **المراد بقوله تعالى : ﴿ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ [٢] ٱلسَّيِّئَةَ ﴾** على أقوال منها :

القول الأول : التي هي أحسن **لا إله إلا الله** ، و **﴿ ٱلسَّيِّئَةَ ﴾ الشرك** ، قاله ابن عباس [٣] رضي الله عنه .

القول الثاني : ﴿ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ ادفع **بالإغضاء والصفح** عن إساءة المسيء ، قاله الحسن [٤] .

القول الثالث : ﴿ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ هو **السَّلام** يسلم عليه إذا لقيه ، قاله

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٥٦ .

(٢) قال الزمخشري : " هو أبلغ من أن يقال : بالحسنة السيئة ؛ لما فيه من التفضيل ، كأنه قال : ادفع بالحسنى السيئة " . ينظر : الكشاف : ٣ / ٢٠٣ . وينظر : تفسير البيضاوي : ٤ / ١٦٦ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ١٤٩ .

(٣) نسبه إليه الزمخشري وغيره . ينظر : الكشاف : ٣ / ٢٠٣ . وينظر : تنوير المقباس : ٢٩٠ .

(٤) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٨ / ٥١) .

مجاهد [١] ، وعطاء [٢] ، وحكاه **النحاس** [٣] عنهم و لم يذكر غيره .

القول الرابع : ﴿ **ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ** ﴾ ادفع المنكر بالموعظة ، حكاه **الماوردي** [٤] .

القول الخامس : القول **بالعموم** ؛ وأن قوله تعالى : ﴿ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ﴾ **أمر بالصفح والاحتمال وحسن الخلق ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٥] ، و **جوَّده** أبو حيان [٦] ، ووافقه **أكثر** [٧] أهل التفسير [٨] .

❖ واختلف المفسرون في اللين والصفح المطلوب في هذه الآية ونحوها من الآيات بعد نزول القتال هل هو بالنسبة **للمؤمنين أو الكافرين** ؛ وهل الآية **محكمة أو منسوخة** على قولين :

القول الأول : اللين والصفح إنما هو بالنسبة إلى المؤمنين ، دون الكافرين ، وما كان منها لهذا فهو حكم باق في الأمة أبداً ، وما فيها من معنى موادعة الكفار وترك التعرض لهم

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣ / ٤٨) ، وابن جرير في تفسيره (١٨ / ٥١) .

(٢) نسبه الثوري إليه في تفسيره (٢١٨) ، وعزاه السيوطي في الدر (٦ / ١١٣) إلى ابن أبي شيبة ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم .

(٣) ينظر : معاني القرآن للنحاس : ٤ / ٤٨٣ .

(٤) ينظر : النكت والعيون : ٤ / ٦٦ .

(٥) ينظر : التسهيل : ٣ / ٥٦ .

(٦) ينظر : البحر المحيط : ٦ / ٣٨٧ .

(٧) نسبه السمعاني إلى أكثر أهل التفسير . ينظر : تفسير السمعاني :٣ / ٤٨٩ .

(٨) منهم : الطبري ، وابن أبي زمنين ، والثعلبي ، وقدَّمه السمعاني ، البغوي ، والزمخشري ، وابن العربي ، وابن عطية والفخر الرازي ، والقرطبي ، والبيضاوي ، والنسفي ، والخازن ، والنيسابوري ، وابن كثير ، والبقاعي ، والثعالبي وابن عادل ، وأبو السعود ، والشوكاني ، والقاسمي ، والآلوسي ، والسعدي ، وسيد قطب ، والشنقيطي ، والطاهر بن عاشور ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير الطبري : ١٨ / ٥١ ، تفسير ابن أبي زمنين : ٣ / ٢١٠ ، الكشف والبيان : ٧ / ٥٥ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٤٨٩ ، تفسير البغوي : ٣ / ٣١٦ ، الكشاف : ٣ / ٢٠٣ ، أحكام القرآن لابن العربي : ٣ / ٣٢٩ ، المحرر الوجيز : ٤ / ١٥٥ ، التفسير الكبير : ٢٣ / ١٠٣ ، تفسير القرطبي : ١٢ / ١٤٧ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ١٦٦ ، تفسير النسفي : ٣ / ١٣٠ ، تفسير الخازن : ٥ / ٤٣ تفسير غرائب القرآن : ٥ / ١٣٤ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٢٥٥ ، نظم الدرر : ٥ / ٢٢١ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ١٦١ ، تفسير ابن عادل : ١٤ / ٢٥٢ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ١٤٩ ، فتح القدير : ٣ / ٤٩٧ ، تفسير القاسمي : ١٢ / ١٠٠ ، روح المعاني : ١٨ / ٦٢ ، تفسير السعدي : ٥٥٨ ، الظلال : ٤ / ٢٤٧٩ ، أضواء البيان : ٥ / ٣٥٣ ، التحرير والتنوير : ١٨ / ١١٩ ، الوسيط : ١٠ / ٦٢ .

والصفح عن أمورهم فمنسوخ بالقتال ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ [١] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٢] .

قال القرطبي : " وقوله : ﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴾ [٣] ، أي : من الشرك والتكذيب والتكذيب وهذا يقتضي أنها آية موادعة " [٤] . وقاله ابن عطية قبله ، واستظهره الآلوسي [٥] .

القول الثاني : اللين والصفح إنما هو بالنسبة إلى الكافرين ، بالإعراض والصفح عنهم ، لكن بحيث لم يؤد إلى وهن في الدين ؛ قاله جماعة من المفسرين [٦] .

قال محمَّد سيِّد طنطاوي :

" فالآية الكريمة توجيه حكيم من الله تعالى لنبيه ﷺ ، وتسلية له عما أصابه من أعدائه ، وشبيه بهذه الآية : قوله تعالى : ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [٧] " . اهـ [٨] .

وهذا قبل الأمر بالقتال فالآية منسوخة بآية السيف ، قاله **المُقري** [٩] ، وابن حـــزم [١٠] ،

---

(١) ينظر : التسهيل : ٣ / ٥٦ .

(٢) منهم : ابن العربي ، وابن عطية ، والقرطبي ، والثعالبي ، والآلوسي ، والشنقيطي . ينظر : أحكام القرآن لابن العربي : ٣ / ٣٢٩ ، المحرر الوجيز : ٤ / ١٥٥ ، تفسير القرطبي : ١٢ / ١٤٧ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ١٦١ ، روح المعاني : ١٨ / ٦٢ ، أضواء البيان : ٥ / ٣٥٣ .

(٣) سورة المؤمنون : ٩٦ .

(٤) تفسير القرطبي : ١٢ / ١٤٧ .

(٥) ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ١٥٥ ، روح المعاني : ١٨ / ٦٢ .

(٦) منهم : السمر قندي ، والبيضاوي ، وأبو السعود ، والقاسمي ، والسعدي ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير السمر قندي : ٢ / ٤٨٩ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ١٦٦ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ١٤٩ ، تفسير القاسمي : ١٢ / ١٠٠ ، تفسير السعدي : ٥٥٨ ، الوسيط : ١٠ / ٦٢ .

(٧) سورة الأعراف : ١٩٩ .

(٨) الوسيط : ١٠ / ٦٢ .

(٩) ينظر : الناسخ والمنسوخ للمقري : ١٢٩ .
والمقري هو : هبة الله بن سلامة المقري ، أبو القاسم الضرير ، المفسر الثقة ، كان من أحفظ الناس لتفسير القرآن ت سنة ٤١٠هـ . ينظر : تاريخ بغداد : ١٤ / ٧٠ ، معجم الأدباء : ٥ / ٥٨٨ ، طبقات الداوودي : ١٠٠ .

(١٠) ينظر : الناسخ والمنسوخ لابن حزم : ١٤٨ .

وابن البارزي [١] ، **والكرمي** [٢] ، وجماعة من المفسرين [٣] . [٤]

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – أن **الراجح القول بالعموم ؛ وأن ما ذكر من قبيل التمثيل ، وأن قوله تعالى : ﴿ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ﴾ أمر بالصفح والاحتمال وحسن الخلق ، وهي مخصوصة في الكفار باقية في المؤمنين على عمومها ، فالآية محكمة وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه .**

ولم ينسخ ما يقتضيه من مسالمة الكفار ؛ قاله بعض المحققين من العلماء ؛ خلافاً لما ذهب إليه ابن جُزيّ ، يدل على ذلك إضافة لما تقدم ما يلي :

أولاً : ما يدل على أن الآية باقية في المؤمنين على عمومها ما يلي :

---

(١) ينظر : ناسخ القرآن العزيز ومنسوخه لابن البارزي : ٤٢ .
وابن البارزي هو : هبة الله بن عبد الرحيم بن إبراهيم الجهني ، أبو القاسم الشافعي ، انتهت إليه رئاسة المذهب الشافعي ، كان صاحب تصانيف ، مع عبادة وتواضع ولطف أخلاق ، ورسوخ في العلم ، ت سنة ٧٨٣ هـ . ينظر : معجم المحدثين لحبمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨ هـ) : ٢٩١ ، ٢٩٢ ، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة : ٢ / ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، الدرر الكامنة : ٦ / ١٦٧ – ١٦٩ .

(٢) ينظر : الناسخ والمنسوخ للكرمي : ٤٦ .
والكرمي هو : مرعي بن يوسف بن أبي بكر بن أحمد الكرمى المقدسي الحنبلى : مؤرخ أديب ، من كبار الفقهاء ولد في طوركرم (بفلسطين) وانتقل إلى القدس ثم إلى القاهرة ، له نحو سبعين كتاباً ، ت سنة ١٠٣٣ هـ . ينظر : خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر لتقي الدين محمد أمين بن فضل الله المحبي الحنفي (ت ١١١١ هـ) : ٤ / ٣٥٤ ، مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى لمصطفى السيوطي الرحيباني (ت ١٢٤٣ هـ) : ١ / ٤ ، هدية العارفين : ٦ / ٤٢٦ .

(٣) منهم : الطبري ، وابن أبي زمنين ، والثعلبي ، والواحدي ، والسمعاني ، والبغوي ، والخازن ، والجلالين ، والخطيب الشربيني ، والشوكاني ، وسيد قطب . ينظر : تفسير الطبري : ١٨ / ٥١ ، تفسير ابن أبي زمنين : ٣ / ٢١٠ ، الكشف والبيان : ٧ / ٥٥ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٧٥٣ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٤٨٩ ، تفسير البغوي : ٣ / ٣١٦ ، تفسير الخازن : ٥ / ٤٣ ، تفسير الجلالين : ٤٥٤ ، السراج المنير : ٢ / ٦٥٤ ، فتح القدير : ٣ / ٤٩٧ ، الظلال : ٤ / ٢٤٧٩ .

(٤) قال بالقولين بالنسخ والإحكام جماعة من المفسرين و لم يرجحوا بينهما ، منهم : الزمخشري ، والفخر الرازي ، والنسفي ، وأبو حيان ، وابن عادل . ينظر : الكشاف : ٣ / ٢٠٣ ، التفسير الكبير : ٢٣ / ١٠٣ ، تفسير النسفي : ٣ / ١٣٠ ، البحر المحيط : ٦ / ٣٨٧ ، تفسير ابن عادل : ١٤ / ٢٥٢ .

١. النظائر القرآنية ؛ منها :

- قوله تعالى : ﴿ ... فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ... ﴾ . [سورة الشورى :٤٠] .
- وقوله تعالى : ﴿ ... ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴾ . [سورة فصلت : ٣٤] . (١)

٢. من السُّنة :

عن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ « أَنَّ رَجُلًا قال : يا رَسُولَ اللَّهِ ، إنَّ لي قَرَابَةً أَصِلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي ، وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إلي ، وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ . فقال : لَئِنْ كُنْتَ كما قُلْتَ فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمْ الْمَلَّ ، ولا يَزَالُ مَعَكَ من اللَّهِ ظَهِيرٌ عليهم ما دُمْتَ على ذلك » (٢) .

ثانياً : ما يدل على أن الآية مخصوصة في الكفار :

دلالة السِّياق القرآني : الحديث قبل هذه الآية عن المشركين وكفرهم وتكذيبهم ؛ قال تعالى :

﴿ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّى مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِى فِى ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ . [سورة المؤمنون : ٩٠ - ٩٦] .

✓ **فالآية أمر بالصفح والعفو عن أذى المشركين .**

ثالثاً : ردَّ **ابن الجوزي** القول بالنسخ **ونسبه إلى بعض المحققين من العلماء** ؛ فقال :

" لا حاجة بنا إلى القول بالنسخ ؛ لأن المداراة محمودةً ما لم تضر بالدين ، ولم يؤد إلى إبطال

---

(١) ينظر : تفسير ابن كثير : ٣ / ٢٥٥ ، تفسير السعدي : ٥٥٨ .

(٢) أخرج البخاري بنحوه في الأدب المفرد في باب فضل صلة الرحم (٥٢) : ٣٢ ، وأخرجه مسلم - واللفظ له - في صحيحه في كتاب البر والصلة والآداب ، بَاب صِلَةِ الرَّحِمِ وَتَحْرِيمِ قَطِيعَتِهَا (٢٥٥٨) : ٤ / ١٩٨٢ .

حق وإثبات باطل " [١] .

✓ **وذكر هذا القول جماعة من المفسرين** [٢] .

✓ **وقال النيسابوري : " هو الأوْلى "** [٣] .

رابعاً : يؤيد هذا القول **القواعد الترجيحية** التالية :

- **القول الذي تؤيده قرائن في السِّياق مرجَّح على ما خالفه** [٤] .
- **غالب ما نقل عن السلف من الاختلاف في التفسير هو اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد** [٥] .

✍ **ومن فوائد الآية** ؛ ما قاله ابن العربي :

" وفقه الآية : اسلك مسلك الكرام ولا تلحظ جانب المكافأة ، ادفع بغير عوض ولا تسلك مسلك المبايعة ، ويدخل فيه : (سلِّم على من لم يُسلِّم عليك) " . اهـ [٦] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) نواسخ القرآن لابن الجوزي : ١٩٧ .

(٢) ومنهم : الزمخشري ، والفخر الرازي ، والبيضاوي ، والنسفي ، وأبو حيان ، وابن عادل ، وأبو السعود ، والآلوسي . ينظر : الكشاف : ٣ / ٢٠٣ ، التفسير الكبير : ٢٣ / ١٠٣ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ١٦٦ تفسير النسفي : ٣ / ١٣٠ ، البحر المحيط : ٦ / ٣٨٧ ، تفسير ابن عادل : ١٤ / ٢٥٢ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ١٤٩ ، روح المعاني : ١٨ / ٦٢ .

(٣) تفسير غرائب القرآن : ٥ / ١٣٤ .

(٤) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٢٩٩ .

(٥) ينظر : الموافقات للشاطبي : ٤ / ٢١٤ - ٢٢٠ ، تفسير القاسمي : ١ / ١٧ ، قواعد التفسير للسبت : ١ / ٢٠٨ .

(٦) أحكام القرآن لابن العربي : ٣ / ٣٣٠ .

قوله تعالى : ﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ ٱلشَّيَـٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ ﴾ . [آية : ٩٧ ، ٩٨] .

مسألة : في معنى قوله تعالى : ﴿ أَن يَحْضُرُونِ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن معنى قوله تعالى : ﴿ أَن يَحْضُرُونِ ﴾ أن يكون الشياطين معه ، فقال : ((﴿ أَن يَحْضُرُونِ ﴾ معناه : أن يكونوا معه . وقيل : يعني : حضورهم عند الموت)) . اهـ [١] .

الدراسة :

قال أهل اللغة [٢] في قوله تعالى : ﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ ٱلشَّيَـٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ ﴾ **أي : أن يصيبني الشياطين بسوء** ، وقالها أهل التفسير [٣] أيضاً ؛ لكنهم اختلفوا في **معنى قوله تعالى : ﴿ أَن يَحْضُرُونِ ﴾** على ثلاثة أقوال :

القول الأول : يعني : **حضورهم عند تلاوة القرآن** ، قاله **ابن عباس** رضي الله عنه [٤] ، والكلبي [٥] ، [٥] ، وذهب إليه السمر قندي [٦] ، وقدَّمه الماوردي [٧] .

القول الثاني : يعني : **حضورهم عند الموت** ، قاله عكرمة [٨] ، واحتمله البقاعي وسيد

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٥٦ .

(٢) ينظر (مادة : حضر) في : معجم مقاييس اللغة : ٢ / ٧٦ ، الصِّحاح للجوهري : ٢ / ٥٤٩ ، لسان العرب : ٤ / ١٩٩ ، تاج العروس : ١١ / ٤٩ .

(٣) نسب ابن عبد البر هذا القول إلى أهل التفسير . ينظر : التمهيد لابن عبد البر : ٢٤ / ١١٠ ، ١١١ .

(٤) نسبه إليه : الزمخشري ، والنيسابوري ، وأبو حيان ، وأبو السعود ، والآلوسي . ينظر : الكشاف : ٣ / ٢٠٤ ، تفسير غرائب القرآن : ٥ / ١٣٤ ، البحر المحيط : ٦ / ٣٨٧ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ١٥٠ ، روح المعاني : ١٨ / ٦٢ .

(٥) نسبه الماوردي إليه . ينظر : النكت والعيون : ٤ / ٦٦ .

(٦) ينظر : تفسير السمر قندي : ٢ / ٤٨٩ .

(٧) ينظر : النكت والعيون : ٤ / ٦٦ .

(٨) نسبه إليه : الزمخشري ، والنيسابوري ، وأبو السعود ، والآلوسي . ينظر : الكشاف : ٣ / ٢٠٤ ، تفسير =

قطب [١] .

واستدل له بدلالة السِّياق :

بقوله تعالى بعدها : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ ... ﴾ [٢] . على طريقة القرآن في تناسق المعاني وتداعيها [٣] .

وقال **البقاعي** : " ولما كان أضر أوقات حضورهم ساعة الموت ، وحالة الفوت ، فإنه وقت كشف الغطاء عما كتب من القضاء ، وآن اللقاء ، وتحتم السفول أو الارتقاء ، عقب ذلك بذكره تنبيهاً على بذل الجهد في الدعاء والتضرع للعصمة فيه ؛ فقال منبهاً بحرف الغاية على أنه سبحانه يمد في أزمانهم استدراجاً لهم : ﴿ حَتَّىٰٓ ﴾ ؛ أو يكون التقدير كما يرشد إليه السِّياق : فلا أكون من ا لكافرين المطيعين للشياطين " . اهـ [٤].

القول الثالث : معناه : **أن يحضرني الشيطان في أمر من أموري** ، أي **القول بالعموم** ؛ قاله **ابن عباس** ﷺ أيضاً [٥] ، وهو مرويٌّ عن ابن زيد [٦] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٧] ، **واستظهره** أبو حيان [٨] ، ووافقه **أكثر** [٩] المفسرين [١٠] .

= غرائب القرآن : ٥ / ١٣٤ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ١٥٠ ، روح المعاني : ١٨ / ٦٢ .

(١) ينظر : نظم الدرر : ٥ / ٢٢١ ، الظلال : ٤ / ٢٤٧٩ .

(٢) سورة المؤمنون : ٩٩ .

(٣) ينظر : الظلال : ٤ / ٢٤٧٩ .

(٤) نظم الدرر : ٥ / ٢٢١ .

(٥) قال ابن عباس ﷺ : من أن يحضروني يعني الشياطين في الصلاة ، وعند القراءة ، وعند الموت . ينظر : تنوير المقباس : ٢٩٠ .

(٦) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٨ / ٥١) ، وعزاه السيوطي في الدر (٦ / ١١٤) إلى ابن أبي حاتم .

(٧) ينظر : التسهيل : ٣ / ٥٦ .

(٨) ينظر : البحر المحيط : ٦ / ٣٨٧ .

(٩) نسبه الماوردي إلى الأكثرين . ينظر : النكت والعيون : ٤ / ٦٦ .

(١٠) منهم : الطبري ، والثعلبي ، والواحدي ، والسمعاني ، والبغوي ، والزمخشري ، وابن عطية ، والقرطبي ، والبيضاوي ، وجوز النسفي كل الأقوال ، والخازن ، والنيسابوري ، وابن كثير ، وابن عادل ، والجلالين ، وأبو السعود ، والخطيب الشربيني ، والشوكاني ، والقاسمي ، والآلوسي ، والشنقيطي ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير الطبري : ١٨ / ٥١ ، الكشف والبيان : ٧ / ٥٥ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٧٥٣ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٤٨٩ ، تفسير البغوي : ٣ / ٣١٦ ، الكشاف : ٣ / ٢٠٤ ، المحرر الوجيز : ٤ / ١٥٥ ، تفسير القرطبي : ١٢ / ١٤٨ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ١٦٧ ، تفسير النسفي : ٣ / ١٣٠ ، تفسير الخازن : ٥ / ٤٣ ، تفسير غرائب القرآن : ٥ / ١٣٤ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٢٥٥ ، تفسير ابن عادل : ١٤ / ٢٥٣ ، تفسير الجلالين =

والمعنى : " وأعوذ بك أن يكونوا معي فى حال من الأحوال ، فإنهم إذا حضروا الإنسان لم يكن لهم عمل إلا الوسوسة والإغراء على الشر والصرف عن الخير " [١] .

قال **ابن كثير** : " ولهذا أمر بذكر الله في ابتداء الأمور " . ثم أورد حديثين بعد ذلك وهما :

- ✓ عن **أبي اليسر** ﷺ أن رسول الله ﷺ كان يقول : « اللهم إني أَعُوذُ بكَ من الْهَدْمِ ، وَأَعُوذُ بكَ من التَّرَدِّي ، وَأَعُوذُ بِكَ من الْغَرَقِ وَالْحَرَقِ وَالْهَرَمِ ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ يَتَخَبَّطَنِي الشَّيْطَانُ عِنْدَ الْمَوْتِ ... » [٢] .
- ✓ عن **عَمْرِو بن شُعَيْب** عن أبيه عن جَدِّهِ « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كان يُعَلِّمُهُمْ من الْفَزَعِ كَلِمَاتٍ : أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ من غَضَبِهِ وَشَرِّ عِبَادِهِ ، وَمِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وَأَنْ يَحْضُرُونِ ... » [٣] . " [٤]

= : ٤٥٤ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ١٥٠ ، السراج المنير : ٢ / ٦٥٤ ، فتح القدير : ٣ / ٤٩٧ ، تفسير القاسمي : ١٢ / ١٠٠ ، روح المعاني : ١٨ / ٦٢ ، أضواء البيان : ٥ / ٣٥٣ ، الوسيط : ١٠ / ٦٢ .

(١) فتح القدير للشوكاني : ٣ / ٤٩٧ . وينظر قبله : تفسير السمعاني : ٣ / ٤٨٩ ، تفسير الخازن : ٥ / ٤٣ ، تفسير ابن عادل : ١٤ / ٢٥٣ .

(٢) جزء من حديث أخرجه أبو داود في سننه في كتاب الصلاة ، بَاب في الاستعاذة (١٥٥٢) : ٢ / ٩٢ . عن أبي اليسر ﷺ . **وصحَّحه** الألباني .

وأبو اليسر هو : كعب بن عمرو بن عباد بن عمرو الأنصاري السلمي ، **صحابي** شهد بدراً وأبلى فيها بلاءً حسناً ، توفي بالمدينة ، وكان آخر من مات من أهل بدر سنة ٥٥ هـ . ينظر : طبقات ابن سعد : ٣ / ٥٨١ الاستيعاب : ٣ /٣٨٠ ، الإصابة : ٧ / ٤٦٨ .

(٣) جزء من حديث أخرجه أبوداود في سننه في كتاب الطب ، بَاب كَيْفَ الرُّقَى (٣٨٣٩) : ٤ / ١٢ . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب . قال أبو الفضل العراقي : "والحديث عند أبي داود ، والترمذي – **وحسَّنه** – والحاكم – **وصحَّحه** – فيما يقال عند الفزع ؛ دون تكرارها ثلاثاً من حديث عبد الله بن عمرو ﷺ " . اهـ . ينظر : المغني عن حمل الأسفار لأبي الفضل ، زين الدين عبد الرحيم بن الحسيني العراقي (ت ٨٠٦ هـ) : ١ / ٣١٤ ، ٣١٥ . وقال الشيخ الألباني : **حسن ، دون الزيادة من قول عبد الله بن عمرو** ؛ وهي قوله : (وكان عبد اللَّهِ بن عمرو يُعَلِّمُهُنَّ من عَقَلَ من بَنِيهِ وَمَنْ لم يَعْقِلْ كَتَبَهُ فَأَعْلَقَهُ عليه) .

وعمرو بن شعيب هو : عمرو بن شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص السهمي القرشي ، ذكر البخاري أن أحمد وعلياً والحميدي وإسحاق كانوا يحتجُّون بحديثه ، ووثَّقه أبو حاتم ، إلا أنهم أنكروا عليه كثرة روايته عن أبيه عن جده ؛ لأنه قيل أنه سمع أحاديث يسيرة ، وأخذ صحيفة كانت عنده فرواها ، ت سنة ١١٨ هـ . ينظر : الجرح والتعديل : ٦ / ٢٣٨ ، معرفة الثقات : ٢ / ١٧٧ ، التقريب : ٤٢٣ .

(٤) تفسير ابن كثير : ٣ / ٢٥٥ . بتصرف .

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن الراجح أن معنى قوله تعالى : ﴿ أَن يَحْضُرُونِ ﴾ أن يحضرني الشيطان في أمر من أموري ، أي القول بالعموم ؛ وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ، ووافقه جمهور المفسرين** ، يدل على ذلك إضافة لما تقدم دليل من السُّنة :

أخرج مسلم في صحيحه عن جَابِرٍ ﷺ قال سمعت النبي ﷺ يقول: « إِنَّ **الشَّيْطَانَ يَحْضُرُ أَحَدَكُمْ عِنْدَ كل شَيْءٍ من شَأْنِهِ** ؛ حتى يَحْضُرَهُ عِنْدَ طَعَامِهِ فإذا سَقَطَتْ من أَحَدِكُمْ اللُّقْمَةُ فَلْيُمِطْ ما كان بها من أَذًى ثُمَّ لِيَأْكُلْهَا ، ولا يَدَعْهَا لِلشَّيْطَانِ فإذا فَرَغَ فَلْيَلْعَقْ أَصَابِعَهُ ، فإنه لَا يَدْرِي في أَيِّ طَعَامِهِ تَكُونُ الْبَرَكَةُ » (١) . (٢)

ومن **المقرر عند العلماء** أنه :

- **إذا ثبت الحديث وكان نصاً في تفسير الآية فلا يصار إلا إليه** (٣) .

✓ **وتخصيص حال قراءة القرآن وحلول الأجل لأنها أحرى الأحوال بأن يخاف عليه وبالاستعاذة فيها** ، وهم إنما يحضرون بالسوء ، ولو لم تصل إلى الإنسان وساوسهم ، فإن بعدهم بركة ، **قال بذلك** :

البيضاوي ، وأبو السعود ، والخطيب الشربيني ، والآلوسي (٤) .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الأشربة ، بَاب اسْتِحْبَابِ لَعْقِ الْأَصَابِعِ وَالْقَصْعَةِ وَأَكْلِ اللُّقْمَةِ السَّاقِطَةِ بَعْدَ مَسْحِ ما يُصِيبُهَا من أَذًى وَكَرَاهَةِ مَسْحِ الْيَدِ قبل لَعْقِهَا (٢٠٣٣) : ٣ / ١٦٠٧ .

(٢) استدل به القرطبي عند تفسير الآية الكريمة التي معنا . ينظر : تفسير القرطبي :١٢ / ١٤٨ .

(٣) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ١٩١ .

(٤) ينظر : تفسير البيضاوي : ٤ / ١٦٧ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ١٥٠ ، السراج المنير : ٢ / ٦٥٤ ، روح المعاني : ١٨ / ٦٢ .

قوله تعالى : ﴿ قَٰلَ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖ فَسۡـَٔلِ ٱلۡعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ ﴾ . [آية : ١١٢ ، ١١٣] .

مسألة : في معنى قوله تعالى : ﴿ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن معنى قوله تعالى : ﴿ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ في جوف الأرض أمواتاً فقال : ((﴿ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ يعني : في جوف الأرض أمواتاً . وقيل : أحياء في الدنيا ، فأجابوا بأنهم : لبثوا يوماً أو بعض يوم ؛ لاستقصارهم المدة ؛ أو لما هم فيه من العذاب بحيث لا يعدون شيئاً)) . اهـ [١] .

الدراسة :

اختلف المفسرون في **معنى قوله تعالى : ﴿ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾** على قولين :

القول الأول : معناه : **كم لبثتم في جوف الأرض أمواتاً** [٢] ، قاله **ابن عباس** رضي الله عنه [٣] ، ومقاتل [٤] ، **وصوَّبه** ابن عطية [٥] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٦] ، ووافقه **جمهور** [٧]

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٥٧ .

(٢) **احتج من أنكر عذاب القبر بهذه الآية** ، وقالوا : " هذه الآية تدل على أن عذاب القبر ليس بثابت للكفار ؛ لأنه لو كان ثابتا لم يقولوا : لبثنا يوما أو بعض يوم ؟

والجواب عنه من وجهين :

أحدهما : أنه ذهب عن قلوبهم عذاب القبر من هول ما يلقاهم يوم القيامة .

والثاني : أن الله تعالى يرفع العذاب عن أهل القبور بين النفختين ، فينسون عذاب القبر ، ويستريحون ، وإنما يقولون لبثنا يوما أو بعض يوم لهذا " . ينظر : تفسير السمعاني : ٣ / ٤٩٤ . وينظر : التفسير الكبير للفخر الرازي : ٢٣ / ١١١ ، تفسير النيسابوري : ٥ / ١٣٨ ، تفسير ابن عادل : ١٤ / ٢٦٩ ، السراج المنير للخطيب الشربيني : ٢ / ٦٥٨ .

(٣) ينظر : تنوير المقباس : ٢٩١ .

(٤) ينظر تفسيره : ٢ / ٤٠٥ .

(٥) ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ١٥٨ .

(٦) ينظر : التسهيل : ٣ / ٥٧ .

(٧) نسب هذا القول إلى الجمهور : ابن عطية ، وأبو حيان ، والثعالبي . ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ١٥٨ ، البحر المحيط : ٦ / ٣٩٠ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ١٦٥ .

المفسرين [١] .

قال ابن عطية :

" لأنهم أنكروا البعث . وكان قولهم : إنهم لا يقومون من التراب . قيل لهم لما قاموا : ﴿ كَمْ لَبِثْتُمْ ﴾ . وقوله آخراً : ﴿ ... وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ [٢] " . اهـ [٣] .

واحتُجَّ لهذا القول أيضاً بأمرين :

١. بقوله تعالى : ﴿ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ فهو يفيد الكون في القبر ، ومن كان حياً فالأقرب أن يقال : إنه (على الأرض) .

✖ **وضعَّفه الفخر الرازي** لقوله تعالى : ﴿ وَلَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ ... ﴾ [٤] . [٥]

٢. لما سئلوا يوم القيامة عن قدر مدة لبثهم في الأرض في الدنيا ؛ أجابوا : بأنهم لبثوا يوماً أو بعض يوم ، مع أنه قد دلت آيات أخر على أنهم أجابوا بغير هذا الجواب ؛ ك قوله تعالى : ﴿ يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴾ [٦] ، و قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍ ... ﴾ [٧] ، ونحو ذلك من الآيات .

✓ **وأُجيب :**

" أن بعضهم يقول لبثنا يوماً أو بعض يوم ، ويقول بعض آخر منهم : لبثنا ساعة ويقول بعض الآخر منهم : لبثنا عشراً .

---

(١) منهم : السمر قندي ، والواحدي ، وقدَّمه ابن الجوزي ، والطاهر بن عاشور . ينظر : تفسير السمر قندي : ٢ / ٤٩٢ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٧٥٤ ، زاد المسير : ٥ / ٤٩٥ ، التحرير والتنوير : ١٨ / ١٣٢ .

(٢) سورة المؤمنون : ١١٥ .

(٣) المحرر الوجيز : ٤ / ١٥٨ ، ١٥٩ . وينظر قبله : تفسير الواحدي : ٢ / ٧٥٤ .

(٤) سورة الأعراف : ٥٦ .

(٥) ينظر : التفسير الكبير : ٢٣ / ١١٠ . وينظر : فتح القدير للشوكاني : ٣ / ٥٠٠ .

(٦) سورة طه : ١٠٣ .

(٧) سورة الروم : ٥٥ .

والدليل على هذا الجواب من القرآن :

أنه تعالى بين أن أقواهم إدراكاً ، وأرجحهم عقلاً ، وأمثلهم طريقة هو من يقول : إنهم ما لبثوا إلا يوماً واحداً ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ يَتَخَـٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴾ [١] . فالآية صريحة في اختلاف أقوالهم ، وعلى ذلك فلا إشكال والعلم عند الله تعالى " [٢] .

القول الثاني : معناه : كم لبثتم أحياء في الدنيا ، قاله الحسن وقتادة والضحاك [٣] ، وذهب وذهب إليه الطبري [٤] ، وابن كثير [٥] ، وقاله جماعة من المفسرين [٦] .

قال الزمخشري :

" استقصروا مدّة لبثهم في الدنيا بالإضافة إلى خلودهم ولما هم فيه من عذابها ، لأنّ الممتحن يستطيل أيام محنته ويستقصر ما مرّ عليه من أيام الدعة إليها . أو لأنهم كانوا في سرور ، وأيام السرور قصار ، أو لأنّ المنقضي في حكم ما لم يكن ، وصدقهم الله في مقالهم لسنين لبثهم في الدنيا ووبخهم على غفلتهم التي كانوا عليها " . اهـ [٧] .

وقال **الفخر الرازي** : " الغرض من هذا السؤال التبكيت والتوبيخ ، فقد كانوا ينكرون اللبث في الآخرة أصلاً ، ولا يعدون اللبث إلا في دار الدنيا ، ويظنون أن بعد الموت يدوم

---

(١) سورة طه : ١٠٣ .

(٢) أضواء البيان للشنقيطي : ٥ / ٣٦١ ، ٣٦٢ . وينظر : الوسيط لمحمد سيِّد طنطاوي : ١٠ / ٦٨ .

(٣) نسبه ابن عادل إليهم . ينظر : تفسير ابن عادل : ١٣ / ٣٨٦ .

(٤) ينظر : تفسير الطبري : ١٨ / ٦٢ .

(٥) ينظر : تفسير ابن كثير : ٣ / ٢٥٩ .

(٦) منهم : ابن أبي زمنين ، والثعلبي ، وقدَّمه الماوردي ، والسمعاني ، والزمخشري ، والفخر الرازي ، ولم يذكر النسفي والخازن وابن كثير والبقاعي وأبو السعود والخطيب الشربيني غيره ، والشوكاني ، ولم يذكر القاسمي والآلوسي والسعدي والشنقيطي وسيد قطب ومحمَّد سيِّد طنطاوي غيره . ينظر : تفسير ابن أبي زمنين : ٣ / ٢١٤ ، الكشف والبيان : ٧ / ٥٩ ، النكت والعيون : ٤ / ٦٩ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٤٩٤ ، الكشاف : ٣ / ٢٠٨ ، تفسير النسفي : ٣ / ١٣٢ ، تفسير الخازن : ٥ / ٤٦ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٢٥٩ ، نظم الدرر : ٥ / ٢٢٥ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ١٥٢ ، السراج المنير : ٢ / ٦٥٨ ، فتح القدير : ٣ / ٥٠٠ ، تفسير القاسمي : ١٢ / ١٠٤ ، روح المعاني : ١٨ / ٦٩ ، روح المعاني : ١٨ / ٦٩ ، تفسير السعدي : ٥٦٠ ، الظلال : ٤ / ٢٤٨٢ ، أضواء البيان : ٥ / ٣٦١ ، الوسيط : ١٠ / ٦٧ .

(٧) الكشاف : ٣ / ٢٠٨ .

الفناء ؛ ولا إعادة ، فلما حصلوا في النار وأيقنوا أنها دائمة وهم فيها مخلدون سألهم ﴿ قَٰلَ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ تنبيهاً لهم على أن ما ظنوه دائماً طويلاً فهو يسير بالإضافة إلى ما أنكروه ، فحينئذ تحصل لهم الحسرة على ما كانوا يعتقدونه في الدنيا من حيث أيقنوا خلافه فليس الغرض السؤال بل الغرض ما ذكرنا " . اهـ [١] .

واستدل له بدلالة السِّياق : جاء قوله تعالى : ﴿ قَٰلَ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ تذكيراً لما لبثوا فيما سألوا الرجوع إليه من الدنيا ؛ بعد التنبيه على استحالته بقوله : ﴿ قَالَ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا ... ﴾ [٢] . [٣]

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن الآية محتملة للقولين ، ويكون معنى قوله تعالى : ﴿ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ في جوف الأرض أمواتاً ؛ أو أحياء في الدنيا** ، فلكلٍّ قولٍ أدلته ، ويدل على ذلك إضافة لما تقدم ما يلي :

أولاً : احتمال جماعة من المفسرين [٤] للقولين .

ثانياً : يروى عن ابن عباس ﷺ في بعض الروايات أنه قال : لا أدري في الأرض أم في القبر [٥] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) التفسير الكبير : ٢٣ / ١١٠ .

(٢) سورة المؤمنون : ١٠٨ .

(٣) ينظر : تفسير أبي السعود : ٦ / ١٥٢ ، فتح القدير : ٣ / ٥٠٠ ، روح المعاني : ١٨ / ٦٩ .

(٤) منهم : البغوي ، والبيضاوي ، والثعالبي ، والجلالين . ينظر : تفسير البغوي : ٣ / ٣١٩ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ١٧٠ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ١٦٦ ، تفسير الجلالين : ٤٥٥ . وذكر جماعة من المفسرين القولين **ولم يرجحوا بينهما** ؛ منهم : الفخر الرازي ، والقرطبي ، والنيسابوري ، وأبو حيان ، وابن عادل . ينظر : التفسير الكبير : ٢٣ / ١١٠ ، تفسير القرطبي : ١٢ / ١٥٥ ، تفسير النيسابوري : ٥ / ١٣٧ ، البحر المحيط : ٦ / ٣٩٠ ، تفسير ابن عادل : ١٤ / ٢٦٨ .

(٥) نسبه إليه السمر قندي في تفسيره (٢ / ٤٩٢) .

سـورة النـور

قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ ... ﴾ (١) . [آية : ١١] .

مسألة : في الموقع الإعرابي لـ ﴿ عُصْبَةٌ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن سبب ارتفاع ﴿ عُصْبَةٌ ﴾ لأنه خبر ﴿ إِنَّ ﴾ ، فقال : ((وارتفاع ﴿ عُصْبَةٌ ﴾ لأنه خبر ﴿ إِنَّ ﴾ ، **واختار ابن عطية** أن يكون ﴿ عُصْبَةٌ ﴾ بدلاً من الضمير في ﴿ جَآءُو ﴾ ، ويكون الخبر ﴿ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ﴾ ؛ على تقدير : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ ﴾ ، **والأوَّل أظهر**)) . اهـ (٢) .

الدراسة :

اختلف أهل العلم والمفسرون **في الموقع الإعرابي لـ ﴿ عُصْبَةٌ** (٣) ﴾ على قولين :

القول الأول : ارتفاع ﴿ عُصْبَةٌ ﴾ لأنه خبر ﴿ إِنَّ ﴾ ، قاله النحاس ، ومكي بن أبي طالب (٤) .

---

(١) **سبب نزول الآية** : نزلت الآية في عبد الله بن أبي بن سلول المنافق ، وحسان بن ثابت الأنصاري ﷺ ، ومسطح بن أثاثة ﷺ ابن خالة أبي بكر الصديق ﷺ ، وحمنة بنت جحش الأسدية – رضي الله عنها – فيما قالوا على عائشة – رضي الله عنها – وصفوان بن المعطل ﷺ من الفرية . وقصة الإفك معروفة مشهورة ثابتة في عشر آيات من هذه السورة الكريمة ، وفي الأحاديث الصحاح ؛ أوردها أكثر أهل التفسير . ينظر : تفسير الطبري : ١٨ / ٨٦ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٧٥٨ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٥٠٧ ، تفسير البغوي : ٣ / ٣٢٨ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٢٦٩ ، تنوير المقباس : ٢٩٢ ، لباب النقول للسيوطي : ١٥٤ .

(٢) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٦١ .

(٣) **العصبة** هي : الجماعة من العشرة إلى الأربعين ؛ ونسب هذا الطاهر بن عاشور إلى جمهور أهل اللغة . وقيل : العصبة الجماعة من الثلاثة إلى العشرة ، وروي عن ابن عباس ﷺ . ينظر (مادة : عصب) في : العين : ١ / ٣٠٩ جمهرة اللغة : ١ / ٣٨٤ ، تهذيب اللغة : ٢ / ٢٩ ، لسان العرب : ١ / ٦٠٧ ، تاج العروس : ٣ / ٣٨٣ ، التحرير والتنوير : ١٨ / ١٧١ .

(٤) **وجوَّز** النحاس ، ومكي ، والقرطبي أيضاً النصب في عصبة على الحال ، ويكون الخبر ﴿ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ﴾ . [سورة النور : ١١] . ينظر : إعراب القرآن للنحاس : ٣ / ١٣٠ ، مشكل إعراب القرآن لمكي : ٢ / ٥١١ ، تفسير القرطبي : ١٢ / ١٩٧ .

وقاله أبو البقاء العكبري [١] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٢] ، **واستظهره** أبو حيان [٣] ، وقاله السمين الحلبي [٤] ، وجوَّزه الطاهر بن عاشور [٥] ، وقاله جماعة من المفسرين [٦] .

ويكون ﴿ مِّنكُمْ ﴾ نعت لـ ﴿ عُصْبَةٌ ﴾ ، وبه أفاد الخبر ؛ قاله أبو البقاء [٧] .

وقال الطاهر بن عاشور :

" ويكون الكلام مستعملاً في التعجيب من فعلهم ؛ مع أنهم عصبة من القوم أشد نكراً ، كما قال **طرفة** [٨] :

وَظُلْمُ ذَوِي القُرْبَى أَشَدُّ مَضَاضَةً عَلَى الْحُرِّ مِنْ وَقْعِ الْحُسَامِ الْمُهَنَّدِ " [٩] .

القول الثاني : أن يكون **﴿ عُصْبَةٌ ﴾ بدلاً من الضمير في ﴿ جَآءُو ﴾** ، ويكون الخبر **﴿ لَاۤ تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ﴾** ، رجَّحه ابن عطية ، والطاهر بن عاشور [١٠] .

قال **ابن عطية** : " والتقدير : (إن فعل الذين) وهذا أنسق في المعنى ، وأكثر فائدة من أن

---

(١) ينظر : إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات للعكبري : ٢ / ١٥٥ .

(٢) ينظر : التسهيل : ٣ / ٦١ .

(٣) ينظر : البحر المحيط : ٦ / ٤٠١ .

(٤) ينظر : الدر المصون : ٥ / ٢١٢ .

(٥) ينظر : التحرير والتنوير : ١٨ / ١٧١ .

(٦) منهم : القرطبي ، والبيضاوي ، وابن عادل ، وأبو السعود ، والشوكاني ، والقاسمي . ينظر : تفسير القرطبي : ١٢ / ١٩٧ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ١٧٦ ، تفسير ابن عادل : ١٤ / ٣١٢ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ١٦٠ فتح القدير : ٤ / ١٢ ، تفسير القاسمي : ١٢ / ١٤٣ .
ولم يتعرض الزمخشري ، ولا الفخر الرازي ، ولا النسفي ، ولا الثعالبي ، ولا الخطيب الشربيني لإعرابه .

(٧) ينظر : إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات للعكبري : ٢ / ١٥٥ .

(٨) ينظر : ديوان طرفة بن العبد : ٨ .
وطرفة هو : طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد ، البكري الوائلي ، أبو عمرو : شاعر ، جاهلي ، من الطبقة الأولى ، ولد في بادية البحرين ، وتنقل في بقاع نجد ، واتصل بالملك عمرو بن هند فجعله في ندمائه ، ثم أرسله بكتاب إلى المكعبر (عامله على البحرين وعمان) يأمره فيه بقتله ، لأبيات بلغ الملك أن طرفة هجاه بها ، فقتله المكعبر شابا ، في (هجر) قيل : ابن عشرين عاماً ، وقيل : ابن ست وعشرين ، أشهر شعره معلقته ، وقد شرحها كثيرون من العلماء . ت سنة ٦٠ قبل الهجرة . ينظر : جمهرة أنساب العرب : ٢ / ٣١٩ ، ٣٢٠ ، اللآلي في شرح أمالي القالي : ١ / ٣١٩ ، خزانة الأدب : ٢ / ٣٧٠ .

(٩) التحرير والتنوير : ١٨ / ١٧١ .

(١٠) ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ١٦٩ ، المرجع السابق .

يكون ﴿ عُصْبَةٌ ﴾ خبر ﴿ إِنَّ ﴾ " . اهـ [١] .

وذكر **أبو حيان** قول ابن عطية **ولم يعترض عليه** [٢] .

✖ **واعترض عليه السمين الحلبي** فقال :

" والاعتراض عليه واضح من حيث أنه أوقع خبر ﴿ إِنَّ ﴾ جملة طلبية ، وهذا لا يجوز وإن ورد منه شيء في الشعر أُوِّلَ ... وتقدير ابن عطية ذلك المضاف قبل الموصول ليصحّ به التركيب الكلامي ، إذ لو لم يقدر لكان التركيب : (لاَ تَحْسَبُوهُمْ) .
ولا يعود الضمير في ﴿ لَاَ تَحْسَبُوهُ ﴾ على قول ابن عطية على (الإفك) ؛ لئلا تخلو الجملة من رابط يربطها بالمبتدأ .

وفي قول غيره : يجوز أن يعود على الإفك ، أو على القذف ، أو على المصدر المفهوم من ﴿ جَآءُو ﴾ ، أو على ما نال المسلمين من الغم " . اهـ [٣] .

ونجد **الطاهر بن عاشور** **يُجوِّز** أن يعود الضمير في ﴿ لَاَ تَحْسَبُوهُ ﴾ على الإفك حيث قال :

" والمعنى : لا تحسبوا إفكهم شراً لكم ، لأن الضمير المنصوب من ﴿ تَحْسَبُوهُ ﴾ لما عاد إلى الإفك ؛ وكان الإفك متعلقاً بفعل ﴿ جَآءُو ﴾ صار الضمير في قوة المعرف بلام العهد . فالتقدير : لا تحسبوا الإفك المذكور شراً لكم " . اهـ [٤] .

قال **الشوكاني** : " وجملة ﴿ لَاَ تَحْسَبُوهُ ﴾ وإن كانت طلبية ؛ فجعلها خبراً يصحُّ بتقدير كما في نظائر ذلك " . اهـ [٥] .

الترجيح:

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن الراجح أن ﴿ عُصْبَةٌ ﴾ خبر ﴿ إِنَّ ﴾** ، **وهو**

---

(١) المحرر الوجيز : ٤ / ١٦٩ .
(٢) ينظر : البحر المحيط : ٦ / ٤٠١ .
(٣) الدر المصون : ٥ / ٢١٢ . ونقله عنه ابن عادل . ينظر : تفسير ابن عادل : ١٤ / ٣١٢ .
(٤) التحرير والتنوير : ١٨ / ١٧١ .
(٥) فتح القدير : ٤ / ١٢ .

ما رجَّحه ابن جُزيّ ووافقه جماعة من أئمة التفسير ، وكل واحد منهم حجَّة في اللغة ؛ كما أن القول الثاني فيه تكلف لا يخفى ، قاله **الآلوسي** [١] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

(١) روح المعاني : ١٨ / ١١٤ .

قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ... ﴾ . [آية : ٢٢] .

مسألة : في الاختلاف في معنى قوله : ﴿ يَأْتَلِ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن معنى ﴿ يَأْتَلِ ﴾ يحلف ، فقال : ((معنى ﴿ يَأْتَلِ ﴾ : يحلف ؛ فهو من قولك : آليت ؛ إذا حلفت . وقيل : معناه يقصر ؛ فهو من قولك : ألوت ، أي قصرت ، ومنه : ﴿ ... لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً ... ﴾ [١])) . اهـ [٢] .

الدراسة :

في قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ ﴾ قراءتان :

- القراءة الأولى : ﴿ وَلَا يَأْتَلِ ﴾ ، وهي **قراءة ثابتة متواترة سبعية** [٣] .

- القراءة الثانية : (ولا يَتَأَلَّ) ، وهي قراءة شاذة [٤] .

وفي اختلاف القراءتين وجهان :

الوجه الأول : أن كلتا **القراءتين مختلفة المعنى** ؛ كما يلي :

- فمعنى ﴿ يَأْتَلِ ﴾ : أي : يألو أو يقصر .
- ومعنى (يَتَأَلَّ) : أي : يحلف [٥] .

---

(١) سورة آل عمران : ١١٨ .

(٢) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٦٢ ، ٦٣ .

(٣) هي قراءة جمهور القراء السبعة . ينظر : إتحاف فضلاء البشر للبناء : ٤١٠ .

(٤) أوردها غير واحد من المفسرين . ينظر : الكشاف : ٣ / ٢٢٦ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ١٧٩ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ١٦٥ . وهي قراءة أبي جعفر ووافقه الحسن ؛ وهي قراءة عباس بن عباش بن أبي ربيعة ، وأبي جعفر ، وزيد بن أسلم ، وهي **قراءة بالغة الشذوذ** تحمل على التفسير . ينظر : مختصر شواذ القرآن : ١٠٢ ، ١٠٣ ، المحتسب لابن جني : ٢ / ١٠٦ ، إتحاف فضلاء البشر للبناء : ٤١٠ .

(٥) ينظر : النكت والعيون للماوردي : ٤ / ٨٣ ، ٨٤ .

الوجه الثاني : **أنهما قراءتان بمعنى واحد** ؛ ثم اختلف أهل العلم والمفسرون على قولين أيضاً :

القول الأول : معنى ﴿ يَأْتَلِ ﴾ : **يحلف** ، قاله **ابن عباس** ﷺ [١] وعائشة – رضي الله عنها – [٢] ، وجماعة من السَّلف [٣] ، ومقاتل [٤] ، وذهب إليه الزَّجَّاج [٥] ، وقال النحاس [٦] : **هو الأوْلى** ، **ونصره** الزمخشري [٧] ، وقاله أبو البقاء [٨] ورجَّحه القرطبي [٩] ، [٩] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [١٠] ، **واستظهره** أبو السعود ، **وصحَّحه** الشنقيطي [١١] ، وهو **المشهور** [١٢] ، ووافقه جماعة من المفسرين [١٣] .

﴿ يَأْتَلِ ﴾ من : آليت ؛ إذا حلفت ، ويقال لليمين : أَلْوَةٌ ، وأُلْوَةٌ ، وإلْوَة ، وأَلِيّة ؛ وعليه

---

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٨ / ١٠٢) ، وعزاه السيوطي أيضاً في الدر (٦ / ١٦٢) إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨ / ٢٥٥٣) . وينظر : تنوير المقباس : ٢٩٣ .

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٨ / ١٠٢) ، وعزاه السيوطي أيضاً في الدر (٦ / ١٦٢) إلى ابن المنذر .

(٣) منهم : مجاهد ، ينظر تفسيره (٢ / ٤٣٨) ، وأخرجه ابن جرير في تفسيره (١٨ / ١٠٣) عن ابن زيد ومجاهد ؛ ونسبه السيوطي في الدر (٦ / ١٦٣) إلى الحسن ، ومقاتل بن حيان ، ومحمد بن سيرين.

(٤) ينظر تفسيره : ٢ / ٤١٤ .

(٥) ينظر معانيه : ٤ / ٣٦ .

(٦) ينظر : معاني القرآن للنحاس : ٤ / ٥١٢ .

(٧) ينظر : الكشاف : ٣ / ٢٢٦ .

(٨) ينظر : إملاء ما منَّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات للعكبري : ٢ / ١٥٥ .

(٩) ينظر : تفسير القرطبي : ١٢ / ٢٠٨ .

(١٠) ينظر : التسهيل : ٣ / ٦٢ .

(١١) ينظر : تفسير أبي السعود : ٦ / ١٦٥ ، أضواء البيان : ٥ / ٤٨٧ .

(١٢) قاله الفخر الرازي ، ينظر تفسيره : ٢٣ / ١٦٢ .

(١٣) منهم : الطبري ، والسمر قندي ، وابن أبي زمنين ، والثعلبي ، والواحدي ، والسمعاني ، والبغوي ، وابن عطية ومال إليه الفخر الرازي ، والخازن ، والنيسابوري ، وقدَّمه أبو حيان ، وابن كثير ، والبقاعي ، والجلالين ، ولم يذكر الخطيب الشربيني غيره ، وقال الشوكاني (**والأوَّل أوْلى**) ، وقال الآلوسي (**والأوَّل أوفق**) ، وسيد قطب ، والطاهر بن عاشور ، ولم يذكر محمَّد سيِّد طنطاوي غيره . ينظر : تفسير الطبري : ١٨ / ١٠١ ، تفسير السمر قندي : ٢ / ٥٠٤ ، تفسير ابن أبي زمنين : ٣ / ٢٢٦ ، الكشف والبيان : ٧ / ٨١ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٧٦٠ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٥١٣ ، تفسير البغوي : ٣ / ٣٣٤ ، المحرر الوجيز : ٤ / ١٧٣ ، التفسير الكبير : ٢٣ / ١٦٢ ، تفسير الخازن : ٥ / ٦٤ ، تفسير غرائب القرآن : ٥ / ١٧١ ، البحر المحيط : ٦ / ٤٠٤ تفسير ابن كثير : ٣ / ٢٧٦ ، نظم الدرر : ٥ / ٢٤٧ ، تفسير الجلالين : ٤٦٠ ، السراج المنير : ٢ / ٦٧٦ ، فتح القدير : ٤ / ١٦ ، روح المعاني : ١٨ / ١٢٥ ، الظلال : ٤ / ٢٥٠٥ ، التحرير والتنوير : ١٨ / ١٨٩ ، الوسيط : ١٠ / ١٠١ . وينظر : إتقان السيوطي : ٢ / ٣٢٣ .

أهل اللغة [١] .

والتقدير في العربية : على قول البصريين : ولا يحلف أولو الفضل كراهة أن يؤتوا ، وعلى قول الكوفيين : لأن لا يؤتوا [٢] .

ويشهد له :

١. من كلام العرب : ومنه قول الشاعر :

قليل الألايا حافظ ليمينه وإن بدرت منه الألية برت [٣]

وقال الآخر :

تَأَلَّى ابنُ أَوْسٍ حَلْفَةً لِيَرُدَّنِي إلى نِسْوةٍ كأَنَّهنَّ مَفائِدُ [٤]

٢. ومنه قوله سبحانه : ﴿ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ... ﴾ [٥] . [٦]

✖ وضعَّفه أبو مسلم لوجهين :

" **أحدهما** : أن ظاهر الآية على هذا التأويل يقتضي المنع من الحلف على الإعطاء ، وهم أرادوا المنع من الحلف على ترك الإعطاء ، فهذا المتأول قد أقام النفي مكان الإيجاب وجعل المنهي عنه مأموراً به .

---

(١) ينظر معاني القرآن للفَرَّاء : ٢ / ٢١٣ ، جمهرة اللغة لابن دريد (مادة : ألا) : ١ / ٢٤٦ ، تهذيب اللغة للأزهري (مادة : ألى) : ١٥ / ٣١٠ ، معجم مقاييس اللغة لابن فارس (مادة : ألوى) : ١ / ١٢٨ ، المخصص لابن سيده : ٤ / ٧٤ ، لسان العرب لابن منظور (مادة : ألا) : ١٤ / ٤١ ، المصباح المنير للفيومي : ١ / ٢٠ .

(٢) ينظر : معاني القرآن للنحاس : ٤ / ٥١٢ .

(٣) أورده غير واحد من المفسرين عند تفسير الآية . ينظر مثلاً : تفسير السمعاني : ٣ / ٥١٣ ، فتح القدير : ٤ / ١٦ . ولم أهتد لقائله .

(٤) نسبه يحيى بن علي بن محمد الشيباني التبريزي (ت ٧٤١ هـ) في شرح ديوان الحماسة لأبي تمام (١ / ٢١٦) إلى أوس بن حارثة ، واستشهد به البغدادي في خزانة الأدب (١٠ / ٧١) ولم ينسبه لأحد .

(٥) سورة البقرة : ٢٢٦ .

(٦) ينظر : فتح القدير : ٤ / ١٦ .

وثانيهما : أنه قلَّما يوجد في الكلام (افتعلت) مكان (أفعلت) ، وإنما يوجد مكان (فعلت) ، وهنا (آليت) من الألية افتعلت . فلا يقال : (أفعلت) كما لا يقال من ألزمت التزمت ، ومن أعطيت اعتطيت ، ثم قال : في ﴿ يَأْتَلِ ﴾ إن أصله يأتلي ذهبت الياء للجزم لأنه نهى ؛ وهو من قولك : ما آلوت فلاناً نصحاً ، ولم آل في أمري جهداً ، أي : ما قصرت ولا يأل ولا يأتل واحداً ، فالمراد : لا تقصروا في أن تحسنوا إليهم ، ويوجد كثيراً (افتعلت) مكان (أفعلت) تقول : كسبت واكتسبت ، وصنعت واصطنعت ، ورضيت وارتضيت ، فهذا التأويل هو الصَّحيح دون الأوَّل " . اهـ [١] .

✓ **وأجيب عن الوجه الأول** :

" بأن (لا) تحذف في اليمين كثيراً ؛ قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَجْعَلُواْ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَـٰنِكُمْ أَن تَبَرُّواْ ... ﴾ [٢] . يعني : أن لا تبرُّوا ، وقال امرؤ القيس :

فَقُلْتُ يَمِينِ اللَّهِ أَبْرَحُ قَاعِداً .....

أي : لا أبرح [٣] .

✓ **وأجيب عن الوجه الثاني** :

" أن جميع المفسرين الذين كانوا قبل أبي مسلم فسَّروا اللفظة باليمين ، وقول كل واحد منهم حجَّة في اللغة فكيف الكلّ ؟! .. " [٤] .

✓ **ويعضده** [٥] : **قراءة الحسن** : (ولا يتأَلَّ) .

القول الثاني : معنى ﴿ يَأْتَلِ ﴾ : **يقصر** ؛ حكاه أبو عبيدة [٦] ، ورجَّحه أبو مسلم [٧] .

---

(١) نقله الفخر الرازي عنه ، ينظر تفسيره : ٢٣ / ١٦٢ ، ١٦٣ .
(٢) سورة البقرة : ٢٢٤ .
(٣) ينظر : مغني اللبيب لابن هشام : ٨٣٤ .
(٤) ينظر : التفسير الكبير للفخر الرازي : ٢٣ / ١٦٢ ، ١٦٣ .
(٥) قال بذلك : الزمخشري ، والبيضاوي ، وأبو السعود . ينظر : الكشاف : ٣ / ٢٢٦ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ١٧٩ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ١٦٥ .
(٦) ينظر مجازه : ٢ / ٦٥ . ونسبه إلى أبي عبيدة جماعة من المفسرين .
(٧) نقله الفخر الرازي ، وأبو حيان ، والآلوسي عنه ، ينظر التفسير الكبير : ٢٣ / ١٦٢ ، ١٦٣ ، البحر المحيط :

فقوله : ﴿ يَأْتَلِ ﴾ هو من أَلَوتُ ؛ بمعنى : قصَّرتُ [١] ، يقول الرجل : لا آلو جُهدي ؛ أي : لا أقصِّر .

والمعنى : ولا يقصِّر أولو الفضل في أن يحسنوا [٢] .

واستدل له :

١. بالنظير القرآني :

مِن استعمال هذا الفعل في القرآن بمعنى التقصير ؛ قوله تعالى : ﴿ ... لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً ... ﴾ [٣] . أي : لا يقصرون في جلب ما يوجب الخبال لكم ، يعني : أعداءه ﷻ .

٢. من كلام العرب : ومنه قول امرؤ القيس [٤] :

وما المرءُ ما دامَتْ حُشاشةُ نَفسِهْ بمُدْرِكِ أَطْراف الخُطوب ولا آلِ

الترجيح:

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – أن **الراجح أن معنى ﴿ يَأْتَلِ ﴾ يحلف ؛ وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ، ووافقه جماعة المفسرين ، موافقاً في ذلك لقول ابن عباس ﷺ ؛ وعائشة – رضي الله عنها – وجماعة من السَّلف** ، ويدل ذلك إضافة لما تقدم ما يلي :

أولاً : هذا القول أوْلى بدليل سبب النزول ؛ قاله جماعة من المفسرين [٥] ؛ وهو المروي في

---

٦ / ٤٠٤ ، روح المعاني : ١٨ / ١٢٥ .

(١) حكى ابن منظور ، والزبيدي هذا القول عن أبي عبيد وهو القاسم بن سلام (٢٢٤ هـ) . ينظر : لسان العرب (مادة : ألا) : ١٤ / ٤١ ، تاج العروس : ٣٧ / ٨٩ . فلا أدري هل هذا القول هو لأبي عبيدة أو لأبي عبيد ؛ – فجماعة من المفسرين نسبوا هذا القول لأبي عبيدة – ، أو أن ما في الأمر هو خطأ في الطباعة ! .. وعموماً لم أقف عليه لا في كتب أبي عبيدة ولا أبي عبيد – في حدود ما اطلعت – .

(٢) ينظر : تفسير ابن عادل : ١٤ / ٣٣٣ .

(٣) سورة آل عمران : ١١٨ .

(٤) نسبه إليه أبو بكر الأنباري في الزاهر في معاني كلمات الناس (١ / ١٦٨) ، والثعلبي في الكشف والبيان (٣ / ١٣٤) ، والشوكاني في فتح القدير (١ / ٣٧٦) . ولم أقف عليه في ديوانه .

(٥) منهم : أبو السعود ، والشوكاني ، والآلوسي ، والشنقيطي . ينظر : تفسير أبي السعود : ٦ / ١٦٥ ، فتح القدير : ٤ / ١٦ ، روح المعاني : ١٨ / ١٢٥ ، أضواء البيان : ٥ / ٤٨٧ .

الصحيحين وغيرهما عن عائشة – رضي الله عنها – ؛ والذي ثبت فيه أنَّ أبا بكر الصدِّيق ﷺ حلف لما رأى براءة ابنته أن لا ينفق على مسطح شيئا أبداً ؛ وكان من فقراء المهاجرين الأولين الذين شهدوا بدراً ، وكان ابن خالته ؛ ونزول الآية الكريمة في ذلك الحلف معروف .

عن عائشة – رضي الله عنها – قالت : « ... فلما أَنْزَلَ الله هذا في بَرَاءَتِي ؛ قال أبو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ﷺ – وكان يُنْفِقُ على مِسْطَحِ بن أُثَاثَةَ لِقَرَابَتِهِ منه – : **والله لَا أُنْفِقُ** على مِسْطَحٍ شيئا أَبَدًا بَعْدَ ما قال لِعَائِشَةَ ؛ فَأَنْزَلَ الله تَعَالَى : ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ ... ﴾ ... » [١] .

ثانياً : النظير القرآني لمعنى الآية :

هذا الذي تضمنته هذه الآية الكريمة من النهي عن الحلف عن فعل البرِّ من إيتاء أولى القربى والمساكين والمهاجرين ، جاء أيضاً في غير هذا الموضع ؛ كقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَجْعَلُواْ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَـٰنِكُمْ أَن تَبَرُّواْ وَتَتَّقُواْ وَتُصْلِحُواْ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ... ﴾ [٢] . أي : لا تحلفوا بالله عن فعل الخير ، فإذا قيل لكم : اتقوا وبرُّوا ، وأصلحوا بين الناس قلتم : حلفنا بالله لا نفعل ذلك ، فتجعلوا الحلف بالله سبباً للامتناع من فعل الخير ؛ على الأصح في تفسير الآية [٣] .

ثالثاً : هذا القول هو الأظهر في اللغة ، وعليه جمهور المفسرين سلفاً وخلفاً .

رابعاً : يؤيده **القواعد الرجيحية** التالية :

- **إذا ثبت الحديث وكان نصاً في تفسير الآية فلا يصار إلا إليه .**
- **تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم .**
- **القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك** [٤] .

---

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري – واللفظ له – في صحيحه في كتاب الشهادات ، بـاب تَعْدِيلِ النِّسَاءِ بَعْضِهِنَّ بَعْضًا (٢٥١٨) : ٢ / ٩٤٢ – ٩٤٥ ، وأخرج مسلم بنحوه في صحيحه في كتاب التوبة ، بَاب فِي حديث الْإِفْكِ وَقَبُولِ تَوْبَةِ الْقَاذِفِ (٢٧٧٠) : ٤ / ٢١٢٩ – ٢١٣٦ .

(٢) سورة البقرة : ٢٢٤ .

(٣) ينظر : فتح القدير : ٤ / ١٦ ، روح المعاني : ١٨ / ١٢٥ ، أضواء البيان : ٥ / ٤٨٧ .

(٤) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ١٩١ ، ٢٧١ ، ٣١٢ .

✓ ولا مانع من احتمال القولين ، وقد ذكر جماعة من المفسرين [١] القولين و لم يرجحوا بينهما ؛ وجوَّز **السمين الحلبي** [٢] القولين ؛ وهذا ما ذكره **الرَّاغب** في مفرداته قبله حيث قال :

" وحقيقة الإيلاء والألية : **الحلف المقتضي لتقصير** في الأمر الذي يحلف عليه " [٣] .

فأبو بكر الصديق ﷺ قد حلف أنه لن ينفق على مسطح ﷺ كما ورد في سبب النزول الصحيح ، وبذلك يكون قد قصَّر في الإحسان إليه .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) ومنهم : البيضاوي ، والنسفي ، وابن عادل ، والقاسمي . ينظر : تفسير البيضاوي : ٤ / ١٧٩ ، تفسير النسفي : ٣ / ١٤٠ ، تفسير ابن عادل : ١٤ / ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، تفسير القاسمي : ١٢ / ١٥٠ .

(٢) ينظر : الدر المصون : ٥ / ٢١٤ ، ٢١٥ .

(٣) مفردات الرَّاغب (مادة : إلى) : ٢٢ .

قوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَا ... ﴾ [1] . [آية : ٢٧] .

مسألة : في أصل ﴿ تَسۡتَأۡنِسُواْ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح **ابن جُزيّ أن أصل ﴿ تَسۡتَأۡنِسُواْ ﴾ من الاستئناس** ، فقال : ((ومعنى ﴿ تَسۡتَأۡنِسُواْ ﴾ تستأذنوا [2] ، وهو مأخوذ من قولك : آنست الشيء ؛ إذا علمته ، فالاستئناس : أن يستعلم هل يريد أهل الدار الدخول أم لا ؟ وقيل : هو مأخوذ من الأنس ضد الوحشة)) . اهـ [3] .

الدراسة :

اختلف أهل العلم والمفسرون في **أصل ﴿ تَسۡتَأۡنِسُواْ ﴾** على أقوال منها :

القول الأول : أصل ﴿ تَسۡتَأۡنِسُواْ ﴾ من الاستئناس ؛ وهو **الاستعلام** ؛ **من** : (**آنس الشيء**) ؛ إذا أبصره ظاهراً مكشوفاً ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [4] ، ووافقه جماعة من المفسرين [5] .

---

(١) **سبب نزول هذه الآية** فيما ذكر الطبري بسند عن عدي بن ثابت أن امرأة من الأنصار قالت : يا رسول الله ، إني أكون في منزلي على الحال التي لا أحب أن يراني أحد عليها لا والد ولا ولد ، وإنه لا يزال يدخل علي رجل من أهلي وأنا على تلك الحال . قال : فنزلت الآية . وعزاه السيوطي أيضاً إلى الفريابي . ينظر : تفسير الطبري : ١٨ / ١١١ ، الدر المنثور : ٦ / ١٧١ ، لباب النقول : ١٥٨ .

(٢) قاله ابن عباس ﷺ ، ومقاتل وجماعة من المفسرين . وعزاه السيوطي إلى ابن عباس ﷺ عن سعيد بن منصور ، وابن جرير ، وابن مردويه . وقال الزَّجَّاج : و ﴿ تَسۡتَأۡنِسُواْ ﴾ في اللغة بمعنى : تستأذنوا ، وكذلك هو في التفسير ... والدليل على أنه الإذن قوله : ﴿ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدٗا فَلَا تَدۡخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤۡذَنَ لَكُمۡ ... ﴾ . [سورة النور : ٢٨] . ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزَّجاج : ٤ / ٣٩ ، تفسير مقاتل : ٢ / ٤١٥ ، تفسير الطبري : ١٨ / ١١١ ، الدر المنثور : ٦ / ١٧١ .

(٣) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٦٣ .

(٤) ينظر : المرجع السابق .

(٥) منهم : السمر قندي ، وابن أبي زمنين ، وابن العربي ، وابن عطية ، وابن الجوزي ، والقرطبي ، والنسفي ، والثعالبي ، وابن عادل ، والشوكاني ، والآلوسي ، و **استظهره** الشنقيطي ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير السمر قندي : ٢ / ٥٠٦ ، ٥٠٧ ، تفسير ابن أبي زمنين : ٣ / ٢٢٨ ، أحكام القرآن لابن العربي : =

ويكون معنى ﴿ تَسْتَأْنِسُواْ ﴾ :

أي تستعلموا وتستكشفوا الحال ، وهل يراد دخولكم أم لا ؟ [١] .

واستدل له :

١. بالنظير القرآني :

- قوله تعالى : ﴿ ... فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ... ﴾ [٢] . أي : علمتم .
- وقوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا ... ﴾ [٣] . [٤]

٢. من اللغة :

الاستئناس في اللغة [٥] : الاستعلام ، يقال : استأنست فلم أر أحداً .

٣. من كلام العرب : قال النابغة [٦] :

كأنَّ رَحْلِيْ وقد زال النهارُ بنا ... يومَ الجليلِ على مُسْتَأْنِسٍ وَحَدِ

= ٣ / ٣٧٠ ، المحرر الوجيز : ٤ / ١٧٦ ، زاد المسير : ٦ / ٢٨ ، تفسير القرطبي : ١٢ / ٢١٣ ، تفسير النسفي : ٣ / ١٤٢ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ١٨٠ ، تفسير ابن عادل : ١٤ / ٣٤٢ ، فتح القدير : ٤ / ١٩ ، روح المعاني : ١٨ / ١٣٤ ، أضواء البيان : ٥ / ٤٩٣ ، الوسيط : ١٠ / ١٠٩ .

(١) ينظر : التسهيل : ٣ / ٦٣ .

(٢) سورة النساء : ٦ .

(٣) سورة القصص : ٢٩ .

(٤) ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزَّجاج : ٤ / ٣٩ ، معاني القرآن للنحاس : ٤ / ٥١٨ ، تفسير السمر قندي : ٢ / ٥٠٧ ، المحرر الوجيز : ٤ / ١٧٦ ، فتح القدير : ٤ / ١٩ .

(٥) ينظر : معاني القرآن للنحاس : ٤ / ٥١٧ ، معاني القرآن للفَرَّاء : ٢ / ٢١٤ ، معاني القرآن وإعرابه للزَّجاج : ٤ / ٣٩ ، النهاية في غريب الأثر (مادة : أنس) : ١ / ٧٤ ، لسان العرب (مادة : آنس) : ٦ / ١٥ ، ١٦ ، القاموس المحيط ، باب السين ، فصل الهمزة : ١ / ٦٨٣ ، تاج العروس (مادة : أنس) : ١٥ / ٤١٥ . ونسب السمر قندي وغير واحد من المفسرين هذا القول **لابن قتيبة** . ينظر : تفسير السمر قندي : ٢ / ٥٠٦ . ولم أقف عليه في أي من كتب ابن قتيبة – في حدود ما اطلعت – .

(٦) ينظر ديوانه : ١٨ .

أراد : على ثَوْرٍ وَحْشيّ أحسَّ بما رابَه ، فهو يستأنس ، أي : يتلفَّت ويتَبصَّر ، هل يرى أحداً أراد : أنّه مَذْعُور فهو أَجَدُّ لعدْوِه وفراره وسرعته [١] .

واعتُرض بأنه :

" ليس المراد بالاستئناس أنه مشتق من (آنس) بمعنى : علم ؛ لأن ذلك إطلاق آخر لا يستقيم هنا ؛ فلا فائدة في ذكره ، وذلك بحسب الظاهر ؛ فإنه إذا أذن له دلَّ إذنه على أنه لا يكره دخوله ، وإذا كره دخوله لا يأذن له ، والله متولِّي علم ما في قلبه ، فلذلك عُبِّر عن الاستئذان بالاستئناس مع ما في ذلك من الإيماء إلى علة مشروعية الاستئذان " [٢] .

القول الثاني : **أصل ﴿ تَسْتَأْنِسُواْ ﴾ من الأنس ضد الوحشة** ، لما أن المستأذن مستوحش خائف أن لا يؤذن له ؛ فإذا أذن له استأنس ، قاله الرَّاغب [٣] ، و **الطبري** [٤] ، وجوَّزه السمين الحلبي [٥] وابن عادل [٦] ، **واستظهره** أبو حيان [٧] ، وقاله البقاعي [٨] ، والكرمي [٩] في الناسخ والمنسوخ ، وذهب إليه **الطاهر بن عاشور** [١٠] .

قال الطبري :

" إن الاستئناس الاستفعال من الأنس ، وهو أن يستأذن أهل البيت في الدخول عليهم مخبراً بذلك من فيه ، وهل فيه أحد ، وليؤذنهم أنه داخل عليهم فليأنس إلى إذنهم له في ذلك ويأنسوا إلى استئذانه إياهم " . اهـ [١١] .

---

(١) ينظر : تهذيب اللغة (مادة : أنس) : ١٣ / ٦١ .
(٢) التحرير والتنوير : ١٨ / ١٩٧ .
(٣) ينظر مفرداته (مادة : أنس) : ٢٨ .
(٤) ينظر : تفسير الطبري : ١٨ / ١١٢ .
(٥) ينظر : الدر المصون : ٥ / ٢١٥ .
(٦) ينظر : تفسير ابن عادل : : ١٤ / ٣٤٢ .
(٧) ينظر : البحر المحيط : ٦ / ٤١٠ .
(٨) ينظر : نظم الدرر : ٥ / ٢٥٢ .
(٩) ينظر : قلائد المرجان في بيان الناسخ والمنسوخ في القرآن للكرمي : ١٥٣ .
(١٠) ينظر : التحرير والتنوير : ١٨ / ١٩٧ .
(١١) تفسير الطبري : ١٨ / ١١٢ .

✓ **وأنكر ابن عطية** قول الطبري هذا فقال :

" وتصريف الفعل يأبى أن يكون من (آنس) " [١] .

✓ **وصحَّح الشنقيطي ومحمَّد سيِّد طنطاوي** هذا القول ؛ وذكرا بأن على هذا المعنى يكون الكلام من باب المجاز المرسل ، حيث أطلق اللازم وهو (الاستئناس) وأريد الملزوم وهو (الإذن فى الدخول) ، وإطلاق اللازم وإرادة الملزوم أسلوب عربي معروف .

ويشهد لهذا المعنى :

- قوله تعالى : ﴿ ... لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ ... ﴾ [٢] .
- وقوله تعالى بعده : ﴿ ... فَلَا تَدۡخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤۡذَنَ لَكُمۡ ... ﴾ [٣] . [٤]

✓ وقال **الزمخشري قبلهما** في هذا الوجه بعد أن ذكره :

" وهذا من قبيل الكناية والإرداف ؛ لأن هذا النوع من الاستئناس يردف الإذن ، فوضع موضع الإذن " . اهـ [٥] .

✓ **وأيَّد أبو حيان** [٦] قول الزمخشري هذا .

الترجيح:

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **احتمال القولين في أصل ﴿ تَسۡتَأۡنِسُواْ ﴾ ؛ فهو من آنست : أي استعلمت وأبصرت ، ويصحُّ أن يكون من الأنس ضد الوحشة ، ولكل منهما شاهد من كتاب الله تعالى ؛ قال بذلك الشنقيطي** [٧] **؛ وذكر جماعة من**

---

(١) المحرر الوجيز : ٤ / ١٧٦ .
(٢) سورة الأحزاب : ٥٣ .
(٣) الآية السابقة نفسها .
(٤) ينظر : أضواء البيان : ٥ / ٤٩١ ، ٤٩٢ ، الوسيط لمحمَّد سيِّد طنطاوي : ١٠ / ١٠٩ .
(٥) الكشاف : ٣ / ٢٣٠ .وينظر : السراج المنير : ٢ / ٦٧٩ .
(٦) ينظر : البحر المحيط : ٦ / ٤١٠ .
(٧) ينظر : أضواء البيان : ٥ / ٤٩١ . وينظر : الوسيط لمحمَّد سيِّد طنطاوي : ١٠ / ١٠٩ .

المفسرين [١] **القولين ولم يرجحوا بينهما.**

- ✓ **وإن كنت أميل أن يكون أصل ﴿ تَسْتَأْنِسُواْ ﴾ من الأنس الذي هو ضد الوحشة**

وإن كان معظم أهل اللغة قالوا أنه من : (آنس) أي علم وأبصر . لأنه عند الاستقراء للاستعمال القرآني للفظ (آنس) والذي ورد في غير موضع في القرآن الكريم ومنها :

- قوله تعالى : ﴿ ... فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ... ﴾ [٢] .
- وقوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا ... ﴾ [٣] .
- وقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ... ﴾ [٤] .

فإن حس العربية المرهف ؛ لا يقول : (آنست) علمت وأبصرت دون أن تجد أنساً .. فإنه إذا قال : آنست ، فقد رأى أو سمع ما يؤنسه .

فليس الإيناس في آية النساء مثلاً مجرد إبصار لظواهر الرشد المادية الحسية في سن البلوغ ، ولكنه الطمأنينة المؤنسة بالابتلاء والامتحان إلى أنهم رشدوا حقاً .

وليس الاستئناس في آية النور التي معنا مجرد استعلام لمن في الدار ؛ وإنما هو حس الإيناس لأهل البيت قبل دخوله ... وهكذا في باقي المواضع .

قال **سيد قطب** :

" ويعبر عن الاستئذان بالاستئناس وهو تعبير يوحي بلطف الاستئذان ، ولطف الطريقة التي

---

(١) ومنهم : الثعلبي ، والسمعاني ، والبغوي ، والزمخشري ، والفخر الرازي ، والبيضاوي ، والخازن ، والنيسابوري ، وأبو السعود ، والخطيب الشربيني ، والقاسمي . ينظر : الكشف والبيان : ٧ / ٨٤ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٥١٦ ، تفسير البغوي : ٣ / ٣٣٦ ، الكشاف : ٣ / ٢٣٠ ، التفسير الكبير : ٢٣ / ١٧١ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ١٨١ ، تفسير الخازن : ٥ / ٦٦ ، تفسير غرائب القرآن : ٥ / ١٧٦ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ١٦٨ ، السراج المنير : ٢ / ٦٧٩ ، تفسير القاسمي : ١٢ / ١٨٥ .

(٢) سورة النساء : ٦ .

(٣) سورة القصص : ٢٩ .

(٤) سورة النور : ٢٧ .

يجيء بها الطارق ، فتحدث في نفوس أهل البيت **أنساً به** ، واستعداداً لاستقباله . وهي لفتة دقيقة لطيفة ، لرعاية أحوال النفوس ، ولتقدير ظروف الناس في بيوتهم وما يلابسها من ضرورات لا يجوز أن يشقى بها أهلها ويحرجوا أمام الطارقين في ليل أو نهار " . اهـ [١] .

ويكون الاستئناس : بتسبيحة ، أو بتكبيرة ، أو بتحميدة ، أو يتنحنح عند **الجمهور** [٢] .

- لحديث أبي أيوب الأنصاري ﷺ قال : « قلنا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَذَا السَّلامُ فَمَا الاسْتِئْنَاسُ ؟ قَالَ : يَتَكَلَّمُ الرَّجُلُ بتَسْبِيحَةٍ وتَكْبِيرَةٍ وتَحْمِيدَة وَيَتَنَحْنَحُ ؛ ويُؤْذِنُ أَهْلَ الْبَيْتِ " [٣] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) الظلال : ٤ / ٢٥٠٨ .

(٢) ينظر : فتح الباري لابن حجر : ١١ / ٨ .

(٣) أخرجه ابن ماجه في سننه في كتاب الأدب ، باب الاستئذان (٣٧٠٧) : ٢ / ١٢٢١ . **وضعَّفه** الألباني .

قوله تعالى : ﴿ قُلْ لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ [1] ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ . [آية : ٣٠] .

في الآية مسألتان :

المسألة الأولى : في معنى ﴿ مِنْ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ قُلْ لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ ﴾ والمراد من الآية :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن **﴿ مِنْ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ قُلْ لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ ﴾ للتبعيض** ، فقال : ((و ﴿ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ ﴾ للتبعيض ، والمراد غض البصر عما يحرم ، والاقتصار به على ما يحل . وقيل : معنى التبعيض فيه أن النظرة الأولى لا حرج بها ويمنع ما بعدها ، **وأجاز الأخفش** أن تكون ﴿ مِنْ ﴾ زائدة . وقيل : هي لابتداء الغاية ؛ لأن البصر مفتاح القلب ، والغض المأمور به هو عن النظر إلى العورة ، أو إلى ما لا يحل من النساء ، أو إلى كتب الغير وشبه ذلك مما يستر)) . اهـ [2] .

الدراسة :

اختلف أهل العلم والمفسرون في **معنى ﴿ مِنْ ﴾** [3] **في قوله تعالى : ﴿ قُلْ لِّلْمُؤْمِنِينَ**

---

(١) **سر تقديم غض الأبصار على حفظ الفروج :** وهو أن النظر بريد الزنا ورائد الفجور ، ولأن البلوى فيه أشد وأكثر ، ولا يكاد يقدر على الاحتراس منه ، وهو الباب الأكبر إلى القلب وأعمر طرق الحواس إليه ويكثر السقوط من جهته ؛ قاله جماعة من المفسرين . ينظر مثلاً : التفسير الكبير للفخر الرازي : ٢٣ / ١٧٨ ، البحر المحيط لأبي حيان : ٦ / ٤١٢ ، تفسير القاسمي : ١٢ / ١٨٩ .

وقال الشاعر :

كُلُّ الْحَوَادِثِ مَبْدَاهَا مِنْ النَّـظَرِ ... وَمُعْظَمُ النَّارِ مِنْ مُسْتَصْغَرِ الشَّرَرِ
كَمْ نَظْرَةً فَتَكَتْ فِي قَلْبِ صَاحِبِهَا ... فَتْكَ السِّهَامِ بِلا قَوْسٍ وَلا وَتَرِ
وَالْعَبْدُ مَا دَامَ ذَا عَيْـنٍ يُقَلِّبُـهَا ... فِي أَعْيُنِ الْغِيدِ مَوْقُوفٌ عَلَى خَطَرِ
يَسُرُّ نَاظِرَهُ مَا ضَـرَّ خَاطِـرَهُ ... لا مَرْحَبًا بِسُرُورٍ عَـادَ بِالضَّرَرِ

ذكر الآلوسي هذه الأبيات عند تفسيره لهذه الآية . ينظر : روح المعاني : ١٨ / ١٣٩ .

(٢) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٦٤ .

(٣) **إن قيل : كيف دخلت ﴿ مِنْ ﴾ في غض البصر دون حفظ الفرج ؟**

فالجواب : أن ذلك دليل على أن أمر النظر أوسع ، فالنظر إلى المحرمات من النساء مباح ، وكذلك الجواري =

يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ ﴾ على أربعة أقوال :

القول الأول : ﴿ مِنۡ ﴾ للتبعيض ، والمراد **غض** [١] البصر عما يحرم ، والاقتصار به على ما يحل ، **استظهره** ابن عطية [٢] ، وقاله أبو البركات الأنباري [٣] ، وأبو البقاء [٤] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٥] ، **واستظهره** الثعالبي [٦] ، ووافقه **أكثر** [٧] النحويين [٨] والمفسرين [٩] .

قال **ابن عطية** : " وذلك أن أول نظرة لا يملكها الإنسان ، وإنما يغض فيما بعد ذلك فقد وقع التبعيض " [١٠] .

واستدل لذلك من السُّنة :

- بقوله ﷺ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه : « لَا تُتْبِعْ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ ؛ فإن لك الْأُولَى وَلَيْسَتْ لك

= كما أن النظرة الأولى معفوّ عنها ، وأما أمر الفروج فمضيق . وكفاك فرقاً أن أبيح النظر إلاّ ما استثنى منه ، وحظر الجماع إلاّ ما استثنى منه . ينظر : الكشاف : ٣ / ٢٣٤ .

(١) قال ابن فارس : الغض يدل على كف ونقص ، وكل شيء كففته فقد غضضته ، وقال الفراهيدي : الغَضُّ : الفُتُورُ في الطَّرْفِ . يُقَال : غَضَّ وأَغْضَى ، وغضَّ غضًّا ، وأغضى إغضاءً ؛ أي : إذا دَانَى بَيْن جَفْنَيْه و لم يلاق . ومنه قول جرير :

فغض الطرف إنك من نمير فلا كعبا بلغت ولا كلابا

ينظر (مادة : غض) في : العين : ٤ / ٣٤١ ، تهذيب اللغة : ٨ / ٧ ، معجم مقاييس اللغة : ٤ / ٣٨٣ ، لسان العرب : ٧ / ١٩٧ ، تاج العروس : ١٨ / ٤٦٣ .

(٢) ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ١٧٧ .

(٣) ينظر : أسرار العربية لأبي البركات ، عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري (٥٧٧ هـ) : ٢٣٥ .

(٤) ينظر : التبيان في إعراب القرآن للعكبري : ٢ / ٩٦٨ .

(٥) ينظر : التسهيل : ٣ / ٦٤ .

(٦) ينظر تفسيره : ٤ / ١٨٢ .

(٧) نسب الفخر الرازي ، والشوكاني ، والآلوسي هذا القول إلى الأكثرين . ينظر : التفسير الكبير : ٢٣ / ١٧٨ ، فتح القدير : ٤ / ٢٢ ، روح المعاني : ١٨ / ١٣٨ .

(٨) نسب النيسابوري هذا القول إلى أكثر النحويين . ينظر : تفسير غرائب القرآن : ٥ / ١٧٨ .

(٩) منهم : الزمخشري ، وابن العربي ، والبيضاوي ، والنسفي ، والبقاعي ، وأبو السعود ، والخطيب الشربيني ، والشوكاني ، والقاسمي ، والطاهر بن عاشور ، وحكى محمَّد سيِّد طنطاوي قول الزمخشري . ينظر : الكشاف : ٣ / ٢٣٤ ، أحكام القرآن لابن العربي : ٣ / ٣٧٧ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ١٨٣ ، تفسير النسفي : ٣ / ١٤٢ ، نظم الدرر : ٥ / ٢٥٥ تفسير أبي السعود : ٦ / ١٦٩ ، السراج المنير : ٢ / ٦٨١ ، فتح القدير : ٤ / ٢٢ ، تفسير القاسمي : ١٢ / ١٨٩ ، التحرير والتنوير : ١٨ / ٢٠٣ ، الوسيط : ١٠ / ١١٥ .

(١٠) المحرر الوجيز : ٤ / ١٧٧ . وينظر : تفسير القرطبي : ١٢ / ٢٢٣ .

الْآخِرَةُ » [١] .

- وعن جَرِيرِ بن عبد اللَّهِ ﷺ قال : « سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عن نَظْرَةِ الْفُجَاءَةِ ؛ فَأَمَرَنِي أَنْ أَصْرِفَ بَصَرِي » [٢] .

القول الثاني : ﴿ مِنْ ﴾ لبيان الجنس ، قاله النحاس [٣] ، ومكي بن أبي طالب [٤] ، **وصحَّحه** ابن عطية [٥] .

✖ **واعتُرض عليه** : " بأنه لم يتقدم مبهم يكون مفسراً بـــ ﴿ مِنْ ﴾ " [٦] .

✖ **وتعَّقبه الآلوسي** فقال :

" إن الصحيح أنها ليس من موضوعاتها أن تكون لبيان الجنس " [٧] .

القول الثالث : ﴿ مِنْ ﴾ زائدة ، أي : صلة في الكلام ، ومعناه : يغضوا أبصارهم ، قاله ابن عباس ﷺ [٨] ، وحُكي عن سعيد بن جبير [٩] ، وقاله السدي [١٠] ، وجوَّزه أبو الحسن الحسن الأخفش [١١] ، وقاله القرطبي [١٢] ، وجماعة من المفسرين [١٣] .

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب الأدب ، بَاب ما جاء في نَظْرَةِ الْمُفَاجَأَةِ (٢٧٧٧) : ٥ / ١٠١ . عن ابن بُرَيْدَةَ عن أبيه رَفَعَهُ . قال أبو عِيسَى : هذا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إلا من حديث شَرِيكٍ . **وحسَّنه** الألباني .

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب الأدب ، بَاب ما جاء في نَظْرَةِ الْمُفَاجَأَةِ (٢٧٧٦) : ٥ / ١٠١ . قال أبو عِيسَى : هذا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ . **وصحَّحه** الألباني .

(٣) ينظر : معاني القرآن للنحاس : ٤ / ٥٢٠ .

(٤) ينظر مشكله : ٢ / ٥١١ .

(٥) ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ١٧٧ .

(٦) تفسير ابن عادل : ١٤ / ٣٤٩ . وينظر : فتح القدير : ٤ / ٢٢ ، روح المعاني : ١٨ / ١٣٨ .

(٧) روح المعاني : ١٨ / ١٣٨ .

(٨) ينظر : تنوير المقباس : ٢٩٤ .

(٩) نسبه إليه : السمعاني في تفسيره (٣ / ٥١٩) ، وعزاه السيوطي في الدر في الدر (٦ / ١٧٧) إلى ابن أبي حاتم في تفسيره (٨ / ٢٥٧١) .

(١٠) نسبه الماوردي إليه . ينظر : النكت والعيون : ٤ / ٨٩ .

(١١) هو الأخفش الأوسط ، سعيد بن مسعدة صاحب المعاني (ت ٢١٥ هـــ) سبق ترجمته سابقاً ، ونسبه إليه جماعة من المفسرين . ينظر : الكشاف : ٣ / ٢٣٤ ، التفسير الكبير : ٢٣ / ١٧٨ ، التسهيل : ٣ / ٦٤ ، روح المعاني : ١٨ / ١٣٩ . ولم أقف عليه في أي من كتبه – في حدود ما اطلعت – .

(١٢) ينظر : تفسير القرطبي : ١٢ / ٢٢٢ .

(١٣) منهم : السمر قندي ، وابن أبي زمنين ، وقدَّمه الماوردي ، والسمعاني ، وابن الجوزي ، والجلالين . ينظر : =

واستدل له بالنظير القرآني :

- قوله تعالى : ﴿ ... مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥ ... ﴾ . [سورة الأعراف : ٨٥] .
- وقوله تعالى : ﴿ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَـٰجِزِينَ ﴾ . [سورة الحاقة : ٤٧] .

✖ **وأنكر ذلك سيبويه** (١) ؛ وهو قول تأباه بلاغة القرآن الكريم .

✖ وقال بعضهم :

" وذَهَبَ بَعْضُ النَّحْوِيّينَ إلى أَنَّ ﴿ **مِنْ** ﴾ زائدَةٌ ، وأَنَّ المَعْنَى يَغُضُّوا أَبْصَارَهم فخَالَف ظَاهِرَ القُرْآنِ ، وادَّعَى فيه الصِّلَةَ ، وتَكَلّفَ ما هُوَ غَنِيٌّ عنه . ومَعْنَى الكَلامِ ظاهِرٌ ، أَيْ : يَنْقُصُوا من نَظَرِهم عَمَّا حُرِّمَ عليهم ، فقد أَطْلَقَ اللهُ لَهُمْ ما سِوَى ذلِكَ " (٢) .

✓ **والأوْلى أن لا يقال : صلة (٣) ، فلا زائد في القرآن ؛ وإنما صلة لتوكيد المعنى .**

القول الرابع : ﴿ مِنْ ﴾ لابتداء الغاية ؛ لأن البصر مفتاح القلب ، والغض المأمور به هو عن النظر إلى العورة ، أو إلى ما لا يحل من النساء ، أو إلى كتب الغير وشبه ذلك مما يستر ، صحَّحه **ابن عطية** (٤) . (٥)

والقائلون بهذا القول : رأوا بأن المقصود بـــ ﴿ أَبْصَـٰرِهِمْ ﴾ جمع (بصر) ؛ وهو العضو

= تفسير السمر قندي : ٢ / ٥٠٨ ، تفسير ابن أبي زمنين : ٣ / ٢٢٩ ، النكت والعيون : ٤ / ٨٩ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٥١٩ ، تذكرة الأريب في تفسير الغريب : ٢ / ٢٣ ، تفسير الجلالين : ٤٦٢ .

(١) قال المبرد : " وإنما تزاد – أي : ﴿ مِنْ ﴾ – في النفي ، ولا تقع في الإيجاب زائدة " . ينظر : المقتضب : ٤ / ٤٢٠ . ونقله الفخر الرازي والآلوسي عنه . ينظر : التفسير الكبير :٢٣ / ١٧٨ ، روح المعاني : ١٨ / ١٣٩ .

(٢) تاج العروس (مادة : غض) : ١٨ / ٤٥٩ .

(٣) سبق بيان أنه لا زائد في القرآن الكريم في مسائل سورة إبراهيم عليه السلام . وينظر : البحر المحيط في أصول الفقه للزركشي : ١ / ٣٧١ . وللمزيد ينظر : (زيادة الحروف بين التأييد والمنع وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم) ، رسالة دكتوراه في جامعة أمّ القرى ؛ للدكتورة : هيفاء عثمان عباس فدا ، نوقشت الرسالة ١٤١٦ هـــ .

(٤) ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ١٧٧ .

(٥) ذكر جميع الأقوال أو بعضها و لم يرجح : الثعلبي ، والفخر الرازي ، وأبو حيان ، والخازن ، والنيسابوري ، والسمين الحلبي ، وابن عادل . ينظر : الكشف والبيان : ٧ / ٨٦ ، التفسير الكبير : ٢٣ / ١٧٨ ، البحر المحيط : ٦ / ٤١٢ ، تفسير الخازن : ٦ / ٦٨ ، تفسير غرائب القرآن : ٥ / ١٧٩ ، الدر المصون : ٥ / ٢١٦ ، تفسير ابن عادل : ١٤ / ٣٤٩ .

الناظر ؛ فجعلوا ﴿ مِنۡ ﴾ لابتداء الغاية ، والمعنى يأتوا بالغض ابتداء من أبصارهم .

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن الراجح ﴿ مِنۡ ﴾ للتبعيض ، والمراد غض البصر عما يحرم ، والاقتصار به على ما يحل ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ، ووافقه جمهور المفسرين** ، يدل على ذلك :

أولاً : " أن المراد غض شيء من البصر ؛ لأن غض كله كالمتعذّر بخلاف حفظ الفرج فإنه ممكن على الإطلاق " [١] .

فالغض التام للبصر ليس في مقدور الإنسان ، وليس مقصود الشرع ، ولكن المقصود الغض عن المحرمات ؛ وهي بعض المبصَرَات ، فالأبصار جمع (بصر) وهو القدرة على الإبصار [٢] .

ثانياً : هذا القول هو قول **جمهور النحويين والمفسرين** ؛ وكل منهم حجَّة في اللغة ؛ فكيف بالكلِّ ؟! ..

والآية تحتمل أن تكون ﴿ مِنۡ ﴾ لابتداء الغاية ، لأن غض العضو الناظر يعني تداني ما بين الجفنين ؛ وهذا يؤدي إلى كف القوة المبصرة وإنقاصها .

✍ وفي غض البصر منافع ؛ كما ذكرها ابن القيم في الجواب الشافي [٣] .

---

(١) تفسير النيسابوري : ٥ / ١٧٩ .

(٢) قال الكفوي : البصر : هو إدراك العين ، وقد يطلق مجازاً على القوة الباصرة . ينظر : الكليات : ٢٤٧ .

(٣) **في غض البصر عدة منافع** :

أحدها : أنه إمتثال لأمر الله الذي هو غاية سعادة العبد في معاشه ومعاده ، وليس للعبد في دنياه وآخرته أنفع من إمتثال أوامر ربه تبارك وتعالى .

الثاني : أنه يمنع من وصول أثر السم المسموم الذى لعل فيه هلاكه إلى قلبه .

الثالث : أنه يورث القلب أنسا بالله وجمعية على الله ، فان إطلاق البصر يفرق القلب ويشتته ويبعده من الله ، وليس على العبد شيء أضر من إطلاق البصر فانه يوقع الوحشة بين العبد وبين ربه .

الرابع : أنه يقوي القلب ويفرحه كما أن إطلاق البصر يضعفه ويحزنه .

الخامس : أنه يكسب القلب نورا كما أن إطلاقه يكسبه ظلمة .

السادس : أنه يورث الفراسة الصادقة التي يميز بها بين المحق والمبطل والصادق والكاذب .

السابع : إنه يورث القلب ثباتا وشجاعة وقوة ، ويجمع الله له بين سلطان البصيرة والحجة ، وسلطان القدرة =

✍ وفي هذه الآية **دليل** على تحريم النظر إلى غير من يحل النظر إليه [١] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

المسألة الثانية : المراد بحفظ الفروج :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن المراد بحفظ الفروج هو حفظها عن الزنا وستر العورة ، فقال : ((وحفظ الفروج المأمور به : هو عن الزنا ، وقيل : أراد ستر العورة ، **والأظهر أن الجميع مراد**)) . اهـ [٢] .

= والقوة كما في الأثر : « الذي يخالف هواه يفر الشيطان من ظله » .

الثامن : أنه يسد على الشيطان مدخله من القلب ؛ فإنه يدخل مع النظرة وينفذ معها إلى القلب أسرع من نفوذ الهوى في المكان الخالي ؛ فيمثل له صورة المنظور إليه ويزينها ، ويجعلها صنما يعكف عليه القلب ، ثم يعده ويمنيه ويوقد على القلب نار الشهوة ، ويلقى عليه حطب المعاصي التي لم يكن يتوصل إليها بدون تلك الصورة فيصير القلب في اللهب .

التاسع : أنه يفرغ القلب للفكرة في مصالحه والاشتغال بها ، وإطلاق البصر يشتت عليه ذلك ويحول عليه بينه وبينها ؛ فتنفرط عليه أموره ، ويقع في اتباع هواه وفي الغفلة عن ذكر ربه .

العاشر : أن بين العين والقلب منفذا أو طريقا يوجب اشتغال أحدهما عن الآخر ، وإن يصلح بصلاحه ويفسد بفساده ، فإذا فسد القلب فسد النظر ، وإذا فسد النظر فسد القلب ، وكذلك في جانب الصلاح ، فإذا خربت العين وفسدت خرب القلب وفسد ، وصار كالمزبلة التي هي محل النجاسات والقاذورات والأوساخ ، فلا يصلح لسكني معرفة الله ومحبته والإنابة إليه والأنس به والسرور بقربه فيه ، وإنما يسكن فيه أضداد ذلك ، فهذه إشارة إلى بعض فوائد غض البصر تطلعك على ما ورائها " . اهـ . ينظر : الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (الداء والدواء) لشمس الدين محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي ، أبو عبد الله ، المعروف بابن قيِّم الجوزية أو ابن القيِّم (ت ٧٥١ هـ) : ١٢٥ - ١٢٧ **نقلتها باختصار للفائدة** .

(١) ينظر : فتح القدير للشوكاني : ٤ / ٢٢ .

(٢) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٦٤ .

الدراسة :

اختلف أهل العلم والمفسرون في **المراد بحفظ الفروج على أقوال منها** :

القول الأول : المراد بحفظ الفروج **حفظها عن الزنا** ، ذهب إليه النسفي [١] من المفسرين .

القول الثاني : المراد بحفظها **ستر العورة** ، وهو قول أبي العالية [٢] ، وابن زيد [٣] ، وذهب إليه الطبري [٤] .

عن أبي العالية قال : كل شيء في القر آن ﴿ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ﴾ [٥] و ﴿ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴾ [٦] يقول : من الزنا إلا ما كان من هذه الآية في النور . يقول : لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل ، ولا المرأة إلى عورة المراة [٧] .

✖ **وضُعِّف** : " لأنه تخصيص من غير دلالة " [٨] .

القول الثالث : **حفظها عن جميع ما لا يحل لهم فعله بها** ، فحفظ الفرج يشمل حفظه عن الزنا وستر العورة ، **استظهره** ابن عطية والفخر الرازي [٩] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [١٠] ووافقه **جمهور** [١١] المفسرين [١٢] .

---

(١) ينظر : نفسير النسفي : ٣ / ١٤٢ .

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٨ / ١١٦) ، وعزاه السيوطي أيضاً في الدر (٦ / ١٧٧) إلى عبد بن حميد ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨ / ٢٥٧١) .

(٣) نسبه إليه الزمخشري ، وابن الجوزي ، والآلوسي . ينظر : الكشاف : ٣ / ٢٣٤ ، زاد المسير : ٦ / ٣٠ ، روح المعاني : ١٨ / ١٣٩ .

(٤) ينظر : تفسير الطبري : ١٨ / ١١٦ .

(٥) سورة النور : ٣٠ .

(٦) سورة النور : ٣١ .

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨ / ٢٥٧١) .

(٨) أحكام القرآن للجصاص : ٥ / ١٧٢ . وينظر : التفسير الكبير للفخر الرازي : ٢٣ / ١٧٨ ، البحر المحيط لأبي حيان : ٦ / ٤١٢ ، تفسير ابن عادل : ١٤ / ٣٥٤ ، تفسير القاسمي : ١٢ / ١٨٩ .

(٩) ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ١٧٧ ، التفسير الكبير : ٢٣ / ١٧٨ .

(١٠) ينظر : التسهيل : ٣ / ٦٤ .

(١١) نسب هذا القول إلى الجمهور : الثعلبي في الكشف والبيان (٧ / ٨٦) ، وابن الجوزي في الزاد (٦ / ٣٠) .

(١٢) منهم : السمر قندي ، وابن أبي زمنين ، والثعلبي ، والواحدي ، والسمعاني ، والبغوي ، وجوَّزه الزمخشري ، وابن العربي ، وقدَّمه ابن الجوزي ، والقرطبي ، والبيضاوي ، والخازن ، وأبو حيان ، وابن كثير ، والبقاعي =

قال **السمعاني** : " هذا أمرٌ بالتعفُّف " [١] .

وقال **الزمخشري** :

" ويجوز أن يراد مع حفظها عن الإفضاء إلى ما لا يحلّ حفظها عن الإبداء " [٢] .

وأضاف **الآلوسي** : " لأن الحفظ لعدم ذكر صلته يتناول القسمين ؛ وذكر أن الحفظ عن الإبداء يستلزم الآخر من وجهين ؛ عدم خلوه عن الإبداء عادة ، وكون الحفظ عن الإبداء بل الأمر بالتستر مطلقاً للحفظ عن الإفضاء " . اهـ [٣] .

وقال ابن كثير : " وحفظ الفرج يكون :

- تارة بمنعه من الزنا ؛ كما قال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ﴾ [٤] .
- وتارة يكون بحفظه من النظر إليه ، كما جاء في الحديث في مسند أحمد والسُّنن : « ... احفظ عَوْرَتَكَ إلا من زَوْجَتِكَ أو ما مَلَكَتْ يَمِينُكَ ... » [٥] " . اهـ [٦] .

قال البقاعي : " و لم يستثن الزوجة وملك اليمين استغنا عنه بما سبق في المؤمنون [٧] ، ولأن

= وابن عادل ، والجلالين ، وأبو السعود ، وجوَّزه الخطيب الشربيني ، والشوكاني ، والقاسمي ، والآلوسي ، والسعدي ، والطاهر بن عاشور ، والشنقيطي ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير السمر قندي : ٢ / ٥٠٨ تفسير ابن أبي زمنين : ٣ / ٢٢٩ ، الكشف والبيان : ٧ / ٨٦ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٧٦١ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٥١٩ تفسير البغوي : ٣ / ٣٣٧ ، الكشاف : ٣ / ٢٣٤ ، أحكام القرآن لابن العربي : ٣ / ٣٧٧ ، زاد المسير : ٦ / ٣٠ ، تفسير القرطبي : ١٢ / ٢٢٢ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ١٨٣ ، تفسير الخازن : ٦ / ٦٨ ، البحر المحيط : ٦ / ٤١٢ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٢٨٣ ، نظم الدرر : ٥ / ٢٥٥ ، تفسير ابن عادل : ١٤ / ٣٥٤ ، تفسير الجلالين : ٤٦٢ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ١٦٩ ، السراج المنير : ٢ / ٦٨١ فتح القدير : ٤ / ٢٢ ، تفسير القاسمي : ١٢ / ١٨٩ ، روح المعاني : ١٨ / ١٣٩ ، تفسير السعدي : ٥٦٦ ، التحرير والتنوير : ١٨ / ٢٠٣ ، أضواء البيان : ٥ / ٥٠٦ ، الوسيط : ١٠ / ١١٥ .

(١) تفسير السمعاني : ٣ / ٥١٩ . وينظر : أحكام القرآن لابن العربي : ٣ / ٣٧٨ .

(٢) الكشاف : ٣ / ٢٣٤ . وينظر : تفسير البيضاوي : ٤ / ١٨٣ ، تفسير القاسمي : ١٢ / ١٨٩ .

(٣) روح المعاني : ١٨ / ١٣٩ .

(٤) سورة المؤمنون : ٥ .

(٥) جزء من حديث أخرجه الترمذي في كتاب الأدب ،بَاب ما جاء في حِفْظِ الْعَوْرَةِ (٢٧٩٤) : ٥ / ١١٠ .عن بَهْزُ بن حَكِيمٍ عن أبيه عن جَدِّهِ . قال أبو عِيسَى : هذا حَدِيثٌ حَسَنٌ . **وحسَّنه** الألباني .

(٦) ينظر : تفسير ابن كثير : ٣ / ٢٨٣ .

(٧) وهو قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ= =

المقام للتهويل في أمر للحفظ والتشديد ، ورغب في ذلك بتعليله بقوله : ﴿ ذَٰلِكَ أَزۡكَىٰ لَهُمۡ ﴾ " . اهـ [١] .

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن الراجح أن المراد بحفظ الفروج حفظها عن جميع ما لا يحل لهم فعله بها** ، ويدخل فيه دخولا أوليًّا حفظه عن الزنا ، وحفظه من الإبداء للناس والانكشاف لهم ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ، ووافقه جمهور المفسرين** ، يدل على ذلك :

أولاً : دلالة فحوى الخطاب [٢] :

قال الفخر الرازي : " والذي يقتضيه الظاهر أن يكون المعنى حفظها عن سائر ما حرم الله عليه من الزنا والمس والنظر ، وعلى أنه إن كان المراد حظر النظر فالمس والوطء أيضاً مرادان بالآية ، إذ هما أغلظ من النظر ، فلو نص الله تعالى على النظر لكان في مفهوم الخطاب ما يوجب حظر الوطء والمس ، كما أن قوله تعالى : ﴿ ... فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ... ﴾ [٣] اقتضى حظر ما فوق ذلك من السب والضرب " . اهـ [٤] .

فعليه : يكون حفظ الفرج عن الزنى [٥] يعلم منه بطريق الأوْلى [٦] .

ثانياً : هذا القول هو قول **جمهور المفسرين** ؛ وكل منهم حجَّة ؛ فكيف بالكلِّ ؟! ..

والله تعالى أعلم بالصواب .

مَلُومِينَ ﴾ . [سورة المؤمنون : ٥ ، ٦] .

(١) نظم الدرر : ٥ / ٢٥٥ .

(٢) **دلالة فحوى الخطاب** هو : فحوى الكلام ما يفهم منه على سبيل القطع ، لأنه أولى بالحكم من المنطوق به . ينظر : إتقان السيوطي : ٣ / ٨٥ .

(٣) سورة الإسراء : ٢٣ .

(٤) التفسير الكبير للفخر الرازي : ٢٣ / ١٧٨ . وينظر قبله : أحكام القرآن للجصاص : ٥ / ١٧٢ .

(٥) وزاد الشنقيطي : حفظ الفرج من اللواط ، والمساحقة ، وحفظ الرجل فرجه عن وطء زوجته في الدبر ، وذكر لذلك أدلة كثيرة من القرآن الكريم . ينظر : أضواء البيان : ٥ / ٥٠٦ ، ٥٠٧ .

(٦) ينظر : تفسير القاسمي : ١٢ / ١٨٩ .

قوله تعالى : ﴿ ...وَلَا تُكْرِهُواْ فَتَيَـٰتِكُمْ [١] عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُواْ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ . [آية : ٣٣] .

مسألة : في رجوع الشرط في قوله تعالى : ﴿ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن الشرط في قوله تعالى : ﴿ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا ﴾ راجع إلى إكراه الفتيات على الزنا ، فقال : ((﴿ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا ﴾ هذا الشرط راجع إلى إكراه الفتيات على الزنا إذ لا يتصور إكراههن إلاَّ إذا أردن التحصن ؛ وهو التعفف . وقيل : هو راجع إلى قوله : ﴿ وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَـٰمَىٰ ... ﴾ [٢] ؛ **وذلك بعيد**)) . اهـ [٣] .

الدراسة :

سبب نزول هذه الآية الكريمة فيما ذكر غير واحد من المفسرين من السلف والخلف في شأن عبد الله بن أبي بن سلول ؛ فإنه كان له إماء ؛ فكان يكرههن على البغاء طلباً لخراجهن ورغبة في أولادهن ورياسة منه فيما يزعم [٤] .

وأصحُّ ما جاء في سبب نزول الآية : ما أخرجه مسلم عن جَابِرٍ ﷺ : « أَنَّ جَارِيَةً لِعَبْدِ اللَّهِ بن أُبَيٍّ بن سَلُولَ يُقَالُ لها (مُسَيْكَةُ) ، وَأُخْرَى يُقَالُ لها (أُمَيْمَةُ) فَكَانَ يُكْرِهُهُمَا على الزنا ، فَشَكَتَا ذلك إلى النبي ﷺ ، فَأَنْزَلَ الله : ﴿ وَلَا تُكْرِهُواْ فَتَيَـٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ ﴾ إلى قَوْلِهِ : ﴿ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ » [٥] .

---

(١) الفتيات جمع فتاة ، والمراد بهن هنا الإماء ، وعبر عنهن بقوله : ﴿ فَتَيَـٰتِكُمْ ﴾ على سبيل التكريم لهن ، ففي الحديث الشريف : « ... ولا يَقُلْ أحدكم : عَبْدِي أَمَتِي ، وَلْيَقُلْ : فَتَايَ وَفَتَاتِي وَغُلَامِي » . أخرجه الشيخان واللفظ للبخاري .

(٢) سورة النور : ٣٢ .

(٣) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٦٧ .

(٤) ينظر : تفسير ابن كثير : ٣ / ٢٨٩ . وقد اختُلف في سبب نزول الآية ، وجاءت روايات كثيرة في سبب نزولها . ينظر : لباب النقول للسيوطي : ١٥٩ .

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب التفسير ، بَاب في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تُكْرِهُواْ فَتَيَـٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ ﴾ (٣٠٢٩) : ٤ / ٢٣٢٠ . وفي رواية لمسلم أيضاً في الباب نفسه عن جَابِرٍ ﷺ قال : « كان عبد اللَّهِ بن = =

وهذه **المسألة مُشْكل** ؛ والإشكال في هذه الآية أنه علق ﷻ بـــ ﴿ **إِنْ** ﴾ **الشرطية** المنع من الإكراه على البغاء على إرادة التحصن بقوله : ﴿ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا ﴾ ؛ والمعلق بكلمة ﴿ إِنْ ﴾ على الشيء يفهم منه عدمه عند عدم ذلك الشيء ، وظاهر الآية يقتضي الإكراه على الزنا إذا لم توجد إرادة التحصن ، وذلك باطل ، فإنه سواء وجدت إرادة التحصن أو لم توجد فإن المنع من الإكراه على الزنا حاصل ، ولهذا اختلف أهل العلم والمفسرون في **رجوع الشرط في قوله تعالى : ﴿ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا ﴾** على قولين :

القول الأول : معنى قوله : **﴿ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا ﴾ أي : إذا أرَدْنَ ، وليس معناه الشرط** لأنه لا يجوز إكراههن على الزنا إن لم يردْن تحصناً ، قاله الثعلبي والبغوي [١] من المفسرين .

واستدل له بالنظير القرآني :

- قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ . [سورة آل عمران : ١٣٩] . أي : إذا كنتم مؤمنين .
- وقوله تعالى : ﴿ ... لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ... ﴾ . [سورة الفتح : ٢٧] . يعني : إذا شاء الله [٢] . ونحو ذلك من الآيات .

القول الثاني : الشرط راجع إلى **إكراه الفتيات على الزنا ، وهذه الإرادة محل الإكراه فلا مفهوم للشرط ؛ إذ لا يتصور إكراههن إلاَّ إذا أردن التحصن ؛ وهو التعفف** ، قاله قتادة [٣] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٤] ، ووافقه **جمهور** [٥] المفسرين [٦] .

أُبَيٍّ بن سَلُولَ يقول لِجَارِيَةٍ له : اذْهَبِي فَابْغِينَا شيئا ، فَأَنْزَلَ الله ﷻ : ﴿ وَلَا تُكْرِهُواْ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُواْ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ » .

(١) ينظر : الكشف والبيان : ٧ / ٩٩ ، تفسير البغوي : ٣ / ٣٤٤ .

(٢) ينظر : المرجعين السابقين .

(٣) عزاه السيوطي في الدر (٦ / ١٩٤) إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨ / ٢٥٩٠) .

(٤) ينظر : التسهيل : ٣ / ٦٧ .

(٥) نسب الطاهر بن عاشور هذا القول إلى الجمهور . ينظر : التحرير والتنوير :١٨ / ٢٢٦ .

(٦) منهم : الماوردي وقدَّمه ، والسمعاني ، والزمخشري ، وابن العربي ، وابن عطية ، والفخر الرازي ، والقرطبي ، والبيضاوي ، والنسفي ، وأبو حيان ، والسمين الحلبي ، والبقاعي ، والثعالبي ، والجلالين ، والخطيب الشربيني ، والسعدي . ينظر : النكت والعيون : ٤ / ١٠١ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٥٢٨ ، الكشاف : ٣ / ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، أحكام القرآن لابن العربي : ٣ / ٤٠٢ ، المحرر الوجيز : ٤ / ١٨٢ ، التفسير الكبير : ٢٣ / ١٩٢ =

" وأوثرت كلمة ﴿ إِنۡ ﴾ على (إذ) إيذاناً بأن المساعيات كن يفعلن ذلك برغبة وطواعية منهن ، وأن ما وجد من معاذة ومسيكة من قبيل الشَّاذ والنَّادر " [١] .

القول الثالث : في الكلام تقديم وتأخير ، تقديرها : وانكحوا الأيامى منكم إن أردن تحصناً والشرط **راجع إلى قوله تعالى** : ﴿ **وَأَنكِحُواْ ٱلۡأَيَـٰمَىٰ** ... ﴾ [٢] ، قاله **الحسين بن الفضل** [٣] ، والزَّجَّاج [٤] ، وذهب إليه النحاس [٥] ، وقدَّمه الواحدي [٦] من المفسرين . [٧]

✖ وهذا القول **ضعَّفه ابن عطية ، واستبعده ابن جُزيّ وأبو حيان** [٨] .

وأضاف أبو حيان :

" وأيضاً فالأيامى يشمل الذكور والإناث ، فكان لو أريد هذا المعنى لكان التركيب : إن أرادوا تحصناً ، فيغلب المذكر على المؤنث " . اهـ [٩] .

= تفسير القرطبي : ١٢ / ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ١٨٦ ، تفسير النسفي : ٣ / ١٤٦ ، البحر المحيط : ٦ / ٤١٥ ، الدر المصون : ٥ / ٢١٨ ، نظم الدرر : ٥ / ٢٦٢ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ١٨٧ ، تفسير الجلالين : ٤٦٣ السراج المنير : ٢ / ٦٨٩ ، تفسير السعدي : ٥٦٨ . وينظر : يرهان الزَّركشي : ٤ / ٢٢١ ، إتقان السيوطي : ٣ / ٨٦ .

(١) الكشاف للزمخشري : ٣ / ٢٤٤ ، ٢٤٥ . وينظر : تفسير البيضاوي : ٤ / ١٨٦ ، البحر المحيط لأبي حيان : ٦ / ٤١٦ ، السراج المنير للخطيب الشربيني : ٢ / ٦٨٩ .

(٢) سورة النور : ٣٢ .

(٣) نسبه إليه الخطيب الشربيني في السراج المنير : ٢ / ٦٨٩ .

والحسين بن الفضل هو : الحسين بن الفضل بن عمير البجلي ، مفسرٌ معمرٌ ، كان رأساً في معاني القرآن ، أصله من الكوفة ، انتقل إلى نيسابور ، وأنزله واليها عبد الله بن طاهر في دار اشتراها له سنة ٢١٧هـ ؛ فأقام فيها يعلم الناس ٦٥ سنة . وكان قبره بها معروفاً . ت سنة ٢٨٢ هـ . ينظر : الإرشاد في معرفة علماء الحديث للخليل بن عبد الله بن أحمد الخليلي القزويني (ت ٤٤٦ هـ) : ٢ / ٨١١ ، السِّير : ١٣ / ٤١٤ - ٤١٦ ، الوافي بالوفيات : ١٣ / ١٨ .

(٤) ينظر معانيه : ٤ / ٤٠ .

(٥) ينظر معانيه : ٤ / ٥٣٣ .

(٦) ينظر : تفسير الواحدي : ٢ / ٧٦٤ .

(٧) ذكر جميع الأقوال أو بعضها و لم يرجح : الخازن ، والنيسابوري ، وابن عادل . ينظر تفسير الخازن : ٥ / ٧٦ ، تفسير غرائب القرآن : ٥ / ١٩٠ ، تفسير ابن عادل : ١٤ / ٣٧٧ .

(٨) ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ١٨٢ ، التسهيل : ٣ / ٦٧ ، البحر المحيط : ٦ / ٤١٦ .

(٩) البحر المحيط لأبي حيان : ٦ / ٤١٦ .

الترجيح:

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن الرَّاجح أن الشرط راجع إلى إكراه الفتيات على الزنا ، وهذه الإرادة محل الإكراه فلا مفهوم للشرط ؛ وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ووافقه جمهور المفسرين ، لأنه خرج مخرج الغالب ، أو جاء لبيان الواقع** [(١)] **، فللغالب أن الإكراه لا يحصل إلا عند إرادة التحصن** ؛ قاله **ابن كثير** ، **وأبو السعود** ، وقال **الشوكاني** (**وهذا الوجه هو أقوى هذه الوجوه**) ، **وذهب إليه القاسمي** ، وقال **الآلوسي** (**هو الأولى**) ، **وقاله محَّمد سيِّد طنطاوي** [(٢)] .

ليس المقصود من الآية أنهن إن لم يردن التحصن يكرهن على ذلك ، وإنما المراد منه **بيان الواقع** الذى نزلت من أجله الآية ، وهو إكراهم لإمائهم على الزنا مع نفورهن منه ، وذلك **حسب ما جاء في سبب نزول الآية** ؛ قاله **الطاهر بن عاشور** [(٣)] .

وهكذا يكون الشرط في قوله تعالى : ﴿ إِنۡ أَرَدۡنَ تَحَصُّنٗا ﴾ خرج مخرج الغالب ، أو لبيان الواقع ؛ لأن إرادة التحصن هي غالب أحوال الإماء البغايا المؤمنات إذ كن يحببن التعفف ؛ فكأنه ﷻ يقول لهم : كيف يقع منكم إكراههن على البغاء وهن إماء يردن العفة ويأبين الفاحشة ؟ ألم يكن الأوْلى بكم والأليق بكرامتكم أن تعينوهن على العفاف والطهر ؛ بدل أن تكرهوهن على ارتكاب الفاحشة من أجل عرض من أعراض الحياة الدنيا ؟ .

يدل على ذلك إضافة لما تقدم ما يلي :

أولاً : النظير القرآني :

الخلع يجوز في غير حالة الشقاق ؛ ولما كان الغالب وقوع الخلع في حالة الشقاق لم يكن لقوله تعالى : ﴿ ... فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦ

---

(١) لاعتبار مفهوم المخالفة شروط ، منها : ألا يخرج القيد مخرج الغالب ، وألا يكون موافقاً للواقع . ينظر : البحر المحيط في أصول الفقه للزَّركشي : ٣ / ١٠١ ، إتقان السيوطي : ٣ / ٨٦ . ومن ثمَّ فلا مفهوم للشرط في هذه الآية .

(٢) ينظر : تفسير ابن كثير : ٣ / ٢٩٠ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ١٧٣ ، فتح القدير : ٤ / ٣٠ ، تفسير القاسمي : ١٢ / ٢٠٧ ، روح المعاني : ١٨ / ١٥٨ ، الوسيط : ١٠ / ١٢٤ ، ١٢٥ .

(٣) ينظر : التحرير والتنوير : ١٨ / ٢٢٦ .

... ﴾ . [سورة البقرة : 229] . مفهوم .

- وقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ ... ﴾ . [سورة النساء : ١٠١] . والقصر لا يختص بحال الخوف ؛ ولكنه ﷻ أجراه على سبيل الغالب [١] .

- وقوله تعالى : ﴿ ... وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم ... ﴾ . [سورة النساء : ٢٣] . **فالجمهور** على أن الربيبة حرام نكاحها سواء كانت في حجر الرجل أو لم تكن في حجره . قالوا : وهذا الخطاب خرج مخرج الغالب فلا مفهوم له [٢] .

ثانياً : يتأيد هذا القول **بالقاعدة الترجيحية** التالية :

- **القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك** [٣] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) ينظر : التفسير الكبير للفخر الرازي : ٢٣ / ١٩٢ ، تفسير القاسمي : ١٢ / ٢٠٧ .

(٢) ينظر : تفسير ابن كثير : ١ / ٤٧٢ .

(٣) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٣١٢ .

قوله تعالى : ﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ (١) مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ

---

(١) النور في اللغة : الضوء المدرك بالبصر . واختلف في معنى قوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ :
إما على أنه بمعنى اسم الفاعل ؛ أي : منوّر السموات والأرض ، وإما على حذف ؛ أي : ذو نور .
قال الحسن : أى منوِّر السموات والأرض . وقال مجاهد : مدبر الأمور فى السموات والأرض .
قال ابن عباس ﷺ : المعنى : الله هادى السموات والأرض . والأول أعم للمعانى وأصح مع التأويل .
ويدل عليه : قراءة زيد بن علي ، وأبى جعفر ، وعبد العزيز المكى : (الله نوَّرَ السماوات والأرض) على صيغة الفعل الماضي ، وفاعله ضمير يرجع إلى الله و (السموات) مفعولـه ، هكذا قال الحسن ومجاهد والأزهـرى والضحاك والقرظى وابن عرفة وابن جرير وغيرهم ، ومثله قول الشاعر :

وأنت لنا نور وغيث وعصمة ونبت لمن يرجو نداك وريف

وسبب هذا الاختلاف أن النور في الأصل كيفية تدركها الباصرة أولاً وبواسطتها سائر المبصرات ؛ كالكيفية الفائضة من النيران على الأجرام الكثيفة المحاذية لها ، وهو بهذا المعنى لا يصح إطلاقه على الله تعالى إلا على ضرب من التجوز ؛ فالإخبار عن الله تعالى بأنه نور إخبار بمعنى مجازي للنور لا محالة بقرينة أصل عقيدة الإسلام أن الله تعالى ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض ؛ لا يتردد في ذلك أحد من أصحاب اللسان العربي ولا تخلو حقيقة معنى النور عن كونه جوهراً أو عرضاً ؛ كما يقال : الملك نور البلد ، أو : زيد كرم وجود ، ثم تقول : ينعش الناس بكرمه وجوده . فيجوز إطلاق النور على الله سبحانه علىطريقة المدح ، ولكونه أوجد الأشياء المنورة ، وأوجد أنوارها ونورها . قال الطاهر بن عاشور : " وأسعد إطلاقات النور في اللغة بهذا المقام أن يراد به جلاء الأمور التي شأنها أن تخفى عن مدارك الناس وتلتبس فيقل الاهتداء إليها ... وأحسن ما يفسر به قوله تعالى : ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ أن الله موجد كل ما يعبر عنه بالنور ؛ وخاصة أسباب المعرفة الحق والحجة القائمة والمرشد إلى الأعمال الصالحة التي بها حسن العاقبة في العالَمَيْن العلوي والسفلي ، وهو من استعمال المشترك في معانيه " . اهـ .

وقد ثبت فى الصحيحين عن ابن عباس ﷺ قال : كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل يتهجد يقول : « اللهم لك الْحَمْدُ أنت قَيِّمُ السماوات وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ ، وَلَكَ الْحَمْدُ لك مُلْكُ السماوات وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ ، وَلَكَ الْحَمْدُ أنت نُورُ السماوات وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنّ ... » .

وقال ﷺ فى دعائه يوم آذاه المشركون من أهل الطائف : « أعوذ بنور وجهـك الذى أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ، أن يحل بى غضبك ، أو يترل بى سخطك ، لك العتبى – أى الرجوع عن الذنب – حتـى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بك » .

وأضاف سبحانه نوره إلى السموات والأرض ، للدلالة على سعة إشراق هذا النـور ، وعموم سنائه ، وتمام بهائه فى الكون كله .

هذا التأويل في صفة (النور) قاله الزمخشري في الكشاف (٣ / ٢٤٥) والفخر الرازي في تفسيره (٢٣ / ٢٤٥) وكذا ابن جزي عند تفسير هذه الآية وغيره . قال **ابن تيمية** في دقائق التفسير (٢ / ٤٧٢ ، ٤٧٣) : " **جماهير المسلمين لا يتأولون هذا الاسم** ، وهذا مذهب السلفية وجمهور الصفاتية من أهل الكلام والفقهاء والصوفية وغيرهم ، وهو قول أبي سعيد بن كلاب ذكره في الصفات ، وردَّ على الجمهية تأويل اسم النور ... وهو أيضاً قول أبي الحسن الأشعري ذكره في (الموجز) " . اهـ .

ينظر : المحرر الوجيز لابن عطية : ٤ / ١٨٤ ، تفسير القرطبي : ١٢ / ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، لسان العرب (مادة : نور) : ٥ / ٢٤٠ ، التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٦٧ ، البحر المحيط لأبي حيان : ٦ / ٤١٨ ، الدر المصون للسمين الحلبي : ٥ / ٢١٩ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ١٨٨ ، السراج المنير للخطيب الشربيني : ٢ / ٦٩٠ ، ٦٩١ ، فتح القدير =

ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ... يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ ... ﴾ . [آية : ٣٥] .

في الآية مسألتان :

المسألة الأولى : في المراد بالمشكاة :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ **أن المشكاة هي الكوة غير النافذة تكون في الحائط** ، فقال : ((﴿ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌ ﴾ المشكاة هي الكوَّة غير النافذة تكون في الحائط ، ويكون المصباح فيها شديد الإضاءة . وقيل : المشكاة العمود الذي يكون المصباح على رأسه ، **والأول أصحُّ وأشهر**)) . اهـ [١] .

الدراسة :

اختلف أهل العلم والمفسرون **في المراد بالمشكاة** على قولين :

القول الأول : المشكاة [٢] هي **الكوة غير النافذة تكون في الحائط** ، ويكون المصباح فيها شديد الإضاءة .

قاله ابن عباس ﷺ [٣] ، وجماعة من السَّلف [٤] ، وذهب إليه **الفَرَّاء والزَّجَّاج** [٥] ، **وهو ما**

= للشوكاني : ٤ / ٣٢ ، التحرير والتنوير لابن عاشور : ١٨ / ٢٣١ ، ٢٣٢ .

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٦٧ .

(٢) **أصل المشكاة** : الوعاء يجعل فيه الشيء ، والشكوة وعاء من أدم ؛ كالدلو يبرَّد فيها الماء ، وهو على وزن (مفعلة) كالمقراة ، والمصفاة . والكوة المشكاة ، وهل هي عربية أم حبشية مُعَرَّبة ؟ خلافٌ .
ومشكاة : أصلها مشكوة ؛ فقلبت الواو ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها ، وإلى أن أصل ألفها الواو ذهب ابن جني ، واستدل عليه بأن العرب قد نحوا بها منحاة الواو كما فعلوا بالصلاة . ينظر : العين (مادة : شكا) : ٥ / ٣٨٨ ، المحكم لابن سيده (مادة : شكا) : ٧ / ١١٩ ، لسان العرب (مادة : شكا) : ١٤ / ٤٤١ .

(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٨ / ١٣٧) ، وعزاه السيوطي في الدر (٦ / ١٩٩ / ٢٠٠) إلى الفريابي ، وعزاه في رواية أخرى إلى ابن أبي حاتم في تفسيره (٨ / ٢٥٩٦) ، والحاكم **وصحَّحه** .

(٤) منهم : ابن عمر ﷺ ، والحسن ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، والضحاك ، وقتادة . ينظر أقوالهم في : تفسير عبد الرزاق (٣ / ٦٠) ، وتفسير الطبري (١٨ / ١٣٨) ، والدر المنثور (٦ / ١٩٩ ، ٢٠٠) .

(٥) ينظر : معاني القرآن للفَرَّاء : ٢ / ٢١٦ ، معاني القرآن وإعرابه للزَّجاج : ٤ / ٤٣ .

رجَّحه ابن جُزيّ [١] ، وهو **المشهور** [٢] ، وهو القول **الأصحُّ عند أئمة اللغة** [٣] ، وقاله **جمهور** [٤] المفسرين [٥] .

واستدل له :

١. من كلام العرب :

قول الشاعر :

كأنَّ عيْنَيه مشْكَاتَان في جَحَر قيضَا اقْتيَاضاً بأطْرَاف المَناقير [٦]

٢. الكوة أَجْمَع للضَّوْءِ ، والمِصْباحُ فيها أَكْثَر إنارَةً في غيرِها [١] .

---

(١) ينظر : التسهيل : ٣ / ٦٧ .

(٢) قال بذلك الفخر الرازي ، وابن جُزيّ ، وابن كثير . ينظر : التفسير الكبير : ٢٣ / ١٩٥ ، التسهيل : ٣ / ٦٧ تفسير ابن كثير : ٣ / ٢٩١ .

(٣) قاله النيسابوري في تفسيره (٥ / ١٩٥) . وينظر : العين للفراهيدي (مادة : شكو) : ٥ / ٣٨٩ ، مفردات الرَّاغب (مادة : شكا) : ٢٦٦ ، مجاز القرآن لأبي عبيدة : ٢ / ٦٦ .

(٤) نسب هذا القول إلى جمهور المفسرين : ابن عطية ، والقرطبي ، وأبو حيان ، والآلوسي . ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ١٨٤ ، تفسير القرطبي : ١٢ / ٢٥٧ ، البحر المحيط : ٦ / ٤١٩ ، روح المعاني : ١٨ / ١٦٦ .

(٥) ومنهم : مقاتل ، والنحاس (ونسبه لابن عباس ﷺ) ، والسمر قندي ، وابن أبي زمنين ، والثعلبي ، وقدَّمه الماوردي ، والواحدي ، و **استظهره** السمعاني ، والزمخشري ، وابن عطية (**وقال : أصح هذه الأقوال**) ، **وصحَّحه** الفخر الرازي ، والقرطبي ، والبيضاوي ، والنسفي ، والخازن ، والنيسابوري ، وقدَّمه أبو حيان ، والسمين الحلبي ، والبقاعي ، **وصحَّحه** الثعالبي ، والجلالين ، وأبو السعود ، والخطيب الشربيني ، والشوكاني (**وقال : هذا القول أولى**) ، وقال الآلوسي (**والمعوَّل عليه قول الجمهور**) ، والسعدي ، وسيد قطب ، والطاهر بن عاشور ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير مقاتل : ٢ / ٤١٩ معاني القرآن للنحاس : ٤ / ٥٣٦ ، تفسير السمر قندي : ٢ / ٥١٢ ، تفسير ابن أبي زمنين : ٣ / ٢٣٥ ، الكشف والبيان : ٧ / ١٠١ النكت والعيون : ٤ / ١٠٢ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٧٦٤ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٥٣٠ ، الكشاف : ٣ / ٢٤٦ ، المحرر الوجيز : ٤ / ١٨٤ ، التفسير الكبير : ٢٣ / ٢٠٥ ، تفسير القرطبي : ١٢ / ٢٥٧ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ١٨٨ ، تفسير النسفي : ٣ / ١٤٧ ، تفسير الخازن : ٥ / ٧٧ تفسير غرائب القرآن : ٥ / ١٩٥ ، البحر المحيط : ٦ / ٤١٩ ، الدر المصون : ٥ / ٢١٩ ، نظم الدرر : ٥ / ٢٦٤ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ١٨٨ ، تفسير الجلالين : ٤٦٤ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ١٧٦ ، السراج المنير : ٢ / ٦٩١ ، فتح القدير : ٤ / ٣٢ ، روح المعاني : ١٨ / ١٦٦ ، تفسير السعدي : ٥٦٨ ، الظلال : ٤ / ٢٥١٩ ، التحرير والتنوير : ١٨ / ٢٣٥ ، الوسيط : ١٠ / ١٢٨ .

(٦) أورده غير واحد من المفسرين عند تفسير الآية و لم ينسبوه لأحد . ينظر : الكشف والبيان : ٧ / ١٠٢ ، تفسير القرطبي : ١٢ / ٢٥٧ .

القول الثاني : المشكاة هي **موضع الفتيلة من القنديل** ، قاله مجاهد [٢] ، وذهب إليه **ابن كثير** [٣] .

واستدل له بالقرينة القرآنية :

قوله تعالى بعدها : ﴿ فِيهَا مِصْبَاحٌ ﴾ وهو النور الذي في الفتيلة [٤] .

القول الثالث : المشكاة **العمود الذي يكون المصباح على رأسه** ، قاله مجاهد [٥] أيضاً ، ورجَّحه **الطبري** [٦] .

قال **الطبري** :

وهي عمود القنديل الذي فيه الفتيلة ، وذلك هو **نظير الكوّة** التي تكون في الحيطان التي لا منفذ لها ، وإنما جعل ذلك العمود مشكاة لأنه غير نافذ ، وهو أجوف مفتوح الأعلى فهو كالكوة التي في الحائط التي لا تنفذ " . اهـ [٧] .

✓ وبهذا يعود هذا القول إلى القول الأول .

الترجيح:

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أنَّ الرَّاجح أن المشكاة هي الكوة غير النافذة تكون في الحائط ، ويكون المصباح فيها شديد الإضاءة ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ، ووافقه جمهور المفسرين** . يدل على ذلك إضافة لما تقدم ما يلي :

أولاً : هذا القول قاله **ابن عباس** ﷺ ترجمان القرآن ، وجماعة من السَّلف ، وهو **المشهور**

---

(١) ينظر : تفسير القرطبي : ١٢ / ٢٥٧ ، التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٦٧ ، تفسير السعدي : ٥٦٨ .

(٢) ينظر : تفسير مجاهد : ٢ / ٤٤٢ . وأخرجه ابن جرير في تفسيره (١٨ / ١٣٩) .

(٣) ونسبه إلى ابن عباس ﷺ ، ومجاهد ، ومحمد بن كعب وغير واحد . وقال : **هذا القول المشهور** . ينظر : تفسير ابن كثير : ٣ / ٢٩١ . لكنني وجدت أن المشهور عند علماء اللغة وأهل التفسير أن المشكاة هي الكوة غير النافذة تكون في الحائط .

(٤) ينظر : تفسير ابن كثير : ٣ / ٢٩١ .

(٥) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٨ / ١٤٠) .

(٦) ينظر : تفسير الطبري : ١٨ / ١٤٠ .

(٧) المرجع السابق .

عند أئمة اللغة وجمهور المفسرين ، وللأكثر حكم الكل شرعاً وعرفاً ؛ كما قال الآلوسي [١] .

ثانياً : هذا القول يتأيد **بالقواعد الترجيحية** التالية :

- **تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم** [٢] .
- **في تفسير القرآن بمقتضى اللغة يراعى المعنى الأغلب والأشهر دون الشاذ أو القليل** [٣] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

المسألة الثانية :في عود الضمير في قوله : ﴿ مَثَلُ نُورِهِۦ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن الضمير في قوله : ﴿ مَثَلُ نُورِهِۦ ﴾ عائد على الله ﷻ ، ففي الآية تشبيه نور الله بالمشكاة ؛ فقال : ((﴿ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ﴾ ... والمعنى : صفة نور الله في وضوحه كصفة مشكاة فيها مصباح على أعظم ما يتصوره البشر من الإضاءة والإنارة ، وإنما شبه بالمشكاة وإن كان نور الله أعظم ؛ لأن ذلك غاية ما يدركه الناس من الأنوار ، فضرب المثل لهم بما يصلون إلى إدراكه . وقيل : الضمير في ﴿ **نُورِهِۦ** ﴾ عائد على سيدنا محمد ﷺ . وقيل : على القرآن . وقيل : على المؤمن ، **وهذه الأقوال ضعيفة** ...)) . اهـ [٤] .

الدراسة :

اختلف جماعة السَّلف وأهل العلم والمفسرون **في عود الضمير في قوله** : ﴿ **مَثَلُ نُورِهِۦ** ﴾

---

(١) ينظر : روح المعاني : ١٧ / ٢ .
(٢) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٢٧١ .
(٣) ينظر : قواعد التفسير للسَّبت : ١ / ٢١٣ .
(٤) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٦٧ .

على أقوال [١] منها :

القول الأول : الضمير في ﴿ **مَثَلُ نُورِهِۦ** ﴾ **عائد على الله ﷻ ، أي : مثل نور الله في قلب المؤمن** ، قاله ابن عباس ﷺ [٢] ، وقتادة [٣] ، وذهب إليه الأزهري ، ومكي بن أبي طالب [٤] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٥] ، **وصحَّحه** ابن القيِّم [٦] ، **واستظهره** أبو حيان [٧] ، وقاله جماعة من المفسرين [٨] .

واستدل له بما يلي :

١. بقراءة عبد الله بن مسعود ﷺ : (مثل نوره في قلب المؤمن) [٩] .

٢. النظير القرآني :

٣. هذا في معنى قوله تعالى : ﴿ ... **فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ** ... ﴾ [١] . [٢]

---

(١) ذكر الفخر الرازي عشرة أقوال في المسألة ؛ اكتفيت بأهمها . ينظر : التفسير الكبير : ٢٣ / ٢٠٢ ، ٢٠٣ .

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٨ / ١٣٧) ، وعزاه السيوطي في الدر (٦ / ١٩٦) إلى الفريابي ، وعزاه في رواية أخرى إلى ابن أبي حاتم في تفسيره (٨ / ٢٥٩٤) ، والحاكم **وصحَّحه** . وينظر : تنوير المقباس : ٢٩٥ .

(٣) عزاه السيوطي إلى عبد الرزاق ، وعبد بن حميد ، وابن جرير . ينظر : تفسير الصنعاني : ٣ / ٦٠ ، الدر المنثور : ٦ / ٢٠٠ .

(٤) ينظر : تهذيب اللغة (مادة : نور) : ١٥ / ١٧٠ ، مشكل إعراب القرآن : ٢ / ٥١١ .

(٥) ينظر : التسهيل : ٣ / ٦٧ .

(٦) ينظر : التفسير القيِّم : ٣٧٧ .

(٧) ينظر : البحر المحيط : ٦ / ٤١٩ .

(٨) ومنهم : الطبري ، والسمر قندي ، وابن أبي زمنين ، وقدَّمه الماوردي ، والواحدي ، والبغوي ، ولم يذكر الزمخشري غيره ، وابن العربي ، وقدَّمه ابن الجوزي ، ولم يذكر البيضاوي والنسفي غيره ، والخازن ، وقال السمين الحلبي (**هو الأوْلى**) ، والجلالين ، ولم يذكر الشوكاني غيره ، والآلوسي ، والسعدي ، وسيد قطب ، وابن عاشور ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير الطبري : ١٨ / ١٤٠ ، تفسير السمر قندي : ٢ / ٥١٢ ، تفسير ابن أبي زمنين : ٣ / ٢٣٥ ، النكت والعيون : ٤ / ١٠٢ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٧٦٤ ، تفسير البغوي : ٣ / ٣٤٥ ، الكشاف : ٣ / ٢٤٦ ، أحكام القرآن لابن العربي : ٣ / ٤٠٤ ، زاد المسير : ٦ / ٤٠ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ١٨٨ ، تفسير النسفي : ٣ / ١٤٧ ، تفسير الخازن : ٥ / ٧٦ ، الدر المصون : ٥ / ٢١٩ ، تفسير الجلالين : ٤٦٤ ، فتح القدير : ٤ / ٣٢ ، روح المعاني : ١٨ / ١٦٦ ، تفسير السعدي : ٥٦٨ ، الظلال : ٤ / ٢٥٢١ ، التحرير والتنوير : ١٨ / ٢٣٤ ، الوسيط : ١٠ / ١٢٨ .

(٩) أوردها غير واحد من المفسرين عند تفسيرهم للآية . ينظر مثلا : تفسير السمر قندي : ٢ / ٥١٢ ، تفسير البغوي : ٣ / ٣٤٥ . وهي **قراءة بالغة الشذوذ** تحمل على التفسير . ينظر : مختصر شواذ القرآن : ١٠٣ ، إتحاف فضلاء البشر للبناء : ٤١٤ . لكنها تحمل على التفسير .

٤. دلالة السِّياق القرآني :

قوله تعالى بعدها : ﴿ ... وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا ... ﴾ . [سورة النور : ٤٠] . (٣)

القول الثاني : الضمير في ﴿ **نُورِهِۦ** ﴾ **عائد على المؤمن** ، قاله **ابن عباس** ﷺ (٤) أيضاً ، **وأبي بن كعب** ﷺ (٥) ، وسعيد بن جبير والضحاك (٦) ، وعكرمة (٧) . (٨)

واستدل له :

١. بقراءة أبي بن كعب ﷺ : (مثل نور من آمن به) (٩) .

٢. دلالة السِّياق القرآني :

قال ابن كثير : " دل على هذا القول **سياق الكلام** ، تقديره : مثل نور المؤمن الذي في قلبه كمشكاة ؛ فشبَّه قلب المؤمن وما هو مفطور عليه من الهدى ؛ وما يتلقاه من القرآن المطابق لما هو مفطور عليه كما قال تعالى : ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ ... ﴾ (١٠) ؛ فشبَّه قلب المؤمن في صفائه في نفسه بالقنديل من الزَّجَّاج الشفاف الجوهري

---

(١) سورة الزمر : ٢٢ .

(٢) ينظر : تفسير السمعاني : ٣ / ٥٣٠ ، تفسير ابن عادل : ١٤ / ٣٨١ .

(٣) ينظر : تفسير السمر قندي : ٢ / ٥١٢ .

(٤) نسبه إليه ابن كثير تفسيره (٣ / ٢٩١) ، وعزاه السيوطي في الدر (٦ / ١٩٧) إلى أبي عبيد ، وابن المنذر عن أبي العالية .

(٥) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٨ / ١٣٦) ، وعزاه السيوطي أيضاً في الدر (٦ / ١٩٧) إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨ / ٢٥٩٤) ، وابن مردويه ، والحاكم **وصحَّحه** .

(٦) أخرجه عن سعيد بن جبير والضحاك ابن جرير في تفسيره (١٨ / ١٣٦) .

(٧) عزاه السيوطي في الدر (٦ / ١٩٧) إلى عبد بن حميد ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨ / ٢٥٩٤) ، وابن مردويه والحاكم **وصحَّحه** .

(٨) جوَّز النحاس القولين الأول والثاني ؛ وذكرهما ابن كثير و لم يرجح بينهما . ينظر : معاني القرآن للنحاس : ٤ / ٥٣٦ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٢٩١ .

(٩) أخرجها ابن جرير ، وابن أبي حاتم ، ونسبها إليه الثعلبي ، وابن كثير وغيرهما ، وعزاها السيوطي إلى عبد بن حميد . ينظر : تفسير الطبري : ١٨ / ١٣٦ ، تفسير ابن أبي حاتم : ٨ / ٢٥٩٣ ، ٢٨٩٤ ، الكشف والبيان : ٧ / ١٠١ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٢٩١ ، الدر المنثور : ٦ / ١٩٩ . وهي **قراءة بالغة الشذوذ** . ينظر : مختصر شواذ القرآن : ١٠٣ ، إتحاف فضلاء البشر للبناء : ٤١٤ . لكنها تحمل على التفسير .

(١٠) سورة هود عليه السلام : ١٧ .

وما يستمد من القرآن والشرع بالزيت الجيد الصافي المشرق المعتدل الذي لا كدر فيه ولا انحراف " . اهـ [١] .

✖ واعتُرض :

فقيل : " وأمَّا عَوْدُه على المؤمنين في قراءةِ أُبَيّ ، ففيه إشكالٌ من حيث الإفراد " [٢] .

القول الثالث : الضمير في ﴿ **نُورِهِۦ** ﴾ **عائد إلى القرآن** ، قاله الحسن [٣] ، وابن زيد [٤] ، وذهب إليه أبو السعود [٥] من المفسرين .

واستدل له بما يلي :

١. دلالة السِّياق القرآني :

يعرب عنه ما قبله من وصف آياته بالإنزال والتبيين : قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَـٰتٍ مُّبَيِّنَـٰتٍ... ﴾ [٦] .

٢. **النظير القرآني** : قد صرح بكونه نوراً أيضاً في قوله تعالى : ﴿ ... وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴾ [٧] . [٨]

وقيل : الضمير في ﴿ **نُورِهِۦ** ﴾ **عائد إلى الآيات البينات** ، وهو قول جمهور المتكلمين ، نسبه إليهم الفخر الرازي [٩] ، وكذا قال القرطبي والبقاعي [١٠] من المفسرين .

---

(١) تفسير ابن كثير : ٣ / ٢٩١ .
(٢) الدر المصون : ٥ / ٢١٩ . وينظر : تفسير ابن عادل : ١٤ / ٣٨٢ .
(٣) أخرجه ابن جرير ، وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد . ينظر : تفسير الطبري : ١٨ / ١٣٧ ، الدر المنثور : ٦ / ١٩٩ .
(٤) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٨ / ١٣٧) .
(٥) ينظر : تفسير أبي السعود : ٦ / ١٧٥ .
(٦) سورة النور : ٣٤ .
(٧) سورة النساء : ١٧٤ .
(٨) ينظر : التفسير الكبير : ٢٣ / ١٩٥ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ١٧٥ .
(٩) ينظر : التفسير الكبير : ٢٣ / ٢٠٢ .
(١٠) ينظر : تفسير القرطبي : ١٢ / ٢٥٧ ، نظم الدرر : ٥ / ٢٦٤ .

واستدل كلٌّ من **الفخر الرازي والقرطبي** بالأدلة التي استدل بها **أبو السعود** على قوله : (في القول الرابع) بأن الضمير في ﴿ **نُورِهِۦ** ﴾ **عائد إلى القرآن** .

القول الرابع : الضمير في ﴿ **نُورِهِۦ** ﴾ **عائد على سيدنا محمد** ﷺ ، قاله سعيد بن جبير [١] ، وذهب إليه مقاتل والنحاس [٢] . [٣]

واستدل له :

١. أنه ﷺ هو المرشد .

٢. لأنه تعالى قال في وصفه : ﴿ ... وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾ . [سورة الأحزاب : ٤٦] . [٤]

✖ **وضعَّف ابن جُزيّ وغيره الأقوال الثلاثة الأخيرة بأنه** :

" لم يتقدَّمْ لها ذِكْرٌ " [٥] .

" وعلى هذه الأقوال يوقف على قوله : ﴿ وَٱلْأَرْضِ ﴾ " [٦] .

الترجيح:

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أنَّ الرَّاجح أنَّ الضمير في قوله تعالى : ﴿ مَثَلُ نُورِهِۦ ﴾ عائد على الله ﷻ ، أي : مثل نور الله في قلب المؤمن ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** ؛ يدل على ذلك إضافة لما تقدم ولما يلي :

---

(١) أخرجه ابن جرير تفسيره (١٨ / ١٣٦) ، وعزاه السيوطي أيضاً في الدر (٦ / ١٩٩) إلى ابن أبي حاتم في تفسيره (٨ / ٢٥٩٤) .

(٢) ينظر : تفسير مقاتل : ٢ / ٤١٩ ، إعراب القرآن للنحاس : ٣ / ١٣٦ .

(٣) ذكر جميع الأقوال أو بعضها و لم يرجح : الثعلبي ، والسمعاني ، والثعالبي ، والخطيب الشربيني . ينظر : الكشف والبيان : ٧ / ١٠١ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٥٣٠ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ١٨٨ ، السراج المنير : ٢ / ٦٩١ .

(٤) نقله الفخر الرازي . ينظر : التفسير الكبير :٢٣ / ١٩٥ .

(٥) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٦٧ . وضعَّف الأقوال الثلاثة الأخيرة أيضاً : ابن عطية ، والسمين الحلبي ، وابن عادل والآلوسي . ينظر : المحرر الوجيز لابن عطية : ٤ / ١٨٣ ، الدر المصون للسمين الحلبي : ٥ / ٢١٩ ، تفسير ابن عادل : ١٤ / ٣٨٢ ، روح المعاني للآلوسي : ١٨ / ١٦٦ .

(٦) نسب هذا القول ابن عطية والقرطبي وغيرهما إلى مكي بن أبي طالب . ينظر : المحرر الوجيز لابن عطية : ٤ / ١٨٣ ، تفسير القرطبي : ١٢ / ٢٦٠ . و لم أقف على قوله في كتبه – في حدود ما اطلعت – .

أولاً : أشكل قول أبي بن كعب ﷺ ، وضعِّفت الأقوال الثلاثة الأخيرة ؛ وبذلك يترجح القول الأول .

ثانياً : استدل على هذا القول بقراءة عبد الله بن مسعود ﷺ ، وبالنظير القرآني ، **وبدلالة السِّياق الواضحة ، والقرينة القرآنية وهي قوله تعالى بعدها** : ﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا ﴾ (١) ، فالله ﷻ هو واهب النور في قلب المؤمن ؛ والنور هنا نوره ﷻ .

ثالثاً : يتأيد هذا القول **بالقاعدة الترجيحية** التالية :

- **القول الذي تؤيده قرائن في السِّياق مرجح على ما خالفه** .
- **القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك** (٢) .

قال **ابن العربي** :

" لا خلاف بين المحققين الذين يترلون التفسير منازله ويضعون التأويل مواضعه من غير إفراط ولا تفريط أن **هذا مثل ضربه الله لنوره** ، ولا يمكن أن يضرب لنوره المعظم مثلاً تنبيهاً لخلقه إلا ببعض خلقه ؛ لأن الخلق بقصورهم لا يفهمون إلا بأنفسهم ومن أنفسهم ، ولولا ذلك ما عرف الله إلا الله وحده ، وأنور المصابيح في الدنيا مصباح يوقد من دهن الزيتون ؛ ولاسيَّما إذا كانت مفردة قد تباعد عنها الشجر ؛ فخلصت من الكلّ ، وأخذتها الشمس من كل جانب ؛ فذلك أصفى لنورها ، وأطيب لزيتها ، وأنضر لأغصانها ، وذلك معنى بركة هذه الشجرة التي فهمها الناس حتى استعملوها في أشعارهم فقالوا :

بُورِكَ الميِّتُ الغرِيبُ كما بُو رِكَ نَضْحُ الرُّمّانِ والزَّيْتونُ " (٣)

وقال **سيد قطب** :

" ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ النور الذي منه قوامها ومنه نظامها .. فهو الذي يهبها جوهر وجودها ، ويودعها ناموسها .. ولقد استطاع البشر أخيراً أن يدركوا بعلمهم

---

(١) سورة النور : ٤٠ .

(٢) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٢٩٩ ، ٣١٢ .

(٣) أحكام القرآن : ٣ / ٤٠٤ . وينظر : التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٦٧ . والبيت نسبه الزبيدي لأبي طالب بن عبد المطلب . ينظر : تاج العروس (مادة : نضح) : ٧ / ١٨١ .

طرفاً من هذه الحقيقة الكبرى ، عندما استحال في أيديهم ما كان يسمى بالمادة بعد تحطيم الذرة إلى إشعاعات منطلقة لا قوام لها إلا النور ! ولا (مادة) لها إلا النور ! فذرة المادة مؤلفة من كهارب وإليكترونات ، تنطلق عند تحطيمها في هيئة إشعاع قوامه هو النور ! فأما القلب البشري فكان يدرك الحقيقة الكبرى قبل العلم بقرون وقرون .

كان يدركها كلما شفَّ ورفَّ ، وانطلق إلى آفاق النور ، ولقد أدركها كاملة شاملة قلب محمد رسول الله ﷺ ففاض بها وهو عائدٌ من الطائف ، نافضٌ كفيه من الناس ، عائذٌ بوجه ربه يقول : « ... أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت به الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ... » [(١)] . وفاض بها في رحلة الإسراء والمعراج . فلما سألته عائشة – رضي الله عنها – : « هل رَأَيْتَ رَبَّكَ ؟ قال ﷺ : نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ » [(٢)] .

ولكن الكيان البشري لا يقوى طويلاً على تلقي ذلك الفيض الغامر دائماً ، ولا يستشرف طويلاً ذلك الأفق البعيد . فبعد أن جلا النص هذا الأفق المترامي ، عاد يقارب مداه ، ويقربه إلى الإدراك البشري المحدود ، في مثل قريب محسوس " . اهـ [(٣)] .

✓ **وإن كان هذا القول يتضمن الأقوال الباقية المذكورة .**

قال **ابن القيِّم** :

" والصَّحيح أنه يعود – **أي الضمير في قوله تعالى : ﴿ مَثَلُ نُورِهِۦ ﴾** – على الله ﷻ والمعنى : مثل نور الله ﷻ في قلب عبده ، وإن أعظم عباده نصيباً من هذا النور رسوله ﷺ ؛ فهذا مع ما تضمنه عود الضمير المذكور ، وهو وجه الكلام ، يتضمن التقادير الثلاثة ، وهو أتم لفظا ومعنى .

وهذا النور يضاف إلى **الله تعالى** إذ هو معطيه لعبده وواهبه إياه ؛ ويضاف إلى **العبد** إذ هو محله وقابله فيضاف إلى الفاعل والقابل . ولهذا النور فاعل وقابل ، ومحل وحامل ، ومادة .

---

(١) أخرجه الطبراني في الدعاء (١٠٣٦) : ٣١٥ ، وأبو الشيخ في الأحاديث المختارة (١٦٢) : ٩ / ١٨١ . عن عبد الله بن جعفر . **وهو حديث مرسل ضعَّفه** الألباني . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ٣٥) : " رواه الطبراني وفيه ابن إسحاق ، وهو مدلس ثقة وبقية رجاله ثقات " . بلفظ : « أعوذ بوجهك ... » .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان ، باب في قوله عليه السلام : « نور أنى أراه » (١٧٨) : ١ / ١٦١ ، وفي رواية أخرى قال عليه السلام : « رأيت نوراً » .

(٣) الظلال لسيد قطب : ٥ / ٢٥١٩ .

وقد تضمنت الآية ذكر هذه الأمور كلها على وجه التفصيل . **فالفاعل** : هو الله تعالى مفيض الأنوار ، الهادي لنوره من يشاء . **والقابل** : العبد المؤمن . **والمحل** : قلبه . **والحامل** : همته وعزيمته وإرادته . **والمادة** : قوله وعمله .

وهذا التشبيه العجيب الذي تضمنته الآية فيه من الأسرار والمعاني وإظهار تمام نعمته على عبده المؤمن بما أناله من نوره : ما تقر به عيون أهله ، وتبتهج به قلوبهم " . اهـ [1] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) التفسير القيِّم : ٣٧٧ ، ٣٧٨ .

قوله تعالى : ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ﴾ . [آية : ٣٦] .

مسألة: في المراد بقوله تعالى : ﴿ فِي بُيُوتٍ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن المراد بقوله تعالى : ﴿ فِي بُيُوتٍ ﴾ المساجد ، فقال : ((﴿ فِي بُيُوتٍ ﴾ يعني : المساجد . وقيل : بيوت أهل الإيمان ؛ من مساجد أو مساكن ، **والأوَّل أصحُّ**)) . اهـ [١] .

الدراسة :

اختلف المفسرون في **المراد بقوله تعالى : ﴿ فِي بُيُوتٍ ﴾** [٢] على أقوال [٣] منها :

القول الأول : يعني : **المساجد** ، قاله **ابن عباس** رضي الله عنه [٤] ، ومجاهد [٥] ، والحسن [٦] ،

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٦٨ .

(٢) **الأظهر** أن الجار ﴿ فِي بُيُوتٍ ﴾ متعلق بالفعل ﴿ يُسَبِّحُ ﴾ التالي ، والتقدير : يسبح لله رجال في بيوت ، وتقديم الجار والمجرور للاهتمام بتلك البيوت وللتشويق إلى متعلق المجرور وهو التسبيح وأصحابه . ينظر : التحرير والتنوير : ١٨ / ٢٤٨ .

(٣) منها : قول **الحسن بن أبي الحسن** : أراد بيت المقدس ، وسماه بيوتا من حيث فيه مواضع يتحيز بعضها عن بعض . نسبه ابن عطية والآلوسي إليه . قال الآلوسي : **وهو خلاف الظاهر جداً** . ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ١٨٥ ، روح المعاني : ١٨ / ١٧٤ .
قول **مجاهد** : المراد بها بيوت النبي ﷺ .
قول **ابن زيد** : هي أربع مساجد لم يبنهن إلا نبي : الكعبة بناها إبراهيم واسمعيل ، وبيت المقدس بناه داود وسليمان ، ومسجد المدينة بناه رسول الله ﷺ ، ومسجد قباء أسس على التقوى بناه رسول الله ﷺ . عزى السيوطي قول مجاهد وابن زيد إلى ابن أبي حاتم . وتعقب الفخر الرازي – وتبعه ابن عادل – هذا القول بأنه **ضعيف لأنه تخصيص بلا دليل** . ينظر : التفسير الكبير : ٢٤ / ٤ ، تفسير ابن عادل : ١٤ / ٣٩٣ ، الدر المنثور : ٦ / ٢٠٢ ، ٢٠٣ .

(٤) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٨ / ١٤٤) ، وعزاه السيوطي أيضاً في الدر (٦ / ٢٠٢) إلى ابن أبي حاتم في تفسيره (٨ / ٢٦٠٤) . وينظر : تنوير المقباس : ٢٦٩ .

(٥) ينظر تفسيره : ٢ / ٤٤٣ . وأخرجه ابن جرير في تفسيره (١٨ / ١٤٤) ، وعزاه السيوطي أيضاً في الدر (٦ / ٢٠٢) إلى عبد بن حميد .

(٦) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣ / ٦٠) ، وابن جرير في تفسيره (١٨ / ١٤٤) . وينظر : الدر المنثور : =

وقتادة [١] وغيرهم ، وقاله الزَّجَّاج [٢] ، **واستظهره** القرطبي [٣] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٤] ، ووافقه **جمهور** [٥] المفسرين [٦] .

عَنِ ابن عَبَّاسٍ ﷺ قال : الْمَسَاجِدُ بُيُوتُ اللَّهِ فِي الأَرْضِ تضيء لأَهْلِ السَّمَاءِ كما تضيء نُجُومُ السَّمَاءِ لأَهْلِ الأَرْضِ [٧] .

واستدل له [٨] :

= ٦ / ٢٠٢ .

(١) عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد . ينظر : الدر المنثور : ٦ / ٢٠٢ .

(٢) ينظر معانيه : ٤ / ٤٥ .

(٣) ينظر : تفسير القرطبي : ١٢ / ٢٦٥ ، ٢٦٦ .

(٤) ينظر : التسهيل : ٣ / ٦٨ .

(٥) نسب هذا القول إلى الجمهور : الثعلبي ، وابن الجوزي ، والفخر الرازي ، والنيسابوري ، وابن عادل . ينظر : الكشف والبيان : ٧ / ١٠٦ ، زاد المسير : ٦ / ٤٦ ، التفسير الكبير : ٢٤ / ٤ ، تفسير غرائب القرآن : ٥ / ١٩٩ ، تفسير ابن عادل : ١٤ / ٣٩٣ .

(٦) منهم : الطبري ، والسمر قندي ، وابن أبي زمنين ، وقال الثعلبي **عنه (أولى الأقوال بالصواب)** ، وقدَّمه الماوردي ، والواحدي ، والسمعاني ، والبغوي ، والزمخشري ، وابن عطية ، وقدَّمه ابن الجوزي ، والفخر الرازي والبيضاوي ، والنسفي ، والخازن ، ولم يذكر النيسابوري غير قول الجمهور ، وابن كثير ، والثعالبي ، وقال ابن عادل (**والأوَّل أوْلى**) ، وأبو السعود ، والخطيب الشربيني ، والشوكاني ، والقاسمي ، والآلوسي ، والسعدي ، والطاهر بن عاشور ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير الطبري : ١٨ / ١٤٤ ، تفسير السمر قندي : ٢ / ٥١٤ تفسير ابن أبي زمنين : ٣ / ٢٣٥ ، الكشف والبيان : ٧ / ١٠٦ ، النكت والعيون : ٤ / ١٠٦ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٧٦٥ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٥٣٤ ، تفسير البغوي : ٣ / ٣٤٧ ، الكشاف : ٣ / ٢٤٧ ، المحرر الوجيز : ٤ / ١٨٥ ، زاد المسير : ٦ / ٤٦ ، التفسير الكبير : ٢٤ / ٤ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ١٩١ تفسير النسفي : ٣ / ١٤٨ ، تفسير الخازن : ٥ / ٧٩ ، تفسير غرائب القرآن : ٥ / ١٩٩ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٢٩٣ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ١٨٩ ، تفسير ابن عادل : ١٤ / ٣٩٣ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ١٧٨ ، السراج المنير : ٢ / ٦٩٣ ، فتح القدير : ٤ / ٣٤ ، تفسير القاسمي : ١٢ / ٢١٤ ، روح المعاني : ١٨ / ١٧٤ تفسير السعدي : ٥٦٩ ، التحرير والتنوير : ١٨ / ٢٤٧ ، الوسيط : ١٠ / ١٣٠ .

(٧) أخرجه الطبراني في الكبير في أحاديث عبد الله بن العباس ﷺ (١٠٦٠٨) : ١٠ / ٢٦٢ . قال الهيثمي : رواه الطبراني في الكبير ورجاله موثقون . ينظر : مجمع الزوائد : ٢ / ٧ .

(٨) **استظهر القرطبي هذا القول بحديث أنس بن مالك** ﷺ قال قال رسول الله ﷺ : « من أحبَّ الله ﷻ أحبَّ القرآن ، ومن أحبَّ القرآن أحبَّني ، ومن أحبَّني أحبَّ قرابتي وأصحابي ، ومن أحبَّ الله وأحبَّ القرآن وأحبَّني وأحبَّ قرابتي وأصحابي أحبَّ المساجد فإنها أفنية الله وأبنيته ، أذن في رفعها وبارك فيها ، مباركة مبارك أهلها ، محفوظة محفوظ أهلها ، ميمونة ميمون أهلها ، هم في مساجدهم والله ﷻ في حوائجهم ، هم في صلاتهم وفي ذكرهم والله ﷻ يحوط من ورائهم وتكفل بأرزاقهم » . أخرجه الجرجاني في أماليه . ينظر : الأمالي الخميسية ليحيى بن الحسين الجرجاني (ت ٤٩٩ هـ) : ١ / ١١٥ . **ولو كان صحيحاً لكان نصاً في تفسير الآية** =

١. القرينة القرآنية :

قوله تعالى : ﴿ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْأَصَالِ ﴾ يقوي أنها المساجد .

٢. دلالة السِّياق القرآني :

يدل سياق الآية على أنها بيوت بنيت للصلاة والعبادة ؛ فإنه تعالى وصفها بالذكر والتسبيح والصلاة ؛ وذلك لا يليق إلاَّ بالمساجد [١] .

القول الثاني : المراد بقوله تعالى : ﴿ فِي بُيُوتٍ ﴾ **بيوت أهل الإيمان ؛ من مساجد أو مساكن** ، أي : البيوت على الاطلاق ، قاله عكرمة [٢] ، **واستظهره** أبو حيان [٣] . [٤]

واستدل له بأن :

" ﴿ بُيُوتٍ ﴾ مطلق ؛ فيصدق على المساجد والبيوت التي تقع فيها الصلاة والعلم " [٥] .

✘ واعتُرض :

بأن في (البيوت) ما لا يمكن أن يوصف بأن الله تعالى ﴿ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ ﴾ [٦] .

= ولكن اتضح بأنه **موضوع** ، والله أعلم . ينظر : تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة لعلي بن محمد الكناني (ت ٩٦٣ هـ) : ٢ / ١١٣ .

(١) ينظر : تفسير الطبري : ١٨ / ١٤٥ ، الكشف والبيان للثعلبي : ٧ / ١٠٦ ، المحرر الوجيز لابن عطية : ٤ / ١٨٥ ، التفسير الكبير للفخر الرازي : ٢٤ / ٤ ، تفسير القرطبي : ١٢ / ٢٦٥ ، تفسير ابن عادل : ١٤ / ٣٩٣ .

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٨ / ١٤٥) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨ / ٢٦٠٥) ، ونسبه ابن عطية ، والفخر الرازي ، والقرطبي إليه . ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ١٨٥ ، التفسير الكبير : ٢٤ / ٤ ، تفسير القرطبي : ١٢ / ٢٦٥ .

(٣) ينظر : البحر المحيط : ٦ / ٤٢١ .

(٤) ذكر القولين و لم يرجح : النحاس ، وابن العربي . ينظر : معاني القرآن للنحاس : ٤ / ٥٣٨ ، أحكام القرآن لابن العربي : ٣ / ٤٠٥ .

(٥) البحر المحيط لأبي حيان : ٦ / ٤٢١ .

(٦) ينظر : التفسير الكبير : ٢٤ / ٤ ، تفسير ابن عادل : ١٤ / ٣٩٣ .

الترجيح:

يظهر لي – والله أعلم – **أن الراجح أن المراد بقوله تعالى : ﴿فِي بُيُوتٍ﴾ المساجد ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ، ووافقه جمهور المفسرين** ، يدل على ذلك إضافة لما تقدم ولما يلي :

أولاً : يترجَّح هذا القول بأنه هو **قول ابن عباس** ﷺ وهو حبر هذه الأمَّة ، وهو الأعلم بالتنزيل .

ثانياً : هذا القول هو قول جمهور المفسرين ؛ وللأكثر حكم الكل شرعاً وعرفاً .

ثالثاً : يتأيد هذا القول بدلالة السِّياق والقرينة القرآنية ، وعليه يتأيد **بالقاعدة الترجيحية** التالية :

- **القول الذي تؤيده قرائن في السِّياق مرجح على ما خالفه** [1] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

(١) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٢٩٩ .

قوله تعالى : ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ ﴾ . [آية : ٣٧] .

مسألة : في معنى قوله تعالى : ﴿ تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن معنى قوله تعالى : ﴿ تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ تضطرب من شدة الهول والخوف ، فقال : ((﴿ تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ أي : تضطرب من شدة الهول والخوف . وقيل : تفقه القلوب وتبصر الأبصار بعد العمى لأن الحقائق تنكشف حينئذ ، **والأوّل أصح** ، كقوله : ﴿ ... وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ ... ﴾ [(١)])) . اهـ [(٢)] .

الدراسة :

بين ﷻ في هذه الآية الكريمة أن هؤلاء الرجال وإن تعبَّدوا بذكر الله والطاعات فإنهم مع ذلك موصوفون بالوجل والخوف فقال تعالى : ﴿ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ [(٣)] وذلك الخوف إنما كان لعلمهم بأنهم ما عبدوا الله حق عبادته .

واختلف أهل العلم والمفسرون في **معنى قوله تعالى : ﴿ تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴾** على أقوال [(٤)] منها :

القول الأول : معناه : **تضطرب من شدة الهول والخوف** ، قاله الضحاك [(٥)] ، ومقاتل [(٦)]

---

(١) سورة الأحزاب : ١٠ .

(٢) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٦٨ ، ٦٩ .

(٣) في قوله تعالى : ﴿ تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ ﴾ تجنيس ؛ وهو بيان بأنواع الكلام الذي يجمعه أصل واحد ، وهو على وجهين مزاوجة ومناسبة ؛ وهو هنا على وجه المناسبة . ينظر : إعجاز القرآن للقاضي أبي بكر ، محمد بن الطيب الباقلاني (ت ٤٠٣ هـ) : ٢٧٢ .

(٤) ذكر الفخر الرازي والقرطبي أقوالاً في المسألة ؛ المذكورة أظهرها . ينظر : التفسير الكبير : ٢٤ / ٦ ، تفسير القرطبي : ١٢ / ٢٨٠ ، ٢٨١ .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨ / ٢٦٠٩) . وينظر : الدر المنثور : ٦ / ٢٠٨ .

(٦) ينظر تفسيره : ٢ / ٤٢٠ .

وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ [١] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٢] .

قال **الضحاك** [٣] : تتقلب في الجوف ولا تقدر تخرج حتى تقع في الحنجرة ؛ فهو قوله : ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْآزِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَـٰظِمِينَ ... ﴾ [٤] .

ومما يشهد لهذا المعنى من القرآن :

قوله تعالى : ﴿ ... وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ ... ﴾ [٥] . [٦]

وقوله تعالى : ﴿ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۝٨ أَبْصَـٰرُهَا خَـٰشِعَةٌ ﴾ [٧] .

وقوله تعالى : ﴿ ... إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَـٰرُ ﴾ [٨] .

وقوله تعالى : ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْآزِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ ... ﴾ [٩] . إلى غير ذلك ذلك من الآيات [١٠] .

القول الثاني : تتقلب فيه القلوب من هوله بين طمع بالنجاة وحذر بالهلاك ، والأبصار أي ناحية يؤخذ بهم ؛ أذات اليمين أم ذات الشمال ، ومن أين يؤتون كتبهم ؛ أمن قبل الأيمان أو من قبل الشمائل ، قاله **الطبري** [١١] ، وجماعة من المفسرين [١٢] .

---

(١) ينظر : التسهيل : ٣ / ٦٨ ، ٦٩ .

(٢) في تفاسيرهم ، منهم : السمر قندي (٢ / ٥١٥) ، وابن أبي زمنين (٣ / ٢٣٨) ، وابن عطية (٤ / ١٨٦) والقرطبي (١٢ / ٢٨٠) ، **واستظهره** أبو حيان (٦ / ٤٢٢) ، ولم يذكر ابن كثير (٣ / ٢٩٦) غيره ، والقاسمي (١٢ / ٢١٤) ، والسعدي (٥٦٩) ، وسيد قطب (٤ / ٢٥٢٠) ، **واستظهره** الشنقيطي (٥ / ٥٤٨) ، والطاهر بن عاشور (١٨ / ٢٤٩) ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي (١٠ / ١٣١) .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨ / ٢٦٠٩) . وينظر : الدر المنثور : ٦ / ٢٠٨ .

(٤) سورة غافر : ١٨ .

(٥) سورة الأحزاب : ١٠ .

(٦) ينظر : التسهيل : ٣ / ٦٩ ، البحر المحيط لأبي حيان : ٦ / ٤٢٢ .

(٧) سورة النازعات : ٨ ، ٩ .

(٨) سورة إبراهيم عليه السلام : ٤٢ .

(٩) سورة غافر : ١٨ .

(١٠) ينظر : تفسير ابن كثير : ٣ / ٢٩٦ ، أضواء البيان : ٥ / ٥٤٨ .

(١١) تفسير الطبري : ١٨ / ١٤٨ .

(١٢) منهم : الثعلبي في الكشف والبيان (٧ / ١١٠) ، والواحدي في الوجيز (٢ / ٧٦٥) ، وقدّمه ابن الجوزي الزاد (٦ / ٤٨) ، والبقاعي في نظم الدر (٥ / ٢٦٧) ، وذكر الثعالبي في تفسيره (٤ / ١٩١) = =

✖ **والمعتزلة لا يرضون بهذا التأويل** ، لأنهم قالوا : إن أهل الثواب لا خوف عليهم البتَّة وأهل العقاب لا يرجون العفو [١] .

القول الثالث : معناه : **تفقه القلوب وتبصر الأبصار بعد العمى لأن الحقائق تنكشف حينئذ** ، قاله الفَرَّاء [٢] ، والزَّجَّاج [٣] ، وحكى جماعة من أهل اللغة [٤] قول الزَّجَّاج ، وذهب إليه النحاس [٥] ، وجماعة من المفسرين [٦] . [٧]

قال **الزَّجَّاج** : " ومعناه : أن من كان قلبه مؤمناً بالبعث والقيامة ازداد بصيرة ، ورأى ما وعد به ومن كان قلبه على غير ذلك ، رأى ما يوقن معه أمر القيامة والبعث ، فعلم ذلك بقلبه ، وشاهده ببصره فذلك تقلب القلوب والأبصار " . اهـ [٨] .

و استدل له بالنظير القرآني :

قوله تعالى : ﴿ ... فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ [٩] .

وقوله تعالى : ﴿ ... وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ ﴾ [١٠] .

= قول الواحدي فحسب ، والجلالين (٤٦٤) ، والخطيب الشربيني في السراج (٢ / ٦٩٤) .

(١) ذكر الزمخشري المعتزلي الأقوال في المسألة و لم يذكر هذا القول لعدم رضاه به . وحكى هذا القول ونسبه للمعتزلة الفخر الرازي في تفسيره (٢٤ / ٦) ، وتبعه ابن عادل في تفسيره (١٤ / ٣٩٧) .

(٢) ينظر معانيه : ٢ / ٢١٨ .

(٣) ينظر معانيه : ٤ / ٤٥ .

(٤) ينظر (مادة قلب) في : المحكم لابن سيده : ٦ / ٤٢٢ ، لسان العرب : ١ / ٦٨٥ ، تاج العروس : ٤ / ٧٥ .

(٥) ينظر معانيه : ٤ / ٥٣٩ .

(٦) في تفاسيرهم ، منهم : السمعاني (٣ / ٥٣٥) ، وقدَّمه ابن الجوزي (٦ / ٤٨) ، وابن عادل (١٤ / ٣٩٧) .

(٧) ذكر الأقوال جميعها أو بعضها و لم يرجح : البغوي ، والزمخشري ، والفخر الرازي ، والبيضاوي ، والنسفي ، والخازن ، والنيسابوري ، وأبو السعود ، والشوكاني ، والآلوسي . ينظر : تفسير البغوي : ٣ / ٣٤٩ ، الكشاف : ٣ / ٢٤٨ ، التفسير الكبير : ٢٤ / ٦ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ١٩٢ ، تفسير النسفي : ٣ / ١٤٩ تفسير الخازن : ٥ / ٨١ ، تفسير غرائب القرآن : ٥ / ٢٠٠ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ١٧٩ ، فتح القدير : ٤ / ٣٥ ، روح المعاني : ١٨ / ١٧٨ .

(٨) ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزَّجاج : ٤ / ٤٥ .

(٩) سورة ق : ٢٢ .

(١٠) سورة الزمر : ٤٧ .

✖ **واعتُرض :**

بأن مقصد الآية إنما هو وصف أهوال يوم القيامة ، وهذا القول لا يقتضي هولاً [١] .

الترجيح:

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن الرَّاجح هو القول الأول ؛ وإن كانت الأقوال الأخرى صحيحة في معناها ؛ والقول الأول والثالث يشهد لمعناهما نظير قرآني إلا أن القول الأول أقرب الأقوال إلى الصواب ؛ ويكون معنى قوله تعالى : ﴿ تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ : أن ذلك اليوم – وهو يوم القيامة – لشدة هوله ومطلعه تتقلب فيه القلوب والأبصار ، وتكون مضطربة قلقة متقلبة خائفة ؛ وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** ، واضطرابها هو **حركتها من أماكنها من شدة الخوف** ؛ وهو **قول الضحاك** ، يدل على ذلك إضافة لما تقدم ؛ ولما يلي :

أولاً : هذا القول أبلغ في التهويل ، قاله **ابن عطية** ، **وابن جُزيّ** ، **وأبو حيان** [٢] ، وهذا هو هو المراد من الآية .

ثانياً : هذا المعنى تستعمله العرب في الحروب كقوله :

..... بل كان قلبُك في جناحَيْ طائرِ [٣]

ثالثاً : يتأيد هذا القول **بالقاعدة الترجيحية** التالية :

- **تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم** [٤] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ١٨٦ .

(٢) ينظر : المرجع السابق ، التسهيل : ٣ / ٦٩ ، البحر المحيط : ٦ / ٤٢٢ .

(٣) نسبه أبو الفرج الأصفهاني في الأغاني (١٨ / ١٢٢) وابن كثير في البداية والنهاية (٩ / ٣٥٠ ، ٣٥١) : لعمران بن حطان ، وهو شعر قاله في الحجَّاج بن يوسف الثَّقفي . وأورده ابن عطية وأبو حيان وغيرهما في تفاسيرهم عند تفسير الآية من غير نسبة . ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ١٨٦ ، البحر المحيط : ٦ / ٤٢٢ .

(٤) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٢٧١ .

قوله تعالى : ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُواْ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُواْ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ... ﴾ . [آية : ٦١] .

مسألة : في معنى قوله تعالى : ﴿ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن معنى قوله تعالى : ﴿ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ ﴾ الوكلاء والأجراء والعبيد الذين يمسكون مفاتح مخازن أموال ساداتهم ؛ فأباح لهم الأكل منها ، فقال :

((﴿ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ ﴾ يعني : الوكلاء والأجراء والعبيد الذين يمسكون مفاتح مخازن أموال ساداتهم ؛ فأباح لهم الأكل منها . وقيل : المراد ما ملك الإنسان من مفاتح نفسه ؛ **وهذا ضعيف**)) . اهـ [1] .

الدراسة :

جاء في **سبب نزول الآية** :

عن **عائشة** – رضي الله عنها – قالت : « كان المسلمون يرغبون في النفير مع رسول الله ﷺ فيدفعون مفاتيحهم إلى أمنائهم ؛ ويقولون لهم : قد أحللنا لكم أن تأكلوا مما احتجتم إليه فكانوا يقولون : إنه لا يحل لنا أن نأكل إنهم أذنوا لنا من غير طيب أنفسهم ؛ وإنما نحن أمناء فأنزل الله : ﴿ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُواْ ﴾ إلى قوله : ﴿ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ ﴾ » [2] .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٧٣ .

(٢) عزاه السيوطي أيضاً في الدر (٦ / ٢٢٤) إلى البزار ، وإلى ابن أبي حاتم في تفسيره (٨ / ٢٦٤٦) ، وابن مردويه ، وابن النجار . وقال السيوطي في لباب النقول (١٦١) : **أخرجه البزار بسند صحيح** .

والحرج لغة : الضيق ؛ قاله **الزَّجَّاج وابن الأثير** وغيرهما [١] . وهو من الحرجة ؛ وهي اسم لمجتمع الشجر الملتف بعضه ببعض لضيق المسالك فيه [٢] .

والحرج في الأصل مجتمع الشيء ، ثم أطلق على الضيق ، وعلى الإثم ؛ قاله **الرَّاغب** [٣] .

و (المَفَاتِحُ) جمع (مَفْتَحِ) ؛ قاله الجمهور [٤] ، واختلف هل المراد بـــ (المَفَاتِح) الخزائن أو آلة الفتح ..

قال **الأزهري** : " ويقال للذي يُفْتَح به المِغْلاَق (مِفْتَح) - بكسر الميم - و (مِفتاح) ، وجمْعُهما مَفَاتح ومفَاتيح ، وهذا قول النحويين " . اهـــ [٥] .

وقال **الرَّاغب في مفرداته** [٦] بنحوه .

والأرجح أن (المَفَاتِح) هنا يراد بها آلة الفتح ؛ يؤيد ذلك قراءة ابن جبير [٧] : (مفاتيحه) - بالياء بعد التاء - جمع (مِفتاح) .

واختلف السَّلف وأهل العلم والمفسرون في **معنى قوله تعالى** : ﴿ **أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ** ﴾ [٨] على أقوال منها :

القول الأول : يعني : **الوكلاء والأجراء والعبيد الذين يمسكون مفاتح مخازن أموال**

---

(١) ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج : ٤ / ٥٣ ، النهاية لابن الأثير (مادة : حرج) : ١ / ٣٦٢ .

(٢) ينظر : المخصص لابن سيده : ٣ / ١٧٥ ، (مادة : حرج) في : النهاية لابن الأثير : ١ / ٣٦٢ ، لسان العرب : ٢ / ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، تاج العروس : ٥ / ٤٧٥ .

(٣) ينظر : مفردات الرَّاغب (مادة : حرج) : ١١٢ .

(٤) نسب أبو حيان هذا القول للجمهور . ينظر : البحر المحيط : ٦ / ٤٣٤ .

(٥) ينظر : تهذيب اللغة (فتح) : ٤ / ٢٥٨ . وينظر قبله : معاني القرآن للفَرَّاء : ٢ / ٢٢٤ .

(٦) ينظر : مفردات الرَّاغب (مادة : فتح) : ٣٧١ .

(٧) أورد هذه القراءة غير واحد من المفسرين عند تفسير هذه الآية . ينظر مثلا : المحرر الوجيز لابن عطية : ٤ / ١٩٦ ، البحر المحيط لأبي حيان : ٦ / ٤٣٤ ، فتح القدير للشوكاني : ٤ / ٥٣ . وهي **قراءة بالغة الشذوذ** . ينظر : مختصر شواذ القرآن : ١٠٤ ، إتحاف فضلاء البشر للبناء : ٤١٤ . لكنها تحمل على التفسير .

(٨) عامة القراء على - فتح الميم واللامُ مخففةٌ - ﴿ مَا مَلَكْتُم ﴾ . وابن جبير (مُلِّكْتُم) - بضم الميم وكسر اللام مشددةً - أي : مَلَّككم غيرُكم . والعامَّةُ على ﴿ مَّفَاتِحَهُۥٓ ﴾ - دونَ ياء - جمع مِفْتَح . ينظر : الدر المصون للسمين الحلبي : ٥ / ٢٣٦ . وقراءة ابن جبير (مُلِّكْتُم) **قراءة بالغة الشذوذ** تحمل على التفسير . ينظر : مختصر شواذ القرآن : ١٠٤ ، إتحاف فضلاء البشر للبناء : ٤١٤ .

ساداتهم ؛ فأباح لهم الأكل منها ، وهو قول عائشة – رضي الله عنها – [١] ، **وابن عباس** ﷺ ، وغير واحد من السَّلف [٢] ، وهو ما **رجَّحه ابن جُزيّ** [٣] ، ووافقه **جمهور** [٤] المفسرين [٥] .

- عن ابن عباس ﷺ قال : ... ﴿ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ ﴾ وهو الرجل يوكل الرجل بضيعته ، والذي رخص الله أن يأكل من ذلك الطعام والتمر وشرب اللبن ... [٦] .
- وعن سعيد بن جبير ﴿ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ ﴾ قال : قهرمان [٧] .

والقَهْرَمَانُ : هو المُسيْطِرُ الحَفِيظُ على ما تَحْتَ يَدَيْه [٨] .

القول الثاني : المراد ما ملك الإنسان من مفاتح نفسه ، قاله قتادة [٩] ، ومجاهد [١٠] ،

---

(١) وهو المذكور آنفاً في سبب النزول .

(٢) ومنهم : عبيد الله ابن عبد الله ، وابن مسيب ، والسدي . ينظر أقوال السلف في : تفسير ابن أبي حاتم : ٨ / ٢٦٤٦ ، ٢٦٤٧ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٣٠٦ ، الدر المنثور : ٦ / ٢٢٤ .

(٣) ينظر : التسهيل : ٣ / ٧٣ .

(٤) نسب ابن عطية والقرطبي هذا القول إلى جمهور المفسرين . ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ١٩٦ ، تفسير القرطبي : ١٢ / ٣١٥ .

(٥) في تفاسيرهم ، منهم : النحاس في معانيه (٤ / ٥٥٩ ، ٥٦٠) ، السمر قندي (٢ / ٥٢٥) ، والواحدي (٢ / ٧٧١) ، والزمخشري (٣ / ٢٦٢) ، وقدَّمه ابن الجوزي (٦ / ٦٥) ، والبيضاوي (٤ / ٢٠٢) ، والنسفي (٣ / ١٥٧) ، وابن كثير (٣ / ٣٠٦) ، والبقاعي (٥ / ٢٨٥) ، والجلالين (٤٦٩) ، وأبو السعود (٦ / ١٩٦) ، والشوكاني (٤ / ٥٣) ، ولم يذكر الآلوسي (١٨ / ٢١٩) غيره ، والقنوجي في حسن الأسوة (١٦٣ ، ١٦٤) ، والقاسمي (١٢ / ٢٣٧ ، ٢٣٨) ، والسعدي (٥٧٥) ، وسيد قطب (٤ / ٢٥٣٣) ، والطاهر بن عاشور (١٨ / ٣٠٢) ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي (١٠ / ١٥٦) .

(٦) جزء من أثر أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٨ / ١٧٠) ، وعزاه السيوطي أيضاً في الدر (٦ / ٢٢٤) إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨ / ٢٦٤٨) . ونسبه إليه جماعة من المفسرين منهم : البغوي في تفسيره (٣ / ٣٥٨) ، والنسفي في تفسيره (٣ / ١٥٧) ، والآلوسي في تفسيره (١٨ / ٢١٩) . وينظر : تنوير المقباس : ٢٩٩ .

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨ / ٢٦٤٧) .

(٨) ينظر (ماة : قهرم) في : العين : ٤ / ١١١ ، تهذيب اللغة : ٦ / ٢٦٧ ، لسان العرب : ١٢ / ٤٩٦ ، تاج العروس : ٣٣ / ٣٢٢ .

(٩) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣ / ٦٤ ، ٦٥) ، وابن جرير في تفسيره (١٨ / ١٧٠) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨ / ٢٦٤٧) . ونسبه إليه جماعة من المفسرين .

(١٠) ينظر : تفسير مجاهد : ٢ / ٤٤٥ . ونسبه إليه : البغوي في تفسيره (٣ / ٣٥٨) ، وابن عطية في تفسيره (٤ / ١٩٦) .

والضحاك [١] ، وابن جريج [٢] ، وقاله **ابن عطية** ، **والقرطبي** ، **والثعالبي** [٣] من المفسرين . المفسرين .

✖ **وضعَّف ابن جُزيّ** [٤] هذا القول .

الترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أنَّ الرَّاجح أنَّ معنى قوله تعالى : ﴿ أَوۡ مَا مَلَكۡتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ ﴾ الوكلاء والأجراء والعبيد الذين يمسكون مفاتح مخازن أموال ساداتهم ؛ فأباح لهم الأكل منها ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ، ووافقه جمهور المفسرين** ، يدل على ذلك إضافة لما تقدم ؛ ولما يلي :

أولاً : القرينة القرآنية :

الأرجح هنا – كما ذكرت آنفاً – أن تكون (المَفَاتِحُ) اسم آلة الفتح ؛ والقرينة إضافة الملك للمفاتح دون الدور أو الحوائط ؛ قال تعالى : ﴿ أَوۡ مَا مَلَكۡتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ ﴾ وعلى هذا **أريد بملك المفاتح حفظها** .

قال عكرمة : " إذا ملك الرجل المفتاح فهو خازن ، فلا بأس أن يطعم الشيء اليسير " [٥] .

.

وهي رخصة للوكلاء والأمناء والعبيد الذين يمسكون مفاتح مخازن أموال ساداتهم ؛ فأباح لهم الأكل ملم تحت أيديهم بدون إذن **إجماعاً** [٦] ، ولا يتجاوز شبع بطنه ، وذلك للعرف بأن بأن ذلك كالإجارة ؛ فلذلك قال الفقهاء : إذا كان لواحد من هؤلاء أجرة على عمله لم يجز

---

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٨ / ١٧٠) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨ / ٢٦٤٧) ، ونسبه إليه ابن عطية في تفسيره (٤ / ١٩٦) .

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٨ / ١٧٠) .

(٣) ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ١٩٦ ، تفسير القرطبي : ١٢ / ٣١٥ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ١٩٨ .

(٤) ينظر : التسهيل : ٣ / ٧٣ .

(٥) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣ / ٦٥) ، ونسبه إليه البغوي في تفسيره (٣ / ٣٥٨) ، والقرطبي في تفسيره (١٢ / ٣١٥) وغيرهما .

(٦) نقل هذا الإجماع ابن العربي في أحكامه (٣ / ٤٢٤) .

له الأكل مما تحت يده ، قاله **الطاهر بن عاشور** [١] .

ثانياً : **صحَّة** سبب النزول المرويِّ عن **عائشة** – رضي الله عنها – ؛ والذي تذكر فيه بأن المسلمين كانوا يرغبون في النفير مع رسول الله ﷺ **فيدفعون مفاتيحهم إلى أمنائهم** ، وهذا يرجح على أن المراد بـــ ﴿ مَّفَاتِحَهُۥ ﴾ المفتاح اسم الآلة ، والمراد بـــ ﴿ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥ ﴾ الأمناء وأمثالهم كالوكلاء والعبيد وغيرهم .

ثالثاً : هذا القول هو **قول جمهور المفسرين** ؛ وللأكثر حكم الكل شرعاً وعرفاً ؛ كما قال الآلوسي [٢] .

رابعاً : ذكر الأقوال جميعها أو بعضها و لم يرجح جماعة من المفسرين [٣] ؛ **ولكنهم قدَّموا جميعهم قول ابن عباس** رضي الله عنهما ، وهو قول ترجمان القرآن **وحبر هذه الأمة** العالم بالتنزيل الفقيه في الدين بدعوة رسول الله ﷺ له .

رابعاً : يؤيده **القاعدة الترجيحية** التالية :

- **القول الذي تؤيده قرائن في السِّياق مرجح على ما خالفه** [٤] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) ينظر تفسيره : ١٨ / ٣٠٢ . وينظر قبله : أحكام القرآن لابن العربي : ٣ / ٤٢٤ ، تفسير الخازن : ٥ / ٩٠ ، تفسير ابن عادل : ١٤ / ٤٥٨ . وينظر : الوسيط لمحمَّد سيِّد طنطاوي : ١٠ / ١٥٦ .

(٢) ينظر : روح المعاني : ١٧ / ٢ .

(٣) في تفاسيرهم ، منهم : الطبري (١٨ / ١٧٠) ، والثعلبي (٧ / ١١٩) ، والماوردي (٤ / ١٢٤) ، والسمعاني (٣ / ٥٥١) ، وابن العربي (٣ / ٤٢٢) ، والبغوي (٣ / ٣٥٨) والفخر الرازي (٢٤ / ٣٢) والخازن (٥ / ٩٠) ، والنيسابوري (٥ / ٢١٤) ، وأبو حيان (٦ / ٤٣٤) ، وابن عادل (١٤ / ٤٥٨ ، ٤٥٩) ، والخطيب الشربيني (٢ / ٧١١) .

(٤) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٢٩٩ .

ســـــورة الفرقـــا ن

قوله تعالى : ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ . [آية : ١] .

مسألة : في عود الضمير في قوله تعالى : ﴿ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن الضمير في قوله تعالى : ﴿ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ لمحمد ﷺ ، فقال : ((الضمير لمحمَّد ﷺ ؛ أو للقرآن ؛ **والأوَّل أظهر**)) . اهـ [١] .

الدراسة :

اختلف المفسرون في **عود الضمير في قوله تعالى : ﴿ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾** على قولين :

القول الأوَّل : الضمير يعود على ﴿ ٱلَّذِى نَزَّلَ ﴾ ، أي : ليكون الذي نزل الفرقان نذيراً **رجَّحه أبو حيان** [٢] .

حيث قال : " لأنه العُمْدُة المسندُ إليه الفعلُ ، وهو مِنْ وصفِه تعالى كقوله : ﴿ ... إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴾ . [سورة الدخان : ٣] . " . اهـ [٣] .

القول الثاني : الضَّمير لمحمَّد ﷺ ، قاله **ابن عباس** رضي الله عنه [٤] ، وابن زيد [٥] ، **وابن إسحاق** [٦] [٦] وذهب إليه مقاتل [١] ، ومكي بن أبي طالب [٢] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٣] ، ووافقه

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٧٤ .
(٢) ينظر : البحر المحيط : ٦ / ٤٤٠ .
(٣) المرجع السابق .
(٤) ينظر : تنوير المقباس : ٣٠٠ .
(٥) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٨ / ١٨٠) ، ونسبه إليه الماوردي في النكت (٤ / ١٣١) ، وابن عطية في تفسيره (٤ / ١٩٩) ، وأبو حيان في البحر المحيط (٦ / ٤٤٠) ، والثعالبي في تفسيره (٤ / ٢٠٢) .
(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨ / ٢٦٦٠) .
وابن إسحاق هو : محمد بن إسحاق بن يسار ، أبو بكر المطلبي مولاهم ، المدني ، نزيل العراق ، العلامة الحافظ الأخباري ، أمير المؤمنين في الحديث ، ت سنة ١٥٠هـ . ينظر : طبقات ابن سعد : ٧ / ٣٢١ ، ٣٢٢ ،

ووافقه **جمهور** [٤] المفسرين [٥] .

قال قتادة في قوله تعالى : ﴿ لِيَكُونَ لِلْعَلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ : بعث الله محمدا ﷺ نذير من الله لينذر الناس بأس الله ووقائعه بمن خلا قبلكم [٦] .

واستدل له :

١. بالنظير القرآني :

- قوله تعالى : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ... ﴾ . [سورة الأعراف : ٣] .
- وقوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ ... ﴾ . [سورة سبأ : ٢٨] .
- وقوله تعالى : ﴿ قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ... ﴾ . [سورة الأنعام : ١٩] . [٧]

٢. من السُّنة :

عن جَابِر بن عبد اللَّهِ رضي الله عنه أَنَّ النبي ﷺ قال : « أُعْطِيتُ خَمْسًا لم يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي : كان

المعارف : ٤٩١ ، ٤٩٢ ، السِّير : ٧ / ٣٣ - ٥٥ .

(١) ينظر تفسيره : ٢ / ٤٢٩ .

(٢) ينظر مشكله : ٢ / ٥١٩ .

(٣) ينظر : التسهيل : ٣ / ٧٤ .

(٤) نسب هذا القول إلى الجمهور ابن الجوزي في الزاد (٦ / ٧٢) .

(٥) في تفاسيرهم ، ومنهم : الطبري (١٨ / ١٧٩) ، وقدَّمه الماوردي في النكت (٤ / ١٣١) ، والسمعاني (٤ / ٥) ، وقدَّمه ابن الجوزي في الزاد (٦ / ٧٢) ، وقال الفخر الرازي (٢٤ / ٤٠) **لا نزاع في ذلك** ، وقال القرطبي (١٣ / ٢) : **هو أوْلى** ، وقال السمين الحلبي (٥ / ٢٤١) : **وهو أحسن الوجوه معنى وصناعة** ، وابن كثير (٣ / ٣٠٩) ، وقدّمه الثعالبي (٤ / ٢٠٢) ، وقال ابن عادل (١٤ / ٤٧٣) : **وهو أحسن الوجوه معنى وصناعة** وقال الشوكاني (٤ / ٦٠) : هو **الأوَّلى** ، والآلوسي (١٨ / ٢٣١) ، والشنقيطي في أضواء البيان (٦ / ٣) والطاهر بن عاشور (١٨ / ٣١٧) .

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨ / ٢٦٦٠) ، ونسبه إليه الماوردي في النكت (٤ / ١٣١) ، وعزاه السيوطي في الدر (٦ / ٢٣٥) إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٧) ينظر : تفسير الطبري : ١٨ / ١٨٠ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٣٠٩ ، أضواء البيان للشنقيطي : ٦ / ٣ .

كُلُّ نَبِيٍّ يُبْعَثُ إلى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إلى كل أَحْمَرَ وَأَسْوَدَ ... » [١] . [٢]

قال ابن زيد : لم يرسل الله رسولا إلى الناس عامة إلا نوحاً بدأ به الخلق ؛ فكان رسول أهل الأرض كلهم ومحمد ﷺ ختم به [٣] .

القول الثالث : الضَّمير للقرآن ؛ قاله جماعة من المفسرين [٤] . [٥]

واستدل له :

١. بالنظير القرآني :

قوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ... ﴾ . [سورة الإسراء : ٩] . فأضاف الإنذار إليه كما أضاف الهداية إليه في آية الإسراء هذه .

٢. قراءة ابن الزبير : (على عباده) [٦] .

وفسَّرها الفخر الرازي بقوله : " وهم رسول الله وأمَّته ؛ كما قال : ﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ... ﴾ [٧] ؛ ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا ... ﴾ [٨] " . اهـ [٩] .

---

(١) جزء من حديث أخرج البخاري بنحوه في صحيحه في مقدمة كتاب التيمم (٣٢٨) : ١ / ١٢٨ ، وأخرجه مسلم – واللفظ له – في صحيحه في مقدمة كتاب الصلاة ومواضع الصلاة (٥٢١) : ١ / ٣٧٠ .

(٢) تفسير ابن كثير : ٣ / ٣٠٩ .

(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٨ / ١٨٠) . ونسبه إليه السمعاني والقرطبي . ينظر : تفسير السمعاني : ٤ / ٥ تفسير القرطبي : ١٣ / ٢ .

(٤) في تفاسيرهم ، ومنهم : السمر قندي (٢ / ٥٢٨) ، وقدَّمه العكبري في التبيان في إعراب القرآن (٢ / ٩٨٠) وجوَّزه القرطبي (١٣ / ٢) ، واحتمله الثعالبي (٤ / ٢٠٢) ، والسعدي (٥٧٧) .

(٥) ذكر الأقوال و لم يرجح جماعة من المفسرين في تفاسيرهم ؛ منهم : الثعلبي (٧ / ١٢٣) ، والبغوي (٣ / ٣٦٠) ، والزمخشري (٣ / ٢٦٨) ، وابن عطية (٤ / ١٩٩) ، والبيضاوي (٤ / ٢٠٥) ، والنسفي (٣ / ١٦٠) ، والخازن (٥ / ٩٣) ، والنيسابوري (٥ / ٢٢٠) ، والبقاعي في نظم الدرر (٥ / ٢٩٢) ، وأبو السعود (٦ / ٢٠٠) .

(٦) أوردها غير واحد من المفسرين عند تفسير الآية . ينظر : الكشاف للزمخشري : ٣ / ٢٦٨ ، المحرر الوجيز لابن عطية : ٤ / ١٩٩ ، تفسير القرطبي : ١٣ / ٢ . وهي **قراءة بالغة الشذوذ** تحمل على التفسير . ينظر : مختصر في شواذِّ القرآن لابن خالويه : ١٠٥ ، المحتسب لابن جني : ٢ / ١١٧ ، إتحاف فضلاء البشر للبناء : ٤١٥ .

(٧) سورة الأنبياء : ١٠ .

(٨) سورة البقرة : ١٣٦ .

(٩) ينظر : التفسير الكبير : ٢٤ / ٤٠ .

✓ **فالضمير يعود على هذا للرسول ﷺ أيضاً على هذه القراءة الشاذة .**

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن الراجح أن الضمير في قوله تعالى : ﴿ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ لمحمد ﷺ ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ، ووافقه جمهور المفسرين ؛** يدل على ذلك إضافة لما تقدم ؛ ولما يلي :

أولاً : استبعد الفخر الرازي وابن عادل [(١)] الاستدلال بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ... ﴾ [(٢)] ؛ وذلك لأن المنذر والنذير من صفات الفاعل للتخويف ، ، وصدور الإنذار من الرسول ﷺ حقيقة ؛ وإذا وصف به القرآن فهو مجاز ، وحمل الكلام على الحقيقة أوْلى .

ثانياً : لكونه ﷺ أقرب مذكور ؛ وذلك قوله تعالى : ﴿ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [(٣)] .

ثالثاً : هذا القول هو **قول ابن عباس ﷺ وجماعة من السَّلف وجمهور** المفسرين ؛ وللأكثر حكم الكل شرعاً وعرفاً كما قال الآلوسي [(٤)] .

رابعاً : يؤيد هذا القول **القواعد الترجيحية** التالية :

- **إذا ثبت الحديث ؛ وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه .**
- **تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجَّة على من بعدهم .**
- **القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك .**
- **يجب حمل نصوص الوحي على الحقيقة .**
- **الأصل إعادة الضمير إلى أقرب مذكور ما لم يرد دليل بخلافه** [(٥)] .

---

(١) ينظر : التفسير الكبير : ٢٤ / ٤٠ ، تفسير ابن عادل : ١٤ / ٤٧٣ . وينظر : فتح القدير للشوكاني : ٤ / ٦٠ روح المعاني للآلوسي : ١٨ / ٢٣١ .

(٢) سورة الإسراء : ٩ .

(٣) ينظر : تفسير القرطبي : ١٣ / ٢ ، تفسير ابن عادل : ١٤ / ٤٧٣ ، فتح القدير للشوكاني : ٤ / ٦٠ .

(٤) ينظر : روح المعاني : ١٧ / ٢ .

(٥) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٢٠٦ ، ٢٧١ ، ٣١٢ ، ٢ / ٣٨٧ ، ٦٢١ .

وفي الآية وقفات :

- " الاقتصار في وصف الرسول هنا على النذير دون البشير كما في قوله : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا ... ﴾ [١] لأن المقام هنا لتهديد المشركين إذ كذبوا بالقرآن وبالرسول ﷺ ؛ فكان مقتضياً لذكر النذارة دون البشارة ، وفي ذلك اكتفاء لأن البشارة تخطر ببال السامع عند ذكر النذارة . وسيجيء : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴾ [٢] .
- وفي هذه الآية جمع بين التنويه بشأن القرآن وأنه مترل من الله ، وتنويه بشأن النبي ﷺ ورفعة مترلته عند الله وعموم رسالته " [٣] .
- " وإيراده ﷺ بذلك العنوان – أي : عبداً – لتشريفه ؛ والإيذان بكونه صلوات الله تعالى وسلامه عليه في أقصى مراتب العبودية ، والتنبيه على أن الرسول لا يكون إلا عبدٌ للمرسل رداً على النصارى " [٤] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) سورة سبأ : ٢٨ .
(٢) سورة الفرقان : ٥٦ .
(٣) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور : ١٨ / ٣١٧ .
(٤) روح المعاني للآلوسي : ١٨ / ٢٣١ .

قوله تعالى : ﴿ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَـٰلِدِينَ ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولاً ﴾ . [آية : ١٦] .

مسألة : في معنى قوله تعالى : ﴿ وَعْدًا مَّسْـُٔولاً ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أنَّ معنى قوله تعالى : ﴿ وَعْدًا مَّسْـُٔولاً ﴾ أي : سأله المؤمنين أو الملائكة فقال : ((﴿ وَعْدًا مَّسْـُٔولاً ﴾ أي : سأله المؤمنون أو الملائكة في قولهم : ﴿ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّـٰتِ عَدْنٍ ... ﴾ [١] . وقيل : معناه : وعداً واجب الوقوع لأنه حتمه)) . اهـ [٢] .

الدراسة :

قوله تعالى : **﴿ وَعْدًا ﴾** يدل على أن الجنَّة جعلت لهم بحكم الوعد والتفضل لا بحكم الاستحقاق [٣] ، واختلف السَّلف وأهل العلم والمفسرون في **معنى قوله تعالى : ﴿ وَعْدًا مَّسْـُٔولاً ﴾** على قولين :

القول الأوَّل : معناه : **وعداً واجب الوقوع وإن لم يُسأل** ، لأنه لا يخلف الميعاد ، وهو ﷻ يوجب على نفسه بوعده الصادق ما شاء لا معقب لحكمه ، **حكاه الفرَّاء والطبري** [٤] **وجماعة** [٥] ، وقدَّمه السمين الحلبي [٦] ، وقاله ابن كثير [٧] .

---

(١) سورة غافر : ٨ .

(٢) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٧٦ .

(٣) وهذا مذهب أهل السُّنة والجماعة (**فضل الله ورحمته**) . ينظر : التفسير الكبير للفخر الرازي : ٢٤ / ٥٢ ، تفسير ابن عادل : ١٤ / ٤٩٢ ، السراج المنير : ٣ / ١١ . وقال الزمخشري : " كان ذلك موعوداً واجباً على ربك إنجازه ؛ حقيقاً أن يسأل ويطلب لأنه جزاء وأجر مستحق " . اهـ . ينظر : الكشاف : ٣ / ٢٧١ . وهذا على مذهب المعتزلة .

(٤) ينظر : معاني القرآن للفرَّاء : ٢ / ٢٢٧ ، تفسير الطبري : ١٨ / ١٨٩ .

(٥) منهم : الثعلبي ، والقرطبي ، وابن عادل . ينظر : الكشف والبيان : ٧ / ١٢٦ ، تفسير القرطبي : ١٣ / ١٠ ، تفسير ابن عادل : ١٤ / ٤٩٣ .

(٦) ينظر : الدر المصون : ٥ / ٢٤٦ .

(٧) ينظر : تفسير ابن كثير : ٣ / ٣١٢ .

✖ **أي على المجازِ أي : يُسْأَلُ : هل وُفِّي بك أم لا ؟** [١] .

واستدل له :

١. من كلام العرب :

نظيره قول العرب : قال **الفرَّاء** :

" وقد يكون فى الكلام أن تقول : لأعطينَّك ألفاً وعداً مسئولاً ؛ أى : هو واجبٌ لك ؛ لأن المسئول واجب ، وإن لم يُسأل كالدَّين " . اهـ [٢] .

٢. القرينة القرآنية :

لفظة ﴿ عَلَىٰ ﴾ في قوله : ﴿ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولاً ﴾ كقوله تعالى : ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ . [سورة الروم : ٤٧] .

فقوله تعالى : ﴿ عَلَىٰ رَبِّكَ ﴾ أي : بسبب الوعد صار لا بد منه [٣] .

✖ **واستشكلت الآية على الأشاعرة** لأنها تدل على الوجوب على الله تعالى لمكان ﴿ عَلَىٰ ﴾ ؛ وعندهم لا يجب عليه سبحانه شيء لاستلزام ذلك سلب الاختيار وعدم استحقاق الحمد [٤] .

✓ **وأُجيب بأن :**

" ما في ﴿ عَلَىٰ ﴾ من معنى الوجوب لامتناع الخلف في وعده تعالى ؛ ولا يلزم منه الإلجاء إلى الإنجاز ؛ فإن تعلق الإرادة بالموعود مُتقدِّم على الوعد الموجب للإنجاز " [٥] .

---

(١) ينظر : الدر المصون : ٥ / ٢٤٦ .

(٢) معاني القرآن للفرَّاء : ٢ / ٢٢٧ . وينظر : تفسير الطبري : ١٨ / ١٨٩ .

(٣) ذكرها أبو حيان ، والشنقيطي . ينظر : البحر المحيط : ٦ / ٤٤٦ ، أضواء البيان : ٦ / ٣٢ .

(٤) ينظر : روح المعاني للآلوسي : ١٨ / ٢٤٧ .

(٥) تفسير البيضاوي : ٤ / ٢١٠ . وينظر : تفسير أبي السعود : ٦ / ٢٠٧ ، روح المعاني للآلوسي : ١٨ / ٢٤٧ .

القول الثاني : معناه : **مطلوباً أو حقيقاً بأن يُسأل إنجازه ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [١] ؛ **وجمهور** المفسرين [٢] . [٣]

لكنهم اختلفوا في السائل على وجوه :

✓ **فالأكثر** [٤] على أن **المؤمنين سألوا ربهم في الدنيا** . قالوا : ﴿ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ ... ﴾ [٥] ؛ وهو معنى قول **ابن عباس** ﷺ ، وقول **عبد الرحمن بن زيد** [٦] [٦] وذهب إليه **الفرَّاء** [٧] ؛ وجماعة من المفسرين [٨] .

- عن **ابن عباس** ﷺ يقول : سلوا الذي وعدتكم تنجزوه [٩] .
- وعن **عبد الرحمن بن زيد** قال : سألوه إيَّاها في الدنيا ؛ طلبوا ذلك فأعطاهم وعدهم إذا سألوه [١٠] .

---

(١) ينظر : التسهيل : ٣ / ٧٦ .

(٢) منهم : مقاتل (٢ / ٤٣٢) ، والطبري (١٨ / ١٨٩) ، والسمر قندي (٢ / ٥٣١) ، وابن أبي زمنين (٣ / ٢٥٦) ، والثعلبي (٧ / ١٢٦) ، والماوردي في النكت (٤ / ١٣٥) ، الواحدي (٢ / ٧٧٥) ، والسمعاني (٤ / ١١) ، والبغوي (٣ / ٣٦٣) ، والزمخشري (٣ / ٢٧٣) ، وقدَّمه ابن الجوزي في الزاد (٦ / ٧٧) وقال الفخر الرازي (٢٤ / ٥٢) : **هذا القول أقرب** ، والعز بن عبد السلام (٢ / ٤١٩) ، والقرطبي (١٣ / ١٠) ، والبيضاوي (٤ / ٢١٠) ، والنسفي (٣ / ١٦٣) ، والخازن (٥ / ٩٦) ، والنيسابوري (٥ / ٢٢٥) ، والبقاعي في نظم الدرر (٥ / ٣٠٤) ، وابن عادل (١٤ /٤٩٢ ، ٤٩٣) ، والجلالين (٤٧٢) ، وأبو السعود (٦ / ٢٠٧) ، والخطيب الشربيني في السراج المنير (٣ / ١١) ، والشوكاني (٤ / ٦٥) ، والآلوسي (١٨ / ٢٤٧) ، والسعدي (٥٨٠) ، وقال الشنقيطي في أضواء البيان (٦ / ٣٢) : **هذا القول أقرب** ، والطاهر بن عاشور (١٨ / ٣٣٦) ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي (١٠ / ١٧٩) .

(٣) ذكر القولين و لم يرجح ابن عطية في تفسيره (٤ / ٢٠٣) .

(٤) نسب هذا القول إلى الأكثر الخطيب الشربيني في السراج المنير (٣ / ١١) .

(٥) سورة آل عمران : ١٩٤ .

(٦) نسبه إليه : الماوردي في النكت (٤ / ١٣٥) ، والقرطبي في تفسيره (١٣ / ١٠) .

(٧) ينظر : معاني القرآن للفرَّاء : ٢ / ٢٢٧ .

(٨) في تفاسيرهم ، منهم : مقاتل (٢ / ٤٣٢) ، والطبري (١٨ / ١٨٩) ، والسمر قندي (٢ / ٥٣١) ، وابن أبي زمنين (٣ / ٢٥٦) ، والثعلبي (٧ / ١٢٦) ، والقرطبي (١٣ / ١٠) ، والخازن (٥ / ٩٦) ، والسعدي (٥٨٠) .

(٩) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٨ / ١٨٩) ، ونسبه إليه ابن عطية في تفسيره (٤ / ٢٠٣) ، وعزاه السيوطي أيضاً في الدر (٦ ٢٤١) إلى ابن أبي حاتم (٨ / ٢٦٧١) . وينظر : تنوير المقباس : ٣٠١ .

(١٠) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٨ / ١٨٩) ؛ ونسبه إليه ابن عطية في تفسيره (٤ / ٢٠٣) .

أو أن **المؤمنين سألوا ربهم بلسان الحال** ؛ لأنهم لما تحملوا المشقة الشديدة في طاعته كان ذلك قائماً مقام السؤال [١] .

قال **المتنبي** :

وَفِي النَّفْسِ حَاجَاتٌ وَفِيكَ فَطَانَةٌ سُكُوتِي كَلَامٌ عَنْدَهَا وَخِطَابُ [٢]

✓ **أو الملائكة تسأله للمؤمنين** في قولهم : ﴿ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ ... ﴾ [٣] ، قاله **محمد بن كعب القرظي** [٤] ، وذهب إليه **الزَّجَّاج** [٥] ؛ و**جماعة من المفسرين** [٦] .

- عن **محمد بن كعب القرظي** يقول : إنَّ الملائكة تسألهم لهم في قولهم ذلك : ﴿ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ ... ﴾ [٧] .

قال **الطاهر بن عاشور** : " وهذا مسوق **مساق المبالغة** في تحقيق الوعد والكرم كما يشكرك شاكر على إحسان فتقول : ما أتيت إلا واجباً ، إذ لا يتبادر هنا غير هذا المعنى ، إذ لا معنى للوجوب على الله تعالى سوى أنه تفضل وتعهد به ، ولا يختلف في هذا أهل الملة وإنما اختلفوا في جواز إخلاف الوعد " . اهـ [٨] .

---

(١) ينظر : تفسير السمر قندي : ٢ / ٥٣١ ، التفسير الكبير : ٢٤ / ٥٢ ، فتح القدير للشوكاني : ٤ / ٦٥ .

(٢) نسبه إليه الرَّاغب الأصبهاني (ت ٥٠٢ هـ) في محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء : ١ / ٦٣٧ .
والمُتَنبي هو : أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكوفي الكندي ، أبو الطيب المتنبي : الشاعر الحكيم ، وأحد مفاخر الأدب العربي ، له الأمثال السائرة والحكم البالغة والمعاني المبتكرة ، وفي علماء الأدب من يعده أشعر الاسلاميين . ت سنة ٣٥٤ هـ . ينظر : تاريخ بغداد : ٤ / ١٠٢ - ١٠٥ ، العبر : ٢ / ٣٠٦ ، لسان الميزان : ١ / ١٥٩ ، ١٦٠ .

(٣) سورة غافر : ٨ .

(٤) عزاه السيوطي في الدر (٦ ٢٤١) إلى ابن أبي حاتم (٨ / ٢٦٧١) ، والبيهقي من طريق سعيد بن هلال .

(٥) ينظر معانيه : ٤ / ٦٠ .

(٦) منهم : الواحدي في الوجيز (٢ / ٧٧٥) ، والسمعاني في تفسيره (٤ / ١١) ، والبغوي في تفسيره (٣ / ٣٦٣) .

(٧) سورة غافر : ٨ . وقول محمد بن كعب القرظي هو المتقدم تخريجه آنفاً .

(٨) التحرير والتنوير : ١٨ / ٣٣٦ .

❖ **ورجَّح ابن جُزيّ** [١] أن يكون السائل المؤمنون أو سؤال الملائكة لهم ، **ووافقه** جماعة من المفسرين [٢] .

❖ وذكر جميع الوجوه جماعة من المفسرين [٣] .

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن الرَّاجح أن أنَّ معنى قوله تعالى : ﴿ وَعْدًا مَّسْـُٔولاً ﴾ مطلوباً أو حقيقاً بأن يسأل إنجازه ، يسأله المؤمنين أو الملائكة لهم ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** ، ويدل على ذلك – إضافة على ما تقدَّم – ما يلي :

أولاً : إن سائر الوجوه التي ذكرت في القول الراجح أقرب من قول الفرَّاء ؛ لأن سائر الوجوه أقرب إلى الحقيقة ؛ وما قاله الفراء مجاز [٤] .

ثانياً : يؤيده **القاعدة الترجيحية** التالية :

- **يجب حمل نصوص الوحي على الحقيقة** [٥] .

✍ وفي قوله تعالى : ﴿ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولاً ﴾ التعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميره ﷺ من تشريفه ، والإشعار بأنه ﷺ هو الفائز بمغانم الوعد الكريم [٦] .

.

---

(١) ينظر : التسهيل : ٣ / ٧٦ .

(٢) منهم : الزمخشري (٣ / ٢٧٣) وحكاه في الكشاف ، وقدَّمه ابن الجوزي في الزاد (٦ / ٧٧) ، وقاله البيضاوي في تفسيره (٤ / ٢١٠) ، والنسفي في تفسيره (٣ / ١٦٣) ، والجلالين في تفسيرهما (٤٧٢) ، وأبو السعود في تفسيره (٦ / ٢٠٧) ، والشوكاني في فتح القدير (٤ / ٦٥) ، والآلوسي في روح المعاني (١٨ / ٢٤٧) ، والشنقيطي في أضواء البيان (٦ / ٣٢) ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي في الوسيط (١٠ / ١٨٠) .

(٣) في تفاسيرهم ؛ منهم : الماوردي في النكت (٤ / ١٣٥) ، والفخر الرازي (٢٤ / ٥٢) ، والعز بن عبد السلام (٢ / ٤١٩) والنيسابوري (٥ / ٢٢٥) ، وابن عادل (١٤ /٤٩٢ ، ٤٩٣) ، والخطيب الشربيني في السراج المنير (٣ / ١١ ، ١٢) .

(٤) ينظر : التفسير الكبير : ٢٤ / ٥٢ .

(٥) ينظر قواعد الترجيح للحربي : ٢ / ٣٨٧ .

(٦) ينظر : تفسير أبي السعود : ٦ / ٢٠٧ ، روح المعاني للآلوسي : ١٨ / ٢٤٧ .

والله تعالى أعلم بالصواب .

قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَـٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَـٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٨﴾ ﴾ . [آية : ١٧ ، ١٨] .

مسألة : فيمن المخاطب بقوله تعالى : ﴿ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَـٰٓؤُلَآءِ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن المخاطب بقوله تعالى : ﴿ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَـٰٓؤُلَآءِ ﴾ هم المعبودون مع الله على العموم ، فقال : ((﴿ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَـٰٓؤُلَآءِ ﴾ القائل لذلك : هو الله ﷻ ؛ والمخاطب : هم المعبودون مع الله على العموم . وقيل : الأصنام خاصة ؛ **والأوّل أرجح** ...)) . اهـ [١] .

الدراسة :

والاستفهام **في قوله تعالى : ﴿ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَـٰٓؤُلَآءِ ﴾** استفهام تقريري للاستنطاق والاستشهاد والتقريع والتوبيخ . والمعنى : أأنتم أضللتموهم أم ضلُّوا من تلقاء أنفسهم دون تضليل منكم ؛ ففي الكلام حذف دل عليه المذكور . فسؤاله تعالى وهو عالم بالمسؤول عنه ليجيبوا بما أجابوا به ؛ فيبكت عبدهم بتكذيبهم إياهم فيزيد حسرهم ، ويسرُّ المؤمنون بحالهم ونجاهم من فضيحة أولئك ، وليكون حكاية ذلك في القرآن لطفاً للمكلفين .

وظاهر قوله : ﴿ وَمَا يَعْبُدُونَ ﴾ أنها الأصنام ، لأن ﴿ مَا ﴾ لما لا يعقل ؛ وظاهر قوله : ﴿ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ ﴾ أنه من عُبد من العقلاء ؛ كالملائكة والمسيح وعزير وغيرهم ؛ لأن الإضلال وخلافه منهم يصحُّ ؛ فلهذا اختلف السَّلف وأهل العلم والمفسرون **فيمن المخاطب في هذه الآية** على قولين :

القول الأوَّل : المخاطب في الآية هم **الأصنام خاصة** ، قاله **عكرمة** ، و **الضحاك** [٢] ،

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٧٦ .

(٢) نسبه إلى عكرمة والضحاك غير واحد من المفسرين في تفاسيرهم ؛ منهم : البغوي (٣ /٣٦٣) ، وابن عطية =

وذهب إليه **الفرَّاء** [١] ، وقاله **السمر قندي** [٢] من المفسرين .

واستدل له :

بدلالة السِّياق القرآني : بناء على أن السِّياق فيها [٣] .

✖ **واعتُرض** : كيف يخاطب الله تعالى الجماد ؟

✓ **وأُجيب** بوجهين :

- **أحدهما** : أنه تعالى يخلق الحياة فيها ويخاطبها .
- **والثاني** : أن يكون ذلك بالكلام النفساني لا بالقول اللساني ؛ بل بلسان الحال كما ذكر بعضهم في تسبيح الموات ، وكلام الأيدي والأرجل ، وكما قيل : سل الأرض من شق أنهارك ، وغرس أشجارك ؟ فإن لم يحصل جواباً أجابتك اعتباراً [٤] .

القول الثاني : المخاطب في الآية هم **الملائكة** ؛ قاله **الحسن** [٥] ، **ومقاتل** [٦] ، **والزجاج** [٧] وقدَّمه **الماوردي** [٨] ، وذهب إليه **السمعاني** [٩] ، من المفسرين .

قال **مقاتل** : " ﴿ فَيَقُولُ ﴾ للملائكة : ﴿ ءَأَنتُمۡ أَضۡلَلۡتُمۡ عِبَادِي هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ يقول : أنتم أمرتموهم بعبادتكم ؟ ﴿ أَمۡ هُمۡ ضَلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ﴾ يقول : أو هم أخطئوا طريق الهدى ، فتبرأت الملائكة " . اهـ [١٠] .

=(٤ / ٢٠٤) ، وابن الجوزي (٦ / ٧٨) .

(١) ينظر معانيه : ٢ / ٢٢٧ .

(٢) ينظر : تفسير السمر قندي : ٢ / ٥٣٢ .

(٣) حكاه الآلوسي في روح المعاني (١٨ / ٢٤٨) .

(٤) حكاه الفخر الرازي في تفسيره (٢٤ / ٥٤) ، والقرطبي في تفسيره (١٣ / ١٠) ، وابن عادل في تفسيره (١٤ / ٤٩٥) ، والخطيب الشربيني في السراج (٣ / ١٢) ، والشوكاني في فتح القدير (٤ / ٦٧) .

(٥) نسبه الماوردي إليه في النكت (٤ / ١٣٦) .

(٦) ينظر : تفسير مقاتل : ٢ / ٤٣٣ .

(٧) ينظر معانيه : ٤ / ٦٠ .

(٨) ينظر : النكت والعيون : ٤ / ١٣٦ .

(٩) ينظر : تفسير السمعاني : ٤ / ١١ .

(١٠) تفسير مقاتل : ٢ / ٤٣٣ .

القول الثاني : المخاطب في الآية هم **المعبودون مع الله من العقلاء دون الأصنام ؛ كالملائكة ، والجن والإنس ، وعيسى عليه السلام وعزير عليه السلام** ، وهو قول **مجاهد** [١] ، وجوَّزه **الزجاج** [٢] ، وقاله **الطبري** [٣] ، **واستظهره أبو حيان** [٤] ، وقاله **جماعة** من المفسرين [٥] . [٥] .

واستدل له :

١. بما يشهد له القرآن :

جاء ما يشبه ذلك منصوصاً في سؤال عيسى والملائكة – عليهم السَّلام – عن عبادة من عبدهم :

- كما قال في الملائكة : ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ . [سورة سبأ : ٤٠ ، ٤١] .
- وقال في عيسى عليه السلام : ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ ﴾ . [سورة المائدة : ١١٦] . [٦]

---

(١) ينظر تفسيره : ٢ / ٤٤٨ . ونسبه البغوي في تفسيره (٣ /٣٦٣) إليه ، وعزاه السيوطي في الدر (٦ / ٢٤١) إلى الفريابي ، وابن أبي شيبة ، وعبد بن حميد ، وابن جرير (١٨ / ١٨٩) ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم (٨ / ٢٦٧٢) .

(٢) ينظر معانيه : ٤ / ٦٠ .

(٣) ينظر : تفسير الطبري : ١٨ / ١٨٩ .

(٤) ينظر : البحر المحيط : ٦ / ٤٤٧ .

(٥) منهم : النحاس في معاني القرآن (٥ / ١٤) وذكر قول مجاهد ، وذكر ابن أبي زمنين (٣ / ٢٥٦) قول مجاهد أيضاً ، والزمخشري (٣ / ٢٧٣) ، والعز بن عبد السلام (٢ / ٤١٩) ، والنسفي (٣ / ١٦٣) ، والخازن (٥ / ٩٦) ، وابن كثير (٣ / ٥٤٣) ، والجلالين (٤٧٢) ، والسعدي (٥٨٠) ، وسيد قطب (٥ / ٢٥٥٥) ، والطاهر بن عاشور (١٨ / ٣٣٨) .

(٦) ينظر : البحر المحيط لأبي حيان : ٦ / ٤٤٧ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٥٤٣ ، تفسير السعدي : ٥٨٠ ، أضواء البيان للشنقيطي : ٦ / ٣٣ .

٢. دلالة السِّياق القرآني :

بدليل جوابهم فيما بعد ؛ أجاب المعبودون بما حكى الله عنهم في الآية بعدها من قولهم : ﴿ سُبْحَـٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ ... ﴾ . [سورة الفرقان : ١٨] . وهذا الجواب إنما يحسن من العقلاء ؛ ك الملائكة والمسيح وعزيز – عليهم السَّلام – [(١)] .

✖ **واعتُرض :**

إن لفظة ﴿ مَا ﴾ لا تستعمل في العقلاء ؟

✓ **وأُجيب** : بوجهين :

الأوَّل : لا نسلم أن كلمة ﴿ مَا ﴾ لما لا يعقل ؛ بدليل :

١. أنهم قالوا (من) لما لا يعقل ، جاء هذا في قوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ... ﴾ . [سورة النور : ٤٥] .

٢. وبدليل قولك إذا رأيت شبحاً من بعيد : ما هو ؟ فإذا قيل لك : إنسان ، قلت حينئذٍ : من هو ؟ ويدلك قولهم (من) لما يعقل .

والثاني : أنه أريد به الوصف كأنه قيل : (ومعبودهم) ، ألا تراك تقول إذا أردت السؤال عن صفة زيد : ما زيد ؟ تعني : أطويل أم قصير ؟ أفقيه أم طبيب ؟

وقوله تعالى : ﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ﴾ . [سورة الشمس : ٥] . ﴿ وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴾ . [سورة الكافرون : ٣] . لا يستقيم إلا على أحد هذين الوجهين [(٢)] .

---

(١) ينظر : إغاثة اللهفان لأبي عبد الله ، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي ، المعروف بابن قيِّم الجوزية أو ابن القيِّم (ت ٧٥١ هـ) : ٢ / ٢٣٩ ، البحر المحيط لأبي حيان : ٦ / ٤٤٧ . وحكاه الشوكاني والآلوسي . ينظر : فتح القدير : ٤ / ٦٧ ، روح المعاني : ١٨ / ٢٤٨ .

(٢) ينظر : الكشاف للزمخشري : ٣ / ٢٧٣ ، التفسير الكبير للفخر الرازي : ٢٤ / ٥٤ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ٢١٠ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ٢٠٨ ، تفسير ابن عادل : ١٤ / ٤٩٥ ، السراج المنير للخطيب الشربيني : ٣ / ١٢ .

القول الثالث : المخاطب في الآية هم **المعبودون مع الله على العموم** ؛ **يعم العقلاء وغيرهم** من الأصنام ، والملائكة ، والجن والإنس ، وعيسى عليه السلام وعزير عليه السلام ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [١] ، ووافقه **جماعة** [٢] من المفسرين [٣] . [٤]

الـترجيح :

بناء على هذا يظهر لي – والله أعلم – **أن الرَّاجح أن المخاطب في قوله تعالى : ﴿ ءَأَنتُمۡ أَضۡلَلۡتُمۡ عِبَادِي هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ هم المعبودون مع الله على العموم ؛ يعمُّ العقلاء وغيرهم من الأصنام ، والملائكة ، والجن والإنس ، وعيسى عليه السلام وعزير عليه السلام ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ، ومن وافقه** ؛ ويدل على ذلك ما يلي :

أولاً : القرائن القرآنية :

القرينة الأوَّلى : أنه عبر عن المعبودين المذكورين بـ ﴿ مَا ﴾ التي هي لغير العاقل في قوله : ﴿ وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ... ﴾ . فلفظة ﴿ مَا ﴾ تدل على العموم للعقلاء وغيرهم – وإن كان أكثر استعمالها لغير العقلاء – ؛ ولكنه **غلَّب في هذه الآية غير العاقل ؛ وهم الأصنام** إمَّا :

---

(١) ينظر : التسهيل : ٣ / ٧٦ .

(٢) **نسب هذا القول إلى الجمهور** : ابن عطية في تفسيره (٤ / ٢٠٣) ، والثعالبي في تفسيره (٤ / ٢٠٤) ، والخطيب الشربيني في السراج (٣ / ١٢) . ونسب **القول الثاني** إلى الأكثر : الفخر الرازي في تفسيره (٢٤ / ٥٤) ، وأبو حيان في تفسيره (٦ / ٤٤٧) ، وابن عادل في تفسيره (١٤ / ٤٩٥) ، والآلوسي (١٨ / ٢٤٨) نقلاً عن أبي حيان . **وأرى كل قول قال به جماعة ؛ والله أعلم .**

(٣) في تفاسيرهم ، منهم : الواحدي (٢ / ٧٧٥) ، وجوَّزه الزمخشري (٣ / ٢٧٣) ، وابن عطية (٤ / ٢٠٣) والبيضاوي (٤ / ٢١٠) ، والبقاعي في نظم الدرر (٥ / ٣٠٦) ، والثعالبي (٤ / ٢٠٤) ، وأبو السعود (٦ / ٢٠٨) ، وجوَّزه الخطيب الشربيني (٣ / ١٢) ، والشوكاني (٤ / ٦٧) ، والقاسمي (١٢ / ٢٥٤) **واستظهره** الشنقيطي (٦ / ٣٣) ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي (١٠ / ١٨١) .
وينظر : الرد على الأخنائي واستحباب زيارة خير البرية لابن تيمية (ت ٧٢٨ هـ) : ١٠٣ ، الصارم المنكي في الرد على السبكي لمحمد بن أحمد بن قدامة المقدسي (٧٤٤ هـ) : ١٧٧ ، معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول للشيخ حافظ بن أحمد الحكمي (ت ١٣٧٧ هـ) : ٢ / ٤٨٧ .

(٤) ذكر الأقوال جميعها أو بعضها و لم يرجح جماعة من المفسرين ؛ منهم : الثعلبي (٧ / ١٢٧) ، والبغوي (٣ / ٣٦٣) ، وابن الجوزي (٦ / ٧٨) ، والفخر الرازي (٢٤ / ٥٤) ، والقرطبي (١٣ / ١٠) ، والنيسابوري (٥ / ٢٢٥) ، وابن عادل (١٤ / ٤٩٥) ، والآلوسي (١٨ / ٢٤٨) .

- تحقيراً لها ؛ وتنبيهاً على أنها جميعاً مشتركة في كونها غير صالحة لكونها آلهة .
- أو : لأن من يعبد من لا يعقل أكثر ممن يعبد من يعقل منها ؛ فغلبت اعتباراً بكثرة من يعبدها .
- أو غلبَّ العبارة عما لا يعقل من الأصنام لأنها كانت الأغلب وقت المخاطبة [١] .

" **القرينة الثانية** : هي دلالة آيات من كتاب الله ، على أن المعبودين غافلون عن عبادة من عبدهم : أي لا يعلمون بها لكونهم غير عقلاء ؛ وذلك مثل :

- قوله تعالى في سورة يونس عليه السلام : ﴿ ... وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَـٰفِلِينَ ﴾ . [سورة يونس عليه السلام : ٢٨ ، ٢٩] . وإنما كانوا غافلين عنها لأنهم جماد لا يعقلون ؛ وإطلاق اللفظ المختص بالعقلاء عليهم ، نظراً إلى أن المشركين نزلوهم منزلة العقلاء .
- وكقوله تعالى في سورة الأحقاف : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَـٰفِرِينَ ﴾ . [سورة الأحقاف : ٥ ، ٦] . فقد دل قوله تعالى : ﴿ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ ﴾ على أنهم لا يعقلون ، ومع ذلك قال : ﴿ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَـٰفِرِينَ ﴾ .
- وكقوله تعالى في سورة العنكبوت : ﴿ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَـٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا ... ﴾ . [سورة العنكبوت : ٢٥] . فصرَّح بأنهم أوثان ، ثم ذكر أنهم هم وعبدتهم يلعن بعضهم بعضاً .
- وكقوله تعالى : ﴿ كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴾ . [سورة مريم – عليها السلام – : ٨٢] . إلى غير ذلك من الآيات " [٢] .

---

(١) ينظر : الكشاف للزمخشري : ٣ / ٢٧٣ ، المحرر الوجيز لابن عطية : ٤ / ٢٠٣ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ٢١٠ تفسير أبي السعود : ٦ / ٢٠٨ ، السراج المنير للخطيب الشربيني : ٣ / ١٢ ، فتح القدير للشوكاني : ٤ / ٦٧ ، أضواء البيان للشنقيطي : ٦ / ٣٣ .

(٢) أضواء البيان : ٦ / ٣٤ .

ثانياً : يتأيد هذا القول **بالقواعد الترجيحية** التالية :

- **القول الذي تؤيده قرائن في السِّياق مرجح على ما خالفه .**
- **القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك** [١] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

(١) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٢٩٩ ، ٣١٢ .

قوله تعالى : ﴿ ۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ نَرَىٰ رَبَّنَاۗ لَقَدِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ وَعَتَوۡ عُتُوّٗا كَبِيرٗا ﴿٢١﴾ ﴾ . [آية : ٢١] .

مسألة : في معنى قوله تعالى : ﴿ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن قوله تعالى : ﴿ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا ﴾ على بابه لأن لقاء الله يرجى ويخاف ، فقال : ((﴿ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا ﴾ قيل : معناه لا يخافون ؛ **والصَّحيح** : أنه على بابه ؛ لأن لقاء الله يرجى ويخاف)) . اهـ [١] .

الدراسة :

هذه المقالة من جملة شبه المشركين التي قدحوا بها في النبوة .

واللقاء لغة : مقابلة الشيء ومصادفته معا ، وقد يعبر به عن كل واحد منهما ، يقال : لقِيَ فلانٌ فلاناً لِقاءً ولُقِيّاً ولَقْية ، ويقال ذلك في الإدراك بالحس وبالبصر وبالبصيرة ، واللقاء : الملاقاة [٢] .

واختلف أهل العلم والمفسرون في **معنى قوله تعالى : ﴿ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا [٣] ﴾** على

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٧٧ .

(٢) قال ابن فارس : " اللام والقاف والحرف المعتل أصول ثلاثة : أحدها : يدل على عوج ، والآخر : **على توافي شيئين** ، والآخر : على طرح شيء . والذي معنا هو **الأصل الثاني** . ينظر (مادة : لقى) في : تهذيب اللغة : ٩ / ٢٢٧ ، مقاييس اللغة : ٥ / ٢٦٠ ، مفردات الرَّاغب : ٤٥٣ .

(٣) **استدلت الأشاعرة بقوله تعالى : ﴿لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا﴾ على جواز الرؤية** ، لأن اللقاء جنس تحته أنواع ، أحد أنواعه الرؤية ، والآخر الاتصال والمماسّة ، وهما باطلان ، فدلَّ على جواز الرؤية ، لأن الرائي يصل برؤيته إلى حقيقة المرئي فسمي الرؤية لقاء . واللقاء عند الأشاعرة الوصول لا بمعنى المكان والجهة فإنه تعالى منزه عن ذلك . **وقالت المعتزلة** : تفسير اللقاء برؤية البصر جهل باللغة ، لأنه يقال في الدعاء : لقاك الله الخير . ويقول القائل : لم أَلْقَ الأمير . وإن رآه من بعد إذا حجب عنه ، ويقال في الضرير : لقي الأمير إذا أذن له و لم يحجب ، وقد يلقاه في الليلة الظلماء ولا يراه ، بل المراد من اللقاء هنا المصير إلى حكمه حيث لا حكم لغيره في يوم ﴿ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗا ... ﴾ . [سورة الانفطار : ١٩] . لا أنه رؤية البصر ؛ أي إرادة الجزاء والعقاب . قال ابن الخطيب : وهذا كلام ضعيف ، لأنَّ اللفظ الموضوع لمعنى مشترك بين معان كثيرة ينطلق على كل واحد من تلك المعاني ، فيصح قوله : لقاك الخير ، ويصح قول الأعمى : لقيت الأمير ، ويصح قول البصير : لقيته (بمعنى رأيته ، وما لقيته) بمعنى ما وصلت إليه ، وإذا ثبت هذا فنقول : قوله تعالى : ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا﴾ =

ثلاثة أقوال :

القول الأوَّل : معناه : **لا يخافون** البعث بعد الموت ، قاله **مقاتل** [١] ، وذهب إليه **الفرَّاء وأبو عبيدة** [٢] ، وقاله **الطبري** [٣] ، وقدَّمه **الماوردي** [٤] ، وقاله جماعة من المفسرين [٥] .

واستدل له :

١. من اللغة :

قال الفرَّاء :

" وقوله : ﴿ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا ﴾ : لا يخافون لقاءنا ؛ وهى لغة تِهاميَّة " [٦] .

وقال في موضع آخر قبله عند تفسير قوله تعالى : ﴿ ... وَتَرۡجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرۡجُونَ ... ﴾ [٧] :

" و لم نجد معنى الخوف يكون رجاء إلاَّ ومعه جحْدٌ ؛ فإذا كان كذلك كان الخوف على جهة الرجاء والخوف ، وكان الرجاء كذلك ... ولا يجوز : رجوتك ؛ وأنت تريد : خفتك ولا خفتك ؛ وأنت تريد رجوتك " . اهـ [٨] .

= مذكور في معرض الذم لهم ، فوجب أن يكون رجاء اللقاء حاصلاً ، ومسمى اللقاء مشترك بين الوصول المكاني وبين الوصول بالرؤية ، وقد بطل الأوَّل فتعيّن الثاني . وقولهم : المراد من اللقاء الوصول إلى حكمه . صرف للفظ عن ظاهره بغير دليل ، فثبت دلالة الآية على صحة الرؤية بل على وجوبها ، بل على أنّ إنكار الرؤية ليس إلا من دين (الكفار) . ينظر : التفسير الكبير للفخر الرازي : ٢٤ / ٥٩ ، ٦٠ ، تفسير ابن عادل : ١٤ / ٥٠٦ ، ٥٠٧ .

(١) ينظر تفسيره : ٢ / ٤٣٤ .

(٢) ينظر : معاني القرآن للفرَّاء : ٢ / ٢٢٨ ، مجاز القرآن لأبي عبيدة : ٢ / ٧٣ .

(٣) ينظر تفسيره : ١٩ / ١ .

(٤) ينظر : النكت والعيون : ٤ / ١٣٩ .

(٥) منهم : السمر قندي (٢ / ٥٣٣) ، وابن أبي زمنين (٣ / ٢٥٧) ، والواحدي (٢ / ٧٧٧) ، والبغوي (٣ / ٣٦٥) ، والسمعاني (٤ / ١٤) ، وابن الجوزي (٦ / ٨١) ، والقرطبي (١٣ / ١٩) ، والخازن (٥ / ٩٧) ، والجلالين (٤٧٣) ، والخطيب الشربيني في السراج (٣ / ١٤) .

(٦) معاني القرآن للفرَّاء : ٢ / ٢٢٨ .

(٧) سورة النساء : ١٠٤ .

(٨) معاني القرآن للفرَّاء : ١ / ٢٠٧ .

ووافقه **الأزهري** فقال :

" إنما يُسْتعمل الرَّجاءُ في موضع الخوف إذا كان معه حَرْفُ نَفْي " [١] .

٢. **النظير القرآني** : قوله تعالى : ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾ . [سورة نوح عليه السلام : ١٣] . أي : لا تخافون لله عظمة .

٣. **من كلام العرب** : ومنه قول الشاعر [٢] :

لا تَرْتَجِي حِينَ تُلاقِي الذَّائِدَا أَسَبْعَةً لاقَتْ معاً أَو واحِدَا

أَي : لا تَخافُ ولا تبالى .

وقال الآخر [٣] :

إذا لسعته النحل لم يَرْجُ لَسْعَهَا وَحَالفَهَا فى بيتِ نُوب عَوَامِلِ

يقال : نَوْب ونُوب . قال الفرَّاء : والنُوب : ذكر النحل [٤] .

✖ ويكون استعمال **الرجاء في معنى الخوف مجازاً** ؛ لأن الراجي لأمر يخاف فواته .

✖ **وتعقَّبه أبو حيان** بقوله : " ومن تأول (لم يَرْجُ لَسْعَهَا) على معنى : لم يرج دفعها ولا الانفكاك عنها ؛ فهو لذلك يوطن على الصبر ويجد في شغله **فتأويله ممكن** ؛ لكن الفرَّاء وغيره نقلوا ذلك لغة لهذيل في النفي والشاعر هذلي ، فينبغي أن لا يتكلف للتأويل وأن يحمل على لغته " . اهـ [٥] .

---

(١) تهذيب اللغة للأزهري (مادة : رجا) : ١١ / ١٢٤ .

(٢) نسبه الزبيدي إلى الليث . ينظر : تاج العروس (مادة : رجا) : ٣٨ / ١٣١ . وأورده جماعة من أهل اللغة والمفسرين من غير نسبة .

(٣) هو أبي ذؤيب الهذلي ؛ عزاه إليه الزمخشري ، وابن منظور ، والشنقيطي . ينظر : أساس البلاغة : ٦٥٦ ، لسان العرب (مادة : رجا) : ١٤ / ٣١٠ ، أضواء البيان : ٦ / ٣٧ .

(٤) ينظر : معاني القرآن للفرَّاء : ٢ / ٢٢٨ . بتصرف يسير ؛ تهذيب اللغة للأزهري (مادة : رجا) : ١١ / ١٢٤ وحكى الخطيب الشربيني في السراج (٣ / ١٤) قول الفراء وما استدل به .

(٥) البحر المحيط لأبي حيان : ٦ / ٤٥٠ . وينظر قبله : المحرر الوجيز لابن عطية : ٤ / ٢٠٥ .

القول الثاني : الرجاء هنا في الآية **على بابه ، أي : الأمل ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [١] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٢] . [٣]

واستدل له :

١. من اللغة : الرَّجاءُ – ممدود – [٤] **: المشهور في اللغة : من الأمل** ؛ وهو نقيض الْيَأْس والفعل منه : رَجَا يَرْجُو ، ورَجِيَ يَرْجَا ، وارْتَجَى يَرْتَجِي ، وتَرَجَّى وَيَتَرَجَّى [٥] .

٢. من كلام العرب : بقول القائل [٦] :

أترجو أمَّة قتلت حسينا شفاعة جَدِّه يوم الحسابِ

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن الرَّاجح أن معنى الرجاء في قوله تعالى : ﴿ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ﴾ على بابه على المشهور من اللغة ؛ وهو الأمل نقيض اليأس ؛ لأن لقاء الله يرجى ويخاف ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** ، يدل على ذلك إضافة لما تقدم ما يلي :

---

(١) ينظر : التسهيل : ٣ / ٧٧ .

(٢) منهم : ابن عطية (٤ / ٢٠٥) ، والفخر الرازي (٢٤ / ٥٩) ، **واستظهره** أبو حيان في البحر المحيط (٦ / ٤٥٠) ، والثعالبي (٤ / ٢٠٦) ، وابن عادل (١٤ / ٥٠٦) ، والشوكاني (٤ / ٦٩) ، والآلوسي (١٩ / ٢) ، والسعدي (٥٨١) ، والشنقيطي في أضواء البيان (٦ / ٣٧) ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي في الوسيط (١٠ / ١٨٥) .

(٣) ذكر القولين و لم يرجح جماعة من المفسرين ؛ منهم : الزمخشري (٣ / ٢٧٧) ، والبيضاوي (٤ / ٢١٢) ، والنسفي (٣ / ١٦٥) ، والنيسابوري (٥ / ٢٣١) .

(٤) **الرجا** – مقصور – : ناحية كل شيء ، والجمع : أرجاء . ينظر : تهذيب اللغة للأزهري (مادة : رجا) : ١١ / ١٢٥ ، معجم مقاييس اللغة لابن فارس (مادة : رجى) : ٢ / ٤٩٤ .

(٥) ينظر (مادة : رجا) في كل من : جمهرة اللغة : ٢ / ١٠٣٩ ، تهذيب اللغة : ١١ / ١٢٤ ، معجم مقاييس اللغة (مادة : رجى) : ٢ / ٤٩٤ ، النهاية لابن الأثير : ٢ / ٢٠٧ ، لسان العرب : ١٤ / ٣٠٩ ، المصباح المنير (مادة : رَجَوتُه) : ١ / ٢٢١ ، تاج العروس : ٣٨ / ١٢٧ .

(٦) هذا البيت لا يدري من قائله ؛ وجاء في أخبار مضطربة أنه لما غزا أشياخ الروم وجدوا في كنيسة من كنائسهم هذا الشعر مكتوبا على الحائط ، فقالوا : منذ كم وجدتم هذا الكتاب في هذه الكنيسة ؟ قالوا : قبل أن يخرج نبيكم بستمائة عام . ينظر : الخصائص الكبرى لأبي الفضل ، جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ) : ١ / ٦٣ .

أولاً : الحمل على **المعنى الحقيقى** أولى من المجاز ؛ فالمعنى : لا يأملون لقاء ما وعدنا على الطاعة من الثواب ، ومعلوم أن من لا يرجو الثواب لا يخاف العقاب ؛ لأن خوف لقاء الله تعالى مقترن أبدا برجاءه ؛ فإذا نفي الرجاء عن أحد فإنما أخبر عنه أنه مكذب بالبعث لنفي الخوف والرجاء [١] .

ثانياً : يتأيد هذا القول بالمشهور من اللغة ؛ وبكلام العرب ؛ وعليه يتأيد **بالقواعد الترجيحية** التالية :

- **يجب حمل كلام الله تعالى على المعروف من كلام العرب دون الشاذ والضعيف والمنكر .**
- **يجب حمل نصوص الوحي على الحقيقة** [٢] .

ولبعض أهل العلم أقوال أخرى في تفسير الآية ؛ وهي كالتالي :

- ✓ **ذكر الزجاج** معنى ﴿ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ﴾ في معرض كلامه فقال : " الذين لا يوقنون بالبعث ؛ ولا يرجون الثواب على الأعمال عند لقاء الله ... " . اهـ [٣] .
- ✓ وقال **القشيري** : " ﴿ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ﴾ : لا يؤمنون بالحشر والنشر والرجوع إلى الله في القيامة من الدنيا . وكما كانوا لا يخافون العذابَ ، ولا ينتظرون الحَشْرَ كذلك كانوا لا يُؤْمِنون لقاءَ الله " . اهـ [٤] .
- ✓ وقال **أبو السعود** : " وبعدم رجائهم إياه عدم توقعهم له أصلا لإنكارهم البعث والحساب بالكلية ؛ **لا عدم أملهم حسن اللقاء ولا عدم خوفهم سوء اللقاء** ، لأن عدمهما غير مستلزم لما هم عليه من العتو والاستكبار وإنكار البعث والحساب رأساً ؛ أي : وقال الذين لا يتوقعون الرجوع إلينا أو حسابنا المؤدى إلى سوء العذاب الذي

---

(١) ينظر : المحرر الوجيز لابن عطية : ٤ / ٢٠٥ ، التفسير الكبير للفخر الرازي : ٢٤ / ٥٩ ، التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٧٧ ، البحر المحيط لأبي حيان : ٦ / ٤٥٠ ، تفسير ابن عادل : ١٤ / ٥٠٦ ، فتح القدير للشوكاني : ٤ / ٦٨ ، أضواء البيان للشنقيطي : ٦ / ٣٧ .

(٢) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ٢ / ٣٦٩ ، ٣٨٧ .

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج : ٤ / ٦٣ .

(٤) تفسير القشيري : ٢ / ٣٨٠ ، ٣٨١ .

تستوجبه مقالتهم " . اهـ [١] .

✓ وقال **القاسمي** :

" ﴿ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ﴾ أي : الرجوع إليه بالبعث والحشر " [٢] .

✓ وقال **سيد قطب** : " إن المشركين لا يرجون لقاء الله ، أي : لا ينتظرون هذا اللقاء ، ولا يحسبون حسابه ، ولا يقيمون حياتهم وتصرفاتهم على أساسه . ومن ثم لا تستشعر قلوبهم وقار الله وهيبته وجلاله ؛ فتنطلق ألسنتهم بكلمات وتصورات لا تصدر عن قلب يرجو لقاء الله " . اهـ [٣].

✓ وقال **الطاهر بن عاشور** : " ومعنى : ﴿ لَا يَرْجُونَ ﴾ لا يظنون ظنّاً قريباً ، أي : يَعُدّون لقاء الله محالاً . ومقصدهم من مقالهم أنهم أعلى من أن يتلقوا الدين من رجل مثلهم ، ولذلك عقَّب بقوله : ﴿ ... لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴾ [٤] على معنى التعجيب من ازدهائهم وغرورهم الباطل " . اهـ [٥] .

✌ **ويجمع بين هؤلاء المفسرين الأجلاء أنهم لم يرجعوا للمعنى اللغوي للرجاء ؛ بل فسرُّوه بفقه واقع المشركين آنذاك وحالهم من التكذيب بالبعث والحشر والحساب ؛ فهم لا يؤمنون بالبعث أصلاً ، ويعدُّونه محالاً كما ذكر ابن عاشور ؛ فهم لا يتوقعون ولا ينتظرون لقاء الله .. وهذا التفسير هو الذي أميل إليه ؛ وإن كان قول ابن جُزيّ ومن وافقه تفسير بما اشتهر من لغة العرب ؛ إلا أن قول هؤلاء المفسرين فيه فهم جيد للآيات ؛ وتفسير لها حسب واقع حال كفار قريش في زمان الرسول ﷺ .**

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) تفسير أبي السعود : ٦ / ٢١١ .
(٢) تفسير القاسمي : ١٣ / ٢٥٦ .
(٣) الظلال : ٥ / ٢٥٥٨ .
(٤) سورة الفرقان : ٢١ .
(٥) التحرير والتنوير : ١٩ / ٥ .

قوله تعالى : ﴿ أَصْحَابُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلاً ﴾ . [آية : 24] .

مسألة : في معنى قوله تعالى : ﴿ وَأَحْسَنُ مَقِيلاً ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن قوله تعالى : ﴿ مَقِيلاً ﴾ هو (مفعل) من النَّوم في القائلة ؛ وإن كانت الجنَّة لا نوم فيها ؛ ولكن جاء على ما تتعارفه العرب من الاستراحة وقت القائلة في الأمكنة الباردة ، فقال : ((﴿ وَأَحْسَنُ مَقِيلاً ﴾ هو (مفعل) من النَّوم في القائلة ؛ وإن كانت الجنَّة لا نوم فيها ؛ ولكن جاء على ما تتعارفه العرب من الاستراحة وقت القائلة في الأمكنة الباردة . وقيل : إن حساب الخلق يكمل في وقت ارتفاع النهار ، فيقيل أهل الجنَّة في الجنَّة ، وأهل النَّار في النَّار)) . اهـ [1] .

الدراسة :

معنى القَيْلولَة : نَوْمُ نِصفِ النهارِ ، وهي القائِلَة . قال يَقيلُ قَيْلاً ، وقائِلَةً ، وقَيْلُولَةً ، ومَقالاً **ومَقِيلاً** [2] ؛ فكيف يصح القيلولة في الجنَّة والنَّار ، وأهل الجنَّة في الآخرة لا ينامون [3] وأهل النَّار أبداً في عذاب يعرفونه ، وأهل الجنَّة في نعيم يعرفونه ؟

وقد اختلف أهل العلم والمفسرون **في معنى قوله تعالى : ﴿ وَأَحْسَنُ [4] مَقِيلاً ﴾** على

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / 77 .

(٢) ينظر (مادة : قيل) في : أساس البلاغة للزمخشري : ٥٣١ ، لسان العرب : ١١ / ٥٧٧ ، تاج العروس : ٣٠ / ٣٠٤ .

(٣) " جنة الخلد لا نوم فيها بالنص وإجماع المسلمين ؛ فعن جابر بن عبد الله ﷺ أن النبي ﷺ سئل : أيلام أهل الجنَّة في الجنَّة ؟ قال : « النوم أخو الموت ، وأهل الجنَّة لا ينامون » . وقد نطق به القرآن ، والوفاة تقلب حال ودار السلام مسلمة من تقلب الأحوال والنائم ميت أو كالميت " اهـ . ينظر : حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح : ٢٧ مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة : ١ / ١٣ . كلا الكتابين لابن القيِّم . والحديث المذكور قال فيه الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠ / ٤١٥) : أخرجه الطبراني والبزار **ورجال البزاز رجال الصحيح** .

(٤) في (**أفْعَل**) هنا قولان :

أحدُهما : أنها على بابها من التفضيل ؛ وهو تهكم بالمشركين . والمعنى : أنَّ المؤمنين خيرٌ في الآخرة مستقراً مِنْ مستقرِّ الكفارِ ، وأحسنُ مقيلاً مِنْ مَقِيلهم ، لو فُرِض أنْ يكونَ لهم ذلك ، أو على أنه خيرٌ في الآخرةِ منهم في الدنيا .

والثاني : أنْ تكونَ لمحرِ الوصفِ مِنْ غيرِ مفاضلةٍ ؛ كما يقول القائل : العسل أحلى من الخل . ينظر : الإنصاف =

ثلاثة أقوال :

القول الأوَّل : ﴿ مَقِيلاً ﴾ **هو (مفعل) من النَّوم في القائلة ، وإن كانت الجنَّة لا نوم فيها ؛ ولكن جاء على ما تتعارفه العرب من الاستراحة وقت القائلة في الأمكنة الباردة** ، قاله الأزهري [١] ، وذهب إليه الزَّجَّاج [٢] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٣] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٤] .

قال **ابن عباس** ﷺ في هذه الآية : إنما هي ضحوة فيقيل أولياء الله على الأسرَّة مع الحور العين ، ويقيل أعداء الله مع الشياطين مقرنين [٥] .

وعن **ابن عباس** ﷺ أيضاً قال : في الغرف من الجنَّة ، وكان حسابهم أن عرضوا على ربهم عرضة واحدة ، وذلك الحساب اليسير ، وذلك مثل قوله : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝٩ ﴾ . [سورة الانشقاق : ٧ - ٩] . [٦]

واستدل له : بالمشهور في كلام العرب :

المَقِيْلُ في اللغة : المَوْضِعُ [٧] ؛ فيراد بالمَقِيْل : القيلولة أو مكانها ، وهي الاستراحة نصف

= فيما يجب إعتقاده ولا يجوز الجهل به لأبي بكر الباقلاني (ت ٤٠٣ هـ) : ٢٠٩ ، الدر المصون للسمين الحلبي : ٥ / ٢٥١ ، التحرير والتنوير لابن عاشور : ١٨ / ٩ .

(١) ينظر : تهذيب اللغة (مادة : قيل) : ٩ / ٢٣٣ .

(٢) ينظر معانيه : ٤ / ٦٤ .

(٣) ينظر : التسهيل : ٣ / ٧٧ .

(٤) منهم : الواحدي (٢ / ٧٧٧) ، والسمعاني (٤ / ١٥) ، والزمخشري (٣ / ٢٧٩) ، وقدَّمه ابن الجوزي (٦ / ٨٤) ، والفخر الرازي (٢٤ / ٦٣ ، ٦٤) ، والبيضاوي (٤ / ٢١٤) ، والنسفي (٣ / ١٦٦) ، والنيسابوري (٥ / ٢٣٣) ، وأبو حيان (٦ / ٤٥٢) ، والبقاعي في نظم الدرر (٥ / ٣١١ ، ٣١٢) ، والجلالين (٤٧٣) ، وأبو السعود (٦ / ٢١٢) ، والخطيب الشربيني (٣ / ١٥) ، والشوكاني (٤ / ٧٠) والآلوسي (١٩ / ٨) ، والسعدي (٥٨١) ، والشنقيطي (٤ / ٤٣) ، والطاهر بن عاشور (١٨ / ٩) ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي (١٠ / ١٨٩) . ومن **كتب الغريب** ؛ ينظر : التبيان في غريب القرآن لا بن الهائم المصري : ٣١٦ . وينظر : مرقاة المفاتيح للقاري : ٣ / ٤٤٧ .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨ / ٢٦٨٠) . وينظر : الدر المنثور : ٦ / ٢٤٧ .

(٦) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٩ / ٥) ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨ / ٢٦٨١) . وينظر : الدر المنثور : ٦ / ٢٤٧ .

(٧) ينظر (مادة : قيل) في : العين للفراهيدي : ٥ / ٢١٥ ، المحيط في اللغة للصاحب بن عباد : ٦ / ٢٦ .

النهار زمن الحر مثلاً ، وإن لم يكن معها نوم [١] ، ومنه قوله :

جَزَى اللَّهُ رَبُّ النَّاسِ خَيْرَ جَزَائِهِ رَفِيقَيْنِ قَالَا خَيْمَتَيْ أُمِّ مَعْبَدِ [٢]

قال **الأزهري** :

" والقَيلولة عند العربِ والمَقيلُ : الاستراحة نصفِ النهار إذا اشتدَّ الحرّ ، وإن لم يكن مع ذلك نوم ، والدليل على ذلك أنَّ الجنَّة لا نوم فيها " . اهـ [٣] .

وقال **أبو حيان** :

" والمقيل المكان الذي يأوون إليه في الاستراحة إلى الأزواج والتمتع ، ولا نوم في الجنَّة ؛ فسمَّي مكان استراحهم إلى الحور ﴿ **مَقِيلاً** ﴾ **على طريق التشبيه** ؛ إذ المكان المتخير للقيلولة يكون أطيب المواضع . وفي لفظ ﴿ **وَأَحْسَنُ** ﴾ رمز إلى ما يتزين به مقيلهم من حسن الوجوه وملاحة الصور إلى غير ذلك من التحاسين " . اهـ [٤] .

✍ **فلَقيلُ على هذا القول مكان وزمان القيلولة .**

القول الثاني : إن حساب الخلق يكمل في وقت ارتفاع النهار ، فيقيل أهل الجنَّة في الجنَّة وأهل النَّار في النَّار ، قاله عبد الله بن مسعود ﷺ [٥] ، وإبراهيم النخعي [٦] ، وابن

---

(١) ينظر (مادة : قيل) في : تهذيب اللغة : ٩ / ٢٣٣ ، أساس البلاغة : ٥٣١ ، لسان العرب : ١١ / ٥٧٧ ، تاج العروس : ٣٠ / ٣٠٤ .

(٢) ورد هذا البيت فِي حَدِيثِ أُمِّ مَعْبَدٍ الخزاعية في صفة النبي ﷺ ؛ ذكر في كتب الحديث وفي كتب السيرة والتراجم . ينظر : الأحاديث الطوال للطبراني (٣٠) : ١ / ٢٥٤ . وجاء من صوت سُمع بمكة لا يرون من صاحبه ولا يرون شخصه .

(٣) تهذيب اللغة (مادة : قيل) : ٩ / ٢٣٣ .

(٤) البحر المحيط : ٦ / ٤٥٢ . وينظر قبله : الكشاف : ٣ / ٢٧٩ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ٢١٤ ، تفسير النسفي : ٣ / ١٦٦ . وينظر : تفسير النيسابوري : ٥ / ٢٣٣ ، نظم الدرر للبقاعي : ٥ / ٣١١ ، ٣١٢ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ٢١٢ ، السراج المنير للخطيب الشربيني : ٣ / ١٥ ، روح المعاني للآلوسي : ١٩ / ٨ وينظر : كليات الكفوي : ٨٨١ .

(٥) سيأتي تخريج قول ابن مسعود ﷺ لاحقاً .

(٦) عزاه السيوطي في الدر (٦ / ٢٤٧) إلى ابن المبارك ، وسعيد بن منصور ، وابن جرير (١٩ / ٥) ، وابن المنذر وأبو نعيم في الحلية .

وابن جريج [١] ، ومقاتل [٢] ، وحكاه الفرَّاء [٣] ، وقاله **الطبري** [٤] ، وجماعة من المفسرين [٥] .

قال المفسرون [٦] وبعض المحدثين [٧] : إن أهل الجنَّة لا يمرّ بهم يوم إلا قدر النهار من أوله أوله إلى قدر القائلة حتى يسكنوا مساكنهم من الجنَّة .

واستدل له من السُّنة :

بحديث عبد الله بن مسعود ﷺ قال : « لا ينتصف النهار حتى يقيل هؤلاء وهؤلاء ؛ ثم قرأ : ﴿ أَصْحَابُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلاً ﴾ . وقرأ : (ثم إن مَقِيلُهُم لإلى الجَحيم) [٨] » [٩] .

وقوله ﷺ « يقيل هؤلاء » : يعني أصحاب الجنَّة ينقلون إليها وقت القيلولة [١٠] .

✍ **فلَقيلُ على هذا القول زمان القيلولة .**

---

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٩ / ٥) .
(٢) ينظر تفسيره : ٢ / ٤٣٤ .
(٣) ينظر معانيه : ٢ / ٢٢٩ .
(٤) ينظر : تفسير الطبري : ١٩ / ٥ .
(٥) منهم : النحاس وحكاه في معانيه (٥ / ١٩ ، ٢٠) ، وحكاه السمر قندي (٢ / ٥٣٤) والثعلبي (٧ / ١٢٩) ، وقدَّمه البغوي (٣ / ٣٦٦) ، وحكاه ابن عطية (٤ / ٢٠٧) عن جماعة من السلف ، والخازن (٥ / ٩٨) ، وحكاه الثعالبي (٤ / ٢٠٧) عن جماعة من السلف أيضاً ، وقدَّمه ابن عادل (١٤ / ٥١٥) ونسبه للمفسرين .
(٦) نسب الثعلبي وابن عادل هذا القول إلى المفسرين . ينظر : الكشف والبيان : ٧ / ١٢٩ ، تفسير ابن عادل : ١٤ / ٥١٥ .
(٧) نسب الفراء هذا القول إلى بعض المحدثين . ينظر معانيه : ٢ / ٢٢٩ .
(٨) قراءة : (ثم إن مقيلهم إلى الجحيم) **قراءة بالغة الشذوذ** لا تجوز القراءة بها ؛ و لم يذكرها ابن خالويه في شواذ القرآن ولا البناء . ينظر : مختصر شواذ القرآن : ١٢٨ ، إتحاف فضلاء البشر للبناء : ٤٧٣ . والقراءة المتواترة الثابتة عن القراء السبعة ﴿ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴾ . [سورة الصافات : ٦٨] .
(٩) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٩ / ٥) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨ / ٢٦٨٠) ، وعزاه السيوطي في الدر أيضاً (٦ / ٢٤٧) إلى ابن المبارك في الزهد ، وعبد بن حميد ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والحاكم و**صحَّحه** (من تفسير سورة الفرقان (٣٥١٦) : ٢ / ٤٣٦) .
(١٠) ينظر : روح المعاني للآلوسي : ١٩ / ٨ .

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن ﴿ مَقِيلاً ﴾ هو (مفعل) من النَّوم في القائلة وإن كانت الجنَّة لا نوم فيها ؛ ولكن جاء على ما تتعارفه العرب من الاستراحة وقت القائلة في الأمكنة الباردة ؛ وهو ما رجّحه ابن جُزيّ ومن وافقه .**

فللقيل المكان الذي يأوون إليه للراحة ، ولا نوم في الجنَّة ؛ فسمَّي مكان استرواحهم إلى الحور ﴿ مَقِيلاً ﴾ على طريق التشبيه ؛ إذ المكان المتخير للقيلولة يكون أطيب المواضع .

ولا يوجد تعارض بين هذا القول والقول الآخر المستدل به بحديث ابن مسعود ﷺ والذي يقول بأن أهل الجنَّة لا يمرّ بهم يوم إلا قدر النهار من أوله إلى قدر القائلة حتى يسكنوا مساكنهم من الجنَّة ؛ لأنه قد ذكر فيه أن وقت انتقال أهل الجنَّة إلى منازلهم هو وقت المقيل ؛ وقد ذكر أغلب المفسرين هذا الحديث عند تفسير الآية ولم يعتبروه قولاً آخر معارضاً للقول الذي رجَّحه ابن جُزيّ .

✌ **فأهل الجنَّة في أحسن مكان للراحة وهم يقيلون ؛ أي : يترلون منازلهم في الجنَّة في وقت المقيل (ولا تعارض) .**

قال **الشنقيطي** :

" استنبط بعض العلماء من هذه الآية الكريمة : أن حساب أهل الجنَّة يسير ، وأنه ينتهي في نصف نهار [1] ، ووجه ذلك أن قوله : ﴿ مَقِيلاً ﴾ أي : مكان قيلولة وهي الاستراحة في نصف النهار ، قالوا : وهذا الذي فهم من هذه الآية الكريمة ، جاء بيانه في قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝٩ ﴾ [2] .

---

(١) ينظر : تفسير الجلالين : ٤٧٣ ، أضواء البيان للشنقيطي : ٦ / ٤١ .

(٢) سورة الانشقاق : ٧ – ٩ .

ويفهم من قوله تعالى في هذه الآية الكريمة : ﴿ أَصْحَابُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴾ أن أصحاب النَّار ليسوا كذلك ؛ وأن حسابهم غير يسير .

وهذا المفهوم دلت عليه آيات أخر :

- كقوله تعالى قريباً من هذه الآية : ﴿ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴾ [١] ؛ فقوله : على الكافرين يدل على أنه على المؤمنين غير عسير .
- وكما قال تعالى : ﴿ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ ... ﴾ [٢] .
- وقوله تعالى : ﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴾ [٣] " . اهـ [٤] .

✓ **وحاصل الآية** : أن أصحاب الجنَّة من المكان في أطيب مكان ، ومن الزمان في أحسن زمان [٥] .

قال **ابن عطية** : " ويحتمل أن اللفظة إنما تضمنت تفضيل الجنَّة جملة ؛ فالعرب تفضل البلاد بحسن المقيل ؛ لأن وقت القائلة يبدو فساد هواء البلاد ؛ فإذا كان بلد في وقت فساد الهواء حسنا جاز الفضل ، ومن ذلك قول **الأسود بن يعفُر** :

أَرْضٌ تَخَيَّرَهَا لِطِيبِ مَقِيلِها كَعْبُ بنُ مامَةَ [٦] وابنُ أُمِّ دُوَادِ " [٧]

---

(١) سورة الفرقان : ٢٦ .

(٢) سورة الأنبياء : ١٠٣ .

(٣) سورة المدثر : ٨ - ١٠ .

(٤) ينظر : أضواء البيان : ٦ / ٤١ . وينظر قبله : تفسير الجلالين : ٤٧٣ .

(٥) ينظر : التفسير الكبير للفخر الرازي : ٢٤ / ٦٣ ، ٦٤ ، تفسير النيسابوري : ٥ / ٢٣٣ .

(٦) مَامَة : اسم أمّه .

والأسود بن يَعفُر (أو يُعفِر أو يُعفُر ، وكله مأخوذ من العَفْرُ والعَفَر وهما التراب) النهشلي الدارمي التميمي ، أبو نهشل ، وأبو الجراح : شاعر جاهلي ، من سادات تميم ، من أهل العراق ، كان فصيحاً جواداً ، نادم النعمان ابن المنذر ، ولما أسن كف بصره ، ويقال له (أعشى بني نهشل) . ت نحو سنة ٢٢ قبل الهجرة . ينظر : الأغاني : ١٣ - ١٧ وما بعدها ، الإكمال لابن ماكولا : ٧ / ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، نزهة الألباب في الألقاب لأحمد بن علي ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ) : ١ / ٨٥ .

(٧) المحرر الوجيز : ٤ / ٢٠٧ .

والله تعالى أعلم بالصواب .

قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ [١] هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴾ . [آية : ٣٠] .

مسألة : في معنى ﴿ مَهْجُورًا ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ **أن أصل ﴿ مَهْجُورًا ﴾ من الهَجْر ؛ بمعنى : البعد والترك** ، فقال : ((﴿ مَهْجُورًا ﴾ من الهَجْر ؛ بمعنى : البعد والترك . وقيل : من الهُجْرُ – بضم الهاء – ؛ أي : قالوا فيه الهُجْرُ حين قالوا : إنه شعر وسحر ؛ **والأوَّل أظهر**)) . اهـ [٢] .

الدراسة :

قال **قتادة** قوله : ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴾ فهذا قول نبيكم يشتكي قومه إلى ربه [٣] . وهم كفّار قريش ، وهذه شكوى عظيمة ، وفيها أعظم تخويف لمن هجر هذا القرآن العظيم .

واختلف السَّلف وأهل العلم والمفسرون في **معنى ﴿ مَهْجُورًا ﴾** على قولين :

القول الأوَّل : ﴿ مَهْجُورًا ﴾ **من الهَجْر – بفتح الهاء – ؛ بمعنى : البعد والترك** ، وهو معنى قول **ابن عباس** رضي الله عنه [٤] ، وقاله **عبد الرحمن بن زيد بن أسلم** [٥] ، ومقاتل [٦] ،

---

(١) قوله تعالى : ﴿ ٱتَّخَذُوا۟ ﴾ لابد أن يتعدى إلى مفعولين ؛ المفعول الأوَّل : ﴿ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ ، والمفعول الثاني : ﴿ مَهْجُورًا ﴾ ، ولا يمكن أن يكون متعديا إلى مفعول واحد فيكون ﴿ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ مفعوله ويكون ﴿ مَهْجُورًا ﴾ حالاً ؛ لأنه يلزم أنهم اتخذوه في حال كونه ﴿ مَهْجُورًا ﴾ فهذا عكس المعنى ؛ فإنهم اتخذوا هجره و لم يتخذوا إقامته والعمل به ؛ أو يقال بعبارة أخرى ومعنى آخر : الاتخاذ التناول ، والتناول لا يصادف المهجور ؛ لأنهم إذا تناولوه فقد خرج عن كونه مهجورا ؛ فتعين كون اتخذ هنا متعدية إلى اثنين وهو واضح متعين في هذه الآية . ينظر : طبقات الشافعية الكبرى للسُّبكي : ١ / ١٠١ .

(٢) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٧٨ .

(٣) عزاه السيوطي في الدر (٦ / ٢٥٣) إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨ / ٢٦٨٧) .

(٤) نسبه إليه ابن الجوزي في تفسيره (٦ / ٨٧) . وينظر : تنوير المقباس : ٣٠٢ .

(٥) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٩ / ٩) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨ / ٢٦٨٨) .

(٦) ينظر تفسيره : ٢ / ٤٣٦ .

سورة الفرقان ـــــــ

أي : قال غير الحق .

وقال **الزَّجاج** : " جعلوه بمنزلة الهُجْر ، والهُجْر ما لا ينتفع به من القول ؛ وكانوا يقولون إن النبي ﷺ يهْجُر " [١] .

واستدل له من اللغة [٢] :

قالوا : ﴿ مَهْجُورًا ﴾ هو من الهُجْرُ ؛ وهو الهَذَيانُ وإكثارُ الكلام فيما لا ينبغي . يقال : هَجَرَ في نَوْمِه ومَرضِه يَهْجُرُ هُجْراً - بالضمّ - وهِجِّيرَى ، وإهْجيرَى ، كِلاهما بالكسر : هَذَى .

ثم حذف الجار بدليل قوله تعالى : ﴿ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَـٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴾ [٣] . وهجرهُم وهجرهُم فيه : قولهم فيه : إنه شعر ، وسحر ، وأساطير الأوَّلين ، وكذب ، وهُجْر ؛ أي : هذيان [٤].

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي - والله أعلم - **أنَّ الراجح أنَّ ﴿ مَهْجُورًا ﴾ من الهَجْر - بفتح الهاء - ؛ بمعنى : البعد والترك ؛ وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** ، يدل على ذلك إضافة لما تقدم ما يلي :

أولاً : من اللغة ؛ حيث أن **الأصل** أن ﴿ مَهْجُورًا ﴾ من الهَجْر : وهو ضِدُّ الوَصْل ؛ أي : تَرَكَه وأَغْفَله وأَعْرَض عنه .

ثم قال **ابن فارس** وغيره : " **ومن الباب** : الهُجْرُ ؛ وهو الهَذَيانُ " [٥] .

ثانياً : إن الله أخبر عن كفار قريش أنهم قالوا : ﴿ ... لَا تَسْمَعُواْ لِهَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ

---

(١) ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزَّجَّاج : ٤ / ٦٦ .

(٢) ينظر : المخصص لابن سيده : ١ / ٤٩٦ ، وينظر (مادة : هجر) في : معجم مقاييس اللغة : ٦ / ٣٥ ، لسان العرب : ٥ / ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، تاج العروس : ١٤ / ٤٠١ .

(٣) سورة المؤمنون : ٦٧ .

(٤) نقله ابن عادل والشوكاني ؛ ينظر تفسير ابن عادل : ١٤ / ٥٢٤ ، فتح القدير : ٤ / ٧٣ .

(٥) معجم مقاييس اللغة (مادة : هجر) : ٦ / ٣٥ .

فِيهِ ... ﴾ [١] ؛ وذلك هجرهم إيَّاه ؛ قاله الطبري [٢] .

وأضاف **ابن كثير** فقال :

" ... فكانوا إذا يتلى عليهم القرآن أكثروا اللغط والكلام في غيره حتى لا يسمعونه فهذا من هجرانه ، وترك الإيمان به وترك تصديقه من هجرانه ، وترك تدبره وتفهمه من هجرانه ، وترك العمل به وامتثال أوامره واجتناب زواجره من هجرانه ، والعدول عنه إلى غيره من شعر أو قول أو غناء أو لهو أو كلام أو طريقة مأخوذة من غيره من هجرانه " . اهـ [٣] .

وقال **البقاعي** :

" ﴿ مَهْجُورًا ﴾ أي : متروكاً ، فأشار بصيغة (الافتعال) إلى أنهم عالجوا أنفسهم في تركه علاجاً كثيراً ، لما يرون من حسن نظمه ، ويذ وقون من لذيذ معانيه ، ورائق أسالبيه ، ولطيف عجائبه ، وبديع غرائبه ، كما تعرف به قصة أ بي جهل وأبي سفيان بن حرب والأخنس بن شريق حين كانوا يستمعون لقراءته ليلاً ، كل واحد منهم في مكان لا يعلم به صاحباه ، ثم يجمعهم الطريق إذا أصبحوا فيتلاومون ويتعاهدون على أن لا يعودوا ، ثم يعودون حتى فعلوا ذلك ثلاث ليال ، ثم أكدوا على أنفسهم العهود حتى تركوا ذلك كما هو مشهور في السِّير " . اهـ [٤] .

ثالثاً : في هذه الآية يشتكي النبي ﷺ قومه إلى ربِّه ؛ وهذه الشكوى يقولها الرسول ﷺ يوم القيامة ، **ويستعان بأحداث الزمان على تفسير القرآن فيما لم يرد فيه نصٌّ من تفسير القرآن بالقرآن أو بالسُّنة أو بأقوال الصحابة** ، فالآية تحكي حالاً وقع في عهده ﷺ ويقع في كل زمان بما فيه عصرنا الحاضر إلى يوم القيامة ؛ فكما تعاهد كفار قريش على ترك الاستماع إلى القرآن فأعرضوا عنه ؛ نجد أن هذا **هو حال بعض المسلمين اليوم مع القرآن وللأسف الشديد .. البعد عن كتاب الله وهجره بأنواعه** – كما سأذكرها لاحقاً – ؛ فقد انشغلوا عنه بملهيات ومفاتن العصر وهجروه فلم يتلوه ؛ وإن تلوه لم

---

(١) سورة فصلت : ٢٦ .
(٢) ينظر : تفسير الطبري : ١٩ / ٩ .
(٣) تفسير ابن كثير : ٣ / ٣١٨ .
(٤) نظم الدرر : ٥ / ٣١٣ ، ٣١٤ .

يتدبروه ... وغير ذلك من واقع أمة الإسلام المرير حين شغلتهم التوافه عن عظائم الأمور ؛ وانساقوا وراء شهواتهم فصرفوا ثمين أوقاتهم فيما لا يعود عليهم إلا بالوبال والخسران ؛ و لم يُولُوا كتاب الله العظيم .. النور الذي أنزله الله هداية ورشادا للناس .. الهدى الذي تتحقق به سعادتهم في الدنيا والآخرة جلَّ اهتمامهم ؛ وعميق تدبرهم (اللَّهُم رُدَّ المسلمين إليك مردّاً جميلا) .

❖ ولا مانع أن يكون ﴿ مَهْجُورًا ﴾ من الهُجْر – بضم الهاء – بمعنى الهذيان ؛ وقد **ذكر جماعة من المفسرين القولين ولم يرجحوا بينهما** ؛ منهم : الثعلبي ، والفخر الرازي ، والبيضاوي [١] . **واحتمل** ابن عطية ، والثعالبي ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي [٢] القولين .

قال **محمَّد سيِّد طنطاوي** :

" أى : متروكاً ؛ فقد تركوا تصديقه ، وتركوا العمل به ، وتركوا التأثر بوعيده . من الهَجْر – بفتح الهاء – بمعنى الترك ، أو المعنى : قد اتخذوا هذا القرآن مادة لسخريتهم وتهكمهم ، من الهُجْر – بضم الهاء – بمعنى الهذيان والقول الباطل " . اهـ [٣] .

✍ **وفي الآية وقفات** :

✓ " الآية فيها تنبيه للمؤمنين على ملازمة المصحف ، وأن لا يكون الغبار يعلوه في البيوت ويشتغل بغيره " [٤] .

✓ " الآية فيها من التحذير والتخويف ما لا يخفى ؛ فإن الأنبياء – عليهم الصَّلاة والسَّلام – إذا شكوا إلى الله تعالى قولهم عجل لهم العذاب و لم ينظروا " [٥] .

✓ **حكم هَجْر المصحف** : استدل **ابن الفرس** [٦] بالآية على كراهة هجر المصحف وعدم

---

(١) ينظر : الكشف والبيان : ٧ / ١٣٢ ، التفسير الكبير : ٢٤ / ٦٧ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ٢١٥ ٢١٦ .

(٢) ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ٢٠٩ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ٢٠٨ ، الوسيط لمحمَّد سيِّد طنطاوي : ١٠ / ١٩٢ ، ١٩٣ .

(٣) الوسيط : ١٠ / ١٩٢ ، ١٩٣ .

(٤) المحرر الوجيز لابن عطية : ٤ / ٢٠٩ .

(٥) تفسير أبي السعود : ٦ / ٢١٥ .

(٦) **ابن الفرس** هو : عبد المنعم بن محمد بن عبد الرحيم الخزرجي ، أبو عبد الله المعروف بـ (ابن الفرس) : قاض قاض أندلسي مالكي ، من علماء غرناطة ، له تآليف ، منها : (كتاب أحكام القرآن – مخطوط) ، وتوفي في

سورة الفرقان ـــــــ

سورة الفرقان ـــــــ

﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُواْ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴾ وإن كان بعض الهجر أهون من بعض " . اهـ [1] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

(١) الفوائد لابن القيم : ٨٢ .

سورة الفرقان ـــــــ

والياء في ﴿ أَنَاسِيَّ ﴾ ليست للنسب ، ولو كانت ياؤه نَسب لَجُمع على (أَنَاسِيَةٍ) كما قالوا : صيرفي وصيارفة [١].

وتُعُقِّب :

" بأن فيه نظر ، لأن (فَعَالِيّ) إنما يكون جمعاً لما فيه ياء مشدَّدة لا تدل على نسب ؛ نحو : كرسيّ وكراسيّ ، فلو أريد بـــ (كرسيّ) النسب لم يجز جمعه على كراسيّ ، ويبعد أن يقال : إن الياء في (إنْسِيّ) ليست للنسب ، وكان حقه أن يجمع على (أناسية) نحو : (مهالبة) في المهلبي ، و (أزارقة) في الأزرقي " . اهـــ [٢] .

القول الثاني : قوله : ﴿ وَأَنَاسِيَّ ﴾ **جمع إنسان** في مذهب **سيبويه** [٣] ؛ وقاله **جماعة من أهل اللغة** [٤] ، ومن **المفسرين** [٥] .

والأصلُ : إنسان وأناسين ، فَأُبْدِلَتِ النونُ ياءً وأُدْغم فيها الياءُ قبلَها ، نحوَ : ظِرْبانٍ وظَرابِيّ .

قال الفرَّاء : " وإن شئت جَعلته إنساناً ثم جَمَعته (أناسيّ) فتكون اليَاء عوضاً من النون والإنسان فى الأصْل (إنْسيَان) لأن العرب تصغّره (أُنيسيان) . وإذا قالوا : أناسِين فهو بيِّن مثل : بُستانٍ وبَساتِينَ ، وإذا قالوا (أناسىَ كثيراً) فخفّفوا اليَاء أسقطوا اليَاء التى تكون فيمَا بَيْنَ عين الفعل ولامه مثل قراقِير وقراقر ، ويبيّن جواز أناسَى بالتخفيف [٦] قول قول العرب : (أناسِيَةٌ كثيرة) و لم نَسْمعه فى القراءة " . اهـــ [٧] .

---

(١) ينظر : التحرير والتنوير : ١٩ / ٤٩ .

(٢) الدر المصون : ٥ / ٢٥٧ . وينظر : تفسير ابن عادل : ١٤ / ٥٤٦ . وينظر قبلهما : المحرر الوجيز لابن عطية : ٤ / ٢١٣ .

(٣) ينظر : كتاب سيبويه : ٣ / ٦٢١ .

(٤) منهم : الفراهيدي في العين (مادة : نسي) (٧ / ٣٠٤) ، وجوَّزه الزجاج في معانيه (٤ / ٧١) ، والعكبري في النبيان في إعراب القرآن (٢ / ٩٨٨) ، وابن هشام في أوضح المسالك إلى ألفية بن مالك (٤ / ٣٢٢) .

(٥) منهم : الثعلبي في الكشف والبيان (٧ / ١٤٠) ، والسمين الحلبي في الدر المصون (٥ / ٢٥٧) ، وابن عادل في تفسيره (١٤ / ٥٤٥) ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي في الوسيط (١٠ / ٢٠٦) .

(٦) قرأ يحيى بن الحارث في الشاذ : (أناسي) بالتخفيف بحذف ياء (أفاعيل) ؛ كأناعم في أناعيم . أورد هذه القراءة غير واحد من المفسرين . ينظر : المحرر الوجيز لابن عطية : ٤ / ٢١٣ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ٢٢٤ .

(٧) معاني القرآن للفراء : ٢ / ٢٣٢ . وحجَّة الفراء هذه ذكرها : الأزهري في تهذيب اللغة (مادة : أنس) : ١٣ /

✖ **وتُعُقِّب بأنه :**

" لا قياس يسعده في ذلك ، ولو جاز هذا لجاز في جمع (سرحان) : سراحي ، وذلك لا يقال " [١] .

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **احتمال القولين ؛ فقوله : ﴿ أَنَاسِيَّ ﴾ هي :**

✓ **جمع إِنْسِيّ لكَــ (كُرْسِيٍّ وكَرَاسِيّ) .**

✓ **أو جمع إنسان ؛ أُبْدِلَتِ النونُ ياءً وأُدْغم فيها الياءُ قبلَها نحوَ : ظِرْبانٍ وظَرابِيّ .**

✓ **يدل على ذلك ما يلي :**

أولاً : كلُّ قولٍ قال به جماعة من أئمة اللغة ، وجماعة من المفسرين .

ثانياً : احتمل القولين : **السجستاني** [٢] ، والأزهري [٣] ، **وابن الهائم المصري** [٤] ، وجماعة من المفسرين [٥] .

/ ٦١ ، وابن منظور في لسان العرب (مادة : إنس) : ٦ / ١١ ، والزبيدي في تاج العروس (مادة : أنس) : = = ١٥ / ٤٠٩ .

(١) مشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب : ٢ / ٥٢٣ .

(٢) ينظر : غريب القرآن للسجستاني : ٧١ .

والسجستاني هو : محمد بن عزيز السجستاني ، أبو بكر ، المعروف بالعزيزي ، كان أديباً فاضلاً متواضعاً عالماً ، وكتابه في الغريب من أجود ما صنف في بابه ، ت سنة ٣٣٠ هـــ . ينظر : طبقات المفسرين للداوودي : ٤٢٥ بغية الوعاة : ١ / ١٧١ ، هدية العارفين : ٦ / ٣٦ .

(٣) ينظر : تهذيب اللغة (مادة : أنس) : ١٣ / ٦١ .

(٤) ينظر : التبيان في تفسير غريب القرآن لابن الهائم : ٣١٦ ، ٣١٧ .

وابن الهائم هو : أحمد بن محمد بن عماد بن علي القرافي ، أبو العباس ، المعروف بابن الهائم المصري ، كان إماما عالماً في الفقه والعربية والفرائض ، ألف تآليف عديدة مفيدة ، ت سنة ٨١٥ هـــ . ينظر : طبقات المفسرين للداووي : ٣١١ ، ٣١٢ ، شذرات الذهب : ٧ / ١٠٩ ، الأعلام : ١ / ٢٢٦ .

(٥) في تفاسيرهم ، منهم : الطبري (١٩ / ٢١ ، ٢٢) ، والنحاس في معانيه (٥ / ٣٥) وفي إعرابه (٣ / ١٦٣) والزمخشري (٣ / ٢٩٠) ، وابن عطية (٤ / ٢١٣) ، وابن الجوزي (٦ / ٩٤) ، والقرطبي (١٣ / ٥٦) والبيضاوي (٤ / ٢٢٣) ، والنسفي (٣ / ١٧٢) ، والنيسابوري (٥ / ٢٤٥) ، وأبو حيان (٦ / ٤٦٣) والثعالبي (٤ / ٢١٢) ، والجلالين (٤٧٦) ، وأبو السعود (٦ / ٢٢٤) ، والخطيب الشربيني (٣ / ٢٥) ،

✌ وإن كان **الأصحُّ** أن يكون ﴿ **أَنَاسِيَّ** ﴾ **جمع** إِنْسِيّ ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** ، وذلك كما قال **أبو حيان** :

" ولو ذهب ذاهب إلى أن الياء في ﴿ أَنَاسِيَّ ﴾ ليست بدلاً ، وأن ﴿ أَنَاسِيَّ ﴾ جمع إِنْسِيّ و (أناسين) جمع إنسان **لذهب إلى قول حسن ، واستراح من دعوى البدل** ؛ إذ العرب تقول : (إِنْسِيّ) في معنى إنسان ؛ كما قالوا : بُخْتِيٌّ وقَمَرِيٌّ ، وبَخاتِيٌّ وقَمَارِيٌّ . وكأنه يشير إلى تناسى النسب في ذلك كما يعلم من قوله في معنى إنسان " اهـ [1] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

والشوكاني (٤ / ٨١) ، والآلوسي (١٩ / ٣١) .

(١) نسبه إليه محمد بن علي الصبان في حاشيته على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك (ت ١٢٠٦ هـ) : ٤ / ١٦١٠ .

قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَـٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾ . [آية : ٥٠] .

مسألة : في عود الضمير في قوله : ﴿ وَلَقَد صَرَّفْنَـٰهُ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن الضمير في قوله : ﴿ وَلَقَد صَرَّفْنَـٰهُ ﴾ للقرآن ، فقال : ((﴿ وَلَقَد صَرَّفْنَـٰهُ ﴾ الضمير للقرآن ، وقيل : للمطر ، **وهو بعيد**)) . اهـ [١] .

الدراسة :

اختلف أهل العلم والمفسرون في **عود الضمير في قوله : ﴿ وَلَقَد صَرَّفْنَـٰهُ ﴾** على قولين :

القول الأوَّل : الضَّمير **للمطر** ، وهو **المشهور** [٢] عن **ابن عباس** رضي الله عنه [٣] ، وكذا قال عبد الله بن مسعود [٤] رضي الله عنه ، وقاله عكرمة [٥] ، ومجاهد [٦] ، وقتادة [٧] وغيرهم ، وذهب إليه مقاتل [٨] ، والطَّبري [٩] ، والزجَّاج [١٠] ، وذهب إليه **جمهور** [١١] المفسرين [١٢] .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٨٠ .

(٢) قاله الآلوسي في روح المعاني (١٩ / ٣٢) .

(٣) نسبه إليه البغوي في تفسيره (٣ / ٣٧٢) . وينظر : تنوير المقباس : ٣٠٤ ، الدر المنثور : ٦ / ٢٦٤ .

(٤) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٩ / ٢٢) ، وعزاه السيوطي في الدر (٦ / ٢٦٤) إلى الخرائطي في مكارم الأخلاق .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨ / ٢٧٠٦) .

(٦) نسبه إليه ابن عطية في تفسيره (٤ / ٢١٣) ، وعزاه السيوطي في الدر (٦ / ٢٦٤) إلى سند ، وابن جرير (١٩ / ٢٢) ، وابن المنذر .

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨ / ٢٧٠٧) ، وعزاه السيوطي في الدر (٦ / ٢٦٤) إلى عبد بن حميد .

(٨) ينظر تفسيره : ٢ / ٤٣٩ .

(٩) ينظر : تفسير الطبري : ١٩ / ٢٢ .

(١٠) ينظر معانيه : ٤ / ٧١ .

(١١) نسب هذا القول إلى الجمهور : السمعاني في تفسيره (٤ / ٢٥) ؛ والفخر الرازي في تفسيره (٢٤ / ٨٦) ، وأبو حيان في البحر المحيط (٦ / ٤٦٣) ، وابن عادل في تفسيره (١٤ / ٥٤٦) ، والخطيب الشربيني في السراج (٣ / ٢٦) .

(١٢) منهم : النحاس في معانيه (٥ / ٣٥) ، والسمر قندي (٢ / ٥٤١) ، وابن أبي زمنين (٣ / ٢٦٣) ، والثعلبي (٧ / ١٤٠) ، والواحدي (٢ / ٧٨١) ، والسمعاني (٤ / ٢٥) ، والبغوي (٣ / ٣٧٢) =

قال **ابن عباس** ﷺ : ما من عام بأ كثر مطراً من عام ؛ ولكنَّ الله يصرفه بين عباده ، وقرأ : ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَـٰهُ بَيْنَهُمْ ... ﴾ (١) .

وقوله : ﴿ لِيَذَّكَّرُواْ ﴾ (٢) ، أي : صرفناه بينهم لأجل أن يتذكّروا ، أي : يتذكّر الذين أخصبت أرضهم لكثرة المطر نعمة اللَّه عليهم ، فيشكروا له ، ويتذكّر الذين أجدبت أرضهم ما نزل بهم من البلاء ، فيبادروا بالتوبة إلى اللَّه ﷻ ليرحمهم ويسقيهم .

وكفرانهم في قوله تعالى : ﴿ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾ هو أنهم إذا أمطروا ، **يقولون : مطرنا بنوء كذا ، قاله عكرمة** عن **ابن عباس** (٣) ﷺ .

قال **النحاس** :

" لا يعلم بين أهل التفسير اختلافاً أن الكفر ههنا قولهم : مُطرنا بنوء كذا " (٤) .

وقيل : ﴿ كُفُورًا ﴾ على الإطلاق لما تركوا التذكر (٥) .

= وابن الجوزي في الزاد (٦ / ٩٥) ، وقال الفخر الرازي (٢٤ / ٨٦) : **وهو أقرب** ، والخازن (٥ / ١٠٤) ، ولم يذكر ابن كثير (٣ / ٣٢٢) غيره ، والجلالين (٤٧٦) ، وقدَّم الخطيب الشربيني قول الجمهور في السراج (٣ / ٢٦) ، والآلوسي في روح المعاني (١٩ / ٣١) ، **ورجَّحه** الشنقيطي في أضواء البيان (٦ / ٦٢ ، ٦٣) ، ولم يذكر ابن عاشور (١٩ / ٤٩) غيره ، وقال محمَّد سيِّد طنطاوي (١٠ / ٢٠٨) : **هو الأقرب إلى الصواب** .

(١) عزاه السيوطي في الدر (٦ / ٢٦٤) إلى عبد بن حميد ، وابن جرير (١٩ / ٢٢) ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم (٨ / ٢٧٠٦) ، والحاكم و**صحَّحه** في مستدركه (من تفسير سورة الفرقان (٣٥٢٠) : ٢ / ٤٣٧) ، والبيهقي في سننه (في كتاب صلاة الاستسقاء ، باب كثرة الماء وقلته (٦٢٧٥) : ٣ / ٣٦٣) . **وصحَّحه الألباني** في السلسلة الصحيحة .

(٢) هذه قراءة الجمهور بالتشديد ؛ أرادوا ليتذكروا فأدغموا التاء في الذال ، والمعنى : ليتعظوا ، وقرأ حمزة والكسائي (ليذْكروا) ساكنة الذال ، من : ذكر ، يذكر ؛ أي : ليذكروا نعم الله عليهم . ينظر : حجة القراءات لابن زنجلة : ٥١١ .

(٣) عزاه السيوطي في الدر (٦ / ٢٦٤) إلى عبد بن حميد ، وابن جرير في تفسيره (١٩ / ٢٢) ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨ / ٢٧٠٧) .

(٤) إعراب القرآن للنحاس : ٣ / ١٦٣ .

(٥) حكاه أبو حيان في البحر المحيط (٦ / ٤٦٣) .

واستدل له :

بأنه في معنى قوله تعالى في سورة الواقعة : ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ [١] .

فقوله : ﴿ رِزْقَكُمْ ﴾ أي : المطر ؛ كما قال تعالى : ﴿ ... وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ... ﴾ [٢] . وقوله : ﴿ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ أي : بقولكم : مُطرنا بنوء كذا [٣] .

ويزيد هذا إيضاحاً الحديث الثابت في صحيحي البخاري ومسلم :

عن زَيْدِ بن خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ ﷺ أَنَّهُ قال : « صلى لنا رسول اللَّهِ ﷺ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالْحُدَيْبِيَةِ على إِثْرِ سَمَاءٍ كانت من اللَّيْلَةِ ؛ فلما انْصَرَفَ النبي ﷺ أَقْبَلَ على الناس ، فقال : هل تَدْرُونَ مَاذَا قال رَبُّكُمْ ؟ قالوا : اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . قال : أَصْبَحَ من عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ ؛ فَأَمَّا من قال : مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ ؛ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ ، وَأَمَّا من قال : بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا ؛ فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ » [٤] . [٥]

✖ **وضعَّف ابن جُزيّ** [٦] هذا القول .

القول الثاني : الضمير **للقرآن** ، قاله **ابن عباس** ﷺ [٧] ، وروي عن **عطاء الخراساني** [٨] [٨] ، وصدَّر به القرطبي [٩] ؛ وصدَّر به الزمخشري [١٠] بما يقرب منه ، **وهو ما رجَّحه ابن**

---

(١) سورة الواقعة : ٨٢ .

(٢) سورة غافر : ١٣ .

(٣) ينظر : تفسير السمعاني : ٤ / ٢٥ ، أضواء البيان للشنقيطي : ٦ / ٦٣ .

(٤) أخرج البخاري – واللفظ له – في كتاب الاستسقاء ، بَاب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ قال ابن عَبَّاسٍ ﷺ : شُكْرَكُمْ : (٩٩١) : ١ / ٣٥١ ، وأخرج مسلم بنحوه في كتاب الإيمان ، بَاب بَيَانِ كُفْرِ من قال مُطِرْنَا بِالنَّوْءِ (٧١) : ١ / ٨٣ .

(٥) ينظر : تفسير الخازن : ٥ / ١٠٤ ، ١٠٥ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٣٢٢ ، أضواء البيان للشنقيطي : ٦ / ٦٣ .

(٦) ينظر : التسهيل : ٣ / ٨٠ .

(٧) نسبه إليه ابن عطية في تفسيره (٤ / ٢١٣) ، وأبو حيان في البحر المحيط (٦ / ٤٦٣) ، والبقاعي في نظم الدرر (٥ / ٣٢٦) .

(٨) سيأتي تخريج الأثر عنه لاحقاً .

(٩) ينظر : تفسير القرطبي : ١٣ / ٥٧ .

(١٠) ينظر : الكشاف : ٣ / ٢٩١ .

سورة الفرقان ـــــــ

- وقوله : ﴿ ... ٱتَّخَذُواْ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴾ [١] . [٢]

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **جواز القولين ، وأن الهاءَ في قوله : ﴿ وَلَقَد صَرَّفْنَـٰهُ ﴾ يجوز أن تعودَ على القرآن ، وأن تعودَ على المطر ؛ كما قال السمين الحلبي في الدر** [٣] **، وذكر القولين ولم يرجح جماعة من المفسرين** [٤] ، فلكلٍّ قولٍ أدلَّته :

✓ **أدلة القول الأوَّل :**

أولاً : هذا القول هو **المأثور** عن جمع من الصَّحابة والتابعين **، وهو قول جمهور المفسرين .**

ثانياً : سياق الحديث عن المطر النازل من السماء بقدرة الله تعالى ؛ فالمطر **أقرب مذكور** ؛ وذلك في قوله تعالى في الآية قبلها : ﴿ ... وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴾ [٥] . [٦]

ثالثاً : من اللغة : ذكر **أهل اللغة** [٧] أنَّ التصريف في الرِّياحِ : تَحْويلُها من وَجْهٍ إلى وَجْهٍ ومن حالٍ إلى حالٍ ، وكذلك تَصْرِيفُ السُّيُولِ والخُيُولِ والأُمورِ والآياتِ .

رابعاً : يتأيد هذا القول **بالقواعد الترجيحية** التالية :

- **تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجَّة على من بعدهم .**
- **القول الذي تؤيده قرائن في السِّياق مرجح على ما خالفه .**
- **الأصل إعادة الضمير إلى أقرب مذكور ما لم يرد دليل بخلافه** [٨] .

---

(١) سورة الفرقان : ٣٠ .

(٢) ينظر : تفسير القرطبي : ١٣ / ٥٧ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ٢١٢ .

(٣) ينظر : الدر المصون : ٥ / ٢٥٨ .

(٤) منهم : ابن عطية (٤ / ٢١٣) ، والبيضاوي (٤ / ٢٢٣) ، والنسفي (٣ / ١٧٢) ، وأبو حيان في البحر المحيط (٦ / ٤٦٣) ، وابن عادل في تفسيره (١٤ / ٥٤٦) ، والشوكاني (٤ / ٨١) .

(٥) سورة الفرقان : 48 .

(٦) ينظر : التفسير الكبير للفخر الرازي : ٢٤ / ٨٦ ، الوسيط لمحمَّد سيِّد طنطاوي : ١٠ / ٢٠٧ .

(٧) منهم : الأزهري في تهذيب اللغة (مادة : صرف) : ١٢ / ١١٤ ، وابن منظور في لسان العرب (مادة : صرف) : ٩ / ١٨٩ ، والزبيدي في تاج العروس (مادة : صرف) : ٢٤ / ٢٠ .

(٨) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٢٧١ ، ٢٩٩ ، ٦٢١ .

✓ **أدلة القول الثاني :**

أولاً : من اللغة : ذكر **أهل اللغة** [١] أن تَصْريفُ الآياتِ : تَبْيينُها ، ومنه ؛ قوْلُه تَعالَى : ﴿ ... وَصَرَّفْنَا ٱلْأَيَـٰتِ ... ﴾ [٢] .

ثانياً : دلالة السِّياق القرآني والقرينة القرآنية :

يؤيد هذا القول ما بعده من الآيات [٣] .

وقد سئل عطاء الخراساني عن الآية فقال : **القرآن** ، ألا ترى إلى قوله فيها : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ **وَجَـٰهِدْهُم بِهِۦ** جِهَادًا كَبِيرًا ﴾ [٤] . [٥]

قال **ابن عباس** ﷺ في قوله : ﴿ وَجَـٰهِدْهُم بِهِۦ ﴾ قال : **بالقرآن** [٦] .

ثالثاً : لتوافق الضمائر [٧] في سياق الآيات قبل هذه الآية وبعدها .

رابعاً : يتأيد هذا القول **بالقواعد الترجيحية** التالية :

- **توحيد مرجع الضمائر في السِّياق الواحد أولى من تفريقها .**
- **القول الذي تؤيده قرائن في السِّياق مرجح على ما خالفه** [٨] .

✌ **وإن كنت أميل إلى القول بأن الضمير في قوله : ﴿ وَلَقَد صَرَّفْنَـٰهُ ﴾ يعود على القرآن ؛ وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه ؛** لما يلي :

---

(١) منهم : الأزهري في تهذيب اللغة (مادة : صرف) : ١٢ / ١١٤ ، وابن منظور في لسان العرب (مادة : صرف) : ٩ / ١٨٩ ، والزبيدي في تاج العروس (مادة : صرف) : ٢٤ / ٢٠ .

(٢) سورة الأحقاف : ٢٧ .

(٣) ينظر : نظم الدرر للبقاعي : ٥ / ٣٢٦ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ٢١٢ .

(٤) سورة الفرقان : ٥١ ، ٥٢ .

(٥) عزاه السيوطي في الدر (٦ / ٢٦٥) إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم (٨ / ٢٧٠٧) .

(٦) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٩ / ٢٣) ، وعزاه السيوطي في الدر (٦ / ٢٦٥) إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم (٨ / ٢٧٠٧) .

(٧) قاله أبو حيان في البحر المحيط (٦ / ٤٦٣) .

(٨) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٢٩٩ ، ٢ / ٦١٣ .

سورة الفرقان ـــــــ

قوله تعالى : ﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾ ﴾ . [آية : ٥٧] .

مسألة: في الاختلاف في معنى قوله : ﴿ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴾ ونوع الاستثناء فيها :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن الاستثناء في قوله تعالى : ﴿ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴾ استثناء منقطع ، و معنى الآية : إنما أسئلكم أن تتخذوا إلى ربكم سبيلا بالتقرب إليه وعبادته ، فقال :

((﴿ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴾ معناه : إنما أسئلكم أن تتخذوا إلى ربكم سبيلا بالتقرب إليه وعبادته ؛ فالاستثناء منقطع . وقيل : المعنى أن تتخذوا إلى ربكم سبيلا بالصدقة ؛ فالاستثناء على هذا متصل ، **والأوَّل أظهر**)) . اهـ [١] .

الدراسة :

الأجْر في اللغة [٢] : هو الجزاء على العمل .

واختلف أهل العلم والمفسرون في **معنى قوله تعالى : ﴿ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴾ ونوع الاستثناء فيها** على قولين :

القول الأوَّل : معناه : **إنما أسئلكم أن تتخذوا إلى ربكم سبيلاً بالتقرب إليه وعبادته ؛ فالاستثناء منقطع ، وهو ما رجّحه ابن جُزيّ** [٣] ، ووافقه **جمهور** [٤] المفسرين [٥] .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٨٠ .

(٢) ينظر (مادة : أجر) في : المحكم لابن سيده : ٧ / ٤٨٤ ، لسان العرب لابن منظور : ٤ / ١٠ ، تاج العروس للزبيدي : ١٠ / ٢٤ .

(٣) ينظر : التسهيل : ٣ / ٨٠ .

(٤) نسب هذا القول إلى الجمهور : أبو حيان في البحر المحيط (٦ / ٤٦٥) ، والآلوسي في روح المعاني (١٩ / ٣٧) ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي في تفسيره (١٠ / ٢١٢) .

(٥) منهم : السمر قندي (٢ / ٥٤٢) و لم يذكر غيره ، و لم يذكر ابن أبي زمنين (٣ / ٢٦٥) ، ولا السمعاني (٤ / ٢٧) غيره أيضاً ، **واستظهره** ابن عطية (٤ / ٢١٥) ، **واستظهره** أبو حيان (٦ / ٤٦٥) ، والسمين =

قاله قتادة [١] ومقاتل [٢] : قوله : ﴿ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴾ : أي بطاعة الله .

قال **أبو عبيدة** في مجازه :

" والعرب قد تستثني الشيء من الشيء وليس منه على الاختصار ، وفيه ضمير تقديره : قل ما أسألكم عليه من أجر إلا أنه من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً فليتخذه ، قال **أبو خراش** :

نَجَا سَالِمٌ والنَّفْسُ مِنْهُ بِشدقهِ ولَمْ يَنْجُ إلاَّ جَفْنَ سَيْفٍ ومِئزَرا

فاستثنى الجَفن والمئزر وليسا من سالم ؛ إنما هو على الاختصار " اهـ [٣] .

وقال **الأخفش** (وبمثله قال **العكبري**) :

" ﴿ إِلَّا مَن شَآءَ ﴾ استثناءٌ خارجٌ من أَوَّلِ الكَلاَمِ على معنى : (لكنّ) " [٤] .

✓ **والمعنى** : لكن مسؤولي ومطلوبي من شاء أن يهتدي ويؤمن ، ويتخذ إلى رحمة ربه طريق نجاة [٥] .

❖ قال **الطبري** [٦] وجماعة من المفسرين [١] : لكن من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً بالإنفاق

= الحلبي في الدر المصون (٥ / ٢٥٩) ، وابن كثير (٣ / ٣٢٤) ، **واستظهره** الثعالبي (٤ / ٢١٣) ، والشوكاني (٤ / ٨٣) ، والقاسمي (١٢ / ٢٦٨) ، وسيد قطب (٥ / ٢٥٧٥) ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي في تفسيره (١٠ / ٢١٢) . وينظر : إتقان السيوطي : ٢ / ٤٤٢ .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨ / ٢٧١٣) ، ونسبه إليه النحاس في معانيه (٥ / ٤١) ، وعزاه السيوطي في الدر (٦ / ٢٦٧) إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم .

(٢) ينظر تفسيره : ٢ / ٤٤٠ .

(٣) ينظر مجازه : ٢ / ٧٨ .

وأبو خراش هو : خويلد بن مرة ، من بني هذيل ، من مضر : شاعر مخضرم ، وفارس فاتك مشهور ، أدرك الجاهلية والإسلام ، أسلم وهو شيخ كبير ، وعاش إلى زمن عمر ﷺ وله معه أخبار . نهشته أفعى فقتلته نحو سنة ١٥ هـ . ينظر : الاستيعاب : ٤ / ١٦٣٦ ، أسد الغابة : ٦ / ٩٢ ، ٩٣ ، الإصابة : ٢ / ٣٦٤ ، ٣٦٥ .

(٤) معاني القرآن للأخفش : ٢ / ٦٤٢ . وينظر : التبيان في إعراب القرآن : ٢ / ٩٨٨ .

(٥) ينظر : المحرر الوجيز لابن عطية : ٤ / ٢١٥ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ٢١٣ .

(٦) ينظر : تفسير الطبري : ١٩ / ٢٧ .

من ماله في سبيله فعل ذلك .

✓ **والمعنى** : لا أسألكم لنفسي أجراً ، ولكن لا أمنع من إنفاق المال في طلب مرضاة الله واتخاذ السبيل إلى جنته .

❖ **فجعل الإنفاق أجراً** . وقال بعضهم [٢] : **هذا استثناء منقطع** .

✖ **وتعقَّبه ابن عطية** : بأن الاستثناء على هذا كالمتصل ، وكأنه قال : إلا أجر من شاء .. .

القول الثاني : المعنى : **أن تتخذوا إلى ربكم سبيلا بالطاعة ، وصور ذلك بصورة الأجر من حيث أنه مقصود الحصول ؛ فالاستثناء متصل** ، ذهب إليه **الزمخشري** [٣] ، وجوَّزه القرطبي [٤] ، وقاله جماعة من المفسرين [٥] .

والاستثناء متصل على حذف مضاف تقديره : إلاّ أجر من اتخذ إلى ربه سبيلاً؛ أي : إلاّ أجر من آمن ؛ أي : الأجر الحاصل لي على دعائه إلى الإيمان وقبوله ، لأنه تعالى يأجرني على ذلك .

واستدل له من كلام العرب : كالاستثناء في قول ابن معصوم [٦] :

ولا عيبَ فيهم غير أنَّ نزيلَهم ... يُخَيَّرُ فيما عندَهم ويُحكَّمُ

قال **الزمخشري** : " ﴿ إِلَّا مَن شَآءَ ﴾ المراد : إلاّ فعل من شاء ، واستثنائه عن الأجر قول

---

(١) منهم : الثعلبي وحكاه في تفسيره (٧ / ١٤٢) ، والواحدي (٢ / ٧٨٢) ، وابن الجوزي (٦ / ٩٨) ، والبغوي (٣ / ٣٧٤) ، والقرطبي (١٣ / ٦٢) ، والخازن (٥ / ١٠٦) ، وابن عادل (١٤ / ٥٥٤) ، والجلالين (٤٧٧) ، والسعدي (٥٨٥) .

(٢) قاله البغوي ، وابن عادل . ينظر : تفسير البغوي : ٣ / ٣٧٤ ، تفسير ابن عادل : ١٤ / ٥٥٤ .

(٣) ينظر : الكشاف : ٣ / ٢٩٣ .

(٤) ينظر : تفسير القرطبي : ١٣ / ٦٢ .

(٥) منهم : البيضاوي (٤ / ٢٢٥) ، والنسفي (٣ / ١٧٤) ، وأبو السعود (٦ / ٢٢٦) ، والخطيب الشربيني في السراج (٣ / ٢٨) ، والآلوسي (١٩ / ٣٧) .

(٦) ينظر : ديوان ابن معصوم المدني : ٣٤٧ .

وابن معْصُوم هو : علي بن أحمد بن محمد معصوم الحسني الحسيني ، المعروف بعلي خان بن ميرزا أحمد ، الشهير بابن مَعْصُوم . ت سنة ١١١٩ هـ ، وقيل : سنة ١١١٧ هـ . ينظر : البدر الطالع : ١ / ٩٨ ، ٩٩ ، هدية العارفين : ٥ / ٧٦٣ ، الأعلام : ٤ / ٢٥٨ .

ذي شفقة عليك قد سعى لك في تحصيل مال : (ما أطلب منك ثواباً على ما سعيت إلاّ أن تحفظ هذا المال ولا تضيعه) . فليس حفظك المال لنفسك من جنس الثواب ، ولكن صوّره هو بصورة الثواب وسماه باسمه ، فأفاد فائدتين :

- إحداهما : قلع شبهة الطمع في الثواب من أصله ، كأنه يقول لك : إن كان حفظك لمالك ثواباً فإني أطلب الثواب .
- والثانية : إظهار الشفقة البالغة وأنك إن حفظت مالك : اعتدّ بحفظك ثواباً ورضي به كما يرضى المثاب بالثواب .

ولعمري إنّ رسول الله ﷺ كان مع المبعوث إليهم بهذا الصدد وفوقه .

ومعنى اتخاذهم إلى الله سبيلاً : تقربهم إليه وطلبهم عنده الزلفى بالإيمان والطاعة . وقيل : المراد التقرّب بالصدقة والنفقة في سبيل الله " . اهـ [1] .

✍ **قال القاسمي : " والاستثناء على هذا متصل ادعاء "** [2] .

✖ **وتعقَّب السمين الحلبي هذا القول بأن فيه نظر** ؛ فقال :

" لأنه لم يسند السؤال المنفي في الظاهر إلى الله تعالى إنما أسنده إلى المخاطبين ؛ فكيف يصحُّ هذا التقدير ؟ " [3] .

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **تقارب المعنى في القولين ؛ كما ذكر الفخر الرازي في تفسيره** [4] **، وأن معنى قوله تعالى : ﴿ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلاً ﴾ :**

---

(١) الكشاف : ٣ / ٢٩٣ . وينظر : تفسير البيضاوي : ٤ / ٢٢٥ ، تفسير النسفي : ٣ / ١٧٤ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ٢٢٦ ، روح المعاني للآلوسي : ١٩ / ٣٧ .

(٢) تفسير القاسمي : ١٢ / ٢٦٨ . وينظر : روح المعاني للآلوسي : ١٩ / ٣٧ .

(٣) الدر المصون : ٥ / ٢٥٩ .

(٤) ينظر : التفسير الكبير : ٢٤ / ٨٩ . وذكر الأقوال النيسابوري في تفسيره (٥ / ٢٥١) ولم يرجح .

✓ إلا أجر من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً ؛ على **حذف مضاف مقدر** ، أي **الاستثناء متصل** ؛ وهو ما قاله أصحاب **القول الثاني** .

✓ **وقد يسمُّونه استثناءً منقطعاً ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ، ووافقه جمهور المفسرين .**

✌ **وسواء أكان الاستثناء متصلاً أو منقطعا فإن معنى الآية لم يختلف ؛ وهو مجرد اختلاف لفظي لا يترتب عليه شيْ .**

وهذا الاستثناء أورده علماء البديع في باب (تأكيد المدح بما يشبه الذم) [١] ، وقد بيَّنه **ابن عاشور** بقوله :

" والاستثناء تأكيد لنفي أن يكون يسألهم أجراً ؛ لأنه استثناء من أحوال عامة محذوف ﴿ مَآ ﴾ يدل عليها لقصد التعميم ، والاستثناء معيار العموم ؛ فلذلك كثر في كلام العرب أن يجعل تأكيد الفعلِ في صورة الاستثناء ، ويسمَّى : (**تأكيد المدح بما يشبه الذم**) ، وبعبارة أتقن : تأكيدَ الشيء بما يشبه ضده ، وهو مرتبتان :

- منه ما هو تأكيد محض ، وهو ما كان **المستثنى فيه منقطعاً عن المستثنى منه أصلاً** كقول النابغة الذبياني :

ولا عَيبَ فيهِمْ غيرَ أنّ سُيُوفَهُمْ بهنّ فلولٌ منْ قراعِ الكتائبِ [٢]

فإن فلول سيوفهم ليس من جنس العيب فيهم بحال .

- ومنه مرتبة ما هو تأكيد في الجملة وهو ما المستثنى فيه ليس من جنس المستثنى منه ؛ لكنه قريب منه بالمشابهة لم يطلق عليه اسم المشبه به بما تضمنه الاستثناء كما في قوله : ﴿ ... قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ ... ﴾ [٣] ، ألا ترى أنه نفى أن يكون يسألهم أجراً على الإطلاق في قوله تعالى : ﴿ قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُتَكَلِّفِينَ ﴾ [٤] .

---

(١) ينظر : الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني : ٣٤٦ .

(٢) ينظر : ديوان النابغة الذبياني : ٢ .

(٣) سورة الشورى : ٢٣ .

(٤) سورة ص : ٨٦ .

فقوله تعالى : ﴿ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلاً ﴾ من قبيل المرتبة الثانية لأن الكلام على **حذف مضاف يناسب أجراً ؛ إذ التقدير : إلا عمل من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً ، وذلك هو اتباع دين الإسلام .**

ولما كان هذا إجابة لدعوة الرسول ﷺ أشبه الأجر على تلك الدعوة فكان نظير قو لـــه : ﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ . **وقد يسمُّون مثل هذا الاستثناءِ الاستثناء المنقطع ؛ ويقدرونه كالاستدراك " . اهـــ** [1].

دلالة الآية :

وعلى كلا الرأيين فالآية الكريمة تدل دلالة واضحة على أن الرسول ﷺ لا يطلب أجراً من الناس على دعوته ، ولا يمنعهم من إنفاق جزء من أموالهم فى وجه الخير ، وأنه ﷺ يعتبر إيمانهم بالحق الذى جاء به ، هو بمثابة الأجر له ، حيث إن الدال على الخير كفاعله .

ولقد حكى القرآن الكريم فى كثير من آياته أن جميع الأنبياء – عليهم الصَّلاة والسَّلام – ما سألوا الناس أجراً على دعوتهم إياهم إلى عبادة الله تعالى وطاعته . ومن هذه الآيات قوله ﷻ حكاية عن نوح وهود وصالح ولوط وشعيب – عليهم الصلاة والسلام – :

﴿ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [2] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) التحرير والتنوير : ١٩ / ٥٨ .

(٢) سورة الشعراء : ١٠٩ ، ١٢٧ ، ١٤٥ ، ١٦٤ ، ١٨٠ .

سورة الفرقان ـــــــ

سورة الفرقان ـــــــ

القول الثاني : معناه : أن المراد **اسأل بسؤاله خبيراً** ، **أي : إن سألته تعالى تجده خبيراً بكل شيء** ، قاله مجاهد [١] ، وكذا قال ابن جريج [٢] ، وذهب إليه **الطبري** [٣] ، **واستظهره أبو حيان** [٤] ، وقاله البقاعي ، ومال إليه الثعالبي [٥] من المفسرين . [٦]

عن مجاهد قال : ما أخبرتك من شيء فهو كما أخبرتك .

وهنا **الباء على بابها** (غير مضمَّنة معنى : عن) ، وهي متعلقة بالسؤال ، والمراد بالخبير الله ﷻ ، **وجوَّز الزمخشري** [٧] أن تكون **الباء سببية على طريق التجريد** [٨] ، وكذا حكاه **السمين الحلبي** ، وقاله **البقاعي** [٩] .

كقولهم : لو رأيت فلاناً رأيت به أسداً ؛ أي : رأيت برؤيته أسداً [١٠] .

وقريباً من هذا القول ما قاله **الكلبي** [١١] : أن معنى الآية : **فاسأل خبيراً به** ، حكاه أبو حيان [١٢] ، وقاله جماعة من المفسرين [١٣] .

---

(١) عزاه السيوطي في الدر (٦ / ٢٦٨) إلى الفريابي ، وسعيد بن منصور ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم (في تفسيره : ٨ / ٢٧١٥) .

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٩ / ٢٨) .

(٣) ينظر : تفسير الطبري : ١٩ / ٢٨ .

(٤) ينظر : البحر المحيط : ٦ / ٤٦٥ .

(٥) ينظر : نظم الدرر (٥ / ٣٣٢) ، وتفسير الثعالبي (٤ / ٢١٥) .

(٦) ذكر القولين أو جوَّزهما جماعة من المفسرين ؛ منهم : جوَّزهما الزمخشري (٣ / ٢٩٥) وابن عطية (٤ / ٢١٦) ، وذكرهما السمعاني (٤ / ٢٧ ، ٢٨) ، وذكرهما الفخر الرازي (٢٤ / ٩١) والسمين الحلبي في الدر (٥ / ٢٦٠) ، وذكر ابن كثير (٣ / ٣٢٤) أقوال السلف و لم يرجح ، وذكرهما ابن عادل (١٤ / ٥٥٧ ، ٥٥٨) .

(٧) ينظر : الكشاف : ٣ / ٢٩٥ .

(٨) **التجريد** هو : أن ينتزع من أمر ذي صفة أمرا آخرا مثله في تلك الصفة مبالغة في كمالها فيه وهو أقسام . للمزيد ينظر : الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني : ٣٣٨ .

(٩) ينظر : الدر المصون : ٥ / ٢٦٠ ، نظم الدرر : ٥ / ٣٣٢ .

(١٠) ينظر : الكشاف للزمخشري : ٣ / ٢٩٥ .

(١١) نسبه إليه : البغوي في تفسيره (٣ / ٣٧٤) ، والفخر الرازي في تفسيره (٢٤ / ٩١) ، والنيسابوري (٥ / ٢٥٢) ، وأبو حيان في البحر المحيط (٦ / ٤٦٥) ، وابن عادل (١٤ / ٥٥٧) .

(١٢) ينظر : البحر المحيط : ٦ / ٤٦٥ .

(١٣) منهم : الثعلبي (٧ / ١٤٣) ، والبغوي (٣ / ٣٧٤) ، والبيضاوي (٤ / ٢٢٥ ، ٢٢٦) ، والخازن (٥ / ١٠٦) ، وقال النيسابوري (٥ / ٢٥٢) : **هو الأقرب** ، وأبو السعود (٦ / ٢٢٧) ، والشوكاني (٤ / =

وقوله : ﴿ بِهِۦ ﴾ يعود إلى ما ذكر من خلق السماء والأرض ، والاستواء على العرش ، والباء من صلة الخبير ، وذلك الخبير هو الله ﷻ ؛ لأنه لا دليل في العقل على كيفية خلق الله السموات والأرض فلا يعلمها أحد إلا الله تعالى .

قال **الآلوسي** :

" والفاء فصيحة ، والجار والمجرور صلة (اسأل) ، والسؤال كما يعدى بـ (عن) لتضمنه معنى : التفتيش ؛ يعدى بالباء لتضمنه معنى : الاعتناء ، وعليه قول علقمة بن عَبَدة [١] :

فإنْ تَسْأَلُونِي بِالنِّسَاءِ فَإِنَّنِي ... خَبِيرٌ بِأَدْوَاءِ النِّسَاءِ طَبِيبُ

فلا حاجة إلى جعلها بمعنى (عن) كما فعل الأخفش والزجاج ، والضمير راجع إلى ما ذكره إجمالا من الخلق و الاستواء ، والمعنى : إن شئت تحقيق ما ذكر أو تفصيل ما ذكر فاسأل معتنيا به خبيراً عظيم الشأن محيطا بظواهر الأمور وبواطنها ؛ وهو الله ﷻ يطلعك على جلية الأمر " . اهـ [٢] .

والمعنى : لقد بيَّنا لك مظاهر قدرتنا ووحدانيَّتنا ، فإن شئت الزيادة فى هذا الشأن أو غيره ، فسأل قاصداً بسؤالك ربك الخبير بأحوال كل شيء خبرة مطلقة ، يستوى معها ما ظهر من أمور الناس وما خفى منها .

واستدل له بالنظير القرآني : قوله تعالى : ﴿ ... **وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ** ﴾ [٣] . [٤]

✍ و ﴿ **خَبِيرًا** ﴾ على هذا مفعول (اسأل) ، أو منصوب على الحال .

✖ **وضعَّف أبو البقاء العكبري** أن يكون ﴿ خَبِيرًا ﴾ منصوب على الحال ؛ حيث قال :

" ويضعُف أن يكون ﴿ خَبِيرًا ﴾ حالاً من فاعل (اسْأَلْ) ؛ لأن (الخبير) لا يسأل إلا

= ٨٤) ، والآلوسي في روح المعاني (١٩ / ٣٨) ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي من غير نسبة (١٠ / ٢١٤) .

(١) ينظر : ديوان علقمة الفحل : ١ .

(٢) روح المعاني : ١٩ / ٣٨ . وينظر قبله : تفسير أبي السعود : ٦ / ٢٢٧ .

(٣) سورة فاطر : ١٤ .

(٤) ينظر : تفسير النيسابوري : ٥ / ٢٥٢ .

على جهة التوكيد كقوله : ﴿ ... وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا ... ﴾ [١] ، ثم قال : " ويجوز أن يكون حالاً من ﴿ ٱلرَّحْمَـٰنُ ﴾ إذا رفعته بـ ﴿ ٱسْتَوَىٰ ﴾ " . اهـ [٢] .

الترجيح:

بعد عرض الأقوال يظهر لي – والله أعلم – **جواز القولين ؛ فكل قول قال به جماعة من أئمة اللغة والمفسرين** ، فيجوز أن يكون معنى قوله تعالى : ﴿ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴾ :

✓ **إما** : اسأل **عنه** من هو خبير عارف به ، وهذا الخبير المسؤل هو : جبريل عليه السلام والعلماء وأهل الكتاب . والباء في قوله : ﴿ بِهِۦ ﴾ بمعنى (عن) .

وفائدة السؤال عن الله هو التصديق والتأييد .

وهذا **مذهب الكوفيين** الذين **يجوزون نيابة الحروف** بعضها عن بعض قياساً . وقد رجَّح ابن هشام مذهبهم فقال : " مذهبهم أقل تعسفاً " [٣] .

قال **ابن جني في (الخصائص)** تعليقاً على قول بعض النحاة بأن حروف الجر ينوب بعضها عن بعض :

" ولسنا ندفع أن يكون ذلك كما قالوا ، ولكنا نقول إنه يكون بمعناه في **موضع دون موضع** ، على حسَب الحال الداعية إليه ، والمُسَوِّغة له ؛ **فأمّا في كل موضع وعلى كل حال فلا !** " . اهـ [٤] .

✓ **وإما** : أن المراد اسأل بسؤاله خبيراً ، أي : إن سألته تعالى وجدته خبيراً بكل شيء ؛ والباء في قوله : ﴿ بِهِۦ ﴾ على بابها ، وهي متعلقة بالسؤال ، والمراد بالخبير الله سبحانه وتعالى .

وفائدة سؤال الله الخبير **كالتتميم** [٥] لقوله تعالى : **﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ... ﴾** الآية . فإنه لإثبات

---

(١) سورة البقرة : ٩١ .

(٢) التبيان في إعراب القرآن للعكبري : ٢ / ٩٨٩ . وحكاه ابن عطية قبله في تفسيره (٤ / ٢١٦) .

(٣) مغني اللبيب لابن هشام : ١ / ١٥١ .

(٤) الخصائص لأبي الفتح ، عثمان بن جني (ت ٣٩٢ هـ) : ٢ / ٣٠٨ .

(٥) **التتميم** هو : عبارة عن الإتيان في النظم أو النثر بكلمة إذا طرحتها من الكلام نقص حسن معناه ، وهو على ضربين : ضرب في المعاني وضرب في الألفاظ ، والذي في المعاني هو تتميم المعنى ، والذي في الألفاظ هو تتميم =

القدرة مدمجاً فيه العلم [١] .

وهذا **مذهب البصريين** الذين يمنعون إنابة بعض الحروف الجارة عن بعض قياساً ، ولجؤوا إلى **تضمين** [٢] **الفعل معنى فعل يتعدى بذلك الحرف** ، أو على شذوذ النيابة [٣] .

وتضمن فعل : ﴿ فَسْـَٔلْ ﴾ هنا **معنى : اطلب** ، لأن السؤال طلب في المعنى [٤] ، أو **اعتن به واشتغل به** [٥] ، كما ذكر أبو السعود والآلوسي [٦] .

قال ابن القيم في (بدائع الفوائد) :

" وظاهرية النحاة يجعلون أحد الحرفين بمعنى الآخر ؛ وأما فقهاء أهل العربية فلا يرتضون هذه الطريقة ، بل يجعلون للفعل معنىً مع الحرف ، ومعنىً مع غيره ، فينظرون إلى الحرف وما يستدعي من الأفعال ، فيُشْربون الفعلَ المتعدي به معناه .

هذه طريقة إمام الصناعة سيبويه – رحمه الله تعالى – وطريقة حُذّاق أصحابه ، يُضمِّنون الفعل معنى الفعل ، لا يقيمون الحرف مقام الحرف ، وهذه قاعدة شريفة جليلة المقدار ، تستدعي فطنة ولطافة في الذهن " . اهـ [٧] .

= الوزن ، ويجيء للمبالغة والاحتياط والتتميم يرد على الناقص فيتممه . ينظر : كليات الكفوي : ٢٩٦ .

(١) نقله عن صاحب (الكشف) : القاسمي في تفسيره (١٢ / ٢٧١) ، والآلوسي في روح المعاني (١٩ / ٣٨) .

(٢) **التضمين** هو : أن تُشْرِبَ الفعل معنى فعلٍ آخر، فيضمّ إلى دلالته دلالة هذا الفعل الذي أُشْرِبَ معناه ، ويَنْزل منْزلته في التعدية واللزوم . فإذا ضُمِّن مثلاً فعلٌ لازمٌ يتعدى بالحرف ، معنى فعلٍ متعد بنفسه ، حُذِف الجارّ الذي كان وسيلته إلى التعدية . والغرض من التضمين – كما قال الزمخشري – الغرض فيه إعطاء مجموع معنيين ، وذلك أقوى من إعطاء معنى واحد . قال الزمخشري عند تفسير قوله تعالى : ﴿ ... وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ ... ﴾ . [سورة الكهف : ٢٨] . : " ألا ترى كيف رجع المعنى إلى قولك : ولا تقتحمهم عيناك مجاوزتين إلى غيرهم ؟ ونحوه قوله تعالى : ﴿ ... وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ... ﴾ . [سورة النساء : ٢] . أي : ولا تضموها إليها آكلين لها " . اهـ . وفائدته : – كما قال ابن هشام – أن تؤدي كلمة مؤدى كلمتين . ينظر : كشاف الزمخشري " ٢ / ٦٧٠ ، ٦٧١ ، مغني اللبيب لابن هشام : ٨٩٧ ، كليات الكفوي : ٢٦٦ ، ٢٦٧ .

(٣) ينظر : مغني اللبيب : ١٥٠ .

(٤) حكاه المرداوي . ينظر : التحبير شرح التحرير في أصول الفقه لأبي الحسن ، علاء الدين علي بن سليمان المرداوي الحنبلي (ت ٨٨٥ هـ) : ٢ / ٦٦٩ .

(٥) حكاه أبو شامة . ينظر : إبراز المعاني من حرز الأماني لأبي شامة : ٢ / ٥٢١ .

(٦) ينظر : تفسير أبي السعود : ٦ / ٢٢٧ ، روح المعاني : ١٩ / ٣٨ .

(٧) بدائع الفوائد لابن القيِّم : ٢ / ٢٥٨ .

قال الشهاب الخفاجي : " ويصحُّ تنازعهما – أي اسأل و ﴿ خَبِيرًا ﴾ – في الباء ؛ وفيه نوع من البديع غريب يسمى **المتجاذب** . وهو كون لفظ واحد بين جملتين يصح جعله من الأوَّلى والثانية ... وهذا مما غفل عنه أصحاب البديعيات " . اهـ [١] .

وإن كنت أميل إلى القول بأن معنى قوله تعالى : ﴿ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴾ اسأل عنه من هو خبير عارف به ، وهذا الخبير المسؤول هو : جبريل عليه السلام والعلماء وأهل الكتاب ، والباء في قوله : ﴿ بِهِۦ ﴾ بمعنى (عن) ؛ وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه ؛ لما يلي :

أولاً : لقد أمرنا الله ﷻ عند الجهل بأي أمر من أمور الدين أن نسأل أهل الذكر في غير موضع من كتابه العزيز . قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ فَسۡـَٔلُواْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ [٢] .

ثانياً : الله هو الخبير وهو اسم من أسماء الله ؛ وهو الخبير بكل شيء ؛ ولكن **الخبر عن الله لا يأتينا مباشرة** ؛ بل لابد من الوحي ؛ وهذا لا يكون إلا عن طريق جبريل عليه السلام ، ومن ثم الأنبياء ، وبعدهم العلماء وأهل الكتاب ، وهذا ما عليه هذا القول ؛ فنسأل عن الله من هو خبير عارف به ، وهذا الخبير المسؤول هو : جبريل عليه السلام والعلماء وأهل الكتاب .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) حاشية الشهاب الخفاجي : ٧ / ١٥٠ .

(٢) سورة النحل : ٤٣ . وكذلك بنحوها في سورة الأنبياء : ٣٢٢ .

قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا ﴾ . [آية : 72] .

مسألة : في معنى قوله تعالى : ﴿ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن معنى قوله تعالى : ﴿ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ ﴾ أي : لا يشهدون بالزُّور ؛ وهو الكذب فهو من الشهادة ، فقال : ((﴿ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ ﴾ أي : لا يشهدون بالزُّور ؛ وهو الكذب فهو من الشهادة . وقيل : معناه : لا يحضرون مجالس الزُّور واللهو ؛ فهو على هذا من المشاهدة والحضور ، **والأوَّل أظهر**)) . اهـ [١] .

الدراسة :

من صفات عباد الرحمن التي ذكرها الله ﷻ في كتابه العزيز في أواخر سورة الفرقان أنهم الذين **﴿ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ ﴾** ، وقد اختلف السَّلف وأهل العلم والمفسرون في **معناها** على قولين :

القول الأوَّل : معناها : **لا يشهدون بالزُّور** ، فهي من الشهادة ، كما روي عن علي بن أبي طالب ﷺ [٢] وغيره ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٣] ، **واستظهره أبو حيان** [٤] .

وقوله : ﴿ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ ﴾ من الشهادة ؛ ففي الكلام مضاف محذوف ، أى : لا يشهدون شهادة الزُّور .

- قال **قتادة** [٥] **وابن جريج** [٦] : وهو **الكذب** ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٧] ، ووافقه

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٨٢ .

(٢) نسبه إليه ابن عطية ، وأبو حيان ، وابن عادل ، والآلوسي . ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ٢٢٢ ، البحر المحيط : ٦ / ٤٧٣ ، تفسير ابن عادل : ١٤ / ٥٧٤ ، روح المعاني : ١٩ / ٥١ .

(٣) ينظر : التسهيل : ٣ / ٨٢ .

(٤) ينظر : البحر المحيط : ٦ / ٤٧٣ .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨ / ٢٧٣٨) ، وعزاه السيوطي في الدر (٦ / ٢٨٢) إلى عبد بن حميد .

(٦) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٩ / ٤٩) .

(٧) ينظر : التسهيل : ٣ / ٨٢ .

جماعة من المفسرين [١] .

- وقال **علي بن أبي طلحة** [٢] : يعني شهادة الزُّور [٣] .

الزُّور في اللغة :

قال ابن فارس : " الزاء والواو والراء أصل واحد ؛ يدل على الميل والعدول " [٤] .

والزُّور – بالضمِّ – **الكَذِب** ، وشَهادةَ الباطِل ، لكَوْنه قَوْلاً مائِلاً عن الحَقّ [٥] .

قال تعالى : ﴿ ... **وَٱجْتَنِبُواْ قَوْلَ ٱلزُّورِ** ﴾ . [سورة الحج : ٣٠] . وبه فُسِّر أَيضاً الحَدِيث : « الْمُتَشَبِّعُ بِمَا لم يُعْطَ كَلَابِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ » [٦] .

الزُّور في اللغة : الكَذِب ، ولا كذب فوق الشرك بالله ؛ قاله **النحاس** ، **والزجاج** [٧] .

---

(١) ومنهم : الواحدي (٢ / ٧٨٤) ، وابن العربي في أحكامه (٣ / ٤٥٤) ، والجلالين (٤٧٩) ، والآلوسي في روح المعاني (١٩ / ٥١) .

(٢) نسبه إليه الثعلبي في الكشف والبيان (٧ / ١٥١) ، والبغوي في تفسيره (٣ / ٣٧٨) .
وعلي بن أبي طلحة هو : سالم بن المخارق ، الهاشمي مولاهم ، أبو الحسن ، كان من كبار التابعين ، علاماً بالقرآن ومعانيه وأحكامه ، يرسل عن ابن عباس ﷺ إلا أن طريقه من أصح الطرق عن ابن عباس ﷺ ، قال أحمد ابن حنبل : في مصر صحيفة واحدة من التفسير قد رواها علي بن أبي طلحة ، من رحل من طالبي التفسير لتحصيلها لا يعد كثيراً ، ت سنة ١٤٣ هـ . ينظر : تاريخ البخاري : ٦ / ٢٨١ ، طبقات ابن سعد : ٧ / ٤٥٨ ، تهذيب الكمال :٢٠ / ٤٩٠ – ٤٩٣ .

(٣) روي عن عمر بن الخطاب ﷺ ضرب شاهد الزُّور أربعين سوطاً ، وسخم وجهه ، وطاف به بالمدينة . أورد هذا الأثر غير واحد من المفسرين عند تفسير الآية . قال البيهقي في سننه الكبرى (١٠ / ١٤١ ، ١٤٢) بعد أن ساق رواية بعدها في المعنى نفسه : " هاتان الروايتان **ضعيفتان ومنقطعتان** ... وقد روينا في كتاب الحدود الحديث الثابت عن أبي بردة بن نيار ﷺ عن النبي ﷺ قال : « لَا يُجْلَدُ فَوْقَ عَشْرِ جَلَدَاتٍ إلا في حَدٍّ من حُدُودِ اللَّهِ » . رواه البخاري ، والأخذ به أولى .

(٤) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (مادة : زور) :٣ / ٣٦ .

(٥) ينظر (مادة : زور) في : مفردات الرَّاغب : ٢١٧ ، المحكم لابن سيده : ٩ / ١٠١ ، النهاية لابن الأثير : ٢ / ٣١٨ ، لسان العرب لابن منظور : ٤ / ٣٣٦ ، المصباح المنير للفيومي : ١ / ٢٦٠ ، تاج العروس للزبيدي : ١١ / ٤٦١ .

(٦) سبق تخريجه عن أسماء – رضي الله عنها – ص ٥ ، أخرجه البخاري ومسلم ؛ وهو صحيح .

(٧) ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزَّجاج : ٤ / ٧٧ ، معاني القرآن للنحاس : ٥ / ٥٤ .

سورة الفرقان ـــــــ

جمعه : شُهودٌ ، أي : حُضُورٌ ، والمشْهَد محضر الناس .

وهو أصل إطلاقه ؛ كقوله تعالى : ﴿ ... فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ... ﴾ . [سورة البقرة : ١٨٥] . ويستعمل بمعنى أخبر عن شيء شهده وعلمه ، كقوله تعالى : ﴿ ... وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ ... ﴾ . [سورة يوسف عليه السلام : ٢٦] . (١)

وقال **الرَّاغب** :

" الشهود والشهادة الحضور مع المشاهدة إما بالبصر أو بالبصيرة ...

﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ ﴾ أي : لا يحضرونه بنفوسهم ولا بهمهم وإرادتهم . والشهادة قول صادر عن علم حصل بمشاهدة بصيرة أو بصر " . اهـ (٢) .

واستدل له بدلالة السِّياق القرآني :

الأظهر من السِّياق أن المراد لا يشهدون الزُّور ؛ أي : لا يحضرونه ، ولهذا قال تعالى : ﴿ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا ﴾ ، أي : لا يحضرون الزُّور ، وإذا اتفق مرورهم به مروا و لم يتدنسوا منه بشيء . ولهذا قال : ﴿ مَرُّواْ كِرَامًا ﴾ .

وجاء عن **إبراهيم بن ميسرة** « أن ابن مسعود رضي الله عنه مرَّ بلهو معرضاً ، فقال رسول الله ﷺ : « لقد أصبح ابن مسعود وأمسى كريماً » ثم تلا إبراهيم بن ميسرة : ﴿ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا ﴾ (٣) ، أورده **ابن كثير** (٤) .

---

٢٤٠ ، تاج العروس للزبيدي : ٨ / ٢٥٣ .

(١) ينظر : التحرير والتنوير : ١٩ / ٧٨ .

(٢) مفردات الرَّاغب (مادة : شهد) : ٢٦٧ ، ٢٦٨ .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨ / ٢٧٣٩) ، وأورده غير واحد من المفسرين عند تفسير الآية . ينظر : تفسير ابن كثير : ٣ / ٣٣٠ . قال أبو الفضل العراقي في المغني عن حمل الأسفار (٢ / ٨٥٢) : أخرجه ابن المبارك في الصلة **بإسناد منقطع** .

وإبراهيم بن ميسرة هو : إبراهيم بن ميسرة الطائفي ، نزيل مكة ، ثبت حافظ . ت قريباً من سنة ١٣٢ هـ . ينظر : تاريخ البخاري : ١ / ٣٢٨ ، الجرح والتعديل : ٢ / ١٣٣ ، الثقات : ٤ / ١٤ .

(٤) ينظر : تفسير ابن كثير : ٣ / ٣٣٠ .

سورة الفرقان ـــــــ

- وقال **مجاهد** [٢] وغيره : الغناء .
- وقال **عمرو بن قيس** [٣] : هي المجالس السوء والخنا [٤] .
- وقال **مالك عن الزهري** : شرب الخمر لا يحضرونه ولا يرغبون فيه . كما جاء في الحديث : « ... وَمَنْ كان يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فلا يَجْلِسْ على مَائِدَةٍ يُدَارُ عليها بِالْخَمْرِ » [٥] .

والاختلاف بين أقوال التابعين ليس اختلاف تضاد بل اختلاف تنوع ؛ على سبيل التمثيل .

قال **الطبري** :

" وأصل الزُّور [٦] : تحسين الشيء ، ووصفه بخلاف صفته ، حتى يخيل إلى من يسمعه أو

---

(١) عزاه السيوطي في الدر (٦ / ٢٨٣) إلى الفريابي ، وعبد بن حميد .
ومحمَّد بن الحنفيَّة هو : محمد بن علي بن أبي طالب ، الهاشمي القرشي ، أبو القاسم المعروف بابن الحنفية : أحد الأبطال الأشداء في صدر الاسلام . وهو أخو الحسن والحسين ، غير أن أمهما فاطمة الزهراء ، وأمه خولة بنت جعفر الحنفية ، ينسب إليها تمييزا له عنهما . وكان يقول : الحسن والحسين أفضل مني ، وأنا أعلم منهما كان واسع العلم ، ورعاً ، أسود اللون . ت سنة ٨١ هـ . ينظر : صفة الصفوة : ٢ / ٧٧ ، السِّير : ٤ / ١١٠ - ١٢٨ ، شذرات الذهب : ١ / ٨٨ - ٩٠ .

(٢) عزاه السيوطي في الدر (٦ / ٢٨٣) إلى ابن مردويه .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨ / ٢٧٣٧ ، ٢٧٣٨) ، ونسبه إليه ابن كثير في تفسيره (٣ / ٣٣٠) .
وعمرو بن قيس هو : عمرو بن قيس الـمُلاَئي الكوفي ، الإمام الحافظ الثقة المتقن ، كان متعبداً زاهداً قارئاً من كبار الكوفيين ، توفي سنة بضع وأربعين ومائة للهجرة النبوية . ينظر : الثقات : ٧ / ٢٢١ ، ٢٢٢ ، حلية الأوَّلياء : ٥ / ١٠٠ - ١٠٨ ، التقريب : ٤٢٦ .

(٤) **الخنا** هو : الفحش في القول . والخنا من الكلام : أفحشه . ينظر : النهاية لابن الأثير ، باب الخاء مع النون : ٢ / ٨٦ ، لسان العرب (مادة : خنا) : ١٤ / ٢٤٤ .

(٥) جزء من حديث أخرجه الترمذي في سننه في كتاب الشهادات ، بَاب ما قِيلَ فِي شَهَادَةِ الزُّور (٢٨٠١) : ٥ / ١١٣ عن جابر ﷺ . قال أبو عِيسَى التِّرْمِذِي : هذا حديثٌ حَسَن غريبٌ ، لا نعرفُه من حديث طاوُوس ، عن جابر ، إلا من هذا الوجه . وأخرجه الحاكم وقال : حديث صحيح على شرط مسلم ، وكذا قال الذهبي .
وحسَّنه الألباني . وروي من طرق أخرى : عن عبد الله بن عمر ﷺ ، وعن عمر ﷺ ، وعن ابن عباس ﷺ .
ينظر : البدر المنير لابن الملقن : ٨ / ١٧ .

(٦) التعريف بحقيقة الزُّور وأصله ، قاله : الثعلبي في الكشف والبيان (٧ / ١٥١) ، والبغوي في تفسيره (٣ / ٣٧٨) ، والخازن في تفسيره (٥ / ١١٠) ، والبقاعي في نظم الدرر (٥ / ٣٤٠) ، وابن عادل في تفسيره (١٤ / ٥٧٤) ، السراج المنير للخطيب الشربيني (٣ / ٣٧) ، الوسيط لمحمَّد سيِّد طنطاوي (١٠ / ٢٢١)

يراه ، أنه خلاف ما هو به .

والشرك قد يدخل في ذلك ، لأنه محسَّن لأهله ، حتى قد ظنوا أنه حق وهو باطل ، ويدخل فيه **الغناء** ، لأنه أيضا مما يحسنه ترجيع الصوت ، حتى يستحلي سامعه سماعه ، و**الكذب** أيضاً قد يدخل فيه لتحسين صاحبه إياه ، حتى يظنّ صاحبه أنه حق ، فكل ذلك مما يدخل في معنى الزُّور .

فإذا كان ذلك كذلك ، **فأولى الأقوال بالصواب** في تأويله أن يقال : والذين لا يشهدون شيئا من الباطل لا شركاً ، ولا غناءً ، ولا كذباً ولا غيره ، وكلّ ما لزمه اسم الزُّور ، لأن الله عمّ في وصفه إياهم أنهم لا يشهدون الزُّور ، فلا ينبغي أن يخص من ذلك شيء إلا بحجة يجب التسليم لها ، من خبر أو عقل " . اهـ [١] .

وقال **ابن تيمية** :

" وقول هؤلاء التابعين إنه : أعياد الكفار ليس مخالفاً لقول بعضهم : إنه الشرك ، أو صنم كان في الجاهلية ، ولقول بعضهم : إنه مجالس الخنا ، وقول بعضهم : إنه الغناء ؛ **لأن عادة السلف في تفسيرهم هكذا ؛ يذكر الرجل نوعاً من أنواع المسمَّى لحاجة المستمع إليه ، أو لينبه به على الجنس** ؛ كما لو قال العجمي : ما الخبز ؟ فيعطى رغيفاً ، ويقال له هذا بالإشارة إلى جنس لا إلى عين الرغيف " . اهـ [٢] .

قال **الفخر الرازي** قبله :

"واعلم أن كل هذه الوجوه محتملة ؛ ولكن **استعماله في الكذب أكثر** " [٣] .

❖ **وذكر القولين أو احتملهما أو نقل أقوال السَّلف ولم يرجح** : الثعلبي ، والبغوي ، والزمخشري ، والفخر الرازي ، والبيضاوي ، والنسفي ، والنيسابوري ، والسمين الحلبي وابن عادل ، وأبو السعود ، والخطيب الشربيني ، والقاسمي ، وسيد قطب ، ومحمَّد سيِّد

وينظر : شرح النووي على صحيح مسلم : ٢ / ٨٤ ، فتح الباري لابن حجر : ٥ / ٢٦١ .

(١) تفسير الطبري : ١٩ / ٤٩ . وينظر : فتح القدير للشوكاني : ٤ / ٨٩ .

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية : ١٨٢ .

(٣) التفسير الكبير : ٢٤ / ٩٩ .

طنطاوي [١] .

الترجيح:

بعد عرض الأقوال يظهر لي – والله أعلم – **أن الرَّاجح أن معنى قوله تعالى : ﴿ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ ﴾ لا يحضرون مجالس الزُّور ؛ فهو من المشاهدة والحضور ، وهو ما قاله جمهور المفسرين ، وذلك خلاف ما ذهب إليه ابن جُزيّ ومن وافقه .**

فمن صفات عباد الرحمن أنهم لا يحضرون مجالس الزُّور ، القول والفعل المحرم ، فيجتنبون جميع المجالس ، المشتملة على الأقوال المحرمة أو الأفعال المحرمة ، كالخوض في آيات الله والجدال الباطل ، والغيبة ، والنميمة ، والسب ، والقذف ، والاستهزاء ، والغناء المحرَّم ، وشرب الخمر ، وفرش الحرير ، والصور ، ونحو ذلك ، وإذا كانوا لا يشهدون الزُّور ، **فمن باب أولى وأحرى** ، أن لا يقولوه ويفعلوه ، **وشهادة الزُّور داخلة في قول الزُّور ، تدخل في هذه الآية بالأوَّلوية ؛ لأنها من أمهات الكبائر التى حذَر منها رسول الله ﷺ ، قاله السعدي** [٢] ، يدل على ذلك ما يلي :

أولاً : " الزُّور : يقال على الكلام الباطل ، وعلى العمل الباطل ، وعلى العين نفسها كما في حديث معاوية رضي الله عنه لما أخذ قُصَّةً من شَعَرٍ يوصل به ؛ فقال : « ألا وَهَذَا الزُّور » [٣] . فالزُّور : القول والفعل والمحل .

وأصل اللفظة من الميل ، ومنه الزُّور – بالفتح – ومنه : زرت فلانا ، إذا ملت إليه وعدلت إليه ؛ فالزُّور : ميل عن الحق الثابت إلى الباطل الذي لا حقيقة له قولاً وفعلاً " [٤] .

ثانياً : الشاهد بالزُّور حاضره ومؤديه جرأة ، فالمعنى الأوَّل أعمُّ ؛ لكن المعنى الثاني أغرق في

---

(١) ينظر : الكشف والبيان : ٧ / ١٥١ ، تفسير البغوي : ٣ / ٣٧٨ ، الكشاف : ٣ / ٣٠١ ، التفسير الكبير : ٢٤ / ٩٨ ، ٩٩ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ٢٢٩ ، تفسير النسفي : ٣ / ١٧٨ ، تفسير غرائب القرآن : ٥ / ٢٥٦ ، الدر المصون : ٥ / ٢٦٥ ، تفسير ابن عادل : ١٤ / ٥٧٤ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ٢٣٠ السراج المنير : ٣ / ٣٧ ، تفسير القاسمي : ١٢ / ٢٨٢ ، الظلال : ٥ / ٢٥٨٠ ، الوسيط : ١٠ / ٢٢١ .

(٢) ينظر : تفسير السعدي : ٥٨٧ . وينظر قبله : إغاثة اللهفان : ١ / ٢٤٢ .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان ، بَاب تَحْرِيمِ فِعْلِ الْوَاصِلَةِ وَالْمُسْتَوْصِلَةِ (٢١٢٧) : ٣ / ١٦٨٠ عن سعيد بن المسيب .

(٤) إغاثة اللهفان : ١ / ٢٤٢ .

المعاصي [١] .

قال **ابن القيِّم** :

" فمدحهم على ترك حضور مجالس الزُّور ؛ فكيف بالتكلم به وفعله ؟ " [٢] .

وقال **سيد قطب** :

" وعدم شهادة الزُّور قد تكون على **ظاهر اللفظ** ومعناه القريب ، أنهم لا يؤدون شهادة زور ، لما في ذلك من تضييع الحقوق ، والإعانة على الظلم . وقد يكون معناها الفرار من مجرد الوجود في مجلس أو مجال يقع فيه الزُّور بكل صنوفه وألوانه ، ترفعاً منهم عن شهود مثل هذه المجالس والمجالات . وهو **أبلغ وأوقع** " . اهـ [٣] .

ثالثاً : النظير القرآني لهذا المعنى الراجح في الآية :

قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَـٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ . [سورة الأنعام : ٦٨] .

لأن من خالط أهل الشر ونظر إلى أفعالهم وحضر مجامعهم فقد شاركهم في تلك المعصية ، لأن الحضور والنظر دليل الرضا به ، بل هو سبب لوجوده والزيادة فيه ، لأن الذي حملهم على فعله استحسان فعلهم ورغبتهم في النظر إليه [٤] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

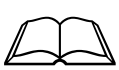

---

(١) ينظر : المحرر الوجيز لابن عطية : ٤ / ٢٢٢ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ٢٢٠ .

(٢) إغاثة اللهفان : ١ / ٢٤٢ . وينظر : تفسير السعدي : ٥٨٧ .

(٣) الظلال : ٥ / ٢٥٨٠ .

(٤) ينظر : الكشاف : ٣ / ٣٠١ ، التفسير الكبير : ٢٤ / ٩٩ ، نظم الدرر : ٥ / ٣٤٠ .

سـورة الشـعراء

قوله تعالى : ﴿ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَـٰقُهُمْ لَهَا خَـٰضِعِينَ ﴾ . [آية : ٤] .

مسألة : في المراد بالأعناق في الآية :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن الأعناق جمع عنق ، وهي الجارحة المعروفة ، فقال : ((الأعناق جمع عنق وهي الجارحة المعروفة ، وإنما جمع ﴿ خَـٰضِعِينَ ﴾ جمع العقلاء ؛ لأنه أضاف الأعناق إلى العقلاء ، ولأنه وصفها بفعل لا يكون إلا من العقلاء . وقيل : الأعناق الرؤساء من الناس شبهوا بالأعناق كما يقال لهم : رؤوس وصدور . وقيل : هم الجماعات من الناس ؛ فلا يحتاج جمع خاضعين إلى تأويل)) . اهـ [١] .

الدراسة :

الخضوع لغة [٢] : من خَضَعَ للهِ ﷻ ؛ يَخْضَعُ خُضُوعاً : ذَلَّ وتَطامَنَ وتَوَاضَع .

ومعنى الآية : لو نشاء لأنزلنا آية تضطرهم إلى الإيمان قهراً ؛ ولكن لا نفعل ذلك لأنا لا نريد من أحد الإيمان إلا بالاختيار والرغبة ؛ وليس عن طريق الإلجاء والقسر . نظير هذه الآية قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَأٰمَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾ [٣] . وقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ... ﴾ . الآية [٤] .

فنفذ قدره ومضت حكمته وقامت حجته البالغة على خلقه بإرسال الرسل إليهم ، وإنزال الكتب عليهم .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٨٣ .

(٢) ينظر : المخصص لابن سيده : ٤ / ٣٤٤ ، (مادة : خضع) في : لسان العرب : ٨ / ٧٢ ، تاج العروس : ٢٠ / ٥١٠ ، ٥١١ .

(٣) سورة يونس عليه السلام : ٩٩ .

(٤) سورة هود عليه السلام : ١١٨ .

واختلف أهل العلم والمفسرون في **المراد بالأعناق في الآية** على قولين :

القول الأوَّل : الأعناق : جمع عُنُق ؛ وهي الجارحة المعروفة ، قاله **قتادة** ، ورجَّحه الفراء وذهب إليه الزجاج [١] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٢] ، ووافقه **جماعة أهل النحو** [٣] ، **وأكثر** [٤] المفسرين [٥] .

قال **قتادة** [٦] وغيره في قوله تعالى : ﴿ فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴾ : لو شاء الله أنزل عليهم آية يذلون بها ؛ **فلا يلوى أحدهم عنقه** إلى معصية الله .

فعبَّر ﷻ بالأعناق التي هي موضع الصلابة ، وعنها تنشأ حركات الكبر و الإعراض للآيات دائماً ؛ وهي موضع الخضوع إذا ذلَّت النفس وتطامنت [٧] .

وإسناد الخضوع إلى العنق بمعنى الجارحة إسناد مجازي [٨] .

واعتُرض :

قال ﷻ : ﴿ خَاضِعِينَ ﴾ وهي خبر عن أعناقهم ، ولو كان المراد بالأعناق الجارحة المعروفة لقال : خاضعة أو خاضعات ؛ لأنها صفة للأعناق ؛ فهنا استشكل جمعها جمع مذكر سالم لأنه مختص بالعقلاء ..

---

(١) ينظر : معاني القرآن للفرَّاء : ٢ / ٢٣٩ ، معاني القرآن وإعرابه للزَّجاج : ٤ / ٨٢ .

(٢) ينظر : التسهيل : ٣ / ٨٣ .

(٣) نسب هذا القول إلى جماعة أهل النحو : الأزهري في تهذيب اللغة (١ / ١٦٨) ، وابن فارس في معجم مقاييس اللغة (٤ / ١٥٩) . كلاهما في (مادة : عنق) .

(٤) نسب المُبَرِّد هذا القول إلى جماعة أهل النحو وأكثر أهل التفسير . ينظر : المقتضب : ٤ / ١٩٩ .

(٥) منهم : الطبري (١٩ / ٦١) ، وقدَّمه الثعلبي (٧ / ١٥٧) ، وقدَّمه الماوردي (٤ / ١٦٥) ، والزمخشري (٣ / ٣٠٥) ، والفخر الرازي (٢٤ / ١٠٤) ، وابن الجوزي في الزاد (٦ / ١١٦) ، والبيضاوي (٤ / ٢٣١) ، والخازن (٥ / ١١٢) ، والنيسابوري (٥ / ٢٦٤) ، والبقاعي في نظم الدرر (٥ / ٣٤٧) ، والثعالبي (٤ / ٢٢٤) ، والجلالين (٤٨٠) ، وأبو السعود (٦ / ٢٣٤) ، والخطيب الشربيني (٣ / ٤١) ، والشوكاني (٤ / ٩٣ ، ٩٤) ، والآلوسي في روح المعاني (١٩ / ٦٠) **وقال : هذا مقتضى الظاهر** ، والسعدي (٥٨٩) ، والطاهر بن عاشور (١٩ / ٩٦) ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي (١٠ / ٢٣٣) .

(٦) عزاه السيوطي في الدر (٦ / ٢٨٨ ، ٢٨٩) إلى عبد الرزاق (في تفسيره : ٣ / ٧٣) ، وعبد بن حميد ، وابن جرير (في تفسيره : ١٩ / ٥٩) ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم (في تفسيره : ٨ / ٢٧٣٦) .

(٧) ينظر : نظم الدرر للبقاعي : ٥ / ٣٤٧ .

(٨) ينظر : روح المعاني : ١٩ / ٦٠ .

✓ **وأُجيب عنه بأوجه منها :**

✓ **الأوَّل** : ﴿ خَـٰضِعِينَ ﴾ و خاضعة ههنا واحد ، قاله **عيسى بن عمر** [١] ، وذهب إليه الفرَّاء والمُبَرَّد ، وقاله الزجاج [٢] ، وقال النحاس [٣] : **هذا أحسن الأقوال** ، وقاله جماعة من المفسرين [٤] .

قال **الفراء** : " الأعناق إذا خضعت فأربابها خاضعون ، فجعلَ الفعلَ أوّلاً للأعناق ثم جعل خاضعين للرجال . قال : وهذا كما تقول : خضعت لك ، فتكتفي من قولك : خضعَتْ لك رقبتي " . اهـ [٥] .

وقال **الزجاج** : " وقال ﴿ خَـٰضِعِينَ ﴾ وذكر الأعناق ، لأن معنى خُضُوع الأَعْناق هو خُضُوع أصحاب الأَعْناق ، لَمّا لم يكن الخضوع إلاّ لخُضُوع الأَعْناق جاز أن يخبر عن المضاف إليه ، كما قال **جرير** [٦] :

رأت مَرَّ السِّنينَ أَخذْنَ منّي كما أخذَ السِّرارُ من الهلالِ

لَمّا كانت السِّنُون لا تكون إلا بمَرِّ أخبر عن السِّنين ، وإن كان أضافَ إليها المُرُور " .

---

(١) **عيسى بن عمر** هو : عيسى بن عمر الثقفي بالولاء ، أبو سليمان : من أئمة اللغة . وهو شيخ الخليل وسيبويه وابن العلاء ، وأول من هذب النحو ورتبه ، وعلى طريقته مشى سيبويه وأشباهه ، وهو من أهل البصرة ، ولم يكن ثقفياً وإنما نزل في ثقيف فنسب إليهم ، وسلفه من موالي خالد بن الوليد المخزومي . وكان صاحب تقعر في كلامه ، مكثراً من استعمال الغريب . له نحو سبعين مصنفاً احترق أكثرها . ت سنة ١٤٩ هـ . ينظر : الجرح والتعديل : ٦ / ٢٨٢ ، الكامل في التاريخ : ٥ / ١٨٩ ، بغية الوعاة : ٢ / ٢٣٧ .

(٢) ينظر : معاني القرآن للفرَّاء : ٢ / ٢٣٩ ، المقتضب للمُبَرِّد : ٤ / ١٩٦ ، ١٩٧ ، معاني القرآن وإعرابه للزجاج : ٤ / ٨٢ .

(٣) ينظر معانيه : ٥ / ٦٤ .

(٤) منهم : الطبري (١٩ / ٦١) ، وابن الجوزي في الزاد (٦ / ١١٦) ، والبقاعي في نظم الدرر (٥ / ٣٤٧) ، والطاهر بن عاشور (١٩ / ٩٦) .

(٥) معاني القرآن للفراء : ٢ / ٢٣٩ .

(٦) ينظر ديوانه : ٤٤٩ .

وجرير هو : جرير بن عطية بن حذيفة الخطفي بن بدر الكلبي اليربوعي ، من تميم : أشعر أهل عصره . ولد ومات في اليمامة ، وعاش عمره كله يناضل شعراء زمنه ويساجلهم – وكان هجاءاً مرّاً – فلم يثبت أمامه غير الفرزدق والأخطل . وكان عفيفاً ، وهو من أغزل الناس شعراً . ت سنة ١١٠ هـ . وقيل : سنة ١١١ هـ ينظر : الأغاني : ٧ / ٥ – ٩ ، وفيات الأعيان : ١ / ٣٢١ – ٣٢٧ ، المنتظم : ٧ / ١٤٤ – ١٤٨ .

اهـ [١] .

وذلك أن خضوع العنق والرقبة هو علامة الذلة والانقياد ، **والمعنى** : أنها إذا ذلت رقابهم ذلوا ؛ فالإخبار عن **الرقاب إخبار عن أصحابها** [٢] .

ومنه قوله تعالى : ﴿ ... وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ ... ﴾ . [سورة طه : ١٠٨] . أي : أهل الأصوات بأصواتهم [٣] .

- ✓ **الثاني** : أنه لما أضيف إلى العقلاء اكتسب منهم هذا الحكم كما يكتسب التأنيث بالإضافة لمؤنث ، كقول الأعشى [٤] :

وتَشْرَقُ بالقوْلِ قَدْ أَذَعْتَهُ كما شَرِقَتْ صَدْرُ القَنَاةِ مِنَ الدَّمِ

فأنَّث (شرقت) لأن الصدر من القناة ؛ وهي مؤنَّثة .

- ✓ **الثالث** : أصل الكلام : فظلوا لها خاضعين ، فأقحمت الأعناق لبيان موضع الخضوع وترك الكلام على أصله ؛ قاله **الزمخشري** [٥] وغيره .

- ✓ **الرابع** : لما كان الخضوع وهو المتعارف من بني آدم أخرج الأعناق مخرج بني آدم ؛ **فعوملت معاملة العقلاء** ، قاله أبو عبيدة [٦] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٧] ، وحكاه جماعة من المفسرين [٨] .

ونظيره : قوله تعالى : ﴿ ... وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ﴾ . [سورة يوسف

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للزَّجاج : ٤ / ٨٢ .

(٢) ينظر : الحجة في القراءات السبع : ٣١٤ ، بدائع الفوائد : ٣ / ٥٤٠ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ٢٢٤ ، خزانة الأدب : ٣ / ١٥٧ .

(٣) ينظر : التحرير والتنوير : ١٩ / ٩٦ .

(٤) ينظر ديوانه : ٢٠٦ .

(٥) ينظر : الكشاف : ٣ / ٣٠٥ . وينظر : التفسير الكبير للفخر الرازي (٢٤ / ١٠٤) ، وتفسير البيضاوي (٤ / ٢٣١) ، وتفسير الخازن (٥ / ١١٢) ، وتفسير النيسابوري (٥ / ٢٦٤) ، وتفسير أبي السعود (٦ / ٢٣٤) ، وفتح القدير للشوكاني (٤ / ٩٣ ، ٩٤) .

(٦) ينظر مجازه : ٢ / ٨٣ .

(٧) ينظر : التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٨٣ .

(٨) في تفاسيرهم ؛ منهم : البيضاوي (٤ / ٢٣١) ، وأبو السعود (٦ / ٢٣٤) ، والشوكاني (٤ / ٩٤) .

سورة الشعراء ـــــــ

وحكاه الأخفش [١] ، **وهو قول أهل اللغة** [٢] ، وقاله جماعة [٣] من المفسرين .

من قولهم : أتاني عنقٌ من الناس ؛ أي : جماعة ، ورأيت الناس عنقاً إلى فلان .

فالقولان الأخيران متقاربان ، **إلا أن هذا القائل يطلق (الأعناق) على جماعة الناس مطلقاً ، رؤساء كانوا أو غيرهم .**

قال **النحاس** :

" معروف في اللغة ، يقال : جاءني عنقٌ من الناس ، أي : رؤساؤهم ، وكذلك يقال : جاءني عنقٌ من الناس ، أي : جماعة ، ولهذا يقال : على فلان عتق رقبة ، ولا يقال : عتق عنق لما يقع فيه من الاشتراك " اهـ [٤] .

لكن النحاس رجَّح القول الأوَّل ؛ القائل بأن الأعناق جمع عُنُق ؛ وهي الجارحة المعروفة كما ذكرت سابقاً .

واستدل لهذا القول : بقول القائل [٥] لعلي بن أبي طالب ﷺ :

أبلغ أمير المؤمنين أخا العراق إذا أتـيـتـا

أنَّ **العـراقَ وأهلَـه** **عُنُقٌ** إليك فَهَيْتَ هَيْتـا

= مقاييس اللغة (٤ / ١٥٩) ، وعبد القادر البغدادي في خزانة الأدب (٤ / ٢٠٦ ، ٢٠٧) .
وأبو زيد هو : سعيد بن أوس بن ثابت **أبو زيد الأنصاري** : أحد أئمة الأدب واللغة ، كان يرى رأي القدرية ، وهو من ثقات اللغويين . ت سنة ٢١٥ هـ . ينظر : الجرح والتعديل : ٤ / ٤ ، تاريخ بغداد : ٩ / ٧٧ ، التقريب : ٢٣٣ .

(١) ينظر : معاني القرآن للأخفش : ٢ / ٦٤٤ .

(٢) نسبه إلى أهل اللغة عبد القادر البغدادي في خزانة الأدب (٣ / ١٥٨) . وقال بهذا القول **الخليل** بن أحمد في العين (١ / ١٦٨) ، و**الأزهري** في تهذيب اللغة (١ / ١٦٨) ، و**ابن فارس** في معجم مقاييس اللغة (٤ / ١٥٩) ، و**ابن سيده** في المحكم (١ / ٢٢٢) ، و**حكاه** عن **ابن الأعرابي** : **ابن منظور** في لسان العرب (١٠ / ٢٧٣) ، والزبيدي في تاج العروس (٢٦ / ٢١٠) . جميعهم في (مادة : عنق) .

(٣) نسبه إلى أكثر المفسرين : الأزهري في تهذيب اللغة (١ / ١٦٨) ، وابن منظور في لسان العرب (١٠ / ٢٧٣) كلاهما في (مادة : عنق) . وقد **حكاه** المفسرون و لم أجد أحداً منهم رجَّحه – وذلك في حدود ما اطلعت – .

(٤) معاني القرآن للنحاس : ٥ / ٦٣ .

(٥) نسبه الماوردي إلى أبي عمرو بن العلاء في النكت والعيون (٣ / ٢٣) .

✖ **وتعقَّبه ابن السرَّاج** فقال :

" والذي عندي في ذلك أن الآية ليست نظيرة الأبيات التي ذكرت ؛ لأن تلك بني فيها اسم مؤنث على فعل مؤنث ، والآية قد جاءت باسم مذكر بعد مؤنث في اللفظ فردَّ ﴿ خَـٰضِعِينَ ﴾ إلى أصحاب الأعناق ، ومن ذلك قول ذي الرُّمَّة [١] :

رُوَيْداً كما اهْتَزَّتْ رِمَاحٌ تَسَفَّهَتْ أَعَالِيْهَا مَرُّ الرِّيَاحِ النَّوَاسِمِ " [٢]

✖ وقال **الطاهر بن عاشور** : " وهذا **القول أضعف** من سابقه " [٣] .

✍ **وقد ذكر القولين وصوَّبهما : الفرَّاء** [٤] ، و**الثعلبي** [٥] ؛ إلا أن **الفرَّاء** ذكر بأن القول الأوَّل هو الأَحبُّ إليه .

✍ واحتمل **القاضي عياض** [٦] الأقوال الثلاثة ؛ وأنه قد يراد بالأعناق : الرؤساء والكبراء ؛ ؛ أو المراد هنا الجماعات ، وقد تكون الأعناق أنفسها عبر بها عن أصحابها .

✍ **وذكر جميع الأقوال أو بعضها ولم يرجح** : السمعاني ، والبغوي ، وابن عطية ، وأبو حيان ، والسمين الحلبي ، وابن عادل [٧] .

الترجيح:

بعد عرض أقوال أهل العلم يظهر لي – والله أعلم – **أن الراجح أن المراد بالأعناق في قوله**

---

(١) ينظر ديوانه : ١٨٦ .

(٢) ينظر : الأصول في النحو لابن السراج النحوي : ٣ / ٤٧٩ ، ٤٨٠ .

وابن السَّرَّاج هو : محمد بن السري بن سهل ، أبو بكر : أحد أئمة الأدب والعربية ، المعروف بابن السَّرَّاج . من أهل بغداد ، كان يلثغ بالراء فيجعلها غيناً . ويقال : ما زال النحو مجنوناً حتى عقله ابن السراج بأصوله ، مات شاباً ، ت سنة ٣١٦ هـ . ينظر : تاريخ بغداد : ٥ / ٣١٩ ، معجم الأدباء : ٥ / ٣٤١ – ٣٤٣ ، تاريخ ابن الوردي لزين الدين عمر بن مظفر الشهير بابن الوردي (ت ٧٤٩ هـ) : ١ / ٢٤٩ .

(٣) التحرير والتنوير : ١٩ / ٩٧ .

(٤) ينظر معانيه : ٣ / ٢٤١ .

(٥) ينظر : الكشف والبيان : ٧ / ١٥٧ .

(٦) ينظر : مشارق الأنوار : ٢ / ٩٢ .

(٧) ينظر : تفسير السمعاني : ٤ / ٣٨ ، تفسير البغوي : ٣ / ٣٨١ ، المحرر الوجيز : ٤ / ٢٢٥ ، البحر المحيط : ٧ / ٦ ، الدر المصون : ٥ / ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، تفسير ابن عادل : ١٥ / ٤ ، ٥ .

تعالى : ﴿ فَظَلَّتْ أَعْنَـٰقُهُمْ لَهَا خَـٰضِعِينَ ﴾ جمع عُنُق ، وهي الجارحة المعروفة ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه .

لأن : حمل الكلام على الحقيقة أولى من حمله على المجاز ، ومن **المقرر عند العلماء** أنه :

- **يجب حمل نصوص الوحي على الحقيقة** [1] .

وجميع الأوجه التي أجاب بها أهل العلم عن استشكال جمع ﴿ خَـٰضِعِينَ ﴾ جمع مذكر سالم لأنه مختص بالعقلاء ؛ وهي خبر عن ﴿ أَعْنَـٰقُهُمْ ﴾ **جميعها محتملة** ؛ وبعضها أقوى من بعض .

✌ **والأرجح ماله قاله أبو عبيدة وابن جُزيّ بأن ﴿ خَـٰضِعِينَ ﴾ جمعت جمع العقلاء ؛ لأنه أضاف الأعناق إلى العقلاء ، ولأنه وصفها بفعل لا يكون إلا من العقلاء ..**

وذلك لأن هذا جواب ابن جُزيّ من جنس الاستشكال ؛ فالاستشكال عن جمع ﴿ خَـٰضِعِينَ ﴾ جمع سلامة لأنه مختص بالعقلاء ؛ فكان جوابه مقنعاً (لأنه أضاف الأعناق إلى العقلاء ، ولأنه وصفها بفعل لا يكون إلا من العقلاء) .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) ينظر قواعد الترجيح للحربي : ٢ / ٣٨٧ .

قوله تعالى : ﴿ قَالَ كَلَّا ۖ فَٱذۡهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ ۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسۡتَمِعُونَ ﴾ . [آية : ١٥] .

مسألة : في المراد بقوله تعالى : ﴿ إِنَّا مَعَكُم مُّسۡتَمِعُونَ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن ﴿ مُّسۡتَمِعُونَ ﴾ ورد مورد تعظيم الله تعالى ، فقال :

((﴿ مُّسۡتَمِعُونَ ﴾ لفظه جمع ، وورد مورد تعظيم الله تعالى ، ويحتمل أن تكون الملائكة هي التي تسمع بأمر الله ؛ لأن الله لا يوصف بالاستماع وإنما يوصف بالسمع ، **والأوَّل أحسن** ...)) . اهـ [١] .

الدراسة :

اختلف أهل العلم والمفسرون في **المراد بقوله تعالى : ﴿ إِنَّا مَعَكُم مُّسۡتَمِعُونَ ﴾** على ثلاثة أقوال :

✓ **القول الأوَّل : الاستماع على الحقيقة ؛ ولا تمثيل** ؛ ثم اختلفوا على قولين أيضاً :

الأوَّل : ﴿ مُّسۡتَمِعُونَ ﴾ ورد مورد تعظيم الله تعالى ، قاله **ابن عباس** [٢] ﷺ ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٣] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٤] .

استدل له بالنظير القرآني :

قوله تعالى : ﴿ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ . [سورة طه :٤٦] . [٥]

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٨٤ .

(٢) ينظر : تنوير المقباس : ٣٠٧ .

(٣) ينظر : التسهيل : ٣ / ٨٤ .

(٤) ومنهم : الطبري (١٩ / ٦٥) ، والسمر قندي (٢ / ٥٥١) ، والثعلبي (٧ / ١٦٠) ، والواحدي (٢ / ٧٨٧) ، والسمعاني (٤ / ٤٠) ، والبغوي (٣ / ٣٨٢) ، وابن الجوزي (٦ / ١١٨) ، والخازن (٥ / ١١٣) ، وابن كثير (٣ / ٣٣٣) ، والبقاعي (٥ / ٣٥٢) ، وابن عادل (١٥ / ١٢) ، والشوكاني (٤ / ٩٥) ، والقاسمي (١٣ / ٧) ، والآلوسي (١٩ / ٦٦) ، وسيد قطب (٥ / ٢٥٩٠) ، وابن عاشور (١٩ / ١٠٩) ، والشنقيطي (٦ / ٨٨) ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي (١٠ / ٢٣٧) .

(٥) ينظر : تفسير السمر قندي : ٢ / ٥٥١ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٣٣٣ ، روح المعاني للآلوسي : ١٩ / ٦٦ =

قال **السمر قندي** : " والاستماع سببٌ للسمع فيعبر به عنه " [١] .

الثاني : **الملائكة** هي التي تسمع بأمر الله ، **احتمله ابن عطية** [٢] .

✖ **وتعقَّبه الآلوسي** بقوله : " وهو مما لا ينبغي أن يستمع ، ولابدَّ في الكلام على هذا التقدير من إرادة الاعانة والنصرة ؛ وإلا فبمجرد معية الملائكة عليهم السلام واستماعهم لا يطيب قلب موسى عليه السلام " . اهـ [٣] .

✓ **القول الثاني : الاستماع على التمثيل** ؛ قاله **البيضاوي** ، **وأبو السعود** [٤] .

قالوا : قوله : ﴿ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴾ جملة استعارة تمثيلية ؛ " **مثَّل** حالة تعالى بحال ذي شوكة قد حضر مجادلة قوم يستمع ما يجري بينهم ، ليمد أولياءه ويظهرهم على أعدائهم ، مبالغة في الوعد بالإعانة ، أو **استعير** الاستماع الذي هو بمعنى الإصغاء للسمع الذي هو العلم بالحروف والأصوات " قاله أبو السعود [٥] .

✖ **واعتُرض** :

١. إن الاستماع المذكور في تقرير التمثيل ليس هو الواقع في النظم الكريم ؛ بل هو من لوازم حضور الحكم للخصومة .

٢. إن ما ذكروه وإن كان مبنياً على جعل الخطاب لموسى وهرون وفرعون يمكن إجراؤه على جعله لهما – عليهما السَّلام – و لم يتبعهما ، أو لهما فقط أيضاً بأدنى عناية [٦] .

✖ **وتعَّقب القاسمي** قول أبي السعود أيضاً ؛ فقال :

" ولو قيل هو كناية عن ذلك كان أوْلى ؛ **لجواز بقاء المعنى الحقيقي** معها ، وهو هنا كذلك

= أضواء البيان للشنقيطي : ٦ / ٨٨ .

(١) تفسير السمر قندي : ٢ / ٥٥١ .

(٢) ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ٢٢٧ .

(٣) روح المعاني : ١٩ / ٦٧ .

(٤) ينظر : تفسير البيضاوي : ٤ / ٢٣٣ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ٢٣٧ .

(٥) تفسير أبو السعود : ٦ / ٢٣٧ . وينظر قبله : تفسير البيضاوي : ٤ / ٢٣٣ .

(٦) ينظر : روح المعاني : ١٩ / ٦٧ . بتصرف يسير .

فهو تعالى مستمع لهما وحافظ وناصر " . اهـ [١] .

✓ **القول الثالث : الاستماع على المجاز** [٢] ؛ قاله **الزمخشري** [٣] ، وذهب إليه جماعة من المفسرين [٤] .

قالوا :

١. إن الله لا يوصف بالاستماع وإنما يوصف بالسمع ، وإطلاق السمع على الله حقيقة لكن

---

(١) تفسير القاسمي : ١٣ / ٧ .

(٢) العلماء بين قائل بالمجاز في القرآن وبين منكره ؛ ورُجّح أنه **لا مجاز في القرآن** ، ومنكرو المجاز يمنعون أنْ تكون اللفظة نقلت من موضوعها الأصلي إلى غيره لمجرد وجود نوع علاقة مقاربة بينهما ؛ ولكنهم في المقابل لا يمنعون إطلاق مثلاً : لفظ (الأسد) على الرجل الشجاع ، ولفظ (الحمار) على الشخص البليد ، فهم يروْنَ أنّ العرب استخدمت هذا اللفظ لهذين المعنيين ابتداء . **وهنا يصبح الخلافُ بين القائلين بالمجاز والمنكرين له لفظيّاً** . لكن عند القول بالمجاز في صفات الله مثلاً ؛ كتأويل اليد بمعنى القدرة ، والوجه بمعنى الذات ، والعين بمعنى الرعاية وغير ذلك ، **فهنا يصبح الخلافُ ليسَ لفظيّاً** ؛ لأن فيه تعطيلاً لصفات الله ، **وأهل السُّنة والجماعة يثبتون هذه الصفات لله ﷻ بما يليق بجلاله** ؛ فللّه يد ، ووجه ، وعين ... إلى غير ذلك من الصفات ؛ لكن يد تليق بجلاله لا تشابه يد المخلوقين ، ووجه يليق بجلاله لا يشابه وجه المخلوقين ، وعين تليق بجلاله لا تشابه عين المخلوقين ﷻ .

وأول من تكلم بالمجاز – بمعناه الاصطلاحي ، الذي هو نقيض الحقيقة – المعتزلة والجهمية ومن تبعهم من أهل الكلام ، اشتهر القول به عنهم بعد المائة الرابعة للهجرة ، وليس من بين من قال به منهم علم من أعلام الإسلام الذين يوثق بهم في فن من فنون الإسلام المختلفة كالتفسير ، أو الحديث ، أو الفقه ، أو علم أصول الفقه ، أو اللغة العربية .

فدل هذا كله : على أن **القول بالمجاز ، إنما هو بدعة اعتزالية محضة** ، وصنعة كلامية صرفة ، اجتهد في نشرها ، والتبشير بها ، وتدعيم أصولها ، ووضع قواعدها ، بعد المائة الرابعة ؛ لتحقيق أغراض مستورة ، تلتقي في نهايتها ، للعمل على زعزعة أصول هذا الدين ، والنيل من ثوابته ، وصرف الناس عن فهم هذه الأصول وتلكم الثوابت الفهم السليم السديد ، مواكبة في ذلك كله لبدعة أخرى ، ظهرت هي الأخرى متزامنة معها ، موافقة لها ، في المصدر والنشأة ، والمنهج والغرض ، ألا وهي : بدعة التأويل .

هذا .. علماً بأنه لو كان في القول بالمجاز والتأويل ، أدنى ذرة خير ، أو أدق شعرة فضل ، لكان صحابة رسول الله ﷺ ومن بعدهم من أهل القرون المفضلة أسبق الناس إليه ، باعتبارهم السباقين أبدا إلى كل خير وفضل ، لا أن يكون سباقا إليه أعلاج علم الكلام ، وصيارفة البدع ، ومتنطعوا مذهب الاعتزال . ينظر : مجلة البحوث الإسلامية ، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء ، (مفاسد القول بالمجاز) للشيخ مصطفى بن عيد الصياصنة : ٤٧ / ٣٢٤ .

(٣) ينظر : الكشاف : ٣ / ٣١٠ .

(٤) منهم : ابن عطية (٤ / ٢٢٧) ، والفخر الرازي (٢٤ / ١٠٨) ، والقرطبي (١٣ / ٩٣) ، والنسفي (٣ / ١٨١) ، والنيسابوري (٥ / ٢٦٦) ، وأبو حيان (٧ / ٩) ، والخطيب الشربيني (٣ / ٤٤) .

الاستماع جار مجرى الإصغاء ، والاستماع من السمع بمنزلة النظر من الرؤية ، وهذا لابد فيه من جارحة ؛ **وذلك على الله تعالى محال** .

٢. ولا يلزم من الاستماع السماع ، تقول : أسمع إليه ، فما سمع واستمع إليه ، فسمع كما قال تعالى : ﴿ ... ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا ... ﴾ . [سورة الجن : ١] .

٣. يقال : استمع إلى حديثه وسمع حديثه ؛ أي : أصغى إليه وأدركه بحاسة السمع [(١)] .

قال **الفخر الرازي** :

" فمن مجاز الكلام : يريد أنا لكما ولعدوكما كالناصر الظهير لكما عليه ، إذاً أحضر وأستمع ما يجري بينكما ، فأظهركما عليه وأعليكما وأكسر شوكته عنكما " . اهـ [(٢)] .

✓ **وأجيب بما يلي** :

- لعل الحامل لهما على القول بالمجاز نفيهما للصفات الفعلية [(٣)] كما هو **مذهب الأشاعرة** فإن الاستماع من الصفات الفعلية .
- معنى قوله تعالى : ﴿ ... فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ ... ﴾ وقوله : ﴿ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴾ " أن المسموع والمبصر لم يخف على عيني ولا على سمعي أن أدركه سمعاً وبصراً ؛ لا بالحوادث في الله جل وعز ، ومن ذهب إلى أنه يحدث له استماع مع حدوث المسموع ، وإبصار مع حدوث المبصر فقد أدعى على الله ﷻ ما لم يقل ، وإنما على العباد التسليم كما قال ، وأنه عالم سميع بصير ولا يريد ما لم يكن " . قاله **ابن تيمية** [(٤)] نقلاً عن **المحاسبي** .

---

(١) ينظر : الكشاف : ٣ / ٣١٠ . وينظر : تفسير غرائب القرآن : ٥ / ٢٦٦ .

(٢) التفسير الكبير : ٢٤ / ١٠٨ .

(٣) **الصفات الفعلية** : هي التي تتعلق بمشيئته ، فتحْدُث إذا شاء ، كالاستواء على العرش ، والنُّزول إلى سماء الدنيا ، والمجيء يوم القيامة للفصل بين العباد ، والفرح ، والرضا ، والغضب .. عند وجود أسبابها . ينظر : كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية : ٦ / ٦٨ .

(٤) المرجع السابق : ٦ / ١٨٣ . وينظر قبله : فهم القرآن ومعانيه للحارث المحاسبي : ٣٤٥ ، ٣٤٦ .
والمحاسبي هو : الحارث بن أسد ، أبو عبد الله البغدادي ، إمام زاهد ورع متصوف مشهور ، صاحب تصانيف عديدة مفيدة ، ت سنة ٢٤٣هـ . ينظر : تاريخ بغداد : ٨ / ٢١١ – ٢١٥ ، حلية الأوَّلياء : ١٠ / ٧٣ – ١١٠ ، طبقات الشافعية الكبرى : ٢ / ٢٧٥ – ٢٧٨ .

- كما أن قولهم : (الاستماع جار مجرى الإصغاء) قد يفهم منه أن الاستماع تكلُّف ، والله ﷻ سميع بالغ في السمع نهاية هذه الصفة من الجمال والجلال لا يتكلف شيئاً ؛ بل هو ﷻ يسمع دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء ﷻ ، ويعلم السر وأخفى ، بل حديث المرء في نفسه يعلمه ﷺ دون عناء ودون مشقة ، فلا يفهم من قوله : ﴿ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴾ أن هذا بكلفة ومشقة ، بل هو سبحانه كامل في صفاته وكل شيء هيِّن عليه جل وعلا ، وسع سمعه الأصوات ﷻ [١] .

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أنَّ الرَّاجح أن المراد بقوله تعالى : ﴿ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴾ استماع الله ﷻ على الحقيقة لا على التمثيل ولا على المجاز ؛ وقد ورد مورد تعظيم الله تعالى ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** ، يدل على ذلك إضافة لما تقدم ولما يلي :

أولاً : إن في الاستماع اعتناءً واهتماماً بالأمر ليست في صيغة (سامعون) [٢] .

فهو ﷻ مستمع لكل ما يقول لهم فرعون ؛ وإنما أراد بذلك تقوية قلبيهما وإخبارهما أنّه يعينهما ويحفظهما [٣] .

ثالثاً : حمل الكلام على الحقيقة أولى من حمله على المجاز ، ومن **المقرر عند العلماء** أنه :

- **القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك .**
- **يجب حمل نصوص الوحي على الحقيقة** [٤] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) ينظر : شرح كتاب ثَلاثة الأُصُولْ للشيخ محمد بن عبد الوهاب للشيخ صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ : ١٨ / ١٨٩ . بتصرف يسير .

(٢) ينظر : التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٨٤ ، روح المعاني للآلوسي : ١٩ / ٦٧ ، التحرير والتنوير لابن عاشور : ١٩ / ١٠٩ ، الوسيط لمحمَّد سيِّد طنطاوي : ١٠ / ٢٣٧ .

(٣) ينظر : الكشف والبيان للثعلبي : ٧ / ١٦٠ .

(٤) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٣١٢ ، ٢ / ٣٨٧ .

قوله تعالى : ﴿ فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾ . [آية : ٥٧] .

مسألة : في معنى العيون في الآية :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن معنى العيون الخلجان الخارجة من النيل ؛ أي التي في مصر ، وكان ثَمَّ عيون في ذلك الزمان ، فقال : ((﴿ فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾ يعني التي بمصر والعيون الخلجان الخارجة من النيل ، وكانت ثَمَّ عيون في ذلك الزمان . وقيل : يعني الذهب والفضة ، **وهو بعيد**)) . اهـ [١] .

الدراسة :

اختلف أهل العلم والمفسرون في **معنى العيون في الآية** على قولين :

القول الأوَّل : معنى العيون الخلجان الخارجة من النيل ؛ أي التي في مصر [٢] ، روي عن **ابن عمر** رضي الله عنهما [٣] وغيره ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٤] ؛ ووافقه جماعة من المفسرين [٥] .

القول الثاني : المراد بالعيون **عيون الماء** ، ويدخل تحتها الأنهار ، قاله **مقاتل** [٦] ، وذهب إليه **جمهور** [٧] المفسرين [٨] .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٨٦ .

(٢) قاله يوسف بن تغري بردي في النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (١ / ٢٧) .

(٣) نسبه إليه ابن عطية في المحرر الوجيز (٤ / ٢٣٢) ، وأبو حيان في البحر المحيط (٧ / ١٨) ، والآلوسي في روح المعاني (١٩ / ٨٣) .

(٤) ينظر : التسهيل : ٣ / ٨٦ .

(٥) ومنهم : النحاس في معانيه (٥ / ٨٢) ، والقرطبي في تفسيره (١٣ / ١٠٢) ، وأبو حيان في البحر المحيط (٧ / ١٨) ، والثعالبي في تفسيره (٤ / ٢٢٨) ، والخطيب الشربيني في السراج (٣ / ٥٤) ، والآلوسي في روح المعاني (١٩ / ٨٣) ، والطاهر بن عاشور في التحرير والتنوير (١٩ / ١٣٢) .

(٦) ينظر تفسيره : ٢ / ٤٥٢ .

(٧) نسبه إلى جمهور المفسرين : القرطبي في تفسيره (١٣ / ١٠٤) ، وأبو حيان في البحر المحيط (٧ / ١٨) ، والشوكاني في فتح القدير (٤ / ١٠١) .

(٨) في تفاسيرهم ؛ ومنهم : البغوي (٣ / ٣٨٧) ، والفخر الرازي (٢٤ / ١١٩) ، والنسفي (٣ / ١٨٧) ، والخازن (٥ / ١١٨) ، والنيسابوري (٥ / ٢٦٩) ، وابن كثير (٣ / ٣٣٧) ، وابن عادل (١٥ / ٣٢) ، والجلالين (٤٨٤) ، والشوكاني (٤ / ١٠١) ، والسعدي (٥٩٢) .

أي : عيون تخرج من الأرض لا يحتاج معها إلى نيل ولا مطر ، قاله **البقاعي** [١] .

القول الثالث : معنى العيون هنا **عيون الذهب والفضة** ؛ قاله **سعيد بن جبير** [٢] .

✖ واستبعده **ابن جُزيّ** [٣] ، وقال **الآلوسي** : " وهو خلاف المتبادر " [٤] .

❖ **ولم يتعرض إلى هذه المسألة** جماعة من المفسرين ؛ منهم : الطبري ، والثعلبي ، والماوردي والواحدي ، والزمخشري ، وابن الجوزي ، والبيضاوي ، وأبو السعود ، والقاسمي .

الترجيح:

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **احتمال القولين الأوَّل والثاني ، وأن معنى العيون هنا في الآية :**

✓ **إما : الخلجان الخارجة من النيل** ؛ أي : التي في مصر ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** .

✓ **وإما عيون الماء** التي تخرج من الأرض لا يحتاج معها إلى نيل ولا مطر ، ويدخل تحتها **الأنهار** ، وهو ما ذهب إليه **جمهور** المفسرين .

واستبعد هنا القول الثالث نهائياً .

✌ **وإن كنت أميل إلى القول بأن معنى العيون هنا : الخلجان الخارجة من النيل وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** ؛ لم يلي :

أولاً : لأنه **تفسير بالواقع** ؛ فقد كان ثمَّ عيون في ذلك الزمان لنهر النيل [٥] .

---

(١) ينظر : نظم الدرر : ٥ / ٣٦٣ .

(٢) نسبه إليه الماوردي في النكت (٥ / ٢٥١) [عند تفسير نظيرها في سورة الدخان : آية ٢٥] ، والقرطبي في تفسيره (١٣ / ١٠٤) ، وأبو حيان في البحر المحيط (٧ / ١٨) ، والآلوسي في روح العاني (١٩ / ٨٣) . وكلهم عندما نسبوه إلى ابن جبير قالوا : (وقال ابن جبير : عيون الذهب) ؛ إلا ابن جُزيّ قال في التسهيل (٣ / ٨٦) : عيون الذهب والفضة . ولم ينسبه لأحد .

(٣) ينظر : التسهيل : ٣ / ٨٦ .

(٤) روح المعاني : ١٩ / ٨٣ .

(٥) ينظر : التسهيل : ٣ / ٨٦ .

ثانياً : قد اشتهرت مصْر بالجنات والبساتين على حافتي نهر النيل والخلجان الخارجة منه ، جاء ذلك في كتُب أخبَارٍ عن مصْرَ ؛ **منها** :

- ما قاله **عبد الله بن عمرو بن العاص** ﷺ [١] : كانت الجنات بحافتي هذا النيل من أوله إلى آخره في الشقين جميعاً ، **من أسوان إلى رشيد** ، وكان له سبعة خلج ... متصلة لا ينقطع منها شيء من شيء ، وزروع ما بين الجبلين كله من أول مصر إلى آخرها ما يبلغه الماء ؛ فكانت جميع أرض مصر كلها تروى من ست عشرة ذراعا ؛ بما قدروا ودبروا من قناطرها وجسورها وخلجها .

- ما روي عن **عبد الله بن عمرو بن العاص** [٢] ﷺ أيضاً أنه قال : **نيل مصر** سيِّد الأنهار سخر الله له كل نهر بين المشرق والمغرب ، وذلل الله له الأنهار ، فإذا أراد الله أن يجري نيل مصر أمر كل نهر أن يمده ؛ فأمدته الأنهار بمائها ، **وفجر الله له عيوناً** ، فإذا انتهى إلى ما أراد الله ﷻ أوحى الله تبارك وتعالى إلى كل ماء أن يرجع إلى عنصره .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) نسبه إليه جماعة من المفسرين ؛ منهم : النحاس في معانيه (٥ / ٨٢) ، والقرطبي في تفسيره (١٣ / ١٠٢) . وذكره و لم ينسبه لعبد الله بن عمرو ﷺ : عبد الله بن عبد الرحمن القرشي المصري (ت ٢٥٧ هـ) في فتوح مصر وأخبارها (١ / ٥٧) وياقوت الحموي في معجم البلدان (٥ / ٣٣٥) ، وأحمد بن عبد الوهاب النويري (ت ٧٣٣ هـ) في نهاية الأرب في فنون الأدب (١ / ٢٤٥) ، وابن تغري بردي في النجوم الزاهرة (١ / ٥٦) .

وأُسْوان هي : - بالضم ثم بالسكون ، وواو وألف ونون - ، وقيل : سوان بغير الهمزة ، وهي مدينة كبيرة في آخر صعيد مصر وأول بلاد النوبة على النيل في شرقيه ، وهي في الإقليم الثاني ، طولها سبع وخمسون درجة وعرضها اثنتان وعشرون درجة وثلاثون دقيقة . ينظر : معجم البلدان : ١ / ١٩١ .

ورَشِيد هي : - بفتح أوله وكسر ثانيه - بلفظ الرشيد ضد الغَوِي ، بليدة على ساحل البحر والنيل قرب الإسكندرية . ينظر : معجم البلدان : ١ / ١٩١ .

(٢) نسبه إليه غير واحد من المفسرين ؛ ومنهم : النحاس في معانيه (٥ / ٨١) ، والقرطبي في تفسيره (١٣ / ١٠٣) . ونسبه إليه : عبد الله القرشي المصري في فتوح مصر وأخبارها (١ / ٢٦٢ ، ٢٦٣) ، وياقوت الحموي في معجم البلدان (٥ / ٣٣٤ ، ٣٣٥) ، وابن تغري بردي في النجوم الزاهرة (١ / ٣٤) .

قوله تعالى : ﴿ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴾ . [آية : 58] .

مسألة : في المراد بالمقام الكريم :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن المراد بالمقام الكريم مجالس الأمراء والحكام ، فقال : ((﴿ وَمَقَام كَرِيمٍ ﴾ مجالس الأمراء والحكام . وقيل : المنابر . وقيل : المساكن الحسان)) . اهـ [١] .

الدراسة :

اختلف أهل العلم والمفسرون **المراد بالمقام الكريم** على أقوال [٢] منها :

القول الأوَّل : المقام الكريم هو **مجالس الأمراء والحكام ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٣] ، ووافقه جماعة [٤] المفسرين [٥] .

قال **البغوي** :

" قال المفسرون : أراد مجالس الأمراء والرؤساء التي كانت تحفها الأتباع " [٦] .

القول الثاني : المقام الكريم هو **المنابر** ، قاله **ابن عباس** رضي الله عنه [٧] ، ومجاهد ، وسعيد بن

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٨٦ .

(٢) هناك أقوالاً أخرى غير المذكورة في المتن ؛ وهي : قال ابن لهيعة : هو الفيوم . وقيل : الأسرة في الكلل . وقيل : كان يوسف عليه السلام قد كتب على مجلس من مجالسه : (لا إله إلا الله إبراهيم خليل الله) فسماها الله كريمة بهذا . وقيل : مرابط الخيل لتفرد الزعماء بارتباطها عدة وزينة ؛ فصار مقامها أكرم مترل بهذا ، احتمله الماوردي . ينظر : معاني القرآن للنحاس : ٥ / ٨٣ ، النكت والعيون للماوردي : ٤ / ١٧٢ ، تفسير القرطبي : ١٣ / ١٠٥ ، البحر المحيط لأبي حيان : ٧ / ١٨ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ٢٢٨ ، روح المعاني للآلوسي : ١٩ / ٨٣ .

(٣) ينظر : التسهيل : ٣ / ٨٦ .

(٤) نسبه إلى المفسرين البغوي في تفسيره (٣ / ٣٨٧) ، وابن عادل في تفسيره (١٥ / ٣٢) .

(٥) في تفاسيرهم ؛ ومنهم : الثعلبي (٧ / ١٦٥) ، والواحدي (٢ / ٧٩٠) ، والبغوي (٣ / ٣٨٧) ، والخازن (٥ / ١١٨) ، وقدَّمه ابن عادل (١٥ / ٣٢) ، والجلالين (٤٨٤) ، والخطيب الشربيني (٣ / ٥٤) .

(٦) تفسير البغوي : ٣ / ٣٨٧ . وينظر : تفسير ابن عادل : ١٥ / ٣٢ .

(٧) عزاه السيوطي في الدر (٦ / ٢٩٨) إلى ابن أبي حاتم (١٠ / ٣٢٨٨) [عند تفسير نظيرها : سورة الدخان : ٢٦] . وينظر : تنوير المقباس : ٣٠٩ .

جبير [١] ، وقدَّمه الماوردي [٢] من المفسرين .

وقيل : كان بها ألف منبر [٣] .

✍ **والقولان الأوَّل والثاني متقاربان** ؛ قاله **القرطبي** [٤] .

القول الثالث : المقام الكريم هو **المنازل الحسنة والمجالس البهيَّة** ، قاله قتادة [٥] ، ومقاتل [٦] ، وذهب إليه الفرَّاء [٧] ، و**استظهره** القرطبي والشوكاني [٨] ، وذهب إليه جماعة جماعة من المفسرين [٩] .

واستدل له من كلام العرب [١٠] : قول **زهير بن أبي سلمى** :

وفيهمْ مقاماتٌ حسانٌ وجوهها ... وأنديةٌ ينتابها القولُ والفعلُ [١١]

---

(١) أخرجه ابن جرير عن مجاهد وابن جبير في تفسيره (٢٥ / ١٢٣) [عند تفسير نظيرها : (سورة الدخان : ٢٦)] .

(٢) ينظر : النكت والعيون : ٤ / ١٧٢ .

(٣) ينظر : فتوح مصر وأخبارها لعبد الله القرشي المصري : ١ / ٥٧ .

(٤) ينظر : تفسير القرطبي : ١٣ / ١٠٥ .

(٥) عزاه السيوطي في الدر (٧ / ٤١١) إلى عبد بن حميد ، وابن جرير في تفسيره (٢٥ / ١٢٣) ، وابن المنذر . [عند تفسير نظيرها : سورة الدخان : ٢٦] .

(٦) ينظر تفسيره : ٢ / ٤٥٢ .

(٧) ينظر معانيه : ٤ / ١٥٨ .

(٨) ينظر : تفسير القرطبي : ١٣ / ١٠٥ ، فتح القدير : ٤ / ١٠١ .

(٩) في تفاسيرهم ؛ ومنهم : السمر قندي (٢ / ٥٥٥) ، وابن أبي زمنين (٣ / ٢٧٦) ، والسمعاني (٤ / ٤٨) ، والزمخشري (٣ / ٣٢١) ، وابن الجوزي (٦ / ١٢٥) ، والفخر الرازي (٢٤ / ١١٩) ، والبيضاوي (٤ / ٢٤٠) ، والنسفي (٣ / ١٨٧) ، والنيسابوري (٥ / ٢٦٩) ، وابن كثير (٣ / ٣٣٧) ، والبقاعي (٥ / ٣٦٣) ، وأبو السعود – عند نظيرها – (٨ / ٦٢) ، والقاسمي (١٣ / ١٩) ، والآلوسي (١٩ / ٨٣) ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي (١٠ / ٢٥٠) .

(١٠) ينظر : معاني القرآن للنحاس : ٥ / ٨٣ ، فتح القدير للشوكاني : ٤ / ١٠١ .

(١١) ينظر : ديوان زهير ابن أبي سلمى : ٢٤ .

وزهير بن أبي سلمى هو : زهير بن أبي سلمى ربيعة بن رياح المزني ، من مضر : حكيم الشعراء في الجاهلية ، وفي أئمة الأدب من يفضله على شعراء العرب كافة . قال ابن الاعرابي : كان لزهير في الشعر ما لم يكن لغيره كان أبوه شاعرا ، وخاله شاعرا ، وأخته سلمى شاعرة ، وابناه كعب وبجير شاعرين ، وأخته الخنساء شاعرة . ت سنة ١٣ قبل الهجرة . ينظر : تاريخ اليعقوبي لأحمد بن أبي يعقوب بن جعفر اليعقوبي (ت ٢٩٢ هـ) : ١ / ٢٦٢ ، معاهدة التنصيص على شواهد التلخيص لعبد الرحيم بن أحمد العباسي (ت ٩٦٣ هـ) : =

❖ ذكر الأقوال جميعها أو بعضها و لم يرجح بينها جماعة من المفسرين ؛ منهم : الطبري ، والنحاس ، وابن عطية ، وأبو حيان ، والثعالبي ، والطاهر بن عاشور [١] . ومن أهل اللغة ؛ منهم : ابن سيده ، وابن منظور [٢] .

الترجيح:

يظهر لي – والله أعلم – **احتمال القولين الأوَّل (وقريباً منه القول الثاني كما ذكر القرطبي) والثالث ؛ فالمراد بالمقام الكريم :**

- **إما : مجالس الأمراء والحكام** التي كانت تحفها الأتباع ؛ ويقرب منها القول بأنه : **المنابر** ، وهو ما قاله **ابن عباس** ﷺ وجماعة من السَّلف ؛ وجماعة من المفسرين .
- وإما : **المنازل الحسنة والمجالس البهيَّة** ، وهو ما قاله جماعة من المفسرين أيضاً ، يدل على ذلك ما يلي :

أولاً : من اللغة :

قال **الراغب** : " والمقام يكون مصدراً ، واسم مكان القيام وزمانه " [٣] .

فإذا كان ﴿ مَقَامٍ ﴾ **مصدر** ؛ كان المراد بها : **قيامهم في تجمعهم** ؛ ويكون المقام الكريم هو **مجالس الأمراء والحكام** .

وإذا كان كلمة ﴿ مَقَامٍ ﴾ على **أصلها** ؛ كان المراد بها : **موضع أو مكان القيام** ؛ ويكون المقام الكريم هو **المنازل الحسنة والمجالس البهيَّة** .

قال **الطاهر بن عاشور** :

" والمقام : أصله محل القيام أو مصدر قَام . والمعنى على الأوَّل : مساكن كريمة ، وعلى

= ١ / ٣٢٧ ، خزانة الأدب : ٢ / ٢٩٣ .

(١) ينظر : تفسير الطبري (عند تفسير نظير الآية) : ٢٥ / ١٢٣ ، معاني القرآن للنحاس : ٥ / ٨٢ ، ٨٣ ، المحرر الوجيز : ٤ / ٢٣٢ ، البحر المحيط لأبي حيان : ٧ / ١٨ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ٢٢٨ ، التحرير والتنوير : ١٩ / ١٣٢ .

(٢) ينظر (مادة : قوم) في : المحكم لابن سيده : ٦ / ٥٨٩ ، لسان العرب : ١٢ / ٤٩٨ .

(٣) ينظر : مفردات الرَّاغب (مادة : قام) : ٤١٧ .

الثاني : قيامهم في مجتمعهم " . اهـ [١] .

ثانياً : بالقراءات :

استدل بالقراءة المتواترة السبعية : ﴿ وَمَقَامٍ ﴾- بفتح الميم - ، قرأ بها جمهور القراء وهو مكان القيام ، على **معنى القول الأوَّل** .

وقرأ في الشَّاذ [٢] بضمِّ الميم (مُقام) ؛ وهو مكانُ الإِقامة ؛ على **معنى القول الثالث** [٣] .

ثالثاً : على **التفسير بالواقع** ؛ فإن فرعون وملئه ؛ فالله قد أخرجهم من كلِّ ما يملكون ؛ من **مجالس الأمراء والحكام** التي كانت تحفُّها الأتباع ، وكان لهم فيها السيادة والملك ؛ ومن **المنازل الحسنة والمجالس البهيَّة** التي كانوا يتنعمون ويتمتعون فيها بكل ما لذَّ وطاب .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) التحرير والتنوير : ١٩ / ١٣٢ .

(٢) هذه قراءة الأعرج ؛ وهي **قراءة بالغة الشذوذ** ؛ لكنها تحمل على التفسير . ينظر : مختصر في شواذ القرآن : ١٠٨ ، اتحاف فضلاء البشر للبناء : ٤٢١ .

(٣) ينظر : الدر المصون للسمين الحلبي : ٥ / ٢٧٤ ، تفسير ابن عادل : ١٥ / ٣٢ .

قوله تعالى : ﴿ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَرِهِينَ ﴾ . [آية : 149] .

مسألة : في معنى ﴿ فَرِهِينَ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن ﴿ فَرِهِينَ ﴾ مشتق من الفراهة ؛ وهي النشاط والكيس ، فقال :

((﴿ فَرِهِينَ ﴾ ... وهو مشتق من الفراهة ؛ وهي النشاط والكيس . وقيل : معناه : أقوياء . وقيل : أشرين بطرين)) . اهـ [١] .

الدراسة :

و**النَّحت** لغة : من نحته ينحته – بالكسر – نحتاً ؛ أي : براه وأعدَّه للبناء . والنحاتة : البراية [٢] . وقوله : ﴿ فَرِهِينَ ﴾ فيها قراءتان **متواترتان سبعيتان** :

قرأ ابن كثير وأبو عمرو ونافع : (فرهين) ، وقرأ **ابن عامر** والكوفيُّون : ﴿ فَرِهِينَ ﴾ بالألف [٣] . وبناء على اختلاف القراءة في قوله ﴿ فَرِهِينَ ﴾ اختلف بعض أهل العلم والمفسرون في **معناها** ؛ وحاصل اختلافهم يرجع إلى قولين :

القول الأوَّل : (فرهين) و ﴿ **فَرِهِينَ** ﴾ **لغتان بمعنى واحد** ، وهما مشتقان **من الفَرَاهِيَة : وهي النَّشَاطُ والكَيْسُ والحَذَقُ** ، قاله أبو عبيدة [٤] ، وحكاه قطرب [٥] وقاله الرَّاغب [٦] ،

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٨٩ .

(٢) ينظر (مادة : نحت) في : لسان العرب : ٢ / ٩٨ ، القاموس المحيط : ٢٠٧ .

(٣) الكوفيُّون هم : عاصم وحمزة والكسائي . ينظر : السبعة في القراءات لابن مجاهد : ٤٧٢ ، تحبير التيسير في القراءات العشر لابن الجزري : ٤٨٨ .
وابن عامر هو : عبد الله بن عامر اليحصبي الدمشقي ، أبو عمران : إمام الشاميين في القراءة ، لجلالته في العلم والإتقان جمع له الخليفة عمر بن عبد العزيز بين القضاء والإمامة ومشيخة الإقراء بدمشق ، ت سنة ١١٨هـ . ينظر : طبقات ابن سعد : ٧ / ٤٤٩ ، العبر : ١ / ١٤٩ ، الوافي بالوفيات : ١٧ / ١١٩ ، ١٢٠ .

(٤) ينظر مجازه : ٢ / ٨٨ .

(٥) نسبه إليه : النحاس في إعرابه (٣ / ١٨٨) ، والقرطبي في تفسيره (١٣ / ١٢٩) . – ولم أقف عليه في كتبه في حدود ما اطلعت – .

(٦) ينظر مفرداته (مادة : فره) : ٣٧٩ .

والعكبري [١] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٢] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٣] .

واستدل له من اللغة :

فَرُه – ككرم – فَرَاهة وفَرَاهِيةً : حَذَق ، فهو فارِه وفَرِه ، كحاذر وحَذِر ، بيّن الفُروهة . والجمع : فُرَّهٌ وفُرَّهَة وفُرْه .

قال أبو بكر الأنباري [٤] : **والفارِهُ** – بكسر الراء – معناه في كلام العرب : **الحاذق بالشيء بالشيء** وكذا قال ابن سيده ، وابن منظور [٥] وغيرهما .

وفَرِهَ يَفْرَهُ : نَشِطَ ، والفارِهُ والفَرِهُ : النَّشِيْطُ [٦] .

القول الثاني : لكل قراءة معنى ، ذهب إليه **الطبري** [٧] ؛ وجماعة من أهل اللغة [٨] ، وقاله وقاله ابن زنجلة [٩] ، وجماعة من المفسرين [١٠] .

---

(١) ينظر : التبيان في إعراب القرآن : ٢ / ١٦٩ .

(٢) ينظر : التسهيل : ٣ / ٨٩ .

(٣) في تفاسيرهم ؛ ومنهم : الطبري (١٩ / ١٠١) **وجوَّزه** ، وجوَّزه الثعلبي (٧ / ١٧٦) ، والبغوي (٣ / ٣٨٧) ، والزمخشري (٣ / ٣٣٣) ، وابن عطية (٤ / ٢٤٠) ، والفخر الرازي (٢٤ / ١٣٧) ، والنسفي (٣ / ١٩٤) ، والنيسابوري (٥ / ٢٨١) ، والسمين الحلبي (٥ / ٢٨٣) ، والثعالبي (٤ / ٢٣٤) ، والسعدي (٥٩٦) والطاهر بن عاشور (١٩ / ١٧٦) .

(٤) ينظر : الزاهر في معاني كلمات الناس : ٢ / ٣٣٠ .

(٥) ينظر (مادة : فره) في : المحكم : ٤ / ٣٠٧ ، لسان العرب : ١٣ / ٥٢٢ . وينظر : المصباح المنير للفيومي : ٢ / ٤٧١ ، التعاريف للمناوي : ٥٤٧ ، كليات الكفوي : ٦٩٨ .

(٦) ينظر (مادة : فره) في : محيط اللغة للصاحب بن عباد : ٣ / ٤٧٧ ، لسان العرب لابن منظور : ١٣ / ٥٢٢ .

(٧) ينظر تفسيره : ١٩ / ١٠١ .

(٨) منهم : الفراهيدي في العين (مادة : فره) : ٤ / ٤٦ ، والفرَّاء في معانيه (٢ / ٢٤٣) ، والزَّجاج في معانيه (٤ / ٩٦) ، وابن دريد في جمهرة اللغة (مادة : رفه) : ٢ / ٧٨٩) ، والنحاس في معانيه (٥ / ٩٧) ، وحكاه الأزهري عن الفراء في تهذيب اللغة (مادة : فره) : ٦ / ١٥٠ ، والصاحب بن عباد في محيط اللغة (مادة : فره) : ٣ / ٤٧٧) ، وابن منظور في لسان العرب (مادة : فره) : ١٣ / ٥٢٢ ؛ وحكاه الزبيدي في تاج العروس (مادة : فره) : ٣٦ / ٤٥٤ .

(٩) ينظر : حجة القراءات : ٥١٩ .

(١٠) منهم : السمر قندي (٢ / ٥٦٣) ، والماوردي (٤ / ١٨٣) ، والسمعاني (٤ / ٦١) ، وابن الجوزي في زاد المسير (٦ / ١٣٨) وفي تذكرة الأريب في تفسير الغريب (٢ / ٤٣) ، وابن عادل (١٥ / ٦٥) والجلالين (٤٨٩) ، والخطيب الشربيني (٣ / ٦٩) . وينظر في كتب الغريب : التبيان في تفسير غريب القرآن

✍ فمن قرأ : ﴿ **فَرِهِينَ** ﴾ بالألف فمِنَ : فَرُه - بالضِّمِ - .

ومعناها [١] : **حاذقين** ، مأخوذ من فراهة الصنعة ، وهو قول **ابن عباس** [٢] ﷺ ، وقاله أبو صالح وغيره [٣] .

✍ ومن قرأ : (**فرهين**) فَهُوَ من : فَرِهَ - بالكسر - كَفَرِحَ : أَشِرَ وَبَطِرَ .

ومعناها [٤] : **بطرين أشرين** ، قاله **ابن عباس** [٥] ﷺ أيضاً ، **ورجَّحه النحاس ، والقاسمي ، والآلوسي** [٦] .

قال **النحاس** عن هذا الأخير :

" وهذا أعرفها في اللغة ... فكأن الهاء مبدلة من حاء لأنهما من حروف الحلق " . اهـ [٧] .

الترجيح:

بناء على ما سبق يظهر لي - والله أعلم - **أن الراجح القول الثاني ، فلكل قراءة قرئ بها**

للهائم المصري : ٣٢١ .

(١) ذكر الماوردي في معناها (غير هذا المعنى) ثلاثة أوجه أخرى :
الوجه الأوَّل : كيسين .
الوجه الثاني : قادرين ، قاله ابن بحر .
الوجه الثاني : أنه جمع فارِه ، والفاره المرح ، قاله أبو عبيدة . ينظر : النكت والعيون : ٤ / ١٨٤ .

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٩ / ١٠٠) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٩ / ٢٨٠٢) .

(٣) معاوية بن قرة ، ومنصور بن المعتمر ، والضحاك بن مزاحم . ينظر : تفسير الطبري : ١٩ / ١٠٠ ، إعراب القرآن للنحاس : ٣ / ١٨٧ ، تفسير ابن أبي حاتم : ٩ / ٢٨٠٢ .

(٤) ذكر الطبري والماوردي وغيرهما من المفسرين في معناها (غير هذا المعنى) خمسة أوجه أخرى :
أحدها : شرهين ، قاله مجاهد .
الثاني : معجبين ، قاله خصيف .
الثالث : آمنين ، قاله قتادة .
الرابع : فرحين ، حكاه ابن شجرة .
الخامس : متخيرين ، قاله الكلبي . وأخرج ابن جرير عن ابن زيد : أقوياء . ينظر : تفسير الطبري : ١٩ / ١٠٠ ، ١٠١ ، النكت والعيون : ٤ / ١٨٣ .

(٥) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٩ / ١٠١) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٩ / ٢٨٠٣) .

(٦) ينظر : معاني القرآن للنحاس : ٥ / ٩٧ ، تفسير القاسمي : ١٣ / ٣٦ ، روح المعاني : ١٩ / ١١٣ .

(٧) معاني القرآن للنحاس : ٥ / ٩٧ .

﴿ فَـرِهِينَ ﴾ **لها معنى ؛ وهو ما ذهب إليه الطبري ، وجماعة من أهل اللغة ، وجماعة من المفسرين ؛ خلافاً لما ذهب إليه ابن جُزيّ ومن وافقه .**

وأن ﴿ فَـرِهِينَ ﴾ بالألف **معناها : حاذقين** ، مأخوذ من فراهة الصنعة .

و (فرهين) **معناها : بطرين أشرين** ، يدل على ذلك إضافة على ما تقدم ما يلي :

أولاً : المعنيان قال بهما **ابن عباس** ﷺ ؛ مما يدل على احتمالهما معاً .

ثانياً : **من اللغة** : قال ابن فارس : " الفاء والراء والهاء كلمة تدل على أشر وحذق ، من ذلك (الفارِهُ) الحاذق بالشيء ، و (الفَرِهُ) الأشر " . اهـ [١] .

ثالثاً : احتمل جماعة من المفسرين القولين : كالبيضاوي ، وابن كثير ، والبقاعي ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي [٢] .

كما ذكر الواحدي ، والقرطبي ، والخازن ، وأبو حيان ، والشوكاني [٣] القولين و لم يرجحوا بينهم ؛ دلالة على احتمالهما .

فحقيقة الأمر : أن ثمود قوم صالح عليه السلام **كانوا حاذقين في نحت الجبال بارعين في ذلك ؛ وبنوا بيوتاً وقصوراً لكن بقصد الأشر والبطر ، لا بقصد الإصلاح والشكر لله ؛ فمحل النهى إنما هو قصد الأشر والبطر فى البناء وفى النحت .**

ففي هذه الآية الكريمة وما قبلها يذكر الله عز وجل بالنبي صالح عليه السلام وقومه – وهم ثمود – بما أنعم الله به عليهم ، وكانوا يسكنون بالحِجْر [٤] ، ويخوفهم سلب هذه النعمة كما يخوفهم

---

(١) معجم مقاييس اللغة (مادة : فره) : ٤ / ٤٩٦ .

(٢) ينظر : تفسير البيضاوي : ٤ / ٢٤٩ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٣٤٤ ، نظم الدرر : ٥ / ٣٨١ ، الوسيط : ١٠ / ٢٧٠ .

(٣) ينظر : تفسير الواحدي : ٢ / ٧٩٤ ، تفسير القرطبي : ١٣ / ١٢٩ ، تفسير الخازن : ٥ / ١٢٣ ، البحر المحيط : ٧ / ٣٤ ، فتح القدير : ٤ / ١١٢ .

(٤) **الحِجْر** هو : " اسم ديار ثمود بوادي القرى بين المدينة والشام ، قال الإصطخري : الحجر قرية صغيرة قليلة السكان وهو من وادي القرى على يوم بين جبال ، وبها كانت منازل ثمود ، قال : ورأيتها بيوتاً مثل بيوتنا في أضعاف جبال ، وتسمى تلك الجبال الأثالث ، وهي جبال إذا رآها الرائي من بعد ظنها متصلة ، فإذا توسطها = = رأى كل قطعة منها منفردة بنفسها ، يطوف بكل قطعة منها الطائف ، وحواليها الرمل لا تكاد ، ترتقي كل قطعة منها قائمة بنفسها لا يصعدها أحد إلا بمشقة شديدة " . ينظر : معجم البلدان للحموي : ٢ / ٢٢١ .

ما بعد المتاع من حساب على ما كان من تصرفهم فيه .

قال تعالى : ﴿ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَـٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَـٰرِهِينَ ﴾ (١) .

وإنهم ليعيشون بين هذا المتاع الذي يصوره لهم أخوهم صالح عليه السلام ؛ ولكنهم يعيشون في غفلة عنه لا يفكرون فيمن وهبهم إياه ، ولا يشكرون المنعم الذي أعطاهم هذا النعيم ؛ وكانوا ينحتونها من الجبال لما طالت أعمارهم وتقدم بناؤهم من المدر .

قال **ابن كثير** :

" قال **ابن عباس** رضي الله عنه وغير واحد يعني : (حاذقين) ، وفي رواية عنه : (شرهين أشرين) ، وهو اختيار مجاهد وجماعة ، ولا منافاة بينهما ؛ فإنهم كانوا يتخذون تلك البيوت المنحوتة في الجبال أشراً وبطراً وعبثاً من غير حاجة إلى سكناها ، وكانوا حاذقين متقنين لنحتها ؛ كما هو الشاهد من حالهم لمن رأى منازلهم ، ولذا قال : ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ (٢) أي : اقبلوا على ما يعود نفعه عليكم في الدنيا والآخرة ؛ من عبادة ربكم الذي خلقكم ورزقكم لتعبدوه وتوحدوه وتسبحوه بكرة وأصيلاً " . اهـ (٣) .

رابعاً : كل قراءة بمثابة آية أفادت معنى ؛ يؤيد هذا **القاعدة الترجيحية** التالية :

- **إذا ثبتت القراءة فلا يجوز ردَّها أو ردَّ معناها ؛ وهي بمنزلة آية مستقلة** (٤) .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) سورة الشعراء : ١٤٦ - ١٤٩ .

(٢) سورة الشعراء : ١٥٠ .

(٣) تفسير ابن كثير : ٣ / ٣٤٤ .

(٤) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٨٩ .

قوله تعالى : ﴿ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾ . [آية : 169] .

مسألة : في معنى قوله تعالى : ﴿ مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن معنى قوله تعالى : ﴿ مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ : نجِّني من عقوبة عملهم ، فقال : ((﴿ مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ أي : نجِّني من عقوبة عملهم ، أو اعصمني من عملهم ، والأوَّل أرجح)) . اهـ [١] .

الدراسة :

تجيء قصة لوط عليه السلام هنا ، ويبدأ لوط مع قومه بما بدأ به نوح وهود وصالح – عليهم السَّلام – من الدعوة إلى الإيمان والطاعة ، ثم يواجههم باستنكار خطيئتهم الشاذة التي عرفوا بها في التاريخ :

﴿ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴾ [٢] .

والخطيئة المنكرة التي عرف بها قوم لوط عليه السلام (وقد كانوا يسكنون عدة قرى في وادي الأردن) هي الشذوذ الجنسي بإتيان الذكور ، وترك النساء ؛ وهو انحراف في الفطرة شنيع .

فلما دعاهم لوط عليه السلام إلى ترك هذا الشذوذ ، واستنكر ما هم فيه من ترك ما خلق لهم ربهم من أزواجهم ، والعدوان على الفطرة وتجاوز الحكمة المكنونة فيها هددوه بالإخراج من بينهم ، إذا لم ينته عن دعوتهم إلى سواء الفطرة القويم !

عندئذ لم يبق إلا أن يعالنهم بكراهة ما هم عليه من شذوذ .. ثم يتوجه إلى ربه بالدعاء أن ينجيه من هذا البلاء هو وأهله : ﴿ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ [٣] .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٨٩ .
(٢) سورة الشعراء : ١٦٥ ، ١٦٦ .
(٣) سورة الشعراء : ١٦٩ .

✍ واختلف المفسرون في **معنى قوله تعالى** : ﴿ **مِمَّا يَعْمَلُونَ** ﴾ على قولين :

القول الأوَّل : معناه : **نجِّني من عقوبة عملهم** ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [١] ، **واستظهره** الزمخشري [٢] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٣] .

القول الثاني : معناه : **اعصمني من عملهم** ، قاله **مقاتل** [٤] ، **واحتمله** الزمخشري وأبو حيان [٥] ، وقاله جماعة من المفسرين [٦] . [٧]

قال **البغوي** : " من العمل الخبيث " [٨] .

✖ **واعتُرض** : فما معنى قوله : ﴿ فَنَجَّيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا ... ﴾ [٩] ؟

✓ **وأجيب** :

أن " معناه : أنه عصمه وأهله من ذلك إلا العجوز ، فإنها كانت غير معصومة منه ، لكونها راضية بهومعينة عليه ومحرشة ، والراضي بالمعصية في حكم العاصي " [١٠] .

وقيل : وهو بالنسبة إلى الأهل دونه عليه السلام ؛ إذ لا يخشى تلبسه بذلك لمكان العصمة .

---

(١) ينظر : التسهيل : ٣ / ٨٩ .
(٢) ينظر : الكشاف : ٣ / ٣٣٦ .
(٣) في تفاسيرهم ؛ ومنهم : الطبري (١٩ / ١٠٦) ، وابن الجوزي (٦ / ١٤٠) ، والقرطبي (١٣ / ١٣٣) ، والبيضاوي (٤ / ٢٥١) ، والنسفي (٣ / ١٩٥) ، وأبو حيان (٧ / ٣٥) ، والبقاعي (٥ / ٣٨٥) ، والجلالين (٤٩٠) ، وأبو السعود (٦ / ٢٦١) ، والقاسمي (١٣ / ٣٨) ، **واستظهره** الآلوسي (١٩ / ١١٦) ، والطاهر ابن عاشور (١٩ / ١٨١) .
(٤) ينظر تفسيره : ٢ / ٤٦٢ .
(٥) ينظر : الكشاف : ٣ / ٣٣٦ ، البحر المحيط : ٧ / ٣٥ .
(٦) في تفاسيرهم ؛ ومنهم : السمعاني (٤ ٦٣) ، والبغوي (٣ / ٣٩٦) ، والخازن (٥ / ١٢٥) ، وابن عادل (١٥ / ٦٩) ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي (١٠ / ٢٧٣) .
(٧) احتمل القولين جماعة من المفسرين ؛ منهم : النيسابوري (٥ / ٢٨٢) ، والخطيب الشربيني (٣ / ٧١) ، والشوكاني (٤ / ١١٤) ، والسعدي (٥٩٦) .
(٨) تفسير البغوي : ٣ / ٣٩٦ .
(٩) سورة الشعراء : ١٧٠ ، ١٧١ .
(١٠) الكشاف : ٣ / ٣٣٦ .

قال أبو **حيان** :

" **ويحتمل** أن يكون دعاء لأهله بالعصمة من أن يقع واحد منهم في مثل فعل قومه ، ودل دعاؤه بالتنجية لأهله على أنهم كانوا مؤمنين ؛ ولما كانت زوجته مندرجة في الأهل ، وكان ظاهر دعائه دخولها في التنجية ، وكانت كافرة استثنيت في قوله : ﴿ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا ... ﴾ " . اهـ [١] .

✖ **واعتُرض** :

بأن العذاب كذلك ؛ إذ لا يعذب من لم يجْن .

✓ **وأجيب** :

بأن العذاب قد يصيب الطَّالح والصَّالح ؛ كيف وقد قال سبحانه : ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً ... ﴾ [٢] .

واستدل لهذا القول :

بقوله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام : ﴿ ... وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾ [٣] ؛ فقد **يدعو المعصوم بالحفظ عن الوقوع فيما عصم عنه** [٤] .

❖ **ولم يتعرض لهذه المسألة** : السمر قندي ، والثعلبي ، و ابن عطية ، والفخر الرازي ، وابن كثير ، والثعالبي .

الترجيح:

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن الرَّاجح أن معنى قوله تعالى : ﴿ مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ : نَجِّني من عقوبة عملهم ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** ، يدل على ذلك إضافة لما تقدم ؛ ولما يلي :

---

(١) البحر المحيط : ٧ / ٣٥ .
(٢) سورة الأنفال : ٢٥ .
(٣) سورة إبراهيم عليه السلام : ٣٥ .
(٤) ينظر : روح المعاني : ١٩ / ١١٦ . بتصرف يسير .

أولاً : القرينة القرآنية :

فعلى القول بأن المعصوم قد يدعو بالحفظ عن الوقوع فيما عصم عنه ؛ فهو مسلَّم ، إلا أن **الظاهر** أن المراد النجاة مما ينالهم بسبب عملهم من العذاب الدنيوي ، **ويؤيده ظاهر** قوله تعالى : ﴿ فَنَجَّيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴾ [١] ، **قاله الآلوسي** [٢] .

ثانياً : لا يحسن جعل المعنى : نجّني من أن أعمل عملهم ، لأنه يفوت معه التعريض بعذاب سيحلُّ بهم ؛ **قاله الطاهر بن عاشور** [٣] .

ثالثاً : يؤيده **القاعدة الترجيحية** التالية :

- **القول الذي تؤيده قرائن في السِّياق مرجح على ما خالفه** [٤] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) سورة الشعراء : ١٧٠ .

(٢) ينظر : روح المعاني : ١٩ / ١١٦ .

(٣) ينظر : التحرير والتنوير : ١٩ / ١٨١ .

(٤) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٢٩٩ .

قوله تعالى : ﴿ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ ﴾ . [آية : ٢١٩] .

مسألة : في معنى قوله تعالى : ﴿ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن معنى قوله تعالى : ﴿ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ : أنه يراك حين تقوم وحين تسجد ، فقال :

((﴿ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ ... والمعنى : أنه يراك حين تقوم وحين تسجد . وقيل : معناه : يرى صلاتك مع المصلين ؛ ففي ذلك إشارة إلى الصلاة مع الجماعة . وقيل : يرى تقلب بصرك في المصلين خلفك ؛ لأنه عليه السلام كان يراهم من وراء ظهره)) . اهـ [١] .

الدراسة :

وصف الله تعالى رسوله ﷺ بعلمه بحاله التي بها يستأهل نبوَّته وكرامته على ربه ؛ تحقيقاً للتوكل وتطميناً لقلبه .

قال تعالى : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ ﴾ [٢] .

والتقلُّب لغة [٣] :

قال **الرَّاغب** : " قلب الشيء تصريفه وصرفه عن وجه إلى وجه ؛ كقلب الثوب وقلب الإنسان ، أي : صرفه عن طريقته . والتقلُّب : **التصرُّف** " [٤] .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٩١ .

(٢) سورة الشعراء : ٢١٧ - ٢١٩ .

(٣) ينظر (مادة : قلب) في : العين للفراهيدي : ٥ / ١٧١ ، تهذيب اللغة للأزهري : ٩ / ١٤٤ ، معجم مقاييس اللغة لابن فارس : ٥ / ١٧ ، لسان العرب لابن منظور : ١ / ٦٨٥ ؛ تاج العروس للزبيدي : ٤ / ٦٩ .

(٤) مفردات الرَّاغب (مادة : قلب) : ٤١١ .

واختلف السَّلف وأهل العلم والمفسرون في **معنى قوله تعالى** : ﴿ **وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ** ﴾ على أقوال [١] منها :

✓ **القول الأوَّل** : معناه : **يرى تقلُّبك في صلاتك** حين تقوم وحين تركع ثم تسجد ، قاله **ابن عباس** [٢] ﷺ ، وعكرمة [٣] ، وقتادة [٤] ، وذهب إليه **الطبري** [٥] ؛ **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٦] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٧] .

واستدل له : بأنه هو **الظاهر** من معنى الآية ؛ قاله **ابن جرير** [٨] .

---

(١) ذكر الطبري في تفسيره (١٩ / ١٢٤ ، ١٢٥) أقوال أخرى ؛ منها : معناه : ويرى تصرفك في الناس ، قاله الحسن ، أو معناه : **تقلبه من صلب نبي إلى صلب نبي أخرجه نبياً** ، والساجدون في قول قائل هذا القول الأنبياء قاله ابن عباس ﷺ ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨ / ٢١٤) : رواه البزار ورجاله ثقات . وضعَّف ابن جرير القول الأوَّل منهما . وقال الشنقيطي في أضواء البيان (٦ / ١٠٣) بعدم صحة القول الثاني لوجود قرينة في الآية ؛ وهي قوله تعالى قبله مقترنًا به : ﴿ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴾ . [سورة الشعراء : ٢١٨] . فإنه لم يقصد به أن يقوم في أصلاب الآباء إجماعًا .

وقد **احتج بالآية علماء الشيعة** على مذهبهم أن **آباء النبي ﷺ لا يكونون كفاراً** . قالوا : أراد تقلب روحه من ساجد إلى ساجد كما في الحديث المعتمد عليه عندهم : « لم أزل أنتقل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات » . وناقشهم أهل السُّنة في التأويل المذكور وفي صحة الحديث . قال النيسابوري : " والأصوب عندي أن لا نشتغل بمنع أمثال هذه الدعوى ونسرح إلى بقعة الإمكان على أنه لا يلزم من عدم الدليل عدم المدلول " . وقال ابن عابدين في حاشيته : "وبالجملة – كما قال بعض المحققين – **إنه لا ينبغي ذكر هذه المسألة إلا مع مزيد الأدب ، وليست من المسائل التي يضُّر جهلها أو يسأل عنها في القبر أو في الموقف ، فحفظ اللسان عن التكلم فيها إلا بخير أوْلى وأسلم** " . ينظر : التفسير الكبير للفخر الرازي : ١٣ / ٣٢ ، ٢٤ / ١٤٩ ، تفسير غرائب القرآن للنيسابوري : ٥ / ٢٨٨ ، تفسير ابن عادل : ٨ / ٢٣٣ ، حاشية ابن عابدين : ٣ / ١٨٥ .

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٩ / ١٢٣) . وينظر : تنوير المقباس : ٣١٥ .

(٣) أخرجه الثوري في تفسيره (٢٣٠) ، وعبد الرزاق في تفسيره (٣ / ٧٧) ، وابن جرير في تفسيره (١٩ / ١٢٤) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٩ / ٢٨٢٩) ، وعزاه السيوطي أيضاً في الدر (٦ / ٣٣٠) إلى الفريابي ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٤) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٩ / ١٢٤) ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٩ / ٢٨٢٩) ، وعزاه السيوطي أيضاً في الدر (٦ / ٣٣١) إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٥) ينظر تفسيره : ١٩ / ١٢٥ .

(٦) ينظر : التسهيل : ٣ / ٩١ .

(٧) منهم : السمر قندي (٢ / ٥٧٠) ، والواحدي (٢ / ٧٩٨) ، وجوَّزه البيضاوي (٤ / ٢٥٥) ، والخازن (٥ / ١٢٩) ، وجوَّزه أبو السعود (٦ / ٢٦٨) ، والسعدي (٥٩٩) .

(٨) ينظر تفسيره : ١٩ / ١٢٥ .

وفي هذا المعنى **كناية عن رعايته** صلوات الله عليه ، والعناية به ، كقوله تعالى : ﴿ وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَا ... ﴾ . [سورة الطور : ٤٨] . (١)

✓ **القول الثاني** : معناه : **يرى تقلبك في المصَّلين** ، قاله **الفرَّاء والزَّجاج** (٢) .

وعُبِّر عن المصَّلين بـــ ﴿ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ لأن السجود حالة مزيد قرب العبد من ربه ﷻ ، وهو أفضل الأركان على ما نص عليه جمعٌ من الأئمة (٣) .

وقال بهذا القول جماعة من المفسرين على وجوه منها :

الوجه الأوَّل : معنى ذلك : **تصرُّفك مع المصلين في الجلوس والقيام والقعود** ، قاله **ابن عباس** رضي الله عنهما أيضاً ، وقتادة (٤) وغيرهما (٥) ، وذهب إليه **الآلوسي** (٦) ، **واستظهره الشنقيطي** (٧) ، وقاله **أكثر** (٨) المفسرين (٩) .

قالوا : وفي ذلك إشارة إلى **الصلاة مع الجماعة** .

عن **مقاتل** (١٠) : أنه سأل أبا حنيفة – رحمه الله – هل تجد الصلاة في الجماعة في القرآن ؟ فقال : لا يحضرني ، فتلا له هذه الآية .

---

(١) احتمله القاسمي ؛ ينظر : تفسيره : ١٣ / ٤٨ .

(٢) ينظر معاني القرآن للفرَّاء : ٢ / ٢٤٦ ، معاني القرآن وإعرابه للزَّجاج : ٤ / ١٠٤ .

(٣) ينظر : روح المعاني للآلوسي : ١٩ / ١٣٧ .

(٤) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣ / ٧٧) .

(٥) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٩ / ١٢٤) عن **ابن عباس** رضي الله عنهما ، **وقتادة** ، **وابن زيد** ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٩ / ٢٨٢٩) عن **الحسن** .

(٦) ينظر : روح المعاني : ١٩ / ١٣٧ .

(٧) ينظر : أضواء البيان : ٦ / ١٠٣ .

(٨) نسبه إلى الأكثرين ابن الجوزي في زاد المسير (٦ / ١٤٨) ، وإلى أكثر المفسرين الشوكاني في تفسيره (٤ / ١٢٠) .

(٩) في تفاسيرهم ؛ ومنهم : مقاتل (٢ / ٤٦٦) ، وحكاه ابن أبي زمنين (٣ / ٢٩١) ، وابن الجوزي في تذكرة الأريب في تفسير الغريب (٢ / ٤٤) ، والثعالبي (٤ / ٢٣٨ ، ٢٣٩) ، والجلالين (٤٩٣) ، والشوكاني (٤ / ١٢٠) ، والآلوسي (١٩ / ١٣٧) ، وسيد قطب (٥ / ٢٦٢٠) ، والطاهر بن عاشور (١٩ / ٢٠٤) ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي (١٠ / ٢٨٨) .

(١٠) نسبه إليه غير واحد من المفسرين . ينظر : الكشاف للزَّمخشري : ٣ / ٣٤٦ ، وأبو حيان في البحر المحيط : ٧ / ٤٤ وغيرهما . – ولم أقف على قوله في تفسيره ولا في أي من كتبه في حدود ما اطلعت – .

الوجه الثاني : معناه : **يرى تقلُّب بصرك في المصلين خلفك** ؛ لأنه عليه السلام كان يراهم من وراء ظهره ، قاله مجاهد [١] .

واستدل له :

بما أخرجه الشيخان عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال : « هل تَرَوْنَ قِبْلَتِي هَا هُنَا ، فَوَ اللَّهِ ما يَخْفَى عَلَيَّ خُشُوعُكُمْ ولا رُكُوعُكُمْ إني لَأَرَاكُمْ من وَرَاءِ ظَهْرِي »[٢] . [٣]

✖ وضُعِّف :

١. بأنه وإن كان له وجه فليس هذا هو الظَّاهر من معانيه [٤] .

٢. بأن هذا معنى أجنبي هنا [٥] ، وفي تأويل الآية بعيد [٦] .

٣. هذا **الأثر** عن مجاهد **ضعيف** – كما ذكرنا – ؛ والحديث صحيح لكنه ليس نصاً في تفسير الآية .

الوجه الثالث : معناه : **تقلبه فى تصفح أحوال المجتهدين فى العبادة وتقلب بصرك فيهم** قاله **ابن عباس** [٧] رضي الله عنه أيضاً ، وكذا قال مجاهد [٨] أيضاً ، قاله الزَّمخشري [٩] ، وجماعة من

---

(١) ينظر تفسيره : ٢ / ٤٦٦ . وأخرجه الثوري في تفسيره (٢٣٠) ، وأبو بكر ، عبد الله بن الزبير الحميدي (ت ٢١٩ هـ) في مسنده : (٩٦٢) (٢ / ٤٢٧) ، وابن جرير في تفسيره (١٩ / ١٢٤) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٩ / ٢٨٢٩) ، والبيهقي في دلائل النبوة (٦ / ٧٤) ، ورواه ابن عبد البر في التمهيد (١٨ / ٣٤٧) . قال أبو بكر ، أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخلاَّل (ت ٣١١ هـ) في السُّنة (١ / ١٩٩) : **إسناد هذا الأثر ضعيف** .

(٢) أخرجه البخاري – واللفظ له – في صحيحه في كتاب الصَّلاة ، بَاب عِظَةِ الْإِمَامِ الناس في إِتْمَامِ الصَّلَاةِ وَذِكْرِ الْقِبْلَة (٤٠٨) : ١ / ١٦١ ، وأخرج مسلم بنحوه في صحيحه في كتاب الصَّلاة ، بَاب الْأَمْرِ بِتَحْسِينِ الصَّلَاة وَإِتْمَامِهَا وَالْخُشُوعِ فيها (٤٢٤) : ١ / ٣١٩ .

(٣) ينظر : تفسير ابن كثير : ٣ / ٣٥٣ .

(٤) ينظر : تفسير الطبري : ١٩ / ١٢٥ .

(٥) ينظر : المحرر الوجيز لابن عطية : ٤ / ٢٤٦ .

(٦) ينظر : تفسير القرطبي : ١٣ / ١٤٤ .

(٧) نسبه إليه : علي بن برهان الدين الحلبي في السيرة الحلبية (١ / ٤٧) . **ولم أقف عليه مسنداً** .

(٨) نسبه إليه الشوكاني في تفسيره (٤ / ١٢٠) . **ولم أقف عليه مسنداً** .

(٩) ينظر : الكشاف : ٣ / ٣٤٦ .

من المفسرين [١] .

قالوا : أتبع كونه رحيماً على رسوله بما هو من أسباب الرحمة .

واستدل له :

بما روي أنه عليه السلام لما نسخ قيام فرض الليل طاف عليه السلام تلك الليلة ببيوت أصحابه لينظر ما يصنعون حرصا على كثرة طاعاتهم ، فوجدها كبيوت الزنابير لما سمع بها من دندنتهم بذكر الله وتلاوة القرآن [٢] .

❖ **وقد ذكر جميع أقوال السَّلف أو بعضها ولم يرجح جماعة من المفسرين** ؛ منهم : النحاس ، والثعلبي ، والسمعاني ، والبغوي ، وابن عطية ، والقرطبي ، والنيسابوري ، وأبو حيان ، وابن كثير ، والخطيب الشربيني [٣] .

❖ **واحتمل الأقوال جميعها أو بعضها** : الفخر الرازي ، وابن عادل ، والقاسمي [٤] .

الترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن الراجح أن معنى قوله تعالى : ﴿ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ : يرى تصرُّفك مع المصلين في الجلوس والقيام والقعود ، وهو ما رجَّحه أكثر المفسرين ، خلافاً لما ذهب إليه ابن جُزيّ ومن وافقه .**

ويكون معنى قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ [٥] **يراك وحدك ويراك في الجماعة .**

---

(١) في تفاسيرهم ، ومنهم : البيضاوي وقدَّمه (٤ / ٢٥٥) ، والنسفي (٣ / ٢٠١) ، وقدَّمه أبو السعود (٦ / ٢٦٨) . **وصحَّح هذا القول** : علي الحلبي في السيرة الحلبية (١ / ٤٧) .

(٢) أورده في تفسيره غير واحد من المفسرين ؛ منهم : الفخر الرازي (١٣ / ٣٢) ، والبيضاوي (٤ / ٢٥٥) ، والنيسابوري (٥ / ٢٨٨) . **ولم أقف عليه مسنداً** .

(٣) ينظر : معاني القرآن للنحاس : ٥ / ١٠٧ ، تفسير الثعلبي : ٧ / ١٨٣ ، ١٨٤ ، تفسير السمعاني : ٤ / ٧١ ، تفسير البغوي : ٣ / ٤٠٢ ، المحرر الوجيز : ٤ / ٢٤٦ ، تفسير القرطبي : ١٣ / ١٤٤ ، تفسير غرائب القرآن : ٥ / ٢٨٨ ، البحر المحيط : ٧ / ٤٤ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٣٥٣ ، السراج المنير : ٣ / ٨٠ .

(٤) ينظر : التفسير الكبير : ٢٤ / ١٤٩ ، تفسير ابن عادل : ١٥ / ٩٥ ، تفسير القاسمي : ١٣ / ٤٨ .

(٥) سورة الشعراء : ٢١٨ ، ٢١٩ .

يدل على ذلك إضافة لما تقدم ما يلي :

أولاً : أنه ﷺ يتقلَّب في المصلّين قائماً ، وساجداً ، وراكعاً [١] ، فهو إمام المصلين يؤمهم ويوجههم ؛ وهو غالب أحوال الرسول ﷺ كما جاء في كتب السِّيرة .

ثانياً : أن " التوصيف بذلك للتذكير بالعناية بالصلاة ؛ ليلاً وجمعاً وفرادى " [٢] .

قال **سيد قطب** :

" ثم يشعر قلب الرسول ﷺ بالأنس والقربى ؛ فربُّه يراه في قيامه وحده للصلاة ، ويراه في صفوف الجماعة الساجدة ، يراه في وحدته ويراه في جماعة المصلين يتعهدهم وينظمهم ويؤمهم ويتنقل بينهم ، يرى حركاته وسكناته ، ويسمع خطراته ودعواته : ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [٣] ..

وفي التعبير على هذا النحو إيناس بالرعاية والقرب والملاحظة والعناية . وهكذا كان رسول الله ﷺ يشعر أنه في كنف ربه ، وفي جواره وقربه ، وفي جو هذا الأنس العلوي كان يعيش .. " . اهـ [٤] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) ينظر : أضواء البيان : ٦ / ١٠٣ .
(٢) تفسير القاسمي : ١٣ / ٤٨ .
(٣) سورة الشعراء : ٢٢٠ .
(٤) الظلال : ٥ / ٢٦٢٠ .

قوله تعالى : ﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ ﴾ . [آية : ٢٢٤] .

مسألة : في المراد بقوله تعالى : ﴿ ٱلشُّعَرَآءُ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن المراد بـــ ﴿ ٱلشُّعَرَآءُ ﴾ الشعراء الذين يلقون من الشعر ما لا ينبغي كالهجاء والمدح بالباطل وغير ذلك ، فقال : ((وأراد الشعراء الذين يلقون من الشعر ما لا ينبغي كالهجاء والمدح بالباطل وغير ذلك . وقيل : أراد شعراء الجاهلية . وقيل : شعراء كفار قريش الذين كانوا يؤذون المسلمين بأشعارهم)) . اهـــ [١] .

الدراسة :

﴿ ٱلشُّعَرَآءُ ﴾ : جمع شاعر ، كجاهل وجهلاء ، وعالم وعلماء . والشعر : نوع من الكلام حسنه كحسن الكلام ، وقبيحه كقبيحه [٢] . يعني : أن الشعر ليس يكره لذاته وإنما يكره لمتضمناته ؛ وقد كان عند العرب عظيم الموقع [٣] .

و ﴿ ٱلْغَاوُۥنَ ﴾ : جمع غاو وهو الضالّ [٤] ، وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة : ﴿ يَتَّبِعُهُمُ

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٩٢ .

(٢) ورد في الحديث : عن هشام بن عروة عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال : « الشعر كلام حسنه كحسن الكلام وقبيحه كقبيحه » . أخرجه البيهقي في سننه الكبرى (٥ / ٦٨) وقال : **هذا منقطع** .

(٣) ينظر : أحكام القرآن لابن العربي : ٣ / ٤٦٢ . فالشعر فى نفسه ينقسم إلى أقسام ، فقد يبلغ ما لا خير فيه منه إلى قسم الحرام ، وقد يبلغ ما فيه خير منه إلى قسم الواجب ، وقد وردت أحاديث فى ذمه وذم الاستكثار منه ووردت أحاديث أخر فى إباحته وتجويزه ، والكلام فى تحقيق ذلك يطول وهو ليس مجال بحثنا هنا . وسأذكر بعض الأحاديث الواردة في ذلك :
عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبى ﷺ قال : « لَأَنْ يَمْتَلِئَ جَوْفُ أَحَدِكُمْ قَيْحًا خَيْرٌ له من أَنْ يَمْتَلِئَ شِعْرًا » . متفق عليه . وعن كَعْبَ بن مَالِكٍ رضي الله عنه حين أَنْزَلَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى في الشِّعْرِ ما أَنْزَلَ أتى النبي ﷺ فقال : إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قد أَنْزَلَ في الشِّعْرِ ما قد عَلِمْتَ ، وَكَيْفَ تَرَى فيه ؟ فقال النبي ﷺ : « إِنَّ الْمُؤْمِنَ يُجَاهِدُ بِسَيْفِهِ وَلِسَانِهِ » . وفي رواية : « والذي نفسي بيده لكأنما تَنْضَحُونَهُمْ بِالنَّبْلِ فِيمَا تَقُولُونَ لهم مِنَ الشِّعْرِ » . أخرجهما الإمام أحمد وغيره ، قال الشيخ شعيب الأرناؤوط : حديثان صحيحان ، ولهما إسنادان . الحديث الأوَّل إسناده صحيح على شرط البخاري . والحديث الثاني : هو حديث صحيح لغيره وهذا إسناد ضعيف . وكان يقول لحسان رضي الله عنه : « اهْجُهُمْ أو قال هَاجِهِمْ وَجِبْرِيلُ مَعَكَ » متفق عليه (عن البراء رضي الله عنه) . وفي رواية للنسائي وغيره : « اهج المشركين فإن روح القدس معك » .

(٤) ينظر (مادة : غوى) في : المحكم لابن سيده : ٦ / ٦٩ ، لسان العرب لابن منظور : ١٥ / ١٤٠ ، تاج =

﴿ ٱلْغَاوُۥنَ ﴾ يدلّ على أن اتّباع الشعراء من اتّباع الشيطان ، بدليل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴾ وهو استئنافٌ مسوقٌ لإبطال ما قالوه في حق القرآن الكريم ؛ من أنه من قبيل الشعر ، وأن رسول الله ﷺ من الشعراء ببيان حال الشعراء المنافية لحاله عليه السلام ؛ ولحال أتباعه فإن أتباع محمد ﷺ خيرة قومهم ، و ليس فيهم أحد من الغاوين كذلك ، قال تعالى :

﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴾ . [سورة الشعراء : ٢٢٤ - ٢٢٦] .

قال **الآلوسي** :

" **والظاهر من السِّياق** أنها نزلت للردِّ على الكفرة الذين قالوا في القرآن ما قالوا " [١] .

❖ واختلف أهل العلم والمفسرون في **المراد بقوله تعالى** : ﴿ **ٱلشُّعَرَآءُ** ﴾ على ثلاثة أقوال :

القول الأوَّل : **المراد الشعراء الذين يلقون من الشعر ما لا ينبغي ؛ كالهجاء والمدح بالباطل وغير ذلك** ، قاله **الزَّجاج** [٢] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٣] ، ووافقه غير واحدمن المفسرين [٤] .

القول الثاني : أراد **شعراء الجاهلية** ، قاله **عكرمة** [٥] .

عن **عكرمة** قال : تهاجي شاعران في الجاهلية ؛ فكان مع كل واحد منهما فئة من الناس ، قال الله ﷻ : ﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴾ فهم ذينك الشاعران .

القول الثالث : أراد **شعراء كفار قريش** الذين كانوا يؤذون المسلمين بأشعارهم ، قاله **ابن**

= العروس : ٣٩ / ١٩٧ .

(١) روح المعاني : ١٩ / ١٤٧ .

(٢) ينظر معانيه : ٤ / ١٠٤ .

(٣) ينظر : التسهيل : ٣ / ٩٢ .

(٤) منهم : النسفي (٣ / ٢٠٢) وحكى قول الزجاج ، وأبو حيان (٧ / ٤٥) ، والبقاعي (٥ / ٤٠٠) .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٩ / ٢٨٣٢) .

عباس ﷺ [١] ، وقاله **أهل** [٢] التفسير [٣] .

قال **الفراء** :

" نزلت فى **ابن الزَبَعْرَى** وأشباهه [٤] ؛ لأنهم كانوا يهجون النبىّ ﷺ والمسلمين " [٥] . وكذا وكذا قال **أهل** التفسير .

وعن **ابن عباس** ﷺ قال : ... ثم استثنى [٦] ؛ فقال : ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٩ / ٢٨٣٤) . وعزاه السيوطي أيضاً في الدر (٦ / ٣٣٤) إلى ابن مردويه . ونسبه إليه ابن الجوزي في الزاد (٦ / ١٥٠) ، والآلوسي في تفسيره (١٩ / ١٤٦) .

(٢) نسبه إلى أهل التفسير : السمعاني في تفسيره (٤ / ٧٢) ، والبغوي في تفسيره (٣ / ٤٠٣) ، والخازن في تفسيره (٥ / ١٢٩) ، وابن عادل في تفسيره (١٥ / ٩٩) ، والخطيب الشربيني في السراج (٣ / ٨٢) .

(٣) منهم : الطبري (١٩ / ١٢٧) ، وحكاه السمر قندي (٢ / ٥٧١) ، والثعلبي (٧ / ١٨٥) ، والواحدي (٢ / ٧٩٨) ، والسمعاني (٤ / ٧٢) ونسبه لأهل التفسير ، والبغوي (٣ / ٤٠٣) ، وحكاه الزمخشري (٣ / ٣٤٨) ، وحكاه القرطبي (١٣ / ١٥٢) ، وقدَّمه الخازن (٥ / ١٢٥) ، والنيسابوري (٥ / ٢٨٩) وقدَّمه ابن عادل (١٥ / ٩٩) ، وحكاه أبو السعود (٦ / ٢٧٠) ، والطاهر بن عاشور (١٩ / ٢٠٨ - ٢١٠) .

(٤) ذكر مقاتل في تفسيره (٢ / ٤٦٧) **أسماؤهم** ؛ فقال : " ومنهم : عبد الله بن الزبعري السهمي ، وأبو سفيان بن عبد المطلب ، وهميرة بن أبي وهب المخزومي ، ومشافع بن عبد مناف عمير الجمحي ، وأبو عزة اسمه عمرو بن عبد الله ، كلهم من قريش ، وأمية بن أبي الصلت الثقفي" . اهـ . وينظر : تفسير السمعاني : ٤ / ٧٢ .
وابن الزِّبعْري ﷺ هو : عبد الله بن الزِّبعْري - بكسر الزاي والموحدة وسكون المهملة بعدها راء مقصورة - بن قيس السهمي القرشي ، أبو سعد : شاعر قريش في الجاهلية . كان شديداً على المسلمين إلى أن فتحت مكة ، فهرب إلى نجران ، فقال فيه " حسان " أبياتاً ، فلما بلغته عاد إلى مكة **فأسلم** واعتذر ، ومدح النبي ﷺ فأمر له بحُلَّة . ت نحو سنة ١٥ هـ . ينظر : الأغاني : ١٥ / ١٧٤ ، الاستيعاب : ٣ / ٩٠١ - ٩٠٤ ، الإصابة : ٤ / ٨٧ ، ٨٨ .

(٥) معاني القرآن للفراء : ٢ / ٢٤٦ .

(٦) قالوا : **الآية منسوخة** بالاستثناء في شعر المؤمنين ، واعتمدوا على رواية لابن عباس ﷺ فيها التصريح بالقول بالنسخ ؛ قاله ابن حزم ، وابن البارزي ، والكرمي . ينظر : الناسخ والمنسوخ لابن حزم : ١٦١ ، ناسخ القرآن العزيز ومنسوخه لابن البارزي : ٤٣ ، الناسخ والمنسوخ للكرمي : ٤٩ .
والحق : أن الآية فيها تخصيص بالاستثناء وليس فيها نسخ (**العام المخصوص بالاستثناء**) ؛ وقد أخطأ من أدخلها في المنسوخ ، قال بذلك السيوطي في الإتقان وكذلك الزرقاني في المناهل ، وقبلهما النحاس وابن الجوزي لم يقرا القول بالنسخ ، وأوردا رواية أخرى قالوا هي الصحيحة عن ابن عباس ﷺ (وهي المذكورة في المتن) ولم يرد فيها إلا القول بالاستثناء وذكر النحاس أن هذا الذي تسميه العرب استثناء لا نسخاً ، تقول : جاءني القوم إلاَّ عمراً ، لا يقال هذا نسخ ، والاستثناء عند سيبويه بمنزلة التوكيد لأنك بينت به كما تبين بالتوكيد ، أما ابن الجوزي فتعقب رواية ابن عباس ﷺ التي صرح فيها بالقول بالنسخ بأنها لا يعوَّل عليها ، وإنما هذه الألفاظ من تغيير الرواة ؛ فهم ينقلون بما يظنونه المعنى فيخطئون . ينظر : الناسخ والمنسوخ للنحاس : ٦٠٩ ، نواسخ =

ٱلصَّٰلِحَٰتِ... ﴾ [١] ، يعني حسَّان بن ثابت ، وعبد الله بن رواحة ، وكعب بن مالك ﷺ كانوا يذبُّون عن النبي ﷺ وأصحابه هجاء المشركين [٢] .

قال **ابن كثير** :

" ولا شك أنه استثناء ، ولكن هذه السُّورة مكيَّة [٣] ؛ فكيف يكون سبب نزول هذه الآيات شعراء الأنصار وغيرهم ؟! " . اهـ [٤] .

✍ **ويظهر : أن القول الثاني والثالث متقاربان ؛ فشعراء الجاهلية هم شعراء كفار قريش** فهم الذين آذوا النبي ﷺ والمسلمين بأشعارهم ؛ ولم أجد مفسراً – في حدود ما اطلعت – فصلهما في قولين مستقلين سوى ابن جُزيّ ؛ بل ذكر غير واحد من المفسرين بأن المراد : شعراء الجاهلية ممن ذم الإسلام وأهله [٥] في قول واحد .

❖ **ولم يتعرض لهذه المسألة** : الفخر الرازي ، والبيضاوي ، والآلوسي ، والسعدي ، والشنقيطي ، وذكر الشوكاني الأقوال ولم يرجح [٦] .

الترجيح:

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن الرَّاجح أن المراد بـــ ﴿ ٱلشُّعَرَآءُ ﴾ شعراء كفار قريش الذين كانوا يؤذون المسلمين بأشعارهم ، ويدخل في الآية شعراء الأنصار وغيرهم ؛ وكل شاعر مخلِّط يهجو ويمدح شهوة محرمة ويقذف المحصنات ، ويقول الزُّور**

= القرآن لابن الجوزي : ٢٠٤ ، إتقان السيوطي : ٣ / ٤٤ ، ٥٩ ، مناهل العرفان للزرقاني : ٢ / ١٨٣ .

(١) ينظر : تفسير ابن كثير : ٣ / ٣٥٥ .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٩ / ٢٨٣٤) ، وعزاه السيوطي أيضاً في الدر (٦ / ٣٣٤) إلى ابن مردويه .

(٣) سورة الشعراء مكية ، وقد استثنى غير واحد من المفسرين الأربع الآيات الأخيرة منها ، وقال هي مدنية ، وذكر السيوطي أن من الناس من اعتمد في الاستثناء على الاجتهاد دون النقل . والله أعلم . ينظر : إتقان السيوطي : ١ / ٤٧ ، ٥١ .

(٤) تفسير ابن كثير : ٣ / ٣٥٥ .

(٥) ينظر : تفسير البغوي : ٣ / ٤٠٣ ، المحرر الوجيز لابن عطية : ٤ / ٢٤٦ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٣٥٣ ، تفسير ابن عادل : ١٥ / ٩٩ .

(٦) ينظر : فتح القدير : ٤ / ١٢١ .

وما لا يسوغ شرعاً ، قال بذلك **ابن عطية** ، **وابن كثير** ، **والثعالبي** ، وحكاه **القاسمي** [١] .

يؤيد هذا القول : **القاعدة الترجيحية** التالية :

- **العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب** [٢] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

(١) ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ٢٤٦ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٣٥٥ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ٢٣٩ ، تفسير القاسمي : ١٣ / ٣٨ .

(٢) ينظر : القواعد الحسان للسعدي : ١٠ ، قواعد التفسير للسبت : ٢ / ٥٩٣ ، قواعد الترجيح للحربي : ٢ / ٥٤٥ .

ســـــورة النمـــل

قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٣ ﴾ . [آية : ٣] .

مسألة : في الموقع الإعرابي لقوله تعالى : ﴿ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن جملة : ﴿ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ﴾ مستأنفة وتمَّت الصلة قبلها ، فقال : ((﴿ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ﴾ تحتمل هذه الجملة أن تكون معطوفة ؛ فتكون بقية صلة ﴿ ٱلَّذِينَ ﴾ ؛ أو تكون مستأنفة وتمَّت الصِّلة قبلها ، **ورجَّح الزَّمخشري** هذا)) . اهـ [١] .

الدراسة :

اختلف أهل العلم والمفسرون في **الموقع الإعرابي لقوله تعالى : ﴿ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ﴾** على ثلاثة أقوال :

القول الأوَّل : الجملة في **محل نصب على الحال** ، قاله الشوكاني [٢] .

القول الثاني : الجملة **معطوفة ؛ من جملة صلة الموصول ﴿ ٱلَّذِينَ ﴾** ، قاله النسفي [٣] .

قال **أبو حيان** :

" ولما كان الإيمان بالآخرة بما هو ثابت عندهم مستقر الديمومة ، جاءت الجملة اسمية ، وأكدت المسند إليه فيها بتكراره ، فقيل : ﴿ بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ﴾ ، وجاء خبر المبتدأ فعلاً ليدل على الديمومة " . اهـ [٤] .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٩٢ .
(٢) ينظر : فتح القدير : ٤ / ١٢٥ .
(٣) ينظر : تفسير النسفي : ٣ / ٢٠٣ .
(٤) البحر المحيط لأبي حيان : ٧ / ٥١ . وينظر : الدر المصون للسمين الحلبي : ٥ / ٢٩٥ .

القول الثالث : الجملة **مستأنفة وتمَّت الصلة قبلها** ، **رجَّحه الزَّمخشري** [١] ، **والفخر الرَّازي** (**وقال هو الأقرب**) [٢] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٣] ، ووافقه **النيسابوري** (**وقال هو الأوجه**) [٤] ، وجماعة من المفسرين [٥] .

كأنه قيل : وهؤلاء الذين يؤمنون ويعملون الصالحات من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة هم الموقنون بالآخرة .

وتكرار الضمير (هم) لإفادة الحصر والاختصاص عند **الزَّمخشري** [٦] ، وسمَّى هذا الاستئناف اعتراضاً .

واستدل له : " أنه عقد جملة ابتدائية ، وكرّر فيها المبتدأ الذي هو ﴿ **وَهُم** ﴾ حتى صار معناها : وما يوقن بالآخرة حق الإيقان إلا هؤلاء الجامعون بين الإيمان والعمل الصالح ، لأنّ خوف العاقبة يحملهم على تحمُّل المشاقِّ " [٧] .

❖ **وقد جوَّز جماعة من المفسرين الوجهين الثاني والثالث** ؛ منهم : البيضاوي ، وأبو حيان وابن عادل ، وأبو السعود [٨] ؛ واحتمل أن تكون جملة : ﴿ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ﴾ :

- معطوفة على صلة ﴿ ٱلَّذِينَ ﴾ .
- أو استئناف إخبار .

✘ **لكنهم لم يسلموا للزمخشري تسميته للاستئناف : جملة اعتراضية .**

---

(١) ينظر : الكشاف : ٣ / ٣٥٢ .
(٢) ينظر : التفسير الكبير : ٢٤ / ١٥٣ .
(٣) ينظر : التسهيل : ٣ / ٩٢ .
(٤) ينظر : تفسير غرائب القرآن : ٥ / ٢٩٢ .
(٥) ومنهم : النسفي (٣ / ٢٠٣) واحتمله ، وذكر الخازن هذا المعنى في تفسيره (٥ / ١٣٣) ، واحتمله أبو حيان في البحر المحيط (٧ / ٥١) ، وذكر البقاعي في نظم الدرر (٥ / ٤٠٧ ، ٤٠٨) هذا المعنى أيضاً .
(٦) ينظر : الكشاف للزَّمخشري : ٣ / ٣٥٢ .
(٧) المرجع السابق . وينظر : التفسير الكبير للفخر الرَّازي : ٢٤ / ١٥٣ ، تفسير النسفي : ٣ / ٢٠٣ .
(٨) ينظر : تفسير البيضاوي : ٤ / ٢٥٨ ، تفسير أبي حيان : ٧ / ٥١ ، ٥٢ ، تفسير ابن عادل : ١٥ / ١٠٥ ، ١٠٦ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ٢٧٢ .

قال أبو حيان : " **و** قوله – أي الزَّمخشري – : (وتكون الجملة اعتراضية) ، هو على غير اصطلاح النحاة في الجملة الاعتراضية من كونها لا تقع إلاَّ بين شيئين متعلق بعضهما ببعض كوقوعها بين صلة موصول ، وبين جزأي إسناد ، وبين شرط وجزائه ، وبين نعت ومنعوت وبين قسم ومقسم عليه ، وهنا ليست واقعة بين شيئين مما ذكر " . اهـــ [١] .

✗ **كما أنكر ابن المُنَيِّر** [٢] **قبله إفادة نحو هذا التركيب الاختصاص** ؛ وادعى أن تكرار الضمير للتطرية لمكان الفصل بين الضميرين بالجار والمجرور .

✓ **وأجيب بأن** :

١. الزَّمخشري – وهو عالم باللغة والبلاغة – غير مسلَّم عنده كون الجملة الاعتراضية لا تقع إلا بين شيئين متعلق بعضهما ببعض كالمبتدأ والخبر ؛ بل تقع بين كلامين متصلين معنى ، وهو المهم عند علماء المعاني .

٢. الحق : أن عقد الجملة الابتدائية وتكرار الضمير يفيد الاختصاص ؛ ويفيد التأكيد أيضاً ، قاله **الآلوسي** [٣] .

✗ **وزعم أبو حيان** [٤] أن فيما ذكره الزَّمخشري دسيسة الاعتزال .

✓ وردَّ **الآلوسي** على أبي حيان فقال :

"ولا يخفى أنه ليس في كلامه أكثر من الإشارة إلى أن المؤمن العاصي لم يوقن بالآخرة حق الإيقان ، ولعل جعل ذلك دسيسة مبني على أنه بنى ذلك على مذهبه في أصحاب الكبائر وقوله فيهم (بالمنزلة بين المنزلتين) وأنت تعلم أن القول بما اختاره في الآية لا يتوقف على

---

(١) البحر المحيط : ٧ / ٥١ ، ٥٢ . وينظر : الدر المصون للسمين الحلبي : ٥ / ٢٩٥ .

(٢) ينظر : الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال لابن المنيِّر السكندري (ذيل على الكشاف) : ٣ / ٢٦٣ ، ونسبه القاسمي والآلوسي إليه . ينظر : تفسير القاسمي : ١٣ / ٥٦ ، روح المعاني : ١٩ / ١٥٧ .
وابن المُنَيِّر هو : أحمد بن محمد بن منصور (ابن المُنَيِّر السَّكَنْدَري) : من علماء الاسكندرية وأدبائها ، له تصانيف ، منها : الانتصاف من الكشاف . ت سنة ٦٨٣ هـــ . ينظر : العبر : ٥ / ٣٤٢ ، توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم لابن ناصر الدين شمس الدين محمد بن عبد الله القيسي الدمشقي (ت ٨٤٢ هـــ) : ٨ / ٢٨٦ ، الديباج المذهب : ١ / ٧١ – ٧٤ .

(٣) ينظر : روح المعاني : ١٩ / ١٥٧ .

(٤) ينظر : البحر المحيط : ٧ / ٥٢ .

القول المذكور " . اهـ [١] .

❖ **ولم يتعرض لهذه المسألة الإعرابية إلا من ذكرت من أهل النحو والتفسير – في حدود ما اطلعت –** .

❖ **ولم يتعرض لذكرها جماعة من أئمة النحو** ؛ منهم : النحاس ، والزَّجَّاج ، ومكي بن أبي طالب ، والعكبري .

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن الراجح هو القول الثالث ؛ وأنَّ جملة ﴿ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ﴾ مستأنفة وتمَّت الصِّلة قبلها ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** .

ومال الطاهر بن عاشور لهذا القول حيث قال :

" وجملة : ﴿ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ﴾ عطف على الصِّلة وليست من الصِّلة ، ولذلك خولف بين أسلوبها وأسلوب الصِّلة فأتي له بجملة اسمية اهتماماً بمضمونها لأنه باعث على فعل الخيرات ، على أن ضمير (هم) الثاني **يجوز أن يعتبر ضمير فصل دالاً على القصر** ، أي ما يوقن بالآخرة إلا هؤلاء " . اهـ [٢] .

يدل على ذلك :

ما في ذلك القول من إبراز المعنى المقصود من الآية ؛ وتناسب ذلك مع ما يليه من الآيات .

قال **البقاعي** :

" ولما كان الإيمان بالبعث هو السبب الأعظم للسعادة وهو محطٌّ للحكمة ، عبر فيه بما يقتضي الاختصاص ، لا للاختصاص بل للدلالة على غاية الرسوخ في الإيمان به ، فقال : ﴿ بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ ﴾ أي المختصون بأنهم ﴿ يُوقِنُونَ ﴾ أي : يوجدون الإيقان حق الإيجاد

---

(١) روح المعاني : ١٩ / ١٥٧ .
(٢) التحرير والتنوير : ١٩ / ٢١٩ .

ويجددونه في كل حين بما يوجد منهم من الإقدام على الطاعة ، والإحجام عن المعصية .

ولما أفهم التخصيص أن ثمَّ من يكذب بها وكان أمرها مركوزاً في الطباع ، لما عليها من الأدلة الباهرة في العقل والسماع ، تشوفت نفس السامع على سبيل التعجب إلى حالهم ، فقال مجيباً له مؤكداً تعجيباً ممن ينكر ذلك : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ... ﴾ ... " . اهـ [1] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

(١) نظم الدرر : ٥ / ٤٠٧ ، ٤٠٨ .

قوله تعالى : ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ وَهُمْ فِى ٱلْأَخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴾ . [آية : ٥] .

مسألة : في المراد بـــقوله تعالى : ﴿ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن المراد بـــ ﴿ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴾ عذاب الدنيا ؛ وهو القتل يوم بدر ، فقال : ((﴿ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴾ يعني في الدنيا ؛ وهو القتل يوم بدر . ويحتمل أن يريد عذاب الآخرة **والأوَّل أرجح** ؛ لأنه ذكر ﴿ ٱلْأَخِرَةِ ﴾ بعد ذلك)) . اهـــ [١] .

الدراسة :

المراد بسوء العذاب : شدته وعظمته [٢] ؛ واختلف المفسرون في **المراد بـــقوله تعالى : ﴿ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴾** هل هو عذاب الدنيا أو الآخرة أو الدارين على ثلاثة أقوال :

القول الأوَّل : المراد بـــ ﴿ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴾ عذاب الآخرة ، قاله مقاتل [٣] ، وذهب إليه **القرطبي** [٤] .

حيث قال :

" ﴿ فِى ٱلْأَخِرَةِ ﴾ تبيين ؛ وليس بمتعلق بـ (الأخسرين) ؛ فإن من الناس من خسر الدنيا وربح الآخرة ، وهؤلاء خسروا الآخرة بكفرهم ؛ فهم أخسر كل خاسر " . اهـــ [٥] .

القول الثاني : المراد بـــ ﴿ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴾ **عذاب الدنيا ؛ وهو القتل يوم بدر** ، قاله **الطبري** [٦] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٧] .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٩٢ .
(٢) ينظر : تفسير السمعاني : ٤ / ٧٧ ، زاد المسير لابن الجوزي : ٦ / ١٥٤ .
(٣) ينظر تفسيره : ٢ / ٤٦٩ .
(٤) قال القرطبي : وهو جهنم . ينظر تفسيره : ١٣ / ١٥٥ .
(٥) المرجع السابق .
(٦) ينظر : تفسير الطبري : ١٩ / ١٣٢ .
(٧) ينظر : التسهيل : ٣ / ٩٢ .

ووافقه جماعة من المفسرين [١] ، **واستظهره** الطاهر بن عاشور [٢] .

ووجه تخصيصه بعذاب الدنيا : القرينة القرآنية :

قوله تعالى بعده في الآية نفسها : ﴿ ... وَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡأَخۡسَرُونَ ﴾ [٣] .

قال **ابن عطية** :

" ثمَّ توعدهم تعالى بـــ ﴿ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ﴾ فمن ناله شيء في الدنيا بقي عليه عذاب الآخرة ؛ ومن لم ينله عذاب الدنيا كان سوء عذابه في موته وفيما بعده " . اهـــ [٤] .

القول الثالث : المراد بـــ ﴿ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ﴾ **العذاب في الدنيا والآخرة ، استظهره** أبو حيان ، وابن كثير ، والبقاعي [٥] . [٦]

ويكون قوله تعالى : ﴿ وَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡأَخۡسَرُونَ ﴾ لبيان أن ما في الآخرة أعظم العذابين بناء على أن (**الأخسرين**) **أفعل تفضيل – وهو الظاهر –** [٧] ، وذلك أن الكافر خسر الدنيا والآخرة ، كما أخبر عنه تعالى ، وهو في الآخرة أكثر خسراناً ، إذ مآله إلى عقاب دائم . وأما في الدنيا فإذا أصابه بلاء ، فقد يزول عنه وينكشف . فكثرة الخسران وزيادته ، إنما ذلك له في الآخرة ، وقد ترتب الأكثرية ، وإن كان المسند إليه واحداً بالنسبة إلى الزمان والمكان ، أو الهيئة ، أو غير ذلك مما يقبل الزيادة [٨] .

---

(١) في تفاسيرهم ؛ ومنهم : الثعلبي (٧ / ١٨٩) ، والواحدي (٢ / ٧٩٩) ، والبغوي (٣ / ٤٠٦) ، والزمخشري (٣ / ٣٥٣) والبيضاوي (٤ / ٢٥٩) ، والنسفي (٣ / ٢٠٣) ، والخازن (٥ / ١٣٣) ، والنيسابوري (٥ / ٢٩٣) ، وابن عادل (١٥ / ١٠٩) ، والجلالين (٤٩٤) ، وأبو السعود (٦ / ٢٧٣) والخطيب الشربيني (٣ / ٨٦) ، وحكاه الشوكاني (٤ / ١٢٦) ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي (١٠ / ٣٠٢) .

(٢) ينظر : التحرير والتنوير : ١٩ / ٢٢٢ .

(٣) ينظر : التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٩٢ ، التحرير والتنوير لابن عاشور : ١٩ / ٢٢٢ .

(٤) المحرر الوجيز لابن عطية : ٤ / ٢٤٨ . وينظر : تفسير الثعالبي : ٤ / ٢٤٢ .

(٥) ينظر : البحر المحيط : ٧ / ٥٢ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٣٥٧ ، نظم الدرر : ٥ / ٤٠٨ .

(٦) جوَّز القولين الثاني والثالث و لم يرجح : الفخر الرَّازي (٢٤ / ١٥٤) ، والآلوسي (١٩ / ١٥٨) .

(٧) قاله : أبو حيان في تفسيره (٧ / ٥٢) ، والسمين الحلبي في الدر المصون (٥ / ٢٩٥) .

(٨) ينظر : البحر المحيط لأبي حيان : ٧ / ٥٢ . بتصرف يسير . وينظر : الدر المصون : ٥ / ٢٩٥ .

وقال **جماعة** : أفعل هنا للمبالغة لا للشركة [١] .

قال أبو حيان :

" كأنه يقول : ليس للمؤمن خسران ألبتَّة حتى يشركه فيه الكافر ويزيد عليه " [٢] .

وقد تقدم جواب ذلك ، وهو أن الخسران راجع إلى شيء واحد ، باعتبار اختلاف زمانه ومكانه [٣] .

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن الرَّاجح أن المراد بـــ ﴿ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ﴾ عذاب الدنيا ؛ وهو القتل يوم بدر ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه من المفسرين ،** ويدل على ذلك – إضافة إلى ما تقدَّم – ما يلي :

أولاً : يؤيده **القاعدة الترجيحية** التالية :

- **القول الذي تؤيده قرائن في السِّياق مرجح على ما خالفه** [٤] .

ثانياً : سورة النمل مكيَّة [٥] بلا خلاف ، وقد توعدهم ﷻ بسوء العذاب وهو أشده وأعظمه ؛ وكان ذلك يوم بدر .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) حكاه ابن عادل في تفسيره (١٥ / ١٠٩) .
(٢) البحر المحيط : ٧ / ٥٢ .
(٣) ينظر : المرجع السابق ، الدر المصون للسمين الحلبي : ٥ / ٢٩٥ ، تفسير ابن عادل : ١٥ / ١٠٩ .
(٤) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٢٩٩ .
(٥) ينظر : البيان في عد آي القرآن للداني : ١٩٩ . وينظر عامة كتب التفسير .

قوله تعالى : ﴿ وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَـٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ **إِلَّا مَن ظَلَمَ** ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾ . [آية : ١٠ ، ١١] .

مسألة : في الاختلاف في نوع الاستثناء في قوله تعالى : ﴿ إِلَّا مَن ظَلَمَ ﴾ ومعنى الآية :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن الاستثناء في قوله تعالى : ﴿ إِلَّا مَن ظَلَمَ ﴾ استثناء منقطع ، فقال : ((﴿ إِلَّا مَن ظَلَمَ ﴾ استثناء منقطع ؛ تقديره : لكن من ظلم من سائر الناس لا من المرسلين . وقيل : إنه متصل على القول بتجويز الذنوب عليهم ، **وهذا بعيد** ...)) . اهـ [١] .

الدراسة :

بناء على اختلاف أهل العلم والمفسرين في مسألة عصمة الأنبياء – عليهم الصَّلاة والسَّلام – من الذنوب أو تجويز الذنوب عليهم **اختلفوا في نوع الاستثناء في قوله تعالى : ﴿ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَن ظَلَمَ ﴾ ومعنى الآية** ؛ لأن من مقتضى الاستثناء المتصل إثباتَ نقيض حكم المستثنى منه للمستثنى ، ونقيضُ انتفاء الخوف حصول الخوف . والموجود بعد أداة الاستثناء أنه مغفور له فلا خلاف عليه . ويُفهم منه أنه لو ظلم و لم يبدل حسناً بعد سوء يخاف عذاب الآخرة ، وحاصل اختلافهم يرجع إلى أربعة أقوال :

القول الأوَّل : الاستثناء متصل ؛ على القول بتجويز الذنوب عل ى المرسلين ، وذلك بإتيان الصغائر التي لا يسلم منها أحد قبل اصطفائه للرسالة أو ما كان قبل التبليغ ، وروي عن **ابن جريج والحسن** [٢] ، **وقتادة** [٣] ، **والضحاك** [٤] ، **ومقاتل** [٥] ما يقتضي أنه استثناء متصل .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / 93 .

(٢) أخرج أقوالهما ابن جرير . ينظر تفسيره : ١٩ / ١٣٧ . ونسبه إليهما غير واحد من المفسرين .

(٣) نسبه ابن الجوزي والآلوسي إليه . ينظر : زاد المسير : ٦ / ١٥٦ ، روح المعاني : ١٩ / ١٦٥ .

(٤) نسبه أبو حيان إليه . ينظر : البحر المحيط : ٧ / ٥٦ .

(٥) ينظر تفسيره : ٢ / ٤٧٠ .

ورجَّحه الطبري [١] ، **وحكاه النحاس** [٢] ، وقاله جماعة من المفسرين [٣] .

✍ **وللسَّلف والمفسِّرين فيه عبارات :**

- عن **ابن جريج** قال : لا يخيف الله الأنبياء إلا بذنب يصيبه أحدهم ؛ فإن أصابه أخافه حتى يأخذه منه .
- عن **الحسن** قال : إني إنما أخفتك لقتلك النفس .
- وعن **الحسن** أيضاً قال : كانت الأنبياء تذنب فتعاقب [٤] .
- وقال **مقاتل** : " ﴿ إِلَّا مَن ظَلَمَ ﴾ نفسه من الرسل ؛ فكان منهم : آدم ، ويونس وسليمان ، وإخوة يوسف ، وموسى بقتله النفس عليهم السَّلام " [٥] .

فالاستثناء على هذا صحيح ، قاله **الثعلبي** [٦] وغيره .

أي : إلا من ظلم نفسه من النبيين والمرسلين فيما فعل من صغيرة قبل النبوة ؛ وكان موسى خاف من قتل القبطي وتاب منه .

وقال **الفخر الرَّازي** :

" وهو محمول على ما يصدر من الأنبياء من ترك الأفضل أو الصغيرة ، ويحتمل أن يكون المقصود منه التعريض بما وجد من موسى وهو من التعريضات اللطيفة " . اهـ [٧] .

✍ **فإن قال قائل : فما معنى الخوف بعد التوبة والمغفرة ؟**

" قيل له : هذه سبيل العلماء بالله ﷻ أن يكونوا خائفين من معاصيه وجلين ، وهم أيضا لا

---

(١) ينظر تفسيره : ١٩ / ١٣٧ .
(٢) ينظر إعرابه : ٣ / ٢٠٠ .
(٣) منهم : ابن الجوزي (٦ / ١٥٦) وقدَّمه ، ولم يذكر الفخر الرَّازي (٢٤ / ١٥٨) ولا النيسابوري (٥ / ٢٩٤) غيره .
(٤) أخرج ابن جرير أقوال السلف في الآية . ينظر تفسيره : ١٩ / ١٣٦ .
(٥) تفسير مقاتل : ٢ / ٤٧٠ .
(٦) ينظر : الكشف والبيان : ٧ / ١٩٢ .
(٧) التفسير الكبير : ٢٤ / ١٥٨ .

يأمنون أن يكون قد بقي من أشراط التوبة شيء لم يأتوا به فهم يخافون من المطالبة به " [١] .

✖ **واستبعد ابن جُزيّ** هذا القول لما يلي :

١. الصَّحيح عصمتهم من الذنوب .

٢. إن تسميتهم ظالمين شنيع على القول بتجويز الذنوب عليهم [٢] .

القول الثاني : الاستثناء متصل من جملة محذوفة ، والتقدير : وإنما يخاف غيرهم إلاَّ من ظلم ؛ قاله **الفرَّاء** [٣] في أحد قوليه .

✖ وردَّه **القتبي** [٤] فقال :

" هذا لا يصحُّ ؛ لأن الإضمار يصح إذا كان في ظاهره دليل ، ولكن معناه : أن الله تعالى لما قال : ﴿ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾ علم أن موسى كان مستشعراً خيفة من قبل القبطي فقال : ﴿ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ ﴾ فإنه يخاف ولكني أغفر له ﴿ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ " . اهـــ .

✖ **وردَّهُ النحاس أيضاً** بأن : " الاستثناء من محذوف مُحال ؛ ولو جاز هذا لجاز أن يقال : لا تضرب القوم إلا زيداً ؛ على معنى : وإنما أضرب غيرهم إلاَّ زيداً ، وهذا ضد البيان والمجيء بما لا يعرف معناه " . اهـــ [٥] .

✖ **واستبعده مكي بن أبي طالب** [٦] في مشكله .

القول الثالث : الاستثناء منقطع (ليس من الأوَّل) ؛ تقديره : لكن من ظلم من سائر الناس لا من المرسلين ، ذهب إليه **الفرَّاء والزَّجَّاج ومكِّي** [٧] .

---

(١) إعراب القرآن للنحاس : ٣ / ٢٠٠ .
(٢) ينظر : التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / 93 .
(٣) ينظر : معاني القرآن للفرَّاء : ٢ / ٢٤٨ .
(٤) نقله السمر قندي عنه . ينظر : تفسيره : ٢ / ٥٧٤ . و لم أقف عليه في ايٍّ من كتبه – في حدود ما اطلعت – .

(٥) إعراب القرآن للنحاس : ٣ / ٢٠٠ .
(٦) ينظر مشكله : ٢ / ٥٣٢ .
(٧) ينظر : معاني القرآن للفرَّاء : ٢ / ٢٤٨ ، معاني القرآن وإعرابه للزَّجاج : ٤ / ١١٠ ، مشكل القرآن لمكي بن

وقاله **العكبري** [١] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٢] ، **واستظهره أبو حيان والآلوسي** [٣] ، ووافقه **جمهور** [٤] المفسرين [٥] .

✓ وذلك لأن الرسل – عليهم السلام – معصومون من المعاصي .

وقدَّره **الزَّمخشري** [٦] بـــ (لكن) وهي علامة على أن الاستثناء منقطع [٧] .

قال **ابن كثير** :

" وفيه بشارة عظيمة للبشر ، وذلك أن من كان على عمل سئ ثم أقلع عنه ورجع وتاب وأناب فإن الله يتوب عليه ؛ كما قال تعالى : ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴾ [٨] . وقال تعالى : ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ... ﴾ [٩] . الآية . والآيات في هذا كثيرة جداً " . اهـــ [١٠] .

القول الرابع : لا يوجد استثناء في الآية ؛ و ﴿ إِلَّا ﴾ هاهنا بمعنى (ولا) ؛ يعني : لا

أبي طالب : ٢ / ٥٣٢ . وقال الزَّجَّاج : من المرسلين وغيرهم ، وقال بذلك ابن زمنين . ينظر تفسيره : = = ٣ / ٢٩٥ .

(١) ينظر : إملاء ما منَّ به الرحمن : ٢ / ١٧٢ .

(٢) ينظر : التسهيل : ٣ / ٩٣ .

(٣) ينظر : البحر المحيط : ٧ / ٥٥ ، روح المعاني : ١٩ / ١٦٦ .

(٤) نسبه إلى الجمهور : ابن هشام في مغني اللبيب (١٠١) ، والزَّركشي في البرهان (٤ / ٢٣٨) ، والسيوطي في الإتقان (٢ / ٤٤٣) ، والآلوسي في تفسيره (١٩ / ١٦٥) .

(٥) منهم : النحاس في إعراب القرآن (٣ / ٢٠٠) **وقدَّمه** وذكر قولاً آخر في الآية ، والزَّمخشري (٣ / ٣٥٣) ، **وصحَّحه** القرطبي (١٣ / ١٦٢) ، والبيضاوي (٤ / ٢٦٠) ، **واستظهره وصحَّحه** السمين الحلبي (٥ / ٢٩٨) ، ولم يذكر ابن كثير (٣ / ٣٥٨) غيره ، ولم يذكر الثعالبي (٤ / ٢٤٤) غير القول بأن هذا استثناء منقطع ونسبه للفرَّاء وجماعة ، **واستظهره وصحَّحه** ابن عادل (١٥ / ١١٨) ، وأبو السعود (٦ / ٢٧٥) ، **وصحَّحه** الخطيب الشربيني في السراج المنير (٣ / ٨٩) ، والشوكاني (٤ / ١٢٧) ، وحكى محمَّد سيِّد طنطاوي في تفسيره (١٠ / ٣٠٧) قول ابن كثير والآلوسي .

(٦) ينظر : الكشاف : ٣ / ٣٥٦ .

(٧) ينظر : الدر المصون للسمين الحلبي : ٥ / ٢٩٨ . وينظر : الصحاح للجوهري (مادة : ألا) : ٥ / ٢٠١٧ ، تاج العروس (مادة : إلا) : ٤٠ / ٣٨٢ .

(٨) سورة طه : ٨٢ .

(٩) سورة النساء : ١١٠ .

(١٠) تفسير ابن كثير : ٣ / ٣٥٨ .

يخاف لدي المرسلون ولا من ظلم ثم بدَّل حسناً بعد سوء ، يقول : لا يخاف لدي المرسلون ولا المذنبون التائبون ؛ حكاه **الفرَّاء** [١] عن بعض النحويين و لم يرضه ، وذكره **الأخفش** [٢] **وأبو عبيدة** [٣] ، ونسبه **أبو البركات الأنباري** [٤] إلى الكوفيين . [٥]

واستدل له بالنظير القرآني :

قوله تعالى : ﴿ ... لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ... ﴾ . [سورة البقرة :150] . يعني : ولا الذين ظلموا .

✖ **وتُعقِّب** : بأن هذا القول ضعيف عند أهل النحو .

قال بذلك **الفرَّاء** ، **والطبري** ، **والنحاس** ، **والسمعاني** ، **وابن عطية** ، **وأبو حيان** [٦] .

قال **الفرَّاء** :

" و لم أجد العربية تحتمل ما قالوا ؛ لأني لا أجيز (قام الناس إلا عبد الله) ؛ وهو قائم ، إنما معنى الاستثناء أن يخرج الاسم الذي بعد إلاَّ من معنى الأسماء التي قبل (إلا) . وقد أراه جائزا أن يقول لي : (عليك ألف سوى ألف آخر) فإن وضعت (إلا) في هذا الموضع صلحت وكانت (إلا) في تأويل ما قالوا ؛ فأما مجردة قد استثنى قليلها من كثيرها فلا ، ولكن مثله مما يكون معنى (إلا) كمعنى الواو وليست بها قوله : ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ ... ﴾ [٧] هو في المعنى : إلا الذي ﴿ شَآءَ رَبُّكَ ﴾ من الزيادة . فلا تجعل (إلا) بمنزلة الواو ولكن بمنزلة (سوى) ، فإذا

---

(١) ينظر معانيه : ٢ / ٢٤٨ .

(٢) ينظر معانيه : ٢ / ٦٤٨ .

(٣) نسب ابن هشام والسيوطي هذا القول للأخفش والفرَّاء وأبو عبيدة . ينظر : مغني اللبيب : ١٠١ ، الإتقان : ٢ / ٤٤٣ . و لم أقف على قول أبي عبيدة في كتبه – في حدود ما اطلعت – .

(٤) ينظر : الانصاف في مسائل الخلاف : ١ / ٢٦٦ .

(٥) قال جماعة من المفسرين جميع الأقوال أو بعضها و لم يرجح ؛ منهم : السمر قندي (٢ / ٥٧٤) ، والسمعاني (٤ / ٨٠) ، والبغوي (٣ / ٤٠٨) ، وابن عطية (٤ / ٢٥١) ، والنسفي (٣ / ٢٠٥) ، والخازن (٥ / ١٣٤ ، ١٣٥) .

(٦) ينظر : معاني القرآن للفرَّاء : ٢ / ٢٤٨ ، تفسير الطبري : ١٩ / ١٣٧ ، إعراب القرآن للنحاس : ٣ / ٢٠٠ ، تفسير السمعاني : ٤ / ٨٠ ، المحرر الوجيز : ٤ / ٢٥١ ، البحر المحيط : ٧ / ٥٥ .

(٧) سورة هود عليه السلام : ١٠٧ .

كانت (سوى) في موضع (إلا) صلحت بمعنى الواو ؛ لأنك تقول : عندي مال كثير سوى هذا ؛ أي : وهذا عندي ، كأنك قلت : عندي مال كثير وهذا ، وهو في (سوى) أنفذ منه في (إلا) لأنك تقول : عندي سوى هذا ، ولا تقول : إلا هذا " . اهـ [١] .

وقال **مكي** : " وهذا أبعد لاختلاط المعاني " [٢] .

الـترجيح :

✓ **أجمعت الأمة على عصمة الأنبياء [٣] صلوات الله وسلامه عليهم من الكبائر ، ومن الصغائر التي هي رذائل ؛ وفي كل ما يتعلق بالتبليغ ؛ لكنهم :**

اختلفوا في :

الصغائر التي لا يسلم منها أحد قبل اصطفائهم للرسالة أو التي لا تعلق لها بالتبليغ اختلافاً مشهوراً معروفاً في كتب الأصول [٤] .

✓ **والجمهور** : يجوِّزون على الرُّسل الصَّغائر ولكنهم لا يقرُّون عليها [٥] .

بناء على هذا يظهر لي – والله أعلم – **احتمال القولين الأوَّل والثالث ؛ فالاستثناء في قوله تعالى : ﴿ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ۝١٠ إِلَّا مَن ظَلَمَ ﴾ يحتمل أن يكون :**

✌ **استثناءً متصلاً** ، وذلك بإتيان الرسل للصغائر التي لا يسلم منها أحد قبل اصطفائهم للرسالة ، أو التي لا تعلق لها بالتبليغ ؛ ولا يقرُّون عليها بل يوفَّقون للتوبة منها ؛ وهي

---

(١) معاني القرآن للفرَّاء : ٢ / ٢٤٨ .

(٢) مشكل القرآن : ٢ / ٥٣٢ .

(٣) نقل الإجماع القاضي عياض ، وابن عطية ، وعضد الدين الإيجي ، ونقل السيوطي الإجماع عن السبكي ، والشنقيطي . ينظر : الشفا للقاضي عياض : ٢ / ١٢٦ – ١٣٢ ، المحرر الوجيز : ١ / ٢١١ ، ٤ / ٢٥١ ، المواقف للإيجي : ٣ / ٤١٥ ، الخصائص الكبرى للسيوطي : ٢ / ٤٤٩ ، أضواء البيان : ٤ / ١٠٥ .

(٤) ينظر : المستصفى للغزالي : ٢٧٤ ، أصول الدين لجمال الدين أحمد بن محمد الغزنوي (٥٩٣ هـ) : ١٣٧ – ١٣٩ ، المحصول في علم الأصول للفخر الرَّازي : ٣ / ٣٣٩ – ٣٤٤ ، فتاوى ابن تيمية : ١٥ / ١٤٧ ، ١٤٨ إرشاد الفحول للشوكاني : ٦٩ – ٧١ .

(٥) نسب الذهبي وابن تيمية هذا القول إلى الجمهور . ينظر : المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال لمحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨ هـ) : ١٥٥ ، منهاج السُّنة النبوية لابن تيمية : ٢ / ٤٠٠ .

التي يشير إليها قول الحسن وابن جريج وغيرهما .

ويدل على ذلك ما يلي :

أولاً : أن هذا القول هو ما يمليه **المعنى الظاهر للاستثناء** في الآية .

قال **الطبري** : " وإنما ينبغي أن يحمل الكلام على وجهه من التأويل ويلتمس له على ذلك الوجه للإعراب في الصحة مخرج ؛ لا على إحالة الكلمة عن معناها ووجهها الصحيح من التأويل " . اهـ [١] .

ثانياً : روي عن الحسن وابن جريج وغيرهما ما يقتضي هذا القول ، وبذلك **يتأيد بالقاعدة الترجيحية التالية** :

- **تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم** [٢] .

✌ **أو يكون استثناءً منقطعاً** ، تقديره : لكن من ظلم من سائر الناس لا من المرسلين ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ووافقه جمهور المفسرين .**

ويدل على ذلك ما يلي :

أولاً : **أنه الأوفق** بشأن المرسلين المعصومين من الكبائر والصغائر التي هي رذائل ؛ قاله **الآلوسى** [٣] .

ثانياً : أن هذا القول هو قول جمهور المفسرين وللأكثر حكم الكل شرعاً وعرفاً ؛ كما قال **الآلوسي** [٤] أيضاً .

❖ **وقد جمع بين هذين الاحتمالين جماعة من المفسرين** ؛ منهم : النحاس ، الماوردي ، والزَّمخشري ، والبيضاوي ، وأبو السعود ، والطاهر بن عاشور [٥] .

---

(١) تفسير الطبري : ١٩ / ١٣٧ ، ١٣٨ .
(٢) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٢٧١ .
(٣) ينظر : روح المعاني : ١٩ / ١٦٥ .
(٤) ينظر : المرجع السابق : ١٧ / ٢ .
(٥) ينظر : إعراب القرآن للنحاس : ٣ / ٢٠٠ ، النكت والعيون : ٤ / ١٩٧ ، الكشاف : ٣ / ٣٥٦ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ٢٦٠ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ٢٧٥ ، التحرير والتنوير : ١٩ /٢٣٠ ، ٢٣١ .

قال **الماوردي** : " ﴿ إِلَّا مَن ظَلَمَ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أنه أراد من غير الم رسلين لأن الأنبياء لا يكون منهم الظلم ، ويكون منهم هذا الاستثناء المنقطع .

الوجه الثاني : أن الاستثناء يرجع إلى المرسلين .

وفيه على هذا وجهان :

أحدهما : فيما كان منهم قبل النبوة كالذي كان من موسى في قتل القبطي ، فأما بعد النبوة فهم معصومون من الكبائر والصغائر جميعاً .

الوجه الثاني : بعد النبوة فإنه معصومون فيها مع وجود الصغائر منهم ، غير أن الله لطف بهم في توفيقهم للتوبة منها ، وهو معنى قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوٓءٍ ﴾ يعني توبة بعد سيئة " . اهـ [1] .

وقال **الزَّمخشري** :

" و ﴿ إِلَّا ﴾ بمعنى (لكن) لأنه لما أطلق نفي الخوف عن الرسل ، كان ذلك مظنة لطروّ الشبهة ، فاستدرك ذلك . والمعنى : ولكن من ظلم منهم أي فرطت منه صغيرة مما يجوز على الأنبياء ، كالذي فرط من آدم ويونس وداود وسليمان وإخوة يوسف ، ومن موسى بوكزة القبطي ، ويوشك أن يقصد بهذا التعريض بما وجد من موسى ، وهو من التعريضات التي يلطف مأخذها . وسماه ظلماً ، كما قال موسى : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى ... ﴾ [2] " . اهـ [3] .

وقال **البيضاوي** :

" استثناء منقطع استدرك به ما يختلج في الصدر من نفي الخوف عن كلهم ؛ وفيهم من

---

(١) النكت والعيون للماوردي : ٤ / ١٩٧ .
(٢) سورة القصص : ١٦ .
(٣) الكشاف : ٣ / ٣٥٦ .

فرطت منه صغيرة ؛ فإنهم وإن فعلوها أتبعوا فعلها ما يبطلها ويستحقون به من الله مغفرة ورحمة فإنه لا يخاف أيضاً ، وقصد تعريض موسى بوكزه القبطي " . اهـ [١] .

وأضاف **أبو السعود** :

" وتسميتها ظلماً لقوله ﷻ - أي : على لسان موسى عليه السلام - : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ ... ﴾ [٢] " . اهـ [٣] .

وقال **الطاهر بن عاشور** :

" وقد تحصل من الاحتمالين في معنى الاستثناء أن **الرسل** في حضرة الله - أي حين القيام بواجبات الرسالة - لا يخافون شيئاً من المخلوقات ؛ لأن الله تعالى تكفل لهم السلامة ، ولا يخافون الذنوب لأن الله تكفل لهم العصْمة ، ولا يخافون عقاباً على الذنوب لأنهم لا يقربونها وأن **من عداهم** إن ظلم نفسه ثم بَدَّل حسناً بعد سوء أمِن ممّا يُخاف من عقاب الذنوب لأنه تدارك ظلمه بالتوبة ، وإن ظلم نفسه و لم يتب يخف عقاب الذنب فإن لم يظلم نفسه فلا خوف عليه . فهذه معان دلّ عليها الاستثناء باحتماليه ، وذلك إيجاز " . اهـ [٤] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) تفسير البيضاوي : ٤ / ٢٦٠ . وينظر : تفسير أبي السعود : ٦ / ٢٧٥ .
(٢) سورة القصص : ١٦ .
(٣) تفسير أبي السعود : ٦ / ٢٧٥ .
(٤) التحرير والتنوير : ١٩ / ٢٣٠ ، ٢٣١ .

قوله تعالى : ﴿ أَلَّا يَسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِى تُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴾ . [آية : ٢٥] .

مسألة : في معنى ﴿ ٱلْخَبْءَ ﴾ هنا في الآية :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن ﴿ ٱلْخَبْءَ ﴾ هنا في الآية يعم كل خفي ، فقال :

((﴿ تُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ ﴾ الخبء في اللغة : الخفي . وقيل : معناه هنا : الغيب . وقيل : يخرج النبات من الأرض . **واللفظ يعمُّ كل خفي ...**)) . اهـ [١] .

الدراسة :

الخبء في اللغة [٢] : من خبأت الشيء أخبؤه : أستره .

والخبء مصدر أطلق هنا على اسم المفعول ، أي : المخبوء على طريقة المبالغة في الخفاء كما هو شأن الوصف بالمصدر ؛ والخبء : كل شيء غائب خفي مستور ، وجارية مخبأة ؛ أي : مستترة .

ومناسبة وقوع الصفة بالموصول في قوله : ﴿ ٱلَّذِى تُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ ﴾ لحالة خبر الهدهد ظاهرة لأن فيها اطلاعاً على أمر خفِي . وإخراج الخبء : إبرازه للناس ، أي : إعطاؤه [٣] .

" والمعنى : أن الله ﷻ يخرج ما في هذا العالم الإنساني من الخفاء بعلمه له ؛ كما يخرج ما خفى في السموات والأرض " [٤] .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٩٥ .

(٢) ينظر (مادة : خبء) في كل من : مفردات الرَّاغب : ١٤٢ ، النهاية لابن الأثير : ٢ / ٣ ، لسان العرب : ١ / ٦٢ ، المصباح المنير للفيومي (مادة : خبأ) : ١ / ١٦٣ ، تاج العروس : ١ / ٢٠٥ . وفي لغة تميم يجعلون بدل الهمزة عينا فيقولون : الخبع بدل (الخبء) . ينظر : العين للفراهيدي (مادة : خبع) : ١ / ١٢٣ .

(٣) ينظر : التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور : ١٩ / ٢٥٥ .

(٤) فتح القدير للشوكاني : ٤ / ١٣٤ .

واختلف السَّلف وأهل العلم والمفسرون في **معنى ﴿ ٱلۡخَبۡءَ ﴾ هنا في الآية** على ثلاثة أقوال :

القول الأوَّل : معنى ﴿ ٱلۡخَبۡءُ ﴾ خبء السموات **المطر** ، وخبء الأرض **النبات** ؛ قاله مجاهد [١] ، وزيد بن أسلم [٢] ، وسعيد بن المسيب [٣] ، وقاله مقاتل [٤] ، وذهب إليه ابن قتيبة [٥] ، وقاله الطبري [٦] ، ومال إليه ابن كثير [٧] ، وقاله **أكثر** [٨] المفسرين [٩] .

وقوله : ﴿ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ متعلق بـــ ﴿ تُخۡرِجُ ﴾ على أن معنى ﴿ فِي ﴾ معنى (من) ؛ و (من) و (في) يتعاقبان ، يقول العرب : لاستخرجنّ العلم فيكم ، يريد منكم . فتقديره : يخرج الخبء من السموات ؛ وهو قول الفرَّاء وابن جرير [١٠] .

واستدل له :

بأن هذا **المعنى ملائم** لقوله : ﴿ تُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ ﴾ [١١] .

القول الثاني : معنى ﴿ ٱلۡخَبۡءَ ﴾ هنا **السرَّ والغيب** ، قاله مجاهد [١٢] أيضاً ؛ وعكرمة

---

(١) ينظر تفسيره : ٢ / ٤٧١ . وأخرجه ابن جرير في تفسيره (١٩ / ١٥٠) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٩ / ٢٨٦٨) .

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٩ / ١٥٠) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٩ / ٢٨٦٩) . وينظر : الدر المنثور : ٦ / ٣٥٣ .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٩ / ٢٨٦٨) . وينظر : الدر المنثور : ٦ / ٣٥٣ .

(٤) ينظر تفسيره : ٢ / ٤٧٤ .

(٥) ينظر غريب الحديث لابن قتيبة : ٢ / ٤٨٤ . وينظر : المعجم الوسيط : ١ / ٢١٣ .

(٦) ينظر تفسيره : ١٩ / ١٥٠ .

(٧) ينظر تفسيره : ٣ / ٣٦٢ .

(٨) نسب هذا القول إلى أكثر المفسرين : الثعلبي في تفسيره (٧ / ٢٠٤) ، والبغوي في تفسيره (٣ / ٤١٥) ، وابن عادل في تفسيره (١٥ / ١٤٧) .

(٩) منهم : الواحدي (٢ / ٨٠٢) ، والسمعاني (٤ / ٩١) ، والقرطبي (١٣ / ١٨٧) ، ولم يذكر النسفي (٣ / ٢١٠) غيره ، وقدَّمه ابن عادل (١٥ / ١٤٧) ونسبه للمفسرين ، والجلالين (٤٩٧) .

(١٠) ينظر : معاني القرآن للفرَّاء : ٢ / ٢٥١ ، تفسير الطبري : ١٩ / ١٥٠ .

(١١) ينظر : أضواء البيان للشنقيطي : ٦ / ١١٠ .

(١٢) أخرجه ابن حاتم في تفسيره (٩ / ٢٨٦٨) . وعزاه السيوطي في الدر (٦ / ٣٥٢) أيضاً للفريابي ، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد ، وابن جرير ، وابن المنذر .

وقتادة [١] ، وذهب إليه الفرَّاء والزَّجَّاج [٢] ، **ورجَّحه** النحاس [٣] ، وقاله ابن أبي زمنين والثعلبي [٤] ، وقدَّمه الماوردي [٥] ، **وصحَّحه** ابن سيده ، وابن منظور [٦] .

قال **الفرَّاء** : " **وقوله** : ﴿ تُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ ﴾ مهموز . وهو الغيب ؛ غيب السموات وغيب الأرض " [٧] .

واستدل له بما يلي :

١. القرينة القرآنية :

قوله تعالى بعده في الآية نفسها : ﴿ وَيَعۡلَمُ مَا تُخۡفُونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ﴾ [٨] .

٢. النظائر القرآنية :

- قوله تعالى في هذه السورة الكريمة : ﴿ وَمَا مِنۡ غَآئِبَةٖ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴾ . [سورة النمل : ٧٥] .
- وقوله تعالى : ﴿ ... وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴾ . [سورة يونس عليه السلام : ٦١] . [٩]

القول الثالث : لفظة ﴿ ٱلۡخَبۡءَ ﴾ **عمٌّ كل ما خفي من الأمور** ، وبه فسَّره **ابن عباس** [١٠]

---

(١) قال عكرمة وقتادة : ﴿ ٱلۡخَبۡءَ ﴾ السرّ . أخرجه ابن حاتم عن عكرمة وقتادة في تفسيره (٩ / ٢٨٦٨) . وعزى السيوطي عن عكرمة في الدر (٦ / ٣٥٢) أيضاً لعبد بن حميد، وعن قتادة لعبد الرزاق ، وعبد بن حميد .

(٢) ينظر : معاني القرآن للفرَّاء : ٢ / ٢٥١ ، معاني القرآن وإعرابه للزَّجاج : ٤ / ١١٦ .

(٣) ينظر : معاني القرآن للنحاس : ٥ / ١٢٧ .

(٤) ينظر : تفسير ابن أبي زمنين : ٣ / ٢٩٩ ، الكشف والبيان : ٧ / ٢٠٤ .

(٥) ينظر : النكت والعيون : ٤ / ٢٠٤ .

(٦) ينظر (مادة : خبأ) في : المحكم والمحيط الأعظم : ٥ / ٢٤٠ ، لسان العرب : ١ / ٦٢ .

(٧) معاني القرآن للفرَّاء : ٢ / ٢٥١ .

(٨) ينظر : معاني القرآن للنحاس : ٥ / ١٢٧ ، أضواء البيان للشنقيطي : ٦ / ١١٠ .

(٩) ينظر : أضواء البيان للشنقيطي : ٦ / ١١٠ .

(١٠) أخرجه ابن حاتم في تفسيره (٩ / ٢٨٦٨) ؛ وعزاه السيوطي في الدر (٦ / ٣٥٢) أيضاً لابن المنذر .

ﷺ ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [١] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٢] . [٣]

واستدل له بالقرينة القرآنية نفسها التي استدل بها أصحاب القول الثاني .

قال **السمرقندي** :

" يعني المخبئات ﴿ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ مثل المطر والثلج ، ويعني في الأرض ؛ مثل : النبات والأشجار والكنوز والموتى ، ويقال الذي يظهر سر أهل السموات والأرض ويعلنها **فذلك قوله تعالى : ﴿ وَيَعۡلَمُ مَا تُخۡفُونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ﴾** " . اهـ [٤] .

وقال **البيضاوي** :

" و ﴿ ٱلۡخَبۡءَ ﴾ ما خفي في غيره ، وإخراجه إظهاره ، وهو يعم إشراق الكواكب ، وإنزال الأمطار ، وإنبات النبات ؛ بل الإنشاء فإنه إخراج ما في الشيء بالقوة إلى الفعل والإبداع فإنه إخراج ما في الإمكان والعدم إلى الوجوب والوجود " . اهـ [٥] .

وبيَّن **البقاعي** سبب اختصاص الخبء في السموات والأرض (ونقله عنه) فقال : **الخطيب الشربيني**

" وخصَّه بقوله : ﴿ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ لأن ذلك منتهى مشاهدتنا ، فننظر ما

---

(١) ينظر : التسهيل : ٣ / ٩٥ .

(٢) منهم : السمر قندي (٢ / ٥٧٩) ، والبغوي (٣ / ٤١٥) ، والزمخشري (٣ / ٣٦٦) ، وابن عطية (٤ / ٢٥٧) ، والفخر الرَّازي (٢٤ / ١٦٦) ، والبيضاوي (٤ / ٢٦٥) ، والخازن (٥ / ١٤٣) ، والنيسابوري (٥ / ٣٠٢) ، والبقاعي في نظم الدرر (٥ / ٤٢١) ، والثعالبي (٤ / ٢٤٩) ، وأبو السعود (٦ / ٢٨٢) والقاسمي (١٣ / ٦٤) وقال الآلوسي (١٩ / ١٩٢) **هو الأوَّلى** ، والسعدي (٦٠٤) ، والطاهر بن عاشور (١٩ / ٢٥٥) ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي في الوسيط (١٠ / ٣١٩) .
وينظر : صحيح البخاري في كتاب التفسير ، مقدمة باب تفسير سورة النمل ٤ / ١٧٨٨ ، وذكر ابن حجر في الفتح (٨ / ٥٠٤) أنه قول ابن عباس ﷺ واكتفى بتخريج الطبري له . وينظر : إتقان السيوطي : ٢ / ٣٢٥ .
ومن **كتب الغريب** ؛ ينظر : غريب القرآن للسجستاني : ٢١١ ، تذكرة الأريب في تفسير الغريب : ٢ / ٤٨ ، التبيان في تفسير غريب القرآن للهائم المصري : ٣٢٤ . وينظر : كليات الكفوي : ٤٣٨ .

(٣) ذكر الأقوال جميعها أو بعضها و لم يرجح : الشوكاني في فتح القدير (٤ / ١٣٤) ، والشنقيطي في أضواء البيان (٦ / ١٠٩ ، ١١٠) .

(٤) تفسير السمر قندي : ٢ / ٥٧٩ .

(٥) تفسير البيضاوي : ٤ / ٢٦٥ . وينظر : تفسير أبي السعود : ٦ / ٢٨٢ .

يتكون فيهما بعد أن لم يكن من سحاب ومطر ونبات وتوابع ذلك من الرعد والبرق وغيرهما ، وما يشرق من الكواكب ويغرب ؛ إلى غير ذلك من الرياح ، والبرد والحر ، الحركة والسكون ، والنطق والسكوت ، وما لا يحصيه إلا الله تعالى ، والمعنى أنه يخرج ما هو في عالم الغيب فيجعله في عالم الشهادة " . اهـ [1] .

والحق : أن القول **الثاني والثالث متقاربان** : فلفظة ﴿ ٱلْخَبْءَ ﴾ عمٌّ كل ما خفي من الأمور ، أو كل ما غاب في السموات والأرض .

وأما **القول الأوَّل** فهو فيما يظهر لي من باب **ضرب المثل** على الخبء في السموات والأرض ؛ من المطر والنبات .

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن الرَّاجح أنَّ لفظة ﴿ ٱلْخَبْءَ ﴾ عمٌّ كل ما خفي من الأمور من مطر ونبات وغيره ؛ وما هو أبعد من ذلك مما لا يعلمه ولا يحيط به إلا الله جل وعلا ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه ، أو ما غاب في السموات والأرض** ، يدل على ذلك إضافة لما تقدم ما يلي :

أولاً : القول بالعموم هو ما فسَّره به **ابن عباس** ﷺ ، وهو حبر هذه الأمَّة وترجمان القرآن ، وأما تفسير **لفظة ﴿ ٱلْخَبْءَ ﴾** بما غاب فهو **قول مجاهد ، وعكرمة ، وقتادة ، وجماعة من أئمة أهل اللغة** كما بيَّنَّا .

ثانياً : هذا القول بالعموم هو الموافق لعموم اللفظ في الآية ؛ وقد ذهب إلى القول بالعموم جمع من المفسرين كما ذكرت .

ثالثاً : جمع جماعة من المفسرين بين هذين المعنيين ؛ من العموم وما غاب ؛ منهم : **الزَّمخشري (وقال بقوله النيسابوري وأبو حيان)** حيث قال :

---

(١) نظم الدرر : ٥ / ٤٢١ . وينظر : تفسير أبي السعود : ٦ / ٢٨٢ ، السراج المنير : ٣ / ١٠٠ ، تفسير السعدي : ٦٠٤ ، الظلال : ٥ / ٢٦٣٩ . **وينظر قبلهم** : الكشاف للزمخشري : ٣ / ٣٦٦ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ٢٦٥ ، تفسير غرائب القرآن للنيسابوري : ٥ / ٣٠٢ ، البحر المحيط لأبي حيان : ٧ / ٦٧ .

" وهو النبات والمطر **وغيرهما مما خبأه عز وعلا من غيوبه** " [١] .

رابعاً : يتأيد هذا القول بالقرينة القرآنية والنظائر القرآنية ؛ وعليه يتأيد **بالقواعد الترجيحية** التالية :

- **القول الذي تؤيده قرائن في السِّياق مرجح على ما خالفه .**
- **القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك** [٢] .

✓ **وفي الآية جانب من جوانب إعجاز القرآن الكريم :**

قال **أبو حيان** :

" ولما كان الهدهد قد أوتي من معرفة الماء تحت الأرض ما لم يؤت غيره ، وألهمه الله تعالى ذلك ، كان وصفه ربه تعالى بهذا الوصف الذي هو قوله : ﴿ ٱلَّذِى تُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ ﴾ ، إذ كل مختص بوصف من علم أو صناعة ، يظهر عليه مخايل ذلك الوصف في روائه ومنطقه وشمائله ، ولذلك ورد ما عمل عبد عملاً إلا ألقى الله عليه رداء عمله " . اهـ [٣] .

وقال **ابن كثير** :

" وهذا مناسب من كلام الهدهد الذي جعل الله فيه من الخاصية ما ذكره ابن عباس ﷺ وغيره من أنه يرى الماء يجري في تخوم الأرض ودواخلها " . اهـ [٤] .

✍ **مع العلم الحديث :**

وهذا هو ما ذكره علماء اليوم بعد ألف وأربعمائة سنة من نزول القرآن العظيم عن طائر الهدهد (**Hoopoe**) وعن مميزاته الكثيرة الفريدة التي اختصه الله بها والتي أهلته ليكون رسولاً متميزاً للنبي سليمان عليه السلام في قصته المشهورة عن الملكة بلقيس (ملكة مملكة سبأ [٥])

---

(١) الكشاف : ٣ / ٣٦٦ . وينظر : تفسير غرائب القرآن للنيسابوري : ٥ / ٣٠٢ ، البحر المحيط لأبي حيان : ٧ / ٦٧ .

(٢) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٢٩٩ ، ٣١٢ .

(٣) البحر المحيط لأبي حيان : ٧ / ٦٧ .

(٤) تفسير ابن كثير : ٣ / ٣٦٢ .

(٥) **سَبَأ** هي : – بفتح أوله وثانيه وهمز آخره وقصره – أرض باليمن ، مدينتها مأرب ، بينها وبين صنعاءَ مسيرة ثلاثة أيام . ينظر : معجم البلدان للحموي : ٣ / ١٨١ .

والذين كانوا يعبدون الشمس من دون الله ؛ وكيف كان الهدهد إيجابياً في نشر دعوة الله .

جاء في الموسوعة : من ضمن مميزاته [١] : **القابلية العجيبة في طلب الماء والكشف عن تواجده تحت الأرض** . فوصف ربه ﷻ بما ألهمه وعلَّمه . ولو رأيت هدهداً أمامك لوجدته يحفر بمنقاره الأرض ليخرج ما خبَّأه الله في الأرض على ما وصف هو به ربَّه : ﴿ ٱلَّذِى تُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ .

والله تعالى أعلم بالصواب .

(١) للمزيد ؛ ينظر : موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسُّنة ، الهدهد آية من آيات الخالق بقلم الأستاذ حسن يوسف شهاب الدين ؛ عن كتاب الدكتور خالد العبيدي (هندسة النقل والاتصالات في القرآن والسُّنة) ضمن سلسلة كتب (المدرسة الهندسية في القرآن والسُّنة النبوية) الذي يصدر عن جائزة دبي للقرآن الكريم.

قوله تعالى : ﴿ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾ . [آية : ٢٨] .

مسألة: في معنى قوله تعالى : ﴿ فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن معنى قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ ﴾ تنحَّ إلى مكان قريب لتسمع ما يقولون ، فقال :

((﴿ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ ﴾ أي : تنح إلى مكان قريب لتسمع ما يقولون ، وروي أنه دخل عليها من كوَّة فألقى إليها الكتاب ، وتوارى في الكوَّة . وقيل : إن التقدير : انظر ماذا يرجعون ، ثم تول عنهم ؛ فهو من المقلوب ، **والأوَّل أحسن**)) . اهـ [١] .

الدراسة :

" ألهم الله النبي سليمان عليه السلام بحكمته أن يجعل لاتصاله ببلاد اليمن طريقَ المراسلة لإدخال المملكة في حيّز نفوذه ، والانتفاع باجتلاب خيراتها ، وجعلها طريق تجارة مع شرق مملكته فكتب إلى ملكة سبأ كتاباً لتأتيَ إليه ؛ وتدخلَ تحت طاعته وتُصلح ديانة قومها .

واتخذ للمراسلة وسيلة الطير الزاجل من حَمام ونحوه ، فالهدهد من فصيلة الحَمام وهو قابل للتدجين ، فقوله : ﴿ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا ﴾ يقتضي كلاماً محذوفاً ، وهو أن سليمان عليه السلام فكر في الاتصال بين مملكته وبين مملكة سبأ فأحضر كتاباً وحمَّله الهدهد " [٢] .

﴿ **فَأَلْقِهْ** ﴾ من : أَلْقَى الشيءَ إِلْقَاءً : أي : طَرَحَهُ حيثُ يَلْقاهُ ، أي : تراه ، ثم صارَ في التَّعارفِ اسْماً لكلِّ طرْحٍ ؛ قالَهُ الرَّاغب [٣] .

وهو هنا مستعمل في حقيقته في شأن الهدهد ليصل إلى ملكة سبأ (بلقيس) فيطرح الكتاب

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٩٥ .

(٢) التحرير والتنوير : ١٩ / ٢٥٧ . بتصرف .

(٣) ينظر : مفردات الرَّاغب (مادة : لقي) : ٤٥٣ . وينظر (مادة : لقي) في : لسان العرب : ١٥ / ٢٥٥ ، تاج العروس : ٣٩ / ٤٧٧ .

من منقاره ؛ كما ذكر ذلك غير واحد من السَّلف [١] .

واختلف أهل العلم والمفسرون **في معنى قوله تعالى** : ﴿ **فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ** ﴾ على قولين :

القول الأوَّل : **في الآية تقديم وتأخير** ؛ ومعناه : ألقه إليهم فانظر ماذا يرجعون ، ثم تول عنهم ؛ **فهو من المقلوب** ، قاله **ابن زيد** [٢] ، وذهب إليه الفرَّاء [٣] ، **وحسَّنه** الزَّجَّاج [٤] .

ويكون معنى : ﴿ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ ﴾ على هذا القول الانصراف أو الرجوع إلى سليمان عليه السلام قاله **مقاتل** [٥] .

قال **الفرَّاء** :

" **يقول القائل : كيف أمره أن يتولَّى عنهم وَقَدْ قَالَ : ﴿ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾ ؟**

وذلك فى العربيَّة بيّن ؛ أنه استحثّه فَقَالَ : ﴿ اذْهَب بِّكِتَـٰبِى هَـٰذَا ﴾ وعجِّل ثم أُخّر ﴿ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾ ومعناهَا التقديم " اهـ [٦] .

وهذا التقديم والتأخير في الآية : لأن رجوع الهدهد من عندهم والتولي عنهم بعد أن ينظر ما الجواب ؛ قاله **الزَّجَّاج** [٧] ، وذكر أنَّ التقديم والتأخير كثير في الكلام .

✖ **وتعقَّبه أبو حيان وغيره** [٨] **بأنه** : " لا ضرورة تدعو إلى التقديم والتأخير ، بل **الظاهر** أن أن النظر معتقب التولِّي عنهم " [٩] .

---

(١) سأذكر أقوالهم لاحقاً .

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٩ / ١٥١) ، ونسبه البغوي في تفسيره (٣ / ٤١٥) .

(٣) ينظر معانيه : ٢ / ٢٥١ .

(٤) ينظر معانيه : ٤ / ١١٧ .

(٥) ينظر تفسيره : ٢ / ٤٧٤ .

(٦) معاني القرآن للفرَّاء : ٢ / ٢٥١ .

(٧) ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزَّجاج : ٤ / ١١٧ .

(٨) **تعقَّبه أيضاً** : **السمين الحلبي** ، **وابن القيم** ، **والزَّركشي** ، **وابن عادل** ، **والآلوسي** . ينظر : الدر المصون : ٥ / ٣١١ ، الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن القيِّم (ت ٧٥١ هـ) : ٢ / ٧١٦ ، برهان الزَّركشي : ٣ / ٢٩٢ ، تفسير ابن عادل : ١٥ / ١٥١ ، روح المعاني : ١٩ / ١٩٣ .

(٩) البحر المحيط : ٧ / ٦٨ .

القول الثاني : معنى قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ ﴾ **تنحَّ إلى مكان قريب لتسمع ما يقولون** ، قاله **ابن عباس** رضي الله عنهما [١] ، ووهب بن منبه [٢] ، وحكاه الزَّجَّاج [٣] ، **ورجَّحه** الطبري [٤] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٥] ، ووافقه جماعة المفسرين [٦] . [٧]

عن **قتادة** قال : كانت صاحبة سبأ إذا رقدت غلقت الأبواب ، وأخذت المفاتيح فوضعتها تحت رأسها ؛ فلما غلقت الابواب وآوت إلى فراشها جاءها الهدهد ؛ حتى دخل من كوَّة بيتها فقذف الصحيفة على بطنها ... [٨]

وقال **ابن زيد** : وكانت لها كوَّة مستقبلة الشمس ساعة تطلع الشمس ؛ تطلع فيها فتسجد لها ، فجاء الهدهد حتى وقع فيها فسدَّها ، واستبطأت الشمس فقامت تنظر ؛ فرمى بالصحيفة إليها من تحت جناحه وطار حتى قامت تنظر الشمس [٩] .

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٩ / ٢٨٧١) . وينظر : تنوير المقباس : ٣١٧ ، الدر المنثور : ٦ / ٣٥٣ .

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٩ / ١٥١) . ونسبه إليه ابن عطية وجماعة من المفسرين ؛ ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ٢٥٧ .

(٣) ينظر معانيه : ٤ / ١١٧ .

(٤) ينظر : تفسير الطبري : ١٩ / ١٥١ .

(٥) ينظر : التسهيل : ٣ / ٩٥ .

(٦) منهم : السمر قندي (٢ / ٥٧٩) ، وقدَّمه الثعلبي (٧ / ٢٠٥) ، وقدَّمه الماوردي (٤ / ٢٠٦) ، والواحدي (٢ / ٨٠٢) ، والزمخشري (٣ / ٣٦٧) ، **واستظهره** ابن عطية (٤ / ٢٥٧) ، وقدَّمه ابن الجوزي (٦ / ١٦٧) ، ولم يذكر الفخر الرَّازي (٢٤ / ١٦٦) غيره ، و **استظهره** القرطبي (١٣ / ١٩١) ، ولم يذكر البيضاوي (٤ / ٢٦٥) ولا النسفي (٣ / ٢١٠) غيره ، والخازن (٥ / ١٤٤) ، ولم يذكر النيسابوري (٥ / ٣٠٣) غيره ، وأبو حيان (٧ / ٦٨) ، والسمين الحلبي في الدر (٥ / ٣١١) ، وابن كثير (٣ / ٣٦٢) والبقاعي في نظم الدرر (٥ / ٤٢٢) ، والثعالبي (٤ / ٢٤٩) ، والجلالين (٤٩٧) ، ولم يذكر أبو السعود (٦ / ٢٨٣) غيره ، والخطيب الشربيني (٣ / ١٠١) ، وقال الشوكاني (٤ / ١٣٤) **وهو الأوَّلى** ، والآلوسي (١٩ / ١٩٣) ، والسعدي (٦٠٤) ، والطاهر بن عاشور (١٩ / ٢٥٧) ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي (١٠ / ٣٢١) .

(٧) ذكر القولين ولم يرجح من المفسرين : النحاس في معانيه (٥ / ١٢٨) ، والسمعاني (٤ / ٩٢) ، والبغوي (٣ / ٤١٥) ، ولم يتعرض القاسمي لهذه المسألة .

(٨) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٩ / ١٥٢) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٩ / ٢٨٧٠) . وعزاه السيوطي في الدر أيضاً (٦ / ٣٥٣) إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر . ونسبه إليه جماعة من المفسرين .

(٩) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٩ / ١٥١) . وذكره الفخر الرَّازي وابن جُزيّ من غير نسبة ، ينظر : التفسير الكبير : ٢٤ / ١٦٦ ، التسهيل : ٣ / ٩٥ .

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن الراجح أن معنى قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ ﴾ تنحَّ إلى مكان قريب لتسمع ما يقولون ؛ وهو ما رجّحه ابن جُزيّ ، ووافقه جماعة المفسرين** ؛ يدل على ذلك إضافة لما تقدم ، ولما يلي :

أولاً : هذا القول مرويٌّ عن **ابن عباس** ﷺ ، وهو حبر هذه الأمَّة وترجمان القرآن .

ثانياً : القرينة القرآنية :

قوله تعالى : ﴿ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾ أي : تأمل وتفكر فيما يرجع بعضهم إلى بعض من القول ، وما يتراجعونه بينهم من الكلام [(١)] ، من قوله تعالى : ﴿ ... يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ ... ﴾ [(٢)] . [(٣)]

قال **ابن جرير** : " وهذا القول **أشبه بتأويل الآية** ؛ لأن مراجعة المرأة قومها كانت بعد أن ألقي إليها الكتاب ، ولم يكن الهدهد لينصرف وقد أمر بأن ينظر إلى مراجعة القوم بينهم ما يتراجعونه قبل أن يفعل ما أمره به سليمان " . اهـ [(٤)] .

ثالثاً : أمره بالتولِّي حُسنُ أدب ليتنحَّى حسبما يتأدب به مع الملوك ، **بمعنى** : وكن قريباً حتى ترى مراجعاتهم ؛ قاله **وهب بن منبه** [(٥)] .

رابعاً : " **اتساق رتبة الكلام أظهر** ، أي : ألقه ، ثم تولَّ ، وفي خلال ذلك ﴿ فَٱنظُرْ ﴾ . وإنما أراد أن يكل الأمر إلى علم ما في الكتاب دون أن تكون للرسول ملازمة ولا إلحاح " قاله **ابن عطية** [(٦)] .

---

(١) ينظر : فتح القدير للشوكاني : ٤ / ١٣٦ .

(٢) سورة سبأ : ٣١ .

(٣) ينظر : الكشاف للزمخشري : ٣ / ٣٦٧ ، التفسير الكبير للفخر الرَّازي : ٢٤ / ١٦٦ ، تفسير القرطبي : ١٣ / ١٩١ ، تفسير النيسابوري : ٥ / ٣٠٣ .

(٤) تفسير الطبري : ١٩ / ١٥١ .

(٥) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٩ / ١٥١) . ونسبه إليه ابن عطية والقرطبي وغيرهما ؛ ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ٢٥٧ ، تفسير القرطبي : ١٣ / ١٩١ . وينظر : تفسير ابن كثير : ٣ / ٣٦٢ ، فتح القدير للشوكاني : ٤ / ١٣٦ .

(٦) المحرر الوجيز : ٤ / ٢٥٧ . وينظر : تفسير القرطبي : ١٣ / ١٩١ .

خامساً : يتأيد هذا القول **بالقاعدة الترجيحية** التالية :

- **القول الذي تؤيده قرائن في السِّياق مرجح على ما خالفه** [١] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

(١) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٢٩٩ .

قوله تعالى : ﴿ قَالَ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴾ . [آية : ٣٨] .

مسألة : في معنى قوله تعالى : ﴿ قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن معنى قوله تعالى : ﴿ مُسْلِمِينَ ﴾ الدخول في دين الإسلام ، فقال : ((القائل سليمان ، والملأ : جماعة من الجن والإنس ، وطلب عرشها قبل أن يأتوه مسلمين لأنه وصف له بعظمة ؛ فأراد أن يأخذه قبل أن يسلموا ؛ فيمنع إسلامهم من أخذ أموالهم ، فـ ﴿ مُسْلِمِينَ ﴾ على هذا من الدخول في دين الإسلام . وقيل : إنما طلب عرشها قبل أن يأتوه مسلمين ليظهر لهم قوته ؛ فـ ﴿ مُسْلِمِينَ ﴾ على هذا بمعنى : منقادين)) . اهـ [١] .

الدراسة :

طلب النبي سليمان عليه السلام من الملأ – وهم جماعة من الجن والإنس – أن يأتوه بعرش بلقيس ملكة سبأ ؛ قبل أن تأتيه وقومها مسلمين .

واختلف السَّلف وأهل العلم والمفسرون في **معنى قوله تعالى : ﴿ قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴾** على قولين :

القول الأوَّل : معنى ﴿ مُسْلِمِينَ ﴾ **الدخول في دين الإسلام** ، لأن سليمان عليه السلام علم أن بلقيس إن أسلمت يحرم عليه مالها ؛ فأراد أن يأخذ سريرها قبل أن يحرم عليه أخذه بإسلامها ، قاله قتادة [٢] ، وابن جريج [٣] ، وذهب إليه مقاتل [٤] ، وقاله الزَّجَّاج [٥] .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٩٦ .
(٢) سيأتي تخريجه لاحقاً .
(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٩ / ١٦٠) ، ونسبه إليه ابن عطية في تفسيره (٤ / ٢٦٠) .
(٤) ينظر تفسيره : ٢ / ٤٧٧ .
(٥) ينظر معانيه : ٤ / ١٢٠ .

وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ [١] ، ووافقه **أكثر** [٢] أهل التفسير [٣] .

عن **قتادة** قال : فلما بلغ سليمان أنها جائيةٌ ، وكان قد ذكر له عرشها فأعجبه ، وكان عرشها من ذهب وقوائمه لؤلؤ وجوهر ، وكان مستتراً بالديباج والحرير ، وكانت عليه تسعة مغاليق ، فكره أن يأخذه بعد إسلامهم ؛ وقد علم نبي الله أنهم متى ما أسلموا تحرم أموالهم مع دمائهم ، فأحب أن يؤتى من قبل أن يكون ذلك من أمرهم ، فقال : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴾ [٤] .

ورُوي عن **عطاء الخراساني** ، والسُّدي ، **وزهير بن محمد** [٥] نحو ذلك .

✖ **وتعقَّبه النسفي** بقوله : " وهذا بعيد عند أهل التحقيق " [٦] .

✖ **واستبعده أبو حيان** فقال : " لأن ذلك لا يقع من نبي أوتي ملكاً لم يؤته غيره " [٧] .

---

(١) ينظر : التسهيل : ٣ / ٩٦ .

(٢) نسبه إلى **أكثر أهل التفسير** : البغوي في تفسيره (٣ / ٤١٩) ، والقرطبي في تفسيره (١٣ / ٢٠٣) ، ومحمد بن موسى الدميري (ت ٨٠٨ هـ) في حياة الحيوان الكبرى (٢ / ١٦٨) ، وعبد الرحمن بن عبد السلام الصفوري (ت ٨٩٤ هـ) في نزهة المجالس ومنتخب النفائس (٢ / ٣٩٣) ، وابن عادل في تفسيره (١٥ / ١٦٣) ، والشوكاني في فتح القدير (٤ / ١٣٨) .

(٣) منهم : الثعلبي (٧ / ٢٠٩) وقدَّمه ، والواحدي (٢ (٨٠٤) ، وقدَّمه البغوي (٣ / ٤١٩) ، والبيضاوي (٤ / ٢٦٨) ، ولم يذكر ابن كثير (٣ / ٣٦٤) غيره ونسبه إلى غير واحد من السلف ، والخطيب الشربيني في السراج المنير (٣ / ١٠٥) ، والشوكاني (٤ / ١٣٨) ، والسعدي (٦٠٥) .

(٤) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٩ / ١٦٠) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٩ / ٢٨٨٣) ، وعزاه السيوطي في الدر أيضاً (٦ / ٣٥٩) إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر . ونسبه إليه جماعة من المفسرين .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم عن عطاء الخراساني ، والسدي ، وزهير بن محمد في تفسيره (٩ / ٢٨٨٤) ، ونسبه إليهم ابن كثير في تفسيره (٣ / ٣٦٤) .

وعطاء الخراساني هو : عطاء بن أبي مسلم الخراساني ، أبو عثمان ، وثقه جماعة ، إلا أنه كان رديء الحفظ ، كثير الوهم يخطئ ولا يعلم ، ويرسل عن الصحابة ويدلس ، فلما كثر ذلك في روايته بطل الاحتجاج به ، ت سنة ١٣٥هـ . ينظر : تهذيب الكمال : ٢٠ / ١٠٦ ١١٦ ، المجروحين : ٢ / ١٣٠ ، ١٣١ ، لسان الميزان : ٧ / ٣٠٥ .

وزهير بن محمَّد هو : زهير بن محمد التميمي المروزي الخَرَقي – بفتحتين – ، أبو المنذر : الحافظ المحدث ، اختلف علماء الحديث في توثيقه وتضعيفه . ت سنة ١٦٢ هـ . ينظر : السِّير : ٨ / ١٨٧ – ١٩٠ ، الوافي بالوفيات : ١٤ / ١٥٣ ،التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة : ١ / ٣٦٠ .

(٦) تفسير النسفي : ٣ / ٢١٣ .

(٧) البحر المحيط : ٧ / ٧٢ .

القول الثاني : معنى ﴿ مُسْلِمِينَ ﴾ **منقادين طائعين مستسلمين** ، قاله ابن عباس [١] رضي الله عنه **ورجَّحه** الطبري [٢] ، وجوَّزه الزَّجَّاج [٣] ، وقاله جماعة من المفسرين [٤] . [٥]

قال **ابن زيد** [٦] : استدعاه ليريها القدرة التي هي من عند الله ، وعظم سلطانه في معجزة يأتي بها في عرشها .

وقال **الطبري** : " وأولى الأقوال بالصواب في السبب الذي من أجله خص سليمان بسؤاله الملأ من جنده بإحضاره عرش هذه المرأة دون سائر ملكها عندنا : ليجعل ذلك حجة عليها في نبوته ، ويعرفها بذلك قدرة الله وعظيم شأنه ؛ أنها خلفته في بيت في جوف أبيات بعضها في جوف بعض مغلق مقفل عليها ، فأخرجه الله من ذلك كله بغير فتح أغلاق وأقفال حتى أوصله إلى وليه من خلقه ، وسلمه إليه ؛ فكان لها في ذلك أعظم حجة على حقيقة ما دعاها إليه سليمان وعلى صدق سليمان فيما أعلمها من نبوته " . اهـ [٧] .

وقال **أبو السعود** :

" وتقييد الإتيان به – أي عرش بلقيس – بقوله تعالى : ﴿ قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾

---

(١) أخرجه ابن جرير – ووصله – في تفسيره (١٩ / ١٦١) ؛ وعزاه السيوطي في الدر (٦ / ٣٥٩) إلى ابن المنذر . وينظر : تنوير المقباس : ٣١٨ . وذكره البخاري عنه تعليقاً ؛ ووصله ابن حجر في تغليق التعليق (٤ / ٢٧٦) . **فالأثر صحيح عن ابن عباس** رضي الله عنه .

(٢) ينظر : تفسير الطبري : ١٩ / ١٦١ .

(٣) ينظر معانيه : ٤ / ١٢٠ .

(٤) منهم : ابن أبي زمنين (٣ / ٣٠١) ، وقدّمه الماوردي في النكت والعيون (٤ / ٢١١) ، والسمعاني (٤ / ٩٨) ، والنسفي (٣ / ٢١٣) ، والخازن (٥ / ١٤٨) وقدَّم قول ابن عباس رضي الله عنه ، والبقاعي في نظم الدرر (٥ / ٤٢٦) ، والثعالبي (٤ / ٢٥١) ، وقدَّم ابن عادل (١٥ / ١٦٣) قول ابن عباس رضي الله عنه ، والجلالين (٤٩٩) ، وأبو السعود (٦ / ٢٨٦) ، وسيد قطب (٥ / ٢٦٤١) ، والطاهر بن عاشور (١٩ / ٢٧٠) ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي (١٠ / ٣٢٥) .

(٥) ذكر جماعة من المفسرين القولين و لم يرجحوا بينهما ؛ منهم : النحاس في معانيه (٥ / ١٣٢) ، والزمخشري (٣ / ٣٧١) ، وابن عطية (٤ / ٢٦٠) ، والفخر الرَّازي (٢٤ / ١٦٩) ، والقرطبي (١٣ / ٢٠٣) ، والنيسابوري (٥ / ٣٠٥) ، وأبو حيان (٧ / ٧٢) ، والآلوسي (١٩ / ٢٠١) . و لم يتعرض القاسمي والشنقيطي لهذه المسألة .

(٦) نسبه إليه : ابن عطية في تفسيره (٤ / ٢٦٠) ، والقرطبي في تفسيره (١٣ / ٢٠٣) ، وأبو حيان في تفسيره (٧ / ٧٢) ، والدميري في حياة الحيوان الكبرى (٢ / ١٦٨) ، والآلوسي في روح المعاني (١٩ / ٢٠١) .

(٧) تفسير الطبري : ١٩ / ١٦١ .

لما أن ذلك أبدع وأغرب وأبعد من الوقوع عادة ؛ **وأدل على عظيم قدرة الله تعالى** وصحة نبوته عليه السلام ؛ وليكون اختبارها وإطلاعها على بدائع المعجزات في أول مجيئها " . اهـ [١] .

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أنَّ الراجح أنَّ معنى ﴿ مُسْلِمِينَ ﴾ منقادين طائعين مستسلمين ؛ خلافاً لما ذهب إليه ابن جُزيّ ومن وافقه** ، يدل على ذلك إضافة لما تقدم ما يلي :

أولاً : هذا القول هو **قول ابن عباس** رضي الله عنهما ، وقد صحَّ عنه ، وهو حبر هذه الأمَّة والأعلم بالتنزيل .

ثانياً : " **هو أولى التأويلين** ؛ لأن المرأة لم تأت سليمان عليه السلام إذ أتته مسلمة ؛ وإنما أسلمت بعد مقدمها عليه ؛ وبعد محاورة جرت بينهما ومساءلة " ؛ قاله **الطبري** [٢] .

ثالثاً : هذا القول **أليق بمنصب النبوَّة** ؛ فيتعين حمل الآية عليه ؛ قاله **الثعالبي** [٣] .

رابعاً : " وفي القصة : أن بلقيس أقبلت في جنودها إلى سليمان عليه السلام طلبا للصلح ودخولاً في طاعته " قاله **السمعاني** [٤] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) تفسير أبي السعود : ٦ / ٢٨٦ .
(٢) تفسير الطبري : ١٩ / ١٦١ .
(٣) ينظر : تفسير الثعالبي : ٤ / ٢٥١ .
(٤) تفسير السمعاني : ٤ / ٩٨ .

قوله تعالى : ﴿ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلۡمٌ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسۡتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّى ... ﴾ . [آية : ٤٠] .

في الآية مسألتان :

المسألة الأولى : فيمن هو المراد بقوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلۡمٌ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن **﴿ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلۡمٌ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ هو آصف بن برخيا** ، فقال : ((﴿ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلۡمٌ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ هو آصف بن برخيا ، وكان رجلاً صالحاً من بني إسرائيل ؛ كان يعلم اسم الله الأعظم . وقيل : هو الخضر . وقيل : هو جبريل . **والأوَّل أشهر** ، وقيل : سليمان ، **وهذا بعيد**)) . اهـ [1] .

الدراسة :

اختلف أهل العلم والمفسرون في **من هو المراد بقوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلۡمٌ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾** وهل هو إنسي أم ملك ؟ فيه قولان :

أحدهما : أنه إنسي ، وفيه أقوال منها :

القول الأوَّل : هو **آصف بن برخيا** ، وكان رجلاً صالحاً من بني إسرائيل ؛ كان يعلم اسم الله الأعظم [2] .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٩٦ .

(٢) اختلفوا في الدعاء الذي دعا آصف ، فقال مجاهد ومقاتل : يا ذا الجلال والإكرام . وقال الكلبي : يا حي يا قيوم وروي ذلك عن عائشة – رضي الله عنها – ، وروي عن الزهري قال : دعاء الذي عنده علمٌ من الكتاب : يا إلهنا وإله كل شيء إلهاً واحداً لا إله إلا أنت ائتني بعرشها . ينظر تفسير مجاهد : ٢ / ٤٧٢ ، تفسير مقاتل : ٢ / ٤٧٧ ، تفسير الطبري : ١٩ / ١٦٣ ، تفسير البغوي : ٣ / ٤٢٠ ، السراج المنير للخطيب الشربيني : ٣ / ١٠٦ . وأخرجه عن مجاهد ابن أبي حاتم في تفسيره (٩ / ٢٨٨٦) .
قال سيد قطب : " ولقد جرى بعض المفسرين وراء قوله : ﴿ عِندَهُۥ عِلۡمٌ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ فقال بعضهم : إنه التوراة . وقال بعضهم : إنه كان يعرف اسم الله الأعظم . وقال بعضهم غير هذا وذاك . وليس فيما قيل تفسير ولا تعليل مستيقن . والأمر أيسر من هذا كله حين ننظر إليه بمنظار الواقع ، فكم في هذا الكون من أسرار لا نعلمها ، وكم فيه من قوى لا نستخدمها . وكم في النفس البشرية من أسرار كذلك وقوى لا نهتدي إليها . =

قاله **ابن عباس** ﷺ [١] ، ومجاهد [٢] ، وقتادة [٣] وغيرهم ، وقاله مقاتل [٤] ، وذكره الزَّجَّاج [٥] ، وقاله ابن منظور [٦] .

وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ [٧] ، وهو **القول الأشهر** [٨] ووافقه **أكثر** [٩] المفسرين [١٠] .

عن **ابن عباس** ﷺ قال : « كان آصف كاتب سليمان بن داود عليه السلام ... » [١١] .

= فحيثما أراد الله هدى من يريد إلى أحد هذه الأسرار وإلى واحدة من هذه القوى فجاءت الخارقة التي لا تقع في مألوف الحياة وجرت بإذن الله وتدبيره وتسخيره ، حيث لا يملك من لم يرد أن يجريها على يديه أن يجريها . وهذا الذي عنده علم من الكتاب ، كانت نفسه مهيأة بسبب ما عنده من العلم ، أن تتصل ببعض الأسرار والقوى الكونية التي تتم بها تلك الخارقة التي تمت على يده ، لأن ما عنده من علم الكتاب وصل قلبه بربه على نحو يهيئه للتلقي ، ولاستخدام ما وهبه الله من قوى وأسرار" . اهـ . ينظر : الظلال : ٥ / ٢٦٤١ .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٩ / ٢٨٨٥) ، ونسبه إليه ابن كثير (٣ / ٣٦٥) ، وعزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم في الدر (٦ / ٣٦٠) . وينظر : تنوير المقباس : ٣١٨ .

(٢) قال مجاهد : كان عنده الاسم الذي إذا دعي به أجاب ؛ وهو (يا ذا الجلال والإكرام) . ينظر تفسيره : ٢ / ٤٧٢ . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٩ / ٢٨٨٦) .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٩ / ٢٨٨٦) ، وعزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم في الدر (٦ / ٣٦٠) .

(٤) ينظر تفسيره : ٢ / ٤٧٧ .

(٥) ينظر معانيه : ٤ / ١٢١ .

(٦) ينظر : لسان العرب (مادة : أصف) : ٩ / ٦ .

(٧) ينظر : التسهيل : ٣ / ٩٦ .

(٨) قال بذلك : الفخر الرَّازي ، وابن جُزيّ ، والآلوسي ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : التفسير الكبير : ٢٤ / ١٦٩ ، التسهيل : ٣ / ٩٦ ، روح المعاني : ١٩ / ٢٠٣ الوسيط : ١٠ / ٣٢٦ .

(٩) نسبه إلى أكثر المفسرين : السمر قندي ، والثعلبي ، والسمعاني ، والبغوي ، وابن عطية ، والقرطبي ، والنسفي ، وأبو حيان ، والثعالبي ، وابن عادل ، والخطيب الشربيني ، والآلوسي ، والطاهر بن عاشور . ينظر : تفسير السمر قندي : ٢ / ٥٨٢ ، الكشف والبيان : ٧ / ٢١٠ ، تفسير السمعاني : ٤ / ٩٩ ، تفسير البغوي : ٣ / ٤٢٠ ، المحرر الوجيز : ٤ / ٢٦١ ، تفسير القرطبي : ١٣ / ٢٠٤ ، تفسير النسفي : ٣ / ٢١٤ ، البحر المحيط : ٧ / ٧٣ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ٢٥١ ، تفسير ابن عادل : ١٥ / ١٦٥ ، السراج المنير : ٣ / 106 ، روح المعاني : ١٩ / ٢٠٣ ، التحرير والتنوير : ١٩ / ٢٧١ .

(١٠) منهم : السمر قندي (٢ / ٥٨٢) ، وابن أبي زمنين (٣ / ٣٠٢) ، والواحدي (٢ / ٨٠٤) ، و**صحَّحه** السمعاني (٤ / ٩٩) ، وقدَّمه ابن الجوزي في الزاد (٦ / ١٧٤) ، و**صحَّحه** النسفي (٣ / ٢١٤) ، وقدَّمه الثعالبي (٤ / ٢٥١) ، والجلالين (٤٩٩) ، **وقال** الشوكاني (٤ / ١٣٩) **هو الأوَّلى** .

(١١) أخرجه ابن أبي حاتم مختصراً في تفسيره (٩ / ٢٨٨٥) . وأخرجه النسائي في السنن الكبرى – بطوله – في كتاب عمل اليوم والليلة ، قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ ﴾ (١٠٩٩٤) : ٦ / ٢٨٨ .

القول الثاني : هو الخضر عليه السلام ، قاله **ابن لهيعة** [١] .

قال ابن كثير : " وهو غريب جداً " [٢].

القول الثالث : هو **سليمان** عليه السلام ، قاله **الفخر الرَّازي** ، ومال إليه **النيسابوري** [٣] .

قالوا : والمخاطبة للعفريت لما قال هو : ﴿ أَنَاْ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ... ﴾ [٤] ، كأن سليمان عليه السلام استبطأ ذلك ؛ فقال له على جهة تحقيره : ﴿ أَنَاْ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾ ، وأراد عليه السلام إظهار معجزة ، فتحدَّاهم أولاً ، ثم بين للعفريت أنه يتأتى له من سرعة الإتيان بالعرش ما لا يتهيأ للعفريت [٥] .

قال **الفخر الرَّازي** : " **وهذا القول أقرب** " [٦] .

واستدل لذلك بوجوه منها :

١. أن سليمان عليه السلام كان أعرف بالكتاب من غيره ؛ لأنه هو النبي فكان صرف اللفظ إليه أوْلى .

٢. أنّ إحضار العرش في تلك الساعة اللطيفة درجة عالية فلو حصلت لآصف دون سليمان لاقتضى ذلك قصور حال النبي سليمان عليه السلام في أعين الخلق .

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٩ / ٢٨٨٥) ، ونسبه إليه الخطيب الشربيني في تفسيره (٣ / ١٠٦) .
وابن لهيعة هو : عبد الله بن لهيعة بن عقبة بن فرعان الحضرمي المصري ، أبو عبد الرحمن : قاضي الديار المصرية وعالمها ومحدثها في عصره . احترقت كتبه سنة ١٧٠ هـ ، وهو ضعيف الحديث قبل أن تحترق كتبه وبعد احتراقها ، وليس ممن يحتج بحديثه . ذكر الذهبي والسيوطي بأن ابن لهيعة وثّقه أحمد وغيره ، وضعَّفه يحيى القطان وغيره . قال الإمام أحمد بن حنبل : ما كان محدث مصر إلاّ ابن لهيعة . وقال الذهبي وغيره : كان ابن لهيعة من الكتاب للحديث والجماعين للعلم والرحالين فيه . ت بالقاهرة سنة ١٧٤ هـ . ينظر : الضعفاء والمتروكين لعبد الرحمن بن علي بن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ) : ٢ / ١٣٦ ، ١٣٧ ، تذكرة الحفاظ : ١ / ٢٣٧ - ٢٣٩ ، طبقات الحفاظ : ١٠٧ .

(٢) تفسير ابن كثير : ٣ / ٣٦٥ .

(٣) ينظر : التفسير الكبير : ٢٤ / ١٦٩ ، ١٧٠ ، تفسير غرائب القرآن : ٥ / ٣٠٥ .

(٤) سورة النمل : ٣٩ .

(٥) ينظر : التفسير الكبير : ٢٤ / ١٦٩ ، ١٧٠ .

(٦) المرجع السابق .

٣. أنه قال : ﴿ هَـٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى ﴾ فظاهره يقتضي أن يكون ذلك المعجز قد أظهره الله تعالى بدعاء النبي سليمان عليه السلام .

✖ **وتُعقِّب** :

١. على جميع الأقوال على سليمان عليه السلام فضل من الله تعالى .

٢. لا يصحُّ في سياق الكلام مثل هذا التأويل [١] .

٣. أنه من أغرب الأقوال ، كأن النبي سليمان عليه السلام يقول لنفسه : ﴿ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ ... ﴾ ، أو يكون خاطب بذلك العفريت [٢] .

٤. الأظهر أن القائل أحد اتباعه ، ولا يلزم من ذلك أنه عليه السلام لم يكن قادراً على الإتيان به .

٥. كذلك فان عادة الملوك تكليف أتباعهم بمصالح لهم لا يعجزهم فعلها بأنفسهم ؛ ولا يضر في ذلك كون الغرض مما يتم بالقول ؛ وهو الدعاء ، ولا يحتاج إلى أعمال البدن وأتعابه كما لا يخفى [٣] .

٦. لو كان ﴿ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ ﴾ هو سليمان عليه السلام لأظهره السِّياق باسمه ولما أخفاه ؛ والقصة عنه ، ولا داعي لإخفاء اسمه فيها عند هذا الموقف الباهر [٤] .

✖ **وتعقَّب** هذا القول **أبو السعود** بقوله : " وفيه بُعد لا يخفى " [٥] .

القول الرابع : **أنه عابد** خرج يومئذ من جُزيّرة في البحر ؛ فوجد سليمان فدعا فأتي بالعرش قاله **ابن زيد** [٦] .

---

(١) ينظر : تفسير القرطبي : ١٣ / ٢٠٥ .
(٢) ينظر : البحر المحيط لأبي حيان : ٧ / ٧٣ .
(٣) ينظر : روح المعاني للآلوسي : ١٩ / ٢٠٤ .
(٤) ينظر : الظلال : ٥ / ٢٦٤١ .
(٥) تفسير أبي السعود : ٦ / ٢٨٧ .
(٦) نسبه ابن الجوزي والقرطبي إليه . ينظر : زاد المسير : ٦ / ١٧٥ ، تفسير القرطبي : ١٣ / ٢٠٥ .

الثاني : أنه **مَلَك** ، **قدَّمه الماوردي** [١] ؛ وفيه قولين :

القول الأوَّل : هو **جبريل** عليه السلام .

القول الثاني : هو **ملك من الملائكة أيد الله به سليمان** عليه السلام ، حكاهما الثعلبي [٢] .

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن الراجح أن ﴿ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلۡمٌ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ قد أبهم الله اسمه ؛ وهو ما رجَّحه أبو حيان ، خلافا لما ذهب إليه ابن جُزيّ ومن وافقه من جمهور المفسرين** ؛ يدل على ذلك :

أولاً : جميع ما ذكر أقوال مضطربة ، وقد أبهم الله اسمه ، فكان ينبغي أن لا يذكر اسمه حتى يخبر به نبي [٣] .

ثانياً : ما قاله ابن جُزيّ وجمهور المفسرين أن اسمه آصف بن برخيا لا دليل عليه [٤] .

ثالثاً : قال بالأقوال جميعها أو بعضها و لم يرجح جماعة من المفسرين [٥] ؛ مما يدل على عدم رجحان أي قول من الأقوال .

رابعاً : على المسلم أن يهتم بمعرفة الأحكام الشرعية العملية التي يترتب عليها فعل طاعة أو ترك معصية ، وينبغي أن يعرف المسلم كذلك الأمور الأخرى التي تعينه على ذلك ، ولا مانع من أن يطلع على الأخبار والقصص التي ورد بها حديث يعتمد عليه أو أثر يعول عليه ، وليحذر طالب العلم بهذه الأمور من الأخبار الموضوعة والأحاديث المكذوبة وما أكثرها في

---

(١) ينظر : النكت والعيون : ٤ / ٢١٣ .
(٢) ينظر : الكشف والبيان : ٧ / ٢١٠ ، ٢١١ .
(٣) ينظر : البحر المحيط : ٧ / ٧٣ .
(٤) ينظر : الظلال : ٥ / ٢٦٤١ .
(٥) في تفاسيرهم ؛ منهم : الطبري (١٩ / ١٦٢ ، ١٦٣) ، والنحاس في معانيه (٥ / ١٣٥) ، والثعلبي (٧ / ٢١٠ ، ٢١١) ، والبغوي (٣ / ٤٢٠) ، والزمخشري (٣ / ٣٧٢) ، وابن عطية (٤ / ٢٦١) ، والقرطبي (١٣ / ٢٠٤ ، ٢٠٥) والبيضاوي (٤ / ٢٦٨) ، والخازن (٥ / ١٤٨ ، ١٤٩) ، وأبو حيان (٧ / ٧٢ ، ٧٣) ، وابن كثير (٣ / ٣٦٥) ، وابن عادل (١٥ / ١٦٥) ، وأبو السعود (٦ / ٢٨٧) ، والخطيب الشربيني (٣ / ١٠٦) والآلوسي (١٩ / ٢٠٤) ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي (١٠ / ٣٢٦) .

هذا المجال . وإن قصة آصف بن برخيا لم يرد فيها حديث مرفوع إلى النبي ﷺ - في حدود ما اطلعت - وإنما ورد فيها كلامٌ لابن عباس رضي الله عنهما فيما رواه النسائي في السنن الكبرى - وهو المذكور آنفاً - ؛ وفي سند هذا الحديث **المنهال بن عمرو الأسدي** ، قال عنه ابن حجر في تقريب التهذيب : صدوق ، وربما وهم [1] . ومن كان هذا حاله ، فإن حديثه قابل للتحسين ، لاسيَّما أن صاحب الصحيح البخاري أخرج له كما أشار إلى ذلك ابن حجر في التقريب برمز (خ) وهذا يبين براءة آصف بن برخيا مما نُسب إليه .

والله تعالى أعلم بالصواب .

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

المسألة الثانية : في المراد بالطرف في قوله تعالى :﴿ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن المراد بالطرف في قوله تعالى : ﴿ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾ : قبل أن تغض بصرك إذا نظرت إلى شيء ، فقال : ((الطرف : العين ؛ فالمعنى على هذا : قبل أن تغض بصرك إذا نظرت إلى شيء . وقيل : الطرف تحريك الأجفان إذا نظرت)) . اهـ [2] .

الدراسة :

اختلف أهل العلم والمفسرون في **المراد بالطرف في قوله تعالى : ﴿ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ**

---

(١) ينظر : التقريب : ٥٤٧ .

والمنهال بن عمرو الأسدي هو : المنهال بن عمرو الأسدي مولاهم ، وثّقه ابن معين وغيره ، وروى له البخاري في صحيحه ، وتركه شعبة لأنه سمع من داره قراءة القرآن بالتطريب . ينظر : لسان الميزان : ٧ / ٤٠٠ ، الكاشف : ٢ / ٢٩٨ ، التقريب : ٥٤٧ .

(٢) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٩٦ .

سورة النمل ـــــــ

قال مجاهد [٢] : معناه : قبل أن يحتاج إلى التغميض ؛ أي : مدة ما يمكنك أن تمد بصرك دون تغميض وذلك ارتداد .

قال الزَّمخشري :

" وهو تحريكك أجفانك إذا نظرت ، فوضع موضع النظر " . اهـ [٣] .

وقال الفخر الرَّازي :

" فإذا فتحت الجفن فقد يتوهم أن نور العين امتد إلى المرئي ، وإذا أغمضت الجفن فقد يتوهم أن ذلك النور ارتد إلى العين ، فهذا هو المراد من ارتداد الطرف " . اهـ [٤] .

ومعنى الآية : " قال الرجل الذى عنده علم من كتاب الله : يا نبي الله سليمان ؛ أنا آتيك بعرش بلقيس قبل أن تغمض عينك وتفتحها ، وهو كناية عن السرعة الفائقة فى إحضاره " [٥] .

واستدل له من كلام العرب [٦] :

لأنَّ الطَّرْفَ قد وُصِفَ بالإرسال في قوله :

= (١٥ / ١٦٦) ، وأبو السعود (٦ / ٢٨٧) ، والخطيب الشربيني في السراج (٣ / ١٠٦) ، والشوكاني (٤ / ١٣٩) **وقال : هو أولى الأقوال** ، والآلوسي (١٩ / ٢٠٤) ، والطاهر بن عاشور (١٩ / ٢٧١) ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي (١٠ / ٣٢٦) .

(١) قال بالأقوال جميعها أو بعضها و لم يرجح جماعة من المفسرين ؛ منهم : النحاس (٥ / ١٣٥) ، والثعلبي (٧ / ٢١١ ، ٢١٢) ، والسمعاني (٤ / ٩٩) ، وابن عطية (٤ / ٢٦٠) .

(٢) أخرجه بنحوه : ابن جرير في تفسيره (١٩ / ١٦٤) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٩ / ٢٨٨٨) ، وذكره بنحوه : الثعلبي في تفسيره (٧ / ٢١١) ، والبغوي في تفسيره (٣ / ٤٢٠) ، وابن عطية في تفسيره (٤ /٢٦٠) ، وأبو حيان في البحر المحيط (٧ / ٧٣) ، والسيوطي في الدر (٦ / ٣٦١) ، وعزاه للفريابي ، وابن أبي شيبه وعبد بن حميد ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم .

(٣) الكشاف : ٣ / ٣٧٢ .

(٤) التفسير الكبير : ٢٤ / ١٧٠ . وينظر : تفسير النيسابوري : ٥ / ٣٠٦ .

(٥) الوسيط لمحمَّد سيِّد طنطاوي : ١٠ / ٣٢٦ .

(٦) أورد الأبيات جماعة من المفسرين عند تفسير الآية من غير نسبة . ينظر : الكشاف للزَّمخشري : ٣ / ٣٧٢ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، البحر المحيط لأبي حيان : ٧ / ٧٣ ، تفسير ابن عادل : ١٥ / ١٦٦ ، السراج المنير للخطيب الشربيني : ٣ / ١٠٦ ، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور : ١٩ / ٢٧١ .

سورة النمل ـــــــ

وقال **ابن منظور** : " والطرف : طرف العين ، والطرف إطباق الجفن على الجفن " [١] .

ثانياً : معنى النظير القرآني :

قوله تعالى في سورة إبراهيم عليه السلام : ﴿ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ... ﴾ . [سورة إبراهيم عليه السلام : ٤٣] .

ونحن نعرف أن الإنسان عندما يستوحش ويذهل ، تبقى عيناه مفتوحتان على وتيرة واحدة كأنّهما عينا ميِّت لا تتحركان .

فبناءً على ذلك فالمراد منه أنّني سأحضر عرش ملكة بلقيس قبل أن يتحرك جفناك .

✓ **المعجزة في إحضار عرش بلقيس :**

قال **الإمام مالك – عن بلقيس –** : كانت باليمن وسليمان بالشام [٢] .

قال **ابن العربي** :

" أراد مالك أن هذه معجزة ؛ لأن قطع المسافة البعيدة بالعرش في المدة القصيرة لا يكون إلا بأحد الوجهين ؛ إما أن تعدم المسافة بين الشام واليمن ، وإما أن يعدم العرش باليمن ويوجد بالشام ، والكل لله سبحانه مقدور عليه هين وهو عندنا غير متعين " . اهـ [٣] .

وقال النيسابوري : " ومن استبعد هذا في قدرة الله فليتأمل في الحركات السماوية على ما يشهد به علم الهيئة حتى يزول في لحظة أو لمحة " . اهـ [٤] .

وفى ذلك ما فيه من الدلالة على شرف العلم وفضله وشرف حامليه وفضلهم ، وأن هذه الكرامة التى وهبها الله لهذا الرجل ، كانت بسبب ما آتاه ﷻ من علم .

---

(١) لسان العرب (مادة : طرف) : ٩ / ٢١٣ .
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٩ / ٢٨٨٦) .
(٣) أحكام القرآن لابن العربي : ٣ / ٤٨٩ .
(٤) تفسير غرائب القرآن : ٥ / ٣٠٦ .

و في إحضار عرش بلقيس وجه من وجوه الإعجاز العلمي :

القرآن بحر مليء بالأسرار العلمية ، ولا تزال كثير من آياته تنطوي على أسرار ودقائق علمية لم تظهر حتى يومنا هذا ، ومن ذلك قصة النبي سليمان عليه السلام مع بلقيس وعرشها ....

إن مسألة إحضار عرش ملكة سبأ " بلقيس " بواسطة أحد جنود سليمان عليه السلام ﴿ **ٱلَّذِىَ عِندَهُۥ عِلۡمٌ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ** ﴾ ، وكيف تمَّ ذلك في طرفة العين ؟ وهل هناك علاقة لسرعة الضوء ؟ مسألة علمية نتوقف عندها قليلاً .....

إن الله تعالى أكرم أنبياءه بمعجزات تفوق ما توصل إليه البشر في القرن الحادي والعشرين . وهذه المعجزة حقيقة لا شك فيها ، ولكن العلم لم يتوصل إلى سر هذه المعجزة ! كذلك هناك الكثير من معجزات الرسل السابقين لا يمكن أن نجد لها تفسيراً لأنها تفوق طاقة البشر ومن ذلك معجزة النبي سليمان عليه السلام ؛ فقد سخَّر الله له الجن والشياطين والعفاريت ؛ فكيف نفسر ذلك علمياً ؟

إن الله سخر لأحد جنود سليمان عليه السلام طاقة الكون له لتقوم بجلب هذا العرش بسرعة هائلة أشبه بسرعة الضوء ! وزمن طرفة العين هو ٠.٠٢٥ ثانية ، وهو زمن ضئيل جداً ، وخلال هذا الزمن تم إحضار العرش : ﴿ **قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَ** ﴾ ، واليوم لا نعجب إذا علمنا أن بعض الباحثين يفكرون في تسريع الأجسام حتى تبلغ سرعة الضوء ، واستغلال هذه السرعة في عمليات النقل ولكن لا تزال الأبحاث محدودة في هذا المجال .

لقد حاول بعض الباحثين الربط بين هذه القصة وبين سرعة الضوء ، وقالوا : إن المسافة من فلسطين (مكان سليمان) إلى اليمن (مكان ملكة سبأ) قد قطعها الذي يحمل العرش بسرعة الضوء ، ومع أنني لا أستطيع أن أنكر أي فرضية مادامت تتفق مع العقل والمنطق العلمي ، إلا أنه لا يوجد برهان علمي على ذلك [1] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) ينظر : موقع عبد الدائم الكحيل للإعجاز العلمي في القرآن والسُّنة ، مقال : كيف تم إحضار عرش بلقيس ؟ بتصرف .

سورة النمل ـــــــ

الفساد ؛ أي : قال بعضهم لبعض في أثناء المشاورة في أمر صالح عليه السلام ، وكان ذلك على ما قال ابن عباس رضي الله عنهما [١] بعد أن عقروا الناقة أنذرهم بالعذاب ، وقوله : ﴿ ... تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ... ﴾ [٢] .

وعن محمد بن اسحاق قال : فلما قال لهم صالح ذلك ، قال : التسعة الذين عقروا الناقة : هلُمَّ فلنقتل صالحاً ؛ فان كان صادقاً عجلناه قبلنا ، وان كان كاذباً كنا قد ألحقناه بناقته . فأتوه ليلاً ليبيتوه في أهله ، فدمغتهم الملائكة بالحجارة ، فلما أبطؤوا على أصحابهم أتوا منزل صالح فوجدوهم متشدخين قد رضخوا ، بالحجارة فقالوا لصالح : أنت قتلتهم ، ثم هموا به ، فقامت عشيرته دونه ولبسوا السلاح ، وقالوا لهم : والله لا تقتلونه أبدا وقد وعدكم إن العذاب نازل بكم في ثلاث ، فان كان صادقا لم تزيدوا ربكم غضبا ، وان كان كاذبا فانتم من وراء ما تريدون انصرفوا عنهم ليلتهم تلك [٣] .

✓ وفي قوله تعالى : ﴿ قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ ... ﴾ **قراءتان متواتران سبعيتان** كما يلي :

- قرأ الجمهور [٤] : - بالنون ونصب التاء - ﴿ قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ ﴾ و ﴿ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ ﴾ - بالنون ونصب اللام - ؛ وحجَّتهم قوله : ﴿ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴾ .

- وقرأ **حمزة** والكسائي : (قالوا تقاسموا بالله لتُبيتنه) - بالتاء وضم التاء الثانية - (ثم لتقولُن) - بالتاء أيضاً وضمِّ اللام - [٥] .

---

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٩ / ١٧٢) .

(٢) سورة هود عليه السلام : ٦٥ .

(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٨ / ٢٢٨) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٩ / ٢٩٠٠) . ونسبه إليه جماعة من المفسرين .

(٤) وهم : ابن كثير ، ونافع ، وابن عامر الشامي ، وأبو عمرو البصري ، وعاصم .

(٥) ينظر : حجة القراءات لابن زنجلة :٥٣٠ ، إتحاف فضلاء البشر للبناء : ٤٢٩ .

و**حمزة** هو : حمزة بن حبيب بن عمارة التيمي الزيات مولاهم ، أبو عمارة الكوفي ، العلامة القارئ ، أحد السبعة المشهورين ، كان إماماً حجَّة قيماً ، حافظاً للحديث ، بصيراً بالفرائض والعربية ت سنة ١٥٦ هـ . ينظر : طبقات ابن سعد : ٦ / ٣٨٥ ، السِّير : ٧ / ٩٠ - ٩٢ ، معرفة القراء الكبار : ١ / ١١١ - ١١٨ .

✖ وقرئ في الشاذِّ : (لَيُبَيِّتَنَّه) بالياء [١] .

واختلف أهل العلم والمفسرون في **الفعل ﴿ تَقَاسَمُواْ ﴾ هل هو فعل ماض أو أمر** ؛ وحاصل اختلافهم يرجع إلى قولين :

القول الأوَّل : الفعل ﴿ تَقَاسَمُواْ ﴾ فعل ماض مفسرا لـ ﴿ قَالُواْ ﴾ ؛ كأنه قيل : ما قالوا ؟ فقال : ﴿ تَقَاسَمُواْ ﴾ ، أي تحالفوا بالله ، جوَّزه الطبري [٢] .

واستدل له :

بقراءة عبد الله بن مسعود ﷺ : (ولا يصلحون تقاسموا) بسقوط ﴿ قَالُواْ ﴾ [٣] .

أو : يكون خبراً على محل الحال بإضمار (قد) ؛ أي : قالوا ذلك متقاسمين ، **أجازه الزَّمخشري ، وابن عطية** [٤] .

وقال بالوجهين : **البيضاوي ، وجوَّزهما الشوكاني** [٥] .

✖ **وضعَّف ابن جُزيّ** [٦] هذا القول .

✖ **واعترض أبو حيان أيضاً على ما أجازه الزَّمخشري فقال :**

" أما قوله – أي قول الزَّمخشري – : (وخبراً) ، فلا يصحُّ ؛ لأن الخبر هو أحد قسمي

---

(١) هذه القراءة قراءة مجاهد ، وابن وثاب ، وطلحة ، والأعمش : بياء الغيبة ، والفعلان مسندان للجمع ؛ وحميد بن قيس : بياء الغيبة في الأوَّل مسنداً للجمع ، أي ليبيتنه ، أي: قوم منا ، وبالنون في الثاني ؛ نسبها الفراء إلى مجاهد في معانيه (٣ / ٢٦٤) ؛ ونسبها غير واحد من المفسرين له ولغيره . ينظر : إعراب القرآن للنحاس : ٣ / ٢١٥ ، البحر المحيط لأبي حيان : ٧ / ٨٠ ، زاد المسير لابن الجوزي : ٦ / ١٨١ ، ١٨٢ ، المحرر الوجيز لابن عطية : ٤ / ٢٦٤ . وهي **قراءة بالغة الشذوذ** تحمل على التفسير . ينظر : مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه : ١١١ ، إتحاف فضلاء البشر للبناء : ٤٢٩ .

(٢) ينظر : تفسير الطبري : ١٩ / ١٧٢ .

(٣) أورد هذه القراءة الفرَّاء في معانيه (٣ / ٣ / ٢٦٤) ، وابن جرير في تفسيره (١٩ / ١٧٢) ، وابن عطية في تفسيره (٤ / ٢٦٣) ، والقرطبي في تفسيره (١٣ / ٢١٦) ، والثعالبي في تفسيره (٤ / ٢٥٣) . وهي **قراءة بالغة الشذوذ** تحمل على التفسير . ينظر : مختصر في شواذ القرآن : ١١٢ ، إتحاف فضلاء البشر للبناء : ٤٢٩ .

(٤) ينظر : الكشاف : ٣ / ٣٧٦ ، المحرر الوجيز : ٤ / ٢٦٣ .

(٥) ينظر : تفسير البيضاوي : ٤ / ٢٧١ ، فتح القدير : ٤ / ١٤٣ .

(٦) ينظر : التسهيل : ٣ / ٩٧ .

الكلام إذ هو منقسم إلى الخبر والإنشاء ، وجميع معانيه إذا حققت راجعة إلى هذين القسمين " . اهـ [١] .

✓ **وتعقَّب السَّمين الحلبي قول أبي حيان ؛ فقال :**

" ولا أدري : عدمُ الصحة مِنْ ماذا ؟ لأنه جَعَلَ الماضي خبراً لاحتمالِهن الصدقَ والكذبَ مقابلاً للأمرِ الذي لا يَحْتَملهما . أمَّا كونُ الكلامِ لا ينقسمُ إلاَّ إلى خبر وإنشاء ، وأنَّ معانيَه إذا حُقِّقَتْ تَرْجِعُ إليهما ، فأيُّ مَدْخلٍ لهذا في الردِّ على أبي القاسم ؟! " . اهـ [٢] .

✖ **ثم قال أبو حيان :**

" والتقييد بالحال ليس إلا من باب نسبة التقييد ، لا من نسبة الكلام التي هي الإسناد ، فإذا أطلق عليها الخبر كان ذلك على تقدير أنها لو لم تكن حالاً لجاز أن تستعمل خبراً ، وكذلك قولهم في الجملة الواقعة صلة : هي خبرية ، فهو مجاز ، والمعنى : أنها لو لم تكن صلة لجاز أن تستعمل خبراً ، وهذا شيءٌ فيه غموض " . اهـ [٣] .

✓ **وأجابه السَّمين الحلبي :**

" مُسَلَّمٌ أنَّ الجملةَ ما دامَتْ حالاً أو صلةً لا يُقال لها : خبرية ، يعني أنها تَسْتَقِلُّ بإفادةِ الإسنادِ ؛ لأنها سِيْقَتْ مَسَاقَ القَيْدِ في الحالِ ومَسَاقَ جزءِ كلمةٍ في الصلةِ ، وكان ينبغي أن تُذَكَّرَ أيضاً الجملةُ الواقعةُ صفةً فإن الحكمَ فيها كذلك " . اهـ [٤] .

✖ **ثم قال أبو حيان :**

" ولا يحتاج إلى الإضمار (أي : إضمار قد) ، فقد كثر وقوع الماضي حالاً بغير (قد) كثرة ينبغي القياس عليها " . اهـ [٥] .

---

(١) البحر المحيط : ٧ / ٨٠ .
(٢) الدر المصون : ٥ / ٣١٩ .
(٣) البحر المحيط : ٧ / ٨٠ .
(٤) الدر المصون : ٥ / ٣١٩ .
(٥) البحر المحيط : ٧ / ٨٠ .

✓ **وأجابه السَّمين الحلبي :**

" الزَّمخشري مَشَى مع الجمهورِ ؛ فإنَّ مذهَبهم أنهم لا بُدَّ من (قد) ظاهرةً أو مضمرةً لِتُقَرِّبَه من الحال " . اهـ [١] .

القول الثاني : الفعل ﴿ تَقَاسَمُواْ ﴾ فعل أمر محكي بالقول ؛ قاله بعضهم لبعض، وتعاقدوا عليه ؛ أي : احلفوا بالله ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٢] ، **واستظهره** أبو حيان [٣] ووافقه **جمهور** [٤] المفسرين [٥] . [٦]

قال الطبري :

" فعلى هذا الوجه الثاني تصلح قراءة ﴿ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ ﴾ بالياء والنون ؛ لأن القائل لهم ﴿ تَقَاسَمُواْ ﴾ وإن كان هو الآمر فهو فيمن أقسم ؛ كما يقال في الكلام : انهضوا بنا نمض إلى فلان ؛ وانهضوا نمضي إليه " . اهـ [٧] .

قال ابن عطية : " وهذه الألفاظ الدالة على قسم أو حلف تجاوب باللام ، وإن لم يتقدم قسم ظاهر فاللام في ﴿ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ ﴾ جواب ذلك " . اهـ [٨] .

---

(١) الدر المصون : ٥ / ٣١٩ .

(٢) ينظر : التسهيل : ٣ / ٩٧ .

(٣) ينظر : البحر المحيط : ٧ / ٨٠ .

(٤) نسب هذا القول إلى الجمهور : ابن عطية في تفسيره (٤ / ٢٦٣) ، وأبو حيان في البحر المحيط (٧ / ٨٠) ، والثعالبي في تفسيره (٤ / ٢٥٣) ، والآلوسي في روح المعاني (١٩ / ٢١٣) .

(٥) ومنهم : الثعلبي (٧ / ٢١٦) ، والواحدي (٢ / ٨٠٦) ، والسمعاني (٤ / ١٠٥) ، والبغوي (٣ / ٤٢٣) وابن الجوزي في الزاد (٦ / ١٨١) ، والخازن (٥ / ١٥٢) ، والبقاعي في نظم الدرر (٥ / ٤٢٣) ، والجلالين (٥٠٠) ، والشوكاني (٤ / ١٤٣) ، والآلوسي في روح المعاني (١٩ / ٢١٣) ، **وصوَّبه** الشنقيطي في أضواء البيان (٦ / ١١٩) ، وابن عاشور (١٩ / ٢٨٢) .

(٦) حكى القولين ولم يرجح أو جوّزهما جماعة من المفسرين ؛ منهم : الزمخشري (٣ / ٣٧٦) ، الفخر الرَّازي (٢٤ / ١٧٤) ، وابن عطية (٤ / ٢٦٣ ، ٢٦٤) ، والقرطبي (١٣ / ٢١٦) ، والنسفي (٣ / ٢١٦) ، والنيسابوري (٥ / ٣١٢) ، والسمين الحلبي في الدر (٥ / ٣١٨) ، والثعالبي في تفسيره (٤ / ٢٥٣) ، وابن عادل (١٥ / ١٧٨) ، وأبو السعود (٦ / ٢٩٠) ، والخطيب الشربيني في السراج (٣ / ١١١) ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي (١٠ / ٣٣٨) .

(٧) تفسير الطبري : ١٩ / ١٧٢ .

(٨) المحرر الوجيز : ٤ / ٢٦٣ .

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **جواز القولين ؛ فالفعل ﴿ تَقَاسَمُواْ ﴾ فعل أمر محكي بالقول ؛ قاله بعضهم لبعض ، وتعاقدوا عليه ؛ أي : احلفوا بالله ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ، ووافقه جمهور المفسرين . ويكون محل ﴿ تَقَاسَمُواْ ﴾ جزم على الأمر . ويجوز أن يكون فعلاً ماضياً ، وحينئذ يجوز أن يكون مفسراً لقالوا كأنه قيل : ما قالوا : فقيل تقاسموا ، ويجوز أن يكون حالاً على إضمار (قد) أي : قالوا ذلك متقاسمين ، وهو ما أجازه الزَّمخشري .**

وقد **تابع الزَّمخشري أبو البقاء** على ذلك ؛ قال **أبو البقاء** :

" قوله تعالى : ﴿ تَقَاسَمُواْ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : هو **أمرٌ** ؛ أي : أمر بعضهم بذلك بعضاً ، فعلى هذا يجوز في ﴿ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ ﴾ النون بتقدير : قولوا لنُبَيِّتَنَّهُ ، والتاء على خطاب الأمر المأمور ، ولا يجوز الياء .

والثاني : هو **فعل ماض** ، وعلى هذا يجوز الأوجه الثلاثة . يعني بالأوجه : النون والتاء والياء قال : وهو على هذا تفسير لـ ﴿ قَالُواْ ﴾ " . اهـ [1] .

أي : وتقاسموا على كونه ماضياً مفسّراً لـ ﴿ قَالُواْ ﴾ .

وقد سبقهما إلى ذلك **مكي ابن أبي طالب** حيث قال :

" من قرأه بالتاء في الكلمتين فانه جعل ﴿ تَقَاسَمُواْ ﴾ أمراً ، وهو فعل مبني ، وكذلك من قرأه بالنون فيهما ، ومن قرأهما بالياء جعل ﴿ تَقَاسَمُواْ ﴾ فعلاً ماضياً ؛ لأنه إخبار عن غائب ، والأوَّل إخبار عن مخاطب أو عن مخبر عن نفسه " . اهـ [2] .

✌ **وعلى القراءتين المتواترتين (بالنون وبالتاء) فإن المعنى لا يختلف ؛ سواء أكان الفعل ﴿ تَقَاسَمُواْ ﴾ فعلا ماضياً ؛ أي : الجملة خبرية ؛ أم كان فعل أمر والجملة إنشائية .**

---

(١) التبيان في إعراب القرآن لأبي البقاء العكبري : ٢ / ١٠١٠ .

(٢) مشكل إعراب القرآن : ٢ / ٥٣٦ .

وبذلك يظهر أن المعنيين صحيحان ولا اختلاف بينهما ، فكلا الوجهين جائز في الإعراب . ولا داعي لترجيح ابن جُزيّ للقول الثاني وتضعيفه للقول الأوَّل ؛ حيث لا فرق في المعنى .

والله تعالى أعلم بالصواب .

قوله تعالى : ﴿ ۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ [١] أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ . [آية : ٨٢] .

مسألة : في معنى قوله تعالى : ﴿ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن معنى قوله تعالى : ﴿ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾ : لا يوقنون بالآخرة وأمور الدين ، فقال : ((ويحتمل قوله : ﴿ لَا يُوقِنُونَ ﴾ بخروج الدابة ولا يوقنون بالآخرة وأمور الدين ؛ **وهذا أظهر**)) . اهـ [٢] .

الدراسة :

من علامات السَّاعة الكبرى خروج الدَّابة ؛ وهي الدَّابة المشهورة ، التي تخرج في آخر الزمان وتكون من أشراط الساعة ، كما تكاثرت بذلك الأحاديث [٣] ، ولم يأت في وصفها حديث يصحُّ [٤] ، وهي آية من آيات الله ، تكلم الناس كلاماً خارقاً للعادة ، وذلك عند فساد الناس وتركهم أوامر الله وتبديلهم الدين الحق فتكون حجَّةً وبرهاناً للمؤمنين ، وحجَّة على المعاندين .

---

(١) اختلف المفسرون في معنى : ﴿ وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ ﴾ فقيل : معناه : غضب الله ، أو حق القول عليهم أنهم لا يؤمنون ، أو سخط الله عليهم بموت العلماء وذهاب العلم ورفع القرآن . وقيل غير ذلك ، ويجمعها البعد عن الدين بدليل آخر الآية .

(٢) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ١٠١ .

(٣) منها : ما أخرجه مسلم وأهل السنن عن حُذَيْفَةَ بن أَسِيدٍ الْغِفَارِيِّ ﷺ قال : « اطَّلَعَ النبي ﷺ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ فقال : ما تَذَاكَرُونَ ؟ قالوا : نَذْكُرُ السَّاعَةَ . قال : إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حتى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ ؛ فذكر الدُّخَانَ ، وَالدَّجَّالَ ، وَالدَّابَّةَ ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ من مَغْرِبِهَا ، وَنُزُولَ عِيسَى بن مَرْيَمَ ﷺ ، وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ ، وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ : خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ ، وَآخِرُ ذلك نَارٌ تَخْرُجُ من الْيَمَنِ تَطْرُدُ الناس إلى مَحْشَرِهِمْ » . ينظر : صحيح مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة ، بَاب في الْآيَاتِ التي تَكُونُ قبل السَّاعَةِ (٢٩٠١) : ٤ / ٢٢٢٥ .

(٤) لقد رويت في وصف هذه الدابة ، ووقت خروجها ، ومكانه أخبار مضطربة ضعيفة الأسانيد لا طائل في جلبها ونقدها أوردها غير واحد من المفسرين . قال الفخر الرَّازي : " واعلم أنه لا دلالة في الكتاب على شيء من هذه الأمور ، فإن صحَّ الخبر فيه عن الرسول ﷺ قبل وإلا لم يلتفت إليه " . اهـ . ينظر : التفسير الكبير : ٢٤ / ١٨٧ ، تفسير القرطبي : ١٣ / ٢٣٥ وما بعدها ، البحر المحيط لأبي حيان : ٧ / ٩١ ، فتح القدير للشوكاني : ٤ / ١٥٢ .

✓ **وفي معنى قوله تعالى ﴿ تُكَلِّمُهُمْ ﴾ قراءتان ومعنيان :**

قرأ **الجمهور** : ﴿ تُكَلِّمُهُمْ ﴾ وفيه وجهان :

الأظهر [١] : أنه من الكلامِ والحديث ، ويؤيِّده قراءةُ أُبَيٍّ : (تُنَبِّئُهم) ، وقراءةُ يحيى بن سَلام (تُحَدِّثُهم) وهما تفسيران لها .

والثاني : تَجْرَحُهم . ويَدُلُّ عليه : قراءةُ ابن عباس ﷺ وغيره [٢] (تَكْلُمُهم) - بفتحِ التاءِ وسكونِ الكافِ وضمِّ اللامِ - من الكَلْمِ ، وهو الجُرْحُ . وقد قُرِىء (تَجْرَحُهم) [٣] . وفي التفسير : أنها تَسِمُ الكافر .

وعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « تَخْرُجُ الدَّابَّةُ مَعَهَا خَاتَمُ سُلَيْمَانَ وَعَصَا مُوسَى ؛ فَتَجْلُو وَجْهَ الْمُؤْمِنِ ، وَتَخْتِمُ أَنْفَ الْكَافِرِ بِالْخَاتَمِ ؛ حتى إِنَّ أَهْلَ الْخُوَانِ لَيَجْتَمِعُونَ فيقول : هَاهَا يا مُؤْمِنُ ، وَيُقَالُ : هَاهَا يا كَافِرُ ، وَيَقُولُ هذا : يا كافر ، وهذا : يا مُؤْمِنُ » [٤] .

وسئل ابن عباس ﷺ عن هذه الآية « تَكْلَمهم أو تُكَلِّمُهم ؟ » قال : كل ذلك والله تفعل ؛ تكلم المؤمن وتكلم الكافر أو تجرحه [٥] .

وفي قوله تعالى : ﴿ **أَنَّ ٱلنَّاسَ** ﴾ **قراءتان متواترتان سبعيتان** وهي :

- قرأ عاصم وحمزة والكسائي : ﴿ **أَنَّ** ﴾ بالفتح .

---

(١) قاله السمعاني في تفسيره (٤ / ١١٥) ، وأبو حيان في البحر المحيط (٧ / ٩١) ، والآلوسي في روح المعاني (٢٠ / ٢٥) .

(٢) وهم : سعيد بن جبير ، ومجاهد ، والجحدري ، وأبي زرعة ، وهي **قراءة بالغة الشذوذ** تحمل على التفسير . ينظر : المحتسب لابن جني : ٢ / ١٤٤ ، إتحاف فضلاء البشر للبناء : ٤٣٢ .

(٣) أوردها أبو حيان في البحر المحيط (٧ / ٩٢) ، وابن عادل في تفسيره (١٥ / ٢٠١) ، وهي **قراءة بالغة الشذوذ** تحمل على التفسير . ينظر : إتحاف فضلاء البشر للبناء : ٤٣٢ . ولم أقف عليها في مختصر ابن خالويه ومحتسب ابن جني .

(٤) أخرجه الترمذي في كتاب التفسير ؛ باب ومن سورة النمل (٣١٨٧) : ٥ / ٣٤٠ . قال أبو عيسى : هذا **حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ** . **وضعَّفه** الألباني .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٩ / ٢٩٢٦) . وذكره غير واحد من المفسرين .

▪ وقرأ الباقون : (إنَّ) بالكسر على الاستئناف [١] .

وبناء على اختلاف القراء في الآية اختلف أهل العلم والمفسرون في **معنى قوله تعالى** : ﴿ **أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ** ﴾ ، وحاصل اختلافهم يرجع إلى قولين :

قال **النحاس** : " في المفتوحة قولان ؛ وكذا المكسورة " [٢] .

أولاً : ﴿ أَنَّ ﴾ المفتوحة ؛ وفيها قولان :

✓ **القول الأوَّل** : القراءة بالنصب ﴿ أَنَّ ﴾ ؛ فعلى حذف الجار ، أي : تُكلِّمُهم بأنَّ ، وعلى هذا يكون حكاية قول الدابة ، ومعناه : تُكلِّمُهم بأن الناس ﴿ كَانُوٓاْ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾ أي : **لا يؤمنون** ؛ **أي** : **بخروجها** ؛ **لأن خروجها من الآيات** ، قاله **ابن عباس** رضي الله عنهما [٣] ، ومقاتل [٤] ، وذهب إليه **الطبري** [٥] ، وقاله جماعة من المفسرين [٦] .

.

واستدل له : بقراءة عبد الله رضي الله عنه : (تُكلِّمُهم بأن) وهذا تصديق للفتح [٧] .

قال **مكي** : " ويجوز أن لا تقدر حذف حرف الجر ؛ وتجعل ﴿ أَنَّ ﴾ مفعولاً بها على أن تجعل ﴿ تُكَلِّمُهُمۡ ﴾ بمعنى : تخبرهم " . اهـ [٨] .

---

(١) وهم : ابن كثير ، ونافع ، وابن عامر الشامي ، وأبو عمرو البصري . ينظر : السبعة في القراءات لابن مجاهد : ٤٨٦ ، ٤٨٧ ، الحجة في القراءات السبع لابن خالويه : ٢٧٥ ، حجة القراءات لابن زنجلة : ٥٣٨ ، إتحاف فضلاء البشر للبناء : ٤٣٢ .

(٢) إعراب القرآن للنحاس : ٣ / ٢٢٢ .

(٣) نسبه إليه : ابن عطية في تفسيره (٤ / ٢٧١) ، والثعالبي في تفسيره (٤ / ٢٥٩) ، ونسبه المباركفوري إليه أيضاً في تحفة الأحوذي (٩ / ٣٤) .

(٤) قال مقاتل : تكلمهم بالعربية . ينظر تفسيره : ٢ / ٤٨٥ .

(٥) ينظر تفسيره : ١٣ / ٢٣٨ .

(٦) منهم : الزمخشري (٣ / ٣٨٩) ، وابن عطية (٤ / ٢٧١) ، والقرطبي (١٣ / ٢٣٨) ، والبيضاوي (٤ / ٢٧٨) ، والنسفي (٣ / ٢٢٣) ، والثعالبي (٤ / ٢٥٩) .

(٧) أوردها ابن زنجلة في حجة القراءات (٥٣٨) ؛ وأوردها كذلك غير واحد من المفسرين . ينظر مثلاً : تفسير الثعالبي : ٤ / ٢٥٩ .

(٨) مشكل إعراب القرآن : ٢ / ٥٤٠ .

" ثم هذه الباء تُحتملُ أَنْ تكونَ مُعَدِّيَةً ، وأن تكونَ سببيةً ، وعلى التقديرين : يجوزُ أَنْ يكونَ ﴿ تُكَلِّمُهُمْ ﴾ بمعنَيَيْه من الحديثِ والجَرْح ؛ أي : تُحَدِّثهم بأنَّ الناسَ أو بسببِ أنَّ الناسَ ، أو تجرَحهم بأنَّ الناس ؛ أي : تَسِمُهم بهذا اللفظِ ، أو تَسِمُهم بسبب انتفاءِ الإيمانِ " [١] .

✖ **وتعقِّب** :

قال **ابن كثير** : " وفي هذا القول نظرٌ لا يخفى " [٢] .

وقال **الآلوسي** : " وليس بذاك " [٣] .

✓ **القول الثاني** : أن يكون الكلام (على القراءة بالفتح) من كلام الله تعالى ؛ **احتمله** ابن عطية ، والبيضاوي ، والثعالبي [٤].

ثانياً : (إنَّ) المكسورة ؛ وفيها قولان :

✓ **القول الأوَّل** : الكلام حكاية لقول الله تعالى ؛ وعلى هذا يكون بمعنى الابتداء ، ويتم الكلام عند قوله ﴿ تُكَلِّمُهُمْ ﴾ ثم يقول الله تعالى : (إنَّ الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون) فالجملة مستأنفة **مسوقة من جهته ﷻ لتعليل إخراجها أو تكليمها** ؛ ولا تكون من كلام الدابة ؛ **جزم به** الكسائي [٥] والفرَّاء [٦] ، **واستظهره** أبو حيان ، والسَّمين الحلبي ، الحلبي ، وابن عادل [٧] ، وقاله الشوكاني [٨] .

✓ **القول الثاني** : أن يكون الكلام **من كلام الدابة** أيضاً كما روي عن ابن عباس ﷺ آنفاً

---

(١) الدر المصون : ٥ / ٣٢٨ .
(٢) تفسير ابن كثير : ٣ / ٣٧٥ .
(٣) روح المعاني : ٢٠ / ٢٤ .
(٤) ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ٢٧١ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ٢٧٨ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ٢٥٩ .
(٥) نسب هذا القول إلى الكسائي : النحاس في إعرابه (٣ / ٢٢٢) ، والشوكاني في فتح القدير (٤ / ١٥٢) . – ولم أقف عليه في كتبه في حدود ما اطلعت – .
(٦) ينظر معانيه : ٢ / ٢٥٩ .
(٧) ينظر : البحر المحيط : ٧ / ٩١ ، الدر المصون : ٥ / ٣٢٨ ، تفسير ابن عادل : ١٥ / ٢٠٢ .
(٨) ينظر : فتح القدير للشوكاني : ٤ / ١٥٢ .

على إضمار القول أو إجراء الكلام مجراه ، قاله الأخفش ، وأبو السعود [١] ، **واحتمله** أبو حيان ، والسَّمين الحلبي ، وابن عادل [٢] . [٣]

قال **الأخفش** : " إن كسر (إن) هو على تقدير القول ؛ أي : تقول لهم إن الناس ... الخ فيرجع معنى القراءة الأوَّلى على هذا إلى معنى القراءة الثانية " [٤] .

أي على قول الأخفش وأبي السعود أن القراءتين أفادت معنى واحداً ؛ وهو أن الكلام من كلام الدابة ؛ أي : لا يؤمنون بخروجي لأن خروجي من الآيات .

✖ **ويعكِّر عليه** : قوله : ﴿ بِـَٔايَـٰتِنَآ ﴾ .

✓ **ويُجاب بأنه** : يكون قوله : ﴿ بِـَٔايَـٰتِنَآ ﴾ على حذف مضاف أي : بآيات ربِّنا ، أو لاختصاصها بالله ؛ كما تقول بعض خواص الملك : خيلنا وبلادنا [٥] .

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أنَّ كلا وجهي الإعراب محتملان بناء على اختلاف القراءتين المتواترتين ؛ قاله مكي ، والعكبري** [٦] **؛ وجماعة من المفسرين** [٧] **ويترتب على ذلك الاختلاف في معنى الآية :**

على قراءة الفتح : فعلى حذف الجار ، أي : تُكلِّمُهم بأنَّ ، وعلى هذا يكون حكاية قول

---

(١) ينظر : تفسير أبي السعود : ٦ / ٣٠١ .

(٢) ينظر : البحر المحيط : ٧ / ٩١ ، الدر المصون : ٥ / ٣٢٨، تفسير ابن عادل : ١٥ / ٢٠٢ .

(٣) جمع بين المعنين وجوَّز بأن يكون الكلام كلام الدابة ؛ أو من كلام الله تعالى (**على القراءة بالكسر**) جماعة من المفسرين ، منهم : الزمخشري (٣ / ٣٩٠) ، والفخر الرَّازي (٢٤ / ١٨٧) ، والنسفي (٣ / ٢٢٣) ، والآلوسي (٢٠ / ٢٥) .

(٤) نسبه إليه الشوكاني والمباركفوري ؛ ينظر : فتح القدير : ٤ / ١٥٢ ، تحفة الأحوذي : ٩ / ٣٤ . ولم أقف عليه في كتبه – في حدود ما اطلعت – .

(٥) ينظر : الكشاف للزمخشري : ٣ / ٣٩٠ ، البحر المحيط لأبي حيان : ٧ / ٩١ ، الدر المصون للسمين الحلبي : ٥ / ٣٢٨ ، تفسير ابن عادل : ١٥ / ٢٠٢ .

(٦) ينظر : مشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب : ٢ / ٥٤٠ ؛ إملاء ما من به الرحمن للعكبري : ٢ / ١٧٥ .

(٧) ذكر القراءتين (واختلاف وجه الإعراب بناء علىكل قراءة ؛ وبعضهم ذكر الاختلاف في معناها) ولم يرجح جماعة من المفسرين ؛ منهم : السمر قندي (٢ / ٥٩٢) ، والسمعاني (٤ / ١١٥) ، والبيضاوي (٤ / ٢٧٨) ، والنيسابوري (٥ / ٣٢١) ، والآلوسي (٢٠ / ٢٥) .

الدابة ، ومعناه : تُكلِّمُهم بأن الناس ﴿ كَانُوٓاْ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾ أي : **لا يؤمنون** ؛ أي : **بخروجها ؛ لأن خروجها من الآيات** ، وهو ما روي عن **ابن عباس** ﷺ .

وعلى قراءة الكسر : فالأظهر أن الكلام مستأنف حكاية لقول الله تعالى ؛ والمعنى : **لا يؤمنون بالآخرة وأمور الدين والقرآن المشتمل على البعث والحساب والعقاب** ، قاله **ابن عباس** ﷺ [١] أيضاً ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ؛ ووافقه جماعة من المفسرين** [٢] .

فالدابة تردُّ على من كان يزعم عدم خروجها لأنها من آيات الله ؛ وتخبر كل من تراه أن أهل مكة كانوا بمحمَّد والقرآن لا يوقنون ؛ كما أن الله ﷻ يخبرنا في هذه الآية أن الناس كانوا لا يؤمنون بالآخرة وبمحمَّد ﷺ والقرآن .

قال **أبو السعود** :

" تكلمهم بأنهم كانوا لا يتيقنون بآيات الله تعالى الناطقة بمجيء الساعة ومباديها ؛ أو بجميع آياته التي من جملتها تلك الآيات " . اهـ [٣] .

قال **الطاهر بن عاشور** :

" والمعنى : أنها تسجل على الناس وهم المشركون عدم تصديقهم بآيات الله ؛ وهو تسجيل توبيخ وتنديم ؛ لأنهم حينئذ قد وقع القول عليهم فـ ﴿ ... لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَـٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ ... ﴾ [٤] " . اهـ [٥] .

يدل على ذلك – إضافة إلى ما تقدَّم – ما يلي :

أولاً : روى عن **وهب بن منبه** [٦] : أنها تخبر كل من تراه أن أهل مكة كانوا بمحمد

---

(١) ينظر : تنوير المقباس : ٣٢٢ .

(٢) منهم : الواحدي (٢ / ٨١٠) ، والبغوي (٣ / ٤٢٨) ، والخازن (٥ / ١٥٧) ، والبقاعي (٥ / ٤٥٢) والجلالين (٥٠٤) ، والطاهر بن عاشور (٢٠ / ٣٩) .

(٣) تفسير أبي السعود : ٦ / ٣٠١ . وينظر : روح المعاني للآلوسي : ٢٠ / ٢٤ .

(٤) سورة الأنعام : ١٥٨ .

(٥) التحرير والتنوير : ٢٠ / ٢٤ .

(٦) نسبه إليه : الثعلبي ، والبغوي ، والخازن ، وابن عادل ، وأبو السعود ، والآلوسي . ينظر : الكشف والبيان : ٧ / ٢٢٥ ، تفسير البغوي : ٣ / ٤٣٠ ، تفسير الخازن : ٥ / ١٥٧ ، تفسير ابن عادل : ١٥ / ٢٠٤ ، تفسير

والقرآن لا يوقنون .

ثانياً : كل قراءة بمثابة آية أفادت معنى ؛ يؤيده **القاعدة الترجيحية** التالية :

- **إذا ثبتت القراءة فلا يجوز ردَّها أو ردَّ معناها ؛ وهي بمنزلة آية مستقلة** [1] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

أبي السعود : ٦ / ٣٠١ ، روح المعاني : ٢٠ / ٢٤ . **ولم أقف عليه مسنداً** .

(١) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٨٩ .

سورة القصص ـــــــ

وقد اختلف المفسرون **في المراد من الوحي في الآية** على أقوال [١] :

القول الأوَّل : أنه الضمان من الله ﷻ لها ، أي : أن الله ﷻ ضمن لأم موسى عليه السلام أن يرد إليها ابنها ، **وذلك عن طريق ملك بعثه الله ﷻ لها** ، يخبرها بموعوده حفظ موسى عليه السلام ، روي عن مقاتل [٢] ، وقاله قطرب [٣] ، والزَّجَّاج [٤] ، **واستظهره** أبو حيان [٥] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٦] ، ووافقه الآلوسي [٧] .

واستدل القائلون بهذا القول بعدة أدلة منها [٨] :

١. قوله تعالى في الآية نفسها : ﴿ ... إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾

٢. قوله تعالى عن أم موسى عليه السلام : ﴿ ... وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ... ﴾ [٩] .

وجه الدلالة من الآيتين :

أن الله ﷻ بيَّن في الآية الأوَّلى تأكيده ﷻ رد موسى عليه السلام لأمِّه ، ثم بين تعالى في الآية الثانية أن أم موسى عليه السلام تيقَّنت بوعد الله ﷻ ، وهذا التيقُّن لا يقع في القلب إلا عن تحقق ما وُعدت به ، وهذا **ما ذكره ابن جُزيّ** [١٠] .

---

(١) ينظر أقوال المفسرين واختلافهم في معنى الوحي في : المحرر الوجيز لابن عطية : ٤ / ٢٧٦ ، التفسير الكبير للفخر الرَّازي : ٢٢ / ٤٥ ، ٤٦ ، زاد المسير لابن الجوزي : ٦ / ٢٠١ ، ٢٠٢ ، تفسير العز بن عبد السلام : ٢ / ٤٧٩ ، تفسير القرطبي : ١٣ /٢٥٠ ، تفسيرالنسفي : ٣ / ٢٢٧ ، نظم الدرر للبقاعي : ٦ / ٦٥٠ ، روح المعاني للآلوسي : ٢٠ / ٦٨ . وغيرها .

(٢) نسبه إليه ابن الجوزي ، والقرطبي . ينظر : زاد المسير : ٦ / ٢٠٢ ، تفسير القرطبي : ١٣ / ٢٥٠ . ولم أقف عليه في كتبه .

(٣) ذكره عنه أبو حيان . ينظر: البحر المحيط : ٧ / ١٠٠ .

(٤) قال الزَّجَّاج : " قيل : إن الوحي ههنا : إلقاء الله في قلبها ، وما بعد هذا يدل – والله أعلم – أنه وحي من الله ﷻ على جهة الإعلام للضمان لها ... " . ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزَّجاج : ٤ / ١٣٢ ، ١٣٣ .

(٥) ينظر : البحر المحيط : ٧ / ١٠٠ .

(٦) ينظر : التسهيل : ٣ / ١٠٢ .

(٧) ينظر : روح المعاني : ٢٠ / ٤٥ .

(٨) ينظر : معاني القرآن للنحاس : ٥ / ١٥٨ ، معاني الزَّجَّاج : ٣ / ١٣٣ ، تفسير أبي حيان : ٧ / ١٠٠ .

(٩) سورة القصص : ١٣ .

(١٠) ينظر : التسهيل : ٣ / ١٠١ .

✖ **فإن قال قائل : كيف يبعث الله لها ملكاً ويخاطبها وهي لم تكن نبيَّة ؟**

✓ **وأجيب** : بأن إرسال ملك لبشر لا يدل لزوماً على كونه نبياً ، وقد ثبت في الصحيح أن الله ﷻ أرسل ملكاً لأبرص وأقرع وأعمى [١] وهم ليسوا بأنبياء .

قال **ابن عطية** : " وأجمع الكلُّ على أنها لم تكن نبيَّة ، وإنما إرسال الملك لها على نحو تكليم الملك للأبرص والأقرع في الحديث المشهور ، وغير ذلك مما روي من تكليم الملائكة للناس من غير نبوة " . اهـ[٢] .

القول الثاني : أنه **الإلهام** ، أي : أنه قذف في نفسها ، وألهمها ربها سبحانه بذلك . وهو مرويٌّ عن ابن عباس ﷺ[٣] ، وقتادة [٤] ، والحسن [٥] ، وهو اختيار **كثير** [٦] من المفسرين [٧] .

وذكره والذي قبله **الواحدي** في تفسيره ، فقال :

---

(١) كما في حديث أبي هريرة ﷺ الطويل ، وفيه : أنه سمع النبي ﷺ يقول : « إِنَّ ثَلَاثَةً فِي بنى إِسْرَائِيلَ أَبْرَصَ وَأَقْرَعَ وَأَعْمَى فَأَرَادَ الله أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا فَأَتَى الْأَبْرَصَ فقال أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ .. » . الحديث . متفق عليه . أخرج البخاري بنحوه في كتاب الأنبياء ، حَدِيثُ أَبْرَصَ وَأَعْمَى وَأَقْرَعَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ : (٣٢٧٧) : ٣ / ١٢٧٦ ، وأخرجه مسلم – واللفظ له – في مقدمة كتاب الزهد والرقائق (٢٩٦٤) : ٤ / ٢٢٧٥ .

(٢) المحرر الوجيز : ٤ / ٢٧٦ . وينظر : البحر المحيط لأبي حيان : ٧ / ١٠٠

(٣) عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم ، وذكره ابن الجوزي في تفسيره . ينظر : تفسير ابن أبي حاتم : ٢٠١/٩ ، زاد المسير : ٢٠٢/٦ ، الدر المنثور : ٦ / ٣٩٣ .

(٤) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣ / ٨٧) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٩ / ٢٩٤١) ، وعزاه السيوطي إلى عبد الرزاق ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر . ينظر : الدر لامنثور : ٦ / ٣٩٣ .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٩ / ٢٩٤١) .

(٦) عزاه السمعاني إلى أكثر المفسرين . ينظر تفسيره : ٤ / ١٢٢ .

(٧) وممن ذهب إلى هذا القول ورجَّحه ، أو قال به : الطبري في تفسيره (٢٠ / ٢٩) ، والسمرقندي في تفسيره (٣ / ٥٩٨) ، وابن أبي زمنين في تفسيره (٣ / ٣١٧) ، والثعلبي في تفسيره (٧ / ٢٣٣) ، والسمعاني في قواطع الأدلة في الأصول (٢ / ٣٤٩) ، والبغوي في تفسيره (٣ / ٤٣٤) ، وابن الجوزي في نزهة الأعين النواظر (٦٢٢) ، والخازن في تفسيره (٥ / ١٦٢) ، وابن كثير في تفسيره (٣ / ٣٨١) ، والزَّركشي في البحر المحيط في الأصول (٤ / ٤٠١) ، وابن عادل في تفسيره (١٥ / ٢١٦) ، والشوكاني في تفسيره (٤ / ١٥٩) ، والشيخ محمد بن عبد الوهاب في : تفسير آيات من القرآن الكريم (٢٨٢) ، والسيد محمد صديق حسن خان القنوجي (ت ١٣٠٧هـ) في كتابه : حسن الأسوة بما ثبت من الله ورسوله في النسوة (١٧٣) ، والطاهر بن عاشور في التحرير والتنوير (٢٠ / ٧٣) .

" قيل : إنه وحي إلهام ، وقيل : وحي إعلام " [١] .

وجوّزهما أيضاً **شيخ الإسلام ابن تيمية** ، فقال بعد ذكر الآيات التي فيها ذكر الوحي قال : " وهؤلاء لم يكونوا أنبياء ، بل ذلك إلهام ، وقد يكون بتوسط الملك " [٢] .

واستدل له :

بأن الوحي إذا أطلق لغير الأنبياء يراد به : الإلهام والقذف في النفس [٣] .

- كما قال تعالى : ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ ... ﴾ [٤] .
- وقوله ﷻ : ﴿ ... وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ... ﴾ [٥] .

القول الثالث : أنه **الرؤيا** ، أي : رؤيا رأتها أم موسى عليها السلام في منامها فيها بيان حفظ الله ﷻ لموسى عليه السلام ، حكاه **الماوردي** [٦] ، وجوّزه والذي قبله **البيضاوي وأبو السعود والخطيب الشربيني** [٧] .

✘ **وأُشكل** على هذين القولين المتقدمين بأنه كيف يكون الوحي ههنا إلهاماً أو رؤيا في منام والله ﷻ أخبر أنها تيقنت بموعود الله لها بقوله : ﴿ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ﴾ [٨] ؟ فهل الرؤيا والإلهام يفضيان إلى هذا اليقين ؟

✓ **فأجاب القائلون بهذا بجوابين** :

الأوَّل : لعلها عرفت بالاستقراء صدق رؤياها [٩] .

الثاني : قال الطاهر ابن عاشور : " والوحي هنا وحي إلهام يوجد عنده من انشراح الصدر

---

(١) تفسير الواحدي : ٢ / ٨١٣ .
(٢) الرد على المنطقيين لشيخ الإسلام ابن تيمية (ت ٧٢٨ هـ) : ٥٠٧ .
(٣) وهذا معنى صحيح في اللسان العربي ، وقد تقدم بيانه .
(٤) سورة النحل : ٦٨ .
(٥) سورة الأنعام : ١٢١ .
(٦) ينظر : النكت والعيون : ٤ / ٢٣٥ .
(٧) ينظر : تفسير البيضاوي : ٤ / ٢٨٣ ، تفسير أبي السعود : ٧ / ٣ ، السراج المنير : ٣ / ١٢٩ .
(٨) سورة القصص : ١٣ .
(٩) ينظر : التفسير الكبير للفخر الرَّازي : ٢٢ / ٤٦ ، تفسير ابن عادل : ١٣ / ٢٣٣ .

ما يحقق عندها أنه خاطر من الواردات الإلهية ، فإن الإلهام الصادق يعرض للصالحين فيوقع في نفوسهم يقيناً ينبعثون به إلى عمل ما ألهموا به ، وقد يكون هذا الوحي برؤيا صادقة رأتها ... " . اهـ [١] .

الترجيح:

بعد عرض الأقوال يظهر لي – والله أعلم – **أن أقوال أهل العلم المتقدمة كلها محتملة ، صحيحة المعنى ، إلا أن الأقرب للصواب ما ذهب إليه ابن جُزيّ ومن وافقه ؛ من أن المراد من الوحي ههنا : الكلام المباشر ، وذلك بإرسال ملك لها ، ومخاطبتها بوعد الله ﷻ إعادة ابنها إليها** ، ويدل على ذلك إضافة إلى ما تقدم ما يلي :

أولاً : دلالة السِّياق ؛ وذلك أن الله ﷻ وعد أم موسى عليه السلام برِّد ابنها إليها ، وأم موسى عليه السلام تيقنت بهذا الوعد ، وهذا الوعد المؤكد ، وما تبعه من يقين حقيقي لا يأتيان عن طريق الرؤيا أو الإلهام .

ثانياً : دلالة الأسلوب القرآني يدل على هذا المعنى ، فالله ﷻ يقول : ﴿ ... إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ ، ثم قوله : ﴿ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ﴾ [٢] ، فهذا الأسلوب القرآني الحكيم البديع يدل على وجود متكلم ومخاطَب ، ولا ولا يكون ذلك عن طريق الإلهام أو الرؤيا .

ثالثاً : ما ذكره **ابن عاشور** وغيره غير مسلَّم به ؛ **لأن الرؤيا والإلهام لا يفضيان إلى يقين** ، ولا تثبت بهما الأحكام لغير الأنبياء ، كما ذكر ذلك أهل العلم [٣] ، وقد تم الاتفاق على عدم نبوة أم موسى – كما تقدم بيانه – فلا يقع الإلهام أو الرؤيا إذاً موقع اليقين .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) التحرير والتنوير : ٢٠ / ٧٣ .

(٢) سورة القصص : ١٣ .

(٣) ينظر : كتاب النبوات لشيخ الإسلام ابن تيمية : ١٧٩ ، ومدارج السالكين لابن القيِّم : ١ / ٥١ .

قوله تعالى : ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ . [آية : ١٠] .

مسألة : في معنى قوله تعالى : ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن معنى قوله تعالى : ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ﴾ ذاهلاً لا عقل معها ، فقال : ((﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ﴾ أي : ذاهلاً لا عقل معها . وقيل : فارغاً من الصبر . وقيل : فارغاً من كل شيء إلاَّ من همِّ موسى . وقيل : فارغاً من وعد الله : أي نسيت ما أوحى إليها . وقيل : فارغاً من الحزن إذ لم يغرق ، **وهذا بعيد لما بعده** . وقيل : فارغاً من كل شيء إلاَّ من ذكر الله ، وقرئ : (فَزعاً) - بالزاي - من الفزع)) . اهـ [١] .

الدراسة :

بعد أن أخبرنا الله ﷻ نبأ أم موسى مع ابنها ، وإلقائها إيَّاه في اليم ، يخبرنا سبحانه في هذه الآية عن وضع هذه الأم ، وكيف أصبح فؤادها فارغاً .

والفؤاد : القلب ، ويقال : الفؤاد : عبارة عن باطن القلب ، أو عينه ، أو غشاؤه . وهو مشتق من (فأد) ، الدال على الحمّى وشدة الحرارة ، يقال : فأد الخبز واللحم : شواهما . وسمي القلب فؤاداً لحرارته ولينه [٢] .

✓ وقد اختلف السَّلف وأهل العلم والمفسرون في **معنى قوله تعالى : ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ﴾** على أقوال عديدة ، ترجع في مجملها إلى أربعة أقوال :

القول الأوَّل : أن قلبها **فرغ من كل شيء إلاَّ من ذكر موسى** عليه السلام ، وهذا القول مرويٌّ

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ١٠٢ .

(٢) ينظر (مادة : فأد) في : معجم مقاييس اللغة لابن فارس : ٤ / ٤٦٩ ، النهاية لابن الأثير : ٣ / ٤٠٥ ، لسان العرب لابن منظور : ٣ / ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، القاموس المحيط للفيروز آبادي : ٣٨٩ ، تاج العروس للزبيدي : ٨ / ٤٧٥ - ٤٧٨ .

عن **جماعة من السَّلف** [١] ؛ منهم : ابن عباس ﷺ [٢] ، وابن مسعود ﷺ [٣] ، وقتادة [٤] ، وذهب إليه الفرَّاء [٥] ، **وصحَّحه** النحاس والطبري [٦] ، وقاله **كثير** [٧] من المفسرين [٨] .

واستدل له بالقرينة القرآنية في الآية نفسها :

قوله تعالى : ﴿ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا ﴾ [٩] .

✖ وهذا القول **أنكره الكسائي** ، وقال : " ليس المعنى عليه " [١٠] .

القول الثاني : أن فؤادها أصبح **فارغاً من العقل** ، رُوي هذا القول عن الإمام مالك [١١] ،

---

(١) روي أيضاً عن أبي عمران الجوني ، والحسن البصري ، ومجاهد ، وعكرمة مولى ابن عباس ﷺ ، وقتادة ، والضحاك . ينظر : تفسير الصنعاني : ٣ / ٨٨ ، معاني القرآن للنحاس : ٥ / ١٦٠ ، تفسير الطبري : ٢٠ / ٣٦ ، تفسير ابن أبي حاتم : ٩ / ٢٩٤٦ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٣٨٢ ، الدر المنثور : ٦ / ٣٩٤ ، ٣٩٥ .

(٢) أخرجه مختصراً هكذا ابن جرير في تفسيره (٢٠ / ٣٥ ، ٣٦) ، والحاكم في مستدركه في تفسير سورة القصص (٣٥٢٩) : ٢ / ٤٤١ ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٩ / ٢٩٤٦) ، وبلفظ طويل أخرجه النسائي في السنن الكبرى في كتاب التفسير ، باب قول ﷻ : ﴿ وَفَتَنَّـٰكَ فُتُونًا ﴾ [سورة طه : ٤٠] (١١٣٢٦) : ٦ / ٣٩٦ ، وأبو يعلى في مسنده (٢٦١٨) : ٥ /١٠ ، ١١ . كلهم من طرق عن سعيد بن جبير عنه به .
وصحح إسناده الهيثمي فقال : " رواه أبو يعلى ، ورجاله رجال الصحيح ، غير أصبغ بن زيد ، والقاسم بن أبي أيوب ، وهما ثقتان " . ينظر : مجمع الزوائد للهيثمي : ٧ / ٦٦ . وينظر : تنوير المقباس : ٣٢٣ .

(٣) عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم . ينظر : تفسير ابن أبي حاتم : ٩ / ٢٩٤٦ ، الدر المنثور : ٦ / ٣٩٤ .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٩ / ٢٩٤٦) .

(٥) ينظر معانيه : ٢ / 262 .

(٦) ينظر : معاني القرآن للنحاس : ٥ / ١٦١ ، تفسير الطبري : ٢٠ / ٣٧ .

(٧) نسبه إلى الأكثرين : الثعلبي ، والسمعاني ، والبغوي ، والخطيب الشربيني . ينظر : الكشف والبيان : ٧ / ٢٣٧ ، تفسير السمعاني : ٤ / ١٢٤ ، تفسير البغوي : ٣ / ٤٣٧ ، السراج المنير : ٣ / ١٣٢ .

(٨) ومنهم : الطبري ، والسمر قندي ، وابن أبي زمنين ، والثعلبي ، وقدَّمه الماوردي ، والواحدي ، والبغوي ، وقدَّمه ابن الجوزي ، والقرطبي ، والخازن ، وابن تيمية ، وابن القيم ، وابن كثير ، والجلالين ، والشوكاني ، والآلوسي ، والقنوجي ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير الطبري : ١٨/١٧٠ ، تفسير السمرقندي : ٢ / ٥٩٩ ، تفسير ابن أبي زمنين : ٣ / ٣١٨ ، الكشف والبيان : ٧ / ٢٣٧ ، النكت والعيون : ٤ / ٢٣٨ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٨١٣ ، تفسير البغوي : ٣ / ٤٣٧ ، زاد المسير : ٦ / ٢٠٤ ، تفسير القرطبي : ١٣ / ٢٥٥ ، تفسير الخازن : ٥ / ١٦٥ ، الفتاوى الكبرى لابن تيمية : ٢ / ٤٠١ ، زاد المعاد لابن القيم : ٤ / ٢٦٨ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٣٨٢ ، تفسير الجلالين : ٥٠٧ ، فتح القدير : ٤ / ١٦٠ ، روح المعاني : ٢٠ / ٤٨ ، حسن الأسوة : ١٧٤ ، الوسيط : ١٠ / ٣٨٢ .

(٩) ينظر : تفسير الطبري : ٢٠ / ٣٧ .

(١٠) نقله عن الكسائي النحاس في معانيه (٥ / ١٦٠) .

(١١) ذكره ابن عطية في تفسيره (٤ / ٢٧٨) ، وابن العربي في أحكامه (٣ / ٤٩١) ، والقرطبي في جامعه =

وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ [١] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٢] .

وبنحوه ما روي عن الكسائي أنه قال في معنى قوله : ﴿ فَرِغًا ﴾ أي: ناسياً ذاهلاً ، كما يقال لمن تُقض حاجته : فرغ ، وللميت : قد فرغ [٣] .

والمعنى : أنها حين سمعت بوقوعه في يد فرعون طار عقلها لما دهمها من فرط الجزع والدهش .

واستدل له :

١. أنه نحو قوله تعالى : ﴿ ... وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴾ [٤] . أي : جوْف لا عقول فيها .

ومنه بيت حسَّان بن ثابت ﷺ [٥] :

أَلاَ أَبْلِغْ أَبَا سُفْيَانَ عَنِّي فَأَنْتَ مُجَوَّفٌ نَخِبٌ هَوَاءُ

٢. ذلك أن القلوب مراكز العقول . ألا ترى إلى قوله : ﴿ ... فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ ... ﴾ [٦] .

٣. يعضده قراءة من قرأ : (فِرْغاً) [٧] – بالفاء المكسورة والراء الساكنة والغين

= (١٣ / ٢٥٥) ، وتأول ابن العربي قول الإمام مالك بأنه يريد : امتلأ قلبها ولهاً .

(١) ينظر : التسهيل : ٣ / ١٠٢ .

(٢) ومنهم : الزمخشري ، والبيضاوي ، والنسفي ، وأبو حيان ، وأبو السعود ، والقاسمي ، وسيد قطب . ينظر : الكشاف : ٣ / ٤٠٠ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ٢٨٤ ، تفسير النسفي : ٣ / ٢٢٨ ، البحر المحيط : ٧ / ١٠١ تفسير أبي السعود : ٧ / ٥ ، تفسير القاسمي : ١٣ / ٩٧ ، الظلال : ٥ / ٢٦٨٠ .

(٣) ذكره عنه النحاس في معانيه (٥ / ١٦٠) ، والشوكاني في فتح القدير (٤ / ١٦٠) ، والقرطبي في تفسيره (١٣ / ٢٥٥) .

(٤) سورة إبراهيم عليه السلام : ٤٣ .

(٥) ينظر : ديوان حسَّان بن ثابت ﷺ : ٣ .

(٦) سورة الحج : ٤٦ .

(٧) أوردها غير واحد من المفسرين ؛ ونسبها ابن جني لابن عباس ﷺ ، ونسبها ابن عطية لبعض الصحابة ﷺ . ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ٢٧٨ ، الكشاف للزمخشري : ٣ / ٤٠٠ ، تفسير القرطبي : ١٣ / ٢٥٥ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ٢٨٤ . وهي **قراءة بالغة الشذوذ** تحمل على التفسير . ينظر : مختصر في شواذ القرآن : ١١٣ المحتسب لابن جني : ٢ / ١٤٨ ، إتحاف فضلاء البشر للبناء : ٤٣٤ .

المنقوطة - . ومعناها : ذاهباً هدراً تالفاً من الهم والحزن .

ومنه قول **طليحة الأسدي** [١] :

فَإِنْ يَكُ قَتْلَى قَدْ أُصِيبَتْ نُفُوسَهُمْ فَلَنْ يَذْهَبُوا فِرْغاً بِقَتْلِ حِبَالِ

يقول **أبو حيان** موضحاً هذا القول : " والمعنى : صار فارغاً من العقل ، وذلك حين بلغها أنه وقع في يد فرعون ، فدهمها أمر عظيم ، مثله لا يثبت معه العقل ، لا سيما عقل امرأة خافت على ولدها ، حتى طرحته في اليم رجاء نجاته من الذبح ، هذا مع الوحي إليها أن الله يرده إليها ويجعله رسولاً ، ومع ذلك طاش عقلها ، وغلب عليها ما يغلب على البشر عند مفاجأة الخطب العظيم ، ثم استكانت بعد ذلك لموعود الله " اهـ [٢] .

القول الثالث : أن فؤاد أم موسى **أصبح خالياً من الوحي** ، روي عن **ابن زيد** ، وبنحوه قال الحسن البصري [٣] ، وابن إسحاق [٤] ، وقاله الأخفش [٥] .

قال **ابن زيد** [٦] في الآية : فارغاً من الوحي الذي أوحى الله إليها حين أمرها أن تلقيه في

---

(١) نسبه إليه ابن عطية في المحرر الوجيز (٤ / ٢٧٨) .
وطليحة الأسدي هو : طليحة بن خويلد الأسدي ، من أسد خزيمة : متنبئ ، شجاع ، من الفصحاء ، يقال له : (طليحة الكذاب) كان من أشجع العرب ، يعد بألف فارس - كما يقول النووي - قدم على النبي ﷺ في وفد بني أسد ، سنة ٩ هـ ، وأسلموا ، ولما رجعوا ارتد طليحة ، وادعى النبوة ، في حياة رسول الله ﷺ فوجه إليه ضرار بن الأزور ، فضربه ضرار بسيف يريد قتله ، فنبا السيف ، فشاع بين الناس أن السلاح لا يؤثر فيه . ومات النبي ﷺ فكثر أتباع طليحة : من أسد ، وغطفان ، وطيئ . وكان يقول : إن جبريل يأتيه . وتلا على الناس أسجاعا أمرهم فيها بترك السجود في الصلاة ، وكانت رايته حمراء ، وطمع بامتلاك المدينة ، فهاجمها بعض أشياعه ، فردهم أهلها ، وغزاه أبو بكر ﷺ ، وسيَّر إليه خالد بن الوليد ﷺ ، فلهزم طليحة إلى بزاخة (بأرض نجد) وكان مقامه في سميراء (بين توز والحاجر - في طريق مكة) وقاتله خالد ﷺ ففر إلى الشام ، ثم أسلم بعد أن أسلمت أسد وغطفان كافة ، ووفد على عمر ﷺ ، فبايعه في المدينة ، وخرج إلى العراق ، فحسن بلاؤه في الفتوح ، واستشهد بنهاوند سنة ٢١ هـ . ينظر : الاستيعاب : ٢ / ٧٧٣ ، الكامل في التاريخ : ٢ / ٢٠٦ - ٢١٠ ، العبر : ١ / ٢٦ .
(٢) البحر المحيط : ٧ / ١٠١ .
(٣) أخرجه ابن جرير بلفظ : أصبح فارغاً من العهد الذي عهدنا إليها ، والوعد الذي وعدناها أن نرُدَّ عليها ابنها فنسيت ذلك كله ، حتى كادت أن تبدي به لولا أن ربطنا على قلبها . ينظر : تفسير الطبري :٢٠ / ٣٦ .
(٤) أخرج الأثر عنه ابن جرير في تفسيره (٢٠ / ٣٦) .
(٥) ينظر معانيه : ٢ / ٦٥٢ .
(٦) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٠ / ٣٦) .

البحر ، ولا تخاف ولا تحزن ....

والمعنى : أن قلب أم موسى عليه السلام وفؤادها فرغ من وعد الله تبارك وتعالى ، ووحيه إليها ، فتناست ذلك بسبب الهم والغم الذي أصابها ، وفتر أثره في نفسها [١] .

وتُعقِّب بأنه :

" لو كان عنى بذلك فراغ قلبها من الوحي لم يعقب بقوله ﴿ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ ﴾ لأنها إن كانت قاربت أن تبدي الوحي فلم تكد أن تبديه إلا لكثرة ذكرها إياه وولوعها به ، ومحال أن تكون به ولعة إلا وهي ذاكرة .

وإذا كان ذلك كذلك بطل القول بأنها كانت فارغة القلب مما أوحى إليها " [٢] .

القول الرابع : أن فؤادها **فرغ من الهمِّ والحزن** ؛ قاله **أبو عبيدة** [٣] ، وقال **الطاهر بن عاشور** : **وهذا أحسن ما فسرت به** ؛ وهو من معنى الثناء عليها لثباتها .

وصف **الطاهر بن عاشور** قلب أم موسى عليه السلام فقال :

" فارغ من الخوف والحزن ؛ فأصبحت واثقة بحسن عاقبته تبعاً لما ألهمها من أن لا تخاف ولا تحزن فيرجع إلى الثناء عليها . **وهذا أسعد** بقوله تعالى بعد : ﴿ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ لأن ذلك الربط من توابع ما ألهمها الله من أن لا تخاف ولا تحزن .

فالمعنى : أنها لما ألقته في اليم كما ألهمها الله زال عنها ما كانت تخافه عليه من الظهور عليه عندها وقتله ؛ لأنها لما تمكنت من إلقائه في اليم و لم يشعر بها أحد قد علمت أنه نجا . وهذا المحمل يساعده أيضاً ما شاع من قولهم : فلان خليُّ البال : إذا كان لا همَّ بقلبه " . اهـ [٤]

---

(١) ينظر : المحرر الوجيز لابن عطية : ٤ / ٢٧٨ .

(٢) تفسير الطبري : ٢٠ / ٣٧ .

(٣) قال أبو عبيدة في مجازه (٢ / ٩٨) : " فارغاً من الحزن ، لعلمها أنه لم يغرق ، ومنه قولهم : دم فَرِغٌ ، أي : لا قود فيه ، ولا دية فيه " اهـ .

(٤) التحرير والتنوير : ٢٠ / ٨٠ ، ٨١ .

✖ وهذا القول **تعقَّبه الطبري** وردَّه ، فقال بعد أن نسب هذا القول لبعض أهل المعرفة بكلام العرب :

" وهذا قول لا معنى له ، لخلافه قول جميع أهل التأويل "[١] .

✖ وكذا **غلَّطه النحاس** في معانيه فقال : " غلط قبيح "[٢] ، **واستبعده ابن جُزيّ** لما بعده[٣] . **وقال السَّمين الحلبي وتبعه ابن عادل** : وهو أبعدها[٤] .

ووجه الغلط في قول أبي عبيدة – والله أعلم – : أن الله تعالى قال بعد بيان ذلك : ﴿ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا ﴾ فلو كان قلبها فارغاً من الغم والحزن – كما قال أبو عبيدة – لما احتاجت أم موسى إلى أن يربط الله ﷻ على قلبها ويرزقها الصبر ، فيكون آخر الآية غير متناسق مع أولها ، يقول **ابن قتيبة** موضحاً هذا المعنى :

" وهذا – أي تفسير أبي عبيدة – من أعجب التفسير ، كيف يكون كذلك والله يقول : ﴿ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا ﴾ ؟ وهل يربط إلا على قلب الجازع المجزوع ؟ والعرب تقول للخائف والجبان : فؤاده هواء ؛ لأنه لا يعي عزماً ولا صبراً ... " . اهـ[٥] .

✍ ووجَّه **الفخر الرَّازي** قول أبي عبيدة بثلاثة توجيهات[٦] .

قال **الزَّركشي** في البرهان : " وقال بعض الأدباء أخطأ أبو عبيدة فى المعنى ؛ لو كان قلبها فارغا من الحزن عليه لما قال : ﴿ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا ﴾ لأنها كادت تبدى به .

---

(١) تفسير الطبري : ٢٠ / ٣٧ .

(٢) معاني القرآن للنحاس : ٥ / ١٦١ . وكذلك القرطبي . ينظر : تفسيره : ١٣ / ٢٥٥ .

(٣) ينظر : التسهيل : ٣ / ١٠٢ .

(٤) ينظر : الدر المصون : ٥ / ٣٣٣ ، تفسير ابن عادل : ١٥ / ٢٢٠ .

(٥) نقله عنه البغوي في تفسيره (٣ / ٤٣٧) ، وابن الجوزي في الزاد (٦ / ٢٠٥) ، والفخر الرَّازي في تفسيره (٢٤ / ١٩٦) ، وابن عادل في تفسيره (١٥ / ٢١٩ ، ٢٢٠) . وينظر : برهان الزَّركشي (١ / ٢٩٥) .

(٦) ملخص ما ذكره الفخر الرَّازي في تفسيره (٢٤ / ١٩٦ ، ١٩٧) : أنه لا يمتنع أنها لشدة ثقتها بوعد الله لم تخف عند إظهار اسمه ، ويحتمل أن يكون قوله : ﴿ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا ﴾ بالوحي ، فأمنت وزال عن قلبها الحزن ، ويوجه أيضاً بأنها لما سمعت أن امرأة فرعون عطفت على ابنها وتبنته لم تملك نفسها من الفرح ، لولا أن سكن ما بها من شدة الفرح والابتهاج . وللزيادة والإيضاح ينظر : التفسير الكبير : ٢٤ / ١٩٦ .

وهذا الباب عظيم الخطر ، ومن هنا تهيَّب كثير من السَّلف تفسير القرآن ، وتركوا القول فيه حذراً أن يزلُّوا فيذهبوا عن المراد ؛ وإن كانوا علماء باللسان فقهاء فى الدين ، وكان الأصمعى – وهو إمام اللغة – لا يفسر شيئاً من غريب القرآن " . اهـ [١] .

القول الخامس : أن فؤاد أم موسى **أصبح فزعاً ، أي : وجلاً خائفاً** ، وهذا القول مرويٌّ عن **ابن عباس** ﷺ من طريق الضحاك [٢] .

وبنحو هذا المعنى ما قاله **مقاتل** بن سليمان : وذلك أنها رأت التابوت يرفعه موج ، ويضعه آخر ، فخشيت عليه الغرق ، فكادت تصيح شفقة عليه [٣] ، وقاله **الرَّاغب** ، **والعكبري** ، ولم يذكر **البقاعي** [٤] غيره .

وهذا القول – إن ثبت عن ابن عباس ﷺ – فهو تأويل للقراءة الشاذة (فزعاً) بالزاي [٥] ، أي : قلقاً خائفاً .

❖ **وذكر جميع الأقوال أو بعضها ولم يرجح** : السمعاني ، وابن العربي ، وابن عطية ، والفخر الرَّازي ، والنيسابوري ، والسَّمين الحلبي ، والثعالبي ، وابن عادل ، والخطيب الشربيني [٦] .

الترجيح:

---

(١) ينظر : برهان الزَّركشي : ١ / ٢٩٥ .

(٢) ذكره ابن الجوزي في تفسيره (٦ / ٢٠٥) .

(٣) ينظر : تفسير مقاتل : ٢ /٤٩٠ .

(٤) ينظر : مفردات الرَّاغب (مادة : فزع) : ٣٧٧ ، التبيان في إعراب القرآن : ٢ / ١٠١٧ ، نظم الدرر : ٥ / ٤٦٨ .

(٥) قراءة هذه اللفظة بالزاي **قراءة بالغة الشذوذ** ، منسوبة لفضالة بن عبد الله ، والحسن ، وأبي الهذيل ، وابن قُطَيْب أوردها غير واحد من المفسرين عند تفسيرهم للآية ، وهي قراءة تحمل على التفسير . ينظر : مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه : ١١٣ ، المحتسب لابن جني : ٢ / ١٤٧ ، إتحاف فضلاء البشر للبناء : ٤٣٤ ، ٤٣٥ . وينظر : تفسير السمرقندي : ٢ /٦٠٠ ، المحرر الوجيز لابن عطية : ٤ / ٢٧٨ ، تاج العروس للزبيدي (مادة : فزع) : ٢١ /٥٠٠ ، ٥٠١ ، فتح القدير للشوكاني : ٤ / ١٦٠ ، تفسير الآلوسي : ٢٠ / ٤٩ .

(٦) ينظر : تفسير السمعاني : ٤ / ١٢٤ ، أحكام القرآن لابن العربي : ٣ / ٤٩١ ، المحرر الوجيز : ٤ / ٢٧٨ ، التفسير الكبير : ٢٤ / ١٩٦ ، ١٩٧ ، تفسير غرائب القرآن : ٥ / ٣٣٠ ، الدر المصون : ٥ / ٣٣٣ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ٢٦٥ ، تفسير ابن عادل : ١٥ / ٢١٩ ، ٢٢٠ ، السراج المنير : ٣ / ١٣٢ ، ١٣٣ .

بعد عرض الأقوال يظهر لي – والله أعلم – أن **القول الأوَّل هو الأوَّلى بالصواب ، مع صحة القول الثاني ؛ وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه ، بمعنى : أن فؤاد أم موسى أصبح فارغاً من العقل ، ناسياً ذاهلاً عن كل شيء ، سوى من ذكر موسى عليه السلام ، وذلك خوفاً عليه لما علمت وقوعه في يد فرعون وجنوده** ، ومما يدل على صحة هذا المعنى ، ما يلي :

أولاً : إمامة القائلين بهما وعلو شأنهم ، ورفعة درجتهم في العلم .

قال **النحاس** : " والذين قالوه أعلم بكتاب الله جل وعز " [١] ، وقد تقدم ذكر بعضهم .

ثانياً : **دلالة السِّياق القرآني** : وذلك أن الله ﷻ قال بعد : ﴿ إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا ﴾ أي : إن كادت لتبدي أمر ابنها [٢] الذي فرغ فؤادها من كل شيء إلا من ذكره .

وقد رُوي عن النبي ﷺ أنه قال : « كادت أم موسى أن تقول : واابناه ، وتخرج صائحة على وجهها » [٣] ، فبهذا يستقيم أول الآية وآخرها ، والله أعلم .

ثالثاً : أخبر ﷻ أن أم موسى أصبحت فارغة القلب ، ولم يخصص فراغ قلبها من شيء دون شيء ، فهو دال على العموم ، فلا يخصص إلاَّ ما قامت به الحجَّة أن قلبها لم يفرغ منه [٤] ، ، وقد قامت الحجَّة على ذلك كما تقدم بيانه .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) معاني القرآن للنحاس : ٥ / ١٦١ .

(٢) هذا التأويل بإجماع أهل الحجة ؛ كما قال الطبري في تفسيره (٢٠ / ٣٧) .

(٣) ذكر الحديث ابن عطية في تفسيره (٤ / ٢٧٨) ، وابن جُزيّ (٣ / ١٠٢) ، ولم أجد الحديث هكذا مرفوعاً إلى النبي ﷺ ، وهذا اللفظ جزء من الأثر المتقدم ذكره عن ابن عباس رضي الله عنهما .

(٤) ينظر : تفسير الطبري : ٢٠ / ٣٧ .

قوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾ . [آية : ١٧] .

مسألة: في الاختلاف في معنى الباء في قوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن الباء سببية ، فقال : ((الظَّهير : المعين ، والباء سببية ، والمعنى : بسبب إنعامك علي لا أكون ظهيرا للمجرمين ؛ فهي معاهدة عاهد موسى عليها ربه . وقيل : الباء باء القسم ؛ **وهذا ضعيف** ؛ لأن قوله : ﴿ فَلَنْ أَكُونَ ﴾ لا يصلح لجواب القسم . وقيل : جواب القسم محذوف ؛ تقديره : وحق نعمتك لأتوبن ﴿ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾ . وقيل : الباء للتحليف ؛ أي : اعصمني بحق نعمتك عليَّ ﴿ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾)) . اهـ [١] .

الدراسة :

الظَّهير : المعين والناصر ، يقال : ظاهرته على كذا ، أي : عاونته ، وظاهر بعضهم بعضاً : أعانه ، والتظاهر : التعاون ، ومنه قوله تعالى : ﴿ ... وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ ... ﴾ [٢] . أي : عاونوهم وناصروهم [٣] .

واختلف أهل التفسير في **المراد من قول موسى** عليه السلام : **﴿ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾** هل هو طلب أو خبر ؟ قولان :

القول الأوَّل : أن الآية بمعنى الخبر لا الدعاء ، بمعنى : أن في الآية إخباراً من موسى عليه السلام لربه : يا رب بما أنعمت علي من القوة أعين بها أولياءك فلن أستعملها في مظاهرة أعدائك [٤]

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ١٠٣ .

(٢) سورة الممتحنة : ٩ .

(٣) ينظر (مادة : ظهر) في : المحكم لابن سيده : ٤ / ٢٨٩ ، مفردات الرَّاغب : ٣١٧ ، أساس البلاغة للزَّمخشري : ١ / ٤٠٥ ، لسان العرب لابن منظور : ٤ / ٥٢٥ ، القاموس المحيط للفيروز أبادي : ٥٥٧ .

(٤) ينظر : الكشاف : ٣ / ٤٠٣ ، التفسير الكبير : ٢٤ / ٢٠١ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ٢٨٧ ، تفسير أبي السعود : ٧ / ٧ ، فتح القدير للشوكاني : ٤ / ١٦٤ .

وهو ما قاله ابن جُزيّ [١] ، موافقاً في ذلك عامة المفسرين قديماً وحديثاً [٢] .

❖ إلا أنهم اختلفوا **في معنى الباء من قوله :** ﴿ **بِمَآ** ﴾ هل هي للسبب أو القسم أو التحليف ؟ على ثلاثة أقوال :

✓ **الأوَّل : الباء هنا سببية** ، بمعنى : أن موسى يخبر ربه ﷻ أنه لن يكون ظهيراً للمجرمين بسبب إنعام الله ﷻ عليه ، قاله ابن عطية [٣] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٤] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٥] .

وأقوال المفسرين في معنى الآية تدور بين الوعد ، والعهد [٦] ، والاستعطاف [٧] .

✓ **الثاني : الباء هنا باء القسم** ، بمعنى : أقسم بإنعامك علي بالمغفرة لأتوبنّ ، ولن أكون بعد هذا أبداً ظهيراً للمجرمين ؛ احتمله الطبري ، وقاله النسفي والشوكاني [٨] ، وذهب

---

(١) ينظر : التسهيل : ٣ / ١٠٣ .

(٢) ذهب كثير من المفسرين في تفاسيرهم إلى أن الآية خبر لا طلب ، مع الخلاف فيما بينهم في معنى الآية ، ومنهم : الطبري (٢٠ / ٤٧) ، والنحاس في معانيه (٥ / ١٦٧) ، وابن أبي زمنين (٣ / ٣٢٠) ، والسمعاني (٤ / ١٢٨) ، والواحدي (٢ / ٨١٥) ، وابن عطية (٤ / ٢٨١) ، والفخر الرَّازي (٢٤ / ٢٠١) ، والقرطبي (١٣ / ٢٦٢ ، ٢٦٣) ، والخازن (٥ / ١٦٨) ، وأبو حيان (٧ / ١٠٥) ، والثعالبي (٤ / ٢٦٧) ، وابن عادل (١٥ / ٢٢٩) ، وأبو السعود (٧ / ٧) ، والسعدي (٦١٣) ، وسيد قطب (٥ / ٢٦٨٢) .

(٣) ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ٢٨١ .

(٤) ينظر : التسهيل : ٣ / ١٠٣ .

(٥) منهم : البقاعي و لم يذكر وغيره ، وكذلك الخطيب الشربيني ، وجوَّزه ابن عادل والشوكاني ، و لم يذكر غيره الطاهر بن عاشور . ينظر : نظم الدرر : ٥ / ٤٧٣ ، تفسير ابن عادل : ١٥ / ٢٢٩ ، السراج المنير : ٣ / ١٣٧ ، فتح القدير : ٤ / ١٦٤ ، التحرير والتنوير : ٢٠ / ٩٢ .

(٦) يقول ابن عطية في تفسيره (٤ / ٢٨١) : " ثم قال عليه السلام معاهداً لربه ﷻ : رب بنعمتك عليَّ ، وبسبب إحسانك وغفرانك ، فأنا ملتزم ألا أكون معيناً للمجرمين . **هذا أحسن ما تُؤُوِّل** " اهـ . وبنحو هذا قال : السمرقندي (٢ / ٦٠٢) ، والثعالبي (٤ / ٢٦٧) ، وابن جُزيّ (٣ / ١٠٣) ، وأبو محمد ، عبد الله جمال الدين بن هشام الأنصاري في شرح قطر الندى وبل الصدى (ت ٧٦١ هـ) (٥٨) ، وابن كثير (٣ / ٣٨٣) ، والسعدي (٦١٣) ، وسيد قطب (٥ / ٢٦٨٢) .

(٧) جوَّزه الزمخشري (٣ / ٤٠٣) حيث قال : " أن يكون استعطافاً ، كأنه قال : رب اعصمني بحق ما أنعمت عليَّ من المغفرة ، فلن أكون إن عصمتني ظهيراً للمجرمين " . و **جوَّزه** العكبري أيضاً في التبيان في إعراب القرآن (٢ / ١٠١٨) ، والقرطبي في تفسيره (١٣ / ٢٦٢) ، والبيضاوي في تفسيره (٤ / ٢٨٧) ، وأبو السعود في تفسيره (٧ / ٧) ، والشوكاني في فتح القدير (٤ / ١٦٤) .

(٨) ينظر : تفسير الطبري : ٢٠ / ٤٧ ، تفسير النسفي : ٣ /٢٣٠ ، فتح القدير : ٤ / ١٦٤ .

وذهب إليه الآلوسي [١] ، **وجوَّزه** طائفة من المفسرين [٢] .

قال **القفال** [٣] : " كأنه أقسم بما أنعم الله عليه أن يظاهر مجرماً ، والباء للقسم ، أي : بنعمتك علي " . اهـ [٤] .

✗ وهذا القول **ضعَّفه ابن جُزيّ** [٥] ، **وضعَّفه ابن عطية قبله** في تفسيره فقال :

" ويضعِّفه جواب القسم ، فإنه غير متمكن في قوله : ﴿ فَلَنْ أَكُونَ ﴾ ؛ لأن القسم لا يتلقى بـ (**لن**) ، والفاء تمنع أن تُتزَّل (**لن**) منزلة (لا) أو (ما) ؛ فتأمله " . اهـ [٦] .

.

✓ **الثالث : الباء هنا للتحليف** ، أي : اعصمني بحق نعمتك عليَّ ﴿ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾ جوَّزه أبو حيان [٧] ، والسَّمين الحلبي [٨] ، وقاله الجلالين [٩] .

القول الثاني : إن **الآية دعاء** ، بمعنى : أن موسى عليه السلام يدعو ربه عز وجل ويطلب منه ألا يكون معيناً وناصراً للمجرمين . وهذا قول **الكسائي** [١٠] ، **والفرَّاء** [١١] .

---

(١) ينظر : روح المعاني : ٢٠ / ٥٥ .

(٢) منهم : الزمخشري (٣ / ٤٠٣) ، والعكبري في التبيان في إعراب القرآن (٢ / ١٠١٨) ، والقرطبي في تفسيره (١٣ / ٢٦٢) ، والبيضاوي في تفسيره (٤ / ٢٨٧) ، وأبو حيان في تفسيره (٧ / ١٠٥) ، والسمين الحلبي في الدر المصون (٥ / ٣٣٥) ، وابن عادل في تفسيره (١٥ / ٢٢٩) ، وأبو السعود في تفسيره (٧ / ٧) .

(٣) **القفال** هو القفال الكبير : محمد بن علي بن إسماعيل الشاشي الشافعي ، أبو بكر ، صاحب التصانيف ، الإمام العلامة الفقيه الأصولي اللغوي المفسر الشاعر ، ت سنة ٣٦٥ هـ ، وقيل غير ذلك . ينظر : السِّير : ١٦ / ٢٨٣ – ٢٨٥ ، طبقات المفسرين للسيوطي : ١ / ١٠٩ ، ١١٠ ، طبقات المفسرين الداوودي : ٧٩ ، ٨٠ .

(٤) نقله الفخر الرَّازي في تفسيره (٢٤ / ٢٠١) .

(٥) ينظر : التسهيل : ٣ / ١٠٣ .

(٦) المحرر الوجيز : ٤ / ٢٨١ .

(٧) ينظر : البحر المحيط : ٧ / ١٠٥ .

(٨) ينظر : الدر المصون : ٥ / ٣٣٥ .

(٩) ينظر : تفسير الجلالين : ٥٠٩ .

(١٠) نقله عنه النحاس في معانيه (٥ / ١٦٧) ، والفخر الرَّازي في تفسيره (٢٤ / ٢٠١) ، وابن عادل في تفسيره (١٥ / ٢٢٩) .

(١١) قال الفرَّاء في معانيه (٢ / ٢٦٣) : " قال ابن عباس : لم يستثن فابتلي ، فجعل (**لن**) خبراً لموسى ، وفي قراءة عبد الله : (فلا تجعلني ظهيراً) ، فقد تكون ﴿ فَلَنْ أَكُونَ ﴾ على هذا المعنى دعاء من موسى : اللهم لن أكون ظهيراً ، فيكون دعاءً " . اهـ .

ويحتج لهذا القول بما يلي :

١. قراءة ابن مسعود ﷺ لهذه الآية : (فلا تجعلني ظهيراً للمجرمين) [١] .

٢. من **كلام العرب** : قول الأعشى [٢] :

لَنْ تَزَالُوا كَذلكُم ثُمَّ لا زلْ ... تَ لَهُمْ خَالِداً خُلُودَ الجِبَالِ

✖ واعتُرض :

بأن هذا الاستدلال غير صحيح ؛ لأنه ليس في الآية ولا البيت دلالة على أن (لن) تقع موقع (لا) ، وذلك لظهور النفي في الآية من غير تقدير دعاء [٣] .

❖ **وذكر جميع الأقوال أو بعضها ولم يرجح** : الفخر الرَّازي ، والنيسابوري [٤] .

الترجيح:

بعد عرض أقوال أهل العلم يظهر لي – والله أعلم – **أن تكون الآية بمعنى الخبر أوْلى ، وهو ما رجَّحه عامة المفسرين قديما وحديثاً ، وأن الباء سببية ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** ؛ بدلالة ما يلي :

أولاً : أن تكون الآية بمعنى الخبر أوْلى وأشبه بسياق الكلام ، قاله **النحاس** [٥] .

وتعجب النحاس من قول الفراء من أن الآية دعاء ، فقال في إعرابه : " وأعجب الأشياء أن الفرَّاء روى أن ابن = = عباس ﷺ قال هذا ؛ ثم حكى عنه قوله " . ينظر : إعراب القرآن للنحاس :٣ / ٢٣٢ .

(١) ذكر هذه القراءة عن ابن مسعود ﷺ : الفراء في معانيه (٣ / ٢٧٤) ، والنحاس في معانيه (٥ / ١٦٧) والطبري في تفسيره (٢٠ / ٤٧) ، **والقراءة بالغة الشذوذ** تحمل على التفسير . ينظر : مختصر في شواذ القرآن : ١١٤ ، إتحاف فضلاء البشر للبناء : ٤٣٥ .
وقد استدل **جماعة من اللغويين** بهذه الآية على جواز ورود (**لن**) للدعاء ، فيكون المعنى : فاجعلني لا أكون ، وهذا موافق لقراءة ابن مسعود ﷺ . ينظر (حرف لن) في : القاموس المحيط : ١٥٩٠ ، كليات الكفوي : ٧٩٢ ، تاج العروس : ٣٦ /١٣٠ .

(٢) ينظر : ديوان الأعشى : ١٩٠ .

(٣) ينظر : البحر المحيط لأبي حيان : ٧ / ١٠٥ ، الدر المصون للسمين الحلبي : ٥ / ٣٣٥ ، تفسير ابن عادل : ١٥ / ٢٣٠ .

(٤) ينظر : التفسير الكبير : ٢٤ / ٢٠١ ، ٢٠٢ ، تفسير غرائب القرآن : ٥ / ٣٣٣ .

(٥) ينظر : إعراب القرآن : ٣ / ٢٣٢ .

ثانياً : ظاهر الآية يدل على الخبر لا الدعاء ، قاله **الفخر الرَّازي** [١] .

أي : أن موسى عليه السلام قال : إنك لما أنعمت علي بهذا الإنعام بغفران ذنبي ؛ فإني لا أكون معاوناً لأحد من المجرمين بل أكون معاوناً للمسلمين .

ثالثاً : **الباء سببية يدل على ذلك دلالة سياق الآية** :

قال البقاعي : " ولما كان في **سياق التعظيم للنعمة ، كرر حرف السبب تأكيداً للكلام** ، وتعريفاً أن المقرون به مسبب عن الإنعام ، وقرنه بأداة النفي الدالة على التأكيد فقال : ﴿ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا ﴾ أي عشيراً أو خليطاً أو معيناً ﴿ لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾ أي : القاطعين لما أمر الله به أن يوصل ... " . اهـ [٢] .

رابعاً : ذكر بعض العلماء [٣] أن الدعاء بـ (لن) غير معروف ، وأن فعل الدعاء لا يسند إلى المتكلم ، بل إلى المخاطب والغائب ، نحو قولهم : يا رب لا عذبت فلاناً ، ونحو : لا عذبَّ الله عمراً .

جعل جمهور من السلف هذه الآية **حجَّة على منع إعانة أهل الجور** في شيء من أمورهم نص عليه عطاء بن أبي رباح وغيره ؛ ولعل وجه الاحتجاج بها أن الله حكاها عن موسى عليه السلام في معرض التنويه به ؛ فاقتضى ذلك أنه من القول الحق [٤] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) ينظر : التفسير الكبير للفخر الرَّازي : ٢٤ / ٢٠١ .

(٢) نظم الدرر : ٥ / ٤٧٣ .

(٣) وهم : ابن السَّرَّاج ، والزَّركشي ، وابن هشام . ينظر : الأصول في النحو لأبي بكر ، محمد بن السري بن السراج النحوي (ت ٣١٦ هـ) : ٢ / ١٧١ ، برهان الزَّركشي : ٤ / ٣٨٨ ، وشرح قطر الندى لابن هشام : ٥٨ ومغني اللبيب لابن هشام أيضاً : ٣٧٥ .

(٤) ينظر : المحرر الوجيز لابن عطية : ٤ / ٢٨١ ، التحرير والتنوير : ٢٠ / ٩٣ .

قوله تعالى : ﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ ﴾ . [آية :٢٠] .

مسألة : في المراد بقوله تعالى : ﴿ يَأْتَمِرُونَ بِكَ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن المراد بقوله تعالى : ﴿ يَأْتَمِرُونَ بِكَ ﴾ يتشاورون ، فقال :

((﴿ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ ﴾ يتشاورون . وقيل : يأمر بعضهم بعضاً بقتلك كما قتلت القبطي)) . اهـ [١] .

الدراسة :

اختلف أهل العلم والمفسرون في **المراد بقوله تعالى : ﴿ يَأْتَمِرُونَ بِكَ ﴾ على قولين :**

القول الأوَّل : بمعنى : **يأمر بعضهم بعضاً بقتلك كما قتلت القبطي** ، قاله **الزَّجَّاج** [٢] ، و**الأزهري** [٣] ، وذهب إليه ابن أبي زمنين ، والبغوي [٤] من المفسرين .

وقال ابن قتيبة [٥] : بمعنى : **يهمُّون** ويعزمون ، وذهب إليه **النحاس** [٦] أيضاً .

واستدل له :

١. النظير القرآني :

قوله تعالى : ﴿ ... وَأْتَمِرُواْ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ... ﴾ [٧] . [٨]

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ١٠٤ .
(٢) ينظر معانيه : ٤ / ١٣٨ .
(٣) ينظر : تهذيب اللغة (مادة : أمر) : ١٥ / ٢١١ .
(٤) ينظر : تفسير ابن أبي زمنين : ٣ / ٣٢١ ، تفسير البغوي : ٣ / ٤٤٠ .
(٥) ذكره السمرقندي في تفسيره (٢ / ٦٠٣) ، وابن الجوزي في تفسيره (٦ / ٢١١) وغيرهما .
(٦) ينظر : معاني القرآن للنحاس : ٥ / ١٧٠ .
(٧) سورة الطلاق : ٦ .
(٨) ينظر : تفسير القرطبي : ١٣ / ٢٦٦ ، فتح القدير : ٤ / ١٦٥ .

٢. من اللغة : والائتمار : الهمُّ بالشيء [١] .

القول الثاني : بمعنى : **يتشاورون** ، قاله **أبو عبيدة** [٢] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٣] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٤] .

والمعنى : إن الرجل الذي جاءه من أقصى المدينة يسعى لموسى عليه السلام فقال له : يا موسى إن أشراف قوم فرعون ورؤساءهم يتشاورون في قتلك ويرتئون فيه [٥] .

واستدل له :

١. من اللغة :

الائتمار يطلق في اللغة ويراد به : التشاور والتآمر [٦] .

٢. من كلام العرب : ومن ذلك :

قول الشاعر [٧] :

أحَارُ بنَ عَمْرٍو كأنِّي خَمِرْ ويَعْدو عَلَى الْمَرْءِ مَا يأتـــمرْ

---

(١) ينظر : تاج العروس (مادة : أمر) : ١٠ / ٧٧ .
(٢) ينظر مجازه : ٢ / ١٠٠ .
(٣) ينظر : التسهيل : ٣ / ١٠٤ .
(٤) ومنهم : البخاري في صحيحه (كتاب التفسير ، باب تفسير سورة القصص ، ٣ / ١٧٨٩) ، وقدَّمه الماوردي (٤ / ٢٤٤) ، والسمعاني (٤ / ١٣٠) ، والزمخشري (٣ / ٤٠٤) ، وابن عطية (٤ / ٢٨٢) ، وقدَّمه ابن الجوزي (٦ / ٢١١) ، والفخر الرَّازي (٢٤ / ٢٠٣) ، والقرطبي (١٣ / ٢٦٦) ، والبيضاوي (٤ / ٢٨٨) ، والخازن (٥ / ١٦٨) ، والنيسابوري (٥ / ٣٣٣) ، وأبو حيان (٧ / ١٠٦) ، والسمين الحلبي (٥ / ٣٣٧) ، وابن كثير (٣ / ٣٨٤) ، والبقاعي (٥ / ٤٧٥) ، وابن عادل (١٥ / ٢٣٣) ، والجلالين (٥٠٩) ، وأبو السعود (٧ / ٧) ، والخطيب الشربيني (٣ / ١٣٨) ، والشوكاني (٤ / ١٦٥) والقاسمي (١٢ / ١٠١) ، والآلوسي (٢٠ / ٥٨) ، والسعدي (٦١٤) .
(٥) ينظر : تفسير الطبري : ٢٠ / ٥٢ .
(٦) ينظر (مادة : أمر) : المحيط في اللغة : ١٠ / ٢٨٥ ، مفردات الرَّاغب : ٢٥ ، تاج العروس :١٠ / ٧٦ .
(٧) البيت ذكره أبو عبيدة في مجازه (٢ / ١٠٠) ونسبه إلى رَبيعة بن جُعشم النَّمْريُّ ، وكذا ذكر ابن عطية في تفسيره (٤ / ٢٨٢) . ونسبه الماوردي في النكت (٤ / ٢٤٤) إلى امرئ القيس .
وذكره الأزهري في تهذيبه (١٥ / ٢١١) ونسبه إلى النَّمر بن تَوْلَب .
ويظهر – والله أعلم – أن الصواب ما ذكره أبو عبيدة ؛ لأن المنسوب للنَّمر بن تَوْلَب غير هذا البيت .

سورة القصص ـــــــ

وليس يجوز أن يكون في هذا الموضع (يأتمر) يشاور ؛ لأن المشاورة رشد وخير فكيف يعدو عليه ما شاور فيه ... وأما قول النَّمر بن تَوْلَب ... :

أَرَى الناسَ قَدْ أَحْدَثُوا شِيمَةً وَفِي كُلِّ حَادِثَةٍ يُؤتَمرُ

فإنه أراد في كل أمر يحدث : تفكر ونظر وارتياء رأي " . اهـ [١] .

٣. دلالة قوله تعالى : ﴿ ... وَأْتَمِرُواْ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ... ﴾ [٢] على هذا المعنى ؛ فإنه ﷻ لم يرد : تشاوروا ، وإنما أراد : هُمُّوا به ، واعتزموا عليه ؛ قال **ابن قتيبة** [٣] .

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن كلا القولين صحيح ؛ لأن الائتمار في اللغة يطلق على المشاورة وعلى الهمِّ والعزم** [٤] **، وقد جمع بينهما الطبري ، والثعلبي ، والواحدي ، والطاهر بن عاشور** [٥] **، وذكر السمر قندي** [٦] **القولين ولم يرجح ، وجوَّز وجوَّز القولين : العز بن عبد السلام ، والنسفي ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي** [٧] .

قال **الطاهر بن عاشور** :

" و ﴿ يَأْتَمِرُونَ بِكَ ﴾ يتشاورون . وضُمِّن معنى (يهمُّون) فعدي بالباء فكأنه قيل : يأتمرون ويهمّون بقتلك " . اهـ [٨] .

---

(١) غريب الحديث لأبي محمد ، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦ هـ) : ١ / ٦٠٥ .

(٢) سورة الطلاق : ٦ .

(٣) نقله عنه الأزهري ، وابن منظور ، والزبيدي ، ينظر (مادة : أمر) في : تهذيب اللغة : ١٥ / ٢١١ ، لسان العرب : ٤ / ٣٠ ، تاج العروس : ١٠ / ٧٧ . – ولم أقف عليه في كتب ابن قتيبة في حدود ما اطلعت – .

(٤) قال في القاموس (مادة : أمر / ٤٣٩) : " **والائتمار** : المشاورة ، كالمؤامرة والاستئمار والتآمر ، والهمُّ بالشيء " . وينظر (مادة : أمر) في : المحكم : ١٠ / ٢٩٩ ، ولسان العرب : ٤ / ٣٠ ، وتاج العروس : ١٠ / ٦٧ – ٧٨ .

(٥) تفسير الطبري : ٢٠ / ٥٢ ، الكشف والبيان : ٧ / ٢٤٢ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٨١٥ ، التحرير والتنوير : ٢٠ / ٩٦ .

(٦) ينظر : تفسير السمر قندي : ٢ / ٦٠٣ .

(٧) ينظر : تفسير العز بن عبد السلام : ٢ / ٤٨٤ ، تفسير النسفي : ٣ / ٢٣١ ، الوسيط : ١٠ / ٣٩٠ .

(٨) التحرير والتنوير : ٢٠ / ٩٦ . وينظر قبله : فتح الباري لابن حجر : ٦ / ٤٢٥ .

وإن كان أصل الائتمار والاستئمار المشاورة – كما تقدم – إلاَّ أن قوله : ﴿ يَأْتَمِرُونَ ﴾ فيها معنى الهمِّ [١] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

(١) ينظر : لسان العرب (مادة : أمر) : ٤ / ٣٠ ، التحرير والتنوير : ٢٠ / ٩٦ .

سورة القصص ـــــــ

سورة القصص ـــــــ

وأشار بعض العلماء إلى علة ذلك الحبس ، فقال الرَّازي : " واختلفوا في علة ذلك الحبس على وجوه :

أحدها : قال الزَّجَّاج [٢] : لأن على الماء من كان أقوى منهما فلا يتمكنان من السقي .

وثانيها : كانتا تكرهان المزاحمة على الماء .

وثالثها : لئلا تختلط أغنامهما بأغنامهم .

ورابعها : لئلا تختلطا بالرجال " [٣] .

القول الثاني : أنهما **كانتا تذودان الناس** ، أي : تطردانهم وتبعدانهم عن غنمهما ؛ قاله قتادة [٤] ، وبنحوه قال الكلبي [٥] . [٦]

واستدل قتادة بقراءة عبد الله بن مسعود ﷺ : (وَدُونَهُمُ امْرَأَتَانِ حَابِسَتَانِ) [٧] . قال : حابستين شاءهما ، تذودان الناس عن شائهما [٨] .

الترجيح:

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن الرَّاجح أن معنى قوله تعالى : ﴿ تَذُودَانِ ﴾ تحبسان وتمنعان غنمهما عن الماء حتى يفرغ الناس** ؛ **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ، ووافقه جمهور المفسرين** ، يدل على ذلك إضافة إلى ما تقدم ما يلي :

= القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني (ت ٤٧١هـ) : ١٣٢ .

(١) معاني القرآن للنحاس : ٥ / ١٧٢ .

(٢) ينظر معانيه : ٤ / ١٣٩ .

(٣) التفسير الكبير : ٢٤ / ٢٠٤ . وينظر قبله : تفسير السمرقندي : ٢ / ٦٠٣ ، والكشاف : ٣ / ٤٠٥ .

(٤) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٠ / ٥٦) ، ونسبه إليه النحاس ، والماوردي ، وابن عطية ، ينظر : معاني القرآن للنحاس : ٥ / ١٧٣ ، النكت والعيون : ٤ / ٢٤٥ ، المحرر الوجيز : ٤ / ٢٨٣ .

(٥) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣ /٩٠) ، وابن جرير في تفسيره (٢٠ / ٥٦) .

(٦) جوَّز السمين الحلبي القولين . ينظر : الدر المصون : ٥ / ٣٣٨ .

(٧) هذه القراءة المنسوبة لابن مسعود ﷺ قراءة على التفسير ، وهي من القراءات البالغة الشذوذ ، أوردها : الفراء في معانيه (٣ / ٢٧٤) ، والنحاس في معانيه (٥ / ١٧١) . وينظر : إتحاف فضلاء البشر للبناء : ٤٣٥ .

(٨) ينظر : تفسير الطبري : ٢٠ / ٥٦ .

أولاً : **دلالة السِّياق القرآني** : وبيان ذلك : أن الله ﷻ بعد أن ذكر قصة المرأتين ، وأنهما لا تستطيعان السقي قال ﷻ في الآية نفسها : ﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ ﴾ فلو كانتا تذودان الناس عن غنمهما ، لم تخبرا عن سبب تأخر سقيهما إلى أن يصدر الرعاء [١] .

ثانياً : حقيقة الذود : طرد الأنعام عن الماء ، ولذلك سموا القطيع من الإبل (الذود) فلا يقال : ذدت الناس ، إلا مجازاً مرسلاً [٢] .

قال **ابن قتيبة** : أي : تكفان غنمهما ، فحذف الغنم اختصاراً [٣] .

وقال **الآلوسي** : " وفي جميع هذه الأقوال – أي أقوال جماعة السَّلف – تصريح بأن المذود كان غنماً ، والظاهر هذا عن توقيف " [٤] .

ثالثاً : حمل الكلام على الحقيقة أولى من حمله على المجاز ، ومن **المقرر عند العلماء** أنه :

- **يجب حمل نصوص الوحي على الحقيقة** [٥] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) يقول الطبري رحمه الله في جامعه (٢٠ / ٥٦) موضحاً هذا المعنى : " وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب : لدلالة قوله : ﴿ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ ﴾ على أن ذلك كذلك ، وذلك أنهما إنما شَكَتَا أنهما لا تسقيان حتى يصدر الرعاء ، إذ سألهما موسى عن ذودهما غنمهما ، ولو كانتا تذودان عن غنمهما الناس كان لا شكَّ أنهما كانتا تخبران عن سبب ذودهما عنها بالناس ، لا عن سبب تأخر سقيهما إلى أن يصدر الرعاء ".
وبهذا الدليل أيضاً استدل النحاس في معانيه (٥ / ١٧٣) ، والثعلبي في تفسيره (٧ / ٢٤٣) ، وابن جُزيّ في تفسيره (٣ / ١٠٤) ، والسيد القنوجي في حسن الأسوة (١٧٦) .

(٢) ينظر : التحرير والتنوير : ٢٠ / ٩٩ . وينظر قبله : التبيان في غريب القرآن للهائم المصري :٣٢٧ .

(٣) ذكره عنه ابن الجوزي في زاد المسير (٦ / ٢١٢) . وينظر : دلائل الإعجاز : ١٣٢ ، برهان الزَّركشي : ٣ / ١٦٤ ، إتقان السيوطي : ٣ / ١٥٦ . – ولم أقف عليه في كتب ابن قتيبة في حدود ما اطلعت – .

(٤) روح المعاني : ٢٠ / ٥٩ .

(٥) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ٢ / ٣٨٧ .

سورة القصص ـــــــ

سورة القصص ـــــــ

سورة القصص ـــــــ

عهد موسى عليه السلام " . اهـ [١] .

القول الرابع : الضمير في ﴿ أَوَلَمۡ يَكۡفُرُواْ ﴾ وفي ﴿ قَالُواْ ﴾ **لليهود** ، قاله **مجاهد** [٢] ، **وقتادة** [٣] ، وجماعة من المفسرين [٤] .

وذلك : أن **اليهود أمروا قريشاً** أن يسألوا محمداً أن يؤتى مثل ما أُوتِيَ مُوسَى عليه السلام ؛ فقال تعالى : ﴿ أَوَلَمۡ يَكۡفُرُواْ ﴾ هؤلاء اليهود ﴿ بِمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ ﴾ بجميع تلك الآيات الباهرة ؟

❖ ذكر **ابن عادل** [٥] الأقوال كلها و لم يرجح بينها ؛ **وجمع الخطيب الشربيني** بين الأقوال الثلاثة ؛ فقال : " أي : العرب ، ومن بلغته الدعوة من بني إسرائيل ، ومن كان مثلهم في البشرية والعقل في زمن موسى عليه السلام " . اهـ [٦] .

الترجيح :

يظهر لي – والله أعلم – **أن الراجح أن الضمير في ﴿ أَوَلَمۡ يَكۡفُرُواْ ﴾ وفي ﴿ قَالُواْ ﴾ لكفار قريش ، فضمائر الجمع في الآية راجعة إلى أهل مكة الموجودين عند البعثة ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** ، يدل على ذلك إضافة لما تقدم وما يلي :

أولاً : دلالة السباق واللحاق :

ضمير ﴿ يَكۡفُرُواْ ﴾ عائد إلى القوم من قوله تعالى : ﴿ ... لِتُنذِرَ قَوۡمًا ... ﴾ [٧] ؛ لتتناسق

---

(١) روح المعاني : ٢٠ / ٩٢ .

(٢) ينظر تفسيره : ٢ / ٤٨٧ . وأخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٠ / ٨٣) ، وعزاه السيوطي في الدر (٦ / ٤٢٠) إلى الفريابي ، وابن أبي شيبة ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم (٩ / ٢٩٨٤) .

(٣) نسبه الفخر الرَّازي إليه . ينظر : التفسير الكبير : ٢٤ / ٢٢٣ .

(٤) في تفاسيرهم ؛ ومنهم : الطبري (٢٠ / ٨٣) ، و لم يذكر النحاس في معانيه (٥ / ١٨٣) غير قول مجاهد ، وقدَّمه الماوردي (٤ / ٢٥٦) ، و لم يذكر ابن عطية غيره (٤ / ٢٩٠) ، وقدَّمه ابن الجوزي (٦ / ٢٢٧) ، وابن كثير و لم يذكر غير قول مجاهد أيضاً (٣ / ٣٩٣) ، و لم يذكر الثعالبي غيره (٤ / ٢٧٤) .

(٥) ينظر : تفسير ابن عادل : ١٥ / ٢٦٧ ، ٢٦٨ .

(٦) السراج المنير : ٣ / ١٥٤ .

(٧) سورة القصص : ٤٦ .

سورة القصص ـــــــ

الدراسة :

بناء على اختلاف السلف و أهل العلم والمفسرين في **عود الضمير في ﴿ أَوَلَمۡ يَكۡفُرُواْ ﴾ وفي ﴿ قَالُواْ ﴾** اختلفوا **في متعلق قوله تعالى : ﴿ مِن قَبۡلُ ﴾** ، وحاصل اختلافهم يرجع إلى قولين :

القول الأوَّل : الضمير يعود لكفار قريش ، وعلى هذا يتعلق قوله : **﴿ مِن قَبۡلُ ﴾ بقوله : ﴿ أُوتِيَ مُوسَىٰٓ ﴾ ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [١] .

✖ **وتعقبه الآلوسي** بقوله :

" وتعلقه بـــ ﴿ أُوتِيَ ﴾ لا يظهر له وجه لائح ؛ إذ هو تقييد بلا فائدة ؛ لأنه معلوم أن ما أوتي موسى عليه السلام من قبل محمد ﷺ أو من قبل هؤلاء الكفرة ؛ نعم أمر الرد عليه على حاله أي : ألم يكفروا من قبل هذا القول بما أوتي موسى عليه السلام كما كفروا بهذا الحق " . اهـــ [٢] .

القول الثاني : الآية في بني إسرائيل ، والضمير لليهود ، و **﴿ مِن قَبۡلُ ﴾ على هذا يتعلق بقوله : ﴿ أَوَلَمۡ يَكۡفُرُواْ ﴾ ، رجَّحه الآلوسي** [٣] .

❖ **وجوَّز الوجهين جماعةٌ من المفسرين** ؛ ومنهم : الزَّمخشري ، وأبو حيان ، والسَّمين الحلبي ، وابن عادل [٤] .

❖ **ولم يتعرض لهذه المسألة الإعرابية أحدٌ سوى هؤلاء المفسرين المذكورين – في حدود ما اطلعت – . ولم أجد في كتب الإعراب المشهورة كإعراب النحاس ، والزَّجَّاج ، ومشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب ذكراً لهذه المسألة .**

---

(١) ينظر : التسهيل : ٣ / ١٠٧ .

(٢) ينظر : روح المعاني : ٢٠ / ٩١ .

(٣) ينظر : المرجع السابق .

(٤) ينظر : الكشاف : ٣ / ٤٢٤ ، البحر المحيط : ٧ / ١١٨ ، الدر المصون : ٥ / ٣٤٧ ، تفسير ابن عادل : ١٥ / ٢٦٨ .

سورة القصص ـــــــ

سورة القصص ـــــــ

سورة القصص ـــــــ

سورة القصص ـــــــ

سورة القصص ـــــــ

قوله تعالى : ﴿ أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾ ﴾ . [آية : ٦١] .

مسألة : في المراد بمن ﴿ وَعَدْنَٰهُ ﴾ ، وبمن ﴿ مَّتَّعْنَٰهُ ﴾ في الآية الكريمة :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن المراد بمن ﴿ وَعَدْنَٰهُ ﴾ المؤمنين ، وبمن ﴿ مَّتَّعْنَٰهُ ﴾ الكافرين ، فقال : ((والمراد بمن ﴿ وَعَدْنَٰهُ ﴾ المؤمنين ، وبمن ﴿ مَّتَّعْنَٰهُ ﴾ الكافرين ، وقيل : سيدنا محمدا ﷺ وأبو جهل . وقيل : حمزة وأبو جهل **والعموم أحسن لفظاً**)) . اهـ [١] .

الدراسة :

الآية إيضاح لما قبلها من التفاوت بين متاع الحياة الدنيا وما عند الله في الآخرة ، والوعد الحسن هو الجنَّة ، ومعنى ﴿ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴾ أي : من المحضرين في العذاب .

واختلف المفسرون في **المراد بمن ﴿ وَعَدْنَٰهُ ﴾ ، وبمن ﴿ مَّتَّعْنَٰهُ ﴾ في الآية الكريمة** على أقوال منها :

القول الأوَّل : المراد بمن ﴿ وَعَدْنَٰهُ ﴾ **المؤمنين** ، وبمن ﴿ مَّتَّعْنَٰهُ ﴾ **الكافرين** ، والمعنى عام قاله قتادة [٢] ، والزَّجَّاج [٣] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٤] ، **واستظهره** أبو حيان وابن كثير [٥] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٦] .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ١٠٩ .

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٠ / ٩٧) ، ونسبه إليه ابن الجوزي في تفسيره (٦ / ٢٣٤) ، وابن عطية في تفسيره (٤ / ٢٩٤) ، وعزاه السيوطي في الدر (٦ / ٤٣١) إلى عبد بن حميد ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٩ / ٢٩٩٨ ، ٢٩٩٩) .

(٣) ينظر معانيه : ٤ / ١٥٠ .

(٤) ينظر : التسهيل : ٣ / ١٠٩ .

(٥) ينظر : البحر المحيط : ٧ / ١٢٢ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٣٩٧ .

(٦) في تفاسيرهم ؛ منهم : الطبري (٢٠ / ٩٧) ، والنحاس في معانيه (٥ / ١٩١) ، وابن عطية (٤ / ٢٩٤) ، ونقل القرطبي تصحيح القشيري له (١٣ / ٣٠٣) ، ولم يذكر الثعالبي غيره (٤ / ٢٧٨) ، والجلالين (٥١٦) ، والشوكاني (٤ / ١٨١) ، والسعدي (٦٢٢) ، ولم يذكر الطاهر ابن عاشور غيره (٢٠ / ١٥٥) .

القول الثاني : المراد بمن ﴿ وَعَدْنَـٰهُ ﴾ **الرسول ﷺ** ، وبمن ﴿ مَّتَّعْنَـٰهُ ﴾ **أبو جهل** ، قاله ابن عباس رضي الله عنهما [١] ، ومجاهد [٢] ، وقاله الواحدي [٣] من المفسرين .

القول الثالث : المراد بمن ﴿ وَعَدْنَـٰهُ ﴾ **حمزة رضي الله عنه** ، وبمن ﴿ مَّتَّعْنَـٰهُ ﴾ **أبو جهل** ، قاله مجاهد أيضاً [٤] ، ومحمد بن كعب القرظي [٥] ، والسدي [٦] .

الترجيح:

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن الرَّاجح أنها نزلت في المؤمن والكافر على التعميم ؛ نزلت في كل كافر متع في الدنيا بالعافية والغنى وله في الآخرة النار ، وفي كل مؤمن صبر على بلاء الدنيا ثقة بوعد الله وله في الآخرة الجنة .**

وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه ، يدل على ذلك إضافة لما تقدم ؛ ولما يلي :

أولاً : دلالة السِّياق القرآني :

قال **ابن عطية** : " نزولها عام بين الاتساق بما قبله من توبيخ قريش " [٧] .

وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ . [سورة القصص : ٦٠] .

ثانياً : النظير القرآني :

- وهذا كقوله تعالى إخباراً عن ذلك المؤمن حين أشرف على صاحبه وهو في الدرجات

---

(١) ينظر : تنوير المقباس : ٣٢٩ .

(٢) نسبه إليه البغوي في تفسيره (٣ / ٤٥١) ، وابن عطية في تفسيره (٤ / ٢٩٤) ، وابن الجوزي في تفسيره (٦ / ٢٣٤) ، وعزاه السيوطي في الدر (٦ / ٤٣١) إلى ابن جرير في تفسيره (٢٠ / ٩٧) .

(٣) ينظر تفسيره : ٢ / ٨٢٣ .

(٤) نسبه إليه ابن الجوزي في تفسيره (٦ / ٢٣٤) ، وعزاه السيوطي في الدر (٦ / ٤٣١) إلى ابن جرير من وجه آخر في تفسيره (٢٠ / ٩٧) .

(٥) نسبه إليه البغوي في تفسيره (٣ / ٤٥١) ، والقرطبي في تفسيره (١٣ / ٣٠٣) .

(٦) نسبه إليه السمعاني في تفسيره (٤ / ١٥١) ، وعزاه السيوطي في الدر (٦ / ٤٣١) إلى ابن أبي حاتم (٩ / ٢٩٩٨ ، ٢٩٩٩) .

(٧) المحرر الوجيز لابن عطية : ٤ / ٢٩٤ .

وذاك في الدركات فقال : ﴿ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴾ . [سورة الصافات : ٥٧] .

- وقال تعالى : ﴿ ... وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴾ . [سورة الصافات : ١٥٨] .[(١)]

ثالثاً : ذكر الأقوال أو بعضها ولم يرجحوا بينها جماعة من المفسرين ؛ ومنهم : السمرقندي ، والثعلبي ، والسمعاني ، والزَّمخشري ، والنسفي ، والخازن ، والنيسابوري ، والخطيب الشربيني ، والآلوسي [(٢)] .

ولم يتعرض فيمن نزلت الآية جماعة أيضاً منهم : الفخر الرَّازي ، والبيضاوي ، وابن عادل وأبو السعود ، والقاسمي ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . **مما يدل على أن لفظ الآية عام** .

رابعاً : يؤيده **القاعدة الترجيحية** التالية :

- **القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك** [(٣)] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) ينظر : تفسير القرطبي : ١٣ / ٣٠٣ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٣٩٧ .

(٢) ينظر : تفسير السمر قندي : ٢ / ٦١٥ ، الكشف والبيان : ٧ / ٢٥٧ ، تفسير السمعاني : ٤ / ١٥١ ، الكشاف : ٣ / ٤٢٩ ، تفسير النسفي : ٣ / ٢٤٣ ، تفسير الخازن : ٥ / ١٧٩ ، تفسير غرائب القرآن : ٥ / ٣٥٤ ، السراج المنير : ٣ / ١٦٢ ، روح المعاني : ٢٠ / ٩٩ .

(٣) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٣١٢ .

سورة القصص ـــــــ

سورة القصص ـــــــ

الأبواب .

قال **الأزهري** : " ويقال للذي يُفْتَح به المِغْلاَق (مِفْتَح) - بكسر الميم - و (مِفتاح) ، وجمْعُهما مَفَاتح ومفَاتيح ، وهذا قول النحويين " . اهـ [١] .

وقال **الرَّاغب** [٢] بنحوه .

٢. **القراءة الشاذة** : (ما إن مفاتيحه لتنوء بالعصبة) [٣] .

✘ " ومن الناس من **طعن في هذا القول** من وجهين :

الأوَّل : أن مال الرجل الواحد لا يبلغ هذا المبلغ ، ولو أنا قدرنا بلدة مملوءة من الذهب والجواهر لكفاها أعداد قليلة من المفاتيح ، فأي حاجة إلى تكثير هذه المفاتيح ؟! .

الثاني : أن الكنوز هي الأموال المدخرة في الأرض ، فلا يجوز أن يكون لها مفاتيح .

✓ **والجواب** :

✍ **عن الأوَّل** :

أن المال إذا كان من جنس العروض ، لا من جنس النقد جاز أن يبلغ في الكثرة إلى هذا الحد ، وأيضاً فهذا الذي يقال إن تلك المفاتيح بلغت ستين حملاً ، ليس مذكوراً في القرآن فلا تقبل هذه الرواية ، وتفسير القرآن أن تلك المفاتيح كانت كثيرة ، وكان كل واحد منها معيناً لشيء آخر ، فكان يثقل على العصبة ضبطها ومعرفتها بسبب كثرتها ، وعلى هذا الوجه يزول الاستبعاد .

✍ **وعن الثاني** :

أن ظاهر الكتر وإن كان من جهة العرف ما قالوا فقد يقع على المال المجموع في المواضع

---

(١) تهذيب اللغة (مادة : فتح) : ٤ / ٢٥٨ .

(٢) ينظر : مفردات الرَّاغب (مادة : فتح) : ٣٧١ .

(٣) وهي قراءة الأعمش ؛ أوردها ابن عطية في تفسيره (٤ / ٢٩٨) وأبو حيان في تفسيره (٧ / ١٢٦) ، والآلوسي في تفسيره (٢٠ / ١١٠) . وهي **قراءة بالغة الشذوذ** تحمل على التفسير . ينظر : إتحاف فضلاء البشر للبناء : ٤٣٨ .

التي عليها أغلاق " [١] .

القول الثاني : المراد بالمفاتح في الآية الخزائن ، قاله **ابن عباس** ﷺ [٢] ، وأبو صالح [٣] ، وفي معناه قول الضحاك [٤] ، **وأبو رزين** ، والسدي [٥] ، ومقاتل [٦] ، وذهب إليه **الفرَّاء والزَّجَّاج** [٧] .

وقاله العكبري [٨] ، وصوَّبه **النسفي** [٩] ، وقاله **أكثر** [١٠] المفسرين [١١] .

عن أبي رَزين قال : ﴿ مَفَاتِحَهُ ﴾ : خزَائنه ؛ أنْ كان كَافِياً مفتاحٌ واحدٌ خَزَائنَ الكوفة ، إنما مَفاتِحُه المالُ [١٢] .

وقياس واحدها : مَفْتَحٍ - بالفتح - .

---

(١) التفسير الكبير للفخر الرَّازي : ٢٥ / ١٤ . وينظر : تفسير النيسابوري : ٥ / ٣٦١ .

(٢) قال ابن عباس ﷺ : كانت خزائنه يحملها أربعون رجلاً أقوياء . **نسبه إليه** : الفخر الرَّازي في تفسيره (٢٥ / ١٤) ، والخازن في تفسيره (٥ / ١٨١) ، وابن عادل في تفسيره (١٥ / ٢٩٠) ، والآلوسي في تفسيره (٢٠ / ١١١) . قال **الآلوسي** في تفسيره (٢٠ / ١١١) : " ومما لا مبالغة فيه ما روي عن ابن عباس ﷺ من المفاتح الخزائن ، وكانت خزائنه يحملها أربعون رجلاً أقوياء ، وكانت أربعمائة ألف ؛ يحمل كل رجل عشرة آلاف وعليه فأمثال قارون في الناس أكثر من خزائنه ، ولعل الآية تشير إلى أن ما أوتيه فوق ذلك ، ولا أظن الأمر كما روي عن خيثمة " . اهـ .

(٣) قال أبو صالح : كانت خزائنه تحمل على أربعين بغلاً . أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٠ / ١٠٧) .

(٤) قال الضحاك : مفاتحه أوعيته . أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٠ / ١٠٧) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٩ / ٣٠٠٧) .

(٥) أخرجه عن أبي رزين والسدي ابن أبي حاتم في تفسيره (٩ / ٣٠٠٧) .
وأبو رزين هو : مسعود بن مالك الأسدي مولاهم ، أبو رزين الكوفي ، إمام فاضل ثقة ، ومختلف في صحبته ، ت سنة ٨٥ هـ . ينظر : تاريخ البخاري : ٧ / ٤٢٣ ، تهذيب الكمال : ٢٧ / ٤٧٧ - ٤٧٩ ، الإصابة : ٧ / ١٥٠ .

(٦) ينظر تفسيره : ٢ / ٥٠٥ .

(٧) ينظر : معاني القرآن للفرَّاء : ٢ / ٢٦٨ ، معاني القرآن وإعرابه للزَّجاج : ٤ / ١٥٥ .

(٨) ينظر : التبيان في إعراب القرآن : ١ / ٥٠٢ .

(٩) قال النسفي : والأصوب أنها المقاليد ؛ أي الخزائن . ينظر تفسيره :٣ / ٢٤٦ .

(١٠) نسب الواحدي هذا القول إلى أكثر المفسرين ؛ ونقله الشوكاني عن الواحدي . ينظر : فتح القدير : ٤ / ١٨٦ .

(١١) في تفاسيرهم ؛ ومنهم : السمر قندي (٢ / ٦١٩) ، وقدَّمه الماوردي (٤ / ٢٦٦) ، واحتمله ابن عطية (٤ / ٢٩٨) ، واحتمله الثعالبي (٤ / ٢٨٢) .

(١٢) رواه الأزهري في تهذيب اللغة (٤ / ٢٥٨) .

قال الزَّجَّاج : " والأشبه في ما جاء في التفسير أن مفاتحه خزائنهُ " [١] .

واستدل له :

١. **النظير القرآني** : قوله تعالى : ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ ... ﴾ [٢] .

٢. **من اللغة** : المَفَاتِحُ جمع مَفْتَحِ ؛ قاله الجمهور [٣] ، وهي الخزائن ، لأن المَفْتَحِ في كلام العرب : الخزانة [٤] .

ويكون جمع المِفْتَاحِ الذي يُفْتَح به المِغْلاَقُ (مَفاتيحُ) ، وجمع المَفْتَحِ : الخزانةِ (المَفَاتِحُ) [٥] .

✘ **واعتُرض :**

بأن هذا النظير القرآني قد اختلف فيه أيضاً في معنى (مفاتح) ، وقد قرأ في الشاذ : (وَعِندَهُ مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ) [٦] .

✓ **وأجيب :**

بأن ما يؤيد أن معنى مفاتح في قوله تعالى : ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ ... ﴾ خزائن : تفسير السدي فيما رواه الطبري قال : " مفاتح الغيب خزائن الغيب " [٧] .

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **احتمال القولين ؛ وأن المراد بـــ ﴿ مَفَاتِحَهُۥ ﴾ في الآية مفاتيح خزائنه ؛ أو الخزائن نفسها ؛ فكلاهما سواءً مفاتيح خزائن مال قاون أو**

---

(١) ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزَّجاج : ٤ / ١٥٥ .
(٢) سورة الأنعام : ٥٩ .
(٣) نسب أبو حيان هذا القول للجمهور . ينظر : البحر المحيط : ٦ / ٤٣٤ .
(٤) ينظر (مادة : فتح) في : جمهرة اللغة لابن دريد : ١ / ٣٨٦ ، لسان العرب : ٢ / ٥٣٩ ، تاج العروس : ٧ / ٧ .
(٥) نُسب هذا القول للّيث . ينظر (مادة : فتح) في : لسان العرب : ٢ / ٥٤٠ ، تاج العروس : ٧ / ٧ .
(٦) قرأ بها ابن السميفع ، نسبها له ابن حجر وغيره . ينظر : فتح الباري لابن حجر : ٨ / ٢٩١ .
(٧) ينظر : تفسير الطبري : ٧ / ٢١٢ .

خزائنه نفسها كانت تنوء بالعصبة أولي القوة من كثرتها وثقلها ؛ قال بذلك جماعة من المفسرين ولم يرجحوا بينهما ؛ ومنهم : السمعاني ، والنيسابوري ، وأبو حيان ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي [(١)] .

ويدل على ذلك ما يلي :

أولاً : كلا القولين قاله جماعة من السلف ، ومن أهل العلم ، ومن المفسرين .

ثانياً : كلا القولين له وجه في اللغة ويؤيده قراءة ؛ وإن كانت شاذة كلتاهما إلا أنهما تحملان على التفسير .

ثالثاً : يتأيد هذا القول **بالقواعد الترجيحية** التالية :

- **إذا احتمل اللفظ معانٍي عدة ولم يمتنع إرادة الجميع حمل عليها** [(٢)] .

✓ **وفي معنى الآية وقفات** :

١. الباء في ﴿ بِٱلۡعُصۡبَةِ ﴾ وجهان :

الأوَّل : أنها للتعدية كالهمزة ، ولا قلب في الكلام ، والمعنى : لتنئ المفاتح العصبة الأقوياء والمعنى : مَا إن مفاتحه لتُنِيء العُصْبة الأقوياء ، أى : تميلهم من ثقلها ، لما انفتحت التاء دخلت الباء ؛ و قلت : تنوء بهم وتُنِيء بهم ، قاله **كثير** من السَّلف [(٣)] ، وهو قول **الفرَّاء** [(٤)] وغيره ، وهو ظاهر التنزيل .

والثاني : إن في الكلام قلباً ، والأصل : لتنوء العصبة بالمفاتح ؛ أي : لتنهض بها ، كقولهم : عرضتُ الناقة على الحوض ، قاله **أبو عبيدة** [(٥)] .

---

(١) ينظر : تفسير السمعاني : ٤ / ١٥٥ ، تفسير غرائب القرآن : ٥ / ٣٦١ ، البحر المحيط : ٧ / ١٢٦ ، الوسيط : ١٠ / ٤٣٦ .

(٢) ينظر : قواعد التفسير للسبت : ٢ / ٨٠٧ .

(٣) عزاه الشوكاني في تفسيره (٤ / ١٨٦) إلى كثير من السلف .

(٤) ينظر معانيه : ٢ / ٢٦٨ .

(٥) ينظر مجازه : ٢ / ١١٠ ، ١١١ .

٢. قال **الزَّركشي** :

" وفيه – أي في الآية – تذكير بالمناسبة ؛ يتوجه به من مفاتح كنوز مال الدنيا المحسوس إلى مفاتح كنوز العلم الذى ينوء بالعصبة أولى القوة فى يقينهم إلى ما عند الله فى الدار الآخرة " . اهـ [1] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

وبعد : فهذا آخر ما توصلت إليه من مسائل ؛ كان لابن جُزيّ الكلبي فيها ترجيح واضح ، سائلةً المولى ﷻ أن أكون قد وفقت في عرضها ومناقشتها .

وصلى الله على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ،،،،،،،،

(١) برهان الزَّركشي : ١ / ٣٨٣ .

الخاتمة

الحمد لله وليُّ النِّعمة ومانحها ؛ ومرسل الرَّحمة وفاتحها ، والصلاة والسَّلام على نبي الهدى والرَّحمة ، شفيع الأمَّة نبيِّنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلِّم ..

أما بعد : ففي نهاية المطاف ؛ وقد ظللت أياماً طويلة أترقب هذا اليوم الذي يكلل الله فيه مسعاي ويسدد خطاي لإنجاز هذا البحث المتواضع في جمع ترجيحات جهبذ من جهابذة العلم ؛ ألا وهو العلاَّمة الفذِّ محمَّد بن جُزيّ الكلبيّ في تفسيره النَّفيس (التسهيل لعلوم التنزيل) من أول سورة الرعد إلى نهاية سورة القصص ؛ أسأل الله القبول وأن يجعله خالصاً لوجهه تعالى ، وعلماً نافعاً لي في حياتي وبعد مماتي .

وفي خاتمة هذا الموضوع أسجل **بعض النتائج** التي ظهرت لي أثناء هذا البحث ، والتي يمكن إيجازها في النقاط التالية :

١. إن ابن جُزيّ رحمه الله يعتبر علماً من أعلام التفسير ، وإماماً من أئمتهم المبرزين ، وذلك من خلال إتقانه لاختلاف المفسرين وآرائهم ، وإبراز ذلك بطريقة فريدة ، ومنهجية مميزة .
٢. ظهر لي من خلال البحث أن ابن جُزيّ رحمه الله تعالى يعتقد معتقد أهل السنة والجماعة في الغالب ، بل ويدافع عن بعض القضايا التي خالف فيها بعض الطوائف .
٣. تَقَدُّم ابن جُزيّ رحمه الله وتميزه في شتى الفنون والعلوم ، فقد كان إماماً في اللغة نحواً وصرفاً وإعراباً ، ملماً بأقوال أهل العلم من السلف في تأويل القرآن الكريم وبيان معانيه .
٤. لم يكتب لتفسير ابن جُزيّ رحمه الله الظهور إلا في هذا القرن تقريباً ، أي بعد سبعمائة سنة تقريباً ، و لم أذكر اسمه عند أحد من عامة الناس إلا جهله ، نسأل الله أن يحيي ذكرنا بالخير ولو بعد حين .
٥. إن تفسير ابن جُزيّ رحمه الله تفسير مُختصر فيه تحليل لفظي ، وهو تفسير متين ، وهو أطول من الجلالين بحجم البيضاوي ، وهو نافع لطالب العلم ؛ لكنهُ لا يسلم من شيءٍ من التحريف والتَّصحيف ، وذلك راجع إلى النُّسخ التِّي اعتُمِد عليها في الطَّبع .
٦. إن كتاب : (التسهيل لعلوم التنزيل) لابن جُزيّ على صغر حجمه يعتبر كنزاً ثميناً جمع من الفوائد والنكات العلمية ما تكلُّ عنه الكتب الكبيرة ؛ فهو عصارة لأقوال المفسرين ،

وفيه من فنون العلم ما تقر به أعين القارئين والمطالعين ، وقد تميز بسمات تدل على التعمق والتفنن والتمكن من المعارف المختلفة .

٧. إن تفسير ابن جُزيّ رحمه الله تفسير مهمٌّ نفيس ، فلم يعتمد فيه على النقل فقط ، بل تراه يُبدي رأيه وترجيحه لبعض الأقوال .

٨. مقدمة (التسهيل) لا بن جُزيّ رحمه الله ، مقدمة لها قيمة تأصيلية وخصوصاً في علم أصول التفسير وعلوم القرآن للمبتدئ ، كُتبت فيها دراسات جامعية وبحوث أكاديمية .

٩. من خلال مقدمة (التسهيل) تظهر براعة ابن جُزيّ رحمه الله في استخدام صيغ الترجيح فيستخدم عند كل ترجيح الصيغة المناسبة التي تبين مرتبة الترجيح عنده .

١٠. يعتبر ابن جُزيّ رحمه الله من العلماء الذين قرَّروا القواعد المعتبرة في الترجيح لدى علماء التفسير ، ومن ثم استخدام هذه القواعد في ترجيحاته .

١١. حفل تفسير : (التسهيل) بالعديد من القضايا والمسائل الترجيحية في مختلف العلوم كالتفسير ، والحديث ، والفقه ، واللغة .. ونحوها . وقد وُفِّق عليه رحمة الله عليه للصواب في كثير من ترجيحاته ، وجانبه الصواب في بعضها ، كما ظهر ذلك في ثنايا البحث .

١٢. الاختصار الشديد الواضح في تفسير ابن جُزيّ رحمه الله يعتبر ميزة ؛ ويعتبر مأخذ أحياناً ، فهو ميزة تميَّز بها ابن جُزيّ حيث لا يتأتى لأي أحد أن يختصر من غير أن يخل بأطراف المسألة ؛ أما ابن جُزيّ فقد أحكم هذا ؛ وإن كان لا ينصُّ على مستنده في الترجيح في الغالب ، ويعتبر مأخذ من حيث أنه قد يرجح قولاً ولا يذكر غيره ويظن القارئ أن لا قول غير الذي ذكره ؛ وعند الرجوع لتفسير الآية عند غيره من المفسرين نجد أقوالاً وتفصيلات كثيرة للمسألة .

١٣. إن عرض أقوال العلماء ومناقشتها ، والمقارنة بينها ؛ بالنظر في أدلة كل قول ، ومدى قوته ورجحانه على غيره ، ينمي في الباحث ملكة مناقشة الآراء المختلفة ، وسبر أغوارها ، ويزيد من سعة أفق طالب العلم ، وتقبل الرأي الآخر بلا تعصب أو اتباع هوى .

١٤. إن تتبع أقوال المفسرين عند تفسير آية لهو **عملٌ ممتعٌ** ؛ فيه تتبع للأقوال ومعرفة دليل كل فريق ؛ كلٌّ يجتهد في معرفة مراد الله في الآية بقدر طاقته البشرية ؛ ومرادهم واحد هو الاهتداء بهدي كتاب الله العظيم ؛ وهذا العمل لابد فيه من بذل الجهد والوقت ،

والجلد والصبر ، والاستعانة بعد الله ﷻ بالأسباب المعينة على فهم المسألة ؛ وهو يسيرٌ لمن يسَّره الله عليه .

توصيات البحث :

لمـــَّا كان القرآن **منهج حياة** ؛ اعتنى بتدبره وفهمه وتفسيره السَّلف والخلف ليقوِّم حياتهم وينير دربهم ؛ كان من الواجب علينا اليوم أن نكمل المشوار ، فالقرآن كتاب الله القائم إلى قيام الساعة ؛ صالحٌ لكل زمان ومكان ، فأُوصي بمشروع كبير – بعد دراسة المسائل في القرآن كلِّه – بأمور وهي :

أولاً : جمع القول الراجح مختصراً في جميع سور القرآن الخاصة بمفسِّر معين ؛ كتفسير التسهيل لابن جُزيّ مثلاً ، أو البحر المحيط لأبي حيان في مجلد واحد .

ثانياً : من ثمَّ جمع ترجيحات جميع المفسرين ممن كتبت فيهم رسائل جامعية في مجلد واحد فقد يرجح مفسرٌ لقول في مسألة لا يتطرق إليها مفسرٌ آخر .

ثالثاً : بعد جمع ترجيحات ما تيسَّر من المفسرين نأتي **لمرحلة الاهتداء بالآيات** ، واستخراج القيم الذي تضمنها كتاب الله بصورة سهلة يسهل تطبيقها ، وتوعية شباب الجيل اليوم ، وتعريفهم بكتاب ربهم خاصة بعد رواج مغريات الحياة التي أشغلتهم عن مدارسة كتاب الله .

إن جمع الترجيحات لمفسِّرٍ عاش في القرن السَّادس أو القرن السَّابع الهجريّ لهو عمل قيِّم ومهمّ ؛ لكنه يحتاج إلى إتمام ؛ فدورنا نحن الآن النظر في الآيات **حسب واقع الحال اليوم** ، تفسيرٌ يناسب القرن الواحد والعشرين ؛ فديننا دينٌ لا يتصف بالجمود ؛ وخيرُ مفسرٍ للقرآن أحداث الزمن ، مع الاحتفاظ بالمعنى الأساس وهو التفسير بالمأثور ؛ ومن ثمَّ الانطلاق منه **ليواكب حاجة المسلم في هذا القرن** .

اللهم تقبل منا ووفقنا لكل عمل صالح يُرضيك ، أسأله تعالى أن يوفقنا جميعاً لخدمة دينه وأن يعزَّني بالإسلام ويعزَّ الإسلام بي .

ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ، واعف عنا وتجاوز إنك أنت الغفور الرحيم ..

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ،،،،،

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ،،،،،،

الفهارس

① فهرس الآيات القرآنية الكريمة

② فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

③ فهرس الآثار عن الصحابة ﷺ والتابعين

④ فهرس الأعلام

⑤ فهرس الغريب والمصطلحات العلمية

⑥ فهرس الأماكن والبلدان

⑦ فهرس الشواهد الشعرية

⑧ فهرس المصادر والمراجع

⑨ فهرس الموضوعات

فهرس الآيات القرآنية الكريمة [1]

طرف الآية	رقمها	الصفحة
سورة الرعد		
﴿ الٓمٓرٰ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ... ﴾	١	١٠٦
﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَا ... ﴾	٢	١١٢
﴿ ... وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ ... ﴾	٣	١١٧
﴿ ... وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلۡمِهِمۡ ... ﴾	٦	١٢٢
﴿ سَوَآءٞ مِّنكُم مَّنۡ أَسَرَّ ٱلۡقَوۡلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنۡ هُوَ مُسۡتَخۡفِۭ بِٱلَّيۡلِ ... ﴾	١٠	١٣١
﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ ... ﴾	١١	١٣٦
﴿ ... وَيُرۡسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمۡ يُجَٰدِلُونَ فِي ٱللَّهِ ... ﴾	١٣	١٤٨ ١٥٣
﴿ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ ... ﴾	٢٢	١٦٠
﴿ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ ... ﴾	25	١٦٥
﴿ كَذَٰلِكَ أَرۡسَلۡنَٰكَ فِيٓ أُمَّةٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهَآ أُمَمٞ لِّتَتۡلُوَاْ عَلَيۡهِمُ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ ... ﴾	٣٠	١٧٠
﴿ وَلَوۡ أَنَّ قُرۡءَانٗا سُيِّرَتۡ بِهِ ٱلۡجِبَالُ أَوۡ قُطِّعَتۡ بِهِ ٱلۡأَرۡضُ أَوۡ كُلِّمَ بِهِ ٱلۡمَوۡتَىٰ ... ﴾	31	١٧٤
﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمِنَ ٱلۡأَحۡزَابِ مَن يُنكِرُ بَعۡضَهُۥ ... ﴾	٣٦	١٧٧
﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا نَأۡتِي ٱلۡأَرۡضَ نَنقُصُهَا مِنۡ أَطۡرَافِهَا ... ﴾	٤١	١٨٧
سورة إبراهيم عليه السلام		
﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنۡ أَخۡرِجۡ قَوۡمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ... ﴾	٥	١٩٥
﴿ وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ ... ﴾	٧	٢٠١

(١) أكتفي في هذا الفهرس العام ببيان مواضع آيات المسائل التي درست في هذه الرسالة فقط ، وذلك لكثرة الآيات التي وردت في ثنايا البحث ، حيث زادت عن الألف آية .

طرف الآية	رقمها	الصفحة
﴿ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ ... ﴾	١٠	٢٠٤
﴿ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ... ﴾	12	٢٠٦ ٢٠٩
﴿ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ ... ﴾	١٦	٢١٢
﴿ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا ... ﴾	21	٢١٧ ٢٢٠
﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ... ﴾	٢٢	٢٢٥
﴿ وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ... ﴾	٢٣	٢٢٩
﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ ... ﴾	٢٤	٢٣١
﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ ... ﴾	٢٦	٢٣٥
﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ... ﴾	٤١	٢٣٨
﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ... ﴾	٤٢	٢٤٢
﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ... ﴾	48	٢٤٦
سورة الحجر		
﴿ الٓرٰ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ ... ﴾	١	٢٥٢
﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ ... ﴾	2	٢٥٥
﴿ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ... ﴾	٨	٢٦٠
﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا ... ﴾	١٤ ١٥	٢٦٤
﴿ ... وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ ﴾	19	٢٦٧
﴿ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ... ﴾	٢٠	٢٧٠
﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ ... ﴾	٢١	٢٧٥
﴿ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ ... ﴾	٢٤	٢٧٩
﴿ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن ... ﴾	٢٧	٢٨٣
﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ... ﴾	٣٩	٢٨٦
﴿ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ ... ﴾	٧٩	٢٩٠
﴿ وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ... ﴾	82	٢٩٤

طرف الآية	رقمها	الصفحة
﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى ... ﴾	87	٢٩٧
		٣٠٤
﴿ ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ ... ﴾	٩١	٣٠٧
﴿ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ... ﴾	95	٣١٢
سورة النحل		
﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ ... ﴾	٢	٣١٧
﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ ... ﴾	4	٣٢٢
﴿ وَعَلَٰمَٰتٍ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ ... ﴾	16	٣٢٨
﴿ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ ... ﴾	٢١	٣٣٣
﴿ ... وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا ... ﴾	٥٢	٣٣٨
﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ ... ﴾	٦١	٣٤٢
﴿ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ... ﴾	٦٧	٣٤٧
﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ ۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا ... ﴾	70	٣٥٣
﴿ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ ۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟ بِرَآدِّى رِزْقِهِمْ ... ﴾	٧١	٣٥٩
﴿ ... وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً ... ﴾	٧٢	٣٦٤
﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ ... ﴾	٧٦	٣٧٠
﴿ ... إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٠﴾ يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا ... ﴾	١١٠ ١١١	٣٧٥
﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ ... ﴾	١١٢	٣٧٨
﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ... ﴾	١٢٢	٣٨٥
سورة الإسراء		
﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ ... ﴾	١	٣٩٠
﴿ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ... ﴾	١١	٣٩٥
﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ... ﴾	20	٤٠٠
﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ ... ﴾	٢٦	٤٠٤

طرف الآية	رقمها	الصفحة
﴿ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ... ﴾	37	٤٠٩
﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ ... ﴾	٤٤	٤١٣
﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ ... ﴾	٤٥	٤٢٢
﴿ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ ... ﴾	٥٢	٤٢٧
﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ... ﴾	٧٨	٤٣١
﴿ ... وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَـٰنًا نَّصِيرًا ﴾	٨٠	٤٣٥
﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ... ﴾	٨٥	٤٣٩
		٤٤٥
﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ ... ﴾	101	٤٤٩
﴿ قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ... ﴾	١٠٧	٤٥٣
﴿ ... وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴾	110	٤٥٦
سـورة الكـهـف		
﴿ ... وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴾	١	٤٦١
﴿ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ ... ﴾	٢	٤٦٤
﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَـٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ ... ﴾	٩	٤٦٨
﴿ ۞ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت ... ﴾	١٧	٤٧٢
﴿ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ ... ﴾	٢٠	٤٧٦
﴿ ... وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ... ﴾	٢٤	٤٧٩
﴿ ... مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ ... ﴾	28	٤٨٦
﴿ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ ... ﴾	34	٤٩٢
﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَـٰقِيَـٰتُ ٱلصَّـٰلِحَـٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ... ﴾	٤٦	٤٩٩
﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ... ﴾	٥٨	٥٠٦
﴿ ... وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴾	٦٣	٥٠٨

طرف الآية	رقمها	الصفحة
﴿ ... وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا ... ﴾	82	٥١٣ ٥١٨
﴿ ۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ ... ﴾	٩٩	٥٢١
﴿ ... نُنَبِّئُكُمْ بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴾	١٠٣	٥٢٦
سورة مريم - عليها السّلام -		
﴿ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ ... ﴾	٢	٥٣٢
﴿ ... ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴾	7	٥٣٦
﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ ... ﴾	١١	٥٤١
﴿ ... فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا ... ﴾	17	٥٤٣
﴿ ... إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴾	١٨	٥٤٩
﴿ ... قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴾	24	٥٥٣
﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ... ﴾	36	٥٥٨
﴿ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ... ﴾	47	٥٦٢
﴿ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾	57	٥٦٩
﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾	٦٤	٥٧٣ ٥٧٧
﴿ ... هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ﴾	٧٤	٥٨٠
﴿ ... إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴾	٨٧	٥٨٤
سورة طه		
﴿ ... فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴾	٧	٥٨٩
﴿ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ... ﴾	١٢	٥٩٤
﴿ ... وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴾	14	٥٩٨
﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا ... ﴾	١٥	٦٠٢
﴿ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا ... ﴾	16	٦١١ ٦١٣
﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ ... ﴾	١٧	٦١٥
﴿ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ... ﴾	٥٠	٦١٨
﴿ ...لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴾	58	٦٢٢
﴿ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ... ﴾	72	٦٢٦
﴿ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ... ﴾	80	٦٢٩

طرف الآية	رقمها	الصفحة
﴿ ... وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ... ﴾	97	٦٣٢
﴿ ... وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾	١١٠	٦٣٥
﴿ ... وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴾	113	٦٣٨
﴿ ... وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ... ﴾	114	٦٤١
﴿ ... فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴾	١١٧	٦٤٥
﴿ ... لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴾	١٢٩	٦٤٩
سـورة الأنبياء		
﴿ ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ ... ﴾	١	٦٥٣
﴿ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ... ﴾	٣	٦٥٦
﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً ... ﴾	١١	٦٦٢
﴿ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَـٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَـٰعِلِينَ ﴾	١٧	٦٦٥ ٦٦٩
﴿ ... كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾	٣٣	٦٧٢
﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن ... ﴾	٣٤	٦٧٧
﴿ ... وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَـٰنِ هُمْ كَـٰفِرُونَ ﴾	36	٦٨٠
﴿ ... إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴾	٥٨	٦٨٣
﴿ ... يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴾	60	٦٨٦
﴿ وَلُوطًا ءَاتَيْنَـٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ... ﴾	٧٤	٦٨٩
﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَـٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ ... ﴾	٨٧	٦٩٢ ٦٩٨
﴿ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ... ﴾	١٠٤	٧٠٤
﴿ ... أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّـٰلِحُونَ ﴾	١٠٥	٧١١
سـورة الحـج		
﴿ ... إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ ... ﴾	1	٧١٨
﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ ... ﴾	٢	٧٢٥
﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ... ﴾	٦	٧٢٨
﴿ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ... ﴾	١٥	٧٣١

طرف الآية	رقمها	الصفحة
﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ ... ﴾	٢٧	٧٣٧
﴿ ... وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ ... ﴾	٤٠	٧٤١
﴿ ... وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾	٤٧	٧٤٥
﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِيٓ أُمْنِيَّتِهِۦ ... ﴾	٥٢	٧٥٠
﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓا۟ أَوْ مَاتُوا۟ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ... ﴾	58	٧٦٤
﴿ ... إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾	٧٠	٧٦٧
﴿ ... هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ ... ﴾	78	٧٧٠
سورة المؤمنون		
﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴾	١٠	٧٧٥
﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴾	٣١	٧٨٠
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ... ﴾	51	٧٨٤
﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ... بَل أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ ... ﴾	٧١	٧٩١ ٧٩٦
﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ ... ﴾	٧٧	٨٠٠
﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ... ﴾	96	٨٠٥
﴿ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴾	98	٨١١
﴿ قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ ... ﴾	112	٨١٥
سورة النور		
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ... ﴾	11	٨١٩
﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ ... ﴾	22	٨٢٣
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ ... ﴾	27	٨٣٠
﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ... ﴾	٣٠	٨٣٦
﴿ ... وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ	٣٣	٨٤٥

طرف الآية	رقمها	الصفحة
تَحَصُّنًا ... ﴾		
﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِۦ	35	٨٥٠
كَمِشْكَوٰةٍ ... ﴾		٨٥٤
﴿ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ ... ﴾	36	٨٦٢
﴿ ... تَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَـٰرُ ﴾	37	٨٦٦
﴿ ... أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ ... ﴾	61	٨٧٠
سورة الفرقان		
﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾	١	٨٧٥
﴿ ... كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا ﴾	١٦	٨٨٠
﴿ ... فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَـٰٓؤُلَآءِ ... ﴾	١٧	٨٨٥
﴿ ۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ... ﴾	21	٨٩٢
﴿ ... خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴾	٢٤	٨٩٨
﴿ ... يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴾	٣٠	٩٠٤
﴿ ... وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَـٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا ﴾	49	٩١٢
﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَـٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟ ... ﴾	50	٩١٦
﴿ ... إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴾	٥٧	٩٢٣
﴿ ... ٱلرَّحْمَـٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴾	٥٩	٩٢٩
﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ ... ﴾	٧٢	٩٣٦
سورة الشعراء		
﴿ ... ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَـٰقُهُمْ لَهَا خَـٰضِعِينَ ﴾	٤	٩٤٥
﴿ ... إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴾	١٥	٩٥٣
﴿ فَأَخْرَجْنَـٰهُم مِّن جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴾	٥٧	٩٥٨
﴿ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴾	٥٨	٩٦١
﴿ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَـٰرِهِينَ ﴾	١٤٩	٩٦٥
﴿ رَبِّ نَجِّنِى وَأَهْلِى مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴾	١٦٩	٩٧٠
﴿ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّـٰجِدِينَ ﴾	٢١٩	٩٧٤
﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴾	224	٩٨٠
سورة النمل		
﴿ ... وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾	3	٩٨٥
﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ... ﴾	٥	٩٩٠

طرف الآية	رقمها	الصفحة
﴿ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوٓءٍ ... ﴾	١١	٩٩٣
﴿ أَلَّا يَسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ... ﴾	٢٥	١٠٠٢
﴿ ... فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾	28	١٠٠٩
﴿ ... يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴾	٣٨	١٠١٤
﴿ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ... ﴾	40	١٠١٨ ١٠٢٣
﴿ قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ... ﴾	49	١٠٢٩
﴿ ۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ ... ﴾	82	١٠٣٦
سـورة القـصص		
﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ... ﴾	7	١٠٤٣
﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَـٰرِغًا ... ﴾	١٠	١٠٤٨
﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ... ﴾	١٧	١٠٥٦
﴿ ... قَالَ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ ... ﴾	٢٠	١٠٦١
﴿ ... وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ... ﴾	٢٣	١٠٦٦
﴿ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُواْ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ أَوَلَمْ يَكْفُرُواْ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ... ﴾	٤٨	١٠٧٠ ١٠٧٤
﴿ ۞ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ ... ﴾	٥١	١٠٧٧
﴿ أَفَمَن وَعَدْنَـٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَـٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَـٰهُ مَتَـٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ... ﴾	٦١	١٠٨١
﴿ ... وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُوْلِى ٱلْقُوَّةِ ... ﴾	76	١٠٨٤

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

طرف الحديث	الراوي	الصفحة
« اتَّقِ اللَّهِ حَيْثُمَا كُنْتَ ... »	أبو ذرٍّ ﷺ	١٦٢
« اَتَيْتُه هَرْوَلة »	أبو هريرة ﷺ	٣٩٢
« أَحَبُّ الْكَلَام إلى اللَّهِ أَرْبَعٌ ... »	سمرة بن جندب ﷺ	٥٠٠
« احفظ عَوْرَتَكَ إلا من زَوْجَتِكَ أو ... »	بَهْزُ بن حَكِيم عن أبيه عن جَدِّهِ	٨٤٣
« إخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ جَعَلَهُمْ الله تَحْتَ ... »	أبو ذرٍّ ﷺ	٣٦٠
« إذا أَرَادَ الله بقَوْم عَذَابًا أَصَابَ الْعَذَابُ ... »	عبد الله بن عمر ﷺ	٣٤٥
« إذا تمنى أحدكم فليكثر ... »	عائشة رضى الله عنها	٧٥٣
« إذا كان يَوْمُ الْقِيَامَةِ دَفَعَ الله ﷻ ... »	عن أبي بردة عن أبيه – رضى الله عنهما –	٧٧٧
« اسْتَكْثِرُوا مِنَ الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ ... »	أبو سعيد الخدري ﷺ	٥٠٠
« اطَّلَعَ النبي ﷺ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ ... »	حُذَيْفَةَ بن أَسِيدٍ الْغِفَارِيِّ ﷺ	١٠٣٦
« أُعْطِيتُ ثَلاثَ خِصَال : صَلاةً فِي الصُّفُوفِ ... »	أنس بن مالك ﷺ	٥٦٦
« أُعْطِيتُ خَمْسًا لم يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي ... »	جابر بن عبد الله ﷺ	٨٧٦ ، ٨٧٧
« أُعْطِيتُ مَكَانَ التَّوْرَاةِ السَّبْعَ ... »	واثلة بن الأسقع ﷺ	٣٠٠
« أَعُوذُ بكَ من الْبُخْل ، وَالْكَسَل وَأَرْذَل الْعُمُر ... »	أنس بن مالك ﷺ	٣٥٨
« أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت به ... »	عبد الله بن جعفر	٨٦٠
« ألا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ ؟ ... »	عن أبي بكرة عن أبيه رضى الله عنهما	٩٣٧ ، ٩٣٨
« ألا أُنَبِّئُكُمْ ما العضة ؟ ... »	عبد الله بن مسعود ﷺ	٣١٠
« ألا لَيُذَادَنَّ رجَالٌ عن حَوْضِي ... »	أبو هريرة ﷺ	١٠٦٦
« اللهم إني أَعُوذُ بكَ من الْهَدْم ... »	أبو اليسر ﷺ	٨١٣
« اللهم فَاطِرَ السموات وَالأَرْض ... »	ابن مسعود ﷺ	٥٨٦
« اللهم فَقِّهْهُ في الدِّين وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ »	ابن عباس ﷺ	٩٢
« أُمُّ الْقُرْآنِ هِيَ : السَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ »	أبو هريرة ﷺ	٢٩٩
« أن ابن أثال الحنفي لما أتى النبي ﷺ ... »	ابن عباس ﷺ	٨٠١
« أن ابن مسعود ﷺ مرَّ بلهوٍ معرضاً ... »	إبراهيم بن ميسرة ﷺ	٩٣٩
« أن النبي ﷺ بَزَقَ يَوْماً في كَفِّهِ ... »	بُسْر بن جَحَّاش ﷺ	٣٢٦
« إن مَثَل الذي يَعْمَلُ السَّيِّئَاتِ ثُمَّ يَعْمَلُ ... »	عقبة بن عامر ﷺ	١٦٢
« إنما كان هذا لِأَنَّ قُرَيْشًا لَمَّا اسْتَعْصَوْا على ... »	ابن مسعود ﷺ	٣٨٠ ، ٨٠٢
« إنَّ السَّريَّ الذي قال اللَّهُ ... »	عبد الله بن عمر ﷺ	٥٥٥
« إنَّ الشَّيْطَانَ يَحْضُرُ أَحَدَكُمْ عِنْدَ كل شَيْء ... »	جابر ﷺ	٨١٤

طرف الحديث	الراوي	الصفحة
« إنَّ الْكَنْزَ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ لَوْحٌ ... »	أبو ذرٍّ ﷺ	٥١٥ ، ٥١٦
« إنَّ اللَّهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا ... »	ثوبان ﷺ	٧١٥
« إنَّ اللَّهَ قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَخْلَاقَكُمْ ... »	ابن مسعود ﷺ	٤٠١
« إنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ ... »	عبد الله بن عمرو ﷺ	١٩٠
« إنَّ الْمُؤْمِنَ يُجَاهِدُ بِسَيْفِهِ وَلِسَانِهِ »	كعب بن مالك ﷺ	٩٨٠
« أَنَّ النبي ﷺ دخل عليها فَزِعًا يقول : لَا إِلَهَ إلا الله ... »	زَيْنَبَ ابنة جَحْشٍ رضى الله عَنْها	٣٤٥
« أَنَّ النبي ﷺ سَجَدَ بالنَّجْم ... »	ابن عباس ﷺ	٧٥٨
« أَنَّ النبي ﷺ كان يُصَلِّي عِنْدَ الْبَيْتِ ... »	عبد الله بن مسعود ﷺ	٣١٥ ، ٣١٦
« إنَّ ثَلَاثَةً فِي بنى إسْرَائِيلَ أَبْرَصَ وَأَقْرَعَ ... »	أبو هريرة ﷺ	1045
« أَنَّ جَارِيَةً لِعَبْدِ اللَّهِ بن أُبَيٍّ بن سَلُولَ ... »	جابر ﷺ	٨٤٥
« أَنَّ رَجُلًا قال : يا رَسُولَ اللَّهِ ، إنَّ لِي قَرَابَةً ... »	أبو هريرة ﷺ	٨٠٩
« أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَكِبَ على حِمَارٍ ... »	أسامة بن زيد ﷺ	٥٦٣
« أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كان يُعَلِّمُهُمْ من الْفَزَعِ ... »	عَمْرِو بن شُعَيْبٍ عن أبيه عن جَدِّهِ	٨١٣
« أنه بَيْنَمَا مُوسَى عليه السلام فِي قَوْمِهِ يُذَكِّرُهُمْ ... »	أبي بن كعب ﷺ	١٩٩
« إنِي لَأَعْرِفُ حَجَرًا بمَكَّةَ كان يُسَلِّمُ ... »	جابر بن سمرة ﷺ	٤١٩
« اهْجُهُمْ أو قال هَاجِهِمْ وَجِبْرِيلُ مَعَكَ »	البراء ﷺ	٩٨٠
« أهم الخوارج ؟ قال : لا ... »	سعد بن أبي وقاص ﷺ	١٦٧
« أَيُّهَا الناس ، إنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إلا طَيِّبًا ... »	أبو هريرة ﷺ	٧٨٧ ، ٧٨٨
« بعث النبي ﷺ مرة رجلاً إلى رجلٍ من فراعنة ... »	أنس بن مالك ﷺ	١٥٠
« بنعم الله تبارك وتعالى »	أبي بن كعب ﷺ	١٩٦
« تَخْرُجُ الدَّابَّةُ مَعَهَا خَاتَمُ سُلَيْمَانَ ... »	أبو هريرة ﷺ	١٠٣٧
« جاء الأقرع بن حابس التميمي وعيينة ... »	خباب ﷺ	٤٨٧
« خُذُوا جُنَّتَكُمْ ... »	أبو هريرة ﷺ	٥٠٠
« خَطَبَنَا رسول اللَّهِ ﷺ فقال : أَيُّهَا الناس ... »	أبو هريرة ﷺ	٧٣٨
« خَمْسُ صَلَوَاتٍ كَتَبَهُنَّ الله على الْعِبَادِ ... »	عبادة بن الصامت ﷺ	٥٨٦
« خَمْسٌ قد مَضَيْنَ : اللِّزَامُ ، وَالرُّومُ ... »	ابن مسعود ﷺ	٦٤٩ ، ٦٥٠
« خَيْرُكُمْ من تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ »	عثمان ﷺ	٢
« ذهب وفضة »	أبو الدَّرداء ﷺ	٥١٣ ، ٥١٤
« زَارَ النبي ﷺ قَبْرَ أُمِّهِ فَبَكَى وَأَبْكَى من حَوْلَهُ ... »	أبو هريرة ﷺ	٢٤١
« سأل النبي ﷺ فِي كَمْ يُقْرَأُ الْقُرْآنُ ؟ ... »	عبد الله بن عمرو ﷺ	٩٠٩ ، ٩١٠
« سَأَلْتُ أبي ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴾ »	مصعب بن سعد ﷺ	٥٢٨
« سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عن نَظْرَةِ الْفُجَاءَةِ ... »	جَرير بن عبد اللَّهِ ﷺ	٨٣٨

طرف الحديث	الراوي	الصفحة
« سألت رسول الله ﷺ عن قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ... ﴾ »	عائشة رضي الله عنها	٢٥٠
« سَبَقَتْ رَحْمَتِي غَضَبِي »	أبو هريرة ﷺ	٤٠٢
« سلام على من اتبع الهدى ... »	ابن عباس ﷺ	٥٦٨
« الشعر كلام حسنه كحسن الكلام ... »	هشام بن عروة عن أبيه	٩٨٠
« شَهِدْتُ الْعِيدَ مَعَ رسُول الله ﷺ ... »	ابن عباس ﷺ	٩٣٨
« فَإِنْ غُمَّ عَلَيْكُمْ فَاقْدُرُوا له ... "	عبد الله بن عمر ﷺ	٦٩٩
« فتناول النبي ﷺ سبع حصيات ... »	أبو ذرٍّ ﷺ	٤١٩
« فلما أَنْزَلَ الله هذا في بَرَاءَتِي ... »	عائشة رضى الله عنها	٨٢٨
« قَارِبُوا وَسَدِّدُوا ، وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَنْ يَنْجُوَ أَحَدٌ ... »	أبو هريرة ﷺ	٧٧٧
« قال أبو جَهْل : اللهم إن كان هذا هو الْحَقَّ ... »	أنس بن مالك ﷺ	٣٩٧
« قَرَأَ النبي ﷺ (النَّجْمَ) بمَكَّةَ ... »	ابن مسعود ﷺ	٧٥٧ ، ٧٥٨
« قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نصْفَيْن ... »	أبو هريرة ﷺ	٣٠٥
« قلنا : يَارَسُولَ اللَّهِ ، هَذَا السَّلامُ فَمَا ... »	أبو أيوب الأنصاري ﷺ	٨٣٥
« كان اسْمُ جُوَيْرِيَةَ بَرَّةَ ... »	عن ابن عباس ﷺ	٧٠
« كان المسلمون يرغبون في النفير ... »	عائشة رضى الله عنها	٨٧٠
« كان النبي ﷺ يَخْطُبُ إلى جذْع ... »	عبد الله بن عمر ﷺ	٤١٨ ، ٤١٩
« كان رسول اللَّهِ ﷺ يُعَالِجُ من التَّنْزيل شِدَّةً ... »	ابن عباس ﷺ	٦٤٢
« كان رسول الله ﷺ إذا صلى عند البيت ... »	أبو هريرة ﷺ	٤٦٠
« كان رسول الله ﷺ يذكر الله على ... »	عائشة رضى الله عنها	٤٨٤
« كان على مُوسَى يوم كَلَّمَهُ رَبُّهُ ... »	ابن مسعود ﷺ	٥٩٤
« كانت امْرَأَةٌ تُصَلِّي خَلْفَ رسول اللَّهِ ﷺ ... »	ابن عباس ﷺ	٢٧٩
« لَا تبدؤوا الْيَهُودَ ولا النَّصَارَى بالسَّلَام ... »	أبو هريرة ﷺ	٥٦٣
« لَا تُتْبِعْ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ ... »	ابن بُرَيْدَةَ عن أبيه رضى الله عنهما	٨٣٧ ، ٨٣٨
« لَا تَدْعُوا على أَنْفُسكُمْ ... »	جابر ﷺ	٣٩٦
« لا تفضلوني على يونس بن متى »	–	٧٠١
« لَا يُجْلَدُ فَوْقَ عَشْرِ جَلَدَاتٍ إلا في حَدٍّ من ... »	أبو بردة ﷺ	٩٣٧
« لَأَنْ يَمْتَلِئَ جَوْفُ أَحَدِكُمْ قَيْحًا خَيْرٌ ... »	ابن عمر ﷺ	٩٨٠
« لعن الله الواشمة ... »	ابن عباس ﷺ	٣١٠
« لَمَّا صَوَّرَ الله آدَمَ في الْجَنَّةِ تَرَكَهُ ... »	أنس بن مالك ﷺ	٢٨٤
« لَمَّا عُرِجَ بى رأيت إدْريسَ ...»	أنس بن مالك ﷺ	٥٧٠
« لَمَّا غَزَا رسول اللَّهِ ﷺ خَيْبَرَ ... »	أبو مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ ﷺ	٤٥٩
« لَمَّا نَزَلَتْ : ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ جَاءَتِ امْرَأَةُ أَبى لَهَب ... »	ابن عباس ﷺ	٤٢٢

طرف الحديث	الراوي	الصفحة
« لَمَّا نَزَلَتْ هذه الْآيَةُ : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ... ﴾ »	عبد الله بن مسعود ﷺ	٢٤٣
« لَيَبْلُغَنَّ هذا الأَمْرُ ما بَلَغَ اللَّيْلُ ... »	تميم الداري ﷺ	٧١٦
« ما أَحَدٌ مِنَ الناس إلاَّ وقد أَخْطَأَ ... »	ابن عباس ﷺ	٥٣٨
« ما أَنْزَلَ الله في التَّوْرَاةِ ولا في الْإِنْجيل مِثْلَ ... »	أبي بن كعب ﷺ	٢٩٩
« ما بَلَغَ أَنْ تُؤَدَّى زَكَاتُهُ فَزُكِّيَ ... »	أم سلمة رضى الله عنها	٥١٥
« ما مِنْكُمْ من أَحَدٍ إلا له مَنْزِلَانِ ... »	أبو هريرة ﷺ	٧٧٦
« المُتَشَبِّعُ بمَا لم يُعْطَ كَلَابس ثَوْبَيْ زُور »	أسماء رضى الله عنها	٥ ، ٩٣٧
« مَرَّ النبي ﷺ بقَبْرَيْن ... »	ابن عباس ﷺ	٤١٧
« مَرَّ بيَ النبي ﷺ وأنا أُصَلِّي ، فَدَعَانى ... »	أبو سعيد بن المعلى ﷺ	٢٩٨
« مضى اللِّزَامُ ، والبَطْشُ يوم بدر ... »	ابن مسعود ﷺ	٦٤٩ ، ٦٥٠
« من حَلَفَ على يَمِين فَرَأَى غيرها خَيْرًا منها .. »	أبو هريرة ﷺ	٤٨٠
« من قال : لا إِلَهَ إلا اللَّهُ ... »	عبد الله بن عمر ﷺ	٥٨٥
« من نَسِيَ صَلَاةً فَلْيُصَلِّهَا إذا ذَكَرَهَا ... »	أنس بن مالك ﷺ	٤٨٣ ، ٥٩٩
« نَزَلَتْ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُخْتَفٍ بمَكَّةَ ... »	ابن عباس ﷺ	٤٥٧
« النوم أخو الموت ، وأهل الجنة لا ينامون »	جابر ﷺ	٨٩٨
« هل تَرَوْنَ قِبْلَتِي هَا هُنَا ، فَوَ اللَّهِ ما يَخْفَى عَلَيَّ خُشُوعُكُمْ ... »	أبو هريرة ﷺ	٩٧٧
« هل رَأَيْتَ رَبَّكَ ؟ ... »	عائشة رضى الله عنها	٨٦٠
« هُمْ أَهْلُ الْكِتَاب جزؤوه أَجْزَاءً ... »	ابن عباس ﷺ	٣٠٨
« هم في الظلمة دون الجسر .... »	ثوبان ﷺ	٢٥١
« هو الجدي يا ابن عباس ... »	ابن عباس ﷺ	٣٣١
« والله لَيَتِمَّنَّ هذا الْأَمْرُ حتى يَسيرَ الرَّاكِبُ ... »	خباب ﷺ	٧١٥
« وتُمَدَّ الْأَرْضُ مَدَّ الْأَدِيم ... »	عبد الله بن مسعود ﷺ	٢٤٧
« وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا ... »	أبو هريرة ﷺ	٦٠٦
« ولاَ يَعْضَه بَعْضُناً بَعْضاً ... »	عبادة ﷺ	٣١٠
« ولا يَقُلْ أحدكم : عَبْدِي أَمَتِي ... »	أبو هريرة ﷺ	٨٤٥
« وَلَقَدْ كنا نَسْمَعُ تَسْبيحَ الطَّعَام ... »	ابن مسعود ﷺ	٤١٨
« وليس على أهل لا إله إلا الله وحشة ... »	عبد الله بن عمر ﷺ	٤٣٠
« وَمَنْ ادَّعَى دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ فإنه من جُثَا ... »	الحارث الأشعري ﷺ	٧٧٤
« وَمَنْ كان يُؤْمِنُ باللَّهِ وَالْيَوْم الْآخِرِ فلا يَجْلِسْ ... »	جابر ﷺ	٩٤١
« وَمَنْ هَمَّ بسَيِّئَةٍ فلم يَعْمَلْهَا ... »	ابن عباس ﷺ	١٦٣
« يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ باللَّيْل وَمَلَائِكَةٌ بالنَّهَار ... »	أبو هريرة ﷺ	١٣٧ ، ٦٥٨
« يجئ يوم الْقِيَامَةِ نَاسٌ من الْمُسْلِمِينَ ... »	عن أبي بردة عن أبيه – رضي الله عنهما –	٧٧٧
« يُحْشَرُ الناس يوم الْقِيَامَةِ على أَرْض بَيْضَاءَ ... »	سهل بن سعد ﷺ	٢٤٨

طرف الحديث	الراوي	الصفحة
« يَدْخُلُ فُقَرَاءُ الْمُسْلِمِينَ الْجَنَّةَ قبل أَغْنيَائِهِمْ ... »	أبو هريرة ﷺ	٧٤٦
« يقول الله : يا آدَمُ . فيقول : لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ ... »	أبو سعيد الخدري ﷺ	٧٢٢ ، ٧٢٣

فهرس الآثار عن الصحابة والتابعين

طرف الأثر	القائل	الصفحة
إذا أذنبوا تابوا	ابن كيسان	١٦١
إذا حدثت عن الله فقف حتى تنظر ما قبله وما بعده	مسلم بن يسار	٨٨
إذا حرموا أعطوا ، وإذا ظلموا عفوا ...	الحسن البصري	١٦١
إذا كانت لك حاجة عند يهودي أو نصراني ..	إبراهيم النخعى	٥٦٤
إذا مررت بمجلس فيه مسلمون وكفار فسلِّم عليهم	الحسن البصري	٥٦٥
إذا ملك الرجل المفتاح فهو خازن ..	عكرمة	٨٧٣
إذا هربوا أنابوا ، وإذا رأوا منكرا أمروا بتغييره	من غير نسبة	١٦١
اذكر ربك إذا غضبت	عكرمة	٤٨٣
أراد أن أراضى الكفار يفتحها المسلمون ...	ابن عباس رضى الله عنهما	٧١٣
استدعاه ليريها القدرة التي هى من عند الله ...	ابن زيد	١٠١٦
أصبح فارغاً من العهد الذي عهدنا إليها ...	الحسن البصري	١٠٥١
أقرأت القرآن قال : نعم ..	على بن الحسين	٤٠٦
ألا وَهَذَا الزُّورُ	سعيد بن المسيب	٩٤٣
إليك نسعى ونَحْفِدُ ..	عمر بن الخطاب ﷺ	٣٦٤
إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن	عمر بن الخطاب ﷺ	٤٣٦
إن الله يصلح بصلاح الرجل الصالح ولده ..	محمد بن المنكدر	٥١٩
أن تصل ذا القرابة وتطعم المسكين ..	ابن عباس رضى الله عنهما	٤٠٥
أن توفيهم حقهم إن كان يسيراً ..	الحسن البصري	٤٠٥
إن لهم في ذلك لحقاً سوى الزكاة ..	الحسن البصري	٤٠٥
إن نبى الله ﷺ علم أن لا طاقة له بهذا الأمر ..	قتادة	٤٣٦
إنما هى ضحوة فيقيل أولياء الله على الأسرَّة ..	ابن عباس رضى الله عنهما	٨٩٩
إنَّهَا قَوْلُ الْعَبْدِ : الله أَكْبَرُ ..	سعيد بن المسيب	٥٠٠
أنه بلغه أن رجلين اختلفا في هذه الآية : ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً ﴾ ...	يزيد بن زياد	٤٤٧
أول ما خلق الله من آدم عليه السلام رأسه ..	سلمان الفارسي ﷺ	٣٩٧
أي لم تلد العواقر مثله ولدا	ابن عباس رضى الله عنهما	٥٣٩
أيسبح هذا الخوان يا أبا سعيد ..	يزيد الرقاشى	٤١٧
بعث الله محمدا ﷺ نذير من الله لينذر ...	قتادة	٨٧٦
بلى والله ، حتى إن الحبارى لتموت ..	أبو هريرة ﷺ	٣٤٤
بمعرفته وطاعته	قتادة	٤٢٧
تبدل الأرض من فضة والسماء من ذهب	على ﷺ	٢٤٨
تتقلب في الجوف ولا تقدر ...	الضحاك	٨٦٧
تدور كالحرس ملائكة الليل وملائكة النهار	عبد الله بن مسعود ﷺ	١٣٨

طرف الأثر	القائل	الصفحة
تقلبه من صلب نبي إلى صلب نبي أخرجه نبياً	ابن عباس رضى الله عنهما	٩٧٥
تَكْلَمهم أو تُكَلِّمُهم ؟ قال : كل ذلك والله تفعل ...	ابن عباس رضى الله عنهما	١٠٣٧
تهاجى شاعران في الجاهلية ...	عكرمة	٩٨١
... ثم استثنى ؛ فقال : ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ... ﴾ ..	ابن عباس رضي الله عنهما	٩٨٢ ، ٩٨٣
جئت أحدثكم عن أصحاب رسول الله ﷺ ، عليهم نزل الوحي ، وهم أعلم بتأويله	ابن عباس رضي الله عنهما	٩١
جدّا وورعا	قتادة	٦٣٩
جعل الحوت لا يمس شيئا من البحر إلا يبس ..	ابن عباس رضى الله عنهما	٥١١
حبَّبه للناس حتى أن أرباب الملل ..	قتادة	٣٨٦
حجة تنصرني بها وتظهر بها صدقي	مجاهد	٤٣٥
حَدَّهُ تسعون عاماً	قتادة	٣٥٥
حَدَّهُ خمسة وسبعون عاماً	على ﷺ	٣٥٤
حفظا بصلاح أبيهما وما ذكر منهما صلاح ..	ابن عباس رضى الله عنهما	٥١٨
خرجت مريم إلى جانب المحراب ..	ابن عباس رضي الله عنهما	٥٤٥
	عبد الله بن مسعود ﷺ	
الذكر : القرآن	قتادة	٧٩٦
ذلك دعاء الإنسان بالشر على ولده ..	الحسن البصري	٣٩٦
الذين يشهدون الصلوات المكتوبة	ابن عمر رضى الله عنهما	٤٩٠
الزور كان صنماً بالمدينة يلعبون ...	ابن عباس رضي الله عنهما	٩٤٠
سؤالك إياهم نظرك في القرآن	الحسن البصري	٤٥٠
سأل أبا حنيفة – رحمه الله – هل تجد الصلاة في الجماعة ...	مقاتل	٩٧٦
سألوه إيَّاها في الدنيا ؛ طلبوا ذلك ..	عبد الرحمن بن زيد	٨٨٢
السر الذي تستره من الناس..	مجاهد	٥٩١
السر الكلام الخفي ...	ابن عباس رضي الله عنهما والحسن وعكرمة	٥٩٠
السر أنه يعلم أسرار العباد ..	زيد بن أسلم	٥٩١
السر ما حدثت به نفسك ..	ابن عباس رضي الله عنهما ومقاتل بن سليمان	٥٩٠
السِّجل : الصحيفة	ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وقتادة ومقاتل	٧٠٤
السكر هى خمور الأعاجم ..	قتادة	٣٤٩
سلوا الذي وعدتكم تنجزوه	ابن عباس رضى الله عنهما	٨٨٢
الشجرة تسبح ، والأسطوانة لا تسبح	عكرمة	٤١٧

طرف الأثر	القائل	الصفحة
شرب الخمر لا يحضرونه ولا يرغبون فيه ..	الزهري	٩٤١
عجب موسى أن تسرب حوت مملح في مكتل	قتادة	٥١١
عجب والله ! حوت كان يؤكل منه أدهراً ..	ابن زيد	٥١١
عند معاينة الموت حين يتبين لهم	الضحاك	٢٥٥
العهد : شهادة أن لا إله إلا الله ..	ابن عباس رضى الله عنهما	٥٨٥
عهد إليهم حين أخبرهم عن نفسه ومولده وموته وبعثه ..	وهب بن منبه	٥٦١
الغناء	مجاهد	٩٤١
فارغاً من الوحي الذي أوحى الله إليها ...	ابن زيد	١٠٥١
فكان موسى اتخذ سبيله في البحر عجباً ..	قتادة	٥١١
الفلك طاحونة مستديرة كهيئة فلكة المغزل	ابن عباس رضي الله عنهما والحسن ومجاهد	٦٧٣
الفلك كهيئة حديدة الرحى	مجاهد وابن جريج	٦٧٣
فلما بلغ سليمان أنها جائية ، وكان ...	قتادة	١٠١٥
فلما قال لهم صالح ذلك ، قال : التسعة الذين ..	محمد بن إسحاق	١٠٣٠
في الغرف من الجنة ، وكان حسابهم ...	ابن عباس رضى الله عنهما	٨٩٩
قالوا : فيه هجيراً غير الحق ..	إبراهيم النخعى	٩٠٥
قد علمت أن التقى ذو نهية ..	أبو وائل	٥٤٩
قد فعل الله ذلك من زمن نوح فأهلك ..	قتادة	٣٤٥
قرأ : (معقبات من بين يديه ورقباء من خلفه ...	ابن عباس رضى الله عنهما	١٣٨
قهرمان	سعيد بن جبير	٨٧٢
قوله : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَـٰلاً ﴾ قال : لا أظن إلا أن الخوارج منهم	علي ﷺ	٥٢٧
قوله : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَـٰلاً ﴾ هم الرهبان الذين حبسوا أنفسهم في السواري	علي ﷺ	٥٢٧
قوله : ﴿ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ ﴾ : وهو الكذب	قتادة وابن جريج	٩٣٦
قوله : ﴿ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا ﴾ الدنيا إلى النفخة الأولى في الصور ...	أبو العالية وجماعة من السلف	٥٧٤
قوله : ﴿ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا ﴾ من أمر الآخرة ...	ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة وجماعة من السلف	٥٧٥
قوله : ﴿ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلاً ﴾ : أي بطاعة الله .	قتادة ومقاتل	٩٢٤
قوله : ﴿ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾ معناه : قبل أن يحتاج إلى التغميض ..	مجاهد	١٠٢٥

طرف الأثر	القائل	الصفحة
	الضحاك	٩٤٠
قوله : ﴿ ٱلزُّورَ ﴾ : يعني الشرك		
قوله : ﴿ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَه ﴾ يعني اليد للبطش ..	الضحاك	٦٢٠
قوله : ﴿ ٱلۡخَبِيثَ ﴾ السرّ	عكرمة وقتادة	١٠٠٤
قوله : ﴿ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ معناه : ويرى تصرفك في الناس	الحسن	٩٧٥
قوله : ﴿ وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ ﴾ قال : بالقرآن	ابن عباس رضى الله عنهما	٩٢١
قوله : ﴿ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ ﴾ تحالفوا على هلاكه ...	مجاهد	١٠٢٩
كاد الجُعَل أن يعذب في جحره ..	عبد الله بن مسعود ﷺ	٣٤٣
كان أبو أمامة ﷺ إذا انصرف إلى بيته لا يمر بمسلم ..	عن محمد بن زياد الألهاني وشرحبيل بن مسلم	٥٦٥
كان أبو بكر يخفي صوته بالقراءة في صلاته ...	من غير نسبة	٤٥٧
كان آصف كاتب سليمان بن داود عليه السلام ...	ابن عباس رضى الله عنهما	١٠١٩
كان النبي ﷺ يستتر من المشركين بثلاث آيات ..	كعب	٤٢٣
كان روح عيسى بن مريم من تلك الأرواح ..	أبي بن كعب ﷺ	٥٤٦
كان يرى الاستثناء ولو بعد سنة ..	ابن عباس رضى الله عنهما	٤٧٩
كانت خزائنه تحمل على أربعين بغلا	أبو صالح	١٠٨٧
كانت صاحبة سبأ إذا رقدت غلقت الأبواب ...	قتادة	١٠١١
كل الأشياء تسبح لله حياً كان أو ميتاً أو جماداً ..	مجاهد	٤١٩
كل القرآن أعلمه إلا أربعاً : غسلين ..	ابن عباس رضى الله عنهما	٤٧١
كل شيء فيه الروح	الضحاك والحسن	٤١٦
الكنز مال مدفون من ذهب وفضة	عكرمة وقتادة	٥١٣
لا أدري ما الرقيم ؛ أكتاب أم بنيان	ابن عباس رضى الله عنهما	٤٧١
لا تجعلها كلها جهراً	ابن عباس رضى الله عنهما	٤٥٨
لا تحديد بمدة بل ولو طال ما بين اليمين والثّنيا	ابن عباس رضى الله عنهما	٤٨٠
لا تمش فخراً وكبراً ، فإن ذلك ..	قتادة	٤١٢
لا يحضرون الغناء واللهو	محمد بن الحنفية	٩٤٠
لا يساعدون أهل الباطل على باطلهم ..	قتادة	٩٤٠
لا يكافئون الشر بالشر ، ولكن يدفعونه بالخير	ابن زيد	١٦١
لا ينتصف النهار حتى يقيل هؤلاء وهؤلاء ...	عبد الله بن مسعود ﷺ	٩٠١
لأقحط المطر ؛ فلم تبق دابة ..	السدي	٣٤٥
لم يرسل الله رسولا إلى الناس عامة إلا نوحاً بدأ ..	ابن زيد	٨٧٧
لم يسم أحد يحيى قبله	ابن عباس رضى الله عنهما	٥٣٧
لما أنزلت : ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ ... ﴾ ..	أبو سعيد الخدري ﷺ	٤٠٦
لو فتح الله عليهم من السماء بابا فظلت الملائكة ..	ابن عباس رضى الله عنهما	265
لو كان السَّري المراد به النهر لكان يكون ..	ابن زيد	٥٥٦

طرف الأثر	القائل	الصفحة
ما أخبرتك من شيء فهو كما أخبرتك	مجاهد	٩٣١
ما صنع الناس ؟ – وهي صادرة من الحج من مكة – ...	حفصة رضي الله عنها	٣٨٣
ما كان ذهباً ولا فضة ؛ ولكن كان صحف علم	ابن عباس رضي الله عنهما	٥١٤
ما كان في القُرآن من (ثُمُر) – بالضمِّ – فهو مال..	مجاهد	٤٩٤
ما من عام أمطر من عام ، ولكن الله يصرفه ..	ابن عباس رضى الله عنهما	٢٧٦
ما من عام بأمطر من عام ، ولكن الله يقسمه ..	عبد الله بن مسعود ﷺ	٢٧٦
ما من عبد إلا له ملك موكَّل	مجاهد	١٣٨
ما يزال الله يدخل الجنة ، ويرحم ، ويشفع	ابن عباس رضى الله عنهما	٢٥٦
المسَاجدُ بُيُوتُ اللَّهِ في الأَرْض ...	ابن عباس رضى الله عنهما	٨٦٣
المستقدمون كل من هلك من لدن آدم عليه السلام ...	ابن عباس رضى الله عنهما	٢٨٠
المستقدمين آدم عليه السلام ومن مضى من ذريته ...	ابن عباس رضي الله عنهما عكرمة	٢٨٠
المستقدمين أول الخلق ..	الشعبي	٢٨١
المستقدمين في الطاعة والبدار إلى الإيمان والخيرات ..	قتادة	٢٨٠
المستقدمين من بني آدم من مات منكم ..	مقاتل	٢٨١
المستقدمين من قتل في الجهاد ..	محمد بن كعب القرظى	٢٨١
المستقدمين من مضى من الأمم ..	مجاهد	٢٨٠
المستهزئون : الوليد بن المغيرة والأسود بن ...	ابن عباس رضى الله عنهما	٣١٣
معنى : ﴿ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ ﴾ على هذا القول الانصراف أو ...	مقاتل	١٠١٠
مفاتحه أوعيته	الضحاك	١٠٨٧
مكانا مستويا يتبين الناس سواء فيه ...	ابن زيد	٦٢٤
مكتوب في الإنجيل : ابن آدم اذكرني ..	وهب بن منبه	٤٨٣
ملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه ، فإذا جاء قدر الله خلوا عنه	ابن عباس رضي الله عنهما	١٣٨
من قرأ القرآن لم يرد إلى أرذل العمر ..	ابن عباس رضى الله عنهما	٣٥٧
موت علمائها وفقهائها	ابن عباس رضى الله عنهما	١٩٠
موسى يعجب من أثر الحوت في البحر ..	مجاهد	٥١١
نزلت بمكة ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾	عطاء	٤٤٦
نزلت في رجل أنكر القرآن وكذب النبي ﷺ	قتادة	١٥١
نزلت في عثمان بن عفان ﷺ هو الذي يأمر بالعدل ..	ابن عباس رضى الله عنهما	٣٧٢
نزلت هذه الآية في أهل نجران حين قالوا ..	ابن عباس رضى الله عنهما	٣٦٢
هذا الذي فضل في المال والولد لا يشرك ..	قتادة	٣٦٠
هذا في الصلاة ..	الضحاك والسدي	٤٨٣
هذا مثل الآلهة الباطلة	مجاهد	٣٦١

طرف الأثر	القائل	الصفحة
هم الخوارج ..	سعد بن أبي وقاص ﷺ	١٦٥
هم كفار قريش ودّوا ذلك في يوم بدر	ابن مسعود	٢٥٥
هو أعياد المشركين	ابن عباس رضي الله عنهما وجماعة	٩٤٠
هو الشعانين	محمد بن سيرين	٩٤٠
هى الأكنة على قلوبهم	قتادة وابن زيد	٤٢٤
هي المجالس السوء والخنا	عمرو بن قيس	٩٤١
الواصب الدائم	ابن عباس رضي الله عنهما	٣٣٩ ٣٤٠
وإضافتها إلى الساعة على هذا لكونها من إمارتها	علقمة والشعبي	٧١٩
والمعقبات من الله هي الملائكة	ابن عباس رضى الله عنهما	١٣٨
وإنّ من شيء جماد وحيّ إلا يسبح بحمده ..	إبراهيم النخعى	٤١٩
وعده ربه ليترعنَّ ملك فارس وعز فارس ..	الحسن البصري	٤٣٥
وكانت لها كوة مستقبلة الشمس ساعة تطلع ...	ابن زيد	١٠١١
وكذلك النضر يستعجل بالدعاء على نفسه ..	مقاتل	٣٩٧
وهو الرجل يوكل الرجل بضيعته ..	ابن عباس رضى الله عنهما	٨٧٢
يا أبا عبد الرحمن أليس يكره أن يبدءوا بالسلام ؟..	عبد الله بن مسعود ﷺ	٥٦٤
يا كعب خوفنا ..	أبي بن كعب ﷺ	٣٧٥
يا محمد والناس أجمعون	ابن جريج	٤٤٦
يدعو على ماله فيلعن ماله وولده ..	قتادة	٣٩٦
يرثون مساكنهم ومساكن إخوانهم ..	أبو هريرة ﷺ	٧٧٧
يعني : شهادة الزُّور	على بن أبي طلحة	٩٤٤
يعني : كان سرب الحوت في البحر لموسى عجباً	ابن عباس رضى الله عنهما	٥١١

فهرس الأعلام

م	اسم العلم	الصفحة
	(أ)	
١	إبراهيم بن ميسرة الطائفي	٩٣٩
٢	إبراهيم بن يزيد النخعي	٢٥٦
٣	ابن أثال الحنفي : ثمامة بن أثال بن النعمان اليمامي ، أبو أمامة	٨٠٢
٤	أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني	١٩٩
٥	ابن الأثير : مجد الدين المبارك بن محمد الشيباني ، أبو السعادات الجزري	٢٨٦
٦	إربد بن قيس بن جزء بن خالد الأصبغ	١٤٩
٧	ابن إسحاق : محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي مولاهم	٨٧٥
٨	إسماعيل بن محمد أمين البغدادي	٢٥
٩	ابن الأعرابي : محمد بن زياد الأعرابي	١٥٨
١٠	امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي	٦٦٦
١١	أمية بن عبد الله أبي الصلت بن أبي ربيعة بن عوف الثقفى	٣٤٠
١٢	الأنباري : عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري ، أبو البركات	٢٧٣
١٣	ابن الأنباري : محمد بن القاسم بن محمد بن بشار ، أبو بكر	١٤٣
	(ب ، ت ، ث)	
١٤	ابن البارزي : هبة الله بن عبد الرحيم بن إبراهيم الجهني ، أبو القاسم الشافعى	٨٠٨
١٥	بُسْر بن جَحَّاش (أو جحاش) القرشى	٣٢٥
١٦	ابن بطال : علي بن خلف بن عبد الملك ، أبو الحسن (ابن اللجام)	٣١٤
١٧	ابن تيمية : أحمد بن عبد الحليم الحراني	٥
	(ج ، ح ، خ)	
١ ٨	جعفر بن محمد الباقر بن علي الهاشمي ، أبو عبد الله ، المعروف بجعفر الصادق	٥١٩

م	اسم العلم	الصفحة
١٩	ابن جريج : عبد الملك بن عبد العزيز الأموي مولاهم	١٣٩
٢٠	جرير بن عطية التميمى الشاعر	٩٤٧
٢١	ابن الجزري : محمد بن محمد بن محمد العمري ، أبو الخير الدمشقى	٣٩
٢٢	ابن جني : عثمان بن جني الموصلى ، أبو الفتح	٦٠٣
٢٣	ابن الجوزي : جمال الدين عبد الرحمن بن علي ، أبو الفرج البكري	١٢٣
٢٤	ابن حجر : أحمد بن على ، أبو الفضل	٢٥
٢٥	ابن حزم : على بن أحمد الأندلسى ، أبو محمد الظاهري	٤٠
٢٦	الحسن بن أبي الحسن البصري	١١٤
٢٧	الحسن بن زياد اللؤلؤي الكوفي ، أبو على	٩٠٩
٢٨	الحسين بن الفضل بن عمير البجلى	٨٤٧
٢٩	حَفْصُ بن أبي جَبَلَة الفَزَاريّ	٧٨٥
٣٠	حفص بن سليمان بن المغيرة الأسدي بالولاء ، أبو عمر	٥٩
٣١	حمزة بن حبيب بن عمارة التيمي الزيات مولاهم ، أبو عمارة الكوفي	١٠٣٠
٣٢	ابن خالويه : الحسين بن أحمد بن خالويه ، أبو عبد الله	٧٨٤
٣٣	الخليل بن أحمد الفراهيدي	٣٦٦
	(د ، ذ ، ر ، ز)	
٣٤	ذو الرمَّة ، غيلان بن عقبة العدوي ، أبو الحارث	١٥٧
٣٥	رؤبة بن عبد الله العجاج بن رؤبة التميمي السعدي ، أبو الجحاف ، أو أبو محمد	٣٠٨
٣٦	الرَّبيع بن أنس بن زياد البكري	٢٣٢
٣٧	رفاعة القرظي : رِفَاعَةُ بن سِمْوَال . وقيل : رفاعة بن رفاعة القرظى	١٠٧٩
٣٨	ابن الزِّبعْري ﷺ : عبد الله بن الزِّبعْري بن قيس السهمي القرشىَ ، أبو سعد	٩٨٢
٣٩	زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري المصري الشافعي ، أبو يحيى	٤٣٢
٤٠	زهير بن أبي سلمى ربيعة بن رياح المزني	٩٦٢
٤١	زهير بن محمد التميمى المروزي الخَرَقى ، أبو المنذر	١٠١٥

م	اسم العلم	الصفحة
	(س ، ش)	
٤٢	ابن السَّرَّاج : محمد بن السري بن سهل ، أبو بكر	٩٥١
٤٣	سعيد بن جبير الأسدي	
٤٤	سعيد بن أبي الحسن بن يسار البصري	٧٠٠
٤٥	سفيان بن سعيد بن مسروق الثّوري	٢٢٥
٤٦	سفيان بن عيينة بن أبي عمران الهلالي	٥٦٢
٤٧	ابن السِّكّيت : يعقوب بن إسحاق ، أبو يوسف النحوي	١٩٧
٤٨	سيِّد قطب بن إبراهيم	١٨٢
٤٩	ابن سيده : على بن إسماعيل المرسى ، أبو الحسن الأعمى	٣٣٠
	(ص ، ض ، ط ، ظ)	
٥٠	الضحاك بن مزاحم الهلالي	١٢٢
٥١	طاووس بن كيسان الخولاني الهمداني	٣٠١
٥٢	طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد البكري الوائلي ، أبو عمرو	٨٢٠
٥٣	طليحة بن خويلد الأسدي	١٠٥١
	(ع ، غ)	
٥٤	ابن عادل الحنبلي : سراج الدين عمر بن علي الدمشقي ، أبو حفص	١٢٧
٥٥	ابن عاشور : محمد الطاهر التونسى	١٢٩
٥٦	عاصم بن أبي النجود الكوفي	٥٨
٥٧	عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر العامري	١٤٩
٥٨	ابن عامر : عبد الله بن عامر اليحصبي	٩٦٥
٥٩	ابن عبد البر : يوسف بن عبد الله النمري	٨٥
٦٠	عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (ابن زيد)	١٦١
٦١	عبيد بن عمير المكى ، أبو عاصم الليثى	٧١٩
٦٢	العجاج : عبد الله بن رؤبة	٤٦٩
٦٣	ابن العربي : محمد بن عبد الله بن أحمد المعافري ، أبو بكر الأشبيلى	٨٦
٦٤	عروة بن الزبير بن العوام الأسدي ، أبو عبد الله المدني	٦٩٥
٦٥	عطاء بن أبي رباح القرشى مولاهم المكى	١٨٩
٦٦	عطاء بن أبي مسلم الخراساني ، أبو عثمان	١٠١٥

م	اسم العلم	الصفحة
٦٧	ابن عطية : عبد الحق بن غالب المحاربي الغرناطي ، أبو محمد الأشبيلى	٥٤
٦٨	عطية بن سعد بن جنادة العوفي الجدلي الكوفي	٢٣٢
٦٩	عكرمة بن عبد الله ، مولى ابن عباس رضى الله عنهما	١٣٩
٧٠	علقمة الفحل : علقمة بن عَبَدة بن ناشرة بن قيس	٩٣٠
٧١	علقمة بن قيس بن عبد الله النخعي ، أبو شبل الكوفي	٥٦٤
٧٢	على بن الحسين بن على بن أبي طالب الهاشمى	٤٠٦
٧٣	علي بن أبي طلحة : سالم بن المخارق ، الهاشمي مولاهم ، أبو الحسن	٩٣٧
٧٤	عمرو بن شرحبيل ، أبو ميسرة الهمداني	٧٨٦
٧٥	عمرو بن شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص السهمى القرشى	٨١٣
٧٦	عمرو بن قيس الـمُلاَئى الكوفي	٩٤١
٧٧	عياض بن موسى اليحصبي المعروف بالقاضى عياض	٦٩٤
٧٨	عيسى بن عمر الثقفى بالولاء ، أبو سليمان	٩٤٧
	(ف ، ق)	
٧٩	ابن فارس : أحمد بن فارس بن زكريا	٦٩
٨٠	ابن فرحون : عبد الله بن محمد بن فرحون اليعمري المالكى ، أبو محمد	٣٦
٨١	ابن الفرس : عبد المنعم بن محمد بن عبد الرحيم الخزرجي أبو عبد الله	٩٠٨
٨٢	الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب	٧٠٥
٨٣	قتادة بن دعامة السدوسى	١٠٦
٨٤	ابن قتيبة : عبد الله بن مسلم الدينوري	١٥٥
٨٥	ابن القيِّم (ابن قيِّم الجوزية) : محمد بن أبي بكر الزرعي أبو عبد الله	١٩٨
	(ك ، ل)	
٨٦	ابن كثير : إسماعيل بن كثير القرشى	١٠٧
٨٧	ابن كثير : عبد الله بن كثير المكى	٥٥٩
٨٨	لبيد بن ربيعة بن عامر الكلابي	١٤٩
٨٩	ابن لهيعة : عبد الله بن لهيعة بن عقبة بن فرعان	١٠٢٠

م	اسم العلم	الصفحة
	الحضرمي المصري ، أبو عبد الرحمن	
	(م)	
٩٠	مالك بن أنس الأصبحي	٣٥
٩١	ابن مالك : جمال الدين محمد بن عبد الله بن عبد الله بن مالك الأندلسي النحوي الجياني	٢٧٢
٩٢	مجاهد بن جبر المخزومي مولاهم	٦٥
٩٣	محمَّد بن الحنفيَّة : محمد بن علي بن أبي طالب ، الهاشمي القرشي ، أبو القاسم	٩٤١
٩٤	محمد سيِّد طنطاوي	٢١٨
٩٥	محمد بن سيرين البصري الأنصاري بالولاء ، أبو بكر	٩٤٠
٩٦	محمد بن المنكدر بن عبد الله بن الهدير التيمي المدني	٥١٩
٩٧	محمد بن كعب القرظي ، أبو حمزة المدني	٢٨١
٩٨	محمد بن مسلم بن شهاب الزُّهري	٣٧٨
٩٩	مسروق بن الأجدع الوادعي	٢٣٧
١٠٠	مسلم بن الحجَّاج بن مسلم القشيرى النيسابوري ، أبو الحسين	١٩٩
١٠١	مسلم بن يسار	٨٧
١٠٢	مصعب بن سعد بن أبي وقاص القرشي	١٦٦
١٠٣	ابن معْصُوم : علي بن أحمد بن محمد معصوم الحسني الحسيني المعروف بعلي خان بن ميرزا أحمد	٩٢٥
١٠٤	مقاتل بن حيان النبطي	٣٨٦
١٠٥	مقاتل بن سليمان البلخي	١١٢
١٠٦	مكي بن أبي طالب القيسي	٦٥
١٠٧	ابن منظور : محمد بن مكرم الأنصاري الرويفعي الأفريقي ، أبو الفضل	٢٨٦
١٠٨	ابن المُنَيِّر: أحمد بن محمد بن منصور (ابن المُنَيِّر السَّكَنْدَري)	٩٨٧
١٠٩	المنهال بن عمرو الأسدي مولاهم	١٠٢٣
١١٠	ميمون بن مهران الرقي	٢٤٥
	(ن ، هـ)	
١١١	نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم الليثي مولاهم ، أبو	٢٩

م	اسم العلم	الصفحة
	رويم المدني	
١١٢	النضر بن الحارث	١٠٩
١١٣	ابن الهائم المصري : أحمد بن محمد بن عماد بن علي القرافي ، أبو العباس	٩١٤
١١٤	ابن هشام : جمال الدين عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري ، أبو محمد	٦٢٧
	(و ، ى)	
١١٥	ورش : عثمان بن سعيد بن عدي المصري	٢٩
١١٦	وهب بن منبه اليماني الصنعاني	١٥٣
١١٧	يزيد بن أبان الرقاشي	٤١٧
	(الألقاب)	
١١٨	الأخطل : غياث بن غوث التغلبي	٣٤٨
١١٩	الأخفش الأوسط : سعيد بن مسعدة	٢١٣
١٢٠	الأخفش الصغير : علي بن سليمان بن الفضل ، أبو المحاسن النحوي	٦٠٨
١٢١	الأزهري : محمد بن أحمد بن الأزهر ، أبو منصور	١٩٣
١٢٢	الأصم : حاتم بن عنوان ، أبو عبد الرحمن	٢٣٣
١٢٣	الأعشى : ميمون بن قيس الوائلى	١٥٧
١٢٤	الأعلم : يوسف بن سليمان بن عيسى الشنتمري الأندلسي أبو الحجاج الإشبيلي المعروف بالأعلم	٦٨٧
١٢٥	الآلوسى : محمود بن عبد الله الحسيني ، أبو الفضل	١٢٦
١٢٦	الأوزاعى : عبد الرحمن بن عمرو بن أبي عمرو	٥٦٥
١٢٧	البخاري : محمد بن إسماعيل الجعفى	١٦٦
١٢٨	البغوي : الحسين بن مسعود الفرّاء	٢٧١
١٢٩	البقاعي : إبراهيم بن عمر بن حسن الرُباط بن علي بن أبي بكر ، أبو الحسن الخرباوي البقاعى	١٢٦
١٣٠	البيضاوي : عبد الله بن عمر الشيرازي ، أبو سعيد	٢٣٦
١٣١	التنبكتي : أحمد بابا بن أحمد بن أحمد التكروري ، أبو العباس	٢٦
١٣٢	الثّعالبي : عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف ، أبو زيد المالكى	١٨٩

م	اسم العلم	الصفحة
١٣٣	ثعلب النحوي : أحمد بن يحيى بن يزيد الشيباني مولاهم ، أبو العباس	٢١٥
١٣٤	الثَّعلبي : أحمد بن محمد النيسابوري	٢٧١
١٣٥	الجصَّاص : أحمد بن على الرازي ، أبو بكر الحنفى	٤٨٣
١٣٦	الجمل : سليمان بن عمر بن منصور العجيلى الأزهري	٥١
١٣٧	الحاكم : محمد بن عبد الله بن حمدويه الطهماني ، أبو عبد الله الحاكم النيسابوري	٩١
١٣٨	الخازن : على بن محمد الصوفي	٥٠٣
١٣٩	الخطيب الشِّربيني : محمد بن أحمد الشِّربيني	٢٥٦
١٤٠	الرَّاغب : الحسين بن محمد بن المفضَّل ، أبو القاسم	١٨٨
١٤١	الزَّجاج : إبراهيم بن السري بن سهل ، أبو إسحاق السقطى	١٠٧
١٤٢	الزَّركشي : محمد بن عبد الله بن بهادر ، أبو عبد الله المصري	٨٧
١٤٣	الزَّمخشَري : محمود بن عمر الجار الله	٥٤
١٤٤	السُّبكي : عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي ، أبو نصر	٢٦
١٤٥	السجستاني : محمد بن عزيز ، أبو بكر ، المعروف بالعزيزي	٩١٤
١٤٦	السُّدي : إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة ، أبو محمد الكوفي	١٥٤
١٤٧	السعدي : عبد الرحمن بن ناصر	٣٠٠
١٤٨	سلطان العلماء : العز عبد العزيز بن عبد السلام الدمشقى	٧٥
١٤٩	السمرقندي : نصر بن محمد بن أحمد ، أبو الليث ، الملقب بإمام الهدى	٤١٤
١٥٠	السمعاني : منصور بن محمد التميمى المروزي ، أبو المظفر	٢٧
١٥١	السمين الحلبى : أحمد بن يوسف بن عبد الدائم	١٥٦
١٥٢	السهيلى : عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الخثعمى	٦٥
١٥٣	سيبويه : عمرو بن عثمان بن قنبر	٢٧٢
١٥٤	السيوطى : عبد الرحمن بن أبي بكر ، أبو الفضل	٢٥
١٥٥	الشافعى : محمد بن إدريس المطلبي القرشى	٩٦

م	اسم العلم	الصفحة
١٥٦	الشنقيطي : محمد الأمين بن محمد المختار الجكني	٨٤
١٥٧	الشهاب الخفاجي : أحمد بن محمد بن عمر ، شهاب الدين الخفاجي المصري	٥٠٣
١٥٨	الشوكاني : محمد بن علي بن محمد	٤٥٢
١٥٩	الطبري : محمد بن جرير بن يزيد الآملي ، أبو جعفر	٥٤
١٦٠	الطحاوي : أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي ، أبو جعفر	٤٩٠
١٦١	العكبري : عبد الله بن الحسين بن أبي البقاء	١٤٤
١٦٢	الفخر الرَّازي : محمد بن عمر التميمى	٦٦
١٦٣	الفرّاء : يحيى بن زياد الديلمى	١٢٠
١٦٤	الفرزدق : همّام بن غالب التميمى	١٩٠
١٦٥	الفَسَوي : يعقوب بن سفيان بن جوان الفارسي الفسوي أبو يوسف	٥٤٥
١٦٦	القاسمى : محمد جمال الدين الحلاق	٢١١
١٦٧	القرطبي : محمد بن أحمد الأنصاري	٥٤
١٦٨	قُطْرُب : محمد بن المستنير ، أبو على	٣٥٤
١٦٩	القفال الكبير : محمد بن على الشاشى الشافعى ، أبو بكر	١٠٥٨
١٧٠	الكرمي : مرعي بن يوسف بن أبي بكر بن أحمد المقدسي الحنبلى	٨٠٨
١٧١	الكسائى : على بن حمزة بن فيروز	٣٠٩
١٧٢	الكلبي : محمد بن السائب بن بشر ، أبو النضر الكوفي	٦٢٤
١٧٣	الماوردي : على بن محمد القاضى	٧٥
١٧٤	المبرد : محمد بن يزيد الثمالي ، أبو العباس الأزدي	٣٩٢
١٧٥	المتولي : عبد الرحمن بن مأمون النيسابوري ، أبو سعد ، المعروف بالمتولي	٥٦٨
١٧٦	المُتَنَبي : أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكوفي الكندي ، أبو الطيب	٨٨٣
١٧٧	المحاسبي : الحارث بن أسد ، أبو عبد الله البغدادي	٩٥٦
١٧٨	المحلى : جلال الدين محمد بن أحمد المصري	١٥٠
١٧٩	المقري : أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى ، أبو العباس التلمساني	٢٥
١٨٠	المقري : هبة الله بن سلامة المقري ، أبو القاسم الضرير	٨٠٧
١٨١	المُناوي : محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن على	٥٦٧

م	اسم العلم	الصفحة
	الحدادي القاهري ، زين العابدين	
١٨٢	المهدوي : أحمد بن عمار المهدوي ، أبو العباس	٦٩٥
١٨٣	النابغة الذبياني : زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني الغطفاني المضري ، أبو أمامة	١٩٧
١٨٤	النحاس : أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي المصري ، أبو جعفر	١١٤
١٨٥	النسفى : عبد الله بن أحمد بن محمود ، أبو البركات	١٢٧
١٨٦	النقاش : محمد بن الحسن بن محمد بن زياد بن هارون ، أبو بكر	٦٥
١٨٧	النَّمر بن تَوْلَب بن زهير بن أقيش العكلى	١٠٦٣
١٨٨	النيسابوري : الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري نظام الدين	١٢٧
١٨٩	النووي : محيي الدين يحيى بن شرف الحازمى الشافعى	٥٦٧
١٩٠	الواحدي : على بن أحمد ، أبو الحسن	١٢٦
١٩١	الوادي آشى : محمد بن جابر ، أبو عبد الله	٢٥
	(الكنى)	
١٩٢	أبو أمامة الباهلي : صدي بن عجلان	٥٦٥
١٩٣	أبو الحجَّاج المزِّي : يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف ، جمال الدين ابن الزكى أبي محمد القضاعى الكلبي المزي	٧٠٨
١٩٤	أبو حنيفة : النعمان بن ثابت التيمي مولاهم	٩٠٩
١٩٥	أبو حيّان : محمد بن يوسف الغرناطى الأندلسى	١٣٢
١٩٦	أبو خراش : خويلد بن مرة	٩٢٤
١٩٧	أبو داود : سليمان بن الأشعث	٧٠٨
١٩٨	ابن أبي ذئب : محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة ، أبو الحارث	٣١٥
١٩٩	أبو رزين : مسعود بن مالك الأسدي مولاهم الكوفي	١٠٨٧
٢٠٠	ابن أبي زمنين : محمد بن عبد الله المُرّي	١٧٨
٢٠١	أبو زيد الأنصاري : سعيد بن أوس الخزرجى الأنصاري	٩٥٠
٢٠٢	أبو السُّعود : محمد بن محمد العمادي	٢٥٣
٢٠٣	أبو سعيد بن المعلّى : الحارث بن نفيع المعلى	٢٩٨
٢٠٤	أبو سليمان الدمشقي : عبد الرحمن بن أحمد العنسي الدارانى	٦١٦

م	اسم العلم	الصفحة
٢٠٥	أبو صالح : باذام ، وقيل : باذان ، مولى أم هانئ	٦٠٥
٢٠٦	أبو الضحى : مسلم بن صبيح الضراب المصري	٣٦٥
٢٠٧	أبو العالية : رفيع بن مهران الرياحي	١٦٦
٢٠٨	أبو عبيد : القاسم بن سلام البغدادي	٣٠١
٢٠٩	أبو عبيدة : معمر بن المثنى البصري	١٥٤
٢١٠	أبو علي الفارسي : الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفسَوي	٤٩٥
٢١١	أبو عمرو البصري : زبّان بن العلاء المازني	٤٩٣
٢١٢	أبو مسلم الأصفهاني : محمد بن بحر الأصفهاني	٥٤٥
٢١٣	أبو وائل : شقيق بن سلمة الأسدي	٥٥٠
٢١٤	أبو اليسر : كعب بن عمرو بن عباد بن عمرو الأنصاري السلمي	٨١٣

فهرس الغريب والمصطلحات العلمية

الكلمة	الصفحة
الائتمار	١٠٦٢- ١٠٦٤
الأبكم	٣٧٠
الأجْر	٩٢٣
أرذل	٣٥٤
الاستئناس	٨٣١
إشعار	٧٧
أغفلنا قلبه	٤٨٦
الإغواء والغي	٢٨٦
الإمام	٢٩٠
برز	٢١٧
التبديل	٢٤٦
التتميم	٩٣٣ ، ٩٣٤
الترجيح	٦٩ ، ٧٠
تزَّاور	٤٧٢
التسبيح	٤١٤
تصريف السيول والخيول	٩٢٠
التَّصريف في الرِّياح	٩٣٤
تضلَّع	٣٠

التَّضمين	٩٢٠
تقرضهم	٤٧٢
التقلُّب	٩٧٤
التوكل	٢٠٩
الثُّمر	٤٩٦
الثُّنيا	٤٨٠
ثَمَر	٤٩٣ ، ٤٩٤
الثناء الحسن	٣٨٥
الجُعل	٣٤٣
الـــجهر	٤٥٦
الحرج	٨٧١
الحفد	٣٦٤
الخبء	١٠٠٢
الخرق	٤٠٩ – ٤١١
الخزائن	٢٧٥
الخصيم	٣٢٣
الخضوع	٩٤٥
الخفت	٤٥٦
الخنا	٩٤١
الخوان	٤١٧
الـــدابة	٣٤٣
دلالة فحوى الخطاب	٨٤٤
دلوك الشمس	٧٨ ، ٤٣٢
الذود	١٠٦٦

الرِءْيا	٥٨١
الرَّجاء	٨٩٥
الرَّجم	٤٧٨
الرَّقيم	٤٦٩
الرَّهط	١٠٢٩
الريَّا	٥٨٢
الزُّور	٩٣٧
الزلزلة	٧١٨
زوج	١٢٠
السَّارب بالنهار	١٣١
سريًّا	٥٥٣ – ٥٥٧
السِّجل	٧٠٥
السُّري	٣٩١
السَّكر	٣٤٧
الـــسَّميّ	٥٣٦
سلى الجزور	٣١٥
السِّياق	٨
تصريف الآيات	٩٢٠
الصواعق	١٤٨
الطَّاق	٥٠٦
طرف الشيء	١٨٨
الطَّرف	١٠٢٦

الطُّومار	٧٠٤
الطيّ	٧٠٩
الظَّهير	١٠٥٦
الظلم	٢٤٣
العُصبة	٨١٩ ، ١٠٨٤
عضين	٣٠٨ – ٣١٢
العلهز	٨٠١
العهد	٥٨٧
العوج	٤٦١
الغاوون	٩٨٠
غض البصر	٨٣٧
غضارة عيش	٥٨٣
الفؤاد	١٠٤٨
فاره	٩٦٦– ٩٦٨
فألْقِهْ	١٠٠٩
القارعة	174 ، ٣٨١
القاعدة	٧
القُحّ	٢٧
القراءات المتواترة	٨
قواعد الترجيح	٨
القيلولة	٨٩٨
القيِّم	٤٦٥
الكفر	٢٠١
كفرت	٢٢٨

الكَلّ	٣٧٠
الكتر	٥١٤
لا يشهدون الزُّور	٩٣٨
اللِّقاء	٨٩٢
اللَّهو	٦٦٥
المثاني	٣٠٦
المِحال	١٥٥ ، ١٥٧
المستخفي بالليل	١٣١
المشكاة	٨٥١
مضْطَلِعٌ	٣٦
المعقِّبات	١٣٦
المفاتح	٨٧١ ، ١٠٨٥ ١٠٨٨
المقنأة	٤٧٢
الميزان	٢٦٨
النسيان	٤٨٤
النَّظم	٨
النَّحت	٩٦٥
النَّسخ	٧٢
النَّشب	٣٨
النُّـــور	٨٥٠
النهب	٤٠
النُوب	٨٩٤
الهَجْر ، الهُجْر	٩٠٥

الوئيد	٣٢٦
واصباً	٣٣٨
الوجوه والنظائر	٣٢٠
الوحي	١٠٤٣
وراء	٢١٢ – ٢١٥
يدرؤون	١٦٠
يموج	٥٢١
يوم	١٩٥

فهرس الأماكن والبلدان

المكان أو البلد	الصفحة
أُسوان	٩٦٠
جيان	٢٨
الحجْر	٩٦٨
حروراء	١٦٥
حَضُور	٦٦٣
الدار البيضاء	٦٠
رَشيد	٩٦٠
ســـبأ	١٠٠٧
طريف	٤٧
غرناطة	٢٨
فدك	٥٦٤
مراكش	٦٠
مكناس	٦٠
نِيْنَوَى	٦٩٢
ولبه	٢٨

فهرس الشواهد الشعرية

البيت	القائل	الصفحة
حرف الألف		
ما الفخرُ إلاّ لأهلِ العلمِ إنّهمُ على الهدى لمن استهدى أدلاّءُ وقدرُ كلِّ امرئٍ ما كانَ يحسنُه والجاهلونَ لأهلِ العلمِ أعداءُ ففزْ بعلمٍ تعشْ حياً به أبداً الناسُ موتى وأهلُ العلمِ أحياءُ	علي بن أبي طالب ﷺ	١
أَلاَ أَبْلِغْ أَبَا سُفْيَانَ عَنِّي فَأَنْتَ مُجَوَّفٌ نَخِبٌ هَوَاءُ	حسَّان ﷺ	١٠٥٠
حرف الباء		
أنا الشمس في جو العلوم منيرةٌ ولكن عيبي أن مطلعي الغرب ولو أنني من جانب الشرق طالع لجد على ما ضاع من ذكري النهب	ابن حزم الظاهري	٤٠
أَرومُ امتداحَ المصطَفى فيردُّني قُصوري عن إدْراكِ تِلكُ المناقبِ وَمَنْ لي بحَصْرِ البَحْرِ والبَحرُ زَاخِرٌ ومن لي بإحصاء الحصَى والكواكبِ وَلَوْ أنَّ كُلَّ العَالمِينَ تَألَّفُوا على مدحه لم يبلغوا بعضَ واجبِ فَأمْسَكْتُ عنْه هَيبةً وَتأَدُّباً وخَوْفاً وإعظاماً لأرفع جانبِ ورُبَّ سُكُوتٍ كان فيه بلاغةٌ ورُبَّ كَلامٍ فيه عَتْبٌ لعاتبِ	ابن جُزيّ	٤٧
أيا من كففت النفس عنه تعففا وفي النفس من شوقي إليه لهيب ألا إنما صبري كصبر وإنما على النفس من تقوى الإله رقيب	ابن جُزيّ	٤٨
كليني لهمٍ يا أميمةَ ناصبِ وليلٍ أقاسيهِ بطيءِ الكواكب	النابغة الذبياني	١٩٧
حلفت فلم أترك لنفسك ريبة وليس وراء الله للمرء مذهب	النابغة الذبياني	٢١٢
لا أبْتَغِي الحَمْدَ القَليلَ بَقاؤُهُ يَوْماً بِذمِّ الدَّهْرِ أجْمعَ وَاصِبَا	أبو الأسود الدؤلي	٣٤٠
من يُساجلْني يساجلْ ماجداً يملأُ الدَّلْوَ إلى عَقْد الكَرَبْ	الفضل بن العباس بن عتبة	٧٠٥
فغض الطرف إنك من نمير فلا كعبا بلغت ولا كلابا	جرير بن عطية	٨٣٧
وَفِي النَّفْسِ حَاجَاتٌ وَفِيكَ فَطَانَةٌ سُكُوتِي كَلاَمٌ عَنْدَهَا وَخِطَابُ	المتنبِّي	٨٨٣

البيت		القائل	الصفحة
أترجو أمَّة قتلت حسينا	شفاعة جَدِّه يوم الحســاب	لا يدرى من قائله	٨٩٥
ولا عَيبَ فيهمْ غيرَ أنّ سُيُوفَهُمْ	بِهنّ فلولٌ منْ قراع الكتائب	النابغة الذبياني	٩٢٧
فإنْ تَسْأَلُوني بِالنِّسَاءِ فَإِنَّني	خَبِيرٌ بِأَدْوَاءِ النِّسَاءِ طَبِيــبُ	علقمة بن عَبَدة	٩٣٠
حــرف الــتــاء			
وَلَيْسَ عِنْدِي لازما إذْ قَــدْ أَتَى	فِي النَّظْمِ وَالنَّثْرِ الصَّحِيحِ مُثْبَتَا	ابن مالك	٢٧٢
ولَيْلَةٍ ذَاتِ ندى سَرَيْتُ	ولَمْ يَلتْنِي عَنْ سُرَاها لَيْتُ	رؤبة بن العجاج	٣٩١
قليل الألايا حافظ ليمينه	وإن بدرت منه الألية برت	لم أهتد لقائله	٨٢٥
أبلغ أمير المؤمنين أخا أن العراق وأهــلــه	الــعراق إذا أتــيــتا عنق إليك فهيت هيتا	أبو عمرو بن العلاء	٩٥٠ ، ٩٥١
حــرف الــدال			
مَهْلاً فداءً لك الأقوامُ كلُّهمُ	وما أُثَمِّرُ مِنْ مالٍ ومِنْ وَلَدِ	النابغة الذبياني	٤٩٤
سرتْ عليه من الجوزاءِ ساريةٌ	تجُبي الشَّمالُ عليهِ جامِدَ البَرَدِ	النابغة الذبياني	٤٩١
وليسَ بها إلا الرَّقيمُ مُجاوِراً	وصِيدَهُمُ ، والقومُ بالكهفِ هُمَّدُ	أمية بن أبي الصلت	٤٦٩
فَإِنْ تَدْفِنُوا الدَّاءَ لاَ نُخْفِهِ	وَإِنْ تَبْعَثُوا الْحَرْبَ لا تَقْعُدِ	نسبه الأكثرون إلى امرئ القيس ووقفت عليه في ديوان عمرو بن معدي يكرب	٦٠٤
تمنَّى رجالٌ أن أموتَ وإنْ أمُتْ فَقلْ للذِي يبغِي خلافَ الذِي مَضَى	فتلكَ سبيلٌ لستُ فيها بأوحــدِ تهيــأ لأخرى مثلِــها فكأن قدِ	الإمام الشافعي	٦٧٩
وَظُلْمُ ذَوِي القُرْبَى أَشَدُّ مَضَاضَةً	عَلَى الْحُرِّ مِنْ وَقْعِ الْحُسَامِ الْمُهَنَّدِ	طرفة بن العبد	٨٢٠
تَأَلَّى ابنُ أَوْسٍ حَلْفَةً لِيَرُدَّنِي	إلى نسْوةٍ كأنَّهنَّ مَفائِدُ	أوس بن حارثة	٨٢٥
كأنّ رَحْلِيْ وقد زال النهارُ بنا	يومَ الجليلِ على مُسْتَأْنِسٍ وَحَدِ	النابغة الذبياني	٨٣١
لا تَرْتَجِي حِينَ تُلاقِي الذَّائِدَا	أَسْبَعَةً لاقَتْ معاً أَو واحِدَا	الليث	٨٩٤
جَزَى اللّهُ رَبُّ النَّاسِ خَيْرَ جَزَائِهِ	رَفِيقَيْنِ قَالَا خَيْمَتَيْ أُمِّ مَعْبَدِ	لا يعرف من قائله	٩٠٠
أَرْضٌ تَخَيَّرَهَا لِطِيبِ مَقِيلِها	كَعْبُ بنُ مامَةَ وابنُ أُمِّ دُوَادِ	الأسود بن يَعْفُر	٩٠٣

البيت	القائل	الصفحة
حـــرف الـــراء		
قَصْدي المؤمل في جَهْري وإسْرَاري ومَطْلَبي من إلهَي الواحدُ البَاري شهـــادةٌ في سَبيل الله خَالصـــةٌ تَمْحُو ذُنُوبي وتُنْجِيني مِنَ النَّارِ إنَّ المعَاصِـــي رجْسٌ لا يطهِّرُها إلا الصَّوَارِم في أيْمَان كفـَّارِ	ابن جُزيّ	٤٩
قد أكثر الناس في المنسوخ من عدد وأدخلوا فيه آيا ليست تنحصر فهـــاك تحرير آي لا مزيـــد لـــها عشرين حررها الحـــذاق والكبر	جلال الدين السيوطي	٦٤
فلو أنّ نفسي طاوعتني لأَصْبَحَتْ لها حَفَدٌ مما يُعَـــدُّ كثيـــرُ ولَكنَّهَـــا نَفـْـسٌ عليَّ أبيَّـــةٌ عَيُوفٌ لأصْهَار اللِّئام قَذُورُ	لم أقف على قائله	٣٦٥
بِئْسَ الصُّحَاةُ وبِئْسَ الشَّرْبُ شَرْبُهُم إذَا جَرَى فِيهِمُ المُزَّاءُ والسَّكَرُ	الأخطل	٣٤٨
وَإنَّ أبَانَا كَانَ حَلَّ ببَلْدَةٍ سِوَى بَيْنَ قَيْس قَيْس عَيْلاَنَ والفِزَرْ	أنشده أبو عبيدة	٦٢٤
ولا عائداً ذاك الزمان الذي مضى تباركت ما تُقدِّر يقع ولك الشكر	أبو صخر الهمداني	٧٠٠
تَمَنَّى كِتَابَ الله أَوَّلَ لَيْلِهِ وآخِرَهُ لاَقَى حِمَامَ المَقَادِرِ	حسَّان ﷺ	751
فالسابق انصبه بفعل أضمرا حتماً موافقٍ لما قد أظهرا	ابن مالك	٦٩٠
كأنَّ عيْنَيه مشْكَاتَان في جَحَرِ قيضَا اقْتيَاضاً بأطْرَاف المَناقير	لم أهتد لقائله	٨٥٢
كُلُّ الْحَوَادِثِ مَبْدَاهَا مِنْ النَّـظَرِ وَمُعْظَمُ النَّارِ مِنْ مُسْتَصْغَرِ الشَّرَرِ كَمْ نَظْرَةً فَتَكَتْ فِي قَلْبِ صَاحِبِهَا فَتْكَ السِّهَامِ بلا قَوْسٍ وَلا وَتَـرِ وَالْعَبْدُ مَا دَامَ ذَا عَيْـنٍ يُقَلِّبُـهَا فِي أَعْيُنِ الْغِيدِ مَوْقُوفٌ عَلَى خَطَرِ يَسُرُّ نَاظِرَهُ مَا ضَـرَّ خَاطِـرَهُ لا مَرْحَبًا بسُرُور عَـادَ بالضَّرَرِ	لم أهتد لقائله	٨٣٦
وَكُنْتَ إذَا أَرْسَلْتَ طَرْفَكَ رَائِداً لِقَلْبكَ يوماً أَتْعَبَتْكَ المَناظِـرُ رَأيتَ الَّذِي لا كلّه أَنْتَ قَادِر عَلَيْه ولاَ عن بعضهِ أَنْتَ صَابِرُ	لم أهتد لقائله	١٠٢٥
أحَارُ بنَ عَمْرٍو كأَنِّي خَمِرْ ويَغْدو عَلَى الْمَرْءِ مَا يأتَـــمرْ	اختلف في قائله	١٠٦٢
أَرَى الناسَ قَدْ أَحْدَثُوا شِيمَةً وَفِي كُلِّ حَادِثَةٍ يُؤتَمرُ	النمر بن تولب	١٠٦٣ ١٠٦٤
حـــرف الـــسين		
سَرِيعٍ إلى الهَيْجَاءِ شَاكٍ سلاحُهُ فَما إنْ يَكادُ قِرْنُه يَتَنَفَّسُ	زيد الخيل	٦٠٩

حـــرف الـضـاد

البيت	القائل	الصفحة
كادَتْ وكِدْتُ وتلك خيرُ إرادةٍ لو عادَ من لَهْوِ الصَبابَةِ ما مَضى	الأخفش	٦٠٧
حـــرف الـعـيـن		
أليس ورائي إن تراخت منيتي لزوم العصا تحنى عليها الأصابع	لبيد بن ربيعة	٢١٤
واسْأَلْ بنا وبكُم إذا وَرَدَتْ مِنىً أَطْرافُ كُلِّ قبيلَةِ مَنْ يَمْنَعُ	الفرزدق	١٩٠
فإني بحمد الله لا ثوب فاجر لبست ولا من غدرة أتقنَّع	غيلان بن سلمة	٤٢٨
أَبيتُ عَلى بَابِ الْقَوافي كَأَنَمَا أَذُودُ بِها سِرباً مِنَ الوَحْشِ نَزّعَا	سويد بن كراع العكلى	١٠٦٦
حـــرف الـفـــاء		
الأرض تحيا إذا ما عاش عالمـها متى يمت عالم منها يمت طرف	أحمد بن غزال	١٩٣
كالأرض تحيا إذا ما الغيث حل بها وإن أبى عاد في أكنافها التلف		
حَلَفتْ لنا أن لا تخون عهودها فكأنها حلفت لنا أن لا تفى	لم أهتد لقائله	٧٩٠
حـــرف الـلام		
فَرْعُ نَبْعٍ يَهَشُّ في غُصُنِ الْمَجْ دِ غَزيرُ النّدَى شَدِيدُ الْمِحَال	الأعشى	١٥٧
وَلَبْس بَيْنَ أَقْوَام فَكُلّ أعدَّ لهُ السِّفارةَ والمحالا	ذو الرَّمة	١٥٧
لَيْلَةَ العُرْقُوب حَتَّى غَامَرَتْ جَعْفَرٌ يُدْعَى وَرَهْطُ ابْنِ شَكَلْ	لبيد بن ربيعة	١٩٧
ولَهُ الدِّين وَاصباً ولهُ الملكُ وحَمدٌ لهُ عَلَى كُلِّ حَال	أمية بن أبي الصلت	٣٤٠
وَعَوْدُ خَافِض لَدَى عَطْفٍ عَلَى ضَمِير خَفْض لاَزمَا قَدْ جُعِـلاَ	ابن مالك	٢٧٢
ونحن ملأنا كلَّ وادٍ وفجوةٍ رجالاً وخيلاً غير ميل ولا عُزْل	لم أهتد لقائله	٤٧٤
وله فى كل شيء خلقهُ وكذاك الله ما شاء فعل	لم أهتد لقائله	٦٢٠
يَلُومُونَنِي فِي اشْتِرَاءِ النَّخيلِ أَهْلِي فَكُلُّهُمُ يَعْذِل	أحيحة بن الجلاح	٦٥٩
يَلُومُونَنِي فِي الحُبِّ قَوْمي جَهَالةً وَمَا كَانَ طَبْعاً فهَوْل لَيس يَحُولُ	لسان الدين ابن الخطيب	٦٥٩
أَلاَ زَعَمَتْ بَسْبَاسَةُ اليَوْمَ أَنَّنِي كَبرتُ وَأَلاَّ يُحْسنُ اللَّهْوَ أَمْثَالِي	امرؤ القيس	٦٦٦
تَمَنَّى كِتَابَ اللَّهِ أَوَّلَ لَيْلَة تَمَنِّى دَاوُدَ الزَّبُورَ عَلَى رسْل	لم أهتد لقائله	٧٥٢
وما المرءُ ما دامَتْ حُشاشةُ نَفسِهْ بمُدْرِكِ أَطْرافِ الخُطوب ولا آل	امرؤ القيس	٨٢٧
إذا لسعته النحل لم يَرْجُ لَسْعَهَا وَحَالفَهَا فى بيتِ نُوب عَوَامِل	أبو ذؤيب الهذلي	٨٩٤
رأت مَرَّ السِّنينَ أَخذْنَ منّى كما أخذَ السِّرارُ من الهلالِ	جرير بن عطية	٩٤٧
وفيهمْ مقاماتٌ ، حسانٌ وجوهها وأنديةٌ ينتابها القولُ والفعلُ	زهير بن أبي	٩٦٢

البيت	القائل	الصفحة
فَقُلْ لِبَني مَرْوَانَ ما بَالُ ذِمَّتِي بحَبْلٍ ضَعيفٍ لاَ يَزَالُ يُوصَّلُ	سلمى الأخطل	١٠٧٧
لَنْ تَزَالُوا كَذلكُم ثُمَّ لا زلْ تَ لَهُمْ خَالِداً خُلُودَ الجِبَال	الأعشى	١٠٥٩

حـــرف الـمـيـــم

إلى الْمَلِكِ القَرْمِ وابْنِ الهُمام وليْثِ الكَتِيبَةِ في المُزدحَم	لم أهتد لقائله	٣٠٢
تَلْقَى السَّريَّ من الرّجال بنفسه وابنُ السَّريِّ إذا سَرَا أَسرَاهُمَا	لم أهتد لقائله	٥٥٧
ولا عيبَ فيهم غير أنَّ نزيلَهم يُخَيَّرُ فيما عندَهم ويُحكَّمُ	ابن معصوم	٩٢٥
هلاَّ سألتِ الخيلَ يا ابْنَةَ مالِكٍ إن كنتِ جاهلةً بما لم تَعْلَمي	عنترة بن شداد	٩٣٠
ونشْرَقُ بالقوْلِ قَدْ أَذَعْتَهُ كما شَرِقَتْ صَدْرُ القَنَاةِ مِنَ الدَّم	الأعشى	٩٤٨
رُوَيْداً كما اهْتَزَّتْ رِمَاحٌ تَسَفَّهَتْ عَالِيْهَا مَرُّ الرِّيَاحِ النَّوَاسِمِ	ذو الرّمة	٩٥١

حـــرف الـنـون

وكم من صفحة كالشمس تبدو فيسلي حسنها قلب الحزين غضضت الطرف عن نظري إليها محافظة على عرضـــي وديني	ابن جُزيّ	٤٨
وأيام لنا غُرٍّ طِوالٍ عصينا الملْك فيها أن نَدِينا	عمرو بن كلثوم	١٩٦
تَعَشَّ فإنْ عَاهَدْتَنِي لا تَخُونُنِي نَكُنْ مِثْلَ مَنْ يَا ذِئبُ يَصْطَحِبَانِ	لم أهتد لقائله	١٣٣ ، ١٣٤
فَقُلْ للشَّامِتِينَ بِنَا أَفِيقُوا سيلقى الشَّامِتُونَ كَمَا لَقِينَا	الفرزدق	٦٧٩
بُورِكَ الميِّتُ الغريبُ كما بُو رِكَ نَضْحُ الرُّمّانِ والزَّيْتونُ	أبو طالب بن عبد المطلب	٨٥٩

حرف الـهـــاء

قد كنت قبل لقائكم ذا مرة عندى لكل مخاصم ميزانه	لم أهتد لقائله	٢٦٨
أعوذ بربي من النافثات في عقد العاضه المعضه	لم أهتد لقائله	٣١١
هممتُ ولم أفعَلْ وكدتُ وليتني تركتُ على عثمانَ تبكي حلائلُه	ضابىء البراجمى	٦٠٨
فتوسَّطا عرضَ السَّريَّ وصدَّعا مسجورةً متجاوراً قُلاَّمُهَا	لبيد بن ربيعة	٥٥٥
وإنك لا تعطي امرءاً فوقَ حقه ولا تَملك الشِقَّ الذي الغيث ناصرهُ	الفقعسي	٧٣٤
ما يبلغ الأعداء من جاهل ما يبلغ الجاهل من نفسه	صالح بن عبد القدوس	٥٣١
وكن في مَكانٍ إذَا ما سَقَطْتَ تَقُومُ وَرِجْلَاكَ في عافِيَهْ	ابن وكيع التنيسى	٥٧٠

حـــرف الـيـــاء

البيت	القائل	الصفحة
إذا أعجبتك الدهرَ حالٌ من امرى فدَعهْ وواكِل حالَه والليالِيـا يجئن على ما كان من صالِـحٍ به وإن كان فيما لا يرى الناس آليا	اختلف في قائله	١١٥
جو بنو مروانَ سَمْعي وطاعتي وقومي تميمٌ والفَلاةُ ورائيا	الفرزدق	٢١٤
وجَاءُونَا بِهِمْ سَكَرٌ عَلَيْنَا فأجْلَى اليَومُ والسَّكرانُ صَاحِي	أنشده ابن الأعرابي	٣٤٧

أنصاف الأبيات

وليس دينُ الله بالمُعَضَّى	رؤبة بن العجاج	٣٠٩
جعلت أعراض الكرام سكراً	أنشده أبو عبيدة	٣٤٨
وقاتم الأعْماق خاوي المُخترَقْ	رؤبة بن العجاج	٤١١
ومستقرِّي المُصْحف الرقيم	رؤبة بن العجاج	٤٦٩
..... فَخَرَّ صَريعاً لليَدَيْن وللْفَم	ربيعة بن مكدم	٧٠٦
فَقُلْتُ يَمِين اللَّهِ أَبْرَحُ قَاعِداً	امرؤ القيس	٨٢٦
..... بل كان قلبُك في جناحَيْ طائرِ	عمران بن حطان	٨٦٩

فهرس المصادر والمراجع

أولاً : القرآن الكريم .

ثانياً : الرسائل الجامعية :

١ / **ابن جُزيّ ومنهجه في التفسير** (دراسة مُسهبة عن الإمام المفسر الأندلسي الشهيد ابن جُزيّ ، وتوضيح مُفصَّل لمنهجه في تفسيره : التسهيل لعلوم التنزيل) : أعدها الباحث / علي محمد **الزُّبيري** رحمه الله ، وهي رسالة أعدها الباحث لنيل درجة الماجستير في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، كلية القرآن الكريم ، قسم التفسير ، نوقشت في ١٤٠٣ هـ ، هذه الرسالة مطبوعة (ط ١) في مجلدين ، عام ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧ م دار القلم .

٢ / **تحقيق ودراسة كتاب** : (**التسهيل لعلوم التنزيل**) للإمام محمد بن أحمد بن محمد بن جُزيّ الكلبي الغرناطي المالكي الدكتور/ محمد بن سيدي محمد **بن مولاي** ، أستاذ بالمعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية موريتانيا ، عام ١٤٢٧ هـ .

٣ / **تخريج الأحاديث والآثار في كتاب** : (**التسهيل لعلوم التنزيل**) للدكتور / سامي بن مساعد **الجهني** ، رسالة ماجستير من جامعة أم القرى ، عام ١٤١٨ هـ .

٤ / **الطَّعن في القرآن الكريم و الردُّ على الطاعنين في القرن الرابع عشر الهجري** ، رسالة لنيل درجة الدكتورا ه مقدمة من الطالب : عبد المحسن بن زبن بن متعب **المطيري** ، المعيد بكلية الشريعة / جامعة الكويت ، إشراف : الأستاذ الدكتور / إبراهيم عبد الرحيم .

٥ / **قواعد الترجيح عند ابن جُزيّ في تفسيره – دراسة تطبيقية –** ، أعدَّها الباحث : **عبد الله حمد الجمعان** ، رسالة ماجستير في جامعة الملك سعود ، إشراف : الأستاذ الدكتور / عبد الرحمن إبراهيم المطرودي ، نوقشت في عام ١٤٢١ هـ .

٦ / **قواعد الترجيح عند المفسرين** (دراسة نظرية تطبيقية) للشيخ **حسين بن علي بن حسين الحربي** (رئيس قسم الدراسات القرآنية في كلية المعلمين في جازان) ، رسالة

ماجستير بجامعة الإمام محمد بن سعود ، دار القاسم ، الرياض ، ط ١ ، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م ، ج ٢ ، راجعه وقدم له : الشيخ مناع خليل القطان .

٧ / **قواعد التفسير** (جمعاً ودراسة) للدكتور/ خالد بن عثمان **السَّبت** ، دار ابن عفان ، مصر ، ط ١ ، ١٤٢١هـ ، ج ٢ .

٨ / **قواعد الترجيح المتعلقة بالنص عند ابن عاشور** في تفسيره التحرير والتنوير للدكتورة / **عبير بن عبد الله النعيم** ، رسالة دكتوراه ، بجامعة الملك سعود ، عام ١٤٢٨ هـ / ١٤٢٩ هـ .

ثالثاً : المصادر والمراجع المطبوعة :

(أ)

١ / **أبجد العلوم** (الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم) للسيد محمد صديق بن حسن **القنوجي** البخاري (ت ١٣٠٧هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط . د ، ١٩٧٨م ، ج ٣ ، تحقيق : عبد الجبار زكار .

٢ / **إبراز المعاني من حرز الأماني** في القراءات السبع لعبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم **أبي شامة** الدمشقي (ت ٦٦٥هـ) ، شركة مكتبة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، ط . د ج ٢ ، تحقيق : إبراهيم عطوة عوض .

٣ / **الإبهاج في شرح المنهاج** على منهاج الوصول إلى علم الأصول للبيضاوي لتقي الدين علي بن عبد الكافي **السُّبكي** ، أبو الحسن (ت ٧٥٦ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٤ هـ ج ٣ ، تحقيق : جماعة من العلماء .

٤ / **إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر** لأحمد بن محمد بن عبد الغني الدمياطي ، الشهير **بالبناء** (ت ١١١٧ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م ، ج ١ ، تحقيق : أنس مهرة .

٥ / **الإتقان في علوم القرآن** لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١ هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م ، تحقيق : سعيد المندوب ، ج ٤ .

٦ / **إجابة السائل شرح بغية الآمل** لمحمد بن إسماعيل **الأمير الصنعاني** (ت ١١٨٢ هـ) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت / لبنان ، ط ١ ، ١٩٨٦ م ، تحقيق : القاضي حسين بن أحمد السياغي ، والدكتور حسن محمد مقبولي الأهدل .

٧ / **الأحاديث الطوال** لسليمان بن أحمد **الطبراني** ، أبو القاسم (ت ٣٦٠ هـ) ، مكتبة الزهراء ، الموصل ، ط ٢ ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٣ م ، ج ١ ، تحقيق : حمدي بن عبد المجيد السلفي .

٨ / **الأحاديث المختارة** (المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحهما) محمد بن عبد الواحد الحنبلي **ضياء الدين المقدسي** ، أبو عبد الله (ت ٦٤٣ هـ) ، مكتبة النهضة الحديثة ، مكة المكرمة ، ط ١ ، ١٤١٠ هـ ، ج ١٠ ، تحقيق : عبد الملك بن عبد الله بن دهيش .

٩ / **الإحاطة في أخبار غرناطة لِلسان الدين ابن الخطيب** ، لمحمد بن عبد الله بن سعيد السلماني اللوشي الأصل ، الغرناطي الأندلسي ، أبو عبد الله ، الشهير **بلسان الدين ابن الخطيب** (ت ٧٧٦ هـ) ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، بيروت ، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣ م ، ط ١ ، ج ٤ ، تحقيق : د. يوسف علي طويل .

١٠ / **أحكام أهل الذمة** لشمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي ، أبو عبد الله ، المعروف **بابن قيِّم الجوزية** أو **ابن القيِّم** (ت ٧٥١ هـ) ،

دار ابن حزم بيروت ، رمادى للنشر ، الدمام ، ط ١ ، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م ، ج ٣ ، تحقيق : يوسف أحمد البكري ، و شاكر توفيق العاروري .

١١ / **الإحكام في أصول الأحكام** لعلي **بن حزم** الأندلسي الظاهري ، أبو محمد (ت ٤٥٦ هـ) دار الحديث ، القاهرة ، ط ١ ، ١٤٠٤ هـ ، ج ٨ .

١٢ / **الإحكام في أصول الأحكام** لعلي بن محمد **الآمدي** ، أبو الحسن (ت ٦٣١ هـ) ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٤هـ ، ج ٤ ، تحقيق : د . سيد الجميلي .

١٣ / **أحكام القرآن** لمحمد بن عبد الله ، المعروف **بابن العربي** المالكي ، أبو بكر (ت ٥٤٣ هـ) ، دار الفكر ، لبنان ، ط . د ، ج ٤ ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا .

١٤ / **أحكام القرآن** لأحمد بن علي الرازي **الجصاص** ، أبو بكر (ت ٣٧٠ هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط . د ، ١٤٠٥ هـ ، ج ٥ ، تحقيق : محمد الصادق قمحاوي .

١٥ / **أحكام القرآن** لمحمد بن إدريس **الشَّافعي** ، أبو عبد الله (ت ٢٠٤ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط . د ، ١٤٠٠ هـ ، ج ٢ ، تحقيق : عبد الغني عبد الخالق .

١٦ / **إحياء علوم الدين** لمحمد بن محمد **الغزالي** ، أبو حامد (ت ٥٠٥ هـ) ، دار المعرفة ، بيروت ، ط . د ، ج ٤ .

١٧ / **الآداب الشرعية** والمنح المرعية لمحمد **بن مفلح** المقدسي ، أبو عبد الله (ت ٧٦٣هـ) مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م ، ج ٣ ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، وعمر القيام .

١٨ / **آداب النفوس** للحارث بن أسد **المحاسبي** ، أبو عبد الله (ت ٢٤٠هـ) ، دار الجيل ، بيروت / لبنان ، ط . د ، ١٩٨٤م ، ج ١ ، تحقيق : عبد القادر أحمد عطا .

١٩ / **أدب الكاتب** لعبد الله بن مسلم **بن قتيبة** الدينوري السكوفي ، المروزي ، أبو محمد (ت ٢٧٦هـ) ، مكتبة السعادة ، مصر ، ط ٤ ، ١٩٦٣ م ، ج ١ ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد .

٢٠ / **إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول** لمحمد بن علي بن محمد **الشوكاني** (ت ١٢٥٠ هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م ، تحقيق : محمد سعيد البدري أبو مصعب .

٢١ / **الإرشاد في معرفة علماء الحديث** للخليل بن عبد الله بن أحمد **الخليلي القزويني** ، أبو يعلى (ت ٤٤٦ هـ) ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ط ١ ، ١٤٠٩هـ ، ج ٣ ، تحقيق : د . محمد سعيد عمر إدريس .

٢٢ / **أساس البلاغة** لمحمود بن عمر **الزَّمخشري** ، أبو القاسم (ت ٥٣٨ هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، ط . د ، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م ، ج ١ .

٢٣ / **أسباب النزول** لعلي بن أحمد **الواحدي** ، أبو الحسن (ت ٤٦٨ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت / لبنان ، ط . د ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م ، ج ١ ، تحقيق ودراسة : كمال بسيوني زغلول .

٢٤ / **الاستيعاب في معرفة الأصحاب** ليوسف بن عبد الله بن محمد **بن عبد البرِّ** النمري ، أبو عمر (ت ٤٦٣ هـ) ، دار الجيل ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٢ هـ ، ج ٤ ، اسم المحقق : علي محمد البجاوي .

٢٥ / **أسد الغابة في معرفة الصحابة** لعز الدين **بن الأثير** علي بن محمد الجزري ، أبو الحسن (ت ٦٣٠هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت / لبنان ، ط ١ ، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م ، ج ٧ ، تحقيق : عادل أحمد الرفاعي .

٢٦ / **أسرار البلاغة** لعبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد **الجرجاني** ، أبو بكر (ت ٤٧١ هـ) ، ط . د ، ج ١ .

٢٧ / **أسرار العربية** لعبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد **الأنباري** النحوي ، أبو البركات (ت ٥٧٧هـ) ، دار الجيل ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م ، ج ١ ، تحقيق : د . فخر صالح قدارة .

٢٨ / **الأسماء المبهمة في الأنباء المحكمة** لأحمد بن علي بن ثابت **الخطيب البغدادي** ، أبو بكر (ت٤٦٣ هـ) ، مكتبة الخانجي ، القاهرة / مصر ، ط ٣ ، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧م ، ج ٨ ، تحقيق : د . عز الدين علي السيد .

٢٩ / **الإشارة إلى الايجاز** في بعض أنواع المجاز في القرآن الكريم **للعز بن عبد السَّلام** (ت ٦٦٠ هـ) ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ١٩٨٧م ، ج ١ .

٣٠ / **الإصابة في تمييز الصحابة** لأحمد بن علي **بن حجر** العسقلاني الشافعي ، أبو الفضل (ت ٨٥٢ هـ) ، دار الجيل ، بيروت ، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢م ، ط ١ ، ج ٨ ، اسم المحقق : علي محمد البجاوي .

٣١ / **إصلاح المنطق** ليعقوب بن إسحاق **بن السِّكِّيت** ، أبو يوسف (ت ٢٤٤ هـ) ، دار المعارف ، القاهرة ، ط ٤ ، ج ١ ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، وعبد السلام هارون .

٣٢ / **أصول الدين** لجمال الدين أحمد بن محمد **الغزنوي** الحنفي (ت ٥٩٣ هـ) ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت / لبنان ، ط ١ ، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م ، ج ١ ، تحقيق : الدكتور عمر وفيق الداعوق .

٣٣ / **الأصول في النحو** لمحمد بن السري **بن السراج النحوي** ، أبو بكر (ت ٣١٦ هـ) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٣ ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م ، ج ٣ ، تحقيق : د . عبد الحسين الفتلي .

٣٤ / **الاعتصام** لإبراهيم بن موسى اللخمي الشاطبي ، أبو إسحاق (ت ٧٩٠ هـ) ، دار المكتبة التجارية الكبرى ، مصر ، ط . د ، ج ٢ .

٣٥ / **اعتقاد الإمام المبجل ابن حنبل** (ذيل طبقات الحنابلة) لمحمد **بن أبي يعلى** ، أبو الحسين (ت ٥٢١ هـ) ، دار المعرفة ، بيروت ، ط . د ، ج ١ ، تحقيق : محمد حامد الفقي .

٣٦ / **إعجاز القرآن** للقاضي محمد بن الطيب **الباقلاني** ، أبو بكر (ت ٤٠٣ هـ) ، دار المعارف ، مصر ، ط ٥ ، ١٩٩٧م ، ج ١ ، تحقيق : السيد أحمد صقر .

٣٧ / **إعراب القرآن** لأحمد بن محمد بن إسماعيل **النحاس** ، أبو جعفر (ت ٣٣٨ هـ) ، مكتبة عالم الكتب ، بيروت ، ومكتبة النهضة العربية ، ط ٣ ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م ، ج ٥ ، تحقيق : د . زهير بن غازي زاهد .

٣٨ / **الأعلام** ، خير الدين بن محمود بن علي **الزِّركلي** ، أبو الغيث (ت ١٣٩٦ هـ) ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٦ م ، ط ٧ ، ج ٨ .

٣٩ / **إعلام الموقعين عن رب العالمين** لشمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي ، أبو عبد الله ، المعروف **بابن قيِّم الجوزية** أو **ابن القيِّم** (ت ٧٥١ هـ) ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٧٣م ، ج ٤ ، تحقيق : طه عبد الرءوف سعد .

٤٠ / **إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان** لشمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي ، أبو عبد الله ، المعروف **بابن قيِّم الجوزية** أو **ابن القيِّم** (ت ٧٥١ هـ) ، دار المعرفة ، بيروت ، ط ٢ ، ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥م ، ج ٢ ، تحقيق : محمد حامد الفقي .

٤١ / **الأغاني** لعلي بن الحسين الأموي ، **أبو الفرج الأصبهاني** (ت ٣٥٦ هـ) ، دار الفكر بيروت ، ط . د ، ج ٢٤ ، تحقيق : علي مهنا ، وسمير جابر .

٤٢ / **اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم لشيخ الإسلام** أحمد بن عبد الحليم **بن تيمية** الحراني ، أبو العباس (ت ٧٢٨ هـ) ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٣٦٩ هـ ، ج ١ ، تحقيق : محمد حامد الفقي .

٤٣ / **الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء** لسليمان بن موسى **الكلاعي** الأندلسي ، أبو الربيع (ت ٦٣٤هـ) ، عالم الكتب ، بيروت / لبنان ، ط ١ ، ١٤١٧هـ ، ج ٤ ، تحقيق : د . محمد كمال الدين عز الدين علي .

٤٤ / **اكتفاء القنوع بما هو مطبوع لأدورد فنديك** ، دار صادر ، بيروت ، ط . د ، ١٨٩٦م ج ١ .

٤٥ / **الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى** لعلي بن هبة الله بن أبي نصر **ابن ماكولا** (ت ٤٧٥ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١١هـ ، ج ٧ .

٤٦ / **الأم** لأبي عبد الله محمد بن إدريس **الشافعي** (ت ٢٠٤ هـ) ، دار المعرفة ، بيروت ، ط ٢ ، ١٣٩٣هـ ، ج ٨ .

٤٧ / **الأمالي وهي المعروفة بـ (الأمالي الخميسية)** للمرشد بالله يحيى بن الحسين بن إسماعيل الحسني **الشجري الجرجاني** (ت ٤٩٩ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت / لبنان ، ط ١ ، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١م ، ج ٢ ، تحقيق : محمد حسن اسماعيل .

٤٨ / **الأمثال من الكتاب والسنة** لمحمد بن علي **الحكيم الترمذي** ، أبو عبد الله (ت ٣٢٠ هـ) ، دار ابن زيدون / دار أسامة ، بيروت ، دمشق ، ط . د ، ج ١ ، تحقيق : د . السيد الجميلي .

٤٩ / **إملاء ما من به الرحمن** من وجوه الإعراب والقراءات لعبد الله بن الحسين بن عبد الله **العكبري** ، أبو البقاء (ت ٦١٦هـ) ، المكتبة العلمية ، باكستان / لاهور ، ج ٢ ، تحقيق : إبراهيم عطوه عوض .

٥٠ / **الأنساب** لعبد الكريم بن محمد **السمعاني** ، أبو سعيد (٥٦٢ هـ) ، دار الفكر ، بيروت ط ١ ، ١٩٩٨م ، ج ٥ ، تحقيق : عبد الله بن عمر البارودي .

٥١ / **الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به** لمحمد بن الطيب **الباقلاني** ، أبو بكر (ت ٤٠٣ هـ) ، عالم الكتب ، لبنان ، ط ١ ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م ، ج ١ ، تحقيق : عماد الدين أحمد حيدر .

٥٢ / **الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين** لعبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد **الأنباري** النحوي ، أبو البركات (ت ٥٧٧هـ) ، دار الفكر ، دمشق ، ط . د ، ج ٢ ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد .

٥٣ / **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك** لعبد الله بن يوسف **ابن هشام** الأنصاري ، أبو محمد (ت ٧٦١ هـ) ، دار الجيل ، بيروت ، ط ٥ ، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م ، ج ٤ ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ،.

٥٤ / **الإيضاح في علوم البلاغة** لمحمد بن سعد الدين بن عمر القزويني ، أبو عبد الله ، المعروف **بالخطيب القزويني** (ت ٧٣٩ هـ) ، دار إحياء العلوم ، بيروت ، ط ٤ ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م ، ج ١ ، تحقيق : الشيخ بهيج غزاوي .

٥٥ / **إيضاح المكنون** في الذيل على كشف الظنون لإسماعيل باشا بن محمد أمين **البغدادي** (ت ١٣٣٩هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢ م ، ط . د ، ج ٤ .

٥٦ / **الإيمان** لمحمد بن إسحاق **ابن منده** ، أبو عبد الله (ت ٣٩٥ هـ) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤٠٦ هـ ، ج ٢ ، تحقيق : د. علي بن محمد بن ناصر الفقيهي .

(ب)

٥٧ / **البحر الزخار (مسند البزار)** لأحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار ، أبو بكر (ت ٢٩٢ هـ) ، مؤسسة علوم القرآن ، مكتبة العلوم والحكم ، بيروت ، المدينة ، ط ١ ، ١٤٠٩ هـ ، ج ٩ ، تحقيق : د. محفوظ الرحمن زين الله .

٥٨ / **البحر المحيط في أصول الفقه** لمحمد بن بهادر **الزَّركشي** (ت ٧٩٤ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م ، ج ٤ ، تحقيق : د . محمد محمد تامر .

٥٩ / **بدائع الفوائد** لشمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي ، أبو عبد الله ، المعروف **بابن قيِّم الجوزية** أو **ابن القيِّم** (ت ٧٥١ هـ) ، مكتبة نزار مصطفى الباز ، مكة المكرمة ، ط ١ ، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م ، ج ٤ ، تحقيق : هشام عبد العزيز عطا ، عادل عبد الحميد العدوي ، أشرف أحمد الج .

٦٠ / **بداية المجتهد ونهاية المقتصد** لمحمد بن أحمد بن محمد **بن رشد** القرطبي ، أبو الوليد (ت ٥٩٥ هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، ط . د ، ج ٢ .

٦١ / **البداية والنهاية** لإسماعيل **بن كثير** الدمشقي ، أبو الفداء (ت ٧٧٤ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ، ج ١٤ ، تحقيق : د . أحمد أبو ملحم وجماعة .

٦٢ / **البدر الطالع** بمحاسن من بعد القرن السابع لمحمد بن علي **الشوكاني** (ت ١٢٥٠هـ) دار المعرفة ، بيروت ، ط . د ، ج ٢ .

٦٣ / **البدر المنير** في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير لسراج الدين عمر بن علي بن أحمد الأنصاري الشافعي ، أبو حفص ، المعروف **بابن الملقن** (ت ٨٠٤ هـ) دار الهجرة للنشر والتوزيع ، الرياض / السعودية ، ط ١ ، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م ، ج ٩ ، تحقيق : مصطفى أبو الغيط وجماعة .

٦٤ / **برنامج الوادي آشي** لمحمد بن جابر **الوادي آشي** (ت ٧٤٩ هـ) ، دار المغرب الاسلامي ، أثينا ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠ م ، ج ١ ، تحقيق : محمد محفوظ .

٦٥ / **البرهان في علوم القرآن** لبدر الدين محمد بن بهادر **الزَّركشي** (ت ٧٩٤هـ) ، دار المعرفة ، بيروت ، ط . د ، ١٣٩١هـ ، ج ٤ ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم .

٦٦ / **بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث** ، للحافظ نور الدين علي بن سليمان **الهيثمي** (ت ٢٨٢ هـ) ، مركز خدمة السنة والسيرة النبوية بالجامعة الإسلامية ، المدينة المنورة ، ط ١ ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م ، ج ٢ ، تحقيق : د . حسين أحمد صالح الباكري .

٦٧ / **بغية الطلب في تاريخ حلب** لكمال الدين عمر بن أحمد **بن أبي جرادة** (ت ٦٦٠ هـ) ، دار الفكر ، ط . د ، ج ١٠ ، تحقيق : د. سهيل زكار .

٦٨ / **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة** لجلال الدين **عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي** (ت ٩١١ هـ) ، المكتبة العصرية ، صيدا ، ط . د ، سنة ١٤١٩هـ ، ج ٢ ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم .

٦٩ / **البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة** لمجد الدين محمد بن يعقوب **الفيروز آبادي** (ت ٨١٧ هـ) ، جمعية إحياء التراث الإسلامي ، الكويت ، ط ١ ، ١٤٠٧هـ ، ج ١ ، تحقيق : محمد المصري .

٧٠ / **البيان في عدّ آي القرآن** لعثمان بن سعيد الأموي **الداني** ، أبو عمرو (ت ٤٤٤هـ) مركز المخطوطات والتراث ، الكويت ، ط ١ ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م ، ج ١ ، تحقيق : غانم قدوري الحمد .

(ت)

٧١ / **تاج التراجم** لزين الدين قاسم **بن قطلوبغا السودوني** ، أبو الفداء (ت ٨٧٩ هـ) ، دار القلم ، دمشق / سوريا ، ط ١ ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م ، ج ١ ، تحقيق : محمد خير رمضان يوسف .

٧٢ / **تاج العروس من جواهر القاموس** لمحمد بن محمد الحسيني ، المشهور **بالمرتضى الزبيدي** (ت ١٢٠٥ هـ) ، دار الهداية للنشر والتوزيع ، ط . د ، ج ٤٠ ، تحقيق جماعة من المحققين .

٧٣ / **تاريخ ابن خلدون** (المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر) لعبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي (ت ٨٠٨ هـ) ، دار القلم ، بيروت ، ط٥ ، ١٩٨٤م ، ج ٥ .

٧٤ / **تاريخ الإسلام** ووفيات المشاهير والأعلام لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان **الذهبي** (ت ٧٤٨ هـ) ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م ، ج ٥٢ ، تحقيق : د . عمر عبد السلام تدمري .

٧٥ / **تاريخ بغداد** لأحمد بن علي **الخطيب البغدادي** ، أبو بكر (ت ٤٦٣ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٧هـ ، ج ١٤ ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا .

٧٦ / **تاريخ عجائب الآثار** في التراجم والأخبار لعبد الرحمن بن حسن **الجبرتي** (ت ١٢٣٧ هـ) ، دار الجيل ، بيروت ، ط . د ، ج ٣ .

٧٧ / **تاريخ قضاة الأندلس** (المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا) علي بن عبد الله بن الحسن **النباهي** المالقي الأندلسي ، أبو الحسن (ت ٧٩٣ هـ) ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت/ لبنان ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣ م ، ط ٥ ، ج ١ ، تحقيق : لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة .

٧٨ / **التاريخ الكبير** لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم **البخاري** الجعفي ، أبو عبد الله (ت ٢٥٦هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، ط . د ، ج ٨ ، اسم المحقق : السَّيد هاشم الندوي .

٧٩ / **تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها ، وتسمية من حلها من الأماثل** لعلي بن الحسن بن هبة الله الشافعي ، أبو القاسم المعروف **بابن عساكر** (ت ٥٧١ هـ) ، دار

الفكر ، بيروت ، ط . د ، ١٩٩٥ م ، ج ٧٠ ، تحقيق : محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري .

٨٠ / **تاريخ النور السافر عن أخبار القرن العاشر** لعبد القادر بن شيخ بن عبد الله **العيدروسي** (ت ١٠٣٧ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٥ هـ ، ج ١ .

٨١ / **تاريخ ابن الوردي** لزين الدين عمر بن مظفر الشهير بابن الوردي (ت ٧٤٩ هـ) ، دار الكتب العلمية ، لبنان / بيروت ، ط ١ ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م ، ج ٢ .

٨٢ / **تاريخ اليعقوبي** لأحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي (ت ٢٩٢ هـ) ، دار صادر ، بيروت ، ط . د ، ج ٢ .

٨٣ / **تأويل مختلف الحديث** لعبد الله بن مسلم **بن قتيبة** ، أبو محمد الدينوري (ت ٢٧٦ هـ) ، دار الجيل ، بيروت ، ط . د ، ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٢ م ، ج ١ ، تحقيق : محمد زهري النجار .

٨٤ / **التبيان في آداب حملة القرآن** ليحيى بن شرف الدين **النووي** ، أبو زكريا (ت ٦٧٦ هـ) ، الوكالة العامة للتوزيع ، دمشق ، ط ١ ، ١٤٠٣هـ /١٩٨٣م ، ج ١ .

٨٥ / **التبيان في إعراب القرآن** لعبد الله بن الحسين **العكبري** ، أبو البقاء (ت ٦١٦ هـ) عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ط . د ، ج ٢ ، تحقيق : علي محمد البجاوي .

٨٦ / **التبيان في تفسير غريب القرآن** لأحمد بن محمد القرافي ، المعروف **بابن الهائم المصري** ، (ت ٨١٥ هـ) ، دار الصحابة ، طنطا ، مصر ، ط ١ ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م ، ج ١ ، تحقيق : فتحي أنور الدابلوي .

٨٧ / **تحبير التيسير في القراءات العشر** لمحمد بن محمد الدمشقي ، أبو الخير ، الشهير **بابن الجزري** (٨٣٨ هـ) ، دار الفرقان ، الأردن / عمان ، ط ١ ، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م ج ١ ، تحقيق : د . أحمد محمد مفلح القضاة .

٨٨ / **التحبير شرح التحرير في أصول الفقه** لعلاء الدين علي بن سليمان **المرداوي الحنبلي** أبو الحسن (ت ٨٨٥ هـ) ، مكتبة الرشد ، السعودية / الرياض ، ط ١ ، ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م ، ج ٨ ، تحقيق : د . عبد الرحمن الجبرين ، د . عوض القرني ، د . أحمد السراح .

٨٩ / **تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي** لمحمد بن عبدالرحمن **المباركفوري** ، أبو العلا (ت ١٣٥٣ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط . د ، ج ١٠ .

٩٠ / **تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف** لجمال الدين ابن الزكي يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف **الحافظ المزّي** ، أبو الحجاج (ت ٧٤٢ هـ) ، المكتب الإسلامي ، والدار القيّمة ، ط ٢ ، ١٤٠٣ هـ ، ١٩٨٣ م ، ج ١٣ ، المحقق : عبد الصمد شرف الدين .

٩١ / **التحفة اللطيفة** في تاريخ المدينة الشريفة لشمس الدين **السخاوي** (ت ٩٠٢ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط . د ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م ، ج ٢ .

٩٢ / **تخجيل من حرف التوراة والإنجيل لصالح بن الحسين الجعفري الهاشمي** ، مكتبة العبيكان الرياض / المملكة العربية السعودية ، ط ١ ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م ، مجلدين ، ج ٤ ، دراسة وتحقيق : محمود عبد الرحمن قدح .

٩٣ / **تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري** لعبد الله بن يوسف **الزيلعي** ، أبو محمد (ت ٧٦٢ هـ) ، دار ابن خزيمة ، الرياض ، ط ١ ، ١٤١٤هـ ج ٤ ، تحقيق : عبد الله بن عبد الرحمن السعد .

٩٤ / **تذكرة الأريب في تفسير الغريب** لعبد الرحمن بن علي **بن الجوزي** ، أبو الفرج (ت ٥٩٧ هـ) ، ط . د ، ج ٢ .

٩٥ / **تذكرة الحفاظ** لمحمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز **الذهبي** ، أبو عبد الله (ت ٧٤٨ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ج ٤ .

٩٦ / **التعارض والترجيح** بين الأدلة الشرعية لعبد اللطيف عبد الله **البرزنجي** ، دار الكتب العلمية ، ١٩٩٣ م .

٩٧ / **التعارض والترجيح** عند الأصوليين وأثرهما فى الفقه الإسلامى لمحمد إبراهيم **الحفناوى** ، دار الوفاء ، المنصورة / مصر ، ١٩٨٥ .

٩٨ / **التعديل والتجريح لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح** لسليمان بن خلف بن سعد **الباجي** ، أبو الوليد (ت ٤٧٤ هـ) ، دار اللواء للنشر والتوزيع ، الرياض ، ط ١ ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م ، ج ٣ ، تحقيق : د. أبو لبابة حسين .

٩٩ / **التعريفات** لعلي بن محمد بن علي الشريف **الجرجاني** (ت ٨١٦ هـ) ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٥هـ ، ج ١ ، تحقيق : إبراهيم الأبياري .

١٠٠ / **تغليق التعليق على صحيح البخاري** لأحمد بن علي بن محمد **بن حجر** العسقلاني ، أبو الفضل (ت ٨٥٢ هـ) ، المكتب الإسلامي ، دار عمار ، بيروت ، عمان ، الأردن ، ط ١ ، ١٤٠٥ هـ ، ج ٥ ، تحقيق : سعيد عبد الرحمن موسى القزقي .

١٠١ / **تفسير آيات من القرآن الكريم** للشيخ المجدد **محمد بن عبد الوهاب** التميمي النجدي (ت ١٢٠٦ هـ) ، مطابع الرياض ، الرياض ، ط ١ ، ج ١ ، تحقيق : د . محمد بلتاجي .

١٠٢ / **تفسير ابن أبي حاتم** (تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين) للحافظ عبد الرحمن بن محمد ابن أبي حاتم الرازي ، (ت ٣٢٧ هـ) ، المكتبة العصرية ، صيدا ، ط . د ، ج ١٠ ، تحقيق : أسعد محمد الطيب .

١٠٣ / **تفسير ابن أبي زمنين** (تفسير القرآن العزيز) لمحمد بن عبدالله بن أبي زمنين المري ، أبو عبد الله (ت ٣٩٩ هـ) ، الفاروق الحديثة ، مصر/ القاهرة ، ط ١ ،

١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م ، ج ٥ ، تحقيق : أبو عبد الله حسين بن عكاشة – محمد بن مصطفى الكتر .

١٠٤ / **تفسير ابن جزي** (التسهيل لعلوم التنزيل) لمحمد بن أحمد **بن جُزيّ الكلبي** (ت ٧٤١ هـ) ، طبعة دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ٤ ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ، ج ٤ .

١٠٥ / **تفسير ابن جزي** (التسهيل لعلوم التنزيل) لمحمد بن أحمد **بن جُزيّ الكلبي** (ت ٧٤١ هـ) ، طبعة دار إحياء التراث العربي ، لبنان ، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤ م ، ط ١ ، ج ٢ .

١٠٦ / **تفسير ابن الجوزي** (زاد المسير في علم التفسير) لعبد الرحمن ابن الجوزي ، أبو الفرج (ت ٥٩٧ هـ) ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٤٠٤هـ ، ط ٣ ، ج ٩ .

١٠٧ / **تفسير ابن عادل** (اللباب في علوم الكتاب) لعمر بن علي الحنبلي ، أبو حفص (ت بعد ٨٨٠ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت / لبنان ، ط ١ ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م ج ٢٠ ، تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، والشيخ علي محمد معوض .

١٠٨ / **تفسير ابن عاشور** (التحرير والتنوير من التفسير) للشيخ محمد الطاهر ابن عاشور ، (ت ١٣٩٣ هـ) ، دار سحنون للنشر والتوزيع ، تونس ، ١٩٩٧م ، ط . د ، ج ٣٠ .

١٠٩ / **تفسير ابن عرفة** لمحمد بن محمد بن عرفة الورغمي ، أبو عبد الله (ت ٨٢٧ هـ) ، مركز البحوث بالكلية الزيتونية ، تونس ، ط ١ ، ١٩٨٦ م ، ج ٢ ، تحقيق : د . حسن المناعي .

١١٠ / **تفسير ابن عطية** (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) لعبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي ، أبو محمد (ت ٥٤٦ هـ) ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، ١٤١٣ هـ/ ١٩٩٣ م ، ط ١ ، ج ٥ ، اسم المحقق : عبد السلام عبد الشافي محمد .

١١١ / **تفسير ابن كثير** (تفسير القرآن العظيم) للحافظ إسماعيل بن كثير الدمشقي ، أبو الفداء (ت ٧٧٤ هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، ط . د ، ١٤٠١هـ ، ج ٤ .

١١٢ / **تفسير الآلوسي** (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني) ل شهاب الدين السيد محمود البغدادي الآلوسي (الكبير) البغدادي ، أبو الفضل (ت ١٢٧٠ هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ط . د ، ج ٣٠ .

١١٣ / **تفسير أبي حيان** (البحر المحيط) لمحمد بن يوسف بن حيان ، الشهير بأبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥ هـ) ، دار الكتب العلمية ، لبنان / بيروت ، ط ١ ، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م ، ج ٨ ، تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، والشيخ علي محمد معوض وجماعة .

١١٤ / **تفسير أبي السعود** (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم) لمحمد بن محمد العمادي ، أبو السعود (٩٥١ هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط . د ، ج ٩ .

١١٥ / **تفسير البغوي** (معالم التنزيل) للحسين بن مسعود البغوي ، أبو محمد (ت ٥١٦ هـ) ، دار المعرفة ، بيروت ، ط . د ، ج ٤ ، تحقيق : خالد عبد الرحمن العك .

١١٦ / **تفسير البيضاوي** (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) للقاضي عبد الله بن محمد الشيرازي البيضاوي ، أبو سعيد ، أو أبو الخير (ت ٦٨٥ هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، ط . د ، ج ٥ .

١١٧ / **تفسير الثعالبي** (الجواهر الحسان في تفسير القرآن) لأبي زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (ت ٨٧٥ هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، ومؤسسة التاريخ العربي ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م ، ج ٥ ، تحقيق : علي محمد معوض ، وعادل أحمد عبد الموجود ، وشارك في تحقيقه الأستاذ الدكتور / عبد الفتاح أبو سنّة .

١١٨ / **تفسير الثعلبي** (الكشف والبيان) لأحمد بن محمد الثعلبي ، أبو إسحاق (ت ٤٢٧ هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م ، ج ١٠ ، تحقيق : أبو محمد ابن عاشور ، ومراجعة : نظير الساعدي .

١١٩ / **تفسير الثوري** لسفيان بن سعيد بن مسروق الثوري ، أبو عبد الله (ت ١٦١ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٣هـ ، ج ١ .

١٢٠ / **تفسير الجلالين** لجلال الدين المحلي (ت ٨٦٤ هـ) وجلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ) ، دار الحديث ، القاهرة ، ط ١ ، ج ١ .

١٢١ / **تفسير الخازن** (لباب التأويل في معاني التنزيل) لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي ، المعروف بالخازن (ت ٧٢٥ هـ) ، دار الفكر ، بيروت / لبنان ، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م ، ط . د ، ج ٧ .

١٢٢ / **تفسير الخطيب الشربيني** (**السراج المنير** في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربِّنا الخبير) لمحمَّد بن أحمد الخطيب الشِّربيني المصري (ت ٩٧٧ هـ) ، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤ م ، ج ٤ ، خرَّج آياته وأحاديثه وعلَّق حواشيه : إبراهيم شمس الدين.

١٢٣ / **تفسير الزمخشري** (الكشاف عن حقائق التنزيل ، وعيون الأقاويل في وجوه التأويل) لجار الله محمود بن عمر الزمخشري ، أبو القاسم (ت ٥٣٨ هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط . د ، ج ٤ ، تحقيق : عبد الرزاق المهدي .

١٢٤ / **تفسير الزمخشري** (الكشاف عن حقائق التنزيل ، وعيون الأقاويل في وجوه التأويل) لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) ، وبذيله :

الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال لأحمد بن محمد بن منصور المعروف **بابن المنيِّر السَّكَنْدَري** (ت ٦٨٣ هـ) ، **والكاف الشاف في تخريج أحاديث الكشاف لابن حجر العسقلاني** (ت ٨٥٢ هـ) ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ط . د ، ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨ م ، مجلدين ، ج ٤ ، ضبط وتوثيق : أبي عبد الله الداني بن منير آل زهوي .

١٢٥ / **تفسير السعدي** (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي (ت ١٣٧٦ هـ) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٢١ هـ /٢٠٠٠م (ط . د) ، ج ١ ، اسم المحقق : ابن عثيمين .

١٢٦ / **تفسير السمرقندي** (بحر العلوم) نصر بن محمد بن أحمد السمرقندي ، أبو الليث (ت ٣٦٧ هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، ط . د ، ج ٣ ، اسم المحقق : د . محمود مطرجي .

١٢٧ / **تفسير السمعاني** (تفسير القرآن) لمنصور بن بحر بن عبد الجبار السمعاني ، أبو المظفر (ت ٤٨٩ هـ) ، دار الوطن ، الرياض ، ط ١ ، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م ، ج ٦ ، تحقيق : ياسر بن إبراهيم ، وغنيم بن عباس غنيم .

١٢٨ / **تفسير السمين الحلبي** (**الدر المصون** في علوم الكتاب المكنون) لأحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي ، أبو العباس (ت ٧٥٦ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤ م ، ج ٦ ، تحقيق وتعليق : علي محمد معوض ، وعادل أحمد عبد الموجود وجماعة .

١٢٩ / **تفسير السيوطي** (الدر المنثور في التفسير بالمأثور) لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، أبو الفضل (ت ٩١١ هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، ط . د ، ١٩٩٣م ، ج ٨ .

١٣٠ / **تفسير الشنقيطي** (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) للشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي (ت ١٣٩٣هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، ط . د ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م ، ج ٩ ، تحقيق : مكتب البحوث والدراسات .

١٣١ / **تفسير الشوكاني** (فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير) لمحمد بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٠ هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، ط . د ، ج ٥ .

١٣٢ / **تفسير الصنعاني** (تفسير القرآن) لعبد الرزاق بن همام الصنعاني ، أبو بكر (ت ٢١١ هـ) ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ط ١ ، ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م ، ج ٣ ، تحقيق : د. مصطفى مسلم محمد .

١٣٣ / **تفسير الطبري** (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) لمحمَّد بن جرير **الطَّبري** ، أبو جعفر (ت ٣١٠ هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، ط . د ، ١٤٠٥ هـ ، ج ٣٠ .

١٣٤ / **تفسير العز** (تفسير القرآن) لسلطان العلماء عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي (وهو اختصار النكت للماوردي) (ت ٦٦٠ هـ) ، دار ابن حزم ،

بيروت ، ط ١ ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م ، ج ٣ ، تحقيق وتعليق : د . عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله الوهيبي .

١٣٥ / **تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان** لنظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي **النيسابوري** (ت ٧٢٨ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت / لبنان ، ط ١ ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م ، ج ٦ ، تحقيق : الشيخ زكريا عميران .

١٣٦ / **تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم** لمحمد بن أبي نصر **الحميدي** (ت ٤٨٨ هـ) ، مكتبة السنة ، القاهرة / مصر ، ط ١ ، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م ، ج ١ تحقيق : الدكتورة : زبيدة محمد سعيد عبد العزيز .

١٣٧ / **تفسير الفخر الرازي** (التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب) لفخر الدين محمد بن عمر بن الحسين التميمي (ت ٦٠٦ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠ م ، ج ٣٢ .

١٣٨ / **تفسير القاسمي** (محاسن التأويل) لمحمد جمال الدين القاسمي (ت ١٣٣٢ هـ) ، دار الفكر ، بيروت / لبنان ، ط ٢ ، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م ، ١٠ مجلدات ، ج ١٧ .

١٣٩ / **تفسير القرطبي** (الجامع لأحكام القرآن) لمحمد بن أحمد القرطبي ، أبو عبد الله (ت ٦٧١ هـ) ، دار الشعب ، القاهرة ، ط . د ، ج ٢٠ .

١٤٠ / **تفسير القشيري** (لطائف الإشارات) لعبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري النيسابوري ، أبو القاسم الشافعي (ت ٤٦٥هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت / لبنان ، ط ١ ، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠ م ، ج ٣ ، تحقيق : عبد اللطيف حسن عبد الرحمن .

١٤١ / **التفسير القيِّم** لشمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي ، أبو عبد الله ، المعروف **بابن قيِّم الجوزية** أو **ابن القيِّم** (ت ٧٥١ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط . د ، ج ١.

١٤٢ / **تفسير مجاهد** بن جبر المخزومي ، أبو الحجاج (ت ١٠٤ هـ) ، المنشورات العلمية بيروت ، ط . د ، ج ٢ ، اسم المحقق : عبد الرحمن الطاهر محمد السورتي .

١٤٣ / **تفسير مقاتل** لمقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي ، أبو الحسن (ت ١٥٠ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م ، ج ٣ ، تحقيق : أحمد فريد .

١٤٤ / **تفسير النسفي** (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) لعبد الله بن أحمد النسفي ، أبو البركات (ت ٧١٠ هـ) ، ط . د ، ج ٤ .

١٤٥ / **تفسير الواحدي** (الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) لعلي بن أحمد الواحدي ، أبو الحسن (٤٨٦ هـ) ، دار القلم ، دمشق ، والدار الشامية بيروت ، ط ١ ، ١٤١٥هـ ، ج ٢ ، تحقيق : صفوان عدنان داوودي .

١٤٦ / **التفسير والمفسِّرون** للدكتور محمد حسين **الذهبي** (ت ١٣٩٨ هـ) ، دار الأرقم بن أبي الأرقم ، بيروت / لبنان ، ط . د ، ج ٣ ، قام بضبط نصوصه وخرَّج آياته وأحاديثه : أحمد الزعبي .

١٤٧ / **التفسير الوسيط** للقرآن الكريم للدكتور **محمَّد سيِّد طنطاوي** ، دار نهضة مصر ، القاهرة ، ط . د ، ج ١٥ .

١٤٨ / **تقريب التهذيب** لأحمد بن علي **بن حجر** العسقلاني ، أبو الفضل (ت ٨٥٢ هـ) ، دار الرشيد ، سوريا ، ط ١ ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م ، ج ١ ، تحقيق : محمد عوّامة .

١٤٩ / **التكملة لكتاب الصلة** محمد بن عبد الله **القضاعي** ، أبو عبد الله (ت ٦٥٨ هـ) ، دار الفكر للطباعة ، بيروت / لبنان ، ط . د ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م ، ج ٤ ، تحقيق : عبد السلام الهراس .

١٥٠ / **تلخيص الحبير** في أحاديث الرافعي الكبير لأحمد بن علي **بن حجر** ، أبو الفضل العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ) ، المدينة المنورة ، ط . د ، ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م ، ج ٤ ، تحقيق : السيد عبد الله هاشم اليماني المدني .

١٥١ / **التمهيد في تخريج الفروع على الأصول** لعبد الرحيم بن الحسن الأسنوي ، أبو محمد (ت ٧٧٢ هـ) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٠هـ ، ج ١ ، تحقيق : د . محمد حسن هيتو .

١٥٢ / **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والمسانيد** ليوسف بن عبد الله النمري ، أبو عمر ، الشهير **بابن عبد البرِّ** (ت ٤٦٣ هـ) ، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب ، ط . د ، ١٣٨٧هـ ، ج ٢٤ ، تحقيق : مصطفى بن أحمد العلوي ، ومحمد ابن عبد الكبير البكري .

١٥٣ / **تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة** لعلي بن محمد **الكناني** ، أبو الحسن (ت ٩٦٣ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٣٩٩ هـ ، ج ٢ تحقيق : عبد الوهاب عبد اللطيف ، وعبد الله محمد الصديق الغماري .

١٥٤ / **تنوير المقباس من تفسير ابن عباس** لمحمد بن يعقوب **الفيروز آبادي** ، أبو طاهر (ت ٨١٧ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت / لبنان ، ط . د ، ج ١ .

١٥٥ / **تهذيب الأسماء واللغات** لمحي الدين بن شرف **النووي** ، أبو زكريا (ت ٦٧٦هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٦ م ، ج ٣ ، تحقيق : مكتب البحوث والدراسات .

١٥٦ / **تهذيب التهذيب** لأحمد بن علي **بن حجر** العسقلاني الشافعي ، أبو الفضل (ت ٨٥٢ هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م ، ج ١٢ .

١٥٧ / **تهذيب اللغة** لمحمد بن أحمد **الأزهري** ، أبو منصور (٣٧٠ هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠١م ، ج ١٥ ، تحقيق : محمد عوض مرعب .

١٥٨ / **تهذيب الكمال في أسماء الرجال** يوسف بن الزكي عبد الرحمن **المزّي** ، أبو الحجَّاج (ت ٧٤٢ هـ) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م ، ج ٣٥ ، تحقيق : د . بشار عواد معروف .

١٥٩ / **توجيه النظر إلى أصول الأثر** لطاهر بن صالح بن أحمد **السموني الجزائري** (ت ١٣٣٨هـ) ، مكتبة المطبوعات الإسلامية ، حلب ، ط ١ ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م ج ٢ ، تحقيق : عبد الفتاح أبو غدة .

١٦٠ / **توحيد الألوهية لشيخ الإسلام** أحمد عبد الحليم **بن تيمية** الحراني ، أبو العباس (ت ٧٢٨ هـ) ، مكتبة ابن تيمية ، ط ٢ ، ج ١ ، تحقيق : عبد الرحمن بن محمد النجدي .

١٦١ / **توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم** لابن ناصر الدين شمس الدين محمد بن عبد الله بن محمد **القيسي الدمشقي** (ت ٨٤٢هـ) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٣م ، ج ٩ ، تحقيق : محمد نعيم العرقسوسي .

١٦٢ / **التوقيف على مهمات التعاريف** لمحمَّد بن عبد الرءوف **المناوي** (ت ١٠٣١ هـ) ، دار الفكر المعاصر ببيروت ، ودار الفكر بدمشق ، ط ١ ، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م ، ج ١ ، تحقيق : د . محمد رضوان الداية .

١٦٣ / **التيسير في القراءات السبع** لعثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد **الداني** ، أبو عمرو (ت ٤٤٤ هـ) ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ، ج ١ ، تحقيق : أوتو تريزل .

(ث)

١٦٤ / **الثقات** لمحمد **بن حبان** بن أحمد التميمي البستي ، أبو حاتم (ت ٣٥٤ هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، ط ١ ، ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م ، ج ٩ ، تحقيق : السيد شرف الدين أحمد .

(ج ، ح ، خ)

١٦٥ / **جامع الأحاديث** (**الجامع الصغير وزوائده والجامع الكبير**) لجلال الدين عبد الرحمن ابن أبي بكر **السيوطي** (ت ٩١١ هـ) ، ط . د ، ج ٢١ .

١٦٦ / **جامع بيان العلم وفضله** ليوسف بن عبد الله **بن عبد البرِّ** النمري ، أبو عمر (ت ٤٦٣ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط . د ، ١٣٩٨هـ ، ج ٢ .

١٦٧ / **جامع الرسائل لشيخ الإسلام** أحمد بن عبد الحليم **بن تيمية** الحراني ، أبو العباس (ت ٧٢٨ هـ) ، مصر ، ط . د ، ج ١ ، تحقيق : محمد رشاد رفيق سالم .

١٦٨ / **جامع العلوم والحكم** في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم لزين الدين عبد الرحمن **بن شهاب الدين البغدادي** ، أبو الفرج (ت ٧٩٥ هـ) ، مؤسسة الرسالة بيروت ، ط ٧ ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م ، ج ١ ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط / إبراهيم باجس .

١٦٩ / **الجرح والتعديل لعبد الرحمن بن أبي حاتم** لمحمد بن إدريس أبو محمد الرازي التميمي (ت ٣٢٧ هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط ١ ، ١٢٧١ هـ / ١٩٥٢ م ، ج ٩ .

١٧٠ / **الجمل في النحو** لخليل بن أحمد **الفراهيدي** (ت ١٧٥ هـ) ، ط ٥ ، ١٤١٦هـ ١٩٩٥م ، ج ١ ، تحقيق : د . فخر الدين قباوة .

١٧١ / **جمهرة أشعار العرب** لمحمد بن أبي الخطاب **القرشي** ، أبو زيد (ت ١٧٠ هـ) ، دار الأرقم ، بيروت ، ط . د ، ج ١ ، تحقيق : عمر فاروق الطباع .

١٧٢ / **جمهرة أنساب العرب** لعلي بن أحمد بن سعيد **بن حزم** الأندلسي ، أبو محمد (ت ٤٥٦ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت / لبنان ، ط ٣ ، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م ج ٢ .

١٧٣ / **جمهرة اللغة** لمحمد بن الحسن **بن دريد** (ت ٣٢١ هـ) ط ١ ، ج ٣ ، تحقيق : رمزي منير بعلبكي .

١٧٤ / **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح** لشيخ الإسلام أحمد عبد الحليم بن عبد السلام **ابن تيمية** ، أبو العباس الحراني (ت ٧٢٨هـ) ، مطبعة المدني ، مصر ، ط . د ، ج ٦ تحقيق : علي سيد صبح المدني .

١٧٥ / **الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي** (**الداء والدواء**) لشمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي ، أبو عبد الله ، المعروف **بابن قيِّم الجوزية** (ت ٧٥١ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط . د ، ج ١ .

١٧٦ / **الجواهر المضية في طبقات الحنفية** لعبد القادر محمد بن نصر الله القرشي ، أبو محمد المعروف **بابن أبي الوفاء الحنفي** (ت ٧٧٥ هـ) ، نشر : مير محمد كتب خانة ، كراتشي ، ط . د ، ج ٢ .

١٧٧ / **حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح** لشمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي ، أبو عبد الله ، المعروف **بابن قيِّم الجوزية** أو **ابن القيِّم** (ت ٧٥١ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط . د ، ج ١ .

١٧٨ / **حاشية ابن القيم على سنن أبي داود** لشمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي ، أبو عبد الله ، المعروف **بابن قيِّم الجوزية** أو **ابن القيِّم** (ت ٧٥١ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥ م ، ج ١٤ .

١٧٩ / **حاشية رد المختار على الدر المختار** شرح تنوير الأبصار فقه أبو حنيفة (**المعروفة بحاشية ابن عابدين**) لمحمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي (ت ١٢٥٢ هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، ط . د ، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م ، ج ٨ .

١٨٠ / **حاشية الشِّهاب** المسمَّاة (عناية القاضي وكفاية الرَّاضيْ) للقاضي شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر **الخفاجي** (ت سنة ١٠٦٩ هـ) على تفسير البيضاوي للإمام أبي سعيد ناصر الدين عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (ت ٦٨٥ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط ١ ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧ م ، ج ٩ ، ضبطه وخرَّج آياته وأحاديثه : الشيخ عبد الرزاق المهدي .

١٨١ / **حاشية الصبان** على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك لمحمد بن علي الصبان (ت سنة ١٢٠٦ هـ) ، ومعه شرح الشواهد للعيني ، ج ٤ ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، ط . د ، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م .

١٨٢ / **الحاوي للفتاوي** في الفقه وعلوم التفسير والحديث والأصول والنحو والاعراب وسائر الفنون لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر **السيوطي** (ت ٩١١ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت / لبنان ، ط ١ ، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م ، ج ٢ ، تحقيق : عبد اللطيف حسن عبد الرحمن .

١٨٣ / **حجة القراءات** لعبد الرحمن بن محمد **ابن زنجلة** ، أبو زرعة (ت ٤٠٣ هـ) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٣٩٤هـ ، ط . د ، ج ١ ، اسم المحقق : سعيد الأفغاني .

١٨٤ / **الحجة في القراءات السبع** للحسين بن أحمد ، الشهير **بابن خالويه** ، أبو عبد الله (ت ٣٧٠ هـ) ، دار الشروق ، بيروت ، ط ٤ ، ١٤٠١هـ ، ج ١ ، تحقيق : د . عبد العال سالم مكرم .

١٨٥ / **حروف المعاني** لعبد الرحمن بن إسحاق **الزَّجَّاجي** ، أبو القاسم (ت ٣٤٠هـ) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٤م ، ج ١ ، تحقيق : علي توفيق الحمد .

١٨٦ / **حسن الأسوة بما ثبت من الله ورسوله في النسوة** لمحمد صديق حسن خان **الفتوحي** (ت ١٣٠٧هـ) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٥ ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م ، ج ١ تحقيق : د . مصطفى الخن ، ومحي الدين ستو .

١٨٧ / **حلية الأولياء** وطبقات الأصفياء لأحمد بن عبد الله **الأصفهاني** ، أبو نعيم (ت ٤٣٠ هـ) ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ٤ ، ١٤٠٥هـ ، ج ١٠ .

١٨٨ / **حياة الحيوان الكبرى** لكمال الدين محمد بن موسى بن عيسى **الدميري** (ت ٨٠٨ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت / لبنان ، ط ٢ ، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣م ج ٢ ، تحقيق : أحمد حسن بسج .

١٨٩ / **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب** لعبد القادر بن عمر البغدادي (١٠٩٣ هـ) دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٨م ، ج ١١ ، تحقيق : محمد نبيل طريقي ، وأميل بديع اليعقوب .

١٩٠ / **الخصائص** لعثمان **بن جني** ، أبو الفتح (ت ٣٩٢ هـ) ، عالم الكتب ، بيروت ، ط . د ، ج ٣ ، تحقيق : محمد علي النجار .

١٩١ / **الخصائص الكبرى** لجلال الدين عبد الرحمن أبي بكر **السيوطي** ، أبو الفضل (ت ٩١١هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط . د ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ، ج ٢ .

١٩٢ / **خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر** لتقي الدين محمد أمين بن فضل الله **المحبي** الحنفي (ت ١١١١ هـ) ، دار صادر ، بيروت ، ط . د ، ج ٤ .

١٩٣ / **خلاصة البدر المنير في تخريج كتاب الشرح الكبير للرافعي** لسراج الدين عمر بن علي بن أحمد الأنصاري الشافعي ، أبو حفص ، المعروف **بابن الملقن** (ت ٨٠٤ هـ) مكتبة الرشد ، الرياض ، ط ١ ، ١٤١٠ هـ ، ج ٢ ، تحقيق : حمدي عبد المجيد إسماعيل السلفي .

(د ، ذ)

١٩٤ / **الدعاء** لسليمان بن أحمد **الطبراني** ، أبو القاسم (ت ٣٦٠ هـ) ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط ١ ، ١٤١٣ هـ ، ج ١ ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا .

١٩٥ / **درء تعارض العقل والنقل** أو موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول **لشيخ الإسلام** أحمد بن عبد السلام بن عبد الحليم **بن تيمية** ، أبو العباس الحراني (ت ٧٢٨ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط . د ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م ، ج ١٠ ، تحقيق : عبد اللطيف عبد الرحمن .

١٩٦ / **دراسات في علوم القرآن الكريم** للأستاذ الدكتور/ **فهد** بن عبد الرحمن بن سليمان **الرومي** (أستاذ الدراسات القرآنية بكلية المعلمين بالرياض) ط ١٤ ، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م .

١٩٧ / **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد العسقلاني** ، أبو الفضل (ت ٨٥٢ هـ) ، نشر : مجلس دائرة المعارف العثمانية بالهند ط٢ ، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م ، ج ٦ ، أشرف على الطبع : محمد بن عبد المعيد خان .

١٩٨ / **دفع إيهام الإضطراب عن آيات الكتاب** للشيخ محمد الأمين الجكني **الشنقيطي** (ت ١٣٩٣ هـ) ، مكتبة ابن تيمية ، ط ١ ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م ، ج ١ .

١٩٩ / **دلائل الإعجاز** لعبدُ القاهِر بنُ عبد الرَحمنِ بنِ محمّدٍ **الجُرجانيُّ** (ت ٤٧١ هـ) ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م ، ج ١ ، تحقيق : د . التنجي .

٢٠٠ / **دلائل النبوة** لأحمد بن عبد الله **الأصبهاني** ، أبو نعيم (ت ٤٣٠ هـ) ، دار طيبة الرياض ، ط ١ ، ١٤٠٩ هـ ، ج ١ ، تحقيق : محمد محمد الحداد .

٢٠١ / **دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة** لأحمد بن الحسين **البيهقي** ، أبو بكر (ت ٤٥٨ هـ) مؤسسة البراق ، ط . د ، ج ٧ .

٢٠٢ / **الديباج المذهب** في معرفة أعيان علماء المذهب لإبراهيم بن علي بن محمد **بن فرحون** اليعمري المالكي (ت ٧٩٩ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط . د ، ج ١ .

٢٠٣ / **ديوان الأخطل** لغياث بن غوث بن الصلت التغلبي الأخطل ، أبو مالك (ت ٩٠ هـ) ، ط . د ، ج ١ .

٢٠٤ / **ديوان الأعشى** ليهون بن قيس بن جندل الوائلي ، أبو بصير المعروف بأعشى قيس (ت ٧ هـ) ، ط . د ، ج ١ .

٢٠٥ / **ديوان الإمام الشَّافعي** لمحمَّد بن إدريس الشَّافعي ، أبو عبد الله (ت ٢٠٤ هـ) ، ط . د ، ج ١ .

٢٠٦ / **ديوان جرير** لجرير بن عطية بن حذيفة الخطفي بن بدر الكلبي اليربوعي (ت سنة ١١٠ هـ أو : سنة ١١١ هـ) ، ط . د ، ج ١ .

٢٠٧ / **ديوان حسَّان بن ثابت** ﷺ ، ط . د ، ج ١ .

٢٠٨ / **ديوان ذو الرّمَّة** ، غيلان بن عقبة بن نهيس بن مسعود العدوي ، أبو الحارث (ت ١١٧ هـ) ، ط . د ، ج ١ .

٢٠٩ / **ديوان زهير بن أبي سلمى** ربيعة بن رياح المزني (ت سنة ١٣ قبل الهجرة) ، ط . د ج ١ .

٢١٠ / **ديوان علقمة الفحل** لعلقمة بن بن عَبَدة بن ناشرة بن قيس ، معروف بعلقمة الفحل ، (ت نحو ٢٠ قبل الهجرة) ط . د ، ج ١ .

٢١١ / **ديوان طرفة بن العبد** لطرفة بن العبد بن سفيان بن سعد البكري الوائلي ، أبو عمرو (ت سنة ٦٠ قبل الهجرة) ، ط . د ، ج ١ .

٢١٢ / **ديوان لبيد بن ربيعة العامري** ، دار صادر ، بيروت ، ط . د ، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م ج ١ .

٢١٣ / **ديوان لسان الدين ابن الخطيب** ، لمحمد بن عبد الله بن سعيد السلماني اللوشي الأصل الغرناطي الأندلسي ، أبو عبد الله ، الشهير بلسان الدين ابن الخطيب (ت ٧٧٦ هـ) ط . د ، ج ١ .

٢١٤ / **ديوان ابن معصوم المدني** لعلي بن أحمد بن محمد معصوم الحسني الحسيني ، المعروف بعلي خان بن ميرزا أحمد ، الشهير بابن مَعْصُوم (ت سنة ١١١٩ هـ أو ١١١٧ هـ) ط . د ، ج ١ .

٢١٥ / **ديوان النابغة الذبياني** ، زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني الغطفاني المضري ، أبو أمامة (ت نحو ١٨ قبل الهجرة) ، ط . د ، ج ١ .

٢١٦ / **الذخيرة** في محاسن أهل الجُزيّرة لأبي الحسن علي **بن بسام الشنتريني** (ت ٥٤٢هـ) دار الثقافة ، بيروت ، ط . د ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م ، ج ٨ ، تحقيق : إحسان عباس .

(ر)

٢١٧ / **الرد على الأخنائي واستحباب زيارة خير البرية لشيخ الإسلام** أحمد عبد الحليم **بن تيمية** الحراني ، أبو العباس (ت ٧٢٨ هـ) ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، ط . د ، ج ١ ، تحقيق : عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني .

٢١٨ / **الرد على الزنادقة والجهمية لأحمد بن حنبل الشيباني** ، أبو عبد الله (ت ٢٤١ هـ) المطبعة السلفية ، القاهرة ، ط . د ، ١٣٩٣ هـ ، ج ١ ، تحقيق : محمد حسن راشد .

٢١٩ / **الرد على المنطقيين لشيخ الإسلام** أحمد عبد الحليم **بن تيمية** الحراني ، أبو العباس (ت ٧٢٨ هـ) ، دار المعرفة ، بيروت ، ط . د ، ج ١ .

٢٢٠ / **الرسالة** للإمام محمد بن إدريس **الشَّافعي** (ت ٢٠٤ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م ، ج ١ ، تحقيق : أحمد محمد شاكر .

٢٢١ / **رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب** لتاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي **السُّبكي** ، أبو نصر (ت ٧٧١ هـ) ، عالم الكتب ، لبنان / بيروت ، ط ١ ١٩٩٩م / ١٤١٩هـ ، ج ٤ ، تحقيق : علي محمد معوض ، عادل أحمد عبد الموجود .

٢٢٢ / **الرُّوح** في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسُّنة لشمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي ، أبو عبد الله ، المعروف **بابن قيِّم الجوزية** أو **ابن القيِّم** (ت ٧٥١ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط . د ، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م ، ج ١ .

٢٢٣ / **الروض الأنف** لعبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الخثعمي **السهيلي** المالكي النحوي ، أبو القاسم (ت ٥٨١ هـ) ، ط . د ، ج ٤ .

٢٢٤ / **روضة الناظر** وجنة المناظر لعبد الله بن أحمد **بن قدامة المقدسي** ، أبو محمد (ت ٦٢٠ هـ) ، جامعة الإمام محمد بن سعود ، الرياض ، ١٣٩٩ هـ ، ط ٢ ، ج ١ تحقيق : د . عبد العزيز عبد الرحمن السعيد .

٢٢٥ / **روضة الطالبين وعمدة المفتين** لمحيي الدين يحيى بن شرف **النووي** ، أبو زكريا (ت ٦٧٦ هـ) ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤٠٥ هـ ، ج ١٢ .

٢٢٦ / **ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب** لمحمد بن عبد الله بن سعيد السلماني اللوشي الأصل ، الغرناطي الأندلسي ، أبو عبد الله ، الشهير **بلسان الدين ابن الخطيب** (ت ٧٧٦ هـ) ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط ١ ، ١٩٨٠م ، ج ٢ ، تحقيق : محمد عبد الله عنان .

٢٢٧ / **زاد المعاد في هدي خير العباد** لشمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي ، أبو عبد الله ، المعروف **بابن قيِّم الجوزية** أو **ابن القيِّم** (ت ٧٥١ هـ) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، مكتبة المنار الإسلامية ، الكويت ، ط ١٤ ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٦ م ، ج ٥ ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط ، وعبد القادر الأرناؤوط .

٢٢٨ / **الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي** لمحمد بن أحمد الأزهري ، أبو منصور (ت ٣٧٠ هـ) وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ، الكويت ، ط ١ ، ١٣٩٩ هـ ، ج ١ ، تحقيق : د. محمد جبر الألفي .

٢٢٩ / **الزاهر في معاني كلمات الناس** لمحمد بن القاسم **الأنباري** ، أبو بكر (ت ٣٢٨ هـ) مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م ، ج ٢ ، تحقيق : د . حاتم صالح الضامن .

٢٣٠ / **زهر الآداب وثمر الألباب** لإبراهيم بن علي **الحصري القيرواني** ، أبو إسحاق (ت ٤٥٣هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت / لبنان ، ط ١ ، ١٤١٧ هـ /١٩٩٧م ، ج ٢ ، تحقيق : أ . د . يوسف على طويل .

(س)

٢٣١ / **سبل الهدى والرشاد** في سيرة خير العباد لمحمد بن يوسف **الصالحي الشامي** (ت ٩٤٢ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٤هـ ، ج ١٢ ، تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود – علي محمد معوض .

٢٣٢ / **السبعة في القراءات** أحمد بن موسى البغدادي ، أبو بكر الشهير **بابن مجاهد** (ت ٣٢٤ هـ) ، دار المعارف ، مصر ، ط ٢ ، ١٤٠٠هـ ، ج ١ ، تحقيق : شوقي ضيف .

٢٣٣ / **سرُّ صناعة الإعراب** لعثمان **ابن جني** ، أبو الفتح (ت ٣٩٢ هـ) ، دار القلم ، دمشق ، ط ١ ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ، ج ٢ ، تحقيق : د . حسن هنداوي .

٢٣٤ / **سنن ابن ماجه** لمحمد بن يزيد القزويني ، أبو عبد الله (ت ٢٧٥ هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، ط . د ، ج ٢ ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي .

٢٣٥ / **سنن أبي داود** لسليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي (ت ٢٧٥ هـ) ، دار الفكر ، ط . د ، ج ٤ ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد .

٢٣٦ / **سنن الترمذي** (الجامع الصحيح) لمحمد بن عيسى بن سورة الترمذي ، أبو عيسى (ت ٢٧٩ هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط . د ، ج ٥ ، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون .

٢٣٧ / **سنن سعيد بن منصور (٢)** لسعيد بن منصور (ت ٢٢٧ هـ) ، دار العصيمي الرياض ، ط ١ ، ١٤١٤ هـ ، ج ٥ ، تحقيق : د. سعد بن عبد الله بن عبد العزيز آل حميد .

٢٣٨ / **السنن الكبرى** لأحمد بن الحسين **البيهقي** ، أبو بكر (ت ٤٥٨ هـ) ، مكتبة الباز مكة المكرمة ، ط . د ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م ، ج ١٠ ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا .

٢٣٩ / **السنن الكبرى** لأحمد بن شعيب النسائي ، أبو عبد الرحمن (ت ٣٠٣ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م ، ج ٦ ، تحقيق : د . عبد الغفار سليمان البنداري ، وسيد كسروي حسن .

٢٤٠ / **السنن والمبتدعات المتعلقة بالأذكار والصلوات لمحمد عبد السلام خضر الشقيري** دار الفكر ، ط . د ، ج ١ ، تحقيق : محمد خليل هراس .

٢٤١ / **السنة** لأحمد بن محمد بن هارون بن يزيد **الخلاَّل** ، أبو بكر (ت ٣١١ هـ) ، دار الراية ، الرياض ، ط ١ ، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م ، ج ٣ ، تحقيق : د . عطية الزهراني .

٢٤٢ / **سير أعلام النبلاء** لمحمد بن أحمد بن عثمان **الذهبي** ، أبو عبد الله (ت ٧٤٨ هـ) مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٧ ، ١٤١٠هـ ، ج ٢٣ ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط وجماعة .

٢٤٣ / **سيرة ابن إسحاق** (المبتدأ والمبعث والمغازي) لمحمد بن إسحاق بن يسار (ت ١٥١هـ) ، معهد الدراسات والأبحاث للتعريف ، ط . د ، ج ٣ ، تحقيق : محمد حميد الله .

٢٤٤ / **السيرة النبوية** لعبد الملك **ابن هشام** المعافري ، أبو محمد (ت ٢١٣ هـ) ، دار الجيل ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١١هـ ، ج ٦ ، تحقيق : طه عبد الرءوف سعد .

٢٤٥ / **السيرة الحلبية** في سيرة الأمين المأمون لعلي بن برهان الدين **الحلبي** (ت ١٠٤٤ هـ) دار المعرفة ، بيروت ، ط . د ، ١٤٠٠هـ ، ج ٣ .

(ش)

٢٤٦ / **شبهات الرافضة حول الصحابة ﷺ وردها** لعلي بن نايف **الشحود** ، ط . د ، ج ٢ .

٢٤٧ / **شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك** للقاضي بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي المصري الهمداني (ت ٧٦٩هـ) ، دار الفكر ، سوريا ، ط . د ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ، ج ٤ ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد .

٢٤٨ / **شرح ديوان الحماسة** لأبي تمام لحيى بن علي بن محمد الشيباني **التبريزي** (ت ٧٤١ هـ) ، دار القلم ، بيروت ، ط . د ، ج ٢ .

٢٤٩ / **شرح السنة** للحافظ الحسين بن مسعود **البغوي** (ت ٥١٦ هـ) ، المكتب الإسلامي دمشق ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ، ج ١٥ ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط محمد زهير الشاويش .

٢٥٠ / **شرح سنن ابن ماجه** لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر **السيوطي** (ت ٩١١ هـ) ، ط . د ، ج ١ .

٢٥١ / **شرح صحيح البخاري** لعلي بن خلف بن عبد الملك **بن بطال** البكري القرطبي ، أبو الحسن (ت ٤٤٩هـ) مكتبة الرشد ، السعودية / الرياض ، ط ٢ ، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م ، ج ١٠ ، تحقيق : أبو تميم ياسر بن إبراهيم .

٢٥٢ / **شرح العقيدة الطحاوية** لصدر الدين محمد بن علاء الدين الأذرعي، المعروف **بابن أبي العز الحنفي** (ت ٧٩٢ هـ) ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط ٤ ، ١٣٩١ هـ ، ج ١ .

٢٥٣ / **شرح العقيدة الطحاوية** لمحمد ناصر الدين **الألباني** (ت ١٤٢٠ هـ) ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤١٤هـ ، ج ١ .

٢٥٤ / **شرح العمدة في الفقه** لأحمد بن عبد الحليم **بن تيمية** الحراني أبو العباس (ت ٧٢٨ هـ) ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، ط ١ ، ١٤١٣ هـ ، ج ٤ ، تحقيق : د . سعود صالح العطيشان .

٢٥٥ / **شرح قطر الندى** وبل الصدى عبد الله جمال الدين **بن هشام** الأنصاري ، أبو محمد (ت ٧٦١ هـ) ، القاهرة ، ط ١١ ، ١٣٨٣ هـ ، ج ١ ، تحقيق : محمد محيى الدين عبد الحميد .

٢٥٦ / **شرح القواعد الفقهية** لأحمد بن محمد **الزرقا** (ت ١٣٥٧ هـ) ، دار القلم ، دمشق ط ٢ ، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م ، ج ١ ، صحَّحه وعلَّق عليه : مصطفى أحمد الزرقا .

٢٥٧ / **شرح كتاب ثَلاثة الأُصُولْ** للشيخ محمد بن عبد الوهاب للشيخ **صالح** بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم **آل الشيخ** ، ط . د ، ج ٢٢ .

٢٥٨ / **شرح الكوكب المنير** المسمَّى (مختصر التحرير) أو (المختبر المبتكر شرح المختصر في أصول الفقه) لمحمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوحي الحنبلي المعروف **بابن النجار** (ت ٩٧٢ هـ) جامعة أم القرى ، معهد البحوث العلمية ، ١٤١٣ هـ ، ط ٢ ، تحقيق : د . محمد الزحيلي ، د . نزيه حماد ، ج ٤ .

٢٥٩ / **شرح مشكل الآثار** لأحمد بن محمد بن سلامة **الطحاوي** ، أبو جعفر (ت ٣٢١ هـ) ، مؤسسة الرسالة ، لبنان / بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م ، ج ١٥ ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط .

٢٦٠ / **شرح المقاصد في علم الكلام** لسعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني (ت ٧٩١ هـ) ، دار المعارف النعمانية ، باكستان ، ط ١ ، ١٤٠١هـ ، ج ٢ .

٢٦١ / **شرح (مقدمة في أصول التفسير)** لشيخ الإسلام ابن تيمية للشيخ محمد بن صالح **العثيمين** ، مدار الوطن للنشر ، الرياض ، ط . د ، ١٤٢٦ هـ ، ج ١ .

٢٦٢ / **شرح (مقدمة في أصول التفسير)** لشيخ الإسلام ابن تيمية للدكتور محمد بن عمر ابن سالم **بازمول** ، مجموعة محاضرات ، فرغ الأشرطة وضبط الآيات والأحاديث وخرجها : بعض طلبة العلم ، ١٤٢٣ هـ - ١٤٢٤هـ .

٢٦٣ / **شرح (مقدمة في أصول التفسير)** لشيخ الإسلام ابن تيمية للدكتور مساعد بن سليمان **الطيار** ، الأستاذ المساعد بكلية المعلمين بالرياض ، دار ابن الجوزي ، ط ٢ ، ١٤٢٨ هـ ، ج ١ .

٢٦٤ / **شرح منتهى الإرادات** المسمَّى : (دقائق أولي النهى لشرح المنتهى) لمنصور بن يونس ابن إدريس **البهوتي** (ت ١٠٥١ هـ) ، عالم الكتب ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٩٦ م ، ج ٣ .

٢٦٥ / **شرح نخبة الفكر** في مصطلحات أهل الأثر لأبي الحسن على بن سلطان محمد القاري الهروي المعروف " **بملا على القاري** " (ت ١٠١٤هـ) ، دار الأرقم ، لبنان / بيروت ، ط . د ، ج ١ ، قدم له : الشيخ عبد الفتح أبو غدة ، حققه وعلق عليه : محمد نزار تميم ، وهيثم نزار تميم .

٢٦٦ / **شرح نهج البلاغة** لعز الدين بن هبة الله بن محمد بن محمد **بن أبي الحديد المدائني** ، أبو حامد (ت ٦٥٥ هـ) دار الكتب العلمية ، بيروت / لبنان ، ط ١ ، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م ، ج ٢٠ ، تحقيق : محمد عبد الكريم النمري .

٢٦٧ / **شذرات الذهب في أخبار من ذهب** لعبد الحي بن أحمد العكري ، الشهير **بابن العماد الحنبلي** (ت ١٠٨٩ هـ) ، دار ابن كثير ، دمشق ، ط ١ ، ١٤٠٦هـ ، ج ٨ ، تحقيق : عبد القادر ومحمود الأرناؤوط ،.

٢٦٨ / **شعب الإيمان** لأحمد بن الحسين **البيهقي** ، أبو بكر (ت ٤٥٨ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٠هـ ، ج ٧ ، تحقيق : محمد السعيد بسيوني زغلول .

٢٦٩ / **الشفاء بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض** بن موسى اليحصبي (ت ٥٤٤ هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، ط . د ، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م ، مجلد واحد ، ج ٢ ، تحقيق : كمال بسيوني زغلول المصري .

٢٧٠ / **شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل** لشمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي ، أبو عبد الله ، المعروف **بابن قيِّم الجوزية** أو **ابن القيِّم** (ت ٧٥١ هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، ط . د ، ١٣٩٨ هـ ج ١ ، تحقيق : محمد بدر الدين أبو فراس النعساني الحلبي .

٢٧١ / **الشقائق النعمانية** في علماء الدولة العثمانية **لطاشكبري زادة** (ت ٩٦٨ هـ) ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط . د ، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م ، ج ١ .

(ص)

٢٧٢ / **الصارم المنكي في الرد على السبكي** لمحمد بن أحمد بن عبد الهادي بن قدامة **المقدسي** ، أبو عبد الله (ت ٧٤٤ هـ) مكتبة التوعية الإسلامية ، ط . د ، ج ١ ، تحقيق : إسماعيل بن محمد الأنصاري .

٢٧٣ / **صبح الأعشى** في كتابة الإنشا **للقلقشندي** ، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري (ت ٨٢١هـ) ، وزارة الثقافة ، دمشق ، ط . د ، ١٩٨١ م ، ج ١٤ ، تحقيق : عبد القادر زكار .

٢٧٤ / **الصِّحاح** لإسماعيل بن حماد **الجوهري** الفارابي ، أبو نصر (ت ٣٩٨ هـ) بحواشي عبد الله بن بري بن عبد الجبار المقدسي المصري محمد ابن أبي الوحش ، أبو محمد (ت ٥٨٢ هـ) ، وكتاب الوشاح للتادلي ؛ عبد الرحمن بن عبد العزيز المغربي ، أبو زيد (ت نحو ١٢٠٠ هـ) ، دار أحياء التراث العربي ، بيروت / لبنان ، ط ٤ ، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م ، ج ٥ ، اعتنى بها : مكتب التحقيق بدار إحياء التراث العربي .

٢٧٥ / **صحيح ابن حبان** (الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان لعلي بن بلبان بن عبد الله علاء الدين الفارسي ، المنعوت **بالأمير** : ت ٧٣٩ هـ) للحافظ أبي حاتم محمد **بن حبان** التميمي البستي (ت ٣٥٤ هـ) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م ، ج ١٦ ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط .

٢٧٦ / **صحيح البخاري** (الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله ﷺ وسننه وأيامه) (ت ٢٥٦ هـ) ، تحقيق : د. مصطفى ديب البغا ، دار ابن كثير ، واليمامة ببيروت ط٣ ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م ، ج ٦ .

٢٧٧ / **صحيح مسلم** لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري (ت ٢٦١ هـ) ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، سنة ١٣٧٤هـ / ١٩٥٤م ج ٤ .

٢٧٨ / **صحيح مسلم بشرح النووي** لمحيي الدين يحيى بن شرف **النووي** ، أبو زكريا (ت ٦٧٦ هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط ٢ ، ١٣٩٢ هـ ، ج ١٨ .

٢٧٩ / **صفة جزيرة الأندلس** منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار لمحمد بن عبد الله بن عبد المنعم **الحميري** ، أبو عبد الله (ت بعد ٨٦٦ هـ) ، ط. د ، ج ١ .

٢٨٠ / **صفة الصفوة** لعبد الرحمن بن علي بن محمد **ابن الجوزي** ، أبو الفرج (ت ٥٩٧ هـ) ، دار المعرفة ، بيروت ، ط ٢ ، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م ، ج ٤ ، تحقيق : محمود فاخوري ، د . محمد رواس قلعه جي .

٢٨١ / **الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة** لشمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن سعد الزرعي الدمشقي ، أبو عبد الله ، المعروف **بابن قيِّم الجوزية** أو **ابن القيِّم**

(ت ٧٥١ هـ) ، دار العاصمة ، الرياض ، ط ٣ ، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م ، ج ٤ ، تحقيق : د . علي بن محمد الدخيل الله .

(ض)

٢٨٢ / **الضعفاء الكبير** لمحمد بن عمرو **العقيلي** ، أبو جعفر (ت ٣٢٢ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م ، ج ٤ ، تحقيق : د . عبد المعطي أمين قلعجي .

٢٨٣ / **الضعفاء والمتروكين** لعبد الرحمن بن علي بن محمد **بن الجوزي** ، أبو الفرج (ت ٥٩٧ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٦ هـ ، ج ٣ ، تحقيق : عبد الله القاضي .

٢٨٤ / **الضوء اللامع** لأهل القرن التاسع لشمس الدين محمد بن عبد الرحمن **السخاوي** (ت ٩٠٢ هـ) ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ط . د ، ج ١٢ .

(ط ، ظ)

٢٨٥ / **طبقات الحفاظ** لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر **السيوطي** (ت ٩١١ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٣هـ ، ج ١ .

٢٨٦ / **طبقات الحنابلة** لمحمد بن بحر الفرَّاء ، المعروف **بابن أبي يعلى** ، أبو الحسين (ت ٥٢١ هـ) ، دار المعرفة ، بيروت ، ط . د ، ج ٢ ، تحقيق : محمد حامد الفقي .

٢٨٧ / **طبقات الشافعية** لأبي بكر بن أحمد **بن قاضي شهبة** (ت ٨٥١ هـ) ، عالم الكتب بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٧هـ ، ج ٤ ، تحقيق : د . الحافظ عبد العليم خان .

٢٨٨ / **طبقات الشافعية الكبرى** لتاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي **السُّبكي** أبو نصر (ت ٧٧١ هـ) ، دار هجر للطباعة ، ط ٢ ، ١٤١٣هـ ، ج ١٠ ، تحقيق : د . محمود محمد الطناحي ، د. عبد الفتاح محمد الحلو .

٢٨٩ / **طبقات فحول الشعراء** (طبقات الشعراء الجاهليين والإسلاميين) لمحمد بن سلاّم **الجمحي** (ت ٢٣١ هـ) ، دار المدني ، جدة ، ط . د ، ج ٢ ، تحقيق : محمود محمد شاكر .

٢٩٠ / **طبقات الفقهاء** لإبراهيم بن علي **الشيرازي** ، أبو إسحاق (٤٧٦ هـ) ، دار القلم ، بيروت ، ط . د ، ج ١ ، تحقيق : خليل الميس .

٢٩١ / **طبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها** لعبد الله بن محمد **بن حبان الأصبهاني** ، أبو محمد (ت ٣٦٩ هـ) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م ، ج ٤ ، تحقيق : د . عبد الغفور عبد الحق البلوشي .

٢٩٢ / **طبقات المفسرين** لجلال الدين **السيوطي** (ت ٩١١ هـ) ، مكتبة وهبة ، القاهرة ط ١ ، ١٣٩٦هـ ، ج ١ ، تحقيق : علي محمد عمر .

٢٩٣ / **طبقات المفسرين** لمحمد بن علي بن أحمد **الداوودي** (ت ٩٤٥ هـ) ، مكتبة العلوم والحكم ، السعودية ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م ، ط ١ ، ج ١ ، تحقيق : سليمان ابن صالح الخزي .

٢٩٤ / **الطبقات الكبرى** لمحمد **بن سعد** بن منيع البصري الزهري ، أبو عبد الله (ت ٢٣٠ هـ) دار صادر ، بيروت ، ط . د ، ج ٨ .

٢٩٥ / **طرح التثريب في شرح التقريب** لزين الدين عبد الرحيم بن الحسيني **العراقي** ، أبو الفضل (ت ٨٠٦ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٠م ، ج ٨ ، تحقيق : عبد القادر محمد علي .

٢٩٦ / **ظلال الجنة في تخريج السنة** لابن أبي عاصم (أحمد بن عمرو بن أبي عاصم الضحاك ابن مخلد الشيباني ت ٢٨٧ هـ) لمحمد ناصر الدين **الألباني** ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط ٣ ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣ م ، ج ٢ .

(ع)

٢٩٧ / **العبر في خبر من غبر** لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨ هـ) ، مطبعة حكومة الكويت ، ط ٢ ، ١٩٨٤م ، ج ٥ ، تحقيق : د . صلاح الدين المنجد .

٢٩٨ / **عدة الصابرين** وذخيرة الشاكرين لشمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي ، أبو عبد الله ، المعروف **بابن قيِّم الجوزية** أو **ابن القيِّم** (ت ٧٥١ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط . د ، ج ١ ، تحقيق : زكريا علي يوسف .

٢٩٩ / **العظمة** لعبد الله بن محمد بن حيّان ، الشهير **أبي الشيخ الأصبهاني** ، أبو محمد (ت ٣٦٩ هـ) ، دار العاصمة ، الرياض ، ط ١ ، ١٤٠٨ هـ ، ج ٥ ، تحقيق : رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري .

٣٠٠ / **العقد الفريد** لأحمد بن محمد **بن عبد ربه** الأندلسي (ت ٣٢٨ هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت / لبنان ، ط ٣ ، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م ، ج ٦ .

٣٠١ / **علوم القرآن من خلال مقدِّمات التفاسير** للدكتور **محمد صفاء شيخ إبراهيم حقِّي** أستاذ التفسير وعلوم القرآن بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ج ٢ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م .

٣٠٢ / **عمدة القاري شرح صحيح البخاري** لبدر الدين محمود بن أحمد **العيني** (ت ٨٥٥ هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط . د ، ج ٢٥ .

٣٠٣ / **عون المعبود شرح سنن أبي داود** لمحمد شمس الحق **العظيم آبادي** ، أبو الطيب (ت ١٣٢٩ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٩٥م ، ج ١٤ .

٣٠٤ / **العين** للخليل بن أحمد **الفراهيدي** (ت ١٧٥ هـ) ، دار ومكتبة الهلال ، ط . د ، ج ٨ ، تحقيق : د . مهدي المخزومي ، د . إبراهيم السامرائي .

٣٠٥ / **عيون الأنباء في طبقات الأطباء** لموفق الدين أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي الخزرجي المعروف **بابن أصيبعة** ، أبو العباس (ت ٦٦٨هـ) ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ط . د ، ج ١ ، تحقيق : الدكتور نزار رضا .

(غ)

٣٠٦ / **غاية النهاية في طبقات القراء** لأبي الخير محمد بن محمد **بن الجزري** الشيباني (ت ٨٣٣ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦ م ، ج ٢ عنى بنشره : ج برجستراسر .

٣٠٧ / **غريب الحديث** لإبراهيم بن إسحاق **الحربي** ، أبو إسحاق (ت ٢٨٥ هـ) ، طبع جامعة أم القرى ، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي ، مكة المكرمة ، ط ١ ١٤٠٥هـ ، ج ٣ ، تحقيق : د . سليمان بن إبراهيم محمد العايد .

٣٠٨ / **غريب الحديث** لأحمد بن محمد بن إبراهيم **الخطابي** البستي ، أبو سليمان (ت ٣٨٨ هـ) ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ط . د ، ١٤٠٢ هـ ، ج ٣ ، تحقيق : عبد الكريم إبراهيم الغرباوي .

٣٠٩ / **غريب الحديث** لعبد الرحمن بن علي **بن الجوزي** ، أبو الفرج (ت ٥٩٧ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت / لبنان ، ط ١ ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م ، ج ٢ ، تحقيق : د . عبد المعطي أمين القلعجي .

٣١٠ / **غريب الحديث** لعبد الله بن مسلم **بن قتيبة** الدينوري ، أبو محمد (ت ٢٧٦ هـ) مطبعة العاني ، بغداد ، ط ١ ، ١٣٩٧هـ ، ج ٣ ، تحقيق : د . عبد الله الجبوري .

٣١١ / **غريب الحديث** للقاسم بن سلام الهروي ، **أبو عبيد** (ت ٢٢٤ هـ) ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ١ ، ١٣٩٦هـ ، ج ٤ ، تحقيق : د . محمد عبد المعيد خان .

٣١٢ / **غريب القرآن** لمحمد بن عزيز **السجستاني** العزيزي ، أبو بكر (ت ٣٣٠ هـ) ، دار ابن قتيبة ، ط . د ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م ، ج ١ ، تحقيق : محمد أديب عبد الواحد جمران .

(ف)

٣١٣ / **الفائق في غريب الحديث** لجار الله محمود بن عمر **الزَّمخشري** (ت ٥٣٨ هـ) ، دار المعرفة ، لبنان ، ط ٢ ، ج ٤ ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم .

٣١٤ / **الفتاوى الحديثية** لشهاب الدين أحمد **ابن حجر الهيتمي** المكي (ت ٩٧٣هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، ط . د ، ج ١ .

٣١٥ / **فتح الباري** شرح صحيح البخاري لأحمد بن علي **بن حجر** العسقلاني الشافعي ، أبو الفضل (ت ٨٥٢ هـ) ، دار المعرفة ، بيروت ، ط . د ، ج ١٣ ، تحقيق : محب الدين الخطيب .

٣١٦ / **فتح الباري** في شرح صحيح البخاري لزين الدين عبد الرحمن ابن شهاب الدين البغدادي ثم الدمشقي الشهير **بابن رجب** ، أبو الفرج (ت ٧٩٥ هـ) ، دار ابن الجوزي ، السعودية / الدمام ، ط ٢ ، ١٤٢٢هـ ، ج ٦ ، تحقيق : أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد .

٣١٧ / **فتح المعين بشرح قرة العين** لزين الدين بن عبد العزيز **الملیباري** (ت ٩٢٨ هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، ط . د ، ج ٤ .

٣١٨ / **فتوح مصر وأخبارها** لعبد الرحمن بن عبد الله عبد الحكم **بن أعين القرشي المصري** أبو القاسم (ت ٢٥٧هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م ، ج ١ ، تحقيق : محمد الحجيري .

٣١٩ / **الفرق بين المعاني** لحسن بن عبد الله بن سهل **العسكري** ، أبو هلال (ت بعد ٣٩٥ هـ) ، ط . د ، ج ١ .

٣٢٠ / **الفَرْق بين الفِرَق** وبيان الفرقة الناجية لعبد القاهر بن طاهر بن محمد **البغدادي الأسفرائيني** (ت ٤٢٩ هـ) ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٧٧ م ، ج ١ .

٣٢١ / **الفردوس بمأثور الخطاب** لأبي شجاع ، شيرويه بن شهردار بن شيرويه **الديلمي** الهمذاني الملقب إلكيا (ت ٥٠٩ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦م ، ج ٥ ، تحقيق : السعيد بن بسيوني زغلول .

٣٢٢ / **الفصل في الملل والأهواء والنحل** لعلي بن أحمد بن سعيد **بن حزم الظاهري** ، أبو محمد (ت ٤٥٦ هـ) ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط . د ، ج ٥ .

٣٢٣ / **فصول في أصول التفسير** للدكتور/ مساعد بن سليمان **الطيار** ، دار ابن الجوزي بالسعودية ، ط ٣ ، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩ م ، ج ١ .

٣٢٤ / **فضائل القرآن** للقاسم بن سلام ، أبو عبيد (ت ٢٢٤ هـ) ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط ١ ، ١٤١١هـ / ١٩٩١م ، تحقيق : وهبي سليمان غاوجي .

٣٢٥ / **فهرس الفهارس** والاثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمساسلات لعبد الحي بن عبد الكبير **الكتاني** (ت ١٣٨٣ هـ) ، دار العربي الاسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط ٢ ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م ، ج ٣ ، تحقيق : د. إحسان عباس .

٣٢٦ / **الفهرست** لمحمد بن إسحاق بن محمد البغدادي ، أبو الفرج ، الشهير **بابن النديم** (ت ٣٨٥ هـ) ، دار المعرفة ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م ، ج ١ ، اعتنى بها وعلق عليها : الشيخ إبراهيم رمضان .

٣٢٧ / **فهرسة ابن خير الاشبيلي** لمحمد بن خير بن عمر بن خليفة الأموي ، أبو بكر (ت ٥٧٥ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت/ لبنان ، ط ١ ، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م ، ج ١ ، تحقيق : محمد فؤاد منصور .

٣٢٨ / **فهم القرآن ومعانيه** للحارث بن أسد بن عبد الله المحاسبي ، أبو عبد الله (ت ٢٤٣ هـ) ، دار الكندي ، دار الفكر ، بيروت ، ط ٢ ، ١٣٩٨ هـ ، ج ١ ، تحقيق : حسين القوتلي .

٣٢٩ / **فوات الوفيات** لصلاح الدين محمد بن شاكر بن أحمد **الكتبي** الداراني (ت ٧٦٤ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٠م ، ج ٢ ، تحقيق : علي محمد بن يعوض الله – عادل أحمد عبد الموجود .

٣٣٠ / **في ظلال القرآن** لسيد قطب (ت ١٣٨٧ هـ) ، دار الشروق ، بيروت / لبنان ، ط ٩ ، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م ، ج ٦ .

٣٣١ / **فيض القدير شرح الجامع الصغير** لمحمد بن عبد الرؤوف **المناوي** (ت ١٠٣١ هـ) المكتبة التجارية الكبرى ، مصر ، ط ١ ، ١٣٥٦هـ ، ج ٦ .

(ق)

٣٣٢ / **القاموس المحيط** لمجدد الدين محمد بن يعقوب **الفيروز آبادي** (ت ٨١٧ هـ) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط . د ، ج ١ .

٣٣٣ / **القواعد الحسان** لتفسير القرآن لعبد الرحمن بن ناصر **السعدي** (ت ١٣٧٦ هـ) دار البصيرة ، الاسكندرية / مصر ، ط . د ، ج ١ .

٣٣٤ / **القوانين الفقهية** في تلخيص مذهب المالكية **لابن جُزيّ** الكلبيّ (ت ٧٤١ هـ) ، المكتبة العصرية ، الدار النموذجية ، ط ١ ، ٢٠٠١ م ، ج ١ ، تحقيق : عبد الكريم الفضيلي .

٣٣٥ / **قوت القلوب** في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد لمحمد بن علي ابن عطية الحارثي المشهور **بأبي طالب المكي** (ت ٣٨٦هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت / لبنان ، ط ٢ ، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥ م ، ج ٢ ، تحقيق : د . عاصم إبراهيم الكيالي .

(ك)

٣٣٦ / **الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة** لمحمد بن أحمد **الذهبي** ، أبو عبد الله (ت ٧٤٨ هـ) ، دار القبلة للثقافة الإسلامية ، ط ١ ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م ج ٢ ، تحقيق : محمد عوامة .

٣٣٧ / **الكافي في فقه الإمام المبجل** أحمد بن حنبل لعبد الله **بن قدامة المقدسي** ، أبو محمد (ت ٦٢٠ هـ) ، المكتب الاسلامي ، بيروت ، ط . د ، ج ٤ .

٣٣٨ / **الكامل في التاريخ** لعلي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم ، أبو الحسن الشهير **بابن الأثير** (ت ٦٣٠ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤١٥هـ ، ج ١٠ ، تحقيق : عبد الله القاضي .

٣٣٩ / **الكامل في ضعفاء الرجال** لعبد الله **بن عدي** بن عبد الله الجرجاني ، أبو أحمد (ت ٣٦٥ هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، ط ٣ ، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٨ م ، ج ٧ ، تحقيق : يحيى مختار غزاوي .

٣٤٠ / **الكامل في اللغة والأدب** لمحمد بن يزيد ، أبو العباس ، الشهير **بالمبرّد** النحوي ، (ت ٢٨٥ هـ) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت / لبنان ، ط ٤ ، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م ج ٤ ، تحقيق : د. محمد أحمد الدَّالي .

٣٤١ / **الكتاب** لعمرو بن عثمان بن قنبر ، الملقب **بسيبويه** ، أبو البشر (ت ١٨٠هـ) ، دار الجيل ، بيروت ، ط١ ، ج ٤ ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون .

٣٤٢ / **كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية في التفسير لشيخ الإسلام** أحمد عبد الحليم **بن تيمية** الحراني ، أبو العباس (ت ٧٢٨ هـ) ، مكتبة ابن تيمية ، ط ٢ تحقيق : عبد الرحمن بن محمد ابن قاسم العاصمي النجدي ، ج ١٧ .

٣٤٣ / **كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية في الفقه لشيخ الإسلام** أحمد عبد الحليم **بن تيمية** الحراني ، أبو العباس (ت ٧٢٨ هـ) ، مكتبة ابن تيمية ، ط ٢ ، تحقيق : عبد الرحمن بن محمد ابن قاسم العاصمي النجدي ، ج ٣٥ .

٣٤٤ / **الكتيبة الكامنة** في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة لمحمد بن عبد الله بن سعيد السلماني اللوشي الأصل ، الغرناطي الأندلسي ، أبو عبد الله ، الشهير **بلسان الدين ابن الخطيب** (ت ٧٧٦ هـ) ، دار الثقافة ، بيروت / لبنان ، ط ١ ، ١٩٦٣م ، ج ١ ، تحقيق : د . إحسان عباس .

٣٤٥ / **كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس** لإسماعيل بن محمد **العجلوني** (ت ١١٦٢ هـ) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٤ ١٤٠٥هـ ، ج ٢ ، تحقيق : أحمد القلاش .

٣٤٦ / **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون** لمصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرومي الحنفي ، الشهير بالملا كاتب الجلبي ، والمعروف بحاجي خليفة (ت ١٠٦٧ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢م ، ج ٢ .

٣٤٧ / **الكليات** (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية) أيوب بن موسى الحسيني **الكفوي** ، أبو البقاء (ت ١٠٩٤ هـ) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤١٩هـ ، ج ١ تحقيق : عدنان درويش ، ومحمد المصري .

٣٤٨ / **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال** لعلاء الدين علي المتقي **بن حسام الدين الهندي** (ت ٩٧٥ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م ، ج ١٦ ، تحقيق : محمود عمر الدمياطي .

(ل)

٣٤٩ / **اللآلي في شرح أمالي القالي** لعبد الله بن عبد العزيز بن محمد **البكري** (ت ٤٩٦ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت / لبنان ، ط ١ ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م ، ج ٣ ، تحقيق : عبد العزيز الميمني .

٣٥٠ / **لباب النقول** في أسباب النزول لعبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد **السيوطي** ، أبو الفضل (ت ٩١١ هـ) ، دار إحياء العلوم ، بيروت ، ط . د ، ج ١ .

٣٥١ / **لسان العرب** لمحمد بن مكرم **ابن منظور** الأفريقي ، أبو الفضل (ت ٧١١ هـ) ، دار صادر ، بيروت ، ط ١ ، ج ١٥.

٣٥٢ / **لسان الميزان** لأحمد بن علي **بن حجر** العسقلاني الشافعي ، أبو الفضل (ت ٨٥٢ هـ) ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، ط ٣ ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦م ج ٧ ، تحقيق : دائرة المعرف النظامية – الهند .

٣٥٣ / **اللغات في القرآن الكريم** لعبد الله بن الحسين **بن حسنون** ، أبو أحمد السامري (ت ٣٨٦ هـ) ، ط . د ، ج ١ .

٣٥٤ / **اللمع في أصول الفقه** لإبراهيم بن علي **الشيرازي** ، أبو إسحاق (ت ٤٧٦ هـ) دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ، ج ١ .

(م)

٣٥٥ / **ما دلَّ عليه القرآن مما يعضد الهيئة الجديدة القويمة بالبرهان** لمحمود شكري الآلوسي (ت ١٣٤٢ هـ) ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط ٢ ، ١٣٩١هـ / ١٩٧١م ، ج ١ ، تحقيق : زهير الشاويش .

٣٥٦ / **مباحث في علوم القرآن** للشيخ مناع خليل **القطان** ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٧ ، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م ، ج ١ .

٣٥٧ / **مباحث في علوم القرآن** للدكتور صبحي **الصَّالح** ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط ١٤ ، ١٩٨٢ م ، ج ١ .

٣٥٨ / **المبسوط** لشمس الدين محمد بن أحمد بن سهل **السَّرخسي** ، أبو بكر (ت ٤٨٣ هـ) ، دار المعرفة ، بيروت ، ط . د ، ج ٣٠ .

٣٥٩ / **مجاز القرآن** لمعمر بن المثنى ، **أبو عبيدة** (ت ٢١٠ هـ) ، مكتبة الخانجي ، مصر ، ط . د ، ج ٢ ، تحقيق : محمد فؤاد سزكين .

٣٦٠ / **المجالسة وجواهر العلم** لأحمد بن مروان بن محمد **الدينوري** القاضي المالكي ، أبو بكر (ت ٣٣٣هـ) ، دار ابن حزم ، لبنان / بيروت ، ط ١ ، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م ، ج ١ .

٣٦١ / **المجروحين** من المحدثين والضعفاء والمتروكين لمحمد **بن حبان** بن أحمد بن أبي حاتم التميمي البستي (ت ٣٥٤ هـ) ، دار الوعي ، حلب ، ط ١ ، ١٣٩٦هـ ، ج ٣ تحقيق : محمود إبراهيم زايد .

٣٦٢ / **المجلى في شرح القواعد المثلى** ، **كاملة** بنت محمد بن جاسم بن علي آل جهام **الكواري** ، باحثة شرعية في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في قطر (وهذا الكتاب أول شرح لمتن القواعد المثلى للشيخ العثيمين رحمه الله) دار ابن حزم ، ط ١ ج ١ .

٣٦٣ / **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد** لعلي بن أبي بكر **الهيثمي** (ت ٨٠٧ هـ) ، بتحرير الحافظين : العراقي وابن حجر العسقلاني ، دار الريان ، القاهرة ، ودار الكتاب العربي بيروت ، ط . د ، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م ، ج ١٠ .

٣٦٤ / **المجموع** لمحي الدين بن شرف **النووي** ، أبو زكريا (ت ٦٧٦هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، ط . د ، ١٩٩٧م ، ج ٩ .

٣٦٥ / **محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء** للحسين بن محمد بن المفضل ، أبو القاسم ، الشهير **بالرَّاغب الأصفهاني** (ت ٥٠٢ هـ) ، دار القلم ، بيروت ، ط . د ، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م ، ج ٢ ، تحقيق : عمر الطباع .

٣٦٦ / **المحتسب** في تبيين وجوه شواذ القراءات ، والإيضاح عنها لعثمان **بن جني** ، أبو الفتح (ت ٣٩٢ هـ) ، لجنة إحياء التراث الإسلامي ، القاهرة ، ط . د ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م ، ج ٢ ، تحقيق : علي النجدي ناصف ، و د . عبد الفتاح إسماعيل شلبي ، و د . عبد الحليم النجار ، إعداد وتقديم : محمد أبو الفضل إبراهيم .

٣٦٧ / **المحصول في أصول الفقه** للقاضي أبي بكر محمد بن عبد الله المعافري ، المعروف **بابن العربي** المالكي (ت ٥٤٣ هـ) ، دار البيارق ، عمان ، ط ١ ، ١٤٢٠هـ ، ج ١ ، تحقيق : حسن علي البدري ، وسعيد فودة .

٣٦٨ / **المحصول في علم الأصول** لمحمد بن عمر بن الحسن الشهير **بالفخر الرازي** (ت ٦٠٦ هـ) ، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ، ط ١ ، ١٤٠٠هـ ، ج ٦ ، تحقيق : طه جابر فياض العلواني .

٣٦٩ / **المحكم في نقط المصاحف** لعثمان بن سعيد **الداني** ، أبو عمرو (ت ٤٤٤هـ) ، دار الفكر ، دمشق ، ط ٢ ، ١٤٠٧ هـ ، تحقيق الدكتورة : عزة حسن .

٣٧٠ / **المحكم والمحيط الأعظم** لعلي بن إسماعيل **ابن سيده** ، أبو الحسن (ت ٤٥٨ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م ، ج ١٠ ، تحقيق : عبد الحميد هنداوي .

٣٧١ / **المحيط في اللغة للصاحب الكافي الكفاة إسماعيل ابن عباد** بن العباس بن أحمد بن إدريس الطالقاني ، أبو القاسم (ت ٣٨٥هـ) ، عالم الكتب ، بيروت / لبنان ، ط ١ ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م ، ج ١٠ ، تحقيق : الشيخ محمد حسن آل ياسين .

٣٧٢ / **مختصر في شواذ القراءات من كتاب البديع** للحسين بن أحمد **ابن خالويه** ، أبو عبد الله (ت ٣٧٠ هـ) ، مكتبة المتنبي ، القاهرة ، ط . د ، ج ١ .

٣٧٣ / **المخصَّص** لعلي بن إسماعيل **بن سيده** النحوي اللغوي الأندلسي ، أبو الحسن (ت ٤٥٨هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت / لبنان ، ط ١ ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م ج ٥ ، تحقيق : خليل إبراهم جفال .

٣٧٤ / **مدارج السالكين** بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لشمس الدين محمد بن أبي بكر ابن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي ، أبو عبد الله ، المعروف **بابن قيِّم الجوزية** أو **ابن القيِّم** (ت ٧٥١ هـ) ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ٢ ، ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م ، ج ٣ ، تحقيق : محمد حامد الفقي .

٣٧٥ / **مذكرة في أصول الفقه على روضة الناظر لابن قدامة** للشيخ محمد الأمين بن محمد المختار **الشنقيطي** ، دار القلم ، بيروت ، ط . د ، ج ١ ، تقديم : الشيخ عطية محمد سالم .

٣٧٦ / **مرقاة المفاتيح** شرح مشكاة المصابيح لعلي بن سلطان محمد **القاري** (ت ١٠١٤هـ) دار الكتب العلمية ، لبنان / بيروت ، ط ١ ، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م ، ج ١١ ، تحقيق : جمال عيتاني .

٣٧٧ / **مرهم العلل** المعضلة في الرد على أئمة المعتزلة لعبد الله بن أسعد **اليافعي** (ت ٧٦٨هـ) ، دار الجيل ، لبنان / بيروت ، ط ١ ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م ، ج ١ ، تحقيق : محمود محمد محمود حسن نصار .

٣٧٨ / **مسائل لخصها الإمام محمد بن عبد الوهاب** لمحمد بن عبد الوهاب (ت ١٢٠٦ هـ) ، مطابع الرياض ، الرياض ، ط ١ ، تحقيق : عبد العزيز بن زيد الرومي ، د . محمد بلتاجي ، د . سيد حجاب .

٣٧٩ / **المستدرك على الصحيحين** لمحمد بن عبد الله **الحاكم** النيسابوري ، أبو عبد الله (ت ٤٠٥ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١١هـ / ١٩٩٠م ، ج ٤ تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا .

٣٨٠ / **المستصفى من علم الأصول** لأبي حامد محمد بن محمد **الغزالي** (ت ٥٠٥ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٣هـ ، ج ١ ، تحقيق : محمد بن عبد السلام ابن عبد الشافي .

٣٨١ / **المستقصى في أمثال العرب** لجار الله محمود بن عمر **الزَّمخشري** ، أبو القاسم (ت ٥٣٨ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٨٧م ، ج ٢ .

٣٨٢ / **مسند الإمام أحمد بن حنبل** الشيباني ، أبو عبد الله (ت ٢٤١ هـ) ، مؤسسة قرطبة مصر ، ط . د ، ج ٦ .

٣٨٣ / **مسند ابن الجعد** لعلي بن الجعد بن عبيد الجوهري البغدادي ، أبو الحسن (ت ٢٣٠ هـ) ، مؤسسة نادر ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م ، ج ١ ، تحقيق : عامر أحمد حيدر .

٣٨٤ / **المسند لعبد الله بن الزبير الحميدي** ، أبو بكر (ت ٢١٩ هـ) ، دار الكتب العلمية مكتبة المتنبي ، بيروت ، القاهرة ، ط . د ، ج ٢ ، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي .

٣٨٥ / **مسند أبي يعلى** لأحمد بن علي بن المثنى ، أبو يعلى الموصلي التميمي (ت ٣٠٧ هـ) دار المأمون للتراث ، دمشق ، ط ١ ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤ م ، ج ١٣ تحقيق : حسين سليم أسد .

٣٨٦ / **المسوّدة في أصول الفقه** لشيخ الإسلام ابن تيمية وأبيه وجده ، دار الكتاب العربي بيروت ، ط . د ، ج ١ ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد .

٣٨٧ / **مشارق الأنوار على صحاح الآثار للقاضي عياض** بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي المالكي ، أبو الفضل (ت ٥٤٤ هـ) ، المكتبة العتيقة ودار التراث ، ط . د ، ج ٢ .

٣٨٨ / **مشاهير علماء الأمصار** لمحمد بن حبان بن أحمد ، أبو حاتم التميمي (ت ٣٥٤ هـ) دار الكتب العلمية ببيروت ، ط . د ، ١٩٥٩م ، ج ١ ، تحقيق : م. فلايشهمر .

٣٨٩ / **مُشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب القيسي** ، أبو محمد (ت ٤٣٧ هـ) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤٠٥ هـ ، تحقيق : د . حاتم صالح الضامن .

٣٩٠ / **مُشكِل إعراب القرآن** للأستاذ الدكتور أحمد بن محمد **الخراط** ، ط . د ، ج ١ ، مصدر الكتاب : موقع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف .

٣٩١ / **مشكل الحديث وبيانه** لمحمد بن الحسن **بن فورك** الأصبهاني ، أبو بكر (ت ٤٠٦ هـ) ، عالم الكتب ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٨٥م ، ج ١ ، تحقيق : موسى محمد علي .

٣٩٢ / **مصباح الزجاجة** في زوائد ابن ماجه لأحمد بن أبي بكر بن إسماعيل **الكناني** (ت ٨٤٠ هـ) ، دار العربية ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤٠٣ هـ ، ج ٤ ، تحقيق : محمد المنتقى الكشناوي .

٣٩٣ / **المصباح المنير** في غريب الشرح الكبير للرافعي لأحمد بن محمد بن علي الفيومي ، أبو العباس (ت ٧٧٠ هـ) ، المكتبة العلمية ، بيروت ، ط . د ، ج ٢ .

٣٩٤ / **المصنف** لعبد الرزاق بن همام **الصنعاني** ، أبو بكر (ت ٢١١ هـ) ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ، ج ١١ ، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي .

٣٩٥ / **مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى لمصطفى السيوطي الرحيباني** (ت ١٢٤٣هـ) ، المكتب الإسلامي ، دمشق ، ط . د ، ١٩٦١م ، ج ٦ .

٣٩٦ / **معارج القبول** بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول للشيخ حافظ بن أحمد **حكمي** (ت ١٣٧٧ هـ) ، دار ابن القيم ، الدمام ، ط ١ ، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠م ، ج ٣ ، تحقيق : عمر بن محمود أبو عمر .

٣٩٧ / **المعارف** لعبد الله **ابن قتيبة** الدينوري ، أبو محمد (ت ٢٧٦ هـ) ، دار المعارف القاهرة ، ط ٤ ، ج ١ ، تحقيق : د . ثروت عكاشة .

٣٩٨ / **معاني القرآن** لأبي الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعي ، المعروف **بالأخفش الأوسط** (ت سنة ٢١٥ هـ) ، عالم الكتب ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥ م ج ٢ ، دراسة وتحقيق : الدكتور عبد الأمير محمد أمين الوَرد .

٣٩٩ / **معاني القرآن** ليحيى بن زياد **الفرَّاء** ، أبو زكريا (ت ٢٠٧ هـ) ، اعتنى به : فاتن محمد خليل اللّبون ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ١٤٢٤ هـ ، ٢٠٠٣ م ، ج ٣ .

٤٠٠ / **معاني القرآن الكريم** لأحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي **النحَّاس** ، أبو جعفر (ت ٣٣٨ هـ) ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ١٤٠٩هـ ، ط ١ ، ج ٦ ، اسم المحقق : محمد علي الصابوني .

٤٠١ / **معاني القرآن وإعرابه** لإبراهيم بن السري **الزَّجَّاج** (ت ٣١١ هـ) ، عالم الكتب بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م ، ج ٥ ، تحقيق : د . عبد الجليل عبده شلبي .

٤٠٢ / **معاهد التنصيص على شواهد التلخيص** لعبد الرحيم بن أحمد **العباسي** (ت ٩٦٣ هـ) ، عالم الكتب ، بيروت ، ط . د ، ١٣٦٧هـ / ١٩٤٧م ، ج ٢ ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد .

٤٠٣ / **معجم الأدباء** (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب) لياقوت بن عبد الله الرومي **الحموي** ، أبو عبد الله (ت ٦٢٦ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١١هـ / ١٩٩١م ،ج ٥ .

٤٠٤ / **المعجم الأوسط** لسليمان بن أحمد **الطبراني** ، أبو القاسم (ت ٣٦٠ هـ) ، دار الحرمين ، القاهرة ، ط . د ، ١٤١٥هـ ، ج ٩ ، تحقيق : طارق بن عوض الله بن محمد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني .

٤٠٥ / **معجم البلدان** لياقوت بن عبد الله **الحموي** ، أبو عبد الله (ت ٦٢٦ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م ، ج ٥ ، تحقيق : فريد عبد العزيز الجندي .

٤٠٦ / **معجم جامع الأصول في أحاديث الرسول** للمبارك بن محمد الجزري (**ابن الأثير المحدث**) ، أبو السعادات (ت ٦٠٦ هـ) ، ط . د ، ج ١١ .

٤٠٧ / **المعجم الكبير** لسليمان بن أحمد **الطبراني** ، أبو القاسم (ت ٣٦٠ هـ) ، مكتبة الزهراء الموصل ، ط ٢ ، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٣ م ، ج ٢٥ ، تحقيق : حمدي بن عبد المجيد السلفي .

٤٠٨ / **معجم المؤلفين** لعمر رضا **كحالة** (ت ١٤٠٧ هـ) ، ط . د ، ج ١٣ .

٤٠٩ / **معجم المحدثين** لمحمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز **الذهبي** ، أبو عبد الله (ت ٧٤٨ هـ) ، مكتبة الصديق ، الطائف ، ط ١ ، ١٤٠٨ هـ ، ج ١ ، تحقيق : د . محمد الحبيب الهيلة .

٤١٠ / **معجم مقاليد العلوم** لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر **السيوطي** ، أبو الفضل (ت ٩١١هـ) ، مكتبة الآداب ، القاهرة / مصر ، ط ١ ، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤ م ج ١ ، تحقيق : أ . د . محمد إبراهيم عبادة .

٤١١ / **المعجم الوسيط لإبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار** دار الدعوة ، ط . د ، ج ٢ ، تحقيق : مجمع اللغة العربية .

٤١٢ / **معرفة الثقات** من رجال أهل العلم والحديث ومن الضعفاء وذكر مذاهبهم وأخبارهم لأحمد بن عبد الله بن صالح العجلي الكوفي (نزيل طرابلس الغرب) (**ثقات العجلي**) (ت ٢٦١هـ) ، مكتبة الدار ، المدينة المنورة ، السعودية ، ط ١ ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥ م ، ج ٢ ، تحقيق : عبد العليم عبد العظيم البستوي .

٤١٣ / **معرفة الصحابة** لأحمد بن عبد الله ، **أبو نعيم الأصبهاني** (ت ٤٣٠ هـ) ، ط . د ج ٦ .

٤١٤ / **معرفة علوم الحديث** لمحمد بن عبد الله **الحاكم** النيسابوري ، أبو عبد الله (ت ٤٠٥ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ٢ ، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م ، ج ١ تحقيق : السيد معظم حسين .

٤١٥ / **معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار** لمحمد **الذهبي** (ت ٧٤٨ هـ) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٤هـ ، ج ٢ ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط وجماعة .

٤١٦ / **المعرفة والتاريخ** ليعقوب بن سفيان **الفسوي** ، أبو يوسف (ت ٢٧٧هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط . د ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م ، ج ٣ ، تحقيق : خليل المنصور .

٤١٧ / **المغرب في ترتيب المعرب** لناصر بن عبد السيد أبي المكارم ابن على برهان الدين الخوارزمي **المطرزى** (ت ٦١٠ هـ) ط . د ، ج ٢ .

٤١٨ / **المغني عن حمل الأسفار** لزين الدين عبد الرحيم بن الحسيني **العراقي** ، أبو الفضل (ت ٨٠٦ هـ) ، مكتبة طبرية ، الرياض ، ط ١ ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م ، ج ٢ ، تحقيق : أشرف عبد المقصود .

٤١٩ / **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب** لجمال الدين عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف ، أبو محمد **ابن هشام** الأنصاري (ت ٧٦١ هـ) ، دار الفكر ، دمشق ، ط ٦ ، ١٩٨٥م ، ج ١ ، تحقيق : د . مازن المبارك ، ومحمد علي حمد الله .

٤٢٠ / **المغني** في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني لعبد الله بن أحمد **بن قدامة المقدسي** ، أبو محمد (ت ٦٢٠ هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٥ هـ ، ج ١٠ .

٤٢١ / **مفتاح دار السعادة** ومنشور ولاية العلم والإرادة لشمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي ، أبو عبد الله ، المعروف **بابن قيِّم الجوزية** أو **ابن القيِّم** (ت ٧٥١ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط . د ، ج ٢ .

٤٢٢ / **مفحمات الإقران في مبهمات القرآن** لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر **السيوطي** (ت ٩١١ هـ) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت / لبنان ، ط ١ ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م ج ١ ، تحقيق : إياد خالد الطباع .

٤٢٣ / **المفردات في غريب القرآن** للحسن بن محمد **الرَّاغب** الأصفهاني ، أبو القاسم (ت ٥٠٢ هـ) ، دار المعرفة ، بيروت ، ط . د ، ج ١ ، تحقيق : محمد سيد كيلاني .

٤٢٤ / **المفسرون بين التأويل والإثبات** لمحمد بن عبد الرحمن **المغراوي** ، ج ٤ ، مؤسسة الرسالة ، دار القرآن ، ط ١ ، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م .

٤٢٥ / **مقاييس اللغة** لأحمد بن فارس **بن زكريا** ، أبو الحسين (ت ٣٩٥ هـ) ، دار الجيل ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م ، ج ٦ ، تحقيق : عبد السلام هارون .

٤٢٦ / **المقتضب** لمحمد بن يزيد **المُبَرِّد** ، أبو العباس (ت ٢٨٥هـ) ، عالم الكتب ، بيروت ، ط . د ، ج ٤ ، تحقيق : محمد عبد الخالق عظيمة .

٤٢٧ / **المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد** لبرهان الدين إبراهيم بن محمد المعروف بابن مفلح الحنبلي (ت ٨٨٤ هـ) ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ط ١ ، ١٤١٠هـ ، ج ٣ ، تحقيق : د . عبد الرحمن بن سليمان العثيمين .

٤٢٨ / **المقصد لتلخيص ما في المرشد في الوقف والابتداء لزكريا بن محمد الأنصاري** (ت ٩٢٦هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت / لبنان ، ط ١ ، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م ، ج ١ ، تحقيق : شريف أبو العلاء العذوي .

٤٢٩ / **الملل والنحل** لمحمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد **الشهرستاني** (ت ٥٤٨ هـ) دار المعرفة ، بيروت ، ١٤٠٤ هـ ، ج ٢ ، تحقيق : محمد سيد كيلاني .

٤٣٠ / **مناهل العرفان في علوم القرآن** لمحمد بن عبد العظيم **الزرقاني** (ت ١٣٦٧ هـ) ، دار الفكر ، لبنان ، ط ١ ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م ، ج ٢ .

٤٣١ / **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم** لعبد الرحمن بن علي **بن الجوزي** ، أبو الفرج (ت ٥٩٧ هـ) ، دار صادر ، بيروت ، ط ١ ، ١٣٥٨هـ ، ج ١٨ .

٤٣٢ / **المنتقى من منهاج الاعتدال** في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال لمحمد بن عثمان **الذهبي** ، أبو عبد الله (ت ٧٤٨ هـ) ، ط . د ، ج ١ ، تحقيق : محب الدين الخطيب .

٤٣٣ / **منح الجليل شرح على مختصر سيد خليل لمحمد عليش** (ت ١٢٩٩ هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، ط . د ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م ، ج ٩ .

٤٣٤ / **منهاج السنة النبوية لشيخ الإسلام** أحمد بن عبد الحليم **بن تيمية** الحراني ، أبو العباس (ت ٧٢٨ هـ) ، مؤسسة قرطبة ، ط ١ ، ١٤٠٦ هـ ، ج ٨ ، تحقيق : د. محمد رشاد سالم .

٤٣٥ / **الموافقات في أصول الفقه** لإبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي ، الشهير **بالشاطبي** (ت ٧٩٠ هـ) ، دار المعرفة بيروت ، ط . د ، ج ٤ ، تحقيق : عبد الله دراز .

٤٣٦ / **المواقف** لعضد الدين عبد الرحمن بن أحمد **الإيجي** (ت ٧٥٦هـ) ، دار الجيل ، لبنان / بيروت ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م ، ط ١ ، ج ٣ ، تحقيق : عبد الرحمن عميرة .

٤٣٧ / **موطأ الإمام مالك** لمالك بن أنس ، أبو عبد الله الأصبحي (ت ١٧٩ هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، مصر ، ط . د ، ج ٢ ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي .

٤٣٨ / **ميزان الاعتدال في نقد الرجال** لشمس الدين محمد بن أحمد **الذهبي** (ت ٧٤٨ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٥ هـ ، ج ٨ ، تحقيق : الشيخ علي محمد معوض ، والشيخ عادل أحمد عبد الموجود .

(**ن**)

٤٣٩ / **ناسخ القرآن العزيز ومنسوخه** لهبة الله بن عبد الرحيم **ابن البارزي** الجهني ، أبو القاسم (ت ٧٣٨ هـ) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٣ ، ١٤٠٥هـ ، ج ١ ، تحقيق : د . حاتم صالح الضامن ،.

٤٤٠ / **الناسخ والمنسوخ** لأحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي **النحاس** ، أبو جعفر (ت ٣٣٩ هـ) ، مكتبة الفلاح ، الكويت ، ط ١ ، ١٤٠٨ هـ ، ج ١ ، تحقيق : د . محمد عبد السلام محمد .

٤٤١ / **الناسخ والمنسوخ** (قلائد المرجان في بيان الناسخ والمنسوخ في القرآن) لمرعي بن يوسف بن أبي بكر الكرمي (ت ١٠٣٣ هـ) ، دار القرآن الكريم ، الكويت ، ط . د ١٤٠٠هـ ، ج ١ ، تحقيق : سامي عطا حسن .

٤٤٢ / **الناسخ والمنسوخ** لهبة الله بن سلامة بن نصر **المقري** (ت ٤١٠ هـ) ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٤هـ ، ج ١ ، تحقيق : زهير الشاويش ، ومحمد كنعان .

٤٤٣ / **الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم** لعلي بن أحمد **بن حزم** الظاهري ، أبو محمد (ت ٤٥٦ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٦هـ ، ج ١ ، تحقيق : د . عبد الغفار سليمان البنداري .

٤٤٤ / **الناسخ والمنسوخ في كتاب الله تعالى لقتادة بن دعامة السدوسي** (ت ١١٧ هـ) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٤هـ ، ج ١ ، تحقيق : د . حاتم صالح الضامن .

٤٤٥ / **النبوات لشيخ الإسلام لشيخ الإسلام** أحمد بن عبد الحليم **بن تيمية** الحراني ، أبو العباس (ت ٧٢٨ هـ) ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، ط . د ، ١٣٨٦هـ ، ج ١ .

٤٤٦ / **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة** لأبي المحاسن جمال الدين يوسف **بن تغري بردي** الأتابكي (ت ٨٧٤ هـ) ، المؤسسة المصرية العامة ، نشر : وزارة الثقافة والإرشاد القومي بمصر ، ط . د ، ج ١٦ .

٤٤٧ / **نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر** لجمال الدين عبد الرحمن بن علي **بن الجوزي** (ت ٥٩٧ هـ) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ج ١ ، تحقيق : محمد عبد الكريم كاظم الراضي .

٤٤٨ / **نزهة الألباب في الألقاب** لأحمد بن علي بن محمد ، أبو الفضل ، المشهور **بابن حجر** العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ط ١ ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م ، ج ٢ ، تحقيق : عبد العزيز محمد بن صالح السديري .

٤٤٩ / **نزهة المجالس ومنتخب النفائس** لعبد الرحمن بن عبد السلام بن عبد الرحمن بن عثمان **الصفوري** (ت ٨٩٤ هـ) ، دار المحبة ، دار آية ، بيروت ، دمشق ، ط . د ، ٢٠٠١ م / ٢٠٠٢ م ، ج ٢ ، تحقيق : عبد الرحيم مارديني .

٤٥٠ / **نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق** لمحمد ناصر الدين **الألباني** (ت ١٤٢٠ هـ) ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط ٣ ، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م ، ج ١ .

٤٥١ / **نظم الدرر** في تناسب الآيات والسور ل برهان الدين إبراهيم بن عمر **البقاعي** ، أبو الحسن (ت ٨٨٥هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط . د ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م ، ج ٨ ، تحقيق : عبد الرزاق غالب المهدي .

٤٥٢ / **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب** لأبي العباس أحمد بن محمد **المقري** التلمساني (ت ١٠٤١ هـ) ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٨٨هـ ، ط . د ، ج ٧ ، تحقيق : د . إحسان عباس .

٤٥٣ / **نقد المنقول والمحك المميز بين المردود والمقبول** لشمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي ، أبو عبد الله ، المعروف **بابن قيِّم الجوزية** أو **ابن**

القيِّم (ت ٧٥١ هـ) ، دار القادري ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١١ هـ / ١٩٩٠ م ، ج ١ ، تحقيق : حسن السماعي سويدان .

٤٥٤ / **النكت على كتاب ابن الصلاح** لأحمد بن علي **بن حجر** العسقلاني الشافعي ، أبو الفضل (ت ٨٥٢ هـ) ، ط . د ، ج ٢ .

٤٥٥ / **النكت والعيون** (تفسير الماوردي) علي بن محمد بن حبيب **الماوردي** البصري ، أبو الحسن (ت ٤٥٠هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت / لبنان ، ط . د ، ج ٦ ، تحقيق : السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم .

٤٥٦ / **نهاية الأرب في فنون الأدب** لشهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب **النويري** (ت ٧٣٣ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت / لبنان ، ط ١ ، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م ، ج ٣٣ ، تحقيق : مفيد قمحية وجماعة .

٤٥٧ / **النهاية في غريب الحديث والأثر** لأبي السعادات المبارك بن محمد الجزري الشهير **بابن الأثير** (ت ٦٠٦ هـ) ، المكتبة العلمية ، بيروت ، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م ، ج ٥ ، تحقيق : طاهر أحمد الزاوي ، ومحمود محمد الطناحي .

٤٥٨ / **نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج** لمحمد بن أحمد الرملي ، الشهير **بالشافعي الصغير** (ت ١٠٠٤ هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، ط . د ، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م ، ج ٨ .

٤٥٩ / **نواسخ القرآن** لعبد الرحمن بن علي **بن الجوزي** ، أبو الفرج (ت ٥٩٧ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٥ هـ ، ج ١ .

٤٦٠ / **نيل الأوطار** من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار لمحمد بن علي بن محمد **الشوكاني** (ت ١٢٥٥ هـ) ، دار الجيل ، بيروت ، ط . د ، ١٩٧٣ م ، ج ٩ .

(هـ)

٤٦١ / **الهداية شرح بداية المبتدي** لعلي بن أبي بكر بن عبد الجليل الرشداني **المرغياني** ، أبو الحسن (ت ٥٩٣ هـ) ، المكتبة الإسلامية ، ط . د ، ج ٤ .

٤٦٢ / الهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسداد (**رجال صحيح البخاري**) لأحمد بن محمد بن الحسين البخاري **الكلاباذي** ، أبو نصر (ت ٣٩٨ هـ) ، دار المعرفة ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٧ هـ ، ج ٢ ، تحقيق : عبد الله الليثي .

٤٦٣ / **هدية العارفين** (أسماء المؤلفين وآثار المصنفين من كشف الظنون) لإسماعيل باشا **البغدادي** (ت ١٣٣٩هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط . د ، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ م ، ج ٦ .

٤٦٤ / **همع الهوامع في شرح جمع الجوامع** لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر **السيوطي** (ت ٩١١ هـ) ، المكتبة التوفيقية ، مصر ، ط . د ، ج ٣ ، تحقيق : عبد الحميد هنداوي .

٤٦٥ / **الوافي بالوفيات** لصلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله **الصَّفدي** (٧٦٤ هـ) ، دار إحياء التراث ، بيروت ، ط . د ، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م ، ج ٢٩ ، تحقيق : أحمد الأرناؤوط ، وتركي مصطفى .

٤٦٦ / **الوفيات** لأحمد بن حسن **بن الخطيب** القسطنطيني الجزائري ، أبو العباس (ت ٨٠٩ هـ) ، دار الإقامة الجديدة ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٧٨م ، ج ١ ، تحقيق : عادل نويهض .

٤٦٧ / **وفيات الأعيان** وأبناء أنباء الزمان لأحمد بن محمد الشهير **بابن خلكان** ، أبو العباس (ت ٦٨١ هـ) ، دار الثقافة ، بيروت ، ط . د ، ١٩٦٨م ، ج ٧ ، تحقيق : إحسان عباس .

(**ي**)

٤٦٨ / **ياقوتة الصراط** في تفسير غريب القرآن لمحمد بن عبد الواحد البغداي الزاهد المعروف **بغلام ثعلب** ، أبو عمر (ت ٣٤٥هـ) ، مكتبة العلوم والحكم ، السعودية / المدينة المنورة ، ط ١ ، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م ، ج ١ ، تحقيق : حققه وقدم له محمد بن يعقوب التركستاني .

٤٦٩ / **يتيمة الدهر** في محاسن أهل العصر لعبد الملك بن محمد بن إسماعيل **الثعالبي** ، أبو منصور (ت ٤٢٩هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت / لبنان ، ط ١ ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ج ٥ ، تحقيق : د. مفيد محمد قمحية .

مجلات ومقالات :

٤٧٠ / **مجلة الإعجاز العلمية** ، مجلة فصلية تصدر عن هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسُّنة ، رابطة العالم الإسلامي ، العدد الرابع ، **مقال : التفكر في خلق الله** ، ألفاظ كونية عن : معجم المصطلحات الفنية (ملحق بموسوعة بهجة المعرفة – الكون –) **للشيخ إسماعيل القريشي** .

٤٧١ / **مجلة البحوث الإسلامية** ، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء ، مقال : **مفاسد القول بالمجاز** للشيخ مصطفى بن عيد **الصياصنة** .

٤٧٢ / **مجلة البحوث الإسلامية** ، مقال بعنوان : **أسباب حصول الفتن وسبيل النجاة منها** ، لسماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن محمد **آل الشيخ** .

٤٧٣ / **مجلة المجمع العلمي العراقي** . المجلد (٢٤) . بحث للدكتور **سليم النعيمي** بعنوان : **نقد الكتب** .

٤٧٤ / **مجلة جامعة أم القرى** ، منهج إبراهيم عليه السلام في الدعوة كما عرضه القرآن الكريم **للدكتور منظور بن محمد بن محمد رمضان** ؛ أستاذ مساعد بقسم الدراسات القرآنية بكلية المعلمين بمكة .

٤٧٥ / مقال : **إنقاص الأرض من أطرافها** للدكتور **زغلول النجار** ، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسُّنة .

٤٧٦ / مقال **للدكتور زغلول النجار** عن قوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا .... ﴾ . [سورة الرعد : ٢] . نشر في جريدة الأهرام بتاريخ ١٧ / ٩ / ٢٠٠١ م . موقع : WWW.EAGAZ.COM.

٤٧٧ / مقال : **دراسات في اللغة والنحو** ، للدكتور **عدنان محمد** .

٤٧٨ / مقال : **الزوجية في الكائنات الحية للدكتور ميسرة** نصوح السعدي ، **والدكتور توفيق** التميمي . موقع : WWW.ISLAMSET.COM

٤٧٩ / مقال : **ظواهر لغوية من لهجة طيئ القديمة** ، للدكتور **رمضان عبد التواب** ، خبير بلجنة اللهجات .

٤٨٠ / مقال : **القرآن وإعجازه العلمي لمحمد إسماعيل إبراهيم** .

٤٨١ / مقال : **الشيخوخة إلى أين ؟** ، موقع : إسلام أون لاين .

٤٨٢ / **موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسُّنة** ، الهدهد آية من آيات الخالق بقلم الأستاذ حسن يوسف شهاب الدين ؛ عن كتاب الدكتور خالد العبيدي (**هندسة النقل والاتصالات في القرآن والسُّنة**) .

٤٨٣ / موقع : أعلام وشخصيات مصرية .

٤٨٤ / موقع د . زغلول النجار ، كتاب : (رسائل من الماء) .

٤٨٥ / موقع : ST-TAKLA.ORG/PUB_OLDTEST/ARABIC-OLD-TESTAMENT-BOOKS/- ، الكتاب المقدس ، العهد القديم ، سفر التكوين ، الإصحاح الأول .

٤٨٦ / **موقع عبد الدائم الكحيل** للإعجاز العلمي في القرآن والسُّنة ، مقال : **كيف تم إحضار عرش بلقيس ؟**

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدِّمة	١
أسباب اختيار الموضوع	٣
حدود البحث	٦
مصطلحات البحث	٧
خطة البحث	٨
منهج البحث	١١
مفتاح الرموز والمختصرات المستخدمة في البحث	١٥
الدراسات السابقة	١٦
شكر وتقدير وعرفان	١٨
القسم الأول : التعريف بابن جُزيّ ، وكتابه : (التسهيل) ، ومنهجه في الترجيح	٢١
الباب الأول : التعريف بابن جُزيّ بإيجاز	٢٢
الفصل الأول : حياة ابن جُزيّ الشخصية بإيجاز	٢٣
المبحث الأول : اسمه ونسبه ، وكنيته وشهرته	٢٤
المبحث الثاني : مولده ، ونشأته	٢٩
المبحث الثالث : معتقده ومذهبه	٣١
الفصل الثاني : حياة ابن جُزيّ العلمية بإيجاز	٣٧
المبحث الأول : نشأته ومكانته العلمية	٣٨
المبحث الثاني : أشهر شيوخه وتلاميذه	٤١

المبحث الثالث : آثاره مصنفاته ، وفاته	٤٥
الباب الثاني : التعريف بكتاب التسهيل ومنهج ابن جُزيّ في الترجيح	٤٩
الفصل الأول : التعريف بكتاب : (التسهيل لعلوم التنزيل)	٥٠
المبحث الأول : القيمة العلمية للكتاب	٥٣
المبحث الثاني : نسخ الكتاب وطبعاته	٥٦
المبحث الثالث : منهج المصنف في كتابه	٦١
الفصل الثاني : منهج ابن جُزيّ في الترجيح	٦٧
المبحث الأول : تعريف الترجيح وبيان موجباته عند ابن جُزيّ	٦٩
المبحث الثاني : مصطلحات الترجيح وأساليبه في تفسير ابن جُزيّ	٧٤
المبحث الثالث : وجوه الترجيح عند ابن جُزيّ	٨٢
القسم الثاني : عرض المسائل ومناقشتها	١٠٥
سورة الرعد	١٠٦
مسألة : المراد بالكتاب في قوله : ﴿ تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱلْكِتَـٰبِ ﴾	١٠٦
مسألة: في المراد من قوله تعالى : ﴿ رَفَعَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾	١١٢
مسألة: في المراد من قوله تعالى : ﴿ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ﴾	١١٧
مسألة : في المراد بمغفرة الله للناس على ظلمهم	١٢٢
مسألة: في المراد بـــ ﴿ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ ﴾ و ﴿ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴾	١٣١
مسألة: في ضمير ﴿ لَهُۥ ﴾ علام يعود ، وفي المراد بـــ ﴿ مُعَقِّبَـٰتٌ ﴾	١٣٦
مسألة: هل حفظ الملائكة للعبد بأمر الله أو من عذاب الله ؟	١٤٢
مسألة: فيمن نزل قوله تعالى : ﴿ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ ﴾	١٤٨

مسألة: في معنى قوله تعالى : ﴿ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴾	١٥٣
مسألة: في المراد بقوله تعالى : ﴿ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ ... ﴾	١٦٠
مسألة: من هم المعنيون بالصفات المذكورة في قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ ... ﴾	١٦٥
مسألة: فيمن نزل قوله تعالى : ﴿ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَـٰنِ ﴾	١٧٠
مسألة: في فاعل ﴿ تَحُلُّ ﴾	١٧٤
مسألة: في المراد بقوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ ﴾	١٧٧
مسألة: في المراد بالأحزاب	١٨٣
مسألة: في المراد بالأرض هنا وكيف يكون نقصها ؟	١٨٧
سورة إبراهيم عليه السلام	١٩٥
مسألة : في المراد بأيام الله	١٩٥
مسألة : في المراد بقوله تعالى : ﴿ وَلَئِن كَفَرْتُمْ ﴾	٢٠١
مسألة : في المراد بقوله تعالى : ﴿ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ ﴾	٢٠٤
مسألة : في المراد بقوله تعالى : ﴿ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا ﴾	٢٠٦
مسألة: لم كرَّر الأمر بالتوكل في قوله تعالى : ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾	٢٠٩
مسألة : في معنى الوراء في قوله تعالى : ﴿ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ ﴾	٢١٢
مسألة : في معنى قوله تعالى : ﴿ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ﴾	٢١٧
مسألة : في معنى ﴿ مِن ﴾ في الموضعين في قوله تعالى : ﴿ ... فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ... ﴾	٢٢٠

مسألة: في متعلق قوله تعالى : ﴿ مِن قَبۡلُ ﴾	٢٢٥
مسألة: في متعلق قوله تعالى : ﴿ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ ﴾	229
مسألة: في المراد بقوله تعالى : ﴿ كَلِمَةً طَيِّبَةً ﴾	٢٣١
مسألة: في المراد بقوله تعالى : ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ ﴾	235
مسألة: متى دعا إبراهيم عليه السلام لأبويه الكافرين بالمغفرة ؟	٢٣٨
مسألة: لمن الوعيد في الآية ؟	٢٤٢
مسألة: في كيفية تبديل الأرض والسموات	٢٤٦
سورة الحجـــر	٢٥٢
مسألة : في المراد بالكتاب في قوله تعالى : ﴿ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾	٢٥٢
مسألة : في الوقت الذي يود فيه الكفار لو كانوا مسلمين	٢٥٥
مسألة : في معنى الحق هنا في قوله تعالى : ﴿ مَا نُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ ﴾	٢٦٠
مسألة: في عود الضمائر في قوله تعالى : ﴿ وَلَوۡ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعۡرُجُونَ ۝ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتۡ أَبۡصَٰرُنَا ...﴾	٢٦٤
مسألة : في المراد بقوله تعالى : ﴿ مَّوۡزُونٖ ﴾	٢٦٧
مسألة: علام عطفت ﴿ مَن ﴾ في قوله تعالى : ﴿ وَ مَن لَّسۡتُمۡ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴾ ؟	٢٧٠
مسألة: في المراد بقوله تعالى : ﴿ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ ﴾ ...	٢٧٥
مسألة: في المراد بالمستقدمين والمستأخرين	٢٧٩
مسألة: في المراد بالجان في الآية	٢٨٣
مسألة: في معنى الباء في قوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي ﴾	٢٨٦
مسألة: في عود الضمير في ﴿ إِنَّهُمَا ﴾ في قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٖ مُّبِينٖ ﴾	٢٩٠

وما يترتب عليه من معنى (الإمام)	
مسألة: في المراد بـــ ﴿ ءَامِنِينَ ﴾	٢٩٤
مسألة: في المراد بـــ ﴿ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي ﴾	٢٩٧
مسألة: اشتقاق لفظ ﴿ ٱلْمَثَانِي ﴾	٣٠٤
مسألة : في معنى ﴿ عِضِين ﴾	٣٠٧
مسألة : في المراد بـــ ﴿ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴾	٣١٣
سورة النحل	٣١٨
مسألة : في المراد بـــ ﴿ بِٱلرُّوحِ ﴾	٣١٨
مسألة : في معنى قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾	٣٢٣
مسألة : المراد بالنجم هنا في الآية	٣٢٩
مسألة : مرجع الضمير في ﴿ يَشْعُرُونَ ﴾ و ﴿ يُبْعَثُونَ ﴾	٣٣٣
مسألة : في معنى : ﴿ وَاصِبًا ﴾	٣٣٨
مسألة : في المراد بقوله تعالى : ﴿ مِن دَآبَّةٍ ﴾	٣٤٢
مسألة : اختلاف أهل العلم في هذه الآية بين الإحكام والنسخ	٣٤٧
مسألة : في المراد بقوله تعالى : ﴿ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ ﴾	٣٥٣
مسألة : في معنى قوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلرِّزْقِ ﴾	٣٥٩
مسألة : في المراد بـــ : ﴿ وَحَفَدَةً ﴾	٣٦٤
مسألة : فيمن أريد بالمثل في الآية	٣٧٠
مسألة : في متعلق قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَأْتِي ﴾	٣٧٥
مسألة : المراد بالقرية المذكورة في الآية	٣٧٨

مسألة : المراد بقوله تعالى عن إبراهيم عليه السلام : ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ﴾	٣٨٥
سورة الإســـراء	٣٩٠
مسألة : هل الفعل ﴿ أَسْرَى ﴾ فعل متعدي أو غير متعدٍّ	٣٩٠
مسألة: في المراد بـــ ﴿ ٱلْإِنسَٰنُ ﴾ في الموضعين في قوله تعالى : ﴿ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولاً ﴾	٣٩٥
مسألة : في معنى قوله تعالى : ﴿ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ﴾	٤٠٠
مسألة: لمن الخطاب في الآية	٤٠٤
مسألة: في معنى قوله تعالى :﴿ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ ﴾	٤٠٩
مسألة: اختلاف أهل العلم في التسبيح	٤١٣
مسألة: في معنى قوله تعالى : ﴿ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴾	٤٢٢
مسألة: في معنى ﴿ بِحَمْدِهِۦ ﴾.....	٤٢٧
مسألة: في أوجه إعراب قوله تعالى : ﴿ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ﴾	٤٣١
مسألة: في معنى قوله تعالى : ﴿ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴾	٤٣٥
مسألة : في المراد بـــ ﴿ ٱلرُّوحِ ﴾ هنا في الآية.....	٤٣٩
مسألة : لمن الخطاب في قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً ﴾	٤٤٥
مسألة : لمن الخطاب في قوله تعالى : ﴿ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾	٤٤٩
مسألة : في من هم المعنيين بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ ﴾	453
مسألة : في معنى قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلاً ﴾	٤٥٦
سورة الكهــف	461

مسألة : في معنى قوله تعالى : ﴿ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ﴾	461
مسألة : في معنى ﴿ قَيِّمًا ﴾	٤٦٤
مسألة : في المراد بـــ ﴿ٱلرَّقِيمِ﴾	٤٦٨
مسألة : في معنى قوله تعالى : ﴿ ۞ وَتَرَى ٱلشَّمۡسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهۡفِهِمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقۡرِضُهُمۡ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ ﴾	٤٧٢
مسألة : في معنى ﴿ يَرۡجُمُوكُمۡ ﴾	٤٧٦
مسألة : في معنى قوله تعالى : ﴿ ... وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ... ﴾	٤٧٩
مسألة : في من المراد بقوله تعالى : ﴿ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ ﴾	٤٨٦
مسألة : في المراد بالثُمُر – بضم الثاء والميم –	٤٩٢
مسألة : في المراد بالباقيات الصالحات	٤٩٩
مسألة : في الموقع الإعرابي لقوله تعالى : ﴿ ٱلۡغَفُورُ ذُو ٱلرَّحۡمَةِۖ لَوۡ يُؤَاخِذُهُم ﴾.....	٥٠٦
مسألة : في إعراب ﴿ عَجَبًا ﴾	508
مسألة : في المراد بالكنز المذكور في الآية	٥١٣
مسألة : في المراد بالأب في قوله تعالى : ﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا ﴾	٥١٨
مسألة : في عود الضمير في قوله تعالى : ﴿ بَعۡضَهُمۡ ﴾	٥٢١
مسألة : فيمن أريد بالآية	٥٢٦
سورة مـــريم - عليها السَّلام -	٥٣٢
مسألة : الموقع الإعرابي لـ ﴿ عَبۡدَهُۥ ﴾	532
مسألة: في معنى قوله تعالى : ﴿ لَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ مِن قَبۡلُ سَمِيًّا ﴾	٥٣٦

مسألة : في معنى قوله تعالى : ﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ ﴾	٥٤١
مسألة: في المراد بقوله تعالى : ﴿ فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا ﴾	٥٤٣
مسألة: في معنى ﴿ تَقِيًّا ﴾	549
مسألة: في المراد بـــ ﴿ سَرِيًّا ﴾	٥٥٣
مسألة: من المتكلم في قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾	٥٥٨
مسألة: معنى تسليم إبراهيم عليه السلام على أبيه (حكم ابتداء الكافر بالسلام المشروع)	٥٦٢
مسألة: في المراد بقوله تعالى عن إدريس عليه السلام : ﴿ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾	٥٦٩
مسألة: في معنى قوله تعالى : ﴿ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ﴾	٥٧٣
مسألة: في معنى النسيان في قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾	577
مسألة: في أصل ﴿ وَرِءْيًا ﴾	٥٨٠
مسألة: في المراد بـــ ﴿ عَهْدًا ﴾	٥٨٤
سورة طـــه	٥٨٩
مسألة : في المراد بـــ ﴿ ٱلسِّرَّ ﴾ و ﴿ وَأَخْفَى ﴾	٥٨٩
مسألة : في سبب أمر الله النبي موسى عليه السلام بخلع نعليه	٥٩٤
مسألة : في معنى قوله تعالى : ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴾	٥٩٨
مسألة : في ذكر الاختلاف في معنى : ﴿ أَكَادُ أُخْفِيهَا ﴾ أهو من الخفاء أم من	٦٠٢

الظهور	
مسألة : عود الضمير في قوله تعالى : ﴿ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا ﴾	٦١١
مسألة : لمن الخطاب في قوله تعالى : ﴿ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا ﴾	٦١٣
مسألة : سبب سؤال الله ﷻ لموسى عليه السلام عن ما في يمينه	٦١٥
مسألة : في معنى وإعراب قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ﴾	٦١٨
مسألة : في معنى ﴿ مَكَانًا سُوًى ﴾	٦٢٢
مسألة : في نوع الواو في قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِى قَطَرَنَا ﴾	٦٢٦
مسألة : لمن الخطاب في قوله تعالى : ﴿ يَٰبَنِىٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ قَدۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ عَدُوِّكُمۡ ... ﴾	٦٢٩
مسألة : في معنى ﴿ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ﴾	٦٣٢
مسألة : في معنى قوله تعالى : ﴿ وَلَا تُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمًا ﴾	٦٣٥
مسألة : في معنى قوله تعالى : ﴿ أَوۡ تُحۡدِثُ لَهُمۡ ذِكۡرًا ﴾	638
مسألة : في معنى قوله تعالى : ﴿ ... وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥ ﴾.....	641
مسألة : في سبب اختصاص آدم عليه السلام بقوله : ﴿ فَتَشۡقَىٰٓ ﴾	٦٤٥
مسألة : المراد بالأجل المسمَّى في الآية	٦٤٩
سورة الأنبياء	٦٥٣
مسألة : في المراد بالناس.....	٦٥٣
مسألة: في إعراب قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾	٦٥٦
مسألة: في تعيين القرية المذكورة في الآية	٦٦٢

مسألة: في معنى ﴿ لَهْوًا ﴾ في الآية	٦٦٥
مسألة: في نوع ﴿ إن ﴾ في قوله تعالى : ﴿ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾	٦٦٩
مسألة: في صفة الفلك وكيفيته في قوله تعالى : ﴿ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ ..	٦٧٢
مسألة: في سبب قوله تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِين مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴾	٦٧٧
مسألة: في إعراب ومعنى قوله تعالى : ﴿ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴾	680
مسألة: في عود الضمير في قوله تعالى : ﴿ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴾	٦٨٣
مسألة: في إعراب ﴿ إِبْرَٰهِيمُ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴾	٦٨٦
مسألة: بم انتصب ﴿ وَلُوطًا ﴾	٦٨٩
مسألة: في معنى قوله تعالى : ﴿ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا ﴾	٦٩٢
مسألة: في معنى قوله تعالى : ﴿ فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾	٦٩٨
مسألة: في المراد بـــ ﴿ ٱلسِّجِلِّ ﴾	٧٠٤
مسألة : في المراد بـــ ﴿ ٱلْأَرْضَ ﴾ هنا في الآية.....	٧١١
سورة الحـــج	٧١٨
مسألة : في الاختلاف في وقت الزلزلة المذكورة في الآية	٧١٨
مسألة : في عود الضمير في ﴿ تَرَوْنَهَا ﴾	٧٢٥
مسألة: في نوع الباء في قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ﴾	٧٢٨
مسألة: في معنى قوله تعالى : ﴿ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا	٧٣١

وَٱلْأَخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ ﴾	
مسألة : لمن الخطاب في قوله تعالى : ﴿ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ ... ﴾	٧٣٧
مسألة : في معنى قوله تعالى : ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ ﴾	٧٤١
مسألة: في معنى التشبيه في قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾	٧٤٥
مسألة: في الاختلاف في معنى ﴿ تَمَنَّىٰ ﴾ و ﴿ أُمْنِيَّتِهِۦ ﴾ في هذه الآية	٧٥٠
مسألة: في الاختلاف في كيفية إلقاء الشيطان	٧٥٥
مسألة : في المراد بقوله تعالى : ﴿ رِزْقًا حَسَنًا ﴾.....	٧٦٤
مسألة : لمن تكون الإشارة بـــ ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾	٧٦٧
مسألة : في عود الضمير في قوله تعالى : ﴿ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ﴾	٧٧٠
سورة المؤمنون	٧٧٥
مسألة : في المراد بـــ ﴿ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴾	٧٧٥
مسألة: في المراد بـــ ﴿ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴾	٧٨٠
مسألة: لمن الخطاب في قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ... ﴾	٧٨٤
مسألة: في المراد بـــ ﴿ ٱلْحَقُّ ﴾	٧٩١
مسألة: في معنى قوله تعالى : ﴿ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ ﴾	٧٩٦

مسألة: في المراد بقوله تعالى : ﴿ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾	800
مسألة: في المراد بقوله تعالى : ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ﴾	٨٠٥
مسألة: في معنى قوله تعالى : ﴿ أَن يَحْضُرُونِ ﴾	٨١١
مسألة: في معنى قوله تعالى : ﴿ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾	٨١٥
سورة النـــور	٨١٩
مسألة: في الموقع الإعرابي لـــ ﴿ عُصْبَةٌ ﴾	٨١٩
مسألة : في الاختلاف في معنى قوله : ﴿ يَأْتَلِ ﴾	٨٢٣
مسألة: في أصل ﴿ تَسْتَأْنِسُواْ ﴾.....	٨٣٠
مسألة: في معنى ﴿ مِنْ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ ﴾ والمراد من الآية	٨٣٦
منافع غض البصر	٨٤٠
مسألة: المراد بحفظ الفروج	٨٤١
مسألة : في رجوع الشرط في قوله تعالى : ﴿ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا ﴾	٨٤٥
مسألة : في المراد بالمشكاة	٨٥١
مسألة : في عود الضمير في قوله : ﴿ مَثَلُ نُورِهِۦ ﴾	٨٥٤
مسألة: في المراد بقوله تعالى : ﴿ فِى بُيُوتٍ ﴾	٨٦٢
مسألة: في معنى قوله تعالى : ﴿ تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَـٰرُ ﴾	٨٦٦
مسألة: في معنى قوله تعالى : ﴿ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ ﴾	٨٧٠
سورة الفرقـــان	٨٧٥
مسألة :في عود الضمير في قوله تعالى : ﴿ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾	٨٧٥

مسألة: في معنى قوله تعالى : ﴿ وَعْدًا مَّسْئُولاً ﴾	٨٨٠
مسألة: فيمن المخاطب بقوله تعالى : ﴿ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَـٰٓؤُلَآءِ ﴾	٨٨٥
مسألة : في معنى قوله تعالى : ﴿ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ﴾	٨٩٢
مسألة: في معنى قوله تعالى : ﴿ وَأَحْسَنُ مَقِيلاً ﴾	٨٩٨
مسألة: في معنى ﴿ مَهْجُورًا ﴾	٩٠٤
مسألة : في قوله : ﴿ أَنَاسِىَّ ﴾ هل هي جمع إِنْسِيّ ، أو جمع إنسان	٩١٢
مسألة : في عود الضمير في قوله : ﴿ وَلَقَد صَرَّفْنَـٰهُ ﴾	916
مسألة: في الاختلاف في معنى قوله : ﴿ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلاً ﴾ ونوع الاستثناء فيها	٩٢٣
مسألة: في معنى قوله تعالى : ﴿ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴾	929
مسألة : في معنى قوله تعالى : ﴿ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ ﴾	٩٣٦
سورة الشعـــراء	٩٤٥
مسألة: في المراد بالأعناق في الآية	٩٤٥
مسألة: في المراد بقوله تعالى : ﴿ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴾	٩٥٣
مسألة : في معنى العيون في الآية	٩٥٨
مسألة: في المراد بالمقام الكريم	961
مسألة: في معنى ﴿ فَـٰرِهِينَ ﴾	٩٦٥
مسألة: في معنى قوله تعالى : ﴿ مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴾	٩٧٠
مسألة: في معنى قوله تعالى : ﴿ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّـٰجِدِينَ ﴾	٩٧٤
مسألة: في المراد بقوله تعالى : ﴿ ٱلشُّعَرَآءُ ﴾	٩٨٠

سورة النمـــل	٩٨٥
مسألة : في الموقع الإعرابي لقوله تعالى : ﴿ وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾	٩٨٥
مسألة: في المراد بـــقوله تعالى : ﴿ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴾	٩٩٠
مسألة: في الاختلاف في نوع الاستثناء في قوله تعالى : ﴿ إِلَّا مَن ظَلَمَ ﴾ ومعنى الآية	٩٩٣
مسألة : في معنى ﴿ ٱلْخَبْءَ ﴾	1002
مسألة: في معنى قوله تعالى : ﴿ فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾	١٠٠٩
مسألة: في معنى قوله تعالى : ﴿ قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴾	1014
مسألة: فيمن هو المراد بقوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ ...	١٠١٨
مسألة: في المراد بالطرف في قوله تعالى : ﴿ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾ ..	1023
مسألة: في الفعل ﴿ تَقَاسَمُواْ ﴾ هل هو فعل ماض أو أمر ؟	1029
مسألة: في معنى قوله تعالى : ﴿ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾	١٠٣٦
سورة القصـــص	١٠٤٣
مسألة: في المراد من الوحي	١٠٤٣
مسألة : في معنى قوله تعالى : ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ﴾	١٠٤٨
مسألة: في الاختلاف في معنى الباء في قوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾	١٠٥٦
مسألة: في المراد بقوله تعالى : ﴿ يَأْتَمِرُونَ بِكَ ﴾	١٠٦١
مسألة : في معنى قوله تعالى : ﴿ تَذُودَانِ ﴾	١٠٦٦

مسألة : في عود الضمير في ﴿ أَوَلَمۡ يَكۡفُرُواْ ﴾ وفي ﴿ قَالُواْ ﴾	١٠٧٠
مسألة : في الاختلاف في متعلق قوله تعالى : ﴿ مِن قَبۡلُ ﴾	١٠٧٤
مسألة: في عود الضمير في قوله تعالى : ﴿ ۞ وَلَقَدۡ وَصَّلۡنَا لَهُمُ ٱلۡقَوۡلَ ﴾	١٠٧٧
مسألة : في المراد بمن ﴿ وَعَدۡنَٰهُ ﴾ ، وبمن ﴿ مَّتَّعۡنَٰهُ ﴾	1081
مسألة : المراد بالمفاتح في الآية	1084
الخاتمـــــــــــــــة	١٠٩١
الفهارس	١٠٩٤
فهرس الآيات القرآنية الكريمة المدروسة	١٠٩٥
فهرس الأحاديث النبوية الشريفة	١١٠٤
فهرس الآثار عن الصحابة ﷺ والتابعين	١١٠٩
فهرس الأعلام	١١١٥
فهرس الغريب والمصطلحات العلمية	١١٢٥
فهرس الأماكن والبلدان	١١٣١
فهرس الشواهد الشعرية	١١٣٢
فهرس المصادر والمراجع	١١٣٨
فهرس الموضوعات	١١٨٣

تمت

بحمد الله

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم الكتاب والسنة

ترجيحات واختيارات ابن جزي الكلبي في تفسيره

عرضاً ومناقشة

من أول سورة العنكبوت وحتى آخر سورة غافر

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التفسير

إعداد الطالب:

عبد الحي بن دخيل الله بن مسلم المحمدي

الرقم الجامعي : ٤٢٤٧٠٠٨٦

إشراف فضيلة الشيخ:

الدكتور/ عبدالله بن علي الغامدي

١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

دكتوراه عبدالحي المحمدي (كلية الرسالة ... مع الفهارس) ٥

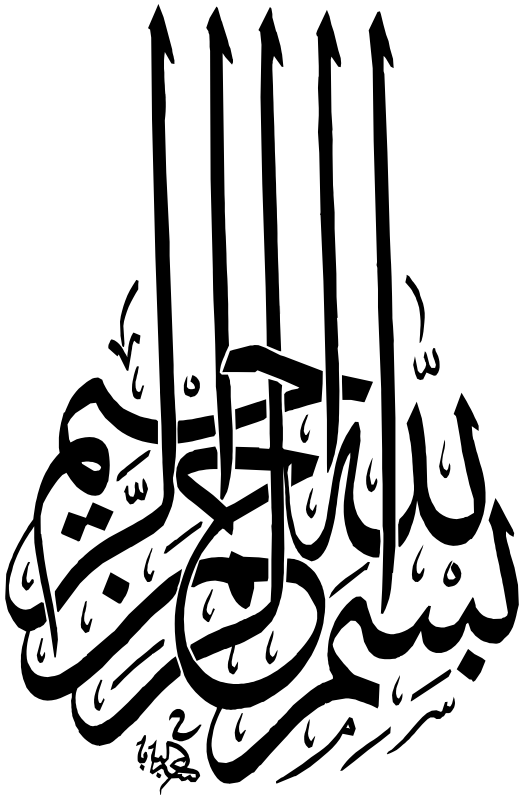

ملخص الرسالة

العنوان : ترجيحات واختيارات ابن جزي الكلبي في تفسيره عرضاً ومناقشة. من أول سورة العنكبوت وحتى آخر سورة غافر. لنيل درجة الدكتوراه .

اسم الباحث : عبدالحي بن دخيل الله بن مسلم المحمدي .

ويتكون البحث من مقدمة تضمنت : أهداف الموضوع، وأهميته، والسبب الباعث على درسه، والمنهج المتبع في البحث . ثم بعد ذلك المسائل الترجيحية لابن جزي ودراستها دراسة نقدية مقارنة .

ويكشف هذا الموضوع عن مدى قوة اختيارات ابن جزي الكلبي وترجيحاته في كتابه الشهير : التسهيل لعلوم التنزيل، ومدى موافقتها ومخالفتها لترجيحات المحققين من المفسرين، واستدلالاته على الترجيح وبيان مبناها .

وقد أبان البحث عن قوة ترجيحات ابن جزي رحمه الله تعالى، حيث وافق في ترجيحه القول الصحيح في الأعم الأغلب من المسائل محل البحث . وأنه لم يكن مقلداً في ترجيحاته.

كما أن تفسير ابن جزي يعتبر من قبيل التفسير بالمأثور، فهو مليء بالأحاديث المنقولة عن النبي صلى الله عليه وسلم، والتي قد يتعرض لها أحياناً بذكر الحكم عليها صحة وضعفاً من غير مناقشة . كما أنه مشحون بالأقوال المأثورة عن الصحابة والتابعين في تفسير كلام رب العالمين . وقد كان ابن جزي عليه رحمة الله تعالى له عناية كبيرة بالجوانب اللغوية في التفسير .

ويعتبر تفسير ابن جزي عليه رحمة الله تعالى، صغير الحجم لكنه عظيم النفع، فهو مختصر العبارة، لكنه دقيق الإشارة

المشرف على الرسالة : الباحث :

د / عبدالله بن علي الغامدي عبدالحي بن دخيل الله المحمدي

The thesis abstract

Title : The preferences and anthologies of Ibn Juzai Al Kalby in his rhetorical and explanatory interpretation from the beginning of Surat Ul Ankabut till the end of Surat Ghafer to obtain the PhD degree.

The researcher's name : Abdul Hai Bin Dekheilallah Bin Musalam Al Muhamady

The research is composed of a preface that includes :

The objectives of the topic , its importance , the reason for studying it and the approach adopted in the research

This topic reveals how powerful the anthologies and preferences of Ibn Juzai Al Kalby are in his well known book,

" Facilitating the revelation Sciences " and to what extent the anthologies and preferences of Ibn Juzai Al Kalby agree or disagree with the preferences of the interpreters and his inferences on his preferences and evidences .

The researcher shows how powerful the preferences of Ibn Juzai Al Kalby are . His preferences agree with the right response of most of the issues of the research and that his preferences are not an imitation of previous ones.

In his interpretation , Ibn Juzai explained by means of the sayings of the prophet and his fellowmen . His interpretation is full of the sayings of the prophet Peace be upon him . He sometimes talks about the sayings superficially in terms of their weakness or properness . Ibn Juzai 's interpretation is full of the fellowmen's sayings on the interpretation of the Holy Quran . Ibn Juzai , May God bless him with his mercy, concentrates more on the linguistic aspect of interpretation .

The interpretation version of Ibn Juzai , May God bless him with his mercy, is considered small in size but it is extremely useful as it contains concise statements .However, it is neatly indicative .

The supervisor on the research — Dr. Abdullah Bin Aly Al Ghamdy

The researcher — Abdul Hai Bin Dekheilallah Al Muhamady

دكتوراه عبدالحي المدني (كامل الرسالة بـ مع الفهارس) ٥

المقدمـــة

إن الحمد لله نحمد ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله مـن شرور أنفسـنا، ومن سيئات أعمالنا، مَن يهده الله فلا مضل له، ومَن يُضلل فلا هادي له، وأشـهد ألا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحمداً عبده ورسوله، أدَّى الأمانة، ونَصَـح الأمـة، وجاهَد في الله حقَّ جِهَاده، وتَرَكَنا على المَحَجَّة البيضاء، ليْلها كنَهَارِهـا لا يزيـغ عنهـا إلا هالك؛ فصلى الله وسلم عليه، وعلى آله، وأصحابه، ومَن تَبِعَهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

(ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽) [آل عمران: ١٠٢]

(ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽) [النساء:١]

(ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽) [الأحزاب: ٧٠ - ٧١]

أما بعـــــد: -

فإن من أشرف العلوم علم كتاب الله تعالى، فقد نال شرفه بكونه متعلق بكـلام الله تعالى، والعلم يشرف بشرف المعلوم، وبكونه أحد علوم الشريعة التي اختصـت بسـعادة الدارين، بخلاف علوم الدنيا، فإنها تنتهي منافعها بانتهاء حياة العبد في الدنيا، ولـذا قـال الله تعالى عن أصحابها: (ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽) [الروم:٧].

وقد شرفني الله تعالى بالانتساب إلى ركب المشتغلين بكتاب الله تعالى وتفسيره مـن خلال دراستي لمرحلة الدكتوراه، في جامعة أم القرى، شرفها الله. فبعد انتهائي من السنة التحضيرية، كانت المداولة مع بعض مشائخنا النبلاء، الذين كان لهم الأثر الكبير علينا في مسيرتنا العلميـة في الماجسـتير والـدكتوراه، حتـى اسـتقر الأمـر بالـدخول في مشـروع: ترجيحات ابن جزي الكلبي في كتابه التسهيل لعلوم التنزيل. وكان نصيبي منه من بدايـة العنكبوت حتى نهاية سورة غافر.

وقد كانت أهداف الموضوع كما يلي:

١ - جمع ترجيحات واختيارات ابن جزي الكلبي في تفسيره، في القسم الخاص بي.

٢ - دراسة هذه الترجيحات ومناقشتها مناقشة علمية.

٣ - توضيح منهج ابن جزي في الترجيح.

٤ - إبراز جهود ابن جزي في تحقيق أقوال المفسرين.

أما أهمية الموضوع فإنها تتضح من خلال النقاط التالية:

١ - مكانة ابن جزي وشهرته وإتقانه للعلوم المختلفة، فقد أثنى عليه غير واحد من العلماء في ذلك. قال عنه ابن الخطيب: «... مشاركاً في فنون من العربية والفقه والأصول والقراءات والحديث والأدب، حُفَظَةً للتفسير، مستوعباً للأقوال». [1]

٢ - القيمة العلمية لكتاب التسهيل، ويظهر ذلك للعيان من خلال المقدمتين اللتين كتبهما ابن جزي قبل الشروع في تفسير القرآن، من خلال منهجه في كتابه.

٣ - تأخر زمن ابن جزي عن سابقيه من أئمة التفسير، الأمر الذي مكنه من الاطلاع على كتبهم وسبرها، وجمع أقوال المفسرين.

٤ - عناية ابن جزي بتحقيق أقوال المفسرين، والترجيح بينها، وقد عدَّ ابن جزي هذا الأمر مقصداً من مقاصد تأليف كتابه.

٥ - وضوح فكرة الترجيح والاختيار في ذهن ابن جزي، ورصانة المنهج الذي اختطه في الترجيح والاختيار. وفي ذلك يقول عليه رحمة الله تعالى:

« ... وإني جعلت لهذه الأقسام عبارات مختلفة تعرف بها كل مرتبة، وكل قول؛ فأدناها ما أصرح بأنه خطأ أو باطل، ثم ما أقول فيه: إنه ضعيف أو بعيد، ثم ما أقول: إن

---

(١) انظر: الديباج المذهب لابن فرحون المالكي: (١ / ٢٩٥).

دكتوراه عبدالعلي الحمدي (كلية الرسالة .. مع الفهارس) ٥

غيره أرجح أو أقوى أو أظهر أو أشهر، ثم ما أقدم غيره عليه، إشعاراً بترجيح المتقدم، أو بالقول فيه: قيل كذا... ».[1]

وأما أسباب اختيار الموضوع فهي كما يلي:

١ - الاشتغال بكتاب الله وتدبره، إذ هو خير ما أفنيت فيه الأعمار.

٢ - أهمية الموضوع وقد أشرت إليه آنفاً.

٣ - تنمية الملكة العلمية للباحث من خلال مناقشة الأقوال والموازنة بينها والترجيح المبني على الدليل.

٤ - تنوع العلوم التي يحصلها الباحث من خلال دراسة الترجيحات والاختيارات.

٥ - الرغبة المُلِحَّة لَدَيَّ في دراسةِ تفسير هذا الإمام، على عدم أهليةٍ مِنِّي لِمِثْل هذا العمل، ولكن كما قال الشاعر:

أسير خَلْف رِكَاب النُّجْب ذا عَرَجٍ ... مؤمِّلاً كَشْف ما لاقيتُ مِن عوجِ

فإنْ لَحِقْت بِهم من بعد ما سبقوا ... فكم لِرَب الوَرَى في ذاك مِن فرجِ

وإن بقيت بظهر الأرض منقطعاً ... فما على عرجٍ في ذاك من حرجِ

---

(١) انظر: مقدمة ابن جزي: (ص: ٨٧٢).

خطة البحـــث:

لقد اقتضت طبيعة البحث أنْ أُخْرِجَه مُشْتَمِلاً على: مقدمةٍ، وتَمْهيدٍ، ومن ثـم سرد المسائل الترجيحية مرتبـة حسـب ترتيـب السـور مـن بدايـة سـورة العنكبـوت وحتـى آخرسورة غافر.، ثم الخاتمة، والفهارس، واشتمل كلُّ واحدٍ مِمَّا مَضَى على ما يَلِي:

أولاً / المقدمة وتشتمل على:

١ - أهداف الموضوع.

٢ - أهمية الموضوع.

٣ - أسباب اختيار الموضوع.

٤ - خطة البحث.

ثانياً / التمهيد ويشتمل على : مبحثين :

المبحث الأول : ملخص منهج ابن جزي في تفسيره من خلال قسم الدراسة.

المبحث الثاني : ترجمة موجزة لابن جزي عليه رحمة الله تعالى.

ثالثاً / ترجيحات ابن جزي مسرودة حسب ترتيب السور.

١ - المسائل الترجيحية في سورة: العنكبوت.

٢ - المسائل الترجيحية في سورة: الروم.

٣ - المسائل الترجيحية في سورة: لقمان.

٤ - المسائل الترجيحية في سورة: السجدة.

٥ - المسائل الترجيحية في سورة: الأحزاب.

٦ - المسائل الترجيحية في سورة: سبأ.

٧ - المسائل الترجيحية في سورة: فاطر.

٨ - المسائل الترجيحية في سورة: يس.

٩ - المسائل الترجيحية في سورة: الصافات.

دكتوراه عبدالعلي المدني (كامل الرسالة .:. مع الفهارس) 5

١٠ – المسائل الترجيحية في سورة: ص.

١١ – المسائل الترجيحية في سورة: الزمر.

١٢ – المسائل الترجيحية في سورة: غافر.

رابعاً / الخاتمة :

وفيها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث.

خامساً / الفهارس العلمية العامة وتحتوي على:

١ – فهرس الآيات القرآنية الواردة في الرسالة.

٢ – فهرس الأحاديث النبوية.

٣ – فهرس الآثار.

٤ – فهرس الأعلام.

٥ – فهرس القبائل والملل .

٦ – فهرس الأماكن والبلدان .

٧ – فهرس الأشعار.

٨ – فهرس المراجع والمصادر.

٩ – فهرس الموضوعات.

دكتوراه عبدالعلي المدري (كامل الرسالة .. مع الفهارس) ٥

المنهج المتبع في كتابة البحث:

١ - أَنَّنِي قمت بِجَردٍ شاملٍ لكلِّ المسائل الترجيحية في القسم الخاص بي.

٢ - ابتدئ بدراسة كل آية على حدة فأذكر المسائل المندرجة تحتها وكأنها باب واحد، فأقول: الكلام على قوله تعالى: ((...)) ثم أذكر الآية وبعد ذلك أذكر عدد المسائل الترجيحية لابن جزي في هذه الآية فأقول: والآية فيها مسألتان - على سبيل المثال. المسألة الأولى كذا - وأترجم لها بترجمة من عندي. ثم أسوق كلام ابن جزي منصصا بين علامتي التنصيص المعروفة تمييزاً له عن بقية الكلام. ثم أبين الأقوال في هذه المسألة كل قول على حدة، فأقول: القول الأول: كذا - وأترجم له من عندي، ثم أذكر من قال به من المفسرين وما استدلوا به إن كان لهم على قولهم دليل، وأرتبهم في ذكره حسب وفياتهم في الغالب، إلا إذا كان هناك ما يستدعي الخلف. وأصنع بالقول الثاني كصنيعي في القول الأول. وهكذا بقية الأقوال إن وجدت.

ثم بعد ذلك يأتي دور الترجيح، فأذكر القول الراجح معللاً، ومعضوداً بالأدلة، وقواعد التفسير والمرجحات التفسيرية المعتمدة عند أهل هذا الفن.

٣ - إذا كانَ فِي وسَطَ الكَلام الذي أنقله حذف أَشَرْتُ إليه بِعَلامةِ الحذْف المعروفة: (...) هذا إذا كان الكلام المحذوف قليلاً، أمَّا إذا كانَ كثيراً فإنِّي أَضَعُ علامةَ الحذْف، ثُمَّ علامَة التَّنْصيص، إِيذَانَاً بِنِهَاية النَّقْل.

٤ - أذكر الآية عنوان المبحث كاملةً ولو لم يرجح ابن جزي إلا في بعض مسائلها.

٥ - أعْزو كلامَ ابن جزي إلى موضعه في تفسيره في نِهاية النَّقْل، مُشيراً إلى بدايته ونِهايَته في الحاشية.

٦ - أقومُ بتوْثيق النُّقُولات التي يَنْقلها ابن جزي - رحِمه الله - في المادَّة التَّفْسيريَّة التي أَدْرُسها - من مصادرها الأصليَّة بِقْدر الاسْتِطاعة.

٧ - أقُومُ بعزوِ الآيات القُرْآنيَّة إلى مَواضِعِها في المصْحف، مُشيراً إلى اسْم السُّورة ورَقْم الآية، وذلك تِلْو الآية مُبَاشَرةً في الصُّلْب، لِكَيْلا تَثْقُل الحواشِي، وأَجْعَلُها بَيْن معكوفتين بِخَطٍّ صغيرٍ هكذا مثلاً: [النور:٥].

٨ - أقومُ بتخريج الأحاديث النَّبَوية التي يَسْتَشهد بِها ابن جزي وعزوِها إلى مَصَادِرِها والحُكْم عليْها بِقَدر الإمْكان، فمَا كانَ منْها في الصَّحِيحيْن أو أحَدِهِما، اكْتَفَيْت بِعَزْوه لَهما أو لأحَدِهِما، وإنْ لَم يكُن فيهِما أو في أحدِهِما، فإنِّي أذْكُر مَن أخْرَجه مِن أهلِ الحديث فِي دَوَاوين السُّنَّة المشْهورة، وغالِباً ما أَخْتِم الكلامَ على الحديثِ بِحُكْم الشيخ الألباني رحمه الله تعالى رحمةً واسعة؛ وأجْعَلُ الحُكْم النِّهَائِي المُشْعر بالصِّحَّة أو الحُسْن أو الضَّعْف في أوَّلِ الكَلام على الحديث، فأقول على سبيل المثال: هذا الحديث: صحيح. أخرجه فلان وفلان مثلاً.

٩ - غالباً لا أذْكُر إلا الجزْءَ والصَّفْحة عند العزو إلا إذا كانت هناك حاجة.

١٠ - أُتَرْجم للأعلام غير المشَهورين.

١١ - عَزَوتُ الأشْعارَ إلى قائِلِيها بِحَسب الإمْكان.

١٢ - قُمْت بتَفْسير الكَلِمات الغَرِيبة الوارِدَة في البَحْث.

١٣ - عَرَّفتُ بالمصْطَلحاتِ الخاصَّة والأُصُوليَّة الوارِدَة في البَحْث.

١٤ - أعرِّفُ بالأمَاكِن والبُلْدان الوارِدة في البَحْث.

١٥ - أُعَرِّفُ بالقَبَائلِ والمِلَل والنِّحَل الواردة فِي البَحْث.

١٦ - رقمت المسائل المدروسة برقم مسلسل في الهامش الأيمن من الرسالة قبالة كل مسألة ورمزت لها برمز يشير للمسألة مع رقم التسلسل هكذا : [مس : ٤] مثلاً .

شكرٌ وتقدير لأهل العرفان

فانطلاقاً من حديث المصطفى ﷺ: (**من لا يشكر الناس لا يشكر الله**) [1] فإني أتوجَّه بالشكر الجزيل - بعد شكر الله عز وجل ولي كل النعم - لهذه الدوحة الغنَّاء، ذاتِ الثمار اليانعة، والعطاء المتميز، والتي عشنا تحت ظِلالها حقبة من الزمن، فكانت من أرْوَع الأيام، تلك هي جامعة أمِّ القُرى؛ وأخصُّ بالشكر كل أساتذتي وأشياخي في كلية الدعوة، وفي قسم الكتاب والسنة على وجه الخصوص أيضاً، الذين تَبَنَّوا هذا الموضوع مُنْذ مهده، وأُفْرِد بشكرٍ خاصٍ مِن بين هؤلاء لشيخي وأستاذي فضيلة الأستاذ الدكتور/ عبدالله خرمان الغامدي، إزاء ما بذله من جهد في متابعتي في هذا البحث وقراءته له مراتٍ عديدة، دون كللٍ أو مللٍ، فلم يبخل عليَّ بشيءٍ من وقته، فقد فتح لي قلبه قبل بيته، فكثيراً ما يتابعني هو بنفسه ابتداءً، وربما اتصل على بيتي، مما يجعلني أَشْحَذ هِمَّتي أكثرَ وأكثر، فجزاه الله خيراً، وأجزل له المثوبة في دار البقاء يوم يلقاه، هو وكلُّ مَن قدَّم لي معروفاً في هذا البحث المتواضع.

كما أتقدم بالشكر الوافر لكل من أسدى إلي معروفاً في هذا البحث بأي صورة كانت وعلى رأسهم فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور/ جمال بن مصطفى بن عبدالحميد. وفضيلة الشيخ الدكتور/ عبدالله بن سيف الأزدي. اللذين تفضلا بقبول مناقشة الرسالة، فلهما جزيل الشكر والامتنان.

وثمة إنسان له معروف خاص لا أستطيع وفاءه مهما بذلت، إلا أن يتولى الله عني سداد معروفه، بأن يغفر ذنبه، ويرفع منزلته ويجعل كتابه في عليين، وأن يجعله مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا - وهو والدي عليه رحمة الله تعالى، والذي عاش معي لحظات البحث حتى آخر أيامه في المستشفى وهو يصارع مرض الموت، فقد وافته المنية بعد منحي إذن الطبع بخمسة أيام، وكان يظن أني ناقشت

---

(١) الحديث : صحيح .أخرجه البخاري في الأدب المفرد : (٣٣) وأبو داود (٢ / ٢٩٠) وابن حبان : (برقم : ٢٠٧٠) والطيالسي : (برقم : ٢٤٩١) و أحمد (٢ / ٢٩٥ ، ٣٠٢ ، ٣٨٨ ، ٤٩٢) . وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة - (ج ١ / ص ٤١٥)

الرسالة. فأسأل الله أن يجزيه عنى خير ما جزى والداً عن ولده ، وأن يجعل قبره روضة من رياض الجنة، آمين، آمين، آمين.

اللهم ما كان في هذا البحث من صوابٍ فإنِّي أبتهل إليك بأسمائك الحسنى وبصفاتك العُلى، وأدعوك باسمك الأعظم الذي إذا سئلت به أعطيت وإذا دعيت به أجبت، أن تجعله خالصاً لوجهك الكريم، وما كان فيه من زلل وخطأ، أنْ تغفره لي وأنْ تُهيئ لي البصيرة به ومعرفته والرجوع عنه، وأن تريني الحق حقاً وترزقني اتباعه، وأن تريني الباطل باطلاً وترزقني اجتنابه، ولا تجعله ملتبساً عليَّ فَأَضِل، أنت حسبي ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بك، وصَلِّي اللهم على الحبيب المصطفى صاحب الحوض المورود، واللواء المعقود، صاحب الغرة والتحجيل، المذكور في التوراة والإنجيل، كلما هطلت الأمطار، وغرد الطير على الأشجار، وتعاقب الليل والنهار، وهبت رياح الأسحار، صلاة وسلاماً ممدودين إلى يوم الدين، وسَلِّم تَسْليماً كثيراً.

وفيه مبحثـــــــان : -

- **المبحث الأول : ملخص منهج ابن جزي في تفسيره من خلال قسم الدراسة.**

- **المبحث الثاني : ترجمة موجزة لابن جزي عليه رحمة الله تعالى.**

* * * * * *

دكتوراه عبدالعلي المدري (كامل الرسالة :: مع الفهارس) 5

المبحث الأول : ملخص منهج ابن جزي في تفسيره من خلال قسم الدراسة

يتلخص منهج وطريقة ابن جزي في تفسيره في النقاط التالية :

١ – أن ابن جزي رتب تفسيره كبقية المفسرين على ترتيب سور القرآن.

٢ – أن ابن جزي قد اعتمد في تفسيره التفسير الإجمالي المختصر.

٣ – قد يترك ابن جزي بعض المواطن في بعض الآيات لا يتعرض لتفسيرها.

٤ – قد يصرح ابن جزي أحياناً بذكر مصادره التي نقل منها، وأحياناً ينقل عن بعض المفسرين ولا يعزو إليهم لعلة بينها في مقدمة تفسيره، كأن يتبنى الرأي بنفسه، أو أن يشك في نسبة النقل، أو يتصرف فيه بنوع تغيير.

٥ – أن ابن جزي إذا فسر الآية في موضع فإنه يحيل إلى هذا الموضع إذا تكرر نفس معنى الآية في مكان آخر.

٦ – ليس لابن جزي منهج مطرد في ترتيب المادة التفسيرية التي يعرضها في الآية، فتارة يقدم القول الراجح وتارة العكس، وتارة يقدم سبب النزول، وتارة يقدم المعنى العام، وهكذا.

٧ – يعتبر تفسير ابن جزي من التفسير بالمأثور، فإنه إذا صح عنده لا يتعداه إلى غيره، بل يكون عنده أحد المرجحات القوية في المسائل المحتملة لأكثر من معنى.

٨ – أن ابن جزي ينبه على صحة الحديث وضعفه أحياناً، وأحياناً يعلق الترجيح بصحة الحديث، فيقول : إن صح الحديث فهو المعول عليه.

٩ – أن تفسيره مليء بأقوال الصحابة والتابعين، مما يعني عنايته بالمأثور.

١٠ – أنه لم يف بشرطه الذي اشترطه على نفسه في مقدمة كتابه، وهو التزام المنهج الصحيح فيما يتعلق بالإسرائيليات، بل وانتقد بعض المفسرين الذين أكثروا من القصص الإسرائيلي، إلا أنه وقع في شيء من ذلك كما في قصة داود عليه السلام.

١١ – أن ابن جزي يهتم كثيراً باللغة والإعراب، وأما الشواهد الشعرية فلا تكاد تذكر.

١٢ – رسم ابن جزي في خطته بأنه يحقق أقوال المفسرين ويبين الراجح والمرجوح، وفي نظري أنه ترك مسائل كثيرة لم يرجح فيها، ومسائل أخرى رجح فيها خلاف الصواب ولكن الأخير نسبته قليلة إلى ما وافق فيه الصواب، والله أعلم.

١٣ – أن تفسير ابن جزي على صغر حجمه واختصار عبارته، قد حوى درراً نفيسة، ربما تغنيك عن كثير من المطولات في بعض الأحايين.

١٤ – ابن جزي يهتم بتفسير القرآن بالقرآن، ولكنه لا ينبه عليه دائماً.

١٥ – يهتم ابن جزي بذكر القراءات في تفسيره، غير أنه بنى تفسيره على قراءة نافع.

١٦ – قد ينسب ابن جزي أحياناً القراءات إلى أصحابها، وفي بعض الأحيان يتركها غفلاً. كما اقتصر في عرضه للقراءات على المتواترة . وأما الشاذة فكان قليل الإيراد لها.

١٧ – ابن جزي لا يهتم بعزو الأحاديث التي يوردها، لكن ما يورده في الجملة من جنس المقبول، دون المردود.

١٨ – إذا لم يتبين له في الحديث حكم صحة وضعفاً فإنه يعلق تفسير الآية بصحة الحديث.

١٩ – لا يذكر ابن جزي من الحديث في الأعم الأغلب إلا موضع الشاهد فقط.

٢٠ – قد يغفل ابن جزي أحياناً ذكر بعض أسباب النزول مع صحتها، وقد يذكر أكثر من سبب ولا يرجح.

٢١ – يهتم ابن جزي كثيراً بالتفسير المنقول عن ابن عباس.

٢٢ – يذكر ابن جزي تفاسير التابعين دون التصريح بالنسبة وذكر القائلين. وقد علل هذا في مقدمته بأنه صنعه لقلة صحة إسنادها إليهم، فهو يصدرها دائماً بصيغة التمريض.

٢٣ – يذكر ابن جزي في تفسيره بعض المصطلحات التي يستعملها الصوفية وبعض المتكلمين كالفناء، والمشاهدة، والحقيقة ونحو ذلك.

٢٤ - منهج ابن جزي في الأسماء والصفات متردد فهو تـارة يميـل إلى التأويـل وتـارة يميل إلى الإثبات، وتارة يجنح للتفويض، ويسمي آيات الصفات بالمتشابهات أو المشـكلات. غير أن ميله إلى طريقة السلف في الإثبات أكثر.

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة :: مع الفهارس) ٥

المبحث الثاني : وفيه ترجمة موجزة عن ابن جزي عليه رحمة الله تعالى

❖ مولد ابن جزي :

ولد ابن جزي في يوم الخميس في التاسع من ربيع الثاني من عام ثلاثة وتسعين وستمائة من الهجرة النبوية، في مدينة غرناطة . [١]

❖ اسمـــه :

هو : محمد بن أحمد بن عبدالله بن يحي بن عبدالرحمن بن يوسف بن جزي الكلبي. [٢]

❖ كنيته وشهرته :

يكنى ابن جزي بأبي القاسم، وهي كنية جده أيضاً، وقد بين ابن جزي رحمه الله تعالى وجه المنع من التكني بكنية النبي صلى الله عليه وسلم، وأن هذا المنع منصرف إلى حياة النبي صلى الله عليه وسلم، وأن أبا بكر الصديق وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما قد كنى كل واحد منهما ولده أبا القاسم بعد ذلك. واشتهر رحمه الله تعالى بابن جزي بالتصغير. [٣]

❖ نسبه :

يرجع ابن جزي إلى قبيلة كلب العربية المشهورة وكلبٌ هذا هو : كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن الحاف بن قضاعة بن مالك بن عمرو بن مرة بن زيد بن مالك بن حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان. [٤]

---

(١) انظر : نفح الطيب : (٨ / ٣٠) ومعجم المؤلفين لرضا كحالة : (٩ / ١١) .

(٢) انظر : الإحاطة : (٣ / ٢٠) .

(٣) انظر : زاد المعاد : (٢ / ١٠) وفتح الباري : (١٠ / ٥٧٤) .

(٤) انظر : جمهرة أنساب العرب لابن حزم : (ص : ٤٥٧) .

دكتوراه عبدالعلي الحمدي (كامل الرسالة .. مع الفهارس) ٥

❖ أسرة ابن جزي :

لقد كان جده الأقرب محمد بن عبدالله بن يحي بن جزي فقيهاً علامة وراوية للعلم. وأما أبوه فقد كان من أهل الأصالة والذكاء وكان قد عهد إليه بالنظر في أمر الغنائم ببلده وكان محموداً، وله طلب وسماع. (١)

وأما أبناؤه : فقد ترك ثلاثة من الولد وهم :

١ – القاضي أحمد بن محمد بن جزي ويكنى بأبي بكر.

٢ – الكاتب محمد بن محمد بن جزي ويكنى بأبي عبدالله.

٣ – القاضي عبدالله بن محمد بن جزي ويكنى بأبي محمد.

وهم كلهم من أهل العلم والفضل والمشيخة، وهذا يدل على أن أسرة ابن جزي أصوله وفروعه، أسرة علم وفضل ونبل . (٢)

❖ شيوخه :

١ – قرأ على الأستاذ أبي جعفر بن الزبير، وأخذ عنه العربية والفقه والحديث والقرآن .

٢ – روى عن أبي الحسن بن مستور .

٣ – قرأ القرآن على الأستاذ المقرئ أبي عبدالله بن الكماد .

٤ – وسمع من الشيخ الوزير أبي محمد عبدالله بن أحمد بن المؤذن .

٥ – وكذا من الراوية المسن أبي الوليد الحضرمي .

٦ – كما روى عن الشيخ أبي زكريا البرشاني .

٧ – وعن الراوية الخطيب أبي عبدالله محمد بن محمد بن علي الأنصاري .

٨ – وعن القاضي أبي عبدالله بن يرطال .

٩ – وعن الخطيب الولي أبي عبدالله الطنجالي .

---

(١) انظر : الإحاطة : (٣/ ٤٥٢) .

(٢) انظر : الإحاطة : (٣/ ٣٩٢)

دكتوراه عبدالعلي الحمدي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

١٠ – وعن الشيخ الوزير ابن أبي عامر بن ربيع .

١١ – وعن الأستاذ النظار أبي القاسم قاسم بن عبدالله بن الشاط .[١]

❖ تلاميذ ابن جزي :

١ – لسان الدين ابن الخطيب .

٢ – أبو الحسن النباهي .

٣ – عبدالحق بن محمد بن عطية من ولد صاحب المحرر الوجيز .

٤ – محمد بن محمد ابن الخشاب .

٥ – محمد بن قاسم بن أحمد الأنصاري المشهور بابن الشُّدَيِّد .

٦ – أبو محمد عبدالمهيمن بن محمد بن عبدالمهيمن المشهور بالحضرمي .

٧ – سعيد بن محمد بن إبراهيم الغساني الغرناطي .[٢]

❖ وفاته :

استشهد ابن جزي – رحمه الله – صباح يوم الاثنين في السابع من جمادى الأولى عام واحد وأربعين وسبعمائة، في معركة طريف، وقد أبلى فيها بلاء حسناً، فكان آخر عهده قبل موته يحرض الناس على الجهاد ويشحذ هممهم .[٣]

---

(١) انظر : الإحاطة : (٣ / ٢٣) .

(٢) انظر : الدرر الكامنة : (٣ / ٤٦٩) ونيل الابتهاج على هامش الديباج : (ص : ٢٠٥) والإحاطة : ٣ / ٥٥٥) وطبقات القراء لابن الجزري : (٢ / ٢٥٧)

(٣) انظر : الإحاطة : (٣ / ٣) ونهاية الأندلس : (ص : ٤٦٧) .

دكتوراه عبدالعلي الحمدي (كامل الرسالة .. مع الفهارس) ٥

ترجيحات واختيارات ابن جزي الكلبي في تفسيره

عرضاً ومناقشة

من أول سورة (العنكبوت) وحتى آخر سورة (غافر)

دكتوراه عبدالعلي المدري (كامل الرسالة :: مع الفهارس) 5

ترجيحات واختيارات ابن جزي الكلبي في تفسيره

سورة العنكبوت

الكلام على قوله تعالى: (□ □ □ □ □ □ □ □ □ □□ □ □ □□)

[العنكبوت:٥]

والآية فيها مسألة واحدة وهي: ما المراد بالرجاء في الآية؟.

قال ابن جزي رحمه الله تعالى:«الآية تسليةٌ للمؤمنين، ووعدٌ لهم بالخير في الدار الآخرة، والرجاء هنا على بَابِه، وقيل: هو بمعنى الخوف».[١]

والمسألة فيها قولان:

القول الأول: أن الرجاء على بابه، بمعنى: يؤمل.

قال الطبري: يقول تعالى ذكره: من كان يرجو الله يوم لقائه، ويطمع في ثوابه، فإن أجله لبعث خلقه للجزاء والعقاب لآت قريباً.[٢] وكذا قال الحافظ ابن كثير.[٣]

وقال الماوردي: من كان يؤمل.[٤] قال ابن عطية: والصحيح أن الرجاء ههنا على بابه متمكنا.[٥]

ونقل البغوي عن سعيد بن جبير قال: من كان يطمع في ثواب الله (□ □ □ □) يعني: ما وعد الله من الثواب والعقاب.[٦]

وهذا المعنى هو الذي قرره الزجاج وقال مجيباً عن القول الثاني: فأما من قال: إن ذلك معناه الخوف، فالخوف ضد الرجاء، وليس في الكلام ضد.[٧]

قال السعدي: يعني: يا أيها المحب لربه، المشتاق لقربه ولقائه، المسارع في مرضاته، أبشر بقرب لقاء الحبيب، فإنه آت، وكل آت إنما هو قريب، فتزود للقائه، وسر نحوه، مستصحبا الرجاء، مؤملا الوصول إليه، ولكن، ما كل من يَدَّعِي يُعْطَى بدعواه، ولا كل من تمنى يعطى

---

(١) التسهيل لابن جزي: ص(٥٢٧).
(٢) تفسير الطبري (٢٠/ ١٢٣ معاني القرآن للنحاس (٥/ ٢٠٩).
(٣) ابن كثير ٣/ ٤١٥).
(٤) النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٢٧٦)، تفسير السمعاني (٤/ ١٥٩).
(٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٣٠٧).
(٦) تفسير البغوي (٣/ ٤٥٦).
(٧) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤/ ١٦٠).

دكتور/ عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة :: مع الفهارس) ٥

ما تمناه، فإن اللهّ سميع للأصوات، عليم بالنيات، فمن كان صادقا في ذلك أناله ما يرجو، ومن كان كاذبا لم تنفعه دعواه، وهو العليم بمن يصلح لحبه ومن لا يصلح.[١]

القول الثاني: أن الرجاء هنا بمعنى الخوف.

فأخرج ابن أبي حاتم بسنده عن سعيد بن جبير في الآية أنه قال: من كان يخشى. وروى عن السدي مثل ذلك.[٢] وكذا نقل الماوردي.[٣] ونقل ابن عطية عن أبي عبيدة قال: (□) ههنا ههنا بمعنى: يخاف.[٤]

ونقل البغوي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، ومقاتل في الآية قالا: من كان يخشى البعث والحساب. والرجاء بمعنى الخوف.[٥]

وقال القرطبي: يرجو بمعنى يخاف، من قول الهذلي في وصف عسال:

إذا لسعته النحل لم يرج لسعها[٦]

ثم قال: وأجمع أهل التفسير على أن المعنى: من كان يخاف الموت، فليعمل عملاً صالحاً، فإنه لابد أن يأتيه.[٧] ونقل ابن الجوزي عن ابن قتيبة أنه قال كذلك.[٨]

الترجيح:

والذي يظهر والعلم عند الله، أن الرجاء في هذه الآية على بابه، وهو ما رجحه ابن جزي عليه رحمة الله تعالى، وذلك لعدة أمور:

الأمر الأول: أن هذا القول لم يذكر غيره الطبري وابن كثير والسعدي، وصححه ابن عطية وقدمه جمهور المفسرين.

---

(١) تفسير السعدي (١/ ٦١٩).

(٢) تفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٢٧).

(٣) النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٢٧٦)، تفسير السمعاني (٤/ ١٥٩).

(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٣٠٧).

(٥) تفسير البغوي (٣/ ٤٥٦).

(٦) البيت لأبي ذؤيب الهذلي كما في جمهرة أشعار العرب (١/ ٢٠).

(٧) تفسير القرطبي (١٣/ ٣٢٠).

(٨) زاد المسير (٦/ ٢٥١).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

الأمر الثاني: أن أهل اللغة ذكروا أن الرجاء يأتي بمعنى الخوف ويأتي على بابه، ولكنه لا يكون بمعنى الخوف إلا مع الجحد. فنقل ابن منظور عن الفراء قال: الرجاء في معنى الخوف لا يكون إلا مع الجحد، تقول: ما رجوتك أي: ما خفتك؛ ولا تقول: رجوتك في معنى خفتك. وأنشد لأبي ذؤيب:

إذا لسعته النحل لم يرج لسعها وخالفها في بيت نوبٍ عواسل.[1]

قال الفراء: رجا في موضع الخوف إذا كان معه حرف نفي، ومنه قول الله ﷻ (ڈ ڈ ژ ژ ڑ) (نوح: ١٣) المعنى: لا تخافون لله عظمة. قال الراجز:

لا ترتجي حين تلاقي الذائدا أسبعة لاقت معاً أو واحداً[2]

قال: وقال بعض المفسرين في قوله تعالى: (ۆ ۈ ۈ ۇ ۆ ۆ) (النساء: ١٠٤) معناه تخافون. قال: ولم نجد معنى الخوف يكون رجاءً إلا ومعه جحد، فإذا كان كذلك كان الخوف على جهة الرجاء والخوف، وكان الرجاء كذلك، كقوله ﷻ: (پ پ پ پ) (الجاثية:١٤) هذه للذين لا يخافون أيام الله، وكذلك قوله تعالى: (ٹ ٹ ٹ ٹ) وأنشد بيت أبي ذؤيب: إذا لسعته النحل لم يرج لسعها.

قال: ولا يجوز رجوتك وأنت تريد خفتك، ولا خفتك وأنت تريد رجوتك، وقوله تعالى: (ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ) (الفرقان:٢١) أي: لا يخشون لقاءنا. قال ابن بري: كذا ذكره أبو عبيدة.[3]

ولما كان القرآن عربياً فإن من قواعد تفسيره أن يُسْلك به في الاستنباط والاستدلال مسلك العرب في تقرير معانيها.[4]

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

(١) تقدم في ص : (٢٤) .

(٢) لسان العرب لابن منظور: (١٤/ ٣١٠). والبيت ذكره المعافى بن زكريا في كتاب الجليس الصالح والأنيس الناصح (١/ ٤٣٠)، وهو في القرن الرابع الهجري.

(٣) لسان العرب: (١٤/ ٣١٠).

(٤) مختصر قواعد التفسير للسبت: ص(٥).

الكلام على قوله تعالى: (ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ٹ ٹ ٹ ٹ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ).[العنكبوت: ٨]

والآية فيها مسألة واحدة وهي: فيمن نزلت هذه الآية ؟.

قال ابن جزي رحمه الله: « نزلت في سعد بن أبي وقاص وأنه لما أسلم حلفت أمه أن لا تستظل بظل حتى يكفر. وقيل: نزلت في غيره ممن جرى له مثل ذلك فأمرهم الله بالثبات على الإسلام، وألا يطيعوا الوالدين إذا أمروهم بالكفر وعبر عن أمر الوالدين بالجهاد مبالغة»[(١)]

والمسألة فيها قولان:

القول الأول: أن الآية نزلت في سعد بن أبي وقاص ﷺ.

وقد أخرج ابن جرير[(٢)] وابن أبي حاتم[(٣)] عن قتادة في قوله تعالى: (ٹ ٹ ٹ ٹ) قال: نزلت في سعد بن أبي وقاص لما هاجر، قالت أمه: والله لا يظلني بيت حتى يرجع، فأنزل الله في ذلك أن يحسن إليهما، ولا يطيعهما في الشرك.

وذكر القرطبي[(٤)] وابن كثير عند تفسير هذه الآية حديث سعد قال: نزلت فيَّ أربع آيات فذكر قصته وقال: قالت أم سعد: أليس الله قد أمرك بالبر ؟ والله لا أطعم طعاماً ولا أشرب شراباً حتى أموت أو تكفر. قال: فكانوا إذا أرادوا أن يطعموها شجروا فاها فنزلت: (ٹ ٹ ٹ ٹ) الآية.[(٥)] قال الحافظ ابن كثير: وهذا الحديث رواه الإمام أحمد ومسلم وأبو داود والنسائي أيضاً، وقال الترمذي حسن صحيح.[(٦)]

---

(١) التسهيل لابن جزي: ص(٥٢٨).

(٢) تفسير الطبري (٢٠/ ١٢٣).

(٣) تفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٢٧).

(٤) انظر: معاني القرآن (٥/ ٢٠٩)، تفسير الثعلبي (٧/ ٢٦٥)، تفسير السمعاني (٤/ ١٦٨)، تفسير البغوي (٣/ ٤٥٦)، زاد المسير (٦/ ٢٥١)، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٣٠٧)، تفسير القرطبي (١٣/ ٣٢٠).

(٥) الحديث: صحيح: أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: (١٢/ ١٤٢ برقم:٤٤٣٢)، والترمذي: (١٠/ ٤٧٤ برقم:٣١١٣)، وأحمد في: (٤/ ٣٨ برقم:١٥٢٨)، والنسائي في الكبرى: (٩/ ٢٦).

(٦) تفسير ابن كثير (٣/ ٣٩٧).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

وقال البغوي: نزلت هذه الآية، والتي في سورة لقمان والأحقاف في سعد ﷺ. [1]

القول الثاني: أنها نزلت في عياش بن أبي ربيعة ﷺ.

قال القرطبي: قال ابن عباس: نزلت في عياش بن أبي ربيعة أخي أبي جهل لأمه، وقد فعلت أمه مثل ذلك.[2] وذكر ابن عطية أن أبا جهل استدرجه حتى رده إلى أمه.[3]

ولم يذكر الواحدي القول الثاني، وأكثر المفسرين ذكروه بصيغة التمريض.[4]

الترجيح:

والذي يظهر والعلم عند الله أن ما اختاره ابن جزي هو الصواب، وذلك لعدة أمور:

الأمر الأول: أنه قول جمهور المفسرين، وأما القول الآخر فمن ذكره فإنما يذكره في كتب التفاسير والسير بصيغة التمريض فلا ينتهض لمساواة القول الأول.

الأمر الثاني: أن دليل القول الأول ثابت في الصحيح وغيره. وما ثبت في الصحيح مقدم على غيره، لأن القاعدة تقول: إذا تعددت المرويات في سبب النزول، نظر إلى الثبوت، فاقتصر على الصحيح، ثم العبارة فاقتصر على الصريح منها، فإن تقارب الزمان حمل على الجميع، وإن تباعد حكم بتكرار النزول أو الترجيح. ثم إن الأصل هو عدم تكرر النزول. [5]

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

(١) تفسير البغوي (٣/ ٤٦٢).

(٢) يعني مثل صنيع أم سعد. انظر: النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٢٧٦)، وزاد المسير (٦/ ٢٥١)، وتفسير القرطبي (١٣/ ٣٢٠)، وتفسير الثعالبي (٧/ ٢٧٠).

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٣٠٧).

(٤) لباب النقول: ص(١٦٥).

(٥) مختصر قواعد التفسير للسبت: ص(٣).

الكلام على قوله تعالى: (ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾ ﷿ ﷽ ﷾ ﷿ ﷽ ﷾ ﷿

الترجيـــح: والراجح والعلم عند الله تعالى هو القـول الأول، وأمـا القـول الثـاني فغـير صحيح. وذلك لعدة أمور:

الأمر الأول: أن سياق الآيات يدل على أنهـا نزلـت في قـوم فتنـوا فـافتتنوا، فـذمهم الله تعالى، وهذا غير منطبق على من ذكروا من الصحابة كعياش وأبي جندل، فلم يذكر في تراجمهم في الاستيعاب ولا في الإصابة شيء من ذلك.

قال ابن جرير: عـن ابـن عبـاس، قولـه(ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ) (العنكبوت: ١٠) قال: فتنته أن يرتدّ عن دين الله إذا أوذي في الله. [٣]

الأمر الثاني: أن أهل التحقيق من المفسرين كابن جرير وابن كثير وابن عطية والواحدي والوادعي في أسباب النزول لم يذكروا غير القول الأول.

الأمر الثالث: أن القاعدة تقول: القول في الأسباب موقوف على النقل والسـماع. فمتـى ثبت النقل في ذلك أثبتناه وإلا فلا. [٤]

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

ذا الرمحين أسلم قديما وهاجر الهجرتين وكان أحد مـن يـدعو لـه النبـي ﷺ مـن المستضـعفين واستشـهد باليمامة وقيل باليرموك وقيل مات سنة خمس عشرة.انظر: تقريب التهذيب (١/ ٧٦٦). ولم أقف على من ذكر أنه ارتـد بعـد إسـلامه ثـم عـاد، الإصـابة في معرفـة الصـحابة: (٢/ ٣٢٨) الاسـتيعاب في معرفـة الأصحاب: (١/ ٣٨٢).

(١) تفسير القرطبي (١٣/ ٣٢٠).وانظر سيرة ابن هشام: (١/ ٤٧٤).

(٢) زاد المسير (٤/ ٤٩٣).

(٣) تفسير الطبري (٥/ ٢٢٩).

(٤) مختصر قواعد التفسير للسبت: ص(٣).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

الكلام على قوله تعالى: (ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ) العنكبوت: (آية: ١٧).

والآية فيها مسألة واحدة وهي: ما معنى(ڤ)؟.

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: « هو من الخلقة، يريد به نحت الأصنام، فسماه خلقة على وجه التجوز. وقيل هو من اختلاق الكذب ».[1]

والمسألة فيها قولان:

القول الأول: أن معنى: « تخلقون » على بابها، بمعنى تنحتون. فهو من نحت الأصنام وصناعتها بأيديهم ووضعها كذباً وزوراً للعبادة.[2]

فروى ابن جرير بسنده إلى ابن عباس في قوله: (ڤ ڤ) قال: تصنعون كذبا. وعنه أيضاً قال: تنحِتون تصوّرون إفكا. وعن قَتادة قال: تصنعون أصنامًا. وقال ابن زيد: (ڤ ڤ) الأوثان التي ينحتونها بأيديهم.

وهذا هو الذي رجحه ابن جرير فقال: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معناه: وتصنعون كذبًا...فتأويل الكلام إذن: إنما تعبدون من دون الله أوثانا، وتصنعون كذبا وباطلا.[3] ونقل ابن عطية عن ابن عباس قال: هو نحت الأصنام وخلقها. سماها « إفكاً » توسعاً من حيث يفترون بها الإفك في أنها آلهة.[1]

---

(١) التسهيل في علوم التنزيل: ص(٥٢٩).

(٢) انظر: تفسير مجاهد (٢/ ٤٨٦)، وتفسير الصنعاني (٣/ ٩٣)، وتفسير الطبري (٢٠/ ١٣٣)، وتفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٣٧)، ومعاني القرآن (٥/ ٢٠٩)، وتفسير السمعاني (٤/ ١٦٩)، وتفسير البغوي (٣/ ٤٥٦)، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٣٠٧)، وزاد المسير (٦/ ٢٦٢)، وتفسير القرطبي (١٣/ ٣٣٠)، وتفسير التحرير والتنوير (١٩/ ١٧١).

(٣) تفسير الطبري (٢٠/ ١٣٣)، وعبارة ابن جرير فيها شيء من الإيهام، فهي محتملة ولكن ابن كثير عليه رحمة الله حكى ترجيحه للقول الأول، فاعتبرته قرينة. وسبب الإيهام أنه رحمه الله ذكر في المسألة ثلاثة أقوال: الأول: أن المعنى وتصنعون كذباً وأسنده إلى ابن عباس. الثاني: تقولون كذباً وأسنده إلى ابن عباس ومجاهد. الثالث: تنحتون إفكاً وأسنده إلى ابن عباس وقتادة وابن زيد. وعبارات الجميع تعود إلى القولين الذين ذكرهما ابن جزي في المسألة، إلا أن إحدى عبارات ابن عباس ﷺ جعلها ابن جرير قولاً ثالثاً وهي قوله: وتصنعون كذباً. وكأن ابن كثير رحمه الله حمل القول الأول عند ابن جرير على القول =

قال ابن كثير: قال ابن عباس: وتصنعون إفكا، أي: تنحتونها أصناما. وبه قال مجاهد - في رواية -وعكرمة، والحسن، وقتادة وغيرهم، واختاره ابن جرير، رحمه الله.[٢]

قال القرطبي: (ﭫ ﭬ) قال الحسن: معنى «تخلقون» تنحتون، فالمعنى إنما تعبدون أوثانا وأنتم تصنعونها. [٣]

قال البغوي قال مجاهد: تصنعون أصناما بأيديكم فتسمونها آلهة.[٤]

ونقله ابن أبي حاتم عن ابن عباس ﷺ، وقتادة، وابن زيد، وعطاء.[٥]

القول الثاني: أن معنى: « تخلقون » تكذبون من اختلاق الكذب في أخبارها ومناقبها وأعمالها المكذوبة. [٦] وقد أخرج ابن جرير عن ابن عباس في قوله: (ﭫ ﭬ) يقول: وتقولون إفكا. وعن مجاهد قال: تقولون كذبا.[٧]

قال القرطبي: وقال مجاهد: الإفك الكذب. والمعنى تعبدون الأوثان وتخلقون الكذب.[٨] واستدلوا على هذا بقراءة أبي عبدالرحمن السلمي، وعون العقيلي وقتادة وابن أبي ليلى: «وتخَلَّقون» بفتح الخاء واللام وتشديد اللام وهو بمعنى الكذب على هذه القراءة[٩].

الترجيح:

والراجح والعلم عند الله تعالى أن المقدم من هذين القولين هو اختيار ابن جزي رحمه الله تعالى وذلك لعدة أمور:

=

الثالث، وجعلها قولاً واحداً، ثم حكى ترجيحه. وهذا هو الصحيح وهو ما صنعته، والله أعلم.

(١) والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٣٠٧).

(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٠٧).

(٣) وتفسير القرطبي (١٣/ ٣٣٠).

(٤) تفسير البغوي (٣/ ٤٥٦).

(٥) تفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٣٧).

(٦) انظر: الكشاف (٣/ ٤٤٣ زاد المسير (٦/ ٢٦٢)، وتفسير التحرير والتنوير (١٩/ ١٧١).

(٧) تفسير الطبري (٢٠/ ١٣٣).

(٨) تفسير القرطبي (١٣/ ٣٣٠).

(٩) انظر : شواذ القراءات للكرماني: (ص : ٣٧٢) .

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

الأمر الأول: أن هذا القول هو ترجيح المحققين من أهل العلم كابن جرير وغيره كما تقدم، وهو الذي عليه جمهور المفسرين.

الأمر الثاني: أن الخلق يطلق على افتراء الكذب مجازاً، وهو في صناعة الأصنام حقيقةً، والحقيقة مقدمة على المجاز. قال الزبيدي: ومن المَجازِ: خَلَقَ الإِفْكَ خَلْقاً: إِذا افْتَراهُ كاخْتَلَقَه وتَخَلَّقَه ومنه قوله تَعالَى: (ﭐ ﭑ).[1]

قال الرازي في مختار الصحاح: وخَلَق الإِفْكَ من باب نَصَر واخْتَلَقَه وتَخَلَّقَه افْتَرَاه. ومنه قوله تعالى (ﭐ ﭑ).[2]

وعلى كل حال فالآية محتملة لكلا القولين، ولا تعارض بينهما، خاصة، وأن كلا القولين مأثور عن ابن عباس، وتشهد له قراءة غير سبعية، لأنها عند الثبوت تعامل معاملة خبر الآحاد، فيستفاد منها في التفسير.[3] إلا أن القول المقدم والراجح هو الأول.

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

(١) تاج العروس: (١/ ٦٢٨٨).

(٢) مختار الصحاح: (١/ ٩١).

(٣) مختصر قواعد التفسير للسبت: ص(٤).

الكلام على قوله تعالى: (ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک گ گ گ) [العنكبوت:٢٦]

والآية فيها مسألة واحدة وهي: من القائل في هذه الآية ؟.

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: «القائل لذلك إبراهيم. وقيل لوط. وهاجرا من بلادهما بأرض بابل إلى الشام ».[١]

والمسألة فيها قولان:

القول الأول: أن القائل لذلك إبراهيم.

وهذا القول حكاه ابن جرير عن ابن عباس ﷺ وابن زيد والضحاك وابن جريج.[٢] وحكاه ابن أبي حاتم عن الضَّحَّاكِ.[٣] وابن عطية عن قتادة والنخعي[٤] وكذا البغوي [٥] وابن الجوزي [٦] والقرطبي [٧] وابن عاشور. [٨]

القول الثاني: أن القائل هو لوط عليه السلام.

قال القرطبي: وقيل: الذي قال: (ژ ژ ڑ ڑ ک) لوط عليه السلام. [٩]

وذكر الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى أنه يحتمل عوده على لوط لأنه هو أقرب المذكورين، ويحتمل عوده إلى إبراهيم.[١٠]

وهذا القول حكاه ابن عطية عن فرقة أن القائل هو لوط. واستدلوا بما عند البيهقي عن قتادة بسنده إلى أنس بن مالك يقول: خرج عثمان بن عفان ومعه رقية بنت رسول الله ﷺ إلى

---

(١) التسهيل لابن جزي: ص(٥٣٠).
(٢) تفسير الطبري (٢٠/ ١٣٣).
(٣) تفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٤٧).
(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٣٠٧).
(٥) تفسير البغوي (٣/ ٤٥٦).
(٦) زاد المسير (٦/ ٢٦١).
(٧) تفسير القرطبي (١٣/ ٣٣٠).
(٨) تفسير التحرير والتنوير (٢٠/ ٩٦).
(٩) تفسير القرطبي (١٣/ ٣٣٠).
(١٠) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٠٧).

أرض الحبشة فأبطأ على رسول الله ﷺ خبرهم فقدمت امرأة من قريش فقالت: يا محمد رأيت ختنك[1] ومعه امرأته. قال: على أي حال رأيتهما ؟. قالت رأيته وقد حمل امرأته على حمار من هذه الدبابة[2] وهو يسوقها. فقال رسول الله ﷺ : (صحبهما الله، إن عثمان لأول من هاجر بأهله بعد لوط).[3]

الترجيح: والراجح والعلم عند الله هو ما اختاره ابن جزي رحمه الله، وذلك لعدة أمور:

الأمر الأول: أن هذا هو ما تشير إليه دلالة السياق فسياق الآية قبل وبعد في سرد قصة إبراهيم عليه السلام، ثم بعد ذلك جاءت قصة لوط عليه السلام. وهذا هو الذي تؤيده قواعد التفسير فمن ذلك أنه متى أمكن إلحاق الكلام بما يليه فهو أولى. وتقول القاعدة الأخرى: السياق يرشد إلى بيان المجمل وتعيين المحتمل، والقطع بعدم احتمال المراد وتخصيص العام، وتقييد المطلق، وتنوع الدلالة. كما أن أحد الأمور السبعة التي يندفع بها الإشكال في التفسير: دلالة السياق.[4]

الأمر الثاني: ما ذكروه عن النبي ﷺ في شأن هجرة عثمان رضي الله عنه فهذا لا يصح كما تبين.

الأمر الثالث: أن هذا هو قول جمهور المفسرين.

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

(١) الختن : زوج البنت والأختان من قبل المرأة والأحماء من قبل الرجل والصهر يجمعهما . انظر النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ٢ / ٢٠

(٢) هي التي لا تسرع في المشي. انظر : النهاية في غريب الحديث ٢ / ٢٠٣

(٣) الحديث: ضعيف. أخرجه البيهقي في الدلائل: (٢/ ٢٩٧)، والطبراني كما في المجمع: (٩/ ٨١) من حديث أنس، ومداره على الحسن بن زياد البرجمي. قال الهيثمي: لا أعرفه. وبقية رجاله ثقات. وأخرجه من حديث زيد بن ثابت – يعني الطبراني – مختصراً وفيه عثمان بن خالد متروك أ.هـ وله شواهد واهيه. الدر: (٥/ ٢٧٥) وأخرجه ابن أبي عاصم في "السنة" (٢/ ٥٩٦/ ١٣١١)، ويعقوب الفسوي في "تاريخه" (٣/ ٢٥٥)، وابن عدي (٣٥/ ١-٢) من طريق أخرى عن بشار به، وأما بشار فإن البخاري ممن ضعفه جداً بعد أن عرفه، فقال: "منكر الحديث، قد رأيته، وكتبت عنه، وتركت حديثه".ولذلك قال الحافظ في التقريب: ضعيف، كثير الغلط، كثير الحديث. وأورده الذهبي في الضعفاء والمتروكين وقال: ضعفه أبو زرعة، وقال البخاري: منكر الحديث. وانظر : السلسلة الضعيفة للألباني: (٦/ ٢٠٦).

(٤) مختصر قواعد التفسير للسبت: ص(٦، ٢١، ٢٥، ٢٦).

الكلام على قوله تعالى: (ُ ٗ ٘ ٙ ٚ ٛ ٜ ٝ ٞ ٟ ٠ ١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ٪ ٫ ٬ ٭ ٮ ٯ ٰ ٱ ٲ ٳ ٴ ٵ ٶ ٷ ٸ ٹ ٺ ٻ) [العنكبوت:٢٩]

والآية فيها مسألة واحدة وهي: ما المراد بالمنكر في الآية ؟.

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: « والمنكر: فعلهم بالرجال. وقيل: إذايتهم للناس ».[١]

والمسألة فيها قولان:

القول الأول: أن المراد بالمنكر هو إتيانهم الرجال والعياذ بالله تعالى.

قال ابن جرير: وقال بعضهم: بل كان ذلك إتيانهم الفاحشة في مجالسهم. ثم ذكر ذلك عن مجاهد، قال: كان يأتي بعضهم بعضا في مجالسهم، يعني قوله: (ُ ٗ ٘ ٙ ٚ). وعن مجاهد أيضاً قال: كان يجامع بعضهم بعضا في المجالس. وروى بسنده عن قَتادة أنه قال: كانوا يأتون الفاحشة في ناديهم.

وأخرج عن ابن زيد أنه قال: ناديهم: المجالس. و«المنكر»: عملهم الخبيث الذي كانوا يعملونه، كانوا يعترضون بالراكب، فيأخذونه ويركبونه. وقرأ (ٮ ٯ ٰ ٱ ٲ ٳ) (النمل: ٥٤) وقرأ (ٴ ٵ ٶ ٷ ٸ ٹ ٺ ٻ) (الأعراف: ٨٠). [٢]

ونقل نحوه ابن أبي حاتم.[٣] والماوردي عن مجاهد. [٤] وابن الجوزي عن مجاهد، وقتادة، وابن زيد. [٥] وحكاه القرطبي عن معاوية يرفعه.[٦]

قال البغوي: ويروى أنهم كانوا يجلسون في مجالسهم، وعند كل رجل منهم قصعة فيها حصى فإذا مرّ بهم عابر سبيل حذفوه فأيهم أصابه كان أولى به. وقيل: إنه كان يأخذ ما معه

---

(١) التسهيل لابن جزي: ص(٥٣٠).

(٢) تفسير الطبري (٢٠/ ١٤٣).

(٣) تفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٤٧).

(٤) النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٢٧٦).

(٥) زاد المسير (٦/ ٢٦١).

(٦) تفسير القرطبي (١٣/ ٣٤١) وأخرجه الحاكم في مستدركه برقم: (٣٤٩٦)، وقال صحيح على شرط مسلم.

وينكحه ويغرمه ثلاثة دراهم، ولهم قاضٍ بذلك.[١]

القول الثاني: أن المنكر هو إذايتهم للناس.

وأخرج ابن جرير عن أمّ هانئ، قالت: سألت النبيّ ﷺ عن قوله: (﴿ ﴾) قالَ: كانوا يَحْذِفُونَ أَهْلَ الطَّرِيقِ وَيَسْخَرونَ مِنْهُمْ، فهو المنكر الذي كانوا يأتون.[٢]وروي عن عكرِمة والسدي أنهم كانوا يؤذْون أهل الطريق يحذفون من مَرَّ بهم.[٣]

وكذا قال ابن أبي حاتم[٤]والماوردي[٥]وابن الجوزي[٦]والقرطبي[٧] والبغوي[٨] وابن كثير.[٩]

قال ابن جرير: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معناه: وتحذفون في مجالسكم المارّة بكم، وتسخَرون منهم؛ لما ذكرنا من الرواية بذلك عن رسول الله ﷺ.[١٠]

الترجيح:

والراجح والعلم عند الله تعالى: هو ما رجحه ابن جزي عليه رحمة الله من أن المراد بالمنكر الذي كانوا يأتونه في مجالسهم هو فعلهم بالرجال والعياذ بالله تعالى، وذلك لعدة أمور:

---

(١) تفسير البغوي (٣/ ٤٦٦).

(٢) الحديث: ضعيف. أخرجه الترمذي في جامعه: (٥/ ٣٣٦)، والإمام أحمد في المسند (٦/ ٣٣٥) كلهم من طريق واحد عن أم هانئ، وقال الألباني في ضعيف سنن الترمذي: ضعيف الإسناد جدا. انظر: ضعيف سنن الترمذي: (١/ ٤٠١).

(٣) تفسير الطبري (٢٠/ ١٤٣).

(٤) تفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٤٧).

(٥) النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٢٧٦).

(٦) زاد المسير (٦/ ٢٦١).

(٧) تفسير القرطبي (١٣/ ٣٤١).

(٨) تفسير البغوي (٣/ ٤٦٦).

(٩) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٠٧).

(١٠) تفسير الطبري (٢٠/ ١٤٣).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

الأمر الأول: أن ما ذكر في القول الثاني من إذايتهم للناس يحمل على قوله تعالى: (ﯣ ﯤ) فقطع السبيل إذاية للناس، ويدخل فيه حذفهم بالحصى وأخذ أموالهم، والتحرش بهم وفعل الفاحشة وما إلى ذلك على وجه العموم.

وأما قوله تبارك وتعالى: (ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ) (الأعراف:٨١) فهذا على وجه العموم من أنهم انصرفوا عن النساء إلى الرجال والعياذ بالله، ثم شنع عليهم تماديهم في القبح والتفحش بأن صاروا يفعلون المنكر الشنيع في نواديهم أمام الناس فيجامع بعضهم بعضاً، وهذا قبح آخر يزيد على القبح الأول والعياذ بالله، فأفرده بالذكر ليبين أنهم جمعوا بين الوقوع في الفاحشة وبين المجاهرة بها، وعدم الاستحياء من ذلك والعياذ بالله تعالى؛ ثم انظر كيف عرف هذا المنكر المعهود ذكره سلفاً، ليستغرق جميع صور النكارة والبشاعة والقبح لدى أصحاب الفطر السوية فقال: (ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ) كما أن هذا التعريف يدل على أن هذا منكر محدد ومعلوم لدى كل أحد وهو ما اشتهروا به من إتيان الرجال.

الأمر الثاني: أن الحديث المنقول عن النبي ﷺ لو صح لوجب المصير إليه لأن التفسير إذا جاء عن النبي ﷺ فلا حاجة إلى قول من بعده، ولكنه لم يثبت كما تقدم؛ ومع ذلك فإن الآية تحتمله إذ لا تعارض بين القولين ولكن المقدم هو ما ذكرناه.

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

الكلام على قوله تعالى: (ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ)

[العنكبوت:٣١]

والآية فيها مسألة واحدة وهي: ما البشارة التي بُشر بها إبراهيم ؟.

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: « الرسل هنا الملائكة، والبشرى بشارة إبراهيم بالولد، وهو قوله: (ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ) (الذاريات:٢٨) أو بشارته بنصر سيدنا لوط؛ والأول أظهر».[١]

وقد ذكر ابن جزي في هذه المسألة قولان لأهل العلم رحمهم الله تعالى:

القول الأول: أن المراد بالبشارة: بشارة إبراهيم عليه السلام بالولد.

قال ابن جرير: يقول تعالى ذكره: (ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ) من الله بإسحاق، ومن وراء إسحاق يعقوب.[٢]

وما ذكره ابن جرير ذكره عامة المفسرين كابن أبي حاتم [٣] والزمخشري[٤] والبغوي[٥] والسعدي.[٦]

قال ابن كثير: لما استنصر لوط عليه السلام، الله عليهم، بعث الله لنصرته ملائكة فمروا على إبراهيم عليه السلام، في هيئة أضياف، فجاءهم بما ينبغي للضيف، فلما رأى أنه لا همَّة لهم إلى الطعام نَكِرَهم، وأوجس منهم خيفة، فشرعوا يؤانسونه ويبشرونه بوجود ولد صالح من امرأته سارة -وكانت حاضرة -فتعجبت من ذلك، كما تقدم بيانه في سورة «هود» و«الحجر». فلما جاءت إبراهيم بالبشرى، وأخبروه بأنهم أرسلوا لهلاك قوم لوط، أخذ يدافع لعلهم يُنظَرون، لعل الله أن يهديهم .[٧]

---

(١) التسهيل لابن جزي: ص(٥٣٠).

(٢) تفسير الطبري (٢٠/ ١٤٧).

(٣) تفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٤٧).

(٤) الكشاف (٣/ ٤٥٣).

(٥) تفسير البغوي (٣/ ٤٦٦).

(٦) تفسير السعدي (١/ ٦٢٩).

(٧) تفسير ابن كثير (٢/ ٤٥٢).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

قال ابن عاشور: ولما كانت « لما » ظرفاً مبهماً، تعين أن يكون مضمون الجملة التي تضاف إليها « لما »، معلوماً للسامع، إذ التوقيت الإعلام بمقارنة زمن مجهول بزمن معلوم. فوجود « لما » هنا، يقتضي أن مجيء الملائكة بالبشرى أمرٌ معلومٌ للسامع، مع أنه لم يتقدم ذكر للبشرى، فتعين أن يكون التعريف في البشرى تعريف العهد لاقتضاء « لما » أن تكون معلومة، فالبشرى هي ما دل عليه قوله تعالى آنفاً (ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ) (العنكبوت: ٢٧).[١]

القول الثاني: أن المراد بالبشرى: نصرهم لسيدنا لوط عليه السلام.

وهو محكي عن قتادة في قوله (ﭙ) قال: حين أخبروه أنهم أرسلوا إلى قوم لوط.[٢]

قال ابن عطية: فجاءوا إبراهيم - يعني الملائكة - أولاً مبشرين بإسحاق ومبشرين بنصرة لوط على قومه... فلفظة البشرى في هذه الآية تتضمن أمر إسحاق ونصرة لوط.[٣]

الترجيح:

والراجح والعلم عند الله تعالى هو ما رجحه ابن جزي عليه رحمة الله من أن المراد بالبشرى: هو تبشير إبراهيم عليه السلام بالولد، وذلك لعدة أمور:

الأمر الأول: أن هذا تفسير القرآن، وهو أعلى مراتب التفسير؛ ففي سورة هود قال الله: (ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ) (هود: ٧١) وفي الصافات قال الله: (ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ) (الصافات: ١٠١) وفي سورة الحجر قال الله: (ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ) (الحِجْر: ٥٣) وفي الذاريات قال الله: (ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ) (الذاريات: ٢٨) فمن ضوابط التفسير أن اللفظ قد يحتمل معنيين في موضع ولكنه يعين في موضع آخر.[٤]

الأمر الثاني: أن هذا قول الجمهور فجمهور المفسرين لم يذكروا غيره.

---

(١) تفسير التحرير والتنوير (٢٠/ ٢٣٦).

(٢) المصدر السابق.

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٣٠٧).

(٤) مختصر قواعد التفسير للسبت: ص(٢٦).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة :: مع الفهارس) ٥

الأمر الثالث: أن واقع الحال أن إبراهيم عليه السلام لم يستبشر بعذاب قوم لوط بل أخذ يجادل الملائكة فيهم لما يرجو من هدايتهم، ولخوفه على المؤمنين من أتباع لوط عليه السلام. نعم وقعت البشرى في كتاب الله وأريد بها البشارة بالعذاب كقوله تعالى: (ی ی ئج) (آل عمران: ٢١) وهي على سبيل التهكم، وأما هنا فهي على سبيل التكريم.

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة :: مع الفهارس) 5

الكلام على قوله تعالى: (ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ)

[العنكبوت:٤٢]

والآية فيها مسألة واحدة وهي: ما إعراب « ما » هنا؟

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: « « ما » موصولة بمعنى: «الذي» مفعولة للفعل الذي قبلها. وقيل: هي نافية والفعل معلق عنها، والمعنى على هذا: لستم تدعون من دون الله شيئا له بال فلا يصلح أن يسمى شيئاً ».[١]

وفيها قولان:

القول الأول: أن ما هنا موصولة بمعنى الذي مفعولة للفعل الذي قبلها.

قال ابن جرير: فتأويل الكلام إذ كان الأمر كما وصفنا: (ﮒ ﮓ ﮔ) أيها القوم، حال ما تعبدون (ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ) وأن ذلك لا ينفعكم ولا يضرّكم، إن أراد الله بكم سوءا، ولا يغني عنكم شيئا، وإن مثله في قلة غنائه عنكم، مَثَلُ بيت العنكبوت في غَنائه عنها.[٢]

قال ابن عطية: فأما موضع « ما » من الإعراب فقيل معناه إن الله يعلم الذين يدعون من دونه من جميع الأشياء أن حالهم هذه وأنهم لا قدرة لهم.[٣]

وقال ابن الجوزي: قوله تعالى: (ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ) أي: هو عالِم بما عبدوه من دونه لا يخفى عليه ذلك؛ والمعنى: أنه يجازيهم على كفرهم.[٤]

وقال القرطبي: « ما » بمعنى الذي و « من » للتبعيض، ولو كانت زائدة للتوكيد لا نقلب المعنى، والمعنى: إن الله يعلم ضعف ما يعبدون من دونه.[٥]

وقال ابن عاشور: وجعل بعض المفسرين « يعلم » هنا متعدياً إلى مفعول واحد وأنه بمعنى « يعرف » وجعل « ما » موصولة مفعول « يدعون » والعائد محذوفاً.[١]

---

(١) التسهيل لابن جزي: ص(٥٣١).

(٢) تفسير الطبري (٢٠/ ١٥٣).

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٣١٨).

(٤) زاد المسير (٦/ ٢٧١).

(٥) تفسير القرطبي (١٣/ ٣٤٣).

دكتوراه عبدالعلي المدني (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

قال ابن كثير: ثم قال تعالى متوعدا لِمَنْ عبد غيره وأشرك به: إنه تعالى يعلم ما هم عليه من الأعمال، ويعلم ما يشركون به من الأنداد، وسيجزيهم وصفهم إنه حكيم عليم.[٢]

قال الخازن: (ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ) هذا توكيد للمثل وزيادة عليه يعني إن الذي يدعون من دونه ليس بشيء.[٣]

قال النسفي: و «ما» بمعنى «الذي» وهو مفعول « يعلم » ومفعول « يدعون » مضمر أي يدعونه يعني يعبدونه (ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ) «من» في (ﮒ ﮓ) للتبيين.[٤]

قال الشوكاني: (ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ)...وعلى تقدير الموصولة: إن الله يعلم الذين تدعونهم من دونه.[٥]

القول الثاني: أن « ما » هنا نافية والفعل معلق عنها والمعنى على هذا لستم تدعون من دون الله شيئا له بال فلا يصلح أن يسمى شيئا.

قال ابن عطية: قوله (ﮒ ﮓ ﮔ) إخبار تام، وقوله (ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ) متصل به، واعترض بين الكلامين (ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ) وذلك على هذا النحو من النظر يحتمل... أن تكون « ما » نافية أي لستم تدعون شيئاً له بال ولا قدر ولا خلاق فيصلح أن يسمى شيئاً وفي هذا تعليق « يعلم »وفيه نظر.[٦]

قال ابن عاشور: و « ما » من قوله (ﮓ ﮔ) يجوز أن تكون نافية معلِّقة فعل «يعلم » عن العمل، وتكون « من » زائدة لتوكيد النفي، ومجرورها مفعول في المعنى لـ « تدعون » ظهرت عليه حركة حرف الجر الزائد. ومعنى الكلام: أن الله يعلم أنكم لا تدعون موجوداً ولكنكم تدعون أموراً عدمية، ففيه تحقير لأصنامهم بجعلها كالعدم لأنها خلو عن جميع الصفات

---

(١) تفسير التحرير والتنوير (٢٠/ ٢٥٥).

(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٠٧).

(٣) لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن (٥/ ١٩٢).

(٤) تفسير النسفي (٣/ ٢٥٦).

(٥) فتح القدير (٤/ ٢٠٤).

(٦) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٣١٨).

اللائقة بالإلهية. فهي في بابها كالعدم فلما شابهت المعدومات في انتفاء الفائدة المزعومة لها استعمل لها التركيب الدال على نفي الوجود على طريقة التمثيلية. [1]

وقال الشوكاني: (ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ)...وعلى تقدير النفي كأنه قيل: إن الله يعلم أنكم لا تدعون من دونه من شيء، يعني: ما تدعونه ليس بشيء. [2] وكأن عبارة السعدي تشير إلى مثل هذا. [3]

الترجيح:

والراجح والعلم عند الله تعالى هو ما رجحه ابن جزي عليه رحمة الله وهو أن « ما » موصولية بمعنى الذي، وذلك لعدة أمور:

الأمر الأول: إذا قلنا بأن « ما » موصولة فالمعنى: أن الله يعلم الذين يدعون من دونه من جميع الأشياء، ويعلم حقيقتها، وكأن الآية على هذا المعنى تشير إلى أنها لا تصلح للعبادة، وأنها حقيرة، وليست بشيء.

وإن كانت بمعنى النفي: فيكون المعنى: أن الله يعلم وهو العزيز الحكيم، أنهم لا يدعون من دونه من شيء، فما يدعونه من دون الله لا يصلح أن يكون شيئاً له قدر ولا بال.

وهذا يقتضي عدة أمور: منها: تعليق « يعلم » عن العمل. ومنها أن تكون « من » في قوله: (ﮒ ﮓ) زائدة؛ وهذه مسألة فيها نظر عند أهل العلم رحمهم الله تعالى. والمقرر في قواعد التفسير أنه لا زائد في القرآن. [4]

الأمر الثاني: أن ما ذكروه من معنى في القول الثاني موجود في القول الأول وهو متضمن له، غير أنه عند حمل « ما » على النفي يكون أصرح؛ لأنه نفى عنهم أن يكونوا شيئاً، وأما على القول الأول فإن هذا المعنى مستفاد من التنكير، وذلك يدل على التحقير، وهو حقيقة ما يعبدون من آلهة من دون الله.

---

(١) تفسير التحرير والتنوير (٢٠/ ٢٥٥).

(٢) فتح القدير (٤/ ٢٠٤).

(٣) تفسير السعدي (١/ ٦٣١).

(٤) مختصر قواعد التفسير للسبت: ص(٩).

الأمر الثالث: أن هذا قول جمهور المفسرين رحمهم الله تعالى.

وعلى كل حال فالآية تحتمل القولين عند من يقرر وجود زائد في القرآن، وهو خلاف الصحيح.

قال الفيومي: إذَا وَرَدَ النَّفْيُ عَلَى شَيْءٍ مَوْصُوفٍ بِصِفَةٍ فَإِنَّمَا يَتَسَلَّطُ عَلَى تِلْكَ الصِّفَةِ دُونَ مُتَعَلَّقِهَا نَحْوُ لَا رَجُلَ قَائِمٌ فَمَعْنَاهُ لَا قِيَامَ مِنْ رَجُلٍ وَمَفْهُومُهُ وُجُودُ ذَلِكَ الرَّجُلِ قَالُوا وَلَا يَتَسَلَّطُ النَّفْيُ عَلَى الذَّاتِ الْمَوْصُوفَةِ لِأَنَّ الذَّوَاتِ لَا تُنْفَى وَإِنَّمَا تُنْفَى مُتَعَلِّقَاتُهَا وَمِنْ هَذَا الْبَابِ قَوْله تَعَالَى: (گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ) فَالْمَنْفِيُّ إنَّمَا هُوَ صِفَةٌ مَحْذُوفَةٌ لِأَنَّهُمْ دَعَوْا شَيْئًا مَحْسُوسًا وَهُوَ الْأَصْنَامُ وَالتَّقْدِيرُ مِنْ شَيْءٍ يَنْفَعُهُمْ أَوْ يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ وَنَحْوِ ذَلِكَ لَكِنْ لَمَّا انْتَفَتْ الصِّفَةُ الَّتِي هِيَ الثَّمَرَةُ الْمَقْصُودَةُ سَاغَ وُقُوعُ النَّفْيِ عَلَى الْمَوْصُوفِ لِعَدَمِ الِانْتِفَاعِ بِهِ مَجَازًا وَاتِّسَاعًا كَقَوْلِهِ تَعَالَى (□ □ □ □ □ □) (طه: ٧٤) أَيْ لَا يَحْيَا حَيَاةً طَيِّبَةً وَمِنْهُ قَوْلُ النَّاسِ : لَا مَالَ لِي، أَيْ : لَا مَالَ كَافٍ أَوْ لَا مَالَ يَحْصُلُ بِهِ الْغِنَى وَنَحْوُ ذَلِكَ. [1]

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

(١) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: (٩/ ٤٢٧).

الكلام على قوله تعالى: (ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

وقال ابن عطية: قال مجاهد: المراد بـ (ٻ ٻ) اليهود والنصارى الباقون على دينهم أمر الله تعالى المؤمنين ألا يجادلوهم (پ پ ڀ ڀ) من الدعاء إلى الله تعالى والتنبيه على آياته، وأن يزال معهم عن طريق الإغلاظ والمخاشنة [١] وكذا قال القرطبي.[٢] ولم يذكر ابن كثير والبغوي سوى هذا القول.[٣]

قال الشيخ الشنقيطي: أمر الله جل وعلا نبيه ﷺ في هذه الآية الكريمة: أن يجادل خصومه بالطريق التي هي أحسن طرق المجادلة: من إيضاح الحق بالرفق واللين. وعن مجاهد: (ے ۓ ۓ ڭ) (النحل: ١٢٥) قال: أعرض عن أذاهم. وقد أشار إلى هذا المعنى في قوله: (ٱ ٻ ٻ ٻ پ پ ڀ ڀ) [العنكبوت:٤٦] أي إلاّ الذين نصبوا للمؤمنين الحرب فجادلهم بالسيف حتى يؤمنوا، أو يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون.[٤]

قال السعدي: ينهى تعالى عن مجادلة أهل الكتاب، إذا كانت من غير بصيرة من المجادل، أو بغير قاعدة مرضية، وأن لا يجادلوا إلا بالتي هي أحسن، بحسن خلق ولطف ولين كلام، ودعوة إلى الحق وتحسينه، ورد عن الباطل وتهجينه، بأقرب طريق موصل لذلك، وأن لا يكون القصد منها مجرد المجادلة والمغالبة وحب العلو، بل يكون القصد بيان الحق وهداية الخلق، إلا من ظلم من أهل الكتاب، بأن ظهر من قصده وحاله، أنه لا إرادة له في الحق، وإنما يجادل على وجه المشاغبة والمغالبة، فهذا لا فائدة في جداله، لأن المقصود منها ضائع.[٥]

القول الثاني: أن المراد بهذا النوع من الجدال مع من أسلم من أهل الكتاب.

قال أبو المظفر السمعاني: (ٱ ب ب ٻ ٻ) يعني: المؤمنين منهم، ومعنى النهي عن المجادلة معهم بعد إيمانهم، هو أنهم كانوا يخبرون عن أشياء في كتبهم لم يعلمها المؤمنون فنهي عن مجادلتهم فيها، فلعلها صحيحة.[٦]

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٣٢٠).
(٢) تفسير القرطبي (١٣/ ٣٥٠).
(٣) تفسير ابن كثير: (١/ ٤٦). تفسير البغوي (٣/ ٤٦٦).
(٤) أضواء البيان (٦/ ١٥٨).
(٥) تفسير السعدي (١/ ٥٨).
(٦) تفسير السمعاني (٤/ ١٧٩).

وقال ابن عطية [1] والقرطبي [2]: قال ابن زيد: معناها: لا تجادلوا من آمن بمحمد من أهل الكتاب فكأنه قال: أهل الكتاب المؤمنين.

الترجيـــح:

والراجح والعلم عند الله تعالى هو ما رجحه ابـن جـزي، مـن أن المـراد بأهـل الكتـاب الباقين على كفرهم وغيهم، وأن الواجب مجادلتهم بالقول الأحسن من غير ضرب ولا قتـال، وإنما كان هذا هو الراجح لعدة أمور:

الأمر الأول: أن هذا هو قول جمهور المفسرين بل من المحققين مـن لم يـذكر غـيره كـابن جرير والبغوي وابن كثير والشنقيطي والسعدي وهو قول عامة المفسرين.

الأمر الثاني: أنه هو المناسب لسياق آيات السورة، فلو نظرت إلى سياق الآيات لوجدت الخطاب فيها للكفار، وليس للمؤمنين.

الأمر الثالث: أن أهل الكتاب كان من شأنهم التشبيه عـلى المـؤمنين، ويجـادلونهم بهـذه الشبه، فأمر الله تعالى بأن يؤخذوا بالتي هي أحسن، إلا من اعتدى وظلم المؤمنين أو آذى النبي ﷺ. وهذا هو تفسير الظلم في قوله تعالى: (ٻ ٻ ٻ ٻ) لأنهـم في حقيقـة الأمـر كلهـم ظالم فليس بعد الكفر ظلم. وأما المؤمنون منهم فلم يذكر أنهم كانوا يجـادلون المـؤمنين جـدالاً يستنزل قرآناً بشأنهم. والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

وأما المسألة الثانية فهي: معنى قوله تعالى: (ٻ ٻ ٻ ٻ).

ففيها قولان أيضاً:

القول الأول: أن المراد بالذين ظلموا هم: الذين ظلموا المؤمنين وصرحوا بإذاية النبي ﷺ.

قال الطبري: عنى به الذين ظلموا منهم أهل الإيمان بالله ورسوله محمد ﷺ.[3]

وقال البغوي: ومجاز الآية: إلا الذين ظلموكم لأن جميعهم ظالم بالكفر.[4]

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٣٢٠).

(٢) تفسير القرطبي (١٣/ ٣٥٠).

(٣) تفسير الطبري (٢٠/ ١٥٣).

(٤) تفسير البغوي (٣/ ٤٦٦).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

وقال ابن عطية: معناه ظلموكم. ثم استثنى من ظلم منهم المؤمنين إما بفعل وإما بقول، وإما بإذاية محمد ﷺ.[1] وكذا قال القرطبي.[2]

القول الثاني: أن معنى الذين ظلموا، أي من بقي منهم على كفره.

قال السمعاني: وقوله: (ٻ ٻ ٻ ٻ) هم الذين لم يؤمنوا.[3]

وقال ابن عطية: (ٻ ٻ ٻ) يريد به من بقي على كفره منهم، كمن كفر وغدر من قريظة والنضير وغيرهم.[4] وكذا قال القرطبي.[5]

وقال ابن كثير: وقوله تعالى (ٻ ٻ ٻ) أي حادوا عن وجه الحق وعموا عن واضح المحجة وعاندوا وكابروا.[6]

الترجيح:

وهذه المسألة مبنية على المسألة التي قبلها، والراجح والعلم عند الله هو القول الأول، أي الذي ظلموا المؤمنين وصرحوا بإذاية النبي ﷺ وأما من بقي على دينه والتزم دفع الجزية في ظل الإسلام فإن الواجب معاملتهم بما يوجبه العهد لهم كما هو معلوم إلا من نقض العهد كما صنعت يهود في المدينة مع النبي ﷺ فلما نقضوا العهد قاتلهم وأخرجهم وهذا هو المتفق مع سياق الآيات. والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٣٢٠).

(٢) تفسير القرطبي (١٣/ ٣٥٠).

(٣) تفسير السمعاني (٤/ ١٧٩).

(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٣٢٠).

(٥) تفسير القرطبي (١٣/ ٣٥٠).

(٦) تفسير ابن كثير: (١/ ٤٦).

الكلام على قوله تعالى: (ڤ ڤ ڤ ڤڤ ڃ ڃ ڃ ڃڃ ڄ ڄ ڄ ڄڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ ڄ ڄ) [العنكبوت:٤٧]

والآية فيها مسألة واحدة: وهي: من المراد بالضمير: هؤلاء؟.

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: «أراد بالذين أوتوا الكتاب أهل التوراة والإنجيل وأراد بقوله :«من هؤلاء من يؤمن به» : كفار قريش. وقيل: أراد بالذين أوتوا الكتاب : المتقدمين من أهل التوراة والإنجيل وأراد بهؤلاء المعاصرين لمحمد ﷺ منهم كعبدالله بن سلام».[١]

والمسألة فيها قولان:

القول الأول: أن المراد بالذين أوتوا الكتاب أهل التوراة والإنجيل وأراد بقوله : (ڄ ڄ) كفار قريش.

قال السمعاني: وقوله: (ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ) أي: يصدقون به، وقوله: (ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ) أي: ومن المشركين من يصدق به، فقوله « هؤلاء » إشارة إلى المشركين الذين كانوا بمكة.[٢]

وقال البغوي: (ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ) يعني مؤمني أهل الكتاب عبدالله بن سلام وأصحابه (ڄ ڄ) يعني أهل مكة (ڃ ڃ ڃ) وهم مؤمنوا أهل مكة.[٣] وقريب من ذلك ما ذكره ابن الجوزي [٤] وابن كثير.[٥]

وقال الزمخشري: (ڤ ڃ ڃ ڃ) هم عبدالله بن سلام ومن آمن معه (ڄ ڄ) من أهل مكة.

---

(١) التسهيل لابن جزي: ص(٥٣٢).
(٢) تفسير السمعاني (٤/ ١٧٩).
(٣) تفسير البغوي (٣/ ٤٦٦).
(٤) زاد المسير (٦/ ٢٧٧).
(٥) تفسير ابن كثير (٣/ ٤١٧).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

قال ابن كثير: وقوله: (ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ) أي: الذين أخذوه فتلَوْه حق تلاوته من أحبارهم العلماء الأذكياء، كعبدالله بن سلام، وسلمان الفارسي، وأشباههما. وقوله: (ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ) يعني العرب من قريش وغيرهم.(١)

القول الثاني: أن المراد بالذين أوتوا الكتاب المتقدمين من أهل التوراة والإنجيل وأراد بهؤلاء المعاصرين لمحمد ﷺ منهم كعبدالله بن سلام.

قال الطبري: (ﭽ ﭾ ﭿ) من قبلك من بني إسرائيل (ﭿ ﮀﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ) يقول: ومن هؤلاء الذين هم بين ظهرانيك اليوم من يؤمن به كعبدالله بن سلام، ومن آمن برسوله من بني إسرائيل.(٢)

وقال ابن عطية: (ﭽ ﭾ ﭿ) يريد التوراة والإنجيل، أي فالذين كانوا في عصر نزول الكتاب وأوتوه حينئذ (ﭿ ﮀ) أي كانوا مصدقين بهذا الكتاب الذي أنزلناه إليك، فالضمير في « به » عائد على القرآن، ثم أخبر عن معاصري محمد ﷺ أن منهم أيضاً (ﮃ ﮄ ﮅﮅ) ولم يكونوا آمنوا بعد.(٣)

وقال الزمخشري: أراد بالذين أوتوا الكتاب الذين تقدموا عهد رسول الله ﷺ من أهل الكتاب (ﮀ ﮁ) ممن في عهده منهم.(٤)

الترجيح:

والراجح والعلم عند الله هو القول الثاني، وذلك لعدة أمور:

الأمر الأول: أن سياق الحديث في الآيات عن أهل الكتاب، حيث جاء الأمر بمجادلتهم بالتي هي أحسن. ثم قال الله: (ﭶ ﭷ ﭸ ﭹﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽﭽ) أي: في زمنهم، ذلك أن أهل الكتاب بُشِّروا بالنبي ﷺ فآمنوا به قبل بعثته كما قال الله: (ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

ﭪ ﭫ ﭬ) [الصف: ٦] فهم آمنوا به قبل مجيئه، وإلا لما صح منهم الإيمان حينذاك. ثم لما جاء بالبينات فمنهم من جحد بالكتاب المنزل على النبي ﷺ مع أنهم على علم بحقيقته؛ ثم قال عن أهل الكتاب المعاصرين للنبي ﷺ: (ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ) يعني: من آمن منهم به كعبدالله بن سلام وغيره. ثم قال: (ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ) لأنهم في حقيقة الأمر موقنون بصدق ما أنزل الله على رسوله ﷺ فكفروا مع العلم، قال ابن منظور: قال الجوهري الجُحودُ: الإِنكار مع العلم.[1] وقال الفيومي: جَحَدَهُ.. أَنْكَرَهُ وَلَا يَكُونُ إلَّا عَلَى عِلْمٍ مِنْ الْجَاحِدِ بِهِ.[2] وقبل ذلك يقول الله تعالى: (ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ) (الأنعام: ٣٣). ثم إن أحد الأمور السبعة التي يندفع بها الإشكال في التفسير: دلالة السياق. والقاعدة الأخرى تقول: مهما أمكن إلحاق الكلام بما يليه أو بنظيره فهو أولى.[3]

الأمر الثاني: وهو متعلق أيضاً بمناسبة الآيات وسياقها، فإن الله تعالى أمر بمجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن، ثم بين لنا ما نجادلهم به لبيان الحق وصدق نبوة محمد ﷺ، وهو إيمان أسلافهم بهذا القرآن والنبي الذي يبعثه الله في آخر الزمان، وهذه من أقوى حجج الإلزام لهم، ولو كان قوله تعالى: (ﭽ ﭾ) يعني به أهل مكة لتحول مجرى الكلام. فأهل مكة لم يكونوا قبل ذلك أهل علم فَيُلْزَمون بعلمهم بخلاف أهل الكتاب.

الأمر الثالث: أن هذا هو قول جمهور المفسرين كابن جرير وابن عطية وغيرهم. والآية تحتمل القول الأول لكن المقدم هو ما ذكرناه.

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

(١) لسان العرب: (٣/ ١٠٦).

(٢) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: (٢/ ٧٢).

(٣) مختصر قواعد التفسير للسبت: ص(٦، ٢٥، ٢٦).

الكلام على قوله تعالى: (ڈ ڈ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ) [العنكبوت:٤٨]

والآية فيها مسألتان:

المسألة الأولى: ما وجه ارتيابهم؟ ومن هم المبطلون؟ .

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: « أي لو كنت تقرأ أو تكتب، لتطرق الشك إلى الكفار، فكانوا يقولون لعله تعلم هذا الكتاب أو قرأه وقيل وجه الاحتجاج أن أهل الكتاب كانوا يجدون في كتبهم أن النبي ﷺ أمي لا يقرأ ولا يكتب فلما جعله الله كذلك قامت عليهم الحجة ولو كان يقرأ أو يكتب لكان مخالفا للصفة التي وصفه الله بها عندهم ».[1]

وهذه المسألة فيها قولان:

القول الأول: أن المبطلين هم الكفار ووجه الارتياب هو تطرق الشك إليهم فربما كانوا يقولون لعله تعلم هذا الكتاب أو قرأه.

قال ابن جرير: (ک ک ک گ) يقول: ولو كنت من قبل أن يوحى إليك تقرأ الكتاب، أو تخطه بيمينك، إذاً لارتاب - يقول،إذن لشك بسبب ذلك في أمرك وما جئتهم به من عند ربك من هذا الكتاب الذي تتلوه عليهم - المبطلون القائلون أنه سجع وكهانة، وإنه أساطير الأولين. وعن مجاهد أن المبطلين: قريش.[2]

قال الماوردي: معناه (ڈ ڈ) قبل القرآن كتاباً من كتب الله المنزلة ولا تخطه أي تكتبه بيمينك فتعلم ما أنزل الله فيه حتى يَشُكوا في إخبارك عنه إنه من وحي الله سبحانه إليك.

وعن قتادة أنهم مشركي العرب أن يقولوا لو كان يقرأ قد تعلمه من غيره.[3]

قال السمعاني: (ک ک ک گ) أي لشك الكافرون لو قرأت وكتبت، أما أهل الشرك وكانوا يزعمون أنه قرأ من كتب الأولين وانتسخ منها.[1]

---

(١) التسهيل لابن جزي: ص(٥٣٣).

(٢) تفسير الطبري (٢٠/ ٤).

(٣) النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٢٨٦).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

قال البغوي: (ک ک ک گ) يعني لو كنت تقرأ أو تكتب قبل الوحي لشك المبطلون المشركون من أهل مكة وقالوا: إنه يقرؤه من كتب الأولين وينسخه منه قاله قتادة. [٢]

قال الزمخشري: لارتاب مشركوا مكة وقالوا: لعله تعلمه أو كتبه بيده. [٣]

قال ابن كثير: أي: لو كنت تحسنها لارتاب بعض الجهلة من الناس فيقول إنما تعلم هذا من كتب قبله مأثورة عن الأنبياء مع أنهم قالوا ذلك مع علمهم بأنه أمي لا يحسن الكتابة. [٤]

القول الثاني: أن المبطلين هم أهل الكتاب ووجه الارتياب أنهم كانوا يجدون في كتبهم أن النبي ﷺ أمي لا يقرأ ولا يكتب فلما جعله الله كذلك قامت عليهم الحجة ولو كان يقرأ أو يكتب لكان مخالفا للصفة التي وصفه الله بها عندهم.

قال البغوي: (ک ک ک گ) إنهم المكذبون من اليهود قاله السدي. [٥]

قال السمعاني: (ک ک ک گ)... وأما أهل الكتاب فقد كان من نعته في كتبهم أنه أمي لا يقرأ ولا يكتب، فلو قرأ وكتب وقع لهم الشك. [٦]

قال البغوي: قال مقاتل: المبطلون هم اليهود، ومعناه إذاً لشكوا فيك واتهموك، وقالوا: إن الذي نجد نعته في التوراة أمي لا يقرأ ولا يكتب وليس هذا على ذلك النعت. [٧]

قال الزمخشري: (ک ک ک گ) من أهل الكتاب وقالوا: الذي نجده في كتبنا أمي لا يكتب ولا يقرأ وليس به. [٨]

---

(١) تفسير السمعاني (٤/ ١٨٦).
(٢) تفسير البغوي (٣/ ٤٧٠).
(٣) الكشاف (١/ ٦١).
(٤) تفسير ابن كثير (١/ ١١٣).
(٥) تفسير البغوي (٣/ ٤٧٠).
(٦) تفسير السمعاني (٤/ ١٨٦).
(٧) تفسير البغوي (٣/ ٤٧٠).
(٨) الكشاف (١/ ٦١).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

وقال ابن الجوزي: (ک ک ک گ) أي: لو كنت قارئاً كاتباً لشك اليهود فيك ولقالوا: ليست هذه صفته في كتابنا، والمبطلون الذين يأتون بالباطل وهم كفار اليهود قاله مقاتل. [1] قال القرطبي: أي من أهل الكتاب، وكان لهم في ارتيابهم متعلق وقالوا الذي نجده في كتبنا أنه أمي لا يكتب ولا يقرأ وليس به. [2]

الترجيـــح:

والراجح والعلم عند الله تعالى أن الآية محتملة للقولين إذ لا تعارض بينهما البتة، فالريب حاصل من الكفار ومن أهل الكتاب، فأما الكفار فقد اتهموه (ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڇ ڇ) (الفرقان: ٥) فلما لم يكن كاتباً ولا قارئاً تبين كذبهم، وأما أهل الكتاب فإنهم يجدون في كتبهم أنه أمي فلو كان على غير هذه الصفة لوقع الريب في قلوبهم. لكنني أجد أن القول الثاني هو المقدم وذلك لعدة أمور:

الأمر الأول: أن سياق الآيات كما تقدم في الكلام على أهل الكتاب.

الأمر الثاني: أن الارتياب في حق أهل الكتاب مقطوع به في حال كون النبي ﷺ يقرأ ويكتب؛ لأنهم يعلمون صفته في كتبهم. وأما الكفار فارتيابهم مجرد احتمال وظن منهم وتخريص. إذ من المحتمل أن يكون كتب أو قرأ في كتب الأولين ونقل عنهم. قال الفيومي: قَالَ أَبو زيد: رابَنِي مِنْ فلانٍ أَمرٌ يَرِيبُنِي رَيْبًا إذا اسْتَيْقَنْتَ منه الرِّيبَةَ فإِذا أَسَأْتَ به الظَّنَّ ولَمْ تَسْتَيْقِنْ مِنْهُ الرِّيبَةَ قلت: أَرَابَنِي مِنْهُ أَمْرٌ هُوَ فِيهِ إِرَابَةً. [3]

الأمر الثالث: أن أمية النبي ﷺ حجة على أهل الكتاب، لأنها علامة وبينة عندهم في كتبهم يعرفونه بها، فلا يشكون في أمره ويقارنون حاله بما وجدوا من صفات أخرى في كتبهم، وهذا هو المناسب في محاججة أهل الكتاب به بالتي هي أحسن كما تقدم بيانه في المسألة السابقة، فكأن الآية -والله أعلم- بينت معطيات المحاجة لأهل الكتاب بطريقة لطيفة، وهي: كون المؤمنين يؤمنون بالتوراة والإنجيل، وأنهما من عند الله، يمهد لقبول المجادلة، ثم كون

---

(١) زاد المسير (٦/ ٢٧١).

(٢) تفسير القرطبي (١٦/ ٥٧).

(٣) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: (٤/ ٢٦).

دكتوراة عبدالعلي العمدي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

الجميع يعبدون الله وأن إلههم واحد، وإنما بقي الخلاف على نبوة محمد ﷺ، وهذا يتبين فيه الحق من خلال ما في كتبهم من علامات لهذا النبي، وقد وجدت فيه ولله الحمد فما بقي بعد ذلك إلا الجحود بعد العلم واليقين.

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

المسألة الثانية: هل بقي النبي ﷺ على أميته حتى توفاه الله ﷻ أم أنه قرأ وكتب؟.

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: «والمذهب الصحيح أن رسول الله ﷺ لم يقرأ قط ولا كتب وقال الباجي وغيره أنه كتب لظاهر حديث الحديبية وهذا القول ضعيف ».[1]

وهذه المسألة فيها قولان:

القول الأول: أنه كتب. وهذا منقول عن الشعبي وجوزه أبو الوليد الباجي على وجه الاعجاز في حقه ﷺ.

واستدلوا بما يلي:

الدليل الأول: استدلوا بما جاء عن الشعبي أنه قال: لم يخرج النبي ﷺ من الدنيا حتى كتب وقرأ.[2]

الدليل الثاني: ما روي عن أبي كبشة السلولي أن النبي ﷺ قرأ صحيفة لعيينة بن حصن وأخبر بمعناها.[3]

الدليل الثالث: ما وقع في صحيح مسلم من حديث البراء في صلح الحديبية أن النبي ﷺ قال لعلي: (**اكتب الشرط بيننا بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله**)

---

(١) التسهيل لابن جزي: ص(٥٣٣).

(٢) نقله السمعاني في تفسيره (٤/ ١٨٦)، وابن عطية في المحرر الوجيز (٤/ ٣١٧). وقال الحافظ في الفتح: واحتج بعضهم لذلك بما أخرجه ابن أبي شيبة وعمر بن شبة من طريق مجاهد عن عون بن عبدالله قال: " ما مات رسول الله ﷺ حتى كتب وقرأ " قال مجاهد: فذكرته للشعبي فقال: صدق قد سمعت من يذكر ذلك. فتح الباري: (١٢/ ٦٦)، ولم أقف عليه في مصنف ابن أبي شيبة.

(٣) الحديث: صحيح باللفظ التالي: عن أبي كبشة السلولي حدثنا سهل ابن الحنظلية قال قدم على رسول الله ﷺ عيينة بن حصن والأقرع بن حابس فسألاه فأمر لهما بما سألا وأمر معاوية فكتب لهما بما سألا فأما الأقرع فأخذ كتابه فلفه في عمامته وانطلق وأما عيينة فأخذ كتابه وأتى النبي ﷺ مكانه فقال يا محمد أتراني حاملا إلى قومي كتابا لا أدري ما فيه كصحيفة المتلمس فأخبر معاوية بقوله رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: (من سأل وعنده ما يغنيه فإنما يستكثر من النار) أخرجه أبو داود: (٤/ ٤٣٦)، وأحمد: (٣٦/ ٢١)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة: (٩/ ٢١٠)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني: (٦/ ٢٨)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود: (٤/ ١٢٩).

دكتوراه عبدالعلي العمدي (كامل الرسالة :: مع الفهارس) ٥

فقال له المشركون: لو نعلم أنك رسول الله تابعناك - وفي رواية بايعناك - ولكن اكتب: محمد بن عبدالله فأمر علياً أن يمحوها، فقال علي: والله لا أمحاه، فقال رسول الله ﷺ:(**أرني مكانها**) فأراه فمحاها وكتب ابن عبدالله.[1]

قال النووي في شرح هذ الحديث: قال القاضي عياض - رضي الله تعالى عنه -: احتج بهذا اللفظ بعض الناس على أن النبي ﷺ كتب ذلك بيده على ظاهر هذا اللفظ، وقد ذكر البخاري نحوه من رواية إسرائيل عن أبي إسحاق، وقال فيه: أخذ رسول الله ﷺ الكتاب فكتب، وزاد عنه في طريق آخر : (ولا يحسن أن يكتب فكتب) قال أصحاب هذا المذهب: إن الله تعالى أجرى ذلك على يده إما بأن كتب ذلك القلم بيده وهو غير عالم بما يكتب، أو أن الله تعالى علمه ذلك حينئذ حتى كتب، وجعل هذا زيادة في معجزته، فإنه كان أميا فكما علمه ما لم يعلم من العلم، وجعله يقرأ ما لم يقرأ، ويتلو ما لم يكن يتلو، كذلك علمه أن يكتب ما لم يكن يكتب، وخط ما لم يكن يخط بعد النبوة، أو أجرى ذلك على يده، قالوا: وهذا لا يقدح في وصفه بالأمية، واحتجوا بآثار جاءت في هذا عن الشعبي وبعض السلف، وأن النبي ﷺ لم يمت حتى كتب. قال القاضي - عياض -: وإلى جواز هذا ذهب الباجي، وحكاه عن السمناني وأبي ذر وغيره. ثم نقل القاضي جوابهم عن قوله تعالى: (ژ ڑ ڑ) فقال:

وأجاب الأولون عن قوله تعالى إنه لم يتل ولم يخط، أي من قبل تعليمه كما قال الله تعالى: (ڈ ڈ) فكما جاز أن يتلو جاز أن يكتب، ولا يقدح هذا في كونه أميا إذ ليست المعجزة مجرد كونه أميا، فإن المعجزة حاصلة بكونه ﷺ كان أولا كذلك، ثم جاء بالقرآن، وبعلوم لا يعلمها الأميون، قال القاضي: وهذا الذي قالوه ظاهر، قال: وقوله في الرواية التي ذكرناها : (ولا يحسن أن يكتب فكتب) كالنص أنه كتب بنفسه، قال: والعدول إلى غيره مجاز، ولا ضرورة إليه، قال: وقد طال كلام كل فرقة في هذه المسألة، وشنعت كل فرقة على الأخرى في هذا. والله أعلم.[2]

---

(١) الحديث: صحيح. صحيح البخاري: (١٠/ ٤٥٣)، ومسلم في باب صلح الحديبية: (٩/ ٢٥٧).

(٢) شرح النووي على مسلم: (٦/ ٢٤٠).

القول الثاني: أن رسول الله ﷺ لم يقرأ ولم يكتب قط حتى مات. وهو قول عامة أهل العلم ولا يعرف من قال بخلافه إلا من ذكرنا على الوجه المذكور سلفاً.واستدلوا بما يلي:

الدليل الأول: قوله تعالى: (ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

وقال البغوي: (ڈ ڈ ڈ ڈ) قبل القرآن كتاباً من كتب الله المنزلة (ڑ ڑ) أي تكتبه بيمينك فتعلم ما أنزل الله فيه.[١]

وقال السمعاني: (ڑ ڑ ڑ) أي لم تكن تقرأ ولا تكتب.[٢]

وقال الزمخشري: وأنت أمي ما عرَّفك أحد قط بتلاوة كتاب ولا خط.[٣]

وقال ابن عطية: وهو أميّ لا يقرأ ولا يكتب ولا يتلوا كتاباً ولا يخط حرفاً ولا سبيل له إلى العلم.[٤]

وقال ابن الجوزي: قال أبو عبيدة: ما كنت تقرأ قبله كتاباً والمعنى: ما كنت قارئاً قبل الوحي ولا كاتباً.[٥] و بنحو ذلك قال القرطبي.[٦]

قال ابن كثير: بعد أن قرر أمية النبي ﷺ وأنها صفته في الكتب المتقدمة، وصفته التي يعرفه بها قومه وكل أحد من الناس في زمانه، وأنه لأجل ذلك اتخذ الكُتَّاب بين يديه لمكاتبة الملوك والأقاليم. قال:

ومن زعم من متأخري الفقهاء، كالقاضي أبي الوليد الباجي ومن تابعه أنه ﷺ كتب يوم الحديبية: (**هذا ما قاضى عليه محمد بن عبدالله**) فإنما حمله على ذلك رواية في صحيح البخاري: (**ثم أخذ فكتب**): وهذه محمولة على الرواية الأخرى: (**ثم أمر فكتب**). ولهذا اشتد النكير بين فقهاء المغرب والمشرق على من قال بقول الباجي، وتبرؤوا منه، وأنشدوا في ذلك أقوالا وخطبوا به في محافلهم: وإنما أراد الرجل -أعني الباجي، فيما يظهر عنه -أنه كتب ذلك على وجه المعجزة، لا أنه كان يحسن الكتابة، كما قال عليه الصلاة والسلام إخبارا عن الدجال : (**مكتوب بين عينيه كافر**) وفي رواية: (**ك ف ر، يقرؤها كل مؤمن**)[٧] وما أورده بعضهم من

---

(١) تفسير البغوي (٣/ ٤٦٦).

(٢) تفسير السمعاني (٤/ ١٧٩).

(٣) الكشاف (٣/ ٤٦٢).

(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٣٢١).

(٥) زاد المسير (٦/ ٢٧١).

(٦) تفسير القرطبي (١٣/ ٣٥١).

(٧) الحديث: صحيح. صحيح البخاري (٦/ ٢٦٩٤)، وصحيح مسلم (١/ ١٥٢).

من الحديث أنه لم يمت ﷺ حتى تعلم الكتابة، فضعيف لا أصل له؛ قال الله تعالى: (ڈ ڈ ژ) أي: تقرأ (ڈ ڈ ڈ ژ) لتأكيد النفي، (ژ ڑ ڑک) تأكيد أيضا، وخرج مخرج الغالب، كقوله تعالى: (ڃ ڃ چ چ) [الأنعام: ٣٨].[١]

المناقشة والترجيح:

والراجح والله أعلم هو القول الثاني وهو ما رجحه ابن جزي لقوة أدلته وصراحتها وعدم نهوض أدلة الفريق الثاني لا من حيث الثبوت ولا من حيث صراحة الدلالة. ويجاب عما استدلوا به من أدلة بما يلي:

فأما أحاديث صلح الحديبية فالدلالة فيها صريحة بأن النبي ﷺ لم يعرف مكانها بل سأل علياً فقال له: (**أرني مكانها**) وهذا نص صريح لا يتطرق إليه الاحتمال بأن النبي ﷺ لا يقرأ حينها، ولو كان يقرأ لما سأله عن مكانها ولتبين له بقراءته، وهذا ينفي كونه قرأ وكتب حتى ولو كان ذلك على وجه الإعجاز، لأن ورود الإعجاز في الكتابة ليس بأولى من وروده في معرفة محلها إذا الثاني مبني على الأول، وهو واضح ولله الحمد.

وأما استدلالهم بأن النبي ﷺ محاها وكتب: ابن عبدالله. فهذا يجاب عنه بعدة أجوبة:

الجواب الأول: أن هذا محتمل لأن يكون الذي كتب هو الرسول ﷺ، ومحتمل لأن يكون الذي محاها هو النبي ﷺ والذي كتب علي رضي الله عنه؛ وعلي امتنع عن المحو ولم يمتنع عن الكتابة فمحاها النبي ﷺ وكتب علي رضي الله عنه. والقاعدة تقول: حكاية الحال إذا تطرق إليها الاحتمال كساها ثوب الإجمال، وسقط بها الاستدلال.[٢]

الجواب الثاني: قال ابن حجر في التلخيص: وقد ورد في كثير من الأحاديث في الصحيح وغيره إطلاق لفظ: كتب بمعنى: أمر. منها: حديث ابن عباس: (**أن النبي ﷺ كتب إلى قيصر**).[٣] وحديثه: (**كتب إلى النجاشي**)[٤] وحديثه: (**كتب إلى كسرى**) وحديث عبدالله بن

---

(١) تفسير ابن كثير (١/ ١١٣).

(٢) شرح الكوكب المنير (٢/ ١٠٤).

(٣) عبدالله بن عباس رضي الله عنهما أخبره أن رسول الله ﷺ (كتب إلى قيصر وقال فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين) صحيح البخاري (٣/ ١٠٧٣).

(٤) عن أنس أن نبي الله ﷺ كتب إلى كسرى وإلى قيصر وإلى النجاشي وإلى كل جبار يدعوهم إلى الله تعالى =

بن عكيم كتب إلينا رسول الله. [1] وغير هذه الأحاديث كلها محمولة على أنه أمر الكاتب. [2]

الجواب الثالث: قال ابن كثير: ومن زعم من متأخري الفقهاء، كالقاضي أبي الوليد الباجي ومن تابعه أنه ﷺ كتب يوم الحديبية: (**هذا ما قاضى عليه محمد بن عبدالله**) فإنما حمله على ذلك رواية في صحيح البخاري: (**ثم أخذ فكتب**): وهذه محمولة على الرواية الأخرى: (**ثم أمر فكتب**).[3]

وأما استدلالهم بأن النبي ﷺ قد قرأ صحيفة لعيينة بن حصن فهو كحديث الحديبية ليس فيه دلالة صريحة - على فرض ثبوته – وقد أخرجه ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني وأبو نعيم الأصبهاني في معرفة الصحابة، أن الأقرع بن حابس لما دفع إليه معاوية كتاب النبي ﷺ قال ما فيها ؟ فقال معاوية: فيها الذي أمرت به. فقال: بئس وافد قومي إن جئتهم بصحيفة أحملها لا أدري ما فيها، كصحيفة المتلمس.[4] فأخذها النبي ﷺ فنظر فيها، فإذا فيها الذي أمر به فألقاها... الحديث.

وهذا الحديث تضمن أن الذي كتب الصحيفة هو معاوية بن أبي سفيان ﷺ، ولم يكتبها النبي ﷺ، وهذا هو الذي في الرواية الصحيحة التي عند أبي داود كما سبق بيانه. وسياقها كالتالي: عن أبي كبشة السلولي حدثنا سهل ابن الحنظلية قال قدم على رسول الله ﷺ عيينة بن حصن والأقرع بن حابس فسألاه فأمر لهما بما سألا وأمر معاوية فكتب لهما بما سألا فأما الأقرع

وليس بالنجاشي الذي صلى عليه النبي ﷺ. صحيح مسلم (٣/ ١٣٩٧).

(١) وفيه أن رسول الله ﷺ كتب إلى جهينة قبل موته بشهر: (أن لا ينتفعوا من الميتة بإهاب ولا عصب)، والحديث في سنن أبي داود (٤/ ٦٧)، وسنن الترمذي (٤/ ٢٢١)، وسنن ابن ماجه (٢/ ١١٩٤)، والحديث صححه الألباني في صحيح سنن أبي داود برقم: (٤١٢٧).

(٢) التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير: (٤/ ٢٠٥).

(٣) تفسير ابن كثير (١/ ١١٣).

(٤) لها قصة مشهورة عند العرب وهو المتلمس الشاعر وكان هجا عمرو بن هند الملك فكتب له كتابا إلى عامله يوهمه أنه أمر له فيه عطية وقد كان كتب إليه أن يقتله فارتاب المتلمس ففكه وقرأه فلما علم ما فيه رمى به ونجا فضربت العرب مثلا بصحيفته. انظر: عون المعبود (٤/ ٤٢).والمتلمس هو: جرِيرُ بن عبدالمَسيح بن عبْدالله بن زيْد بن دّوْقن الضُبَعيّ الشَّاعِر.انظر: نسب معد واليمن الكبير لابن الكلبي: (١/ ٢٤).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

فأخذ كتابه فلفه في عمامته وانطلق وأما عيينة فأخذ كتابه وأتى النبي ﷺ مكانه فقال يا محمد أتراني حاملا إلى قومي كتابا لا أدري ما فيه كصحيفة المتلمس فأخبر معاوية بقوله رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: **(من سأل وعنده ما يغنيه فإنما يستكثر من النار)**.[1]

وأما ما ذكروا عن الشعبي أنه قال: ما مات رسول الله ﷺ حتى قرأ وكتب، فهذا القول يحتج له ولا يحتج به فهو مفتقر إلى ما يدل له في الحقيقة. وقال عنه السمعاني بعدما نقله: وهو قول ضعيف لا يعتمد عليه وأظنه أنه لا يصح عن الشعبي هذا، لأنه كان عالماً كبيراً.[2] وقال الحافظ ابن كثير: وما أورده بعضهم من الحديث أنه لم يمت، عليه السلام حتى تعلم الكتابة، فضعيف لا أصل له.[3]

وأما ما نقله ابن حجر من تعليلات لهم في ذلك ومنه قولهم:

أنه لا يلزم من كتابة اسمه الشريف في ذلك اليوم وهو لا يحسن الكتابة أن يصير عالما بالكتابة ويخرج عن كونه أميا، فإن كثيرا ممن لا يحسن الكتابة يعرف تصور بعض الكلمات ويحسن وضعها وخصوصا الأسماء، ولا يخرج بذلك عن كونه أميا ككثير من الملوك.

وقولهم: أنه يحتمل أن يكون جرت يده بالكتابة حينئذ وهو لا يحسنها فخرج المكتوب على وَفْق المراد فيكون معجزة أخرى في ذلك الوقت خاصة، ولا يخرج بذلك عن كونه أميا.

فقد تعقب ذلك السهيلي وغيره بأن هذا وإن كان ممكنا ويكون آية أخرى لكنه يناقض كونه أميا لا يكتب، وهي الآية التي قامت بها الحجة وأفحم الجاحد وانحسمت الشبهة. فلو جاز أن يصير يكتب بعد ذلك لعادت الشبهة. وقال المعاند: كان يحسن يكتب لكنه كان يكتم ذلك، قال السهيلي: والمعجزات يستحيل أن يدفع بعضها بعضا، والحق أن معنى قوله : « فكتب » أي : أمر عليا أن يكتب . انتهى.

---

(١) تقدم في: (ص : ٥٦) وهو صحيح .

(٢) تفسير السمعاني (٤/ ١٧٩).

(٣) تفسير ابن كثير (١/ ١١٣).

قال الحافظ: وفي دعوى أن كتابة اسمه الشريف فقط على هذه الصورة تستلزم مناقضة المعجزة وتثبت كونه غير أمي نظر كبير، والله أعلم.[1]

قلت: وأما كتابة اسمه الشريف ﷺ كما يفعله كثير من الذين لا يعرفون القراءة والكتابة على طريقة الرسم فقط، لا تناقض أميته ولا تناقض المعجزة كما ذكر الحافظ عليه رحمة الله، ولكن هذا التأويل لا يصار إليه إلا عند تكافئ الأدلة . أما والحال هذه فلا نحتاج إلى هذا التأويل .

والله أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

(١) فتح الباري لابن حجر (١٢/ ٦٦).

الكلام على قوله تعالى: (ٱ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ) [العنكبوت:٥٣]

وفي الآية مسألة واحدة وهي: معنى: (پ)

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: «يحتمل أن يريد القتل الذي أصابهم يوم بدر، أو الجوع الذي أصابهم بتوالي القحط، أو يريد عذاب الآخرة، وهذا أظهر، لقوله: ﴿ وإن جهنم لمحيطة بالكافرين ﴾ العنكبوت ٥٤».

وفيها ثلاثة أقوال:

القول الأول: أن المراد به القتل الذي أصابهم يوم بدر. وممن ذكره البغوي [١] والزمخشري[٢] وابن الجوزي[٣] والقرطبي[٤] وابن عطية.[٥]

قال ابن عاشور: وإذ قد كان الله أعد لهم عذاباً أعظم من عذاب يوم بدر، وهو عذاب جهنم الذي يعم جميعهم، أعقب إنذارهم بعذاب يوم بدر بإنذارهم بالعذاب الأعظم. وأعيد لأجله ذكر استعجالهم بالعذاب معترضاً بين المتعاطفين،إيماء إلى أن ذلك جواب استعجالهم، فإنهم استعجلوا العذاب فأُنذروا بعذابين، أحدهما أعجل من الآخر.[٦]

القول الثاني: أن المقصود به الجوع الذي أصابهم بتوالي القحط. ولم أجد من قال به في التفاسير التي بين يدي.

القول الثالث: أن المراد به: عذاب الآخرة.

---

(١) تفسير البغوي (٣/ ٤٦٨).

(٢) الكشاف (٣/ ٤٦٣).

(٣) زاد المسير (٦/ ٢٧٧).

(٤) تفسير القرطبي (١٣/ ٣٥٠).

(٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٣٢٣).

(٦) تفسير التحرير والتنوير (٢١/ ١٩).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

قال الزمخشري: (ب ﭒ ﭓ) قد سماه الله وبَيَّنَه في اللوح لعذابهم، وأوجبت الحكمة تأخيره إلى ذلك الأجل المسمى (پ ﭒ) عاجلاً، والمراد بالأجل: الآخرة.[1] وكذا قال ابن الجوزي ونقله عن سعيد بن جبير.[2]

قال البغوي: (ب ﭒ ﭓ پ) قال ابن عباس: ما وعدتك أني لا أعذب قومك ولا أستأصلهم وأؤخر عذابهم يعني لأنهم إذا ماتوا صاروا إلى العذاب. [3]

الترجيح:

والراجح والعلم عند الله تعالى أن القول الأول والقول الثالث لا تعارض بينهما بل هما متلازمان، وأحدهما مقدمة للآخر، والأجل المسمى هو الموت والقتل الذي أصابهم يوم بدر على أيدي المؤمنين، ولأن الموت هو القيامة الصغرى لكل عبد، فمن مات فقد قامت قيامته، والموت بوابة الآخرة فإذا ماتوا، لاقوا عذاب الله تعالى الذي وعدهم به، فعن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ ترك قتلى بدر ثلاثا ثم أتاهم فقام عليهم فناداهم فقال: (يا أبا جهل بن هشام يا أمية بن خلف يا عتبة بن ربيعة يا شيبة بن ربيعة أليس قد وجدتم ما وعد ربكم حقا، فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقا) فسمع عمر قول النبي ﷺ فقال: يا رسول الله كيف يسمعوا وأنى يجيبوا وقد جيفوا. قال: (والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ولكنهم لا يقدرون أن يجيبوا). ثم أمر بهم فسحبوا فألقوا في قليب بدر. [4]

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

(١) الكشاف (٣/ ٤٦٣).

(٢) زاد المسير (٦/ ٢٧٧).

(٣) تفسير البغوي (٣/ ٤٦٨).

(٤) صحيح البخاري: (٥/ ١٦١)، وصحيح مسلم: (١٤/ ٣٧).

الكلام على قوله تعالى: (ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ٹ ٹ) [العنكبوت:٦٩]

والآية فيها مسألة واحدة وهي: مالمراد بالجهاد في هذه الآية ؟.

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: «يعني جهاد النفس، من الصبر على إذاية الكفار، واحتمال الخروج عن الأوطان وغير ذلك. وقيل: يعني القتال، وذلك ضعيف، لأن القتال لم يكن مأمورا به حين نزول الآية ».[1]

وفيها قولان:

القول الأول: أن المراد بالجهاد في هذا الموطن هو جهاد النفس.

قال أبو الحسن الماوردي: جاهدوا أنفسهم في هواها خوفاً منا. جاهدوا أنفسهم في التوبة من ذنوبهم.[2]

وقال أبو المظفر السمعاني: عن الحسن أنه قال: أفضل الجهاد مخالفة الهوى، ويقال: المجاهدة: هو الصبر على الطاعات واجتناب المعاصي. ويقال: تحقيق الإخلاص في الأعمال، وهو حقيقة قوله تعالى: « فينا ».[3]

وذكر ابن عطية عن أبي سليمان الداراني قال: ومنه مجاهدة النفس في طاعة الله ﷻ وهو الجهاد الأكبر.[4]

القول الثاني: أن المراد بالجهاد في هذا الموطن هو : القتال .

قال الماوردي: قاتلوا المشركين طائعين لنا.[5] وقال القرطبي: والذين قاتلوا هؤلاء المفترين على الله كذباً من كفار قريش، المكذبين بالحق لما جاءهم فينا، مبتغين بقتالهم علو

---

(١) التسهيل لابن جزي: (ص/ ٥٣٥).

(٢) النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٢٩٤).

(٣) تفسير السمعاني (٤/ ١٩٤).

(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٣١٧).

(٥) النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٢٩٤).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

كلمتنا، ونصرة ديننا. [1] وأخرج ابن أبي حاتم عن عبدالرحمن بن زيد بن أسلم: قيل له: قاتلوا فينا؟ قال: نعم. [2] وقال السمعاني: قتال الكفار. [3]

قال البغوي: والذين جاهدوا المشركين لنصرة ديننا. [4] وقال ابن الجوزي: قاتلوا أعداءنا لأجلنا. [5] وقال ابن جرير: يقول تعالى ذكره: والذين قاتلوا هؤلاء المفترين على الله كذباً من كفار قريش، المكذبين بالحق لما جاءهم فينا، مبتغين بقتالهم علو كلمتنا، ونصرة ديننا. [6]

الترجيح:

والراجح والعلم عند الله تعالى أن المعنى يعم الجميع، فكل من جاهد في سبيل الله تعالى بأي نوع من أنواع الجهاد فإن ذلك سبب في هداية الله تبارك وتعالى، لأن الجهاد بذل الوسع واستفراغ الطاقة في طاعة الله ومرضاته سواءً في قتال الكفار أو الدعوة إلى الله تبارك وتعالى وتعليم الناس، أو بالسعي على الأرامل والمساكين فإن هذه الأعمال جميعها من أسباب الحصول على السعادة قال الله تعالى: (ۀ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ے ۓ ۓ ﷺ) (الليل: ٥ - ٧)

قال ابن القيم: علق سبحانه الهداية بالجهاد، فأكمل الناس هداية أعظمهم جهاداً، وأفرض الجهاد جهاد النفس، وجهاد الهوى، وجهاد الشيطان، وجهاد الدنيا؛ فمن جاهد هذه الأربعة في الله، هداه الله سبل رضاه الموصلة إلى جنته، ومن ترك الجهاد فاته من الهدى بحسب ما عطل من الجهاد. قال الجنيد: والذين جاهدوا أهواءهم فينا بالتوبة لنهدينهم سبل الإخلاص. ولا يتمكن من جهاد عدوه في الظاهر إلا من جاهد هذه الأعداء باطناً، فمن نُصر عليها نُصر على عدوه، ومن نُصرت عليه نُصر عليه عدوه. [7]

ويؤيد هذا جملة من قواعد التفسير:

---

(١) تفسير الطبري (٢١/ ١٥).
(٢) تفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٨٤).
(٣) تفسير السمعاني (٤/ ١٩٤).
(٤) تفسير البغوي (٣/ ٤٦٦).
(٥) زاد المسير (٦/ ٢٨٥).
(٦) تفسير الطبري (٢١/ ١٥).
(٧) الفوائد لابن القيم: ص(٥٨).

القاعدة الأولى: أن عامة ألفاظ القرآن تدل على معنيين فأكثر.

القاعدة الثانية: قد يحتمل اللفظ معان عدة ويكون أحدهما هو الغالب استعمالاً في القرآن فيقدم.

القاعدة الثالثة: إذا احتمل اللفظ معاني عدة، ولم يمتنع إرادة الجميع حمل عليها. القاعدة الرابعة: أن الخبر يبقى على عمومه حتى يرد ما يخصصه. [1]

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

(١) مختصر قواعد التفسير للسبت: ص(١٩، ٢٦، ٢٧).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة :: مع الفهارس) 5

ترجيحات واختيارات ابن جزي الكلبي في تفسيره

سورة الروم

الكلام على قوله تعالى: (ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ) [الروم:٧]

والآية فيها مسألة واحدة وهي: ما معنى قوله: ظاهراً ؟.

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: « **قيل**: معناه يعلمون ما يدرك بالحواس دون ما يدرك بالعقول، فهم في ذلك مثل البهائم. **وقيل**: الظاهر ما يعلم بأوائل العقول، والباطن ما يعلم بالنظر والدليل. **وقيل**: هو من الظهور بمعنى العلو في الدنيا. **وقيل**: ظاهر بمعنى زائل ذاهب. **والأظهر**: أنه أراد بالظاهر المعرفة بأمور الدنيا ومصالحها، لأنه وصفهم بعد ذلك بالغفلة عن الآخرة، وذلك يقتضي عدم معرفتهم بها، وانظر كيف نفى العلم عنهم أولا ثم أثبت لهم العلم بالدنيا خاصة، وقال بعض أهل البيان إن هذا من المطابقة، لاجتماع النفي والإثبات، وجعل بعضهم العلم المثبت كالعدم، لقلة منفعته، فهو على هذا بيان للنفي ». (١)

وفي المسألة خمسة أقوال:

القول الأول: أن المراد هو علمهم بما يدرك بالحواس دون ما يدرك بالعقول وذلك تشبيه لهم بالبهائم. **قال ابن عطية**: قالت فرقة: معناه : بيناً . أي : ما أدته إليهم حواسهم، فكأن علومهم إنما هي علوم البهائم.(٢)

القول الثاني: أن المراد بالظاهر ما يعلم بأوائل العقول والباطن ما يعلم بالنظر والدليل. قال ابن عطية: قال الروماني: كل ما يعلم بأوائل العقول فهو الظاهر، وما يعلم بدليل العقل فهو الباطن.(٣)

القول الثالث: أن المقصود بالظهور: العلو والارتفاع في الدنيا. قال ابن عطية: قال ابن عباس والحسن والجمهور: معناه ما فيه من الظهور والعلو في الدنيا من إتقان الصناعات والمباني ومظان كسب الأموال والفلاحات ونحو هذا. (٤)

---

(١) تفسير ابن جزي الكلبي: ص(٥٣٦).

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٣٢٧).

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٣٢٧).

(٤) المحرر الوجيز: (٤/ ٣٢٧)، وانظر النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٢٩٦)، ونقله أبو حيان بحرفه في تفسير البحر المحيط (٧/ ١٥٧)، ولم أجد من أسنده في كتب التفسير المسندة التي بين يدي والعلم عند الله.

دكتوراه عبدالعلي الحمدي (كامل الرسالة .. مع الفهارس) ٥

القول الرابع: أن معنى ظاهراً: أي زائلٌ وذاهبٌ. قال ابن عطية: وقالت فرقة: معناه ذاهباً زائلاً، أي يعلمون أمور الدنيا التي لا بقاء لها ولا عاقبة، ومثل هذه اللفظة قول الهذلي:

وعيرها الواشون أني أحبها وتلك شكاة ظاهر عنك عارها. (١)

القول الخامس: أن المراد بالظاهر المعرفة بأمور الدنيا ومصالحها.

قال ابن عباس في قوله تعالى: (ٹ ٹ ٹ ڈ ڈ ٹ) يعني معايشهم، متى يحصدون ومتى يغرسون. وعنه أيضاً أنه قال: يعني الكفار، يعرفون عمران الدنيا، وهم في أمر الدين جهال. وقال عكرمة: هم الخرازون والسراجون. وقال إبراهيم: معايشهم وما يصلحهم. وقال قتادة: من حرفتها وتصرفها وبغيتها. (٢)

قال الحسن: ليبلغ من حذق أحدهم بأمر دنياه، أنه يقلب الدرهم على ظفره فيخبرك بوزنه، وما يحسن يصلي. (٣)

الترجيـــح:

بالتمعن في الأقوال السابقة، نجد أن القول الأول والقول الثاني لا فرق بينهما في المعنى، وذلك أن المقصود: هو قصر أفهام الكفار على ما يدرك بالحس المادي، وأما ما يتعلق بعلوم الغيب من الآخرة والبعث والحساب والجنة والنار فهم عنه غافلون.

وأما القول الثالث والذي حكاه ابن عطية عن ابن عباس والحسن والجمهور على حد قوله فالذي يظهر والعلم عند الله أنه استنباط من تفسير ابن عباس والحسن وبقية المفسرين إذ أن هؤلاء المفسرين كما سبق ونقلنا عباراتهم أنهم ذكروا أن المعنى هو معرفتهم بأوقات الزرع والحرث والغراس والمباني والتجارات؛ ولم يذكروا أن معنى (ٹ) هو العلو والارتفاع في

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٣٢٧). والبيت لأبي ذؤيب الهذلي. أنظر خزانة الأدب (٣/ ٤٢٢).

(٢) تفسير الطبري (٢١/ ١٥)، وتفسير ابن أبي حاتم: (٩/ ٣٠٨٨) تفسير القرطبي (١٤/ ٥). والدر المنثور (٦/ ٤٨٤).

(٣) انظر تفسير القرطبي (١٤/ ٥).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

الدنيا. ولعل هذا تفسير باللازم، إذ أن المعرفة بهذه الأمور تؤدي إلى الارتفاع في الدنيا والظهور والبروز. والعلم عند الله.

وأما القول الرابع الذي بمعنى الزوال والذهاب فهذا له وجه، إذ أن علم الدنيا ومعاشاتها قصير المدى نهايته إلى الزوال عند أهل العقول.

وأما القول الخامس فهذا قول جمهور المفسرين وهو الذي اتفقت عليه جل عباراتهم رحمهم الله تعالى. **والذي يترجح هو القول بالعموم، وذلك لعدة أمور:**

الأمر الأول: أن القول بالعموم ينتظم جميع الأقوال، والآية محتملة لكل هذه المعاني، مع السلامة من التدافع.

الأمر الثاني: أن هذا هو المتفق مع قواعد التفسير فمن ذلك:

أن القاعدة تقول: عامة ألفاظ القرآن تدل على معنيين فأكثر. والقاعدة الأخرى تقول: الكلمة إذا احتملت وجوهاً لم يكن لأحد صرف معناها إلى بعض وجوهها دون بعض إلا بحجة. [1] ومما يؤيد ما ذهبت إليه ما ذكره الشيخ الأمين الشنقيطي رحمه الله حول هذه الآية حيث قال رحمه الله تعالى:

اعلم أنه يجب على كل مسلم في هذا الزمان أن يتدبّر آية «الروم» هذه تدبّرًا كثيرًا، ويبيّن ما دلّت عليه لكل من استطاع بيانه له من الناس.

وإيضاح ذلك أن من أعظم فتن آخر الزمان التي ابتلى الله بها ضعاف العقول من المسلمين، شدّة إتقان الإفرنج لأعمال الحياة الدنيا، ومهارتهم فيها على كثرتها، واختلاف أنواعها مع عجز المسلمين عن ذلك، فظنوا أن من قدر على تلك الأعمال أنه على الحق، وأن من عجز عنها متخلّف وليس على الحق، وهذا جهل فاحش، وغلط فادح. وفي هذه الآية الكريمة إيضاح لهذه الفتنة، وتخفيف لشأنها أنزله الله في كتابه قبل وقوعها بأزمان كثيرة، فسبحان الحكيم الخبير ما أعلمه، وما أعظمه، وما أحسن تعليمه.

فقد أوضح جلَّ وعلا في هذه الآية الكريمة أن (□ □ □ □) ويدخل فيهم أصحاب هذه العلوم الدنيوية دخولاً أوليًّا، فقد نفى عنهم جلَّ وعلا اسم العلم بمعناه

---

(١) انظر مختصر قواعد التفسير للسبت: ص(٢٦).

الصحيح الكامل، لأنهم لا يعلمون شيئًا عمّن خلقهم، فأبرزهم من العدم إلى الوجود، ورزقهم، وسوف يميتهم، ثم يحييهم، ثم يجازيهم على أعمالهم، ولم يعلموا شيئًا عن مصيرهم الأخير الذي يقيمون فيه إقامة أبديّة في عذاب فظيع دائم، ومن غفل عن جميع هذا فليس معدودًا من جنس من يعلم؛ كما دلّت عليه الآيات القرءانيّة المذكورة، ثم لما نفى عنهم جلَّ وعلا اسم العلم بمعناه الصحيح الكامل، أثبت لهم نوعًا من العلم في غاية الحقارة بالنسبة إلى غيره. وعاب ذلك النوع المذكور من العلم، بعيبين عظيمين:

أحدهما: قلّته وضيق مجاله، لأنه لا يجاوز (ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ) والعلم المقصور على ظاهر من الحياة الدنيا في غاية الحقارة، وضيق المجال بالنسبة إلى العلم بخالق السمٰوات والأرض جلَّ وعلا، والعلم بأوامره ونواهيه، وبما يقرب عبده منه، وما يبعده عنه، وما يخلد في النعيم الأبدي والعذاب الأبدي، من أعمال الخير والشر.

والثاني: هو دناءة هدف ذلك العلم، وعدم نبل غايته، لأنه لا يتجاوز الحياة الدنيا، وهي سريعة الانقطاع والزوال، ويكفيك من تحقير هذا العلم الدنيوي أن أجود أوجه الإعراب في قوله: (ﭦ ﭧ) أنه بدل من قوله قبله (ﭤ ﭥ) فهذا العلم كلا علم لحقارته.

قال الزمخشري في «الكشاف»: وقوله: (ﭦ) بدل من قوله: ﴿ لاَّ يَعْلَمُونَ ﴾ وفي هذا الإبدال من النكتة أنه أبدله منه وجعله بحيث يقوم مقامه، ويسد مسدّه ليعلمك أنه لا فرق بين عدم العلم الذي هو الجهل، وبين وجود العلم الذي لا يتجاوز الدنيا.

وقوله: (ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ) يفيد أن للدنيا ظاهرًا وباطنًا فظاهرها ما يعرفه الجهال من التمتع بزخارفها، والتنعّم بملاذها، وباطنها وحقيقتها أنها مجاز إلى الآخرة، يتزوّد منها إليها بالطاعة والأعمال الصالحة، وفي تنكير الظاهر أنهم لا يعلمون إلا ظاهرًا واحدًا من ظواهرها. و«هُمْ» الثانية يجوز أن يكون مبتدأ، و (ﭪ ﭫ) خبره، والجملة خبر «هُمْ» الأولى، وأن يكون تكريرًا للأولى، و (ﭪ ﭫ) خبر الأولى، وأيا كانت فذكرها مناد على أنهم معدن الغفلة عن الآخرة، ومقرّها، ومحلّها وأنها منهم تنبع وإليهم ترجع، انتهى كلام صاحب

دكتورة عبدالمحي المصري (كامل الرسالة :: مع الفهارس) 5

«الكشاف».[1] وقال غيره: وفي تنكير قوله: «ظَاهِراً» تقليل لمعلومهم، وتقليله يقربه من النفي، حتى يطابق المبدل منه، اهـ، ووجهه ظاهر.

واعلم أن المسلمين يجب عليهم تعلّم هذه العلوم الدنيوية، كما أوضحنا ذلك غاية الإيضاح في سورة «مريم»، في الكلام على قوله تعالىٰ: (ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ) (مريم:٧٨) وهذه العلوم الدنيوية التي بيّنا حقارتها بالنسبة إلى ما غفل عنه أصحابها الكفار، إذا تعلّمها المسلمون، وكان كل من تعليمها واستعمالها مطابقًا لما أمر الله به على لسان نبيّه ﷺ، كانت من أشرف العلوم وأنفعها؛ لأنها يستعان بها على إعلاء كلمة الله ومرضاته جلَّ وعلا، وإصلاح الدنيا والآخرة، فلا عيب فيها إذن؛ كما قال تعالىٰ: (ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ) (الأنفال:٦٠) فالعمل في إعداد المستطاع من القوة امتثالاً لأمر الله تعالىٰ وسعيًا في مرضاته، وإعلاء كلمته ليس من جنس علم الكفار الغافلين عن الآخرة كما ترى، والآيات بمثل ذلك كثيرة، والعلم عند الله تعالىٰ.[2]

---

(١) الكشاف (٣/ ٤٧٣).

(٢) أضواء البيان (٦/ ١٦٧).

الكلام على قوله تعالى: (ڈ ڈ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ) [الروم: ٨]

والآية فيها مسألة واحدة وهي: المقصود بقوله تعالى: (ڈ ڈ ڎ ڎ).

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: « يحتمل معنيين: أحدهما: أن تكون النفس ظرفا للفكرة في خلق السموات والأرض كأنه قال أولم يتفكروا بعقولهم فيعلموا أن الله ما خلق السموات والأرض إلا بالحق. والثاني: أن يكون المعنى أو لم يتفكروا في ذواتهم وخلقتهم ليستدلوا بذلك على الخالق ويكون قوله: (ڈ ڈ)..استئناف كلام **والمعنى الأول أظهر** ». [١]

والمسألة فيها قولان:

القول الأول: أن المعنى: أولم يتفكروا بعقولهم. وعليه تكون النفس ظرفا للتفكر.

قال الزمخشري: « في أنفسهم »: يحتمل أن تكون ظرفاً: كأنه قيل: أولم يحدثوا التفكر في أنفسهم، أي في قلوبهم الفارغة من الفكر؛ والتفكر لا يكون إلا في القلوب، ولكنه زيادة تصوير لحال المتفكرين، كقولك اعتقده في قلبك وأضمره في نفسك. [٢]

وقال ابن عطية: أن تكون النفس ظرفاً للفكرة في خلق السماوات والأرض، فيكون قوله: « في أنفسهم » تأكيداً لقوله: « يتفكروا » كما تقول: انظر بعينك واسمع بأذنك، فقولك: بأذنك تأكيد. [٣]

وقال القرطبي: قوله تعالى: « في أنفسهم » ظرف للتفكر وليس بمفعول تعدى إليه «يتفكروا» بحرف جر، لأنهم لم يؤمروا أن يتفكروا في خلق أنفسهم، إنما أمروا أن يستعملوا التفكير في خلق السماوات والأرض وأنفسهم، حتى يعلموا أن الله لم يخلق السماوات وغيرها إلا بالحق. [٤]

---

(١) التسهيل لابن جزي: ص(٥٣٦ - ٥٣٧).

(٢) الكشاف (٣/ ٤٧٣).

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٣٢٩).

(٤) تفسير القرطبي (١٤/ ٨).

قال ابن عاشور: وحرف « في » من قوله: « في أنفسهم »: يجوز أن يكون للظرفية الحقيقية الاعتبارية فيكون ظرفاً لمصدر « يتفكرون » أي: تفكراً مستقراً في أنفسهم. وموقع هذا الظرف مما قبله موقع معنى الصفة للتفكر. وإذ قد كان التفكر، إنما يكون في النفس، فَذكر « في أنفسهم » لتقوية تصوير التفكر، وهو كالصفة الكاشفة، لتقرر معنى التفكر عند السامع، كقوله: (ژ ڑ ڑ) (العنكبوت: ٤٨) وقوله: (ڃ ڃ ڃ چ) (الأنعام: ٣٨) وتكون جملة (ڤ ڤ ڤ ڤ) إلخ على هذا مبينة لجملة « يتفكرون » إذ مدلولها هو ما يتفكرون فيه كقوله تعالى: (ڳ ڳ ں ڻ ڻ ڻ) (الأعراف:١٨٤).[1]

القول الثاني: أن يكون المعنى أو لم يتفكروا في ذواتهم وخلقتهم ليستدلوا بذلك على الخالق ويكون قوله: (ڤ ڤ ڤ ڤ) الآية. استئناف كلام.

قال الزمخشري: « في أنفسكم »:... أن يكون صلة للتفكر كقولك تفكر في الأمر وأجال فيه فكره.و « ما خلق » متعلق بالقول المحذوف، معناه: أو لم يتفكروا فيقولوا هذا القول... فإن قلت: إذا جعلت « في أنفسهم » صلة للتفكر فما معناه ؟ قلت: معناه: أولم يتفكروا في أنفسهم التي هي أقرب إليهم من غيرها من المخلوقات، وهم أعلم وأخبر بأحوالها منهم بأحوال ما عداها.[2]

قال ابن عطية: أن تكون الفكرة في ذواتهم وحواسهم وخلقتهم ليستدلوا بذلك على الخالق المخترع... فيفهم على طريقة الإيجاز والاختصار أن من فكر في نفسه علم حقيقة هذا الخبر ووقف عليه ببصيرة نفسه.[3]

قال ابن عاشور: يجوز أن يكون « في » للظرفية المجازية متعلقة بفعل« يتفكرون » تعلق المفعول بالفعل، أي يتدبروا ويتأملوا في أنفسهم. والمراد بالأنفس: الذوات، فهو في معنى قوله تعالى: (ڈ ڈ ۋ ۅ ۉ) (الذاريات: ٢١) فإن حق النظر المؤدي إلى معرفة الوحدانية وتحقق البعث

---

(١) تفسير التحرير والتنوير (٢١/ ٥٢).

(٢) الكشاف (٣/ ٤٧٣).

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٣٢٩).

دكتوراه عبدالعلي المسدي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

أن يبدأ بالنظر في أحوال خلقة الإنسان، قال تعالى: (ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ۇ) (المؤمنون:١١٥) وهذا كقوله تعالى: (ھ ھ ھ ھ ے ے) (الأعراف:١٨٥).[١]

الترجيح: والذي يظهر والعلم عند الله أنه لا تعارض بين المعنيين فيصلح أن تحمل الآية على هذا وهذا لكن ما استظهره ابن جزي رحمه الله تعالى هو الأظهر وذلك لعدة أمور:

الأمر الأول: أن المعنى الأول الذي استظهره ابن جزي، هو الغالب في استعمال القرآن، والقاعدة تقول: قد يحتمل اللفظ معان عدة، ويكون أحدها هو الغالب استعمالاً في القرآن فيقدم.[٢] قال الله تعالى: (ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ) (الأعراف: ١٨٥)وقال تعالى: (ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ) (يونس: ١٠١). وقال تعالى: (ٹ ٹ ٹ ٹ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ) (العنكبوت: ٢٠).

الأمر الثاني: أن دلالة السياق ترشد إلى هذا المعنى فقوله تعالى: (ڈ ڈ ڎ ڎ) ثم قال بعدها: (ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ) مشعر بأن خلق السموات والأرض هو محل التفكر.

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

(١) تفسير التحرير والتنوير (٢١/ ٤٤).

(٢) انظر مختصر قواعد التفسير للسبت: ص(٢٦).

دكتوراه عبدالعلي الحمدي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

الكلام على قوله تعالى: (□ □ □ □ □ □ □ □ □ ى) [الروم:١٥]

والآية فيها مسألة واحدة وهي: معنى قوله: (□ ى)

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: « تنعمون: من الحبور، وهو: السرور والنعيم. وقيل: تكرمون ». (١)

وفي هذه المسألة قولان:

القول الأول: أن المعنى: ينعمون. من الحبور وهو السرور والنعيم.

وممن قال بذلك ابن جرير الطبري حيث قال: (□ □ □ □ ى) يقول: فهم في الرياحين والنباتات الملتفة وبين أنواع الزهر في الجنان يسرون... والحبرة عند العرب: السرور والغبطة، قال العجاج:

فالحمد لله الذي أعطى الحبر موالي الحق إن المولى شكر (٢)

قال قتادة في قوله « يُحْبَرُونَ » قال: ينعمون. (٣) وبمثله قال مجاهد.كما ذكر ذلك عنه ابن كثير. (٤) ونقله الماوردي عن مجاهد وقتادة، وقال: « يُحْبَرُونَ » يفرحون، قاله السدي. والحبرة عند العرب السرور والفرح ثم ذكر بيت العجاج السابق. (٥)

---

(١) التسهيل لابن جزي: ص(٥٣٧).

(٢) وهذا البيت من أرجوزة طويلة للعجّاج، وهي نحو مائتي بيت مدح بها عمر بن عبيد الله بن معمر، وكان عبدالملك بن مروان قد وجّهه لقتال أبي فديك الحروريّ فأوقع به وبأصحابه ومطلعها: .

قد جبر الدّين الإله فجبر وعوّر الرّحمن من ولّى العور.

فالحمد لله الذي أعطى الشّبر موالي الحقّ إن المولى شكر.

و « الشّبر »: بفتح الشين المعجمة والموحّدة الخير، ويروى « الحبر »: بفتح المهملة والموحّدة، وهو السرور. وموالي الخير، بفتح الميم، يريد العبيد، وهو مفعول ثان لأعطى؛ وروي موالي بضم الميم، فيكون من صفة الله، ونصبه على المدح. و« المولى » بالفتح: العبد. انظر: خزانة الأدب: (١/ ٤٧٩).

(٣) تفسير الطبري (٢١/ ٢٥).

(٤) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٢٧).

(٥) النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٢٩٦).

دكتوراه عبدالعلي الحمدي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

ونقل أبو المظفر السمعاني[1] عن ابن قتيبة في معنى قوله: « يُحْبَرُونَ » أي: يسرون. وقال البغوي بعد أن أورد قول مجاهد وقتادة، قال: وقال أبو عبيدة يسرون، والحبرة السرور، وقيل: الحبرة في اللغة: كل نعمة حسنة، والتحبير التحسين[2] ونحوه ذكر ابن الجوزي[3] وابن عطية[4]

قال الزمخشري: « يُحْبَرُونَ » يسرون، يقال: حبره إذا سره سروراً تهلل له وجهه وظهر فيه أثره.[5] وكذا قال ابن عاشور.[6]

قال القرطبي: سمعت علي بن سليمان يقول: هو مشتق من قولهم: على أسنانه حبرة -بسكون الباء- أي أثر، فـ « يُحْبَرُونَ » يتبين عليهم أثر النعيم، والحبر مشتق من هذا، قال الشاعر:

لا تملأ الدلو وعرّق فيها أما ترى حبار من يسقيها[7]

القول الثاني: « يحبرون »: يكرمون.

وهذا مروي عن ابن عباس أنه قال في معنى قوله تعالى: (□ ى) قال: يكرمون. وممن ذكر هذا القول من المفسرين: ابن جرير[8] والماوردي[9] والبغوي[10] وابن عطية[11] وابن الجوزي[12] وأبو المظفر السمعاني[13] والزمخشري -ونقله عن مجاهد-[1] والقرطبي -ونقله عن الضحاك وابن عباس-.[2]

---

(١) تفسير السمعاني (٤/ ١٩٩).

(٢) تفسير البغوي (٣/ ٤٧٦).

(٣) زاد المسير (٦/ ٢٩٣).

(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٣٢٧).

(٥) الكشاف (٣/ ٤٧٦).

(٦) تفسير التحرير والتنوير (٢١/ ٦٤).

(٧) تفسير القرطبي (١٤/ ١٢)، وانظر البيت في: مجالس ثعلب: (١/ ٤٣).

(٨) تفسير الطبري (٢١/ ٢٥).

(٩) النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٢٩٦).

(١٠) تفسير البغوي (٣/ ٤٧٦).

(١١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٣٢٧).

(١٢) زاد المسير (٦/ ٢٩٣).

(١٣) تفسير السمعاني (٤/ ١٩٩).

الترجيح: والراجح والعلم عند الله تعالى هو القول بالعموم، فالاختلاف بين تكرمون وتنعمون لفظي، والآية محتملة لكلا المعنيين فهو من قبيل اختلاف التنوع لا اختلاف التضاد. ولأن القول الأول وهو السرور والنعيم وظهور أثره على أهل الجنة ناتج عن تكريم الله لهم بهذا النعيم المقيم نسأل الله تعالى من فضله. ثم إن عامة ألفاظ القرآن تدل على معنيين فأكثر، وإذا كان اللفظ محتملاً لأكثر من معنى، ولم يمتنع إرادة الجميع، فإنه يحمل عليها. كما تقدم في قواعد التفسير.

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

(١) الكشاف (٣/ ٤٧٦).

(٢) تفسير القرطبي (١٤/ ١٢).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

الكلام على قوله تعالى: (ٻ ٻ ٻ ٻ ٱ ٻ ٻ) [الروم:١٧]

والآية فيها مسألة واحدة. وهي: ما المراد بمعنى التسبيح في الآية.

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: « هذا تعليم للعباد، أي قولوا: سبحان الله حين تمسون وحين تصبحون. (ٹ ٹ ٹ ٹ) أي: حين تدخلون في وقت الظهيرة وهي وسط النهار... وقيل: أراد بذلك الصلوات الخمس فحين تمسون المغرب والعشاء وحين تصبحون الصبح وعشيا العصر وحين تظهرون الظهر ».[١]

وفي المسألة قولان:

القول الأول: أن ذلك تعليم للعباد بالتسبيح في المساء والصباح ووقت الظهيرة.

قال ابن كثير: هذا تسبيح منه تعالى لنفسه المقدسة، وإرشاد لعباده إلى تسبيحه وتحميده، في هذه الأوقات المتعاقبة الدالة على كمال قدرته وعظيم سلطانه: عند المساء، وهو إقبال الليل بظلامه، وعند الصباح، وهو إسفار النهار عن ضيائه.[٢]

قال ابن عاشور: وقوله (ٻ ٻ) و (ٻ ٻ ٱ) و (ٹ ٹ ٹ ٹ) ظروف متعلقة بما في إنشاء التنزيه من معنى الفعل، أي يُنْشأ تنزيه الله في هذه الأوقات وهي الأجزاء التي يتجزأ الزمان إليها، والمقصود التأبيد كما تقول: سبحان الله دَوْماً، وسلك به مسلك الإطناب لأنه مناسب لمقام الثناء.[٣]

وقال في موضع آخر: وليست الصلوات الخمس وأوقاتها هي المراد من الآية ولكن نسجت على نسج صالح لشموله الصلوات الخمس وأوقاتها وذلك من إعجاز القرآن، لأن الصلاة وإن كان فيها تسبيح ويطلق عليها السُبحة فلا يطلق عليها: سبحان الله.[٤]

القول الثاني: أن المقصود بذلك الصلوات الخمس، فحين تمسون المغرب والعشاء وحين تصبحون الصبح وعشيا العصر وحين تظهرون الظهر.

---

(١) التسهيل لابن جزي: ص(٥٣٧).

(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٢٧).

(٣) تفسير التحرير والتنوير (٢١/ ٦٦).

(٤) تفسير التحرير والتنوير (٢١/ ٦٦).

دكتوراه عبدالعلي الحمدي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

قال الطبري: يقول تعالى ذكره: فسبحوا الله أيها الناس: أي صلوا له (ٹ ٹ) وسبحوه أيضاً عشياً، وذلك صلاة العصر، (ڤ ڤ ڤ) يقول: وحين تدخلون في وقت الظهر.

ثم ذكر أن نافع ابن الأزرق سأل ابن عباس: هل تجد ميقات الصلوات الخمس في كتاب الله ؟ قال: نعم (ٻ ٹ ٹ ٹ) المغرب - وفي رواية: المغرب والعشاء - (ٹ ٹ ٹ) الفجر (ڈ) العصر (ڤ ڤ ڤ) الظهر، قال: (ې ې ې □□ □ □ □□). [1]وذكر البغوي [2] والزمخشري [3]وابن عطية [4]وابن الجوزي[5] نحوه عن ابن عباس. ونقله أيضاً النحاس[6] والماوردي[7] والسمعاني[8]والقرطبي [9] عن ابن عباس وابن جبير والضحاك.

قال ابن عاشور: جوّز بعض المفسرين أن يكون « سبحان » هنا مصدراً واقعاً بدلاً عن فعل أمر بالتسبيح كأنه قيل: فسبحوا الله سبحاناً. وعليه يخرج ما روي أن نافع بن الأزرق سأل ابن عباس: هل تجد الصلوات الخمس في القرآن؟ قال: نعم. وتلا قوله تعالى (ٻ ٹ ٹ ٹ ٹ) إلى قوله (ڤ ڤ ڤ) فإذا صح ما روي عنه فتأويله: أن (ٻ) أمر بأن يقولوا: سبحان الله، وهو كناية عن الصلاة لأن الصلاة تشتمل على قول: سبحان ربي الأعلى وبحمده. [10]

الترجيح: والراجح والعلم عند الله تعالى هو القول بالعموم، والآية محتملة لكلا المعنيين ولأن القول الأول داخل في القول الثاني فالأمر بالتسبيح في الصباح والمساء داخل ضمن

---

(١) تفسير الطبري (٢١/ ٢٥).
(٢) تفسير البغوي (٣/ ٤٧٩).
(٣) الكشاف (٣/ ٤٧٧).
(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٣٣٢).
(٥) زاد المسير (٦/ ٢٩٤).
(٦) معاني القرآن (٥/ ٢٤٢).
(٧) النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٣٠٣).
(٨) تفسير السمعاني (٤/ ٢٠٢).
(٩) تفسير القرطبي (١٤/ ١٤).
(١٠) تفسير التحرير والتنوير (٢١/ ٦٥).

الصلوات الخمس في اليوم والليلة. والحمل على العموم أولى. ثم إن عامة ألفاظ القرآن تدل على معنيين فأكثر. وإذا كان اللفظ محتملاً لأكثر من معنى، ولم يمتنع إرادة الجميع، فإنه يحمل عليها.

قال الشيخ الأمين: ومن الآيات التي أشير فيها إلى أوقات الصلاة كما قاله جماعة من العلماء قوله تعالى: (ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

الكلام على قوله تعالى: (ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ ں) [الروم:٢١]

والآية فيها مسألتان:

المسألة الأولى: وهي: **ما معنى قوله:** (ک ک):

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: « أي صنفكم وجنسكم قيل أراد خلقة حواء من ضلع آدم وخاطب الناس بذلك لأنهم ذرية آدم ».[١]

والمسألة فيها قولان:

القول الأول: أي: من صنفكم وجنسكم.

ونقل الماوردي عن علي بن عيسى أنه قال في معنى الآية: أنه خلق سائر الأزواج من أمثالهم من الرجال والنساء.[٢] وقال البغوي: من جنسكم من بني آدم.[٣]

وقال الزمخشري: من شكل أنفسكم وجنسها، لا من جنس آخر، وذلك لما بين الاثنين من جنس واحد من الإلف والسكون، وما بين الجنسين المختلفين من التنافر.[٤] وقال ابن عطية: يحتمل أن يريد من نوعكم ومن جنسكم.[٥] وقال ابن الجوزي: أن المعنى: جعل لكم آدميَّات مثلكم، ولم يجعلهنَّ من غير جنسكم، قاله الكلبي.[٦] وقال القرطبي: أي من نطف الرجال ومن جنسكم.[٧]

---

(١) التسهيل لابن جزي: (ص/ ٥٣٨).

(٢) النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٣٠٥).

(٣) تفسير البغوي (٣/ ٤٨٠).

(٤) الكشاف (٣/ ٤٧٩).

(٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٣٣٣).

(٦) زاد المسير (٦/ ٢٩٤).

(٧) تفسير القرطبي (١٤/ ١٧).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

قال ابن كثير: أي: خلق لكم من جنسكم إناثا يَكُنَّ لكم أزواجا... ولو أنه جعل بني آدم كلهم ذكورا وجعل إناثهم من جنس آخر [من غيرهم] إما من جان أو حيوان، لما حصل هذا الائتلاف بينهم وبين الأزواج، بل كانت تحصل نفْرَة لو كانت الأزواج من غير الجنس. (١)

قال ابن عاشور: هذه آية ثانية فيها عظة وتذكير بنظام الناس العام وهو نظام الازدواج وكينونة العائلة وأساس التناسل، وهو نظام عجيب جعله الله مرتكزاً في الجبلة لا يشذ عنه إلا الشذاذ. وهي آية تنطوي على عدة آيات منها: أن جُعل للإنسان ناموس التناسل، وأن جُعل تناسله بالتزاوج ولم يجعله كتناسل النبات من نفسه، وأن جعل أزواج الإنسان من صنفه ولم يجعلها من صنف آخر لأن التأنس لا يحصل بصنف مخالف. (٢)

القول الثاني: أن المقصود هو خلقه لحواء من ضلع آدم. وخاطب الناس بذلك لأنهم ذرية آدم.

قال ابن جرير الطبري: ومن حججه وأدلته على ذلك أيضا، خلقه لأبيكم آدم من نفسه زوجة ليسكن إليها، وذلك أنه خلق حوّاء من ضلع من أضلاع آدم. ثم روى بسنده عن قَتادة قال: خلقها لكم من ضلع من أضلاعه. (٣)

وممن ذكر نحو ذلك من المفسرين: الماوردي (٤) والبغوي (٥) والزمخشري (٦) وابن عطية (٧) عطية (٧) وابن الجوزي (٨) والقرطبي. (٩) وقال ابن كثير: يعني بذلك: حواء، خلقها الله من آدم من ضِلعه الأقصر الأيسر. (١)

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٢٨).
(٢) تفسير التحرير والتنوير (٢١/ ٧١).
(٣) تفسير الطبري (٢١/ ٢٥).
(٤) النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٣٠٥).
(٥) تفسير البغوي (٣/ ٤٨٠).
(٦) الكشاف (٣/ ٤٧٩).
(٧) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٣٣٣).
(٨) زاد المسير (٦/ ٢٩٤).
(٩) تفسير القرطبي (١٤/ ١٧).

دكتوراه عبدالعلي المدني (كامل الرسالة :: مع الفهارس) ٥

الترجيح:

والراجح والعلم عند الله تعالى هو القول بـالعموم، فالآيـة محتملـة لكـلا المعنيـين ولأن القول الثاني داخل في القول الأول فإن الله خلق حواء من آدم، ثم جعل التزاوج في ذريتـه بـين هذين الجنسين الذكر والأنثى. فالحمل على العموم أولى. ثم إن عامة ألفاظ القـرآن تـدل عـلى معنيين فأكثر. وإذا كان اللفظ محتملاً لأكثر مـن معنـى، ولم يمتنـع إرادة الجميـع، فإنـه يحمـل عليها. ثم إن احتمال الآية للمعنيين يوجب المصير إليهما جميعـاً. لأن القاعـدة تقـول: لا يجـوز إخراج ما احتمله ظاهر الآية من حكمها إلا بحجة يجب التسليم لها. [٢]

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٢٨).

(٢) انظر: مختصر قواعد التفسير للسبت: ص(٢٧).

المسألة الثانية: معنى قوله تعالى: (ﮒ ﮓ ﮔ)

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: « قيل المودة: الجماع. والرحمة: الولد. والعموم أحسن وأبلغ ».[١]

والمسألة فيها قولان:

القول الأول: أن المراد بالمودة الجماع؛ والرحمة الولد. وهذا القول مروي عن مجاهد والحسن وعكرمة، كما عند السمعاني[٢] والماوردي[٣] والزمخشري[٤] وابن عطية[٥] والقرطبي.[٦]

القول الثاني: أن معنى المودة والرحمة أعم من الجماع والولد.

قال ابن جرير: وقوله: (ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ) يقول: جعل بينكم بالمصاهرة والختونة مودة تتوادّون بها، وتتواصلون من أجلها. (ﮖ ﮗ) رحمكم بها، فعطف بعضكم بذلك على بعض.[٧] وحكى الماوردي عن مقاتل: أنهما التراحم بين الزوجين.[٨]

وقال السمعاني: المودة: الحب والعطف، وقد يتفق بين الزوجين من العطف والمودة ما لا يتفق بين الأقارب.[٩]

وقال البغوي: جعل بين الزوجين المودة والرحمة فهما يتوادّان ويتراحمان، وما شيء أحب إلى أحدهما من الآخر من غير رحم بينهما.[١٠] وكذا قال الزمخشري[١١] وابن الجوزي.[١٢]

---

(١) التسهيل لابن جزي: ص(٥٣٨).
(٢) تفسير السمعاني (٤/ ٢٠٤).
(٣) النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٣٠٥).
(٤) الكشاف (٣/ ٤٧٩).
(٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٣٢٩).
(٦) تفسير القرطبي (١٤/ ١٧).
(٧) تفسير الطبري (٢١/ ٣٠).
(٨) النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٣٠٥).
(٩) تفسير السمعاني (٤/ ٢٠٤).
(١٠) تفسير البغوي (٣/ ٤٨٠).
(١١) الكشاف (٣/ ٤٧٧).
(١٢) زاد المسير (٦/ ٢٩١).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

قال ابن عطية: و « المودة والرحمة » على بابها المشهور من التواد والتراحم، هذا هو البليغ. [1]

وحكى القرطبي عن السدي قال: المودة: المحبة، والرحمة: الشفقة. قال: وروي معناه عن ابن عباس قال: المودة حب الرجل امرأته، والرحمة رحمته إياها أن يصيبها بسوء. [2]

قال ابن كثير: وجعل بينهم وبينهن مودة: وهي المحبة. ورحمة: وهي الرأفة، فإن الرجل يمسك المرأة إما لمحبته لها، أو لرحمة بها، بأن يكون لها منه ولد، أو محتاجة إليه في الإنفاق، أو للألفة بينهما. [3] قال ابن عاشور: والمودة: المحبة، والرحمة: صفة تبعث على حسن المعاملة. [4]

الترجيح:

والراجح هو ما ذهب إليه ابن جزي وهو الحمل على العموم. وذلك لعدة أمور:

الأمر الأول: أن هذا هو ظاهر القرآن، وقواعد التفسير تقرر المصير إلى ظواهر القرآن وعدم العدول عنها إلا بدليل يجب المصير إليه، وأن الأصل في التفسير حمل النصوص على ظواهرها.

الأمر الثاني: أن عامة ألفاظ القرآن تدل على معنيين فأكثر.

الأمر الثالث: أن الكلمة إذا احتملت وجوهاً لم يكن لأحد صرف معناها إلى بعض وجوهها دون بعض إلا بحجة. [5]

الأمر الرابع: عدم وجود التعارض بين القولين مع احتمال الآية لهما يوجب الأخذ بالجميع.

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٣٢٩).

(٢) تفسير القرطبي (١٤/ ١٧).

(٣) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٢٧).

(٤) تفسير التحرير والتنوير (٢١/ ٦٣).

(٥) انظر: مختصر قواعد التفسير للسبت: ص(٢٧ - ٢٦).

الكلام على قوله تعالى: (ں ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ھ ھ ھ) [الروم:٢٢]

والآية فيها مسألة واحدة وهي: معنى قوله: (ھ).

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: « يعني البياض والسواد . وقيل: يعني أصنافكم والأول أظهر ». [١]

والمسألة فيها قولان:

القول الأول: يعني البياض والسواد وهم ولد رجل واحد وامرأة واحدة فلا تكاد ترى أحدا إلا وأنت تفرق بينه وبين الآخر.

قال ابن جرير: (ھ) يقول: واختلاف ألوان أجسامكم.[٢] وكذا قال الماوردي - وحكاه عن السدي-[٣]والسمعاني [٤] والبغوي[٥] وابن عطية[٦] وابن الجوزي [٧]والقرطبي.[٨]

[٧]والقرطبي.[٨]

وقال الزمخشري: الألوان وتنويعها، ولاختلاف ذلك وقع التعارف، وإلا فلو اتفقت وتشاكلت وكانت ضرباً واحداً لوقع التجاهل والالتباس، ولتعطلت مصالح كثيرة.[٩]

القول الثاني: أن معنى (٥) أي: أصنافكم.

قال الماوردي: (٥) الصورة حتى لا يشتبه الناس في المعارف والمناكح والحقوق.[١٠]

---

(١) التسهيل لابن جزي: ص(٥٣٨).

(٢) تفسير الطبري (٢١/ ٣١).

(٣) النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٣٠٦).

(٤) تفسير السمعاني (٤/ ٢٠٤).

(٥) تفسير البغوي (٣/ ٤٧٧).

(٦) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٣٢٧).

(٧) زاد المسير (٦/ ٢٩٣).

(٨) تفسير القرطبي (١٤/ ١٨).

(٩) الكشاف (٣/ ٤٧٩).

(١٠) النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٣٠٦).

دكتوراه عبدالعلي الحمدي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

وقال السمعاني: واختلاف الألوان معلوم بين الناس، وإن كان كلهم بيضاً أو سوداً، فلا يتفق لونان من جميع الوجوه. وفيه حكمة عظيمة، وهو أنه لو اتفقت الألوان والألسنة لبطل التمييز، فلم يعرف الأب ابنه، والابن أباه، وكذلك في الإخوة والأزواج وجميع الناس. (١)

قال ابن عطية: يحتمل أن يريد ضروب بني آدم وأنواعهم نِعم، وأشخاص الأخوة ونحوهم تختلف بالألوان ونِعم الألسنة وبذلك تصح الشهادات والمداينات وتقع الفروق والتعيين فهكذا تبين النعمة. (٢)

قال ابن الجوزي: المراد باختلاف الألوان: اختلاف الصُّوَر، فلا تشتبه صورتان مع التشاكل. (٣)

قال ابن كثير: واختلاف ألوانهم وهي حُلاهم، فجميع أهل الأرض -بل أهل الدنيا - منذ خلق الله آدم إلى قيام الساعة: كل له عينان وحاجبان، وأنف وجبين، وفم وخدان. وليس يشبه واحد منهم الآخر، بل لا بد أن يفارقه بشيء من السمت أو الهيئة أو الكلام، ظاهرا كان أو خفيا، يظهر عند التأمل، كل وجه منهم أسلوب بذاته وهيئة لا تشبه الأخرى. ولو توافق جماعة في صفة من جمال أو قبح، لا بد من فارق بين كل واحد منهم وبين الآخر. (٤)

قال ابن دريد: لَوْن كل شيء: ما فصل بينه وبين غيره، والجمع ألوان. وفي التنزيل: (ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ) وتلوّن فلان علينا، إذا اختلفت أخلاقُه. قال الشاعر:

فما تدومُ على حالٍ تكون بها كما تَلَوَّنُ في أثوابها الغُولُ. (٥)

الترجيـــح:

والراجح والله أعلم هو الحمل على العموم. وذلك لعدة أمور:

---

(١) تفسير السمعاني (٤/ ٢٠٤).

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٣٢٧).

(٣) زاد المسير (٦/ ٢٩٣).

(٤) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٢٨).

(٥) جمهرة اللغة: (٢/ ٥٧)، والبيت من قصيدة بانت سعاد لكعب بن زهير في مدح النبي ﷺ كما في خزانة الأدب (٤/ ١٨٨)، وفيها: لكنها خلةٌ قد سيط من دمها فجعٌ وولعٌ وإخلافٌ وتبديل.
فما تدوم على حالٍ تكون بها كما تلون في أثوابها الغول.

دكتوراه عبدالعلي الحمدي (كامل الرسالة :: مع الفهارس) ٥

الأمر الأول: أن هذا هو ظاهر القرآن، وقواعد التفسير تقرر المصير إلى ظواهر القرآن وعدم العدول عنها إلا بدليل يجب المصير إليه، وأن الأصل في التفسير حمل النصوص على ظواهرها.

الأمر الثاني: أن عامة ألفاظ القرآن تدل على معنيين فأكثر.

الأمر الثالث: أن الكلمة إذا احتملت وجوهاً لم يكن لأحد صرف معناها إلى بعض وجوهها دون بعض إلا بحجة.

الأمر الرابع: عدم وجود التعارض بين القولين مع احتمال الآية لهما يوجب الأخذ بالجميع.[1]

الأمر الخامس: أن وجه إعجاز الخالق العظيم الذي تقرره الآية هو اختلاف الألسن والألوان مع كون الجميع أبناء رجل واحد وهو آدم عليه السلام وأمهم واحدة وهي حواء؛ وهذا الاختلاف وارد في اللغات والألسنة كما أنه وارد في ألوان أبشارهم من السواد والبياض والحمرة ونحو ذلك، وهو أيضاً وارد في اختلاف الهيئات والأشكال فلا وجه لتخصيص الآية في شيء دون شيء. فسبحان الخالق وتبارك الله أحسن الخالقين.

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

(١) انظر: مختصر قواعد التفسير للسبت: ص(٢٦ - ٢٧).

الكلام على قوله تعالى: (ك ك ك ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ) [الروم:٣٠]

وفيها مسألة واحدة وهي: المراد بقوله تعالى : (ۇ ۋ ۋ ۅ) .

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: « يعني بخلق الله: الفطرة التي خلق الناس عليها من الإيمان. ومعنى أن الله لا يبدلها أي: لا يخلق الناس على غيرها ولكن يبدلها شياطين الإنس والجن، بعد الخلقة الأولى. أو يكون المعنى: أن تلك الفطرة لا ينبغي للناس أن يبدلوها فالنفي على هذا حكم لا خبر. **وقيل:** إنه على الخصوص في المؤمنين أي لا تبديل لفطرة الله في حق من قضى الله أنه يثبت على إيمانه. **وقيل:** إنه نهى عن تبديل الخلقة كخصاء الفحول من الحيوان وقطع آذانها وشبه ذلك ». [١]

والمسألة فيها ثلاثة أقوال:

القول الأول: أن المراد بقوله: (ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ) أي: لدين الله.

وهذا القول متفرع إلى قولين:

فمنهم من جعل « لا » نافية والمعنى حينئذ: أن دين الله لا يتبدل.

ومنهم من جعل « لا » ناهية والمعنى حينئذ: لا تبدلوا دين الله.

قال ابن جرير: وقوله: (ۋ ۋ ۅ ۅ) يقول: لا تغيير لدين الله؛ أي لا يصلح ذلك، ولا ينبغي أن يفعل. عن مجاهد (ۋ ۋ ۅ ۅ) قال: لدينه.

ثم ساق بإسناده إلى مجاهد وعكرمة وقتادة وسعيد بن جبير والضحاك وابن زيد وذكر الأقوال عنهم بنحو ذلك.[٢]

وذكر ابن أبي حاتم عن ابن عباس { في قوله: (ۋ ۋ ۅ ۅ) قال: دين الله[٣] وكذا نقل الماوردي[٤] والقرطبي.[٥]

---

(١) التسهيل لابن جزي: ص(٥٣٩ - ٥٤٠).

(٢) تفسير الطبري (٢١/ ٣٦).

(٣) تفسير ابن أبي حاتم: (٩/ ٣٠٩١).

(٤) النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٣١١).

(٥) تفسير القرطبي (١٤/ ٢٥).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

قال السمعاني: وأما إذا حملنا الفطرة على الدين فقوله: (و و ۈ ۇ) خبر بمعنى الأمر، كأنه قال: لا تبدلوا دين الله. (١)

وقال البغوي: قوله: (و و ۈ ۇ) فمن حمل الفطرة على الدين قال: معناه لا تبديل لدين الله، وهو خبر بمعنى النهي، أي: لا تبدلوا دين الله. قال مجاهد، وإبراهيم: معنى الآية: الزموا فطرة الله، أي دين الله، واتبعوه ولا تبدلوا التوحيد بالشرك. (٢)

وقال الزمخشري: (و و ۈ ۇ) أي: ما ينبغي أن تبدّل تلك الفطرة، أو تغير. (٣)

وقال ابن الجوزي: (و و ۈ ۇ) لفظه لفظ النفي، ومعناه النهي؛ والتقدير: لا تبدِّلوا خَلْق الله. (٤)

قال ابن كثير: قوله: (و و ۈ ۇې) قال بعضهم: معناه لا تبدلوا خلق الله، فتغيروا الناس عن فطرتهم التي فطرهم الله عليها. فيكون خبرا بمعنى الطلب، كقوله تعالى: (ۀ ہ ہ ھ) [آل عمران: ٩٧] وهذا معنى حسن صحيح. (٥)

وقال ابن عاشور: (ۋ و و ۈ ۇ) معترضة لإفادة النهي عن تغيير خلق الله فيما أودعه الفطرة. فتكون (و و ۈ ۇ) خبراً مستعملاً في معنى النهي على وجه المبالغة كقوله (ڃ ڃ ڃ ڃ) [النساء: ٢٩]. فنفي الجنس مراد به جنس من التبديل خاص بالوصف لا نفي وقوع جنس التبديل فهو من العام المراد به الخصوص بالقرينة. واسم الإشارة لزيادة تمييز هذا الدين مع تعظيمه. (٦)

---

(١) تفسير أبي المظفر السمعاني (٤/ ٢١٢).
(٢) تفسير البغوي (٣/ ٤٧٨).
(٣) الكشاف (٣/ ٤٨٤).
(٤) زاد المسير (٦/ ٣٠٢).
(٥) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٣٣).
(٦) تفسير التحرير والتنوير (٢١/ ٩٣).

دكتوراه عبدالعلي الحمدي (كامل الرسالة :: مع الفهارس) ٥

القول الثاني: قيل إنها على الخصوص في المؤمنين والمعنى: لا تبديل لفطرة الله في حق من قضى الله أنه يثبت على إيمانه.

قال الماوردي: لا يشقى من خلقه سعيداً ولا يسعد من خلقه شقيّاً.[١] وكذا قال السمعاني[٢] والبغوي[٣] والقرطبي.[٤]

القول الثالث: إن النهى عن تبديل الخلقة كخصاء الفحول وقطع آذانها ونحو ذلك.

قال ابن جرير: معنى ذلك: لا تغيير لخلق الله من البهائم، بأن يخصي الفحول منها. ثم ذكر عن رجل، سأل ابن عباس عن خصاء البهائم، فكرهه، وقال: (ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ). قال عكرِمة: الإخصاء، وكذلك مجاهد.[٥] وحكاه الماوردي عن عمر بن الخطاب وابن عباس وعكرمة.[٦] وممن ذكر نحو هذا من المفسرين: السمعاني[٧] والبغوي[٨] وابن عطية[٩] وابن الجوزي[١٠] والقرطبي.[١١]

---

(١) النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٣١١).
(٢) تفسير السمعاني (٤/ ٢١٠).
(٣) تفسير البغوي (٣/ ٤٧٨).
(٤) تفسير القرطبي (١٤/ ٢٥).
(٥) تفسير الطبري (٢١/ ٣٦).
(٦) النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٣١١).
(٧) تفسير السمعاني (٤/ ٢١٠).
(٨) تفسير البغوي (٣/ ٤٧٨).
(٩) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٣٣٥).
(١٠) زاد المسير (٦/ ٣٠٢).
(١١) تفسير القرطبي (١٤/ ٢٥).

دكتوراه عبدالعلي الحمدي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

الترجيـــح: والراجح والعلم عند الله تعالى هو أن المراد بالفطرة، فطرة الدين، أي أن الله تعالى خلق الناس على الفطرة وهي دين الإسلام، ومعنى (ۆ و و ۆ ۇ). يدخل ضمنها النهي عن تبديل شريعة الله، والنفي لأن تتغير سنة الله في فَطْرِه للناس على هذا الدين ويدل على هذا الترجيح عدة أمور:

الأمر الأول: أن هذا هو مدلول سياق الآية، وكما هو معلوم في قواعد التفسير فإن دلالة السياق من الأمور التي يحتكم إليها في معنى الآية عند الاحتمال.

ومن قواعد التفسير: أن السياق يرشد إلى بيان المجمل، وتعيين المحتمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد وتخصيص العام وتقييد المطلق وتنوع الدلالة. (١)

وإذا نظرت إلى سياق الآية فإنك تجدها ظاهرة الدلالة على ما ذكرنا، فتأمل قوله تعالى (ڭ ڭ ڭ ۇۇ) فابتدأ الكلام بالأمر بإقامة الوجه للدين مستقيماً على تعاليمه وشرائعه، ثم قال: (ۆ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ) أي أن هذا الدين هو ما فطر الله عليه الخلائق كلهم، خلقهم حنفاء ثم اجتالتهم الشياطين كما في الصحيح، (٢) ويدل له أيضاً حديث النبي ﷺ: (**كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه..**) (٣) ثم بين بعد ذلك أن هذه الفطرة التي قضى الله بها على عباده وهي خَلْقُهم حنفاء مستقيمين غير ضالين ولا زائغين محبين للخير مبغضين للشر، لا تتغير ولا تتبدل، وهي مقتضى العدل الإلهي الرباني، بأن يخلق العباد على الاستقامة بدايةً، ثم من زاغ بعد ذلك عن طريق الهداية فهو المستحق للعقوبة المتعرض لسخط الخالق كما قال الله: (ٹ ٹ ٹ) وقوله سبحانه: (□ □ □ □ □ □ □) فقال: (ۆ و و ۆ ۈۇ). ثم بعد ذلك أشار إلى هذه الفطرة العظيمة المستقيمة السوية بما يدل على علو مكانتها وسموها ورفعة منزلتها، فقال: ﴿ ې ې ې ﴾ وهذا ختام بما ابتدأت الآية به وهو الكلام عن الدين. فهذا السياق كما رأيت واضح جلي في بيان مراد الآية والله أعلم بمراده .

---

(١) انظر: مختصر قواعد التفسير للسبت: ص(٢٤ - ٢٦).

(٢) الحديث: صحيح. أخرجه مسلم في صحيحه: (١٤/ ٢٤).

(٣) الحديث: صحيح. أخرجه البخاري: (٥/ ١٨٢)، ومسلم: (١٣/ ١٢٧).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

وأما القول الثاني فلم يتبين لي وجه دخوله في هذه الآية والعلم عند الله تعالى.

وأما القول الثالث والذي يقضي بتحريم الخصاء فهذا مما يمكن أن يدخل في مدلول عموم الآية وذلك لأنه لا يعارض ما ذكرناه من ترجيح القول الأول. هذا أولاً.

وثانياً: أن لفظ الآية إذا كان محتملاً لبعض المعاني ولا تعارض بين هذه المعاني، فإنه يجوز إدخال ذلك المعنى في مدلول الآية.

قال ابن القيم بعد أن ذكر القولين الأول والثالث: ولا منافاة بين القولين كما قال تعالى: (﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾) (النساء: ١١٩) فتغيير ما فطر الله عباده من الدين تغيير لخلقه، والخصا وقطع آذان الأنعام تغيير لخلقه أيضاً، ولهذا شبه النبي ﷺ أحدهما بالآخر، فأولئك يغيرون الشريعة وهؤلاء يغيرون الخلقة، فذلك يغير ما خلقت عليه نفسه وروحه، وهذا يغير ما خلق عليه بدنه. (١)

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

(١) شفاء العليل (٢٨٦ - ٢٨٧).

الكلام على قوله تعالى: (□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □)[الروم:٣١]

والآية فيها مسألتان :

المسألة الأولى : ما إعراب منيبين إليه ؟.

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: «منصوب على الحال من قوله: أقم وجهك، لأن الخطاب للنبي ﷺ والمراد هو وأمته، ولذلك جمعهم في قوله: «منيبين». **وقيل**: هو حال من ضمير الفاعل المستتر في: الزموا فطرة الله. **وقيل**: هو حال من قوله: «فطر الناس» وهذا بعيد».[١]

والمسألة فيها ثلاثة أقوال:

القول الأول: أن «منيبين» منصوب على الحال من قوله: «أقم وجهك».

قال ابن جرير: وتأويل الكلام: فأقم وجهك يا محمد للدين حنيفا، منيبين إليه، إلى الله. فالمنيبون حال من الكاف التي في وجهك. فإن قال قائل: وكيف يكون حالاً منها، والكاف كناية عن واحد، والمنيبون صفة لجماعة؟ قيل: لأن الأمر من الكاف كناية اسمه من الله في هذا الموضع، أمر منه له ولأمته، فكأنه قيل له: فأقم وجهك أنت وأمتك للدين حنيفا لله، منيبين إليه.[٢]

وقال السمعاني: قوله تعالى: (□ □ □) أي: اتبعوا دين الله (□ □ □) أي: راجعين إليه... فإن قيل: كيف يستقيم قوله: (□ □) وقد خاطب في الابتداء واحداً، وهو الرسول ﷺ بقوله: (ك ك ك و) ؟. والجواب عنه: أن قوله: (ك ك) أي: فأقم وجهك وأمتك معك منيبين إلى الله، وحقيقة المعنى: اتبعوا الدين القيم منيبين إلى الله.[٣]

وقال البغوي: (□ □ □) أي: فأقم وجهك أنت وأمتك منيبين إليه لأن مخاطبة النبي ﷺ يدخل معه فيها الأمة، كما قال: (أ ب ب ب ب)[الطلاق: ١] .[٤]

---

(١) التسهيل لابن جزي: ص(٥٣٩ - ٥٤٠).

(٢) تفسير الطبري (٢١/ ٤٠).

(٣) تفسير السمعاني (٤/ ٢٠٩).

(٤) تفسير البغوي (٣/ ٤٧٦).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

وقال ابن عطية في (□ □): يحتمل أن يكون حالاً من قوله: (ك ك) وجمعه لأن الخطاب بإقامة الوجه للنبي ﷺ ولأمته، نظيرها قوله: (ا ب ب ب ب)[1] وكذا قال ابن الجوزي[2] والقرطبي.[3]

وقال ابن عاشور: (□ □) حال من ضمير ﴿ فَأَقِمْ ﴾ [الروم: ٣٠] للإشارة إلى أن الخطاب الموجه إلى النبي ﷺ مراد منه نفسه والمؤمنون معه كما تقدم.[4]

وقال الشوكاني: وانتصابه على الحال من فاعل أقم. قال المبرد: لأن معنى: (ك ك) أقيموا وجوهكم. قال الفراء: المعنى: فأقم وجهك ومن معك منيبين، وكذا قال الزجاج، وقال: تقديره: فأقم وجهك وأمتك، فالحال من الجميع. وجاز حذف المعطوف لدلالة منيبين عليه.[5]

القول الثاني: هو حال من ضمير الفاعل المستتر في: الزموا فطرة الله.

قال الزمخشري: (□ □ □) ومنيبين: حال من الضمير في: الزموا.[6]

القول الثالث: هو حال من قوله: «فطر الناس».

قال ابن عطية: وقوله: (□ □) يحتمل أن يكون حالاً من قوله: (ؤ ؤ ؤ) لا سيما على رأي من رأى أن ذلك خصوص في المؤمنين.[7]

الترجيح:

والراجح والعلم عند الله هو ما رجحه ابن جزي رحمه الله وذلك لعدة أمور:

الأمر الأول: أن هذا هو قول عامة المفسرين وجمهور العلماء وأهل اللغة.

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٣٣٧).

(٢) زاد المسير (٦/ ٢٩٩).

(٣) تفسير القرطبي (١٤/ ٣١)، وانظر معاني القرآن للفراء: (٢/ ٣٢٥).

(٤) تفسير التحرير والتنوير (٢١/ ٩٤).

(٥) فتح القدير (٤/ ٢٢٤).

(٦) الكشاف (٣/ ٤٨٤).

(٧) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٣٣٧).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

الأمر الثاني: يؤيده أن خطاب الله تعالى لنبيه هو خطاب لأمته، وعليه فإن الإعراب على النحو الراجح أقرب ما يكون من معنى الآية بلا تكلف في التقدير.

قال مكي بن أبي طالب القيسي: قوله: (□ □ □) حال من الضمير في: (□) وإنما جمع لأنه مردود على المعنى، لأن الخطاب للنبي ﷺ، وهو خطاب لأمته، فتقديره: فأقيموا وجوهكم منيبين إليه.[1]

قال ابن منظور: وقوله تعالى: (﴿ ﴾ ﴿ ﴾) أَي: اتَّبع الدِّينَ القَيِّمَ وأَراد فأَقيموا وجوهكم يدل على ذلك قوله عز وجل بعده مُنِيبِينَ إليه واتَّقُوهُ والمخاطَبُ النبيُّ ﷺ والمراد هو والأُمَّةُ.[2]

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

(١) مشكل إعراب القرآن لمكي: (١-٢ / : ٥٦١).

(٢) لسان العرب: (١٣/ ٥٥٥).

المسألة الثانية وهي: من المراد بالمشركين في الآية ؟

قال ابن جزي رحمه الله تعالى:«والمراد بالمشركين هنا: أصناف الكفار. وقيل: هم المسلمون الذين تفرقوا فِرَقاً مختلفة. وفي لفظ: (□ □) هنا تجوز بعيد. ولعل قائل هذا القول إنما قاله في قول الله في الأنعام: (□ □ □ ى) فإنه ليس هناك ذكر المشركين».[١]

والمسألة فيها قولان:

القول الأول: أن المراد بالمشركين : أصناف الكفار.

قال ابن جرير: (□ □ □ □ □) يقول: ولا تكونوا من أهل الشرك بالله بتضييعكم فرائضه، وركوبكم معاصيه، وخلافكم الدين الذي دعاكم إليه.[٢]

قال الماوردي: أنهم اليهود، قاله قتادة. الثاني: أنهم اليهود والنصارى، قاله معمر.[٣]

قال السمعاني: أظهر الأقاويل: أن المراد منهم اليهود والنصارى.[٤] وكذا قال البغوي[٥] وابن عطية ونقله عن ابن زيد.[٦]

قال ابن كثير: وهؤلاء كاليهود والنصارى والمجوس وعَبَدة الأوثان، وسائر أهل الأديان الباطلة، مما عدا أهل الإسلام.[٧] وقال الربيع بن أنس: الذين فرقوا دينهم أهل الكتاب من اليهود والنصارى، وقاله قتادة ومعمر.[٨]

قال ابن عاشور: وهذه حالة ذميمة من أحوال أهل الشرك يراد تحذير المسلمين من الوقوع في مثلها.[٩]

---

(١) التسهيل لابن جزي: ص(٥٤٠).
(٢) تفسير الطبري (٢١/ ٤٢).
(٣) النكت والعيون: (٤/ ٣١٤).
(٤) أبو المظفر السمعاني: ج ٤/ ٢١٣).
(٥) تفسير البغوي: (٣/ ٤٨٣).
(٦) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٣٣٧).
(٧) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٣٠).
(٨) تفسير القرطبي (١٤/ ٢٦).
(٩) تفسير التحرير والتنوير (٢١/ ٩٥).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

القول الثاني: هم المسلمون الذين تفرقوا فرقا مختلفة.

قال الماوردي: إنهم الخوارج من هذه الأمة، وهذا قول أبي هريرة ورواه أبو أمامة مرفوعاً. [١] وقال البغوي: هم أهل البدع من هذه الأمة. [٢]

وقال ابن عطية: قالت عائشة وأبو هريرة: هي في أهل القبلة. قال الفقيه الإمام القاضي: فلفظة الإشراك على هذا فيها تجوز فإنهم صاروا في دينهم فرقاً. [٣] وكذا قال القرطبي. [٤]

الترجيـــح:

والراجح والعلم عند الله تبارك وتعالى هو ما رجحه ابن جزي من كون المراد بالآية هم أصناف الكفار، وذلك لعدة أمور:

الأمر الأول: أن هذا هو ما يدل عليه سياق الآيات، فلو أنعمت النظر في الآيات قبلها وبعدها لوجدت سياقها في الحديث عن الشرك، بل سياق السورة في مجادلة الكفار ومحاججتهم بالبراهين العقلية والآيات الكونية وضرب الأمثال وبدء الخلق وإعادته، ورجوعهم إلى الله وقت الشدة، وبيان أن الله هو الخالق الرازق وأن الشركاء لا يفعلون من ذلك من شيء، ودعوة الله لهم بالسير في الأرض للنظر في مصير الأمم التي أهلكها الله وأنه إنما أهلكهم بسبب الشرك، إلى آخر ما جاء في السورة من أولها إلى آخرها.

وكما هو معلوم في قواعد التفسير فإن دلالة السياق من الأمور التي يحتكم إليها في معنى الآية عند الاحتمال.

ومن قواعد التفسير: أن السياق يرشد إلى بيان المجمل، وتعيين المحتمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد وتخصيص العام وتقييد المطلق وتنوع الدلالة. [٥]

الأمر الثاني: أن هذا هو ترجيح المحققين من أهل التفسير كابن جرير والماوردي والسمعاني وابن عطية وابن كثير وغيرهم.

---

(١) النكت والعيون: (٤/ ٣١٤).
(٢) تفسير البغوي: (٣/ ٤٨٣).
(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٣٣٧).
(٤) تفسير القرطبي (١٤/ ٢٦).
(٥) انظر: مختصر قواعد التفسير للسبت: ص(٢١، ٢٦).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة :: مع الفهارس) ٥

الأمر الثالث: أن ما ذكروه عن عمر بن الخطاب أن رسول الله ﷺ قال لعائشة : (يا عائشة إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا هم أصحاب البدع وأصحاب الأهواء ليس لهم توبة أنا منهم برئ وهم مني براء) . فقد رواه الطبراني في الصغير وفيه بقية ومجالد بن سعيد وكلاهما ضعيف. كما ذكر ذلك الهيثمي في المجمع.[1]

وسئل الدارقطني عن حديث طاوس عن أبي هريرة عن النبي ﷺ في قوله عزوجل : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً ﴾ (الأنعام: ١٥٩) **(هم أهل البدع والأهواء من هذه الأمة)** فقال: يرويه ليث بن أبي سليم واختلف عنه فرواه شيبان بن عبدالرحمن والثوري عن ليث عن طاوس عن أبي هريرة موقوفا ورفعه عباد بن كثير عن ليث.[2] وليث بن أبي سليم من الذين عاصروا صغار التابعين قال عنه ابن حجر: صدوق اختلط جدا و لم يتميز حديثه فترك.[3]

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

(١) مجمع الزوائد: (١/ ١٨٨)، والحديث ضعفه الألباني في ظلال الجنة (١/ ٣).

(٢) علل الدارقطني: (٨/ ٣٢١).

(٣) تقريب التهذيب: (٢/ ٤٨).

الكلام على قوله تعالى: (ھ ھ ے ے ئ ئ ئ

وقال ابن الجوزي: إنه الرِّبا المحرَّم، قاله الحسن البصري [1] وكذا قال القرطبي.[2]

قال ابن عاشور: لما جرى الترغيب والأمر ببذل المال لِذَوي الحاجة وصلة الرحم وما في ذلك من الفلاح أعقب بالتزهيد في ضرب آخر من إعطاء المال لا يرضَى الله تعالى به وكان الربا فاشياً في زمن الجاهلية وصدر الإسلام وخاصة في ثقيف وقريش. فلما أرشد الله المسلمين إلى مواساة أغنيائهم فقراءَهم أتبع ذلك بتهيئة نفوسهم للكف عن المعاملة بالربا للمقترضين منهم، فإن المعاملة بالربا تنافي المواساة لأن شأن المقترض أنه ذو خَلّة، وشأن المُقرِض أنه ذو جِدَة فمعاملته المقترِض منه بالربا افتراضٌ لحاجته واستغلال لاضطراره، وذلك لا يليق بالمؤمنين... وقوله: (ئے ئے ﴿) خطاب للفريق الآخِذِ.

و (ئے) لتزيدوا، أي لأنفسكم أموالاً على أموالكم. وقوله: (ئے ﴿) في: للظرفية المجازية بمعنى « من » الابتدائية، أي لتنالوا زيادة وأرباحاً تحصل لكم من أموال الناس، فحرف « في » هنا كالذي في قول سَبْرةَ الفقعسي:

ونَشْرَبُ فِي أثمانها ونُقامر[3]

أي نشرب ونقامر من أثمان إبلنا. وتقدم بيانه عند قوله تعالى (ۇ ۆ ۆ) في سورة النساء... وهذا التفسير هو المناسب لمحمل لفظ الربا على حقيقته المشهورة، ولموافقة معنى قوله تعالى: (ڈ ڈ ڈ ژ) [البقرة: ٢٧٦]، ولمناسبة ذكر الإضعاف في قوله هنا (و ۆ ۆ ى) وقوله: (□ □ □ □ □) (آل عمران:١٣٠). وهذا المعنى مروي عن السدّي والحسن. وقد استقام بتوجيهه المعنى من جهة العربية في معنى«في» من قوله: (ئے ﴿).[4]

القول الثاني: المراد أن يهب الرجل للرجل أو يهدي له ليعوض له أكثر من ذلك فهذا وإن كان جائزا فإنه لا ثواب فيه.

---

(١) زاد المسير (٦/ ٣٠٤).

(٢) تفسير القرطبي (١٤/ ٣٦).

(٣) خزانة الأدب: (٣/ ٤٢٢)، وصدره: نحابي بها أكفاءنا ونهينها.

(٤) تفسير التحرير والتنوير (٢١/ ١٠٥).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

قال ابن جرير: يقول تعالى ذكره: وما أعطيتم أيها الناس، بعضكم بعضا من عطية؛ لتزداد في أموال الناس برجوع ثوابها إليه، ممن أعطاه ذلك، (ڪ ڪ ۈ ۇٴ) يقول: فلا يزداد ذلك عند الله، لأن صاحبه لم يعطه من أعطاه مبتغيا به وجهه. ثم روى عن ابن عباس في هذه الآية قال: هو ما يعطي الناس بينهم بعضهم بعضا، يعطي الرجل الرجل العطية، يريد أن يعطى أكثر منها. وروى نحوه عن سعيد بن جُبَير ومجاهد وطاوس وقتادة والضحاك.[١]

ونقل الماوردي عن ابن عباس قال: هما رِبَوان: أحدهما حلال والآخر حرام، فما تعاطيتم بينكم حلال ولا يصل إلى الله.[٢]

وقال الزمخشري: قالوا: الربا ربوان: فالحرام: كل قرض يؤخذ فيه أكثر منه: أو يجرّ منفعة. والذي ليس بحرام: أن يستدعى بهبته أو بهديته أكثر منها.[٣]

وممن ذكر نحو ذلك من المفسرين: ابن أبي حاتم[٤] وأبو المظفر السمعاني[٥] والبغوي[٦]

ونقل ابن عطية عن ابن عباس وإبراهيم النخعي: أنها نزلت في قوم يعطون قراباتهم وإخوانهم على معنى نفعهم وتمويلهم والتفضل عليهم وليزيدوا في أموالهم على جهة النفع.

وقال الشعبي: معنى الآية أن ما خدم الإنسان به أحداً وخف به لينتفع في دنياه فإن ذلك النفع الذي يجزى به الخدمة (ڪ ڪ ۈ ۇ)[٧] وبنحو هذا قال ابن الجوزي[٨]والقرطبي.[٩]

وقال ابن كثير بعد أن نقل هذا المعنى عن ابن عباس، ومجاهد، والضحاك، وقتادة، وعكرمة، ومحمد بن كعب، والشعبي قال: وهذا الصنيع مباح وإن كان لا ثواب فيه إلا أنه قد

---

(١) تفسير الطبري (٢١/ ٤٥).
(٢) النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٣١٦).
(٣) الكشاف (٣/ ٤٨٧).
(٤) تفسير ابن أبي حاتم (٦/ ٢٠١٠).
(٥) تفسير السمعاني (٤/ ٢١٦).
(٦) تفسير البغوي (٣/ ٤٧٧).
(٧) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٥/ ٣٩٣).
(٨) زاد المسير (٦/ ٣٠٤).
(٩) تفسير القرطبي (١٤/ ٣٦).

نُهِي عنه رسول الله ﷺ خاصة، قاله الضحاك، واستدل بقوله: (ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ) [المدثر:٦] أي: لا تعط العطاء تريد أكثر منه.[١]

قال ابن عاشور: يجوز أن يكون لفظ (ﮮ) في الآية أطلق على الزيادة في مال لغيره، أي إعطاء المال لذوي الأموال قصدَ الزيادة في أموالهم تقرباً إليهم، فيشمل هبة الثواب والهبة للزلفى والمَلَق. ويكون الغرض من الآية التنبيه على أن ما كانوا يفعلونه من ذلك لا يغني عنهم من موافقة مرضاة الله تعالى شيئاً وإنما نفعه لأنفسهم. ودرج على هذا المعنى جم غفير من المفسرين فيصير المعنى: وما أعطيتم من زيادة لتزيدوا في أموال الناس، وتصير كلمة: (ئے) توكيداً لفظيّاً ليعلق به قوله (ئے ﮎ ﮏ).[٢]

الترجيـــح:

والراجح والعلم عند الله تعالى هو القول الثاني وذلك لعدة أمور:

الأمر الأول: أن سياق الآية ليس في بيان الحلال والحرام وإنما في الإخلاص لله فمن أعطى يبتغي بذلك وجه الله فهو الذي يضاعفه الله ومن أعطى يريد الوجاهة والسمعة والزيادة من الناس فهذا لا يقبله الله ولا يضاعفه.

قال السعدي: ولما ذكر العمل الذي يقصد به وجهه [من النفقات] ذكر العمل الذي يقصد به مقصد دنيوي فقال: (ﮩ ﮪ ﮮ ﮯ ﮰ ﮎ ﮏ) أي: ما أعطيتم من أموالكم الزائدة عن حوائجكم وقصدكم بذلك أن يربو أي: يزيد في أموالكم بأن تعطوها لمن تطمعون أن يعاوضكم عنها بأكثر منها، فهذا العمل لا يربو أجره عند اللهّ لكونه معدوم الشرط الذي هو الإخلاص. ومثل ذلك العمل الذي يراد به الزيادة في الجاه والرياء عند الناس فهذا كله لا يربو عند اللهّ.[٣]

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٣٥).

(٢) تفسير التحرير والتنوير (٢١/ ١٠٥).

(٣) تفسير السعدي (١/ ٦٣٩).

الأمر الثاني: أنه لو كان المراد هو الربا المعروف وما نقل أنه ربا ثقيف، فإن هذا جزاؤه ليس عدم التضعيف وإنما المحق والإتلاف كما قال الله (ذ ذ ذ) [البقرة: ٢٧٦] وإذا نظرت إلى الآيات التي ذكر فيها تحريم الربا لوجدت فيها من الشدة ما ليس في هذا الموضع.

الأمر الثالث: أن هذا قول الأكثرين ومنهم ابن عباس ترجمان القرآن، وابن جبير وطاوس ومجاهد، والضحاك، وقتادة، وعكرمة، ومحمد بن كعب، والشعبي وغيرهم من المفسرين.

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم .

الكلام على قوله تعالى: (□) [الروم:٤١]

والآية فيها مسألة واحدة وهي: ما المراد بالبر والبحر ؟.

قال ابن جزي رحمه الله تعالى:« **قيل:** البر: البلاد البعيدة من البحر. والبحر: هو البلاد التي على ساحل البحر. **وقيل:** البر اللسان والبحر القلب وهذا ضعيف. **والصحيح:** أن البر والبحر المعروفان. فظهور الفساد في البر بالقحط والفتن وشبه ذلك وظهور الفساد في البحر بالغرق وقلة الصيد وكساد التجارات وشبه ذلك وكل ذلك بسبب ما يفعله الناس من الكفر والعصيان ».[١]

والمسألة فيها ثلاثة أقوال:

القول الأول: أن المراد بالبر البلاد البعيدة من البحر. والبحر ما كان على ساحل البحر.

قال ابن جرير: عنى بالبرّ، الفلوات، وبالبحر: الأمصار والقُرى التي على المياه والأنهار. ثم روى عن مجاهد أنه قرأ (□ □ □ □ □) ثم قال: أما والله ما هو بحركم هذا، ولكن كل قرية على ماء جار فهو بحر. وعن الحسن قال: أفسدهم الله بذنوبهم، في بحر الأرض وبرها بأعمالهم الخبيثة.[٢]

وروى ابن أبي حاتم عن السدي قال: (□ □): كل قرية نائية عن البحر مثل مكة والمدينة، و (□ □) كل قرية على البحر مثل كوفة والبصرة والشام.[٣] ونقل الماوردي[٤] وابن الجوزي[٥] والقرطبي[٦] نحو ذلك عن ابن عباس. وممن ذكر هذا المعنى من المفسرين: البغوي[٧] والزمخشري[٨]

---

(١) التسهيل لابن جزي: ص(٥٣٩ - ٥٤١).
(٢) تفسير الطبري (٢١/ ٤٥).
(٣) ابن أبي حاتم: (٩/ ٣٠٩٢).
(٤) النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٣١٦).
(٥) زاد المسير (٦/ ٣٠٤).
(٦) تفسير القرطبي (١٤/ ٤٠).
(٧) تفسير البغوي (٣/ ٤٧٩).
(٨) الكشاف (٣/ ٤٨٨).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

وابن عطية[١] وابن كثير[٢] وابن عاشور.[٣]

القول الثاني: أن المراد بالبر: اللسان. وبالبحر: القلب.

قال الماوردي: البر اللسان والبحر القلب. لظهور ما على اللسان وخفاء ما في القلب. وهو بعيد.[٤] ونقله ابن عطية عن بعض العباد [٥] وكذا القرطبي.[٦]

القول الثالث: أن المراد: هو البر والبحر المعروفان.

قال ابن جرير: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن الله تعالى ذكره، أخبر أن الفساد قد ظهر في البرّ والبحر عند العرب في الأرض القفار، والبحر بحران: بحر ملح، وبحر عذب، فهما جميعا عندهم بحر، ولم يخصص جلّ ثناؤه الخبر عن ظهور ذلك في بحر دون بحر، فذلك على ما وقع عليه اسم بحر عذبا كان أو ملحا. إذا كان ذلك كذلك، دخل القرى التي على الأنهار والبحار .

فتأويل الكلام إذن إذ كان الأمر كما وصفت، ظهرت معاصي الله في كل مكان من برّ وبحر (□ □ □ □ □ □): أي بذنوب الناس، وانتشر الظلم فيهما.[٧]

ونقل ابن عطية عن الحسن بن أبي الحسن أنه قال: هما المعروفان المشهوران في اللغة. قال الفقيه الإمام القاضي: وهذا هو القول الصحيح.[٨]

قال القرطبي: والبر والبحر هما المعروفان المشهوران في اللغة وعند الناس، لا ما قاله بعض العباد: أن البر اللسان، والبحر القلب، لظهور ما على اللسان وخفاء ما في القلب.[٩]

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٣٤٠).
(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٢٧).
(٣) تفسير التحرير والتنوير (٢٥/ ١٠١).
(٤) النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٣١٦).
(٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٣٤٠).
(٦) تفسير القرطبي (١٤/ ٤٠).
(٧) تفسير الطبري (٢١/ ٤٥).
(٨) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٣٤٠).
(٩) تفسير القرطبي (١٤/ ٤٠).

الترجيـــح:

والراجح والعلم عند الله تعالى هو ما رجحه ابن جزي من أن المـراد بـالبر والبحـر هـو المعروف عند العرب من البحر المالح والعذب، وأن البر هو سائر بقاع الأرض مما عدا ذلـك، وإنما ترجح هذا القول لعدة أمور:

الأمر الأول: أن القاعدة تقول: تحمل نصوص الكتاب على معهود الأميين في الخطاب.

الأمر الثاني: أن الغالب في استعمال القرآن للبر والبحر إنما يراد به ما ذكرنا، وهو أول ما يتبادر للذهن عند الورود. فمن قواعد التفسير، أن اللفظ إذا احتمل معان عدة، وأحـدها هـو الغالب في القرآن استعمالاً، فإنه يقدم. (١)

الأمر الثالث: أن هذا هو اختيار المحققـين مـن أهـل العلـم. كـابن جريـر وابـن عطيـة والقرطبي وغيرهم.

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

(١) انظر: مختصر قواعد التفسير للسبت: ص(٥، ٢٦).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة :: مع الفهارس) 5

الكلام على قوله تعالى: (ﮓ ں ڻ ڻ ڻ ۀ ہ ہ ھ ھ ے ۓ ﮔ) [الروم:٤٧]

وفيها مسألة واحدة وهي: ما إعراب «حقاً» في قوله تعالى: (ہ ھ ھ ﮔ)؟.

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: «انتصب «حقا» لأنه خبر كان؛ واسمها: «نصر ـ المؤمنين» وقيل: اسمها: مضمر يعود على مصدر انتقمنا. **أي**: وكان الانتقام حقا فعلى هذا يوقف على حقا، ويكون نصر المؤمنين مبتدأ، وهذا ضعيف ».[١]

والمسألة فيها قولان:

القول الأول: أن اسم كان جملة (ے ۓ ﮔ).

قال ابن عطية: و«حقاً » خبر « كان » قدمه اهتماماً لأنه موضع فائدة الجملة.[٢]

وقال القرطبي: «حقا» نصب على خبر كان، و «نصر» اسمها.[٣]

القول الثاني: أن اسم كان مضمر، يعود على مصدر انتقمنا أي: وكان الانتقام حقا.

قال الزمخشري: قد يوقف على (ھ ﮔ) ومعناه: وكان الانتقام منهم حقاً، ثم يبتدأ: (ھ ے ۓ ﮔ).[٤]

قال ابن عطية: بعض القراء في هذه الآية وقف على قوله (ھ ﮔ) وجعله من الكلام المتقدم ثم استأنف جملة من قوله (ھ ے ۓ ﮔ) وهذا قول ضعيف، لأنه لم يدر قدماً عرضه في نظم الآية.[٥]

قال القرطبي: كان أبو بكر يقف على (ھ)[٦] أي وكان عقابنا حقا، ثم قال: (ھ ے ۓ ﮔ) ابتداء وخبر، أي أخبر بأنه لا يخلف الميعاد، ولا خلف في خبرنا.[١]

---

(١) التسهيل لابن جزي: ص(٥٤٢).

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٣٤١).

(٣) تفسير القرطبي (١٤/ ٤٠).

(٤) الكشاف (٣/ ٤٩٠).

(٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٣٤١).

(٦) ذكره ابن الأنباري في إيضاح الوقف والابتداء ٢ / ٨٣٤ وانظر : الوقف والابتداء للسجاوندي :ص =

قال ابن عاشور: عن أبي بكر شعبة راوي عاصم أنه كان يقف على قوله (ﻫ) فيكون في: (ﻩ ﺋ) ضمير يعود على الانتقام، أي: «وكان الانتقامُ من المجرمين حقاً» أي: عدلاً، ثم يستأنف بقوله: (ﻫ ﻯ ﺣ ﺋ) وكأنه أراد التخلص من إيهام أن يكون للعباد حق على الله إيجاباً فراراً من مذهب الاعتزال وهو غير لازم كما علمت. قال ابن عطية: وهو وقف ضعيف.[٢]

الترجيـــح:

والراجح والعلم عند الله تعالى هو ما رجحه ابن جزي رحمه الله تعالى وذلك لعدة أمور:

الأمر الأول: أن الوقف على حقاً وإن كان يجيـز الوجـه الثـاني، إلا أن القـرآن يجـب ألا يحمل إلا على المعنى الأغلب والأشهر والأفصح دون الشاذ أو القليل .[٣]

الأمر الثاني: أن هذا هو المعتمد في إعراب الآية عند أهل اللغة، ولما ذكروا القـول الثـاني ذكروه على وجه التجويز. قال مكي: «حقاً » خبر «كان» و«نصر» اسمها. ويجوز أن تضـمر في «كان» اسمها وترفع « نصر» بالابتـداء، و « علينـا » الخـبر، والجملـة خـبر «كـان». ويجـوز في الكلام رفع «حق » على اسم «كان» لأنه قد وصف بـ «علينا» وتنصب «نصر» على خبر«كان». ويجوز رفعهما جميعاً على الابتداء والخبر وتضمر في «كان»: الحديث، والجملة خبر«كان ».[٤]

وقال العكبري: «حقاً» خبر «كان» مقـدم و «نصرـ» اسـمها. ويجـوز أن يكـون «حقـاً» مصدراً و «علينا» الخبر. ويجوز أن يكون في «كان» ضمير الشأن، و«حقـاً » مصـدر، و «علينـا نصر» مبتدأ وخبر في موضع خبر «كان».[٥]

الأمر الثالث: أن هذا هو ترجيح المحققين من أهل العلم كما تقدم.

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

٣٣٤ وأبو بكر هو شعبة راوي عاصم

(١) تفسير القرطبي (١٤/ ٤٠).

(٢) تفسير القرطبي (١٤/ ٤٠).

(٣) انظر: مختصر قواعد التفسير للسبت: ص(٥).

(٤) مشكل إعراب القرآن لمكي: (١-٢ / : ٥٦٢).

(٥) التبيان في إعراب القرآن للعكبري: (٢/ ١٠٤١).

الكلام على قوله تعالى: (ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ) [الروم:٥١]

والآية فيها مسألة واحدة وهي: على ماذا يعود الضمير في قوله تعالى: (ﭙ)؟.

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: «الضمير للنبات الذي ينبته الله بالمطر والمعنى لئن أرسل الله ريحا فاصفر به النبات لكفر الناس بالقنوط والاعتراض على الله. وقيل الضمير للريح. وقيل للسحاب. والأول أحسن في المعنى ».[١]

والمسألة فيها ثلاثة أقوال:

القول الأول: أن الضمير للنبات .

قال ابن جرير: يقول تعالى ذكره: ولئن أرسلنا ريحا مفسدة ما أنبته الغيث الذي أنزلناه من السماء، فرأى هؤلاء الذين أصابهم الله بذلك الغيث الذي حييت به أرضوهم، وأعشبت ونبتت به زروعهم، ما أنبتته أرضوهم بذلك الغيث من الزرع مصفرّا، قد فسد بتلك الريح التي أرسلناها، فصار من بعد خضرته مصفرا، لظلوا من بعد استبشارهم، وفرحتهم به يكفرون بربهم.[٢]

قال الماوردي: فرأوا الزرع مصفراً بعد اخضراره، قاله ابن عباس وأبو عبيدة.[٣]

وممن قال بهذا من المفسرين: السمعاني[٤] والبغوي[٥]وابن عطية[٦]وابن الجوزي -ونقله عن الزجاج-[٧] والقرطبي[٨] وابن كثير[٩] وابن عاشور.[١٠]

---

(١) التسهيل لابن جزي: ص(٥٤٢).
(٢) تفسير الطبري (٢١/ ٥٥).
(٣) النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٣٢١).
(٤) تفسير السمعاني (٤/ ٢٢٠).
(٥) تفسير البغوي (٣/ ٤٨٦).
(٦) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٣٤٢).
(٧) زاد المسير (٦/ ٣٠٨).
(٨) تفسير القرطبي (١٤/ ٤٥).
(٩) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٣٨).
(١٠) تفسير التحرير والتنوير (٢١/ ١٢٥).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

وقال الزمخشري: (بِهِ) فرأوا أثر رحمة الله. لأنّ رحمة الله هي الغيث، وأثرها: النبات. ومن قرأ بالجمع: رجع الضمير إلى معناه؛ لأنّ معنى آثار الرحمة النبات، واسم النبات يقع على القليل والكثير، لأنه مصدر سمي به ما ينبت .[١]

القول الثاني: أن الضمير يعود للريح.

قال الماوردي: قيل إنها الريح الدبور لأنها لا تلقح.[٢] وممن ذكر هذا: السمعاني[٣] والقرطبي[٤] وقال ابن عطية: قال قوم هو للريح، وهذا كله ضعيف.[٥]

القول الثالث: أن الضمير: للسحاب.

وحكى الماوردي عن علي ابن عيسى أنه قال: فرأوا السحاب مصفراً، لأن السحاب إذا كان كذلك لم يمطر.[٦] وكذا قال الزمخشري[٧] وحكاه القرطبي بصيغة التمريض[٨] وحكاه ابن ابن عطية وقال: وهذا كله ضعيف.[٩]

الترجيح:

والراجح والعلم عند الله تعالى هو ما رجحه ابن جزي رحمه الله وذلك لعدة أمور:

الأمر الأول: أن هذا هو قول ابن عباس وأبي عبيدة كما أن الطبري لم يذكر غيره وابن عطية ضعف الأقوال الأخرى، ومن حكاها فبصيغة التمريض.

الأمر الثاني: أن القاعدة تقول: ضمير الغائب قد يعود على غير ملفوظ به، كالذي يفسره سياق الكلام. وسياق الكلام لو نظرت إليه لوجدته في إحياء الأرض بالمطر قال الله قبل هذه

---

(١) الكشاف (٣/ ٤٩٢).
(٢) النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٣٢١).
(٣) تفسير السمعاني (٤/ ٢٢٠).
(٤) تفسير القرطبي (١٤/ ٤٥).
(٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٣٤٢).
(٦) النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٣٢١).
(٧) الكشاف (٣/ ٤٩٢).
(٨) تفسير القرطبي (١٤/ ٤٥).
(٩) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٣٤٢).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

الآية: (□ ى ى ي ي □ □ □ □ □ □ □ □) الآية. وحياة الأرض بالنبات، وهو مفهوم من سياق الكلام.

قال العكبري في إملاء ما من به الرحمن: والهاء في (ڈ ڳ) للزرع، وقد دل عليه: (□ □ □). وقيل: للريح. وقيل: للسحاب.[1]. وكذا قال مكي بن أبي طالب القيسي.[2]

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

(١) إملاء ما من به الرحمن: ص(٤٨٣).

(٢) إعراب مشكل القرآن لمكي: (١-٢/ ٥٦٢).

الكلام على قوله تعالى: (ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ) [الروم:٥٦]

والآية فيها مسألة واحدة وهي: ما المراد بقوله تعالى: (ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ). [الروم:٧]

قال ابن جزي رحمه الله تعالى:« (ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ) يعني: اللوح المحفوظ أو علم الله؛ والمجرور على هذا يتعلق بقوله: «لبثتم». **وقيل** يعني: القرآن، فعلى هذا يتعلق هذا المجرور بقوله:« أوتوا العلم»، وفي الكلام تقديم وتأخير وتقديره على هذا: قال الذين أوتوا العلم في كتاب الله أي : العلماء بكتاب الله».[(١)]

والمسألة فيها قولان:

القول الأول: أن معنى: (ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ) أي: في اللوح المحفوظ.

قال ابن جرير: وقوله: (ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ) يقول: فيما كتب الله مما سبق في علمه أنكم تلبثونه.[(٢)] وروى ابن أبي حاتم عن الربيع بن أنس أنه قال: لبثوا في علم الله في البرزخ إلى يوم القيامة.[(٣)] ونقل الماوردي عن الفراء قال: لقد لبثتم في علم الله [(٤)] وكذا قال ابن الجوزي.[(٥)] وقال البغوي: أي: فيما كتب الله لكم في سابق علمه من اللبث في القبور.[(٦)] وقال ابن كثير: أي: في كتاب الأعمال.[(٧)] قال الشوكاني: معنى في كتاب الله: في علمه وقضائه. قال الزجاج: في علم الله المثبت في اللوح المحفوظ.[(٨)]

القول الثاني: أن معنى: (ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ) أي: في القرآن.

---

(١) التسهيل لابن جزي: ص(٥٤٣).
(٢) تفسير الطبري (٢١/ ٥٧).
(٣) ابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٩٤).
(٤) النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٣٢٣).
(٥) زاد المسير (٦/ ٣١١).
(٦) تفسير البغوي (٣/ ٤٨٦).
(٧) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٣٧).
(٨) فتح القدير (٤/ ٢٢٤).

دكتوراه عبدالعلي الحمدي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

قال الطبري: ذُكر عن ابن جُرَيج أنه كان يقول: معنى ذلك: وقال الذين أوتوا العلم بكتاب الله، والإيمان بالله وكتابه.[1]

قال الماوردي: أن في الكلام تقديماً وتأخيراً تقديره: (ٹ ٹ ٹ ۀ ۀ) في كتاب الله والإيمان (ہ ہ ہ ھ ھ ھ ے ۓ) قاله قتادة.[2] وذكر السمعاني في تفسيره نحواً منه.[3] وكذا البغوي.[4]

وكذا قال ابن الجوزي ونقله عن ابن جريج في جماعة من المفسرين.[5] ونقله القرطبي عن مقاتل وقتادة والسدي. قال: وقال القشيري: وعلى هذا (ٹ ۀ ۀ) بمعنى كتاب الله.[6] قال الشوكاني: قال الواحدي: والمفسرون حملوا هذا على التقديم والتأخير على تقدير: وقال الذين أوتوا العلم في كتاب الله.[7]

الترجيح:

والراجح والعلم عند الله تعالى هو ما اختاره ابن جزي رحمه الله تعالى من أن معنى قوله تعالى: (ہ ہ ھ ۓ) أي: في اللوح المحفوظ. وذلك لعدة أمور:

الأمر الأول: أن القول الثاني لا يستقيم إلا بتقديم وتأخير في الكلام، والقاعدة تقول: مهما أمكن إلحاق الكلام بما يليه أو بنظيره فهو الأولى.[8]

الأمر الثاني: أن القول الأول ظاهر المعنى بغير تقدير ولا تقديم ولا تأخير وهو الموافق لسياق الآيات سابقها ولاحقها، فالسياق يبتدئ بقوله تعالى: (گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ

---

(١) تفسير الطبري (٢١/ ٥٧).
(٢) النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٣٢٣).
(٣) تفسير السمعاني (٤/ ٢٢٠).
(٤) تفسير البغوي (٣/ ٤٨٦).
(٥) زاد المسير (٦/ ٣١١).
(٦) تفسير القرطبي (١٤/ ٤٨).
(٧) فتح القدير (٤/ ٢٣٢).
(٨) انظر: مختصر قواعد التفسير للسبت: ص(٦).

گ گ ڻ) فيرد أهل العلم والإيمان من الملائكة والمؤمنين عليهم (ہ ہ ہ ھ ۇ) أي: فيما كتبه وقدره وقضاه.

قال الشيخ الشنقيطي: ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة: أن الكفار إذا بعثوا يوم القيامة، وأقسموا أنهم ما لبثوا غير ساعة يقول لهم الذين أوتوا العلم والإيمان، ويدخل فيهم الملائكة، والرسل، والأنبياء، والصالحون: والله لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث، فهذا يوم البعث، ولكنكم كنتم لا تعلمون.

وهذا المعنى الذي دلت عليه هذه الآية الكريمة جاء موضحاً في سورة يس على أصح التفسيرين، وذلك في قوله تعالى: (□ □ □ □ □ □□□ □)

والتحقيق أن هذا قول الكفار عند البعث، والآية تدل دلالة لا لبس فيها، على أنهم ينامون نومة قبل البعث كما قاله غير واحد، وعند بعثهم أحياء من تلك النومة التي هي نومة موت يقول لهم الذين أوتوا العلم والإيمان: هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون: أي هذا البعث بعد الموت، الذي وعدكم الرحمن على ألسنة رسله، وصدق المرسلون في ذلك، كما شاهدتموه عياناً فقوله في يس: (□ □ □ □ □) [يس: ٥٢] قول الذين أوتوا العلم والإيمان، على التحقيق، وقد اختاره ابن جرير، وهو مطابق لمعنى قوله: (ڻ ڻ ڻ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ے ۇ) الآية.

والتحقيق أن قوله هذا إشارة إلى ما وعد الرحمن وأنها من كلام المؤمنين، وليست إشارة إلى المرقد في قول الكفار (□ □ □ □□□ □ □) وقوله: (ہ ہ ھ ۇ) أي: فيما كتبه وقدره وقضاه. وقال بعض العلماء: إن قوله: (□ □ □ □ □) [يس: ٥٢] الآية من قول الكفار، ويدل له قوله في الصافات: (ې □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □) [الصافات: ٢٠-٢١] الآية. (١)

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم

(١) أضواء البيان (٦/ ١٧٠).

سورة لقمان

الكلام على قوله تعالى: (ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

قال السمعاني: عن عبدالله بن مسعود وعبدالله بن عباس ومجاهد والحسن وعكرمة وأكثر المفسرين أن الآية نزلت في الغناء، وكان عبدالله بن مسعود يحلف على ذلك. [1] وكذا قال ابن عطية. [2] وابن الجوزي. [3]

وقال البغوي: عن أبي أُمامة قال: قال رسول الله ﷺ: (**لا يحل تعليم المغنيات ولا بيعهن وأثمانهن حرام**). [4] وفي مثل هذا أنزلت هذه الآية: (ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ) وما من رجل يرفع صوته بالغناء إلا بعث الله عليه شيطانين، أحدهما على هذا المنكب، والآخر على هذا المنكب، فلا يزالانِ يضربانه بأرجلهما حتى يكون هو الذي يسكت... وعن عبدالله بن مسعود، وابن عباس، والحسن، وعكرمة، وسعيد بن جبير قالوا: « لهو الحديث » هو الغناء، والآية نزلت فيه[5]. ثم ساق خبر أبي الصهباء البكري المتقدم.

قال الزمخشري: لَهْو الحديث: نحو السمر بالأساطير والأحاديث التي لا أصل لها، والتحدث بالخرافات والمضاحيك وفضول الكلام، وما لا ينبغي من كان وكان، ونحو الغناء وتعلم الموسيقار، وما أشبه ذلك. [6]

وقال القرطبي بعد أن ذكر كلام المفسرين في معنى: (ﭜ ﭝ ﭞ) وأنه الغناء. قال: هذا أعلى ما قيل في هذه الآية، وحلف على ذلك ابن مسعود بالله الذي لا إله إلا هو ثلاث مرات إنه الغناء...وعن ابن عمر أنه الغناء، وكذلك قال عكرمة وميمون بن مهران ومكحول. [7]

---

(١) تفسير السمعاني (٤/ ٢٢٦).
(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٣٤٥).
(٣) زاد المسير (٦/ ٣١٢).
(٤) الحديث: تقدم في: ص(١٢٠).
(٥) تفسير البغوي (٣/ ٤٨٩).
(٦) الكشاف (٣/ ٤٩٧).
(٧) تفسير القرطبي (١٤/ ٤٥).

دكتوراه عبدالعلي الحمدي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

القول الثاني: أن المراد بلهو الحديث هو: الطبل. وهو مروي عن مجاهد وابن جريج. كما عند الطبري [١] والماوردي [٢] والسمعاني [٣]والبغوي.[٤] وقال ابن عطية: قال مجاهد أيضاً: (ﭽ ﭾ ﭿ) الطبل وهذا ضرب من الغناء.[٥]

القول الثالث: أن المراد به: الشرك. وهو تفسير الضحاك، كما عند ابن جرير[٦] والسمعاني[٧] والبغوي[٨] وابن عطية [٩] وابن الجوزي[١٠] ونقله الماوردي عن ابن زيد[١١] وكذا وكذا ابن كثير.[١٢]

القول الرابع: أن معنى اللفظ يعم ذلك كله.

قال ابن جرير: والصواب من القول في ذلك أن يقال: عنى به كلّ ما كان من الحديث ملهيا عن سبيل الله مما نهى الله عن استماعه أو رسوله؛ لأن الله تعالى عمّ بقوله: (ﭽ ﭾ ﭿ) ولم يخصص بعضا دون بعض، فذلك على عمومه حتى يأتي ما يدلّ على خصوصه، والغناء والشرك من ذلك.[١٣] قال الماوردي: ما ألهى عن الله سبحانه، قاله الحسن[١٤] وقال الزمخشري: اللهو كل باطل ألهى عن الخير وعما يعني.[١٥]

---

(١) تفسير الطبري (٢١/ ٦٢)، وانظر: زاد المسير (٦/ ٣١٢).
(٢) النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٣٢٨).
(٣) تفسير السمعاني (٤/ ٢٢٦).
(٤) تفسير البغوي (٣/ ٤٨٩).
(٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٣٤٥).
(٦) تفسير الطبري (٢١/ ٥٦).
(٧) تفسير السمعاني (٤/ ٢٢٦).
(٨) تفسير البغوي (٣/ ٤٨٩).
(٩) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٣٣٧).
(١٠) زاد المسير (٦/ ٣١٢).
(١١) النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٣٢٨).
(١٢) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٣٧).
(١٣) تفسير الطبري (٢١/ ٥٦).
(١٤) النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٣٢٨).
(١٥) الكشاف (٣/ ٤٩٧).

قال السعدي: (ﭽ ﭾ ﭿ) أي: الأحاديث الملهية للقلوب، الصادَّة لها عن أجلِّ مطلوب. فدخل في هذا كل كلام محرم، وكل لغو، وباطل، وهذيان من الأقوال المرغبة في الكفر، والفسوق، والعصيان، ومن أقوال الرادين على الحق، المجادلين بالباطل ليدحضوا به الحق، ومن غيبة، ونميمة، وكذب، وشتم، وسب، ومن غناء ومزامير شيطان، ومن الماجريات الملهية، التي لا نفع فيها في دين ولا دنيا.[1]

الترجيـــح:

والراجح والعلم عند الله هو ما رجحه ابن جرير عليه رحمة الله تبارك وتعالى من أن لفظ الآية يعم كل لهو من الحديث من شأنه أن يصد عن سبيل الله فهو داخل ضمن منطوق الآية، وإن كان الغناء داخلٌ في الآية دخولاً أولياً، وإنما قلت بترجيح ذلك لعدة أمور:

الأمر الأول: أن هذا هو ما تدل عليه قواعد التفسير:

القاعدة الأولى: أن عامة ألفاظ القرآن تدل على معنيين فأكثر.

القاعدة الثانية: إذا احتمل اللفظ معاني عدة، ولم يمتنع إرادة الجميع حمل عليها.

القاعدة الثالثة: لا يجوز إخراج ما احتمله ظاهر الآية من حكمها إلا بحجة يجب التسليم لها.

الأمر الثاني: أن هذا القول فيه جمع بين أقوال أئمة التفسير وعدم إهمال شيء منها.

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

(١) تفسير السعدي (١/ ٦٤٧).

دكتوراه عبدالعلي الحمدي (كامل الرسالة .:. مع الفهارس) 5

الكلام على قوله تعالى: (ہ ھ ھ ھ ے ۓ ۓ ﮲ ﮳ ﮴ ﮵ ﮶ ﮷ ﮸ ﮹ ﮺ ﮻ ﮼ ﮽ ﮾ ﮿ ﯀ ﯁ ﯂ ﯃ ﯄ ﯅ ﯆ ﯇ ﯈ ﯉ ﯊ ﯋ ﯌ ﯍ ﯎ ﯏ ﯐ ﯑ ﯒ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

وممن ذكر نحو هذا من المفسرين: ابن عطية[١] وابن الجوزي[٢] والقرطبي.[٣]

القول الثاني: أن هذا مثل ضربه الله لبيان سعة علمه فلو قدر أن مثقال خردلة من الأعمال أو من الأشياء كانت في أخفى موضع كجوف صخرة فإن الله يأتي بها يوم القيامة وكذلك لو كانت في السموات أو في الأرض.

فروى الطبري عن قَتادة في قوله: (ئے ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ۇ) قال أي: جبل.[٤] وكذا قال الماوردي[٥] والسمعاني[٦] والبغوي.[٧] وابن الجوزي.[٨]

قال الزمخشري: أي: إن كانت مثلاً في الصغر والقماءة كحبة الخردل، فكانت مع صغرها في أخفى موضع وأحرزه كجوف الصخرة أو حيث كانت في العالم العلوي أو السفلي.[٩]

قال ابن عطية: بعد أن ذكر القول الأول: وهذا كله ضعيف لا يثبته سند، وإنما معنى الكلام المبالغة والانتهاء في التفهيم، أي أن قدرته تنال ما يكون في تضاعيف صخرة وما يكون في السماء وفي الأرض.[١٠] وكذا قال القرطبي.[١١]

قال ابن كثير:[١٢] ولو كانت تلك الذرة محصنة محجبة في داخل صخرة صَمَّاء، أو غائبة ذاهبة في أرجاء السموات أو الأرض فإن الله يأتي بها؛ لأنه لا تخفى عليه خافية، ولا يعزب عنه

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٣٥٠).
(٢) زاد المسير (٦/ ٣٢١).
(٣) تفسير القرطبي (١٤/ ٦٧).
(٤) تفسير الطبري (٢١/ ٧٢).
(٥) النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٣٣٧).
(٦) تفسير السمعاني (٤/ ٢٣٠).
(٧) تفسير البغوي (٣/ ٤٨٦).
(٨) زاد المسير (٦/ ٣٢١).
(٩) الكشاف (٣/ ٥٠٣).
(١٠) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٣٥٠).
(١١) تفسير القرطبي (١٤/ ٦٧).
(١٢) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٤٧).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض... وقد زعم بعضهم أن المراد بقوله: (ئے ۓ ۓ ڭ) أنها صخرة تحت الأرضين السبع، ذكره السُّدِّي بإسناده ذلك المطروق عن ابن عباس وابن مسعود وجماعة من الصحابة إن صح ذلك، ويروى هذا عن عطية العوفي، وأبي مالك، والثوري، والمِنهال بن عمرو، وغيرهم. وهذا والله أعلم، كأنه متلقى من الإسرائيليات التي لا تصدق، ولا تكذب، والظاهر - والله أعلم - أن المراد: أن هذه الحبة في حقارتها لو كانت داخل صخرة، فإن الله سيبديها ويظهرها بلطيف علمه، كما قال الإمام أحمد: بسنده عن أبي سعيد الخدري، ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: (**لو أن أحدكم يعمل في صخرة صَمَّاء، ليس لها باب ولا كوَّة، لخرج عمله للناس كائنًا ما كان**).[1]

قال ابن عاشور: وقد أفيد ذلك بطريق دلالة الفحوى؛ فذُكر أدقُّ الكائنات حالاً من حيث تعلق العلم والقدرة به، وذلك أدق الأجسام المختفي في أصْلَب مكان أو أقصاه وأعزِّه منالاً، أو أوسعه وأشده انتشاراً، ليعلم أن ما هو أقوى منه في الظهور والدّنو من التناول أولى بأن يحيط به علم الله وقدرته. [2]

الترجيـــح:

والراجح والعلم عند الله تعالى هو: ما رجحه ابن جزي رحمه الله من أن معنى الآية أن سعة علم الله تبارك وتعالى تحيط بأعمال العباد وإن تناهت في الخفاء والصغر فلا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض. وترجيح هذا القول يعود إلى عدة أمور:

الأمر الأول: أن هذا هو ترجيح المحققين من أئمة التفسير رحمهم الله تعالى. كابن جرير وابن عطية وابن كثير وغيرهم.

---

(١) الحديث: ضعيف رواه أحمد في المسند (٣/ ٢٨)، وأبو يعلى في مسنده (٢/ ٥٢١/ ٤٠٤)، وأبو عمرو ابن منده في المنتخب من الفوائد (٢٦٧/ ١ - ٢)، وابن حبان (١٩٤٢)، والحاكم (٤/ ٣١٤) عن دراج أبي السمح عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري مرفوعا. وقال الحاكم: صحيح الإسناد. ووافقه الذهبي. قال الألباني: وليس كما قالا، فإن دراجا هذا قال أحمد: أحاديثه مناكير، ولينه. وقال أبو حاتم: ضعيف. وقال الحافظ في التقريب: صدوق، في حديثه عن أبي الهيثم ضعف. انظر ترجمته في التقريب برقم : (١٨٢٩) وهذا من روايته عن أبي الهيثم. وانظر: السلسلة الضعيفة والموضوعة للألباني : (٤/ ٢٨٨).

(٢) تفسير التحرير والتنوير (٢١/ ١٦٢).

دكتوراه عبدالعلي الحمدي (كامل الرسالة :: مع الفهارس) ٥

الأمر الثاني: ضعف حجة أصحاب القول الأول، إذ أن ما ذكروه كلام في غيب لا يخبر عنه إلا معصوم، ولما لم يكن ذلك عَلِمْنا سقوطه، وأنه متلقى عن بني إسرائيل، مما لا يصدق ولا يكذب. كما ذكر ذلك ابن عطية وابن كثير.

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

الكلام على قوله تعالى: (ي ي ٻ ٻ □) [لقمان:١٧]

والآية فيها مسألة واحدة وهي: ما المقصود بالصبر هنا

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: «أمر بالصبر على المصائب عموما وقيل المعنى ما يصيب من يأمر بمعروف أو ينهى عن منكر». (١)

والمسألة فيها قولان:

القول الأول: أن ذلك أمر بالصبر على المصائب عموما. قال الماوردي: على ما أصابك من البلوى في نفسك أو مالك. (٢) قال السمعاني: أي: من الأذى.(٣) وكذا قال البغوي(٤) والزمخشري (٥) وقال القرطبي: قيل: أمره بالصبر على شدائد الدنيا كالأمراض وغيرها، وألا يخرج من الجزع إلى معصية الله ﷻ، وهذا قول حسن لأنه يعم. (٦)

القول الثاني: أن ذلك فيما يصيب من يأمر بالمعروف أو ينهى عن المنكر من الأذى.

قال الطبري: واصبر على ما أصابك من الناس في ذات الله، إذا أنت أمرتهم بالمعروف، ونهيتهم عن المنكر، ولا يصدّنك عن ذلك ما نالك منهم. ثم روى عن ابن جُرَيج في قوله: (ي ي ٻ ٻ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □) قال: اصبر على ما أصابك من الأذى في ذلك. (٧)

قال الماوردي: على ما أصابك من الأذى في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. (٨)

---

(١) التسهيل لابن جزي: ص(٥٤٥).
(٢) النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٣٣٨).
(٣) تفسير السمعاني (٤/ ٢٣٠).
(٤) تفسير البغوي (٣/ ٤٨٦).
(٥) الكشاف (٣/ ٥٠٣).
(٦) تفسير القرطبي (١٤/ ٦٨).
(٧) تفسير الطبري (٢١/ ٦٥).
(٨) النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٣٣٨).

قال الزمخشري: يجوز أن يكون خاصاً بما يصيبه فيما أمر به من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: من أذى من يبعثهم على الخير وينكر عليهم الشر. [1]

قال ابن عطية: يقتضي حضاً على تغيير المنكر وإن نال ضرراً فهو إشعار بأن المغير يؤذى أحياناً. [2] وكذا قال القرطبي. [3] وابن الجوزي [4] وابن كثير. [5]

قال ابن عاشور: ووجه تعقيب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بملازمة الصبر أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قد يَجران للقائم بهما معاداةً من بعض الناس أو أذى من بعض فإذا لم يصبر على ما يصيبه من جراء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أو شك أن يتركهما. [6]

الترجيـــح: والراجح والعلم عند الله تعالى هو ما رجحه ابن جزي من القول بالعموم، وإنما قلت بترجيح ذلك لعدة أمور:

الأمر الأول: أننا إذا قلنا بالعموم فإن القول الثاني يدخل دخولاً أولياً في القول الأول، وهذا فيه إعمال لجميع أقوال أئمة التفسير رحمهم الله تعالى.

الأمر الثاني: أن ما نقل عن أئمة التفسير في القول الثاني هو من باب التنكيت، إذ أن إشعار الآية بأن من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر لابد وأن يناله شيء من الأذى غير مانع من عموم الأمر بالصبر في بقية المصائب التي تصيب العبد.

الأمر الثالث: أن هذا هو المتفق مع قواعد التفسير فمن ذلك:

أن القاعدة تقول: أن الخبر يبقى على عمومه حتى يرد ما يخصصه. وقوله تعالى (□ □ □ □□ □) لفظ عام فإن « ما » من أدوات العموم. وتقول القاعدة الثانية: عامة ألفاظ

---

(١) الكشاف (٣/ ٥٠٣).

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٣٤٧).

(٣) تفسير القرطبي (١٤/ ٦٨).

(٤) زاد المسير (٦/ ٣٢٢).

(٥) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٤٧).

(٦) تفسير التحرير والتنوير (٢١/ ١٦٣).

القرآن تدل على معنيين فأكثر. وثمة قاعدة أخرى تقول: الكلمة إذا احتملت وجوهـاً لم يكـن لأحد صرف معناها إلى بعض وجوهها دون بعض إلا بحجة. [1]

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

(١) انظر: مختصر قواعد التفسير للسبت: ص(١٩، ٢٦).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة :: مع الفهارس) ٥

الكلام على قوله تعالى: (ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

القول الثالث: أن المراد أعم مما ذكر فيشمل ذلك كله.قال ابن عاشور: والظاهرة: الواضحة. والباطنة: الخفية وما لا يعلم إلا بدليل أو لا يعلم أصلاً. (١)

قال ابن كثير: يقول تعالى منبها خلقه على نعمه عليهم في الدنيا والآخرة، بأنه سخر لهم ما في السموات من نجوم يستضيئون بها في ليلهم ونهارهم، وما يخلق فيها من سحاب وأمطار وثلج وبرد، وجعله إياها لهم سقفا محفوظا، وما خلق لهم في الأرض من قرار وأنهار وأشجار وزروع وثمار. وأسبغ عليهم نعمه الظاهرة والباطنة من إرسال الرسل وإنزال الكتب، وإزاحة الشبَه والعلل، ثم مع هذا كله ما آمن الناس كلهم، بل منهم من يجادل في الله، أي: في توحيده وإرسال الرسل. ومجادلته في ذلك بغير علم، ولا مستند من حجة صحيحة، ولا كتاب مأثور صحيح؛ ولهذا قال تعالى: (ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ) أي: مبين مضيء. (٢)

وقال السعدي: (ٻ ٻ ٻ) أي: عمّكم وغمركم نعمه الظاهرة والباطنة التي نعلم بها؛ والتي تخفى علينا، نعم الدنيا، ونعم الدين، حصول المنافع، ودفع المضار، فوظيفتكم أن تقوموا بشكر هذه النعم؛ بمحبة المنعم والخضوع له؛ وصرفها في الاستعانة على طاعته، وأن لا يستعان بشيء منها على معصيته. (٣)

الترجيح: والراجح والعلم عند الله تعالى هو ما رجحه ابن جزي من القول بالعموم، وإنما قلت بترجيح ذلك لعدة أمور:

الأمر الأول: أن القول بالعموم فيه إعمال لجميع أقوال أئمة التفسير رحمهم الله تعالى.

الأمر الثاني: أن ما نقل عن أئمة التفسير في بقية الأقوال هو من باب التنصيص على بعض أفراد العام. فكل نعمة ظاهرة ومشاهدة وكل نعمة غير معلومة داخلة في الآية.

الأمر الثالث: أن هذا هو ما تدل عليه قواعد التفسير فمن ذلك:

أن القاعدة تقول: أن الخبر يبقى على عمومه حتى يرد ما يخصصه.

---

(١) تفسير التحرير والتنوير (٢١/ ١٧٣).

(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٤٧).

(٣) تفسير السعدي (١/ ٦٤٩).

وتقول القاعدة الثانية: عامة ألفاظ القرآن تدل على معنيين فأكثر. والكلمة إذا احتملت وجوهاً لم يكن لأحد صرف معناها إلى بعض وجوهها دون بعض إلا بحجة. [1]

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

(١) انظر: مختصر قواعد التفسير للسبت: ص(١٩، ٢٦).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة :: مع الفهارس) 5

الكلام على قوله تعالى: (ک گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ں ڻ ڻ ڻ ۀ ہ ہ ہ ھ ھ) [لقمان:٣٢]

والآية فيها مسألة واحدة وهي: ما المقصود بالمقتصد في الآية ؟

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: «المقتصد: المتوسط في الأمر فيحتمل: أن يريد كافرا متوسطا في كفره لم يسرف فيه أو مؤمنا متوسطا في إيمانه لأن الإخلاص الذي عليه في البحر كان يزول عنه. وقيل: معنى مقتصد مؤمن ثبت في البر على ما عاهد الله عليه في البحر».[١]

والمسألة فيها ثلاثة أقوال:

القول الأول: أن المراد بالمقتصد الكافر المتوسط في كفره الذي لم يسرف فيه، وهذا القول مروي عن مجاهد والكلبي.

فروى ابن جرير عن مجاهد في قوله: (ں ڻ ڻ ہ) قال: المقتصد في القول وهو كافر[٢] وكذا نقل الماوردي.[٣]

قال البغوي: قال الكلبي: مقتصد في القول، أي: من الكفار، لأن بعضهم كان أشد قولا وأغلى في الافتراء من بعض.[٤]

قال الزمخشري: (ں ڻ ڻ ہ) متوسط في الكفر والظلم، خفض من غلوائه، وانزجر بعض الانزجار.[٥]

قال ابن عطية: قال مجاهد: يريد (ں ڻ ڻ ہ) على كفره أي : منهم من يسلم لله، ويفهم نحو هذا من القدرة وإن ضل في الأصنام من جهة أنه يعظمها بسيرته ونشأته.[٦]

---

(١) التسهيل لابن جزي: ص(٥٤٧).
(٢) تفسير الطبري (٢١/ ٨٥).
(٣) النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٣٤٧).
(٤) تفسير البغوي (٣/ ٤٩٦).
(٥) الكشاف (٣/ ٥٠٨).
(٦) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٣٥٥).

قال ابن الجوزي: مقتصد في قوله، وهو كافر، قاله مجاهد. يعني أنه يعترف بأن الله وحده القادر على إنجائه وإن كان مُضْمِراً للشِّرك [1] وكذا قال القرطبي.[2]

قال ابن عاشور: المقتصد: الفاعل للقصد وهو التوسط بين طرفين، والمقام دليل على أن المراد الاقتصاد في الكفر لوقوع تذييله بقوله (ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ) ولقوله في نظيره في سورة العنكبوت (ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ) (آية:٦٥).[3]

القول الثاني: أن المراد بذلك المؤمن المتوسط في إيمانه لأن الإخلاص الذي عليه في البحر قد يزول عنه. وهذا القول مروي عن ابن زيد.

روى ابن جرير عن ابن زيد قال: المقتصد الذي على صلاح من الأمر.[4]

قال ابن كثير: قال ابن زيد: هو المتوسط في العمل. ثم قال ابن كثير: وهذا الذي قاله ابن زيد هو المراد في قوله: (ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ) [فاطر: ٣٢] فالمقتصد هاهنا هو: المتوسط في العمل. ويحتمل أن يكون مرادًا هنا أيضا، ويكون من باب الإنكار على من شاهد تلك الأهوال والأمور العظام والآيات الباهرات في البحر، ثم بعدما أنعم عليه من الخلاص، كان ينبغي أن يقابل ذلك بالعمل التام، والدؤوب في العبادة، والمبادرة إلى الخيرات. فمن اقتصد بعد ذلك كان مقصرا والحالة هذه، والله أعلم.[5]

القول الثالث: أن المراد به المؤمن الذي ثبت في البر على ما عاهد الله عليه في البحر.

قال القرطبي: قال ابن عباس: موف بما عاهد عليه الله في البحر. وقال النقاش: يعني عدل في العهد، وَفَّى فِي البر بما عاهد عليه الله في البحر. وقال الحسن: «مقتصد» مؤمن متمسك بالتوحيد والطاعة.[6]

---

(١) زاد المسير (٦/ ٣٢٤).

(٢) تفسير القرطبي (١٤/ ٨٠).

(٣) تفسير التحرير والتنوير (٢١/ ١٨٦).

(٤) تفسير الطبري (٢١/ ٨٥).

(٥) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٤٧).

(٦) تفسير القرطبي (١٤/ ٨٠).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

قال الماوردي: معناه عَدل في العهد، يفي في البر بما عاهَد الله عليه في البحر، قاله النقاش[1]، وكذا قال السمعاني[2] والبغوي[3] والزمخشري[4]ونقله ابن الجوزي عن مقاتل.[5]

الترجيح:

والراجح والعلم عند الله تعالى أن سياق الآية يدل على الذم، وأنها ذكرت صنفين من الناس بدلالة قوله: «فمنهم» أما الصنف الأول: فهم الذين لما نجاهم إلى البر بقوا على أصل الإيمان لكنهم زال عنهم ما كانوا عليه من الإخلاص التام وصدق اللجوء إلى الله تعالى وقت الشدة والكرب، وعادوا لحال الفتور، ونقص إيمانهم وتوكلهم على ربهم. وهذا معنى قول ابن زيد وهو الذي رجحه ابن كثير، وهو القول الثاني، وهو الأقرب في مراد الآية هنا، وعليه يحمل قول الحسن: «مقتصد» أي: مؤمن متمسك بالتوحيد والطاعة.

وأما الصنف الثاني: فهم الكفار الجاحدون بالكلية وهم الذين عادوا لكفرهم وغيهم وضلالهم والعياذ بالله، وهم الذين قال الله عنهم: (ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ٿ ٿ). وهذا معنى قول مجاهد والكلبي، وهو القول الأول، وهو الأقرب في مراد آية العنكبوت: (ث ث ث ث ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ٿ ٿ) (العنكبوت: ٦٥).

ولذا قال الألوسي بعد أن ذكر أقوال المفسرين في الآية: وأياً ما كان فالظاهر أن المقابل لقسم المقتصد محذوف دل عليه قوله تعالى: (ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ٿ ٿ) وكذا قال أبو حيان.[6]

وقال السعدي: (گ گ گ گ ڳ ڳ) انقسموا فريقين:

فرقة مقتصدة، أي: لم تقم بشكر اللهّ على وجه الكمال، بل هم مذنبون ظالمون لأنفسهم.

---

(١) النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٣٤٧).

(٢) تفسير السمعاني (٤/ ٢٣٠).

(٣) تفسير البغوي (٣/ ٤٩٦).

(٤) الكشاف (٣/ ٥٠٨).

(٥) زاد المسير (٦/ ٣٢٤).

(٦) تفسير الألوسي (٢١/ ١٠٦)، تفسير البحر المحيط (٧/ ١٨٨).

وفرقة كافرة بنعمة اللهّ، جاحدة لها، ولهذا قال: (ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ہ ہ ہ ہ) أي غدار، ومن غدره، أنه عاهد ربه، لئن أنجيتنا من البحر وشدته، لنكونن من الشاكرين، فغدر ولم يف بذلك (ۀ ہ) بنعم اللهّ. (١)

وظاهر كلام السعدي مشعر بأن الآية ليست في الكفار بل هي في أهل الملة، ومما يؤيد هذا ويجاب به على القول الأول: أنه ليس بعد الكفر ذنب، فمن خرج عن ربقة الدين فقد خاب وخسر، والتقسيم في هذا غير ممكن، فلا يقال كافر معتدل وكافر غالي، فكلهم في الكفر سواء والكفر ملة واحدة.

وأما القول الثالث: فلا يتفق مع لفظ: المقتصد. فالمقتصد هو من ليس متوغل في الشيء ولا مفرط فيه قال ابن منظور:

والقَصْد في الشيء خلافُ الإِفراطِ وهو ما بين الإِسراف والتقتير والقصد في المعيشة أَن لا يُسْرِفَ ولا يُقَتِّر يقال فلان مقتصد في النفقة وقد اقتصد واقتصد فلان في أَمره أَي استقام وقوله ومنهم مُقْتَصِدٌ بين الظالم والسابق وفي الحديث (ما عالَ مقتصد ولا يَعِيلُ) (٢) أَي ما افتقر من لا يُسْرِفُ في الانفاقِ ولا يُقَتِّرُ. (٣)

ولهذا قال ابن جزي: المقتصد: المتوسط في الأمر فيحتمل: أن يريد كافرا متوسطا في كفره لم يسرف فيه. أو مؤمنا متوسطا في إيمانه لأن الإخلاص الذي عليه في البحر كان يزول عنه. قلت: فلما انتفى الاحتمال الأول وهو كون الاقتصاد في الكفر، لم يبق إلا الاحتمال الثاني وهو الاقتصاد في الإخلاص لله تعالى. وهو القول الذي رجحه ابن كثير وظاهر كلام السعدي رحمهم الله جميعاً.

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

(١) تفسير السعدي (١/ ٦٥٢).

(٢) لسان العرب: (٣/ ٣٥٣).

(٣) الحديث : ضعيف . أخرجه أحمد في المسند (٩ / ٨٣) وابن أبي شيبة (٦ / ٢٥٢) والطبراني في الكبير(٨ / ٤٣٩) والبيهقي في شعب الإيمان (١٤ / ٨٧) والقضاعي في مسنده (٣ / ١٨٩).وضعفه الألباني في ضعيف الجامع انظر الحديث رقم : ٥١٠٠ .

دكتوراه عبدالعلي الحمدي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

الكلام على قوله تعالى: (ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ) [لقمان:٣٣]

وفي الآية مسألة واحدة وهي: ما معنى: (□ □)؟.

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: «الشيطان. وقيل: الأمل والتسويف».[١]

والمسألة فيها قولان:

القول الأول: الشيطان.

قال الطبري: الغَرور بفتح الغين: هو ما غرّ الإنسان من شيء كائنا ما كان شيطانا كان أو إنسانا، أو دنيا. ثم روى عن مجاهد وقَتادة والضحاك أنهم قالوا: الغرور: الشيطان.[٢]

وروى ابن أبي حاتم عن ابن عباس { في قوله: (ﯤ ﯥ □ □ □) قال: الشيطان. [٣] وممن ذكر هذا من المفسرين:

السمعاني[٤] والماوردي[٥] والبغوي[٦] والزمخشري[٧] وابن عطية[٨] وابن الجوزي ونقله عن عن ابن قتيبة [٩] والقرطبي[١٠] وابن كثير وحكاه عن ابن عباس، ومجاهد، والضحاك، وقتادة. [١١]

قال ابن عاشور: الغَرور بفتح الغين: من يكثر منه التغرير، والمراد به الشيطان بوسوسته وما يمليه في نفوس دعاة الضلالة من شبه التمويه للباطل في صورة وما يلقيه في نفوس

---

(١) التسهيل لابن جزي: ص(٥٤٧).
(٢) تفسير الطبري (٢١/ ٨٧).
(٣) ابن أبي حاتم (٩/ ٣١٠١).
(٤) تفسير السمعاني (٤/ ٢٤٠).
(٥) النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٣٤٦).
(٦) تفسير البغوي (٣/ ٤٩٦).
(٧) الكشاف (٣/ ٦٠٨).
(٨) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٣٥٥).
(٩) زاد المسير (٦/ ٣٢٩).
(١٠) تفسير القرطبي (١٤/ ٨١).
(١١) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٥٠).

أتباعهم من قبول تغريرهم.[1]

القول الثاني: الأمل والتسويف.

قال الطبري: عن سعيد بن جُبَير قوله: (ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ) قال: أن تعمل بالمعصية وتتمنى المغفرة.[2] وممن ذكر ذلك أيضاً عن سعيد: الماوردي[3] والبغوي[4] والزمخشري[5] والقرطبي.[6]

قال ابن عطية: (ﭒ ﭓ) التطميع بما لا يتحصل. بذلك فسره مجاهد والضحاك وقال هو الأمل والتسويف، وقرأ سماك بن حرب وأبو حيوة (ﭒ ﭓ) بضم العين.[7]

الترجيـــح:

والراجح والعلم عند الله تعالى: القول بالعموم وهو المناسب للآية، وذلك لعدة أمور:

الأمر الأول: أن القول بالعموم فيه إعمال لجميع أقوال أئمة التفسير رحمهم الله تعالى.

الأمر الثاني: أن التغرير بالتسويف من عمل الشيطان، فالتسويف وطول الأمل هما أداتان من أدوات الشيطان التي يضحك بهما على بني آدم، ويزين لهم المعاصي بها.

الأمر الثالث: أن عامة ألفاظ القرآن تدل على معنيين فأكثر. وأن الكلمة إذا احتملت وجوهاً لم يكن لأحد صرف معناها إلى بعض وجوهها دون بعض إلا بحجة.[8]

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

(١) تفسير التحرير والتنوير (٢١/ ١٩٣).

(٢) تفسير الطبري (٢١/ ٨٧).

(٣) النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٣٤٦).

(٤) تفسير البغوي (٣/ ٤٩٦).

(٥) الكشاف (٣/ ٦٠٨).

(٦) تفسير القرطبي (١٤/ ٨١).

(٧) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٣٥٥).وانظر القراءة في المحتسب لابن جني ٢/ ١٧٢ وشواذ القراءات للكرماني ٣٨٠

(٨) انظر: مختصر قواعد التفسير للسبت: ص(٢٦).

سورة السجدة

الكلام على قوله تعالى: (ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ) [السجدة:٥]

والآية فيها مسألتان

المسألة الأولى: ما معنى الأمر في الآية؟.

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: «أي: واحد الأمور. وقيل: المأمور به من الطاعات. والأول أصح ».[١]

والمسألة فيها قولان:

القول الأول: أن المراد بالأمر: أي: مفرد الأمور، والمراد: جميع الأمور.

قال ابن جرير: يقول تعالى ذكره: الله هو الذي يدبر الأمر من أمر خلقه من السماء إلى الأرض، ثم يعرُج إليه.[٢]

قال ابن عطية: (ڑ ڳ) اسم جنس لجميع الأمور.[٣] وقال البغوي: (ژ ڑ ڳ) أي: يحكم الأمر وينزل القضاء والقدر.[٤] وقال ابن الجوزي: قيل: أمر الدنيا. وقيل: القضاء، قاله مقاتل.[٥] وحكى الماوردي عن مجاهد قال: يقضي الأمر.[٦] وقال الثعالبي: الأمر: الأمر: اسم جنسٍ لجميعِ الأمور.[٧]

قال ابن عاشور: (ڑ ڳ) الشأن للأشياء ونظامُها وما به تقوُّمها. والتعريف فيه للجنس وهو مفيد لاستغراق الأمور كلها لا يخرج عن تصرفه شيء منها، فجميع ما نقل عن سلف المفسرين في تفسير الأمر يرجع إلى بعض هذا العموم.[٨]

---

(١) انظر تفسير ابن جزي: ص(٥٤٨).

(٢) تفسير الطبري (٢١/ ٨٧).

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٣٥٨).

(٤) تفسير البغوي (٣/ ٤٩٧).

(٥) زاد المسير (٦/ ٣٣٣).

(٦) النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٣٤٧).

(٧) تفسير الثعالبي (٧/ ٣٢٥).

(٨) تفسير التحرير والتنوير (٨/ ١٥٧).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

قال الشيخ السعدي: (ژ ڑ ڑ ک) القدري والأمر الشرعي، الجميع هو المتفرد بتدبيره، نازلةٌ تلك التدابير من عند المليك القدير، فَيُسْعِدُ بها ويُشْقِي، ويُغْنِي ويُفْقِرُ، ويُعِزُّ، ويُذِلُّ، ويُكرِمُ، ويُهِينُ، ويرفع أقوامًا، ويضع آخرين، ويُنزل الأرزاق.[1]

القول الثاني: أن المراد بالأمر أي: المأمور به من الطاعات.

قال الزمخشري: (ژ ڑ ک) المأمور به من الطاعات، والأعمال الصالحة، ينزله مدبراً.[2]

الترجيح

والراجح والعلم عند الله أن ما رجحه ابن جزي هو الصواب، من أن المراد بالأمر: هو جميع الأمور القدرية الكونية والشرعية الدينية. وذلك لعدة أمور:

الأمر الأول: أن هذا هو الذي عليه جمهور المفسرين والقاعدة تقول: تحمل الآية على المعنى الذي استفاض النقل فيه عن أهل العلم، وإن كان غيره محتملاً.

الأمر الثاني: أن تخصيص معنى الأمر في الآية بالمأمور به من الطاعات تخصيص لا دليل عليه لأن القاعدة تقول: الخبر يبقى على عمومه حتى يرد ما يخصصه.[3]

الأمر الثالث: أن « أل » التي في الأمر للاستغراق، فيدخل فيها كل أمر يقع تحت تدبير الله جل وعلا، وهذا يعني دخول كل أمور الدنيا والآخرة. وهذه هي حقيقة الأمر، فإن جميع الأمور الدنيوية والأخروية مرد تدبيرها إلى الخالق الحكيم فهو الذي يسيرها كيف يشاء، ولا يخرج عن إرادته منها شيء ﷻ. وهذا هو الموافق لنصوص الكتاب والسنة، فالله لا تعزب عنه مثقال حبة في السموات ولا في الأرض، والنصوص في هذا الباب مستفيضة ومعلومة.

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

(١) تفسير السعدي (١/ ٦٥٤).

(٢) الكشاف (٣/ ٥١٤).

(٣) انظر: مختصر قواعد التفسير للسبت: ص(١٩، ٢٦).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

المسألة الثانية: ما المراد بالتقدير في قوله تعالى: (ک گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ) ؟.

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: «قال ابن عباس: المعنى ينفذ الله ما قضاه من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه خبر ذلك في يوم من أيام الدنيا، مقداره لو سير فيه السير المعروف من البشر ألف سنة لأن ما بين السماء والأرض خمسمائة عام، فالألف ما بين نزول الأمر إلى الأرض وعروجه إلى السماء. وقيل: إن الله يلقي إلى الملائكة أمور ألف سنة من أعوام البشر- وهو يوم من أيام الله فإذا فرغت ألقي إليهم مثلها فالمعنى أن الأمور تنفذ عنده لهذه المدة ثم تصير إليه آخراً لأن عاقبة الأمور إليه، فالعروج على هذا عبارة عن مصير الأمور إليه ».[1]

والمسألة فيها قولان:

القول الأول: أن ذلك مقدار السير ما بين السماء والأرض نزولاً وعروجاً يعادل بسير البشر ألف سنة.

قال ابن جرير: عن مجاهد (گ گ گ گ گ گ گ) يعني بذلك نزول الأمر من السماء إلى الأرض، ومن الأرض إلى السماء في يوم واحد وذلك مقداره ألف سنة؛ لأن ما بين السماء إلى الأرض مسيرة خمسمائة عام. ثم روى عن ابن عباس وقتادة والضحاك نحو ذلك.

وهذا القول هو الذي رجحه ابن جرير وقال: هو أولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب وأشبهه بظاهر التنزيل.[2]

وممن ذكر نحو هذا من المفسرين: ابن أبي حاتم -ونقله عن السدي- [3] والماوردي [4] والبغوي [1] وابن عطية[2] وابن الجوزي.[3]

---

(١) انظر تفسير ابن جزي: ص(٥٤٨).

(٢) تفسير الطبري (٢١/ ٨٧).

(٣) ابن أبي حاتم (٩/ ٣١٠٣).

(٤) النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٣٤٧).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

قال ابن كثير: قال مجاهد، وقتادة، والضحاك: النزول من الملك في مسيرة خمسمائة عام،وصعوده في مسيرة خمسمائة عام، ولكنه يقطعها في طرفة عين؛ ولهذا قال تعالى: (ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ).[٤]

القول الثاني: إن الله يلقي إلى الملائكة أمور ألف سنة من أعوام البشر وهو يوم من أيام الله فإذا فرغت ألقي إليهم مثلها.

قال الماوردي: أنه يقضي أمر كل شيء لألف سنة في يوم واحد ثم يلقيه إلى ملائكته فإذا مضت قضى لألف سنة أخرى ثم كذلك أبداً، قاله مجاهد. [٥] وممن نقله عن مجاهد ابن عطية [٦] وابن الجوزي [٧] والقرطبي.[٨]

الترجيح:

والراجح والعلم عند الله تعالى هو ما اختاره ابن جزي رحمه الله ورجحه ابن جرير، وهو اختيار جمهور السلف والمفسرين ومجاهد في أحد قوليه، وأما القول الثاني فلم يرد إلا عن مجاهد في أحد قوليه في المسألة. وإنما قلنا بترجيح ذلك لعدة أمور:

الأمر الأول: أن هذا هو اختيار جمهور المفسرين كما تقدم، والقاعدة تقول: تحمل الآية على المعنى الذي استفاض النقل فيه عن أهل العلم، وإن كان غيره محتملاً. [٩]

الأمر الثاني: أن سياق الآية يدل على أن هذا المقدار له بداية وله نهاية فبدايته في قوله تعالى: (ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ) ونهايته في قوله تعالى (ﮐ ﮑ ﮒ) نزولاً. ثم عودة الملك مرة

---

(١) تفسير البغوي (٣/ ٤٩٧).

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٣٥٨).

(٣) زاد المسير (٦/ ٣٣٣).

(٤) تفسير ابن كثير (٣/ ٢٢٩).

(٥) النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٣٤٧).

(٦) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٣٥٨).

(٧) زاد المسير (٦/ ٣٣٣).

(٨) تفسير القرطبي (٢/ ٨٦).

(٩) انظر: مختصر قواعد التفسير للسبت: ص(٢٥، ٢٦).

دكتوراه عبدالعلي العمدي (كامل الرسالة :: مع الفهارس) ٥

أخرى إلى السماء صعوداً في قوله: (ک گ گ گ) فتبين من السياق أن الحديث عن نزول المَلَك بالقَدَر وصعوده، وأن ذلك كله (گ گ گ گ گ گ) وكما هو معلوم أن دلالة السياق محكمة عند المفسرين عند ورود الإشكال في التفسير.

ثم لو أننا افترضنا أن المعنى هو: تقدير المقادير لألف عام، فما معنى قوله تعالى: (ڑ ک ک ک گ)؟.

الأمر الثالث: أن منطوق الآية يدل على المقدار لا على التقدير، وثمة فرق بين المقدار والتقدير، قال ابن منظور:

وقدْرُ كل شيء ومِقْدارُه: مِقْياسُه وقَدَرَ الشيءَ بالشيء يَقْدُرُه قَدْراً وقَدَّرَه قاسَه وقادَرْتُ الرجل مُقادَرَةً إِذا قايسته وفعلت مثل فعله.[1]

ثم إن أنواع التقدير كما ذكرها أهل العلم رحمهم الله تعالى أربعة أنواع:

الأول: التقدير الأزلي. ودليله قول النبي ﷺ: (**إن أول ما خلق الله القلم فقال له: اكتب قال: يا رب و ما أكتب ؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة من مات على غير هذا فليس مني**). [2]

الثاني: التقدير العمري. ودليله حديث الصادق المصدوق ﷺ: (**أن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوما أو أربعين ليلة ثم يكون علقة مثله ثم يكون مضغة مثله ثم يبعث إليه الملك فيؤذن بأربع كلمات فيكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أم سعيد ثم ينفخ فيه الروح فإن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى لا يكون بينها وبينه إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخل النار وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينها وبينه إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل عمل أهل الجنة فيدخلها**).[3]

---

(١) لسان العرب: (٥/ ٧٤).

(٢) الحديث: صحيح. الحديث أخرجه أبو داود في سننه (١٢/ ٣٠٩)، والترمذي في جامعه (٨/ ٥١)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٢٠٤)، والطيالسي في مسنده (٢/ ١٠٧)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١٠/ ٢٠٠)، وصحيح الجامع الصغير (٩/ ٢٢٨).

(٣) الحديث: صحيح. أخرجه البخاري في صحيحه: (٢٢/ ٤٦٦)، ومسلم في صحيحه (١٣ / ١٠٠).

الثالث: التقدير السنوي. قول الله تبارك وتعالى: (ذ ذ ث ث ث ث)[الدخان : ٤] أي ليلة القدر يقدر الله فيها مقادير العام كله.

الرابع: التقدير اليومي. ودليله قوله تبارك وتعالى: (ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ) [الرحمن:٢٩] وأما تقدير الألف سنة فلا أعلم له دليلاً من الكتاب والسنة.

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة :: مع الفهارس) 5

الكلام على قوله تعالى: (ے ے ۓ ۓ ڭ ڭڭ ڭ ۇ ۇ) [السجدة:١٨]

وفي هذا المبحث مسألة واحدة وهي: ما المراد بالمؤمن والفاسق في الآية ؟.

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: «يعني: المؤمنين والفاسقين على العموم. وقيل: يعني علي بن أبي طالب وعقبة بن أبي معيط ».(١)

والمسألة فيها قولان:

القول الأول: يعني عموم المؤمنين والفاسقين.

قال ابن جرير: يقول تعالى ذكره: أفهذا الكافر المكذّب بوعد الله ووعيده، المخالف أمر الله ونهيه، كهذا المؤمن بالله، والمصدّق بوعده ووعيده، المطيع له في أمره ونهيه ؟.كلا لا يستوون عند الله. يقول: لا يعتدل الكفَّار بالله، والمؤمنون به عنده، فيما هو فاعل بهم يوم القيامة. وقال: (ۈ ۇ ۆ) فجمع، وإنما ذكر قبل ذلك اثنين: مؤمنا وفاسقا؛ لأنه لم يرد بالمؤمن: مؤمنا واحدا، وبالفاسق: فاسقا واحدا، وإنما أريد به جميع الفسَّاق، وجميع المؤمنين بالله. فإذا كان الاثنان غير مصمود لهما ذهبت لهما العرب مذهب الجمع.(٢)

قال السمعاني: وقيل إن الآية على العموم.(٣)

قال البغوي: ولم يقل: لا يستويان، لأنه لم يرد مؤمنًا واحدًا وفاسقًا واحدًا، بل أراد جميع المؤمنين وجميع الفاسقين.(٤)

قال ابن كثير: يخبر تعالى عن عدله وكرمه أنه لا يساوي في حُكمه يوم القيامة مَنْ كان مُؤمنًا بآياته متبعًا لرسله، بمن كان فاسقا، أي: خارجا عن طاعة ربه مكذِّبًا لرُسُله إليه، كما قال تعالى: (و و ۋ ۋ ى ى ې ې □ □ □ □ □ □□ □ □ □ □ □ □) [الجاثية:٢١] وقال تعالى: (ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ)

---

(١) انظر تفسير ابن جزي: ص(٥٥٠).

(٢) تفسير الطبري (٢١/ ١٠٧).

(٣) تفسير السمعاني (٤/ ٢٤٢).

(٤) تفسير البغوي (٣/ ٥٠٢).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

[ص:٢٨] وقال تعالى: (چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ) [الحشر:٢٠] ولهذا قال تعالى هاهنا: (ے ۓ ۓ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ) أي: عند الله يوم القيامة.[١]

قال ابن عاشور: والفاسق هنا هو: مَن ليس بمؤمن بقرينة قوله بعده (□ □ □ □ □ □ □ □ □ ى)... و« مَن» الموصولة في الموضعين عامة بقرينة التفصيل بالجمع في قوله: (ۆ ۆ ۈ ۈ) الخ. و (ې ې □ ى). فليست الآية نازلة في معيَّن كما قيل.[٢]

القول الثاني: أن المراد بذلك علي بن أبي طالب والوليد بن عقبة بن أبي معيط.

قال ابن جرير: عن عطاء بن يسار، قال: نزلت بالمدينة، في عليّ بن أبي طالب، والوليد بن عقبة بن أبي معيط كان بين الوليد وبين عليّ كلام، فقال الوليد بن عقبة: أنا أبسط منك لساناً، وأحدّ منك سناناً، وأرد منك للكتيبة، فقال عليّ: اسكت، فإنك فاسق، فأنزل الله فيهما: (ے ۓ ۓ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ) إلى قوله: (□ ى).[٣]

وممن ذكر ذلك من المفسرين: ابن أبي حاتم[٤] والماوردي[٥] والسمعاني[٦] والبغوي[٧] والزمخشري[٨] وابن عطية[٩] وابن الجوزي[١٠] والقرطبي ورواه عن ابن عباس وعطاء بن يسار[١١] وابن كثير ونقله عن عطاء بن يَسَار والسُّدِّيّ وغيرهما[١٢] والخبر أخرجه الإمام أحمد في فضائل

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٦٣).
(٢) التحرير والتنوير (١١/ ١٧٦).
(٣) تفسير الطبري (٢١/ ١٠٧).
(٤) ابن أبي حاتم (٩ / ٣١٠٩).
(٥) النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٣٦٥).
(٦) تفسير السمعاني (٤/ ٢٤٨).
(٧) تفسير البغوي (٣/ ٥٠٢).
(٨) الكشاف (٣/ ٥١٥).
(٩) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٣٥٧).
(١٠) زاد المسير (٦/ ٣٣٥).
(١١) تفسير القرطبي (١٤/ ١٠٥).
(١٢) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٥٨).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

الصحابة عن ابن عباس، أن الوليد بن عقبة قال لعلي: ألستُ أبسطُ منك لساناً، وأحد منك سناناً، وأملأ منك حشواً ؟. فأنزل الله عز وجل: (ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ).[1]

الترجيـــح:

والراجح والعلم عند الله تعالى هو ما رجحه ابن جزي رحمه الله وهو القول بالعموم، حتى وإن كانت الآية نزلت في واقعة معينة كما جاء في كتب أسباب النزول [2] فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب على القول الراجح عند أئمة التفسير وعلوم الشريعة؛[3] فقول الله تبارك وتعالى: (ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ) على وجه التفريد ثم قوله بعد ذلك: (ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ) الآية؛ على صفة الجمع يدل دلالة واضحة على أن الحمل على العموم هو المراد.

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

(١) فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل: (٣/ ٢١).

(٢) أسباب نزول القرآن للواحدي (١/ ١٢٦)، ولباب النزول: (١/ ١٥٥).

(٣) انظر: الإتقان للسيوطي: (١/ ٣٢)، والبرهان للزركشي: (١/ ٣٢).

الكلام على قوله تعالى: (ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ) [لقمان:٢١]

والآية فيها مسألة واحدة وهي: ما المراد بالعذاب الأدنى ؟.

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: «يعني: الجوع ومصائب الدنيا. وقيل: القتل يوم بدر. وقيل: عذاب القبر وهذا بعيد لقوله لعلهم يرجعون ».[1]

والمسألة فيها ثلاثة أقوال:

القول الأول: أن المراد بالعذاب الأدنى: الجوع ومصائب الدنيا وأسقامها، وما أصابهم من الجوع سبع سنين بمكة حتى أكلوا الجيف والعظام والكلاب. وذلك بما دعا عليهم رسول الله ﷺ من السنين.[2] وهذا القول مروي عن ابن عباس وابن مسعود وأبي بن كعب وأبي العالية وعلقمة وقتادة والحسن وإبراهيم ومجاهد، والضحاك، ومقاتل، وعطية، وعبدالكريم الجَزَري، وخَصِيف.

فروى ابن جرير عن ابن عباس (ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ) يقول: مصائب الدنيا وأسقامها وبلاؤها مما يبتلي الله بها العباد حتى يتوبوا. وروى نحوه عن أبي بن كعب وأبي العالية وقتادة والحسن وإبراهيم.

وروى عن مجاهد قال: القتل والجوع لقريش في الدنيا.[3] ثم قال: وأولى الأقوال في ذلك أن يقال: إن الله وعد هؤلاء الفسقة المكذّبين بوعيده في الدنيا العذاب الأدنى، أن يذيقهموه دون العذاب الأكبر، والعذاب: هو ما كان في الدنيا من بلاء أصابهم، إما شدّة من مجاعة، أو قتل، أو مصائب يصابون بها، فكل ذلك من العذاب الأدنى، ولم يخصص الله تعالى

---

(١) انظر تفسير ابن جزي: ص(٥٥٠).

(٢) كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة قال: كان رسول الله ﷺ يقول حين يفرغ من صلاة الفجر من القراءة ويكبر ويرفع رأسه: (سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد) ثم يقول وهو قائم: (اللهم أنج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن أبي ربيعة والمستضعفين من المؤمنين اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم كسني يوسف اللهم العن لحيان ورعلا وذكوان وعصية عصت الله ورسوله). ثم بلغنا أنه ترك ذلك لما أنزل ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾ ﷿ ﷽ ﷾ ﷿ ﷽ ﷾ ﷿

ذكره، إذ وعدهم ذلك أن يعذّبهم بنوع من ذلك دون نوع، وقد عذّبهم بكل ذلك في الدنيا بالقتل والجوع والشدائد والمصائب في الأموال، فأوفى لهم بما وعدهم.[1]

وممن ذكر هذا من المفسرين: السمعاني[2] والبغوي[3] وابن الجوزي[4] والقرطبي[5] وابن كثير[6] وابن عاشور.[7]

القول الثاني: أن المراد بذلك هو: القتل يوم بدر.

وهو مروي عن ابن مسعود وأبي بن كعب وابن عباس والحسن بن علي وقتادة والسدي وعبدالله بن الحارث وزيد بن أسلم. كما عند الطبري وابن أبي حاتم وابن عطية وابن الجوزي والسمعاني والقرطبي وابن كثير.[8]

وقال ابن عاشور: ما يصيبهم يوم بدر من القتل والأسر ويوم الفتح من الذل.[9]

القول الثالث: عذاب القبر. وهو مروي عن البراء بن عازب ومجاهد وأبي عبيدة. كما عند الطبري، والماوردي، والزمخشري، وابن الجوزي، والقرطبي، وابن كثير.[10]

قال السعدي: أي: ولنذيقن الفاسقين المكذبين، نموذجًا من العذاب الأدنى، وهو عذاب البرزخ، فنذيقهم طرفًا منه، قبل أن يموتوا، إما بعذاب بالقتل ونحوه، كما جرى لأهل

---

(١) تفسير الطبري (٢١/ ١٠٥).

(٢) تفسير السمعاني (٤/ ٢٥١).

(٣) تفسير البغوي (٣/ ٥٠٢).

(٤) زاد المسير (٦/ ٣٤٠).

(٥) تفسير القرطبي (١٤/ ١٠٧).

(٦) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٦٣).

(٧) تفسير التحرير والتنوير (٧/ ٢٢٥).

(٨) انظر: تفسير الطبري (٢١/ ١٠٥)، وابن أبي حاتم (٩ / ٣١١٠) تفسير السمعاني (٤/ ٢٥١ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٣٥٧ زاد المسير (٦/ ٣٤٠)، تفسير القرطبي (١٤/ ١٠٧)، تفسير ابن كثير (٣/ ٤٦٣).

(٩) تفسير التحرير والتنوير (٩/ ٣٣٧).

(١٠) تفسير الطبري (٢١/ ١٠٥ النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٣٥٦ الكشاف (٣/ ٥٢٠)، تفسير القرطبي (١٤/ ١٠٧ زاد المسير (٦/ ٣٤٠)، تفسير ابن كثير (٣/ ٤٦٣).

دكتوراه عبدالعلي الحمدي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

بدر من المشركين، وإما عند الموت، كما في قوله تعالى (﴿ ﴾ [الأنعام:٩٣] ثم يكمل لهم العذاب الأدنى في برزخهم. وهذه الآية من الأدلة على إثبات عذاب القبر، ودلالتها ظاهرة، فإنه قال: (﴿ ﴾) أي: بعض وجزء منه، فدل على أن ثَمَّ عذابًا أدنى قبل العذاب الأكبر، وهو عذاب النار.

ولما كانت الإذاقة من العذاب الأدنى في الدنيا، قد لا يتصل بها الموت، فأخبر تعالى أنه يذيقهم ذلك لعلهم يرجعون إليه ويتوبون من ذنوبهم كما قال تعالى: (﴿ ﴾).[1]

الترجيـــح

والذي يترجح والعلم عند الله تبارك وتعالى هو أن المراد بالعذاب الأدنى كل عذاب يوقعه الله جل وعلا على الكفار قبل عذاب جهنم، فيدخل فيه، كل ما ذكره المفسرون من أصناف العذاب كالجوع والقتل والقحط وانحباس المطر والحدود وغلاء الأسعار والأمراض وتسليط الأعداء وما يلحقهم عند الموت من شدة النزع والسكرات وتعذيب الملائكة لهم وما يلاقونه في قبورهم قبل يوم القيامة، كل ذلك داخل في معنى العذاب الأدنى. إذ أن قوله تبارك وتعالى (﴿ ﴾) الذي هو باتفاق عذاب جهنم، مشعر بأن كل ما هو دونه من أصناف العذاب فهو من العذاب الأدنى، نسأل الله العفو والعافية.

قال ابن القيم: وقد احتج بهذه الآية جماعة منهم: عبدالله بن عباس على عذاب القبر، وفي الاحتجاج بها شيء، لأن هذا عذاب في الدنيا يستدعي به رجوعهم عن الكفر؛ ولم يكن هذا مما يخفى على حبر الأمة وترجمان القرآن، لكن من فقهه في القرآن ودقة فهمه فيه فهم منها عذاب القبر، فإنه سبحانه أخبر أن له فيه عذابين: أدنى وأكبر، فأخبر أنه يذيقهم بعض الأدنى ليرجعوا، فدل على أنه بقي لهم من الأدنى بقية يعذبون بها بعد عذاب الدنيا، ولهذا قال: (﴿ ﴾ ولم يقل: ولنذيقنهم العذاب الأدنى. فتأمله.[2] ومما يؤيد هذا أن اللفظ إذا احتمل

---

(١) تفسير السعدي (١/ ٦٤٩).

(٢) انظر: زاد المعاد: (٣/ ١٠).

معاني عدة ولم يمتنع إرادة الجميع حمل عليها. وأن الكلمة إذا احتملت وجوها لم يكن لأحد أن يصرف معناها إلى بعض وجوهها دون بعض إلا بحجة.[1] والله أعلم.

(١) انظر: مختصر قواعد التفسير للسبت: ص(٢٧).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة :: مع الفهارس) ٥

الكلام على قوله تعالى: (ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ)

[السجدة:٢٣]

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: «المرية الشك والضمير لموسى أي: لا تمتر في لقائك موسى ليلة الإسراء. وقيل: المعنى لا تشك في لقاء موسى الكتاب الذي أنزل عليه - والكتاب على هذا التوراة - وقيل: الكتاب هنا جنس، والمعنى: لقد آتينا موسى الكتاب فلا تشك أنت في لقائك الكتاب الذي أنزل عليك وعبر باللقاء عن إنزال الكتاب كقوله: «وإنك لتلقى القرآن» ».[١]

والمسألة فيها ثلاثة أقوال:

القول الأول: أن الضمير يعود إلى موسى والمعنى: لا تمتر في لقائك موسى ليلة الإسراء.

قال ابن جرير:[٢] يقول تعالى ذكره: ولقد آتينا موسى التوراة، كما آتيناك الفرقان يا محمد (ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ) يقول: فلا تكن في شكّ من لقائه، فكان قتادة يقول: معنى ذلك: فلا تكن في شكّ من أنك لقيته، أو تلقاه ليلة أُسري بك، وبذلك جاء الأثر عن رسول الله ﷺ فعن ابن عباس- قال: قال نبيّ الله ﷺ: (**أُرِيتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي مُوسَى بنَ عِمْرَانَ رَجُلا آدَمَ طِوَالا جَعْدًا، كأَنَّهُ مِنْ رجالِ شَنُوءَةَ...**) الحديث.[٣] وأورد ابن أبي حاتم عن أبي العالية ومجاهد نحوه.[٤] وحكاه البغوي[٥] عن ابن عباس ثم روى عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: (**لما أسري بي إلى السماء رأيت موسى يصلي في قبره**).[٦]

---

(١) انظر تفسير ابن جزي: ص(٥٥١).

(٢) تفسير الطبري (٢١/ ١٠٥).

(٣) الحديث: صحيح.أخرجه البخاري في صحيحه: (١١/ ١٦) ومسلم: (١/ ٣٩٠).

(٤) ابن أبي حاتم (٩ / ٣١١٠).

(٥) تفسير البغوي (٣/ ٥٠٣).

(٦) الحديث: صحيح.أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: (١٢/ ٨٠).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

ونقل ابن عطية عن أبي العالية الرياحي وقتادة قالا: يعود على موسى، والمعنى لا تكن في شك من أن تلقى موسى، أي في ليلة الإسراء، وهذا قول جماعة من السلف. [1]

قال ابن الجوزي: من لقاء موسى ليلة الإِسراء، قاله أبو العالية، ومجاهد، وقتادة، وابن السائب. [2] ونقله القرطبي عن ابن عباس. [3]

قال ابن كثير في (ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ): قال قتادة: يعني به ليلة الإسراء. ثم أورد ابن كثير حديث ابن عباس في ليلة الإسراء. [4] وممن ذكر نحو هذا: الماوردي[5] والسمعاني[6] والزمخشري[7] والشوكاني.[8]

القول الثاني: أن الضمير يعود إلى الكتاب؛ والمعنى: لا تشك في لقاء موسى الكتاب الذي أنزل عليه.

قال السمعاني: (ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ) أي: من لقاء موسى الكتاب، ولقاء موسى الكتاب: تلقيه بالقبول. ذكره الزجاج وغيره. [9]

قال البغوي: قال السدي: (ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ) أي: من تلقي موسى كتاب الله بالرضا والقبول. [10]

قال الزمخشري: قيل: من لقاء موسى عليه السلام الكتاب. أي: من تلقيه له بالرضا والقبول. [1]

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٣٦٤).
(٢) زاد المسير (٦/ ٣٤١).
(٣) تفسير القرطبي (١٤/ ١٠٨).
(٤) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٦٠).
(٥) النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٣٦٦).
(٦) تفسير السمعاني (٤/ ٢٥٢).
(٧) الكشاف (٣/ ٥٢٣).
(٨) فتح القدير (٤/ ٢٥٦).
(٩) تفسير السمعاني (٤/ ٢٥٢).
(١٠) تفسير البغوي (٣/ ٥٠٣).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

قال ابن عطية: قالت فرقة الضمير عائد على (ﭐ ﭑ) أي أنه لقي موسى حين لقيه موسى، والمصدر في هذا التأويل يصح أن يكون مضافاً للفاعل بمعنى لقي الكتاب موسى، ويصح أن يكون مضافاً إلى المفعول بمعنى لقي الكتابَ – بالنصب – موسى.[٢]

ونقل ابن الجوزي عن أبي علي الفارسي قال: المعنى: من لقاء موسى الكتاب، فأضيف المصدر إلى ضمير الكتاب، وفي ذلك مدح له على امتثاله ما أُمر به، وتنبيه على الأخذ بمثل هذا الفعل.[٣] ونقله القرطبي عن مجاهد والزجاج.[٤]

وقال ابن عاشور: يجوز أن يكون ضمير (ﭐﭒ ﭑ) عائداً إلى الكتاب.[٥]

القول الثالث: أن الضمير يعود على الكتاب الذي أنزل على النبي ﷺ. والمعنى: فلا تشك أنت في لقائك الكتاب الذي أنزل عليك.

قال الزمخشري: (ﭐ ﭑ) للجنس والضمير في (ﭐﭒ ﭑ) له. ومعناه: إنا آتينا موسى عليه السلام مثل ما آتيناك من الكتاب، ولقَّيْناه مثل ما لقَّيْناك من الوحي، فلا تكن في شك من أنك لقيت مثله ولقيت نظيره كقوله تعالى: (ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾ ﷿ ﷽ ﷾ ﷿ ﷽ ﷾ ﷿

الأمر الأول:أن ما ذكر من الأقوال لا يخلو من تكلف في التقدير، وأما ما جاء في الصحيحين من إخبار النبي ﷺ بأنه لقي موسى ابن عمران فيعترضه عدة إشكالات:

أولاً: أن هذا الخبر صحيح ولكنه غير صريح في دلالته فليس ثمة رابطة تجمع بين الآية والحديث، ففي ليلة الإسراء والمعراج أخبر النبي ﷺ أنه لقي الأنبياء في السماء الأولى والثانية والثالثة وهكذا،[1] فلم خص موسى في الآية من بين الأنبياء بعدم الامتراء في لقائه ؟.

ثانياً:أن ما أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: (**رَأَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي مُوسَى رَجُلًا آدَمَ طُوَالًا جَعْدًا كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ وَرَأَيْتُ عِيسَى رَجُلًا مَرْبُوعًا مَرْبُوعَ الْخَلْقِ إِلَى الْحُمْرَةِ وَالْبَيَاضِ سَبِطَ الرَّأْسِ وَرَأَيْتُ مَالِكًا خَازِنَ النَّارِ وَالدَّجَّالَ**). فِي آيَاتٍ أَرَاهُنَّ اللهُ إِيَّاهُ (ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ).[2]

فقد بين أهل العلم أن الزيادة التي جاءت في آخر الحديث مدرجة من قول الراوي كما ذكر ذلك أهل التحقيق. قال النووي في شرحه على مسلم:

قَوْله: وَأُرِيَ مَالِكًا خَازِن النَّار وَالدَّجَّال فِي آيَات أَرَاهُنَّ اللهُ إِيَّاهُ (ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ). قَالَ: كَانَ قَتَادَةُ يُفَسِّرهَا أَنَّ نَبِيّ اللهِ ﷺ قَدْ لَقِيَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَام، هَذَا الِاسْتِشْهَاد بِقَوْلِهِ تَعَالَى (ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ) هُوَ مِنْ اِسْتِدْلَال بَعْض الرُّوَاة. وَأَمَّا تَفْسِير قَتَادَةَ فَقَدْ وَافَقَهُ عَلَيْهِ جَمَاعَة مِنْهُمْ مُجَاهِد وَالْكَلْبِيّ وَالسُّدِّيُّ، وَعَلَى مَذْهَبهمْ مَعْنَاهُ فَلَا تَكُنْ فِي شَكٍّ مِنْ لِقَائِك مُوسَى. وَذَهَبَ كَثِيرُونَ مِنْ الْمُحَقِّقِينَ مِنْ الْمُفَسِّرِينَ وَأَصْحَاب الْمَعَانِي إِلَى مَعْنَاهَا فَلَا تَكُنْ فِي شَكّ مِنْ لِقَاء مُوسَى الْكِتَاب وَهَذَا مَذْهَب اِبْن عَبَّاس وَمُقَاتِل وَالزَّجَّاج وَغَيْرهمْ.[3]

وقال في فيض القدير: تمامه عند البخاري في آيات أراهن الله إياه (ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ) اهـ. قيل: وهو من كلام الراوي أدرجه دفعا لاستبعاد السامع بدليل قوله: «إياه» وإلا لقال: «إياي».[4]

---

(١) صحيح البخاري - (٢٣/ ٣٨) صحيح مسلم - (١/ ٣٨٥).

(٢) صحيح البخاري (١١/ ١٦).

(٣) شرح النووي على مسلم (١/ ٢٩٧).

(٤) فيض القدير: (٤/ ١٠).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة :: مع الفهارس) ٥

الأمر الثاني من أسباب الترجيح: أن هذا التفسير جاء عن النبي ﷺ، وإذا جاء التفسير عن النبي ﷺ فحسبك به، والقاعدة تقول: إذا عرف التفسير من جهة النبي ﷺ فلا حاجة إلى قول من بعده.[1] فقد أخرج الهيثمي في مجمع الزوائد عن ابن عباس عن النبي ﷺ في قوله: (ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ). قال: (**جعل موسى هدي لبني إسرائيل**) وفي قوله: (ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ) قال: (**من لقاء موسى ربه** ﷻ). رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.[2]

الأمر الثالث: أن هذا الترجيح هو الموافق لدلائل القرآن، فقد دلت آيات الكتاب على أن الله واعد موسى أربعين ليلة فلما جاء لميقات ربه كلمه الله وكتب له في الألواح من كل شيء موعظة قال الله تعالى: (ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

سيد: وهذا الرأى الأخير الذى عبر عنه الآلوسى - رحمه الله - بقولـه «وقيـل» وهـو فى رأينـا أرجح الآراء، وأقربها إلى الصواب، لبعده عن التكلف.[1]

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

(١) الوسيط لسيد طنطاوي: (١/ ٣٣٨٧).

دكتور/ عبدالحي الفرماوي (كامل الرسالة :: مع الفهارس) 5

الكلام على قوله تعالى: (ڈ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک) [السجدة:٢٥]

وفيها مسألة واحدة وهي: على من يعود الضمير في قوله: (ژ ک) ؟.

قال ابن جزي رحمه الله تعالى:«الضمير: لجميع الخلق. وقيل: لبني إسرائيل خاصة».[١]

والمسألة فيها قولان:

القول الأول: أن الضمير لجميع الخلق.

قال ابن جرير: يقول تعالى ذكره: إن ربك يا محمد هو يفصل بين جميع خلقه يوم القيامة فيما كانوا فيه في الدنيا يختلفون من أمور الدين والبعث والثواب والعقاب، وغير ذلك من أسباب دينهم، فيفرق بينهم بقضاء فاصل بإيجابه لأهل الحقّ الجنة، ولأهل الباطل النار.[٢]

قال الماوردي: يعني بين الأنبياء وبين قومهم، حكاه النقاش[٣] وكذا قال القرطبي[٤] وابن الجوزي.[٥] وذهب ابن عطية إلى أن هذا حكم يعم جميع الخلق. قال: وذهب بعض المتأولين إلى تخصيص الضمير وذلك ضعيف.[٦]

القول الثاني: أن الضمير يعود لبني إسرائيل خاصة.

قال ابن عاشور: وضمير (ڈ ک) في قوله (ڈ ڈ ک) ضمير فصل لقصر الفصل عليه تبارك وتعالى إيماء إلى أن ما يذكر في القرآن من بيان بعض ما اختلفوا فيه على أنبيائهم ليس مطموعاً منه أن يرتدعوا عن اختلافهم وإنما هو للتسجيل عليهم وقطع معذرتهم لأنهم لا يقبلون الحجة فلا يفصل بينهم إلا يوم القيامة.[٧]

---

(١) انظر تفسير ابن جزي: ص(٥٥١).

(٢) تفسير الطبري (٢١/ ١١٣).

(٣) النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٣٦٧).

(٤) تفسير القرطبي (١٤/ ١٠٩).

(٥) زاد المسير (٦/ ٣٤٢).

(٦) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٣٦٥).

(٧) التحرير والتنوير (١١/ ١٨٢).

دكتوراه عبدالعلي الحمدي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

قال الشيخ السعدي: وثَمَّ مسائل اختلف فيها بنو إسرائيل، منهم من أصاب فيها الحق، ومنهم من أخطأه خطأ أو عمدًا، والله تعالى (ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک) وهذا القرآن يقص على بني إسرائيل، بعض الذي يختلفون فيه، فكل خلاف وقع بينهم، ووجد في القرآن تصديق لأحد القولين، فهو الحق، وما عداه مما خالفه، باطل.[1]

المناقشة والترجيح:

والراجح والعلم عند الله تعالى هو القول الأول الذي رجحه ابن جزي رحمه الله جل وعلا، من أن المراد بالضمير عموم الخلق وإنما ترجح ذلك لعدة أمور:

الأمر الأول: أن فصل الله تبارك وتعالى غير خاص ببني إسرائيل وحدهم، بل هو لجميع الخلائق كما قال تعالى: (ٱ ب ب ب ب پ) [الدخان:٤٠] ولما كان ذلك كذلك، كان حمل الآية على الشائع في استعمال القرآن أولى من قصره على معنى خاص من جملة المعاني، والقاعدة تقول: إذا كان في الآية ضمير، يحتمل عوده إلى أكثر من مذكور وأمكن الحمل على الجميع حمل عليه .

الأمر الثاني : أن الكلام في بداية سياق الآية عن بني إسرائيل وختامها جاء بما يكون عاماً بين بني إسرائيل وغيرهم من فصل الله بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون، وذلك لأن القاعدة تقول: إذا كان أول الكلام خاصاً، وآخره بصيغة العموم، فإن خصوص أوله لا يكون مانعاً من عموم آخره. [2]

الأمر الثالث: أن هذا القول هو قول جمهور أهل العلم رحمهم الله تعالى.

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

(١) تفسير السعدي (١/ ٦٥٠).

(٢) انظر: مختصر قواعد التفسير للسبت: ص(١٩).

دكتوراه عبدالعلي العمدي (كامل الرسالة :: مع الفهارس) 5

الكلام على قوله تعالى: (ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ) [السجدة:٢٦]

والآية فيها مسألة واحدة وهي: على من يعود الضمير في قوله: (ﮒ ﮥ).

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: «الضمير في يمشون: لأهل مكة. أي: يمشون في مساكن القوم المهلكين كقوله: (ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ) . وقيل: الضمير للمهلكين أي أهلكناهم وهم يمشون في مساكنهم. **والأول أحسن** لأن فيه حجة على أهل مكة ».[١]

والمسألة فيها قولان:

القول الأول: أن الضمير في «يمشون» لأهل مكة أي: يمشون في مساكن المهلكين.

قال ابن جرير: قوله: (ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ) يقول تعالى ذكره: أولم يُبَيَّن لهم كثرة إهلاكنا القرون الماضية من قبلهم يمشون في بلادهم وأرضهم، كعاد وثمود.

يقول تعالى ذكره: إن في خلاء مساكن القرون الذين أهلكناهم من قبل هؤلاء المكذّبين بآيات الله من قريش من أهلها الذين كانوا سكانها وعمّارها بإهلاكنا إياهم لما كذّبوا رسلنا، وجحدوا بآياتنا، وعبدوا من دون الله آلهة غيره التي يمرّون بها فيعاينونها، لآيات لهم وعظات يتعظون بها، لو كانوا أولي حجا وعقول.[٢]

قال السمعاني: أي يمشي أهل مكة في مساكنهم.[٣]

قال الزمخشري: (ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ) عاد وثمود وقوم لوط (ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ) يعني أهل مكة، يمرون في متاجرهم على ديارهم وبلادهم.[٤] وممن ذكر نحو هذا: ابن عطية[٥] وابن الجوزي[٦]

---

(١) انظر تفسير ابن جزي: ص(٥٥١).

(٢) تفسير الطبري (٢١/ ١١٤).

(٣) تفسير السمعاني (٤/ ٢٥٤).

(٤) الكشاف (٣/ ٥٢٣).

(٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٣٥٧).

(٦) زاد المسير (٦/ ٣٤٤).

دكتوراه عبدالعلي الحمدي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

والقرطبي.[1]

قال ابن كثير: أولم يهد لهؤلاء المكذبين بالرسل ما أهلك الله قبلهم من الأمم الماضية، بتكذيبهم الرسل ومخالفتهم إياهم فيما جاؤوهم به من قويم السبل، فلم يبق منهم باقية ولا عين ولا أثر ؟ (ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ) [مريم:٩٨]ولهذا قال: (ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ) أي: وهؤلاء المكذبون يمشون في مساكن أولئك المكذبين فلا يرون فيها أحدا ممن كان يسكنها ويعمرها، ذهبوا منها، (ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ) [الأعراف:٩٢] كما قال: (ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

الأمر الثاني: أن هذا القول تلتقي فيه منقولات الأخبار مع عبر الأبصار، فأهل مكة يعلمون أخبار الأمم السابقة وأن الله أهلكها لما كذبت رسله، وكون القرآن يدعوهم ليشاهدوا آثار أولئك القوم، ويرون مساكنهم وبيوتهم وهي خاوية لم تسكن من بعدهم إلا قليلاً كما قال الله (□ □ □) [القصص: ٥٨] فإن هذا أبلغ في إقامة الحجة، وبيان المحجة، وحصول العبرة والاتعاظ، خاصة ما كان من ذلك على طريق رحلتهم في الصيف إلى الشام من ديار ثمود وغيرهم، وما كان منها على طريق رحلتهم في الشتاء إلى اليمن من ديار أهل نجران وأصحاب الأخدود وأبرهة الأشرم.

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

(١) انظر: مختصر قواعد التفسير للسبت: ص(٢٦).

الكلام على قوله تعالى: (﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾

وقال الزمخشري: الفتح: النصر، أو الفصل بالحكومة، من قوله: (ک ک ک گ گ) [الأعراف:٨٩] وكان المسلمون يقولون إنّ الله سيفتح لنا على المشركين. ويفتح بيننا وبينهم، فإذا سمع المشركون قالوا: (ۇ ۆ ۆ ۈ) أي في أيّ وقت يكون (ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ) في أنه كائن. و (ې ې ى ى) يوم القيامة وهو يوم الفصل بين المؤمنين وأعدائهم، ويوم نصرهم عليهم.[١]

قال ابن عطية: ثم حكى عن الكفرة أنهم يستفتحون ويستعجلون فصل القضاء بينهم وبين الرسول على معنى الهزء والتكذيب، و (ې ى ى): الحكم، هذا قول جماعة من المفسرين، وهذا أقوى الأقوال. ثم قال عن القول الثاني: وهذا ضعيف، يرده الإخبار بأن الكفرة لا ينفعهم الإيمان.اهـ أي: وقد نفع الطلقاء يوم فتح مكة الإيمان وهم كثير.[٢] وهذا القول هو اختيار ابن الجوزي.[٣]

ونقل القرطبي عن قتادة قال: الفتح القضاء. ثم قال: وأولى من هذا ما قاله مجاهد، قال: يعني يوم القيامة.[٤]

قال ابن كثير: ومَنْ زعم أن المراد من هذا الفتح فتحُ مكة فقد أبعد النَّجْعة، وأخطأ فأفحش، فإن يوم الفتح قد قَبِل رسولُ الله ﷺ إسلام الطلقاء، وقد كانوا قريبًا من ألفين، ولو كان المراد فتح مكة لما قبل إسلامهم؛ لقوله: (ۋ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ) وإنما المراد الفتح الذي هو القضاء والفصل، كقوله تعالى: (ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ) [الشعراء:١١٨] وكقوله: (ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ) [سبأ:٢٦].[٥]

القول الثاني: أن المراد بيوم الفتح يعني فتح مكة. وهو منقول عن الفراء والكلبي ومجاهد والحسن وابن السائب، وابن قتيبة.

---

(١) الكشاف (٣/ ٥٢٤).

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٣٦٦).

(٣) زاد المسير (٦/ ٣٤١).

(٤) تفسير القرطبي (١٤/ ١١١).

(٥) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٦٥).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

وممن ذكره من المفسرين ابن جرير[1] والماوردي[2] والسمعاني[3] والزمخشري[4] وابن عطية[5] ودافع عنه ابن الجوزي بحجج ثم قال بعد ذلك: وهذا القول الذي قد دافعنا عنه ليس بالمختار، وإنما بيَّنَّا وجهه لأنه قد قيل.[6] وحكاه القرطبي عن الفراء والقتبي.[7]

وأما جوابهم عن الاعتراض بقوله تعالى: (ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

قال الأزهري: قال الله تعالى: (ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ) [الأنفال:١٩] أي: إن تستنصروا فقد جاءكم النَّصرُ.

وقال الفرَّاء: قال أبو جهل يوم بدر: اللهم انصر أفضل الدِّينين وأحقه بالنَّصر فقال الله: (ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ) يعني النَّصْر. وقال أبو إسحاق: معناه إن تستنصروا فقد جاءكم النصر. قال: ويجوز أن يكون معناه: إن تستقضوا فقد جاءكم القضاء، وقد جاء في التفسير المعنيان جميعاً. وقول الله جلَّ وعزَّ: (ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾ ﷿ ﷽ ﷾ ﷿ ﷽ ﷾ ﷿

ترجيحات واختيارات ابن جزي الكلبي في تفسيره

سورة الأحزاب

الكلام على قوله تعالى: (ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

قال البغوي: (ٻ ٻ پ پ ڀ) من أهل مكة.يعني: أبا سفيان، وعكرمة، وأبا الأعور. (ٻ ٻ ڀ) من أهل المدينة، عبدالله بن أُبيّ، وعبدالله بن سعد، وطعمة[1] وكذا قال ابن الجوزي[2] والقرطبي.[3]

قال ابن عاشور: (ٻ ٻ پ پ ڀ) وهم النفر القرشيون. (ٻ ٻ ڀ) وهم : عبدالله بن أبّي ومن معه.وهذا الخبر لا سند له ولم يعرج عليه أهل النقد مثل الطبري وابن كثير.[4]

الترجيـــح:

والراجح والعلم عند الله أن العموم هو الصحيح ذلك أن القصة التي تفيد سبب النزول في هؤلاء الأشخاص لا سند لها في كتب التفسير وذكرها الواحدي في أسباب النزول بلا سند، ولم أقف عليها في دواوين السنة، ثم إنه على فرض ثبوت ذلك فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

القصة في: تفسير القرطبي (١٤/ ١١٤)، تفسير البغوي (٣/ ٤٩٦)، تفسير السمرقندي (٣/ ٣٩)، تفسير البغوي (٣/ ٥٠٥).

(١) تفسير البغوي (٣/ ٤٩٦).

(٢) زاد المسير (٦/ ٣٤٦).

(٣) تفسير القرطبي (١٤/ ١١٤).

(٤) تفسير التحرير والتنوير (٢١/ ٢٥١).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

الكلام على قوله تعالى: (ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾ ﷿ ﷽ ﷾ ﷿ ﷽ ﷾ ﷿

وأخرج ابن أبي حاتم عن الحسن قال: كان رجل على عهد رسول الله ﷺ يسمى ذا القلبين كان يقول: لي نفس تأمرني، ونفس تنهاني، فأنزل الله فيه ما تسمعون.وعن السدي: أنها نزلت في رجل من قريش من بني جمح، يقال له: جميل بن معمر.(٢)

قال الماوردي: إن جميل بن معمر ويكنى أبا معمر من بني جُمَح كان أحفظ الناس لما يسمع وكان ذا فهم ودهاء فقالت قريش ما يحفظ جميل ما يحفظ بقلب واحد إن له قلبين فلما كان يوم بدر وهزموا أفلت وفي يديه إحدى نعليه والأخرى في رجليه فلقيه أبو سفيان بشاطىء البحر فاستخبره فأخبره أن قريشا قتلوا وسمى من قتل من أشرافهم، قال له: إنه قد ذهب عقلك فما بال نعليك إحداهما في يدك والأخرى في رجلك ؟ قال: ما كنت أظنها إلا في رجلي فظهر لهم حاله فنزلت فيه الآية، قاله السدي.(٣)

قال ابن عاشور: فنفت الآية زعمهم نفياً عاماً، أي: ما جعل الله لأي رجل من الناس قلبين لا لجميل بن معمر ولا لابن خطل، فوقوع « رجل » وهو نكرة في سياق النفي يقتضي العموم، ووقوع فعل « جعل » في سياق النفي يقتضي العموم لأن الفعل في سياق النفي مثل النكرة في سياق النفي.ودخول « مِن » على « قلبين » للتنصيص على عموم قلبين في جوف رجل فدلت هذه العمومات الثلاثة على انتفاء كل فرد من أفراد الجعل لكل فرد مما يطلق عليه أنه قلبان، عن كل رجل من الناس، فدخل في العموم جميل بن معمر وغيره بحيث لا يدعى ذلك لأحد أيّاً كان.(٤)

القول الثاني: أن هذا من قبيل ضرب المثل، وجعله الله مقدمة لما بعده من النفي.والمعنى: كما لم يجعل الله لرجل من قلبين في جوفه كذلك لم يجعل أزواجكم أمهاتكم ولا أدعياءكم أبناءكم.

---

(١) تفسير الطبري (٢١/ ١١٥)، وابن أبي حاتم ((٩/ ٣١١٢) تفسير القرطبي (١٤/ ١١٦)، تفسير التحرير والتنوير (٢١/ ٢٥٤).

(٢) ابن أبي حاتم ((٩/ ٣١١٢)، وانظر تفسير القرطبي (١٤/ ١١٦).

(٣) النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٣٧٠)، تفسير السمعاني (٤/ ٢٥٣)، وتفسير البغوي (٣/ ٥٠٠)، والكشاف (٣/ ٥٢٨)، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٣٦٨)، وزاد المسير (٦/ ٣٤١).

(٤) تفسير التحرير والتنوير (٢١/ ٢٥٣).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

قال الماوردي: أنه مثل ضربه الله لزيد بن حارثة حين تبناه النبي ﷺ بعد أن أعتقه فلما نزل تحريم التبنّي منع من ادعائه ولداً ونزل فيه (ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ) يقول: ما جعل الله لرجل من أبوين، كذلك لا يكون لزيد أبوين حارثة ومحمد ﷺ قاله مقاتل بن حيان.وفيه إثبات لمذهب الشافعي في نفي الولد عن أبوين ويكون معناه: ما جعل الله لرجل من أبوين.[1]

قال السمعاني: ما جعل الله لرجل أبوين، وقد احتج الشافعي في مسألة القائفة، وقال هذا: لأن زيد بن حارثة كان ينسب إلى النبي ﷺ بالبنوة فقال الله تعالى مَا جَعَلَ اللهُ لِرَجُلٍ أبوين أي: هو ابن حارثة، وليس بابن النبي ﷺ.[2]

قال البغوي: قال الزهري ومقاتل هذا مَثَلٌ ضربه الله ﷻ للمظاهر من امرأته وللمتبني ولد غيره، يقول: فكما لا يكون لرجل قلبان كذلك لا تكون امرأة المظاهر أمَّه حتى تكون أُمَّان، ولا يكون له ولد واحد ابن رجلين.[3]

وممن ذكر نحو هذا من المفسرين: الزمخشري [4] وابن عطية [5] وابن الجوزي [6] والقرطبي والقرطبي ونقله عن النحاس [7] وابن كثيرونقله عن الزهري ومجاهد، وقتادة، وابن زيد.[8]

قال ابن عاشور: والجعل المنفي هنا هو الجعل الجبلي، أي: ما خَلَق الله رجلاً بقلبين في جوفه وقد جعل إبطال هذا الزعم تمهيداً لإبطال ما تواضعوا عليه من جعْل أحدٍ ابناً لمن ليس هو بابنه، ومِن جَعْل امرأة أمّاً لمن هي ليست أمه بطريقة قياس التمثيل، أي أن هؤلاء الذين يختلقون ما ليس في الخلقة لا يتورعُون عن اختلاق ما هو من ذلك القبيل من الأبوة والأمومة،

---

(١) النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٣٧٠).

(٢) تفسير السمعاني (٤/ ٢٥٣).

(٣) تفسير البغوي (٣/ ٥٠٠).

(٤) الكشاف (٣/ ٥٢٨).

(٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٣٦٨).

(٦) زاد المسير (٦/ ٣٤١).

(٧) تفسير القرطبي (١٤/ ١١٦).

(٨) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٦٧).

وتفريعهم كل اختلاقهم جميع آثار الاختلاق، فإن البنوة والأمومة صفتان من أحوال الخلقة وليستا مما يتواضع الناس عليه بالتعاقد مثل الولاء والحلف.[1]

الترجيـــح:

أما القول الأول فلم يثبت أنه كان سبباً في نزول الآية، وأما القول الثاني فضعفه النحاس وقال: لا يصح في اللغة وهو من منقطعات الزهري.[2] وقد روى الطحاوي عن قابوس بن أبي ظبيان أن أباه حدثه قال: قلنا لابن عباس: أرأيت قول الله عز وجل: (ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ) ما عنى بذلك ؟ فقال: « كان نبي الله ﷺ يوما يصلي، فخطر خطرة، فقال المنافقون الذين يصلون معه: ألا ترون أن له قلبين، قلبا معكم، وقلبا معهم ؟ فأنزل الله عز وجل: ﴿ ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ﴾ وهذا القول هو الذي رجحه أبو جعفر الطحاوي، وأبو جعفر النحاس.[3] غير أن الألباني ضعف إسناده.[4]

قلت والراجح والعلم عند الله تعالى أن الآية تدل على أن الله جل وعلا ما خلق في جوف أحد قلبين، سواءً كانت الآية نزلت رداً على جميل معمر وغيره أم لا. كما أنها مقدمة لإثبات نتيجة أراد القرآن تقريرها، وهي إبطال التبني والظهار، وكان أهل الجاهلية يصنعون ذلك. فالآية عامة يدخل فيها كل معنىً صالح تحتمله، إذ لم يثبت تخصيصها بشيء مما ذكر، فتبقى على عمومها. وهذا هو ما تقرره قواعد التفسير كما تقدم من أن اللفظ إذا كان محتملاً لأكثر من معنى فإن الآية تحمل على كل هذه المعاني.

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

(١) تفسير التحرير والتنوير (٢١/ ٢٥٥).

(٢) معاني القرآن (٥/ ٣١٧).

(٣) مشكل الآثار للطحاوي: (٧/ ٤٠٠).

(٤) ضعيف سنن الترمذي: (١/ ٤٠٣).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) 5

الكلام على قوله تعالى: (ٱ ب ب ب پ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٿ ٿ)

والآية فيها مسألة واحدة وهي: ما المقصود بالميثاق المأخوذ على الأنبياء ؟.

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: «هو الميثاق بتبليغ الرسالة والقيام بالشرائع وقيل: هو الميثاق الذي أخذه حين أخرج بني آدم من صلب آدم كالذر **والأول أرجح** لأنه هو المختص بالأنبياء ».[١]

والمسألة فيها قولان:

القول الأول: أن هذا ميثاق تبليغ الرسالة والقيام بالشرائع.

قال الماوردي: أن الميثاق الغليظ: تبليغ الرسالة.[٢]

قال السمعاني: قال أهل التفسير: أخذ عليهم أن يعبدوا الله ويدعوا إلى عبادة الله، ويصدق بعضهم بعضاً، وينصحوا الناس.[٣] وكذا قال البغوي[٤] و ابن الجوزي.[٥]ونقلاه عن مقاتل.وبنحوه قال الزمخشري.[٦] وابن الجوزي.[٧] والقرطبي.[٨]

قال ابن كثير: يقول تعالى مخبرا عن أولي العزم الخمسة، وبقية الأنبياء: أنه أخذ عليهم العهد والميثاق في إقامة دين الله، وإبلاغ رسالته، والتعاون والتناصر والاتفاق، كما قال تعالى: (گ گ گ ں ں ڻ ڻ ڻ ۀ ہ ہ ہ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ

---

(١) التسهيل لابن جزي: ص(٥٥٣).

(٢) النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٣٧٧).

(٣) تفسير السمعاني (٤/ ٢٦١).

(٤) تفسير البغوي (٣/ ٥٠٨).

(٥) زاد المسير (٦/ ٣٥١).

(٦) الكشاف (٣/ ٥٣٣).

(٧) المحرر الوجيز (٥/ ٢٩٣).

(٨) تفسير القرطبي (١٤/ ١٢٧).

ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾ ﷿ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾ ﷿ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾ ﷿

وبتصديق بعضهم بعضاً وبجميع ما تتضمنه النبوة، وروي نحوه عن أبيّ بن كعب.[1]

قال ابن الجوزي: وهذا الميثاق أُخِذ منهم حين أُخرجوا من ظهر آدم كالذَّرِّ. قال أُبيُّ بن كعب: لَمَّا أخذ ميثاق الخَلْق خصَّ النبيِّين بميثاق آخر.[2] وكذا ذكر ابن كثير وقال: هذا قول مجاهد أيضاً.[3]

الترجيـــح:

والراجح والعلم عند الله أن هذا ميثاق خاص بالأنبياء، ومرد القول الثاني للأول، فكما ذكر ابن الجوزي وابن عطية وابن كثير أن الله عندما أخرج من ظهر آدم ذريته كالذر، وأخذ عليهم الميثاق ألست بربكم قالوا بلى، أخذ على الأنبياء ميثاقاً خاصاً.

فتخصيص الأنبياء بميثاق خاص بهم هو الصواب في هذه الآية، وتفسرها آية آل عمران في قولـه تعـالى: (ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

الكلام على قوله تعالى: (ڈ ڈ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ) [الأحزاب: ١٠]

والآية فيها مسألتان:

الأولى: ما معنى: (ڈ گ) و (ژ ژ گ)؟

قال ابن جزي رحمه الله تعالى:« أي حصروا المدينة من أعلاها ومن أسفلها.وقيل معنى من فوقكم: أهل نجد لأن أرضهم فوق المدينة.ومن أسفل منكم: أهل مكة وسائر تهامة ».[١]

والمسألة فيها قولان:

القول الأول: حصروا المدينة من أعلاها ومن أسفلها.

قال ابن عطية: « من فوق وأسفل » هنا إنما يراد به ما يختص ببقعة المدينة، أي نزلت طائفة في أعلى المدينة وطائفة في أسفلها، وهذه عبارة عن الحصر.[٢]

قال ابن الجوزي: أي: مِنْ فوق الوادي ومن أسفله.[٣]

قال ابن عاشور: المراد بـ« فوق » و « أسفل » فوق جهة المدينة وأسفلها.[٤]

القول الثاني: أن الذين جاءوا من فوق: أهل نجد لأن أرضهم فوق المدينة.والذين جاءوا من أسفل: أهل مكة وسائر تهامة.

فروى ابن جرير[٥] وابن أبي حاتم[٦] عن مجاهد (ڈ ڈ ڈ ڈ گ) قال: عيينة بن بدر[٧] في في أهل نجد. (ڈ ژ ژ گ) قال: أبو سفيان.

---

(١) التسهيل لابن جزي: ص(٥٥٤).

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٣٦٧).

(٣) زاد المسير (٦/ ٣٥٤).

(٤) تفسير التحرير والتنوير (٢١/ ٢٨٠).

(٥) تفسير الطبري (٢١/ ١٢٥).

(٦) ابن أبي حاتم (٩/ ٣١١٨).

(٧) هو: عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر بن عمرو بن جوية بالجيم مصغرا ابن لوذان بن ثعلبة بن عدي بن فزارة الفزاري أبو مالك.يقال: كان اسمه حذيفة فلقب عيينة لأنه كان أصابته شجة فجحظت عيناه.قال ابن السكن: له صحبة وكان من المؤلفة ولم يصح له رواية.أسلم قبل الفتح وشهدها وشهد حنينا =

قال الماوردي: قوله تعالى: (ڈ ڈ ڈ ڈ ڳ) يعني من فوق الوادي وهو أعلاه من قبل المشرق، جاء منه عوف بن مالك[1] في بني نضر، وعيينة بن حصن في أهل نجد، وطلحة بن خويلد الأسدي[2] في بني أسد. (ڈ ژ ژ ڳ) يعني من بطن الوادي من قبل المغرب أسفل أي تحتاً من النبي ﷺ جاء منه أبو سفيان بن حرب على أهل مكة، ويزيد بن جحش على قريش.[3] وكذا قال السمعاني.[4] والبغوي[5] والزمخشري[6] وابن عطية.[7] والقرطبي.[8]

الترجيـــح:

الصواب والعلم عند الله أن الآية تحتمل المعنيين جميعاً، ولا تعارض بين القولين فالذين جاءوا من فوق هم أهل نجد والذين جاءوا من أسفل هم أهل مكة، وكان حصارهم للمدينة

والطائف وبعثه النبي ﷺ لبني تميم فسبي بعض بني العنبر ثم كان ممن ارتد في عهد أبي بكر ومال إلى طلحة فبايعه ثم عاد إلى الإسلام. وكان فيه جفاء سكان البوادي. انظر: الإصابة في معرفة الصحابة: (٢/ ٣٣٤).

(١) مالك بن عوف بن سعد بن يربوع بن واثلة بن دهمان بن نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن أبو علي النصري وواثلة في نسبه ضبطت بالمثلثة عند أبي عمر لكنها بالمثناة التحتانية عند بن سعد قال بن إسحاق بعد أن ذكر قصة مالك بن عوف بوفد حنين كان رئيس المشركين يوم حنين ثم اسلم وكان من المؤلفة وصحب ثم شهد القادسية وفتح دمشق انظر: الإصابة في معرفة الصحابة: (٣/ ٤٣).

(٢) هو: طليحة بن خويلد الأسدي الفقعسي؛ كان ممن شهد مع الأحزاب الخندق، ثم قدم على رسول الله ﷺ سنة تسع، ثم ارتد وادعى النبو ة في عهد آبي بكر في بأرض نجد، وكانت له وقائع مع المسلمين، ثم خذله الله فهرب حتى لحق بدمشق ونزل على آل جفنة، ثم اسلم وحسن إسلامه، وقدم مكة حاجاً معتمراً، وخرج إلى الشام مجاهداً، وشهد اليرموك وبعض حروب الفرس. قال ابن سعد: في الطبقة الرابعة، كان يعد بألف فارس لشدته وشجاعته وبصره في الحرب؛ انتهى. واستشهد بنهاوند سنة إحدى وعشرين مع النعمان بن مقرن وعمرو بن معدي كرب الوافي بالوفيات (٥/ ٢٩٩)، وانظر: الإستيعاب في معرفة الأصحاب (١/ ٢٣٤).

(٣) النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٣٧٨).

(٤) تفسير السمعاني (٤/ ٢٦٢).

(٥) تفسير البغوي (٣/ ٥١٥).

(٦) الكشاف (٣/ ٥٣٤).

(٧) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٣٦٧).

(٨) تفسير القرطبي (١٤/ ١٢٩).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

من فوقها ومن أسفلها كل من جهته، وهذا الترجيح هـو الـذي تؤيـده قواعـد التفسـير، فـإن اللفظ إذا احتمل معاني عدة ولم يمتنع إرادة الجميع حمل عليها.

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

دكتوراه عبدالمحسن العمري (كامل الرسالة :: مع الفهارس) 5

المسألة الثانية: هل بلوغ القلوب الحناجر من الخوف حقيقة أم مجاز ؟.

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: «الحناجر : جمع حنجرة وهي الحلق وبلوغ القلب إليها مجاز وهو عبارة عن شدة الخوف.وقيل: بل هي حقيقة لأن الرئة تنتفخ من شدة الخوف فتربو ويرتفع القلب بارتفاعها إلى الحنجرة».[١]

والمسألة فيها قولان:

القول الأول: بلوغ القلب إليها مجاز وهو عبارة عن شدة الخوف.

قال الماوردي: قيل إنه مثل مضروب في شدة الخوف ببلوغ القلوب الحناجر وإن لم تزل عن أماكنها مع بقاء الحياة.[٢]

قال السمعاني: والأصح من المعنى: أن هذا على طريق التمثيل، والعرب تقول: بلغ قلب فلان حنجرته، أي: من الرعب والخوف - والحنجرة حرف الحلقوم - وهو كلمة عبارة عن شدة الخوف.[٣]

قال البغوي: (ک ک ک گ) فزالت عن أماكنها حتى بلغت الحلوق من الفزع، والحَنْجَرة: جوف الحلقوم، وهذا على التمثيل، عبّر به عن شدة الخوف.[٤]

قال الزمخشري: ويجوز أن يكون ذلك مثلاً في اضطراب القلوب ووجيبها وإن لم تبلغ الحناجر حقيقة.[٥]

قال ابن عطية: عبارة عما يجده الهلع من ثوران نفسه وتفرقها شعاعاً ويجد كأن حشوته وقلبه يصعد لينفصل، فليس بلوغ القلوب الحناجر حقيقة بالنقلة بل يشير لذلك وتجيش فيستعار لها بلوغ الحناجر.[٦]

---

(١) التسهيل لابن جزي: ص(٥٥٤).

(٢) النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٣٧٨).

(٣) تفسير السمعاني (٤/ ٢٦٣).

(٤) تفسير البغوي (٣/ ٥١٦).

(٥) الكشاف (٣/ ٥٣٥).

(٦) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٣٦٨).

قال ابن الجوزي: ذهب ابن قتيبة إلى أن المعنى: كادت القلوبُ تبلغ الحُلوقَ من الخوف.[1]

وقال القرطبي: إنه مثل مضروب في شدة الخوف ببلوغ القلوب الحناجر وإن لم تزل عن أماكنها مع بقاء الحياة.[2]

وقال ابن كثير: أي من شدة الخوف والفزع.[3]

قال ابن عاشور: وبلوغ القلوب الحناجر تمثيل لشدة اضطراب القلوب من الفزع والهلع حتى كأنها لاضطرابها تتجاوز مقارّها وترتفع طالبة الخروج من الصدور فإذا بلغت الحناجر لم تستطع تجاوزها من الضيق؛ فشبهت هيئة قلب الهلوع المرعود بهيئة قلبٍ تجاوز موضعه وذهب متصاعداً طالباً الخروج، فالمشبه القلبُ نفسه باعتبار اختلاف الهيئتين.وليس الكلام على الحقيقة، فإن القلوب لا تتجاوز مكانها، وقريبٌ منه قولهم: تنفّس الصُعَداء، وبلغت الروح التراقيَ.[4]

القول الثاني: أن ذلك على وجه الحقيقة لأن الرئة تنتفخ من شدة الخوف فتربو ويرتفع القلب بارتفاعها إلى الحنجرة.

قال ابن جرير: وقوله: (ک ک ک گ) يقول: نبت القلوب عن أماكنها من الرعب والخوف، فبلغت إلى الحناجر.[5]

وروى ابن أبي حاتم عن قتادة في قوله تعالى: (ک ک ک گ) قال: شخصت من مكانها، فلولا أنه ضاق الحلقوم عنها أن تخرج لخرجت.[6]

قال الماوردي: أي زالت عن أماكنها حتى بلغت القلوب الحناجر وهي الحلاقيم

---

(١) زاد المسير (٦/ ٣٥٨).

(٢) تفسير القرطبي (١٤/ ١٤٥).

(٣) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٦٨).

(٤) تفسير التحرير والتنوير (٢١/ ٢٨٠).

(٥) تفسير الطبري (٢١/ ١٣١).

(٦) ابن أبي حاتم ((٩/ ٣١١٩).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

واحدها حنجرة.[1] وكذا قال السمعاني[2] والزمخشري[3] والقرطبي.[4]

الترجيـــح:

والراجح والعلم عند الله أن بلوغ القلوب الحناجر محمول على الحقيقة وليس كما رجحه ابن جزي عليه رحمة الله جل وعلا من أن ذلك محمول على المجاز، فليس في القـرآن مجـاز عـلى الصحيح، وعلى فرض جواز ذلك فإن الحمل على الحقيقة أولى من الحمل على المجاز، وارتفاع القلوب ونبوها من مكانها، بسبب الخوف فتنتفخ الأسحار وترتفع القلوب.[5]

قال الشوكاني: قال الفراء: والمعنى: أنهم جبنوا وجزع أكثرهم، وسبيل الجبان إذا اشـتدّ خوفه أن تنتفخ رئته، فإذا انتفخت الرئة ارتفع القلب إلى الحنجرة، ولهذا يقـال للجبـان انـتفخ سحره.[6]

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

(١) النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٣٧٧).

(٢) تفسير السمعاني (٤/ ٢٦٣).

(٣) الكشاف (٣/ ٥٣٥).

(٤) تفسير القرطبي (١٤/ ١٤٥).

(٥) وانظر بتوسع الكلام على هذه المسألة رسالة شيخ الإسلام بن تيميـة في الحقيقـة والمجـاز ضـمن مجمـوع الفتاوى: (٤/ ٣٣٥)، وبدائع الفوائد لابن القيم في بحث موسع لا نظير له.

(٦) فتح القدير (٤/ ٢٦٤).

دكتوراه عبدالعلي الحمدي (كامل الرسالة .. مع الفهارس) ٥

الكلام على قوله تعالى: (ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ)[الأحزاب:١١]

والآية فيها مسألة واحدة وهي: ما العامل في الظرف «هنالك» ؟.

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: «أي اختبروا، أو أصابهم بلاء.والعامل في الظرف: ابتلى.وقيل: ما قبله ».[١]

والمسألة فيها قولان:

القول الأول: أن العامل في الظرف: «هنالك» هو : «ابتلى».

قال البغوي: (ﮒ ﮓ ﮔ) أي: عند ذلك اختبر المؤمنون.[٢]

قال ابن عطية: وقوله تعالى: (ﮒ ﮔ) ظرف زمان، والعامل فيه (ﮓ ﮔ) ومن قال إن العامل فيه (ﮖ ﮗ) فليس قوله بالقوي لأن البدأة ليست متمكنة.[٣]

قال ابن الجوزي: قوله تعالى: (ﮒ ﮔ) أي: عند ذلك (ﮒ ﮕ ﮔ) أي: اختُبروا بالقتال والحصر ليتبيَّن المُخلِص من المنافق.[٤]

قال القرطبي: (ﮒ ﮔ) يجوز أن يكون العامل فيه «ابتلي»فلا يوقف على «هنالك».وقال أيضاً: يشار به إلى الوقت، أي عند ذلك اختبر المؤمنون ليتبين المخلص من المنافق.[٥] ونقل ابن عاشور قول ابن عطية السابق.[٦]

القول الثاني: أن العامل هو قوله: (ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ).

قال القرطبي: يجوز أن يكون (ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ) فيوقف على (ﮒﮔ).[٧]

---

(١) التسهيل لابن جزي: ص(٥٥٥).

(٢) تفسير البغوي (٣/ ٥١٦).

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٣٧٣).

(٤) زاد المسير (٦/ ٣٥٨).

(٥) تفسير القرطبي (١٤/ ١٤٦).

(٦) تفسير التحرير والتنوير (٢١/ ٢٨٣).

(٧) تفسير القرطبي (١٤/ ١٤٦).

الترجيـــح:

والراجح والعلم عنـد الله تعـالى أن القـول الأول هـو المقـدم، وهـو المناسـب للوقـف والابتداء.فالابتداء بقوله تعالى: (ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ) أجود من الابتـداء بقولـه: (ﮒ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ) كما أن القراء اختلفوا في إثبات ألف «الظنونا» في حالة الوصل، مع إجماعهم على أنها مثبتة في جميع المصاحف، وهذا مما يقوي القول الأول، لأنه لا يستوجب الحذف ولـو عـلى قول بعض الناس.

قال أبو حيان: واختار أبو عبيـد والحـذاق أن يوقـف عـلى هـذه الكلمـة بـالألف، ولا يوصل، فيحذف أو يثبت، لأن حذفها مخالف لمـا اجتمعـت عليـه مصـاحف الأمصـار، ولأن إثباتها في الوصل معدوم في لسان العرب، نظمهم ونثرهم، لا في اضطرار ولا غيره.أما إثباتهـا في الوقف ففيه اتباع الرسم وموافقته لبعض مذاهب العرب، لأنهم يثبتون هذه الألف في قوافي أشعارهم وفي تصاريفها.[1]

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

(١) تفسير البحر المحيط (٧/ ٢٠٧).

الكلام على قوله تعالى: (ﻫ ﻫ ﻫ

قال الماوردي: وحكى النقاش أن هذه الآية نزلت في قبيلتين من الأنصار من بني حارثة وبني سلمة، همّوا أن يتركوا مراكزهم يوم الخندق.[١]

وممن ذكر نحو هذا من المفسرين: السمعاني[٢] والبغوي[٣] وابن عطية[٤] ونقل ابن الجوزي عن عن مجاهد قال: بنو حارثة ابن الحارث بن الخزرج[٥] وكذا قال القرطبي[٦] وابن كثير.[٧]

الترجيـــح:

والراجح والعلم عند الله تعالى أنه لا تعارض بين القولين فمن قال أنهما رجلان من بنـي حارثة فقوله داخل في قول من قال هم بنو حارثة، لأن الجزء داخل في الكل ولعل هؤلاء هـم الذين اعتذروا ووافقهم غيرهم من بني حارثة، وإن كان المتكلم بالاعتذار بعضهم.أو أن منهم من رجع بغير إذن كما ذكر ذلك الضحاك والمستأذن اثنان.

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

(١) النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٣٧٦).

(٢) تفسير السمعاني (٤/ ٢٦٢).

(٣) تفسير البغوي (٣/ ٥١٦).

(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٣٦٨).

(٥) زاد المسير (٦/ ٣٥٢).

(٦) تفسير القرطبي (١٤/ ١٤٨).

(٧) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٦٧).

المسألة الثانية: ما المقصود بقولهم: (ﯷ ﯸ ﯹ).

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: «أي منكشفة للعدو.وقيل: خالية للسراق ».[1]

والمسألة فيها قولان:

القول الأول: أي منكشفة للعدو وقاصية من المدينة لا يؤمن على عورة النساء والصبيان من السبي وهي سائبة وضائعة ليست بحصينة، وهي مما يلي العدو.

ونقل ابن جرير: عن ابن عباس ومجاهد وقتادة قالوا: أي إنها مما يلي العدوّ، وإنا نخاف عليها السرّاق.[2] وممن ذكر نحو هذا من المفسرين: الماوردي ونقله عن قتادة[3] والبغوي[4] والزمخشري[5] وابن عطية[6] وابن الجوزي[7] والقرطبي[8] وابن كثير.[9]

القول الثاني: خالية للسراق.مكشوفة الحيطان نخاف عليها السراق والطلب

روى ابن جرير عن ابن عباس ومجاهد وقتادة في قوله: (ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ) أي: إنها مما يلي العدوّ، وإنا نخاف عليها السرّاق [10]

وممن ذكر نحو هذا من المفسرين:

ابن أبي حاتم عن مجاهد[11] والماوردي[12] والبغوي[13]

---

(١) التسهيل لابن جزي: ص(٥٥٥).

(٢) تفسير الطبري (٢١/ ١٣٥).

(٣) النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٣٧٦).

(٤) تفسير البغوي (٣/ ٥١٦).

(٥) الكشاف (٣/ ٥٣٦).

(٦) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٣٦٨).

(٧) زاد المسير (٦/ ٣٥٢).

(٨) تفسير القرطبي (١٤/ ١٤٨).

(٩) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٦٧).

(١٠) تفسير الطبري (٢١/ ١٣٥).

(١١) ابن أبي حاتم ((٩/ ٣١٢٠).

(١٢) النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٣٧٦).

(١٣) تفسير البغوي (٣/ ٥١٦).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

والزمخشري[1] وابن عطية[2] والقرطبي[3] وابن كثيرونقله عن ابن عباس.[4]

ونقل ابن الجوزي عن ابن قتيبة قال: أي: خاليةٌ، فقد أمْكَن من أراد دخولَها.وأصل العَوْرة: ما ذهب عنه السِّتر والحِفظ، فكأنَّ الرجال سِترٌ وحفظٌ للبيوت، فاذا ذهبوا أعْوَرت البيوتُ، تقول العرب: أَعْوَرَ منزلي: إذا ذهب سِتْرُه، أو سقط جداره، وأعْوَرَ الفارسُ: إذا بان منه موضع خلل للضرب والطعن.[5]

الترجيـــح:

والراجح والعلم عند الله أنه لا تعارض بين القولين فالقولان قول واحد لا فرق بينهما، فقد يكون المعنى أنها منكشفة للعدو، كما يجوز أن تكون خالية للسراق، والآية محتملة للجميع، ومتى انكشف المنزل فهو عرضة للعدو والسراق.وهذا الذي تؤيده قواعد التفسير كما تقدم.

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

(١) الكشاف (٣/ ٥٣٦).

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٣٦٨).

(٣) تفسير القرطبي (١٤/ ١٤٨).

(٤) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٦٧).

(٥) زاد المسير (٦/ ٣٥٢).

الكلام على قوله تعالى: (ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾ ﷿ ﷽ ﷾ ﷿ ﷽ ﷾ ﷿

) [النور:٦٤] أي ما هم عليه هو أقلّ معلوماته سبحانه، وزعم بعضهم أنها في هذه الأمثلة ونحوها للتحقيق.[١] وقال الرضي في شرحه على الكافية بنحو ما قال ابن هشام غير أنه قال: والظاهر أن قد في هذه الآية للتحقيق، كما ذكره غيره.[٢] وتابع السيوطي في ذلك قول ابن هشام.[٣]

الترجيـــح:

والراجح والعلم عند الله تعالى: أن « قد » في كتاب الله تعالى إذا دخلت على المضارع المسند إلى الله تعالى فهي للتحقيق دائماً.كما هو الحال في هذا الموضع.

ومن الأمثلة على هذه القاعدة هذه الآية، وقوله تعالى: (ڳ ڳ ں ں ڻ ڻ ڻ ې) [البقرة: ١٤٤] وقوله تعالى: (ڈ ڈ ژ ژ ڑ ک) [النور:٦٤].

وأما في اللغة فمن المعلوم أن « قد » إذا دخلت على الماضي فهي للتحقيق غالباً وإذا دخلت على المضارع فهي للتشكيك غالباً.[٤]

قال المرادي في الجنى الداني عند كلامه على معاني « قد »: هذا الحرف إذا دخل على الماضي أو المضارع فلا بد فيه من معنى التحقيق...ثم قال: والحاصل أنها تفيد، مع الماضي، أحد ثلاثة معان: التوقع، والتقريب، والتحقيق.ومع المضارع أحد أربعة معان: التوقع، والتقليل، والتحقيق، والتكثير.[٥]

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

(١) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: (١/ ٦٥).

(٢) شرح الرضي على الكافية: (٤/ ٤٤٤).

(٣) الإتقان: (١/ ١٩١)، والبرهان للزركشي ٢/ ٢٣٢).

(٤) انظر: قواعد التفسير للسبت: (١ / ٣٩٥).

(٥) الجنى الداني في حروف المعاني: (١/ ٤٢).

الكلام على قوله تعالى: (ڑ ڑک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ہ ہ ہ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ)

[الأحزاب:١٩]

والآية فيها أربع مسائل:

المسألة الأولى: معنى (ڑ ڑک ڭ).

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: «أشحة جمع شحيح بوزن فعيل، معناه: يشحون بأنفسهم فلا يقاتلون. وقيل: يشحون بأموالهم. وقيل: معناه: أشحة عليكم وقت الحرب أي يشفقون أن يقتلوا».[١]

والمسألة فيها ثلاثة أقوال:

القول الأول: يشحون بأنفسهم فلا يقاتلون.

وممن ذكر هذا القول الماوردي ونقله عن ابن كامل[٢] والسمعاني[٣] وابن عطية[٤] وابن الجوزي[٥] والقرطبي.[٦]

القول الثاني: يشحون بأموالهم.

فروى ابن جرير عن مجاهد في قوله: (ڑ ڑک ڭ) قال: بالخير المنافقون، وقال غيره: معناه: أشحة عليكم بالنفقة على ضعفاء المؤمنين منكم.[٧]

ونقل الماوردي عن قتادة أنه قال: أشحة بالنفقة في سبيل الله.[٨] وكذا ذكر البغوي[٩] وابن عطية.[١٠] وابن الجوزي.[١١]

---

(١) التسهيل لابن جزي: ص(٥٥٦).
(٢) النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٣٧٦).
(٣) تفسير السمعاني (٤/ ٢٦٨).
(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٣٦٧).
(٥) زاد المسير (٦/ ٣٦٥).
(٦) تفسير القرطبي (١٤/ ١٤٥).
(٧) تفسير الطبري (٢١/ ١٣٥).
(٨) النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٣٧٦).
(٩) تفسير البغوي (٣/ ٥١٨).
(١٠) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٣٦٧).
(١١) زاد المسير (٦/ ٣٦٥).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

وقال القرطبي: أي: بخلاء عليكم.أي: بالحفر في الخندق والنفقة في سبيل الله، قاله مجاهد وقتادة.وقال أيضاً: بخلاء بالنفقة على فقرائكم ومساكينكم.[1]

القول الثالث: أشحة عليكم وقت الحرب أي يشفقون أن يقتلوا.

قال الزمخشري: (ڑ ژک ک) في وقت الحرب أضناء بكم يترفرفون عليكم كما يفعل الرجل بالذاب عنه المناضل دونه عند الخوف.[2]

الترجيـــح:

والراجح والعلم عند الله تعالى أنه لا تعارض بين هذه الأقوال، والآية تحتملها جميعاً ولفظها يشمل جميع أنواع الشح، فهم يشحون بالنفقة و بأنفسهم في القتال، ويشحون بالخير كما جاء في آخر الآية.وهذا هو الذي تعضده قواعد التفسير، فإن اللفظ إذا أمكن حمله على أكثر من معنى كان ذلك أولى من قصره على معنى واحد فالقرآن يدل على المعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة كما هو معلوم.وهذا من التنوع لا من التضاد.ولعل سياق الآية وأنها في القتال هو الذي حمل ابن جزي على تقديم القول الأول، والظاهر أنهم يشحون بأنفسهم عند القتال وبأموالهم بعد ذهاب الخوف.ومما يؤيد هذا أن الشح في آخر الآية قيده بالخير وتفسير «الخير»: المال، كما سيأتي في المسألة بعد القادمة.

قال ابن جرير: والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إن الله وصف هؤلاء المنافقين بالجبن والشحّ، ولم يخصص وصفهم من معاني الشحّ، بمعنى دون معنى، فهم كما وصفهم الله به: أشحة على المؤمنين بالغنيمة والخير والنفقة في سبيل الله، على أهل مسكنة المسلمين.[3]

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

(١) تفسير القرطبي (١٤/ ١٤٥).

(٢) الكشاف (٣/ ٥٣٦).

(٣) تفسير الطبري (٢١/ ١٤٠).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

المسألة الثانية: معنى قوله تعالى: في المعنى المراد بقوله: «سلقوكم».

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: « السلق بالألسنة عبارة عن الكلام بكلام مستكره ومعنى حداد: فصحاء قادرين على الكلام.وإذا نصركم الله فزال الخوف رجع المنافقون إلى إذايتكم بالسب وتنقيص الشريعة.**وقيل:** إذا غنمتم طلبوا من الغنائم ﴾.[1]

والمسألة فيها قولان:

القول الأول: أن ذلك عند النصر- وزوال الخوف يتنقص المنافقون الشريعة ويؤذون المؤمنين بألسنتهم.

قال ابن جرير: (ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ) يقول: فإذا انقطعت الحرب واطمأنوا (ﮋ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ).[2] ونقل السمعاني عن الفراء قال: وقعوا فيكم بألسنة سليطة ذربة.[3]

وقال البغوي: (ﮓ ﮔ ﮕ ﮋ ﮖ) آذوكم ورموكم في حال الأمن (ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ) ذربة، جمع حديد.يقال للخطيب الفصيح الذرب اللسان: مسلق ومصلق وسلاق وصلاق.قال ابن عباس: سلقوكم أي: عضدوكم وتناولوكم بالنقص والغيبة[4] وكذا قال ابن عطية [5] وابن الجوزي.[6]

قال ابن عاشور: والسَلْق: قوة الصوت والصياح.والمعنى: رفعوا أصواتهم بالملامة على التعرض لخطر العدوّ الشديد وعدم الانصياع إلى إشارتهم على المسلمين بمسالمة المشركين، وفسر السلق بأذى اللسان.قيل: سأل نافعُ بن الأزرق عبدالله بن عباس عن (ﮋ ﮒ) فقال: الطعن باللسان.فقال نافع: هل تعرف العرب ذلك ؟.فقال: نعم، أما سمعت قول الأعشى: فيهم الخصب والسماحة والنجـ ... ـدة فيهم والخَاطب المِسلاق.[7]

---

(١) التسهيل لابن جزي: ص(٥٥٦).

(٢) تفسير الطبري (٢١/ ١٣٩).

(٣) تفسير السمعاني (٤/ ٢٦٨).

(٤) تفسير البغوي (٣/ ٥١٦).

(٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٣٧٥).

(٦) زاد المسير (٦/ ٣٦٥).

(٧) تفسير التحرير والتنوير (٢١/ ٢٩٨)، وانظر: ديوان الأعشى (١/ ١٤٢).

دكتوراه عبدالعلي الحمدي (كامل الرسالة :: مع الفهارس) 5

القول الثاني: أن ذلك يكون عند الغنيمة، يطلبون منها، ويخاصمونكم عليها.

فروى ابن جرير عن قتادة قال: أما عند الغنيمة، فأشحّ قوم وأسوأ مقاسمة، أعطونا أعطونا فإنا قد شهدنا معكم.[١] وكذا قال الماوردي [٢] والسمعاني [٣] والبغوي[٤] والزمخشري [٥] [٥] وابن عطية [٦]وابن الجوزي[٧] والقرطبي ونقل عن النحاس أنه قال: هذا قول حسن.[٨] وكذا وكذا الحافظ ابن كثير في تفسيره.[٩]

الترجيـــح:

والراجح والعلم عند الله تعالى أنه لا تعارض بين القولين، فهم في حال الخوف يشحون بأنفسهم وأموالهم، وإذا انتهت المعركة وذهب الخوف وجاءت قسمة الغنائم، رأيتهم أشد الناس مخاصمة وجدالاً، وحرصاً عليها، وتعرضوا للمؤمنين بالسب والشتم والتنقص، وخاطبوا المؤمنين أشد المخاطبة وأبلغها في الغنائم.وهذا القول هو الذي تعضده قواعد التفسير وفيه الجمع بين الأقوال.

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

(١) تفسير الطبري (٢١/ ١٣٩).

(٢) النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٣٧٦).

(٣) أبو المظفر السمعاني ((٤/ ٢٦٨).

(٤) تفسير السمعاني (٤/ ٢٦٨).

(٥) الكشاف (٣/ ٥٣٦).

(٦) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٣٧٥).

(٧) زاد المسير (٦/ ٣٦٥).

(٨) تفسير القرطبي (١٤/ ١٤٥).

(٩) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٦٧).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة :: مع الفهارس) ٥

المسألة الثالثة: في معنى الشح في قوله تعالى: (ڈ ۀ ۀ ہ ہ ڭ)

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: «أي: يشحون بفعل الخير. وقيل: يشحون بالمغانم».[1]

والمسألة فيها قولان:

القول الأول: أي يشحون بفعل الخير.

قال ابن كثير: أشحة على الخير، أي: ليس فيهم خير، قد جَمَعُوا الجبن والكذب وقلة الخير، فهم كما قال في أمثالهم الشاعر:

أفي السّلم أعْيَارًا جَفَاءً وغلظَةً وَفي الحَربْ أمْثَالَ النِّسَاء العَوَارِكِ

أي: في حال المسالمة كأنهم الحمير، والأعيار: جمع عير، وهو الحمار. وفي الحرب كأنهم النساء الحُيَّض.[2]

القول الثاني: يشحون بالمغانم.

قال ابن جريرفي قوله تعالى: (ڈ ۀ ۀ ہ ہ ڭ): أشحة على الغنيمة إذا ظفر المؤمنون.[3]

ونقل الماوردي عن يحيى بن سلام قال: أشحة على قسمة الغنيمة.[4]

وكذا قال السمعاني[5] والبغوي[6] والزمخشري[7] وابن الجوزي[8] والقرطبي.[9]

وقال ابن عطية: أشحة على مال الغنائم، وهذا مذهب من قال إن « الخير » في كتاب الله تعالى حيث وقع فهو بمعنى المال.[10]

---

(١) التسهيل لابن جزي: ص(٥٥٦).

(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٦٧).

(٣) تفسير الطبري (٢١/ ١٤٠).

(٤) النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٣٨٦).

(٥) تفسير السمعاني (٤/ ٢٦٣).

(٦) تفسير البغوي (٣/ ٥١٨).

(٧) الكشاف (٣/ ٥٣٥).

(٨) زاد المسير (٦/ ٣٦٥).

(٩) تفسير القرطبي (١٤/ ١٤٥).

(١٠) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٣٧٥).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

الترجيـــح:

والراجح والعلم عند الله تعالى أن هذه صفة المنافقين فلا تعارض بين القولين فهم أشحة في فعل الخير والنفقة على الفقراء والمساكين بالمال، وأشحة في الغنائم عند قسمة الأموال، وقد جاء الخير مفسراً بالمال في مواضع كثيرة من كتاب الله تعالى كما في قوله تعـالى: (ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ) قال مجاهد: المال.وكما في قوله تعالى: (ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ) [العاديات:٨] قال مجاهد وابن زيد: المـال.وكـما في قولـه تعـالى: (ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ) [ص:٣٢] قـال مجاهـد: المال.وكما في قوله تعالى: (ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ) [النور:٣٣] قال مجاهد: المال.وكـما في قولـه تعالى:: (ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ) [هود:٨٤] قال الضحاك: الغني.[١]

وكما في قوله تعالى: (ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ) [البقـرة:٢١٥] فسرـه ابـن جرير بالمال.[٢] وكـما في قولـه تعـالى: (ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ) [فصـلت:٤٩] قـال ابـن جريـر: والخير في هذا الموضـع: المـال وصـحة الجسـم.[٣] وكـما في قولـه تعـالى: (ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ) [المعارج:٢١] قال ابن جرير: إذا كثر ماله.[٤]

وروى ابن جرير عن ابن زيد، في قوله: (ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ)[العاديـات:٨] قـال: الخـير: الدنيا؛ وقرأ: (ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ) [البقـرة:١٨٠] قال: فقلت له: (ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ): المال؟ قـال: نعم، وأي شيء هو إلا المال؟ قال: وعسى أن يكون حراما، ولكن الناس يعدونه خيرا، فسـماه الله خيرا، لأن الناس يسمونه خيرا في الدنيا، وعسى أن يكون خبيثا، وسـمي القتـال في سـبيل الله سـوءا، وقـرأ قـول الله: (ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ)[آل عمـران:١٧٤] قـال: لم يمسسـهم قتال؛ قال: وليس هو عند الله بسوء، ولكن يسمونه سوءا.[٥] والقول في هذه المسألة كالقول في في التي قبلها.

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

(١) انظر: جامع البيان للطبري: (٣ / ٣٩٣ - ٣٩٤).

(٢) نفس المصدر السابق: (٤/ ٢٩٢).

(٣) نفس المصدر السابق: (٢١/ ٤٩٠).

(٤) نفس المصدر السابق: (٢٣/ ٦١١).

(٥) نفس المصدر السابق: (٢٤/ ٥٦٨).

المسألة الرابعة: ما المراد بقوله تعالى: (ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ)

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: «ليس المعنى أنها حبطت بعد ثبوتها وإنما المعنى أنها لم تقبل لأن الإيمان شرط في قبول الأعمال. وقيل: إنهم نافقوا بعد أن آمنوا فالإحباط على هذا حقيقة».[1]

والمسألة فيها قولان:

القول الأول: أنها وقعت محبطة، وذلك لأن الإيمان شرط في قبول الأعمال.

قال الزمخشري: فإن قلت: هل يثبت للمنافق عمل حتى يَرد عليه الإحباط؟ قلت: لا ولكنه تعليم لمن عسى يظن أنّ الإيمان باللسان إيمان وإن لم يواطئه القلب، وأن ما يعمل المنافق من الأعمال يُجزي عليه، فبين أنّ إيمانه ليس بإيمان، وأنّ كل عمل يوجد منه باطل.[2]

قال ابن عطية: (ﮦ ﮧ ﮯ) ولا كمل تصديقهم، وجمهور المفسرين على أن هذه الإشارة إلى منافقين لم يكن لهم قط إيمان، ويكون قوله (ﮪ ﮫ ﮮ) أي: أنها لم تقبل قط، فكانت كالمحبطة.[3]

قال ابن الجوزي: قوله تعالى: (ﮣ ﮤ ﮥ ﮯ) أي: هم وإن أظهروا الإيمان فليسوا بمؤمنين لنفاقهم (ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ) قال مقاتل: أبطلَ جهادهم، لأنه لم يكن في إيمان.[4]

قال القرطبي: (ﮣ ﮤ ﮥ ﮯ) يعني بقلوبهم وإن كان ظاهرهم الإيمان، والمنافق كافر على الحقيقة لوصف الله ﷻ لهم بالكفر. (ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ) أي لم يشبهم عليها، إذ لم يقصدوا وجه الله تعالى بها.[5]

قال ابن عاشور: المعنى: أنهم لا تنفعهم قرباتهم ولا جهادهم.[6]

القول الثاني: أنهم نافقوا بعد أن آمنوا فالإحباط على هذا حقيقة.

---

(١) التسهيل لابن جزي: ص(٥٥٦).
(٢) الكشاف (٣/ ٥٣٥).
(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٣٧٥).
(٤) زاد المسير (٦/ ٣٦٧).
(٥) تفسير القرطبي (١٤/ ١٥٤).
(٦) تفسير التحرير والتنوير (٢١/ ٢٩٣).

فروى ابن جرير عن ابن زيد في قولـه: (ﻫ ﻩ ﻫﻫ ﻛﹼ) قـال: فحـدثني أبي أنـه كـان بدرياً، وأن قوله: (ﻫ ﻩ ﻫﻫ ﻛﹼ) أحبط الله عمله يوم بدر.

وقال أيضاً: يقول: فأذهب الله أجور أعمالهم وأبطلها.وذُكر أن الذي وصف بهذه الصفة كان بدريا، فأحبط الله عمله.[1]

الترجيـــح:

والمتأمل في الآية يعلم أن هؤلاء المنافقين الذين ذكر الله تعالى في هـذه السـورة، يبطنـون الكفر والعداء للمؤمنين ويودون لهم الهزيمة، كما أنهم في السر يكونون مع الكفار كما ذكـر الله في سورة البقرة (ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ) (البقـرة: ١٤) وهؤلاء ما يقع منهم في الظاهر من أعمال تشابه أعمال المؤمنين من صلاة وصيام وأعمال بـر فهي باطلة من حين وقوعها، لأن هذه الأعمال لا تنفع صاحبها عند الله تعالى إلا بعد الإيـمان، فإذا انتفى الإيمان انتفى قبول الأعمال.

وهذه الآية يدخل فيها من كان قد آمن حقيقة ثم تحـول إلى النفـاق والعيـاذ بـالله تعـالى ومات على نفاقه، ومن كان منافقاً من بداية إظهاره للإسلام، فالأول أحبط الله عمله بعد ثبوته وبعد موته، والثاني لم يقبل عمله بالكلية.[2]

وهذا الأمر واضح وبين ولله الحمد فهو من أهم أصول الدين، والله تعالى أعلـم ونسـبة العلم إليه أسلم.

---

(١) تفسير الطبري (٢١/ ١٣٧).

(٢) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (٢/ ١٥١).

الكلام على قوله تعالى: (ﻫ ﻫ ﻫ

القول الثاني: أن سبب التخيير هو طلب أزواجه منه الملابس والنفقات الكثيرة.

قال ابن جرير: [1] هذه الآية نزلت على رسول الله ﷺ من أجل أن عائشة سألت رسول الله ﷺ شيئا من عرض الدنيا، إما زيادة في النفقة، أو غير ذلك...فعن أبي الزبير، أن رسول الله ﷺ لم يخرج صلوات، فقالوا: ما شأنه ؟ فقال عمر: إن شئتم لأعلمنّ لكم شأنه، فأتى النبيّ ﷺ فجعل يتكلم ويرفع صوته، حتى أذن له، قال: فجعلت أقول في نفسي أيّ شيء أكلم به رسول الله ﷺ لعله يضحك، أو كلمة نحوها، فقلت: يا رسول الله، لو رأيت فلانة وسألتني النفقة فصككتها صكة، فقال: ذلكَ حَبَسَنِي عَنكُمْ.قال: فأتى حفصة، فقال: لا تسألي رسول الله ﷺ شيئا ما كانت لك من حاجة فإليّ، ثم تتبع نساء النبيّ ﷺ فجعل يكلمهنّ، فقال لعائشة: أيغرّك أنك امرأة حسناء، وأن زوجك يحبك ؟ لتنتهينَّ، أو لينزلنّ فيك القرآن، قال: فقالت أمّ سلمة: يا ابن الخطَّاب، أوَ ما بقي لك إلا أن تدخل بين رسول الله ﷺ وبين نسائه، ولن تسأل المرأة إلا لزوجها ؟ قال: ونزل القرآن (ﻫ ﻫ ﻫ

قال البغوي: سبب نزول هذه الآية أن نساء النبي ﷺ سألنه شيئا من عرض الدنيا، وطلبن منه زيادة في النفقة.[1] وكذا قال الزمخشري.[2] وابن الجوزي.[3]

وروى ابن عطية: قال ابن الزبير: نزل ذلك بسبب أن رسول الله ﷺ سأله أزواجه النفقة وتشططن في تكليفه منها فوق وسعه، وقالت فرقة بل سبب ذلك أنهن طلبن منه ثياباً وملابس وقالت واحدة: لو كنا عند غير النبي لكان لنا حلي ومتاع.[4] وذكر القرطبي نحوه.[5] وكذا ابن عاشور.[6]

الترجيـــح:

ولا شك في أن سبب نزول هذه الآية ما ثبت في الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: لم أزل حريصا على أن أسأل عمر ﷺ عن المرأتين من أزواج النبي ﷺ اللتين قال الله لهما (ک ک گ گ گ گ گ ڳ ں) [الطلاق]فحججت معه فعدل وعدلت معه بالإداوة فتبرز حتى جاء فسكبت على يديه من الإداوة فتوضأ فقلت يا أمير المؤمنين من المرأتان من أزواج النبي ﷺ اللتان قال الله عز وجل لهما (ک ک گ گ گ گ گ ڳ) فقال واعجبي لك يا ابن عباس عائشة وحفصة ثم استقبل عمر الحديث يسوقه فقال إني كنت وجار لي من الأنصار في بني أمية بن زيد وهي من عوالي المدينة وكنا نتناوب النزول على النبي ﷺ فينزل يوما وأنزل يوما فإذا نزلت جئته من خبر ذلك اليوم من الأمر وغيره وإذا نزل فعل مثله وكنا معشر قريش نغلب النساء فلما قدمنا على الأنصار إذا هم قوم تغلبهم نساؤهم فطفق نساؤنا يأخذن من أدب نساء الأنصار فصحت على امرأتي فراجعتني فأنكرت أن تراجعني فقالت ولم تنكر أن أراجعك فوالله إن أزواج النبي ﷺ ليراجعنه وإن إحداهن لتهجره اليوم حتى الليل فأفزعني فقلت خابت من فعل منهن بعظيم ثم جمعت علي ثيابي

---

(١) تفسير البغوي (٣/ ٥٢٥).

(٢) الكشاف (٣/ ٥٤٢).

(٣) زاد المسير (٦/ ٣٧١).

(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٣٧٨).

(٥) تفسير القرطبي (١٤/ ١٧٠).

(٦) تفسير التحرير والتنوير (١٢/ ١٤).

فدخلت على حفصة فقلت أي حفصة أتغاضب إحداكن رسول الله ﷺ اليوم حتى الليل فقالت نعم. فقلت خابت وخسرت أفتأمن أن يغضب الله لغضب رسوله ﷺ فتهلكين؟. لا تستكثري على رسول الله ﷺ ولا تراجعيه في شيء ولا تهجريه واسأليني ما بدا لك، ولا يغرنك أن كانت جارتك هي أوضأ منك وأحب إلى رسول الله ﷺ يريد عائشة وكنا تحدثنا أن غسان تُنْعِلُ النِّعَالَ لغزونا فنزل صاحبي يوم نوبته فرجع عشاء فضرب بابي ضربا شديدا وقال أنائم هو؟. ففزعت فخرجت إليه وقال حدث أمر عظيم قلت ما هو أجاءت غسان؟. قال لا بل أعظم منه وأطول طلق رسول الله ﷺ نساءه قال قد خابت حفصة وخسرت كنت أظن أن هذا يوشك أن يكون فجمعت علي ثيابي فصليت صلاة الفجر مع النبي ﷺ فدخل مشربة له فاعتزل فيها فدخلت علىَّ حفصة فإذا هي تبكي قلت ما يبكيك أولم أكن حذرتك؟. أطلقكن رسول الله ﷺ ؟.قالت: لا أدري هو ذا في المشربة، فخرجت فجئت المنبر فإذا حوله رهط يبكي بعضهم فجلست معهم قليلا ثم غلبني ما أجد فجئت المشربة التي هو فيها فقلت لغلام له أسود استأذن لعمر فدخل فكلم النبي ﷺ ثم خرج فقال ذكرتك له فصمت فانصرفت حتى جلست مع الرهط الذين عند المنبر ثم غلبني ما أجد فجئت فذكر مثله فجلست مع الرهط الذين عند المنبر ثم غلبني ما أجد فجئت الغلام فقلت استأذن لعمر فذكر مثله فلما وليت منصرفا فإذا الغلام يدعوني قال أذن لك رسول الله ﷺ فدخلت عليه فإذا هو مضطجع على رمال حصير ليس بينه وبينه فراش قد أثر الرمال بجنبه متكئ على وسادة من أدم حشوها ليف فسلمت عليه ثم قلت وأنا قائم: طلقت نساءك ؟. فرفع بصره إلي فقال: لا. ثم قلت وأنا قائم أستأنس: يا رسول الله لو رأيتني وكنا معشر قريش نغلب النساء فلما قدمنا على قوم تغلبهم نساؤهم، فذكره فتبسم النبي ﷺ ثم قلت: لو رأيتني ودخلت على حفصة فقلت لا يغرنك أن كانت جارتك هي أوضأ منك وأحب إلى النبي ﷺ -يريد عائشة- فتبسم أخرى، فجلست حين رأيته تبسم ثم رفعت بصري في بيته فوالله ما رأيت فيه شيئا يرد البصر غير أهبة[1] ثلاثة

---

(١) قال ابن حجر: قوله (غير أَهَبَة ثلاثة): الأَهَبَة بفتح الهمزة والهاء وبضمها أيضا بمعنى الأهب والهاء فيه للمبالغة وهو جمع إهاب على غير قياس، وهو الجلد قبل الدباغ، وقيل هو الجلد مطلقا دبغ أو لم يدبغ، والذي يظهر أن المراد به هنا جلد شرع في دبغه ولم يكمل، لقوله في رواية سماك بن الوليد " فإذا أفيق معلق " والأفيق بوزن عظيم الجلد الذي لم يتم دباغه، فتح الباري لابن حجر (١٤/ ٤٨٢).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

فقلت ادع الله فليوسع على أمتك فإن فارس والروم وسع عليهم وأعطوا الدنيا وهم لا يعبدون الله وكان متكئا فقال : (**أو في شك أنت يا ابن الخطاب أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا**) فقلت يا رسول الله استغفر لي فاعتزل النبي ﷺ من أجل ذلك الحديث حين أفشته حفصة إلى عائشة وكان قد قال ما أنا بداخل عليهن شهرا من شدة موجدته عليهن حين عاتبه الله فلما مضت تسع وعشرون دخل على عائشة فبدأ بها فقالت له عائشة إنك أقسمت أن لا تدخل علينا شهرا وإنا أصبحنا لتسع وعشرين ليلة أعدها عدا فقال النبي ﷺ الشهر تسع وعشرون وكان ذلك الشهر تسعا وعشرين قالت عائشة فأنزلت آية التخيير فبدأ بي أول امرأة فقال إني ذاكر لك أمرا ولا عليك أن لا تعجلي حتى تستأمري أبويك قالت قد أعلم أن أبوي لم يكونا يأمراني بفراقك ثم قال إن الله قال (ﻫ ﻫ ﻫ ﻫ ﻫ) إلى قوله (□ □) قلت أفي هذا أستأمر أبوي فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة ثم خير نساءه فقلن مثل ما قالت عائشة.[1] والقاعدة تقول: القول في الأسباب موقوف على النقل والسماع. ولا يمنع أن يكون سبب غضبه عليهن هو ما وقع بينهن من التغاير في طلب النفقة ونحو ذلك.

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

(١) صحيح البخاري: (٨/ ٣٥٧).

الكلام على قوله تعالى: (ٱ ب ب ب ب ب پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٿ) **والآية فيها مسألة واحدة وهي:** ما المقصود بالرزق الكريم ؟.

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: «يعني الجنة.وقيل: في الدنيا.والأول هو الصحيح».[١]

والمسألة فيها قولان:

القول الأول: أن الرزق الكريم هو رزق الجنة.

قال ابن جرير: وأعتدنا لها في الآخرة عيشا هنيئا في الجنة.ثم روى ذلك عن قتادة قال: (ڀ ڀ ٺ ٺ ٿ) وهي الجنة.[٢] وكذا قال الماوردي.[٣] والسمعاني.[٤] والبغوي.[٥] وابن عطية.[٦] وابن الجوزي.[٧] وقال القرطبي: وأهل التفسير على أن الرزق الكريم الجنة، ذكره النحاس.[٨]

قال ابن كثير: (ڀ ڀ ٺ ٺ ٿ) أي: في الجنة، فإنهن في منازل رسول الله ﷺ في أعلى عليين، فوق منازل جميع الخلائق، في الوسيلة التي هي أقرب منازل الجنة إلى العرش.[٩] وقال ابن عاشور: والرزق الكريم: هو رزق الجنة قال تعالى: (ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ) [البقرة: ٢٥] ووصفه بالكريم لأنه أفضل جنسه.[١٠]

القول الثاني: أن ذلك في الدنيا.

---

(١) التسهيل لابن جزي: ص(٥٦٠).
(٢) تفسير الطبري (٢١/ ١).
(٣) النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٣٩٨).
(٤) تفسير السمعاني (٤/ ٢٧٢).
(٥) تفسير البغوي (٣/ ٥٢٦).
(٦) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٣٧٧).
(٧) زاد المسير (٦/ ٣٧٤).
(٨) تفسير القرطبي (١٤/ ١٧٦).
(٩) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٨٣).
(١٠) تفسير التحرير والتنوير (٢٢/ ١٧).

قال الماوردي: (ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ) في الدنيا، لكونه واسعاً حلالاً.[1]

قال ابن عطية: يجوز أن يكون في ذلك وعد دنياوي، أي أن رزقها في الدنيا على الله، وهو كريم من حيث ذلك هو حلال وقصد ويرضى من الله في نيله.[2]

الترجيـــح:

والراجح والعلم عند الله تعالى هو القول الأول كما رجحه ابن جزي وذلك لعدة أمور:

الأمر الأول: أن هذا هو الذي يؤيده سبب النزول وواقع حـال أزواج النبـي ﷺ.فـإنهن طلبن التوسعة في النفقة واشتكين ضيق العيش مع رسول الله ﷺ ونزول التخيير بعد ذلك.

الأمر الثاني: أن مدلول قوله:«أعتدنا» يقتضي أن ذلك في الجنـة ولـيس في الـدنيا. فهـذا يكون في الأمر المقبل أما لو كان في الدنيا لقال «نرزقها» أو «نؤتيها».

الأمر الثالث: أن هذا هو قول جمهور المفسرين فهو المقدم.

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

(١) النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٣٩٨).

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٣٧٧).

الكلام على قوله تعالى: (ذ ث ث ث ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ)

والآية فيها مسألة واحدة وهي: ما المقصود بالمرض هنا ؟

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: «أي فجور وميل للنساء.وقيل: هو النفاق، وهذا بعيد في هذا الموضع».[١]

والمسألة فيها قولان:

القول الأول: أن المراد بالمرض هو الفجور والشهوة والميل للنساء.

روى ابن جرير عن قتادة في قوله تعالى: (ڤ ڤ ڤ ڤ ڄ) قال: قال عكرمة: شهوة الزنا.[٢] وكذا رواه ابن أبي حاتم.[٣] والسمعاني.[٤] وحكاه الماوردي عن عكرمة والسدي.[٥] وكذا قال البغوي.[٦] والزمخشري.[٧] وابن الجوزي.[٨]

وقال ابن عطية: وهذا أصوب.وليس للنفاق مدخل في هذه الآية.[٩] وكذا قال القرطبي.[١٠]

القول الثاني: أن المراد بالمرض: النفاق.

فروى ابن جرير عن قتادة قال: نفاق.[١] وكذا ذكر السمعاني.[٢] والبغوي.[٣] وابن عطية.[٤] والماوردي وقال: وكان أكثر من تصيبه الحدود في زمان النبي ﷺ المنافقون.[٥]

---

(١) التسهيل لابن جزي: ص(٥٦٠).
(٢) تفسير الطبري (٢١/ ١٥٥).
(٣) ابن أبي حاتم (٩/ ٣١٣٠).
(٤) تفسير السمعاني (٤/ ٢٧٩).
(٥) النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٣٩٩).
(٦) تفسير البغوي (٣/ ٥٢٧).
(٧) الكشاف (٣/ ٥٤٤).
(٨) زاد المسير (٦/ ٣٧٥).
(٩) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٣٩٩).
(١٠) تفسير القرطبي (١٤/ ١٧٥).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

وقال ابن الجوزي: المعنى: لا تَقُلْنَ قولاً يجد به منافق أو فاجر سبيلاً إلى موافقتكن له.[٦] ونقل القرطبي عن قتادة والسدي: أي شك ونفاق.[٧]

الترجيـــح:

والراجح والعلم عند الله تعالى: أن القلب يكون فيه من النفاق بقدر ما يكـون فيـه مـن الفسق، وكلما زاد فسق العبد كلما زاد فيه النفاق حتـى يطغـى عليـه والعيـاذ بـالله، ولـذا فـإن الفسوق يفضي إلى الكفر والعياذ بالله تعالى وقد جاء عن بعض السلف أن المعاصي بريد الكفر، وهذه طريقة الشيطان في إغواء الإنسان فأول ما يأتيه بالصغائر ثم إلى الكبائر وهكذا.

إذا علم هذا تبين لك أن بين القولين تلازم واضح فيصـح حينئـذٍ حملهـا عـلى القـولين، ويعضد هذا أن أكثر من كانت تصيبهم الحدود عـلى عهـد رسـول الله ﷺ المنـافقون، ومـرض القلب بالشهوة والعياذ بالله هو سبب الوقوع في الحدود نسأل الله العافية والسلامة.لكن القول الأول يدخل في الآية دخولاً أولياً، وذلك لدلالة السـياق، والقاعـدة في هـذا الشـأن معروفـة تقدم الكلام عليها كثيراً.

---

(١) تفسير الطبري (٢١/ ١٥٥).

(٢) تفسير السمعاني (٤/ ٢٧٩).

(٣) تفسير البغوي (٣/ ٥٢٦).

(٤) المحرر الوجيز (٥/ ٣٠٦).

(٥) النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٣٩٩).

(٦) زاد المسير (٦/ ٣٧٩).

(٧) تفسير القرطبي (١٤/ ١٧٥).

الكلام على قوله تعالى: (ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ)

والآية فيها ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: ما معنى (ﭺ ﮐ) على القراءتين.

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: «قرئ بكسر القاف. ويحتمل وجهين: أن يكون من الوقار. أو من القرار في الموضع ثم حذفت الراء الواحدة كما حذفت اللام في ظلت. وأما القراءة بالفتح فمن القرار في الموضع على لغة من يقول قررت بالكسر أقر بالفتح والمشهور في اللغة عكس ذلك. وقيل: هي من قار يقار إذا اجتمع، ومعنى القرار أرجح لأن سودة < قيل لها لم لا تخرجين ؟. فقالت: أمرنا الله بأن نقر في بيوتنا.[1] وكانت عائشة إذا قرأت هذه الآية تبكي على خروجها أيام الجمل، وحينئذ قال لها عمار إن الله أمرك أن تقري في بيتك[2] ».[3]

والآية فيها قراءتان:

فأما القراءة بكسر القاف. فهي قراءة ابن كثير، وأبي عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي[4] وفي توجيهها وجهان:

الوجه الأول: أن يكون من الوقار.

قال ابن جرير: قرأ ذلك عامة قراء الكوفة والبصرة: ﴿ وَقِرْنَ ﴾ بكسر القاف، بمعنى: كن أهل وقار وسكينة في بيوتكن. وهذه القراءة وهي الكسر في القاف أولى عندنا بالصواب. لأن ذلك إن كان من الوقار على ما اخترنا، فلا شك أن القراءة بكسر القاف؛ لأنه يقال: وقر فلان في منزله؛ فهو يقر وقورا، فتكسر القاف في تفعل، فإذا أمر منه قيل: قِر كما يقال من وزن: يزِن زِن. ومن وعد: يعِد عِد.[5]

---

(١) لم أقف عليه إلا عند القرطبي (١٤/ ١٨١).

(٢) نفس المصدر السابق.

(٣) التسهيل لابن جزي: ص(٥٦٠).

(٤) انظر: حجة القراءات لابن زنجلة: ص(٥٧٧)، وشرح الهداية للمهدوي: (٢/ ٤٧٦).

(٥) تفسير الطبري (٢١/ ٣).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

قال البغوي: مَن كَسَر القاف - وهم غير أهل المدينة وعاصم -...قيل: -وهو الأصح- أنه أمر من الوقار، كقولهم من الوعد: عِدن، ومن الوصل: صِلن، أي: كُنَّ أهل وقار وسكون، من قولهم وقر فلان يقر وقورًا إذا سكن واطمأن.[1] وكذا قال الزمخشري.[2] وابن عطية.[3] وابن الجوزي - ونقله عن ابن قتيبة -[4] والقرطبي.[5] ونقل ابن عاشور الوجهين.[6]

وأما الوجه الثاني: فهو من القرار.

قال ابن جرير: وإن كان من القرار، فإن الوجه أن يقال: اقررن. لأن من قال من العرب: ظلت أفعل كذا، وأحست بكذا، فأسقط عين الفعل، وحول حركتها إلى فائه في فعل وفعلنا وفعلتم، لم يفعل ذلك في الأمر والنهي، فلا يقول: ظل قائما ولا تظل قائما، فليس الذي اعتل به من اعتل لصحة القراءة بفتح القاف في ذلك يقول العرب في ظللت وأحسست: ظلت وأحست، بعلة توجب صحته لما وصفت من العلة، وقد حكى بعضهم عن بعض الأعراب سماعا منه: ينحطن من الجبل، وهو يريد: ينحططن، فإن يكن ذلك صحيحا، فهو أقرب إلى أن يكون حجة لأهل هذه القراءة من الحجة الأخرى.[7]

قال البغوي: من كسر القاف - وهم غير أهل المدينة وعاصم - فقد قيل: هو من قررت أقر، معناه اقررن -بكسر الراء- فحذفت الأولى ونقلت حركتها إلى القاف كما ذكرنا.[8] وذكر ابن عاشور عن المبرد في قراءة الكسر أنه قال: هو من القرار، أصله: اقرِرن بكسر الراء الأولى فحذفت تخفيفاً، وألقيت حركتها على القاف كما قالوا: ظَلْت ومَسْت.[9]

---

(١) تفسير البغوي (٣/ ٥٢٨).
(٢) الكشاف (٣/ ٥٤٥).
(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٣٧٧).
(٤) زاد المسير (٦/ ٣٧٩).
(٥) تفسير القرطبي (١٤/ ١٧٥).
(٦) تفسير التحرير والتنوير (٢٢/ ١٠).
(٧) تفسير الطبري (٢١/ ١٥٩).
(٨) تفسير البغوي (٣/ ٥٢٨).
(٩) تفسير التحرير والتنوير (٢٢/ ١٠).

وبهذا يتبين لنا أن قراءة الكسر تحتمل المعنيين: الوقار والقرار غير أن معنى الوقار يدخل فيها دخولاً أولياً وهو المقدم كما رجح ذلك ابن جرير عليه رحمة الله تعالى والبغوي. والله تعالى أعلم.

وأما القراءة بفتح القاف. فهي قراءة نافع وعاصم.[1] وفي توجيهها وجهان:

الوجه الأول: أنه من القرار.

قال ابن جرير: (ج ج ح) فقرأته عامة قراء المدينة وبعض الكوفيين : (وَقَرْنَ) بفتح القاف، بمعنى: واقررن في بيوتكن، وكأن من قرأ ذلك كذلك حذف الراء الأولى من اقررن، وهي مفتوحة، ثم نقلها إلى القاف، كما قيل ﴿ فظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴾ [الواقعة:٦٥] وهو يريد : فظللتم، فأسقطت اللام الأولى وهي مكسورة، ثم نقلت كسرتها إلى الظاء[2] وكذا ذكر البغوي.[3] والزمخشري.[4] وابن الجوزي.[5] وابن عطية.[6] والقرطبي وقال: روي أن عمارا قال قال لعائشة < : إن الله قد أمرك أن تقري في منزلك، فقالت: يا أبا اليقظان، ما زلت قوالا بالحق ! فقال: الحمد لله الذي جعلني كذلك على لسانك.[7]

وقال ابن عاشور: قرأ نافع وعاصم وأبو جعفر بفتح القاف. وَوَجَّهَهَا أبو عبيدة عن الكسائي والفراء والزجاج بأنها لغة أهل الحجاز في قَرّ بمعنى: أقام واستقرّ، يقولون: قَرِرت في المكان بكسر الراء من باب عَلم فيجيء مضارعه بفتح الراء فأصل قَرْن اقْرَرْن فحذفت الراء الأولى للتخفيف من التضعيف وألقيت حركتها على القاف نظير قولهم: أَحَسْنَ بمعنى أَحْسَسْنَ في قول أبي زُبيد:

---

(١) انظر: حجة القراءات لابن زنجلة: ص(٥٧٧)، وشرح الهداية للمهدوي: (٢/ ٤٧٦).

(٢) تفسير الطبري (٢١/ ٣).

(٣) تفسير البغوي (٣/ ٥٢٨).

(٤) الكشاف (٣/ ٥٤٥).

(٥) زاد المسير (٦/ ٣٧٩).

(٦) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٣٧٧).

(٧) تفسير القرطبي (١٤/ ١٧٥).

سوى أن الجياد من المطايا أَحَسْن به فهُن إليه شُوس[1]

الوجه الثاني: من قار يقار إذا اجتمع.

وذكر الزمخشري عن أبي الفتح الهمداني أنه ذكر وجهاً آخر في توجيه قراءة الفتح فقال: قار يقار: إذا اجتمع. ومنه. القارة، لاجتماعها، ألا ترى إلى قول عضل بن الديش[2]: اجتمعوا فكونوا قارة.[3]

الترجيح:

والمتأمل في هذه التوجيهات يجد أنها داخلة كلها في مراد الآية، فالآية أمرت أزواج النبي ﷺ بالقرار في بيوتهن، وهذا المعنى الذي رجحه ابن جزي عليه رحمة الله تعالى، وهو داخل في الأية دخولاً أولياً لورود هذا التفسير عن أصحاب النبي ﷺ؛ كما أنها أمرتهن بالوقار، وهو الطمأنينة والسكون قال في مختار الصحاح: والوَقَار: بالفتح الحِلْم والرَّزَانة وقد وَقَر الرجل يقِر بالكسر وقَاراً وقِرةَ بوزن عِدَةٍ فهو وَقُور ومنه قولُه تعالى ﴿ وقِرْنَ في بُيُوتكُنّ ﴾ بالكسر. ومَنْ قَرَأَ وقَرْن بالفتح فهو من القَرَار.[4] وهذه الحال لا تكون إلا مع كمال العقل وهو المناسب لحال أزواج النبي ﷺ فهن أكمل النساء كما قال الله تعالى: (ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ڃ).

---

(١) تفسير التحرير والتنوير (٢٢/ ١٠).

(٢) في المطبوع: عضل والديش والصواب ما أثبته. والقارة: قال أبو عبيد: هم بنو الديش بن مليح بن هون بن خزيمة ابن مدركة. انظر: نهاية الأرب في معرفة الأنساب العرب (١/ ٥٦)، وقال ابن الكلبي: والقارة من ولد الهون بن خزيمة. وهم من ولد عضل بن الديش. انظر: أنساب الأشراف (١/ ٣٣). وقال القلقشندي: وكان للديش من الولد عضل والأيسر. انظر: نهاية الأرب في معرفة الأنساب العرب (١/ ٢٠). وفي لسان العرب وتاج العروس ما يوافق المطبوع غير أني لم أجد ما يوافقه في كتب الأنساب. انظر لسان العرب (٥/ ١٢١)، وتاج العروس (١/ ٣٤٣٠). وإنما سموا القارة لأن يعمر بن عوف الشداخ أراد أن يفرقهم في بطون بني كنانة، فقال رجل منهم: دعونا قارة لا تنفرونا. فنجفل مثل إجفال الظليم. فسموا: القارة. انظر: الأنساب للسمعاني (٤/ ٤٢٥).

(٣) الكشاف (٣/ ٥٤٥).

(٤) مختار الصحاح (١/ ٣٤٦).

دكتوراه عبدالعلي الحمدي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

ثم إن أصل هذه المادة يدل على الرزانة والثقل وعدم الخفة والثبات في المكان وملازمته، فتقول: استوقرت الإبل شحماً إذا أثقلها السمن.وأوقره الدين.وبِأُذْنه وَقْر: ثقل.ورجال وقر: رزان.ويقال: قر في مجلسك.ووقّرته توقيراً إذا بجلته، ولم تستخفّ به.[1]

وقد جاءت أحاديث كثيرة فيها الأمر بالقرار في البيوت للنساء، وأن هذا من أفضل الأعمال حتى إنه ليعدل الجهاد في سبيل الله تعالى فمن ذلك ما رواه أبو الأحوص، عن عبدالله، عن النبي ﷺ قال: (**إن المرأة عورة، فإذا خرجت استشرفها الشيطان، وأقرب ما تكون من وجه ربها وهي في قَعْر بيتها**). [2]

وما أخرجه الحاكم في مستدركه عن عمرة بنت عبدالرحمن قالت: لما سار علي إلى البصرة دخل على أم سلمة زوج النبي ﷺ يودعها فقالت: « سر في حفظ الله وفي كنفه: فوالله إنك لعلى الحق، والحق معك: ولولا أني أكره أن أعصى الله ورسوله: فإنه أمرنا ﷺ أن نقر في بيوتنا لسرت معك: ولكن والله لأرسلن معك من هو أفضل عندي وأعز علي من نفسي ابني عمر » وقال: صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه »[3] وقد ذكر الحافظ بن كثير جملة من الأحاديث في هذا الباب عند كلامه على هذه الآية.

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

(١) انظر: العين للخليل بن أحمد: (١/ ٤١٠)، والمخصص لابن سيده (٢/ ٤٨١)، وأساس البلاغة للزمخشري: (٢/ ٢٤).

(٢) الحديث: صحيح. أخرجه الترمذي في سننه (٤/ ٤٠٦)، وقال: هذا حديث حسن غريب وقال الألباني في السلسلة الصحيحة ٦/ ٤٢٤: وهذا إسناد صحيح، رجاله كلهم ثقات.

(٣) االمستدرك على الصحيحين للحاكم: (١٠/ ٤١٨).

المسألة الثانية: ما المراد بقوله تعالى: (ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ) قال ابن جزي رحمه الله تعالى: «أي مثل ما كان نساء الجاهلية يفعلن من الانكشاف والتعرض للنظر وجعلها أُولَى بالنظر إلى حال الإسلام.وقيل: الجاهلية الأولى ما بين آدم ونوح.وقيل: ما بين موسى وعيسى».[1]

والمسألة فيها ثلاثة أقوال:

القول الأول: أن الجاهلية الأولى هي: ما بين عيسى ومحمد ﷺ.

روى ابن جرير عن عامر قال: الجاهلية الأولى: ما بين عيسى ومحمد عليهما السلام...وقال: وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره نهى نساء النبي أن يتبرجن تبرج الجاهلية الأولى، وجائز أن يكون ذلك ما بين آدم وعيسى، فيكون معنى ذلك: ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى التي قبل الإسلام.[2]

قال البغوي: قال قتادة: هي ما قبل الإسلام.وقال الشعبي: هي ما بين عيسى ومحمد ﷺ.[3] وكذا ذكر ابن الجوزي: ونقله عن الشعبي.[4] والماوردي ونقله عن الشعبي وابن أبي نجيح.[5]

وقال ابن عطية: والذي يظهر عندي أنه أشار إلى الجاهلية التي لحقنها فأمرن بالنقلة عن سيرتهن فيها وهي ما كان قبل الشرع من سيرة الكفرة لأنهم كانوا لا غيرة عندهم فكان أمر النساء دون حجبة وجعلها أولى بالإضافة إلى حالة الإسلام، وليس المعنى أن ثم جاهلية أخرى، وقد مر اسم الجاهلية على تلك المدة التي قبيل الإسلام فقالوا جاهلي في الشعراء، وقال ابن عباس في البخاري سمعت أبي في الجاهلية.[6]

واستحسن الشوكاني كلام ابن عطية وقال: ويمكن أن يراد بالجاهلية الأخرى ما يقع في الإسلام من التشبه بأهل الجاهلية بقول أو فعل، فيكون المعنى: ولا تبرّجن أيها المسلمات بعد

---

(١) التسهيل لابن جزي: ص(٥٦٠).
(٢) تفسير الطبري (٢١/ ١٥٧).
(٣) تفسير البغوي (٣/ ٥٢٨).
(٤) زاد المسير (٦/ ٣٨٠).
(٥) النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٤٠٠).
(٦) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١/ ٥٢٣).

دكتوراه عبدالعلي الحمدي (كامل الرسالة :: مع الفهارس) ٥

إسلامكنّ تبرّجاً مثل تبرّج أهل الجاهلية التي كنتنّ عليها، وكان عليها من قبلكنّ أي لا تحدثن بأفعالكنّ وأقوالكنّ جاهلية تشابه الجاهلية التي كانت من قبل.[1]

قال ابن عاشور: (ﭽ ﮎ) المدة التي كانت عليها العرب قبل الإسلام، وتأنيثها لتأويلها بالمُدة.والجاهلية نسبة إلى الجاهل لأن الناس الذين عاشوا فيها كانوا جاهلين بالله وبالشرائع، وقد تقدم عند قوله تعالى: (ﮋ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ) [آل عمران:١٥٤].ووصفُها بالأولى وصف كاشف لأنها أولى قبل الإسلام، وجاء الإِسلام بعدها فهو كقوله تعالى: (ﮋ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

القول الثالث: أن هذه الجاهلية ما بين موسى وعيسى. وذكره القرطبي عن فرقة.[٢]

الترجيـــح: والراجح والعلم عند الله تعالى هو ما رجحه ابن جزي عليه رحمة الله مـن أن المراد بذلك هو الجاهلية التي تسبق الإسلام، وإنما ترجح هذا القول لعدة أمور:

الأمر الأول: أن ما ذكره ابـن جريـر عـن الحكـم في القـول الثـاني يحتـاج إلى خـبر عـن معصوم، فانتفى.وأما القول الثالث: فالجواب عنه أنه لا وجه لتخصيص الجاهليـة التـي بـين موسى وعيسى عن غيرها من الجاهليات والتي مرت على البشرية من لـدن آدم عليـه السـلام ومنها ما ورد الخبر فيها صحيحاً من أن الشياطين اجتالتهم عن الحق كما في الصحيح.فلم يبـق إلا القول الأول.

الأمر الثـاني: أن الجاهليـة المعهـودة في أذهـان السـامعين، هـي الجاهليـة التـي سـبقت الإسلام، وجرى العرف عليها بين أهل اللسان العربي فـإن القاعـدة تقـول: تحمـل نصـوص الكتاب على معهود الأميين في الخطاب. [٣] وهذا هو الإطلاق الذي عليـه أصـحاب النبـي ﷺ وقت نزول القرآن.

قال الدكتور سعدي حبيب في القاموس الفقهي: الجاهلية: مـا كـان عليـه العـرب قبـل الإسلام من الجهالة والضلالة. وفي القرآن الكريم: (ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾ ﷿ ﷽ ﷾ ﷿ ﷽ ﷾ ﷿

المسألة الثالثة: من المراد بأهل البيت في الآية ؟.

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: «وأهل بيت النبي ﷺ هم أزواجه وذريته وأقاربه كالعباس وعلي وكل من حرمت عليه الصدقة.وقيل: المراد هنا أزواجه خاصة والبيت على هذا : المسكن، وهذا ضعيف، لأن الخطاب بالتذكير ولو أراد ذلك لقال عنكن.وروي أن النبي ﷺ قال نزلت هذه الآية في خمسة في ولد علي وفاطمة والحسن والحسين[1] ».[2]

والمسألة فيها ثلاثة أقوال:

القول الأول: أن أهل البيت هم أزواجه وذريته وأقاربه كالعباس وعلي وكل من حرمت عليه الصدقة.وهو مروي عن زيد بن أرقم والضحاك.

ودليل هذا القول: ما أخرجه مسلم في صحيحه أن زيد بن أرقم قال: قام رسول الله ﷺ يوما فينا خطيبا بماء يدعى: خماً[3] بين مكة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكَّر ثم قال : (**أما بعد ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به**) فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال: (**وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي**) فقال له حصين ومن أهل بيته يا زيد أليس نساؤه من أهل بيته؟. **قال: نساؤه من أهل بيته** ولكن أهل بيته من حُرِم الصدقة بعده قال ومن هم قال هم: آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس. قال: كل هؤلاء حُرم الصدقة ؟. قال: نعم.

وساق الإمام مسلم أيضاً في رواية أخرى وفيها: فقلنا: مِن أهل بيته نساؤه ؟.قال لا وأيم الله إن المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر ثم يطلقها فترجع إلى أبيها وقومها؛ أهل بيته أصله وعصبته الذين حرموا الصدقة بعده.[4]

---

(١) سيأتي تخريج الحديث في : (ص : ٢٢٢) عند الكلام على القول الثالث .

(٢) التسهيل لابن جزي: ص(٥٦١).

(٣) قال الحازمي : خمُ : واد بين مكة والمدينة عند الجحفة به غدير عنده خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا الوادي موصوف بكثرة الوَخامة.وقال عرام : ودون الجحفة على ميل من غدير خم ووادية يصب في البحر لا نبت فيه غير المرخ والثمام والإراك والعُشَر.انظر: معجم البلدان :(٢ / ١٧٩)

(٤) أخرجه مسلم في فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه : (٤/ ١٨٧٣) برقم : (٢٤٠٨) .

دكتوراه عبدالعلي الحمدي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

ونقل الماوردي عن الضحاك:أنها في الأهل والأزواج.[1]ورجحه السمعاني وقال: الآية عامة في الكل، وهذا أحسن الأقاويل، فآله قد دخلوا في الآية، ونساؤه قد دخلن في الآية.[2]

قال ابن عطية:والذي يظهر لي أن زوجاته لا يخرجن عن ذلك البتة، فأهل البيت زوجاته وبنته وبنوها وزوجها، وهذه الآية تقضي أن الزوجات من أهل البيت لأن الآية فيهن والمخاطبة لهن.[3]

وقال الثعلبي: قيل هم بنو هاشم فهذا على أن البيت يراد به بيت النسب، فيكون العباس وأعمامه وبنو أعمامه منهم وروي نحوه عن زيد بن أرقم ﷺ.[4] ونقل نحوه القرطبي.[5] وابن الجوزي -ونقله عن الضحاك-.وقال: وحكى الزجاج أنهم نساء رسول الله ﷺ والرجال الذين هم آله؛ قال: واللغة تدل على أنها للنساء والرجال جميعاً، لقوله: (ڑ ک) بالميم.ولو كانت للنساء، لم يجز إلاَّ «عنكنّ» و «يُطهركنّ».[6]

قال ابن كثير: فإن كان المراد أنهن كُنّ سبب النزول دون غيرهن فصحيح، وإن أريد أنهن المراد فقط دون غيرهن، ففي هذا نظر؛ فإنه قد وردت أحاديث تدل على أن المراد أعم من ذلك. ثم ذكر الحافظ بن كثير الحديثين الذين أخرجهما الإمام مسلم وسبق ذكرها في أول المسألة عن زيد بن أرقم ﷺ وعلق على الرواية الثانية بقوله: هكذا وقع في هذه الرواية، والأولى أولى، والأخذ بها أحرى.وهذه الثانية تحتمل أنه أراد تفسير الأهل المذكورين في الحديث الذي رواه، إنما المراد بهم آله الذين حُرموا الصدقة، أو أنه ليس المراد بالأهل الأزواج فقط، بل هم مع آله، وهذا الاحتمال أرجح؛ جمعا بينها وبين الرواية التي قبلها، وجمعا أيضا بين القرآن والأحاديث المتقدمة إن صحت، فإن في بعض أسانيدها نظرًا، والله أعلم.[7] ثم الذي لا يشك

---

(١) النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٣٩٧).

(٢) تفسير السمعاني (٤/ ٢٨١). وانظر: تفسير البغوي (٣/ ٥٢٩).

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٣٧٧).

(٤) الحديث: صحيح أخرجه سنن الترمذي (١٠/ ٤٩٤) مسند أحمد (٥٣/ ٤٦٢)، والحديث صححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي: (٨/ ٣٧١).

(٥) تفسير القرطبي (١٤/ ١٨٢).

(٦) زاد المسير (٦/ ٣٨١).

(٧) فمن هذه الأحاديث: ما روي عن أنس بن مالك ﷺ، قال: إن رسول الله ﷺ كان يمر بباب فاطمة ستة =

فيه من تَدَبَّر القرآن أن نساء النبي ﷺ داخلات في قولـه تعـالى: (ڈ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک) فإن سياق الكلام معهن.[1]

القول الثـاني: أنهم أزواجه خاصة والبيت على هـذا: المسـكن.وهـو قـول ابـن عبـاس وعكرمة ومقاتل وابن السائب و عطاء.

فروى ابن جرير في تفسيره أن عكرمة كـان ينـادي في السـوق (ڈ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک) قال: نزلت في نساء النبي ﷺ خاصة.[2] وأخرج ابن أبي حاتم: عـن ابـن عباس وعكرمة أنها نزلت في أزواج النبي ﷺ خاصة.[3]وكان عكرمة يقول: من شاء باهلته أنها نزلت في أزواج النبي ﷺ.[4]

وكذا ذكر الماوردي.[5] والسمعاني.[6] والبغـوي.[7] والزمخشـري.[8] والقرطبـي [9] وابـن عطية.[10]

وذكر ابن الجوزي اعتراضاً على أرباب هذا القول، وهو أن جمع المؤنَّث بـالنون، فكيـف قيل: (ژ ک) (ک ک) ؟. فالجواب أن رسول الله ﷺ فيهنَّ، فغلّب المذكَّر.[11]

=

أشهر إذا خرج إلى صلاة الفجر يقول: (الصلاة يا أهل البيت) ﴿ إِنَّمَا يُرِيـدُ اللهُ لِيُـذْهِبَ عَـنْكُمُ الـرِّجْسَ أَهْـلَ الْبَيْـتِ وَيُطَهِّـرَكُمْ تَطْهِـيرًا ﴾. وهـو ضـعيف. أخرجـه الترمـذي في سـننه (١٠/ ٤٩٥)، وأحمـد: (٢٧/ ٢٧٨) وابن أبي شيبة: (٧/ ٥٢٧) وقال الألباني في ضعيف سنن الترمذي (٧/ ٢٠٦): ضعيف.

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٧٧).

(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ٦).

(٣) ابن أبي حاتم ((٩/ ٣١٣٢).

(٤) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٧٧).

(٥) النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٣٩٧).

(٦) تفسير السمعاني (٤/ ٢٧٥).

(٧) تفسير البغوي (٣/ ٥٢٨).

(٨) الكشاف (٣/ ٥٤٦).

(٩) تفسير القرطبي (١٤/ ١٨٢).

(١٠) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٣٧٧).

(١١) زاد المسير (٦/ ٣٨١).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

قال القرطبي: يحتمل أن يكون خرج على لفظ الأهل، كما يقول الرجل لصاحبه: كيف أهلك؟. أي: أمرأتك ونساؤك. فيقول: هم بخير، قال الله تعالى: (ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ) [هود: ٧٣].[١]

قال ابن كثير: وقوله: (ڈ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک) نص في دخول أزواج النبي ﷺ في أهل البيت هاهنا؛ لأنهن سبب نزول هذه الآية، وسبب النزول داخل فيه قولاً واحداً، إما وحده على قول، أو مع غيره على الصحيح.[٢]

قال ابن عاشور: (ڈ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک). متصل بما قبله إذ هو تعليل لما تضمنته الآيات السابقة من أمر ونهي ابتداء من قوله تعالى: (□ □ □ □ □ ى) [الأحزاب: ٣٠] الآية. فإن موقع «إنما» يفيد ربط ما بعدها بما قبلها لأن حرف «إنَّ» جزء من «إنما» وحرف «إن» من شأنه أن يغني غناء فاء التسبب كما بينه الشيخ عبدالقاهر، فالمعنى أمَركن الله بما أمر ونَهاكُنّ عما نهى لأنه أراد لكُنّ تخلية عن النقائص والتحْلية بالكمالات. وهذا التعليل وقع معترضاً بين الأوامر والنواهي المتعاطفة. والتعريف في (ک ک) تعريف العهد وهو بيت النبي ﷺ وبيوت النبي عليه الصلاة والسلام كثيرة فالمراد بالبيت هنا بيت كل واحدة من أزواج النبي ﷺ وكل بيت من تلك البيوت أهله النبي ﷺ وزوجه صاحبة ذلك، ولذلك جاء بعده قوله: (گ گ گ گ گ ڻ) [الأحزاب: ٣٤] وضميرَا الخطاب موجهان إلى نساء النبي ﷺ على سَنن الضمائر التي تقدمت. وإنما جيء بالضميرين بصيغة جمع المذكر على طريقة التغليب لاعتبار النبي ﷺ في هذا الخطاب لأنه رب كل بيت من بيوتهن وهو حاضر هذا الخطاب إذ هو مبلغه. وفي هذا التغليب إيماء إلى أن هذا التطهير لهنّ لأجل مقام النبي ﷺ لتكون قريناته مشابهات له في الزكاء والكمال، كما قال الله تعالى: (و و □) [النور: ٢٦] يعني أزواج النبي للنبي ﷺ وهو نظير قوله في قصة إبراهيم: (ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ) [هود: ٧٣] والمخاطب زوج إبراهيم وهو معها.[٣]

---

(١) تفسير القرطبي (١٤/ ١٨٢).

(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٨٤).

(٣) تفسير التحرير والتنوير (٢٢/ ١٤).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

القول الثالث: أن هذه الآية نزلت في خمسة في ولد علي وفاطمة والحسن والحسين. وهو مروي عن أبي سعيد الخدري. وأنس وعائشة وأم سلمة وجماعة كثيرة من التابعين منهم مجاهد وقتادة والكلبي. وعمدة هذا القول ما روي عن عائشة قالت: خرج النبي ﷺ ذات غداة، وعليه مرط مرجل من شعر أسود، فجاء الحسن، فأدخله معه ثم قال: (ڈ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک).[1]

وما روي عن أَبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: (**نزلَت هَذِهِ الآيَةُ فِي خَمْسَةٍ: فِيَّ وَفِي عَلِيٍّ ﷺ وَحَسَنٍ ﷺ وَحُسَيْنٍ ﷺ وَفَاطِمَةَ** ﷺ). (ڈ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک).[2]

وما روي عن أنس أن النبي ﷺ كان يمر ببيت فاطمة ستة أشهر، كلما خرج إلى الصلاة فيقول: (**الصَّلاةَ أَهْلَ الْبَيْتِ**) (ڈ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک).[3]

وما روي عن أم سلمة أن النبي ﷺ جلل على الحسن والحسين وعلي وفاطمة كساء ثم قال: (**اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا**) فقالت أم سلمة: وأنا معهم يا رسول الله. قال: (**إنك إلى خير**).[4]

---

(١) الحديث: صحيح أخرجه مسلم في صحيحه (١٢/ ١٦٤)، وانظر: تفسير الطبري (٢٢/ ٦)، وتفسير البغوي (٣/ ٥٢٨).

(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ٦)، وابن أبي حاتم ((٩/ ٣١٣١) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٨٤ الدر المنثور: (٨/ ١٥٩)، وقال في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: (٤/ ١٦٢): رواه البزار وفيه بكير ين يحيى بن زبان وهو ضعيف. وروى عن أبي سعيد الخدري: أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً فعدهم في يده فقال خمسة رسول الله ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين وقال أبو سعيد في بيت أم سلمة نزلت هذه الآية. رواه الطبراني في الأوسط وفيه عطية وهو ضعيف. مجمع الزوائد: (٤/ ١٦٣).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده: (٢٧/ ٢٧٨)، والترمذي في سننه: (١٠/ ٤٩٥)، وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه إنما نعرفه من حديث حماد بن سلمة وقال الألباني: ضعيف. انظر: ضعيف سنن الترمذي (٧/ ٢٠٦)، والروض النضير (٩٧٦ و١١٩٠). وانظر: تفسير الطبري (٢٠/ ٢٦٣).

(٤) أخرجه الترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح وهو أحسن شيء روي في هذا الباب وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٨/ ٣٧١).

دكتوراه عبدالعلي الحمدي (كامل الرسالة :: مع الفهارس) ٥

واحتجوا بأن الخطاب في الآية بالميم ولو كان للنساء خاصة لكان «عنكن» و «يطهركن».[1] وممن ذكر نحو ذلك من المفسرين: الماوردي[2] والسمعاني[3] والبغوي[4] وابن عطية[5] وابن الجوزي[6] والقرطبي.[7]

الترجيح:

والراجح والعلم عند الله تعالى هو ما رجحه ابن جزي من أن أهل بيت النبي ﷺ هم أزواجه وذريته وأقاربه كالعباس وعلي وكل من حرمت عليه الصدقة.

فأما من خص أهل البيت بمن دخلوا مع النبي ﷺ في الكساء فلا وجه له، وهو خلاف ما عليه جمهور السلف من المتقدمين والمتأخرين وذلك لعدة أمور:

الأمر الأول: أن سياق الآيات من بدايتها إلى نهايتها في أزواج النبي ﷺ، فكيف تكون بداية الآية (ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

الأمر الثاني: أن ما احتجوا به من أن ضمائر الخطاب في الآية جاءت مذكرة ولو كان أزواج النبي ﷺ داخلات فيها لجاء الضمير بالتأنيث فجوابه كما قال الشيخ الأمين رحمه الله من وجهين:

الأول: أن الآية الكريمة شاملة لهن ولعلي والحسن والحسين وفاطمة، وقد أجمع أهل اللسان العربي على تغليب الذكور على الإناث في الجموع ونحوها، كما هو معلوم في محله.

الثاني: أن من أساليب اللغة العربية التي نزل بها القرآن أن زوجة الرجل يطلق عليها اسم الأهل، وباعتبار لفظ الأهل تخاطب مخاطبة الجمع المذكر، ومنه قوله تعالى في موسى: (ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ) [طه:١٠].وقوله: (ڑ ک) [النمل:٧] وقوله: (ﯗ ﯘ ﯙ) [طه:١٠]. والمخاطب امرأته كما قاله غير واحد.[١]

الأمر الثالث: أن من المتفق عليه بلا نزاع أن سبب نزول الآية هو أزواج النبي ﷺ فإذا علم هذا وجب التسليم بأن سبب النزول غير خارج عن الآية كما هو مقرر في الأصول قال الشيخ الأمين: وقد أجمع جمهور علماء الأصول على أن صورة سبب النزول قطعية الدخول، فلا يصح إخراجها بمخصص.[٢]

الأمر الرابع: أن ما ذكروه من الاستدلال بحديث الكساء وأنه يدل على أن زوجات النبي ﷺ غير داخلات فهذا يجيب عنه شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله تعالى فيقول: وحديث الكساء يدل على أن عليا وفاطمة وحسنا وحسينا أحق بالدخول في أهل البيت من غيرهم.كما أن قوله في المسجد المؤسس على التقوى: (**هو مسجدي هذا**).[٣] يدل على أنه أحق بذلك وأن مسجد قباء أيضا مؤسس على التقوى؛ كما دل عليه نزول الآية وسياقها وكما أن أزواجه

---

(١) أضواء البيان (٦/ ٢٢٩).

(٢) أضواء البيان (٦/ ٢٢٩).

(٣) والحديث أخرجه الترمذي في سننه (٥/ ٢٨٠ من حديث أبي سعيد الخدري أنه قال تمارى رجلان في المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم فقال رجل: هو مسجد قباء. وقال الآخر: هو مسجد رسول الله ﷺ. فقال رسول الله ﷺ: (هو مسجدي هذا). قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح غريب. وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي: (٧/ ٩٩).

داخلات في آله وأهل بيته كما دل عليه نزول الآية وسياقها وقد تبين أن دخول أزواجه في آل بيته أصح.[1]

إذا تقرر هذا فإن خلاصة الكلام: أن أزواج النبي ﷺ دخلن في الآية لأن سبب النزول كان في حقهن، وسياق الآية لهن، فكان دخولهن في الآية مقطوع به.

وأن عَلِيّاً ﷺ وَحَسَناً ﷺ وَحُسَيْناً ﷺ وَفَاطِمَةَ رضي الله عنها يدخلون في الآية بنص رسول الله ﷺ في حديث الكساء دخولاً أولياً.

وأن آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس والذين حرمت عليهم الصدقة من آل بيت النبي داخلون في عموم الآية لأن آل الرجل هم الذين يؤول إليهم ويرجع إليهم ولما روى مسلم في صحيحه في حديث غدير خم وقد سبق ذكره أن النبي ﷺ قال: (**أذكركم الله في أهل بيتي**) فقال حصين: ومن أهل بيته يا زيد ؟ أليس نساؤه من أهل بيته ؟.قال نساؤه من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده.قال ومن هم ؟.قال هم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس قال كل هؤلاء حرم الصدقة قال نعم.

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية: (٥/ ٢٠٩).

الكلام على قوله تعالى: (ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ)

والآية فيها مسألتان:

المسألة الأولى: ما المراد بقوله تعالى: (ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ).

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: «الذي أخفاه رسول الله ﷺ أمر جائز مباح لا إثم فيه ولا عتب، ولكنه خاف أن يسلط الله عليه ألسنتهم وينالوا منه، فأخفاه حياء وحشمة وصيانة لعرضه، وذلك أنه روي أن النبي ﷺ كان حريصا على أن يطلق زيد زينب ليتزوجها هو ﷺ لقرابتها منه ولحسبها فقال: أمسك عليك زوجك، وهو يخفي الحرص عليها خوفا من كلام الناس، لئلا يقولوا: تزوج امرأة ابنه؛ إذ كان قد تبناه. فالذي أخفاه ﷺ: هو إرادة تزوجها فأبدى الله ذلك، بأن قضى له بتزويجها، فقالت عائشة: لو كان رسول الله ﷺ كاتما شيئاً من الوحي لكتم هذه الآية لشدتها عليه. وقيل: إن الله كان أوحى إلى رسول الله ﷺ أن يتزوج زينب بعد طلاق زيد فالذي أخفاه رسول الله ﷺ ما أعلمه الله به من ذلك».[1]

والمسألة فيها قولان:

القول الأول: أنه أخفى إرادة الزواج من زينب امرأة زيد.

قال ابن جرير: تخفي في نفسك إن فارقها تزوجتها.عن قتادة: قال: وكان يخفي في نفسه ودَّ أنه طلقها.[2] وممن ذكر هذا من المفسرين: الماوردي[1] والسمعاني[2] والبغوي[3] وابن الجوزي.[4]

---

(١) التسهيل لابن جزي: ص(٥٦٢).

(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ١٣ مجمع الزوائد: (٧/ ٩١)، وأخرج الطبري عن ابن زيد: كان النبي ﷺ قد زوج زيد بن حارثة زينب بنت جحش، ابنة عمته، فخرج رسول الله ﷺ يومًا يريده وعلى الباب ستر من شعر، فرفعت الريح الستر فانكشف، وهي في حجرتها حاسرة، فوقع إعجابها في قلب النبي ﷺ فلما وقع ذلك كرِّهت إلى الآخر، فجاء فقال: يا رسول الله إني أريد أن أفارق صاحبتي، قال: ما ذاك، أرابك منها شيء؟ قال: لا والله ما رابني منها شيء يا رسول الله، ولا رأيت إلا خيرًا، فقال له رسول الله ﷺ: أمسك عليك زوجك واتق الله، فذلك قول الله تعالى: {وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ =

وأخرج الطبراني عن ابن جريج، في قوله: (ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ) في نفس رسول الله ﷺ ما فيها من حبه طلاقه إياها، ونكاحه إياها، فأبى الله إلا أن يخبر بالذي أخفى النبي ﷺ في نفسه.[٥]

القول الثاني: أن ما أخفاه هو ما أوحاه الله إليه من أن زيداً سيطلق زوجته وأن الله سيزوجه إياها.وهو قول علي بن الحسين والحسن و الزهري والسُّدِّي.

وعمدة هذا القول ما أخرجه ابن أبي حاتم بسنده عن علي بن زيد بن جدعان قال: سألني علي بن الحسين: ما يقول الحسن في قوله: (ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ) ؟ فذكرت له فقال: لا، ولكن الله أعلم نبيه أنها ستكون من أزواجه قبل أن يتزوجها، فلما أتاه زيد يشكوها إليه قال: اتق الله، وأمسك عليك زوجك.فقال: قد أخبرتك أني مزوجها وتخفي في نفسك ما الله مبديه.[٦]

= زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ} تخفي في نفسك إن فارقها تزوجتها. تفسير الطبري (٢٢/ ١٣ قال القرطبي: فأما ما روي أن النبي ﷺ هوي زينب امرأة زيد وربما أطلق بعض المجان لفظ: «عشق» فهذا إنما يصدر عن جاهل بعصمة النبي ﷺ عن مثل هذا، أو مستخف بحرمته. قال النحاس: قال بعض العلماء: ليس هذا من النبي ﷺ خطيئة، ألا ترى أنه لم يؤمر بالتوبة ولا بالاستغفار منه. وقد يكون الشئ ليس بخطيئة إلا أن غيره أحسن منه، وأخفى ذلك في نفسه خشية أن يفتتن الناس. تفسير القرطبي: (١٤/ ١٩٠) قال ابن كثير: وذكر ابن جرير، وابن أبي حاتم ههنا آثارًا عن بعض السلف، رضي الله عنهم، أحببنا أن نضرب عنها صفَحا لعدم صحتها فلا نوردها. وقد روى الإمام أحمد هاهنا أيضا حديثًا، من رواية حماد بن زيد، عن ثابت، عن أنس فيه غرابة تركنا سياقه أيضا. تفسير ابن كثير (٣/ ٤٩٢).

(١) النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٤٠٦).

(٢) تفسير السمعاني (٤/ ٢٨٦).

(٣) تفسير البغوي (٣/ ٥٣١).

(٤) زاد المسير (٦/ ٣٨١).

(٥) المعجم الكبير للطبراني (١٧/ ٢٩٢).

(٦) ابن أبي حاتم ((٩/ ٣١٣٥)، وتفسير الطبري (٢٢/ ٦).

دكتوراه عبدالعلي المسدي (كامل الرسالة :: مع الفهارس) ٥

وذكر هذا الماوردي وعزاه إلى الحسن.[1] وقال السمعاني: وهذا القول هو الأولى وأليق بعصمة الأنبياء.[2] وعزاه ابن الجوزي إلى علي بن الحسين.[3]

وهو ترجيح القرطبي فقال: وهذا هو الذي أخفى في نفسه، ولم يرد أن يأمره بالطلاق لمَّا علم أنه سيتزوجها، وخشي رسول الله ﷺ أن يلحقه قول من الناس في أن يتزوج زينب بعد زيد، وهو مولاه، وقد أمره بطلاقها، فعاتبه الله تعالى على هذا القدر من أن خشي الناس في شيء قد أباحه الله له، بأن قال (ﭽ ﭾ) مع علمه بأنه يطلق.قال علماؤنا رحمة الله عليهم: وهذا القول أحسن ما قيل في تأويل هذه الآية، وهو الذي عليه أهل التحقيق من المفسرين والعلماء الراسخين، كالزهري والقاضي بكر بن العلاء القشيري، والقاضي أبي بكر بن العربي وغيرهم.[4] وهو ترجيح ابن كثير وقال رُوي عن السُّدِّي أنه قال نحو ذلك.[5]

قال ابن عاشور:واعلم أن المأثور الصحيح في هذه الحادثة أن زيد بن حارثة بقيت عنده زينب سنين فلم تلد له، فكان إذا جرى بينه وبينها ما يجري بين الزوجين تارة من خلاف أدلت عليه بسؤددها وغضّت منه بولايته فلما تكرّر ذلك عزم على أن يطلقها وجاء يُعلم رسول الله ﷺ بعزمه على ذلك لأنه تزوجها من عنده.[6]

الترجيح:

والراجح والصحيح هو القول الثاني وليس كما رجحه ابن جزي عليه رحمة الله. وأن الأمر الذي أخفاه النبي ﷺ في نفسه وعاتبه الله عليه هو معرفته بأن زيداً يطلق زوجته ويتزوجها من بعده بتزويج الله له إياها من فوق سبع سموات، فخشي النبي ﷺ أن يأمره بطلاقها ثم يتزوجها بعده، فربما تحدث الناس بقالة سوء في حق النبي ﷺ وأنه إنما أمره بطلاق

---

(١) النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٤٠٦).

(٢) تفسير السمعاني (٤/ ٢٨٦).

(٣) زاد المسير (٦/ ٣٨١).

(٤) تفسير القرطبي (١٤/ ١٩٠).

(٥) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٩٠).

(٦) تفسير التحرير والتنوير (٢٢/ ٣١).

زينب ليتزوجها من بعده، أو أنه تزوج امرأة ابنه من التبني، وإنما كان هذا القول هو الراجح لعدة أمور:

الأمر الأول: أنه قول جمهور أهل العلم من المفسرين وغيرهم.

الأمر الثاني: أن هذا هو الأليق بمقام النبي ﷺ، فليس من الأدب مع النبي ﷺ أن يقال في حقه مثل هذا، خاصة مع عدم وجود الدليل الصريح الصحيح. وهذا بإجماع أصحاب الفطر السليمة أن الرجل لا ينبغي له أن يتطلع إلى امرأة غيره ما دامت في عصمته حتى يطلقها، وأما التعريض فمحرم.

الأمر الثالث: أن الخبر الصحيح الثابت عن أنس قال جاء زيد بن حارثة يشكو فجعل النبي ﷺ يقول: (**اتق الله وأمسك عليك زوجك**) قال أنس لو كان رسول الله ﷺ كاتما شيئا لكتم هذه قال فكانت زينب تفخر على أزواج النبي ﷺ تقول زوجكن أهاليكن وزوجني الله تعالى من فوق سبع سموات.[1] فثبت أن تزويجه من الله ولم يثبت أنه ﷺ كان يهوى تطليق زيد لزينب. ولكنه ﷺ كان في نفسه إن طلقها زيد يتزوجها.

الأمر الرابع: أن الله تعالى قال: (ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ) وهذا يبين أن ما أخفاه النبي ﷺ في نفسه قد أبداه الله للناس، وهو ما بينه الله من أن الابن بالتبني ليس بابن في الحقيقة وقد بينه قبل ذلك في بداية السورة بقوله (ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

أو يكون كما ذكر شيخ الإسلام أنه أخفى إعلام الله له أنه يتزوج زينب فيكون الذي أبداه الله للناس هو زواجه من زينب، وليس رغبته في تطليق زيدٍ لها.[1]

الأمر الخامس: أن ما ذكر عن قتادة وابن جريج من أنه كان يخفى رغبته في تطليق زيد لزينب، حديث عما في قلب النبي ﷺ ولا سبيل إلى ذلك إلا بمنطوق من النبي ﷺ أو إخبار عن ذلك في القرآن، فلما لم يوجد ذلك تبين أن القول الثاني هو الصواب.

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

(١) انظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية: (٣٢/ ١٥٠).

المسألة الثانية: ما المراد بالوطر في قوله: (ڈ ڈ ڈ ڈ ڈ ڳ)

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: «والوطر: الحاجة. قال ابن عطية: ويراد به هنا: الجماع. والأحسن أن يكون أعم من ذلك أي: لما لم يبق لزيد فيها حاجة، زوجها الله من نبيه ﷺ».[1]

والمسألة فيها قولان:

القول الأول: الوطر: هو الحاجة والأرب.أي: لما فَرَغ منها، وفارقها، وانقضت عدتها زَوّجناكها.

قال ابن جرير: قوله: (ڈ ڈ ڈ ڈ ژ ڳ) يقول تعالى ذكره: فلما قضى زيد بن حارثة من زينب حاجته، وهي الوطر.[2] وكذا قال الماوردي -ونقله عن مقاتل-.[3] والسمعاني.[4] والبغوي.[5]

قال الزمخشري: إذا بلغ البالغ حاجته من شيء له فيه همة قيل: قضى منه وطره.والمعنى: فلما لم يبق لزيد فيها حاجة، وتقاصرت عنها همته، وطابت عنها نفسه، وطلقها، وانقضت عدّتها.[6] وكذا قال ابن الجوزي -وحكاه عن الزجاج-[7] والقرطبي.[8] وابن كثير.[9] وابن عاشور.[10]

القول الثاني: أن المراد بالوطر: الجماع.

---

(١) التسهيل لابن جزي: ص(٥٦٣).
(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ١٤).
(٣) النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٤٠٦).
(٤) تفسير السمعاني (٤/ ٢٨٨).
(٥) تفسير البغوي (٣/ ٥٣٢).
(٦) الكشاف (٣/ ٥٥٢).
(٧) زاد المسير (٦/ ٣٩٠).
(٨) تفسير القرطبي (١٤/ ١٩٤).
(٩) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٩٢).
(١٠) تفسير التحرير والتنوير (٢٢/ ٣٨).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

قال ابن عطية: الوطر: الحاجة والبغية، والإشارة هنا إلى الجماع.[1]

قال القرطبي: قال ابن عباس: أي بلغ ما أراد من حاجته، يعني الجماع.[2]

الترجيـــح:

والراجح والعلم عند الله تعالى هو القول الأول وهو ما رجحه ابن جزي عليه رحمة الله، وهو قول الجمهور، وأن الطلاق إنما يكون من انقطاع الحاجة وانقضاء الأرب، فقد تبقى المرأة مع زوجها وإن لم يكن له حاجة في جماعها.

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٣٨٧).

(٢) تفسير القرطبي (١٤/ ١٨٨).

دكتوراه عبدالحي العمدي (كامل الرسالة :: مع الفهارس) ٥

الكلام على قوله تعالى: (ں ں ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ)

والآية فيها مسألة واحدة وهي: ما المقصود بقوله: (ہ ھ ھ ے ے ۓ ۇ)؟

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: «أي عادة الله في الأنبياء المتقدمين، أن ينالوا ما أحل الله لهم. وقيل: الإشارة بذلك إلى داود في تزوجه للمرأة التي جرى له فيها ما جرى، والعموم أحسن».[1]

والمسألة فيها قولان:

القول الأول: أي: سنة الله وعادته في حق الأنبياء المتقدمين.ومعنى ذلك: أن الله لم يكن ليؤثم نبيه فيما أحل له مثال فعله بمن قبله من الرسل الذين مضوا قبله وقد كانت تحتهم المهائر والسراري.وممن قال به وذكره ابن جرير[2]والماوردي[3] والسمعاني[4]والبغوي[5] والزمخشري[6]وابن الجوزي[7] والقرطبي[8]وابن عطية.[9] وابن عاشور.[10]

قال ابن كثير: وهذا رَدٌّ على مَنْ تَوَهَّم مِن المنافقين نقصًا في تزويجه امرأة زيد مولاه ودَعِيِّه، الذي كان قد تبناه.[11]

---

(١) التسهيل لابن جزي: ص(٥٦٣).
(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ١٥).
(٣) النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٤٠٨).
(٤) تفسير السمعاني (٤/ ٢٨٢).
(٥) تفسير البغوي (٣/ ٥٢٨).
(٦) الكشاف (٣/ ٥٤٣).
(٧) زاد المسير (٦/ ٣٩١).
(٨) تفسير القرطبي (١٥/ ١٧٦).
(٩) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٣٨٧).
(١٠) تفسير التحرير والتنوير (٢٢/ ٤١).
(١١) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٩٣).

دكتور/ عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة :: مع الفهارس) ٥

القول الثاني: أن هذا فيه إشارة إلى داود في تزوجه للمرأة التي جرى له فيها ما جرى.وهذا القول تابع فيه ابن جزي ابن عطية – وهو ينقل عنه كثيراً – حيث قال: وحكى الثعلبي عن مقاتل وابن الكلبي أن الإشارة إلى داود عليه السلام حيث جمع الله بينه وبين من فتن بها.[1]

الترجيـــح:

والراجح أن معنى الآية كما في القول الأول وهو محل اتفاق بين المفسرين، وأما القول الثاني فقول باطل مبني على أساس باطل لا يقول به من له نصيب من التحقيق، ويكفي في معرفة بطلانه ما بسط في إبطال قصة داود عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام في علوقه بالمرأة التي يزعم من لا علم عنده إيراد قصتها في سورة ص.وما ذكرناه قريباً في إبطال ما ألصق بالنبي ﷺ من كونه علق زينب بنت جحش فكان يتمنى أن يطلقها زيد.

فمن قال إن الله جمع بين النبي ﷺ وبين زينب لأن النبي ﷺ فتن بها لما رآها وقد انكشف ستر بابها وكانت متبذلة فأعجبته ووقعت في قلبه، وأن الله حقق له مراده كما حقق الله ذلك لداود عليه السلام التي أرسل زوجها للجهاد ليقتل فيتزوج امرأته فقد افترى بهتاناً وإثماً مبيناً في حق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من غير حجة ولا برهان، وهذا مما أدخل على التفسير من الإسرائيليات الباطلة التي يعلم أهل التحقيق بطلانها وعدم صحتها.

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٣٨٧).

الكلام على قوله تعالى: (□ □ □ □)

والآية فيها مسألة واحدة وهي: ما المقصود بالتسبيح بكرة وأصيلا ؟.

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: «قيل إن ذلك إشارة إلى صلاة الصبح والعصر. والأظهر: أنه أمر بالتسبيح في أول النهار وآخره. وقال ابن عطية: أراد في كل الأوقات، فحد النهار بطرفيه».[1]

والمسألة فيها قولان:

القول الأول: البُكرة: أول النهار.والأصيل هو: ما بين العصر إلى الليل.وفيه إشارة إلى صلاة الصبح وصلاة العصر.وهذا القول مروي عن قتادة وممن قال به من المفسرين: ابن جرير[2] وابن أبي حاتم[3] والماوردي[4] والسمعاني[5] والبغوي[6] وابن عطية[7] وابن الجوزي.[8]

قال القرطبي: قيل: المراد صلوا لله بكرة وأصيلا، والصلاة تسمى تسبيحا.وخص الفجر والمغرب والعشاء بالذكر لأنها أحق بالتحريض عليها، لاتصالها بأطراف الليل.[9]

القول الثاني: أن المراد بذلك أمر بمطلق التسبيح في أول النهار وآخره.وكأنه أراد حصوله في كل الأوقات وحدد الزمان بطرفي نهاره وليله، بقدر المُكْنة لأن ذكر طرفي الشيء يكون كناية عن استيعابه وهذا نظير قوله: (ٹ) [الروم:١٧،١٨].

---

(١) التسهيل لابن جزي: ص(٥٦٤).
(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ١٧).
(٣) ابن أبي حاتم ((٩/ ٣١٣٨).
(٤) النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٤٠٩).
(٥) تفسير السمعاني (٤/ ٢٨٤).
(٦) تفسير البغوي (٣/ ٥٣٣).
(٧) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٣٨٨).
(٨) زاد المسير (٦/ ٣٩٢).
(٩) تفسير القرطبي (١٤/ ١٩٨).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة :: مع الفهارس) ٥

وممن قال به من المفسرين: ابن عطية [1] وابن كثير [2] وابن عاشور. [3]

الترجيـــح:

والراجح والعلم عند الله تعالى كما تقدم في سورة الروم: أن الآية محتملة لكـلا المعنيـين، غير أن القول الثاني يدخل دخولاً أولياً في الآيـة، وإذا علمـت أن الصـلاة متضـمنة للتسـبيح علمت أن القول الأول داخل في القول الثاني.وهذا الذي تعضده قواعـد التفسـير فـإن عامـة ألفاظ القرآن تدل على معنيين فأكثر.وإذا كان الفظ محتملاً لأكثـر مـن معنـى، ولم يمتنـع إرادة الجميع، فإنه يحمل عليها جميعاً.

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٣٨٨).

(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٩٦).

(٣) تفسير التحرير والتنوير (٢٢/ ٤٨).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

الكلام على قوله تعالى: (ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

ومنها ما يدل على أن السلام من الملائكة مثل قوله تعالى: (ک ک ۈ ۇ ۆ ۆ ۈ ۇ ٷ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە) (النحل: ٣٢) (ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە) (الزمر: ٧٣)

ومنها ما يدل على أن السلام من المؤمنين بعضهم على بعض مثل قوله تعالى: (ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ) (يونس: ١٠) وقوله تعالى: (ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ) (إبراهيم: ٢٣)

فهذا كله يدل على أن الحمل على العموم هو الصواب الموافق لنصوص القرآن الكريم.وأما ما يتعلق بمكان التسليم فإن أكثر النصوص تبين أنه في الجنة كما رجحه ابن جزي عليه رحمة الله تعالى وفي هذا الموضع من الله تعالى، وإن كان حصوله قبل ذلك عند الموت أو عند البعث من القبور أو يوم القيامة غير ممتنع لعموم النصوص قال الحافظ ابن كثير:

قوله: (ٱ ب ب ٻ ٻ پ) الظاهر أن المراد - والله أعلم - (ٱ پ) أي: من الله تعالى يوم يلقونه (ٻ ٻ پ) أي: يوم يسلم عليهم كما قال تعالى: ﴿ ڈ ڈ ڎ ڎ ڈ ژ ژ ﴾ [يس:٥٨].[1]

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٩٧).

الكلام على قوله تعالى: (ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ)

والآية فيها مسألة واحدة وهي: هل هذه الآية ناسخة لآية البقرة (ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ) (البقرة: ٢٣٧) أم منسوخة بها أم أنه يمكن الجمع بينهما ؟

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: «يقتضي أن المطلقة قبل الدخول وقد فرض لها يجب لها نصف الصداق ولا متعة لها.وقد اخْتُلِف هل هذه الآية ناسخة لآية البقرة أو منسوخة بها ويمكن الجمع بينهما بأن تكون آية البقرة مبينة لهذه مخصصة لعمومها».[(١)]

والمسألة فيها ثلاثة أقوال:

القول الأول: أن هذه الآية منسوخة بآية البقرة.وهذا القول مروي عن قتادة وسعيد بن المسيب، كما ذكره ابن جرير وغيره.

فقد روى ابن جرير عن قتادة في قوله: (ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ) إلى قوله: (ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ) قال: قال سعيد بن المسيب: ثم نسخ هذا الحرفُ المتعةَ (ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ)[البقرة][(٢)] وكذا قال السمعاني[(٣)] والبغوي[(٤)] وابن عطية.[(٥)]

القول الثاني: أن الآية ليس فيها نسخ والجمع بين الآيتين ممكن بأن تكون آية البقرة مبينة لآية الأحزاب ومخصصة لعمومها.

وهذا هو قول عامة المفسرين لأن الجمع ممكن بين الآيتين ولا يصار إلى النسخ إلا في حال التعذر أو كان النسخ منصوصاً عليه بمنطوق الشارع، فعامة أهل العلم قالوا إن المطلقة قبل الدخول وقد فُرض لها صداق فإنها تستحق نصف المفروض من الصداق، فتحمل آية البقرة على من فرض لها صداق، وآية الأحزاب على من لم يفرض لها صداق.قال السمعاني:

---

(١) التسهيل لابن جزي: ص(٥٦٥).

(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ١٦).

(٣) تفسير السمعاني (٤/ ٢٩٣).

(٤) تفسير البغوي (٣/ ٥٣٦).

(٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١/ ٣١٧).

ولهذا وجب نصف المفروض قبل الدخول ولم تجب المتعة، وإنما تجب المتعة للمطلقة التي لا تجب لها نصف المفروض.[1]

وقال ابن عباس في قوله تعالى: (ﮒ ﮓ) هذا إذا لم يكن سمى لها صداقًا فلها المتعة، فإن كان قد فرض لها صداقًا فلها نصف الصداق ولا متعة لها.[2] وممن ذكر هذا الزمخشري[3] وابن كثير[4] والسعدي.[5]

قال ابن عاشور: وليست آية البقرة بمعارضة لهذه الآية إذ ليس فيها تقييد بشرط يَقتضي تخصيص المتعة بالتي لم يُسَمَّ لها صداق لأنها نازلةٌ في رفع الحرج عن الطلاق قبل البناء وقبل تسمية الصداق، ثم أمرتْ بالمتعة لِتَبِنك المطلقتين فالجمع بين الآيتين ممكن.[6]

الترجيح:

والراجح والعلم عند الله تعالى هو القول الثاني، كما رجحه ابن جزي عليه رحمة الله تعالى، وذلك لعدة أمور:

الأمر الأول: أنه لا تعارض بين الآيتين، والجمع ممكن كما تقدم.

الأمر الثاني: لا يوجد نص يثبت النسخ في الآية.

الأمر الثالث: أن هذا هو مذهب جمهور أهل العلم رحمهم الله تعالى.

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

(١) تفسير السمعاني (٤/ ٢٩٥).

(٢) تفسير البغوي (٣/ ٥٣٦)، تفسير ابن كثير (١/ ٢٨٦).

(٣) الكشاف (١/ ٣١٣).

(٤) تفسير ابن كثير (١/ ٢٨٦).

(٥) تفسير السعدي (١/ ١٠٥).

(٦) تفسير التحرير والتنوير (٢/ ٤٥٧).

الكلام على قوله تعالى: (ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

وممن ذكر هذا القول من المفسرين: الماوردي[1] والسمعاني[2] والبغوي[3] والزمخشري[4] وابن عطية[5] وابن الجوزي[6] والقرطبي.[7]

قال ابن كثير: ذكر غير واحد من العلماء -كابن عباس، ومجاهد، والضحاك، وقتادة، وابن زيد، وابن جرير، وغيرهم -أن هذه الآية نزلت مجازاة لأزواج النبي ﷺ ورضًا عنهن، على حسن صنيعهن في اختيارهن الله ورسوله والدار الآخرة، لما خيرهن رسول الله ﷺ، كما تقدم في الآية. فلما اخترن رسول الله ﷺ، كان جزاؤهن أن قَصَره عليهن، وحَرَّم عليه أن يتزوج بغيرهن، أو يستبدل بهن أزواجا غيرهن، ولو أعجبه حسنهن إلا الإماء والسراري فلا حجر عليه فيهن.[8]

القول الثاني: أن المراد: لا يحل لك النساء من غير الأصناف التي ذكرها الله في قوله تعالى: (ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

وروى عن أَبي صالح قال: أمر أن لا يتزوج أعرابية ولا غريبة، ويتزوج بعد من نساء تهامة، ومن شاء من بنات العم والعمة والخال والخالة إن شاء ثلاث مئة.

وعن عكرمة: (ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ) هؤلاء التي سمى الله إلا (ﮄ ﮅ ﮆ) الآية. وقال الضحاك في قوله: (ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ)﴾ يعني من بعد التسمية، يقول: لا يحل لك امرأة إلا ابنة عم أو ابنة عمة أو ابنة خال أو ابنة خالة أو امرأة وهبت نفسها لك، من كان منهن هاجر مع نبي الله ﷺ.[1]

وممن ذكر هذا من المفسرين: الماوردي[2] والبغوي[3] وابن عطية[4] وابن الجوزي[5] والقرطبي[6] وابن كثير[7] وابن عاشور.[8]

القول الثالث: أن المعنى: لا يحل لك اليهوديات والنصرانيات ولا الكافرات من بعد المسلمات المذكورات. وهو مروي عن مجاهد كما عند ابن جرير[9] والماوردي[10] والبغوي[11] وابن عطية[12] وابن الجوزي[13] والقرطبي[14] وابن كثير.[15]

---

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ٢٦).

(٢) النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٣٩٦).

(٣) تفسير البغوي (٣/ ٥٣٦).

(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٣٩٣).

(٥) زاد المسير (٦/ ٤٠٩).

(٦) تفسير القرطبي (١٤/ ٢٠٦).

(٧) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٩٧).

(٨) تفسير التحرير والتنوير (٢٢/ ٥٧).

(٩) تفسير الطبري (٢٢/ ٢٦).

(١٠) النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٣٩٦).

(١١) تفسير البغوي (٣/ ٥٣٦).

(١٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٣٩٣).

(١٣) زاد المسير (٦/ ٤٠٩).

(١٤) تفسير القرطبي (١٤/ ٢٠٦).

(١٥) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٩٧).

الترجيـــح:

والراجح والعلم عند الله تعالى هو أن المعنى: لا يحل لك النساء من بعد زوجاتك اللاتي في حبالك، ومن سمى الله من الأصناف التي ذكر في الآيـة وهـن: بنـات عمـه وبنـات عماتـه وبنات خاله وبنات خالاته والواهبة نفسها للنبي وملك اليمين التي من الفيء.

وهذا هو اختيار ابن جرير الطبري[1]، حيث قـرر أنـه كيـف يقـول لـه: (ﮋ ﮊ ﮋ ﮊ ﮋ ﮊ

المسألة الثانية: هل الآية منسوخة أم ناسخة ؟.

واختلف أهل العلم رحمهم الله في هاتين الآيتين هل وقع فيها النسخ أم لا ؟.والذين قالوا بوقوع النسخ اختلفوا هل الآية الأولى نسخت الثانية ؟ أم الثانية نسخت الأولى.والذي استظهره ابن جزي أن آية: (ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ) هي الناسخة، والمنسوخة هي: (ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ).

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: «واختلف في حكم هذه الآية: فقيل: إنها منسوخة بقوله: (ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ) على القول بأن المراد جميع النساء. وقيل: إن هذه الآية ناسخة لتلك على القول بأن المراد من كان في عصمته وهذا هو الأظهر لما ذكرنا عن ابن عباس ولأن التسع في حقه عليه الصلاة والسلام كالأربع في حق أمته».[1]

والمسألة فيها قولان:

القول الأول: إنها منسوخة بقوله: (ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ) على القول بأن المراد جميع النساء.وهذا مروي عن عليٍّ، وابن عباس، وعائشة، وأم سلمة، وعلي بن الحسين، والضحاك.وقالوا: لما خَيَّر رسول الله ﷺ نساءه فاخترنه، حرم عليه التزوج بغيرهن والاستبدال بهن، مكافأة لهن على فعلهن. ثم نُسِخ ذلك، قالت عائشة: ما مات رسول الله ﷺ حتى أُحِلَّ له النساء[2].[3]

واستدل القرطبي بحجتين عقليتين على أن المنسوخة هي قوله تعالى: (ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ).

الأولى: أن قوله تعالى: (ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ) فيها تحليل، والإحلال يقتضي تقدم حظر قبل ذلك وهو المذكور في قوله تعالى ﴿ لا يحل لك النساء من بعد ﴾.

---

(١) التسهيل لابن جزي: ص(٥٦٦).

(٢) صحيح: سنن النسائي: (١٠/ ٢٩٦) مصنف ابن أبي شيبة: (٣/ ٣٧٤) السنن الكبرى للنسائي: (٣/ ٢٦١) السنن الكبرى للنسائي: (٦/ ٤٣٤) المستدرك على الصحيحين للحاكم: (٨/ ٣٠٠) سنن الدارمي: (٧/ ٢٨)، وصححه الألباني في السلسة الصحيحة برقم: (٣٢٢٤)، وصحيح وضعيف سنن النسائي: (٧/ ٢٧٧).

(٣) زاد المسير (٦/ ٤٠٩)، وانظر: الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه لمكي القيسي: ص(٣٨٥ – ٣٨٧).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

الثانية: أن زوجاته اللاتي في حياته لم يكنَّ محرمات عليه، وإنما حرم عليه التزويج بالأجنبيات فانصرف الإحلال إليهن، ولأنه قال في سياق الآية (ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

التسع، وهو المنسوخ كما في قول عائشة وأم سلمة رضي الله عنهن، وأنه ﷺ ما مات حتى أحل الله له جميع النساء. وقد ذكر ابن كثير: إنه تعالى رفع عنه الحجر في ذلك ونسخ حكم هذه الآية، وأباح له التزوج، ولكن لم يقع منه بعد ذلك تَزَوّج لتكون المنة للرسول ﷺ عليهن.

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة :: مع الفهارس) 5

المسألة الثالثة: ما المراد بقوله تعالى: (ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ)

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: «معناه: لا يحل لك أن تطلق واحدة منهن وتتزوج غيرها بدلاً منها. وقيل: معناه كانت العرب تفعله من المبادلة في النساء بأن ينزل الرجل عن زوجته لرجل وينزل الآخر عن زوجته له. وهذا ضعيف».[1]

والمسألة فيها قولان:

القول الأول: أن المعنى: لا يحل لك أن تطلق واحدة منهن وتتزوج غيرها بدلاً منها. لأنهن أمهات المؤمنين، وقد حرمهن على غيره حين اخترنه.

فروى ابن جرير عن الضحاك قال: لا يصلح لك أن تطلق شيئًا من أزواجك ليس يعجبك، فلم يكن يصلح ذلك له.[2] وممن قال بذلك ونقله عن الضحاك: الماوردي[3] والبغوي[4] وابن عطية[5] وابن الجوزي[6] والقرطبي[7] وابن كثير.[8]

قال ابن عاشور: والمعنى: أن من حصلتْ في عصمتك من الأصناف المذكورة لا يحلّ لك أن تطلقها، فكنى بالتبدل عن الطلاق لأنه لازِمُه في العرف الغالب لأن المرءَ لا يطلق إلا وهو يعتاض عن المطلقة امرأة أخرى... واختص هذا الحكم بالأزواج من الأصناف الثلاثة وبقيت السراري خارجة بقوله: (ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ).[9]

القول الثاني: أن هذا من المبادلة وهو ما كانت العرب تفعله في النساء بأن ينزل الرجل عن زوجته لرجل وينزل الآخر عن زوجته له.

---

(١) التسهيل لابن جزي: ص(٥٦٦).
(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ٣١).
(٣) النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٤١٧).
(٤) تفسير البغوي (٣/ ٥٣٧).
(٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٣٨٧).
(٦) زاد المسير (٦/ ٤٠٥).
(٧) تفسير القرطبي (١٤/ ٢١٦).
(٨) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٩٩).
(٩) تفسير التحرير والتنوير (٢٢/ ٧٨).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

فروى ابن جرير عن ابن زيد في قوله: (ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

الترجيـــح:

والراجح والعلم عند الله تعالى هو القول الأول كما رجحه ابن جزي عليه رحمة الله تعالى، وهو قول جمهور أهل العلم، ولأن المبادلة غير التبدل، فالمبادلة معاطاة بين اثنين، وأما التبدل فليس فيه هذا المعنى. ولذا قال الطبري:

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك: ولا أن تطلق أزواجك فتستبدل بهن غيرهن أزواجًا...وأما الذي قاله ابن زيد في ذلك أيضًا فقول لا معنى له، لأنه لو كان بمعنى المبادلة لكانت القراءة والتنزيل: «ولا أن تبادل بهن من أزواج» أو «ولا أن تُبدل بهن» بضم التاء، ولكن القراءة المجمع عليها: (ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ) بفتح التاء، بمعنى: ولا أن تستبدل بهن، مع أن الذي ذكر ابن زيد من فعل الجاهلية غير معروف في أمة نعلمه من الأمم: أن يبادل الرجل آخر بامرأته الحرة، فيقال: كان ذلك من فعلهم فنهى رسول الله ﷺ عن فعل مثله.[1]

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ٣١).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

الكلام على قوله تعالى: (ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

فقلت: يا نبي الله قد دعوت حتى ما أجد أحدًا أدعوه. قال: (**ارفعوا طعامكم**) وإن زينب لجالسة في ناحية البيت، وكانت قد أعطيت جمالا وبقي ثلاثة نفر يتحدثون في البيت، وخرج رسول الله ﷺ منطلقًا نحو حجرة عائشة، فقال: (**السَّلامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ**) فقالوا: وعليك السلام يا رسول الله، كيف وجدت أهلك؟. قال: فأتى حجر نسائه فقالوا مثل ما قالت عائشة، فرجع النبي ﷺ فإذا الثلاثة يتحدثون في البيت، وكان النبي ﷺ شديد الحياء، فخرج النبي ﷺ منطلقًا نحو حجرة عائشة، فلا أدري أَخْبَرَتْه، أو أُخْبِر أن الرهط قد خرجوا، فرجع حتى وضع رجله في أسكفة[1] داخل البيت، والأخرى خارجه، إذ أرخي الستر بيني وبينه، وأُنزلت آية الحجاب.[2]

وكذا نقل الماوردي.[3] والسمعاني.[4] والبغوي.[5] والزمخشري.[6] وابن عطية.[7] وابن الجوزي.[8] والقرطبي.[9] وابن عاشور.[10] والواحدي.[11]

القول الثاني: أنها نزلت في قوم كانوا يتحينون طعام النبي ﷺ فيدخلون عليه قبل الطعام فيقعدون إلى أن يطبخ ثم يأكلون ولا يخرجون.

قال السمعاني: سبب نزول هذه الآية: ما روي أن الصحابة كانوا يدخلون بيوت النبي ﷺ بغير إذن، وينتظرون إدراك الطعام، فإذا فرغوا من الطعام جلسوا يتحدثون وأطالوا

---

(١) قال ابن منظور: الأُسْكُفّةُ والأَسْكُوفةُ: عتبة الباب التي يوطأ عليها. لسان العرب: (٩ / ١٥٦).

(٢) الحديث: صحيح. أخرجه البخاري في النكاح، باب الوليمة حق: (٩/ ٢٣٠)، وفي الاستئذان باب آية الحجاب: (١١/ ٢٢).

(٣) النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٤١٩).

(٤) تفسير السمعاني (٤/ ٢٩٣).

(٥) تفسير البغوي (٣/ ٥٤٠).

(٦) الكشاف (٣/ ٥٦٤).

(٧) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٣٩٥).

(٨) زاد المسير (٦/ ٤١٢).

(٩) تفسير القرطبي (١٤/ ٢١٥).

(١٠) تفسير التحرير والتنوير (٢٢/ ٨١).

(١١) أسباب نزول القرآن للواحدي (١/ ١٢٩).

الجلوس، وكان النبي ﷺ يتأذى بهم ويستحيي منهم؛ فأنزل الله تعالى هذه الآية، وعلمهم هذا الأدب بينهم وبين النبي ﷺ.[1] وكذا قال البغوي.[2] وابن عطية.[3] وابن الجوزي.[4] والقرطبي.[5]

الترجيح:

والذي يظهر والعلم عند الله تعالى أن ما جاء في حديث أنس هو سبب نزول هذه الآية لأنه في الصحيح وصريح الدلالة في هذا وهو قول جمهور أهل العلم.

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

(١) تفسير السمعاني (٤/ ٢٩٣)، وتقدم تخريج الحديث.

(٢) تفسير البغوي (٣/ ٥٤٠).

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٣٩٥).

(٤) زاد المسير (٦/ ٤١٢).

(٥) تفسير القرطبي (١٤/ ٢١٥).

دكتوراه عبدالمحسن العمري (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

المسألة الثانية: ما المقصود بالإنا في قوله تعالى: (ڈ ڈ ۀ ۀ)

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: «أي: غير منتظرين لوقت الطعام.والإنا: الوقت. وقيل: إنا الطعام نضجه وإدراكه، يقال أنى يأنى إناء».[1]

والمسألة فيها قولان:

القول الأول: أي: غير منتظرين لوقت الطعام، وساعة أكله.

ونقل الماوردي عن قتادة قال: غَيْرَ متوقعين لحينه ووقته.[2] وكذا ذكر الزمخشري.[3]

قال ابن عاشور: «إناه» بكسر الهمزة وبالقصر: إما مصدر أَنَى الشيءُ إذا حان، يقال: أنى يأنِي، قال تعالى: (ے ۓ ۓ ڭ) [الحديد:١٦].ومقلوبه: آن. وهو بمعناه. والمعنى: غير منتظرين حضور الطعام، أي غير سابقين إلى البيوت وقبْل تهيئته.[4]

القول الثاني: إنا الطعام نضجه وإدراكه.

قال ابن جرير: (ڈ ڈ ۀ ۀ) يعني: غير منتظرين إدراكه وبلوغه، وهو مصدر من قولهم: قد أنى هذا الشيء يأني إنى وأنيا وإناء، قال الحطيئة:

وآنيتُ العَشاءَ إلَى سُهَيلٍ ... أوِ الشِّعْرَى فطال بيَ الأَنَاءُ [5]

وروى عن مجاهد قال: متحيِّنين نضجه. وعن ابن عباس قال: غير ناظرين الطعام أن يصنع.[6] وكذا نقل الماوردي عن الضحاك ومجاهد.[7] وممن ذكر نحو هذا: البغوي [8]

---

(١) التسهيل لابن جزي: ص(٥٦٧).
(٢) النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٤١٩).
(٣) الكشاف (٣/ ٥٦٤).
(٤) تفسير التحرير والتنوير (٢٢/ ٨١).
(٥) انظر: ديوان الحطيئة: (١/ ١١).
(٦) تفسير الطبري (٢٢/ ٣٧).
(٧) النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٤١٩).
(٨) تفسير البغوي (٣/ ٥٤٠).

والسمعاني [١] والزمخشري [٢] وابن عطية [٣] وابن الجوزي[٤] والقرطبي [٥] وابن منظور.[٦] وابـن وابن كثير[٧] وابن عاشور.[٨]

الترجيـــح:

والراجح والعلم عند الله تعالى أن معنى الكلام هو الانتظار إما لنضج الطعام أو لسـاعة أكله، ولا تضاد بين القولين فالأولى الحمل على العموم كما مر في قواعد التفسير غير ما مـرة في مثل هذه المواطن.

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

(١) تفسير السمعاني (٤/ ٢٩٣).

(٢) الكشاف (٣/ ٥٦٤).

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٣٩٥).

(٤) زاد المسير (٦/ ٤١٢).

(٥) تفسير القرطبي (١٤/ ٢١٥).

(٦) لسان العرب (١٤/ ٤٨).

(٧) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٠٦).

(٨) تفسير التحرير والتنوير (٢٢/ ٨١).

دكتوراه عبدالعلي العمدي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

المسألة الثالثة: ما سبب نزول قوله تعالى: (ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ) ؟

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: «المتاع الحاجة من الأثاث وغيره. وهذه الآية نزلت في احتجاب أزواج النبي ﷺ وسببها ما رواه أنس من قعود القوم يوم الوليمة في بيت زينب. وقيل: سببها أن عمر بن الخطاب أشار على رسول الله ﷺ بأن يحجب نساءه فنزلت الآية موافقة لقول عمر ».[1]

والمسألة فيها قولان:

القول الأول: أنها نزلت بسبب قعود القوم يوم الوليمة في بيت زينب.

فعن أنس بن مالك قال: بنى رسول الله ﷺ بزينب بنت جحش، فبعثت داعيًا إلى الطعام، فدعوت، فيجيء القوم يأكلون ويخرجون، ثم يجيء القوم يأكلون ويخرجون، فقلت: يا نبي الله قد دعوت حتى ما أجد أحدًا أدعوه، قال: ارفعوا طعامكم، وإن زينب لجالسة في ناحية البيت، وكانت قد أعطيت جمالا وبقي ثلاثة نفر يتحدثون في البيت، وخرج رسول الله ﷺ منطلقًا نحو حجرة عائشة، فقال: (**السَّلامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ**) فقالوا: وعليك السلام يا رسول الله، كيف وجدت أهلك ؟.قال: فأتى حجر نسائه فقالوا مثل ما قالت عائشة، فرجع النبي ﷺ فإذا الثلاثة يتحدثون في البيت، وكان النبي ﷺ شديد الحياء، فخرج النبي ﷺ منطلقًا نحو حجرة عائشة، فلا أدري أخبرته، أو أخبر أن الرهط قد خرجوا، فرجع حتى وضع رجله في أسكفة داخل البيت، والأخرى خارجه، إذ أرخي الستر بيني وبينه، وأُنزلت آية الحجاب.[2] الحجاب.[2]

وممن قال بذلك: ابن جرير الطبري[3] وابن الجوزي[4] وابن عطية[5] وابن عاشور.[6]

---

(١) التسهيل لابن جزي: ص(٥٦٧).

(٢) الحديث: تقدم تخريجه في: .

(٣) تفسير الطبري (٢٢/ ٣٦).

(٤) زاد المسير (٦/ ٤١١).

(٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٣٨٩).

(٦) تفسير التحرير والتنوير (٢٢/ ٨٩).

دكتوراه عبدالعلي الحمدي (كامل الرسالة :: مع الفهارس) ٥

وحكى القرطبي عن جمهور المفسرين أن سبب نزول الآية هذه القصة.[١]

وقال ابن كثير: وكان وقت نزولها في صبيحة عرس رسول الله ﷺ بزينب بنت جحش، التي تولى الله تعالى تزويجها بنفسه، وكان ذلك في ذي القعدة من السنة الخامسة، في قول قتادة والواقدي وغيرهما ثم ساق حديث الوليمة.[٢]

القول الثاني: أن الآية نزلت موافقة لقول عمر.

فروى ابن جرير عن أنس بن مالك قال: قال عمر بن الخطاب: قلت لرسول الله ﷺ: لو حجبت عن أمهات المؤمنين؛ فإنه يدخل عليك البر والفاجر، فنزلت آية الحجاب.[٣]

وعن عبدالله قال: أمر عمر نساء النبي ﷺ بالحجاب، فقالت زينب: يا بن الخطاب إنك لتغار علينا والوحي ينزل في بيوتنا، فأنزل الله (ڤ و و ڤ ڤ ى ىٰ ٱ).

وعن عائشة قالت: [٤] إن أزواج النبي ﷺ كن يخرجن بالليل إذا تبرزن إلى المناصع[٥] وهو وهو صعيد أفيح، وكان عمر يقول: يا رسول الله احجب نساءك، فلم يكن رسول الله ﷺ يفعل، فخرجت سودة بنت زمعة، زوج النبي ﷺ وكانت امرأة طويلة، فناداها عمر بصوته الأعلى: قد عرفناك يا سودة؛ حرصًا أن ينزل الحجاب، قال: فأنزل الله الحجاب.[٦]

قال الماوردي: [٧] عن مجاهد عن عائشة > قالت: كنت آكل مع رسول الله ﷺ حيساً في قعب، فمر عمر فدعاه فأكل فأصابت إصبعه إصبعي فقال عمر لو أُطَاعُ

---

(١) تفسير القرطبي (١٤/ ٢٢٨).

(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٠٤).

(٣) الحديث: صحيح. أخرجه البخاري في صحيحه (١٣/ ٤٠٦).

(٤) الحديث: صحيح أخرجه البخاري (١/ ٢٥٤).

(٥) والمَناصِعُ: المواضعُ التي يُتَخَلَّى فيها لبَوْلٍ أَو غائِطٍ أَو لحاجة، الواحد مَنْصَعٌ لأَنه يُبْرَزُ إِليها ويُظْهَرُ وفي حديث الإِفك: (كان مُتَبَرَّزُ النساءِ في المدينةِ – قبل أَن تُسَوَّى الكُنُفُ في الدُّورِ– المناصِعَ) حكاه الهرويّ في الغريبين. قال الأَزهري: أَرى أَن المناصعَ موضع بعينه خارجَ المدينة. انظر: لسان العرب: (٨/ ٣٥٥).

(٦) تفسير الطبري (٢٢/ ٣٦ أسباب النزول (١/ ٢٤٣) تفسير البغوي (٣/ ٥٣٨).

(٧) النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٤١٩ لباب النزول (١/ ١٦٢).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة :: مع الفهارس) ٥

فيكن ما رأتكن عين، فنزلت آيات الحجاب.[1]

وممن ذكر من المفسرين أنها نزلت بقول عمر: السمعاني والبغوي وابن عطية ونقله عن عائشة وجماعة والقرطبي وابن كثير.[2] وكان عمر بن الخطاب ﷺ يقول: وافقت ربي في ثلاث: منها الحجاب، ومقام إبراهيم، وعسى ربه إن طلقكن. الحديث.

الترجيـــح:

والراجح والعلم عند الله تعالى أنه لا تعارض بين القولين والجمع بينهما ممكن جداً، خاصة وأن الأخبار كلها صحيحة قال ابن كثير: هذه آية الحجاب، وفيها أحكام وآداب شرعية، وهي مما وافق تنزيلها قول عمر بن الخطاب ﷺ كما ثبت ذلك في الصحيحين عنه.[3]

وقال ابن عاشور: وليس بين الخبرين تعارض لجواز أن يكون قول عمر كان قبل البناء بزينب بقليل ثم عقبته قصة وليمة زينب فنزلت الآية بإثرها.[4]

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

(١) السنن الكبرى للنسائي: (٦/ ٤٣٥)، والدر المنثور: (٨/ ١٩١) النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٤١٩)، وتفسير ابن عبدالسلام: (٥/ ٥٧).

(٢) الكشاف (٥/ ٣٤٥) تفسير السمعاني (١/ ١١٢)، تفسير البغوي (١/ ١١٣)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١/ ٢٠٣)، تفسير القرطبي (٢/ ١٠٦)، تفسير ابن كثير (١/ ١٧٠).

(٣) صحيح البخاري برقم (٤٠٢).

(٤) تفسير التحرير والتنوير (٢٢/ ٨١).

الكلام على قوله تعالى: (ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

وممن ذكر هذا من المفسرين: ابن جرير[١] والماوردي[٢] والسمعاني[٣] والبغوي[٤] وابن عطية[٥] ونقل ابن الجوزي عن ابن زيد قال: كُنَّ أزواج رسول الله ﷺ لا يحتجِبْن من المماليك.[٦] المماليك.[٦]

قال ابن كثير: وقوله: (ث ث ث ثث ق) يعني به: أرقاءَهن من الذكور والإناث.[٧] والإناث.[٧] وقال أيضاً في سورة النور: وقال الأكثرون: بل يجوز لها أن تظهر على رقيقها من الرجال والنساء، واستدلوا بالحديث الذي رواه أبو داود: بسنده...عن أنس، أن النبي ﷺ أتى فاطمة بعبد قد وهبه لها.قال: وعلى فاطمة ثوب إذا قَنَّعت به رأسها لم يبلغ رجليها، وإذا غطت به رجليها لم يبلغ رأسها، فلما رأى النبي ﷺ ما تلقى قال: (**إنه ليس عليك بأس، إنما هو أبوك وغلامك**)[٨].[٩]

الترجيح:

والراجح والعلم عند الله تعالى هو القول الثاني، وهو الذي استظهره ابن جزي عليه رحمة الله تعالى وذلك لورود الحديث الصحيح عن النبي ﷺ، وهو ظاهر الآية، والقاعدة تنص على أن العام يبقى على عمومه حتى يرد ما يخصصه، وليس هنا ما يخصص هذا الحكم.

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ٤١).

(٢) النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٤١٦).

(٣) تفسير السمعاني (٤/ ٣٠٣).

(٤) تفسير البغوي (٣/ ٥٣٦).

(٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٣٩٧).

(٦) زاد المسير (٦/ ٤١٨).

(٧) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٠٧).

(٨) الحديث: صحيح. أخرجه أبو داود في سننه (١١/ ١٤٨) برقم (٤١٠٦)باب العبد ينظر إلى شعر مولاته. وصححه الألباني في إرواء الغليل: (٦/ ٢٠٦)، وصحيح سنن أبي داود: (٩/ ١٠٦)، والسلسلة الصحيحة (٧/ ٦٩).

(٩) تفسير ابن كثير (٣/ ٢٧٧).

دكتوراه عبدالعلي المدني (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

المسألة الثانية وهي: هل هذا الحكم مختص بمن كان في ملكهن، أو يدخل فيه كل مملوك؟.

والمسألة فيها قولان:

القول الأول: أن هذا خاص بمن ملكنه من العبيد دون من ملكه غيرهن.

وممن ذكر هذا القول ابن عطية [١] وأبو حيان[٢] والسعدي[٣]وأسعد حومد [٤] وهو ما قرره جماعة من علماء الأزهر في المنتخب.[٥]

القول الثاني: جميع العبيد كن في ملكهن أو في ملك غيرهن. وممن ذكر هذا القول: ابن عطية[٦]وأبو حيان.[٧]

الترجيـــح:

والراجح والعلم عند الله تعالى هو القول الأول وهو الذي استظهره ابن جزي، لأنه ظاهر الآية في قوله تعالى: (ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ) فالإضافة هنا لهن تفيد أن ما كان في ملك غيرهن ليس من المحارم، والمفسدة فيه غالبة، فلا يؤمن في جانبه وصف المرأة لوليه ونحو ذلك بخلاف من كان في ملكها فإنه مرتبط بالولاء الذي بينهما.

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٣٩٧).

(٢) تفسير البحر المحيط (٧/ ٢٣٩).

(٣) تفسير السعدي (١/ ٦٧١).

(٤) أيسر التفاسير لأسعد حومد (١/ ٣٤٦).

(٥) المنتخب (٢/ ٢٣٨).

(٦) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٣٩٧).

(٧) تفسير البحر المحيط (٧/ ٢٣٩).

الكلام على قوله تعالى: (ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ)

وفي هذه الآية مسألة واحدة وهي: ما المقصود بإذاية الله تعالى في هذه الآية ؟.

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: «إذاية الله: هي بالإشراك به ونسبة الصاحبة والولد له وليس معنى إذايته أنه يضره الأذى، لأنه تعالى لا يضره شيء ولا ينفعه شيء. وقيل: إنها على حذف مضاف تقديره: يؤذون أولياء الله. والأول أرجح، لأنه ورد في الحديث يقول الله تعالى: **(يشتمني ابن آدم وليس له أن يشتمني ويكذبني وليس له أن يكذبني أما شتمه إياي فقوله إن لي صاحبة وولداً وأما تكذيبه إياي فقوله لا يعيدني كما بدأني)**[1]». [2]

والمسألة فيها قولان:

القول الأول: أن الأذية بالإشراك به ونسبة الصاحبة والولد له. وهذا كقول اليهود لعنهم الله: (ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾ ﷿ ﷽ ﷾ ﷿ ﷽ ﷾ ﷿

القول الثاني: إن المراد بذلك: إذاية أولياء الله. وممن حكى هذا القول: الماوردي[1] والسمعاني[2] وابن عطية[3] والقرطبي[4] والبغوي وقال: قال بعضهم: (ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ) أي: أي: يؤذون أولياء الله، كقوله تعالى: (ﮒ ﮓ ﮔ) [يوسف:٨٢] أي: أهل القرية.[5]

الترجيـــح:

والراجح والعلم عند الله تعالى هو القول الأول كما رجحه ابن جزي عليه رحمة الله تعالى، وذلك لأن حمل الآية على الحقيقة هو الصواب والقول الثاني مجاز في الآية، ولورود الحديث في الصحيح عن رب العزة تبارك وتعالى.

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

(١) النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٤١٦).

(٢) تفسير السمعاني (٤/ ٣٠٤).

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٣٩٧).

(٤) تفسير القرطبي (١٤/ ٢٣٧).

(٥) تفسير البغوي (٣/ ٥٣٦).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

الكلام على قوله تعالى: (ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ)

وفي هذه الآية مسألتان:

المسألة الأولى: ما معنى الجلباب.

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: «كان نساء العرب يكشفن وجوههن كما تفعل الإماء وكان ذلك داعيا إلى نظر الرجال لهن فأمرهن الله بإدناء الجلابيب ليسترن بذلك وجوههن ويفهم الفرق بين الحرائر والإماء. والجلابيب جمع جلباب وهو ثوب أكبر من الخمار. وقيل: هو الرداء».[١]

والمسألة فيها قولان:

القول الأول: أن الجلباب ثوب أكبر من الخمار.

قال الزمخشري: الجلباب: ثوب واسع أوسع من الخمار ودون الرداء تلويه المرأة على رأسها وتبقي منه ما ترسله على صدرها[٢] وكذا قال القرطبي.[٣]

القول الثاني: قيل: هو الرداء. حكاه الماوردي عن ابن مسعود والحسن.[٤] والقرطبي عن ابن عباس وابن مسعود.[٥] وبه قال السمعاني.[٦] وقال الحافظ ابن كثير: والجلباب هو: الرداء، فوق الخمار. قاله ابن مسعود، وعبيدة، وقتادة، والحسن البصري، وسعيد بن جبير، وإبراهيم النخعي، وعطاء الخراساني، وغير واحد.وهو بمنزلة الإزار اليوم.[٧]

---

(١) التسهيل لابن جزي: ص(٥٦٨ - ٥٦٩).

(٢) الكشاف (٣/ ٥٦٩).

(٣) تفسير القرطبي (١٤/ ٢٣٥).

(٤) النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٤٢٣).

(٥) تفسير القرطبي (١٤/ ٢٣٥).

(٦) تفسير السمعاني (٤/ ٣٠٦).

(٧) تفسير ابن كثير (٣/ ٥١٩).

دكتور/ عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

الترجيـــح:

والراجح والعلم عند الله تعالى أنه لا فرق بين القولين فالجلباب هو ما تلفـه المـرأة عـلى صدرها وظهرها ورأسها ثم ترسله على بدنها، وهو أوسع من الخمار، وكلا القولين يـدل عـلى أنه أوسع من الخمار، وهذا المعنى هو المذكور في كتب اللغة، قال الزمخشري:

الجلباب: الرداء، وقيل: ثوب أوسع من الخمار، تغطي به المرأة رأسها وصدرها.[1]

وذكر الزبيدي في تاج العروس أنه: القَمِيصُ مُطْلَقاً وخَصَّه بعضُهم بالْمُشْتَمِلِ على البدَنِ كُلِّه وفَسَّره الجوهريُّ بالمِلْحَفَةِ.[2]

وقال ابن منظور: والجِلْبابُ القَمِيصُ والجِلْبابُ ثوب أَوسَعُ من الخِمار دون الرِّداءِ تُغَطِّي به المرأَةُ رأْسَها وصَـدْرَها. وقيـل: هـو ثـوب واسِـع دون المِلْحَفـةِ تَلْبَسـه المـرأَةُ. وقيـل: هـو المِلْحفةُ.[3]

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

(١) الفائق في غريب الحديث والأثر: (١/ ٢٩٧).

(٢) تاج العروس: (١/ ٣٦١).

(٣) لسان العرب: (١/ ٢٧٢).

دكتوراه عبدالعلي الحمدي (كامل الرسالة .:. مع الفهارس) 5

المسألة الثانية: في صفة الإدناء المأمور به في الآية.

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: «وصورة إدنائه: عند ابن عباس أن تلويه على وجهها حتى لا يظهر منها إلا عين واحدة تبصر بها. وقيل: أن تلويه حتى لا يظهر إلا عيناها. وقيل: أن تغطي نصف وجهها».[1]

والمسألة فيها ثلاثة أقوال:

القول الأول: أن تلويه على وجهها ولاتظهر إلا عيناً واحدةً تبصر بها.

قال ابن جرير: أمر الله نساء المؤمنين إذا خرجن من بيوتهن في حاجة أن يغطين وجوههن من فوق رؤوسهن بالجلابيب ويبدين عيناً واحدةً. ثم روى عن عبيدة في قوله: (ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ) فلبسها عندنا ابن عون قال: ولبسها عندنا محمد قال محمد: ولبسها عندي عبيدة، قال ابن عون بردائه فتقنع به، فغطى أنفه وعينه اليسرى وأخرج عينه اليمنى، وأدنى رداءه من فوق حتى جعله قريبا من حاجبه أو على الحاجب.[2]

قال الماوردي: أن تغطي وجهها حتى لا تظهر إلا عينها اليسرى، قاله عَبيدة السلماني.[3] وكذا قال السمعاني.[4]

وقال البغوي: قال ابن عباس وأبو عبيدة: أمر نساء المؤمنين أن يغطين رؤوسهن ووجوههن بالجلابيب إلا عينا واحدة ليعلم أنهن حرائر.[5]

ونقل الزمخشري عن ابن عباس { قال: الرداء الذي يستر من فوق إلى أسفل. وقيل: الملحفة وكل ما يستتر به من كساء أو غيره. ونقل أيضاً عن السديّ قال: تغطي إحدى عينيها وجبهتها، والشقّ الآخر إلاّ العين.[6]

---

(١) التسهيل لابن جزي: ص(٥٦٨ - ٥٦٩).
(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ٤٦).
(٣) النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٤٢٤).
(٤) تفسير السمعاني (٤/ ٣٠٧).
(٥) تفسير البغوي (٣/ ٥٣٦).
(٦) الكشاف (٣/ ٥٦٩).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

وقال ابن عطية: قال ابن عباس أيضاً وقتادة وعبيدة السلماني ذلك أن تلويه المرأة حتى لا يظهر منها إلا عين واحدة تبصر بها.[1] وكذا قال القرطبي.[2]

ونقل ابن كثير عن محمد بن سيرين قال سألت عَبيدةَ السّلماني عن قول الله تعالى: (ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ) فغطى وجهه ورأسه وأبرز عينه اليسرى.[3]

القول الثاني: أن تلويه حتى لا يظهر إلا عيناها.

قال ابن عطية: قال ابن عباس أيضاً وقتادة وذلك أن تلويه فوق الجبين وتشده ثم تعطفه على الأنف وإن ظهرت عيناها لكنه يستر الصدر ومعظم الوجه.[4] وكذا قال القرطبي.[5]

القول الثالث: أن تغطي نصف وجهها.

قال القرطبي: قال الحسن: تغطي نصف وجهها.[6]

الترجيـــح:

والراجح والعلم عند الله تعالى أن الواجب على المرأة أن تغطي كامل وجههـا ولا تبـدي من مواضع الزينة في بدنها شيئاً، إلا ما كان للضرورة كعين واحدة كما قال ابن عباس رضي الله عنهما، والضرورة تقدر بقدرها، وإنما ترجح ذلك لعدة أمور:

الأمر الأول: أن الله تعالى علل الحكم، والحكم يدور مع العلـة وجـوداً وعـدماً، فمتـى وجدت الفتنة وجب سد الذرائع الموصلة لها، ولما كانت الآيسة القاعدة في الغالب أنه لا ينظـر إليها أحد، سقط عنها الحجاب، مع استحبابه في حقها على سبيل التحوط.

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٣٩٩).

(٢) تفسير القرطبي (١٤/ ٢٤٣).

(٣) تفسير ابن كثير (٣/ ٥١٩).

(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٣٩٩).

(٥) تفسير القرطبي (١٤/ ٢٤٣).

(٦) تفسير القرطبي (١٤/ ٢٤٣).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

الأمر الثاني: أنه بإجماع العقلاء أن موضع الزينة في المرأة هو الوجه، وأبرز ما في الوجه العينان، وإذا كان السبب من الحجاب هو ستر مواضع الفتنة لزم حينئذ التسليم بأن الوجه والعينان هما أوجب ما يجب على المرأة ستره عن الرجال الأجانب.

الأمر الثالث: أن المعهود من صنيع نساء أصحاب النبي ﷺ وزوجات النبي ﷺ هو التستر الكامل عن الرجال، ومن قال إن هذا خاص بأزواج النبي ﷺ فقد أبعد النجعة.

فقد روى البخاري رحمه الله في صحيحه في باب: (ں ڻ ڻ ڻ ۀ). عن عائشة رضي الله عنها قالت: يرحم الله نساء المهاجرات الأول، لما أنزل الله (ں ڻ ڻ ڻ ۀ) [النور: ٣١] شققن مروطهن فاختمرن بها.

وعنها أنها كانت تقول: لما نزلت هذه الآية: (ں ڻ ڻ ڻ ۀ) أخذن أُزرَهُنَّ فَشَقَّقْنها من قِبَل الحواشي، فاختمرن بها .[1]

قال الحافظ ابن حجر: قوله: «فاختمرن»: أي غطين وجوههن، وصفة ذلك أن تضع الخمار على رأسها وترميه من الجانب الأيمن على العاتق الأيسر، وهو التقنع. قال الفراء: كانوا في الجاهلية تسدل المرأة خمارها من ورائها وتكشف ما قدامها فأمرن بالاستتار.[2]

وذكر ابن حجر في الفتح عن ابن أبي حاتم أنه روى عن صفية ما يوضح ذلك، ولفظه: ذكرنا عند عائشة نساء قريش وفضلهن فقالت: إن لنساء قريش لفضلا، ولكن والله ما رأيت أفضل من نساء الأنصار أشد تصديقاً بكتاب الله ولا إيماناً بالتنزيل، لقد أنزلت سورة النور: (ں ڻ ڻ ڻ ۀ) [النور: ٣١] فانقلب رجالهن إليهن يتلون عليهن ما أنزل فيها، ما منهن امرأة إلا قامت إلى مرطها فأصبحن يصلين الصبح معتجرات كأن على رؤوسهن الغربان.

قال الشيخ الأمين الشنقيطي معلقا: فترى عائشة رضي الله عنها مع علمها، وفهمها وتقاها أثنت عليهن هذا الثناء العظيم، وصرحت بأنها ما رأت أشد منهن تصديقاً بكتاب الله، ولا إيماناً بالتنزيل. وهو دليل واضح على أن فهمهن لزوم ستر الوجوه من قوله تعالى: (ں ڻ ڻ ڻ ۀ) [النور: ٣١] من تصديقهن بكتاب الله وإيمانهن بتنزيله، وهو صريح في أن

---

(١) صحيح البخاري - (١٤/ ٤١٤).

(٢) فتح الباري لابن حجر - (١٣/ ٢٧٠).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة :: مع الفهارس) ٥

احتجاب النساء عن الرجال وسترهن وجوههن تصديق بكتاب الله وإيمان بتنزيله كما ترى، فالعجب كل العجب ممن يدعي من المنتسبين للعلم أنه لم يرد في الكتاب ولا السنة، ما يدل على ستر المرأة وجهها عن الأجانب، مع أن الصحابيات فعلن ذلك ممتثلات أمر الله في كتابه إيماناً بتنزيله، ومعنى هذا ثابت في الصحيح كما عند البخاري، وهذا من أعظم الأدلة وأصرحها في لزوم الحجاب لجميع النساء المسلمين كما ترى. [1]

(١) أضواء البيان (٦/ ٢٥٠).

الكلام على قوله تعالى: (﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾

تعالى: (ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ).[1] ونقل القرطبي عن عكرمة وشهر ابن حوشب أنهم الذين في قلوبهم الزنى.[2] وكذا قال ابن كثير.[3]

الترجيـــح:

والراجح والعلم عند الله تعالى هو القول الثاني وهو المستفيض ذكره عـن أئمـة التفسـير والقول الأول داخل فيه فإنه قد سبق تقرير أن هؤلاء الذين في قلوبهم مرض هم مـن كـان في قلوبهم مرض شهوة الزنا وهم أكثر من تصيبهم الحدود على عهد رسول الله ﷺ وهم المنافقون المترددون في إيمانهم والعياذ بالله تعالى.

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٣٩٩).

(٢) تفسير القرطبي (١٤/ ٢٤٥).

(٣) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٢٠).

الكلام على قوله تعالى: (□ □ □ □ □ □ □ □ □ ى ى ي ي □)

وفي هذه الآية مسألة واحدة وهي: ما المقصود بسنة الله في الذين خلوا من قبل ؟.

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: «أي عادته في المنافقين من الأمم المتقدمة.وقيل: يعني الكفار من بدر لأنهم أسروا وقتلوا».[١]

وفيها قولان:

القول الأول: أن المراد من بذلك عادته في المنافقين من الأمم المتقدمة.

قال الزمخشري: (□ □ □) في موضع مؤكد، أي: سنّ الله في الذين ينافقون الأنبياء أن يقتلوا حيثما ثقفوا.[٢] وممن قال نحو ذلك من المفسرين: ابن عطية [٣] وابن الجوزي [٤] والقرطبي.[٥] وقال ابن عاشور: انتصب (□ □ □) على أنه مفعول مُطلق نائب عن فعله.والتقدير: سَن الله إغراءك بهم سنتَه في أعداء الأنبياء السالفين.[٦]

القول الثاني: أن المراد به الكفار من بدر. فذكر الزمخشري عن مقاتل أنه قال: يعني كما قتل أهل بدر وأسروا.[٧] وقال ابن عاشور: في الكفار المشركين الذين قُتّلوا وأخذوا في غزوة بدر وغيرها.[٨]

الترجيـــح:

والراجح والعلم عن الله تعالى هو القول بالعموم فيصح أن يكون المراد بذلك أن الله سن بهم سنة المنافقين مع الأنبياء السابقين، أو كما فعل بأهل بدر من القتل والخزي في الدنيا قبل الآخرة.

---

(١) التسهيل لابن جزي: ص(٥٦٩).

(٢) الكشاف (٣/ ٥٧٠).

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٠٠).

(٤) زاد المسير (٦/ ٤٢٣).

(٥) تفسير القرطبي ١٤/ ٢٤٧).

(٦) تفسير التحرير والتنوير (٢٢/ ١١١).

(٧) الكشاف (٣/ ٥٧٠).

(٨) تفسير التحرير والتنوير (٢٢/ ١١١).

دكتوراه عبدالعلي الحمدي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

الكلام على قوله تعالى: (ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

لندبًا من أثر ضربه ثلاثًا أو أربعًا أو خمسًا. فذلك قوله ﷻ: (ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ). وعن ابن عباس نحوه. وممن ذكر هذا من المفسرين: ابن جرير [١] والسمعاني [٢] والبغوي[٣] وابن عطية [٤] وابن الجوزي.[٥] والقرطبي.[٦] وابن كثير.[٧] وابن عاشور.[٨]

القول الثاني: أنهم رموه بأنه قتل أخاه هارون.

فروى ابن جرير عن ابن عباس عن علي ﷺ أن موسى صعد وهارون الجبل فمات هارون فقال بنو إسرائيل أنت قتلته وكان ألين لنا منك وأشد حباً فآذوه بذلك فأمر الله الملائكة فحملته فمروا به على مجلس بني إسرائيل فتكلمت الملائكة بموته ثم دفنته.[٩]

وممن ذكر هذا من المفسرين:الماوردي[١٠] والسمعاني[١١] والبغوي[١٢] والزمخشري[١٣] وابن عطية[١٤] وابن الجوزي[١٥] والقرطبي[١٦]

---

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ٥٠).
(٢) تفسير السمعاني (٤/ ٣٠٣).
(٣) تفسير البغوي (٣/ ٥٤٥).
(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٣٩٨).
(٥) زاد المسير (٦/ ٤٢٥).
(٦) تفسير القرطبي ١٤/ ٢٥٠).
(٧) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٢١).
(٨) تفسير التحرير والتنوير (٢٢/ ١١٥).
(٩) تفسير الطبري (٢٢/ ٥٠).
(١٠) النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٤٢٦).
(١١) تفسير السمعاني (٤/ ٣٠٣).
(١٢) تفسير البغوي (٣/ ٥٤٥).
(١٣) الكشاف (٣/ ٥٧٢).
(١٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٣٩٨).
(١٥) زاد المسير (٦/ ٤٢٥).
(١٦) تفسير القرطبي ١٤/ ٢٥٠).

دكتوراه عبدالعلي المدني (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

قال ابن كثير بعد أن ساق الرواية عن علي وذكر كلام ابن جرير، قال: يحتمل أن يكون الكل مرادا، وأن يكون معه غيره، والله أعلم.[1]

الترجيح:

والراجح والعلم عند الله تعالى هو ما جاء عن النبي ﷺ في الصحيحين في تفسير الأذى الذي آذى به بنو إسرائيل موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام وهو ما رجحه ابن جزي في القول الأول، وإذا جاء التفسير عن النبي ﷺ فحسبك به.

وأما القول الثاني فهو داخل في الآية على وجه العموم، فإن بني إسرائيل تنوع أذاهم لموسى عليه السلام ولهم معه تاريخ طويل ذكره الله في القرآن، ولذا قال الطبري:

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن بني إسرائيل آذوا نبي الله ببعض ما كان يكره أن يؤذى به، فبرأه الله مما آذوه به. وجائز أن يكون ذلك كان قيلهم: إنه أبرص. وجائز أن يكون كان ادعاءهم عليه قتل أخيه هارون. وجائز أن يكون كل ذلك؛ لأنه قد ذكر كل ذلك أنهم قد آذوه به، ولا قول في ذلك أولى بالحق مما قال الله إنهم آذوا موسى، فبرأه الله مما قالوا.[2]

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٢١).

(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ٥٢).

الكلام على قوله تعالى: (ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڍ ڍ ڌ ڌ ڌ ڌ ڎ ڎ ڎ ڎ ڈ ڈ ڈ ڈ ژ ژ ژ ژ ڑ ڑ ڑ ڑ ک ک ک ک ڪ ڪ ڪ ڪ ڭ ڭ ڭ ڭ ڮ ڮ ڮ ڮ ڰ ڰ ڰ ڰ ڱ ڱ ڱ ڱ ڳ ڳ ڳ ڳ ڲ ڲ ڲ ڲ ڴ ڴ ڴ ڴ ڵ ڵ ڵ ڵ ڶ ڶ ڶ ڶ ڷ ڷ ڷ ڷ ڸ ڸ ڸ ڸ ڹ ڹ ڹ ڹ ں ں ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ڼ ڼ ڼ ڼ ڽ ڽ ڽ ڽ ھ ھ ھ ھ ڿ ڿ ڿ ڿ ۀ ۀ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ۂ ۂ ۂ ۂ ۓ ۓ ۓ ۓ) (ۆ ۆ ۆ ۆ ۇ ۇ ۇ ۇ ۈ ۈ ۈ ۈ ۋ ۋ ۋ ۋ ۅ ۅ ۅ ۅ ۉ ۉ ۉ ۉ ې ې ې ې ى ى ى ى ئا ئا ئا ئا ئە ئە ئە ئە ئو ئو ئو ئو ئۇ ئۇ ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئۈ ئۈ ئې ئې ئې ئې ئى ئى ئى ئى ی ی ی ی ئج ئح ئم ئى ئي بج بح بخ بم بى بي تج تح تخ تم تى تي ثج ثم ثى ثي جح جم حج حم خج خم سج سح سخ سم صح صم ضج ضح ضخ ضم طح ظم عج عم غج غم فج فح فخ فم قح قم كا كل كم كى كي لج لح لخ لم لى مج مح مخ مم نج نح نخ نم نى ني هج هم هى هي يج يح يخ يم يى يي ذٰ رٰ ىٰ ئر ئز ئم ئن ئى ئي بر بز بم بن بى بي تر تز تم تن تى تي ثر ثز ثم ثن ثى ثي فى في قى قي كا كل كم كى كي لا لم لى مم نر نز نم نن نى ني ير يز يم ين يى يي ئج ئح ئخ ئم ئه بج بح بخ بم به تج تح تخ تم ته ثم جح جم حج حم خج خم سج سح سخ سم صح صخ صم ضج ضح ضخ ضم طح ظم عج عم غج غم فج فح فخ فم قح قم كج كح كخ كل كم لج لح لخ لم له مج مح مخ مم نج نح نخ نم نه هج هم هٰ ئم ئه بم به تم ته ثم جح جم حج حم خج خم سج سح سخ سم صح صم ضج ضح ضخ ضم طح ظم عج عم غج غم فج فح فخ فم قح قم كا كل كم لج لح لخ لم له مج مح مخ مم نج نح نخ نم نه هج هم هٰ يج يح يخ يم يه ئم ئه بم به تم ته ثم جح جم حج حم خج خم سج سح سخ سم صح صم ضج ضح ضخ ضم طح ظم عج عم غج غم فج فح فخ فم قح قم كا كل كم لج لح لخ لم له مج مح مخ مم نج نح نخ نم نه هج هم هٰ يج يح يخ يم يه

وقال القرطبي: الأمانة تعم جميع وظائف الدين على الصحيح من الأقوال، وهو قول الجمهور.[1] وقال ابن كثير: قال العوفي عن ابن عباس: يعني بالأمانة: الطاعة.[2]

القول الثاني: أنها الأمانة في الأموال.

قال ابن عطية: قال ابن مسعود هي أمانات المال كالودائع ونحوها، وروي عنه أنه في كل الفرائض وأشدها أمانة المال.[3] وكذا قال القرطبي.[4]

القول الثالث: أنها غسل الجنابة.

فروى ابن جرير[5] عن أَبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: (**خمس من جاء بهن يوم القيامة مع إيمان دخل الجنة: من حافظ على الصلوات الخمس؛ على وضوئهن وركوعهن وسجودهن ومواقيتهن، وأعطى الزكاة من ماله طيب النفس بها**) وكان يقول: (**وأيم الله لا يفعل ذلك إلا مؤمن، وصام رمضان، وحج البيت إن استطاع إلى ذلك سبيلا، وأدى الأمانة**).قالوا: يا أبا الدرداء وما الأمانة ؟ قال: الغسل من الجنابة، فإن الله لم يأمن ابن آدم على شيء من دينه غيره.[6] وكذا نقل ابن عطية [7] والقرطبي[8] وابن كثير.[9] عن أبي الدرداء.

---

(١) تفسير القرطبي (١٤/ ٢٤٥).

(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٢٣).

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٣٩٧).

(٤) تفسير القرطبي (١٤/ ٢٤٥).

(٥) تفسير الطبري (٢٢/ ٥٣).

(٦) الحديث: حسن. أخرجه أبو داود: (٢/ ١٨)، والطبراني في الكبير: (٢٠/ ٢٥٢)، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود للألباني: (١/ ٤٢٩)، وصحيح الترغيب الترهيب: (١/ ١٨١) وقال: الحديث رواه الطبراني في الكبير بإسناد جيد.

(٧) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٣٩٧).

(٨) تفسير القرطبي (١٤/ ٢٤٥).

(٩) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٢٣).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

الترجيـــح:

والراجح والعلم عند الله تعالى هو القول الأول وهو الذي رجحه ابن جزي عليه رحمة الله تعالى وذلك لعدة أمور:

الأمر الأول: أن هذا هو قول جمهور أهل العلم رحمهم الله تعالى.

الأمر الثاني: أنه أعم الأقوال وأوسعها وهو الأليق بالآية، فكل الأقوال الباقية هي داخلة تحته، فإن أمانة الأموال هي نوع من أنواع التكاليف المأمور بها، وكذا غسل الجنابة، فمن ذكرها من أهل العلم في هذه الآية، فإنما يذكرها من باب التنصيص على بعض أفراد العام. ولذا قال ابن جرير:

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب ما قاله الذين قالوا: إنه عُنِي بالأمانة في هذا الموضع: جميع معاني الأمانات في الدين وأمانات الناس وذلك أن الله لم يخص بقوله (و و □) بعض معاني الأمانات لما وصفنا.[1]

الأمر الثالث: أن العام يبقى على عمومه حتى يرد ما يخصصه. و«أل» في الأمانة تستغرق جميع أنواع الأمانات بلا استثناء.

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ٥٣).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

المسألة الثانية: ما المراد بالإنسان هنا ؟

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: «والإنسان هنا: جنس. وقيل: يعني آدم.وقيل قابيل الذي قتل أخاه».[1]

والمسألة فيها ثلاثة أقوال:

القول الأول: أن المراد به جنس الإنسان.

قال ابن عطية: قال بعضهم: (□□ □) النوع كله وهذا حسن مع عموم الأمانة.[2] وكذا قال القرطبي.[3] ونقل ابن الجوزي عن ثعلب أنه قال: جميع الناس.[4]

قال ابن عاشور: تعريف (□□ □) تعريف الجنس، أي نوع الإِنسان.[5]

القول الثاني: أن المراد به آدم عليه السلام.

قال ابن جرير: ثم عرضها على آدم فقبلها بما فيها، وهو قوله: (□ □□ □ □ □□□) [6] وكذا قال الماوردي ونقله عن الحسن.[7] وبه قال السمعاني.[8] والبغوي[9] وابن عطية - ونقله عن ابن عباس والضحاك- [10] وابن الجوزي -ونقله عن الجمهور-[11] والقرطبي -ونقله عن ابن عباس وأصحابه والضحاك-.[12]

---

(١) التسهيل لابن جزي: ص(٥٧٠).

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٣٩٧).

(٣) تفسير القرطبي ١٤/ ٢٥٨).

(٤) زاد المسير (٦/ ٤٢٨).

(٥) التحرير والتنوير (١١/ ٣٣٧).

(٦) تفسير الطبري (٢٢/ ٥٦).

(٧) النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٤٢٨).

(٨) تفسير السمعاني (٤/ ٣٠٣).

(٩) تفسير البغوي (٣/ ٥٤٧).

(١٠) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٣٩٧).

(١١) زاد المسير (٦/ ٤٢٨).

(١٢) تفسير القرطبي ١٤/ ٢٥٨).

القول الثالث: أن المراد به قابيل الذي قتل أخاه.

قال ابن جرير: قال آخرون: بل ذلك إنما عنى به ائتمان آدم ابنه قابيل على أهلـه وولـده، وخيانة قابيل أباه في قتله أخاه.[١]

وأورد ابن عطية عن ابن عباس وابن مسعود (□□ □) ابن آدم قابيـل الـذي قتـل أخاه وكان قد تحمل الأمانة لأبيه أن يحفظ الأهل بعده.[٢]

قال ابن الجوزي: روى السدي عن أشياخه أن آدم لَمَّا أراد الحج قال للسماء: احفظي ولدي بالأمانة، فأبت، وقال للأرض، فأبت، وقال للجبال، فأبت، فقال لقابيل، فقال: نعم، تذهب وتجيء وتجد أهلك كما يسرُّك، فلما انطلق آدم، قتل قابيلُ هابيلَ، فرجع آدم فوجد ابنه قد قتل أخاه، فذلك حيث يقول الله ﷻ: (ڤ ڤ ڤ □) إلى قوله (□ □□ □) وهو ابن آدم، فما قام بها.[٣] قال ابن الجوزي: قابيل في قول السدي.[٤] وكذا قال القرطبي.[٥]

الترجيـــح:

والراجح والعلم عند الله تعالى هو القول الأول كما رجحه ابن جزي عليه رحمة الله تعالى، وذلك لعدة أمور:

الأمر الأول: أن هذا هو قول جمهور أهل العلم رحمهم الله تعالى.

الأمر الثاني: أن كل ما ذكر من أقوال فإنها داخلة في القول الأول. فمن قال إن المراد بذلك آدم عليه السلام فقوله غير خارج عن القول الأول. ومن قال إن المراد بذلك ابن آدم قابيل، فقوله أيضاً غير خارج عن القول الذي رجحناه.

الأمر الثالث: أن الآية إذا كانت محتملة لأكثر من معنى ولا تعارض بين هذه المعاني فإن الأولى أن تحمل عليها جميعاً، لأن القرآن يدل على المعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة.

---

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ٥٦).

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٣٩٧).

(٣) زاد المسير (٦/ ٤٢٨).

(٤) نفس المصدر.

(٥) تفسير القرطبي ١٤/ ٢٥٨).

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

سورة سبـــأ

الكلام على قوله تعالى: (﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾

ويقولون يومئذ أيضًا: (ى ى ې ې ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ) [الأعراف:٤٣] ويقال أيضًا: (هَـٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَـٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ) [يس:٥٢] (ہ ہ ہ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ) [سبأ].[١]

القول الثاني: أنه مستأنف.

قال الزمخشري: يرى في موضع الرفع، أي: ويعلم أولو العلم، يعني أصحاب رسول الله ﷺ ومن يطأ أعقابهم من أمّته. أو علماء أهل الكتاب الذين أسلموا مثل كعب الأحبار وعبدالله بن سلام { . (ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ې ې) هما مفعولان ليرى، و «هو» فصل من قرأ ﴿ الحقُ ﴾ بالرفع جعله مبتدأ و ﴿ الحقُ ﴾ خبراً، والجملة في موضع المفعول الثاني.[٢]

قال ابن عطية: الظاهر أنه فعل مستأنف وأن الواو إنما عطفت جملة على جملة وكأن المعنى: الإخبار بأن أهل العلم يرون الوحي المنزل على محمد حقاً وأنه يهدي إلى صراط الله.[٣]

قال القرطبي: الصحيح أنه رفع على الاستئناف، ذكره القشيري.[٤]

وظاهر كلام ابن القيم يشعر بأنها مستأنفة، حيث قال: وهذا دليل ظاهر أن الذي نراه معارضاً للنقل ويقدم العقل عليه، ليس من الذين أوتوا العلم في قبيل ولا دبير ولا قليل ولا كثير.[٥]

الترجيح:

والذي يظهر لي والعلم عند الله أن المقدم على خلاف ما استظهره ابن جزي عليه رحمة الله تعالى، وذلك لعدة أمور:

الأمر الأول: أن هذا هو اختيار المحققين وخاصة أهل اللغة كما تقدم، وهو الموافق للآيات القرآنية الأخرى كما ذكر ذلك ابن كثير عليه رحمة الله تعالى.

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٥١٧).

(٢) الكشاف (٣/ ٥٧٨).

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٠٤ - ٤٠٥).

(٤) تفسير القرطبي (١٤/ ٢٥٥).

(٥) بدائع التفسير: (٣/ ٤٣٥)، وأصله في الصواعق المرسلة: (٣/ ٨٥٠).

دكتوراه عبدالعلي الحمدي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

الأمر الثاني: أن سياق الآيات عند التأمل يقتضي عطفها على ما سبق من أفعال في الآيات التي قبلها، فلو نظرت إلى قول الله تعالى (ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

الكلام على قوله تعالى: (ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ)

وفي هذه الآية ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: ما معنى قوله تعالى: (ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ) ؟.

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: « ومعنى أوبي: سبحي، وأصله من التأويب وهو الترجيع، لأنه كان يرجع التسبيح فترجعه معه. وقيل: هو من التأويب بمعنى السير بالنهار. وقيل: كان ينوح فتساعده الجبال بصداها والطير بأصواتها». [١]

والمسألة فيها ثلاثة أقوال:

القول الأول: أي: سبحي معه.

قال ابن جرير: وقلنا للجبال (ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ): سبحي معه إذا سبح. والتأويب عند العرب: الرجوع ومبيت الرجل في منزله وأهله، ومنه قول الشاعر:

يَوْمَانِ يَومُ مقاماتٍ وأنديةٍ ... ويومُ سَيرٍ إِلَى الأَعْدَاءِ تَأْوِيبِ [٢]

أي رجوع. وروى ابن جرير هذا المعنى عن ابن عباس ومجاهد وقتادة. [٣] وكذا الماوردي. [٤] وقال السمعاني: أكثر أهل التفسير على أن معناه: سبحي معه؛ وهو عن ابن عباس وغيره، ويقال: رجعي معه. [٥] وممن ذكر هذا المعنى من المفسرين:

البغوي [٦] والزمخشري [٧] وابن عطية [٨] وابن الجوزي -ونقله عن ابن قتيبة- [٩]

---

(١) التسهيل لابن جزي: ص(٥٧١).

(٢) البيت لسلامة بن جندل كما في ديوانه: (١/ ١).

(٣) تفسير الطبري (٢٢/ ٦٥).

(٤) النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٤٣٥).

(٥) تفسير السمعاني (٣/ ٢٣٤).

(٦) تفسير البغوي (٣/ ٥٤٩).

(٧) الكشاف (٣/ ٥٧٧).

(٨) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٠٧).

(٩) زاد المسير (٦/ ٤٣٥).

والقرطبي[1] والبغوي[2] وابن عاشور.[3]

القول الثاني: هو من التأويب بمعنى السير بالنهار.

قال الماوردي: سيرى معه قاله الحسن وهو من السير ما كان في النهار كله أو في الليل كله، وقيل: بل هو سير النهار كله دون الليل.[4]

قال البغوي: قال القتيبي: أصله من التأويب في السير، وهو أن يسير النهار كله وينزل ليلا كأنه قال أوِّبي النهار كله بالتسبيح معه[5] وكذا قال ابن الجوزي[6] والقرطبي[7] وابن عطية.[8]

القول الثالث: قيل: كان ينوح فتساعده الجبال بصداها والطير بأصواتها.

فروى البغوي عن وهب بن منبه قال: نوحي معه.[9] وقال الزمخشري: وقيل: كان ينوح على ذنبه بترجيع وتحزين، وكانت الجبال تساعده على نوحه بأصدائها والطير بأصواتها.[10]

وقال ابن عطية: قال وهب بن منبه: المعنى نوحي معه والطير تساعدك على ذلك، قال فكان داود إذا نادى بالنياحة والحنين أجابته الجبال وعكفت الطير عليه من فوقه.[11] وكذا قال القرطبي.[12]

---

(١) تفسير القرطبي (١٤/ ٢٦٥).

(٢) تفسير البغوي (٣/ ٥٤٩).

(٣) تفسير التحرير والتنوير (٢٢/ ١٥٦).

(٤) النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٤٣٥).

(٥) تفسير البغوي (٣/ ٥٤٩).

(٦) زاد المسير (٦/ ٤٣٥).

(٧) تفسير القرطبي (١٤/ ٢٦٥).

(٨) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٠٧).

(٩) تفسير البغوي (٣/ ٥٤٩).

(١٠) الكشاف (٣/ ٥٧٧).

(١١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٠٧).

(١٢) تفسير القرطبي (١٤/ ٢٦٥).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

الترجيـــح:

والراجح والعلم عند الله تعالى هوا ما اختاره ابـن جـزي رحمـه الله تعـالى مـن أن المـراد بقوله: (ژ ژ ڑ گ) أي: سبحي معه، وذلك لعدة أمور:

الأمر الأول: أن هذا الحرف في هذه الآية محمول على ما جاء في مواضع أخرى فيها أمـر الله تبارك وتعالى للجبال والطير بأن تسبح معه، قال تبـارك وتعـالى: (ٹ ٹ ٹ ٹ ڈ ڈ ڈ ڈ ژ ژ)[ص:١٨] وفي الآية الأخـرى: (ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ)(الأنبياء: ٧٩) والقـرآن يفسر بعضه بعضاً. وهذا من أعلى مراتب التفسير وهو تفسير القرآن بالقرآن.

الأمر الثاني: أنه لا تعارض بين القول الأول والقول الثالث، فداود كان يسـبح وكانـت الجبال والطير ترجع وراءه التسبيح وتردد وتنوح بالتسبيح بعـده فيصـح أن تقـول إن الجبـال تسبح معه، ويصح أن تقول: ترجع وتنوح معه بالتسبيح ولا فرق وأما القول الثاني وهو القول بأن المراد سيري معه، فغير متجه وهو بعيد عن معنى الآية، ومن قال به من المفسرين فإنما أراد به كما قال القتيبي: أصله من التأويب في السير، وهو أن يسير النهار كله وينزل ليلا كأنـه قـال أوِّبي النهار كله بالتسبيح معه.[1]

الأمر الثالث: أن هذا هو قول جماهير المفسرين وهو قول ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن زيد وابن قتيبة وغيرهم، وأما القول الثاني لم يقل به سوى الحسـن البصـري ومـن ذكـره فهـو محمول على أن المراد أن تسبح معه طيلة النهار. وبهذا تتفق جميـع الأقـوال، وعـلى هـذا تحمـل عبارات المفسرين ويزول الإشكال بحمد الله تعالى، ويعود معناها جميعاً إلى القول الذي رجحه ابن جزي رحمه الله تعالى.

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

(١) تفسير البغوي (٣/ ٥٤٩).

دكتوراه عبدالعلي الحمدي (كامل الرسالة :: مع الفهارس) 5

المسألة الثانية: القراءات في قوله تعالى: (ڑک گ) والإعراب على كل قراءة.

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: «بالنصب: عطف على موضع يا جبال. وقيل: مفعول معه. وقيل: معطوف على فضلاً. وقرىء بالرفع: عطف على لفظ يا جبال». [1]

القراءة الأولى: بالنصب «والطيرَ». **وفي إعرابها ثلاثة أقوال:**

القول الأول: منصوبة بالعطف على موضع يا جبال.

قال البغوي: (ڑک گ) عطف على موضع الجبال، لأن كل منادى في موضع النصب.[2] وكذا قال الزمخشري[3] وابن عطية وحكاه عن سيبويه. قال: لأن موضع المنادى المفرد نصب[4] ونقله ابن الجوزي عن الزجاج[5] وبنحوه قال القرطبي.[6] قال ابن عاشور: (ڑک گ) منصوب بالعطف على المنادَى لأن المعطوف المعرَّف على المنادى يجوز نصبُه ورفعه. والنصب أرجح ... وهو أوجه. [7]

القول الثاني: أنها مفعول معه.

قال الزمخشري: وجوّزوا أن ينتصب مفعولاً معه. [8] وقال القرطبي: قال النحاس: ويجوز أن يكون مفعولا معه، كما تقول: استوى الماء والخشبة. وسمعت الزجاج يجيز: قمت وزيداً، فالمعنى أوبي معه ومع الطير. [9]

قال ابن عاشور: ويجوز أن يكون (ڑک گ) مفعولاً معه لـ(ژ گ). والتقدير: أوبي معه ومع الطير، فيفيد أن الطير تأوّب معه أيضاً.[10]

---

(١) التسهيل لابن جزي: ص(٥٧١).
(٢) تفسير البغوي (٣/ ٥٤٩).
(٣) الكشاف (٣/ ٥٧٧).
(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٠٧).
(٥) زاد المسير (٦/ ٤٣٥).
(٦) تفسير القرطبي (١٤/ ٢٦٦).
(٧) تفسير التحرير والتنوير (٢٢/ ١٥٦).
(٨) الكشاف (٣/ ٥٧٧).
(٩) تفسير القرطبي (١٤/ ٢٦٦).
(١٠) تفسير التحرير والتنوير (٢٢/ ١٥٦).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

القول الثالث: أنها معطوفة على (ڈڈ گ) وذلك بإضمار فعل مقدر نحو: سخرنا أو أمرنا الطير.

قال السمعاني: وقوله: (ڑک گ) أي: وأمرنا الطير أن تسبح معه.[1] وكذا قال البغوي.[2] والزمخشري[3] وابن عطية وقال:هو مذهب الكسائي.[4] نقله ابن الجوزي عن أبي أبي عمرو بن العلاء [5] وبنحوه قال القرطبي.[6]

القراءة الثانية: قراءة الرفع «والطيرُ» **وفي إعرابها قول واحد وهو:** العطف على لفظ يا جبال. قال ابن جرير: وقد يجوز رفع الطير وهو معطوف على الجبال.[7] وقال البغوي: وقرأ يعقوب: «والطيرُ» بالرفع ردا على الجبال، أي: أوبي أنت والطير.[8] وقال الزمخشري: وقرىء: «والطيرُ» رفعاً ونصباً، وعطفاً على لفظ الجبال.[9] وبنحوه قال ابن الجوزي -ونقله عن الزجاج-[10] والقرطبي.[11]

الترجيـــح:

والراجح والعلم عند الله تعالى هو ما اختاره ابن جزي عليه رحمة الله تعالى، حيث قرر أن المقدم في المسألة قراءة النصب، وهي قراءة الجمهور.

قال أبو بكر الأصبهاني: قرأ روحٌ وزيدٌ عن يعقوب: ﴿ يا جبالُ أوبي معه والطيرُ ﴾ بالرفع مثل قراءة عبيد بن عمير والأعرج وغيرهما؛ وقرأ الباقون ورويس: (ڑک) بالنصب.

---

(١) تفسير السمعاني (٤/ ٣١٩).
(٢) تفسير البغوي (٣/ ٥٤٩).
(٣) الكشاف (٣/ ٥٧٧).
(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٠٧).
(٥) زاد المسير (٦/ ٤٣٥).
(٦) تفسير القرطبي (١٤/ ٢٦٦).
(٧) تفسير الطبري (٢٢/ ٦٦).
(٨) تفسير البغوي (٣/ ٥٤٩).
(٩) الكشاف (٣/ ٥٧٧).
(١٠) زاد المسير (٦/ ٤٣٥).
(١١) تفسير القرطبي (١٤/ ٢٦٦).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة .:. مع الفهارس) ٥

[1] وذكر ابن الجزري أن قراءة الرفع هي رواية زيد عن يعقوب ووردت عن عاصم وأبي عمرو. [2] ثم إن الراجح في توجيه قراءة النصب هو كما قال ابن جزي رحمه الله من أنها معطوفة على موضع: (ژ گ) وذلك لعدة أمور:

الأمر الأول: أن هذا هو المتفق مع سياق الآية، كما مر في ترجيح المسألة التي قبل هذه، فإن الله تعالى أمر الجبال وأمر الطير بالتسبيح مع داود عليه السلام.

الأمر الثاني: أن هذا التوجيه لا يحتاج إلى تقدير، بخلاف ما ذكر من أوجه أخرى فمن قال إنها مفعول معه قدروا الواو بمعنى «مع» أو أن تقدر فعلاً ينصب الطير فتقول: وسخرنا له الطير.[3] والقاعدة تنص على أن يقلل المقدر مهما أمكن لتقل مخالفة الأصل. [4]

قال ابن عادل: قوله: « والطير » العامة على نصبه وفيه أوجه:

أحدهما: أنه عطف على محل جبال لأنه منصوب تقديراً.

الثاني: أنه مفعول معه قاله الزجاج. ورد عليه بأنه قبله لفظ « معه » ولا يقتضي العامل أكثرَ من مفعول معه واحد إلا بالبدل أو العطف لا يقال: جَاءَ زَيْدٌ مَعَ بَكْرٍ مَعَ عَمْرٍو.

الثالث:أنه عطف على «فضلاً»ولا بدّ من حذف مضاف تقديره: آتيناه فضلاً وتَسْبِيح الطير.

الرابع: أنه منصوب بإضمار فعل أي سَخَّرْنَا لَهُ الطَّيْرَ. قاله أبو عمرو.[5]

وأما قراءة الرفع فلم يذكر ابن جزي سوى توجيهاً واحداً مع وجود غيره كما ذكر العكبري[6] مما يشعر بأن هذا هو المختار عند ابن جزي.

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

(١) المبسوط في القراءات العشر للأصبهاني: ص(٣٠٤).

(٢) النشر في القراءات العشر لابن الجزري: (٢/ ٣٤٩).

(٣) انظر: معاني القرآن للفراء: (٢/ ٣٥٥).

(٤) انظر: مختصر قواعد التفسير للسبت: ص(١٠).

(٥) تفسير اللباب لابن عادل الحنبلي (١٣/ ١٢٧).

(٦) التبيان في إعراب القرآن: (٢/ ١٠٦٤).

المسألة الثالثة: معنى قوله تعالى: (ک ک ک گ).

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: «أي: جعلناه له لينا بغير نار كالطين والعجين. وقيل: لان له الحديد لشدة قوته».[١]

والمسألة فيها قولان:

القول الأول: أن المعنى: جعلناه له لينا بغير نار كالطين والعجين.

قال ابن جرير: ذُكِر أن الحديد كان في يده كالطين المبلول يصرفه في يده كيف يشاء بغير إدخال نار ولا ضرب بحديد. ثم روى عن قتادة قال: كان يسويها بيده ولا يدخلها نارًا ولا يضربها بحديدة. [٢] وكذا نقل الماوردي[٣] والسمعاني[٤] وابن عطية[٥] والبغوي[٦] والزمخشري.[٧]

والبغوي[٦] والزمخشري.[٧]

القول الثاني: أن الحديد لان له من شدة قوته عليه السلام. وهذا القول ذكره الزمخشري[٨] وابن عطية[٩] بصيغة التمريض.

الترجيح:

والراجح والله أعلم هو ما رجحه ابن جزي عليه رحمة الله تعالى من أن المراد بذلك أن الله تعالى طوع له الحديد فجعله له لينا كالشمع والعجين يصرفه كيف يشاء، وإنما كان هذا هو الراجح لعدة أمور:

---

(١) التسهيل لابن جزي: ص(٥٧٢).
(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ٦٦).
(٣) النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٤٣٦).
(٤) تفسير السمعاني (٤/ ٣١٩).
(٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٠٧).
(٦) تفسير البغوي (٣/ ٥٥٠).
(٧) الكشاف (٣/ ٥٧٣).
(٨) نفس المصدر.
(٩) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٠٧).

الأمر الأول:أن هذا قول جمهور المفسرين وهو المشهور في كتبهم. وأما القول الثاني فمحكي بصيغة التمريض ولم أجده عند غير الزمخشري وابن عطية.

الأمر الثاني: أن هذا هوالأبلغ في المنة والإكرام، لأن معالجة الحديد بطبيعته الصلبة من غير نار لا يخفى ما فيه من العنت والمشقة حتى لو توافرت القوة، بخلاف ما امتن الله به على داود من إلانة الحديد له من غير حاجة لمعالجة وشدة تكريماً له عليه وعلى نبينا وجميع الأنبياء أفضل الصلاة والسلام.

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

الكلام على قوله تعالى: (ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ)

وفيها مسألة واحدة وهي: ما المراد بتقدير السرد في الآية.

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: «معنى السرد هنا نسج الدروع. وتقديرها: أن لا يعمل الحلقة صغيرة فتضعف ولا كبيرة فيصاب لابسها من خلالها. وقيل: لا يجعل المسمار دقيقا ولا غليظاً».[١]

والمسألة فيها قولان:

القول الأول: أن المراد بالسرد: نسج الدروع. والتقدير: ألا تكون الحَلْقة صغيرة فتضعف ولا كبيرة فيصاب لابسها من خلالها.

فروى ابن جرير عن ابن زيد قال: السرد حَلَقه، أي: قدر تلك الحَلَق. وقال الشاعر:

أجادَ المُسَدِّي سَرْدَهَا وَأَذَالَهَا[٢]

قال: يقول: وسعها وأجاد حلقها. وروى عن ابن عباس في قوله: (ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ) يعني بالسرد: ثقب الدروع فيسد قتيرها. وقال بعض أهل العلم بكلام العرب: يقال درع مسرودة إذا كانت مسمورة الحلق، واستشهد لقيله ذلك بقول الشاعر:

وَعَلَيهِمَا مَسْرُودَتَانِ قَضَاهُمَا... دَاودُ أَوْ صَنَعُ السَّوَابِغِ تُبَّعُ[٣]

قال ابن جرير: وعنى بقوله: (ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ) وقدر المسامير في حلق الدروع حتى يكون بمقدار لا تُغْلِظ المسمار، وتضيق الحَلْقة فتفصم الحلقة، ولا توسع الحلقة وتصغر المسامير وتُدِقَّها فتسلس في الحلقة.[٤]

قال الماوردي: لا تجعل حلقه واسعة فلا تقي صاحبها. قال قتادة: وكان داود أول من عملها.[٥]

---

(١) التسهيل لابن جزي: ص(٥٧٢).

(٢) البيت لكثير عزة كما في ديوانه: (١/ ١٣٦). وصدره: على ابن أبي العاصي دلاص حصينة.

(٣) البيت لأبي ذؤيب الهذلي: كما في جمهرة أشعار العرب (١/ ٢٠).

(٤) تفسير الطبري (٢٢/ ٦٧).

(٥) النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٤٣٦).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

قال ابن عطية: التقدير الذي أمر به هو في قدر الحلقة أي لا تعملها صغيرة فتضعف ولا تقوي الدرع على الدفاع، ولا تعملها كبيرة فيُنَال لابسها من خلالها.[1] وكذا قال ابن الجوزي.[2] والقرطبي وحكاه عن ابن زيد.[3]

القول الثاني: أن المراد بالتقدير: ألا يجعل المسمار دقيقا ولا غليظاً.

فروى ابن جرير عن الحكم في قوله: (ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ) قال: لا تغلظ المسمار فَيَفْصِم الحَلْقة ولا تدقه فيقلق[4].[5]

قال الماوردي: عدِّل المسامير في الحلقة لا تصغر المسمار وتعظم الحلقة فيسلس، ولا تعظم المسمار وتصغر الحلقة فتنفصم الحلقة. قاله مجاهد.[6] وبمثله ذكر السمعاني عن قتادة.[7] قتادة.[7]

قال البغوي: يقول: قدر المسامير في حلق الدرع أي: لا تجعل المسامير دقاقاً فتفلت، ولا غلاظا فتكسر الحلق.[8]

قال الزمخشري: لا تجعل المسامير دقاقاً فتقلق، ولا غلاظاً فتفصم الحلق.[9]

قال ابن عطية: وذكر البخاري في مصنفه ذلك فقال: المعنى لا تدق المسمار فيسلسل، ويروى فيتسلسل، ولا تغلظه فيقصم بالقاف، وبالفاء أيضاً رواية.[10] وكذا قال القرطبي.[11]

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٠٨).
(٢) زاد المسير (٦/ ٤٣٤).
(٣) تفسير القرطبي (١٤/ ٢٦٧).
(٤) أي : يضطرب ولا يستقر في مكان واحد.
(٥) تفسير الطبري (٢٢/ ٦٧).
(٦) النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٤٣٦).
(٧) تفسير السمعاني (٤/ ٣١٩).
(٨) تفسير البغوي (٣/ ٥٥٠).
(٩) الكشاف (٣/ ٥٧٣).
(١٠) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٠٨).
(١١) تفسير القرطبي (١٤/ ٢٦٧).

وروى ابن الجوزي عن مجاهد قوله: عدِّل المسمار في الحَلْقة ولا تصغِّره فيقلق، ولا تُعظِّمه فتنفصم الحَلْقة. [1] وروى ابن كثير نحوه عن الحكم بن عُتيبة وقتادة، وغير واحد. [2]

الترجيح:

والراجح والعلم عند الله تعالى أن التقدير الذي أمر الله به داود عليه السلام، هو تناسب حبك هذه الدروع سواء في حجم الحلق، أو في حجم المسامير، لأن قوة الدرع تكمن في تناسب غلظ المسامير مع ثقوب الحلق، ولأن المسمار إذا غلظ ودقت الحلقة انفصمت وانفك الدرع، وإذا اتسعت الحلق ودقت المسامير اضطربت المسامير وضعفت الدرع. ومن هنا ندرك أنه لا تعارض بين أقوال أهل العلم رحمهم الله تعالى غير أن بعضهم ذكر التقدير في الحلق وبعضهم ذكره في المسامير. وهذا المعنى هو المذكور في كتب اللغة، قال الخليل بن أحمد: قال اللهُ - عَزّ وجلَّ: (ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ) أي: اجعَلِ المساميرَ على قَدْر خُرُوق الحَلَق، لا تُغلِظْ فتَنخَرِمَ ولا تُدِقَّ فتَقْلَقَ. [3] وكذا قال الأزهري [4] وابن منظور [5] والزبيدي. [6]

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

(١) زاد المسير (٦/ ٤٣٤).

(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ١٨٧).

(٣) العين للخليل بن أحمد (٢/ ٥٧).

(٤) تهذيب اللغة الأزهري (٤/ ٢٦٢).

(٥) لسان العرب (٣/ ٢١١).

(٦) تاج العروس الزَّبيدي(١/ ٢٠٢٨).

دكتوراه عبدالعلي الحمدي (كامل الرسالة :: مع الفهارس) ٥

الكلام على قوله تعالى: (ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک گ گ ڳ ڳ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﷺ ﷺ ﷺ

ومجاهد، وعكرمة، وعطاء الخراساني، وقتادة، والسدي، ومالك عن زيد بن أسلم، وعبدالرحمن بن زيد بن أسلم، وغير واحد: القطر: النحاس. [1]

قال ابن الجوزي: قال المفسرون: أجرى الله لسليمان عين الصُّفْر حتى صنع منها ما أراد من غير نار، كما أُلين لداود الحديدُ بغير نار، فبقيت تجري ثلاثة أيام ولياليهنّ كجري الماء؛ وإنما يعمل الناس اليوم مما أُعطي سليمان. [2]

القول الثاني: أن الله أذاب له النحاس بغير نار كما ألان الحديد لداود.

قال الزمخشري: القطر: النحاس المذاب من القطران. فإن قلت: ماذا أراد بعين القطر ؟ قلت: أراد بها معدن النحاس ولكنه أساله كما ألان الحديد لداود، فنبع كما ينبع الماء من العين؛ فلذلك سماه عين القطر باسم ما آل إليه. [3]

وقال ابن عطية: وقالت فرقة بل معنى (ﻫ ﻫ ﻩ ﻫﻫ ﻭ) أذبنا له النحاس عن نحو ما كان الحديد يلين لداود، قالوا وكانت الأعمال تتأتى منه لسليمان وهو بارد دون نار. [4] وكذا ذكر أبو حيان. [5]

الترجيـــح:

والراجح والعلم عند الله تعالى هو القول الأول وأن الله تعالى أسال له عيناً من النحاس، وهذا هو المأثور عن ابن عباس رضي الله عنهما، وجماهير المفسرين كما تقدم، وأما القول الثاني فهو محمول على أن الله أسال النحاس في هذه العين كما ألان الحديد لداود، وهذا لا يعارض القول الأول.

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٢٩).

(٢) زاد المسير (٦/ ٤٣٧).

(٣) الكشاف (٣/ ٥٧٨).

(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٠٧).

(٥) تفسير البحر المحيط (٧/ ٢٤٧).

المسألة الثانية: ما المراد بقوله: (ﻫ ﻫﻫ ﻭ) ؟.

والمسألة فيها قولان:

القول الأول: أن القطر: هو النحاس. وهو قول جمهور العلماء كما تقدم في المسألة السابقة. قال الألوسي: وعليه جمهور اللغويين.[1]

القول الثاني: أن القطر: هو النحاس والحديد ونحو ذلك. وهذا القول ذكره ابن عطية فقال: وقالت فرقة «القطر» الفلز كله النحاس والحديد وما جرى مجراه.[2] وكذا قال الألوسي.[3]

الترجيـــح:

والراجح والعلم عند الله تعالى هو القول الأول وهو قول جمهور أهل اللغة وتفسير ابن عباس وجماهير السلف والمفسرين.

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

(١) روح المعاني (٢٢/ ١١٧).

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٠٧). والفِلِزُّ بالكسر وتشديد الزاي: ما يَنْفيه الكير مما يُذاب من جواهر الأرض.انظر : الصحاح في اللغة - (ج ٢ / ص ٥١)

(٣) روح المعاني (٢٢/ ١١٧).

المسألة الثالثة : معنى قوله تعالى: (﴿ ﴾ ﴿ ﴾).

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: «يعني: نار الآخرة. وقيل:كان معه مَلَك يضربهم بسوط من نار».[١]

وفي هذه المسألة قولان :

القول الأول : أن المقصود بالعذاب في نار الآخرة.

قال ابن جرير: (﴿ ﴾ ﴿ ﴾) في الآخرة، وذلك عذاب نار جهنم الموقدة.[٢] وحكى الماوردي،[٣] وابن الجوزي [٤] عن الضحاك أنه قال: نذيقه ذلك في الآخرة. وكذا قال السمعاني.[٥] والبغوي.[٦] وابن عطية.[٧] والقرطبي وحكاه عن أكثر المفسرين.[٨] ونقله الزمخشري عن ابن عباس { .[٩]

قال ابن عاشور: (﴿ ﴾): عذاب النار تشبيه، أي عذاباً كعذاب السعير، أي كعذاب جهنم، وأما عذاب جهنم فإنما يكون حقيقة يوم الحساب.[١٠]

القول الثاني : قيل:أنه كان مع سليمان مَلَك قائم بيده سوط من نار، فإذا عصى أحد من الشياطين ضربه فيحرقه. وهذا قول مقاتل والسدي. وممن ذكر ذلك من المفسرين: السمعاني[١١]

---

(١) التسهيل لابن جزي: ص(٥٧٢).
(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ٦٩).
(٣) النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٤٣٦).
(٤) زاد المسير (٦/ ٤٣٧).
(٥) أبو المظفر السمعاني ((٤/ ٣٢٠ - ٣٢١).
(٦) تفسير البغوي (٣/ ٥٤٨).
(٧) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٠٧).
(٨) تفسير القرطبي (١٤/ ٢٧١).
(٩) الكشاف (٣/ ٥٨٢).
(١٠) تفسير التحرير والتنوير (٢٢/ ١٦٠).
(١١) أبو المظفر السمعاني ((٤/ ٣٢٠ - ٣٢١).

دكتوراه عبدالعلي الحمدي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

والبغوي[1] وابن عطية[2] والزمخشري[3] والقرطبي[4] وابن الجوزي.[5]

وقال الماوردي: هو في الدنيا، قاله يحيى بن سلام. لأنه لم يكن يسخر منهم إلا الكفار فإذا آمنوا أرسلوا، قال وكان مع المسخرين منهم مَلَك بيده سوط من عذاب السعير فإذا خالف سليمان ضربه الملك بذلك السوط.[6]

الترجيـــح:

والقول الراجح والعلم عند الله تعالى هو ما رجحه ابن جزي من أن المراد بذلك نار الآخرة، وإنما قلنا بترجيح ذلك لعدة أمور:

الأمر الأول: أن القول الثاني يفتقر إلى دليل ولا دليل.

الأمر الثاني: أن لفظ السعير في القرآن يطلق على نار جهنم، وحمله غير ذلك تجوز، ولأن الأصل حمل نصوص الوحي على ظواهرها إلا لدليل. ومن ادعى في التنزيل ما ليس في ظاهره كلف البرهان على دعواه.[7]

الأمر الثالث: أن هذا هو قول جمهور المفسرين.

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

(١) تفسير البغوي (٣/ ٥٤٨).

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٠٧).

(٣) الكشاف (٣/ ٥٨٢).

(٤) تفسير القرطبي (١٤/ ٢٧١).

(٥) زاد المسير (٦/ ٤٣٧).

(٦) النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٤٣٦).

(٧) انظر: مختصر قواعد التفسير للسبت: ص(٢٧).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

الكلام على قوله تعالى: (ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

القول الثاني: أن المراد بالمحاريب: المساجد. وهو مروي أيضاً عن قتادة في أحد قوليه والضحاك ومجاهد والحسن وابن قتيبة.

قال ابن جرير: يقول تعالى ذكره: يعمل الجن لسليمان ما يشاء من محاريب وهي جمع محراب، والمحراب: مقدم كل مسجد وبيت ومصلى، ومنه قول عدي بن زيد:

كدُمَي العاجِ في المحاريبِ أو كالـ ... ـبيضِ في الرَّوضِ زَهرُهُ مُسْتَنِيرُ[1]

وأخرج ابن جرير[2] وابن كثير.[3] والقرطبي.[4] عن قتادة والضحاك قالوا: المحاريب: المساجد. وقال الماوردي: المساجد، قاله قتادة، والحسن.[5]

وممن ذكر ذلك أيضاً السمعاني[6] والزمخشري[7] وابن الجوزي.[8] وابن عطية.[9]

قال ابن عاشور: ثم أطلق المحراب على الذي يُخْتَلَى فيه للعبادة فهو بمنزلة المسجد الخاص، قال تعالى: (ٹ ٹ ٹ ٹ ڈ ڈ ج) [آل عمران:٣٩]. وكان لداود محراب يجلس فيه للعبادة قال تعالى: (ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ) [سورة ص:٢١]. وأما إطلاق المحراب على الموضع من المسجد الذي يقف فيه الإِمامُ الذي يؤمّ الناس، يُجعل مثل كُوَّةٍ غير نافذة واصلة إلى أرض المسجد في حائط القبلة يقف الإِمام تحته، فتسمية ذلك محراباً تسمية حديثة ولم أقف على تعيين الزمن الذي ابتدىء فيه إطلاق اسم المحراب على هذا الموقف. واتخاذ المحاريب في المساجد حدث في المائة الثانية، والمظنون أنه حدث في أولها في حياة أنس بن مالك لأنه روي عنه أنه تنزه

---

(١) البيت لعدي بن زيد العبادي كما في البيان والتبيين للجاحظ: (١/ ١٤)، والكامل في اللغة والأدب للمبرد: (١/ ٢٠٤)، والمعاني الكبير لابن قتيبة: (١/ ٨٧).

(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ٦٨).

(٣) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٢٩).

(٤) تفسير القرطبي ١٤/ ٢٧١).

(٥) النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٤٣٦).

(٦) أبو المظفر السمعاني (٤/ ٣٢١).

(٧) الكشاف (٣/ ٥٨٢).

(٨) زاد المسير (٦/ ٤٣٣).

(٩) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٠٨).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

عن الجلوس في المحاريب وكانوا يسمونه الطاقَ أو الطاقَة...ورأيت إطلاق المحراب على الطاقة التي في المسجد في كلام الفَراء، أي في منتصف القرن الثاني، نقل الجوهري عنه أنه قال: المحاريب صدور المجالس ومنه سمي محرابُ المسجد، لأن المحراب لم يبق حينئذٍ مطلقاً على مكان العبادة.[1]

الترجيـــح:

والراجح والعلم عند الله تعالى هو الحمل على العموم، فلا تعارض بين القولين وكلاهما وارد ومحتمل، خاصة وأن أهل اللغة ذكروا أن المحراب يطلق على المكان العالي وعلى صدر البيت وعلى الغرف ويطلق على أشرف وأرفع مكان في البيت والمسجد؛ قال في مختار الصحاح: والمحراب صَدْر المَجْلس ومنه محراب المسجد. والمحراب أيضاً الغُرْفة. وقوله تعالى: (و ۋ ۋ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا) [مريم:١١] قيل من المسجد.[2]

قال الزبيدي في تاج العروس : والمِحْرَابُ: الغُرْفَةُ والموضِع العالِي نقلَه الهَرَوِيُّ في غَرِيبه عن الأَصمعيّ قال وَضَّاحُ اليَمَنِ:

رَبَّة مِحْرَابٍ إذَا جِئْتُهَا ... لَمْ أَلْقَهَا أَوْ أَرْتَقِي سُلَّمَا.[3]

والمحراب : صَدْرُ البَيْتِ وأَكْرَمُ مَوَاضِعِه وقال الزجّاج في قوله تعالى: (ڃ ڃ ڃ ڃ ڇ ڇ ڇ ڇ) [ص]قال: المِحْرَابُ: أَرْفَعُ بَيْتٍ في الدارِ وأَرْفَعُ مكانٍ في المَسْجِدِ...وقال أبو عبيدة: المِحْرَابُ: أَشْرَفُ الأَمَاكِنِ وفي المصباح: هو أَشْرَفُ المَجَالِسِ وقال الأَزهريّ: المِحْرَابُ عندَ العَامَّةِ الذي يفهَمُه الناسُ: مَقَامُ الإِمَامِ مِنَ المَسْجِدِ... وفي لسان العرب: المَحَارِيبُ: صُدُورُ المَجَالِسِ ومنه مِحْرَابُ المَسْجِدِ ومنه: مَحَارِيبُ غُمْدَانَ باليَمَنِ... وقولُه تَعَالَى: (و ۋ ۋ ى ى ئا ئا) قالُوا: مِنَ المَسْجِدِ... وقال الأَصمعِيّ: العَرَبُ تُسَمِّي القَصْر مِحْرَاباً لِشرفه.[4]

---

(١) تفسير التحرير والتنوير (٢٢/ ١٦١).

(٢) مختار الصحاح (١/ ٦٢).

(٣) البيت لوضاح اليمن كما في ديوانه: : (١/ ٣١).

(٤) تاج العروس (١/ ٤٠١)، وانظر المخصص لابن سيده (١/ ٤٥٦)، والاشتقاق لابن دريد (١/ ٢٥)، ولسان العرب لابن منظور (١/ ٣٠٢) النهاية في غريب الأثر لابن الأثير: (١/ ٩٢٦).

دكتوراه عبدالعلي الحمدي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

ثم إن القاعدة تقول: إذا احتمل اللفظ معاني عدة ولم يمتنع إرادة الجميع حمل عليها.[1]

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

(١) انظر: مختصر قواعد التفسير للسبت: ص(٢٧).

دكتوراه عبدالعلي المدني (كامل الرسالة :: مع الفهارس) ٥

الكلام على قوله تعالى: (□ □ □ □ ى ى ي ي □ □ □ □ □ □□ □ □ □ □ □

وعن قتادة، قال: كانت الجن تخبر الإنس أنهم كانوا يعلمون من الغيب أشياء، وأنهم يعلمون ما في غد، فابتلوا بموت سليمان، فمات فلبث سنة على عصاه وهم لا يشعرون بموته، وهم مسخرون تلك السنة يعملون دائبين (□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □) ولقد لبثوا يدأبون، ويعملون له حولا.[1]

وممن ذكر نحو هذا من المفسرين: الماوردي[2] والسمعاني -وذكره عن الأزهري وقال: هو أشهر القولين-[3] والزمخشري[4] وابن عطية[5] و ابن الجوزي[6] والقرطبي.[7] وابن كثير.[8]

وقال البغوي: وفي قراءة ابن مسعود، وابن عباس: «تبينت الإنس أن لو كان الجن يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين» أي: علمت الإنس وأيقنت ذلك.[9]

قال ابن عاشور: (□ □ □) إسنادُ مُبهم فصَّله قوله: (□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □) فـ(□ □) مصدرية والمصدر المنسبك منها بدل من (□ □) بدلَ اشتمال، أي تبينت الجنُّ للناس، أي تبين أمرهم أنهم لا يعلمون الغيب، أي تبين عدم علمهم الغيب، ودليل المحذوف هو جملة الشرط والجواب.[10]

= هو مما تلقي من علماء أهل الكتاب، وهي وقف لا يصدق منه إلا ما وافق الحق، ولا يكذب منها إلا ما خالف الحق، والباقي لا يصدق ولا يكذب. السلسلة الضعيفة (٣/ ٣٢).

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ٧٥).

(٢) النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٤٣٦).

(٣) تفسير السمعاني (٤/ ٣٢٤).

(٤) الكشاف (٣/ ٥٨٣).

(٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٠٧).

(٦) زاد المسير (٦/ ٤٤١).

(٧) تفسير القرطبي (١٤/ ٢٧٥).

(٨) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٢٨).

(٩) تفسير البغوي (٣/ ٥٤٦). انظر : المحتسب لابن جني : ٢ / ١٨٨ وشواذ القراءات للكرماني ٣٨٠

(١٠) تفسير التحرير والتنوير (٢٢/ ١٦٥).

القول الثاني: أن التبين كان للجن.

وهذا القول منشق إلى قولين:

القول الأول: أن المراد بذلك عموم الجن. أي أن الجن كانوا يظنون أنهم يعلمون الغيب فتبين لهم بطلان ذلك.

قال ابن جرير: تبينت الجن (□ □ □ □ □ □) الذي يدعون علمه (□ □ □ □ □ □) المذل حولا كاملا بعد موت سليمان، وهم يحسبون أن سليمان حي.[١] وكذا ذكر السمعاني.[٢] والبغوي.[٣] وابن عطية[٤]. وابن الجوزي.[٥]

وقال الزمخشري: أو علم الجن كلهم علماً بيناً - بعد التباس الأمر على عامّتهم وضعفتهم وتوهّمهم - أنّ كبارهم يصدّقون في ادعائهم علم الغيب أو علم المدّعون علم الغيب منهم عجزهم، وأنهم لا يعلمون الغيب وإن كانوا عالمين قبل ذلك بحالهم، وإنما أريد التهكم بهم كما تتهكم بمدّعي الباطل إذا دحضت حجته وظهر إبطاله بقولك: هل تبينت أنك مبطل؟. وأنت تعلم أنه لم يزل كذلك متبيناً.[٦]

القول الثاني: أن المعنى: علمت عامة الجن أن ما يدعيه كفارهم من علم الغيب غير صحيح، وأنهم كاذبون.

قال ابن عطية: ويحتمل أن يكون قوله: (□ □ □) بمعنى: علمت الجن وتحققت، ويريد (□ □) جمهورهم والفَعَلَة منهم والخَدَمة ويريد بالضمير في (□ □) رؤساءَهم وكبارَهم لأنهم هم الذين يدعون علم الغيب لأتباعهم من الجن والإنس

---

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ٧٤).

(٢) تفسير السمعاني (٤/ ٣٢٤).

(٣) تفسير البغوي (٣/ ٥٤٦).

(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٠٧).

(٥) زاد المسير (٦/ ٤٤١).

(٦) الكشاف (٣/ ٥٨٣).

ويوهمونهم ذلك، قاله قتادة، فيتيقن الأتباع أن الرؤساء لو كانوا عالمين الغيب، ما لبثوا. و« أن » على هذا التأويل مفعولة محضة.[1]

الترجيـــح:

والراجح والعلم عند الله تعالى هو ما رجحه ابن جزي عليه رحمة الله من أن التبين كان للإنس وذلك بانكشاف حقيقة الجن وظهور كذبهم وتدليسهم على الإنس بأنهم يعلمون الغيب، فلو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين حولاً كاملاً وهم لم يعلموا بموت سليمان عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام. وإنما ترجح ذلك لعدة أمور:

الأمر الأول: أن هذا هو الوارد في الأثر المروي موقوفاً ومرفوعاً، وإن كان الرفع لا يصح، ولكنه يستأنس به.

الأمر الثاني: أن هذا هو قول ابن عباس رضي الله عنه وجمهور المفسرين وهو ترجيح أهل اللغة. قال الفراء: وقد كان الناس يرون أن الشياطين تعلم السر يكون بين اثنين، فلما خر تبين أمر الجن للإنس أنهم لا يعلمون الغيب، ولو علموه ما عملوا بين يديه وهو ميت. و«أن» في موضع رفع «تبين» أن لو كانوا. وذكر عن ابن عباس أنه قال: تبينت الإنسُ الجنَ. ويكون المعنى: تبينت الإنس أمر الجن، لأن الجن إذا تبين أمرها للإنس فقد تبينها الإنس.[2]

قال مكي القيسي: « أن » في موضع رفع بدل من الجن والتقدير: تبين للإنس أن الجن لو كانوا. وقيل: هي في موضع نصب على حذف اللام.[3]

قال العكبري: « تبينت » على تسمية الفاعل، والتقدير: تبين أمر الجن و«أن لو كانوا» في موضع رفع بدلاً من «أمر» المقدر، لأن المعنى: تبينت الإنس جهل الجن. ويجوز أن يكون في موضع نصب أي: تبينت الجن جهلها.[4]

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤١٢).

(٢) معاني القرآن: (٢/ ٣٥٧).

(٣) مشكل إعراب القرآن: (١-٢/ ٥٨٥).

(٤) التبيان في إعراب القرآن: (٢/ ١٠٦٥).

الأمر الثالث: أن الجن إنما يدلسون ويكذبون على الإنس فيسترقون السمع ويكذبون عليه مائة كذبة، ويزعمون أنهم يعلمون الغيب، ساعدهم في ذلك اجتنانهم عن الإنس وعدم معرفة الإنس بحقائقهم، فلما كان أمر موت سليمان، ظهرت حقيقة الجن للإنس بجلاء فلم يعد ينخدع بهم إلا جاهل.

وعلى كل حال فإنه يجوز دخول القول الثاني في معنى الآية لكن القول الأول هو المقدم.

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

الكلام على قوله تعالى: (ٱ ب ب ٻ ٻ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ)

وفي هذه الآية مسألة واحدة وهي: ما أصل تسمية قبيلتهم بسبأ ؟.

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: «سبأ: قبيلة من العرب سميت باسم أبيها الذي تناسلت منه. وقيل: باسم أمها. وقيل: باسم موضعها. والأول أشهر لأنه ورد في الحديث وكانت مساكنهم بين الشام واليمن».[1]

والمسألة فيها ثلاثة أقوال:

القول الأول: أنها سميت باسم أبيها الذي تناسلت منه.

قال ابن جرير: "سبأ" عن رسول الله اسم أَبي اليمن... ثم ساق سنده إلى فروة بن مسيك قال: قلت يا رسول الله أخبرني عن سبأ ما كان ؟ رجلا كان أو امرأة، أو جبلا أو دواب ؟ فقال: (**لا. كان رجلا من العرب وله عشرة أولاد؛ فتيمن منهم ستة، وتشاءم منهم أربعة، فأما الذين تيمنوا منهم: فكندة، وحمير، والأزد، والأشعريون، ومذحج، وأنمار الذين منها خثعم وبُجَيلة، وأما الذين تشاءموا: فعاملة، وجُذام، ولخم، وغسَّان**)[2].[3]

وممن ذكر نحو هذا من المفسرين: الماوردي[4] والسمعاني[5] والبغوي[6] وابن عطية[7]

---

(١) التسهيل لابن جزي: ص(٥٧٣).

(٢) الحديث: صحيح.أخرجه أبو داود في الحروف: (٦/ ٨) مختصرا، والترمذي في التفسير: (٩/ ٨٨-٨٩)، وقال: "هذا حديث غريب حسن" والحاكم: (٢/ ٢٢٤). وانظر: مجمع الزوائد: (٧/ ٩٤٠). تفسير البغوي (٦/ ٣٩٣). وقال عنه الألباني: حسن صحيح كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٧/ ٢٢٢)، وصحيح وضعيف سنن أبي داود (٨/ ٤٨٨).

(٣) تفسير الطبري (٢٢/ ٧٦).

(٤) النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٤٣٦).

(٥) تفسير السمعاني (٤/ ٣٢٤).

(٦) تفسير البغوي (٣/ ٥٥٣).

(٧) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤١٣).

دكتور/ عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

وابن الجوزي [١] والقرطبي [٢] وابن كثير [٣] وقال السعدي: سبأ قبيلة معروفة في أداني اليمن، ومسكنهم بلدة يقال لها: مأرب.[٤]

القول الثاني: أنه اسم لأمهم.

قال الماوردي: أنه اسم امرأة نسبت القبيلة إليها لأنها أمهم.[٥] وكذا قال ابن عطية.[٦]

القول الثالث: أنه اسم موضعهم.

قال السمعاني: وقد قيل: إن سبأ اسم بلد، والأصح هو الأول.[٧]

قال الزمخشري: قرىء: (ب ڈ) بالصرف ومنعه، وقلب الهمزة ألفاً. ومسكنهم: بفتح الكاف وكسرها، وهو موضع سكناهم، وهو بلدهم وأرضهم التي كانوا مقيمين فيها.[٨]

ونقل ابن عطية عن الحسن بن أبي الحسن أنه قال: هو اسم موضع فسمي القبيل به.[٩]

قال ابن الجوزي: وقال قوم: هو اسم بلد، وليس باسم رجل.[١٠]

قال ابن عاشور: واسم سبأ يطلق على الأمة كما هنا وعلى بلادهم كما في آية النمل.[١١]

الترجيح:

والراجح والعلم عند الله تعالى هو ما رجحه ابن جزي عليه رحمة الله من أن المقصود بسبأ القبيلة، وإنما ترجح ذلك لعدة أمور:

---

(١) زاد المسير (٦/ ٤٤٣).

(٢) تفسير القرطبي (١٤/ ٢٧٥).

(٣) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٢٧).

(٤) تفسير السعدي (١/ ٦٧٧).

(٥) النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٤٣٦).

(٦) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤١٣).

(٧) أبو المظفر السمعاني (٤/ ٣٢٥).

(٨) الكشاف (٥/ ٣٦٩).

(٩) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤١٣).

(١٠) زاد المسير (٦/ ٤٤٣).

(١١) تفسير التحرير والتنوير (٢٢/ ١٦٥).

الأمر الأول: صحة الحديث الوارد في ذلك عن النبي ﷺ، والقاعدة في ذلك أن التفسير إذا صح عن النبي ﷺ فلا حاجة لنا إلى قول غيره.

الأمر الثاني: أن من قال بأن المراد بذلك موضعهم ومكانهم لا يتفق قوله مع سياق الآية فإن الله تعالى يقول: (ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ) فذكر سبأ وذكر مسكنهم وهذا يدل دلالة واضحة على أن المراد بسبأ ليس هو مكانهم.

الأمر الثالث: أن المعروف في كتب الأنساب أن قبيلة سبأ تفرعت منها قبائل كثيرة، كلها ترجع إلى رجل واحد وهو سبأ والعرب لا تنسب إلى الأمهات وإنما تنسب إلى الآباء. وسبأ هو: بن يشجب بن يعرب بن قحطان كما ذكر ذلك ابن حزم في الجمهرة.[1]

قال ابن كثير: قال علماء النسب، منهم محمد بن إسحاق: اسم سبأ: عبد شمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان.[2]

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

(١) جمهرة أنساب العرب (١/ ١٧٧).

(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٣٢).

دكتوراه عبدالمحسن العمري (كامل الرسالة :: مع الفهارس) ٥

الكلام على قوله تعالى: (ڈ ڈ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک) **وفي هذه الآية مسألة واحدة وهي:** ما المراد بالخمط ؟.

قال ابن جزي رحمه الله تعالى:«والخمط: شجر الأراك. وقيل:كل شجرة ذات شوك».[١]

والمسألة فيها قولان:

القول الأول: أن المراد بالخمط: شجر الأراك. وهو مروي عن ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وقتادة والضحاك والخليل بن أحمد وعِكْرِمة، وعطاء الخُرَاساني، والسُّدِّي، وهو قول جمهور المفسرين.

وأخرج ابن جرير عن ابن عباس قال: أبدلهم الله مكان جنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط، والخمط: الأراك. وعن أَبي رجاء قال سمعت الحسن يقول في قوله: (ڤ ڤ ڤ ڤ) قال: أراه قال: الخمط: الأراك. ورواه كذلك عن مجاهد وقتادة والضحاك.[٢]

قال السمعاني: والمعروف في التفسير أن ثمر الخمط هو البريـر، والبريـر ثمر الأراك، فالخمط هو الأراك.[٣] وقال البغوي: هذا قول أكثر المفسرين.[٤] وكذا قال الزمخشري[٥] وابن عطية[٦] وابن الجوزي.[٧]

وقال القرطبي: قال أهل التفسير والخليل: الخمط الأراك. وقال الجوهري: الخمط ضرب من الأراك له حمل يؤكل.[٨]

قال ابن كثير: قال ابن عباس، ومجاهد، وعِكْرِمة، وعطاء الخُرَاساني، والحسن، وقتادة، والسُّدِّي: وهو الأراك، وأكلة البَرير.[١]

---

(١) التسهيل لابن جزي: ص(٥٧٣).
(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ٨٠).
(٣) أبو المظفر السمعاني (٤/ ٣٢٦).
(٤) تفسير البغوي (٣/ ٥٥٤).
(٥) الكشاف (٣/ ٥٨٣).
(٦) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٠٧).
(٧) زاد المسير (٦/ ٤٤٥).
(٨) تفسير القرطبي (١٤/ ٢٨٥).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

قال ابن عاشور: الخَمْط: شَجر الأراك. ويطلق الخمط على الشيء المُرّ... قرأه أبو عمرو ويعقوب (ج ج) بالإضافة إلى (ج ج) فالخمط إِذَن مراد به شجر الأراك، وأُكله ثمره وهو البَرير وهو مرّ الطعم.[٢]

القول الثاني: كل شجرة ذات شوك. وهو مروي عن أبي عبيد.

قال السمعاني: الخمط اسم لشجر له شوك. قال أبو عبيد: كل شجر له شوك فهو خمط إذا لم يكن له ثمر[٣] وكذا نقل الزمخشري[٤] وابن الجوزي[٥] والقرطبي.[٦]

قال ابن عطية: قيل: «الخمط» كل شجر له شوك وثمرته كريهة الطعم بمرارة أو حمضة أو نحوه، ومنه تخمط اللبن إذا تغير طعمه. [٧]

الترجيـــح:

والراجح والعلم عند الله تعالى أن الآية محتملة لكلا المعنيين ولكن المعنى الذي قدمه ابن جزي هو المقدم والمختار وذلك لعدة أمور:

الأمر الأول: أن كلا المعنيين وارد فيه قراءة فمن قرأ ﴿ أكلِ خمطٍ ﴾ من غير تنوين حمل معنى الآية على أن المراد هو ثمر الأراك وهو ما يسمى بالبرير. ومن قرأ بتنوين « أكلٍ » جعل المعنى كل شجر طعمه مر ويدخل فيه الأراك ضمناً.

قال ابن منظور: قال الليث: الخَمْطُ ضرب من الأَراكِ له حَمْل يؤْكل وقال الزجاج يقال لكل نبت قد أَخَذَ طَعْماً من مَرارة حتى لا يمكن أَكلُه خَمْطٌ وقال الفراء الخمط في التفسير ثَمَرُ الأَراكِ وهو البَرِيرُ وقيل شجر له شوْكٌ وقيل الخَمْطُ في الآية شجر قاتل أَو سمّ قاتِل وقيل الخَمْط الحَمْل القليل من كل شجرة والخمط شجر مثل السِّدْرِ وحمله كالتُّوت وقرئ ذواتي أُكُلِ

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٣٤).

(٢) تفسير التحرير والتنوير (٢٢/ ١٧٢).

(٣) أبو المظفر السمعاني (٤/ ٣٢٦).

(٤) الكشاف (٣/ ٥٨٣).

(٥) زاد المسير (٦/ ٤٤٥).

(٦) تفسير القرطبي (١٤/ ٢٨٥).

(٧) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٠٧).

خَمْطٍ بالإضافة قال ابن بري من جعل الخمْط الأَراكَ فحقُّ القراءَةِ بالإضافة لأَن الأَكل للجنى فأَضافه إِلى الخمْط ومن جعل الخمط ثَمَرَ الأَراك فحق القراءَة أَن تكون بالتنوين ويكون الخمط بدلاً من الأُكُل وبكلٍّ قرأَتْه القرَّاءُ.(١)

ويجوز أن تحمل الآية على الأراك حتى مع قراءة التنوين قال البغوي: وقال ابن الأعرابي: فمن جعل الخمط اسمًا للمأكول فالتنوين في « أكلٍ » حسن، ومن جعله أصلا وجعل الأكل ثمرة فالإضافة فيه ظاهرة، والتنوين سائغ، تقول العرب: في بستان فلان أعناب كرم، يترجم الأعناب بالكرم لأنها منه.(٢)

الأمر الثاني: أن تقديم القول الأول، مع جواز القول الثاني هو مذهب الجمهور كما سبق، فهو مروي عن ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وقتادة والضحاك والخليل بن أحمد وعِكْرِمة، وعطاء الخُرَاساني، والسُّدِّي. وأما القول الثاني، فهو منقول عن طائفة من أهل اللغة وأبي عبيد. ذلك أن الخمط في اللغة يطلق على كل حامض ومر، كما سبق بيانه.

الأمر الثالث: أن مراد الآية هو أن الله أبدلهم بالنعمة التي كانوا فيها والرخاء والرغد، حتى كانت الهوام والعقارب والحيات والذباب لا تأتي في ديارهم، وكان أحدهم يحمل القفة على رأسه فتمتلئ من أصناف الفواكه وهي على رأسه لم يجن منها شيئاً بيده، فبدلهم الله بكفرهم نعمته هذه الأشجار التي لا يؤكل ثمرها، وأصْلَح ما فيها هو السدر ومع ذلك قال الله عنه: (ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ) وهذا السياق يجوز أن يدخل فيه كل شجر مُرٍّ ونفعه قليل؛ لكن الأراك هو المقدم.

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

(١) لسان العرب (٧/ ٢٩٦) قال ابن خلف المقرئ: قرأ ﴿ أكل خمط ﴾ بالإضافة، أبو عمرو. وقرأ الباقون (أكلٍ) بالتنوين. العنوان في القراءات السبع (١/ ٢٨)، وانظر: النشر في القراءات العشر لابن الجزري: (٢/ ٣٥٠).

(٢) تفسير البغوي (٣/ ٥٥٤).

الكلام على قوله تعالى: (ڈ ڈ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک گ گ گ گ ڳ)

وفي هذه الآية مسألة واحدة وهي: معنى قوله تعالى (ڑ ڳ).

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: «ومعنى ظاهرة: يظهر بعضها من بعض لاتصالها. وقيل: مرتفعة في الآكام. وقال ابن عطية: خارجة عن المدن كما تقول بظاهر المدينة أي: خارجها».[١]

والمسألة فيها ثلاثة أقوال:

القول الأول: يظهر بعضها من بعض لاتصالها.

قال ابن جرير: قوله (ژ ڑ ڳ) يعني: قرى متصلة، وهي قرىً عرَبِيَّةٌ. ثم روى عن الحسن قال: قرًى متواصلة. قال: كان أحدهم يغدو فيقيل في قرية، ويروح فيأوي إلى قرية أخرى.[٢] وكذا قال السمعاني. وقال: وقيل: ظاهرة يعني: للرائي، على معنى أنهم كانوا إذا نزلوا بقرية رأوا قرية أخرى.[٣]

قال البغوي: متواصلة تظهر الثانية من الأولى لقربها منها، وكان متجرهم من اليمن إلى الشام فكانوا يبيتون بقرية ويقيلون بأخرى وكانوا لا يحتاجون إلى حمل زاد من سبأ إلى الشام.[٤]
وممن ذكر نحو هذا المعنى من المفسرين:

الزمخشري.[٥] وابن عطية.[٦] وابن الجوزي.[٧] وابن كثير.[٨] وابن عاشور.[٩] وحكاه القرطبي عن قتادة.[١٠]

---

(١) التسهيل لابن جزي: ص(٥٧٣).
(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ٧٩).
(٣) أبو المظفر السمعاني (٤/ ٣٢٨).
(٤) تفسير البغوي (٣/ ٥٥٥).
(٥) الكشاف (٣/ ٥٨٦).
(٦) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٠٨).
(٧) زاد المسير (٦/ ٤٤٨).
(٨) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٢٨).
(٩) تفسير التحرير والتنوير (٢٢/ ١٧٥).
(١٠) تفسير القرطبي (١٤/ ٢٨٩).

دكتور/ عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

القول الثاني: أن معنى: ظاهرة، أي: مرتفعة في الآكام.

قال ابن عطية: قالت فرقة: معناه مستعلية مرتفعة في الآكام والظراب وهي أشرف القرى.[1] وحكاه القرطبي عن المبرد أنها بمعنى مرتفعة.[2]

قال ابن عاشور: وقيل: الظاهرة التي تظهر للسائر من بعد بأن كانت القرى مبنية على الآكام والظِراب يشاهدها المسافر فلا يضل طريقها.[3]

القول الثالث: أي: خارج المدن.

قال ابن عطية: والذي يظهر إليّ أن معنى (ڑ ک) خارجة عن المدن، فهِي عبارة عن القرى الصغار التي هي في ظواهر المدن، فإنما فصل بهذه الصفة بين القرى الصغار وبين القرى المطلقة التي هي المدن، وظواهر المدن ما خرج عنها في الفيافي والفحوص، ومنه قولهم نزلنا بظاهر فلانة، أي خارجاً عنها وقوله: (ڑ ک) نظير تسمية الناس إياها البادية والضاحية.[4] وبنحوه ذكر ابن عاشور.[5]

الترجيـــح:

والراجح والعلم عند الله تعالى هو ما رجحه ابن جزي عليه رحمة الله تعالى، وذلك لعدة أمور:

الأمر الأول: أن سياق الآيات فيه بيان نعم الله تعالى عليهم وامتنانه عليهم بأن جعل بين قراهم وبين قرى الشام التي باركها الله ويسافرون إليها في تجاراتهم، قرى بادية للعيان؛ فما ينزلون في قرية إلا ويشاهدون القرية التي تليها غير بعيدة عنهم، ولا يخفى ما في هذه النعمة من زيادة الأمن للمسافر وعدم حاجته لحمل الزاد في مثل هذا السفر الطويل بين اليمن

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٠٨).

(٢) تفسير القرطبي (١٤/ ٢٨٩).

(٣) تفسير التحرير والتنوير (٢٢/ ١٧٥).

(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٠٨).

(٥) تفسير التحرير والتنوير (٢٢/ ١٧٥).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

والشام، كما أن المسافر يبيت في قرية ويقيل في أخرى فلا يشعر بملل السفر ولا نصبه، فيقطع المسافات وهو لا يشعر، فملوا نعمة الله وكفروها ولم يشكروها (ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ).

وهذا السياق يدل على أن معنى ظاهرة: أي بارزة للعيان، لأن هذا هو الأبلغ في مقام الامتنان، ولما بطروا نعمة الله قالوا (ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ) وهذا مما يبين معنى الآية.

الأمر الثاني: وهو مستنبط من السياق أيضاً ويؤكد هذا المعنى: قوله تعالى: (ﮋ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ) فقد جعل الله بين كل قرية وقرية من المسافة بقدر ما يقطعه المسافر من غير تعب ولا حاجة لحمل زاد ومتاع؛ ثم إنهم بَطروا هذه النعمة -كما قاله ابن عباس، ومجاهد، والحسن -وأحبوا مفاوز ومهامه يحتاجون في قطعها إلى الزاد والرواحل والسير في الحَرُور والمخاوف، كما طلب بنو إسرائيل من موسى أن يخرج الله لهم مما تنبت الأرض، من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها، مع أنهم كانوا في عيش رغيد في مَنّ وسلوى وما يشتهون من مآكل ومشارب وملابس مرتفعة.[1]

الأمر الثالث: أن قول ابن عطية معنى (ﮋ ﮒ ﮓ) أي: خارجة عن المدن، وأن ذلك عبارة عن القرى الصغار التي هي في ظواهر المدن. هذا لا يتعارض مع ما رجحناه بل هو متفق معه، فإن القرى الصغيرة لا تكون إلا خارج المدن على طريق المسافرين، ويصدق عليها إطلاق الظهور بمعنى معاينة كل قرية من أختها.

الأمر الرابع: أن هذا هو قول جمهور المفسرين، وإذا تظافرت أقوال المفسرين على قول فلا ريب في تقديمه.

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٢٨).

دكتوراه عبدالعلي الحمدي (كامل الرسالة .:. مع الفهارس) ٥

الكلام على قوله تعالى: (ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

القضاء، قال: (**فأسجد لله فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ويفتح علي بمحامد لا أحصيها الآن، ثم يقال: يا محمد، ارفع رأسك، وقل يُسمع، وسل تُعْطَه واشفع تشفع**).[1] الحديث بتمامه. [2]

قال ابن عاشور: نفيت شفاعتهم في عموم نفي كل شفاعة نافعة عند الله إلا شفاعة من أذن الله أن يشفع. وفي هذا إبطال شفاعة أصنامهم لأنهم زعموا لهم شفاعة لازمة من صفات آلهتهم لأن أوصاف الإِله يجب أن تكون ذاتية فلما نفى الله كل شفاعة لم يأذن فيها للشافع انتفت الشفاعة المزعومة لأصنامهم. وبهذا يندفع ما يتوهم من أن قوله: (ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ) لا يبطل شفاعة الأصنام فافهَمْ.[3]

القول الثاني: أن الشفعاء لا يشفعون إلا لمن أذن الله أن يشفع فيه.

قال ابن جرير: يقول تعالى ذكره: ولا تنفع شفاعة شافع كائنًا من كان الشافع لمن شفع له، إلا أن يشفع لمن أذن الله في الشفاعة، يقول تعالى: فإذا كانت الشفاعات لا تنفع عند الله أحدًا إلا لمن أذن الله في الشفاعة له، والله لا يأذن لأحد من أوليائه في الشفاعة لأحد من الكفرة به وأنتم أهل كفر به أيها المشركون، فكيف تعبدون من تعبدونه من دون الله زعمًا منكم أنكم تعبدونه ليقربكم إلى الله زلفى وليشفع لكم عند ربكم. فـ«مَن» إذ كان هذا معنى الكلام التي في قوله: (ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ): المشفوع له.[4] وممن ذكر هذا من المفسرين: الماوردي ونقله عن مقاتل[5] والبغوي[6] والزمخشري[7] وابن عطية[8] وابن الجوزي[9] والقرطبي.[10]

---

(١) الحديث: صحيح.
أخرجه البخاري في صحيحه: (١١/ ١٢٣)، ومسلم: (١/ ٤٤٧).
(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٣٨).
(٣) تفسير التحرير والتنوير (٢٢/ ١٨٧).
(٤) تفسير الطبري (٢٢/ ٨٩).
(٥) النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٤٤٧).
(٦) تفسير البغوي (٣/ ٥٥٦).
(٧) الكشاف (٣/ ٥٨٩).
(٨) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤١٧).
(٩) زاد المسير (٦/ ٤٥١).
(١٠) تفسير القرطبي ١٤/ ٢٩٥).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

الترجيـــح:

والراجح والعلم عند الله تعالى: أن الشفاعة يوم القيامة لها شرطان كما ذكر ذلك المحققون من أهل العلم رحمهم الله تعالى وهما:

الأول: إذن الله تعالى للشافع أن يشفع، ودليله قوله تعالى: (ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ) (البقَرة: ٢٥٥). وقوله تعالى: (ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ) (سبأ: ٢٣).

الثاني: رضا الله عن المشفوع له أن يُشْفع فيه، وقد دل على هذا الشرط قوله تعالى: (ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ) (الأنبياء: ٢٨). [١]

وعليه فإن الآية محمولة على كلا القولين فهي محتملة لهما جميعاً، فإن الشافع يوم القيامة لا يشفع إلا إذا أذن الله تعالى له حتى رسول الله ﷺ لا يشفع حتى يقول له ربه: (**يا محمد ارفع رأسك واشفع تشفع**...) ولا تكون الشفاعة من الشافعين إلا لمن رضي الله بالشفاعة له. ويدل لذلك القراءات في قوله تعالى: (ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ) فقد قرأ أبو عمر والكسائي وحمزة والأعشى والبرجمي عن أبي بكر وخلف: ﴿ إلا لمن أُذِنَ له ﴾ بضم الألف وكسر الذال. وقرأ الباقون: (ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ) بفتح الألف.[٢] فقراءة الضم تدل على القول الثاني، وقراءة الفتح تدل على القول الأول.

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

(١) أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة (١/ ٣٢٠).

(٢) المبسوط في القراءات العشر لأبي الحسين الأصبهاني: ص(٣٠٦).

دكتوراه عبدالعلي الحمدي (كامل الرسالة :: مع الفهارس) ٥

الكلام على قوله تعالى: (ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ)

وفي هذه الآية مسألة واحدة وهي: ما المراد بالرؤية في الآية هل هي قلبية أم بصرية ؟

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: « والرؤية هنا: رؤية قلب فـ«شركاء» مفعول ثالث، والمعنى: أروني بالدليل والحجة من هم له شركاء عندكم وكيف وجه الشركة. وقيل: هي رؤية بصر، و«شركاء» حال من المفعول في ألحقتم كأنه قال: أين الذين تعبدون من دونه ».[١]

والمسألة فيها قولان:

القول الأول: أنها رؤية قلبية. وعليه فتكون «شركاء» مفعولاً ثالثاً.

قال السمعاني: وقوله: (ﮒ ﮓ) أي: أعلموني ماذا خلقوا ؟ وماذا صنعوا ؟.[٢] وكذا قال البغوي.[٣] وقال ابن عطية: يحتمل أن تكون رؤية قلب فيكون قوله (ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ) مفعولاً ثالثاً وهذا هو الصحيح أي أروني بالحجة والدليل كيف وجه الشركة.[٤]

وممن قال بهذا من المفسرين: ابن الجوزي[٥] والقرطبي[٦] وابن كثير.[٧]

القول الثاني: أنها رؤية بصرية. وحينئذٍ يكون الفعل قد استنفد المفاعيل وتكون «شركاء» حال.

قال ابن عطية: قالت فرقة هي رؤية بصر و«شركاء» حال من الضمير المفعول بـ«ألحقتم» العائد على «لذين». قال الفقيه الإمام القاضي: وهذا ضعيف لأن استدعاء رؤية العين في هذا لا غناء له.[٨] وجوز القرطبي كونها بصرية.[٩]

---

(١) التسهيل لابن جزي: ص(٥٧٥).
(٢) أبو المظفر السمعاني (٤/ ٣٣٣).
(٣) تفسير البغوي (٣/ ٥٥٨).
(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٢٠).
(٥) زاد المسير (٦/ ٤٥٥).
(٦) تفسير القرطبي ١٤/ ٣٠٠).
(٧) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٣٧).
(٨) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٢٠).
(٩) تفسير القرطبي ١٤/ ٣٠٠).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

قال ابن عاشور: والإِراءة هنا من الرؤية البصرية فيتعدى إلى مفعولين: أحدهما بالأصالة، والثاني بهمزة التعدية. والمقصود: أروني شخوصهم لنبصر هل عليها ما يناسب صفة الإِلهية، أي أن كل من يشاهد الأصنام بادىء مرة يتبيّن له أنها خليّة عن صفات الإِلهية إذ يرى حجارة لا تسمع ولا تبصر ولا تفقه لأن انتفاء الإِلهية عن الأصنام بديهي ولا يحتاج إلى أكثر من رؤية حالها.[1]

قال الشيخ الأمين: والأظهر في قوله: (ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ) في هذه الآية: هو ما ذكرنا من أن الرؤية بصرية وعليه فقوله: «شركاء» : حال.[2]

الترجيـــح:

والراجح والعلم عند الله تعالى: أن الآية محتملة لكلا المعنيين، فيجوز أن تكون الرؤية بصرية أو قلبية علمية، وإنما ترجح ذلك لعدة أمور:

الأمر الأول: أن كل قول من القولين لأصحابه متمسك من مفهوم السياق، وليس لأحدهما ما ليس للآخر. فمن قال :إن الرؤية علمية نظر إلى سياق الآية من حيث كونها تحاجج المشركين وتطلب منهم البراهين العلمية التي تثبت استحقاق هؤلاء الآلهة للعبادة؛ هل خلقوا شيء ؟ هل رزقوا ؟ هل يملكون الضر والنفع ؟ أعلمونا إن كان عندكم شيء من هذا !!. وهم مُقِرون بأن خالق السموات والأرض هو الله، فكأن الآية ملزمة لهم بهذه النتيجة، المبنية على مقدمة سلموا بها سلفاً.

ومن قال إن الرؤية بصرية قال: إن مجرد النظر إلى هذه الآلهة ومشاهدة شخوصها يكفي في معرفة ضعفها وعجزها وأنها لا تدفع عن نفسها فكيف تدفع عن غيرها، فهي لا تملك أدوات الإدراك الضرورية فهي لا تسمع ولا تبصر ولا تغني عنهم شيئاً، فهي إما حجر وإما شجر أو نحو ذلك. قال الشيخ الشنقيطي:

أمر الله جل وعلا نبيه في هذه الآية الكريمة أن يقول لعبدة الأوثان: أروني أوثانكم التي ألحقتموها بالله شركاء له في عبادته، كُفراً منكم، وشِركاً وافتراء. وقوله: أروني الذين ألحقتم به

---

(١) تفسير التحرير والتنوير (٢٢/ ١٩٦).

(٢) أضواء البيان (٦/ ٢٦٩).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة .:. مع الفهارس) 5

شركاء، لأنهم إن أروه إياها تبيّن برؤيتها أنها جماد لا ينفع ولا يضر، واتَّضح بُعْدها عن صفات الألوهية. فظهر لكل عاقل برؤيتها بطلان عبادة ما لا ينفع ولا يضرّ، فإحضارها والكلام فيها، وهي مشاهدة أبلغ من الكلام فيها غائبة، مع أنه ﷺ يعرفها.[1]

الأمر الثاني: أن الآية إذا احتملت وجوهاً لم يكن لأحد صرف معناها إلى بعض وجوهها دون بعض إلا بحجة. والقاعدة الأخرى تقول: إذا احتمل اللفظ معان عدة ولم يمتنع إرادة الجميع حمل عليها.[2]

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

(١) أضواء البيان (٦/ ٢٦٩).

(٢) انظر: مختصر قواعد التفسير للسبت: ص(٢٧).

الكلام على قوله تعالى: (ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

أم كان جائياً بعده كما حكى الله عن عيسى عليه السلام (٩ ٩ ٩ ٩ ٩ ٩ ٩ ٩ ٩ ٩) [آل عمران:٥٠]. وليس مراداً هنا لأنه غير مفروض ولا مدّعى.[١]

القول الثاني: أن المراد بالذي بين يديه: يوم القيامة. فحكى الماوردي عن ابن عيسى قال: من أمر الآخرة.[٢] وقال الزمخشري: قيل: الذي بين يديه يوم القيامة. والمعنى: أنهم جحدوا أن يكون القرآن من الله تعالى، وأن يكون لما دلّ عليه من الإعادة للجزاء حقيقة.[٣] ونحو هذا المعنى ذكر القرطبي[٤] وابن كثير.[٥]

وقال ابن عطية بعد أن حكى هذا القول: وهذا خطأ. قائله لم يفهم أمر «بين اليد» في اللغة وأنه المتقدم في الزمان.[٦]

الترجيـــح:

والراجح والعلم عند الله تعالى أن الآية محتملة للمعنيين ولكن ما رجحه ابن جزي رحمه الله هو المقدم وذلك لعدة أمور:

الأمر الأول: أن الآية إذا احتملت وجوهاً لم يكن لأحد صرف معناها إلى بعض وجوهها دون بعض إلا بحجة. والقاعدة الأخرى تقول: إذا احتمل اللفظ معان عدة ولم يمتنع إرادة الجميع حمل عليها.[٧]

أخرجه أحمد في مسند عبدالله بن عمر: (١٠ / ٤٠٥)، وابن أبي شيبة: (٤ / ٥٧٥)، والبيهقي في الشعب: (٣ / ٢٥١)، وعبد بن حميد: (٢ / ٤٦٧)، والطبراني في مسند الشاميين للطبراني: (١ / ٢٧٧)، وقال الألباني: صحيح. انظر الحديث رقم(٢٨٣١) في صحيح الجامع.

(١) تفسير التحرير والتنوير (٢٢/ ٢٠٣).

(٢) النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٤٤٦).

(٣) الكشاف (٣/ ٥٩٣).

(٤) تفسير القرطبي ١٤/ ٣٠٢).

(٥) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٤١).

(٦) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٢١).

(٧) انظر: مختصر قواعد التفسير للسبت: ص(٢٧).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

غير أن الذي حملنا على تقديم القول الأول هو كثرة استعماله في القرآن فمن ذلك قوله تعالى (ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ) (البقرة: ٩٧) وقوله: (پ پ پ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ) (آل عمران: ٣) وقوله: (ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٿ) (المائدة: ٤٦) وقوله: (ڃ ڃ ڃ ڄ ڄ ڄ ڄ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ) (المائدة:٤٨) وقوله: (ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ے ے ۓ) (الرعد: ١١) وقوله: (ﮒ ﮓ ﮓ ﮔ ﮔ ﮕ ﮕ ﮖ ﮖ ﮗ ﮗ ﮘ ﮘ ﮙ ﮙ ﮚ ﮚ ﮛ ﮛ ﮜ ﮜ ﮝ ﮝ ﮞ ﮞ ﮟ ﮟ ﮠ ﮠ ﮡ ﮡ ﮢ ﮢ ﮣ ﮣ ﮤ ﮤ ﮥ ﮥ ﮦ ﮦ ﮧ ﮧ ﮨ ﮨ ﮩ ﮩ ﮪ ﮪ ﮫ ﮫ ﮬ ﮬ ﮭ ﮭ ﮮ ﮮ ﮯ ﮯ ﮰ ﮰ ﮱ ﮱ ﯓ ﯓ ﯔ ﯔ ﯕ ﯕ ﯖ ﯖ ﯗ ﯗ ﯘ ﯘ ﯙ ﯙ ﯚ ﯚ ﯛ ﯛ ﯜ ﯜ ﯝ ﯝ ﯞ ﯞ ﯟ ﯟ ﯠ ﯠ ﯡ ﯡ ﯢ ﯢ ﯣ ﯣ ﯤ ﯤ ﯥ ﯥ ﯦ ﯦ ﯧ ﯧ ﯨ ﯨ ﯩ ﯩ ﯪ ﯪ ﯫ ﯫ ﯬ ﯬ ﯭ ﯭ ﯮ ﯮ ﯯ ﯯ ﯰ ﯰ ﯱ ﯱ ﯲ ﯲ ﯳ ﯳ ﯴ ﯴ ﯵ ﯵ ﯶ ﯶ ﯷ ﯷ ﯸ ﯸ ﯹ ﯹ ﯺ ﯺ ﯻ ﯻ ﯼ ﯼ ﯽ ﯽ ﯾ ﯾ ﯿ ﯿ ﰀ ﰀ ﰁ ﰁ ﰂ ﰂ ﰃ ﰃ ﰄ ﰄ ﰅ ﰅ ﰆ ﰆ ﰇ ﰇ ﰈ ﰈ ﰉ ﰉ ﰊ ﰊ ﰋ ﰋ ﰌ ﰌ ﰍ ﰍ ﰎ ﰎ ﰏ ﰏ ﰐ ﰐ ﰑ ﰑ ﰒ ﰒ ﰓ ﰓ ﰔ ﰔ ﰕ ﰕ ﰖ ﰖ ﰗ ﰗ ﰘ ﰘ ﰙ ﰙ ﰚ ﰚ ﰛ ﰛ ﰜ ﰜ ﰝ ﰝ ﰞ ﰞ ﰟ ﰟ ﰠ ﰠ ﰡ ﰡ ﰢ ﰢ ﰣ ﰣ ﰤ ﰤ ﰥ ﰥ ﰦ ﰦ ﰧ ﰧ ﰨ ﰨ ﰩ ﰩ ﰪ ﰪ ﰫ ﰫ ﰬ ﰬ ﰭ ﰭ ﰮ ﰮ ﰯ ﰯ ﰰ ﰰ ﰱ ﰱ ﰲ ﰲ ﰳ ﰳ ﰴ ﰴ ﰵ ﰵ ﰶ ﰶ ﰷ ﰷ ﰸ ﰸ ﰹ ﰹ ﰺ ﰺ ﰻ ﰻ ﰼ ﰼ ﰽ ﰽ ﰾ ﰾ ﰿ ﰿ ﱀ ﱀ ﱁ ﱁ ﱂ ﱂ ﱃ ﱃ ﱄ ﱄ ﱅ ﱅ ﱆ ﱆ ﱇ ﱇ ﱈ ﱈ ﱉ ﱉ ﱊ ﱊ ﱋ ﱋ ﱌ ﱌ ﱍ ﱍ ﱎ ﱎ ﱏ ﱏ ﱐ ﱐ ﱑ ﱑ ﱒ ﱒ ﱓ ﱓ ﱔ ﱔ ﱕ ﱕ ﱖ ﱖ ﱗ ﱗ ﱘ ﱘ ﱙ ﱙ ﱚ ﱚ ﱛ ﱛ ﱜ ﱜ ﱝ ﱝ ﱞ ﱞ ﱟ ﱟ ﱠ ﱠ ﱡ ﱡ ﱢ ﱢ ﱣ ﱣ ﱤ ﱤ ﱥ ﱥ ﱦ ﱦ ﱧ ﱧ ﱨ ﱨ ﱩ ﱩ ﱪ ﱪ ﱫ ﱫ ﱬ ﱬ ﱭ ﱭ ﱮ ﱮ ﱯ ﱯ ﱰ ﱰ ﱱ ﱱ ﱲ ﱲ ﱳ ﱳ ﱴ ﱴ ﱵ ﱵ ﱶ ﱶ ﱷ ﱷ ﱸ ﱸ ﱹ ﱹ ﱺ ﱺ ﱻ ﱻ ﱼ ﱼ ﱽ ﱽ ﱾ ﱾ ﱿ ﱿ ﲀ ﲀ ﲁ ﲁ ﲂ ﲂ ﲃ ﲃ ﲄ ﲄ ﲅ ﲅ ﲆ ﲆ ﲇ ﲇ ﲈ ﲈ ﲉ ﲉ ﲊ ﲊ ﲋ ﲋ ﲌ ﲌ ﲍ ﲍ ﲎ ﲎ ﲏ ﲏ ﲐ ﲐ ﲑ ﲑ ﲒ ﲒ ﲓ ﲓ ﲔ ﲔ ﲕ ﲕ ﲖ ﲖ ﲗ ﲗ ﲘ ﲘ ﲙ ﲙ ﲚ ﲚ ﲛ ﲛ ﲜ ﲜ ﲝ ﲝ ﲞ ﲞ ﲟ ﲟ ﲠ ﲠ ﲡ ﲡ ﲢ ﲢ ﲣ ﲣ ﲤ ﲤ ﲥ ﲥ ﲦ ﲦ ﲧ ﲧ ﲨ ﲨ ﲩ ﲩ ﲪ ﲪ ﲫ ﲫ ﲬ ﲬ ﲭ ﲭ ﲮ ﲮ ﲯ ﲯ ﲰ ﲰ ﲱ ﲱ ﲲ ﲲ ﲳ ﲳ ﲴ ﲴ ﲵ ﲵ ﲶ ﲶ ﲷ ﲷ ﲸ ﲸ ﲹ ﲹ ﲺ ﲺ ﲻ ﲻ ﲼ ﲼ ﲽ ﲽ ﲾ ﲾ ﲿ ﲿ ﳀ ﳀ ﳁ ﳁ ﳂ ﳂ ﳃ ﳃ ﳄ ﳄ ﳅ ﳅ ﳆ ﳆ ﳇ ﳇ ﳈ ﳈ ﳉ ﳉ ﳊ ﳊ ﳋ ﳋ ﳌ ﳌ ﳍ ﳍ ﳎ ﳎ ﳏ ﳏ ﳐ ﳐ ﳑ ﳑ ﳒ ﳒ ﳓ ﳓ ﳔ ﳔ ﳕ ﳕ ﳖ ﳖ ﳗ ﳗ ﳘ ﳘ ﳙ ﳙ ﳚ ﳚ ﳛ ﳛ ﳜ ﳜ ﳝ ﳝ ﳞ ﳞ ﳟ ﳟ ﳠ ﳠ ﳡ ﳡ ﳢ ﳢ ﳣ ﳣ ﳤ ﳤ ﳥ ﳥ ﳦ ﳦ ﳧ ﳧ ﳨ ﳨ ﳩ ﳩ ﳪ ﳪ ﳫ ﳫ ﳬ ﳬ ﳭ ﳭ ﳮ ﳮ ﳯ ﳯ ﳰ ﳰ ﳱ ﳱ ﳲ ﳲ ﳳ ﳳ ﳴ ﳴ ﳵ ﳵ ﳶ ﳶ ﳷ ﳷ ﳸ ﳸ ﳹ ﳹ ﳺ ﳺ ﳻ ﳻ ﳼ ﳼ ﳽ ﳽ ﳾ ﳾ ﳿ ﳿ ﴀ ﴀ ﴁ ﴁ ﴂ ﴂ ﴃ ﴃ ﴄ ﴄ ﴅ ﴅ ﴆ ﴆ ﴇ ﴇ ﴈ ﴈ ﴉ ﴉ ﴊ ﴊ ﴋ ﴋ ﴌ ﴌ ﴍ ﴍ ﴎ ﴎ ﴏ ﴏ ﴐ ﴐ ﴑ ﴑ ﴒ ﴒ ﴓ ﴓ ﴔ ﴔ ﴕ ﴕ ﴖ ﴖ ﴗ ﴗ ﴘ ﴘ ﴙ ﴙ ﴚ ﴚ ﴛ ﴛ ﴜ ﴜ ﴝ ﴝ ﴞ ﴞ ﴟ ﴟ ﴠ ﴠ ﴡ ﴡ ﴢ ﴢ ﴣ ﴣ ﴤ ﴤ ﴥ ﴥ ﴦ ﴦ ﴧ ﴧ ﴨ ﴨ ﴩ ﴩ ﴪ ﴪ ﴫ ﴫ ﴬ ﴬ ﴭ ﴭ ﴮ ﴮ ﴯ ﴯ ﴰ ﴰ ﴱ ﴱ ﴲ ﴲ ﴳ ﴳ ﴴ ﴴ ﴵ ﴵ ﴶ ﴶ ﴷ ﴷ ﴸ ﴸ ﴹ ﴹ ﴺ ﴺ ﴻ ﴻ ﴼ ﴼ ﴽ ﴽ ﴾ ﴾ ﴿ ﴿ ﵀ ﵀ ﵁ ﵁ ﵂ ﵂ ﵃ ﵃ ﵄ ﵄ ﵅ ﵅ ﵆ ﵆ ﵇ ﵇ ﵈ ﵈ ﵉ ﵉ ﵊ ﵊ ﵋ ﵋ ﵌ ﵌ ﵍ ﵍ ﵎ ﵎ ﵏ ﵏ ﵐ ﵐ ﵑ ﵑ ﵒ ﵒ ﵓ ﵓ ﵔ ﵔ ﵕ ﵕ ﵖ ﵖ ﵗ ﵗ ﵘ ﵘ ﵙ ﵙ ﵚ ﵚ ﵛ ﵛ ﵜ ﵜ ﵝ ﵝ ﵞ ﵞ ﵟ ﵟ ﵠ ﵠ ﵡ ﵡ ﵢ ﵢ ﵣ ﵣ ﵤ ﵤ ﵥ ﵥ ﵦ ﵦ ﵧ ﵧ ﵨ ﵨ ﵩ ﵩ ﵪ ﵪ ﵫ ﵫ ﵬ ﵬ ﵭ ﵭ ﵮ ﵮ ﵯ ﵯ ﵰ ﵰ ﵱ ﵱ ﵲ ﵲ ﵳ ﵳ ﵴ ﵴ ﵵ ﵵ ﵶ ﵶ ﵷ ﵷ ﵸ ﵸ ﵹ ﵹ ﵺ ﵺ ﵻ ﵻ ﵼ ﵼ ﵽ ﵽ ﵾ ﵾ ﵿ ﵿ ﶀ ﶀ ﶁ ﶁ ﶂ ﶂ ﶃ ﶃ ﶄ ﶄ ﶅ ﶅ ﶆ ﶆ ﶇ ﶇ ﶈ ﶈ ﶉ ﶉ ﶊ ﶊ ﶋ ﶋ ﶌ ﶌ ﶍ ﶍ ﶎ ﶎ ﶏ ﶏ ﶐ ﶐ ﶑ ﶑ ﶒ ﶒ ﶓ ﶓ ﶔ ﶔ ﶕ ﶕ ﶖ ﶖ ﶗ ﶗ ﶘ ﶘ ﶙ ﶙ ﶚ ﶚ ﶛ ﶛ ﶜ ﶜ ﶝ ﶝ ﶞ ﶞ ﶟ ﶟ ﶠ ﶠ ﶡ ﶡ ﶢ ﶢ ﶣ ﶣ ﶤ ﶤ ﶥ ﶥ ﶦ ﶦ ﶧ ﶧ ﶨ ﶨ ﶩ ﶩ ﶪ ﶪ ﶫ ﶫ ﶬ ﶬ ﶭ ﶭ ﶮ ﶮ ﶯ ﶯ ﶰ ﶰ ﶱ ﶱ ﶲ ﶲ ﶳ ﶳ ﶴ ﶴ ﶵ ﶵ ﶶ ﶶ ﶷ ﶷ ﶸ ﶸ ﶹ ﶹ ﶺ ﶺ ﶻ ﶻ ﶼ ﶼ ﶽ ﶽ ﶾ ﶾ ﶿ ﶿ ﷀ ﷀ ﷁ ﷁ ﷂ ﷂ ﷃ ﷃ ﷄ ﷄ ﷅ ﷅ ﷆ ﷆ ﷇ ﷇ ﷈ ﷈ ﷉ ﷉ ﷊ ﷊ ﷋ ﷋ ﷌ ﷌ ﷍ ﷍ ﷎ ﷎ ﷏ ﷏ ﷐ ﷐ ﷑ ﷑ ﷒ ﷒ ﷓ ﷓ ﷔ ﷔ ﷕ ﷕ ﷖ ﷖ ﷗ ﷗ ﷘ ﷘ ﷙ ﷙ ﷚ ﷚ ﷛ ﷛ ﷜ ﷜ ﷝ ﷝ ﷞ ﷞ ﷟ ﷟ ﷠ ﷠ ﷡ ﷡ ﷢ ﷢ ﷣ ﷣ ﷤ ﷤ ﷥ ﷥ ﷦ ﷦ ﷧ ﷧ ﷨ ﷨ ﷩ ﷩ ﷪ ﷪ ﷫ ﷫ ﷬ ﷬ ﷭ ﷭ ﷮ ﷮ ﷯ ﷯ ﷰ ﷰ ﷱ ﷱ ﷲ ﷲ ﷳ ﷳ ﷴ ﷴ ﷵ ﷵ ﷶ ﷶ ﷷ ﷷ ﷸ ﷸ ﷹ ﷹ ﷺ ﷺ ﷻ ﷻ ﷼ ﷼ ﷽ ﷽ ﷾ ﷾ ﷿ ﷿ ﷀ ﷀ ﷁ ﷁ ﷂ ﷂ ﷃ ﷃ ﷄ ﷄ ﷅ ﷅ ﷆ ﷆ ﷇ ﷇ ﷈ ﷈ ﷉ ﷉ ﷊ ﷊ ﷋ ﷋ ﷌ ﷌ ﷍ ﷍ ﷎ ﷎ ﷏ ﷏ ﷐ ﷐ ﷑ ﷑ ﷒ ﷒ ﷓ ﷓ ﷔ ﷔ ﷕ ﷕ ﷖ ﷖ ﷗ ﷗ ﷘ ﷘ ﷙ ﷙ ﷚ ﷚ ﷛ ﷛ ﷜ ﷜ ﷝ ﷝ ﷞ ﷞ ﷟ ﷟ ﷠ ﷠ ﷡ ﷡ ﷢ ﷢ ﷣ ﷣ ﷤ ﷤ ﷥ ﷥ ﷦ ﷦ ﷧ ﷧ ﷨ ﷨ ﷩ ﷩ ﷪ ﷪ ﷫ ﷫ ﷬ ﷬ ﷭ ﷭ ﷮ ﷮ ﷯ ﷯ ﷰ ﷰ ﷱ ﷱ ﷲ ﷲ ﷳ ﷳ ﷴ ﷴ ﷵ ﷵ ﷶ ﷶ ﷷ ﷷ ﷸ ﷸ ﷹ ﷹ ﷺ ﷺ ﷻ ﷻ ﷼ ﷼ ﷽ ﷽ ﷾ ﷾ ﷿ ﷿) (الجن:٢٧)

كما أن الغالب في استعمال هذا اللفظ للمتقدم وليس للمتأخر: كما جاء في أحاديث أشراط الساعة وهي كثيرة فمنها كما في الصحيح: (**اعدد ستا بين يدي الساعة موتي ثم فتح بيت المقدس...**).[١] وحديث: (**بين يدي الساعة تقاتلون قوما نعالهم الشعر...**).[٢] وحديث: (**إن بين يدي الساعة لأياما ينزل فيها الجهل ويرفع فيها العلم ويكثر فيها الهرج...**).[٣] وحديث: (**إن بين يدي الساعة كذابين فاحذروهم**).[٤] فهذا الاستعمال في الكتاب والسنة يؤيد ما رجحناه، والقاعدة تقول: قد يحتمل اللفظ معان عدة، ويكون أحدها هو الغالب استعمالاً في القرآن فيقدم، والحال هنا كذلك .

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

(١) صحيح البخاري - (١٠/ ٤٤٣).

(٢) صحيح البخاري - (١١/ ٤٢٥).

(٣) صحيح البخاري - (٢١/ ٤٥٣).

(٤) صحيح مسلم - (٩/ ٣٣٨).

الكلام على قوله تعالى: (ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

المفسرين: السمعاني [١] والبغوي [٢] والزمخشري [٣] وقال ابن الجوزي: قال آخرون منهم أبو عبيدة والمفضل: «أسرُّوا الندامة» بمعنى أظهروا، لأنه ليس بيوم تَصَنُّعٍ ولا تصبُّرٍ، والإِسرار من الأضداد؛ يقال: أسررت الشيء، بمعنى: أخفيته. وأسررته: أظهرته، قال الفرزدق:

ولما رأى الحجَّاجَ جرَّد سيفَه ... أسرَّ الحروريُّ الذي كان أضمرا.[٤]

يعني: أظهر. فعلى هذا القول: أظهروا الندامة عند إِحراق النار لهم، لأن النار ألهتهم عن التصنع والكتمان.[٥]

قال القرطبي: قيل: (ﭽ ﭾ ﭿ) أي تبينت الندامة في أسرار وجوههم... وقيل: الندامة لا تظهر، وإنما تكون في القلب، وإنما يظهر ما يتولد عنها. وقيل: إظهارهم الندامة قولهم: (ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ) [الشعراء:١٠٢].[٦]

قال ابن عطية بعد أن ذكر هذا القول: قال الفقيه الإمام القاضي: وهذا كلام من لم يعتبر المعنى، أما نفس الندامة فلا تكون إلا مستسرة ضرورة، وأما الظاهر عنها فغيرها ولم يثبت قط في لغة أن أسر من الأضداد.[٧]

وعلق ابن عاشور بقوله: وذكر الزمخشري وابن عطية: أن من المفسرين مَن فسّر «أَسَرّوا» هنا بمعنى أظهروا، وزعم أن «أسرّ» مشترك بين ضدين. فأما الزمخشري فسلمه ولم يتعقبه وقد فسر الزوزني الإِسرار بالمعنيين في قول امرىء القيس:

تجاوزتُ أحراساً إليها ومعشراً ... عليّ حِراصاً لو يُسِرّون مقتلي.[٨]

---

(١) أبو المظفر السمعاني ٤/ ٣٣٥).

(٢) تفسير البغوي (٢/ ٣٥٧).

(٣) الكشاف (٣/ ٥٩٤).

(٤) لم أقف على هذا البيت. وقد نقل ابن منظور عن شمر قال: لم أَجد هذا البيت للفرزدق. كما سيأتي في ترجيح المسألة.

(٥) زاد المسير (٤/ ٣٢).

(٦) تفسير القرطبي ١٤/ ٣٠٤).

(٧) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٢١).

(٨) البيت لامرئ القيس كما في ديوانه: (١/ ٣). قال كيسان: كنتُ على باب أبي عمرو بن العلاء فجاء أبوعبيدة وأنشد قول امرئ القيس هذا وفسّر: {وأسَرّوا النّدامَةَ لمّا رأوا العَذابَ} أي: أظهروا، بهذا =

وأما ابن عطية فأنكره، وقال: «ولم يثبت قط في اللغة أن «أسرّ» من الأضداد». قلت: وفيه نظر. وقد عد هذه الكلمة في الأضداد كثير من أهل اللغة وأنشد أبو عبيدة قول الفرزدق:

ولما رأى الحجاجَ جرَّد سيفه أسرّ الحَروريُّ الذي كان أضمرا

وفي كتاب «الأضداد» لأبي الطيب الحلبي قال أبو حاتم: ولا أثق بقول أبي عبيدة في القرآن ولا بقول الفرزدق، والفرزدق كثير التخليط في شعره. وذكر أبو الطيب عن التَّوزي أن غير أبي عبيدة أنشد بيت الفرزدق.

والذي جرَّ على تفسير «أسرّوا» بمعنى «أظهروا» هنا هو ما يقتضي إعلانهم بالندامة من قولهم: (□ □ □ □) [سبأ:٣١]. وفي آيات أخرى مثل قوله تعالى: (ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ) [الفرقان:٢٧] الآية. والندامة: التحسُّر من عمل فات تداركه. وقد تقدمت عند قوله تعالى: (□ □ □ □) [المائدة:٣١].[1]

الترجيح:

والراجح والعلم عند الله تعالى هو ما رجحه ابن جزي وأن معنى الآية محمول على ظاهرها فالمراد بالإسرار هو الإخفاء. وذلك لأن الأصل حمل نصوص الوحي على ظواهرها إلا لدليل.

وأما القول الثاني فالذي يظهر لي والله أعلم أنه غير متجه وذلك لعدة أمور:

الأمر الأول: أن معتمد أصحاب القول الثاني في كون «أسر» من الأضداد هو البيت المنسوب للفرزدق، والبيت المحرف لامرئ القيس. فأما بيت الفرزدق فلم أعثر عليه، وقد أنكره بعض أهل اللغة، وأما بيت امرئ القيس فليس لهم فيه حجة لأنه بالشين وليس بالسين و«يشرون» معناها يظهرون. إذا علمت هذا تبين لك أن من قال بأنها من الأضداد فإنما نظر إلى أحد هذين الدليلين، وهما ضعيفان لا يكفيان لتفسير القرآن، وعلى فرض أنه ثبت شيء من

البيت، فصحّف البيت وفسّر به القرآن على غير ما ينبغي. والصواب في البيت: «لو يُشِرّون» بالشين معجمة، ومعنى «يُشِرّون»: يظهرون، يقال: أشررت الثوبَ، أُشِرُّه إشراراً، إذا نشَرته. انظر: تصحيح التصحيف وتحرير التحريف للصفدي: (١/ ١١٢).

(١) تفسير التحرير والتنوير (٢٢/ ٢١٠).

دكتوراه عبدالعلي المسدي (كامل الرسالة :: مع الفهارس) ٥

هذا فإن القرآن إنما يحمل على المشهور المستفيض لا على الشاذ والقليل كما هو متقرر في قواعد التفسير.[1]

قال ابن منظور: وأَسَرَّ الشيء كتمه وأَظهره وهو من الأَضداد سَرَرْتُه كتمته وسررته أَعْلَنْته، والوجهان جميعاً يفسران في قوله تعالى: (ﭽ ﭾ ﭿ) قيل: أَظهروها. وقال ثعلب: معناه أَسروها من رؤسائهم. قال ابن سيده: والأَوّل أَصح.

قال الجوهري: وكذلك في قول امرئ القيس لو يُسِرُّون مَقْتَلِي قال وكان الأَصمعي يرويه لو يُشِرُّون بالشين معجمة أَي يُظهرون... [قال] أَبو عبيدة: أَسررت الشيء أَخفيته وأَسررته أَعلنته ومن الإِظهار قوله تعالى (ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ) أَي: أَظهروها وأَنشد للفرزدق:

فَلَمَّا رَأَى الحَجَّاجَ جَرَّدَ سَيْفَه أَسَرَّ الحَرُورِيُّ الذي كان أَضْمَرا.

قال شمر: لم أَجد هذا البيت للفرزدق، وما قال غيرُ أَبي عبيدة في قوله: (ﭽ ﭾ ﭿ) أَي: أَظهروها. قال: ولم أَسمع ذلك لغيره.

قال الأَزهري: وأَهل اللغة أَنكروا قول أَبي عبيدة أَشدّ الإِنكار. وقيل أَسروا الندامة يعني الرؤساء من المشركين أَسروا الندامة في سَفَلَتِهم الذين أَضلوهم وأَسروها أَخْفَوْها وكذلك قال الزجاج وهو قول المفسرين.[2]

الأمر الثاني: أن ما ذكره ابن عاشور من أن الذي جرَّ على تفسير «أسرّوا» بمعنى «أظهروا» هنا هو ما يقتضي إعلانهم بالندامة في مثل قولهم: (□ □ □ □ □ □) [سبأ:٣١]. ومثل قوله تعالى: (ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ) [الفرقان:٢٧]. فهذا قد يحمل على أنهم يظهرونها في مواضع ويخفونها في مواضع فإن يوم القيامة طويل ومتضمن مواقف عديدة، بحسب حال الموقف.

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

(١) انظر: مختصر قواعد الترجيح للسبت: ص(٥).

(٢) لسان العرب (٤/ ٣٥٦).

الكلام على قوله تعالى: (ﮪ ے ۓ ۓ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ)

وفي هذه الآية مسألة واحدة وهي: ما نوع الاستثناء هنا ؟.

قال ابن جزي رحمه الله تعالى:«استثناء من المفعول في تقربكم والمعنى: أن الأموال لا تقرب إلا المؤمن الصالح الذي ينفقها في سبيل الله. وقيل الاستثناء منقطع. والأول أحسن».[1]

والمسألة فيها قولان:

القول الأول: أن الاستثناء متصل.وعليه فيكون المعنى أن الأموال والأولاد لا تنفع إلا أهل الإيمان والعمل الصالح.

قال ابن جرير: قال بعضهم: معنى ذلك وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحًا فإنه تقربهم أموالهم وأولادهم بطاعتهم الله في ذلك وأدائهم فيه حقه إلى الله زلفى دون أهل الكفر بالله، ثم نقل معناه عن ابن زيد.[2] وقال السمعاني بعد أن ذكر هذا المعنى: وهذا أظهر القولين.[3]

وقال الزمخشري: (ﯛ ﯜ ﯝ) استثناء من «كم» في «تقربكم» والمعنى: أنّ الأموال لا تقرب أحداً إلاّ المؤمن الصالح الذي ينفقها في سبيل الله، والأولاد لا تقرب أحداً إلا من علمهم الخير وفقههم في الدين ورشحهم للصلاح والطاعة.[4] وكذا نقل ابن الجوزي عن الزجاج.[5]

ونقل القرطبي عن سعيد بن جبير قال: المعنى إلا من آمن وعمل صالحا فلن يضره ماله وولده في الدنيا.[6] وبنحو ما قال الزمخشري قال ابن عاشور.[7]

---

(١) التسهيل لابن جزي: ص(٥٧٦).
(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ١٠٠).
(٣) أبو المظفر السمعاني (٤/ ٣٣٦).
(٤) الكشاف (٣/ ٥٩٥).
(٥) زاد المسير (٦/ ٤٥١).
(٦) تفسير القرطبي ١٤/ ٣٠٥).
(٧) تفسير التحرير والتنوير (٢٢/ ٢١٥).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

القول الثاني: أن الاستثناء منقطع. وعليه فيكون المعنى أن الأموال والأولاد لا تنفع، وإنما الذي ينفع هو الإيمان والعمل الصالح.

قال السمعاني: (ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ) هذا استثناء منقطع، ومعناه: لكن من آمن وعمل صالحاً. [١] ونقل البغوي عن ابن عباس قال: يريد إيمانه وعمله يقربه مني. [٢]

قال ابن عطية: (ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ) استثناء منقطع و (ﮋ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ) في موضع نصب بالاستثناء. [٣] وبنحو هذا قال القرطبي [٤] وابن كثير. [٥]

قال ابن عاشور: (ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ) استثناء منقطع. و (ﮊ ﮏ ﮐ) بمعنى ﴿لكنْ﴾ المخففة النون التي هي للاستدراك، وما بعدها كلام مستأنف، وذلك من استعمالات الاستثناء المنقطع؛ فإنه إذا كان ما بعد (ﮊ ﮐ) ليس من جنس المستثنى منه كان الاستثناء منقطعاً، ثم إن كان ما بعد (ﮊ ﮐ) مفرداً فإن (ﮊ ﮐ) تقدّر بمعنى «لكنّ» أخت «إنّ» عند أهل الحجاز فينصبون ما بعدها على توهم اسم «لكنّ» وتقدر بمعنى «لكنْ» المخففة العاطفة عند بني تميم فيتبع الاسم الذي بعدها إعراب الاسم الذي قبلها؛ وذلك ما أشار إليه سيبويه في باب يختار فيه النصب من أبواب الاستثناء. [٦]

الترجيح:

والراجح والعلم عند الله تعالى أنه لا تعارض بين القولين والآية محمولة على كلا المعنيين وكلٌ عليه دليل من القرآن فمن قال إن الاستثناء متصل فقوله صحيح لأن الأموال والأولاد لا ينتفع بها العبد إلا إذا سخرها وهيأها في مراضي الله جل وعلا، قال تعالى: (ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

بل هي وبال عليهم يحاسبهم الله تعالى عليها ويسألهم عنها كما دلت على هذا آيات وأحاديث كثيرة. فحمل الآية على القولين هو المختار لأن القرآن يدل على المعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة. ولأن عامة ألفاظ القرآن تدل على معنيين فأكثر. وإذا احتمل اللفظ معان عدة ولم يمتنع إرادة الجميع حمل عليها. [1]

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

(١) انظر: مختصر قواعد الترجيح للسبت: ص(٢٦، ٢٧).

الكلام على قوله تعالى: (ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

وقال السعدي: أي: الشياطين، يأمرون بعبادتنا أو عبادة غيرنا، فيطيعونهم بذلك. وطاعتهم هي عبادتهم، لأن العبادة الطاعة، كما قال تعالى مخاطبا لكل من اتخذ معه آلهة :(ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ)[يس].[1]

القول الثاني: أنهم كانوا يدخلون في جوف الأصنام فيعبدون بعبادتها. وهذا القول ذكره: الزمخشري[2] وأبو حيان[3] والألوسي.[4]

القول الثالث: أن منهم من عبدالجن حقيقة.

قال ابن عطية: يجوز إن كان في الأمم الكافرة من عبدالجن، وفي القرآن آيات يظهر منها أن الجن عُبِدت في سورة الأنعام وغيرها.[5] وكذا قال أبو حيان[6] والألوسي.[7]

قال القرطبي: وفي التفاسير: أن حيًّاً يقال لهم بنو مليح من خزاعة كانوا يعبدون الجن، ويزعمون أن الجن تتراءى لهم، وأنهم ملائكة، وأنهم بنات الله، وهو قوله: (ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ) [الصافات:١٥٨].[8]

الترجيح:

والراجح والعلم عند الله تعالى هو القول الأول مع احتمال الآية للقول الثالث. وذلك لعدة أمور:

الأمر الأول: أن العبادة هي الطاعة فهم لما أطاعوهم فكأنهم عبدوهم من دون الله امتثلوا أمرهم وتركوا أمر الله وفي هذا يقول الله تعالى: (ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ)

---

(١) تفسير السعدي (١/ ٦٨١).

(٢) الكشاف (٣/ ٥٩٦).

(٣) تفسير البحر المحيط (٧/ ٢٧٤).

(٤) روح المعاني (٢٢/ ١٥١).

(٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤١٧) .

(٦) تفسير البحر المحيط (٧/ ٢٧٤).

(٧) روح المعاني (٢٢/ ١٥١).

(٨) تفسير القرطبي ١٤/ ٣٠٩).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

پ پ ڀ ٺ ٺ ڈ ڈ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ) (الجاثية: ٢٣) وقال أيضاً: (□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □) (الفرقان: ٤٣) فسمى الهوى إلهاً إذا أطاعه العبد من دون الله.

الأمر الثاني: أن ما ذكره الزمخشري من كون الجن يدخلون في جوف الأصنام، يفتقر إلى دليل لأن هذا مما لا يدرك إلا بالخبر المعصوم .

وأما القول الثالث: فقد جاء في القرآن ما يدل عليه كقوله تعالى: (ٻ ٻ □ □ □□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □

الكلام على قوله تعالى: (ﮋ ﮊ ﮉ ﮈ ﮇ ﮆ ﮅ ﮄ ﮃ ﮂ ﮁ ﮀ ﮿ ﮾ ﮽ ﮼ ﮻ ﮺ ﮹ ﮸ ﮷ ﮶ ﮵ ﮴ ﮳ ﮲ ﮱ ﮰ ﮯ ﮮ ﮭ ﮬ ﮫ ﮪ ﮩ ﮨ ﮧ ﮦ ﮥ ﮤ ﮣ ﮢ ﮡ ﮠ ﮟ ﮞ ﮝ ﮜ ﮛ ﮚ ﮙ ﮘ ﮗ ﮖ ﮕ ﮔ ﮓ ﮒ ﮑ ﮐ ﮏ ﮎ ﮍ ﮌ ﮋ)

والآية فيها مسألتان:

المسألة الأولى: ما المراد بالمعشار.

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: « المعشار: العشر، وقيل عشر العشر والأول أصح».[١]

والمسألة فيها قولان:

القول الأول: أن المعشار هو: العشر.

قال ابن جرير: (ﮋ ﮊ ﮉ ﮈ ﮇ ﮆ ﮅ ﮄ ﮃ ﮂ ﮁ ﮀ ﮿ ﮾ ﮽ ﮼ ﮻ ﮺ ﮹ ﮸ ﮷ ﮶ ﮵ ﮴ ﮳ ﮲ ﮱ ﮰ ﮯ ﮮ ﮭ ﮬ ﮫ ﮪ ﮩ ﮨ ﮧ ﮦ ﮥ ﮤ ﮣ ﮢ ﮡ ﮠ ﮟ ﮞ ﮝ ﮜ ﮛ ﮚ ﮙ ﮘ ﮗ ﮖ ﮕ ﮔ ﮓ ﮒ ﮑ ﮐ ﮏ ﮎ ﮍ ﮌ ﮋ) يقول: ولم يبلغ قومك يا محمد عشر ما أعطينا الذين من قبلهم من الأمم من القوة والأيدي والبطش، وغير ذلك من النعم.[٢]

وكذا قال الماوردي.[٣] والسمعاني.[٤] والبغوي.[٥] وابن الجوزي.[٦] وقال الزمخشري: والمعشار كالمرباع، وهما: العشر. والربع.[٧] وبنحوه قال ابن عطية.[٨]

قال القرطبي: المعشار والعشر سواء، لغتان. قال الجوهري: ومعشار الشيء عشره، ولا يقولون هذا في شيء سوى العشر.[٩]

قال ابن عاشور: المِعشار: العشر، وهو الجزء العاشر مثل المِرباع الذي كان يجعل لقائد الكتيبة من غنائم الجيش في الجاهلية.[١٠]

القول الثاني: أن المعشار: عشر العشر.

---

(١) التسهيل لابن جزي: ص(٥٧٧).
(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ١٠٣).
(٣) النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٤٥٥).
(٤) أبو المظفر السمعاني (٤/ ٣٣٩).
(٥) تفسير البغوي (٣/ ٥٥٦).
(٦) زاد المسير (٦/ ٤٦٢).
(٧) الكشاف (٣/ ٥٩٨).
(٨) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٢٤).
(٩) تفسير القرطبي ١٤/ ٣١٠).
(١٠) تفسير التحرير والتنوير (٢٢/ ٢٢٤).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

قال الماوردي: أنه عشر العشر وهو العشير.[1]

قال السمعاني: وقيل: عشر العشر، وذلك جزء من مائة جزء.[2]

قال ابن عطية: قال قوم: المعشار عشر العشر. قال القاضي أبو محمد: وهذا ليس بشيء.[3] قال القرطبي: قيل: المعشار عشر العشر.[4]

الترجيح:

والراجح والعلم عند الله تعالى هو ما رجحه ابن جزي من أن المراد بالمعشار هو: العشر أي: واحد من عشرة أجزاء، وهذا هو المعتمد في كتب اللغة، لكنهم ذكروا أنه قد يرد بمعنى عشر العشر ويرد بمعنى عشر عشر العشر أي: واحد من الألف ولكنهم ذكروه بصيغة التمريض، والقاعدة أن القرآن إذا فسر باللغة فإنه يراعى فيه المعنى الأغلب والأشهر والأفصح دون الشاذ أو القليل.[5]

قال ابن منظور: والعُشْرُ والعَشِيرُ جزء من عَشَرة يطّرد هذان البناءان في جميع الكسور والجمع أَعْشارٌ وعُشُورٌ وهو المِعْشار وفي التنزيل: (ک ک ک گ گ گ) أَي ما بلَغ مُشْرِكُو أَهل مكة مِعْشارَ ما أُوتِيَ مَن قَبْلَهم من القُدْرة والقُوّة والعَشِيرُ الجزءُ من أَجْزاء العَشرة.[6] وكذا وكذا قال الخليل بن أحمد.[7]

وقال الزبيدي: قِيلَ: المِعْشَارُ: عُشْرُ العُشْرِ. وقيل:إِنّ المِعْشارَ جَمْعُ العَشِيرِ والعَشِيرُ جَمْعُ العُشْر وعَلَى هذا فيكونُ المِعْشَارُ واحداً من الأَلْف لأَنّه عُشْرُ عُشْرِ العُشْرِ.[8]

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

(١) النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٤٥٥).

(٢) أبو المظفر السمعاني (٤/ ٣٣٩).

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٢٤).

(٤) تفسير القرطبي ١٤/ ٣١٠).

(٥) انظر: مختصر قواعد الترجيح للسبت: ص(٥).

(٦) لسان العرب (٤/ ٥٦٨).

(٧) العين (١/ ٥٦).

(٨) تاج العروس (١/ ٣١٩٩)، وانظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (٦/ ١٦٣).

دكتوراه عبدالعلي الحمدي (كامل الرسالة :: مع الفهارس) ٥

المسألة الثانية: في عود الضمير في(ﮐ) و (ﯡ).

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: «والضمير في (ﮐ و): لكفار قريش، وفي (ﯡ و): للكتب المتقدمة أي: أن هؤلاء لم يبلغوا عشر ما أعطى الله المتقدمين من القوة والأموال. وقيل: الضمير في (ﮐ و): للمتقدمين، وفي (ﯡ و): لقريش، أي: ما بلغ المتقدمون عشر ما أعطى الله هؤلاء من البراهين والأدلة. والأول أصح، وهو نظير قوله: ﴿ كَانُواْ هُمۡ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةً ﴾».[1]

والمسألة فيها قولان:

القول الأول: أن المعنى: ما بلغ كفار قريش في القوة والأموال عشر ما أعطى الله المتقدمين. قال ابن جرير: يقول: ولم يبلغ قومك يا محمد عشر ما أعطينا الذين من قبلهم من الأمم من القوة والأيدي والبطش، وغير ذلك من النعم. ثم روى هذا بسنده إلى ابن عباس وقتادة وابن زيد.[2] وكذا قال ابن عطية.[3]

وممن ذكر نحوه من المفسرين: الماوردي.[4] والبغوي.[5] والزمخشري.[6] والقرطبي.[7]

والقرطبي.[7]

وقال السمعاني: أكثر أهل التفسير أن المراد من الآية هو أن هؤلاء الكفار وهم قريش ما بلغوا معشار ما آتينا الذين من قبلهم في القوة والمال والآلة. وهو القول الأولى والمعروف.[8] وحكاه ابن الجوزي عن الجمهور.[9]

---

(١) التسهيل لابن جزي: ص(٥٧٧).
(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ١٠٣).
(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٢٤).
(٤) النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٤٥٥).
(٥) تفسير البغوي (٣/ ٥٥٦).
(٦) الكشاف (٣/ ٥٩٨).
(٧) تفسير القرطبي ١٤/ ٣١٠).
(٨) أبو المظفر السمعاني (٤/ ٣٣٩).
(٩) زاد المسير (٦/ ٤٦٢).

قال ابن كثير: (ک ک ڈ ڈ ژ ژ) قال ابن عباس: أي من القوة في الدنيا. وكذلك قال قتادة، والسدّي، وابن زيد. كما قال تعالى: (ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﮲ ﮳ ﮴ ﮵ ﮶ ﮷ ﮸ ﮹ ﮺ ﮻ ﮼ ﮽ ﮾ ﮿ ﯀ ﯁ ﯂ ﯃ ﯄ ﯅ ﯆ ﯇ ﯈ ﯉ ﯊ ﯋ ﯌ ﯍ ﯎ ﯏ ﯐ ﯑ ﯒ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

الأمر الثاني: أنه لا يوجد تعارض بين القولين، وكلاهما صحيح فمن قال إن المتقدمين كانوا أشد قوة من أهل مكة فقوله صحيح ومن قال إن الحجج والبراهين التي أنزلها على رسوله ﷺ أعظم من البراهين السابقة فقوله صحيح، وأما مسوغ تقديم القول الأول فلأنه منصوص عليه في مواطن أخرى من القرآن، ولأنه قد استفاض فيه النقل عن جمهور المفسرين والمأثور عن ابن عباس وقتادة والسدي وابن زيد.

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة :: مع الفهارس) 5

الكلام على قوله تعالى: (ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

قال ابن كثير: أي: تقوموا قياما خالصًا لله، من غير هوى ولا عصبية، فيسأل بعضكم بعضا: هل بمحمد من جنون ؟ فينصح بعضكم بعضا، (□ □□) أي: ينظر الرجل لنفسه في أمر محمد ﷺ ويسأل غيره من الناس عن شأنه إن أشكل عليه، ويتفكر في ذلك؛ ولهذا قال: (بِ □ □ □ □ □□ □ □ □□ ى) هذا معنى ما ذكره مجاهد، ومحمد بن كعب، والسُّدِّيّ، وقتادة، وغيرهم، وهذا هو المراد من الآية.[1]

قال ابن عاشور: قوله: (وِ □ □ □□ ى) نفي يُعلّق فعلَ (□□ ى) عن العمل لأجل حرف النفي. والمعنى: ثم تعلَموا نفي الجنون عن صاحبكم، أي تعلموا مضمون هذا. فجملة (□ □ □□ ى) معمولة لـ(□□ ى).ومن وقف على(□□ ى) لم يتقن التفكر.[2]

القول الثاني: أن الآية مستأنفة ولا اتصال لها بالتي قبلها.

قال البغوي: قال مقاتل: تم الكلام عند قوله: (□ □□ ى) أي: في خلق السموات والأرض فتعلموا أن خالقها واحد لا شريك له، ثم ابتدأ فقال: (□ □ ى).[3]

قال الزمخشري: يجوز أن يكون كلاماً مستأنفاً تنبيهاً من الله ﷻ على طريقة النظر في أمر رسول الله ﷺ.[4]

قال ابن عطية: الوقف عند أبي حاتم(□ □□ ى).قال الفقيه الإمام القاضي: فيجيء (□ □ ى) نفياً مستأنفاً. وهو عند سيبويه جواب «ما» تنزل منزلة القسم لأن تفكر من الأفعال التي تعطي التحقيق كتبين وتكون الفكرة على هذا في آيات الله والإيمان به.[5]

به.[5]

قال القرطبي: الوقف عند أبي حاتم وأبن الأنباري على: (□ □□ ى).[6]

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٤٤).

(٢) تفسير التحرير والتنوير (٩/ ١٩٠).

(٣) تفسير البغوي (٣/ ٥٦٢).

(٤) الكشاف (٣/ ٥٩٩).

(٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٢٥).

(٦) تفسير القرطبي ١٤/ ٣١١).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

الترجيـــح: والراجح والعلم عند الله تعالى هو ما رجحه ابن جزي مـن أن قولـه تعـالى: (□ □ □ □□ □ ى) متصل بما قبله والآيـة محتملـة للقـول الثـاني، إذ لا تعـارض بـين القولين، غير أن القول الأول هو الأجود من أجل إلحاق الكلام بما يليه فهو أولى.

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

الكلام على قوله تعالى: (ٱ ب ب ٻ ٻ پ پ ڀ ڀ)

وفي هذه الآية مسألة واحدة وهي: ما المراد بالباطل في الآية ؟.

قال ابن جزي رحمه الله تعالى:«الباطل: الكفر... وقيل: الباطل: الشيطان».[١]

والمسألة فيها قولان:

القول الأول: أن الباطل هو: الكفر.

قال الماوردي: أنه دين الشرك، قاله ابن بحر.[٢]

قال ابن عطية: قالت فرقة: «الباطل» هو غير الحق من الكذب والكفر ونحوه.[٣]

القول الثاني: الشيطان.

قال ابن جرير: والباطل هو فيما فسره أهل التأويل: إبليس. ثم روى عن قتادة في قوله: (ٻ ٻ پ پ ڀ ڀ) قال: والباطل إبليس.[٤] وكذا قال السمعاني.[٥] والزمخشري.[٦] وابن عطية.[٧] وابن الجوزي.[٨] والقرطبي.[٩]

ونقل الماوردي عن معمر وخليد: أن الباطل الشيطان.[١٠] ونقله البغوي عن قتادة ومقاتل والكلبي.[١١] وقال ابن كثير: وزعم قتادة والسدي: أن المراد بالباطل ههنا إبليس إنه لا

---

(١) التسهيل لابن جزي: ص(٥٧٨).
(٢) النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٤٥٦).
(٣) المحرر الوجيز (٥/ ٣٥٩).
(٤) تفسير الطبري (٢٢/ ١٠٦).
(٥) أبو المظفر السمعاني (٤/ ٣٤١).
(٦) الكشاف (٣/ ٥٩٨).
(٧) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٢٦).
(٨) زاد المسير (٦/ ٤٦٦).
(٩) تفسير القرطبي ١٤/ ٣١٣).
(١٠) النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٤٥٦).
(١١) تفسير البغوي (٣/ ٥٦٢).

دكتوراه عبدالعلي الحمدي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

يخلق أحداً ولا يعيده، ولا يقدر على ذلك. وهذا وإن كان حقًا ولكن ليس هو المراد ههنا. والله أعلم.[1]

الترجيـــح:

والراجح والعلم عند الله تعالى هو القول الأول، وإن كان القول الثاني داخل فيه والآيـة محتملة له لكن المقدم والأولى هو الأول.وذلك لأمور:

الأول: أن الباطل في الآية في مقابل الحق، وتفسير الحق هو دين الإسلام والقرآن. فكان الأليق بتفسير الباطل هو الكفر، لأن مما يزيل الإشكال في التفسير معرفة ضد الشيء.

الأمر الثاني: أن بعض المفسرين يذكر جزءاً من المعنى وإن كان اللفظ يحتمل معان كثيرة فيكون هذا من باب التنصيص على بعض أفراد العام فقد ذُكِر أن معنى الباطل أيضاً الأصـنام وكله سائغ وجائز. ومما يدل على ذلك أن النبي ﷺ عندما دخل مكة كان يكسر الأصنام ويقـرأ قوله تعالى: (ﮋ ﮊ ﮋ ﮊ ﮋ ﮊ ﮋ ﮊ ﮋ ﮊ) (الإسراء: ٨١) والـتلازم بَـيِّنٌ بـين الكفر والأصنام.

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٤٥).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

الكلام على قوله تعالى: (ڈ ڈ ڤ ڤ ڤ ڤ ڄ ڄ ڄ ڄ)

وفي هذه الآية مسألة واحدة وهي: متى يكون هذا الفزع ؟.

قال ابن جزي رحمه الله تعالى:«ووقت الفزع: البعث. وقيل: الموت. وقيل: يوم بدر».[١]

والمسألة فيها ثلاثة أقوال:

القول الأول: أنه يكون عند البعث.

قال ابن جرير: وقال آخرون: بل عنى بذلك المشركون إذا فزعوا عند خروجهم من قبورهم. (ڈ ڈ ڤ ڤ ڤ ڄ) قال: فزعوا يوم القيامة حين خرجوا من قبورهم. وقال قتادة: حين عاينوا عذاب الله. وعن ابن معقل قال: أفزعهم يوم القيامة فلم يفوتوا. [٢]

وكذا قال الماوردي -ونقله عن مجاهد والحسن -[٣] والبغوي.[٤] والزمخشري.[٥] وابن عطية- وقال: وهذا أرجح الأقوال عندي-.[٦] وابن الجوزي - وقال: قاله الأكثرون- [٧] والقرطبي. [٨]

وقال السمعاني: معناه: ولو ترى إذ فزعوا حين يبعثون، وفي الآية جواب محذوف، والمحذوف: ولو ترى إذ فزعوا حين يبعثون لرأيت عبرة يعتبر بها.[٩]

قال ابن كثير بعد أن ذكر أقوال المفسرين في الآية: والصحيح: أن المراد بذلك يوم القيامة، وهو الطامة العظمى، وإن كان ما ذكر متصلا بذلك.[١٠]

---

(١) التسهيل لابن جزي: ص(٥٧٨).
(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ١٠٦).
(٣) النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٤٥٦).
(٤) تفسير البغوي (٣/ ٥٥٦).
(٥) الكشاف (٣/ ٥٩٣).
(٦) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٢٦).
(٧) زاد المسير (٦/ ٤٦١).
(٨) تفسير القرطبي ١٤/ ٣١٤).
(٩) أبو المظفر السمعاني (٤/ ٣٤١).
(١٠) تفسير ابن كثير (٤/ ١٤١).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

قال ابن عاشور: وهذا الفزع عند البعث يشعر بأنهم كانوا غير مهيِّئين لهذا الوقت أسبابَ النجاة من هوله.[1]

القول الثاني: أن هذا الفزع عند الموت.

قال السمعاني: يقال: ولو ترى إذ فزعوا أراد به وقت الموت.[2] وكذا قال الزمخشري.[3] [3] وابن عطية -ونقله عن قتادة-[4] والقرطبي - وقال: روي معناه عن ابن عباس-.[5]

القول الثالث: أنه يوم بدر.

وقد روى ابن جرير عن ابن عباس والضحاك قالوا: هذا من عذاب الدنيا. وقال ابن زيد: هؤلاء قتلى المشركين من أهل بدر، نزلت فيهم هذه الآية. قال: وهم الذين بدلوا نعمة الله كفرًا وأحلوا قومهم دار البوار جهنم، أهل بدر من المشركين.[6]

قال الماوردي: هو فزعهم يوم بدر حين ضربت أعناقهم فلم يستطيعوا فراراً من العذاب ولا رجوعاً إلى التوبة، قاله السدي.[7] وكذا قال الزمخشري: قيل: يوم بدر.[8] وابن عطية.[9] وابن الجوزي-ونقله عن الضحاك وزيد ابن أسلم-.[10] والقرطبي.[11] وابن كثير - ونقله عن عبدالرحمن بن زيد-.[12]

---

(١) تفسير التحرير والتنوير (٢٢/ ٢٤٢).

(٢) أبو المظفر السمعاني (٤/ ٣٤١).

(٣) الكشاف (٣/ ٥٩٣).

(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٢٦).

(٥) تفسير القرطبي ١٤/ ٣١٤).

(٦) تفسير الطبري (٢٢/ ١٠٧).

(٧) النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٤٥٦).

(٨) الكشاف (٣/ ٥٩٣).

(٩) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٢٦).

(١٠) زاد المسير (٦/ ٤٦١).

(١١) تفسير القرطبي ١٤/ ٣١٤).

(١٢) تفسير ابن كثير (٤/ ١٤١).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

الترجيـــح:

القول الثاني والثالث يرجعان إلى قول واحد وهو أن هذا الفزع يكـون للمشرـكين عنـد الموت غير أن أصحاب القول الثالث خصوه بما حصل للمشركين بدلالة سياق الآيات، ولـذا قال ابن جرير: والذي هو أولى بالصواب في تأويل ذلك، وأشبه بما دل عليه ظاهر التنزيل قول من قال: وعيد الله المشركين الذين كذبوا رسول الله ﷺ من قومه، لأن الآيات قبـل هـذه الآيـة جاءت بالإخبار عنهم وعن أسبابهم، وبوعيد الله إيـاهم مغبتـه، وهـذه الآيـة في سـياق تلـك الآيات، فلأن يكون ذلك خبرًا عن حالهم أشبه منه بأن يكون خبرًا لما لم يجر له ذكر. وإذا كـان ذلك كذلك، فتأويل الكلام: ولو ترى يا محمد هؤلاء المشرـكين مـن قومـك، فتعـاينهم حـين فزعوا من معاينتهم عذاب الله(ڤ ڃ ڃ) يقول: فلا سـبيل حينئـذٍ أن يفوتـوا بأنفسـهم، أو يعجزونا هربًا، وينجوا من عذابنا.[1]

والراجح والعلم عند الله تعالى أن الآية تعم جميع ما ذكر من أقوال، فكل من أعرض عن منهج الله فإنه يناله من الفزع بقدر ما ابتعد عن منهج الله جل وعلا، وهـذا هـو هـول المطلـع، ومشاهدة الحقيقة، حينما يدرك الكفار زيف ما كانوا عليه وأنهـم كـانوا في غـرور، وهـذا مـن جنس ما حصل لفرعون عندما أغرقه الله فقـال: (ڤ ڤ ڤ ڤ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ) فقـال الله لـه: (ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڇ ڇ) (يـونس:٩٠ - ٩١) ومـن مـات مـن المشركين يوم بدر بسيوف المسلمين أو بسيوف الملائكة لا شك أنه داخل في مثـل هـذا دخـولاً أولياً.

ثم إن الموت هو القيامة الصغرى لكل إنسان، لأنه حينها يشاهد الحقيقة، ومن مات فقد قامت قيامته، وبهذا يتضح أن جميع الأقوال تحتملها الآية فالفزع يحصل للمشركين عند مـوتهم ولأهل بدر على وجه الخصوص ويوم القيامة، على النقيض من حال المـؤمنين الـذين قـال الله فيهم: (ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ) (الأنبياء: ١٠٣).

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ١٠٧).

الكلام على قوله تعالى: (ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں)

والآية فيها مسألة واحدة وهي: ما الذي حيل بينهم وبينه ؟.

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: «أي: حيل بينهم وبين دخول الجنة. وقيل: حيل بينهم وبين الانتفاع بالإيمان حينئذ. وقيل: حيل بينهم وبين نعيم الدنيا والرجوع إليها».[١]

والمسألة فيها ثلاثة أقوال:

القول الأول: حيل بينهم وبين دخول الجنة.

قال ابن عطية: قيل: حيل بينهم وبين الجنة ونعيمها. وهذا يتمكن جداً على القول بأن الأخذ والفزع المذكورين هو في يوم القيامة.[٢]

القول الثاني: حيل بينهم وبين الانتفاع بالإيمان حينئذ.

قال ابن جرير: يقول تعالى ذكره: وحيل بين هؤلاء المشركين حين فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب، فقالوا: آمنَّا به. (ک ک گ ں) حينئذٍ من الإيمان بما كانوا به في الدنيا قبل ذلك يكفرون، ولا سبيل لهم إليه. ثم روى عن الحسن وقتادة ومجاهد أنهم قالوا في معنى الآية، أي: حيل بينهم وبين الإيمان بالله والتوبة إلى الله.[٣]

وكذا قال الماوردي.[٤] والسمعاني.[٥] وابن الجوزي.[٦] والزمخشري.[٧] وابن عطية.[٨] والقرطبي.[٩] وابن كثير.[١٠]

---

(١) التسهيل لابن جزي: ص(٥٧٨).
(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٢٧).
(٣) تفسير الطبري (٢٢/ ١٠٧).
(٤) النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٤٥٧).
(٥) أبو المظفر السمعاني (٤/ ٣٤٣).
(٦) زاد المسير (٦/ ٤٦١).
(٧) الكشاف (٣/ ٥٩٣).
(٨) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٢٧).
(٩) تفسير القرطبي ١٤/ ٣١٨).
(١٠) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٤٦).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

القول الثالث: حيل بينهم وبين نعيم الدنيا والرجوع إليها.

قال الماوردي: حيل بينهم وبين الدنيا، قاله مجاهد.[1] وبنحوه ذكر السمعاني.[2] والبغوي.[3] وابن عطية.[4] وابن الجوزي وحكاه عن ابن عباس.[5]

قال ابن كثير: قال مجاهد: (ک ک ک ک گ ں) من هذه الدنيا، من مال وزهرة وأهل. وروي ذلك عن ابن عباس وابن عمر والربيع بن أنس. وهو قول البخاري وجماعة. والصحيح: أنه لا منافاة بين القولين؛ فإنه قد حيل بينهم وبين شهواتهم في الدنيا وبين ما طلبوه في الآخرة، فمنعوا منه.[6]

قال ابن عاشور: أي: وحَال زَجُّهم في النار بينهم وبين ما يأملُونه من النجاة بقولهم: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾. وما يشتهونه هو النجاة من العذاب، أَوْ عودتهم إلى الدنيا؛ فقد حُكي عنهم في آيات أُخرى أنهم تمنَّوه (□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □) [الأنعام:٢٧] (ۋ ۋ و و ۉ ۉ ې ې ى ى ئا □)[فاطر:٣٧].[7]

الترجيح:

والقول في هذه المسألة كالقول في المسألة التي قبلها تماماً، ولا منافاة بين الأقوال كما قال ابن كثير رحمه الله تعالى، فمن قال إن الفزع والأخذ يكون يوم القيامة قال إن الذي حيل بينهم وبينه دخول الجنة، ومن قال إن ذلك يكون في الدنيا عند الموت قال: جاز على قوله هذا أن يكون ما حيل بينهم وبينه حينئذٍ هو التوبة والإيمان أو بينهم وبين نعيم الدنيا وملذاتها وشهواتها. فالأول يدل عليه حديث النبي ﷺ في قبول التوبة من العبد مالم تبلغ الروح الحلقوم فإذا بلغت الحلقوم فحينئذٍ (ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڄ ڄ

---

(١) النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٤٥٧).

(٢) أبو المظفر السمعاني (٤/ ٣٤٣).

(٣) تفسير البغوي (٣/ ٥٦٣).

(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٢٧).

(٥) زاد المسير (٦/ ٤٦١).

(٦) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٤٦).

(٧) تفسير التحرير والتنوير (٢٢/ ٢٤٥).

جـ) (الأنعام: ١٥٨). وأما الثاني فهذا ما يعلمه كل أحد من أن الميت يفارق ماله وولده وأحبابه ولا يذهب معه إلا عمله.

وعلى كل حال فإن الحمل على العموم هو القول الراجح والعلم عند الله تعالى، لأن القرآن يدل على المعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة، ولا تعارض ولله الحمد وكل ما ذكره أهل التفسير فهو صحيح، فإنهم في الدنيا يحال بينهم وبين ما يشتهون من البقاء والرجوع إلى الدنيا والإيمان والأنس بالأولاد والأهل وما كانوا عليه من الشهوات والملذات. وفي الآخرة يحال بينهم وبين دخول الجنة ونعيمها.

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

ترجيحات واختيارات ابن جزي الكلبي في تفسيره

سورة فاطر

الكلام على قوله تعالى: (ں ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﮲ ﮳ ﮴ ﮵ ﮶ ﮷ ﮸ ﮹ ﮺ ﮻ ﮼ ﮽ ﮾ ﮿)

وفي هذه الآية مسألة واحدة وهي: ما المراد بقوله تعالى: (ھ ے ے ۇ) ؟.

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: « قيل: يعني حسن الصوت. وقيل: حسن الوجه. وقيل: حسن الحظ. والأظهر: أنه يرجع إلى أجنحة الملائكة أو يكون على الإطلاق في كل زيادة في المخلوقين ».[1]

والمسألة فيها خمسة أقوال:

القول الأول: أن المراد بزيادة الخلق، أي: حسن الصوت. وهذا القول مروي عن ابن شهاب الزهري وابن جريج والحسن. كما عند الماوردي[2] والبغوي.[3] والزمخشري[4] وابن عطية [5]وابن الجوزي[6]والقرطبي[7] وابن كثير وقال: رواه عن الزهري البخاري في الأدب، وابن أبي حاتم في تفسيره.[8]

القول الثاني: أن المراد بزيادة الخلق، أي: حسن الوجه. وممن ذكر هذا القول من المفسرين: الزمخشري[9]وأبو حيان[10] والألوسي. [11]

---

(١) التسهيل لابن جزي: ص(٥٧٩).

(٢) معاني القرآن (٥/ ٤٢٨ النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٤٥٦)، تفسير السمعاني (٤/ ٣٤٤ اللباب في علوم الكتاب (١٦/ ٩٨).

(٣) تفسير البغوي (٣/ ٥٥٦).

(٤) الكشاف (٣/ ٦٠٣).

(٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٢٧).

(٦) زاد المسير (٦/ ٤٧١).

(٧) تفسير القرطبي (١٤/ ٣١٥).

(٨) تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٦٢)، تفسير ابن كثير (٣/ ٥٤٧).

(٩) الكشاف (٣/ ٦٠٣).

(١٠) تفسير البحر المحيط (٧/ ٢٧٩).

(١١) روح المعاني (٢٢/ ١٦٤).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

القول الثالث: أن المراد بزيادة الخلق، أي: حسن الحظ. وممن ذكر هذا القول من المفسرين: الزمخشري[1] وأبو حيان[2] والألوسي.[3]

القول الرابع: أن المراد بزيادة الخلق، أي: في أجنحة الملائكة.

قال ابن جرير: وذلك زيادته تبارك وتعالى في خلق هذا الملك من الأجنحة على الآخر ما يشاء، ونقصانه عن الآخر ما أحب.[4] وحكاه الماوردي عن الحسن.[5] وكذا القرطبي.[6]

وقال السمعاني: أظهر الأقاويل: أن الله تعالى يزيد في خلق الملائكة وأجنحتهم ما يشاء على ما ذكرنا.[7] وكذا قال الزمخشري.[8] ونقله ابن الجوزي عن ابن عباس[9] وابن كثير عن السدي[10] وابن عاشور.[11]

قال ابن قتيبة: (ﮪ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ) كأنه يزيد في تلك الأجنحة ما يشاء وفي غيرها.[12]

القول الخامس: أن هذا على الإطلاق في كل زيادة في المخلوقين.

قال ابن جرير بعد أن ذكر أن المعنى هو زيادته تبارك وتعالى في خلق هذا الملك من الأجنحة على الآخر ما يشاء، ونقصانه عن الآخر ما أحب. قال: كذلك ذلك في جميع خلقه

---

(١) الكشاف (٣/ ٦٠٣).
(٢) تفسير البحر المحيط (٧/ ٢٧٩).
(٣) روح المعاني (٢٢/ ١٦٤).
(٤) تفسير الطبري (٢٢/ ١٠٦)، تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٦٣).
(٥) النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٤٥٦).
(٦) تفسير القرطبي (١٤/ ٣١٥).
(٧) تفسير السمعاني (٤/ ٣٤٤).
(٨) الكشاف (٣/ ٦٠٣).
(٩) زاد المسير (٦/ ٤٧١).
(١٠) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٤٧).
(١١) تفسير التحرير والتنوير (١٠/ ١٨٦).
(١٢) تأويل مختلف الحديث (١/ ٨٤).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

يزيد ما يشاء في خلق ما شاء منه، وينقص ما شاء من خلق ما شاء.[1] وكذا قال الزمخشري.[2] ووافقه القرطبي على ذلك.[3]

قال ابن عطية: فالمراد بالخلق: المخلوقات كُلّها، أي يزيد الله في بعضها ما ليس في خَلقٍ آخر. فيشمل زيادة قوة بعض الملائكة على بعض، وكل زيادة في شيء بين المخلوقات من المحاسن والفضائل.[4]

الترجيـــح:

والراجح والعلم عند الله تعالى هو ما رجحه ابن جزي رحمه الله جل وعلا وهو القول بأن الآية تعود على أجنحة الملائكة والخلق عموما داخل في ذلك على وجه التضمين وإنما كان هذا هو الراجح لعدة أمور:

الأمر الأول: أن هذا هو الذي يدل عليه السياق، فسياق الآيات في ذكر خلق الله لأجنحة الملائكة، وأن منها ماهو مثنى ومنها ما هو ثلاث ورباع، ومنها ما جعله الله أكثر من ذلك كما جاء في وصف جبريل عليه السلام وأن له ستمائة جناح. وذلك أن أحد الأمور السبعة التي يندفع بها الإشكال في التفسير: دلالة السياق.

الأمر الثاني: أن القاعدة تقول: مهما أمكن إلحاق الكلام بما يليه أو بنظيره فهو أولى.[5]

الأمر الثالث: أن هذا هو قول ابن عباس وأبي صالح والسدي وترجيح ابن جرير الطبري والسمعاني وابن جزي. وهو الموافق لظاهر القرآن.

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ١٠٦).

(٢) الكشاف (٣/ ٦٠٣).

(٣) تفسير القرطبي (١٤/ ٣١٥).

(٤) تفسير التحرير والتنوير (١٠/ ١٨٦).

(٥) انظر: مختصر قواعد التفسير للسبت: ص(٦، ٢٥، ٢٦).

الكلام على قوله تعالى: (ڤ ڤ و و ڤ ڤ ٹ ٹ ٹ ٹ □ □ □

ثم ساق ابن الجوزي حديثاً عن أنس أن رسول الله ﷺ أنه قال:(**إِنَّ ربَّكم يقول كل يوم: أنا العزيز، فمن أراد عِزَّ الدَّارَيْن فليُطِع العزيز**)[1].

قال ابن كثير: وقوله: (﴿ ﴾) أي: مَنْ كان يحب أن يكون عزيزًا في الدنيا والآخرة، فليلزم طاعة الله، فإنه يحصل له مقصوده؛ لأن الله مالك الدنيا والآخرة، وله العزة جميعها، كما قال تعالى: (﴿ ﴾) [النساء: ١٣٩]. وقال تعالى: (﴿ ﴾) [يونس:٦٥] وقال: (﴿ ﴾) [المنافقون:٨]. قال مجاهد: (﴿ ﴾) بعبادة الأوثان (﴿ ﴾) وقال قتادة: (﴿ ﴾)أي: فليتعزز بطاعة الله ﷻ.[2]

القول الثاني: من كان يريد العزة بمغالبة الإسلام فلله العزة جميعا فالمغالب له مغلوب.

قال ابن عطية: (﴿ ﴾) بمغالبة فلله العزة أي: ليست لغيره ولا تتم إلا له وهذا المغالب مغلوب ونحا إليه مجاهد.[3]

القول الثالث: من كان يريد أن يعلم لمن العزة فليعلم أن العزة لله جميعاً.

قال ابن جرير: من كان يريد علم العزة لمن هي؟ فإنه لله جميعًا كلها. أي: كل وجه من العزة فلله.[4] وكذا قال الماوردي.[5] وابن كثير.[6]

---

(١) الحديث: موضوع. قال ابن الجوزي: وهذا الحديث من رواية سعيد بن هبيرة العامري قال حدثنا همام عن قتادة عن أنس به. ثم قال: وهذا من تلصيص سعيد بن هبيرة العامري. وقال أيضاً: هذا حديث لا يصح قال ابن حبان: داود كان يضع الحديث على أنس بن مالك. قال ابن عدى: كان يحدث بالموضوعات. وقال ابن حبان: كان يحدث بالموضوعات عن الثقات لا يحل الاحتجاج به بحال. الموضوعات(١/ ١١٩- ١٢٠)، وانظر: كنز العمال (١٥/ ٧٨٤)، والإرشاد في معرفة علماء الحديث للخليلي (٣/ ٩٨).

(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٥٠).

(٣) المحرر الوجيز (٥/ ٣٦٤).

(٤) تفسير الطبري (٢٢/ ١٢٠).

(٥) النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٤٦٤).

(٦) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٥٠).

ونقل السمعاني عن الفراء قال: معنى الآية: من كان يريد أن يعلم لمن العزة، فلله العزة جميعاً[1] وكذا قال البغوي[2] وابن عطية[3] وابن الجوزي.[4] وقال القرطبي بعد أن حكى قول الفراء: وكذا قال غيره من أهل العلم. أي: من كان يريد علم العزة التي لا ذلة معها، لأن العزة إذا كانت تؤدي إلى ذلة فإنما هي تعرض للذلة، والعزة التي لا ذل معها لله ﷻ.[5]

الترجيـــح:

والراجح والعلم عند الله تعالى: هو ما رجحه ابن جرير الطبري وابن جزي، من أن المعنى: من كان يريد العزة فإن العزة في طاعة الله.

قال ابن جرير: والذي هو أولى الأقوال بالصواب عندي قول من قال: من كان يريد العزة فبالله فليتعزز، فلله العزة جميعًا، دون كل ما دونه من الآلهة والأوثان. وإنما قلت: ذلك أولى بالصواب لأن الآيات التي قبل هذه الآية، جرت بتقريع الله المشركين على عبادتهم الأوثان، وتوبيخه إياهم، ووعيده لهم عليها، فأولى بهذه أيضًا أن تكون من جنس الحث على فراق ذلك، فكانت قصتها شبيهة بقصتها، وكانت في سياقها.[6]

وهذا الذي رجح به ابن جرير هو المتفق مع قواعد التفسير لأن القاعدة تقول: مهما أمكن إلحاق الكلام بما يليه أو بنظيره فهو أولى. كما أن أحد الأمور السبعة التي يندفع بها الإشكال في التفسير: دلالة السياق.[7] وعلى كل حال فالأقوال قريبة من بعضها .

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

(١) أبو المظفر السمعاني (٤/ ٣٤٨).

(٢) تفسير البغوي (٣/ ٥٦٦).

(٣) المحرر الوجيز (٥/ ٣٦٤).

(٤) زاد المسير (٦/ ٤٧٣).

(٥) تفسير القرطبي ١٤/ ٣٢٨).

(٦) تفسير الطبري (٢٢/ ١٢٠).

(٧) انظر: مختصر قواعد التفسير للسبت: ص(٢٥، ٢٦).

المسألة الثانية: ما المعنى المراد بقوله تعالى: (□ □ □ □ □).

قال ابن جزي رحمه الله تعالى:« قيل يعني: لا إله إلا الله . واللفظ يعم ذلك وغيره من الذكر والدعاء وتلاوة القرآن وتعليم العلم ، فالعموم أولى ».[1]

والمسألة فيها قولان:

القول الأول: أن المراد به: لا إله إلا الله.

وممن قال بهذا القول من المفسرين: السمعاني[2] والبغوي[3] والزمخشري[4] وحكاه ابن الجوزي عن علي بن المديني.[5] وأخرج ابن جرير عن ابن مسعود قال: إذا حدثناكم حديثا أتيناكم بتصديق ذلك من كتاب الله: إن العبدالمسلم إذا قال: سبحان الله وبحمده، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، تبارك الله، أخذهن ملك فجعلهن تحت جناحه، ثم صَعد بهن إلى السماء فلا يمُرّ بهن على جمْعٍ من الملائكة إلا استغفروا لقائلهن، حتى يجيء بهن وجه الرحمن ﷻ، ثم قرأ عبدالله: (□ □ □ □ □ □□ □).[6]

القول الثاني: أن المراد عموم الذكر والدعاء وتلاوة القرآن وتعليم العلم.

قال ابن جرير: إلى الله يصعد ذكر العبد إياه وثناؤه عليه. ثم روى عن ابن عباس قال: الكلام الطيب: ذكر الله.[7] وقال السمعاني: ذكر الله. وقيل: الكلم الطيب هو الدعاء من العباد.[8] وكذا قال البغوي وحكاه عن الحسن وقتادة.[9] وقال الزمخشري: قيل: الكلم

---

(١) التسهيل لابن جزي: ص(٥٨٠).
(٢) السمعاني: (٤/ ٣٤٨).
(٣) تفسير البغوي (٣/ ٥٦٦).
(٤) الكشاف (٣/ ٦١١).
(٥) زاد المسير (٦/ ٤٧٧).
(٦) تفسير الطبري (٢٢/ ١٢٠)، تفسير ابن كثير (٣/ ٥٤٧).
(٧) تفسير الطبري (٢٢/ ١٢٠).
(٨) السمعاني: (٤/ ٣٤٨ - ٣٤٩).
(٩) تفسير البغوي (٣/ ٥٦٦).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

الطيب: كل ذكر من تكبير وتسبيح وتهليل وقراءة قرآن ودعاء واستغفار وغير ذلك. [1] وقال ابن عطية: أي التوحيد والتمجيد وذكر الله ونحوه. [2] وكذا قال القرطبي. ثم روى عن شهر بن حوشب قال: الكلم الطيب: القرآن. [3] وقال ابن كثير: يعني: الذكر والتلاوة والدعاء. قاله قاله غير واحد من السلف. وعن ابن عباس: الكلم الطيب: ذكر الله. [4]

الترجيـــح:

والراجح والعلم عند الله تعالى هو ما رجحه ابن جزي وهو القول بالعموم وذلك لأن القاعدة تقول: إذا احتمل اللفظ معان عدة، ولم يمتنع إرادة الجميع حمل عليها. [5]

---

(١) الكشاف (٣/ ٦١١).

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٢٧).

(٣) تفسير القرطبي ١٤/ ٣٣١).

(٤) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٤٧).

(٥) انظر: مختصر قواعد التفسير للسبت: ص(٢٧).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

الكلام على قوله تعالى: (□ □ ى ى ي ي □ □ □ □□

□ □ □ □ □ □ □ □ □□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □

□□

□ □ □ □ □ □)

وفي هذه الآية مسألتان:

المسألة الأولى: ما المعنى المراد بقوله: (□ □ □□ □)

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: « أي: أصنافاً. وقيل: ذكرانا وإناثا، وهذا أظهر ».[١]

والمسألة فيها قولان:

القول الأول: أي: جعلكم أصنافاً.

وممن قال به من المفسرين: الماوردي ونقله عن الكلبي[٢] وكذا السمعاني[٣] والزمخشري[٤] وابن الجوزي.[٥] وقال ابن عطية: قيل معناه أنواعاً.[٦]

القول الثاني: أن المعنى: جعلكم ذكرانا وإناثا.

قال ابن جرير: ثم خلقكم من نطفة الرجل والمرأة (□ □ □□ □) يعني: أنه زوج منهم الأنثى من الذكر. وقال أيضاً: فزوج بعضكم بعضًا.[٧]

قال الماوردي: ذكراناً وإناثاً، والواحد الذي معه آخر من شكله زوج والاثنان زوجان، قال الله تعالى: (ٱ ب ب ي ي پ) [النجم:٤٥] وتأول قتادة قوله تعالى: (□ □ □□ □) أي: زوّج بعضكم لبعض.[٨] ونقل السمعاني عن تفسير ابن

---

(١) التسهيل لابن جزي: ص(٥٨١).

(٢) النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٤٥٨).

(٣) السمعاني (٤/ ٣٥٠).

(٤) الكشاف (٣/ ٦١٣).

(٥) زاد المسير (٦/ ٤٧١).

(٦) المحرر الوجيز (٥/ ٣٦٦).

(٧) تفسير الطبري (٢٢/ ١٢٢).

(٨) النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٤٥٨).

فارس في قوله: (□ □□ □) أي: زوج بعضكم من بعض.[1]

قال البغوي: (□ □ □□ □) ذكرانًا وإناثًا.[2] وكذا قال الزمخشري.[3] وابن الجوزي.[4] وابن كثير.[5]

الترجيح:

والراجح والعلم عند الله تعالى هو ما رجحه ابن جزي وذلك لأن سياق الآية في مقام الامتنان على بني آدم بخلقه إياهم من تراب ثم من نطفة ثم هذه النطفة يفرقها سبحانه كيف يشاء فمنها ما يجعله ذكراً ومنها ما يكون أنثى ليكون التزاوج وحفظ النسل بهذا التنويع. وكما مر أن دلالة السياق في مثل هذا المقام محكمة. وهذا هو الذي ذكره الله في غير ما موطن من كتابه مثل قوله تعالى: (□ □ ى ى ي ي □ □ □ □□ □) (فاطر: ١١) وقوله تعالى: (ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

المسألة الثانية: معنى قولـه: (□ □ □

قال ابن جرير: وما يعمر من معمر فيطول عمره، ولا ينقص من عمر آخر غيره عن عمر هذا الذي عمر عمرًا طويلا (□ □ □□ □) عنده مكتوب قبل أن تحمل به أمه، وقبل أن تضعه، قد أحصى ذلك كله وعلمه قبل أن يخلقه، لا يزاد فيما كتب له ولا ينقص.[١]

وقال الماوردي: ما نمد في عمر معمر حتى يصير هرماً. ولا ينقص من عمر أحد حتى يموت طفلاً إلا في كتاب. [٢]

وقال السمعاني: وقوله: (□ □ □ □ □)... يجوز أن يذكر على هذا الوجه، ويراد به غير الأول، وهذا كما أن الرجل يقول: عندي درهم ونصفه. أي: نصف درهم آخر، أورده الزجاج وغيره. [٣] وكذا قال البغوي[٤] والزمخشري[٥] وابن الجوزي [٦] والقرطبي[٧] وابن كثير ورجحه[٨] وابن عاشور.[٩]

قال ابن عطية: قال ابن عباس وغيره ما مقتضاه أنه عائد على (□ □) الذي هو اسم جنس والمراد غير الذي يعمر، أي: أن القول يتضمن شخصين يعمر أحدهما مائة سنة أو نحوها، وينقص من عمر الآخر بأن يكون عاماً واحداً أو نحوه، وهذا قول الضحاك وابن زيد لكنه أعاد ضميراً إيجازاً واختصاراً، والبيان التام أن تقول: ولا ينقص من عمر معمر لأن لفظة (□ □) هي بمنزلة ذي عمر. قال القاضي أبو محمد: كأنه قال «ولا يعمر من ذي عمر ولا ينقص من عمر ذي عمر».[١٠]

---

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ١٢٢).
(٢) النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٤٦٥).
(٣) السمعاني (٤/ ٣٥٠ - ٣٥١).
(٤) تفسير البغوي (٣/ ٥٦٦).
(٥) الكشاف (٣/ ٦١٣).
(٦) زاد المسير (٦/ ٤٧٩).
(٧) تفسير القرطبي ١٤/ ٣٣٣).
(٨) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٤٧).
(٩) تفسير التحرير والتنوير (٢٢/ ٢٧٧).
(١٠) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٢٧).

القول الثاني: أن معنى ذلك: أن يكتب في اللوح المحفوظ أن فلانا إن تصدق فعمره ستون سنة وإن لم يتصدق فعمره أربعون.

واستدلوا بالأحاديث الواردة في الصدقة وصلة الرحم وأنها تزيد في العمر كحديث أنس بن مالك، ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**مَنْ سرَّه أن يُبْسَط له في رزقه، ويُنْسَأ له في أجله فليصل رَحِمَه**). [1] وقد رواه البخاري ومسلم وأبو داود. وما استفاض على ألسنة الناس من قولهم: أطال الله بقاءك. ونحو ذلك.

وممن ذكر هذا من المفسرين:السمعاني - ونقله عن كعب الأحبار حين حضر عمر الوفاة-.[2] والبغوي[3] والزمخشري[4] وابن عطية.[5] والقرطبي.[6] وابن كثير.[7]

القول الثالث: أن «التعمير» هو كتب ما يستقبل من العمر؛ و«النقص» هو كتب ما مضى منه في اللوح المحفوظ وذلك حقٌّ في كل شخص.

قال ابن جرير: بل معنى ذلك: وما يعمر من معمَّر ولا ينقص من عمره بفناء ما فني من أيام حياته، فذلك هو نقصان عمره، والهاء على هذا التأويل للمعمر الأول، لأن معنى الكلام: ما يطول عمر أحد، ولا يذهب من عمره شيء، فيُنقَص إلا وهو في كتاب عند الله مكتوب، قد أحصاه وعلمه. ثم روى عن أَبي مالك في هذه الآية قال: ما يقضي من أيامه التي عددت له إلا في كتاب. [8]

وذكر الماوردي هذا القول ثم قال: قال سعيد بن جبير: هي صحيفة كتب الله تعالى

---

(١) الحديث: صحيح. أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٢٠٦٧)، ومسلم في صحيحه برقم (٢٥٥٧).

(٢) السمعاني (٤/ ٣٥١) قال الحافظ ابن حجر في الكاف الشاف ص(١٣٩): "رواه إسحاق في آخر مسند ابن عباس رضي الله عنهما وانظر: تفسير البغوي (٦/ ٤١٦).

(٣) تفسير البغوي (٣/ ٥٦٦).

(٤) الكشاف (٣/ ٦١٣).

(٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٢٧).

(٦) تفسير القرطبي ١٤/ ٣٣٣).

(٧) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٤٧).

(٨) تفسير الطبري (٢٢/ ١١٦).

في أولها أجله، ثم كتب في أسفلها ذهب يوم كذا ويوم كذا حتى يأتي على أجله،وبمثله قال أبو مالك، والشعبي.[١] وكذا قال السمعاني.[٢] والبغوي.[٣] والزمخشري.[٤] وابن عطية[٥] وابن الجوزي[٦] والقرطبي.[٧]

قال ابن كثير: قال بعضهم: بل معناه: (□ □ □ □ □ □) أي: ما يكتب من الأجل (□ □ □ □ □ □) وهو ذهابه قليلا قليلاً الجميع معلوم عند الله سنة بعد سنة، وشهرًا بعد شهر، وجمعة بعد جمعة، ويومًا بعد يوم، وساعة بعد ساعة، الجميع مكتوب عند الله في كتاب. نقله ابن جرير عن أبي مالك، وإليه ذهب السُّدِّيّ، وعطاء الخراساني. واختار ابن جرير:القول الأول، وهو كما قال.[٨]

الترجيـــح:

والراجح والعلم عند الله تعالى أن ما رجحه ابن جزي هو الراجح وذلك لعدة أمور:

الأمر الأول: أن هذا ترجيح المحققين من المفسرين كابن جرير وابن كثير.

الأمر الثاني: أن من المعلوم في قواعد التفسير أنه قد يذكر شيئان ويعود الضمير على أحدهما اكتفاءً بذكره عن الآخر مع كون الجميع مقصوداً.

وفي القاعدة الأخرى: إذا اجتمع في الضمائر مراعاة اللفظ والمعنى بدئ باللفظ ثم بالمعنى. قال السيوطي: وقد يعود على لفظ المذكور دون معناه نحو: (□ □ □ □ □ □ □ □) أي: عمر معمر آخر.[٩]

---

(١) النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٤٥٦)، وانظر: الدر المنثور: (٧/ ١١). تفسير البغوي (٣/ ٥٦٦).

(٢) السمعاني (٤/ ٣٥١).

(٣) تفسير البغوي (٣/ ٥٦٦).

(٤) الكشاف (٣/ ٦١٣).

(٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٢٧).

(٦) زاد المسير (٦/ ٤٧٩).

(٧) تفسير القرطبي ١٤/ ٣٣٣).

(٨) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٥١).

(٩) الإتقان (١/ ٢١٥).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة :: مع الفهارس) ٥

وهذا القول لا يعني عدم صحة القول الثاني بل إن العمر يزيد ببعض الطاعات لقول النبي ﷺ (**مَنْ سرَّه أن يُبْسَط له في رزقه، ويُنْسَأ له في أجله فليصل رَحِمَه**) فهو أيضاً وارد وإن كان القول الأول هو المقدم خاصة مع تفسير مثل هذا الحديث وأمثاله بأن زيادة العمر معنوية وليست حقيقية كما روى ابن أبي حاتم[1] بسنده عن أبي الدرداء ﷺ قال: ذكرنا زيادة العمر عند رسول الله ﷺ فقال: (**إن الله لا يؤخر نفسًا إذا جاء أجلها، وإنما زيادة العمر بالذرية الصالحة يرزقها العبد، فيدعون له من بعده، فيلحقه دعاؤهم في قبره، فذلك زيادة العمر**).[2] وأما القول الثالث فحكاه الزجاج بالتضعيف.[3] وعلى كل حال فالآية تحتمل هذه الأقوال الثلاثة على وجه العموم غير أن القول الأول هو الأظهر في معنى الآية والقول الثاني يأتي بعده كذلك لورود الأحاديث الدالة على أن بعض الأعمال تزيد في عمر العبد . والقول الثالث لا جدال فيه .

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم (١٢/ ٣٤).

(٢) الحديث: ضعيف. قال الألباني في السلسلة الضعيفة والموضوعة ٤/ ٥٠: منكر. رواه العقيلي في الضعفاء (٢/ ١٣٤)، وابن عدي (١٦٠/ ١)، وابن حبان في الضعفاء (١/ ٣٣١)، وفيه سليمان بن عطاء. يروى عن البخاري أنه قال: في حديثه بعض المناكير. قال أبو حاتم: ليس بالقوي.واتهمه ابن حبان وغيره.

(٣) إعراب القرآن للزجاج: (١/ ١٢٥).

الكلام على قوله تعالى: (ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ)

وفي هذه الآية مسألة واحدة وهي: هل المراد بالآية الامتنان أم هو ضرب مثل للمؤمن والكافر ؟.

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: «والقصد بالآية: التنبيه على قدرة الله ووحدانيته وإنعامه على عباده. وقال الزمخشري: إن المعنى: أن الله ضرب للبحرين الملح والعذب مثلين للمؤمن والكافر. وهذا بعيد ».[1]

والمسألة فيها قولان:

القول الأول: أن المراد من ذلك: التنبيه على قدرة الله ووحدانيته وإنعامه على عباده.

قال ابن جرير: يقول تعالى ذكره: وما يعتدل البحران فيستويان؛ أحدهما عذب فرات، والفرات: هو أعذب العذب، وهذا ملح أجاج يقول: والآخر منهما ملح أجاج وذلك هو ماء البحر الأخضر، والأجاج: المر وهو أشد المياه ملوحة.[2]

قال ابن كثير: يقول تعالى منبها على قدرته العظيمة في خلقه الأشياء المختلفة وخلق البحرين العذب الزلال وهو هذه الأنهار السارحة بين الناس، من كبار وصغار، بحسب الحاجة إليها في الأقاليم والأمصار، والعمران والبراري والقفار، وهي عذبة سائغ شرابها لمن أراد ذلك (ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ) وهو البحر الساكن الذي تسير فيه السفن الكبار، وإنما تكون مالحة زُعَاقًا مُرَّة، ولهذا قال: (ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ) أي: مُرّ.[3]

قال ابن عاشور: فصنع هذا الاستدلال على أسلوب بديع إذ اقتصر فيه على التنبيه على الحكمة الربانية في المخلوقات وهي ناموس تمايزها بخصائص مختلفة واتحاد أنواعها في خصائص متماثلة استدلالاً على دقيق صنع الله تعالى كقوله: (ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ) **[الرعد:٤]** ويتضمن ذلك الاستدلال بخلق البحرين أنفسهما لأن ذكر اختلاف مذاقهما

---

(١) التسهيل لابن جزي: ص(٥٨١).

(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ١١٦).

(٣) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٥١).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

يستلزم تذكر تكوينهما. فالتقدير: وخلق البحرين العذب والأُجاج على صورة واحدة وخالف بين أعراضهما، ففي الكلام إيجاز حذف، وإنما قدم من هذا الكلام تفاوت البحرين في المذاق واقتصر عليه لأنه المقصود من الاستدلال بأفانين الدلائل على دقيق صنع الله تعالى.[1]

القول الثاني: أن الله ضرب بالبحرين الملح والعذب مثلين للمؤمن والكافر. وهذا المعنى ذكره الزمخشري في تفسيره.[2] والألوسي كذلك.[3]

الترجيح:

والقول الأول هو الراجح كما قال ابن جزي رحمه الله تعالى وذلك لقاعدتين:

الأولى: أن من ادعى في التنزيل ما ليس في ظاهره كلف البرهان على دعواه.[4]

الثانية: أن الأصل حمل نصوص الوحي على ظواهرها إلا لدليل.

ثم إن سياق الآية من أوله إلى آخره في مقام الامتنان، فإن الله تعالى قال: (ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

الكلام على قوله تعالى: (پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ)

وفي هذه الآية مسألة واحدة وهي: ما حقيقة المثل المضروب في الآية ؟.

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: « تمثيل للثواب والعقاب. وقيل: الظل الجنة. والحرور: النار. والحرور في اللغة: شدة الحر بالنهار والليل، والسموم بالنهار خاصة ».[١]

والمسألة فيها قولان:

القول الأول: أن المراد بذلك التمثيل للثواب والعقاب.

قال الزمخشري: الظل والحرور: مثلان للحق والباطل، وما يؤدّيان إليه من الثواب والعقاب.[٢]وكذا ذكر الألوسي[٣] وأبو حيان.[٤]

القول الثاني: أن المراد بالظل: الجنة، والحرور: النار.

قال ابن جرير: (پ پ ڀ) قيل: ولا الجنة (ڀ ڀ ڀ ڀ) قيل: النار؛ كأن معناه عندهم: وما تستوي الجنة والنار. والحرور بمنزلة السموم، وهي الرياح الحارة.[٥]

قال الماوردي: قال قطرب: الحرور: الحر. والظل: البرد. ومعنى الكلام: أنه لا يستوي الجنة والنار.[٦]

وممن ذكر هذا من المفسرين: السمعاني[٧] والبغوي[٨] وابن عطية[٩] وابن الجوزي وعزاه وعزاه إلى مجاهد.[١٠]

---

(١) التسهيل لابن جزي: ص(٥٨٢).
(٢) الكشاف (٣/ ٦١٧).
(٣) روح المعاني (٢٢/ ١٨٦).
(٤) تفسير البحر المحيط - (٩/ ٢٤١).
(٥) تفسير الطبري (٢٢/ ١٢٨).
(٦) النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٤٦٩).
(٧) السمعاني (٤/ ٣٥٤).
(٨) تفسير البغوي (٣/ ٥٦٦).
(٩) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٣٥).
(١٠) زاد المسير (٦/ ٤٨١).

الترجيـــح: والظاهر والعلم عند الله تعالى أن الله تعالى ضرب بهذه الأشياء المتباينة مثلاً للحق والباطل والثواب والعقاب والجنة والنار،فكما أن هذه الأمور بينها فرق وتضاد فكذلك ذلك. وهذا الأسلوب معهود في القرآن كثيراً وهو ما يسمى بأسلوب المقابلة، وكما قيل: وبضدها تتبين الأشياء.والقاعدة تقول: قد يحتمل اللفظ معان عدة، ويكون أحدها هو الغالب استعمالاً في القرآن فيقدم. (١)

قال ابن كثير: يقول تعالى: كما لا تستوي هذه الأشياء المتباينة المختلفة، كالأعمى والبصير لا يستويان، بل بينهما فرق وبون كثير، وكما لا تستوي الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور، كذلك لا تستوي الأحياء ولا الأموات، وهذا مثل ضربه الله للمؤمنين وهم الأحياء، وللكافرين وهم الأموات، كقوله تعالى: (ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

الكلام على قوله تعالى: (ذ ذ ث ث ثث ط ط ڈ ڈ ف ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڄ)

وفي الآية مسألة واحدة وهي: ما المراد بقوله: (ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڄ)؟.

قال ابن جزي رحمه الله تعالى:« عبارة عن عدم سماع الكفار للبراهين والمواعظ، فشبههم بالموتى في عدم إحساسهم. وقيل المعنى: أن أهل القبور وهم الموتى حقيقة لا يسمعون، فليس عليك أن تسمعهم وإنما بعثت للأحياء ». [١]

والمسألة فيها قولان:

القول الأول: أن هذا إشارة إلى عدم سماع الكفار للبراهين والمواعظ، فشبههم بالموتى في عدم سماعهم. فهم موتى القلوب، فكما لا تُسمع من مات، كذلك لا تسمع من مات قلبه.

قال ابن جرير: يقول تعالى ذكره: كما لا يقدر أن يسمع من في القبور كتاب الله فيهديهم به إلى سبيل الرشاد، فكذلك لا يقدر أن ينتفع بمواعظ الله وبيان حججه من كان ميت القلب من أحياء عباده، عن معرفة الله، وفهم كتابه وتنزيله، وواضح حججه. ثم روى عن قتادة في الآية قال:كذلك الكافر لا يسمع، ولا ينتفع بما يسمع.[٢]

وممن ذكر هذا المعنى من المفسرين: الماوردي[٣] والسمعاني [٤] والبغوي [٥] وابن عطية.[٦] وابن الجوزي[٧] والقرطبي[٨] وابن كثير[٩] وابن عاشور.[١٠]

---

(١) التسهيل لابن جزي: ص(٥٨٢).
(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ١٢٩).
(٣) النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٤٦٩).
(٤) السمعاني (٤/ ٣٥٥).
(٥) تفسير البغوي (٣/ ٥٦٩).
(٦) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٢٧).
(٧) زاد المسير (٦/ ٤٨٣).
(٨) تفسير القرطبي ١٤/ ٣٤٠).
(٩) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٤٧).
(١٠) تفسير التحرير والتنوير (٢٢/ ٢٩٥).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

القول الثاني: أن أهل القبور وهم الموتى حقيقة لا يسمعون فليس عليك أن تسمعهم وإنما بعثت للأحياء. ولم أقف على من قال بهذا القول من المفسرين.

الترجيح:

ولا شك أن الراجح هو القول الأول وذلك لعدة أمور:

الأمر الأول: أن القرآن ينزه عن تقرير البدهيات التي تعرفها العقول ابتداءً، إذ لا يشك عاقل في أن النبي ﷺ غير مطالب بإبلاغ الموتى برسالته ودعوته.

الأمر الثاني: أن هذا الذي قلنا بترجيحه هو الموافق لأمثلة القرآن التي قررها كثيراً من أن الذين لم يستجيبوا لأوامر الله هم في الحقيقة كالصم والبكم والعميان بل والأموات، لأن موت القلب أشد من موت البدن وعمى البصيرة أردى من عمى البصر- وصمم الآذان عن سماع المواعظ وفهمها أشد من الصمم عن سماع الأصوات، لأن من فاتته الحياة الحقيقية والسرمدية في النعيم الذي لا يفنى ولا يبيد لا يدانيه فوات الاستفادة من منفعة جارحة من الجوارح في دار الزوال.

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

الكلام على قوله تعالى: (ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ)

وفي الآية مسألة واحدة وهي: ما المراد بالألوان في قوله تعالى: ﴿مختلفا ألوانها﴾؟.

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: « يريد الصفرة والحمرة وغير ذلك من الألوان. وقيل: يريد الأنواع. والأول أظهر، لذكره البيض والحمر والسود بعد ذلك ». [١]

والمسألة فيها قولان:

القول الأول: أن المراد بالألوان حقيقة الألوان من الصفرة والحمرة وغير ذلك. وهي مختلفة كاختلاف ألوان الجبال.

قال ابن جرير: فأخرجنا به من تلك الأشجار ثمرات مختلفا ألوانها؛ منها الأحمر ومنها الأسود والأصفر، وغير ذلك من ألوانها.[٢]

قال الماوردي: (ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ) وفيه مضمر محذوف تقديره: مختلف ألوانها وطعومها وروائحها، فاقتصر منها على ذكر اللون لأنه أظهرها.[٣]

وممن ذكر نحو هذا من المفسرين: السمعاني [٤] والبغوي [٥] والزمخشري[٦] وابن عطية [٧] [٧] وابن كثير[٨] وابن عاشور.[٩]

القول الثاني: أن المراد بالألوان: الأنواع.

---

(١) التسهيل لابن جزي: ص(٥٨٣).
(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ١٣١).
(٣) النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٤٧٠).
(٤) السمعاني (٤/ ٣٥٦).
(٥) تفسير البغوي (٣/ ٥٦٩).
(٦) الكشاف (٣/ ٦١٨).
(٧) المحرر الوجيز (٥/ ٣٧١).
(٨) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٥٤).
(٩) تفسير التحرير والتنوير (٢٢/ ٢٩٦).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

قال الزمخشري: (ﮩ ﮪ ﮫ) أجناسها من الرمّان والتفاح والتين والعنب وغيرها مما لا يحصر.[1] وقال ابن عطية: يحتمل أن يريد بالألوان الأنواع، والمعتبر فيه على هذا التأويل أكثر عدداً.[2]

الترجيح:

والراجح والعلم عند الله تعالى: هو القول الأول وإن كان الثاني يدخل في معنى الآية. وهذا هو الذي استفاض عن أئمة التفسير لأن القاعدة تقول: تحمل الآية على المعنى الذي استفاض النقل فيه عن أهل العلم وإن كان غيره محتملاً.[3]

ثم إن سياق الآية بين ألوان الجبال وأنها بيض وحمر، وشبهها في اختلاف ألوانها باختلاف ألوان الثمار.والقول بالعموم غير بعيد .

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

(١) الكشاف (٣/ ٦١٨).

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٣٧).

(٣) انظر: مختصر قواعد التفسير للسبت: ص(٢٦).

الكلام على قوله تعالى: (□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □)

وفي الآية مسألة واحدة وهي: ما معنى يتلون ؟.

قال ابن جزي رحمه الله تعالى:« أي: يقرأون القرآن. وقيل معنى يتلون: يتبعون ».[١]

والمسألة فيها قولان:

القول الأول: يقرأون القرآن.

قال ابن جرير: إن الذين يقرأون كتاب الله الذي أنزله على محمد ﷺ.[٢] وكذا قال البغوي[٣] وابن عطية[٤] والزمخشري[٥] قال ابن كثير[٦] قال ابن عاشور: المراد بهم العلماء.[٧] ونقل ابن الجوزي عن مطرّف كان يقول: هذه آية القُرَّاء[٨] وكذا قال القرطبي.[٩]

القول الثاني: أن معنى يتلون: أي يتبعون كتاب الله.

قال ابن عطية: وإن جعلناها بمعنى يتبعون صح معنى الآية.[١٠] وجعل ابن الجوزي هذا القول أحد القولين في تفسير الآية.[١١] وقال ابن عاشور: وقد تخلّص إلى بيان فوز المؤمنين الذين اتَّبعوا الذكر وخشوا الرحمن بالغيب.[١٢]

---

(١) التسهيل لابن جزي: ص(٥٨٣).
(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ١٣٢).
(٣) تفسير البغوي (٣/ ٥٦٦).
(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٣٧).
(٥) الكشاف (٣/ ٦٢١).
(٦) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٤٧).
(٧) تفسير التحرير والتنوير (٢٢/ ٣٠٤).
(٨) زاد المسير (٦/ ٤٨٦).
(٩) تفسير القرطبي ١٤/ ٣٤٥).
(١٠) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٣٧).
(١١) زاد المسير (٦/ ٤٨٦).
(١٢) تفسير التحرير والتنوير (٢٢/ ٣٠٤).

الترجيـــح:

والراجح والعلم عند الله تعالى أن معنى قوله تبارك وتعـالى (□ □ □ □) أي: يتلون حروفه قراءةً ويقيمون حدوده ومضامينه في نفوسهم وحيـاتهم، فيـأتمرون بـأوامره وينتهون بنواهيه، وهذا المعنى داخل في معنى التلاوة من حيث اللغة.

قال أبو هلال العسكري: قـال الراغـب: الـتلاوة تخـتص باتبـاع كتـب الله المنزلـة تـارة بالقراءة وتارة بالارتسام، لما فيها من أمر ونهي وترغيب وترهيب، أو ما يتوهم فيه ذلك، وهي أخص من القراءة، فكل تلاوة قراءة، وليس كل قراءة تلاوة، فقولـه تعـالى: (ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ) [سبأ:٤٣] فهذا بالقراءة وقوله تعالى: (ﭽ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ) [البقرة: ١٢١] المـراد بـه الاتبـاع لـه بـالعلم والعمل.[١]

قال ابن دريد: تَلَوتُ الشيءَ أتلوه تَلْواً، إذا اتّبعته. وتلوت القرآن، إذا قرأته كأنك اتبعت آية في إثر آية. والمصدر التِّلاوة. [٢] وكذا قال الزبيدي في تاج العروس.[٣]

قال الألوسي: وقيل معنى يتلون كتاب الله يتبعونه فيعملون بما فيه، وكأنه جعل يتلو من تلاه إذا تبعه أو حمل التلاوة المعروفة على العمل لأنها ليس فيها كثير نفع دونه.[٤]

وقال السعدي رحمه الله: أي: يتبعونه في أوامره فيمتثلونهـا، وفي نواهيـه فيتركونهـا، وفي أخباره، فيصدقونها ويعتقدونها، ولا يقدمون عليه ما خالفه من الأقوال، ويتلون أيضا ألفاظه، بدراسته، ومعانيه، بتتبعها واستخراجها.[٥]

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

(١) الفروق اللغوية (١/ ١٤٠).

(٢) جمهرة اللغة (١/ ١٩٦).

(٣) تاج العروس (١/ ١٨٧).

(٤) روح المعاني (٢٢/ ١٩١).

(٥) تفسير السعدي (١/ ٦٨٩).

الكلام على قوله تعالى: (□ ى ى ي ي□ □ □ □ □)

وفي الآية مسألة واحدة وهي: ما معنى الزيادة.

قال ابن جزي رحمه الله تعالى:« توفية الأجور: وهو ما يستحقه المطيع من الثواب؛ والزيادة: التضعيف فوق ذلك. وقيل: الزيادة النظر إلى وجه الله ».[١]

والمسألة فيها قولان:

القول الأول: أن المراد بالزيادة: مضاعفة الأجر فوق ما يستحقه المطيع على طاعته. كما في قوله تعالى: (ذ ذ ذ ذ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک گ) [البقرة:٢٦١] الآية.

وممن ذكر هذا المعنى من المفسرين: الماوردي[٢] والسمعاني[٣] وابن عطية[٤] وابن كثير[٥] وابن عاشور.[٦]

القول الثاني: أن المراد بالزيادة: النظر إلى وجه الله الكريم.

قال ابن عطية: قالت فرقة: إن التضعيف داخل في توفيه الأجور، وأما الزيادة من فضله: النظر إلى وجهه تعالى.[٧]

الترجيـــح:

والراجح والعلم عند الله تعالى أن المراد بالزيادة هي مضاعفة الأجور للعاملين وذلك لعدة أمور :

الأمر الأول : أن هذا هو الغالب في خطاب القرآن كما في قوله تعالى: (ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې) (سبأ: ٣٧) وقوله

---

(١) التسهيل لابن جزي: ص(٥٨٤).

(٢) النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٤٦٧).

(٣) السمعاني (٤/ ٣٥٧).

(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٣٨).

(٥) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٤٨).

(٦) تفسير التحرير والتنوير (٢٥/ ٩١).

(٧) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٣٨).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

تعـالى: (ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

الكلام على قوله تعالى: (ٹ ٹ ٹ

قال ابن عباس في هذه الآية: هم أمة محمد ﷺ ورثهم الله كل كتاب أنزله؛ فظالمهم يغفر له، ومقتصدهم يحاسب حسابًا يسيرًا، وسابقهم يدخل الجنة بغير حساب.[1]

وعن الأعمش قال: ذكر أَبو ثابت أنه دخل المسجد، فجلس إلى جنب أَبي الدرداء، فقال: اللهم آنس وحشتي وارحم غربتي ويسر لي جليسًا صالحًا، فقال أَبو الدرداء: لئن كنت صادقًا لأنا أسعد به منك، سأحدثك حديثًا سمعته من رسول الله ﷺ لم أحدث به منذ سمعته ذَكَرَ هذه الآية (ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ) قال: فأما السابق بالخيرات فيدخلها بغير حساب وأما المقتصد فيحاسب حسابًا يسيرًا، وأما الظالم لنفسه فيُصيبه في ذلك المكان من الغم والحزن فذلك قوله : (ڑ ڑ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ).[2]

وعن عبدالله بن مسعود أنه قال: هذه الأمة ثلاثة أثلاث يوم القيامة؛ ثلث يدخلون الجنة بغير حساب، وثلث يحاسبون حسابًا يسيرًا، وثلث يجيئون بذنوب عظام حتى يقول: ما هؤلاء؟ وهو أعلم تبارك وتعالى، فتقول الملائكة: هؤلاء جاءوا بذنوب عظام إلا أنهم لم يشركوا بك، فيقول الرب: أدخلوا هؤلاء في سعة رحمتي، وتلا عبدالله هذه الآية (ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ).[3]

وعن محمد بن الحنفية قال: إنها أمة مرحومة، الظالم مغفور له والمقتصد في الجنات عند الله والسابق بالخيرات في الدرجات عند الله.[4]

قال ابن كثير: والصحيح: أن الظالم لنفسه من هذه الأمة وهذا اختيار ابن جرير كما هو ظاهر الآية، وكما جاءت به الأحاديث عن رسول الله ﷺ من طرق يشد بعضها بعضاً.[5] ثم ذكر الرواية السابقة عن عبدالله بن مسعود أنه قال: هذه الأمة ثلاثة أثلاث يوم القيامة.

---

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ١٣٤).

(٢) الحديث : ضعيف . أخرجه أحمد في مسنده : (٥ / ١٩٨) والهيثمي في المجمع: (٧/ ٩٥)، والحاكم: (٢/ ٤٢٦) والسيوطي في جامع الأحاديث ج ٥ ص ٣٢٥. وحكم عليه الألباني بالصعف في ضعيف الجامع الصغير حديث : (رقم : ٣٣٣١) .

(٣) تفسير الطبري (٢٢/ ١٣٧).

(٤) تفسير الطبري (٢٢/ ١٣٧).

(٥) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٥٦).

دكتور/ عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة :: مع الفهارس) ٥

وعن عقبة بن صُهْبَان الهُنَائي قال: سألت عائشة < ، عن قول الله: (ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ چ) الآية، فقالت لي: يا بني، هؤلاء في الجنة، أما السابق بالخيرات فمن مضى على عهد رسول الله ﷺ شهد له رسول الله ﷺ بالحياة والرزق، وأما المقتصد فمن اتبع أثره من أصحابه حتى لحق به، وأما الظالم لنفسه فمثلي ومثلكم. قال: فجعلت نفسها معنا. وهذا منها < ، من باب الهَضْم والتواضع، وإلا فهي من أكبر السابقين بالخيرات؛ لأن فضلها على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام. (١)

وعن كعب الأحبار قال: إن الظالم لنفسه من هذه الأمة، والمقتصد والسابق بالخيرات كلهم في الجنة، ألم تر أن الله تعالى قال: (ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڇ ڇ ڇ ڇ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڍ ڍ ڌ ڌ ڌ ڌ ڎ ڎ ڎ ڎ ڈ ڈ ڈ ڈ ژ ژ ژ ژ ڑ ڑ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ے ے ۓ ۓ ۓ ۓ) إلى قوله: (ۆ ۇ ۇ ۈ ۈ ۇ ۆ ۆ ۅ ۅ ۉ ۉ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ی ی ئج ئح ئم ئى ئي بج بح بخ بم بى بي تج تح تخ تم تى تي ثج ثم ثى ثي جح جم حج حم خج خم سج سح سخ سم صح صم ضج ضح ضخ ضم طح ظم عج عم غج غم فج فح فخ فم قح قم كج كح كخ كل كم لج لح لخ لم مج مح مخ مم نج نح نخ نم نى ني هج هم هى هي يج يح يخ يم يى يي ذٰ) قال: فهؤلاء أهل النار. (٢)

وقد ذكر ابن الجوزي عن الحسن أنه قال: الظالم الذي ترجح سيئاته على حسناته، والمقتصد: الذي قد استوت حسناته وسيِّئاته، والسابق: من رَجَحت حسناتُه. (٣) وكذا الرازي(٤) والشوكاني (٥)وأبو حيان.(٦)

قال ابن عاشور: والفاء في قوله: (ڤ ڤ ڤ چ) الخ. تفصيل لأحوال الذين أورثوا الكتاب أي أعطوا القرآن. وضمير «منهم» الأظهر أنه عائد إلى: (ٹ ٹ چ) وذلك قول الحسن وعليه فالظالم لنفسه من المصطفَيْن... ويسري أثر هذا الخلاف في محْمل ضمير (چ چ

---

(١) أخرجه الطيالسي في المسند ص(٢٠٩)، والحاكم: (٢/ ٤٢٦) وصححه، وتعقبه الذهبي فقال: الصلت قال النسائي: ليس بثقة، وقال أحمد: ليس بالقوي. وانظر: تفسير ابن كثير: (٣/ ٥٥٧).

(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٥٧)، تفسير الطبري (٢٢/ ١٣٤).

(٣) زاد المسير (٦/ ٤٨١).

(٤) التفسير الكبير (٢٦/ ٢٢).

(٥) فتح القدير (٥/ ١٤٦).

(٦) تفسير البحر المحيط (٧/ ٢٩٩).

دكتوراه عبدالعلي الحمدي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

چ ڈ) [فاطر: ٣٣] ولذلك يكون قول الحسن جارياً على وفاق ما روي عن عمر وعثمان وابن مسعود وأبي الدرداء وعقبة بن عمرو وما هو مروي عن عائشة وهو الراجح.(١)

قال الألوسي: قيل الظالم لنفسه العاصي المسرف والمقتصد متقي الكبائر والسابق المتقي على الإطلاق. ثم قال: والذي يعضده معظم الروايات والآثار، أن الأصناف الثلاثة من أهل الجنة، فلا ينبغي أن يلتفت إلى تفسير الظالم بالكافر، إلا بتأويل كافر النعمة، وإرادة العاصي منه.(٢)

قال السعدي رحمه الله: (ڦ ڦ ڦ چ): بالمعاصي [التي] هي دون الكفر. (ڦ): مقتصر على ما يجب عليه، تارك للمحرم. (ڦ ڦ ڄ چ): أي سارع فيها واجتهد، فسبق غيره، وهو المؤدي للفرائض، المكثر من النوافل، التارك للمحرم والمكروه. فكلهم اصطفاه الله تعالى، لوراثة هذا الكتاب، وإن تفاوتت مراتبهم، وتميزت أحوالهم، فلكل منهم قسط من وراثته، حتى الظالم لنفسه، فإن ما معه من أصل الإيمان، وعلوم الإيمان، وأعمال الإيمان، من وراثة الكتاب، لأن المراد بوراثة الكتاب، وراثة علمه وعمله، ودراسة ألفاظه، واستخراج معانيه.(٣)

القول الثاني: أن المراد بالظالم: الكافر. والمقتصد: المؤمن العاصي. والسابق: التقي. والضمير في قوله: (ڦ) على هذا يعود على جملة العباد مؤمنهم وكافرهم، وليس على المصطفين؛ فجعل الكفار صنفاً واحداً وأهل الملة على مرتبتين.

قال ابن جرير: وقال آخرون: الكتاب الذي أورث هؤلاء القوم هو شهادة أن لا إله إلا الله، والمصطفون هم أمة محمد ﷺ والظالم لنفسه منهم هو المنافق، وهو في النار، والمقتصد والسابق بالخيرات في الجنة. ثم روى عن عكرمة عن عبدالله قال: (ڦ ڦ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ چ) قال: اثنان في الجنة وواحد في النار.

---

(١) تفسير التحرير والتنوير (٢٢/ ٣١٥).

(٢) روح المعاني (٢٢/ ١٩٠).

(٣) تفسير السعدي (١/ ٦٨٩).

وعن ابن عباس في قوله: (ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ) إلى آخر الآية قال: جعل أهل الإيمان على ثلاثة منازل، كقوله: (ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ)[الواقعة] فهم على هذا المثال. وكذا قال عكرمة ومجاهد. وقال الحسن: أما الظالم لنفسه فإنه هو المنافق، سقط هذا. وأما المقتصد والسابق بالخيرات فهما صاحبا الجنة.(١)

قال الرازي: الظالم الذي يحاسب فيدخل النار، والمقتصد الذي يحاسب فيدخل الجنة، والسابق الذي يدخل الجنة من غير حساب.(٢)

قال الألوسي: قيل الكافر مطلقاً والفاسق والمؤمن التقي، وفي معناه ما جاء في رواية عن ابن عباس وقتادة وعكرمة: الظالم لنفسه: أصحاب المشأمة. والمقتصد: أصحاب الميمنة. والسابق بالخيرات: السابقون المقربون. والظاهر أن هؤلاء ومن قال نحو قولهم يجعلون ضمير « مِنْهُمْ » للعباد لا للموصول ولا شك أن منهم الكافر وغيره.(٣) وكذا قال أبو حيان.(٤)

الترجيـــح:

والراجح والعلم عند الله تعالى هو القول الأول الذي رجحه ابن جزي من أن هؤلاء الأصناف كلهم من أهل الجنة ومن أمة محمد ﷺ، وهذا هو ترجيح المحققين من المفسرين:

قال ابن جرير: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب تأويل من قال: عنى بقوله: (ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ) الكتب التي أنزلت من قبل الفرقان.

فإن قال قائل: وكيف يجوز أن يكون ذلك معناه وأمة محمد ﷺ لا يتلون غير كتابهم، ولا يعملون إلا بما فيه من الأحكام والشرائع؟ قيل: إن معنى ذلك على غير الذي ذهبت إليه وإنما معناه: ثم أورثنا الإيمان بالكتاب الذين اصطفينا؛ فمنهم مؤمنون بكل كتاب أنزله الله من السماء قبل كتابهم وعاملون به؛ لأن كل كتاب أنزل من السماء قبل الفرقان، فإنه يأمر بالعمل

---

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ١٢٧).

(٢) التفسير الكبير (٢٦/ ٢٢).

(٣) روح المعاني (٢٢/ ١٩٠).

(٤) تفسير البحر المحيط (٧/ ٢٩٩).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

بالفرقان عند نزوله، وباتباع من جاء به، وذلك عمل من أقر بمحمد ﷺ وبما جاء به وعمل بما دعاه إليه بما في القرآن، وبما في غيره من الكتب التي أنزلت قبله.

وإنما قيل: عنى بقوله: (ٹ ٹ ٹ چ) الكتب التي ذكرنا؛ لأن الله جل ثناؤه قال لنبيه محمد ﷺ (ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

قال ابن كثير: والصحيح: أن الظالم لنفسه من هذه الأمة وهذا اختيار ابن جرير كما هو ظاهر الآية، وكما جاءت به الأحاديث عن رسول الله ﷺ من طرق يشد بعضها بعضاً.[1] وهذا هو ترجيح الشيخ السعدي رحمه الله تعالى.[2]

وجاء في كتاب الجدول في إعراب القرآن وصرفه لمحمود صافي: أن جملة (ڤ ڤ ڤ ڤ چ) وجملة (ڤ ڤ چ) وجملة (ڤ ڤ چ چ) لا محل لها وأنها معطوفة على جملة اصطفينا.[3]

وهذا القول يدل عليه جملة من الأحاديث الثابتة عن النبي ﷺ في خروج الموحدين، ومن كان في قلبه أدنى من مثقال حبة من خردل من إيمان من أمته ﷺ من النار ودخولهم الجنة فمن ذلك: ما رواه أبو سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: (**يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ ثُمَّ يَقُولُ اللهُ تَعَالَى أَخْرِجُوا مِنْ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَيُخْرَجُونَ مِنْهَا قَدْ اسْوَدُّوا فَيُلْقَوْنَ فِي نَهَرِ الْحَيَا أَوْ الْحَيَاةِ شَكَّ مَالِكٌ فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ فِي جَانِبِ السَّيْلِ أَلَمْ تَرَ أَنَّهَا تَخْرُجُ صَفْرَاءَ مُلْتَوِيَةً**).[4]

وعن أنس عن النبي ﷺ قال: (**يَخْرُجُ مِنْ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ شَعِيرَةٍ مِنْ خَيْرٍ وَيَخْرُجُ مِنْ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ بُرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ وَيَخْرُجُ مِنْ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ**).[5]

وعن أبي سعيد الخدري في حديث الشفاعة الطويل قال: قلنا يا رسول الله: هل نرى ربنا يوم القيامة ؟. قال: (**هَلْ تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ إِذَا كَانَتْ صَحْوًا**)؟. قُلْنَا: لَا. قَالَ: (**فَإِنَّكُمْ لَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ يَوْمَئِذٍ إِلَّا كَمَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَتِهِمَا...**) إلى أن قال: (**...فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ وَيُحَرِّمُ اللهُ صُوَرَهُمْ عَلَى النَّارِ فَيَأْتُونَهُمْ وَبَعْضُهُمْ قَدْ غَابَ فِي النَّارِ إِلَى قَدَمِهِ وَإِلَى أَنْصَافِ سَاقَيْهِ فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا ثُمَّ يَعُودُونَ فَيَقُولُ**

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٤٧).

(٢) تفسير السعدي (١/ ٦٨٩).

(٣) الجدول في إعراب القرآن وصرفه لمحمود صافي: (١٠/ ٣٥١).

(٤) صحيح البخاري (١/ ٣٧)، وصحيح مسلم (١/ ٤٢٩).

(٥) صحيح البخاري (١/ ٧٧).

اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَارٍ فَأَخْرِجُوهُ فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا ثُمَّ يَعُودُونَ فَيَقُولُ اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا) قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: فَإِنْ لَمْ تُصَدِّقُونِي فَاقْرَءُوا: (ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

الكلام على قوله تعالى: (ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ)

وفي الآية مسألة واحدة وهي: مالمراد بقوله تعالى (ک ک ک ک ڳ).

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: « قيل: هو عذاب النار. وقيل: أهوال القيامة. وقيل: هموم الدنيا. والصواب العموم في ذلك كله ».[1]

والمسألة فيها أربعة أقوال:

القول الأول: أن المراد بالحزن: عذاب النار.

قال ابن جرير: الحزَن الذي كانوا فيه قبل دخولهم الجنة من خوف النار إذ كانوا خائفين أن يدخلوها. ثم روى عن ابن عباس أنه قال: حزن النار.[2] وكذا قال الماوردي.[3] والسمعاني.[4] والبغوي.[5] وابن الجوزي.[6]

القول الثاني: أن المراد بالحزن: أهوال القيامة.

قال ابن جرير: بل عني بذلك الحزن الذي ينال الظالم لنفسه في موقف القيامة. وذكر أبو ثابت أن أبا الدرداء قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**أما الظالم لنفسه فيصيبه في ذلك المكان من الغم والحزن**) **فذلك قوله:** (ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک ڳ).[7]

قال السمعاني: ومن المعروف أن الحزن: هو حزن أهوال القيامة.[8] وكذا قال البغوي.[9] وابن عطية وقال: قال أبو الدرداء: حزن أهوال القيامة وما يصيب هناك من ظلم

---

(١) التسهيل لابن جزي: ص(٥٨٤).
(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ١٣٨).
(٣) تفسير الثعلبي (٨/ ١٠٦).
(٤) السمعاني (٤/ ٣٦٠).
(٥) تفسير البغوي (٣/ ٥٧٢).
(٦) زاد المسير (٦/ ٤٩١).
(٧) تفسير الطبري (٢٢/ ١٣٧)، والحديث ضعيف تقدم تخريجه قريباً في : (ص : ٣٨٥) .
(٨) السمعاني (٤/ ٣٦٠).
(٩) تفسير البغوي (٣/ ٥٧٢).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

نفسه من الغم والحزن.[1]

قال ابن الجوزي: أنه الحزن لطول المقام في المحشر. روى أبو الدرداء عن رسول الله ﷺ أنه قال: (**أمَّا السابق، فيدخل الجنة بغير حساب، وأما المقتصِد، فيحاسَب حساباً يسيراً، وأما الظَّالم لنفسه، فانه حزين في ذلك المقام فهو الحزن والغم، وذلك قوله تعالى:** (ژ ڑ ڑ ک ک ک ک)).[2]

القول الثالث: أن المراد بالحزن: هموم الدنيا.

قال ابن جرير: الحزن من التعب الذي كانوا فيه في الدنيا. وعن قتادة قوله (ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک) قال: كانوا في الدنيا يعملون وينصبون وهم في خوف، أو يحزنون.[3] وكذا وكذا قال الماوردي.[4]

القول الرابع: أن الحزن في الآية عام في كل ما تقدم.

قال ابن جرير وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر عن هؤلاء القوم الذين أكرمهم بما أكرمهم به أنهم قالوا حين دخلوا الجنة (ژ ڑ ڑ ک ک ک ک) وخوف دخول النار من الحزن، والجَزَع من الموت من الحزن، والجزع من الحاجة إلى المطعم من الحزن. ولم يخصص الله إذ أخبر عنهم أنهم حمدوه على إذهابه الحزن عنهم نوعًا دون نوع، بل أخبر عنهم أنهم عموا جميع أنوع الحزن بقولهم ذلك، وكذلك ذلك؛ لأن من دخل الجنة فلا حزن عليه بعد ذلك، فحمدهم على إذهابه عنهم جميع معاني الحزن.[5]

وكذا قال السمعاني[6] والبغوي -ونقله عن الزجاج-.[7] والزمخشري.[8]

---

(١) المحرر الوجيز (٥/ ٣٧٥).

(٢) زاد المسير (٦/ ٤٩١).

(٣) تفسير الطبري (٢٢/ ١٣٩).

(٤) النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٤٧٥).

(٥) تفسير الطبري (٢٢/ ١٣٩).

(٦) السمعاني (٤/ ٣٦٠).

(٧) تفسير البغوي (٣/ ٥٧٢).

(٨) الكشاف (٣/ ٦٢٤).

دكتوراه عبدالعلي الحمدي (كامل الرسالة :: مع الفهارس) ٥

وابن عطية[1] وابن الجوزي[2] وابن كثير.[3]

وقال السعدي: وهذا يشمل كل حزن، فلا حزن يعرض لهم بسبب نقص في جمالهم، ولا في طعامهم وشرابهم، ولا في لذاتهم ولا في أجسادهم، ولا في دوام لبثهم، فهم في نعيم ما يرون عليه مزيدا، وهو في تزايد أبد الآباد.[4]

الترجيـــح:

والقول الراجح والعلم عند الله تعالى هو ما رجحه ابن جزي رحمه الله تعالى من القول بالعموم في ذلك كله وذلك لعدة أمور:

الأمور الأول:أن هذا هو ترجيح المحققين من المفسرين كابن جرير الطبري، والسمعاني، والبغوي والزجاج [5] والنحاس [6] والزمخشري وابن عطية وابن الجوزي وابن كثير والسعدي.

الأمر الثاني: أن القاعدة تقول: إذا احتمل اللفظ معان عدة ولم يمتنع إرادة الجميع حمل عليها.[7]

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٤٠).

(٢) زاد المسير (٦/ ٤٩١).

(٣) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٥٧).

(٤) تفسير السعدي (١/ ٦٩٠).

(٥) معاني القرآن وإعرابه للزجاج: (٤/ ٢٦٨).

(٦) معاني القرآن للنحاس: (٥/ ٤٦٠).

(٧) انظر: مختصر قواعد التفسير للسبت: ص(٢٧).

الكلام على قوله تعالى: (﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾

وكذا قال ابن الجوزي.[1]

وقال القرطبي:[2] ترجم البخاري: باب من بلغ ستين سنة فقد أعذر الله إليه في العمر لقوله ﷻ: (بِ □ □ □ □ □ □ □ □□ □) يعني: الشيب... ثم ساق الحديث عن أبي هريرة عن النبي ﷺ.

قال: قال الخطابي: «أعذر إليه» أي: بلغ به أقصى العذر، ومنه قولهم: قد أعذر من أنذر، أي أقام عذر نفسه في تقديم نذارته. والمعنى: أن من عمره الله ستين سنة لم يبق له عذر، لأن الستين قريب من معترك المنايا، وهو سن الإنابة والخشوع وترقب المنية ولقاء الله تعالى، ففيه إعذار بعد إعذار، الأول بالنبي ﷺ والموتان في الأربعين والستين.

ثم قال القرطبي: خرج ابن ماجه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : (**أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين وأقلهم من تجاوز ذلك**).[3].

وقال ابن كثير بعد أن ذكر الرواية السابقة عن ابن عباس أن المراد بذلك ستون سنة قال: فهذه الرواية أصح عن ابن عباس، وهي الصحيحة في نفس الأمر أيضًا، لما ثبت في ذلك من الحديث -كما سنورده- لا كما زعمه ابن جرير. ثم ساق ابن كثير جملة من الأحاديث أكتفي بذكر ما صح منها.

فروى عن علي، ﷺ أنه قال: العمر الذي عَيَّرهم الله به في قوله تعالى: (بِ □ □ □ □ □ □ □) ستون سنة.[4]

وعن أبي هريرة، عن النبي ﷺ أنه قال: (**لقد أعذر الله إلى عبد أحياه حتى بلغ ستين أو**

---

(١) زاد المسير (٦/ ٤٩١).

(٢) تفسير القرطبي (١٤/ ٣٥٢).

(٣) الحديث: صحيح. رواه الترمذي (٢/ ٢٧٢)، وقال: حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وابن ماجه (٤٢٣٦)، وابن حبان في صحيحه (٩٦/ ٢)، والقضاعي (٥/ ٢)، والحاكم (٢/ ٤٢٧)، وقال: صحيح على شرط مسلم. ووافقه الذهبي. وقال الألباني في السلسلة الصحيحة ٢/ ٣٩٧: صحيح. وانظر حديث رقم: (١٠٧٣) في صحيح الجامع.

(٤) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٥٧).

دكتوراه عبدالعلي الحمدي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

سبعين سنة، لقد أعذر الله إليه، لقد أعذر الله إليه).[1]

وعن أبي هريرة، ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (**أعذر الله ﷻ إلى امرئ أَخَّر عمره حتى بَلَّغَه ستين سنة).**[2]

القول الثاني: أربعون سنة. وهو مروي عن ابن عباس ومسروق ومجاهد والحسن وابن السائب.

فروى ابن جرير عن مجاهد قال: سمعت ابن عباس يقول: العمر الذي أعذر الله إلى ابن آدم (□ □ □ □ □ □ □ □) أربعون سنة.[3]

وهذا القول هو ترجيح ابن جرير وعلل ذلك بأنه في الأربعين يتناهى عقل الإنسان وفهمه، وما قبل ذلك وما بعده منتقص عن كماله في حال الأربعين.[4] وكذا قال الماوردي[5] والسمعاني.[6] والبغوي[7] وابن عطية، واستحسنه.[8] وابن الجوزي[9] والقرطبي ونقل عن مالك قال: أدركت أهل العلم ببلدنا وهم يطلبون الدنيا والعلم ويخالطون الناس، حتى يأتي لأحدهم أربعون سنة، فإذا أتت عليهم اعتزلوا الناس واشتغلوا بالقيامة حتى يأتيهم الموت.[10]

القول الثالث: أنه سن البلوغ وهو قول الحسن بن أبي الحسن. وقال: لأنه أول زمان

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٥٧)، والحديث صححه الألباني كما في صحيح الجامع حديث رقم: ٥١١٨).

(٢) الحديث: صحيح.
صحيح البخاري (٢٠/ ٤٤) باب من بلغه الله ستين سنة فقد أعذر الله إليه.

(٣) تفسير الطبري (٢٢/ ١٤١).

(٤) تفسير الطبري (٢٢/ ١٤٢).

(٥) النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٤٧٦).

(٦) السمعاني (٤/ ٣٦١).

(٧) تفسير البغوي (٣/ ٥٧٣).

(٨) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٤١).

(٩) زاد المسير (٦/ ٤٩١).

(١٠) تفسير القرطبي ١٤/ ٣٥٣).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

التذكر. وممن نقله عنه الماوردي[1] والسمعاني[2] والبغوي[3] وابن عطية.[4]

الترجيـــح: والراجح والعلم عند الله تعالى هو القول الأول، وهو ما رجحه ابـن جـزي عليه رحمة الله جل وعلا، وذلك لعدة أمور:

الأمر الأول: أنه قد ورد فيه نص صريح صحيح عن النبي ﷺ وهو ما أخرجه البخـاري في صحيحه عن أبي هريرة بلفظ: (**أَعْذَرَ اللهُ إِلَى امْرِئٍ أَخَّرَ أَجَلَهُ حَتَّى بَلَّغَهُ سِتِّينَ سَنَةً**).وهـذا الإعذار يتفق كماله مع الستين أكثر من اتفاقه مع سن الأربعين، فإن من بلغ الستين غالباً يكون قد خارت قواه، ومن كان كذلك فإن دواعي الشهوة تكون ضعيفة، وشـعوره بقـرب الأجـل متحتم فيكون ذلك زاجراً له ورادعاً وداعياً له لأن يرعوي ويعود إلى صوابه ورشده، ويستعد للقاء ربه. وهذا أبلغ في الإعذار من جهة الرب تبارك وتعالى.

وأما صاحب الأربعين ففي كمال الأشد وعنفوان القوة، وهذا في الغالب تكون دواعـي الشهوة لديه قوية، والمؤاخذة مع توفر الدواعي ليست كالمؤاخذة مع انعدامها، ألم تـر حـديث أبي هريرة عن النبي ﷺ **قال:(ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولا ينظر إليهم ولهـم عذاب أليم : شيخ زان، وملك كذاب، وعائل مستكبر)**.[5]وإذا تأملت في هذا الحديث وجدت وجدت أن هؤلاء الثلاثة شدد الله عليهم العقوبة لأنهم وقعـوا في هـذه الـذنوب مـع ضـعف الدافع.

الأمر الثاني: أن هذا هو قول الأكثرين من أئمة التفسير وهو قول علي وأبي هريـرة وابـن عباس في الرواية الصحيحة عنه كما قال ابن كثير، وترجم البخاري في صحيحه بقوله: باب قد أعذر الله إلى رجل بلغه ستين سنة. وفقه البخاري كما هو معلوم في تراجمه، ورجحه ابن كثير في تفسيره. وقبل ذلك كله ورود الحديث الصحيح في هذا المعنى يقطع كل مأخذ.

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

(١) النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٤٧٦).

(٢) السمعاني (٤/ ٣٦١).

(٣) تفسير البغوي (٣/ ٥٧٣).

(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٤١).

(٥) الحديث: صحيح أخرجه مسلم في صحيحه: (١/ ٢٧٩).

المسألة الثانية: ما المراد بقوله تعالى (□ □□ □)

قال ابن جزي رحمه الله تعالى:« يعني: النبي ﷺ. وقيل يعني: الشيب لأنه نذير بالموت. والأول أظهر».[1]

والمسألة فيها قولان:

القول الأول: أن المراد بالنذير هو: النبي ﷺ.

قال ابن جرير: عنى به محمدًا ﷺ. ثم روى عن ابن زيد قال: النذير: النبي ﷺ. وقرأ: (ژ ژ ڑ ک ک ک).[النجم:٥٦][2] وكذا قال الماوردي.[3] والسمعاني.[4] والزمخشري [5] وقال وقال البغوي هذا قول أكثر المفسرين.[6] وحكاه ابن الجوزي عن قتادة، وابن زيد، وابن السائب، ومقاتل. [7]

وقال ابن عطية: (□□ □) في قول الجمهور الأنبياء وكل نبي نذير أمته ومعاصريه، ومحمد ﷺ نذير العالم في غابر الزمان.[8] وكذا قال القرطبي وعزاه لزيد بن علي وابن زيد.[9]

وقال ابن كثير بعد أن ذكر القائلين بهذا القول: وهذا هو الصحيح عن قتادة، فيما رواه شيبان عنه أنه قال: احتج عليهم بالعمر والرسل. وهذا اختيار ابن جرير، وهو الأظهر. [10]

القول الثاني: أن المراد بالنذير: الشيب لأنه نذير بالموت. وهو مروي عن: ابن عباس وقتادة وعكرمة، وسفيان بن عيينة، ووهب بن منبه والفراء وأبي جعفر الباقر.

---

(١) التسهيل لابن جزي: ص(٥٨٥).
(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ١٤٠)، والنحاس: (٥/ ٤٦١).
(٣) النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٤٧٦).
(٤) السمعاني (٤/ ٣٦١).
(٥) الكشاف (٣/ ٦٢٣).
(٦) تفسير البغوي (٣/ ٥٦٦).
(٧) زاد المسير (٦/ ٤٩٤ - ٤٩٥).
(٨) المحرر (٥/ ٣٧٧).
(٩) القرطبي ١٤/ ٣٥٣).
(١٠) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٦١).

وممن ذكر هذا من المفسرين:

ابن جرير[١] والنحاس[٢] والماوردي[٣] والزمخشري[٤]والسمعاني[٥] والبغوي[٦] وابن عطية عطية وقال: هذا قول حسن.[٧]وابن الجوزي[٨]والقرطبي [٩]وابن كثير.[١٠]

الترجيـــح:

والراجح والعلم عند الله تبارك وتعالى هو القول الأول وهو ما رجحه ابن جـزي رحمـه الله تعالى من أن المراد بالنذير هو النبي ﷺ، وإن كان القول الثاني داخل في عموم معنـى الآيـة، وإنما قلت بأن هذا القول هو الراجح لعدة أمور:

الأمر الأول: أن هذا هو قول المحققين من أهل العلم رحمهم الله تعالى كابن جرير وابـن كثير وجمهور المفسرين.

الأمر الثاني: أن القاعدة تقول: قد يحتمل اللفظ معان عدة، ويكون أحدها هـو الغالـب استعمالاً في القرآن فيقدم. [١١]

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ١٤٠).

(٢) معاني القرآن للنحاس: (٥/ ٤٦٢).

(٣) النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٤٧٦).

(٤) الكشاف (٣/ ٦٢٣).

(٥) السمعاني (٤/ ٣٦١).

(٦) تفسير البغوي (٣/ ٥٦٦).

(٧) المحرر الوجيز (٥/ ٣٧٧).

(٨) زاد المسير (٦/ ٤٩٥).

(٩) تفسير القرطبي ١٤/ ٣٥٣).

(١٠) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٦١).

(١١) انظر: مختصر قواعد التفسير للسبت: ص(٢٦).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

الكلام على قوله تعالى: (ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ں ں ڻ ڻ ڻ ۀ ہ ہ ہ)

وفي الآية مسألة واحدة وهي: ما المقصود بقوله: (ڳ گ ه) ؟.

قال ابن جزي رحمه الله تعالى:« أي: لو فرض زوالهما لم يمسكهما أحد. وقيل: أراد زوالهما يوم القيامة عند طي السماء وتبديل الأرض ونسف الجبال ». [١]

والمسألة فيها قولان:

القول الأول: أن هذا على فرض زوالهما لم يمسكهما أحد غير الله. فقوله: (ڳ گ) يعني: ولو زالتا. فهو على جهة التوهم والفرض. و«لئن» بمعنى: «ولو». و «إِن» بمعنى: «ما». وممن ذكر هذا المعنى من المفسرين: ابن جرير[٢] وابن عطية [٣] وابن الجوزي ونقله عن الفراء [٤] والقرطبي[٥] وابن عاشور[٦] والسعدي.[٧]

القول الثاني: أن هذا إذا أراد زوالهما يوم القيامة.

قال ابن عطية: قيل: أراد يوم القيامة عند طي السماء ونسف الجبال، فكأنه قال ولئن جاء وقت زوالهما.[٨]

وقال ابن الجوزي: (ڳ گ ه) يحتمل زوالهما يوم القيامة. [٩]

وقال القرطبي: قيل: المراد زوالهما يوم القيامة. [١٠]

---

(١) التسهيل لابن جزي: ص(٥٨٥).
(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ١٤٤).
(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٤٣).
(٤) زاد المسير (٦/ ٤٩١).
(٥) تفسير القرطبي ١٤/ ٣٥٦).
(٦) تفسير التحرير والتنوير (٢٢/ ٣٢٨).
(٧) تفسير السعدي (١/ ٣٥٠).
(٨) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٤٣).
(٩) زاد المسير (٦/ ٤٩١).
(١٠) تفسير القرطبي (١٤/ ٣٥٦).

دكتوراه عبدالعلي الحمدي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

الترجيـــح: والراجح والعلم عند الله تبارك وتعالى هو ما رجحه ابن جزي عليه رحمة الله من أن معنى الآية: لو فرض وزالت السموات والأرض فلا يستطيع أن يمسكها من أحد غير الله تبارك وتعالى وذلك لأن «إن» المكسورة الخفيفة ترد بمعنى النفي.

قال العكبري: (ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ) أي: مخافة أن تزولا. و (ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ) أي: ما يمسكهما. فـ «إن» بمعنى «ما» و «أمسك» بمعنى: يمسك.[1]

وقال ابن قتيبة: (ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ) أي: لئلا تزولا.[2] وكذا قال مكي القيسي.[3]

وقال ابن هشام في مغني اللبيب عند معرض حديثه على: (إن) المكسورة الخفيفة قال: ترد على أربعة أوجه، وذكر الوجه الثاني وهو:

أن تكون نافية، وتدخل على الجملة الاسمية، نحو: (ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ)[الملك:٢٠] (ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

الكلام على قوله تعالى: (ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

وقال السعدي: أي: لاستوعبت العقوبة، حتى الحيوانات غير المكلفة. [1]

القول الثاني: أنه أراد بذلك بني آدم خاصة.

وممن ذكر هذا من المفسرين: الماوردي ونقله عن ابن جريج.[2] والزمخشري [3]

وقال ابن عطية: قوله تعالى: (پ پ ڤ) مبالغة، والمراد بنو آدم لأنهم المجازون.[4]

وحكى القرطبي عن ابن جرير والأخفش والحسين بن الفضل: أراد بالدابة هنا الناس وحدهم دون غيرهم. [5] قلت وفي حكايته ذلك عن ابن جرير نظر فابن جرير لم يذكر سوى القول الأول.

الترجيـــح:

والراجح والعلم عند الله تعالى هو ما رجحه ابن جزي رحمه الله تعالى من أن المراد بقوله تعالى هو: عموم ما يدب على وجه الأرض من بني آدم وغيرهم وإنما قلنا بترجيح ذلك لعدة أمور:

الأمر الأول: أن هذا هو قول المحققين من المفسرين كابن جرير وابن كثير والبغوي والسعدي.

الأمر الثاني: أن القاعدة تقول: إذا كان أول الكلام خاصاً وآخره بصيغة العموم، فإن خصوص أوله لا يكون مانعاً من عموم آخره.

والقاعدة الأخرى تقول: تحمل الآية على المعنى الذي استفاض النقل فيه عن أهل العلم وإن كان غيره محتملاً.

والنقل متوافر عن أهل العلم أن الدواب ينالها شيء من شؤم ذنوب بني آدم، وقد ذكر ابن القيم رحمه الله تعالى طرفاً من ذلك في كتابه: الداء والدواء.

---

(١) تفسير السعدي (١/ ٦٩٢).

(٢) النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٤٧٩).

(٣) الكشاف (٣/ ٦٢٨).

(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٣٧).

(٥) تفسير القرطبي (١٤/ ٣٦١).

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

سورة يس

الكلام على قوله تعالى: (ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ)

وفي الآية مسألتان :

المسألة الأولى: مَن القوم المنذرين في قوله: (ﭽ ﭾ ﮄ) ؟.

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: «هم قريش. ويحتمل أن يدخل معهم سائر العرب وسائر الأمم».[1]

والمسألة فيها قولان:

القول الأول: لتنذر قريشاً.

فروى الماوردي عن قتادة : أنهم قريش أنذروا بنبوة محمد ﷺ ولم ينذر آباؤهم من قبلهم.[2] وجاء في تنوير المقباس أن المراد بالقوم : قريش .[3]

وقال ابن عاشور بعد أن ذكر احتمال كون المراد بذلك العرب عامة : ... أو أريد أهل مكة. وإنما باشر النبي ﷺ في ابتداء بعثته دعوة أهل مكة وما حولها فكانوا هم الذين أراد الله أن يتلقّوا الدين وأن تتأصل منهم جامعة الإِسلام ثم كانوا هم حملة الشريعة وأعوان الرسول ﷺ في تبليغ دعوته وتأييده. فانضمّ إليهم أهل يثرب وهم قحطانيون فكانوا أنصاراً ثم تتابع إيمان قبائل العرب.[4]

القول الثاني: أن المراد بذلك سائر العرب وسائر الأمم .

قال ابن جرير: أي: هذه الأمة لم يأتهم نذير، حتى جاءهم محمد ﷺ .[5] ونقله الماوردي عن السدي.[6]

---

(١) التسهيل لابن جزي: ص(٥٨٦).
(٢) تفسير الصنعاني (٣/ ١٣٩).
(٣) تنوير المقباس (١/ ٤٥٩).
(٤) التحرير والتنوير (٢٢/ ٣٣٠).
(٥) تفسير الطبري (٢٢/ ١٥٠).
(٦) النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٥).

دكتوراه عبدالعلي الحمدي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

قال ابن كثير: يعني بهم: العرب؛ فإنه ما أتاهم من نذير من قبله. وذِكْرُهم وحدهم لا ينفي مَنْ عداهم كما زعمه بعض النصارى، كما أن ذكر بعض الأفراد لا ينفي العموم. وقد تقدم ذكر الآيات والأحاديث المتواترة في عموم بعثته، ﷺ عند قوله تعالى: (ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ٿ ٿ ٿ ٿ) [الأعراف:١٥٨].[١]

قال ابن عاشور: والقوم الموصوفون بأنهم لم تنذر آباؤهم: إما العرب العدنانيون فإنهم مضت قرون لم يأتهم فيها نذير، ومضى آباؤهم لم يسمعوا نذيراً، وإنما يُبتدأ عدُّ آبائهم من جدّهم الأعلى في عمود نسبهم الذين تميزوا به جذماً وهو عدنان، لأنه جذم العرب المستعربة[٢] أو أريد أهل مكة .[٣]

الترجيـــح:

يتبين من خلال ما مضى أن القول الصواب والعلم عند الله تعالى هو : أن المراد بذلك قريش ويدخل معهم سائر العرب والأمم وليس الخطاب لقريش وحدهم فقط وذلك لعدة أمور :

الأمر الأول : أن سياق الآية يدل على أن الله أرسل نبيه ﷺ لينذر قوماً ما أنذر آباؤهم، وهذا الوصف غير مختص بقريش وإنما يشترك فيه معهم سائر العرب وإنما بدأ النبي ﷺ بإنذار عشيرته الأقربين لكونهم حوله لا لاختصاص النذارة بهم وحدهم وهذا مما لا شك فيه لعالمية رسالته ﷺ .

الأمر الثاني : أن التنصيص على إنذار القوم الذين لم ينذر آباؤهم من باب التنصيص على بعض أفراد العام، وليس المقصود منه تخصيص قريش وحدهم أو العرب وحدهم، لقوله تعالى : (ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ٿ ٿ ٿ ٿ) [الأعراف: ١٥٨].

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٦٤ .

(٢) قال ابن منظور: والجِذْمُ بالكسر أَصل الشيء وقد يفتح وجِذْمُ كل شيء أَصلُه والجمع أَجْذامٌ وجُذُومٌ وجِذْمُ الشجرة أَصلُها وكذلك من كل شيء وجِذْمُ القوم أَصلُهم . لسان العرب (١٢/ ٨٦) .

(٣) التحرير والتنوير (٢٢/ ٣٣٠).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

الأمر الثالث : أن هذا هو ما تؤيده قواعد التفسير :

فمن ذلك : أن التنصيص على الشيء لا يلزم منه النفي عما عداه .

والقاعدة الأخرى : إذا احتمل اللفظ معاني عدة، ولم يمتنع إرادة الجميع حمل عليها .[1]

الأمر الرابع : أن تخصيص ذلك بقريش هو متمسك النصارى في دعـواهم أن النبـي ﷺ إنما أرسل للعرب ولم يرسل لهم لأنهم قد أنذر آباؤهم من قبل، كما ذكر ذلك الحافظ ابـن كثـير رحمه الله تعالى .

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم

---

(١) انظر: مختصر قواعد التفسير للسبت: ص(٢٠، ٢٧) .

دكتوراه عبدالعلي العمدي (كامل الرسالة :: مع الفهارس) 5

المسألة الثانية: في قوله (ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ): ما موضع (ﭽ ﮀ) هنا ؟ وهل هي نافية أم موصولة أم مصدرية ؟

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: « «ما» نافية والمعنى: لم يرسل إليهم ولا لآبائهم رسول ينذرهم. وقيل المعنى: لتنذر قوما مثل ما أنذر آباؤهم فـ«ما» على هذا موصولة بمعنى الذي. أو مصدرية والأول أرجح لقوله : (ﯾ ﯿ ﰀ) ».[1]

والمسألة فيها ثلاثة أقوال:

القول الأول: أن «ما» نافية . والمعنى: لم يرسل إليهم ولا لآبائهم رسول ينذرهم .

قال ابن جرير: وهو على الجحد أحسن، فيكون معنى الكلام: إنك لمن المرسلين إلى قوم لم ينذر آباؤهم، لأنهم كانوا في الفترة .[2]

وممن قال بهذا القول من المفسرين : السمعاني[3] والبغوي[4] والزمخشري[5] وابن عطية[6]ونقله ابن الجوزي عن قتادة والزجاج في الأكثرين.[7] والقرطبي[8] والشنقيطي في أضواء البيان .[9]

القول الثاني: أن «ما» موصولة بمعنى «الذي» أي: لتنذر قوما مثل ما أنذر آباؤهم .

فروى ابن جرير عن عكرمة في هذه الآية قال: قد أنذروا.[10]

---

(١) التسهيل لابن جزي: ص(٥٨٦ – ٥٨٧).

(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ١٥٠).

(٣) السمعاني ((٤/ ٣٦٧).

(٤) تفسير البغوي (٤/ ٥).

(٥) الكشاف (٣/ ٦٢٣).

(٦) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٤٦).

(٧) زاد المسير (٧/ ٥).

(٨) تفسير القرطبي (١٥/ ٦).

(٩) أضواء البيان (٦/ ٢٨٢).

(١٠) تفسير الطبري (٢٢/ ١٥٠).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة .. مع الفهارس) ٥

وممن ذكر هذا القول من المفسرين : السمعاني [١] والبغوي [٢] والزمخشري [٣] وابن عطية [٤] [٤] وابن الجوزي [٥] والقرطبي ونقل معناه عن ابن عباس، وعكرمة، وقتادة .[٦]

القول الثالث: أن «ما» مصدرية، أي : لتنذر قوما إنذار آبائهم . والآباء هنا الأقدمون .

قال الزمخشري: وقد فسر (ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ) على إثبات الإنذار. ووجه ذلك أن تجعل «ما» مصدرية لتنذر قوما إنذار آبائهم.[٧]

وجعل ابن عطية هذا القول محتملاً [٨] وحكاه القرطبي بصيغة التمريض .[٩]

الترجيح :

مما تقدم يتبين لنا أن المسألة تعود إلى قولين :

الأول : أن المراد بالآية النفي، وعليه يكون المعنى : أي لم ينذر آباؤهم .

الثاني : أن المراد هو الإثبات أي أن آباءهم أنذروا . وهؤلاء اختلفوا في تقدير الكلام فالذين قالوا إن «ما» مصدرية جعلوا التقدير : لتنذر قوما إنذار آبائهم.

والذين قالوا إنها موصولة جعلوا التقدير : لتنذرهم مثل ما أنذر آباؤهم.

والراجح والعلم عند الله تعالى هو ما رجحه ابن جزي عليه رحمة الله تعالى وأن المراد بذلك النفي ومعنى الكلام : أي لم ينذر آباؤهم . وإنما ترجح هذا القول لعدة أمور :

الأمر الأول : أن هذا هو ترجيح المحققين من المفسرين :

---

(١) السمعاني ((٤/ ٣٦٧).

(٢) تفسير البغوي (٤/ ٥).

(٣) الكشاف (٣/ ٦٢٣).

(٤) المحرر الوجيز (٥/ ٣٨٣).

(٥) زاد المسير (٥/ ١٨٦).

(٦) تفسير القرطبي (١٥/ ٦).

(٧) الكشاف (٥/ ٤٢١).

(٨) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٤٦).

(٩) تفسير القرطبي (١٥/ ٦).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة .. مع الفهارس) ٥

وهذا ما رجحه ابن جرير وحكاه عن بعض نحويي البصرة وأنها على الجحد أحسن .[١]

وقال مكي القيسي : «ما» حرف نفي لأن آباءهم لم ينذروا برسول قبل محمد ﷺ ، ثم حكى القول الثاني بصيغة التمريض .[٢] وكذا صنع أبو البقاء العكبري [٣] وابن الجوزي كما تقدم وهو ظاهر سياق ابن كثير. وحكاه النسفي عن الجمهور.[٤]

ورجح الشنقيطي النفي فقال :

لفظة «ما» في قوله تعالى : (ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ) قيل : نافية . وهو الصحيح . وقيل : موصولة، وعليه فهو المفعول الثاني لتنذر . وقيل : مصدرية .[٥]

الأمر الثاني : أن هذا هو المذكور في آيات أخر من كتاب الله تعالى مثل قوله تعالى : (ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

الكلام على قوله تعالى: (ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ)

وفي هذه الآية مسألتان :

المسألة الأولى: في ذكر الخلاف في معنى الأغلال التي في أعناقهم .

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: «الآية فيها ثلاثة أقوال: الأول: أنها عبارة عن تماديهم على الكفر ومنع الله لهم من الإيمان فشبههم بمن جعل في عنقه غل يمنعه من الالتفات وغطى على بصره فصار لا يرى . والثاني: أنها عبارة عن كفهم عن إذاية النبي ﷺ حين أراد أبو جهل أن يرميه بحجر فرجع عنه فزعا مرعوبا . والثالث: أن ذلك حقيقة في حالهم في جهنم .

والأول أظهر وأرجح لقوله قبلها: (ژ ژ ڑ ڑ) وقوله بعدها : (ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے) ».[1]

والمسألة فيها ثلاثة أقوال:

القول الأول: أن هذه الأغلال معنوية وليست حسية وهو مثل ضربه الله تعالى كناية عن منعه عنهم الإيمان، كالذي في عنقه غل يمنعه من الالتفات وذلك بسبب تماديهم في الكفر.

فروى ابن جرير عن ابن عباس قال : هو كقول الله : (ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ)[الإسراء:٢٩] يعني بذلك : أن أيديهم موثقة إلى أعناقهم، لا يستطيعون أن يبسطوها بخير . وروى عن قتادة قال : مغلولون عن كل خير.[2] وحكاه الماوردي عن يحيى بن سلام .[3]

وقال البغوي : قال أهل المعاني: هذا على طريق المثل، ولم يكن هناك غل، أراد: منعناهم عن الإيمان بموانع، فجعل الأغلال مثلا لذلك.[4] وكذا قال الزمخشري.[5]

وقال ابن عطية : هذا أرجح الأقوال لأنه تعالى لما ذكر أنهم (ھ ھ) بما سبق لهم في الأزل عقب ذلك بأن جعل لهم من المنع وإحاطة الشقاوة ما حالهم معه حال المغللين، والغل

---

(١) التسهيل لابن جزي: ص(٥٨٧).

(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ١٥٠).

(٣) النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٦).

(٤) تفسير البغوي (٤/ ٦).

(٥) الكشاف (٤/ ٨).

دكتوراه عبدالعلي الحمدي (كامل الرسالة :: مع الفهارس) ٥

ما أحاط بالعنق على معنى التثقيف والتضييق والتعذيب والأسر ومع العنق اليدان أو اليد الواحدة هذا معنى التغليل.[١]

وحكاه ابن الجوزي عن أكثر المحقِّقين وعزاه إلى أبي سليمان الدمشقي[٢] ونقله القرطبي عن يحيى بن سلام وأبي عبيدة[٣] وذكره الحافظ ابن كثير[٤] وجوزه ابن عاشور .[٥]

القول الثاني: أن هذا الغل حقيقة في الدنيا وليس تمثيلاً وأن الله منع الكفار من أذية النبي ﷺ . واستدلوا على ذلك بما روي في ذلك من دواعي النزول .

ما ذكره الماوردي عن السدي أن ناساً من قريش ائتمروا بالنبي ﷺ فجاءوا يريدون ذلك فجعلت أيديهم إلى أعناقهم فلم يستطيعوا أن يبسطوا إليه يداً .[٦]

وما أورده بعض المفسرين أنها نزلت في أبي جهل وصاحبيه المخزوميين، وذلك أن أبا جهل كان قد حلف لئن رأى محمدًا يصلي ليرضخن رأسه، فأتاه وهو يصلي ومعه حجر ليدمغه، فلما رفعه أثبتت يده إلى عنقه ولزق الحجر بيده، فلما عاد إلى أصحابه فأخبرهم بما رأى سقط الحجر، فقال رجل من بني مخزوم: أنا أقتله بهذا الحجر، فأتاه وهو يصلي ليرميه بالحجر، فأعمى الله تعالى بصره، فجعل يسمع صوته ولا يراه، فرجع إلى أصحابه فلم يرهم حتى نادوه فقالوا له: ما صنعت؟ فقال: ما رأيته، ولقد سمعت صوته وحال بيني وبينه شيء كهيئة الفحل يخطر بذنبه[٧] لو دنوت منه لأكلني، فأنزل الله تعالى: (ک ک ک ک گ گ).[٨]

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٤٧).

(٢) زاد المسير (٧/ ٥).

(٣) تفسير القرطبي (١٥/ ٨).

(٤) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٦٥).

(٥) التحرير والتنوير (٢٢/ ٣٣٢).

(٦) النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٦).

(٧) يخطر البعير بسكون الخاء وكسر الطاء أي: يرفع ذنبه مرة بعد أخرى ويضرب به فخذيه. لسان العرب (٤ / ٢٤٩) .

(٨) أخرجه الطبري مختصرًا (٢٢/ ١٥٢)، وقال الحافظ ابن حجر في الكافي الشاف ص(١٣٩): رواه ابن إسحاق في السيرة، وأبو نعيم في الدلائل من طريق ابن إسحاق عن ابن عباس إلى قوله قد يبست يداه على الحجر.. قال: وأصله في البخاري من طريق عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما . .

=

وممن ذكر هذا القول من المفسرين :

البغوي [١] وابن عطية [٢] وابن الجوزي. [٣] والقرطبي. [٤] والسيوطي [٥] وعزاه إلى أبي نعيم في الدلائل وابن جرير الطبري . وممن قال به ابن عباس وابن إسحاق كما نقله ابن عطية . [٦]

القول الثالث: أن تقييد الأعناق بالغل إلى الأذقان هو حقيقة حالهم في جهنم .

قال الماوردي : المراد به جعل الله سبحانه لهم في النار من الأغلال في أعناقهم ويكون الجعل ههنا مأخوذاً من الجُعالة التي هي الأجرة كأن جعالتهم في النار الأغلال، حكاه ابن بحر. [٧]

ونقل ابن عطية عن مكي نحو ذلك . ثم قال : قال القاضي أبو محمد: وقوله تعالى: (ٹ ٹ ٹ ۀ ۀ) يضعف هذا القول لأن بصر الكافر يوم القيامة إنما هو حديد يرى قبح حاله. [٨] وممن ذكره أيضاً : ابن الجوزي [٩] والقرطبي . [١٠]

=

قلت: والذي في البخاري: قال أبو جهل لئن رأيت محمداً يصلي عند الكعبة لأطأن على عنقه فبلغ النبي ﷺ فقال: (لو فعله لأخذته الملائكة) . صحيح البخاري (١٥ / ٣٢١)، وانظر: ابن كثير: (٣/ ٥٦٥)، البحر المحيط: (٧/ ٣٢٤). تفسير البغوي (٤/ ٦).

(١) تفسير البغوي (٤/ ٦).

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٤٧).

(٣) زاد المسير (٧/ ٥).

(٤) تفسير القرطبي (١٥/ ٧).

(٥) لباب النزول (١/ ١٦٦).

(٦) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٤٧).

(٧) النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٦).

(٨) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٤٨).

(٩) زاد المسير (٧/ ٦).

(١٠) تفسير القرطبي (١٥/ ٩).

الترجيـــح :

الراجح والعلم عند الله تعالى : هو ما ذهب إليه ابن جزي رحمه الله جل وعلا من أن الأغلال في هذه الآية معنوية وليست حسية والمراد بها منعهم من الإيمان والدخول في الإسلام وهداية التوفيق . وإنما ترجح هذا القول لعدة أمور :

الأمر الأول : أن هذا مقتضى دلالة السياق فإنه قال سبحانه بعد ذلك : (ﻫ ﻬ ﻭ ﻮ ﻯ ﻰ ﻱ) والقاعدة تقول مهما أمكن إلحاق الكلام بما يليه فهو أولى .[1]

الأمر الثاني : أن هذا هو الموافق لكثير من الآيات في كتاب الله تعالى والتي تدل على أن الله جل وعلا يمنع الكفار المعرضين والمبغضين للحق من الإيمان والهداية، فمن ذلك :

قوله تعالى : (ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ) [الكهف : ٥٧] وقوله تعالى : (ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ) [البقرة : ٧] وقوله تعالى : (ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ) [الجاثية : ٢٣] وقوله تعالى : (ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ) [الأنعام : ١٢٥] وقوله تعالى : (ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ) [المائـــدة : ٤١] .

وقوله تعالى : (ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ) [النحل : ١٠٨] وقوله تعالى : (ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ) [هـود : ٢٠] . وقولـه تعالى : (ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ) [الكهف : ١٠١] .

إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة في مثل هذا الموضوع .

الأمر الثالث : أن هذا هو ترجيح المحققين من المفسرين : فممن رجح هذا القول : الرازي حيث قال : وهو الأقوى وأشد مناسبة لما تقدم وهو أن ذلك كناية عن منع الله إياهم عن الاهتداء .[2] وهو ترجيح الثعالبي[3] وقال ابن عطية : وهذا أرجح الأقوال لأنه تعالى لما

---

(١) انظر: مختصر قواعد التفسير للسبت: ص(٦) .

(٢) التفسير الكبير (٢٦/ ٤٠).

(٣) تفسير الثعالبي (٨/ ١٢١).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة .. مع الفهارس) ٥

ذكر أنهم (ھ ھ) بما سبق لهم في الأزل عقب ذلك بأن جعل لهم من المنع وإحاطة الشقاوة ما حالهم معه حال المغللين .[1]

وقال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله تعالى :

والمراد بالآية الكريمة : أن هؤلاء الأشقياء الذين سبقت لهم الشقاوة في علم الله المذكورين في قوله تعالى : (ڈ ڈ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ) صرفهم الله عن الإيمان صرفاً عظيماً مانعاً من وصوله إليهم، لأن من جعل في عنقه غلّ، وصار الغل إلى ذقنه، حتى صار رأسه مرفوعاً لا يقدر أن يطأطئه، وجُعل أمامه سدّ، وخلفه سدّ، وجُعل على بصره الغشاوة لا حيلة له في التصرف، ولا جَلْب نفعٍ لنفسه، ولا في دفع ضرّ عنهم، فالذين أشقاهم الله بهذه المثابة لا يصل إليهم خير ...

وقد قدمنا أن هذا الطبع والختم على القلوب وكذلك الأغلال في الأعناق، والسدّ من بين أيديهم ومن خلفهم، أن جميع تلك الموانع المانعة من الإيمان، ووصول الخير إلى القلوب أن الله إنما جعلها عليهم بسبب مسارعتهم، لتكذيب الرسل، والتمادي على الكفر، فعاقبهم الله على ذلك، بطمس البصائر والختم على القلوب والطبع عليها، والغشاوة على الأبصار، لأن من شؤم السيئات أن الله جلّ وعلا يعاقب صاحبها عليها بتماديه على الشرّ، والحيلولة بينه وبين الخير وجزاه الله بذلك على كفره جزاء وفاقاً .

والآيات الدالة على ذلك كثيرة كقوله تعالى : (ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ) [النساء : ١٥٥] فالباء سببية، وفي الآية : تصريح منه تعالى أن سبب ذلك الطبع على قلوبهم هو كفرهم، وكقوله تعالى : (ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ) [المنافقون : ٣] ومعلوم أن الفاء من حروف التعليل : أي فطبع على قلوبهم بسبب كفرهم ذلك، وقوله تعالى : (□ □ □ □ □ □ □ □) [الصف : ٥] . وقوله تعالى : (□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □) [الأنعام : ١١٠] وقوله تعالى : (ی ئج ئح ئم ئى ئي) [البقرة : ١٠] إلى غير ذلك من الآيات كما تقدم إيضاحه .

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٤٩).

وقد دلّت هذه الآية على أن شؤم السيئات يجرّ صاحبه إلى التمادي في السيئات، ويفهم من مفهوم مخالفة ذلك، أن فعل الخير يؤدي إلى التمادي في فعل الخير، وهو كذلك كما قال تعالى: (□ □ □ □ □ □ □ □) [محمد: ١٧] وقوله تعالى : (ٹ ٹ ٹ ٹ ڈ ڈ ڈ ڈ ژ ژ) [العنكبوت: ٦٩] وقوله تعالى : (ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ) [التغابن:١١] إلى غير ذلك من الآيات .

واعلم : أن قول من قال من أهل العلم : إن معنى قوله تعالى في هذه الآية الكريمة: (ک ک ک گ گ) أن المراد بذلك الأغلال، التي يعذبون بها في الأخرة كقوله تعالى : (گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ) [غافر: ٧١-٧٢] خلاف التحقيق، بل المراد بجعل الأغلال في أعناقهم وما ذكر معه في الآية هو صرفهم عن الإيمان والهدى في دار الدنيا كما أوضحنا . [1]

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم .

---

(١) أضواء البيان (٦/ ٢٨٨).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

المسألة الثانية: إلى ماذا يعود الضمير في قوله:«فهي» ؟.

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: «والضمير للأغلال وذلك أن الغل حلقة في العنق فإذا كان واسعاً عريضاً وصل إلى الذقن فكان أشد على المغلول .

وقيل : الضمير للأيدي على أنها لم يتقدم لها ذكر ولكنها تفهم من سياق الكلام لأن المغلول تضم يداه في الغل إلى عنقه وفي مصحف ابن مسعود إنا جعلنا في أيديهم أغلالاً فهي إلى الأذقان وهذه القراءة تدل على هذا المعنى وقد أنكره الزمخشري».[1]

والمسألة فيها قولان :

القول الأول: أن الضمير يعود إلى «الأغلال» فيصير المعنى : فالأغلال التي في الأعناق تصل إلى الأذقان لسعتها وعرضها .

قال البغوي : قال الأزهري: أراد أن أيديهم لما غلت إلى أعناقهم رفعت الأغلال أذقانهم ورؤسهم، فهم مرفوعوا الرؤوس برفع الأغلال إياها.[2]

قال الزمخشري: فإن قلت: فما قولك فيمن جعل الضمير للأيدي وزعم أن الغل لما كان جامعا لليد والعنق - وبذلك يسمى جامعة - كان ذكر الأعناق دالا على ذكر الأيدي ؟ قلت: الوجه ما ذكرت لك والدليل عليه قوله: (ﮒ ﮓ ﮔ) ألا ترى كيف جعل الإقماح نتيجة قوله: (ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ) ولو كان الضمير للأيدي لم يكن معنى التسبب في الإقماح ظاهرا على أن هذا الإضمار فيه ضرب من التعسف وترك الظاهر الذي يدعوه المعنى إلى نفسه إلى الباطن الذي يجفو عنه ترك للحق الأبلج إلى الباطل اللجلج.

فإن قلت: فقد قرأ ابن عباس { : » في أيديهم « وابن مسعود: » في أيمانهم « فهل تجوز على هاتين القراءتين أن يجعل الضمير للأيدي أو للأيمان ؟ قلت: يأبى ذلك وإن ذهب الإضمار المتعسف ظهور كون الضمير للأغلال وسداد المعنى عليه كما ذكرت.[3]

---

(١) التسهيل لابن جزي: ص(٥٨٧).

(٢) تفسير البغوي (٤/ ٦).

(٣) الكشاف (٤/ ٨). انظر : شواذ القراءات للكرماني : ٣٩٨

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة .. مع الفهارس) ٥

قال ابن عطية : قوله تعالى: «فهي»يحتمل أن يعود على « الأغلال » أي هي عريضة تبلغ بحرفها «الأذقان» والذقن مجتمع اللحيين فيضطر المغلول إلى رفع وجهه نحو السماء وذلك هو « الإقماح » وهو نحو الإقناع في الهيئة ونحوه ما يفعله الإنسان والحيوان عند شرب الماء البارد وعند الملوحات والحموضة القوية ونحوه .[١]

قال ابن الجوزي: قال الأزهري: المُراد أنَّ أيديهم لمّا غُلَّت عند أعناقهم، رَفَعَتْ الأغلالُ أذقانَهم ورؤوسَهم، فهم مرفوعوا الرؤوس برفع الأغلال إيَّاها.[٢] وكذا قال ابن عاشور[٣] واستظهره الألوسي .[٤]

القول الثاني: أن الضمير في قوله : « فهي » يعود للأيدي غير المنصوص عليها فيكون المعنى: فأيديهم مجموعة بالأغلال في أعناقهم .

قال ابن جرير: قوله : (گ گ گ) يعني: فأيمانهم مجموعة بالأغلال في أعناقهم، فكُني عن الأيمان، ولم يجر لها ذكر لمعرفة السامعين بمعنى الكلام، وأن الأغلال إذا كانت في الأعناق لم تكن إلا وأيدي المغلولين مجموعة بها إليها، فاستغنى بذكر كون الأغلال في الأعناق من ذكر الأيمان، كما قال الشاعر:

وَما أدْرِي إذا يَمَّمْتُ وَجْهًا أُرِيدُ الخَيْرَ أيُّهُما يَلِينِي
أألخَيرُ الذي أنَا أبْتَغِيهِ أم الشَّرُّ الَّذي لا يَأتَلِيني[٥]

فكنى عن الشر، وإنما ذكر الخير وحده لعلم سامع ذلك بمعنى قائله، إذ كان الشر مع الخير يذكر.[٦] وممن ذكر هذا القول من المفسرين :

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٤٩).
(٢) زاد المسير (٧/ ٦).
(٣) التحرير والتنوير (٢٢/ ٣٣٣).
(٤) تفسير الألوسي (١٦/ ٤٢٩).
(٥) البيتان في ديوان المثقب العبدي (١/ ١١).
(٦) تفسير الطبري (٢٢/ ١٥٠).

البغوي[1] ونقله ابن الجوزي عن الفراء[2] وابن عطية -وقال : وروي أن في مصحف ابن مسعود وأبيّ : « إنا جعلنا في أيمانهم » وفي بعضها : « في أيديهم »-[3] وابن كثير -ونقله عن ابن عباس- [4] وأبو السعود .[5]

قال القرطبي: في الكلام حذف على قراءة الجماعة، التقدير: إنا جعلنا في أعناقهم وفي أيديهم أغلالا فهي إلى الأذقان، فهي كناية عن الأيدي لا عن الأعناق، والعرب تحذف مثل هذا . ونظيره : (ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ) [النحل: ٨١] وتقديره وسرابيل تقيكم البرد فحذف، لأن ما وقى من الحر وقى من البرد، لأن الغل إذا كان في العنق فلا بد أن يكون في اليد، ولا سيما وقد قال الله ﷻ : (ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ) فقد علم أنه يراد به الأيدي.[6]

الترجيـــح:

وبالتمحيص يتبين أن الذين قالوا بعود الضمير إلى الأغلال اعتمدوا على أن الأغلال هي السبب في رفع رأس المغلول، لأنها لِسِعَتِها تصل إلى ذقنه فَتَدُقه فلا يستطيع خفض رأسه، وهذا هو «الإقماح»، وهذا المعنى لا يعارض كون الأيدي مغلولة إلى العنق وإن لم يجر ذكر للأيدي في الآية، لأن الغُل لا يكون إلا للأيمان، فأيمانهم مجموعة بالأغلال في أعناقهم، فكُني عن الأيمان، ولم يجر لها ذكر لمعرفة السامعين بمعنى الكلام، وأن الأغلال إذا كانت في الأعناق لم تكن إلا وأيدي المغلولين مجموعة بها إليها كما قال ابن جرير، خاصة وأنه في مصحف ابن مسعود وأبيّ « إنا جعلنا في أيمانهم » .

فتبين أن الإقماح حاصل بمجموع الأمرين وهما اجتماع الأيدي مع العنق بالغُل وسعة الغل وعرضه على صفحة العنق، مما يجعلنا نرجح بجواز القول بعود الضمير على الأيدي والأغلال . هذا هو الراجح والعلم عند الله تعالى على خلاف ما اختاره ابن جزي رحمه الله،

---

(١) تفسير البغوي (٤/ ٧).
(٢) زاد المسير (٧/ ٧).
(٣) المحرر الوجيز (٥/ ٣٨٣).
(٤) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٦٥).
(٥) تفسير أبي السعود (٥/ ٤٠٥).
(٦) تفسير القرطبي (١٥/ ٧).

دكتوراة عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة :: مع الفهارس) ٥

وذلك لعدة أمور :

الأمر الأول : أن هذا الاختيار فيه إعمال لكل الأقوال إذ أن لكل قول ما يسنده .

الأمر الثاني : أنه لا يوجد تعارض بين القولين وكلاهما يؤيد الصورة التي فسر عليها الإقماح .

الأمر الثالث : أن القاعدة تقول : إذا كان في الآية ضمير يحتمل عوده إلى أكثر من مذكور، وأمكن الحمل على الجميع، حمل عليه . [1]

قال السيوطي في البرهان : وقد يعود الضمير على الصاحب المسكوت عنه لاستحضاره بالمذكور وعدم صلاحيته له كقوله: (ک ک ک گ گ) فأعاد الضمير للأيدي ولأنها تصاحب الأعناق في الأغلال وأغنى ذكر الأغلال عن ذكرها . [2]

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم .

---

(١) انظر: مختصر قواعد التفسير للسبت: ص(١١) .

(٢) البرهان (٤/ ٢٨).

دكتوراه عبدالعلي العمدي (كامل الرسالة .. مع الفهارس) ٥

الكلام على قوله تعالى: (ڤ ڤ و و ۉ ۉ ې ې ۅ ۅ ۋ ۋ ۇٴ ۈ) **وفي هذه الآية مسألتان:**

المسألة الأولى: ما المقصود بإحياء الموتى ؟. هل المراد به البعث يوم القيامة فيكون حسياً؟. أم هو إخراجهم من الكفر إلى الإيمان فيكون معنوياً ؟.

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: «أي: نبعثهم يوم القيامة. وقيل: إحياؤهم: إخراجهم من الشرك إلى الإيمان والأول أظهر».[1]

والمسألة فيها قولان :

القول الأول: أن الإحياء حقيقة، والمعنى : نبعثهم يوم القيامة.

وهذا ما حكاه الماوردي عن يحيى بن سلام.[2] وذكره السمعاني .[3] والبغوي.[4] والزمخشري.[5] وابن عطية.[6] ولم يذكر ابن الجوزي غيره .[7] والقرطبي ورجحه .[8]

القول الثاني: أن المعنى هو : إخراجهم من الشرك إلى الإيمان فالإحياء معنوي . وهذا القول مروي عن الحسن والضحاك كما عند الماوردي[9] والزمخشري[10] والقرطبي[11] والسمعاني[12] وذكره ابن كثير.[13]

---

(١) التسهيل لابن جزي: ص(٥٨٧).
(٢) النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٧).
(٣) السمعاني ((٤/ ٣٦٩).
(٤) تفسير البغوي (٤/ ٧).
(٥) الكشاف (٤/ ٩).
(٦) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٤٨).
(٧) زاد المسير (٧/ ٨).
(٨) تفسير القرطبي (١٥/ ١١).
(٩) النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٧).
(١٠) الكشاف (٤/ ٩).
(١١) تفسير القرطبي (١٥/ ١١).
(١٢) السمعاني ((٤/ ٣٦٩).
(١٣) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٦٥).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة .. مع الفهارس) ٥

وقال ابن عاشور: ويجوز أن يكون الإِحياء مستعاراً للإنقاذ من الشرك . و«الموتى» استعارة لأهل الشرك، فإحياء الموتى توفيق من آمن من الناس إلى الإِيمان كما قال تعالى: (ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

وإنما قدمت القول الأول لأن من قواعد الاختيار في التفسير : أن اللفظ قد يحتمل معان عدة ويكون أحدهما هو الغالب استعمالاً في القرآن فيقدم .[1]

وعامة حديث القرآن عن البعث والنشور منصرف إلى المعنى الحقيقي الذي يكون يوم القيامة وهو بعث الناس للجزاء والحساب .

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم .

---

(١) انظر: مختصر قواعد التفسير للسبت: ص(٢٦) .

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة :: مع الفهارس) 5

المسألة الثانية: ما المراد بقوله تعالى : (ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ) ؟.

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: «أي : ما قدموا من أعمالهم وما تركوه بعدهم كعلم علموه أو تحبيس حبسوه . وقيل: الأثر هنا الخُطا إلى المساجد، وجاء ذلك في الحديث ».[1]

والمسألة فيها قولان:

القول الأول: أن المراد بذلك ما قدموا من أعمالهم وما تركوه بعدهم كالتعليم والأوقاف .

وهذا القول مروي عن ابن عباس، وسعيد بن جبير وابن زيد ومجاهد وقتادة وحكى ابن الجوزي أنه اختيار الفراء، وابن قتيبة، والزجاج .[2]

وهو قول عامة المفسرين كابن جرير[3] والماوردي[4] والسمعاني[5] والبغوي[6] والزمخشري[7] وابن عطية[8] وابن الجوزي[9] والقرطبي[10] وابن كثير[11] والبغوي[12] وابن عاشور[13] كلهم مجمعون على أن المعنى ما قدموا من أعمال حسنة أو سيئة ومن سنن حسنة وسيئة وأوقاف ووظائف وعلوم وما شابه ذلك، وقد ذكروا في ذلك جملة من الأحاديث الدالة على ذلك، فمن ذلك :

---

(١) التسهيل لابن جزي: ص(٥٨٧).
(٢) زاد المسير (٧/ ٨).
(٣) تفسير الطبري (٢٢/ ١٤٦).
(٤) النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٤٧٦).
(٥) السمعاني ((٤/ ٣٦٩).
(٦) تفسير البغوي (٤/ ٧).
(٧) الكشاف (٤/ ٧).
(٨) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٣٧).
(٩) زاد المسير (٧/ ٤).
(١٠) تفسير القرطبي (١٥/ ١١).
(١١) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٦٧).
(١٢) تفسير البغوي (٤/ ٧).
(١٣) التحرير والتنوير (٢٢/ ٣٣٧).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

ما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في قصة مجتابي النمار، وفيه : قال النبي ﷺ :(**من سن في الإسلام سنة حسنة يعمل بها من بعده كان له أجرها ومثل أجر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيئًا، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شيئا**) .[1]

وكذا ما رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ : (**إذا مات ابن آدم، انقطع عمله إلا من ثلاث: من علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له، أو صدقة جارية من بعده**) .[2]

ونظير هذا قوله تعالى : (ذ ث ث ث ذ ث) **[الانفطار: ٥]**، وقوله (ب □ □ □ □ □ □) **[القيامة: ١٣]**.[3]

القول الثاني: أن المراد بالآثار : الخطا إلى المساجد .

وقد فسر عامة المفسرين الآثار بالخطا إلى المساجد وجاء في ذلك قصة بني سلمة عندما أرادوا أن يتحولوا إلى جوار مسجد النبي ﷺ وسيأتي ذكر القصة بتمامها .

وهذا القول مروي عن أبي سعيد الخدري و الحسن، ومجاهد، وقتادة، وعمر بن عبدالعزيز وممن ذكر ذلك وقال به من المفسرين :

ابن جرير[4] والماوردي[5] والسمعاني[6] والبغوي[7] والزمخشري.[8] وابن عطية[9]

---

(١) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة . برقم (١٠١٧).

(٢) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه باب: ما يلحق الإنسان من الثواب بعد مماته . برقم (٣٠٨٤).

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٣٧).

(٤) تفسير الطبري (٢٢/ ١٤٦).

(٥) النكت والعيون تفسير الماوردي (٤/ ٤٧٦).

(٦) السمعاني ((٤/ ٣٦٩ - ٣٧٠).

(٧) تفسير البغوي (٤/ ٧).

(٨) الكشاف (٤/ ٧).

(٩) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٣٧).

وابن الجوزي [1] والقرطبي [2] وابن كثير [3] وابن عاشور .[4]

وقد جاء في هذا المعنى عدة أحاديث :

الأول : عن أبي سعيد الخدري قال : كانت بنو سلمة في ناحية المدينة فأرادوا النقلة إلى قرب المسجد فنزلت هذه الآية : (ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ □) فقال رسول الله ﷺ : (**إن آثاركم تكتب فلا تنتقلوا**) .[5]

الثاني : ما أخرجه الإمام مسلم عن جابر بن عبدالله قال: خلت البقاع حول المسجد، فأراد بنو سلمة أن ينتقلوا قرب المسجد، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فقال لهم : (**إنه بلغني أنكم تريدون أن تنتقلوا قرب المسجد**) . قالوا : نعم يا رسول الله، قد أردنا ذلك. فقال : (**يا بني سلمة، دياركم تكتب آثاركم، دياركم تكتب آثاركم**) .[6]

ونقل ابن عطية عن ابن عباس وجابر بن عبدالله وأبي سعيد الخدري، أن هذه الآية نزلت في بني سلمة حين أرادوا النقلة إلى جانب المسجد .

الترجيح :

والذي يترجح والعلم عند الله تبارك وتعالى أنه لا تعارض بين القولين البتة وما ذكره المفسرون من أقوال كل واحد يعود إلى جزء من الآية فالذين ذكروا الأعمال والسنن وما يفعله العبد من خير وشر إنما يعود على قوله تبارك وتعالى : (ﯗ ﯘ □). وما ذكروه من كتابة الخطا إلى المساجد، وما هم به بنو سلمة، إنما يعود على قوله جل وعلا : (ﯙ ﯚ □) وعلى كل حال فالآية محتملة لكلا المعنيين، ولذا قال الحافظ بن كثير رحمه الله تعالى بعد أن ذكر القول

---

(١) زاد المسير (٧/ ٤).

(٢) تفسير القرطبي (١٥/ ١٢).

(٣) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٦٧).

(٤) التحرير والتنوير (٢٢/ ٣٣٧).

(٥) أخرجه الترمذي في التفسير، تفسير سورة يس: (٩/ ٩٤-٩٥)، وقال: هذا حديث حسن غريب من حديث الثوري. وصححه الحاكم (٢/ ٤٢٨)، وأقره الذهبي. والطبري (٢٢/ ١٥٤). وقال الألباني : صحيح كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي: (٧ / ٢٢٦) .

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه (٣/ ٤١٥) باب فضل كثرة الخطا إلى المساجد .

دكتوراه عبدالعلي الحمدي (كامل الرسالة .. مع الفهارس) ٥

بأن معنى الآثار : هو كتابة الخطا إلى المساجد، قال : وهذا القول لا تنافي بينه وبين الأول، بل في هذا تنبيه ودلالة على ذلك بطريق الأولى والأحرى، فإنه إذا كانت هذه الآثار تُكتَب، فلأن تُكْتَبَ تلك التي فيها قُدوة بهم من خير أو شر بطريق الأولى، والله أعلم. [1]

قلت : ومما يعضد هذا أن القول بصحة الرواية في سبب نزول الآية – وأنها نزلت عندما هَمَّ بنو سلمة بالتحول من منازلهم إلى جوار مسجد النبي ﷺ – متوجه كما حققه الشيخ مقبل الوادعي . [2] وقد ذكر الشيخ الأمين أدلة ترجح القولين في كتابه أضواء البيان . [3]

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم .

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٦٧).

(٢) انظر: الصحيح المسند من أسباب النزول للواحدي: ص(١٩٦) .

(٣) أضواء البيان (٦/ ٢٨٨).

الكلام على قوله تعالى: (ٱ ب ب ب ب ب پ پ پ پ)

وفي الآية مسألتان :

المسألة الأولى: هل يتعدى فعل الضرب إلى مفعولين ؟ أم إلى مفعول واحد .

قال ابن جزي رحمه الله تعالى : «الضمير لقريش، و«مثلاً » و «أصحاب القرية» مفعولان بـ «اضرب» على القول بأنها تتعدى إلى مفعولين، وهو الصحيح».[١]

والمسألة فيها قولان :

القول الأول: أن فعل الضرب يتعدى إلى مفعولين، وعليه : فيكون «مثلاً» و«أصحاب القرية» مفعولان لـ«اضرب» . ويكون تقدير الكلام : واضرب لهم أصحاب القرية مثلاً .

وممن ذكر هذا القول من المفسرين :

ابن عطية[٢] والقرطبي [٣] وذكر ابن عاشور أن المعنى يكون على هذا القول : أن حال المشركين من أهل مكة كحال أصحاب القرية الممثل بهم .[٤]

القول الثاني: أنه لا يتعدى إلا إلى مفعول واحد: فيكون «مثلاً» هو مفعوله، و«أصحاب القرية» بدل .

وممن ذكر هذا القول من المفسرين : ابن عطية[٥] وابن الجوزي -ونقله عن الزجاج-[٦] والقرطبي .[٧] وقال ابن عاشور: ولما غلب المثل في المشابه في الحال وكان الضرب أعم جُعل «مثلاً» مفعولاً لـ«اضرب» أي : نظّر حالهم بمشابه فيها فحصل الاختلاف بين «اضرب» و

---

(١) التسهيل لابن جزي: ص(٥٨٧).

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٤٩).

(٣) تفسير القرطبي (١٥/ ١٤).

(٤) التحرير والتنوير (٢٢/ ٣٣٩).

(٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٤٥).

(٦) زاد المسير (٧/ ٨).

(٧) تفسير القرطبي (١٥/ ١٤).

«مثلاً» بالاعتبار. وانتصب «مثلاً» على الحال. وانتصب «أصحاب القرية» على البيان لـ«مثلاً» أو بدل.[1]

الترجيـــح :

والصحيح والعلم عند الله تبارك وتعالى هو ما اختـاره ابـن جـزي رحمـه الله لأن معنـى اضرب أي : اجعل لهم مثلاً . قال أبو البقاء العكبري :

قوله تعالى : (ٱ ب ب ٻ ٻ ٻ) اضرب هنا بمعنى : اجعل . و «أصحاب» مفعـول أول . و«مثلاً» مفعول ثاني . وقيل : هو بمعنى : اذكر . والتقدير : مثلاً مثل أصحاب؛ فالثاني بدل من الأول .[2]

---

(١) التحرير (١٢/ ١٧).

(٢) إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن للعكبري: ص(٤٩٨) .

المسألة الثانية: من المقصود بالمرسلين في قوله تعالى: (پ پ پ پ ڀ) ؟.

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: «هم من الحواريين الذين أرسلهم عيسى عليه الصلاة والسلام يدعون الناس إلى عبادة الله . وقيل : بل هم رسل أرسلهم الله، ويدل على هذا قول قومهم : (ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ) فإن هذا إنما يقال لمن ادعى أن الله أرسله».[1]

والمسألة فيها قولان:

القول الأول: أن الرسل هؤلاء هم الحواريين الذين أرسلهم عيسى عليه الصلاة والسلام لدعوة الناس بأنطاكية .

وهذا القول مأثور عن قتادة وابن جريج . ونقله ابن إسحاق عن ابن عباس، وكعب الأحبار، ووهب بن منبه وذكره جمع من المفسرين منهم :

ابن جرير [2] والماوردي [3] والبغوي [4] والزمخشري [5] وابن عطية [6] والعز بن عبدالسلام[7] وابن الجوزي [8] والقرطبي [9] وابن عاشور .[10]

وقال الحافظ بن كثير رحمه الله تعالى : وزعم قتادة بن دعامة: أنهم كانوا رسل المسيح، عليه السلام .[11]

---

(١) التسهيل لابن جزي: ص(٥٨٧).
(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ١٥١).
(٣) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ١٠).
(٤) تفسير البغوي (٤/ ٧).
(٥) الكشاف (٤/ ١٠).
(٦) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٤٦).
(٧) تفسير ابن عبدالسلام (٥/ ١٣٩).
(٨) زاد المسير (٧/ ١٠).
(٩) تفسير القرطبي (١٥/ ١٤).
(١٠) التحرير والتنوير (٢٢/ ٣٤٠).
(١١) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٦٨).

دكتوراه عبدالعلي المدني (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

القول الثاني: أنهم رسل أرسلهم الله، إلى أهل أنطاكية وكان على أهل أنطاكية ملك يقال له أبطيحس بن أبطيحس يعبدالأصنام، صاحب شرك، فبعث الله المرسلين، وهم ثلاثة: صادق، ومصدوق، وسلوم، فقدم إليه وإلى أهل مدينته منهم اثنان فكذبوهما، ثم عزز الله بثالث، فلما دعته الرسل ونادته بأمر الله، وصدعت بالذي أمرت به، وعابت دينه، وما هم عليه، قال لهم: (ڈ ڈ ڈڈ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک).

وهذا قول ابن عباس كما عند ابن جرير[1] وعزاه ابن الجوزي إلى : كعب الأحبار ووهب ووهب بن منبه .[2] وممن ذكره من المفسرين : الماوردي [3] والسمعاني [4] وابن عطية [5] والقرطبي .[6]

الترجيح:

وبعد التأمل في أقاويل المفسرين يتبين ما يلي :

أن ما اختاره ابن جزي رحمه الله تعالى خلاف الصواب والعلم عند الله تعالى وأن الراجح في المسألة هو : أن هؤلاء الرسل هم رسل الله تبارك وتعالى وليسوا رسل المسيح عليه الصلاة والسلام، لأن هذا هو ظاهر سياق الآية وليس ثمة دليل يعتمد عليه في هذا المقام، وإنما رجحنا هذا القول لعدة أمور :

الأمر الأول : أن هذه الآية من مبهمات القرآن، وعامة المفسرين ذكروا أن المراد بهذه القرية هي أنطاكية والصواب في هذا المقام : أن ما أبهمه القرآن فلا طائل من البحث وراءه، وأنه لا فائدة من بيانه كما تنص عليه قواعد التفسير .[7]

الأمر الثاني : أن القاعدة تقول : إن المبهمات موقوفة على النقل المحض ولا مجال للرأي

---

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ١٥١).

(٢) زاد المسير (٧/ ١٠).

(٣) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ١٠).

(٤) السمعاني ((٤/ ٣٧٢).

(٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٤٦).

(٦) تفسير القرطبي (١٥/ ١٤).

(٧) انظر: مختصر قواعد التفسير للسبت: ص(٢٣) .

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

فيها .[1] وما جاء من أخبار عن بني إسرائيل في هذا المقام فلا تصدق ولا تكذب، وما كان كذلك فلا يصلح للتفسير والبيان في شيء . ولذا فإن الواجب هو أخذ العبرة مما جاء به القرآن وما لم يرد فيه بيان فلا نتكلف معرفته إذ لا فائدة فيه .

ولذا فقد قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى : وقد تقدم عن كثير من السلف أن هذه القرية هي أنطاكية، وأن هؤلاء الثلاثة كانوا رسلا من عند المسيح، عليه السلام، كما نص عليه قتادة وغيره، وهو الذي لم يذكر عن واحد من متأخري المفسرين غيره، ثم بين رحمه الله أن في هذا نظر من عدة وجوه :

أحدها: أن ظاهر القصة يدل على أن هؤلاء كانوا رسل الله ﷻ، لا من جهة المسيح، كما قال تعالى: (ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

هذه القرية المذكورة في القرآن العظيم قرية أخرى غير أنطاكية، كما أطلق ذلك غير واحد من السلف أيضا. أو تكون أنطاكية إن كان لفظها محفوظا في هذه القصة مدينة أخرى غير هذه المشهورة المعروفة، فإن هذه لم يعرف أنها أهلكت لا في الملة النصرانية ولا قبل ذلك، والله ﷻ أعلم .[1]

وقال الشيخ السعدي رحمه الله تعالى :

وتعيين تلك القرية، لو كان فيه فائدة، لعينها اللهّ، فالتعرض لذلك وما أشبهه من باب التكلف والتكلم بلا علم، ولهذا إذا تكلم أحد في مثل هذا تجد عنده من الخبط والخلط والاختلاف الذي لا يستقر له قرار، ما تعرف به أن طريق العلم الصحيح، الوقوف مع الحقائق، وترك التعرض لما لا فائدة فيه، وبذلك تزكو النفس، ويزيد العلم، من حيث يظن الجاهل أن زيادته بذكر الأقوال التي لا دليل عليها، ولا حجة عليها ولا يحصل منها من الفائدة إلا تشويش الذهن واعتياد الأمور المشكوك فيها .[2]

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم .

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٥٦٨ بتصرف يسير .

(٢) تفسير السعدي (١/ ٦٩٤).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة :: مع الفهارس) ٥

الكلام على قوله تعالى: (ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾ ﷿ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾ ﷿ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾ ﷿

القول الثالث: أنهم أصابهم القحط وانحبس المطر ثلاث سنوات .

وممن ذكر ذلك من المفسرين : الماوردي [٣] والسمعاني. [٤] والبغوي [٥] والزمخشري[٦] وابن عطية [٧] وابن الجوزي [٨] والقرطبي [٩] والألوسي.[١٠]

المناقشة والترجيح:

والراجح والعلم عند الله تبارك وتعالى هو القول الأول، لأنه هو الذي يدل عليه السياق وبقية الأقوال ليس عليها دليل وهي مبنية على أخبار أهل الكتاب والقول في هذه المسألة كالقول في المسألة التي قبلها . والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم .

---

(١) المحرر الوجيز (٥/ ٣٨٧).

(٢) تفسير الألوسي (١٦/ ٤٤٣).

(٣) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ١٠ .

(٤) السمعاني ((٤/ ٣٧٢).

(٥) تفسير البغوي (٤/ ٧).

(٦) الكشاف (٤/ ١٠).

(٧) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٤٦).

(٨) زاد المسير (٧/ ١٢).

(٩) تفسير القرطبي (١٥/ ١٦).

(١٠) روح المعاني (٢٢/ ٢٢٣).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

الكلام على قوله تعالى: (□ □ □ □ □ □)

وفي الآية مسألة واحدة وهي: لمن وجه الخطاب في قوله تعالى : (□ □ □ □ □) ؟ .

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: «خطاب لقومه أي: اسمعوا قولي واعملوا بنصيحتي. وقيل خطاب للرسل ليشهدوا له».[١]

والمسألة فيها قولان:

القول الأول: إن الخطاب موجه إلى قومه أي: إني آمنت بربكم الذي كفرتم به، فاسمعوا قولي واعملوا بنصيحتي .

وهذا القول مأثور عن ابن مسعود وابن عباس وكعب الأحبار ووهب بن منبه كما ذكر ذلك بعض المفسرين كابن جرير[٢] والماوردي[٣]والزمخشري[٤]وابن عطية[٥]وابن الجوزي[٦] والقرطبي[٧] وابن كثير .[٨]

قال ابن عاشور: (□ □ □ □ □) واقعة موقع الغاية من الخطاب والنتيجة من الدليل. وهذا إعلان لإيمانه وتسجيل عليهم بأن الله هو ربهم لا تلك الأصنام. وأكد الإعلان بتفريع(□ □) استدعاءً لتحقيق أسماعهم إن كانوا في غفلة .[٩]

القول الثاني: أن الخطاب موجه للرسل ليشهدوا له عند الله بإيمانه . وهو مروي أيضاً عن ابن مسعود . وممن ذكره من المفسرين :

---

(١) التسهيل لابن جزي: ص(٥٨٨).
(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ١٦٠).
(٣) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ١٠).
(٤) الكشاف (٤/ ١٠).
(٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٤٦).
(٦) زاد المسير (٧/ ٤).
(٧) تفسير القرطبي (١٥/ ١٩).
(٨) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٦٧).
(٩) التحرير والتنوير (٢٢/ ٣٤٥).

دكتوراه عبدالعلي الحمدي (كامل الرسالة .. مع الفهارس) ٥

ابن جرير [١] والماوردي وعزاه إلى ابن مسعود. [٢] والزمخشري [٣] وابن عطية [٤] وابن الجوزي ونقله عن الفراء[٥] والقرطبي .[٦]

وقال ابن كثير: يحتمل أن يكون خطابه للرسل بقوله: (□ □ □ □) أي: الذي أرسلكم . (□ □) أي : فاشهدوا لي بذلك عنده . وقد حكاه ابن جرير فقال: وقال آخرون: بل خاطب بذلك الرسل، وقال لهم: اسمعوا قولي، لتشهدوا لي بما أقول لكم عند ربي، إني قد آمنت بربكم واتبعتكم. وهذا القول الذي حكاه هؤلاء أظهر في المعنى، والله أعلم .[٧]

الترجيح :

والذي يظهر والعلم عند الله تعالى أن الراجح في هذه المسألة هو جواز عود الضمير على الرسل وعلى قومه المكذبين، إذ أن كلا المعنيين محتمل، ولا مرجح لأحدهما على الآخر ولا تعارض بين المعنيين؛ والقاعدة تقول : إذا كان في الآية ضمير يحتمل عوده على أكثر من مذكور وأمكن الحمل على الجميع حمل عليه .[٨]

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم .

---

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ١٦٠).

(٢) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ١٠).

(٣) الكشاف (٤/ ١٠).

(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٤٦).

(٥) زاد المسير (٧/ ٤).

(٦) تفسير القرطبي (١٥/ ١٨).

(٧) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٦٧).

(٨) انظر: مختصر قواعد التفسير للسبت: ص(١١) .

الكلام على قوله تعالى: (□ □ □□ □ □ □ □ ى ى ي ي □ □ □ □ □ □ □ □)

وفي الآيات مسألة واحدة وهي : ما الذي تمنى أن يعلمه قومه بعدما قتلوه بسبب إيمانه ؟ .

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: «تمنى أن يعلم قومه بغفران الله له على إيمانه فيؤمنون ولذلك ورد في الحديث أنه نصح لهم حيا وميتا. وقيل أراد أن يعلموا ذلك فيندموا على فعلهم معه وينفعهم ذلك ».[١]

والمسألة فيها قولان:

القول الأول: أنه تمنى أن يعلم قومُه بغفران الله له على إيمانه، فيتسبب في إيمانهم وهدايتهم، ثم يصيرون إلى مثل ما صار إليه من النعيم والتكريم فنصح لهم في الحياة ببيان الحق، وتمنى لهم الهداية بعد مماته، ولم يشغله ما هو فيه من النعيم عن ذكرهم والإشفاق عليهم مما هم فيه من الكفر .

وهذا القول مروي عن قتادة وابن عباس وممن ذكره من المفسرين : ابن جرير.[٢] والماوردي[٣] والبغوي[٤] والزمخشري[٥] وابن عطية [٦] وابن الجوزي[٧] والقرطبي[٨] وابن كثير[٩] كثير[٩] وابن عاشور.[١٠]

القول الثاني: أنه أراد أن يعلموا ذلك فيندموا على فعلهم معه وينفعهم ذلك .

---

(١) التسهيل لابن جزي: ص(٥٨٩).
(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ١٦١).
(٣) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ١٤).
(٤) تفسير البغوي (٤/ ١٠).
(٥) الكشاف (٤/ ١١).
(٦) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٤٦).
(٧) زاد المسير (٧/ ٤).
(٨) تفسير القرطبي (١٥/ ٢٠).
(٩) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٦٩).
(١٠) التحرير والتنوير (٢٢/ ٣٤٧).

قال الماوردي: أنه تمنى أن يعلموا حاله ليعلموا حسن مآله وحميد عاقبته.[1]

قال الزمخشري: يجوز أن يتمنى ذلك ليعلموا أنهم كانوا على خطأ عظيم في أمره، وأنه كان على صواب ونصيحة وشفقة.[2] وكذا قال ابن عطية .[3]

الترجيح : والراجح والعلم عند الله تعالى : أن الآية تحتمل كلا المعنيين، إذ لا مرجح لأحدهما على الآخر، والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم .

(١) النكت والعيون (٣/ ٤٤١).

(٢) الكشاف (٤/ ١١).

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٤٧).

الكلام على قوله تعالى: (ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

قال ابن الجوزي: (ﭐ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ) يعنى قوم حبيب(ﭒ ﭓ ﭖ) أي: مِنْ بَعْدِ قتله(ﭔ ﭕ ﭗ ﭘ ﭖ) يعني الملائكة، أي: لم ينتصر منهم بجُند من السَّماء(ﭔ ﭕ ﭖ) نُنْزِلهم على الأُمم إذا أهلكناهم .[1] وقال القرطبي: الجند الملائكة النازلون بالوحي على الأنبياء.[2]

الترجيح :

والراجح والعلم عند الله تعالى : هو ما اختاره ابن جزي رحمه الله جل وعلا من أن المراد أن الله عز وجل لم يحتج لإتلافهم وإهلاكهم إلى إنزال جند من السماء بل أمر ملكاً من الملائكة فصاح بهم صيحة تقطعت منها قلوبهم فإذا هم خامدون . وإنما كان هذا القول هو الراجح لعدة أمور :

الأمر الأول : أنه قول عامة المفسرين وجمهور أهل العلم .

الأمر الثاني : أنه هو الموافق لسياق الآيات قبله وبعده، فإن الله جل وعلا قال : (ﭐ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

الكلام على قوله تعالى: (ں ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ھ ھ ے)

وفي هذه الآية مسألة واحدة وهي : هل«ما» موصولية أم نافية ؟.

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: « «ما» معطوفة على «ثمره» أي ليأكلوا من الثمر وما عملته أيديهم بالحرث والزراعة والغراسة. وقيل «ما» نافية، وقرئ «ما عملت» من غير هاء و«ما» على هذا معطوفة ».[1]

والمسألة فيها قولان:

القول الأول: أن «ما» موصولية وهي معطوفة على ثمره أي ليأكلوا من الثمر وما عملته أيديهم بالحرث والزراعة والغراسة .

قال ابن جرير : و«ما» التي في قوله: (ۀ ۀ ہ ہ) في موضع خفض عطفًا على الثمر، بمعنى: «ومن الذي عملت» وهي في قراءة عبدالله فيما ذُكر: «وَمِمَّا عَمِلَتْهُ» بالهاء على هذا المعنى، فالهاء في قراءتنا مضمرة، لأن العرب تضمرها أحيانًا، وتظهرها في صلات: من، وما، والذي. ولو قيل: «ما» بمعنى المصدر كان مذهبًا، فيكون معنى الكلام: «ومن عمل أيديهم».[2] وبنحوه قال القرطبي.[3]

وذكر الماوردي أنها إثبات وتقديره : ومما عملته أيديهم . ونقله عن الكلبي والفراء وابن قتيبة.[4] وبنحوه قال السمعاني.[5] وذكر البغوي أنها بمعنى «الذي» على قراءة من قرأ بإثبات الهاء وهي قراءة الجمهور . أي: يأكلون من الذي عملته أَيْدِيهِم : الزرع والغرس فالهاء عائدة إلى «ما» التي بمعنى الذي.[6]

---

(١) التسهيل لابن جزي: ص(٥٨٩).

(٢) تفسير الطبري (٢٣/ ٤).

(٣) تفسير الطبري (٢٣/ ٤).

(٤) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ١٦).

(٥) السمعاني ((٤/ ٣٧٦).

(٦) تفسير البغوي (٤/ ٥).

وممن قال به أيضاً : الزمخشري[1] وابن عطية [2] وابن الجوزي -وحكاه عن الزجاج- [3] والقرطبي[4] وابن عاشور .[5]

قال ابن كثير: واختار ابن جرير -بل جزم به، ولم يحك غيره إلا احتمالا-أن «ما» في قوله: (ڈ ڈ ۀ ہ) بمعنى: «الذي» تقديره : ليأكلوا من ثمره ومما عملته أيديهم، أي: غرسوه ونصبوه، قال : وهي كذلك في قراءة ابن مسعود : (ں ڻ ڻ ڈ ڈ ۀ ہ ہ ھ).[6]

القول الثاني: أن «ما» نافية فيكون المعنى: ليأكلوا من ثمره ولم تعمله أيديهم بل نحن عملناه . وهذا القول حكاه عدد من المفسرين على وجه الاحتمال :

قال ابن جرير : ولو قيل: إنها بمعنى الجحد ولا موضع لها كان أيضًا مذهبا، فيكون معنى الكلام: «ليأكلوا من ثمره ولم تعمله أيديهم».[7]

وقال البغوي: قيل: «ما» للنفي في قوله :«ما عملته» أي: وجدوها معمولة ولم تعملها أيديهم ولا صُنْع لهم فيها، وهذا معنى قول الضحاك ومقاتل. [8] وممن ذكر هذا : ابن عطية[9] وابن الجوزي [10] والماوردي [11] والسمعاني [12] والزمخشري [13] والقرطبي -ونقله عن ابن

---

(١) الكشاف (٤/ ١٧).
(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٤٨).
(٣) زاد المسير (٧/ ١٤).
(٤) القرطبي (١٥/ ٢٥).
(٥) التحرير والتنوير (٢٢/ ٣٤٩).
(٦) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٧١).
(٧) تفسير الطبري (٢٣/ ٤).
(٨) تفسير البغوي (٤/ ٥).
(٩) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٤٨).
(١٠) زاد المسير (٧/ ١٤).
(١١) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ١٦).
(١٢) السمعاني ((٤/ ٣٧٦).
(١٣) الكشاف (٤/ ١٧).

دكتوراه عبدالعلي الحمدي (كامل الرسالة :: مع الفهارس) ٥

عباس والضحاك ومقاتل-[1]وكذا قال ابن كثير.[2] وابن عاشور وقال: وهذا أوفر في الامتنان الامتنان وأنسب بسياق الآية ومساق الاستدلال .[3]

الترجيح :

والراجح والعلم عند الله تعالى هو تقديم القول الأول، مع تجويز القول الثاني وهو ما اختاره ابن جزي رحمه الله تعالى وقدمه أكثر المحققين من المفسرين .

قال العكبري بعد أن ذكر الأقوال في معنى «ما» في هذه الآية : ويحتمل الأوجه الثلاثة إلا أنها نافية يضعف، لأن «عملت» لم يذكر لها مفعول .[4]

وقال مكي بن أبي طالب القيسي : قوله : (ڈ ڈ ۀ ہ) «ما» في موضع خفض على العطف على «ثمره» ويجوز أن تكون نافية أي : ولم تعمله أيديهم . ومن قرأ «عملت» بغير هاء كان الأحسن أن تكون «ما» في موضع خفض وتحذف الهاء من الصلة، ويبعد أن تكون نافية لأنك تحتاج إلى إضمار مفعول لـ«عملت» .[5]

والآية فيها قراءتان :

الأولى : «وما عملت أيديهم» بغير هاء وهي قراءة حمزة والكسائي وأبي بكر . وحجة من حذف الهاء إجماع الجميع على حذف الهاء في قوله : (پ پ پ پ ڀ).

القراءة الثانية : (ڈ ڈ ۀ ہ) وهي للبقية وحجتهم أنها كذلك في مصاحفهم، وموضع «ما» خفض نسقاً على «ثمره» والمعنى : ليأكلوا من ثمره ومما عملته أيديهم . قال الزجاج : ويجوز أن يكون «ما» نفياً وتكون الهاء عائدة على الثمر، فلا موضع لـ«ما» حينئذ ويكون المعنى : ليأكلوا من ثمره ولم تعمله أيديهم .[6]

---

(١) تفسير القرطبي (١٥/ ٢٥).

(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٧٢).

(٣) التحرير والتنوير (٢٢/ ٣٥٠).

(٤) إملاء ما من به الرحمن: ص(١٠٨٢) . .

(٥) مشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب: (١-٢/ ٦٠٣) . .

(٦) انظر: حجة القراءات لابن زنجلة: (ص ٥٩٨) . .

وجوز المهدوي الأمرين، قال : فمن قرأ بالهاء كان معنى «ما» موصولية معطوفة . ومن قرأ بدونها فإما أن تكون «ما» مصدرية والتقدير : ليأكلوا من ثمره وعمل أيديهم . أو تكون «ما» نافية والتقدير : ولم تعمله أيديهم .[1]

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم .

(١) انظر: شرح الهداية في توجيه القراءات للمهدوي: (٢/ ٤٨٥) . .

دكتوراه عبدالعلي المسدي (كامل الرسالة :: مع الفهارس) 5

الكلام على قوله تعالى: (ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ)

وفيها مسألة واحدة وهي : ما المراد بقوله تعالى: (ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ).

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: «أي: لحد مؤقت تنتهي إليه من فلكها، وهي نهاية جريها إلى أن ترجع في المنقلبين الشتاء والصيف . **وقيل**: مستقرها وقوفها كل وقت زوال بدليل وقوف الظل حينئذ . **وقيل**: مستقرها يوم القيامة حين تكور . وفي الحديث: مستقرها تحت العرش تسجد فيه كل ليلة بعد غروبها . وهذا أصح الأقوال لوروده عن النبي ﷺ في الحديث الصحيح . وقرئ : «لا مستقر لها » أي : لا تستقر عن جريها ».[1]

والمسألة فيها أربعة أقوال :

القول الأول: أن معنى «لمستقر لها» أي : لحد مؤقت تنتهي إليه من فلكها وهو نهاية جريها إلى أن ترجع في المنقلبين الشتاء والصيف .

فأخرج ابن جرير[2] والماوردي[3] عن قتادة في قوله : (ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ) قال : وقت واحد لا تعدوه .

قال السمعاني : أن مستقرها : نهاية ارتفاعها في السماء في الصيف، ونهاية هبوطها في الشتاء.[4] وحكى البغوي نحوه وقال : قيل: مستقرها نهاية ارتفاعها في السماء في الصيف ونهاية هبوطها في الشتاء .[5] وبنحو ما مضى قال الزمخشري وقال : قيل: مستقرّها أجلها الذي أقرّ الله عليه أمرها في جريها، فاستقرّت عليه وهو آخر السنة. [6]

---

(١) التسهيل لابن جزي: ص(٥٩٠). انظر : شواذ القراءات لابن خالويه ١٢٦ ، والمحتسب لابن جني ٢ / ٢١٢ وشواذ القراءات للكرماني ٤٠٠

(٢) تفسير الطبري (٢٣/ ٤ .

(٣) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ١٧).

(٤) السمعاني ((٤/ ٣٧٧).

(٥) تفسير البغوي (٤/ ٥).

(٦) الكشاف (٤/ ١٨).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

وقال ابن الجوزي: تسير في منازلها حتى تنتهيَ إلى مسْتَقَرِّها الذي لا تجاوزُه، ثم ترجِع إلى أوَّل منازلها، قاله ابن السائب. وقال ابن قتيبة: إلى مُسْتَقَرٍ لها، ومُسْتَقَرُّها: أقصى منازلها في الغُروب، وذلك لأنها لا تزال تتقدَّم إلى أقصى مغاربها، ثم ترجع.[1]

قال ابن كثير: قيل: المراد بقوله: (ی ی ئج ئح) هو انتهاء سيرها وهو غاية ارتفاعها في السماء في الصيف وهو أوجها، ثم غاية انخفاضها في الشتاء وهو الحضيض.[2]

القول الثاني: أن مستقرها وقوفها كل وقت زوال بدليل وقوف الظل حينئذ . وهذا القول حكاه ابن عطية .[3]

القول الثالث: أن مستقرها يوم القيامة حين تُكَوَّر. وهو وقت انتهاء أمرها عند انقضاء الدنيا . وهذا القول مروي عن قتادة ومقاتل[4] وممن حكاه من المفسرين :

الماوردي[5] والسمعاني[6] والبغوي[7] والزمخشري[8] وابن عطية[9] وابن الجوزي[10] والقرطبي[11] وابن كثير[12]

القول الرابع: أن مستقرها تحت العرش تسجد فيه كل ليلة بعد غروبها لتستأذن ربها كما جاء في الحديث الصحيح.

---

(١) زاد المسير (٧/ ١٤).

(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٦٧).

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٤٧).

(٤) زاد المسير (٧/ ١٤).

(٥) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ١٧).

(٦) السمعاني ((٤/ ٣٧٧).

(٧) تفسير البغوي (٤/ ٥).

(٨) الكشاف (٤/ ١٨).

(٩) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٤٧).

(١٠) زاد المسير (٧/ ١٤).

(١١) تفسير القرطبي (١٥/ ٢٨).

(١٢) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٦٧).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

قال ابن جرير: [1] وقوله(ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ) يقول تعالى ذكره: والشمس تجري تجري لموضع قرارها، بمعنى: إلى موضع قرارها؛ وبذلك جاء الأثر عن رسول الله ﷺ. ثم روى عن أبي ذرَ الغفاريّ، قال: كنت جالسا عند النبي ﷺ في المسجد، فلما غَرَبت الشمس، قال: (**يا أبا ذَرّ هَلْ تَدْرِي أَيْنَ تَذْهَبُ الشَّمْسُ**)؟. قلت الله ورسوله أعلم. قال: (**فإنها تذهب فتسجد بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهَا، ثُمَّ تَسْتَأْذِنُ بالرُّجُوعِ فَيُؤْذَنُ لَهَا، وَكَأَنَّهَا قَدْ قِيلَ لَهَا ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَطْلُعُ مِنْ مَكَانِهَا وَذَلِكَ مُسْتَقَرّها**). [2]

وبمثل ما ذكر ابن جرير قال السمعاني[3] والبغوي[4] وابن عطية[5] وابن الجوزي[6] والقرطبي. [7]

وقال ابن كثير: أن المراد : مستقرها المكاني، وهو تحت العرش مما يلي الأرض في ذلك الجانب، وهي أينما كانت فهي تحت العرش وجميع المخلوقات؛ لأنه سقفها، وليس بكرة كما يزعمه كثير من أرباب الهيئة، وإنما هو قبة ذات قوائم تحمله الملائكة، وهو فوق العالم مما يلي رؤوس الناس، فالشمس إذا كانت في قبة الفلك وقت الظهيرة تكون أقرب ما تكون من العرش، فإذا استدارت في فلكها الرابع إلى مقابلة هذا المقام، وهو وقت نصف الليل، صارت أبعد ما تكون من العرش، فحينئذ تسجد وتستأذن في الطلوع، كما جاءت بذلك الأحاديث. [8]

الأحاديث. [8]

وقال ابن عاشور: ويجوز أن تكون اللام بمعنى « إلى »، أي تجري إلى مكان استقرارها وهو مكان الغروب، شبه غروبها عن الأبصار بالمستقَر والمأوَى الذي يأوي إليه المرء في آخر

---

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ٤ .

(٢) أخرجه البخاري في بدء الخلق، باب: صفة الشمس والقمر ٦/ ٢٩٧)، ومسلم في الإيمان، باب: بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان برقم: (٢٥١) (١/ ١٣٩).

(٣) السمعاني ((٤/ ٣٧٧).

(٤) تفسير البغوي (٤/ ٥).

(٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٤٧).

(٦) زاد المسير (٧/ ١٤).

(٧) تفسير القرطبي (١٥/ ٢٧).

(٨) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٦٧).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة :: مع الفهارس) 5

النهار بعد الأعمال. وقد ورد تقريب ذلك في حديث أبي ذر الهروي في صحيحي «البخاري» و«مسلم» و«جامع الترمذي» بروايات مختلفة ... وهذا تمثيل وتقريب لسير الشمس اليومي الذي يبتدىء بشروقها على بعض الكرة الأرضية وينتهي بغروبها على بعض الكرة الأرضية، في خطوط دقيقة، وبتكرر طلوعها وغروبها تتكون السنة الشمسية.

وقد جعل الموضع الذي ينتهي إليه سيرها هو المعبر عنه بتحت العرش وهو سمت معيّن لا قِبَل للناس بمعرفته، وهو منتهى مسافة سيرها اليومي، وعنده ينقطع سيرها في إبان انقطاعه وذلك حين تطلع من مغربها، أي حين ينقطع سير الأرض حول شعاعها لأن حركة الأجرام التابعة لنظامها تنقطع تبعاً لانقطاع حركتها هي، وذلك نهاية بقاء هذا العالم الدنيوي.[1]

القول الخامس : أن المعنى : أنها تسير وتجري أبداً من غير قرار ولا وقوف .

ودليل هذا القول قراءة ابن عباس وابن مسعود وعكرمة، وعطاء بن أبي رباح وأبي جعفر ومحمد بن علي وجعفر بن محمد، وعليّ بن الحسين، والشيزري[2] أنهم كانوا يقرأونها: «والشمس تجري لا مستقر لها» . وتأويل هذه القراءة أنها تجري في الليل والنهار ولا وقوف لها ولا قرار . وممن ذكر ذلك من المفسرين : الماوردي[3] والسمعاني[4] والزمخشري[5] وابن عطية [6] عطية [6] وابن الجوزي [7] وابن كثير [8]

الترجيـــح :

والراجح والعلم عند الله تبارك وتعالى هو ما رجحه ابن جزي رحمه الله جل وعلا

---

(١) التحرير والتنوير (٢٢/ ٣٥٤).

(٢) جزء فيه قراءات النبي صلى الله عليه وسلم لأبي عمر الدوري : (١ / ١٤١) وذكر فيه عن عمرو بن دينار أن ابن عباس قرأها كذلك .

(٣) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ١٧).

(٤) السمعاني ((٤/ ٣٧٧).

(٥) الكشاف (٤/ ١٨).

(٦) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٤٧).

(٧) زاد المسير (٧/ ١٤).

(٨) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٦٧).

لورود الحديث عن النبي ﷺ في تفسير هذا الحرف من القرآن، والقاعدة تقول : إذا عرف التفسير من جهة النبي ﷺ فلا حاجة إلى قول من بعده .[1]

ومن الأحاديث الواردة في ذلك : ما أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أبي ذر قال: سألت رسول الله ﷺ عن قوله ﷻ : (ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ) قال : (**مستقرها تحت العرش**).[2]

وروى البخاري أيضاً عن أبي ذر ﷺ أن النبي ﷺ قال له حين غربت الشمس : (**أتدري أين تذهب**) ؟. قلت : الله ورسوله أعلم . قال : (**فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها وتستأذن فلا يؤذن لها يقال لها ارجعي من حيث جئت فتطلع من مغربها فذلك قوله تعالى** : (ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

الكلام على قوله تعالى: (ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ)

وفي هذه الآية مسألة واحدة وهي : ما المراد بالذرية في هذا الموضع ؟.

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: « وأما الذرية فقيل: إنه يعني الآباء الذين حملهم الله في سفينة نوح عليه السلام؛ وسمى الآباء ذرية لأنها تناسلت منهم. وأنكر ابن عطية ذلك وقال إنه يعني النساء وهذا بعيد . **والأظهر** : أنه أراد بالفلك جنس السفن فيعني جنس بني آدم، وإنما خص ذريتهم بالذكر، لأنه أبلغ في الامتنان عليهم، ولأن فيه إشارة إلى حمل أعقابهم إلى يوم القيامة. وإن أراد بالفلك سفينة نوح فيعني بالذرية من كان في السفينة وسماهم ذرية لأنهم ذرية آدم ونوح فالضمير في ذريتهم على هذا النوع بني آدم كأنه يقول الذرية منهم ».[1]

والمسألة فيها ثلاثة أقوال :

القول الأول : أن المراد بالذرية هنا القوم المحمولين مع نوح في السفينة من الآباء والأجداد الأقدمين، ولأن هؤلاء الناس من نسلهم وكانوا في أصلابهم .

وسماهم ذرية لأحد أمرين :

إما أن لفظ الذرية من ألفاظ الأضداد فيطلق ويراد به الآباء كما يراد به الأبناء . وإما أن يكون المراد بالذرية ذرية آدم ونوح عليهما الصلاة والسلام .

قال ابن جرير: حملنا ذرّيتهم، يعني من نجا من ولد آدم في سفينة نوح . ثم روى عن ابن زيد قال : الفلك المشحون : المَرْكَب الذي كان فيه نوح، والذرية التي كانت في ذلك المركب.[2]

ونقل الماوردي معنى هذا القول عن أبان بن عثمان ثم قال : سمى الآباء ذريةً، لأن منهم ذَرَءَ الأبناء .[3]

ونقل السمعاني عن ثعلب أنه فسر الذرية بالآباء . وقال : اسم الذرية كما يقع على الأبناء يقع على الآباء.[4] ونقل ابن الجوزي عن الفراء قال : أي: ذُرِّيَّة مَنْ هو منهم، فجعلها ذُرِّيَّةً لهم،

---

(١) التسهيل لابن جزي: ص(٥٩٠).

(٢) تفسير الطبري (٢٣/ ٩).

(٣) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ١٩).

(٤) السمعاني ((٤/ ٣٨٠).

وقد سبقتْهم...والذُّرِّيَّة أيضا: الآباء، لأن الذَّرَّ وقع منهم، فهو من الأضداد .[١]

وممن قال بمثل هذا القول من المفسرين : البغوي[٢] والزمخشري[٣] والقرطبي[٤] وابن كثير .[٥] وكذا قال الزبيدي في تاج العروس[٦] والأزهري في تهذيب اللغة .[٧] وابن منظور .[٨]
.[٨]

وهذا المعنى المتقدم هو الذي أنكره ابن عطية حيث قال : والضمير المتصل بالذريات هو ضمير الجنس، كأنه قال ذريات جنسهم أو نوعهم، هذا أصح ما اتجه في هذا، وخلط بعض الناس في هذا حتى قالوا الذرية تقع على الآباء وهذا لا يعرف لغة .

ثم قال : وأما معنى الآية فيحتمل تأويلين :

أحدهما : قاله ابن عباس وجماعة، وهو أن يريد بـ « الذريات المحمولين » أصحاب نوح في السفينة، ويريد بقوله : (ﭘ ﭙ ﭚ) السفن الموجودة في جنس بني آدم إلى يوم القيامة، وإياها أراد الله تعالى بقوله : (ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ).[٩]

القول الثاني: أن المراد بالذرية هنا جنس بني آدم، وخص ذريتهم بالذكر لأنه أبلغ في الامتنان عليهم، ولأن فيه إشارة إلى حمل أعقابهم إلى يوم القيامة .

قال ابن عطية: والتأويل الثاني : قاله مجاهد والسدي وروي عن ابن عباس أيضاً هو : أن يريد بقوله : (ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ) السفن الموجودة في بني آدم إلى يوم القيامة ويريد بقوله : (ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭜ ﭝ ﭞ) الإبل وسائر ما يركب فتكون المماثلة في أنه مركوبٌ مُبَلِّغٌ

---

(١) زاد المسير (٧/ ١٥).
(٢) تفسير البغوي (٤/ ٥).
(٣) الكشاف (٤/ ٢١).
(٤) تفسير القرطبي (١٥/ ٣٤).
(٥) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٧٠).
(٦) تاج العروس (١/ ٢٨٥٩).
(٧) تهذيب اللغة (٥/ ٦٦).
(٨) لسان العرب (١٤/ ٢٨٢).
(٩) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٤٧).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

إلى الأقطار فقط . ويعود قوله : (ڈ ژ ژ ڑ) على السفن الموجودة في الناس . وأما من خلط القولين فجعل الذرية في الفلك في قوم نوح في سفينة وجعل(ې ې ى) في الإبل فإن هذا نظرٌ فاسدٌ يقطع به قوله تعالى : (ڈ ژ ژ ڑ) فتأمله.[1]

وقال ابن عاشور: ولما كانت ذريات المخاطبين مما أراد الله بقاءه في الأرض حين أمر نوحاً بصنع الفلك لإنجاء الأنواع، وأمره بحمل أزواج من الناس، هم الذين تولد منهم البشر بعد الطوفان نُزّل البشر كلهم منزلة المحمولين في الفلك المشحون في زمن نوح، وذكر الذريات يقتضي أن أصولهم محمولون بطريق الكناية إيجازاً في الكلام، وأن أنفسهم محمولون كذلك كأنه قيل: إنا حملنا أُصولهم وحملناهم وحملنا ذرياتهم، إذ لولا نجاة الأصول ما جاءت الذريّات، وكانت الحكمة في حمل الأصول بقاء الذريات فكانت النعمة شاملة للكل، وهذا كالامتنان في قوله: (ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ) [الحاقة: ١١، ١٢].

وضمير« ذريتهم » عائد إلى ما عاد إليه ضمير « لَهُمْ » أي العباد المراد بهم المشركون من أهل مكة لكنهمْ لوحظوا هنا بعنوان كونهم من جملة البشر، فالمعنى: آية لهم أنا حملنا ذريات البشر في سفينة نوح وذلك حين أمر الله نوحاً بأن يحمل فيها أهله والذين آمنوا من قومه لبقاء ذريات البشر فكان ذلك حملاً لذرياتهم ما تسلسلت.[2]

القول الثالث: أن المراد بالذرية هنا : النساء .

ولم أقف على قول ابن عطية كما نقله ابن جزي، ولكن ذكر بعض المفسرين هذا المعنى . فذكر الماوردي : أن الذرية الأبناء والنساء لأنهم ذرء الآباء حملوا في السفن، والفلك هي السفن الكبار وقال : قاله السدي .[3] وكذا ذكر الزمخشري .[4]

الترجيح : والذي يظهر والعلم عند الله تعالى أن المعنى الراجح هو القول الأول فيكون المعنى : حملنا آباءهم وأجدادهم الأقدمين فكان ذلك من أسباب وجودهم، لأنه لو أهلك

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٤٧).

(٢) التحرير والتنوير (٢٢/ ٣٥٥).

(٣) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ١٩).

(٤) الكشاف (٤/ ٢١)، وانظر: لسان العرب (١٤/ ٢٨٢)، وتاج العروس (١/ ١٢٠) .

آباءهم، لمَا تناسلوا . وهذا القول هو الذي فيه مكمن العبرة حيث أنه أهلك جميع المخلوقات على وجه الأرض، وأبقى هؤلاء ليستمر النسل منهم . وهذا فيه امتنان من جهة، وفيه تهديد من جهة أخرى . وسيأتي بيان وجهه في المسألة القادمة . والله تعالى أعلم .

الكلام على قوله تعالى: (ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ)

وفي الآية مسألة واحدة وهي : ما المقصود بالمثلية في قوله تعالى: (ﭓ ﭔ ﭕ) هل هي مثلية النوع كالسفن أم عموم المركوبات ؟.

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: « إن أراد بالفلك سفينة نوح: فيعني بقوله من مثله سائر السفن التي يركبها سائر الناس. وإن أراد بالفلك جنس السفن: فيعني بقوله من مثله الإبل وسائر المركوبات فتكون المماثلة على هذا في أنه مركوب لا غير. **والأول أظهر** لقوله : (ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ) ولا يتصور هذا في المركوبات غير السفن ».[1]

والمسألة فيها قولان :

القول الأول: إن المراد بالفلك في الآية سفينة نوح وعليه يكون المراد بقوله : (ﭓ ﭔ ﭕ) سائر السفن التي يركبها سائر الناس، والتي صنعت على غرار سفينة نوح .

وهذا القول مروي عن ابن عباس و سعيد بن جبير وأبي صالح وأبي مالك والحسن والضحاك وقتادة كما أخرج ذلك ابن جرير وهو الذي رجحه بقوله :

وأشبه القولين بتأويل ذلك قول من قال : عُنِي بذلك السفن، وذلك لدلالة قوله : (ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ) على أن ذلك كذلك، وذلك أن الغرق معلوم أن لا يكون إلا في الماء، ولا غرق في البرّ .[2]

وممن قال بهذا القول من المفسرين : الماوردي [3] والبغوي.[4] والزمخشري[5] وابن عطية.[6] وابن الجوزي [7] والقرطبي [8] وابن كثير [9]

---

(١) التسهيل لابن جزي: ص(٥٩١).
(٢) تفسير الطبري (٢٣/ ٩).
(٣) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ١٩ .
(٤) تفسير البغوي (٤/ ٥).
(٥) الكشاف (٤/ ٢١).
(٦) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٤٧).
(٧) زاد المسير (٧/ ٢٢).
(٨) القرطبي (١٥/ ٣٥).
(٩) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٧٠).

القول الثاني: أن المراد بالفلك هو جنس السفن وعليه فيكون المراد بقوله : (ﭑ ﭒ ﭓ) سائر المركوبات المماثلة لها من حيث الركوب كالإبل ونحوها .

وهذا منقول عن ابن عباس وعكرمة وعبدالله بن شداد ومجاهد وقتادة والحسن وأبي مالك، والضحاك، وأبي صالح، والسدي . وممن ذكره من المفسرين :

ابن جرير[١] والماوردي[٢] والسمعاني[٣] والبغوي[٤] وابن عطية[٥] وابن الجوزي[٦] والقرطبي[٧] وابن كثير.[٨]

وذكر ابن عاشور أن هذا نظير المقارنة في قوله تعالى: (ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ) **[الزخرف: ١٢]** فقوله : (ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ) هنا هو الرواحل خاصة لأنها التي تشبه الفلك في جعلها قادرة على قطع الرمال كما جعل الفلك صالحاً لمخْر البحار، وقد سمت العرب الرواحل : سفائن البرّ و «مِن» التي في قوله: «مِن مِثلِهِ» بيانية بتقديم البيان على المبين وهو جائز على الأصح، أو مؤكدة ومجرورها أصله حال من «ما» الموصولة في قوله : (ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ) والمراد المماثلة في العظمة وقوة الحمل ومداومة السير وفي الشكل.[٩]

الترجيح :

والصواب والعلم عند الله تبارك وتعالى أن الآية محتملة للقولين، لورود ذلك عن الصحابة والتابعين وأئمة التفسير لكن القول الأول هو المقدم والظاهر، وذلك لقوله تعالى بعدها : (ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ) وهذا ما يدل عليه سياق الآيات.

---

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ٩).

(٢) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ١٩).

(٣) السمعاني ((٤/ ٣٨٠).

(٤) تفسير البغوي (٤/ ٥).

(٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٤٧).

(٦) زاد المسير (٧/ ٢٢).

(٧) تفسير القرطبي (١٥/ ٣٤ – ٣٥).

(٨) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٧٠).

(٩) التحرير والتنوير (٢٢/ ٣٥٨).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

وقد تقدم بيان قول ابن جرير في ترجيحه . وهو أيضاً ترجيح ابن القيم رحمه الله في بدائع الفوائد حيث قال : والأصح أن المثل المخلوق هنا هو السفن . وقد أخبر أنها مخلوقة وهي إنما صارت سفنا بأعمال العباد؛ وأبْعَدَ من قال : إن المثل ههنا هو سفن البر وهي الإبل لوجهين :

أحدهما : أنها لا تسمى مِثْلاً للسفن، لا لغة ولا حقيقة، فإن المثلين : ما سَدَّ أحدهما مسد الآخر . وحقيقة المماثلة أن يكون بين فُلْك وفُلْك، لا بين جمل وفلك .

الثاني : أن قوله : (ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک) عقب ذلك، دليل على أن المراد الفلك التي إذا ركبوها قَدِرنا على إغراقهم فذَكَّرهم بِنِعَمه عليهم من وجهين :

أحدهما : ركوبهم إياها . والثاني : أن يسلمهم عند ركوبها من الغرق .[1]

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم .

(١) بدائع الفوائد (١/ ١٥٩).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة .. مع الفهارس) ٥

الكلام على قوله تعالى: (ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾ ﷿ ﷽ ﷾ ﷿ ﷽ ﷾ ﷿

وابن عطية[1] وابن الجوزي [2] والقرطبي [3] وابن كثير[4] وابن عاشور .[5]

الترجيح :

والظاهر والعلم عند الله تعالى أن الآية محتملة لكلا المعنيين وذلك لعدة أمور :

الأمر الأول : أنه لا تعارض بين القولين .

الأمر الثاني : أن القرآن مشتمل على التحذير من كلا الأمرين من الذنوب وعاقبتها وشؤم أثرها على مقترفيها، كما حذر من الوقوع في مثل ما وقعت فيه الأمم السالفة التي أهلكها الله بذنوبها : (ذ ذ ث ث ٹ ٹ ٹ ٹ ف ف ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ) (العنكبوت: ٤٠) والقولان أحدهما ثمرة للآخر .

الأمر الثالث : أن القاعدة تقول : إذا احتمل اللفظ معاني عدة، ولم يمتنع إرادة الجميع حمل عليها .[6]

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم .

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٤٧).

(٢) زاد المسير (٧/ ١٤).

(٣) تفسير القرطبي (١٥/ ٣٦).

(٤) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٧٥).

(٥) التحرير والتنوير (٢٢/ ٣٦٠).

(٦) انظر: مختصر قواعد الترجيح للسبت: ص(٢٧) .

الكلام على قوله تعالى: (ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ی ی ئج ئح ئم ئى ئي بج بح بخ بم بى بي تج تح تخ تم تى تي ثج ثم ثى ثي جح جم حج حم خج خح خم سج سح سخ سم صح صخ صم ضج ضح ضخ ضم طح طم ظم عج عم غج غم فج فح فخ فم قح قم كج كح كخ كل كم لج لح لخ لم مج مح مخ مم نج نح نخ نم نى ني هج هم هى هي يج يح يخ يم يى يي ذٰ رٰ ىٰ ئر ئز ئم ئن ئى ئي بر بز بم بن بى بي تر تز تم تن تى تي ثر ثز ثم ثن ثى ثي فى في قى قي كا كل كم كى كي لم لى لي ما مم نر نز نم نن نى ني ىٰ ير يز يم ين يى يي ئج ئح ئخ ئم ئه بج بح بخ بم به تج تح تخ تم ته ثم جح جم حج حم خج خح خم سج سح سخ سم صح صخ صم ضج ضح ضخ ضم طح ظم عج عم غج غم فج فح فخ فم قح قم كج كح كخ كل كم لج لح لخ لم مج مح مخ مم نج نح نخ نم نه هج هم هٰ ني يج يح يخ يم يه ئم ئه بم به تم ته ثم جح جم حج حم خج خم سج سح سخ سم صح صم ضج ضح ضخ ضم طح ظم عج عم غج غم فج فح فخ فم قح قم كج كح كخ كل كم لج لح لخ لم مج مح مخ مم نج نح نخ نم نه هج هم هٰ ني يج يح يخ يم يه ئج ئح ئخ ئم ئه بج بح بخ بم به تج تح تخ

وهو قول ابن عباس وقتادة كما عند ابن جرير[١] والماوردي[٢] والبغوي[٣] وابن عطية[٤] وابن الجوزي[٥] والقرطبي.[٦]

الترجيح :

والراجح والعلم عند الله تعالى أن المراد بالنسلان هو الخروج من القبور مسرعين، فمجموع القولين هو الراجح، وليس كما اختار ابن جزي، وذلك لعدة أمور :

الأمر الأول : أن سياق الآية يدل على أن هذا الخروج من القبور، وقد جاء في غير ما موضع من القرآن أنهم يخرجون حين يخرجون من قبورهم مسرعين قال الله تعالى : (ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ) [المعارج:٤٣]. وقال تعالى : (ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

المسألة الثانية: هل اسم الإشارة «هذا» في قوله تعالى: (□ □ □ □ □ □) صفة لـ«مرقدنا»، أم أنه مبتدأ ؟.

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: « «هذا» مبتدأ وما بعده خبر. وقيل: إن «هذا» صفة لمرقدنا و (□ □ □ □) مبتدأ محذوف الخبر وهذا ضعيف ».[1]

والمسألة فيها قولان:

القول الأول: أن «هذا» مبتدأ وما بعده خبر. فتكون إشارة إلى «ما» ويكون ذلك كلاما مبتدأ بعد تناهي الخبر الأول بقوله : (□ □ □ □□□ □) فتكون «ما» حينئذ مرفوعة بـ«هذا» على الابتداء، ويكون الوقف تاماً على : «مرقدنا».

وممن قال بهذا القول : ابن جرير [2] والماوردي [3] والزمخشري[4] وابن عطية [5] وابن الجوزي[6] والقرطبي -ونقله عن ابن الأنباري والنحاس-[7] وابن عاشور.[8]

القول الثاني: أن «هذا» صفة لـ«مرقدنا» . وَ «ما وعد الرحمن» مبتدأ محذوف الخبر، فيكون معنى الكلام : (□ □ □ □□□ □ □) ثم يبتدىء الكلام فيقول: (□ □ □ □) بمعنى : بعثكم وعد الرحمن . فتكون «ما» موصولة مرفوعة على هذا المعنى بالابتداء. ويضمر الخبر «حق» أو نحوه .

وممن ذكر هذا المعنى من المفسرين: ابن جرير[9] والماوردي[10] والزمخشري[11]

---

(١) التسهيل لابن جزي: ص(٥٩٢).
(٢) تفسير الطبري (٢٣/ ١٥).
(٣) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ٢٣).
(٤) الكشاف (٤/ ١٨).
(٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٤٧).
(٦) زاد المسير (٧/ ٢٤).
(٧) القرطبي (١٥/ ٤٢).
(٨) التحرير والتنوير (٢٢/ ٣٦٨).
(٩) تفسير الطبري (٢٣/ ١٥).
(١٠) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ٢٣).
(١١) الكشاف (٤/ ١٨).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة :: مع الفهارس) ٥

وابن عطية -ونقله عن الزجاج-[1] والقرطبي .[2]

الترجيح :

والراجح والعلم عند الله تعالى هو ما رجحه ابن جزي رحمه الله تعالى،وذلك لعدة أمور:

الأمر الأول : أن القول الأول يستقيم المعنى معه من غير تقدير، وأما الثاني فلا يستقيم معه المعنى إلا بالتقدير . والقاعدة تقول : يقلل المقدر مهما أمكن لتقل مخالفة الأصل .[3]

الأمر الثاني : أن هذا هو اختيار جمهور المفسرين والمحققين من أهل اللغة كما تقدم . وقد قدم العكبري القول الأول وحكى الثاني بصيغة التمريض .[4]

الأمر الثالث : أن الوقف يستقيم على « مرقدنا » وعلى « هذا » وأما الابتداء بـ« هذا » فهو أقوى من الابتداء بـ« ما وعد الرحمن » لأنه لابد فيه من تقدير محذوف .

قال الشيخ الشنقيطي في معرض حديثه على قوله تعالى في سورة الروم : (ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ) الآية : ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة : أن الكفار إذا بعثوا يوم القيامة، وأقسموا أنهم ما لبثوا غير ساعة يقول لهم الذين أوتوا العلم والإيمان، ويدخل فيهم الملائكة، والرسل، والأنبياء، والصالحون : «والله لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث، فهذا يوم البعث، ولكنكم كنتم لا تعلمون» .

وهذا المعنى الذي دلت عليه هذه الآية الكريمة جاء موضحاً في سورة يس على أصح التفسيرين، وذلك في قوله تعالى : (□ □ □ □ □ □□□ □).

والتحقيق أن هذا من قول الكفار عند البعث، والآية تدل دلالة لا لبس فيها، على أنهم ينامون نومة قبل البعث كما قاله غير واحد، وعند بعثهم أحياء من تلك النومة التي هي نومة موت يقول لهم الذين أوتوا العلم والإيمان : (□ □ □ □ □ □ □) أي : هذا

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٤٧).

(٢) زاد المسير (٧/ ٢٤).

(٣) انظر: مختصر قواعد الترجيح للسبت: ص(١٠) .

(٤) التبيان في إعراب القرآن للعكبري: (٢/ ١٠٨٤)، وانظر: إملاء ما من به الرحمن: ص(٥٠٠) . وانظر: مشكل إعراب القرآن لمكي القيسي: (١-٢/ ٦٠٦ – ٦٠٧).

دكتوراه عبدالعلي الحمدي (كامل الرسالة .:. مع الفهارس) ٥

البعث بعد الموت، الذي وعدكم الرحمن على ألسنة رسله، وصدق المرسلون في ذلك، كما شاهدتموه عياناً فقوله في يس : (□ □ □ □ □) [يس:٥٢] قول الذين أوتوا العلم والإيمان، على التحقيق ، وقد اختاره ابن جرير، وهو مطابق لمعنى قوله : (ٹ ٹ ٹ

الكلام على قوله تعالى: (ٱ ب ب ب ب ب پ پ پ)

وفي الآية مسألة واحدة وهي : ما المراد بالشغل في الآية .

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: « قيل هو افتضاض الأبكار. وقيل سماع الأوتار. والأظهر أنه عام في الاشتغال باللذات ».[١]

والمسألة فيها ثلاثة أقوال:

القول الأول: افتضاض الأبكار .

وهذا القول مروي عن عبدالله بن مسعود، وابن عباس، وسعيد بن المسيب، والحسن، وسعيد بن جبير، وقتادة، ومجاهد، والضحاك، والأعمش، وسليمان التيمي، والأوزاعي .

وممن ذكر ذلك من المفسرين : ابن جرير [٢] والماوردي[٣] والسمعاني[٤] والبغوي[٥] والزمخشري[٦] وابن عطية[٧] وابن الجوزي[٨] والقرطبي[٩] وابن كثير .[١٠]

القول الثاني: أنهم مشغولون بالسماع وضرب الأوتار.

وهو مروي عن ابن عباس في رواية، ومسافع بن أبي شريح، ووكيع بن الجراح .

وممن ذكر ذلك من المفسرين :

---

(١) التسهيل لابن جزي: ص(٥٩٢).

(٢) تفسير الطبري (٢٣/ ١٤).

(٣) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ٢٥).

(٤) السمعاني ((٤/ ٣٨٣) .

(٥) تفسير البغوي (٤/ ١٥).

(٦) الكشاف (٣/ ٢٧٩).

(٧) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٤٧).

(٨) زاد المسير (٧/ ٢٧).

(٩) تفسير القرطبي (١٥/ ٤٣).

(١٠) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٧٦).

الماوردي [١] والسمعاني [٢] والبغوي [٣] والزمخشري [٤] وابن عطية [٥] وابن الجوزي [٦] والقرطبي [٧] وابن كثير .[٨]

القول الثالث: أنه عام في الاشتغال بكل اللذات. فهم في نعمة وشَغَلَهم النعيم عما فيه أهل النار من العذاب، معجبون بما هم فيه . وهذا قول قتادة ومجاهد، والحسن، وسعيد بن المسيب، وإسماعيل بن أبي خالد، وممن ذكر ذلك من المفسرين :

ابن جرير[٩] والماوردي [١٠]والبغوي [١١] والزمخشري [١٢] وابن عطية [١٣] وابن الجوزي [١٤] والقرطبي [١٥] وابن كثير .[١٦]

وقال ابن عاشور: أي أحاط بهم شغل عن مشاهدة موقف أهل العذاب صرفهم الله عن منظر المزعجات لأن مشاهدتها لا تخلو من انقباض النفوس، ولكون هذا هو المقصود عدل عن ذكر ما يشغلهم إذ لا غرض في ذكره. [١٧]

---

(١) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ٢٥).

(٢) السمعاني ((٤/ ٣٨٣).

(٣) تفسير البغوي (٤/ ١٥).

(٤) الكشاف (٣/ ٢٧٩).

(٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٤٨).

(٦) زاد المسير (٧/ ٢٧).

(٧) تفسير القرطبي (١٥/ ٤٣).

(٨) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٧٦).

(٩) تفسير الطبري (٢٣/ ١٤).

(١٠) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ٢٥).

(١١) تفسير البغوي (٤/ ١٥).

(١٢) الكشاف (٣/ ٢٧٩).

(١٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٤٨).

(١٤) زاد المسير (٧/ ٢٧).

(١٥) تفسير القرطبي (١٥/ ٤٣).

(١٦) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٧٦).

(١٧) التحرير والتنوير (٢٢/ ٣٦٩).

دكتوراه عبدالعلي الحمدي (كامل الرسالة :: مع الفهارس) ٥

الترجيــح :

والراجح والعلم عند الله تعالى أن أهل الجنة جعلنا الله منهم بمنه وفضله مشغولون بكل النعم التي أسبغها الله عليهم وهي نعم متجددة لا انقطاع لها ولا حصر، لأن الجنـة فيهـا مـالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

قال ابن جرير: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال كما قال الله جلّ ثناؤه : (ٱ ٻ ٻ ٻ) وهم أهلها(ٻ ٻ ٻ ٻ) بنعم تأتيهم في شغل، وذلك الشغل الذي هم فيه نعمةٌ، وافتضاض أبكارٍ، ولهو ولذة، وشغل عما يلقى أهل النار. [1]

وقال ابن عطية : وهذا هو القول الصحيح وتعيين شيء دون شيء لا قياس له، ولما كـان النعيم نوعاً واحداً هو نعيم، وَحَّدَه فقال : (ٻ ٻ ٻ) ولو اختلف لقال : في أشغال .[2]

ولذا فإنه يحسن أن يقال إن أهل الجنة مشـغولون بافتضـاض الأبكـار والجلـوس تحـت الأشجار والأكل من الثمار والضرب بالأوتار والنظر إلى وجه العزيـز الغفـار . نسـأل الله مـن واسع فضله .

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم .

---

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ١٤).

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٤٨).

دكتوراه عبدالعلي الحمدي (كامل الرسالة .. مع الفهارس) ٥

الكلام على قوله تعالى: (ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ)

وفي الآية مسألة واحدة وهي: ما معنى قوله تعالى : (ژ ڑ) ؟.

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: «أي: ما يتمنون. وقيل معناه: أن ما يدعون به يأتيهم».[١]

والمسألة فيها قولان:

القول الأول: أن المعنى : ما يتمنون .

قال ابن جرير: (ژ ژ ڑ ڑ) يقول: ولهم فيها ما يتَمنُّون. وذُكر عن العرب أنها تقول: ادَّع عليّ ما شئت . أي: تمنّ عليّ ما شئت .[٢] وكذا قال الماوردي ونقله عن أبي عبيدة.[٣]

وممن ذكر نحوه من المفسرين :مكي القيسي[٤] والسمعاني[٥] والبغوي[٦] والزمخشري[٧] وابن عطية[٨] وابن الجوزي[٩] والقرطبي .[١٠]

قال ابن عاشور: إن جعلته من الادعاء فمعناه: أنهم يَدَّعون ذلك حقاً لهم، أي تتحدث أنفسهم بذلك فَيُؤَوَّل إلى معنى: ويتمنون في أنفسهم دون احتياج إلى أن يسألوا بالقول . فلذلك قيل معنى(ڑ ڑ): يتمنون . يقال: ادَّع عليّ ما شئت، أي تمنّ عليّ، وفلان في خير ما ادّعى، أي في خير ما يتمنى، ومنه قوله تعالى: (ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ) (فصِّلت:٣١).[١١]

---

(١) التسهيل لابن جزي: ص(٥٩٢).

(٢) تفسير الطبري (٢٣/ ١٤).

(٣) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ٢٠).

(٤) مشكل إعراب القرآن لمكي: (١-٢/ ٦٠٧).

(٥) السمعاني ((٤/ ٣٨٣).

(٦) تفسير البغوي (٤/ ١٥ .

(٧) الكشاف (٤/ ٢٥).

(٨) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٥٩) .

(٩) زاد المسير (٧/ ٢٥).

(١٠) تفسير القرطبي (١٥/ ٤٥).

(١١) التحرير والتنوير (٢٢/ ٣٦٦).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

القول الثاني: أن معنى ذلك : أن ما يدعون به يأتيهم .

وهذا نقله الماوردي عن الكلبي وقال : قال الزجاج: وهو مأخوذ من الدعاء.[١]

وكذا قال الزمخشري[٢] وابن الجوزي .[٣] قال ابن كثير: أي: مهما طلبوا وجدوا من جميع جميع أصناف الملاذ .[٤]

الترجيح :

والراجح والعلم عند الله تبارك وتعالى هو ما رجحه ابن جزي رحمه الله جل وعلا من أن معنى (ٹ ٹ) أي : ما يتمنون، وذلك لعدة أمور :

الأمر الأول : أن هذا ما قرره أهل اللغة، قال ابن منظور :

وفي التنزيل(ٹ ٹ ٹ ٹ) معناه ما يتَمَنَّوْنَ وهو راجع إلى معنى الدُّعاء أَي ما يَدَّعِيه أَهلُ الجنة يأْتيهم وتقول العرب ادَّعِ عليَّ ما شئتَ وقال اليزيدي : يقا ل في هذا الأَمر دَعْوى ودَعاوَى ودَعاوةٌ ودِعاوةٌ .[٥]

وقال الزبيدي : والادعاء التمنى وبه فسر قوله تعالى : (ٹ ٹ ٹ ٹ) أي : ما يتمنون وهو راجع الى معنى الدعاء أي ما يدعيه أهل الجنة .[٦]

الأمر الثاني : أن هذا هو الأكمل في نعيم الجنة وهو ظاهر نصوص القرآن والسنة أن أهل الجنة متى ما وقع في نفوسهم الرغبة في شيء وإذا به قد تحقق لهم، والتمني أمر قلبي قد لا يتكلم به المرء أما الدعاء فلا يكون دعاء حتى ينطق به المرء .

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم

---

(١) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ٢٠).

(٢) الكشاف (٤/ ٢٥).

(٣) زاد المسير (٧/ ٢٥).

(٤) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٧٦ .

(٥) لسان العرب (١٤/ ٢٥٧).

(٦) تاج العروس (١/ ٨٣٨٣) .

الكلام على قوله تعالى: (ڈ ڈ ڤ ڤ ڤ ڤ)

وفي الآية مسألة واحدة وهي : ما إعراب قوله تعالى : (سلام) .

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: « مبتدأ. وقيل: بدل من(ڈ ٹ ٹ) ».[1]

والمسألة فيها قولان:

القول الأول: أن « سلام » مبتدأ . وخبره : محذوف تقديره سلام عليهم .

وممن ذكر هذا من أهل التفسير : ابن عطية[2] والرازي [3] وأبو حيان [4] والشوكاني .[5]

وقال ابن عاشور: (ڈ ڤ) مرفوع في جميع القراءات المشهورة. وهو مبتدأ وتنكيره للتعظيم ورفعه للدلالة على الدوام والتحقق، فإن أصله النصب على المفعولية المطلقة نيابة عن الفعل مثل قوله: (ۇ ۉ ۉ ې) [الذاريات: ٢٥]. فلما أريدت الدلالة على الدوام جيء به مرفوعاً مثل قوله: (ۀ ہ ہ ہ) [هود: ٦٩] .[6]

القول الثاني: أن « سلام » بدل من (ڈ ٹ).

قال الزمخشري: «سلام» بدل من (ڈ ٹ)، كأنه قال : لهم سلام يقال لهم(ڈ ڤ) جهة(ڤ ڤ ڤ) والمعنى: أنّ الله يسلم عليهم بواسطة الملائكة، أو بغير واسطة، مبالغة في تعظيمهم وذلك متمناهم، ولهم ذلك لا يمنعونه. قال ابن عباس: فالملائكة يدخلون عليهم بالتحية من رب العالمين .[7]

---

(١) التسهيل لابن جزي: ص(٥٩٢).

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٥٩).

(٣) التفسير الكبير (٢٦/ ٧٦).

(٤) تفسير البحر المحيط (٧/ ٣٢٠).

(٥) فتح القدير (٤/ ٣٧٦).

(٦) التحرير والتنوير (٢٢/ ٣٦٩).

(٧) الكشاف (٤/ ٢٥)، وانظر: تفسير البحر المحيط (٧/ ٣٢٠).

دكتوراه عبدالعلي الحمدي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

قال ابن الجوزي: وقوله: (سلامٌ) بدل من « ما » المعنى: لهم ما يتمنَّون سلام، أي هـذا مُنى أهل الجنة أن يُسلِّم اللهُ عليهم و « قولاً » منصوب على معنى: سلامٌ يقوله اللهُ قولاً. [1]

وبنحو هذا قال الرازي[2] والشوكاني .[3]

الترجيح :

والراجح والعلم عند الله تعالى هو جواز الجميع ولم يتبين لي في المسألة ما أرجح به أحدهما على الآخر .

قال مكي بن أبي طالب : قوله : « سلام » ارتفع على البدل من « ما » التي في قوله : (ٹ ٹ ٹ) ويجوز أن يكون نعتاً لـ « ما » إذا جعلتها نكرة تقديره : ولهم شيء يدعونه مسلم، ويجوز أن يكون «سلام» خبر « ما » و « لهم » ظرف ملغي .[4]

وقال أبو البقاء العكبري : قيل : « سلام » صفة ثانية لـ « ما » . وقيل : « سلام » خبر مبتدأ محذوف، أي هو سلام . وقيل : هو بدل من « ما » ويقرأ بالنصب على المصدر . ويجوز أن يكون حالاً من « ما » أو من الهاء المحذوفة أي : ذا سلامة أو مسلماً .[5]

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم .

---

(١) زاد المسير (٧/ ٢٥).

(٢) التفسير الكبير (٢٦/ ٧٦).

(٣) فتح القدير (٤/ ٣٧٦).

(٤) مشكل إعراب القرآن لمكي: (١ -٢/ ٦٠٧ – ٦٠٨) .

(٥) التبيان في إعراب القرآن: (٢/ ١٠٨٥) .

دكتوراه عبدالعلي المسدي (كامل الرسالة .. مع الفهارس) ٥

الكلام على قوله تعالى: (ﻫ ﻬ ﻯ ﻰ ﻱ ﻳ ﻴ ﻵ ﻶ ﻷ ﻸ ﻹ)

وفي الآية مسألة واحدة وهي : هل المراد بالطمس هنا طمس البصر أم طمس البصيرة ؟ .

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: « و«الصراط» : الطريق . و«أنى» : استفهام يراد به النفي. فمعنى الآية: لو نشاء لأعميناهم، فلو راموا أن يمشوا على الطريق لم يبصروه . وقيل : يعني عمي البصائر . أي: لو نشاء لختمنا على قلوبهم فالطريق على هذا استعارة بمعنى الإيمان والخير».[1]

والمسألة فيها قولان :

القول الأول: أن الطمس هنا حقيقة وهو طمس البصر، فالمعنى: لو نشاء لأعميناهم فلو أرادوا المشي على الطريق لم يبصروه .

فأخرج ابن جرير عن الحسن وقتادة قالوا : لو يشاء لطمس على أعينهم فتركهم عميًا يترددون.[2] وكذا قال الماوردي ونقل عن الأخفش وابن قتيبة قالوا : المطموس هو الذي لا يكون بين جفنيه شق، مأخوذ من طمس الريح الأثر.[3] وكذا قال السمعاني -ونقله عن المبرد-[4] والبغوي -ونقله عن الحسن والسدي-[5] والزمخشري [6] وابن عطية [7] وابن الجوزي[8] والقرطبي -وحكى معناه عن الكسائي والأخفش والقتبي-.[9] وابن كثير -وحكاه عن ابن عباس ومجاهد، وأبو صالح، وقتادة، والسدي-. [10]

---

(١) التسهيل لابن جزي: ص(٥٩٣).
(٢) تفسير الطبري (٢٣/ ٢٤).
(٣) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ٢٧).
(٤) السمعاني ((٤/ ٣٨٦).
(٥) تفسير البغوي (٤/ ١٨).
(٦) الكشاف (٤/ ١٩).
(٧) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٦١).
(٨) زاد المسير (٧/ ٢٨).
(٩) القرطبي (١٥/ ٤٩).
(١٠) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٧٧).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة .:. مع الفهارس) 5

قال ابن عاشور: فالطمس والمسخ المعلقان على الشرط الامتناعي طمس ومسخ في الدنيا لا في الآخرة. والطمس: مسخ شواهد العين بإزالة سوادها وبياضها أو اختلاطهما وهو العمى أو العَور، ويقال: طريق مطموسة، إذا لم تكن فيها آثار السائرين ليقْفُوَهَا السائر. وحرف الاستعلاء للدلالة على تمكن الطمس وإلا فإنَّ طَمَسَ يتعدى بنفسه .[1]

القول الثاني: أن المراد بالطمس : عمي البصائر . أي: لو نشاء لختمنا على قلوبهم فالطريق على هذا استعارة بمعنى الإيمان والخير .

قال ابن جرير: ولو نشاء لأعميناهم عن الهدى، وأضللناهم عن قصد المَحَجَّة . ثم روى عن ابن عباس في قوله : (ھ ھ ے ۓ ڭ) يقول : أضللتهم وأعميتهم عن الهدى .[2] .[2] وكذا قال الماوردي[3] والسمعاني [4] وابن عطية [5] وابن الجوزي [6]والقرطبي .[7]

وقال ابن كثير : قال ابن زيد: يعني بالصراط هاهنا: الحق . ثم روى عن ابن عباس في قوله : (ڭ ڭ ڭ) يقول : لا يبصرون الحق .[8]

الترجيح :

والراجح والعلم عند الله تعالى هو ما اختاره ابن جزي رحمه الله جل وعلا من أن الطمس المذكور في الآية على حقيقته ومحله الأبصار لا البصائر، ووجه ذلك كما قال ابن جرير الطبري بعد أن ذكر هذا القول :

وهذا القول الذي ذكرناه عن الحسن وقتادة أشبه بتأويل الكلام، لأن الله إنما تهدد به قومًا كفارا، فلا وجه لأن يقال: وهم كفار، لو نشاء لأضللناهم وقد أضلهم، ولكنه قال: لو

---

(١) التحرير والتنوير (٢٢/ ٣٧٩).

(٢) تفسير الطبري (٢٣/ ٢٤).

(٣) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ٢٧).

(٤) السمعاني ((٤/ ٣٨٦).

(٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٦١).

(٦) زاد المسير (٧/ ٢٨).

(٧) تفسير القرطبي (١٥/ ٤٩).

(٨) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٧٧).

دكتوراه عبدالعلي المدني (كامل الرسالة .. مع الفهارس) ٥

نشاء لعاقبناهم على كفرهم، فطمسنا على أعينهم فصيرناهم عميا لا يبصرون طريقا، ولا يهتدون له.[1]

قلت : ومما يدل على هذا أن القرآن لا يذكر الأمور المحصلة، فبصائر الكفار مطموسة، وتهديدهم بطمسها لا يحصل منه لهم كبير أثر، بخلاف ما لو كان التهديد حسياً بطمس الأعين على وجه الحقيقة، فهم لا يؤمنون إلا بالمحسوسات .

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ٢٤).

الكلام على قوله تعالى: (ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ)

والآية فيها مسألة واحدة وهي : متى يكون هذا المسخ وهذا التهديد ؟.

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: «قيل إن هذا التهديد كله بما يكون يوم القيامة. والأظهر أنه في الدنيا».[1]

والمسألة فيها قولان:

القول الأول: إن هذا التهديد كله بما يكون يوم القيامة. يطمس الله تعالى أعينهم على الصراط وهو قول ابن سلام كما حكاه ابن عطية [2] والقرطبي [3] وأبو حيان .[4]

القول الثاني: أن هذا التهديد في الدنيا .

فأخرج ابن جرير عن الحسن وقتادة قالوا : لو نشاء لأقعدناهُمْ على أرجلهم . وروى عن ابن عباس قال : ولو نشاء أهلكناهم في مساكنهم، والمكانة والمكان بمعنى واحد .[5] وكذا قال الماوردي وزاد عن السدي : لغيّرنا خلْقهم فلا ينقلبون .[6]

وقال ابن عطية : « مسخناهم » ظاهره تبديل خلقتهم بالقردة والخنازير ونحوه مما تقدم في بني إسرائيل وغَيرهم، وقال الحسن وقتادة وجماعة من المفسرين : معناه لجعلناهم مقعدين مبطلين، لا يستطيعون تصرفاً . [7] وكذا قال ابن كثير وروى عن أبي صالح قال : لجعلناهم حجارة .[8]

قال ابن عاشور: أي لو نشاء لمسخنا الكافرين في الدنيا في مكانهم الذي أظهروا فيه التكذيب بالرسل فما استطاعوا انصرافاً إلى ما خرجوا إليه ولا رجوعاً إلى ما أتوا منه بل لزموا

---

(١) التسهيل لابن جزي: ص(٥٩٣).
(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٦١).
(٣) تفسير القرطبي (١٥/ ٥٠).
(٤) تفسير البحر المحيط (٧/ ٣٢٩).
(٥) تفسير الطبري (٢٣/ ٢٦).
(٦) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ٢٩).
(٧) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٦١).
(٨) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٧٩).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

مكانهم لزوال العقل الإنساني منهم بسبب المسخ... فجعلنا لهم العذاب في الدنيا قبل عذاب الآخرة وأرحنا منهم المؤمنين وتركناهم عبرة وموعظة لمن بعدهم.[1] قال أبو حيان : والظاهر أن هذا لو كان يكون في الدنيا.[2]

الترجيح :

والراجح والعلم عند الله تعالى : هو ما رجحه ابن جزي رحمه الله من أن هذا المسخ في الدنيا وذلك لعدة أمور :

الأمر الأول : أن هذا سياق الآيات كما تبين في المسألة السابقة . فالطمس والمسخ سياقهما واحد .

الأمر الثاني : أن هذا هو قول عامة المحققين من أهل التفسير وهو المنقول عن السلف رحمهم الله تعالى . كابن عباس والسدي وقتادة والحسن وأبي صالح وغيرهم .

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم .

---

(١) التحرير والتنوير (٢٢/ ٣٨٥).

(٢) تفسير البحر المحيط (٧/ ٣٢٩).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة :: مع الفهارس) ٥

الكلام على قوله تعالى: (ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﭼ)

وفي الآية مسألتان:

المسألة الأولى: على ماذا يعود الضمير في قوله: (ﭽ ﭾ ﭿ ﮄ ﭼ).

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: « الضمير في: «يستطيعون»: للأصنام. وفي: «نصرهم» للمشركين. ويحتمل العكس، **ولكن الأول أرجح**. فإنه لما ذكر أن المشركين اتخذوا الأصنام لينصروهم أخبر أن الأصنام لا يستطيعون نصرهم فخاب أملهم ».[1]

والمسألة فيها قولان:

القول الأول: الضمير في: «يستطيعون» للأصنام. وفي:«نصرهم» للمشركين. والمعنى: لا تقدر الآلهة على نصر عابديها، بل هي أضعف من ذلك وأقل وأذل وأحقر وأدحر، بل لا تقدر على الانتصار لأنفسها، ولا الانتقام ممن أرادها بسوء؛ لأنها جماد لا تسمع ولا تعقل.

قال ابن جرير: يقول تعالى ذكره: لا تستطيع هذه الآلهة نصرهم من الله إن أراد بهم سوءا، ولا تدفع عنهم ضراً. ثم روى عن قتادة قال: (ﭽ ﭾ ﭿ ﮄ ﭼ) الآلهة. (ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﭼ) والمشركون يغضبون للآلهة في الدنيا، وهي لا تسوق إليهم خيرا، ولا تدفع عنهم سوءاً، إنما هي أصنام.[2]

وممن ذكر نحو هذا المعنى من المفسرين: السمعاني[3] والبغوي[4] والزمخشري[5] وابن عطية -وحكاه احتمالاً-[6] وابن الجوزي[7] والقرطبي[8] وابن كثير[9] وابن عاشور.[10]

---

(١) التسهيل لابن جزي: ص(٥٩٤).
(٢) تفسير الطبري (٢٣/ ٢٩).
(٣) السمعاني ((٤/ ٣٨٨).
(٤) تفسير البغوي (٤/ ١٥).
(٥) الكشاف (٤/ ٢٨).
(٦) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٥٧).
(٧) زاد المسير (٧/ ٣٩).
(٨) تفسير القرطبي (١٥/ ٥٧).
(٩) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٨١).
(١٠) التحرير والتنوير (٢٢/ ٣٨٥).

القول الثاني: أن الضمير في «يستطيعون» للمشركين وفي « نصرهم » للأصنام .

قال ابن عطية: يحتمل أن يكون الضمير في «يستطيعون» للمشركين وفي «نصرهم» للأصنام .[1]

الترجيح :

لا شك أن الراجح هو ما اختاره ابن جزي رحمه الله وهو القول الأول وذلك لإجماع المفسرين عليه وهو الظاهر من سياق الآيات، والمعروف من حال المشركين في اتخاذ الآلهة إنما اتخذوها لتجلب لهم النفع وتدفع عنهم الضر، لا أنهم هم الذين ينفعون الأصنام .

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم .

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٥٧).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة .. مع الفهارس) 5

المسألة الثانية: على ماذا تعود الضمائر في قوله تعالى: (ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ) ؟.

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: «الضمير الأول : للمشركين، والثاني : للأصنام . يعني أن المشركين يخدمون الأصنام ويتعصبون لهم حتى أنهم لهم كالجند . وقيل بالعكس بمعنى : أن الأصنام جند محضرون لعذاب المشركين في الآخرة . **والأول أرجح**، لأنه تقبيح لحال المشركين».[1]

والمسألة فيها قولان :

القول الأول: أن الضمير في قوله «وهم» عائد على المشركين، والضمير في قوله «لهم» يرجع إلى الأصنام . أي : أن الكفار جند للأصنام يغضبون لها ويحضرونها في الدنيا، وهي لا تسوق إليهم خيراً، ولا تستطيع لهم نصراً . وهو مروي عن الحسن وقتادة.

قال ابن جرير: وقوله ﴿ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحْضَرُونَ ﴾ يقول: وهؤلاء المشركون لآلهتهم جند محضَرون.[2] ولم يحك ابن جرير خلافاً في هذا المعنى، وممن ذكره من المفسرين :

الماوردي[3] والسمعاني[4] والبغوي[5] والزمخشري[6] وابن عطية-وجعله محتملاً-[7] وابن الجوزي -وحكاه عن الزجاج-[8] والقرطبي[9] وابن كثير -واستحسنه وقال : وهو ترجيح ابن جرير -[10] وابن عاشور.[11]

---

(١) التسهيل لابن جزي: ص(٥٩٤).
(٢) تفسير الطبري (٢٣/ ٢٩).
(٣) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ٣٢).
(٤) السمعاني ((٤/ ٣٨٨).
(٥) تفسير البغوي (٤/ ٢٠).
(٦) الكشاف (٤/ ٣١).
(٧) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٥٧).
(٨) زاد المسير (٧/ ٣٩).
(٩) تفسير القرطبي (١٥/ ٥٧).
(١٠) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٨١).
(١١) التحرير والتنوير (٢٢/ ٣٩٠).

القول الثاني: أن الضمير الأول للأصنام والثاني للمشركين، بمعنى: أن الأصنام جند محضرون لعذاب المشركين في الآخرة .

قال ابن عطية : ويحتمل أن يكون الضمير الأول للأصنام والثاني للكفار أي يحضرون لهم في الآخرة عند الحساب على معنى التوبيخ والنقمة، وسماهم جنداً في هذا التأويل إذ هم عدة للنقمة منهم وتوبيخهم، وجرت ضمائر الأصنام في هذه الآية مجرى من يعقل إذ نزلت في عبادتها منزل ذي عقل فعملت في العبارة بذلك.[1]

وقال ابن عاشور: ضمير « وهمْ » يجوز أن يعود إلى «آلِهَة» تبعاً لضمير (ﭽ ﭾ). وضمير « لَهم » للمشركين، أي والأصنام للمشركين جند محضَرون، والجند العدد الكثير. والمحضر الذي جيء به ليحضر مشهداً. والمعنى: أنهم لا يستطيعون النصر مع حضورهم في موقف المشركين لمشاهدة تعذيبهم ومع كونهم عدداً كثيراً ولا يقدرون على نصر المتمسكين بهم، أي هم عاجزون عن ذلك، وهذا تأييس للمشركين من نفع أصنامهم.[2]

الترجيح :

والراجح والعلم عند الله تبارك وتعالى هو ما رجحه ابن جزي رحمه الله جل وعلا، من أن الضمير الأول في قوله « وهم » يعود على المشركين، والضمير الثاني في قوله « لهم » يعود على الأصنام، ومعنى الكلام : أن المشركين للأصنام جند حاضرون لحمايتهم ونصرتهم والذب عنهم . وإنما ترجح هذا القول لعدة أمور :

الأمر الأول : أن هذا القول هو ترجيح عامة المفسرين وأهل اللغة كما مر سابقاً .

الأمر الثاني : أن هذا هو الأنسب في سياق الآية للمعنى إذا علمت أن قوله تعالى : (ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ) المراد به المشركين، فيكون المعنى أن هؤلاء الآلهة لا يستطيعون نصرة المشركين مع أن واقع حال المشركين جنود للآلهة، وهذا غاية التحقير والتسفيه .

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم .

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٥٧).

(٢) التحرير والتنوير (٢٢/ ٣٩٠).

دكتوراه عبدالعلي الحمدي (كامل الرسالة .. مع الفهارس) ٥

الكلام على قوله تعالى: (ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ں ڻ)

والآية فيها مسألة واحدة وهي : ما سبب نزول هذه الآيات ومن المقصود بها ؟.

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: «وسبب الآية أن العاصي بن وائل جاء إلى النبي ﷺ بعظم رميم فقال : يا محمد من يحيي هذا . وقيل : إن الذي جاء بالعظم أمية بن خلف . وقيل : أبي بن خلف، فقال له رسول الله ﷺ : (**الله يحييه ويميتك ثم يحييك ويدخلك جهنم**) . ».[1]

والمسألة فيها ثلاثة أقوال:

القول الأول: أنها نزلت في العاصي بن وائل . وهو قول ابن عباس وسعيد بن جبير.

فروى ابن جرير عن سعيد بن جبير، قال: جاء العاص بن وائل السهمي إلى رسول الله ﷺ بعظْم حائل، ففته بين يديه، فقال: يا محمد أيبعث الله هذا حياً بعد ما أرم؟. قال: (**نَعَمْ يَبْعَثُ اللهُ هَذَا، ثُمَّ يُمِيتُكَ ثُمَّ يُحْيِيكَ، ثُمَّ يُدْخِلُك نَار جَهَنَّم**) . قال: ونزلت الآيات : (ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ). إلى آخر الآية.[2]

وممن ذكر ذلك من المفسرين : السمعاني[3] والماوردي[4] وابن عطية[5] وابن الجوزي[6] والقرطبي[7] وابن كثير[8] وابن عاشور .[9]

القول الثاني: أن الذي جاء بالعظم هو أمية بن خلف .

---

(١) التسهيل لابن جزي: ص(٥٩٤).

(٢) تفسير الطبري (٢٣/ ٢٥)، والحديث أخرجه ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس (١٠/ ٣٢٠٢ . وابن كثير (٣/ ٥٨٢)، وانظر: الصحيح المسند من أسباب النزول للوادعي .

(٣) السمعاني ((٤/ ٣٨٩).

(٤) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ٣٣).

(٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٥٨).

(٦) زاد المسير (٧/ ٤٠).

(٧) تفسير القرطبي (١٥/ ٥٧).

(٨) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٨٢).

(٩) التحرير والتنوير (٢٢/ ٤٠٠).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

قال ابن عطية: قال مجاهد وقتادة: إن الذي جاء بالعظم النخر أمية بن خلف .[1] ونقله ابن الجوزي عن الحسن .[2]

القول الثالث: أنه أبي بن خلف . وهو قول مجاهد وقتادة وعكرمة والسدي .

وروى ابن جرير عن مجاهد وقتادة في قوله(ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ) قالوا: أُبي بن خَلَف أتى رسول الله ﷺ بعَظْم.[3]

قال الماوردي [4]وذكر السمعاني[5] والبغوي[6] أن الأشهر في هذه المسألة أن القائل هو : : أبي بن خلف .

وقال الزمخشري: وروي أن جماعة من كفار قريش منهم أبيّ بن خلف الجمحي، وأبو جهل، والعاصي بن وائل، والوليد بن المغيرة، تكلموا في ذلك، فقال لهم أبيّ : ألا ترون إلى ما يقول محمد، إنّ الله يبعث الأموات، ثم قال : واللات والعزّى لأصيرنّ إليه ولأخصمنه، وأخذ عظماً بالياً فجعل يفته بيده وهو يقول : يا محمد، أترى الله يحيي هذا بعد ما قد رمّ ، قال ﷺ : **(نعم ويبعثك ويدخلك جهنم)** .[7]

قال ابن عطية: وقال ابن عباس: الجائي بالعظم هو عبدالله بن أبي ابن سلول . ثم قال : وهو وَهَم ممن نسبه إلى ابن عباس لأن السورة والآية مكية بإجماع ولأن عبدالله بن أبي لم يجاهر قط هذه المجاهرة، واسم أبي هو الذي خَلَّط على الرواة، لأن الصحيح هو ما رواه ابن وهب عن مالك، وقاله ابن إسحاق وغيره، من أن أبي بن خلف أخا أمية بن خلف هو الذي جاء بالعظم الرميم بمكة ففته في وجه النبي ﷺ وحياله، وقال من يحيى هذا يا محمد؟ ولأبي مع

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٥٨).

(٢) زاد المسير (٧/ ٤٠).

(٣) تفسير الطبري (٢٣/ ٢٥).

(٤) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ٣٣).

(٥) السمعاني ((٤/ ٣٨٩).

(٦) تفسير البغوي (٤/ ٢١).

(٧) الكشاف (٤/ ٣٢).

دكتوراه عبدالمحسن العمري (كامل الرسالة :: مع الفهارس) ٥

النبي ﷺ مقامات ومقالات إلى أن قتله يوم أحد بيده بالحربة بجرح في عنقه .[1]

وقال ابن الجوزي: قاله مجاهد، وقتادة، والجمهور، وعليه المفسِّرون.[2] وممن ذكره أيضاً: القرطبي[3] وابن عاشور.[4]

وقال ابن كثير: قال مجاهد، وعِكْرِمَة، وعروة بن الزبير، والسُّدِّي. وقتادة: جاء أُبي بن خلف لعنه الله إلى رسول الله ﷺ وفي يده عظم رميم وهو يُفَتِّتُه ويذريه في الهواء، وهو يقول: يا محمد، أتزعم أن الله يبعث هذا؟ . فقال: (**نعم، يميتك الله تعالى، ثم يبعثك، ثم يحشرك إلى النار**) . ونزلت هذه الآيات من آخر يس: (ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک گ) إلى آخرهن.[5]

الترجيح : وبالتأمل نجد أن الراجح هو ما رجحه ابن جزي رحمه الله تعالى . وهو مروي عن ابن عباس وسعيد بن جبير كما عند ابن أبي حاتم وصحح الرواية بذلك الشيخ مقبل الوادعي في كتابه الصحيح المسند من أسباب النزول .[6]

وأما القول الثالث، فهو قول مجاهد وقتادة وعكرمة وعروة بن الزبير والسدي والحسن ومالك وابن إسحاق وجمهور المفسرين وهو المشهور عندهم، غير أن المقدم هو ما قدمه ابن جزي لصحة الرواية في ذلك والقاعدة تقول : إذا تعددت المرويات في سبب النزول، نظر إلى الثبوت فاقتصر على الصحيح ثم العبارة فاقتصر على الصريح فإن تقارب الزمان حمل على الجميع وإن تباعد حكم بتكرار النزول أو الترجيح .[7]

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٥٨).

(٢) زاد المسير (٧/ ٤٠).

(٣) تفسير القرطبي (١٥/ ٥٧).

(٤) التحرير والتنوير (٢٢/ ٤٠٠).

(٥) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٨٢).

(٦) الصحيح المسند من أسباب النزول للوادعي: ص(١٩٧)، وقال: الحديث: أخرجه الحاكم في المستدرك: (٢/ ٤٢٩)، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

(٧) مختصر قواعد التفسير للسبت: ص(٣) .

دكتوراه عبدالعلي الحمدي (كامل الرسالة :: مع الفهارس) ٥

قال الحافظ ابن كثير : وعلى كل تقدير سواء كانت هذه الآيات قد نزلت في أُبي بن خلف، أو في العاص بن وائل، أو فيهما، فهي عامة في كل مَنْ أنكر البعث. والألف واللام في قوله: (ڈ ڈ ژ گ) للجنس، يعم كل منكر للبعث. [1]

قلت : ويحتمل أن يكون الأمر وقع منهم جميعاً، فربما اتفقوا عليه وكان المتحدث أحدهم، ولذا جاءت الرواية في كل مرة عن واحد منهم .

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٨٣).

ترجيحات واختيارات ابن جزي الكلبي في تفسيره

سورة الصافات

الكلام على قوله تعالى: (ﭐ ﭑ ﭒ).

والآية فيها مسألة واحدة وهي: ما معنى الصافات ؟.

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: « تقديره: والجماعات الصافات. ثم اختلف فيها، فقيل: هي الملائكة التي تصف في السماء صفوفا لعبادة الله. وقيل: هو من يصف من بني آدم في الصلوات والجهاد. **والأول أرجح**، لقوله حكاية عن الملائكة: (ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ)».[1]

والمسألة فيها قولان:

القول الأول: أن المقصود هو الملائكة، تصف صفوفاً لعبادة الله في السماء.

وهذا مروي عن ابن مسعود، وابن عباس، وعكرمة وسعيد بن جبير، ومجاهد، وقتادة والحسن، ومسروق، وقتادة والسديّ، والربيع بن أنس. كما ذكر ذلك ابن جرير[2] والماوردي[3] والسمعاني[4] والبغوي[5] والزمخشري[6] وابن عطية[7] وابن الجوزي[8] والقرطبي[9] وابن كثير[10] وابن عاشور[11] والسعدي.[12] وهو قول عامة أهل العلم وجمهور المفسرين.

ويؤيده ما ثبت عن النبي ﷺ من حديث جابر بن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ: (**ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربهم**)؟. قلنا: وكيف تصف الملائكة عند ربهم؟.قال: (**يتمون**

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ص(٥٩٥).

(٢) تفسير الطبري (٢٣/ ٣٣).

(٣) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ٣١).

(٤) السمعاني ((٤/ ٣٩١).

(٥) تفسير البغوي (٤/ ١٧).

(٦) الكشاف (٤/ ٢٩).

(٧) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٦٥).

(٨) زاد المسير (٧/ ٤٤).

(٩) تفسير القرطبي (١٥/ ٦١).

(١٠) تفسير ابن كثير (٣/ ٣).

(١١) تفسير التحرير والتنوير (٢٣/ ٨٢).

(١٢) تفسير السعدي (١/ ٧٠٠).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

الصفوف المقدمة ويتراصون في الصف).[1] وقوله تعالى في حكايته عن الملائكة: (ک ک گ گ گ گ گ ڳ ڳ).

قال الشيخ الأمين: أكثر أهل العلم على أن المراد بالصافات هنا، والزاجرات، والتاليات: جماعات الملائكة، وقد جاء وصف الملائكة بأنهم صافون، وذلك في قوله تعالى عنهم: (ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ) (الصافات: ١٦٥-١٦٦) ومعنى كونهم صافين: أن يكونوا صفوفاً متراصين بعضهم جنب بعض في طاعة الله تعالى، من صلاة وغيرها. وقيل: لأنهم يصفون أجنحتهم في السماء، ينتظرون أمر الله.

ويؤيد القول الأول حديث حذيفة الذي قدمنا في أول سورة المائدة في صحيح مسلم: وهو قوله ﷺ: (**فضلنا على الناس بثلاث: جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة، وجعلت لنا الأرض كلها مسجداً، وجعلت لنا تربتها طهوراً إذا لم نجد الماء**).[2] وهو دليل صحيح على أن الملائكة يصفون كصفوف المصلين في صلاتهم.[3]

القول الثاني: أن المراد صفوف المصلين والمتهجدين والمجاهدين في سبيل الله من بني آدم.

حكى الماوردي عن النقاش أن المراد به جماعة المؤمنين إذا قاموا في صفوفهم للصلاة، لقوله تعالى: (ڪ ڪ ڪ ڪ) (الصف: ٤). قال: ويحتمل أنها صفوف المجاهدين في قتال المشركين.[4] وجوزه الزمخشري وحكاه عن علي بن أبي طالب.[5]

وممن ذكر ذلك من المفسرين : السمعاني[6] وابن عطية[7] والقرطبي

---

(١) أخرجه ومسلم في الصلاة، باب: الأمر بالسكون في الصلاة وإتمام الصفوف برقم: (٤٣٠) (١/ ٣٢٢).

(٢) الحديث: صحيح. أخرجه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة: (١/ ٣٦٢).

(٣) أضواء البيان (٦/ ٣٠١).

(٤) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ٣١).

(٥) الكشاف (٤/ ٢٩).

(٦) السمعاني ((٤/ ٣٩١).

(٧) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٦٥).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

وحكاه عن القشيري[1] والشنقيطي.[2]

الترجيح:

الراجح والعلم عند الله تعالى هو ما استفاض عن جمهور أهل العلم من الصحابة والتابعين وعامة المفسرين - حتى حكى ابن جرير الإجماع على ذلك - أن المراد بالصافات هم الملائكة تصف في السماء لعبادة الله أو تصف أجنحتها في السماء وذلك لعدة أمور:

الأمر الأول: أن ذلك جاء مبينا في نفس السورة في قوله تعالى: (ک ک گ گ) حكاية عن الملائكة. والقرآن يفسر بعضه بعضاً.

الأمر الثاني: أن النبي ﷺ بين كما في الحديث الصحيح كيفية صف الملائكة عند ربها، وهذا هو مفهوم سياق الآيات.

الأمر الثالث: أن الحمل على أن المراد بذلك جماعات المصلين فيه بعد، لأن هذا لابد فيه من التقدير فتقول: والصافات، أي: والجماعات الصافات. وإلا فإن الكلام لا يستقيم مع المعنى المذكور. والقاعدة تقول: يجب أن يقلل التقدير ما أمكن في كتاب الله تعالى.[3]

قال ابن جرير: والذي هو أولى بتأويل الآية عندنا ما قال مجاهد، ومن قال هم الملائكة، لأن الله تعالى ذكره، ابتدأ القَسَم بنوع من الملائكة، وهم الصافون بإجماع من أهل التأويل، فلأن يكون الذي بعده قَسَماً بسائر أصنافهم أشبه.[4]

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

(١) تفسير القرطبي (١٥/ ٦٢).

(٢) أضواء البيان (٦/ ٣٠١ غير أنه رجح القول الأول لأنه أظهر وأكثر قائلاً.

(٣) انظر: مختصر قواعد التفسير للسبت: ص(١٠).

(٤) تفسير الطبري (٢٣/ ٣٣).

دكتوراه عبدالعلي العمدي (كامل الرسالة :: مع الفهارس) ٥

الكلام على قوله تعالى: (ٻ ٻ پ).

والآية فيها مسألة واحدة وهي: ما معنى الزاجرات ؟.

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: «هي الملائكة تزجر السحاب وغيرها وقيل الزاجرون بالمواعظ من بني آدم وقيل هي آيات القرآن المتضمنة للزجر عن المعاصي ».[1]

والمسألة فيها ثلاثة أقوال:

القول الأول: أنها الملائكة تزجر السحاب وتسوقه.

وهو مروي عن ابن مسعود، وابن عباس، ومسروق، وقتادة، وعكرمة، وسعيد بن جبير، ومجاهد، والسديّ، والربيع بن أنس. كما ذكر ذلك أهل التفسير كابن جرير[2] والماوردي[3] والسمعاني[4] والبغوي[5] والزمخشري[6] وابن عطية[7] وابن الجوزي[8] والقرطبي[9] والقرطبي[9] وابن كثير[10] والشنقيطي.[11]

وقال ابن عاشور: والمراد به تسخير الملائكة المخلوقات التي أمرهم الله بتسخيرها خلقاً أو فعلاً، كتكوين العناصر، وتصريف الرياح، وإزجاء السحاب إلى الآفاق.[12]

القول الثاني: أن المراد به: الزاجرون بالمواعظ من بني آدم. كالأنبياء، والرسل، والعلماء، لأنهم يزجرون أهل المعاصي بالمواعظ والنصائح.

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ص(٥٩٥).

(٢) تفسير الطبري (٢٣/ ٣٢).

(٣) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ٣٠).

(٤) السمعاني ((٤/ ٣٩١).

(٥) تفسير البغوي (٤/ ٢٢).

(٦) الكشاف (٤/ ٣٦).

(٧) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٥٧).

(٨) زاد المسير (٧/ ٤٤).

(٩) تفسير القرطبي (١٥/ ٦٢).

(١٠) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٧٧).

(١١) أضواء البيان (٦/ ٣٠١).

(١٢) تفسير التحرير والتنوير (٢٣/ ٨٣).

دكتوراه عبدالعلي الحمدي (كامل الرسالة .:. مع الفهارس) ٥

وممن ذكر هذا القول من المفسرين:

الزمخشري[1] والسمرقندي[2] والنيسابوري[3] وابن عادل[4] والشوكاني[5] والشنقيطي.[6] والشنقيطي.[6]

القول الثالث: أنها آيات القرآن المتضمنة للزجر عن المعاصي.

فروى ابن جرير عن قتادة قال: ما زَجَر الله عنه في القرآن.[7] وحكاه الماوردي عن الربيع الربيع والنقاش وابن عيسى.[8] وممن ذكر ذلك من المفسرين:

السمعاني[9] والبغوي[10] وابن عطية[11] وابن الجوزي[12] والقرطبي[13] والشنقيطي.[14]

قال ابن كثير: قال الربيع بن أنس: (ﭑ ﭒ ﭓ) ما زجر الله عنه في القرآن. وكذا رَوَى مالك، عن زيد بن أسلم.[15]

---

(١) الكشاف (٤/ ٣٦).

(٢) بحر العلوم للسمرقندي (٣/ ٤٨٤).

(٣) تفسير النيسابوري (٦/ ٣٣٧).

(٤) تفسير اللباب لابن عادل (١٣/ ٢٧٧).

(٥) فتح القدير (٦/ ١٨٥).

(٦) أضواء البيان (٦/ ٣٠١).

(٧) تفسير الطبري (٢٣/ ٣٢).

(٨) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ٣٠).

(٩) السمعاني ((٤/ ٣٩١).

(١٠) تفسير البغوي (٤/ ٢٢).

(١١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٥٧).

(١٢) زاد المسير (٧/ ٤٤).

(١٣) تفسير القرطبي (١٥/ ٦٢).

(١٤) أضواء البيان (٦/ ٣٠١).

(١٥) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٧٧).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

الترجيـــح:

والراجح أن القول في المسألة كالقول في المسألة التي قبلها. وأن المـراد بـذلك الملائكـة. وذلك لتوحد سياق الآيات.

قال ابن جرير: والذي هو أولى بتأويل الآية عندنا ما قال مجاهد، ومن قال هم الملائكـة، لأن الله تعالى ذكره، ابتدأ القَسَم بنوع من الملائكة، وهم الصـافون بإجمـاع مـن أهـل التأويـل، فلأن يكون الذي بعده قَسَماً بسائر أصنافهم أشبه.[1] وبنحوه قال السمعاني.[2]

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ٣٢).

(٢) السمعاني ((٤/ ٣٩١).

الكلام على قوله تعالى: (پ پ پ).

والآية فيها مسألة واحدة وهي: ما المراد بقوله: (پ پ پ) ؟.

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: « هي الملائكة تتلو القرآن والذكر. وقيل: هم التالون للقرآن والذكر من بني آدم. وهي كلها أشياء أقسم الله بها على أنه واحد ».[1]

والمسألة فيها قولان:

القول الأول: هي الملائكة تتلو القرآن والذكر. وهو مروي عن ابن مسعود، وابن عباس، والحسن، وسعيد بن جبير، ومسروق، وعِكْرِمة، والسدي، ومجاهد، وقتادة، والربيع بن أنس. كما عند ابن جرير[2] والماوردي[3] والسمعاني[4] وابن الجوزي[5] والبغوي[6] وابن عطية[7] والقرطبي[8] وابن كثير[9] وابن عاشور[10] والشنقيطي.[11]

القول الثاني: هم التالون للقرآن والذكر من بني آدم.

وهو مروي عن قتادة قال: أراد بني آدم الذين يتلون كتبه المنزلة وتسبيحه وتكبيره ونحو ذلك. كما عند ابن عطية.[12]

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ص(٥٩٥).

(٢) تفسير الطبري (٢٣/ ٣٤).

(٣) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ٣٠).

(٤) السمعاني ((٤/ ٣٩١).

(٥) زاد المسير (٧/ ٤٤).

(٦) تفسير البغوي (٤/ ١٦).

(٧) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٦٤).

(٨) تفسير القرطبي (١٥/ ٦٢).

(٩) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٧٧).

(١٠) تفسير التحرير والتنوير (٢٣/ ٨٣).

(١١) أضواء البيان (٦/ ٣٠٠).

(١٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٦٤).

وممن ذكر هذا القول من المفسرين: البغوي[1] والزمخشري[2] والشنقيطي.[3]

والقول في هذه المسألة كالقول في المسألة التي قبلها .

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم .

---

(١) تفسير البغوي (٤/ ١٦).

(٢) الكشاف (٤/ ٣٦).

(٣) أضواء البيان (٦/ ٣٠٠).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

الكلام على قوله تعالى: (ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾ ﷿ ﷽ ﷾ ﷿ ﷽ ﷾ ﷿

أحد شيئاً لم يفلته الشهاب قبل أن يلقي ذلك السمع إلى الذي تحته، لأن من وقت محمد ﷺ ملئت السماء حرساً شديداً وشهباً، وكان الرجم في الجاهلية أخف، وروي في هذا المعنى أحاديث صحاح مُضَمَّنها أن الشياطين كانت تصعد إلى السماء فتقعد للسمع واحداً فوق آخر يتقدم الأجسر نحو السماء ثم الذي يليه ثم الذي يليه فيقضي الله تعالى الأمر من الأمور في الأرض، فيتحدث به أهل السماء، فيسمعه منهم ذلك الشيطان الأدنى، فيلقيه إلى الذي تحته، فربما أحرقه شهاب وقد ألقى الكلام، وربما لم يحرقه جملة فينزل تلك الكلمة إلى الكهان فيكذبون معها مائة كذبة، فتصدق تلك الكلمة، فيصدق الجاهلون الجميع، فلما جاء الله تعالى بالإسلام حرست السماء بشدة فلم يفلت شيطان سمع بتة، ويروى أنها لا تسمع شيئاً الآن.[1] وبنحو ما قال ابن عطية ذكر القرطبي.[2]

القول الثاني: على القراءة بالتشديد (ﭽ ﭾ ﭿ) يكون المعنى: أنه نفي عنهم طلب السماع فضلاً عن الاستماع. وهذا المعنى أشد من الأول. وهذه هي قراءة حمزة، والكسائي، وحفص. فهم إذا منعوا من التسمع، فإنهم عن السمع أشد منعاً وأبعد منه، لأن المتسمع يجوز أن يكون غير سامع، والسامع قد حصل له الفعل، فيكون هذا الوجه أبلغ في زجرهم لأن الإنسان قد يتسمع ولا يسمع.[3]

قال ابن جرير: وأصل القراءة: لا يتسمعون ثم أدغموا التاء في السين فشددوها.[4] وحكى الماوردي عن قتادة أنه قال: إنهم منعوا بها أن يسمعوا أو يتسمعوا.[5]

وممن ذكر نحو ذلك من المفسرين: والسمعاني[6] والبغوي[7] والزمخشري[8] وابن عطية[9] وابن الجوزي.[1]

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٦٥).
(٢) تفسير القرطبي (١٥/ ٦٥)، وانظر: تفسير السمعاني ((٤/ ٣٩٢) تفسير التحرير والتنوير (٢٣/ ٨٣).
(٣) انظر: حجة القراءات لابن زنجلة: ص(٦٠٥ - ٦٠٦).
(٤) تفسير الطبري (٢٣/ ٣٦).
(٥) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ٣٨).
(٦) السمعاني ((٤/ ٣٩٢).
(٧) تفسير البغوي (٤/ ٢٣).
(٨) الكشاف (٤/ ٣٦).
(٩) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٦٥).

دكتوراه عبدالعلي المسدي (كامل الرسالة :: مع الفهارس) 5

قال ابن عاشور : والتسمع: تطلب السمع وتكلفه، فالمراد التسمع المباشر، وهو الذي يتهيأ له إذا بلغ المكان الذي تصل إليه أصوات الملأ الأعلى، أي أنهم يُدْحرون قبل وصولهم المكان المطلوب. والقراءتان في معنى واحد، وما نقل عن أبي عبيد من التفرقة بينهما في المعنى والاستعمال لا يصح.(٢)

الترجيح:

وبهذا يتبين لك أن من المفسرين من رجح قراءة التخفيف على التشديد كابن جرير والزمخشري وابن عطية. قال ابن جرير: وأولى القراءتين في ذلك عندي بالصواب قراءة من قرأه بالتخفيف، لأن الأخبار الواردة عن رسول الله ﷺ وعن أصحابه، أن الشياطين قد تتسمع الوحي، ولكنها ترمى بالشهب لئلا تسمع.(٣)

وهذا الترجيح - فيما يظهر لي - غير متجه والعلم عند الله تعالى، لأن غاية ما في الأمر أن قراءة التخفيف تنفي حصول الاستماع، وقراءة التشديد تنفي تطلب الاستماع، ولا تعارض في ذلك، ولعل ما حمل ابن جرير على ترجيح قراءة التخفيف هو ما ثبت في الأحاديث من أن الشياطين يركب بعضهم على بعض حتى يصلوا إلى السماء ليسترقوا السمع فاعتبر هذا الفعل منهم تطلباً للسماع وكأن هذا التطلب ظاهره يعارض المعنى المذكور في قراءة التشديد.

وهذا يجاب عنه: بأن الشياطين إنما يسترقون السمع بوصولهم إلى مقاعد للسمع في السماء تصل إليها أصوات الملائكة فيخطفون الخطفة من الوحي فينزلون بها، وأن هذا كان بمقدورهم قبل بعثة النبي ﷺ وأما بعد بعثة النبي ﷺ وتشديد الحراسة على السماء بالشهب فلم يعد بإمكانهم الوصول إلى هذه المقاعد ويدل لهذا قوله تعالى في سورة الجن: (٥ ~ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

يخبر تعالى عن الجن حين بعث الله رسوله محمدًا ﷺ وأنزل عليه القرآن، وكان من حفظه له أن السماء مُلئَت حرسا شديدًا، وحفظت من سائر أرجائها، وطردت الشياطين عن مقاعدها التي كانت تقعد فيها قبل ذلك؛ لئلا يسترقوا شيئا من القرآن. فيلقوه على ألسنة الكهنة، فيلتبس الأمر ويختلط ولا يدرى من الصادق. وهذا من لطف الله بخلقه ورحمته بعباده، وحفظه لكتابه العزيز، ولهذا قال الجن: (ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

الكلام على قوله تعالى: (ڑ ڑ ڑ ک ک ک ک ک گ گ گ گ گ گ ڳ ڳ)

والآية فيها مسألة واحدة وهي: ما المراد بقوله تعالى: (ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ ڳ)؟.

قال ابن جزي رحمه الله تعالى بعد أن بين أن الضمير لكفار قريش: « و « من خلقنا» يراد به ما تقدم ذكره من الملائكة والسماوات والأرض والمشارق والكواكب. وقيل: يراد به ما تقدم من الأمم. **والأول أرجح**. لقراءة ابن مسعود: «أم من عددنا». ومقصد الآية إقامة الحجة عليهم في إنكارهم البعث في الآخرة، كأنه يقول: هذه المخلوقات أشد خلقا منكم، فكما قدرنا على خلقهم، كذلك نقدر على إعادتكم بعد فنائكم ».[1]

والمسألة فيها قولان:

القول الأول: أن المراد بقوله: (ک ک گ گ) يراد به: ما تقدم ذكره من الملائكة والسماوات والأرض والمشارق والكواكب والجبال والشهب الثواقب، والشياطين المردة.

وهذا مروي عن: ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير. وفي قراءة عبدالله بن مسعود: «أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقا أَمْ مَنْ عَدَدْنَا» وكذا قرأ الضحاك وقتادة والأعمش.

وهو استفهام بمعنى التقرير، أي: هذه الأشياء أشد خلقا كما قال: (ۀ ہ ہ ہ ہ ۀ ۀ ڻ ڻ ڻ ڻ) **(غافر:٥٧)** وقال: (ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک) **(النازعات:٢٧)**.

وممن ذكر نحو ذلك من المفسرين: ابن جرير[2] والماوردي[3] والسمعاني[4] والبغوي[5] وابن عطية[6] وابن الجوزي[7] والقرطبي[8] وابن كثير.[1]

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ص(٥٩٦). انظر : شواذ القراءات للكرماني : ٤٠٤

(٢) تفسير الطبري (٢٣/ ٤١).

(٣) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ٤٠).

(٤) السمعاني ((٤/ ٣٩٣).

(٥) تفسير البغوي (٤/ ١٥).

(٦) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٦٥).

(٧) زاد المسير (٧/ ٤٨).

(٨) تفسير القرطبي (١٥/ ٦٨).

دكتوراه عبدالعلي الحمدي (كامل الرسالة :: مع الفهارس) 5

واستدل الزمخشري على ذلك بقرينة، وهي أن الله تعالى قال بعد عدّ هذه الأشياء: (ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ) بالفاء المعقبة. وقوله: (ک ک ک گ گ) مطلقاً من غير تقييد بالبيان، اكتفاء ببيان ما تقدّمه، كأنه قال: خلقنا كذا وكذا من عجائب الخلق وبدائعه، فاستفتهم أهم أشدّ خلقاً أم الذي خلقناه من ذلك، ويقطع به قراءة من قرأ: «أم من عددنا» بالتخفيف والتشديد.[٢] وبنحوه قال ابن عاشور، وعلل المجيء باسم العاقل وهو: «مَن» الموصولة، تغليباً للعاقلين من المخلوقات.[٣]

القول الثاني: أن المراد بذلك: ما تقدم من الأمم وقد أهلكهم الله بذنوبهم وهم أشد خلقا منهم.

وهذا القول حكاه الماوردي عن ابن عيسى[٤]. وقال السمعاني: وزعم أهل المعاني: أنه لا بد أن تكون الملائكة وما خلقه الله من الجن والذين يعقلون مراداً بالآية، لأن الله تعالى قال: (ک ک ک گ گ) و «من» لا تذكر إلا فيمن يعقل[٥]. وكذا قال البغوي وحكاه بصيغة التمريض.[٦] وكذا قال الزمخشري وقال: وليس هذا القول بملائم[٧]. وذكره ابن الجوزي[٨] والقرطبي[٩]. ولم يعقبا عليه.

الترجيح:

والراجح والعلم عند الله تعالى هو القول الأول وهو ما رجحه ابن جزي عليه رحمة الله تعالى، وذلك لعدة أمور:

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٥).

(٢) الكشاف (٤/ ٤٠).

(٣) تفسير التحرير والتنوير (٢٣/ ٩٤).

(٤) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ٤٠).

(٥) السمعاني ((٤/ ٣٩٣).

(٦) تفسير البغوي (٤/ ٢٢).

(٧) الكشاف (٤/ ٤٠).

(٨) زاد المسير (٧/ ٤٨).

(٩) تفسير القرطبي (١٥/ ٦٨).

دكتوراه عبدالعلي المدني (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

الأمر الأول: أن هذا هو قول جمهور المفسرين.

الأمر الثاني: أن هذا هو ما تعضده قواعد التفسير فإن الأولى أن يلحق الكلام بما يليه، وليس في سياق الآيات ذكر للأمم الماضية.[1]

الأمر الثالث: أن ما ذكروه من أن «من» الموصولية لا تستخدم إلا في العاقل، فهذا صحيح لكن الكلام إذا تضمن من يعقل ومن لا يعقل فإن التغليب يكون لمن يعقل كما هو الحال إذا ذكر الرجال والنساء والجن والإنس كما هو متقرر.

الأمر الرابع : ومما يؤيد ذلك أن القراءة الشاذة يستدل بها في التفسير .

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

(١) انظر: مختصر قواعد التفسير للسبت: ص(٦).

الكلام على قوله تعالى: (ڈ ڈ ژ ژ ڑ) .

والآية فيها مسألةواحدة وهي: ما المراد بقوله: يستسخرون ؟.

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: «و يستسخرون معناه: يسخرون فيكون فعل واستعمل بمعنى واحد. وقيل: معناه يستدعي بعضهم بعضا لأن يسخر. وقيل: يبالغون في السخرية».[1]

والمسألة فيها ثلاثة أقوال:

القول الأول: أن معنى يستسخرون: أي يسخرون إذا رأوا حُجَّة من حجج الله عليهم، ودلالة على نبوة نبيه محمد ﷺ. وقد روى هذا ابن جرير عن قتادة، ومجاهد.[2] وعليه فيكون فَعِلَ واسْتَفْعَل بمعنى واحد.

وممن ذكر ذلك من المفسرين: السمعاني.[3] والبغوي.[4] وابن عطية.[5] والقرطبي.[6] وقال ابن الجوزي: قال أبو عبيدة: يَسْتَسْخِرونَ ويَسْخَرونَ سواء. قال ابن قتيبة: يقال سَخِرَ واسْتَسْخَرَ، كما يقال: قَرَّ واسْتَقَرَّ، وعَجِبَ واسْتَعْجَبَ.[7]

القول الثاني: أن معنى يستسخرون أي: يستدعي بعضهم بعضا للسخرية. لأن الفرق بين سخر واستسخر كالفرق بين علم واستعلم.

وممن ذكر هذا من المفسرين: الماوردي[8] والسمعاني[9] والبغوي[10]

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ص(٥٩٧).

(٢) تفسير الطبري (٢٣/ ٤٤).

(٣) السمعاني ((٤/ ٣٩٥).

(٤) تفسير البغوي (٤/ ١٥).

(٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٦٨).

(٦) تفسير القرطبي (١٥/ ٧١).

(٧) زاد المسير (٧/ ٤٨).

(٨) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ٤٢).

(٩) السمعاني ((٤/ ٣٩٥).

(١٠) تفسير البغوي (٤/ ١٥).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

والزمخشري[1] والقرطبي.[2]

وقال ابن الجوزي: يجوز أن يكون: يسألون غيرَهم من المشركين أن يَسْخَروا من رسول الله كما يقال: اسْتَعْتَبْتُه، أي: سألتُه العُتْبَى، واسْتَوْهَبْتُه، أي: سألتُه الهِبَة، واسْتَعْفَيْتُه: سألتُه العَفْوَ.[3]

القول الثالث: أن معنى يستسخرون: أي يبالغون في السخرية.

وممن ذكر هذا القول:الزمخشري[4] وأبو السعود.[5] وقال ابن عاشور:(ﮦ ﮧ) مبالغة مبالغة في السخرية، فالسين والتاء للمبالغة كقوله:(ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ)**(آل عمران: ١٩٥)** وقوله: (ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ) **(الزخرف: ٤٣)**. فالسخرية المذكورة في قوله: (ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ) سخرية من محاجّة النبي ﷺ إياهم بالأدلة . والسخرية المذكورة هنا : [أي: (ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ)] سخرية من ظهور الآيات المعجزات، أي يزيدون في السخرية بمن ظنّ منهم أن ظهور المعجزات يحول بهم عن كفرهم، ألا ترى أنهم قالوا: (ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

في الآية معنى جديداً، لأن هذا المعنى قد تقدم في قوله تعالى: (ﮋ ﮊ ﮋ ﮊ) والقاعدة تقول: إن الحمل على التأسيس أولى من الحمل على التأكيد.[1]

الأمر الثاني: أن الألف والسين والتاء كما هو معلوم للتطلب فتقول: استرشد. أي: طلب الرشاد وللمبالغة كما تقول: استفحل الأمر إذا عظم وزاد . والزيادة في المبنى تدل على الزيادة في المعنى وتفسيرنا لقوله (ﮋ ﮊ) بأنه مبالغة في السخرية، أو بأنهم يدعون غيرهم إلى السخرية أرجح وأولى وأليق ببلاغة القرآن من قَصْرها على مجرد السخرية فقط والتي تقدم ذكرها في سياقٍ قبل هذه الآية. وهذا يؤيده ما جاء عن الرماني قال: معناه يدعو بعضهم بعضا إلى أن يسخر.[2]

الأمر الثالث: نعم قرر أهل اللغة أن فعل واستفعل بمعنى واحد كما تقول: عجب واستعجب.[3] لكن هذا وحده لا يكفي لترجيح القول الأول، فقد يصح شيء لكن غيره أولى منه. وإذا فسر القرآن باللغة فلابد من حمله على أكمل الوجوه وأفصحها، كما هو مقرر.

ومن هنا يتبين أن الراجح والعلم عند الله تعالى هو القول الثاني والثالث، وعليه فيكون معنى الآية أنهم سخروا من كلام النبي ﷺ فلما جاءتهم الآيات والمعجزات بالغوا في السخرية، وتطلبوها تظاهراً وإن كانوا غير مقتنعين بأسبابها في أنفسهم. أو طلبوها من غيرهم تكثيراً لسوادهم.

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

(١) انظر: البرهان في علوم القرآن (٢/ ٣٨٥).

(٢) لسان العرب (٤/ ٣٥٣).

(٣) نفس المصدر السابق.

الكلام على قوله تعالى: (□ □ □ □ □ ى).

والآية فيها مسألة واحدة وهي: ما المراد بالأزواج هنا ؟.

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: «يعني نساؤهم المشركات. وقيل: يعني أصنامهم وقرناءهم من الجن والإنس».[1]

والمسألة فيها قولان:

القول الأول: أن المراد بالأزواج: نساؤهم المشركات الموافقات لهم على الكفر.

وهذا القول يروى عن الحسن ومجاهد، وذكر الماوردي والقرطبي أن النعمان بن بشير رواه عن عمر بن الخطاب ﷺ وروي عن ابن عباس في رواية، والصواب عنهما خلاف ذلك كما سيأتي.

وممن ذكر هذا القول من المفسرين: الماوردي[2] والبغوي[3] والزمخشري[4] وابن الجوزي[5] والقرطبي[6] وابن عاشور.[7]

وروى ابن كثير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أزواجهم نساؤهم. قال ابن كثير: وهذا غريب، والمعروف عنه الأول كما رواه مجاهد وسعيد بن جبير عنه أزواجهم: قرناءهم.[8]

القول الثاني: أن المراد هنا: أمثالَهم ونظراءَهم وضرباءَهم وقرناءَهم وأشباهَهم، وأتباعهم وأشياعهم، ومن أشبههم من الظلمة من الجن والإنس. وهذا القول أسنده ابن جرير إلى عمر بن الخطاب، وابن عباس، وأبي العالية، وقتادة، والسدي.[9] وهو قول سعيد بن

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ص(٥٩٧).
(٢) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ٤٠).
(٣) تفسير البغوي (٤/ ٢٥).
(٤) الكشاف (٤/ ٤٢).
(٥) زاد المسير (٧/ ٤٨).
(٦) تفسير القرطبي (١٥/ ٧٣).
(٧) زاد المسير (٧/ ٤٨).
(٨) تفسير ابن كثير (٤/ ٥).
(٩) تفسير الطبري (٢٣/ ٤٦).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

جُبَيْر، والكلبي، والضحاك، وعِكْرِمة، ومجاهد، وأبي صالح، وزيد بن أسلم.

فروى ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: (□ □ □ □ □ ى) قال: اشباههم، وفي لفظ: نظراؤهم. وعن زيد بن اسلم ﷺ قال: أزواجهم في الأعمال، وقرأ: (ﺋ ه ۓ ﮦ) [الواقعة]الآية. فأصحاب الميمنة زوج، وأصحاب المشأمة زوج، والسابقون زوج. وعن قتادة قال: أشباههم من الكفار مع الكفار.(١)

وممن ذكر هذا القول من المفسرين: السمعاني(٢) والماوردي(٣) والبغوي(٤) والزمخشري(٥) والزمخشري(٥) وابن عطية(٦) وابن الجوزي(٧) والقرطبي.(٨)

قال ابن كثير: عن النعمان بن بشير، عن عمر بن الخطاب ﷺ: (□ □ □ □ ى) قال إخوانهم.

وعنه قال: سمعت عمر يقول: (□ □ □ □ ى) قال: أشباههم قال: يجيء صاحب الربا مع أصحاب الربا، وصاحب الزّنا مع أصحاب الزّنا، وصاحب الخمر مع أصحاب الخمر.(٩)

قال ابن عاشور: قيل: الأزواج: الأصناف، أي أشياعهم في الشرك وفروعه قاله قتادة وهو رواية عن عمر بن الخطاب وابن عباس. وعن الضحاك: الأزواج المقارنون لهم من الشياطين.(١٠)

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٠٨).
(٢) السمعاني ((٤/ ٣٩٦).
(٣) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ٤٠).
(٤) تفسير البغوي (٤/ ٢٥).
(٥) الكشاف (٤/ ٤٢).
(٦) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٦٨).
(٧) زاد المسير (٧/ ٤٨).
(٨) تفسير القرطبي (١٥/ ٧٣ - ٧٤).
(٩) تفسير ابن كثير (٤/ ٥).
(١٠) تفسير التحرير والتنوير (٢٣/ ١٠٢).

قال الشيخ الأمين: وقوله تعالى: ﴿ وَأَزْوَاجُهُمْ ﴾ جمهور أهل العلم منهم: عمر وابن عباس، على أن المراد به أشباههم ونظراؤهم، فعابد الوثن مع عابد الوثن، والسارق مع السارق، والزاني مع الزاني، واليهودي مع اليهودي، والنصراني مع النصراني، وهكذا. وإطلاق الأزواج على الأصناف مشهور في القرآن، وفي كلام العرب؛ كقوله تعالى: (ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ)[الزخرف]وقوله تعالى:(ہ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ)[يس]وقوله تعالى: (ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ)[طه]وقوله تعالى:(ڳ ڳ ڳ ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ے)[طه]إلى غير ذلك من الآيات. فقوله تعالى: (□ □ □ □ □ ى) أي: اجمعوا الظالمين وأشباههم ونظراءهم، فاهدوهم إلى النار ليدخلها جميعهم، وبذلك تعلم أن قول من قال: المراد بـ﴿ □ ﴾: نساؤهم اللاتي على دينهم، خلاف الصواب.(1)

الترجيح:

والصواب والعلم عند الله تعالى هو القول الثاني وليس كما رجحه ابن جزي عليه رحمة الله جل وعلا، وذلك لعدة أمور:

الأمر الأول: أن هذا قول جمهور أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ والتابعين وتابعي التابعين، والمصير إليه أولى من المصير إلى غيره.

الأمر الثاني: أن هذا المعنى هو المستعمل في نظائر هذه الآية في كتاب الله تعالى، فالزوج يطلق ويراد به الشكل والنظير والمثيل كما مر في كلام الشنقيطي.

الأمر الثالث: أن هذا المعنى مقرر في غير هذا الموضع من الآيات كقوله تعالى: (ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ)[التكوير]وجاء تفسيره عن أصحاب النبي ﷺ كما عند ابن أبي حاتم عن النعمان قال: سئل عمر عن قوله تعالى:(ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ) فقال: يقرن بين الرجل الصالح مع الرجل الصالح، ويقرن بين الرجل السوء مع الرجل السوء في النار، فذلك تزويج الانفس. وعنه أن عمر قال للناس: ما تقولون في تفسير هذه الآية: (ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ)؟. فسكتوا. قال: ولكن هو

---

(١) أضواء البيان (٦/ ٣٢٠٨).

الرجل يزوج نظيره من أهل الجنة، والرجل يزوج نظيره من أهل النار، ثم قرأ: (□ □ □ □ □ ى).[1]

وروى ابن جرير عن الحسن في قوله: (ڈ ڦ ڦ ڦ) قال: ألحق كل امرئ بشيعته. وعن مجاهد قال: الأمثال من الناس جمع بينهم. وعن قتادة قال: لحق كل إنسان بشيعته اليهود باليهود والنصارى بالنصارى. وعن الربيع بن خيثم قال: يحشر المرء مع صاحب عمله.[2] وهذا هو ما رجحه شيخ الإسلام ابن تيمية عليه رحمة الله تعالى.[3]

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٠٦).

(٢) تفسير الطبري (٣٠/ ٥).

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٥/ ٣١٥).

الكلام على قوله تعالى: (□□ □ □ □ □).

والآية فيها مسألة واحدة وهي: ما الذي يسألون عنه في قوله تعالى: (□ □ □)؟.

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: «يعني: أنهم يُسألون عن أعمالهم توبيخاً لهم. وقيل: يسألون عن قول لا إله إلا الله. **والأول أرجح** لأنه أهم. ويحتمل: أن يسألوا عن عدم تناصرهم على وجه التهكم بهم فيكون «مسئولون» عاملا فيما بعده، والتقدير: يقال لهم ما لكم لا ينصر بعضكم بعضا وقد كنتم في الدنيا تقولون: (□ □ □ □ □) [القمر] ».[1]

والمسألة فيها ثلاثة أقوال:

القول الأول: أن السؤال هنا عن الأعمال وذلك على وجه التوبيخ.

وهذا مروي عن ابن عباس والقرظي والكلبي والضحاك، وحكاه ابن عطية عن جمهور المفسرين.

ويدل له ما جاء عن النبي ﷺ من حديث أنس بن مالك قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**ما من داع دعا إلى شيء إلا كان موقوفا يوم القيامة لازما به لا يفارقه وإن دعا رجل رجلا**) ثم قرأ قول الله عز وجل: (□□ □ □ □).[2]

وما جاء من حديث ابن مسعود، عن النبي ﷺ أنه قال: (**لا تزول قدم ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يسأل عن خمس: عن عمره فيم أفناه، وعن شبابه فيم أبلاه، وماله من أين اكتسبه، وفيم أنفقه، وماذا عمل فيما علم**).[3]

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ص(٥٩٧).

(٢) الحديث: ضعيف. أخرجه الترمذي في سننه (١١/ ٢١)، وقال هذا حديث غريب والحاكم في المستدرك على الصحيحين (٨/ ٢٧٧)، والدارمي (٢/ ٦٧). وقال الألباني: ضعيف. كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٧/ ٢٢٨) وضعيف الجامع الصغير برقم: (٥١٧٠).

(٣) الحديث: حسن. أخرجه الترمذي (٢/ ٦٧)، وأبو يعلى في مسنده (٢٥٤/ ٢)، والطبراني في المعجم الكبير (١/ ٤٨/ ١)، وابن عدي في الكامل (ق ٩٥/ ١)، والخطيب البغدادي (١٢/ ٤٤٠)، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣/ ٢٠)، وصحيح وضعيف سنن الترمذي(٥/ ٤١٦).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

وروي عن ابن عباس في قوله: (□□ □ □ □) قال: عن جميع أقوالهم وأفعالهم.[1] وممن ذكر هذا من المفسرين: الطبري[2] وابن أبي حاتم[3] وابن عطية[4] وابن الجوزي[5] والقرطبي[6] وابن كثير[7]

القول الثاني: أن السؤال عن قول لا إله إلا الله. وهو مروي عن ابن عباس كما نقل ذلك البغوي[8] وابن عطية[9] والثعلبي [10] وابن الجوزي[11] والقرطبي[12] وحكاه الماوردي عن يحيى بن سلام.[13]

القول الثالث: أنه يسألهم عن عدم تناصرهم على طريق التوبيخ والتقريع لهم لأنهم كانوا يقولون في الدنيا (□ □ □ □) **(القمر:٤٤)** فيسألهم بقوله تعالى لهم: (ٱ ب ب ٻ ٻ). وعليه فتكون (□ □) عاملاً فيما بعدها. وهو محكي عن يحيى بن سلام كما ذكره الماوردي.[14]

وممن ذكر هذا القول من المفسرين: ابن عطية[15] وابن الجوزي[16] والقرطبي.[17]

---

(١) انظر: تفسير البغوي (٤/ ٢٥ لباب التأويل في معاني التنزيل (٦/ ٢٠)، والثعلبي (٨/ ١٤٢).
(٢) تفسير الطبري (٢٣/ ٤٨).
(٣) تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٠٨).
(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٦٧).
(٥) زاد المسير (٧/ ٥٣).
(٦) تفسير القرطبي (١٥/ ٧٤).
(٧) تفسير ابن كثير (٤/ ٥).
(٨) تفسير البغوي (٤/ ٢٥).
(٩) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٦٧).
(١٠) تفسير الثعلبي (٨/ ١٣٤).
(١١) زاد المسير (٧/ ٥٣).
(١٢) تفسير القرطبي (١٥/ ٧٤).
(١٣) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ٤٠).
(١٤) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ٤٠).
(١٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٦٧).
(١٦) زاد المسير (٧/ ٥٣).
(١٧) تفسير القرطبي (١٥/ ٧٤).

قال ابن عاشور: فالاستفهام في (ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ) مستعمل في التعجيز مع التنبيه على الخطأ الذي كانوا فيه في الحياة الدنيا. وجملة (ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ) مبيّنة لإبهام (□ □) وهو استفهام مستعمل في التعجيب للتذكير بما يسوءهم، فظهر أن السؤال ليس على حقيقته وإنما أريد به لازمه وهو التعجيب، والمعنى: أيّ شيء اختص بكم، فـ «ما» الاستفهامية مبتدأ و « لكم » خبر عنه.(1)

الترجيح:

والراجح والعلم عند الله تعالى هو القول بالعموم لأن سؤال الله للكفار في القرآن، إنما هو للتهكم والتوبيخ والتقريع. وليس على سبيل الاستعلام عن أعمالهم، بل هو للتهكم والتوبيخ. كذلك سؤاله لهم عن عدم نصر بعضهم لبعض.

وإنما ترجح القول بالعموم لعدة أمور:

الأمر الأول: أن السؤال عن الأعمال ثابت بنصوص الكتاب والسنة والقرآن يفسر بعضه بعضاً فإن الله تعالى قال في محكم كتابه:

(ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ) **(الأعراف: ٦)** (ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ) **(الحجر: ٩٢)** (ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ) **(النحل: ٥٦)** (□ □ □ □ □ □ □ □ □ □) **(النحل: ٩٣)** (□ □ □ □ □ □ □ □ □ □) **(الإسراء: ٣٦)** (ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ) **(العنكبوت:١٣)** (ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ) **(الزخرف: ١٩)** (ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ) **(الزخرف: ٤٤)**. كما أنه ثابت في صحيح السنة كما تقدم، فإذا ثبت هذا، صح القول الأول، وهو حمل الآية على الأعمال.

الأمر الثاني: أن السؤال عن كلمة التوحيد – كما في القول الثاني – هو جزء من السؤال عن الأعمال، فلا منافاة بين القولين.

الأمر الثالث: أن الله تعالى قال: (□□ □ □ □ ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ) وهذا سياق يشير إلى وجود اقتران بين الآية الأولى والثانية، فكأن الأمر المسؤول عنه تعجباً وتهكماً خذلان بعضهم لبعض بعد أن كانوا في الدنيا عصبة يعتضد بعضهم ببعض، ليبين لهم حقيقة بطلان ما كانوا عليه في الدنيا، وتقريعاً لهم بعد أن شاهدوا الحقيقة. ومما يؤيد هذا سياق باقي الآيات من

---

(١) تفسير التحرير والتنوير (٢٣/ ١٠٣).

سؤال بعضهم لبعض وتحاور بعضهم مع بعض. ومن المهم في تفسير كتاب الله تعالى مراعاة ما قبل الآية وما بعدها وسياق الكلام كما هو معلوم.

الأمر الرابع: أن ما ورد من نفي السؤال يوم القيامة في مثل قوله تعالى: (ى ي ي □ □ □ □ □ □)[الرحمن]. وقوله: (ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ)[القصص]لا يتعارض مع هذه الآية وقد بين ذلك الشيخ الأمين في كتابه النافع: دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب مفصلاً، والخلاصة أن قوله تعالى: (□□ □ □ □) صريح في إثبات سؤال الجميع يوم القيامة.

قال الشيخ الشنقيطي:

اعلم أولاً: أن السؤال المنفي في الآيات المذكورة. أخص من السؤال المثبت فيها. لأن السؤال المنفي فيها مقيد بكونه سؤالاً عن ذنوب خاصة. فإنه قال: (ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ) فخصه بكونه عن الذنوب، وقال: (ى ي ي □ □ □ □ □ □)[الرحمن]فخصه بذلك أيضاً. فيتضح من ذلك أن سؤال الرسل والموؤدة مثلاً ليس عن ذنب فعلوه فلا مانع من وقوعه. لأن المنفي خصوص السؤال عن ذنب، ويزيد ذلك إيضاحاً قوله تعالى: (ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ)[الأحزاب] وقوله بعد سؤاله لعيسى المذكور في قوله: (ي ي ذ ذ ڈ ڈ ڈ ژ ژ ھ) الآية. (ى ى ي ي □ □ □□ □)[المائدة]والسؤال عن الذنوب المنفي في الآيات: المراد به سؤال الاستخبار والاستعلام. لأنه جل وعلا محيط علمه بكل شيء، ولا ينافي نفي هذا النوع من السؤال ثبوت نوع آخر منه هو سؤال التوبيخ والتقريع. لأنه نوع من أنواع العذاب، ويدل لهذا أن سؤال الله للكفار في القرآن كله توبيخ وتقريع كقوله: (□□ □ □ □ ٱ ب ب ٻ ٻ)، وقوله: (ٱ ب ب ٻ ٻ پ پ)[الطور]. إلى غير ذلك من الآيات.[1]

وخلاصة الكلام أن السؤال عن الأعمال ثابت بنصوص الكتاب والسنة وأنه على وجه التهكم والتوبيخ وليس على سبيل الاستعلام، ومن هذه الأعمال لا إله إلا الله. وعن عدم تناصرهم يوم القيامة كما كانوا يتناصرون في الدنيا. ولا منافاة بين هذه الأقوال فالحمل على

---

(١) انظر: أضواء البيان (١/ ٥٤٥).

العموم أولى وهو الذي تدل عليه قواعد التفسير، فإن القرآن يدل على المعاني الكثيرة بالألفـاظ القليلة. وإذا احتمل اللفظ معاني عدة ولم يمتنع إرادة الجميع حمل عليها. وعامة ألفاظ القـرآن تدل على معنيين فأكثر.[1]

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

(١) انظر: مختصر قواعد التفسير للسبت: ص(٢٦).

دكتوراه عبدالعلي المعدي (كامل الرسالة :: مع الفهارس) 5

الكلام على قوله تعالى: (□ □ □ □ □ □ □).

والآية فيها مسألتان:

المسألة الأولى: ما المراد بالكأس هنا ؟.

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: « والكأس: الإناء الذي فيه خمر قاله ابن عباس. وقيل الكأس: إناء واسع الفم ليس له مقبض سواء كان فيه خمر أم لا ».[1]

والمسألة فيها قولان:

القول الأول: أن الكأس يراد بها الإناء الذي فيه خمر. وهو مروي عن ابن عباس، والضحاك، وقتادة، والسدي، وهو قول جمهور المفسرين وأهل اللغة كالأخفش، والزجاج.

وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: (□ □ □ □ □ □) قال: الخمر. وقال الضحاك: كل كأس ذكره الله في القرآن إنما عني به الخمر. وقال قتادة في قوله: (□ □ □ □) قال: كأس من خمر لم تعصر، والمعين هي الجارية.[2]

قال ابن جرير: قوله (□ □ □ □ □ □) يقول تعالى ذكره: يطوف الخدم عليهم بكأس من خمر جارية ظاهرة لأعينهم غير غائرة.

ثم روى هذا المعنى عن قتادة والضحاك بن مزاحم، والسدي وقال السدي: والكأس عند العرب: كل إناء فيه شراب، فإن لم يكن فيه شراب لم يكن كأسا، ولكنه يكون إناء.[3]

وممن ذكر هذا المعنى من المفسرين:

الماوردي[4] والسمعاني[5] والبغوي[6] والزمخشري[7] وابن عطية[8]

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ص(٥٩٨).

(٢) تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢١١)، وانظر: تفسير الطبري (٢٣/ ٥٢).

(٣) تفسير الطبري (٢٣/ ٥٢).

(٤) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ٤٦).

(٥) السمعاني ((٤/ ٣٩٨).

(٦) تفسير البغوي (٤/ ٢٧).

(٧) الكشاف (٤/ ٤٤).

(٨) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٦٧).

دكتوراه عبدالعلي الحمدي (كامل الرسالة :: مع الفهارس) ٥

وابن الجوزي[1] والقرطبي.[2]

قال ابن عاشور: كانت خاصة بسقي الخمر حتى كانت الكأس من أسماء الخمر تسمية باسم المحلّ، وجعلوا منه قول الأعشى:

وكأسٍ شربتُ على لَذة وأخرى تداويت منها بها[3]

وقد قيل: لا يسمى ذلك الإِناء كأساً إلا إذا كانت فيه الخمر وإلا فهو قَدَح. والمعنيُّ بها في الآية: الخمرُ. لأنه أفرد الكأس مع أن المَطُوف عليهم كثيرون، ولأنها وُصفت بأنها (□ □ □).[4]

القول الثاني: أن الكأس إناء واسع الفم ليس له مقبض سواء كان فيه خمر أم لا. قال ابن عطية: ذهب بعض الناس إلى أن الكأس آنية مخصوصة في الأواني وهو كل ما اتسع فمه ولم يكن له مقبض، ولا يراعى في ذلك كونه بخمر أم لا.[5] وحكى ابن الجوزي عن أبي عبيدة قال: الكأس الإناء بما فيه.[6]

قال ابن عاشور: وهي إناء بلا عُروة ولا أنبوب واسعة الفم، أي محل الصب منها، تكون من فضة ومن ذهب ومن خزف ومن زجاج، وتسمى قَدَحاً وهو مذكر. وجمع كأس: كاسات وكؤوس وأكؤس.[7]

الترجيح:

والراجح والعلم عند الله تعالى هو القول الأول كما رجحه ابن جزي عليه رحمة الله تبارك وتعالى، وذلك لعدة أمور:

---

(١) زاد المسير (٧/ ٥٦).

(٢) تفسير القرطبي (١٥/ ٧٧ - ٧٨).

(٣) انظر: ديوان المعاني لأبي هلال العسكري وعزاه للأعشى: (١/ ٣٢٧).

(٤) تفسير التحرير والتنوير (٢٣/ ١١٢).

(٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٦٧).

(٦) زاد المسير (٧/ ٥٦).

(٧) تفسير التحرير والتنوير (٢٣/ ١١٣).

دكتوراه عبدالعلي المدني (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

الأمر الأول: أن ما ذكروه من أن المراد بالكأس هو الإناء واسع الفم الذي ليس له مقبض سواء كان فيه خمر أم لا، إنما هو تفسير للكأس ببعض معانيها في اللغة، وقد ذكر ابن منظور معاني الكأس عند العرب فقال: الكأس: الزجاجة ما دام فيها شراب. وقال أبو حاتم: الكأس الشراب بعينه وهو قول الأصمعي. ونقل عن ابن سيده: الكأس الخمر نفسها اسم لها. وفي التنزيل العزيز: (□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □).[1]

الأمر الثاني: أن هذا هو قول جمهور المفسرين فالمصير إليه أولى من المصير إلى غيره.

الأمر الثالث: أن هذا القول لا محيد عنه لسياق الآيات، فإن السياق في ذكر الخمر، قال الله تعالى: (□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ى ى ي ي) أي لا يجدون من شربها صداعاً في رؤوسهم ولا وجعاً في بطونهم ولا ذهاباً لعقولهم كخمرة الدنيا. ودلالة السياق من أقوى الأدلة في الترجيح عند التنازع.

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

(١) لسان العرب (٦/ ١٨٩ تاج العروس (١٦/ ٤١٩ المخصص (٣/ ١٩٥).

دكتوراه عبدالعلي الحمدي (كامل الرسالة .:. مع الفهارس) 5

المسألة الثانية: ما المراد بقوله تعالى: (□ □ □) ؟.

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: «والمعين الجاري الكثير ووزنه فعيل والميم فيه أصلية وقيل هو مشتق من العين والميم زائدة ووزنه مفعول».[1]

والخلاف في المسألة مبني على الخلاف في الاشتقاق فمن قال إن الميم أصلية، قال إن معنى معين: الجاري الكثير. ومن قال زائدة، قال المعنى: أي معيون وظاهر للعيان على وجه الأرض. هذا من حيث اللغة، غير أن عبارة جمهور المفسرين ليس فيها تفريق بين الاثنين حيث فسروا المعين: بالخمر الكثيرة الجارية على وجه الأرض الظاهرة للعيان كما عند ابن جرير [2] وابن الجوزي[3] والبغوي[4] والزمخشري -ونقله عن ابن عباس-[5] والقرطبي ونقله عن الزجاج.[6]

وقد فسر المعين بالجاري: زيد بن أسلم والضحاك وقتادة. وممن ذكر ذلك من المفسرين: الماوردي[7] والسمعاني[8] وابن عطية[9] وابن كثير.[10] وعليه فيمكننا القول بأن الميم أصلية.

قال ابن عاشور: (□ □) بفتح الميم، قيل أصله: مَعْيون. فقيل: ميمه أصلية، وهو مشتق من مَعَنَ يقال: ماء مَعْنٌ، فيكون (□ □) بوزن فَعيل مثال مبالغة من المَعْن وهو الإِبعاد في الفعل شبّه جريه بالإِبعاد في المشي، وهذا أظهر في الاشتقاق.[11]

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ص(٥٩٨).
(٢) تفسير الطبري (٢٣/ ٥٢).
(٣) زاد المسير (٧/ ٥٦).
(٤) تفسير البغوي (٤/ ٢٧).
(٥) الكشاف (٤/ ٤٤).
(٦) تفسير القرطبي (١٥/ ٧٨).
(٧) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ٤٦).
(٨) السمعاني ((٤/ ٣٩٨).
(٩) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٦٧).
(١٠) تفسير ابن كثير (٤/ ٥).
(١١) تفسير التحرير والتنوير (٢٣/ ١١٤).

دكتوراه عبدالعلي المدني (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

وأما على القول بأن الميم غير أصلية: فإن معناها حينئذٍ: الظاهر. أي: مما يعاين بالعين. ويكون (□ □) مشتق من العين والميم زائدة ووزنه مفعول.

قال ابن عطية : يحتمل أن يكون من العين فتكون الميم زائدة أي مما يعاين بالعين لا مستور ولا في خزن، وخمر الدنيا إنما هي معصورة مختزنة، وخمر الآخرة جارية أنهاراً.[1]

قال ابن عاشور: قيل: ميمه زائدة وهو مشتق من عانَهُ، إذا أبصره لأنه يظهر على وجه الأرض في سيلانه فوزنه مَفْعول، وأصله مَعْيُون فهو مشتق من اسم جامد وهو اسم العَين، وليس فعل عَانَ مستعملاً استغنوا عنه بفعل عَايَن.[2]

الترجيح:

والراجح والعلم عند الله تعالى هو القول بالعموم فنقول أن المراد بالمعين: هو الخمر الكثير الجاري في الأنهار الظاهرة البارزة فوق الأرض ظاهرة للعيان، وإنما ترجح ذلك لعدة أمور:

الأمر الأول: أن هذا التعميم جاء في عبارة أكثر المفسرين.

الأمر الثاني: أنه لا منافاة بين هذه الأقوال فالحمل على العموم أولى وهو الذي تدل عليه قواعد التفسير، فإن القرآن يدل على المعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة. وإذا احتمل اللفظ معاني عدة ولم يمتنع إرادة الجميع حمل عليها. وعامة ألفاظ القرآن تدل على معنيين فأكثر. فسواء كانت الميم أصلية أو غير أصلية فالمعنى واضح.[3]

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٦٧).

(٢) تفسير التحرير والتنوير (٢٣/ ١١٤).

(٣) انظر: مختصر قواعد التفسير للسبت: ص(٢٦، ٢٧).

الكلام على قوله تعالى: (□ □ □ □ ى ى ي ي)

وفيه مسألة واحدة وهي: ما معنى الغول ؟.

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: «الغول: اسم عام في الأذى والضير ومنه يقال: غاله يغوله إذا أهلكه. وقيل: الغول وجع في البطن. وقيل: صداع في الرأس. وإنما قدم المجرور هنا تعريضا بخمر الدنيا لأن الغول فيها ».[1]

والمسألة فيها ثلاثة أقوال:

القول الأول: أن الغول اسم عام في الأذى والضير. يقال غاله كذا إذا أضره في خفاء، ومنه الغيلة في القتل. وهذا كله في خمرة الدنيا فإنه يحصل منها أنواع من الفساد خفية.

وهذا المعنى مروي عن سعيد بن جُبَير، والفراء، وعكرمة، وأهل المعاني، وهو اختيار ابن جرير.[2] والماوردي[3] والبغوي[4] والزمخشري[5] وابن عطية[6] وابن الجوزي[7] والقرطبي[8] وابن كثير.[9]

القول الثاني: أن الغول وجع في البطن. وهو مروي عن ابن عباس، ومجاهد، وابن زيد، وقتادة. وممن ذكر ذلك من المفسرين: ابن جرير [10] والماوردي[11] والبغوي[12] وابن عطية[13]

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ص(٥٩٨).

(٢) تفسير الطبري (٢٣/ ٥٣).

(٣) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ٤٠).

(٤) تفسير البغوي (٤/ ٢٦).

(٥) الكشاف (٤/ ٤٥).

(٦) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٧٢).

(٧) زاد المسير (٧/ ٥٦).

(٨) تفسير القرطبي (١٥/ ٨٠).

(٩) تفسير ابن كثير (٤/ ٥).

(١٠) تفسير الطبري (٢٣/ ٥٣).

(١١) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ٤٠).

(١٢) تفسير البغوي (٤/ ٢٦).

(١٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٧٢).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

وابن الجوزي[1] والقرطبي[2] وابن كثير.[3]

القول الثالث: أن المراد بالغول: الصداع في الرأس. وهذا القول مروي عن ابن عباس، وقتادة، والحسن. وممن ذكر ذلك من المفسرين: ابن جرير[4] والبغوي[5] وابن عطية[6] وابن الجوزي[7] والقرطبي[8]وابن كثير.[9]

قال ابن عاشور: والغَول، بفتح الغيْن: ما يعتري شارب الخمر من الصداع والألم، اشتق من الغَول مصدرِ غاله، إذا أهلكه.وهذا في معنى قوله تعالى: (ٻ ٻ ٻ ٹ ٹ) **(الواقعة:١٩)**.[10]

الترجيح:

والراجح والعلم عند الله تعالى هو ما رجحه ابن جزي عليه رحمة الله تعالى من أن المراد بالغول هو كل ما يصيب الشارب من مكروه وأذى فيدخل فيه صداع الرأس ووجع البطن وذهاب العقل والقيء ونحو ذلك.

قال ابن جرير: ولكل هذه الأقوال التي ذكرناها وجه، وذلك أن الغَوْل في كلام العرب: هو ما غال الإنسان فذهب به، فكل من ناله أمر يكرهه ضربوا له بذلك المثل، فقالوا: غالت فلانا غول، فالذاهب العقل من شرب الشراب، والمشتكي البطن منه، والمصدع الرأس من ذلك، والذي ناله منه مكروه كلهم قد غالته غُول. فإذا كان ذلك كذلك، وكان الله تعالى ذكره قد نفى عن شراب الجنة أن يكون فيه غَوْل، فالذي هو أولى بصفته أن يقال فيه كما قال جل

---

(١) زاد المسير (٧/ ٥٦).
(٢) تفسير القرطبي (١٥/ ٧٩).
(٣) تفسير ابن كثير (٤/ ٥).
(٤) تفسير الطبري (٢٣/ ٥٣).
(٥) تفسير البغوي (٤/ ٢٦).
(٦) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٧٢).
(٧) زاد المسير (٧/ ٥٦).
(٨) تفسير القرطبي - (١٥/ ٧٨).
(٩) تفسير ابن كثير (٤/ ٥).
(١٠) تفسير التحرير والتنوير (٢٣/ ١١٣).

دكتوراه عبدالعلي المدني (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

ثناؤه: (□ □ □ ي) فيعم بنفي كل معاني الغَوْل عنه، وأعم ذلك أن يقال: لا أذى فيها ولا مكروه على شاربيها في جسم ولا عقل، ولا غير ذلك.[1]

ولذا فإنه لا منافاة بين هذه الأقوال فالحمل على العموم أولى وهو الذي تدل عليه قواعد التفسير، فإن القرآن يدل على المعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة. وإذا احتمل اللفظ معاني عدة ولم يمتنع إرادة الجميع حمل عليها. وعامة ألفاظ القرآن تدل على معنيين فأكثر[2].

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ٥٣).

(٢) انظر : مختصر قواعد التفسير للسبت : (٢٦ ، ٢٧)

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة :: مع الفهارس) ٥

الكلام على قوله تعالى: (ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ)

وفيه مسألة واحدة وهي: من القائل لهذا الكلام ؟.

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: «يحتمل أن يكون من كلام المؤمن، أو من كلامه وكلام رفقائه في الجنة، أو من كلام الله تعالى، وكذلك يحتمل هذه الوجوه في قوله (ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ) والأول أرجح فيه أن يكون من كلام الله تعالى لأن الذي بعده من كلام الله فيكون متصلا به، ولأن الأمر بالعمل إنما هو حقيقة في الدنيا، ففيه تحضيض على العمل الصالح ».[1]

والمسألة فيها ثلاثة أقوال:

القول الأول: أن هذا من كلام المؤمن في الجنة لقرينه الذي في النار على جهة التوبيخ بما كان ينكره. أو تحدثاً بنعمة الله واغتباطاً بحاله وبمسمع من قرينه، ليكون توبيخاً له يزيد به تعذباً. وهذا المعنى مروي عن قتادة ومقاتل.

وممن ذكره من المفسرين: البغوي[2] والزمخشري[3] وابن عطية[4] وابن الجوزي[5] قال ابن عاشور: الظاهر أن جملة (ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ) حكاية لبقية كلام القائل لرفاقه، فهي بمنزلة التذييل والفذلكة[6] لحالتهم.[7]

القول الثاني: أن هذا من كلام أهل الجنة. يقولونه على جهة الحديث بنعمة الله عليهم في أنهم لا يموتون ولا يعذبون.

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ص(٥٩٩).

(٢) تفسير البغوي (٤/ ٢٦).

(٣) الكشاف (٤/ ٤٦).

(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٦٧).

(٥) زاد المسير (٧/ ٥٤).

(٦) الفذلكة: مأخوذة من قول الحسَّاب (فذلك كان كذا)، فذلك إشارة إلى حاصل الحساب ونتيجته، ثم أطلق لفظ الفذلكة لكل ما هو نتيجة متفرعة على ما سبق حسابا كان أو غيره، ونظير هذا الأَخْذِ، أَخْذُهم نحو البسملة والحمدلة ونظائرهما من الكلمات المركبة المعلومة، وهذا ما يسمى بالنحت. انظر: كتاب الكليات (١/ ٦٩٧)، وتاج العروس (٢٧/ ٢٨٥)، والمعجم الوسيط (٢/ ٦٧٧).

(٧) تفسير التحرير والتنوير (٢٣/ ١١٣).

دكتوراه عبدالعلي الحمدي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

فروى ابن جرير عن قتادة في قوله: (ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ) إلى قوله: (ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ) قال: هذا قول أهل الجنة.[1] وممن ذكر القول من المفسرين: البغوي[2] والزمخشري.[3] وقال ابن الجوزي: قال أهل الجنة: (ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ) التي كانت في الدنيا (ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ) فيقال لهم: لا. فعند ذلك قالوا: (ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ).[4]

القول الثالث: أن هذا من كلام الله تعالى تقريراً لقولهم وتصديقاً له. وهذا القول ذكره الزمخشري[5] وقال ابن عطية: يحتمل أن يكون من خطاب الله تعالى لمحمد ﷺ وأمته، ويقوى هذا: أن قول المؤمن: (ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

الكلام على قوله تعالى: (ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ)

والآية فيها مسألة واحدة وهي: ممن هذا التسليم الموجه إلى نوح ؟.

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: «هذا التسليم من الله على نوح عليه السلام. وقيل: إن هذه الجملة مفعول تركنا وهي محكية أي تركنا هذه الكلمة تقال له، يعني أن الخلق يسلمون عليه، فيبتدأ بالسلام على القول الأول لا على الثاني والأول أظهر».[1]

والمسألة فيها قولان:

القول الأول: أن هذا التسليم من الله على نوح عليه السلام، ومعناه: أنه أمنةً له فلا يذكره أحد بسوء. جزاء ما صبر طويلاً على أقوال الكفرة والفجرة كما قال ابن عطية. وهذا القول مبني على أن قوله: (ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ) جملة ابتدائية ليس لها صلة بالتي قبلها، وأن هذا السلام ابتداء من الله على نوح.

وممن حكى هذا القول من المفسرين: ابن جرير[2] والسمعاني[3] والبغوي[4] وابن عطية[5] والقرطبي[6] وابن عاشور.[7]

القول الثاني: أن قوله تعالى: (ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ) مفعول لـ«تركنا» في الآية التي قبلها. أي تركنا عليه هذه الكلمة سلاماً يسلم الخلق عليه كل ما ذكروه. وهذا من الكلام المحكي، كقولك: قرأتُ: (ﭐ ﭑ ﭒ) **(النور:١)**. ولذا لم تظهر عليها علامة النصب.

ومما يدل على هذا ما روي عن مجاهد وقتادة والسدي قالوا: أي ثناءً. وعن ابن عباس: تركنا عليه الثناء الحسن إلى آخر الدهر.[8] وقال العكبري: (ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ) مبتدأ وخبر في

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ص(٦٠٠).

(٢) تفسير الطبري (٢٣/ ٦٧).

(٣) السمعاني ((٤/ ٤٠٣).

(٤) تفسير البغوي (٤/ ٣٠).

(٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٧٧).

(٦) تفسير القرطبي (١٥/ ٩٠).

(٧) تفسير التحرير والتنوير (٢٣/ ١٣٣).

(٨) انظر: تفسير الطبري (٢٣/ ٦٧ معاني القرآن للنحاس: (٦/ ٣٧)، والدر المنثور: (٥/ ٢٧٨).

دكتوراه عبدالعلي الحمدي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

موضع نصب بتركنا، وقيل: هو تفسير مفعول محذوف، أي: تركنا عليه ثناءً هو سلام.[1]

وهذا مذهب عامة أهل اللغة كالزجاج والكسائي والفراء والمبرد والزمخشري والنحاس ومكي القيسي.[2] وممن ذكره من المفسرين: ابن جرير.[3] والبغوي[4] والزمخشري[5] وابن عطية[6] وابن الجوزي[7] والقرطبي[8] وابن كثير.[9] وقد بين ابن القيم رحمه الله أن السلام والثناء والثناء والذكر الحسن متلازمان فهما قول واحد.

الترجيـــح:

والراجح والعلم عند الله تعالى هو القول الثاني وليس كما رجحه ابن جزي عليه رحمة الله تعالى؛ فالمتروك على نوح عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام هو: السلام والذكر الجميل والثناء الحسن بين الناس، وإنما ترجح هذا القول لعدة أمور:

الأمر الأول: أن هذا هو المأثور عن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والسدي، أن المتروك هو الثناء والذكر الحسن. وهو قول الجمهور من المفسرين وقول عامة أهل اللغة.

الأمر الثاني: أن هذا هو الذي يدل عليه سياق الكلام في الآيات، فإن هذه الآية - أعني قوله تعالى: (ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ) - مرتبطة بالتي قبلها وهي قوله تعالى: (ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ). وعلى هذا يكون المعنى: وتركنا عليه سلاماً بين الناس.

---

(١) إملاء ما من به الرحمن: ص(٥٠٢).

(٢) انظر: معاني القرآن للفراء: (٢/ ٣٨٧-٣٨٨)، ومشكل إعراب القرآن لمكي القيسي: (١-٢/ ٦١٤)، ومعاني القرآن للزجاج: (٤/ ٣٠٨).

(٣) تفسير الطبري (٢٣/ ٦٧).

(٤) تفسير البغوي (٤/ ٣٠).

(٥) الكشاف (٤/ ٥٠).

(٦) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٧٧).

(٧) زاد المسير (٧/ ٦٥).

(٨) تفسير القرطبي (١٥/ ٩٠).

(٩) تفسير ابن كثير (٤/ ١٣).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

الأمر الثالث: أن فصل الآية الثانية عن الأولى يستلزم بقاء الفعل «تركنا» بدون مفعول، ولا يخفى ما في هذا من العي وعدم الفصاحة.

وقد بين ابن القيم رحمه الله تعالى وجه تغليط هذا القول من أوجه كثيرة في كتابه النافع: جلاء الأفهام. فقال: **وهذا القول ضعيف لوجوه:**

أحدها: أنه يلزم منه حذف المفعول لـ «تركنا» ولا يبقى في الكلام فائدة على هذا التقدير، فإن المعنى يؤول إلى: أنا تركنا عليه في الآخرين أمراً لا ذكر له في اللفظ، لأن السلام عند هذا القائل منقطع بما قبله لا تعلق له بالفعل.

الثاني: أنه لو كان المفعول محذوفاً كما ذكروه، لذكره في موضع واحد ليدل على المراد منه عند حذفه، ولم يطرد حذفه في جميع من أخبر أنه ترك عليه في الآخرين الثناء الحسن، وهذه طريقة القرآن، بل وكل كلام فصيح، أن يذكر الشيء في موضع ثم يحذفه في موضع آخر لدلالة المذكور على المحذوف، وأكثر ما تجده مذكوراً، وحذفه قليل، وأما أن يُحْذف حذفاً مطرداً ولم يذكره في موضع واحد، ولا في اللفظ ما يدل عليه، فهذا لا يقع في القرآن !.

الثالث: أن في قراءة ابن مسعود: «وتركنا عليه في الآخرين * سلاماً» بالنصب، وهذا يدل على أن المتروك هو السلام نفسه.

الرابع: أنه لو كان السلام منقطعاً مما قبله لأخل ذلك بفصاحة الكلام وجزالته، ولما حسن الوقوف على ما قبله، وتأمل هذا بحال السامع إذا سمع قوله: (پ پ پ پ ڀ) كيف يجد قلبه متشوقا متطلعاً إلى تمام الكلام، واجتناء الفائدة منه، ولا يجد فائدة الكلام انتهت وتمت ليطمئن عندها، بل يبقى طالباً لتمامها، وهو المتروك، فالوقف على الآخرين ليس بوقف تام.

الخامس: أنه قال: سلام على نوح في العالمين فأخبر سبحانه أن هذا السلام عليه في العالمين، ومعلوم أن هذا السلام فيهم هو سلام العالمين عليه، كلهم يسلم عليه، ويثني عليه، ويدعو له، فذكره بالسلام عليه فيهم، وأما سلام الله سبحانه عليه فليس مقيداً بهم، ولهذا لا يشرع أن يسأل الله تعالى مثل ذلك، فلا يقال: السلام على رسول الله في العالمين، ولا اللهم سلم على رسولك في العالمين، ولو كان هذا هو سلام الله لشرع أن يطلب من الله على الوجه الذي سلم به.

وقولهم: إن هذا قول ابن عباس، فقد تقدم أن ابـن عبـاس وغـيره إنـما أرادوا بـذلك أن السلام عليه من الثناء الحسن، ولسان الصدق، فذكروا معنى السلام عليه وفائدته.

وبهذا يتبين الحـق والصـواب وهـو مـا عليـه ترجمـان القـرآن ﷺ وجمهـور أهـل اللغـة والمحققون من المفسرين.

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

الكلام على قوله تعالى: (ڤ ڤ ڤ ڃ ڃ ڃ).

والآية فيها مسألة واحدة وهي: إلى من يعود الضمير في قوله تعالى: (ڤ ڤ ڤ ڃ ڃ ڃ)؟.

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: «الشيعة الصنف المتفق فمعنى من شيعته: مَن على دينه في التوحيد؛ والضمير يعود على نوح. وقيل: على سيدنا محمد ﷺ والأول أظهر».[1]

والمسألة فيها قولان:

القول الأول: أن الضمير يعود على نوح. ومعنى الكلام: وإن من أشياع نوح وعلى منهاجه وملته -والله- لإبراهيمَ خليل الرحمن. وهذا القول مروي عن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والسدي، ومقاتل.

وممن قال به من المفسرين: ابن جرير[2] والنحاس - ورجحه وقال: لأن ذكر نوح قد تقدم -.[3] والماوردي[4] والسمعاني - وصححه -[5] والزجاج[6] والزمخشري[7] وابن عطية[8] عطية[8] وابن الجوزي.[9] والقرطبي -ورجحه -.[10]

وذكر ابن عاشور مناسبة لطيفة مبنية على تقرير هذا القول، وهي أن قوله تعالى: (ڤ ڤ ڃ ڃ ڃ) تخلصٌ إلى حكاية موقف إبراهيم عليه السلام من قومه في دعوتهم إلى التوحيد وما لاقاه منهم وكيف أيده الله ونجّاه منهم، وقع هذا التخلص إليه بوصفه من شيعة نوح

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ص(٦٠٠).
(٢) تفسير الطبري (٢٣/ ٦٩).
(٣) معاني القرآن للنحاس: (٦/ ٣٩).
(٤) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ٥٤).
(٥) السمعاني (٤ / ٤٠٣).
(٦) معاني القرآن للزجاج: (٤/ ٣٠٨).
(٧) الكشاف (٤/ ٥٠).
(٨) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٧٧).
(٩) زاد المسير (٧/ ٦٦).
(١٠) تفسير القرطبي (١٥/ ٩١).

دكتوراه عبدالعلي المدني (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

ليفيد بهذا الأسلوب الواحِد تأكيد الثناء على نوح وابتداءَ الثناء على إبراهيم وتخليد منقبة لنوح أن كان إبراهيم الرسول العظيم من شيعته وناهيك به. وكذلك جَمع محامد لإِبـراهيم في كلمـة كونه من شيعة نوح المقتضي مشاركته له في صفاته.[1]

القول الثاني: أن الضمير يعود على نبينا محمد ﷺ.

قال ابن جرير: وقد زعـم بعـض أهـل العربيـة أن معنـى ذلـك: وإن مـن شـيعة محمـد لإبراهيم، وقال: ذلك مثل قوله: (ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ)[يس]بمعنى: أنا حملنا ذرية من هم منـه، فجعلها ذرية لهم، وقد سبقتهم.[2]

ونقله الماوردي والقرطبي عن الكلبي والفراء[3] وحكاه السمعاني بصـيغة التمـريض[4] وذكره ابن عطية[5] وابن الجوزي.[6]

الترجيح:

والراجح والعلم عند الله تعالى هو ما رجحه ابن جزي وما عليه جمهور المفسرين وأهـل اللغة من أن المراد بذلك نوح عليه السلام، وذلك لتقدم ذكره قبله، ولدلالة السياق عـلى هـذا المعنى فإنه لما فرغ من ذكر نوح عليه السلام شرع في ذكر إبراهيم، وكأنـه جعـل الـرابط بيـنهما وحدة الملة والدين فقال: (ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ).

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

(١) تفسير التحرير والتنوير (٢٣/ ١٣٦).

(٢) تفسير الطبري (٢٣/ ٦٩).

(٣) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ٥٤)، تفسير القرطبي (١٥/ ٩١) معاني القرآن للفراء: (٢/ ٣٨٨).

(٤) السمعاني ((٤/ ٤٠٣).

(٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٧٧).

(٦) زاد المسير (٧/ ٦٦).

الكلام على قوله تعالى: (ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ).

وفيه مسألة واحدة وهي: ما إعراب: (ﭐ ﭑ ﭒ) ؟.

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: «لإفك: الباطل، وإعرابه هنا مفعول من أجله و«آلهة» مفعول به. وقيل: «أئفكاً» مفعول به، و«آلهة» بدل منه. وقيل: «أئفكاً» مصدر في موضع الحال، تقديره: آفكين، أي: كاذبين. والأول أحسن ».[1]

والمسألة فيها ثلاثة أقوال:

القول الأول: أن قوله: «إفْكاً» مفعول لأجله. و«آلهة» مفعول به.

قال العكبري: وقيل: «إفكاً» مفعول له، و«آلهة» مفعول تريدون.[2] وقال الزمخشري: «إفْكاً» مفعول له، تقديره: أتريدون آلهة من دون الله إفكاً؟. وإنما قدّم المفعول على الفعل للعناية، وقدّم المفعول له على المفعول به؛ لأنه كان الأهمّ عنده أن يكافحهم بأنهم على إفك وباطل في شركهم.[3] وكذا ذكر ابن عادل.[4]

القول الثاني: «إفكاً» مفعول به. و «آلهة» بدل منه.

قال العكبري: «إفكاً» هو منصوب بـ «تريدون» و «آلهة» بدل منه، والتقدير: وعبادة آلهة، لأن الإفك مصدر، فيقدر البدل منه كذلك والمعنى عليه.[5] وكذا قال مكي القيسي.[6] وقال الزمخشري: ويجوز أن يكون «إفكاً» مفعولاً به، يعني: أتريدون به إفكاً.[7] وكذا ذكر القرطبي[8] وابن عادل.[9]

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ص(٦٠٠).

(٢) التبيان في إعراب القرآن للعكبري: (٢/ ١٠٩١).

(٣) الكشاف (٤/ ٥١).

(٤) اللباب في علوم الكتاب (١٦/ ٣٢٢).

(٥) التبيان في إعراب القرآن للعكبري: (٢/ ١٠٩١).

(٦) مشكل إعراب القرآن لمكي: (١-٢/ ٦١٥).

(٧) الكشاف (٤/ ٥١).

(٨) تفسير القرطبي (١٥/ ٩٢).

(٩) اللباب في علوم الكتاب (١٦/ ٣٢٢).

دكتوراه عبدالعلي المدني (كامل الرسالة :: مع الفهارس) 5

القول الثالث: «إفْكاً» مصدر في موضع الحال، تقديره: آفكين أي: كاذبين.

قال الزمخشري: ويجوز أن يكون حالاً، بمعنى: أتريدون آلهة من دون الله آفكين.[1] وكذا ذكر القرطبي[2] وابن عادل.[3]

قال ابن عاشور: وانتصب « إفكاً » على الحال من ضمير « تُريدونَ » أي آفكين... ويجوز أن يكون حالاً من آلهة، أي آلهة مكذوبة، أي مكذوب تأليفها. والوصف بالمصدر صالح لاعتبار معنى الفاعل أو معنى المفعول. وقدمت الحال على صاحبها للاهتمام بالتعجيل بالتعبير عن كذبهم وضلالهم.[4]

الترجيح:

والذي يظهر والعلم عند الله تعالى أن القول كما قال ابن جزي، وهو ما استحسنه ابن عادل، وقدمه أكثر المفسرين. قال ابن عادل: (يد ذ) فيه أوجه:

أحدهما: أنه مفعول من أجله، أي أتريدون آلهةً دون الله إفكاً، فـ«آلهة» مفعول به، و«دون» ظرف « لتُريدُونَ » وقدمت معمولات الفعل اهتماماً بها، وحَسَّنَهُ كون العامل رأس فاصلة، وقدم المفعول من أجله على المفعول به اهتماماً به، لأنه مكافح لهم بأنهم على إفك وباطل، وبهذا الوجه بدأ الزمخشري.[5] ثم ذكر بقية الأوجه في الآية.

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

(١) الكشاف (٤/ ٥١).

(٢) تفسير القرطبي (١٥/ ٩٢).

(٣) اللباب في علوم الكتاب (١٦/ ٣٢٢).

(٤) تفسير التحرير والتنوير (٢٣/ ١٣٩).

(٥) اللباب في علوم الكتاب (١٦/ ٣٢٢).

الكلام على قوله تعالى: (ڑ ک ک ک ک).

والآية فيها مسألة واحدة وهي: ما المعنى المراد بقوله: (ڑ ک ک ک ک).

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: «روي أن قومه كان لهم عيد يخرجون إليه فدعوه إلى الخروج معهم فحينئذ قال إني سقيم ليمتنع عن الخروج معهم فيكسر أصنامهم إذا خرجوا لعيدهم. **وفي تأويل ذلك ثلاثة أقوال:**

الأول: أنها كانت تأخذه الحمى في وقت معلوم فنظر في النجوم ليرى وقت الحمى واعتذر عن الخروج لأنه سقيم من الحمى.

والثاني: أن قومه كانوا منجمين وكان هو يعلم أحكام النجوم فأوهمهم أنه استدل بالنظر في علم النجوم أنه يسقم فاعتذر بما يخلف من السقم عن الخروج معهم.

والثالث: أن معنى نظر في النجوم أنه نظر وفكر فيما يكون من أمره معهم فقال إني سقيم والنجوم على هذا ما ينجم من حاله معهم وليست بنجوم السماء. وهذا بعيد ».[1]

والمسألة فيها ثلاثة أقوال:

القول الأول: أن النظر إلى النجوم حقيقة، وكانت تأخذه الحمى في وقت معلوم فنظر في النجوم ليرى وقتها ليعتذر عن الخروج معهم. وممن ذكر هذا القول من المفسرين: الماوردي[2] وكذا ابن الجوزي[3] والقرطبي.[4]

القول الثاني: أن قومه كانوا منجمين فأوهمهم أنه استدل بالنظر في علم النجوم على أنه يَسْقَم فاعتذر عن الخروج معهم. قال ابن عطية: وقال الجمهور نظر نجومَ السماء، وروي أن علم النجوم كان عندهم منظوراً فيه مستعملاً، فأوهمهم هو من تلك الجهة، وذلك أنهم كانوا أهل رعاية وفلاحة، وهاتان المعيشتان يحتاج فيهما إلى نظر في النجوم.[5]

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ص(٦٠٠).

(٢) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ٥٠).

(٣) زاد المسير (٧/ ٦٤).

(٤) تفسير القرطبي (١٥/ ٩٢).

(٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٧٨).

القول الثالث: أن معنى نظر في النجوم أنه نظر وفكر فيما ينجم من أمره معهم فقال إني سقيم من حاله معهم وليست بنجوم السماء. وهذا القول حكاه الماوردي عن الحسن، ومعناه: إني سقيم بما أرى من قبح أفعالكم في عبادة غير الله.[1] وممن ذكره من المفسرين ابن عطية[2] ونقل القرطبي عن الخليل والمبرد أنهم قالوا: يقال للرجل إذا فكر في الشئ يدبره: نظر في النجوم.[3]

الترجيح:

ولا شك أن القول الأول -والذي يقول بأنه كانت تأخذه الحمى في وقت معلوم فنظر في النجوم ليرى وقتها ليعتذر عن الخروج معهم - يحتاج إلى ما يدل له، وليس ثمة شيء من ذلك. وأما القول الثالث والذي يقول بأن معنى النجوم أي: عواقب الأمور، والمقصود عاقبة أمره معهم أو عبادتهم لغير الله، فهذا صحيح من حيث اللغة، ولكن دخوله في الآية غير صريح، لورود الحديث عن رسول الله ﷺ.

والراجح والعلم عند الله تعالى هو القول الثاني ومفاده أنه أوهمهم بنظره في النجوم بأن هذا زمن سقمه وكانوا يستعملونها في معايشهم وهذا مروي عن ابن عباس وابن زيد وابن المسيب كما سيأتي.

وأما قوله: (گ گ گ): فقال ابن جزي رحمه الله تعالى: « وقوله إني سقيم على حسب هذه الأقوال: **يحتمل** أن يكون حقا لا كذب فيه ولا تجوز أصلاً، ويعارض هذا ما ورد عن النبي ﷺ أن إبراهيم كذب ثلاث كذبات. أحدها: قوله إني سقيم. **ويحتمل** أن يكون كذبا صراحاً، وجاز له ذلك لهذا الاحتمال، لأنه فعل ذلك من أجل الله إذ قصد كسر الأصنام.

ويحتمل أن يكون من المعاريض، فإنه أراد أنه سقيم فيما يستقبل لأن كل إنسان لا بد له أن يمرض. أو أراد أنه سقيم النفس من كفرهم وتكذيبهم له، وهذان التأويلان أولى، لأن نفي الكذب بالجملة معارض للحديث، والكذب الصراح لا يجوز على الأنبياء عند أهل التحقيق،

---

(١) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ٥٠).

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٧٨).

(٣) تفسير القرطبي (١٥/ ٩٢).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

أما المعاريض فهي جائزة)).[1]

قلت: فأما القول الأول وهو أنه حق لا كذب فيه، فغير صحيح لمعارضته صريح السنة، وأما القولان الآخران فهما محل الدرس. والأصل في كذبات إبراهيم عليه السلام، ما ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (**لم يكذب إبراهيم النبي عليه السلام قط إلا ثلاث كذبات، ثنتين في ذات الله قوله:** (گ گ گ) **وقوله:** ﴿ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا ﴾ (الأنبياء: ٦٣) **وواحدة في شأن سارة، فإنه قدم أرض جبار ومعه سارة، وكانت أحسن الناس، فقال لها: إن هذا الجبار إن يعلم أنك امرأتي يغلبني عليك، فإن سألك فأخبريه أنك أختي، فإنك أختي في الإسلام، فإني لا أعلم في الأرض مسلماً غيري وغيرك، فلما دخل أرضه رآها بعض أهل الجبار، فأتاه فقال له لقد قدم أرضك امرأة لا ينبغي لها أن تكون إلا لك، فأرسل إليها، فأتي بها، فقام إبراهيم عليه السلام إلى الصلاة، فلما دخلت عليه لم يتمالك أن بسط يده إليها، فقبضت يده قبضة شديدة، فقال لها ادعي الله أن يطلق يدي ولا أضرك، ففعلت؛ فعاد، فقبضت أشد من القبضة الأولى، فقال لها مثل ذلك، ففعلت؛ فعاد، فقبضت أشد من القبضتين الأوليين، فقال ادعي الله أن يطلق يدي، فلك الله أن لا أضرك، ففعلت، وأطلقت يده، ودعا الذي جاء بها فقال له: إنك إنما أتيتني بشيطان، ولم تأتني بإنسان، فأخْرِجها من أرضي، وأعطها هاجر، قال: فأقبلت تمشي، فلما رآها إبراهيم عليه السلام انصرف، فقال لها: مهيم. قالت: خيراً، كف الله يد الفاجر، وأخدم خادماً**). قال أبو هريرة: فتلك أمكم يا بني ماء السماء. وهذه رواية مسلم.[2]

وجاء في حديث الشفاعة كما في الصحيح: (...**فيأتون إبراهيم فيقولون: يا إبراهيم أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه، فيقول لهم: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني قد كنت كذبت ثلاث كذبات... نفسي نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى موسى...الحديث**).[3]

---

(١) التسهيل في علوم التنزيل: ص(٦٠٠).

(٢) الحديث في الصحيحين: صحيح البخاري (٣/ ١٢١٩)، وصحيح مسلم (٤/ ١٨٣٧).

(٣) الحديث في الصحيحين: صحيح البخاري (٤/ ١٧٣٩)، والرواية التي عند مسلم فيها ذكر الخطيئة وليس فيها ذكر الكذبات. صحيح مسلم (١/ ١٨٢).

وأما الآثار المروية في ذلك:

فقد أخرج الطبري في تفسيره عن الضحاك أنه قال في قوله: (ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ) قالوا لإبراهيم وهو في بيت آلهتهم: أخرج معنا، فقال لهم: إني مطعون، فتركوه مخافة أن يعديهم.

وقال ابن إسحاق: قوله: (گ گ گ): أي طعين، أو لسقم كانوا يهربون منه إذا سمعوا به، وإنما يريد إبراهيم أن يخرجوا عنه، لِيَبْلُغ من أصنامهم الذي يريد.(١)

وروى الماوردي عن سعيد بن المسيب قال: كايد نبي الله عن دينه فقال إني سقيم. وعن سفيان قال: كانوا يفرون من المطعون فأراد أن يخلوا بآلهتهم فقال: إني سقيم أي طعين وهذه خطيئته التي قال اغفر لي خطيئتي يوم الدين.(٢)

وروى البغوي عن ابن عباس قال: كان قومه يتعاطون علم النجوم فعاملهم من حيث كانوا لئلا ينكروا عليه. وذلك أنه أراد أن يكايدهم في أصنامهم ليلزمهم الحجة في أنها غير معبودة، وكان لهم من الغد عيد ومجمع، وكانوا يدخلون على أصنامهم ويقربون لهم القرابين، ويصنعون بين أيديهم الطعام قبل خروجهم إلى عيدهم -زعموا -للتبرك عليه، فإذا انصرفوا من عيدهم أكلوه، فقالوا لإبراهيم: ألا تخرج غداً معنا إلى عيدنا؟ فنظر إلى النجوم فقال: إني سقيم. قال ابن عباس: مطعون، وكانوا يفرون من الطاعون فرارًا عظيمًا. وقال الحسن: مريض. وقال مقاتل: وجع. وقال الضحاك: سأسقم.(٣)

قال ابن عطية: قال ابن زيد عن أبيه: أرسل إليه ملكهم أن غداً عيد فاحضر معنا فنظر إلى نجم طالع فقال إن هذا يطلع مع سقمي. وقال ابن عباس وغيره: أشار لهم إلى مرض وسقم يعدي كالطاعون ولذلك تولوا مدبرين أي فارين منه.(٤)

ونقل ابن الجوزي عن ابن المسيّب قال: رأى نجماً طالعاً، فقال: إِنِّي مريض غداً.(٥)

---

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ٧١).
(٢) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ٥٠).
(٣) تفسير البغوي (٤/ ٣٠).
(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٧٨).
(٥) زاد المسير (٧/ ٦٦).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

قال الزمخشري: فإن قلت: كيف جاز له أن يكذب؟ قلت: قد جوّزه بعض الناس في المكيدة في الحرب والتقية، وإرضاء الزوج والصلح بين المتخاصمين والمتهاجرين.[1]

فهذه الأحاديث الصحيحة تثبت كذبات إبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام كما أنها تثبت أن منها ثنتان لا حظ له فيها وإنما كانت خالصة الله تعالى، وأما الأخرى، فكان لحظ نفسه منها شيء وهي التي كذب فيها على الجبار في شأن سارة.

وقيل: إن هذه الكذبات من المعاريض، فإنه أراد أنه سقيم فيما يستقبل لأن كل إنسان لا بد له أن يمرض. أو أراد أنه سقيم النفس من كفرهم وتكذيبهم له؛ وهذا النوع من المعاريض جائزة وقت الحاجة.

وممن ذكر ذلك من المفسرين: السمعاني[2] وابن عطية[3] وابن الجوزي - ونقله عن ابن الأنباري-.[4] والقرطبي ونقله عن الضحاك.[5]

وقال الزمخشري: والصحيح أن الكذب حرام إلاّ إذا عرّض وورّى، والذي قاله إبراهيم عليه السلام معراض من الكلام، ولقد نوى به أن مَن في عنقه الموت سقيم.[6]

الترجيح:

والراجح والعلم عند الله تعالى أن هذه الكذبات محمولة على أنها من المعاريض، وهذا هو الأليق والأنسب وذلك لعدة أمور:

الأمر الأول: أن هذا هو الأليق والأنسب لمقام النبوة ومقام خليل الرحمن عليه السلام، وإن كان لأجل الضرورة والكيد بالأصنام، فإن في المعاريض مندوحة عن الكذب. ومتى ما وُجد محمل سائغ يجوز حمل الكذبات عليه فهذا هو الأصل.

---

(١) الكشاف (٤/ ٤٨).

(٢) السمعاني ((٤/ ٤٠٤ - ٤٠٥).

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٧٨).

(٤) زاد المسير (٧/ ٦٦).

(٥) تفسير القرطبي (١٥/ ٩٣).

(٦) الكشاف (٤/ ٤٨).

الأمر الثاني: أن تسمية النبي ﷺ لِما عَرَّض به إبراهيم عليه السلام كذبات، فإنما هو كذب باعتبار الأفهام، لأن الذي في ذهن المتكلم غير الذي في ذهن السامع. ومن نظر إلى مجرد اللفظ في الحديث كابن جرير رجح أنه كذب صريح.

قال ابن جرير بعد أن ذكر قول الذين قالوا: إن قوله (ﮒ ﮓ ﮔ) كلمة فيها مِعْراض، ومعناها أن كل من كان في عنقه الموت فهو سقيم، وإن لم يكن به حين قالها سقم ظاهر. قال: والخبر عن رسول الله ﷺ بخلاف هذا القول، وقول رسول الله ﷺ هو الحقّ دون غيره. (١)

وقد بين شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى هذا الأمر بياناً شافياً فقال:

بل الكذب كله حرام. ولكن تباح عند الحاجة الشرعية:المعاريض(٢) وقد تسمى كذبا؛ لأن الكلام يعني به المتكلم معنىً وذلك المعنى يريد أن يفهمه المخاطب فإذا لم يكن على ما يعنيه فهو الكذب المحض، وإن كان على ما يعنيه ولكن ليس على ما يفهمه المخاطب فهذه المعاريض، وهي كذب باعتبار الأفهام، وإن لم تكن كذبا باعتبار الغاية السائغة. ومنه قول النبي ﷺ: (**لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات كلهن في ذات الله: قوله لسارة: أختي وقوله:** ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ) **وقوله** (ﮒ ﮓ ﮔ)). وهذه الثلاثة معاريض. وبها احتج العلماء على جواز التعريض للمظلوم وهو أن يعني بكلامه ما يحتمله اللفظ وإن لم يفهمه المخاطب؛ ولهذا قال من قال من العلماء: إن ما رخص فيه رسول الله ﷺ إنما هو من هذا، كما في حديث أم كلثوم بنت عقبة، عن النبي ﷺ أنه قال: (**ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس، فينمي خيراً، أو يقول خيراً**).(٣) ولم يُرَخَّص فيما يقول الناس: إنه كذب إلا في ثلاث: في الإصلاح بين الناس وفي الحرب؛ وفي الرجل يحدث امرأته.(٤) قال: فهذا كله من المعاريض خاصة. ولهذا نفى عنه

---

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ٧١).

(٢) والمعاريض: أن يريد الرجل أن يكلم الرجل بالكلام الذي إن صرح به كان كذبا. فيعارضه بكلام آخر يوافق ذلك الكلام في اللفظ ويخالفه في المعنى، فيتوهم السامع أنه أراد ذلك، وهذا كثير في الحديث. انظر: غريب الحديث لأبي عبيد (٤/ ٢٨٧).

(٣) الحديث في الصحيحين: صحيح البخاري (٢/ ٩٥٢)، وصحيح مسلم (٤/ ٢٠٠٧).

(٤) الحديث: صحيح. أخرجه أبو داود في سننه باب إصلاح ذات البين: (١٣/ ٨٠)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داود (١٠/ ٤٢١).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

النبي ﷺ اسم الكذب باعتبار القصد والغاية كما ثبت عنه أنه قـــال : (**الحـرب خدعـة**).[1] وأنه كان إذا أراد غزوة ورَّى بغيرها.[2] ومن هذا الباب قول الصديق في سفر الهجرة عن النبي ﷺ هذا الرجل يهديني السبيل.[3].[4]

قال الحافظ ابن كثير: معلقاً على استدلال الطبري بالحديث الذي في الصحيح والذي فيه كذبات إبراهيم عليه السلام: ولكن ليس هذا من باب الكـذب الحقيقـي الـذي يـذم فاعلـه، حاشا وكلا وإنما أطلق الكذب على هذا تجوزا، وإنما هو من المعاريض في الكلام لمقصد شرعي ديني، كما جاء في الحديث: (**إن في المعاريض لمندوحة عن الكذب**)[5].[6]

قلت: ولم يتبين لي وجه التعريض في قول إبراهيم عليه السلام: بل فعله كبيرهم هذا.

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

(١) والحديث عند مسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (الحرب خدعة) (٣/ ١٣٦٢).

(٢) كما في حديث توبة كعب ﷺ في الصحيحين. البخاري (٣/ ١٠٧٨). ومسلم (٤/ ٢١٢٧).

(٣) والحديث في صحيح البخاري في قصة طويلة. صحيح البخاري (٣/ ١٤٢١).

(٤) مجموع فتاوى ابن تيمية – (٦/ ٣٥٩).

(٥) رواه البيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ١٩٩) من طريق داود بن الزبرقان عن سعيد عن قتـادة عـن زرارة عن عمران بن حصين مرفوعا. ورواه أيضا من طريق عبدالوهاب بن عطاء عـن سـعيد عـن قتـادة عـن مطرف عن عمران بن الحصين موقوفا وقال: "هذا هو الصحيح موقوفا". مسـند الشـهاب القضـاعي – (٤/ ٥٣) قال الألباني في " السلسلة الضعيفة والموضوعة " (٣/ ٢١٣): ضعيف .

(٦) تفسير ابن كثير (٤/ ٥).

الكلام على قوله تعالى: (٥ ~ ٢ ٢ ٢)

والآية فيها مسألة واحدة وهي: ما المراد بقوله: (٢ ٢).

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: «أي: يمين يديه. وقيل: بالقوة. وقيل: بالحلف، وهو قوله: تالله لأكيدن أصنامكم. والأول أظهر وأليق بالضرب».[1]

والمسألة فيها ثلاثة أقوال:

القول الأول: أنه ضرب بيمين يديه. وإنما ضربهم باليمين لأنها أشد وأنكى؛ ولهذا تركهم جذاذا إلا كبيراً لهم لعلهم إليه يرجعون.

روى ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما خلا جعل يضرب آلهتهم باليمين. وذكر نحوه عن ابن إسحاق والحسن.[2] وكذا قال الماوردي ونقله عن الضحاك. وقال: لأنها أقوى والضرب بها أشد.[3]

وممن ذكر هذا القول من المفسرين:

السمعاني[4] والبغوي[5] والزمخشري[6] وابن عطية[7] وابن الجوزي[8] والقرطبي - ونقله ونقله عن الربيع بن أنس -.[9] وابن كثير- ونقله عن الفراء وقتادة والجوهري[10] وابن عاشور[11] والشنقيطي.[12]

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ص(٦٠١).
(٢) تفسير الطبري (٢٣/ ٦٤).
(٣) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ٥٠).
(٤) تفسير السمعاني: (٤/ ٤٠٥).
(٥) تفسير البغوي (٤/ ٣١).
(٦) الكشاف (٤/ ٥١).
(٧) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٧٩).
(٨) زاد المسير (٧/ ٦٦).
(٩) تفسير القرطبي (١٥/ ٩٤).
(١٠) تفسير ابن كثير (٤/ ٥).
(١١) تفسير التحرير والتنوير (٢٣/ ١٤٣).
(١٢) أضواء البيان (٣/ ٤٢٥).

دكتوراه عبدالعلي الحمدي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

القول الثاني: أن المراد باليمين: القوة.

وممن ذكرهذا القول من المفسرين: ابن جرير -ونقله عن بعض أهل العربية-.[1] والماوردي - ونقله عن ثعلب -.[2] والسمعاني[3] والبغوي[4] والزمخشري[5] وابن عطية[6] وابن وابن الجوزي - ونقله عن السدي والفراء-.[7] والقرطبي.[8]

القول الثالث: أن المراد باليمين: الحلف وهو قوله: (□ □ □ □) [الأنبياء] أي: والله لأكيدن أصنامكم.

وممن ذكر هذا القول من المفسرين: ابن جرير[9] والماوردي ونقله عن ابن عيسى[10] والسمعاني[11] والبغوي[12] والزمخشري[13] وابن عطية[14]وابن الجوزي[15] والقرطبي.[16]

---

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ٦٤).

(٢) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ٥٠).

(٣) السمعاني ((٤/ ٤٠٥).

(٤) تفسير البغوي (٤/ ٣١).

(٥) الكشاف (٤/ ٥١).

(٦) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٧٩).

(٧) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٧٩).

(٨) تفسير القرطبي (١٥/ ٩٤).

(٩) تفسير الطبري (٢٣/ ٦٤).

(١٠) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ٥٠).

(١١) السمعاني ((٤/ ٤٠٥).

(١٢) تفسير البغوي (٤/ ٣١).

(١٣) الكشاف (٤/ ٥١).

(١٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٧٩).

(١٥) زاد المسير (٧/ ٦٦).

(١٦) تفسير القرطبي (١٥/ ٩٤).

الترجيـــح:

والراجح والعلم عند الله تعالى هو ما رجحه ابن جزي عليه رحمة الله جل وعلا، مـن أن المراد بذلك الضرب بيمين يديه. وذلك لعدة أمور:

الأمر الأول: أن قوله تعالى: (ﭑ ﭒ ﭓ) هو في اليد اليمين على الحقيقة، وفي غيره مجاز، والكلام في كتاب الله تعالى إنما يحمل على الحقيقة لا على المجاز كما تقدم إيضاحه وبيانه.

الأمر الثاني: أن هذا قول ابن عباس ترجمان القرآن والحسن والضحاك وقتـادة والربيـع بن أنس، والفراء والجوهري وعامة المفسرين قدموا هذا القول وذكروا بقيـة الأقـوال بصـيغة التمريض، وبعضهم لم يذكر غيره أصلاً.

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

الكلام على قوله تعالى: (ک ک ۈ ۈ ۇٴ).

والآية فيها مسألة واحدة وهي: ما المقصود بقوله تعالى: (ۈ ۈ ۇٴ) ؟.

قال ابن جزي رحمه الله تعالى:« ذهب قوم إلى أن ما مصدرية والمعنى: الله خلقكم وأعمالكم. وهذه الآية عندهم قاعدة في خلق أفعال العباد. وقيل: إنها موصولة بمعنى: «الذي» والمعنى: الله خلقكم وخلق أصنامكم التي تعملونها؛ وهذا أليق بسياق الكلام وأقوى في قصد الاحتجاج على الذين عبدوا الأصنام. وقيل إنها نافية. وقيل إنها استفهامية. وكلاهما باطل ».(١)

والمسألة فيها أربعة أقوال:

القول الأول: أن «ما» مصدرية، والمعنى: والله خلقكم وخلق أعمالكم، وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة في خلق أفعال العباد خلافاً للمعتزلة القدرية.

وممن ذكر هذا القول من المفسرين ابن جرير(٢) والماوردي(٣) والبغوي(٤) وابن عطية(٥) والقرطبي - واستحسنه -(٦) وابن كثير - ورجحه -.(٧)

وذكر أصحاب هذا القول في سياق تعضيدهم لما ذهبوا إليه ما رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ قال: (**إن الله خالق كل صانع وصنعته**).(٨) وهذا دليل على معنى الدلالة وليس على صحة الاستدلال. واستدلوا على صحة هذا القول بقياسه على نظائره في القرآن.

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ص(٦٠١).

(٢) تفسير الطبري (٢٣/ ٧٤).

(٣) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ٥٧).

(٤) تفسير البغوي (٤/ ٣١).

(٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٧٩).

(٦) تفسير القرطبي (١٥/ ٩٦).

(٧) تفسير ابن كثير (٤/ ١٤).

(٨) الحديث: صحيح. ولفظه عند الحاكم والديلمي: خالق. مكان يصنع. وزاد البخاري في آخر الحديث: وتلا بعضهم عند ذلك: (والله خلقكم وما تعملون)، والظاهر أنها مدرجة وقال البخاري عقبه: فأخبر أن الصناعات وأهلها مخلوقة. ثم رواه عن طريق الأعمش عن شقيق عن حذيفة رضي الله عنه: إن الله خلق كل صانع وصنعته إن الله خلق صانع الخزم وصَنَعَته. (الخزم) بالتحريك شجر يتخذ من لحائه =

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

قال مكي بن أبي طالب القيسي: قوله: (ۡ ۥ ۦ ۧ) «ما» في موضع نصب بخلق عطف على الكاف والميم في « خلقكم » وهي والفعل مصدر أي خلقكم وعملكم وهذا أليق بها لأنه تعالى قال: (ۨ ۩ ۪ ۫ ۬) فأجمع القراء المشهورون وغيرهم من أهل الشذوذ على إضافة شر إلى ما خلق وذلك يدل على خلقه للشر، وقد فارق عمرو بن عبيد رئيس المعتزلة جماعة المسلمين فقرأ: (**من شرٍ ما خلق**) بالتنوين ليثبت أن مع الله خالقين يخلقون الشر وهذا إلحاد. والصحيح أن الله جل ذكره أعلمنا أنه خلق الشر، وأمرنا أن نتعوذ منه به، فاذا خلق الشر وهو خالق الخير بلا اختلاف، دل ذلك على أنه خلق أعمال العباد كلها من خير وشر، فيجب أن تكون «ما» والفعل مصدراً فيكون معنى الكلام: أنه تعالى عم جميع الأشياء أنها مخلوقة له فقال: (**والله خلقكم وعملكم**) وقد قالت المعتزلة: إن « ما » بمعنى «الذي» فرارا من أن يقروا بعموم الخلق لله، وإنما أخبر على قولهم أنه خلقهم وخلق الأشياء التي نحتت منها الأصنام وبقيت الأعمال والحركات غير داخلة في خلق الله -تعالى الله عن ذلك - بل كل من خلق الله لا خالق[له]إلا الله وخلق الله لإبليس الذي هو الشر كله يدل على خلق الله لجميع الأشياء وقد قال تعالى: (□ □ □ □ ى □) [فاطر]وقال: (ۚ ۛ ۜ ۝ ۞) [غافر]ويجوز أن تكون ما استفهاما في موضع نصب بتعملون على التحقير لعملهم والتصغير له. (١)

وقال العكبري: (ۥ ۦ) هي مصدرية. وقيل بمعنى: الذي.(٢)

القول الثاني: أن «ما» موصولة بمعنى «الذي» والمعنى: الله خلقكم والذي تعملون.

قال ابن جرير: أن يكون بمعنى: «الذي» فيكون معنى الكلام عند ذلك: والله خلقكم والذي تعملونه: أي والذي تعملون منه الأصنام، وهو الخشب والنحاس والأشياء التي كانوا ينحتون منها أصنامهم. وقد فسر ابن جرير عبارة قتادة في قوله: (ۡ ۥ ۦ ۧ) قال:

=

الحبال. انظر : خلق أفعال العباد للبخاري : (١ / ٢٢) . وانظر : السلسلة الصحيحة : (٤/ ١٨١) برقم:١٦٣٧).

(١) مشكل إعراب القرآن (٢/ ٦١٢).

(٢) التبيان في إعراب القرآن: (٢/ ١٠٩١).

دكتوراه عبدالعلي الحمدي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

بِأَيْدِيكُمْ. على هذا المعنى.[1]

وممن ذكر هذا من المفسرين: الماوردي[2] والسمعاني[3] والقرطبي[4] وابن كثير.[5] وقد نصر الزمخشري[6] هذا القول، وأبطل القول الأول ليخلص إلى إبطال حجة أهل السنة في خلق أفعال العباد، وعلى فرض التسليم له بما اعترض به فإن هذه المسألة متقررة بغير هذا الدليل كما بينه البخاري وغيره من أهل السنة والجماعة مما ليس عنه محيد وليس هذا محل بسطه فاكتفيت بالإشارة. ولاغرابة في ذلك فقد قال ابن عطية في تفسيره: والمعتزلة مضطرة إلى الزوال عن أن تجعل « ما » مصدرية.[7]

وقد تابع ابن عاشور الزمخشري في تضعيف القول الأول حيث قال: وقد احتج الأشاعرة[8] على أن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى بهذه الآية على أن تكون « ما » مصدرية أو تكون موصولة، على أن المراد: ما تعملونه من الأعمال. وهو تمسك ضعيف لما في الآية من الاحتمالين، ولأن المقام يرجح المعنى الذي ذكرناه إذ هو في مقام المحاجّة بأن الأصنام أنفسها مخلوقة لله، فالأولى المصير إلى أدلة أخرى.[9]

قلت: وهذا الذي ذهب إليه الزمخشري وابن عاشور هو ما ذهب إليه ابن القيم رحمه الله وقد قرره بقوة وبين أن « ما » لو كانت مصدرية لكان الكلام إلى أن يكون حجة للقدرية أقرب من أن يكون حجة عليهم. وبين أن « ما » المصدرية والموصولة يتعاقبان غالبا ويصلح أحدهما في الموضع الذي يصلح فيه الآخر وربما احتملها كلام واحد ولا يُمَيَّز بينهما فيه إلا بنظر وتأمل...

---

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ٧٤).

(٢) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ٥٧).

(٣) السمعاني ((٤/ ٤٠٥).

(٤) تفسير القرطبي (١٥/ ٩٦).

(٥) تفسير ابن كثير (٤/ ١٤).

(٦) الكشاف (٤/ ٥٢).

(٧) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٧٠).

(٨) وابن عاشور من متطرفي الأشاعرة كما قرره المغراوي في كتابه التفسير والمفسرون.

(٩) تفسير التحرير والتنوير (٢٣/ ١٤٦).

ثم نقل كلام أبي القاسم السهيلي في تقريره أن « ما » هنا مصدرية. ثم عقب عليه بقوله: ولقد بالغ في رد ما لا تحتمل الآية سواه أو ما هو أولى بحملها وأليق بها. ونحن وكل محق مساعدوه على [أن] الله خالق العباد وأعمالهم وأن كل حركة في الكون فالله خالقها وعلى صحة هذا المذهب أكثر من ألف دليل من القرآن الكريم والسنة والمعقول والفطر ولكنه لا ينبغي أن تحمل الآية على غير معناها اللائق بها حرصا على جعلها عليهم حجة ففي سائر الأدلة غنية عن ذلك على أنها حجة عليهم من وجه آخر ، مع كون « ما » بمعنى «الذي» سنبينه إن شاء الله تعالى...إلى أن قال: والصواب أنها موصولة وأنها لا تدل على صحة مذهب القدرية بل هي حجة عليهم مع كونها موصولة.[1]

القول الثالث: أن « ما » نافية. قال ابن عطية : وقالت فرقة هي نفي بمعنى وأنتم لا تعملون شيئا في وقت خلقكم ولا قبله، ولا تقدرون على شيء.[2]

قال القرطبي: وقيل: هي نفي، والمعنى وما تعملون ذلك لكن الله خالقه.[3]

القول الرابع: إن « ما » استفهامية. قال النحاس: ويجوز ان يكون استفهاما فيه معنى التوبيخ.[4] وذكره ابن عطية في تفسيره[5] والقرطبي وقال: معناه التحقير لعملهم.[6]

الترجيح:

والراجح والعلم عند الله تعالى هو القول الثاني. فتأويل الكلام عليه: والله خلقكم والذي تعملون. فـ « ما » موصولية على القول الراجح وذلك لعدة أمور:

الأمر الأول: أن الله تعالى قال: (ے ۓ ۓ ڭ ڭ) ثم قال بعد ذلك: (ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ) فحَمْل « ما » الثانية على أنها موصولية هو المناسب في مقام الحجاج لإبطال عبادتهم

---

(١) بدائع الفوائد (١/ ١٥٠- ١٥٩)، وفيه تفصيل طويل نافع في التفريق بين (ما) الموصولة والمصدرية في القرآن.

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٧٩).

(٣) تفسير القرطبي (١٥/ ٩٦).

(٤) معاني القرآن (٦/ ٤٦).

(٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٧٩).

(٦) تفسير القرطبي (١٥/ ٩٦).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

لهذه الأصنام حيث بدأ بالمقدمة محل الاتفاق، وهي أن الأصنام من نحت أيديهم هم الذين صنعوها، ثم رتب عليها النتيجة وهي أن العابد هو الذي صنع المعبود فكيف يصلح لأن يكون معبوداً وهو من صنع العابد ؟. ولذا استفهم إبراهيم منكراً عليهم بقوله: (ڈ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ) ؟. (الأنبياء: ٦٧) فلو كانوا يعقلون لما عبدوا ما صنعته أيديهم. وثمة مقدمة أخرى مكملة للمقدمة الأولى وهي بيان أصل هذه الأصنام وهو التراب والحجارة والنحاس ونحو ذلك، وهي كلها من خلق الله تعالى فإذا كان الله خلقهم وخلق ما خلقوا منه الأصنام، فَمَن الأحق بالعبادة ؟!! الخالق أم المخلوق ؟! وهذه من الحجج التي أعطاها الله إبراهيم عليه السلام على قومه.

وعلى كل حال إذا علم هذا تبين من خلاله أن السياق يدل على أن « ما » في هذا الموضع موصولية وليست مصدرية ليصح الاحتجاج عليهم ولو كانت مصدرية لما صح هذا المعنى، إذ أن دلالة قوله: « والله خلقكم والذي تعملون » ليست كدلالة قوله: « والله خلقكم وعملكم ».

الأمر الثاني: أن القول بأن « ما » موصولية لا يعني الإقرار بمذهب أهل الباطل، إذ أن هذه المسألة كما قال ابن القيم لها ألف دليل من الكتاب والسنة والعقل غير هذا الدليل، كما لا يعني بطلان القول الأول، ولكن سياق الآيات لا يسعف أصحاب القول الأول، نعم قد نقول إن القرآن يدل أكثره على معنيين فأكثر، غير أن هذه المعاني في كثير من الأحيان لا تدخل دفعة واحدة في لفظ الآية، فمنها ما يكون دخوله أولياً - كهذا القول - وذلك بحسب المرجحات، ومنها سياق الكلام، كما في هذا الموطن.

أما القول الثالث والرابع فلم يذكرهما إلا القلة من المفسرين وهي منقولة بصيغة التمريض، وهي قائمة على التقدير، والقاعدة تقول: يقلل المقدر مهما أمكن لتقل مخالفة الأصل.

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

الكلام على قوله تعالى: (□ □ □ ى ى ي ي □).

والآية فيها مسألتان:

المسألة الأولى: ما المقصود بالسعي في قوله تعالى: (□ □ □ ى □).

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: « يريد بالسعي هنا العمل والعبادة. وقيل: المشي- وكان حينئذ ابن ثلاثة عشر سنة ».[1]

والمسألة فيها قولان:

القول الأول: أن المراد بالسعي: العمل والعبادة. وذلك لما شبّ وأطاق ما يفعله أبوه من السعي والعمل وأدرك سعيه وبلغ سن العبادة، وكان يومئذٍ ابن ثلاث عشرة سنة.

وهذا قول ابن عباس، وسعيد بن جُبَيْر، وعكرمة، وزيد بن أسلم، ومجاهد، وابن زيد، والحسن، ومقاتل، بن حيان، وابن السائب، وعطاء الخراساني، والكلبي، وابن قتيبة، والفراء.

وممن قال به من المفسرين: ابن جرير[2]والماوردي[3] والسمعاني[4] والبغوي[5] وابن عطية[6] عطية[6] وابن الجوزي[7] والقرطبي[8] وابن كثير.[9]

وقال ابن عاشور: والفاء في (□ □ □ ى □) فصيحة لأنها مفصحة عن مقدر، تقديره: فولد له ويفع وبلغ السعي فلما بلغ السعي قال يا بنيّ الخ، أي بلغ أن يسعى مع أبيه، أي بلغ سنّ من يمشي مع إبراهيم في شؤونه.[10]

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ص(٦٠٢).
(٢) تفسير الطبري (٢٣/ ٧٦).
(٣) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ٥٢).
(٤) السمعاني ((٤/ ٤٠٧).
(٥) تفسير البغوي (٤/ ٣٤١).
(٦) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٧٩).
(٧) زاد المسير (٧/ ٧١).
(٨) تفسير القرطبي (١٥/ ٩٩).
(٩) تفسير ابن كثير (٤/ ١٥).
(١٠) تفسير التحرير والتنوير (٢٣/ ١٤٥).

القول الثاني: أن المراد بالسعي هنا المشي. وعمدة هذا القول ما أخرجه ابن جرير عن قتادة قال: (□ □ □ ى □) أي: لما مشى مع أبيه.[1] وكذا قال الماوردي[2] والزمخشري[3] وابن عطية[4] وابن الجوزي[5] والقرطبي[6] وابن كثير[7] والسمعاني -وقال: قال قال ثعلب: السعي: مشى بسرعة.[8] ونقل البغوي عن ابن عباس وقتادة: قالوا: يعني المشي معه إلى الجبل.[9]

الترجيح:

والراجح والعلم عند الله أنه لا منافاة بين القولين فهما قول واحد، غير أن العبارة فيها نوع اختلاف، وقد أشار إلى هذا المعنى ابن عطية عليه رحمة الله تعالى قالمشي بسرعة وبتمكن والذهاب معه إلى الجبل للعمل وحمل الحجارة كلها تعنى القدرة على العمل وبلوغ السن التي يستطيع فيها مساعدة أبيه على أموره، وهي السن التي يبدأ فيها التكليف والعبادة ولذا استدلوا على ذلك بقوله تعالى: (ڈ ڈ ٹ ٹ ٹ ڈ ڈ ف ف ق)**(الإسراء:١٩)**

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ٧٦).

(٢) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ٥٢).

(٣) الكشاف (٤/ ٥٥).

(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٧٩).

(٥) زاد المسير (٧/ ٧١).

(٦) القرطبي (١٥/ ٩٩).

(٧) تفسير ابن كثير (٤/ ١٥).

(٨) السمعاني ((٤/ ٤٠٧).

(٩) تفسير البغوي (٤/ ٣٤١).

المسألة الثانية: ما الذي رآه إبراهيم في المنام ؟.

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: « يحتمل أن يكون رأى في المنام الـذبح، وهـو الفعـل. أو أُمِر في المنام أنه يذبحه. والأول أظهر في اللفظ هنا؛ والثاني أظهـر في قولـه: (□ □ □□ □) ورؤيا الأنبياء حق، فوجب عليه الامتثال على الوجهين ». [1]

والمسألة فيها قولان:

القول الأول: يحتمل أن يكون رأى في المنام فعل الذبح. فذكر بعضهم أنه رأى أنه يعـالج ذبحه، ولم يَرَ إِراقة الدَّم. قال قتادة: ورؤيا الأنبياء حَقٌّ، إِذا رأَوا شيئاً، فعلوه. وممـن ذكـر هـذا الاحتمال: ابن عطية [2] وابن الجوزي. [3]

القول الثـاني: يحتمل أن يكون رأى في المنام الأمر بالذبح. قال محمد بن إسحاق: وذلك أنه رأى ليلة التروية كأن قائلا يقول له: إن الله يأمرك بذبح ابنك هذا، كما عند البغوي[4] وممـن ذكره من المفسرين: الزمخشري[5] وابن عطية[6] وابن الجوزي[7] والقرطبي. [8]

الترجيح:

والراجح والعلم عند الله تعالى أن هذا الخلاف ليس له ثمرة ولذا لم يتعرض له المحققون من المفسرين، وسواء رأى أنه يذبح ابنه أو رأى أنه يؤمر بذبحه، لا يترتب عليه كبير فائدة، وما أبهمه القرآن لا فائدة فيه كما هو مقرر، ولا يوجد ما يدل على هذا ولا على هذا، وإنما العـبرة في كمال الامتثال.

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ص(٦٠٢).

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٧٩).

(٣) زاد المسير (٧/ ٧١).

(٤) تفسير البغوي (٤/ ٣٤١).

(٥) الكشاف (٤/ ٥٥).

(٦) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٧٩).

(٧) زاد المسير (٧/ ٧١).

(٨) تفسير القرطبي (١٥/ ١٠٢).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

الكلام على قوله تعالى: (ﮒ ں ڻ ڻ)

والآية فيها مسألة واحدة وهي: على من يعود الضمير في قوله تعالى: (ﮒ ڻ).

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: « الضمير يعود على موسى وهارون وقومهما. وقيل: على موسى وهارون خاصة؛ وعاملهما معاملة الجماعة للتعظيم، وهذا ضعيف ».[1]

والمسألة فيها قولان:

القول الأول: أن ضمير الجمع يعود على موسى وهارون وقومهما.

قال ابن جرير: وقوله: (ﮒ ڻ) يقول: ونصرنا موسى وهارون وقومهما على فرعون وآله بتغريقناهم (ں ڻ ڻ) لهم.

ثم علل ابن جرير ذلك بأن الله أتبع ذلك بقوله: (ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ) ثم قال: (ﮒ ڻ) يعني: هما وقومهما، لأن فرعون وقومه كانوا أعداء لجميع بني إسرائيل، قد استضعفوهم، يُذَبحون أبناءهم، ويستحيون نساءهم، فنصرهم الله عليهم، بأن غرّقهم ونجى الآخرين.[2]

وممن قال بذلك من المفسرين: البغوي[3] والزمخشري[4] وابن عطية[5] وابن الجوزي[6] والقرطبي ورجحه[7] وابن كثير.[8]

قال أبو جعفر النحاس: وقيل المعنى: ونصرنا موسى وهارون عليهما السلام وقومهما على فرعون وقومه، وهذا هو الصواب لأن قبله: (ﮓ ﮔ ﮒ).[9]

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ص(٦٠٣).

(٢) تفسير الطبري (٢٣/ ٩٠).

(٣) تفسير البغوي (٤/ ٣٥).

(٤) الكشاف (٤/ ٦١).

(٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٧٩).

(٦) زاد المسير (٧/ ٧٩).

(٧) تفسير القرطبي (١٥/ ١١٤).

(٨) تفسير ابن كثير (٤/ ١٦).

(٩) معاني القرآن للنحاس: (٦/ ٥٣).

القول الثاني: أن الضمير يعود على موسى وهارون خاصة وعاملهما معاملة الجماعة للتعظيم. لأن العرب تذهب بالرئيس إلى الجمع، لجنوده وأتباعه. حكاه ابن جرير عن بعض أهل العربية[1]

وممن ذكره من المفسرين: السمعاني[2] وابن عطية[3] وابن الجوزي[4] ونقل القرطبي عن عن الفراء قال: الضمير لموسى وهارون وحدهما، وهذا على أن الاثنين جمع، دليله قوله: «وآتيتاهما» «وهديناهما».[5]

الترجيح:

والراجح والعلم عند الله تعالى هو ما رجحه ابن جزي وهو القول الأول وأن الضمير يعود على موسى وهارون وقومهما، وذلك لعدة أمور:

الأمر الأول: أن هذا مقتضى دلالة السياق، فلو تأملت قول الله تبارك وتعالى: (ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

ﮋ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾ ﷿ ﷻ) ثم قال: (ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾ ﷿ ﷻ) يعني: هما وقومهما، لأن فرعون وقومه كانوا أعداء لجميع بني إسرائيل، قد استضعفوهم، يذبحون أبناءهم، ويستحيون نساءهم، فنصرهم الله عليهم، بأن غرّقهم ونجى الآخرين.[1] ومأخذ الترجيح واضح ولله الحمد.

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ٩٠).

الكلام على قوله تعالى :قوله تعالى: (ۋ و و ۉ ۉ)

والآية فيه مسألة واحدة وهي: من هو إلياس المذكور في هذه الآية ؟.

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: « إلياس من ذرية هارون. وقيل إنه إدريس. وقد أخطأ من قال إنه إلياس المذكور في أجداد النبي ﷺ ».[1]

والمسألة فيها ثلاثة أقوال:

القول الأول: أن إلياس من ذرية هارون بن عمران أخي موسى عليهما السلام.

وهذا القول نقله ابن جرير بسنده عن ابن إسحاق.[2] وممن ذكره من المفسرين: الماوردي[3] والسمعاني[4] والبغوي -ونقله عن ابن عباس- [5] والزمخشري[6] وابن عطية[7] وابن كثير -ونقله عن وَهْب بن منبِّه- [8] وابن عاشور.[9]

القول الثاني: أن إلياس هو إدريس.

وهذا مروي عن عبدالله بن مسعود. وفي مصحفه: (**وإن إدريس لمن المرسلين**) وكذا قرأ أبو العالية، وأبو عثمان النهدي. وهذا مروي عن ابن عباس وعكرمة والضحاك وقتادة ومحمد بن إسحاق.

وممن ذكر هذا من المفسرين: ابن جرير [10] والماوردي[11] والبغوي[12]

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ص(٦٠٣).
(٢) تفسير الطبري (٢٣/ ٨٤).
(٣) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ٦٣).
(٤) السمعاني ((٤/ ٤١١).
(٥) تفسير البغوي (٤/ ٣٦).
(٦) الكشاف (٤/ ٦٢).
(٧) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٨٤).
(٨) تفسير ابن كثير (٤/ ١٧).
(٩) تفسير التحرير والتنوير (٢٣/ ١٦٦).
(١٠) تفسير الطبري (٢٣/ ٨٤).
(١١) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ٦٣).
(١٢) تفسير البغوي (٤/ ٣٦).

والزمخشري[1] وابن عطية[2] وابن الجوزي[3] والقرطبي[4] وابن كثير.[5]

قال ابن عاشور: وأمّا إلياس فرفعه مذكور في كتب الإسرائيليين ولم يذكره المفسّرون من السلف. وقد قيل: إنّ إلياس هو إدريس وعليه فرفعه مذكور في قوله تعالى: (ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ). (مريم ٥٦، ٥٧).[6]

القول الثالث: أن إلياس هو المذكور في أجداد النبي ﷺ وقد أخطأ من قال بذلك. وقد ذكر هذا الماوردي فقال: وجوز قوم أن يكون هو إلياس بن مضر.[7]

الترجيح:

والراجح والعلم عند الله تعالى: هو القول الثاني وأن إلياس هو إدريس، وذلك لأن القراءة الشاذة تصلح لأن تكون تفسيراً وقد جاء عن ابن مسعود وأبي العالية، وأبي عثمان النهدي أنهم قرأوا: (**وإن إدريس لمن المرسلين**). وأما بقية الأقوال فليس لها ما يدل عليها، ولذا لا نعرج عليها.

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

(١) تفسير البغوي (٤/ ٣٦).

(٢) المحرر الوجيز (٥/ ٤٢٧).

(٣) زاد المسير (٧/ ٧٥).

(٤) تفسير القرطبي (١٥/ ١١٥).

(٥) تفسير ابن كثير (٤/ ١٧).

(٦) تفسير التحرير والتنوير (٢٣/ ١٦٦).

(٧) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ٦٣).

الكلام على قوله تعالى: (□ □ □ □ □ □ □).

وفيه مسألة واحدةوهي: ما المراد بقوله تعالى: (□ □ □) ؟.

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: «البعل في اللغة: الرب بلغة أهل اليمن. وقيل: بعل اسم صنم يقال له بعلبك ».[1]

والمسألة فيها قولان:

القول الأول: أن البعل في اللغة معناه: الرب بلغة أهل اليمن. وهذا القول مأثور عن ابن عباس، وعكرمة، ومجاهد، وقتادة، والسديّ، وأبو عبيدة، وابن قتيبة.

فروى ابن جرير عن عكرمة ومجاهد وقتادة والسديّ أنهم قالوا: معناه: أتدعون ربا ؟ وقالوا: هي لغة لأهل اليمن معروفة فيهم.[2]

قال الماوردي: قال مقاتل هي لغة أزد شنوءة، وسمع ابن عباس رجلاً من أهل اليمن يسوم ناقة بمنى فقال: مَن بَعْل هذه، أي: ربها.[3]

ونقل السمعاني عن ابن عباس أنه قال: أتدعون بعلاً أي: رباً، والبعل هو الرب، ومعناه: أتدعون هذا الصنم رباً ؟.[4]

وذكر ابن الجوزي عن الضحاك أنه قال: كان ابن عباس قد أعياه هذا الحرف، فبينا هو جالس، إذ مَرَّ أعرابيّ قد ضَلَّت ناقتُه وهو يقول: من وجد ناقة أنا بعلُها؟ فتبعه الصّبيان يصيحون به: يا زوج النّاقة، يا زوج النّاقة، فدعاه ابن عباس فقال: ويحك، ما عنيتَ ببعلها؟. قال: أنا ربُّها. فقال ابن عباس: صدق الله (□ □ □): ربّاً.[5]

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ص(٦٠٣).

(٢) تفسير الطبري (٢٣/ ٨٤).

(٣) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ٦٢).

(٤) السمعاني ((٤/ ٤١١).

(٥) زاد المسير (٧/ ٧٩).

وممن ذكر هذا القول من المفسرين: البغوي[1] والزمخشري[2] وابن عطية.[3]

القول الثاني: أن البعل المذكور: صنم كانوا يعبدونه ببعلبك، وهم وراء دمشق. وهذا القول مأثور عن الضحاك وابن زيد والحسن وقال مقاتل: كَسَرَه إلياس وذهب.

وممن ذكر ذلك من المفسرين: ابن جرير[4] والماوردي[5] والبغوي[6] والزمخشري[7] وابن وابن عطية[8] وابن الجوزي.[9]

الترجيح:

والظاهر والعلم عند الله تعالى أنه لا تعارض بين القولين فثبوت الثاني لا ينفي معنى القول الأول.

وقد ذكر أهل اللغة أن البعل يطلق ويراد به معنى الاستعلاء ولذا فهو يطلق على الزوج كما في قوله تعالى: (پ پ پپ ڀ) [هود] وفي قوله تعالى: (ک ک ک گ گ ﮲) [البقرة] وما ذكر من تسمية الصنم بالبعل فلما فيه من هذا المعنى وهو الاستعلاء، قال الراغب:وسمي العرب معبودهم الذي يتقربون به إلى الله: بعلا؛ لاعتقادهم الاستعلاء فيه.[10]

قال ابن منظور: وبعل الشيء ربه ومالكه وفي حديث الإيمان: (**وأن تلد الأمة بعلها**)[11] المراد بالبعل ههنا المالك يعني كثرة السبي والتسري فإذا استولد المسلم جارية كان ولدها

---

(١) تفسير البغوي (٤/ ٣٧).

(٢) الكشاف (٤/ ٦١).

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٨٤).

(٤) تفسير الطبري (٢٣/ ٨٤).

(٥) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ٦٢).

(٦) تفسير البغوي (٤/ ٣٧).

(٧) الكشاف (٤/ ٦١).

(٨) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٨٤).

(٩) زاد المسير (٧/ ٧٩).

(١٠) تاج العروس: (١/ ٦٨٨٢).

(١١) لم أقف عليه بهذا اللفظ.

دكتوراه عبدالعلي المدني (كامل الرسالة :: مع الفهارس) ٥

بمنزلة ربها. وبعل والبعل جميعا صنم سمي بذلك لعبادتهم إياه كأنه ربهم وقولـه عـز وجـل: (□ □ □ □ □ □) قيل معناه: أتدعون ربا. وقيل: هو صنم.[1]

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

(١) لسان العرب - (١١/ ٥٧).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة :: مع الفهارس) ٥

الكلام على قوله تعالى: (ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ).

والآية فيها مسألة واحدة وهي: القراءات الواردة في قوله تعالى: (ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ) والمعنى على كل قراءة.

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: « «آل» هنا على هذه القراءة بمعنى: أهل ياسين اسم لإلياس. وقيل: لأبيه. وقيل: لسيدنا محمد ﷺ. وقرئ: (ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ) بكسر الهمزة ووصل اللام ساكنة على هذا: جمع إلياس. أو منسوب لإلياس، حذفت منه الياء كما حذفت من أعجمين. وقيل: سمي كل واحد من آل ياسين إلياس ثم جمعهم. وقيل: هو لغة في إلياس».[1]

والآية فيها قراءتان:

القراءة الأولى: بالمد « آل ياسين » وهي قراءة نافع وابن عامر ورويس عن يعقوب: «سلام على آل ياسين» بفتح الألف وكسر اللام مقطوعة من ياسين.[2]

وفي توجيهها ثلاثة أقوال:

التوجيه الأول: أن معنى « آل » يعني: أهل، وياسين اسم لإلياس؛ وعليه فيكون المعنى: سلام على أهل ياسين. وياسين يدخل فيهم، كقوله ﷺ: **(اللهم صَلِّ على آل أَبي أَوفى)**[3] فمما لا شك فيه أن أبا أوفى داخل فيهم، لأنه هو المراد بالدعاء، وهذا كقوله تعالى: (ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

التوجيه الثاني: أن المراد بـ « آل ياسين » هو أبو إلياس فيكون: إلياس بن ياسين.

قال الزمخشري: وأما من قرأ: «على آل ياسين» فعلى أنّ ياسين اسم أبي إلياس، أضيف إليه الآل.[1] وقال ابن عاشور: وقيل: إن ياسين هو أبو إلياس. فالمراد: سلام على إلياس وذويه من آل أبيه.[2]

التوجيه الثالث: أن المراد بـ « آل ياسين » هو: نبينا محمد ﷺ.

وقد ذكر ابن جرير هذا القول عن بعضهم وأنهم تأولوه بمعنى: سلام على آل محمد. ثم بين خطأه فقال: وفي قراءة عبدالله بن مسعود: (سَلامٌ عَلى إدْرَاسِينَ) دلالة واضحة على خطأ قول من قال بذلك.[3] وقال البغوي معقباً على هذا القول: وهذا القول بعيد لأنه لم يسبق له ذكر.[4] وممن ذكر هذا القول من المفسرين: الماوردي -ونقله عن ابن عباس-[5] وابن الجوزي الجوزي -ونقله عن الكلبي-.[6] وابن كثير.[7]

القراءة الثانية: (ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ) بكسر الهمزة ووصل اللام الساكنة.

وفي توجيهها أربعة أقوال:

التوجيه الأول: أن إلياسين: جمع إلياس. فيدخل أصحابه في اسمه.

وقد حكى ابن جرير عن أبي عمرو بن العلاء قال:...وإن شئت ذهبت بإلياسين إلى أن تجعله جمعا، فتجعل أصحابه داخلين في اسمه، كما تقول لقوم رئيسهم المهلب: قد جاءتكم المهالبة والمهلبون، فيكون بمنزلة قولهم الأشعرين بالتخفيف، والسعدين بالتخفيف وشبهه، قال الشاعر: أنا ابْنُ سَعْدٍ سَيِّدِ السَّعْدِينَا[8]

---

(١) الكشاف (٤/ ٦١).

(٢) تفسير التحرير والتنوير (٢٣/ ١٦٣).

(٣) تفسير الطبري (٢٣/ ٩٤).

(٤) تفسير البغوي (٤/ ٣٧).

(٥) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ٦٢).

(٦) زاد المسير (٧/ ٨٢).

(٧) تفسير ابن كثير (٤/ ١٥).

(٨) تفسير الطبري (٢٣/ ٩٤ هذا البيت من شواهد الفراء في معاني القرآن.

وممن ذكره من المفسرين: البغوي[1] وابن عطية.[2]

التوجيه الثاني: أن النسبة إلى إلياس: إلياسي. وهذا جمع النسبة، ثم حذفت منه الياء كما حذفت من أعجمين. ووجهها أنه جمع إلياسي كما قالوا أعجمي، أعجميون، قال أبو علي: والتقدير إلياسين فحذف كما حذف من أعجميين، ونحوه من الأشعريين والنمريين والمهلبين. قال ابن الجوزي: أنه جَمْعٌ لهذا النبيّ وأمَّته المؤمنين به، وكذلك يُجمع ما يُنْسَب إِلى الشيء بلفظ الشيء، فتقول: رأيت المهالبة، تريد: بني المهلَّب، والمسامعة، تريد بني مسمع.[3]

التوجيه الثالث: أنه: سمي كل واحد من آل ياسين: إلياس، ثم جمعهم.

وهذا ذكره الماوردي[4] وقال القرطبي: ورأيت علي بن سليمان يشرحه بأكثر من هذا. قال: فإن العرب تسمي قوم الرجل باسم الرجل الجليل منهم، فيقولون: المهالبة على أنهم سموا كل رجل منهم بالمهلب. قال: فعلى هذا (ث ذ ذ ث ث) سمي كل رجل منهم بإلياس. وقد ذكر سيبويه في كتابه شيئا من هذا، إلا أنه ذكر أن العرب تفعل هذا على جهة النسبة، فيقولون: الأشعرون يريدون به النسب.[5]

التوجيه الرابع: أنه: لغة في إلياس. مثل: إسماعيل وإسماعين، وميكائيل وميكائين. وممن ذكره البغوي[6] وابن عطية وقال:« ياسين » اسم أيضاً لإلياس.[7] وكذا قال القرطبي.[8]

الترجيح:

والراجح والعلم عند الله تعالى ما قدمه ابن جزي عليه رحمة الله جل وعلا. وهو قول جمهور المفسرين، قال ابن القيم رحمه الله تعالى:

---

(١) تفسير البغوي (٤/ ٣٧).

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٧٨).

(٣) زاد المسير (٧/ ٨٢).

(٤) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ٦٢).

(٥) تفسير القرطبي (١٥/ ١١٩).

(٦) تفسير البغوي (٤/ ٣٧).

(٧) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٧٨).

(٨) تفسير القرطبي (١٥/ ١١٩).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

والصواب والله أعلم في ذلك أن أصل الكلمة آل ياسين كآل إبراهيم فحذفت الألف واللام من أوله لاجتماع الأمثال ودلالة الاسم على موضع المحذوف وهذا كثير في كلامهم إذا اجتمعت الأمثال كرهوا النطق بها كلها فحذفوا منها ما لا إلباس في حذفه وإن كانوا لا يحذفونه في موضع لا تجتمع فيه الأمثال ولهذا لا يحذفون النون من إني وأني وكأني ولكني ولا يحذفونها من ليتني ولما كانت اللام في لعل شبيهة بالنون حذفوا النون معها ولا سيما عادة العرب في استعمالها للاسم الأعجمي وتغييرها له فيقولون مرة إلياسين ومرة إلياس ومرة ياسين وربما قالوا ياس ويكون على إحدى القراءتين قد وقع على المُسَلَّم عليه وعلى القراءة الأخرى على آله.[1]

وأما من ذكر أن يس هو القرآن وآله هم أهل القرآن أو أنه النبي ﷺ وآله أقاربه وأتباعه. فهذه الأقوال كلها ضعيفة والذي حمل قائلها عليها استشكالهم إضافة آل إلى يس واسمه إلياس وإلياسين ورأوها في المصحف مفصولة وقد قرأها بعض القراء آل ياسين فقال طائفة منهم له أسماء: يس، وإلياسين، وإلياس. وقالت طائفة: «يس» اسم لغيره. ثم اختلفوا فقال الكلبي: «يس»: محمد ﷺ سلم الله على آله. وقالت طائفة: هو القرآن. وهذا كله تعسف ظاهر لا حاجة إليه.[2]

وقد نقل القرطبي عن السهيلي أنه نقل عن بعض المتكلمين في معاني القرآن، أن «آل ياسين» آل محمد عليه السلام، ونزع إلى قول من قال في تفسير « يس » يا محمد.

وهذا القول يبطل من وجوه كثيرة: أحدها: أن سياقة الكلام في قصة إلياسين يلزم أن تكون كما هي في قصة إبراهيم ونوح وموسى وهارون، وأن التسليم راجع عليهم، ولا معنى للخروج عن مقصود الكلام لقولٍ قيل في تلك الآية الأخرى مع ضعف ذلك القول أيضا، فإن « يس » و « حم » و « الم » ونحو ذلك القول فيها واحد، إنما هي حروف مقطعة، إما مأخوذة من أسماء الله تعالى كما قال ابن عباس، وإما من صفات القرآن، وإما كما قال الشعبي: لله في كل كتاب سر، وسره في القرآن فواتح القرآن. وأيضا فإن رسول الله ﷺ قال: (**لي خمسة**

---

(١) جلاء الأفهام (١/ ٢٠٨).

(٢) نفس المصدر السابق.

أسماء)[1] ولم يذكر فيها « يس ». وأيضا فإن « يس » جاءت التلاوة فيها بالسكون والوقف، ولو كان اسما للنبي ﷺ لقال: «يسنٌ» بالضم، كما قال تعالى: (ٹ ٹ ٹ چ) (يوسف:٤٦) وإذا بطل هذا القول لما ذكرناه، فـ « إلياسين » هو إلياس المذكور وعليه وقع التسليم.[2]

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

(١) صحيح البخاري (٣/ ١٢٩٠).

(٢) تفسير القرطبي (١٥/ ١٢٠).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة :: مع الفهارس) ٥

الكلام على قوله تعالى: (ک ک گ گ گ گ).

والآية فيها مسألة واحدةوهي: ما سبب هروب نبي الله يونس عن قومه ؟.

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: «وسبب هروبه غضبه على قومه حين لم يؤمنوا. وقيل: إنه أخبرهم أن العذاب يأتيهم في يوم معين حسبما أعلمه الله، فلما رأوا قومه مخايل العذاب آمنوا فرفع الله عنهم العذاب، فخاف أن ينسبوه إلى الكذب فهرب ».[1]

والمسألة فيها قولان:

القول الأول: سبب هروبه غضبه على قومه حين لم يؤمنوا.

قال ابن مسعود: لمّا وعد يونس قومَه بالعذاب بعد ثلاث، جَأَرَوا إِلى الله عز وجل واستغفروا، فكفّ عنهم العذاب، فانطلق مغاضباً حتى انتهى إلى قوم في سفينة.[2]

وقال الحسن: فر من قومه وكان فيما عهد إليهم أنهم إن لم يؤمنوا أتاهم العذاب، وجعل علامة ذلك خروجاً من بين أظهرهم، فلما خرج عنهم، جاءتهم ريح سوداء، فخافوها، فدعوا الله بأطفالهم، وبهائمهم، فأجابهم وصرف العذاب عنهم، فخرج مكايداً لقومه مغاضباً لدين ربه.[3]

وعن الضحاك أيضا خرج مغاضبا لقومه، لأن قومه لما لم يقبلوا منه وهو رسول من الله عز وجل كفروا بهذا فوجب أن يغاضبهم، وعلى كل أحد أن يغاضب من عصى الله عز وجل.

قال القرطبي: قيل: إنه غاضب قومه حين طال عليه أمرهم وتعنتهم فذهب فارا بنفسه، ولم يصبر على أذاهم وقد كان الله أمره بملازمتهم والدعاء، فكان ذنبه خروجه من بينهم من غير إذن من الله. روي معناه عن ابن عباس والضحاك، وأن يونس كان شابا ولم يحمل أثقال النبوة، ولهذا قيل للنبي ﷺ: (ی ی ذ ذ ژ) **(القلم: ٤٨)**.[4]

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ص(٦٠٤).

(٢) زاد المسير (٧/ ٨٥).

(٣) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ٦٦).

(٤) تفسير القرطبي (١١/ ٣٢٩ - ٣٣٠).

قال ابن كثير: هذه القصة مذكورة هاهنا وفي سورة «الصافات» وفي سورة «ن» وذلك أن يونس بن مَتَّى عليه السلام، بعثه الله إلى أهل قرية «نينوى»، وهي قرية من أرض الموصل، فدعاهم إلى الله، فأبوا عليه وتمادوا على كفرهم، فخرج من بين أظهرهم مغاضبا لهم، ووعدهم بالعذاب بعد ثلاث. فلما تحققوا منه ذلك، وعلموا أن النبي لا يكذب، خرجوا إلى الصحراء بأطفالهم وأنعامهم ومواشيهم، وفرقوا بين الأمهات وأولادها، ثم تضرعوا إلى الله عز وجل، وجأروا إليه، ورغت الإبل وفُصْلانها، وخارت البقر وأولادها، وثغت الغنم وحُمْلانها، فرفع الله عنهم العذاب، قال الله تعالى: (ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

قال ابن عطية: فروي أن الله بعثه إلى قومه فدعاهم مرة فخالفوه فوعدهم بالعذاب، وأعلمه الله تعالى بيومه فحدده يونس لهم، ثم إن قومه لما رأوا مخايل العذاب قبل أن يباشرهم تابوا وآمنوا فتاب الله عليهم وصرف العذاب عنهم، وكان في هذا تجربة ليونس فلحقت يونس غضبة.[1]

الترجيـــح:

والأظهر والعلم عند الله تعالى هو القول الثاني، وهو المأثور عن جماهير السلف كما رأيت، وقد ذكر ابن أبي شيبة بإسناده إلى عبدالله بن مسعود قصة يونس بن متى وفيها أن من كذب فيهم ولم تكن له بينه فإنهم يقتلونه.[2]

وأخرج ابن جرير عن سعيد بن جبير عن بن عباس قال: بعثه الله -يعني يونس- إلى أهل قريته، فردوا عليه ما جاءهم به، وامتنعوا منه فلما فعلوا ذلك، أوحى الله إليه إني مرسل عليهم العذاب في يوم كذا وكذا، فاخرج من بين أظهرهم، فأعلم قومه الذي وعده الله من عذابه إياهم، فقالوا: ارمقوه فإن خرج من بين أظهركم، فهو والله كائن ما وعدكم، فلما كانت الليلة التي وعدوا بالعذاب في صبحها، أدلج ورآه القوم، فخرجوا من القرية إلى براز من أرضهم، وفرقوا بين كل دابة وولدها، ثم عجوا إلى الله فاستقالوه فأقالهم، وتنظر يونس الخبر عن القرية وأهلها، حتى مر به مارٌ فقال: ما فعل أهل القرية. فقال: فعلوا أن نبيهم خرج من بين أظهرهم، فعرفوا أنه صدقهم ما وعدهم من العذاب، فخرجوا من قريتهم إلى براز من الأرض، ثم فرقوا بين كل ذات ولد وولدها، وعجوا إلى الله، وتابوا إليه، فقبل منهم وأخر عنهم العذاب، قال: فقال يونس عند ذلك: -وغضب- والله لا أرجع إليهم كذاباً أبدا، وعدتهم العذاب في يوم ثم رُدَّ عنهم، ومضى على وجهه مغاضباً.[3]

وعلى كل حال، فالذي في كتاب الله تعالى هو مكمن العظة والعبرة، وكونه خرج هربا من اتهامهم له بالكذب، أو أنه كان مغاضباً لهم ليس فيه كبير فائدة. وقد ذكر أئمة التفسير

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٨٥).

(٢) مصنف ابن أبي شيبة (٦/ ٣٣٨).

(٣) تفسير الطبري (١٧/ ٧٢).

دكتوراه عبدالعلي العمدي (كامل الرسالة :: مع الفهارس) 5

الخلاف في قوله تعالى: (ک ک گ ﮦ) فمنهم من قال مغاضباً ربه، ومنهم من قال مغاضباً قومه.

وهذا هو الذي يوافق ظاهر القرآن وما أثر عن ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما.

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة :: مع الفهارس) 5

الكلام على قوله تعالى: (ٹ ٹ ٹ ٹ ڈ ڈ ڈ ڈ ژ ژ).

والآية فيها مسألة واحدة وهي: ما المقصود بالتسبيح هنا ؟.

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: «تسبيحه هو قوله: (ڳ ڳ ڳ ڳ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ) [الأنبياء] حسبما حكى الله عنه في الأنبياء. وقيل: هو قوله سبحان الله. وقيل: هو الصلاة ».[1]

والمسألة فيها ثلاثة أقوال:

القول الأول: أن تسبيحه هو قوله: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين.

عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: (**إن يونس حين بدا له أن يدعو الله بالكلمات، حين ناداه وهو في بطن الحوت فقال: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، فأقبلت الدعوة نحو العرش، فقالت الملائكة: يا رب هذا صوت ضعيف معروف، من بلاد غريبة، فقال: أما تعرفون ذلك ؟. قالوا: يا رب من هو ؟. قال: ذلك عبدي يونس، الذي لم يزل يرفع له عمل متقبل، ودعوة مستجابة، قالوا: يا رب أفلا ترحم من كان يصنع في الرخاء، فتجيبه في البلاء، قال: بلى. فأمر الحوت فطرحه بالعراء**).[2]

وعن سعد بن أبى وقاص عن النبي ﷺ قال: (**دعاء ذي النون في بطن الحوت «لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين » لم يدع به رجل مسلم في شيء قط إلا استجيب له**).[3]

وقال سعيد بن جبير: في قوله: ﴿ (ٹ ٹ ٹ ٹ ڈ ڈ ڈ ڈ ژ ژ) قال: يعني قوله: (ڳ ڳ ڳ ڳ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ) **(الأنبياء-٨٧)**.[4]

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ص(٦٠٤).

(٢) انظر الحديث في : كنز العمال (١٢/ ٢١٥ برقم: ٣٥٥٧٦)، وعزاه لابن أبي الدنيا.قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٩٨) : رواه البزار عن بعض أصحابه ولم يسمه وفيه ابن إسحق وهو مدلس وبقية رجاله رجال الصحيح . وأخرجه السيوطي في جامع الأحاديث ج ١٩ ص ٣٩

(٣) الحديث : صحيح . أخرجه الترمذي في سننه : (٥/ ٥٢٦)، والنسائي في الكبرى (٦/ ١٦٦) والحاكم في المستدرك على الصحيحين (٢/ ٤١٤)، وأبو يعلى في مسنده : (٢/ ١٠٧) وأحمد في المسند : (١/ ١٦١) وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٨/ ٥) و صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ١٣٠).

(٤) تفسير البغوي (٤/ ٤٢).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

وممن ذكر نحو هذا من المفسرين: الماوردي[1] والزمخشري[2] وابن عطية[3] وابن الجوزي.[4]

وعند القرطبي عن سعيد بن جبير قال: لما قال في بطن الحوت «لا اله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين» قذفه الحوت. قال القرطبي: فيونس عليه السلام كان قبل مصليا مسبحا، وفى بطن الحوت كذلك.[5]

ونقل ابن كثير عن ابن مسعود، وابنُ عباس وغيرهما قالوا: وذلك أنه ذهب به الحوتُ في البحار يَشُقُّها، حتى انتهى به إلى قرار البحر، فسمع يونسُ تسبيح الحصى في قراره، فعند ذلك وهنالكَ قال: (ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ).[6]

قال ابن عاشور: كان من المسبحين بقوله: (ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ) كما في سورة الأنبياء (آية:٨٧) فأنجاه الله بسبب تسبيحه وتوبته فقذفه الحوت من بطنه إلى البر... فالتقدير: يسبح ربه في بطن الحوت أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين.[7]

القول الثاني: أن تسبيحه هو قوله: سبحان الله. وهذا نقله ابن عطية عن ابن جريج قال: هو قوله في بطن الحوت: سبحان الله.[8]

القول الثالث: أن تسبيحه هو الصلاة التي أحدثها في بطن الحوت.

قال ابن جرير: وقيل: إنما أحدث الصلاة التي أخبر الله عنه بها، فقال: (ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ) في بطن الحوت. ثم روى عن عمران القطان، قال:سمعت الحسن يقول في قوله: (ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ) قال:فو الله ما كانت إلا صلاة أحدثها في بطن الحوت.[1]

---

(١) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ٦٧).

(٢) الكشاف (٤/ ٦٣).

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٨٦).

(٤) زاد المسير (٧/ ٨٥).

(٥) تفسير القرطبي (١٥/ ١٢٧).

(٦) تفسير ابن كثير (٤/ ١٥).

(٧) تفسير التحرير والتنوير (٢٣/ ١٧٧).

(٨) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٨٦).

دكتوراه عبدالعلي المسدي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

وقد جاء تفسير التسبيح بالصلاة هنا عن ابن عباس، وسعيد بن جبير والسدي. وممن ذكر ذلك من المفسرين:

الماوردي[٢] والبغوي[٣] والسمعاني[٤] والزمخشري[٥] وابن الجوزي[٦] والقرطبي.[٧]

الترجيح:

والراجح والعلم عند الله تعالى هو ما رجحه ابن جزي وهو القول الأول وأن المراد بالتسبيح هنا هو قوله: (ڳ ڳ ں ڻ ڻ ۀ ۀ ہ) وإنما ترجح ذلك لعدة أمور:

الأمر الأول: أن القرآن يفسر بعضه بعضاً، وقد جاء تفسير التسبيح في سورة الأنبياء: قال الله: (ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ں ڻ ڻ ۀ ۀ ہ) **(الأنبياء: ٨٧)** فقوله تعالى: (ڻ ڻ ۀ ۀ ہ) مفسرة بآية الأنبياء.

الأمر الثاني: أن ما ذكره ابن عطية في القول الثاني عن ابن جريج من أن المراد هو التسبيح فإنه داخل في القول الأول وغير خارج عنه.

الأمر الثالث: أن من قال بأن المراد بالتسبيح الصلاة من السلف كابن عباس وابن جبير وغيرهم، محمول على ما كان منه قبل ابتلاع الحوت له. قال ابن جرير: يقول تعالى ذكره: (ڻ ڻ ہ) يعني: يونس. كَانَ مِنَ الْمُصَلِّينَ لله قبل البلاء الذي ابتُلي به، من العقوبة بالحبس في بطن الحوت. ثم روى عن قتادة قال: كان كثير الصَّلاةِ في الرّخاء، فنجَّاه الله بذلك؛ قال: وقد

---

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ٩٩).

(٢) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ٦٧).

(٣) تفسير البغوي (٤/ ٤٢).

(٤) السمعاني ((٤/ ٤١٥).

(٥) الكشاف (٤/ ٦٣).

(٦) زاد المسير (٧/ ٨٥).

(٧) تفسير القرطبي (١٥/ ١٢٣).

كان يقال في الحكمة: إن العمل الصالح يرفع صاحبه إذا ما عَثَر، فإذا صُرع وَجَدَ متكئاً. وروى مثل ذلك عن ابن عباس وسعيد بن جُبَير وأبي العالية والسديّ كلهم قالوا: من المصلين.[1]

وأما ما نُقل عن الحسن فقد جاء بيانه عند ابن جرير حيث روى عن عمران القطان، قال: سمعت الحسن يقول في قوله: (ٹ ٹ ٹ ٹ ۤ ۤ) قال: فو الله ما كانت إلا صلاة أحدثها في بطن الحوت ؛ قال عمران: فذكرت ذلك لقتادة، فأنكر ذلك وقال: كان والله يكثر الصلاة في الرخاء.[2] ويؤيده ما ذكره القرطبي عن الحسن قال: ما كان له صلاة في بطن الحوت، ولكنه قدم عملا صالحا في حال الرخاء فذكره الله به في حال البلاء، وإن العمل الصالح ليرفع صاحبه، وإذا عثر وجد متكأ. وعن ابن عباس قال: (ٹ ۤ ۤ) من المصلين المطيعين قبل المعصية.[3]

ولذا فقد قال ابن الجوزي: وجمهور العلماء على أنه أراد: لولا ما تقدَّم له قبل التقام الحوت إيّاه من التسبيح. (ہ ہ ہ ھ ھ ھ) قال قتادة: لصار بطن الحوت له قبراً إلى يوم القيامة، ولكنه كان كثير الصلاة في الرّخاء، فنجاه الله تعالى بذلك.[4]

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ٩٩).

(٢) تفسير الطبري (٢٣/ ٩٩).

(٣) تفسير القرطبي (١٥/ ١٢٦).

(٤) زاد المسير (٧/ ٨٥).

الكلام على قوله تعالى: (ﮪ ے ۓ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾ ﷿ ﷽ ﷾ ﷿ ﷽ ﷾ ﷿

فروى ابن جرير عن ابن عباس في قوله: (ﮪ ے ۓ ﮫ) قال: ألقيناه بالساحل.[1] وكذا قال الماوردي[2] ونقله البغوي عن السدي.[3] وذكر الزمخشري[4] القرطبي[5] أنه ألقاه بساحل قرية من الموصل. وقال ابن كثير: (ۓ ﮫ) على جانب دجلة.[6]

الترجيح:

والراجح والعلم عند الله تعالى أنه لا تعارض بين القولين، وأحدهما مكمل للآخر، فيكون المراد أنه نبذ بساحل عراء ليس به نبت ولا بناء. وذلك أن نبذ الحوت له بالساحل مقطوع به عقلاً إذ لا يتصور أن يقذفه الحوت بغير الساحل أو البحر، فلما بين القرآن أنه نبذه بالعراء دل ذلك على أنه نبذه بساحلٍ عراء ليس فيه نبت ولا بناء.

قال الشيخ الأمين: وقوله: (ﮪ ے ۓ ﮫ) أي: طرحناه، بأن أمرنا الحوت أن يلقيه بالساحل. والعراء: الصحراء. وقول من قال: العراء الفضاء أو المتسع من الأرض، أو المكان الخالي أو وجه الأرض راجع إلى ذلك.[7]

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ١٠١).

(٢) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ٦١).

(٣) تفسير البغوي (٣/ ٢٦٦).

(٤) الكشاف (٤/ ٥٨).

(٥) تفسير القرطبي (١٥/ ١٢٨).

(٦) تفسير ابن كثير (٤/ ١٦).

(٧) أضواء البيان (٤/ ٢٤٣).

الكلام قوله تعالى: (﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾).

والآية فيها مسألة واحدة وهي: ما المراد باليقطين ؟.

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: «واليقطين: القرع. وإنما خصه الله به، لأنه يجمع برد الظل، ولين اللمس، وكبر الورق، وأن الذباب لا يقربه؛ فإن لحم يونس لما خرج من البحر كان لا يحتمل الذباب. وقيل: اليقطين: كل شجرة لا ساق لها، كالبقول، والقرع، والبطيخ. والأول أشهر ».[1]

والمسألة فيها قولان:

القول الأول: أن اليقطين: هو القرع. وهذا القول مروي عن ابن عباس، وعبدالله بن مسعود، وأبي هريرة، وسعيد بن جُبَير، ومجاهد، والضحاك، والسديّ، وقتادة، وعمرو بن ميمون الأودي، وعكرمة، ووهب بن منبه، وهلال بن يَسَاف، وعبدالله بن طاووس، وعطاء الخراساني، وغير واحد من السلف كلهم قالوا: اليقطين هو القرع.

وممن ذكر هذا من المفسرين: ابن جرير[2] والماوردي[3] وابن عطية[4] وابن كثير.[5] وروى وروى ابن جرير عن أبي هُرَيرة يقول: طرح بالعراء، فأنبت الله عليه يقطينة، فقلنا: يا أبا هريرة وما اليقطينة؟ قال: الشجرة الدُّبَّاء. هيأ الله له أروية وحشية تأكل من خشاش الأرض أو هشاشها فتفشخ عليه فترويه من لبنها كل عشية وبكرة حتى نبت.[6]

قال ابن كثير: وذكر بعضهم في القرع فوائد، منها: سرعة نباته، وتظليلُ ورقه لكبره، ونعومته، وأنه لا يقربها الذباب، وجودة أغذية ثمره، وأنه يؤكل نيئا ومطبوخاً بلبه وقشره أيضا. وقد ثبت أن رسول الله ﷺ كان يُحِبّ الدُّبَّاء،

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ص(٦٠٤).

(٢) تفسير الطبري (٢٣/ ٩٩).

(٣) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ٦٨).

(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٨٦).

(٥) تفسير ابن كثير (٤/ ١٥).

(٦) تفسير الطبري (٢٣/ ١٠٣).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

ويتتبعه من حَوَاشي الصَّحْفــة[1]. [2]

القول الثاني: أن اليقطين: كل شجرة لا ساق لها، مما ينبسط على وجه الأرض، كالبقول، والقرع، والبطيخ، والقثاء.

وهذا المعنى مروي عن سعيد بن جُبَير، ومجاهد، والحسن، ومقاتل، ومن أهل اللغة: ثعلب، والمبرد، والجوهر ي، والزجاج في آخرين.

وممن ذكر هذا من المفسرين: ابن جرير[3] والماوردي[4] والسمعاني[5] والبغوي[6] والزمخشري[7] وابن الجوزي[8] والقرطبي.[9]

قال الزجاج: كل شجرة لا تنبت على ساق، وإنما تمتدُّ على وجه الأرض نحو القرع، والبطيخ، والحنظل، فهي يقطين؛ واشتقاقه من: قَطَنَ بالمكان: إذا أقام، فهذا الشجر ورقه كلُّه على وجه الأرض، فلذلك قيل له: يقطين.

الترجيح:

والراجح والعلم عند الله تعالى هو القول الأول وأن الذي أنبته الله على يونس هو الدباء أو القرع. وذلك لعدة أمور:

الأمر الأول: أن هذا هو قول جماهير المفسرين من السلف ومن بعدهم.

---

(١) فروى البخاري في صحيحه عن أنس ﷺ قال: دخلت مع النبي ﷺ على غلام له خياط فقدَّم إليه قصعة فيها ثريد، قال: وأقبل على عمله، قال: فجعل النبي ﷺ يتتبع الدباء. قال: فجعلت أتتبعه فأضعه بين يديه. قال: فما زلت بعد أحب الدباء. صحيح البخاري (٥/ ٢٠٦٧).

(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ١٥).

(٣) تفسير الطبري (٢٣/ ٩٩).

(٤) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ٦٨).

(٥) السمعاني ((٤/ ٤١٦).

(٦) تفسير البغوي (٤/ ٤٣).

(٧) الكشاف (٤/ ٦٢).

(٨) زاد المسير (٧/ ٨٨).

(٩) تفسير القرطبي (١٥/ ١٢٩).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

الأمر الثاني: أن أصحاب القول الثاني نظروا إلى المعنى من حيث اللغة، فمن حيث اللغة فإن اليقطين يطلق على كل شجرة لا ساق لها، فيكون المعنى عليه أعم من القول الأول، والمعنى الخاص مقدم على المعنى العام، فمن قال إن اليقطين الدباء، ذكر نوعاً خاصاً مما يطلق عليه اليقطين، ومن ذكر أنه كل شجر ليس له ساق، لا يمكن أن يقال بقوله هذا، فلا يقال إن الله أنبت عليه الدباء والقثاء والبطيخ جملة، ولذا كان الأول هو الصواب، خاصة وأن جماهير السلف مجمعون على أن اليقطين هو الدباء. وهو ترجيح الشيخ الأمين في أضواء البيان.[1]

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أعلم.

(١) أضواء البيان (٤/ ٢٤٣).

الكلام على قوله تعالى: (ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ).

والآية فيها مسألة واحدة وهي: هل الرسالة التي في هذه الآية هي الرسالة الأولى التي أبق بعدها؟ أم أنها رسالة ثانية ؟.

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: «يعني رسالته الأولى التي أبق بعدها. وقيل: هذه رسالة ثانية بعد خروجه من بطن الحوت. والأول أشهر ».[1]

والمسألة فيها قولان:

القول الأول: أن هذه هي رسالته الأولى التي أبق بعدها.

فروى ابن جرير عن مجاهد في قوله: (ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ) قال: قوم يونس الذين أرسل إليهم قبل أن يلتقمه الحوت. وذكر نحوه عن سعيد بن جُبَير.[2]

قال الماوردي: أنه أرسل إلى الأولين فآمنوا بشريعته، وهو معنى قول ابن مسعود.[3] وقال البغوي: (ۅ ې) يعني: الذين أرسل إليهم يونس بعد معاينة العذاب.[4] وقال الزمخشري: (ۈ ۇٴ ۋ ۅ) المراد به ما سبق من إرساله إلى قومه، وهم أهل نينوى.[5] وقال ابن عطية: قال الجمهور إن هذه الرسالة إلى مائة ألف، هي رسالته الأولى التي أبق بعدها.[6] وقال ابن كثير: لا مانع أن يكون الذين أرسل إليهم أولا أُمر بالعَود إليهم بعد خروجه من الحوت، فصدقوه كلهم وآمنوا به.[7]

القول الثاني: أنها رسالة ثانية بعد خروجه من بطن الحوت.

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ص(٦٠٤).

(٢) تفسير الطبري (٢٣/ ١٠٤).

(٣) النكت والعيون تفسير الماوردي (١/ ١٤٥).

(٤) تفسير البغوي (٤/ ٤٣).

(٥) الكشاف (٤/ ٦٤).

(٦) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١/ ١٦٦).

(٧) تفسير ابن كثير (٤/ ١٦).

دكتور/ عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة .. مع الفهارس) ٥

قال ابن جرير: قيل: إن يونس أرسل إلى أهل نِيْنَوَى بعد ما نبذه الحوت بالعراء. وروى عن شهر بن حوشب عن بن عباس قال: إنما كانت رسالة يونس بعد ما نبذه الحوت.[1] وكذا قال الماوردي.[2]

قال البغوي: قيل: إلى قوم آخرين.[3]

قال الزمخشري: قيل: هو إرسال ثان بعد ما جرى عليه إلى الأولين. أو إلى غيرهم.[4]

قال ابن عطية: قال قتادة وابن عباس أيضاً هذه الرسالة أخرى بعد أن نبذ بالعراء وهي إلى أهل نينوى من ناحية الموصل.[5] قال ابن كثير: حكى البغوي أنه أرسل إلى أمة أخرى بعد خروجه من الحوت، كانوا مائة ألف أو يزيدون.[6]

الترجيح:

والراجح والعلم عند الله تعالى: هو القول الأول، وهو قول الجمهور، والمنقول عن عبدالله بن عباس ترجمان القرآن وابن مسعود وسعيد بن جبير، وهو الأصل أنه أرسل إلى قومه، وأما الثاني فالدلالة عليه محتملة، ولذا فإنه محتَمَل، غير أن الأول هو المقدم.

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ١٠٥).

(٢) النكت والعيون تفسير الماوردي (١/ ١٤٥).

(٣) تفسير البغوي (٤/ ٤٣).

(٤) الكشاف (٤/ ٦٤).

(٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١/ ١٦٦).

(٦) تفسير ابن كثير (٤/ ١٦).

الكلام على قوله تعالى: (ۋ ۋ و و ۉ).

والآية فيها مسألة واحدة وهي: ما المراد بقوله تعالى: (و و ۉ) ؟.

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: « والحين هنا يراد به: يوم بدر. وقيل: حضور آجالهم. وقيل: يوم القيامة ».[1]

والمسألة فيها ثلاثة أقوال:

القول الأول: أن المراد بالحين: يوم بدر.

فروى ابن جرير عن السديّ في قوله: (ۋ ۋ و و ۉ) قال: حتى يوم بدر.[2] وحكى القرطبي عن ابن عباس أنه قال: يعني القتل ببدر.[3] وممن ذكر هذا من المفسرين: الماوردي[4] والزمخشري[5] وابن عطية[6] والبغوي -ونقله عن مجاهد- [7] وابن كثير[8] وهو ترجيح الطبري.

القول الثاني: أن المراد بالحين حضور آجالهم.

فروى ابن جرير عن قتادة في قوله: (ۋ ۋ و و ۉ) قال: أي إلى الموت.[9] وممن ذكر ذكر هذا من المفسرين: الماوردي[10] والسمعاني[11] والزمخشري[12] وابن عطية[13] والقرطبي[1]

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ص(٦٠٦).

(٢) تفسير الطبري (٢٣/ ١١٤).

(٣) تفسير القرطبي (١٥/ ١٣٩).

(٤) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ٧٣).

(٥) الكشاف (٤/ ٦٩).

(٦) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٨٧).

(٧) تفسير البغوي (٤/ ٤٥).

(٨) تفسير ابن كثير (٤/ ٢٥).

(٩) تفسير الطبري (٢٣/ ١١٤).

(١٠) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ٧٣).

(١١) السمعاني ((٤/ ٤٢١).

(١٢) الكشاف (٤/ ٦٩).

(١٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٨٧).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

والبغوي- ونقله عن ابن عباس[٢] وابن الجوزي عن مجاهد.[٣]

القول الثالث: أن المراد بالحين: يوم القيامة.

فروى ابن جرير عن ابن زيد في قوله: (ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ) قال: يوم القيامة[٤] وممن ذكره من المفسرين: ابن عطية[٥]وابن الجوزي[٦] ونقله الماوردي عن زيد بن أسلم[٧] وذكره الزمخشري في تفسيره.[٨]

الترجيح:

والراجح والعلم عند الله تعالى أن الأقوال كلها قريبة من بعض وقد سبق مثل هذا في سورة سبأ عند قوله تعالى (ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ) [سبأ]فكل هذه الأقوال تحتملها الآية، فالقول الثاني والثالث هما في الحقيقة قول واحد، لأن من مات فقد قامت قيامته، والموت هو القيامة الصغرى، وهو يسبق القيامة الكبرى، وعليه فإننا نستطيع القول بأن هذه الأقوال تعود إلى قولين، إما أنها مغياة بيوم بدر، أو بالموت. والمقدم والعلم عند الله تعالى أنها أقرب في يوم بدر، لأن يوم بدر فيه مصرع صناديد الكفر، وفيه حضرت آجالهم، وفيه قامت قيامتهم.

ومما يؤيد هذا: أن سياق الآيات في خطاب النبي ﷺ، وتوجيهه بأن يعرض عن المشركين إلى حين، فكان السياق فيهم، وهذا مما يرجح القول بأن الغاية هي يوم بدر يوم أن كسر الله الشرك وأهله، فهو داخل في الآية دخولاً أولياً مع صحة القول الآخر.

---

(١) تفسير القرطبي (١٥/ ١٣٩).

(٢) تفسير البغوي (٤/ ٤٥).

(٣) زاد المسير (٧/ ٨٦).

(٤) تفسير الطبري (٢٣/ ١١٥).

(٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٨٧).

(٦) زاد المسير (٧/ ٨٦).

(٧) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ٧٣).

(٨) الكشاف (٤/ ٦٩).

ولذا قال ابن جرير: وهذا القول الذي قاله السديّ، أشبه بما دلّ عليه ظاهر التنزيل، وذلك أن الله توعدهم بالعذاب الذي كانوا يستعجلونه، فقال: (بِ □ □) وأمر نبيه ﷺ أن يُعْرِض عنهم إلى مجيء حينه. فتأويل الكلام: فتول عنهم يا محمد إلى حين مجيء عذابنا، ونزوله بهم.[1]

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ١١٥).

الكلام على قوله تعالى: (ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ).

والآية فيها مسألة واحدة وهي: لماذا كرر التولي عنهم مع الوعد والوعيد ؟.

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: « كرر الأمر بالتولي عنهم والوعد والوعيد على وجه التأكيد. وقيل: أراد بالوعيد الأول عذاب الدنيا، وبالثاني عذاب الآخرة ».[1]

والمسألة فيها قولان:

القول الأول: أن المراد بالتكرار في الأمر بالتولي عنهم على وجه التأكيد للوعد الذي لنبيه والوعيد الذي لأعدائه.

قال الزمخشري: وإنما ثنى (ﯤ ﯥ ﯦ) يكون تسلية على تسلية. وتأكيداً لوقوع الميعاد إلى تأكيد. وفيه فائدة زائدة وهي إطلاق الفعلين معاً عن التقييد بالمفعول، وأنه يبصر- وهم يبصرون ما لا يحيط به الذكر من صنوف المسرة وأنواع المساءة.[2] وبنحوه قال ابن الجوزي[3] والقرطبي[4] والشوكاني.[5] والألوسي[6] وأبو السعود.[7]

قال الحافظ ابن كثير: (ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ) تأكيد لما تقدم من الأمر بذلك.[8]

القول الثاني: أنه أراد بالوعيد الأول عذاب الدنيا. وبالثاني عذاب الآخرة.

وممن ذكر هذا القول من المفسرين: الزمخشري[9] والألوسي[10] وأبوالسعود[11] وعامتهم ذكروه بصيغة التمريض. قال الشوكاني: وقيل: هذه الجملة المراد بها أحوال القيامة،

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ص(٦٠٦).
(٢) الكشاف (٤/ ٦٩).
(٣) زاد المسير (٧/ ٨٦).
(٤) تفسير القرطبي (١٥/ ١٤٠).
(٥) فتح القدير (٤/ ٤١٥).
(٦) روح المعاني (٢٣/ ١٥٦).
(٧) تفسير أبي السعود (٧/ ٢٠٧).
(٨) تفسير ابن كثير (٤/ ٢٥).
(٩) الكشاف (٤/ ٦٩).
(١٠) روح المعاني (٢٣/ ١٥٦).
(١١) تفسير أبي السعود (٧/ ٢٠٧).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

والجملة الأولى المراد بها: عذابهم في الدنيا، وعلى هذا فلا يكون من باب التأكيد، بل من باب التأسيس.[1]

الترجيح:

والراجح والعلم عند الله تعالى هو القول الأول، وهو ما رجحه ابن جزي عليه رحمة الله تعالى من أن الجملة الثانية مؤكدة للجملة الأولى، فالقرآن نزل بلسان العرب، ومن مذاهب العرب التي لا تجحد، واستعمالاتهم التي لا تنكر أنهم إذا أرادوا التأكيد كرّروا؛ وإذا أرادوا الاختصار أوجزوا، وقد استخدمه القرآن كقوله تعالى: (ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ) الآيات و قوله تعالى: (ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ)[الرحمن]وفي مثل قوله تعالى: (ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ) **(الشعراء: ١٩١)** وفي مثل قوله تعالى: (ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ) **(المرسلات:١٥)**، وقد ثبت عن الصادق المصدوق، وهو أفصح من نطق بلغة العرب أنه كان إذا تكلم بالكلمة أعادها ثلاث مرات.[2] وجاء في أشعار العرب نحو نحو هذا كثير، فمن ذلك:

قول الشاعر: يا لبكر انشروا لي كليبا يا لبكر أين أين الفرار[3]

وقول الآخر: هلا سألت جموع كنـ ـدة يوم ولوا أين أينا[4]

وقول الآخر: نعم فاسلمى ثم اسلمى ثمت اسلمى ثلاث تحيات وإن لم تكلمى[5]

وقد ذكر الشيخ عطية سالم في تفسير سورة الكافرون في تتمة أضواء البيان كلاماً نفيساً وشواهد كثيرة على هذا المعنى.[6]

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

(١) فتح القدير (٤/ ٤١٥).

(٢) والحديث عن البخاري عن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ كان إذا سلم سلم ثلاثا وإذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثا. صحيح البخاري (٥/ ٢٣٠٥).

(٣) انظر البيت في ديوان مهلهل بن ربيعة (١/ ١١).

(٤) والبيت لعبيد بن الأبرص الأسدي «جاهلي» انظر: الحماسة البصرية (١/ ٨٢).

(٥) انظر البيت في ديوان الحماسة (٢/ ١٤٤).

(٦) انظر: فتح القدير (٥/ ٥٠٧)، وتتمة أضواء البيان (٩/ ١٣٣).

سورة : ص

الكلام على قوله تعالى: (ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ).

والآية فيها مسألتان:

المسألة الأولى: أين جواب القسم في قوله تعالى: (ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ).

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: «هذا قسمٌ جوابه محذوف، تقديره: إن القرآن من عند الله وإن محمدا لصادق، وشبه ذلك. وقيل: جوابه في قوله: (ﭐ) إذ هو بمعنى صدق محمد. وقيل: جوابه (ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ) وهذا بعيد. وقيل: جوابه (ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ) وهذا أبعد».[1]

والمسألة فيها أربعة أقوال:

القول الأول: أن جواب القسم محذوف. ودل على هذا المحذوف قوله تعالى: (ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ) وأن تقدير المحذوف منه: لقد جاء الحق. أو ما الأمر كما قالوا، أو نحو ذلك من التقديرات.

وهذا القول نقله ابن جرير عن قتادة، وقال بعد أن ذكر الأقوال في جواب القسم: والصواب من القول في ذلك عندي، القول الذي قاله قتادة، وأن قوله: (ﭑ) لَمَّا دلّت على التكذيب، وحلَّت محلّ الجواب، اسْتُغْني بها من الجواب، إذ عرف المعنى، فمعنى الكلام إذ كان ذلك كذلك: (ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ) ما الأمر، كما يقول هؤلاء الكافرون، بل هم (ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﴾.[2] وقال الماوردي: حَذْفُه أفخم له، لأن النفس تذهب فيه كل مذهب.[3] وقال ابن عطية: هذا هو الصحيح.[4] وممن ذكر نحو هذا من المفسرين:

البغوي[5] وابن الجوزي[6] والقرطبي[7] وابن عاشور.[8]

---

(١) التسهيل في علوم التنزيل لابن جزي: ص(٦٠٧).
(٢) تفسير الطبري (٢٣/ ١١٤).
(٣) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ٧٠).
(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٨٧).
(٥) تفسير البغوي (٤/ ٤٥).
(٦) زاد المسير (٧/ ٩٨).
(٧) تفسير القرطبي (١٥/ ١٤٤).
(٨) تفسير التحرير والتنوير (٢٣/ ٢٠٣).

القول الثاني: أن جواب القسم في قوله: (ﭐ ﭑ ﭒ) لأنه بمعنى: صدق محمد. كما عند البغوي [1] وابن عطية. [2]

القول الثالث: أن الجواب في قوله تعالى: (ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

قال ابن عطية: وقال الكوفيون والزجاج:[1] الجواب قوله: (ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ڈ ڈ).). قال القاضي أبو محمد: وهذا القول بعيد.[2]

ونقله ابن الجوزي عن الكسائي. ثم قال: وقال الفراء: لا نجده مستقيماً في العربية، لِتأخُّره جداً عن قوله: (ب ب پ).[3]

وقال القرطبي بعد أن ذكر قول الكسائي: قال ابن الأنباري: وهذا أقبح من الأول، لأن الكلام أشد طولا فيما بين القسم وجوابه.[4]

وقال ابن كثير عن هذا القول: وهذا الثاني فيه بعد كبير، وضعفه ابن جرير.[5]

الترجيح:

والراجح والعلم عند الله تعالى هو القول الأول الذي رجحه ابن جزي عليه رحمة الله تعالى وذلك لعدة أمور:

الأمر الأول: أن القول الثاني لا يصح إذ أن معنى الحروف المقطعة على الصحيح أنه لا يعلم مرادها إلا الله تعالى، وتفسيرها بأن معنى « ص » أي: صدق محمد. خلاف الصحيح، والأبعد من ذلك تقدير جواب القسم على معناها.

الأمر الثاني: أن القول الثالث والرابع بعيدان لطول الفصل بين القسم وجوابه كما ذكر ذلك أهل التحقيق كابن جرير وابن الأنباري وابن عطية .

الأمر الثالث: أن في إبهام جواب القسم زيادة تفخيم كما ذكر أهل العلم، خاصة في مثل هذا المقام. وأن هذا القول هو قول جمهور المفسرين وهو ترجيح العكبري.[6]

---

(١) معاني القرآن للزجاج: (٤/ ٣١٩).

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٨٧).

(٣) زاد المسير (٧/ ٩٨)، وانظره في معاني القرآن للفراء: (٢/ ٣٩٧).

(٤) تفسير القرطبي (١٥/ ١٤٤).

(٥) تفسير ابن كثير (٤/ ٢٧).

(٦) إملاء ما من به الرحمن: ص(٥٠٤).

قال ابن القيم:... ونظائر ذلك لم يحتج إلى جواب القسم وكان في المقسم به ما يدل على المقسم عليه فمن هذا قوله تعالى: (ﭐﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ) فإن في المقسم به من تعظيم القرآن ووصفه بأنه ذي الذكر، المتضمن لتذكير العباد ما يحتاجون إليه، وللشرف والقدر ما يدل على المقسم عليه، وكونه حقاً من عند الله، غير مفترى كما يقوله الكافرون، وهذا معنى قول كثير من المفسرين، متقدميهم ومتأخريهم، أن الجواب محذوف تقديره: إن القرآن لحق. وهذا مطرد في كل ما شأنه ذلك.

وأما قول بعضهم: أن الجواب قوله تعالى: (ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ) فاعْتَرَض بين القسم وجوابه بقوله (ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ) فبعيد، لأن « كم » لا يتلقى بها القسم، فلا تقول: والله كم أنفقت مالا، وبالله كم أعتقت عبداً. وهؤلاء لما لم يَخْفَ عليهم ذلك، احتاجوا أن يقدروا ما يتلقى بها الجواب أي: لَكَم أهلكنا. وأبعد من هذا قول من قال: الجواب في قوله: (ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ) وأبعد منه قول من قال الجواب: (ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ) وأبعد منه قول من قال الجواب قوله: (ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

المسألة الثانية: في معنى قوله تعالى: (ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ).

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: «ومعنى ذي الذكر ذي الشرف. والذكر بمعنى الموعظة، أو ذكر الله، وما يحتاج إليه من الشريعة ».[1]

والمسألة فيها ثلاثة أقوال:

القول الأول: أن المعنى: ذي الشرف والشأن والمكانة كما في قوله تعالى: (ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾ ﷿ ﷽ ﷾ ﷿ ﷽ ﷾ ﷿

وهو اختيار ابن جرير حيث قال: وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال معناه: ذي التذكير لكم، لأن الله أتبع ذلك قوله: (پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ) فكان معلوماً بذلك، أنه إنما أخبر عن القرآن أنه أنزله ذكرًا لعباده ذكَّرهم به، وأن الكفار من الإيمان به في عزّة وشقاق.(٧)

القول الثالث: أن المراد: ذكر الله وما يحتاج إليه من الشريعة.

قال الزمخشري: ذكر ما يحتاج إليه في الدين من الشرائع وغيرها، كأقاصيص الأنبياء والوعد والوعيد.(٨) وقال القرطبي: أي فيه ذكر ما يحتاج إليه من أمر الدين.(٩)

قال ابن كثير: وقوله: (ب ب ب ب پ) أي: والقرآن المشتمل على ما فيه ذكر للعباد، ونفع لهم في المعاش والمعاد.(١٠)

الترجيح: والراجح القول بالعموم فكل هذه الأقوال يتضمنها القرآن.

الكلام على قوله تعالى: ﴿ ڃ ڃ ڃ ڃ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ﴾

والآية فيها مسألة واحدة وهي: إلى أين تعود الإشارة في قولهم: (ڈ ڈ ژ ژ) ؟.

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: « هذا أيضا مما حكى الله من كلام قريش وفي معناه وجهان: **أحدهما:** أن الإشارة إلى الإسلام والتوحيد أي إن هذا التوحيد شيء يراد منا الانقياد

---

(١) الكشاف (٤/ ٧٢).
(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٨٧).
(٣) زاد المسير (٧/ ٩٨).
(٤) تفسير القرطبي (١٥/ ١٤٤).
(٥) تفسير ابن كثير (٤/ ٢٧).
(٦) تفسير التحرير والتنوير (٢٣/ ٢٠٣).
(٧) تفسير الطبري (٢٣/ ١١٤).
(٨) الكشاف (٤/ ٧٢).
(٩) تفسير القرطبي (١٥/ ١٤٤).
(١٠) تفسير ابن كثير (٤/ ٢٧).

إليه. **والآخر**: أن الإشارة إلى الشرك والصبر على آلهتهم أي إن هذا لشيء ينبغي أن يراد ويتمسك به، أو أن هذا شيء يريده الله منا لما قضى علينا به. **والأول أرجح لأن الإشارة فيما بعد ذلك إليه فيكون الكلام على نسق واحد** ».[1]

والمسألة فيها قولان:

القول الأول: أن المشار إليه: الإسلام والتوحيد، أي: أن هذا التوحيد شيء يراد منا الانقياد إليه.

قال ابن جرير: قوله: (ڈ ڈ ژ ژ ڑ) أي: أن هذا القول الذي يقول محمد، ويدعونا إليه، من قول لا إله إلا الله، شيء يريده منا محمد يطلب به الاستعلاء علينا، وأن نكون له فيه أتباعا ولسنا مجيبيه إلى ذلك.[2]

وممن ذكر نحوه من المفسرين: الماوردي[3] والسمعاني[4] والبغوي[5] وابن عطية[6] والقرطبي[7] وابن كثير[8] وابن عاشور.[9]

القول الثاني: أن الإشارة إلى الشرك والصبر على آلهتهم أي: إن هذا لشيء ينبغي أن يراد ويتمسك به؛ أو أن هذا شيء يريده الله منا لما قضى علينا به. قال الزمخشري: إن دينكم لشيء يراد، أي: يطلب ليؤخذ منكم وتغلبوا عليه.[10]

---

(١) التسهيل في علوم التنزيل لابن جزي: ص(٦٠٨).
(٢) تفسير الطبري (٢٣/ ١٢٦).
(٣) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ٧٠).
(٤) السمعاني ((٤/ ٤٢٥ - ٤٢٦).
(٥) تفسير البغوي (٤/ ٤٥).
(٦) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٨٧).
(٧) تفسير القرطبي (١٥/ ١٥١).
(٨) تفسير ابن كثير (٤/ ٢٧).
(٩) تفسير التحرير والتنوير (٢٣/ ٢٠٣).
(١٠) الكشاف (٤/ ٧٢).

الترجيح:

والراجح والعلم عند الله تعالى هو قول الجمهور والذي رجحه ابن جزي عليه رحمة الله تعالى وذلك كما قال ابن جزي هو المناسب لدلالة السياق عليه.

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة :: مع الفهارس) 5

الكلام على قوله تعالى: (ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ).

والآية فيها مسألة واحدة وهي: ما المقصود بالملة الآخرة في الآية.

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: «والمراد بالملة الآخرة: ملة النصارى لأنها بعد ملة موسى وغيره، وهم يقولون بالتثليث لا بالتوحيد. وقيل: المراد ملة قريش، أي: ما سمعنا بهذا في الملة التي أدركنا عليها آباءنا. وقيل: المراد الملة المنتظرة، إذ كانوا يسمعون من الأحبار والكهان أن رسولاً يبعث يكون آخر الأنبياء».[1]

والمسألة فيها ثلاثة أقوال:

القول الأول: أن المراد بالملة الآخرة هي: ملة النصارى لأنها بعد ملة موسى وغيره وهم يقولون بالتثليث لا بالتوحيد. وهذا القول مروي عن ابن عباس، والسديّ، وقتادة، والحكم، وابن جريج، والكلبي، ومقاتل، ومجاهد، ومحمد بن كعب القرظي، ومقاتل.

كما عند ابن جرير[2] والماوردي[3] والسمعاني[4] والبغوي[5] والزمخشري[6] وابن عطية[7] عطية[7] وابن الجوزي[8] والقرطبي[9] وابن كثير.[10]

قال ابن عاشور: وعليه فالمشركون استشهدوا على بطلان توحيد الإله بأن دين النصارى الذي ظهر قبل الإِسلام أثبتَ تعدد الآلهة، ويكون نفي السماع كناية عن سماع ضده، وهو تعدد الآلهة.[11]

---

(١) التسهيل في علوم التنزيل لابن جزي: ص(٦٠٨).

(٢) تفسير الطبري (٢٣/ ١٢٤).

(٣) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ٧٠).

(٤) السمعاني ((٤/ ٤٢٦).

(٥) تفسير البغوي (٤/ ٤٥).

(٦) الكشاف (٤/ ٦٩).

(٧) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٩٤).

(٨) زاد المسير (٧/ ٩٤).

(٩) تفسير القرطبي (١٥/ ١٥٢).

(١٠) تفسير ابن كثير (٤/ ٢٥).

(١١) تفسير التحرير والتنوير (٢٣/ ٢٠٣).

دكتور/ عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

القول الثاني: أن الملة الآخرة هي: ملة قريش أي ما سمعنا بهذا في الملة التي أدركنا عليها آباءنا. وهذا القول مروي عن مجاهد، وقتادة، وابن زيد.

وممن ذكره من المفسرين: ابن جرير[1] والماوردي[2] والسمعاني[3] والبغوي[4] والزمخشري[5] وابن عطية[6] وابن الجوزي[7] والقرطبي[8] وابن كثير.[9]

قال ابن عاشور: يجوز أن يريدوا بـ(ک گ گ) الملّة التي هُم عليها، ويكون إشارة إلى قول ملأ قريش لأبي طالب في حين احْتضاره -حين قال له النبي ﷺ-: (**يا عَم قُلْ لا إله إلاّ الله كلمةً أُحاجُّ لك بها عند الله**).[10] فقالوا له جميعاً: أترغب عن ملة عبدالمطلب. فقولهم: (ک ک گ گ) كناية عن استمرار انتفاء هذا إلى الزمن الأخير، فيعلم أن انتفاءه في ملتهم الأولى بالأحرى.[11]

القول الثالث: أن الملة الآخرة هي: الملة المنتظرة، إذ كانوا يسمعون من الأحبار والكهان، أن رسولاً يبعث يكون آخر الأنبياء. وهو قول الحسن كما ذكر ذلك الماوردي[12] وابن عطية[13] والقرطبي.[14]

---

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ١٢٤).
(٢) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ٧٠).
(٣) السمعاني ((٤/ ٤٢٦).
(٤) تفسير البغوي (٤/ ٤٥).
(٥) الكشاف (٤/ ٦٩).
(٦) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٩٤).
(٧) زاد المسير (٧/ ٩٤).
(٨) تفسير القرطبي (١٥/ ١٥٢).
(٩) تفسير ابن كثير (٤/ ٢٥).
(١٠) والحديث في صحيح البخاري (١/ ٤٥٧).
(١١) تفسير التحرير والتنوير (٢٣/ ٢٠٣).
(١٢) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ٧٠).
(١٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٩٤).
(١٤) تفسير القرطبي (١٥/ ١٥٢).

الترجيـــح:

والراجح والعلم عند الله تعالى: هو قول الجمهور وما رجحه ابن جـزي عليـه رحمـة الله تعالى، من أن المراد بالملة الآخرة هي: الملة التي كانت قبلهم ملة النصـارى، والمتضـمنة عقيـدة التثليث، فهم يعلمون أن النصارى يعبدون ثلاثـة آلهـة، ولـذلك اسـتنكروا بقـولهم: (ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾ ﷿ ﷽ ﷾ ﷿ ﷽ ﷾ ﷿

الكلام على قوله تعالى: (﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾

والسبب: الحبل الذي يَتعلق به الصاعد إلى النخلة للجذاذ، فإن جعل من حبلين ووصل بين الحبلين بحبال معترضة مشدودة، أو بأعواد بين الحبلين مضفورٍ عليها جنبتَا الحبلين فهو السُلَّم. وحرف الظرفية استعارة تبعية للتمكن من الأسباب، حتى كأنها ظروف محيطة بالمرتقين.[1]

القول الثاني: أن المراد بالأسباب هنا: أبواب السماء. أي: فليصعدوا إلى العرش ويدبروا الملك.

فروى ابن جرير: عن مجاهد في قوله: (ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ) قال: طرق السماء وأبوابها. وعن قتادة قال: في أبواب السماء.[2] وممن ذكر هذا من المفسرين: البغوي[3] والزمخشري[4] وابن عطية[5] والقرطبي.[6] ونقل ابن الجوزي عن سعيد بن جبير قال: أي في أبواب السماء.[7]

الترجيح:

والراجح والعلم عند الله تعالى: هو ما رجحه ابن جزي عليه رحمة الله جل وعلا وهو القول الأول، وأن المراد بالأسباب: الطرق والسلالم الموصلة لأبواب السماء. ومما يرجح هذا القول عدة أمور:

الأمر الأول: أن هذا قول الجمهور من المفسرين كما تقدم.

الأمر الثاني: أن قوله تعالى: (ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ) سياق يدل على أن المراد: الطرق والسلالم ونحو ذلك، لأن الارتقاء يكون بالسلالم لا بالأبواب. وهذا ما يدل عليه حرف الظرفية «في». وأما القول

---

(١) تفسير التحرير والتنوير (٢٣/ ٢١٧).
(٢) تفسير الطبري (٢٣/ ١٢٤).
(٣) تفسير البغوي (٤/ ٤٩).
(٤) الكشاف (٤/ ٧٠).
(٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٨٧).
(٦) تفسير القرطبي (١٥/ ١٥٣).
(٧) زاد المسير (٧/ ١٠٤).

دكتوراه عبدالعلي المدني (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

الثاني فهو الغاية المضمرة من الارتقاء، وكأنه قال لهم: ارتقوا بالسلالم إلى أبواب السماء واصعدوا إلى العرش ودبروا أمور الخلائق. وعلى هذا يحمل القول الثاني.

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة :: مع الفهارس) 5

الكلام على قوله تعالى: (ۇ ۆ ۆ ۇ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ).

والآية فيها مسألة واحدة وهي: إلى أين تعود الإشارة في قوله تعالى: (ۆ ۆ)؟.

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: «هذا وعيد بهزيمتهم في القتال وقد هزموا يوم بدر وغيره و (ۆ ۆ ۈ) صفة لجند، وفيها معنى التحقير لهم، والإشارة بـ«هنالك» إلى حيث وصفوا أنفسهم من الكفر والاستهزاء. وقيل: الإشارة إلى الارتقاء في الأسباب، وهذا بعيد. وقيل: الإشارة إلى موضع بدر».[1]

والمسألة فيها ثلاثة أقوال:

القول الأول: أن الإشارة بهنالك: إلى حيث وصفوا أنفسهم من الكفر والاستهزاء. قال الزمخشري: (ۆ ۈ) إشارة إلى حيث وضعوا فيه أنفسهم من الانتداب لمثل ذلك القول العظيم، من قولهم لمن ينتدب لأمر ليس من أهله: لست هنالك.[2]

القول الثاني: الإشارة بهنالك: إلى الارتقاء في الأسباب.

قال ابن جرير: كان بعض أهل العربية يتأول ذلك (ۇ ۆ ۆ ۈ) مغلوب عن أن يصعد إلى السماء.[3]

قال ابن عطية: قالت فرقة: أشار إلى الارتقاء في الأسباب، أي هؤلاء القوم إن راموا ذلك جند مهزوم، وهذا قوي.[4] وكذا قال القرطبي ونقله عن الفراء.[5]

القول الثالث: أن الإشارة بهنالك تعود إلى موضع بدر، فبشره بهزيمتهم وهو بمكة فكان تأويلها يوم بدر وهذا القول مروي عن قتادة.

قال ابن جرير: هنالك، يعني: ببدر مهزوم. ثم روى عن قتادة (ۇ ۆ ۆ ۇ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ) قال: وَعَدَه الله وهو بمكة يومئذ أنه سيهزم جنداً من المشركين،

---

(١) التسهيل في علوم التنزيل لابن جزي: ص(٦٠٩).

(٢) الكشاف (٤/ ٦٨).

(٣) تفسير الطبري (٢٣/ ١٢٤).

(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٩٥).

(٥) تفسير القرطبي (١٥/ ١٥٤).

دكتوراه عبدالعلي العمدي (كامل الرسالة .. مع الفهارس) ٥

فجاء تأويلها يوم بدر.[1]

قال البغوي : (﴿ ﴾) أي: هؤلاء الذين يقولون هذا القول جند هنالك، و«ما» صلة. (﴿ ﴾) مغلوب. (﴿ ﴾) أي: من جملة الأجناد، يعني: قريشًا. قال قتادة: أخبر الله تعالى نبيه ﷺ وهو بمكة أنه سيهزم جند المشركين، فقال: (﴿ ﴾) (القمر-٤٥) فجاء تأويلها يوم بدر. و (﴿ ﴾) إشارة إلى بدر ومصارعهم.[2]

وممن ذكر نحو هذا من المفسرين: الماوردي[3] والسمعاني[4] وابن عطية[5] وابن الجوزي[6] الجوزي[6] والقرطبي[7] وابن عاشور[8]

الترجيح:

والراجح والعلم عند الله تعالى هو ما رجحه ابن جزي عليه رحمة الله من أن المراد بذلك هو جند قريش وأنهم سيهزمون وقد بشر الله بذلك نبيه ﷺ كما في قوله تعالى: (﴿ ﴾) ثم جاء تأويلها، وهذا مرجح قوي لهذا القول.

ويجوز أن يكون المراد بأن هؤلاء الجند إن راموا الصعود إلى السماء فإنهم سيهزمون.

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ١٢٤).

(٢) تفسير البغوي (٤/ ٤٥).

(٣) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ٨٠).

(٤) السمعاني ((٤/ ٤٢٧).

(٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٩٥).

(٦) زاد المسير (٧/ ١٠٤).

(٧) تفسير القرطبي (١٥/ ١٥٣).

(٨) تفسير التحرير والتنوير (٢٣/ ٢١٣).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

الكلام على قوله تعالى: (□ □ □ □ □ □ □ □ □).

والآية فيها مسألة واحدة وهي: ما المقصود بالأوتاد هنا ؟.

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: «قال ابن عباس: كانت له أوتاد وخشب يلعب بها وعليها. وقيل: كانت له أوتاد يسمرها في الناس لقتلهم. وقيل: أراد المباني العظام الثابتة، ورجحه ابن عطية. وقال الزمخشري إن ذلك استعارة في ثبات الملك. كقول القائل: في ظل ملك ثابت الأوتاد.[1]»[2].

والمسألة فيهاأربعة أقوال:

القول الأول: أنه كانت له أوتاد وخشب يلعب له بها وعليها. وهو مروي عن ابن عباس وقتادة وعطاء. فروى ابن جرير عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس في قوله: (□ □ □ □) قال: كانت ملاعب يلعب له تحتها. وعن قتادة قال: كان له أوتاد وأرسان، وملاعب يلعب له عليها.[3]

وممن ذكر نحو ذلك من المفسرين: الماوردي[4] والسمعاني[5] والبغوي[6] والزمخشري[7] والزمخشري[7] وابن الجوزي[8] والقرطبي.[9]

القول الثاني: أنه كانت له أوتاد يسمرها في الناس لقتلهم. وكان إذا غضب على أحد مده مستلقيًا بين أربعة أوتاد، وشد كل يد ورجل منه إلى سارية، ويتركه كذلك في الهواء بين

---

(١) والبيت للأسود بن يعفر ويكنى أبا الجراح وكان أعمى. انظر: الحماسة البصرية (٢/ ٤١٢).
وتمامه: ولقد غنوا فيها بأنعم عيشة في ظل ملك ثابت الأوتاد.

(٢) التسهيل في علوم التنزيل لابن جزي: ص(٦٠٩).

(٣) تفسير الطبري (٢٣/ ١٢٤).

(٤) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ٨١).

(٥) السمعاني ((٤/ ٤٢٧).

(٦) تفسير البغوي (٤/ ٤٩).

(٧) الكشاف (٤/ ٧٧).

(٨) زاد المسير (٧/ ١٠٥).

(٩) تفسير القرطبي (١٥/ ١٥٤).

السماء والأرض حتى يموت ويرسل عليه العقارب والحيات.

وهذا القول مأثور عن ابن عباس، وابن مسعود، والسديّ، ومجاهد، والحسن، والربيع بن أنس، ومقاتل، والكلبي.

وممن ذكر ذلك من المفسرين: ابن جرير[1] والماوردي[2] والسمعاني[3] والبغوي[4] والزمخشري[5] وابن عطية[6] وابن الجوزي[7] والقرطبي.[8]

القول الثالث: أن المراد بقوله: (چ چ چ) ذو البناء المحكم الثابت والشاهق. وهذا القول مروي عن ابن عباس، ومحمد بن كعب القرظي، والضحاك.

وممن ذكر ذلك من المفسرين: ابن جرير[9] والماوردي[10] والبغوي[11] والقرطبي.[12]

وقال ابن عطية: وهذا أظهر الأقوال، كما يقال للجبال أوتاد لثبوتها.[13]

قال ابن عاشور: وهذا القول هو الذي يتأيّد بمطابقة التاريخ فإن فرعون المعنيّ في هذه الآية هو « منفتاح الثاني » الذي خرج بنو إسرائيل من مصر في زمنه وهو من ملوك العائلة التاسعة عشرة في ترتيب الأُسَر التي تداولت ملك مصر، وكانت هذه العائلة مشتهرة بوفرة

---

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ١٢٤).

(٢) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ٨١).

(٣) السمعاني ((٤/ ٤٢٧).

(٤) تفسير البغوي (٤/ ٤٩).

(٥) الكشاف (٤/ ٧٧).

(٦) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٩٥).

(٧) زاد المسير (٧/ ١٠٥).

(٨) تفسير القرطبي (١٥/ ١٥٤).

(٩) تفسير الطبري (٢٣/ ١٢٤).

(١٠) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ٨١).

(١١) تفسير البغوي (٤/ ٤٩).

(١٢) تفسير القرطبي (١٥/ ١٥٤).

(١٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٩٥).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

المباني التي بناها ملوكها من معابد ومقابر.[1]

القول الرابع: أن هذا استعارة في ثبات الملك وقوته.

وممن ذكر هذا القول من المفسرين: الماوردي[2] والسمعاني[3] والبغوي[4] والزمخشري[5] وابن الجوزي[6]

ونقل القرطبي عن ابن قتيبة قال: العرب تقول: هم في عز ثابت الأوتاد، يريدون دائما شديداً.[7]

قال ابن عاشور: ووُصف فرعون بأنه بـ(□ □ □) لعظمة ملكه وقوته فلم يكن ذلك ليحول بينه وبين عذاب الله. و(□) في الآية مستعار لثبات الملك والعز.[8]

الترجيح:

والراجح والعلم عند الله تعالى أن الآية محتملة لكل هذه المعاني، فالقرآن حمال ذو وجوه، فهو صاحب المباني العظيمة، والجنود الكثيرين، والعذاب والبطش، وكان ذا ملك ثابت، كما هو معلوم من سياق قصصه في القرآن. فقد حكى الله عنه أنه قال عن بني إسرائيل: (□ □ □ □ □) [الشعراء:٥٤] قيل: وكانوا ستمائة ألف مقاتل.

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

(١) تفسير التحرير والتنوير (٣٠/ ٣١٨).

(٢) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ٨١).

(٣) السمعاني ((٤/ ٤٢٧).

(٤) تفسير البغوي (٤/ ٤٩).

(٥) الكشاف (٤/ ٧٧).

(٦) زاد المسير (٧/ ١٠٥).

(٧) تفسير القرطبي (١٥/ ١٥٥).

(٨) تفسير التحرير والتنوير (٣٠/ ٣١٨).

دكتوراه عبدالعلي المدني (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

الكلام على قوله تعالى: (□ □ □

قال ابن عطية : « الصيحة » على هذا عبارة عن جميع ما نابهم من قتل، وأسر، وغلبة، وهذا كما تقول: صاح فيهم الدهر.[1]

الترجيح:

والراجح والعلم عند الله تعالى هو القول الأول وهو الذي رجحه ابن جزي عليه رحمة الله تعالى وذلك لعدة أمور:

الأمر الأول: أن هذه الصيحة جاء معناها في حديث الصور الطويل وفيه: (...**يأمر الله عز وجل إسرافيل بالنفخة الأولى فيقول له: انفخ نفخة الفزع فيفزع له من في السماوات والأرض إلا من شاء الله، ويأمره فيديمها ويطولها فلا يفتر، وهي التي يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ وما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة ما لها من فواق ﴾ فيسير الله الجبال فتمر مر السحاب، ثم تكون تراباً، وترتج الأرض بأهلها رجاً، وهي التي يقول الله عز وجل: ﴿ يوم ترجف الراجفة، تتبعها الرادفة، قلوب يومئذ واجفة ﴾**...).[2] فهذا الحديث على ضعفه، فإنه يوافق ظاهر القرآن. كما في قوله تعالى: (ﻫ ﻫ ﻫ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ)[يس]

الأمر الثاني: أن هذا هو قول جمهور أهل التفسير.

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٩٥).

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٩٥). والحديث في كتاب العظمة لأبي الشيخ الأصبهاني - (١/ ٣٩٤) وفي مسند إسحاق بن راهويه : (١ / ٨٥) والطبراني في الأحاديث الطوال : (١ / ٢٦٦) وقد ضعفه ابن حجر في فتح الباري : (١١/ ٣٥٩).

دكتوراه عبدالعلي الحمدي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

الكلام على قوله تعالى: (ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﭼ).

والآية فيها مسألة واحدة وهي: ما هو العامل في قوله: « إذ » ؟.

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: « أما «إذ» الأولى فالعامل فيها «أتاك» أو «تسوروا» ورَدَّ الزمخشري ذلك، وقال: إن العامل فيها محذوف، تقديره: هل أتاك نبأ تحاكم الخصم إذ تسوروا؟ ».[1]

والمسألة فيها ثلاثة أقوال:

القول الأول: أن العامل في « إذ » الأولى: «أتاك». وهذا ذكره ابن عطية[2] والشوكاني.[3]

القول الثاني: أن العامل في « إذ » الأولى: «تسوروا». قال الشوكاني: قيل: هو معمول لتسوروا.[4]

القول الثالث: أن العامل في « إذ » الأولى: محذوف تقديره: هل أتاك نبأ تحاكم الخصم إذ تسوروا. قال الزمخشري : فإن قلت: بم انتصب « إذ » ؟ قلت: لا يخلو إما أن ينتصب بأتاك، أو بالنبأ، أو بمحذوف؛ فلا يسوغ انتصابه بأتاك، لأنّ إتيان النبأ رسول الله ﷺ لا يقع إلا في عهده لا في عهد داود، ولا بالنبأ؛ لأن النبأ الواقع في عهد داود لا يصحّ إتيانه رسول الله ﷺ. وإن أردت بالنبأ: القصة في نفسها لم يكن ناصباً، فبقي أن ينتصب بمحذوف، وتقديره: وهل أتاك نبأ تحاكم الخصم.[5]

قال ابن عاشور: (ﭾ ﭿ ﮀ) إذا جعلت « إذ » ظرفاً للزمن الماضي فهو متعلق بمحذوف دل عليه (ﭾ ﮀ) والتقدير: تحاكم الخصم حين تَسوروا المحراب لداود، ولا يستقيم تعلقه بفعل « أتاكَ » ولا بـ « نَبَأ » لأن النبأ المؤقت بزمن تسوّر الخصم محراب داود لا يأتي النبي ﷺ.[6]

---

(١) التسهيل في علوم التنزيل لابن جزي: ص(٦١١).

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٩٥).

(٣) فتح القدير (٤/ ٤٢٤).

(٤) فتح القدير (٤/ ٤٢٤).

(٥) الكشاف (٤/ ٧٩).

(٦) تفسير التحرير والتنوير (٢٣/ ٢٣٠).

دكتوراه عبدالعلي الحمدي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

وقال الشوكاني: قيل: معمول لمحذوف، أي: وهل أتاك نبأ تحاكم الخصم.[1] وهـذا هـو الذي رجحه في حدائق الروح والريحان.[2]

ولم يتبين لي في هذه المسألة شيء، والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

(١) فتح القدير (٤/ ٤٢٤).

(٢) حدائق الروح والريحان: (٢٤/ ٣٥٧).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة :: مع الفهارس) 5

الكلام على قوله تعالى: (ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾ ﷿ ﷽ ﷾ ﷿ ﷽ ﷾ ﷿

الكلام على قوله تعالى: (ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ)

والآية فيها مسألتان:

المسألة الأولى: ما المراد بقوله: (ﮡ ﮢ).

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: «ومعنى أكفلنيها: أملكها لي. وأصله اجعلها في كفالتي. وقيل: اجعلها كفلي أي نصيبي ».[1]

والمسألة فيهاقولان:

القول الأول: أن معنى أكفلنيها: أملكها لي وأصله اجعلها في كفالتي فيعطيه إياها أو يطلقها له ويخلي سبيلها وينزل له عنها. وهذا المعنى مأثور عن ابن عباس، وابن مسعود، ومجاهد، وابن زيد، وأبي العالية، والحسن، ويحيى.

قال ابن عباس: أعطنيها. وقال أيضاً: تحول لي عنها. وكذا قال ابن مسعود. وقال أبو العالية: ضمها إلي حتى أكفلها. وقال ابن زيد: أعطنيها، طلِّقها لي، أنكحها، وخلّ سبيلها. وممن ذكر نحو ذلك من المفسرين: ابن جرير[2] والماوردي[3] والسمعاني[4]والبغوي[5] والزمخشري[6] وابن عطية[7] والقرطبي[8]وابن الجوزي - ونقله عن ابن قتيبة والزجاج-[9] وابن وابن عاشور.[10]

---

(١) التسهيل في علوم التنزيل لابن جزي: ص(٦١١).

(٢) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ٨٧).

(٣) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ٨٧).

(٤) السمعاني ((٤/ ٤٣٤).

(٥) تفسير البغوي (٤/ ٤٥).

(٦) الكشاف (٤/ ٧٨).

(٧) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٥٠٠).

(٨) تفسير القرطبي (١٥/ ١٧٤).

(٩) زاد المسير (٧/ ١١٤).

(١٠) تفسير التحرير والتنوير (٢٣/ ٢٣٥).

دكتور/ عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

القول الثاني: أن معنى أكفلنيها: اجعلها كفلي أي نصيبي. وهذا القول منقول عن ابن كيسان كما عند ابن عطية[1] والقرطبي.[2]

الترجيح:

والراجح والعلم عند الله تعالى هو القول الأول وهو الذي رجحه ابن جزي عليه رحمة الله تعالى، وهو قول جماهير السلف من أصحاب النبي ﷺ ومن بعدهم، وأما القول الثاني فهو داخل في معنى القول الأول، ولا يعارضه، فإنه إذا طلقها له ونزل له عنها وملكه إياها كانت من نصيبه، وهو واضح بحمد الله تعالى.

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٥٠٠).

(٢) تفسير القرطبي (١٥/ ١٧٤).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

المسألة الثانية: في حقيقة القصة المنسوبة لداود عليه السلام.

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: «وهذا الكلام تمثيل للقصة التي وقع داود فيها وقد اختلف الناس فيها، وأكثروا القول فيها قديماً وحديثاً، حتى قال علي بن أبي طالب ﷺ: (من حدث بها يقول هؤلاء القصاص في أمر داود عليه السلام، جلدته حدَّين لما ارتكب من حرمة من رفع الله محله).[1] ونحن نذكر من ذلك ما هو أشهر وأقرب إلى تنزيه داود عليه السلام:

روي أن أهل زمان داود عليه السلام كان يسأل بعضهم بعضاً أن ينزل له عن امرأة فيتزوجها إذا أعجبته، وكانت لهم عادة في ذلك لا ينكرونها، وقد جاء عن الأنصار في أول الإسلام شيء من ذلك، فاتفق أن وقعت عين داود على امرأة رجل فأعجبته، فسأله النزول عنها ففعل، وتزوجها داود عليه السلام، فَوُلد له منها سليمان عليه السلام، وكان لداود تسع وتسعون امرأة، فبعث الله إليه ملائكةً مثالاً لقصته، فقال أحدهما: (ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

فرأى من الكوة امرأةً تغتسل عريانةً، فأعجبته، ثم انصرف فسأل عنها، فأُخْبِر أنها امرأة رجلٍ من جنده، وأنه خرج للجهاد مع الجند، فكتب داود إلى أمير تلك الحرب، أن يقدم ذلك الرجل يقاتل عند التابوت - وهو موضع قل ما تخلص أحد منه - فَقُدِّم ذلك الرجل، فقاتل حتى قتل شهيداً، فتزوج داود امرأته، فعوتب على تعريضه ذلك الرجل للقتل، وتزوجه امرأته بعده، مع أنه كان له تسع وتسعون امرأة سواها. وقيل: إن داود هم بذلك كله ولم يفعله، وإنما وقعت المعاتبة على همه بذلك.

وروي أن السبب فيما جرى له مثل ذلك أنه أعجب بعلمه وظهر منه ما يقتضي أنه لا يخاف الفتنة على نفسه ففتن بتلك القصة. وروي أيضاً أن السبب في ذلك: أنه تمنى منزلة آبائه، إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، والتزم أن يبتلى كما ابتلوا، فابتلاه الله بما جرى له في تلك القصة».[1]

الترجيح:

قلت: وهذا الذي ذكره ابن جزي عليه رحمة الله تعالى، تبع فيه ما نقله بعض المفسرين في كتبهم من الإسرائيليات التي أخذوها عن كتب اليهود، والمشتملة على الأكاذيب الباطلة التي لا تليق بأفراد الناس فضلاً عن نبي الله داود، وقد صرفت النظر عن ذكرها وتطويل البحث بغثائها، غير أني أنقل هنا خلاصة كلام المحققين من المفسرين في التعقيب على هذه الأخبار التي لا خطم لها ولا أزمة.

قال الشيخ الأمين الشنقيطي: واعلم أن ما يذكره كثير من المفسرين في تفسير هذه الآية الكريمة، مما لا يليق بمنصب داود عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، كله راجع إلى الإسرائيليات، فلا ثقة به، ولا معوّل عليه، وما جاء منه مرفوعاً إلى النبي ﷺ لا يصح منه شيء.[2]

وقال الحافظ بن كثير: قد ذكر المفسرون هاهنا قصةً أكثرها مأخوذ من الإسرائيليات، ولم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب اتباعه، ولكن روى ابن أبي حاتم هنا حديثاً لا يصح سنده؛ لأنه من رواية يزيد الرقاشي عن أنس -ويزيد وإن كان من الصالحين-لكنه ضعيف

---

(١) التسهيل في علوم التنزيل لابن جزي: ص(٦١١ - ٦١٢).

(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ٢٥).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

الحديث عند الأئمة. فالأولى أن يقتصر على مجرد تلاوة هذه القصة وأن يرد علمها إلى الله عز وجل فإن القرآن حق وما تضمن فهو حق أيضا.[1]

وقال القاضي عياض: لا تلتفت إلى ما سطره الأخباريون من أهل الكتاب الذين بدلوا وغيروا، ونقله المفسرون، ولم ينص الله تعالى على شيء من ذلك في كتابه، ولا ورد في حديث صحيح، والذي نص الله عليه في قصة داود: قوله: (و ۇ ۇ ې ې) وليس في قصة داود وأوريا خبر ثابت.. وقال الداوودي: ليس في قصة داود وأوريا خبر يثبت، ولا يظن بنبي محبة قتل مسلم.[2]

وقال أبو حيان: وذكر المفسرون في هذه القصة أشياء لا تناسب مناصب الأنبياء، ضربنا عن ذكرها صفحاً، وتكلمنا على ألفاظ الآية.

قال ابن الجوزي بعد أن ذكر الأقوال: قال المصنِّف: وهذا لا يصح من طريق النقل، ولا يجوز من حيث المعنى، لأن الأنبياء منزَّهون عنه.[3]

ولقد انبرى الرازي لهذه القصة وتكلم عليها ونقضها بأشياء صحيحة وأخرى لا يسلم له بها، ولكن فيما يسلم به غنية عن غيره فقال: والذي أدين به وأذهب إليه، أن ذلك باطل ويدل عليه وجوه: [وسأذكرها مهذبة لطولها]:

الأول: أن هذه الحكاية لو نسبت إلى أفسق الناس وأشدهم فجوراً لاستنكف منها ولبالغ في تنزيه نفسه، وربما لعن من ينسبه إليها.

الثاني: أن الله تعالى أمر محمداً ﷺ بأن يقتدي بداود في المصابرة مع المكابدة، فكيف يليق بأحكم الحاكمين أن يأمر محمداً ﷺ بأن يقتدي به في الصبر، وهو لم يصبر على مخالفة النفس بل سعى في إراقة دم امرىء مسلم لغرض شهوته ؟.

الثالث: أن وصفه بكونه (ڃ ڃ ڃ ڃ ڈ) يقتضي أن ذلك الموصوف كاملاً في موقف العبودية، تاماً في القيام بأداء الطاعات، والاحتراز عن المحظورات، ولو قلنا إن داود عليه السلام اشتغل بتلك الأعمال الباطلة، فحينئذٍ ما كان داود كاملا في عبوديته لله تعالى، بل كان

---

(١) أضواء البيان (٦/ ٣٣٩).

(٢) الشفا بالتعريف بحقوق المصطفى ٢/ ٨٢٧ - ٨٢٨).

(٣) زاد المسير (٧/ ١١٥).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

كاملاً في طاعة الهوى والشهوة.

الرابع: قوله: (ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ) أي: ذا القوة، ولا شك أن المراد منه القوة في الدين، لأن القوة في غير الدين كانت موجودة في ملوك الكفار.

الخامس: كونه أواباً كثير الرجوع إلى الله تعالى، وكيف يليق هذا بمن يكون قلبه مشغوفاً بالقتل والفجور؟.

السادس: قوله تعالى: (ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ) أفترى أنه سخرت له الجبال ليتخذها وسيلة إلى القتل والفجور؟.

السابع: قوله: (ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ) قيل إنه كان محرماً عليه صيد شيء من الطير، وكيف يعقل أن يكون الطير آمناً منه، ولا ينجو منه الرجل المسلم على روحه ومنكوحه؟.

الثامن: قوله: (ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ) ومحال أن يكون المراد أنه تعالى شدَّد ملكه بأسباب الدنيا، بل المراد أنه تعالى شد ملكه بما يقوي الدين، وأسباب سعادة الآخرة، والمراد تشديد ملكه في الدين والدنيا، ومن لا يملك نفسه عن القتل والفجور كيف يليق به ذلك؟.

التاسع: قوله تعالى: (ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ) والحكمة اسم جامع لكل ما ينبغي علماً وعملاً، فكيف يصفه الله بها مع إصراره على ما لا يليق.

العاشر: قوله تعالى: (ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ) وذكر هذا الكلام لا يناسب إلا من كان ذا قوة في طاعة الله.

الحادي عشر: قوله تعالى: (ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ) كيف يقول الملك الكبير هذا لمن قصد دماء الناس وأموالهم وأزواجهم، فمثل هذا لا يقال إلا بعد تقرير صفات المدح والثناء، لا المعائب والنقائص. وقد ثبت في أصول الفقه أن ذكر الحكم عقيب الوصف يدل على كون ذلك الحكم معللاً بذلك الوصف.

الثاني عشر: أنه بدأ القصة بمدحه والثناء عليه وختمها بتفويضه بالحكم بين الناس والخلافة في الأرض فكيف يصح أن يكون ما بينهما دالة على القبائح والمعائب وهذا كمن يقول: فلان عظيم الدرجة عالي المرتبة في طاعة الله يقتل ويزني ويسرق وقد جعله الله خليفة في أرضه وصوب أحكامه.

الثالث عشر: فإن قيل: كيف وقد ذكر هذه القصة كثير من أكابر المحدثين والمفسرين فما الجواب ؟. فالجواب: أنه عند تعارض القطعي مع الظني يصار إلى القطعي والأصل براءة الذمة، وعند تعارض التحريم والتحليل كان جانب التحريم أولى، وطريقة الاحتياط هي الصواب، وأن الله لا يقول لنا يوم القيامة لم لم تسعوا في تشهير هذه الواقعة؟. بينما لو كانت باطلة فإن علينا في ذكرها أعظم العقاب. و كل المفسرين لم يتفقوا على هذا القول بل الأكثرون والمحققون منهم يردونه ويحكمون عليه بالكذب والفساد.(١)

وقال البقاعي: وتلك القصة وأمثالها من كذب اليهود، وأخبرني بعض من أسلم منهم أنهم يتعمدون ذلك في حق داود عليه السلام لأن عيسى عليه السلام من ذريته ليجدوا السبيل إلى الطعن فيه.(٢)

قال أبو السعود : وأمَّا ما يُذكر من أنَّه... - ثم ذكر القصة - فإفكٌ مبتَدعٌ مكروهٌ ومكرٌ مخترعٌ بئسما مكروه، تمجُّه الأسماعُ وتنفرُ عنه الطِّباعُ ويلٌ لمن ابتدعَه وأشاعَه، وتبًّا لَمن اخترعه وأذاعَه، ولذلك قال عليٌّ ﷺ: مَن حدَّثَ بحديثِ داودَ عليه السَّلامُ على ما يرويهِ القُصَّاصُ جلدتُه مائةً وستِّين، وذلك حدُّ الفريةِ على الأنبياءِ صلواتُ الله تعالى وسلامُه عليهم.(٣)

وقال السعدي: وهذا الذنب الذي صدر من داود عليه السلام، لم يذكره اللهّ لعدم الحاجة إلى ذكره، فالتعرض له من باب التكلف، وإنما الفائدة ما قصه اللهّ علينا من لطفه به وتوبته وإنابته، وأنه ارتفع محله، فكان بعد التوبة أحسن منه قبلها.(٤)

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

(١) تفسير الرازي - (١٣/ ١٧٣).

(٢) نظم الدرر (٦/ ٣٧٠).

(٣) تفسير أبي السعود (٧/ ٢٢٢).

(٤) تفسير السعدي (١/ ٧١٢).

الكلام على قوله تعالى: (ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ).

والآية فيها مسألة واحدة وهي : ما معنى الظن في قوله: (ۋ ۅ ۅ).

قال ابن جزي رحمه الله تعالى:« ظن هنا بمعنى: شعر بالأمر. وقيل: بمعنى أيقن ».[1]

والمسألة فيها قولان:

القول الأول: أن «ظن» هنا بمعنى: شعر بالأمر.

قال ابن عطية: وقوله تعالى: (ۋ ۅ ۅ) معناه: شعر بالأمر وعلمه.[2] وكذا قال الثعالبي.[3]

القول الثاني: أن الظن هنا بمعنى اليقين.

وممن ذكر هذا من المفسرين: السمعاني.[4] والبغوي[5] والزمخشري[6] وابن الجوزي[7] وابن عطية.[8] والقرطبي[9] والشوكاني[10] وابن عاشور.[11]

هذا وقد قرر جمع من المفسرين أن الظن يأتي بمعنى اليقين. كابن جرير، وابن أبي حاتم[12] والماوردي[13] والشنقيطي.[14]

---

(١) التسهيل في علوم التنزيل لابن جزي: ص(٦١٣).
(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٩٧).
(٣) تفسير الثعالبي (٨/ ١٩٠).
(٤) السمعاني ((٤/ ٤٣٥).
(٥) تفسير البغوي (٤/ ٤٥).
(٦) الكشاف (٦/ ١٢).
(٧) زاد المسير (٧/ ١٢٠).
(٨) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٩٧).
(٩) تفسير القرطبي (١٥/ ١٧٩).
(١٠) فتح القدير (٤/ ٤٢٦).
(١١) التحرير والتنوير (١٢/ ٢١٣).
(١٢) تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٤٠).
(١٣) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ٨٠).
(١٤) أضواء البيان (٨/ ٥٦٩).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

قال ابن جرير: والشواهد من أشعار العرب وكلامها على أن « الظن » في معنى اليقين أكثر من أن تحصى، وفيما ذكرنا لمن وُفِّق لفهمه كفاية. ثم ذكر مما يدخل في ذلك: قوله تعالى: (□ □ □ □ ى □) (الكهف: ٥٣) قال أبو العالية في قوله: (ۈ ۋ ۇ ۆ ۆ) [البقرة] الظن هاهنا يقين. وقال مجاهد: كل ظن في القرآن يقين (ڈ ڈ ں)[الحاقة] . و«ظنوا» وقال أيضاً: كل ظن في القرآن فهو علم. وقال السدي: أما (ﭽ): فيستيقنون. وقال ابن جريج: (ۈ ۋ ۇ ۆ ۆ)[البقرة] علموا أنهم ملاقو ربهم، هي كقوله: (ڈ ڈ ۀ ۀ ہ ں) (الحاقة: ٢٠) يقول: علمت. وقال ابن زيد: لأنهم لم يعاينوا، فكان ظنهم يقينا، وليس ظنا في شك. والعرب قد تسمي اليقين ظنا، والشك ظنًا، نظير تسميتهم الظلمة سُدْفة، والضياء سُدفة، والمغيث صارخا، والمستغيث صارخًا، وما أشبه ذلك من الأسماء التي يسمى بها الشيء وضدّه.(١)

وفي الصحيح:(**أن الله تعالى يقول للعبد يوم القيامة: ألم أزوجك، ألم أكرمك، ألم أسخر لك الخيل والإبل، وأذرك ترأس وتربع؟ فيقول: بلى. فيقول الله تعالى: أفظننت أنك ملاقي؟ فيقول: لا. فيقول الله: اليوم أنساك كما نسيتني**).(٢)

قال ابن عادل الحنبلي: وذكر أبو العباس المقرىء أن الظَّن في القرآن ورد بإزاء خمسة معان:

الأول: بمعنى: اليقين، كهذه الآية، ومثله: (ڈ ڈ ۀ ۀ ہ ں) (الحاقة:٢٠) ومثله: (ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ) (البقرة:٢٤٩).

الثاني: بمعنى الشَّك،مثل (□ □ □ □ □ □ □ □) (الجاثية:٣٢).

الثالث: بمعنى حسب قال تعالى: (ں ڻ ڻ ڻ ڈ) الانشقاق:١٤) أي: حسب ألا يرجع، ومثله: (ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ) (فصلت:٢٢).

الرابع: بمعنى الإنكار قال تعالى: (ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ) (ص:٢٧) أي: إنكارهم.

---

(١) تفسير الطبري (١/ ٢٦٢).

(٢) والحديث في صحيح مسلم (٤/ ٢٢٧٧).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

والخامس: بمعنى الجَحْد قال تعالى: (﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾) (يونس:٦٠) أي: وما جَحْدُهم.[١]

وقال ابن منظور: الظَّنُّ شك ويقين إلاَّ أَنه ليس بيقينِ عِيانٍ إنما هو يقينُ تَدَبُّرٍ فأَما يقين العِيَانِ فلا يقال فيه إلاَّ علم.[٢]

وقال الزجاج: ومعنى: « ظن »: أيقن. إلا أنه ليس بيقين عيان، أما العيان فلا يقال فيه إلا علم.[٣]

وهذا هو القول الراجح وهو قول جماهير أهل العلم كما رأيت وقول المحققين، وهو الذي دلت عليه نصوص الكتاب والسنة ولغة العرب. وما ذهب إليه ابن جزي خلاف الراجح.

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب (٢/ ٣٤).

(٢) لسان العرب (١٣/ ٢٧٢).

(٣) معاني القرآن للزجاج: (٤/ ٣٢٧).

الكلام قوله تعالى: (ڈ ڈ ڈ ڈ ژ ژ ڑ).

والآية فيها مسألة واحدة وهي: ما معنى (ژ ڑ).

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: «الصافنات: جمع صافن وهو: الفرس الذي يرفع إحدى رجليه أو يديه، ويقف على طرف الأخرى. وقيل: الصافن هو الذي يسوي يديه. والصفن علامة على فراهة الفرس. والجياد: السريعة الجري».[1]

والمسألة فيها قولان:

القول الأول: أن الصفون هو رفع الفرس إحدى رجليه أو يديه ووقوفه على طرف الأخرى.

قال ابن جرير: والصافن منها عند بعض العرب: الذي يجمع بين يديه، ويثني طرف سنبك[2] إحدى رجليه. ثم روى عن ابن زيد قال: الخيل والبغال والحمير تَصْفِن، والصَّفْن أن تقوم على ثلاث، وترفع رجلا واحدة حتى يكون طرف الحافر على الأرض. وروى عن مجاهد قال: صُفُون الفرس: رَفْع إحدى يديه حتى يكون على طرف الحافر.[3]

وذكر الماوردي أن صفونها : رفع إحدى اليدين على طرف الحافر حتى تقوم على ثلاث كما قال الشاعر:

ألف الصفون فما يزل كأنه مما يقوم على الثلاث كسيراً[4]

وممن ذكر هذا المعنى من المفسرين: السمعاني[5] والبغوي[6] والزمخشري[7] وابن عطية[8]

---

(١) التسهيل في علوم التنزيل لابن جزي: ص(٦١٣).

(٢) السُّنْبُك طرَفُ الحافِرِ وجانباه من قُدُمٍ وجمعهُ سنَابِكُ. لسان العرب : (١٠/ ٤٤٤).

(٣) تفسير الطبري (٢٣/ ١٤٦).

(٤) النكت والعيون تفسير الماوردي : (٤/ ٢٧)، والبيت للعجاج. انظر : حياة الحيوان الكبرى باب الجيم : (١/ ٢١٨).

(٥) السمعاني : (٤/ ٤٣٩).

(٦) تفسير البغوي (٤/ ٦٠).

(٧) الكشاف (٤/ ٩٢).

(٨) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ١٢٢).

دكتوراه عبدالعلي الحمدي (كامل الرسالة .:. مع الفهارس) ٥

والقرطبي[1] وابن كثير.[2]

وقال ابن الجوزي: وإلى هذا المعنى ذهب مجاهد، وابن زيد، واختاره الزجاج، وقال: هذا أَكثرُ قيام الخيل إذا وقفت كأنَّها تراوح بين قوائمها.[3]

قال ابن عاشور: و (ژ ڑ): وصف لموصوف محذوف استغنى عن ذكره لدلالة الصفة عليه لأن الصافن لا يكون إلا من الخيل والأفراس وهو الذي يقف على ثلاث قوائم وطرف حافر القائمة الرابعة لا يمكّن القائمة الرابعة من الأرض، وتلك من علامات خفته الدالة على كرم أصل الفرس وحسن خلاله، يقال: صفن الفرس صُفوناً.[4]

القول الثاني: أن الصافن هو الذي يجمع بين يديه.

قال ابن جرير: و[الصفون] عند آخرين: الذي يجمع يديه.[5] وكذا قال الزمخشري.[6]

ونقل ابن عطية عن أبي عبيدة قال: الصافن الذي يجمع يديه ويسويها، وأما الذي يقف على طرف السنبك فهو المخيم.[7]

الترجيح:

والصَّفْن في اللغة يدل على صف الأقدام والوقوف والجمع، ومن ثم استعمل في معانٍ كثيرةٍ، كما في كتب اللغة، ويستعمل في الخيل إذا وقفت على ثلاث قوائم وطرف الرابعة. وقد جاءت هذه الإطلاقات في بعض الأحاديث وفي كلام العرب وأشعارهم، كما ذكر ذلك ابن الأثير وابن منظور وغيرهما.

قال أبو عبيد: فبعض الناس يقول كل صاف قدميه قائما فهو صافن، والقول الثاني: إن الصافن من الخيل قد قلب أحد حوافره وقام على ثلاث قوائم.

---

(١) تفسير القرطبي (١٥/ ١٩٣).

(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ٢٦).

(٣) زاد المسير (٧/ ١٢٧).

(٤) تفسير التحرير والتنوير (٢٣/ ٢٥٦).

(٥) تفسير الطبري (٢٣/ ١٤٦).

(٦) الكشاف (٤/ ٩٢).

(٧) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ١٢٢).

وقال الفراء: رأيت العرب تجعل الصافن القائم على ثلاث، وعلى غير ثلاث؛ قال: وأشعارهم تدل على أن الصفون القيام خاصة.[1]

قلت: وهذه المعاني ترجع إلى القيام والجمع، وهي حاصلة في الخيل عند صفونها، فإنها لا تفعل ذلك إلا قائمة وجامعة بين القدم المثنية وأختها. ولذا فإن ابن عباس وابن مسعود يقرآن: « فاذكروا اسم الله عليها صوافن »[2] بالنون، فأما ابن عباس ففسرها: معقولة إحدى يديها على ثلاث قوائم، والبعير إذا نحر فعل به ذلك. وإما ابن مسعود فقال: يعني قياما. ولذا فإن الراجح والعلم عند الله تعالى هو أن المراد بالصافنات الخيل الواقفة على ثلاث قوائم وثنت طرف الرابعة وضمها مع الأخرى، وهذا هو مجموع القولين، وهو ما تفعله الخيل حال صفونها.

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

(١) انظر: لسان العرب (١٣/ ٢٤١)، وتاج العروس (٣٥/ ٢٤١)، والنهاية في غريب الأثر (٣/ ٧٢)، وانظر: كتاب الخيل لأبي عبيدة: (١/ ٣١).

(٢) فقد أخرج البيهقي عن وكيع بن الجراح عن الأعمش عن أبى ظبيان عن ابن عباس أنه كان يقرأ هذا الحرف (فاذكروا اسم الله عليها صوافن) يقول: معقولة على ثلاثة. انظر: السنن الكبرى (٥ / ٢٣٧). انظر : شواذ القراءات لابن خالويه : ٩٧ وشواذ القراءات للكرماني ٣٢٩

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة .:. مع الفهارس) ٥

الكلام على قوله تعالى: (ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ).

والآية فيها مسألة واحدة وهي: أين يعود الضمير في قوله: (گ گ ڳ ڳ ڳ).

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: «الضمير للشمس وإن لم يتقدم ذكرها، ولكنها تفهم من سياق الكلام، وذكر العشي يقتضيها، والمعنى: حتى غابت الشمس. وقيل: إن الضمير للخيل، ومعنى (ڳ ڳ ڳ): دخلت اصطبلاتها. والأول أشهر وأظهر».[1]

والمسألة فيها قولان:

القول الأول: أن الضمير هنا للشمس. أي: توارت الشمس وغابت.

وهذا المعنى مروي عن ابن مسعود وقتادة والسديّ كما عند ابن جرير[2] وعن كعب كما عند الماوردي.[3]

قال السمعاني: ويقال: قد سبق ما يدل على ذكر الشمس، فاستقامت الكناية عنها، وذلك قوله تعالى: (ڈ ڈ ڈ ڈ ژ) والعشي لا يعرف إلا بالشمس.[4]

قال البغوي: (گ گ ڳ ڳ ڳ) أي: توارت الشمس بالحجاب، استترت بما يحجبها عن الأبصار.[5] وبنحوٍ من هذا قال الزمخشري[6] وابن عطية[7] وابن الجوزي[8] والقرطبي - وحكاه عن الأكثرين -[9] وابن عاشور.[10]

---

(١) التسهيل في علوم التنزيل لابن جزي: ص(٦١٤).
(٢) تفسير الطبري (٢٣/ ١٥٤).
(٣) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ٩١).
(٤) السمعاني ((٤/ ٤٤٠).
(٥) تفسير البغوي (٤/ ٦٠).
(٦) الكشاف (٤/ ٨٨).
(٧) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٥٠٤).
(٨) زاد المسير (٧/ ١٢٩).
(٩) القرطبي (١٥/ ١٩٦).
(١٠) تفسير التحرير والتنوير (٢٣/ ٢٥٥).

القول الثاني: أن الضمير للخيل أي: حتى توارت الخيل بالحجاب، ودخلت اصطبلاتها أو توارت بحجاب الليل. وممن ذكر هذا المعنى من المفسرين: الماوردي -وحكاه عن ابن عيسى-[1] والزمخشري[2] وابن عطية.[3]

الترجيح:

والراجح والعلم عند الله تعالى هو قول جمهور أهل العلم من الصحابة والتابعين وأئمة التفسير وما رجحه ابن جزي عليه رحمة الله تعالى، من أن المراد بذلك الشمس لما غابت وقضى وقت صلاة العصر، ويدل على هذا عدة أمور:

الأمر الأول: أن سياق الكلام يدل على أن الضمير يعود للشمس، فإنه قال في بدايته : (ڈ ڈ ڈ ژ ژ ڑ) والعشي هو الوقت ما بين العصر والمغرب.

الأمر الثاني: أن قوله: (ک ک ک گ گ گ گ) معناه: اشتغلت بالمال - وهو الخيل -عن صلاة العصر، وهذا ما يدل عليه حرف الجر «عن» وانقضاء الوقت يدل له حرف الغاية «حتى» وهو ما يدل على أن الضمير للشمس، ولو كان الضمير للخيل لما كان لقوله: (گ گ گ گ) معنى مفهوم.

الأمر الثالث: أن هذا هو قول جمهور أهل العلم رحمهم الله تعالى.

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

(١) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ٩١).

(٢) الكشاف (٤/ ٨٨).

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٥٠٤).

الكلام على قوله تعالى: (ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

قال ابن جرير: معنى ذلك: أنه عقرها وضرب أعناقها، من قولهم: مَسَحَ علاوته: إذا ضرب عنقه. ثم روى نحو ذلك عن قتادة والحسن والسديّ.[1]

ونقل السمعاني عن الزجاج أنه قال: ويجوز أن يكون الله تعالى أباح له في ذلك الوقت، وحرم في هذا الوقت علينا، ولم يكن لِيُقْدم نبي الله تعالى على ذلك وهو محرَّم عليه، وكيف يستغفر من ذنب بذنب ؟.[2]

ونقل البغوي عن محمد بن إسحاق أنه قال: لم يعنفه الله على عقر الخيل إذا كان ذلك أسفًا على ما فاته من فريضة ربه عز وجل.[3]

وأجاب ابن الجوزي على قول من قال: إن هذا القول يفسُد بأنه لا ذَنْب للحيوان، فكيف وجّه العقوبة إليه ؟ وقصد التَّشفِّي بقتله، وهذا يشبه فِعْلَ الجبّارِين، لا فِعْلَ الأنبياء ؟.

فقال: الجواب أنه لم يكن لِيَفْعَلَ ذلك إلا وقد أُبيح له، وجائز أن يُباح له ما يُمنَع منه في شرعنا، على أنه إذا ذبحها كانت قرباناً، وأكلُ لحمها جائز، فما وقع تفريط.[4] وممن ذكر نحو ذلك من المفسرين: الماوردي[5] والزمخشري[6] والقرطبي[7] وابن كثير.[8]

القول الثاني: أن المراد بالمسح هو مسحه عليها بيده، وذلك أنه كان يصلي فعرضت عليه الخيل فأشار إليهم فأزالوها حتى دخلت اصطبلاتها فلما فرغ من صلاته قال ردوها علي فمسح عليها بيده محبة وكرامة لها.

---

٤٨٤) : أخرجه الإسماعيلي في معجمه وابن مردويه، وهو حسن .

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ١٥٤).

(٢) السمعاني ((٤/ ٤٤٠).

(٣) تفسير البغوي (٤/ ٥٥).

(٤) زاد المسير (٧/ ١٢٦).

(٥) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ٩٣).

(٦) الكشاف (٤/ ٩١).

(٧) تفسير القرطبي (١٥/ ١٩٥).

(٨) تفسير ابن كثير (٤/ ٣٥).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة :: مع الفهارس) 5

ونقل ابن جرير عن ابن عباس أنه قال في قوله: (ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ): جعل يمسح أعراف الخيل وعراقيبها، حباً لها.

قال ابن جرير: وهذا القول الذي ذكرناه عن ابن عباس أشبه بتأويل الآية، لأن نبيّ الله ﷺ لم يكن - إن شاء الله - ليعذب حيوانًا بالعرقبة، ويهلك مالاً من ماله بغير سبب، سوى أنه اشتغل عن صلاته بالنظر إليها، ولا ذنب لها باشتغاله بالنظر إليها.[1]

وممن ذكر هذا عن ابن عباس: الماوردي[2] والسمعاني.[3] والزمخشري[4] وابن عطية[5] والقرطبي.[6] والبغوي -ونقله عن الزهري-[7] وابن عطية -ونقله عن ابن عيسى والزهري- والزهري-[8] وابن الجوزي- وقال: قال مجاهد: مسحها بيده، وهذا اختيار ابن جرير، والقاضي أبي يعلى.[9]

وأما ابن عاشور فقد ذكر أن حقيقة المسح: إمرار اليد على الشيء لإزالة ما عليه من غبش أو ماء أو غبار...قال: وقد يطلق المسح مجازاً على معان منها: الضرب بالسيف يقال: مسحه بالسيف. ويقال: مسحَ السيفَ به. ولعل أصله كناية عن القتل بالسيف لأن السيف يمسح عنه الدم بعد الضرب به. ثم ذكر هذا القول عن ابن عباس والزهري وابن كيسان وقطرب وقال: وهذا هو الجاري على المناسب لمقام نبي والأوفق بحقيقة المسح.[10]

---

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ١٥٤).
(٢) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ٩٣).
(٣) السمعاني ((٤/ ٤٤٠).
(٤) الكشاف (٤/ ٩١).
(٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٢/ ١٥٥).
(٦) تفسير القرطبي (١٥/ ١٩٥).
(٧) تفسير البغوي (٤/ ٥٥).
(٨) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٢/ ١٥٥).
(٩) زاد المسير (٧/ ١٢٦).
(١٠) تفسير التحرير والتنوير (٢٣/ ٢٥٧).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

القول الثالث: أن المراد بالمسح هو وَسْمُها في سوقها وأعناقها بوسم: حُبِس في سبيل الله. وممن ذكر هذا القول من المفسرين: البغوي[1] وابن عطية[2] والقرطبي وقال: وقد ضعف هذا القول من حيث أن السوق ليست بمحل للوسم بحال[3]

الترجيح:

والراجح والعلم عند الله تعالى هو القول الأول وهو قول الجمهور وعامة المفسرين. وذلك لعدة أمور:

الأمر الأول: أن هذا هو الوارد عن النبي ﷺ وإذا جاء التفسير عن النبي ﷺ فحسبك به ولا يعدل عنه ولا ينظر إلى غيره.

الأمر الثاني: أن ما جاء عن ابن عباس في القول الثاني أن المسح كان بيده حباً لها، فقد ضعفه أهل العلم كالسمعاني وابن كثير وغيرهم، وحملوا ما جاء عن مجاهد في قوله:مسحها بيده، على أنه تولى ضرب أعناقها بيده.

قال السمعاني -بعد أن أورد عن ابن عباس أنه مسح بيده عليها شفقة بها - قال: وهذا قولٌ ضعيف، ولا يليق هذا الفعل بما سبق، والمشهور هو القول الأول.[4]

وقال البغوي بعد أن نقل قول الزهري، وابن كيسان، أنه كان يمسح سوقها وأعناقها بيده، يكشف الغبار عنها، حُبًّا لها، وشفقة عليها. قال: وهذا قول ضعيف، والمشهور هو الأول.[5]

وقال ابن الجوزي بعد نقله قول مجاهد: وهذا اختيار ابن جرير والقاضي أبي يعلى... وقد اعترضوا [على] هذا القول، وقالوا: أيّ مناسبة بين شَغْلِها إيّاه عن الصلاة وبين مَسْح

---

(١) تفسير البغوي (٤/ ٥٥).

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٢/ ١٥٥).

(٣) تفسير القرطبي (١٥/ ١٩٧).

(٤) السمعاني ((٤/ ٤٤٠).

(٥) تفسير البغوي (٤/ ٥٥).

أعرافها حُبّاً لها؟!. ولا أعلم قوله: «حُبّاً لها» يثبت عن ابن عباس. وحملوا قول مجاهد: «مَسَحها بيده» أي: تولىَّ ضَرْبَ أعناقها.[1]

وقال ابن كثير: بعد أن ذكر ترجيح ابن جرير: وهذا الذي رجح به ابن جرير فيه نظر؛ لأنه قد يكون في شرعهم جواز مثل هذا ولا سيما إذا كان غضبا لله عز وجل بسبب أنه اشتغل بها حتى خرج وقت الصلاة.[2]

الأمر الثالث: أن ما ذكروه في القول الثالث أنه وسمها بالحبس في سبيل الله، فهو قول يحتاج إلى نقل صحيح، وهو بعيد عن ظاهر القرآن.

الأمر الرابع: أن ما ذكروه من الاعتراض على قتله الخيل بسيفه لأنها شغلته عن صلاة العصر، وأنه لا يليق بنبي أن يتشفى منها بغير ذنب. فهذا مجاب عنه كما تقدم، ويجوز أنه ذبحها قرباناً لله يكفر به ما حصل منه من سهو عن الفريضة. وهو إيراد في غير مكانه، لأن الذبح على وجه القربة لله موجود في كل الأمم كما قال الله تعالى: (ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

الكلام على قوله تعالى: (ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ٹ ٹ).

والآية فيها مسألة واحدة وهي: ما المراد بقوله: (ڤ ڤ).

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: «تفسير هذه الآية يختلف على حسب الاختلاف في قصتها وفي ذلك أربعة أقوال:

الأول: أن سليمان كان له خاتم ملكه، وكان فيه اسم الله، فكان ينزعه إذا دخل الخلاء توقيراً لاسم الله تعالى، فنزعه يوماً ودفعه إلى جارية، فتمثل لها جنيٌّ في صورة سليمان، وطلب منها الخاتم، فدفعته له - روي أن اسمه صخر- فقعد على كرسي سليمان يأمر وينهى، والناس يظنون أنه سليمان، وخرج سليمان فاراً بنفسه، فأصابه الجوع، فطلب حوتاً، ففتح بطنه، فوجد فيه خاتمه، وكان الجني قد رماه في البحر، فلبس سليمان الخاتم وعاد إلى ملكه.

ففتنة سليمان على هذا، هي ما جرى له من سلب ملكه؛ والجسد الذي أُلْقى على كرسيه هو الجني الذي قعد عليه ؟، وسماه جسداً لأنه تصور في صورة إنسان؛ ومعنى أناب: رجع إلى الله بالاستغفار والدعاء، أو رجع إلى ملكه.

والقول الثاني: أن سليمان كان له امرأة يحبها، وكان أبوها ملكاً كافراً قد قتله سليمان، فسألته أن يضع لها صورة أبيها، فأطاعها في ذلك، فكانت تسجد للصورة، ويسجد معها جواريها، وصار صنماً معبوداً في داره، وسليمان لا يعلم، حتى مضت أربعون يوماً، فلما علم به كسره. فالفتنة على هذا: عمل الصورة والجسد هو الصورة.

والقول الثالث: أن سليمان كان له ولد، وكان يحبه حباً شديداً، فقالت الجن: إن عاش هذا الولد ورث ملك أبيه، فبقينا في السُّخرة أبداً، فلم يشعر إلا وولده ميت على كرسيه. فالفتنة على هذا: حبه الولد. والجسد: هو الولد لما مات، وسمي جسداً لأنه جسد بلا روح.

القول الرابع: أنه قال: لأطوفن الليلة على مائة امرأةٍ، تأتي كل واحدةٍ منهن بفارسٍ يجاهد في سبيل الله، ولم يقل: إن شاء الله، فلم تحمل إلا واحدةٌ، جاءت بشق إنسان.

فالفتنة على هذا: كونه لم يقل: إن شاء الله. والجسد هو: شق الإنسان الذي ولد له.

فأما القول الأول فضعيف من طريق النقل، مع أنه يبعد ما ذكر فيه من سلب ملك سليمان، وتسليط الشياطين عليه. وأما القول الثاني فضعيفٌ أيضاً، مع أنه يبعد أنه يُعبد صنمٌ

دكتوراه عبدالعلي الحمدي (كامل الرسالة :: مع الفهارس) 5

في بيت نبي، أو يأمر نبي بعمل صنم. وأما القول الثالث فضعيفٌ أيضاً. وأما القول الرابع فقد روي في الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ، لكنه لم يذكر في الحديث أن ذلك تفسير الآية ».[1]

والمسألة فيها أربعة أقوال:

القول الأول: أن سليمان كان له خاتمٌ لملكه وكان فيه اسم الله فسرقه جنيٌ على صورته من جاريته عند دخوله الخلاء، فسلبه ملكه، ثم عاد إليه بعد توبته.

وهذه القصة ذكرها: ابن جرير[2] والبغوي[3] وقال الزمخشري: وأما ما يروى من حديث الخاتم والشيطان وعبادة الوثن في بيت سليمان، فالله أعلم بصحته.[4] وقال ابن عطية بعدم صحة هذه الروايات.[5]

قال القرطبي: وقد ضعف هذا القول من حيث إن الشيطان لا يتصور بصورة الأنبياء، ثم من المحال أن يلتبس على أهل مملكة سليمان الشيطان بسليمان حتى يظنوا أنهم مع نبيهم في حق ، وهم مع الشيطان في باطل.[6]

قال ابن كثير: قال ابن عباس، ومجاهد وسعيد بن جبير والحسن وقتادة وغيرهم: يعني شيطاناً. (ﭐ ﭑ ﭒ) أي: رجع إلى ملكه وسلطانه وأبهته... ثم قال بعد ذلك: إسناده إلى ابن عباس قوي، ولكن الظاهر أنه إنما تلقاه ابن عباس - إن صح عنه- من أهل الكتاب، وفيهم طائفة لا يعتقدون نبوة سليمان عليه السلام، فالظاهر أنهم يكذبون عليه، ولهذا كان في السياق منكرات، من أشدها ذكر النساء، فإن المشهور أن ذلك الجني لم يُسلط على نساء سليمان، بل عصمهن الله منه تشريفاً وتكريماً لنبيه ﷺ، وقد رويت هذه القصة مطولة عن جماعة من السلف، كسعيد بن المسيب وزيد بن أسلم وجماعة آخرين وكلها متُلقَّاة من قصص أهل

---

(١) التسهيل في علوم التنزيل لابن جزي: ص(٦١٤ - ٦١٥).
(٢) تفسير الطبري (٢٣/ ١٥٤).
(٣) تفسير البغوي (٤/ ٥٧).
(٤) الكشاف (٤/ ٨٩).
(٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٢/ ١٥٦).
(٦) تفسير القرطبي (١٥/ ٢٠١).

الكتاب والله أعلم بالصواب.[1]

قال السعدي: (ۀ ہ ہ ہ ھ) أي: شيطاناً. قضى اللهّ وقدَّر أن يجلس على كرسي ملكه، ويتصرف في الملك في مدة فتنة سليمان.[2]

القول الثاني: أن سليمان كان له امرأة يحبها سباها بعد قتله لأبيها الملك، فطلبت منه وضع صورة صنم لأبيها الكافر الذي قتله، فصارت تعبده من دون الله، ولا يعلم به سليمان، فلما علم به كسره.

وهذا القول محكي عن شهر بن حوشب، ووهب بن منبه. كما عند الماوردي[3] والسمعاني[4] والبغوي[5] وابن الجوزي[6] والقرطبي[7] وابن عاشور.[8]

قال الزمخشري : وأما ما يروى من حديث الخاتم والشيطان وعبادة الوثن في بيت سليمان، فالله أعلم بصحته.[9]

القول الثالث: أنه ولد له ابن، فقالت الشياطين: إن عاش لم ننفك من السُّخرة، فسبيلنا أن نقتله أو نُخْبِله، فعلم ذلك، فكان يغدوه في السحابة، فما راعه إلا أن ألقي على كرسيه ميتاً، فتنبه على خطئه في أنه لم يتوكل على ربه، فاستغفر ربه وتاب إليه. وممن ذكر هذا القول من المفسرين: الزمخشري[10] وابن الجوزي[11] والقرطبي ونقل معناه عن الشعبي.[12]

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٣٥).
(٢) تفسير السعدي (١/ ٧٠٩).
(٣) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ٩٥).
(٤) السمعاني ((٤/ ٤٤٣).
(٥) تفسير البغوي (٤/ ٥٧).
(٦) زاد المسير (٧/ ١٣٢).
(٧) تفسير القرطبي (١٥/ ١٩٩).
(٨) تفسير التحرير والتنوير (٢٣/ ٢٥٦).
(٩) الكشاف (٤/ ٨٩).
(١٠) الكشاف (٤/ ٨٩).
(١١) زاد المسير (٧/ ١٣٢).
(١٢) تفسير القرطبي (١٥/ ٢٠١).

دكتوراه عبدالعلي المدني (كامل الرسالة :: مع الفهارس) ٥

القول الرابع: أنه قال: لأطوفن الليلة على مائة امرأة تأتي كل واحدة منهن بفارس يجاهد في سبيل الله ولم يقل: (إن شاء الله)، فلم تحمل إلا واحدة، جاءت بشق إنسان، فالفتنة على هذا: كونه لم يقل (إن شاء الله) والجسد هو: شق الإنسان الذي ولد له.

وأصل هذا القول: ما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: **(قال سليمان: لأَطُوفَنّ الليلة على تسعين امرأة، كلهن تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله. فقال له صاحبه: قل: إن شاء الله. فلم يقل: إن شاء الله. فطاف عليهن جميعاً، فلم تحمل منهن إلا امرأةٌ واحدةٌ، جاءت بشقِّ رَجل، وأيْم الذي نفس محمد بيده، لو قال: إن شاء الله، لجاهدوا في سبيل الله فرساناً أجمعون).**[1]

وممن حكى هذا القول من المفسرين: الماوردي[2] والسمعاني[3] والبغوي[4] والزمخشري[5] والزمخشري[5] وابن عطية[6] والقرطبي.[7]

قال ابن عاشور : وأظهر أقوالهم أن تكون الآية إشارة إلى ما في صحيح البخاري، وليس في كلام النبي ﷺ أن ذلك تأويل هذه الآية، ولا وضع البخاري ولا الترمذي الحديثَ في التفسير من كتابيهما. قال جماعة: فذلك النصف من الإِنسان، هو الجَسد المُلقَى على كرسيّه، جاءت به القابلة، فألقته له وهو على كرسيه، فالفتنة على هذا: خيبة أمله، ومخالفة ما أبلغه صاحبُه. وإطلاق الجسد على ذلك المولود؛ إمّا لأنه وُلِد ميتاً، كما هو ظاهر قوله: «شق رجل»، وإمّا لأنه كان خِلْقة غير معتادة، فكان مجرد جسد. وهذا تفسيرٌ بعيد، لأن الخبر لم يقتض أن

---

(١) صحيح البخاري (٦/ ٢٤٣٨ وصحيح مسلم (٣/ ١٢٧٥).

(٢) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ٩٥).

(٣) السمعاني (٤/ ٤٤٣).

(٤) تفسير البغوي (٤/ ٥٧).

(٥) الكشاف (٤/ ٨٩).

(٦) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٢/ ١٥٦).

(٧) تفسير القرطبي (١٥/ ٢٠١).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

الشق الذي ولدته المرأة كان حيّاً، ولا أنه جلس على كرسي سليمان. وتركيب هذه الآية على ذلك الخبر تكلّف.[1]

الترجيح:

والراجح والعلم عند الله تعالى أن ما ذكره ابن جزي عليه رحمة الله تعالى هو الصواب، فكل ما ذكره المفسرون في الأقوال الثلاثة الأولى من الباطل الذي لايصح فيه خبر مسند، وهو مأخوذ من كتب بني إسرائيل، وليس فيها شيء يعتمد عليه سوى أقوال الرجال، وأقوال الرجال مما يستدل لها ولا يستدل بها، والموقف الصحيح تجاه أعلى ما فيها هو التوقف، وعدم التصديق والتكذيب، وهذا مما لا يغني من الحق شيئاً، والصحيح هو اتباع ما صح عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة، وحمل الآية عليه، وإن لم يكن ثمة تصريح بأنه تفسير للآية. ولوجود ما يدل على مثل ذلك في حق النبي ﷺ، كما بينه الشيخ الأمين في أضواء البيان، وذلك عندما طلب اليهود من قريش أن يسألوا النبي ﷺ عن الروح، وعن رجل طواف في الأرض - يعنون ذا القرنين - وعن فتية لهم قصة عجيبة في الزمان الماضي- يعنون اصحاب الكهف- فقال لهم رسول الله ﷺ : « سأخبركم غداً عما سألتم عنه » ولم يقل: إن شاء الله. فلبث عنه الوحي مدة، قيل خمس عشرة ليلة، وقيل غير ذلك. فأحزنه تأخر الوحي عنه، ثم أنزل عليه الجواب.

فإذا عرفت أن الله عاتب نبيه فيها على عدم قوله إن شاء الله، لما قال سأخبركم غداً - فاعلم أنه دلت آية أخرى بضميمة بيان السنة لها على أن الله عاتب نبيه سليمان على عدم قوله إن شاء الله، كما عاتب نبيه في هذه الآية على ذلك. بل فتنة سليمان لذلك كانت أشد. فقد أخرج الشيخان في صحيحهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النَّبي ﷺ قال: « **قال سليمان بن داود عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام: لأطوفن الليلة على سبعين امرأة وفي رواية تسعين امرأة، وفي رواية مائة امرأة - تلد كل امرأة منهن غلاماً يقاتل في سبيل الله** » فقيل له- وفي رواية قال له الملك: « إن شاء الله » فلم يقل. فطاف بهن، فلم تلد منهن إلا امرأة واحدة نصف إنسان. فقال رسول الله ﷺ: « **والذي نفسي بيده، لو قال: إن شاء الله، لم يحنث، وكان دركاً لحاجته** ». وفي رواية: « **ولقاتلوا في سبيل الله فرساناً أجمعون** ».

---

(١) تفسير التحرير والتنوير (٢٣/ ٢٥٦).

دكتوراه عبدالعلي الحمدي (كامل الرسالة :: مع الفهارس) 5

فإذا علمت هذا فاعلم أن هذا الحديث الصحيح بين معنى قوله تعالى: (ٹ ٹ ٹ ۀ ۀ ہ ہ ھ) الآية. وأن فتنة سليمان كانت بسبب تركه قوله « إن شاء الله » وأنه لم يلد من تلك النساء إلا واحدة نصف إنسان، وأن ذلك الجسد الذي هو نصف إنسان هو الذي ألقي على كرسيه بعد موته في قوله تعالى: (ٹ ٹ ٹ ھ) الآية، فما يذكره المفسرون في تفسير قوله تعالى: (ۀ ہ ہ ہ ھ) الآية، من قصة الشيطان الذي أخذ الخاتم وجلس على كرسي سليمان، وطرد سليمان عن ملكه. حتى وجد الخاتم في بطن السمكة التي أعطاها له من كان يعمل عنده بأجر، مطروداً عن ملكه، إلى آخر القصة - لا يخفى أنه باطل لا أصل له، وأنه لا يليق بمقام النبوة. فهي من الإسرائيليات التي لا يخفى أنها باطلة. والظاهر في معنى الآية هو ما ذكرنا، وقد دلت السنة الصحيحة عليه في الجملة، واختاره بعض المحققين. والعلم عند الله تعالى.[1] وهذا هو اللائق بمقام النبوة عما يرويه الناس عن أهل الكتاب.

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

(١) أضواء البيان (٣/ ٢٥١).

الكلام على قوله تعالى: (﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾

الماوردي[1] والسمعاني[2] والزمخشري.[3]

الترجيـــح:

والراجح والعلم عند الله تعالى أنه لا تعارض بين هذين القولين فكلاهما صفة للريح التي سخرها الله لسليمان عليه السلام، فهي لينة وطائعة له تذهب به حيث يشاء، وهذا من قبيل اختلاف التنوع لا اختلاف التضاد وقد مر معنا فيما سبق أمثاله كثير، وأكثر ما ينقل عن المفسرين من الخلاف من هذا القبيل.

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

(١) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ٩٢).

(٢) السمعاني ((٤/ ٤٤٥).

(٣) الكشاف (٤/ ٩٣).

الكلام على قوله تعالى: (□ □ □ □ □ □ □ □ □)

والآية فيها مسألة واحدة وهي: ما المراد بقوله تعالى: (□ □ □ □ □).

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: «الإشارة إلى المُلْك الذي أعطاه الله له، والمعنى أن الله قال له: أعط من شئت، وامنع من شئت. وقيل: المعنى امنن على من شئت من الجن بالإطلاق من القيود، وأمسك من شئت منهم في القيود. والأول أحسن وهو قول ابن عباس».[1]

والمسألة فيها قولان:

القول الأول: أن المعنى: أعط من شئت وامنع من شئت.

فروى ابن جرير عن الحسن قال: (□ □ □ □ □ □ □): المُلك الذي أعطيناك، فأعط ما شئت وامنع ما شئت، فليس عليك تبعةٌ ولا حساب. وقال الضحاك: سأل مُلكا هنيئا لا يُحاسب به يوم القيامة، فقال: ما أَعْطَيت، وما أمسكت، فلا حرج عليك. ونحوه عن عكرمة ومجاهد. كما عند ابن جرير، والماوردي[2] والسمعاني[3] والبغوي[4] والزمخشري[5] وابن الجوزي[6] والقرطبي[7] وابن عطية وقال: وهذا أصح الأقوال وأجمعها لتفسير الآية.[8]

قال ابن جرير: وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب القولُ الذي ذكرناه عن الحسن والضحاك من أنه عني بالعطاء ما أعطاه من الملك تعالى ذكره. قال: والصواب من القول في ذلك ما ذكرته عن أهل التأويل من أن معناه: لا يحاسب على ما أعطى من ذلك المُلك والسلطان. وإنما قلنا ذلك هو الصواب لإجماع الحجة من أهل التأويل عليه.[9]

---

(١) التسهيل في علوم التنزيل لابن جزي: ص(٦١٦).

(٢) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ١٠٠).

(٣) السمعاني ((٤/ ٤٤٥).

(٤) تفسير البغوي (٤/ ٦٥).

(٥) الكشاف (٤/ ٨٨).

(٦) زاد المسير (٧/ ١٣٤).

(٧) تفسير القرطبي (١٥/ ٢٠٦).

(٨) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٥٠٦).

(٩) تفسير الطبري (٢٣/ ١٦٤).

القول الثاني: أن المعنى: امنن على من شئت من الجن بالإطلاق من القيود، وأمسك من شئت منهم في القيود.

قال قتادة: (□ □ □ □ □ □ □ □) قال: هؤلاء الشياطين، احبس من شئت منهم في وثاقك وفي عذابك، أو سرِّح من شئت منهم تتخذ عنده يدًا، اصنع ما شئت. وعن ابن عباس، والسديّ، ومقاتل، نحوه كما ذكر ذلك ابن جرير[1] والماوردي[2] والسمعاني[3] والبغوي[4] والزمخشري[5]وابن عطية[6]وابن الجوزي[7]والقرطبي[8]وابن عاشور.[9] عاشور.[9]

الترجيح:

والراجح والعلم عند الله تعالى أن كلا القولين صحيح فالقول الثاني هو جزء من الأول لأن تسخير الشياطين وتصفيدهم جزء من ملك سليمان، والمنة هنا عامة في ملكه يعطي ويمنع ويطلق ويبقي من الشياطين، والقول بالعموم هو ما تعضده قواعد التفسير، فعامة ألفاظ القرآن تدل على معنيين فأكثر. والقاعدة الأخرى: إذا احتمل اللفظ معاني عدة، ولم يمتنع إرادة الجميع حمل عليها. والكلمة إذا احتملت وجوهاً لم يكن لأحد صرف معناها إلى بعض وجوهها دون بعض إلا بحجة.[10]

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ١٦٤).

(٢) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ١٠٠).

(٣) السمعاني ((٤/ ٤٤٥).

(٤) تفسير البغوي (٤/ ٦٥).

(٥) الكشاف (٤/ ٨٨).

(٦) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٥٠٦).

(٧) زاد المسير (٧/ ١٣٤).

(٨) تفسير القرطبي (١٥/ ٢٠٧).

(٩) تفسير التحرير والتنوير (٢٣/ ٢٦٣).

(١٠) انظر مختصر قواعد التفسير للسبت: ص(٢٦، ٢٧).

الكلام على قوله تعالى: (ڤ ڤ ڤ ڤ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ).

والآية فيها مسألة واحدة وهي: ما المراد بقوله تعالى: (ڃ ڃ چ).

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: «الأيدي: جمع يد. وذلك عبارة عن قوتهم في الأعمال الصالحات، وإنما عبر عن ذلك بالأيدي، لأن الأعمال أكثر ما تعمل بالأيدي. وأما الأبصار: فعبارةٌ عن قوة فهمهم، وكثرة علمهم، من قولك أبْصَر الرجل، إذا تبينت له الأمور.

وقيل: الأيدي جمع يدٍ، بمعنى النعمة. ومعناه: أولوا النعم التي أسداها الله إليهم، من النبوة والفضيلة. **وهذا ضعيف**، لأن اليد بمعنى النعمة أكثر ما يجمع على أيادي، وقرأ ابن مسعود: « أولوا الأيد » بغير ياء، فيحتمل أن تكون الأيدي محذوفة الياء، أو يكون «الأيد» بمعنى: القوة. كقوله «داود ذا الأيد». ».[1]

والمسألة فيها قولان:

القول الأول: أن الأيدي: جمع يد. وذلك عبارة عن قوتهم في الأعمال الصالحات.

فروى ابن جرير عن ابن عباس في قوله: (ڃ ڃ چ) يقول: أولي القوّة والعبادة. وقال أيضاً: فضِّلوا بالقوّة والعبادة. وروى نحوه عن منصور، ومجاهد، وقتادة، والسديّ. قال ابن جرير: فإن قال لنا قائل: وما الأيدي من القوّة، والأيدي إنما هي جمع يد، واليد جارحة ؟. قيل: إن ذلك مَثَل، وذلك أن باليد البطش، وبالبطش تُعرف قوّة القويّ، فلذلك قيل للقويّ: ذو يَدٍ.[2]

وممن ذكر مثل ذلك من المفسرين:

الماوردي[3] والسمعاني[4] والزمخشري-وقال: أولي الأعمال والفكر-[5] وابن عطية[6]

---

(١) التسهيل في علوم التنزيل لابن جزي: ص(٦١٧). والقراءة قرأ بها الحسن والأعمش وابن أبي عبلة انظر : المحتسب لابن جني : ٢/ ٢٣٣ وشواذ ابن خالويه ١٣١

(٢) تفسير الطبري (٢٣/ ١٦٩).

(٣) النكت والعيون تفسير الماوردي (٢/ ٥١).

(٤) السمعاني ((٤/ ٤٤٧).

(٥) الكشاف (٤/ ١٠٠).

(٦) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٥٠٩).

وابن الجوزي[1] والقرطبي[2] وابن عاشور.[3] وكذا نقل البغوي عن ابن عباس في تفسير الآية.[4]

وقال ابن كثير: (ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ) يعني بذلك: العمل الصالح، والعلم النافع، والقوة في العبادة، والبصيرة النافذة. ثم نقل أقوال المفسرين وقال: و (ﭾ ﮀ): جمع يد، بمعنى القوة في الدين. كقوله تعالى: (□ □ □ □) في سورة الذاريات(آية:٤٧).[5]

ومما يؤيد هذا: قراءة عبدالله بن مسعود (أولى الأيدِ) بغير ياء، وقد يكون بمعنى الأيدي، ولكنه أسقط منه الياء.[6] وكذا قال الزمخشري.[7]

القول الثاني: أن « الأيدي » جمع يد، بمعنى: النعمة. ومعناه أولوا النعم التي أسداها الله إليهم، من النبوة والفضيلة، أو أنهم أصحاب النعم والإحسان، لأنهم قد أحسنوا وقدموا خيراً.

قال ابن جرير:وقد يُمكن أن يكون عَنى بقوله: (ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ) أولي الأيدي عند الله بالأعمال الصالحة، فجعل الله أعمالهم الصالحة التي عملوها في الدنيا، أيدياً لهم عند الله تمثيلاً لها باليد، تكون عند الرجل الآخر.[8] ونقل الماوردي عن الضحاك: أن الأيدي: النعمة.[9] وذكر نحوه ابن عطية[10] والقرطبي.[11]

---

(١) زاد المسير (٧/ ١٤٦).
(٢) تفسير القرطبي (١٥/ ٢١٧).
(٣) تفسير التحرير والتنوير (٢٣/ ٢٧٦).
(٤) تفسير البغوي (٤/ ٦٥).
(٥) تفسير ابن كثير (٤/ ٣٥).
(٦) تفسير الطبري (٢٣/ ١٦٩).
(٧) الكشاف (٤/ ١٠٠).
(٨) تفسير الطبري (٢٣/ ١٦٩).
(٩) النكت والعيون تفسير الماوردي (٢/ ٥١).
(١٠) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٥٠٩).
(١١) تفسير القرطبي (١٥/ ٢١٧).

الترجيـــح:

والراجح والعلم عند الله تعالى: هو القول الأول وهو ترجيح ابن جزي عليـه رحمـة الله تعالى، وذلك لعدة أمور:

الأمر الأول: أن هذا هو قول جمهور المفسرين، والمحققين.

قال ابن القيم: الأيدي: القوة في تنفيذ الحـق. والأبصـار: البصـائر في دينـه. فوصـفهم بكمال إدراك الحق وكمال تنفيذه.[1]

الأمر الثاني: أن اليد التي يراد بها النعمة تجمع على أيادي، بخلاف التي تدل على القـوة، فإنها تجمع على أيدي.

وعلى كل حال: فإن الآية تحتمل القول الثاني وإن كان لا يدخل دخولاً أولياً.

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

(١) الجواب الكافي: ص(١٣٤).

الكلام على قوله تعالى: (ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ).

والآية فيها مسألة واحدة وهي: ما المراد بقوله: (ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ).

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: «والدار يحتمل أن يريد به الآخرة أو الدنيا، فإن أراد به الآخرة، ففي المعنى ثلاثة أقوال: أحدها: أن ذكرى الدار يعني به ذكرهم للآخرة وجهنم فيها. والآخر: أن معناه تذكيرهم للناس بالآخرة ترغيبهم للناس فيها عند الله. والثالث: أن معناه ثواب الآخرة، أي أخلصناهم بأفضل ما في الآخرة. والأول أظهر.

وإن أراد بالدار الدنيا فالمعنى: حسن الثناء والذكر الجميل في الدنيا، كقوله: (□ □ □) (مريم: ٥٠) ».[١]

على القول بأن المراد بالدار: هي الدار الآخرة فإن المسألة فيها ثلاثة أقوال:

القول الأول: أن المراد بذكرى الدار يعني: ذكرهم للآخرة.

فروى ابن جرير عن مجاهد في قوله: (ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ) قال: بذكر الآخرة، فليس لهم همّ غيرها. وقال السديّ: بذكرهم الدار الآخرة، وعملهم للآخرة.[٢]

ونقل الماوردي عن مالك بن دينار أنه قال: نزع الله ما في قلوبهم من الدنيا وذكرها، وأخلصهم بحب الآخرة وذكرها.[٣] وبمثله نقل السمعاني عن ابن عباس ومالك بن دينار.[٤] وممن ذكر مثل ذلك من المفسرين: البغوي[٥] والزمخشري[٦] وابن عطية[٧] ونقله ابن الجوزي عن مجاهد، وعطاء، والسدي. وقال: كان الفُضَيل ابن عِياض رحمة الله عليه يقول: هو الخوف الدائم في القلب.[٨] وقال ابن زيد: أي يذكرون الآخرة ويرغبون فيها ويزهدون في الدنيا.[٩]

---

(١) التسهيل في علوم التنزيل لابن جزي: ص(٦١٧).
(٢) تفسير الطبري (٢٣/ ١٦٤).
(٣) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ١٠٠).
(٤) السمعاني ((٤/ ٤٤٨).
(٥) تفسير البغوي (٤/ ٦٦).
(٦) الكشاف (٤/ ١٠١).
(٧) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٥٠٩).
(٨) زاد المسير (٧/ ١٤٦).
(٩) تفسير القرطبي (١٥/ ٢١٨).

وقال ابن كثير بنحو ما قال ابن جرير.[1]

القول الثاني: أن المعنى: تذكيرهم للناس بالآخرة وترغيبهم فيما عند الله.

فروى ابن جرير عن قتادة في قوله: (ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ) قال: بهذه أخلصهم الله، كانوا يدعون إلى الآخرة وإلى الله.[2] وكذا ذكر البغوي[3] والزمخشري[4] وابن عطية[5] وابن الجوزي[6] والقرطبي[7] وابن كثير.[8]

القول الثالث: أن المعنى أي: أخلصناهم بأفضل ما في الآخرة من الثواب.

فروى ابن جرير عن ابن زيد في قوله: (ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ) قال: بأفضل ما في الآخرة أخلصناهم به، وأعطيناهم إياه. قال: والدار: الجنة، وقرأ: (ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

وابن الجوزي[1] وابن كثير.[2]

الترجيح: والراجح والعلم عند الله تعالى أن الآية محتملة لجميع الأقوال، والقول بالعموم في مثل هذه المواطن هو الصواب في كتاب الله تعالى، لأن القرآن حمال ذو وجوه، ولأن الآية إذا كانت تحتمل أكثر من وجه، ولم يمتنع إرادة الجميع، فإنها تحمل عليها. غير أن القول الأول أكثر قائلاً من أهل التفسير، فاستحق التقديم. لأن القاعدة الأخرى المكملة للقاعدة السابقة تقول: تحمل الآية على المعنى الذي استفاض النقل فيه عن أهل العلم، وإن كان غيره محتملاً. وهذا ما ذهب إليه ابن القيم رحمه الله تعالى.[3]

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

(١) زاد المسير (٧/ ١٤٦).

(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ٤١).

(٣) طريق الهجرتين: ص(٣١٧).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

الكلام على قوله تعالى: (ڑ ک ک ک ک گ گ).

والآية فيها مسألة واحدة وهي: إلى أين تعود الإشارة في قوله تعالى (ڑ ک ک گ).

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: «الإشارة إلى ما تقدم في هذه السورة من ذكر الأنبياء. وقيل: الإشارة إلى القرآن بجملته. والأول أظهر وكأن قوله: (ڑ ک ک گ) ختام للكلام المتقدم، ثم شرع بعده في كلام آخر، كما يُتِمُّ المؤلف باباً ثم يقول: فهذا باب، ثم يشرع في آخر».[1]

والمسألة فيها قولان:

القول الأول: أن الإشارة تعود إلى ما تقدم في هذه السورة من ذكر الأنبياء.

قال الزمخشري: (ڑ ک ک گ) أي: هذا نوع من الذكر وهو القرآن. لما أجرى ذكر الأنبياء وأتمه، وهو بابٌ من أبواب التنزيل؛ ونوعٌ من أنواعه، وأراد أن يذكر على عقبه باباً آخر، وهو ذكر الجنة وأهلها. قال: هذا ذكر، ثم قال: (ک ک گ) كما يقول الجاحظ في كتبه: فهذا باب، ثم يشرع في باب آخر، ويقول الكاتب إذا فرغ من فصل من كتابه وأراد الشروع في آخر: هذا وقد كان كيت وكيت؛ والدليل عليه: أنه لما أتمّ ذكر أهل الجنة وأراد أن يعقبه بذكر أهل النار. قال: (ۇ ۆ ۈ ۇ ۆ). ثم روى عن ابن عباس ﷺ قال: هذا ذكر من مضى من الأنبياء.[2]

وذكر ابن عطية أن قوله: (ڑ ک ک گ) يحتمل أن يكون إشارة إلى مدح من ذُكِر، وإبقاء الشرف له، فيتأيد بهذا التأويل قول من قال آنفاً: إن « الدار » يراد بها الدار الدنيا.[3] وبنحوه قال ابن الجوزي[4] والقرطبي.[5] وقال ابن كثير: أي: هذا فصل فيه ذكر لمن يتذكر.[6] وبين ابن عاشور أن هذا الأسلوب من أساليب العرب، ويسمى: «الاقتضاب». ولهم فيه

---

(١) التسهيل في علوم التنزيل لابن جزي: ص(٦١٧).

(٢) الكشاف (٤/ ٩٨).

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٥٠٨).

(٤) زاد المسير (٧/ ١٤٥).

(٥) تفسير القرطبي (١٥/ ٢١٩).

(٦) تفسير ابن كثير (٤/ ٤٠).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

طريقتان: الأولى: ذكر الخبر كقوله تعالى: (ڑ ک ک گ) والثانية: أن يحذفوا الخبر لدلالة الإِشارة على المقصود، كقوله تعالى: (ڪ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ) (الحج: ٣٠) أي: ذلك شأن الذين عمِلوا بما دعاهم إليه إبراهيم، وذكروا اسم الله على ذبائحهم، ولم يذكروا أسماء الأصنام، وقوله: (ۉ ۉ ې ې ى ى ئا) (ص:٥٥) أي: هذا مآب المتقين، ومنه قول الكاتب: هذا وقد كان كَيْت وكَيْتِ، وإنما صرح بالخبر في قوله: (ڑ ک ک گ) للاهتمام بتعيين الخبر، وأن المقصود من المشار إليه التذكر والإقتداء.[1]

القول الثاني: أن الإشارة تعود إلى القرآن، على نحو ما في قوله تعالى: (ڪ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ) (الزخرف:٤٤).

قال ابن جرير: وقوله (ڑ ک ک گ) يقول تعالى ذكره: هذا القرآن الذي أنزلناه إليك يا محمد، ذكر لك ولقومك، ذكرناك وإياهم به. ثم روى عن السديّ أنه قال: القرآن.[2]

وقال البغوي: (ڑ ک ک گ) أي: هذا الذي يتلى عليكم ذكر، أي: شرف، وذكر جميل تُذْكرون به.[3] وكذا قال الزمخشري[4] وابن عطية[5] وابن كثير[6]

قال ابن عاشور: ومن هنا احتمل أن تكون الإِشارة بـ« هذا » إلى القرآن، أي القرآن ذِكر، فتكون الجملة استئنافاً ابتدائياً للتنويه بشأن القرآن، رَاجعاً إلى غَرض قوله تعالى: (ج چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ) (ص: ٢٩).[7]

الترجيح:

والراجح والعلم عند الله تعالى أن الضمير يصلح عوده على الأنبياء السابق ذكرهم، كما يصلح عوده على القرآن، لأن القاعدة تقول: إذا كان في الآية ضمير يحتمل عوده على أكثر من

---

(١) انظر: تفسير التحرير والتنوير (٢٣/ ٢٨١).

(٢) تفسير الطبري (٢٣/ ١٦٤).

(٣) تفسير البغوي (٤/ ٦٦).

(٤) الكشاف (٤/ ٩٨).

(٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٥٠٨).

(٦) تفسير ابن كثير (٤/ ٤٠).

(٧) تفسير التحرير والتنوير (٢٣/ ٢٨٥).

مذكور، وأمكن الحمل على الجميع، حمل عليها. غير أن القول الأول يدخل دخولاً أولياً، لموالاة الكلام.

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

الكلام على قوله تعالى: (ڈ ۀ ۀ ہ ہ ہ).

والآية فيها مسألة واحدة وهي: ما المراد بقوله: (ہ ہ) ؟.

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: «يعني أسنانهن سواء يقال فلان ترب فلان إذا كان مثله في السن. وقيل: إن أسنانهن وأسنان أزواجهن سواء».[1]

والمسألة فيها قولان:

القول الأول: أن المراد بذلك أسنان الحوريات، وأنها سواء.

فروى ابن جرير عن مجاهد في قوله: (ۀ ہ ہ ہ) قال: أمثال. وعن قتادة قال: سن واحدة. وعن السديّ قال: مستويات.[2]

وقال يحيى بن سلام: مستويات الأسنان بنات ثلاث وثلاثين.[3] وكذا قال البغوي.[4] والزمخشري[5] وابن عطية.[6]

قال الزجاج: والأتراب: اللواتي أسنانُهُنَّ واحدةٌ وهُنَّ في غاية الشباب والحُسْن.[7] وقال وقال مجاهد: أمثال وأشكال.[8]

وحكى هذا المعنى ابن كثير عن ابن عباس، ومجاهد وسعيد بن جبير ومحمد بن كعب والسّدّي.[9]

قال ابن عاشور: و (ہ ہ) جمع «تِرْب» بكسر التاء وسكون الراء، وهو اسم لمن كان عمره مساوياً عُمرَ من يُضاف إليه، تقول: هو تِرب فلان، وهي ترب فلانة، ولا تلحق لفظَ

---

(١) التسهيل في علوم التنزيل لابن جزي: ص(٦١٧).

(٢) تفسير الطبري (٢٣/ ٥٦).

(٣) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ١٠٠)، والسمعاني ((٤/ ٤٤٩).

(٤) تفسير البغوي (٤/ ٦٥).

(٥) الكشاف (٤/ ٩٨).

(٦) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٥٠٧).

(٧) زاد المسير (٧/ ١٤٥).

(٨) تفسير القرطبي (١٧/ ٢١١).

(٩) تفسير ابن كثير (٤/ ٤٢).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

ترب علامةُ تأنيث. والمراد: أنهن أتراب بعضُهن لبعض، وأنهن أتراب لأزواجهن لأن التحابَّ بين الأقران أمكن. والظاهر أن (۸ ۹) وصف قائم بجميع نساء الجنة من مخلوقاتِ الجنةِ، ومن النساء اللاتي كنّ أزواجاً في الدنيا لأصحاب الجنة.[1]

القول الثاني: يعني إن أسنان الحوريات وأسنان أزواجهن سواء.

قال الماوردي: أتراب أزواجهن بأن خلقهن على مقاديرهم.[2] وكذلك حكى السمعاني عن بعضهم.[3] وحكاه الزمخشري بصيغة التمريض.[4]

الترجيح:

والراجح والعلم عند الله تعالى هو القول الأول وهو ما رجحه ابن جزي عليه رحمة الله تعالى، وذلك لعدة أمور:

الأمر الأول: أن هذا القول هو المأثور عن أصحاب النبي ﷺ وجماهير السلف والمفسرين.

الأمر الثاني: أن القاعدة تقول: تحمل الآية على المعنى الذي استفاض فيه النقل عن أهل العلم وإن كان غيره محتملاً.

الأمر الثالث: أن هذا هو الذي تعضده دلالة السياق، فسياق الآيات في وصف الحوريات، فكان من المناسب أن يكون الكلام عوده موحداً.

وأما القول الثاني فدخوله في الآية محتمل، لكن الأول هو المقدم.

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

(١) تفسير التحرير والتنوير (٢٣/ ٢٨٣).

(٢) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ١٠٠).

(٣) السمعاني ((٤/ ٤٤٩).

(٤) الكشاف (٤/ ٩٨).

دكتوراه عبدالعلي المدني (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

الكلام على قوله تعالى: (ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ).

والآية فيها مسألة واحدة وهي: ما المراد بقوله: (ﰁ ﰂ).

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: «والغساق قرئ بتخفيف السين وتشديدها وهو: صديد أهل النار. وقيل: ما يسيل من عيونهم. وقيل: هو عذاب لا يعلمه إلا الله».[1]

والمسألة فيها ثلاثة أقوال:

القول الأول: أن الغساق هو: صديد أهل النار. وهذا القول مروي عن ابن عباس، وعبدالله بن عمرو، وقتادة، وابن زيد، وعطيّة، وإبراهيم.

وقال ابن جرير: هو صفة من قولهم: غَسَقَ يَغْسِقُ غُسُوقاً: إذا سال، وقالوا: إنما معناه: أنهم يُسْقَون الحميم، وما يسيل من صديدهم. هو ما يسيل من جلودهم من الصديد والدم.

ثم روى عن قتادة قال: كنا نحدث أن الغسَّاق: ما يَسِيل من بين جلده ولحمه.

وعن إبراهيم قال: الغسَّاق ما يسيل من سُرْمهم[2] وما يسقط من جلودهم.

وقال ابن زيد: ﴿ الغساق ﴾: الصديد الذي يجمع من جلودهم مما تصهرهم النار في حياض يجتمع فيها فيسقونه.

وعن عبدالله بن عمرو قال: هو القَيْح الغليظ، لو أن قطرة منه تُهَرَاق في المغرب لأنتنت أهل المشرق، ولو تُهَرَاق في المشرق لأنتنت أهل المغرب.

وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: هو ما يسيل من صديدهم،لأن ذلك هو الأغلب من معنى الغُسُوق، وإن كان للآخر وجه صحيح.[3]

وروى البغوي عن قتادة قال: هو ما يغسق أي: ما يسيل من القيح والصديد من جلود أهل النار، ولحومهم، وفروج الزناة، من قوله: غسقت عينه إذا انصبت، والغسقان الانصباب.[4]

---

(١) التسهيل في علوم التنزيل لابن جزي: ص(٦١٨).

(٢) السُرْمُ: الدُبرُ. انظر: لسان العرب - (١٢/ ٢٨٦).

(٣) تفسير الطبري (٢٣/ ١٧٥).

(٤) تفسير البغوي (٤/ ٦٧).

دكتوراه عبدالعلي المدني (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

وقال محمد بن كعب: هو عصارة أهل النار.[1]

وممن ذكر نحو ذلك من المفسرين: الماوردي[2] والسمعاني[3] وابن عطية[4] وابن الجوزي[5] وابن عاشور.[6]

القول الثاني: أن الغساق هو: هو ما يسيل من عيون أهل النار.

فروى ابن جرير عن السديّ قال: الغساق: الذي يسيل من أعينهم من دموعهم، يُسْقونه مع الحميم.[7] وكذا نقل الماوردي عن قتادة.[8]

وممن حكى نحو ذلك من المفسرين: السمعاني[9] والزمخشري[10] وابن عطية[11] والقرطبي.[12] وابن الجوزي وحكى عن أبي عبيدة قال: الغَسّاق: ما سال، يقال: غَسَقَت العين والجرح.[13]

القول الثالث: أن الغساق هو: عذاب لا يعلمه إلا الله.

ونقل الزمخشري عن الحسن ﷺ قال: الغساق: عذاب لا يعلمه إلا الله تعالى إن الناس أخفوا لله طاعةً فأخفى لهم ثواباً في قوله: (ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ٹ ٹ) (السجدة:١٧)، وأخفوا معصيةً فأخفى لهم عقوبة.[14]

---

(١) تفسير القرطبي (١٥/ ٢٢٢).

(٢) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ١٠٠).

(٣) السمعاني ((٤/ ٤٥٠).

(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٥١٠).

(٥) زاد المسير (٧/ ١٤٩).

(٦) تفسير التحرير والتنوير (٢٣/ ٢٨٤).

(٧) تفسير الطبري (٢٣/ ١٧٥).

(٨) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ١٠٠).

(٩) السمعاني ((٤/ ٤٥٠).

(١٠) الكشاف (٤/ ٩٨).

(١١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٥١٠).

(١٢) تفسير القرطبي (١٥/ ٢٢٢).

(١٣) زاد المسير (٧/ ١٤٩).

(١٤) الكشاف (٤/ ٩٨).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

الترجيح:

والراجح والعلم عند الله تعالى هو القول بالعموم، فكل هذه الأقوال صحيح وتحتمله الآية، لأن الغُسُوق في اللغة ما يسيل من الجروح والقروح.[1] وهم في النار تسيل منهم هذه العصارة والعياذ بالله تعالى من جلودهم وفروجهم وأعينهم، وهذا هو الذي تعضده قواعد التفسير كما تقدم قريباً. وأما ما روي عن الحسن فهو موافق لسنة الله تبارك وتعالى، فإن الجزاء من جنس العمل. وعلى كل حال فإن عذاب الآخرة لا يعلم كنهه إلا الله.

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

(١) لسان العرب - (١٠/ ٢٨٨).

الكلام على قوله تعالى: (□ □ □ □□ □ □ □□ □ □ □ □ □ □).

والآية فيها مسألة واحدة وهي: من القائل في قوله تعالى: (□ □ □ □□)؟.

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: «الفوج: جماعة من الناس. والمقتحم: الداخل في زحام وشدة. وهذا من كلام خزنة النار، خاطبوا به رؤساء الكفار الذين دخلوا النار أولاً، ثم دخل بعدهم أتباعهم، وهو الفوج المشار إليه. وقيل: هو كلام أهل النار بعضهم لبعض. والأول أظهر».[1]

والمسألة فيها قولان:

القول الأول: أن هذا من كلام خزنة النار يخاطِبون به رؤساء الكفار الذين دخلوا النار أولاً، ثم دخل بعدَهم أتباعُهم.

فروى البغوي عن ابن عباس قال: (□ □) هو أن القادة إذا دخلوا النار ثم دخل بعدهم الأتباع قالت الخزنة للقادة: (□ □) يعني: الأتباع. (□ □): جماعة. مقتحم معكم النار، أي: داخلوها كما أنتم دخلتموها.[2]

وقال الماوردي: الملائكة قالوا لبني إبليس لما تقدموا في النار هذا فوج مقتحم معكم إشارة لبني آدم حين دخلوها.[3] وكذا قال الزمخشري[4] وابن الجوزي[5] والقرطبي[6] ورجحه ابن عطية وحكاه عن الثعلبي وغيره.[7]

القول الثاني: أن هذا من كلام أهل النار بعضهم لبعض.

---

(١) التسهيل في علوم التنزيل لابن جزي: ص(٦١٨).

(٢) تفسير البغوي (٤/ ٦٥).

(٣) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ١٠٣).

(٤) الكشاف (٤/ ١٠٢).

(٥) زاد المسير (٧/ ١٥١).

(٦) تفسير القرطبي (١٥/ ٢٢٣).

(٧) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٥١٠).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

وهو قول ابن جرير، قال: هذا خبر من الله عن قيلِ الطاغين الذين كانوا قد دخلوا النار قبل هذا الفوج المقتحِم للفوج المقتَحم فيها عليهم. ثم روى عن قتادة في قوله: (□ □ □ □□ □) في النار قال: هؤلاء التُّبَّاع يقولون للرؤوس.[1]

وكذا قال الزمخشري وجعله من قبيل قوله تعالى: (ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ) (الأعراف: ٣٨).[2] وقال بنحوه ابن عطية.[3]

وقال ابن كثير: هذا إخبار عن قيل أهل النار بعضهم لبعض كما قال تعالى: (ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ) (الأعراف: ٣٨) يعني بدل السلام يتلاعنون ويتكاذبون ويكفر بعضهم ببعض، فتقول الطائفة التي تدخل قبل الأخرى إذا أقبلت التي بعدها مع الخزنة من الزبانية: (□ □ □ □) أي: داخل معكم (□ □ □□ □ □ □ □) لأنهم من أهل جهنم.[4]

قال ابن عاشور: ابتداء كلام حكي به تخاصم المشركين في النار فيما بينهم إذا دخلوها كما دل عليه قوله تعالى في آخره: (ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ) (ص:٦٤) وبه فسر قتادة، وابن زيد، وجريانه بينهم ليزدادوا مقتاً بأن يضاف إلى عذابهم الجسماني عذاب أنفسهم برجوع بعضهم على بعض بالتنديم وسوء المعاملة.

وأسلوب الكلام يقتضي متكلماً صادراً منه، وأسلوبُ المقاولة يقتضي أن المتكلِّم به هم الطاغون الذين لهم شر المآب، لأنهم أساس هذه القضية. فالتقدير: يقولون، أي الطاغون بعضهم لبعض: هذا فوج مقتحم معكم، أي: يقولون مشيرين إلى فوج من أهل النار أُقحم فيهم لَيسوا من أكفائهم، ولا من طبقتهم وهم فوج الأتباع من المشركين الذين اتبعوا الطاغين في الحياة الدنيا، وذلك ما دل عليه قوله: (□ □ □□ □) (ص:٦٠) أي أنتم سبب إحضار هذا العذاب لنا. وهو الموافق لمعنى نظائره في القرآن كقوله تعالى: (ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ) إلى قوله: (ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ) في سورة الأعراف (آية:٣٩) وقوله: (ﮞ

---

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ١٧٥).

(٢) الكشاف (٤/ ١٠٢).

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٥١٠).

(٤) تفسير ابن كثير (٤/ ٤٣).

دكتوراه عبدالعلي المسدي (كامل الرسالة :: مع الفهارس) ٥

ٹ ٹ ٹ ٹ ۀ ہ ہ) في سورة البقرة (آية:١٦٦)، وقوله: (ٻ ٻ ٻ ٹ ٹ ٹ) الآيات من سورة الصافات (آية:٢٧). وأوضحُ من ذلك كله قوله تعالى في آخر هذه الآية (ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ) (ص: ٦٤). فجملة القول المحذوف في موضع الحال من الطّاغين.[1]

الترجيح:

والراجح والعلم عند الله تعالى هو القول الثاني وأن هذا من كلام أهل النار بعضهم لبعض، وذلك لعدة أمور:

الأمر الأول: أن هذا هو الذي دلت عليه نظائر هذه الآية في كتاب الله تعالى كما ذكر الزمخشري وابن كثير وابن عاشور في مثل قوله تعالى: (□ □ □□ □) وقوله تعالى: (ٹ ٹ ٹ ٹٹ چ) وقوله تعالى: (ں ڻ ڻ ڻ ۀ ہ ہ) وقوله تعالى: (ٻ ٻ ٻ ٹ ٹ ٹ) وقوله تعالى: (ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ). والقرآن يفسر بعضه بعضاً.

الأمر الثاني: أن هذا القول ترجيح المحققين من المفسرين كابن جرير وابن كثير، وهو الذي يدل عليه السياق في هذه الآيات؛ ومن أبين ما يدل عليه ما جاء بعده في قوله تعالى: (□ ى ى ي ي □□ □ □ □□ □ □ □) فهذا الجواب من أهل النار على رؤسائهم الذين تسببوا في دخولهم النار.

الأمر الثالث: أن الآية محتملة للقول الأول غير أن المقدم هو القول الثاني، وذلك لما ذكرنا.

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

(١) تفسير التحرير والتنوير (٢٣/ ٢٨٨).

الكلام على قوله تعالى: (ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ).

والآية فيها مسألة واحدة وهي: من القائل هنا ومن المقصود بالرجال ؟.

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: «الضمير في (ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

وروى السمعاني عن ابن عباس قال: يقول أبو جهل وذووه حين يدخلون النار: أين بلال ؟ أين عمار ؟ أين خباب ؟ وفلان ؟ وفلان ؟.[1]

وعند القرطبي: قال ابن عباس: يريدون أصحاب محمد ﷺ، يقول أبو جهل: أين بلال؟ أين صهيب؟ أين عمار؟ أولئك في الفردوس واعجباً لأبي جهل مسكين، أسلم ابنه عكرمة، وابنته جويرية، وأسلمت أمه، وأسلم أخوه، وكفر هو!.[2]

وممن ذكر نحو ذلك من المفسرين: الماوردي[3] والبغوي[4] وابن عطية[5] وابن الجوزي[6] وابن كثير.[7]

الترجيح:

والراجح والعلم عند الله تعالى: أن هذه الآية في جميع الكفار الذين يدخلون النار، وأنهم يفتقدون الضعفاء من المؤمنين الذين كانوا يسخرون منهم في الدنيا، غير أن هؤلاء الكفار من صناديد قريش يدخلون في الآية دخولاً أولياً. ولذا قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى: وهذا مثل ضُرِب، وإلا فكل الكفار هذا حالهم: يعتقدون أن المؤمنين يدخلون النار، فلما دخل الكفار النار افتقدوهم فلم يجدوهم، فقالوا: (ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ) أي: في الدنيا. (ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ) يُسَلُّون أنفسهم بالمحال، يقولون: أو لعلهم معنا في جهنم ولكن لم يقع بصرنا عليهم. فعند ذلك يعرفون أنهم في الدرجات العاليات وهو قوله: (ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ

---

(١) السمعاني ((٤/ ٤٥١).

(٢) تفسير القرطبي (١٥/ ٢٢٤) والبيت لعلي بن الجهم . وقيل للبحتري، انظر : يتيمة الدهر (١/ ٢١).

(٣) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ١٠٦).

(٤) تفسير البغوي (٤/ ٦٨).

(٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٥١٠).

(٦) زاد المسير (٧/ ١٤٩).

(٧) تفسير ابن كثير (٤/ ٣٥).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

الكلام على قوله تعالى: (ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ).

والآية فيها مسألة واحدة وهي: ما المراد بقوله: (ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ).

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: « النبأ: الخبر. ويعني به ما تضمنته الشريعة من التوحيد والرسالة والدار الآخرة. وقيل: هو القرآن. وقيل: هو يوم القيامة. والأول أعم وأرجح».[1]

والمسألة فيها ثلاثة أقوال:

القول الأول: أن المراد بالنبأ: ما تضمنته الشريعة من التوحيد والرسالة والدار الآخرة.

قال الزمخشري: (ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ) أي: هذا الذي أنبأتكم به من كوني رسولاً منذراً وأن الله واحدٌ لا شريك له: نبأ عظيم لا يعرض عن مثله إلاّ غافل شديد الغفلة.[2]

قال ابن عطية: الإشارة بقوله تعالى: (ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ) إلى التوحيد والمعاد، فهي إلى القرآن وجميع ما تضمن، وعظمه أن التصديق به نجاة، والتكذيب به هلكة.[3]

وقال القرطبي: أي: وقل لهم يا محمد (ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ) أي: ما أنذركم به من الحساب والثواب والعقاب، خبرٌ عظيم القدر، فلا ينبغي أن يُسْتخف به. قال معناه قتادة. نظيره قوله تعالى: (ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ) (النبأ:١-٢).[4]

القول الثاني: أن المراد بالنبأ: القرآن.

وهذا القول مروي عن ابن عباس، ومجاهد، والسدي، والضحاك، وقتادة، وشريح القاضي. وحكاه ابن الجوزي عن الجمهور. فروى ابن جرير عن مجاهد في قوله: (ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ) قال: القرآن. وكذا قال السديّ. وعن شريح أن رجلا قال له: أتقضي عليّ بالنبأ ؟ قال: فقال له شريح: أو ليس القرآن نبأ ؟ قال: وتلا هذه الآية: (ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ) قال: وقضَى عليه.[5]

---

(١) التسهيل في علوم التنزيل لابن جزي: ص(٦١٩).

(٢) الكشاف (٤/ ٩٨).

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٥٠٧).

(٤) تفسير القرطبي (١٥/ ٢٢٦).

(٥) تفسير الطبري (٢٣/ ١٧٤).

وممن ذكر نحو هذا من المفسرين: الماوردي[1] والسمعاني[2] وابن كثير[3] وابن عطية[4] والبغوي[5] وابن الجوزي[6] والقرطبي.[7]

القول الثالث: أن المراد بالنبأ: يوم القيامة.

وممن ذكر هذا القول من المفسرين: الماوردي[8] والسمعاني[9] والبغوي[10] وابن عاشور[11] عاشور[11] ونقله ابن الجوزي عن قتادة.[12]

الترجيح:

والراجح والعلم عند الله تعالى أن النبأ يحتمل هذه الأقوال الثلاثة كلها، ولكن القرآن في هذا الموضع يدخل دخولاً أولياً، وذلك لكثرة القائلين به من السلف وأئمة التفسير وجلالتهم. ولأن القرآن متضمن للشريعة وخبر يوم القيامة، فهو أجمع الأقوال لما ذكر من معاني.

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

(١) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ١٠٩).

(٢) السمعاني ((٤/ ٤٥٢).

(٣) تفسير ابن كثير (٤/ ٣٨).

(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٥٠٧).

(٥) تفسير البغوي (٤/ ٤٣٦).

(٦) زاد المسير (٧/ ١٥٤).

(٧) تفسير القرطبي (١٥/ ٢٢٦).

(٨) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ١٠٩).

(٩) السمعاني ((٤/ ٤٥٢).

(١٠) تفسير البغوي (٤/ ٤٣٦).

(١١) تفسير التحرير والتنوير (٣٠/ ٨).

(١٢) زاد المسير (٧/ ١٥٤).

الكلام على قوله تعالى: (ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک).

والآية فيها مسألة واحدة وهي: ما المراد بالاختصام في قوله: (ک ک) وإلى أين يعود الضمير ؟.

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: «والضمير في (ک ک) للملأ الأعلى، واختصامهم هو في قصة آدم، حين قال لهم: (ٻ ٻ پ پ پ ڀ ڀ ڀ) حسبما تضمنته قصته في مواضع من القرآن. وفي الحديث: (**أن رسول الله ﷺ رأى ربه فقال: يا محمد. فيم يختصم الملأ الأعلى؟. فقال: لا أدري. قال: في الكفارات، وهي: إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا إلى المساجد...**) الحديث بطوله. وقيل: الضمير في « يختصمون » للكفار، أي: يختصمون في الملأ الأعلى، فيقول بعضهم: هم بنات الله. ويقول آخرون: هم آلهة تعبد. وهذا بعيد ».[1]

والمسألة فيها قولان:

القول الأول: أن المختصمين هم الملائكة. واختلف القائلون به في موضوع الاختصام إلى فريقين.

الفريق الأول: قالوا أن موضوع الاختصام هو: في قصة آدم حين قال لهم الله: (ٻ ٻ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ).

فروى ابن جرير عن ابن عباس في قوله تعالى : (ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک) قال: الملأ الأعلى: الملائكة حين شوورا في خلق آدم، فاختصموا فيه، وقالوا: لا تجعل في الأرض خليفة. وعن السديّ، وقتادة مثل ذلك.[2]

قال ابن عطية: ويدل على ذلك ما يأتي من الآيات، فقول الملائكة: (ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ) (البقرة:٣٠) هو الاختصام.[3]

---

(١) التسهيل في علوم التنزيل لابن جزي: ص(٦١٩).

(٢) تفسير الطبري (٢٣/ ١٨٣)، وتفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٤٧).

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٥٠٧).

دكتوراه عبدالعلي الحمدي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

وقال ابن الجوزي بعد ذكره قول ابن عباس: وهذه الخصومة منهم إنما كانت مُناظَرةً بينهم. وفي مُناظَرتهم قولان: أحدهما: أنه قولهم: (ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ) (البقرة:٣٠)، قاله ابن عباس، ومقاتل.[١]

وقال ابن كثير بعد أن ساق حديث اختصام الملأ الأعلى: وليس هذا الاختصام هو الاختصام المذكور في القرآن فإن هذا قد فُسِّر، وأما الاختصام الذي في القرآن فقد فسر بعد هذا وهو قوله تعالى: (ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ)... (□ □ □ □ □ □ □)[ص].[٢]

وممن ذكر نحو ذلك من المفسرين: الماوردي[٣] والسمعاني[٤] والبغوي[٥] والقرطبي[٦] وابن عاشور.[٧]

قال الشوكاني: والخصومة الكائنة بينهم هى فى أمر آدم كما يفيده ما سيأتى قريبا وجملة: (ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ) معترضة بين اختصامهم المجمل، وبين تفصيله بقوله: (ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ).[٨]

وقال الفريق الثاني: أن موضوع الاختصام هو في الكفارات على ما ورد في الحديث.

وأصل هذا القول حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : احتبس عنا النبي ﷺ ذات غداة حتى كدنا نتراءى عين الشمس، ثم خرج سريعاً، وثُوِّب للصلاة، وصلى ركعتين تجوز فيهما، ثم قال: (**هل تدرون بما احتبست عنكم**).؟ " فقلنا: لا. فقال: (**إني قمت من الليل وتطهرت وصليت ما شاء الله، ثم نعست واستثقلت، فإذا ربي في أحسن صورة. فقال: يا**

---

(١) زاد المسير (٧/ ١٥٤).

(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ٣٦).

(٣) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ١١٠).

(٤) السمعاني ((٤/ ٤٥٢).

(٥) تفسير البغوي (٤/ ٦٧).

(٦) القرطبي (١٥/ ٢٢٦).

(٧) تفسير التحرير والتنوير (٢٣/ ٢٩٦).

(٨) فتح القدير (٤/ ٤٤٣).

محمد، قلت: لبيك. فقال: أتدري فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ فقلت: لا فوضع كفه بين كتفي حتى وجدت برد أنامله في ثندوتي؛ فتجلى لي كل شيء، وعرفته. ثم قال لي: يا محمد، أتدري فيم يختصم الملأ الأعلى ؟. فقلت: نعم في الكفارات، قال: ما هن ؟. قلت: في مشي الأقدام إلى الجماعات، وإسباغ الوضوء على المكروهات، والجلوس في المساجد بعد الصلاة. قال: وفيم أيضاً ؟. قلت: في إطعام الطعام، ولين الكلام، والصلاة بالليل والناس نيام. فقال لي: سل يا محمد. فقلت: أسألك فعل الخيرات، وترك المنكرات، وحب المساكين، وأن تغفر لي وترحمني، وأسألك حبك، وحب من يحبك، وحب عمل يقربني إلى حبك. ثم قال النبي ﷺ: إنهن حق فادرسوهن وتعلموهن).[1]

قال ابن عطية : قالت فرقة: بل اختصامهم في الكفارات وغفر الذنوب ونحوه، فإن العبد إذا فعل حسنة اختلف الملائكة في قدر ثوابه في ذلك، حتى يقضي الله بما شاء، وورد في هذا حديث فسره ابن فورك، لأنه يتضمن أن النبي ﷺ قال له ربه عز وجل في نومه: فيم يختصمون؟ فقلت لا أدري، فقال في الكفارات... الحديث بطوله.[2]

وهذا هو ترجيح السمعاني.[3] وممن ذكر هذا الحديث على أنه قول في تفسير الآية من المفسرين: الماوردي[4] والقرطبي.[5]

القول الثاني: أن الضمير في قوله: (ک ک) للكفار. وأن اختصامهم في الملأ الأعلى هل هم بنات الله، أم آلهة تعبد.

قال السمعاني: وفي الآية قول آخر: أن الملأ الأعلى هم أشراف قريش واختصامهم

---

(١) الحديث : صحيح . أخرجه الدارمي: (٢/ ١٢٦)، والبغوي في شرح السنة: (٤/ ٣٥ و٣٧)، والترمذي في سننه : (٩/ ١٠٦) والهيثمي في مجمع الزوائد: (١/ ٢٣٨) وانظر اختيار الأولى في حديث اختصام الملأ الأعلى ص(٥-٧) والإمام أحمد في مسنده : (١/ ٣٦٨) وهو في جامع الأحاديث القدسية : (١ / ١٥٨) وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب : (١ / ٩٧) وصحيح مختصر العلو : (١١٩ / ٨٠).

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٥٠٧).

(٣) تفسير السمعاني (٤/ ٤٥٢).

(٤) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ١١٠).

(٥) تفسير القرطبي (١٥/ ٢٢٦).

دكتوراه عبدالعلي الحمدي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

أن بعضهم قالوا: الملائكة بنات الله، وبعضهم قالوا غير ذلك، فهو اختصامهم، والأصح هو القول الأول.[1] وذكر هذا القول ابن عطية وضعفه[2] وحكاه القرطبي بصيغة التمريض.[3]

الترجيح:

والراجح والعلم عند الله تعالى هو القول الأول وأن الضمير في الآية يعود على الملائكة، وأن المراد بالملأ الأعلى هم الملائكة، وأما اختصامهم فقد بينته الآيات التي تليها وأنه في آدم عليه السلام. وإنما ترجح هذا القول لعدة أمور:

الأمر الأول: أن هذا هو الذي يدل عليه سياق الآيات كما بينه ابن جرير وابن عطية والحافظ ابن كثير وغيرهم من المفسرين.

الأمر الثاني: أن هذا هو قول جمهور السلف والمفسرين كما تبين.

الأمر الثالث: أن الذين ذكروا عود الضمير على أشراف قريش وهو القول الثاني نصوا على تضعيفه.

الأمر الرابع: زعم ابن العربي أن سبب نزول الآية: أن قريشاً سألوا النبي ﷺ عن اختصام الملأ الأعلى. وهذا يحتاج إلى دليل؛ لأن سبب النزول موقوف على النقل والسماع. وأما ذكر المفسرين لحديث اختصام الملأ الأعلى في هذا الموطن، فهو إشارة منهم إلى ما ورد في بعض ما يختصم فيه الملأ الأعلى، وهو في أغلب ظني أنهم يريدون به تعضيد قولهم بأن الضمير في الآية يعود على الملائكة، لا أن الحديث تفسير للآية.

ومما يؤيد هذا أن أكثر المفسرين يذكرون تفسير الآية ثم يسوقون الحديث، بطريقة لا تشعر بأن الحديث قولٌ في الآية.

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

(١) تفسير السمعاني (٤/ ٤٥٣).

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٥٠٧).

(٣) تفسير القرطبي (١٥/ ٢٢٦).

الكلام على قوله تعالى: (ٱ ٱ ٱ

لورودهما في القرآن، مع جزمهم بتنزيه الله عن مشابهة المخلوقات، وعن الجسمية، وقصدهم الحذر من تحكيم الآراء في صفات الله، أو أن تحمل العقول القاصرة صفاتِ الله على ما تعارفته.[1]

وهذا القول من الأقوال الباطلة، المخالفة لمذهب أهل السنة والجماعة، وهو في ظاهره يوميء بالوسطية فهو ليس من المثبتة ولا من النفاة، وأصحاب هذا المذهب يقولون: أمروها كما جاءت – على طريقة المفوضة والواقفة – وأما أهل السنة وأصحاب الحديث فإنهم يثبتون صفات الله كما أثبتها لنفسه وأثبتها له نبيه ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تكييف ولا تمثيل. قال ابن أبي العز:

وأما أهل التجهيل والتضليل، الذين حقيقة قولهم: إن الأنبياء وأتباع الأنبياء جاهلون ضالون، لا يعرفون ما أراد الله بما وصف به نفسه من الآيات وأقوال الأنبياء ! ويقولون: يجوز أن يكون للنص تأويل لا يعلمه إلا الله، لا يعلمه جبرائيل ولا محمد ولا غيره من الأنبياء، فضلا عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وأن محمدا ﷺ كان يقرأ: (ڈ ژ ژ ڑ ڑ).[طه] (ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ).[ص] وهو لا يعرف معاني هذه الآيات! بل معناها الذي دلت عليه لا يعرفه إلا الله تعالى!! ويظنون أن هذه طريقة السلف !!.

ثم منهم من يقول: إن المراد بها خلاف مدلولها الظاهر المفهوم، ولا يعرفه أحد، كما لا يُعلم وقت الساعة ! ومنهم من يقول: بل تُجرى على ظاهرها وتُحمل على ظاهرها !! ومع هذا، فلا يعلم تأويلها إلا الله، فيتناقضون حيث أثبتوا لها تأويلاً يخالف ظاهرها، وقالوا مع هذا: إنها تحمل على ظاهرها !! وهؤلاء يشتركون في القول بأن الرسول لم يبين المراد بالنصوص التي يجعلونها مشكلة أو متشابهة، ولهذا يجعل كل فريق المشكل من نصوصه غير ما يجعله الفريق الآخر مشكلاً.

ثم منهم من يقول: لم يعلم معانيها أيضا ! ومنهم من يقول: علمها ولم يبينها، بل أحال في بيانها على الأدلة العقلية، وعلى من يجتهد في العلم بتأويل تلك النصوص !! فهم مشتركون

---

(١) تفسير التحرير والتنوير (٢٣/ ٣٠٣).

في أن الرسول لم يأت بها على ما يوافق معقولنا، وأن الأنبياء وأتباعهم لا يعرفون العقليات !! ولا يفهمون السمعيات !! وكل ذلك ضلال وتضليل عن سواء السبيل.

نسأل الله السلامة والعافية من هذه الأقوال الواهية، المفضية بقائلها إلى الهاوية.[1]

القول الثاني: أن معنى (ۇ ې ې) : هو عبارة عن القدرة.

قال الماوردي : بقدرتي، ومنه قول الشاعر:

تحملت من عفراء ما ليس لي به ولا للجبال الراسيات يدان[2]

وقال ابن عطية: وهذه كلها عبارة عن القدرة والقوة، وعبر عن هذا المعنى بذكر اليد تقريباً على السامعين، إذا المعتاد عند البشر أن القوه والبطش والاقتدار إنما هو باليد، وقد كانت جهالة العرب بالله تعالى، تقتضي أن تنكر نفوسها أن يكون خلق بغير مماسة، ونحو هذا من المعاني المعقولة.[3]

قال ابن عاشور: (ۇ ۇ ې ې) أي: خلقته بقدرتي، أي خلقاً خاصّاً دفعة ومباشرة لأمر التكوين، فكان تعلق هذا التكوين تعلقاً أقربَ من تعلقه بإيجاد الموجودات المرتَّبة لها أسباب تباشرها، من حمل وولادة كما هو المعروف في تخلق الموجودات عن أصولها. ولا شكّ في أن خلق آدم فيه عناية زائدة وتشريف اتصال أقرب. فاليدان: تمثيل لتكوّن آدم من مُجرد أمر التكوين للطين بهيئة صنع الفخَّاري للإِناء من طين، إذ يسوّيه بيديه.[4]

وممن ذهب إلى هذا القول: الألوسي[5] وأبو حيان[6] والشوكاني.[7] وهذا القول باطل كالذي قبله، وهو مذهب أهل التأويل والتحريف كما سيأتي بيان ذلك في الترجيح.

---

(١) شرح الطحاوية في العقيدة السلفية (٣/ ٣١٣ - ٣١٥).

(٢) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ١١٠)، والبيت في ديوان عروة بن حزام (١/ ١١)، وانظر: الحماسة المغربية (١/ ٩٥).

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٥١٥).

(٤) تفسير التحرير والتنوير (٢٣/ ٣٠٣).

(٥) روح المعاني (٢٣/ ٢٣٢).

(٦) تفسير البحر المحيط (٧/ ٣٨٨).

(٧) فتح القدير (٤/ ٤٤٥).

القول الثالث: ما حكاه ابن جزي عن القاضي أبي بكر بن الطيب الباقلاني من أن اليد والعين والوجه صفاتُ ذاتٍ زائدةٍ على الصفات المتقررة كالقدرة والعلم وغير ذلك من صفاته تعالى.

قال ابن عطية: ذهب القاضي ابن الطيب إلى أن اليد والعين والوجه صفات ذات زائدة على القدرة والعلم غير ذلك من متقرر صفاته تعالى، وذلك قول مرغوب عنه ويسميها الصفات الخبرية.(١) وكذا قال أبو حيان في البحر المحيط.(٢)

والصفات المتقررة عند الأشاعرة هي السبع الصفات المجموعة في قول الناظم:

حيٌّ عليمٌ قديرٌ والكلام له إرادةٌ وكذاك السمع والبصر.

وهذا الذي ذكره الباقلاني رحمه الله تعالى يوافق فيه أهل السنة والجماعة في إثبات صفة اليدين لله عز وجل، وهو أمرٌ مستفيضٌ عنه رحمه الله تعالى، وقد نقل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى عنه نقولاتٍ كثيرة يقرر فيها مذهب أهل السنة والجماعة، استدل بها شيخ الإسلام على بعض المتكلمين في بعض أجوبته. فنقل شيخ الإسلام عنه أنه قال في كتاب الإبانة: صفات ذاته التي لم يزل ولا يزال موصوفاً بها هي: الحياة، والعلم، والقدرة، والسمع، والبصر، والكلام، والإرادة، والبقاء، والوجه، والعينان، واليدان، والغضب، والرضا.(٣)

وأما قول ابن عطية: فهذا قولٌ مرغوبٌ عنه. فإنه عدولٌ إلى التأويل والتحريف كما في القول الثاني، وهو مذهب الأشاعرة.

القول الرابع: أن معنى (ﯨ ﯩ ﯪ) أي: خلقت بغير واسطة. وهو قول الزمخشري.(٤) وقال الألوسي: (ﯩ ﯪ) وهذا عند بعض أهل التأويل من الخلف تمثيل لكونه عليه السلام معتنىً بخلقه فإن من شأن المعتنى به أن يعمل باليدين، ومن آثار ذلك خلقه من غير توسط أب وأم وكونه جسماً صغيراً انطوى فيه العالم الأكبر وكونه أهلاً لأن

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٥١٥).

(٢) تفسير البحر المحيط (٧/ ٣٨٨).

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية (١ / ٤٣٠).

(٤) الكشاف (٤/ ١٠٤).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة :: مع الفهارس) ٥

يفاض عليه ما لا يفاض على غيره، إلى غير ذلك من مزايا الآدمية.[1]

قال الشوكاني: أي ما صرفك، وصدّك عن السجود لما توليت خلقه من غير واسطة؟ وأضاف خلقه إلى نفسه تكريماً له، وتشريفاً، مع أنه سبحانه خالق كل شيء كما أضاف إلى نفسه الروح، والبيت، والناقة، والمساجد.[2]

وهذا القول هو الآخر عدول عن الطريق الحق إلى التأويل، وتحريفٌ للفظ إلى غير معناه، وجنوحٌ عن الحقيقة وهي إثبات اليدين لله عز وجل وأنه خلق آدم بيديه، هروباً من التشبيه، فهم لما قام التشبيه في أذهانهم هربوا منه للتعطيل والتحريف والتأويل.

وأما طريقة أهل السنة وأصحاب الحديث فهي طريقة القرآن يثبتون الصفة حقيقة وينفون المثلية كما قال الله تعالى: (ذ ث ثڈ ڈ ٹ ٹ ڤ) (الشورى:١١) وهم كما قال الإمام مالك: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة.[3]

الترجيح:

والراجح في مثل هذه المسائل أن الله تعالى وصف نفسه بصفات ووصفه بها النبي ﷺ، وأهل السنة والجماعة يثبتونها له كما أثبتها هو لنفسه وكما أثبتها له نبيه ﷺ من غير تكييف ولا تشبيه ولا تمثيل ولا تحريف ولا تعطيل كما قال الله تعالى: (ذ ث ثڈ ڈ ٹ ٹ ڤ).

قال في الطحاوية: وأما لفظ الأركان والأعضاء والأدوات، فيستدل بها النفاة على نفي بعض الصفات الثابتة بالأدلة القطعية، كاليد والوجه. قال أبو حنيفة رضي الله عنه في «الفقه الأكبر»: له يد ووجه ونفس، كما ذكر تعالى في القرآن من ذكر اليد والوجه والنفس، فهو له صفة بلا كيف، ولا يقال: إن يده قدرته ونعمته، لأن فيه إبطال الصفة، انتهى.

---

(١) روح المعاني (٢٣/ ٢٣٢).

(٢) فتح القدير (٤/ ٤٤٥).

(٣) انظر مقوله الإمام مالك في الاقتصاد في الاعتقاد لأبي حامد الغزالي (١/ ١٦)، وقصيدة ابن الأشعث (١/ ٣٤)، وشرح الطحاوية (١/ ١٨٩).

وهذا الذي قاله الإمام ﷺ، ثابت بالأدلة القاطعة، قال تعالى: (ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ). (ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾ ﷿ ﹀ ﹁ ﹂ ﹃ ﹄ ﹅ ﹆ ﹇ ﹈ ﹉ ﹊ ﹋ ﹌ ﹍ ﹎ ﹏ ﹐ ﹑ ﹒ ﹓ ﹔ ﹕ ﹖ ﹗ ﹘ ﹙ ﹚ ﹛ ﹜ ﹝ ﹞ ﹟ ﹠ ﹡ ﹢ ﹣ ﹤ ﹥ ﹦ ﹧ ﹨ ﹩ ﹪ ﹫ ﹬ ﹭ ﹮ ﹯ ﹰ ﹱ ﹲ ﹳ ﹴ ﹵ ﹶ ﹷ ﹸ ﹹ ﹺ ﹻ ﹼ ﹽ ﹾ ﹿ ﺀ ﺁ ﺂ ﺃ ﺄ ﺅ ﺆ ﺇ ﺈ ﺉ ﺊ ﺋ ﺌ ﺍ ﺎ ﺏ ﺐ ﺑ ﺒ ﺓ ﺔ ﺕ ﺖ ﺗ ﺘ ﺙ ﺚ ﺛ ﺜ ﺝ ﺞ ﺟ ﺠ ﺡ ﺢ ﺣ ﺤ ﺥ ﺦ ﺧ ﺨ ﺩ ﺪ ﺫ ﺬ ﺭ ﺮ ﺯ ﺰ ﺱ ﺲ ﺳ ﺴ ﺵ ﺶ ﺷ ﺸ ﺹ ﺺ ﺻ ﺼ ﺽ ﺾ ﺿ ﻀ ﻁ ﻂ ﻃ ﻄ ﻅ ﻆ ﻇ ﻈ ﻉ ﻊ ﻋ ﻌ ﻍ ﻎ ﻏ ﻐ ﻑ ﻒ ﻓ ﻔ ﻕ ﻖ ﻗ ﻘ ﻙ ﻚ ﻛ ﻜ ﻝ ﻞ ﻟ ﻠ ﻡ ﻢ ﻣ ﻤ ﻥ ﻦ ﻧ ﻨ ﻩ ﻪ ﻫ ﻬ ﻭ ﻮ ﻯ ﻰ ﻱ ﻲ ﻳ ﻴ ﻵ ﻶ ﻷ ﻸ ﻹ ﻺ ﻻ ﻼ ﻽ ﻾).[الزمر]...ولا يصح تأويل من قال: إن المراد باليد القدرة، فإن قوله: (ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ) لا يصح أن يكون معناه: بقدرتي. مع تثنية اليد، ولو صح ذلك لقال إبليس: وأنا أيضاً خلقتني بقدرتك، فلا فضل له عليَّ بذلك. فإبليس -مع كفره - كان أعرف بربه من الجهمية. ولا دليل لهم في قوله تعالى: (ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾ ﷿ ﹀ ﹁ ﹂ ﹃ ﹄ ﹅ ﹆ ﹇ ﹈ ﹉ ﹊ ﹋ ﹌ ﹍ ﹎ ﹏ ﹐ ﹑ ﹒ ﹓ ﹔ ﹕ ﹖ ﹗ ﹘ ﹙ ﹚ ﹛ ﹜ ﹝ ﹞ ﹟ ﹠ ﹡ ﹢ ﹣ ﹤ ﹥ ﹦ ﹧ ﹨ ﹩ ﹪ ﹫ ﹬ ﹭ ﹮ ﹯ ﹰ ﹱ ﹲ ﹳ ﹴ ﹵ ﹶ ﹷ ﹸ ﹹ ﹺ ﹻ ﹼ ﹽ ﹾ ﹿ ﺀ ﺁ ﺂ ﺃ ﺄ ﺅ ﺆ ﺇ ﺈ ﺉ ﺊ ﺋ ﺌ ﺍ ﺎ ﺏ ﺐ ﺑ ﺒ ﺓ ﺔ ﺕ ﺖ ﺗ ﺘ ﺙ ﺚ ﺛ ﺜ ﺝ ﺞ ﺟ ﺠ ﺡ ﺢ ﺣ ﺤ ﺥ ﺦ ﺧ ﺨ ﺩ ﺪ ﺫ ﺬ ﺭ ﺮ ﺯ ﺰ ﺱ ﺲ ﺳ ﺴ ﺵ ﺶ ﺷ ﺸ ﺹ ﺺ ﺻ ﺼ ﺽ ﺾ ﺿ ﻀ ﻁ ﻂ ﻃ ﻄ ﻅ ﻆ ﻇ ﻈ ﻉ ﻊ ﻋ ﻌ ﻍ ﻎ ﻏ ﻐ ﻑ ﻒ ﻓ ﻔ ﻕ ﻖ ﻗ ﻘ ﻙ ﻚ ﻛ ﻜ ﻝ ﻞ ﻟ ﻠ ﻡ ﻢ ﻣ ﻤ ﻥ ﻦ ﻧ ﻨ ﻩ ﻪ ﻫ ﻬ ﻭ ﻮ ﻯ ﻰ ﻱ ﻲ ﻳ ﻴ ﻵ ﻶ ﻷ ﻸ ﻹ ﻺ ﻻ ﻼ ﻽ ﻾). صحيح مسلم - (١/ ٤١٩).

(٢) شرح الطحاوية في العقيدة السلفية (٢/ ٢٧).

وفي شرح العقيدة الواسطية: قَوْلُهُ: (﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾)، (﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾

مبسوطتان بالعطاء؛ ينفق كيف يشاء؛ كما جاء في الحديث: (**إن يمين الله ملأى سحاء الليل والنهار، لا تغيضها نفقة**).[1] ترى لو لم يكن لله يدان على الحقيقة؛ هل كان يحسن هذا التعبير ببسط اليدين ؟! ألا شاهت وجوه المتأولين !!. [2]

ومن هنا تعلم أن ما ذكره ابن جزي وكثير من المفسرين في آيات الصفات خلاف الصحيح، ومخالف لمذهب أهل الحق من أهل السنة والجماعة، وقد جمع محمد المغراوي في كتابه: المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات. كلام المفسرين في آيات الصفات وبين مواقفهم والحق في ذلك.

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه (٤/ ١٧٢٤)، ومسلم: (٢/ ٦٨٣ عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: قال الله عز وجل: (أنفق أنفق عليك وقال يد الله ملأى لا تغيضها نفقة سحاء الليل والنهار وقال أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماء والأرض فإنه لم يغض ما في يده وكان عرشه على الماء وبيده الميزان يخفض ويرفع).

(٢) شرح العقيدة الواسطية - (١/ ١٢٦).

ترجيحات واختيارات ابن جزي الكلبي في تفسيره

سورة الزمر

دكتوراه عبدالعلي المدني (كامل الرسالة :: مع الفهارس) ٥

الكلام على قوله تعالى: (ڈ ڈ ڈ ڈژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ ں ں ڻ ڻ ڈ ڈ ۀ ہ ہ ہ ہ).

والآية فيها مسألتان :

المسألة الأولى: معنى قوله تعالى: (ڈ ڈژ ہ).

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: «ومعنى (ڈژ ہ): الصافي من شوائب الشرك. وقال قتادة: (ڈ ڈژ ہ): شهادة أن لا إله إلا الله. وقال الحسن: هو الإسلام، وهذا أرجح لعمومه».[1]

والمسألة فيها ثلاثة أقوال:

القول الأول: أن الدين الخالص هو: الصافي من شوائب الشرك وما لا رياء فيه من الطاعات والذي لا يشوبه شئ مما يراد به غير وجه الله.

وممن ذكر هذا المعنى من المفسرين: ابن جرير[2] والماوردي[3] والسمعاني[4] والبغوي[5] والزمخشري[6] وابن الجوزي[7] والقرطبي[8] وابن عاشور[9] ورجحه الألوسي.[10]

القول الثاني: أن الدين الخالص هو: شهادة أن لا إله إلا الله. قال قتادة في قوله تعالى: (ڈ ڈ ڈ ڈژ ہ) قال: شهادة أن لا إله إلا الله.

---

(١) التسهيل في علوم التنزيل لابن جزي: ص(٦٢٠).
(٢) تفسير الطبري (٢٣/ ١٩١).
(٣) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ١١١).
(٤) السمعاني ((٤/ ٤٥٧).
(٥) تفسير البغوي (٤/ ٦٨).
(٦) الكشاف (٤/ ١٠٨).
(٧) زاد المسير (٧/ ١٦١).
(٨) تفسير القرطبي (١٥/ ٢٣٣).
(٩) تفسير التحرير والتنوير (٢٣/ ٣١٣).
(١٠) روح المعاني (٢٣/ ٢٣٥).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

وممن ذكر هذا القول من المفسرين وعزاه إلى قتادة: ابن جرير[1] والماوردي[2] والسمعاني[3] والبغوي[4] وابن عطية[5] وابن كثير.[6]

القول الثالث: أن الدين الخالص هو: الإسلام. وهو مروي عن الحسن كما عند الماوردي[7] والزمخشري.[8]

الترجيح:

أما القول الأول والثاني فالصحيح أنهما قول واحد فشهادة ألا إله إلا الله تقتضي عدم الشرك بالله تعالى الشرك الأكبر والأصغر، وهذا هو تحقيق التوحيد الكامل، ولا يكون إلا بتحقيق شروطها السبعة:[9] العلم واليقين والقبول والانقياد والصدق والإخلاص والمحبة، فمن حققها كاملة فقد حقق التوحيد الكامل الموجب لدخول الجنة من غير حساب ولا عذاب، كما في حديث السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة من غير حساب ولا عذاب،[10] على الصحيح من أقوال أهل العلم في تعليل دخولهم الجنة من غير حساب ولا عذاب.

ثم إن شروط قبول العمل: أن يكون العمل صحيحاً صواباً. وأن يكون خالصاً لله لا يراد به أحداً مع الله. فهذا هو العمل المقبول، والله سبحانه يقول: (**أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه**).[11] فكل عمل وقع فيه شيء من الشرك قليل أو كثير فهو مردود على صاحبه لا يقبله الله، فالله طيب ولا يقبل إلا طيباً.

---

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ١٩١).

(٢) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ١١١).

(٣) السمعاني ((٤/ ٤٥٧).

(٤) تفسير البغوي (٤/ ٦٨).

(٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٥١٨).

(٦) تفسير ابن كثير (٤/ ٤٥).

(٧) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ١١١).

(٨) الكشاف (٤/ ١٠٨).

(٩) انظر: معارج القبول للحكمي: (١/ ٢٧).

(١٠) أخرجه البخاري في صحيحه: (٥/ ٢٣٩٥)، ومسلم في صحيحه: (١/ ١٩٢).

(١١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: (٤/ ٢٢٨٧).

دكتوراه عبدالعلي العمدي (كامل الرسالة :: مع الفهارس) 5

إذا علم هذا فإن الدين الخالص هو العمل الخالص لله من كل شرك، وهو ما تضمنه معنى شهادة ألا إله إلا الله. وقد ذكر ابن منظور للدين معاني كثيرة كلها تدور حول معنى الذل والطاعة والقضاء والجزاء قال:

والدِّين: الطاعة. وقد دِنْته ودِنْتُ له أَطعته قال عمرو بن كلثوم:

وأَياماً لنا غُرّاً كِـــراماً عَصَيْنا المَلْكَ فيها أَن نَدِينَا[1]

والجمعُ الأَدْيانُ. يقال: دانَ بكذا ديانة و تَدَيَّنَ به فهو دَيِّنٌ و مُتَدَيِّنٌ.[2]

وأما القول الثالث وهو الذي رجحه ابن جزي من أن المراد بالدين الخالص هو الإسلام فهذا والله أعلم أخذه من قول الله تعالى: (ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ) [آل عمران] وهذا القول غير خارج عن المعنى المذكور آنفاً، لأن الإسلام هو الاستسلام لله والانقياد له بالطاعة والخلوص له من الشرك. ولذا قال الشنقيطي عليه رحمة الله تعالى بعد تقريره معنى الدين الخالص بأنه الصافي من الشرك: وقول من قال من العلماء: إن المراد بالدين الخالص كلمة لا إله إلا الله موافق لما ذكرناه. والعلم عند الله تعالى.[3]

وبهذا يتبين والله أعلم توحد أقوال السلف رحمهم الله تعالى من حيث المعنى وإن اختلفت العبارة، فالمضمون واحد.

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

(١) والبيت في معلقة عمرو بن كلثوم. انظر: جمهرة أشعار العرب (١/ ١١٩).

(٢) لسان العرب (١٣/ ١٦٤).

(٣) أضواء البيان (٦/ ٣٤٨).

دكتوراه عبدالعلي الحمدي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

المسألة الثانية: على من يعود الاسم الموصول في قوله تعالى: (ژ ڑ ڑ ک ک ک ک).

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: « يحتمل: أن يريد بـ (ژ ڑ ک ک) : الكفار العابدين لهم. أو الشركاء المعبودين. والأول أظهر لأنه يحتاج على الثاني إلى حذف الضمير العائد على «الذين» تقديره: « الذين اتخذوهم » ويكون ضمير الفاعل في (ڑ ک) عائدا على غير مذكور. وارتفاع «الذين» على الوجهين بالابتداء وخبره: إما قوله: (گ گ گ گ ک) أو المحذوف المقدر قبل قوله: (ک گ گ) لأن تقديره: « يقولون ما نعبدهم ». والأول أرجح لأن المعنى به أكمل ».[1]

والمسألة فيها قولان:

القول الأول: أن المراد بـ«الذين»:المشركين العابدين. وبالأولياء: الأصنام والملائكة وعيسى. وهم: الشركاء المعبودين. وهذا قول جماهير أهل العلم وعامة المفسرين. وروي معناه عن مجاهد كما عند ابن جرير.[2] وممن ذكره من المفسرين: البغوي[3]والزمخشري[4] وابن عطية[5] والقرطبي[6] والشوكاني[7] وابن عاشور.[8] ومن أهل اللغة: مكي القيسي[9] والعكبري[10] والزجاج.[11]

---

(١) التسهيل في علوم التنزيل لابن جزي: ص(٦٢٠).
(٢) تفسير الطبري (٢٣/ ١٩١).
(٣) تفسير البغوي (٤/ ٦٨).
(٤) الكشاف (٤/ ١٠٨).
(٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٥١٨).
(٦) تفسير القرطبي (١٥/ ٢٣٣).
(٧) فتح القدير (٤/ ٤٤٥).
(٨) تفسير التحرير والتنوير (٢٣/ ٣١٣).
(٩) مكي القيسي: ص(٦٣٠).
(١٠) إملاء ما من به الرحمن للعكبري: ص(٥١٠).
(١١) الزجاج: (٤/ ٣٤٤).

وأما الإعراب: فإن قوله: (ڑ ک) الجميع متفقون على أنها مرفوعة بالابتداء على كلا القولين، وإنما وقع الخلاف في الخبر. فقال الزمخشري: (ڑ ڑ ک) في موضع الرفع على الابتداء. فإن قلت: فالخبر ما هو؟ قلت: هو على الأوّل إما (گ گ گ گ ک) أو ما أضمر من القول قبل قوله: (ک ک ک).[1]

وقال ابن عاشور: واسم الموصول مرادٌ به المشركون، وهو في محلّ رفع على الابتداء وخبره جملة: (گ گ گ گ ک)[2] وكذا قال العكبري[3] الشوكاني.[4]

القول الثاني: أن المراد بـ (ڑ ک): الشركاء المعبودين. كالأصنام والملائكة وعيسى.

قال الزمخشري: (ڑ ڑ ک) يحتمل: المتخِذين وهم الكفرة، والمتخَذِين، وهم الملائكة وعيسى واللات والعزّى، عن ابن عباس رضي الله عنهما، فالضمير في: (ڑ ک) على الأوّل راجع إلى: (ڑ ک). وعلى الثاني: إلى المشركين، ولم يجر ذكرهم لكونه مفهوماً. والراجع إلى الذين محذوف والمعنى: « والذين اتخذهم المشركون أولياء ».

وأما الإعراب: فذكر الزمخشري أن الخبر على هذا القول هو: (گ گ گ گ ک). قال: فإن قلت: فإذا كان (گ گ گ گ ک) الخبر، فما موضع القول المضمر؟ قلت: يجوز أن يكون في موضع الحال، أي: قائلين ذلك. ويجوز أن يكون بدلاً من الصلة فلا يكون له محلّ، كما أنّ المبدل منه كذلك. وقرأ ابن مسعود بإظهار القول: «قالوا ما نعبدهم».[5] وكذا قال ابن عادل[6] والبيضاوي.[7]

---

(١) الكشاف (٤/ ١٠٨).

(٢) تفسير التحرير والتنوير (٢٣/ ٣١٣).

(٣) إملاء ما من به الرحمن للعكبري: ص(٥١٠).

(٤) فتح القدير (٤/ ٤٤٥).

(٥) الكشاف (٤/ ١٠٨).

(٦) اللباب في علوم الكتاب (١٦/ ٤٥٨).

(٧) تفسير البيضاوي (٥/ ٥٧).

الترجيـــح:

والراجح والعلم عند الله تعالى هو القول الأول وهو ترجيح ابن جـزي عليـه رحمـة الله وهو قول جمهور المفسرين وأهل اللغة. وهو الصحيح إن شاء الله تعالى. لأنه على القول الثـاني لابـد مـن حـذف الضـمير العائـد عـلى (ڑ) وهـو مفعـول الاتّخـاذ، تقـديره: «والـذين اتخذوهم». ويكون ضمير الفاعل في (ڑ) - وهو الواو - عائد على غير مذكور. وفي مثل هذا الموطن لابد من مراعاة الأشهر والأفصح عند الترجيح، دون الشاذ والقليل.

وأما الإعراب: فإن الاسم الموصول مرفوع بالابتداء في قول الجميـع، وأمـا خـبره فهـو قوله تعالى: (ڳ ڳ ڳ ڳ) وهو الراجح.

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

الكلام على قوله تعالى: (ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

قال الزجاج: «ثم» لا تكون إلا لشيء بعد شيء، والنفس الواحدة يعني بها آدم ﷺ وزوجها حواء، وإنما قوله «ثم» لمعنى خلقكم من نفس واحدة، أي: خلقها واحدةً ثم جعل منها زوجها، أي خلقها ثم جعل منها زوجها قبلكم.(١)

وقال الزمخشري: قيل: «ثم» متعلق بمعنى واحدة، كأنه قيل: خلقكم من نفس وحدت، ثم شفعها الله بزوج.(٢)

وممن ذكر نحو هذا من المفسرين: أبو حيان(٣)والرازي(٤)وابن عادل(٥) والبيضاوي(٦) وأبو السعود (٧) والشوكاني.(٨)

القول الثاني: أن «ثم» لترتيب الأخبار، لا لترتيب الوجود.

وممن ذكر هذا التوجيه الفراء حيث قال: إن العرب إذا أخبرت عن رجل بفعلين ردوا الآخر بـ«ثم» إذا كان هو الآخر في المعنى، وربما جعلوا «ثم» فيما معناه التقديم، ويجعلون «ثم» من خبر المتكلم، من ذلك أن تقول: قد بلغني ما صنعت يومك هذا، ثم ما صنعت أمس أعجب. فهذا نسق من خبر المتكلم. وتقول قد أعطيتك اليوم شيئاً ثم الذي أعطيتك أمس أكثر؛ فهذا من ذلك.(٩) وكذا قال ابن جرير.(١٠)

وذكر الزمخشري أن هذا من التراخي في الحال والمنزلة، لا من التراخي في الوجود.(١١)

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج: (٤/ ٣٤٥).
(٢) الكشاف (٤/ ١٠٨).
(٣) تفسير البحر المحيط (٧/ ٤٠٠).
(٤) التفسير الكبير (٢٦/ ٢١٣).
(٥) اللباب في علوم الكتاب (١٦/ ٤٦٩).
(٦) تفسير البيضاوي (٥/ ٥٩).
(٧) تفسير أبي السعود (٧/ ٢٤٣).
(٨) فتح القدير (٤/ ٤٥٠).
(٩) معاني الفراء: (٢/ ٤١٥).
(١٠) تفسير الطبري (٢٣/ ١٩٣).
(١١) الكشاف (٤/ ١٠٨).

قال ابن عطية: قالت فرقة: إنما هي لترتيب الأخبار لا لترتيب المعاني. كأنه قال: ثم كان من أمره قبل ذلك أن جعل منها زوجها، وفي نحو هذا المعنى يُنشد هذا البيت:

قلَّ مَن ساد ثم ساد أبوه ثم قد ساد قبل ذلك جدُّه.[1]

قال ابن الجوزي: قوله تعالى: (ٱ ب ب ٻ ج) يعني آدم (ٻ ب ب ٻ ج) أي: قَبْلَ خَلْقِكم جعل منها زوجها، لأنّ حَوّاءَ خُلِقَتْ قَبْلَ الذُّرِيَّة، ومِثْلُه في الكلام أن تقول: قد أعطيتُكَ اليوم شيئاً، ثُمَّ الذي أعطيتُكَ أمس أكثر؛ هذا اختيار الفراء.[2]

قال ابن عاشور: في هذه الجملة عَطَف قوله (ب ب ٻ ج) بحرف «ثم» الدال على التراخي الرُّتَبي، لأن مساقها الاستدلال على الوحدانية وإبطال الشريك بمراتبه، فكان خلق آدم دليلاً على عظيم قدرته تعالى وخلق زوجه من نفسه دليلاً آخر مستقل الدلالة على عظيم قدرته. فعطف بحرف «ثم» الدال في عطف الجمل على التراخي الرتبي إشارة إلى استقلال الجملة المعطوفة بها بالدلالة مثل الجملة المعطوفة هي عليها، فكان خلق زوج آدم منه أدلّ على عظيم القدرة من خلق الناس من تلك النفس الواحدة ومن زوجها لأنه خلق لم تجرِ به عادة فكان ذلك الخلق أجلب لعجب السامع من خلق الناس فجيء له بحرف التراخي المستعمل في تراخي المنزلة لا في تراخي الزمن لأن زمن خلق زوج آدم سابق على خلق الناس.[3]

وممن ذكر نحو ذلك: أبوحيان[4] والثعالبي[5] والرازي[6] والبيضاوي[7] وأبوالسعود [8][8] وابن عادل.[9]

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٥٢٠ البيت في ديوان أبي نواس الحسن بن هانئ (١/ ٢٩١).
(٢) زاد المسير (٧/ ١٥٤).
(٣) تفسير التحرير والتنوير (٢٣/ ٣٧٣).
(٤) تفسير البحر المحيط (٧/ ٤٠٠).
(٥) تفسير الثعالبي (٨/ ٢٢٢).
(٦) التفسير الكبير (٢٦/ ٢١٣).
(٧) تفسير البيضاوي (٥/ ٥٩).
(٨) تفسير أبي السعود (٧/ ٢٤٣).
(٩) اللباب في علوم الكتاب (١٦/ ٤٦٩).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

القول الثالث: أن المراد بقوله: (ﭑ ﭒ) هو إخراج بني آدم من صلب أبيهم كالذر وذلك كله كان قبل خَلْقِه حواء. ويشهد له ما عند الترمذي أن عمر بن الخطاب ﷺ سئل عن هذه الآية (ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ)[الأعراف] فقال عمر بن الخطاب سمعت رسول الله ﷺ يُسأل عنها. فقال رسول الله ﷺ: (**إن الله خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه، فأخرج منه ذريةً، فقال: خلقت هؤلاء للجنة، وبعمل أهل الجنة يعملون، ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذريةً، فقال: خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون**). فقال رجل: يا رسول الله، ففيم العمل؟. قال: فقال رسول الله ﷺ: (**إن الله إذا خلق العبد للجنة، استعمله بعمل أهل الجنة، حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة، فيدخله الله الجنة؛ وإذا خلق العبد للنار، استعمله بعمل أهل النار، حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار، فيدخله الله النار**).[1]

وممن ذكر نحو هذا من المفسرين: ابن جرير[2] والزمخشري[3] وابن عطية[4] والرازي[5] والثعالبي[6] والبيضاوي[7] والنسفي[8] والألوسي[9] وابن عادل.[10]

---

(١) الحديث: ضعيف. أخرجه أبو داود (٤٧٠٣)، والترمذي (٢/ ١٨٠)، وابن حبان (١٨٠٤)، والحاكم (١/ ٢٧)، وابن أبي عاصم في السنة (١٩٥)، وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن ومسلم بن يسار لم يسمع من عمر وقد ذكر بعضهم في هذا الإسناد بين مسلم بن يسار وبين عمر رجلا مجهولاً. وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (٦ / ٨٠).

(٢) تفسير الطبري (٢٣/ ١٩٣).

(٣) الكشاف (٤/ ١٠٨).

(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٥٢٠).

(٥) التفسير الكبير (٢٦/ ٢١٣).

(٦) تفسير الثعالبي (٨/ ٢٢٢).

(٧) تفسير البيضاوي (٥/ ٥٩).

(٨) تفسير النسفي (٤/ ٤٨).

(٩) روح المعاني (٢٣/ ٢٤٠).

(١٠) اللباب في علوم الكتاب (١٦/ ٤٦٩).

الترجيـــح:

من المقرر عند الجميع أن الله تعالى خلق آدم بيده ثم بعد ذلك خلق زوجه من ضلعه، ثم بث منهما ذريتهما بالتزاوج بعد ذلك. ومن هنا جاء استشكال ظاهر قوله تعالى: (ﭐ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ) أي خلق الناس من آدم، ثم قال: (ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ) فكأنه يشعر بأن الله خلق آدم ثم خلق ذريته ثم خلق حواء، ومن هنا فقد أجاب المفسرون وأهل اللغة عن ظاهر الآية بأجوبة، كما تقدم بيانه:

والذي رجحه ابن جرير الطبري عليه رحمة الله تعالى أن الله تعالى خلق آدم ثم مسح على ظهره فأخرج ذريته كالذر، ثم خلق حواء بعد ذلك، وبهذا تجري الآية على سياقها الطبيعي من غير تقدير ويجمع بين النصوص بلا تعارض حيث قال: والقول الذي يقوله أهل العلم أولى بالصواب، وهو القول الأول الذي ذكرت أنه يقال: إن الله أخرج ذرية آدم من صلبه قبل أن يخلق حوّاء، وبذلك جاءت الرواية عن جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ والقولان الآخران على مذاهب أهل العربية.(1) وهو الذي صححه ابن عطية رحمه الله.

قلت: وسواء كان التأويل هذا أو ذاك، فمعنى الآية مجمع عليه ولله الحمد.

وقد ذكر ابن هشام في مغني اللبيب عدداً من الأجوبة كلها يصلح في تأويل الآية، فقال في معرض حديثه عن معاني «ثم»:

وأما الترتيب فخالف قومٌ في اقتضائها إياه، تمسّكاً بقوله تعالى: (ﭐ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ)... ثم ذكر خمسة أوجه للجواب عن الآية فقال:

أحدها: أن العطف على محذوف، أي من نفسٍ واحدة، أنشأها ثم جعل منها زوجها.

الثاني: أن العطف على (ﭗ ﭘ) على تأويلها بالفعل، أي من نفس توحّدتْ، أي انفردت، ثم جعل منها زوجها.

الثالث: أن الذّرِّية أخرجت من ظهر آدم كالذَّرِّ، ثم خلقت حوّاء من قُصيْراه.

الرابع: أن خلقَ حواء من آدم لما لم تجر العادة بمثله جيء بـ«ثم» إيذاناً بترتبه وتراخيه في الإعجاب وظهور القدرة، لا لترتيب الزمان وتراخيه.

---

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ١٩٣).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

الخامس: أن «ثمّ» لترتيب الإخبار لا لترتيب الحكم، وأنه يقال: بلغني ما صنعتَ اليومَ، ثمّ ما صنعتَ أمسِ أعجبُ. أي: ثم أخبرك أن الذي صنعته أمس أعجب.

ثم قال عن الجواب الخامس: والأجوبة السابقة أنفع من هذا الجواب؛ لأنها تصحح الترتيب والمُهلة، وهذا يصحح الترتيب فقط؛ إذ لا تراخيَ بين الإخبارين، ولكن الجواب الأخير أعمّ؛ لأنه يصح أن يُجاب به عن الآية الأخيرة والبيت. وأجاب ابن عصفور عن البيت بأن المراد أن الجدَّ أتاه السؤدد من قبل الأب، والأبَ من قبل الابن، كما قال ابن الرومي:

قالوا أبو الصّقر من شيبانَ قلتُ لهم ... كلا لعمري، ولكنْ منهُ شيبانُ

وكم أبٍ قد عَلا بابنٍ ذُرا حسَبٍ ... كما علتْ برسولِ اللهِ عدنانُ[1]

وأما المُهلة فزعم الفراء أنها قد تتخلّفُ؛ بدليل قولك: أعجبني ما صنعتَ اليومَ ثمّ ما صنعتَ أمسِ أعجبُ، لأن ثم في ذلك لترتيب الإخبار، ولا تراخي بين الإخبارين.[2]

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

(١) البيتان لابن الرومي. انظر: خزانة الأدب: (٤/ ١٠٥).

(٢) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: (١/ ٤٤).

دكتوراه عبدالعلي المسدي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) 5

المسألة الثانية: ما المراد بقوله تعالى: (ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ) ؟.

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: «يعني المذكورة في الأنعام من الضأن اثنين ومن المعز اثنين ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين وسماها أزواجا لأن الذكر زوج الأنثى والأنثى زوج الذكر. **وأما «أنزل» ففيه ثلاثة أوجه:**

الأول: أن الله خلق أول هذه الأزواج في السماء ثم أنزلها. الثاني: أن معنى أنزل: قضى وقسم، فالإنزال عبارة عن نزول أمره وقضائه. الثالث: أنه أنزل المطر الذي ينبت به النبات فتعيش منه هذه الأنعام فعبر بإنزالها عن إنزال أرزاقها وهذا بعيد ».[1]

والمسألة فيها ثلاثة أقوال:

القول الأول: أن الله خلق أول هذه الأزواج في السماء ثم أنزلها. وهذا القول حكاه الماوردي عن ابن عيسى حيث قال: أنزلها بعد أن خلقها في الجنة.[2] وكذا قال الزمخشري.[3] وذكره ابن عطية بصيغة التمريض[4] وكذا القرطبي[5] والألوسي.[6]

القول الثاني: أن معنى أنزل: قضى وقسم فالإنزال عبارة عن نزول أمره وقضائه.

قال الزمخشري: (ﭘ ﭙ ﭢ) وقضى لكم وقسم؛ لأنّ قضاياه وقسمه موصوفة بالنزول من السماء، حيث كتب في اللوح: كل كائن يكون.[7]

قال ابن عطية قالت فرقة: بل لما نزل الأمر بخلقه وإيجاده من عند الله، وكانت العادة في نعم الله ورحمته وأمطاره وغير ذلك أن يقال فيها إنها من السماء عبر عن هذه بـ(ﭢ).[8] وممن ذكر نحو هذا المعنى من المفسرين:

---

(١) التسهيل في علوم التنزيل لابن جزي: ص(٦٢١).
(٢) النكت والعيون تفسير الماوردي (٢/ ١٨٠).
(٣) الكشاف (٤/ ١١٥).
(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٥٢٠).
(٥) تفسير القرطبي (١٥/ ٢٣٥).
(٦) روح المعاني (٢٣/ ٢٣٢).
(٧) الكشاف (٤/ ١١٥).
(٨) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٥٢٠).

القرطبي[1] والألوسي[2] وقال السعدي: أي: خلقها بقدرٍ نازلٍ منه، رحمة بكم.[3]

القول الثالث: أنه أنزل المطر الذي ينبت به النبات، فتعيش منه هذه الأنعام، فعبر بإنزالها عن إنزال أرزاقها.

قال البغوي: قيل: إنه أنزل الماء الذي هو سبب نبات القطن الذي يكون منه اللباس، وسبب النبات الذي تبقى به الأنعام.[4] قالوا: وهذا يسمى التدريج، ومثله قوله تعالى: ﴿ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾ ﷿ ﷽ ﷾ ﷿ ﷽ ﷾ ﷿

وما ذكره ابن جزي عليه رحمة الله إما مجاز وإما حقيقة تفتقر إلى دليل، فلا يسلم له لا بهذا ولا بهذا. ولابد من حمل اللفظ على الحقيقة، وإذا كان الأمر كذلك علمت أن أقرب ما يكون إلى الصواب ما ذكره ابن عاشور والشيخ الأمين الشنقيطي رحمهما الله تبارك وتعالى.

فأما ابن عاشور فاستحسن أن يكون إنزالاً حقيقياً بإنزال أصولها من سفينة نوح كقوله تعالى: (ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ) [الأعراف:١١]، أي خلقنا أصلكم وهو آدم، قال تعالى: (ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ) [هود:٤٠] فيكون الإِنزال هو الإِهباط قال تعالى: (ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ) [هود:٤٨]. وهذا أحد التأويلين الذين استحسنهما ابن عاشور في تأويل الإنزال وقرر أنه أحسن من تأويل المفسرين إنزال الأنعام بمعنى الخلق، أي لأن خلقها بأمر التكوين الذي ينزل من حضرة القدس إلى الملائكة.(١)

وأما الشيخ الأمين الشنقيطي فقد قرر في سورة الحديد عند قوله تعالى: (ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ) [الحديد]بأن معنى ذلك أن الله تبارك وتعالى أنزل الحديد أي: خلقه لبني آدم ليردع به المؤمنون الكافرين المعاندين، وهو قتلهم إياهم بالسيوف والرماح والسهام.(٢)

ومن هنا فإنه يمكن القول بأن الراجح في الآية إما أن يكون المراد بالإنزال هو إنزال أصولها من سفينة نوح بعد الطوفان، فإن الله تعالى قال: (ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ).

أو يكون الإنزال بمعنى الخلق، فيكون المعنى: وخلق لكم من الأنعام ثمانية أزواج. والذي تميل إليه النفس هو الثاني لورود هذا المعنى في غير ما آية من كتاب الله تعالى كقوله: ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

المسألة الثالثة: ما المراد بالظلمات الثلاث ؟.

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: «هي: البطن والرحم والمشيمة. وقيل: صلب الأب والرحم والمشيمة والأول أرجح لقوله بطون أمهاتكم ولم يذكر الصلب ».[1]

والمسألة فيها قولان:

القول الأول: أن الظلمات الثلاث هي: البطن والرحم والمشيمة. وهذا القول أسنده ابن جرير إلى ابن عباس وعكرمة ومجاهد وقتادة والسديّ وابن زيد والضحاك.[2] كلهم قالوا أن المراد بذلك ظلمة البطن والرحم والمشيمة.

وممن ذكر هذا من المفسرين: الماوردي[3] والسمعاني[4] والبغوي[5] والزمخشري[6] وابن عطية[7] وابن الجوزي - وحكاه عن الجمهور-[8] والقرطبي[9] وابن كثير[10] وابن عاشور.[11]

القول الثاني: أن الظلمات الثلاث هي: صلب الأب والرحم والمشيمة.

وهذا القول حكاه الماوردي عن ابن عيسى[12] وابن الجوزي والقرطبي عن أبي عبيدة.[13] وممن ذكره من المفسرين: السمعاني[14] والزمخشري[15] وابن عطية.[16]

---

(١) التسهيل في علوم التنزيل لابن جزي: ص(٦٢٢).
(٢) تفسير الطبري (٢٣/ ١٩٤).
(٣) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ١١٤).
(٤) السمعاني ((٤/ ٤٥٩).
(٥) تفسير البغوي (٤/ ٦٩).
(٦) الكشاف (٤/ ١٠٨).
(٧) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٥٢٠).
(٨) زاد المسير (٧/ ١٦٣).
(٩) تفسير القرطبي (١٥/ ٢٣٦).
(١٠) تفسير ابن كثير (٤/ ٤٧).
(١١) تفسير التحرير والتنوير (٢٣/ ٣٣٢).
(١٢) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ١١٤).
(١٣) زاد المسير (٧/ ١٦٣)، وتفسير القرطبي (١٥/ ٢٣٦).
(١٤) السمعاني ((٤/ ٤٥٩).
(١٥) الكشاف (٤/ ١٠٨).
(١٦) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٥٢٠).

الترجيح: والراجح والعلم عند الله تعالى هو ما رجحه ابن جزي عليه رحمة الله تعالى وذلك لعدة أمور:

الأمر الأول: أن هذا هو قول عامة المفسرين وجمهور أهل العلم، وقد استفاض النقل عنهم في هذا المعنى، والقاعدة تقول: تحمل الآية على المعنى الذي استفاض النقل فيه عن أهل العلم، وإن كان غيره محتملاً.

الأمر الثاني: ما ذكره ابن جزي عليه رحمة الله تعالى من أن الله ذكر في الآية بطون الأمهات ولم يذكر أصلاب الآباء. وقد ضعف ابن القيم هذا القول وقال: وأضعف منه قول من قال: ظلمة الليل وظلمة البطن وظلمة الرحم.[1]

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

(١) تحفة المودود بأحكام المولود: ص(٢١٧).

الكلام على قوله تعالى: (□ □ □

وممن ذكر هذا التوجيه من المفسرين: الماوردي[1] والسمعاني[2] والبغوي[3] والزمخشري[4] وابن الجوزي[5] والقرطبي[6] واستظهر ابن عطية أن الألف للتقرير والاستفهام.[7]

قال ابن عاشور: ﴿ أَمَنْ ﴾ بتخفيف الميم على أن الهمزة دخلت على «مَن» الموصولة فيجوز أن تكون الهمزة همزة استفهام و«مَن» مبتدأ والخبر محذوف دل عليه الكلام قبله من ذكر الكافر في قوله: (ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ) إلى قوله: (ۋ ۅ ۅ ۉ). والاستفهام إنكاري، والقرينة على إرادة الإنكار تعقيبه بقوله: (□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □) لظهور أنَّ (□ □) فيه للاستفهام الإنكاري، وبقرينة صلة الموصول؛ تقديره: أَمَن هو قانتٌ أفضل أم من هو كافر؟ والاستفهام حينئذٍ تقريري، ويُقَدر له معادلٌ محذوفٌ دل عليه قوله عَقِبه: (□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □).[8]

القول الثاني: أن هذه همزة النداء.

وقد ذكر التوجيه الثاني لقراءة التخفيف ابن جرير، وأن الهمزة محمولة في الآية على النداء، ويكون تقدير الكلام: يا من هو قانت آناء الليل. قال: والعرب تنادي بالألف كما تنادي بـ«يا» فتقول: أزيدٌ أقبل، ويا زيد أقبل. ومنه قول أوس بن حجر:

أَبَنِي لُبَيْنَى لَسْتُم بِيَدٍ إلا يَدٌ لَيْسَتْ لَهَا عَضُدُ[9]

وإذا وُجِّهت الألف إلى النداء كان معنى الكلام: قل تمتع أيها الكافر بكفرك قليلا إنك من أصحاب النار، ويا من هو قانتٌ آناء الليل ساجداً وقائماً إنك من أهل الجنة.[10]

---

(١) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ١١٠).
(٢) السمعاني ((٤/ ٤٦٠).
(٣) تفسير البغوي (٤/ ٧٣).
(٤) الكشاف (٦/ ٤٩).
(٥) زاد المسير (٧/ ١٦٥).
(٦) تفسير القرطبي (١٥/ ٢٣٨).
(٧) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٥٢٢).
(٨) تفسير التحرير والتنوير (٢٣/ ٣٤٥).
(٩) البيت في ديوان أوس بن حجر (١/ ١١).
(١٠) تفسير الطبري (٢٣/ ٢٠١).

دكتوراه عبدالعلي المسدي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

وهذا هو ترجيح الفراء[1] وحكاه البغوي بصيغة التمريض ونقله عن ابن عباس.[2]

وقال ابن الجوزي: هو وجه حسن ويكون المعنى: أنه ذَكَر النّاسيَ الكافرَ. ثمَ قصَّ قِصّةَ الصّالح بالنِّداء، كما تقول: فلانٌ لا يصوم ولا يصلِّي، فيامَنْ يصوم أبْشِرْ.[3]

وممن ذكر هذا من المفسرين: الماوردي[4] والسمعاني[5] وابن عطية[6] والقرطبي[7] وابن عاشور[8] عاشور[8] وابن أُمّ قَاسِم المرادي في الجنى الداني[9] وابن هشام في مغني اللبيب.[10]

الترجيح:

والراجح والعلم عند الله تعالى هو ما استظهره ابن جزي عليه رحمة الله تعالى وهو اختيار الجمهور، وأكثر من ذكر الثاني فبصيغة التمريض وما نقله البغوي عن ابن عباس لم أقف عليه عند غيره، وقد ضعف الألوسي القول بأن الهمزة للنداء ونقله عن أبي علي الفارسي.[11] ومع أنه صحيح من حيث اللغة، غير أن المقدم هو القول الأول.

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

(١) معاني القرآن للفراء: (٢/ ٤١٦).

(٢) تفسير البغوي (٤/ ٧٣).

(٣) زاد المسير (٧/ ١٦٥).

(٤) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ١١٠).

(٥) السمعاني ((٤/ ٤٦٠).

(٦) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٥٢٢).

(٧) تفسير القرطبي (١٥/ ٢٣٨).

(٨) تفسير التحرير والتنوير (٢٣/ ٣٤٥).

(٩) الجنى الداني في حروف المعاني - (١/ ٤).

(١٠) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب - (١/ ٢).

(١١) روح المعاني (٢٣/ ٢٤٥).

الكلام على قوله تعالى: (□ □ □ □ □ □□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □□ □ □ □ □ □ □ □ □)

والآية فيها مسألة واحدة وهي: ما مُتَعَلَّق قوله تعالى: (□ □ □ □□ □).

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: «يحتمل أن يتعلق: (□ □ □ □) بـ: (□ □) والمعنى: الذين أحسنوا في الدنيا لهم حسنة في الآخرة.

أو يتعلق بـ: (□□ □) و «الحسنة» على هذا: حُسْن الحال والعافية في الدنيا والأول أرجح ».[1]

والمسألة فيها قولان:

القول الأول: أن الجار والمجرور في قوله: (□ □ □ □) متعلق بـ (□ □) والتقدير: الذين أحسنوا في الدنيا لهم حسنة في الآخرة.

وقد ذكر هذا ابن جرير قال: ومعنى الحسنة: الجنة.[2] وكذا قال الماوردي[3] والبغوي - ونقله عن مقاتل-[4] وابن الجوزي[5] والقرطبي[6] وذكر الزمخشري أنه متعلق بـ (□ □) لا لا بحسنة. وهي دخول الجنة، أي: حسنة غير مكتنهة بالوصف.[7] ورجحه ابن عطية.[8] وكلام ابن عاشور يقتضي هذا وهذا.[9]

---

(١) التسهيل في علوم التنزيل لابن جزي: ص(٦٢٢).

(٢) تفسير الطبري (٢٣/ ١٩٧).

(٣) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ١١٨).

(٤) تفسير البغوي (٤/ ٧٣).

(٥) زاد المسير (٧/ ١٦٤).

(٦) تفسير القرطبي (١٥/ ٢٤٠).

(٧) الكشاف (٤/ ١١٩).

(٨) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٥٢٣).

(٩) تفسير التحرير والتنوير (٢٣/ ٣٥٣).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة .. مع الفهارس) ٥

القول الثاني: أن الجار والمجرور متعلق بـ (□) و على هذا فالحسنة: حسن الحال، والعافية في الدنيا. وهو قول السدي كما عند ابن جرير بسنده عنه في قوله تعالى: (□ □ □ □ □ □□ □) قال: العافية والصحة.[1]

وممن ذكره عنه من المفسرين:

الماوردي[2] والسمعاني[3] والبغوي[4] وابن عطية[5] وابن الجوزي[6] والقرطبي.[7]

قال الزمخشري وقد علقه السدي بـ«حسنة»، ففسر الحسنة بالصحة والعافية. فإن قلت: إذا علق الظرف بـ (□ □) فإعرابه ظاهر، فما معنى تعليقه بحسنة؟ ولا يصحّ أن يقع [أي الظرف]صفة لها [أي:حسنة] لتقدمه. قلت: هو صفة لها إذا تأخر فإذا تقدم كان بياناً لمكانها فلم يُخِل التقدم بالتعلق، وإن لم يكن التعلق وصفاً.[8]

قال ابن عاشور فيجوز أن يكون قوله: (□ □ □ □) حالاً من (□□ □) قدم على صاحب الحال للتنبيه من أول الكلام على أنها جزاؤهم في الدنيا، لقلة خطور ذلك في بالهم ضَمِن الله لهم تعجيل الجزاء الحسن في الدنيا قبل ثواب الآخرة، على نحو ما أثنى على مَن يقول:(﴿ ﴾)[البقرة]... ويكون الاقتصار على حسنة الدنيا في هذه الآية لأنها مسوقة لتثبيت المسلمين على ما يلاقونه من الأذى، ولأمرهم بالهجرة عن دار الشرك والفتنة في الدين، فأما ثواب الآخرة فأمر مقرر عندهم من قبل ومومىً إليه بقوله بعده: (□ □ □ □ □ □) ونقل قول السدي.[9]

---

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ١٩٧).

(٢) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ١١٨).

(٣) السمعاني ((٤/ ٤٦١).

(٤) تفسير البغوي (٤/ ٧٣).

(٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٥٢٣).

(٦) زاد المسير (٧/ ١٦٤).

(٧) تفسير القرطبي (١٥/ ٢٤٠).

(٨) الكشاف (٤/ ١١٩).

(٩) تفسير التحرير والتنوير (٢٣/ ٣٥٣).

قال السعدي: وذكر لهم الثواب المنشط في الدنيا فقال: (□ □ □ □ □ □ □) بعبادة ربهم (□□ □) ورزق واسع، ونفس مطمئنة، وقلب منشرح، كما قال تعالى: (ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ)[النحل].[1]

الترجيح :

والراجح والعلم عند الله تعالى أن القول بالعموم هو الصواب، وذلك لعدة أمور:

الأمر الأول: أن تعلق الجار والمجرور على القولين سائغ من جهة اللغة كما ذكر ذلك الزمخشري.

الأمر الثاني: أن ما نقله المفسرون عن السدي في معنى الآية يقتضي تعلق الظرف بـ (□□ □).

الأمر الثالث: أن هذا المعنى متقرر في آيات كثيرة من كتاب الله تعالى كقوله تعالى: (ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ) (النحل: ٩٧) وقوله تعالى: (□ □ □ □ □ □□ □) (الرعد:٢٨) وقوله في المقابل: (□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ي) (طه: ١٢٤) وقوله: (ٱ ب ب ب ب پ پ پ پ ڀ ڀ ت ت ث ث ق) (الأنعام: ١٢٥) إلى غير ذلك من الآيات التي توجب للطائعين سعادة الدنيا قبل الآخرة، وتوجب للعصاة شقاء الدنيا قبل الآخرة.

الأمر الرابع: أن هذا هو الذي تؤيده قواعد التفسير، فإن اللفظ إذا احتمل معاني عدة ولم يمتنع إرادة الجميع حمل عليها. وعامة ألفاظ القرآن تدل على معنيين فأكثر.[2]

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

(١) تفسير السعدي (١/ ٧٢٠).

(٢) انظر: مختصر قواعد التفسير للسبت: ص(٢٦، ٢٧).

الكلام على قوله تعالى: (ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ)

والآية فيها مسألة واحدة وهي: ما المراد بقوله تعالى: (ک ک ک گ) ؟.

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: « (ژ گ): جمع ظلة بالضم وهو ما غَشَّي من فوق كالسقف. فقوله: (ڈ ژ گ) بَيِّنٌ، وأما: (ک ک گ) فسماه ظلة لأنه سقف لمن تحتهم، فإن جهنم طبقات. وقيل: سماه ظلة لأنه يلتهب ويصعد من أسفلهم إلى فوقهم ».[1]

والمسألة فيها قولان:

القول الأول: أن اللهب الذي من تحتِهم يكون ظلةً على من هم أسفل منهم لأن جهنم طبقات، نعوذ بالله منها.

قال البغوي: (ک ک ک گ) فراشٌ ومهادٌ من نارٍ إلى أن ينتهي إلى القعر، وسَمّي الأسفل ظُللاً لأنها ظُللٌ لمن تحتهم، نظيرها قوله عز وجل: (ۀ ہ ہ ہ ھ ھ ے) (الأعراف:٤١).[2] وقال الزمخشري: (ک ک ک گ) أطباق من النار هي (ک گ) لآخرين.[3]

وممن ذكر هذا المعنى من المفسرين: ابن عطية[4] وابن الجوزي[5] والقرطبي[6] وابن عاشور.[7]

القول الثاني: أن النار تلتهب ويصعد اللهب عليهم من أسفلهم إلى فوقهم.

قال القرطبي: (ک ک ک گ) يقول: ومن تحتهم من النار ما يعلوهم، حتى يصير ما يعلوهم منها من تحتهم ظللا وذلك نظير قوله جلّ ثناؤه لَهُمْ: (ۀ ہ ہ ہ ھ ھ ے

---

(١) التسهيل في علوم التنزيل لابن جزي: ص(٦٢٣).

(٢) تفسير البغوي (٤/ ٧٤).

(٣) الكشاف (٤/ ١٢١).

(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٥٢٥).

(٥) زاد المسير (٧/ ١٦٥).

(٦) تفسير القرطبي (١٥/ ٢٤٣).

(٧) تفسير التحرير والتنوير (٢٣/ ٣٧٣).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

ئے) يغشاهم مما تحتهم فيها من المهاد.[1]

قال ابن عطية قالت فرقة: سُمِّي ظُلَّةً لأنه يتلهب ويصعد مما تَحتَهم شيء كثيرٌ ولهبٌ حتى يكون ظلة، فإن لم يكن فوقهم شيء لكفى فرع الذي تحتهم في أن يكون ظلة.[2]

الترجيح:

والراجح والعلم عند الله تعالى هو ما رجحه ابن جزي عليه رحمة الله تعالى. وذلك لأن الظلة إنما تكون من أعلى، ولما كانت جهنم دركات وطبقات كانت الظلل من فوقهم ومن تحتهم، وأحاطت بهم النار من كل جانب. ولذا قال ابن الأعرابي في قوله تعالى: (ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ) قال: هي ظلل لمن تحتهم وهي أرض لهم وذلك أن جهنم أدراك وأطباق فبساط هذه ظلة لمن تحتها ثم هلم جراً حتى ينتهوا إلى القعر.[3] واعْتُرِض على هذا القول بأنه لا يطرد في الدرك الأسفل من النار، ولكن قد يجاب عنه بأن العبرة بالأكثر من هذه الدركات.

وأما القول الثاني، فقال الألوسي: وقيل: إن ما تحتهم يلتهب ويتصاعد منه شيء حتى يكون ظلة، فَسُمِّي ظلةً باعتبار ما آل إليه أخيراً. وليس بذاك، والمراد أن النار محيطة بهم.[4]

وهذا ما جاء موضحاً في آيات متعددة، كقوله تعالى: (چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ گ) [الكهف:٢٩] وقوله تعالى: (ۀ ہ ہ ہ ھ ھ ے) [الأعراف:٤١] وقوله تعالى: (ۈ ۇ ۆ ۆ ۅ ۅ) [إبراهيم:٥٠] وقوله تعالى: (□ □ □ □ □ □ □ □) [المؤمنون:١٠٤] إلى غير ذلك من الآيات.

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ٢٠٤).

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٥٢٥).

(٣) انظر: لسان العرب (١١/ ٤١٥)، وتاج العروس (١/ ٧٢٨٥).

(٤) روح المعاني (٢٣/ ٢٥١)، وانظر: أضواء البيان (٦/ ٣٥٦).

دكتوراه عبدالعلي الحمدي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

الكلام على قوله تعالى: (ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

هاتين الآيتين نزلتا في ثلاثة نفر كانوا في الجاهلية يقولون لا إله إلا الله: زيد بن عمرو، وأبي ذرّ الغفاري، وسلمان الفارسيّ، نزل فيهم: (ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ) في جاهليتهم (ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

وعبدالرحمن بن عوف، وطلحة، والزبير، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد، فسألوه فأخبرهم بإيمانه فآمنوا، فنزلت فيهم.[1]

وما روي عن ابن عباس لم يُذْكر مسنداً، ولم يذكره الطبري وابن أبي حاتم. وما ذُكر من أنها نزلت في قومٍ كانوا موحِّدين في الجاهلية، ليس بسبب نزول. ولم يذكر الشيخ مقبل في هذه الآية شيئاً من أسباب النزول.

ولما كان سبب النزول موقوف على النقل والسماع، ولم يثبت هنا شيءٌ من ذلك، كان الراجح هو كما قال ابن عطية وابن جزي والحافظ ابن كثير عليهم رحمة الله تعالى.

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

(١) أسباب النزول للواحدي: (٢٤٧ - ٢٤٨).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة .:. مع الفهارس) 5

المسألة الثانية: في المعنى المراد بالطاغوت.

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: «والطاغوت: كل ما عُبِد مِن دون الله. وقيل: الشياطين».[1]

والمسألة فيها قولان:

القول الأول: أن الطاغوت هو كل ما عبد من دون الله.

قال ابن جرير قوله: (ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ): أي اجتنبوا عبادة كلّ ما عبد من دون الله من شيء.[2] وقال الماوردي: أنه كل ذي طغيان طغى على الله، فيعبد من دونه، إما بقهر منه لمن عَبَده، أو بطاعةٍ له، سواء كان المعبود إنساناً أو صنماً، وهذا قول أبي جعفر الطبري.[3] وكذا قال البغوي[4]

قال ابن عطية: وهذه تسميةٌ صحيحة في كل معبود يرضى ذلك، كفرعون ونمرود ونحوه، وأما من لا يرضى ذلك كعزير وعيسى عليهما السلام، ومَن لا يعقل كالأوثان، فسميت طاغوتاً في حق العَبَدة، وذلك مجاز. إذ هي بسبب الطاغوت الذي يأمر بذلك ويحسنه وهو الشيطان.[5]

القول الثاني: أن المراد بالطاغوت: الشيطان. وهذا القول أسنده ابن جرير إلى عمر ابن الخطاب، ومجاهد، والشعبي، والضحاك، وقتادة، والسدي.[6] وهو مروي أيضاً عن مقاتل وابن زيد. وممن ذكر ذلك من المفسرين: الماوردي[7] والسمعاني[8] والبغوي[9] والزمخشري[10]

---

(١) التسهيل في علوم التنزيل لابن جزي: ص(٦٢٣).
(٢) تفسير الطبري (٢٣/ ٢٠٥).
(٣) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ١١٩).
(٤) تفسير البغوي (٤/ ٧٥).
(٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٥٢٠).
(٦) تفسير الطبري (٢٣/ ٢٠٥).
(٧) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ١١٩).
(٨) السمعاني ((٤/ ٤٦٣).
(٩) تفسير البغوي (٤/ ٧٥).
(١٠) الكشاف (٤/ ١٢٢).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

وابن عطية[1] وابن الجوزي[2] والقرطبي[3] وابن كثير.[4]

الترجيح:

والراجح والعلم عند الله تعالى أن الطاغوت هو كل ما عبد من دون الله وهو راض بذلك، وأول من يدخل في هذا الوصف الشيطان، لأنه رأس الكفر والضلالة، وبهذا نعلم أنه لا فرق بين القولين، غير أن أحدهما أخص من الآخر، ويمكن أن يقال: أن ما جاء عن جماهير السلف في تفسير الطاغوت، بأنه من باب التنصيص على بعض أفراد العام. ولذا ذكر ابن جرير أن الطاغوت في هذا الموطن الشيطان ثم قال: وهو في هذا الموضع وغيره بمعنى واحدٍ عندنا.[5]

قال الشيخ الأمين: قال بعض العلماء: الطاغوت الشيطان ويدل لهذا قوله تعالى: (ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ) [آل عمران:١٧٥] أي: يخوفكم من أوليائه وقوله تعالى: (ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

الكلام على قوله تعالى: (ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ).

والآية فيها مسألة واحدة وهي: ما المراد بقوله: (ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ).

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: «قيل يستمعون القول على العموم، فيتبعون القرآن لأنه أحسن الكلام. وقيل يستمعون القرآن فيتبعون بأعمالهم أحسنه، من العفو الذي هو أحسن من الانتصار وشبه ذلك. وقيل هو الذي يستمع حديثاً فيه حَسَنٌ وقبيح، فيتحدث بالحسن ويكف عما سواه، وهذا قول ابن عباس وهو الأظهر. وقال ابن عطية هو عام في جميع الأقوال. والقصد الثناء على هؤلاء ببصائر ونظرٍ سديدٍ، يفرِّقون به بين الحق والباطل، وبين الصواب والخطأ، فيتبعون الأحسن من ذلك، وقال الزمخشري مثل هذا المعنى».[1]

والمسألة فيها ثلاثة أقوال:

القول الأول: أنهم يستمعون القول على العموم فيتبعون القرآن لأنه أحسن الكلام.

قال السمعاني: أي: يستمعون القرآن وغير القرآن وقوله: ﴿ ﮪ ﮫ﴾ أي: القرآن.[2] وكذا قال البغوي[3] والزمخشري[4] وابن عطية[5] والقرطبي.[6]

القول الثاني: أنهم يستمعون القرآن فيتبعون بأعمالهم أحسن ما فيه، من العفو الذي هو أحسن من الانتصار، ومن الإخفاء الذي هو أحسن من الإبداء عند الصدقة وشبه ذلك. وهو مروي عن مقاتل، ويحيى بن سلام، والسدي.

قال السمعاني: يستمعون القول أي: القرآن فيتبعون أحسنه، والأحسن هو العفو، والانتصار على الظالم مذكور في القرآن، والعفو مذكور، والعفو أحسن الأمرين.[7]

---

(١) التسهيل في علوم التنزيل لابن جزي: ص(٦٢٣).

(٢) السمعاني ((٤/ ٤٦٤).

(٣) تفسير البغوي (٤/ ٧٥).

(٤) الكشاف (٤/ ١٢٢).

(٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٥٢٥).

(٦) تفسير القرطبي (١٥/ ٢٤٤).

(٧) السمعاني ((٤/ ٤٦٤).

وممن ذكر هذا من المفسرين: الماوردي[1] والبغوي[2] والزمخشري[3] وابن عطية[4] والقرطبي.[5]
والقرطبي.[5]

وهذا القول هو الذي رجحه الشيخ الأمين الشنقيطي رحمه الله تعالى وقرر أن المراد بالقول هو ما جاء من وحي الكتاب والسنة كقوله تعالى: (ڈ ۀ ۀ ھ) [المؤمنون:٦٨] وقوله تعالى: (ژ ژ ڑ ک ک ک ک گ) [الطارق:١٣-١٤].

وأن المراد بقوله تعالى: (ھ ھ ے ۇ) أي يقدمون الأحسن، الذي هو أشد حسناً، على الأحسن الذي هو دونه في الحسن. واستدل على ذلك بعددٍ من الآيات في كتاب الله. وبين أن الواجب أحسن من المندوب، وأن المندوب أحسن من مطلق الحسن، فإذا سمعوا مثلاً قوله تعالى: (گ گ ں ں ڻ ڻ) [الحج:٧٧] قدموا فعل الخير الواجب، على فعل الخير المندوب، وقدموا هذا الأخير، على مطلق الحسن الذي هو الجائز. ثم بَيَّن أمثلةً فيها الترغيب في الأخذ بالأحسن وأفضليته مع جواز الأخذ بالحسن فمن ذلك:

قوله تعالى: (و ۈ ۇ ې ې ې ې □ □ □ □ □ □ □) [النحل:١٢٦] فالأمر في قوله: (ۇ ې ې ې □ □) للجواز، والله لا يأمر إلا بحسن. فدل ذلك على أن الانتقام حسن، ولكن الله بين أن العفو والصبر، خير منه وأحسن في قوله: (□ □ □ □ □ □) وأمثال ذلك كثيرة في القرآن، كقوله تعالى في إباحة الانتقام (ۇ ۆ و و ۆ ۇ ې ې ې ې) [الشورى:٤١] مع أنه بين أن الصبر والغفران خير منه، في قوله تعالى: (□ □ □ ى ى ې ې □ □) [الشورى:٤٣] وكقوله في جواز الانتقام (ٱ ب ب ې ې پ پ ې ې پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ) [النسا:١٤٨] مع أنه أشار إلى أن العفو خير منه، و أنه من صفاته جل وعلا مع كمال قدرته وذلك في قوله بعده: (ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ڈ ڈ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ) [النساء:١٤٩].

---

(١) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ١٢٠).
(٢) تفسير البغوي (٤/ ٧٥).
(٣) الكشاف (٤/ ١٢٢).
(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٥٢٥).
(٥) تفسير القرطبي (١٥/ ٢٤٤).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

وكقوله جل وعلا مثنياً على من تصدق، فأبدى صدقته (ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ) [البقرة:٢٧١] ثم بين أن إخفاءها وإيتاءها الفقراء، خير من إبدائها الذي مدحه بالفعل الجامد، الذي هو لإنشاء المدح الذي هو نِعِمّ، في قوله (ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ) [البقرة:٢٧١].

وكقوله في نصف الصداق اللازم، للزوجة بالطلاق، قبل الدخول، فنصف ما فرضتم، ولا شك أن أخذ كل واحد من الزوجين النصف حسن، لأن الله شرعه في كتابه في قوله: (□ □ □ □) [البقرة:٢٣٧] مع أنه رغب كل واحدٍ منهما، أن العفو للآخر عن نصفه، وبين أن ذلك أقرب للتقوى، وذلك في قوله بعده (□ □ □ □□ □ □ ى ى ې □) [البقرة:٢٣٧].

وقد قال تعالى: (ھ ھ ے ے ۓ ۓ) الشورى: ٤٠] ثم أرشد إلى الحسن بقوله: (ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ) [الشورى:٤٠] وقال تعالى: (ۇ ۆ ۆ □) [المائدة:٤٥] ثم أرشد إلى الأحسن في قوله: (و و ۉ ۉ ې ې ې □) [المائدة:٤٥].[1]

القول الثالث: أن المراد بذلك: الذي يستمع حديثاً فيه حسنٌ وقبيح، فيتحدث بالحسن ويكف عما سواه، وهذا قول ابن عباس وابن السائب.

قال الماوردي: هو الرجل يسمع الحديث من الرجل فيحدث بأحسن ما يسمع منه، ويمسك عن أسوئه فلا يتحدث به، قاله ابن عباس.[2] وممن ذكر ذلك من المفسرين: الزمخشري[3] والقرطبي[4] وابن الجوزي.[5]

الترجيـــح:

والراجح والعلم عند الله تعالى هو القول بالعموم إذ أن كل ما ذكره أهل التفسير من أقوال داخل في مراد الآية، وهو بعض دلالتها. وقد مر معنا كثيراً بيان المنهج الصحيح في مثل

---

(١) أضواء البيان (٦/ ٣٥٦).

(٢) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ١٢٠).

(٣) الكشاف (٤/ ١٢٢).

(٤) تفسير الطبري (٢٣/ ٢٠٤).

(٥) زاد المسير (٧/ ١٦٨).

دكتوراه عبدالعلي الحمدي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

هذه المسائل من كتاب الله تعالى من خلال قواعد التفسير وأن اللفظ إذا كان محتملاً لأكثر من معنى كما هو الحال في عامة ألفاظ القرآن ولا تعارض بينهم فإن الآية تحمل عليه. وليس لأحد أن يصرف الآية لوجه من الوجوه المحتملة إلا بحجة.

وما ذكره الشيخ الأمين من الأمثلة على القول الذي رجحه إنما هي مندرجةٌ تحت جزء من دلالة الآية. ولذا قال ابن الجوزي أن المراد جميع الكلام.[1]

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

(١) زاد المسير (٧/ ١٦٨).

الكلام على قوله تعالى: (ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ).

والآية فيها مسألة واحدة وهي: كيف اجتمع استفهامان في معنىً واحد.

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: «فيها وجهان: أحدهما: أن يكون الكلام جملة واحدة تقديره: « أفمن حق عليه كلمة العذاب أأنت تنقذه ». فموضع (ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ) موضع المضمر والهمزة في قوله (ﯘ ﯚ) هي الهمزة التي في قوله (ﯓ ﯚ) هي همزة الإنكار كررت للتأكيد.

والثاني: أن يكون التقدير: « أفمن حق عليه كلمة العذاب تتأسف عليه » فحذف الخبر، ثم استأنف قوله: (ﯘ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ) وعلى هذا يوقف على العذاب. والأول أرجح لعدم الإضمار ».[1]

والمسألة فيها قولان:

القول الأول: أن يكون الكلام جملة واحدة، والهمزة في الموضعين واحدة كررت للتأكيد.

قال الفراء: وهذا ممّا يُراد به استفهام واحد، فسبق الاستفهامُ إلى غير موضعه فَرُدّ إلى موضعه الذي هو له، فيكون المعنى: «أفأنتَ تُنْقِذ مَنْ في النارِ مَنْ حَقَّت عليه كلمة العذاب؟» ومثله: (ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ) [المؤمنون:٣٥] فرَدّ «أنَّك» مرتين، والمعنى: « أَيَعِدُكُم أنكم مُخْرَجون إذا مِتُّم »؟. ومثله (ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

لا أرى الموت يسبق الموت شيء نغص الموت ذا الغنى والفقيرا

فإنما أظهر الضمير تنبيهاً على عِظَم الموت.[1]

وعلى نحو تكرير أَنَّ في قول قس بن ساعدة:

لقد علم الحَي اليمـــانُون أنني إذ قلت: أمّا بعد، أَني خطيبها.[2]

وممن ذكر نحو هذا من المفسرين: ابن جرير[3] والزمخشري[4] والقرطبي.[5]

القول الثاني: أن تكون الآية جملتين، ويكـون الاسـتفهام الثـاني غـير الاسـتفهام الأول وعليه فيكون خبر الجملة الأولى محذوفاً تقديره: تتأسف عليه. أو: كمن نجا.[6] لأن قولـه: (ۆ ې) مبتدأ. وقدره الزمخشري بـ: « أفمن حـق عليـه العـذاب فأنـت تخلّصـه »؟ لأن: (ۆ ې) يدل عليه.[7]

وممن ذكر هذا من المفسرين: ابـن عطيـة[8] وابـن الجـوزي[9] والزجـاج[10] والقرطبـي[11] وابن عاشور.[12]

---

(١) المحرر الوجيز لابن عطية (٤/ ٥٢٥) والبيت لعدي بن زيد العبادي، شرح أدب الكاتب (١/ ٤٥).

(٢) تفسير التحرير والتنوير (٢٣/ ٣٦٩)، وانظر البيت في خزانة الأدب - (٤/ ٥٨).

(٣) تفسير الطبري (٢٣/ ٢٠٤).

(٤) الكشاف (٤/ ١١٨).

(٥) تفسير القرطبي (١٥/ ٢٤٤).

(٦) وهذا ترجيح العكبري كما في التبيان: (٢/ ١١١٠).

(٧) الكشاف (٤/ ١١٨).

(٨) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٥٢٢).

(٩) زاد المسير (٧/ ١٦٧).

(١٠) معني القرآن وإعرابه: (٤ / ٣٥٠).

(١١) تفسير القرطبي (١٥/ ٢٤٥).

(١٢) تفسير التحرير والتنوير (٢٣/ ٣٦٩).

دكتوراه عبدالعلي المدني (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

الترجيـــح:

والراجح والعلم عند الله تعالى هو ما ذهب إليه ابن جزي عليه رحمة الله تعالى في القـول الأول وهو أن الكلام جملة واحدة، والهمزة في الموضعين واحدة، كررت للتأكيد. وذلك لعـدة أمور:

الأمر الأول: أن هذا هو الأصل وهو أن يحمل الكلام بلا تقدير ولا إضمار ولذا فإن من قواعد التفسير: أن يقلل المقدر مهما أمكن لتقل مخالفة الأصل.

الأمر الثاني: أن القاعدة تقول: إذا كان للكلام وجه مفهوم على اتساقه على كلام واحد، فلا وجه لصرفه إلى كلامين.[1]

هذا هو المقدم، وأما القول الثاني فهو صحيح، لأن القاعدة تقول: حذف جواب الشرط يدل على تعظيم الأمر وشدته في مقامات الوعيد. وهنا إذا حملت الآية عـلى أنهـا كلامـين فإنـه لابد من تقدير الجواب المعادل لقوله: (ۆ ۈ ۈ ۇ ۆ ۆ ۈ ۇ ۆ ۆ ۈ ۇ ۆ ۆ

الكلام على قوله تعالى: (ى ى ي ي □ □ □

الترجيـــح:

والراجح والعلم عند الله تعالى هو القول بالعموم في مثل هذا المقام، فإن الله جـل وعـلا بقدرته خالف بين هذه الأصناف في ألوانها وأشكالها وطعومها وأحجامها وهي تنبت في قطـع متجاورات، وتسقى بماء واحد، ومع ذلك فضل الله بعضـها عـلى بعـض في الأكـل، آيـة منـه سبحانه وتعالى. وهذا هو واقع الحال، فإن هذه الزروع فيها من التباين في ألوانها وأصنافها، ما يجعل الإنسان يقف مدهوشاً عند التأمل.

تأمل في رياض الأرض وانظر ... إلى آثـــــار ما صنع المليك

عيون من لجين شاخـــصات ... بأحـداق هي الذهب السبيك

على قضب الزبرجد شـاهدات ... بـأن الله لـــيس لـــه شريك[1]

وعلى كل حال فإن الآية إذا احتملت أوجهاً، وكان من الممكن حملها عـلى الجميـع كـان هذا هو الأولى لأن القرآن أكثره يدل على معنيين فأكثر.[2]

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

(١) ديوان عبدالغني النابلسي (١/ ١٠٢٥).

(٢) انظر: مختصر قواعد التفسير للسبت: ص(٢٦، ٢٧).

دكتوراه عبدالعلي الحمدي (كامل الرسالة :: مع الفهارس) 5

الكلام على قوله تعالى: (ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾ ﷿ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾ ﷿ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾ ﷿

المسألة الثانية: كيف قست قلوبهم من ذكر الله وما معنى ذلك ؟.

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: «قال الزمخشري «من» هنا سببية. أي: قلوبهم قاسية من أجل ذكر الله، وهذا المعنى بعيد. ويحتمل عندي أن يكون: «قاسية» تَضَمَّن معنى خالية، فلذلك تعدى بـ«من» والمعنى: أن قلوبهم خالية من ذكر الله ».[1]

والمسألة فيها قولان:

القول الأول: أن «من» هنا سببية. والمعنى: أن قلوبهم قاسية من أجل ذكر الله.

قال الزمخشري: المعنى ما ذكرت، من أن القسوة من أجل الذكر وبسببه.[2] وممن ذكر هذا هذا المعنى من المفسرين: أبو حيان[3] والبيضاوي[4] والألوسي[5] وابن عاشور.[6] قال الزجاج: الزجاج: فمن قال:« من ذكر الله» فالمعنى: كلما تلي عليه ذكر الله قسا قلبه، كما قال: (ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

ونقل الشوكاني كلام الفراء والزجاج ثم قال: وقيل: معنى (ٹ ٹ ٹ ٹ) من أجل ذكره الذي حقه أن تنشرح له الصدور، وتطمئن به القلوب. والمعنى: أنه إذا ذكر الله اشمأزوا، والأول أولى، ويؤيده قراءة من قرأ عن ذكر الله.[1]

وقد ذكر الرازي إن النفس إذا كانت خبيثة الجوهر كَـدِرَة العنصر ـ بعيدة عن مناسبة الروحانيات شديدة الميل إلى الطبائع البهيمية والأخلاق الذميمة، فإن سماعها لذكر الله يزيدها قسوةً وكدورةً. وتقرير هذا الكلام بالأمثلة فإن الفاعل الواحد تختلف أفعاله بحسب اختلاف القوابل، كنور الشمس يُسَوِّد وجه القَصَّار ويبيض ثوبه، وحرارة الشمس تُلَيِّن الشمع وتَعْقِد الملح، وقد نرى إنساناً واحداً يذكر كلاماً واحداً في مجلس واحد، فيستطيبه واحدٌ ويستكرهه غيره.[2] وقد ذكر ابن هشام هذا القول في مغني اللبيب بصيغة التمريض.[3]

القول الثاني: أن قوله ﴿ قاسية ﴾ متضمن معنى خالية فلذلك تعدى بـ«من» والمعنى: أن قلوبهم خالية من ذكر الله. قال السمعاني وقوله: (ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ) أي: الذين لا يذكرون الله، وكل من ترك ذكر الله فقد قسا قلبه.[4]

الترجيح:

والراجح والعلم عند الله تعالى أن ما رجحه ابن جزي هو البعيد وأن الراجح ما ذهب إليه الفراء والزجاج، من أن المعنى أن هؤلاء قست قلوبهم عن ذكر الله تعالى فلم تلن له، ولم تقبله، بل يَزِل الذكر عنها كما يزل القطر عن الصخر.

قال ابن هشام في معرض حديثه عن معاني «من» أنها: [تقع] مرادفة «عن» نحو: (ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ) و (ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ)[الأنبياء].[5]

وأما الاحتمال الثاني وهو أن قلوبهم قست من ذكر الله لما اعتقدوا في كلام الله أنه كذب فقست قلوبهم فهو محتمل. وأما قوله تعالى (ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ) فهذا

---

(١) فتح القدير (٤/ ٤٥٦).

(٢) التفسير الكبير (٢٦/ ٢٣١).

(٣) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب : (١/ ١٢١).

(٤) السمعاني ((٤/ ٤٦٥).

(٥) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب : (١/ ١٢١).

دكتوراه عبدالعلي المدني (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

الرجس مما قام في القلب من التكذيب والإعراض وعدم القبول والتصديق عند سماع الآيات المنزلة. وأما الاحتمال الذي ذكره ابن جزي، فهو ثمرة القول الذي رجحناه، فهم لما أعرضوا **عن** ذكر الله خلت قلوبهم من ذكر الله.

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

الكلام على قوله تعالى: (ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ).

والآية فيها مسألة واحدة وهي: ما المراد بقوله تعالى: (ﯙ ﯚ ﯛ).

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: «أي ليس فيه تضادٌ ولا اختلافٌ ولا عيبٌ من العيوب التي في كلام البشر. وقيل معناه: غير مخلوق. وقيل: غير ذي لحن».[1]

والمسألة فيها ثلاثة أقوال:

القول الأول: أن القرآن منزه عن التضاد والاختلاف والعيب كما في كلام البشر.

وهذا القول مروي عن ابن عباس، وعثمان بن عفان رضي الله عن الجميع، ومجاهد، والضحاك. وممن ذكر هذا من المفسرين: الماوردي[2] والسمعاني[3] والبغوي[4] والزمخشري[5] وابن عطية[6] والقرطبي[7] والشوكاني.[8]

القول الثاني: أن المراد بذلك: أنه غير مخلوق. وهو مروي عن ابن عباس والسدي ومالك بن أنس. فنقل السمعاني عن ابن عباس أنه قال: (ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ) أي: غير مخلوق، وحكى سفيان بن عيينة، عن سبعين من التابعين: أن القرآن ليس بخالق ولا مخلوق، وهذا اللفظ أيضاً منقول عن علي بن الحسين زين العابدين.[9]

وممن ذكر هذا من المفسرين: البغوي[10] وابن عطية[11] وابن الجوزي.[12]

---

(١) التسهيل في علوم التنزيل لابن جزي: ص(٦٢٤).
(٢) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ١٢٠).
(٣) السمعاني ((٤/ ٤٦٧).
(٤) تفسير البغوي (٤/ ٧٥).
(٥) الكشاف (٤/ ١٢٧).
(٦) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٥٢٨).
(٧) تفسير القرطبي (١٥/ ٢٥٢).
(٨) فتح القدير (٤/ ٤٦١).
(٩) السمعاني ((٤/ ٤٦٧).
(١٠) تفسير البغوي (٤/ ٧٥).
(١١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٥٢٨).
(١٢) زاد المسير (٧/ ١٧٨).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

القول الثالث: أنه غير ذي لحن.

قال ابن عطية قال بكر المزني: غير ذي لحن.[1]

الترجيح:

والراجح والعلم عند الله تعالى هو الحمل على العموم فإن القرآن ليس بمختلف، كما قال الله تعالى: (ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ) (النساء: ٨٢) وهو أيضاً غير مخلوق، بل هو كلام الله تعالى، كما هو مقرر في مواضعه، وقد دلت النصوص المتضافرة على أن القرآن كلام الله، منه بدأ وإليه يعود. وهو أيضاً لا لحنَ فيه، فَصَّله الله قرآناً عربياً لقوم يعلمون، وأنزله بلسانٍ عربيٍ مبين.

وقد سبق وأن ذكرنا كثيراً القواعد الخاصة بالترجيح عند عدم التضاد وأن الحمل على العموم أولى الأقوال.

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٥٢٨).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

الكلام على قوله تعالى: (□).

والآية فيها مسألة واحدة وهي: ما المراد بقوله: (□ □).

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: «أي: متنازعون متظالمون. وقيل: متشاجرون. وأصله من قولك رجل شكس إذا كان ضيق الصدر والمعنى ضرب هذا المثل لبيان حال من يشرك بالله ومن يوحده فشبه المشرك بمملوك بين جماعة من الشركاء يتنازعون فيه والمملوك بينهم في أسوأ حال وشبه من يوحد الله بمملوك لرجل واحد».[1]

وقد اختلفت عبارات المفسرين في معنى (□ □) فمنهم من قال:

القول الأول: أن معناه: متنازعون. وهذا قول قتادة[2] وظاهر عبارة ابن كثير.[3]

القول الثاني: أن معناه: مختلفون. وهو قول ابن زياد وابن قتيبة[4] والفراء[5] والزمخشري[6] وابن عاشور.[7]

القول الثالث: أن معناه: سيء الخلق. وهو قول اليزيدي[8] والجوهري.[9]

الترجيح:

والراجح والعلم عند الله أن معنى التشاكس يجمع كل هذه الصفات، فهو متضمن لمعنى الاختلاف، والتضاد، والمعارضة، وعدم الرضا، والمشاحة، وضيق الصدر، والتنازع؛ وكل هذه الصفات متلازمة، ومؤديةٌ إلى حصول النزاع، وهذا اختلاف تنوع، فكلٌ عبَّر بجزء

---

(١) التسهيل في علوم التنزيل لابن جزي: ص(٦٢٤).
(٢) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ١٢٤).
(٣) تفسير ابن كثير (٤/ ٥٣).
(٤) زاد المسير (٧/ ١٧٩).
(٥) تفسير القرطبي (١٥/ ٢٥٢).
(٦) الكشاف (٤/ ١٢٨).
(٧) تفسير التحرير والتنوير (٢٣/ ٤٠١).
(٨) زاد المسير (٧/ ١٧٩).
(٩) تفسير القرطبي (١٥/ ٢٥٣).

دكتوراه عبدالعلي المدني (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

من المعنى؛ ولذا قال ابن جرير في تفسير الآية: هو بين جماعة مالكين متشاكسين، يعني مختلفين متنازعين، سيئة أخلاقهم، من قولهم: رجل شكس: إذا كان سيئ الخلق.[1]

وقال البغوي: (□ □ □ □) متنازعون مختلفون سيئة أخلاقهم يقال: رجل شكس شرس، إذا كان سيء الخلق، مخالفًا للناس، لا يرضى بالإنصاف،.[2]

ونقل ابن الجوزي عن ابن قتيبة قال: أي مختلِفون، يَتَنازعُون ويَتَشاحُّون فيه.[3]

وقال ابن كثير: أي: يتنازعون في ذلك العبدالمشترك بينهم.[4]

ولذا فقد ذكر ابن منظور في معنى شكس: أنه السيء الخلق في المبايعة والعسر والمخالف والمعارض والمضاد.[5]

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ٢١٤).

(٢) تفسير البغوي (٤/ ٧٨).

(٣) زاد المسير (٧/ ١٧٨).

(٤) تفسير ابن كثير (٤/ ٤٥).

(٥) لسان العرب (٦/ ١١٢).

الكلام على قوله تعالى: (□ □ □ □ □ □ □ □ □).

والآية فيها مسألة واحدة وهي: فيم الاختصام ومن هم المختصمون ؟.

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: «قيل يعني: الاختصام في الدماء. وقيل: في الحقوق. والأظهر: أنه اختصام النبي ﷺ مع الكفار في تكذيبهم له، فيكون من تمام ما قبله. و يحتمل: أن يكون على العموم في اختصام الخلائق فيما بينهم، من المظالم، وغيرها ».[1]

والمسألة فيها أربعة أقوال:

القول الأول: أن هذا الاختصام في الدماء. وهذا القول مروي عن عكرمة كما عند الماوردي.[2] وأخرج الطبري عن ابن عمر قال: نزلت علينا هذه الآية وما ندري ما تفسيرها حتى وقعت الفتنة، فقلنا: هذا الذي وعدنا ربُّنا أن نختصم فيه (□ □ □ □ □ □ □ □).[3]

وعن إبراهيم قال: لما نزلت: (□ □ □ □ □ □ □ ...) الآية، قالوا: ما خصومتنا بيننا ونحن إخوان، قال: فلما قُتل عثمان بن عفان، قالوا: هذه خصومتنا بيننا.[4]

القول الثاني: أن الاختصام في الحقوق. ذكره الماوردي فقال: تخاصمهم هو تحاكمهم إلى الله تعالى فيما تغالبوا عليه في الدنيا من حقوقهم خاصة، دون حقوق الله، ليستوفيها من حسناتِ مَن وجبت عليه في حسنات مَن وجبت له.[5]

القول الثالث: أنه اختصام النبي ﷺ مع الكفار في تكذيبهم له.

قال الزمخشري: (□ □) فتحتج أنت عليهم بأنك بلَّغت فكذبوا، فاجتهدت في الدعوة فلجوا في العناد، ويعتذرون بما لا طائل تحته.[6]

---

(١) التسهيل في علوم التنزيل لابن جزي: ص(٦٢٥).

(٢) النكت والعيون تفسير الماوردي (١/ ١٤١).

(٣) والأثر في السنن الكبرى للنسائي (٦/ ٤٤٥)، ومشكل الآثار للطحاوي (١/ ١٣٣)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ٢٠٨): رواه الطبراني ورجاله ثقات.

(٤) تفسير الطبري (٢٣/ ١).

(٥) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ١٢٠).

(٦) الكشاف (٤/ ١٢٩).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

وهذا هو ترجيح ابن عطية.[1]

قال ابن الجوزي: ثم أخبر نبيَّه بما بعد هذا الكلام أنه يموت، وأن الذين يكذِّبونه يموتون، وأنهم يجتمعون للخُصومة عند الله عز وجل، المُحِقُّ والمُبطلُ، والمظلومُ والظالمُ.[2]

القول الرابع : أن هذا عام في جميع خصومات الخلائق وما بينهم من مظالم.

فروى ابن جرير عن ابن عباس أنه قال: يخاصم الصادق الكاذب، والمظلوم الظالم، والمهتدي الضال، والضعيف المستكبر. وقال ابن جرير:

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: عني بذلك: أنك يا محمد ستموت، وأنكم أيها الناس ستموتون، ثم إن جميعكم أيها الناس تختصمون عند ربكم، مؤمنكم وكافركم، ومُحِقُّوكم ومُبطِلوكم، وظالموكم ومظلوموكم، حتى يؤخذ لكلٍّ منكم ممن لصاحبه قِبَله حَقُّ حَقَّه.[3]

واستدل القرطبي[4] على عموم هذا في جميع المظالم بما في حديث أبي هريرة عند مسلم، أن أن رسول الله ﷺ قال: (**أتدرون من المفلس**) قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع . قال : (**إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار**).[5]

وعند البخاري عنه أيضاً أن رسول الله ﷺ قال: (**مَن كانت عنده مظلمةٌ لأخيه فليتحلله منها، فإنه ليس ثَمَّ دينارٌ ولا درهم، مِن قبل أن يؤخذ لأخيه من حسناته، فإن لم يكن له حسناتٌ أُخِذ من سيئآت أخيه فطرحت عليه**).[6]

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٥٢٩).

(٢) زاد المسير (٧/ ١٧٩).

(٣) تفسير الطبري (٢٣/ ١).

(٤) تفسير القرطبي (١٥/ ٢٥٥).

(٥) صحيح مسلم (٤/ ١٩٩٧).

(٦) صحيح البخاري (٥/ ٢٣٩٤).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

قال ابن كثير: ثم إن هذه الآية -وإن كان سياقها في المؤمنين والكافرين، وذِكْر الخصومة بينهم في الدار الآخرة-فإنها شاملة لكل متنازعين في الدنيا، فإنه تعاد عليهم الخصومة في الدار الآخرة... فالصحيح العموم، والله أعلم.[1]

الترجيح: والراجح والعلم عند الله تعالى هو القول بالعموم، وأن الآية في جميع المظالم والحقوق التي بين الناس، وأن الخصومة بين النبي ﷺ وبين الكفار، واختصام الناس في الدماء تدخل دخولاً أولياً، لأن النبي ﷺ قال: (**إن أول ما يُقضى بين الناس في الدماء**).[2]

ويشهد لهذا المعنى حديث المفلس المتقدم، وقول النبي ﷺ: (**لَتُؤَدُّنَّ الحقوق إلى أهلها يوم القيامة، حتى يُقَاد للشاة الجَلْحاء من الشاة القَرْناء**).[3]

ولذا قال ابن جرير: وإنما قلنا هذا القول أولى بالصواب لأن الله عم بقوله: (□ □ □ □ □ □ □ □) خطاب لجميع عباده، فلم يخصص بذلك منهم بعضا دون بعض، فذلك على عمومه على ما عمه الله به، وقد تنزل الآية في معنى، ثم يكون داخلا في حكمها كلّ ما كان في معنى ما نزلت به.[4] وهو ترجيح الحافظ ابن كثير كما تقدم.

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٤٥).

(٢) صحيح البخاري (٦/ ٢٥٠٩)، وصحيح مسلم (٣/ ١٢٩٥).

(٣) صحيح مسلم (٤/ ١٩٩٧).

(٤) تفسير الطبري (٢٣/ ١).

الكلام على قوله تعالى: (□ ى ى ي ي □ □ □ □ □).

والآية فيها مسألة واحدة وهي: مَن المقصود في قوله تعالى: (□ ى □) ؟.

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: «أي: ظهر لهم يوم القيامة خلاف ما كانوا يظنون، لأنهم كانوا يظنون ظنوناً كاذبة. قال الزمخشري: المراد بذلك تعظيم العذاب الذي يصيبهم، أي: ظهر لهم من عذاب الله ما لم يكن في حسابهم، فهو كقوله في الوعد: (ٹ ٹ ٹ ٹ ۀ ۀ ہ ہ ھ ھ). وقيل معناها: عملوا أعمالا حسبوها حسنات، فإذا هي سيئات. وقال الحسن: ويلٌ لأهل الرياء من هذه الآية. وهذا على أنها في المسلمين. والظاهر أنها في الكفار».[1]

والمسألة فيها قولان:

القول الأول: أن المراد في ذلك هم أهل الرياء من المسلمين.

عن سفيان الثوري أنه قرأها فقال: ويل لأهل الرياء، ويل لأهل الرياء. وجزع محمد بن المنكدر عند موته فقيل له، فقال: أخشى آية من كتاب الله، وتلاها، فأنا أخشى أن يبدو لي من الله ما لم أحتسبه.[2] وكذا نقل ابن عطية[3]

القول الثاني: أن المقصود في الآية الكفار.

قال ابن جرير يقول تعالى ذكره: ولو أن لهؤلاء المشركين بالله يوم القيامة، وهم الذين ظلموا أنفسهم (□ □ □ □ □) في الدنيا من أموالها وزينتها (□ □ □) مضاعفاً، فَقُبل ذلك منهم عوضاً من أنفسهم، لَفَدَوا بذلك كله أنفسَهم عوضاً منها، لينجوا من سوء عذاب الله، الذي هو معذّبهم به يومئذ (□ ى ى ي □) يقول: وظهر لهم يومئذ من أمر الله وعذابه، الذي كان أعدّه لهم، ما لم يكونوا قبل ذلك يحتسبون أنه أعدّه لهم.[4]

---

(١) التسهيل في علوم التنزيل لابن جزي: ص(٦٢٦).

(٢) الكشاف (٤/ ١٣٥).

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٥٣٥).

(٤) تفسير الطبري (٢٤/ ١١).

دكتوراه عبدالعلي الحمدي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

قال البغوي: والمعنى: أنهم كانوا يتقربون إلى الله بعبادة الأصنام، فلما عوقبوا عليها بدا لهم من الله ما لم يحتسبوا.

ثم نقل عن مقاتل قال: ظهر لهم حين بُعِثوا ما لم يحتسبوا في الدنيا أنه نازل بهم في الآخرة. وقال السدي: ظنوا أنها حسنات فبدت لهم سيئات، والمعنى: أنهم كانوا يتقربون إلى الله بعبادة الأصنام، فلما عوقبوا عليها بدا لهم من الله ما لم يحتسبوا.[1] وذلك لأنهم في الدنيا عبدوها لتقربهم من الله زلفى، فتبدت لهم حقيقتها في الآخرة.

قال ابن الجوزي: فهذا القول يحتمل وجهين:

أحدهما: أنَّهم كانوا يرجون القُرْبَ من الله بعبادة الأصنام، فلمّا عُوقِبوا عليها، بدا لهم ما لم يكونوا يحتَسِبون. والثاني: أنَّ البعثَ والجزاءَ لم يكن في حسابهم.[2]

الترجيح:

والراجح والعلم عند الله تعالى أن هذه الآية عامة في المشركين عباد الأصنام، وفي أهل البدع الذين يعملون بالمحدثات ظناً منهم أنهم يحسنون صنعاً، وفي المرائين الذين أرادوا بأعمالهم غير وجه الله جل وعلا.

وطريقة السلف أن تبقى نصوص الوعيد على إطلاقها، كما في أحاديث تخليد قاتل نفسه في النار، وتحريم الجنة على المستكبرين وأصحاب العقوق ونحو ذلك، لأنها أبلغ في الزجر.

ومما يؤيد هذا ما جاء في حديث ثوبان عن النبي ﷺ أنه قال: (**لأعلمن أقواما من أمتي يأتون يوم القيامة بحسنات أمثال جبال تهامة بيضا فيجعلها الله عز وجل هباء منثورا**) قال ثوبان: يا رسول الله صفهم لنا جلهم لنا أن لا نكون منهم ونحن لا نعلم. قال: (**أما إنهم إخوانكم، ومن جلدتكم، ويأخذون من الليل كما تأخذون، ولكنهم أقوام إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها**).[3]

---

(١) تفسير البغوي (٤/ ٧٧).

(٢) زاد المسير (٧/ ١٨٨).

(٣) الحديث : صحيح .

أخرجه ابن ماجة في سننه : (٢ / ٢٩٥) وصححه الألباني في صحيح وضعيف الجامع الصغير: (١٩/ ٣٠٦) وفي صحيح الجامع برقم : (٥٠٢٨) وفي السلسلة الصحيحة : (برقم : ٥٠٥) .

دكتوراه عبدالعلي الحمدي (كامل الرسالة .. مع الفهارس) ٥

وأما أهل الشرك الأكبر من متخذي الشركاء وعباد الأصنام والمستغيثين بالأموات ونحو ذلك فيظهر لهم عاقبة الشرك الذي لا يغفره الله وتظهر لهم حقيقة الشركاء، وأنهم لا يغنون عنهم من الله شيئاً، ولا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً.

وأما ما ذكره بعض المفسرين من أنه يبدو لهم أصناف من عذاب الله لم يكونوا يتوقعونها ولا يحتسبونها، فهذا حاصل لكل أحد فإن يوم القيامة من شدة هوله تجثوا فيه الأنبياء على الركب وكل منهم يقول نفسي نفسي نسأل الله أن يلطف بنا، ولا يؤاخذنا بسوء صنيعنا، وأن يرحم ضعفنا، إنه سميع مجيب.

قال الشيخ الأمين الشنقيطي: قوله: (ﭑ ﭒ ﭓ) أي: ظهر لهم (ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ) أي: جزاء سيئاتهم التي اكتسبوها في الدنيا. فالظاهر أنه أطلق السيئات هنا مراداً بها جزاؤها. ونظيره من القرآن قوله تعالى: (ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ) [الشورى: ٤٠]. ونظير ذلك أيضاً إطلاق العقاب، على جزاء العقاب في قوله تعالى: (ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

الكلام على قوله تعالى: (ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

الترجيـــح:

والراجح والعلم عند الله تعالى هو القول الثاني وهو الذي رجحه ابن جزي عليه رحمة الله تعالى. وذلك لعدة أمور:

الأمر الأول: أن القاعدة تقول: يقلل المقدر مهما أمكن لتقل مخالفة الأصل. والكلام بدون التقدير له وجه صحيح.(٥)

الأمر الثاني: أن هذا الذي قلنا بترجيحه هو المتفق مع ما جاء في كتاب الله تعالى من صنيع هؤلاء الكافرين؛ فإنهم كانوا في الدنيا إذا سمعوا الوعيد بعذاب الله استعجلوا به استخفافاً واستهزاءاً، فكأنه قال لهم هذا الذي كنتم به تستهزئون في الدنيا قد شاهدتموه وتذوقونه وتصلونه على الحقيقة. ويدل على ذلك آيات كثيرة من كتاب الله تعالى منها قوله جل وعلا: (ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

پ پ) (الجاثية: ٣٣). وبهذا يتبين أن العذاب الذي حاق بهم وأحاط بهم هو العذاب الذي كانوا يستعجلون به ويسخرون منه في الدنيا.

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

الكلام على قوله تعالى: (ٻ ٻ ٻ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ).

والآية فيها مسألتان:

المسألة الأولى: ما المراد بقوله: (ٻ ٻ ٻ ٱ ٻ).

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: «يحتَمِل وجهين: أحدهما وهو الأظهر: أن يريد: على علم مني بالمكاسب والمنافع. والآخر: على علم الله باستحقاقي لذلك».[1]

والمسألة فيها قولان:

القول الأول: أن هذا القائل يرى أنه أوتي هذه النعمة بسبب علمه بالمكاسب والمنافع وطرق التجارات ونحو ذلك من الأسباب المادية. وهذا كما قال قارون: (ٻ ٻ ٻ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ) [القصص: ٧٨]. وهذا فيه إعجاب بالنفس وتعاط مفرط.

وهذا القول مروي عن مجاهد وقتادة وممن ذكره من المفسرين: الماوردي[2] والسمعاني[3] والزمخشري[4] وابن عطية[5] والقرطبي[6] وابن عاشور.[7]

القول الثاني: أن مراد القائل: أن الله أعطانيه لاستحقاقي له. وهو مروي عن قتادة ومقاتل. قال ابن جرير: يعني على علم من الله بأني له أهلٌ، لشرفي ورضاه بعملي... وقوله: (ٱ ٻ ٻ ٻ ٱ ٻ): أي على شرف أعطانيه.[8]

وممن قال بنحو ذلك من المفسرين:

---

(١) التسهيل في علوم التنزيل لابن جزي: ص(٦٢٦).

(٢) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ١٣٠).

(٣) السمعاني ((٤/ ٤٧٣).

(٤) الكشاف (٤/ ١٢٨).

(٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٥٣٥).

(٦) تفسير القرطبي (١٥/ ٢٦٦).

(٧) تفسير التحرير والتنوير (٢٤/ ٣٤).

(٨) تفسير الطبري (٢٤/ ١٢).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

السمعاني[1] والبغوي[2] والزمخشري[3] وابن عطية[4] وابن الجوزي[5] والقرطبي[6] وابن كثير.[7]

الترجيح:

والراجح والعلم عند الله تعالى أن كلا القولين له وجه ظاهر فالحمل على العموم هو الأولى وذلك لعدة أمور:

الأمر الأول: أن الآية جاءت مستنكرة على هذا الجاحد لنعمة الله تعالى، ففي القول الأول الذي رجحه ابن جزي نسب الحول والقوة لنفسه، بما عنده من علم بالتجارات وطرق المكاسب ونحو ذلك، وتجرد من فضل الله ونعمته عليه كما قال قارون لما قال له قومه: (□ □ □ □ □□ □ □ □ □ □□ □ □ □ □ □□ □ □ ى ى ي ي□ □ □ □ □ □). [القصص:٧٧]

فقال لهم جاحداً نعمة الله: (ٱ ب ب ب پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ) (القصص:٧٨). فهذا الجاحد بين الله جحوده بأنه في وقت الضُّر دعا الله فلما خوله النعمة كفر بفضل الله، وأسندها إلى كسب نفسه وهذا تناقض قبيح.

وأما على القول الثاني، فإن هذا المكابر قد اغتر بهذه النعمة جهلاً منه وظن أنها دليل على أنه مرضي عند الله ولولا ذلك لما أعطاه الله إياها، وهذا قد أعجب بنفسه، ونسي استدراج الله تعالى للعبد بالنعم اختباراً وابتلاء منه، وهذا ظن كثير من الناس ممن غلب عليهم الجهل إلا من رحم الله جل وعلا فهم كما قال الله في سورة الفجر: (ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں

---

(١) السمعاني ((٤/ ٤٧٣).

(٢) تفسير البغوي (٤/ ٧٥).

(٣) الكشاف (٤/ ١٣٢).

(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٥٣٥).

(٥) زاد المسير (٧/ ١٨٧).

(٦) تفسير القرطبي (١٥/ ٢٦٦).

(٧) تفسير ابن كثير (٤/ ٥٨).

ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾ ﷿ ﴾ (الفجر: ١٦) فيجعلون مقياس رضى الرب على عبده بما أعطاه أو حرمه من النعم، وهذا غاية الجهل.

الأمر الثاني: أن الآية محتملة لكلا القولين، ولا مرجح لأحدهما على الآخر، وليس ثمة تعارض بينهما، وحينئذ فإن من المقرر في قواعد التفسير أن اللفظ إذا احتمل معاني عدة ولم يمتنع إرادة الجميع، فإنه يحمل عليها. أضف إلى ذلك أن عامة ألفاظ القرآن هي من هذا القبيل.[1]

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

(١) انظر: مختصر قواعد التفسير للسبت: ص(٢٦، ٢٧).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة :: مع الفهارس) 5

المسألة الثانية: ما إعراب « ما » في قوله: (ڈ ڈ ڃ).

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: «و (ڈ ڃ) هنا تحتمل وجهين: أحدهما وهو الأظهر: أن تكون « ما » كافة، و (ڤ ڤ ڤ) في موضع الحال. والآخر: أن تكون « ما » اسم إنَّ، و (ڤ ڤ ڤ ڃ) خبرها ».[1]

والمسألة فيها قولان:

القول الأول: أن قوله: (ڈ ڃ) مركبة من « إن » و « ما » الكافة وهي بمنزلة ما النافية. والتقدير: ما أوتيته إلا بعلم عندي. وهذا ما ذهب إليه الزمخشري.[2]

وقال ابن عاشور: « إنَّمَا » هي الكلمة المركبة من «إنّ» الكافة التي تصير كلمة تدل على الحصر بمنزلة « ما » النافية التي بعدها «إلاّ» الاستثنائية. والمعنى: ما أوتيت الذي أوتيتُه من نعمة إلا لعلم منيّ بطرق اكتسابه.[3] وهذا القول يوافق القول الأول في المسألة السابقة.

القول الثاني: أن «ما» موصولية وهي اسم إن و (ڤ ڤ ڃ) خبرها. والتقدير: إن الذي أوتيته لعلم عندي. وممن ذكر هذا القول: ابن عطية.[4] وابن عادل[5] وجوزه الألوسي إلا أنه استبعده لأنها تكتب في المصاحف موصولة.[6]

وقال أبو حيان: قيل: « ما » موصولة، والضمير عائد على «ما»، أي قال: إن الذي أوتيته على علم مني، أي بوجه المكاسب والمتاجر، قاله قتادة، وفيه إعجاب بالنفس وتعاظم مفرط. أو على علم من الله فيّ واستحقاق جزائه عند الله، وفي هذا احتراز الله وعجز ومنّ على الله. أو على علم مني بأني سأعطاه لما فيّ من فضل واستحقاق[7] وهذا القول يوافق القول الثاني في المسألة السابقة.

---

(١) التسهيل في علوم التنزيل لابن جزي: ص(٦٢٦).
(٢) الكشاف (٤/ ١٣٢).
(٣) تفسير التحرير والتنوير (٢٤/ ٣٥).
(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٥٣٥).
(٥) اللباب في علوم الكتاب (١٦/ ٥١٨).
(٦) روح المعاني (٢٤/ ١٢).
(٧) تفسير البحر المحيط (٧/ ٤١٥).

الترجيـــح:

والترجيح في هذه المسألة كالترجيح في المسألة السابقة.

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

الكلام على قوله تعالى: (ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڍ ڍ ڌ ڌ ڌ ڌ ڎ ڎ ڎ ڎ ڈ ڈ ڈ ڈ ژ ژ ژ ژ ڑ ڑ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ے ے ۓ ۓ ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ی ی ئج ئح ئم ئى ئي بج بح بخ بم بى بي تج تح تخ تم تى تي ثج ثم ثى ثي جح جم حج حم خج خم سج سح سخ سم صح صم ضج ضح ضخ ضم طح ظم عج عم غج غم فج فح فخ فم قح قم كج كح كخ كل كم كى كي لج لح لخ لم لى لي مج مح مخ مم مى مي نج نح نخ نم نى ني هج هم هى هي يج يح يخ يم يى يي ذٰ رٰ ىٰ ئر ئز ئم ئن ئى ئي بر بز بم بن بى بي تر تز تم تن تى تي ثر ثز ثم ثن ثى ثي فى في قى قي كا كل كم كى كي لم لى لي ما مم نر نز نم نن نى ني ىٰ ير يز يم ين يى يي ئج ئح ئخ ئم ئه بج بح بخ بم به تج تح تخ تم ته ثم جح جم حج حم خج خم سج سح سخ سم صح صخ صم ضج ضح ضخ ضم طح ظم عج عم غج غم فج فح فخ فم قح قم كج كح كخ كل كم له لج لح لخ لم مج مح مخ مم نج نح نخ نم هج هم هٰ).

وفيها مسألة واحدة وهي: في حق من هذه الآية ومن المراد بها ؟.

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: «فالمغفرة المذكورة في هذه الآية يحتمل أن يريد بها: المغفرة للكفار إذا أسلموا، أو للعصاة إذا تابوا، أو للعصاة وإن لم يتوبوا، إذا تفضل الله عليهم بالمغفرة. والظاهر أنها نزلت في الكفار، وأن المغفرة المذكورة هي لهم إذا أسلموا. والدليل على أنها في الكفار: ما ذكر بعدها إلى قوله: (ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڍ ڍ ڌ ڌ ڌ ڌ ڎ ڎ ڎ ڎ ڈ ڈ ڈ ڈ ژ ژ ژ ژ ڑ ڑ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ے ے ۓ ۓ ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ی ی ئج ئح ئم ئى ئي بج بح بخ بم بى بي تج تح تخ تم تى تي ثج ثم ثى ثي جح جم حج حم خج خم سج سح سخ سم صح صم ضج ضح ضخ ضم طح ظم عج عم غج غم فج فح فخ فم قح قم كج كح كخ كل كم كى كي لج لح لخ لم لى لي مج مح مخ مم مى مي نج نح نخ نم نى ني هج هم هى هي يج يح يخ يم يى يي ذٰ رٰ ىٰ ئر ئز ئم ئن ئى ئي بر بز بم بن بى بي تر تز تم تن تى تي ثر ثز ثم ثن ثى ثي فى في قى قي كا كل كم كى كي لم لى لي ما مم نر نز نم نن نى ني ىٰ ير يز يم ين يى يي ئج ئح ئخ ئم ئه بج بح بخ بم به تج تح تخ تم ته ثم جح جم حج حم خج خم سج سح سخ سم صح صخ صم ضج ضح ضخ ضم طح ظم عج عم غج غم فج فح فخ فم قح قم كج كح كخ كل كم له لج لح لخ لم مج مح مخ مم نج نح نخ نم هج هم هٰ).[1]

والمسألة فيها ثلاثة أقوال:

القول الأول: أن الآية في حق الكفار إذا أسلموا.

وهذا القول مروي عن زيد بن أسلم كما عند ابن جرير قال في قوله: (ۀ ہ ہ ھ ھ ھ ے ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ی ی ئج ئح ئم ئى ئي بج بح بخ بم بى بي تج تح تخ تم تى تي ثج ثم ثى ثي جح جم حج حم خج خم سج سح سخ سم صح صم ضج ضح ضخ ضم طح ظم عج عم غج غم فج فح فخ فم قح قم كج كح كخ كل كم كى كي لج لح لخ لم لى لي مج مح مخ مم مى مي نج نح نخ نم نى ني هج هم هى هي يج يح يخ يم يى يي ذٰ رٰ ىٰ ئر ئز ئم ئن ئى ئي بر بز بم بن بى بي تر تز تم تن تى تي ثر ثز ثم ثن ثى ثي فى في قى قي كا كل كم كى كي لم لى لي ما مم نر نز نم نن نى ني ىٰ ير يز يم ين يى يي ئج ئح ئخ ئم ئه بج بح بخ بم به تج تح تخ تم ته ثم جح جم حج حم خج خم سج سح سخ سم صح صخ صم ضج ضح ضخ ضم طح ظم عج عم غج غم فج فح فخ فم قح قم كج كح كخ كل كم له لج لح لخ لم مج مح مخ مم نج نح نخ نم هج هم هٰ) قال: إنما هي للمشركين.[2]

وعن ابن عباس ﷺ كما عند البخاري أن ناساً من أهل الشرك كانوا قد قَتلوا وأَكثروا، وزنَوا وأكثروا،فأتوا محمداً ﷺ فقالوا:إن الذي تقول وتدعو إليه لحَسَنٌ لو تخبرُنا أَن لِما عَمِلنا كفارة.فنزل: (ٱ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ) [الفرقان: ٦٨]ونزل: (ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڍ ڍ ڌ ڌ ڌ ڌ ڎ ڎ ڎ ڎ ڈ ڈ ڈ ڈ ژ ژ ژ ژ ڑ ڑ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ے ے ۓ ۓ ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ی ی ئج ئح ئم ئى ئي بج بح بخ بم بى بي تج تح تخ تم تى تي ثج ثم ثى ثي جح جم حج حم خج خم سج سح سخ سم صح صم ضج ضح ضخ ضم طح ظم عج عم غج غم فج فح فخ فم قح قم كج كح كخ كل كم كى كي لج لح لخ لم لى لي مج مح مخ مم مى مي نج نح نخ نم نى ني هج هم هى هي يج يح يخ يم يى يي ذٰ رٰ ىٰ ئر ئز ئم ئن ئى ئي بر بز بم بن بى بي تر تز تم تن تى تي ثر ثز ثم ثن ثى ثي فى في قى قي كا كل كم كى كي لم لى لي ما مم نر نز نم نن نى ني ىٰ ير يز يم ين يى يي ئج ئح ئخ ئم ئه بج بح بخ بم به تج تح تخ تم ته ثم جح جم حج حم خج خم سج سح سخ سم صح صخ صم ضج ضح ضخ ضم طح ظم عج عم غج غم فج فح فخ فم قح قم كج كح كخ كل كم له لج لح لخ لم مج مح مخ مم نج نح نخ نم هج هم هٰ).[3]

وعن عمر ﷺ كما عند ابن جرير وأبي جعفر النحاس عن ابن عمر قال: قال يعني عمر: كنا نقول: ما لمن افتتن من توبة، وكانوا يقولون: ما الله بقابل منا شيئاً، تركنا الإسلام ببلاءٍ أصابنا بعد معرفته، فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة، أنزل الله فيهم: (ۀ ہ ہ ھ ھ ھ ے ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ی ی ئج ئح ئم ئى ئي بج بح بخ بم بى بي تج تح تخ تم تى تي ثج ثم ثى ثي جح جم حج حم خج خم سج سح سخ سم صح صم ضج ضح ضخ ضم طح ظم عج عم غج غم فج فح فخ فم قح قم كج كح كخ كل كم كى كي لج لح لخ لم لى لي مج مح مخ مم مى مي نج نح نخ نم نى ني هج هم هى هي يج يح يخ يم يى يي ذٰ رٰ ىٰ ئر ئز ئم ئن ئى ئي بر بز بم بن بى بي تر تز تم تن تى تي ثر ثز ثم ثن ثى ثي فى في قى قي كا كل كم كى كي لم لى لي ما مم نر نز نم نن نى ني ىٰ ير يز يم ين يى يي ئج ئح ئخ ئم ئه بج بح بخ بم به تج تح تخ تم ته ثم جح جم حج حم خج خم سج سح سخ سم صح صخ صم ضج ضح ضخ ضم طح ظم عج عم غج غم فج فح فخ فم قح قم كج كح كخ كل كم له لج لح لخ لم مج مح مخ مم نج نح نخ نم هج هم هٰ)...الآية، قال عمر: فكتبتها بيدي، ثم بعثت بها إلى هشام بن العاص. قال

---

(١) التسهيل في علوم التنزيل لابن جزي: ص(٦٢٦ - ٦٢٧).

(٢) تفسير الطبري (٢٤/ ١٤).

(٣) صحيح البخاري (٤/ ١٨٠٩).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

هشام: فلما جاءتني جعلت أقرأها ولا أفهمها، فوقع في نفسي أنها أنزلت فينا لما كنا نقول، فجلست على بعيري، ثم لحقت بالمدينة.[1]

وعن قتادة كما عند ابن جرير أنه قال في هذه الآية: ذُكر لنا أن أناساً أصابوا ذنوباً عظاماً في الجاهلية، فلما جاء الإسلام أشفقوا أن لا يُتَاب عليهم، فدعاهم الله بهذه الآية: (ﻫ ه ﻩ ﻬ ﻭ).[2] وذهب الزركشي إلى أن هذا مقام ترغيب وتأليف لقلوب العباد فى الإسلام.[3] وممن ذكر هذا المعنى من المفسرين: الزمخشري[4] والقرطبي[5] وابن كثير[6] ابن عاشور.[7]

القول الثاني: أن الآية في حق العصاة إذا تابوا.

قال ابن عطية: هذه الآية عامة في جميع الناس إلى يوم القيامة في كافر ومؤمن. أي: إن توبة الكافر تمحو ذنوبه، وتوبة العاصي تمحو ذنبه.[8]

وقال ابن كثير: هذه الآية الكريمة دعوة لجميع العصاة من الكفرة وغيرهم إلى التوبة والإنابة، وإخبار بأن الله يغفر الذنوب جميعا لمن تاب منها ورجع عنها، وإن كانت مهما كانت وإن كثرت وكانت مثل زبد البحر.[9] وكذا قال أبو حيان[10] والثعالبي.[11]

القول الثالث: أن الآية في حق العصاة وإن لم يتوبوا بمشيئة الله تعالى.

---

(١) والحديث أخرجه النحاس في إعراب القرآن (٤/ ٧)، والطبري (٢١/ ٣٠٧)، وصححه الشيخ مقبل الوادعي في صحيح أسباب النزول: ص(١٩٨).

(٢) تفسير الطبري (٢٤/ ١٤).

(٣) البرهان في علوم القرآن (٢/ ١١٩).

(٤) الكشاف (٤/ ١٣٨).

(٥) تفسير القرطبي (١٥/ ٢٦٩).

(٦) تفسير ابن كثير (٤/ ٥٥).

(٧) تفسير التحرير والتنوير (٢٤/ ٣٩).

(٨) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٥٣٦).

(٩) تفسير ابن كثير (٤/ ٥٥).

(١٠) تفسير البحر المحيط (٧/ ٤١٧).

(١١) تفسير الثعالبي (٨/ ٢٣٩).

قال ابن جرير : فأما ما عداه فإن صاحبه في مشيئة ربه، إن شاء تفضل عليه، فعفا له عنه، وإن شاء عدل عليه فجازاه به.[1] وبنحو هذا ذكر ابن عطية.[2]

وقال ابن كثير: ولا يصح حمل هذه الآية على غير توبة؛ لأن الشرك لا يغفر لمن لم يتب منه.[3]

الترجيح:

والراجح والعلم عند الله تعالى في سبب النزول هو ما جاء في القول الأول عن ابن عباس وعمر رضي الله عن الجميع، وهو ما ثبت في صحيح البخاري من أنها نزلت في قوم من أهل الشرك قتلوا وزنوا وأسرفوا، أو قوم فتنوا فافتتنوا، فدعاهم الله إلى الإسلام والدخول فيه، وترك الشرك.

وأما حكم الآية فالصواب الذي لا يُعدل عنه إلى غيره: أنها عامة في كل من عصى الله بأي ذنبٍ كان، إذا تاب وأناب إلى الله، حتى وإن وقع في الشرك، فإنه يدخل ضمن هذه الآية، بشرط التوبة والإنابة. وذلك لعدة أمور:

الأمر الأول: أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، نعم سبب النزول في قوم من المشركين، ولكن الحكم يدخل فيه كل من أسرف على نفسه بذنب كبير أو صغير.

الأمر الثاني: أن خطاب الباري سبحانه وتعالى نادى فيه عباده، وهذا يدخل فيه عباده الكفار والمؤمنون بلا تفريق، ومن قال بخلاف هذا فعليه بالدليل. وأما دليلنا على أن المراد بالعباد هنا عموم عبيده كافرهم ومؤمنهم: أنه وصفهم بعد ذلك بالإسراف على أنفسهم في اقتراف الذنوب والكبائر، ومعلوم أن الإسراف هو تجاوز الحد في ظلم النفس.

الأمر الثالث: أنه إذا دخل أصحاب الذنوب الكبيرة كما تقرر في سبب النزول، فَمِن باب أولى دخول أصحاب الذنوب الصغيرة، لأنه إذا دخل الكفار في قوله (ﮦ ﮧ) فمن باب أولى دخول عصاة المسلمين في هذا اللفظ.

---

(١) تفسير الطبري (٢٤/ ١٤).

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٥٣٦).

(٣) تفسير ابن كثير (٤/ ٥٥).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

الأمر الرابع: أن الله تبارك وتعالى دعا المنافقين إلى التوبة فقال: (ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

الكلام على قوله تعالى: (□).

والآية فيها مسألة واحدة وهي: هل القرآن متفاضل أم لا ؟.

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: «يعني اتبعوا القرآن، وليس المعنى أن بعض القرآن أحسن من بعض؛، لأنه حَسَنٌ كله؛ إنما المعنى أن يتبعوا بأعمالهم ما فيه من الأوامر، ويجتنبوا ما فيه من النواهي، فالتفضيل الذي يقتضيه «أحسن» إنما هو في الإتباع. وقيل: يعني اتبعوا الناسخ دون المنسوخ، وهذا بعيد ».[1]

والمسألة فيها قولان:

القول الأول: أن المعنى: اتبعوا القرآن.

قال ابن جرير قوله: (□ □ □ □ □ □ □ □) يقول تعالى ذكره: واتبعوا أيها الناس ما أمركم به ربكم في تنزيله، واجتنبوا ما نهاكم فيه عنه، وذلك هو أحسن ما أنزل إلينا من ربنا. فإن قال قائل: ومن القرآن شيء هو أحسن من شيء؟ قيل له: القرآن كله حسن، وليس معنى ذلك ما توهمت، وإنما معناه: واتبعوا مما أنزل إليكم ربكم من الأمر والنهي والخبر، والمثل، والقصص، والجدل، والوعد، والوعيد. أحسنه أن تأتمروا لأمره، وتنتهوا عما نهى عنه، لأن النهي مما أنزل في الكتاب، فلو عملوا بما نهوا عنه كانوا عاملين بأقبحه، فذلك وجهه.[2]

وقال الماوردي: أن يأخذوا ما أمر، وينتهوا عما نهوا عنه، قاله الحسن.[3]

وقال البغوي: معنى الآية ما قاله الحسن: التزموا طاعته واجتنبوا معصيته، فإن القرآن ذكر القبيح لتجتنبه، وذكر الأدون لئلا ترغب فيه، وذكر الأحسن لتؤثره. قال السدي: «الأحسن» ما أمر الله به في الكتاب.[4]

---

(١) التسهيل في علوم التنزيل لابن جزي: ص(٦٢٧).

(٢) تفسير الطبري (٢٤/ ٩).

(٣) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ١٣١).

(٤) تفسير البغوي (٤/ ٨٥).

القول الثاني: أن المعني: اتبعوا الناسخ دون المنسوخ. وحكاه الماوردي عن ابن عيسى.[1] وممن ذكره من المفسرين: الخازن[2] والبيضاوي[3] وابن عادل.[4]

الترجيح:

والراجح والعلم عند الله تعالى ليس فيما ذكره ابن جزي عليه رحمة الله تعالى، فما ذكره ابن جزي وبعض المفسرين من أن المراد بقوله تعالى: (□ □ □ □ □ □) يعني اتبعوا القرآن. هذا غير صحيح، فما أنزل إلينا من ربنا هو القرآن وإذا كان كذلك فما فائدة قوله: (□) ؟. وهم قالوا ذلك هرباً من القول بأن القرآن متفاضل وأن فيه حسن وأحسن.

والصحيح هو ما تقرر عند الكلام على قوله تعالى في هذه السورة: (ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﯓ)، وقد ذكرت ما ذكره الشيخ الأمين رحمه الله من الأمثلة الكثيرة في كتاب الله تعالى والتي تضمنت الحسن والأحسن، كالانتقام من الظالم والعفو عنه، ونحو ذلك مما سبق بسطه.

وأما مسألة تفاضل القرآن فإن الأدلة من الكتاب والسنة متضافرة في ذلك، وأن القرآن فيه الحسن وفيه الأحسن، مثل ما ورد في فضل سورة الفاتحة، وآية الكرسي، والبقرة، وآل عمران، والمعوذتين، وقل هو الله أحد، ونحو ذلك، مما ليس هذا محل بسطه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: وأيضا فقد قال تعالى: (□ □ □ □ □ □ □ □)وقال تعالى: (ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

وقال أيضاً : فدلالة النصوص النبوية والآثار السلفية والأحكام الشرعية والحجج العقلية على أن كلام الله بعضه أفضل من بعض هو من الدلالات الظاهرة المشهورة.[1]

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

(١) المصدر السابق: (٣/ ٤٨٢).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) 5

الكلام على قوله تعالى: (□ ى ى ي ي □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □).

والآية فيها مسألة واحدة وهي: ما المراد بقوله تعالى: (□ □ □ □) ؟.

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: «أي: في حق الله. وقيل في أمر الله وأصله من الجنب بمعنى الجانب ثم استعير لهذا المعنى ».[1]

والمسألة فيها قولان:

القول الأول: أن المعنى: في حق الله. وهو مروي عن سعيد بن جبير كما عند البغوي[2] وابن الجوزي.[3] وكذا قال الألوسي.[4] والسعدي.[5]

القول الثاني: أن المعنى: في أمر الله.

فروى ابن جرير عن مجاهد في قوله: (ي ي □ □ □ □ □ □ □) يقول: في أمر الله.و عن السديّ قال: تركت من أمر الله.[6] وكذا نقل ابن الجوزي عن مجاهد، والزجاج.[7]

الترجيـــح:

والراجح والعلم عند الله تعالى هو ما رجحه ابن جزي من أن المعنى: على ما فرطت في حق الله. ومجموع عبارات السلف كلها تدور حول هذا المعنى. وقد ذكر الألوسي عن ابن عباس قال: يريد على ما ضيعت من ثواب الله. وعن مقاتل: على ما ضيعت من ذكر الله.

---

(١) التسهيل في علوم التنزيل لابن جزي: ص(٦٢٧).

(٢) تفسير البغوي (٤/ ٨٥).

(٣) زاد المسير (٧/ ١٩٢).

(٤) روح المعاني (٢٤/ ١٦).

(٥) تفسير السعدي (١/ ٧٢٠).

(٦) تفسير الطبري (٢٤/ ٩).

(٧) زاد المسير (٧/ ١٩٢).

وعن مجاهد والسدي: على ما فرطت في أمر الله. وعن الحسن: في طاعة الله. وعن سعيد بن جبير: في حق الله.[1]

وأما هذه الآية فليست من آيات الصفات ولا تثبت بها صفة الجنب لله تعالى على وجه الانفراد، وإنما يثبت بضميمة أخرى كما في حديث الرحم. وقد رد شيخ الإسلام ابن تيمية عليه رحمة الله على الذين استدلوا بما ورد في تفسير هذه الآية وقوله تعالى: (گ گ گگ ڈ [البقرة]بأن المراد بذلك: قبلة الله. وبين أنها في هذا الموطن ليست من آيات الصفات فإن الدلالة في كل موضع بحسب سياقه.[2]

وقال القنوجي: والأئمة في تفسير قوله تعالى: (□ □ □ □ □) على خمسة أقوال: أحدها: في طاعة الله تعالى. والثاني: في حق الله. والثالث: في أمر الله. والرابع: في ذكر الله. والخامس: في قرب الله وجواره. فيكون المعنى عندهم على ما فرطت في طلب قرب الله تعالى وهو الجنّة. ولهذا لا تصلح هذه الآية وحدها لإثبات أن « الجنب » من الصفات لأن الآية ما سيقت لذلك ولم يفسرها أحد بذلك. وقد قال الإمام الدارمي في الرد على المريسي-: إنما تفسيرها عندهم تحسر الكفار على ما فرطوا في الإيمان والفضائل التي تدعو إلى ذات الله تعالى واختاروا عليها الكفر والسخرية بأولياء الله، فهذا تفسير الجنب عندهم.[3]

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

(١) روح المعاني (٢٤/ ١٦).

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (١/ ٤٩٤).

(٣) قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر (١/ ٧٦)، ومجموع الفتاوى «. (٦/ ٣٩٤).

الكلام على قوله تعالى: (ڈ ڈ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڄ).

والآية فيها مسألة واحدة وهي: إلى ماذا يعود الجواب بـ«بلى» في الآية ؟.

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: « «بلى» جواب للنفس التي حكى كلامها ولا يجاوب بـ«بلى» إلا النفي، وهي هنا جواب لقوله: (ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ) لأنه في معنى النفي، لأن «لو» حرف امتناع، وتقدير الجواب: بل قد جاءك الهدى من الله بإرساله الرسل وإنزاله الكتب.

وقال ابن عطية: هي جواب، لقوله: (ذ ذ ث ث ٹ ٹ) فإن معناه يقتضي ـ أن العمر يتسع للنظر. فقيل له: «بلى» على وجه الرد عليه. والأول أليق بسياق الكلام لأن قوله: (ڈ ڤ ڤ ڄ) تفسير لما تضمنته «بلى» ».[1]

والمسألة فيها قولان:

القول الأول: أن «بلى» جواب لقوله: (ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ). ومعنى الكلام على هذا القول: أنه تمنى لو أن الله هداه فيكون من المتقين. فأجابه: بلى قد هديت.

قال الزمخشري: (ڈ ڈ ڤ ڤ)ردّ من الله عليه، معناه: بلى قد هديت بالوحي، فكذبت به، واستكبرت عن قبوله، وآثرت الكفر على الإيمان، والضلالة على الهدى.[2]

قال الزجاج: و « بلى » جواب النفي، وليس في الكلام لفظ النفي، غير أن معنى (ٻ ٻ ٻ پ پ): [أي]: ما هُديتُ. فقيل: (ڈ ڈ ڤ ڤ ڄ).[3] وهذا اختيار ابن الجوزي[4] والقرطبي[5] والبيضاوي[6] والألوسي[7].

---

(١) التسهيل في علوم التنزيل لابن جزي: ص(٦٢٧).

(٢) الكشاف (٤/ ١٣٩).

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج: (٤/ ٣٥٩).

(٤) زاد المسير (٧/ ١٩١).

(٥) تفسير القرطبي (١٥/ ٢٧٣).

(٦) تفسير البيضاوي (٥/ ٧٤).

(٧) روح المعاني (٢٤/ ١٨).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

قال ابن عاشور: «بلى» حرفٌ لإِبطالٍ منفيٍّ، أو فيه رائحة النفي، لقصد إثبات ما نُفِي قبله، فتعين أن تكون هنا جواباً لقول النفس (ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ)[الزمر: ٥٧] لما تقتضيه «لو» التي استعملت للتمنّي من انتفاء مَا تمناه، وهو: أن يكون الله هداه ليكون من المتقين، أي: لم يهدني الله فلم أتق. وجملة: (ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ) تفصيل للإبطال، وبيان له، وهو مِثل الجواب بالتسليم بعد المَنع، أي: هداك الله.(١)

القول الثاني: أن « بلى » جواب لقوله: (ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ). ومعنى الكلام على هذا القول: أنه تمنى لو أن الله يعيده إلى الدنيا فيكون من المتقين. فأجابه: بلى قد جاءتك آياتي في الدنيا فاستكبرت.

قال ابن جرير: ما القول كما تقولون: (ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ) أيها المتمني على الله الرد إلى الدنيا لتكون فيها من المحسنين.(٢)

وقال البغوي: (ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ) رجعة إلى الدنيا (ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ) الموحدين. ثم يقال لهذا القائل: (ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ).(٣)

وقال ابن عطية: وقوله: (ﭚ ﭞ) جواب لنفي مقدر في قولة هذه النفس كأنها قالت: فعمري في الدنيا لم يتسع للنظر، أو قالت: فإني لم يتبين لي الأمر في الدنيا ونحو هذا.(٤)

الترجيح:

والراجح والعلم عند الله تعالى هو ما رجحه ابن جزي عليه رحمة الله تعالى، وذلك لأنه موافق لسياق الآيات، ودلالة السياق توضح الراجح عند الاختيار فقوله تعالى: (ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ) يناسب قول النفس المتعللة: (ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ) فمجيء الآيات هو سبب الهداية، فنقض تعللها.

---

(١) تفسير التحرير والتنوير (٢٤/ ٤٠).

(٢) تفسير الطبري (٢٤/ ٢١).

(٣) تفسير البغوي (٤/ ٨٥).

(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٥٣٨).

وأما من جعل « بلى » جواباً لقول النفس: (ذ ذ ث ث ط) فإنه لا يكون إلا باللازم، إذ أن الآيات التي جاءت ضمنها الله وبين فيها أنه لا يؤخر نفساً إذا جاء أجلها. ثم إنه لابد فيه من التقدير كأن يقال: بلى قد جاءتك آياتي وبينا لك أنه لا يمكن الرجوع. ولا شك أن القول بعدم التقدير أولى من القول بالتقدير لأن التقدير خلاف الأصل فلابد من تقليله.[1]

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

(١) انظر: مختصر قواعد التفسير للسبت: ص(١٠).

دكتوراه عبدالعلي العمدي (كامل الرسالة :: مع الفهارس) 5

الكلام على قوله تعالى: (ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ).

والآية فيها مسألة واحدة وهي: ما المراد بقوله: (ﯧ ﯨ ﯩ).

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: «أصله من الفوز. والتقدير: بسبب فوزهم. وقيل: معناه بفضائلهم ».[1]

والمسألة فيها قولان:

القول الأول: أن معنى (ﯧ ﯨ ﯩ) من الفوز. أي: بسبب فوزهم.

قال ابن جرير: (ﯧ ﯨ ﯩ) يعني بفوزهم، وهي مفعلة منه.[2] وبنحوٍ من هذا ذكر ابن عطية[3] وابن الجوزي[4] وابن كثير.[5]

القول الثاني: أن معنى (ﯧ ﯨ ﯩ) أي: بفضائلهم وأعمالهم. وهو مروي عن السدي، وابن زيد، وابن السائب، ومقاتل. وممن ذكر هذا من المفسرين: ابن جرير[6] وابن الجوزي[7] وابن عطية.[8] وقال الماوردي: بما فازوا به من الطاعة.[9]

قال ابن عطية: وفي الكلام حذفُ مضافٍ تقديره: وينجي الله الذين اتقوا بأسباب أو بدواعي مفازاتهم. ثم ذكر قول السدي وابن زيد.

قال البغوي: (ﯧ ﯨ ﯩ) على الواحد، لأن المفازة بمعنى الفوز، أي: ينجيهم بفوزهم من النار بأعمالهم الحسنة.[10]

---

(١) التسهيل في علوم التنزيل لابن جزي: ص(٦٢٧).

(٢) تفسير الطبري (٢٤/ ٢٢).

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٥٣٩).

(٤) زاد المسير (٧/ ١٨٤).

(٥) تفسير ابن كثير (٤/ ٥٥).

(٦) تفسير الطبري (٢٤/ ٢٢).

(٧) زاد المسير (٧/ ١٨٤).

(٨) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٥٣٩).

(٩) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ١٣٣).

(١٠) تفسير البغوي (٤/ ٨٥).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

الترجيـــح:

والذي يظهر والعلم عند الله تعالى أن القول الثاني هـو الأقـرب للصـواب، ولـيس كـما رجحه ابن جزي عليه رحمة الله تعالى، وذلك لعدة أمور:

الأمر الأول: أن أصل الفوز في اللغة: النجاء والظفر بالأمنية والخير. قال ابن الأَعـرابي: سميت الصحراء مفازَةً، لأَن من خرج منها وقطعها فاز.[1] وعلى هذا فيكون تقدير الكلام على على القول الأول: وينجي الله الذين اتقوا بنجاتهم. ولا يخفى ما في هذا التقدير من تكرار ينـزه عنه القرآن.

الأمر الثاني: أن الفوز والنجاة ثمرة لا تحصل إلا بأسباب، وهذه الأسباب هي: أعمالهـم وفضائلهم التي عملوها فكانت سبباً في فوزهم ونجاتهم، ومما يدل على هذا: «الباء» في قوله (ذ ك) فهي للسببية، فعلمنا أن هناك أسباباً للفوز ليست الفوز نفسـه. ومـما يشـير إلى هـذا المعنى: قراءة حمزة والكسائي بالجمع: ﴿ بمفازاتهم ﴾[2] قال البغوي: أي بالطرق التي تـؤديهم إلى الفوز والنجاة.[3]

الأمر الثالث: أن هذا قول جمهور المفسرين.

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

(١) لسان العرب (٥/ ٣٩٢).

(٢) انظر: حجة القراءات لابن زنجلة: ص(٦٢٤).

(٣) تفسير البغوي (٤/ ٨٥).

الكلام على قوله تعالى: (□ □ □

الترجيـــح:

والراجح والعلم عند الله تعالى هو ما رجحه ابن جزي عليه رحمة الله تعالى، وذلك لعدة أمور:

الأمر الأول: أن هذا مذهب عامة المفسرين ومنهم ابن عباس ترجمان القرآن.

الأمر الثاني: أن سياق الآيات يؤيد هذا، فإن الآيات متضمنة محاجة النبي ﷺ للمشركين واستنكاره عليهم دعوتهم له لعبادة غير الله تعالى. والسياق مما يرجح به عند الاحتمال كما هو معلوم في قواعد التفسير.

الأمر الثالث: أن الذين قالوا بالقول الثاني وأن الضمير يعود إلى اليهود، استندوا على ما جاء في قصة اليهودي الذي جاء إلى النبي ﷺ فقال يا أبا القاسم: أبلغك أن الله عز وجل يحمل الخلائق على إصبع، والسموات على أصبع، والأرضين على أصبع، والشجر على أصبع، والثرى على أصبع، فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه، فأنزل الله عز وجل: (□ □ □ □ □)[1] وهذا المستند غير مُسَلَّم، لأن الرواية التي في الصحيحين ليس فيها تصريح بالنزول، وإنما قال: ثم قرأ. وفي بعضها: ثم قال. وهذا هو الذي صوبه السيوطي في كتاب الإتقان.[2] ثم إن الآيات مكية وليس في مكة يهود.

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

(١) والحديث كما في الصحيحين واللفظ للبخاري: عن عبدالله ﷺ قال: جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله ﷺ فقال يا محمد: إنا نجد أن الله يجعل السماوات على إصبع، والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلائق على إصبع، فيقول: (أنا الملك) فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقاً لقول الحبر. ثم قرأ رسول الله ﷺ: (□). صحيح البخاري (٤/ ١٨١٢)، وصحيح مسلم (٤/ ٢١٤٧).

(٢) الإتقان: (١/ ٣٤).

دكتوراه عبدالعلي الحمدي (كامل الرسالة :: مع الفهارس) 5

الكلام على قوله تعالى: (ڈ ڈ ڈ ڈ ڎ ڎ ڎ ڎ ڏ ڏ ڏ ڏ ڐ ڐ) **والآية فيها ثلاث مسائل :**

المسألة الأولى: ما المراد بالكتاب في هذه الآية ؟.

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: «يعني صحائف الأعمال. وإنما وحَّدَها لأنه أراد الجنس. وقيل: هو اللوح المحفوظ».[1]

والمسألة فيها قولان:

القول الأول: أن المراد بالكتاب: صحائف الأعمال.

قال ابن جرير: وقوله: (ڈ ڎ ڏ) يعني. كتاب أعمالهم لمحاسبتهم ومجازاتهم. ثم روى عن قتادة في قوله: (ڈ ڎ ڏ) قال: كتب أعمالهم.[2]

وممن نقل هذا عن قتادة من المفسرين:

الماوردي[3] والسمعاني[4] والبغوي[5] والزمخشري[6] وابن عطية[7] وابن الجوزي -ونقله عن مقاتل-[8] والقرطبي[9] وابن كثير[10] وابن عاشور.[11]

القول الثاني: أن المراد بالكتاب: اللوح المحفوظ.

---

(١) التسهيل في علوم التنزيل لابن جزي: ص(٦٢٨).
(٢) تفسير الطبري (٢٤/ ٣٢).
(٣) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ١٣٦).
(٤) السمعاني ((٤/ ٤٨٢).
(٥) تفسير البغوي (٤/ ٨٨).
(٦) الكشاف (٤/ ١٤٨).
(٧) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٥٣٨).
(٨) زاد المسير (٧/ ١٩٨).
(٩) تفسير القرطبي (١٥/ ٢٨٢).
(١٠) تفسير ابن كثير (٤/ ٦٥).
(١١) تفسير التحرير والتنوير (٢٥/ ٣٦٧).

دكتوراه عبدالعلي الحمدي (كامل الرسالة :: مع الفهارس) ٥

وهذا القول حكاه الزمخشري بصيغة التمريض[1] وعقب عليه ابن عطية فقال: وهذا شاذ، وليس فيه معنى التوعد، وهو مقصد الآية.[2] وحكاه القرطبي عن ابن عباس.[3]

الترجيح:

والراجح والعلم عند الله تعالى هو ما رجحه ابن جزي عليه رحمة الله تعالى، من أن المراد بالكتاب: هو صحائف أعمال العباد التي قد سجل فيها الحسنات والسيئات، وإنما ترجح هذا لعدة أمور:

الأمر الأول: أن هذا هو قول جماهير المفسرين، ومن حكى القول الثاني فإنما حكاه بصيغة التمريض.

الأمر الثاني: أن هذا الكتاب جاء مفسراً في مواضع أخرى من كتاب الله تعالى منها قوله تعالى: (ں ں ڻ ڻ ڻ ۀ ہ ہ ھ ھ ھ ے ے ئے ئے ئۆ ئۆ) [الإسراء: ١٣-١٤] وقوله تعالى: (ڃ ڃ ڃ ڃ ڈ ڈ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ) [الكهف:٤٩]. فهاتان الآيتان فيهما بيان شأن هذا الكتاب، وأنه محتوٍ على صغائر الأعمال وكبائرها، وأن كل إنسان يقرأ كتابه بنفسه.

ولو قلنا بأن هذا الكتاب المراد به اللوح المحفوظ لم يكن ذلك مناسباً. ولذا حكم عليه ابن عطية بالشذوذ. وهو مارجحه الشيخ الأمين الشنقيطي رحمه الله.[4]

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

(١) الكشاف (٤/ ١٤٨).

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٥٣٨).

(٣) تفسير القرطبي (١٥/ ٢٨٢).

(٤) أضواء البيان (٣/ ٢٨٧).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

المسألة الثانية: هل المراد بالشهداء جمع شاهد أو جمع شهيد ؟.

قال ابن جزي رحمه الله تعالى:«يحتمل أن يكون جمع شاهد، أو جمع شهيد في سبيل الله. والأول أرجح، لأن فيه معنى الوعيد، ولأنه أليق بذكر الأنبياء الشاهدين».[1]

والمسألة فيها قولان:

القول الأول: أن المراد بالشهداء جمع شاهد. وهم الذين يشهدون من الملائكة، والحفظة، على أعمال العباد من خير وشر. أو من أمة محمد يشهدون على الأمم. أو الأرض والأعضاء. وممن قال بهذا القول من المفسرين: ابن جرير[2] والبغوي[3] وابن كثير[4] وابن الجوزي- وصححه وحكاه عن الجمهور-[5] والألوسي [6] وابن عادل[7] والشنقيطي -ورجحه-[8] والسعدي.[9]

القول الثاني: أن المراد بالشهداء جمع شهيد في سبيل الله. وهو مروي عن قتادة والسدي. فروى ابن جرير عن السديّ في قوله: (ﭐ ﭑ ﭒ) قال: الذين استشهدوا في طاعة الله.[10]

وممن ذكر معناه من المفسرين: ابن الجوزي[11] والقرطبي[12] والألوسي -وحكاه عن

---

(١) التسهيل في علوم التنزيل لابن جزي: ص(٦٢٨ - ٦٢٩).
(٢) تفسير الطبري (٢٤/ ٣٢).
(٣) تفسير البغوي (٤/ ٨٨).
(٤) تفسير ابن كثير (٤/ ٦٥).
(٥) زاد المسير (٧/ ١٩٨).
(٦) روح المعاني (٢٤/ ٣٠).
(٧) اللباب في علوم الكتاب (١٦/ ٥٥٠).
(٨) أضواء البيان (٣/ ٢٨٧).
(٩) تفسير السعدي (١/ ٧٢٩).
(١٠) تفسير الطبري (٢٤/ ٣٢).
(١١) زاد المسير (٧/ ١٩٨).
(١٢) تفسير القرطبي (١٥/ ٢٨٣).

قتادة والسدي وضعفه- [1] وابن عادل[2] والشنقيطي.[3]

الترجيح:

والراجح والعلم عند الله تعالى هو ما رجحه ابن جزي عليه رحمة الله تعالى وهو الذي عليه جمهور المفسرين. فهم ما بين مرجح للقول الأول ومضعف للقول الثاني.

وذكر ابن جرير القول الثاني ثم عقب عليه بقوله: وليس لما قالوا من ذلك في هذا الموضع كبير معنى، لأنه عقيب قوله: (ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ) وفي ذلك دليل واضح على صحة ما قلنا من أنه إنما دُعِي بالنبيين والشهداء، للقضاء بين الأنبياء وأممها، وأن الشهداء إنما هي جمع شهيد، الذين يشهدون للأنبياء على أممهم كما ذكرنا.[4]

وقال الشنقيطي: والأظهر في الآية عندي: أن الشهداء هم الرسل من البشر الذين أرسلوا إلى الأمم، لأنه لا يقضي بين الأمة حتى يأتي رسولها، كما صرح تعالى بذلك في سورة يونس في قوله تعالى: (ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ) [يونس: ٤٧] فصرح جل وعلا بأنه يسأل الرسل عما أجابتهم به أممهم، كما قال تعالى: (ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ) [المائدة: ١٠٩] وقال تعالى (ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ) [الأعراف: ٦] وقد يشير إلى ذلك قوله تعالى: (ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ) [النساء: ٤١] لأن كونه ﷺ هو الشهيد على هؤلاء الذين هم أمته، يدل على أن الشهيد على كل أمة هو رسولها.

وقد بين تعالى أن الشهيد على كل أمة من أنفس الأمة، فدل على أنه ليس من الملائكة، وذلك في قوله تعالى (ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ) [النحل: ٨٩] والرسل من أنفس الأمم كما قال تعالى في نبينا محمد ﷺ: (ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ) [التوبة:١٢٨]. وقال تعالى: (ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ) [آل عمران:١٦٤] الآية.[5]

---

(١) روح المعاني (٢٤/ ٣٠).

(٢) اللباب في علوم الكتاب (١٦/ ٥٥٠).

(٣) أضواء البيان (٣/ ٢٨٧).

(٤) تفسير الطبري (٢٤/ ٣٣).

(٥) أضواء البيان (٣/ ٢٨٧).

والصواب والعلم عند الله تعالى أن الشهداء في هذا الموضع هم الشهود، ويدخل فيهم الملائكة وغيرهم، وما استدل به الشيخ الأمين رحمه الله من أن الملائكة غير داخلين في الشهادة في قوله تعالى: (ٹ ٹ ٹ ٹ ٹٹ ٹٹ ڃ) فهذا يمكن الجواب عنه، فإن بعث الله في كل أمة من يشهد عليها من أنفسها، لا يمنع قيام الملائكة بالشهادة، فقد يشهد هذا وهذا. وسيأتي زيادة بيان وتفصيل لهذا الأمر في المسألة القادمة إن شاء الله.

ومما يترجح به القول الأول أن المقام مقام حجاجٍ، وإثبات للأعمال، وتبليغ الرسالة، وقد جاء هذا في مواضع من كتاب الله تعالى، كقوله جل وعلا: (ى ى ي ي) (فصلت: ٢٠) وقوله: (ۀ ہ ہ ہ ھ ھ) (النور: ٢٤) وقوله: (ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ں) (النساء: ١٦٦) وقوله: (ٹ ٹ ٹ ٹ ۀ ہ ہ ہ ھ ھ) (يس: ٦٥).

وحمل الشهادة على العموم أولى من تخصيصها في الشهادة على تبليغ الرسل أممهم رسالة الله تعالى، إذ لا دليل على التخصيص.

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

المسألة الثالثة: على القول بأن الشهداء جمع شاهد فَمَن هؤلاء الشهود ؟.

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: «والمراد على هذا: أمة محمد ﷺ، لأنهم يشهدون على الناس. وقيل: يعني الملائكة الحفظة ».[1]

والمسألة فيها قولان:

القول الأول: أن المراد بالشهود: أمة محمد ﷺ لأنهم يشهدون على الناس.

قال ابن جرير: يعني بالشهداء: أمة محمد ﷺ ويستشهدهم ربهم على الرسل، فيما ذَكَرَت من تبليغها رسالة الله التي أرسلهم بها ربهم إلى أممها، إذ جحدت أُمَمُهُم أن يكونوا أبلغوهم رسالة الله. ثم روى عن ابن عباس قال: (ڤ ڤ ڤ ڄ) فإنهم ليشهدون للرسل بتبليغ الرسالة، وبتكذيب الأمم إياهم.[2]

وممن ذكر هذا من المفسرين: البغوي[3] وابن الجوزي[4] والألوسي[5] وابن عادل[6]

القول الثاني: أن المراد بالشهود: الملائكة الحفظة. وهو مروي عن عطاء، ومقاتل، وابن زيد. وممن ذكره من المفسرين: البغوي[7] وابن الجوزي[8] والألوسي[9] وابن عادل[10] وابن عاشور[11] والشنقيطي.[12]

واستدلوا بقوله تعالى (ڈ ڈ ڈ ڈ ژ ژ ڑ) [ق: ٢١].

---

(١) التسهيل في علوم التنزيل لابن جزي: ص(٦٢٩).
(٢) تفسير الطبري (٢٤/ ٣٣).
(٣) تفسير البغوي (٤/ ٨٥).
(٤) زاد المسير (٧/ ١٩٨).
(٥) روح المعاني (٢٤/ ٢٩).
(٦) اللباب في علوم الكتاب (١٦/ ٥٥٠).
(٧) تفسير البغوي (٤/ ٨٥).
(٨) زاد المسير (٧/ ١٩٨).
(٩) روح المعاني (٢٤/ ٢٩).
(١٠) اللباب في علوم الكتاب (١٦/ ٥٥٠).
(١١) تفسير التحرير والتنوير (٢٤/ ٦٧).
(١٢) أضواء البيان (٣/ ٢٨٧).

الترجيـــح:

والراجح والعلم عند الله تعالى هو القول بالعموم. فيـدخل فيـه الشـهداء مـن الملائكـة الكرام الكاتبين، والأرض التي عُمِل عليها، والجوارح، لعموم الأدلـة الـواردة في ذلـك، كـما تقدم في المسألة السابقة، وأما ما رجحه الشيخ الأمين من أن الشهداء هم الرسل من البشر كـما تقدم في المسألة السابقة، فهذا يَرِدُ عليه ما يَرُدُّه عند تقدير الكلام فكيف يقول: «وجيء بالنبيين والرسل» إن كان يعني بالشهداء الرسل من البشر؟. ولكان هذا من التكرار بلا فائدة.

وكأني بالذين قالوا: بأن المراد بالشهداء أمة محمد ﷺ أو الرسل، نظروا إلى قوله تعالى: (ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ) وأن هذا القضاء بين النبيين وبين أممهم، وهذا المنحى يمثل جزءاً مـن القضاء وليس كله.

ومما يقوي هذا قولـه بعـد ذلـك: (ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ) ممـا يدل على أن هذا القضاء يشمل ما بين الرسل وأممهم، كما يشمل كل نفس بعينها.

ثم إن الكتاب الموضوع في ذلك اليوم كما تقرر سابقاً هو كتاب كل نفس، ومـا فيـه مـن أعمال الخير وأعمال الشر، وحينئـذ تشـهد الأرض، وتشـهد الجـوارح، ويخـتم عـلى الأفـواه، وتخرس الألسنة، والنصوص في هذا المعنى متضافرة.

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

سورة غافر

الكلام على قوله تعالى: (ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ
ڄ ڄ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ)

والآية فيها مسألة واحدة وهي: ما المراد بقوله تعالى: (ڄ ڄ ڄ ڃ).

قال ابن جزي رحمه الله تعالى:«أي: ذي الفضل والإنعام. وقيل: الطول الغنى والسعة».[1]

والمسألة فيها قولان:

القول الأول: أن المعنى: ذي الفضل والإنعام.

وهذا المعنى مرويٌ عن ابن عباس، ومحمد بن كعب، والحسن، وقتادة. وأصل الطول: الإنعام الذي تطول مدته على صاحبه.

قال ابن جرير: قوله: (ڄ ڄ ڄ ڃ) يقول: ذي الفضل والنعم، المبسوطة على من شاء من خلقه ؛ يقال منه: إن فلاناً لذو طولٍ على أصحابه، إذا كان ذا فضل عليهم.[2]

وممن ذكر هذا المعنى ونقله من المفسرين: النحاس[3] والماوردي[4] والبغوي[5] وابن عطية[6] وابن الجوزي[7] والقرطبي[8] وابن كثير[9] وابن عاشور.[10]

القول الثاني: أن المعنى: ذي الغنى والسعة.

---

(١) التسهيل في علوم التنزيل لابن جزي: ص(٦٣٠).
(٢) تفسير الطبري (٢٤/ ٣٩).
(٣) معاني القرآن للنحاس: (٦/ ٢٠٣).
(٤) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ١٤٢).
(٥) تفسير البغوي (٤/ ٩٠).
(٦) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٥٤٦).
(٧) زاد المسير (٧/ ٢٠٧).
(٨) تفسير القرطبي (١٥/ ٢٩١).
(٩) تفسير ابن كثير (٤/ ٧١).
(١٠) تفسير التحرير والتنوير (٢٤/ ٨١).

وهو مروي عن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة. ومنه قوله تعالى: (ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ) [النساء: ٢٥] أي: غنىً وسعة. وممن ذكر هذا المعنى من المفسرين: ابن جرير[١] والنحاس[٢] والماوردي[٣] والبغوي[٤] والقرطبي[٥] وابن كثير.[٦]

الترجيـــح:

والراجح والعلم عند الله تعالى أن معنى قوله تعالى: (ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ) يشمل كل ما ذكر فلا تعارض بين عبارات السلف في تفسير الطول، ولذا قال أبو جعفر النحاس: الطَّوْل في اللغة: الفضل والاقتدار، يقال: لفلانٍ على فلانٍ طولٌ. واللهم طُلْ علينا برحمتك.[٧]

وقال الحافظ بن كثير: والمعنى: أنه المتفضل على عباده، المتطول عليهم بما هم فيه من المنن والأنعام، التي لا يطيقون القيام بشكر واحدة منها. (ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ) [إبراهيم: ٣٤].

والقولان متلازمان فلا يتصور إفضالٌ بلا غنىً، وليس في الغنى بدون الفضل مدحٌ، والكمال هو الغنى والفضل، وهذا هو اللائق بحق الله تعالى، وقد ذكر أهل اللغة كلا المعنيين في معنى الطول.[٨]

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

(١) تفسير الطبري (٢٤/ ٣٩).

(٢) معاني القرآن للنحاس: (٦/ ٢٠٣).

(٣) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ١٤٢).

(٤) تفسير البغوي (٤/ ٩٠).

(٥) تفسير القرطبي (١٥/ ٢٩١).

(٦) تفسير ابن كثير (٤/ ٧١).

(٧) معاني القرآن للنحاس: (٦/ ٢٠٣).

(٨) لسان العرب (١١/ ٤١٠)، وتهذيب اللغة (٤/ ٤٢١)وتاج العروس (١/ ٧٢٧٨).

الكلام على قوله تعالى: (ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾ ﷿ ﷽ ﷾ ﷿ ﷽ ﷾ ﷿

وقال ابن كثير بعد ذكره لهذا القول: وهكذا قال الحسن البصري، ومجاهد، والسدي، وذَرٌّ بن عبدالله الهَمْداني، وعبدالرحمن بن زيد بن أسلم، وابن جرير الطبري، رحمهم الله.[1]

وممن ذكر هذا من المفسرين: الماوردي[2] والبغوي[3] وابن عطية[4] وابن الجوزي[5] والقرطبي.[6]

الترجيح:

والراجح والعلم عند الله تعالى هو القول الثاني، وليس كما رجحه ابن جزي عليه رحمة الله، فإن معنى الآية: أن الكفار إذا دخلوا النار وأيسوا من الخروج منها، وعاينوا ما عاينوا فيها، يمقتون أنفسهم التي أطاعوا هواها في الدنيا، فأودت بهم إلى هذا المصير، وإنما كان هذا هو الراجح لأنه قول جمهور المفسرين من السلف والخلف.

وأما ما رجحه ابن جزي وتابع فيه ابن عطية من جعل القول الثاني محتملاً؛ فإن الظاهر والعلم عند الله تعالى، أنهم نظروا إلى ما جاء في عداوة أهل النار بعضهم لبعض من نصوص الكتاب والسنة، فحملوا هذا على ذاك.

مثل قوله تعالى: (ﮒ ﮓ ں ڻ ڻ ڻ ڈ ڈ) (الزخرف: ٦٧) وقوله: (ں ڻ ڻ ڈ ڈ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

وهذا الذي جنحوا إليه معنىً آخر غير المعنى الذي في قوله تعالى: (ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ) فذاك في التابعين والمتبوعين والمحبين والمحبوبين والرؤساء والمرؤوسين. وأما هذا ففي كل من كفر بالله ودخل النار فإنهم يمقتون أنفسهم فهو أعم وذاك أخص.

ثم إن قوله (ﮀ ﮁ ﮂ) ينصرف أول ما ينصرف إلى معنى القول الثاني، وأما دلالته على معنى القول الأول فهي بالاحتمال، ولو كان هو المقصود بالدرجة الأولى لقال: «مقتكم بعضكم».

ثم إن هذه الآية فيها تأسيس معنىً جديد غير المعنى الذي في الآيات السابقة والتي بها رجحوا القول الأول، والحمل على التأسيس أولى كما هو متقرر في أصول التفسير.

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

الكلام على قوله تعالى: (ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾ ﷿ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾ ﷿ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾ ﷿

وقال ابن كثير بعد أن نقل أقوال المفسرين كابن عباس وابن مسعود وغيرهم: وهذا هو الصواب الذي لا شك فيه ولا مرية.[1]

القول الثاني: أن الحياة الأولى: الدنيا. والثانية: في القبر. والموتة الأولى: الانتقال من الدنيا. والثانية: بعد القبر.

فروى ابن جرير عن السديّ قال: أميتوا في الدنيا، ثم أحيوا في قبورهم، فسئلوا أو خوطبوا، ثم أميتوا في قبورهم، ثم أحيوا في الآخرة.[2] وكذا قال الماوردي.[3]

وممن ذكر نحو هذا من المفسرين:البغوي[4]وابن عطية -واعترض عليه-[5] والقرطبي.[6] والقرطبي.[6]

وذكر ابن كثير عن ابن زيد قال: أحيوا حين أخذ عليهم الميثاق من صلب آدم، ثم خلقهم في الأرحام ثم أماتهم ثم أحياهم يوم القيامة. ثم علق عليه وعلى قول السدي فقال: وهذان القولان - من السدي وابن زيد - ضعيفان؛ لأنه يلزمهما على ما قالا ثلاث إحياءات وإماتات. والصحيح قول ابن مسعود وابن عباس ومن تابعهما.[7]

الترجيح:

والراجح والعلم عند الله تعالى هو ما رجحه ابن جزي عليه رحمة الله تعالى وهو ما اختاره جمهور المفسرين وهو قول ابن عباس ترجمان القرآن وحبر الأمة وابن مسعود رضي الله عنهم أجمعين، وما صححه ابن كثير وابن عطية وغيرهم من المفسرين، ولأن القول الثاني يستلزم ثلاث إحياءات وهو ما يخالف منطوق الآية.

قال الشيخ الأمين الشنقيطي عليه رحمة الله تعالى:

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٧٤).

(٢) تفسير الطبري (١/ ١٨٢).

(٣) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ١٤٢).

(٤) تفسير البغوي (٤/ ٩٣).

(٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٥٤٩).

(٦) تفسير القرطبي (١٥/ ٢٩٧).

(٧) تفسير ابن كثير (٤/ ٧٤).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

والتحقيق الذي لا ينبغي العدول عنه، أن المراد بالإماتتين في هذه الآية الكريمة، الإماتة الأولى، التي هي كونهم في بطون أمهاتهم نطفاً وعلقاً، ومضغاً. قبل نفخ الروح فيهم، فهم قبل نفخ الروح فيهم لا حياة لهم، فأطلق عليهم بذلك الاعتبار اسم الموت. والإماتة الثانية هي إماتتهم وصيرورتهم إلى قبورهم عند انقضاء آجالهم في دار الدنيا. **وأن المراد بالإحياءتين:** الإحياءة الأولى في دار الدنيا، والإحياءة الثانية، التي هي البعث من القبور إلى الحساب، والجزاء والخلود الأبدي، الذي لا موت فيه، إما في الجنة وإما في النار.

والدليل من القرآن على أن هذا القول في الآية هو التحقيق، أن الله صرح به واضحاً في قوله جل وعلا (﴿ ﴾ [البقرة: ٢٨] وبذلك تعلم أن ما سواه من الأقوال في الآية لا معوّل عليه.[1]

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

(١) أضواء البيان (٦/ ٣٦٩).

الكلام على قوله تعالى: (ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ں ں ڻ ڻ)

والآية فيها مسألة واحدة وهي: إلى أين تعود الإشارة في قوله تعالى: (ک ک ڻ) ؟.

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: «الباء سببية للتعليل والإشارة بذلكم يحتمل أن تكون للعذاب الذي هم فيه، أو إلى مقت الله لهم، أو مقتهم لأنفسهم. والأحسن أن تكون إشارة إلى ما يقتضيه سياق الكلام وذلك أنهم لما قالوا: (ژ ژ ڑ ڑ ک ک) كأنهم قيل لهم: لا سبيل إلى الخروج. فالإشارة بقوله: (ک ڻ) إلى عدم خروجهم من النار».[1]

والمسألة فيها أربعة أقوال:

القول الأول: أن الإشارة «بذلكم» للعذاب الذي هم فيه. وتقديره: هذا العذاب الذي أنتم فيه بسبب كفركم. وممن ذكر هذا القول من المفسرين:

ابن عطية[2] وابن الجوزي[3] والقرطبي[4] والثعالبي[5] وأبو حيان[6] والألوسي[7] وابن عادل[8] وابن عاشور.[9]

القول الثاني: أن الإشارة «بذلكم» إلى مقت الله لهم. وتقديره: أن مقت الله لكم بسبب كفركم. وذكره ابن عطية فقال: يحتمل أن يكون إشارة إلى مقت الله إياهم.[10]

---

(١) التسهيل في علوم التنزيل لابن جزي: ص(٦٣٢).
(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٥٤٨).
(٣) زاد المسير (٧/ ٢٠٩).
(٤) تفسير القرطبي (١٥/ ٢٩٨).
(٥) تفسير الثعالبي (٨/ ٢٦٨).
(٦) تفسير البحر المحيط (٧/ ٤٣٥).
(٧) روح المعاني (٢٤/ ٥٤).
(٨) اللباب في علوم الكتاب (١٧/ ١٥).
(٩) تفسير التحرير والتنوير (٢٤/ ١٠٠).
(١٠) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٥٤٨).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

القول الثالث: أن الإشارة بذلكم إلى مقتهم لأنفسهم. وممن ذكره على وجه الاحتمال: ابن عطية[1] وأبو حيان[2] والثعالبي.[3]

القول الرابع: أن الإشارة «بذلكم» إلى ما يقتضيه سياق الكلام، وهو جواب مضمر تقديره: لا سبيل إلى الخروج. رداً على سؤالهم عندما قالوا: (ژ ژ ڑ ڑ ک ک).

قال ابن جرير: وفي هذا الكلام متروك استغني بدلالة الظاهر من ذكره عليه ؛ وهو: فأجيبوا أن لا سبيل إلى ذلك، هذا الذي لكم من العذاب أيها الكافرون: (ک گ گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڱ).[4]

وممن قال بهذا القول من المفسرين: البغوي[5] والزمخشري[6] وابن عطية[7] وابن الجوزي[8] الجوزي[8] والقرطبي[9] والألوسي[10] وابن عادل[11] والثعالبي[12] وابن عاشور.[13]

الترجيح:

والراجح والعلم عند الله تعالى: ما رجحه ابن جزي وجمهور المفسرين، وهو القول الرابع، وأن عود الضمير في قوله تعالى: (ک) إنما هو لجواب متروك دل عليه سياق الكلام وقوله تعالى: (ژ ژ ڑ ڑ ک ک) ؟. إذ لابد من جواب لهذا الاستفهام، ترك

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٥٤٨).
(٢) تفسير البحر المحيط (٧/ ٤٣٥).
(٣) تفسير الثعالبي (٨/ ٢٦٨).
(٤) تفسير الطبري (٢٤/ ٤٨).
(٥) تفسير البغوي (٤/ ٨٥).
(٦) الكشاف (٤/ ١٦٠).
(٧) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٥٤٨).
(٨) زاد المسير (٧/ ٢٠٩).
(٩) تفسير القرطبي (١٥/ ٢٩٧ - ٢٩٨).
(١٠) روح المعاني (٢٤/ ٥٤).
(١١) اللباب في علوم الكتاب (١٧/ ١٥).
(١٢) تفسير الثعالبي (٨/ ٢٦٨).
(١٣) تفسير التحرير والتنوير (٢٤/ ١٠٠).

لظهوره ولما دل عليه قوله تعالى (ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ) فامكثوا في العذاب السرمد المؤبد. ثم إن حمل الكلام على ما يليه أولى من حمله على غير ذلك. مع أن الضمير يصلح عوده على ما ذكر، غير أن هذا هو المقدم.

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

الكلام على قوله تعالى: (ٱ ٱ ٻ ٻ ٻ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڍ ڍ ڌ ڌ ڌ ڌ ڎ ڎ ڎ ڎ ڈ ڈ ڈ ڈ ژ ژ ژ ژ ڑ ڑ ڑ ڑ ک ک ک ک ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ے ے ۓ ۓ ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ې ې ى ى ى ى ئا ئا ئا ئا ئە ئە ئە ئە ئو ئو ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئې ئې ئى ئى ئى ئى ی ی ی ی ئج ئح ئم ئى ئي بج بح بخ بم بى بي تج تح تخ تم تى تي ثج ثم ثى ثي جح جم حج حم خج خم سج سح سخ سم صح صم ضج ضح ضخ ضم طح ظم عج عم غج غم فج فح فخ فم قح قم كج كح كخ كل كم لج لح لخ لم مج مح مخ مم نج نح نخ نم هج هم ىٰ ٰ ّ ٌ ٍ ً ُ ِ َ ْ ٓ ٔ ٕ ٖ ٗ ٘ ٙ ٚ ٛ ٜ ٝ ٞ ٟ ٠ ١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ٪ ٫ ٬ ٭ ٮ ٯ ٱ ٲ ٳ ٴ ٵ ٶ ٷ ٸ ٹ ٺ ٻ ټ ٽ پ ٿ ڀ ځ ڂ ڃ ڄ څ چ ڇ ڈ ډ ڊ ڋ ڌ ڍ ڎ ڏ ڐ ڑ ڒ ړ ڔ ڕ ږ ڗ ژ ڙ ښ ڛ ڜ ڝ ڞ ڟ ڠ ڡ ڢ ڣ ڤ ڥ ڦ ڧ ڨ ک ڪ ګ ڬ ڭ ڮ گ ڰ ڱ ڲ ڳ ڴ ڵ ڶ ڷ ڸ ڹ ں ڻ ڼ ڽ ھ ڿ ۀ ہ ۂ ۃ ۄ ۅ ۆ ۇ ۈ ۉ ۊ ۋ ۍ ێ ۏ ې ۑ ے ۓ ۔ ە ۖ ۗ ۘ ۙ ۚ ۛ ۜ ۝ ۞ ۟ ۠ ۡ ۢ ۣ ۤ ۥ ۦ ۧ ۨ ۩ ۪ ۫ ۬ ۭ ۮ ۯ ۰ ۱ ۲ ۳ ۴ ۵ ۶ ۷ ۸ ۹ ۺ ۻ ۼ ۽ ۾ ۿ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾ ﷿ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ

الترجيح: والراجح والعلم عند الله تعالى أن الجميع صحيح، فهو يوم يلتقي فيه الخلائق بربهم تبارك وتعالى لفصل القضاء، ويلتقي فيه الأولون والآخرون، ويلتقي فيه أهل السماء وأهل الأرض، وتلقى كل نفس ما قدمت من خير وشر محضراً.

فهو يوم التلاق كما أطلقه الله تبارك وتعالى، فيبقى على إطلاقه ليدخل فيه كل ما هو صالح للدخول. لأن هذا هو الموافق لطريقة القرآن أن عامة ألفاظه تدل على معنيين فأكثر. وقد تقدم ذكر القواعد في مثل هذه المسائل كثيراً.[1]

والله أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

(١) انظر: مختصر قواعد التفسير للسبت: ص(١٩، ٢٠).

الكلام على قوله تعالى: (□ □ □□ □ □ □ □ □ □□ □ □□ ى ى ي ي)

والآية فيها مسألة واحدة وهي: من القائل ومن المجيب في قوله تعالى: (□ □ □□ ى ى ي ي).

قال ابن جزي رحمه الله تعالى:«هذا من كلام الله تعالى تقريراً للخلق يوم القيامة، فيجيبونه ويقولون: (ى ى ي ي). وقيل: بل هو الذي يجيب نفسه، لأن الخلق يسكتون هيبةً له. وقيل: إن القائل (□ □ □□ ي): مَلَكٌ ».[1]

والمسألة فيها ثلاثة أقوال:

القول الأول: أن السؤال من الله تعالى، وأما الجواب فمن الخلق.

وهذا القول ذكره الماوردي ونقله عن ابن جريج.[2] وذكره أيضاً القرطبي في تفسيره.[3]

القول الثاني: أن السؤال من الله تعالى، وهو الذي يجيب نفسه سبحانه.

قال ابن جرير: (□ □ □□ ي) يعني بذلك: يقول الربّ: لمن الملك اليوم ؛ وترك ذكر «يقول» استغناءً بدلالة الكلام عليه. وقوله: (ى ى ي ي)...معنى الكلام: يقول الربّ: لمن السلطان اليوم؟ وذلك يوم القيامة، فيجيب نفسه فيقول: (□ ى ى ي) الذي لا مثل له ولا شبيه (ي ي): لكلّ شيء سواه بقدرته، الغالب بعزّته.[4]

ونقله الماوردي عن عطاء ومحمد بن كعب[5] والبغوي[6] وابن عطية -ونقله عن ابن مسعود والحسن بن أبي الحسن-[7] وقال ابن الجوزي هو قول الأكثرين.[8]

---

(١) التسهيل في علوم التنزيل لابن جزي: ص(٦٣٢).

(٢) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ١٤١).

(٣) تفسير القرطبي (١/ ١٤٣).

(٤) تفسير الطبري (٢٤/ ٤٩).

(٥) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ١٤١).

(٦) تفسير البغوي (٤/ ٨٥).

(٧) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٥٥١).

(٨) زاد المسير (٧/ ٢١٠).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

قال ابن كثير: وقوله: (□ □ □□ ى ى ي ي) قد تقدم في حديث ابن عمر: أنه تعالى يطوي السموات والأرض بيده، ثم يقول: أنا الملك، أنا الجبار، أنا المتكبر، أين ملوك الأرض؟ أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟.[1]

وفي حديث الصور: أنه تعالى إذا قبض أرواح جميع خلقه، فلم يبق سواه وحده لا شريك له، حينئذ يقول: لمن الملك اليوم؟ ثلاث مرات، ثم يجيب نفسه قائلا (ى ى ي ي) أي: الذي هو وحده قد قَهَر كل شيء وغلبه.[2]

القول الثالث: إن القائل: (□ □ □□ ي) ملك من الملائكة.

قال النحاس: وأصح ما قيل فيه ما رواه أبو وائل عن ابن مسعود قال: يحشر الناس على أرض بيضاء مثل الفضة لم يعص الله جل وعز عليها، فيؤمر منادي ينادي (□ □ □□ ي) فيقول العباد مؤمنهم وكافرهم (□ ى ى ي ي) فيقول المؤمنون هذا الجواب سروراً وتلذذاً، ويقوله الكافرون غماً وانقياداً وخضوعاً.[3] وممن ذكره من المفسرين: الزمخشري[4] والقرطبي.[5]

الترجيح:

والراجح والعلم عند الله تعالى ما جاءت به الرواية الصحيحة عند الإمام مسلم والدالة على أن هذا من كلام الله تبارك وتعالى كما ذكر الحافظ بن كثير عليه رحمة الله تعالى.

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

(١) الحديث: صحيح. أخرجه مسلم في صحيحه - (١٣/ ٣٧٣).

(٢) تفسير ابن كثير (٧/ ١٣٦)، وقد تقدم تخريج حديث الصور. وانظره في: الأحاديث الطوال (١/ ٢٥٩)، ومسند إسحاق بن راهويه (١/ ٨٢).

(٣) إعراب القرآن (٤/ ٢٨).

(٤) الكشاف (٤/ ١٥٨).

(٥) تفسير القرطبي (١٥/ ٣٠٠).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة :: مع الفهارس) ٥

الكلام على قوله تعالى: (ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﮲ ﮳ ﮴ ﮵ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

الترجيـح: والراجح والعلم عند الله تعالى أن كل واحد من القولين عُبر به عن جزء من المعنى، ذلك أن الكظم متضمن لمعنى الرد والحبس كما قال تعالى: (ثٹ ٹ ٹ) [آل عمران] وقد فسره ثعلب فقال: يعني الحابسين الغيظ لا يُجازُون عليه.

كما أنه متضمن لمعنى الغم، ورجل مكظوم وكَظِيم مكروب قد أَخذ الغمُّ بكَظَمه وفي التنزيل العزيز: (ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ) [النحل] قال ابن الأنباري: والأصل في الكَظْم الإمساك على غيظ وغمٍّ. وهو أيضاً متضمن معنى الوجوم والسكوت، قال ابن منظور: والكُظوم السُّكوت وقوم كُظَّم أي ساكتون قال العجاج:

ورَبِّ أَسرابِ حَجِيجٍ كُظَّمِ عنِ اللَّغا ورَفَثِ التَّكَلُّمِ[٢]

وقد كُظِمَ وكَظَمَ على غيظه يَكْظِم كَظْماً فهو كاظِمٌ وكَظيم: سكت، وفلان لا يَكْظِم على جِرَّتِه أي لا يسكت على ما في جوفه حتى يتكلم به.

والكظم مَخْرَج النفس يقال: كَظَمني فلان وأَخذ بكَظَمي. قال أَبو زيد وابن الأَعرابي: وأَخذ بكَظَمه أي: بحلقه ومَخْرِج نَفَسه.[٣]

وهذا فيه إشارة إلى ما ذكر الله جل وعلا في قوله: (ذ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ) [غافر] فكأن القلوب قد ارتفعت لدى الحناجر وهم حابسوها وقد غلب عليهم الغم والكرب، فهم سكوت لا ينطقون، وكأن حلوقهم قد سدت من شدة الكظم في ذلك اليوم. وقد روى ابن جرير عن قتادة والسدي قالا: قد وقعت القلوب في الحناجر من المخافة، فلا هي تخرج ولا تعود إلى أمكنتها، نشبت في حلوقهم.[٤] وبنحوه قال ابن عاشور.[٥]

وقال الشيخ الأمين: (ٹٹ ٹ) معناه مكروبين ممتلئين خوفاً وغماً وحزناً. والكظم: تردد الخوف والغيظ والحزن في القلب حتى يمتلئ منه، ويضيق به. والعرب تقول: كظمت السقاء

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٥٥٢).

(٢) انظر: ادب الخواص - (١/ ٢٦)، وشرح أدب الكاتب - (١/ ١٤٠).

(٣) انظر: لسان العرب (١٢/ ٥١٩) تاج العروس (١/ ٧٨٨٠) بتصرف.

(٤) تفسير الطبري (٢٤/ ٥١).

(٥) تفسير التحرير والتنوير (٢٤/ ١١٤).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

إذا ملأته ماء، وشددته عليه. وقول بعضهم كاظمين، أي ساكتين، لا ينافي ما ذكرنا، لأن الخوف والغم الذي ملأ قلوبهم يمنعهم من الكلام، فلا يقدرون عليه.[1]

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

(١) أضواء البيان (٦/ ٣٨١).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة :: مع الفهارس) 5

المسألة الثانية: ما المراد بالنفي في قوله تعالى: (ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ) هل هو لنفي وجود الشفاعة أم لنفي قبولها ؟.

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: «أي صديق مشفق (ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ) يحتمل أن يكون نفي الشفاعة وطاعة الشفيع، أو نفي طاعة الشفيع خاصةً، كقولك: ما جاءني رجلٌ صالحٌ. فنفيت الصلاح، وإن كان قد جاءك رجل غير صالح. والأول أحسن، لأن الكفار ليس لهم من يشفع فيهم ».[1]

والمسألة فيها قولان:

القول الأول: أن النفي ينصب على الشفاعة وطاعة الشفيع، فالمراد نفي الموصوفِ وصفتهِ، أي: لا شفيعَ فيطاعَ.

قال ابن جرير: وقوله: (ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ) يقول جلّ ثناؤه: ما للكافرين بالله يومئذ من حميم يحم لهم، فيدفع عنهم عظيم ما نزل بهم من عذاب الله، ولا شفيع يشفع لهم عند ربهم فيطاع فيما شفع، ويُجاب فيما سأل.

ثم روى عن السديّ: (ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ) قال: من يعنيه أمرهم، ولا شفيع لهم. وقوله: (ﭒ ﭓ) صلة للشفيع. ومعنى الكلام: ما للظالمين من حميم ولا شفيع إذا شفع أطيع فيما شفع، فأجيب وقبلت شفاعته له.[2]

وممن ذكر نحو هذا من المفسرين: الزمخشري[3] وابن عطية[4]والألوسي[5] ورجحه أبو حيان فقال: واحتمل أن ينسحب النفي على الموصوف وصفته: أي لا شفيع فيطاع، وهذا هو المقصود في الآية، أن الشفيع عند الله إنما يكون من أوليائه تعالى، ولا تكون الشفاعة إلا لمن ارتضاه الله، وأيضاً فيكون في زيادة التفضل والثواب، ولا يمكن شيء من هذا في حق الكافر.

---

(١) التسهيل في علوم التنزيل لابن جزي: ص(٦٣٣).

(٢) تفسير الطبري (٢٤/ ٥١).

(٣) الكشاف (٤/ ١٥٨).

(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٥٥٢).

(٥) روح المعاني (٢٤/ ٦٠).

وعن الحسن: والله لا يكون لهم شفيع البتة.[1]

وقال الثعالبي بعد أن حكى هذا القول: وهذا الاحتمالُ الأخير هو الصوابُ.[2]

القول الثاني: أن النفي مقصود به طاعة الشفيع.

قال الزمخشري: ويجوز أن يتناول الطاعة دون الشفاعة، كما تقول: ما عندي كتاب يباع، فهو محتملٌ نفيَ البيعِ وحدَه، وأنَّ عندك كتاباً إلا أنك لا تبيعه، ونَفَيَهُما جميعاً، وأن لا كتاب عندك، ولا كونه مبيعاً.[3] وممن ذكر هذا القول من المفسرين: أبو حيان[4] والثعالبي[5] وابن عاشور.[6]

الترجيح:

والراجح والعلم عند الله تعالى هو القول الأول وهو قول جمهور المفسرين، وأكثر المفسرين لم يذكر سوى هذا المعنى. وهذا هو المنصوص عليه في سائر مواطن آيات الشفاعة في القرآن، أنه لا يشفع أحد عند الله تعالى إلا بإذنه ولمن ارتضى، ثم إن القول الثاني فيه نفي طاعة الشفعاء الذين يشفعون للكفار وهذا المعنى منتف بانتفاء الشفيع، فلما لم يوجد الشفيع، فكيف توجد إجابته ؟. وغاية ما في القول الثاني أنه مجرد احتمال وليس له دليل يدل عليه من الكتاب ولا من السنة بل الأدلة على خلافه، وأن الناس في ذلك اليوم كل مشتغل بنفسه فضلاً عن أن يشفع في غيره كما ذكر الله عنهم (ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ) (الشعراء:١٠٠- ١٠١)

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

(١) تفسير البحر المحيط (٧/ ٤٣٨).

(٢) تفسير الثعالبي (٨/ ٢٧١).

(٣) الكشاف (٤/ ١٥٨).

(٤) تفسير البحر المحيط (٧/ ٤٣٨).

(٥) تفسير الثعالبي (٨/ ٢٧١).

(٦) تفسير التحرير والتنوير (٢٤/ ١١٥).

الكلام على قوله تعالى: (ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾ ﷿ ﷽ ﷾ ﷿ ﷽ ﷾ ﷿

واستمعه، وكف عن قتل موسى، عليه السلام، ولو كان إسرائيليًّا لأوشك أن يعاجل بالعقوبة؛ لأنه منهم.[1]

القول الثاني: أنه من بني إسرائيل وليس من آل فرعون، وتقدير الكلام: وقال رجل مؤمن يكتم إيمانه من آل فرعون.

قال ابن جرير: وقال آخرون: بل كان الرجل إسرائيليا، ولكنه كان يكتم إيمانه من آل فرعون. والصواب على هذا القول لمن أراد الوقف أن يجعل وقفه على قوله: (ﭽ ﭾ ﭿ) لأن قوله: (ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ) صلة لقوله: (ﭽ ﭾ ﭿ) فتمامه قوله: (ﭽ ﭾ).[2]

وممن ذكر هذا من المفسرين: البغوي[3] والزمخشري[4] وابن عطية[5] وابن الجوزي[6] والقرطبي.[7]

الترجيح:

والراجح والعلم عند الله تعالى هو القول الأول وهو الذي رجحه ابن جزي عليه رحمة الله تعالى، وهو سياق الآية، ولا يستلزم التقديم والتأخير، وأيضاً فإن فرعون قد استمع لكلامه، ولو كان من بني إسرائيل لما كان كذلك كما ذكر الحافظ ابن كثير عليه رحمة الله تعالى، خاصةً وأنه ليس ثمة دليل قاطع يدل على القول الثاني فيتغير سياق الكلام، وهو اختيار جمهور المفسرين.

قال الشيخ الشنقيطي: والتحقيق أن الرجل المؤمن المذكور في هذه الآية من جماعة فرعون، كما هو ظاهر قوله تعالى: (ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ). فدعوى أنه إسرائيلي، وأن في الكلام

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٧٦).

(٢) تفسير الطبري (٢٤/ ٤٩).

(٣) تفسير البغوي (٤/ ٩٦).

(٤) الكشاف (٤/ ١٦٥).

(٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٥٤٨).

(٦) زاد المسير (٧/ ٢١٥).

(٧) تفسير القرطبي (١٥/ ٣٠٧).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

تقديماً وتأخيراً. وأن: (ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ) متعلق بـ(ﭿ ﮀ ﮁ) أي: وقال رجل مؤمن يكتم إيمانه من آل فرعون، أي: يخفى إيمانه عن فرعون وقومه، خلاف التحقيق كما لا يخفى.[1]

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

(١) أضواء البيان (٦/ ٣٨٤).

المسألة الثانية: ما الحكمة في تعبير المؤمن بالتبعيض في قوله: (ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ) ؟. مع أنه إن كان الرسول صادقاً فيما وعد به يكون كله.

قال ابن جزي رحمه الله تعالى:«قيل: إن (ک گ) هنا بمعنى: «كل» وذلك بعيد. وإنما قال: (ک گ) ولم يقل: «كل» مع أن الذي يصيبهم هو كل ما يعدهم: ليلاطفهم في الكلام، ويَبْعُد عن التعصب لموسى، ويظهر النصيحة لفرعون وقومه، فيرتجي إجابتهم للحق».[1]

والمسألة فيها قولان:

القول الأول: أن «بعض» بمعنى «كل». أي: يصيبكم كل الذي يعدكم. وهذا القول مذكور عن أبي عبيدة واستشهد عليه بقول الشاعر لبيد:

تَرَّاكُ امْكِنَةٍ إذَا لَمْ أَرْضَهَا أَوْ يَرْتَبِطْ بَعْضُ النُّفُوسِ حِمَامَهَا.[2]

والمقصود كل النفوس. قالوا ومنه قول الشاعر:

قد يُدْرِك المتأني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل[3]

قال البغوي: قال أبو عبيد: المراد بالبعض الكل، أي: إن قتلتموه وهو صادق أصابكم ما يتوعدكم به من العذاب.[4]

وممن ذكر هذا القول من المفسرين: الزمخشري[5] وابن الجوزي[6] والقرطبي.[7]

وذكر الثعالبي في فقه اللغة أن العرب قد يقتصرون على بعض الشيء وهم يريدون كله. وذكر قول لبيد:

تَرَّاكُ امْكِنَةٍ إذَا لَمْ أَرْضَهَا أَوْ يَرْتَبِطْ بَعْضُ النُّفُوسِ حِمَامَهَا

---

(١) التسهيل في علوم التنزيل لابن جزي: ص(٦٣٤).

(٢) البيت في ديوان لبيد بن ربيعة العامري (١/ ١٠١).

(٣) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ١٥١)، والبيت للقطامي كما في جمهرة أشعار العرب (١/ ٢٣٩).

(٤) تفسير البغوي (٤/ ٩٦).

(٥) الكشاف (٤/ ١٦٥).

(٦) زاد المسير (٧/ ٢١٥).

(٧) تفسير القرطبي (١٥/ ٣٠٧).

أراد كل النفوس. وفي القرآن: (ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ) [النور] و «من» هذه للتبعيض والمراد يغضوا أبصارهم كلها.(١)

القول الثاني: أن (ﮄ ﮅ) على بابها، وأن الذي يصيبهم هو كل ما وعدهم به موسى، واستعملها هنا للملاطفة في الكلام، وإيهام المخاطب بأنه يسلك طريق المنصف، وذلك بدعوته للتأمل في حجج الخصم، وترك الاستعجال في قتله.

وقد ذكر المفسرون بعض التعليلات لاستخدامه كلمة بعض في هذا الموطن فمنها:

الأول: ما ذكر الزمخشري: أنه احتاج في مقاولة خصوم موسى ومناكريه إلى أن يلاطفهم ويداريهم، ويسلك معهم طريق الإنصاف في القول، ويأتيهم من وجهة المناصحة، فجاء بما علم أنه أقرب إلى تسليمهم لقوله، وأدخَلُ في تصديقهم له، وقبولهم منه، فقال: (ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

الخامس: أنه وعدهم على كفرهم الهلاك في الدنيا والعذاب في الآخرة، فصار هلاكُهم في الدنيا بعضَ الوَعْد.[1]

الترجيح:

والراجح والعلم عند الله تعالى هو ما رجحه ابن جزي من أن « بعض » في هذا الموطن ليس المراد منها الكل وذلك لعدة أمور:

الأمر الأول: أن ما ستدلوا به من إطلاق العرب للبعض وإرادة الكل فهذا وارد ولكن بغير هذه الصفة ولا بنفس اللفظ، وأعلى ما استدلوا به في هذا الخصوص بيت لبيد

تراك أمكنة إذا لم أرضها أو يرتبط بعض النفوس حمامها

وهذا الاستدلال غير مُسَلَّم به، لأنه لم يرد بـ«بعض» هنا «كل». قال الزوزني في شرحه: أراد ببعض النفوس هنا نفسه، ومن جعل بعض النفوس بمعنى كل النفوس فقد أخطأ، لأن بعضاً لا يفيد العموم والاستيعاب...والمعنى: أنى أترك الأمكنة إذا رأيت فيها ما أكره، إلا أن يدركني الموت فيحبسني.[2]

الأمر الثاني: أن تفسير القرآن على مقتضى اللغة يراعى فيه المعنى الأغلب والأشهر والأفصح دون الشاذ أو القليل. وهذا من قبيل الشاذ أو القليل أن تستخدم «بعض» ويراد بها معنى «كل».

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

(١) زاد المسير (٧/ ٢١٥)، تفسير القرطبي (١٥/ ٣٠٧) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ١٥١).

(٢) شرح شافية ابن الحاجب (٤/ ٤١٥).

الكلام على قوله تعالى: (ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ)

والآية فيها مسألة واحدة وهي: من القائل في هذه الآية موسى أم الرجل المؤمن ؟.

قال ابن جزي رحمه الله تعالى:«هو المؤمن المذكور أولاً. وقيل: هو موسى عليه السلام، وهذا بعيد. وإنما توهموا ذلك لأنه صرح هنا بالإيمان، وكان كلام المؤمن أولاً غير صريح بل كان فيه تورية وملاطفة لقومه، إذ كان يكتم إيمانه. والجواب: أنه كتم إيمانه أول الأمر، ثم صرح به بعد ذلك، وجاهرهم مجاهرةً ظاهرةً لما وثق بالله، حسبما حكى الله من كلامه، إلى قوله: (ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

والقرطبي[1] والألوسي[2] وأبو حيان[3] والثعالبي.[4]

الترجيح:

والراجح والعلم عند الله تعالى هو القول الأول، وهو الذي رجحه ابن جزي عليه رحمة الله تعالى، وهو قول جمهور المفسرين، وأما ما ذكر من اعتراض عليه بأن الرجل المؤمن طريقته كانت الملاينة والملاطفة، وهنا الأمر كان بخلاف ذلك. فيجاب عنه بأن هذا قد لا يكون وقع دفعةً واحدةً، وفي مجلس واحد، فقد يكون بدأ معهم بداية الأمر بالملاطفة والملاينة، فلما رأى إصرارهم على غيهم، أخذ يشتد في الكلام، ويذكرهم بما حل بالأمم السابقة لما كذبوا رسل الله.

ثم إن الأولى أن يحمل الكلام على ما يليه وأن يتوحد مرجع الضمائر، حتى لا يكون في الخطاب تشتيت. فبداية القصة قال الله (ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ) ثم بعد ذلك اطرد ذكره معرفاً بـ«أل» التي تفيد العهد الذهني فقال: (ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ) أي: الذي سبق ذكره.

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

(١) تفسير القرطبي (١٥/ ٣١٢).

(٢) روح المعاني (٢٤/ ٦٨).

(٣) تفسير البحر المحيط (٧/ ٤٤٢).

(٤) تفسير الثعالبي (٨/ ٢٧٤).

الكلام على قوله تعالى: (□ □ □ □ □ □ □ ى).

والآية فيها مسألة واحدة وهي: لم سمى يوم القيامة بيوم التناد ؟.

قال ابن جزي رحمه الله تعالى:«يعني: يوم القيامة. وسُمِّي بذلك لأن المنادي ينادي الناس، وذلك قوله: (ٹ ٹ ٹ ۀ ے)[الإسراء] وقيل: لأن بعضهم ينادي بعضاً، أي: ينادي أهل الجنة: (پ پ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ) [الأعراف] وينادي أهل النار: (ڀ ڀ □ □ □ □) [الأعراف] ».[1]

وقد ذكر المفسرون أقوالاً كثيرة في سبب تسمية يوم القيامة بيوم التناد،[2] منها ما ثبت في كتاب الله تعالى ومنها ما جاء في السنة فمن ذلك:

مناداة أهل الجنة لأهل النار، وأهل النار لأهل الجنة كما في قوله تعالى: (و ۋ ۋ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ی ی ی ی ئج ئح ئم ئى ئي بج بح بخ بم بى بي تج تح تخ تم تى تي ثج ثم ثى ثي جح جم حج حم خج خح خم سج سح سخ سم صح صخ صم ضج ضح ضخ ضم طح طم ظم عج عم غج غم) (الأعراف: ٥٠) (ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ) (الأعراف: ٤٤) وهذا قول قتادة وابن زيد.[3]

ومنها أن الله تعالى يناديهم للحساب والسؤال كقوله تعالى: (ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ) (القصص: ٦٢) وقوله: (ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک) (القصص: ٦٥) وقوله: (ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ) (فصلت: ٤٧) وقوله: (□) (الكهف: ٥٢) وكقوله تعالى (ٹ ٹ ٹ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ) [الإسراء:٧١].

ومن ذلك ما جاء في حديث الصور: إن الأرض إذا زلزلت وانشقت من قطر إلى قطر، وماجت وارتجت، فنظر الناس إلى ذلك ذهبوا هاربين ينادي بعضهم بعضا. فروى أبو هريرة

---

(١) التسهيل في علوم التنزيل لابن جزي: ص(٦٣٤).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٦٠)، وتفسير البغوي (٤/ ٩٦)، والكشاف (٤/ ١٧٠)، والنكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ١٥١)، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٥٦٠)، وتفسير ابن كثير (٤/ ٧٥)، وزاد المسير (٧/ ٢١٤)، وتفسير القرطبي (١٥/ ٣١٠)، وتفسير التحرير والتنوير (٢٦/ ١١٣)، واللباب في علوم الكتاب (١٧/ ٤٢).

(٣) تفسير الطبري (٢٤/ ٦٠).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

عن النبي ﷺ أنه قال: « يأمرُ اللهُ عز وجل إسرافيلَ بالنَّفخة الأولى فيقول: انفُخْ نفخةَ الفزع، فيفزَعُ أهلُ السموات والأرض إلاّ من شاء الله، فتُسيَّر الجبالُ، وتُرَجُّ الأرض. وتَذْهَلُ المراضعُ، وتضع الحواملُ، ويولِّي الناس مُدْبِرين ينادي بعضهم بعضاً. وهو قوله: (□ □ ى) وهذا قول الضحاك والسدي.[1]

وقيل: أنه إذا جيء بجهنم، ذهب الناس هِرَابا، فتتلقاهم الملائكة فتردهم إلى مقام المحشر، وهو قوله تعالى: (ڈ ڈ ڈڈ ک) [الحاقة:١٧] وقوله (ه ھ ھ ے ۓ ۓ ﷺ ﷺ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ) [الرحمن:٣٣]. وقد روي عن ابن عباس، والحسن، والضحاك: أنهم قرأوا: (□ □ ى) بتشديد الدال من ند البعير: إذا شرد وذهب.[2] وقيل: لأن الميزان عنده ملك، وإذا وزن عمل العبد فرجح نادى بأعلى صوته: ألا قد سعد فلان بن فلان سعادة لا يشقى بعدها أبدا. وإن خف عمله نادى: ألا قد شقي فلان بن فلان.[3]

الترجيح: والراجح والعلم عند الله تعالى هو القول بالعموم لأنه في ذلك اليوم يكثر نداء الخلائق بعضهم لبعض في عرصات الموقف، وتناديهم الملائكة لأخذ كتبهم بالأيمان والشمائل، ويناديهم الله تعالى للحساب والسؤال، ويتنادى أصحاب النار وأصحاب الجنة، وهذا كله في يوم القيامة، وينادى حين يذبح الموت، كما جاء في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح، فينادي منادٍ يا أهل الجنة: فيشرئبون وينظرون. فيقول: هل تعرفون هذا؟. فيقولون: نعم، هذا الموت. وكلهم قد رآه. ثم ينادي يا أهل النار: فيشرئبون وينظرون. فيقول: هل تعرفون هذا ؟. فيقولون: نعم، هذا الموت. وكلهم قد رآه؛ فَيُذبح. ثم يقول: يا أهل الجنة، خلودٌ فلا موت، ويا أهل النار خلودٌ فلا موت. ثم قرأ:** (ٱ ب ب ب ب پ پ پ پ) [الأنبياء]وهؤلاء في غفلة أهل الدنيا (پ پ پ پ)).[1] ولما لم يكن ثمة مرجح لأحد هذه الأمور على الآخر فقد اختار البغوي وغيره:

---

(١) تفسير الطبري (٢٤/ ٦٠).

(٢) تفسير الطبري (٢٤/ ٦٠)، وتفسير البغوي (٤/ ٩٦). قرأ بها ابن عباس والكلبي والضحاك انظر: المحتسب لابن جني ٢/ ٢٤٣ وشواذ القراءات للكرماني ٤١٨

(٣) وتفسير البغوي (٤/ ٩٦).

دكتوراه عبدالعلي العمدي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

أنه سُمِّي بذلك لمجموع ذلك. وقال الحافظ ابن كثير عليه رحمة الله عنه: وهو قول حسن جيد[٢].

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

(١) صحيح البخاري (٤/ ١٧٦٠) وصحيح مسلم (٤/ ٢١٨٧).

(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ٨٠).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة :: مع الفهارس) ٥

الكلام على قوله تعالى: (ى ي ي □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □)

والآية فيها مسألة واحدة وهي: ما المراد بقوله تعالى: (ى ي ي □) ؟.

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: «أي: منطلقين إلى النار. وقيل: هاربين من النار».[1]

والمسألة فيها قولان:

القول الأول: أن المعنى: منطلقين إلى النار.

فروى ابن جرير عن قتادة في قوله تعالى: (ى ي ي □) قال: أي منطَلقا بكم إلى النار.[2] وممن ذكر هذا القول من المفسرين: الماوردي[3] والبغوي[4] وابن الجوزي[5] وأبو حيان[6] والألوسي.[7]

القول الثاني: أن المعنى: هاربين من النار.

فروى ابن جرير عن مجاهد في قوله: (ى ي ي □) قال: فارّين غير معجزين.[8] ثم ثم روى عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: (يأمر الله إسرافيلَ بالنَّفْخَةِ الأولَى، فيقولُ: انفخْ نَفْخَةَ الفَزَعِ، فَفَزِعَ أَهْلُ السَّمواتِ وأَهْلُ الأَرْضِ إلا مَنْ شَاءَ الله، وَيَأْمره الله أنْ يُدِيمَهَا وَيُطَوِّلَهَا فَلا يَفْتُرُ، وَهِيَ الَّتِي يَقُولُ اللهُ: (□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □)[ص] فَيُسَيِّرُ اللهُ الجِبَالَ فَتكُونَ سَرَابًا، فَتُرَجُّ الأَرْضُ بأَهْلِها رَجًّا، وَهِيَ التي يَقُولُ اللهُ: (ئے ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ)[النازعات]فَتكُونُ كالسَّفِينَة المُرْتَعَةِ فِي البَحْرِ تَضرِبُها الأَمْوَاجُ تَكْفَأُ بأَهْلِهَا، أَوْ كالقِنْدِيلِ المُعَلَّقِ بالعَرْشِ تَرُجُّهُ الأَرْوَاحُ، فَتَمِيدُ النَّاسَ عَلى

---

(١) التسهيل في علوم التنزيل لابن جزي: ص(٦٣٤).

(٢) تفسير الطبري (٢٤/ ٦٠).

(٣) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ١٥٠).

(٤) تفسير البغوي (٤/ ٩٦).

(٥) زاد المسير (٧/ ٢١٥).

(٦) تفسير البحر المحيط (٧/ ٤٤٣).

(٧) روح المعاني (٢٤/ ٥٨).

(٨) تفسير الطبري (٢٤/ ٦٠).

ظَهْرِها، فَتَذْهَلُ المَرَاضِعُ، وَتَضَعُ الحَوَامِلُ، وَتَشِيبُ الوِلْدَانُ، وَتَطِيرُ الشَّيَاطِينُ هَارِبَةً حتى تأتي الأَقْطارَ، فَتَلَقَّاها المَلائِكَةُ، فَتَضْرِبُ وُجُوهَها، فَتَرْجِعَ وَيُوَلِّي النَّاسُ مُدْبِرِينَ، يُنَادِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ الله: (□ □ □ □ □ □ ى ى ي ي □ □ □ □ □ □ □ □)[1]

ونقل الماوردي عن السدي قال: مدبرين في فِرارهم من النار حتى يقذفوا فيها، قاله السدي.[2] وممن ذكر هذا القول من المفسرين: ابن عطية[3] وابن الجوزي[4] وابن كثير[5] وأبو وأبو حيان[6] والألوسي[7] وابن عاشور[8] وابن عادل.[9]

الترجيح:

والراجح والعلم عند الله تعالى هو القول الثاني وهو الأقرب في معنى الإدبار وهو الهروب من الشيء والابتعاد عنه ويؤيده حديث أبي هريرة. قال ابن جرير: وأولى القولين في ذلك بالصواب، القول الذي رُوي عن رسول الله ﷺ وإن كان الذي قاله قتادة في ذلك غير بعيد من الحقّ.[10]

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

(١) والحديث في مسند إسحاق بن راهويه (١/ ٨٢) وتقدم تخريجه في ص : (٦٠٦) .

(٢) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ١٥٠).

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٥٦٠).

(٤) زاد المسير (٧/ ٢١٥).

(٥) تفسير ابن كثير (٤/ ٧٥).

(٦) تفسير البحر المحيط (٧/ ٤٤٣).

(٧) روح المعاني (٢٤/ ٥٨).

(٨) تفسير التحرير والتنوير (٢٤/ ١٣٧).

(٩) اللباب في علوم الكتاب (١٧/ ٤٧).

(١٠) تفسير الطبري (٢٤/ ٦٠).

الكلام على قوله تعالى: (ڑ ڑ ک ک ک ک ک گ گ گ)

والآية فيها مسألة واحدة وهي: ما المراد بالأسباب في الآية ؟.

قال ابن جزي رحمه الله تعالى:« الأسباب هنا: الطرق. وقيل: الأبواب. وكررها للتفخيم وللبيان ».[1]

والمسألة فيها قولان:

القول الأول: أن المراد بالأسباب هنا: طرق السموات. وهذا القول منقول عن أبي صالح، والسديّ، كما عند ابن جرير[2] والماوردي[3] وابن عطية[4] وابن الجوزي[5] وابن كثير.[6] كثير.[6]

وقال الزمخشري: (گ گ ے) طرقها وأبوابها، وما يؤدي إليها، وكل ما أدَّاك إلى شيءٍ فهو سبب إليه، كالرشاء ونحوه.[7]

وقال ابن عاشور: والأسباب: جمع سبب، والسبب ما يوصِّل إلى مكان بعيد، فيطلق السبب على الطريق، ويطلق على الحبل، لأنهم كانوا يتوصلون به إلى أعلى النخيل. والمراد هنا: طرق السماوات، كما في قول زهير:

ومن هَاب أسبابَ المنايا يَنَلْنَه وإن يَرْقَ أسبابَ السماء بسلّم[8]

القول الثاني: أن المراد بالأسباب هنا: أبواب السموات.

فروى ابن جرير عن قتادة قال: (گ گ گ گ گ ے): أي أبواب السموات.[9] وحكاه الماوردي عن السدي، والأخفش، وأنشد قول زهير.[1]

---

(١) التسهيل في علوم التنزيل لابن جزي: ص(٦٣٥).
(٢) تفسير الطبري (٢٤/ ٥٩).
(٣) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ١٥٦).
(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٥٦١).
(٥) زاد المسير (٧/ ٢٢٢).
(٦) تفسير ابن كثير (٤/ ٧٥).
(٧) الكشاف (١/ ١٢٢).
(٨) تفسير التحرير والتنوير (٢٤/ ١٣٨)، والبيت في ديوان زهير بن أبي سلمى (١/ ٦).
(٩) تفسير الطبري (٢٤/ ٥٩).

وكذا قال ابن عطية[٢] وحكاه ابن الجوزي عن ابن عباس، وقتادة.[٣] وابن كثير عن سعيد بن جبير، وأبي صالح.[٤]

الترجيح:

والراجح والعلم عند الله تعالى: أنه لا فرق بين القولين من حيث اللغة، فإن الأبواب تدخل في مسمى الأسباب والطرق أسباب، لأن السبب في اللغة: هو ما يتوصل به إلى غيره، ولذا سمي الحبل المعلق في السقف سبباً، لأنه يُتَوصل به إلى العلو، والطرق والأبواب كلها من أسباب الوصول، فالذي لا يعرف الطرق لا يصل، ومن لم يأت الأبواب لا يدخل.

ونقل ابن منظور عن أبي زيد قال: الأسباب: المنازل، وقيل المودة. قال: والسَّبَبُ اعْتِلاقُ قَرابة. وأَسبابُ السماء: مَراقِيها، ثم ذكر قول زهير. قال: والواحدُ سَبَبٌ، وقيل: أَسبابُ السماءِ نواحيها قال الأَعشى:

لئن كنتَ في جُبٍّ ثمانينَ قامةً ورُقِّيتَ أَسبابَ السماءِ بسُلَّمِ.[٥]

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

(١) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ١٥٦).

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٥٦١).

(٣) زاد المسير (٧/ ٢٢٢).

(٤) تفسير ابن كثير (٤/ ٧٥).

(٥) لسان العرب (١/ ٤٥٥)، والبيت في ديوان الأعشى (١/ ٢٠١).

الكلام على قوله تعالى: (ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ).

والآية فيها مسألتان:

المسألة الأولى: هل الآية عامة في كل الأنبياء والمؤمنين، أم هي خاصة بمن أظهر الله نصرهم في الدنيا.

قال ابن جزي رحمه الله تعالى:«قيل إن هذا خاص فيمن أظهره الله على الكفار وليس بعام، لأن من الأنبياء من قتله قومه كزكريا ويحيى. والصحيح: أنه عامٌ. والجواب عما ذكروه: أن زكريا ويحيى لم يكونا من الرسل، إنما كانا من الأنبياء الذين ليسوا بمرسلين، وإنما ضمن الله نصر الرسل خاصةً، لا نصر الأنبياء كلهم ».[1]

والمسألة فيها قولان:

القول الأول: إن هذا خاص فيمن أظهره الله على الكفار وليس بعام لأن من الأنبياء من قتله قومه كزكريا ويحيى. قالوا: وخرج هذا الكلام على وجه الخبر عن الجميع من الرسل والمؤمنين، والمراد واحد، فيكون تأويل الكلام حينئذ: إنا لننصر رسولنا محمدا ﷺ والذين آمنوا به في الحياة الدنيا، ويوم يقوم الأشهاد فإن العرب تخرج الخبر بلفظ الجميع، والمراد واحد إذا لم تنصب للخبر شخصا بعينه. وممن ذكر هذا القول من المفسرين: ابن جرير[2] وابن عطية[3] وابن كثير[4] وأبو حيان.[5]

القول الثاني: أنه عام لجميع الرسل وأتباعهم.

قال ابن عباس: بالغلبة والقهر. وقال الضحاك: بالحجة، وفي الآخرة بالعذر. وقيل: بالانتقام من الأعداء في الدنيا والآخرة. وكل ذلك قد كان للأنبياء والمؤمنين، فهم منصورون بالحجة على من خالفهم، وقد نصرهم الله بالقهر على من ناوأهم وإهلاك أعدائهم، ونصرهم

---

(١) التسهيل في علوم التنزيل لابن جزي: ص(٦٣٦).

(٢) تفسير الطبري (٢٤/ ٦٩).

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٥٦٤).

(٤) تفسير ابن كثير (٤/ ٧٦).

(٥) تفسير البحر المحيط (٧/ ٤٤٨).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

بعد أن قتلوا بالانتقام من أعدائهم، كما نصر يحيى بن زكريا لما قُتِل، قُتِل به سبعون ألفًا، فهم منصورون بأحد هذه الوجوه.

وممن قال بهذا القول من المفسرين: ابن جرير[١] والماوردي[٢] والبغوي[٣] وابن عطية[٤] وابن الجوزي[٥] وابن كثير[٦] وأبو حيان[٧] والألوسي[٨] وابن عادل.[٩]

وقد ذكر ابن جرير وجهين لتفسير الآية وقال كلاهما صحيح:

الأول: أن تكون النصرة في الدنيا على ظاهرها كما فعل مع نوح، وموسى، وداود، ومحمد ﷺ، وغيرهم من الأنبياء.

الثاني: أن يكون ذلك بالانتقام في الحياة الدنيا من مكذّبيهم بعد وفاة الرسول، كالذي فعل بقَتَلَة يحيى، سلط عليهم بُخْتَنَصَّر، حتى انتصر به مِن قتلته له، وانتصر لعيسى من مريدي قتله بالروم، حتى أهلكهم بهم.

ثم روى عن السديّ قال: قد كانت الأنبياء والمؤمنون يُقْتلون في الدنيا وهم منصورون، وذلك أن تلك الأمة التي تفعل ذلك بالأنبياء والمؤمنين، لا تذهب حتى يبعث الله قوماً فينتصر بهم لأولئك الذين قُتِلوا منهم.

قال الألوسي: ولا يقدح في ذلك ما قد يتفق للكفرة من صُورة الغلبة امتحاناً، إذ العبرة إنما هي بالعواقب وغالب الأمر...ثم ذكر نقلاً من الحواشي الخفاجية: أن النصرة في الآخرة لا تتخلف أصلاً بخلافها في الدنيا، فإن الحرب فيها سجالٌ، وإن كانت العاقبة للمتقين، ولذا

---

(١) تفسير الطبري (٢٤/ ٦٩).
(٢) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ١٦٠).
(٣) تفسير البغوي (٤/ ٩٥).
(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٥٦٤).
(٥) زاد المسير (٧/ ٢٢٩).
(٦) تفسير ابن كثير (٤/ ٧٦).
(٧) تفسير البحر المحيط (٧/ ٤٤٨).
(٨) روح المعاني (٢٤/ ٧٦).
(٩) لباب التأويل في معاني التنزيل (٦/ ٩٧).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

دخلت « فِي » على « الحياة » دون قرينه، لأن الظرف المجرور بفي لا يستوعب كالمنصوب على الظرفية، كما ذكره الأصوليون انتهى، وفيه بحث.[1]

الترجيـــح:

والراجح والعلم عند الله تعالى هو القول الثاني، فإن الله تعالى وعد الرسل وأتباع الرسل بالنصرة في الحياة الدنيا وفي الآخرة، فأما الآخرة فلا شك ولا ريب في ذلك، وأما في الدنيا فقد أكد ذلك بنون التوكيد المشددة، ثم أردفها بلام التوكيد، والمتضمنة لمعنى القسم أي: والله لننصرن رسلنا والذين آمنوا. وقدم الحياة الدنيا على يوم الأشهاد لتقدمها في الزمان، وقد يكون إيناساً للرسل وأتباعهم، وإسراعاً في تبشيرهم بحصول النصر لهم في الدنيا، والانتقام لهم من أعدائهم، لأنهم في الدنيا في مقام أملٍ وانتظارٍ للنصر، وحتى لا يتطرق إليهم اليأس من نصر الله تعالى، كما قال الله تعالى: (ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

ولا زال المسلمون يطلبون الشهادة في سبيل الله ويعتبرون ذلك من أعظم المنح أن يُقْتل أحدُهم في سبيل الله، إذ المعوَّل ليس على الحياة الدنيا فهي كظل زائل، بل على الحياة الأبدية.

ومع هذا كله فإن الله تعالى ينتقم لأوليائه من أعدائهم في الدنيا قبل الآخرة، فما من أحد عادى أولياء الله تعالى إلا وقصمه الله، فكان عبرةً لمن بعده، طال الزمان أم قصر، وهذه سنة لا تتخلف من رب العالمين، ففي الصحيح من حديث أبي هريرة يقول الله تبارك وتعالى: (**من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب..**).[1] وفي محكم التنزيل يقول الله تبارك وتعالى: (ى ى ي ي □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □) (الحج: ٣٨) و يقول: (ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ) (الصافات) ولكنه شرط ذلك سبحانه بالصبر (ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ) (الأعراف: ١٢٨) وقال مذيلاً على أخبار المرسلين مع أممهم: (ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ھ ھ) (هود: ٤٩) وقال موجهاً نبيه ﷺ (□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □) (الروم: ٦٠).

وقد انتصر الله لأوليائه المظلومين ممن ظلمهم وما من مظلوم وصاحب حق مهضوم إلا ونصره الله وقد ذكر أهل التفسير من ذلك طرفاً لا بأس به وهو مقام يطول وصفه.

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

(١) الحديث في صحيح البخاري (٥/ ٢٣٧٥).

المسألة الثانية: مالمراد بالأشهاد في قوله تعالى: (ڤ ڤ ڤ ڤ) ؟.

قال ابن جزي رحمه الله تعالى:«والأشهاد: جمع شاهد أو شهيد. ويحتمل أن يكون: بمعنى الحضور، أو الشهادة على الناس، أو الشهادة في سبيل الله. والأظهر: أنه بمعنى الشهادة على الناس، لقوله: (ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک)[النساء]».[1]

والمسألة فيها خمسة أقوال:

القول الأول: أن المراد بالأشهاد: جمع شاهد كصاحب وأصحاب. قال المبرد: وهو مطابق لقوله: (ٹ ٹ ٹ ٹ) [الأحزاب: ٤٥].

وممن ذكره من المفسرين: الماوردي[2] والزمخشري[3] وابن عطية[4] والقرطبي -ونقله عن الزجاج-[5] والنسفي[6] والثعالبي[7] وابن عاشور[8] وابن عادل.[9]

القول الثاني: أن المراد بالأشهاد: جمع شهيد مثل شريف وأشراف. وهو مطابق لقوله: (ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک) [النساء: ٤١].

وممن ذكر هذا: الماوردي[10] وابن عطية[11] والقرطبي[12] والثعالبي[13] وابن عادل.[14]

---

(١) التسهيل في علوم التنزيل لابن جزي: ص(٦٣٦).
(٢) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ١٦٠).
(٣) الكشاف (٤/ ١٧٧).
(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٥٦٤).
(٥) تفسير القرطبي (١٥/ ٣٢٣).
(٦) تفسير النسفي (٤/ ٧٣).
(٧) تفسير الثعالبي (٨/ ٢٧٨).
(٨) تفسير التحرير والتنوير (٢٤/ ١٦٨).
(٩) اللباب في علوم الكتاب (١٧/ ٧٠).
(١٠) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ١٦٠).
(١١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٥٦٤).
(١٢) تفسير القرطبي (١٥/ ٣٢٣).
(١٣) تفسير الثعالبي (٨/ ٢٧٨).
(١٤) اللباب في علوم الكتاب (١٧/ ٧٠).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

ونقل الشوكاني عن أبي جعفر النحاس أنه قال: ليس باب فاعل أن يجمع على أفعال، ولا يقاس عليه، ولكن ما جاء منه مسموعاً أُدِّي على ما يسمع، فهو على هذا جمع شهيد، مثل شريف، وأشراف.[1]

القول الثالث: أن المراد بالأشهاد: الشهادة بمعنى الحضور. وهذا القول ذكره الألوسي بصيغة التمريض.[2]

القول الرابع: أن المراد بالأشهاد: بمعنى الشهادة على الناس.

قال ابن جرير: وعني بقوله: (ڤ ڤ ڤ ڤ) يوم يقوم الأشهاد من الملائكة والأنبياء والمؤمنين على الأمم المكذبة رسلها بالشهادة بأن الرسل قد بلغتهم رسالات ربهم، وأن الأمم كذّبتهم. والأشهاد: جمع شهيد، كما الأشراف: جمع شريف. ثم روى عن قتاد قال: (ڤ ڤ ڤ ڤ) من ملائكة الله وأنبيائه، والمؤمنين به. وعن مجاهد في قول الله: (ڤ ڤ ڤ ڤ) قال: الملائكة.[3] وكذا قال ابن كثير.[4]

وقال البغوي: يعني يوم القيامة، يقوم الحفظة من الملائكة يشهدون للرسل بالتبليغ وعلى الكفار بالتكذيب.[5] وبنحوه قال الزمخشري[6] والرازي[7] وابن عاشور.[8]

ومما يدل على هذا القول ما أخرجه ابن أبي حاتم عن زيد بن أسلم ﷺ قال: (الْأَشْهَادُ أَرْبَعَة: الْمَلائِكَةِ الَّذِينَ يُحْصُونَ أَعْمَالَنَا، وَقَرَأَ: (ڈ ڈ ڈ ژ ژ ڑ).[ق] وَالنَّبِيُّونَ شُهَدَاءُ عَلَى أُمَمِهِمْ وَقَرَأَ:(ڈ ڈ ڈژ ژ ڑ ڑ ک)[النساء]وَأُمَّةُ مُحَمَّدٍ ﷺ شُهَدَاءُ عَلَى الْأُمَمِ وَقَرَأَ:(ڤ ڤ ڤ ڤ ک)[البقرة]وَالْأَجساد والجلود وقرأ: (ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ

---

(١) فتح القدير (٤/ ٤٩٤).

(٢) روح المعاني (٢٤/ ٧٦).

(٣) تفسير الطبري (٢/ ٥).

(٤) تفسير ابن كثير (٤/ ٨٥).

(٥) تفسير البغوي (٤/ ٩٥).

(٦) الكشاف (٤/ ١٧٧).

(٧) التفسير الكبير (٢٧/ ٦٧).

(٨) تفسير التحرير والتنوير (٢٤/ ١٦٨).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

پ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ) (فصلت: ٢١).[1]

القول الخامس: أن المراد بالأشهاد: أي الشهداء في سبيل الله. وهذا القول لم أقف على من قال به والله أعلم.

الترجيح: والراجح والعلم عند الله تعالى: أن القول الأول والثاني لا علاقة لهما بالمعنى، فسواء كانت بمعنى شاهد، أو بمعنى شهيد، فالمقصود هو الشهادة، ولفظ شهيد يرد بمعنى شاهد كقول الله تعالى: (ٻ ٻ □ □ □ □ □) [آل عمران] أي: شاهد على أعمالكم، وكقوله تعالى: (□ □ □ □ □) [النساء] أي: شاهداً.

وأما القول الثالث فهو داخل في القول الرابع، فهما في الحقيقة لا تعارض بينهما، فالشهادة بهذا المعنى متضمنة معنى الحضور والمثول عند أداء الشهادة، فيكون المعنى: يوم يقوم الأشهاد ويحضرون للشهادة وأدائها على الناس والرسل والأمم. سواء من الكرام الكاتبين والملائكة الحافظين والأنبياء والمرسلين أو أعضاء الآدميين، على نحو ما جاء في أثر زيد بن أسلم الذي عند ابن أبي حاتم المتقدم ذكره.

وهذا القول هو ما ذهب إليه جمهور المفسرين وإن اختلفت عباراتهم إلا أن مضمون كلامهم متفق، كما جاء في القول الثالث نقله. وهذا المعنى هو الذي تقدم ترجيحه في سورة الزمر عند قوله تعالى: (ڤ ڤ ڤ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ) [الزمر] فالحمد لله على توفيقه ومنه وفضله.

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٦٢).

الكلام على قوله تعالى: (ڤ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ ڃ ڃ چچ).

والآية فيها مسألة واحدة وهي: هل يعتذر الظلمة يوم القيامة بين يدي الله تعالى ؟.

قال ابن جزي رحمه الله تعالى:«يحتمل أنهم لا يعتذرون، أو يعتذرون ولكن لا تنفعهم معذرتهم؛ والأول أرجح، لقوله: (ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ)[المرسلات] فَنَفَى الاعتذار والانتفاعَ به».[1]

والمسألة فيها قولان:

القول الأول: أنهم لا يقع منهم الاعتذار، واستدل القائلون بهذا بقوله تعالى: (ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ) [المرسلات: ٣٦] قالوا: فقوله: (ڈ ڈ ژ ڑ) في العذر (ژ ڑ) عطف على: يؤذن، من غير تسبب عنه، فهو داخل في حيز النفي، أي لا إذن فلا اعتذار.

وممن ذكر هذا القول من المفسرين: الزمخشري[2] وأبو حيان[3] والألوسي[4] والبيضاوي[5] والجلالين.[6]

القول الثاني: أن اعتذارهم محتمل الوقوع ولكنه لا ينفعهم. وهذا ظاهر الآية.

قال ابن جرير: وقوله: (ڤ ڃ ڃ ڃ ڃ چ) يقول تعالى ذكره: ذلك يوم لا ينفع أهل الشرك اعتذارهم، لأنهم لا يعتذرون إن اعتذروا إلا بباطل، وذلك أن الله قد أعذر إليهم في الدنيا، وتابع عليهم الحجج فيها، فلا حجة لهم في الآخرة إلا الاعتصام بالكذب، بأن يقولوا: (ئى ئى ئى ی ی ی).[الأنعام][7]

ونقل القرطبي عن مقاتل أنه قال: أي لو أدلى بعذر أو حجة لم ينفعه ذلك.[8]

---

(١) التسهيل في علوم التنزيل لابن جزي: ص(٦٣٧).

(٢) الكشاف (٤/ ١٦٩).

(٣) تفسير البحر المحيط (٧/ ٤٣٩).

(٤) روح المعاني (٢٤/ ٦٨).

(٥) تفسير البيضاوي (٥/ ٩٦).

(٦) تفسير الجلالين (١٢/ ١٥٦).

(٧) اللباب في علوم الكتاب (١٧/ ٦٣).

(٨) تفسير القرطبي (١٩/ ١٠١).

وممن ذكر هذا من المفسرين: البغوي[1] والزمخشري[2] وابن عطية[3] وابن الجوزي[4] وابن كثير[5] وأبو حيان[6] والبيضاوي[7] والألوسي[8] وابن عادل.[9]

وقال ابن عاشور: وظاهرُ إضافة المعذرة إلى ضميرهم أنهم تصدر منهم يومئذٍ معذرة يعتذرون بها عن الأسباب التي أوجبت لهم العذاب، مثل قولهم: (ڤ ڤ ڤ چ) [الأعراف:٣٨] وهذا لا ينافي قوله تعالى: (ڈ ڈ ژ ژ ڑ) [المرسلات:٣٦] الذي هو في انتفاء الاعتذار من أصله، لأن ذلك الاعتذار هو الاعتذار المأذون فيه.[10]

الترجيح: والراجح والعلم عند الله تعالى هو القول الثاني وليس كما رجحه ابن جزي عليه رحمة الله وذلك لعدة أمور:

الأمر الأول: أن المنفي هو الإذن لهم في الاعتذار وهذا لا يمنع وقوع الاعتذار منهم، وهذا ما تدل عليه ظواهر الآيات كهذه الآية وقوله تعالى: (ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ) [الروم:٥٧] وقوله تعالى: (□ □ □ □ □□ □ □ □ ى ى ي) (التحريم: ٧) وقوله عنهم متعللين: (ئے ئے ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ).

الأمر الثاني: أن الإثبات مقدم على النفي. وبهذا تجتمع النصوص ولله الحمد.

الأمر الثالث: أن الاعتذار قد يقع في مواطن من يوم القيامة ومواطن أخرى لا يؤذن لهم فيها بالاعتذار. قال ابن عادل: فإن قيل: قوله: (ج ج ج ج چ چ) يدل على أنهم

---

(١) تفسير البغوي (٤/ ١٠١).
(٢) الكشاف (٤/ ١٦٩).
(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٥٦٤).
(٤) زاد المسير (٧/ ٢٣٠).
(٥) تفسير ابن كثير (٤/ ٨٥).
(٦) تفسير البحر المحيط (٧/ ٤٣٩).
(٧) تفسير البيضاوي (٥/ ٩٦).
(٨) روح المعاني (٢٤/ ٦٨).
(٩) اللباب في علوم الكتاب (١٧/ ٦٣).
(١٠) تفسير التحرير والتنوير (٢٤/ ١٦٨).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

يذكرون الأعذار، ولكن تلك الأعذار لا تنفعهم فكيف الجمع بين هذا وبين قوله: (ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک) [المرسلات: ٣٦]؟.

فالجواب: قوله: (ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ) لا يدل على أنهم ذكروا الأعذار، بل ليس فيه إلا أنه ليس عندهم عذر مقبول، وهذا لا يدل على أنهم ذكروه أم لا وأيضاً فيوم القيامة يوم طويل فيعتذرون في وقت، ولا يتعذرون في وقت آخر.[1]

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم

(١) اللباب في علوم الكتاب (١٧/ ٦٣).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

الكلام على قوله تعالى: (ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ)

والآية فيها مسألة واحدة وهي: ما الأمر الذي استكبروا عنه ؟.

قال ابن جزي رحمه الله تعالى:«أي: تكبرٌ وتعاظمٌ يمنعهم من أن يتبعوك أو ينقادوا إليك. وقيل: كبرهم أنهم أرادوا النبوة لأنفسهم، ورأوا أنهم أحق بها. والأول أظهر. لأن إرادتهم النبوة لأنفسهم حسد، والأول هو الكبر».[1]

والمسألة فيها قولان:

القول الأول: أن الكبر والتعاظم الذي في صدورهم مَنَعَهم من اتباع النبي ﷺ. وهذا القول على أن الآية في المشركين.

قال ابن جرير: (ڈ ڈ ڎ ڎ ڑ ڑ ک ک) يقول: ما في صدورهم إلا كبر يتكبرون من أجله عن اتباعك، وقبول الحق الذي أتيتهم به حسداً منهم على الفضل الذي آتاك الله، والكرامة التي أكرمك بها من النبوّة (ں ڻ ڻ ڻ ڻ) يقول: الذي حسدوك عليه أمر ليسوا بُمدركيه ولا نائليه، لأن ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، وليس بالأمر الذي يدرك بالأمانيّ. ثم روى عن مجاهد في قوله: (ڈ ڈ ڎ ڎ ڑ ڑ ک ک) قال: عَظَمَةً.[2]

وروى البغوي عن ابن عباس قال: ما يحملهم على تكذيبك إلا ما في صدورهم من الكبر والعظمة. (ں ڻ ڻ ڻ ڻ) قال مجاهد: ما هم ببالغي مقتضى ذلك الكبر، لأن الله عز وجل مذلهم. قال ابن قتيبة: إن في صدورهم إلا تكبر على محمد ﷺ وطمع في أن يغلبوه وما هم ببالغي ذلك.[3]

---

(١) التسهيل في علوم التنزيل لابن جزي: ص(٦٣٧).

(٢) تفسير الطبري (٢٤/ ٧٣).

(٣) تفسير البغوي (٤/ ٩٥).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

وقال الزمخشري: (ڈ ڈ ۀ ۀ ہ ہ ھ) إلا تكبر وتعظم، وهو إرادة التقدّم والرياسة، وأن لا يكون أحدٌ فوقَهم، ولذلك عادَوك ودفعوا آياتك خيفة أن تتقدّمهم، ويكونوا تحت يدك وأمرك ونهيك، لأن النبوة تحتها كل مُلْكٍ ورياسة.[1]

وممن ذكر هذا المعنى ونحوه من المفسرين: الماوردي[2] وابن عطية[3] وابن الجوزي[4] والقرطبي[5] وابن كثير[6] وابن عاشور[7] والخازن.[8]

القول الثاني: أن كبرهم هو أنهم أرادوا النبوة لأنفسهم ورأوا أنهم أحق بها، وهذا على أن الآية في اليهود. لما عظموا أمر الدجال وذكروا ما معه من الآيات وأن سلطانه يبلغ البر والبحر، وأنه هو صاحبهم الذي يخرج في آخر الزمان، وليس النبي ﷺ. معارضين بذلك ما جاء به النبي ﷺ من الرسالة حسداً من عند أنفسهم. وهذا مروي عن مقاتل، وكعب الأحبار، وأبي العالية الرياحي.

فروى ابن أبي حاتم عن أبي العالية ﷺ قال: إن اليهود أتوا النبي فقالوا: إن الدجال يكون منا في آخر الزمان، ويكون من أمره فعظموا أمره، وقالوا: يصنع كذا. فأنزل الله: (ﮋ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

وقال ابن كثير بعد أن نقل قول كعب وأبي العالية أنها نزلت في اليهود قال: وهـذا قـول غريب، وفيه تعسفٌ بعيد، وإن كان قد رواه ابن أبي حاتم في كتابه، والله أعلم.[1]

وممن ذكر هذا القول من المفسرين رحمهم الله تعالى: الماوردي[2] والبغوي[3] والزمخشري[4] والزمخشري[4] والقرطبي[5] والخازن[6] وأبو حيان.[7] والألوسي[8]

الترجيح:

والراجح والعلم عند الله تعالى هو القـول الأول، كـما رجحـه ابـن جـزي وأن الآيـة في مشركي قريش كما ذكر ذلك كثير من المفسرين، ولأن سبب النزول مما يأخذ حكم الرفع، فـلا يثبت إلا بالنقل الصحيح، والقول الأول هو المأثور عن ترجمان القرآن عبدالله بـن عبـاس ﷺ وجمهور المفسرين، وقد سبق استنكار الحافظ ابن كثير لرواية أبي العالية مع كونها قد أخرجهـا ابن أبي حاتم في تفسيره، ومما يؤيد هذا أن ابن جرير الطبري لم يذكر غيره في تفسيره، ولم يعرج على ما نقل عن أبي العالية وكعب ومقاتل.

وقال الألوسي: قال أبـو العاليـة: «النـاس» الـدجال. وهـو بنـاء عـلى مـا روى عنـه في المجادلين، ولعمري أن تطبيق هذا ونحوه على ذلك في غاية البعد وأنا لا أقول به.[9]

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٨٥).

(٢) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ١٦٠).

(٣) تفسير البغوي (٤/ ٩٧).

(٤) الكشاف (٤/ ١٧٨).

(٥) تفسير القرطبي (١٥/ ٣٢٥).

(٦) لباب التأويل في معاني التنزيل (٦/ ٩٧).

(٧) تفسير البحر المحيط (٧/ ٤٥١).

(٨) روح المعاني (٢٤/ ٧٨).

(٩) روح المعاني (٢٤/ ٧٨).

الكلام على قوله تعالى: (﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾)

والآية فيها مسألة واحدة وهي: ما المراد بقوله تعالى (﴿ ﴾ ﴿ ﴾)؟.

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: «الخلق هنا: مصدر مضاف إلى المفعول، والمراد به الاستدلال على البعث، لأن الإله الذي خلق السموات والأرض على كِبَرِها، قادرٌ على إعادة الأجسام بعد فنائها. وقيل: المراد توبيخ الكفار المتكبرين، كأنه قال: خَلْق السموات والأرض أكبر من خلق الناس، فما بال هؤلاء يتكبرون على خالقهم، وهم من أصغر مخلوقاته وأحْقَرِهم. والأول أرجح، لوروده في مواضع من القرآن، لأنه قال بعده: (﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾) فقدم الدليل ثم ذكر المدلول».[1]

والمسألة فيها قولان:

القول الأول: أن المراد بهذه الآية: الاستدلال على البعث وإعادة الأجسام بعد فنائها. ولما كانت مجادلتهم في آيات الله مشتملة على إنكار البعث، وهو أصل المجادلة ومدارُها، وهو أكبر شبهة لهم، وروجوا لها بين عامَّتِهم فقالوا: (﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾

ابـن جريـر[١] والمـاوردي[٢]والبغـوي[٣] والزمخشـري[٤]وابـن عطيـة[٥]وابـن الجـوزي[٦] والقرطبي[٧] وابن كثير[٨] وابن عاشور.[٩]

القول الثاني: أن المراد بالآية: توبيخ الكفار المتكبرين فكأنه قال: فما بال هؤلاء يتكبرون على خالقهم وهم من أصغر مخلوقاته وأحقرها ؟. فمخلوقاته أعظـم وأجـل قـدراً مـن خلـق البشر. وممن ذكر هذا من المفسرين: ابن عطية[١٠] والماوردي[١١] والثعالبي.[١٢]

الترجيح: والراجح والعلم عند الله تعالى هو ما رجحه ابن جزي وذلك لدلالـة السـياق عليه، قبل الكلام وبعده، فأما ما قبله: ففي ذكر مجادلة الكفـار للنبـي ﷺ والتـي كـان مصـبها إنكار البعث والنشور، وما اعتقدوه بغير حجة ولا برهان، بل اتبعوا ما خطر على أذهانهم مـن الأوهام، كحال الأعمى ومن يمشي في الظلام، كيف يدرك الحقيقة ومعرفة الطريق.

وأما ما بعده: فما ذكر من المقارنة بين هؤلاء العميان الذين اختلفت عقائدهم مع أبسط مسلمات العقول، وبين أهل الحق الذين يسيرون عـلى هـدىً ونـورٍ وبصـيرةٍ. وختـم السـياق بتأكيد مجيء الساعة ونفي الريب أوتطرق الشك إلى هذه الحقيقة فقال: (ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ

---

(١) تفسير الطبري (٢٤/ ٧٧).

(٢) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ١٦٢).

(٣) تفسير البغوي (٤/ ١٠١).

(٤) الكشاف (٤/ ١٧٨).

(٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٥٥٨).

(٦) زاد المسير (٧/ ٢٣١).

(٧) تفسير القرطبي (١٥/ ٣٢٥).

(٨) تفسير ابن كثير (٤/ ٨٥).

(٩) تفسير التحرير والتنوير (٢٤/ ١٧٢).

(١٠) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٥٥٨).

(١١) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ١٦٢).

(١٢) تفسير الثعالبي (٨/ ٢٧٩).

پ پ پ پ پ پ). ولا شك أن دلالة السياق من أقوى الأدلة في بيان المعنى المراد عند الاشتباه أو عند الاختيار.[1]

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

(١) انظر: مختصر قواعد التفسير للسبت: ص(٢٥، ٢٦).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة :: مع الفهارس) ٥

الكلام على قوله تعالى: (ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

القول الثاني: أن الدعاء هنا بمعنى: اعبدوني. لقوله بعده: (ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ) وقوله ﷺ: (**الدعاء هو العبادة**).

قال ابن جرير: وقوله (ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ) يقول ربكم أيها الناس لكم: ادعوني، يقول: اعبدوني وأخلصوا لي العبادة دون مَن تعبدون من دوني من الأوثان والأصنام وغير ذلك، (ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ) يقول: أُجِبْ دعاءكم فأعفو عنكم وأرحمكم. ثم روى عن ابن عباس في قوله: (ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ) يقول: وحِّدوني أغفر لكم. وعن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ: (**الدُّعاءُ هُوَ العِبادَةُ**) وقرأ رسول الله ﷺ: (ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ) قال: عَنْ دُعائي. وعن ثابت، قال: قلت لأنس: يا أبا حمزة أبلغك أن الدعاء نصف العبادة؟ قال: لا بل هو العبادة كلها.[٣]

وممن ذكر هذا المعنى من المفسرين: ابن أبي حاتم[٤] والألوسي[٥] وابن الجوزي[٦] والماوردي[٧] والبغوي[٨] والزمخشري[٩] والقرطبي[١٠] وابن كثير.[١١]

الترجيـــح:

والراجح والعلم عند الله تعالى أنه لا منافاة بين القولين، وهذه الآية جاءت مُفَسَّرةً في الخبر الصحيح عن رسول الله ﷺ، وهذا أعلى أنواع التفسير، وإذا جاء التفسير عن رسول رب

---

(١) روح المعاني (٢٤/ ٨١).
(٢) تفسير التحرير والتنوير (٢٤/ ١٧٤).
(٣) تفسير الطبري (٢٤/ ٧٠).
(٤) تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٦٣).
(٥) روح المعاني (٢٤/ ٨١).
(٦) زاد المسير (٧/ ٢٣٤).
(٧) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ١٦٢).
(٨) تفسير البغوي (٤/ ٩٦).
(٩) الكشاف (٤/ ١٧٩).
(١٠) تفسير القرطبي (١٥/ ٣٢٦).
(١١) تفسير ابن كثير (٤/ ٨٥).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

العالمين فحسبك به واشدد عليه بيديك ولا تنظر إلى غيره وإن قال بخلافه من قال، فشتان بين ما يفسره من لا ينطق عن الهوى، وبين كلام غيره من الناس.

وإذا تأملت فيما ورد عن النبي ﷺ من أن الدعاء هو العبادة، وجدت سر الدعاء، وسر ارتباطه بالعبادة، بل وكأنه حصر العبادة كلها في الدعاء، فلا وجه للتفريق بين الدعاء وبين العبادة، فهما متلازمان، وهذا هو المأثور عن رسول الله ﷺ وابن عباس ترجمان القرآن. فانظر كيف حصر العبادة في الدعاء في الحديث، ثم أكد هذا المعنى حينما فسر النبي ﷺ العبادة في الآية بالدعاء. قال رسول الله ﷺ: (**الدُّعاءُ هُوَ العِبادَةُ**) وقرأ رسول الله ﷺ: (ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽) قال: عَنْ دُعائي.

فحسبك بهذا البيان ولا معول على غيره ولا خلاف بين القولين كما ذكرت ولذا قال الشيخ الأمين الشنقيطي: ولا منافاة بين القولين، لأن دعاء الله من أنواع عبادته.[1]

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

(١) أضواء البيان (٦/ ٣٩٣).

الكلام على قوله تعالى: (ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ).

والآية فيها مسألة واحدة وهي: من هؤلاء الذين يجادلون في آيات الله ؟.

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: «يعني كفار قريش. وقيل: هم أهل الأهواء كالقدرية وغيرهم، وهذا مردودٌ بقوله: (ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ) إلا إِنْ جعلته منقطعاً عما قبله، وذلك بعيد».[1]

والمسألة فيها قولان:

القول الأول: أنه عنى بهؤلاء المجادلين: كفارَ قريش.

قال ابن جرير: وقوله: (ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ) يقول لنبيه محمدٍ ﷺ: ألم تر يا محمد هؤلاء المشركين من قومك، الذين يخاصمونك في حجج الله وآياته ؟. ثم روى عن ابن زيد قال: هؤلاء المشركون.[2] وكذا قال البغوي[3] والقرطبي[4] وحكاه ابن الجوزي عن ابن عباس.[5] وقال ابن عطية: هذا قول ابن زيد والجمهور من المفسرين.[6]

القول الثاني: أن هؤلاء هم أهل الأهواء كالقدرية وغيرهم. ويلزم قائلي هذه المقالة أن يجعلوا قوله تعالى: (ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ) كلاماً مقطوعاً مستأنفاً في الكفار.

فروى ابن جرير عن محمد بن سيرين قال: إن لم تكن هذه الآية نزلت في القدرية، فإني لا أدري فيمن نزلت: (ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ) إلى قوله: (ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ). وعنه أيضاً قال: إن لم يكن أهل القدر الذين يخوضون في آيات الله فلا علم لنا به.[7]

---

(١) التسهيل في علوم التنزيل لابن جزي: ص(٦٣٩).

(٢) تفسير الطبري (٢٤/ ٨٢).

(٣) تفسير البغوي (٤/ ١٠٥).

(٤) تفسير القرطبي (١٥/ ٣٣١).

(٥) زاد المسير (٧/ ٢٣٤).

(٦) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٥٦٨).

(٧) تفسير الطبري (٢٤/ ٨٢).

دكتوراه عبدالعلي الحمدي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

وممن ذكر هذا من المفسرين: البغوي[1] وابن عطية[2] وابن الجوزي[3] والقرطبي.[4]

وذكر بعضهم فيه حديثاً عن عقبة بن عامر قال: قال النبي ﷺ: (**نزلت هذه الآية في القدرية**) قال أبو قبيل: لا أحسب المكذبين بالقدر إلا الذين يجادلون الذين آمنوا.[5] ولم أقف على هذا في أسباب النزول. فالله أعلم.

الترجيح:

والراجح والعلم عند الله تعالى هو القول الأول، وهو الذي يدل عليه سياق الآيات من أولها إلى آخرها، وهو قول ابن عباس ترجمان القرآن، وجمهور المفسرين، وأما ماورد عن ابن سيرين: فإن كان يقصد أنها نزلت في القدرية على وجه الخصوص، فهذا لا يسلم به إلا بدليل، وإن كان مُرَاده أن القدرية ممن تشملهم هذه الآية من حيث المعنى، فهذا محل اتفاق، وعليه فلا خلاف. وكما هو معلوم فإن أسباب النزول موقوفة على النقل والسماع.

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

(١) تفسير البغوي (٤/ ١٠٥).

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٥٦٨).

(٣) زاد المسير (٧/ ٢٣٤).

(٤) تفسير القرطبي (١٥/ ٣٣١).

(٥) ولم أقف على هذا الحديث إلا في مسند الروياني قال: نا أحمد بن عبدالرحمن، نا عمي، حدثني مالك بن الخير، عن أبي قبيل وسأله رجل عن أمر القدر، فقال: أنا في الإسلام أقدم منه، لا خير فيه، قال أبو قبيل: وأخبرني عقبة بن عامر: أن رسول الله ﷺ قال: « سيهلك من أمتي أهل الكتاب وأهل اللبن » فقال عقبة: يا رسول الله، وما أهل الكتاب ؟ قال: « قوم يتعلمون كتاب الله يجادلون به الذين آمنوا » فقال عقبة: يا رسول الله، وما أهل اللبن ؟ قال: « قوم يتبعون الشهوات، ويضيعون الصلوات » فقال أبو قبيل عند قوله هذا: لأحسب المكذبين بالقدر: الذين يجادلون في آيات الله، وأما أهل اللبن، فلا أحسبهم إلا أهل عمود ليس عليهم إمام جماعة، ولا يعرفون شهر رمضان. مسند الروياني (١/ ٢٧٩). وهو بهذا الإسناد لا يصح لأنه فيه مجاهيل. وحديث عقبة بن عامر قال عنه الألباني في السلسلة الضعيفة والموضوعة: ضعيف. (٤ / ٢٧٨).

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

الكلام على قوله تعالى: (و ۆ ۇ ۈ ۋ ۅ ۉ ۊ ۋ ی ۍ ێ ۏ ې ۑ ے ۓ ۔ ە ۖ ۗ ۘ ۙ ۚ ۛ ۜ ۝ ۞ ۟ ۠ ۡ ۢ ۣ ۤ ۥ ۦ ۧ ۨ ۩ ۪ ۫ ۬ ۭ ۮ ۯ ۰ ۱ ۲ ۳ ۴ ۵ ۶ ۷ ۸ ۹ ۺ ۻ ۼ ۽ ۾ ۿ).

والآية فيها مسألة واحدة وهي: ما المراد بقوله تعالى: (ۅ ۉ ۊ).

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: «مِن المرح: وهو الأشر والبطر. وقيل: الفخر والخيلاء».[1]

والمسألة فيها قولان:

القول الأول: أن المراد بالمرح: الأشر والبطر.

قال ابن جرير: والمرح: هو الأشر والبطر. ثم روى عن مجاهد في قوله: (ۆ ۇ ۈ ۋ ۅ ۉ ۊ ۋ ی ۍ ێ ۏ ې ۑ ے ۓ ۔ ە ۖ ۗ ۘ ۙ ۚ ۛ ۜ ۝ ۞ ۟ ۠ ۡ ۢ ۣ ۤ ۥ ۦ ۧ ۨ ۩ ۪ ۫ ۬ ۭ ۮ ۯ ۰ ۱ ۲ ۳ ۴ ۵ ۶ ۷ ۸ ۹ ۺ ۻ ۼ ۽ ۾ ۿ) قال: تبطرون وتأشَرُون. وعن السديّ قال: تبطرون.[2] وكذا عند ابن أبي حاتم.[3]

وممن ذكر هذا المعنى من المفسرين: الماوردي[4] والبغوي[5] وابن عطية[6] والقرطبي[7] وابن كثير[8] وأبو حيان[9] والألوسي[10]

القول الثاني: أن المراد بالمرح: هو الفخر والخيلاء. وهو مروي عن ابن عباس كما عند ابن جرير بسنده إلى ابن عباس أنه قال في هذه الآية: الفرح والمرح: الفخر والخُيَلاء، والعمل في الأرض بالخطيئة.[11]

---

(١) التسهيل في علوم التنزيل لابن جزي: ص(٦٣٩).
(٢) تفسير الطبري (٢٤/ ٧٩).
(٣) تفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٨٧).
(٤) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ١٦٥).
(٥) تفسير البغوي (٤/ ١٠٥).
(٦) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٥٦٩).
(٧) تفسير القرطبي (١٥/ ٣٣٣).
(٨) تفسير ابن كثير (٤/ ٨٥).
(٩) تفسير البحر المحيط (٧/ ٤٥٥).
(١٠) روح المعاني (٢٤/ ٨٦).
(١١) تفسير الطبري (٢٤/ ٧٩).

دكتوراه عبدالعلي الحمدي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

وممن ذكر هذا القول: البغوي[1] وابن عطية[2] وأبو حيان.[3]

الترجيح:

والراجح والعلم عند الله تعالى أنه لا تعارض بين القولين والآية تحتملهما والقول بالعموم أولى. وعبارة ابن عباس تدل على هذا المعنى، فإن الأشر والبطر من الخطيئة.

وقد تقدم في غير ما موضع ذكر قواعد التفسير التي تدل على أن لفظ الآية إذا كان محتملاً لأكثر من معنى فإنه يحمل عليها جميعاً إذا لم يكن ثمة تعارض بينها.[4]

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

(١) تفسير البغوي (٤/ ١٠٥).

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٥٦٩).

(٣) تفسير البحر المحيط (٧/ ٤٥٥).

(٤) انظر: مختصر قواعد الترجيح للسبت: ص(٢٦، ٢٧).

دكتوراه عبدالعلي العمدي (كامل الرسالة :: مع الفهارس) 5

الكلام على قوله تعالى: (ﮪ ے ۓ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾ ﷿ ﷽ ﷾ ﷿ ﷽ ﷾ ﷿

قال ابن عاشور: والطريقة التي يُرَجَّح سُلوكُها هي: أن هنا ضمائر عشرة، هي ضمائر جمع الغائبين، وأن بعضها عائدٌ لا محالة على (گ گ گگ ھ) وأن وجه النَّظْم أن تكون الضمائر متناسقة غير مفككةٍ، فلذا يتعين أن تكون عائدة إلى معادٍ واحد، فالذين (ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ) هم (ے ۓ ۓ ۇ) وهم الذين (ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ) والذين رأوا بأس الله.[1]

القول الثاني: أن الضمير يعود على الرسل. ومعناه: فرحت الرسل بما عندهم من العلم بنجاتهم، وهلاك أعدائهم، لما رأوا جهلهم المتمادي، واستهزائهم بالحق، وعلموا سوء عاقبتهم، وما يلحقهم من العقوبة. أو فرحوا بما عندهم من العلم بالله والثقة به، وبأنه سينصرهم.

وهذا القول حكاه الماوردي عن ابن عيسى[2] وحكاه ابن الجوزي عن أبي سليمان الدمشقي[3] وذكره الزمخشري[4] وابن عطية[5] والقرطبي[6] وحكاه الألوسي عن الجبائي.[7] الجبائي.[7]

الترجيح:

والراجح والعلم عند الله تعالى هو القول الأول وهو الذي رجحه ابن جزي عليه رحمة الله تعالى وذلك لعدة أمور:

الأمر الأول: أن الأصل عند تعاقب الضمائر أن يتحد مرجعها. وقوله تعالى: (ھ ے ے ۓ) لا شك في أن الضمير في جاءتهم عائد على الأمم المكذبة. وهذا أول الآية وقال في آخرها: (ۇ ۇ) وهو أيضاً مقطوع بعوده إلى الأمم المكذبة. فكيف يسوغ أن يأتي بينهما

---

(١) تفسير التحرير والتنوير (٢٤/ ٢٢١).

(٢) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ١٦٤).

(٣) زاد المسير (٧/ ٢٣٤).

(٤) الكشاف (٤/ ١٨٦).

(٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٥٧٢).

(٦) تفسير القرطبي (١٥/ ٣٣٦).

(٧) روح المعاني (٢٤/ ٩١).

بضمير مخالف لهما وهو قوله: (ئے ﴿ ﴿ ﴿)؟ هذا من التشتيت وهو غير لائق في فصيح الكلام، فضلاً عن كلام رب العالمين.

الأمر الثاني: أن ما ذكره بعض المفسرين من فرح الرسل ضحكاً واستهزاءً، فهذا لا يليق نسبته إلى الأنبياء والرسل، إذ أن الأنبياء أشفق خلق الله على خلق الله، بل ما ذكره الله عنهم هو تحسُّرُهم وتألمهم على أممهم، كما قال الله تعالى عن نبيه ﷺ: (ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ) (الكهف: ٦) وفي سورة هود والأعراف من قصص أنبياء الله ما يشفي الغليل في هذا المقام، وكيف أنهم نصحوا لقومهم، وحرصوا كل الحرص، وتألموا لنزول عذاب الله عليهم، وكان إبراهيم عليه السلام يجادل في قوم لوط صلى الله وسلم عليهم وعلى نبينا محمد ما بقي الزمان، ونطق الثقلان.

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

الخاتمـــــة

وبعد .. فأحمد الله تعالى الذي بنعمته تتم الصالحات، وهاأنذا في نهاية هذا المشوار الممتع مع العلم الجهبذ ابن جزي عليه رحمة الله تعالى، أصل إلى ختام هذا البحث المتواضع، وما كان ليتم لولا توفيق الله وتسديده ومعونته، فهو المستحق للحمد والشكر والثناء في الأولى والآخرة، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

وقبل انتهاء التسطير، والتوقف عن التحبير، لابد لي من ذكر زبدة هذا البحث، لكي يقف القارئ الكريم على أبرز نتائجه، فأقول وبالله التوفيق :

لقد ظهرت لي من خلال البحث النتائج التالية :

١ – أن ابن جزي يصرح أحياناً بذكر مصادره التي نقل منها، وأحياناً ينقل عن بعض المفسرين ولا يعزو إليهم لعلة بينها في مقدمة تفسيره، كأن يتبنى الرأي بنفسه، أو أن يشك في نسبة النقل، أو يتصرف فيه بنوع تغيير .

٢ – أن التفسير بالمأثور إذا صح عند ابن جزي فإنه لا يتعداه إلى غيره، بل يكون عنده أحد المرجحات القوية في المسائل المحتملة لأكثر من معنى .

٣ – أن ابن جزي ينبه على صحة الحديث وضعفه أحياناً، وأحياناً يعلق الترجيح بصحة الحديث، فيقول : إن صح الحديث فهو المعول عليه .

٤ – أن تفسيره مليء بأقوال الصحابة والتابعين، مما يعني عنايته بالمأثور .

٥ – مع حرص ابن جزي واشتراطه على نفسه في مقدمة كتابه التزام المنهج الصحيح فيما يتعلق بالإسرائيليات، بل وانتقد بعض المفسرين الذين أكثروا من القصص الإسرائيلي، إلا أنه وقع في شيء من ذلك كما في قصة داود عليه السلام .

٦ – أن ابن جزي يهتم كثيراً باللغة والإعراب، وأما الشواهد الشعرية فلا تكاد تذكر .

٧ – رسم ابن جزي في خطته بأنه يحقق أقوال المفسرين ويبين الراجح والمرجوح، وفي نظري أنه ترك مسائل كثيرة لم يرجح فيها، ومسائل أخرى رجح فيها خلاف الصواب ولكن الأخير نسبته قليلة إلى ما وافق فيه الصواب، والله أعلم .

٨ – أن تفسير ابن جزي على صغر حجمه واختصار عبارته، قد حوى دراً نفيسة، ربما تغنيك عن كثير من المطولات في بعض الأحايين .

هذا ما تبين لي والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

دكتوراه عبدالعلي المدني (كامل الرسالة :: مع الفهارس) 5

الفهـــــارس

١ ـ فهرس الآيات القرآنية الواردة في الرسالة.
٢ ـ فهرس الأحاديث النبوية.
٣ ـ فهرس الآثار.
٤ ـ فهرس الأعلام.
٥ ـ فهرس القبائل والملل .
٦ ـ فهرس الأماكن والبلدان .
٧ ـ فهرس الأشعار.
٨ ـ فهرس المراجع والمصادر.
٩ ـ فهرس الموضوعات.

١ ـ فهرس الآيات الواردة في البحث [١]

رقم الآيــة	الصفحـــــات
سورة البقرة	
٧	٤١٧
١٠	٤١٩
١٤	٢٠٠
٢٥	٢٠٦
٢٨	٧٦٦ ، ٧٦٨
٣٠	٦٦٢ ، ٦٦٣
٤٦	٦١٨
٩٧	٣٢٩
١١٥	٧٤٥
١٢١	٣٨١
١٤٣	٨٠١
١٤٤	١٩٢
١٦٦	٦٥٦
١٦٧	٧٦٤
١٨٠	١٩٨
٢٠١	٦٩٧
٢١٥	١٩٨
٢٢٨	٥٥٨

---

(١) رتبت هذا الفهرس على ترتيب سور القرآن ، فأذكر رقم الآية من السورة أيضاً مرتباً ثم أذكر مواطن الصفحات التي ذكرت فيها هذه الآية .

رقم الآيــة	الصفحـــــات
٢٣٧	٢٣٩ ، ٧٠٨
٢٤٥	٣٨٣
٢٤٩	٦١٨
٢٥٥	٣٢٣
٢٥٦	٣٢١
٢٦١	٣٨٢ ، ٣٨٣
٢٧١	٧٠٨
٢٧٦	١٠٧
سورة آل عمران	
٣	٣٢٩
١٩	٦٧٧
٢١	٤٠
٣٩	٣٠٤
٥٠	٣٢٨
٨١	١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٨
٩٨	٨٠٢
١٠٢	٥ ،
١٣٠	١٠٤
١٣٤	٧٧٧
١٥٤	٢١٦
١٦٤	٧٥٦
١٧٤	١٩٨
١٧٥	٧٠٥
١٨٨	٧١٠
١٩٥	٥٠٥

رقم الآيــة	الصفحـــــات
سورة النساء	
١	٥
٢٥	٧٦٢
٤٠	٣٨٣ ، ٣٩١
٤١	٧٥٦ ، ٨٠٠ ، ٨٠١
٧٦	٧٠٥
٧٨	٤٣٧
٧٩	٨٠٢
٨٢	٧٢٠
١١٧	٧٠٥
١١٩	٩٦
١٣٩	٣٦١
١٤٦	٧٤٠
١٤٥	٧٤٠
١٤٨	٧٠٧
١٤٩	٧٠٧
١٥٥	٤١٨
١٥٩	٤٠٣
١٦٦	٧٥٦
سورة المائدة	
٣١	٣٣٢
٤١	٤١٧
٤٥	٧٠٨
٤٦	٣٢٩
٤٨	٣٢٩

رقم الآيــة	الصفحـــــات
٦٤	٢٦٢ ، ٦٧٢
٧٣	٧٤٠
٧٤	٧٤٠
١٠٩	٧٥٦
١١٦	٥١٤
١١٩	٥١٤
سورة الأنعام	
١٠	٧٣٠
٢٣	٨٠٣
٢٧	٣٥٤
٣٣	٥١
٩٣	١٥٢
١٠٠	٣٣٧ ، ٣٣٩
١١٠	٤١٩
١٢١	٧٠٥
١٢٢	٣٧٥ ، ٤٢٥
١٢٥	٤١٧ ، ٦٩٨
١٢٨	٣٣٩
١٥٨	٣٥٥
١٥٩	١٠٢
سورة الأعراف	
٦	٥١٣ ، ٧٥٦
١١	٦٨٨
٢٦	٦٨٨
٣٠	٧٠٥

رقم الآيــة	الصفحـــــات
٣٨	٦٥٥ ، ٧٦٥ ، ٨٠٤
٣٩	٦٥٥ ، ٧٦٥
٤١	٦٩٩ ، ٧٠٠
٤٣	٢٨٤
٤٤	٦٥٩ ، ٧٨٩
٤٥	٦٥٩
٤٦	٦٥٩
٤٧	٦٥٩
٤٨	٦٥٩
٤٩	٦٥٩
٥٠	٧٨٩
٩٢	١٦٣
٨١	٣٧
٨٩	١٦٦ ، ١٦٧
١٢٨	٧٩٩
١٣١	٤٣٧
١٥٧	٥٨
١٥٨	٤٠٩
١٨٦	٤١٧
١٤٣	١٥٨
١٤٤	١٥٨
١٤٥	١٥٨، ٧٤٢
١٧٢	٦٨٤
١٨٥	٧٧
سورة الأنفال	

رقم الآيــة	الصفحـــــات
١٩	١٦٨
٣٢	٧٣٠
سورة التوبة	
١٢٥	٧١٦ ، ٧١٧ ، ٧١٨
١٢٨	٧٥٦
سورة يونس	
١٠	٢٣٨
٢٦	٣٨٣
٣٠	٧٢٨
٤٧	٧٥٦
٦٠	٦١٩
٦٥	٣٦١
٩٠	٣٥٢
٩١	٣٥٢
٩٤	١٥٦
٩٨	٥٦٦
١٠١	٧٧
سورة هود	
٨	٧٣١
٢٠	٤١٧
٢٤	٣٧٥
٤٠	٦٨٩
٤٨	٦٨٩
٤٩	٧٩٩
٧١	٣٩
٧٢	٥٥٨

رقم الآيــة	الصفحـــــات
٧٣	٢٢١
٨٤	١٩٨
سورة يوسف	
٤٦	٥٦٤
٨٢	٢٦٣
٨٤	٧٧٦
١١٠	٧٩٨
سورة الرعد	
٤	٣٧٣
٥	٨٠٩
١١	٣٢٩
٢٨	٦٩٨
سورة إبراهيم	
٢٣	٢٣٨
٣٤	٧٦٢
٥٠	٧٠٠
سورة الحجر	
٥٣	٣٩
٩١	٦٧١
٩٢	٥١٣
سورة النحل	
٥	٦٩٠
٣٠	٦٤٤
٣٢	٢٣٧
٣٤	٧٣١
٥٦	٥١٣

رقم الآيــة	الصفحـــــات
٥٨	٧٧٧
٨١	٤٢٢
٨٩	٧٥٦
٩٣	٥١٣
٩٧	٦٩٨
١٠٨	٤١٧
١٢٦	٧٠٧
سورة الإسراء	
١٣	٧٢٨ ، ٧٥٤
١٤	٧٢٨ ، ٧٥٤
١٩	٥٥٠
٢٩	٤١٤
٣٦	٥١٣
٧١	٧٨٩ ، ٧٨٩
٨١	٣٤٩
سورة الكهف	
٦	٨٢١
٢٩	٧٠٠
٤٩	٧٢٨ ، ٧٥٤
٥٠	٧٠٥
٥٢	٧٨٩
٥٣	٦١٨
٥٧	٤١٧
١٠١	٤١٧
سورة مريم	
١١	٣٠٥

رقم الآيــة	الصفحـــــات
٤٤	٧٠٥
٥٠	٦٤٣
٥٦	٥٥٦
٥٧	٥٥٦
٨١	٣٦٠
٩٨	١٦٣
سورة طه	
٥	٦٦٧
١٠	٢٢٤
٥٣	٥٠٩
٧٤	٤٤
١٢٤	٦٩٨
١٣١	٥٠٩
سورة الأنبياء	
١٠	٥٩٠
٢٨	٣٢١ ، ٣٢٣
٣٩	٧٩٠
٤١	٧٣١
٥٧	٥٤٢
٦٧	٥٤٨
٧٩	٢٨٩
٨٧	٥٦٩ ، ٥٧٠ ، ٥٧١
٩٦	٤٦٤
٩٧	٧١٧
١٠٣	٣٥٢
سورة الحج	

دكتوراه عبدالعلي المدني (كامل الرسالة :: مع الفهارس) ٥

رقم الآيــة	الصفحـــــات
٣٠	٦٤٧
٣٤	٦٢٩
٣٨	٧٩٩
٤٥	١٦٣
٤٦	١٦٤
٤٧	٧٣٠
٦٠	٧٢٨
٧٧	٧٠٧
سورة المؤمنون	
٣٥	٧١٠
٦٨	٧٠٧
١٠٤	٧٠٠
١١٥	٧٦ ، ٧٧
سورة النور	
١	٥٢٦
٢٤	٧٥٦
٢٦	٢٢١
٣٠	٧٨٥
٣١	٢٦٨ ، ٢٦٩
٣٣	١٩٨
٦٤	١٩٢
سورة الفرقان	
٥	٥٤
٧	٤٤٣
٢٧	٣٣٢
٤٢	٥٠٥

رقم الآيــة	الصفحـــــات
٤٣	٣٣٩
٦٨	٧٣٧
سورة الشعراء	
٦	٧٣١
٥٤	٦٠٤
١٠٠	٧٨٠
١٠١	٧٨٠
١٠٢	٣٣١
١١٨	١٦٦
١٩١	٥٨٤
٢١٢	٢٩٧
سورة النمل	
٥٢	١٦٣
٥٩	٣٩٠
سورة القصص	
٢٠	٧٨١
٤٣	٤٣٥
٤٦	٤١٣
٥٨	١٦٤
٦٢	٧٨٩
٦٣	٧٦٤
٧٧	٧٣٣
٧٨	٥١٤ ، ٧٣٢ ، ٧٣٣
٨٣	٦٤٤
سورة العنكبوت	
٥	٢٣ ،

رقم الآيــة	الصفحـــــات
٨	٢٦
١٠	٢٨، ٢٩
١٣	٥١٣
١٧	٣٠
٢٠	٧٧
٢٦	٣٣
٢٧	٣٩
٢٩	٣٥ ، ٧٣٠
٣١	٣٨
٤٠	٤٦٢
٤٢	٤١
٤٦	٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨
٤٧	٤٩ ، ٥٠ ، ٥١
٤٨	٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧
٥٣	٦٤ ، ٧٣٠
٥٤	٧٣٠
٦٥	١٣٦
٦٩	٦٦ ، ٤١٩
سورة الروم	
٧	٧٠ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤
٨	٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧
١٥	٧٨، ٧٩
١٧	٨١ ، ٨٢ ، ٨٣، ٢٣٥
١٨	٢٣٥
٢١	٨٤ ، ٨٧

رقم الآيــة	الصفحـــــات
٢٢	٨٩ ، ٩٠
٣٠	٩١ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥
٣١	٩٧ ، ٩٨، ٩٩ ، ١٠٠
٣٩	١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦
٤١	١٠٨ ، ١٠٩
٤٧	١١١ ، ١١٢
٥١	١١٣ ، ١١٤، ١١٥
٥٦	١١٦ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ٤٦٦ ، ٤٦٧
٥٧	٨٠٤
٦٠	٧٩٩
سورة لقمان	
٦	١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٣
١٦	١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٦
١٧	١٢٨ ، ١٢٩
٢٠	١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٣
٣٢	١٣٤ ، ١٣٥ ١٣٦
٣٣	١٣٨ ، ١٣٩
سورة السجدة	
٣	٤١٣
٥	١٤١ ، ١٤٢، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٥
١٧	٦٥٢
١٨	١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٤٩
١٩	١٤٨، ١٤٩
٢٠	١٤٨
٢١	١٥٠، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٣

رقم الآيــة	الصفحـــــات
٢٣	١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧
٢٥	١٦٠ ، ١٦١
٢٦	١٦٢ ، ١٦٣
٢٨	١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٨
سورة الأحزاب	
١	١٧٠ ، ١٧١
٤	١٧٢ ، ١٧٤ ، ١٧٥، ٢٢٩
٣	١٧٧
٧	١٧٦ ، ١٧٧
٨	٥١٤
١٠	١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨٢ ، ١٨٣
١١	١٨٥ ، ١٨٦
١٣	١٨٧ ، ١٨٩
١٨	١٩١
١٩	١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٧، ١٩٩ ، ٢٠٠
٢٨	٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٥
٣٠	٢٢١
٣١	٢٠٦ ، ٢٠٧
٣٢	٢٠٨ ، ٢١٢ ، ٢٧١
٣٣	٢١٠، ٢١٢، ٢١٥، ٢١٦ ، ٢١٧، ٢٢٠، ٢٢١ ، ٢٢٢ ،٢٢٣، ٢٢٤
٣٤	٢٢١
٣٧	٢٢٦ ، ٢٢٧، ٢٢٩ ، ٢٣١
٣٨	٢٣٣
٣٩	٢٣٩ ،
٤٢	٢٣٥

رقم الآيــة	الصفحـــــات
٤٠	٢٢٩
٤٤	٢٣٧
٤٥	٨٠٠
٥٠	٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥، ٢٤٦
٥١	٢٠١
٥٢	٢٤١ ، ٢٤٣،٢٤٥، ٢٤٦ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠
٥٣	٢٥١،٢٥٤، ٢٥٦، ٢٥٧
٥٥	٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦١
٥٧	٢٦٢ ، ٢٦٣
٥٩	٢٦٤ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧
٦٠	٢٧٠
٦٢	٢٧٢
٦٩	٢٧٤ ، ٢٧٥
٧٠	٥
٧١	٥
٧٢	٢٧٧ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨١
سورة سبأ	
٣	٢٨٦
٤	٢٨٤ ، ٢٨٦
٥	٢٨٦
٦	٢٨٤ ، ٢٨٥
٧	٨٠٩
٨	٨٠٩
١٠	٢٨٧ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣
١١	٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧

رقم الآيــة	الصفحـــــات
١٢	٢٩٨ ، ٢٩٩، ٣٠١
١٣	٣٠٣
١٤	٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩
١٥	١١٢ ، ١١٣ ، ١١٤
١٦	٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣١٧
١٨	٣١٨ ، ٣١٩ ، ٣٢٠
١٩	٣٢٠
٢٣	٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣
٢٦	١٦٦
٢٧	٣٢٤ ، ٣٢٥
٣١	٣٢٧
٣٣	٣٣٠ ، ٣٣١
٣٧	٣٣٤ ، ٣٣٥ ، ٣٨٣
٤١	٢٣٧
٤٣	٣٨١
٤٤	٤١٣
٤٥	٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٤٢ ، ٣٤٣
٤٦	٣٢٧ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ٣٤٧
٤٩	٣٤٨
٥١	٣٥٠ ، ٥٨١
٥٤	٣٥٣ ، ٣٥٤
٥٦	٢٨٥
سورة فاطر	
١	٣٥٧ ، ٣٥٨
٣	٥٤٥

رقم الآيــة	الصفحـــــات
١٠	٣٦٠ ، ٣٦١ ، ٣٦٣
١١	٣٦٥ ، ٣٦٦ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨ ، ٣٧٠
١٢	٣٧٢ ، ٣٧٣
٢١	٣٧٤
٢٢	٣٧٦
٢٧	٣٧٨
٢٩	٣٨٠
٣٠	٣٨٢
٣٢	٣٨٤ ، ٣٨٥ ، ٣٨٦ ، ٣٨٧ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩ ، ٣٩٠
٣٣	٣٨٦ ، ٣٨٧ ، ٣٨٩
٣٤	٣٨٥ ، ٣٨٦ ، ٣٩٣ ، ٣٩٤
٣٧	٣٥٤ ، ٣٩٦ ، ٣٩٧ ، ٣٩٨ ، ٤٠٠
٤١	٤٠٢ ، ٤٠٣
٤٥	٤٠٤ ، ٤٠٥
سورة يس	
٦	٤٠٨ ، ٤١١ ، ٤١٢ ، ٤١٣
٧	٤١٤ ، ٤١٨
٨	٤١٤ ، ٤١٥ ، ٤١٩ ، ٤٢٠ ، ٤٢١ ، ٤٢٢
٩	٤١٥ ، ٤١٦
١٠	٤١٤، ٤١٧
١٢	٤٢٤ ، ٤٢٥ ، ٤٢٧ ، ٤٢٩
١٣	٤٣١ ، ٤٣٢ ، ٤٣٣
١٤	٤٣٥
١٥	٤٣٣ ، ٤٣٥
١٦	٤٣٥

دكتور/ عبدالمحي المدني (كامل الرسالة .:. مع الفهارس) ٥

رقم الآيــة	الصفحـــــات
١٧	٤٣٥
١٨	٤٣٤ ، ٤٣٧
٢٥	٤٣٩ ، ٤٤٠
٢٦	٤٤١
٢٧	٤٤١
٢٨	٤٤٣، ٤٤٤
٢٩	٤٤٣
٣٥	٤٤٥ ، ٤٤٦ ، ٤٤٧
٣٦	٥٠٩
٣٨	٤٤٩ ، ٤٥٠ ، ٤٥١ ، ٤٥٢
٤١	٤٥٤ ، ٤٤٥ ، ٥٣١
٤٢	٤٥٥ ، ٤٥٦ ، ٤٥٨ ، ٤٥٩
٤٣	٤٥٥ ، ٤٥٦ ، ٤٥٨ ، ٤٥٩ ، ٤٦٠
٤٥	٤٦١
٤٩	٦٠٦
٥١	٤٦٣ ، ٤٦٤
٥٢	٢٨٥ ، ٤٥٦ ، ٤٦٦ ، ٤٦٧
٥٥	٤٦٨ ، ٤٧٠
٥٧	٤٧١ ، ٤٧٢ ، ٤٧٤
٥٨	٢٣٨ ، ٤٧٣
٦٠	٣٢٨ ، ٧٠٥
٦١	٣٢٨
٦٥	٧٥٦
٦٦	٤٧٥ ، ٤٧٦
٦٧	٤٧٨

رقم الآيــة	الصفحـــــات
٧١	٤٤٧ ، ٦٧١
٧٤	٤٨٣
٧٥	٤٨٠
٧٧	٤٨٤ ، ٤٨٦ ، ٤٨٧
٧٨	٤٨٤ ، ٤٨٥
سورة الصافات	
١	٤٨٩
٢	٤٩٢ ، ٤٩٣
٣	٤٩٥
٨	٤٩٧
١٠	٥٠٠
١١	٥٠١ ، ٥٠٢
١٢	٥٠٥ ، ٥٠٦
١٣	٥٠٥
١٤	٥٠٤ ، ٥٠٥ ، ٥٠٦
٢٠	٤٦٧
٢١	٤٦٧
٢٢	٥٠٧ ، ٥٠٨ ، ٥١٠
٢٤	٥١١ ، ٥١٢ ، ٥١٣ ، ٥١٤
٢٥	٥١٢ ، ٥١٣ ، ٥١٤
٢٧	٦٥٦
٤٥	٥١٦ ، ٥١٧ ، ٥١٨ ، ٥١٩ ، ٥٢٠
٤٦	٥١٨
٤٧	٥١٨ ، ٥٢١ ، ٥٢٣
٥٨	٥٢٥

رقم الآيــة	الصفحـــــات
٥٩	٥٢٥
٦٠	٥٢٤ ، ٥٢٥
٦١	٥٢٤ ، ٥٢٥
٦٣	٥٣٩
٧٨	٥٢٧ ، ٥٢٨
٧٩	٥٢٦ ، ٥٢٧
٨٣	٥٣٠ ، ٥٣١
٨٦	٥٣٢ ، ٥٣٣
٨٨	٥٣٤ ، ٥٣٧
٨٩	٥٣٥ ، ٥٣٦ ، ٥٣٧ ، ٥٣٩
٩٣	٥٤١ ، ٥٤٣
٩٥	٥٤٧
٩٦	٥٤٤ ، ٥٤٥ ، ٥٤٧
١٠١	٣٩
١٠٢	٥٤٩ ، ٥٥٠ ، ٥٥١
١١٤	٥٥٣
١١٥	٥٥٣ ، ٥٥٤
١١٦	٥٥٣ ، ٥٥٤
١١٧	٥٥٣
١١٨	٥٥٣
١١٩	٥٥٣
١٢٠	٥٥٣
١٢١	٥٥٣
١٢٢	٥٥٣
١٢٣	٥٥٥

رقم الآيــة	الصفحـــــات
١٢٥	٥٥٧ ، ٥٥٨ ، ٥٥٩
١٣٠	٥٦٠ ، ٥٦١ ، ٥٦٢
١٤٠	٥٦٥
١٤٣	٥٦٩ ، ٥٧٠ ، ٥٧١ ، ٥٧٢
١٤٥	٥٧٣ ، ٥٧٤
١٤٦	٥٧٥
١٤٧	٥٧٨
١٤٨	٥٧٨
١٥٨	٣٣٨
١٦٥	٤٨٩ ، ٤٩٠، ٤٩١
١٦٦	٤٩٠
١٧١	٧٩٩
١٧٢	٧٩٩
١٧٣	٧٩٩
١٧٤	٥٨٠ ، ٥٨١ ، ٥٨٣
١٧٥	٥٨٣
١٧٦	٥٨٢
سورة :ص	
١	٥٨٦ ، ٥٨٧ ، ٥٨٨ ، ٥٩٠ ، ٥٩١
٢	٥٨٩ ، ٥٩١
٣	٥٨٩
٥	٥٩٧
٦	٥٩٢
٧	٥٩٤ ، ٥٩٥ ، ٥٩٧
١٠	٥٩٧ ، ٥٩٨ ، ٦٠٣

رقم الآيــة	الصفحـــــات
١١	٦٠٠ ، ٦٠١
١٢	٦٠٢ ، ٦٠٤
١٤	٥٨٦ ، ٥٨٧ ، ٥٨٩
١٥	٦٠٥ ، ٧٩٢
١٧	٦١٥
١٨	٢٨٩ ، ٦١٥
١٩	٦١٥
٢٠	٦١٥
٢١	٣٠٤،٣٠٥ ، ٦٠٧ ، ٦٠٩
٢٢	٦٠٩
٢٣	٦١٠ ، ٦١٢
٢٤	٦١٢ ، ٦١٤ ، ٦١٧
٢٥	٦١٥
٢٦	٦١٥
٢٧	٦١٨
٢٩	٦٤٧
٣٠	٦١٤
٣١	٦٢٠ ، ٦٢١ ، ٦٢٣ ، ٦٢٤
٣٢	١٩٨، ٦٢٣ ، ٦٢٤
٣٣	٦٢٥ ، ٦٢٧
٣٤	٦٣٠ ، ٦٣١ ، ٦٣٢ ، ٦٣٥
٣٦	٦٣٦
٣٩	٦٣٨ ، ٦٣٩
٤٥	٦٤٠ ، ٦٤١
٤٦	٦٤٣ ، ٦٤٤

رقم الآيــة	الصفحـــــات
٤٨	١٤٧
٤٩	٦٤٦ ، ٦٤٧
٥٢	٦٤٩ ، ٦٥٠
٥٤	٥٨٩
٥٥	٦٤٦ ، ٦٤٧
٥٧	٦٥١
٥٩	٦٥٤ ، ٦٥٥
٦٠	٦٥٥ ، ٦٥٦
٦٢	٦٥٧ ، ٦٥٨
٦٣	٦٥٨
٦٤	٥٨٦ ، ٥٨٧ ، ٥٨٨ ، ٥٨٩ ، ٦٥٥
٦٧	٦٦٠
٦٨	٦٦٠
٦٩	٦٦٢ ، ٦٦٣
٧٠	٦٦٣
٧١	٦٦٣
٧٥	٦٦٦ ، ٦٦٧ ، ٦٧٨ ، ٦٦٩
سورة الزمر	
٣	٦٧٥ ، ٦٧٨ ، ٦٧٩ ، ٦٨٠
٦	٦٨١ ، ٦٨٣ ، ٦٨٤ ، ٦٨٥ ، ٦٨٧
٨	٦٩٤
٩	٦٩٣ ، ٦٩٤
١٠	٦٩٦ ، ٦٩٧
١٦	٦٩٩ ، ٧٠٠
١٧	٧٠١ ، ٧٠٢ ، ٧٠٤

رقم الآيــة	الصفحـــــات
١٨	٧٠٢ ، ٧٠٣ ، ٧٠٦ ، ٧٤٢
١٩	٧١٠ ، ٧١١ ، ٧١٢
٢١	٧١٣
٢٢	٧١٥
٢٨	٧١٩
٢٩	٧٢١ ، ٧٢٢
٣٠	٧٢٣
٣١	٧٢٣ ، ٧٢٥
٤٧	٧٢٦ ، ٧٢٨
٤٨	٧٢٨ ، ٧٢٩
٤٩	٧٣٢ ، ٧٣٥
٥٣	٧٣٧ ، ٧٣٨ ، ٧٣٩
٥٥	٧٤١ ، ٧٤٢
٥٦	٧٤٤ ، ٧٤٥
٥٧	٧٤٦ ، ٧٤٧
٥٨	٧٤٦ ، ٧٤٧ ، ٨٤٨
٥٩	٧٣٧ ، ٧٤٦ ، ٧٤٧
٦١	٧٤٩ ، ٧٥٠
٦٧	٦٧١ ، ٧٥١ ، ٧٥٢
٦٩	٧٥٣ ، ٧٥٥ ، ٧٥٦ ، ٧٥٨ ، ٧٥٩ ، ٨٠٢
٧٠	٧٥٩
٧٣	٢٣٨
سورة غافر	
٣	٧٦١ ، ٧٦٢
١٠	٧٦٣ ، ٧٦٥

رقم الآيــة	الصفحـــــات
١١	٧٦٦ ، ٧٧٠ ، ٧٧١
١٢	٧٦٩ ، ٧٧٠ ، ٧٧١
١٥	٧٧٢
١٦	٧٧٤ ، ٧٧٥
١٨	٧٧٦، ٧٧٧ ، ٧٧٩
٢٨	٧٨١ ، ٧٨٢ ، ٧٨٣ ، ٧٨٤ ، ٧٨٥ ، ٧٨٨
٣٠	٧٨٧ ، ٧٨٨
٣٢	٧٨٩ ، ٧٩٠ ، ٧٩٣
٣٣	٧٩٢ ، ٧٩٣
٣٦	٧٩٤
٣٧	٧٩٤
٤٤	٧٨٧
٤٦	٥٦٠
٥١	٧٩٦، ٨٠٠ ، ٨٠١
٥٢	٨٠٣ ، ٨٠٥
٥٦	٨٠٦ ، ٨٠٧
٥٧	٥٠١ ، ٨٠٧ ، ٨٠٩
٥٩	٨٠٩ ، ٨١٠
٦٠	٨١٢ ، ٨١٣ ، ٨١٤
٦٢	٥٤٥
٦٩	٨١٥
٧٠	٨١٥
٧١	٤١٩
٧٢	٤١٩
٧٤	٨١٥

رقم الآيــة	الصفحـــــات
٧٥	٨١٧
٧٩	٦٨٩
٨٢	٣٤٣
٨٣	٧٣٢ ، ٨١٩ ، ٨٢٠
سورة فصلت	
٢٠	٧٥٦
٢١	٨٠١
٢٢	٦١٨
٣١	٤٧١
٤٢	٣٢٩
٤٧	٧٨٩
٤٩	١٩٨
سورة الشورى	
١١	٦٧٠ ، ٦٨٩
١٣	١٧٨
٤٠	٧٠٨ ، ٧٢٨
٤١	٧٠٧
٤٣	٧٠٧
سورة الزخرف	
١٢	٤٥٩ ، ٥٠٩ ، ٧٩٠
١٣	٥١٣
٤٣	٥٠٥
٤٤	٥١٣ ، ٦٤٧
٦٧	٧٦٤
سورة الدخان	
٤	١٤٦

رقم الآيــة	الصفحـــــات
٤٠	١٦١
سورة الجاثية	
٢١	١٤٧
٢٣	٣٣٩ ، ٤١٧
٣٢	٦١٨
٣٣	٧٣١
سورة الأحقاف	
٢١	٣٢٩
٢٦	٣٤٣
سورة محمد	
١٧	٤١٩
سورة الحجرات	
١٣	٣٦٦
سورة : ق	
٢١	٧٥٨ ، ٨٠١
سورة الذاريات	
٢١	٧٦
٢٨	٣٩
٤٧	٦٤١
سورة الطور	
١٥	٥١٤
٢١	٣٣٥
سورة النجم	
٢٦	٣٢١
٤٥	٣٦٦

رقم الآيــة	الصفحـــــات
٥٠	٢١٦
٥٦	٤٠٠
سورة القمر	
٤٤	٥١١ ، ٥١٢
٤٥	٦٠١
سورة الرحمن	
١٣	٥٨٤
٢٩	١٤٦
٣٣	٧٨٩
٣٩	٥١٤
سورة الواقعة	
٧	٥٠٨
٨	٣٨٨
٩	٣٨٨
١٠	٣٨٨ ، ٣٩١
١١	٣٨٨ ، ٣٩١
١٩	٥٢٢
٢٧	٣٩١
٤١	٣٩١
٤٣	٣٧٥
٤٤	٣٧٥
٦٥	٢١٢
سورة الحديد	
١١	٣٨٣
١٦	٢٥٤
١٧	٤٢٥

رقم الآيــة	الصفحـــــات
١٨	٣٨٣
٢٥	٦٨٩
سورة المجادلة	
٢	٤٠٣
سورة الحشر	
٢٠	١٤٨
سورة المنافقون	
٨	٣٦١
٣	٤١٨
سورة التغابن	
١١	٤١٩
١٧	٣٨٣
سورة الصف	
٤	٤٩٠
٥	٤١٩
٦	٥٠
سورة الطلاق	
١	٩٨
سورة التحريم	
٤	٦٧٢
٧	٨٠٤
سورة الملك	
٢٠	٤٠٣
سورة القلم	
١	١٢٤
٤٨	٥٦٥

رقم الآيــة	الصفحـــــات
سورة الحاقة	
١١	٤٥٦
١٢	٤٥٦
١٧	٧٨٩
٢٠	٦١٨
سورة المعارج	
٢١	١٩٨
٤٣	٤٦٤
سورة الجن	
٨	٤٩٩ ، ٥٠٠
٩	٤٩٩ ، ٥٠٠
٦	٣٣٩
٢٧	٣٢٩
سورة نوح	
١٣	٢٥
سورة المدثر	
٦	١٠٦
سورة القيامة	
١٣	٤٢٨ ، ٧٢٨
٣٩	٣٦٦
سورة المرسلات	
١٥	٥٨٤
٣٦	٨٠٣ ، ٨٠٤ ، ٨٠٥
سورة النبأ	
١	٦٦٠
٢	٦٦٠

رقم الآيــة	الصفحـــــات
سورة النازعات	
٦	٧٩٢
٧	٧٩٢
٨	٧٩٢
٢٧	٥٠١
سورة التكوير	
٧	٥٠٩ ، ٥١٠
سورة الانفطار	
٥	٤٢٨ ، ٧٢٨
سورة الانشقاق	
١٤	٦١٨
سورة البروج	
١٠	٧٤٠
سورة الطارق	
١٣	٧٠٧
١٤	٧٠٧
سورة الفجر	
١٥	٧٣٤
١٦	٧٣٤
سورة الليل	
٣	٣٦٦
٥	٦٧
٦	٦٧
٧	٦٧
سورة الكافرون	
١	٥٨٤

رقم الآيــة	الصفحـــــات
سورة الفلق	
٢	٥٤٥

٢ ـ فهرس الأحاديث النبوية الواردة في البحث

م	الحديـــث	الصفحة
(١)	إن أول ما خلق الله القلم	١٤٥
(٢)	شراء المغنيات وبيعهن حرام	١٢٠
(٣)	لو أن أحدكم يعمل في صخرة صماء، ليس لها باب ولا كوة،	١٢٦
(٤)	اتق الله وأمسك عليك زوجك	٢٢٩
(٥)	اعدد ستا بين يدي الساعة	٣٢٩
(٦)	اكتب الشرط بيننا بسم الله الرحمن الرحيم	٥٦
(٧)	الحرب خدعة	٥٤٠
(٨)	الدعاء هو العبادة	٨١٢
(٩)	الصلاة أهل البيت	٢٢٢
(١٠)	اللهم صل على آل أبي أوفى	٥٦٠
(١١)	اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي أذهب عنهم الرجس	٢٢٢
(١٢)	أبلغك أن الله عز وجل يحمل الخلائق على إصبع	٧٥٢
(١٣)	أتدرون من المفلس	٧٢٤
(١٤)	أذكركم الله في أهل بيتي	٢٢٥
(١٥)	أرني مكانها	٥٧
(١٦)	أريت ليلة أسري بي موسى	١٥٤
(١٧)	أعذر الله ﷻ إلى امرئ أخر عمره حتى بلغه ستين سنة	٣٩٨
(١٨)	أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين وأقلهم من تجاوز ذلك	٣٩٧
(١٩)	ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربهم	٤٨٩
(٢٠)	أما السابق، فيدخل الجنة بغير حساب	٣٩٤
(٢١)	أما الظالم لنفسه فيصيبه في ذلك المكان من الغم والحزن	٣٩٣
(٢٢)	أما بعد ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب	٢١٨
(٢٣)	أمرت أن أخيركن	٢٠١

م	الحديـــث	الصفحة
(٢٤)	أن النبي ﷺ كتب إلى النجاشي	٦٠
(٢٥)	أن النبي ﷺ كتب إلى قيصر	٦٠
(٢٦)	أن النبي ﷺ كتب إلى كسرى	٦٠
(٢٧)	أن الله تعالى يقول للعبد يوم القيامة: ألم أزوجك	٦١٨
(٢٨)	أن النبي ﷺ قرأ صحيفة لعيينة بن حصن	٥٦
(٢٩)	أن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوما	١٤٥
(٣٠)	أن رسول الله ﷺ رأى ربه فقال: يا محمد. فيم يختصم الملأ الأعلى؟	٦٦٢
(٣١)	أنا أغنى الشركاء عن الشرك	٦٧٦
(٣٢)	أو في شك أنت يا ابن الخطاب أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم	٢٠٥
(٣٣)	إذا مات ابن آدم، انقطع عمله إلا من ثلاث	٤٢٨
(٣٤)	إن الشهر هكذا وهكذا وهكذا	٢٠١
(٣٥)	إن الله إذا خلق العبد للجنة، استعمله بعمل أهل الجنة	٦٨٤
(٣٦)	إن الله خالق كل صانع وصنعته	٥٤٤
(٣٧)	إن الله خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه، فأخرج منه ذرية	٦٨٤
(٣٨)	إن الله عز وجل خلق ثلاثة أشياء بيده	٦٧٢
(٣٩)	إن الله لا يؤخر نفسا إذا جاء أجلها	٣٧٠
(٤٠)	إن المرأة عورة، فإذا خرجت استشرفها الشيطان	٢١٤
(٤١)	إن آثاركم تكتب فلا تنتقلوا	٤٢٩
(٤٢)	إن أول ما يقضى بين الناس في الدماء	٧٢٥
(٤٣)	إن بين يدي الساعة كذابين	٣٢٩
(٤٤)	إن ربكم يقول كل يوم: أنا العزيز،	٣٦١
(٤٥)	إن في المعاريض لمندوحة عن الكذب	٥٤٠
(٤٦)	إن موسى كان رجلا حييا ستيرا	٢٧٤
(٤٧)	إن هذه تجري حتى تنتهي إلى مستقرها تحت العرش	٤٥٣
(٤٨)	إن يمين الله ملأى سحاء الليل والنهار، لا تغيضها نفقة	٦٧٣

م	الحديـــث	الصفحة
(٤٩)	إن يونس حين بدا له أن يدعو الله بالكلمات، حين ناداه وهو في بطن الحوت	٥٦٩
(٥٠)	إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب	٥٨
(٥١)	إنك إلى خير	٢٢٢
(٥٢)	إنه بلغني أنكم تريدون أن تنتقلوا قرب المسجد	٤٢٩
(٥٣)	إنه ليس عليك بأس، إنما هو أبوك وغلامك	٢٦٠
(٥٤)	إني ذاكر لك أمرا ولا عليك أن لا تعجلي حتى تستشيري أبويك	٢٠١
(٥٥)	بعثت بين يدي الساعة	٣٢٧
(٥٦)	بنى رسول الله ﷺ بزينب بنت جحش	٢٥٢
(٥٧)	بين يدي الساعة تقاتلون قوما	٣٢٩
(٥٨)	ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولا ينظر إليهم	٣٩٩
(٥٩)	ثم أخذ فكتب	٥٩
(٦٠)	جابه النور، ولو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره	٦٧١
(٦١)	جعل موسى هدي لبني إسرائيل	١٥٨
(٦٢)	حديث الشفاعة (...فيأتون إبراهيم فيقولون ..)	٥٣٦
(٦٣)	حديث الصور الطويل وفيه: (...يأمر الله عز وجل إسرافيل بالنفخة الأولى	٦٠٦
(٦٤)	حديث الغلام مع الملك والساحر والراهب	٧٩٨
(٦٥)	حديث صلح الحديبية	٧٩٨
(٦٦)	خلقت عبادي حنفاء ثم اجتالتهم الشياطين	٩٥
(٦٧)	خمس من جاء بهن يوم القيامة مع إيمان دخل الجنة	٢٧٨
(٦٨)	دعاء ذي النون في بطن الحوت لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين	٥٦٩
(٦٩)	سابقنا سابق، ومقتصدنا ناج	٣٨٤
(٧٠)	صحبهما الله، إن عثمان لأول من هاجر بأهله	٣٤
(٧١)	صلة الرحم تزيد في العمر	٣٦٧

م	الحديـــث	الصفحة
(٧٢)	فأسجد لله فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ويفتح علي بمحامد لا أحصيها	٣٢٢
(٧٣)	فأين الاستئذان	٢٤٩
(٧٤)	فجعل النبي ﷺ يتتبع الدباء	٥٧٦
(٧٥)	فضلنا على الناس بثلاث: جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة	٤٩٠
(٧٦)	قال سليمان: لأطوفن الليلة على تسعين امرأة،	٦٣٣
(٧٧)	قطع سوقها وأعناقها	٦٢٥
(٧٨)	كان سليمان نبي الله إذا صلى رأى شجرة نابتة بين يديه	٢٠٧
(٧٩)	كان نبي الله ﷺ يوما يصلي، فخطر خطرة	١٧٥
(٨٠)	كتب إلينا رسول الله	٦٠
(٨١)	كل مولود يولد على الفطرة	٩٥
(٨٢)	لا تزول قدم ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يسأل عن خمس	٥١١
(٨٣)	لا يحل تعليم المغنيات ولا بيعهن	١٢١
(٨٤)	لا. كان رجلا من العرب وله عشرة أولاد	٣١٢
(٨٥)	لأعلمن أقواما من أمتي يأتون يوم القيامة بحسنات أمثال جبال تهامة	٧٢٧
(٨٦)	لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة	٧٢٥
(٨٧)	لقد أعذر الله إلى صاحب الستين سنة	٣٩٦
(٨٨)	لقد أعذر الله إلى عبد أحياه حتى بلغ ستين	٣٩٧
(٨٩)	لم يكذب إبراهيم النبي عليه السلام قط إلا ثلاث كذبات	٥٣٦
(٩٠)	لما أسري بي إلى السماء رأيت موسى يصلي	١٥٤
(٩١)	لي خمسة أسماء	٥٦٣
(٩٢)	ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس	٥٣٩
(٩٣)	ما من داع دعا إلى شيء إلا كان موقوفا يوم القيامة	٥١١
(٩٤)	مستقرها تحت العرش	٤٥٣
(٩٥)	مكتوب بين عينيه كافر	٥٩
(٩٦)	من سأل وعنده ما يغنيه فإنما يستكثر من النار	٦٢

م	الحديـــث	الصفحة
(٩٧)	من سره أن يبسط له في رزقه	٣٦٨
(٩٨)	من سن في الإسلام سنة حسنة يعمل بها من بعده	٤٢٨
(٩٩)	من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب	٧٩٩
(١٠٠)	من عمره الله ستين سنة فقد أعذر إليه	٣٩٦
(١٠١)	من كانت عنده مظلمة لأخيه فليتحلله منها	٧٢٤
(١٠٢)	من لا يشكر الناس لا يشكر الله	١٢
(١٠٣)	من لقاء موسى ربه عز وجل	١٥٨
(١٠٤)	من لم يسأل الله يغضب عليه	٨١٢
(١٠٥)	نزلت في أربع آيات	٢٦
(١٠٦)	نزلت هذه الآية في القدرية	٨١٦
(١٠٧)	نزلت هذه الآية في خمسة	٢٢٢
(١٠٨)	نعم يبعث الله هذا ، ثم يميتك ثم يحييك	٤٨٤
(١٠٩)	نعم، يميتك الله تعالى، ثم يبعثك، ثم يحشرك إلى النار	٤٨٦
(١١٠)	هذا أحمق مطاع	٢٤٩
(١١١)	هذه عائشة أم المؤمنين	٢٤٩
(١١٢)	هل تدرون بما احتبست عنكم	٦٦٣
(١١٣)	هل تضارون في رؤية الشمس والقمر إذا كانت صحوا	٣٩١
(١١٤)	هو مسجدي هذا	٢٢٤
(١١٥)	والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم	٦٥
(١١٦)	وأن تلد الأمة بعلها	٥٥٨
(١١٧)	ولا يحسن أن يكتب فكتب	٥٧
(١١٨)	يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح	٧٩٠
(١١٩)	يا أبا جهل بن هشام يا أمية بن خلف يا عتبة بن ربيعة	٦٥
(١٢٠)	يا أبا ذر هل تدري أين تذهب الشمس	٤٥١
(١٢١)	يا عائشة إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا هم أصحاب البدع	١٠٢

م	الحديـــث	الصفحة
(١٢٢)	يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله	٥٩٥
(١٢٣)	يا عيينة إن الله قد حرم ذلك	٢٤٩
(١٢٤)	يأمر الله إسرافيل بالنفخة الأولى، فيقول: انفخ نفخة الفزع	٧٩٢
(١٢٥)	يخرج من النار من قال لا إله إلا الله	٣٩١
(١٢٦)	يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار	٣٩٠
(١٢٧)	يشتمني ابن آدم وليس له أن يشتمني	٢٦٢
(١٢٨)	يطوي السموات والأرض بيده، ثم يقول: أنا الملك	٧٧٥

٣ ـ فهرس الآثار

م	الأثـــــــــــــــر	الصفحة
(١)	ابن المسيّب قال: رأى نجماً طالعاً، فقال: إِنِّي مريض غداً	٥٣٧
(٢)	ابن جريج: (ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ) علموا أنهم ملاقو ربهم	٦١٨
(٣)	ابن زياد قال: اصطفيناهم لأفضل ما في الآخرة وأعطيناهم	٦٤٤
(٤)	ابن زيد (ﮓ ﮔ) في هاتين الآيتين نزلتا في ثلاثة نفر	٧٠٢
(٥)	ابن زيد : كان أزواجه قد تغايرن على النبي ﷺ فهجرهنّ شهراً .	٢٠١
(٦)	ابن زيد : كانت العرب في الجاهلية يتبادلون بأزواجهم .	٢٤٩
(٧)	ابن زيد في قوله: (ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ) قال: يوم القيامة	٥٨١
(٨)	ابن زيد قال (□ □): يوم القيامة، يوم تتلاقى العباد	٧٧٢
(٩)	ابن زيد قال: الخيل والبغال والحمير تَصْفِن، والصَّفْن أن تقوم على ثلاث	٦٢٠
(١٠)	ابن زيد قال: المقتصد الذي على صلاح من الأمر	١٣٥
(١١)	ابن زيد قال: النذير: النبي ﷺ.	٤٠٠
(١٢)	ابن زيد قال: أحيوا حين أخذ عليهم الميثاق من صلب آدم	٧٦٧
(١٣)	ابن زيد: ﴿ الغساق ﴾: الصديد الذي يجمع من جلودهم	٦٥١
(١٤)	ابن زيد: الرخاء: اللينة	٦٣٦
(١٥)	ابن زيد: أعطنيها، طلِّقها لي، أنكحها، وخلّ سبيلها	٦١٠
(١٦)	ابن زيد: أي يذكرون الآخرة ويرغبون فيها ويزهدون في الدنيا	٦٤٣
(١٧)	ابن زيد: لأنهم لم يعاينوا، فكان ظنهم يقينا، وليس ظنا في شك	٦١٨
(١٨)	ابن زيد: هؤلاء قتلى المشركين من أهل بدر،	٣٥١
(١٩)	ابن عباس : أزواجهم نساؤهم	٥٠٧
(٢٠)	ابن عباس : هم يتسمعون ولا يسمعون.	٤٩٧

دكتور/ عبدالعلي الحمدي (كامل الرسالة .:. مع الفهارس) ٥

(٢١)	ابن عباس (ﭑ ﭒ ﭓ)هم الكفار الذين لم يؤمنوا بقدرة الله عليهم	٧٥١
(٢٢)	ابن عباس : الكأس: الإناء الذي فيه خمر	٥١٦
(٢٣)	ابن عباس : أن ناساً من أهل الشرك كانوا قد قَتلوا وأَكثروا، وزنَوا وأكثروا	٧٣٧
(٢٤)	ابن عباس : فليس أمة أعلم من أمته ولا كتاب أبين من كتابه	٣٤٣
(٢٥)	ابن عباس : كان في قريش رجل يقال له ذو القلبين .	١٧٢
(٢٦)	ابن عباس : لا يبصرون الحق	٤٧٦
(٢٧)	ابن عباس : نُهِيَ رسول الله ﷺ أن يتزوج بعد نسائه الأول شيئًا .	٢٤١
(٢٨)	ابن عباس : هو كقول الله : (ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ)	٤١٤
(٢٩)	ابن عباس :أن أبا جهل كان قد حلف لئن رأى محمدًا يصلي ليرضخن رأسه	٤١٥
(٣٠)	ابن عباس أنه قال: (ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ) أي: غير مخلوق	٧١٩
(٣١)	ابن عباس أنه قال: أتدعون بعلاً أي: رباً	٥٥٧
(٣٢)	ابن عباس أنه قال: حزن النار	٣٩٣
(٣٣)	ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما خلا جعل يضرب آلهتهم باليمين	٥٤١
(٣٤)	ابن عباس في قوله: (ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ) يقول: وحَّدوني أغفر لكم	٨١٣
(٣٥)	ابن عباس في قوله: (ﭺ ﭻ) يقول: أولي القوّة والعبادة	٦٤٠
(٣٦)	ابن عباس في قوله: (ﮮ ﮯ) قال: ألقيناه بالساحل	٥٧٣
(٣٧)	ابن عباس في قوله(ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ) قال: الملأ الأعلى: الملائكة	٦٦٢
(٣٨)	ابن عباس قال : ولو نشاء أهلكناهم في مساكنهم	٤٧٨
(٣٩)	ابن عباس قال: إنما كانت رسالة يونس بعد ما نبذه الحوت	٥٧٩
(٤٠)	ابن عباس قال: كانت ملاعب يلعب له تحتها	٦٠٢
(٤١)	ابن عباس قال: يقول أبو جهل وذووه حين يدخلون النار: أين بلال ؟	٦٥٨
(٤٢)	ابن عباس وابن مسعود: أعطنيها.	٦١٠
(٤٣)	ابن عباس والضحاك: وأن يونس كان شابا ولم يحمل أثقال النبوة	٥٦٥

(٤٤)	ابن عباس وعكرمة ومجاهد وقتادة والسديّ وابن زيد والضحاك: ظلمة البطن والرحم والمشيمة.	٦٩١
(٤٥)	ابن عباس يقول : أضللتهم وأعميتهم عن الهدى	٤٧٦
(٤٦)	ابن عباس: الأمانة: الطاعة	٢٧٨
(٤٧)	ابن عباس: الفرح والمرح: الفخر والخُيَلاء، والعمل في الأرض بالخطيئة	٨١٧
(٤٨)	ابن عباس: آمن أبو بكر بالنبي ﷺ فجاءه عثمان، وعبدالرحمن بن عوف	٧٠١
(٤٩)	ابن عباس: أبدلهم الله مكان جنتيهم جنتين	٣١٥
(٥٠)	ابن عباس: بالغلبة والقهر.	٧٩٦
(٥١)	ابن عباس: تركنا عليه الثناء الحسن إلى آخر الدهر	٥٢٦
(٥٢)	ابن عباس: جعل يمسح أعراف الخيل وعراقيبها، حباً لها	٦٢٧
(٥٣)	ابن عباس: فالملائكة يدخلون عليهم بالتحية من رب العالمين	٤٧٣
(٥٤)	ابن عباس: كان قومه يتعاطون علم النجوم فعاملهم من حيث كانوا	٥٣٧
(٥٥)	ابن عباس: كانت تسيل له باليمن عين من نحاس	٢٩٨
(٥٦)	ابن عباس: كانت له أوتاد وخشب يلعب بها	٦٠٢
(٥٧)	ابن عباس: ما يحملهم على تكذيبك إلا ما في صدورهم من الكبر والعظمة	٨٠٦
(٥٨)	ابن عباس: موف بما عاهد عليه الله في البحر	١٣٥
(٥٩)	ابن عباس: نزلت في قوم كانوا يتحينون طعام النبي ﷺ	٢٥١
(٦٠)	ابن عباس: ينفذ الله ما قضاه من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه خبر ذلك في يوم من أيام الدنيا	١٤٣
(٦١)	ابن عباس، وغيره: هي الأرض التي ليس بها نبت، ولا بناء	٥٧٣
(٦٢)	ابن عمر قال: نزلت علينا هذه الآية وما ندري ما تفسيرها	٧٢٣
(٦٣)	ابن مسعود في قوم يونس : أن من كذب فيهم ولم تكن له بينه فإنهم يقتلونه	٥٦٧
(٦٤)	ابن مسعود قال: يحشر الناس على أرض بيضاء مثل الفضة لم يعص الله جل وعز	٧٧٥

	عليها	
(٦٥)	ابن مسعود: إذا حدثناكم حديثا أتيناكم بتصديق ذلك من كتاب الله	٣٦٣
(٦٦)	ابن مسعود: لمّا وعد يونس قومَه بالعذاب بعد ثلاث، جَأَرَوا إِلى الله	٥٦٥
(٦٧)	ابن معقل: أفزعهم يوم القيامة فلم يفوتوا	٣٥٠
(٦٨)	الأوثان التي ينحتونها بأيديهم ابن زيد	٣٠
(٦٩)	الإفك الكذب	٣١
(٧٠)	الحسن : الظالم الذي ترجح سيئاته على حسناته	٣٨٦
(٧١)	الحسن : فو الله ما كانت إلا صلاة أحدثها في بطن الحوت	٥٧١
(٧٢)	الحسن ﷺ قال: الغساق: عذاب لا يعلمه إلا الله تعالى	٦٥٢
(٧٣)	الحسن في قوله: (ڈ ڤ ڤ) قال: ألحق كل امرئ بشيعته	٥١٠
(٧٤)	الحسن قال: المُلك الذي أعطيناك، فأعط ما شئت وامنع ما شئت	٦٣٨
(٧٥)	الحسن وقتادة قالوا : لو نشاء لأقعدناهُمْ على أرجلهم	٤٧٨
(٧٦)	الحسن وقتادة قالوا : لو يشاء لطمس على أعينهم فتركهم عميًا	٤٧٥
(٧٧)	الحسن: التزموا طاعته واجتنبوا معصيته	٧٤١
(٧٨)	الحسن: أما الظالم لنفسه فإنه هو المنافق	٣٨٨
(٧٩)	الحسن: فر من قومه وكان فيما عهد إليهم أنهم إن لم يؤمنوا أتاهم العذاب	٥٦٥
(٨٠)	الحسن: ليبلغ من حذق أحدهم بأمر دنياه	٧١
(٨١)	الحسن: ليست بعاصفة، ولا الهَيِّنة، بين ذلك رُخاء.	٦٣٦
(٨٢)	الحسن: هو الإسلام	٦٧٥
(٨٣)	الحسن: والله لا يكون لهم شفيع البتة	٧٨٠
(٨٤)	الحسن: ويلٌ لأهل الرياء من هذه الآية	٧٢٦
(٨٥)	السديّ (ڤ ڤ ڤ) قال: الذين استشهدوا في طاعة الله.	٧٥٥
(٨٦)	السدي : أن ناساً من قريش ائتمروا بالنبي ﷺ فجاءوا يريدون ذلك	٤١٥

(٨٧)	السدي : لغيّرنا خلْقهم فلا ينقلبون	٤٧٨
(٨٨)	السديّ أنه قال: عن دعائي.	٨١٢
(٨٩)	السديّ قال: الغساق: الذي يسيل من أعينهم من دموعهم	٦٥٢
(٩٠)	السديّ قال: أميتوا في الدنيا، ثم أحيوا في قبورهم	٧٦٧
(٩١)	السديّ قال: بجهالتهم	٨١٩
(٩٢)	السديّ قال: تبطرون	٨١٧
(٩٣)	السديّ قال: تركت من أمر الله	٧٤٤
(٩٤)	السديّ قال: قد كانت الأنبياء والمؤمنون يُقْتلون في الدنيا وهم منصورون	٧٩٧
(٩٥)	السدي قال: مدبرين في فِرارهم من النار حتى يقذفوا فيها	٧٩٣
(٩٦)	السديّ قال: مستويات	٦٤٩
(٩٧)	السديّ قال: هو ابن عم فرعون	٧٨١
(٩٨)	السدي: "الأحسن" ما أمر الله به في الكتاب	٧٤١
(٩٩)	السديّ: (ڦ ڦ ڦ ڦ ڦ) قال: من يعنيه أمرهم	٧٧٩
(١٠٠)	السدي: (□ □ □ □ □ □□ □□): العافية والصحة.	٦٩٧
(١٠١)	السديّ: بذكرهم الدار الآخرة، وعملهم للآخرة	٦٤٣
(١٠٢)	السدي: ظنوا أنها حسنات فبدت لهم سيئات	٧٢٧
(١٠٣)	السدي: نزلت هذه الآية في ربا ثقيف	١٠٣
(١٠٤)	الشعبي: لله في كل كتاب سر، وسره في القرآن فواتح القرآن	٥٦٣
(١٠٥)	الشعبي: هي ما بين عيسى ومحمد ﷺ	٢١٥
(١٠٦)	الضحاك : خرج مغاضبا لقومه، لأن قومه لما لم يقبلوا منه	٥٦٥
(١٠٧)	الضحاك : قالوا لإبراهيم وهو في بيت آلهتهم : أخرج معنا	٥٣٧
(١٠٨)	الضحاك: بالحجة، وفي الآخرة بالعذر	٧٩٦
(١٠٩)	الضحاك: سأل مُلكا هنيئا لا يُحاسب به يوم القيامة	٦٣٨

(١١٠)	الضحاك: كل كأس ذكره الله في القرآن إنما عني به الخمر	٥١٦
(١١١)	الفُضَيل ابن عِياض رحمة الله عليه يقول: هو الخوف الدائم في القلب	٦٤٣
(١١٢)	أبو الدرداء: حزن أهوال القيامة وما يصيب هناك من ظلم	٣٩٣
(١١٣)	أَبو الدرداء: لئن كنت صادقًا لأنا أسعد به منك،	٣٨٥
(١١٤)	أبو العالية ﷺ قال: إن اليهود أتوا النبي فقالوا: إن الدجال يكون منا	٨٠٧
(١١٥)	أبو العالية في قوله: (ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ) الظن هاهنا يقين	٦١٨
(١١٦)	أبو العالية: "الناس" الدجال	٨٠٨
(١١٧)	أبو العالية: ضمها إلي حتى أكفلها	٦١٠
(١١٨)	أبو صالح : أمر أن لا يتزوج أعرابية ولا غريبة .	٢٤٣
(١١٩)	أبو صالح قال : لجعلناهم حجارة	٤٧٨
(١٢٠)	أبو مالك قال: خلقتنا ولم نكن شيئا ثم أمتنا، ثم أحييتنا	٧٦٦
(١٢١)	أبو هريرة : كان البَدلُ في الجاهلية أن يقول الرجل للرجل: بادلني امرأتك .	٢٤٩
(١٢٢)	أبو هُرَيرة: طرح بالعراء، فأنبت الله عليه يقطينة، قال: الشجرة الدُّبَّاء	٥٧٥
(١٢٣)	أبي بن كعب : أحل له ضربًا من النساء، وحرم عليه ما سواهن .	٢٤٢
(١٢٤)	أبي بن كعب : أخذ ذرية آدم من ظهر آدم	١٧٧
(١٢٥)	أُبيُّ بن كعب : لَمَّا أخذ ميثاق الخَلْق خصَّ النبيِّن بميثاق آخر	١٧٨
(١٢٦)	أم سلمة : سر في حفظ الله وفي كنفه .	٢١٤
(١٢٧)	أن عمر قال للناس: ما تقولون في تفسير هذه الآية (ﭦ ﭧ ﭨ)؟	٥٠٩
(١٢٨)	أن موسى صعد وهارون الجبل فمات هارون . علي وابن عباس	٢٧٥
(١٢٩)	أنس: يا أبا حمزة أبلغك أن الدعاء نصف العبادة؟ قال: لا بل هو العبادة كلها	٨١٣
(١٣٠)	إبراهيم قال: الغسَّاق ما يسيل من سُرْمهم	٦٥١
(١٣١)	إبراهيم قال: لما نزلت: (□ □ □ □) قالوا: ما خصومتنا بيننا	٧٢٣
(١٣٢)	إبراهيم: معايشهم وما يصلحهم.	٧١

دكتور/ عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة .:. مع الفهارس) ٥

(١٣٣)	بن جبير:لما قال :لا اله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين قذفه الحوت	٥٧٠
(١٣٤)	تصنعون أصناما بأيديكم فتسمونها آلهة مجاهد	٣١
(١٣٥)	تصنعون كذبا. ابن عباس	٣٠
(١٣٦)	زيد بن اسلم ﷺ قال: أزواجهم في الأعمال	٥٠٨
(١٣٧)	زيد بن أرقم : نساؤه من أهل بيته ولكن أهل بيته من حُرِم الصدقة بعده .	٢١٨
(١٣٨)	زيد بن أسلم ﷺ قال: الْأَشْهَادُ أَرْبَعَة	٨٠١
(١٣٩)	زينب: يا بن الخطاب إنك لتغار علينا والوحي ينزل في بيوتنا	٢٥٧
(١٤٠)	سعيد بن المسيب قال: كايد نبي الله عن دينه فقال إني سقيم	٥٣٧
(١٤١)	سعيد بن جبير: في حق الله	٧٤٥
(١٤٢)	سعيد بن جبير: هي صحيفة كتب الله تعالى في أولها أجله	٣٦٩
(١٤٣)	سفيان الثوري أنه قرأها فقال: ويل لأهل الرياء	٧٢٦
(١٤٤)	سفيان قال: كانوا يفرون من المطعون فأراد أن يخلوا بآلهتهم فقال: إني سقيم	٥٣٧
(١٤٥)	عائشة : إن أزواج النبي ﷺ كن يخرجن بالليل إذا تبرزن	٢٥٧
(١٤٦)	عائشة : إن لنساء قريش لفضلا، ولكن والله ما رأيت أفضل من نساء الأنصار.	٢٦٨
(١٤٧)	عائشة : يا بني، هؤلاء في الجنة، أما السابق بالخيرات فمن مضى على عهد رسول الله ﷺ	٣٨٦
(١٤٨)	عائشة : يرحم الله نساء المهاجرات الأول .	٢٦٨
(١٤٩)	عائشة وأم سلمة : ما مات ﷺ حتى أحل الله له جميع النساء .	٢٤٧
(١٥٠)	عبدالله بن عمرو قال: هو القَيْح الغليظ	٦٥١
(١٥١)	عبدالله بن مسعود: هذه الأمة ثلاثة أثلاث يوم القيامة	٣٨٥
(١٥٢)	عبدالله: الغناء، والذي لا إله إلا هو	١٢٠
(١٥٣)	عكرمة : اثنان في الجنة وواحد في النار .	٣٨٨
(١٥٤)	عكرمة : من شاء باهلته أنها نزلت في أزواج النبي ﷺ .	٢٢٠

دكتوراه عبدالعلي العمدي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

(١٥٥)	عكرمة: هم الخرازون والسراجون	٧١
(١٥٦)	علي :العمر الذي عَيَّرهم الله به في قوله تعالى: (□ □ □ □ □ □ □ □) ستون سنة.	٣٩٧
(١٥٧)	عليّ: اسكت، فإنك فاسق	١٤٨
(١٥٨)	عمار : إن الله أمرك أن تقري في بيتك	٢١٠
(١٥٩)	عمر : لو أُطَاعُ فيكن ما رأتكن عين	٢٥٧
(١٦٠)	عمر : يا رسول الله، لو رأيت فلانة وسألتني النفقة .	٢٠٢
(١٦١)	عمر بن الخطاب ﷺ: (□ □ □ □ □) قال إخوانهم	٥٠٨
(١٦٢)	عمر بن الخطاب: قلت لرسول الله ﷺ: لو حجبت عن أمهات المؤمنين	٢٥٧
(١٦٣)	عمر: كنا نقول: ما لمن افتتن من توبة، وكانوا يقولون: ما الله بقابل منا شيئاً	٧٣٧
(١٦٤)	عمر، وابن مسعود، وابن عباس، وكعب، وعائشة : هذه الأصناف الثلاثة في أمة محمد ﷺ .	٣٨٤
(١٦٥)	عن ابن عباس { في قوله: (و و ؤ ؤ) قال: دين الله	٩٢
(١٦٦)	عن ابن عباس في هذه الآية قال: هو ما يعطي الناس بينهم بعضهم بعضا	١٠٥
(١٦٧)	عن ابن عباس قال: المودة حب الرجل امرأته	٨٨
(١٦٨)	عن السدي قال: (□): كل قرية نائية عن البحر مثل مكة	١٠٨
(١٦٩)	عن عبدالله قال: كاد الجُعْلُ أن يعذب في جُحْره بذنب ابن آدم	٤٠٤
(١٧٠)	قال ابن عباس : سمعت أبي في الجاهلية.	٢١٥
(١٧١)	قال ابن عباس: سلقوكم أي: عضدوكم وتناولوكم	١٩٥
(١٧٢)	قال الربيع بن أنس: (ب ب) ما زجر الله عنه في القرآن	٤٩٣
(١٧٣)	قال عكرِمة: الإخصاء	٩٤
(١٧٤)	قتادة (□ □ □ □□) قال: هؤلاء التُّبَّاع يقولون للرؤوس	٦٥٥
(١٧٥)	قتادة : الباطل إبليس .	٣٤٨

(١٧٦)	قتادة : أراد بني آدم الذين يتلون كتبه المنزلة وتسبيحه وتكبيره	٤٩٥
(١٧٧)	قتادة : أنهم قريش أنذروا بنبوة محمد ﷺ	٤٠٨
(١٧٨)	قتادة : قال أصحاب نبي الله ﷺ: إن لنا يوما أوشك أن نستريح فيه .	١٦٥
(١٧٩)	قتادة : كان يسويها بيده ولا يدخلها نارًا	٢٩٣
(١٨٠)	قتادة : كانت الجن تخبر الإنس أنهم كانوا يعلمون من الغيب أشياء	٣٠٨
(١٨١)	قتادة في قوله " يُخْبَرُونَ " قال: ينعمون.	٧٨
(١٨٢)	قتادة في قوله تعالى: (ى ي ي) قال: أي منطَلقا بكم إلى النار	٨٩٢
(١٨٣)	قتادة في قوله: (□ □ □) قال: كأس من خمر لم تعصر	٥١٦
(١٨٤)	قتادة في قوله: (ۋ ۋ و و) قال: أي إلى الموت	٥٨٠
(١٨٥)	قتادة قال: (گ گ گ): أي أبواب السموات	٧٩٤
(١٨٦)	قتادة قال: أشباههم من الكفار مع الكفار	٥٠٨
(١٨٧)	قتادة قال: سن واحدة.	٦٤٩
(١٨٨)	قتادة قال: في أبواب السماء	٥٩٨
(١٨٩)	قتادة قال: كان له أوتاد وأرسان، وملاعب يلعب له عليها	٦٠٢
(١٩٠)	قتادة قال: كانوا أمواتا في أصلاب آبائهم، فأحياهم الله في الدنيا	٧٦٦
(١٩١)	قتادة قال: كنا نحدث أن الغسَّاق: ما يَسِيل من بين جلده ولحمه	٦٥١
(١٩٢)	قتادة قال: لحق كل إنسان بشيعته اليهود باليهود	٥١٠
(١٩٣)	قتادة قال: ما زَجَر الله عنه في القرآن	٤٩٣
(١٩٤)	قتادة قال: هو ما يغسق أي: ما يسيل من القيح والصديد	٦٥١
(١٩٥)	قتادة قال: وَعَدَه الله وهو بمكة يومئذ أنه سيهزم جنداً من المشركين	٦٠٠
(١٩٦)	قتادة قال: يوم تلتقي فيه أهل السماء وأهل الأرض	٧٧٢
(١٩٧)	قتادة والسدي قالا: قد وقعت القلوب في الحناجر من المخافة	٧٧٧
(١٩٨)	قتادة: (ڈ ڈ ڈ ڈژ) قال: شهادة أن لا إله إلا الله.	٦٧٥

دكتور/ عبدالعلي المسدي (كامل الرسالة :: مع الفهارس) ٥

(١٩٩)	قتادة: أن أناساً أصابوا ذنوباً عظاماً في الجاهلية، فلما جاء الإسلام أشفقوا	٧٣٨
(٢٠٠)	قتادة: حين عاينوا عذاب الله.	٣٥٠
(٢٠١)	قتادة: سريعةً طيبة، قال: ليست بعاصفة ولا بطيئة.	٦٣٦
(٢٠٢)	قتادة: لصار بطن الحوت له قبراً إلى يوم القيامة	٥٧٢
(٢٠٣)	قتادة: لما خيرهن فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة قصره عليهن	٢٤١
(٢٠٤)	قتادة: من حرفتها وتصرفها وبغيتها	٧١
(٢٠٥)	قتادة: هي ما قبل الإسلام	٢١٥
(٢٠٦)	قتادة: ورؤيا الأنبياء حَقٌّ، إذا رأَوا شيئاً، فعلوه	٥٥١
(٢٠٧)	قتادة: وهي غيرة من عائشة في شيء أرادته من الدنيا.	٢٠١
(٢٠٨)	كعب الأحبار: إن الظالم لنفسه من هذه الأمة	٣٨٦
(٢٠٩)	لم يخرج النبي ﷺ من الدنيا حتى كتب وقرأ. الشعبي	٥٦
(٢١٠)	لَمَا سقاهم المطر، فماتت جميع الدواب . سعيد بن جبير	٤٠٥
(٢١١)	مجاهد (ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ) قال: قولهم: نحن أعلم منهم	٨١٩
(٢١٢)	مجاهد في قوله: (ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ) قال: تبطرون وتأشَرُون	٨١٧
(٢١٣)	مجاهد في قوله: (ﮧ ﮨ ﮩ) قال: أمثال	٦٤٩
(٢١٤)	مجاهد في قوله: (ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ) قال: فارّين غير معجزين	٧٩٢
(٢١٥)	مجاهد في قوله: (ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ) قال: القرآن	٦٦٠
(٢١٦)	مجاهد في قوله: (ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ) قال: عَظَمَةً	٨٠٦
(٢١٧)	مجاهد في قوله: (ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ) قال: طرق السماء وأبوابها	٥٩٨
(٢١٨)	مجاهد في قوله: (ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ) يقول: في أمر الله	٧٤٤
(٢١٩)	مجاهد قال: صُفُون الفرس: رَفْع إحدى يديه حتى يكون على طرف الحافر	٦٢٠
(٢٢٠)	مجاهد قال: طَيِّبة	٦٣٦
(٢٢١)	مجاهد قال: نزلت في قريش	٧٥١

(٢٢٢)	مجاهد قال: (ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ)ذاك أبو جهل	٦٥٧
(٢٢٣)	مجاهد وقتادة: إن الذي جاء بالعظم النخر أمية بن خلف	٤٨٥
(٢٢٤)	مجاهد: (ڃ ڃ ڃ ڃ) بذكر الآخرة، فليس لهم همّ غيرها	٦٤٣
(٢٢٥)	مجاهد: كل ظن في القرآن يقين	٦١٨
(٢٢٦)	مجاهد: ما هم ببالغي مقتضى ذلك الكبر	٨٠٦
(٢٢٧)	محمد بن سيرين قال: إن لم تكن هذه الآية نزلت في القدرية، فإني لا أدري	٨١٥
(٢٢٨)	محمد بن سيرين قال: إن لم يكن أهل القدر الذين يخوضون في آيات الله فلا علم لنا به	٨١٥
(٢٢٩)	محمد بن كعب: هو عصارة أهل النار	٦٥٢
(٢٣٠)	مقاتل: على ما ضيعت من ذكر الله	٧٤٤
(٢٣١)	من حدث بما يقول هؤلاء القصاص في أمر داود ، جلدته حدَّين	٦١٢
(٢٣٢)	من كان يطمع في ثواب الله سعيد بن جبير	٢٣
(٢٣٣)	نافع ابن الأزرق سأل ابن عباس: هل تجد ميقات الصلوات الخمس	٨٢
(٢٣٤)	هذا الرجل يهديني السبيل	٥٤٠
(٢٣٥)	هم بنو حارثة.قالوا: بيوتنا مخلية . ابن عباس	١٨٧
(٢٣٦)	وعن الحسن قال: أفسدهم الله بذنوبهم	١٠٨
(٢٣٧)	وعن عبدالله بن الحارث قال: الصخرة خضراء على ظهر حوت	١٢٤
(٢٣٨)	وقال الحسن: "مقتصد" مؤمن متمسك بالتوحيد والطاعة	١٣٥
(٢٣٩)	وقال السدي: أما (ڃ): فيستيقنون	٦١٨
(٢٤٠)	يحيى بن سلام: مستويات الأسنان بنات ثلاث وثلاثين	٦٤٩

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة :: مع الفهارس) ٥

٤ ـ فهرس الأعلام

المترجمين الواردة أسماؤهم في البحث مرتبين على حروف الهجاء

(١)	ابن الجوزي : عبد الرحمن بن علي القرشي الحنبلي أبو الفرج علامة السير والتاريخ خاض في التأويل ت: ٥٩٧هـ وفيات الأعيان : ٣ / ١٤٠
(٢)	ابن المبارك : عبد الله بن المبارك بن واضح التركي أبو عبد الرحمن أمير الأتقياء ت:١٨١هـ صفة الصفوة : ٤ / ٣٧١
(٣)	ابن المسيب : سعيد بن حزن بن أبي وهب المخزومي القرشي سيد التابعين أبو محمد أحد الفقهاء السبعة بالمدينة ت:٩٤هـ حلية الأولياء : ٢/١٦١
(٤)	ابن إسحاق : محمد بن إسحاق بن يسار صاحب السير ت:١٥٠هـ، التاريخ الكبير: ١/٤٠
(٥)	ابن زيد : عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العمري صاحب قرآن وتفسير ت:١٠٢هـ، السير:٨/٣٤٩
(٦)	ابن عادل : عمر بن علي بن سراج الدين الحنبلي أبو حفص عالم في التفسير جماعة له ت:٨٨٠هـ الأعلام : ٥/٥٨
(٧)	ابن عباس :عبد الله بن عباس القرشي ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم الحبر والبحر ت:٦٨هـ معرفة الصحابة : ٣ / ١٦٩٩
(٨)	ابن قتيبة : عبد الله بن مسلم الدينوري أبو محمد محدث مفسر مؤرخ أديب . ت : ٢٧٦هـ أخبار القضاة : ١ / ٣٨ .
(٩)	ابن كثير : إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي أبو الفداء عماد الدين حافظ مفسر فقيه ت:٧٧٤ هـ ذيل تذكرة الحفاظ : ٥ / ٣٦
(١٠)	ابن مسعود : عبد الله بن مسعود بن غافل الهذلي أبو عبد الرحمن من كبار الصحابة ت:٣٢هـ معرفة الصحابة : ٤ / ١٧٦٥

(١١)	الأعمش : سليمان بن مهران الأسدي أبو محمد تابعي مشهور ت:١٤٨هـ وفيات الأعيان٢/٢١٦
(١٢)	البخاري : محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة أبو عبد الله إمام الدنيا ت:٢٥٦هـ تهذيب التهذيب : ٩ / ٣٩ .
(١٣)	البغوي : الحسين بن مسعود بن الفراء أبو محمد ت:٥١٥ هـ سير أعلام النبلاء : ١٩ / ٤٣٩
(١٤)	البيضاوي : عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي أبو سعيد قاض فقيه أصولي مفسر ت:٦٨٥هـ طبقات الشافعية الكبرى : ٨ / ١٥٧
(١٥)	الترجمة باختصار
(١٦)	الثعالبي : عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف أبو زيد مفسر فقيه عامل زاهد ت : ٨٧٥ هـ الأعلام ٣/٣٣١
(١٧)	الحسن البصري:بن أبي الحسن بن يسار البصري إمام زمانه علما وعملاً ت:١١٠هـ، السير:٤/٥٦٣
(١٨)	الزمخشري : محمود بن محمد جار الله أبو القاسم نحوي لغوي مفسر معتزلي مجاهر ت:٥٣٨هـ طبقات المفسرين للداوودي : ٢/٣١٤
(١٩)	الزهري : محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب ت:١٢٤ هـطبقات الحفاظ: ٤٢حلية الأولياء٣/٣٦٠
(٢٠)	السدي : إسماعيل بن عبد الرحمن أبو محمد صاحب التفسير والمغازي كان إماماً في الوقائع وأيام الناس ت:١٢٧هـ السير : ٥/٢٦٤
(٢١)	السمعاني : منصور بن محمد بن عبد الجبار التميمي أبو المظفر فقيه مفسر ت: ٤٨٩هـ وفيات الأعيان : ٣ / ٢١١
(٢٢)	الشعبي:عامر بن شراحيل الهمداني حافظ زمانه ت:١٠٤هـ السير : ٦ / ٢٩٤

دكتوراه عبدالعلي المدني (كامل الرسالة .. مع الفهارس) ٥

(٢٣)	الشوكاني : محمد بن علي بن محمد مفسر فقيه مجتهد من علماء اليمن ت:١٢٥٠هـ البدر الطالع : ٧٣٢ وحدائق الزهر : ٣١
(٢٤)	الصنعاني : عبد الرزاق بن همام الحميري من أئمة الحديث ت:٢١١هـ السير :٩/ ٥٦٣
(٢٥)	الضحاك : ابن مزاحم الهلالي صاحب التفسير من أوعية العلم ت:١٠٥ هـ غاية النهاية ٣٣٧/١
(٢٦)	العز بن عبد السلام : بن أبي القاسم الدمشقي سلطان العلماء فقيه شافعي مجتهد ت: ٦٦٠ هـ النجوم الزاهرة : ٧ / ٢٠٨ .
(٢٧)	العكبري : عبد الله بن الحسين أبو البقاء عالم بالقراءات والأدب واللغة والفرائض والحساب ت: ٦١٦ السير : ٢٢ / ٩١
(٢٨)	القنوجي : صديق خان بن حسن القنوجي شارك في علوم بالفارسية والهندية والعربية ت:١٣٠٧ الأعلام للزركلي : ٦ / ١٦٧
(٢٩)	الكسائي: علي بن حمزة الأسدي أبو الحسن من القراء السبعة ت :١٨٩ هـ . معرفة القراء الكبار١/ ١٢٠
(٣٠)	الكلبي : محمد بن السائب بن بشر الكلبي نسابة مفسر كذاب متروك الحديث ت:١٤٦هـ المجروحين : ٢٥٣/٢
(٣١)	الماوردي : علي بن محمد بن حبيب أبو الحسن أقضى القضاة ت:٤٥٠هـ الإعلام بوفيات الأعلام : ١٨٦
(٣٢)	النخعي : إبراهيم بن يزيد بن قيس أبو عمران إمام حافظ ت:١٩٦هـ التاريخ الكبير :١/ ٣٣٣
(٣٣)	أبو السعود : محمد بن محمد بن مصطفى العمادي مفسر شاعر من علماء الترك المستعربين ت: ٩٨٢ هـ شذرات الذهب : ١٠ / ٥٨٤

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة .. مع الفهارس) ٥

(٣٤)	أبو العالية : رفيع بن مهران الرياحي ، مقرئ حافظ مفسر ت : ٩٣ هـتذكرة الحفاظ : ٤٩/١
(٣٥)	أبو عبيدة: معمر بن المثنى التميمي البصري لغوي يميل إلى مذهب الخوارج ت:٢١٠هـ تاريخ بغداد: ١٣ / ٢٥٢
(٣٦)	ثعلب : أحمد بن يحي بن زيد بن سيار عرف بثعلب عالم لغوي ت:٢٩١هـ إنباه الرواه ١٧٣/١
(٣٧)	زيد بن أرقم : الخزرجي الأنصاري صحابي غزا مع النبي صلى الله عليه وسلم سبع عشرة غزوة ت:٦٨هـ الاستيعاب : ٢ : ١٠٩
(٣٨)	زيد بن أسلم : العدوي العمري أبو أسامة فقيه مفسر ت:١٣٦هـ التاريخ الكبير : ٢٨٧/٣
(٣٩)	سعيد بن جبير : الأسدي الكوفي أبو عبد الله ثقة ثبت فقيه أعلم التابعين قتل بين يدي الحجاج سنة ٩٥هـ الثقات : ٤ / ٢٧٥
(٤٠)	سهيل بن عمرو بن شمس القرشي العامري خطيب قريش وأحد ساداتها في الجاهلية تولى صلح الحديبية وأسره المسلمون يوم بدر وافتدي وأسلم يوم الفتح ت:١٨هـ أسد الغابة : ٤٨٠/٢
(٤١)	شعبة : بن الحجاج بن الورد أبو بسطام أمير المؤمنين في الحديث ت:١٦٠هـ السير:٧ /٢٠٢
(٤٢)	طاووس : بن كيسان اليماني أبو عبد الرحمن من أكابر التابعين تفقها في الدين ورواية وتقشفا ت:١٠٦هـ تذكرة الحفاظ : ٦٩/١
(٤٣)	عبيدة السلماني : بن عمرو تابعي أسلم باليمن أيام فتح مكة ولم ير النبي صلى الله عليه وسلم وهاجر إلى المدينة في زمن عمر شهد كثيراً من المواقع ت: ٧٢هـ أسد الغابة : ٣ / ٣٥٦ .
(٤٤)	عطاء : ابن أبي رباح أسلم القرشي ثقة فقيه فاضل من أساطين العلم ت:١١٤هـ الثقات :١٩٨/٥

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

(٤٥)	عكرمة : مولى ابن عباس بن عبد الله البربري من أعلم الناس بالتفسير والمغازي ت:١٠٥هـ تهذيب التهذيب : ٧ / ٢٢٨
(٤٦)	عمار بن ياسر : بن عامر الكناني القحطاني أبو اليقظان الطيب المطيب ومن السابقين إلى الإسلام أول من بنى مسجداً في الإسلام ت:٣٧هـ أسد الغابة : ٤ / ١٢٩
(٤٧)	قتادة : ابن دعامة بن قتادة السدوسي مفسر حافظ مدلس ت:١١٨هـ .تذكرة الحفاظ:١/٩٢
(٤٨)	مجاهد : هو ابن جبر بن السائب المخزومي ، أبو الحجاج ت : ١٠٤هـ حلية الأولياء : ٣ / ٢٧٩
(٤٩)	محمد بن كعب : بن سليم القرظي أبو عبد الله تابعي ثقة ت : ١٠٨هـ تهذيب الكمال ٦ / ٤٨٩
(٥٠)	مسلم بن الحجاج : بن مسلم النيسابوري أبو الحسين من أئمة الحديث ت:٢٦١هـ تهذيب الكمال : ٧ / ٩٥
(٥١)	مقاتل : بن حيان النبطي البلخي أبو بسطام كان ذا نسك ودين ت:١٥٠هـ السير٦/٣٤٠
(٥٢)	وهب بن منبه : الأبناوي الصنعاني مؤرخ كثير الأخبار عن الكتب القديمة كثير الإسرائيليات ت:١١٤ هـ طبقات ابن سعد:٥ / ٥٤٣

٥ ـ فهرس القبائل والملل والنحل

م	القبيلة	الصفحات
(١)	الأزدي	٣١٢
(٢)	الأسدية	٢٤١
(٣)	الأشعري	٣١٢ ، ٥٦١ ، ٥٦٢ ، ٦٦٦
(٤)	الأشعرية	٣٦٧ ، ٦٦٦
(٥)	الباقلاني	٦٦٦
(٦)	الجهمية	٦٦٦
(٧)	الحنابلة	٦٦٦ ، ٦١٨
(٨)	الخزرج	١٨٨
(٩)	الخوارج	٦٦٦
(١٠)	الخيبرية	٢٤١
(١١)	الرافضة	٦٦٦
(١٢)	الشاعر المتلمس	٦١
(١٣)	الشافعية	١٧٤
(١٤)	القدرية	٥٤٤ ، ٥٤٧ ، ٨١٥ ، ٨١٦
(١٥)	الكرامية	٦٦٦
(١٦)	الكلابية	٦٦٦
(١٧)	المجوسية	١٠٠
(١٨)	المخزومي	٢٩ ، ٤١٥
(١٩)	المزني	٧٢٠
(٢٠)	المصطلقية	٢٤١
(٢١)	المعتزلة	٦٦٦

دكتور/ عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

م	القبيلة	الصفحات
(٢٢)	النصرانية	٢٤١ ، ٢٤٣ ، ٢٣٦ ، ٥٠٩
(٢٣)	النظير	٤٨ ، ١٧٠
(٢٤)	الهلالية	٢٤١
(٢٥)	اليهودية	٥٧، ١٠٠، ١٧٠، ٢٤١، ٢٤٣، ٢٦٢، ٥٠٩، ٥١٠، ٦١٣، ٦١٦، ٦٣٤، ٦٧٢، ٦٥٢، ٨٠٧، ٨٠٨
(٢٦)	أنمار	٣١٢
(٢٧)	بجيلة	٣١٢
(٢٨)	بنو أبيرق	١٧٠
(٢٩)	بنو تغلب	١٨
(٣٠)	بنو عبد مناف	١٧٢
(٣١)	بنو قينقاع	١٧٠
(٣٢)	بني جمح	١٧٣
(٣٣)	جذام	٣١٢
(٣٤)	حمير	٣١٢
(٣٥)	خثعم	٣١٢
(٣٦)	ربيعة	٢٩
(٣٧)	عاملة	٣١٢
(٣٨)	غسان	٣١٢
(٣٩)	قحطان	١٨، ٣١٤ ، ٤٠٨
(٤٠)	قريش	٣٤، ٤٩، ٥٠، ٥٢، ٦٦، ١٠٣، ١٥٠، ١٦٢، ١٧٢، ١٧٣، ١٨٠، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٦٨، ٣٤٢، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١٥، ٤٣١، ٤٤٣،

م	القبيلة	الصفحات
		٤٦١، ٤٨٥، ٥٠١، ٥٩٢، ٥٩٤، ٥٩٥، ٦٠١، ٦٠٥، ٦٣٤، ٦٥٨، ٦٦٤، ٧٥١، ٨٠٨، ٨٠٩، ٨١٥
(٤١)	قريظة	٤٨، ١٧٠
(٤٢)	قضاعة	١٨، ٣٩٧، ٥٤٠
(٤٣)	كلب	١٨
(٤٤)	كنده	٣١٢
(٤٥)	لخم	٣١٢
(٤٦)	مذحج	٣١٢

دكتوراه عبدالعلي الغمري (كامل الرسالة :: مع الفهارس) 5

٦ ـ فهرس الأماكن والبلدان

م	المكـــان	الصفحــة
(١)	البصرة	١٠٨، ٢١٠، ٢١٤، ٤١٣، ٥٩٦
(٢)	الشام	٣٣، ١٠٨، ١٦٤، ١٨٠، ٣١٢، ٣١٨، ٣١٩
(٣)	الطائف	١٨٠
(٤)	القادسية	١٨٠
(٥)	الكوفة	١٠٨، ٢١٠، ٥٨٧
(٦)	المدينة	٤٨، ١٠٨، ١٤٨، ١٧١، ١٧٩، ١٨٩، ٢٠٣، ٢١١، ٢١٢، ٢١٨، ١٧٠، ٢٥٧، ٣٠٦، ٣١٨، ٤٢٩، ٧٠١، ٧٣٧، ٧٣٨
(٧)	اليرموك	٢٩، ١٨٠
(٨)	اليمن	٦١، ١٦٤، ٣١٣، ٣٠٣، ٣١٢، ٣١٨، ٣١٩، ٢٩٨، ٣٠٣، ٣٠٥، ٥٥٧
(٩)	بابل	٣٣
(١٠)	بدر	٢٨، ٦٤، ٦٥، ١٥٠، ١٥١، ١٥٢، ١٦٨، ١٧٣، ٢٠٠، ٢٧٢، ٢٧٣، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢، ٥٨٠، ٥٨١، ٦٠٠، ٦٠١
(١١)	حنين	١٧٢، ١٧٩، ١٨٠
(١٢)	غرناطة	١٩
(١٣)	فتح مكة	١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٧٢
(١٤)	مصر	٢٠٢، ٦٠٣
(١٥)	معركة طريف	١٩

دكتور/ عبدالعلي الغمري (كامل الرسالة :: مع الفهارس) ٥

٧ ـ فهرس الأبيات الشعرية الواردة في البحث

م	البيـــــــت		الصفحة
(١)	أألخَيرُ الـذي أنَا أبْتَغِيـهِ	أم الشَّرُّ الَّذي لا يَأتَلِينـي	٤٢١
(٢)	أبَنِي لُبَيْنَى لَسْتُم بِيَدٍ	إلا يَدٌ لَيْسَتْ لَهَا عَضُدُ	٦٩٤
(٣)	أجادَ المُسَدِّي سَرْدَهَا وَأَذَالَهَا		٢٩٥
(٤)	أسير خَلْف رِكَاب النُّجْب ذا عَرَجٍ	مؤمِّلاً كَشْف ما لاقيتُ مِن عوجِ	٧
(٥)	أفي السّلم أعْيَارًا جَفَاءً وغلظَةً	وَفي الحَربْ أمْثَالَ النِّسَاء العَوَارِكِ	١٩٧
(٦)	ألف الصفون فما يزل كأنه	مما يقوم على الثلاث كسيراً	٦٢٠
(٧)	أنا ابْنُ سَعْدٍ سَيِّدِ السَّعْدِينَا		٥٦١
(٨)	إذا لسعته النحل لم يرج لسعها		٢٤
(٩)	تأمل في رياض الأرض وانظر	إلى آثـــار ما صنع المليك	٧١٤
(١٠)	تجاوزتُ أحراساً إليها ومعشراً	عليّ حِراصاً لو يُسِرّون مقتلي	٣٣١
(١١)	تحملت من عفراء ما ليس لي به	ولا للجبال الراسيات يدان	٦٦٨
(١٢)	تَرَّاكُ امْكِنَةٍ إذَا لَمْ أَرْضَـهَا	أَوْ يَرْتَبِطْ بَعْضُ النُّفُوسِ حِمَامَهَا	٧٨٤
(١٣)	حيٌ عليمٌ قديرٌ والكلام له	إرادةٌ وكذاك السمع والبصر	٦٦٩
(١٤)	رَبَّة مِحْرَابٍ إذَا جِئْتُهَا	لَمْ أَلْقَهَا أَوْ أَرْتَقِي سُلَّمَا	٣٠٥
(١٥)	سوى أن الجياد من المطايا	أحَسْن به فهُن إليه شُوس	٢١٣
(١٦)	عسلان الذئب أمسى قاربا	بَرَدَ الليلُ عليه فنسل	٤٦٣
(١٧)	على قضب الزبرجد شاهدات	بأن اللّه ليس لـه شريك	٧١٤
(١٨)	عيون من لجين شاخصات	بأحداق هي الذهب السبيك	٧١٤
(١٩)	فالحمد للّه الذي أعطى الحبر	موالي الحق إن المولى شكر	٧٨
(٢٠)	فَأُقْسِمُ لَوْ شَيْءٌ أتَانَا رَسُولُهُ	سِوَاكَ وَلَكِنْ لَمْ نَجِدْ لَكَ مَدْفَعا	٦٩٣
(٢١)	فإنْ لَحِقْت بهم من بعد ما سبقوا	فكم لِرَب الوَرَى في ذاك مِن فرجِ	٧
(٢٢)	فلو كنتَ في جبّ ثمانين قامة	ورُقيتَ أسباب السماء بسُلّم	٥٩٧
(٢٣)	فما تدومُ على حالٍ تكون بها	كما تَلَوَّنُ في أثوابها الغُولُ	٩٠

م	البيـــــــت		الصفحة
(٢٤)	فيهم الخصب والسماحة والنجـ	ـدة فيهم والخَاطب المِسلاق	١٩٦
(٢٥)	قالوا أبو الصّقر من شيبانَ قلتُ لهم	كلا لعمري، ولكنْ منهُ شيبانُ	٦٨٦
(٢٦)	قد يُدْرِك المتأني بعض حاجته	وقد يكون مع المستعجل الزلل	٧٨٤
(٢٧)	قلَّ مَن ساد ثم ساد أبوه	ثم قد ساد قبل ذلك جدُّه	٦٨٣
(٢٨)	كدُمَي العاجِ في المحاريبِ أو كالـ	ـبيضِ في الرَّوضِ زَهرُهُ مُسْتَنِيرُ	٣٠٤
(٢٩)	لئن كنتَ في جُبٍّ ثمانينَ قامةً	ورُقِّيتَ أَسبابَ السماءِ بسُلَّمِ	٧٩٥
(٣٠)	لا أرى الموت يسبق الموت شيء	نغص الموت ذا الغنى والفقيرا	٧١١
(٣١)	لا ترتجي حين تلاقي الذائدا	أسبعة لاقت معاً أو واحداً	٢٥
(٣٢)	لا تملأ الدلو وعرّق فيها	أما ترى حبار من يسقيها	٧٩
(٣٣)	لقد علم الحَي اليمـانُون أنني	إذ قلت: أمّا بعد، أَني خطيبها	٧١١
(٣٤)	لكنها خلةٌ قد سيط من دمها	فجعٌ وولعٌ وإخلافٌ وتبديل.	٩٠
(٣٥)	نحابي بها أكفاءنا ونهينها	ونَشْرَبُ فِي أثمانها ونُقامر	١٠٤
(٣٦)	نعم فاسلمى ثم اسلمى ثمت اسلمى	ثلاث تحيات وإن لم تكلمى	٥٨٤
(٣٧)	هلا سألت جموع كنـ	ـدة يوم ولوا أين أينا	٥٨٤
(٣٨)	وآنيتُ العَشاءَ إلَى سُهَيلٍ	أوِ الشِّعْرَى فطال بيَ الأنَاءُ	٢٥٤
(٣٩)	وأَياماً لنا غُرّاً كِـراماً	عَصَيْنا المَلْكَ فيها أَن نَدِينَا	٦٧٧
(٤٠)	وإن بقيت بظهر الأرض منقطعاً	فما على عرجٍ في ذاك من حرجِ	٧
(٤١)	وإن تك قد ساءتك مني خليقة	فسلي ثيابي من ثيابك تنسلي	٤٦٣
(٤٢)	ورَبِّ أَسرابِ حَجِيجٍ كُظَّمِ	عنِ اللَّغا ورَفَثِ التَّكَلُّمِ	٧٧٧
(٤٣)	ورَفَعْتُ رِجْلا لا أخافُ عِثارَها	وَنَبَذْتُ بالبَلدِ العَرَاءِ ثِيابِي	٥٧٣
(٤٤)	وَعَلَيهِمَا مَسْرُودَتَانِ قَضَاهُمَا	دَاودُ أَوْ صَنَعُ السَّوَابِغِ تُبَّعُ	٢٩٥
(٤٥)	وعيرها الواشون أني أحبها	وتلك شكاة ظاهر عنك عارها	٧١
(٤٦)	وكأسٍ شربتُ على لَذة	وأخرى تداويت منها بها	٥١٧
(٤٧)	وكم أبٍ قد عَلا بابنٍ ذُرا حسَبٍ	كما علتْ برسولِ اللّهِ عدنانُ	٦٨٦
(٤٨)	ولقد غنوا فيها بأنعم عيشة	في ظل ملك ثابت الأوتاد	٦٠٢

م	البيـــــــت		الصفحة
(٤٩)	ولما رأى الحجَّاجَ جرَّد سيفَه	أسرَّ الحروريُّ الذي كان أضمرا	٣٣١
(٥٠)	وَما أدْرِي إذا يَمَّمْتُ وَجْهًا	أُرِيدُ الخَيْرَ أيُّهُما يَلِينِـــي	٤٢١
(٥١)	ومن هاب أسباب المنايَا ينلْنه	وإن يرق أسباب السماء بسلّم	٥٩٧
(٥٢)	يا لبكر انشروا لي كليبا	يا لبكر أين أين الفرار	٥٨٤
(٥٣)	يَوْمَانِ يَومُ مقاماتٍ وأنديةٍ	ويومُ سَيرٍ إلَى الأعْدَاءِ تَأْوِيبِ	٢٨٧

٨ ـ فهرس المصادر والمراجع للبحث

م	المرجـــــــــــع
(١)	**القرآن الكريم**
(٢)	اتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر. اسم المؤلف: شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الغني الدمياطي، دار النشر : دار الكتب العلمية - لبنان - ١٤١٩هـ١٩٩٨م، الطبعة : الأولى، تحقيق : أنس مهرة
(٣)	اختلاف الحديث اسم المؤلف: محمد بن إدريس أبو عبدالله الشافعي، دار النشر : مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت - ١٤٠٥ - ١٩٨٥، الطبعة : الأولى، تحقيق : عامر أحمد حيدر
(٤)	اسعاف المبطأ برجال الموطأ اسم المؤلف: عبدالرحمن ابن أبي بكر أبو الفضل السيوطي، دار النشر : المكتبة التجارية الكبرى - مصر - ١٣٨٩ - ١٩٦٩
(٥)	الاستيعاب في معرفة الأصحاب اسم المؤلف: يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، دار النشر : دار الجيل - بيروت - ١٤١٢، الطبعة : الأولى، تحقيق : علي محمد البجاوي
(٦)	الاغتباط لمعرفة من رمي بالاختلاط اسم المؤلف: إبراهيم بن محمد بن خليل الطرابلسي، دار النشر : الوكالة العربية - الزرقاء، تحقيق : علي حسن علي عبد الحميد
(٧)	الآثار المرفوعة في الأخبار الموضوعة اسم المؤلف: محمد عبد الحي بن محمد عبد الحليم اللكنوي، دار النشر : مكتبة الشرق الجديد - بغداد - ١٩٨٩م، تحقيق : محمد السعيد بسيوني زغلول
(٨)	الآحاد والمثاني اسم المؤلف: أحمد بن عمرو بن الضحاك أبو بكر الشيباني، دار النشر : دار الراية - الرياض - ١٤١١ - ١٩٩١، الطبعة : الأولى، تحقيق : د. باسم فيصل أحمد الجوابرة

م	المرجـــــــــع
(٩)	الأحاديث القدسية اسم المؤلف: جمال محمد علي الشقيري، دار النشر : مكتبة دار الثقافة – عمان / الأردن – ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م، الطبعة : الثالثة، تحقيق : لا يوجد
(١٠)	الأحاديث المختارة اسم المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد بن أحمد الحنبلي المقدسي، دار النشر : مكتبة النهضة الحديثة – مكة المكرمة – ١٤١٠، الطبعة : الأولى، تحقيق : عبد الملك بن عبد الله بن دهيش
(١١)	الأحرف السبعة للقرآن اسم المؤلف: الداني أبو عمرو، دار النشر : مكتبة المنارة – مكة المكرمة – ١٤٠٨، الطبعة : الأولى، تحقيق : د. عبد المهيمن طحان
(١٢)	الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة المعروف بالموضوعات الكبرى اسم المؤلف: نور الدين علي بن محمد بن سلطان المشهور بالملا علي القاري، دار النشر : دار الأمانة / مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٣٩١ هـ – ١٩٧١م، تحقيق : محمد الصباغ
(١٣)	الأشباه والنظائر اسم المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار النشر : دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤٠٣، الطبعة : الأولى
(١٤)	الأصمعيات اختيار الأصمعي اسم المؤلف: أبي سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك، دار النشر : دار المعارف – مصر – ١٩٩٣م، الطبعة : السابعة، تحقيق : احمد محمد شاكر – عبد السلام محمد هارون
(١٥)	الأمثال في القرآن الكريم اسم المؤلف: أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، دار النشر : مكتبة الصحابة – طنطا – مصر – ١٤٠٦، الطبعة : الأولى، تحقيق : إبراهيم محمد
(١٦)	الإبانة عن أصول الديانة اسم المؤلف: علي بن إسماعيل بن أبي بشر الأشعري أبو الحسن، دار النشر : دار الأنصار – القاهرة – ١٣٩٧، الطبعة : الأولى، تحقيق : د. فوقية حسين محمود

م	المرجـــــــــع
(١٧)	الإتحافات السنية بالأحاديث القدسية اسم المؤلف: زين الدين عبد الرؤوف بن تاج العارفين ابن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي، دار النشر : مؤسسة الرسالة – لبنان – بيروت، تحقيق : محمد عفيف الزعبي
(١٨)	الإتقان في علوم القرآن اسم المؤلف: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، دار النشر : دار الفكر – لبنان – ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م، الطبعة : الأولى، تحقيق : سعيد المندوب
(١٩)	الإحاطة في أخبار غرناطة اسم المؤلف: أبو عبد الله بن سعد بن أحمد السلماني (لسان الدين ابن الخطيب)، دار النشر : دار الكتب العلمية – لبنان / بيروت – ٢٠٠٣هـ – ١٤٢٤هـ، الطبعة : الأولى، تحقيق : د. يوسف علي طويل
(٢٠)	الإصابة في تمييز الصحابة اسم المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار النشر : دار الجيل – بيروت – ١٤١٢ – ١٩٩٢، الطبعة : الأولى، تحقيق : علي محمد البجاوي
(٢١)	الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع اسم المؤلف: القاضي عياض بن موسى اليحصبي، دار النشر : دار التراث / المكتبة العتيقة – القاهرة / تونس – ١٣٧٩هـ – ١٩٧٠م، الطبعة : الأولى، تحقيق : السيد أحمد صقر
(٢٢)	الإيمان لابن منده اسم المؤلف: محمد بن إسحاق بن يحيى بن منده، دار النشر : مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤٠٦، الطبعة : الثانية، تحقيق : د. علي بن محمد بن ناصر الفقيهي
(٢٣)	البحر الزخار اسم المؤلف: أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار، دار النشر : مؤسسة علوم القرآن ، مكتبة العلوم والحكم – بيروت ، المدينة – ١٤٠٩، الطبعة : الأولى، تحقيق : د. محفوظ الرحمن زين الله
(٢٤)	البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير اسم المؤلف: سراج الدين أبي حفص عمر بن علي بن أحمد الأنصاري الشافعي المعروف بابن الملقن، دار النشر : دار الهجرة للنشر والتوزيع – الرياض–السعودية – ١٤٢٥هـ–٢٠٠٤م، الطبعة : الاولى، تحقيق : مصطفى أبو الغيط و عبدالله بن سليمان وياسر بن كمال

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة :: مع الفهارس) 5

م	المرجـــــــــع
(٢٥)	البرهان في علوم القرآن اسم المؤلف: محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبو عبد الله، دار النشر : دار المعرفة - بيروت - ١٣٩١، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم
(٢٦)	التاريخ الصغير (الأوسط) اسم المؤلف: محمد بن إبراهيم بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، دار النشر : دار الوعي ، مكتبة دار التراث - حلب ، القاهرة - ١٣٩٧ - ١٩٧٧، الطبعة : الأولى، تحقيق : محمود إبراهيم زايد
(٢٧)	التاريخ الكبير اسم المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم أبو عبدالله البخاري الجعفي، دار النشر : دار الفكر، تحقيق : السيد هاشم الندوي
(٢٨)	التاريخ الكبير اسم المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم أبو عبدالله البخاري الجعفي، دار النشر : دار الفكر، تحقيق : السيد هاشم الندوي
(٢٩)	التبيان في آداب حملة القرآن اسم المؤلف: أبو زكريا يحيى بن شرف الدين النووي، دار النشر : الوكالة العامة للتوزيع - دمشق - ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، الطبعة : الأولى
(٣٠)	التبيان في أقسام القرآن اسم المؤلف: أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، دار النشر : دار الفكر
(٣١)	التبيان في إعراب القرآن اسم المؤلف: أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري، دار النشر : عيسى البابي الحلبي وشركاه، تحقيق : علي محمد البجاوي
(٣٢)	التبيان في تفسير غريب القرآن اسم المؤلف: شهاب الدين أحمد بن محمد الهائم المصري، دار النشر : دار الصحابة للتراث بطنطا - مصر - ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م، الطبعة : الأولى، تحقيق : فتحي أنور الدابلوي
(٣٣)	التحرير والتنوير اسم المؤلف: محمد الطاهر بن عاشور، دار النشر : دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس - ١٩٩٧م
(٣٤)	التعديل والتجريح ، لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح اسم المؤلف: سليمان بن خلف بن سعد أبو الوليد الباجي، دار النشر : دار اللواء للنشر والتوزيع - الرياض - ١٤٠٦ - ١٩٨٦، الطبعة : الأولى، تحقيق : د. أبو لبابة حسين

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

م	المرجـــــــــع
(٣٥)	التعريفات اسم المؤلف: علي بن محمد بن علي الجرجاني، دار النشر : دار الكتاب العربي – بيروت – ١٤٠٥، الطبعة : الأولى، تحقيق : إبراهيم الأبياري
(٣٦)	التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب اسم المؤلف: فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، دار النشر : دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م، الطبعة : الأولى
(٣٧)	التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد اسم المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري، دار النشر : وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب – ١٣٨٧، تحقيق : مصطفى بن أحمد العلوي ، محمد عبد الكبير البكري
(٣٨)	التوقيف على مهمات التعاريف اسم المؤلف: محمد عبد الرؤوف المناوي، دار النشر : دار الفكر المعاصر ، دار الفكر – بيروت ، دمشق – ١٤١٠، الطبعة : الأولى، تحقيق : د. محمد رضوان الداية
(٣٩)	التيسير بشرح الجامع الصغير اسم المؤلف: الإمام الحافظ زين الدين عبد الرؤوف المناوي، دار النشر : مكتبة الإمام الشافعي – الرياض – ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م، الطبعة : الثالثة
(٤٠)	التيسير في القراءات السبع اسم المؤلف: الامام أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمرو الداني، دار النشر : دار الكتاب العربي – بيروت – ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، الطبعة : الثانية، تحقيق : اوتو تريزل
(٤١)	الثقات اسم المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، دار النشر : دار الفكر – ١٣٩٥ – ١٩٧٥، الطبعة : الأولى، تحقيق : السيد شرف الدين أحمد
(٤٢)	الجامع اسم المؤلف: معمر بن راشد الأزدي، دار النشر : المكتب الإسلامي – بيروت – ١٤٠٣، الطبعة : الثانية، تحقيق : حبيب الأعظمي (منشور كملحق بكتاب المصنف للصنعاني ج١٠)

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة .:. مع الفهارس) 5

م	المرجـــــــــع
(٤٣)	الجامع الصحيح المختصر اسم المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، دار النشر : دار ابن كثير ، اليمامة - بيروت - ١٤٠٧ - ١٩٨٧، الطبعة : الثالثة، تحقيق : د. مصطفى ديب البغا
(٤٤)	الجامع الصحيح سنن الترمذي اسم المؤلف: محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، دار النشر : دار إحياء التراث العربي - بيروت - -، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون
(٤٥)	الجامع الصحيح مسند الإمام الربيع بن حبيب اسم المؤلف: الربيع بن حبيب بن عمر الأزدي البصري، دار النشر : دار الحكمة ،مكتبة الاستقامة - بيروت ،سلطنة عمان - ١٤١٥، الطبعة : الأولى، تحقيق : محمد إدريس ، عاشور بن يوسف
(٤٦)	الجامع في الحديث اسم المؤلف: عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي أبو محمد المصري، دار النشر : دار ابن الجوزي - السعودية - ١٩٩٦م، الطبعة : الأولى، تحقيق : د . مصطفى حسن حسين أبو الخير
(٤٧)	الجامع لأحكام القرآن اسم المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار النشر : دار الشعب - القاهرة
(٤٨)	الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع اسم المؤلف: أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي أبو بكر، دار النشر : مكتبة المعارف - الرياض - ١٤٠٣، تحقيق : د. محمود الطحان
(٤٩)	الجرح والتعديل اسم المؤلف: عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس أبو محمد الرازي التميمي، دار النشر : دار إحياء التراث العربي - بيروت - ١٢٧١ - ١٩٥٢، الطبعة : الأولى
(٥٠)	الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم اسم المؤلف: محمد بن فتوح الحميدي، دار النشر : دار ابن حزم - لبنان/ بيروت - ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، الطبعة : الثانية، تحقيق : د. علي حسين البواب

م	المرجـــــــــع
(٥١)	الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (الداء والدواء) اسم المؤلف: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت
(٥٢)	الجواهر الحسان في تفسير القرآن اسم المؤلف: عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، دار النشر : مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت
(٥٣)	الحجة في القراءات السبع اسم المؤلف: الحسين بن أحمد بن خالويه أبو عبد الله، دار النشر : دار الشروق - بيروت - ١٤٠١، الطبعة : الرابعة، تحقيق : د. عبد العال سالم مكرم
(٥٤)	الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة اسم المؤلف: زكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري أبو يحيى، دار النشر : دار الفكر المعاصر - بيروت - ١٤١١، الطبعة : الأولى، تحقيق : د. مازن المبارك
(٥٥)	الدر المنثور اسم المؤلف: عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، دار النشر : دار الفكر - بيروت - ١٩٩٣
(٥٦)	الدراية في تخريج أحاديث الهداية اسم المؤلف: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني أبو الفضل، دار النشر : دار المعرفة - بيروت، تحقيق : السيد عبد الله هاشم اليماني المدني
(٥٧)	الدرة المضية في القراءات الثلاث اسم المؤلف: للإمام العلامة محمد بن محمد ابن الجزري، دار النشر :
(٥٨)	الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة اسم المؤلف: الحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد العسقلاني، دار النشر : مجلس دائرة المعارف العثمانية - صيدر اباد/ الهند - ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م، الطبعة : الثانية، تحقيق : مراقبة / محمد عبد المعيد ضان
(٥٩)	الديباج على مسلم اسم المؤلف: عبدالرحمن بن أبي بكر أبو الفضل السيوطي، دار النشر : دار ابن عفان - الخبر-السعودية - ١٤١٦ - ١٩٩٦، تحقيق : أبو إسحاق الحويني الأثري

م	المرجـــــــــع
(٦٠)	الرد على ابن القطان في كتابه بيان الوهم والإيهام اسم المؤلف: محمد بن أحمد بن عثمان بن قيماز المعروف بالذهبي، دار النشر : الفاروق الحديثة - القاهرة / مصر - ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م، الطبعة : الأولى، تحقيق : أبو عبد الأعلى خالد بن محمد بن عثمان المصري
(٦١)	الرسالة التبوكية زاد المهاجر إلى ربه اسم المؤلف: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، دار النشر : مكتبة المدني - جدة، تحقيق : د. محمد جميل غازي
(٦٢)	الرواة الثقات المتكلم فيهم بما لا يوجب ردهم اسم المؤلف: الإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، دار النشر : دار البشائر الإسلامية - بيروت - لبنان - ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، الطبعة : الأولى، تحقيق : محمد إبراهيم الموصلي
(٦٣)	الروض الداني (المعجم الصغير) اسم المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، دار النشر : المكتب الإسلامي ، دار عمار - بيروت ، عمان - ١٤٠٥ - ١٩٨٥، الطبعة : الأولى، تحقيق : محمد شكور محمود الحاج أمرير
(٦٤)	الروضة الندية اسم المؤلف: صديق حسن خان، دار النشر : دار ابن عفان - القاعرة - ١٩٩٩م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : علي حسين الحلبي
(٦٥)	السنن الكبرى اسم المؤلف: أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١١ - ١٩٩١، الطبعة : الأولى، تحقيق : د.عبد الغفار سليمان البنداري ، سيد كسروي حسن
(٦٦)	السنن المأثورة اسم المؤلف: محمد بن إدريس الشافعي أبو عبد الله، دار النشر : دار المعرفة - بيروت - ١٤٠٦، الطبعة : الأولى، تحقيق : د. عبد المعطي أمين قلعجي
(٦٧)	السيرة النبوية لابن هشام اسم المؤلف: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد، دار النشر : دار الجيل - بيروت - ١٤١١، الطبعة : الأولى، تحقيق : طه عبد الرءوف سعد

دكتوراة عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

م	المرجـــــــــع
(٦٨)	الضعفاء اسم المؤلف: أحمد بن عبد الله بن أحمد أبو نعيم الأصبهاني الصوفي، دار النشر : دار الثقافة - الدار البيضاء - ١٤٠٥ - ١٩٨٤، الطبعة : الأولى، تحقيق : فاروق حمادة
(٦٩)	الضعفاء الصغير اسم المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، دار النشر : دار الوعي - حلب - ١٣٩٦ -، الطبعة : الأولى، تحقيق : محمود إبراهيم زايد
(٧٠)	الضعفاء الكبير اسم المؤلف: أبو جعفر محمد بن عمر بن موسى العقيلي، دار النشر : دار المكتبة العلمية - بيروت - ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، الطبعة : الأولى، تحقيق : عبد المعطي أمين قلعجي
(٧١)	الضعفاء والمتروكين اسم المؤلف: عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي أبو الفرج، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٠٦، الطبعة : الأولى، تحقيق : عبد الله القاضي
(٧٢)	الضعفاء وأجوبة الرازي على سؤالات البرذعي اسم المؤلف: عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد الرازي أبو زرعة، دار النشر : دار الوفاء - المنصورة - ١٤٠٩، الطبعة : الثانية، تحقيق : د. سعدي الهاشمي
(٧٣)	الطبقات اسم المؤلف: أحمد بن شعيب أبو عبدالرحمن النسائي، دار النشر : مكتبة المنار - الأردن-الزرقاء - ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م، الطبعة : الأولى، تحقيق : مشهور حسن-عبدالكريم الوريكات
(٧٤)	الطبقات اسم المؤلف: خليفة بن خياط أبو عمر الليثي العصفري، دار النشر : دار طيبة - الرياض - ١٤٠٢ - ١٩٨٢، الطبعة : الثانية، تحقيق : د. أكرم ضياء العمري
(٧٥)	الطبقات الكبرى اسم المؤلف: محمد بن سعد بن منيع أبو عبدالله البصري الزهري، دار النشر : دار صادر - بيروت - -
(٧٦)	العجاب في بيان الأسباب اسم المؤلف: شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي، دار النشر : دار ابن الجوزي - السعودية - ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م، الطبعة : الأولى، تحقيق : عبد الحكيم محمد الأنيس

دكتوراة عبدالعلي الغمري (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

م	المرجـــــــــع
(٧٧)	العرف الشذي شرح سنن الترمذي اسم المؤلف: محمد أنورشان ابن معظم شان الكشميري، دار النشر : دار احياء التراث العربي - بيروت/لبنان - ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م، الطبعة : الأولى، تحقيق : الشيخ محمود شاكر
(٧٨)	العظمة اسم المؤلف: عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأصبهاني أبو محمد، دار النشر : دار العاصمة - الرياض - ١٤٠٨، الطبعة : الأولى، تحقيق : رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري
(٧٩)	العقيدة الواسطية اسم المؤلف: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، دار النشر : الرئاسة العامة لإدارات البحوث والإفتاء - الرياض - ١٤١٢هـ، الطبعة : الثانية، تحقيق : محمد بن عبد العزيز بم مانع
(٨٠)	العلل الصغير اسم المؤلف: الترمذي، دار النشر : دار إحياء التراث العربي - بيروت، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون
(٨١)	العلل المتناهية في الأحاديث الواهية اسم المؤلف: عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٠٣، الطبعة : الأولى، تحقيق : خليل الميس
(٨٢)	العلل الواردة في الأحاديث النبوية اسم المؤلف: علي بن عمر بن أحمد بن مهدي أبو الحسن الدارقطني البغدادي، دار النشر : دار طيبة - الرياض - ١٤٠٥ - ١٩٨٥، الطبعة : الأولى، تحقيق : د. محفوظ الرحمن زين الله السلفي
(٨٣)	العلل ومعرفة الرجال اسم المؤلف: أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني، دار النشر : المكتب الإسلامي ، دار الخاني - بيروت ، الرياض - ١٤٠٨ - ١٩٨٨، الطبعة : الأولى، تحقيق : وصي الله بن محمد عباس
(٨٤)	الفتاوى الكبرى لشيخ الإسلام ابن تيمية اسم المؤلف: شيخ الإسلام أبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ، دار النشر : دار المعرفة - بيروت، تحقيق : قدم له حسنين محمد مخلوف

م	المرجـــــــــع
(٨٥)	الفتح السماوي اسم المؤلف: المناوي، دار النشر : دار العاصمة - الرياض، تحقيق : أحمد مجتبى
(٨٦)	الفردوس بمأثور الخطاب اسم المؤلف: أبو شجاع شيرويه بن شهردار بن شيرويه الديلمي الهمذاني الملقب إلكيا، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م، الطبعة : الأولى، تحقيق : السعيد بن بسيوني زغلول
(٨٧)	الفصل للوصل المدرج في النقل اسم المؤلف: أحمد بن علي بن ثابت البغدادي أبو بكر، دار النشر : دار الهجرة - الرياض - ١٤١٨، الطبعة : الأولى، تحقيق : محمد مطر الزهراني
(٨٨)	الفهرست اسم المؤلف: محمد بن إسحاق أبو الفرج النديم، دار النشر : دار المعرفة - بيروت - ١٣٩٨ - ١٩٧٨
(٨٩)	الفوائد اسم المؤلف: أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت - ١٣٩٣ - ١٩٧٣، الطبعة : الثانية
(٩٠)	الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة اسم المؤلف: محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار النشر : المكتب الإسلامي - بيروت - ١٤٠٧هـ، الطبعة : الثالثة، تحقيق : عبد الرحمن يحيى المعلمي
(٩١)	القرآن الكريم .
(٩٢)	القواعد الحسان لتفسير القرآن اسم المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، دار النشر : دار البصيرة - الاسكندرية / مصر - لا يوجد ، الطبعة : لا يوجد، تحقيق : لا يوجد
(٩٣)	القول المسدد في الذب عن المسند للإمام أحمد اسم المؤلف: أحمد بن علي العسقلاني أبو الفضل، دار النشر : مكتبة ابن تيمية - القاهرة - ١٤٠١، الطبعة : الأولى، تحقيق : مكتبة ابن تيمية

دكتوراه عبدالعلي المدني (كامل الرسالة :: مع الفهارس) 5

م	المرجـــــــــع
(٩٤)	الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة اسم المؤلف: حمد بن أحمد أبو عبدالله الذهبي الدمشقي، دار النشر : دار القبلة للثقافة الإسلامية ، مؤسسة علو - جدة - ١٤١٣ - ١٩٩٢، الطبعة : الأولى، تحقيق : محمد عوامة
(٩٥)	الكامل في ضعفاء الرجال اسم المؤلف: عبدالله بن عدي بن عبدالله بن محمد أبو أحمد الجرجاني، دار النشر : دار الفكر - بيروت - ١٤٠٩ - ١٩٨٨، الطبعة : الثالثة، تحقيق : يحيى مختار غزاوي
(٩٦)	الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار اسم المؤلف: أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، دار النشر : مكتبة الرشد - الرياض - ١٤٠٩، الطبعة : الأولى، تحقيق : كمال يوسف الحوت
(٩٧)	الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل اسم المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، دار النشر : دار إحياء التراث العربي - بيروت، تحقيق : عبد الرزاق المهدي
(٩٨)	الكشف الحثيث عمن رمي بوضع الحديث اسم المؤلف: إبراهيم بن محمد بن سبط ابن العجمي أبو الوفا الحلبي الطرابلسي، دار النشر : عالم الكتب ، مكتبة النهضة العربية - بيروت - ١٤٠٧ - ١٩٨٧، الطبعة : الأولى، تحقيق : صبحي السامرائي
(٩٩)	الكشف والبيان (تفسير الثعلبي) اسم المؤلف: أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري، دار النشر : دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان - ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م، الطبعة : الأولى، تحقيق : الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق الأستاذ نظير الساعدي
(١٠٠)	الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية اسم المؤلف: أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفومي، دار النشر : مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م. ، تحقيق : عدنان درويش - محمد المصري

م	المرجـــــــــع
(١٠١)	الكنى والأسماء اسم المؤلف: مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري أبو الحسين، دار النشر : الجامعة الإسلامية – المدينة المنورة – ١٤٠٤، الطبعة : الأولى، تحقيق : عبد الرحيم محمد أحمد القشقري
(١٠٢)	الكواكب النيرات اسم المؤلف: محمد بن أحمد بن يوسف أبو البركات الذهبي الشافعي، دار النشر : دار العلم – الكويت – –، تحقيق : حمدي عبد المجيد السلفي
(١٠٣)	اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان اسم المؤلف: محمد فؤاد عبد الباقي، دار النشر : المطبعة العصرية – الكويت – ١٣٩٧هـ– ١٩٨٧م، تحقيق : عبد الستار أبو غدة
(١٠٤)	اللآلئ المنثورة في الأحاديث المشهورة المعروف بـ (التذكرة في الأحاديث المشتهرة) اسم المؤلف: بدر الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله الزركشي، دار النشر : دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦م، الطبعة : الأولى، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا
(١٠٥)	اللآلىء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة اسم المؤلف: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار النشر : دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦م، الطبعة : الأولى، تحقيق : أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة
(١٠٦)	اللباب في علوم الكتاب اسم المؤلف: أبو حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي، دار النشر : دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان – ١٤١٩ هـ –١٩٩٨م، الطبعة : الأولى، تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض
(١٠٧)	المتواري علي تراجم أبواب البخاري اسم المؤلف: ناصر الدين أحمد بن محمد المعروف بابن المنير الاسكندري، دار النشر : مكتبة المعلا – الكويت – ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م، تحقيق : صلاح الدين مقبول أحمد

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) 5

م	المرجـــــــــع
(١٠٨)	المجتبى من السنن اسم المؤلف: أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، دار النشر : مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب - ١٤٠٦ - ١٩٨٦، الطبعة : الثانية، تحقيق : عبدالفتاح أبو غدة
(١٠٩)	المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين اسم المؤلف: الإمام محمد بن حيان بن أحمد بن أبي حاتم التميمي البستي، دار النشر : دار الوعي - حلب - ١٣٩٦هـ، الطبعة : الأولى، تحقيق : محمود إبراهيم زايد
(١١٠)	المحدث الفاصل بين الراوي والواعي اسم المؤلف: الحسن بن عبد الرحمن الرامهرمزي، دار النشر : دار الفكر - بيروت - ١٤٠٤، الطبعة : الثالثة، تحقيق : د. محمد عجاج الخطيب
(١١١)	المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز اسم المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، دار النشر : دار الكتب العلمية - لبنان - ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م، الطبعة : الاولى، تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد
(١١٢)	المحيط في اللغة اسم المؤلف: الصاحب الكافي الكفاة أب القاسم إسماعيل ابن عباد بن العباس بن أحمد بن إدريس الطالقاني، دار النشر : عالم الكتب - بيروت / لبنان - ١٤١٤هـ-١٩٩٤م، الطبعة : الأولى، تحقيق : الشيخ محمد حسن آل ياسين
(١١٣)	المخصص ٥ مجلدات اسم المؤلف: أبي الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي، دار النشر : دار إحياء التراث العربي - بيروت - ١٤١٧هـ ١٩٩٦م، الطبعة : الأولى، تحقيق : خليل إبراهم جفال
(١١٤)	المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل اسم المؤلف: عبد القادر بن بدران الدمشقي، دار النشر : مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤٠١، الطبعة : الثانية، تحقيق : د. عبد الله بن عبد المحسن التركي
(١١٥)	المراسيل اسم المؤلف: سليمان بن الأشعث السجستاني أبو داود، دار النشر : مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤٠٨، الطبعة : الأولى، تحقيق : شعيب الأرناؤوط

دكتوراه عبدالعلي المدني (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

م	المرجـــــــــع
(١١٦)	المستخرج على المستدرك للحاكم اسم المؤلف: أبي الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي، دار النشر :
(١١٧)	المستدرك على الصحيحين اسم المؤلف: محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١١هـ - ١٩٩٠م، الطبعة : الأولى، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا
(١١٨)	المسند اسم المؤلف: عبدالله بن الزبير أبو بكر الحميدي، دار النشر : دار الكتب العلمية ، مكتبة المتنبي - بيروت ، القاهرة، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي
(١١٩)	المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم اسم المؤلف: أبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران المهراني الأصبهاني ، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، الطبعة : الأولى، تحقيق : محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي
(١٢٠)	المصفى بأكف أهل الرسوخ من علم الناسخ والمنسوخ اسم المؤلف: عبد الرحمن بن الجوزي أبو الفرج، دار النشر : مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٥، الطبعة : الأولى، تحقيق : د. صالح الضامن
(١٢١)	المصنف اسم المؤلف: أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، دار النشر : المكتب الإسلامي - بيروت - ١٤٠٣، الطبعة : الثانية، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي
(١٢٢)	المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية اسم المؤلف: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار النشر : دار العاصمة/ دار الغيث - السعودية - ١٤١٩هـ، الطبعة : الأولى، تحقيق : د. سعد بن ناصر بن عبد العزيز الشتري
(١٢٣)	المعجم الأوسط اسم المؤلف: أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، دار النشر : دار الحرمين - القاهرة - ١٤١٥، تحقيق : طارق بن عوض الله بن محمد ،عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

م	المرجـــــــــع
(١٢٤)	المعجم الكبير اسم المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، دار النشر : مكتبة الزهراء - الموصل - ١٤٠٤ - ١٩٨٣، الطبعة : الثانية، تحقيق : حمدي بن عبدالمجيد السلفي
(١٢٥)	المعجم الوسيط (١+٢) اسم المؤلف: إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار، دار النشر : دار الدعوة، تحقيق : مجمع اللغة العربية
(١٢٦)	المغني عن حمل الأسفار اسم المؤلف: أبو الفضل العراقي، دار النشر : مكتبة طبرية - الرياض - ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، الطبعة : الأولى، تحقيق : أشرف عبد المقصود
(١٢٧)	المغني في الضعفاء اسم المؤلف: الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، دار النشر : ، تحقيق : الدكتور نور الدين عتر
(١٢٨)	المفردات في غريب القرآن اسم المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد ، دار النشر : دار المعرفة - لبنان، تحقيق : محمد سيد كيلاني
(١٢٩)	المفضليات اسم المؤلف: المفضل بن محمد بن يعلى الضبي، دار النشر : - بيروت، تحقيق : أحمد محمد شاكر و عبد السلام محمد هارون
(١٣٠)	المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة اسم المؤلف: أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي، دار النشر : دار الكتاب العربي - بيروت - ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م، الطبعة : الأولى، تحقيق : محمد عثمان الخشت
(١٣١)	المقتنى في سرد الكنى اسم المؤلف: محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز بن عبد الله التركماني أبو عبد الله شمس الدين الذهبي، دار النشر : الجامعة الإسلامية بالمدينة - المدينة المنورة - السعودية - ١٤٠٨هـ، الطبعة : الأولى، تحقيق : محمد صالح عبد العزيز المراد
(١٣٢)	المنار المنيف في الصحيح والضعيف اسم المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الحنبلي الدمشقي، دار النشر : مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب - ١٤٠٣ هـ، الطبعة : الثانية، تحقيق : عبد الفتاح أبو غدة

م	المرجـــــــــع
(١٣٣)	المنة الكبرى شرح وتخريج السنن الصغرى اسم المؤلف: محمد ضياء الرحمن الأعظمي، دار النشر : مكتبة الرشد - السعودية/ الرياض - ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، الطبعة : الأولى
(١٣٤)	المنتخب من مسند عبد بن حميد اسم المؤلف: عبد بن حميد بن نصر أبو محمد الكسي، دار النشر : مكتبة السنة - القاهرة - ١٤٠٨ - ١٩٨٨، الطبعة : الأولى، تحقيق : صبحي البدري السامرائي ، محمود محمد خليل الصعيدي
(١٣٥)	المنتقى من السنن المسندة اسم المؤلف: عبد الله بن علي بن الجارود أبو محمد النيسابوري، دار النشر : مؤسسة الكتاب الثقافية - بيروت - ١٤٠٨ - ١٩٨٨، الطبعة : الأولى، تحقيق : عبدالله عمر البارودي
(١٣٦)	المنفردات والوحدان اسم المؤلف: مسلم بن الحجاج بن مسلم أبو الحسين النيسابوري، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٠٨ - ١٩٨٨، الطبعة : الأولى، تحقيق : د. عبدالغفار سليمان البنداري
(١٣٧)	المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب اسم المؤلف: أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر السيوطي، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، الطبعة : الأولى، تحقيق : سمير حسين حلبي
(١٣٨)	الناسخ والمنسوخ اسم المؤلف: أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي النحاس أبو جعفر، دار النشر : مكتبة الفلاح - الكويت - ١٤٠٨، الطبعة : الأولى، تحقيق : د. محمد عبد السلام محمد
(١٣٩)	الناسخ والمنسوخ اسم المؤلف: هبة الله بن سلامة بن نصر المقري، دار النشر : المكتب الإسلامي - بيروت - ١٤٠٤، الطبعة : الأولى، تحقيق : زهير الشاويش ، محمد كنعان
(١٤٠)	الناسخ والنسوخ اسم المؤلف: قتادة بن دعامة بن قتادة السدوسي أبو الخطاب، دار النشر : مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤٠٤، الطبعة : الأولى، تحقيق : د. حاتم صالح الضامن

م	المرجـــــــــع
(١٤١)	النكت الظراف على الأطراف اسم المؤلف: شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد العسقلاني، دار النشر : المكتب الإسلامي - بيروت / لبنان - ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م، الطبعة : الثانية، تحقيق : عبد الصمد شرف الدين، زهير الشاويش
(١٤٢)	النكت على مقدمة ابن الصلاح اسم المؤلف: بدر الدين أبي عبد الله محمد بن جمال الدين عبد الله بن بهادر، دار النشر : أضواء السلف - الرياض - ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، الطبعة : الأولى، تحقيق : د. زين العابدين بن محمد بلا فريج
(١٤٣)	النكت والعيون (تفسير الماوردي) اسم المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - لا يوجد، الطبعة : لا يوجد، تحقيق : السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم
(١٤٤)	الوابل الصيب من الكلم الطيب اسم المؤلف: أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، دار النشر : دار الكتاب العربي - بيروت - ١٤٠٥ - ١٩٨٥، الطبعة : الأولى، تحقيق : محمد عبد الرحمن عوض
(١٤٥)	الوافي بالوفيات اسم المؤلف: صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، دار النشر : دار إحياء التراث - بيروت - ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م، تحقيق : أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى
(١٤٦)	الوجيز في تفسير الكتاب العزيز اسم المؤلف: علي بن أحمد الواحدي أبو الحسن، دار النشر : دار القلم ، الدار الشامية - دمشق ، بيروت - ١٤١٥، الطبعة : الأولى، تحقيق : صفوان عدنان داوودي
(١٤٧)	اليواقيت والدرر في شرح نخبة ابن حجر اسم المؤلف: عبد الرؤوف المناوي، دار النشر : مكتبة الرشد - الرياض - ١٩٩٩م، الطبعة : الأولى، تحقيق : المرتضي الزين أحمد
(١٤٨)	أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم اسم المؤلف: صديق بن حسن القنوجي، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت - ١٩٧٨، تحقيق : عبد الجبار زكار

م	المرجـــــــــع
(١٤٩)	أحكام القرآن اسم المؤلف: أبو بكر محمد بن عبد الله ابن العربي، دار النشر : دار الفكر للطباعة والنشر – لبنان، تحقيق : محمد عبد القادر عطا
(١٥٠)	أحكام القرآن اسم المؤلف: أحمد بن علي الرازي الجصاص أبو بكر، دار النشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت – ١٤٠٥، تحقيق : محمد الصادق قمحاوي
(١٥١)	أحكام القرآن اسم المؤلف: محمد بن إدريس الشافعي أبو عبد الله، دار النشر : دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤٠٠، تحقيق : عبد الغني عبد الخالق
(١٥٢)	أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه اسم المؤلف: محمد بن إسحاق بن العباس الفاكهي أبو عبد الله، دار النشر : دار خضر – بيروت – ١٤١٤، الطبعة : الثانية، تحقيق : د. عبد الملك عبد الله دهيش
(١٥٣)	أخبار مكة وما جاء فيها من الأثار اسم المؤلف: أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقي، دار النشر : دار الأندلس للنشر – بيروت – ١٩٩٦م– ١٤١٦هـ، تحقيق : رشدي الصالح ملحس
(١٥٤)	أساس البلاغة اسم المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري، دار النشر : دار الفكر – ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م
(١٥٥)	أسد الغابة في معرفة الصحابة اسم المؤلف: عز الدين بن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجزري، دار النشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت / لبنان – ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦ م، الطبعة : الأولى، تحقيق : عادل أحمد الرفاعي
(١٥٦)	أسرار التكرار في القرآن اسم المؤلف: محمود بن حمزة بن نصر الكرماني، دار النشر : دار الاعتصام – القاهرة – ١٣٩٦، الطبعة : الثانية، تحقيق : عبد القادر احمد عطا
(١٥٧)	أسرار ترتيب القرآن اسم المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي أبو الفضل، دار النشر : دار الاعتصام – القاهرة، تحقيق : عبد القادر أحمد عطا

م	المرجـــــــــع
(١٥٨)	أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن اسم المؤلف: محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي. ، دار النشر : دار الفكر للطباعة والنشر. - بيروت. - ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م. ، تحقيق : مكتب البحوث والدراسات.
(١٥٩)	أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء اسم المؤلف: قاسم بن عبد الله بن أمير علي القونوي، دار النشر : دار الوفاء - جدة - ١٤٠٦، الطبعة : الأولى، تحقيق : د. أحمد بن عبد الرزاق الكبيسي
(١٦٠)	إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع اسم المؤلف: عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم، دار النشر : شركة مكتبة مصطفى البابي الحلبي - مصر، تحقيق : إبراهيم عطوة عوض
(١٦١)	إثبات صفة العلو اسم المؤلف: عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي أبو محمد، دار النشر : الدار السلفية - الكويت - ١٤٠٦، الطبعة : الأولى، تحقيق : بدر عبد الله البدر
(١٦٢)	إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم اسم المؤلف: أبي السعود محمد بن محمد العمادي، دار النشر : دار إحياء التراث العربي - بيروت
(١٦٣)	إعجاز القرآن اسم المؤلف: أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، دار النشر : دار المعارف - مصر - ١٩٩٧م، الطبعة : الخامسة، تحقيق : السيد أحمد صقر
(١٦٤)	إعراب القرآن اسم المؤلف: أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، دار النشر : عالم الكتب - بيروت - ١٤٠٩هـ- ١٩٨٨م، الطبعة : الثالثة، تحقيق : د.زهير غازي زاهد
(١٦٥)	إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان اسم المؤلف: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، دار النشر : دار المعرفة - بيروت - ١٣٩٥ - ١٩٧٥، الطبعة : الثانية، تحقيق : محمد حامد الفقي

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

م	المرجـــــــــع
(١٦٦)	إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات اسم المؤلف: أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري، دار النشر : المكتبة العلمية- لاهور - باكستان، تحقيق : إبراهيم عطوه عوض
(١٦٧)	إنباء الغُمر بأبناء العمر في التاريخ اسم المؤلف: شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤٠٦هـ -١٩٨٦م، الطبعة : الثانية، تحقيق : د.محمد عبد المعيد خان
(١٦٨)	بدائع الفوائد اسم المؤلف: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، دار النشر : مكتبة نزار مصطفى الباز - مكة المكرمة - ١٤١٦ - ١٩٩٦، الطبعة : الأولى، تحقيق : هشام عبد العزيز عطا - عادل عبد الحميد العدوي - أشرف أحمد الج
(١٦٩)	بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث اسم المؤلف: الحارث بن أبي أسامة / الحافظ نور الدين الهيثمي، دار النشر : مركز خدمة السنة والسيرة النبوية - المدينة المنورة - ١٤١٣ - ١٩٩٢، الطبعة : الأولى، تحقيق : د. حسين أحمد صالح الباكري
(١٧٠)	بيان الوهم والإيهام في كتاب الأحكام اسم المؤلف: للحافظ ابن القطان الفاسي أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الملك، دار النشر : دار طيبة - الرياض - ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م، الطبعة : الأولى، تحقيق : د. الحسين آيت سعيد
(١٧١)	تاج العروس من جواهر القاموس اسم المؤلف: محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، دار النشر : دار الهداية، تحقيق : مجموعة من المحققين
(١٧٢)	تاريخ ابن معين (رواية الدوري) اسم المؤلف: يحيى بن معين أبو زكريا، دار النشر : مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي - مكة المكرمة - ١٣٩٩ - ١٩٧٩، الطبعة : الأولى، تحقيق : د. أحمد محمد نور سيف
(١٧٣)	تاريخ ابن معين (رواية عثمان الدارمي) اسم المؤلف: يحيى بن معين أبو زكريا، دار النشر : دار المأمون للتراث - دمشق - ١٤٠٠ -، تحقيق : د. أحمد محمد نور سيف

م	المرجـــــــــع
(١٧٤)	تاريخ أصبهان اسم المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن مهران المهراني الأصبهاني، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٠ هـ-١٩٩٠م، الطبعة : الأولى، تحقيق : سيد كسروي حسن
(١٧٥)	تاريخ بغداد اسم المؤلف: أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت - -
(١٧٦)	تاريخ جرجان اسم المؤلف: حمزة بن يوسف أبو القاسم الجرجاني، دار النشر : عالم الكتب - بيروت - ١٤٠١ - ١٩٨١، الطبعة : الثالثة، تحقيق : د. محمد عبد المعيد خان
(١٧٧)	تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل اسم المؤلف: أبي القاسم علي بن الحسن إبن هبة الله بن عبد الله الشافعي، دار النشر : دار الفكر - بيروت - ١٩٩٥، تحقيق : محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري
(١٧٨)	تاريخ واسط اسم المؤلف: أسلم بن سهل الرزاز الواسطي، دار النشر : عالم الكتب - بيروت - ١٤٠٦، الطبعة : الأولى، تحقيق : كوركيس عواد
(١٧٩)	تأويل مختلف الحديث اسم المؤلف: عبدالله بن مسلم بن قتيبة أبو محمد الدينوري، دار النشر : دار الجيل - بيروت - ١٣٩٣ - ١٩٧٢، تحقيق : محمد زهري النجار
(١٨٠)	تحذير الخواص من أكاذيب القصاص اسم المؤلف: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار النشر : المكتب الإسلامي - بيروت - ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤م، الطبعة : الثانية، تحقيق : محمد الصباغ
(١٨١)	تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي اسم المؤلف: محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري أبو العلا، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت
(١٨٢)	تحفة التحصيل في ذكر رواة المراسيل اسم المؤلف: ولي الدين أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين أبي زرعة العراقي، دار النشر : مكتبة الرشد - الرياض - ١٩٩٩م، تحقيق : عبد الله نوارة

م	المرجـــــــــع
(١٨٣)	تحفة الطالب بمعرفة أحاديث مختصر ابن الحاجب اسم المؤلف: إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء، دار النشر : دار حراء - مكة المكرمة - ١٤٠٦، الطبعة : الأولى، تحقيق : عبد الغني بن حميد بن محمود الكبيسي
(١٨٤)	تحفة المحتاج إلى أدلة المنهاج اسم المؤلف: عمر بن علي بن أحمد الوادياشي الأندلسي، دار النشر : دار حراء - مكة المكرمة - ١٤٠٦، الطبعة : الأولى، تحقيق : عبد الله بن سعاف اللحياني
(١٨٥)	تخريج الأحاديث الضعاف من سنن الدارقطني اسم المؤلف: عبد الله بن يحيى بن أبي بكر الغساني، دار النشر : دار عالم الكتب - الرياض - ١٤١١ هـ، الطبعة : الأولى، تحقيق : أشرف عبد المقصود عبد الرحيم
(١٨٦)	تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري اسم المؤلف: جمال الدين عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي، دار النشر : دار ابن خزيمة - الرياض - ١٤١٤هـ، الطبعة : الأولى، تحقيق : عبد الله بن عبد الرحمن السعد
(١٨٧)	تذكرة الحفاظ اسم المؤلف: أبو عبد الله شمس الدين محمد الذهبي، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة : الأولى
(١٨٨)	تذكرة المحتاج إلى أحاديث المنهاج اسم المؤلف: ابن الملقن، دار النشر : المكتب الإسلامي - بيروت - ١٩٩٤، الطبعة : الأولى ، تحقيق : حمدي عبد المجيد السلفي
(١٨٩)	تسمية من أخرجهم البخاري ومسلم وما انفرد كل واحد منهما اسم المؤلف: محمد بن عبد الله بن حمدويه النيسابوري الحاكم أبو عبد الله، دار النشر : مؤسسة الكتب الثقافية ، دار الجنان - بيروت - ١٤٠٧، الطبعة : الأولى، تحقيق : كمال يوسف الحوت
(١٩٠)	تصحيفات المحدثين اسم المؤلف: الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري أبو أحمد، دار النشر : المطبعة العربية الحديثة - القاهرة - ١٤٠٢، الطبعة : الأولى، تحقيق : محمود أحمد ميرة

م	المرجـــــــــع
(١٩١)	تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة اسم المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار النشر : دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة : الأولى، تحقيق : د. إكرام الله إمداد الحق
(١٩٢)	تغليق التعليق على صحيح البخاري اسم المؤلف: أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، دار النشر : المكتب الإسلامي ،دار عمار - بيروت ، عمان - الأردن - ١٤٠٥، الطبعة : الأولى، تحقيق : سعيد عبد الرحمن موسى القزقي
(١٩٣)	تفسير الإمام ابن عرفة اسم المؤلف: أبو عبد الله محمد بن محمد بن عرفة الورغمي، دار النشر : مركز البحوث بالكلية الزيتونية - تونس - ١٩٨٦ م، الطبعة : الأولى، تحقيق : د. حسن المناعي
(١٩٤)	تفسير البحر المحيط اسم المؤلف: محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، دار النشر : دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت - ١٤٢٢هـ -٢٠٠١م، الطبعة : الأولى، تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود - الشيخ علي محمد معوض، شارك في التحقيق ١) د.زكريا عبد المجيد النوقي ٢) د.أحمد النجولي الجمل
(١٩٥)	تفسير البغوي اسم المؤلف: البغوي، دار النشر : دار المعرفة - بيروت، تحقيق : خالد عبد الرحمن العك
(١٩٦)	تفسير البيضاوي اسم المؤلف: البيضاوي، دار النشر : دار الفكر - بيروت
(١٩٧)	تفسير الجلالين اسم المؤلف: محمد بن أحمد + عبدالرحمن بن أبي بكر المحلي + السيوطي، دار النشر : دار الحديث - القاهرة، الطبعة : الأولى
(١٩٨)	تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل اسم المؤلف: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن، دار النشر : دار الفكر - بيروت / لبنان - ١٣٩٩هـ /١٩٧٩م، الطبعة : بدون، تحقيق : بدون

دكتوراه عبدالعلي المدني (كامل الرسالة :: مع الفهارس) 5

م	المرجـــــــــع
(١٩٩)	تفسير السلمي وهو حقائق التفسير اسم المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن موسى الأزدي السلمي، دار النشر : دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت - ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م، الطبعة : الأولى، تحقيق : سيد عمران
(٢٠٠)	تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم اسم المؤلف: نصر بن محمد بن أحمد أبو الليث السمرقندي، دار النشر : دار الفكر - بيروت، تحقيق : د.محمود مطرجي
(٢٠١)	تفسير القرآن / اختصار النكت للماوردي اسم المؤلف: الامام عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي الدمشقي الشافعي، دار النشر : دار ابن حزم - بيروت - ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، الطبعة : الأولى، تحقيق : الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي
(٢٠٢)	تفسير القرآن اسم المؤلف: أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني، دار النشر : دار الوطن - الرياض - السعودية - ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م، الطبعة : الأولى، تحقيق : ياسر بن إبراهيم و غنيم بن عباس بن غنيم
(٢٠٣)	تفسير القرآن اسم المؤلف: عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي، دار النشر : المكتبة العصرية - صيدا، تحقيق : أسعد محمد الطيب
(٢٠٤)	تفسير القرآن اسم المؤلف: عبد الرزاق بن همام الصنعاني، دار النشر : مكتبة الرشد - الرياض - ١٤١٠، الطبعة : الأولى، تحقيق : د. مصطفى مسلم محمد
(٢٠٥)	تفسير القرآن العزيز اسم المؤلف: أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زمنين، دار النشر : الفاروق الحديثة - مصر/ القاهرة - ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، الطبعة : الأولى، تحقيق : أبو عبد الله حسين بن عكاشة - محمد بن مصطفى الكنز
(٢٠٦)	تفسير القرآن العظيم اسم المؤلف: إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء، دار النشر : دار الفكر - بيروت - ١٤٠١

م	المرجـــــــــع
(٢٠٧)	تفسير القشيري المسمى لطائف الإشارات اسم المؤلف: أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري النيسابوري الشافعي، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت /لبنان - ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م، الطبعة : الأولى، تحقيق : عبد اللطيف حسن عبد الرحمن
(٢٠٨)	تفسير النسفي اسم المؤلف: النسفي، ٤ مجلدات .
(٢٠٩)	تفسير آيات من القرآن الكريم اسم المؤلف: محمد بن عبد الوهاب، دار النشر : مطابع الرياض - الرياض، الطبعة : الأولى، تحقيق : راجع أصوله وصححه ووضع هوامشه وأعده للطبع الدكتور محمد بلتاجي
(٢١٠)	تفسير سفيان الثوري اسم المؤلف: سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري أبو عبد الله، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٠٣، الطبعة : الأولى
(٢١١)	تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان اسم المؤلف: نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، الطبعة : الأولى، تحقيق : الشيخ زكريا عميران
(٢١٢)	تفسير مجاهد اسم المؤلف: مجاهد بن جبر المخزومي التابعي أبو الحجاج، دار النشر : المنشورات العلمية - بيروت، تحقيق : عبدالرحمن الطاهر محمد السورتي
(٢١٣)	تفسير مقاتل بن سليمان اسم المؤلف: أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي، دار النشر : دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت - ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، الطبعة : الأولى، تحقيق : أحمد فريد
(٢١٤)	تفصيل آيات القرآن الحكيم اسم المؤلف: جول لابوم، دار النشر : دار الفكر - بيروت / لبنان - لا يوجد، الطبعة : لا يوجد، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي
(٢١٥)	تقريب الأسانيد وترتيب المسانيد اسم المؤلف: زين الدين أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، الطبعة : الأولى ، تحقيق : عبد القادر محمد علي

م	المرجـــــــــع
(٢١٦)	تقريب التهذيب اسم المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار النشر : دار الرشيد - سوريا - ١٤٠٦ - ١٩٨٦، الطبعة : الأولى، تحقيق : محمد عوامة
(٢١٧)	تلخيص الحبير في أحاديث الرافعي الكبير اسم المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، دار النشر : - المدينة المنورة - ١٣٨٤ - ١٩٦٤، تحقيق : السيد عبدالله هاشم اليماني المدني
(٢١٨)	تنزيل القرآن اسم المؤلف: ابن شهاب الزهري، دار النشر : دار الكتاب الجديد - بيروت - ١٩٨٠، الطبعة : الثانية، تحقيق : د. صلاح الدين المنجد
(٢١٩)	تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة اسم المؤلف: علي بن محمد بن علي بن عراق الكناني أبو الحسن، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت - ١٣٩٩ هـ، الطبعة : الأولى، تحقيق : عبد الوهاب عبد اللطيف ، عبد الله محمد الصديق الغماري
(٢٢٠)	تنوير الحوالك شرح موطأ مالك اسم المؤلف: عبدالرحمن بن أبي بكر أبو الفضل السيوطي، دار النشر : المكتبة التجارية الكبرى - مصر - ١٣٨٩ - ١٩٦٩
(٢٢١)	تنوير المقباس من تفسير ابن عباس اسم المؤلف: الفيروز آبادي، دار النشر : دار الكتب العلمية - لبنان
(٢٢٢)	تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله من الأخبار اسم المؤلف: أبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري، دار النشر : مطبعة المدني - القاهرة، تحقيق : محمود محمد شاكر
(٢٢٣)	تهذيب الأسماء واللغات اسم المؤلف: محي الدين بن شرف النووي، دار النشر : دار الفكر - بيروت - ١٩٩٦، الطبعة : الأولى، تحقيق : مكتب البحوث والدراسات
(٢٢٤)	تهذيب التهذيب اسم المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار النشر : دار الفكر - بيروت - ١٤٠٤ - ١٩٨٤، الطبعة : الأولى

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

م	المرجـــــــــع
(٢٢٥)	تهذيب الكمال اسم المؤلف: يوسف بن الزكي عبدالرحمن أبو الحجاج المزي، دار النشر : مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤٠٠ - ١٩٨٠، الطبعة : الأولى، تحقيق : د. بشار عواد معروف
(٢٢٦)	تهذيب اللغة اسم المؤلف: أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري ، دار النشر : دار إحياء التراث العربي - بيروت - ٢٠٠١م، الطبعة : الأولى ، تحقيق : محمد عوض مرعب
(٢٢٧)	تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان اسم المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، دار النشر : مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م، تحقيق : ابن عثيمين
(٢٢٨)	جامع الاحاديث (الجامع الصغير وزوائده والجامع الكبير) اسم المؤلف: الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، دار النشر :
(٢٢٩)	جامع البيان عن تأويل آي القرآن اسم المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر، دار النشر : دار الفكر - بيروت - ١٤٠٥
(٢٣٠)	جامع التحصيل في أحكام المراسيل اسم المؤلف: أبو سعيد بن خليل بن كيكلدي أبو سعيد العلائي، دار النشر : عالم الكتب - بيروت - ١٤٠٧ - ١٩٨٦، الطبعة : الثانية، تحقيق : حمدي عبدالمجيد السلفي
(٢٣١)	جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام اسم المؤلف: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، دار النشر : دار العروبة - الكويت - ١٤٠٧ - ١٩٨٧، الطبعة : الثانية، تحقيق : شعيب الأرناؤوط - عبد القادر الأرناؤوط
(٢٣٢)	جمهرة اللغة، الطبعة : الأولى، تحقيق : رمزي منير بعلبكي
(٢٣٣)	جمهرة أشعار العرب اسم المؤلف: أبو زيد القرشي، دار النشر : دار الأرقم - بيروت، تحقيق : عمر فاروق الطباع
(٢٣٤)	حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح اسم المؤلف: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

م	المرجـــــــــع
(٢٣٥)	حاشية ابن القيم على سنن أبي داود اسم المؤلف: أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٥ - ١٩٩٥، الطبعة : الثانية
(٢٣٦)	حاشية السندي على النسائي اسم المؤلف: نور الدين بن عبدالهادي أبو الحسن السندي، دار النشر : مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب - ١٤٠٦ - ١٩٨٦، الطبعة : الثانية، تحقيق : عبدالفتاح أبو غدة
(٢٣٧)	حجة القراءات اسم المؤلف: ابن زنجلة، دار النشر :
(٢٣٨)	حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع اسم المؤلف: القاسم بن فيرة بن خلف الشاطبي، دار النشر : دار الكتاب النفيس - بيروت - ١٤٠٧، الطبعة : الأولى
(٢٣٩)	حلية الأولياء وطبقات الأصفياء اسم المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، دار النشر : دار الكتاب العربي - بيروت - ١٤٠٥، الطبعة : الرابعة
(٢٤٠)	خصائص مسند الإمام أحمد اسم المؤلف: محمد بن عمر بن أحمد المديني أبو موسى، دار النشر : مكتبة التوبة - الرياض - ١٤١٠
(٢٤١)	خلاصة البدر المنير في تخريج كتاب الشرح الكبير للرافعي اسم المؤلف: عمر بن علي بن الملقن الأنصاري، دار النشر : مكتبة الرشد - الرياض - ١٤١٠، الطبعة : الأولى، تحقيق : حمدي عبد المجيد إسماعيل السلفي
(٢٤٢)	خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال اسم المؤلف: الحافظ الفقيه صفي الدين أحمد بن عبد الله الخزرجي الأنصاري اليمني، دار النشر : مكتب المطبوعات الإسلامية/دار البشائر - حلب / بيروت - ١٤١٦ هـ، الطبعة : الخامسة، تحقيق : عبد الفتاح أبو غدة
(٢٤٣)	خلق أفعال العباد اسم المؤلف: محمد بن إبراهيم بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، دار النشر : دار المعارف السعودية - الرياض - ١٣٩٨ - ١٩٧٨، تحقيق : د. عبدالرحمن عميرة

م	المرجـــــــــع
(٢٤٤)	دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية اسم المؤلف: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، دار النشر : مؤسسة علوم القرآن – دمشق – ١٤٠٤، الطبعة : الثانية، تحقيق : د. محمد السيد الجليند
(٢٤٥)	دلائل الإعجاز اسم المؤلف: الإمام عبد القاهر الجرجاني، دار النشر : دار الكتاب العربي – بيروت – ١٤١٥هـ ١٩٩٥م، الطبعة : الأولى، تحقيق : د . التنجي
(٢٤٦)	ديوان الحماسة اسم المؤلف: التبريزي، دار النشر : دار القلم – بيروت
(٢٤٧)	ديوان المتنبي اسم المؤلف: أبو البقاء العكبري، دار النشر : دار المعرفة – بيروت، تحقيق : مصطفى السقا/إبراهيم الأبياري/عبد الحفيظ شلبي
(٢٤٨)	ذيل (تذكرة الحفاظ للذهبي) لتلميذه أبي المحاسن الحسيني الدمشقي اسم المؤلف: محمد بن علي بن الحسن الحسيني الدمشقي الشافعي، دار النشر : دار الكتب العلمية – بيروت
(٢٤٩)	ذيل القول المسدد في الذب عن المسند للإمام أحمد اسم المؤلف: قاضي الملك محمد صبغة الله المدارسي الهندي، دار النشر : مكتبة ابن تيمية – القاهرة – ١٤٠١، الطبعة : الأولى، تحقيق : مكتبة ابن تيمية
(٢٥٠)	ذيل تاريخ بغداد اسم المؤلف: محب الدين أبي عبد الله محمد بن محمود بن الحسن المعروف بابن النجار البغدادي، دار النشر : دار الكتب العلمية – لبنان / بيروت
(٢٥١)	ذيل طبقات الحفاظ (للذهبي) اسم المؤلف: الحافظ أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن ابن أبي بكر السيوطي، دار النشر : دار الكتب العلمية – بيروت
(٢٥٢)	ذيل ميزان الاعتدال اسم المؤلف: أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي، دار النشر : دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١٦ هـ – ١٩٩٥م، الطبعة : الأولى، تحقيق : علي محمد معوض / عادل أحمد عبدالموجود
(٢٥٣)	رسالة أبي داود إلى أهل مكة وغيرهم في وصف سننه اسم المؤلف: سليمان بن الأشعث أبو داود، دار النشر : دار العربية – بيروت، تحقيق : محمد الصباغ

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة :: مع الفهارس) 5

م	المرجـــــــــع
(٢٥٤)	روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني اسم المؤلف: العلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، دار النشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت
(٢٥٥)	روضة المحبين ونزهة المشتاقين اسم المؤلف: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، دار النشر : دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١٢ – ١٩٩٢
(٢٥٦)	زاد المسير في علم التفسير اسم المؤلف: عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، دار النشر : المكتب الإسلامي – بيروت – ١٤٠٤، الطبعة : الثالثة
(٢٥٧)	زاد المعاد في هدي خير العباد اسم المؤلف: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، دار النشر : مؤسسة الرسالة – مكتبة المنار الإسلامية – بيروت – الكويت – ١٤٠٧ – ١٩٨٦، الطبعة : الرابعة عشر، تحقيق : شعيب الأرناؤوط – عبد القادر الأرناؤوط
(٢٥٨)	سؤالات البرقاني للدارقطني اسم المؤلف: علي بن عمر أبو الحسن الدارقطني البغدادي، دار النشر : كتب خانه جميلي – باكستان – ١٤٠٤ –، الطبعة : الأولى، تحقيق : د. عبدالرحيم محمد أحمد القشقري
(٢٥٩)	سؤالات الحافظ السلفي اسم المؤلف: أحمد بن محمد بن أحمد السلفي، دار النشر : دار الفكر – دمشق – ١٤٠٣، الطبعة : الأولى، تحقيق : مطاع الطرابيشي
(٢٦٠)	سؤالات الحاكم النيسابوري للدارقطني اسم المؤلف: علي بن عمر أبو الحسن الدارقطني البغدادي، دار النشر : مكتبة المعارف – الرياض – ١٤٠٤ – ١٩٨٤، الطبعة : الأولى، تحقيق : د. موفق بن عبدالله بن عبدالقادر
(٢٦١)	سؤالات أبي داود للإمام أحمد بن حنبل في جرح الرواة وتعديلهم اسم المؤلف: أحمد بن حنبل، دار النشر : مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة – ١٤١٤، الطبعة : الأولى، تحقيق : د. زياد محمد منصور

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

م	المرجـــــــــع
(٢٦٢)	سؤالات أبي عبيد الآجري أبا داود السجستاني اسم المؤلف: سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني، دار النشر : الجامعة الإسلامية – المدينة المنورة – ١٣٩٩ – ١٩٧٩، الطبعة : الأولى، تحقيق : محمد علي قاسم العمري
(٢٦٣)	سؤالات حمزة بن يوسف السهمي اسم المؤلف: علي بن عمر أبو الحسن الدارقطني، دار النشر : مكتبة المعارف – الرياض – ١٤٠٤ – ١٩٨٤، الطبعة : الأولى، تحقيق : موفق بن عبدالله بن عبدالقادر
(٢٦٤)	سؤالات محمد بن عثمان بن أبي شيبة لعلي بن المديني اسم المؤلف: علي بن عبد الله بن جعفر المديني أبو الحسن، دار النشر : مكتبة المعارف – الرياض – ١٤٠٤، الطبعة : الأولى، تحقيق : موفق عبد الله عبد القادر
(٢٦٥)	سبل السلام شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام اسم المؤلف: محمد بن إسماعيل الصنعاني الأمير، دار النشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت – ١٣٧٩، الطبعة : الرابعة، تحقيق : محمد عبد العزيز الخولي
(٢٦٦)	سنن ابن ماجه اسم المؤلف: محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني، دار النشر : دار الفكر – بيروت – –، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي
(٢٦٧)	سنن البيهقي الكبرى اسم المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، دار النشر : مكتبة دار الباز – مكة المكرمة – ١٤١٤ – ١٩٩٤، تحقيق : محمد عبد القادر عطا
(٢٦٨)	سنن الدارقطني اسم المؤلف: علي بن عمر أبو الحسن الدارقطني البغدادي، دار النشر : دار المعرفة – بيروت – ١٣٨٦ – ١٩٦٦، تحقيق : السيد عبد الله هاشم يماني المدني
(٢٦٩)	سنن الدارمي اسم المؤلف: عبدالله بن عبدالرحمن أبو محمد الدارمي، دار النشر : دار الكتاب العربي – بيروت – ١٤٠٧، الطبعة : الأولى، تحقيق : فواز أحمد زمرلي ، خالد السبع العلمي

م	المرجـــــــــع
(٢٧٠)	سنن أبي داود اسم المؤلف: سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، دار النشر : دار الفكر - -، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد
(٢٧١)	سنن سعيد بن منصور اسم المؤلف: سعيد بن منصور، دار النشر : دار العصيمي - الرياض - ١٤١٤، الطبعة : الأولى، تحقيق : د. سعد بن عبد الله بن عبد العزيز آل حميد
(٢٧٢)	سنن سعيد بن منصور اسم المؤلف: سعيد بن منصور الخراساني، دار النشر : الدار السلفية - الهند - ١٤٠٣هـ -١٩٨٢م، الطبعة : الأولى، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي
(٢٧٣)	سير أعلام النبلاء اسم المؤلف: محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبو عبد الله، دار النشر : مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٣، الطبعة : التاسعة، تحقيق : شعيب الأرناؤوط ، محمد نعيم العرقسوسي
(٢٧٤)	سيرة ابن إسحاق (المبتدأ والمبعث والمغازي) اسم المؤلف: محمد بن إسحاق بن يسار، دار النشر : معهد الدراسات والأبحاث للتعريف، تحقيق : محمد حميد الله
(٢٧٥)	شذرات الذهب في أخبار من ذهب اسم المؤلف: عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي، دار النشر : دار بن كثير - دمشق - ١٤٠٦هـ، الطبعة : ط١، تحقيق : عبد القادر الأرنؤوط، محمود الأرناؤوط
(٢٧٦)	شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك اسم المؤلف: محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١١، الطبعة : الأولى
(٢٧٧)	شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك اسم المؤلف: محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١١، الطبعة : الأولى
(٢٧٨)	شرح السنة اسم المؤلف: الحسين بن مسعود البغوي، دار النشر : المكتب الإسلامي - دمشق _ بيروت - ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، الطبعة : الثانية، تحقيق : شعيب الأرناؤوط - محمد زهير الشاويش

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

م	المرجـــــــــع
(٢٧٩)	شـرح السـيوطي لسـنن النسـائي اسـم المؤلـف: السـيوطي، دار النشـر : مكتـب المطبوعات الإسلامية - حلب - ١٤٠٦ - ١٩٨٦، الطبعة : الثانية، تحقيق : عبدالفتاح أبو غدة
(٢٨٠)	شـرح العقيـدة الطحاويـة اسـم المؤلـف: ابـن أبـي العـز الحنفـي، دار النشـر : المكتـب الإسلامي - بيروت - ١٣٩١، الطبعة : الرابعة
(٢٨١)	شرح القواعد الفقهية اسم المؤلف: أحمد بن الشيخ محمد الزرقا، دار النشر : دار القلم - دمشق / سوريا - ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م، الطبعة : الثانية، تحقيق : صححه وعلق عليه مصطفى أحمد الزرقا
(٢٨٢)	شرح الكوكب المنير المسمى بمختصر التحرير أو المختبر المبتكر شرح المختصر في أصول الفقه اسم المؤلف: محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوحي الحنبلي المعروف بابن النجار ، دار النشر : جامعة أم القرى - معهد البحوث العلمية - ١٤١٣ هـ، الطبعة : الثانية، تحقيق : د. محمد الزحيلي، د. نزيه حماد
(٢٨٣)	شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة اسم المؤلف: هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي أبو القاسم، دار النشر : دار طيبة - الرياض - ١٤٠٢، تحقيق : د. أحمد سعد حمدان
(٢٨٤)	شرح سنن ابن ماجه اسم المؤلف: السيوطي وآخرون، دار النشر :
(٢٨٥)	شرح صحيح البخاري اسم المؤلف: أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي، دار النشر : مكتبة الرشد - السعودية / الرياض - ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م، الطبعة : الثانية، تحقيق : أبو تميم ياسر بن إبراهيم
(٢٨٦)	شرح علل الترمذي / ج ١+٢ اسم المؤلف: الإمام الحافظ ابن رجب الحنبلي، دار النشر : مكتبة المنار - الزرقاء - الأردن - ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، الطبعة : الأولى، تحقيق : الدكتور همام عبد الرحيم سعيد

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

م	المرجـــــــــع
(٢٨٧)	شرح مشكل الآثار اسم المؤلف: أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي، دار النشر : مؤسسة الرسالة - لبنان/ بيروت - ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م، الطبعة : الأولى، تحقيق : شعيب الأرنؤوط
(٢٨٨)	شرح معاني الآثار اسم المؤلف: أحمد بن محمد بن سلامة بن عبدالملك بن سلمة أبو جعفر الطحاوي، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت - ١٣٩٩، الطبعة : الأولى، تحقيق : محمد زهري النجار
(٢٨٩)	شعب الإيمان اسم المؤلف: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٠، الطبعة : الأولى، تحقيق : محمد السعيد بسيوني زغلول
(٢٩٠)	صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان اسم المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، دار النشر : مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٤ - ١٩٩٣، الطبعة : الثانية، تحقيق : شعيب الأرنؤوط
(٢٩١)	صحيح ابن خزيمة اسم المؤلف: محمد بن إسحاق بن خزيمة أبو بكر السلمي النيسابوري، دار النشر : المكتب الإسلامي - بيروت - ١٣٩٠ - ١٩٧٠، تحقيق : د. محمد مصطفى الأعظمي
(٢٩٢)	صحيح مسلم اسم المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، دار النشر : دار إحياء التراث العربي - بيروت، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي
(٢٩٣)	صحيح مسلم بشرح النووي اسم المؤلف: أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، دار النشر : دار إحياء التراث العربي - بيروت - ١٣٩٢، الطبعة : الطبعة الثانية
(٢٩٤)	صفة الصفوة اسم المؤلف: عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج، دار النشر : دار المعرفة - بيروت - ١٣٩٩ - ١٩٧٩، الطبعة : الثانية، تحقيق : محمود

م	المرجـــــــــع
(٢٩٥)	صيانة صحيح مسلم من الإخلال والغلط وحمايته من الإسقاط والسقط اسم المؤلف: عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان الكردي الشهرزوري أبو عمرو، دار النشر : دار الغرب الإسلامي - بيروت - ١٤٠٨، الطبعة : الثانية، تحقيق : موفق عبدالله عبدالقادر
(٢٩٦)	طبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها اسم المؤلف: عبدالله بن محمد بن جعفر بن حيان أبو محمد الأنصاري، دار النشر : مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٢ - ١٩٩٢، الطبعة : الثانية، تحقيق : عبدالغفور عبدالحق حسين البلوشي
(٢٩٧)	طبقات المدلسين اسم المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار النشر : مكتبة المنار - عمان - ١٤٠٣ - ١٩٨٣، الطبعة : الأولى، تحقيق : د. عاصم بن عبدالله القريوتي
(٢٩٨)	طبقات المفسرين اسم المؤلف: أحمد بن محمد الأدنه وي، دار النشر : مكتبة العلوم والحكم - السعودية - ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م، الطبعة : الأولى، تحقيق : سليمان بن صالح الخزي
(٢٩٩)	طبقات المفسرين اسم المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار النشر : مكتبة وهبة - القاهرة - ١٣٩٦، الطبعة : الأولى، تحقيق : علي محمد عمر
(٣٠٠)	طرح التثريب في شرح التقريب اسم المؤلف: زين الدين أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسيني العراقي ، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت - ٢٠٠٠م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : عبد القادر محمد علي
(٣٠١)	طريق الهجرتين وباب السعادتين اسم المؤلف: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، دار النشر : دار ابن القيم - الدمام - ١٤١٤ - ١٩٩٤، الطبعة : الثانية، تحقيق : عمر بن محمود أبو عمر
(٣٠٢)	طلبة الطلبة في الإصطلاحات الفقهية اسم المؤلف: نجم الدين أبي حفص عمر بن محمد النسفي، دار النشر : دار النفائس - عمان - ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م. ، تحقيق : خالد عبد الرحمن العك.

م	المرجـــــــــع
(٣٠٣)	عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين اسم المؤلف: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت، تحقيق : زكريا علي يوسف
(٣٠٤)	علل الترمذي الكبير اسم المؤلف: أبو طالب القاضي، دار النشر : عالم الكتب ،مكتبة النهضة العربية - بيروت - ١٤٠٩، الطبعة : الأولى، تحقيق : صبحي السامرائي ، أبو المعاطي النوري ، محمود محمد الصعيدي
(٣٠٥)	علل الحديث اسم المؤلف: عبد الرحمن بن محمد بن بن إدريس بن مهران الرازي أبو محمد، دار النشر : دار المعرفة - بيروت - ١٤٠٥، تحقيق : محب الدين الخطيب
(٣٠٦)	عمدة القاري شرح صحيح البخاري اسم المؤلف: بدر الدين محمود بن أحمد العيني، دار النشر : دار إحياء التراث العربي - بيروت
(٣٠٧)	عمل اليوم والليلة اسم المؤلف: أحمد بن شعيب بن علي النسائي أبو عبد الرحمن، دار النشر : مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤٠٦، الطبعة : الثانية، تحقيق : د. فاروق حمادة
(٣٠٨)	عون المعبود شرح سنن أبي داود اسم المؤلف: محمد شمس الحق العظيم آبادي، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت - ١٩٩٥م، الطبعة : الثانية
(٣٠٩)	غريب الحديث اسم المؤلف: القاسم بن سلام الهروي أبو عبيد، دار النشر : دار الكتاب العربي - بيروت - ١٣٩٦، الطبعة : الأولى، تحقيق : د. محمد عبد المعيد خان
(٣١٠)	غريب الحديث اسم المؤلف: أحمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي البستي أبو سليمان، دار النشر : جامعة أم القرى - مكة المكرمة - ١٤٠٢، تحقيق : عبد الكريم إبراهيم العزباوي
(٣١١)	غريب الحديث اسم المؤلف: إبراهيم بن إسحاق الحربي أبو إسحاق، دار النشر : جامعة أم القرى - مكة المكرمة - ١٤٠٥، الطبعة : الأولى، تحقيق : د. سليمان إبراهيم محمد العايد

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

م	المرجـــــــــع
(٣١٢)	فتح الباري شرح صحيح البخاري اسم المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار النشر : دار المعرفة - بيروت، تحقيق : محب الدين الخطيب
(٣١٣)	فتح الباري في شرح صحيح البخاري اسم المؤلف: زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن ابن شهاب الدين البغدادي ثم الدمشقي الشهير بابن رجب، دار النشر : دار ابن الجوزي - السعودية / الدمام - ١٤٢٢هـ ، الطبعة : الثانية، تحقيق : أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد
(٣١٤)	فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير اسم المؤلف: محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار النشر : دار الفكر - بيروت
(٣١٥)	فضائل القرآن اسم المؤلف: عماد الدين اسماعيل الشهير بابن كثير، دار النشر : دار المعرفة - بيروت / لبنان - ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، الطبعة : الثانية، تحقيق : لا يوجد
(٣١٦)	فوات الوفيات اسم المؤلف: محمد بن شاكر بن أحمد الكتبي، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت - ٢٠٠٠م، الطبعة : الأولى، تحقيق : علي محمد بن يعوض الله/عادل أحمد عبد الموجود
(٣١٧)	فيض القدير شرح الجامع الصغير اسم المؤلف: عبد الرؤوف المناوي، دار النشر : المكتبة التجارية الكبرى - مصر - ١٣٥٦هـ، الطبعة : الأولى
(٣١٨)	كتاب التسهيل لعلوم التنزيل اسم المؤلف: محمد بن أحمد بن محمد الغرناطي الكلبي، دار النشر : دار الكتاب العربي - لبنان - ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م، الطبعة : الرابعة
(٣١٩)	كتاب السبعة في القراءات اسم المؤلف: أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد البغدادي، دار النشر : دار المعارف - مصر - ١٤٠٠هـ، الطبعة : الثانية، تحقيق : شوقي ضيف
(٣٢٠)	كتاب العنوان في القراءات السبع اسم المؤلف: لأبي طاهر إسماعيل بن خلف المقرئ الأنصاري الأندلسي، دار النشر : عالم الكتب - بيروت / لبنان - ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م، الطبعة : الثانية، تحقيق : د.زهير زاهد و د.خليل عطية

م	المرجـــــــــع
(٣٢١)	كتاب المختلطين اسم المؤلف: الحافظ صلاح الدين أبو سعيد خليل بن الأمير سيف الدين كيكلدي بن عبد الله العلائي، دار النشر : مكتبة الخانجي - القاهرة - مصر - ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، الطبعة : الأولى، تحقيق : د . رفعت فوزي عبد المطلب / علي عبد الباسط مزيد
(٣٢٢)	كتاب المصاحف اسم المؤلف: أبو بكر بن أبي داود السجستاني عبد الله بن بن سليمان بن الأشعث، دار النشر : الفاروق الحديثة - مصر / القاهرة - ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، الطبعة : الأولى، تحقيق : محمد بن عبده
(٣٢٣)	كتاب تذكرة الاريب في تفسير الغريب اسم المؤلف: عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، دار النشر :
(٣٢٤)	كتاب غريب القرآن اسم المؤلف: أبو بكر محمد بن عزيز السجستاني، دار النشر : دار قتيبة - ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م، تحقيق : محمد أديب عبد الواحد جمران
(٣٢٥)	كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية اسم المؤلف: أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، دار النشر : مكتبة ابن تيمية، الطبعة : الثانية، تحقيق : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي
(٣٢٦)	كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية اسم المؤلف: أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، دار النشر : مكتبة ابن تيمية، الطبعة : الثانية، تحقيق : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي
(٣٢٧)	كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية اسم المؤلف: أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، دار النشر : مكتبة ابن تيمية، الطبعة : الثانية، تحقيق : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي
(٣٢٨)	كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون اسم المؤلف: مصطفى بن عبدالله القسطنطيني الرومي الحنفي، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٣ - ١٩٩٢

م	المرجـــــــــع
(٣٢٩)	كشف المشكل من حديث الصحيحين اسم المؤلف: أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي، دار النشر : دار الوطن - الرياض - ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م. ، تحقيق : علي حسين البواب
(٣٣٠)	كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال اسم المؤلف: علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، الطبعة : الأولى، تحقيق : محمود عمر الدمياطي
(٣٣١)	لباب النقول في أسباب النزول اسم المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي أبو الفضل، دار النشر : دار إحياء العلوم - بيروت
(٣٣٢)	لسان العرب اسم المؤلف: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار النشر : دار صادر - بيروت، الطبعة : الأولى
(٣٣٣)	لسان الميزان اسم المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار النشر : مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت - ١٤٠٦ - ١٩٨٦، الطبعة : الثالثة، تحقيق : دائرة المعرف النظامية - الهند -
(٣٣٤)	لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد اسم المؤلف: أبو محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، دار النشر : الدار السلفية - الكويت - ١٤٠٦، الطبعة : الأولى، تحقيق : بدر بن عبد الله البدر
(٣٣٥)	مجمع الزوائد ومنبع الفوائد اسم المؤلف: علي بن أبي بكر الهيثمي، دار النشر : دار الريان للتراث/دار الكتاب العربي - القاهرة ، بيروت - ١٤٠٧
(٣٣٦)	مختار الصحاح اسم المؤلف: محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، دار النشر : مكتبة لبنان ناشرون - بيروت - ١٤١٥ - ١٩٩٥، الطبعة : طبعة جديدة، تحقيق : محمود خاطر

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

م	المرجـــــــــع
(٣٣٧)	مختصر الأحكام مستخرج الطوسي على جامع الترمذي اسم المؤلف: أبي علي الحسن بن علي بن نصر الطوسي، دار النشر : مكتبة الغرباء الأثرية – المدينة المنورة – السعودية – ١٤١٥هـ، الطبعة : الأولى، تحقيق : أنيس بن أحمد بن طاهر الأندونوسي
(٣٣٨)	مختصر الفتاوى المصرية لابن تيمية اسم المؤلف: بدر الدين أبو عبد الله محمد بن علي الحنبلي البعلي، دار النشر : دار ابن القيم – الدمام – السعودية – ١٤٠٦ – ١٩٨٦، الطبعة : الثانية، تحقيق : محمد حامد الفقي
(٣٣٩)	مختصر الكامل في الضعفاء اسم المؤلف: تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، دار النشر : مكتبة السنة – مصر / القاهرة – ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م، الطبعة : الأولى، تحقيق : أيمن بن عارف الدمشقي
(٣٤٠)	مختصر تفسير سورة الأنفال اسم المؤلف: محمد بن عبد الوهاب، دار النشر : مطابع الرياض – الرياض، الطبعة : الأولى، تحقيق : تحقيق د . ناصر بن سعد الرشيد
(٣٤١)	مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين اسم المؤلف: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، دار النشر : دار الكتاب العربي – بيروت – ١٣٩٣ – ١٩٧٣، الطبعة : الثانية، تحقيق : محمد حامد الفقي
(٣٤٢)	مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح اسم المؤلف: علي بن سلطان محمد القاري، دار النشر : دار الكتب العلمية – لبنان/ بيروت – ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م، الطبعة : الأولى، تحقيق : جمال عيتاني
(٣٤٣)	مسند ابن أبي شيبة اسم المؤلف: أبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة، دار النشر : دار الوطن – الرياض – ١٩٩٧م، الطبعة : الأولى، تحقيق : عادل بن يوسف العزازي و أحمد بن فريد المزيدي
(٣٤٤)	مسند الإمام أحمد بن حنبل اسم المؤلف: أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني، دار النشر : مؤسسة قرطبة – مصر

م	المرجـــــــــع
(٣٤٥)	مسند الإمام عبد الله بن المبارك اسم المؤلف: عبد الله بن المبارك بن واضح، دار النشر : مكتبة المعارف - الرياض - ١٤٠٧، الطبعة : الأولى، تحقيق : صبحي البدري السامرائي
(٣٤٦)	مسند الروياني اسم المؤلف: محمد بن هارون الروياني أبو بكر، دار النشر : مؤسسة قرطبة - القاهرة - ١٤١٦، الطبعة : الأولى، تحقيق : أيمن علي أبو يماني
(٣٤٧)	مسند الشافعي اسم المؤلف: محمد بن إدريس أبو عبد الله الشافعي، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت - -
(٣٤٨)	مسند الشاميين اسم المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، دار النشر : مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤٠٥ - ١٩٨٤، الطبعة : الأولى، تحقيق : حمدي بن عبدالمجيد السلفي
(٣٤٩)	مسند الشهاب اسم المؤلف:محمد بن سلامة بن جعفر أبو عبد الله القضاعي، دار النشر : مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤٠٧ - ١٩٨٦، الطبعة : الثانية، تحقيق : حمدي بن عبد المجيد السلفي
(٣٥٠)	مسند أبي بكر الصديق اسم المؤلف: أحمد بن علي بن سعيد الأموي المروزي، دار النشر : المكتب الإسلامي - بيروت، تحقيق : شعيب الأرناؤوط
(٣٥١)	مسند أبي داود الطيالسي اسم المؤلف: سليمان بن داود أبو داود الفارسي البصري الطيالسي، دار النشر : دار المعرفة - بيروت - -
(٣٥٢)	مسند أبي عوانة اسم المؤلف: الإمام أبي عوانة يعقوب بن إسحاق الاسفرائني، دار النشر : دار المعرفة - بيروت
(٣٥٣)	مسند أبي يعلى اسم المؤلف: أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي، دار النشر : دار المأمون للتراث - دمشق - ١٤٠٤ - ١٩٨٤، الطبعة : الأولى، تحقيق : حسين سليم أسد

م	المرجـــــــــع
(٣٥٤)	مسند إسحاق بن راهويه اسم المؤلف: إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن راهويه الحنظلي، دار النشر : مكتبة الإيمان - المدينة المنورة - ١٤١٢ - ١٩٩١، الطبعة : الأولى، تحقيق : د. عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي
(٣٥٥)	مشاهير علماء الأمصار اسم المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت - - ١٩٥٩، تحقيق : م. فلايشهمر
(٣٥٦)	مشكاة المصابيح اسم المؤلف: محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي ، دار النشر : المكتب الإسلامي - بيروت - ١٩٨٥، الطبعة : الثالثة ، تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني
(٣٥٧)	مشكل الحديث وبيانه اسم المؤلف: أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك الأصبهاني، دار النشر : عالم الكتب - بيروت - ١٩٨٥م، الطبعة : الثانية، تحقيق : موسى محمد علي
(٣٥٨)	مشكل إعراب القرآن اسم المؤلف: مكي بن أبي طالب القيسي أبو محمد، دار النشر : مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤٠٥، الطبعة : الثانية، تحقيق : د. حاتم صالح الضامن
(٣٥٩)	مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه اسم المؤلف: أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل الكناني، دار النشر : دار العربية - بيروت - ١٤٠٣، الطبعة : الثانية، تحقيق : محمد المنتقى الكشناوي
(٣٦٠)	معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول اسم المؤلف: حافظ بن أحمد حكمي، دار النشر : دار ابن القيم - الدمام - ١٤١٠ - ١٩٩٠، الطبعة : الأولى، تحقيق : عمر بن محمود أبو عمر
(٣٦١)	معاني القرآن الكريم اسم المؤلف: النحاس، دار النشر : جامعة أم القرى - مكة المرمة - ١٤٠٩، الطبعة : الأولى، تحقيق : محمد علي الصابوني

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

م	المرجـــــــــع
(٣٦٢)	معجم البلدان اسم المؤلف: ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله، دار النشر : دار الفكر - بيروت
(٣٦٣)	معجم الصحابة اسم المؤلف: عبد الباقي بن قانع أبو الحسين، دار النشر : مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة المنورة - ١٤١٨، الطبعة : الأولى، تحقيق : صلاح بن سالم المصراتي
(٣٦٤)	معجم جامع الأصول في أحاديث الرسول اسم المؤلف: المبارك بن محمد ابن الأثير الجزري، دار النشر :
(٣٦٥)	معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع اسم المؤلف: عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي أبو عبيد، دار النشر : عالم الكتب - بيروت - ١٤٠٣، الطبعة : الثالثة، تحقيق : مصطفى السقا
(٣٦٦)	معجم مقاييس اللغة اسم المؤلف: أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، دار النشر : دار الجيل - بيروت - لبنان - ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، الطبعة : الثانية، تحقيق : عبد السلام محمد هارون
(٣٦٧)	معرفة الثقات من رجال أهل العلم والحديث ومن الضعفاء وذكر مذاهبهم وأخبارهم اسم المؤلف: أبي الحسن أحمد بن عبد الله بن صالح العجلي الكوفي نزيل طرابلس الغرب، دار النشر : مكتبة الدار - المدينة المنورة - السعودية - ١٤٠٥ - ١٩٨٥، الطبعة : الأولى، تحقيق : عبد العليم عبد العظيم البستوي
(٣٦٨)	معرفة السنن والآثار عن الامام أبي عبد الله محمد بن أدريس الشافعي اسم المؤلف: الحافظ الامام أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو أحمد. البيهقي. الخسروجردي ، دار النشر : دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت - بدون ، الطبعة : بدون ، تحقيق : سيد كسروي حسن
(٣٦٩)	معرفة الصحابة اسم المؤلف: لأبي نعيم الأصبهاني .

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

م	المرجـــــــــع
(٣٧٠)	معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار اسم المؤلف: محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبو عبد الله، دار النشر : مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤٠٤، الطبعة : الأولى، تحقيق : بشار عواد معروف ، شعيب الأرناؤوط ، صالح مهدي عباس
(٣٧١)	مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة اسم المؤلف: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت
(٣٧٢)	مفحمات الإقران في مبهمات القرآن اسم المؤلف: جلال الدين السيوطي، دار النشر : مؤسسة الرسالة - بيروت / لبنان - ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م، الطبعة : الأولى، تحقيق : إياد خالد الطباع
(٣٧٣)	مقدمة ابن خلدون اسم المؤلف: عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي، دار النشر : دار القلم - بيروت - ١٩٨٤، الطبعة : الخامسة
(٣٧٤)	من كلام أبي زكريا يحيى بن معين في الرجال اسم المؤلف: يحيى بن معين، دار النشر : دار المأمون للتراث - دمشق - ١٤٠٠، تحقيق : د. أحمد محمد نور سيف
(٣٧٥)	من كلام أحمد بن حنبل في علل الحديث ومعرفة الرجال اسم المؤلف: أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني أبو عبد الله، دار النشر : مكتبة المعارف - الرياض - ١٤٠٩، الطبعة : الأولى، تحقيق : صبحي البدري السامرائي
(٣٧٦)	مناهل العرفان في علوم القرآن اسم المؤلف: محمد عبد العظيم الزرقاني، دار النشر : دار الفكر - لبنان - ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م، الطبعة : الأولى
(٣٧٧)	موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان اسم المؤلف: علي بن أبي بكر الهيثمي أبو الحسن، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت، تحقيق : محمد عبد الرزاق حمزة
(٣٧٨)	موطأ الإمام مالك اسم المؤلف: مالك بن أنس أبو عبدالله الأصبحي، دار النشر : دار إحياء التراث العربي - مصر - -، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة .:. مع الفهارس) ٥

م	المرجـــــــــع
(٣٧٩)	ميزان الاعتدال في نقد الرجال اسم المؤلف: شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت - ١٩٩٥، الطبعة : الأولى، تحقيق : الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبدالموجود
(٣٨٠)	ناسخ الحديث ومنسوخه اسم المؤلف: أبو حفص عمر بن أحمد بن عثمان بن شاهين، دار النشر : مكتبة المنار - الزرقاء - ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، الطبعة : الأولى، تحقيق : سمير بن أمين الزهيري
(٣٨١)	نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر اسم المؤلف: جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، دار النشر : مؤسسة الرسالة - لبنان/ بيروت - ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، الطبعة : الأولى، تحقيق : محمد عبد الكريم كاظم الراضي
(٣٨٢)	نصب الراية لأحاديث الهداية اسم المؤلف:عبدالله بن يوسف أبو محمد الحنفي الزيلعي، دار النشر : دار الحديث - مصر - ١٣٥٧، تحقيق : محمد يوسف البنوري
(٣٨٣)	نظم الدرر في تناسب الآيات والسور اسم المؤلف: برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م، تحقيق : عبد الرزاق غالب المهدي
(٣٨٤)	نظم المتناثر من الحديث المتواتر اسم المؤلف: محمد بن جعفر الكتاني أبو عبد الله، دار النشر : دار الكتب السلفية - مصر، تحقيق : شرف حجازي
(٣٨٥)	نواسخ القرآن اسم المؤلف: عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي أبو الفرج، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٠٥، الطبعة : الأولى
(٣٨٦)	نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار اسم المؤلف: محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار النشر : دار الجيل - بيروت - ١٩٧٣
(٣٨٧)	هدي الساري مقدمة فتح الباري شرح صحيح البخاري اسم المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار النشر : دار المعرفة - بيروت - ١٣٧٩ -، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، محب الدين الخطيب

٩ ـ فهرس الموضوعات

الموضـــوع		الصفحة
ملخص الرسالة		٣ – ٤
المقدمـة		
أهداف الموضوع		٦
أهمية الموضوع		٦
أسباب اختيار الموضوع		٧
خطـة البحـــــث:		٨
المنهج المتبع في كتابة البحث		١٠
شكرٌ وتقدير		١٢
التمهيد وفيه مبحثان :		
	المبحث الأول : ملخص منهج ابن جزي في تفسيره من خلال قسم الدراسة	١٥
	المبحث الثاني : وفيه ترجمة موجزة عن ابن جزي عليه رحمة الله تعالى	١٨
	اسمه ونسبه وكنيته وأسرته	١٨
	مولده ووفاته وشيوخه	١٩
	تلاميذه	٢٠
القسم الثاني : ترجيحات واختيارات ابن جزي الكلبي في تفسيره عرضاً ومناقشة		
سورة العنكبوت		
	الكلام على قوله تعالى: (□ □ □

	الموضـــوع	الصفحة
	الكلام على قوله تعالى: (ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ)	٢٦
	والآية فيها مسألة واحدة وهي: فيمن نزلت هذه الآية ؟.	٢٦
	الكلام على قوله تعالى: (ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ)	٢٨
	والآية فيها مسألة واحدة وهي: ما سبب نزول الآية؟ .	٢٨
	الكلام على قوله تعالى: (ڦ ڦ ڦ ڦ ڦ ڦ ڦ ڦ ڦ)	٣٠
	والآية فيها مسألة واحدة وهي: ما معنى(ڦ)؟.	٣٠
	الكلام على قوله تعالى:(ڈڈڈڈ ژژڑڑک)	٣٣
	والآية فيها مسألة واحدة وهي: من القائل في هذه الآية ؟.	٣٣
	الكلام على قوله تعالى: (ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ)	٣٥
	والآية فيها مسألة واحدة وهي: ما المراد بالمنكر في الآية ؟.	٣٥
	الكلام على قوله تعالى: (ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ)	٣٨
	والآية فيها مسألة واحدة وهي: ما البشارة التي بُشر بها إبراهيم ؟.	٣٨
	الكلام على قوله تعالى: (ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ)	٤١
	والآية فيها مسألة واحدة وهي: ما إعراب « ما » هنا؟	٤١
	الكلام على قوله تعالى: (ٱ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ پ پ)	٤٥
	والآية فيها مسألتان: الأولى : ما المراد بقوله تعالى: (پ پ پ پ) ؟.	٤٥

د.كوثر عبدالعلي المدني (كامل الرسالة .:. مع الفهارس) ٥

	الموضـــوع	الصفحة
	الثانية : ما معنى: (پ پ ڀ ڀ).	٤٧
	الكلام على قوله تعالى: (ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڄ ڄ ڄ ڄ ڇ ڇ)	٤٩
	والآية فيها مسألة واحدة: وهي: من المراد بالضمير: هؤلاء؟.	٤٩
	الكلام على قوله تعالى: (ڈ ڈ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک گ)	٥٢
	المسألة الأولى: ما وجه ارتيابهم؟ ومن هم المبطلون؟ .	٥٢
	المسألة الثانية: هل بقي النبي ﷺ على أميته حتى توفاه الله ﷻ أم أنه قرأ وكتب؟.	٥٦
	الكلام على قوله تعالى: (ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ٺ)	٦٤
	وفي الآية مسألة واحدة وهي: معنى: (ڀ)	٦٤
	الكلام على قوله تعالى: (ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ۀ ہ ہ ہ ھ)	٦٦
	والآية فيها مسألة واحدة وهي: مالمراد بالجهاد في هذه الآية ؟.	٦٦
	سورة الروم	
	الكلام على قوله تعالى: (ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ)	٧٠
	والآية فيها مسألة واحدة وهي: ما معنى قوله: ظاهراً ؟.	٧٠
	الكلام على قوله تعالى: (ڈ ڈ ڈ ڈ ڈ ڈ ڈ ڈ ڈ ڈ ڈ ڈ ڈ ڈ ڈ ڈ)	٧٥
	والآية فيها مسألة واحدة وهي: المقصود بقوله تعالى: (ڈ ڈ ڈ ڈ).	٧٥

دكتور/ عبدالعلي المدخلي (كلية الرسالة .. مع الفهارس) ٥

الموضـــوع		الصفحة
	الكلام على قوله تعالى: (□ □ □ □ □ □ □ □ □ ى)	٧٨
	والآية فيها مسألة واحدة وهي: معنى قوله: (□ ى)	٧٨
	الكلام على قوله تعالى: (ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ)	٨١
	والآية فيها مسألة واحدة. وهي: ما المراد بمعنى التسبيح في الآية.	٨١
	الكلام على قوله تعالى: (ڈ ڈ ڈ ڈ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ ں)	٨٤
	المسألة الأولى: وهي: ما معنى قوله: (ک ک):	٨٤
	المسألة الثانية: معنى قوله تعالى: (گ ڳ ڳ)	٨٧
	الكلام على قوله تعالى: (ں ڻ ڻ ڻ ڈ ۀ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ)	٨٩
	والآية فيها مسألة واحدة وهي: معنى قوله: (ہ).	٨٩
	الكلام على قوله تعالى: (ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى □ □ □ □ □ □)	٩٢
	وفيها مسألة واحدة وهي: المراد بقوله تعالى : (ۋ ۅ ۅ ۉ) .	٩٢
	الكلام على قوله تعالى: (□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □)	٩٧
	المسألة الأولى : ما إعراب منيبين إليه ؟.	٩٧
	المسألة الثانية وهي: من المراد بالمشركين في الآية ؟	١٠٠
	الكلام على قوله تعالى: (ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى)	١٠٣
	والآية فيها مسألة واحدة وهي: ما المقصود بالربا وما المقصود بالزكاة هنا ؟.	١٠٣

دكتور/ عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة :: مع الفهارس) ٥

الموضـــوع		الصفحة
	الكلام على قوله تعالى: (ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

الموضـــوع		الصفحة
	الكلام على قوله تعالى: (ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

	الموضـــوع	الصفحة
	الكلام على قوله تعالى: (ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ)	١٥٤
	وفي هذا مسألة واحدة وهي: على من يعود الضمير في قوله:«من لقائه»؟	١٥٤
	الكلام على قوله تعالى: (ڈ ڈ ڈ ڈ ژ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک)	١٦٠
	وفيها مسألة واحدة وهي: على من يعود الضمير في قوله: (ژ ک) ؟.	١٦٠
	الكلام على قوله تعالى: (گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ ں ڻ ڻ ڻ ۀ ہ)	١٦٢
	والآية فيها مسألة واحدة وهي: على من يعود الضمير في قوله: (گ).	١٦٢
	الكلام على قوله تعالى: (ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ۉ ۉ ې ې)	١٦٥
	والآية فيها مسألة واحدة وهي: ما المقصود بيوم الفتح ؟.	١٦٥
	سورة الأحزاب	
	الكلام على قوله تعالى: (ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ)	١٧٠
	والآية فيها مسألة واحدة وهي: ما المقصود بالكافرين والمنافقين هنا؟.	١٧٠
	الكلام على قوله تعالى: (ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ)	١٧٢
	وفي الآية مسألة واحدة وهي: ما حقيقة النفي في الآية هل هو لضرب المثل أم لنفي بعض مزاعم الكفار في ذلك.	١٧٢
	الكلام على قوله تعالى: (ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ)	١٧٦
	والآية فيها مسألة واحدة وهي: ما الميثاق المأخوذ على الأنبياء ؟.	١٧٦

د.كنوزة عبدالعلي الحمدي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

	الموضـــوع	الصفحة
	الكلام على قوله تعالى: (ڈ ڈ ڈ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ک ک ک گ گ گ)	١٧٩
	المسألة الأولى: ما معنى: (ڈ) و (ژ ژ) ؟	١٧٩
	المسألة الثانية: هل بلوغ القلوب الحناجر من الخوف حقيقة أم مجاز؟	١٨٢
	الكلام على قوله تعالى: (ڳ ڳ ڳ ڳ گ ڳ)	١٨٥
	والآية فيها مسألة واحدة وهي: ما العامل في الظرف «هنالك» ؟.	١٨٥
	الكلام على قوله تعالى: (ه ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا)	١٨٧
	المسألة الأولى: من هو المستأذن هنا ؟.	١٨٧
	المسألة الثانية: ما المقصود بقولهم: (ۇ ۆ)	١٨٩
	الكلام على قوله تعالى: (ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ) .	١٩١
	والآية فيها مسألة واحدة وهي: ماذا يفيد دخول « قد » على الفعل المضارع ؟.	١٩١
	الكلام على قوله تعالى: (ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ)	١٩٣
	المسألة الأولى: معنى (ڑ ڑ ک ڭ).	١٩٣
	المسألة الثانية: معنى قوله تعالى: في المعنى المراد بقوله: «سلقوكم ».	١٩٥
	المسألة الثالثة: في معنى الشح في قوله تعالى: (ڈ ۀ ہ)	١٩٧
	المسألة الرابعة: ما المراد بقوله تعالى: (ھ ہ ھ ھ ڭ)	١٩٩

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

الموضـــوع		الصفحة
	الكلام على قوله تعالى: (ہ ھ ھ ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ)	٢٠١
	والآية فيها مسألة واحدة وهي: ما سبب نزول الآية ؟.	٢٠١
	الكلام على قوله تعالى: (ٱ ٻ ب ٻ ٻ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ)	٢٠٦
	والآية فيها مسألة واحدة وهي: ما المقصود بالرزق الكريم ؟.	٢٠٦
	الكلام على قوله تعالى: (ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ڈ ڈ ڈ ڈ ڈ ڈ ڈ ڈ ڈ ڈ ڈ ڈ)	٢٠٨
	والآية فيها مسألة واحدة وهي: ما المقصود بالمرض هنا ؟	٢٠٨
	الكلام على قوله تعالى: (ڃ)	٢١٠
	المسألة الأولى: ما معنى (ڃ ڪ) على القراءتين	٢١٠
	المسألة الثانية: ما المراد بقوله تعالى: (ڃ ڃ ڃ ڪ)	٢١٥
	المسألة الثالثة: من المراد بأهل البيت في الآية ؟	٢١٨
	الكلام على قوله تعالى: (ڦ ڦ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ

	الموضـــوع	الصفحة
	والآية فيها مسألة واحدة وهي: ما المقصود بقوله: (ﻫ ﻫ ﻫ ﻫ ﯾ ﯿ ﰀ)	٢٣٣
	الكلام على قوله تعالى: (□ □ □ □ □)	٢٣٥
	والآية فيها مسألة واحدة وهي: ما المقصود بالتسبيح بكرة وأصيلا ؟.	٢٣٥
	الكلام على قوله تعالى: (ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ)	٢٣٧
	والآية فيها مسألة واحدة وهي: ما معنى يوم يلقونه	٢٣٧
	الكلام على قوله تعالى: (ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ)	٢٣٩
	والآية فيها مسألة واحدة وهي: هل هذه الآية ناسخة لآية البقرة (ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ □) (البقرة: ٢٣٧) أم منسوخة بها أم أنه يمكن الجمع بينهما ؟	٢٣٩
	الكلام على قوله تعالى: (ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ).	٢٤١
	المسألة الأولى: ما المراد بقوله (ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ) ؟.	٢٤١
	المسألة الثانية: هل الآية منسوخة أم ناسخة ؟.	٢٤٥
	المسألة الثالثة: ما المراد بقوله تعالى: (ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ)	٢٤٨
	الكلام على قوله تعالى: (ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ □)	٢٥١
	المسألة الأولى: ما هو سبب نزول الآية	٢٥١
	المسألة الثانية: ما المقصود بالإنا في قوله تعالى: (ﮢ ﮣ ﮤ)	٢٥٤

د.فضل عباس المدني (كامل الرسالة :: مع الفهارس) ٥

	الموضـــوع	الصفحة
	المسألة الثالثة: ما سبب نزول قوله تعالى: (ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ)	٢٥٦
	الكلام على قوله تعالى: (ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽)	٢٥٩
	فأما المسألة الأولى فهي: هل المباح لهن أن يظهرن له الإماء فقط أم الإماء والعبيد ؟	٢٥٩
	المسألة الثانية وهي: هل هذا الحكم مختص بمن كان في ملكهن، أو يدخل فيه كل مملوك؟.	٢٦١
	الكلام على قوله تعالى: (ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽)	٢٦٢
	وفي هذه الآية مسألة واحدة وهي: ما المقصود بإذاية الله تعالى في هذه الآية ؟.	٢٦٢
	الكلام على قوله تعالى: (ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽)	٢٦٤
	المسألة الأولى: ما معنى الجلباب.	٢٦٤
	المسألة الثانية: في صفة الإدناء المأمور به في الآية.	٢٦٦
	الكلام على قوله تعالى: (ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽)	٢٦٦
	الكلام على قوله تعالى: (ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊

	الموضـــوع	الصفحة
	وفي هذه الآية مسألة واحدة وهي: ما المقصود بسنة الله في الذين خلوا من قبل ؟.	٢٧٢
	الكلام على قوله تعالى: (ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ)	٢٧٤
	وفي هذه الآية مسألة واحدة وهي: ما هو الإيذاء الذي آذى به بنو إسرائيل موسى عليه السلام ؟	٢٧٤
	الكلام على قوله تعالى: (ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ)	٢٧٧
	المسألة الأولى: ما معنى الأمانة	٢٧٧
	المسألة الثانية: ما المراد بالإنسان هنا ؟	٢٨٠
	سورة سبأ	
	الكلام على قوله تعالى: (ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ)	٢٨٤
	وفي هذه الآية مسألة واحدة وهي: ما إعراب (ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ) ؟.	٢٨٤
	الكلام على قوله تعالى: (ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ)	٢٨٧
	المسألة الأولى: ما معنى قوله تعالى: (ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ) ؟.	٢٨٧
	المسألة الثانية: القراءات في قوله تعالى: (ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ) والإعراب على كل قراءة.	٢٩٠
	المسألة الثالثة: معنى قوله تعالى: (ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ).	٢٩٣
	الكلام على قوله تعالى: (ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ)	٢٩٥

د.فواز عبدالعلي العمري (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

	الموضـــوع	الصفحة
	وفيها مسألة واحدة وهي: ما المراد بتقدير السرد في الآية.	٢٩٥
	الكلام على قوله تعالى: (ڈ ڈ ۀ ۀ ہ ہ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ)	٢٩٨
	المسألة الأولى: ما المراد بقوله تعالى: (ہ ھ ۇ)	٢٩٨
	المسألة الثانية: ما المراد بقوله: (ه هھ و) ؟.	٣٠٠
	المسألة الثالثة: معنى قوله تعالى: (ۇٴ ۋ ۋ ۇ ۅ ۅ).	٣٠١
	الكلام على قوله تعالى: (ۋ ۋ ۉ ۉ ې ې □ □ □ □ □□ □ □ □□□ □ □ □ □ □ □ □)	٣٠٣
	وفي هذه الآية مسألة واحدة وهي: ما المقصود بالمحاريب ؟.	٣٠٣
	الكلام على قوله تعالى: (□ □ □ □ ى ى ې ې □ □ □ □ □□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □)	٣٠٧
	وفي هذه الآية مسألة واحدة وهي: معنى قوله (□).	٣٠٧
	الكلام على قوله تعالى: (ٱ ب ب ب ٻ ٻ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ)	٣١٢
	وفي هذه الآية مسألة واحدة وهي: ما أصل تسمية قبيلتهم بسبأ ؟.	٣١٢
	الكلام على قوله تعالى: (ڈ ڦ ڦ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ)	٣١٥
	وفي هذه الآية مسألة واحدة وهي: ما المراد بالخمط ؟.	٣١٥
	الكلام على قوله تعالى: (ڈ ڈ ڈ ڈ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ)	٣١٨
	وفي هذه الآية مسألة واحدة وهي: معنى قوله تعالى (ڑ گ).	٣١٨

د.كنوان عبدالعلي العمدي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

	الموضـــوع	الصفحة
	الكلام على قوله تعالى: (ٱ ب ب ٻ ٻ پ پ پپ پ ڀ ڀ ٺ ٺ ٹ ٹ ٹٹ ٹ ٹٹ ٹ ڈ ڈ)	٣٢١
	وفي هذه الآية مسألة واحدة وهي: هل الإذن للشافع أم للمشفوع له؟.	٣٢١
	الكلام على قوله تعالى: (ڳ ڳ ڳ ڳ گ گ ڳ ڳ ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ)	٣٢٤
	وفي هذه الآية مسألة واحدة وهي: ما المراد بالرؤية في الآية هل هي قلبية أم بصرية ؟	٣٢٤
	الكلام على قوله تعالى: (ٻ ٻ □ ى ى ي ي □ □ □ □ □ □ □ □ □ □)	٣٢٧
	وفي هذه الآية مسألة واحدة وهي: ما المراد بقوله: ﴿ ﷺ لَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾.	٣٢٧
	الكلام على قوله تعالى: (ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ

الموضـــوع		الصفحة
	الكلام على قوله تعالى: (ئے ئے ﮎ ﮎ ﮏ ﮏ ﮐ ﮐ ﮑ ﮑ ﮒ ﮒ ﮓ ﮓ ﮔ ﮔ ﮕ ﮕ ﮖ ﮖ ﮗ ﮗ ﮘ ﮘ ﮙ ﮙ ﮚ ﮚ ﮛ ﮛ ﮜ ﮜ ﮝ ﮝ ﮞ ﮞ ﮟ ﮟ ﮠ ﮠ ﮡ ﮡ ﮢ ﮢ ﮣ ﮣ ﮤ ﮤ ﮥ ﮥ ﮦ ﮦ ﮧ ﮧ ﮨ ﮨ ﮩ ﮩ ﮪ ﮪ ﮫ ﮫ ﮬ ﮬ ﮭ ﮭ ﮮ ﮮ ﮯ ﮯ ﮰ ﮰ ﮱ ﮱ ﯓ ﯓ ﯔ ﯔ ﯕ ﯕ ﯖ ﯖ ﯗ ﯗ ﯘ ﯘ ﯙ ﯙ ﯚ ﯚ ﯛ ﯛ ﯜ ﯜ ﯝ ﯝ ﯞ ﯞ ﯟ ﯟ ﯠ ﯠ ﯡ ﯡ ﯢ ﯢ ﯣ ﯣ ﯤ ﯤ ﯥ ﯥ ﯦ ﯦ ﯧ ﯧ ﯨ ﯨ ﯩ ﯩ)	٣٤٠
	المسألة الأولى: ما المراد بالمعشار		٣٤٠
	المسألة الثانية: في عود الضمير في(ﮎ) و (ﮏ).		٣٤٢
	الكلام على قوله تعالى: (ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

	الموضوع	الصفحة
	الكلام على قوله تعالى: (ۋ ۋ و و ۉ ۉ ې ې ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ)	٣٦٠
	المسألة الأولى: ما معنى قوله تعالى: (ۋ ۋ و و ۉ)	٣٦٠
	المسألة الثانية: ما المعنى المراد بقوله تعالى: (ې ې ۅ ۅ ۉ ۉ).	٣٦٣
	الكلام على قوله تعالى: (ى ى ې ې ۅ ۅ ۉ ۉ ۋ ۋ ۇٴ ۇٴ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ی ی ئج ئح ئم ئى ئي بج بح بخ بم بى بي تج تح تخ تم تى تي ثج ثم)	٣٦٥
	المسألة الأولى: ما المعنى المراد بقوله: (ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې)	٣٦٥
	المسألة الثانية: معنى قوله: (ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو)	٣٦٧
	الكلام على قوله تعالى: (ٱ ب ب ب ب پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ)	٣٧٢
	وفي هذه الآية مسألة واحدة وهي: هل المراد بالآية الامتنان أم هو ضرب مثل للمؤمن والكافر ؟	٣٧٢
	الكلام على قوله تعالى: (پ پ ڀ ڀ ٺ ٺ)	٣٧٤
	وفي هذه الآية مسألة واحدة وهي: ما حقيقة المثل المضروب في الآية ؟.	٣٧٤
	كلام على قوله تعالى: (ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ)	٣٧٦
	وفي الآية مسألة واحدة وهي: ما المراد بقوله: (ڤ ڤ ڦ ڦ ڄ ڄ)	٣٧٦

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة .:. مع الفهارس) ٥

	الموضـــوع	الصفحة
	الكلام على قوله تعالى: (ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

الموضـــوع		الصفحة
	الكلام على قوله تعالى: (ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ں ڻ ڻ ڻ ۀ ہ)	٤٠٢
	وفي الآية مسألة واحدة وهي: ما المقصود بقوله: (ڳ گ ه)	٤٠٢
	الكلام على قوله تعالى: (ٱ ب ب ب ب پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ)	٤٠٤
	وفي الآية مسألة واحدة وهي: ما المقصود بالدابة ؟.	٤٠٤
سورة : يس		
	الكلام على قوله تعالى: (چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ)	٤٠٨
	المسألة الأولى: مَن القوم المنذرين في قوله: (چ چ ڈ)	٤٠٨
	المسألة الثانية: في قوله (چ چ چ ڈ): ما موضع (چ ڈ) هنا ؟ هل هي نافية أم موصولة أم مصدرية ؟	٤١١
	الكلام على قوله تعالى: (ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ)	٤١٤
	المسألة الأولى: في ذكر الخلاف في معنى الأغلال التي في أعناقهم	٤١٤
	المسألة الثانية: إلى ماذا يعود الضمير في قوله:«فهي» ؟.	٤٢٠
	الكلام على قوله تعالى: (ۋ ۋ و و ۉ ۉ ې ې ى ى □ □ □ □ □ □ □)	٤٢٤
	المسألة الأولى: ما المقصود بإحياء الموتى ؟. هل المراد به البعث يوم القيامة فيكون حسياً؟. أم هو إخراجهم من الكفر إلى الإيمان فيكون معنوياً ؟.	٤٢٤
	المسألة الثانية: ما المراد بقوله تعالى : (ۋ ۉ ې ى)	٤٢٧
	الكلام على قوله تعالى: (ٱ ب ب ب ب پ پ پ)	٤٣١

د.كوثر عبدالعلي المدني (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

	الموضـــوع	الصفحة
	المسألة الأولى: هل يتعدى فعل الضرب إلى مفعولين ؟ أم إلى مفعول واحد.	٤٣١
	المسألة الثانية: من المقصود بالمرسلين في قوله تعالى: (پ پ پ پ ڀ) ؟	٤٣٣
	الكلام على قوله تعالى: (ڀ ڀ ڀ ڀ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ک ک ک ک)	٤٣٧
	وفي الآية مسألة واحدة وهي: : ما سبب تطيرهم بالرسل ؟	٤٣٧
	الكلام على قوله تعالى: (□ □ □ □ □)	٤٣٩
	وفي الآية مسألة واحدة وهي: لمن وجه الخطاب في قوله تعالى : (□ □ □ □ □ □) ؟	٤٣٩
	الكلام على قوله تعالى: (□ □ □ □ □ □ □ □ □ ى ى ی ی □ □ □ □ □ □ □)	٤٤١
	وفي الآيات مسألة واحدة وهي : ما الذي تمنى أن يعلمه قومه بعدما قتلوه بسبب إيمانه ؟	٤٤١
	الكلام على قوله تعالى: (ٱ ب ب ٻ ٻ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ)	٤٤٣
	وفي الآية مسألة واحدة وهي : ما المراد بقوله تعالى: (ٱ ب ب ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ٺ).	٤٤٣
	الكلام على قوله تعالى: (ں ڻ ڻ ڻ ۀ ہ ہ ھ ھ ے ۓ)	٤٤٥
	وفي هذه الآية مسألة واحدة وهي : هل«ما» موصولية أم نافية ؟.	٤٤٥
	الكلام على قوله تعالى: (ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ □ □ □ □)	٤٤٩

د.محمد عبدالعلي المدني (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

	الموضـــوع	الصفحة
	وفيها مسألة واحدة وهي : ما المراد بقوله تعالى: (ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ)	٤٤٩
	الكلام على قوله تعالى: (ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ)	٤٥٤
	وفي هذه الآية مسألة واحدة وهي : ما المراد بالذرية في هذا الموضع ؟.	٤٥٤
	الكلام على قوله تعالى: (ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ)	٤٥٨
	وفي الآية مسألة واحدة وهي : ما المقصود بالمثلية في قوله تعالى: (ﭝ ﭞ ﭟ) هل هي مثلية النوع كالسفن أم عموم المركوبات ؟.	٤٥٨
	الكلام على قوله تعالى: (ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ)	٤٦١
	وفي الآية مسألة واحدة وهي : ما المراد بما بين أيديهم وما خلفهم في الآية ؟.	٤٦١
	الكلام على قوله تعالى: (ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ)	٤٦٣
	المسألة الأولى : ما المراد بقوله تعالى: « ينسلون »	٤٦٣
	المسألة الثانية : هل اسم الإشارة «هذا» في قوله تعالى: (ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ) صفة لـ«مرقدنا»، أم أنه مبتدأ ؟.	٤٦٥
	الكلام على قوله تعالى: (ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ)	٤٦٨
	وفي الآية مسألة واحدة وهي : ما المراد بالشغل في الآية	٤٦٨
	الكلام على قوله تعالى: (ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ)	٤٧١
	وفي الآية مسألة واحدة وهي: ما معنى قوله تعالى : (ﮏ ﮐ) ؟	٤٧١
	الكلام على قوله تعالى: (ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ)	٤٧٣

دكتور/ عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

	الموضـــوع	الصفحة
	وفي الآية مسألة واحدة وهي : ما إعراب قوله تعالى : (سلام)	٤٧٣
	الكلام على قوله تعالى: (ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ)	٤٧٥
	وفي الآية مسألة واحدة وهي : هل المراد بالطمس هنا طمس البصر أم طمس البصيرة ؟	٤٧٥
	الكلام على قوله تعالى: (ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ)	٤٧٨
	والآية فيها مسألة واحدة وهي : متى يكون هذا المسخ وهذا التهديد ؟.	٤٧٨
	الكلام على قوله تعالى: (ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا)	٤٨٠
	المسألة الأولى: على ماذا يعود الضمير في قوله: (ۉ ۉ ې)	٤٨٠
	المسألة الثانية: على ماذا تعود الضمائر في قوله تعالى: (ې ې ى ى)	٤٨٢
	الكلام على قوله تعالى: (ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ی ی ئج)	٤٨٤
	والآية فيها مسألة واحدة وهي : ما سبب نزول هذه الآيات ومن المقصود بها	٤٨٤
	سورة الصافات	
	الكلام على قوله تعالى: (ٱ ب ب).	٤٨٩
	والآية فيها مسألة واحدة وهي: ما معنى الصافات ؟.	٤٨٩
	الكلام على قوله تعالى: (ٻ ٻ پ).	٤٩٢
	والآية فيها مسألة واحدة وهي: ما معنى الزاجرات ؟	٤٩٢

دكتوراه عبدالعلي الحمدي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

	الموضـــوع	الصفحة
	الكلام على قوله تعالى: (پ پ پ)	٤٩٥
	والآية فيها مسألة واحدة وهي: ما المراد بقوله: (پ پ پ)	٤٩٥
	الكلام على قوله تعالى: (ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ)	٤٩٧
	والآية فيها مسألة واحدة وهي: توجيه المعنى على قراءة التشديد وقراءة التخفيف	٤٩٧
	الكلام على قوله تعالى: (ڑ ڑ ڑ ک ک ک ککگ گ گ گ گ گ)	٥٠١
	والآية فيها مسألة واحدة وهي: ما المراد بقوله تعالى: (ڑ ڑ ک ک ک ککگگ)؟.	٥٠١
	الكلام على قوله تعالى: (ڈ ڈ ۀ ۀ ہ)	٥٠٤
	والآية فيها مسألةواحدة وهي: ما المراد بقوله: يستسخرون ؟.	٥٠٤
	الكلام على قوله تعالى: (□ □ □ □ □ ى)	٥٠٧
	والآية فيها مسألة واحدة وهي: ما المراد بالأزواج هنا ؟.	٥٠٧
	الكلام على قوله تعالى: (□□ □ □ □)	٥١١
	والآية فيها مسألة واحدة وهي: ما الذي يسألون عنه في قوله تعالى: (□ □ □)	٥١١
	الكلام على قوله تعالى: (□ □ □ □ □ □)	٥١٦
	المسألة الأولى: ما المراد بالكأس هنا ؟	٥١٦
	المسألة الثانية: ما المراد بقوله تعالى: (□ □ □)	٥١٩
	الكلام على قوله تعالى: (□ □ □ □ ى ى ي ي)	٥٢١

	الموضـــوع	الصفحة
	وفيه مسألة واحدة وهي: ما معنى الغول ؟.	٥٢١
	الكلام على قوله تعالى: (ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ)	٥٢٤
	وفيه مسألة واحدة وهي: من القائل لهذا الكلام	٥٢٤
	الكلام على قوله تعالى: (ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ)	٥٢٦
	والآية فيها مسألة واحدة وهي: ممن هذا التسليم الموجه إلى نوح ؟	٥٢٦
	الكلام على قوله تعالى: (ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ)	٥٣٠
	والآية فيها مسألة واحدة وهي: إلى من يعود الضمير في قوله تعالى: (ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ)	٥٣٠
	الكلام على قوله تعالى: (ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ)	٥٣٢
	وفيه مسألة واحدة وهي: ما إعراب: (ﭱ ﭲ)	٥٣٢
	الكلام على قوله تعالى: (ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ)	٥٣٤
	والآية فيها مسألة واحدة وهي: ما معنى المراد بقوله: (ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ)	٥٣٤
	الكلام على قوله تعالى: (ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ)	٥٤١
	والآية فيها مسألة واحدة وهي: ما المراد بقوله: (ﮩ ﮪ)	٥٤١
	الكلام على قوله تعالى: (﮲ ﮳ ﮴ ﮵ ﮶ ﮷)	٥٤٤
	والآية فيها مسألة واحدة وهي: ما المقصود بقوله تعالى: (﮴ ﮵)	٥٤٤
	الكلام على قوله تعالى: (ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ)	٥٤٩

دكتوراه عبدالعلي المدخلي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

	الموضـــوع	الصفحة
	المسألة الأولى: ما المقصود بالسعي في قوله تعالى: (□ □ □ ى □).	٥٤٩
	المسألة الثانية: ما الذي رآه إبراهيم في المنام ؟	٥٥١
	الكلام على قوله تعالى: (ﮓ ں ڻ ڻ)	٥٥٢
	والآية فيها مسألة واحدة وهي: على من يعود الضمير في قوله تعالى: (ﮓ ڻ)	٥٥٢
	الكلام على قوله تعالى :قوله تعالى: (ۋ و و ۉ ۉ)	٥٥٥
	والآية فيه مسألة واحدة وهي: من هو إلياس المذكور في هذه الآية ؟	٥٥٥
	الكلام على قوله تعالى: (□ □ □ □ □ □)	٥٥٧
	وفيه مسألة واحدةوهي: ما المراد بقوله تعالى: (□ □ □)	٥٥٧
	الكلام على قوله تعالى: (ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ)	٥٦٠
	والآية فيها مسألة واحدة وهي: القراءات الواردة في قوله تعالى: (ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ) والمعنى على كل قراءة	٥٦٠
	الكلام على قوله تعالى: (ک ک گ گ گ گ).	٥٦٥
	والآية فيها مسألة واحدةوهي: ما سبب هروب نبي الله يونس عن قومه	٥٦٥
	الكلام على قوله تعالى: (ڻ ڻ ڈ ڈ ۀ ۀ).	٥٦٩
	والآية فيها مسألة واحدة وهي: ما المقصود بالتسبيح هنا ؟	٥٦٩
	الكلام على قوله تعالى: (ھ ے ے ۓ ۓ ﮊ).	٥٧٣
	والآية فيها مسألة واحدة وهي: ما المقصود بالعراء هنا ؟	٥٧٣

	الموضـــوع	الصفحة
	الكلام قوله تعالى: (﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾)	٥٧٥
	والآية فيها مسألة واحدة وهي: ما المراد باليقطين ؟	٥٧٥
	الكلام على قوله تعالى: (﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾).	٥٧٨
	والآية فيها مسألة واحدة وهي: هل الرسالة التي في هذه الآية هي الرسالة الأولى التي أبق بعدها؟ أم أنها رسالة ثانية ؟.	٥٧٨
	الكلام على قوله تعالى: (﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾).	٥٨٠
	والآية فيها مسألة واحدة وهي: ما المراد بقوله تعالى: (﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾)	٥٨٠
	الكلام على قوله تعالى: (﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾).	٥٨٣
	والآية فيها مسألة واحدة وهي: لماذا كرر التولي عنهم مع الوعد والوعيد	٥٨٣
	سورة : ص	
	الكلام على قوله تعالى: (﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾).	٥٨٦
	المسألة الأولى: أين جواب القسم في قوله تعالى: (﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾).	٥٨٦
	المسألة الثانية: في معنى قوله تعالى: (﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾)	٥٩٠
	الكلام على قوله تعالى: (﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾).	٥٩٤
	والآية فيها مسألة واحدة وهي: ما المقصود بالملة الآخرة في الآية	٥٩٤
	الكلام على قوله تعالى: (﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾).	٥٩٧
	والآية فيها مسألة واحدة وهي: ما المراد بالأسباب في الآية ؟	٥٩٧

	الموضـــوع	الصفحة
	الكلام على قوله تعالى: (ۈ ۋ ۋ ۇ ۆ ۆ)	٦٠٠
	والآية فيها مسألة واحدة وهي: إلى أين تعود الإشارة في قوله تعالى: (ۋ ۋ)	٦٠٠
	الكلام على قوله تعالى: (ې ې □ □ □ □ □ □ □)	٦٠٢
	والآية فيها مسألة واحدة وهي: ما المقصود بالأوتاد هنا	٦٠٢
	الكلام على قوله تعالى: (□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □)	٦٠٥
	والآية فيها مسألة واحدة وهي: ما المراد بالصيحة هنا ؟	٦٠٥
	الكلام على قوله تعالى: (ڃ ڃ ڃ ڃ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ).	٦٠٧
	والآية فيها مسألة واحدة وهي: ما هو العامل في قوله: « إذ » ؟	٦٠٧
	الكلام على قوله تعالى: (ڃ ڃ ڃ ڃ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ).	٦٠٩
	والآية فيها مسألة واحدة وهي: ما هو العامل في قوله: (ڃ ڃ)	٦٠٩
	الكلام على قوله تعالى: (گ گ گ گ گ گ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ہ ہ)	٦١٠
	المسألة الأولى: ما المراد بقوله: (ڻ ہ)	٦١٠
	المسألة الثانية: في حقيقة القصة المنسوبة لداود عليه السلام	٦١٢
	الكلام على قوله تعالى: (ۓ ۓ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ې ې □ □).	٦١٧
	والآية فيها مسألة واحدة وهي : ما معنى الظن في قوله: (ۋ ۇ).	٦١٧

د.كنوان عبدالحي العمدي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

	الموضـــوع	الصفحة
	الكلام قوله تعالى: (ڈ ڈ ڈ ڈ ژ ژ).	٦٢٠
	والآية فيها مسألة واحدة وهي: ما معنى (ژ ڑ).	٦٢٠
	الكلام على قوله تعالى: (ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ).	٦٢٣
	والآية فيها مسألة واحدة وهي: أين يعود الضمير في قوله: (گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ).	٦٢٣
	الكلام على قوله تعالى: (ڳ گ گ گ گ ں ں).	٦٢٥
	والآية فيها مسألة واحدة وهي: ما المراد بقوله تعالى: (گ ں ں ڻ)	٦٢٥
	الكلام على قوله تعالى: (ڻ ڈ ڈ ۀ ہ ہ ہ ھ ھ)	٦٣٠
	والآية فيها مسألة واحدة وهي: ما المراد بقوله: (ہ ھ)	٦٣٠
	الكلام على قوله تعالى: (ۇ ۇ ۇ و و ۆ ۆ ۈ ۈ).	٦٣٦
	والآية فيها مسألة واحدة وهي: ما المراد بقوله: (ۆ ۈ) ؟	٦٣٦
	الكلام على قوله تعالى: (□ □ □ □ □ □ □ □)	٦٣٨
	والآية فيها مسألة واحدة وهي: ما المراد بقوله تعالى: (□ □ □ □).	٦٣٨
	الكلام على قوله تعالى: (ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڄ ڄ).	٦٤٠
	والآية فيها مسألة واحدة وهي: ما المراد بقوله تعالى: (ڄ ڄ).	٦٤٠
	الكلام على قوله تعالى: (ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ)	٦٤٣
	والآية فيها مسألة واحدة وهي: ما المراد بقوله: (ڃ ڃ ڃ)	٦٤٣

	الموضـــوع	الصفحة
	الكلام على قوله تعالى: (ڑ ک ک ک گ گ گ)	٦٤٦
	والآية فيها مسألة واحدة وهي: إلى أين تعود الإشارة في قوله تعالى (ڑ ک ک).	٦٤٦
	الكلام على قوله تعالى: (ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک).	٦٤٩
	والآية فيها مسألة واحدة وهي: ما المراد بقوله: (ک ک) ؟	٦٤٩
	الكلام على قوله تعالى: (ں ڻ ڻ ڻ ۀ)	٦٥١
	والآية فيها مسألة واحدة وهي: ما المراد بقوله: (ڻ ۀ).	٦٥١
	الكلام على قوله تعالى: (ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ).	٦٥٤
	والآية فيها مسألة واحدة وهي: من القائل في قوله تعالى: (ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ)؟	٦٥٤
	الكلام على قوله تعالى: (ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ).	٦٥٧
	والآية فيها مسألة واحدة وهي: من القائل هنا ومن المقصود بالرجال ؟.	٦٥٧
	الكلام على قوله تعالى: (ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە)	٦٦٠
	والآية فيها مسألة واحدة وهي: ما المراد بقوله: (ى ئا ئا)	٦٦٠
	الكلام على قوله تعالى: (ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ).	٦٦٢
	والآية فيها مسألة واحدة وهي: ما المراد بالاختصام في قوله:(ئۆ) وإلى أين يعود الضمير ؟	٦٦٢

د.كوثر عبدالعلي المدني (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

الصفحة	الموضـــوع	
٦٦٦	**الكلام على قوله تعالى:** (ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى □ □ □ □).	
٦٦٦	**والآية فيها مسألة واحدة وهي:** ما المراد بقوله تعالى: (ۉ ۉ ې ې)	
	سورة الزمر	
٦٧٥	**ام على قوله تعالى:** (ڈ ڈ ڈ ڈژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ڻ ڻ ڻ ۀ ہ ہ ھ ھ).	
٦٧٥	**المسألة الأولى:** معنى قوله تعالى: (ڈ ڈژ ہ).	
٦٧٨	**المسألة الثانية**: على من يعود الاسم الموصول في قوله تعالى: (ژ ڑ ڑ ک ک ہ).	
٦٨١	**الكلام على قوله تعالى:** (ٱ ب ب ب ب پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ).	
٦٨١	**المسألة الأولى:** كيف عطف خلق حواء على خلق بني آدم بـ«ثم» التي تقتضي الترتيب، مع أن خلق حواء قبل خلق بني آدم ؟.	
٦٨٧	**المسألة الثانية:** ما المراد بقوله تعالى: (ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ڃ) ؟.	
٦٩١	**المسألة الثالثة:** ما المراد بالظلمات الثلاث ؟.	
٦٩٣	**الكلام على قوله تعالى:** (ې ې □ ى ى ې ې □)	

دكتور/ عبدالمحي المدني (كامل الرسالة :: مع الفهارس) ٥

	الموضـــوع	الصفحة
	والآية فيها مسألة واحدة وهي: قوله تعالى: (ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ) هل الهمزة للاستفهام أم للنداء ؟.	٦٩٣
	الكلام على قوله تعالى: (ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽)	٦٩٦
	والآية فيها مسألة واحدة وهي: ما مُتَعَلَّق قوله تعالى: (ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽).	٦٩٦
	الكلام على قوله تعالى: (ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽)	٧٠١
	المسألة الأولى: فيمن نزلت هذه الآية ؟.	٧٠١
	المسألة الثانية: في المعنى المراد بالطاغوت	٧٠٤
	الكلام على قوله تعالى: (ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽)	٧٠٦
	والآية فيها مسألة واحدة وهي:ما المراد بقوله: (ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ).	٧٠٦
	الكلام على قوله تعالى: (ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ

	الموضـــوع	الصفحة
	والآية فيها مسألة واحدة وهي: ما المراد باختلاف الألوان في الآية ؟.	٧١٣
	الكلام على قوله تعالى: (ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

	الموضـــوع	الصفحة
	على قوله تعالى: (ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

	الموضـــوع	الصفحة
	والآية فيها مسألة واحدة وهي: لمن يعود الضمير في قوله تعالى: (ﭐ) ؟.	٧٥١
	الكلام على قوله تعالى: (ڈ ڈ ڈ ڈ ڈ ڈ ڈ ڈ ڇ ڇ ڇ ڇ ڇ ڇ ڇ ڇ)	٧٥٣
	المسألة الأولى: ما المراد بالكتاب في هذه الآية ؟.	٧٥٣
	المسألة الثانية: هل المراد بالشهداء جمع شاهد أو جمع شهيد ؟	٧٥٥
	المسألة الثالثة: على القول بأن الشهداء جمع شاهد فَمَن هؤلاء الشهود ؟.	٧٥٨
	سورة : غافر	
	الكلام على قوله تعالى: (ڈ ڈ ڈ ڈ ڇ ڇ ڇ ڇ ڇ ڇ ڇ ڇ ڇ ڇ ڇ)	٧٦١
	والآية فيها مسألة واحدة وهي: ما المراد بقوله تعالى: (ڇ ڇ)	٧٦١
	الكلام على قوله تعالى: (ڇ ڇ ڇ ڇ ڇ ڇ ڇ ڇ ڇ ڇ ڇ ڇ ڇ ڇ ڇ ڇ ڇ).	٧٦٣
	والآية فيها مسألة واحدة وهي: ما المراد بقوله تعالى: (ڇ ڇ ڇ ڇ)	٧٦٣
	الكلام على قوله تعالى: (ڍ ڍ ڈ ڈ ڈ ڈ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک).	٧٦٦
	والآية فيها مسألة واحدة وهي: ما المراد بقوله تعالى: (ڈ ڈ ڈ ڈ)؟.	٧٦٦
	الكلام على قوله تعالى: (ک ک گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ ں ں ڻ ڻ)	٧٦٩

د.كنوان عبدالعلي العمدي (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

	الموضـــوع	الصفحة
	والآية فيها مسألة واحدة وهي: إلى أين تعود الإشارة في قوله تعالى: (ک ک ڻ) ؟.	٧٦٩
	الكلام على قوله تعالى: (ۈ ۇ ۆ ۆ و و ۉ ۉ ې ې ۅ □ □ □ □ □ □)	٧٧٢
	والآية فيها مسألة واحدة وهي: لماذا سمي الله تعالى يوم القيامة بيوم التلاق ؟.	٧٧٢
	الكلام على قوله تعالى: (□ □ □□ □ □ □ □ □ □□ □ □ □□ ى ى ي ي)	٧٧٤
	والآية فيها مسألة واحدة وهي: من القائل ومن المجيب في قوله تعالى: (□ □ □□ ى ى ي ي).	٧٧٤
	الكلام على قوله تعالى: (ذ ث ث ٹ ٹ ٹ ٹ ٹٹ ٹٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ)	٧٧٦
	المسألة الأولى: ما المراد بقوله تعالى: (ٹٹ ڤ) ؟	٧٧٦
	المسألة الثانية: ما المراد بالنفي في قوله تعالى: (ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ) هل هو لنفي وجود الشفاعة أم لنفي قبولها ؟.	٧٧٩
	الكلام على قوله تعالى: (ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ چ چ ڈ ڈ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ).	٧٨١
	المسألة الأولى: هل هذا الرجل المؤمن من بني إسرائيل، أم من آل فرعون ؟	٧٨١

د.محمد عبدالعلي المدني (كامل الرسالة :: مع الفهارس) ٥

	الموضـــوع	الصفحة
	المسألة الثانية: ما الحكمة في تعبير المؤمن بالتبعيض في قوله: (ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ) ؟. مع أنه إن كان الرسول صادقاً فما وعد به يكون كله	٧٨٤
	الكلام على قوله تعالى: (ۈ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ې ې)	٧٨٧
	والآية فيها مسألة واحدة وهي: من القائل في هذه الآية موسى أم الرجل المؤمن ؟.	٧٨٧
	الكلام على قوله تعالى: (□ □ □ □ □ □ □ □)	٧٨٩
	والآية فيها مسألة واحدة وهي: لم سمى يوم القيامة بيوم التناد ؟	٧٨٩
	الكلام على قوله تعالى: (ى ي ي □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □)	٧٩٢
	والآية فيها مسألة واحدة وهي: ما المراد بقوله تعالى:(ى ي ي □) ؟.	٧٩٢
	الكلام على قوله تعالى: (ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ)	٧٩٤
	والآية فيها مسألة واحدة وهي: ما المراد بالأسباب في الآية ؟.	٧٩٤
	الكلام على قوله تعالى: (ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ).	٧٩٦
	المسألة الأولى: هل الآية عامة في كل الأنبياء والمؤمنين، أم هي خاصة بمن أظهر الله نصرهم في الدنيا.	٧٩٦
	المسألة الثانية: مالمراد بالأشهاد في قوله تعالى: (ڤ ڤ ڤ) ؟.	٨٠٠

	الموضـــوع	الصفحة
	الكلام على قوله تعالى: (ڤ ڃ ڃ ڃ ڃڃ ڃ ڃ ڃڃڃ).	٨٠٢
	والآية فيها مسألة واحدة وهي: هل يعتذر الظلمة يوم القيامة بين يدي الله تعالى.	٨٠٢
	الكلام على قوله تعالى: (ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ ں ڻ ڻ ۀ ہ ہ ہ ھ ھ ے ۓ ۓ ڭ)	٨٠٦
	والآية فيها مسألة واحدة وهي: ما الأمر الذي استكبروا عنه ؟.	٨٠٦
	الكلام على قوله تعالى: (ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ)	٨٠٩
	والآية فيها مسألة واحدة وهي: ما المراد بقوله تعالى (ڭ ڭ ڭ)؟.	٨٠٩
	الكلام على قوله تعالى: (ٹ ٹ ٹ ٹ ٹٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ)	٨١٢
	والآية فيها مسألة واحدة وهي: ما المراد بالدعاء في هذه الآية ؟.	٨١٢
	الكلام على قوله تعالى: (ڃ ڃ ڃ ڃ ڄ ڄ ڄ ڄ ڄ ڄ ڦ).	٨١٥
	والآية فيها مسألة واحدة وهي: من هؤلاء الذين يجادلون في آيات الله ؟.	٨١٥
	الكلام على قوله تعالى: (ۋ ۋ ۉ ۉ ې ې □ □ □ □ □)	٨١٧
	والآية فيها مسألة واحدة وهي: ما المراد بقوله تعالى: (□).	٨١٧
	الكلام على قوله تعالى: (ھ ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ).	٨١٩
	والآية فيها مسألة واحدة وهي: إلى من يعود الضمير في قوله تعالى: (ۓ ۇٴ)؟.	٨١٩

دكتوراه عبدالمحسن العمري (كامل الرسالة ... مع الفهارس) ٥

الصفحة	الموضـــوع	
	الخاتمـــــة ص : ٨٢٢	
	الفهارس العلمية العامة	
٨٢٥	فهرس الآيات القرآنية	
٨٥٧	فهرس الأحاديث النبوية	
٨٦٣	فهرس الآثار	
٨٧٥	فهرس الأعلام المترجمين	
٨٨٠	فهرس القبائل والملل	
٨٨٣	فهرس الأماكن والبلدان	
٨٨٤	فهرس الأشعار	
٨٨٧	فهرس المصادر والمراجع	
٩٣٣	فهرس الموضوعات	

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم الكتاب والسنة
شعبة التفسير وعلوم القرآن

ترجيحات ابن جُزيّ في التفسير

من خلال كتابه : (التسهيل لعلوم التنزيل)

من أول سورة المعارج إلى آخر سورة الإنسان

عرضاً ومناقشة

رسالة علميّة مقدمة لنيل درجة الماجستير

إعداد الطالبة

إنجا بنت دخيّل بن حمود الجدعاني

الرقم الجامعي (٤٢٧٨٠٢٨٧)

إشراف

فضيلة الأستاذ الدكتور / عبد الرحيم بن يحي الحمود الغامدي

العام الجامعي

١٤٣٠ هـ / ٢٠٠٩ م

ملخص الرسالة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أمَّا بعد :

فإن رسالة ترجيحات ابن جُزيّ في التفسير من خلال كتابه التسهيل لعلوم التنزيل من أول سورة المعارج إلى آخر سورة الإنسان عرضاً ومناقشة.

رسالة علمية مقدمة لنيل درجة الماجستير في الكتاب والسُّنة ، شعبة التفسير وعلوم القرآن من الباحثة : إنجا دخيِّل حمود الجدعاني . وتشتمل الرسّالة على مقدمة وقسمين وخاتمة وفهارس عامَّة.

ذكرت في المقدمة سبب اختياري للموضوع ، وأهميته ، ومنهجي الذي اتبعته في البحث.

القسم الأول : كان التعريف فيه بابن جُزيّ بإيجاز وكتابه (التسهيل لعلوم التنزيل) ومنهجه في الترجيح ، حيث أبرز أهم مراحل حياته ، و مكانته العلمية ، وأوضح مشاركته الجادة في التفسير ، وأثره فيه ، وفي سائر العلوم الأخرى من خلال ذكر تآليفه .

القسم الثاني : فقد عنيَ بترجيحات ابن جُزيّ الكلبي في التفسير من أول سورة المعارج إلى آخر سورة الإنسان ، ودراسة هذه الترجيحات دراسةً تفصيلية مقارنة بأقوال أئمة العلم من المفسرين وغيرهم .

و أبان البحث عن قوّة ترجيحات ابن جُزيّ – رحمه الله تعالى – وأنَّه لم يكن مقلدًا في ترجيحاته التفسيرية ، بل كان مجتهدًا يعتمد الدليل والنظر.

ثم أنهيت البحثَ بخاتمة فيها أهم النتائج ، وفهارس فنية كاشفة عن مضامين الرسالة .

والحمد لله على توفيقه وامتنانه،،،

Thesis Abstract

Praise be to Allah, Lord of the Worlds, prayer and peace be upon the last of the Prophets and Messengers, our Prophet Muhammad, his kinsfolk and companions and those who follow them in good faith till the Judgment Day.

The preponderant study of Ibn Juzai of Holy Qur'an Interpretation in his book "Al Tasheel Li Oloom Al Tanzeel", from the beginning of Surat Al Maarij up to the end of Surat Al Insan, presentation and discussion, is an academic thesis presented in fulfillment of the Master's Degree in the Holy Book and Sunnah, Department of Holy Qur'an Interpretation and Qur'an Sciences, by the researcher: Inja Dikhail Humod Al Jadaani.

The thesis comprises an introduction, two sections, a conclusion and general indices.

I have stated in the introduction the reason for choosing the topic, its objectives, significance and the method I have followed in my research work.

Section One: A brief introduction of Ibn Juzai and his book (Al Tasheel), his method in preponderance, where he had highlighted the most important stages of his life, his academic standing and explained his serious participation in Holy Qur'an Interpretation, his impact on it and in all other sciences through narrating his books and writings.

Section Two: Tackled the preponderances of Ibn Juzai Al Kalbi in interpretation from the beginning of Surat Al Maarij up to the end of Surat Al Insan and studying those preponderances in details compared to the ideas of senior scholars, interpreters and their likes. Moreover, the researcher illustrated the preponderances of Ibn Juzai Al Kalbi – May Allah forgive him - and that he was not an imitator in his interpretation work, he was rather a diligent laborious worker depending on evidence and thought.

I have ended the research work with a conclusion comprising the most important results and technical indices explaining the contents of the thesis.

Thank Allah for helping me to conclude this work,,

مُقَدِّمَة

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾[1] لا يحصى عدد نعمته العادّ ون ولا يؤدى حقّ شكره المتحمدون ولا يبلغ مدى عظمته الواصفون ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[2] أحمده على الآلاء وأشكره على النعماء وأستعين به في الشدة والرخاء.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله .أرسله إلى الخلق أجمعين بلسان عربي مبين بلغ الرسالة وأظهر المقالة ونصح الأمة وكشف ا لغمة وجاهد في سبيل الله حق جهاده ، صلّى الله عليه وعلى أهل بيته الطيبين وأصحابه المنتخبين وأزواجه الطاهرات أمهات المؤمنين وتابعيهم بالإحسان إلى يوم الدين[3].

أمّا بعدُ :

فإنّ أحقَّ ما صرُفت الهمم لتحصيلِهِ ، وأجمعَ الثقلين على تفضيلِهِ ، وانعقدت خناصرُ العلماءِ لنيلِ معينِهِ ؛كتابُ اللهِ – ﷻ – الجالي للحقائقِ الحالي بكلِّ المحامدِ ، من تمسّك به نجا ومن أعرضَ عنه فقد غوى . كشفت جِلاقٌ أنوارهِ دياجيرُ الظلامِ ، وشهد العالمينَ له بالتّمام . ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[4].

لا تنقضي عجائبهُ ، و لا تقلعُ سحائبهُ ولا يخلَقُ من كثرةِ الرّدِّ ؛ فهو المعينُ الذي لا ينضبُ والخيرُ الذي لا ينفد، حارت في روعته فهومُ العلماء ، وألجمت حجتهُ ألسنة الأدعياء ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[5].

ولما كانت النفوس في هذه الحياة بحاجة لدليل يرشدها في المدلهمات ، وهادٍ ينير طريقَها في الظلمات ، كان كتاب الله – ﷻ – ذلك النور الذي تنكشف به كل ظلمة ، والحق الذي تندحر أمامه

(١)الأنعام:١ .

(٢)البقرة:١١٧ .

(٣) يُنظر : مقدمة تاريخ بغداد (٣/١).

(٤) سورة فُصِّلَت:٤٢.

(٥) سورة السجدة:٢.

كل شبهة ، وصدق الله تعالى القائل : ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾[1] .

فقد حوى من أسرار المعاني و جميل المباني ما يسدُّ رمقها ، ويروي فطرتها ؛ لأن النفس جُبلت على التوجه إلى خالقها ، فلا تسكن إلا إليه ولا تأنس إلا به ؛ لذا أرشد الله – ﷻ – عباده على التفكر والتدبر لهذا النور بقوله :﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾[2]، فكلما أمعن الناظر فيه الفكر تفيأ من ظلال المعرفة ، و جنى ثمارًا مختلفة ، كما قال القائل :

يزيدكَ وجهُهُ حُسْناً إذا ما زدتَهُ نظرا [3]

و إنَّ العلوم مهما تعددت ضروبها ، فلا مراء أن علم التفسير صدّرها و رأسها ، وأسماها و أسناها لتعلقه بكلام الله تعالى أشرف الكلام وأبينه ، و أوفاه وأكمله . فشمر المجدون وتنافس المتنافسون للوقوف على أسراره تدبرا وتفكرا .

فلمّا رأيت المضمارَ قد نُصبَ، وأخذ القومُ في السّعي ل لطّلب، رغبت في شرف الانتساب لهذا الركب، فيممت وجهي – بعد الاستخارة و ا لاستشارة – نحوَ "كتابِ التسهيلِ لعلوم التنزيل " لأبي القاسم محمد ابن جُزيٍّ الكلبيِّ ،وقد سبق أن طُرق هذا الموضوع [4] و تمَّ توزيعه بين عدة طلاب

(١) سورة الشورى:٥٢.

(٢) سورة ص:٢٩.

(٣) القائل : الحسن بن هانئ بن عبد الأول بن صباح الحكمي المعروف بـــ"أبي نواس ".توفي سنة (١٩٨ هـــ).
يُنظر : ديوان المعاني (٢٣١/١) ،و معاهدة التنصيص (٧٩/١)، و مناهل العرفان في علوم القرآن (٢٣٣/٢).

(٤) قسّمت ترجيحات ابن جزي على عدة طلاب وطالبات وهم :

- محمد علي عبدان الغامدي " دكتوراة " من أول سورة الفاتحة إلى نهاية سورة البقرة . عام ١٤٢٩ هـــ
- عبد العزيز إبراهيم محمد اليحي من أول سورة آل عمران إلى نهاية سورة المائدة . عام ١٤٢٥ هـــ
- إبراهيم محمد عبد الخالق الغامدي من أول سورة الأنعام إلى نهاية سورة يوسف . عام ١٤٢٨ هـــ
- هناء عبد الله سليمان أبو داود من أول سرورة الر عد إلى نهاية سورة القصص. عام ١٤٣٠ هـــ
- عبد الحي دخيل الله المحمادي من أول سرورة العنكبوت إلى آخر سورة غافر. ١٤٢٨هـــ
- وجنات محمد حسين جنبي من أول سورة الحشر إلى آخر سورة الحاقة . مسجلة و لم تناقش.
- إيمان زكي عطية . ماجستير " من أول سورة المرسلات إلى آخر سورة الأعلى . مسجلة و لم تناقش.
- طارق أحمد الفارس " ماجستير " من أول سورة الغاشية إلى آخر سورة الناس. عام ١٤٣٠ هـــ

وطالبات ، فأحببت أن أكون إحدى المشاركات فيه ، لعلّي ألحق بالركب على قلة بضاعتي ، وعنوان هذا البحث هو :

ترجيحات ابن جُزي في التفسير من خلال كتابه : (التسهيل لعلوم التنزيل) من أول سورة المعارج إلى آخر سورة الإنسان عرضًا ومناقشةً

۞ أهداف الموضوع كما يلي :

١. جمع ترجيحات ابن جُزيّ في تفسيره في القسم الخاص بي.
٢. دراسة هذه الترجيحات ومناقشتها مناقشة علمية.
٣. توضيح منهج ابن جُزيّ في الترجيح.
٤. إبراز جهود ابن جُزيّ في تحقيق أقوال المفسرين.

۞ أهمية الموضوع ، فإنها تتضح من خلال النقاط التالية

١. مكانة ابن جُزيّ ، وإتقانه للعلوم المختلفة.
٢. تأخر زمن ابن جُزي عن سابقيه من أئمة التفسير مما مكنه من الاطلاع على كتبهم والتدقيق في أقوالهم.
٣. القيمة العلمية التفسيرية لكتاب التسهيل فهو على وجازته كثير العلم شمل ما احتوته الكتب المتقدمة.
٤. حرص ابن جُزيّ على ذكر الأقوال المفيدة و الوجيهة واجتناب الإطالة في ذكر الخلاف.
٥. وضوح فكرة الترجيح عند ابن جُزيّ حيث خطَّ لنفسه منهجًا قائمًا على أسس علمية في تحرير الأقوال وبيان الراجح منها.

۞ أسباب اختيار الموضوع فهي كما يلي:

١. الاشتغال بفهم كتاب الله وهو خير ما أفنيت فيه الأعمار.
٢. أهمية دراسة الترجيحات ، إذ هي صفوة التفسير وخلاصته ، إذا قويت أدلتها .
٣. الوقوف على كثير من معاني كلام الله – ﷻ– والنظر في الراجح والمرجوح من أقوال المفسرين .
٤. إن مثل هذه الموضوعات تنمي لدى الباحث روح التدقيق والتحقيق ، حيث يقوم بمناقشة الأقوال والموازنة بينها والترجيح المبني على الدليل.
٥. سعة الموضوع ، وتداخل علومه ، مما يتيح لي فرصة الوقوف على جُلِّ علوم القرآن الكريم و الرجوع إلى أمهات كتب التفسير .

۞ مجال الدراسة :

جمع ترجيحات ابن جُزي وعرضها على أقوال المحققين من علماء التفسير وغيرهم ، من المتقدمين أو المتأخرين ، مع ذكر الموافق والمخالف ، و بيان القول الراجح وفق قواعد الترجيح.

۞الدراسات السابقة :

- ابن جُزيّ ومنهجه في التفسير ، أعدّها البحث / علي بن محمد الزبيري، وهي عبارة عن أطروحة علمية قدمت في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة،لنيل درجة الماجستير في الشريعة الإسلامية،وقد طبعت في مجلدين.
- ابن جزي الكلبي وجهوده في التفسير من خلال كتابه: (التسهيل لعلوم التنزيل) ، أعدّها الباحث /عبد الحميد محمد ندا . رسالة ماجستير في جامعة الأزهر . ١٩٨٠ م .
- التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي الكلبي : تحقيق و دراسة نحويه ، أعدّها الباحث / طاهر عبد الحي محمد شبانة . رسالة دكتوراة في جامعة القاهرة ، قسم النحو والصرف . ١٩٩٥ م .
- التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي الكلبي : دراسة وتحليل .أعدّها الباحث / إسلعيل فهمي عبد الإله رسالة ماجستير.
- التسهيل لعلوم التنزيل لابن جُزيّ الكلبي : تحقيق و دراسة وتخريج الأحاديث والآثار من القسم الأول من أول الكتاب إلى آخر سوره النور ، أعدّها الباحث / سامي بن مساعد الجهني. رسالة ماجستير.
- ابن جُزيّ الكلبي ومنهجه في التفسير من خلال كتابه : (التسهيل لعلوم التنزيل) ، أعدّها الباحث / عبد الرحمن سعد على بركة ، منشورات كلية الآداب والتربية بجام عة سبها ليبيا، الطبعة الأولى عام ١٩٩٤ م.
- ابن جُزيّ الكلبي ومنهجه في التفسير ، أعدّها الباحث / فراس يحيي عبد الجليل الهيتي . رسالة ماجستير في جامعة صدام للعلوم الإسلامية ، العراق ،عام ١٩٩٥ م .
- ابن جُزيّ ومنهجه ، أعدّها الباحث / إقبال عمر محبوب ، جامعة ا لقرآن الكريم والعلوم الإسلامية ، عام ٢٠٠١ م .
- قواعد الترجيح عند ابن جُزيّ – دراسة تطبيقية – ، أعدّها الباحث / عبد الله حميد عبد الله جمعة ،رسالة ماجستير في جامعة الملك سعود قسم الثقافة الإسلامية، نُوقشت عام ١٤٢١ هـ .

۞ خطة البحث:

اقتضت طبيعة البحث أن يكون مشتملاً على : مقدمةٍ ، وقسمين، وخاتمة ،وفهارس عامة .

أولا / المقدمة: وتشتمل على أهداف الموضوع ، وأهميته، وأسباب اختياره وخطة البحث ومنهج الكتابة فيه.

ثانياً / القسم الأول: التعريف بابن جُزيّ ، وكتابه " التسهيل " ومنهجه في الترجيح وفيه بابان :

الباب الأول : ترجمة موجزة لابن جُزيّ . وفيه فصلان :

الفصل الأول : حياة ابن جُزيّ الشخصية ، وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول : عصر ابن جُزيّ.

المبحث الثاني : اسمه ، ونسبه ، وكنيته ، وشهرته .

المبحث الثالث : مولده ، ونشأته .

المبحث الرابع : عقيدته ، ومذهبه ، وقراءته.

المبحث الخامس : وفاته.

الفصل الثاني : حياة ابن جُزيّ العلمية ، وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : مكانته العلمية.

المبحث الثاني : أشهر شيوخه وتلاميذه .

المبحث الثالث : مصنفاته ، وآثاره .

الباب الثاني : التعريف بكتاب التسهيل ومنهج ابن جُزيّ في الترجيح : وفيه فصلان :

الفصل الأول :التعريف بكتاب التسهيل لابن جُزيّ، وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : القيمة العلمية لكتاب التسهيل .

المبحث الثاني : مصادر ابن جُزيّ في كتابه .

المبحث الثالث : منهج ابن جُزيّ في كتابه .

الفصل الثاني : منهج ابن جزي في الترجيح في تفسيره ، وفيه تمهيد ومبحثان :

التمهيد : تعريف الترجيح وموجبه عند ابن جُزيّ .

المبحث الأول : صيغ الترجيح عند ابن جُزيّ.

المبحث الثاني : وجوه الترجيح عند ابن جُزيّ.

ثالثًا / القسم الثاني : ترجيحات ابن جزي من سور ة المعارج إلى سورة الإنسان عرضًا ومناقشةً .

- ❖ **أولًا : ترجيحات ابن جُزيّ في سورة المعارج**
- ❖ **ثانيًا : ترجيحات ابن جُزيّ في سورة نوح.**
- ❖ **ثالثًا : ترجيحات ابن جُزيّ في سورة الجن.**
- ❖ **رابعًا : ترجيحات ابن جُزيّ في سورة المزمل.**
- ❖ **خامسًا : ترجيحات ابن جُزيّ في سورة المدثر.**
- ❖ **سادسًا : ترجيحات ابن جُزيّ في سورة القيامة.**
- ❖ **سابعًا : ترجيحات ابن جُزيّ في سورة الإنسان.**

رابعاً– الخاتمة: و فيها أهم النتائج التي توصلت إليها.

خامساً – الفهارس العلمية ، وتتضمن الفهارس الآتية :

١. فهرس الآيات القرآنية الكريمة.
٢. فهرس الأحاديث الشريفة.
٣. فهرس الآثار.
٤. فهرس الأعلام المترجم لهم.
٥. فهرس الأخطاء المطبعية
٦. فهرس الغريب والمصطلحات المشروحة.
٧. فهرس الفرق.
٨. فهرس الأشعار.
٩. فهرس المصادر والمراجع.
١٠. فهرس الموضوعات.

۞ منهج البحث:

أولا : ما يتعلق بالقسم الأول :

- اختصرت في ترجمة الإمام أبي القاسم ابن جُزيّ – رحمه الله – ؛ لأنه قد سبق أن كتب عنها

الشيخ علي محمد الزبيري – رحمه الله – في رسالته " ابن جُزيّ ومنهجه في التفسير " وهي عبارة عن دراسة مسهبة لابن جزي ومنهجه .

- حصرتُ صيغ و وجوه الترجيح عند ابن جُزيّ من قسم الدراسة وذكرت مثالًا واحدًا من قول ابن جُزي عليها.

ثانيًا : ما يتعلق بالقسم الثاني (ترجيحات ابن جزي) ، سرت فيها على النحو التالي :

١. استخرجت ترجيحات ابن جُزيّ التفسيرية من خلال تفسيره التسهيل لعلوم التنزيل ، في المقدار المحدد للدراسة ، وقد بلغت (سبع وثمانين) مسألة ، واعتمدت في تحديدها على النحو التالي:
   - ❖ تصريح ابن جُزيّ بالراجح في المسألة .
   - ❖ تصريح ابن جُزيّ بردٍّ أو تضعيف بعض الأقوال في تفسير الآية .
   - ❖ تفسيره للقول الراجح بصيغة الجزم ، وذكر الأقوال الأخرى بصيغة التمريض .
   - ❖ نسبة القول لمن يُقتدى به.
   - ❖ ذكره قول واحد في معنى الآية.
   - ❖ ترجيح القول المتقدم على غيره ، إذا كانت الأقوال في درجة واحدة في سياق كلامه.

٢. درست هذه الترجيحات دراسة تفصيلية مقارنة بأقوال أهل العلم من مفسرين ، ولغويين وغيرهم ، وكتبتها على النحو التالي :
   - أُورِدُ نصَّ الآية التي ذكرها ابن جُزيّ – وله فيها ترجيح – في أول الصفحة مرتبة الآيات والسور حسب ترتيب المصحف الشريف وذلك برواية ورش عن نافع .
   - إذا كان في الآية مسألتان أحدد ذلك بقولي : (وفي الآية مسألتان) و إن لم يوجد إلا مسألة واحدة فأقول : (مسألة). ثم وضعت عنوانًا مختصرًا لكل مسألة يدل على مضمونها .
   - أتبعت ذلك بالقول الراجح ثم التزمت بعدها بإيراد مجمل قول ابن جُزيّ بنصه كاملاً لبيان صيغ الترجيح عنده ، وبيان الأقوال الأخرى التي ذكرها في الآية.

٣. العرض والمناقشة ، وفيها :
   - ذكرت عدد الأقوال التي قيلت في تفسير الآية.
   - صدّرت تلك الأقوال بالقول الراجح الذي رجَّحه ابن جُزيّ ، وعبرت عنه بالقول الأول ثم اتبعته بذكر من رُوي عنه هذا القول من السلف مبتدئة بقول الصحابة ثم التابعين ثم أتباع التابعين فمن بعدهم ممن صنف في التفسير – وقد أدرج فيهم من ليس منه م إذا دعت الحاجة لذلك – .

- ذكرت بعد ذلك قولين – في الغالب- ممن ظهر له في المسألة ترجيح .
- عرضت ترجيحات ابن جُزيّ على أقوال العلماء من المفسرين [1] وغيرهم في تفسير الآية

---

(١) كتب التفسير ، وغريب القرآن التي عرضت عليها ترجيح ابن جزي – مرتبة حسب وفيات أصحابها – هي :

- معاني القرآن للفراء
- مجاز القرآن لأبي عبيدة .
- تفسير القرآن الصنعاني
- تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري
- معاني القرآن وإعرابه للزجاج .
- تفسير القرآن لابن أبي حاتم.
- نُكت القرآن الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام للقصّاب .
- أحكام القرآن للجصاص .
- تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم لأبي الليث السمرقندي.
- تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين.
- الكشف والبيان للثعلبي .
- الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب القيسي
- التحصيل في مختصر التفصيل الجامع لعلوم التنزيل لأبي العباس أحمد بن عمار المهدوي.
- النكت والعيون للماوردي.
- الوسيط في تفسير القرآن المجيد للواحدي .
- وتفسير القرآن . للسمعاني.
- المفردات في غريب القرآن للأصبهاني.
- معالم التنزيل للبغوي
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري .
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية .
- أحكام القرآن لأبي بكر محمد بن عبد الله ابن العربي
- زاد المسير في علم التفسير لعبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي.
- باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن لبيان الحق النيسابوري .
- التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب لفخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي.
- الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي
- أنوار التنزيل للبيضاوي.
- مدارك التنزيل للنسفي .
- غرائب القرآن ورغائب الفرقان للقمي النيسابوري .
- لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن .
- تفسير البحر المحيط لأبي حيان.
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي .
- عمدة الحفاظ للسمين الحلبي.

وذكرت من وافقهم ابن جُزيّ ممن تقدم ، ومن وافقه ممن تأخر عنه سواءً كانت هذه الموافقة تصريحًا أو تلميحًا مع ذكر الدليل إن وجد.

- ذكرت بعد ذلك الأقوال الأخرى التي قيلت في تفسير الآية مما ذكرها ابن جُزيّ وغيره مع نسبتها إلى السلف فمن بعدهم ممن تقدم ابن جزي أو تأخر عنه مع ذكر الدليل وحجته إن وجد.
- درست الأقوال وأدلتها ، وبيان وجوه القوة والضعف فيها مستنيرةً بأقوال أهل العلم فإن أمكن الجمع بينها فإليه ذهبت ، وإن لم يكن ، فقلت بالتوَّجيح إلى القول الذي يسكن القلب إليه في تفسير الآية ، متجردة – إن شاء الله تعالى – من التعصب لرأي أو لشخص ، ولم أتعمد مخالفة ظواهر الأدلة لأوافق قول أحد بل اتبعت الأدلة حسب وسعي وطاقتي.
- صححت الأخطاء المطبعية الواردة في المطبوع من المخطوط .
- عزوت الآيات القرآنية – الواردة في الرسالة – إلى سورها ، بذكر اسم السورة ورقم الآية في الحاشية ، معتمدةً في ذلك على إنزالها من الحاسوب وفق برنامج خاص بالرسم لقراءة ورش عن نافع في قول ابن جُزيّ لأنه بنا كتابه عليها ، و برواية حفص عن عاصم

- تفسير القرآن العظيم لابن كثير .
- تفسير الجلالين لجلال الدين المحلي .
- الجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي .
- اللباب في علوم الكتاب لابن عادل .
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي .
- الدر المنثور لجلال الدين السيوطي.
- السراج المنير للشربيني .
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لأبي السعود .
- حاشية الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي للخفاجي .
- حاشية الصاوي على تفسير الجلالين.
- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للشوكاني .
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي.
- فتح البيان في مقاصد للقنوجي .
- محاسن التأويل لمحمد جمال الدين القاسمي
- تفسير المراغي لأحمد مصطفى المراغي
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي .
- التحرير والتنوير لابن عاشور .
- تتمة أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشيخ عطية سالم.

في بقية الرسالة وإذا احتجت في الاستدلال إلى قراءة أخرى ضبطها وفق تلك القراءة .

- خرّجت جميع الأحاديث في البحث تخريجًا مختصرًا ، فما كان منها في الصحيحين أو أحدهما فأكتفي بذلك ، وإن كان في غ يرهما فإني أُخرِّجه من مضانه ، ثم أذكر كلام المحدِّثين عليه من المتقدمين و المتأخرين ، فإن لم أجد أجتهد ت في ذلك ، و وضعت الأحاديث بين قوسين هلاليين (( )) .
- خرّجت الآثار تخريجًا مختصرًا ، اقتصرت فيه في الغالب على الإحالة إلى موضع الأثر بالجزء والصفحة ورقمه إن وجد ، وحكمت عليه إذا دعت الحاجة إلى ذلك.
- وثقت النصوص المنقولة توثيقا علميًا من مصادرها ما أمكنني ذلك ، ولا أنقل بواسطة إلا إذا تعذر عليَّ الوصول إلى الأصل، و لم التزم ذكر أسماء المؤلفين مع المرجع ، والمعول عليه في معرفة معلومات المراجع كاملة الفهرس المختص بها.
- ترجمت للأعلام الوارد ذكرهم ترجمة مختصرة وافية بالغرض .
- عزوت الشواهد الشعرية إلى دواوينها ومصادرها المعتمدة .
- عرفت بالفرق والطوائف الوارد ذكرها في الرسالة.
- التزمت الترتيب الزمني للوفيات في ذكر العلماء ومؤلفاتهم في صلب الرسالة أو هوامشها و لم أخالف ذلك إلا لأمر يقتضيه المقام كأن يكون النص المنقول لمتأخر ، ونحو ذلك.
- ضبطتُ بالشكل كل الأحاديث في البحث ، وما يحتاج إلى ضبط مما تُشكل قراءته و يلتبس نُطقه.
- قد أحتاج أحيانًا إلى إدخال كلامي في ثنايا نصٍّ منقول بلفظه لأحد العلماء فإني أضعه بين معقوفتين هكذا [...] ، وإذا حذفتُ شيئاً من النص المنقو ل وضعت مكانه نقاطاً هكذا ... .

الخاتمة :

وفيها أبرز النتائج و الوصايا التي توصلت إليها.

الفهارس :

ذيلت البحث بمجموعة من الفهار س العلمية التي تخدم البحث وتيسر الوصول إليه وهي : فهرس الآيات وسرت في توثيق الآية على رواية حفص ، و ما اختلفت عنه رواية ورش في عدّ الآي بينته بجانبه بوضع فاصل بينهما هكذا (/) ، وفهرس الأحاديث الشريفة ، وفهرس الآثار ، وفهرس الأعلام

وفهرس الفرق ، وفهرس الأشعار ، وفهرس المصادر والمراجع وأخيراً فهرس الموضوعات .
وجميع هذه الفهارس مرتبة على حروف المعج م باعتبار الحرف الأول للكلمة سوى فهرس الآيات فحسب ترتيبها في المصحف ، والموضوعات حسب ترتيبها في البحث.

۞ شكر وتقدير وعرفان :

أشكر الله – ﷻ – الذي وفقني للاشتغال بكتابه الكريم ، و منحني من جميل العطايا والهبات فكم لطف بي وأعان ، وستر وفرّج ، ووفقّ وقرّب.

لكَ الحمدُ يارَبُّ والشكرُ ثم لكَ الحمدُ ما باحَ بالشكرِ فَمْ
لكَ الحمدُ في ما حالةٌ فقد خصَّني منكَ فضلٌ وعمْ [1]

فأحمدُه جلَّ وعلا حمدًا كثيرًا طيبًا لا أحصي ثناءً عليه أهل الثناء والمجد.

ثم أتوجّه بشكري بعدَ شكرِ الله – ﷻ– لوالديَّ الكريمين أبي وأمي امتثالا لأمر الله– ﷻ –: ﴿أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ ﴾[2] فلهما مني خالص ودي ، وعظيم امتناني ، وجزاهما الله عني خير ما جزى والدًا عن ولده ، وأسأل الله تعالى أن يمدَّ في عمرهما ،وينسأ في أثرهما ، ويجزل لهما المثوبة ، ويرزقهما الحياة الطيبة في الدارين.

ثم الثناء العاطر لفضيلة أ.د / عبد الرحيم بن يحي الحمود الغامديِّ . أشكر له النصح والتوجيه والتصويب والمتابعة ، فكم أجاد عليّ وأنعم برحابة صدر ، وجميل خلق ، ووفرة علم ، فأسأل الله تعالى أن يجزيه عني خير الجزاء ، وأن يبارك في علمه وعمله ، ويبلغه فوق ما أمله في الدارين .

و لجامعتي المباركة : (جامعة أمِّ القرى) كل شكر وامتنان وأخصُّ بذلك كليةَ الدعوة ممثلةً في عميدها

(١) القائل : أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي . المتوفى سنة (٤٥٦ هـ). تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة (٣٣٣).
(٢) سورة لقمان:١٤ .

و وكلائه ورئيس قسم الكتاب والسنة ومشايخي في مرحلة الماجستير.

والشكر الجزيل لفضيلة أ .د / أحمد بن نافع المورِّعي ، وفضيلة أ .د/ عبد الكريم بن مستور القرني على تفضلهما بقبول مناقشة هذه الرسالة ، و تقويم اعوجاجها فجزاهما الله خير الجزاء ، وجعل ذلك في موازين حسناتهما.

واصلةً ثنائي لإدارة التدريب التربوي في وزارة التربية والتعليم على ا بعاثي لأنفع نفسي وأمتي، فجزى الله القائمين عليه وكل من أعان في تيسير هذا الابتعاث.

كما أتقدم بالشكر والعرفان إلى الفاضلة أم بندر السريحي إزاء ما قدمت وأعانت ، وأسأل الله أن يتولى عني مكافأتها و يُقر عينها بصلاح ذريتها .

ولكلِّ إخوتي و أخواتي، وكل من أسدى إليَّ معروفا وسددني بنصح أو توجيه أسال الله أن يجزي الجميع عني خير الجزاء.

وأخيرًا ..

مضت الأيام والشهور ، وكان نصب عيني الوصول إلى الصواب من القول ، فاجتهدت وتحريت بما أعانني فيه المولى الكريم وفتح ، فما كان من صواب فمن الله تعالى وحده — فله الحمد والشكر – ، وما كان من نقص وخلل فمن نفسي ومن الشيطان — فاستغفر الله تعالى و أتوب إليه- ، و لا يسعني هنا ألا أن أقول كما قال الإمام الشاطبي[1] — رحمه الله – في قصيدته :

أَخي أَيُّهَا الْمُجْتَازُ نَظْمِي بِبَابِهِ ... يُنَادَى عَلَيْهِ كَاسِدَ السُّوْقِ أَجْمِلاَ
وَظُنَّ بِهِ خَيْراً وَسَامِحْ نَسِيجَهُ ... بِالأَغْضَاءِ وَالْحُسْنَى وَإِنْ كانَ هَلْهَلاَ
وَسَلِّمْ لِإِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ إِصَابَةٌ ... والأُخْرَى اجْتِهادٌ رَامَ صَوْباً فَأَمْحَلاَ

(١)القاسم بن فيرُّه بن خلف بن أحمد الرُّعيني، أبو محمد الشاطبي: إمام القراء. وُلد بشاطبة في الأندلس سنة (٥٣٨هـ)، له الباع الأطول في فن القراءات والرسم والنحو والحديث وله النظم الرائق مع الورع والتقوى،تُوفي بمصر سنة (٥٩٠ هـ).
يُنظر : معرفة القراء الكبار (٢/٥٧٣) ، سير أعلام النبلاء (٢١/٢٦١) ،والأعلام (٥ / ١٨٠).

وَإِنْ كانَ خَرْقٌ فَأدرِكْهُ بِفَضْلَةٍ مِنَ الْحِلْمِ ولْيُصْلِحْهُ مَنْ جَادَ مِقْوَلاَ [1].

وأسأل الله تعالى أن يهديني إلى سواء السبيل ، وأن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم و منجاة لي يوم الدين إنه قريب مجيب .

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ،،،

إنجا دخيل الجدعاني

قسم الكتاب والسنة

تخصص التفسير وعلوم القرآن

(١) حرز الأماني و وجه التهاني (٦-٧).

القسم الأول :

التعريف بابن جُزيّ وكتابه التسهيل ومنهجه في الترجيح

(وأن الله أنعم علي بأن شغلني بخدمة القرآن وتعلمُه وتعليمه و شغفني بتفهم معانيه وتحصيل علومه..)

ابن جُزيّ رحمه الله

الباب الأول

ترجمة موجزة لابن جُزيّ

وفيه فصلان :

- الفصل الأول : حياة ابن جُزيّ الشخصية
- الفصل الثاني : حياة ابن جُزيّ العلمية

الفصل الأول

حياة ابن جُزيّ الشخصية

وفيه خمسة مباحث :

المبحث الأول : عصر ابن جُزيّ.

المبحث الثاني : اسمه ، ونسبه ، وكنيته وشهرته

المبحث الثالث : مولده ، ونشأته .

المبحث الرابع : عقيدته ، ومذهبه ، وقراءته.

المبحث الخامس : وفاته.

المبحث الأول : عصر ابن جُزيّ – رحمه الله تعالى –

إنَّ دراسة المؤثرات السياسية ، والاجتماعية ، والثقافية ، أمرٌ له أهمية بالغة ع لى الفر د ؛ لأنها لها دور كبير في تكوين شخصيته ،وأفكاره واتجاهاته ، و حتى نتعرف على شخصية ابن جُزيّ لابد أن نرحل إلى عصره فنقف على أهم المجريات فيه.

الحالة السياسية

وُلد ابن جُزيّ – رحمه الله – في العقدِ الأخيرِ من القرن السابع إلى النصفِ الأولِ من القرن الثامن الهجريِّ ، وقد كانت هذه الفترةُ مليئةً بالأزماتِ المختلفة في العالم الإسلاميِّ .

وتدهورت أوضاع الأندلس بعد وفاة الحاكم المستنصر ، حيث عمَّت من بعده الفوضى لقيام أكثر من شخص يدعو الخلافة لنفسه.

عندها بدأ قيام ما يسمى بملوك الطوائف وأعلن أبو الحزم جَهّور[1] إلغاء الخلافة ثم قامت في هذه الفترة عِدّةُ دُويلات ، تتفاوت في المساحة والقوة ، و قُسّمت الأندلسُ إلى ستِّ مناطق رئيسةٍ تضُمُّ كلٌّ منها إمارةً أو أكثر حتى بلغت إماراتها نحو عشرينَ إمارةً [2].

ثمَّ قيضَ الله تعالى للأندلس دولةً فتيةً ، وهي دولة المرابطين بقيادة أميرها يوسف بن تاشفين[3] ، فأنقذها من وهدتِها [4]، حيثُ انتصرَ في معركة الزلاقة [5]في شهر رجبٍ سنة (٤٧٩ هـ) انتصارًا عزيزًا

---

(١) جهور بن محمد بن جهور، أبو الحزم ، ولد سنة (٣٦٤ هـ) . وكان بنو جهور أهل بيت وزارة مشهور في الأندلس وأبو الحزم – هذا – أمجدهم و أنجدهم. ولي الوزارة في أيام الدولة العامرية إلى أن انقرضت،وانقضت به الدولة الأموية (سنة ٤٢٢ هـ) ، واستقل أبو الحزم بقرطبة، وانتظمت له شؤونها، ودرأ عنها ملوك الفتنة، فعمَّها الأمن والرخاء.توفي سنة (٤٣٥ هـ).

يُنظر : العبر في خبر من غبر (١٨٥/٣)، ومقدمة ابن خلدون (٢٠٤/٤)،و الأعلام (٢ / ١٤١).

(٢) نفخ الطيب من غصن الأندلس الرطيب (٢١٥/١) ، والتاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة (٣٤٨).

(٣) يوسف بن تاشفين بن إبراهيم،المصالي الصنهاجي اللمتوني الحميري،أبو يعقوب،ولد في المغرب سنة (٤١٠هـ).كان حازمًا، ضابطًا لمصالح مملكته، ماضي العزيمة ،وأول من دُعي بأمير المسلمين . توفي في مراكش سنة (٥٠٠ هـ).

يُنظر : الكامل في التاريخ (٩٩/٩)، وشذرات الذهب (٤١٢/٣)،والأعلام (٨ / ٢٢٢).

(٤) نفح الطيب (٤٣٩/١) ، والتاريخ الأندلسي (٤٥٣).

(٥) **وقعة الزلاقة** : كانت بقيادة يوسف بن تاشفين أمير المسلمين في دولة المرابطين وبين الجيش القشتالي يقيادة الفونش ، في يوم الجمعة الثاني عشر من رجب سنة (٤٧٩ هـ) حيث اجتمعا في العُدوة الشمالية لوادي (يانه) المسمى بالزلاقة ، وانته ت المعركة بانتصار الجيس الإسلامي . التاريخ الإسلامي (٣٤٣).

اهتزت له النفوس في الأندلس ، ورُدَّ الجيشُ القشتاليُّ على أعقابه خاسرًا.

ولكن دولةُ المرابطينَ لم تستمر طويلاً ؛ نتيجةً لطولِ الصراعِ في دفع عدوان إسبانيةِ الشماليةِ ومن عاونها من الدول الأوربية ، فحلّت بعدها دولةُ الموحدينَ التي جرت بينهم وبين النصارى وَقعةُ الآراكِ [١] التي انتصرَ فيها الموحدونَ وحققوا فيه ا أعظمَ نصر خلال حكمهم للأندلس ، إلاَّ أنَّ حكمهم لم يستمر كثيرًا ؛حيث كانت وقعةُ العقابِ [٢] نذيرًا بانتهائِهم ، وبدأت دولتُهم تتدهورُ ولقيت انتفاضةً شعبيةً من داخل الأندلسِ ضدَّها[٣].

وعلى مسرح الأحداث ظهرت شخصيتانِ تتنافسانِ على ملك الأندلس وهما :محمدُ بن يوسف بن هودٍ الجذاميِّ [٤]، ومحمدُ بن يوسفَ النصريِّ المعروف بابن الأحمر[٥].

أمَّا الأول: حقّق بعض الانتصارات على ولاة الموحدين ودخلت في طاعته بعض المدن ، إلا أنَّه هُزم أمامَ أسبانيا النصرانيةِ وسقطت عدةُ مدنٍ في أيدي النصارى منها قرطبة .

وأمَّا الآخر: وهو محمدُ بن يوسفَ ، فقد كان منافسًا خطيرًا لابن هودٍ ودخلت عدة مدنٍ في طاعتِه [٦].

وفي هذه الفترةِ المليئةِ بالصراعات الداخلية والخارجية وُلد ابن جُزيٍّ في عام (٦٩٣ هـ) في عهدِ محمد بن محمد بن يوسفَ بن الأحمر الملقبِ بالفقيهِ ثاني ملوكِ بني الأحمرِ ، وتُوفّي في عهد يوسفَ بن إسماعيل ، سابع الملوك [٧].

---

(١) **معركة الآراك** : كانت بين الجيش الإسلامي من الموحدين ، وبين جيش قشتالة بقيادة ملكها الفونش الثامن في حصن الأراك حيث انتصر فيها الموحدون انتصاراً عظيماً بقيادة أبي يوسف يعقوب المنصور . التاريخ الأندلسي(٢٢٥).

(٢) **معركة العقاب** : بعد الهزيمة التي لحقت بالجيش القشتالي أخذ ملكها يعد العدة للانتقام ، حيث عُقدت هدنة بين الطرفين لعشر سنوات ، وفي هذه الفترة توفي الخليفة المنصوري ، وخلفه ابنه الناصر الذي كان دون العشرين عاما ، وأخذ ملك قشتالة يهاجم الأرضي الأندلسية وعاونه في ذلك بقية ملوك أسبانيا فكانت واقعة العقاب على المسلمين ستة(٦٠٩هـ – ١٢١٢ م) .

يُنظر : نفح الطيب (٣٨٣/٤)،والتاريخ الأندلسي (٥٢٧).

(٣) يُنظر : نفح الطيب (٤٤٦/١)، والتاريخ الأندلسي (٥٢٢).

(٤) محمد بن يوسف بن هود، أبو عبد الله، م ن أعقاب بني هود الجذاميين من ملوك الطوائف آخر ملوك هذه الدولة الكبار . كان بينه وبين ابن الأحمر منافسة على الملك حتى آل الأمر لابن الأحمر بعد مقتله .توفي سنة (٥٨٥ هـ).

يُنظر : سير أعلام النبلاء (٢٠/٢٣) ، ومقدمة ابن خلدون (١٦٥/١) ،والأعلام ((٧ / ١٥٠).

(٥) محمد بن يوسف بن محمد، من آل نصر ابن الأحمر الخزرجي الأنصاري، أبو عبد الله، أمير المسلمين، الملقب بالغالب بالله ويقال له محمد الشيخ، ولد سنة (٥٩٥) بأرجوانة ، وأسس دولة بني الأحمر، في الأندلس، وتعرف بالدولة النصرية(٦٧١ هـ).

يُنظر : تاريخ ابن خلدون (٢١٤/٤)، و نفح الطيب (٣٦٤/٦)، والأعلام (٧ / ١٥١).

(٦) التاريخ الأندلسي (٥٥٢ – ٥٥٣).

(٧) نفح الطيب (٤٤٨/١ - ٤٤٩) .

الحالة الاجتماعية [1]:

يتكون المجتمع الغرناطي في القرنين الرابع والخامس من عدةِ أجناسٍ شتى وهي :

- **العرب** : دخلوا الأندلس على طوالع متتابعة إثر الفتح الإسلامي، وهم يرجعون في أصولهم إلى القبائل القحطانية ،والعدنانية ، فمنهم القرشيِّ ، والفه ريِّ ، والأُمويِّ ، والأنصاريِّ والأوسيِّ والخزرجيِّ.
- **البربر** : كانوا جزءًا هامًا في الجيش الذي قاده طارق بن زياد [2]، وما أن وصلت أنباء النصر إلى المغرب حتى نزح عددٌ كبيرٌ منهم بغية الاستقرار في هذه البلاد.
- **المولِدون** : وهم الجيل الجديد الذي نشأ من مصاهرة الأسبان والزواج منهم ، وعن طريق المجاورةِ والمصاهرةِ انتشر الإسلام في الأندلس ،وامتزجت دماءُ الفاتحين من العربِ ،والبربر بدماءِ أهل البلاد ، ونشأ من ذلك جيل جديد من آباء مسلمين عرفوا بالمولدين.
- **الذميون المعاهدون**: هم إمَّا نصارى الأسبان، وهم الأكثر، وإمَّا من اليهود من أسبانيا أو من خرج أسبانيا، أُحسن إليهم ببقائهم على أموالهم ودينهم بأداء الجزية.
- **الرقيق** : وهم موالي من أهل المغرب دخلوا في ولاء بني أمية ،ولقد نجحوا في تأسيس دولة بني أمية لمناصرتهم عبد الرحمن بن معاوية . هذا بالإضافة إلى موالي من الأسبان الذين دخلوا في ولاء بني أمية أمثال بنو قسي ، وبنو بارون ، وبنو غومس ابن قارلة ، وبنو مرتين.

وقد كان هذا التنوع في المجتمع الأندلسي إيجابيًا لوجود العلاقات الاجتماعية ، لكنه كان سلبيًا عند ضعف الدولة السياسي حيث نشبت الفتن والثورات.

الحالة الثقافية والفكرية

لقد ازدهرت الحركة الثقافية ،و الفكرية في بلاد الأندلس ازدهارًا كبيرًا، وأصبحت بلاد الأندلس مركزًا لانتشار العلوم المختلفة؛ لأن العلم كان معظّم عندهم، حيث تسارع العلماء في تلقي العلوم ونبغوا في علوم مختلفة و لم يقتصروا على فنٍ من فنونه.

---

(١) يُنظر : ابن جزي ومنهجه في التفسير (١ / ٩٧) ، تاريخ الأندلس (١١٩).

(٢) طارق بن زياد الليثي بالولاء . فاتح الاندلس، أصله من البربر، أسلم على يد موسى بن نصير، فكان من أشد رجاله .له فتوحات عظيمة في بلاد المغرب.تُوفي سنة (١٠٢ هـ).

يُنظر : تاريخ الإسلام (٣٩٣/٦)، وسير أعلام النبلاء (٥٠٠/٤)، الأعلام (٣ / ٢١٧).

قال التلمسانيّ [1]: «وأمَّا حال أهل الأندلس في فنون العلوم فتحقيق الإنصاف في شأنهم في هذا الباب أنهم أحرص الناس على التميز ، فالجاهل الذي لم يوفقه الله للعلم يجهد أن يتميز بصنعه ويربأ بنفسه أن يرى فارغا عالة على الناس؛ لأن هذا عندهم في نهاية القبح . والعالم عندهم معظم من الخاصة ،والعامة يشار إليه ،ويحال عليه ،وينبه قدّره ،وذكره عند الناس ،ويكُرم في جوار ،أو ابتياع حاجة وما أشبه ذلك. ومع هذا فليس لأهل الأندلس مدارس تعينهم على طلب العلم ؛بل يقرءون جميع العلوم ،فالعالم منهم بارع ؛لأنه يطلب ذلك العلم بباعث من نفسه يحمله على أن يترك الشغل الذي يستفيد منه وينفق من عنده حتى يعلم وكل العلوم لها عندهم حظّ واعتناء إلا الفلسفة والتنجيم ،فإن لهما حظاً عظيمًا عند خواصهم » [2].

وكان تدريس الفقه والحديث والعربية هو الشيء الغالب على جماهير المدرسين والمؤدبين، فكانوا يقولون للكاتب والنحوي واللُّغوي فقيه ؛لأنها عندهم أرفع السمات [3]وهم في تدريسهم يعتمدون كتب أهل المشرق في ذلك ؛ إذ أنهم أسبقهم ظهورا ، و أوسعهم حضارة .

فقد ارتحل زمرة من علماء الأندلس إلى المشرق لتلقي العلوم المختلفة مما كان له أثر في تقدم أهل الأندلس في فنون العلم.

فمن هؤلاء العلماء أبو القاسم الشاطبيّ [4] ، وخلف بن قاسم بن سهل الدَّباغ [5] [6]، وأبو عمرو الداني [7] [8]، وغيرهم كثير .

---

(١) أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى،أبو العباس المقري التلمساني ، ولد سنة (٩٩٢ هـ) ، مؤرخ ، وأديب ، وحافظ صاحب (نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب). تُوفي سنة (١٠٤١ هـ).
يُنظر : فهرس الفهارس و الأثبات (٥٧٤/٢) ، و الأعلام (١ / ٢٣٧)

(٢) نفح الطيب (٢٢٠/١).

(٣) المرجع السابق (٢٢١/١).

(٤) المرجع السابق (٢٢/٢).

(٥) المرجع السابق (١٠٤/٢)

(٦) خلف بن قاسم بن سهل – أو سهلون – ابن أسود، الأزدي، أبو القاسم، المعروف بابن الدباغ ، وُلد سنة (٣٢٥ هـ). محدث أندلسي من أهل قرطبة قام برحلة واسعة في المشرق، وجمع (مسند حديث مالك بن أنس) و (مسند حديث شعبة بن الحجاج) و (أسماء المعروفين بالكنى من الصحابة والتابعين وسائر المحدثين). تُوفي سنة (٣٩٣ هـ).
يُنظر : تاريخ مدينة دمشق (١٤/١٧) ، و الديباج المذهب (١١٤/١) ، و الأعلام (٢ / ٣١١).

(٧) نفح الطيب(١٣٥/٢).

(٨) عثمان بن سعيد بن عثمان، أبو عمرو الداني، ويقال له ابن الصير في، من موالي بني أمية ، وُلد سنة (٣٧١ هـ).كان أحد حفاظ الحديث، ومن الأئمة في علم القرآن ورواياته وتفسيره . من أهل دانية بالأندلس. له مؤلفات كثيرة منها (التيسير في القراءات السّبع و الإشارة ، و المقنع في رسم المصاحف ونقطها). تُوفي سنة (٤٤٤ هـ).
يُنظر : الوافي بالوفيات (٢٠/٢٠)، و نفح الطيب(١٣٥/٢) ، و الأعلام (٤ / ٢٠٦).

ومما يدل على التقدم العلمي حرص الولاة والعامة على اقتناء الكتب حتى صار ذلك من مظاهر المباهاة بينهم . فيروى أن الحكم المستنصر [1]كان محبًّالعلوم مكرمًا لأهلها جمَّاعًا للكتب في جميع أنواعها بما لم يجمعه أحد من الملوك قبله . قيل عنه : أنَّه كان على خزانة العلوم ،والكتب بدار بني مروان ، وأن عدد الفهارس التي فيها تسمية الكتب أربع وأربعون فهرسة ، وأقام للعلم والعلماء سوقاً نافقة[2] جُلبت إليها إليها بضائعه من كل قطر [3].

❁ ❁ ❁ ❁

(١) نفح الطيب (٣٨٢/١)

(٢) نفق : النون والفاء والقاف أصلان صحيحان يدل أحدهما على انقطاع شيء وذهابه ،والآخر على إخفاء شيء وإغماضه ومتى حصل الكلام فيهما تقاربا. مقاييس اللغة (٤٥٤/٥).

(٣) يُنظر : نفح الطيب (٣٩٤/١).

المبحث الثاني: اسمه ، ونسبه ، وكنيته ، وشهرته

اسمه ونسبه

هو محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن يحي بن عبد الرحمن ابن يوسف بن جُزَيّ الكلبي [(١)].

ينحدر أصل ابن جُزيّ من قبيلة كلب اليمانية ، وتنسب إلى كلب بن برة بن تغلب ابن حلوان بن لحاف بن قضاعة[(٢)].

كنيته

يكنى بأبي القاسم مع شهرة الحديث الصحيح ((سَمُّوا بِاسْمِي ولا تَكْتَنُوا بِكُنْيَتِي [(٣)])).

وقد أزال ابن جُزيّ هذا الخلافَ [(٤)] في كتابه "القوانين الفقهية" بقوله : « تنبيه :ورد النهي عن

---

(١) ينظر ترجمته في : الإحاطة (٣ / ٢٠) ، والديباج المذهب (٢٩٥/١) ، والدرر الكامنة (٨٩/٥)، و نفح الطيب (٥١٤/٥)، وفهرس الفهارس و الأثبات (٣٠٦/١) ، وابن جزي ومنهجه في التفسير (١ / ١٣٩).

(٢) المعارف (١٠٣/١)، والبدء والتاريخ (١١٨/٤) ، و بغية الطلب في تاريخ حلب (٥٦٠/١) ،ومقدمة ابن خلدون (٢٩٧/٢) .

(٣) لفظ الحديث عند البخاري من رواية أَنَسٍ رضي الله عنه قال كان النبي – ﷺ – في السُّوقِ فقال رَجُلٌ : يا أَبَا الْقَاسِمِ . فَالْتَفَتَ النبي – ﷺ – فقال : ((سَمُّوا بِاسْمِي ولا تَكْتَنُوا بِكُنْيَتِي)).

أخرجه البخاري في صحيحه ،كتاب المناقب ، باب كنية النبي – ﷺ – (١٣٠١/٣) ح (٣٣٤٥).

وأخرجه مسلم في صحيحه ،كتاب الآداب ، بَاب النَّهْيِ عن التَّكَنِّي بِأَبِي الْقَاسِمِ وَبَيَانِ ما يُسْتَحَبُّ من الْأَسْ مَاءِ (١٦٨٢/٣) ح (٢١٣١) بمثله.

(٤) حكى الحافظ ابن حجر عن النووي أنه قال :«اختلف في التكني بأبي القاسم على ثلاثة مذاهب :

الأول : المنع مطلقا سواء كان اسمه محمدا أم لا ثبت ذلك عن الشافعي.

والثاني: الجواز مطلقا ويختص النهي بحياته –ﷺ–.

والثالث : لا يجوز لمن اسمه محمد ، ويجوز لغيره .

قال الرافعي يشبه أن يكون هذا هو الأصح لأن الناس لم يزالوا يفعلونه في جميع الأعصار من غير إنكار ». فتح الباري شرح صحيح البخاري (٥٧٢/١٠).

قال الشيخ الألباني – رحمه الله – عند تخريجه لقول النبي –ﷺ – ((لا تجمعوا بين اسمي و كنيتي ، أنا أبو القاسم ، و الله يعطي و أنا أقسم)).

قال : (و لست أشك بعد ذلك أن الصواب إنما هو المنع مطلقا ، و سواء كان اسمه محمدا أم لا ، لسلامة الأحاديث الصحيحة الصريحة في النهي عن المعارض الناهض كما تقدم ، و هو الثابت عن الإمام الشافعي رحمه الله ، فقد روى البيهقي (٩ / ٣٠٩) بالسند الصحيح عنه أنه قال : " لا يحل لأحد أن يكتني بأبي القاسم كان اسمه محمدا أو غيره " . قال البيهقي : " و روينا معنى هذا عن طاووس اليماني رحمه الله " . و يؤكد ما تقدم حديث عن علي– ﷺ – أنه قال : يا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ إن وُلِدَ لي بَعْدَكَ أُسَمِّيهِ مُحَمَّدًا وَأُكَنِّيهِ بِكُنْيَتِكَ قال نعم قال فَكَانَتْ رُخْصَةً .أخرجه الترمذي (٢٨٤٦) و قال : " حديث صحيح " . و قواه الحافظ في " الفتح " (١٠ / ٥٧٣)...) . يُنظر : السلسلة الصحيحة (٦ / ٤٤٥)ح (٢٩٤٦).

بعض الأسماء فمنها التكنية بأبي القاسم ،وإنما منع ذلك في حياة رسول الله – ﷺ– خاصة ؛لأن أبا بكر الصديق ،وعلي بن أبي طالب – رضي الله عنهما– قد كنّيَ كل واحد منهما ولده أبا القاسم بعد ذلك» [1].

شهرته

اشتهر بابن جُزَيّ بالتصغير [2]وهي تسمية معروفة عند العرب.

قال السّمعاني [3]: « الجزي: هذه النسبة إلى جز، وهو اسم لبعض أجداد المنتسب إليه وهو محمد بن مروان بن ثوبان بن عبد الرحمن بن جز بن بكر بن عمرو بن سعد الجزي، كان جده جز بن بكر فيمن دخل الشام مع أبي عبيدة بن الجراح... » [4].

❁ ❁ ❁ ❁

(١) القوانين الفقهية (٢٨٣).

(٢) ذكر التنبكتي في كتابه : (بضم الجيم وفتح الزاي بعدها ياء ساكنة ثم همزة) نيل الابتهاج بتطريز الدِّيباج (٢ / ٥٠) وكذلك في ابن جُزيء ومنهجه في التفسير (٨٣)،وهو خلاف المشهور .

(٣) عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السّ معاني المروزي، أبو سعد ، وُلد" بمرو "سنة (٥٠٦هـ).مؤرخ رحالة من حفاظ الحديث. من كتبه (الأنساب ، و تاريخ ، و تذييل تاريخ بغداد). تُوفي سنة (٥٦٢ هـ).
يُنظر : سير أعلام النبلاء (١٠٧/٢٢)، و الوافي بالوفيات(٦٠/١٩) ، والأعلام (٤ / ٥٥).

(٤) الأنساب للسمّعاني (٥٨/٢)، ومعجم البلدان (١٣٣/٢).

المبحث الثالث: مولده ونشأته

مولده

ولد أبو القاسم محمد بن أحمد بن جُزيّ في يوم الخميس التاسع من ربيع الثاني عام ثلاثة وتسعين وستمائة هجرية في مدينة غرناطة عاصمة الأندلس في ذلك العهد [1].

نشأته

نشأ ابن جُزيّ في بيت علم ،وفضل ،و نهل من معين العلم على يد والده ، ثم التفَّ على علماء عصره في التَّلقي والطلب ، والتدقيق والنظر حتى تأهل للتدوين والتأليف .

قال تلميذه ابن الخطيب : « كان على طريقة مثلي من العكوف على العلم والاشتغال بالنظر والتقييد والتدوين. فقيهًا حافظًا قائمًا على التدريس مشاركًا في فنون من عربية وأصول وقراءات وحديث وأدب. حافظاً للتفسير مستوعباً للأقوال، جلَّعة للكتب، ملوكي الخزانة، حسنُ المجلس ممتع المحاضرة صحيح الباطن» [2].

وقال: « قريعُ أصالة قديمه، وبارق ديمه، وذخيرةٌ في صوانِ أقطار عديمه، تفخر منه الحضرة بقرى مائها وهوائها، ونيرها الذي استقل بخط استوائها، والحرُّ يهُر بقريع نجاره» [3].

وقال أحمد التلمساني – رحمه الله – : « وبيت بني جُزيّ بيت كبير مشهور بالمغرب والأندلس »[4].

فما كان من سليل هذا البيت ، إلاَّ أن يسير على خطى آبائه و أجداه في النيل من العلم فنشأ محباً للعلم شغوفاً للطلب ،بل كان طلب العلم رأس أمره وجُلَّ اهتمامه ، ومن ذلك قوله :

وإن مرادي صحةٌ وفراغٌ لأبلغَ في علمِ الشريعةِ مبلغا
يكون به لي في الجنانِ بلاغٌ ففي مثل هذا فلينافس أولو النهي [5]

(١) نفح الطيب (٥/٥١٦) ،و ابن جزي ومنهجه في التفسير (١ / ١٦٩).
(٢) الديباج المذهب (١/٢٩٥).
(٣) الكتيبة الكامنة (١ / ٤٦).
(٤) نفح الطيب (٧/٢٨٢).
(٥) الديباج المذهب (١/٢٩٦).

فابتدأ رحلته بكتاب الله تعالى فحفظ القرآن برواية ورش عن نافع حتى أتقنها ، ثم قرأ بقية القراءات السبع وتعلمها .

ثم تفقّه بمذهب الإمام مالك [1]السائد في عصره ، وأخذَ ينهلُ من نمير العلم له في كل علم سهم فعكف على علماء الحديث ، والتّفسير حتى رسخ في العلم ،وأصبح من جِلَّة العلماء في التفسير والحديث والقراءات والفقه والأصول .

و لم يقتصر علمه –رحمه الله تعالى– على النَّيل من علوم الشّريعة ؛بل كان له باع في النحو ، والأدب ملمًّا بالشعر مُنشأً له في أغراض نبيلة ،وتولى الخطابة في الجامع الكبير في غرناطة ،و هو حديث السن فاتّفُق على أصالته .

قال ابن الخطيب : « وتقدّم بالجامع الأعظم خطيب حفله، وأمام فرضه ونفله، مع توفر أهله ، وتعدد شيخه في الاختيار وكهله، فوقع عليه الاتفاق، وانعقد الإصفاق، وعقد له في عصا منبره اللواء الخفاق » [2].

وما أن انتهى من الطلب حتّى شرع في تعليم القرآن ، واشتغل بتأليف الكتب مدققًا محررًا، يشرح ما استغلق فهمه ويقرب ما بعُد . وما ذاك إلا من نفس توَّاقة عاشت بين ذلك الجسد تحمله للعطاء بلا توقف .

كان من قوله : «وإن الله أنعم عليّ بأن شغلني بخدمة القرآن ،وتعلّمه ،وتعليمه ، وشغفني بتفهم معانيه وتحصيل علومه .. » [3].

قال ابن الخطيب : «كان رحمه الله كثير الاجتهاد، منكب الهاد ، متوصلا لوصال السها ب السّ هاد وهجر المهاد، فدوّن وصرّف، وقرّط المسامع وشرّف » [4].

❁ ❁ ❁ ❁

(١) مالك بن أنس بن مالك الأصبحي الحميري، أبو عبد الله : إمام دار الهجرة، وأحد الأئمة الأربعة عن د أهل السنة، وإليه تنسب المالكية،ولد في المدينة سنة (٩٣ هـ) ، صنف " الموطأ "،وله رسالة في " الوعظ " وكتاب في " المسائل " ورسالة في " الرد على القدرية " ، وغيرها. توفي في المدينة سنة (١٧٩ هـ).
يُنظر : صفة الصفوة (١٧٧/٢) ، والتحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة (٤٠١/٢) ، والأعلام (٥ / ٢٥٧).

(٢) الكتيبة الكامنة (١ / ٤٦).

(٣) التسهيل (٢/١).

(٤) الكتيبة الكامنة (١ / ٤٦).

المبحث الرابع : عقيدته ، ومذهبه ، وقراءته

عقيدته :

سار ابن جُزيّ – رحمه الله – في الجُملة على مذهب أهل السنة ، والجماعة في تقرير أصول العقيدة والرد على الفرق المخالفة من المعتزلة[1] والخوارج [2] .

ومن ذلك قوله في إثبات رؤية المؤمنين لله – ﷻ – يوم القيامة: «﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [3]هذا من النظر بالعين ،وهو نصٌّ في نظر المؤمنين إلى الله تعالى في الآخرة ، وهو مذهب أهل السنة ، وأنكره المعتزلة ،وتأولوا ناظرة بأن معناها منتظرة ،وهذا باطل ؛ لأن نظر بمعنى انتظر يتعدى بغير حرف جر تقول :نظرتك .أي :انتظرتك ،وأما المتعدي بإلى ،فهو من نظر العين ،ومنه قوله : ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ يَنظُرُ إِلَيْكَ ﴾ [4]، وقال بعضهم : إلى هنا ليست بحرف جر ،وإنما هي واحد الآلاء بمعنى النعم ،وهذا تكلف في غاية البعد، وتأوله الزمخشري [5]بأن معناه : كقول الناس فلان ناظر إلى فلان إذا كان يرتجيه ،ويتعلق به ،وهذا بعيد، وقد جاء عن النبي – ﷺ – في النظر إلى الله أحاديث صحيحة مستفيضة صريحة المعنى لا تحتمل التأويل ،فهي تفسير للآية »[6].

إلا أنه ك ان على طريقة الأشاعرة [7] في إثبات الصفات السبع ، حيث صرّح بذلك في كتابه

---

(١) المعتزلة : سموا بذلك لاعتزال واصل بن عطاء ، وعمرو بن عبيد مجلس الحسن البصري ؛ لقولهما بأن الفاسق [مرتكب الكبيرة] لا مؤمن ولا كافر ومن معتقداتهم القول بنفي الصفات عن الله تعالى ، والقول بأن القرآن محدث ، و أن الله لا يرى في الآخرة ، وأن الله تعالى ليس خالقاً لأفعال العباد .

يُنظر : الإبانة (٢٢/١) ، ومقالات الإسلاميين (١٥٥/١) ، والملل والنحل (٤٣/١).

(٢) الخوارج : هم الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ويجمعهم القول بالتبري من عثمان وعلي – رضي الله عنهما – كما قالوا بتكفير مرتكب الكبيرة وتخليده في النار إذا مات مصرا عليها.

يُنظر: مقالات الإسلاميين (٨٦/١)، و الملل والنحل (١١٤/١) ، و تلبيس إبليس(١١١/١).

(٣) سورة القيامة : ٢٢ .

(٤) سورة يونس : ٤٣ .

(٥) محمود بن محمد الزمخشري ، جار الله ، أبو القاسم ، وُلد سنة (٤٦٧ هـــ) . مفسر ، نحوي ، لغوي ، أديب ، وكان رأسا في البلاغة والعربية والمعاني والبيان . من كتبه (أساس البلاغة ،و المفصل ،و لمقامات ، والجبال والأمكنة والمياه) . تُوفي سنة – ٥٣٨ هـــ).

يُنظر : سير أعلام النبلاء (١٥١/٢٠) ، وطبقات المفسرين لأدنه وي (١٧٢/١) ، والأعلام (٧ / ١٧٨).

(٦) التسهيل (١٦٥/٤).

(٧) الأشاعرة : هم المنتسبون إلى أبي الحسن الأشعري وقد كان على مذهب المعتزلة أربعين سنة ، ثم سار على طريقة ابن كلاب وتأثر بها

"القوانين " بقوله : قال : « الباب الثاني : في صفات الله تعالى عز شأنه وبهر سلطانه جرت عادة المتكلمين بإثبات سبع صفات وهي الحياة والقدرة والإرادة والعلم والسمع والبصر والكلام» [1].

وتحدث عن هذه الصفات ثم قال : « والدّليل على ثبوت هذه الصفات ثلاثةُ أوجهٍ :

الوجه الأول: أنها صفات كمال فوجب وصف الله بها وأضدادها صفات نقص فوجب تنزيهه عنها ولله المثل الأعلى.

الوجه الثاني:أنها تدل عليها آثار حكمته ، فإن اتقّان الصّنعة دليلٌ على حياة الصانع وقدرته وعلمه وسائر صفاته.

الوجه الثالث: ما ورد من النّصوص الصرّيحة في القرآن والأخبار الصّحيحة » [2]

ومن خلال النظر في تفسير ابن جُزيّ – رحمه الله – أرى – و الله تعالى أعلم – أنه قال بالتأويل في بعض الصفات ، ومن الأمثلة على ذلك **قوله في صفة الوجه** :

وقال في قول الله تعالى : « ﴿وَلاَ تَدْعُ﴾ أي : لا تعبد مع الله ﴿إِلَـهاً ءاخَرَ لآ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ﴾ [3]الآية أي إلا إياه والوجه هنا عبارة عن الذات » [4]

وقال أيضا : « ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَٰلِ وَالإِكْرَامِ﴾ [5]. الوجه هنا عبارة عن الذات وذو الجلال صفة الذات لأن من أسمائه تعالى الجليل ومعناه يقرب من معنى العظيم وأما وصفه بالإكرام فيحتمل أن يكون بمعنى أنه يكرم عباده كما قال ولقد كرمنا بني آدم أو بمعنى أن عباده يكرمونه بتوحيده وتسبيحه وعبادته» [6]

وممن قال بتأويل الوجه بالذات عبد القادر البغدادي [7] حيث قال : « المسألة الثالثة عشرة من هذا

بها ثم عاد إلى طريقة أهل السنة والجماعة ، إلا أن المتأثرين بأبي الحسن الأشعري لم يرجعوا إلى ما رجع عنه أبو الحسن فأثبتوا صفات سبع و هي : هي: الحياة، والعلم، والقدرة والإرادة، والسمع، والبصر، والكلام وزاد الباقلاني ، و الجويني صفة ثامنة هي الإدراك) ونفوا ما عدها.

يُنظر : المقصد الأسنى (١٥٧/١)، و العقيدة الأصفهانية (٣٢/١)، و المواقف(١٤٧/٣)، و التحفة المدنية في العقيدة السلفية (١٢٥/١) ، ومعارج القبول (٣٧٧/١).

(١) القوانين الفقهية (٩/١).

(٢) المرجع السابق (١ / ١٠).

(٣) سورة القصص : ٨٨ .

(٤)التسهيل (١١٣/٣).

(٥) سورة الرحمن : ٢٥ .

(٦) التسهيل (٨٤/٤).

(٧) عبد القادر بن طاهر بن عبد الله، أبو منصور البغدادي، التميمي كان عالم متفنن، من أئمة الأصول من مؤلفاته (الملل والنحل ، و

الأصل في تأويل الوجه والعين من صفاته ، ثم ذكر قول المشبه ثم قال : " وزعم بعض الصفاتية أن الوجه والعين المضافين إلى الله تعالى صفات له، والصحيح عندنا أن وجهه ذاته، وعينه رؤيته للأشياء »[1].

وكذلك أوَّل صفة الإتيان والمجيء بقوله :

« ﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾ [2]يأتيهم الله تأويله عند المتأولين يأتيهم عذاب الله في الآخرة أو أمره في الدنيا وهي عند السلف الصالح من المتشابه يجب الإيمان بها من غ ير تكييف ويحتمل أن لا تكون من المتشابه لأن قوله ينظرون بمعنى يطلبون بجهلهم كقولهم لولا يكلمنا الله» [3]

وقال : «﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ [4] تأويله عند المتأولين جاء أمره وسلطانه وقال المنذر بن سعيد [5]معناه ظهوره للخلق هنالك وهذه الآية وأمثالها من المشكلات التي يجب الإيمان بها من غير تكييف ولا تمثيل» [6]

وممن قال بهذا التأويل أبو الحسن الطبري [7] في قوله : «فإن قيل: فما تقول في قوله تعالى : ﴿قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ﴾[8]، وفي قوله تعالى :﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾[9] ، وفي قوله:﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى

الفرق بين الفرق ، و أصول الدين) . تُوفي سنة (توفي سنة (٤٢٩ هـــ)

يُنظر : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (٢٠٣/٣)، وسير أعلام النبلاء (٥٧٢/١٧)، وبغية الوعاة (١٠٥/٢)

(١) موقف ابن تيمية من الأشاعرة (٢ / ٥٧٦).

(٢) سورة البقرة : ٢٠٨ .

(٣) التسهيل (٧٧/١).

(٤) سورة الفجر : ٢٤ .

(٥) منذر بن سعيد بن عبد الله بن عبد الرحمن النفزي القرطبي، أبو الحكم البلوطي ، وُلد سنة (٢٧٣هـــ) . كان فقيها خطيباً شاعراً فصيحا ، بصيرا بالجدل، منحرفا إلى مذاهب أصحاب الكلام . من مؤلفاته (أحكام القرآن، و الإبانة عن حقائق أصول الديانة ، و الناسخ والمنسوخ). توفي سنة(٣٥٥ هـــ).

يُنظر : تاريخ العلماء بالأندلس (١٤٢/٢) ،ونفح الطيب (١٦/٢) ، والأعلام (٧ / ٢٩٤).

(٦) التسهيل (١٩٨/٤).

(٧) علي بن محمد بن المهدي أبو الحسن الطبري المتكلم الأشعري تأويل الأحاديث المشكلة الموضحة وبيانها بالحجة والبرهان. توفي بحدود سنة ٣٨٠هـــ.

يُنظر : الوافي بالوفيات (٩٠/٢٢) ، وموقف ابن تيمية من الأشاعرة (٢ / ٥١٧).

(٨) سورة النحل:٢٦.

(٩) سورة الفجر:٢٢.

ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾[1] .

قيل له: إن الله سبحانه قد صح أنه لا يجوز وصفه بالإتيان والمجيء الذي بمعنى الإنتقال والزوال، إذ كان ذلك من صفات الأجسام تعالى الله أن يكون جسما عرضا، وكلام العرب واسع له ظهر وبطن لاتباع العرب في المجازات وطرق الكلام. ومعنى البيان في قوله: ﴿ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم ﴾الاستئصال في الهلاك والدمار بإرسال العذاب... وأما قوله: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ فمعناه جاء حكم ربك وأمر ربك، ألا ترى أن الخاص والعام يقول: ضرب الأمير زيدا، وإن كان الأمير لم يباشر زيدا بالضرب، بل كان ذلك بأمره وحكمه عليه... »[2].

مذهبه

يعتبر ابن جُزيّ –رحمه الله تعالى– من أعيان المذهب المالكي ؛ لأنه المذهب السائد في المغرب وبلاد الأندلس ؛ لذا ترجم له ابن فرحون [3] في طبقات المالكية [4].

وقرر ذلك ابن جُزيّ في كتابه قوانين الأحكام الشرعية بقوله : «فهذا كتاب في قوانين الأحكام الشرعية ومسائل الفروع الفقهية على مذهب إمام المدينة أبي عبد الله مالك بن أنس الأصبحي رضي الله عنه إذ هو الذي اختاره أهل بلادنا بالأندلس وسائر المغرب» [5].

وقال في موضع آخر : « وإذا قلنا المذهب فنعني مذهب مالك وفي ذلك إشعار بمخالفة غيره وإذا قلنا المشهور فنعني مشهور مذهب مالك» [6].

ومن الملاحظ في مقدمة كتابه أنه لم يكن متعصباً لمذهبه بل ذكر ما يكون متفقا فيه بين المذاهب الأخرى ، ونبه على غير مذهبه .

---

(١) سورة البقرة:٢١٠.

(٢) موقف ابن تيمية من الأشاعرة (٢ /٥٢٢ – ٥٢٣).

(٣) إبراهيم بن علي بن محمد، ابن فرحون، برهان الدين اليعمري : عالم بحاث، ولد ونشأ ومات في المدي نة. وهو مغربي الأ صل، له (الديباج المذهب في تراجم أعيان المذهب المالكي، و تبصرة الحكام في أصول الأ قضية ، و درة الغواص في محاضرة الخواص). توفي سنة (٧٩٩ هـ) .

يُنظر : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (٥٢/١) ، والإعلام (١ / ٥٢).

(٤) الديباج المذهب (٢٩٥/١)

(٥) القوانين الفقهية (٧/١).

(٦) المرجع السابق (٨/١).

قال رحمه الله تعالى – : «ثم زدنا إلى ذلك التنبيه على كثير من الاتفاق والاختلاف الذي بين الإمام المسمى وبين الإمام أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي والإمام أبي حنيفة النعمان ابن ثابت والإمام أبي عبد الله بن حنبل لتكمل بذلك الفائدة ويعظم الانتفاع فإن هؤلاء الأربعة هم قدوة المسلمين في أقطار الأرض وأولو الأتباع والأشياع ... »[1].

قراءته

اعتمد ابن جُزي في تأليفه لكتابه التسهيل على قراءة نافع ؛ حيث ذكر ذلك في مقدمته بقوله :

«وإنما بنينا هذا الكتاب على قراءة نافع لوجهين :

أحدهما : أنها القراءة المستعملة في بلادنا بالأندلس وسائر بلاد المغرب

الأخرى اقتداء بالمدينة شرفها الله لأنها قراءة أهل المدينة وقال مالك بن أنس قراءة نافع سنة» [2] .

وهذه نبذة مختصرة عن الإمام نافع و راوييه

الإمام نافع المدني

هو نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم المدني ، أبو رويم .مولى جَعونة بن شعوي الليثي الشجعي أصله من أصبهان. أقرأ الناس دهرًا طويلًا[3].

شيوخه :

أخذ القراءة عن سبعين من التابعين ، ومن أشهرهم : مسلم الهذلي [4]، وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج المدني [5]، و يزيد بن القعقاع [6]، ويزيد بن رومان [1].

---

(١) القوانين الفقهية (٧/١).

(٢) التسهيل (٧/١).

(٣) يُنظر : معرفة القراء الكبار (١٠٧/١) ، و سير أعلام النبلاء (٣٣٦/٧).

(٤) مسلم بن جندب الهذلي المدني القاضي . ثقة ، فصيح ، قارئ من الثالثة . توفي سنة (١٠٦هـ).
يُنظر : الكاشف (٢٥٨/٢)، وتقريب التهذيب (٥٢٩/١).

(٥) عبد الرحمن بن هرمز الأعرج ، أبو داود المدني . مولى محمد بن ربيعة ، أخذ القراءة عرضاً عن أبي هريرة وابن عباس رضي الله عنهم وعبد الله بن عياش بن أبي ربيعة .توفي سنة (١١٧ هـ).
يُنظر : التاريخ الأوسط(٢٨٣/١) ،و معرفة القراء الكبار(٧٧/١).

(٦) يزيد بن أبي كبشة السكسكي الدمشقي، أبو جعفر . روى عن أبيه أبي كبشة جبريل بن يسّار ، ومروان بن الحكم . وعنه أبو بشر والحكم بن عتيبة وعلي بن الأقمر ومعاوية بن ذكره بن حبان في الثقات . توفي سنة (١٣٠ هـ)
يُنظر : الثقات (٥٤٣/٥)، وتهذيب التهذيب (٣١٠/١١).

تلاميذه

أقرأ الناس دهرا طويلا واستفاد منه خلق كثير من أشهرهم إسماعيل بن جعفر بن أبي كثير الأنصاري المدني [٢]، وأبو عمرو بن العلاء أحد القراء السبعة [٣]، والليث بن سعد الفهمي[٤].

أشهر رواته

اشتهرت قراءة نافع بروايتي تلميذيه قالون و ورش .

قالون : عيسى بن ميناء بن وردان بن عيسى الزرقي. مولى بني زهرة قارئ أهل المدينة في زمانه ونحويهم.

قيل: أنه كان ربيب نافع وهو الذي لقبه قالون لجودة قراءته ، وتبتل لإقراء القرآن والعربية وطال عمره وبعد صيته . توفي سنة (٢٢٠ هـ)[٥].

ورش : هو عثمان بن سعيد ورش أبو سعيد المصري المقرىء. وقيل :أبو عمرو . وقيل : أبو القاسم ولد سنة (١١٠ هـ) قرأ القرآن وجوده على نافع عدة ختمات .

لقب بورش . قيل : لشدة بياضه والورش شيء يصنع من اللبن ويقال لقبه بالورشان وهو طائر معروف فكان يقول: « إقرأ يا ورشان وهات يا ورشان » ، ثم خفف. وقيل : ورش وكان لا يكرهه ويعجبه

---

(١) يزيد بن رومان الأسدي .أبو روح القارئ . مولى آل الزبير بن العوام . قرأ القرآن على عبد الله بن عياش ،وسمع من عروة بن الزبير وصالح بن خوات، وهو ثقة ثبت ، حديثه في الكتب الستة . توفي سنة (١٣٠هـ).
يُنظر : الثقات (٥/٥٤٥) ، ومعرفة القراء الكبار (١/٧٦) ، والأعلام (٨ / ١٨٢).

(٢) إسماعيل بن جعفر بن أبي كثير الأنصاري ، مولاهم المدني القارئ أبو إسحاق . أخذ القراءة عرضا عن شيبة بن نصاح ثم عرض على نافع وسليمان بن مسلم بن جماز وعيسى بن وردان وبر ع في القراءة ، ونزل بغداد ونشر بها علمه وأقرأ بها . توفي سنة (١٨٠ وقيل: ١٧٧ هـ).
يُنظر : معرفة القراء الكبار (١/١٤٤)،و تهذيب التهذيب(١/٢٥١).

(٣) عمرو بن عبد الله بن الحصين بن الحارث بن جلهم ، أبو عمرو . أحد الأئمة القراء السبعة مقدما في عصره عالم بالقراءة ووجوهها قدوة في العلم باللغة . توفي سنة (١٥٤ هـ).
يُنظر : تهذيب الكمال (٣٤/١٢٠).

(٤) الليث بن سعد عبد الرحمن الفهمي بالولاء، أبو الحارث . وُلد في قلقشندة سنة (٩٤هـ).إمام أهل مصر في عصره، حديثا وفقها . وله تصانيف. ولابن حجر العسقلاني كتاب " الرحمة الغيثية في الترجمة الليثية " في سيرته. تُوفي سنة (١٧٥ هـ).
يُنظر : المعرفة والتاريخ (١/٤١) ، وتذكرة الحفاظ (١/٢٢٤) ، والأعلام (٥ / ٢٤٨).

(٥) معرفة القراء الكبار (١/١٥٥).

ويقول أستاذي نافع سماني به . توفي بمصر سنة (١٩٧ هـــ)[١].

❁ ❁ ❁ ❁

(١) الجرح والتعديل (١٥٣/٦) ، والمعجم في مشتبه أسامي المحدثين (٢٠٣/١) ،ومعرفة القراء الكبار (١/ ١٥٢ – ١٥٥).

المبحث الخامس : وفاته

في ضحى يوم الاثنين السابع من جمادى الأولى سنة إحدى وأربعين وسبعما ئة (٧٤١ هـــ) في موقعة طريف[١] [٢]مع النصارى ،قُتل بعد أن أبلى فيها بلاء حسناً. وكان من شعره يوم الوقيعة قوله :

قَصْدي المؤمل في جَهْري وإسْرَاري ومَطْلَبي من إلهي الواحد البَاري
شهادةٌ في سبيل الله خالصةٌ تمحُو ذُنُوبي وتُنْجيني منَ النَّارِ
إنَّ المعاصِي رجْسٌ لا يطهِّرُها إلا الصَّوَارِم في أيمَان كفَّارِ

ثم قال : في هذا اليوم أرجو أن يعطيني الله ما سألته في هذه الأبيات [٣].

رحمه الله تعالى رحمة واسعة وبلغّه ما سأل

❁ ❁ ❁ ❁

(١) **طريف** : اسم شبه الجزيرة التي تقع في الساحل الجنوبي لبلاد الأندلس (أسبانيا حاليا) ، وهي تقابل مدينة سبتة المغربية على الساحل المغربي ، وسميت (طريف) بهذا الاسم نسبة إلى طريف بن مالك مولى موسى بن نصير أول من دخل جزيرة الأندلس .
يُنظر : تاريخ ابن خلدون (١٥٠/٤) ، ومعجم البلدان (٢٦٣/١) ، ونفح الطيب (١٦٠/١).

(٢) **معركة طريف** : وقعت هذه المعركة بين المسلمين بقيادة أبي الحسن علي بن عثمان بن يعقوب ابن عبد الحق المزيني جاز البحر إلى جزيرة الأندلس برسم الجهاد ونصرة أهلها على عدوهم حسبما جرت بذلك عادة سلفه وغيرهم من ملوك العدوة ، فاجتاح أراضي النصارى وحصل على الغنائم ، فما كان من النصارى أن كونوا أسطولا بحريا استقر بالمضيق ومنعوا الإمداد عن جيش المسلمين فغاروا عليهم وأوقعوا الهزيمة بالمسلمين ، وقتل فيها خلق كثير .
يُنظر : شذرات الذهب (١٢٧/٦) ، و نفح الطيب (١٥/٥)

(٣) نيل الابتهاج (٢ / ٥١) ، والتاريخ الأندلسي (٥٨٩) ، وابن جُزيّ ، ومنهجه في التفسير (١ / ١٧٠).

المبحث الأول : القيمة العلمية لكتاب التسهيل

صنف ابن جُزيّ كتابه التسهيل[1] ، وأودع فيه دررًا نفيسة ، فعلى صغر حجمه حوى كثيرا من العلوم ، بسهولة عباراته وعمق إشارته ، **ومما يبين لنا القيمة العلمية لكتاب التسهيل عدة أمور وهي :**

- اهتمامه بعلوم القرآن ؛ إذ هي من مقاصد تأليفه للكتاب حيث قال : «وصنفت هذا الكتاب في تفسير القرآن العظيم وسائر ما يتعلق به من العلوم »[2].

  فتحدث في مقدمته عن أسباب النزول ، وأسماء السور ، والمكي والمدني ، ومقاصد القرآن والناسخ والمنسوخ ، وعقد بابًا في جوامع القراءة ، وبابًا في البلاغة وأدوات البيان، وغيرها من العلوم التي جمعها في مقدمته.
- احتوى كتاب التسهيل على جملة وافرة من الأحاديث ، والآثار التي أغلبها من المقبول ، مما يدل على حرص ابن جزي رحمه الله على التفسير بالمأثور.
- تحدث عن طبقات المفسرين ، ومن نقل عنهم من الصحابة والتابعين .

قال – رحمه الله – في مقدمته : «واعلم أن المفسرين على طبقات . فالطبقة الأولى الصحابة وأكثرهم كلاما في التفسير ابن عباس [3]وكان على بن أبي طالب – ﷺ – [1] يثني على تفسير ابن عباس ويقول

---

(١) **للكتاب نسخ عديدة واعتمدت على نسختين في تصويب الأخطاء المطبعية وهي :**

الأولى :رقم التسلسل: ٦٠٧٧٦، رقم الحفظ : ج/٤٤/٠٤/٠٢، رقم الحفظ والتسلسل : ١٢٦٩٠، الميكروفيلم : ١٢٦٩٠ – مطبوع : ذخائر التراث ٧٢/١ .الأزهرية ٢١٦/١. ورمزت لها بالرمز "ز".

والثانية :رقم التسلسل: ٦٣٦٥٨، رقم الحفظ : ج/٤٥/٠٢/١٢، رقم الحفظ والتسلسل : ١٢٨٠٢، الميكروفيلم: ١٢٨٠٢ – طبع : ذخائر التراث ٧٢/١ . مكان الحفظ : مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.ورمزت لها بالرمز "د".

طبعات الكتاب : طُبع الكتاب عدة طبعات وهي :

طبعة دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٣٩٣ هـ – ١٩٧٣ م ، وطبعة ١٤٠٣ هـ ، تحقيق لجنة إحياء التراث في دار الكتاب العربي .

و طبعة :دار الكتاب العربي – لبنان – ١٤٠٣هـ– ١٩٨٣م، الطبعة: الرابعة

وطبعة :أم القرى ، القاهرة ، تحقيق محمد عبد المنعم اليونسي، وإبراهيم عطوة عوض .

وطبعة :دار الأرقم ، بيروت ، ١٤١٦ هـ . تحقيق عبد الله الخالدي .

وطبعة : المكتبة العصرية ، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م .

(٢) التسهيل (٣/١).

(٣) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، أبو العباس : حبر الامة، الصح أبي الجليل. ولد بمكة. ونشأ في بدء عصر النبوة، فلازم رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى عنه الاحاديث الصحيحة .توفي سنة (٦٨ هـ). يُنظر : الاستيعاب (٩٣٣/٣).و الإصابة (١٤١/٤).

كأنما ينظر إلى الغيب من ستر رقيق . وقال ابن عباس : ما عندي من تفسير القرآن فهو عن علي بن أبي طالب . ويتلوهما عبد الله بن مسعود[٢]، وأبي بن كعب[٣] وزيد ابن ثابت[٤] وعبد الله بن عمر بن الخطاب [٥]،وعبد الله بن عمرو بن العاص[٦]، وكلما جاء من التفسير عن الصحابة فهو حسن .

والطبقة الثانية :التابعون ،وأحسنهم كلاما في التفسير الحسن بن الحسن البصري [٧] ،وسعيد بن جبير [٨]، ومجاهد[١] مولى ابن عباس، وعلقمة [٢]صاحب عبد الله بن مسعود ،ويتلوهم عكرمة [٣]،وقتادة

---

(١) عَليّ بنُ أَبي طالب بن عَبْد المُطَّلِب بن هاشم بن عبد مناف بن قصيّ بن كلاب ابن مرة بن كعب بن لؤى القرشي الهاشمي ابن عم رسول الله ، أَوّل الناس إسلاماً في قول كثير من العلماءِ على ما نذكره وهاجر إلى المدينة وشهد بدراً وأُحداً والخندق وبيعه الر ضوان وجميع المشاهد مع رسول الله إلا تبوك . قتل رضي الله عنه في ليلة السابع عشر من شهر رمضان سنة أربعين من الهجرة. ينظر : أسد الغابة (١٠٠/٤) ، والإصابة في تمييز الصحابة (٥٦٤/٤).

(٢) عبدالله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي، أبو عبد الرحمن : صحابي. من أكابرهم، فضلا وعقلا، وقربا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو من أهل مكة، ومن السابقين إلى الاسلام، وأول من جهر بقراءة القرآن بمكة. وكان خادم رسول الله الامين . توفي سنة ٣٢ هـ. ينظر : الاستيعاب (٩٤٥/٣)، و الإصابة في تمييز الصحابة (٢٣٣/٤).

(٣) أبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار ، أبو المنذر أبو الطفيل سيد القراء الأنصاري الخزرجي ، كان من أصحاب العقبة الثانية ، وشهد بدرا والمشاهد . ت (٢٢ هـ) في خلافة عمر وقيل بقي إلى خلافة عثمان . يُنظر : تقريب التهذيب (٩٦/١)، الإصابة في تمييز الصحابة (٢٧/١).

(٤) زيد بن ثابت بن الضحاك بن زيد بن لوذان بن عمرو بن عوف بن غنم بن مالك بن النجار الأنصاري الخزرجي ، أبو سعيد وقيل : أبو ثابت . وقيل: غير ذلك في كنيته . استصغر يوم بدر ويقال إنه شهد أحدا ويقال أول مشاهده الخندق كان من الراسخين في العلم مات سنة (٤٣ ، وقيل ٤٥) .

يُنظر : الإصابة في تمييز الصحابة (٥٩٢/٢) ، وتقريب التهذيب (٢٢٢/١).

(٥)عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي، أبو عبد الرحمن : صحابي، من أعز بيوتات قريش في الجاهلية . كان جريئا جهيرا. نشأ في الاسلام، وهاجر إلى المدينة مع أبيه، وشهد فتح مكة. ومولده ووفاته فيها. أفتى الناس في الإسلام ستين سنة.توفي سنة (٧٣ هـ). ينظر : أسد الغابة(٣٤٧/٣) ، و الإصابة (١٨١/٤).

(٦) عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي القرشي السهمي كنيته أبو محمد عند الأكثر . ويقال : أبو عبد الرحمن ، أسلم قبل أبيه وكان من فضلاء الصحابة ، عالما بالقرآن ، وقال ابن أبي عاصم مات بمكة سنة (٦٨ ، وقيل ٦٩ هـ).

يُنظر : تهذيب الكمال (٣٥٧/١٥) ، و الإصابة في تمييز الصحابة (١٩٢/٤).

(٧) الحسن بن يسار البصري، أبو سعيد . وُلد سنة (٢١ هـ) تابعي، كان إمام أهل البصرة، وحبر الأمة في زمنه .توفي بالبصرة (١١٠ هـ).

يُنظر : معرفة القراء الكبار (٦٥/١) ، وسير أعلام النبلاء (٥٦٣/٤)،و الوافي بالوفيات (١٩٠/١٢) ، والأعلام (٢ / ٢٢٦).

(٨) سعيد بن جبير بن هشام مولى بنى والبة بن الحارث من بنى أسد بن خزيمة أبو عبد الله .كان فقيها عابدا ورعا فاضلا . توفي سنة (٩٥

[٤]، والسدي[٥] ،والضحاك ابن مزاحم [٦] وأبو صالح [٧]،وأبو العالية [٨]» [٩].

- جعل باباً في تفسير معاني اللغات التي يكثر دورانها في القرآن أو تقع في موضعين فأكثر من الأسماء والأفعال والحروف.
- اهتمامه بالترجيح بين الأقوال على قواعد علمية قررها في مقدمته ، وسار عليها في تفسيره.
- خطَّ ابن جزي لنفسه خطوطاً عريضة تعطي القارئ لأول وهلة منهجه الذي سار عليه وذلك

هـ).

يُنظر : الثقات (٢٧٥/٤)،حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٢٧٢/٤).

(١) مجاهد بن جبر بن السّائب المخزومي ، أبو الحجاج ، شيخ القراء والمفسرين ، روى عن ابن عباس فأكثر وأطاب . توفي سنة (١٠٤ هـ) .

يُنظر : حلية الأولياء (٢٧٩/٣)، و طبقات الفقهاء (٥٨/١) .

(٢) علقمة بن قيس أبو شبل النخعي الكوفي كان من أكابر أصحاب ابن مسعود وعلمائهم وكان يشبه بابن مسعود ﷺ – توفي سنة (٦٢) على الأصح .

يُنظر : تهذيب الهذيب (٢٤٤/٧)،والبداية والنهاية (٢١٧/٨). العبر في خبر من غبر (٦٦/١).

(٣) عكرمة بن عبد الله البربري المدني ، أبو عبد الله ، مولى ابن عباس ، تابعي من أعلم الناس بالتفسير والمغازي ، توفي سنة . حلية الأولياء (٣٢٧/٣)، وفيات الأعيان و انباء أبناء الزمان (٢٦٥/٣)، تهذيب التهذيب (٢٣٤/٧).

(٤) قتادة بن دعامة السدوسي ، أبو الخطاب ، مفسّر حافظ ، تابعي تكلم في القدر ، وربما دلس في الحديث . روى عن أنس بن مالك وجماعة من التابعين منهم سعيد بن المسيب ، وأبو العالية ، وعطاء وابن سيرين . توفي سنة (١١٥ ، وقيل سنة ١١٧ هـ).

يُنظر : الثقات (٣٢١/٥) ، و تذكرة الحفاظ (١٢٢/١) ، وتهذيب التهذيب (٣١٥/٨) .

(٥) إسماعيل بن عبد الرحمن السدي ، أبو محمد ، صاحب التفسير ، والمغازي والسير ، وكان إماما عارفا بالوقائع وأيام الناس ،روى عن أنس وابن عباس ، وعنه أسباط بن نصر ، والحسن بن صالح . قال ابن عدي : مستقيم الحديث . توفي سنة (١٢٧).

يُنظر : التاريخ الكبير (٣٦١/١)، وسير أعلام النبلاء (٢٦٤/٥)، وتهذيب التهذيب (٢٧٣/١).

(٦) الضحاك بن مزاحم الهلالي ، أبو محمد ، صاحب التفسير ، كان من أوعية العلم ،روى عن أبي هريرة وابن عباس ، وأبي سعيد وغيرهم ، وروى عنه عبد الرحمن بن عوسجة وغيره . قال ابن حبّان : في جميع ما روى نظر ؛ إنما اشتهر بالتفسير توفي سنة (١٠٥ هـ).

يُنظر : تهذيب الكمال تهذيب الكمال (٢٩١/١٣) ، وسير أعلام النبلاء (٥٩٨/٤) ، وطبقات المفسرين (١٠/١).

(٧) ذكوان المدني ، أبو صالح السّمّان ، روى عن سعد وأبي الدرداء ، وعائشة ، وأبي هريرة – – وعنه بنوه سهيل ، وعبد الله ، وصالح وعطاء ، وسمع عنه الأعمش . قال أحمد : ثقة ، ثقة . توفي سنة (١٠١ هـ) .

يُنظر : معرفة الثقات (٣٤٥/١)،و التعديل والتجريح (٥٦٨/٢) ، وتهذيب الكمال (٥١٣/٨) .

(٨) رفيع بن مهران الرياحي مولاهم ، أبو العالية ، مخضرم أدرك الجاهلية وأسلم بعد وفاة النبي-ﷺ- بسنتين . توفي سنة (٩٣ هـ).

يُنظر : تهذيب التهذيب (٢٤٦/٣) ، والثقات (٢٣٩/٤).

(٩) التسهيل (٩/١-١٠).

ضمن مقدمتين شاملتين تدل على قيمته العلمية قال فيها : « وصنفت هذا الكتاب في تفسير القرآن العظيم وسائر ما يتعلق به من العلوم وسلكت مسلكا نافعا إذ جعلته وجيزا جامعا **قصدت به أربع مقاصد تتضمن أربع فوائد :**

الفائدة الأولى: جمع كثير من العلم في كتاب صغير الحجم تسهيلا على الطالبين ،وتقريباً على الراغبين فلقد احتوى هذا الكتاب على ما تضمنته الدواوين الطويلة من العلم ولكن بعد تلخيصها وتمحيصها ،وتنقيح فصولها ،وحذف حشوها ،وفضولها ،ولقد أودعته من كلِ فنٍ من فنونِ علم القرآن اللُّباب المرغوب فيه دون القشر المرغوب عنه من غير إفراط ،ولا تفريط ثم إني عزمت على إيجاز العبارة ،وإفراط الاختصار وترك التطويل والتكوار.

الفائدة الثانية : ذكر نكت عجيبة ،وفوائد غريبة قلما توجد في كتاب ؛لأنها من نبات صدري وينابيع ذكري ومما أخذته عن شيوخي – رضي الله عنهم –أو مما التقطته من مستظرفات النوادر الواقعة في غرائب الدفاتر .

الفائدة الثالثة : إيضاح المشكلات إما بحل العقد المقفلات ،وإما بحسن العبارة ورفع الاحتمالات وبيان المجملات .

الفائدة الرابعة : تحقيق أقوال المفسرين السقيم منها ،والصحيح ،وتمييز الراجح من المرجوح وذلك أن أقوال الناس على مراتب ، فمنها الصحيح الذي يعول عليه ،ومنها الباطل الذي لا يلتفت إليه ومنها ما يحتمل الصحة والفساد» [1].

❁ ❁ ❁ ❁

(١) التسهيل (١/٣).

المبحث الثاني : مصادر ابن جزي في كتابه

كان ابن جزي رحمه الله ذا علم وافر ومعرفة واسعة بشتى العلوم . الأمر الذي مكنه من سبر أقوال المتقدمين بالتحرير والتدقيق ، وذلك لتأخره عنهم فاستطاع الاطلاع على ما ألفه العلماء قبله واستخراج فوائد هذه العلوم ، ويظهر ذلك من خلال ذكر الكتب التي اطلع عليها في كتابه ، فقد ذكر في مقدمته جملة من العلماء الذين استقى منهم معلوماته في . إلا أنه حين يذكر المصدر فإنه يقصد بذلك أحد **أمرين وهما** : (الخروج من عهدته ، و نصرته إذ كان قائله ممن يُقتدى به) .

قال ابن جزي رحمه الله : (...وأما إذا صرحت باسم قائل القول فإني أفعل ذلك لأحد أمرين إما للخروج عن عهدته وإما لنصرته إذا كان قائله ممن يقتدي به على أني لست أنسب الأقوال إلى أصحابها إلا قليلا وذلك لقلة صحة إسنادها إليهم أو لاختلاف الناقلين في نسبتها إليهم وأما إذا ذكرت شيئا دون حكاية قوله عن أحد فذلك إشارة إلى أني أتقلده وأرتضيه سواء كان من تلقاء نفسي أو مما أختاره من كلام غيري...) [1]، ويمكن تقسيم مصادره [2]بحسب العلوم إلى :

أولا: مصادره من كتب التفسير :

١. كتاب جامع البيان للإمام محمد ابن جرير الطبري [3].

قال فيه : «ثم إن محمد بن جرير الطبري جمع أقوال المفسرين وأحسن النظر فيها» [4].

٢. شفاء الصدور لأبي بكر بن حسن النقاش[5] .

٣. الكشف والبيان للثعلبي[1] .

---

(١)التسهيل(١/٣).

(٢) من خلال منهج ابن جزي في ذكر الأقوال نلاحظ أنه لم يصرح في كثير من الأحيان بذكر المصدر الذي استقى منه المعلومة ، ولذلك اقتصرت في ذكره مصادره على ما ذكره في مقدمته .ولتوسع في هذا المبحث يُنظر : ابن جُزي ومنهجه في التفسير (١ / ٢١٧) وما بعدها .

(٣) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري ، أبو جعفر الإمام الجليل المجتهد ، وُلد سنة (٢٢٤ هـــ) ، أحد أئمة الدنيا علماً وديناً رأس في التفسير والفقه علامة في التاريخ ، وأيام الناس ، وكان كثير الترحال في طلب العلم . من كتبه (تاريخ الطبري ، واختلاف الفقهاء ، و المسترشد في علوم الدين ، و جزء في الاعتقاد . استوطن بغداد وأقام بها إلى حين وفاته (٣١٠ هـــ) .

يُنظر : سير أعلام النبلاء (٢٦٧/١٤) ، و تذكرة الحفاظ (٧١٠/٢ - ٧١٦)، والأعلام (٦ / ٦٩).

(٤) التسهيل(١٠/١).

(٥) محمد بن الحسن بن محمد بن زياد بن هارون، أبو بكر النقاش ، ولد سنة (٢٦٦ هـــ) ، وهو إمام أهل العراق في القراءات والتفسير من كتبه (شفاء الصدور ، و الإشارة في غريب القرآن، و الموضح في القرآن ومعانيه، والمعجم الكبير في أسماء القراء وقراءاتهم) توفي سنة (٣٥١ هـــ). يُنظر : وفيات الأعيان (٢٩٨/٤) ، و الأعلام (٦ / ٨١).

٤. النكت والعيون للماوردي [٢].

قال في الثلاثة السابق ذكرهم :« وممن صنف في التفسير أشياء أبو بكر النقاش والثعلبي والماوردي إلاّ أن كلامهم يحتاج إلى تنقيح وقد استدرك الناس على بعضهم»[٣].

٥. حقائق التفسير لأبي عبد الرحمن السلمي [٤]:

قال فيه: « وقد تكلمت المتصوفة في تفسير القرآن . فمنهم من أحسن وأجاد ووصل بنور بصيرته إلى دقائق المعاني ووقف على حقيقة المراد . ومنهم من توغل في الباطنية وحمل القرآن على ما لا تقتضيه اللغة العربية وقد جمع أبو عبد الرحمن السلمي كلامهم في التفسير في كتاب سماه الحقائق .وقال بعض العلماء : بل في البواطل ، وإذا انتصفنا قلنا : فيه حقائق و بواطل» [٥].

٦. الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب[٦].

قال فيه : « ثم صنف المقرئ أبو محمد مكي بن أبي طالب كتاب الهداية في تفسير القرآن وكتابا في غريب القرآن وكتابا في ناسخ القرآن ومنسوخه وكتابا في إعراب القرآن إلى غير ذلك من تآليفه فإنها نحو ثمانين تأليفا أكثرها في علوم القرآن والقراءات والتفسير»[٧].

٧. التحصيل في مختصر التفصيل للمهدوي [٨].

---

(١) أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري ، أبو إسحاق كان أحد أوعية العلم ، وكان صادقا موثقا بصيرا بالعربية طويل الباع في الوعظ.ت (٤٢٧ هـ) . يُنظر : معجم الأدباء (١٩/٢) ، و سير أعلام النبلاء (٤٣٥/١٧- ٤٣٧)، و بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة(٣٥٦/١).

(٢) علي بن حبيب الماوردي ، أبو الحسن ، وُلد سنة (٣٦٤ هـ) . كان أقضى قضاة عصره ، من العلماء الباحثين أصحاب التصانيف النافعة . من كتبه (أدب الدنيا والدين ، و الأحكام السلطانية ، والنكت والعيون ، و الحاوي) . تُوفي سنة (٤٥٠ هـ) .
يُنظر : طبقات الفقهاء (١٣٨/١) ، وسير أعلام النبلاء (٦٤/١٨) ، والأعلام (٤ / ٣٢٧) .

(٣) التسهيل (١٠/١).

(٤) محمد بن الحسين بن محمد بن موسى الأزدي السلمي النيسابوري، أبو عبد الرحمن ، ولد في نيسابور سنة (٣٢٥ هـ) قال الذهبي: (شيخ الصوفية وصاحب تاريخهم وطبقاتهم وتفسيرهم، قيل: كان يضع الأحاديث للصوفية).من كتبه (طبقات الصوفية ،ومقدمة في التصوف ،و مناهج العارفين ،و رسالة في غلطات الصوفية) .توفي سنة (٤١٢ هـ).
يُنظر : سير أعلام النبلاء (٢٤٧/١٧) ، و الأعلام (٦ / ٩٩).

(٥) التسهيل (٨/١).

(٦) مكى بن أبى طالب حموش بن محمد بن مختار الأندلسي القيسي، أبو محمد ، مقرئ، عالم بالتفسير والعربية . ولد بالقيروان سنة ٣٥٥ هـ) ، وهو من أهل التبحر في علوم القرآءات والعربية حسن الفهم والخلق جيد الدين والعقل كثير التآليف في علم القرآن طاف في بعض بلاد المشرق، وعاد إلى بلده، وأقرأ بها . من كتبه (التبصرة في القراءات السبع ،والمنتقى في الأخبار،والإيضاح للناسخ والمنسوخ ، والموجز في القراءات ،و الإيجاز في الناسخ والمنسوخ). توفي بقرطبة سنة (٤٣٧ هـ).
يُنظر : معجم الأدباء (٥/ ٥١٧)، و طبقات المفسرين للداودي (١١٤/١) ، و الأعلام (٧ / ٢٨٦).

(٧) التسهيل (١٠/١).

(٨) أحمد بن عمار بن أبي العباس المهدوي التميمي، أبو العباس ، مقرئ أندلسي أصله من المهدية بالقيروان . من كتبه (هجاء مصاحف

قال فيه:«وأما أبو العباس المهدي فمتقن التآليف حسن الترتيب جامع لفنون علوم القرآن» [١].

٨. الكشاف للزمخشري.

مما نقل عنه كثيرا في كتابه الزمخشري ، وخاصة في الإعراب و البلاغة ، إلا أنه في نقله عنه كان محررا للقول ، مدققا ، ناقدا .

أوضح رأيه عنه بقوله : «ومما بأيدينا من تآليف أهل المشرق تفسير ابن القاسم الزمخشري فمسدد النظر بارع في الإعراب متقن في علم البيان ، إلا أنه ملأ كتابه من مذهب المعتزلة وشرهم وحمل آيات القرآن على طريقتهم فتكدّر صفوه وتمرر حلوه فخذ منه ما صفا ودع ما كدر » [٢].

٩. كتاب المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطيَّة[٣] .

قال فيه: «وأما ابن عطية فكتابه في التفسير أحسن التآليف وأعدلها ، فإنه اطلع على تآليف من كان قبله فهذبها ولخصها ، وهو مع ذلك حسن العبارة مسدد النظر محافظ على السنة » [٤].

١٠. القرنوي[٥]: قال فيه :«وأما القرنوي فكتابه مختصر وفيه من التصوف نكت بديعة» [٦].

١١. التفسير الكبير للفخر الرازي [٧].

قال فيه : « وأما ابن الخطيب فتضمن كتابه ما في كتاب الزمخشري وزاد عليه إشباع في قواعد علم الكلام ونمقه بترتيب المسائل وتدقيق النظر في بعض المواضع ، وهو على الجملة كتاب كبير الجرم ربما يحتاج إلى تلخيص»[٨].

الأمصار على غاية التقريب والاختصار ، والتيسير في القراءات ، وري العاطش ، والهداية). توفي في نحو سنة (٤٤٠ هـ). الأعلام (١ / ١٨٤).

(١) التسهيل (١/١٠).

(٢) المرجع السابق (١/١٠).

(٣) عبد الحق بن غالب بن عطية المحاربي الغرناطي الأندلسي ، أبو محمد ، وُلد سنة (٤٨١هـ) . كان فقيهاً عالماً بالتفسير والحديث واللغة والنحو . تُوفي سنة (٥٤٦ هـ) .

يُنظر : سير أعلام النبلاء (٢٠/١٣٣) ، وطبقات المفسرين لأدنه وي (١/١٧٥).

(٤) التسهيل (١/١٠).

(٥) لم أقف على حقيقة الاسم . قد يكون الغزنوي ، أو القرنوي .

(٦) التسهيل (١/١٠).

(٧) محمد بن عمر بن الحسن التميمي ، البكري ، أبو عبد الله الرازي . وُلد سنة (٤٤٤ هـ) . إمام مفسر ،فاق أول زمانه في المعقول والمنقول ، وعلوم الأوائل من كتبه (مفاتيح الغيب ، و لوامع البينات في شرح أسماء الله تعالى والصفات ،و معالم أصول الدين) . توفي سنة (٦٠٤ هـ) .

يُنظر : الوافي بالوفيات (٤/١٧٥) ، وشذرات الذهب (٥/٢١) ، والإعلام (٦ / ٣١٣) .

(٨) التسهيل (١/١٠).

ثانياً : مصادره في علوم القرآن :

❖ في القراءات[1] :

كتب أبي عمرو الداني ، ومنها : التيسير في القراءات السبع ، والإشارة ، والمقنع في رسم المصاحف ونقطها ، والاهتداء في الوقف و الابتداء ، و الموضح المذ اهب القراء ، وجامع البيان في القراءات وطبقات القراء .

قال فيه : «وأما أبو عمرو الداني فتآليفه تنيف على مائة وعشرين إلا أن أكثرها في القرآن و لم يؤلف في التفسير إلا قليلا»[2].

❖ غريب القرآن

١. غريب القرآن لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة [3].

قال فيه : « وصنف أبو محمد بن قتيبة في غريب القرآن ومشكله وكثير من علومه»[4].

٢. معاني القرآن لأبي إسحاق الزجاج[5].

٣. معاني القرآن لأبي جعفر النحاس[6].

٤. الإغفال فيما أغفله الزجاج من المعاني لأبي علي الفارسي[7].

---

(١) ابن جزي و منهجه في التفسير(١ / ٢٩٤).

(٢) التسهيل (١٠/١).

(٣) عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، أبو محمد .ولد ببغداد سنة (٢١٣هـ) ، يعتبر من أئمة الأدب، ومن المصنفين المكثرين ثم ولي قضاء الدينور مدة، فنسب إليها. من كتبه (تأويل مختلف الحديث ،و أدب الكاتب ،و المعارف، ومشكل القرآن) . توفي ببغداد سنة (٢٧٦ هـ).

يُنظر : الديباج المذهب (٣٥/١)،و طبقات المفسرين للأدنه وي (٤٤/١) ، والأعلام (٤ / ١٣٧) .

(٤) التسهيل (١٠/١).

(٥) إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج ، ولد في بغداد (٢٤١ هـ) ، عالم بالنحو واللغة ،وكان من أهل الفضل والدين وجميل المذهب والاعتقاد . من كتبه (معاني القرآن ،و الاشتقاق،وخلق الإنسان ،و الأمالي في الأدب واللغة). توفي سنة (٣١١ هـ).

يُنظر : طبقات المفسرين للأدنه وي (٥٢/١) ، وبغية الوعاة (٤١١/١) ، و الأعلام (١ / ٤٠).

(٦) أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي المصري، أبو جعفر النحاس، مفسر، أديب ، كان من نظراء نفطويه وابن الأنباري . من كتبه (تفسير القرآن ،و إعراب القرآن ، و تفسير أبيات سيبويه ، و ناسخ القرآن ومنسوخه). توفي بمصر سنة (٣٣٨ هـ).

البداية والنهاية (٢٢٢/١١) ، النجوم الزاهرة (٣٠٠/٣) ، و والأعلام (١ / ٢٠٨).

(٧) الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي الأصل، أبو علي، أحد الأ ئمة في علم العربية. ولد في فسا سنة (٢٨٨ هـ) تجول في كثير من البلدان. من كتبه (التذكرة في علوم العربية، وتعاليق سيبويه ،والحجة في علل القراءات). توفي سنة (٣٧٧ هـ) .

٥. غريب القرآن لمنذر بن سعيد البلوطي.

قال ابن جزي : « وصنف في معاني القرآن جماعة من النحويين كأبي إسحق الزجاج وأبي علي الفارسي وأبي جعفر النحاس وأما أهل المغرب والأندلس فصنف القاضي منذر بن سعيد البلوطي كتابا في غريب القرآن وتفسيره»[١].

٦. العمدة في غريب القرآن لمكي بن طالب.

❖ **أحكام القرآن لابن العربي**[٢].

قال فيه : «فأما ابن العربي فصنف كتاب أنوار الفجر في غاية الاحتفال والجمع لعلوم القرآن فلما تلف تلافاه بكتاب قانون التأويل إلا أنه اخترمته المنية قبل تخليصه وتلخيصه وألف في سائر علوم القرآن تآليف مفيدة وأما ابن عطية فكتابه في التفسير أحسن التآليف وأعدلها فإنه اطلع على تآليف من كان قبله فهذبها ولخصها وهو مع ذلك حسن العبارة مسدد النظر محافظ على السنة» [٣].

❖ كتب أبي جعفر بن الزبير . ومنها (ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظي من آي التنزيل) [٤].

قال ابن جُزيّ : « ثم ختم علم القرآن بالأندلس وسائر المغرب بشيخنا الأستاذ أبو جعفر بن الزبير فلقد قطع عمره في خدمة القرآن وآتاه الله بسطة في علمه وقوة في فهمه وله فيه تحقيق ونظر دقيق»[٥].

ثالثاً : مصادره من كتب السنة :

- تفسير القرآن لعلي بن أبي طلحة[٦].
- مسند المفضل بن مهلهل السعدي[١].

يُنظر : تاريخ بغداد (٢٧٥/٧) ، وفيات الأعيان (٨٠/٢) ، الأعلام (٢ / ١٧٩).

(١) التسهيل (١٠/١).

(٢) محمد بن عبد الله بن محمد المعافري الإ شبيلي المالكي، أبو بكر ابن العربي . قاضي من حفاظ الحديث. ولد في إشبيلية سنة (٤٦٨هـ). برع في الأدب، وبلغ رتبة الاجتهاد في علوم الدين.من كتبه (العواصم من القواصم، و عارضة الأحوذي في شرح الترمذي ،و أحكام القرآن). تُوفي سنة(٤٥٣ هـ).

(٣) التسهيل (١٠/١).

(٤) مطبوع . بتحقيق د.محمود كامل أحمد ، وتحقيق د. سعيد الفلّاح .

(٥) التسهيل (١٠/١).

(٦) علي بن أبي طلحة واسمه سالم بن المخارق الهاشمي أبو الحسن ويقال أبو محمد ويقال أبو طلحة مولى العباس بن عبد المطلب سكن حمص أرسل عن بن عباس و لم يره . روى عن أبي الوداك جبر بن نوف الهمداني ،وراشد بن سعد المقرائي ،وعبد الله بن عباس مرسل بينهما مجاهد ،ومجاهد بن جبر المكي ،وروى عنه أرطاة بن المنذر وبدل بن ميسرة ،وثعلبة بن مسلم الخثعمي . روى له مسلم وأبو داود والنسائي وبن ماجة .توفي سنة (١٤٣ هـ).

يُنظر: تهذيب الكمال (٤٩٠/٢٠)، وتقريب التهذيب (٤٠٢/١).

- مصنف عبد الرزاق الصنعاني[٢].
- صحيح الإمام البخاري [٣].
- مسند عبد بن حميد[٤].

قال ابن جُزيّ : «ثم حمل تفسير القرآن عدول كل خلف وألف الناس فيه كالمفضل وعبد الرزاق وعبد بن حميد والبخاري وعلي بن أبي طلحة» [٥].

❁ ❁ ❁ ❁

(١) المفضل بن مهلهل السعدي ، أبو عبد الرحمن الكو في ، ثقة ثبت ، صاحب سنة وفضل ، حدث عن منصور وبيان بن بشر ومغيرة والأعمش ونحوهم ، وعنه حسين الجعفي وأبو أسامة ويحيى بن آدم والحسن بن الربيع وآخرون . قال أحمد العجلي كان ثقة ثبتا صاحب سنة وفضل توفي سنة (١٦٧ هـ).
يُنظر : تهذيب الكمال (٤٢٢/٢٨)، و سير أعلام النبلاء (٤٠٠/٧).

(٢) عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري ، أبو بكر الصنعاني ، ولد سنة (١٢٦هـ) أحد الأئمة الأعلام الحفاظ .توفي سنة (٢١١ هـ).
يُنظر : التاريخ الكبير (١٣٠/٦)، و ميزان الاعتدال في نقد الرجال (٣٤٢/٤) ، وسير أعلام النبلاء (٥٦٣/٩).

(٣) محمد بن إسماعيل بن المغيرة ، أبو عبد الله الجعفي البخاري ،ولد سنة (١٩٤ هـ). صاحب صحيح البخاري والتصانيف. روى عنه الترمذي والنسائي ، وكتابه أجل كتب الإسلام في الحديث و أفضلها. وتوفي سنة (٢٥٦ هـ).
يُنظر : تهذيب التهذيب (٤١/٩)، وطبقات الحفاظ (٢٥٢/١).

(٤) عبد بن حميد بن نصر الكشي ، أبو محمد الحافظ .كان ممن جمع وصنف .روى عن علي بن عاصم ومحمد بن بشر العبدي وعبد الرزاق وخلائق، وعنه مسلم والترمذي وابن خزيم الشاشي وعمر البجيري.توفي سنة (٢٩٤ هـ).
يُنظر : الثقات (٤٠١/٨) ،و الكاشف (٦٧٦/١)،وطبقات الحفاظ (٢٣٨/١).

(٥) التسهيل (١٠/١).

المبحث الثالث : منهج ابن جُزيّ في كتابه

بين ابن جُزيّ – رحمه الله تعالى- في مقدمته منهجه الذي سار عليه في كتابه ، ليُسهل للقارئ نيل ثمرته وخلاصة فكرة ، ونستطيع أن نجمل منهجه في تفسيره كالآتي :

- رتبَّ ابن جُزيّ تفسيره حسب ترتيب المصحف الشريف مبتدأً بسورة الفاتحة إلى سورة الناس.
- سار ابن جُزيّ في تفسيره على تجزئة الآيات مفسرا لأهم الجمل فيها تاركا الواضح منها دون تفسير ، ولم يفسر جميع الآيات في السورة.
- بنى كتابه على قراءة نافع .
- السِّمة البارزة لكتاب التسهيل الميل إلى الاختصار والإيجاز إذ يعد ذلك من مقاصد تأليفه.
- ليس لابن جُزيّ منهج مطّرد في ترتيب المادة التفسيرية التي يعرض فيها الآية ، فتارة يقدم القول الراجح ، وتارة العكس ، وتارة يقدم سبب النزول ،وتارة يقدم المعنى العام .
- اهتم ابن جُزيّ باللغة والإعراب ، أما الشواهد الشعرية فلا تكاد تذكر .
- اعتنى ابن جزي بالتفسير بالمأثور ، فإنه إذا صح عنه لا يتعداه إلى غيره .
- لا يعزو ابن جُزي في الغالب الأحاديث التي يذكرها ، ولا يحكم عليها .
- لا يذكر مرجعه عند ذكره لأقوال العلماء .
- يهتم كثيرا بالتفسير المنقول عن ابن عباس – ﷺ – .
- يذكر ابن جُزيّ أقوال التابعين دون التصريح بأسمائهم .
- أكثر من النقل عن ابن عطية و الزمخشري .
- اقتصر في كتابه من القصص على ما يتوقف التفسير عليه.
- جعل مقدمة في اللغات الكثيرة الدوران في القرآن.
- تكلم عن اثنا عشر مقاما من مقامات التصوف في مواضعها من القرآن.
- ذكر من إعراب القرآن ما يحتاج إليه من المشكل أو ما يفيد في فهم المعنى.

فتلك مجمل الأصول والسمات التي سار عليها ابن جُزيّ في تفسيره وكان لها الأثر في تميزه وجودة منهجه ومن ثَّم قوة ترجيحه .

الفصل الثاني

منهج ابن جزي في الترجيح في تفسيره

وفيه تمهيد ، ومبحثان :

التمهيد : تعريف الترجيح وموجبه عند ابن جُزيّ

المبحث الأول : صيغ الترجيح عند ابن جُزيّ

المبحث الثاني : وجوه الترجيح عند ابن جُزيّ

تمهيد

تعريف الترجيح

لغة : مصدر رَجَّح يُرَجِّ ، يقال : رجح الراجح الوازن و رجح الشيء بيده رزنه ونظر ما ثقله و أرجح الميزان أي أثقله حتى مال [1].

قال ابن فارس [2]:«رجح الراء والجيم والحاء أصل واحد يدل على رزانة وزيادة يقال رجح الشيء وهو راجح إذا رزن» [3].

واصطلاحاً : عُرف عند الأصوليين بعدة تعريفات منها :

«وفاء أحد الظنين على الآخر» [4]

وقيل : « تَقْوِيَةُ إحْدَى الْإِمَارَتَيْنِ على الْأُخْرَى بِمَا ليس ظَاهِرًا مَأْخُوذٌ من رُجْحَانِ الْمِيزَانِ» [5].

وقيل : « الترجيح إثبات مرتبة في أحد الدليلين على الآخر» [6].

والمراد به في التفسير : « تقوية أحد الأقوال في تفسير الآية لدليل أو قاعدة تقويه ، أو لتضعيف أو ردِّ ما سواه» [7].

موجبات الترجيح

إن الخلاف في الأقوال من الأمور التي وقعت للسلف ؛ بحسب اجتهادهم وفهمهم و أكثر اختلافهم من باب اختلاف التنوع .

---

(١) لسان العرب (٢/٤٤٥).

(٢)أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين . وُلد سنة (٣٢٩ هـ) .من أئمة اللغة والأدب من مؤلفاته (مقاييس اللغة والمجمل ،و الصاحبي ، وجامع التأويل). تُوفي سنة (٣٩٥ هـ).
يُنظر : الأعلام (١ / ١٩٣).

(٣) معجم مقاييس اللغة (٢/٤٨٩).

(٤) قاله ابن العربي في المحصول (١/١٤٩).

(٥) قاله الزركشي في البحر المحيط في أصول الفقه (٤/٤٢٥).

(٦) قاله الجرجاني في التعريفات (١ / ٧٨).

(٧) قواعد الترجيح عند المفسرين (١ / ٣٥).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية [1]– رحمه الله – : « الخلاف بين السلف في التفسير قليل وخلافهم في الأحكام أكثر من خلافهم في التفسير وغالب ما يصح عنهم من الخلاف يرجع إلى اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد» [2].

وعلى هذا الاختلاف تباينت أقوال المفسرين من بعدهم ، والوصول إلى القول الصواب في الآية بغية كل مفسر ؛ لفهم القرآن على ما أراد الله تعالى .

ويظهر الترجيح بين الأقوال التي وقع الخلاف فيها بين المفسرين ، وأمَّا ما اتفقوا في بيانه لا يعدُّ خلافا إذ الواجب إتباعه ، **ثم أن هذا الخلاف لا يخلو من أحد أربعة أمور** [3]:

١. إمَّا أن تكون جميع الأقوال محتَمَلة في الآية ، وبقوة الاحتمال نفسها ، أو قريباً منه ومن نصوص الكتاب والسنة ما يشهد لكل واحد منها . "فمثل هذه الأقوال صحيحة و يستقيم حمل الآية على جميع الأقوال".
٢. و إمَّا أن تكون الأقوال متعارضة مع بعضها يتعذر حمل الآية عليها جميعاً ." وهو اختلاف التضاد "[4] وهما : القولان المتنافيان بحيث لا يمكن القول بهما معاً ، فإذا قيل بأحدهما لزم منه عدم القول بالآخر[5].
٣. وإمَّا أن تكون الأقوال ليست متعا رضة مع بعضها ، وإنما يكون بعضها معارضاً لدلالة آيات قرآنية ، أو لنصوص صحيحة من السنة ، أو لإجماع الأمة.
٤. و إمَّا أن تكون الأقوال المختلفة في الآية ليس بينها تعارض لا مع بعضها و لا مع آيات أو أحاديث أو إجماع – وهي محتملة ، غير أن بعضها أولى من بعض .

---

(١) أحمد بن عبد الحليم بن عبد ا لسلام ابن عبد الله بن أبي القاسم الخضر النميري الحراني الدمشقي الحنبلي، أبو العباس، تقي الدين ابن تيميّ، الإمام، شيخ الإسلام.وُلد في حران سنة (٦٦١ هـــ) كان كثير البحث في فنون الحكمة، آية في التفسير والأصول، فصيح اللسان / من كتبه (السياسة الشرعية، والفتاوى، و الإيمان ،و الجمع بين النقل والعقل) . تُوفي سنة (٧٢٨ هـــ).
المقصد الأرشد (١٣٢/١) ، وطبقات الحفاظ (٥٢٠/١) ، و الأعلام (١ / ١٤٤).

(٢) كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٣٣/١٣).

(٣) قواعد الترجيح عند المفسرين (١ / ٤٢).

(٤) ومثال ذلك اختلاف المفسرين من السلف ، ومن بعدهم في المراد " بالقرء " في قوله تعالى :﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ﴾ اختلفوا على قولين : الأول : أن المراد بها الأطهار .و الثاني : يراد بها الحِيَض .
وهذا من اختلاف التضاد إذ لا يمكن الجمع بين القولين ، فالمرأة مطلوب منها أن تتربص ثلاثة أطهار ، أو ثلاث حِيَض ، ولا يُطلب منها أن تتربص بهما جميعاً .

(٥) اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم (٥٩).

وهذه الاحتمالات الثلاث الأخيرة عليها مدار الترجيح ، ومَحلُّه.

ونجد ابن جزيّ بين منهجه الذي توخاه لنفسه وكيف تعامل مع هذا الاختلاف فقال : « واعلم أن التفسير منه متفق عليه ومختلف فيه ثم إن المختلف فيه على ثلاثة أنواع:

الأول : اختلاف في العبارة مع اتفاق في المعنى ، فهذا عده كثير من المؤلفين خلافا ، وليس في الحقيقة بخلاف لاتفاق معناه وجعلناه نحن قولا واحدا وعبرنا عنه بأحد عبارات المتقدمين أو بما يقرب منها أو بما يجمع معانيها.

الثاني : اختلاف في التمثيل لكثرة الأمثلة الداخلة تحت معنى واحد ،وليس مثال منها على خصوصه هو المراد ،وإنما المراد المعنى العام التي تندرج تلك الأمثلة تحت عمومه ،فهذا عده أيضا كثير من المؤلفين خلافا، وليس في الحقيقة بخلاف ؛لأن كل قول منها مثال ،وليس بكل المراد و لم نعده نحن خلافا بل عبرنا عنه بعبارة عامة تدخل تلك تحتها وربما ذكرنا بعض تلك الأقوال على وجه التمثيل مع التنبيه على العموم المقصود.

الثالث : اختلاف المعنى فهذا هو الذي عددناه خلافا ورجحنا فيه بين أقوال الناس» [1].

فموجب الترجيح عنده ما تعددت فيه الأقوال نظرا لتعدد المعاني ، فعمد إلى التصحيح والتضعيف من خلال وجوه الترجيح التي ذكرها في مقدمته إذا كانت الأقوال غير محتملة في تفسير الآية .

❁ ❁ ❁ ❁

(١)التسهيل (١/٦ -٧).

المبحث الأول : صيغ الترجيح عند ابن جُزي

يعدُّ ابن جُزي من العلماء اللذين اعتنوا بالترجيح بين الأقوال ، إذ جعل ذلك من مقاصد تأليفه لكتابه . وقرر منهجه في ترجيح الأقوال بقوله : «الفائدة الرابعة تحقيق أقوال المفسرين السقيم منها والصحيح وتمييز الراجح من المرجوح وذلك أن أقوال الناس على مراتب فمنها الصحيح الذي يعول عليه ومنها الباطل الذي لا يلتفت إليه ومنها ما يحتمل الصحة والفساد ثم إن هذا الاحتمال قد يكون متساويا أو متفاوتا والتفاوت قد يكون قليلا أو كثيرا وإني جعلت لهذه الأقسام عبارات مختلفة تعرف بها كل مرتبة وكل قول» [1]

صيغ الترجيح :

أولًا : ذكر القول دون حكايته عن أحد والسكوت عما عداه من الأقوال .

نصَّ ابن جزي على ذلك بقوله : «وأما إذا ذكرت شيئا دون حكاية قوله عن أحد فذلك إشارة إلى أني أتقلده وأرتضيه سواء كان من تلقاء نفسي أو مما أختاره من كلام غيري» [2].

مثال ذلك : قال ابن جُزي عند تفسير قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾[3]

« الإنسان هنا اسم جنس بدليل الاستثناء منه» [4].

ثانيًا : التصريح باسم قائل القول يعتبر ترجيحا لهذا القول إذا كان قائله ممن يقتدى به .

قرر ذلك ابن جزي بقوله : «وأما إذا صرحت باسم قائل القول فإني أفعل ذلك لأحد أمرين إما للخروج عن عهدته وإما لنصرته إذا كان قائله ممن يقتدي به » [5].

مثال ذلك : قال ابن جُزيّ عند تفسير قول الله تعالى : ﴿فُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [6]«واختلف كم بقي فرضا فقالت عائشة عاما»[7].

---

(١)التسهيل(٣/١).

(٢) المرجع السابق.

(٣) سورة المعارج:١٩ .

(٤) التسهيل(١٤٧/٤).

(٥)التسهيل (٣/١).

(٦) سورة المزمل : ١ .

(٧) التسهيل (١٥٦/٤).

ثالثًا : ذكر القول الراجح بصيغة الجزم وتقديمه وذكر القول المرجوح بصيغة التضعيف

وهذه الطريقة واضحة الدلالة في تقديم القول الراجح بصيغة الجزم على المرجوح الذي ورد بصيغة الضعيف ؛ إلا أنها ليست في قوة التنصيص بالقول الراجح ، ولكن ابن جزي عدها من صيغ الترجيح عنده بقوله : « ثم ما أقدم غيره عليه إشعارا بترجيح المتقدم أو بالقول فيه قيل كذا » [1] ، فإذا ذكر في الأقوال في تفسير الآية و لم ينص على ترجيح أحدها فإن المتقدم منها هو الراجح عنده.

مثال ذلك : قال ابن جُزيّ عند تفسير قول الله تعالى : ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا﴾ [2]«يعني جهنم ، وعبر عن ذلك بالفعل الماضي؛ لأن الأمر محقق ، وقيل : أراد عرضهم على النار ،وعبر عنه بالإدخال» [3].

رابعًا : ذكر قولين أو أكثر وتقديم أحدهما بالذكر ترجيحا للمتقدم منهما .

قال ابن جزي : « ثم ما أقدم غيره عليه إشعارا بترجيح المتقدم أو بالقول فيه قيل كذا قصدا للخروج من عهدته [4].

ومعنى ذلك إذا ذكر عدة أقوال ، و لم ينص على أحدها بالترجيح ، وكانت جميعها متساوية في سياق كلامه ، فإن المتقدم منها هو الراجح عنده ، وهو معنى قوله :" إشعارا " والإشعار معناه الإعلام» [5].

مثال ذلك : قال ابن جُزيّ عند تفسير قول الله تعالى: ﴿**تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ**﴾ [6]« اختلف في هذا اليوم على قولين أحدهما : أنه يوم القيامة،والآخر: أنه في الدنيا. والصحيح أنه يوم القيامة؛ لقول رسول الله – ﷺ – في حديث مانع الزكاة: ((ما من صاحب ذهب،ولا فضة لا يؤدي زكاتها إلا صفحت له صفائح من نار يكوى بها جبينه،وجنبه وظهره في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد)) [7] يعني يوم

---

(١) التسهيل (١/٣).

(٢) سورة نوح : ٢٦ .

(٣) التسهيل (٤/١٥١).

(٤)التسهيل(١/٣).

(٥) لسان العرب (٤/٤١٠).

(٦) سورة المعارج : ٤ .

(٧) لفظ الحديث من رواية أبي هريرة مرفوعاً ((ما من صَاحِبِ ذَهَبٍ ولا فِضَّةٍ لَا يُؤَدِّي منها حَقَّهَا إلا إذا كان يَوْمُ الْقِيَامَةِ صُفِّحَتْ له صَفَائِحُ من نَارٍ فَأُحْمِيَ عليها في نَارِ جَهَنَّمَ فَيُكْوَى بها جَنْبُهُ وَجَبِينُهُ وَظَهْرُهُ كُلَّمَا بَرَدَتْ أُعِيدَ تْ له في يَوْمٍ كان مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ)). أخرجه مسلم في " صحيحه "، كتاب الزكاة، باب إثم مانع الزكاة (٢/٦٨٠) ح (٩٨٧).

القيامة»[1]

خامسًا : التنصيص على تحسين قول وتفضيله على غيره :

إذ كان أحد الأقوال أرجح أو أظهر أو أقوى من غيره قُدم عليها ،وهو ما يسميه العلماء تقديم الأولى .

قال ابن جُزي : «ثم ما أقول إن غيره أرجح أو أقوى أو أظهر أو أشهر» [2].

مثال ذلك : قال ابن جُزي عند تفسير قول الله تعالى : ﴿رَّبِّ إِغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُومِناً وَلِلْمُومِنِينَ وَالْمُومِنَٰتِ﴾ [3]« قيل بيته المسجد وقيل السفينة وقيل شريعته سماها بيتا استعارة وهذا بعيد وقيل داره وهذا أرجح لأنه الحقيقة » [4].

سادسًا الحكم على القول بباطل أو خطأ أو ضعيف أو بعيد ترجيحا للقول الآخر .

يراد بهذه الطريقة حصر القول الراجح وقبوله ورد المرجوح بالحكم عليه .

قال ابن جزي : « ما أصرح بأنه خطأ أو باطل ثم ما أقول فيه إنه ضعيف أو بعيد» [5] .

مثال ذلك : قال ابن جُزي عند تفسير قول الله تعالى: ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ [6]« من هنا هنا للتبعيض أي : يغفر لكم ما فعلتم من الذنوب قبل أن تسلموا ؛لأ ن الإسلام يجب ما قبله ، و لم يضمن أن يغفر لهم ما بعد إسلامهم لأن ؛ ذلك في مشيئة الله تعالى . وقيل : إن من هنا زائدة وذلك باطل لأن ؛ من لا تزاد عند سيبويه إلا في غير الواجب . وقيل: هي لبيان الجنس. وقيل: لابتداء الغاية وهذان القولان ضعيفان في المعنى ، والأول هو الصحيح لأن التبعيض فيه متجه» [7]

هذه غالب الصيغ الصريحة وغير الصريحة التي استخدمها ابن جزي في ترجيحه بين الأقوال .

❁ ❁ ❁ ❁

(١) التسهيل (١٤٦/٤).
(٢) التسهيل (٣/١).
(٣) سورة نوح : ٣٠ .
(٤) التسهيل (١٥٢/٤).
(٥)التسهيل (٣/١).
(٦) سورة نوح : ٥ .
(٧)التسهيل (١٤٩/٤).

المبحث الثاني : وجوه الترجيح عند ابن جُزيّ

أولًا : الترجيح بالنظائر القرآنية

إن تفسير القرآن بالقرآن يعدُّ من أهمِّ وجوه التفسير والترجيح التي اعتمدها المفسرون سلفا وخلفا .
قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : «فإن قال قائل : فما أحسنَ طرقِ التفسير؟ فالجواب: إنَّ أصحّ الطّرقِ في ذلك أن يُفسرَّ القرآن بالقرآن ،فما أُجمل في مكان فإنه قد فسر في موضع آخر وما اختصر من مكان فقد بسط في موضعٍ آخر» [(١)].
وقرر ذلك ابن جُزي بقوله في وجوه الترجيح : «تفسير بعض القرآن ببعض فإذا دلَّ موضع من القرآن على المراد بموضع آخر حملناه عليه ورجحنا القول بذلك على غيره من الأقوال» [(٢)].

ومن أمثلة ذلك قوله عند تفسير قول الله تعالى : ﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾ [(٣)]قال: « « والروح هنا جبريل ــ عليه السلام ــ بدليل قوله :﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴾[(٤)]. قيل: الروح ملائكة حفظة على الملائكة ، وهذا ضعيف مفتقر إلى صحة نقل ، وقيل: الروح جنس أرواح الناس وغيره م [(٥)]».

ثانياً : الترجيح بالحديث النبوي

إن أعلم الخلق بمراد الله تعالى رسوله – ﷺ – ، فإذا ثبت الحديث الصحيح وكان في تفسير الآية ولا معارض له وجب المصير إليه وحمل الآية عليه .
قال الإمام الطبري – رحمه الله تعالى – : « فقد تبيَّن ببيان الله – جل ذكره – أن مما أنزل الله من القرآن على نبيه ما لا يوصل إلى علم تأويله إلا ببيان الرسول ، وذلك تأويل جميع ما فيه من وجوه أمره واجبه ، وندبه وإرشاده وصنوف نهيه ، ووظائف حقوقه، وحدوده ،ومبالغ فرائضه ،ومقادير

(١) كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٦٣/١٣).
(٢) التسهيل (٩/١).
(٣) سورة المعارج : ٤ .
(٤)سورة الشعراء:١٩٣ .
(٥) التسهيل (١٤٦/٤).

اللازم بعض خلقه لبعض ،وما أشبه ذلك من أحكام آية التي لم يدرك علمها إلا ببيان رسول الله لأمته وهذا وجه لا يجوز لأحد القول فيه إلا ببيان رسول الله بتأويله بنص منه عليه أو بدلالة قد نصبها دالةً أمته على تأويله » [1].

وقرر ذلك ابن جزي – رحمه الله تعالى – في مقدمته بقوله : «حديث النبي -ﷺ- ، فإذا ورد عنه – عليه السلام – تفسير شيء من القرآن عولنا عليه لا سيما إن ورد في الحديث الصحيح» [2].

ومن أمثلة ذلك قوله عند تفسير قول الله عز وجل :﴿ وَإِنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَاباً رَصَداً ﴾[3]. « والدليل أنه كان قبل المبعث قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه وقد رأى كوكبا انقض ما كنتم تقولون لهذا في الجاهلية قالوا كنا نقول ولد ملك أو مات ملك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس الأمر كذلك ثم وصف استراق الجن للسمع» [4].

ثالثاً : الترجيح بدلالة قول الجمهور

من القواعد المعتبرة عند الاختلاف النظر في قول الجمهور « فإذا انفرد مفسر في تفسير آية من كتاب الله تعالى بقول خالف فيه عامّة المفسرين و لم يكن لقوله هذا دلالة واضحة قوية فهو قول شاذ وقول الجماعة أولى بالصواب » [5].

قال الشيخ الشنقيطي [6] – رحمه الله تعالى – : «وقد تقرر في الأصول أن كثرة الرواة من المرجحات وكذلك كثرةُ الأدلةِ. كما عقده في مراقي السعود في مبحث الترجيح باعتبار حال المروي بقوله الرجز:

---

(١) جامع البيان (١ / ١٩٥) .

(٢)التسهيل (٩/١).

(٣) سورة الجن : ٩ .

(٤) التسهيل (١٥٣/٤).

(٥) قواعد الترجيح (١ / ٢٨٨).

(٦) محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي . وُلد سنة (١٣١١هـ). مفسر من علماء شنقيط ، استقر مدرسا في المدينة المنورة ثم الرياض ، وأخيرا في الجامعة الإ سلامية بالمدينة له كتب ، منها (أضواء البيان في تفسير القرآن ، و منع جواز المجاز ، ومنهج ودراسات لآيات الأ سماء والصفات ، و دفع إيهام الاضطراب عن آي ا لكتاب) تُوفي بمكة سنة (١٣٩٣ هـ). الأعلام (٦ / ٤٥).

وكثرةُ الدَّليل والرّوايةِ مرجّحٌ لدى ذوي الدِّراية

والقول بعدم الترجيح بالكثرة ضعيف» [1].

وقد قرر ابن جُزيّ ذلك بقوله : «أن يكون القولُ قولَ الجمهور وأكثر المفسرين ؛فإن كثرة القائلين بالقول يقتضي ترجيحه » [2].

مثال ذلك : قال ابن جُزي عند تفسير قول الله تعالى :﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴾[3]« نداء للنبي – ﷺ – ووزن المزمل متفعل فأصله متزمل ثم سكنت التاء وأدغمت في الزاي وفي تسمية النبي – ﷺ – بالمزمل ثلاثة أقوال: أحدها : أنه كان في وقت نزول الآية متزملا في كساء أو لحاف والتزمل الالتفاف في الثياب بضم وتشمير هذا قول عائشة والجمهور» [4].

رابعاً : الترجيح بقول من يُقتدى بهم من السلف

المراد بالسلف في اللغة : قال ابن فارس – رحمه الله – : «سلف السين واللام والفاء أصل يدل على تقدم وسبق من ذلك السلف الذين مضوا والقوم السلاف المتقدمون» [5].

واصطلاحاً : المراد بمذهب السلف ما كان عليه الصحابة الكرام – رضوان الله عليهم – وأعيان التابعين لهم بإحسان وأتباعهم وأئمة الدين ممن شهد له بالإمامة ، وعرف عظم شأنه في الدين ، وتلقى الناس كلامهم خلف عن سلف [6].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله تعالى – : «وحينئذ إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة ، فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرآن والأحوال التي اختصوا بها ولما لهم من الفهم التام ،والعلم الصحيح ،والعمل الصالح لا سيما علماؤهم وكبراؤهم كالأئمة الأربعة

(١) أضواء البيان (١/١٦٦).

(٢) التسهيل (١/٩).

(٣) سورة المزمل :١ .

(٤) التسهيل (٤/١٥٦).

(٥) معجم مقاييس اللغة (٣/٩٥).

(٦) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الف رقة المرضية (١ / ٢٠) ، و قواعد الترجيح عند ابن جزي في تفسيره (٣٠٨) .

الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين» [1].

إنَّ الأخذ بقول الصحابي الذي شاهد التنزيل وتشرّف بصحبةِ خيرِ العالمين له ميزانهُ وثقلهُ عند أهل العلم ؛لأن« أقوالهم في التَّفْسيرِ أصوب من أقوال من بَعْدَهُمْ » [2].

ويأتي بعد أقوال الصحابة في فهم كتاب الله تعالى النظر في أقوال التابعين فقد رجع كثير من المفسرين أمثال الطبري ، والبغوي [3] ، وابن كثير[4]، وغيرهم إلى أقوالهم ؛ لأنهم عاصروا الصحابة و أخذوا عنهم ، و لاستقامة ألسنتهم وفهمهم بأسرار العربية. فأقولهم أقرب إلى الصواب من غيرهم ، ويكفي في الشهود بقدرهم أنهم من القرون المفضلة بعد الصحابة ؛ لقول النبي – ﷺ –: ((خَيْرُ الناس قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»[5].

قال ابن تيمية – رحمه الله – : « إذا لم تجد التفسير فى القرآن ولا في السنة ولا وجدته عن الصحابة فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين » [6].

وقال ابن جُزي – رحمه الله تعالى – في تقرير ذلك : « أن يكون القول قول من يقتدى به من الصحابة كالخلفاء الأربعة وعبد الله بن عباس لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل» [7].

---

(١)كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير (٣٦٤/١٣).

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين (١٥٣/٤).

(٣) الحسين بن مسعود بن الفرّاء البغوي، أبو محمد، ولد سنة (٤٣٦ هـــ)، وهو العلامة القدوة الحافظ، محيي السنة، صاحب القدم الراسخة في الفقه، والتفسير والحديث. من كتبه (التهذيب في فقه الشافعية، و شرح السنة ، و لباب التأويل في معالم التنزيل) . توفي سنة (٥١٥ هـــ).

يُنظر : سير أعلام النبلاء (٤٣٩/١٩)، و الوافي بالوفيات (٤١/١٣)، و طبقات الحفاظ (٤٥٧/١) ، والأعلام (٢ / ٢٥٩).

(٤) إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، الدمشقي، أبو الفداء . ولد سنة (٧٠١ هـــ)، وكان حافظاً، مفسرًا، مؤرخاً، فقيهاً.من مؤلفاته ((البداية والنهاية ، وشرح صحيح البخاري ، وطبقات الفقهاء الشافعيين ، وتفسير القرآن الكريم) توفي سنة(٧٧٤ هـــ) .

يُنظر : ذيل تذكرة الحفاظ (٥ / ٣٦)، طبقات الحفاظ (٥٣٤/١) ، والأعلام (١ / ٣٢٠).

(٥) لفظ الحديث (خَيْرُ الناس قَرْنِي ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ،ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ،ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ قال إِبْرَاهِيمُ: وَكَانُوا يَضْرِبُونَنَا على الشَّهَادَةِ وَالْعَهْدِ وَنَحْنُ صِغَارٌ).

أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة ، بَاب فَضَائِلِ أَصْحَابِ النبي صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم وَمَنْ صَحِبَ النبي صلى الله عليه وسلم أو رَآهُ من الْمُسْلِمِينَ فَهُوَ من أَصْحَابِهِ (١٣٣٥/٣) ح (٣٤٥١).

وأخرجه مسلم في كتاب الفضائل ، بَاب فَضْلِ الصَّحَابَةِ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ (١٩٦٣/٤) ح (٢٥٣٣) بمثله

(٦)كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير (٣٦٨/١٣ – ٣٦٩).

(٧) التسهيل (٩/١).

مثال ذلك : قال ابن جُزي عند تفسير قول الله تعالى:﴿ فَمْطَرِيرا ﴾ [1] «قال ابن عباس معناه طويل»[2].

ومن خلال دراسة الأقوال وجدت أن ابن جُزي وافق في قوله ما روي عن الصحابة والتابعين إلا أنه لا يصرح بذكر أسمائهم غالباً ومن أمثلة ذلك : ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً﴾[3].

قوله في معنى الأطوار قال : «أي: طورا بعد طور ؛ يعني أن الإنسان كان نطفة ثم علقة ثم مضغة إلى سائر أحواله » [4]. وهذا قول ابن عباس [5] – ﷺ – ، وقال به مجاهد [6]، وعكرمة [7] ، والضحاك والضحاك [8] وقتادة [9]، و السُّدِي [10]،ومطر[11] [12] ،وابن زيد[13]– رحمهم الله– .

خامساً : • الترجيح بدلالة اللغة أو الإعراب أو التصريف أو الاشتقق

من الطرق التي سار عليها المفسرون سلفا وخلفا الرجوع لمعنى الآية إلى كلام العرب ، فهم أهل الفصاحة والبيان ، وأنزل الله تعالى القرآن على نبيه بلسان قومه كما قال تعالى :﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن

(١) سورة الإنسان : ١٠

(٢) التسهيل(١٦٨/٤).

(٣) سورة نوح : ١٤ .

(٤) التسهيل (٤ / ٢٧٩).

(٥) أخرجه الطبري عنه : جامع البيان ٩٥/٢٩. ولفظه يقول : (نطفة ثم علقة ثم مضغة) .

(٦) أخرجه الصنعاني عنه في تفسيره (٣١٩/٣) ، ولفظه قال : (العلقة ثم المضغة ثم الشيء بعد الشيء) ، وأخرجه الطبري بسنده عنه بنحوه : جامع البيان(٩٦/٢٩).

(٧) تفسير القرآن العظيم(٤٢٦/٤).

(٨) أخرجه الطبري عنه : جامع البيان(٩٦/٢٩) ، ولفظه يقول : (من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة) .

(٩) أخرجه الطبري عنه : جامع البيان ٩٦/٢٩ ، ولفظه قال : (نطفة ثم علقة ثم خلقا طورا بعد طور).

(١٠) تفسير القرآن العظيم ٤٢٦/٤

(١١) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر عنه : الدر المنثور (٢٩١/٨) ، ولفظه قال : (نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاما طورا بعد طور وخلقا بعد خلق) .

(١٢) مطر بن طهمان الوراق أبو رجاء الخراساني سكن البصرة روى عن الحسن سئل أبو زرعة عن مطر الوراق فقال: صالح – كأنه لين أمره.

يُنظر : التاريخ الكبير (٤٠٠/٧)، والجرح والتعديل (٢٨٧/٨).

(١٣)أخرجه الطبري عنه : جامع البيان(٩٦/٢٩) ، ولفظه قال : (طورا النطفة ثم طورا أمشاجا حين يمشج النطفة الدم ثم يغلب الدم على النطفة فتكون علقة ثم تكون مضغة ثم تكون عظاما ثم تكسي العظام لحما).

رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[1] ، وقال تعالى :﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾[2]؛ لذا كان لزاما على من من يفسر كلام الله تعالى أن يكون ملما باللغة العربية وعلومها على قدر يؤهله لتفسير كلام الله تعالى .

قال ابن عباس- ﷺ - في أوجه تفسير القرآن : « وجه تعرفه العرب من كلامها [3] ، ومن ذلك قوله : كنت لا أدري ما فاطر السماوات والأرض حتى أتاني أعرابيان يخ تصمان في بئر ،فقال أحدهما لصاحبه: أنا فطرتها .يقول: أنا ابتدأتها » [4]

واعتمد ابن جزي الترجيح بدلالة اللغة في وجوه الترجيح عنده بقوله : « أن يدل على صحة القول كلام العرب من اللغة والإعراب أو التصريف أو الاشتقاق» [5] .

وظهر ترجيحه بعدة طرق :

١. **الترجيح بناء على المعنى الذي تدل عليه لغة العرب .**

ومن ذلك قوله عند تفسير قول الله تعالى : ﴿لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ﴾[6] «معنى لواحة مغيرة يقال لوحة للسفر إذا غيره والبشر جمع بشرة وهي الجلدة ،فالمعنى أنها تحرق الجلود وتسودها . وقيل لوّاحة من لاح إذا ظهر ، والبشر الناس أي تلوح للناس وقال الحسن تلوح لهم من مسيرة خمسمائة عام» [7].

٢. **الترجيح بناء على الإعراب ، ومن ذلك قوله عند تفسير قول الله تعالى :**

﴿ **إِلَّا قَلِيلًا ۝ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا** ﴾ [8]«في معنى هذا الكلام أربعة أقوال الأول وهو الأشهر والأظهر أن الاستثناء من الليل وقوله ﴿**نِّصْفَهُۥٓ**﴾ بدل من ﴿**ٱلَّيْلَ**﴾ أو من﴿**قَلِيلًا**﴾ وجعل النصف قليلا بالنسبة إلى الجميع والضميران في قوله ﴿**أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ**﴾ ﴿**أَوْ زِدْ عَلَيْهِ**﴾ عائدان على النصف والمعنى أن الله خيره بين ثلاثة أحوال وهو أن يق وم نصف الليل أو

(١) سورة إبراهيم:٤.
(٢) سورة الدخان:٥٨.
(٣) كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير (١٣/٣٧٥).
(٤) أخرجه الطبري بسنده عنه : جامع البيان (٧/١٥٩).
(٥) التسهيل (١/٩).
(٦) سورة المدثر : ٢٩ .
(٧)التسهيل (٤/١٦١). (٤/١٤٩).
(٨) سورة المزمل : ٢ – ٣ .

ينقص من النصف قليلا أو يزد عليه» [1].

٣. الترجيح بناء على التصريف و الاشتقاق .

معنى التصريف في اللغة : جاء في مادة " صرف" الصاد والراء والفاء معظم بابه يدل على رجع الشيء من صرف. يقال صرفه يصرفه صرفا فانصرف [2].

وفي الاصطلاح : التصريف تحويل الأصل الواحد إلى أمثلة مختلفة لمعان مقصودة لا تحصل إلا بها وعلم بأصول يعرف بها أحوال أبنية الكلمة التي ليست بإعراب [3].

والاشتقاق في اللغة : من " شق" و الشين والقاف أصل واحد صحيح يدل على انصداع في الشيء ثم يحمل عليه ويشتق منه على معنى الاستعارة[4].

وفي الاصطلاح : الاشتقاق نزع لفظ من آخر بشرط مناسبتها معنى وتركيبا ومغايرتهما صيغة[5]

قال الزركشي [6]: «وفائدة التصريف حصول المعاني المختلفة المتشعبة عن معنى واحد فالعلم به أهم من من معرفة النحو فى تعرف اللغة ؛لأن التصريف نظر في ذات الكلمة والنحو نظر في عوارضها وهو من العلوم التي يحتاج إليها المفسر» [7].

وقال ابن جُزي : «وأما النحو فلا بد للمفسر من معرفته ، فإن القرآن نزل بلسان العرب فيحتاج إلى معرفة اللسان ،والنحو ينقسم إلى قسمين:

أحدهما: عوامل الإعراب وهي أحكام الكلام المركب .

والآخر : التصريف وهي أحكام الكلمات من قبل تركيبها » [8].

ومثال ذلك قوله عند قول الله تعالى :﴿ **إِنَّاسَمِعْنَا قُرْءَاناً عَجَباً** ﴾[1] «أي : قال ذلك بعضهم

---

(١)التسهيل (١٥٦/٤).

(٢)مقاييس اللغة (٣٤٢/٣) ، ولسان العرب(١٨٩/٩).

(٣) التعريفات (٨٢/١).

(٤)مقاييس اللغة (١٧٠/٣).

(٥) التعاريف (٦٦/١).

(٦)محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، أبو عبد الله، بدر الدين . وُلد سنة (٧٤٥ هـ).عالم بفقه الشافعية والأصول. له مؤلفات كثيرة في عدة فنون منها (البحر المحيط ،وإعلام الساجد بأحكام المساجد ، والديباج في توضيح المنهاج).تُوفي سنة (٧٩٤ هـ).
يُنظر : الدرر الكامنة (١٣٣/٥) ،وشذرات الذهب (٣٣٥/٦) ، والأعلام (٦ / ٦١).

(٧) البرهان في علوم القرآن (٢٩٧/١).

(٨)التسهيل (٨/١).

لبعض وعجبا مصدر وصف به للمبالغة لأن العجب مصدر قولك عجبت عجبا وقيل هو على حذف مضاف تقديره ذا عجب» [٢].

سادساً : الترجيح بدلالة السياق

يعد الترجيح بدلالة السياق من أهم الطرق التي استخدمها المفسرون في الترجيح بين الأقوال لارتباط الكلام بما قبله ، وما بعده ؛ لأنه من « أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم فمن أهمله غلط في نظره وغالط في مناظرته» [٣].

قال مسلم بن يسار[٤]- رضي الله عنه - : «إذا حدثت عن الله فقف حتى تنظر ما قبله وما بعده» [٥].

وقال العز بن عبد السلام [٦]:«إذا احتمل الكلام معنيين وكان حمله على أحدهما أوضح وأشد موافقة للسياق كان الحمل عليه أولى» [٧].

تعريف السياق في اللغة :

قال ابن منظور [٨]: «السين والواو والقاف أصل واحد وهو حدود الشيء يقال: ساقه يسوقه سوقا » [٩].

تعريف السياق اصطلاحاً :

مجموع القرائن اللفظية الحالية الدالة على قصد المتكلم من خلال تتابع الكلام وانتظام سابقه ولاحقه به

---

(١) سورة الجن : ١ .

(٢) التسهيل (١٥٢/٤).

(٣)بدائع الفوائد (٨١٥/٤).

(٤) مسلم بن يسار البصري ،أبو عبد الله ، تابعي ،ثقة ، توفي في خلافة عمر بن عبد العزيز سنة (١٠٠ هـ، وقيل ١٠١ هـ).
يُنظر : تهذيب الكمال (٢٧ / ٥٥١)، وسير أعلام النبلاء (٤ / ٥١٠).

(٥) تفسير القرآن العظيم (١ / ١٧)، وقواعد الترجيح (١ / ١٢٧).

(٦)عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن ، الشيخ الإمام العلامة وحيد عصره سلطان العلماء عز الد ين ،أبو محمد السلمي الدمشقي ،ثم المصري ولد سنة (٥٧٧ هـ) جمع بين فنون العلم من التفسير والحديث والفقه والأصول والعربية واختلاف أقوال الناس ومآخذهم حتى قيل إنه بلغ رتبة الاجتهاد . توفي سنة (٦٦٠ هـ)
يُنظر : طبقات الشافعية الكبرى (١٠٩/٢)، و الأعلام (٤ / ٢١).

(٧) قواعد الترجيح (١ / ١٢٩).

(٨) محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأ نصاري الرويفعى، وُلد سنة (٦٣٠ هـ) ،الإمام اللغوي الحجة. أشهر كتبه (لسان العرب ، ومختار الأغاني ، ونثار الأزهار في الليل والنهار) . تُوفي سنة (٧١١ هـ).
يُنظر : بغية الوعاة (٢٤٨/١) ، والأعلام (٧ / ١٠٨).

(٩)مقاييس اللغة (١١٧/٣).

.[1]

ويقسمّ السيّاق القرآني إلى : سِباق ، ولحاق .

فالسِّباق : يقال سبقه يسبقه ويسبقه تقدمه [2].

واللِّحاق هو : أصل يدل على إدراك شيء وبلوغه إلى غيره. يقال : لحق فلان فلانا فهو لاحق وألحق بمعناه [3].

وعدَّ العلامة ابن جُزيّ – رحمه الله تعالى – هذا الوجه من وجوه الترجيح عنده حيث قال : «أن يشهد بصحة القول سياق الكلام ويدل عليه ما قبله أو ما بعده» [4] ، **ومن أمثلة ذلك قوله عند تفسير قول الله تعالى : ﴿وَمَنْ يَّعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَداً ﴾**[5] « جمع خالدين على معنى من يعص لأنه في معنى الجمع والآية في الكفار وحملها المعتزلة على عصاة المؤمنين لأن مذهبهم خلودهم في النار والدليل على أنها في الكفار وجهان :

أحدهما : أنها مكية والسورة المكية إنما الكلام فيها مع الكفار.

والآخر دلالة ما قبلها وما بعدها على أن المراد بها الكفار» [6].

سابعاً: بتقديم الحقيقة على المجاز

إذا اختلف المفسرون في تفسير آية من كتاب الله تعالى ، فمنهم من يحملها على حقيقتها ، و منهم من يحملها على المجاز ، فيقدم قول من قال بالحقيقة على القول الآخر ؛ لأنه الأصل في الكلام[7].

---

(١) أثر السياق مع تطبيقات على كتاب البيان في غريب إعراب القرآن للأنباري (٧٩).

(٢)مقاييس اللغة (١٢٩/٣) ،والقاموس المحيط (١١٥٢/١)،و الكليات (٥٠٨/١).

(٣)مقاييس اللغة (٢٣٨/٥).

(٤) التسهيل (٩/١)

(٥) سورة الجن : ٢٣ .

(٦) التسهيل (١٥٥/٤).

(٧) اختلف العلماء في وقوع المجاز ، فذهب أبو إسحاق الاسفرائيني إلى منع وجوده في اللغة ، وقال بمنعه في القرآن داود الظاهري ، وابنه محمد ، و شيخ الإسلام ابن تيمية ،وتبعه تلميذه ابن القيم ، والشنقيطي . وذهب آخرون إلى القول بالمجاز في اللغة ، والقرآن منهم الفرّاء وأبو عبيدة، وابن قتيبة ، وابن عطية)، وغيرهم .

والذي يظهر – والله أعلم بالصواب – أن محل الخلاف بين الطرفين في القرينة ، فلو حُررت لما حدث الخلاف ، فما من مجاز أعمل في الأسماء والصفات ، والأمور الغيبة إلا والقرينة فيه غير صحيحة ، فإذا حفظ هذا الجانب ، وكان في غيره من المعاني لا إشكال فيه –والله تعالى أعلم – .

يُنظر : كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير (٢٧٧/١٢)، والصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة (١١٠٥/٣) منع جواز

ويراد بالحقيقة في اللغة : مأخوذ من قولهم حق إذا وجب .

قال ابن فارس في مادة " حق " : « الحاء والقاف أصل واحد وهو يدل على إحكام الشيء وصحته» (١)

واصطلاحا : الحقيقة اسم لكل لفظ هو موضوع في الأصل لشيء معلوم» (٢).

ويُعرف المجاز لغة : « يقال :جوز جاز المكان وأجازه وجاوزه وتجاوزه إذا سار فيه وخلفه وحقيقته قطع» (٣).

واصطلاحاً : «استعمال الكلمة في غير ما وضعت له لعلاقة بينهما مع قرينة صارفة عن المعنى الحقيقي » (٤).

وعرَّفه ابن جُزيّ بقوله : «المجاز وهو اللفظ المستعمل في غير مواضع له لعلاقة بينهما» (٥)

قال الإمام ابن عبد البر(٦) : «وحمل كلام الله تعالى وكلام نبيه – ﷺ – على الحقيقة أولى بذوي الدين والحق ؛لأنه يقصُّ الحق ،وقوله الحق– تبارك وتعالى– » (٧)

وقال ابن جُزيّ في وجوه الترجيح عنده : «تقديم الحقيقة على المجاز ،فإن الحقيقة أولى أن يحمل عليها اللفظ عند الأصوليين وقد يترجح المجاز إذا كثر استعماله حتى يكون أغلب استعمالا من ا لحقيقة ويسمى مجازا راجحا والحقيقة مرجوحة» (٨) .

ومثال ذلك قوله عند تفسير قول الله تعالى :﴿ **يَوْماً يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيباً** ﴾(٩)«لولدان جمع وليد وهو الطفل الصغير والشيب بكسر الشين جمع أشيب ووزنه فعل بضم الفاء وكسرت لأجل الياء ويجعل يحتمل أن يكون مسندا إلى الله تعالى أو إلى اليوم ، والمعنى أن الأطفال يشيبون يوم القيامة. فقيل : إن

المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز (٨ ، وما بعدها) ، و المجاز في اللغة والقرآن بين الإجازة والمنع (١١٨ وما بعدها) .

(١) مقاييس اللغة (١٥/٢).

(٢) أصول السرخسي (١٧٠/١) ، وقواعد الفقه (٢٦٧/١).

(٣) لسان العرب (٣٢٦/٥) ، مقاييس اللغة (٤٩٤/١).

(٤) التلخيص في أصول الفقه (١٨٥/١)، وأصول السرخسي (١٧٠/١) ، و قواعد الترجيح (٢ / ٣٨٨).

(٥) التسهيل(١٣/١).

(٦) يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي المالكي، أبو عمر . وُلد بقرطبة سنة (٣٦٨هـــ) من كبار حفاظ الحديث، مؤرخ، أديب، يقال له حافظ المغرب. من كتبه " الدرر في اختصار المغازي والسير ،و العقل والعقلاء ، و الاستيعاب ، و جامع بيان العلم وفضله).

يُنظر : وفيات الأعيان (٦٦/٧) ، وطبقات الحفاظ (٤٣١/١) ، و الأعلام (٨ / ٢٤٠).

(٧) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (١٦/٥)، قواعد الترجيح (٢ / ٣٩٢) .

(٨) التسهيل (٩/١).

(٩) سورة المزمل : ١٦ .

ذلك حقيقة. وقيل : إنه عبارة عن هول ذلك اليوم. وقيل: إنه عبارة عن طوله»[1].

ثامناً : الترجيح بتقديم العموم على الخصوص

يعدُّ الترجيح بالعموم عند اختلاف الأقوال من الأدلة المعتبرة لأنه إذا أمكن حمل الآية على المعنى كلي يجمع كل الأقوال الأخرى يُحمل على العموم لأنه الأصل .

ويعرف العام بأنه : اللفظ الذي يستغرق الصالح له من غير حصر [2].

وللعموم صيغ متعددة وهي : كل " ، و " مَن " ، و " ما " ، و " جميع " ، و " عامة " ، و " كافة " و " أين " ، و " كيف " ، و " إذا " الشرطية ، والجمع المعرّف بلام الجنس ، أو المضاف إليها ، واسم الجنس المحلّى بلام الجنس ، أو بالإضافة ، والأسماء الموصولة ، والنكرة في سياق النفي ، أو النهي ، أو الشرط ، أو الاستفهام [3].

وقرر ابن جُزيّ القول بالعموم عنده حيث قال : « تقديم العمومي على الخصوصي فإن العمومي أولى لأنه الأصل إلا أن يدل دليل على التخصيص» [4] .

ومن الأمثلة على ذلك قوله عند تفسير قول الله تعالى :﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾[5] «قيل : معناه قل بسم الله الرحمن الرحيم في أول صلاتك. واللفظ أعمُّ من ذلك »[6].

(١) التسهيل (١٥٨/٤).

(٢) الإتقان في علوم القرآن (٤١/٢).

(٣) يُنظر : إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول (٢٠٦/١ - ٢١١) ، و الإتقان في علوم القرآن (٤١/٢).

(٤) التسهيل (٩/١).

(٥) سورة الإنسان: ٢٥.

(٦) لتسهيل (١٥٧/٤).

القسم الثاني

عرض ترجيحات ابن جُزي و مناقشتها

من أول سورة المعارج

إلى نهاية سورة الإنسان

أولًا :ترجيحات ابن جُزيّ في سورة المعارج

قول الله- ﷻ -:﴿ مِّنَ ٱللَّهِ ذِے ٱلْمَعَارِجِ﴾[1].

❁ مسألة (١): في معنى "المعارج ".

ترجيح ابن جُزَيّ - رحمه الله - :

رجَّح أنَّ المعارج هي المراقي إلى السماء.

مجمل ما ذكره في الآية:

قال: « ﴿ ذِے ٱلْمَعَارِجِ﴾جمعُ مَعْرَج،وهو المصعد إلى علو كالسُّلَّم ، والمدارج التي يرتقي بها.

قال ابن عطية: هي هنا مستعارةٌ في الفضائل والصِّفاتِ الحميدة. وقيل: هي المراقي إلى السماء وهذا أظهر ؛لأنه فسرَّها بما بعدها من عروج الملائكة» [2].

العرض والمناقشة:

في المسألة أربعة أقوال وهي:

القول الأول: ما رجَّحه ابن جُزيّ ، وهو قول ابن عباس[3]- ﷺ-.

وقال به السمرقندي [4]، وابن أبي زمنين [5]،و الواحدي[6] و الزمخشري ، والبيضاوي [7] والنسفي [1]

---

(١) سورة المعارج:٣ .

(٢) التسهيل (٤/٢٧١).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده عنه في "تفسير القرآن" (١٠/٣٣٧٣) ح (١٨٩٨٣)، ولفظه قال : (ذي الدرجات)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٨/٢٧٧) ونسبه للفريابي وعبد بن حميد والنسائي وابن أبي حاتم والحاكم وصححه وابن مردويه بنحو لفظ ابن حاتم .

(٤) علي بن يحيى ، علاء الدين السمرقندي ثم القرماني ، مفسر من علماء الحنفية. اشتغل في بلاده بالعلم الشريف وبلغ من العلوم مرتبة الفضل، ثم سلك مسلك التصوف ونال من تلك الطريقة حظا جسيما له كتب، منها " تفسير القرآن وهو المسمى " بحر العلوم ". تُوفي سنة (٨٨٠ هـ).

يُنظر : طبقات المفسرين للأدنه وي (١/٣٣٥) ، الأعلام (٥ / ٣٢).

(٥) محمد بن عبد الله بن عيسى المرّي، أبو عبد الله ، المعروف بابن أبي زمنين، ولد سنة (٣٢٤ هـ)، فقيه، ومفسر مالكي من الوعاظ الأدباء . من كتبه (أصول السنة ، و منتخب الأحكام ، و تفسير القرآن) . توفي سنة (٣٩٩ هـ).

يُنظر : سير أعلام النبلاء (١٧/١٨٨)، و طبقات المفسرين للأدنه وي (١/٩٣) ، والأعلام (٦ / ٢٢٧).

(٦) علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري ، أبو الحسن، الشافعي، صاحب التفسير وإمام علماء التأويل، كان طويل الباع في العربية واللغات. من كتبه (البسيط ، و الوسيط ، و الوجيز ، و أسباب النزول) .توفي سنة (٤٦٨ هـ)

يُنظر : سير أعلام النبلاء (١٨/٣٣٩- ٣٤٢)،و طبقات المفسرين للأدنه وي (١/٧٨) ، والأعلام (٤/ ٢٢٥).

(٧) عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي، أبو سعيد قاض فقيه، أصولي مفسر، من كتبه (أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، طوالع الأنوار، و

والنسفي [1] [2]، و وافقهم جلالُ الدين المحلِّيُّ [3]، وقدَّمه الشوكانيّ[4] و الألوسي[5] ، واقتصر عليه القاسمي [6] وابن عاشور [7] [8]- رحمهم الله-.

قال ابن أبي زمنين : « ﴿مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾ ذي المراقي إلى السماء» [9].

وقال البيضاوي : «﴿ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾ذي المصاعد وهي الدرجات التي يصعد فيها الكلم الطيب العمل الصالح ،أو يترقى فيها المؤمنون في سلوكهم ،أو في دار ثوابهم ،أو مراتب الملائكة أو في السموات، فإنّ

منهاج الوصول إلى علم الأصول) توفي سنة (٦٨٥ هـــ).

يُنظر : طبقات المفسرين للأدنه وي (٢٥٤/١)، وطبقات الشافعية (١٧٢/٢) ،و بغية الوعاة (٢ / ٥٠)، والأعلام (٤ / ١١٠).

(١) عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، أبو البركات فقيه، حنفي، مفسر كبير، لم مؤلفات جليلة منها (كنز الدقائق ، والمنار و كشف الأسرار) .توفي سنة (٧١٠ هـــ)

يُنظر : الدرر الكامنة (١٧/٣)، والأعلام (٤ / ٦٧) .

(٢) بحر العلوم (٤٧١/٣) ، وتفسير القرآن العزيز (٣٤/٥)،والوسيط (٤ / ٣٥١)، و الكشاف (٦١١/٤)،وأنوار التنزيل (٣٨٦/٥)، ومدارك التنزيل (٢ / ٢٩٠).

(٣) محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم المحلي الشافعي، ولد في القاهرة سنة (٧٩١ هـــ) . كان علّامة في الذكاء والفهم وكان غرّة عصره في سلوك طريق السلف على قدم من الصلاح والورع والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .من مؤلفاته (كنز الراغبين في شرح المنهاج في فقه الشافعية. ، و البدر الطالع، في حل جمع الجوامع في أصول الفقه، و شرح الورقات). توفي سنة (٨٦٤ هـــ).

يُنظر : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (٣٩/٧)، وشذرات الذهب (٣٠٣/٧)، و الأعلام (٥ / ٣٣٣).

(٤) محمد بن علي بن محمد الشوكاني، أبو علي الصنعاني . ولد سنة (١١٣٧هـــ)، كان مفسراً فقيهاً مجتهدً من كبار علماء اليمن. من مؤلفاته (نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار ، و البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، وإتحاف الأكابر) . توفي سنة (١٢٥٠ هـــ) .

يُنظر : البدر الطالع (٤٨٠/١)، الأعلام (٦ / ٢٩٨) .

(٥) محمود بن عبد الله الحسيني، أبو الفضل، ولد سنة (١٢١٧هـــ)، مفسر محدث أديب مجتهد من المجتهدين من أهل بغداد . من كتبه (روح المعاني ، و نشوة المدام في العود إلى دار السلام ، و غرائب الاغتراب).توفي سنة (١٢٧٠ هـــ)

يُنظر : الأعلام (٧ / ١٧٦) .

(٦) جمال الدين (أو محمد جمال الدين) بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق. ولد سنة (١٢٨٣ هـــ)،وكان سلفي العقيدة لا يقول بالتقليد. من كتبه (دالائل التوحيد ، و الفتوى في الإسلام ، و إرشاد الخلق إلى العمل بخبر البرق) توفي سنة (١٣٣٢ هـــ). يُنظر : الأعلام (٢ / ١٣٥) .

(٧) محمد بن الطاهر بن عاشور ، ولد سنة (١٢٩٦ هـــ) ، وكان رئيس المفتين المالكيين بتونس و شيخ جامع الزيتونة . من كتبه (مقاصد الشريعة الإسلامية و أصول النظام الاجتماعي في الإسلام ، و الوقف وآثاره في الإسلام) .

توفي سنة (١٣٩٣ هـــ) يُنظر : الأعلام (٦ / ١٧٤) .

(٨) تفسير الجلالين (٧٦٥/١) ،و فتح القدير (٢٨٨/٥) ، وروح المعاني (٥٦/٢٩) ، ومحاسن التأويل (٩/ ٣٩٨٢) والتحرير والتنوير (١٥٦ / ١٢) .

(٩) تفسير القرآن العزيز (٣٤/٥).

الملائكة يعرجون فيها»[1].

القول الثاني : أنَّ معنى ﴿ذِى ٱلْمَعَـارِجِ﴾: ذو العلو والدرجات والفواضل والنِّعَم ، وهو قول ابن عباس [2] – ﷺ – .وقال به مجاهد[3] ، وقتادة [4]، واختارَه الإمامَ الطّبري ،وقال به مكي بن أبي أبي طالب، والمهدوي، وقدَّمه القرطبي ، واقتصر عليه السعدي [5]– رحمهم الله تعالى–.

قال الإمام الطبري: «﴿ذِى ٱلْمَعَـارِجِ﴾يعني : ذو العلو والدرجات والفواضل والنعم» [6].

وقال القرطبي : « ﴿مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَـارِجِ﴾ أي: ذو العلو والدرجات الفواضل والنعم .

قاله بن عباس وقتادة . فالمعارجُ مراتب إنعامه على الخلق» [7]

وهذا القول داخل في معنى القول الأول .

القول الثّالث: أنَّ "المعارج" مستعارةٌ في الرُّتبِ والصفات الحميدة. ذكره ابن عطيّةٌ، وأبو حيان [8] والثعالبي [9]، ونسبوا هذا القول لابن عباس وقتادة [10].

---

(١)أنوار التنزيل (٣٨٦/٥).

(٢) أخرجه الطبري بسنده عنه : جامع البيان (٧٠/٢٩)، ولفظه (يقول : العلو والفواضل) ، وأخرج الطبري بسنده عنه قال : (﴿ذِى ٱلْمَعَـارِجِ﴾ذي الدرجات).

(٣) أخرجه الطبري بسنده عنه : (المرجع السابق) (٧٠/٢٩)، ولفظه قال :(معارج السماء) . وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢٧٨/٨)، وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر وأبو الشيخ بنحوه .

(٤) أخرجه الطبري بسنده عنه (المرجع السابق) (٧٠/٢٩) ، ولفظه قال:(﴿ذِى ٱلْمَعَـارِجِ﴾ذي الفواضل والنعم).

(٥) جامع البيان (٧٠/٢٩)، والهداية إلى بلوغ النهاية (١٢ / ٧٦٩٨) ، والتحصيل في مختصر التفصيل (أ / ١٧٣)،و الجامع لأحكام القرآن (٢٨١/١٨) ، وتيسير الكريم الرحمن (٨٨٥/١).

(٦) جامع البيان (٧٠/٢٩).

(٧) الجامع لأحكام القرآن (٢٨١/١٨).

(٨) محمد يوسف بن علي بن يوسف بن حيان النفزي الأندلسي الج ياني، ولد في غرناطة سنة (٦٥٤ هـــ)،وتنقل إلى أن أقام بالقاهرة كان شيخ النحاة في عصره، والعلم الفرد والبحر الذي لم يعرف الجزر بل المد. من كتبه (منطق الخرس في لسان الفرس ، و تحفة الأريب في غريب القرآن، و منهج السالك في الكلام على ألفية ابن مالك) توفي سنة(٧٤٥ هـــ).

يُنظر : معرفة القراء الكبار (٧٢٣/٢)، وطبقات المفسرين للأدنه وي (٢٧٨/١)، وطبقات الشافعية (٦٧/٣) ، والأعلام (٧ / ١٥٢).

(٩) عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، الجزائري، أبو زيد . ولد سنة(٧٨٦ هـــ)، وكان مفسرا، فقيهاً، ورعاً عاملاً زاهداً ناصح لكتاب الله وسنة رسوله– ﷺ – . من كتبه (الأنوار في المعجزات النبوية، و روضة الأ نوار ونزهة الأخيار و جامع الأمهات في أحكام العبادات) . وتوفي سنة (٨٧٥ هـــ) .

يُنظر : الضوء اللامع (٤ / ١٥٢)، والأعلام (٣ / ٣٣١)

(١٠) المحرر الوجيز (٣٦٥/٥)،والبحر المحيط(٣٢٧/٨)، والجواهر الحسان(٣٣٨/٤).

قال أبو حيان : « ﴿مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾ المعارجُ لغةُ : الدرج ،وهنا استعارة .قال ابن عباس وقتادة : في الرتبِ والفواضل والصفات الحميدة »[1].

القول الرابع: أنّ ﴿ٱلْمَعَارِجِ﴾ هي غرفٌ جعلها الله لأوليائه في الجنة.ذكره القرطبي [2] والشوكاني، والقنوجي [3][4]- رحمهم الله-.

الترجيح :

الراجح ــ والله تعالى أعلم بالصواب ــ أنَّ "المعارج" هي "المراقي ". وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن معه ؛ لأن سياق الآية جاء بتفسير المعارج بعروج الملائكة ، والأصلُ في العروج الارتقاء [5].

قال ابن جُزيّ : « "عَرَجَ " يَعْرُجُ بفتح الراء في الماضي وضمها في المضارع : صعد وارتقى ومنه المعارج » [6] .

فهذا يدلُّ على أنّها مراقي ترتقي فيها الملائكة بأمر الله تعالى . ومن ذلك ما أخبر عنه- ﷺ - بقوله : ((يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الْعَصْرِ ، ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ فَيَسْأَلُهُمْ وهو أَعْلَمُ بِهِمْ كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي ؟ فَيَقُولُونَ تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ[7])) وهذا القول موافق للقاعدة الترجيحية :(إدخال الكلام في معاني ما قبلَه وما بعده أولى

لم أجد في كتب التفسير نسبة هذا القول (مستعارة في الفضائل والصفات الحميدة) لابن عباس وقتادة، ولعل هذا القول من كلام ابن عطية ونقله عنه أبي حيان والثعالبي، والله تعالى أعلم .

(١) البحر المحيط(٣٢٧/٨).

(٢) محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري، أبو عبد الله القرطبي، من كبار المفسرين، صالح متبحر في العلم . من كتبه (قمع الحرص بالزهد والقناعة ، و الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى ، و التذكار في أفضل الأذكار). توفي سنة (٦٧١ هـ).
يُنظر :طبقات المفسرين للأدنه وي (٢٤٦/١)،و شذرات الذهب (٥/ ٣٣٥)، والأعلام (٥ / ٣٢٢).

(٣) محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي، أبو الطيب . ولد في قنوج (بالهند)سنة (١٢٤٨هـ) وهو من رجال النهضة الإسلامية المجددين .له نيف وستون مصنفا بالعربية والفارسية و الهندسية.من كتبه (أبجد العلوم ، و فتح البيان في مقاصد القرآن ، وحصول المأمول من علم الأصول). وتوفي سنة(١٣٠٧ هـ).
يُنظر : الأعلام (٦ / ١٦٧).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (٢٨١/١٨)، وفتح القدير(٢٨٨/٥)،وفتح البيان (١٤ / ٣٠٨) .

(٥) مقاييس اللغة (٣٠٤/٤).

(٦)التسهيل (٢٤/١).

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَاب مَوَاقِيتِ الصَّلَاةِ وَقَوْلِهِ عز وجل : ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَـٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ وَفَّتَهُ عليهم، باب فضلِ صلاة العصر (٢٠٣/١) ح (٥٣٠)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضعِ الصلاة، بَاب فَضْلِ صَلَاتَيْ الصُّبْحِ وَالْعَصْرِ وَالْمُحَافَظَةِ عَلَيْهِمَا (٤٣٩/١) ح (٥٣٠).

من الخروج به عن ذلك) [1]. **ومما يؤيّده** :

١. أنَّ المقصدَ من ذكر المعارج ومدى ارتفاعها إثباتُ العلوِّ المطلقِ لله تعالى ذاتًوقدرًا وشرفًوالذي يدل على هذا قوله تعالى : (تعرج إليه) فعلوه – سبحانه وتعالى – من صفات المدح الملازمة لذاته، فليس له حيّز أو مكانٌ أو جهةٌ – تعالى عن ذلك علوا كبيرا – [2].

٢. أنَّ الأقوالَ الأخرى لا تسلمُ من المعارضة ، فقول ابن عطية : أنَّ المعارج مستعارةٌ في الرُّتب والصِّفات الحميدة . صرفٌ للفّظِ عن ظاهره ، ومن قال بأنَّها : الروح أو غرف في الجنة " يردّه السّياق لبيان العلو والعظمة على ما ذكرنا. والله تعالى أعلم .

(١) ينظر : قواعد الترجيح (١/ ١٥٢) .

(٢) ينظر : جهود الإمام ابن القيم في تقرير توحيد الأسماء والصفات (٢ /١٠٢٠)، وشرح أسماء الله تعالى الحسنى وصفاته الواردة في الكتاب والسنة (٣٠٦) .

قول الله – ﷻ – :﴿ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾[1].في الآية ثلاث مسائل وهي :

❁ (٢)المسألة الأولى : في المراد بالرُّوح.

ترجيح ابن جُزيّ – رحمه الله – :

رجَّح أنَّ " الروح " في هذا الموضع هو جبريل ــ عليه السلام ــ

مجمل ما ذكره في الآية:

قال: « والرُّوح هنا جبريل ــ عليه السلام ــ بدليل قوله :﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾[2]. وقيل : الروح ملائكة حفظةٌ على الملائكة، وهذا ضعيفٌ مفتقِرٌ إلى صحة نقل. وقيل: الرُّ وح جنسُ أرواحِ الناس وغيرهم» [3].

العرض والمناقشة:

في المسألة ثلاثة أقوال وهي:

القول الأول: ما رجَّحه ابن جُزيّ موافقًا للطبري، والسمرقندي ، والثعلبي، واقتصر عليه مكي بن أبي طالب ، والبغوي،وقدَّمه الزمخشري وابن عطية، والقرطبي، و أفرده بالذكر البيضاوي و وافقهم الخازن[4]، وأبو حيَّان ونسبه للجمهور،و قال به الشوكاني،والألوسي[5]–رحمهم الله–.

القول الثاني: أنَّ الرُّوح خلقٌ من خلقِ الله كهيئة الناس وليس بالناس، وهو قول أبو صالح [6]، و

---

(١) سورة المعارج:٤.

(٢)سورة الشعراء:١٩٣ .

(٣) التسهيل (١٤٦/٤).

(٤)علي بن محمد بن إبراهيم الشيحي علاء الدين المعروف بالخازن . وُلد سنة (٦٧٨ هـ) .عالم بالتفسير والحديث، من فقهاء الشافعية. له تصانيف منها (لباب التأويل في معاني التنزيل ، وعدة الأفهام في شرح عمدة الأحكام ، و مقبول المنقول). تُوفي سنة (٧٤١ هـ).

يُنظر : طبقات المفسرين للأدنه وي (٢٦٧/١) ، والأعلام(٥/٥).

(٥) جامع البيان (٧٠/٢٩)، وبحر العلوم (٤٧١/٣) ، والكشف والبيان(٣٦/١٠)، والهداية إلى بلوغ النهاية (١٢ / ٧٦٩٨) ومعالم التنزيل(٣٩٢/٤)، والكشاف(٤/ ٦١٢)، والمحرر الوجيز(٣٦٥/٥)، والجامع لأحكام القرآن (٢٨١/١٨) وأنوار التنزيل(٣٨٧/٥)، و لباب التأويل (٦ / ٢٧٥)، و البحر المحيط (٣٢٧/٨)، وفتح القدير (٢٨٨/٥)، و روح المعاني (٥٦/٢٩) .

(٦) الجامع لأحكام القرآن (٢٨١/١٨)، وفتح القدير (٢٨٨/٥)، وروح المعاني (٥٦/٢٩).

ذكره السمّعاني [1]، والقرطبي،وابن كثير،وابن عادل[2]، والشربيني[3]،والشوكاني [4]– رحمهم الله– .

القول الثالث: أنَّ " الرُّوح " هي: روح الميت حين تُقبض .أورده ابن الجوزي[5]، والقرطبي وأبو حيان، وابن عادل، والشوكاني عن أبي قُبيصة [6][7]– رحمهم الله جميعًا–.

واستُدل عليه بقول النبي– ﷺ – : « إِنَّ الْمَيِّتَ تَحْضُرُهُ الْمَلَائِكَةُ فَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ الصَّالِحُ قَالُوا اخْرُجِي أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الطَّيِّبِ اخْرُجِي حَمِيدَةً وَأَبْشِرِي بِرَوْحٍ وَرَيْحَانٍ وَرَبٍّ غَيْرِ غَضْبَانَ . قَالَ: فَلَا يَزَالُ يُقَالُ ذَلِكَ حَتَّى تَخْرُجَ ثُمَّ يُعْرَجَ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ فَيُسْتَفْتَحُ لَهَا... » [8].

---

(١) منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد التميمي السمعاني المروزي الحنفي، أبو المظفر، ولد سنة (٤٢٦ هـ)، وحيد عصره في وقته فضلا وطريقة وزهدا وورعا من بيت العلم والزهد تفقه بأبيه وصار من فحول أهل النظر .من كتبه (القواطع في أصول الفقه و الانتصار لأصحاب الحديث ، والمنهاج لأهل السنة).توفي سنة (٤٨٩ هـ).
يُنظر :طبقات الشافعية (٢٧٣/١)، و طبقات المفسرين للأدنه وي (١٤٣/١).

(٢) عمر بن علي بن سراج الدين، أبو حفص الحنبلي عالم في التفسير، جَمَّاعةٌ له، توفي سنة (٨٨٠ هـ) وقيل بعدها بقليل .
يُنظر : طبقات المفسرين للأدنه وي (٤١٨/١)، والأعلام (٥ / ٥٨) .

(٣) محمد بن أحمد الشربيني، شمس الدين، فقيه شافعي، مفسر. من أهل القاهرة، له تصانيف. منها (السراج المنير و الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع ، و شرح شواهد القطر و مغني المحتاج) توفي سنة (٩٧٧ هـ) .
يُنظر : الأعلام (٦ / ٦) .

(٤) تفسير القرآن(٤٥/٦)، والجامع لأحكام القرآن (٢٨١/١٨)، والقرآن العظيم (٤١٩/٤)، واللباب (١٩ / ٣٩٤)، و السراج المنير (٨ / ٩٤)، وفتح القدير (٢٨٨/٥).

(٥)عبد الرحمن بن علي البكري القرشي الحنبلي، جمال الدين أ بو الفرج الجوزي . ولد سنة (٥١٠ هـ)، وكان علامة السير والتاريخ، صاحب التصانيف المتنوعة،وبحر في التفسير، إلا أنه خاض في التأويل . من كتبه (تلقيح فهوم أهل الآثار في مختصر السير والأخبار، و الأذكياء وأخبارهم ، و مناقب عمر بن عبد العزيز) وفي سنة (٥٩٧ هـ).
يُنظر : وفيات الأعيان(١٤٠/٣)، شذرات الذهب (٣٢٩/٤) ، الإعلام (٣ / ٣١٣).

(٦) زاد المسير (٣٥٩/٨)، والجامع لأحكام القرآن (٢٨١/١٨)، والبحر المحيط ٣٢٧/٨، واللباب (١٩ / ٣٩٤)، وفتح القدير (٢٨٨/٥).

(٧) قبيصة بن جابر بن وهب الأ سدي الكوفي .تابعي من رجال الحديث، الفصحاء، الفقهاء. يعد في الطبقة الأولى من فقهاء أهل الكوفة بعد الصحابة . روى عن زياد بن سمية وطلحة بن عبيد الله وعبد الله بن مسعود وعبد الرحمن بن عوف وعلي بن أبي طالب وعمر بن الخطاب وروى عنه عامر الشعبي وعبد الملك بن عمير وأبو حصين عثمان بن عاصم الأسدي توفي سنة (٦٩ هـ).
يُنظر : التاريخ الكبير (١٧٥/٧) ، و الثقات (٣١٨/٥) ، و تهذيب الكمال (٤٧٢/٢٣) .

(٨) لفظ الحديث من رواية أبي هُرَيْرَةَ – ﷺ– عَنِ النبي – ﷺ– أنه قال : ((إن الْمَيِّتَ تَحْضُرُهُ الْمَلَائِكَةُ فإذا كان الرَّجُلُ الصَّالِحُ قالوا: اخرجي أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ كانت في الْجَسَدِ الطَّيِّبِ اخرجي حَمِيدَةً و أبشري بِرَوْحٍ وَرَيْحَانٍ وَرَبٍّ غَيْرِ غَضْبَانَ. قال: فَلَا يَزَالُ يُقَالُ ذلك حتى تَخْرُجَ ثُمَّ يُعْرَجُ بها إلى السَّمَاءِ فَيُسْتَفْتَحُ لها. فَيُقَالُ من هذا ؟فَيُقَالُ :فُلَانٌ فَيَقُولُونَ: مَرْحَباً بِالنَّفْسِ الطَّيِّبَةِ كانت في الْجَسَدِ الطَّيِّبِ ادخلي حَمِيدَةً و أبشري بِرَوْحٍ وَرَيْحَانٍ وَرَبٍّ غَيْرِ غَضْبَانَ. قال: فَلَا يَزَالُ يُقَالُ لها حتى ينتهي بها إلى السَّمَاءِ التي

الترجيح :

أولى الأقوال بالصوَّاب – والله تعالى أعلم – أنَّ المراد "بالرُّوح" في هذا الموضع جبريل– عليه السلام– وهو ما ذهب إليه ابن جُزيّ وجَمهرة المفسرين[1]؛ لورود تسميته– عليه السلام – بذلك في الكتاب العزيز في قول الله– سبحانه وتعالى–: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾[2]، وقوله تعالى :﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾[3].وهو موافق للقاعدة الترجيحية: (القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدّمٌ على ما عدم ذلك)[4].**ومما يؤيّده عدة أمور وهي :**

١.ذكر جبريل – عليه السلام– تشريفاً وتعظيمًا، وهو من بابِ عطف الخاص على العام .أُخِّر هنا وقُدِّم في قول الله تعالى : ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾[5] للتهويل والتضخيم [6].

٢.أنَّ الأقوال الأخرى لا تسلم من الاعتراض .فالقول الثاني مفتقر لصحة الدليل، والقول الثالث: قد يحمل على قبض روح العبد المؤمن عند الوفاة، وسياق الآية يدل على عظم الخطب يوم القيامة.

٣.أنَّ هذا القول عليه جُلّ عبارات المفسرين . وهو من قواعد الترجيح عند ابن جُزي حيث قال : « أن يكون القول قول الجمهور ، وأكثر المفسرين ؛ فإنَّ كثرةَ القائلين بالقول يقتضي ترجيحه» [7]. و الله تعالى أعلم .

فيها الله –عز وجل– وإذا كان الرَّجُلُ السَّوْءُ قالوا: اخرجي أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ كانت في الْجَسَدِ الْخَبِيثِ اخرجي ذَمِيمَةً و أبشري بِحَمِيمٍ وَغَسَّاقٍ وَآخَرَ من شَكْلِهِ أَزْوَاجٍ .فَلاَ يَزَالُ حتى يخرج ثُمَّ يُعْرَجَ بها إلى السَّمَاءِ فَيُسْتَفْتَحُ لها. فَيُقَالُ :من هذا فَيُقَالُ :فُلاَنٌ. فَيُقَالُ :لاَ مَرْحَباً بالنَّفْسِ الْخَبِيثَةِ كانت في الْجَسَدِ الْخَبِيثِ ارجعي ذَمِيمَةً فإنه لاَ يُفْتَحُ لَكِ أَبْوَابُ السَّمَاءِ فَتُرْسَلُ مِنَ السَّمَاءِ ثُمَّ تَصِيرُ إلى الْقَبْرِ فَيُجْلَسُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ فَيُقَال له مِثْلُ ما قِيلَ له في الحديث الأَوَّلِ وَيُجْلَسُ الرَّجُلُ السَّوْءُ فَيُقَالُ له مِثْلُ ما قِيلَ في الحديث الأَوَّلِ)).

أخرجه أحمد في مسنده (٢ / ٣٦٤) ح (٨٧٥٤) و أخرجه ابن ماجه بنحوه (١٤٢٣/٢) ح (٤٢٦٢)، والنسائي في "السنن الكبرى (٤٤٣/٦) ح (١١٤٤٢) .

قال الشيخ الألباني : صحيح . يُنظر : صحيح الجامع الصغير و زيادته (١ / ٣٩٦).

(١) المحرر الوجيز (٣٦٥/٥)، والبحر المحيط(٣٢٧/٨).

(٢) سورة الشعراء: ١٩٣-١٩٤ .

(٣) سورة القدْر:٤ .

(٤) ينظر : قواعد الترجيح (١ /٣١٢)

(٥)سورة النبأ:٣٨ .

(٦) البحر المحيط (٣٢/٨). تفسير القرآن العظيم (٤١٩/٤)، واللباب (١٩ / ٣٩٤)، و السراج المنير (٨ / ٩٤).

(٧)التسهيل (٩/١).

❁ (٣)المسألة الثانية : المراد باليوم في الآية .

ترجيح ابن جُزيّ – رحمه الله – :

رجَّح أنَّ اليوم في هذا الموضع هو يوم القيامة.

مجمل ما ذكره في الآية:

قال:« اختلف في هذا اليوم على قولين أحدهما : أنه يوم القيامة،والآخر: أنه في الدنيا. والصحيح أنه يوم القيامة؛ لقول رسول الله – ﷺ – في حديث مانع الزكاة: ((ما من صاحب ذهب،ولا فضة لا يؤدي زكاتها إلا صفحت له صفائح من نار يكوى بها جبينه،وجنبه وظهره في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد))[(١)] يعني يوم القيامة»[(٢)].

العرض والمناقشة:

في المسألة قولان، وهما:

القول الأول: ما رجَّحه ابن جُزيّ، وهو قول ابن عباس [(٣)] – رضي الله عنه – . وقال به عكرمة [(٤)] والضحَّاك [(٥)]، وقتادة [(٦)]، و اقتصر عليه ابن أبي زمنين ، والسمعاني، والزمخشري والقرطبي ،وابن عاشور[(٧)] رحمهم الله –.

قال الزمخشري: «وقد جعل ﴿فِي يَوْمٍ﴾ من صلة وَاقِعٍ ، أي : يقع في يوم طويل مقداره خمسون ألفَ سنة من سنِيكم ، وهو يوم القيامة ،إما أن يكون استطالةً له لشدّته على الكفار . وإما ؛لأنه على الحقيقة كذلك» [(٨)].

---

(١) سبق تخريجه في ص (٤٩).

(٢) التسهيل (١٤٦/٤).

(٣) أخرجه الطبري بسنده عنه : جامع البيان (٧١/٢٩)، ولفظه (فهذا يوم القيامة جعله الله على الكافرين مقدار خمسين ألف سنة) ونسبه ابن كثير في " تفسير القرآن العظيم " لابن أبي حاتم ، وقال إسناده صحيح (٤٢٠/٤)، وذكره السيوطي في " الدر المنثور " (٢٧٩/٨)، وعزاه لابن المنذر، والبيهقي بمثله.

(٤) أخرجه الطبري بسنده عنه : (المرجع السابق) (٧١/٢٩)،ولفظه قال : (يوم القيامة).

(٥) أخرجه الطبري بسنده عنه : (المرجع السابق) (٧١/٢٩)،ولفظه (يعني يوم القيامة) .

(٦) أخرجه الطبري بسنده عنه : (المرجع السابق) (٧١/٢٩)، ولفظه (ذاكم يوم القيامة).ونسبه السيوطي لعبد بن حميد بنحوه . الدر المنثور (٢٨٠/٨).

(٧) ينظر : تفسير القرآن العزيز (٣٤/٥)، وتفسير القرآن (٤٥/٦)، و الكشاف (٦١٢/٤)، والجامع لأحكام القرآن (٢٨٢/١٨) والتحرير والتنوير (١٢ / ١٥٧).

(٨) الكشاف (٦١٢/٤).

القول الثاني: إطلاق اليوم هنا على أنَّه يوم من أيام الدنيا، أي : أن مقدار صعود الملائكة من أسفل الأرض إلى العرش لو صعده غيرهم قطعه في خمسين ألفَ سنةٍ [1]. وهو مروي عن مجاهد [2] وقال به الطبري ، وقدّمه البغوي ، والبيضاوي [3]- رحمهم الله- .

قال الطبري: «﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ يقول: كان مقدارُ صعودهم ذلك في يوم لغيرهم من الخلق خمسين ألف سنة، وذلك أنها تصعد من منتهى أمره من أسفل الأرض السابعة إلى منتهى أمره من فوق السماوات السبع » [4].

الترجيح

الراجح – والله تعالى أعلم بالصواب – أنَّ المراد باليوم في الآية هو يوم القيامة ، وهو ما ذهب إليه ابن جُزيّ ومن معه؛ لأخبار النبي – ﷺ – بعذاب مانع الزكاة يوم القيامة ، وأنَّ مقدار هذا اليوم خمسين ألف سنة ، فجاء تخصيصه بحديث رسول الله – ﷺ – . و (إذا ثبت الحديث وكان نصًّا في تفسير الآية فلا يُصار إلى غيره) [5]. **ومما يؤيده عدة أمور وهي :**

١. أنَّ يوم متعلق بما قبله وهو ﴿بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ ، و قوله تعالى :﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ معترضة بين الظرف وعامله ، أي : سأل سائل بعذاب واقع في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ؛ لأنّ السؤال الصادر من الكفار في قول الله تعالى :﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ﴾ إنما هو سؤال استهزاءٍ برسول الله وتكذيبًا له [6].

قال مجاهد – رحمه الله – : «﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ﴾ أي : دعا داع بعذاب واقع يقع في الآخرة ، قال : وهو

---

(١) زاد المسير (٣٦٠/٨).

(٢) أخرجه الطبري بسنده عنه : جامع البيان (٧١/٢٩)، ولفظه قال : (منتهى أمره من أسفل الأرضين إلى منتهى أمره من فوق السماوات مقدار خمسين ألف سنة) .

(٣)جامع البيان (٧٠/٢٩)، ومعالم التنزيل(٣٩٣/٤)، و أنوار التنزيل(٣٨٧/٥).

(٤) جامع البيان(٧٠/٢٩).

(٥) قواعد الترجيح (١ / ١٩١).

(٦) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٢٧٧/٨) ، وعزاه للفريابي وعبد بن حميد والنسائي وابن أبي حاتم والحاكم وصححه وابن مردويه عن ابن عباس في قوله : ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ﴾ قال :(هو النضر بن الحارث. قال :﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾).

قولهم ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾[1] » [2].

٢. أنَّ هذا العروج واقع في يوم القيامة بخلاف عروج الأمر في سورة السجدة عند قول الله تعالى :

﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾[3]

أنه في الدنيا.وهو قول مجاهد[4]،والضحّاك [5]وقتادة [6] – رحمهم الله –

واختاره الإمام الطبري بقوله: « وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال معناه يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقدار ذلك اليوم في عروج ذلك الأمر إليه ونزوله إلى الأرض ألف سنة مما تعدون من أيامكم خمس مئة في النزول وخمس مئة في الصعود لأن ذلك أظهر معانيه وأشبهها بظاهر التنزيل» [7]. والله تعالى أعلم .

(١) سورة الأنفال : ٣٢ .

(٢)جامع البيان (٢٩/٦٩).

(٣) سورة السجدة:٥ .

(٤) أخرجه الطبري بسنده عنه : جامع البيان (٢١/٩١)، ولفظه (في يوم كان مقداره ألف سنة يعني بذلك نزول الأمر من السماء إلى الأرض ومن الأرض إلى السماء في يوم واحد وذلك مقداره ألف سنة لأن ؛ ما بين السماء إلى الأرض مسيرة خمس مئة عام).

(٥) أخرجه الطبري بسنده عنه : (المرجع السابق) (٢١/٩١)، ولفظه قال : (تعرج الملائكة إلى السماء ثم تنزل في يوم من أيامكم هذه وهو مسيرة ألف سنة).

(٦) أخرجه الطبري بسنده عنه : (المرجع السابق) (٢١/٩١)، ولفظه (يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم من أيامكم كان مقداره ألف سنة مما تعدون يقول مقدار مسيره في ذلك اليوم ألف سنة مما تعدون من أيامكم من أيام الدنيا خمس مئة سنة نزوله وخمس مئة صعوده فذلك ألف سنة).

(٧) جامع البيان (٢١/٩٣).

❁ (٤) المسألة الثالثة : هل مقدار اليوم على الحقيقة أم المجاز في قول الله تعالى :﴿ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾.

ترجيح ابن جزيّ – رحمه الله – :

رجَّح أن مقدار اليوم خمسون ألفَ سنة حقيقة.

مجمل ما ذكره في الآية:

قال: « ثم اختلف هل مقداره خمسون ألف سنة حقيقة ؟ وهذا هو الأظهر. أو هل وصف بذلك لشدة أهواله كما يقال: يوم طويل إذا كان فيه مصائب،وهموم»[١].

العرض والمناقشة:

في المسألة قولان وهما:

القول الأول : ما رجَّحه ابن جزي بأنَّ طول هذا اليوم بمقداره واقع للفصل الحساب بين العباد وهو قول ابن عباس – رضي الله عنه– ، وهذا المعنى أظهره ابن جُزيّ موافقاً لابن عطية والقرطبي و وافقهم أبو حيان وابن عاشور[٢] – رحمهم الله–.

قال ابن عطية: « وقال ابن عباس وغيره بل اليوم المشار إليه يوم القيامة ، ثم اختلفوا فقال بعضهم قدّره في الطول قدر خمسين ألفَ سنة وهذا هو ظاهر قول النبي– ﷺ– : ((ما من رجل لا يؤدي زكاة ماله إلا جعل له صفائح من نار يومَ القيامةِ تكُوى بها جبهتُه وظهره وجنباه في يومٍ كان مقداره ألف سنة »[٣].

وحكى الرازي عن الحسن – رحمه الله – أنه قال: «وليس يعني أن مقدار طوله هذا فقط؛ إذ لو كان كذلك لحصلت له غاية، ولنفيت الجنة والنار عند انتهاء تلك الغاية ، وهذا غير جائز، بل المراد : أن موقفهم للحساب حين يفصل بين الناس خمسون ألف سنة من سني الدُّنيا بعد ذلك يستقر أهل النار في النار، نعوذ بالله منها» [٤].

---

(١) ينظر : التسهيل (١٤٦/٤).

(٢) المحرر الوجيز (٣٦٥/٥)، والجامع لأحكام القرآن (١٨ / ٢٨٢)، و البحر المحيط (٣٢٧/٨) .

(٣)المحرر الوجيز (٣٦٥/٥).

(٤) التفسير الكبير (١٠٩/٣٠).

القول الثاني: أنَّ هذا المقدار على وجه التمثيل لبيان ارتفاع المعارج أو طول يوم القيامة . قال به البيضاوي،وأبو السعود [1][2]، وممن أورده الزمخشري ، وابن عطية، والرازي،و أبو حيان والشوكاني والألوسي [3]- رحمهم الله- .

قال الشوكاني: «ذكر هذا المقدار لمجرد التمثيل والتخييل لغاية ارتفاعِ تلك المعارج وبعد مداها أو لطول يوم القيامة باعتبار ما فيه من الشدائد والمكاره كما تصف العرب أيام الشدة بالطول وأيام الفرح بالقصر ويشبهون اليوم القصير بإهام القطاة [4]، والطويلَ بظلِّ الرُّمح ومنه قول الشاعر[5]:

ويومٍ كظلِّ الرُّمحِ قصَّرَ طولُه ... دُمُ الزقِّ عنَّا واصطفافُ المزاهرِ»[6]

الترجيح

القول الذي تميل إليه النفس – والله تعالى أعلم بالصواب- أنَّ مقدارَ اليومِ على حقيقته، وهو ما ذهب إليه ابن جُزيّ ومن معه؛ لأنه ظاهر النصوص من الكتاب والسنة، والأولى الحمل عليها. **ومما يؤيده:** أنَّ هذا المقدار إنما يكون في حق الكافر دون المؤمن، ومن ذلك ما رُوي عن رسول الله – ﷺ – أنه سُئل: يَوْماً كان مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ما أَطْوَلَ هذا الْيَوْمَ؟

فقال رسول اللَّهِ – ﷺ – : ((والذي نفسي بيده إنه لَيُخَفَّفُ على الْمُؤْمِنِ حتى يَكُونَ أَخَفَّ عليه من صَلَاَةٍ مَكْتُوبَةٍ يُصَلِّيهَا في الدُّنْيَا))[8]. و(إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجحٌ له)

---

(١) أنوار التنزيل (٣٨٧/٥)، وإرشاد العقل السليم (٣٠/٩)

(٢)محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، أبو السعود . وُلد سنة (٨٩٨ هـ) مفسر شاعر، من علماء الترك المستعربين. من كتبه (إرشاد العقل السليم إلى مرايا الكتاب الكريم ،وتحفة الطلاب ،ورسالة في المسح على الخفين). تُوفي سنة (٩٨٢ هـ).
يُنظر : شذرات الذهب (٣٩٨/٨) ،و الأعلام (٧ /٥٩).

(٣) الكشاف (٤٦٠/٤)، والمحرر الوجيز (٣٦٥/٥)، والتفسير الكبير(١٠٩/٣٠)، والبحر المحيط (٣٢٧/٨)، وفتح القدير (٢٨٩/٥) وروح المعاني (٥٧/٢٩).

(٤) قطا يقطو ثقل مشيه .و القطا طائر معروف سمي بذلك ؛لثقل مشيه واحدته قطاة والجمع قطوات .
يُنظر : لسان العرب(١٨٩/١٥).

(٥) الشعر ليزيد بن الطثرية،الحماسة البصرية (٣٨٤/٢)، وجمهرة الأمثال(١٩/٢).

(٦) فتح القدير (٢٨٩/٥)

(٨) أخرجه أحمد في مسنده من طريق الحسن بن موسى ، عن أبي لهيعة ، عن دارج به (٧٥/٣) ح (١١٧٣٥)، وأبي يعلى في مسند ه عن أبي سعيد الخدري به (٥٢٧/٢) ح (١٣٩٠).
إسناده ضعيف : درَّاج في روايته عن أبي الهيثم .

(١). والله تعالى أعلم .

وله شاهد بمعناه أخرجه ابن حبان في صح يحه عن أبي هريرة – ﷺ – مرفوعا : (يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ مِقْدَارَ نِصْفِ يَوْمٍ مِنْ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ يُهَوِّنُ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كَتَدَلِّي الشَّمْسِ لِلْغُرُوبِ إِلَى أَنْ تَغْرُبَ) (٣٢٨/١٦) ح (٧٣٣٣).
قال الشيخ الألباني : صحيح . يُنظر : الترغيب والترهيب (٣ /١٢٩٣).

(١) قواعد الترجيح (١ / ٢٠٦).

قول الله – ﷻ – : ﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ﴾[1].

❁ (٥) مسألة : في المراد بالمهل.

ترجيح ابن جُزَيّ – رحمه الله – :

رجَّح أنَّ المراد بالمهل في الآية هو: دردري الزيت[2].

مجمل ما ذكره في الآية:

قال:« والمهل هو دَرْدَرِيُّ الزيت ،شبّهالسماء به في سوادها وانكدار أنوارها يوم القيامة.

وقيل هو: ما أذيب من الفضة ونحوها ،شبه السماء به في تلونه »[3].

العرض و المناقشة:

في المسألة على أربعة أقوال:

القول الأول: ما رجَّحه ابن جُزيّ، وهو قول مجاهد[4]، و قال به ابن أبي زمنين والراغب الأصفهاني [5]، والرازي، و وافقهم ابن كثير، والمراغي[6]، وابن عاشور [7]– رحمهم الله تعالى .

قال ابن عاشور: « و المُهل: دُردِيّ الزيت. والمعنى: تشبيه السماء في انحلال أجزائها بالزيت وهذا كقوله﴿ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ﴾ » [8].

وقد فسرّ ابن جُزي المهل بأنه دردري الزيت في موضع متقدم ، وذلك عند تفسيره لقوله تعالى:﴿وَإِن

---

(١) سورة المعارج:٨ .

(٢) دردِي الزيت وغيره ما يبقى في أسفله . لسان العرب (١٦٦/٣).

(٣) لتسهيل(٢٧٢/٤).

(٤) أخرجه الطبري بسنده عنه "جامع البيان " (٢٤٠/١٥)، ولفظه قال : (القيح والدم الأسود كعكر الزيت) .

(٥) الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم الأصفهاني (أو الأصبهاني) المعروف بالراغب ، أديب، من الحكماء العلماء . من كتبه (محاضرات الأدباء ، و الذريعة إلى مكارم الشريعة ،و الأخلاق) ، توفي سنة (٥٠٢ هـ).
يُنظر : البلغة (٩١/١) ، والأعلام (٢ / ٢٥٥).

(٦)أحمد بن مصطفى المراغي مفسر مصري، من العلماء . تخرج بدار العلوم ثم كان مدرس الشريعة الإسلامية بها . وعُين أستاذا للعربية والشريعة الإسلامية بكلية غوردون بالخرطوم . تُوفي سنة (١٣٧١ هـ).
يُنظر : الأعلام (١ / ٢٥٨)

(٧) تفسير القرآن العزيز (٣٥/٥)، و المفردات في غريب القرآن (٤٧٦/١، والتفسير الكبير (١١١/٣٠)، وتفسير القرآن العظيم (٤٢١/٤)، وتفسير المراغي (١٠ / ١٩٥)، والتحرير والتنوير (١٢ / ١٥٩).

(٨) سورة الرحمن:٣٧.

﴿يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾[1].

قال « وهو دُردِيّ الزيت إذا انتهى حرّه روي[2] ذلك عن النبي - ﷺ -» [3].

القول الثاني: أنَّ "المُهْل" ما ذابَ من الرصاص والنحاس والفضة. ذكره الزمخشري، وابن عطية وابن الجوزي، والقرطبي، والسعدي[4][5]- رحمهم الله -.

القول الرابع: أنَّ " المُهْل " هو القيح، والدم الأسود. ذكره ابن الجوزي ،والقرطبي والقنوجي والشوكاني [6]- رحمهم الله تعالى-.

الترجيح

القول الذي تطمئن إليه النفس - والله تعالى أعلم بالصواب- أنَّ "المهل" يجمع كلَّ المعاني المذكورة آنفا لأنَّ ما ورد عن السلف من الأقوال فهو تفسير للمعنى بألفاظ متقاربة ولا خلاف بين هذه الأقوال.

قال ابن فارس: «الميم والهاء واللام أصلان صحيحان يدلُّ أحدهما على تؤدةٍ ، والآخر جنسٌ من الذائبات» [7].

---

(١) سورة الكهف:٢٩.

(٢) لفظ الحديث عند الترمذي قال : (كَعَكَرِ الزَّيْتِ فإذا قَرَّبَهُ إلى وَجْهِهِ سَقَطَتْ فَرْوَةُ وَجْهِهِ فيه).

أخرجه الترمذي في سننه،كتاب الصلاة، باب ما جاء في صفة شراب أهل الجنة، (٤/٧٠٤)،ح(٢٥٨١)، وفي كتاب التفسير، باب ومن سورة سأل سائل (٥/٤٢٦) ح(٣٣٢٢) . كلاهما عن رشدين بن سعد. قال الترمذي في الموضع الأول : هذا حَدِيثٌ لَا نَعْرِفُهُ إلا من حديث رِشْدِينَ بن سَعْدٍ وَرِشْدِينُ قد تُكُلِّمَ فيه وقال في الموضع الثاني :هذا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إلا من حديث رِشْدِينَ .قال الشيخ الألباني : ضعيف . ينظر : صحيح وضعيف سنن الترمذي (٦ / ٨١).

(٣) التسهيل (٢/١٨٧).

(٤) عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر آل سِعدي، أبو عبد الله، ولد سنة (١٣٠٧ هـــ) من قبيلة تميم، كان ذا معرفة تامة بالفقه والأصول والفروع، واشتغل بكتب شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم. توفي سنة (١٣٧٦ هـــ).

يُنظر : مقدمة تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (١ / ٧- ٩) .و الأعلام (٣ / ٣٤٠) .

(٥) الكشاف (٤/٦١٢)، والمحرر الوجيز (٥/٣٦٦) وزاد المسير (٥/١٣٥)، و الجامع لأحكام القرآن (١٨/٢٨٤)، وتيسير الكريم الرحمن (١/٨٨٦) .

(٦) زاد المسير (٥/١٣٥)، والجامع لأحكام القرآن (١٨/٢٨٤)، و فتح البيان (١٤ / ٣١٢)، وفتح القدير (٥/٢٨٩) .

(٧) مقاييس اللغة (٥/٢٨٢).

وقال الإمام الطّبري – رحمه الله تعالى – :« وهذه الأقوال وإن اختلفت بها ألفاظ قائليها فمتقاربات المعنى وذلك أن كل ما أذيب من رصاص أو ذهب أو فضة فقد انتهى حرة وأن ما أوقدت عليه من ذلك النار حتى صار كدردي الزيت فقد انتهى أيضا حرة» [1].

و يتأيد بالقاعدة التفسيرية : (إذا احتمل اللفظ معاني عدةً، و لم يمتنع إرادة الجميع حُمل عليها)[2].والله تعالى أعلم .

(١) جامع البيان ١٥/٢٤٠ .

(٢) قواعد التفسير (٢ / ٨٠٧) .

قول الله -ﷻ- :﴿ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ﴾[1].

❁ (٦) مسألة :في المراد بالعهن .

ترجيح ابن جُزيّ - رحمه الله - :

رجَّح ابن جُزيّ أنَّ العهن هو الصوف شبه الجبال به في انتفاشه.

مجمل ما ذكره ابن جُزيّ في الآية:

قال : «العهن هو الصوّف شبّه الجبال به في انتفاشه وتخلخل أجزائه. وقيل: هو الصوّف المصبوغ ألوانا فيكون التشبيه في الانتفاش وفي اختلاف الألوان؛لأن الجبالَ منها بيضٌ وسودٌ وحُمرٌ »[2].

العرض والمناقشة:

في المسألة ثلاثة أقوال وهي:

القول الأول: ما رجَّحه ابن جُزيّ، وهو قول مجاهد[3]، وقتادة [4]. و قال به الطبري، و الزجّ اج و ابن عطية، و وافقهم أبوحيان، وابن كثير، والسعدي [5]- رحمهم الله -.

قال أبو حيَّان: « لما نُسفت طارت في الجوِّ كالصوّف المنفوش إذا طيرته الريح .قال الحسن : تسير الجبال مع الرياح ثم تنهد ثم تصير كالعهن ثم تنسف فتصير هباء »[6]

القول الثاني: أنَّ العِهْن هو الصوّف الأحمر، وهو قول الحسن البصري [7]، وذكره ابن أبي زمنين والثعلبي، البغوي، والقرطبي، والشوكاني [8]- رحمهم الله-.

---

(١) سورة المعارج:٩ .

(٢)التسهيل (١٤٦/٤) .

(٣) أخرجه الطبري بسند عنه : جامع البيان(٧٣/٢٩)، ولفظه (كالعهن قال: كالصوف)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢٨١/٨)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن المنذر بمثله .

(٤) أخرجه الطبري بسند عنه : جامع البيان (٧٣/٢٩)، ولفظه (كالعهن قال :كالصوف) .

(٥) جامع البيان (٧٣/٢٩)، ومعاني القرآن للزجاج (٥ / ١٧٢) ، و المحرر الوجيز (٣٦٦/٥) ، والبحر المحيط (٣٢٨/٨)، وتفسير القرآن العظيم (٤٢١/٤)، وتيسير الكريم الرحمن (٨٨٦/١) .

(٦) البحر المحيط (٣٢٨/٨).

(٧) نسبه البغوي في معالم التنزيل (٣٩٣/٤)، والشوكاني في فتح القدير (٢٨٩/٥) .

(٨) تفسير القرآن العزيز (٣٥/٥)، والكشف والبيان (٣٧/١٠)، و معالم التنزيل (٣٩٣/٤)، و الجامع لأحكام القرآن (٢٨٤/١٨)، وفتح القدير (٢٨٩/٥) .

القول الثالث: أنَّ العِهْن هو الصوّف المصبوغ ألواناً، قال به السمعاني،و الراغب الأصفهاني والبغوي، والزمخشري، والرازي ، والبيضاوي، والنسفي، و الخازن، والسمين الحلبي [1] والبقاعي [2] وأبو السعود ، والشوكاني، و الشنقيطي [3]- رحمهم الله -.

قال الرازي: « ومعنى العهن في اللغة: الصوّف المصبوغ ألواناً وإنما وقع التشبيه به ؛لأن الجبال جُددٌ بيضٌ وحُمرٌ مختلف ألوانها و غرابيب سود فإذا بسَّت وطُيرت في الجو أشبهت العهن المنفوش إذا طيرته الريح »[4].

الترجيح

الراجح – والله تعالى أعلم بالصواب – أنَّ المراد "بالعهن" الصوف المصبوغ، وهو ما رجَّحه أصحاب القول الثالث؛لأنه جمع بين الوصفين الانتفاش و اختلاف اللون وكلا الوصفين له ما يؤيّده، فأما التشبيه بانتفاش الجبال بينه الله- ﷻ -بقوله :﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾[5].

وأمَّا تخصيص الصوّف بالمصبوغ ألوانا فقد ورد في كلام العرب أنهم لا يقولون عِ هنٌ إلا إذا كان مصبوغا و إلا فهو صوف[6].

قال الراغب الأصفهاني:«العهن الصوف المصبوغ قال كالعهن المنفوش وتخصيص العهن لما فيه من

---

(١) أحمد بن يوسف بن عبد الدايم الحلبي، أبو العباس، شهاب الدين المعروف بالسمين . مفسر، عالم بالعربية والقراءات.من كتبه (تفسير القرآن، و القول الوجيز في أحكام الكتاب العزيز، والدر المصون). توفي سنة (٧٥٦ هـ).
يُنظر : طبقات الشافعية (١٨/٣) ،و شذرات الذهب (١٧٩/٦) ،و الأعلام (١ / ٢٧٤).

(٢) إبراهيم بن عمر بن حسن الرُباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، أبو الحسن برهان الدين . وُلد سنة (٨٠٩ هـ).مؤرخ أديب. من كتبه (عنوان الزمان في تراجم الشيوخ والأقران ، وعنوان العنوان ،ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور).تُوفي سنة (٨٨٥ هـ).
يُنظر : طبقات المفسرين للأدنه وي (٣٤٧/١) ،و الأعلام (٥٦/١).

(٣) تفسير القرآن (٤٦/٦)، والمفردات في غريب القرآن (٣٥١/١)، و معالم التنزيل (٣٩٣/٤)، والكشاف (٤٦٠/٤) و التفسير الكبير (١١١/٣٠)،و أنوار التنزيل (٣٨٨/٥)، و مدارك التنزيل (٢٩١/٤)، و لباب التأويل (٦ / ٢٧٦) والدر المصون (٦ / ٣٧٥) ، ونظم الدرر (٨ / ١٤٧)، و إرشاد العقل السليم (٣١/٩)، وفتح القدير (٢٨٩/٥) وأضواء البيان (٥١٢/٧).

(٤)التفسير الكبير (١١١/٣٠).

(٥) سورة القارعة:٥.

(٦) يُنظر: تهذيب اللغة (١٠٤/١)،والمزهر في علوم اللغة وأنواعها (٣٤٩/١)، والمدهش (٤٨/١).

اللون» [1]).

قال الشنقيطي– رحمه الله تعالى –: «وأصلُ العهن أخصُّ من مطلق الصوف ؛ لأنه الصوف المصبوغ خاصةً ومنه قول زهير بن أبي سلمى[2] في معلقته:

كأنَّ فتاةَ العهنِ في كلِّ مترلٍ نزلن به حبُّ الفنا لم يحطم »[3].

والقرآنُ نزل بلغتهم وهذا الوصف معروفا لديهم (فيسلك به في الاستنباط والاستدلال مسلك العرب في تقرير معانيها) [4]. و الله تعالى أعلم .

(١) المفردات في غريب القرآن (٣٥١/١).

(٢) زُهَيْ بن أبي سُلْمَى ربيعة بن رياح المزني، من مضر: حكيم الشعراء في الجاهلية.
يُنظر : طبقات فحول الشعراء (٥١/١).

(٣) أضواء البيان (٥١٢/٧).

(٤) يُنظر : قواعد التفسير (١ / ٢٣٢).

قول الله -ﷻ- :﴿ وَلاَ يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيماً ﴾[1].

❁ (٧) مسألة : في العلّة في انتفاء المساءلة بين الأحمّاء .

ترجيح ابن جُزيّ - رحمه الله - :

رجَّح أنَّ الحميم لا يسأل عن حميمه يوم القيمة؛ لأنه لا يقدر له على شيء.

مجمل ما ذكره في الآية:

قال: «الحميم هنا الصديق، والمعنى لا يسأل أحد من حميمه نصرةً ولا إعانةً ؛ لعلمه أنه لا يقدر له على شيءوقيل: لا يسأله عن حاله لأن؛ كلَّ أحد مشغول بنفسه» [2].

العرض والمناقشة:

في المسألة قولان وهما:

القول الأول: ما رجَّحه ابن جُزيّ موافقا لابن أبي زمنين، وابن عطية، ووافقهم السمين الحلبي والبقاعي[3]- رحمهم الله -.

قال ابن أبي زمنين : « ولا يسأل حميم حميما تفسير الحسن لا يسأل قريبٌ قريبه أن يحمل عنه من ذنوبه شيئًا كما كان يحمل بعضُهم في الدنيا عن بعض» [4].

القول الثاني: أي: لا يسأل قريب قريبه عن شأنه لشغله بشأن نفسه. وهو قول قتادة[5].

واختاره الإمام الطبري، وأفرده بالذكر مكي بن أبي طالب ، و السمعاني، والبغوي، والزمخشري وقال به الرازي، والقرطبي، والبيضاوي، و القمي النيسابوري، وابن كثير، وجلال الدين المحلِّي وأبو السعود والشوكاني،والألوسي، و القاسمي، والمراغي، وابن عاشور، و عطية سالم [6]، والسعدي [7] رحمهم الله

---

(١) سورة المعارج:١٠.

(٢) التسهيل (١٤٦/٤) .

(٣) تفسير القرآن العزيز (٣٥/٥)، و المحرر الوجيز (٣٦٦/٥)، والدر المصون (٦ / ٣٧٥)، ونظم الدرر (٨ / ١٤٧).

(٤) تفسير القرآن العزيز (٣٥/٥).

(٥) أخرجه الطبري بسنده عنه : جامع البيان (٧٣/٢٩)، ولفظه: (يشغل كل إنسان بنفسه عن الناس)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢٨١/٨)، وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر بمثله.

(٦)الشيخ عطية محمد سالم هو أحد علماء المدينة المنورة، و قد ولد عام ١٣٤٦ هـ بقرية المهدية إحدى قري محافظة الشرقية بمصر . واصل دراسته الدينية بعد مجيئه إلى المدينة المنورة عام ١٣٦٤ هـ في حلقات المسجد النبوي الشريف.من مؤلفاته تتمة تفسير "أضواء البيان" لفضيلة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي من أول سورة الحشر إلى آخر سورة الناس وتسهيل الوصول إلى علم الأصول و الأدب في صدر الإسلام" بالاشتراك مع آخرين . لم أقف على كتاب ذكر وفاة الشيخ – رحمه الله تعالى – ينظر : علماء ومفكرون عرفتهم (٢ / ٢٠١).

(٧) جامع البيان (٧٤/٢٩)، و الهداية إلى بلوغ النهاية (١٢ / ٧٧٠٤) ،و تفسير القرآن (٤٦/٦)، و معالم التنزيل (٣٩٣/٤)

الله

قال مكي – رحمه الله- : «﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾ أي : ولا يسأل قريب ولا صديق عن قريب ه لشغله بنفسه »[1].

الترجيح

الراجح – والله تعالى أعلم بالصواب – أنَّ السبب في انتفاء السؤال بين الأحِمَّاء يوم القيامة لشغل كل إنسان بشأن نفسه، وهو ما رجَّحه الإمام الطبري ومن وافقه ؛ لأن هذه العلة أنسب لسياق الآية بعدها في قوله تعالى : ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ ۚ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ﴾[2] . فعود الضمير في قوله تعالى:﴿يُبَصَّرُونَهُمْ﴾ على القرناء ؛حيث يبصر كلُّ إنسان قرينه فيعرفه ثم يفر منه لانشغاله بنفسه . **ومما يؤيده عدة أمور وهي:**

١. النظائر القرآنية: حيث وصف الله تعالى حال الإنسان يوم القيامة .ومن ذلك قوله تعالى : ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾[3] .

٢. أنَّ هذا المعنى أبلغ في التهويل ؛لأن كلَّ إنسان فيه من الهموم ،والكروب ما تشغله عن غيره وقد ورد بيانه في حديث الشفاعة من حديث أبي هُرَيْرَةَ [4]– ﷺ – قال: «كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في دَعْوَةٍ فَرُفِعَ إليه الذِّرَاعُ وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ فَنَهَسَ منها نَهْسَةً ،وقال: ((أنا سَيِّدُ الْقَوْمِ يوم الْقِيَامَةِ هل تَدْرُونَ بِمَ يَجْمَعُ الله الْأَوَّلِينَ،وَالْآخِرِينَ في صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَيُبْصِرُهُمْ النَّاظِرُ وَيُسْمِعُهُمْ الدَّاعِي وَتَدْنُو منهم الشَّمْسُ ، فيقول بَعْضُ الناس: ألا تَرَوْنَ إلى ما أَنْتُمْ فيه إلى ما بَلَغَكُمْ ألا تَنْظُرُونَ إلى من يَشْفَعُ لَكُمْ إلى رَبِّكُمْ فيقول بَعْضُ الناس : أَبُوكُمْ آدَمُ فَيَأْتُونَهُ فَيَقُولُونَ: يا آدَمُ أنت أبو الْبَشَرِ

والكشاف (٦١٢/٤) وزاد المسير (٣٦١/٨)، و التفسير الكبير (١١١/٣٠) ،والجامع لأحكام القرآن (٢٨٥/١٨)، و أنوار التنزيل (٣٨٨/٥)، و غرائب القرآن (٦ / ٣٧٥)، و تفسير القرآن العظيم (٤٢١/٤)، وتفصير الجلالين(٧٦٥/١)،و إرشاد العقل السليم (٣١/٩)،وفتح القدير (٢٨٩/٥)، وروح المعاني (٥٩/٢٩)، ومحاسن التأويل (٩ / ٣٩٨٣)، و تفسير المراغي (١٠ / ١٩٧)، والتحرير والتنوير (١٢ / ١٥٩)، وأضواء البيان (٢٦٧/٨) وتيسير الكريم الرحمن (٨٨٦/١) .

(١)الهداية إلى بلوغ النهاية (١٢ / ٧٧٠٤).

(٢) سورة المعارج:١١ .

(٣)سورة عبس:٣٤ –٣٧ .

(٤) عبد الرحمن بن صخر الدوسي ، أبو هريرة .كان أكثر الصحابة حفظا للحديث ورواية له. قدم المدينة ورسول الله – ﷺ – بخيبر فأسلم سنة(٧ هـ) ولزم صحبة النبي صلى الله عليه وسلم. تُوفي سنة (٥٩ هـ).
يُنظر : الاستيعاب (١٧٦٨/٤) ، و تهذيب التهذيب (٢٨٨/١٢).

خَلَقَكَ الله بيده وَنَفَخَ فِيكَ من رُوحِهِ وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لك وَأَسْكَنَكَ الْجَنَّةَ ، ألا تَشْفَعُ لنا إلى رَبِّكَ؟ ألا تَرَى ما نَحْنُ فيه وما بَلَغَنَا ؟ فيقول: رَبِّي غَضِبَ غَضَبًا لم يَغْضَبْ قبل ه مثله ولا يَغْضَبُ بَعْدَهُ مثله وَنَهَانِي عن الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ نَفْسِي نَفْسِي اذْهَبُوا إلى غَيْرِي...)) »[1] . والله تعالى أعلم .

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، بَاب قولِ الله عز وجل : وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إلى قَوْمِهِ (١٢١٥/٣)ح (٣١٦٢)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب أدنى أهلِ الجنةِ منزلاً (١٨٤/١) ح (١٩٤).

قول الله –ﷻ – :﴿ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴾[1].

❁ (٨) مسألة : في المراد بالشوَّى .

ترجيح ابن جُزيّ – رحمه الله – :

رجَّح أنَّ " الشوى": أطراف الجسد.

مجمل ما ذكره ابن جزي في الآية:

قال: «الشوَّى أطراف الجسد. وقيل: جلد الرأس؛ فالمعنى أن النار تنزعها ثم تعود» [2].

العرض والمناقشة:

في المسألة قولان وهما :

القول الأول: ما قال به ابن جُزي موافقاً للمروي عن أبي صالح [3]، و مجاهد [4]والضّحاك [5]،و قال به أبو عبيدة [6]، ومكي بن أبي طالب ، والواحدي ، والأصفهاني[7]، ونسبه السمعاني للأكثرين[8] – رحمهم الله – .

قال أبو عبيدة: « واحدتها شواة وهي اليدان والرجلان والرأس من الآدميين»[9].

القول الثاني: أنَّ الشوى جلدة الرأس. وهو قول ابن عباس [10]– ﷺ – ، وقال به الحسن البصري

---

(١) سورة المعارج:١٦ .

(٢) التسهيل (١٤٧/٤).

(٣) أخرجه الطبري بسنده عنه : جامع البيان (٧٧/٢٩)، ولفظه قال :(نزاعة للحم الساقين)، و ذكره السيوطي في الدر المنثور (٢٨٢/٨)، ونسبه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر بمثله.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة بسنده عنه : مصنف ابن أبي شيبة (٥٥/٧) ح (٣٤١٧٠)، ولفظه قال :(الشوى الأطراف).

(٥) أخرجه الطبري بسنده عنه : جامع البيان : (٧٧/٢٩)، ولفظه (تبري اللحم والجلد عن العظم حتى لا تترك منه شيئا) .

(٦) معمر بن المثنى التيمي بالولاء،البصري، أبو عبيدة النحوي . وُلد سنة (١١٠ هـــ) من أئمة العلم بالأدب واللغة. من كتبه (نقائض جرير والفرزدق ، و مجاز القرآن ،ومآثر العرب). تُوفي سنة (٢٠٩ هـــ).
يُنظر : المعارف (٥٤٣/١) ، و بغية الوعاة (٢٩٤/٢) ، و الأعلام (٧ /٢٧٢).

(٧) مجاز القرآن (٢٧٨)، و الهداية إلى بلوغ النهاية (١٢ / ٧٧٠٩) ، والوسيط (٤ / ٣٥٢) و المفردات في غريب القرآن(٢٧١/١).

(٨) تفسير القرآن (٤٧/٦).

(٩)مجاز القرآن (٢٧٨).

(١٠) أخرجه الطبري بسنده عنه : جامع البيان (٧٦/٢٩)، ولفظه قال : (تنزع أم الرأس) .

[1]، و بيان الحق النيسابوري[2] [3]. وممن ذكره الزمخشري، والبيضاوي، وأبو السعود[4] – رحمهم الله الله –.

الترجيح

الراجح – والله تعالى أعلم بالصواب– أنَّ معنى الشوّى في الآية يحمل على كلا القولين ، وما ورد عن السلف في تفسير اللفظ من معان فهي عبارات متقاربة المعاني ، و (إذا احتمل اللفظ معاني عدة و لم يمتنع إرادة الجميع حمل عليها[5])، ويؤيده:

استعمال اللغة: فالشوّى يطلق على أطراف الجسم . يقال : «فرس عبل الشوّى ضخم القوائم و الرجلان و سائر الأطراف و قحف الرأس و ظاهر الجلد واحدته شواة»[6].

قال الإمام الطبري – رحمه الله تعالى– : «وقوله ﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن لظى : إنها تنزع جلدةَ الرأس وأطراف البدن . والشوّى : جمع شواةٍ وهي من جوارح الإنسان ما لم يكن مقتلا. يقال :رمى فأشوى إذا لم يصب مقتلا . فربما وصف الواصف بذلك جلدة الرأس كما قال الأعشى[7]:

قالت قُتَيْلَةُ مال ه قد جُلِّلَتْ شَيْباً شَوَاتُه [8]

---

(١) أخرجه الطبري بسنده عنه : جامع البيان (٧٧/٢٩)، ولفظه قال : (للهام تحرق كل شيء منه ويبقى فؤاده نضيجا)،و أخرجه الصنعاني في تفسيره بمثله (٣١٧/٣).

(٢) محمود بن أبي الحسن النيسابوري، أبو القاسم الغَزنَوي، كان عالماً، بارعاً، مفسّراً، لغويّاً، فقيهاً يلقب " ببيان الحق " توفي حدود سنة (٥٥٣ هـ) .

يُنظر : معجم الأدباء (٥ / ٤٨٨) وبغية الوعاة (٢ / ٢٧٧).

(٣) باهر البرهان (٣ / ١٥٥٠) .

(٤)الكشاف(٦١٣/٤)، و أنوار التنزيل (٣٨٩/٥)، و إرشاد العقل السليم (٣٢/٩).

(٥) قواعد التفسير (٢ / ٨٠٧) .

(٦) المعجم الوسيط(٥٠٢/١)،و تاج العروس من جواهر القاموس (٤٠١/٣٨)، ومقاييس اللغة (٢٢٤/٣).

(٧) ميمون بن قيس بن جندل، من بني قيس بن ثعلبة الوائلي، أبو بصير، المعروف بأعشى قيس، ويقال له أعشى بكر بن وائل، والأعشى الكبير: من شعراء الطبقة الاولى في الجاهلية، وأحد أصحاب المعلقات . كان كثير الوفود على الملوك من العرب والفرس، غزير الشعر . عاش عمرا طويلا، وأدرك الإسلام و لم يسلم. ولقب بالأعشى لضعف بصره. وعمي في أواخر عمره توفي سنة (٧هـ) .

يُنظر : طبقات فحول الشعراء (٥٢/١) ، والأعلام (٧ / ٣٤١).

(٨) المحرر الوجيز (٣٦٧/٥)، و الجامع لأحكام القرآن (٢٨٨/١٨)، وروح المعاني (٦٠/٢٩).

وربما وصف بذلك الساق كقولهم في صفة الفرس: عبل الشوى [1] ، نهد الجزاره[2]يعني بذلك قوائمه وأصل ذلك كله ما وصفت» [3].

وقال الإمام البخاري : « ﴿ لِّلشَّوَىٰ﴾ الْيَدَانِ وَالرِّجْلَانِ والأطراف وَجِلْدَةُ الرَّأْسِ . يُقَالُ لها شَوَاةٌ .وما كان غير مَقْتَلٍ فَهُوَ شَوًى» [4]. (وإذا ورد أكثر من معنى لغوي صحيح تحتمله الآية بلا تضاد جاز تفسير الآية بها) [5].والله تعالى أعلم .

(١) وهو كقول الأصمعي :

سَليمُ الشَّظَا عَبْلُ الشَّوَى شَنجُ النَّسا له حَجَباتٌ مُشْرفاتٌ على الفال

يُنظر : تهذيب اللغة (١٥/٢٧٠).

(٢) هذه عجز بيت لأعشى بني قيس بن ثعلبة من قصيدة مطلعها :

يا جارتي ما كنتِ جارهْ بَانَتْ لِتَحْزُنَنَا عُفَارَهِ

يُنظر : تهذيب اللغة (١/٧٩) ، وتاج العروس (١٠/٤١٨).

(٣) جامع البيان(٢٩/٧٦).

(٤) صحيح البخاري (٤/١٨٧٢).

(٥) التفسير اللغوي للقرآن (٥٩١) .

قول الله – ﷻ – :﴿ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾[1].

❁ (٩)مسألة : في المراد بالإنسان في الآية .

ترجيح ابن جُزيّ – رحمه الله – :

رجَّح أنَّ الإنسانَ اسم جنس ؛أي جنسُ الإنسان .

مجمل ما ذكره في الآية:

قال: «﴿ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ الإنسان هنا اسم جنس بدليل الاستثناء منه »[2].

العرض والمناقشة:

في المسألة قولان وهما:

القول الأول: ما رجَّحه ابن جُزيّ موافقًا للزمخشري، و تبعه النسفي ، و وافقهم أبو حيان وهو ظاهر كلام ابن كثير، وما قاله ابن عاشور، و عطية سالم[3]– رحمهم الله –.

قال الزمخشري: « أُريد بالإنسان الناس فلذلك استثنى منه إلا المصلين»[4].

وقال الشيخ عطية سالم رحمه الله: «ولفظ الإنسان هنا مفرد ولكن أريد به الجنس أي جنس الإنسان في الجملة بدليل استثناء المصلين بعده في قوله تعالى ﴿إِلَّا ٱلۡمُصَلِّينَ﴾[5]ومثله قوله تعالى ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾[6] »[7].

---

(١) سورة المعارج:١٩ .

(٢) التسهيل(١٤٧/٤).

(٣) الكشاف (٦١٤/٤)، ومدارك التنزيل (٤/ ٢٩١)، و البحر المحيط(٣٢٩/٨)، و تفسير القرآن العظيم (٤٢٢/٤)، والتحرير والتنوير (١٢ / ١٦٦)، و أضواء البيان(٢٦٨/٨).

(٤) الكشاف (٦١٤/٤).

(٥) سورة المعارج:٢٢ .

(٦) سورة العصر:١-٣.

(٧)أضواء البيان(٢٦٨/٨).

القول الثاني: أنَّ الإنسان يراد به الإنسان الكافر. وهو قول ابن عباس [1] – رضي الله عنه – وقال به الضحاك [2] ، واختاره الطبري، وابن أبي زمنين، ومكي بن أبي طالب ، وابن عطية ، والقرطبي [3]– رحمهم الله–.

واستُدل عليه بأمرين:

١. دلالة السياق فقد جاء في وصف الكافر بالهلع وهو الجزع والحرص " إلا المصلين " ثم استثنى الله تعالى من هذا الوصف المصلين فهم على خلافه.

٢. الاستدلال بحديث رسول اللَّهِ – ﷺ – : ((عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إلا لِلْمُؤْمِنِ إن أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا له ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ ،فَكَانَ خَيْرًا له)) [4].

فثبوت الخيرية للمؤمن في كلتا حالتيه مخرج لغيره، وهو الكافر الذي ينطبق عليه وصف الهلع [5].

قال الإمام الطبري : « ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ الكافر ﴿خُلِقَ هَلُوعًا﴾ والهلع: شدّة الجَزَع مع شدّة الحرص والضجر» [6].

وقال مكي بن أبي طالب : «﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ﴾[7] إلا الذين يطيعون الله بأداء فرائضه ، فليسوا بداخلين في عدد من خلق هلوعًا وهو كافر بربه» [8].

الترجيح

الراجح – والله تعالى أعلم بالصواب – أنَّ المراد بالإنسان في هذا الموضع الجنس، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ، ومن معه أي: كلُّ إنسانٍ خُلق هلوعا إلاَّ المصلين؛ لأن (الألف واللام الداخلة على

---

(١) أخرجه الطبري بسنده عنه : جامع البيان (٢٩/٧٨)، ولفظه قال: (هو الذي قال الله : ﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا﴾. ويقال :الهلوع هو الجزوع الحريص وهذا في أهل الشرك) .

(٢) أخرجه الطبري بسنده عنه : (المرجع السابق) (٢٩/٧٨)، ولفظه (إن الإنسان يعني الكافر خلق هلوعا يقول هو بخيل منوع للخير جزوع إذا نزل به البلاء فهذا الهلوع).

(٣) جامع البيان (٢٩/٧٨)، و تفسير القرآن العزيز (٥/٣٦)، والهدية إلى بلوغ النهاية (١٢ / ٣٣١٢) ، والمحرر الوجيز(٥/٣٦٨)، والجامع لأحكام القرآن (١٨/٢٩١).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرقائق، بَاب الْمُؤْمِنُ أَمْرُهُ كُلُّهُ خَيْرٌ(٤/٢٢٩٥) ح (٢٩٩٩)

(٥) جامع البيان (٢٩/٧٨)، وأضواء البيان(٨/٢٦٨).

(٦) جامع البيان (٢٩/٧٨).

(٧) سورة المعارج:٢٢.

(٨) الهدية إلى بلوغ النهاية (١٢ / ٣٣١٢).

الأوصاف و أسماء الأجناس تفيد الاستغراق بحسب ما دخلت عليه) [1]. **ويؤيده عدة أمور وهي:**

١. النظائر القرآنية: كقول الله - ﷻ - :﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ﴾[2]، وقوله تعالى :﴿خُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ مِنۡ عَجَلٍۚ سَأُوْرِيكُمۡ ءَايَٰتِي فَلَا تَسۡتَعۡجِلُونِ﴾[3].

٢. السياق: فإن الله- ﷻ -استثنى المصلين من عموم هذه الصِّفة.

٣. حمل القول على العموم أولى، والقول الثاني داخل فيه ضمنًا.

٤. أنَّ الهلع يُراد به الجزع وقلة الصبر [4] ، وعلى هذا الوصّف ينصرف إلى جنس الإنسان الذي فُطِر عليه ، ولا يخرج منه إلا بتوفيق الله - ﷻ - له.

قال ابن القيم [5]– رحمه الله تعالى -: « فهذا شأنُ الإنسان من حيثُ ذاته ونفسه وخروجه عن هذه الصفات بفضل ربه وتوفيقه له ومنته عليه، لا من ذاته فليس له من ذاته إلا هذه الصفات وما به من نعمة فمن الله وحده فهو الذى حببَّ إلى عبده الإيمان، وزينه في قلبه ، وكره إليه الكفر والفسوق والعصيان ،وهو الذي كتب في قلبه الإيمان وهو الذي يثبت أنبياءه ورسله وأولياءه على دينه وهو الذي يصرف عنهم السوء والفحشاء» [6].

٥. أنَّ الهلع قُدر كونًا كالسائر الشرور ، لحكمة الله تعالى في ذلك ؛ لكنَّ الله تعالى لا يأمر به بل يبغضه، ويأمر بخلافه .قال الله تعالى :﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [7] .والله تعالى أعلم .

(١) القواعد الحسان المتعلقة بتفسير القرآن (١٩) .

(٢) سورة العلق:٦-٧.

(٣) سورة الأنبياء:٣٧.

(٤) تهذيب الأسماء (٣/٣٥٧).

(٥)محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، أبو عبد الله ، وُلد سنة (٦٩١هـ)، من أركان الإصلاح الإسلامي، وأحد كبار العلماء،له مؤلفات كثيرة منها (أحكام أهل الذمة ، و مفتاح دار السعادة ،و الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة). تُوفي سنة (٧٥١ هـ).

يُنظر : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (٥/١٣٧) ، والأعلام (٦ / ٥٦).

(٦) الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة (١/١٢٦).

(٧) سورة المائدة:٦.

قول الله – ﷻ – :﴿ وَالذِينَ هُم بِشَهَـٰدَتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴾[1]

❁ (١٠) مسألة : في معنى القيام بالشهادة .

ترجيح ابن جُزَيّ – رحمه الله – :

رجَّح أنَّ معنى القيام بشهادة التحقيق لها.

مجمل ما ذكره ابن جزي في الآية:

قال : «...ثم اختلف على هذا في معنى القيام بها فقيل: هو التحقيق لها كقوله – ﷺ – : ((على مثلِ الشمس فاشهدوا))[2]. وقيل هو المبادرة إلى أدائها من غير امتناع »[3].

العرض والمناقشة:

في المسألة قولان وهما:

القول الأول: ما رجَّحه ابن جُزيّ أنَّ معنى القيام بالشهادة التحقيق لها، ومراده بالتحقيق الإتقان للشهادة بصحة ما يشهد به.

قال ابن فارس: « حق الحاء والقاف أصل واحد. وهو يدل على إحكام الشيء وصحته » [4]. وممن ذكره ابن عطية، والثعالبي [5].

قال ابن عطية: «أي يحفظون ما يشهدون فيه، ويتيقنونه ويقومون بمعانيه حتى لا يكون لهم فيه تقصير وهذا هو وصف من تمثيل قول النبي – ﷺ –: ((على مثل الشمس فاشهد)) »[6].

---

(١) سورة المعارج:٣٣ .

(٢) أخرجه العقيلي في الضعفاء (٦٩/٤) ، وابن عدي في الكامل (٢٠٧/٦) ، و أبو نعيم في حلية الأولياء (١٨/٤)، والحاكم في المستدرك على الصحيحين (١١٠/٤) ح (٧٠٤٥) وقال هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه.وقال الذهبي قي التلخيص : واه. قال ابن المُلقِّن في البدر المنير : (قلت : فيه نظر ، فإن في إسناده محمد بن سليمان بن مسمول وهو ضعيف كان الحميدي يتكلم فيه ،وقال النسائي ضعيف) . (٦١٧/٩) ،
و قال ابن حجر : (وفي إسْنَادِهِ محمد بن سُلَيْمَانَ بن مَسْمُولٍ ،وهو ضَعِيفٌ ، وقال الْبَيْهَقِيُّ : لم يُرْوَ من وَجْهٍ يُعْتَمَدُ عليه). تلخيص الحبير في أحاديث الرافعي الكبير (١٩٨/٤).

(٣) التسهيل(١٤٧/٤ – ١٤٨).

(٤) مقاييس اللغة (١٥/٢).

(٥) المحرر الوجيز (٣٦٩/٥)، و الجواهر الحسان(٣٤١/٤).

(٦) المحرر الوجيز(٣٦٩/٥).

القول الثاني: معنى قائمون أي: أدوا الشهادة على وجهها حيث يلزمهم ذلك ، و قال به الإمام الطبري، والسمرقندي، وابن أبي زمنين،و مكي بن أبي طالب ، والرازي ،والقرطبي والنسفي، وأبو السعود، والشوكاني، والألوسي [1]- رحمهم الله- .

قال الطبري: « والذين هم بشهاداتهم قائمون يقول والذين لا يكتمون ما استشهدوا عليه ولكنهم يقومون بأدائها حيث يلزمهم أداؤها غير مغيرة ولا مبدلة» [2].

الترجيح

القول الذي تطمئن إليه النفس – والله تعالى أعلم بالصواب – أن الخلاف لفظي، و المعنى يحتمل كلا القولين ؛لأن القيام بها يستلزم الحفظ والإتقان وقت للأداء ،فهو تفسير باللازم، و(إذا احتمل اللفظ معاني عدة و لم يمتنع إرادة الجميع حمل عليها)[3]، **ومما يؤيّده** :

أنَّ الله – سبحانه وتعالى - امتدح المؤمنين بقيامهم بالشهادة على وجهها، ولا يطلق لفظ الشهيد إلا على من تحققت الشهادة عنده، ثم أداها عند الطلب فالشهادة: مصدر شهد من الشهود بمعنى الحضور،وهي في اللغة: خبر قاطع.

وشرعاً: إخبار صادق لإثبات حق بلفظ الشهادة في مجلس القضاء [4]، فإذا تحمل الشهود الشهادة لزمهم الأداء حين الدعاء إليها.

قال الإمام الطبري- رحمه الله - عند تفسير قول الله تعالى : ﴿ **وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ** ﴾ [5]:« وأولى هذه الأقوال بالصواب قول من قال معنى ذلك : ولا يأب الشهداء من الإجابة إذا دعوا؛ لإقامة الشهادة،وأدائها عند ذي سلطان،أو حاكم يأخذ من الذي عليه ما عليه للذي هو له.

وإنما قلنا هذا القول بالصواب أولى في ذلك من سائر الأقوال غيره؛لأن الله تعالى قال : ﴿ **وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ** ﴾ فإنما أمرهم بالإجابة للدعاء للشهادة، وقد ألزمّهم اسمَ الشهداء وغير جائز أن يلزمهم اسم الشهداء إلا وقد استشهدوا قبل ذلك؛ فشهدوا على ما ألزمهم شهادتهم عليه اسم الشهداء

---

(١) جامع البيان (٨٤/٢٩)، وبحر العلوم (٤٧٣/٣)، والقرآن العزيز(٣٧/٥)، والهداية إلى بلوغ النهاية (١٢ / ٧٧١٩)،و التفسير الكبير (١١٦/٣٠)، و الجامع لأحكام القرآن (٢٩١/١٨)، و مدارك التنزيل (٢ / ٢٩٢)، و إرشاد العقل السليم (٣٣/٩) وفتح القدير (٢٩٣/٥)، و روح المعاني (٦٤/٢٩).

(٢) جامع البيان (٨٤/٢٩).

(٣) قواعد التفسير (٢ / ٨٠٧).

(٤) التعريفات (١٧٠/١).

(٥)سورة البقرة:٢٨٢.

فأما قبل أن يُستشهِدوا على شيء، فغير جائز أن يقال لهم شهداء لأن ذلك الاسم لو كان يلزمهم ولما يُستشهِدوا على شيء يستوجبون بشهادتهم عليه هذا الاسم لم يكن على الأرض أح د له عقل صحيح إلا وهو مستحقٌ أن يقال له : شاهدٌ بمعنى أنه سيشهد أو أنه يصلح ؛لأن يشهد، وإن كان خطأ أن يسمى بذلك الاسم إلا من عنده شهادة لغيره أو من قد قام بشهادته فلزمه لذلك هذا الاسم كان معلوما أن المعني بقوله ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا من وصفنا صفته ممن قد استرعى شهادة، أو شهد فدعي إلى القيام بها؛ لأن الذي لم يُستشهَد و لم يسترع شهادةً قبل الإشهاد غيرُ مستحقٍّ اسم شهيد ولا شاهد لما قد وصفنا قبل» [1].والله تعالى أعلم .

(١) جامع البيان (١٢٩/٣).

ثانياً :ترجيحات ابن جُزي في

سورة نوح -عليه السلام-

قول الله- ﷻ - :﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَنْ يَّاتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾(١). و قوله تعالى : ﴿ أَنُ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴾(٢).

❁ (١١)مسألة : نوع " أن " في الموضعين من قول الله تعالى ﴿ٱأَنَ أَنذِرْ ﴾ وقوله تعالى ﴿أَنُ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ ﴾.

ترجيح ابن جُزيّ - رحمه الله - :

رجَّح أنَّ " أنْ " في الموضعين تفسيرية .

مجمل ما ذكره في الآية :

قال : « ﴿ٱأَنَ أَنذِرْ ﴾ و ﴿أَنُ ٱعْبُدُواْ﴾يحتمل أن تكونَ " أن " مفسرِّة(٣)، أو مصدرية (٤) على تقدير "بأن أنذر" و "بأن اعبدوا ". والأول أظهر» (٥).

العرض والمناقشة :

في المسألة قولان وهما :

القول الأول :أنَّ "أنْ" تفسيرية ؛ لما في الإرسال من معنى القول ، وهو ما أظهره ابن جُزيّ وجوّزه الزمخشري ، وابن عطية ، و القرطبي ،والبيضاوي ، وأبو حيان، وأبو السعود، والشوكاني ،و الأ لوسي ، وقال به ابن عاشور (٦) – رحمهم الله –.

---

(١) سورة نوح:١ .

(٢)سورة نوح:٣.

(٣)" أن " التفسيرية :وهي حرف مهمل والغرض منه: إفادة التبيين والتفسير، مثل: "أي المفسرة" فكلاهما حرف تفسير؛ ولهذا يصح إحلال "أي" محل "أن". ولا تكون "أن" مفسره إلا بثلاثة شروط مجتمعة:

١. أن تسبقها جملة مستقلة كاملة، فيها معنى القول دون حروفه.
٢. أن يتأخر عنها جملة أخرى مستقلة، تتضمن معنى الأول، وتوضح المراد منها.
٣. ألا تقترن "أن" بحرف جر ظاهر أو مقدر.

يُنظر : مغني اللبيب عن كتب الأعاريب (٤٨/١)، و همع الهوامع في شرح جمع الجوامع (٤٠٨/٢).

(٤) أن المصدرية هي التي تؤول مع ما بعدها بمصدر يكون له محل من الإعراب حسب موقعه من الجملة يُنظر : اللمع (١٩٤/١).

(٥) التسهيل (١٤٩/٤).

(٦) الكشاف (٦١٨/٤) ،والمحرر الوجيز (٣٧٢/٥) ،و التفسير الكبير (١١٩/٣٠) ، و الجامع لأحكام القرآن (٢٩٨/١٨) وأنوار التنزيل(٣٩٢/٥) ، و البحر المحيط (٣٣٢/٨) ، وإرشاد العقل السليم (٣٦/٩) ، وفتح القدير (٢٩٦/٥) ، و روح المعاني

واستُدل عليه بقراءة عبد الله ابن مسعودٍ –ﷺ– "أنذر قومك " بغير "أن " على إرادة القول والمعنى : قلنا له أنذر قومك» [1].

قال ابن عاشور : «﴿ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ ﴾ إلى آخره هو مضمون ما أرسل به نوح إلى قومه، فـــ " أن " تفسيرية ؛ لأنها وقعت بعد﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا﴾ ، وفيه معنى القول دون حروفه» [2].

الوجه الثاني : أنَّ " أنْ " مصدرية ، و " أنْ " وما بعدها بتأويل مصدر . واختلفوا في تقدير محلِّهِ على قولين :

القول الأول : أنَّ "أن " وما بعدها بتأويل مصدر في محل جر بحرف جر مقدر ، أي : بأن أنذر قال به الزمخشري ، ومال إليه البغوي ، وابن الجوزي ، و جلال الدين المحلِّي [3] – رحمهم الله –

قال الزمخشري : « ﴿ أَنْ أَنذِرْ ﴾ أصله : بأن أنذر ، فحذف الجار وأوصل الفعل : وهي أن الناصبة للفعل ، والمعنى : أرسلناه بأن قلنا له أنذر ، أي : أرسلناه بالأمر بالإنظار» [4].

القول الثاني : أنَّ "أن " وما بعدها بتأويل مصدر في محل نصب مفعولا به بنزع الخافض والمعنى أرسلناه بالإنذار قاله الفراء ، ومال إليه الزجاج[5] ، وذكره القرطبي ، وأبو السعود [6].

قال الزجاج : « "أن" في موضع نصب بأرسلنا ؛لأن الأصل "بأن أنذر قومك" ، فلما أُسقطت الباء أفضى الفعلُ إلى أن فنصبها » [7].

(٦٩/٢٩)،والتحرير والتنوير (١٢ / ١٨٨) .

(١)الكشاف (٦١٨/٤) ، والمحرر الوجيز (٣٧٢/٥) ،والتفسير الكبير (١١٩/٣٠)،و الجامع لأحكام القرآن (٢٩٨/١٨)،وفتح القدير (٢٩٦/٥) ، و روح المعاني (٦٩/٢٩).

(٢) التحرير والتنوير (١٢ / ١٨٨) .

(٣) الكشاف (٦١٨/٤) ، ومعالم التنزيل(٣٩٧/٤)، وزاد المسير(٣٦٨/٨)، وتفسير الجلالين(٧٦٧/١).

(٤) الكشاف (٦١٨/٤).

(٥) معاني القرآن للفراء (٣ / ١٨٧)، معاني القرآن للزجاج (٥ / ١٧٧).

(٦) الجامع لأحكام القرآن (٢٩٨/١٨) ،و إرشاد العقل السليم (٣٦/٩).

(٧) معاني القرآن للزجاج (٥ / ١٧٧).

الترجيح

الراجّح – والله تعالى أعلم بالصواب – أنَّ هذا الخلاف لفظي ، ويجوز أن تفسر "أنْ "على كلا القولين.ويتأيّ بالقاعدة التفسيرية : (إذا احتمل اللفظ معاني عدة و لم يمتنع إرادة الجميع حُمِل عليها)[1]

وممن قال بجوازه الزمخشري ، وابن عطية ، والقرطبي ، والبي ضاوي ، وأبو حيان ، وأبو السعود والشوكاني ، والألوسي[2] –رحمهم الله –. و الله تعالى أعلم.

(١) قواعد التفسير (٢ / ٨٠٧).

(٢) الكشاف (٦١٨/٤) ،والمحرر الوجيز (٣٧٢/٥) ،و التفسير الكبير (١١٩/٣٠) ، و الجامع لأحكام القرآن (٢٩٨/١٨) وأنوار التنزيل(٣٩٢/٥) ، و البحر المحيط (٣٣٢/٨) ، وإرشاد العقل السليم (٣٦/٩) ، وفتح القدير (٢٩٦/٥) ، و روح المعاني (٦٩/٢٩).

قول الله – ﷻ – :﴿ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّىٰٓ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لاَ يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[1]. في الآية مسألتان وهي:

❁(١٢) المسألة الأولى : معنى "من " في قول الله تعالى :﴿ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ ﴾.

ترجيح ابن جزي – رحمه الله – :

رجَّح أنَّ معنى "من " في الآية للتبعيض .

ومجمل ما ذكره في الآية :

قال« من هنا للتبعيض أي : يغفر لكم ما فعلتم من الذنوب قبل أن تسلموا ؛لأنَّ الإسلام يجبُّ ما قبله و لم يضمن أن يغفر لهم ما بعد إسلامهم ؛ لأن ذلك في مشيئة الله تعالى. وقيل : إن من هنا زائدة وذلك باطل ؛ لأن من لا تزاد عند سيبويه إلا في غير الواجب . وقيل: هي لبيان الجنس. وقيل: لابتداء الغاية . وهذان القولان ضعيفان في المعنى ، والأول هو الصحيح ؛لأن التبعيض فيه مُتحقَّه » [2].

العرض والمناقشة:

في المسألة خمسة أقوال وهي :

القول الأول : ما رجَّحه ابن جُزيَ موافقا ابن عطية ، و قال به بيان الحق النيسابوري ، والرازي ،واقتصر عليه البيضاوي [3]، ووافقهم أبو حيان، والثعالبي،وأبو ال سعود، والخفاجي [4]، وقدّمه الشوكاني[5] – رحمهم الله تعالى –.

قال ابن عطية : « وقال آخرون: هي للتبعيض، وهذا عندي أبين الأقوالِ ، وذلك أنه لو قال : " يغفر لكم ذنوبكم " لعمَّ هذا اللفظ ما تقدَّم من الذنوب وما تأخَّر عن إيمانهم، والإسلام إنما يجب ما قبله فهي

---

(١) سورة نوح:٤.

(٢)التسهيل (١٤٩/٤).

(٣) المحرر والوجيز(٣٧٢/٥)، وباهر البرهان(٣ / ١٥٥٣) ، والتفسير الكبير(١٢٠/٣٠) ،و أنوار التنزيل (٣٩٢/٥).

(٤) أحمد بن محمد بن عمر، شهاب الدين الخفاجي المصري . وُلد سنة (٩٧٧ هـ). قاضي القضاة وصاحب التصانيف في الأدب واللغة. من أشهر كتبه (شفاء العليل فيما في كلام العرب من الدخيل ، و شرح درة الغواص في أوهام الخواص للحريري ، و نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض) . تُوفي سنة (١٠٦٩ هـ).

يُنظر : طبقات المفسرين للأدنه وي (٤١٥/١) ،و الأعلام (١ / ٢٣٨).

(٥) البحر المحيط(٣٣٢/٨)، والجواهر الحسان(٣٤٣/٤)، وإرشاد العقل السليم(٣٦/٩ – ٣٧)، وحاشية الشهاب (٩ / ٢٧٧)،و فتح القدير (٢٩٧/٥).

بعض من ذنوبهم، فالمعنى يغفر لكم ذنوبكم» [1].

القول الثاني : أنَّ "من " صلة . قال به ابن أبي زمنين ، وابن الجوزي [2]. وأورده المهدوي ، والماوردي والبغوي ، وابن عطية ، وابن الجوزي ، والرازي ، وا لقرطبي ، والخازن ، وأبو حيَّان والسمين الحلبي وابن كثير [3] – رحمهم الله تعالى – .

والقول بالزيادة مردود ؛ لعدم تقدم " من " نفي أو استفهام ، و جاء بعدها معرفة فشرط الزيادة غيرُ متحققٍ في الآية .

قال الحسن المرادي[4] – رحمه الله – : «واعلم أنَّ " من " لا تزاد عند سيبوية وجمهور البصريين إلا بشرطين :

الأول : أن يكون ما قبلها غير موجب .

الثاني : أن يكون مجرورها نكرة[5]».أهـ

القول الثالث : أن معنى " من " لبيان الجنس ، ذكره الشوكاني ، والألوسي [6].

و ردَّ هذا القول المهدوي ،وابن عطية ، والقرطبي ، وأبو حيَّان ، والسمين ، وابن عادل [7]. ووجه ذلك أنه لم يتقدم "من " جنس يليق به .

القول الرابع : أن "من" لابتداء الغاية ،أورده ابن عطية ، وأبو حيَّان ، وابن عادل ، والشربيني [8]

---

(١) المحرر الوجيز(٣٧٢/٥).

(٢) تفسير القرآن العزيز (٣٩/٥)، وتذكرة الأريب(٢٤٤/٢).

(٣) التحصيل في مختصر التفصيل (ب / ١٧٥) ، والنكت والعيون (٦ / ٩٩) ، ومعالم التنزيل (٣٩٧/٤)، والمحرر الوجيز (٣٧٢/٥)، وزاد المسير(٣٦٨/٨)، والتفسير الكبير(١٢٠/٣٠)، والجامع لأحكام القرآن (٢٩٩/١٨)، ولباب التأويل (٦ / ٢٨٢) ، و البحر المحيط(٣٣٢/٨)، والدر المصون (٦ / ٣٨٢) ، تفسير القرآن العظيم(٤٢٥/٤).

(٤) الحسن بن قاسم بن عبد الله بن علي المرادي المصري المولد النحوي اللغوي ال فقيه المالكي البارع المعروف بابن أم قاسم . من كتبه (تفسير القرآن ، و إعراب القرآن ،و شرح الشاطبية) . توفي سنة (٧٥٥ هـ) .
الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (١٣٨/٢) ، وشذرات الذهب (١٦٠/٦)، والأعلام (٢ / ٢١١).

(٥) الجنى الداني في حروف المعاني (٣١٧).

(٦) فتح القدير(٢٩٧/٥)، وروح المعاني(٦٩/٢٩).

(٧) التحصيل في مختصر التفصيل (ب / ١٧٥) ، المحرر الوجيز(٣٧٢/٥)، والجامع لأحكام القرآن(٢٩٩/١٨)، والدر المصون (٦ / ٣٨٢) ، واللباب (١٩ / ٣٨١) .

(٨) المحرر الوجيز(٣٧٢/٥)، والبحر المحيط(٣٣٢/٨) ، واللباب (١٩ / ٣٨١) ، والتحرير والتنوير(١٢ / ١٨٩).

القول الخامس : أن "من" تكون بمعنى "عن " للمجاوزة اختاره الطبري ، وقال به مكي بن أبي طالب [1] ،وذكره في معرض الأقوال المهدوي ، وابن عطية ، وابن كثير [2]- رحمهم الله - .

قال الطبري : «والموضع الآخر: هو الذي يصلح فيه مكانها "عن" فإذا صلحت مكانها " عن" دلت على الجميع، وذلك كقولك : وجع بطني من طعام طعِمتهُ، فإن معنى ذلك : أوجع بطني طعامٌ طعمتهُ وتصلح مكان "من" " عن" ، وذلك أنك تضع موضعها "عن" ، فيصلح الكلام فتقول: وجع بطني عن طعام طعمته، ومن طعام طعمته، فكذلك قوله :﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ إنما هو: ويصفح لكم، ويعفو لكم عنه»ا[3].

الترجيح

أولى الأقوال في بيان معنى "من " في الآية – والله أعلم بالصواب – ما ذهب إليه ابن جُزيّ ومن معه أنها للتبعيض ؛ لأنه إذا دار الكلام بين الزيادة والتأصيل فحمله على التأصيل أولى [4].

ولو كانت " من " للزيادة للزم من ذلك مغفرة الذنوب جميعها ما قبل إسلامهم وبعده ؛ وإنما الإسلام يهدم ما قبله ، وما كان من ذنب بعده فهو في مشيئة الله تعالى . قال تعالى: ﴿لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[5] **و ممَّا يؤيده :**

أن التبعيض جاء لتفريق الخطاب بين الكفار والمؤمنين ، ففي الآيات التي وردت فيها " من " جاءت لإظهار معنى الإنقاذ من الكفر المحبط للأعمال ؛ بخلاف المواضع التي حذفت منها وهي في المؤمنين فلم يتضمن الغفران معنى الاستنقاذ بل م عنى الذهاب بالذنب وإبطاله ؛ لأنهم أخرجوا من إحباط العمل بالإيمان .

قال ابن القيم – رحمه الله - : «فإن قيل فما قولكم في نحو قوله تعالى : ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن

(١)جامع البيان(٩١/٢٩) ، والهداية إلى بلوغ النهاية (١٢ / ٧٧٢٩).

(٢) التحصيل في مختصر التفصيل (ب / ١٧٥) ، المحرر الوجيز(٣٧٢/٥)، وتفسير القرآن العظيم(٤٢٥/٤).

(٣) جامع البيان(٩١/٢٩).

(٤) قواعد الترجيح (٢ / ٤٩٥) .

(٥) سورة البقرة:٢٨٤ .

﴿ذُنُوبِكُمْ﴾[1]. ويغفر لكم من خطاياكم. قلنا : هي متعلقة بمعنى الإنقاذ والإخراج من الذنوب فدخلت من لتؤذن بهذا المعنى... »[2].والله تعالى أعلم.

(١) سورة الأحقاف:٣١.

(٢) بدائع الفوائد (٢/٢٩٣).

❁ (١٣)المسألة الثانية : هل للإنسان أجل واحد أم أجلان في قول الله – ﷻ – ﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّىٰٓ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لاَ يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

ترجيح ابن جُزيّ – رحمه الله – :

رجَّح أنَّ للعبد أجل واحد معلوم لا يقدم ولا يؤخر .

ومجمل ما ذكره في الآية :

قال : « ظاهر هذا يقتضي أنهم إن فعلوا ما أمروا به أخروا إلى أجل مسمى ، وإن لم يفعلوا لم يؤخروا ، وذلك يقتضي القول بالأجلين ، وهو مذهب المعتزلة . وعلى هذا حملها الزمخشري وأما على مذهب أهل السنة فهي من المشكلات ، وتأولها ابن عطية فقال : ليس للمعتزلة في الآية [تعلق(١)] ؛ لأن [المعنى أن(٢)] نوحا– عليه السلام –لم يعلم هل هم ممن يؤخر ، أو ممن يعاجل ، ولا قال لهم إنكم تؤخرون عن أجل قد حان لكن قد سبق في الأزل إما ممن قضى له بالإيمان والتأخير ، أو ممن قضى له بالكفر والمعاجلة وكأن نوحا عليه السلام قال لهم : آمنوا يظهر في الوجود أنكم ممن قضى له بالإيمان والتأخير ، وإن بقيتم على كفركم يظهر في الوجود أنكم ممن قضى عليه بالكفر والمعاجلة .

فكان الاحتمال الذي يقتضيه ظاهر الآية إنما هو فيما يبرزه الغيب من حالهم إذ يمكن أن يبرز إما الإيمان والتأخير وإما الكفر والمعاجلة وأما عند الله فالحال الذي يكون منهم معلوم مقدر محتوم وأجلهم كذلك معلوم مقدر محتوم» (٣).

العرض والمناقشة :

في المسألة قولان :

القول الأول : ما رجَّحه ابن جُزيّ موافقا المروي عن مجاهد (٤) – رضي الله عنه – . وهو ظاهر كلام الطبري،وقال به القصّاب (٥)، ومكي بن أبي طالب ، والواحدي ، والبغوي ، وابن عطية والبيضاوي

---

(١) في المطبوع (مجال) ، والتصويب من " ز " (أ / ٢٤).

(٢) زائد عن الأصل.

(٣) التسهيل (١٤٩/٤).

(٤) أخرجه الطبري بسنده عنه : جامع البيان (٩١/٢٩) ، ولفظه قال : (ما قد خط من الأجل فإذا جاء أجل الله لا يؤخر) ، ونسبه السيوطي لعبد بن حميد ، وابن المنذر عنه به : الدر المنثور (٢٨٩/٨).

(٥) محمد بن علي بن محمد الكرجي ، أبو أحمد ، عرف بالقصاب لكثرة ما أراق من دماء الكفار في الغزوات . من كتبه (ثواب الأعمال وكتاب عقاب الأعمال ، وكتاب السنة وكتاب تأديب الأئمة). تُوفي سنة (٣٦٠ هـ).

وابن كثير ، و البقاعي ، والشربيني ، والصاوي [1]، والقنوجي ، والقاسمي والسعدي ، وابن عاشور[2] – رحمهم الله تعالى –.

قال الإمام الطبري : «وقوله: ﴿وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يقول: ويؤخِّر في آجالكم فلا يهلككم بالعذاب، لا بغَرَق ولا غيره إلى أجل مسمى يقول إلى حين كتب أنه يبقيكم إليه، إن أنتم أطعتموه وعبدتموه، في أمّ الكتاب» [3] .

وقال البقاعي : «﴿ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي : قد سماه الله وعلمه قبل إيجادكم فلا يزاد فيه ولا ينقص منه، فيكون موتكم على العادة متفرقاً وإلا أخذكم جميعًا بعذاب الاستئصال، فهذا من علم ما لا يكون لو كان كيف يكون، وذلك أنَّ علم أنهم إن أطاعوا نوحًا – عليه السلام – كان موتهم على العادة وإلا هلكوا هلاك نفس واحدة، وعلم أنهم لا يطيعونه، وأن موتهم إنما يكون بعذاب الاستئصال» [4].

القول الثاني : أنَّ العبد له أجلان [5] . قال به الزمخشري ، و وافقه الرازي ، والنسفي والقمي النيسابوري [6] ، والخازن، وأبو السعود ، والألوسي[7] – رحمهم الله – .

يُنظر : تذكرة الحفاظ(٣/٩٣٨)،ونزهة الألباب في الألقاب(٢/٩٢)،وطبقات الحفاظ (١/٣٨٠).

(١) أحمد بن محمد الخلوتي، الشهير بالصاوي . وُلد سنة (١١٧٥ هـ). فقيه مالكي، من كتبه (حاشية على تفسير الجلالين ،و الفرائد السنية). تُوفي سنة (١٢٤١ هـ).
يُنظر : الأعلام (١ / ١٤٦).

(٢) جامع البيان(٢٩/٩١)، و نُكت القرآن الدالة على البيان (٤ / ٤٠٩)،و الهداية إلى بلوغ النهاية (١٢ / ٧٧٣٠) ، والوسيط (٤ / ٣٥٦) ، ومعالم التنزيل (٤/٣٩٧) ، والمحرر الوجيز (٥/٣٧٣) ، و أنوار التنزيل (٣/٣٤٠) ، و تفسير لقرآن العظيم (٤/٤٢٥) ، و نظم الدرر (٨ / ١٦٤) ، والسراج المنير (٨ / ١٠٦) ، وحاشية الصاوي (٦ / ١٧٤) ، وفتح البيان (١٤ /٣٣٠) ومحاسن التأويل (٩ / ٣٩٨٧) ، وتيسير الكريم الرحمن(١/٨٨٨)، و التحرير والتنوير (١٢ / ١٨٩).

(٣) جامع البيان(٢٩/٩١).

(٤) اللباب (١٩ / ٣٨١) .

(٥) رأى الفلاسفة في قوله تعالى : ﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ﴾ وفي نظائره من أدلة المحو والإثبات في المقادير مستمسكاً لهم في القول بأن لكل إنسان أجلين : أحدهما : طبيعي ؛ وهو الذي يحصل بتحلل الرطوبة ، وانطفاء الحرارة الغريزية عند تمام مائة وعشرين سنةً غالباً . والآخر : اختراعي ؛ وهو الذي يحصل قبل ذلك بسبب العوارض الخارجية المتعددة ؛ كالمرض والقتل والغرق . المحو والإثبات في المقادير (٦٣) .

(٦) الحسن بن محمد بن الحسين القمي النيسابوري، نظام الدين . مفسر، له اشتغال بالحكمة والرياضيات . من كتبه(غرائب القرآن ورغائب الفرقان ، وأقاف القرآن ،ولب التأويل).توفي بعد (٨٥٠ هـ).
يُنظر : طبقات المفسرين للأدنه وي (١/٤٢٠) ، و الأعلام (٢ / ٢١٦).

(٧) الكشاف(٤/٦١٨)، والتفسير الكبير(٣٠/١٢٠)، ومدارك التنزيل(٤/٢٩٤) ، وغرائب القرآن (٦ / ٣٦٢) ، ولباب التأويل (٦ / ٢٨٢) ، وإرشاد العقل السليم(٩/٣٦ – ٣٧)، و روح المعاني(٢٩/٧١).

قال الزمخشري : «فإن قلت كيف قال : ﴿وَيُؤَخِّرَكُمْ﴾ مع إخباره بامتناع تأخير الأجل؟ وهل هذا إلا تناقض ؟ قلت : قضى الله مثلاً أنّ قوم نوح إن آمنوا عمرهم ألف سنة وإن بَ قوَا على كفرهم أهلكهم على رأس تسعمائة ، فقيل لهم : آمنوا يؤخركم إلى أجل مسمّ ى ، أي: إلى وقت سماه الله وضربه أمداً تنتهون إليه لا تتجاوزونه وهو الوقت الأطول تمام الألف ، ثم أخبر أنه إذا جاء ذلك الأجل الأمد لا يؤخر كما يؤخر هذا الوقت و لم تكن لكم حيلة فبادروا في أوقات الإمهال والتأخير»[1].

الترجيح

الراجّح ــ والله أعلم بالصواب ــ هو ما ذهب إليه ابن جُ زيّ ومن معه ، وهو ما عليه أهل السنة والجماعة بأن للإنسان أجل واحد ؛ لموافقته ما جاء في الكتاب والسنة من تقدير المقادير من لدن علام الغيوب بما هو كائن ، وما سيكون قال تعالى:﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[2].

وأخبر سبحانه أنَّ الأجل واحد لا يقدم ولا يؤخر . قال تعالى : ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[3].

ومن السنة : ما رواه عبد اللَّهِ بن مَسْعُودٍ قال : قالت أُمُّ حَبِيبَةَ [4]: «اللهم مَتِّعْنِي بِزَوْجِي رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَبِأَبِي أبي سُفْيَانَ وَبِأَخِي مُعَاوِيَةَ ». فقال لها رسول اللَّهِ – ﷺ – : ((إِنَّكِ سَأَلْتِ اللَّهَ لِآجَالٍ مَضْرُوبَةٍ وَآثَارٍ مَوْطُوءَةٍ وَأَرْزَاقٍ مَقْسُومَةٍ لَا يُعَجِّلُ شيئا منها قبل حِلِّهِ ولا يُؤَخِّرُ منها شيئا بَعْدَ حِلِّهِ ، وَلَوْ سَأَلْتِ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيَكِ من عَذَابٍ في النَّارِ وَعَذَابٍ في الْقَبْرِ لَكَانَ خَيْرًا لَكِ)) [5].**و يؤيّده عدة أمور وهي :**

---

(١) الكشاف (٦١٨/٤).

(٢) سورة القمر:٤٩.

(٣) سورة الأعراف:٣٤ .

(٤)رملة بنت أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية ، أم حبيبة زوج النبي –ﷺ – . ولدت قبل البعثة بسبعة عشر عاما ، و توفيت رضي الله عنها سنة (٤٤ هـــ).

يُنظر : الاستيعاب (١٨٤٣/٤) ، و الإصابة في تمييز الصحابة (٦٥١/٧).

(٥) لفظ الحديث من رواية عبد اللَّهِ بن مَسْعُودٍ – ﷺ – قال: (قالت أُمُّ حَبِيبَةَ : اللهم مَتِّعْنِي بِزَوْجِي رسول اللَّهِ – ﷺ – وَبِأَبِي أبي سُفْيَانَ وَبِأَخِي مُعَاوِيَةَ فقال لها رسول اللَّهِ – ﷺ – : ((إِنَّكِ سَأَلْتِ اللَّهَ لِآجَالٍ مَضْرُوبَةٍ وَآثَارٍ مَوْطُوءَةٍ وَأَرْزَاقٍ مَقْسُومَةٍ لَا يُعَجِّلُ شيئا منها قبل حِلِّهِ ولا يُؤَخِّرُ منها شيئا بَعْدَ حِلِّهِ . وَلَوْ سَأَلْتِ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيَكِ من عَذَابٍ في النَّارِ وَعَذَابٍ في الْقَبْرِ لَكَانَ خَيْرًا لَكِ . قال: فقال رَجُلٌ : يا رَسُولَ اللَّهِ الْقِرَدَةُ وَالْخَنَازِيرُ هِيَ مِمَّا مُسِخَ فقال النبي – ﷺ – : إِنَّ اللَّهَ –عز وجل– لم يُهْلِكْ قَوْمًا أو يُعَذِّبْ قَوْمًا فَيَجْعَلَ لهم نَسْلًا وَإِنَّ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ كَانُوا قبل ذلك)).

أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب القدر ، بَاب بَيَانِ أَنَّ الْآجَالَ وَالْأَرْزَاقَ وَغَيْرَهَا لَا تَزِيدُ ولا تَنْقُصُ عَمَّا سَبَقَ بِهِ الْقَدَرُ (٢٠٥١/٤) ح (٢٦٦٣).

١. لا تعارض بين قوله تعالى: ﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ﴾ وبين﴿ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ﴾ وذلك إن هم آمنوا لم يستأصلهم العذاب وبقوا إلى انتهاء أعمارهم ، وإن هم بقوا على كفرهم عاجلهم العذاب . فالتقدير على أربعة أنواع وهي[١] :

الأول : تقدير عام . وهو الأصل العظيم و هو ما كتبه الله تعالى عليهم في اللوح المحفوظ وهو لا يقبل التغير ولا التبديل ، وهو ما جاء بيانه في قول الله تعالى :﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾[٢].

والثاني : تقديرٌ عقبَ خلقِ آدم ؛ وهو تقدير خاص ببني آدم وذلك أن الله تعالى لما خلق آدم مسح ظهره فأخرج منه ما هو ذارئٌ إلى يوم القيامة ، وقدّر الذّكر والأنثى ، والشقاوة والسعادة قال تعالى :﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾[٣].

والثالث : التقدير الحولّي : ؛ وهو ما يكون ليلة القدر من كل عام .

والرابع : التقدير في الرحم ؛ وهو الذي يحصل للجنين في بطن أمه.

وعلى هذا يكون التغير والمحو في صحف الملائكة من التأخير في أعمارهم إن هم آمنوا ، أو التعجيل ومؤاخذتهم ، وعليه تحمل النصوص الدالة على زيادة العمر ، وتأخيره بحسب ما سبق في علم الله وكتبه من أسباب الزيادة والنقصان . « وعلى هذا يخرج قوله – ﷺ – صلة الرحم تزيد في العمر أي : سبب طول العمر . وقد قدر الله أنَّ هذا يصل رحمه فيعيش بهذا السبب إلى هذه الغاية ولولا ذلك السبب لم يصل إلى هذه الغاية ولكن قدر هذا السبب وقضاه وك ذلك قدر أن هذا يقطع رحمه فيعيش إلى كذا كما قلنا في القتل وعدمه» [٤].

٢. أنّ المحو و الإثبات في المقادير لا يقعان في علم الله تعالى الأزلي ؛ لأنه يثبت صفة نقص لله – تعالى الله – عن ذلك علوا كبيرا وهو القول بالبداءة [٥].

---

(١) المحو و الإثبات في المقادير (٢٢ – ٢٥).

(٢) سورة الأنعام:٣٨.

(٣) سورة الأعراف:١٧٢ .

(٤) شرح العقيدة الطحاوية (١٥٠/١).

(٥) البداء في اللغة : من بدا ، يبدو إذا ظهر ،ومنه بادي الرأي ظاهره .تهذيب الاسماء (٢١/٣)، ولسان العرب (٢٧/١).
وفي الاصطلاح الذي يقول به اليهود : وهو ما كان سببه دالاً على إفساد الموجب لصحة الأمر الأول ، بأن يأمر لمصلحة لم تحصل فيبدوا له ما يوجب الرجوع عنه .

٣. أنَّ هذا التأويل أنسب للحاق الآية بعدها من تأكيد هذا المعنى قال تعالى :﴿إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ .

وأكدَّ هذا المعنى ابن جُزيّ ؛ حيث قال : «هذا يقتضي أن الأجل محتوم كما قال تعالى :﴿ فَإِذَا جَآءَ اجَلُهُمْ لاَ يَسْتَـخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ ﴾[1]، وفي هذا حجة لأهل السنة وتقوية للتأويل الذي ذكرنا » [2]، و يتأيد بالقاعدة الترجيحية (إدخال الكلام في معاني م ا قبله وما بعده أولى من الخروج به عن ذلك)[3]. والله تعالى أعلم.

يُنظر : حاشية تقريب الوصول إلى علم الأصول (٣١٣).

(١) سورة الأعراف : ٣٢ .

(٢)التسهيل (١٤٩/٤).

(٣) قواعد الترجيح (١ / ١٢٥) .

قول الله – ﷻ – : ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً﴾[1].

❁ (١٤)مسألة : معنى الأطوار في الآية .

ترجيح ابن جُزيّ – رحمه الله – :

رجَّح أنَّ الأطوار في الآية هي: الأحوال المختلفة[2] بخلقه نطفة ثم علقة ثم مضغة إلى سائر أحواله.

مجمل ما ذكره في الآية :

قال: «وقد خلقكم أطوارا أي : طورا بعد طور ؛ يعني أن الإنسان كان نطفة ثم علقة ثم مضغة إلى سائر أحواله. وقيل: الأطوار الأنواع المختلفة، فالمعنى أن الناس على أنواع في أل وانهم ، وأخلاقهم وألسنتهم، وغير ذلك »[3].

العرض والمناقشة:

في المسألة قولان ،وهما :

القول الأول : ما ذهب إليه ابن جُزي ، وهو قول ابن عباس – ﷺ – ، وقال به مجاهد والضحاك. وقتادة ، ومطر ،وابن زيد[4].و الفرَّاء ، والأخفش [5]، واقتصر عليه الطبري ، وابن أبي زمنين ، والثعلبي وقدمه مكي بن أبي طالب ، وأفرده بالذكر السمعاني ، والبغوي والزمخشري ، وبيان الحق النيسابوري والنسفي [6]، و وافقهم السمين الحلبي ، وابن كثير والصاوي ، ، و المراغي ، والسعدي ، وعطية سالم وابن عاشور [7] – رحمهم الله- .

قال الطبري :« وقوله :﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴾ يقول : وقد خلقكم حالا بعد حال طورا نطفة وطورا

---

(١) سورة نوح : ١٤ .

(٢) الأحوال جمع حالة والحالة الكارة . يُنظر : اتفاق المباني وافتراق المعاني (١/١١٣) .

(٣) التسهيل (٤ / ٢٧٩).

(٤) سبق تخريج جميع الآثار في ص (٥٥).

(٥)سعيد بن مسعدة المجاشعي بالولاء،البلخي ثم البصري، أبو الحسن، المعروف ب الأخفش الأوسط. نحوي، عالم باللغة والأ دب . من مؤلفاته (تفسير معاني القرآن ، و شرح أبيات المعاني و الاشتقاق و معاني الشعر). توفي سنة (٢١٥ هـ).

(٦) معاني القرآن للفراء (٣ / ١٨٨) ، ومعاني القرآن للأخفش (٢٩٨)،وجامع البيان(٢٩/٩٥)،وتفسير القرآن العزيز(٥/٤٠) والكشف والبيان (١٠/٤٥)،و الهداية إلى بلوغ النهاية (١٢ / ٧٧٣٧) و تفسير القرآن (٦/٥٧)، و معالم التنزيل (٤/ ٣٩٨)، و الكشاف (٤/٦٢٠)،وباهر البرهان (٣ / ١٥٥٤) ، و مدارك التنزيل (٤ / ٢٩٦).

(٧) الدر المصون(٦ / ٣٨٤)، و تفسير القرآن العظيم (٤/٤٢٦) ،و حاشية الصاوي (٦ / ١٧٦) ، و تفسير المراغي (١٠ / ٢١١) ، و تيسير الكريم الرحمن (١/٨٨٩)، والتحرير والتنوير (١٢ /) ، وأضواء البيان (٨/٣٠٨).

علقة وطورا مضغة »[1].

القول الثاني : أنَّ الأطوار؛ هي الأنواع المختلفة [2]. أورده في معرض أقواله أبو الليث والماوردي والأصفهاني ، وابن عطية ، وابن العربي ، وابن الجوزي ، والقرطبي ، والقمي النيسابوري و الخازن وأبو حيَّان ، وابن عادل ، والثعالبي ، و الألوسي[3]- رحمهم الله -.

الترجيح

القول الذي تطمئن له النفس – والله أعلم بالصواب - في بيان معنى الأطوار ؛ أنها الأحوال المختلفة وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ، ومن معه ؛ لأن السياق في إثبات قدرة الله - ﷻ - في خلق الإنسان من العدم ، والاستدلال بالخلق الأول على المعاد فالذي قَدر أن يُنشأ من العدم قادر على الإعادة من باب أولى ، وهذا في معرض إنكار الكفار لوحدانية الله تعالى. و (إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عن ذلك) [4].

قال عطية سالم – رحمه الله تعالى - : «...أنَّ الآية في قضية الخلق وهو الإيجاد الأول ؛ لأن ما بعد الإيجاد صفات عارضة وقد جاء نظير الآية في سورة المؤمنون كما قدمنا وقد ذيلت بقوله تعالى :﴿ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ﴾[5]. ومنها أنَّ الآية سِيقت في الدلالة على قدرة الله على بعثهم بعد موتهم موتهم ؛ لمجازاتهم فكان الأنسب بها أن يكون متعلقها كمال الخلقة والقدرة على الإيجاد والأنسب لهذا المعنى هو خلقهم من نطفة أمشاج وماء مهين ثم تطويرها إلى علقة ثم تطوير العلقة مضغة ثم خلق المضغة عظاماً ثم كسو العظام لحماً ثم نشأته نشأة أخرى . إنها قدرة باهرة وسلطة قاهرة [6]» . و الله تعالى أعلم.

(١) جامع البيان (٢٩/٩٥).

(٢) النوع اسم دال على أشياء كثيرة مختلفة بالأشخاص. التعريفات (١/ ٣١٦) .

(٣) بحر العلوم (٣/٤٧٧)، والنكت والعيون (٦ / ١٠٢) ، و المفردات في غريب القرآن (١/٣٠٩)، والمحرر الوجيز (٥/٣٧٤) أحكام القرآن لابن العربي (٤/٣١١)، و زاد المسير(٨/٣٧١)، والجامع لأحكام القرآن (١٨/٣٠٣)، وغرائب القرآن (٦ / ٣٦٤) ، ولباب التأويل (٦ / ٢٨٤) ، والبحر المحيط(٨/ ٣٣٣ – ٣٣٤)، و اللباب (١٩ / ٣٨٨) والجواهر الحسان (٤/٣٤٤) ، وروح المعاني (٢٩/٧٤).

(٤) قواعد الترجيح (١ / ١٢٥).

(٥) سورة المؤمنون:١٤.

(٦) أضواء البيان(٨/٣٠٨).

قول الله – ﷻ – : ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا﴾[1].

❁ (١٥)مسألة : هل تشبيه الأرض بالبساط ينفي كرويتها [2].

ترجيح ابن جُزي – رحمه الله – :

رجَّح ابن جزيٍّ أنَّ الله تعالى شبّهالأرض بالبساط في امتدادها ولا ينفي ذلك كروية الأرض.

مجمل ما ذكره في الآية :

قال : « شبّهالأرض بالبساط في امتدادها واستقرار الناس عليها ، وأخذ بعضهم من لفظ البساط أن الأرض بسيطة غير كروية خلافا لما ذهب إليه أهل التعديل[3]، وفي ذلك نظر» [4].

العرض والمناقشة :

في المسألة قولان :

القول الأول: ما ذهب إليه ابن جُزيّ موافقا للرازي والبيضاوي ، وتبعهم الخفاجي ، والألوسي وابن عاشور[5] – رحمهم الله–.

قال الرازي عند تفسير لقول الله تعالى :﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾[6].

« ومن الناس من زعم أن الشرط في كون الأرض فراشاً أن لا تكون كرة، واس تدل بهذه الآية على أن الأرض ليست كرة، وهذا بعيد جداً، لأن الكرة إذ ا عظمت جداً كانت القطعة منها كالسطح في إمكان الاستقرار عليه، والذي يزيده تقريراً أن الجبال أوتاد الأرض ثم يمكن الاستقرار عليها، فهذا أولى والله أعلم» [7].

---

(١) سورة نوح:١٩ .

(٢) إثبات كروية الأرض لاخلاف فيه في العصر الحديث ، وكان يعد خلافًا في العصور المتقدمة ، ولولا حاجتي لإثبات مسائل ابن جُزيّ ما أثبتها .

(٣) علم التعديل : هو علم يتعرف منه كيفية تفاوت الليل والنهار وتداخل الساعات فيهما عند تفاوتها في الصيف والشتاء . يُنظر : أبجد العلوم (٢ / ١٧٠).

(٤) التسهيل (١٥١/٤).

(٥) التفسير الكبير (٩٥/٢) ، وأنوار التنزيل (٣٩٤/٥) ، وحاشية الشهاب (٩ / ٢٨٥) ،و روح المعاني(٧٦/٢٩)، والتحرير والتنوير((١٢ / ٢٠٥) .

(٦) سورة البقرة:٢٢ .

(٧) التفسير الكبير (٩٥/٢).

القول الثاني : تشبيه الأرض بالبساط يقتضي أنها مبسوطة .وقال به الماوردي ، وابن عطية والقرطبي والنسفي، والخازن ، وأبو حيَّان ، وابن عادل [1] .

قال ابن عطية : « ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا﴾ يقتضي ظاهره أن الأرض بسيطة و غير كروية واعتقاد أحد الأمرين غير قادح في نفسه اللهم إلا أن يتركب على القول بالكروية نظر فاسد وأما اعتقاد كونها بسيطة فهو ظاهر كتاب الله تعالى وهو الذي لا يلحق عنه فساد البتة ، واستدل ابن مجاهد على صحة ذلك بماء البحر المحيط بالمعمور فقال لو كانت الأرض كروية لما استقر الماء عليها» [2].

قال أبو حيَّان : «تتقلبون عليها كما يتقلب الرجل على بسا طه. وظاهره أن الأرض ليست كروية بل هي مبسوطة» [3].

الترجيح

الراجِّح – والله أعلم بالصواب – أنَّ الله تعالى شبه الأرض بالبساط في امتدادها ، ولا يعني ذلك أن الأرض غير كُروية ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ، ويؤيد هذا القول ما يلي :

١. أن القول بكروية الأرض جاء القرآن بإثباته وعليه الإجماع.

قال الشيخ عطية سالم- رحمه الله – : « أما أقوال العلماء في شكل الأرض فإن أجمع ما وقفت عليه وأصرح وأبين هو كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في رسالة الهلال جاء فيها قال في موضع منها قوله وقد ثبت بالكتاب والسنة والإجماع من علماء الأمة أن الأفلاك مستديرة .قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾[4] وقال : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[5] ، وقال تعالى : ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[6].قال ابن عباس – رضي الله عنه – : في فلكة مثل فلكة المغزل وهكذا هو في لسان العرب الفلك الشيء المستدير ... والتَّكوير هو: التدوير، ومنه قيل: كار العمامة وكورها ؛ ولهذا يقال:

---

(١) النكت والعيون (٦ / ١٠٢) ، والمحرر الوجيز(٣٧٥/٥)، والجامع لأحكام القرآن(٣٠٦/١٨) ، ومدارك التنزيل (٤ / ٢٩٦)، و لباب التأويل(٦ / ٢٨٥) ،و البحر المحيط(٣٣٤/٨)، و اللباب (١٩ /٣٩١) .

(٢) المحرر الوجيز (٣٧٥/٥).

(٣) البحر المحيط (٣٣٤/٨).

(٤) سورة فُصِّلَت:٣٧.

(٥)سورة الأنبياء:٣٣.

(٦) سورة يس:٤٠.

للأفلاك كروية الشكل ؛ لأن أصل الكرة كورة تحركت الواو وانفتح ما قبلها فقلبت ألفاً [1]».

٤. إنَّ بسط الأرض و مدها لا يفهم منه أن الأرض مسطحة ، ويتبين ذلك حينما نرى الأرض ممتدة ومبسوطة في أي موضع نسير عليه ، ولا يتحقق ذلك إلا للشكل الكروي ؛لأن الأشكال الأخرى لابد لها من حافة تنتهي عندها.

وبين هذا المعنى الشيخ عطية سالم فقال: « ومن جهة العقل أيضًا يقال إن أكمل الأجرام هو المستدير كما قال في قوله : ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ﴾[2] وعليه فلو قدر لسائر على وجه الأرض وافترضنا الأرض مسطحة كسطح البيت أو القرطاس مثلاً لكان لهذا السائر من نهاية ينتهي إليها وهي منتهى التسطيح أو يسقط في هاوية وباعتبارها كرة ، فإنه يكمل دورته ويكررها ولو سار طيلة عمره لما كان لمسيره منتهى لأنه؛ يدور على سطحها من جميع جهاتها والعلم عند الله تعالى» [3]. و الله تعالى أعلم.

(١) أضواء البيان (٤٢٧/٨).

(٢) سورة المُلك:٣.

(٣) المرجع السابق .

قول الله – ﷻ – :﴿ مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا ﴾[1].

❁ (١٦)مسألة : المراد بالدخول في قوله تعالى : ﴿فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا ﴾ .

ترجيح ابن جُزيّ – رحمه الله – :

رجَّح أنَّ قوم نوح – عليه السلام – أدخلوا نارا في الآخرة وعُبر عن ذلك بالفعل الماضي لتحققه.

مجمل ما ذكره في الآية :

قال :«يعني جهنم ، وعبر عن ذلك بالفعل الماضي؛ لأن الأمر محقق . وقيل: أراد عرضهم على النار وعبر عنه بالإدخال» [2].

العرض والمناقشة :

في المسألة ثلاثة أقوال وهي :

القول الأول : ما ذهب إليه ابن جزي موافقا الطبري، وأبو الليث ، والواحدي ، والسمعاني وابن الجوزي [3].وأورده البغوي ، والزمخشري ، وابن عطية ، وابن الجوزي ، والقرطبي ، وأبو حيَّان ، وأبو السعود ، والشوكاني ، والألوسي [4] – رحمهم الله-.

قال الإمام الطبري : «وقوله ﴿ فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا ﴾ جهنم فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا تقتص لهم ممن فعل ذلك بهم ولا تحول بينهم وبين ما فعل بهم»[5].

قال السمعاني : «﴿أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا ﴾ يعني أغرقوا في الدنيا وأدخلوا نارا في الآخرة» [6]

القول الثاني: أنهم أدخلوا نارا في البرزخ ، وهو مروي عن الضحاك [7].

وقال به الثعلبي ، والرازي ، والنسفي ، والخازن ،وابن كثير ، وابن عادل ، والشربيني ، والمراغي

---

(١) سورة نوح:٢٦ .

(٢) التسهيل (١٥١/٤).

(٣) جامع البيان(١٠٠/٢٩)،و بحر العلوم (٤٧٨/٣) ، والوسيط (٤ / ٣٦٠) ، وزاد المسير (٣٧٤/٨).

(٤) معالم التنزيل (٤٠٠/٤)، والكشاف(٦٢٣/٤)، والمحرر الوجيز (٣٧٦/٥)، و زاد المسير (٣٧٤/٨)، والجامع لأحكام القرآن (٣١١/١٨)، والبحر المحيط(٣٣٧/٨)، وإرشاد العقل السليم (٤١/٩)، وفتح القدير (٣٠١/٥)، وروح المعاني(٧٩/٢٩).

(٥) جامع البيان(١٠٠/٢٩).

(٦) تفسير القرآن (٦٠/٦)،

(٧) لم أقف عليه مسندا ، و وقفت عليه منسوبا في معالم التنزيل (٤٠٠/٤)، و الكشاف(٦٢٣/٤)، و زاد المسير (٣٧٤/٨)، و الجامع لأحكام القرآن ٣١١/١٨).

والسعدي[1] – رحمهم الله – .

واستُدل عليه أن الفاء للتعقيب وهذا يقتضي دخولهم النار بعد الغرق .

قال الرازي : « تمسك أصحابنا في إثبات عذاب القبر بقوله :﴿أُغْرِقُواْ فَأُدْخِلُواْ نَارًا﴾ وذلك من وجهين الأول : أن الفاء في قوله:﴿ فَأُدْخِلُواْ نَارًا﴾ تدل على أنه حصلت تلك الحالة عقيب الإغراق ، فلا يمكن حملها على عذاب الآخرة ، وإلا بطلت دلالة هذه الفاء . الثاني : أنه قال: ﴿ فَأُدْخِلُواْ﴾ فَادْخُلُواْ على سبيل الإخبار عن الماضي وهذا إنما يصدق لو وقع ذلك .. »[2].

القول الثالث : أنَّ المراد بالدخول في الآية عرضهم على النار في قبورهم ، وعُبر عنه بالعرض كقوله تعالى في آل فرعون : ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾[3]ذكره ابن عطية ، والقرطبي ، وأبو حيَّان ، و البقاعي[4] – رحمهم الله– .

الترجيح

الراجح ــ والله تعالى أعلم بالصواب ــ أنَّ قوم نوح – عليه السلام – أُدخلوا نارًا في الآخرة ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ، ومن معه؛ لأنه الموافق لظاهر الآية ، و (لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل)[5].

و مما يؤيد هذا المعنى :

١. أن دخول الكفار النار بأجسادهم لا يكون إلا في الآخرة كما في قول الله تعالى : ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾[6] . وقوله تعالى :

(١)الكشف والبيان ١٠/ ٤٧ ، و التفسير الكبير ١٢٩/٣٠ ، و مدارك التنزيل ٢٨٥/٤، و لباب التأويل (٦ / ٢٨٧) ، و تفسير القرآن العظيم ٤٢٨/٤ ، و اللباب (١٩ / ٤٠٠) ، و السراج المنير (٨ / ١١٤)، و تفسير المراغي (٢١٥/١٠)، و تيسير الكريم الرحمن (٨٨٩/١).

(٢) التفسير الكبير (١٢٩/٣٠) .

(٣) سورة غافر:٤٦ .

(٤) المحرر الوجيز(٣٧٦/٥)، و الجامع لأحكام القرآن(٣١١/١٨)، و البحر المحيط (٣٣٧/٨)، ونظم الدرر (٨ / ١٧٦)

(٥) قواعد الترجيح (١ / ١٣٧).

(٦) سورة النساء:١٤.

﴿ فَٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَلَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴾[1].

٢. أن الله تعالى فرَّق بين الدخول والعرض في قصة قوم فرعون. قال تعالى : ﴿ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴾[2]. والله تعالى أعلم.

(١) سورة النحل:٢٩.

(٢) سورة غافر:٤٦ .

قول الله – ﷻ – : ﴿ رَّبِّ إِغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُومِناً وَلِلْمُومِنِينَ وَالْمُومِنَٰتِ وَلاَ تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلاَّ تَبَاراً ﴾[1]. وفي الآية مسألتان وهما :

❁ (١٧)المسألة الأولى: المراد بالبيت في قول الله تعالى : ﴿وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ﴾.

ترجيح ابن جُزيّ – رحمه الله – :

رجَّح أنَّ المراد بقول نوح عليه السلام " بيتي " أي : داره .

مجمل ما ذكره في الآية :

قال : «﴿وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ﴾ قيل: بيته المسجد. وقيل : السفينة. وقيل: شريعته سماها بيتا استعارة وهذا بعيد. وقيل: داره وهذا أرجح ؛لأنه الحقيقة»[2].

العرض والمناقشة :

في المسألة أربعة أقوال وهي :

القول الأول : ما رجَّحه ابن جُزيّ موافقا المروي عن ابن عباس[3]– رضي الله عنه – .

ووافقه ابن كثير ، والألوسي[4] . وأورده في معرض الأقوال الثعلبي ، والماوردي ، والواحدي والبغوي والزمخشري ، وابن عطية ، وابن الجوزي ، والرازي ، والقرطبي ، والنسفي ، والقمي النيسابوري والخازن ، وأبو حيان ، والبلنسي[5]، والشربيني ، وأبو السعود ، والصاو ي والشوكاني ، والقاسمي

---

(١) سورة نوح:٣٠ .

(٢) التسهيل (١٥٢/٤).

(٣) وقفت عليه منسوبا في النكت والعيون (٦ / ١٠٦) ، وزاد المسير(٣٧٥/٨)، والجامع لأحكام القرآن(٣١٤/١٨).

(٤) تفسير القرآن العظيم(٤٢٨/٤)، وروح المعاني(٨١/٢٩).

(٥) محمد بن علي بن أحمد الأ وسي، أبو عبد الله البلنسي . وُلد سنة (٧٢٤ هـ). عالم بالعربية، أندلسي. من أهل غرناطة، من كتبه (صلة الجمع وعائد التذييل). تُوفي سنة (٧٨٢ هـ).
يُنظر : الدرر الكامنة (٣٤٤/٥) ، و الأعلام (٦ / ٢٨٦).

(٦) الكشف والبيان(٤٨/١٠)، و النكت والعيون(٦ /١٠٦) ، والوسيط (٤ /٣٦٠) ، ومعالم التنزيل (٤٠٠/٤) والكشاف(٤ /٦٢٣)، والوجيز(٣٧٧/٥)،وزاد المسير(٣٧٥/٨)، و التفسير الكبير(١٣٠/٣٠)، و الجامع لأحكام القرآن (٣١٤/١٨)، ومدارك التنزيل(٢٩٨/٤)، و غرائب القرآن (٦ / ٣٦٦) ، و لباب التأويل (٦ / ٢٨٧) ، و البحر المحيط (٣٣٧/٨)، و تفسير مبهمات القرآن (٢ / ٦٥٤) ، و السراج المنير (٨ / ١١٦) ، و إرشاد العقل السليم (٤٢/٩)، وحاشية الصاوي (٦ / ١٧٨) ، وفتح القدير(٣٠٢/٥)، و محاسن التأويل (٩ / ٣٩٩٢) .

رحمهم الله- .

قال ابن كثير :« قال الضحاك : يعني مسجدي ولا مانع من حمل الآية على ظاهرها وهو أنه دعا لكل من دخل مترله وهو مؤمن [1]» .

وقال الألوسي بعد عرض الأقوال : « والمتبادر المترل [2]».

القول الثاني : المسجد. وهو مروي عن ابن عباس [3]، وقال به الضحاك [4]ونصَّ عليه الطبري ، وابن وابن العربي [5]. وممن أورده الثعلبي ، والماوردي ، والواحدي ، والبغوي ، والزمخشري [6] .

قال الطّبري : « يقول ولمن دخل مسجدي ومصلاي مصليا مؤمنا يقول مصدقا بواجب فرضك عليه [7]» .

القول الثالث : السفينة . وممن أورده الثعلبي ، والبغوي ، والز مخشري ، وابن عطية ، وابن الجوزي [8].

وهذا معنى مرجوح ؛ لأنه إيراد بلا دليل صحيح يقوم عليه ،ولا يصح حمل الآية على تفسيرات لأمور غيبية لا دليل عليها من القرآن والسنة .

القول الرابع : شريعته . وهو مروي عن ابن عباس [9] – ﷺ – ، وأورده الماوردي ، وابن عطية والرازي ، والقرطبي ، والقمي النيسابوري ، وأ بي حيان ، والبلنسي ، وابن عادل والثعالبي والشوكاني

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٤٢٨/٤).

(٢) روح المعاني(٨١/٢٩).

(٣) وقفت عليه منسوبا في البحر المحيط (٣٣٧/٨)، واللباب (١٩ / ٤٠٢) ، والجواهر الحسان(٣٤٥/٤).

(٤) وقفت عليه منسوبا في لنكت والعيون (٦ / ١٠٦) ، ومعالم التنزيل (٤٠٠/٤)، وزاد المسير(٣٧٥/٨)، والجامع لأحكام القرآن (٣١٤/١٨)، وتفسير القرآن العظيم (٤٢٨/٤)، ذكره السيوطي في الدر المنثور(٢٩٥/٨)وعزاه لابن المنذر .

(٥) جامع البيان(١٠١/٢٩)، وأحكام القرآن لابن العربي (٣١٣/٤).

(٦) الكشف والبيان (٤٨/١٠)،والنكت والعيون(٦ /١٠٦) ، والوسيط (٤ / ٣٦٠)، ومعالم التنزيل (٤٠٠/٤) والكشاف(٦٢٣/٤).

(٧) جامع البيان (١٤ / ١٠٧).

(٨) الكشف والبيان (٤٨/١٠) ، و معالم التنزيل (٤٠٠/٤)، و الكشاف(٦٢٣/٤) ، والمحرر الوجيز(٣٧٧/٥)، و زاد المسير (٣٧٥/٨).

(٩) لم أقف على إسناده ، ونسبه إليه ابن عطية في المحرر الوجيز(٣٧٧/٥)، وابن عادل في اللباب (١٩ / ٤٠٢)، والثعالبي في الجواهر الحسان(٣٤٥/٤) .

[1] – رحمهم الله –.

قال ابن عطية : « وقال ابن عباس : أيضاً بيته : شريعته ودينه ، استعار لهما بيتاً ، كما يقال : قبة الإسلام وقسطاط الدين»[2] .

وهذا القول مرجوح أيضا ؛ لأنه صرف للفظ عن حقيقته . والواجب في نصوص الوحي حملها على حقيقتها .

قال الإمام ابن عبد البر: « وحمل كلام الله تعالى وكلام نبيه – ﷺ – على الحقيقة أولى بذوي الدين والحق لأنه ؛ يقصُّ الحق وقوله الحق تبارك وتعالى... [3]» .

الترجيح

الأقرب إلى الصواب – والله تعالى أعلم – أن " البيت " في الآية يصح حمله على ظاهره ويحمل كذلك على المسجد ؛ لأن اللفظ يحتمله .

قال الشيخ الشنقيطي – رحمه الله – : «لما تقرر عند العلماء من أن الآية إن كانت تحتمل معاني كلها صحيحة تعين حملها على الجميع [4]» .

فالبيت يصح إطلاقه على الدار ؛ لأنه المعنى المتبادر إلى الذهن ، وظهوره آم ارة رجحانه .ويصح إطلاقه على المسجد لثبوت الدليل عليه ومن ذلك :

قول الله تعالى : ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[5].

ومن السنة ما رواه عَطَاءٍ ﷺ قال سمعت ابن عَبَّاسٍ– ﷺ – قال: لَمَّا دخل النبي – ﷺ – الْبَيْتَ دَعَا في نَوَاحِيهِ كُلِّهَا و لم يُصَلِّ حتى خَرَجَ منه فلما خَرَجَ رَكَعَ رَكْعَتَيْنِ في قُبُلِ الْكَعْبَةِ وقال : ((هذه الْقِبْلَةُ)) [6]. و الله تعالى أعلم.

---

(١) النكت والعيون (٦ /١٠٦) ، و المحرر الوجيز (٣٧٧/٥)، و التفسير الكبير(١٣٠/٣٠)، و الجامع لأحكام القرآن (٣١٤/١٨)، و غرائب القرآن (٦ / ٣٦٦)،والبحر المحيط (٣٣٧/٨) ، وتفسير مبهمات القرآن (٢ / ٦٥٤) واللباب (١٩ / ٤٠٢) ، والجواهر الحسان(٣٤٥/٤) ، و فتح القدير(٣٠٢/٥).

(٢)المحرر الوجيز(٣٧٧/٥).

(٣) قواعد الترجيح (٢/ ٣٩٢) .

(٤) عقود المرجان في قواعد المنهج الأمثل في تفسير القرآن من خلال أضواء البيان (١٥٠) .

(٥) سورة البقرة:١٢٧ .

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه ،كتاب الصلاة ، باب بَاب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى :﴿وَاتَّخِذُوا من مَقَامِ إبراهيم مُصَلًّى﴾ (٥٧٩/٢)ح

❁ (١٨)المسألة الثانية : هل دعاءُ نوح – عليه السلام – خاصٌّ أم عامٌّ في الآية ؟

ترجيح ابن جُزيّ – رحمه الله – :

رجَّح ابن جُزيّ أنَّ الدعاء بالمغفرة عام لكلِّ مؤمن و مؤمنة .

ومجمل ما ذكره في الآية :

قال :« هذا دعاء بالمغفرة لكل مؤمن ومؤمنة على العموم ، وفيه دليل على جواز ذلك ،خلافا لمن قال من المتأخرين: أنه لا يجوز الدعاء بالمغفرة لجميع المؤمنين على العموم وهذا خطأٌ ، وتضييق لرحمة الله الواسعة.

قال بعض العلماء: إنَّ الإله الذي استجاب لنوح –عليه السلام – فأغرق بدعوته جميع أهلِ الأرض الكفار حقيق أن يستجيب له فيرحم بدعوته جميع المؤمنين والمؤمنات »[(١)].

العرض والمناقشة :

في المسألة ثلاثة أقوال :

القول الأول : ما ذهب إليه ابن جُزي موافقا للمروي عن الضّحاك [(٢)]، وما قال به الطبّري، و القصّاب ، وأبو الليث ، و الواحدي ، والسّمعاني ،والبغوي ، والزمخشري ، وابن عطية ،وابن الجوزي والقرطبي ، والقمي النيسابوري ، ووافقهم الخازن ، وأبو حيَّان ، وابن كثير وابن عادل والبقاعي والشربيني وأبو السعود ،وجلال الدين المحلِّي ، و الشوكاني ،والألوسي ،والسعدي [(٣)] – رحمهم الله –

---

(٣٨٩).

وأخرجه مسلم من رواية عطاء قال : أَسَمِعْتَ بن عَبَّاسٍ يقول: ((إنما أُمِرْتُمْ بِالطَّوَافِ و لم تُؤْمَرُوا بِدُخُولِهِ قال لم يَكُنْ يَنْهَى عن دُخُولِهِ وَلَكِنِّي سَمِعْتُهُ يقول أخبرني أُسَامَةُ بن زَيْدٍ أَنَّ النبي – ﷺ – لَمَّا دخل الْبَيْتَ دَعَا في نَوَاحِيهِ كُلِّهَا و لم يُصَلِّ فيه حتى خَرَجَ فلما خَرَجَ رَكَعَ في قُبُلِ الْبَيْتِ رَكْعَتَيْنِ وقال هذه الْقِبْلَةُ قلت له ما نَوَاحِيهَا أَفِي زَوَايَاهَا قال بَلْ في كل قِبْلَةٍ من الْبَيْتِ)). كتاب الحج ،بَابُ اسْتِحْبَابِ دُخُولِ الْكَعْبَةِ لِلْحَاجِّ وَغَيْرِهِ وَالصَّلَاةِ فيها وَالدُّعَاءِ في نَوَاحِيهَا كُلِّهَا (٢/٩٦٨) ح (١٣٣٠).

(١) التسهيل(٤/١٥٢).

(٢) وقفت عليه منسوبا في النكت والعيون (٦ / ١٠٦) ، والجامع لأحكام القرآن(١٨/٣١٤) ، واللباب (١٩ / ٤٠٣) .

(٣) جامع البيان(٢٩/١٠١)، و نُكت القرآن (٤ / ٤٢٦) ، و بحر العلوم (٣/٤٧٩)، والوسيط (٤ / ٣٦٠) ، وتفسير القرآن (٦/ ٦١) ، ومعالم التنزيل في التفسير والتأويل (٤/٤٠٠)، والكشاف(٤/٦٢٣)، والمحرر الوجيز (٥/٣٧٧) وزاد المسير (٨/٣٧٥) والجامع لأحكام القرآن (١٨/٣١٤)، وغرائب القرآن (٦ / ٣٦٦) ، ولباب التأويل في معاني التنزيل (٦ / ٢٨٧) ، و تفسير البحر المحيط (٨/٣٣٧)، وتفسير القرآن العظيم(٤/٤٢٩)، واللباب (١٩/ ٤٠٣) ونظم الدرر (٨ / ١٧٩) ، والسراج المنير (٨ / ١١٦) ، و إرشاد العقل السليم (٩/٤٢) ، وحاشية الصاوي (٦ / ١٧٨) ، وفتح القدير (٥/٣٠٢)، وروح المعاني(٢٩/٨١) ، وتيسير الكريم الرحمن(١/٨٩٠).

قال القرطبي :« ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ عامة إلى يوم القيامة قاله الضحاك وقال الكلبي من أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل من قومه والأول أظهر» [1].

القول الثاني : أنَّ الدعاء بالمغفرة خاص بقوم نوح – عليه السلام – . أورده القرطبي ، وابن عادل والشربيني [2] – رحمهم الله– .

القول الثالث : أنَّ الدعاء بالمغفرة خاص بأمة النبي – ﷺ – . وهو مروي عن الكلبي [3] وذكره الثعلبي ، والقرطبي ، وابن عادل ، والشربيني [4]– رحمهم الله –.
قال الثعلبي :« وقال الكلبي من أُمّة محمد صلى الله عليه وسلم» [5].
وهذا القول يفتقر لصحة الدليل .

الترجيح

الراجح – والله تعالى أعلم بالصواب – أنَّ الدعاء بالمغفرة على وجه العموم يدخل فيه كل مؤمن ومؤمنة إلى قيام الساعة ، وهو ما ذهب إليه ابن جزي و أكثر المفسرين ؛ لأن الأص ل حمل نصوص الوحي على عمومها ما لم يرد دليل على التخصيص [6] .
وهذا الأصل قرره ابن جزي رحمه الله في مقدمة تفسيره حيث قال : « تقديم العمومي على الخصوصي ، فإن العمومي أولى ؛ لأنه الأصل إلا أن يدل دليل على التخصيص» [7].

ويؤيّده أنَّ الدعاء بالمغفرة على وجه العموم ثابت بنصوص الكتاب كما في قول الله – عز وجل – عن حملة العرش: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟

(١) الجامع لأحكام القرآن(٣١٤/١٨).
(٢) الجامع لأحكام القرآن(٣١٤/١٨)، واللباب (١٩ / ٤٠٣) ، والسراج المنير (٨ / ١١٦) .
(٣) وقفت عليه منسوبا في الجامع لأحكام القرآن(٣١٤/١٨)، واللباب (١٩ / ٤٠٣).
(٤) الكشف والبيان (٤٨/١٠)، والجامع لأحكام القرآن(٣١٤/١٨) ، واللباب (١٩ / ٤٠٣) ، والسراج المنير (٨ / ١١٦).
(٥) الكشف والبيان (٤٨/١٠).
(٦) يُنظر : قواعد الترجيح (٢ / ٥٢٧).
(٧) التسهيل (٩/١).

رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾[1].

وأمر نبيَّه بذلك بقوله : ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴾[2]. و الله تعالى أعلم.

(١) سورة غافر:٧ .

(٢) سورة محمد:١٩ .

ثالثاً : سورة الجنّ

قول الله – ﷻ – : ﴿قُلْ اوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّاسَمِعْنَا قُرْءَاناً عَجَباً﴾[1].

❁ (١٩)مسألة : في إعراب ﴿عَجَبًا﴾.

ترجيح ابن جُزيّ – رحمه الله – :

رجَّح أنَّ " عجباً " مصدر وصف به للمبالغة .

مجمل ما ذكره في الآية :

«و ﴿ عَجَبًا﴾مصدر وصف به للمبالغة ؛ لأن العجبَ مصدر قولك عجبت عجباً . وقيل : هو على حذف مضاف تقديره ذا عجب» [2].

العرض والمناقشة :

ذكر المفسرون في إعراب " عجبا " ثلاثة أوجه :

الوجه الأول : ما رجَّحه ابن جُزيّ موافقًا للزمخشري ، و ما قال به الرازي ، البيضاوي،و النسفي و القمي النيسابوري ، و وافقهم أبو حيان ، والشربيني ، وأبو السعود ، و الألوسي وابن عاشور – رحمهم الله تعالى– [3].

قال الزمخشري : « وعجب مصدر يوضع موضع العجيب . وفيه مبالغة : وهو ما خرج عن حد أشكاله ونظائره »[4].

قال أبو حيان : «﴿عَجَبًا﴾ وصفٌبالمصدر على سبيل المبالغة ، أي : هو عجب في نفسه لفصاحة كلامه وحسن مبانيه ودقة معانيه وغرابة أسلوبه وبلاغة مواعظه وكونه مبايناً لسائر الكتب والعجب ما خرج عن أحد أشكاله ونظائره » [5].

---

(١) سورة الجن:١.

(٢) التسهيل (١٥٢/٤).

(٣) الكشاف (٦٢٥/٤)،التفسير الكبير (١٣٦/٣٠)، وأنوار التنزيل(٣٩٧/٥)، ومدارك التنزيل(٢٩٨/٤)، وغرائب القرآن(٦ / ٣٦٩)،والبحر المحيط (٣٤٠/٨)،والسراج المنير(١٢٠/٨)،و إرشادا لعقل السليم(٤٢/٩)، وروح المعاني(٨٣/٢٩)،والتحرير والتنوير (٢٢١/١٢) .

(٤) الكشاف (٦٢٥/٤).

(٥) البحر المحيط(٣٤٠/٨).

الوجه الثاني : أنَّ ﴿عَجَبًا﴾ " عجبًا " وصف على حذف مضاف تقديره " ذا عجب " ذكره السمين الحلبي ، وابن عادل ، والشوكاني-رحمهم الله تعالى- [1].

الوجه الثالث : أنَّ ﴿عَجَبًا﴾ بمعنى مُعجِب على اسم الفاعل . ذكره السمين الحلبي ، وابن عادل والشوكاني-رحمهم الله- [2].

الترجيح

الراجح – والله تعالى أعلم بالصواب – أنَّ ﴿عَجَبًا﴾ مصدر وُصِف به للمبالغة ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ–رحمه الله تعالى- ؛ لأن الكلام مستقيم معناه دون الافتقار إلى تقدير بخلاف القول الثاني ، و (القول بالاستقلال مقدم على القول بالإضمار [3]) . ويؤيِّده :

١. أنَّ (التعّقيب بالمصدر يفيد التعّظيم) [4]، وفيه دلالة على أن القرآن في كل لفظة ومعنى منه إلا وهو عجيب ، وهذا مصدر إعجازه فلا يستطيع أحد أن يحاكي نظمَه وبيانه كما قال الله – ﷻ – : ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾[5]. « والوصفُ بالمصدرِ فيه مبالغةٌ في التعبير ، إذ فيهِ ادّعاءُ أنّ ذاتَ الشيء صارت عينَ مفهوم المصدَر ، فهنا يقوم التَّصورُ على أنَّ ذات المقروءِ من كثرةِ عجائبه صارت عجباً ، فلا شيءَ من عناصره وأجزائه إلا هو عجب »[6].

٢. أنَّ العجب (روعة تعتري الإنسان عند استعظام الشيء ؛ لخفاء سببه) اهـ [7].

قال ابن منظور : « والعَجَبُ إنكارُ ما يَرِدُ عليك لقِلَّةِ اعْتِيادِه» [8].

---

(١) الدر المصون (٣٨٩/٦)، واللباب (٤١٠/١٩)، وفتح القدير (٣٠٣/٥).

(٢) المراجع السابقة .

(٣) قواعد الترجيح (٤٢١/٢) .

(٤) قواعد التفسير (١/ ٢٦٤) .

(٥) سورة الإسراء:٨٨ .

(٦) معارج التفكر ودقائق التدبر (٥٦٧/٥) .

(٧)كتاب الكليات (٦٥٥/١).

(٨)لسان العرب (٥٨٠/١).

فالله – ﷻ – أخبر عن قيل هؤلاء النفر بقولهم : إنا سمعنا قرآنا عجبا " أي عجيبا في إيجازه وإعجازه فهم على خلقتهم من نار وبعدهم وعتوهم إلا أنهم وقفوا عند بديع إتقانه وإعجازه وتهافتت أسماعه م إلى إسراره ، فلم يستطيعوا أن يصفوه إلا بكلمة واحدة " عجبا " لم تطرق آذانهم من قبل مثل روعته فما ملكت قلوبهم إلا أن يؤمنوا به . و الله تعالى أعلم .

قال الله تعالى :﴿وَإِنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴾[1]في الآية مسألتان وهما:

❁ (٢٠)المسألة الأولى : في معنى:﴿جَدُّ رَبِّنَا﴾.

ترجيح ابن جزيّ – رحمه الله – :

رجح أنَّ معنى جدُّ الله تعالى في الآية جلال الله وعظمته .

مجمل ما ذكره في الآية :

قال: « ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾. جدُّ الله جلاله وعظمته . وقيل: معناه من قولك : فلان مجدود إذا استغنى»[2].

العرض و المناقشة :

اختلف في معنى " جدّ ربنا " على ثلاثة أقوالٍ وهي :

القول الأول : ما رجَّحه ابن جُزيّ، وهو قول مجاهد [3]، وعكرمه [4]، وقتادة [5].

وقال به الطبري ، والزجاج ، والقصّاب ، وابن أبي زمنين ، ومكي بن أبي طالب ،و الواحدي وابن عطية ، وبيان الحق ، والنسفي ، وحكاه أبو حيَّان ، والثعالبي ، والألوسي عن الجمهور[6] واقتصر عليه السعدي ، وابن عاشور–رحمهم الله تعالى– [7].

قال الطبري : « وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب قول من قال : عُنِي بذلك: تعالت عظمة ربنا وقُدرته وسلطانه » [8].

وقال الواحدي : « ومعنى﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا ﴾جلال ربنا وعظمته . يقال : جد فلان أي عظم ومنه

---

(١) سورة الجن : ٣ .

(٢) التسهيل (١٥٢/٤) .

(٣) أخرجه الطبري بسنده عنه : جامع البيان(١٠٤/٢٩)، ولفظه قال : (جلال ربنا) .

(٤) أخرجه الطبري بسنده عنه : المرجع السابق(١٠٤/٢٩)، بنحوه .

(٥) أخرجه الطبري بسنده عنه : المرجع السابق (١٠٣/٢٩)، ولفظه (أي تعالى جلاله وعظمتهوأمره) .

(٦) جامع البيان (١٠٥/٢٩) ، ومعاني القرآن وإعرابه (٥ / ١٨٢) ، نُكت القرآن (٤ / ٤٢٧) ،وتفسير القرآن العزيز (٤٣/٥) والهداية إلى بلوغ النهاية (١٢ / ٧٧٦٠) ، والوسيط (٣٦٣/٤)، والمحرر الوجيز (٣٧٩/٥)، وباهر البرهان (١٥٥٨/٣) ومدارك التنزيل (٢٩٩/٤)، والبحر المحيط (٨/٣٤١١٠)، والجواهر الحسان (٣٤٦/٤)، وروح المعاني (٨٤/٢٩).

(٧) تيسير الكريم الرحمن (٨٩٠/١)، والتحرير والتنوير(٢٢٢/١٢).

(٨) جامع البيان (١٠٥/٢٩) .

الحديث ((كان الرجل إذا قرأ البقرة جد فينا أي : عظم قدره [1])) »[2].

القول الثاني : غنى ربنا ، وهو مروي عن أنس بن مالك–ﷺ– [3]، و قال به عكرمة [4] وأورده الطبري ، والثعلبي ، والمهدوي ، والسمعاني ، والزمخشري ، والرازي ، والقرطبي والخازن ، والقمي النيسابوري ، وأبو السعود–رحمهم الله تعالى– [5].

واستُدل عليه بقول النبي صلى الله عليه وسلم : ((...ولا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ [6])). أي : لا ينفع ذا الغنى من غناه .

وحديث ((قُمْتُ على بَابِ الْجَنَّةِ فَكَانَ عَامَّةُ من دَخَلَهَا الْمَسَاكِينَ وَأَصْحَابُ الْجَدِّ مَحْبُوسُونَ [7]))

يعني أصحاب الغنى في الدنيا .

---

(١) جزء من حديث أخرجه أخرجه أحمد (١٢١/٣) ح (١٢٢٣٧) من رواية أنس – ﷺ – قال:(كان رَجُلٌ يَكْتُبُ بين يدي رسول اللَّهِ – ﷺ – قد قَرَأَ الْبَقَرَةَ وَآلَ عِمْرَانَ وكان الرَّجُلُ إذا قَرَأَ الْبَقَرَةَ وَآلَ عِمْرَانَ يُعَدُّ فِينَا عَظِيما).

وأخرجه ابن حبان في صحيحه من هذا الوجه بلفظ " عد فينا ذو شأن " (١٩/٣) ح (٧٤٤).

وأصله عند البخاري من رواية عبد العزيز بن صهيب في كتاب المناقب ، باب علامات النبوة في الإسلام (١٣٢٥/٣)ح(٣٤٢١) . وعند مسلم من رواية ثابت كلاهما عن أنس كتاب صفات المنافقين وأحكامهم (٢١٤٥/٤) ح (٢٧٨١)

ولفظه عند البخاري : (كان رَجُلٌ نَصْرَانِيًّا فَأَسْلَمَ وَقَرَأَ الْبَقِرَةَ وَآلَ عِمْرَانَ فَكَانَ يَكْتُبُ لِلنَّبِيِّ – ﷺ – فَعَادَ نَصْرَانِيًّا فَكَانَ يقول : ما يَدْرِي مُحَمَّدٌ إلا ما كَتَبْتُ له فَأَمَاتَهُ الله فَدَفَنُوهُ فَأَصْبَحَ وقد لَفَظَتْهُ الْأَرْضُ .فَقَالُوا :هذا فِعْلُ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ لَمَّا هَرَبَ منهم نَبَشُوا عن صَاحِبِنَا فَأَلْقَوْهُ فَحَفَرُوا له فَأَعْمَقُوا فَأَصْبَحَ وقد لَفَظَتْهُ الْأَرْضُ . فَقَالُوا :هذا فِعْلُ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ نَبَشُوا عن صَاحِبِنَا لَمَّا هَرَبَ منهم فَأَلْقَوْهُ فَحَفَرُوا له وَأَعْمَقُوا له في الأرض ما اسْتَطَاعُوا فَأَصْبَحَ قد لَفَظَتْهُ الْأَرْضُ فَعَلِمُوا أَنَّهُ ليس من الناس فَأَلْقَوه).

(٢) الوسيط (٣٦٣/٤) .

(٣) الجامع لأحكام القرآن(٨/١٩).

(٤) أخرجه الطبري بسنده عنه "جامع البيان " (١٠٤/٢٩)، ولفظه قال : (غنى ربنا) .

(٥) جامع البيان (١٠٤/٢٩) ،والكشف والبيان(٥٠/١٠) ،والتحصيل (أ/١٧٦)، وتفسير القرآن (٦/ ٦٤)،والكشاف (٦٢٦/٤) والتفسير الكبير (١٣٧/٣٠)، والجامع لأحكام القرآن (٨/١٩)، وغرائب الفرقان (٣٦٩،٣٧٠/٦)، ولباب التأويل (٢٩٠/٦)، وإرشاد العقل السليم (٤٣/٩) .

(٦) لفظ الحديث عند البخاري من رواية وَرَّادٍ مولى الْمُغِيرَةِ بن شُعْبَةَ قال : كَتَبَ الْمُغِيرَةُ إلى مُعَاوِيَةَ بن أبي سُفْيَانَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ – ﷺ – كان يقول في دُبُرِ كل صَلَاةٍ إذا سَلَّمَ : ((لَا إِلَهَ إلا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ له له الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وهو على كل شَيْءٍ قَدِيرٌ اللهم لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ ولا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ ولا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ)).

أخرجه البخاري في كتاب الدعوات ، باب الدعاء بعد الصلاة (٢٣٣٢/٥) ح ٥٩٧١ .

(٧) لفظ الحديث عند البخاري عن أُسَامَةَ مرفوعاً ((قُمْتُ على بَابِ الْجَنَّةِ فَكَانَ عَامَّةُ من دَخَلَهَا الْمَسَاكِينَ وَأَصْحَابُ الْجَدِّ مَحْبُوسُونَ غير أَنَّ أَصْحَابَ النَّارِ قد أُمِرَ بِهِمْ إلى النَّارِ وَقُمْتُ على بَابِ النَّارِ فإذا عَامَّةُ من دَخَلَهَا النِّسَاءُ)).

أخرجه البخاري في كتاب الرقاق ، باب صفة الجنة والنار (٢٣٩٧/٥)ح (٦١٨١) .

و أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء وبيان الفتنة بالنساء (٢٠٩٦/٤) ح (٢٧٣٦) بنحوه.

القول الثالث : آلاء الله تعالى ونعمه على خلقه ، وهو مروي عن ابن عباس [١]- ﷺ - وقال به الضحاك [٢]، والقرظي[٣] ، وأورده الراغب الأصفهاني ، و البغوي ، القرطبي ، والخازن ، وابن كثير - -رحمهم الله تعالى- [٤].

الترجيح

الراجح - والله تعالى أعلم بالصواب — أن معنى ﴿جَدُّ رَبِّنَا ﴾جلال الله تعالى وعظمته ، وهو ما رجحه ابن جُزيّ وجمهور المفسرين ؛ لأنه قول عام تدخل فيه الأقوال الأخرى دون تدافع وما ورد عن السلف من الأقوال الأخرى فهي تفسير بلازم المعنى يحتمله القول الأول. و (حمل نصوص الوحي على العموم أولى) [٥] . ويُؤيده :

١. دلالة اللغة : فالجد في اللغة يطلق على أبي الأب وأبي الأم وهذا لا يصح أن يكون ما قصده الجن ،؛لأن الله تعالى أخبر عنهم أنهم قالوا: ﴿يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾[٦] والجدُّ البخت والحظوة و الجد الحظ يقال هم يجدون بهم ويحظون بهم أي يصيرون ذا حظ وغنى اهـ [٧] .

قال مكيّ بن أبي طالب : «والجد في اللغة على وجوه ، منها : الجد أبو الأب ، وأبو الأم ، والجدّ : الحظّ وهو البخت بالفارسية ، والجد العظمة . والجد مصدر جَدَدْتُ الشيء جَدّا ، ولا يليق بهذا الموضع من كتاب الله من هذه الوجوه إلا العظمة»[٨].

٢. أنَّ سياق الآية يدل عليه ، فإن الجن نزهوا الله تعالى بقولهم :﴿ مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾لكمال علوه وعظمته وغناه عن خلقه .و(إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عن ذلك)[٩] .

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٤/٤٢٩) .

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٩/٨) .

(٣) وقفت عليه منسوبا في معالم التنزيل (٤/٤٠١)، والجامع لأحكام القرآن (١٩/٨).

(٤)وقفت عليه منسوبا في الجامع لأحكام القرآن (١٩/٨)، ولباب التأويل (٦/٢٩٠)، (٤/٣٨٧) ، تفسير القرآن العظيم (٤/٤٢٩) .

(٥) يُنظر : قواعد الترجيح (١/٥٢٧).

(٦) سورة الجن:٢ .

(٧)لسان العرب (٣/١٠٧).

(٨)الهداية إلى بلوغ النهاية (١٢ / ٧٧٦٠)

(٩)قواعد الترجيح (١ / ١٢٥).

قال الإمام الطبريّ – رحمه الله – : « وإنما عنوا أنّ حظوته من الملك والسلطان والقدرة والعظمة عالية فلا يكون له صاحبة ولا ولدًا؛ لأن الصاحبة إنما تكون للضعيف العاجز الذي تضطره الشهوة الباعثة إلى اتخاذها ، وأنّ الولد إنما يكونُ عن شهوة أزعجته إلى الوقاع الذي يحدث منه الولد فقال النفر من الجن : علا ملك ربنا وسلطانه وقدرته وعظمته أن يكون ضعيفا ضعف خلقه الذين تضطرهم الشهوة إلى اتخاذ صاحبة أو وقاع شيء يكون منه ولد »)[1] .و الله تعالى أعلم.

(١)جامع البيان (٢٩/١٠٥).

قول الله – ﷻ – : ﴿وَإِنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا﴾[1] .

❁ (٢١)مسألة : في المراد بالسفيه في الآية .

ترجيح ابن جُزيّ – رحمه الله – :

رجح أن السفيه في هذا الموضع يُراد به إبليس.

مجمل ما ذكره في الآية :

قال : «هذا من كلام الجن ، وسفيههم أبوهم إبليس . وقيل : هو اسم جنس لكل سفيه منهم واختار ذلك ابن عطية » [2].

العرض و المناقشة :

اختُلف في المراد بالسفيه على أربعة أقوال وهي :

القول الأول : ما رجحه ابن جُزيّ موافقاً المروي عن مجاهد [3] . و ما ذهب إليه ا لطبري ومكي بن أبي طالب ، والمهدوي ، و ابن عطية ، وابن الجوزي ، وبيان الحق ، و وافقهم الثعالبي وحكاه الألوسي عن الجمهور–رحمهم الله تعالى– [4].

قال الطبري–رحمه الله تعالى– : « يقول ﷻ مخبرا عن قيل النفر من الجنّ الذين استمعوا القرآن أَنَّهُ كانَ يَقُولُ سَفِيهنا وهو إبليس » [5].

القول الثاني : المراد بالسفيه في الآية أنه اسم جنس لكل سفيه منهم . قال به الشربيني ،وابن عاشور–رحمهما الله تعالى– [6].

قال الخطيب الشربيني–رحمه الله تعالى– : « ﴿سَفِيهُنَا﴾ هو للجنس، فيتناول إبليس رأس الجنس تناولاً أوّلياً وكل من تبعه ممن لم يعرف الله تعالى ؛ لأنّ ثمرة العقل العلم، وثمرة العلم معرفة الله تعالى، فمن لم

---

(١) سورة الجن:٤ .

(٢) التسهيل (١٥٢/٤) .

(٣) أخرجه الطبري بسنده عنه: جامع البيان (١٠٧/٢٩)، ولفظه قال : (إبليس) .

(٤) جامع البيان (١٠٧/٢٩)،والهداية إلى بلوغ النهاية (١٢ / ٧٧٦١) ، والتحصيل في مختصر التفصيل (أ /١٧٧)،والمحرر الوجيز(٣٨٠/٥)،وتذكرة الأريب (٢٤٧/٢)، وباهر البرهان (١٥٥٨/٣)،والجواهر الحسان(٣٤٦/٤)،وروح المعاني (٨٥/٢٩).

(٥) جامع البيان (١٠٧/٢٩).

(٦) السراج المنير (١٢٢/٨) ، والتحرير والتنوير (٢٢٣/١٢).

يعرفه فهو الذي يقول ﴿ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ الذي له صفات الكمال المنافية لقول هذا السفيه ﴿شَطَطًا﴾ .أي: كذباً وعدواناً، وهو وصفه بالشريك والولد »[1].

القول الثالث : المراد به كافرهم . ذكره أبو الليث ، وابن أبي زمنين ، والواحدي ، وابن الجوزي ، والقرطبي ، والشوكاني-رحمهم الله تعالى- [2].

القول الرابع : جاهلهم . قال به مكي بن أبي طالب ، وجلال الدين المحلي ، وأورده الماوردي – رحمهم الله تعالى- [3].

الترجيح

الراجح – والله تعالى أعلم بالصواب – أنَّ السفيه في هذا الموضع يُراد به " إبليس " وهو ما رجحه ابن جُزيّ ، وجمهور المفسرين [4] ؛ لأن " إبليس رأس السفهاء جميعا إذ عرّضَ نفسه للطرد من رحمة أرحم الراحمين فبعُد عن مواطن الرحمة والسعادة إلى العذاب السرمدي ؛ إرضاء لترعة الكبر في نفسه ، وأخذ على نفسه العهد على إغواء كل من سلك طريق الهدى والصواب **ومما يؤيد هذا القول:**

١. أنه قول جمهور المفسرين وهو يتوافق مع القاعدة التفسرية : (تحمل الآية على المعنى الذي استفاض النقل فيه عن أهل العلم وإن كان غيره محتملاً)[5].
٢. أنه معنى عام تدخل فيه جميع الأقوال الأخرى دون تدافع . و الله تعالى أعلم.

(١) السراج المنير (١٢٢/٨) .

(٢) بحر العلوم (٤٨١/٣)، وتفسير القرآن العزيز (٤٣/٥) ، والوسيط (٣٦٣/٤) ، و زاد المسير (٣٧٨/٨) ، والجامع لأحكام القرآن (٩/١٩) ، وفتح القدير (٣٠٤/٥).

(٣) تفسير الجلالين (٧٧٠/١) ، والنكت والعيون (١١٠/٦) .

(٤) المحرر الوجيز (٣٨٠/٥) ، والجواهر الحسان (٣٤٦/٤) ، وروح المعاني (٨٥/٢٩) .

(٥) قواعد التفسير (٢/ ٨٠٤).

قول الله – ﷻ – : ﴿وَإِنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلۡإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَزَادُوهُمۡ رَهَقًا﴾[1] .

❁ (٢٢)مسألة : في عود الضمير في قوله تعالى :﴿ فَزَادُوهُم ﴾.

ترجيح ابن جُزيّ – رحمه الله – :

رجَّح أن مرجع الضمير المرفوع إلى الجن والمعنى : أنّ الجنَّ زادوا الإنس ضلالا وإثما لما عاذوا بهم ، أو زادوهم تخويفا لما رأوا ضعّفَ عقولهم .

مجمل ما ذكره ابن جُزيّ في الآية

قال : « ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ضمير الفاعل للجن وضمير المفعول للإنس ، والمعنى : أنَّ الجن زادوا الإنسَ ضلالا وإثما لما عاذوا بهم ، أو زادوهم تخويفً ا لما رأوا ضعف عقولهم . وقيل: ضمير الفاعل للإنس، وضمير المفعول للجن، والمعنى : أنَّ الإنسّ زادوا الجن تكبرا، وطغيانا لما عاذوا بهم حتى كان الجنُّ يقول : أنا سيد الجنِّ والإنس » [2].

العرض و المناقشة :

اختُلف في عود الضمير على قولين وهما :

القول الأول : ما رجَّحه ابن جُزيّ موافقا المروي عن ابن عباس [3]– ﷺ – ، وقال به مجاهد [4] وعكرمة[5] وقتادة [6]وابن زيد [7].

---

(١) سورة الجن:٦.

(٢) التسهيل (١٥٣/٤).

(٣) وقفت عليه منسوبا في الجامع لأحكام القرآن (١٠/١٩) ، واللباب في علوم الكتاب (٤١٦/١٩) .

(٤) وقفت عليه منسوبا في الجامع لأحكام القرآن (١٠/١٩)، واللباب في علوم الكتاب (٤١٦/١٩) ، وفتح القدير (٣٠٥/٥).

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم عنه في (تفسير القرآن العظيم)(٣٣٧٧/١٠) ، ولفظه قال : (كان الجن يفرقون من الإنس كما يفرق الإنس منهم أو اشد وكان الإنس إذا نزلوا وادياً هرب الجن فيقول سيد القوم نعوذ بسيد أهل هذا الوادي فقال الجن نراهم يفرقون منا كما نفرق منهم فدنوا من الإنس فأصابوهم بالخبل والجنون . فذلك قول الله : ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلۡإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَزَادُوهُمۡ رَهَقًا﴾.

(٦) وقفت عليه منسوبا في تفسير القرآن العظيم (٣٨٧/٤)، والجامع لأحكام القرآن (١٠/١٩)، وفتح القدير (٣٠٥/٥).

(٧) أخرجه الطبري بسنده عنه: جامع البيان (١٠٩/٢٩)، ولفظه قال : (زادهم الجن خوفا) .

وما ذهب إليه الرازي ، واقتصر عليه ابن أبي زمنين ، وقدمه القرطبي [1] – رحمهم الله – .

قال الرازي : « والمعنى أن رجال الإنس إنما استعاذوا بالجن خوفاً من أن يغشاهم الجن ، ثم إنهم زادوا في ذلك الغشيان فإنهم لما تعوذوا بهم و لم يتعوذوا بالله استذلوهم واجترؤ وا عليهم فزادوهم ظلمًا. وهذا معنى قول عطاء خبطوهم وخنقوهم ، وعلى هذا القول زادوا من فعل الجن. وفي الآية قول آخر ، وهو أن زادوا من فعل الإنس : وذلك ؛ لأن الإنس لما استعاذوا بالجن ، فالجنُّ يزدادون بسبب ذلك التعوذ طغياناً فيقولون : سُدْنا الجنَّ والإنس. والقول الأول هو اللائق بمساق الآية والموافق لنظمها» [2].

القول الثاني : أن الزيادة من فعل الإنس ، وهو مروي عن أبي العالية [3]، ومجاهدٍ [4] – .

وقال به أبو الليث ، والبغوي ، والنسفي ، وقدّمه القمي النيسابوري ، وأبو حيَّان ، وجلال الدين المحلّي –رحمهم الله تعالى– [5] .

قال أبو حيان : « والظاهر أن الضمير المرفوع في ﴿ فَزَادُوهُمْ﴾ عائد على ﴿رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ ﴾ إذ هم المحدث عنهم » [6].

الترجيح

أرى – والله تعالى أعلم بالصواب – حمل المعنى على كلا القولين ؛ لأن المزايدة واقعة على العائذين، والمستعاذُ بهم ، و حصول أثر ذلك واقع عليهما . والمعنى أنّ الجن زادوا الإنس إثما وضلالة ، وهم زادوهم باستعاذتهم بهم تكبرا وطغيانا، وهو موافق للقاعدة التفسيرية : (إذا كان في الآية ضمير يحتمل عوده إلى أكثر من مذكور وأمكن الحمل على الجميع ، حُمل عليه) [7]. **و مما يؤيده دلالة اللغة** فالرهق يأتي في اللغة بمعنى السفه ، والجهل ، والإثم ، وغشيان المحارم .

---

(١) التفسير الكبير (١٣٨/٣٠)،و تفسير القرآن العزيز (٤٣/٥) ،و الجامع لأحكام القرآن (١٠/١٩).

(٢) التفسير الكبير (١٣٨/٣٠).

(٣) فتح القدير (٣٠٥/٥).

(٤) البحر المحيط (٣٤١/٨)، والجامع لأحكام القرآن (١٠/١٩)، واللباب في علوم الكتاب (٤١٦/١٩)، والجواهر الحسان (٣٩١/٣) وروح المعاني (٨٥/٢٩).

(٥) بحر العلوم (٤٨١/٣)،ومعالم التنزيل (٤٠٢/٤)، ومدارك التنزيل (٢٩٩/٤)، غرائب القرآن (٦ / ٣٧١) ،والبحر المحيط (٣٤١/٨) وتفصير الجلالين (٧٧١/١).

(٦) البحر المحيط (٣٤١/٨).

(٧) قواعد التفسير (١/ ٤٠٠).

قال ابن فارس : « " رهق " الراء والهاء والقاف أصلان متقاربان فأحدهما غشيان الشيء الشيء والآخر العجلة والتأخير» [1].

فحصول أثر هذه المزايدة من الطرفين واقع عليهما ؛ ولذلك جاء التعبير بالمصدر مبالغة في ذمهم واستهجان لفعلهم ، وهو موافق للقاعدة التفسيرية: (التعقيب بالمصدر يفيد الذم) [2].

قال الطبري—رحمه الله تعالى- : « وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال معنى ذلك فزاد الإنس الجن بفعلهم ذلك إثما وذلك زادوهم به استحلالا لمحارم الله »[3]. و الله تعالى أعلم.

(١) مقاييس اللغة (٢/٤٥١).

(٢) قواعد التفسير (١/ ٢٦٤) .

(٣) جامع البيان (٢٩/١٠٩).

قول الله – ﷻ – : ﴿وَإِنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا﴾[1] .

❁ (٢٣)مسألة : الرمي بالشهب أكان قبل البعثة أم بعدها ؟

ترجيح ابن جُزيّ – رحمه الله – :

رجح أن رمي الجن بالشهب كان قبل البعثة قليلا ثم زادت بعد مبعثه– ﷺ – .

مجمل ما ذكره ابن جُزيّ في الآية

قال : « قال بعضهم : إن رمي الجن بالنجوم إنما حدث بعد مبعث النبي – ﷺ – واختار ابن عطية والزمخشري أنه كان قبل المبعث قليلا ، ثم زاد بعد المبعث وكثر حتى منع الجن من استراق السمع بالكلية. والدليل أنه كان قبل المبعث قول رسول الله–ﷺ–لأصحابه وقد رأى كوكبا انقض : ((ما كنتم تقولون لهذا في الجاهلية؟ قالوا : كنا نقول ولد ملك أو مات ملك. فقال رسول الله –ﷺ– : ليس الأمر كذلك)) .ثم وصف استراق الجن للسمع وقد ذكر شعراء الجاهلية ذلك في أشعارهم» [2].

العرض و المناقشة :

في المسألة قولان وهما :

القول الأول : ما رجَّحه ابن جُزيّ موافقًا للسمرقندي ، والبغوي [3]، وما ذهب إليه السمعاني والزمخشري ، وابن عطية، و القرطبي [4]، و وافقهم أبو حيان ، وا بن كثير ، وجلال الدين المحلّي وأبو السعود ، والألوسي[5]–رحمهم الله تعالى– .

واستُدل عليه بأمرين :

الأول : بما رواه ابن عَبَّاسٍ قال : أخبرني رِجَالٌ من أَصْحَابِ رسول اللَّهِ –ﷺ– من الأَنْصَارِ أَنَّهُمْ بَيْنَا هُمْ جُلُوسٌ لَيْلَةً مع رسول اللَّهِ–ﷺ– رُمِيَ بِنَجْمٍ فَاسْتَنَارَ فقال لهم رسول–ﷺ– : ((ما كُنْتُمْ تَقُولُونَ في الْجَاهِلِيَّةِ إذَا رُمِيَ بِمِثْلِ؟ هذا قالوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ .كنا نَقُولُ: وُلِدَ اللَّيْلَةَ رَجُلٌ عَظِيمٌ وَمَاتَ اللَّيْلَةَ

(١) سورة الجن:٩.

(٢) التسهيل (١٥٣/٤).

(٣)بحر العلوم (٤٨١/٣)، ومعالم التنزيل (٤٠٢/٤).

(٤)تفسير القرآن (٦٧/٦)، والكشاف (٦٢٧/٤)، والمحرر الوجيز (٣٨١/٥)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/١٩).

(٥)البحر المحيط (٣٤٣/٨)، وتفسير القرآن العظيم (٤٣٠/٤)، وتفسير الجلالين (٧٧١/١)، و إرشاد العقل السليم (٤٤/٩) وروح المعاني (٨٧/٢٩).

رَجُلٌ عَظِيمٌ . قال رسول اللَّهِ -ﷺ- : فَإِنَّهَا لاَ يُرْمَى بها لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلاَ حَيَاتِهِ وَلَكِنَّ رَبَّنَا تَبَارَكَ اسْمُهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا سَبَّحَ حَمَلَةُ الْعَرْشِ ، ثُمَّ سَبَّحَ أَهْلُ السَّمَاءِ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ حتى يَبْلُغَ التَّسْبِيحُ أَهْلَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا . قال الَّذِينَ يَلُونَ حَمَلَةَ الْعَرْشِ لِحَمَلَةِ الْعَرْشِ : مَاذَا قال رَبُّكُمْ ، فَيُخْبِرُونَهُمْ فَيَسْتَخْبِرُ أَهْلُ السَّمَوَاتِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا حتى يَبْلُغَ الْخَبَرُ هذه السَّمَاءَ الدُّنْيَا فَتَخْطَفُ الْجِنُّ السَّمْعَ فَيُلْقُونَهُ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ وَيُرْمَوْنَ بِهِ فما جَاءُوا بِهِ على وَجْهِ فَهُوَ حَقٌّ وَلَكِنَّهُمْ يَرْقُوْنَ فيه وَيَزِيدُونَ)) [(١)].

فقول المصطفى -ﷺ- : ((ما كُنْتُمْ تَقُولُونَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِذَا رُمِيَ بِمِثْلِ)) دليل على أن رمي الشياطين كان قبل مبعثه -ﷺ- .

الثاني : لقد ورد ذكر الرمي بالشهب في أشعار العرب مما يُستدل به أنه كان شائعا معروفا لديهم قال الزمخشري : « والصحيح أنه كان قبل المبعث . وقد جاء ذكره في شعر أهل الجاهلية. قال بشر بن أبي خازم [(٢)]:

وَالْعِيرُ يُرْهِقُهَا الْغُبَارُ وَجَحْشُهَا ... يَنْقَضُّ خَلْفَهُمَا انْقِضَاضَ الْكَوْكَبِ [(٣)] .

وقال أوس بن حجر [(٤)] :

وَانْقَضَّ كَالدُّرِّيِّ يَتْبَعُه ... نَقْعٌ يَثُورُ تَخَالُهُ طُنُبَا [(٥)].

وقال عوف بن الخرع [(٦)]:

يَرُدُّ عَلَيْنَا الْعِ يرَ مِنْ دُونِ إِلْفِه ... أَوِ الثَّوْرَ كَالدُّرِّيِّ يَتْبَعُهُ الدَّمُ [(٧)].

ولكن الشياطين كانت تسترق في بعض الأحوال فلما بعث رسول الله -ﷺ- كثر الرجم وزاد زيادة

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب السلام ، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان (١٧٥٠/٤) ح (٢٢٢٩).

(٢) بشر بن أبي خازم عمرو بن عوف الأ سدي، أبو نوفل . شاعر جاهلي فحل. من الشجعان. من أهل نجد، من بني أسد ابن خزيمة. توفي قتيلا في غزوة أغار بها على بني صعصعة بن معاوية . توفي نحو(٢٢ ق هـ).

يُنظر : الأنساب (٥٦٨/٥) ، و الأعلام (٢ / ٥٤).

(٣) زاد المسير (٣٨٩/٤)، و البحر المحيط (٣٤٣/٨)، و روح المعاني (٨٧/٢٩).

(٤) أوس بن حجر بن مالك التميمي، أبو شريح ، شاعر تميم في الجاهلية، أو من كبار شعرائها . في نسبه اختلاف بعد أبيه حجر . عمر طويلا، و لم يدرك الاسلام. تُوفي سنة (٩٨ - نحو ٢ ق هـ).

يُنظر : الأغاني (٧٣/١١)، والإكمال (٢٨٢/٤) ، والأعلام (٢ / ٣١).

(٥)محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء (٧٠١/٢).

(٦) عوف بن عطية بن عمرو الملقب. بالخرع ابن عبس بن وديعة التيمي، من تيم الرباب، من مضر ،شاعر جاهلي فحل. أدرك الإسلام .

يُنظر : طبقات فحول الشعراء (١٦٤/١) ، والأعلام (٥ / ٩٦).

(٧) التفسير الكبير (١٣٩/٣٠) ، وروح المعاني (٨٧/٢٩).

ظاهرة حتى تنبه لها الإنس والجن ومنع الاسترق أصلاً » [1].

القول الثاني : لم تحُرس السماء في زمن الفترة فيما بين عيسى ومحمد – عليهما الصلاة والسلام – خمسمائة عامٍ ، فلما بعث محمد –ﷺ– منعوا من السموات كلِّها وحرست بالملائكة والشهب . وهو مروي عن ابن عباس [2] – رضي الله عنه – . وأورده القرطبي ، والنسفي ، وابن عادل وأبو السعود –رحمهم الله تعالى– [3] .

واستُدل عليه : بما روي عَنْ اِبْنِ عَبَّاس –رضي الله عنه– قَالَ:«لَمْ تَكُنْ السَّمَاء تُحْ رَس فِي الْفَتْرَة بَيْن عِيسَى وَمُحَمَّد، فَلَمَّا بُعِثَ مُحَمَّد حُرِسَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَرُجِمَتْ الشَّيَاطِين ،فَأَنْكَرُوا ذَلِكَ » [4].

وقال – رضي الله عنه – : «كان الْجِنُّ يَصْعَدُونَ إِلَى السَّمَاءِ يَسْتَمِعُونَ الْوَحْيَ فإذا سَمِعُوا الْكَلِمَةَ زَادُوا فيها تِسْعًا وَأَمَّا الْكَلِمَةُ فَتَكُونُ حَقًّا وَأَمَّا ما زَادُوا فَيَكُونُ بَاطِلاً فلما بُعِثَ رسول اللَّهِ –ﷺ– مُنِعُوا مَقَاعِدَهُمْ فَذَكَرُوا ذلك لِإِبْلِيسَ و لم تَكُنْ النُّجُومُ يُرْمَى بها قبل ذلك فقال لهم إِبْلِيسُ : ما هذا إِلاَّ لأَمْرٍ قد حَدَثَ في الأَرْضِ فَبَعَثَ جُنُودَهُ فَوَجَدُوا رَسُولَ اللَّهِ –ﷺ– قَائِمًا يُصَلِّي بين جَبَلَيْنِ قال: أَرَاهُ . قال : بِأَعْلَى مَكَّةَ – شَكَّ الْفِرْيَابِيُّ – فَأَتَوْهُ فَأَخْبَرُوهُ . فقال: هذا الْحَدَثُ الذي حَدَثَ في الأَرْضِ» [5].

---

(١) الكشاف (٤/ ٦٢٧،٦٢٨).

(٢) أخرجه الطبري بسنده عنه " جامع البيان " (٣٠/٢٦) ، ولفظه : (لم تكن السماء تحرس في الفترة بين عيسى ومحمد وكانوا يقعدون مقاعد للسمع ، فلما بعث الله محمدا حرست السماء حرسا شديدا ورجمت الشياطين فأنكروا ذلك وقالوا : لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا . فقال إبليس : لقد حدث في الأرض حدث واجتمعت إليه الجن ، فقال: تفرقوا في الأرض فأخبروني ما هذا الخبر الذي حدث في السماء ؟وكان أول بعث ركب من أهل نصيبين وهي أشراف الجن وساداتهم فبعثهم إلى تهامة فاندفعوا حتى بلغوا الوادي وادي نخلة ،فوجدوا نبي الله يصلي صلاة الغداة ببطن نخلة ، فاستمعوا فلما سمعوه يتلو القرآن قالوا: أنصتوا و لم يكن نبي الله علم أنهم استمعوا إليه وهو يقرأ القرآن فلما قضي ولوا إلى قومهم منذرين) .

إسناده ضعيف فيه جملة من الضعفاء وهم : محمد بن سعد . قال الخطيب :كان لينا في الحديث. لسان الميزان (١٧٤/٥).

سعد بن محمد بن الحسن بن عطية : قال و لم يكن هذا أيضا ممن يستأهل أن يكتب عنه ولا كان موضعا لذاك حكاه الخطيب. لسان الميزان (١٨/٣).

الحسين بن الحسن بن عطية العوفي : ضعفه يحيى بن معين وغيره . وقال بن حبان : (روى أشياء لا يتابع عليها لا يجوز الا حتجاج بخبره). لسان الميزان (٢٧٨/٢).

محمد بن الحسن بن عطية بن سعد العوفي أبو سعد الكوفي: وقال أبو حاتم : (ضعيف الحديث) ، وقال البخاري : (لم يصح حديثه). تهذيب التهذيب (١٠٣/٩).

الحسن بن عطية بن سعد بن جنادة العوفي: قال بن حبان في الثقات: (أحاديثه ليست بنقية) . تهذيب التهذيب (٢٥٥/٢).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٢/١٩)، ومدارك التنزيل (٢٨٧/٤)، واللباب في علوم ا لكتاب (٤٢٠/١٩)،و إرشاد العقل السليم (٤٤/٩).

(٤) أخرجه الطبري بسنده عنه " جامع البيان " (٣٠/٢٦) ، و ذكره السيوطي في "الدر المنثور "(٣٠٢/٨) ، و زاد نسبته لابن مردويه والبيهقي في الدلائل بمثله .

(٥) أخرجه الترمذي في سننه ، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله – ﷺ – ، باب ومن سورة الجن (٤٢٧/٥) ح (٣٣٢٤) وأخرجه

فظاهر قول ابن عباس -رضي الله عنهما- يدل أن الرمي بالشهب كان بعد مبعثه -ﷺ- .

الترجيح

الراجح – والله تعالى أعلم بالصواب – أنَّ رميَ الجنِّ بالشهب كان قبل البعثة قليلا ثم زادت بعد مبعثه -ﷺ- وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ، وقال به أكثر أهل العلم [1] ؛ لأن الله تعالى أخبر عنهم بأمرين و هما [2]:

الأول: قولهم :﴿ مُلِئَتْ ﴾ يدل على أن السماء كانت فيها حرس وشهب ولكن بها أماكن غير محروسة ، فكانوا قبل بعثته – ﷺ- يسترقون السمع فقد تصيبهم الشهب أو لا تصيب ، أما بعد البعثة وجدوا أن الأمر اختلف عليهم فلم يستطيعوا استراق السمع لكثرة الحرس والشهب .

والثاني : قولهم : ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ ﴾ إخبار بحالهم من الاستراق قبل البعثة ﴿فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ ﴾ . أي : بدءا من مبعثه -ﷺ- ﴿ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا ﴾. وهو موافق للقاعدة الترجيحية : (إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عن ذلك) [3].

قال القرطبي : « والقول بالرمي أصح لقوله تعالى :﴿ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴾[4]. وهذا إخبار عن الجنِّ أنه زيد في حرس السماء حتى امتلأت منها ومنهم » [5]. **ومما يؤيده عدة أمور وهي :**

١. النظائر القرآنية : فقد ذكر الله تعالى في كتابه العزيز بحراسة السماء منذ خلقها ،كما قال تعالى : ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ ۝٦ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ﴾[6]، وقول الله – ﷻ-: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴾ [7].

وأخرجه النسائي في الكبرى بمثله (٦/٥٠٠) ح (١١٦٢٦) ، و أبو يعلى في مسنده (٤/٣٨٢) ح (٢٥٠٢)، والطبراني في المعجم الكبير (١٢/٤٦) ح (١٢٤٣١) . قال الترمذي : (حديث حسن صحيح) .

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٩/١٣).

(٢) يُنظر : شرح مشكل الاثار (٦/١١٠)، والجامع لأحكام القرآن (١٩/١٢).

(٣) قواعد الترجيح (١ / ١٢٥).

(٤) سورة الجن : ٨ .

(٥) الجامع لأحكام القرآن (١٩/١٣).

(٦) سورة الصافات: ٦- ٧ .

(٧) سورة المُلك:٥ .

٢. قول النبي – ﷺ – مقدم على قول غيره . و (إذا ثبت الحديث وكان نصًا في تفسير الآية فلا يصار إلى غيره) [١].

قال ابن المنير [٢]–رحمه الله تعالى– معقبًا على قول ابن عباس – رضي الله عنه – : «ظَاهِرُ الْخَبَر أَنَّ الشُّهُب لَمْ تَكُنْ يُرْمَى بِهَا ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ ؛ لِمَا دَلَّ عَلَيْهِ حَدِيث مُسْلِم . وَأَمَّا قَوْله تَعَالَى : ﴿ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْآنَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴾ . فَمَعْنَاهُ : أَنَّ الشُّهُب كَانَتْ تُرْمَى فَتُصِيب تَارَة وَلَا تُصِيب أُخْرَى ، وَبَعْد الْبَعْثَة أَصَابَتْهُمْ إِصَابَة مُسْتَمِرَّة فَوَصَفُوهَا لِذَلِكَ بِالرَّصَدِ ، لِأَنَّ الَّذِي يَرْصُد الشَّيْء لَا يُخْطِئهُ ، فَيَكُونُ الْمُتَجَدِّد دَوَام الْإِصَابَة لَا أَصْلهَا » [٣]. والله تعالى أعلم.

(١) قواعد الترجيح (١ / ١٩١) .

(٢) أحمد بن محمد بن منصور الجذامي الإسكندراني ابن المنير . وُلد سنة (٦٢٠هـ)، أحد الأئمة المتبحرين في العلوم من التفسير والفقه والأصلين والنظر والعربية والبلاغة والإنشاء .من كتبه (التفسير للقرآن العظيم ، والانتصاف من الكشاف). تُوفي سنة (٦٨٣ هـ).

يُنظر : طبقات المفسرين للأدنه وي (٢٥٢/١) ، و الأعلام (١ / ٢٢٠).

(٣) فتح الباري (٦٧٣/٨).

قول الله – ﷻ – : ﴿وَأَن لَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقاً﴾[1] .

❁ (٢٤)مسألة : المراد بالطريقة في الآية .

ترجيح ابن جُزيّ – رحمه الله – :

رجح معنى الطريقة في الآية هي طريقة الإسلام وطاعة الله تعالى .

مجمل ما ذكره ابن جُزيّ في الآية

قال : «...والطريقة هي: طريقة الإسلام وطاعة الله، فالمعنى لو استقاموا على ذلك لوسّع الله أرزاقهم فهو كقوله : ﴿وَلَوَ ٱنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَاتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَالأَرْضِ﴾ [2].وقيل: هي طريقة الكفر ، والمعنى على هذا لو استقاموا على الكفر لوسع الله عليهم في الدنيا أملاكهم استدراجا ، ويؤيد هذا قوله :﴿لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ . والأول أظهر» [3].

العرض و المناقشة :

اختُلف في معنى الطريقة على قولين وهما :

القول الأول : ما أظهره ابن جُزيّ موافقا المروي عن ابن عباس [4] – ﷺ – . وقال به سعيد بن جبير[5] ، ومجاهد [6]،والضحاك [7]،وقتادة[8] ، والسدي [9].

و قال به الطبري ، وافرده بالذكر ابن أبي زمنين ، والواحدي ، وقدمه مكي بن أبي طالب ، و ذهب

---

(١) سورة الجن:١٦ .

(٢) سورة الأعراف : ٩٥ .

(٣) التسهيل (١٥٤/٤).

(٤) أخرجه الطبري بسنده عنه "جامع البيان" (١١٤/٢٩)، ولفظه (يعني بالاستقامة الطاعة) وأخرجه ابن أبي حاتم عنه : تفسير القرآن العظيم (٣٣٧٨/١٠)، ولفظه (قاموا : ما أمروا به) .

(٥) أخرجه الطبري بسنده عنه (المرجع السابق) (١١٥/٢٩)، ولفظه قال : (لأسقيناهم ماء غدقاً قال مالاً كثيراً).

(٦) أخرجه الطبري بسنده عنه (المرجع السابق)، ولفظه (وأن لو استقاموا على الطريقة طريقة الإسلام) .

(٧) أخرجه الطبري بسنده عنه" جامع البيان" (١١٥/٢٩)، ولفظه (قال هذا مثل ضربه الله كقوله ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم وقوله تعالى ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض).

(٨) أخرجه الطبري بسنده عنه (المرجع السابق) (١١٥/٢٩)، ولفظه قال :(لو آمنوا كلهم لأوسعنا عليهم من الدنيا).

(٩) زاد المسير (٣٨١/٨).

إليه السمعاني ، وابن عطية ، وابن الجوزي ، والقرطبي ، والنسفي[1] ، و وافقهم الثعالبي والشربيني والشوكاني ، وابن عاشور-رحمهم الله تعالى- [2].

قال مكي بن أبي طالب : « أي : لو استقام القاسطون على طريقة الحق أي : طريقة الإسلام وهي الطاعة لله لَوسّعنا عليهم في الرزق لنختبرهم فيه فننظر عملهم وشكرهم » [3] .

القول الثاني : أنَّ المراد بالطريقة : طريقة الكفر. أي : ، وهو مروي عن أبي مجلز [4] [5] والربيع [6][7].وأورده الطبري ،والمهدوي ، والزمخشري ، وبيان الحق النيسابوري ، وابن الجوزي ، والرازي والقرطبي ، وابن عادل-رحمهم الله تعالى- [8].

الترجيح

الظاهر – والله أعلم بالصواب – أنَّ الطريقة : هي طريقة الإسلام وطاعة الله تعالى ، وهو ما ذهب إليه ابن جُزيّ ومن معه ؛ لأن لفظ الطريقة جاء معرفلًو (إذا دخلت الألف واللام على اسم موصوف

---

(١) جامع البيان (١١٤/٢٩) ، وتفسير القرآن العزيز (٤٦/٥)، الوسيط (٣٦٦/٤)، والهداية إلى بلوغ النهاية (١٢ / ٧٧٧١) وتفسير القرآن (٦٩/٦)، والمحرر الوجيز المحرر (٣٨٢/٥-٣٨٣)، وتذكرة الأريب (٢٤٩/٢)، والجامع لأحكام القرآن (١٨/١٩)، ومدارك التنزيل (٣٠٠/٤).

(٢) الجواهر الحسان (٣٩٣/٣)، والسراج المنير (١٢٩/٨)، وفتح القدير (٣٠٨/٥)، والتحرير والتنوير (٢٣٨/١٢).

(٣)الهداية إلى بلوغ النهاية (١٢ / ٧٧٧١).

(٤) أخرجه الطبري بسنده عنه : جامع البيان (١١٥/٢٩)، ولفظه قال : (وأن لو استقاموا على طريقة الضلالة تفسير البحر المحيط (٣٤٤/٨).

(٥)لاحق بن حميد بن سعيد السدوسي البصري أبو مجلز ، ثقة من كبار الثالثة ، روى عنه قتادة وسليمان التيمي . تُوفي سنة (١٠٩ هـــ وقيل قبل ذلك).

يُنظر : التاريخ الكبير(٢٥٨/٨) ، و حلية الأولياء (١١٢/٣) ، و تقريب التهذيب (٥٨٦/١).

(٦) زاد المسير (٣٨١/٨)، و البحر المحيط (٣٤٤/٨).

(٧) الربيع بن أنس البكري ويقال الحنفي البصري ثم الخراساني روى عن أنس بن مالك وأبي العالية والحسن البصري . روى عن أنس بن مالك وأبي العالية والحسن البصري ،وعنه أبو جعفر الرازي والأعمش وسليمان التيمي وسليمان بن عامر البزري . ذكره بن حبان في الثقات . توفي سنة (١٣٩ هـــ).

يُنظر : الكاشف (٣٩١/١) ، و تهذيب الكمال (٦٠/٩) ، و تهذيب التهذيب (٢٠٧/٣).

(٨) جامع البيان (١١٥/٢٩)، والتحصيل (أ/١٧٨)، ومعالم التنزيل (٤٦٤/٥)، والكشاف (٦٣١/٤)، وباهر البرهان (١٥٥٨/٣)، وزاد المسير (٣٨١/٨)، والتفسير الكبير (١٤٢/٣٠،١٤٣)، والجامع لأحكام القرآن (١٩/١٩)، والبحر المحيط (٣٤٤/٨)، واللباب في علوم الكتاب (١٩/ ٤٢٩،٤٢٨).

اقتضت أنه أحق بتلك الصفة من غيره) [1] .

قال السمعاني–رحمه الله تعالى- : « والقول الأول أولى ؛ لأنه عرف الطريقة بالألف واللام فينصرف إلى الطريقة المعروفة المعهودة شرعا وهي الإيمان » [2]. **ومما يؤيده :**

١. وجود اللازم بين الاستقامة والطريقة ؛ فالاستقامة لا تكون إلا في سلوك ا لطريق المستقيم الذي لا عوج فيه .

قال الراغب الأصفهاني : « والاستقامة يقال في الطريق الذي يكون على خط مستو وبه شبه طريق الحق نحو : ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾[3]. و ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا ﴾[4] ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾[5]. واستقامة الإنسان لزومه المنهج المستقيم نحو قوله : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ ﴾[6] ... » [7].

وقال ابن عاشور–رحمه الله تعالى- : « ... والاستقامة على الطريقة تمثيل لهيئة المتصف بالسلوك الصالح والاعتقاد الحق بهيئة السائر سيراً مستقيماً على طريقة ، ولذلك فالتعريف في ﴿ ٱلطَّرِيقَةِ ﴾ للجنس لا للعهد » [8].

٢. جعل الله تعالى شرط الحصول على البركة وسعة الرزق الاستقامة على دينه ، ونظير هذه الآية قول الله تعالى : ﴿ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾[9] .

وقو ل الله – ﷻ -: ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴾[10]. وهو موافق للقاعدة الترجيحية : (

---

(١) قواعد التفسير (١/ ٣٩٦).

(٢) تفسير القرآن (٦/ ٦٩).

(٣) سورة الفاتحة:٦.

(٤) سورة الأنعام:١٥٣.

(٥) سورة هود:٥٦.

(٦) سورة فُصِّلَت:٣٠.

(٧) المفردات في غريب القرآن (٤١٨/١).

(٨) التحرير والتنوير (٢٣٨/١٢).

(٩) سورة النحل:٩٧ .

(١٠) سورة الأعراف:٩٦ .

إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عن ذلك) [1].

(١) قواعد الترجيح (١/١٢٥).

قول الله – ﷻ – :﴿لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ نَسْلُكْهُ عَذَابا صَعَدآ﴾ (١).

❁ (٢٥)مسألة : في معنى ﴿صَعَدا﴾.

ترجيح ابن جُزيّ – رحمه الله – :

رجح أن معنى " صعدا " العذاب الشاق الذي لا راحة.

مجمل ما ذكره ابن جُزيّ في الآية

قال : « والصعَّد الشديد المشقة ، وهو مصدر صعد يصعد ،ووصف بالمصدر للمبالغة يقال : فلان في صعد أي في مشقة ،وقيل: صعدا جبل في النار »(٢).

العرض والمناقشة:

اختُلف في معنى " صعدا " على قولين وهما :

القول الأول : ما رجّحه ابن جُزيّ موافقا للزمخشري ، وبيان الحق ، والبيضاوي والنسفي (٣) ووافقهم أبو حيَّان ، وأبو السعود ، والشوكاني ، وابن عاشور –رحمهم الله تعالى– (٤).

قال الزمخشري : « والصعد مصدر صعد . يقال :صعد صعداً وصعوداً فوصف به العذاب ؛ لأنه يتصعد المعذب أي يعلوه ويغلبه فلا يطيقه ، ومنه قول عمر – ﷺ – : (ما تصعَّدَني شيء ما تصعَّدَتني خطبة النكاح) يريد ما شق على ولا غلبني »(٥).

القول الثاني : وصف خاص بمكان معين في جهنم ــ أجارنا الله منها — فمنهم من قال أن الصعد جبل **في جهنم** ، وهو مروي عن ابن عباس – ﷺ – (٦).

---

(١) سورة الجن:١٧ .

(٢) التسهيل (١٥٤/٤).

(٣) الكشاف (٦٣١/٤)،و أنوار التنزيل (٤٠٠/٥) ، و مدارك التنزيل (٤ / ٣٠١)، وغرائب القرآن (٦ / ٣٧٣).

(٤) البحر المحيط (٨/ص٣٤٥) ، و إرشاد العقل السليم (٤٥/٩)، وفتح القدير (٣٠٩/٥)، والتحرير والتنوير (١٢ / ٢٤٠).

(٥) الكشاف (٦٣١/٤).

(٦) أخرجه الطبري بسنده عنه "جامع البيان "(١١٦/٢٩)، ولفظه قال : (جبل في جهنم) ، وعزاه عنه السيوطي إلى هناد وعبد بن حميد وابن المنذر والحاكم وصححه : الدر المنثور (٣٠٦/٨)، ولفظه قال : (جبلا في جهنم) .

وقال به مكي بن أبي طالب ، والقمي النيسابوري [1]، وممن أورده من المفسرين المهدوي وابن عطية وابن الجوزي ، وأبو حيان ، وابن عادل، والثعالبي، والشربيني، و الألوسي-رحمهم الله تعالى- [2].

وذكر الماوردي-رحمه الله تعالى- عن أبي سعيد - ﷺ- [3] - أنَّه جب في النار [4].

وقال البعض : أنه صخرة من نار .ذكره أبو حيَّان ، والشوكاني ، والآلوسي عن عكرمة- رحمهم الله تعالى- [5].

وحكى ابن كثير-رحمه الله تعالى- عن سعيد ابن جبير - ﷺ -أن الصعد بئر من نار[6].

الترجيح

الراجح – والله أعلم بالصواب – أنَّ الصعد هو العذاب الشاق الذي لا راحة فيه ، وهوما ذهب إليه ابن جزي ومن معه ؛ لأنه معنى عام تنتظم معه المعاني الأخرى دون تدافع ، و (حمل نصوص الوحي على العموم أولى) [7]

قال ابن جزي – رحمه الله – في وجوه الترجيح عنده : «تقديم العمومي على الخصوصي فإن العمومي أولى لأنه الأصل إلا أن يدل دليل على التخصيص »[8].

و مما يُظهر المعنى وصف العذاب بالمصدر يقتضي إدخال ذلك المعرض أشد العذاب ، وهو موافق للقاعدة (التعقيب بالمصدر يفيد التعظيم) [9] . و الله تعالى أعلم .

(١) العمدة في غريب القرآن (٣١٩) ، وغرائب القرآن (٦ / ٣٧٣) .

(٢) التحصيل في مختصر التفصيل (أ / ١٧٨) ، والمحرر الوجيز (٣٨٣/٥) ، واللباب في علوم الكتاب (١٩ / ٤٣٠) والجواهر الحسان في تفسير القرآن(٣٤٩/٤)، والسراج المنير (٨ / ١٢٩ ، ١٣٠) ، وروح المعاني (٩٠/٢٩).

(٣)سعد بن مالك بن سنان بن ثعلبة بن عبيد بن الأبجر ، أبو سعيد الخدري كان أبو سعيد من الحفاظ المكثرين العلماء الفضلاء العقلاء وأخباره تشهد له بتصحيح هذه الجملة . توفي سنة (٧٤ هـ).
يُنظر : الاستيعاب (١٦٧١/٤) ، و الإصابة في تمييز الصحابة (١٧٤/٧).

(٤) النكت والعيون (٦ / ١١٩) .

(٥) البحر المحيط (٣٤٥/٨)، وفتح القدير(٣٠٩/٥)، وروح المعاني (٩٠/٢٩).

(٦) تفسير القرآن العظيم (٤٣٢/٤).

(٧) يُنظر :قواعد الترجيح (٢ / ٥٢٧).

(٨) التسهيل (٩/١).

(٩) قواعد التفسير(١ / ٢٦٤).

قول الله – ﷻ – : ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾[1].

❁ (٢٦)مسألة : في المراد بالمساجد .

ترجيح ابن جُزَيّ – رحمه الله – :

رجَّح أن المراد " بالمساجد " : بيوت عبادة الله تعالى.

مجمل ما ذكره في الآية

قال : « أراد المساجد على الإطلاق وهي بيوت عبادة الله ، وروى أنَّ الآية نزلت بسبب تغلّب قريش على الكعبة. [2] وقيل: أراد الأعضاء التي يسجد عليها واحدها مسجَد بفتح الجيم ، وهذا بعيد » [3].

العرض و المناقشة :

اختُلف في المراد " بالمساجد" في هذا الموضع على أربعة أقوال وهي :

القول الأول : ما رجَّحه ابن جُزيّ موافقًا المروي عن سعيد بن جبير [4]، وعكرمة [5] وقتادة [6] . و قدّمه البغوي ، و أظهره القرطبي ، والنيسابوري [1]، ووافقهم أبو حيّان، وقال به الألوسي

---

(١) سورة الجن:١٨ .

(٢) لم أقف على سبب النزول .

(٣) التسهيل (١٥٤/٤).

(٤) أخرجه الطبري بسنده عنه " جامع البيان " (١١٧/٢٩) ، ولفظه قال : (قالت الجن لنبي الله : كيف لنا نأتي المسجد ونحن ناؤون عنك ؟وكيف نشهد معك الصلاة ونحن ناءون عنك؟ فنزلت : ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ ، و ذكره السيوطي في الدر المنثور (٣٠٦/٨) وعزاه لابن جرير . و أخرجه ابن أبي حاتم في " تفسير القرآن العظيم " (٣٣٧٨/١٠) ح (١٩٠٠٧)عن الأعمش معضلا بنحوه .

في إسناده : محمد بن حميد . قال يعقوب بن شيبة : (محمد بن حميد : كثير المناكير .وقال البخاري : في حديثه نظر . وقال النسائي : ليس بثقة). تهذيب التهذيب (١١٣/٩).

و مهران بن أبي عمر : قال البخاري : (سمعت إبراهيم بن موسى يضعف مهران ،وقال : في حديثه اضطراب) . الكامل في ضعفاء الرجال (٤٦٢/٦).

وسفيان الثوري : ثقة . تهذيب الكمال (١٦٤/١١)،

إسماعيل بن أبي خالد : ثقة حافظ . تهذيب التهذيب (٢٥٥/١).

وقال بن مهدي وابن معين والرسائي ثقة تهذيب الكمال (٧٤/٣).

و محمود لم أقف عليه . والخبر مرسل .

(٥) أخرجه الطبري بسنده عنه " جامع البيان" ، ولفظه قال : (المساجد كلها) .

(٦) أخرجه الطبري بسنده عنه (المرجع السابق) ، ولفظه (قال: كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم وبيعهم أشركوا بالله فأمر الله نبيه أن يخلص له الدعوة إذا دخل المسجد) .

والسعدي وعطية سالم-رحمهم الله تعالى- [٢].

قال القرطبي : « ...والمراد البيوت التي تبنيها أهل الملل للعبادة ثم عقب على الأقوال والقول الأول أظهر هذه الأقوال إن شاء الله ، وهو مروي عن ابن عباس- رحمه الله- »[٣].

و قال أبو حيان :« والظاهر أن المساجد هي البيوت المعدة للصلاة والعبادة في كل ملة » [٤].

القول الثاني : يراد بالمساجد في الآية مساجد مخصوصة ، وهو على قولين:

- يراد به المسجد الحرام . نسبه القرطبي ، والقمي النيسابوري لابن عباس[٥]-رضي الله عنه- .

واختاره ابن عاشور بقوله : « والمقصود هنا هو المسجد الحرام لأن المشركين كانوا وضعوا فيه الأصنام والأنصاب وجعلوا الصنم (هُبَل) على سطح الكعبة. قال تعالى :﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[٦] يعني بذلك المشركين من قريش . وهذا توبيخ للمشركين على اعتدائهم على حق الله وتصرفهم فيما ليس لهم أن يغيروه قال تعالى : ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[٧] . وإنما عبر في هذه الآية وفي آية ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾بلفظ " مساجد" ليدخل الذين يفعلون مثل فعلهم معهم في هذا الوعيد ممن شاكلهم ممن غيّروا المساجد أو لتعظيم المسجد الحرام» [٨] .

- يُراد به المسجد الحرام ومسجد إيليا ببيت المقدس ذكره ابن كثير- رحمه الله تعالى- ونسبه

(١) معالم التنزيل (٤/٤٠٤) و الجامع لأحكام القرآن (٢١/١٩) ، وغرائب القرآن (٦ / ٣٧٣).
(٢) البحر المحيط (٣٤٥/٨)، وروح المعاني (٩١/٢٩) ،وتيسير الكريم الرحمن (٨٩١/١)، و أضواء البيان (٣٢١/٨).
(٣) الجامع لأحكام القرآن (٢١/١٩) .
(٤) البحر المحيط (٣٤٥/٨) .
(٥) الجامع لأحكام القرآن (٢١/١٩) ، وغرائب القرآن (٣٧٣).
(٦) سورة البقرة:١١٤.
(٧) سورة الأنفال:٣٤.
(٨) التحرير والتنوير (١٢ / ٢٤٠ - ٢٤١)

لابن أبي حاتم[1] [2].

والقول بالقصر على مكان مخصوص لا يفهم منه تخصيص هذا المكان دون غيره بالعبادة ؛ لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : «قصر عمومات القرآن على أسباب نزولها باطل؛ فإنّ عامة الآيات نزلت بأسباب اقتضت ذلك وقد علم أن شيئا منها لم يقصر على سببه » [3].

القول الثالث: الأعضاء التي يُسجد عليها واحدها "مسجَد " بفتح الجيم . وهو مروي عن ابن عباس[4] ، وقال به سعيد بن المسيب [5] [6]، وسعيد بن جبير [7]،واختاره بيان الحق النيسابوري- رحمهم الله تعالى- [8].

القول الرابع : الصلوات لله تعالى . وهو مروي عن الحسن [9]. وأورده أبو الليث ، والهدوي والماوردي، والرازي ، والقرطبي، والقمي النيسابوري ، وأبو السعود والشوكاني-رحمهم الله تعالى- [10]. وهذا لقول داخل في معنى القول الأول .

---

(١) أخرج ابن أبي حاتم بسنده لابن عباس في قوله : ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ قال: (لم يكن يوم نزلت هذه الآية في الأرض مسجد إلا المسجد الحرام ،ومسجد إيليا ببيت المقدس). (٣٣٧٨/١٠)ح (١٩٠٠٦).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٣٣٧٨/١٠).

(٣) كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير (٣٦٤/١٥).

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة ، باب السجود على سبعة أعظم (١ / ٢٨٠) ح (٧٧٦)، ولفظه قال : (أُمِرَ النبي- ﷺ - أَنْ يَسْجُدَ على سَبْعَةِ أَعْضَاءٍ ولا يَكُفَّ شَعَرًا ولا ثَوْبًا الْجَبْهَةِ وَالْيَدَيْنِ وَالرُّكْبَتَيْنِ وَالرِّجْلَيْنِ وفي باب لا يكُفُّ شَعَرا) .

(٥) وقفت عليه مرسوبا في الجامع لأحكام القرآن (٢١/١٩)، واللباب في علوم الكتاب (١٩ / ٤٣٢) فتح القدير (٣٠٩/٥).

(٦) سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب المخزومي القرشي، أبو محمد . وُلد سنة (١٣هـــ) . سيد التابعين، وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة. جمع بين الحديث والفقه والزهد والورع. تُوفي بالمدينة سنة (٩٤ هـــ).
يُنظر : حلية الأولياء (١٦١/٢) ، و تقريب التهذيب (٢٤١/١) ، والأعلام (٣ / ١٠٢).

(٧) وقفت عليه منسوبا في معالم التنزيل(٤٠٤/٤)، وزاد المسير(٣٨٢/٨)، و التفسير الكبير(١٤٤/٣٠).

(٨) باهر البرهان (٣ / ١٥٦٥) .

(٩) وقفت عليه مرسوبا في بحر العلوم (٤٨٣/٣)، والجامع لأحكام القرآن(٢١/١٩)، وغرائب القرآن (٣٧٣)، وفتح القدير(٣٠٩/٥).

(١٠) بحر العلوم (٤٨٣/٣)، والتحصيل في مختصر التفصيل (أ / ١٧٨) ، والنكت والعيون (٦ / ١١٦) ، والكشاف (٤ / ٤٧٤)، و زاد المسير (٤ / ٣٤٩) ، والتفسير الكبير (١٤٤/٣٠)، والجامع لأحكام القرآن (٢١/١٩)، وغرائب الفرقان (٣٧٣) وإرشاد العقل السليم (٤٦/٩)، وفتح القدير (٣٠٩/٥).

القول الخامس : كل مكان صالح للسجود . أورده الماوردي ، والواحدي ، والبغوي والزمخشري وابن عطية ، وابن الجوزي ، والرازي ، والقرطبي ، والقمي النيسابوري ، والثعالبي ، والشوكاني عن الحسن-رحمهم الله تعالى- [1].

واستُدل على ذلك بقول النبي - ﷺ -: ((... وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا فَأَيُّمَا رَجُلٍ من أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ)) [2] .

الترجيح

الراجح - والله أعلم بالصواب – أنَّ المساجد في هذا الموضع بيوت عبادة الله تعالى ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ، وقال به أكثر المفسرين ؛ لأن الغالب في القرآن إطلاق المسجد على مكان العبادة و (قد يحتمل اللفظ معانٍ عدة ، ويكون أحدها هو الغالب استعمالاً في القرآن فيقدم) [3] . **ويؤيد هذا القول عدة أمور وهي :**

١. أن المسجد في اللغة يطلق على المكان المخصص للصلاة وعلى أعضاء السجود . جاء في لسان العرب : « مسجد بكسر الجيم المساجد جمعها المساجد أيضا الآراب التي يسجد عليها والآراب السبعة مساجد» [4] . و(إذا اختلفت الحقيقة العرفية واللغوية في تفسير كلام الله تعالى قدمت العرفية) [5].

قال الشيخ عطية سالم–رحمه الله تعالى- : « المساجد جمع مسجد ، والمسجد لغة : اسم مكان من سجد يسجد على وزن مَفعِل كمَجْلِس على غير القياس مكان الجلوس وهو لغة يصدق على كل مكان صالح للسجود... ثم قال: والمسجد عرفا كل ما خصص للصلاة وهو المراد بالإضافة هنا لله تعالى وهي إضافة تشريف وتكريم مع الإشعار باختصاصها بالله أي بعبادته وذكره كما قال تعالى ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾[6]»[1] .

---

(١) النكت والعيون (٦ / ١١٦) ، و الوسيط في تفسير القرآن المجيد (٤ / ٣٦٧) ، ومعالم التنزيل (٤٠٤/٤) ، والكشاف (٦٣١/٤)، والمحرر الوجيز (٣٨٣/٥)، و زاد المسير (٣٨٣/٨) ، والتفسير الكبير(١٤٣/٣٠)، والجامع لأحكام القرآن (٢١/١٩) وغرائب الفرقان (٣٧٣) ، والجواهر الحسان(٣٤٩/٤)، وفتح القدير(٣٠٩/٥).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة ، باب قول النبي- ﷺ- : ((جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا)) (١ / ١٦٨) ح (٤٢٧).

(٣) قواعد التفسير (٢ / ٧٩٨) .

(٤) لسان العرب (٢٠٤/٣).

(٥) قواعد الترجيح (٢ / ٤١٢).

(٦) سورة النور:٣٦.

٢. ومن قال أن المراد بالمساجد أعضاء السجود هذا القول له اعتبار من الصحة إلا أن إطلاق هذا الوصف إنما كان لمناسبةٍ خاصةٍ ، وهي بيان هيئة السجود حال الصلاة ، واللفظ في الآية جاء لبيان إفراد الله تعالى بالعبادة في كل زمان ومكان لما كان عليه اليهود والنصارى من الإشراك مع الله إذا دخلوا بيعهم وكنائسهم ، فأمر الله عز وجل المسلمين بتوحيده وإخلاص العبادة له في المساجد [٢].

٣. الاستدلال بحديث ((... وَجُعِلَتْ لي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا فَأَيُّمَا رَجُلٍ من أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ)) . إن كان صحيحًا على عمومه فلا يطلق على المسجد بمعناه العرفي ؛ لأن إيراد الحديث في بيان ما اختص به رسولنا من بين سائر الأنبياء في طهارة الأرض باستثناء مواطن مخصوصة . بدلالة قوله – ﷺ – : ((فَأَيُّمَا رَجُلٍ من أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ)) . فإطلاق صفة المسجدية على الأرض إنما مختصٌّ بأحوال مخصوصة ، وأما إطلاق المساجد على بيوت عبادة الله تعالى أولى لأنها هي المقصودة من إضافة التشريف بقوله تعالى : ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾[٣]. وهو موافق للقاعدة التفسرية : (كل ما أضافه الله تعالى إلى نفسه فله من المزية والاختصاص على غيره ما أوجب له الاصطفاء والاجتباء) [٤].

٤. أنَّ (الآية تحمل على المعنى الذي استفاض النقل فيه عن أهل العلم وإن كان غيره محتملا) [٥] وهذ القول عليه جُل عبارات المفسرين من السلف والخلف.

قال الرازي : « اختلفوا في المساجد على وجوه أحدها وهو قول الأكثرين أنها المواضع التي بنيت للصلاة وذكر الله ويدخل فيها الكنائس والبيع ومساجد المسلمين ، وذلك أنّ أهل الكتاب يشركون في صلاتهم في البيع والكنائس فأمر الله المسلمين بالإخلاص والتوحيد» [٦]. و الله تعالى أعلم.

(١) أضواء البيان (٣٢١/٨).

(٢) عزاه السيوطي بسنده في الدر المنثور (٣٠٦/٨) إلى عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر عن قتادة في قوله : ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ قال: (كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا بيعهم وكنائسهم أشركوا بالله ، فأمر الله نبيه– ﷺ – أن يخلص الدعوة لله إذا دخل المسجد) .

(٣) سورة الجن:١٨.

(٤) قواعد التفسير (٢ / ٨٣١) .

(٥) المرجع السابق (٢ / ٨٠٤) .

(٦) التفسير الكبير (١٤٣/٣٠).

قول الله – ﷻ – : ﴿إِلاَّ بَلَٰغاً مِّنَ ٱللَّهِ وَمَنْ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ يَّعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَداً﴾[1] .

❁ (٢٧)مسألة : المخاطب في قول الله تعالى :﴿ وَمَنْ يَّعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَداً ﴾.

ترجيح ابن جُزَيّ – رحمه الله – :

رجَّح أنَّ المخاطب بالآية الكفار.

مجمل ما ذكره في الآية

قال : « والآية في الكفار ، وحملها المعتزلةُ على عصاة المؤمنين ؛ لأنَّ مذهبهم خلودهم في النار والدليل على أنها في الكفار وجهان:

أحدهما: أنها مكية والسورة المكية إنما الكلام فيها مع الكفار.

والآخر : دلالة ما قبلها وما بعدها على أن المراد بها الكفار »[2].

العرض و المناقشة:

اختُلف في المخاطب على قولين وهما :

القول الأول : ما رجَّحه ابن جُزيّ موافقاً للطبريّ ، و السمرقنديّ ، والواحديّ ، والبغويّ وابن عطية ، والقرطبيّ ، والبيضاويّ ، والنسفيّ ، ووافقهم أبو حيان ، وابن كثير ، و جلال الدين المحلّي وأبو السعود ، والخفاجيّ ، والصاويّ ، والشوكانيّ ، والألوسيّ ، والمراغيّ والسعديّ ، وابن عاشور– رحمهم الله تعالى– [3].

---

(١) سورة الجن:٢٣.

(٢) التسهيل (١٥٥/٤) .

(٣) جامع البيان (١٢١/٢٩) ، وبحر العلوم (٤٨٤/٣) ، والوسيط (٤ / ٣٦٨) ، ومعالم التنزيل (٤٠٥/٤) ، والمحرر الوجيز (٣٨٥/٥) ، والجامع لأحكام القرآن (٢٦/١٩) ، و أنوار التنزيل (٤٠١/٥) ، ومدارك التنزيل (٣٠٢/٤) ، و البحر المحيط(٣٤٧/٨)، و القرآن العظيم (٤٣٣/٤) ، وتفسير الجلالين (٧٧٢/١) ، وإرشاد العقل السليم (٤٧/٩) ، وحاشية الشهاب(٩ / ٣٠٠) ، وحاشية الصاوي(٦ / ١٨٤) ، وفتح القدير (٣١٠/٥) ، وروح المعاني (٩٤/٢٩) ، وتفسير المراغي (٢٢٧) ، و تيسير الكريم الرحمن (٨٩١/١) ، والتحرير والتنوير (١٢ / ٢٧٤)

قال الإمام الطبريّ : « وقوله: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ يقول تعالى ذكره: ومن يعص الله فيما أمره ونهاه ويكذب به ، ورسوله فجحد رسالاته ، ﴿فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ فإن له نار جهنم يصلاها ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ يقول : ماكثين فيها أبدا إلى غير نهاية» [1].

القول الثاني : حملها المعتزلة على عصاة المؤمنين . ذكره الرازيّ ، والقرطبيّ ، وابن عادل و الألوسي[2]-رحمهم الله تعالى-.

قال الرازي: «استدل جمهور المعتزلة بهذه الآية على أنّ فساّق أهل الصلاة مخلدون في النار وأن هذا العموم يشملهم كشموله الكفار. قالوا: وهذا الوعيد مشروط بشرط أن لا يكون هناك توبة ولا طاعة أعظم منها .قالوا : وهذا العموم أقوى في الدلالة على هذا المطلوب من سائر العمومات ؛ لأن سائر العموماتِ ما جاء فيها قوله :﴿ أَبَدًا﴾ فالمخالف يحمل الخلود على المكث الطويل، أمَّا هاهنا فقد جاء لفظ الأبد فيكون ذلك صريحاً في إسقاط الاحتمال الذي ذكره المخالف »[3].

الترجيح

١. القول الراجّح – والله تعالى أعلم بالصواب – ما رجّحه ابن جُزيّ وجمهور المفسرين [4] أنَّ المخاطب في الآية الكفار ؛لأن سياق الآية في معصية الكفر فقوله تعالى :﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ فيما أمره من التوحيد ويكذب رسوله فيما أخبر به عن ربه ، فله الخلود الأبدي في نار جهنم . ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ﴾ تنكشف لهم الحقائق عند معاينتهم العذاب قال ابن سِعْدي – رحمه الله تعالى – : « وهذا المراد به المعصية الكفرية كما قيدها النصوص الأخر المحكمة ، وأمّا مجرد المعصية فإنه لا يوجب الخلود في النار كما دلّت على ذلك آيات القرآن والأحاديث عن النبي – ﷺ – وأجمع عليه سلف الأمة وأئمة هذه الأمة» [5]. ويُوافق القاعدة الترجيحية : (إدخال الكلام في معاني

(١)جامع البيان (١٢١/٢٩).
(٢) روح المعاني (٩٤/٢٩) .
(٣) التفسير الكبير (١٤٦/٣٠).
(٤) تيسير الكريم الرحمن (٨٩١/١).
(٥) المرجع السابق (٨٩١/١).

ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عن ذلك) [1]. **ومما يؤيده** :

١. القرينة الدالة على أنَّ النص في عصيان الكفار قوله تعالى : ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾

قال القرطبي – رحمه الله – : « والعصيان إن أريد به الكفر فالخلود على بابه وإن أريد به الكبائر وتجاوز أوامر الله تعالى فالخلود مستعار لمدة ما كما تقول خلد الله ملكه » [2] .

و قال الشيخ عبد الرحمن حسن الميداني[3] – رحمه الله تعالى – : « وجاء في هذه الآية تأكيدُ الخلودِ الذي قد يُستعمل بمعنى طُولِ أمدِ البقاء بكلمة﴿ أَبَدًا﴾ التي تدل على التأبيد بلا نهاية ، ولو كان المرادُ طُولَ أمدِ البقاء فقط ، لما كان لكلمة ﴿ أَبَدًا﴾ فائدة حتى يُؤتى بها في النص ، وكل من مارس تدبر آيات القرآن المجيد يُدركُ أنه لا إطناب فيه بغير فائدة » [4].

٢. أنّ هذا القول عليه إجماع الأمة . و (كل تفسير خالف القرآن أو السنة أو إجماع الأمة فهو ردّ)[5]. ردّ)[5]. و الله تعالى أعلم.

(١) قواعد الترجيح (١ / ١٢٥).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٥/٨٢).

(٣) عبد الرحمن بن حسن بن مرزوق بن عرابي بن غنيم الميداني ، ولد سنة (١٣٥٤ هـ) بدمشق . عالم و مفكر و مفسر . له عدة مصنفات منها (العقيدة الإسلامية وأسسها ، الحضارة الإسلامية ، قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل).و لم أقف على كتاب ذكر تاريخ وفاته – رحمه الله تعالى – يُنظر : عبد الرحمن حبنكة الميداني العالم المفكر المفسر (١١ وما بعدها) ، و علماء ومفكرون عرفتهم (٣ / ٥٩٣).

(٤) معارج التفكر (٥ / ٦٢٨).

(٥) قواعد الترجيح (١ / ٢١٤) .

قول الله –ﷻ – :﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنۡ أَضۡعَفُ نَاصِرٗا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴾[1].

❁ (٢٨)مسألة : في متعلق " حتى ".

ترجيح ابن جُزيّ – رحمه الله – :

رجَح أنّ " حتى " متعلقة بمحذوف دلّ عليه الحال ، أي : لا يزالون على كفرهم إلى أن يروا ما يوعدون به من العذاب.

مجمل ما ذكره في الآية

قال : « تعلقت ﴿حَتَّىٰٓ﴾ بقوله : ﴿يَكُونُونَ عَلَيۡهِ لِبَدًا ﴾ وجعلت غاية لذلك والمعنى : أنهم يكفرون ويتظاهرون عليه حتى إذا رأوا ما يوعدون قال ذلك الزمخشري ، وقال أيضا : يجوز أن يتعلق بمحذوف يدل على المعنى كأنه قيل : لا يزالون على ما هم عليه من الكفر حتى إذا رأوا ما يوعدون وهذا أظهر » [2].

العرض و المناقشة:

للمفسرين في متعلق " حتى " ثلاثة أوجه وهي :

الوجه الأول : ما رجَّحه ابن جُزيّ ،وجوّزه الزمخشريُّ ، و قال به النسفيّ ، و وافقهم جلال الدين المحلّي ، و أفرده بالذكر الشربيني ، وقال به أبو السعود ،و الشوكاني ، و الألوسي وابن عاشور– رحمهم الله تعالى– [3].

قال ابن عاشور : « فالغاية هنا متعلقة بمحذوف يدلُّ عليه الكلام من سخرية الكفار من الوعيد واستضعافهم المسلمين في العَدد والعُدد ، فإن ذلك يفهم منه أنهم لا يزالون يحسبون أنهم غالبون فائزون حتى إذا رأوا ما يوعدون تحققوا إخفاق آمالهم » [4].

---

(١) سورة الجن:٢٤.

(٢) التسهيل (٤/١٥٥).

(٣) الكشاف(٤/٦٣٤)، مدارك التنزيل (٤/٣٠٢)، وتفسير الجلالين (١/٧٧٢)، والسراج المنير (٨ / ١٣٥) ، و إرشاد العقل السليم (٩/٤٧)، و فتح القدير(٥/ ٣١٠)،و روح المعاني (٢٩/٩٥) ، والتحرير والتنوير (١٢ / ٢٤٥).

(٤) التحرير والتنوير (١٢ / ٢٤٥).

الوجه الثاني : أن ﴿حَتَّىٰٓ﴾ تعلقت بقوله تعالى : ﴿ يَكُونُونَ عَلَيۡهِ لِبَدٗا ﴾ ،أي : يتظاهرون عليه بالعداوة ويستضعفون أنصاره ويستقلون عددهم ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ ﴾ من يوم بدر وإظهار الله له عليهم أو من يوم القيامة ﴿فَسَيَعۡلَمُونَ ﴾حينئذ أهم ﴿ أَضۡعَفُ نَاصِرٗا وَأَقَلُّ عَدَدٗا ﴾ . قدّمه الزمخشري ، والرزي ، وقال بجوازه البيضاوي ، و الألوسي [1]- رحمهم الله –

الوجه الثالث : أنَّ " حتى " غاية لما تضمنته الجملة التي قبلها من الحكم بكينونة النار . أظهره أبو حيان–رحمه الله تعالى– بقوله : « والذي يظهر لي أنها غاية لما تضمنته الجملة التي قبلها من الحكم بكينونة النار لهم كأنه قيل إن العاصي يحكم له بكينونة النار لهم والحكم بذلك هو وعيد حتى إذا رأوا ما حكم بكينونته لهم فسيعلمون » [2].

الترجيح

والراجِّح – والله تعالى أعلم بالصواب – أنَّ " حتى " تعلقّت بمحذوف دلّت عليه الحال من استضعاف الكفار له واستقلالهم لعدده ، وهو ما أظهره ابن جُزي ؛ لأن (التقدي الموافق لغرض الآية وأدلة الشرع مقدم على غيره)[3]. ومما يؤيده عدة أمور :

١. مناسبة السياق بأمر الرسول – ﷺ – بالصبر على آذاهم كما جاء في قوله تعالى : ﴿قُلۡ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا رَشَدٗا ﴾[4] وترقبّ ما يدبرّه الله تعالى لهم في مستقبل الأيام حينها ﴿فَسَيَعۡلَمُونَ مَنۡ أَضۡعَفُ نَاصِرٗا وَأَقَلُّ عَدَدٗا ﴾ . و(إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى به من الخروج عن ذلك) [5].

٢. جاءت الآية تسلية لقلب النبي – ﷺ – وأصحابه بسبب مكايدة كفار مكة واضطهادهم لهم إذ فيها

(١) الكشاف (٦٣٤/٤) ، التفسير الكبير (١٤٧/٣٠)، و أنوار التنزيل (٤٠١/٥) ،وروح المعاني (٩٥/٢٩).
(٢) البحر المحيط (٣٤٧/٨ – ٣٤٨).
(٣) قواعد الترجيح (٢ / ٤٤٤).
(٤) سورة الجن:٢١.
(٥) قواعد الترجيح (١ / ١٢٥).

بيان لمآل المكذبين وعزة ومنعة المؤمنين كما قال تعالى : ﴿قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا﴾[1] . و الله تعالى أعلم.

(١)سورة مريم:٧٥.

قول الله – ﷻ – : ﴿لِّيَعْلَمَ أَن قَدَ ٱبْلَغُواْ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَداً﴾[1] .

❁ (٢٩)مسألة : في فاعل "يعلم "

ترجيح ابن جُزَيّ – رحمه الله – :

رجّح أنَّ فاعل يعلم يعود على الله – ﷻ –

مجمل ما ذكره الآية

قال: « في الفاعل بيعلم ثلاثة أقوال :

الأول: أي ليعلم الله أنَّ الرسل قد بلغوا رسالات ربهم أي : يعلمه موجودا وقد كان علم ذلك قبل كونه.

الثاني: ليعلم محمدٌ أنَّ الملائكة الرُّصد أبلغوا رسالات ربهم.

الثالث : ليعلم من كفر أنَّ الرسلَ قد بلغوا الرسالة . والأول أظهر » [2].

العرض والمناقشة:

اختُلِف في فاعل " يعلم " على سبعة أقوال وهي :

القول الأول : ما أظهره ابن جُزيّ موافقا للقصّاب ، والزمخشري ، ووافقهم جلال الدين المحلِّ ي وأبو السعود ، ومحمدُ بن عبد الوهاب [3]، وابن عاشور–رحمهم الله تعالى– [4].

قال القصّاب : « فعلمه بذلك — سبحانه — ليس بمحدث في وقت تبليغ رسالة الرسل ، بل علمه قديم أزلي بالأشياء كلها ، قبل كونها بتكوينه لها ، وهو في هذا على سعة اللسان ، أي يراهم مبلغين ل لرسالة

---

(١) سورة الجن:٢٨.

(٢) التسهيل (٤/١٥٥).

(٣) محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي . وُلد في العيينة سنة (١١١٥ هـــ) . صاحب النهضة الدينية الإصلاحية الحديثة في جزيرة العرب. من مؤلفاته (كتاب التوحيد، ورسالة كشف الشبهات، و تفسير الفاتحة) . توفي سنة (١٢٠٦ هـــ).
يُنظر : الأعلام (٦ / ٢٥٧).

(٤) نكت القرآن (٤ / ٤٣١) ، واالكشاف(٤/٦٣٥) ، وإرشاد العقل السليم (٩/٤٨)، و تفسير الجلالين (١/٧٧٣) ، وتفسير آيات من القرآن الكريم (١ /٣٦٢) ، والتحرير والتنوير (١٢ / ٢٥٠) .

سامعين لربهم ، مطعين » [1].

قال أبو السعود : « فالمعنى أنه تعالى يسلكهم من جميع جوانب المرتضى ليعلم أن الشأن قد أبلغوه رسالات ربهم سالمة عن الا ختطاف والتخليط علما مستتبعا للجزاء ، وهو أن يعلمه موجودا حاصلا بالفعل كما في قوله تعالى : ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ﴾[2] ،والغاية في الحقيقة هو الإبلاغ والجهاد . وإيرادُ علمه تعالى؛ لإبراز اعتنائه تعالى بأمرهما والإشعار بترتيب الجزاء عليهما والمبالغة في الحث عليهما والتحذير عن التفريط فيهما » [3].

وقال ابن عاشور : « والمراد : ليَعلم اللهُ أن قد أبلغوا رسالات الله وأدوا الأمانة علمً ا يترتب عليه جزاؤهم الجزيل» [4].

القول الثاني : ليعلم محمد -ﷺ- وهو قول ابن عباس [5]. و قال به قتادة [6] .

و اختاره الطبريّ ، وابن أبي زمنين ، والواحديّ ، وقدّمه السمّعانيّ ، و القرطبيّ ، ابن كثير [7] - رحمهم الله تعالى-

قال الإمام الطبري: « وأولى هذه الأقوال عندنا بالصواب. قول من قال: ليعلم الرسول أن الرسل قبله قد أبلغوا رسالات ربهم؛ وذلك أن قوله:﴿لِّيَعْلَمَ ﴾ من سبب قوله : ﴿فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾، وذلك خبر عن الرسول، فمعلوم بذلك أن قوله ليعلم من سببه إذ كان ذلك خبرا عنه »[8].

---

(١)نكت القرآن (٤ / ٤٣١).

(٢) سورة محمد:٣١.

(٣) إرشاد العقل السليم (٤٨/٩).

(٤) التحرير والتنوير (١٢ / ٢٥٠) .

(٥) أخرجه الطبري بسنده عنه " جامع البيان " (١٢٣/٢٩)، ولفظه قال : (أربعة حفظة من الملائكة مع جبرائيل ليعلم محمد ﴿أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًا﴾ قال: وما نزل جبريل- عليه السلام - بشيء من الوحي إلا ومعه أربعة حفظة).

(٦) أخرجه الطبري بسنده عنه (المرجع السابق) (١٢٣/٢٩)، ولفظه (ليعلم رسول الله -صلى الله عليه وسلم - أن الرسل قبله قد أبلغت عن ربها وحفظت) .

(٧) جامع البيان (١٢٣/٢٩) ، وتفسير القرآن العزيز (٤٨/٥)، و الوسيط (٤ / ٣٦٩) ، وتفسير القرآن (٧٤/٦) ، والجامع لأحكام القرآن (٣٠/١٩) ،و تفسير القرآن العظيم (٤٣٤/٤).

(٨) جامع البيان (١٢٣/٢٩).

القول الثالث: ليعلم الناس.أورده السمعاني ،والبغوي ،والقرطبي–رحمهم الله تعالى– [1].

القول الرابع : ليعلم إبليس ، ذكره أبو حيَّان ، والسم ين ، والقرطبي ، والشوكاني والألوسي – رحمهم الله تعالى– [2].

القول السادس: ليعلم الجن ،ذكره الماوردي ، والسرمعاني ، وابن عادل ، والشوكاني والألوسي– رحمهم الله تعالى– [3].

القول السابع : ليعلم من كذب الرسل ،وهو مروي عن مجاهد [4]، وقال به مكي بن أبي طالب [5]، [5]، وذكره الماوردي وأبو حيَّان ، وابن كثير ، والشوكاني–رحمهم الله تعالى– [6].

الترجيح

الراجح – والله تعالى أعلم – ما رجّحه ابن جُزيٍّ ، و أكثر المفسرين [7]بأنه عائد على الله – ﷻ – لدلالة سياق عليه ؛ لأن الله تعالى وصف نفسه بقوله :﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ ﴾فله العلم المطلق بما كان وما سيكون ، و اختصَّ بعض خلقه بإطلاعه على شيء من علمه وهم رسله الكرام وجعل لهم من الرصد ما يحفظونهم ؛ ليبلغوا ما أنزل الله إليهم ؛ليعلم الله أنّ رسله أبلغوا ما نزل إليهم ، علمًا يترتب عليه قيام الحجة على الخلق وليس علما محدثًا بدليل قوله تعالى :﴿وَأَحَاطَ ﴾ ،وقوله :﴿ وَأَحْصَىٰ ﴾ فهذا دليل على أن الله تعالى عالم بذلك قبل كونه . وهو موافق للقاعدة التفسيرية : (متى علق الله تعالى علمه بالأمور بعد وجودها كان المراد بذلك : العلم الذي يترتب عليه الجزاء) [8] **ومما يؤيده :**

---

(١) تفسير القرآن (٦/ ٧٤) ، ومعالم التنزيل (٥ / ٤٦٧) ، والجامع لأحكام القرآن (٣٠/١٩).

(٢) البحر المحيط (٣٤٩/٨) ، والدر المصون (٦ / ٤٠٠) ، والجامع لأحكام القرآن (٣٠/١٩)، القدير (٣١٣/٥) ، وروح المعاني (١٠٠/٢٩).

(٣) النكت والعيون (٦ / ١٢٣) ، وتفسير القرآن (٦/ ٧٤) ، واللباب في علوم الكتاب (١٩/ ٤٤٦ – ٤٤٧) ،وفتح القدير (٣١٣/٥).

(٤) أخرجه الطبري بسنده عنه "جامع البيان " (١٢٣/٢٩) ، ولفظه قال :(ليعلم من كذب الرسل أن قد أبلغوا رسالات ربهم).

(٥) الهداية إلى بلوغ النهاية (١٢ / ٧٧٨١).

(٦) النكت والعيون (٤ / ١٢٣) ، و البحر المحيط (٣٤٩/٨) ، وتفسير القرآن العظيم(٤٣٤/٤)، وفتح القدير(٣١٣/٥).

(٧) التفسير الكبير (١٥٠/٣٠).

(٨) قواعد التفسير (٢ / ٧٥٥).

١. النظائر القرآنية كما في قول الله تعالى : ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾[١].

قال الشيخ الشنقيطي – رحمه الله – تعليقا على الآية : « ظاهر هذه الآية قد يتوهم منه الجاهل أنَّ ه تعالى يستفيد بالاختبار علمًا لم يكن يعلمه – ﷻ – عن ذلك علوا كبيرا ؛ بل هو تعالى عالمٌ بكل ما سيكون قبل أن يكون وقد بين أنه لا يستفيد بالاختبار علمً ا لم يكن يعلمه بقوله جل وعلا : ﴿وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾[٢] وليبتلى الله ما فى صدوركم وليمحص ما فى قلوبكم والله عليم بذات الصدور فقوله والله عليم بذات الصدور بعد قوله : " ليبتلي" دليل قاطع على أنه لم يستفد بالاختبار شيئا لم يكن عالما به – ﷻ – عن ذلك علوا كبيرا ؛ لأن العليم بذات الصدور غني عن الاختبار .وفي هذه الآية بيان عظيم لجميع الآيات التي يذكر الله فيها اختباره لخلقه ومعنى ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ أي : علما يترتب عليه الثواب والعقاب فلا ينافي أنه كان عالما به قبل ذلك . وفائدة الاختبار ظهور الأمر للناس أما عالم السر والنجوى فهو عالم بكل ما سيكون كما لا يخفى» [٣].

وهذا يوافق القاعدة التفسيرية: (توحيد مرجع الضمائر في السياق الواحد أولى من تفريقها) [٤].

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله – : «أي ليعلم الله أن الأنبياء بلَّغُوا الرسالات كقوله : ﴿حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ﴾[٥] ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ بما عند الرسل من الحكم والشرائع ﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًا﴾ من القطر والرمل وورق الأشجار وغير ذلك فكيف لا يحيط بما عند الرسل من وحيه » [٦] .

٢. أن اللام في قول الله تعال "ليعلم " لام العاقبة أي : ليتبين علم الله تعالى [٧]. و الله تعالى أعلم.

(١) سورة البقرة:١٤٣ .

(٢)سورة آل عمران:١٥٤.

(٣) أضواء البيان (٤٦/١).

(٤) قواعد الترجيح (٢ / ٦١٣).

(٥)سورة محمد:٣١.

(٦) تفسير آيات من القرآن الكريم (٣٦٢/١).

(٧) يُظر : باهر البرهان (٣ / ١٥٦٦).

رابعاً : سورة المزمِّل

قول الله – ﷻ – : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[1].

❁ (٣٠)مسألة : سبب نداء النبي – ﷺ – بالمزمِّل .

ترجيح ابن جُزيّ – رحمه الله – :

رجَّح أنَّ النبي – ﷺ – نُودي " بالمزمل " ؛ لأنه كان وقت نزول الآيات متزمِّلا في كساء فرقاً مما عاينه من الوحي.

مجمل ما ذكره في الآية

قال : «وفي تسمية النبي–ﷺ – بالمزمل ثلاثة أقوال:

أحدها: أنَّ كان في وقت نزول الآية متزمِّ لا في كساءٍ أو لحافٍ ، والتزمُّل الالتفافِ في الثياب بضم وتشمير. هذا قول عائشة والجمهور.

والثاني: أنَّ كان قد تزمل في ثيابه للصلاة.

الثالث: أنَّ معناه المتزمِّل للنبوة .أي : المتشمِّر الجد في أمرها. والأول هو الصحيح؛ لما ورد في البخاري ومسلم أنَّ رسول الله– ﷺ – لما جاءه الملك وهو في غار حراء في ابتداء الوحي رجع –ﷺ – إلى خديجة ترعد فرائصه فقال: ((زملوني زملوني)) فنزلت ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ [2]وعلى هذا نزلت ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾ [3] . فالمزمِّل على هذا تزمله من أجل الرعب الذي أصابه أول ما جاءه جبريل .

---

(١)سورة المزَّمل:١ .

(٢) سورة المدَّثر:١.

(٣) لم أقف على هذا الحديث بهذا السياق ، و إنما وقفت عليه من روايتين . وهما :

لأولى : ما أخرجه البخاري في صحيحه عن عائشة – رضي الله عنها – قالت : ((... حتى جَاءَهُ الْحَقُّ وهو في غَارِ حِرَاءٍ فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فقال : اقْرَأْ . قال : ما أنا بِقَارِئٍ .قال: فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حتى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فقال: اقْرَأْ قلت : ما أنا بِقَارِئٍ فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حتى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فقال : اقْرَأْ .فقلت :ما أنا بِقَارِئٍ فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فقال: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ﴾ فَرَجَعَ بها رسول اللَّهِ – ﷺ– يَرْجُفُ فُؤَادُهُ فَدَخَلَ على خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ – رضي الله عنها – فقال: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي . فَزَمَّلُوهُ حتى ذَهَبَ عنه الرَّوْعُ)). باب كَيْفَ كان بَدْءُ الْوَحْيِ إلى رسول اللَّهِ – ﷺ– وَقَوْلُ اللَّهِ جَلَّ ذِكْرُهُ : ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ (٤/١) ح (٤).

وقال الزمخشري :كان نائما في قطيفة فنودي يأيها المزمل [ليهجن إليه [1]] الحالة التي كان عليها من التزمل في القطيفه ؛ لأنه [كان[2]] سبب النوم الثقيل المانع من قيام الليل ، وهذا القول بعيد غير سديد» [3].

العرض والمناقشة:

في المسألة خمسة أقوال وهي :

القول الأول : ما رجَّحه ابن جُزيٍّ موافقًا للسمّعاني ، و وافقهما جلالُ الدين المحلِّي ، و صدَّر به الشوكاني ، والألوسي، وابن عاشور الأقوال [4]، و قال به السعدي [5]. وممن أورده ابن عطيّة ، وابن الجوزي [6] – رحمهم الله – .

قال السمّعاني : «قال ابن عباس: لما تراءه له جبريل – صلوات الله عليه – في ابتداء الوحي فرَق منه فرقاً شديدًا فرجع إلى بيته وتزمل بثيابه ، فأنزل الله تعالى قوله : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾ ثم إن جبريل – عليه السلام – أكثر المجيء إليه حتى أنس» [7].

القول الثاني : نُودي النبي – ﷺ– " بالمزمِّل " ؛ لتأهبه للصلاة . وهو مروي عن قتادة [8] وقال به

والثانية : ما أخرجه البخاري في صحيحه ، من حديث جابر بن عبد الله الأنصاري – رضي الله عنه – وهو يحدث عن فترة الوحي فقال في حديثه : ((بَيْنَا أنا أَمْشِي إِذْ سمعت صَوْتًا من السَّمَاءِ فَرَفَعْتُ بَصَرِي فإذا الْمَلَكُ الذي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ جَالِسٌ على كُرْسِيٍّ بين السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فَرُعِبْتُ منه فَرَجَعْتُ فقلت : زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي . فَأَنْزَلَ الله تَعَالَى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢﴾ إلى قَوْلِهِ : ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾ فَحَمِيَ الْوَحْيُ وَتَتَابَعَ)). باب كَيْفَ كان بَدْءُ الْوَحْيِ إلى رسول– ﷺ –، وَقَوْلُ اللَّهِ جَلَّ ذِكْرُهُ : ﴿إِنَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ (٥/١) ح (٤) ، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان ، باب بدء الوحي على رسول الله– ﷺ – (١٤٣/١) ح (١٦١) بنحوه.

(١) في المطبوع (ليبين الله) والتصويب من "ز " (أ / ٢٢٥).

(٢) ساقط من الأصل والتصويب من "ز" (أ / ٢٢٥).

(٣) التسهيل (١٥٦/٤).

(٤)تفسير القرآن (٧٦/٦) ، و تفسير الجلالين (٧٧٣/١) ،و فتح القدير (٣١٥/٥) ،و روح المعاني (١٠٢/٢٩)، والتحرير والتنوير (١٢ / ٢٥٦).

(٥) تيسير الكريم الرحمن (٨٩٢/١).

(٦)المحرر الوجيز (٣٨٦/٥) ، وزاد المسير (٣٨٨/٨).

(٧)تفسير القرآن (٧٦/٦).

(٨) أخرجه الطبري بسنده عنه " جامع البيان " (١٢٤/٢٩) ، ولفظه : (أي: المتزمل في ثيابه). و ذكره السيوطي في " الدر المنثور " (٣١٣/٨) ونسبه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن نصر . وقول الإمام الطبري (متأهب للصلاة) إنما هذا من كلامه

الفراء ورجَّحه الإمام الطبري و تبعه ابن أبي زمنين ، والمراغي [1]- رحمهم الله -.

قال الفراء : «والمزمّل: الذى قد تزمّل بثيابه، وتهيأ للصلاة، وهو رسول الله-ﷺ - » [2].

وقال الطبري: « واختلف أهل التأويل في المعنى الذي وصف الله به نبيه - ﷺ- في هذه الآية من التزمُّل، فقال بعضهم: وصفه بأنه مُتَزمل في ثيابه، متأهب للصلاة» [3].

ثم عقّبَ على الأقوال بقوله :« والذي هو أولى القولين بتأويل ذلك، ما قاله قتادة ؛ لأنه قد عقبه بقوله: ﴿قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾[4] فكان ذلك بيانا عن أن وصفه بالتزمُّل بالثياب للصلاة، وأن ذلك هو أظهر معنييه» [5].

القول الثالث : نُودي - ﷺ - ؛ لأنَّ وقت نزول الآيات كان متزملا في كساء . وهو قول عائشة - رضي الله عنها- [6]، وقال به إبراهيم النخعي [7] . وقدَّمه ابن عطية ، وأفرده بالذكر أبي حيان [8]،

تفسيرا لقول قتادة .

(١)جامع البيان (١٢٤/٢٩) ، تفسير القرآن العزيز (٤٩/٥) ، وتفسير المراغي(١٠ / ٢٣٤) .

(٢) معاني القرآن للفراء (٣ / ١٩٦).

(٣) جامع البيان (١٢٤/٢٩).

(٤) سورة المزَّمل:٢.

(٥) جامع البيان (١٢٤/٢٩).

(٦) لفظ الحديث لم أجده مسندا ، و ذكره الزمخشري عن عائشة -رضي الله تعالى عنها - أنها سئُلت ما كان تزميله ؟ قالت: (كان مرطا طوله أربع عشرة ذراعا ونصفه علي وأنا نائمة ونصفه عليه وهو يصلي . فسئُلت ما كان؟ فقالت :والله ما كان خزا ولا قزا ولا مرعزا ولا إبريسما ولا صوفا وكان سداه شعرا ولحمته وبرا).

قال الزيلعي :« قلت : غريب . وروي البيهقي في كتاب الدعوات الكبير له اخبرنا أبو عبد الله الحافظ اخبرني أبو صالح خلف بن محمد أنا صالح بن محمد ثنا محمد بن عباد المكي ثنا حاتم بن إسماعيل عن نصر بن كثير عن يحيى ب ن سعيد عن عروة عن عائشة قالت : لما كانت ليلة النصف من شعبان انسل النبي - صلى الله عليه وسلم - من مرطي ،ثم قالت: والله ما كان مرطي من حرير ولا قز ولا كتان ولا كرسف ولا صوف . قلنا فمن أي شيء كان ؟ قالت: إن كان سداه لمن شعر وإن كان لحمته لمن وبر مختصر».

ورواه ابن الجوزي في العلل المتناهية من حديث سليمان بن أبي كريمة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة فذكره سواء وأعله بابن أبي كريمة وقال إن له مناكير . يُنظر : تخريج الأحاديث والآثار (١٠٧/٤).

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم في "تفسير القرآن العظيم " (٣٣٨٠/١٠) ح (١٩٠١٥) ، ولفظه (قال نزلت وهو في قطيفة).

(٨) المحرر الوجيز (٣٨٦/٥) ، و البحر المحيط (٣٥٣/٨).

وممن ذكره الزجاج ، ومكي بن أبي طالب ،وابن كثير [١]- رحمهم الله -.

قال ابن عطية : « ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ﴾نداء للنبي - ﷺ - واختلف الناس لم نودي بهذا فقالت : عائشة والنخعي وجماعة : لأنه كان وقت نزول الآية متزمّلا بكساء والتزمّل الالتفاف في الثياب بضم وتشمير ومنه قول امرئ القيس[٢] :

كأنّ أبانا في أفانينِ ودقةِ كبيرُ أناسٍ في بجادٍ مُزمّلِ» [٣].

قال القرطبي : «وهذا القول من عائشة يدل على أنَّ السورة مدنية فإن النبي - ﷺ - لم يبن بها إلا في المدينة وما ذكر من أنها مكية لا يصح - والله أعلم- » [٤]

القول الرابع : نُودي النبي- ﷺ- " بالمزمل " لخوفه من المشركين . ذكره القرطبي وابن كثير ، وابن عادل ، والبقاعي ، والشربيني ، والشوكاني ، والآلوسي ، وابن عاشور[٥]- رحمهم الله - .

واستُدل عليه بحديث جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال: ((اجتمعت قريش في دار الندوة فقالت: سموا هذا الرجل اسما يصدر الناس عنه . قالوا : كاهن. قالوا : ليس بكاهن .قالوا :مجنون . قالوا : ليس بمجنون. قالوا : ساحر. قالوا : ليس بساحر . فتفرق المشركون على ذلك فبلغ ذلك النبي -ﷺ - فتزمل في ثيابه وتدثر فيها ، فأتاه جبريل - ﷺ- فقال ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾[٦])) [٧].

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥ / ١٨٦) ، والهداية إلى بلوغ النهاية (١٢ / ٧٧٨٥) ، و تفسير القرآن العظيم (٤/٤٣٥).

(٢) امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي، من بني آكل المرار ، أشهر شعراء العرب على الإطلاق. توفي نحو (٨٠ ق هـ).
يُنظر : طبقات فحول الشعراء (١/٥١) ، والأعلام (٢ / ١١).

(٣)المحرر الوجيز (٥/٣٨٦).

(٤)الجامع لأحكام القرآن (١٩/٣٢).

(٥) الجامع لأحكام القرآن (١٩/٣٢)، وتفسير القرآن العظيم (٤/٤٣٥) ، واللباب (١٩ / ٤٥١) ، فتح القدير (٥/٣١٥)،و روح المعاني (٢٩/١٠١)، والتحرير والتنوير (١٢ / ٢٥٦) .

(٦) سورة المدَّثر:١.

(٧) أخرجه البزار في مسنده البحر الزخار (٣ / ٧٧) ح (٢٢٧٦) ، والطبراني في المعجم الأوسط (٢/٣١٩) ح (٢٠٦٩).
وهو موضوع . قال الهيثمي : وفيه معلى بن عبد الرحمن الواسطي وهو كذاب . يُنظر : مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٧/١٣٠).

القول الخامس : نودي النبي – ﷺ – " بالمزمل " ؛ لأنه وقت نزول الآيات كان نائمًا متزمِّلا في ثيابه قال به الزمخشري، وتبعه البيضاوي ، وأبي السعود [1]– رحمهم الله– .

قال الزمخشريّ : « وكان رسول الله – ﷺ– نائماً بالليل متزمِّلاً في قطيفة فنبه ونودي بما يهجُ ن إليه الحالة التي كان عليها من التزمِّل في قطيفته» [2].

القول السادس : نُودي النبي– ﷺ – "بالمزمِّل " على سبيل المجازا كأنه قيل له: يا من تزمَّل بالنبوة . وهو قول ابن عباس [3]، وقال به عكرمة [4]– رضي الله عنهما– .

وأورده الطبري ، والماوردي ، والسمعاني ، وابن عطية ، وابن العربي ، وابن الجوزي ، والقر طبي والخازن ، وابن كثير ، وابن عادل ، والشربيني ، والشوكاني[5] — رحمهم الله –.

الترجيح

أرى — والله تعالى أعلم — أن النبي – ﷺ – نُودي بالمزمل ؛لتأهبه للصلاة . وهو ما قاله الفراء ورجَّحه الإمام الطبري ؛ لقرينة السياق فقد أمره الله تعالى بعد ندائه بالأمر بالقيام . **ويؤيده عدة أمور وهي :**

١. أنَّ هذا النداء من الله تعالى تلطفًا وتأنيسًا، وقد يعدل عن نداء الشخص باسمه إلى صفة متلبس بها إيناساً وملاطفة له.

قال ابن عاشور : « افتتاح الكلام بالنداء إذ كان المخاطب واحدا و لم يكن بعيدا يدل على الاعتناء بما سيلقي إلى المخاطب من كلام

والأصل في النداء أن يكون باسم المنادى العلم إذا كان معروفا عند المتكلم فلا يعدل من الاسم العلم إلى غيره من وصف أو إضافة إلا لغرض يقصده البلغاء من تعظيم وتكريم نح و : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ

(١) الكشاف (٦٣٧/٤) ، و أنوار التنزيل (٤٠٤/٥) ، و إرشاد العقل السليم (٤٩/٩).

(٢) الكشاف (٦٣٧/٤).

(٣) أخرجه الحاكم بسنده عنه "المستدرك على الصحيحين" (٥٤٨/٢) ح (٣٨٦٣) ، ولفظه قال : (زملت هذا الأمر فقم به) قال الحاكم هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه. قال الذهبي قي التلخيص : صحيح .

(٤) أخرجه الطبري بسنده عنه : جامع البيان (١٢٤/٢٩)، ولفظه : قال: (زملت هذا الأمر فقم به) .

(٥)جامع البيان (١٢٤/٢٩)،و النكت والعيون(٦ / ١٢٥) ، وتفسير القرآن (٧٦/٦)، المحرر الوجيز (٣٨٦/٥)،و أحكام القرآن لابن العربي (٣٢٣/٤) ، وزاد المسير (٣٨٨/٨) ، ولباب التأويل (٦ / ٢٩٩) ، وتفسير القرآن العظيم (٤٣٥/٤) ، واللباب(١٩ / ٤٥٠) والسراج المنير (٨ / ١٤٠) ، فتح القدير (٣١٥/٥).

ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[1] أو تلطف وتقرب نحو : ﴿يَٰبُنَيَّ﴾[2] و ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾[3]، أو قصد تهكم نحو : ﴿ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾[4] فإذا نودي المناد ى بوصفِ هيئتهِ من لبسه أو جلسةٍ أو ضجعةٍ كان المقصود في الغالب التلطف به والتحبب إليه...» [5].

٢. إنَّ الأقوال الأخرى لا تسلم من الاعتراض ، وبيان ذلك كما يلي :

القول الأول : وهو اختيار ابن جُزيّ .

أرى – والله تعالى أعلم – أنَّ هذا القول لابن جُزيٍّ فيه نظر ؛ وذلك من حيث الاستدلال على قوله بأنه قول عائشة – رضي الله عنها – والجمهور [6]؛إذ أنَّ قول عائشة – رضى الله عنها – في بدء الوحي عندما رجع رسول الله – ﷺ– خائفاًوجلاً عندما تراء له جبريل – عليه السلام – في غار حراء فهذا الرعب الذي اعترى النبي – ﷺ– لأول مرة رأى فيها جبريل– عليه السلام – ، ثم بعد ذلك رآه بعد فترة الوحي في حديث جابر فنزلت عليه سورة المدثر .

فالقول بأنه تزمَّل في ثيابه لما عاينه عند تلقى الوحي والاستدلال بحديث عائشة أرى – والله أعلم – استدلال في غير محلٍّ ؛ إذ أن حالة الخوف قد زالت بسبب تكرار نزول الوحي بدليل قول جابر– رضي الله عنه – : ((فحمي الوحي وتتابع)).

وكذلك استناد ابن جُزيّ في بيان المعنى على قول عائشة – رضي الله عنها – : ((فَرَجَعَ بها رسول اللَّهِ – ﷺ – يَرْجُفُ فُؤَادُهُ فَدَخَلَ على خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ – رضي الله عنها – فقال : زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي فَزَمَّلُوهُ حتى ذَهَبَ عنه الرَّوْعُ ...)) ظاهر السيّاق أن النبي – ﷺ– زُمِّل لخوفه.

٣. قول ابن جُزيّ بعد ذكر الحديث :« وعلى هذا نزلت : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾هذا القول لم أقف عليه في رواية الحديث ، وإنما وجدت هذه الزيادة عند ابن عطية ، وتبعه الثعالبي ، والصحيح أنَّ خبر جابر – رضي الله عنه – صريح في نزول المدثر [7].

والقول الرابع : أن النبي – ﷺ– نودي بالمزمل لخوفه من قريش . يرده أن الحديث موضوعٌ وليس محلا للاستشهاد به .

---

(١) سورة الأنفال:٦٤.

(٢) سورة هود:٤٢.

(٣) سورة يوسف:٤.

(٤) سورة الحِجر:٦.

(٥) التحرير والتنوير (١٢ / ٢٥٥).

(٦) المحرر الوجيز (٣٨٦/٥) ، والجواهر الحسان (٣٥١/٤) ، وروح المعاني (١٠٢/٢٩)، و والتحرير والتنوير (١٢ / ٢٥٦).

(٧) المحرر في أسباب النزول (٢ / ١٠٥٢).

والقول الخامس: بأنه – ﷺ– كان نائما فنودي استهجانا .قول لا يصح وصف النبي – ﷺ – به ؛ لأن الله تعالى قد خاطب نبيه في القرآن بما يليق به فلم يدعه باسمه قط ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا﴾[1]. وقال الله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[2]. و(كل قول طعن في عصمة النبوة، ومقام الرسالة فهو مردود) [3].

قال ابن المنير في تعليقه على الكشاف : «أما قوله الأول : أن نداءَه بذلك تهجينٌ للحالة التي ذكر أنه كان عليها ، واستشهادَه بالأبيات المذكورة ، فخطأ و سوء أدب ، ومن اعتبر عادة خطاب الله تعالى في الإكرام والاحترام علم بطلان ما تخيله الزمخشري ، فقد قال العلماء : إنه أي : النبي– ﷺ – لم يخاطب باسمه نداء ، وأن ذلك من خصائصه دون سائر الرسل إكرامًا له وتشريفاً» [4].

القول السادس : محمول على المجاز ، والحقيقة أولى . والله تعالى أعلم.

(١) سورة الأحزاب:٢٨ .

(٢)سورة التحريم:١ .

(٣) قواعد الترجيح (١ / ٣٢٨).

(٤) الكشاف (٤ / ٤٧٨).

قول الله – ﷻ – :﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[1]. وفي الآية مسألتان وهما :

❁ (٣١)المسألة الأولى : على من فُرض قيام الليل في قوله تعالى :﴿قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

ترجيح ابن جزي – رحمه الله – :

رجَّح أنَّ قيام الليل فُرض على النبي- ﷺ – وعلى أمته ثم نُسخ .

مجمل ما ذكره في الآية :

قال : « وأمَّا على القول بالوجوب ففيه ثلاثة أقوال :

أحدها :أنه فرض على النبي – ﷺ – وحده و لم يزل فرضاً عليه حتى توفي.

الثاني: أنَّ فرض عليه وعلى أمته فقاموا حتى انتفخت أقدامهم، ثم نسخ بقوله في آخر السورة :﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ﴾ [2]الآية وصار تطوعا. هذا قول عائشة – رضي الله عنها – [3]وهو الصحيح . واختلف كم بقي فرضاً ؟ فقالت عائشة : عاما .وقيل: ثمانية أشهر. وقيل: عشرة أعوام فالآية الناسخة على هذا مدنية.

الثالث : أنَّ فرُض عليه – ﷺ – وعلى أمته ، وهو ثابت غير منسوخ ولكن ليس الليل كله إلا ما تيسر منه وهو مذهب الحسن وابن سيرين [4]» [5] .

العرض و المناقشة:

في المسألة أربعة أقوال وهي :

---

(١) سورة المزَّمل:١.

(٢) سورة المزمل :٢٠.

(٣)التسهيل (٤/١٥٦)

(٤) محمد بن سيرين البصري، الأ نصاري بالولاء، أبو بكر . وُلد سنة (٣٣ هـــ) . إمام وقته في علوم الدين بالبصرة . . تُوفي سنة (١١٠ هـــ).

ينظر : وفيات الأعيان (٤/١٨١) ، و الأعلام (٦ / ١٥٤).

(٥) التسهيل (٤/١٥٦).

القول الأول :ما ذهب إليه ابن جُزيّ . وهو قول عائشة [١] ، وابن عباس [٢] – رضي الله عنهما –. و قال به الطبري ، و مكي بن أبي طالب ، والبغوي ، والقرطبي[٣] ، ووافقهم الشوكاني [٤]– رحمهم الله – .

قال مكي : «وكان فرضًا عليه وعلى المؤمنين فكانوا يقومون ثم خفف عنهم الآيتين في آخر السورة فَنَسختَا هذا ، وهو قول أكثر العلماء » [٥].

قال الشوكاني بعد ذكر الأقوال : « و الأولى القول بنسخ قيام الليل على العموم في حقه – ﷺ – وفي حق أمته وليس في قوله:﴿ فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ﴾ ما يدل على بقاء شئ من الوجوب» [٦].

القول الثاني : أنَّ فرضَ على النبي – ﷺ – وحده و لم يزل فرضاً عليه حتى توفي. قدَّمه ابن عطية وقال به جلال الدين المحلي ، وابن عاشور [٧] ، وذكره الماوردي ، والقرطبي ، وأبو حيان والثعالبي [٨] [٨] – رحمهم الله –.

قال ابن عاشور : «وأمر الرسول – ﷺ – بقيام الليل أمْر إيجاب، وهو خاص به ؛لأن الخطاب موجه إليه وحده مثل السور التي سبقت نزولَ هذه السورة ، وأما قيام الليل للمسلمين فهم اقتدوا فيه بالرسول – ﷺ – » [٩].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه . كتاب صلاة المسافرين أو قصرها ، باب جامع صلاة الليل ومن نام عنه أو مرض (٥١٣/١)، ولفظه : (فإن اللَّهَ – عز وجل – افْتَرَضَ قِيَامَ اللَّيْلِ فِي أَوَّلِ هذه السُّورَةِ فَقَامَ نَبِيُّ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم– وَأَصْحَابُهُ حَوْلًا وَأَمْسَكَ اللهُ خَاتِمَتَهَا اثْنَيْ عَشَرَ شَهْرًا في السَّمَاءِ حتى أَنْزَلَ الله في آخِرِ هذه السُّورَةِ التَّخْفِيفَ فَصَارَ قِيَامُ اللَّيْلِ تَطَوُّعًا بَعْدَ فَرِيضَةٍ) .

(٢) أخرجه الطبري بسنده عنه " جامع البيان" (١٢٤/٢٩)، ولفظه (لما نزل أول المزمل كانوا يقومون نحوا من قيامهم في رمضان وكان بين أولها وآخرها قريب من سنة) .

(٣) جامع البيان (١٢٤/٢٩)، والهداية إلى بلوغ النهاية (١٢ / ٧٧٨٥) ، ومعالم التنزيل (٤٠٧/٤)،والجامع لأحكام القرآن (٣٤/١٩).

(٤) فتح القدير (٣٢٢/٥).

(٥) الهداية إلى بلوغ النهاية (١٢ / ٧٧٨٥).

(٦) فتح القدير (٣٢٢/٥).

(٧) المحرر الوجيز (٣٨٧/٥) ، و تفسير الجلالين (٧٧٥/١) ، التحرير والتنوير (١٢ / ٢٨٥).

(٨) النكت والعيون (٦ / ١٢٥) ، والجامع لأحكام القرآن (٣٤/١٩) ، و البحر المحيط (٣٥٣/٨)،و الجواهر الحسان (٣٥١/٤)،والتحرير والتنوير (١٢ / ٢٨٥).

(٩) التحرير والتنوير (١٢ / ٢٨٥).

وحجة هذا القول الاستدلال بقوله تعالى :﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴾[1].فذهب البعض أن معنى كونها نافلة له على التخصيص أي : خُصِّصت بها من دون أمَّتك ، ويدل عليه قوله تعالى :﴿ فَتَهَجَّدۡ ﴾ والأمر للوجوب.

القول الثالث : كان قيام الليل فريضة على النبي – ﷺ – وعلى الأنبياء — عليهم الصلاة والسلام – قبله . أورده القرطبي ، والشربيني عن ابن عباس[2]– رضي الله عنه– .

القول الرابع : أنه فرض عليه – ﷺ– ، وعلى أمته وهو ثابت غير منسوخ ولكن ليس الليل كله إلا ما تيسر منه . وهو قول الحسن ، وابن سيرين[3]. وأورده السمعاني ، والقرطبي ،والشوكاني، والألوسي [4] [4] — رحمهم الله –.

قال القرطبي : «وقيل : نُسخ التقدير بمقدار وبقي أصل الوجوب كقوله تعالى : ﴿فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِ﴾[5] ، فالهدي لابد منه كذلك لم يكن بدَّه من صلاة الليل ولكن فوّض قدره إلى اختيار المصلي وعلى هذا فقد قال قوم: فرَّض قيام الليل بالقليل باق . وهو مذهب الحسن »[6].

ويردَّه حديث عائشة — رضي الله عنها – فهو نصٌّ في التخفيف عنهم بعدم القيام ، وإلزامهم بالواجب.

قال قتادة :« ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ فهما فريضتان واجبتان لا رخصة لأحد فيهما فأدوهما إلى الله تعالى ذكره» [7].

قال ابن المُلقِّن [8] : «حكى النووي [1]في شرح مسلم في باب صلاة الليل عن بعض السلف أنه يجب

(١) سورة الإسراء:٧٩ .

(٢) وقفت عليه منسوبا في الجامع لأحكام القرآن (٣٤/١٩)، والسراج المنير (٨ / ١٤٣).

(٣) روح المعاني (١١٢/٢٩).

(٤) تفسير القرآن (٨٤/٦) ، الجامع لأحكام القرآن (٥٤/١٩) ، و فتح القدير (٣٢٢/٥) ،و روح المعاني (١١٢/٢٩).

(٥) سورة البقرة:١٩٦.

(٦)الجامع لأحكام القرآن (٥٤/١٩).

(٧) جامع البيان(١٤٢/٢٩).

(٨) عمر بن علي بن أحمد الأنصاري الشافعي، سراج الدين، أبو حفص ابن النحوي، المعروف بابن الملقن . وُلد سنة (٧٢٣ هـ) . من من أكابر العلماء بالحديث والفقه وتاريخ الرجال . له مصنفات كثيرة منها (إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، و التذكرة

على الأمة من قيام الليل ما يقع عليه الاسم ولو قدر حلب شاة قال وهو غلط مردود بإجماع من قبله مع النصوص الصحيحة أنه لا واجب إلا الصلوات الخمس» [٢].

وقال ابن عبد البر – رحمه الله – : « وقد شذ بعض التابعين فأوجب قيام الليل ولو قدر حلب شاة والذي عليه جماعة العلماء أنه مندوب إليه مرغوب فيه » [٣].

الترجيح

القول الذي تطمئن إليه النفس – والله أعلم بالصواب – أنَّ قيام الليل فرُض على النبي – ﷺ – وعلى أمته ثم نسخ بقوله في آخر السورة ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ﴾[٤] الآية وصار تطوعا وهو ما رجَّح ابن جُزيّ وأكثر العلماء ؛ لصحة حديث عائشة – رضي الله عنها – . و (إذا ثبت الحديث و كان في معنى أحد الأقوال فهو مرجِّح له)[٥] .**ويُؤيد هذا القول عدة أمور وهي :**

١. أنَّ الخطابَ في قول الله تعالى :﴿قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾موجه للنبي – ﷺ – ويشمل كذلك الأمة ؛ لأن الخطاب للقدوة خطاب لأتباعه ، وهذا يوافق القاعدة التفسيرية : (الخطابات المواجهة إليه عليه الصلاة والسلام تشمل الأمة إلا لدليل) [٦] . ويدل عليه قول الله – ﷻ – في آخر السورة تعالى : ﴿وَطَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ﴾[٧]، وقوله تعالى:﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرۡضَىٰ﴾ فهذه قرائن يستدل بها على أن القيام كما كان مفروضا على النبي – ﷺ – فرُض أيضا على صحابته ، ونُسخ الحكم بالآية الأخير.

في علوم الحديث ، و الأعلام بفوائد عمدة الأحكام) .تُوفي سنة (٨٠٤ هـــ).

يُنظر : طبقات الشافعية (٤٣/٤) ، و الأعلام (٥ / ٥٧).

(١)يحيى بن شرف بن مري الحزامي الحوراني الشافعي النواوي ، أبو زكريا . وُلد سنة (٦٣١ هـــ). كان إماما بارعا حافظا متقنا أتقن علوما شتى من تصانيفه (شرح صحيح مسلم ، ورياض الصالحين ،والأذكار ، والأربعين ، والإرشاد في علوم الحديث) . تُوفي سنة (٦٧٦ هـــ).

يُنظر : تذكرة الحفاظ (١٤٧٠/٤) ، و طبقات الحفاظ (٥١٣/١).

(٢) غاية السول في خصائص الرسول (٩٥/١).

(٣)الاستذكار (٨٢/٢).

(٤) سورة المزمل : ٢٠ .

(٥) قواعد الترجيح (١ / ٢٠٦).

(٦) قواعد التفسير (٢ / ٥٧٨).

(٧) سورة المزَّمل:٢٠ .

٢. جاء تعين الفريضة بالصلوات الخمس من السنة . فعن طَلْحَةَ بن عُبَيْدِ اللَّهِ [(١)] قال: جاء رَجُلٌ إلى رسول اللَّهِ – ﷺ – من أَهْلِ نَجْدٍ ثَائِرَ الرَّأْسِ يُسْمَعُ دَوِيُّ صَوْتِهِ ولا يُفْقَهُ ما يقول حتى دَنَا فإذا هو يَسْأَلُ عن الْإِسْلَامِ فقال رسول اللَّهِ – ﷺ – : ((خَمْسُ صَلَوَاتٍ في الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ فقال هل عَلَيَّ غَيْرُهَا قال لَا إلا أَنْ تَطَوَّعَ قال رسول اللَّهِ – ﷺ – وَصِيَامُ رَمَضَانَ. قال هل عَلَيَّ غَيْرُهُ ؟ قال: لَا إلا أَنْ تَطَوَّعَ . قال: وَذَكَرَ له رسول اللَّهِ – ﷺ – الزَّكَاةَ .قال: هل عَلَيَّ غَيْرُهَا ؟ قال: لَا إلا أَنْ تَطَوَّعَ . قال : فَأَدْبَرَ الرَّجُلُ وهو يقول : والله لَا أَزِيدُ على هذا ولا أَنْقُصُ. قال : رسول اللَّهِ – ﷺ – أَفْلَحَ إن صَدَقَ))[(٢)].

فقول الأعرابي : " هل عليّ غيرها " وإجابة النبي – ﷺ – بالنفي دلالة على تعين الفرض ، ثم قال – ﷺ – :((إلا أَنْ تَطَوَّعَ)) فسمى النبي – ﷺ – ما زاد عن الفريضة بالتطوع ، فدل ذلك على عدم الوجوب. ويتأيد بالقاعدة الترجيحة : (إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له)[(٣)].

٣. أنَّ هذا القول عليه جُلُّ عبارات المفسرين .

قال السمعاني : «وفيه الإجماع» [(٤)]، فيقدم القول الذي استفاض النقل فيه عن أهل العلم ، وإن كان غيره محتملا [(٥)] . والله تعالى أعلم.

(١) طلحة بن عبيد الله بن عثمان التيمي القرشي المدني ، أبو محمد، أحد العشرة المبشرين، وأحد الستة أصحاب الشورى، وأحد الثمانية السابقين إلى الإسلام.تُوفي سنة (٣٦ هـ).
يُنظر : الاستيعاب (٧٦٤/٢) ، و الإصابة في تمييز الصحابة (٥٢٩/٣) .

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه " ، كتاب الإيمان ، بَاب الزَّكَاةُ من الْإِسْلَامِ وَقَوْلُهُ عز وجل :﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ (١ / ٢٥) ح (٤٦).

(٣) قواعد الترجيح (١ / ٢٠٦).

(٤) تفسير القرآن (٨٤/٦،٨٥)

(٥) قواعد التفسير (٢ / ٨٠٤).

﴿(٣٢) المسألة الثانية : مدة بقاء قيام الليل فرضا في قول الله تعالى :﴿ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾.

ترجيح ابن جُزيّ – رحمه الله – :

رجَّح أنَّ قيام الليل كان مفروضًا لمدة عام.

مجمل ما ذكره في الآية

قال : « واختلِفَ كم بقي فرضا؟ فقالت عائشة: عامًا . وقيل ثمانية أشهر. وقيل عشرة أعوام فالآية الناسخة على هذا مدنية» [(١)].

العرض و المناقشة:

في المسألة ثلاثة أقوال وهي :

القول الأول : ما رجَّحه ابن جُزيّ ، وهو قول عائشة [(٢)]، وابن عباس [(٣)]– رضي الله عنهما – و قال به الجصاص ، وابن أبي زمنين ، والواحدي ، والبغوي ، وبيان الحق ، والقرطبي [(٤)]. ووافقهم الخازن [(٥)] – رحمهم الله – .

قال البغوي : « ﴿أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ﴾على النصف إلى الثلثين ، خيرّه بين هذه المنازل فكان النبي – ﷺ – وأصحابه يقومون على هذه المقادير وكان الرجل لا يدري متى ثلث الليل ومتى النصف ومتى الثلثان فكان يقوم حتى يصبح مخافة أن لا يحفظ القدر الواجب واشتد ذلك عليهم حتى انتفخت أقدامهم

---

(١) التسهيل (١٥٦/٤).

(٢) سبق تخريجه ص (١٧١).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٢٦٦/٧) ح (٣٥٩٤٣) ، و أبو داود في سننه ، كتاب الصلاة ، باب نسخ قيام اللّيل والتيسير فيه (٣٢/٢) ح (١٣٠٥) ، والطبري في جامع البيان (١٢٦/٢٩) ، و ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٣٨٠/١٠) ح (٣٨٦٤) والطبراني في المعجم الكبير (١٩٦/١٢) ح (١٢٨٧٧) ، والحاكم في مستدركه (٥٤٨/٢) من طريق مسعر عن ابن عباس . ولفظه : (لما نزل أوّل المزمل كانوا يقومون نحوًا من قيامهم في رمضان، وكان بين أوّلها وآخرها قريب من سنة).
قال الحاكم : (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه) . وقال الشيخ الألباني :(صحيح) . يُنظر : صحيح وضعيف سنن أبي داود ح (١٣٠٥) (٢٢٤).

(٤) أحكام القرآن للجصاص (٣٦٧/٥) ، وتفسير القرآن العزيز (٥٢/٥) ،والوسيط (٤/ ٣٧٢)، معالم التنزيل (٤٠٧/٤) و باهر البرهان(٣ / ١٥٦٩)، و الجامع لأحكام القرآن (٣٤/١٩).

(٥) لباب التأويل(٦ / ٣٠٠).

فرحمهم الله وخفف عنهم ونسخها بقوله :﴿ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ﴾ الآية فكان بين أول السورة وآخرها سنة» [1].

القول الثاني : بقي ثمانية أشهر. وهو قول عائشة – رضي الله عنها – . وأورده الطبري والثعلبي وأبو حيَّان [2]– رحمهم الله –.

واستُدل عليه بحديث عائشة – رضي الله عنها – أنها قالت : « كنتُ أجعلُ لرسول الله – ﷺ – حصيرًا يصلِّي عليه من الليل ، فتسامعَ به الناسُ فاجتمعوا فخرج كالمُغضَبِ وكان بهم رحيمًا فخشي أن يكتبَ عليهم قيامُ الليلِ فقال : ((يا أيها الناسَ اكلفوا من الأعمال ما تطيقون ، فإن الله لا يمل من الثواب حتى تملّوا من العمل .وخير الأعمال ما دمتم عليه)) ونز ل القرآن ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾ حتى كان الرجل يربط الحبل ويتعلق فمكثوا بذلك ثمانية أشهر فرأى الله ما يبتغون من رضوانه فرحمهم فردهم إلى الفريضة وترك قيام الليل»[3].

القول الثالث : بقي قيام الليل عشرة أعوام . وهو مروي عن سعيد بن جبير [4]. وأورده الثعلبي و الزمخشري ، والقرطبي [5] – رحمهم الله –.

الترجيح

الراجح – والله تعالى أعلم بالصواب – أنَّ قيام الليل بقي فرضا على النبي– ﷺ – وأصحابه– رضي الله عنهم – عاما ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن معه ؛ لصحة حديث عائشة – رضي الله عنها –

---

(١) معالم التنزيل (٤٠٧/٤).

(٢) جامع البيان (١٢٥/٢٩)،و الكشف والبيان (٥٩/١٠)،و البحر المحيط (٣٥٣/٨).

(٣) أخرجه الطبري بسنده عنها " جامع البيان " (١٢٥/٢٩) . قال الحافظ ابن حجر في الفتح : (في سنده موسى بن عبيدة وهو ضعيف). (١ / ١٠٢).

(٤) أخرجه الطبري بسنده عنه " جامع البيان " (١٢٥/٢٩) ولفظه قال : (مكث النبي – صلى الله عليه وسلم – على هذا الحال عشر سنين يقوم الليل كما أمره الله وكانت طائفة من أصحابه يقومون معه ، فأنزل الله عليه بعد عشر سنين : ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ﴾) ، وابن أبي حاتم في (تفسير القرآن العظيم) (٣٣٧٩/١٠) ح(١٩٠١٢) . وسنده ضعيف لإرساله . يُنظر : الاستيعاب في معرفة الأسباب (٣ / ٤٧١) .

(٥) الكشف والبيان (٥٩/١٠)،و الكشاف (٦٣٨/٤) ، والجامع لأحكام القرآن (٣٤/١٩).

و (إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجِّح له) [1]. **ويُؤيد ذلك عدة أمور وهي :**

١. إنَّ السورة بأكملها مكية وهو مروي عن الحسن ،وعكرمة ،وعطاء ، وجابر [2].و قال به الطبري وأبو الليث ، وابن أبي زمنين ، والمهدوي ، والواحدي ، والبغوي وحكى ابن الجوزي عليه الإجماع [3].

فكون السورة مكية يُردُّ به على من قال باستمرار القيام عشرة سنين ، فضلا على ضعف الرواية .

قال ابن حجر[4] : «وقد روى محمد بن نصر في قيام الليل من طريق سماك الحنفي عن بن عباس شاهدا لحديث عائشة في أن بين الإيجاب والنسخ سنة ، وكذا أخرجه عن أبي عبد الرحمن السلمي [5] والحسن وعكرمة وقتادة بأسانيد صحيحة عنهم ومقتضى ذلك أن النسخ وقع بمكة؛ لأن الإيجاب متقدم على فرض الخمس ليلة الإسراء وكانت قبل الهجرة بأكثر من سنة على الصحيح» [6] . و هذا القول موافق للقاعدة الترجيحية :(إذا ثبت تاريخ نزول السورة فهو مرجح لما وافقه من أوجه التفسير) [7].

٢. ذكر الله – ﷻ- للجهاد والزكاة في العهد المكي إنما هو بشارة للمؤمنين بالتمكين.

قال ابن الحصار[8]:« ذكر الله الزكاة في السور المكيات كثيرا تصريحا وتعريضا بأن الله سينجز وعده لرسوله ويقيم دينه ويظهره حتى تفرض الصلاة والزكاة وسائر الشرائع و لم تؤخذ الزكاة إلا بالمدينة بلا

---

(١) قواعد الترجيح (١ / ٢٠٦).

(٢) يُنظر : النكت والعيون (٦ / ١٢٤) ، و الجامع لأحكام القرآن (٣١/١٩) ، روح المعاني (١٠٠/٢٩) .

(٣) جامع البيان (١٢٤/٢٩) ، و بحر العلوم (٤٨٦/٣) ، و تفسير القرآن العزيز (٤٩/٥) ، و التحصيل (أ /١٨٠) والوسيط (٤ / ٣٧١)، ومعالم التنزيل (٤٠٦/٤) ، و زاد المسير (٣٨٧/٨) .

(٤)أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، أبو الفضل، شهاب الدين، ابن حجر . وُلد سنة (٧٧٣ هـ) . من أئمة العلم والتاريخ.كان فصيح اللسان، راوية للشعر، عارفا بأيام المتقدمين وأخبار المتأخرين، صبيح الوجه . له تصانيف كثيرة منها : (الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة ، و لسان الميزان ، و الأحكام لبيان ما في القرآن من الأحكام).تُوفي سنة (٨٥٢ هـ).

يُنظر : ا البدر الطالع (٨٧/١) ، و لأعلام (١ / ١٧٨).

(٥)عبد الله بن حبيب بن ربيعة السلمي ، أبو عبد الرحمن . مقرئ الكوفة وعالمها ، قرأ على عثمان وعلي وابن مسعود وسمع م نهم . تُوفي سنة (٧٢ هـ).

يُنظر : تهذيب الكمال (٤١٠/١٤) ، وتذكرة الحفاظ (٥٨/١).

(٦) فتح الباري (٢٢/٣).

(٧) قواعد الترجيح (١ / ٢٥٨) .

(٨) علي بن محمد بن محمد بن إبراهيم بن موسى الخزرجي، أبو الحسن، الحصار. فقيه أشبيلي الأصل. له كتب في (أصول الفقه والناسخ والمنسوخ ، و البيان في تنقيح البرهان) . يُنظر : الأعلام (٤ / ٣٣٠).

خلاف وأورد من ذلك قوله تعالى : ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾[1] وقوله في سورة المزمل :﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ ومن ذلك قوله فيها :﴿وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ » [2]. و الله تعالى أعلم.

(١) سورة الأنعام:١٤١.

(٢) الإتقان في علوم القرآن (١/١٠٧).

قول الله – ﷻ – : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴾[1]

❁ (٣٣)مسألة : في معنى الآية.

ترجيح ابن جُزي – رحمه الله – :

رجَّح أن الله تعالى خير نبيه– ﷺ – بين ثلاثة أحوال، وهو أن يقوم نصف الليل أو ينقص من النصف قليلا أو يزد عليه ، وذلك باعتبار أن الليل هو المستثنى منه ، وأن الضمير المجرور في " عليه " و " فيه " يعود على الليل .

ومجمل ما ذكره في الآية

قال : «في معنى هذا الكلام أربعة أقوال:

الأول: وهو الأشهر والأظهر أن الاستثناء من الليل وقوله ﴿نِّصْفَهُۥٓ﴾ بدل من ﴿ٱلَّيْلَ﴾ أو من﴿قَلِيلًا﴾ وجعل النصف قليلا بالنسبة إلى الجميع والضميران في قوله ﴿أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ ﴾ ﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾ عائدان على النصف والمعنى أن الله خيره بين ثلاثة أحوال وهو أن يقوم نصف الليل أو ينقص من النصف قليلا أو يزد عليه .

الثاني: قال الزمخشري﴿ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ استثناء من النصف كأنه قال نصف الليل إلا قليلا فخيره على هذا بين حالتين وهما أن يقوم أقل من النصف أو أكثر منه وهذا ضعيف لأن قوله : ﴿أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ ﴾ تضمن معنى النقص من النصف فلا فائدة زائدة في استثناء القليل من النصف.

القول الثالث: قال الزمخشري أيضا : يجوز أن يريد بقوله :﴿أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ ﴾ نصف النصف وهو الربع ويكون الضمير في قوله أو زد عليه يعود على ذلك أي زد على الربع فيكون ثلثا فيكون التخيير على هذا بين قيام النصف أو الثلث أو الربع وهذا أيضا بعيد.

القول الرابع : قال ابن عطية: يحتمل أن يكون معنى﴿ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ الليالي التي يمنعه العذر من القيام فيها والمراد بالليل على هذا الليالي فهو جنس وهذا بعيد لأنه قد فسر هذا القليل المستثنى بما بعد ذلك

(١) سورة المزمل : ١-٢ .

من نصف الليل أو النقص منه أو الزيادة عليه [فدل[1]] ذلك على أن المراد [بالقليل[2]]المستثنى بعض أجزاء الليل لا بعض الليالي» [3].

العرض و المناقشة :

في المسألة قولان وهما :

القول الأول : أن نصفه " بدل " وهو على أربعة أوجه :

الوجه الأول :أن ﴿نِّصْفَهُۥٓ﴾ بدل من ﴿قَلِيلًا﴾. وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ موافقا للطبري وقال به مكي بن أبي طالب ، والزمخشري ، والبيضاوي ، وجلال الدين المحلي ، واستظهره الشوكاني ، وقدم ه ابن عاشور [4]- رحمهم الله -.

قال الإمام الطبري : « وقوله : ﴿قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾يقول لنبيه - ﷺ - : قم الليل يا محمد كله إلا قليلا منه نصفه ، يقول: قم نصف الليل أو انقص منه قليلا أو زد عليه يقول أو زد عليه خير ه الله تعالى ذكره حين فرض عليه قيام الليل بين هذه المنازل أي ذلك شاء فعل فكان رسول الله - ﷺ - وأصحابه فيما ذكر يقومون الليل نحو قيامهم في شهر رمضان فيما ذكر حتى خفف ذلك عنهم» [5].

وقال مكي بن أبي طالب : وقوله : ﴿قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾أي : قم الليل كله إلا قليلا ثم أبدل من الليل بدل البعض من الكل فقال : ﴿نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا﴾. أي : قم نصفه أو أقل من النصف ﴿أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ﴾. أي : أو زد على النصف . فهذا كله تخيير من الله لرسوله بين أن يفعل ما شاء من هذه الثلاث المنازل يقوم النصف أو أقل أو أكثر»[6] .

---

(١) في المطبوع (قيل) والتصويب من "ز" (ب / ٢٢٦)

(٢) في المطبوع (بالليل) و التصويب من "ز " (ب / ٢٢٦)

(٣) التسهيل (٤/١٥٦ ، ١٥٧).

(٤) جامع البيان (٢٩/١٢٤) ،و الهداية إلى بلوغ النهاية (١٢ / ٧٧٨٥) ، و الكشاف (٤/٦٣٨) ، وأنوار التنزيل (٥/٤٠٤) و تفسير الجلالين (١/٧٧٣) ، وفتح القدير(٥/٣١٦)، والتحرير والتنوير (١٢ / ٢٥٩).

(٥) جامع البيان (٢٩/ ١٢٤).

(٦) الهداية إلى بلوغ النهاية (١٢ / ٧٧٨٥).

الوجه الثاني : أن نصفه بدل من الليل . والمعنى " قم أقل من نصف الليل .

قاله الزجاج ، والسمّعاني ،وذهب إليه الزمخشري ، وقدّمه النسفي ، وقال به ابن كثير ، وأبو السعود ، والقنوجي ، والقاسمي [1]- رحمهم الله -.

قال الزجاج :« فالمعنى ، والله أعلم : أن ﴿نِّصْفَهُۥٓ﴾ بدل من " الليل " كما تقول : ضربت زيداً رأسَهُ فإنما ذكرت زيداُ لتؤكد الكلام ، وهو أوكد من قولك : ضربت رأس زيداً ، فالمعنى : قم نصف الليل إلا قليلا ، ولكنه ذُكر مع الزيادة ، فالمعنى قم نصف الليل أو انقص من نصف الليل أو زد على نصفه » [2].

الوجه الثالث : أنَّ ﴿نِّصْفَهُۥٓ﴾ بدلٌ من ﴿ٱلَّيْلَ﴾أيضاً كما تقدَّم في الو جه الثاني ، إلاَّ أنَّ الضميرَ في﴿ مِنْهُ﴾و﴿عَلَيْهِ﴾ عائدٌ على الأقلِّ من النصف ، والمعنى التخيير بين أمرين بين أن يقوم أقل من نصف الليل على البت وبين أن يختار أحد الأمرين وهما النقصان من النصف والزيادة عليه . قاله الزمخشري [3].

الوجه الرابع : أَنْ يكونَ﴿نِّصْفَهُۥٓ﴾ بدلاً مِنْ ﴿قَلِيلًا﴾كما تقدَّمَ ، إلاَّ أنَّك تجعلُ القليلَ الثاني رُبْعَ الليلِ . جوَّزه الزمخشري بقوله : «ويجوز إذا أبدلت نصفه من قليلا وفسرته به أن تجعل ﴿قَلِيلًا﴾الثاني بمعنى نصف النصف وهو الربع كأنه قيل أو انقص منه قليلاً نصفه وتجعل المزيد على هذا القليل أعني الربع نصف الربع كأنه قيل أو زد عليه قليلاً نصفه» [4].

القول الثاني : أَنْ يكونَ ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾استثناءً مِنْ القيامِ ، فتجعلَ الليلَ اسم جنسٍ ثم قال : ﴿إِلَّا

(١) معاني القرآن وإعرابه (٥ / ١٨٦) ، و تفسير القرآن (٧٧/٦) ،و مدارك التنزيل (٤ / ٣٠٣) ، و تفسير القرآن العظيم (٤٣٥/٤) ، و إرشاد العقل السليم (٤٩/٩)، و فتح البيان (١٤ /٣٨١) ، ومحاسن التأويل (٩ / ٤٠٠٤).

(٢)معاني القرآن وإعرابه (٥ / ١٨٦) .

(٣) الكشاف (٦٣٨/٤).

(٤) الكشاف (٦٣٨/٤).

﴿قَلِيلًا﴾أي : إلاَّ الليالِيَ التي تترُكُ قيامَها عند العُذْرِ البيِّن .احتمله ابن عطية [1].

قال ابن عادل معقباً على قوله : « قاله ابن عطية ، احتمالاً من عنده وهذا خلافُ الظاهرِ ، وهو تأويل بعيد» [2].

الترجيح

الراجح – والله تعالى أعلم بالصواب – ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾مستثنى من ﴿ٱلَّيۡلَ﴾ و﴿نِّصۡفَهُۥٓ﴾ وجعل النصف قليلا بالنسبة إلى الجميع والضميران في " منه " و " عليه : عائدان على النصف ، وهو ما رجحه ابن جزي ، ومن معه؛ لأنه المناسب لظاهر الآية حيث يدل على الاكتفاء بأحد الأزمنة المذكورة فيها وهي :

- قيام نصف الليل وجاء بيانه بقوله تعالى :﴿نِّصۡفَهُۥٓ﴾.
- القيام بأنقص من نصف الليل وهو في قوله تعالى:﴿ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ﴾.
- القيام بما زاد على النصف وبيانه بقول الله – ﷻ – : ﴿أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ﴾. و (الأصل حمل نصوص الوحي على ظواهرها إلا لدليل) [3].

١. يؤيد هذا التقسيم قراءة النصب [4] في قوله تعالى :﴿وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ﴾ عطفاً على ﴿أَدۡنَىٰ﴾ حيث كانوا يقومون ﴿أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ﴾وهو يقابله ﴿أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ﴾ ويقومون ﴿نِّصۡفَهُۥٓ﴾ و يقابله

(١) يُنظر : المحرر الوجيز (٣٨٧/٥).
(٢) اللباب في علوم الكتاب (١٩ / ٤٥٧).
(٣) قواعد التفسير (٢ / ٨٤٣).
(٤) قرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر ﴿ وَنِصۡفِهِۦ وَثُلُثِهِۦ ﴾ بالكسر . و حملوه على الجار ، أي: تقوم أدنى من نصفه ومن ثلثه . والمعنى في ذلك يكون على تأويل إن ربك يعلم أنك تقوم أحيانا أدنى من ثلثي الليل وأحيانا أدنى من نصفه وأحيانا أدنى من ثلثه غير عارف بالمقدار في ذلك التحديد بدلالة قوله بعدها ﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ ﴾، وقرأ الباقون ﴿وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ﴾ بالنصب بوقوع الفعل أي يقوم نصفه وثلثه وحجتهم في ذلك أن النصب أصح في النظر قال الله لنبيه – صلى الله عليه وسلم – : ﴿قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ أي : صل الليل إلا شيئا يسيرا منه تنام فيه وهو الثلث والثلث يسير عند الثلثين ، ثم قال: ﴿نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ﴾ أي : من الثلث قليلا أي نصفه أو أنقص من النصف قليلا إلى الثلث أو زد على النصف إلى الثلثين .
يُنظر : السبعة في القراءات (٦٥٨/١)، و إملاء ما منّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات (٢٧١/٢).

﴿وَنِصْفَهُۥ﴾ ، ويقومون ﴿وَثُلُثَهُۥ﴾ ويقابله ﴿أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ﴾ .

قال أبو حيان – رحمه الله – : «فقراءة النصب مناسبة للتقسيم الذي في أول السورة لأنه إذا قام الليل إلا قليلاً صدق عليه ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ﴾؛ لأن الزمان الذي لم يقم فيه يكون الثلث وشيئاً من الثلثين فيصدق عليه قوله : ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ وأما قوله :﴿نِّصْفَهُۥٓ﴾ فهو مطابق لقوله أولاً ﴿نِّصْفَهُۥٓ﴾ وأما "ثلثه " فإن قوله :﴿ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا﴾ قد ينتهي النقص في القليل إلى أن يكون الوقت ثلث الليل وأما قوله : ﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾ فإنه إذا زاد على النصف قليلاً كان الوقت أقل من الثلثين فيكون قد طابق قوله : ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ﴾ » [1].

٢. أن ﴿نِّصْفَهُۥٓ﴾ تبين لما أُجمل في ﴿قَلِيلًا﴾؛ لبيان أن المأمور به من القيام يكون أكثر من مدة نصف الليل .ويدل عليه ﴿ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا﴾ أي انقص من النصف ، ثم قال الله تعالى : ﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾ عودة إلى القيام بأكثر من النصف [2]، ويؤيِّدُ القاعدة التفسيرية :(السياق والقرائن الدالة على مُراد المتكلم ترشد إلى بيان المجمل وتعيين المحتمل)[3]. و الله تعالى أعلم.

(١) البحر المحيط (٨/٣٥٨).

(٢) يُنظر : التحرير والتنوير (١٢ / ٢٥٩).

(٣) قواعد التفسير (٢ / ٦٧٧).

قول الله – ﷻ – :﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾[1].

❁ (٣٤)مسألة : سبب وصف القرآن بالثقيل في الآية.

ترجيح ابن جزيّ – رحمه اللّٰه – :

رجح أنَّ السبب في وصف القرآن بالثقيل ؛ لثقل تنزله على جسد النبي– ﷺ – عند نزول الوحي.

مجمل ما ذكره في الآية

قال : «والقول الثقيل هو القرآن. واختلف في وصفه بالثقل على خمسة أقوال :

أحدها : أنه سمى ثقيلا لما كان النبي – ﷺ – يلقاه من الشدة عند نزول الوحي عليه حتى أن جبينه ليتفصد عرقا في اليوم الشديد البرد [2]وقد كان يثقل جسمه عليه الصلاة والسلام بذلك حتى إنه إذا أوحى إليه وهو على ناقته بركت به [3]وأوحى إليه وفخذه على فخذ زيد بن ثابت فكادت أن ترض فخذ زيد [4]والثقل على هذا حقيقة .

الثاني : أنه ثقيل على الكفار بإعجازه ووعيده .

---

(١) سورة المزَّمل:٥ .

(٢) لفظ الحديث من رواية أمّ عائشة – رضي الله عنها – أَنَّ الْحَارِثَ بن هِشَامٍ – رضي الله عنه – سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – فقال : (يا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ يَأْتِيكَ الْوَحْيُ ؟ فقال رسول اللهِ – صلى الله عليه وسلم – : ((أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلَةِ الْجَرَسِ وهو أَشَدُّهُ عَلَيَّ فَيُفْصَمُ عَنِّي وقد وَعَيْتُ عنه ما قال . وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِي الْمَلَكُ رَجُلًا فَيُكَلِّمُنِي فَأَعِي ما يقول)) قالت عَائِشَةُ –رضي الله عنها – : وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنْزِلُ عليه الْوَحْيُ في الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْبَرْدِ فَيَفْصِمُ عنه وَإِنَّ جَبِينَهُ لَيَتَفَصَّدُ عَرَقًا)

أخرجه البخاري في صحيحه ، باب كَيْفَ كان بَدْءُ الْوَحْيِ إلى رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَقَوْلُ اللَّهِ جَلَّ ذِكْرُهُ :﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾(٤/١) ح (٢) .

(٣) لفظ الحديث من رواية عائشة – رضي الله عنها– : (أن النبي – صلى الله عليه وسلم – كان إذا أوحي إليه وهو على ناقته وضعت جرانها فلم تستطع أن تتحرك وتلت قول الله عز وجل : ﴿إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾

أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه . وقال الذهبي في التلخيص : (صحيح) (٥٤٩/٢) ح (٣٨٦٥).

(٤) لفظ الحديث من رواية سَهْلِ بن سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ أَنَّهُ قال رأيت مَرْوَانَ بن الْحَكَمِ جَالِسًا في الْمَسْجِدِ فَأَقْبَلْتُ حتى جَلَسْتُ إلى جَنْبِهِ فَأَخْبَرَنَا أَنَّ زَيْدَ بن ثَابِتٍ أخبره أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – أَمْلَى عليه ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ قال: فَجَاءَهُ بن أُمِّ مَكْتُومٍ وهو يُمِلُّهَا عَلَيَّ . فقال : يا رَسُولَ اللَّهِ لو أَسْتَطِيعُ الْجِهَادَ لَجَاهَدْتُ وكان رَجُلًا أَعْمَى ، فَأَنْزَلَ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى على رَسُولِهِ – صلى الله عليه وسلم – وَفَخِذُهُ على فَخِذِي فَثَقُلَتْ عَلَيَّ حتى خِفْتُ أَنْ تَرُضَّ فَخِذِي ثُمَّ سُرِّيَ عنه فَأَنْزَلَ الله عز وجل : ﴿ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ﴾

أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب لجهاد والسير ، بَاب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى :﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾(١٠٤٢/٣) ح (٢٦٧٧).

الثالث : أنه ثقيل في الميزان .

الرابع : أنه كلام له وزن ورجحان.

الخامس : أنه ثقيل لما تضمن من التكاليف والأوامر والنواهي . وهذا اختيار ابن عطية وعلى هذا يناسب الاعتراض بهذه الآية قيام الليل لمشقته» [1].

العرض و المناقشة:

في المسألة أربعة أقوال وهي :

القول الأول : ما رجَّحه ابن جُزيّ ، وأورده الطبري والزمخشري ، وابن عطية ، و القرطبي والبيضاوي ، وأبو حيان ، وابن كثير ، وأبو السعود [2]– رحمهم الله –.

القول الثاني : وُصِف القرآن بكونه ثقيلا ؛ لثقله على الكفار والمنافقين لإعجازه ووعيده . أورده ابن عطية ، والقرطبي ، والبيضاوي ، والنسفي ، والثعالبي [3]– رحمهم الله – .

القول الثالث : إنَّ القرآن ثقيل في الميزان . وهو مروي عن ابن زيد [4] – ﷺ – وذكره الزمخشري ، والقرطبي ، والبيضاوي ، وأبو حيان ، وأبو السعود [5]– رحمهم الله –.

القول الرابع : إنَّ القرآن ثقيل العمل به . وهو مروي عن الحسن [6]، وقتادة [7] . و ذكره الطبري

---

(١) التسهيل (١٥٧/٤).

(٢) جامع البيان (١٢٧/٢٩) ، الكشاف (٦٣٩/٤)، المحرر الوجيز (٣٨٧/٥) ، الجامع لأحكام القرآن (٣٩/١٩) ، و أنوار التنزيل (٤٠٥/٥) ، والبحر المحيط (٣٥٤/٨)، وتفسير القرآن العظيم (٤٣٦/٤) ، وإرشاد العقل السليم (٥٠/٩) .

(٣) المحرر الوجيز (٣٨٧/٥)، والجامع لأحكام القرآن (٣٩/١٩)، وأنوار التنزيل (٤٠٥/٥) ، و مدارك التنزيل (٢٩٠/٤) ، والجواهر الحسان (٣٥٢/٤).

(٤) أخرجه الطبري بسنده عنه " جامع البيان " (١٢٧/٢٩)، ولفظه (قال هو والله ثقيل مبارك القرآن كما ثقل في الدنيا ثقل في الموازين يوم القيامة) .

(٥) الكشاف (٦٣٩/٤)، و الجامع لأحكام القرآن (٣٩/١٩)، و أنوار التنزيل (٤٠٥/٥)، و البحر المحيط (٣٥٤/٨)، وإرشاد العقل السليم (٥٠/٩).

(٦) أخرجه الطبري بسنده عنه " جامع البيان " (١٢٧/٢٩)، ولفظه (قال العمل به قال إن الرجل ليهذ السورة ولكن العمل به ثقيل).

(٧) أخرجه الطبري بسنده عنه (المرجع السابق) (١٢٧/٢٩)، ولفظه (والله فرائضه وحدوده) .

وابن عطيةَ ، والقرطبي ، والبيضاوي ، والنسفي ، وابن كثير ، وأبو السعود [1] – رحمهم الله – .

الترجيح

الراجح – والله تعالى أعلم بالصواب – أنَّ وصف القرآن " بالثقيل " يحتمل كل ما ذُكر ؛ لأن الأقوال أمثله لعموم الوصف ، ولا تعارض بينها . وكل معنى محتفٌ بقرائنه .

فوصف القرآن بالثقيل لشدة تنزله على النبي- ﷺ – فقد سأل الحارث بن هشام رسول الله- ﷺ – فقال: يا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ يَأْتِيكَ الْوَحْيُ ؟ فقال : ((أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلَةِ الْجَرَسِ وهو أَشَدُّهُ عَلَيَّ فَيُفْصَمُ عَنِّي)) [2].

وفي ثقل العمل به قال تعالى ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾[3]، فهي ثقيلة على المنافق بخلاف المؤمن .

وفي ثقله في الميزان قال- ﷺ – :((الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَآنِ –أو تَمْلَأُ – ما بين السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ))[4] [5]. وموافق للقاعدة التفسيري ة : (إذا احتمل اللفظ معاني عدة ، و لم يمتنع إرادة الجميع حُمِل عليها) [6]. و الله تعالى أعلم.

(١) جامع البيان (١٢٧/٢٩)، المحرر الوجيز (٣٨٧/٥) ، و الجامع لأحكام القرآن (٣٩/١٩)، وأنوار التنزيل (٤٠٥/٥) ، ومدارك التنزيل (٢٩٠/٤) ، وتفسير القرآن العظيم (٤٣٦/٤) ، وإرشاد العقل السليم (٥٠/٩).

(٢) سبق تخريجه :ص ١٨٥ .

(٣)سورة البقرة:٤٥.

(٤) لفظ الحديث : ((الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ وَالْحَ مْدُ لِلَّهِ تَمْلأُ الْمِيزَانَ . وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلآنِ – أَوْ تَمْلأُ – مَا بَيْنَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالصَّلاَةُ نُورٌ وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا)) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الطهارة ، باب فضلِ الوضوءِ (١/ ٢٠٣) ح (٢٢٣) .

(٥) يُنظر :أضواء البيان (٨/ ٣٥٨ – ٣٥٩).

(٦) قواعد التفسير (٢ / ٨٠٧) .

قول الله -ﷻ- : ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا﴾[1].

(٣٥)مسألة: معنى السبح.

ترجيح ابن جُزيّ - رحمه الله - :

رجَّح ابن جُزيّ معنى السبح أنه التصرف في الاشتغال .

مجمل ما ذكره في الآية

قال : « السبح هنا عبارة عن التصرف في الاشتغال والمعنى يكفيك النهار للتصرف في أشغالك وتفرغ بالليل لعبادة ربك . وقيل: المعنى إن فاتك شيء من صلاة الليل فأده بالنهار فإنه طويل يسع ذلك » [2].

العرض والمناقشة :

اختُلف في معنى " السبح " على قولين :

القول الأول : ما رجَّحه ابن جُزيّ موافقاً للبغوي ، وقال به الزمخشري ، وصدّره القرطبي والنسفي [3]، وأفرده بالذكر البيضاوي [4]، و وافقهم السمين الحلبي ،وجلال الدين المحلِّي ، والثعالبي، وأبو السعود ، والألوسي ، والسعدي [5] – رحمهم الله -.

قال الزمخشري : «﴿سَبْحًا﴾تصرفاً وتقلباً في مهماتك وشواغلك ، ولا تفرغ إلا بالليل فعليك بمناجاة الله التي تقتضي فراغ البال وانتفاء الشواغل » [6].

---

(١) سورة المزَّمل:٦.

(٢) التسهيل (١٥٧/٤).

(٣) معالم التنزيل (٤٠٩/٤) ، والكشاف (٦٤٠/٤) ، والجامع لأحكام القرآن (٤٢/١٩) ، مدارك التنزيل (٣٠٤/٤).

(٤) أنوار التنزيل (٤٠٦/٥).

(٥) عمدة الحفاظ (٢ / ١٨٩) و تفسير الجلالين (٧٧٣/١)، والجواهر الحسان (٣٥٣/٤)، و إرشاد العقل السليم (٥١/٩) ، وروح المعاني (١٠٥/٢٩) ، و تيسير الكريم الرحمن (٨٩٣/١) .

(٦) الكشاف (٦٤٠/٤).

القول الثاني : أن " السبح " الفراغ ، أي : إنَّ لك في النهار فراغا طويلا . وهو قول ابن عباس[١] – رضي الله عنه – ، وقال به و مجاهد [٢] ، وابن زيد [٣]، و قدَّمه السمرقندي ، واقتصر عليه مكي بن أبي طالب [٤] [٤] وذكره السمعاني ، والبغوي ، والقرطبي ، والشوكاني [٥] – رحمهم الله – .

الترجيح

الراجح – والله تعالى أعلم بالصواب – حمل المعنى على كلا القولين ؛ لأن ذلك من الاختلاف الراجع إلى أكثر من معنى ولا تضاد بينها والآية تحتملها جميعاً . **ومما يؤيِّده** :

١. دلالة اللغة : جاء في مادة "سبح " « السين والباء والحاء أصلان أحدهما جنس من العبادة ومنه السبحة وهي الصلاة ويختص من ذلك ما كان نفلا ، والآخر جنس من السعي ومنه السبح والسباحة العوم في الماء » [٦] . و (إذا ورد أكثر من معنى لغوي صحيح تحتمله الآية بلا تضاد جاز جاز تفسير الآية بها)[٧].

قال الإمام الطبري – رحمه الله – : «يقول تعالى ذكره لنبيه محمد : إن لك يا محمد في النهار فراغا طويلا تتسع به وتتقلب فيه» [٨].

٢. أنَّ القول الأول تفسير لفظي ، والثاني : تفسير على المعنى بلازمه ، و(لا تعارض بين التفسير اللَّفظي ،والتفسير على المعنى)[٩]، فالمعنى فيهما يُراد به المحافظة على قيام الليل فمن قال أن معنى السبح التصرف والتقلب في النهار فيكون الليل وقتا للعبادة ومناجاة الله ، وعلى القول الآخر يكون في النهار مُتسع تقضي به أشغالك و ما فاتك من قيام.

---

(١) أخرجه الطبري بسنده عنه " جامع البيان " (١٣١/٢٩) ، ولفظه قال : (فراغا طويلا يعني النوم)

(٢) أخرجه الطبري بسنده عنه (المرجع السابق) (١٣١/٢٩) ، ولفظه قال :(متاعا طويلا) .

(٣) أخرجه الطبري بسنده عنه (المرجع السابق) (١٣١/٢٩) ، ولفظه قال : (لحوائجك فافرغ لدينك الليل) .

(٤) بحر العلوم (٤٨٧/٣) ، والهداية إلى بلوغ النهاية (١٢ / ٧٧٩٤).

(٥) تفسير القرآن (٧٩/٦) ، ومعالم التنزيل (٤٠٩/٤) ، والجامع لأحكام القرآن (٤٢/١٩) ، وفتح القدير (٣١٧/٥) .

(٦) مقاييس اللغة (١٢٥،١٢٦/٣)

(٧) التفسير اللغوي (٥٩٤).

(٨) جامع البيان (١٣١/٢٩) .

(٩) التفسير اللُّغوي (٦٥٢).

قال ابن العربي : «فَأَمَّا حَقِيقَةُ (س ب ح) فَالتَّصَرُّفُ وَالِاضْطِرَابُ ؛ فَأَمَّا الْفَرَاغُ فَإِنَّمَا يَعْنِي بِهِ تَفَرُّغَهُ لِأَشْغَالِهِ وَحَوَائِجِهِ عَنْ وَظَائِفَ تَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ ؛ فَأَحَدُ التَّفْسِيرَيْنِ لَفْظِيٌّ وَالْآخَرُ مَعْنَوِيٌّ » [1]. و الله تعالى أعلم .

(١) أحكام القرآن لابن العربي (٤/٣٣٠).

قول الله – ﷻ – :﴿ وَاذْكُرِ إِسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلِ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴾[1]في الآية مسألتان :

(٣٦) المسألة الأولى : المراد بالذكر في قوله تعالى :﴿ وَاذْكُرِ إِسْمَ رَبِّكَ ﴾.

ترجيح ابن جُزيّ – رحمه الله – :

رجح أنَّ الأمر بالذكر متجه إلى جميع أنواع ذكر الله تعالى .

مجمل ما ذكره في الآية :

قال : «﴿ وَاذْكُرِ إِسْمَ رَبِّكَ ﴾ قيل : معناه قل : بسم الله الرحمن الرحيم في أول صلاتك واللفظ أعم من ذلك» [2].

العرض و المناقشة:

في المسألة أربعة أقوال وهي:

القول الأول : ما رجَّحه ابن جُزيّ موافقا الزمخشري ، والبيضاوي ، والنسفي [3] ووافقهم أبو حيَّان و أفرده بالذكر ابن كثير ، والشربيني ، وأبو السعود ، والألوسي ، والقاسمي ، والمراغي والسعدي وابن عاشور [4]– رحمهم الله – .

قال الزمخشري : « ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ﴾ ودم على ذكره في ليلك ونهارك واحرص عليه وذكر الله يتناول كل ما كان من ذكر طيب تسبيح وتهليل وتكبير وتمجيد وتوحيد وصلاة وتلاوة قرآن ودراسة علم وغير ذلك مما كان رسول الله – ﷺ – يستغرق به ساعة ليله ونهاره» [5].

القول الثاني : معنى ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ﴾ ؛ أي : قل بسم الله الرحمن الرحيم في أول صلاتك وهو

(١) سورة المزَّمل:٧ .

(٢) التسهيل (١٥٧/٤).

(٣) الكشاف (٦٤٠/٤) ، وأنوار التنزيل (٤٠٦/٥) ، ومدارك التنزيل (٢٩١/٤).

(٤) البحر المحيط (٣٥٥/٨)، تفسير القرآن العظيم (٤٣٨/٤)، و السراج المنير (٨ / ١٤٩)، وإرشاد العقل السليم (٥١/٩)، وروح المعاني (١٠٦/٢٩)، ومحاسن التأويل (٩ / ٤٠٠٧)، و تفسير المراغي (١٠ / ٢٣٦) ، وتيسير الكريم الرحمن (٨٩٣/١)، و التحرير والتنوير (١٢ / ٢٦٦).

(٥) الكشاف (٦٤٠/٤).

قول مقاتل [1][2] و قال به ابن عطية ، وجلال الدين المحلِّي [3]- رحمهم الله -.

القول الثالث : أن معنى ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ﴾ صلي لربك ، وهو قول محمد ابن السائب [4] [5]،و رجَّحه القرطبي بقوله : «وقال الكلبي صل لربك أي بالنهار قلت وهذا حسن فإنه لما ذكر الليل ذكر النهار إذ هو قسيمه وقد قال الله تعالى وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر » [6].

وأورده أبو الليث ، وابن عادل ، والشوكاني [7]- رحمهم الله - .

القول الرابع : ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ﴾ أخلص لربك ، وهو قول ابن عباس [8] - رضي الله عنه- و قال به ابن أبي زمنين ، والثعلبي ، والبغوي ، والخازن [9]- رحمهم الله - .

الترجيح

الراجح – والله تعالى أعلم بالصواب – أنَّ اللفظ عام يشمل جميع ذكر الله تعالى وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ من معه ؛ لأنه إذا أمكن حمل الآية على معنى كلي يجمع كل الأقوال حُمل عليها .

وقد ذكر ابن جُزي من وجوه الترجيح عنده : «تقديم العمومي على الخصوصي فإن العمومي أولى لأنه الأصل إلا أن يدل دليل على التخصيص» [10] .**ويتأيد هذا القول بأمر آخر وهو :**

---

(١) لم أقف عليه مسندا ووجدته منسوبا في تفسير القرآن (٦/٨٠).

(٢)مقاتل بن سليمان بن بسير الأزدي الخراساني أبو الحسن البلخي. صاحب التفسير توفي سنة (١٥٠ هـ).
نظر : تهذيب الكمال (٢٨/٤٣٤) ، وتقريب التهذيب (١/٥٤٥).

(٣) المحرر الوجيز (٥/٣٨٨)، وتفسير الجلالين (١/٧٧٣).

(٤) نسبه إليه القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (١٩/٤٣، ٤٤)، والشوكاني في فتح القدير (٥/٣١٧).

(٥)محمد بن السائب بن بشر بن عمرو ابن الحارث الكلبي، أبو النضر: نسابة، راوية، عالم بالتفسير والاخبار وأيام العرب. قال يحي ابن معين :الكلبي ليس بشيء من أهل الكوفة توفي سنة (١٤٦ هـ).
نظر : ضعفاء العقيلي (٤/٧٨)، و الجرح والتعديل (٧/٢٧٠)، والأعلام (٦ /١٣٣).

(٦) الجامع لأحكام القرآن (١٩/٤٣، ٤٤).

(٧) بحر العلوم (٣/٤٨٧)، واللباب (١٩ / ٤٦٦) ، و فتح القدير (٥/٣١٧).

(٨) لم أقف عليه مسندا ، و وجدته منسوبا في الكشف والبيان (١٠/٦٢).

(٩) تفسير القرآن العزيز (٥/٥٠)، والكشف والبيان (١٠/ ٦٢)،و معالم التنزيل(٤/٤٠٩) ، ولباب التأويل (٦ / ٣٠٣) .

(١٠) التسهيل (١/٩).

أنَّ الله- ﷻ - أخبر عن نفسه أن له الأسماء الحسنى . قال الله - ﷻ - : ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[1]. فجاء لفظ "اسم " نكرة ليدخل فيه كل اسم لله تعالى .

قال الشيخ عبد الرحمن الميداني رحمه الله تعالى - : «﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ﴾ أي : واذكر مع سبحك في النهار ما يلائم حركة حياتك الواعية من أسماء ربك . لفظ اسم هو نكرة تصدقُ بأي اسم من أسماء الله الحسنى ولما كان استغراقُها متعذرا أو شاقا جدا ، كان المطلوب ذكر الاسم الملائم لحركة السابح من أسماء الله الحسنى» [2]. و الله تعالى أعلم.

(١) سورة طه:٨ .

(٢) معارج التفكر (٥ / ١٦٩) .

❁ (٣٧) المسألة الثانية : معنى التبتل في قول الله – ﷻ–﴿ وَتَبَتَّلِ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴾[١].

ترجيح ابن جُزَيّ – رحمه الله – :

رجح أنَّ معنى " التبتل : الانقطاع لله تعالى بالعبادة .

مجمل ما ذكره في الآية

قال : « ﴿ وَتَبَتَّلِ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴾أي : انقطع إليه بالعبادة والتوكل عليه وحده. وقيل: التبتل رفض الدنيا وتبتيلا مصدر على غير قياس» [٢] .

العرض والمناقشة:

في المسألة قولان وهما :

القول الأول : ما رجَّحه ابن جُزيّ ،وهو قول ابن عباس [٣] – ﷺ – ، وقال به مجاهد [٤] والضحاك [٥] وقتادة [٦] ، وابن زيد[٧]. و الطبري ، مكي بن أبي طالب ، والمهدوي ، والأصفهاني والزمخشري وابن العربي وابن الجوزي ، وبيان الحق النيسابوري ، والرازي والقرطبي ، والبيضاوي والقمي النيسابوري . ووافقهم جلال الدين المحلّي والشربيني ،وأبو السعود ، والشوكاني ، والألوسي والقاسمي والمراغي والسعدي ، وابن عاشور – رحمهم الله تعالى – [٨].

---

(١) سورة المزمِّل : ٧ .

(٢) التسهيل (١٥٧/٤).

(٣) أخرجه الطبري بسنده عنه " جامع البيان" (١٣٢/٢٩)، ولفظه قال : (أخلص له إخلاصا) .

(٤) أخرجه الطبري بسنده عنه (المرجع السابق) (١٣٣/٢٩)، ولفظه قال : (أخلص إليه المسألة والدعاء) .

(٥) أخرجه الطبري بسنده عنه (المرجع السابق) ، ولفظه قال : (أخلص إليه إخلاصا) .

(٦) أخرجه الطبري بسنده عنه (المرجع السابق) ، ولفظه يقول : (أخلص له العبادة والدعوة) .

(٧) أخرجه الطبري بسنده عنه (المرجع السايق)، ولفظه (أي : تفرغ لعبادته قال تبتل فحبذا التبتل إلى الله وقرأ قول الله فإذا فرغت فانصب قال إذا فرغت من الجهاد فانصب في عبادة الله وإلى ربك فارغب).

(٨) جامع البيان (١٣٢/٢٩)،الهداية إلى بلوغ النهاية (١٢ / ٧٧٩٤) ،و التحصيل (أ / ١٨١) ، و المفردات في غريب القرآن (٣٦/١) ، والكشاف (٦٤٠/٤)،وأحكام القرآن لابن العربي (٣٢١/٤)،و تذكرة الأريب (٢٥٢/٢)، وباهر البرهان (٣ / ١٥٧١) ، والتفسير الكبير (١٥٧/٣٠)، والجامع لأحكام القرآن (٤٤/١٩)، وأنوار التنزيل(٤٠٦/٥) ، وغرائب القرآن (٦ / ٣٧٩) ، تفسير الجلالين (٧٧٣/١)، والسراج المنير (٨ / ١٤٩)، و إرشاد العقل السليم (٥١/٩) ،وفتح القدير (٣١٧/٥)،و روح المعاني (١٠٦/٢٩) ، ومحاسن التأويل (٩ / ٤٠٠٦) ، تفسير المراغي (١٠ / ٢٣٦) ،وتيسير الكريم الرحمن (٨٩٣/١) والتحرير والتنوير (١٢ / ٢٦٥ ، ٢٦٦).

قال الطبري : «﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ يقول : وانقطع إليه انقطاعا لحوائجك وعبادتك دون سائر الأشياء غيره وهو من قولهم تبتلت هذا الأمر ومنه قيل لأم عيسى بن مريم البتول لانقطاعها إلى الله ويقال للعابد المنقطع عن الدنيا وأسبابها إلى عبادة الله قد تبتل ومنه الخبر الذي روي عن النبي – ﷺ – أنه نهى عن التبتل» [1] .

القول الثاني : أنَّ التبتُّل رفض الدنيا .وهو قول زيد بن أسلم [2] – رضي الله عنه– ، وأورده الثعلبي والسمعاني والسمعاني والبغوي ، وابن عطية ، والنسفي ، والخازن[3]– رحمهم الله – .

الترجيح

القول الراجح – والله أعلم بالصواب – أنَّ معنى التبتل في الآية ؛ هو الانقطاع إلى الله تعالى وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ، وجمهور المفسرين [4] ؛لأن هذا المعنى عام ينصرف على المعاني الأخرى . و (إذا دار دار الأمر في اللفظ بين جريانه على عمومه أو تخصيصه ، فإنه يحمل على عمومه ؛ لأن الأصل بقاء العموم) [5]. **ويُؤيده عدة أمور وهي :**

١. أنَّ القطع أظهر في معنى البتل . جاء في معناه : البَتْلُ القَطْعُ بَتَلَهُ يَبْتِلُه ويَبْتُلُه بَتْلاً وبَتَّلَهُ فانْبَتَلَ وتَبَتَّلَ انقطع ، و الشيء بتله و عمله لله أخلصه من الرياء [6].

قال القرطبي – رحمه الله – : «التبتل الانقطاع إلى عبادة الله – ﷻ – أي :انقطع بعبادتك إليه ولا تشرك به غيره. يقال: بتلت الشيء .أي :قطعته ،ومنه قولهم :طلقها بتة بتلة ،وهذه صدقة بتة بتلة أي بائنة منقطعة عن صاحبها أي قطع ملكه عنها بالكلية ،ومنه مريم البتول لانقطاعها إلى الله تعالى ويقال للراهب: متبتل لانقطاعه عن الناس وانفراده بالعبادة قال :

بِضُرِ يءُالظلامَ بالعشاءِ كأنها منارةُ مُمسَ ى راهبٍ مُتبَتِّ ل[7]

(١) جامع البيان (١٣٢/٢٩).

(٢) تفسير القرآن (٨٠/٦)، و المحرر الوجيز (٣٨٨/٥).

(٣) الكشف والبيان (٦٢/١٠)،و تفسير القرآن (٨٠/٦)،ومعالم التنزيل (٤٠٩/٤)،والمحرر الوجيز (٣٨٨/٥)،و ومدارك التنزيل (٤ / ٣٠٤)، ولباب التنزيل (٦ / ٣٠٤) .

(٤) التفسير الكبير (١٥٧/٣٠).

(٥) قواعد الترجيح (٢ / ٥٣٩) .

(٦) المحكم والمحيط الأعظم (٤٩٦/٩) ، المعجم الوسيط (٣٨/١).

(٧) شعر امرؤ القيس ، جمهرة أشعار العرب جمهرة أشعار العرب (٧٩/١).

وفي الحديث النهي عن التبتل [1]وهو الانقطاع عن الناس والجماعات . وقيل: إن أصله عند العرب التفرد قاله بن عرفة والأول أقوى لما ذكرنا » [2].

٢. أتى مصدر ﴿تَبۡتِيلٗا﴾بعد تبتل خلاف للأصل ؛أذ الأصل أن يأتي على تبتّلا ؛للإيماء إلى أمرين : **الأول** : أن الانقطاع إلى الله تعالى يأتي على مراحل في التدرج مع النفس وترويضها على خلاف ما تهوى فهو يحتاج إلى مجاهدة للنفس .

قال ابن القيم – رحمه الله تعالى – : «ومصدر بتل تبتلا كالتعلم والتفهم ولكن جاء على التفعيل مصدر تفعل لسر لطيف ،فإن في هذا الفعل إيذانا بالتدريج والتكلف والتعمل والتكثر والمبالغة ،فأتى بالفعل الدال على أحدهما بالمصدر الدال على الآخر ،فكأنه قيل: بتل نفسك إلى الله تبتيلا وتبتل إليه تبتلا ففهم المعنيان من الفعل ومصدره وهذا كثير في القرآن وهو من أحسن الاختصار والإيجاز» [3].

الثاني : للتعظيم المتبتل إليه ، فإنه – ﷻ– عن الخلق بذاته وتعاظم ملكه ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾[4] ﴿شَيۡءٞ﴾[4] فلا ينطبق وصف العابد أنه متبتل إليه إلا إذا انقطع عن غيره بالكلية وهجر العوائق والعلائق .

قال ابن عاشور : « ومن أكبر التبتل إلى الله الانقطاع عن الإشراك، وهو معنى الحنيفية، ولذلك عقب قوله: ﴿وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا﴾بقوله : ﴿رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا﴾[5]» [6]. وهو موافق للقاعدة التفسيرية : (التعقيب بالمصدر يفيد التعظيم) [7]. و الله تعالى أعلم .

(١) لفظ الحديث عند البخاري من طريق سَعِيدَ بن الْمُسَيَّبِ يقول : سمعت سَعْدَ بن أبي وَقَّاصٍ يقول : (رَدَّ رسول اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم –على عُثْمَانَ بن مَظْعُونٍ التَّبَتُّلَ وَلَوْ أَذِنَ له لَاخْتَصَيْنَا) .
أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب النكاح ، باب ما يكره من التبتل والخصاء (١٩٥٢/٥)ح (٤٧٨٦)
وأخرجه مسلم في كتاب النكاح ، بَاب اسْتِحْبَابِ النِّكَاحِ لِمَنْ تَاقَتْ نَفْسُهُ إليه وَوَجَدَ مُؤَنَهُ وَاشْتِغَالِ من عَجَزَ عن الْمُؤَنِ بِالصَّوْمِ (١٠٢٠/٢) ح (١٤٠٢) بنحوه.

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٤٤/١٩).

(٣) مدارج السالكين مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢٩/٢).

(٤)سورة الشورى:١١.

(٥) سورة المزَّمل:٩.

(٦) التحرير والتنوير (١٢ / ٢٦٦).

(٧) قواعد التفسير (١ /٢٤٦).

قول الله – ﷻ – : ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ [1].

❁ (٣٨)مسألة : المنسوخ في قوله تعالى ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾.

ترجيح ابن جُزيّ – رحمه الله – :

رجَّح أن المنسوخ الصبر على ما يقول الكفار.

مجمل ما ذكره في الآية

قال : «﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ أي على ما يقول الكفار والآية منسوخة بالسيف ، وقيل إنما المنسوخ المهادنة التي يقتضيها قوله : ﴿وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ وأما الصبر فمأمور به في كل وقت » [2].

العرض والمناقشة:

في المسألة قولان وهما:

القول الأول: ما رجَّحه ابن جُزيّ موافقاً لابن أبي زمنين ، والثعلبي ، والواحدي والسمعاني والبغوي [3] ، ووافقهم أبو حيان ، والشوكاني [4]– رحمهم الله – .

قال البغوي : « ﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا﴾ نسختها آية القتال» [5]

القول الثاني : إنما المنسوخ المهادنة التي يقتضيها قوله :﴿ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا﴾ وهو قول قتادة [6] [6] – رضي الله عنه – . و قال به النحاس [7]، و اقتصر عليه مكي بن أبي طالب ، وابن حزم الظاهري [1] وقدَّمه

---

(١) سورة المزَّمل : ٩ .

(٢) التسهيل (١٥٨/٤).

(٣) تفسير القرآن العزيز (٥٠/٥)، والكشف والبيان(٦٣/١٠)،والوسيط (٨٠/٦) ، و معالم التنزيل(٤٠٩/٤).

(٤) البحر المحيط (٣٥٦/٨) ، وفتح القدير (٣١٨/٥).

(٥) تفسير معالم التنزيل (٤٠٩/٤).

(٦) أخرجه الطبري بسنده عنه "جامع البيان" (١٣٤/٢٩) ، ولفظه قال : (براءة نسخت ما ها هنا أمر بقتالهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله لا يقبل منهم غيرها).

(٧) أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي المصري، أبو جعفر النحاس . مفسر، أديب. ولد في مصر سنة ، كان من نظراء نفطويه وابن الأنباري. زار العراق واجتمع بعلمائه . من مؤلفاته (تفسير القرآن، و إعراب القرآن ، و تفسير أبيات سيبويه ،و ناسخ القرآن ومنسوخه) .توفي بمصر سنة (٣٣٨ هـ).

وقدَّمه ابن عطية ، وقال به القرطبي ، والنسفي ، وجلال الدين المحلِّي ، والثعالبي [٢] – رحمهم الله – .

قال القرطبي : «﴿ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا ﴾ أي لا تتعرض لهم ولا تشتغل بمكافأتهم فإن في ذلك ترك الدعاء إلى الله وكان هذا قبل الأمر بالقتال ثم أمر بعد بقتالهم وقتلهم فنسخت آية القتال ما كان قبلها من الترك» [٣].

الترجيح

الراجح – والله أعلم بالصواب – أنَّ الآية محكمة ولا نسخ فيها ؛ لأن الأمر بالصبر أو المدارة مع الكفار كان في وقت ضعف ، والأمر بالقتال الكفار كان في وقت منعة فناسب كلا الأمرين حالتهما حين الخطاب وهو موافق للقاعدة التفسيرية : (كل ما وجب امتثاله في وقت ما ، لعلة تقتضي ذلك الحكم ، ثم ينتقل بانتقالها إلى حكم آخر ، فليس بنسخ) [٤].

قال ابن العربي :« وكل منسوخ لا فائدة لمعرفة معناه لا سيما في هذا الموضع إلا على القول بأن المرء إذا غلب بالباطل كان له أن يفعل ما فعله النبي مع الكفار حين غلبوه» [٥].

وقال الرازي: «قال المفسرون : هذه الآية إنما نزلت قبل آية القتال ثم نسخت بالأمر بالقتال .وقال آخرون : بل ذلك هو الأخذ بإذن الله فيما يكون أدعى إلى القبول فلا يرد النسخ في مثله وهذا أصح »

يُنظر : وفيات الأعيان (٩٩/١)، و الأعلام (١ / ٢٠٨).

(١) علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، أبو محمد .ولد بقرطبة سنة (٣٨٤ هـ) . وكان عالم الأندلس في عصره، وأحد أئمة الاسلام. وهو من صدور الباحثين فقيها حافظا يستنبط الأحكام من الكتاب والسنة، بعيدا عن المصانعة .من مؤلفاته (الفصل في الملل والأهواء والنحل ، و المحلى ،و جمهرة الأنساب ، و الناسخ والمنسوخ). توفي سنة (٤٥٦ هـ)
يُنظر : وفيات الأعيان (٣٢٥/٣) ، الأعلام (٤ / ٢٥٤).

(٢) الناسخ والمنسوخ للنحاس (٧٥٥/١) ، والهداية إلى بلوغ النهاية (١٢ / ٧٧٩٦) ،و الناسخ والمنسوخ لابن حزم (٦٢/١) والمحرر الوجيز (٣٨٨/٥) ، و الجامع لأحكام القرآن (٤٥/١٩)، ومدارك التنزيل (٤ / ٣٠٤) ،و تفسير الجلالين (٧٧٤/١) ، و الجواهر الحسان (٣٥٤/٤).

(٣)الجامع لأحكام القرآن (٤٥/١٩).

(٤) قواعد التفسير (٢ / ٧٤٠) .

(٥)أحكام القرآن لابن العربي (٣٣٣/٤).

.[1]

وقال السيوطي [2]في أقسام النسخ : «ما أمر به لسبب ثم يزول السبب كالأمر حين الضعف والقلة بالصبر والصفح ثم نسخ بإيجاب القتال وهذا في الحقيقة ليس نسخا بل هو من قسم المنسأ ... فالمنسأ هو الأمر بالقتال إلى أن يقوى المسلمون وفي حال الضعف يكون الحكم وجوب الصبر على الأذى . وبهذا يضعف ما لهج به كثيرون من أن الآية في ذلك منسوخة بآية السيف، وليس كذلك بل هي من المنسأ بمعنى: أن كل أمر ورد يجب امتثاله في وقت ما لعله يقتضي ذلك الحكم ثم ينتقل بانتقال تلك العلة إلى حكم آخر وليس بنسخ أنما النسخ الإزالة للحكم حتى لا يجوز امتثاله »[3]. و الله تعالى أعلم.

(١) التفسير الكبير (١٥٩/٣٠).

(٢) عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ابن سابق الدين الخضيري السيوطي، جلال الدين . وُلد سنة (٨٤٩ هـ) . إمام حافظ مؤرخ أديب. له مصنفات كثيرة ، منها (الإتقان في علوم القرآن ،و إتمام الدراية لقراء النقاية ،و الأشباه والنظائر) . تُوفي سنة (٩١١ هـ).

يُنظر : شذرات الذهب (٥١/٨) ، و الأعلام (٣ / ٣٠١).

(٣) الإتقان في علوم القرآن (٥٧/٢).

قول الله – ﷻ – : ﴿وَطَعَاماً ذَا غُصَّةٍ وَعَذَاباً آلِيماً ﴾[1].

❁ (٣٩) مسألة : معنى " ذا غصة "

ترجيح ابن جُزَيّ – رحمه الله – :

رجَّح أن معنى "ذا غصة " الطعام الذي يغصُّ به آكلوه.

مجمل ما ذكره في الآية

قال : « ومعنى ذا غصةٌ أي يغص به آكلوه . وقيل : هو شوك [من نار[2]] يعترض في حلوقهم لا يترل ولا يخرج» [3].

العرض و المناقشة:

في المسألة قولان وهما :

القول الأول: ما رجَّحه ابن جُزيّ موافقاً للطبري ، وابن أبي زمنين ، والثعلبي ، والأصفهاني والبغوي والزمخشري ، وابن عطية ، وابن الجوزي، والرازي ، والبيضاوي ، والنسفي [4] ووافقهم الخازن ، وابن كثير ، وجلال الدين المحلّي ، والثعالبي ، وابن عادل ، والشربيني ، وأبو السعود والشوكاني ، والألوسي والقاسمي ، والمراغي ، وابن عاشور [5]– رحمهم الله – .

قال الطبري : « ﴿ذَاغُصَّةٍ﴾[6]يقول: وطعاما يغص به آكله فلا هو نازل عن حلقه ولا هو خارج منه» [7].

---

(١) سورة المزَّمل:١٢ .

(٢) ساقط ، والتصويب من "ز" (أ/ ٢٢٧).

(٣) التسهيل (١٥٨/٤).

(٤) جامع البيان (١٣٥/٢٩) ، وتفسير القرآن العزيز (٥١/٥) ، الكشف والبيان (٦٣/١٠)، المفردات في غريب القرآن (٣٦١/١) ومعالم التنزيل (٤١٠/٤) ، الكشاف (٦٤١/٤) ، المحرر الوجيز (٣٨٩/٥)،وتذكرة الأريب (١٢٥٢/٢) ، ولتفسير الكبير (١٦٠/٣٠) ، و أنوار التنزيل (٤٠٧/٥)، ومدارك التنزيل (٢٩١/٤).

(٥) لباب التأويل (٦ / ٣٠٥) ، وتفسير القرآن العظيم (٤٣٨/٤) ، وتفسير الجلالين (٧٧٤/١)، والجواهر الحسان (٣٥٤/٤)، واللباب (١٤ / ٤٧١) ، والسراج المنير (٨ /١٥٢)، وإرشاد العقل السليم (٥١/٩) ، وفتح القدير (٣١٨/٥) ، وروح المعاني (١٠٧/٢٩) ، ومحاسن التأويل (٩ / ٤٠٧) ، وتفسير المراغي (١٠ / ٢٣٩) ، والتحرير والتنوير (١٢ / ٢٧١) .

(٦)سورة المزَّمل:١٣.

(٧) جامع البيان (١٣٥/٢٩).

وقال ابن عطية : «وكل مطعوم هنالك فهو ذو غصة» [1] .

القول الثاني : من العلماء من فسر الغصة بنوع خاص من طعام أهل النار – أجارنا الله منه – فمنهم من فسرها بالشوك ، وهوقول ابن عباس [2]– رضي الله عنه – .

قال أبو الليث : « يعني ذا شوك يستمسك في الحلق لا يدخل ولا يخرج فيبقى في الحلق» [3] .

ومنهم من قال أنه الزقوم . وهو قول مجاهد [4]. وأورده الماوردي ، والسمعاني وابن عطية والثعالبي[5]– والثعالبي[5]– رحمهم الله – .

وفسره الزجاج بالضريع مستدلا بقوله تعالى :﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ﴾[6] قال : «وهو شوك العوسج» [7].

الترجيح

الراجح – والله تعالى أعلم بالصواب – في وصف الطعام بالغصة ما ذهب إليه ابن جُزيّ ومن معه لأنه (إذا دار الأمر في اللفظ بين جريانه على عمومه أو تخصيصه ، فإنه يحمل على عمومه ؛ لأن الأصل بقاء العموم) [8]. **ومما يُؤيده:**

١. أنَّ وصف العذاب المؤجل للمكذبين يوم القيامة على سبيل التعريض والإلماح – لأن القرآن في بداية نزوله ، يظهر ذلك في الأجناس الأربعة– جاء منكرا لدلالة التعظيم [9].

---

(١) المحرر الوجيز (٣٨٩/٥).

(٢) أخرجه الطبري بسنده عنه "جامع البيان" (١٣٥/٢٩) ، ولفظه (قال : شوك يأخذ بالحلق فلا يدخل ولا يخرج). وأخرجه الحاكم في"المستدرك على الصحيحين "(٥٤٩/٢) ح (٣٨٦٧) . وقال : (حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه). قال الذهبي في التلخيص:(شبيب بن شيبة ضعفوه).

(٣) بحر العلوم (٤٨٨/٣).

(٤) أخرجه الطبري بسنده عنه : جامع البيان (١٣٥/٢٩) ، ولفظه قال : (شجرة الزقوم) .

(٥) النكت والعيون (٦ / ١٣٠) ، و تفسير القرآن (٨١/٦)، والمحرر الوجيز (٣٨٩/٥) ، والجواهر الحسان (٣٥٤/٤).

(٦) سورة الغاشية:٦.

(٧) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥ / ١٨٨) ، وزاد المسير (٨/ص٣٩٣)، والجامع لأحكام القرآن (٤٦/١٩) ، وفتح القدير (٣١٨/٥).

(٨) قواعد الترجيح (٢ / ٥٣٩).

(٩) يُنظر : معارج التفكر (١ / ١٧٩) .

٢. جاء لفظ "طعام " مفردا مضافا إلى الوصف ، وهذا يفيد العموم ؛ بأن كل طعام أهل النار فهو ذو غصّة ،وهو قول عام تدخل فيه جميع الأقوال الأخرى دون تدافع .

٣. دلالة اللغة : قال ابن فارس : « "غص" الغين والصاد ليس فيه إلا الغصص بالطعام ويقال رجل غصّان

قال لو بغيرِ الماءِ حلقِي شِرِقٌ كنتُ كالغصانِ بالماءِ اعتصاري »[١] [٢]

قال ابن عاشور : «والغصة بضم الغين: اسم لأثر الغص في الحلق وهو تردد الطعام والشراب في الحلق بحيث لا يسيغه الحلق من مرض أو حزن وغيره»[٣].

وقد أخبر الله تعالى بأنواع منه في كتابه العزيز ومن ذلك قول الله – ﷻ –: ﴿أَذَٰلِكَ خَيۡرٞ نُّزُلًا أَمۡ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ٦٢ إِنَّا جَعَلۡنَٰهَا فِتۡنَةٗ لِّلظَّٰلِمِينَ ٦٣ إِنَّهَا شَجَرَةٞ تَخۡرُجُ فِيٓ أَصۡلِ ٱلۡجَحِيمِ ٦٤ طَلۡعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ٦٥ فَإِنَّهُمۡ لَأٓكِلُونَ مِنۡهَا فَمَالِـُٔونَ مِنۡهَا ٱلۡبُطُونَ ٦٦ ثُمَّ إِنَّ لَهُمۡ عَلَيۡهَا لَشَوۡبَا مِّنۡ حَمِيمٖ ٦٧ ثُمَّ إِنَّ مَرۡجِعَهُمۡ لَإِلَى ٱلۡجَحِيمِ﴾[٤]، وقال تعالى : ﴿مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسۡقَىٰ مِن مَّآءٖ صَدِيدٖ ١٦ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأۡتِيهِ ٱلۡمَوۡتُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٖۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٞ﴾[٥].و الله تعالى أعلم .

(١) مقاييس اللغة (٣٨٣/٤).

(٢) المرجع السابق (٣٨٣/٤)

(٣) التحرير والتنوير (١٢ / ٢١٧).

(٤)سورة الصافات: ٦٢ – ٦٨.

(٥)سورة إبراهيم:١٦ – ١٧.

قول الله – ﷻ – : ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْماً يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيباً السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ [1] كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا ﴾[2] . في الآية أربعة مسائل :

❁ (٤٠)المسألة الأولى : في عامل النصب لـــ " يوما ".

ترجيح ابن جُزي – رحمه الله – :

رجَّح أنَّ "يومًا" مفعولٌ به لتتقون . والمعنى : كيف تتقون وتحفظون أنفسكم يوم القيامة وأنتم كفرة .

مجمل ما ذكره في الآية :

قال : «﴿ يَوْما﴾ مفعول به وناصبه﴿ تَتَّقُون ﴾ أي: كيف تتقون يوم القيامة وأهواله إن كفرتم . وقيل : هو مفعول به على أن يكون ﴿ كَفَرْتُم ﴾بمعنى جحدتم . وقيل: هو ظرف. أي :كيف لكم بالتقوى يوم القيامة، ويحتمل أن يكون العامل فيه محذوف تقديره "اذكروا "» [3].

العرض و المناقشة:

في المسألة ثلاثة أقوال وهي :

القول الأول : ما رجَّحه ابن جُزيٍّ ، وقال به الفرَّاء ، والطبري ، وقدَّمه الزمخشري ، وابن عطية القرطبي [4] ، و وافقهم ابن كثير ، وجلال الدين المحلِّي ، والشوكاني ، والألوسي ، ابن عاشور [5]– رحمهم الله – .

قال الإمام الطبري: «يقول تعالى ذكره للمشركين به فكيف تخافون أيها الناس يوما يجعل الولدان شيبا إن كفرتم بالله و لم تصدقوا به ، وذكر أن ذلك كذلك في قراءة عبد الله بن مسعود» [6].

---

(١) سقط من هذه الرواية حرف " الطاء "وصوبته برواية حفص عن عاصم ﴿مُنفَطِرٌ بِهِ ﴾ .

(٢) سورة المزَّمل:١٦ .

(٣) التسهيل (١٥٨/٤).

(٤) معاني القرآن للفواء (٣ / ١٩٨) ، وجامع البيان (١٣٧/٢٩)، والكشاف (٦٤٢/٤) ،والمحرر الوجيز (٣٨٩/٥) ، و الجامع لأحكام القرآن (٤٩/١٩) .

(٥) تفسير القرآن العظيم (٤٣٩/٤)، وتفسير الجلالين (٧٧٤/١) ،وفتح القدير (٣١٩/٥) ، وروح المعاني (١٠٨/٢٩) والتحرير والتنوير (١٢ / ٢٧٥) .

(٦)جامع البيان (١٣٧/٢٩) .

القول الثاني : أنَّ ﴿ يَوْمًا ﴾ مفعولاً بـ ﴿كَفَرْتُمْ﴾ إن جُعل ﴿كَفَرْتُمْ﴾ بمعنى " جَحدتُمْ" . أي فكيف تتقون الله وتخشونه إن جحدتم يوم القيامة . جوّزه الزمخشري ، وذكره ابن عطية والرازي والنسفي ، والثعالبي ، وابن عادل[1] – رحمهم الله – .

قال الزمخشري : « ويجوز أن ينتصبَ بكفرتم على تأويل جحدتم .أي: فكيف تتقون الله وتخشونه إن جحدتم يوم القيامة والجزاء؛ لأن تقوى الله خوف عقابه» [2].

القول الثالث :أنَّ ﴿ يَوْمًا ﴾ منصوب على الظرفية . أي : كيف لكم بالتقوى في يوم القيامة إن كفرتم في الدنيا ؟.

قدَّمه البغوي ، وجوزه الزمخشري ، والقمي النيسابوري [3] ،و ذكره الثعلبي والرازي، وابن عادل[4]– رحمهم الله –.

قال البغوي : « ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ ﴾[5] أي: كيف لكم بالتقوى يوم القيامة إذ كفرتم في الدنيا يعني لا سبيل لكم إلى التقوى إذا وافيتم يوم القيامة؟» [6].

الترجيح

الراجح – والله تعالى أعلم بالصواب – ما ذهب إليه ابن جزي ومن معه بأن عامل ﴿ يَوْمًا ﴾ ﴿ تَتَّقُونَ ﴾؛ لأن (القول بالاستقلال مقدم على القول بالإضمار)[7]. و الله تعالى أعلم.

(١) الكشاف (٦٤٢/٤) ، المحرر الوجيز (٣٨٩/٥) ،و التفسير الكبير (١٦٢/٣٠) ، ومدارك التنزيل (٣٠٥/٤) ، والجواهر الحسان (٣٥٤/٤) ، واللباب (١٩ / ٤٧٦) .

(٢)الكشاف (٦٤٢/٤).

(٣) معالم التنزيل (٤١٠/٤) ، والكشاف (٦٤٢/٤) ، وغرائب القرآن (٦ / ٣٨١).

(٤) الكشف والبيان (٦٤/١٠) ، والتفسير الكبير (١٦٢/٣٠)، واللباب (١٩ / ٤٧٦).

(٥) سورة المزَّمل:١٧.

(٦) معالم التنزيل (٤١٠/٤).

(٧) قواعد الترجيح (٢ / ٤٢١) .

قول الله – ﷻ – :﴿ يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَانَ شِيباً﴾[1].

❁ (٤١) المسألة الثانية : وصفُ الوليدِ يوم القيامة بالشيب أحقيقةٌ أم مجازٌ ؟

ترجيح ابن جُزيّ – رحمه الله – :

رجَّح أنَّ وصف الوليد بالمشيب يوم القيامة على حقيقته.

ومجمل ما ذكره في الآية :

قال: «والمعنى أن الأطفال يشيبون يوم القيامة .فقيل: إن ذلك حقيقة. وقيل : إنه عبارة عن هول ذلك اليوم. وقيل: إنه عبارة عن طوله» [2].

العرض و المناقشة:

في المسألة قولان، وهما:

القول الأول : ما رجَّحه ابن جُزيّ ، وهو قول ابن زيد [3] . وقال به الطبري ، والثعلبي والبغوي [4]، ووافقهم الخازن ، وابن كثير ، ولألوسي ، والسعدي [5]– رحمهم الله –.

قال الطبري : « وقوله: ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ يعني : يوم القيامة وإنما تشيب الولدان من شدة هوله وكربه » [6] .

واستدلَّ عليه بحديث أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ – رضي الله عنه – أن النبي – ﷺ – قال:((يقول الله تَعَالَى : يا آدَمُ .فيقول: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ في يَدَيْكَ .فيقول: أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ .قال: وما بَعْثُ النَّارِ قال: من كل أَلْفٍ تسعمائة وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ. فَعِنْدَهُ يَشِيبُ الصَّغِيرُ ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾[7])) [8] .

---

(١) سورة المزمِّل : ١٦ .

(٢) التسهيل (١٥٨/٤).

(٣) أخرجه الطبري بسنده "جامع البيان " (١٣٨/٢٩) ، ولفظه قال: (تشيب الصغار من كرب ذلك اليوم) .

(٤) جامع البيان (١٣٧/٢٩)، والكشف والبيان (٦٥/١٠)، ومعالم التنزيل (٤١٠/٤) ، ولباب التأويل (٦ / ٣٠٥) .

(٥) تفسير القرآن العظيم (٤٣٩/٤) ، وروح المعاني (١٠٩/٢٩) ، و تيسير الكريم الرحمن (٨٩٤/١) .

(٦) جامع البيان (١٣٧/٢٩).

(٧) سورة الحج:٢.

(٨) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الأنبياء ، باب قصة يأجوج ومأجوج (٣/ ١٢٢١) ح (٣١٧٠) ، وأخرجه مسلم في

القول الثاني : أنَّ الوصف على سبيل المجاز ؛ إذ هو مثل لهول يوم القيامة وشدته ، قال به أبو الليث والواحدي ، والزمخشري ، وبيان الحق ، والرازي ، والبيضاوي ، والقمي النيسابوري وا لبقاعي والقاسمي ، والمراغي ، وابن عاشور[1]- رحمهم الله - .

قال الزمخشري : «﴿يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ مثل في الشدة يقال في اليوم الشديد : يوم يشيب نواصي الأطفال والأصل فيه : أنّ الهموم والأحزان إذا تفاقمت على الإنسان أسرع فيه الشيب» [2].

قال ابن عاشور : «ووصف اليوم بأنه ﴿يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ وصف له باعتبار ما يقع فيه من الأهوال والأحزان، لأنه شاع أن الهمَّ مما يسرع به الشيب فلما أريد وصفهم هم ذلك اليوم بالشدة البالغة أقواها أسند إليه يشيب الولدان الذين شعرهم في أول سواده . وهذه مبالغة عجيبة وهي من مبتكرات القرآن فيما أحسب» [3] .

الترجيح

الراجح – والله تعالى أعلم بالصواب – في وصف الولدان يوم القيامة بالشيب ؛ إنما هو على حقيقته وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ؛ لأن ذلك إخبار من الله تعالى عن أمر غيبي لا سبيل لنا لمعرفته على وجهه إلا بالنص الصحيح والوصف هو ظاهر القرآن فلا يجوز العدول عنه ، و (لا يُصرف الكلام إلى مجازه وله محمل الحقيقة) [4]،**ويُؤيده عدة أمور وهي :**

قول النبي- ﷺ - صريح في تعين الوقت الذي يشيب فيه الصغير ،وتضع فيه كل ذات حملٍ حملها وترى الناس سكارى وهو يوم القيامة . (وإذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه) [5]. والله تعالى أعلم.

صحيحه ،كتاب الإيمان ، بَاب قَوْلِهِ يقول الله لِآدَمَ أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ من كل أَلْفٍ تسعمائة وَسَبْعَةً وَتِسْعِينَ (١/٢٠١) ح(٢٢٢).

(١) بحر العلوم (٣/٤٨٨) ،و الوسيط (٤/ ٣٧٦) ، والكشاف (٤/ ٦٤٢) ، وباهر البرهان (٣ / ١٥٧٢) ، والتفسير الكبير (٣٠/١٦٢) ، وأنوار التنزيل (٥/٤٠٧)،وغرائب القرآن (٦ / ٣٨١)، ونظم الدرر (٨ / ٢١٤)، ومحاسن التأويل (٩ / ٤٠٠٧)، وتفسير المراغي (١٠ / ٢٤٠) ، والتحرير والتنوير(١٢ / ٢٧٥).

(٢) الكشاف (٤/ ٦٤٢).

(٣) التحرير والتنوير(١٢ / ٢٧٥).

(٤) يُنظر :قواعد الترجيح (٢ / ٣٨٧).

(٥) قواعد الترجيح (١ / ٢٠٦) .

❁ (٤٢) المسألة الثالثة : في عود الضمير في قول الله تعالى : ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ﴾.

ترجيح ابن جزيّ – رحمه الله – :

رجَّح عود الضمير على اليوم.

مجمل ما ذكره في الآية

قال: « والضمير المجرور يعود على اليوم أي تتفطر السماء لشدة هوله .ويحتمل أن يعود على الله أي تنفطر بأمره وقدرته. والأول أظهر» [(١)].

العرض والمناقشة :

في المسألة قولان وهما:

القول الأول : ما رجَّحه ابن جُزيّ ، وهو قول ابن عباس[(٢)] – ﷺ – ، وقال به الحسن [(٣)]،وقتادة [(٤)]. والطبري ، والزمخشري ، القرطبي ، والبيضاوي ، والنسفي ، والقمي النيسابوري [(٥)] ووافقهم أبو حيَّان ، وابن كثير ، وجلال الدين المحلِّي ، والشوكاني ، والألوسي ، والقنوجي ،والقاسمي والسعدي وابن عاشور [(٦)]– رحمهم الله تعالى –.

قال الطبري : « وقوله :﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ﴾يقول تعالى ذكره السماء مثقلة بذلك اليوم متصدعة متشققة» [(٧)].

وقال الشوكاني : «أي متشققة به لشدته وعظيم هوله والجملة صفة أخرى اليوم ... وقيل: منفطر به

---

(١) التسهيل (١٥٨/٤).

(٢)أخرجه الطبري بسنده عنه " جامع البيان " (١٣٨/٢٩)، ولفظه (يعني: تشقق السماء حين ينزل الرحمن جل وعز) .

(٣) أخرج الطبري بسنده عنه (المرجع السابق) (١٣٨/٢٩) ، ولفظه قال : (مثقلة محزونة يوم القيامة).

(٤) أخرجه الطبري بسنده عنه (المرجع السابق) (١٣٨/٢٩) ، ولفظه (مثقل به ذلك اليوم). وذكره السيوطي في "الدر المنثور "(٣٢٢/٨) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر بنحوه

(٥) جامع البيان (١٣٨/٢٩)، والكشاف (٦٤٣/٤) ، والجامع لأحكام القرآن (٥٠/١٩) ، وأنوار التنزيل (٤٠٨/٥) ومدارك التنزيل (٣٠٥/٤) ، وغرائب القرآن (٦ / ٣٨١) .

(٦) البحر المحيط (٣٥٧/٨) ، وتفسير القرآن العظيم (٤٣٩/٤)،و تفسير الجلالين (٧٧٤/١)،و فتح القدير (٣١٩/٥) ،وروح المعاني (١١٠/٢٩) ، وفتح البيان (١٤ / ٣٢٩) ، ومحاسن التأويل (٩ / ٤٠٠) ، وتيسير الكريم الرحمن (٨٩٤/١) ، والتحرير والتنوير (١٢ / ٢٧٥).

(٧) جامع البيان (١٣٨/٢٩).

أي: بالله والمراد بأمره .والأول أولى» [1].

القول الثاني : أن الضمير في الآية يعود على الله تعالى . جوزه أبو حيَّان [2]، وذكره أ بو الليث والسمعاني والبغوي ، وابن عطية ، وابن كثير وابن عادل ، والثعالبي ، والشربيني، والشوكاني والألوسي [3]- رحمهم الله - .

الترجيح

الراجح – والله أعلم بالصواب – في عود الضمير ؛ أنه يعود على اليوم ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ وجمهور المفسرين ، لأن عود الضمير لليوم ظاهر للفظه ، وعوده إلى الله - ﷻ- لمعناه و(إذا اجتمع في الضمائر مرعاة اللفظ والمعنى بُدئ باللفظ ثم المعنى) [4].**ويُؤيده عدة أمور وهي :**

١. أن الباء في (به) بمعنى (في) أي تنفطر السماء في ذلك اليوم .

قال ابن عاشور : « والباء بمعنى في وهو ارتقاء في وصف اليوم بحدوث الأهوال فيه ؛ فإن لانفطار السماء أشد هولا ورعبا مما كني عنه بجملة ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ . أي السماء على عظمها وسمكها تنفطر لذلك اليوم فما ظنكم بأنفسكم وأمثالكم من الخلائق» [5].

٢. أن هذا القول عليه جُلّ عبارات المفسرين .

قال ابن جُزيّ في وجوه الترجيح : «أن يكون القول قول الجمهور وأكثر المفسرين فإن كثرة القائلين بالقول يقتضي ترجيحه» [6].و الله تعالى أعلم.

(١) فتح القدير (٥/٣١٩).

(٢)البحر المحيط (٨/٣٥٧).

(٣) تفسير بحر العلوم (٣/٤٨٩)، و تفسير القرآن (٦/٨٣) ، و معالم التنزيل (٤/٤١٠)، المحرر الوجيز (٥/٣٩٠) ، وتفسير القرآن العظيم (٤/٤٣٩) ، واللباب (١٩ / ٤٧٩) ،والجواهر الحسان (٤/٣٥٥)، و فتح القدير (٥/٣١٩)، و روح المعاني (٢٩/١١٠).

(٤) قواعد التفسير (١ / ٤٠٦) .

(٥) التحرير والتنوير(١٢/ ٢٧٥) .

(٦) التسهيل (١/٩).

❁ (٤٣)المسألة الرابعة : في عود الضمير في قول الله تعالى : ﴿كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا﴾ [١].

ترجيح ابن جزيّ – رحمه الله – :

رجَّح أنَّ عود الضمير يعود على " اليوم " فيكون من إضافة المصدر إلى مفعوله. أي :كان الوعد به مفعولا.

مجمل ما ذكره في الآية

قال : « الضمير في ﴿وَعْدُهُۥ﴾ يحتمل أن يعود على اليوم ، أو على الله. والأول أظهر ؛لأنه ملفوظ به» [٢].

العرض و المناقشة:

في المسألة قولان وهم:

القول الأول: ما رجَّحه ابن جُزيّ ، ووافقه أبو حيان ، و ابن كثير ، والألوسي ، وابن عاشور [٣] – رحمهم الله –.

قال أبو حيَّان : «والظاهر أن الضمير في﴿ وَعْدُهُۥ ﴾عائد على اليوم ، فهو من إضافة المصدر إلى المفعول أي أنه تعالى وعد عباده هذا اليوم ، وهو يوم القيامة ، فلا بد من إنجازه» [٤].

القول الثاني: الضمير عائد على الله تعالى ، فيكون من إضافة المصدر إلى فاعله .

وهو ظاهر قول الإمام الطبري ، و استظهره ابن عطية ، وقال به ا لقرطبي ، و جلال الدين المحلِّي والثعالبي ، والقاسمي ، والمراغي [٥]– رحمهم الله –.

قال الطبري : « كان ما وعد الله من أمر أن يفعله مفعولا ؛لأنه لا يخلف وعده وما وعد أن يفعله

---

(١) سورة المزمِّل : ١٦ .

(٢) التسهيل (١٥٨/٤).

(٣) البحر المحيط (٣٥٨/٨) ، وتفسير القرآن العظيم (٤٣٩/٤) ، وروح المعاني (١١٠/٢٩) ، والتحرير والتنوير(١٢ / ٢٧٧).

(٤) البحر المحيط (٣٥٨/٨).

(٥) جامع البيان (١٣٩/٢٩)، والمحرر الوجيز (٣٩٠/٥) ، والجامع لأحكام القرآن (٥١/١٩) ، وتفسير الجلالين (٧٧٤/١) والجواهر الحسان (٣٥٥/٤) ، ومحاسن التأويل (٩ /٤٠٠٧) ، وتفسير المراغي (١٠ / ٢٤٠).

تكوينه يوم تكون الولدان شيبا يقول: فاحذروا ذلك اليوم أيها الناس فإنه كائن لا محالة» [1].

الترجيح

الراجح – والله تعالى أعلم بالصواب – حمل المعنى على كلا القولين .أي :كان وعد الله مفعولا أو كان وعد اليوم مفعول؛ لأنه " (إذا كان في الآية ضمير يحتمل عوده إلى أكثر من مذكور وأمكن الحمل على الجميع ، حُمل عليه) [2].

وممن احتمل كلا القولين الزمخشري ، الرازي ، وأبو حيان ، وابن عادل ، والشربيني والشوكاني [3] – رحمهم الله –.

قال ابن عادل : «قوله : ﴿كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا﴾ يجوز أن يكونَ الضميرُ لله تعالى ، وإن لم يجرِ له ذكر للعلم به ، فيكون المصدر مضافاً لفاعله . ويجوز أن يكونَ لليوم ، فيكون مضافاً لمفعوله والفاعل وهو " اللَّهُ " مقدَّر» [4]. و الله تعالى أعلم.

(١) جامع البيان (١٣٩/٢٩).

(٢) قواعد التفسير (١ / ٤٠٠) .

(٣) الكشاف (٦٤٢/٤) ، والتفسير الكبير (١٦٤/٣٠)، والبحر المحيط (٣٥٨/٨) ، واللباب (١٩ / ٤٨٠) ، السراج المنير (٨ / ١٥٥)، وفتح القدير (٣٢١/٥).

(٤) اللباب (١٩ / ٤٨٠).

قول الله – ﷻ – :﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ وَنِصْفَهِۥ وَثُلُثَهِۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي ٱلأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَاقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ﴾[1].في الآية مسألتان وهي :

❁ (٤٤)المسألة الأولى : في عود الضمير في قول الله تعالى :﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ ﴾.

ترجيح ابن جُزيّ – رحمه الله – :

رجَّح أن الضمير يعود على ما يُفهم منه السياق أي : لن تحصوا تقدير الليل .

ومجمل ما ذكره في الآية :

قال : « الضمير يعود على ما يفهم من سياق الكلام .أي : لن تحصوا تقدير الليل .وقيل: معناه لن تطيقوه. أي: لن تطيقوا قيام الليل كله» [2].

العرض والمناقشة :

في المسألة قولان وهما:

القول الأول : ما رجَّحه ابن جُزيّ موافقا للفراء ، والواحديّ ، والسمّعانيّ ، و الزمخشريّ وبيان الحق والرازيّ ، والقرطبيّ ، والبيضاوي ، والنسفي ، والقمي النيسابوري [3] ووافقهم الخازن ، وأبو حيَّان والبقاعي ، وأبو السعود ، والألوسي ، والمراغي ، والسعدي [4] – رحمهم الله تعالى – .

---

(١)سورة المزَّمل:١٨ .

(٢) التسهيل (١٥٩/٤).

(٣) معاني القرآن للفراء (٣ / ٢٠٠) ،والوسيط (٤ / ٣٧٧) ، وتفسير القرآن (٨٤/٦) ، والكشاف(٦٤٤/٤) ، وباهر البرهان (٣ / ١٥٧٣) ، والتفسير الكبير (١٦٤/٣٠) ، والجامع لأحكام القرآن (٥٣/١٩) ، وأنوار التنزيل (٤٠٨/٥) ومدارك التنزيل (٣٠٦/٤) ، وغرائب القرآن (٦ / ٣٨٢) .

(٤) لباب التأويل (٦ / ٣٠٧) ، والبحر المحيط (٣٥٨/٨)، ونظم الدرر (٨ / ٢١٦) ، وإرشاد العقل السليم (٥٣/٩) وروح المعاني (١١١/٢٩) ،وتفسير المراغي(١٠ / ٢٤٢) ، و تيسير الكريم الرحمن (٨٩٤/١).

قال القرطبي : «﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ﴾أي : لن تطيقوا معرفة حقائق ذلك والقيام به . وقيل: أي: لن تطيقوا قيام الليل . والأول أصح فإن قيام الليل مافرض كله قط» (١).

وقال أبو حيَّان : «والضمير في ﴿تُحْصُوهُ﴾الظاهر أنه عائد على المصدر المفهوم من يقدر . أي: أن لن تحصوا تقدير ساعات الليل والنهار لا تحيطوا بها على الحقيقة» (٢).

القول الثاني : لن تطيقوا قيام الليل. وهو قول الحسن (٣). وقال به الطبري والثعلبي والبغوي وابن عطية ، وابن العربي ، وابن الجوزي ، والثعالبي ، وابن عاشور (٤)- رحمهم الله -.

قال الطبري : « وقوله : ﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ﴾يقول : علم ربكم أيها القوم الذين فرض عليهم قيام الليل أن لن تطيقوا قيامه فتاب عليكم إذ عجزتم وضعفتم عنه ورجع بكم إلى التخفيف عنكم» (٥).

وقال ابن عطية : «﴿ لَّن تُحْصُوهُ﴾لن تستطيعوا قيامه لكثرته وشدته فخفف الله عنكم فضلا منه لا لقلة جهلهم بالتقدير وإحصاء الوقت » (٦).

الترجيح

الراجح – والله أعلم بالصواب – عود الضمير على مصدر "يقدر" أي : علم أنه لا يصح منكم ضبط الأوقات ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن معه ؛ لأن " إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عن ذلك (٧).

فالسِّياق يدل على اختصاص – ﷻ – وحده بتقدير الأزمنة على حقيقتها بقوله تعالى :﴿ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ

(١) الجامع لأحكام القرآن (٥٣/١٩).

(٢) البحر المحيط (٣٥٨/٨).

(٣) أخرجه الطبري بسنده عنه " جامع البيان" (١٤٠/٢٩) ، ولفظه (أن لن تطيقوه) .

(٤) جامع البيان (١٤٠/٢٩) ، والكشف والبيان (٦٥/١٠) ،ومعالم التنزيل(٤١١/٤)،و المحررالوجيز (٣٩٠/٥) ، وأحكام القرآن لابن العربي (٣٣٤/٤) ، تذكرة الأريب (٢٥٣/٢) ، و الجواهر الحسان (٣٥٥/٤) ، والتحرير والتنوير (١٢ / ٢٨٣) .

(٥) جامع البيان (١٤٠/٢٩).

(٦) المحرر الوجيز (٣٩٠/٥).

(٧) قواعد الترجيح (١ / ١٢٥).

﴿ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ﴾. أي : لن تستطيعوا تقدير الأوقات وضبطها .

قال ابن منظور: « الإحصاء العدُّ والحفظ و أحصى الشيء أحاط به» [1].

وقال الألوسي : «﴿ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ﴾لا يعلم مقادير ساعاتهما كما هي إلا الله تعالى فإن تقديم اسمه تعالى مبتدأ مبيناً عليه يقدر دالٌ على الاختصاص على ما ذهب إليه جار الله ويؤيده قوله تعالى : ﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ ﴾فإن الضمير لمصدر يقدر لا للقيام المفهوم من الكلام والمعنى : علم أن الشأن لن تقدروا الأوقات ولن تستطيعوا ضبط الساعات ولا يتأتى لكم حسابها بالتعديل وا لتسوية إلا أن تأخذوا بالأوسع للاحتياط وذلك شاق عليكم بالغ منكم فتاب عليكم» [2].و الله تعالى أعلم.

(١) لسان العرب (١٤/١٨٤).

(٢) روح المعاني (٢٩/١١١).

❁ (٤٥)المسألة الثانية : في العلة من تكرار الأمر بالقراءة في الآية .

ترجيح ابن جُزيّ – رحمه الله – :

رجَّح أنَّ علة تكرار الأمر بالقراءة للتأكيد على التخفيف.

مجمل ما ذكره في الآية

قال : « ثم كرر الأمر بقراءة ما تيسر تأكيدا للأمر به ، أو تأكيدا للتخفيف. وهذا أظهر ؛لأنه ذكره بأثر الأعذار» [١] .

العرض والمناقشة:

في المسألة قولان وهما:

القول الأول: ما رجَّحه ابن جُزيّ ، وهو قول قتاد ة [٢] . و قال به السّمعاني والرازي والبيضاوي [٣]، ووافقهم أبو حيان ،والشوكاني [٤] – رحمهم الله –.

قال البيضاوي : « ﴿فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾ فصلوا ما تيسر عليكم من صلاة الليل عبر عن الصلاة بالقرآن كما عبر عنها بسائر أركانها .قيل: كان التهجد واجبا على التخيير المذكور فعسر عليهم القيام به فنسخ به ثم نسخ هذا بالصلوات الخمس أو فاقرؤوا القرآن بعينه كيفما تيسر عليكم ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ﴾ استئناف يبين حكمة أخرى مقتضية الترخيص والتخفيف ولذلك كرر الحكم مرتبا عليه» [٥].

---

(١) التسهيل (٤/١٥٩).

(٢) عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد وابن نصر : الدر المنثور (٨/٣١٢) . ولفظه (فرض قيام الليل في أول هذه السورة فقام أصحاب النبي – ﷺ – حتى انتفخت أقدامهم وأمسك الله خاتمتها حولا ثم أنزل التخفيف في آخرها فقال :﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ﴾ إلى قوله : ﴿ فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ فنسخ ما كان قبلها فقال : ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾. فريضتان واجبتان ليس فيهما رخصة).

(٣) تفسير القرآن (٦/٨٥) ، والتفسير الكبير (٣٠/١٦٥) ، وأنوار التنزيل (٥/ ٤٠٨) .

(٤) البحر المحيط (٨/٣٥٩) ، و فتح القدير (٥/٣٢٢) .

(٥) أنوار التنزيل (٥/٤٠٨).

القول الثاني: كُرر الأمر بقراءة ما تيسر تأكيدا للأمر به ، وهو قول الحسن [1]، ورجَّحه الثعالبي بقوله «فذكر الله سبحانه أعذار بني آدم التي هي حائلة بينهم وبين قيام الليل ثم كرر سبحانه الأمر بقراءة ما تيسر منه تأكيدا» [2].

الترجيح

الراجح – والله أعلم بالصواب – أن الله تعالى كرر الأمر بقراءة ما تيسر تأكيدا للتخفيف ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ؛ لأن السياق في الآية يُظهر تفضل الله تعالى عباده بالتخفيف عليهم برفع القيام المفروض عليه في بداية السورة وذكر الله تعالى في **ذلك علتان وهما :**

الأولى : عدم مقدرتهم على إحصاء ساعات الليل وحصول المشقة لهم في ذلك

الثانية : علم سبحانه وتعالى أنه لن يتيسر لكم مستقبلا المحافظة على القيام لعذر المرض ، أو الضرب في الأرض للتجارة ، أو خروجهم للجهاد في سبيل الله ، وبعد ذكر الأعذار المانع من القيام على ما أمر به في بداية السورة كرر سبحانه الأمر لتخفيف عليهم ، و(إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعد ه أولى من الخروج به عن ذلك[3]) **ومما يؤيد هذا القول أمران :**

١. أن الله تعالى ذكر فريضتان بعد الرخصة وهما: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾.

قال قتادة : « ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾. فهما فريضتان واجبتان لا رخصة لأحد فيهما فأدوهما إلى الله تعالى» [4].

٢. يدل على التخفيف عليهم وعدم مؤاخذتهم أن الآية خُتمت باسمين جليلين ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ . ويؤيده القاعدة التفسيرية: (كثيرًا ما تُختم الآيات القرآنية ببعض الأسماء الحسنى للتدلل على أن الحكم المذكور له تعلق بذلك الاسم الكريم) [5]. و الله تعالى أعلم.

(١) نسبه السيوطي إلى عبد بن حميد الدر المنثور (٣٢٢/٨)، ولفظه (لما نزلت على النبي – ﷺ – ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ قام رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وقام المسلمون معه حولا كاملا حتى تورمت أقدامهم فأنزل الله بعد الحول ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ﴾ إلى قوله :﴿ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ﴾قال الحسن : فالحمد لله الذي جعله تطوعا بعد فرضة ولا بد من قيام الليل).

(٢) الجواهر الحسان (٣٥٧/٤)

(٣) قواعد الترجيح (١ / ١٢٥).

(٤) جامع البيان (١٤٢/٢٩).

(٥) واعد التفسير (٢ / ٧٤٤).

خامساً : سورة المدثِّر

قول الله – ﷻ –: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾[1] .

❁ (٤٦)مسألة : في أول ما نزول من القرآن.

ترجيح ابن جزيّ – رحمه الله – :

رجَّح أن أول سورة نزلت هي سورة اقرأ.

ومجمل ما ذكره في الآية:

قال : « إن هذه أول سورة نزلت من القرآن . والصحيح أن سورة ﴿ٱقْرَأْ﴾ نزلت قبلها»[2].

العرض والمناقشة:

في المسألة ثلاثة أقوال، وهي:

القول الأول :ما رجَّحه ابن جُزيّ، وهو قول عائشة أم المؤمنين [3]–رضي الله عنها – وقولُ عبيدٍ بن عميرٍ [4]، ومجاهدٍ [5]، وأبي رجاء العطارديِّ [6] [7].

وقال به الإمامُ الطبريُّ ، وأبو الليثِ ، وابن أبي زمنين ، والثعلبيُّ ، والماورديُّ ، والسمعانيّ والبغويُّ والزمخشريُّ ، وابن عطية ، وابنُ العربيِّ ، وابنُ الجوزيَّ ، والقرطبيَّ ، والبيضاويَّ [8] ووافقهم الخازنُ

---

(١) سورة المدَّثر:١ .

(٢)التسهيل (١٦٠/٤).

(٣) سبق تخريجه ص (١٦٤).

(٤) أخرجه الطبري بسنده عنه " جامع البيان" (٢٥٢/٣٠)، ولفظه قال : (أول سورة نزلت على رسول الله – ﷺ – ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ .وذكره السيوطي في " الدر المنثور" (٥٦٢/٨) وعزاه لابن أبي شيبة بنحوه.

(٥) أخرجه الطبري بسنده عنه "جامع البيان " (٢٥٢/٣٠)، ولفظه قال : (أول ما نزل من القرآن ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾. وذكره السيوطي في " الدر المنثور" (٥٦٢/٨) وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر بمثله.

(٦) أخرجه الطبري بسنده عنه "جامع البيان" (٢٥٢/٣٠)، ولفظه قال : (كنا في المسجد الجامع ومقرئنا أبو موسى الأشعري كأني أنظر إليه بين بردين أبيضين .قال أبو رجاء عنه : أخذت هذه السورة ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ وكانت أول سورة نزلت على محمد) .

(٧) عمران بن ملحان ،ويقال بن تيم ،ويقال بن عبد الله أبو رجاء العطاردي البصري . أدرك زمن النبي – ﷺ – ولم يره . وروى عن عمر وعلي وعمران بن حصين وابن عباس ، و روى عنه أيوب السختياني ، وجرير بن حازم ،والجعد أبو عثمان. تُوفي سنة (١٠٩هـ).

يُنظر : تهذيب الكمال (٣٥٦/٢٢) ، و تهذيب التهذيب (١٢٤/٨).

(٨) جامع البيان(٢٥١/٣٠)، وبحر العلوم(٤٥٨/٣)، وتفسير القرآن العزيز (١٤٧/٥)، والجواهر الحسان(٢٤٢/١٠) والنكت

وابنُ كثيرٍ ، والثعالبيُّ ، والشربينيُّ ، والصاويُّ ، والشوكانيُّ ، والألوسيُّ والسعديُّ ، وعطية سالم – رحمهم الله تعالى –[1].

قال ابُن عطيةَ : « واختلف الناس في أول ما نزل من كتاب الله تعالى ، فقال جابر بن عبد الله[2] وأبو سلمة [3]والنخعي ومجاهد هو يا : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾الآيات ، وقال الزهري والجمهور هو ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾.وهذا هو الأصح وحديث صدر كتاب البخاري نص في ذلك» [4].

وقال الألوسي معقبًا على الأقوال : « والصحيح كما قال البعض وهو الذي اختاره :إنَّ صدْرَ هذه السورة الكريمة هو أول ما أنزل من القرآن على الإطلاق . كيف وقد وردَّ حديثُ بدء الوحي المروي عن عائشة من أصح الأحاديث؟!» [5] .

القول الثاني : أوّل ما نزل سورة المدثر . و هو قول جابر بن عبد الله – ﷺ – [6]. وأورده ابن أبي زمنين ، وابنُ عطيةَ ، وابن العربيِّ ، والرازيُّ ، وابن كثيرٍ ، والثعالبيُّ ، وأبو السعود ، والألوسيُّ – رحمهم الله تعالى – [7].

القول الثالث : أنَّ أوّل ما نزل هو سورة الفاتحة . ذكر الزمخشري أنَّ قولُ الأكثرين ونسبه النسفي

والعيون (٦/ ٣٠٤) ، و تفسير القرآن (٢٥٥/٦)، ومعالم التنزيل(٥٠٦/٤) ، والكشاف (٧٨١/٤)، والمحرر الوجيز (٥٠١/٥)، و أحكام القرآن لابن العربي(٤١٧/٤)، و زاد المسير(١٧٥/٩)، والجامع لأحكام القرآن(١١٧/٢٠).

(١) لباب التأويل(٦ / ٣١٠) ، و البحر المحيط(٤٨٨/٨)، وتفسير القرآن العظيم (٥٢٨/٤)، والج واهر الحسان (٤٢٧/٤)، و السراج المنير (٨ /١٦٢) ،و إرشاد العقل السليم (١٧٧/٩)، وحاشيةِ الشهاب (٩ / ٣١٩) ، و فتح القدير (٤٦٧/٥)، و روح المعاني(١٧٨/٣٠)، و تيسير الكريم الرحمن (٩٣٠/١)، و أضواء البيان(١٣/٩).

(٢)جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة الأنصاري السلمي ، أبو عبد الله . أحد المكثرين عن النبي – ﷺ – وروى عنه جماعة من الصحابة وله ولأبيه صحبة . تُوفي سنة (٧٣ هـ).
يُنظر : الاستيعاب (٢١٩/١) ، و الإصابة في تمييز الصحابة (٤٣٤/١).

(٣)عَبْدُ الله بنُ عَبْدِ الأَسَدِ ابن هِلاَل بن عبد الله بن عُمَر بن مخزوم بن يَقَظَة ابن مُرَّة بن كعب بن لُؤَيٍ القُرَشي المخزومي ، أبو سلمة . زوج أم سلمة قبل النبى صلى الله عليه وسلم . تُوفي سنة (٣ هـ).
يُنظر : الاستيعاب (٩٣٩/٣)، وأسد الغابة (٢٩٩/٣).

(٤) المحرر الوجيز(٣٩٢/٥).

(٥) روح المعاني (١٧٨/٣٠).

(٦) سبق تخريجه ص (١٦٤).

(٧) تفسير القرآن العزيز(٥٤/٥)، و معالم التنزيل(٤١٢/٤)، و المحرر الوجيز(٣٩٢/٥)، وأحكام القرآن لابن العربي (٣٣٨/٤)، والتفسير الكبير (١٦٧/٣٠)،و تفسير القرآن العظيم(٤٤١/٤)، والجواهر الحسان(٣٥٨/٤)، و إرشاد العقل السليم (٥٤/٩)، و روح المعاني(١١٥/٢٩).

للجمهور [1]. وممن أورده ابن عطية ، وابن العربي ، والألوسي [2].

واستُدل عليه بما رواه عمرُو بن شرحبيل- رضي الله عنه - أنَّ رسول الله - ﷺ - قال لخديجة : ((إني إذا خلوتُ وحدي سمعتُ نداءً، فقد والله خشيتُ أن يكون هذا أمرًا (ح). فقالت : معاذَ الله ما كانَ اللهُ ليفعلَ بك؛ فوالله إنك لتؤدِّي الأمانةَ وتصلُ الرَّحمِ وتصدقُ الحديثَ . فلمَّا دخل أبو بكرٍ وليس رسول الله - ﷺ - ثم ذكرتْ خديجةُ حديثهُ له وقالت: يا عتيقُ ،اذهب مع محمدٍ إلى ورقةَ، فلما دخلَ رسولُ الله - ﷺ - أخذَ أبو بكرٍ، بيده فقال: انطلق بنا إلى ورقةَ .فقال: ومن أخبرَك ؟ فقالَ :خديجةُ. فانطلقا إليه فقصَّ عليه، فقال: إذا خلوتُ وحدي سمعتُ نداءً خلفي يا محمدُ يا محمدُ فأنطلقُ هاربًا في الأرضِ. فقال : لا تفعل إذا أتاكَ فاثبت حتى تسمعَ ما يقولُ، ثم ائتني فأخبرني. فلمَّا خلا ناداه يا محمدُ قل : ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[3] حتى بلغ ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾[4])) [5] .

وردَّ هذا القول الإمام ابن حجر بقوله : « قال صاحب الكشاف ذهب ابن عباس ومجاهد إلى أنها أول سورة نزلت وأكثر المفسرين إلى أنَّ أول سورة نزلت فاتحة الكتاب كذا قال والذي ذ هب أكثر الأئمة إليه هو الأول وأما الذي نسبه إلى الأكثر فلم يقل به إلا عدد أقل من القليل بالنسبة إلى من قال بالأول » [6].

و قال الإمام النووي : « وأما قول من قال من المفسرين أول ما نزل الفاتحة فبطلانه أظهر من أن يذكر والله أعلم» [7].

---

(١) الكشاف (٧٨١/٤)، و مدارك التنزيل(٣٤٨/٤).

(٢) المحرر الوجيز(٥٠١/٥)، وأحكام القرآن لابن العربي(٤١٧/٤)، و روح المعاني (١٧٨/٣٠).

(٣) سورة الفاتحة : ١-٢ .

(٤) سورة الفاتحة :٧.

(٥) تاريخ مدينة دمشق (٧/٦٣) . وذكره السيوطي في "الدر المنثور " (١٠/١) ، وعزاه لابن أبي شيبة في المصنف ، وأبو نعيم والبيهقي كلاهما في دلائل النبوة والواحدي والثعلبي عن أبي ميسرة عمرو بن شرحبيل.

قال ابن حجر : « هو مرسل وأن كان رجاله ثقات ، والمحفوظ أن أول ما نزل ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾. وإن نزول الفاتحة كان بعد ذلك). يُنظر : فتح الباري (٧١٩/٨).

(٦) فتح الباري (٧١٤/٨).

(٧) شرح النووي على صحيح مسلم (٢٠٨/٢).

الترجيح

الراجح – والله تعالى أعلم بالصواب – أنَّ صدَّر سورة العلق أوّ ل ما نزل على الإطلاق من ال قرآن وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ وجمهرة المفسرين [١] ؛ لثبوت الدليل الصحيح عليه [٢]، فلا يصار إلى غيره [٣].

قال النووي : « هذا دليل صريح في أنَّ أوّل ما نزل من القرآن ﴿اقْرَأْ﴾، وهذا هو الصواب الذي عليه الجماهير من السلف والخلف» [٤].

و قد ذكر ابن جُزي في وجوه الترجيح عنده : « أن يكون القول قول الجمهور وأكثر المفسرين فإن كثرة القائلين بالقول يقتضي ترجيحه » [٥]. **ومما يؤيده :**

١. جعل الله – ﷻ – افتتاحية السورة بياناً وافيا لمقاصد القرآن حيث جاء الأمر الرباني الأول بالقراءة ؛ لأنها وسيلة اقتباس العلم الموصل إلى الله تعالى ، ولا يكون الأخذ من معينه إلا بالاستعانة بالله والتوجُّه إليه وإخلاص العمل له ، فكلما أخلص في الطلب جاءه الفتح من الرب الكريم .

قال ابن حجر – رحمه الله تعالى – : « والحكمة في هذه الأولية أنَّ هذه الآيات الخمس اشتملت على مقاصد القرآن ففيها براعة الاستهلال وهي جديرة أن تسمى عنوان القرآن لأن عنوان الكتاب يجمع مقاصده بعبارة وجيزة في أوله ... وبيان كونها اشتملت على مقاصد القرآن أنها تنحصر في علوم التوحيد والأحكام والأخبار وقد اشتملت على الأمر بالقراءة والبداءة فيها ببسم الله وفي هذه الإشارة إلى الأحكام وفيها ما يتعلق بتوحيد الرب وإثبات ذاته وصفاته من صفة ذات وصفة فعل وفي هذا إشارة إلى أصول الدين وفيها ما يتعلق بالأخبار من قوله ﴿عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[٦]» [٧].

٢. ذكر العلماء[٨] أوجهًا لدفع الإشكال بين رواية السيدة عائشة – رضي الله عنها– بأنَّ أوّل ما نزل صدر سورة العلق ، ورواية جابر بن عبد الله– ﷺ – أنَّ أوّل ما نزل سورة المدثر وهي :

- أن السؤال كان عن نزول سورة كاملة فبين أن سورة المدثر نزلت بكمالها قبل نزول تمام

---

(١) والجواهر الحسان(٤/٣٥٨).

(٢) سبق تخريجه ص١٦٤

(٣) يُنظر : قواعد الترجيح (١ / ١٩١).

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم(٢/١٩٩).

(٥) التسهيل (١/٩).

(٦) سورة العلق:٥ .

(٧) فتح الباري(٨/٧١٨).

(٨) يُنظر : فتح الباري(٨/٦٧٨)، والإتقان في علوم القرآن(١/٧٦).

سورة ﴿اقْرَأْ﴾ فإنها أول ما نزل منها صدره ا . ويؤيد هذا ما في الصحيحين أيضا عن أبي سلمة عن جابر سمعت رسول الله – ﷺ – وهو يحدث عن فترة الوحي فقال في حديثه :((بَيْنَا أَنَا أَمْشِي سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ فَرَفَعْتُ بَصَرِي ، فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ جَالِسٌ عَلَى كُرْسِيٍّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ فَفَرِقْتُ مِنْهُ فَرَجَعْتُ فَقُلْتُ : زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي . فَدَثَّرُوهُ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾

فقول النبي – ﷺ – : ((الملك الذي جاءني بحراء)) يدل على أن هذه القصة متأخرة عن قصة حراء التي نزل فيها ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ .

- أنَّ مراد جابر بالأولية مخصوصة بما بعد فترة الوحي لا أولية مطلقة.
- أنَّ المراد أولية مخصوصة بالأمر بالإنذار وعبر بعضهم عن هذا بقوله : أول ما نزل للنبوة ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ وأول ما نزل للرسالة﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾
- أنّ المراد أول ما نزل بسبب متقدم وهو ما وقع من التدثر الناشئ عن الرعب وأما ﴿اقْرَأْ﴾ فنزلت ابتداء بغير سبب متقدم . و الله تعالى أعلم .

قول الله – ﷻ – :﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾[1].

❁ (٤٧)مسألة : في حمل الآية على الحقيقة أم المجاز ؟

ترجيح ابن جُزَيّ – رحمه الله – :

رجح أنَّ اللفظين على حقيقتهما في تطهير الثياب من النجاسة .

ومجمل ما ذكره في الآية

قال : « قال تعالى : ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾فيه ثلاثة أقوال :

أحدها : أنَّ حقيقة في تطهير الثياب من النجاسة . واختلف في هذا هل يحمل على الوجوب فتكون إزالة النجاسة واجبة أو على الندب فتكون سنة .

والآخر : أنَّ يراد به الطّهارةُ من الذنوب والعيوب فالثياب على هذا مجاز .

الثالث : أنَّ معناه لا تلبس الثياب من مكسب خبيث» [2].

العرض والمناقشة:

اختُلف في لفظي " الثوب ، والتطهير " على ثلاثة أوجه وهي :

الوجه الأول : ما رجَّحه ابن جُزيٍّ ، وهو قولُ ابن زيدٍ[3] ، وابن سيرين [4] . و اختاره الطبريُّ والجصاص ، والزمخشري ،وأبو حيانَ ، وأبو السعودِ ، والشوكاني ، وعطية سالم [5] – رحمهم الله –.

قال الطبري : «وهذا القول الذي قاله بن سيرين وبن زيد في ذلك أظهر معانيه» [6].

وقال أبو حيان : « الظاهر أنَّه أمر بتطهير الثياب من النجاسات ؛ لأن طهارة الثياب شرط في صحة الصلاة ويقبح أن تكون ثياب المؤمن نجسة» [7].

---

(١) سورة المدَّثر:٤ .

(٢) التسهيل (١٦٠/٤).

(٣) أخرجه الطبري بسنده عنه " جامع البيان " (١٤٧/٢٩) . ولفظه قال : (كان المشركون لا يتطهرون فأمره أن يتطهر ويطهر ثيابه).

(٤) أخرجه الطبري بسنده عنه " جامع البيان " (١٤٦/٢٩) ، ولفظه (﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾قال : اغسلها بالماء).

(٥) جامع البيان (١٤٧/٢٩)، و أحكام القرآن للجصاص (٣٦٩/٥)، والكشاف (٦٤٧/٤)، والبحر المحيط(٣٦٢/٨) و إرشاد العقل السليم (٥٥/٩) ، وفتح القدير(٣٢٤/٥)،و أضواء البيان (٣٦٢/٨).

(٦) جامع البيان(١٤٧/٢٩).

(٧)البحر المحيط (٣٦٢/٨).

الوجه الثاني : حَملُ اللفظان على المجاز. والمعنى : طهِّر نفسك عما تذمّ به من الأفعال وهو مروي عن ابن عباس [1]، وأبي رز ين [2][3] — رضي الله عنهما – . وذكره الطبريُّ ، و الزمخشري والبيضاوي[4] وحكاه ابن عطيةَ، وتبعَه الثعالبيُّ ، والألوسي عن الجمهور [5]– رحمهم الله – .

وحجة هذا الوجه أنَّ العرب تكني عن الثياب بالنفس ومنه قول عنترة [6]:

فشَكَكَت بالرمحِ الطويلِ ثيابَهُ لَيسَ الكريمُ على القَنَا بِمُحرَّمِ [7][8].

الوجه الثالث [9]: أن يترك لفظ الثياب على حقيقته ويحمل لفظ التطهير على مجازه وفيه قولان :

القول الأول : أن المراد من قوله : ﴿فَطَهِّرْ﴾ أي : فقصر وذلك ؛لأن العرب كانوا يطولون ثيابهم ويجرون أذيالهم فكانت ثيابهم تتنجس و؛لأن تطويل الذيل إنما يفعل للخيلاء والكبر فنهى الرسول – ﷺ – عن ذلك . أورده ابن الجوزي ، والنسفي ،والألوسي[10]– رحمهم الله –.

القول الثاني : ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾. أي : ينبغي أن تكون الثياب التي تلبسها مطهرة عن أن تكون مغصوبة أو محرمة بل تكون مكتسبة من وجه حلال . وهو مروي عن ابن عباس [11]– رضي الله عنه – وأورده الطبري

---

(١)أخرجه الطبري بسنده عنه "جامع البيان " (١٤٦/٢٩)، ولفظه قال : (من الإثم) . وذكره السيوطي في "الدر المنثور " (٣٢٦/٨) وعزاه للفريابي وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه .

(٢) أخرجه الطبري بسنده عنه " جامع البيان " (١٤٦/٢٩)، ولفظه قال : (عملك فأصلحه وكان الرجل إذا كان خبيث العمل قالوا : فلان خبيث الثياب وإذا كان حسن العمل قالوا : فلان طاهر الثياب) . وذكره السيوطي في " الدر المنثور "(٣٢٦/٨) وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر بنحوه.

(٣) مسرعود بن مالك أبو رزين الأسدي أسد خزيمة مولى أبي وائل الأسدي الكوفي . روي عن زر بن حبيش الأسدي وعبد الله بن عباس ،وعبد الله بن مسعود ، وروى عنه إسماعيل بن أبي خالد وإسماعيل بن سميع والزبير بن عدي وسليمان الأعمش ،وعاصم بن أبي النجود ، وابنه عبد الله . قال أبو زرعة : اسمه مسعود كوفي ثقة .توفي سنة (٨٥ هـ).
يُنظر : تهذيب الكمال (٤٧٧/٢٧) ،و تهذيب التهذيب (١٠٧/١٠).

(٤) جامع البيان (١٤٦/٢٩)، والكشاف(٦٤٧/٤)،و أنوار التنزيل(٤١١/٥).

(٥) المحرر الوجيز(٣٩٣/٥)، والجواهر الحسان (٣٥٨/٤)،و روح المعاني(١١٧/٢٩).

(٦) عنترة بن شداد بن عمرو بن معاوية ابن قراد العبسي . أشهر فرسان العرب في الجاهلية، ومن شعراء الطبقة الأ ولى. من أهل نجد . تُوفي نحو نحو (٢٢ ق هـ). الأعلام (٥ / ٩١).

(٧) جمهرة أشعار العرب (١٤٨/١) ، محاضرات الأدباء (١٧٧/٢).

(٨) يُنظر : اللباب (١٩ / ٤٩٥).

(٩) التفسير الكبير (١٦٩/٣٠).

(١٠) مدارك التنزيل(٣٠٨/٤) ،و زاد المسير(٤٠١/٨) ، وروح المعاني (١١٧/٢٩) .

(١١) أخرجه الطبري بسنده عنه "جامع البيان" (١٤٦/٢٩) ، ولفظه قال : (لا تكن ثيابك التي تلبس من مكسب غير طائب ويقال :

وابن عطية ، وابن الجوزي ، والبيضاوي ، وابن كثير ، وجلال الدين المحلّي [1]- رحمهم الله -.

الترجيح

الراجح – والله تعالى أعلم بمراده – أنَّ القول على حقيقته في تطهير الثياب من النجاسة . وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ؛لأن الأصل في الكلام أن يُحمل على الحقيقة ، (ولا يجوز العدول به عنها وله فيها محمل صحيح) [2].

قال الشوكاني : « والأول أولى ؛لأنه المعنى الحقيقي وليس في استعمال الثياب مجاز عن غيرها لعلاقة مع قرينه ما يدل على أنه المراد عند الإطلاق وليس في مثل هذا الأصل - أعنى الحمل على الحقيقة عند الإطلاق -خلاف وفي الآية دليل على وجوب طهارة الثياب في الصلاة» [3].**ويؤيده:**

١. يشهد له سياق الآية بعدها في قوله تعالى :﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ومن معاني الرجز المعاصي فيكون الأمر واقعًا على الطهارة الحسية والمعنوية و (إذا دار الكلام بين التأسيس والتأكيد فحمله على التأسيس أولى) [4].

٢. ما ورد عن السلف بأن المراد تطهير النفس عما يذم من الأفعال فهو تفسير بالمعنى تحتمله الآية ؛ لأنه (غير جائز أن تخاطبَ العربُ في صفةِ شيء إلا بمثل ما تفهم عمن خاطبها) [5] فكما أن النبي – ﷺ – مأمور بطهارة الظاهر فهو مأمورٌ كذ لك بطهارة الباطنِ ، وبين الثوبِ والنفسِ تلازمٌ والعرب تكنى بالثياب عن النفس ومنه قول الشماخ [6]:

رموهَا بأثوابٍ خفافٍ فلا ترَ ى لها شبهً ا إلا النعامَ المنفرً ا [7][8].

لا تلبس ثيابك على معصية) . وذكره السيوطي في " الدر المنثور" (٣٢٦/٨) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه بنحوه.

(١) جامع البيان(١٤٧/٢٩)،و المحرر الوجيز (٣٩٣/٥)، و زاد المسير(٤٠٠/٨)، و أنوار التنزيل(٤١١/٥)،و تفسير القرآن العظيم(٤٤١/٤)، وتفسير الجلالين (٧٧٦/١).

(٢) قواعد الترجيح (٢ / ٣٨٧) .

(٣) فتح القدير(٣٢٤/٥).

(٤) قواعد الترجيح (٢ / ٤٧٣) .

(٥) قواعد التفسير (١ / ٢٩٣) .

(٦) الشماخ بن ضرار بن حرملة بن سنان المازني الذبياني الغطفاني . شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والاسلام. توفي سنة (٦٣ هـ) يُنظر : الإصابة في تمييز الصحابة (٣٥٣/٣) ، والأعلام (٧ / ٢٧٠).

(٧) تهذيب اللغة (١١٢/١٥).

(٨) إغاثة اللهفان (٥٣/١).

قال قتادة : « ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ هي كلمة من العربية كانت العرب تقولها طهر ثيابك أي من الذنوب » [1].

قال ابن القيم بعد ذكره للخلاف في الآية : « قلت الآية تعم هذا كله وتدل عليه بطريق التنبيه واللزوم إن لم تتناول ذلك لفظا فإن المأمور به إن كان طهارة القلب فطهارةُ الثوبِ وطيبُ مكسبه تكميلٌ لذلك. فإن خبثَ الملبس يُكسبُ القلبَ هيئةً خبيثةً كما أن خبث المطعمِ يكسبه ذلك ؛ ولذلك حرِّم لبس جلود النّمور والسباع بنهي النبي - ﷺ - عن ذلك في عدة أحاديث صحاح لا معارض لها لما تكسب القلب من الهيئة المشابهة لتلك الحيوانات . فإن الملابسة الظاهرة تسري إلى الباطن ولذلك حُ رم لبس الحرير والذهب على الذكور ؛ لما يكتسب القلب من اله يئة التي تكون لمن ذلك لبسه من النساء وأهل الفخر والخيلاء.

والمقصود أنَّ طهارة الثوب ،وكونه من مكسب طيب هو من تمام طهارة القلب وكمالها ،فإن كان المأمور به ذلك فهو وسيلة مقصودة لغيرها ، فالمقصود لنفسه أولى أن يكون مأمورًا به وإن كان المأمور به طهارة القلب وتزكية النفس، فلا يتم إلا بذلك فتبين دَلالة القرآن على هذا وهذا» [2] . و الله تعالى أعلم .

(١) جامع البيان (١٤٥/٢٩).

(٢) إغاثة اللهفان (٥٤/١ – ٥٥) .

قول الله – ﷻ – : ﴿وَالرِّجْزَ فَاهْجُرْ﴾[1].

❁ (٤٨)مسألة : معنى الرجز في الآية.

ترجيح ابن جُزيّ – رحمه الله – :

رجَّح أنَّ معنى " الرجز" الأوثان.

ومجمل ما ذكره في الآية

قال : « ﴿وَالرِّجْزَ فَاهْجُرْ﴾فيه ثلاثة أقوال:

أحدها : أنَّ الرجز الأوثان روى ذلك عن رسول الله – ﷺ – ،وهو قول عائشة[2] – رضي الله عنها –

والآخر : أنَّ الرجز السخط والعذاب ، وهذا أصله في اللغة فمعناه اهجر ما يؤدي إليه ويوجبه

الثالث: أنه المعاصي والفجور، قال بعضهم: كل معصية رجز»[3].

العرض والمناقشة :

في المسألة أربعة أقوال وهي :

القول الأول: ما رجَّحه ابن جُزيّ. وهو قول ابن عباس [4]– ﷺ – قال به مجاهد [5] وقتادة [6] وابن زيد[7]. و اختاره الزجاج ، ومكي بن أبي طالب ، وابن الجوزي [8] ، و وافقهم جلال الدين

---

(١) سورة المدَّثر:٥ .

(٢) لم أقف على هذه الرواية ، إلا ما روته أم المؤمنين – رضي الله عنها – في كتاب بدء الوحي ، فإن كان مقصد ابن جُزي الاستدلال بهذه الرواية على تفسير "الرجز" بالأوثان ، فهذا القول فيه نظر ؛ لأن قول أم المؤمنين – رضي الله عنها – إنما في بيان ما ابتدأ به رسول الله – ﷺ – من الوحي بقولها :(أَوَّلُ ما بُدِئَ بِهِ رسول اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم – من الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ في النَّوْمِ)، ثم هذه الروية ذُكر فيها نزول صدر سورة العلق و لم يرد فيها الخبر بنزول سورة المدثر . – والله تعالى أعلم – .

(٣) التسهيل(٤/١٦٠).

(٤) أخرجه الطبري بسنده عنه "جامع البيان "(٢٩/١٤٧) ، ولفظه يقول: (السخط وهو الأصنام) .وذكره السيوطي في " الدر المنثور "(٨/٣٢٦) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه بنحوه .

(٥) أخرجه الطبري بسنده عنه " جامع البيان" (٢٩/١٤٧)، ولفظه قال : (الأوثان) .

(٦) أخرجه الطبري بسنده عنه "جامع البيان" (٢٩/١٤٧) ، ولفظه قال : (إساف ونائلة ، وهما صنمان كانا عند البيت يمسح وجوههما من أتى عليهما فأمر الله نبيه أن يجتنبهما ويعتزلهما).

(٧) أخرجه الطبري بسنده عنه "جامع البيان" (٢٩/١٤٧)، ولفظه قال : (الرجز آلهتهم التي كانوا يعبدون أمره أن يهجرها فلا يأتيها ولا يقربها) .

(٨) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥ / ١٩١) ، والهداية إلى بلوغ النهاية (١٢ / ٧٨١٨) ، وتذكرة الأريب(٢/٢٥٤).

المحلّي[1]- رحمهم الله - .

قال السيوطي في الإتقان : « وكل ما فيه من رجز فالعذاب إلا ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾فالمراد به الصنم» [2].

و استُدل عليه بعدة أدلة وهي :

١. نسب ابن جُزيّ تفسيره للنبي- ﷺ - لما ورد في بعض الروايات بلفظ : (هي الأوثان) مما قد يفهم منه أنه تفسير من النبي- ﷺ - . والصحيح أنّ هذا القول مُدرجٌ من كلام أبي سلمة - رضي الله عنه - وقد جاء في روايات أخرى التصريح بنسبته إليه- رضي الله عنه -[3].

٢. الاختلاف في القراءة : قرأ حفص[4] والمفضل[5] عن عاصم[6] ﴿وَالرُّجْزَ﴾ بضم الراء وقرأ الباقون الباقون وأبو بكر[7] عن عاصم ﴿وَالرِّجْزَ﴾ بكسر الراء [8].

قال مكي بن أبي طالب – رحمه الله - : « حجة من ضمّ أنه جعله اسم صنم ، وقيل : هما صنمان

---

(١) تفسير الجلالين (٧٧٦/١).

(٢) الإتقان في علوم القرآن(٤١٨/١).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (١١٨٢/٣) ح (٣٠٦٦) في كتاب بدء الوحي ، بَاب إذا قال أحدكم آمِينَ وَالْمَلَائِكَةُ في السَّمَاءِ فَوَافَقَتْ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى غُفِرَ له ما تَقَدَّمَ من ذَنْبِهِ . عن جَابِرُ بن عبد اللَّهِ رضي الله عنهما أَنَّهُ سمع النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول : ((ثُمَّ فَتَرَ عَنِّي الْوَحْيُ فَتْرَةً فَبَيْنَا أنا أَمْشِي سمعت صَوْتًا من السَّمَاءِ ، فَرَفَعْتُ بَصَرِي قِبَلَ السَّمَاءِ فإذا الْمَلَكُ الذي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ قَاعِدٌ على كُرْسِيٍّ بين السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فَجُئِثْتُ منه حتى هَوَيْتُ إلى الأرض فَجِئْتُ أَهْلِي فقلت: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي. فَأَنْزَلَ الله تَعَالَى: ﴿يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ إلى ﴿فَاهْجُرْ﴾ قال أبو سَلَمَةَ : وَالرِّجْزُ الْأَوْثَانُ). وأخرجه في كتاب التفسير ، بَاب قَوْلُهُ : ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ يُقَالُ الرِّجْزُ وَالرِّجْسُ الْعَذَابُ(١٨٧٦/٤) ح (٤٦٤٢) بنحوه .

(٤) حفص بن سليمان بن المغيرة ، أبو عمرو بن أبي داوود الأسدي الكوفي ، وُلد سنة (٩٠هـ).أخذ القراءة عرضا وتلقينا على عاصم بن أبي النجودوفي سنة (١٨٠ هـ).

يُنظر : معرفة القراء الكبار (١٤٠/١) ، والوافي بالوفيات (٦٢/١٣) ، والأعلام (٢ / ٢٦٤).

(٥) المفضل بن محمد بن يعلى بن عامر ، ويقال المفضل بن محمد بن سالم ويقال محمد بن سالم بن أبي المعالي بن يعلى بن سالم بن أبيّ بن سليم بن ربيعة بن زبان بن عامر بن ثعلبة إمام مقرئ نحوي أخباري موثق، أخذ القراءة عرضاً عن عاصم ابن أبي النجود والأعمش .توفي سنة (٥٠٩ هـ) .

يُنظر : غاية النهاية (١ / ٢٥٤) ، تاريخ بغداد (١٢١/١٣).

(٦) عاصم بن أبي النجود الجحدري ، أبو بكر الكوفي ، أحد القراء السبعة ، كان أهل الكوفة يختارون قراءته توفي سنة (١٢٧ هـ)

يُنظر : معرفة القراء الكبار (٨٨/١) ، والجواهر المضية في طبقات الحنفية (٤٢٢/١).

(٧) شعبة بن عياش بن سالم أبو بكر الحناط بالنون الأسدي النهشلي الكوفي الإمام العلم راوي عاصم اختلف في اسمه على ثلاثة عشر قولا أصحها شعبة وقيل غير ذلك توفي سنة (١٩٣ ،وقيل سنة ١٩٤).

يُنظر : معجم الأدباء (٣٣٧/٢)، ومعرفة القراء الكبار (١٣٤/١).

(٨) السبعة في القراءات (٦٥٩/١)، و حجة القراءات(٧٣٣/١).

كانا عند البيت "إساف ونائلة " ، وحجة من كسر أنَّه جعل "الرجز " العذاب ، والمعنى أنه أُمِر أن يهجر ما يحلّ العذاب من أجله ، والتقدير : وذا الرِجز فاهجر» [1].

٣. أنَّ الزاي فيه منقلبة من السين والعرب تعاقب بين السين والزاي لقرب مخرجيهما ودليل هذا التأويل قوله تعالى :﴿فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُواْ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴾[2][3].

قال الإمام الطبري – رحمه الله – : « وكان بعض أهل المعرفة بلغات العرب من الكوفيين يقول الرجس والنجس لغتان ويحكى عن العرب أنها تقول ما كان رجسا ولقد رجس رجاسة ونجس نجاسة وكان بعض نحاة البصريين يقول الرجس والرجز سواء وهما العذاب ...» [4]

القول الثاني : أنَّ معنى الرجز" السخط والعذاب" أي : اهجر أسباب العذاب المؤدية إليه وهو قول ابن عباس [5] ، وابن زيد[6] . وقال به ابن قتيبة ، و الزمخشريُّ ، والبيضاوي والنسفي ، والقمي النيسابوري ، والخازن ، وأبو السعود ، والشوكاني ، والقنوجي ، والمراغي [7]– رحمهم الله –

قال الزمخشري : « ﴿وَٱلرُّجْزَ﴾ قُرِئَ بالكسر والضم وهو العذاب ومعناه اهجر ما يؤدي إليه من عبادة الأوثان وغيرها من المآثم والمعنى الثبات على هجره ؛لأنه كان بريئًا منه» [8] .

القول الثالث: أنَّ الرجز يراد به " المعاصي والفجور" . وهو قول إبراهيم النخعي[9] والضحاك[10] والضحاك[10] وأورده الطبري ، والثعلبي ، والمهدوي ، والماوردي ، والأصفهاني ، وا لبغوي ، وابن الجوزي ، والقرطبي وأبو حيَّان ، وابن كثير ، والألوسي[11] – رحمهم الله –.

---

(١) الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها(٢ / ٣٤٧).

(٢) سورة الحج:٣٠ .

(٣) السراج المنير(٨ / ١٦٦) .

(٤) جامع البيان(٨/٣١ – ٣٢) .

(٥) أخرجه الطبري بسنده عنه (المرجع السابق) (١/٣٠٦)، ولفظه قال : (كل شيء في كتاب الله من الرجز يعني به العذاب) .

(٦) أخرجه الطبري بسنده عنه (المرجع السابق) (١/٣٠٥)، ولفظه قال : (الرجز العذاب وكل شيء في القرآن رجز فهو عذاب) .

(٧) تأويل مشكل القرآن (٤٧١)، الكشاف(٤/٦٤٧)، وأنوار التنزيل (٥/٤١١)، و مدارك التنزيل (٤/٣٠٨)، وغرائب القرآن (٦ / ٣٨٧) ، ولباب التأويل (٦ / ٣١١) ، و إرشاد العقل السليم(٩/٥٥)، وفتح القدير (٥/ ٣٢٤ –٣٢٥)، وفتح البيان (١٤ / ٤٠٤) ، وتفسير المراغي (١٠ / ٢٤٧) .

(٨) الكشاف(٤/٦٤٧).

(٩) أخرجه الطبري بسنده عنه "جامع البيان" (٢٩/١٤٧)، ولفظه قال : (الإثم).

(١٠) أخرجه الطبري بسنده عنه " جامع البيان" (٢٩/١٤٨)، ولفظه (﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾ يقول :اهجر المعصية) .

(١١) تفسير جامع البيان (٢٩/١٤٧) ،وتفسير الكشف والبيان(١٠/٧٠) ،ومعالم التنزيل (٤/٤١٣)، وزاد المسير(٨/٤٠٢) والجامع

الترجيح

القول الراجح – والله تعالى أعلم بالصواب – أنَّ معنى " الرجز " في الآية العذاب ، وهو ما ذهب إليه أصحاب القول الثاني ؛ لأنه مسَبب عن عبادة الأوثان . والمعنى أي : اهجر ما يؤدي إليه م ن عبادة الأوثان أو غيرها من المآثم ، **ويؤيد هذا القول عدة أمور وهي :**

١. أنَّ لفظ "الرجز " ورد في القرآن تسعَ مراتٍ كاسم و لم يرد فعلا مطلقا ، والغ الب في وروده أتى بمعنى العذاب .قال الله تعالى : ﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾[(١)]

٢. تفسير السلَّف للرجز بأنها الأوثان أو المعاصي فهذا التفسير لا يخرج عن المعنى ؛ إذا هو من اختلاف التنوع وهو تفسير بلازم المعنى ؛ لأن الأوثان والمعاصي سبب للعذاب ففسر اللفظ بلازمه .

قال ابن حجر – رحمه الله – : « قوله : "الرجز" هي الأوثان وهو تفسير باللازم لأنها تؤدي إلى الرجز وهو العذاب » [(٢)].

٣. أمَّا القول باختلافِ المعنى ؛ نظرًا لاختلاف القراءة . قال الزجاج : «هما لغتان ومعناهما واحد» [(٣)].

و قال الطبري : « والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان معروفتان فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب والضم والكسر في ذلك لغتان بمعنى واحد و لم نجد أحدا من متقدمي أهل التأويل فرق بين تأويل ذلك وإنما فرق بين ذلك فيما بلغنا الكسائي [(٤)]. و(اتحاد معنى القراءتين أولى من اختلافه » [(٥)]. و الله تعالى أعلم .

والجامع لأحكام القرآن (٦٦/١٩) ، والبحر المحيط(٣٦٤/٨)، وتفسير القرآن العظيم (٤٤٢/٤)،و روح المعاني(١١٩/٢٩).

(١) سورة الأعراف:١٣٤.

(٢) فتح الباري (١٢١/١).

(٣) حجة القراءات (٧٣٣/١).

(٤) جامع البيان(١٤٧/٢٩).

(٥) قواعد الترجيح (١ / ١٠٠) .

قول الله – ﷻ – : ﴿وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا﴾[1].

❁ (٤٩)مسألة : في مقدار المال الممدود .

ترجيح ابن جُزيّ – رحمه الله – :

رجَّح أنَّ مقدار المال ألف دينار .

ومجمل ما ذكره في الآية

قال : «واختلف في مقداره . فقيل: ألف دينار. وقيل: عشرة آلاف دينار . وقيل: يعني الأرض لأنها مدت» [2].

العرض والمناقشة:

في المسألة قولان وهما:

القول الأول: من العلماء من جعل للمال المدود قدرا ، فقال البعض " ألف دينار "، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ، و هو قول ابن عباس[3] – رضي الله عنه– ، وقال به سعيد بن جبير [4]، ومجاهد [5].

وممن أورد هذا القول من المفسرينَ الطبريُّ ، والثعلبي ، والماوردي ، والسمعاني ، والبغوي وابن عطية وابن الجوزي ، والخازن ، وابن كثير ، والشر بيني ، وأبو السعود ، والشوكاني والقنوجي [6]– رحمهم الله – .

ومنهم من قال أن مقدار المال الممدود " أربعة آلاف دينار ". وهو قول سفيان [7] [8]، ذكره في

---

(١) سورة المدَّثر:١٢ .

(٢) التسهيل(١٦٠/٤).

(٣) ذكره السيوطي في "الدر المنثور "(٣٢٩/٨) وعزاه لابن المنذر .

(٤) أخرجه الطبري بسنده عنه "جامع البيان" (١٥٣/٢٩) ، ولفظه قال :(ألف دينار) .

(٥) أخرجه الطبري بسنده عنه " جامع البيان " (١٥٣/٢٩)، ولفظه قال :(كان ماله ألف دينار) . وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣٢٩/٨) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٦) جامع البيان (١٥٣/٢٩)، و الكشف والبيان (٧١/١٠)، والنكت والعيون (٦ / ١٣٩) ، وتفسير القرآن(٩١/٦) و معالم التنزيل (٤١٤/٤)، و المحرر الوجيز(٣٩٤/٥)، و زاد المسير(٤٠٤/٨)، ولباب التأويل (٦ / ٣١٣) وتفسير القرآن العظيم (٤٤٣/٤)، والسراج المنير (٨ / ١٦٩) ، و إرشاد العقل السليم (٥٦/٩)، و فتح القدير(٣٢٦/٥)، وفتح البيان (١٤ / ٤٠٨) .

(٧) أخرجه الطبري بسنده عنه "جامع البيان " (١٥٣/٢٩)، ولفظه قال : (بلغني أنه أربعة آلاف دينار) .

(٨) سفيان بن سعيد بن مسروق أبو عبد الله الثوري الكوفي . وُلد سنة (٩٥ هـ). كان إماما من أئمة المسلمين وعلما من اعلام الدين مجمعا على أمانته روى عن إبراهيم بن عبد الأعلى وإبراهيم بن عقبة ، وإبراهيم بن محمد بن المنتشر ، روى عنه خلق لا يحصون

معرض الأقوال الماوردي ، والسمعاني ، والبغوي ، والز مخشري ، وابن عطية، وابن الجوزي ،والشربيني وأبو السعود ، والشوكاني ، والألوسي ، والقنوجي [1]- رحمهم الله -.

وقيل : أن مقداره " مائة ألف دينار ". وأورده الماوردي ، والسمعاني ، والبغوي ، والنسفي وابن كثير عن مجاهد - ﷺ - [2].

وفسره عمر بن الخطاب ﷺ [3]، بأنه " غلة شهر بشهر "، أورده الطبري ، والثعلبي ، والماوردي والبغوي ، والزمخشري ، وابن الجوزي ، والخازن ، والقنوجي [4]- رحمهم الله -.

القول الثاني : ذهب فريق من المحققين بجعل اللفظ على إطلاقه و لم يجعل له قدر .

قال الطبري بعد عرضه للأقوال : « والصواب من القول في ذلك أن يقال كما قال الله وجعلت له مالا ممدودا وهو الكثير الممدود عدده أو مساحته » [5].

ووافقه فيما ذهب إليه الواحدي ، والقرطبي ، والبيضاو ي ، و جلال الدين المحلِّي ، والأ لوسي [6]- رحمهم الله-.

قال الواحدي : « والأولى في تفسير الممدود أن يكونَ ما يمد له بالزيادة والنماء كا لزرع والضرع والتجارة ويكونَ له مدد يأتي شيئا بعد شيء. قال الزجاج : مال غير منقطع عنه» [7].

وقال القرطبي : « والأظهر أنه إشارة إلى ما لا ينقطع رزقه بل يتوالى كالزرع والضرع والتجارة» [8].

منهم جعفر بن برقان وخصيف بن عبد الرحمن وابن إسحاق وغيرهم . تُوفي سنة (١٦١ هـــ).

يُنظر : التاريخ الكبير (٩٢/٤)، و مشاهير علماء الأمصار(١٦٩/١) ،وتهذيب الكمال (١٥٥/١١).

(١) النكت والعيون (٦ / ١٣٩) ، وتفسير القرآن(٩١/٦)، تفسير معالم التنزيل (٤١٤/٤)، والكشاف (٦٤٩/٤)، و المحرر الوجيز(٣٩٤/٥)، و زاد المسير(٤٠٥/٨)، والسراج المنير (٨ / ١٦٩) ، و إرشاد العقل السليم(٥٦/٩)، و فتح القدير (٣٢٦/٥) ، وفتح البيان (١٤ / ٤٠٨) .

(٢) وجدته منسوبا في النكت والعيون (٦ / ١٣٩) ، وتفسير القرآن (٩١/٦)، و معالم التنزيل (٤ /٤١٤)، و مدارك التنزيل (٢٩٥/٤)، و تفسير القرآن العظيم(٤٤٣/٤).

(٣) أخرجه الطبري بسنده عنه " جامع البيان " (١٥٣/٢٩)، ولفظه قال : (غلة شهر بشهر) . و ذكره السيوطي في "الدر المنثور " (٣٣٠/٨) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه والدينوري .

(٤) جامع البيان ١٥٣/٢٩ ،و الكشف والبيان(٧٢/١٠) ،والنكت والعيون (٦ / ١٣٩) ، و معالم التنزيل (٤١٤/٤)، و الكشاف(٦٤٩/٤)، و لباب التأويل (٦ / ٣١٣) ، وفتح البيان (١٤ / ٤٠٨) .

(٥) جامع البيان (١٥٣/٢٩).

(٦) جامع البيان(١٥٣/٢٩)، والوسيط (٤ / ٣٨٢)، و الجامع لأحكام القرآن (٧١/١٩)، وأنوار التنزيل (٤١٢/٥)، و تفسير الجلالين(٧٧٦/١).

(٧) الوسيط (٤ / ٣٨٢) .

(٨) الجامع لأحكام القرآن (٧١/١٩).

الترجيح

لعلَّ الأقرب إلى الصوّابِ – والله تعالى أعلم – أنَّ المال الممدود هو الكثير عدده أو مساحته وهو ما رجَّحه الإمام الطبري ومن وافقه ، **ويؤيد ذلك عدة أمور وهي** :

١. دخول معنى الكثرة في اللفظ دون تعيين.

قال ابن فارس : « الميم والدال أصل واحد يدل على جر شيء في طول واتصال شيء بشيء في استطالة .تقول: مددت الشيءَ أمدُّه مدًّا ، ومدّ النهرِ ومدَّه نهرٌ آخر، أي: زاد فيه وواصله فأطال مدته » [(١)] . و (الأصل إبقاء المطلق على إطلاقه حتى يرد ما يقيده) [(٢)].

٢. أنَّ هذا الاختلاف إنما هو اختلاف تنوع ولا تعارض في أقوال السلف ؛لأنها من باب التفسير بالمثال ، فكل واحد من السلف آتى بمثال للمال و لم يأتوا بتعيين مقداره.

قال الألوسي : « وهذه الأقوال إن صحت ليست المراد بها تعيين المال الممدود و أنه متى أطلق يراد به ذلك بل بيان أنه كان بالنسبة إلى المحدث عنه كذا» [(٣)]. و الله تعالى أعلم.

(١) يُنظر : مقاييس اللغة (٢٦٩/٥)، المصباح المنير (٥٦٦/٢)،وتاج العروس(١٥٨/٩).

(٢) قواعد التفسير (٢ / ٦٢١) .

(٣) روح المعاني (١٢٢/٢٩).

قول الله – ﷻ – : ﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا﴾[1].

❁ (٥٠)مسألة : معنى " صعودا ".

ترجيح ابن جُزَيّ – رحمه الله – :

رجَّح أنَّ " الصعود " العقبة الصعبة أي : سأُصعِده عقبة شاقة المصعد .

و **مجمل ما ذكره في الآية**

قال : « الصعود العقبة الصعبة ، وروى عن النبي – ﷺ – ((أنها عقبة في جهنم كلما صعدها الإ نسان ذاب ثم يعود))[2] فالمعنى سأشق عليه بتكليفه الصعود فيها »[3].

العرض و المناقشة:

اختُلف في معنى " الصعود " على ثلاثة أقوال :

القول الأول : ما اختاره ابن جُزيّ ، وهو قول مجاهد [4]، و قتادة [5]. و قال به الطبري وابن أبي زمنين ، والثعلبي ، والبغوي ، وابن عطية ،والنسفي ، و وافقهم أبو حيان ، والشربيني [6]– رحمهم الله –.

قال أبو حيَّان : « ﴿صَعُودًا﴾عقبة في جهنم كلما وُ ضِع عليها شيءٌ من الإنسان ذاب ثم يعود . والصعود في اللغة : العقبة الشاقة» [7].

القول الثاني : أنَّ الصعود "جبل في النار " يكلف أن يصعد فيه . قال به السمعاني ، و القمي النيسابوري [8] — رحمهما الله –.

واستُدل عليه بما روي عن النبي – ﷺ – قال: ((وَيْلٌ وَادٍ فِي جَهَنَّمَ يهوي فيه الْكَافِرُ أَرْبَعِينَ خَرِيفاً قبل

---

(١) سورة المدَّثر:١٧.

(٢) لم أقف عليه .

(٣) التسهيل(١٦١/٤).

(٤) أخرجه الطبري بسنده عنه "جامع البيان" (١٥٥/٢٩) ، ولفظه قال :(مشقة من العذاب) .

(٥) أخرجه الطبري بسنده عنه (المرجع السابق) (١٥٥/٢٩)، ولفظه قال : (عذابا لا راحة منه) .

(٦) جامع البيان(١٥٥/٢٩)، و تفسير القرآن العزيز (٥٦/٥)، والكشف والبيان(٧٢/١٠)، و معالم التنزيل (٤١٥/٤) المحرر الوجيز(٣٩٤/٥) ، و مدارك التنزيل (٢٩٥/٤)، والبحر المحيط(٣٦٦/٨)، والسراج المنير (٨ / ١٧٠) .

(٧) البحر المحيط (٣٦٦/٨).

(٨) تفسير القرآن (٩٢/٦)، وغرائب القرآن (٦ / ٣٩١) .

أن يَبْلُغَ قَعْرَهُ. وَالصَّعُودُ جَبَلٌ من نَارٍ يَصْعَدُ فيه سَبْعِينَ خَرِيفاً يهوي بِهِ كَذَلِكَ فيه أَبَد))[1].

القول الثالث : أنَّ الصعود مثلٌ[2] لما يلقى من العذاب الشاق الصعب الذي لا يطاق .

قاله به الزمخشري ، وابن عطية ، والبيضاوي ، وأبو السعود ، والشوكاني ، والألوسي ، و القنوجي ،و ابن عاشور [3]- رحمهم الله -.

قال الزمخشري : « سأغشيّه عقبةً شاقة المصعد وهو مثل لما يلقى من العذاب الشاق الصعد الذي لا يطاق» [4].

الترجيح

الظاهر – والله تعالى أعلم بمراده – أنَّ الصعود هي العقبة الصعبة ، وهو ما رجحه ابن جُزيّ ومن معه لأنه قول عام يندرج تحته الأقوال الأخرى التي هي مثال لهذا العموم وليس قصرا عليه و (حمل المعنى على عمومه أولى)[5].**ومما يؤيده :**

١. أنَّ أصل اشتقاق الكلمة يدل على عموم المعنى سواء كان جبلاً أو غيرَه .

قال ابن فارس : «" صعد" الصاد والعين والدال أصل صحيح يدل على ارتفاع ومشقة » [6]. و (والقول الذي يؤيده تصريف الكلمة وأصل اشتقاقها أولى بتفسير الآية) [7].

٢. أن "صعودا " مصدر صعدا . و (التعقيب بالمصدر يفيد التعظيم) [8]. والله تعالى أعلم.

---

(١) أخرجه أحمد في " مسنده " (٧٥/٣) ح (١١٧٣٠) من طريق ابن أبي لهيعة عن دراج به .
وأخرجه الترمذي في "سننه "(٤٢٩/٥) ح (٣٣٢٦) وقال : (هذا حَدِيثٌ غَرِيبٌ إنما نَعْرِفُهُ مَرْفُوعًا من حديث بن لَهِيعَةَ وقد رُوِيَ شَيْءٌ من هذا عن عَطِيَّةَ عن أبي سَعِيدٍ قوله مَوْقُوفٌ . "وابن لهيعة مجروح) . فيض القدير (٢٣٨/٤).
وأخرجه الطبري في "جامع البيان " (١٥٥/٢٩) قال ابن كثير : (وقد رواه ابن جرير عن يونس عن عبد الله بن وهب عن عمرو بن الحارث عن دراج وفيه غرابة ونكارة). تفسير القرآن العظيم (٤٤٣/٤).

(٢) قال الشهاب : (ومعنى كونه مثلا أنه شبه ما يسوقه الله تعالى له من المصائب بتكليف الصعود في الجبال الوعرة الشاهقة وأطلق لفظه عليه فهو استعارة تمثيلية). حاشية الشهاب (٩ / ٣٢٧) .

(٣) الكشاف(٦٥٠/٤)، وأنوار التنزيل (٤١٣/٥)، و إرشاد العقل السليم (٥٧/٩)، وفتح القدير (٣٢٦/٥)، وروح المعاني (١٢٢/٢٩).

(٤) الكشاف(٦٥٠/٤).

(٥) يُنظر : قواعد الترجيح (٢ / ٥٢٧).

(٦) مقاييس اللغة (٢٨٧/٣).

(٧) قواعد الترجيح (٢ / ٥١١).

(٨) قواعد التفسير (١ /٢٤٦).

قول الله -ﷻ- : ﴿لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ﴾[1].

❁ (٥١)مسألة :في معنى لواحة .

ترجيح ابن جزيّ - رحمه الله - :

رجَّح أنَّ معنى "لواحة " مغيرة . من لوَّحه أي : غيَّره ، وسوّده . والمعنى :أنها تحرق الجلود وتسودها .

مجمل ما ذكره في الآية :

قال : « معنى " لواحة " مغيرة يقال : لوّحه السفر إذا غيره ، والبشر جمع بشرة وهي الجلدة فالمعنى : أنها تحرق الجلود وتسودها . وقيل: لواحة من لاح إذا ظهر والبشر الناس أي تلوح للناس . وقال الحسن : تلوح لهم من مسيرة خمسمائة عام» [2].

العرض والمناقشة:

اختُلف في معنى " لوَّاحة " على ثلاثة أقوال :

القول الأول : ما رجَّحه ابن جُزيّ ، وهو قول ابن عباس [3] - رضي الله عنه - ، وقال به أبو رزين [4]، و مجاهد[5] ، والضحاك [6]، وقتادة [7] .

واختاره الفرَّاء ، والطبري ، والزجّاج ، و اقتصر عليه أبو الليث ، وابن أبي زمنين ، والنسفي [8] وقدمه مكي بن أبي طالب،والواحدي ،وابن عطية، والقمي النيسابوري [9]، ووافقهم الخازن وأبو حيان ، وابن وابن كثير ، و جلال الدين المحلّي ، وأبو السعود ، و رجحه الشوكاني ، والألوسي و قال به القنوجي ،

---

(١) سورة المدَّثر:٢٩.

(٢) التسهيل(١٦١/٤).

(٣) أخرجه الطبري بسنده عنه "جامع البيان" (١٥٩/٢٩)، ولفظه قال : (تحرق بشرة الإنسان) . وذكره السيوطي في "الدر المنثور "(٣٣٢/٨) وعزاه لعبد بن حميد بنحوه.

(٤)أخرجه الطبري بسنده عنه " جامع البيان " (١٥٩/٢٩)، ولفظه قال : (تلفح الجلد لفحة فتدعه أشد سوادا من الليل) . وذكره السيوطي في " الدر المنثور "(٣٣٢/٨) وعزاه لابن أبي شيبة وأحمد بمثله .

(٥) أخرجه الطبري بسنده عنه " جامع البيان "(١٥٩/٢٩)، ولفظه قال : (الجلد) . وذكره السيوطي في "الدر المنثور "(٣٣٢/٨) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر بنحوه .

(٦) أخرجه الطبري بسنده عنه "جامع البيان " (١٥٩/٢٩)، ولفظه (تحرق بشره).

(٧)أخرجه الطبري بسنده عنه "جامع البيان "(١٥٩/٢٩)، ولفظه (حراقة للجلد).

(٨) معاني القرآن (٣ / ٢٠٣) ، و جامع البيان (١٥٨/٢٩)، ومعاني القرآن للزجاج (٥ / ١٩٣) ،و بحر العلوم (٤٩٤/٣)، وتفسير القرآن (٥٧/٥)، ومدارك التنزيل (٣١٠/٤).

(٩) الهداية إلى بلوغ النهاية (١٢ / ٧٨٣٤) ، والوسيط (٤ / ٣٨٤) ، والمحرر الوجيز(٣٩٥/٥)، وغرائب القرآن (٦ / ٣٩٢).

والمراغي ، وابن عاشور – رحمهم الله تعالى – [1].

قال أبو حيان : «﴿لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ﴾ قال ابن عباس ومجاهد وأبو رزين والجمهور : معناه مغيرة للبشرات محرقة للجلود مسوّدة لها والبشر جمع بشرة وتقول العرب لاحت النار الشيء إذا أحرقته وسوّدته» [2].

وقال الشوكاني : « وقيل معنى ﴿لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ﴾ أي : مغيرة لهم ومسوِّدة .قال مجاهد والعرب تقول : لاحهُ الحر والبرد والسقم والحزن إذا غيره .وهذا أرجح من الأول وإليه ذهب جمهور المفسرين ،ومنه قول الشاعر:

وتعجبُ هندٌ أن رأتني شاحباً ا تقولُ لشيءٍ لوّحتهُ السما ءُ[3]» [4].

القول الثاني: أنَّ معنى " لواحة " أي : تلوح للناس من لاح إذا ظ هر . وهو قول الحسن [5]. و ممن ذكره الثعلبي ، والماوردي ، والزمخشري والرازي ، والقرطبي ، والبيضاوي ، والخازن ، وأبو حيان،وابن عادل ، والثعالبي ، والشربيني والشوكاني ، والألوسي ، والقنوجي [6] –رحمهم الله تعالى–.

القول الثالث: أنَّ اللوح شدة العطش والمعنى أنها معطشة للبشر ، قاله الأخفش ، وأورده الماوردي والسمعاني ، والقرطبي [7]– رحمهم الله – .

قال القرطبي : « وقيل: إن اللوح شدة العطش يقال لاحة العطش و لوحه أي غيره. والمعنى :أنها معطشة للبشر أي لأهلها قاله الأخفش ، وأنشد :

سقتني على لوحٍ من الماءِ شربةً سقاها بها اللهُ الرهامَ الغواديا .

---

(١) تفسير لباب التأويل (٦ / ٣١٦) ، و البحر المحيط ٣٦٧/٨ ، وتفسير القرآن العظيم (٤٤٤/٤)، و تفسير الجلالين(٧٧٧/١)، و إرشاد العقل السليم(٥٨/٩)، وفتح القدير(٣٢٧/٥)، وروح المعاني (١٢٥/٢٩)، وفتح البيان (١٤ / ٤١٢) ، وتفسير المراغي (١٠/ ٢٥٣) ، والتحرير والتنوير (١٢ / ٣١٢) .

(٢) البحر المحيط(٣٦٧/٨).

(٣) لم أقف على قائله .

(٤) فتح القدير (٣٢٧/٥).

(٥) المرجع السابق .

(٦) الكشف والبيان (٧٤/١٠)، والنكت والعيون (٦ / ١٤٣) ، والكشاف (٦٥٢/٤) ، والتفسير الكبير (١٧٨/٣٠) والجامع لأحكام القرآن(٧٨/١٩)، وأنوار التنزيل(٤١٥/٥)، و البحر المحيط(٣٦٧/٨)، واللباب (١٩ / ٥١٧) والسراج المنير (٨ / ١٧٣) ، و الجواهر (٣٦١/٤)، و فتح القدير(٣٢٧/٥)، و روح المعاني(١٢٥/٢٩) ، و فتح البيان (١٤ / ٤١٢) .

(٧) النكت والعيون (٦ / ١٤٣) ، و تفسير القرآن (٩٥/٦)، و الجامع لأحكام القرآن (٧٨/١٩).

يعني باللوح شدة العطش» [1].

الترجيح

الراجح – والله تعالى أعلم بالصواب – أن معنى " لواحة " أي ؛ مغيرة لألوانهم ، وهو ما رجحه ابن جُزيّ وجمهور المفسرين [2] ؛ لأن سباق الآية يدل عليه في قوله تعالى : ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ [3]. يقال : صلي فلان بالنار يصلى صليا احترق قال الله تعالى : ﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَى بِهَا صِلِيًّا﴾ [4]، فهذا الوصف لسقر يترتب عليه الإحراق وتغير ألوانهم لا مجرد الظهور. **ويؤيد هذا القول عدة أمور وهي :**

١. جاء نظير هذا المعنى في قول الله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [5].

قال الإمام الطبري – رحمه الله تعالى – : « كلما انشوت بها جلودهم فاحترقت بدلناهم جلودا غيرها يعني غير الجلود التي قد نضجت فانشوت» [6].

٢. أنَّ هذا الوصف أبلغ في تصوير عذاب المكذبين فقد جاء بصيغة المبالغة " لوّاحة " يقال : لّوَّحت الشمس فلاناً إذا غيرت لون جلده و سوِّدته [7].(وزيادة المبنى تدل على زيادة المعنى) [8].

٣. تضافرت أقوال المفسرين سلفا وخلفا عليه . و (تحمل الآية على المعنى الذي استفاض النقل فيه عن أهل العلم وإن كان غيره محتملاً) [9]. والله تعالى أعلم

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٩/٧٨).
(٢) فتح القدير(٥/٣٢٧).
(٣)سورة المدّثر : ٢٦ .
(٤) لسان العرب (١٤/٤٦٧).
(٥) سورة النساء:٥٦ .
(٦) جامع البيان (٥/١٤٢).
(٧) تاج العروس (٧/١٠٣) ، ومقاييس اللغة(٥/٢٢٠).
(٨) قواعد التفسير (١ / ٣٥٦) .
(٩) قواعد التفسير (٢ / ٨٠٤) .

قول الله – ﷻ – : ﴿ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴾[1].

❁ (٥٢)مسألة :في المراد بالتسعة عشر المذكورين في الآية.

ترجيح ابن جُزَيّ – رحمه الله – :

رجَّح أنَّ المراد بقوله تعالى :﴿ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴾ ملكٌ من خزنة جهنم .

ومجمل ما ذكره في الآية

قال : « فقيل :هم تسعة عشر ملكاً ، وقيل : تسعة عشر صفاً من الملائكة ، والأولُ أشهر» [2].

العرض و المناقشة:

اختُلف في المراد بالتسعةَ عشرَ على أربعة أقوال وهي :

القول الأول: ما ذهب إليه ابن جُزيّ ،وهو قول ابن عباس[3]– ﷺ – . وقال به الطبريُّ و الزجاج الزجاج واقتصر عليه أبو الليث ، والواحدي ، و السمعاني ، والبغوي ، وابن عطية وابن الجوزي ، والقرطبي و وافقهم الخازن ، وأبو حيان ، وجلال الدين المحلي ، والثعالبي و الشربيني ، والشوكاني ، والقنوجي والسعدي[4]– رحمهم الله تعالى – .

قال أبو حيان : « التمييزُ محذوفٌ ، والمتبادر إلى الذّهن أنه ملك . ألا ترى العرب ، وهم الفصحاء كيف فهموا منه أن المراد ملك حين سمعوا ذلك ؟» [5].

القول الثاني : أنَّ هؤلاء التسعةَ عشرَ هم الرؤساء و النقباء . أورده الثعلبي ، والزمخشري ،والقرطبي

---

(١) سورة المدثِّر : ٣٠ .

(٢) التسهيل (١٦١/٤) .

(٣) أخرجه الطبري بسنده عنه "جامع البيان " (١٥٩/٢٩)، ولفظه (﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴾ إلى قوله : ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا ﴾ فلما سمع أبو جهل بذلك قال لقريش : ثكلتكم أمهاتكم أسمع بن أبي كبشة يخبركم أن خزنة النار تسعة عشر ، وأنتم الدهم أفيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا برجل من خزنة جهنم؟ فأوحي إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أن يأتي أبا جهل فيأخذه بيده في بطحاء مكة فيقول له : ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾ فلما فعل ذلك به رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال أبو جهل : والله لا تفعل أنت وربك شيئا فأخزاه الله يوم بدر) .

(٤) جامع البيان (١٥٩/٢٩) ، ومعاني القرآن للزجاج (٥ / ١٩٣) ،و بحر العلوم (٤٩٤/٣) ، والوسيط (٤ / ٣٨٤) ، وتفسير القرآن (٩٥/٦) ، و معالم التنزيل (٤١٧/٤) ، والمحرر الوجيز (٣٩٦/٥) ، و زاد المسير (٤٠٧/٨) ، و الجامع لأحكام القرآن (٧٩/١٩) ، ولباب التأويل(٦ / ٣١٦) ، والبحر المحيط (٣٦٧/٨) ، وتفسير الجلالين (٧٧٧/١) ، و الجواهر الحسان (٣٦١/٤) ، والسراج المنير (٨ / ١٧٣) ، وفتح القدير (٣٢٨/٥) ، وفتح البيان (١٤ / ٤١٣) ، وتيسير الكريم الرحمن (٨٩٧/١) .

(٥) البحر المحيط (٣٦٧/٨).

والنسفي ، وأبو حيان ، والشربيني ، وأبو السعود ، والشوكاني [1]- رحمهم الله تعالى.

القول الثالث: أنهم تسعة عشر صفًا من الملائكة .ذكره الثعلبي ، والرازي ، وأبو السعود والشوكاني [2]- رحمهم الله -.

القول الرابع : تسعة عشر صنفًا من الملائكة .أورده الثعلبي ، والزمخشري ، والرازي ،والبيضاوي والنسفي ، والقمي النيسابوري ، وأبو حيان ، والبقاعي ، وأبو السع ود ،والشوكاني [3]- رحمهم الله تعالى - .

الترجيح

الأقرب إلى الصواب – والله تعالى أعلم- ردُّ حقيقة هذا العدد إلى علَّام ا لغيوب ، فإن الله - ﷻ - أخبر أنهم من الملائكة كما في قوله تعالى : ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً﴾[4]والنصوص من الكتاب والسنة بينت أنهم ملائكة ، ولكن هل هم تسعة عشر ملكا فرداً ؟ أو صفا ؟ أو صنفا ؟ ، و (الأصل أن ما أبهم في القرآن فلا طائل لمعرفته)[5].

قال الشيخ عبد الرحمن الميداني – رحمه الله تعالى - : « لم يرد بيان صريح عن الرسول - ﷺ - في هذا الأمر ، وإن كان الظّاهرُ ممَّا ورَدَ من تعليقات المشركين على ه ذا العدد أنّهم تسعَةَ عشرَ ملكًا فردًا .

أمَّا المؤمنونَ بما جاء عن الله على لسان رسول الله - ﷺ - ، فلا يجدونَ أيَّ إشكالٍ حول أي بيان عن الله - ﷻ - في بيان أعداد المكلفين من الملائكة للقيام بأعمالٍ يأمرُهم الله بها ، فلو كان المكلف ملكاً واحداً لكان كافياً في تصورهم الإيماني للقيام بكل ما يأمُره الله به من أعمالٍ جليلةٍ ... » [6]. والله تعالى أعلم.

(١) الكشف والبيان (٧٤/١٠) ، و الكشاف (٤/ ٦٥٢) ، و الجامع لأحكام القرآن (٧٩/١٩) ، ومدارك التنزيل (٢٩٦/٤) ، و البحر المحيط (٣٦٧/٨) ، والسراج المنير (٨ / ١٧٣) ، و إرشاد العقل السليم (٥٩/٩) ، و فتح القدير (٣٢٨/٥) .

(٢) الكشف والبيان (٧٤/١٠) ، و التفسير الكبير(١٧٩/٣٠) ، وإرشاد العقل السليم (٥٩/٩) ، و فتح القدير (٣٢٨/٥) .

(٣) الكشف والبيان (٧٤/١٠) ، و الكشاف (٦٥٢/٤) ، والتفسير الكبير (١٧٩/٣٠) ، و أنوار التنزيل (٤١٥/٥) و ومدارك التنزيل (٣١٠/٤) ، وغرائب القرآن (٦ / ٣٩٢) ، وإرشاد العقل السليم (٥٩/٩) ، و فتح القدير (٣٢٨/٥) .

(٤) سورة المدثر : ٣١ .

(٥) يُنظر : قواعد التفسير (٢ / ٧١٩) .

(٦) معارج التفكر (١ / ١١٢) .

قول الله – ﷻ– : ﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَتَقَدَّمَ أَوۡ يَتَأَخَّرَ ﴾[1].

❁ (٥٣)مسألة : في إعراب ﴿ لِمَن شَآءَ ﴾.

ترجيح ابن جزي – رحمه الله – :

رجَّح أنَّ " من " بدل من البشر بإعادة العامل . والمعنى : أن البشر متمكنون من التقدم والتأخر .

مجمل ما ذكره في الآية

قال : « و ﴿ لِمَن شَآءَ ﴾بدل من البشر . أي : هم متمكنون من التقدم والتأخر . وقيل : معناه الوعيد كقوله :﴿ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِنۡ وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ ﴾ [2]. وعلى هذا أعرب الزمخشري أن يتقدم مبتدأ ولمن شاء خبره . والأول أظهر» [3] .

العرض و المناقشة:

اختُلف في إعراب" لمن شاء " على وجهين :

الوجه الأول: ما رجَّحه ابن جُزيّ موافقًا للطبري ، و وافقهما أبو حيان ، و جلال الدين المحلِّي واقتصر عليه الشربيني ، وقدمه أبو السعود ، والشوكاني ، والألوسي ، وابن عاشور [4] – رحمهم الله – –

قال الطبري : « وقوله :﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَتَقَدَّمَ أَوۡ يَتَأَخَّرَ ﴾يقول تعالى : ذكره نذيرا للبشر لمن شاء منكم أيها الناس أن يتقدم في طاعة الله أو يتأخر في معصية الله » [5].

وقال أبو حيّان : « والظاهر أن﴿لِمَن﴾ بدل من البشر بإعادة الجار وأن يتقدم منصوب بشاء ضم ير يعود على من» [6].

---

(١) سورة المدَّثر:٣٧.

(٢)سورة الكهف : ٢٩.

(٣) التسهيل (١٦٢/٤).

(٤) جامع البيان (١٦٤/٢٩)، و البحر المحيط(٣٧٠/٨)، وتفسير الجلالين(٧٧٧/١)، و السراج المنير (٨ / ١٨٧) ، و إرشاد العقل السليم (٦١/٩)، وفتح القدير (٣٣١/٥)، وروح المعاني (١٣١/٢٩) ،والتحرير والتنوير (١٢ /٣٢٣).

(٥)جامع البيان (١٦٤/٢٩)

(٦)البحر المحيط(٣٧٠/٨)

الوجه الثاني : أن يكون ﴿لِمَن شَآءَ﴾ خبرا مقدما ، و " أن يتقدم " مبتدأ مؤخر . قاله الزمخشري وجوزه البيضاوي ، وابن عاشور [1]- رحمهم الله -.

قال الزمخشري : «﴿ أَن يَتَقَدَّمَ ﴾ في موضع الرفع بالابتداء ولمن شاء خبر مقدّم عليه كقولك لمن توضأ أن يصلي ومعناه مطلق لمن شاء التقدّم أو التأخر أن يتقدّم أو يتأخر والمراد بالتقدّم والتأخر السبق إلى الخير والتخلف عنه وهو كقوله : ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ [2]»[3].

قال ابن عاشور : « ويجوز أن يقدر : لمن شاء أن يتقدم إليها ، أي إلى سَقَر بالإقدام على الأعمال التي تُقدمه إليها ، أو يتأخر عنها بتجنب ما من شأنه أن يقربه منها» [4].

الترجيح

الراجح – والله تعالى أعلم بالصواب – أن " لمن شاء " بدل من البشر ، وهو ما رجحه ابن جُزيّ لأن الخطاب في "نذيرا " للغائب ثم انتقل للمخاطب لإيقاظ نفسه في تحمل نتيجة اختياره فمن شاء التقدم إلى أسباب الهلاك تقدم ، ومن شاء أن يتأخر إلى مواقع النجاة والعمل الصالح تأخر باختياره . و الله تعالى أعلم.

(١)الكشاف (٤/٦٥٥) ، و أنوار التنزيل (٥/٤١٧) ، والتحرير والتنوير (١٢ / ٣٢٣).

(٢) سورة الكهف :٢٩.

(٣) الكشاف (٤/٦٥٥).

(٤)التحرير والتنوير (١٢ /٣٢٣).

قول الله – ﷻ – :﴿ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾[1].

❁ (٥٤)مسألة : في فاعل" شاء ".

ترجيح ابن جزيّ – رحمه الله – :

رجَّح أنَّ فاعل "شاء" ضمير يعود على " من " أي : من أراد أن يتذكر ذُكِر بالقرآن ، وهو حضّ وترغيب لهم في التَذكُّر .

مجمل ما ذكره في الآية :

قال : « ﴿ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾ فاعل شاء ضمير يعود على من وفي ذلك حض وترغيب . وقيل : الفاعل هو الله ثم قيد فعل العبد بمشيئة الله» [2].

العرض والمناقشة:

اختُلف في فاعل " شاء " على قولين :

القول الأول : ما رجَّحه ابن جُزيّ موافقا للطبري ، وقال به مكي بن أبي طالب ، و السمعاني والزمخشري ، وابن الجوزي ، والبيضاوي ، و وافق هم أبو السعود ، ورجحه الشوكاني و اقتصر عليه الألوسي ، وقدّمه ابن عاشور[3]– رحمهم الله – .

قال الإمام الطبري : « وقوله : ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾يقول تعالى ذكره : فمن شاء من عباد الله الذين ذكرهم الله بهذا القرآن ذكره فاتعظ فاستعمل ما فيه من أمر الله ونهيه»[4].

وقال مكي بن أبي طالب : « أي : فمن شاء من عباد الله – الذين ذكرهم بهذا القرآن — ذكره فاتعظ به واستعمل ما فيه» [5].

---

(١)سورة المدَّثر:٥٤ .

(٢) التسهيل (١٦٣/٤).

(٣) جامع البيان(١٧٢/٢٩) ، و الهداية إلى بلوغ النهاية (١٢ / ٧٨٥٢) ،و تفسير القرآن(٩٩/٦)، والكشاف(٦٥٨/٤)، وزاد المسير(٤١٤/٨) ، و أنوار التنزيل (٤١٨/٥) ، و إرشاد العقل السليم (٦٣/٩) ، وفتح القدير (٣٣٣/٥) وروح المعاني (١٣٥/٢٩)، والتحرير والتنوير (١٢ / ٣٣٢).

(٤) جامع البيان (١٧٢/٢٩).

(٥)الهداية إلى بلوغ النهاية (١٢ / ٧٨٥٢).

القول الثاني : أنَّ فاعل " شاء " عائد على الله تعالى . قال به ابن عطية ، وتبعه الثعالبي [1]– رحمهم الله –.

قال ابن عطيّة : « فمن شاء وفقه الله تعالى ؛ لذلك ذكر معاده فعمل له ثم أخبر تعالى أنَّ ذكرَ الإنسانُ معادَه وجريَ إلى فلاحِه إنما هو كلُّه بمشيئة الله تعالى وليس يكون شيء إلا بها »[2].

الترجيح

الراجح – والله تعالى أعلم بالصواب – أنَّ فاعل " شاء " يعود على " من " ، وهو ما رجَّحه ابن جُزي ومن معه ؛ لأن (إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عن ذلك) [3].

حيث أخبر – ﷻ – عن إعراض المجرمين لقبول الحق ونفورهم منه وكان الداعي لهم أمران :

أحدهما : الكبر الذي انطوت عليه نفوسهم بأن يُأتى كل واحد من زعمائهم صحفا منشرة.

والآخر : إنكارهم لليوم البعث والجزاء والحساب .

وردَّ الله تعالى رادعا لهم ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾وهو بيان لأهم مقاصد القرآن وهو التذكر والانتفاع به كما قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [4]. وجعل لهم مطلق الحرية في تذكرهم به دون قسر ولا جبر ، ثم جعل حرية اختيار هم بعد مشيئة الله تعالى وحكمته. **ويؤيده** :

أنَّ إثبات مشيئة الله تعالى قد ذك ر في قوله تعالى : ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾[5]) . فكانت المشيئة الأولى للعبد ، وهي مشروطة بمشيئة الله تعالى . (وإذا دار الكلام بين التأسيس والتأكيد فحمله على التأسيس أولى) [6]. والله تعالى أعلم.

(١) المحرر الوجيز(٥/٤٠٠)، و الجواهر الحسان (٤/٣٦٤).

(٢) المحرر الوجيز (٥/٤٠٠).

(٣) قواعد الترجيح (١ / ١٢٥).

(٤) سورة ص:٢٩ .

(٥) سورة الإنسان:٣٠.

(٦) قواعد الترجيح (٢ / ٣٧٣) .

سادساً : سورة القيامة

قول الله – ﷻ – : ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾[1].

❁ (٥٥)مسألة : في معنى " لا "

ترجيح ابن جُزيّ – رحمه الله – :

رجَّح أنَّ " لا " زائدة لتأكيد القسم.

مجمل ما ذكره في الآية

قال: «﴿لَآ أُقْسِمُ﴾ في الموضعين معناه أقسم "ولا"زائدة؛ لتأكيد القسم. وقيل: هي استفتاح كلام بمنزلة "ألا"، وقيل: هي نفي لكلام الكفار»[2].

العرض والمناقشة:

للمفسرين في معنى " لا " أربعة أقوال وهي :

القول الأول : ما رجَّحه ابن جُزي موافقًا لابن أبي زمنين[3]، وقدمه أبو الليث ، والثعلبي وقال به البيضاوي [4]، ووافقهم ابن كثير ، وجلال الدين المحلِّي، وصدَّر به أبو السعود والثعالبي و الشوكاني أقوالهم ، واختاره عطية سالم –رحمهم الله تعالى– [5].

قال ابن كثير : «وقد تقدم غير مرة أن المقسم عليه إذا كان منتفيا جاز الإتيان بـــ "لا" قبل القسم لتأكيد النفي . والمقسم عليه ههنا هو إثبات المعاد والرد على ما يزعمه الجهلة من العباد من عدم بعث الأجساد ولهذا قال تعالى : ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾» [6] .

القول الثاني : أن " لا " نافية . واختلفوا في هذا المنفي على قولين :

الأول : أنَّها نافية لكلامٍ تقدم ، كأنَّ الكفَّار ذكروا شيئاً ، فقيل له م : " لا " ثم ابتدأ الله قسماً . قاله

---

(١) سورة القيامة :١ .

(٢) التسهيل (١٦٣/٤).

(٣) تفسير القرآن العزيز (٦٣/٥).

(٤) بحر العلوم (٤٩٨/٣) ،و الجواهر الحسان (٣٦٥/٤) ،و أنوار التنزيل (٤١٩/٥) .

(٥) القرآن العظيم (٤٤٨/٤) ، و تفسير الجلالين (٧٧٨/١) ، و إرشاد العقل السليم (٦٤/٩) ، وفتح القدير (٣٣٥/٥) ،و أضواء البيان (٣٧٠/٨) .

(٦) القرآن العظيم (٤٤٨/٤)

الفراء[1] ، و اختاره الإمام الطبري ، و الزركشي-رحمهم الله تعالى- [2].

قال الطبري :«وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال :إن الله أقسم بيوم القيامة وبالنفس اللوامة، وجعل "لا"ردًا لكلام قد كان تقدمه من قوم وجواباً لهم، وإنما قلنا ذلك أولى الأقوال بالصواب؛لأن المعروف من كلام الناس في محاوراتهم، إذا قال أحدهم: "لا والله لا فعلت كذا" أنه يقصد بـ "لا" رد الكلام، وبقوله و"الله" ابتداء يمين، وكذلك قولهم: "لا أقسم بالله لا فعلت كذا "،فإذا كان المعروف من معنى ذلك ما وصفنا ، فالواجب أن يكون سائر ما جاء من نظائره جارياً مجراه ما لم يخرج شيء من ذلك عن المعروف بما يجب التسليم له» [3].

وهذا القول عليه إشكال في إعادة حرف النفي مرة أخرى في قول الله تعالى ﴿وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾[4]فلم يرد ما أثبت لنفيه.

قال الشيخ عطية سالم – رحمه الله – معقبًاعليه : «وقيل :إن هذا الوجه وإن قال به كثير من العلماء إلا أنه ليس بوجيه عندي لقوله تعالى في سورة القيامة :﴿وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾ ؛لأن قوله : ﴿وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾ يدل على أنه لم يرد الإثبات المستأنف بعد النفي بقوله :﴿أُقۡسِمُ﴾ » [5] .

القول الثاني : أنَّ "لا " للنفي على وجه إعظام ا لمقسَم به، والمعنى : كأنه قال : أنا لا أعظمه بالقسم فهو معظم بغير القسم ، هو المختار عن الزمخشري ، ورجحه الرازي ، وقال به ابن عاشور- رحمهم الله تعالى- [6].

قال الرازي : «أنَّ " لا " هاهنا لنفي القسم ،كأنه قال: لا أقسم عليكم بذلك اليوم وتلك النفس ولكني أسألك غير مقسم أتحسب أنا لا نجمع عظامك إذا تفرقت بالموت فإن كنت تحسب ذلك فاعلم أنا قادرون على أن نفعل ذلك وهذا القول اختيار أبي مسلم [7]وهو الأصح» [1].

---

(١) معاني القرآن للفراء (٣/ ٢٠٧).

(٢) جامع البيان (٢٩/١٧٣،١٧٤) ، و البرهان في علوم (٣/٧٤).

(٣) جامع البيان (٢٩/١٧٣ ، ١٧٤).

(٤) سورة القيامة:٢ .

(٥) أضواء البيان (٨/٣٧١).

(٦) الكشاف (٤/٦٥٩ ،٦٦٠) ، و التفسير الكبير (٣٠/١٩٠) ، والتحرير والتنوير (١٢ / ٣٣٨).

(٧) محمد بن بحر الأصفهاني، أبو مسلم ،من أهل أصفهان . وُلد سنة (٢٥٤هـــ).معتزلي.من كبار الكتاب.كان عالما بالتفسير وبغيره من صنوف العلم، وله شعر. من كتبه (جامع التأويل ، الناسخ والمنسوخ). تُوفي سنة (٣٢٢ هـــ).
يُنظر : معجم الأدباء (٥/٢٣٩) ، وبغية الوعاة (١/٥٩) ، و الأعلام (٦ / ٥٠).

وهذا القول قائم على التقدير ، والقول بعدمه أولى.

القول الثالث: أن " لا" ليست زائدة ولا منفية ، بل هي أداة تنبيه لاستفتاح الكلام و الاهتمام بما بعدها، رجحه السعدي[٢] وممن أورده ابن عطية ، والسمعاني – رحمهما الله تعالى- [٣].

قال السعدي – رحمه الله - « ليست "لا " ههنا نافية ، ولا زائدة . وإنما أُتى بها للاستفتاح والاهتمام بما بعدها ولكثرة الإتيان بها مع اليم ين لا يستغرب الاستفتاح بها وإن لم تكن في الأصل موضوعة للاستفتاح فالمقسم به في هذا الموضع هو المقسم عليه وهو البعث بعد الموت وقيام الناس من قبورهم ثم وقوفهم ينتظرون ما يحكم به الرب عليهم» [٤].

القول الرابع : ذهب أبو حيَّان أنَّ " لا " أصلها " لام أشبعت فتحتها فأصبحت ألفا حيث قال : «والأولى عندي أنها لام أشبعت فتحتها ،فتولدت منها ألف ،كقوله: أعوذ بالله من العقراب» [٥] .

الترجيح

الراجح – والله تعالى أعلم بالصواب – أن " لا " زائدة لتأكيد القسم، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ وجمهرة المفسرين [٦]؛ لشيوع هذا الاستعمال في لغة العرب ، و (القرآن عربي فيسلك به في الاستنباط والاستدلال مسلك العرب في تقرير معانيها) [٧].**ويؤيده عدة أمور وهي :**

١. النظائر القرآنية : كما في قول الله – ﷻ -: ﴿قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓاْ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾[٨]، يعني أن تتبعني ، وقول الله تعالى :﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾[٩]أي : أن يعلم .

٢. جاءت به أشعار العرب ، ومنه قول امرؤ القيس:

---

(١) التفسير الكبير (١٩٠/٣٠).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (٨٩٨/١).

(٣) تفسير القرآن (١٠١/٦)، والمحرر الوجيز(٤٠١/٥).

(٤) تيسير الكريم الرحمن (٨٩٨/١).

(٥) البحر المحيط (٢١٢/٨).

(٦) أضواء البيان (٣٧٠/٨).

(٧) قواعد التفسير (١ / ٢٣٢).

(٨) سورة طه: ٩٢-٩٣ .

(٩) سورة الحديد:٢٩ .

لا وأبيكِ ابنةَ العامريِّ لا يدعي القومُ أني أفرُّ [1]»[2].

٣. لقد بلغ القرآن في فصاحته وبلاغته ما أعجز أهل اللسان والصنعة أن يعارضوه، وإذا كان كذلك فلا يتصور لكل ذي عقل حصيف أن في القرآن ما لا فائدة فيه ، فالقول بالزيادة معناه: إن أصل المعنى متحقق بدونه، دون التأكيد، فبوجوده حصل التأكيد .

قال السيوطي-رحمه الله تعالى-: « وفائدتها مع التوكيد التمهيد ؛للنفي الجواب، والتقدير: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ لا يتركون سدى ، ومثله : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴾[3]،ويؤيده قراءة لأقسم »[4][5]، و (زيادة المبنى المبنى تدل على زيادة المعنى)[6].

٤. جاء فعل القسم مقروناً بـــ " لا " في مواضع عدة : وفائدته تقوية المقسم عليه، وشدة انتفائه ومن ذلك قوله تعالى :﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴾[7]، ثم قال بعده :﴿ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ﴾[8] .

قال ابن القيم – رحمه الله – : « فإنه لما كان المقصود بهذا القسم نفي ما قاله الكفار في القر آن من أنه شعر أو كهانه أو أساطير الأولين صدَّر القول بأداة النفي، ثم أثبت له ما قالوه، فتضمنت الآية أن ليس الأمر كما يزعمون ولكنه قرآن كريم »[9]. والله تعالى أعلم.

(١) خزانة الأدب خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب (٣٦١/١) ، وتاج العروس (٢٢٠/٨).

(٢) أنوار التنزيل(٤١٩/٥) .

(٣) سورة النساء:٦٥ .

(٤)الإتقان في علوم القرآن (٥٠١/١) .

(٥) قرأ قنبل عن ابن كثير (لأقسم) بغير ألف بين اللام والقاف ، والثانية بلام وألف﴿لَآ أُقۡسِمُ﴾.، والباقون بألف في الموضعين. يُنظر : السبعة في القراءات (٦٦١/١) ، التيسير في القراءات السبع (٢١٦/١).

(٦) قواعد التفسير (٣٥٦/١).

(٧) سورة الواقعة:٧٥ .

(٨) سورة الواقعة:٧٦ .

(٩) زاد المهاجر (٢٨/١) .

قول الله – ﷻ – : ﴿وَلَآ أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾[1].

❁ (٥٦)مسألة : في المراد بالنَّفس اللوَّامة.

ترجيح ابن جُزَيّ – رحمه الله – :

رجَّح أنَّ النَّفس اللوَّامة هي نفس المؤمن التي تلوم صاحبها على الخير ، والشر .

مجمل ما ذكره في الآية

قال: « "النفس اللوَّامة"هي التي تلوم نفسها على فعل الذنوب أو التقصير في الطاعات ، فإن النفوس على ثلاثة أنواع: فخيرها النفس المطمئنة ،وشرها النفس الأمارة بالسوء ، وبينهما النفس اللوَّ امة . وقيل: اللوَّامة هي المذّمومة الفاجرة، وهذا بعيد ؛لأن الله لا يقسم إلا بما يعظم من المخلوقات ،ويستقيم إن كان لا أقسم نفيا للقسم» [2].

العرض والمناقشة:

في المسألة أربعة أقوال وهي:

القول الأول: ما رجَّحه ابن جُزيّ موافقًا لقول ابن عباس[3] – ﷺ – ،و قال به سعيد بن جبير [4] [4] ومجاهد [5]، وعكرمة [6] .

واختاره الطبري، واقتصر عليه ابن زمنين، و قال السمعاني بأنه الأصح [7]، وصدَّره الزمخشري والقرطبي والقرطبي والنسفي [8]، و وافقهم أبو حيَّان ، وقال به جلال الدين المحلِّي وأبو ا لسعود وذهب إليه الشوكاني والألوسي، والقنوجي، وابن عاشور[9] – رحمهم الله تعالى – .

---

(١) سورة القيامة:٢ .

(٢) التسهيل (١٦٣/٤).

(٣) أخرجه الطبري بسنده عنه "جامع البيان " (١٧٤/٢٩)، ولفظه قال :(هي النفس اللؤم) .

(٤) أخرجه الطبري بسنده عنه (المرجع السابق) (١٧٤/٢٩) ، ولفظه قال : (تلوم على الخير والشر) .

(٥) أخرجه الطبري بسنده عنه (المرجع السابق) (١٧٤/٢٩) ، ولفظه قال : (تندم على ما فات وتلوم عليه) ، و ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣٤٣/٨) ،وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير .

(٦) أخرجه الطبري بسنده عنه (المرجع السابق) (١٧٤/٢٩) ، ولفظه قال : (تلوم على الخير والشر) .

(٧) جامع البيان(٢٩ / ١٧٤) ، تفسير القرآن العزيز (٦٣/٥) تفسير القرآن (١٠٢/٦).

(٨) الكشاف (٦٦٠/٤) ،و الجامع لأحكام القرآن (٩٣/١٩) ،و مدارك التنزيل (٤ / ٣١٣).

(٩) البحر المحيط (٣٧٥/٨) ،وتفسير الجلالين (٧٧٩/١) ، وإرشاد العقل السليم (٦٤/٩) ، وفتح القدير (٣٣٥/٥) وروح المعاني (١٣٦/٢٩) ، وفتح البيان (١٤ / ٤٣٣) ، والتحرير والتنوير (١٢ / ٣٣٨) .

قال الإمام الطبري :«وأشبه القول في ذلك بظاهر التنزيل أنها تلوم صاحبها على الخير والشر وتندم على ما فات»[1].

القول الثاني:النفس اللوَّامة هي المذّمومة الكافرة . وهو قول ابن عباس [2]– ﷺ – ، وقال به قتادة [3].وأورده الطبري، والثعلبي ، والماوردي ، والسمعاني ،والبغوي ،والزمخشري ،وابن عطية وابن الجوزي الجوزي والرازي ، والقرطبي ، والبيضاوي ، والنسفي ، والخازن ، وأبي حيان وابن كثير ، وابن عادل والثعالبي ، والشربيني ، وأبي السعود ، والشوكاني ، والألوسي ، والقنوجي–رحمهم الله تعالى – [4].

وحجة هذا القول ؛ أنَّ الله تعالى أقسم بيوم القيامة ، و لم يُقسم بالنفسِ اللوَّامة تحقيراً لها؛ لأن النفس اللوامة إمَّا أن تكون كافرة بالقيامة مع عِ ظَم أمرها ، وإمَّا أن تكون فاسقة مقصرة في العمل ، وعلى التقديرين فإنها تكون مستحقرة .
والصحيح الذي عليه الجمهور أن الله تعالى أقسم بهما جميعًا ، وهو المروي عن قتادة [5]، وقال به الطبري ، والثعلبي ، والبغوي ، وابن كثير ، والثعالبي–رحمهم الله تعالى– [6].

القول الثالث: أنَّ جميع النفوس تلوم نفسها .قاله الفراء[7]، وأبو الليث، وابن القيم والسعدي [8]–

---

(١) جامع البيان (٢٩/ ١٧٥) .
(٢) أخرجه الطبري بسنده عنه "جامع البيان "(١٧٥/٢٩) ، ولفظه (يقول المذمومة)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣٤٣/٨) ونسبه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم
(٣) أخرجه الطبري بسنده عنه " المرجع السابق" (١٧٥/٢٩)، ولفظه (ولا أقسم بالنفس اللوامة أي الفاجرة) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣٤٢/٨) ، و عزاه لعبد بن حميد وابن جرير .
(٤) جامع البيان (١٧٥/٢٩) ،والكشف والبيان (٨٢/١٠) ،والنكت والعيون (٤ / ١٥١) ، وتفسير القرآن (١٠٢/٦) ومعالم التنزيل (٤ص٤٢١)،والكشاف(٦٦٠/٤) ، والمحرر الوجيز (٤٠٢/٥) ،وزاد المسير(٤١٦/٨) ،والتفسير الكبير (١٩١/٣٠) ، والجامع لأحكام القرآن (٩٣/١٩) ، وأنوار التنزيل (٤١٩/٥) ومدارك التنزيل(٤ / ٣١٤) ،ولباب التأويل(٦/ ٣٢٣)، والبحر المحيط (٣٧٥/٨)، والقرآن العظيم (٤٤٩/٤) ، واللباب (١٩/ ٥٤٥)، والجواهر الحسان (٣٦٥/٤)، والسراج المنير (٨ / ١٨٤) ،وإرشاد العقل السليم (٦٤/٩) ، وفتح القدير (٣٣٥/٥) ، وروح المعاني (١٣٦/٢٩)، وفتح البيان (١٤/ ٤٣٤).
(٥) أخرجه الطبري بسنده عنه "جامع البيان "(١٧٣/٢٩) ، ولفظه قال :(أقسم بهما جميعا) .
(٦) تفسير جامع البيان(١٧٣/٢٩)، الكشف والبيان (٨١/١٠) ،معالم التنزيل(٤٢١/٤) ،تفسير القرآن العظيم(٤٤٨/٤) تفسير الجواهر الحسان(٣٦٥/٤).
(٧) معالم التنزيل(٤٢١/٤).
(٨) بحر العلوم (٤٩٨/٣) ،وتفسير الكريم الرحمن (٨٩٨/١).

رحمهم الله -.

وذكره الواحدي ، والسمعاني ، والبغوي ، وابن الجوزي، والرازي ، والقرطبي ، والبيضاوي ، والقمي النيسابوري ، والخازن ، والسمين ، وابن كثير ، وأبي السعود ، والشوكاني ، والألوسي ، والمراغي- رحمهم الله تعالى - [1].

قال الفرَّاء : «ليس من نفس بَرّة ولا فاجرة إلاّ وهى تلوم نفسها إن كانت عملت خيراً قالت : هلا ازددت ! وإن كانت عملت سُوءًا قالت: ليتنى قصرت. ليتنى لم أفعل![2]

وقال ابن القيِّم : «والأظهر أنَّ المراد نفس الإنسان مطلقًا ، فإن نفس كل إنسان لوامة .كما أقسم بجنس النفس في قوله : ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾[3] فإنَّ لا بدّ لكل إنسان أن يلوم نفسه أو غيره على أمره... وكل نفس لوامة فالنفس السعيدة تلوم على فعل الشر وترك الخير فتبادر إلى التوبة والنفس الشقية بالضد من ذلك»[4].

ورُدَّ هذا القول؛ لأن اللوم لا يكون محلا للإقسام إن صدر عن النفس المؤمنة فالكافرة من باب أولى.

قال أبو السعود : «ولا يخفى ضعفه فإن هذا القدر من اللوم لا يكون مدارًا للإعظام بالإقسام،وإن صدر عن النفس المؤمنة المسيئة ،فكيف من الكافرة المندرجة تحت الجنس» [5].

القول الثالث : المراد بالنفس " نفس آدم - عليه السلام- " لم تزل تلومه على فعلها .ذكره الزمخشري وابن عطية ، والرازي ، والقرطبي ، و النسفي ، وابن عادل ، والشربيني ، وأبي السعود ، والألوسي والقنوجي-رحمهم الله تعالى- [6].

---

(١) الوسيط (٤ /٣٩٠) ،وتفسير القرآن (١٠٢/٦) ، ومعالم التنزيل (٤٢١/٤) ، و زاد المسير (٤١٦/٨) ، و التفسير الكبير (١٩١/٣٠)، و الجامع لأحكام القرآن (٩٣/١٩)، و أنوار التنزيل (٤١٩/٥) ،و غرائب القرآن (٦ /٣٩٩) ، و لباب التأويل (٦ / ٣٢٣) ، وعمدة الحفاظ (٤/ ٥٩) ، وتفسير القرآن العظيم (٤٤٩/٤)، وإرشاد العقل السليم (٦٤/٩) ،و فتح القدير(٣٣٥/٥) ، وروح المعاني (١٣٦/٢٩)، وتفسير المراغي (١٠/٢٦٣).

(٢) معاني القرآن للفراء (٣ / ٢٠٨).

(٣) الشمس:٧ -٨.

(٤)التبيان في أقسام القرآن (١١/١).

(٥) المرجع السابق (٦٤/٩).

(٦) الكشاف (٦٦٠/٤)، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤٠٢/٥) ، و التفسير الكبير (١٩١/٣٠)، والجامع لأحكام القرآن (٩٣/١٩) ، ومدارك التنزيل (٢٩٩/٤) ، واللباب في علوم الكتاب (٥٤٥/١٩) ، والسراج المنير (٨/ ١٨٤) و إرشاد العقل السليم (٦٤/٩) ، وروح المعاني (١٣٦/٢٩)، وفتح البيان (٣٣٤/١٤).

الترجيح

الراجح – والله تعالى أعلم بالصواب – أنَّ النفس اللوَّامة هي التي تلوم نفسها على فعل الذنوب والتقصير في الطاعات ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ، لأن الله تعالى أقسم بها ،و (إقسامه تعالى بشيء من مخلوقاته دليل على عظم منزلة المقسم به)[1].

قال الشيخ عبد الرحمن الميداني – رحمه الله تعالى – : «والنفس اللوامة باعثٌ فطريٌّ يهدي صاحب البصيرة المنصف إلى قانون الجزاء الرَّبَّانيّ ، وهو يأخذُ بأسبابِ الفكر إ لى الإيمان باليوم الآخر للحساب وفصل القضاء ، وتحقيق الجزاء . فإيجاد النفس اللوامة داخل الإنسان أمرٌ عجيب ، يستحقُّ أن يُقسم اللهُ به ؛لأنه أمر من الخلق عظيم و؛لأن في القسم بها توجيه نظر فكر الإنسان لها ، لتهدِيَهُ إلى قانون الجزاء الرَّبَّانيّ»[2] . **ومما يؤيده :**

أَن الاختلاف بين نفس الكافر ونفس المؤمن في مفهوم الجزاء والحساب ليدلنا إلى أن المراد بالنفس جنس النفس المؤمنة ؛لأنها مدارٌ للإقسام بها ، بخلاف النفس الكافرة المنكرة للجزاء والحساب، فهي ماضية قدماً في شهواتها ،وملذاتها، باعتبار أن لا حياة إلا الحياة الدنيا ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾[3] و(إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عن ذلك)[4]. والله تعالى أعلم.

(١) قواعد التفسير (١ / ٤٧٤).

(٢) معارج التفكر ودقائق التدبر (٢ / ٤٦٩) .

(٣) سورة الجاثية:٢٤ .

(٤) قواعد التفسير(١ / ١٢٥).

قول الله – ﷻ – : ﴿بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ﴾ [1].

❁ (٥٧)مسألة : في المراد بتسوية البنان.

ترجيح ابن جُزَيّ – رحمه الله – :

رجَّح أنَّ المراد بتسوية البنان خلقها بعد فنائها مستوية متقنة .

مجمل ما ذكره في الآية :

قال : «البنان الأصابع ، وفي المعنى قولان:

أحدهما : أنَّ إخبار بالقدرة على البعث أي : قادرين على أن نسوي أصابعه ، أي: نخلقها بعد فنائها مستوية متقنة ، وإنما خصَّ الأصابع دون سائر الأعضاء ؛لدقة عظامها ،وتفرقها .

والآخر: أنَّ تهديد في الدنيا أي : قادرين على أن نجعل أصابعه مستوية ملتصقة ك ـــ"يد الحمار" وخف الجمل فلا يمكنه تصريف يديه في منافعه. والأول أليق بسياق الكلام» [2].

العرض والمناقشة:

للمفسرين في تسوية البنان قولان وهما :

القول الأول: ما رجَّحه ابن جُزيّ موافقًا لابن قتيبة ، و قدَّمه الزمخشري والقمي النيسابوري [3] وأظهره ابن عطية ، والرازي ، والقرطبي [4]، واقتصر عليه النسفي ، ووافقهم الخازن بقوله أقرب إلى الصواب[5] ، واستظهره أبو حيَّان ،وقال به ابن كثير ، و جلال الدين المحلِّي، وأبو السعود [6]، ورجحه الثعالبي ، وابن عادل، والشوكاني ، والألوسي ، والقنوجي وابن عاشور وعطية سالم[7] – رحمهم الله–

قال ابن عطية : «والبنان الأصابع فكان الكفار لما استبعدوا جمع العظام بعد الفناء والإرمام . قيل: لهم إنما تجمع ويسوى أكثرها تفرقاً وأدقها أجزاء وهي عظام الأنامل ومفاصلها ، وهذا كله عند البعث .

---

(١) سورة القيامة:٤.

(٢) التسهيل (١٦٤/٤).

(٣) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة (٣٤٦) ، والكشاف (٦٦١/٤) ، وغرائب القرآن (٦ / ٤٠٠).

(٤) المحرر الوجيز (٤٠٢/٥) ،و التفسير الكبير (١٩٢/٣٠) ، والجامع لأحكام القرآن(٩٤/١٩).

(٥) مدارك التنزيل (٣١٤/٤) ،ولباب التأويل(٦ / ٣٢٤).

(٦) البحر المحيط (٣٧٦/٨)،و تفسير القرآن العظيم (٤٤٩/٤)، وتفسير الجلالين (٧٧٩/١) ،وإرشاد العقل السليم (٦٥/٩).

(٧) الجواهر الحسان (٣٦٥/٤) ، واللباب (١٩ / ٥٤٧) ،وفتح القدير (٣٣٦/٥)، وروح المعاني (١٣٨/٢٩) ، وفتح البيان (١٤ / ٣٣٦) ، والتحرير والتنوير(٣٤٠/١٢)، وأضواء البيان (٣٧٢/٨).

وقال ابن عباس وجمهور المفسرين : ﴿نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ﴾ معناه : نجعلها في حياته هذه بضعة أو عظمًا واحدًا كخف البعير لا تفاريق فيه . فكان المعنى قادرين؛ لأن في الدنيا على أن نجعلها دون تفرق فتقل منفعته بيده . فكان التقدير: بلى نحن أهل أن نجمعها قادرين على إزالة منفعة بيده ففي هذا توعدٌ مَّا .والقول الأول أحرى مع رصف الكلام...»[1].

القول الثاني :﴿بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ﴾ أن نجعل أصابعه مستوية ملتصقة ك ـــ"يد الحمار" وخف الجمل فلا يمكنه تصريف يديه في منافعه ، وهذا تهديد في الدنيا . وهو قول ابن عباس[2] -رضي الله عنه- ، وقال به عكرمة [3]، والحسن[4] ومجاهد [5]، وقتادة [6]والضحاك [7] .

واختاره الطبري [8]، وقدَّمه الثعلبي ، والبغوي[9] ، وذهب إليه السمعاني[10] -رحمهم الله تعالى-

قال الطبري : «وقوله: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ﴾[11] يقول تعالى ذكره أيظن بن آدم أن لن نقدر على جمع عظامه بعد تفرقها ؟! ﴿بَلَىٰ قَٰدِرِينَ﴾ على أعظم من ذلك أن نسوي بنانه ،وهي أصابع يديه ورجليه، فنجعلها شيئاً واحداً كخف البعير ،أو حافر الحمار ، فكان لا يأخذ ما يأكل إلا بفيه كسائر البهائم، ولكنه فرق أصابع يديه يأخذ بها ويتناول ،ويقبض إذا شاء ويبسط فحسن خلقه »[12].

---

(١)المحرر الوجيز (٥/٤٠٢).

(٢) أخرجه الطبري بسنده عنه "جامع البيان" (٢٩/١٧٥) ،ولفظه قال : (أنا قادر على أن أجعل كفه مجمرة مثل خف البعير)، وذكره السيوطي في "الدر المنثور "(٨/٣٤٣) ، ونسبه لسعيد بن منصور عنه ، ولفظه (نجعلها كفا ليس فيه أصابع).

(٣) أخرجه الطبري بسنده عنه " المرجع السابق" (٢٩/١٧٥) ، ولفظه قال : (على أن نجعله مثل خف البعير أو الحمار) .

(٤) أخرجه الطبري بسنده عنه " المرجع السابق" (٢٩/١٧٥) ، ولفظه قال : (جعلها يدا وجعلها أصابع يقبضهن ويبسطهن ولو شاء لجمعهن فاتقيت الأرض بفيك ولكن سواك خلقا حسنا) .

(٥) أخرجه الطبري بسنده عنه " المرجع السابق" (٢٩/١٧٦)، ولفظه (رجليه قال كخف البعير فلا يعمل بهما شيئا) ، وذكره السيوطي في " الدر المنثور "(٨/٣٤٣) ، وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير.

(٦) أخرجه الطبري بسنده عنه " المرجع السابق" (٢٩/١٧٦) ، ولفظه (قادر والله على أن يجعل بنانه كحافر الدابة أو كخف البعير ولو شاء لجعله كذلك فإنما ينقي طعامه بفيه).

(٧) أخرجه الطبري بسنده عنه: المصدر السابق (٢٩/١٧٦)، ولفظه قال : (البنان الأصابع يقول نحن قادرون على أن نجعل بنانه مثل خف البعير) ، وذكره السيوطي في" الدر المنثور" (٨/٣٤٣) ، ونسبه لابن جرير وابن المنذر.

(٨)جامع البيان(٢٩/١٧٥).

(٩) الكشف والبيان (١٠/٨٣) ، ومعالم التنزيل (٤/٤٢١).

(١٠)تفسير القرآن (٦/١٠٣).

(١١) سورة القيامة : ٣ .

(١٢)جامع البيان (٢٩/١٧٥).

الترجيح

الراجح – والله أعلم بالصواب – حمل المعنى على القولين ، بأن تسوية البنان بخلقه متقناً بعد فنائه يكون في الآخرة .وتسويته بجعله شيئاً واحداً مستوياً لا ينتفع به تهديد في الدنيا ، فلكل قول ما يؤيده :

فالقول الأول : يؤيده السياق. فسبق الآية يصف تصور المنكر للبعث باستحالة رجوع العظام بعدما صارت رفاتاً خلقا آخر ، فجاء الرد بنفي ذلك التصور ، وإثبات ضده من تمام القدرة في الخلق والإيجاد.

قال الشيخ عطية سالم – رحمه الله تعالى – : «السياق في إنكار البعث واستبعاده ومجيء نظير ذلك في سورة "يس" يرشد إلى أن سبحانه قادر بعد موت العبد وتلاشيه في التراب وتحول عظامه رميمً ا فهو قادر على أن يعيده تمامً ا كما أنشأه أول مرة ، ومن ضمن تلك الإعادة أن يسوي بنانه أي يعدلها و ينشؤها كما كانت أول مرة والعلم عند الله تعالى» [1].

وهو مُحتفٌّ بالنظائر القرآنية نحو قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ﴾[2]، ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾[3]، وقال تعالى ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ﴾[4]. فمن قدر على الإيجاد الأول ، فهو قادر على الإعادة من باب أولى.

والقول الثاني : تسوية بنانه بعد تفرقها بجعله مستوياً لا ينتفع به حاصل في الدنيا ، وفيه دليل على مخاطبة الكافر بشيء محسوس من خلقه كما خاطبه بما يراه من ظواهر طبيعية من نفس بيئته . قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾[5] ويؤيده: أنَّ توافرت عليه عبارات الجمهور[1] .

---

(١) أضواء البيان (٣٧٢/٨) .

(٢) سورة يس:٧٨ .

(٣) سورة يس:٧٩ .

(٤) سورة عبس: ١٧ –٢٣ .

(٥) سورة الغاشية:١٧ – ٢٠ .

قال ابن القيم –رحمه الله تعالى – في حمل المعنى على القولين : « وهما وجهان حسنان وكل منهما له ترجيح من وجه ، فيرجح الأول : أنه هو المقصود وهو الذي أنكره الكفار ، وهو إجراء على نسق الكلام و اطراده؛ ولأن الكلام لم يسق لجمع العظام وتفريقها في الدنيا وإنما سبق لجمعه ا في الآخرة بعد تفرقها بالموت، ويرجح القول الثاني : – ولعله قول جمهور المفسرين حتى أن فيهم من لم يذكر غيره وأنَّ استدلال بآية ظاهرة مشهورة – وهي تفريق البنان مع انتظامها في كف واحد ، وارتباط بعضها ببعض فهي متفرقة في عضو واحد يقبض منها واحدة ويبسط أخرى ،ويحرك واحدة والأخرى ساكنة ويعمل بواحدة والأخرى معطلة، وكلها في كف واحد قد جمعها ساعد واحد، فلو شاء سبحانه لسواها فجعلها صفة واحدة، كباطن الكف ففاتت هذه المنافع والمصالح التي حصلت بتفريقها ، ففي هذا أعظم الأدلة على قدرته سبحانه على جمع عظامه بعد الموت » [٢].و الله تعالى أعلم.

(١) يُنظر : البحر المحيط (٣٧٦/٨) ، وتفسير القرآن العظيم (٤٤٩/٤) .

(٢) التبيان في أقسام القرآن (٩٣/١، ٩٤) .

قول الله – ﷻ – : ﴿وَإِذَا بَرَقَ ٱلْبَصَرُ﴾[1].

❁(٥٨) مسألة : في زمن بروق البصر .

ترجيح ابن جُزَيّ – رحمه الله – :

رجَّح أن البصر يبرق يوم القيامة .

مجمل ما ذكره في الآية

قال :« هذا إخبار عن يوم القيامة . وقيل: عن حالة الموت ،وهذا خطأ ؛ لأن القمر لا يخسف عند موت أحد ولا يجمع بينه وبين الشمس. و﴿بَرَقَ﴾[2]بفتح الراء معناه: لمع وصار له برق وقرئ بكسر الراء ومعناه: تحير من الفزع. وقيل: معناه شخص فيتقارب معنى الفتح والكسر » [3].

العرض والمناقشة:

في المسألة قولان وهما :

القول الأول : ما رجَّحه ابن جُزيّ موافقًا لسمرقندي ، و ما اقتصر عليه ابن أبي زمنين و الواحدي [4]، و وذهب إليه مكي بن أبي طالب ، والزمخشري ، والرازي ، والقمي النيسابوري [5]، و وافقهم ابن كثير ، والبقاعي ، والمراغي والسعدي ، وابن عاشور–رحمهم الله تعالى– [6].

قال ابن عاشور : «عدل عن أن يجابوا بتعيين وقت ليوم القيامة إلى أن يهددوا بأهواله ؛ لأنهم لم يكونوا جادين في سؤالهم ،فكان من مقتضى حالهم أن ينذروا بما يقع من الأهوال عند حلول هذا اليوم مع تضمين تحقيق وقوعه ؛فإن كلام القرآن إرشاد ،وهدى ما تيرك فرصة للهدي ،والإرشاد إلا انتهزها وهذا تهديد في ابتدائه جاء في صورة التعيين لوقت يوم القيامة إيهاما بالجواب عن سؤالهم كأنه حمل

---

(١) سورة القيامة:٧.

(٢) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وعاصم وحمزة و الكسائي﴿بَرِقَ﴾بكسر الراء ، وقرأ نافع وأبان عن عاصم ﴿بَرَقَ﴾ بفتح الراء السبعة في القراءات (٦٦١/١) ، وأما الفتح من شخص بصره عند الموت وقيل : لمع بصره ، وقال أهل اللغة: برق وبرق فهما بمعنى واحد، وهو تحير الناظر عند الموت، والعرب تقول لكل داخل برقة أي دهشة وحيرة . يُنظر الحجة في القراءات السبع (٣٥٧/١).

(٣) التسهيل (١٦٤/٤) .

(٤) تفسير بحر العلوم (٤٩٩/٣) ،وتفسير القرآن العزيز (٦٤/٥) ، والوسيط (٤/ ٣٩١).

(٥) الهداية إلى بلوغ النهاية (١٢ / ٧٥) ، والكشاف (٦٦١/٤) ،و التفسير الكبير (١٩٣/٣٠) ، وغرائب القرآن (٦ / ٤٠١).

(٦) تفسير القرآن العظيم (٤٤٩/٤)، ونظم الدرر (٨ /٢٤٥)، وتفسير المراغي (٢٦٤/١٠) ، و تيسير الكريم الرحمن (٨٩٩/١) ، والتحرير والتنوير (١٢ / ٣٤٤) .

لكلامهم على خلاف الاستهزاء على طريقة الأسلوب الحكيم » [1].

القول الثاني : وصف البصر بالبروق؛ لِما عاينه عند الموت ، و هو قول مجاهد [2]- .
وصدَّر به البغوي ، والقرطبي ، والشوكاني ، والألوسي أقوالهم [3] . وأورده الماوردي ، والبغوي وابن عطية ، وابن الجوزي ، والرازي ، والقرطبي ، و الخازن ، وأبو حيان ، وابن عادل والثعالبي-رحمهم الله تعالى- [4].

واستُدل عليه: بأن "برَق " بفتح الراء في تأويلها وجهان :
أحدهما : يعني خف وانكسر عند الموت ، قاله عبد الله بن أبي إسحاق [5] .
الثاني : شخص وفتح عينه عند معاينة ملك الموت فزعً ، وأنشد الفراء :

فنْفسَكَ فَانْعَ ولا تْنعَني وداوِ الكُلومَ ولا تَبْرَقِ [6].

وردَّه ابن جُزيّ بأن القمر لا يُخسف لموت أحد ولا يجمع بينه وبين الشمس لذلك ، وإنما هو وصف لهول يوم القيامة .

الترجيح

والراجح – والله تعالى أعلم بالصواب – حمل المعنى على القولين فبرق البصر من فزع الموت وهول يوم القيامة ،وهو قول ابن عباس [7] - ﷺ - ؛ لأن السياق جاء في سؤال الكافر عن القيامة، سؤال استبعاد استبعاد لوقوعه وتكذيب لوجوده كما قال تعالى :﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ

(١) التحرير والتنوير (١٢ / ٣٤٤) .
(٢) أخرجه الطبري بسنده عنه "جامع البيان " (١٨٠/٢٩) ، ولفظه قوله : ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ﴾قال : (عند الموت) ، و ذكره السيوطي في " الدر المنثور " (٣٤٥/٨) ، ونسبه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.
(٣) معالم التنزيل (٤٢٢/٤) ،و الجامع لأحكام القرآن (٩٥/١٩) ،وفتح القدير (٣٣٦/٥) ، وروح المعاني (١٣٩/٢٩).
(٤)النكت والعيون (١٥٢/٦) ، ومعالم التنزيل (٤٢٢/٤) ، و المحرر الوجيز (٤٠٣/٥) ، و زاد المسير (٤١٩/٨) ، التفسير الكبير (٣٠/ ١٩٤) ، والجامع لأحكام القرآن (٩٥/١٩) ، ولباب التأويل (٦ / ٣٢٥) ، واللباب (١٩/ ٥٥١) ، و الجواهر الحسان (٣٦٦/٤) .
(٥) عبد الله بن أبي إسحاق الزيادي الحضرمي: نحوي، من الموالي، من أهل البصرة، ولد سنة (٢٩ هـ) أخذ عنه كبار من النحاة كأبي عمرو ابن العلاء وعيسى بن عمر الثقفي و الأخفش. فرع النحو، وقاسه، وكان أعلم البصريين به . توفي سنة (١١٧ هـ) . الأعلام (٤ / ٧١) .
(٦) البيت لطرفة بن العبد . يُنظر : تذيب اللغة (١١٥/٩) ، وتاج العروس (٤٠/٢٥).
(٧) أخرجه الطبري بسنده عنه ، جامع البيان (١٧٩/٢٩) ، ولفظه (يعني يبرق البصر الموت و بروق البصر هي الساعة) .

صَٰدِقِينَ ﴾[1] فهو يسأل عن الزمن بقوله " أيان "، فجاء الرد بـــ" إذا " الدالة عليه ، والموت أول الحقائق التي تنكشف ؛لأن حالة الإنسان المحتضر يرى مالا يرى غيره فيبرق بصره ويتحير لما عاين عند ساعة موته كما قال تعالى : ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴾[2]،وكذلك لحاق الآية في وصف أهوال يوم القيامة [3]. فلا وجه لتخصيص تحير البصر بيوم القيامة دون الموت ؛ لتحققه في الموضعين و (إذا احتمل اللفظ معاني عدة و لم يمتنع إرادة الجميع حمل عليها). **ومما يؤده:**

أنَّ الاستدلال باختلاف المعنى نظراً لاختلاف القراءة، يردُّه أن كلا القراءتين بمعنى واحد.

قال مكي – رحمه الله – : « وقيل : الفتح في الراء والكسرُ لغتان ، بمعنى : لَمَع وشَخَصَ ، ويدل على صحة ذلك قوله: ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾[4]، فهذا هو الشخوص ، لا تطرف أعينهم وذلك من شدة شدة هول يوم القيامة»[5]. والله تعالى أعلم.

(١) سورة سبأ:٢٩.

(٢) سورة الأنفال :٥٠.

(٣) يُنظر : تفسير القرآن العظيم (٤/٤٤٩) ، لمسات بيانية في نصوص من التنزيل (٢٠٨) .

(٤) سورة إبراهيم:٤٣.

(٥) الهداية إلى بلوغ النهاية (١٢ / ٧٨٦٤).

قول الله – ﷻ – : ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾[1].

❁ (٥٩)مسألة : في المقصود بالجمع بين الشمس والقمر.

ترجيح ابن جُزيّ – رحمه الله – :

رجَّح أنَّ المراد بالجمع قُرن بين الشمس ،والقمر في طلوعهما من المغرب .

ومجمل ما ذكره في الآية

قال: « في جمعهما ثلاثة أقوال:

أحدها : أنهما يجمعان،حيث يطلعهما الله من المغرب.

والآخر : أنهما يجمعان يوم القيامة ثم يقذفان في النار. وقيل: في البحر فتكون النار الكبرى.

الثالث :أنهما يجمعان فيذهب ضوؤهما »[2].

العرض والمناقشة:

في المسألة أربعة أقوال :

القول الأول : مارجَّحه ابن جُزيّ موافقا للمروي عن ابن مسعود [3] – ﷺ– . وقدَّمه الزمخشري و وافقهما أبو السعود–رحمهم الله تعالى– [4].

قال الزمخشري : « ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾حيث يطلعهما الله من المغرب» [5] .

القول الثاني : يجمعان يوم القيامة ، وفيه قولان :

الأول : يجتمعان ثم يقذفان في النار . ذكره الزمخشري ، وابن عطية ، وابن الجوزي ، والرازي والقرطبي والألوسي–رحمهم الله تعالى – [6].

---

(١) سورة القيامة:٩.

(٢) التسهيل (١٦٤/٤).

(٣) ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣٨٩/٣) ، ونسبه لسعيد بن منصور، والفريابي، وعبد بن حميد، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ ، والطبراني، عن ابن مسعود﴿ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ ﴾ قال : (طلوع الشمس والقمر من مغربهما مقترنين كالبعيرين القرينين) ثم قرأ : ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾.

(٤) الكشاف (٦٦١/٤)، وإرشاد العقل السليم (٦٥/٩).

(٥)الكشاف (٦٦١/٤).

(٦) الكشاف (٦٦١/٤)، والمحرر الوجيز(٤٠٣/٥)، وزاد المسير(٤١٩/٨)، والتفسير الكبير(١٩٤/٣٠)، والجامع لأحكام القرآن (٩٧/١٩)، وروح المعاني(١٣٩/٢٩).

واستُدل عليه : بقوله-ﷺ-: ((إن الشمس والقمر ثوران عقيران في النار))[1].

الثاني : يجتمعان ويقذفان في البحر . وهو قول عطاء ابن يسار [2]، وذكره الزمخشري ، وابن عطية ، وابن الجوزي ، والرازي ، والقرطبي ، والألوسي-رحمهم الله تعالى- [3].

القول الثالث :جمع بينهما في ذهاب الضوء . قاله الفراء ، والطبري ، ومكي بن أبي طالب والقاسمي [4]، وأورده الزمخشري ، وابن عطية ، وا بن الجوزي ، والرازي ، والقرطبي والشوكاني والألوسي –رحمهم الله تعالى – [5].

---

(١) أخرجه الطيالسي في " مسنده " (٢٨١/١) ح (٢١٠٣) عن يونس قال : حدثنا أبو داود قال :حدثنا درست عن يزيد بن أبان الرقاشي عن أنس رفعه إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – : ((إن الشمس والقمر ثوران عقيران في النار)).
و هذا الحديث إسناده ضعيف من أجل الرقاشي فإنه ضعيف .
يُنظر : الضعفاء والمتروكين لابن الجوزي(٢٠٧/٣)، وميزان الاعتدال في نقد الرجال (٢٣٣/٧).
و مثله درست : منكر الحديث.
يُنظر : المجروحين (٢٩٣/١) ، وميزان الاعتدال في نقد الرجال (٤٣/٣).
و أخرجه أبو يعلى في "مسنده " (١٤٨/٧) ح (٤١١٦) من طريق درست بن زياد بنحوه.
وأخرجه أبو الشيخ في العظمة (١١٥٩/٤) عن أنس رضي الله بنحوه .
وله شاهد من رواية أبي هريرة عن النبي – عليه السلام – قال : ((الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ثَوْرَانِ مُكَوَّرَانِ يوم الْقِيَامَةِ)) . فقال الْحَسَنُ ما ذَنْبُهُمَا؟ فقال : إنَّمَا أُحَدِّثُك عن رسول اللهِ – صلى الله عليه وسلم – فَسَكَتَ الْحَسَنُ). شرح مشكل الآثار(١٧٠/١).
قال الشيخ الألباني في "السلسلة الصحيحة" (١ / ١٩٢) قلت : و هذا إسناد صحيح على شرط البخاري.
و قد أخرجه في " صحيحه " مختصرا ؛حدثنا مُسَدَّدٌ حدثنا عبد الْعَزِيزِ بن الْمُخْتَارِ به بلفظ : ((الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ مُكَوَّرَانِ يوم الْقِيَامَةِ)). كِتَاب بَدْءِ الْخَلْقِ ، بَاب صِفَةِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ(١١٧١/٣) ح (٣٠٢٨).
قال الشيخ الألباني رحمه الله : (و ليس المراد من الحديث ما تبادر إلى ذهن الحسن البصري أن الشمس و القمر في النار يعذبان فيها عقوبة لهما ، كلا فإن الله – عز و جل –لا يعذب من أطاعه من خلقه و من ذلك الشمس و القمر كما يشير إليه قول الله تبارك و تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۗ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ﴾ فأخبر تعالى أن عذابه إنما يحق على غير من كان يسجد له تعالى في الدنيا ، كما قال الطحاوي ، و عليه فإلقاؤهما في النار يحتمل أمرين :
الأول : أنهما من وقود النار .
و الثاني : أنهما يلقيان فيها تبكيتا لعبادهما .ينظر : السلسلة الصحيحة (١ / ١٢٣).

(٢) أخرجه الطبري بسنده عنه " جامع البيان" (١٨٠/٢٩) ، ولفظه (يجمعان يوم القيامة ثم يقذفان في البحر فيكون نار الله الكبرى) ، وذكره السيوطي في "الدر المنثور "(٣٤٥/٨) وعزاه لابن جرير وابن المنذر.

(٣) الكشاف(٦٦١/٤)، والمحرر الوجيز(٤٠٣/٥)، وزاد المسير(٤١٩/٨)، والتفسير الكبير (١٩٤/٣٠)، والجامع لأحكام القرآن (٩٧/١٩)، وروح المعاني (١٣٩/٢٩).

(٤) معاني القرآن للفراء (٣ / ٢٠٩)، و جامع البيان(١٨٠/٢٩)، الهداية إلى بلوغ النهاية (١٢ / ٧٥) ، ومحاسن التأويل (٤٠٢٥/٩).

(٥) الكشاف(٦٦١/٤)، والمحرر الوجيز(٤٠٣/٥) ، وزاد المسير (٤١٩/٨)، والتفسير الكبير (١٩٤/٣٠)، والجامع لأحكام

قال الفراء « وفى قراءة عبد الله "وجمع بين الشمس والقمر" يريد: في ذهاب ضوئها أيضا فلا ضوء لهذا ولا لهذه. فمعناه: جمع بينهما في ذهاب الضوء كما تقول : هذا يوم يستوي فيه الأعمى والبصير أي: يكونان فيه أعميين جميعا »[1].

الترجيح

أقرب الأقوال إلى الصواب – والله تعالى أعلم – أنَّ المراد بالجمع ، جمع بينهما في ذهاب الضوء ، وهو ما رجَّحه الإمام الطبري ؛ لأن الله تعالى خلق الشمس والقمر في فلك خاص بنظام دقيق محكم ، يدل على سير الحياة كما قال تعالى : ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[2] ، فإذا كان يوم القيامة اختل ذلك النظام وأظلما وما كان لهما من قبل ؛ ولكنَّ ذلك إيذانا بالساعة الكبرى ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾[3]

قال ابن جرير – رحمه الله تعالى – : «وقوله: ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ يقول تعالى ذكره : وجمع بين الشمس والقمر في ذهاب الضوء، فلا ضوء لواحد منهما، وهي في قراءة عبد الله فيما ذُكر لي (وجُمِعَ بَين الشَّمْس والقَمَرِ) وقيل: إنهما يجمعان ثم يكوّران، كما قال جلّ ثناؤه : ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾[4].

وإنما قيل:﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾لما ذكرت من أن معناه جمع بينهما».ومما يؤيده :

١. دلالة اللغة :فالجمع يطلق على جمع الشيء عن تفرقة .يجمعه جمعًا و جَمعه و أَجمعه فاجتمع [5]
٢. أنَّ بقية الأقوال لم تبين المعنى بل بينت الهيئة .أي :هيئة اجتماعهما من المغرب أو يلقى بهما في النار أو البحر ، فهذا كله لهيئتهما بعد اجتماعهما . والله تعالى أعلم.

القرآن(٩٧/١٩) ، وفتح القدير (٣٣٧/٥) ، وروح المعاني (١٣٩/٢٩).

(١) معاني القرآن للفراء (٣ / ٢٠٩) .

(٢) سورة يس:٤٠.

(٣) سورة الأنعام:١٥٨.

(٤) سورة التكوير :١.

(٥) لسان العرب (٥٣/٨).

قول الله – ﷻ – : ﴿يُنَبَّؤُاْ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذِۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾[1].

❁ (٦٠)مسألة : في معنى الآية.

ترجيح ابن جُزَيّ – رحمه الله – :

رجَّح أنَّ معنى " ما قدَّم وأخر " أي: ينبأ الإنسان بجميع أعماله ما قدم منها في أول عمره وما أخر في آخره .

مجمل ما ذكره في الآية

قال: « بما قدم وأخر أي : بجميع أعماله ما قدم منها في أول عمره وما أخر في آخره . وقيل: ما تقدم في حياته وما أخر من سنة ، أو وصية بعد مماته . وقيل: ما قدم لنفسه من ماله وما أخر منه لورثته »[2].

العرض والمناقشة:

في المسألة أربعة أقوال وهي:

القول الأول: ما رجَّحه ابن جُزيّ موافقا لقول ابن مسعود [3]– ﷺ – .

و قال به الطبري ، ومكي بن أبي طالب ، والنسفي ، و وافقهم أب و حيان ، وابن كثير ، والثعالبي والبقاعي الشربيني ، والمراغي ، والسعدي–رحمهم الله تعالى – [4].

قال الإمام الطبري : « والصواب من القول في ذلك عندنا أنَّ ذلك خبر من الله أنَّ الإنسان ينبأ بكل ما قدم أمامه مما عمل من خير ،أو شر في حياته ،وأخر بعده من سنة حسنة أو سيئة مما قدم وأخر ،كذلك ما قدم من عمل عمله من خير أو شر وأخر بعده من عمل كان عليه فضيعه فلم يعمله مما قدم ،وأخر و لم يخصص الله من ذلك بعضا دون بعض ،فكل ذلك مما ينبأ به الإنسان يوم القيامة» [5] .

---

(١) سورة القيامة:١٣.

(٢) التسهيل (١٦٤/٤) .

(٣) أخرجه الصنعاني في تفسيره (٣٣٤/٣) ، ولفظه قال : (بما قدم من عمله وأخر من سنة عمل بها بعده من خير أو شر) ، وأخرجه الطبري بسنده عنه: جامع البيان (١٨٣/٢٩) بمثله .

(٤) جامع البيان (١٨٤/٢٩)، و الهداية إلى بلوغ النهاية (١٢ / ٧٨٦٩) ، ومدارك التنزيل (٣١٤/٤)، و البحر المحيط (٣٧٧/٨) ، وتفسير القرآن العظيم (٤٤٩/٤)، والجواهر الحسان (٣٦٦/٤)، ونظم الدرر(٨/ ٢٤٧)، والسراج المنير (٨ / ١٨٧) ،وتفسير المراغي (١٠/ ٢٦٥)، و تيسير الكريم الرحمن (٨٩٩/١).

(٥) جامع البيان (١٨٤/٢٩).

قال أبو حيَّان : «والظاهر حمله على العموم ، أي يخبره بكل ما قدم وكل ما أخر مما ذكره المف سرون ومما لم يذكروه»[1].

القول الثاني: ما قدم من معصية وأخر من طاعة . وهو مروي عن ابن عباس [2]– ﷺ – وذكره الطبري ، والثعلبي، والواحدي، والماوردي ،والبغوي ، وابن عطية ، وابن الجوزي والقرطبي ، والحازن وابن عادل ، والشربيني ، والشوكاني ، والقنوجي – رحمهم الله تعالى – [3].

القول الثالث: ينبأ بأول عمله وآخره ، قاله مجاهد [4]، و أورده الطبري ، و الواحدي والسمعاني والبغوي ، وابن الجوزي ، والرازي ، والقرطبي ، والبيضاوي ،والخازن ،وابن عادل والشربيني ، وأبو السعود ، والشوكاني ، والقنوجي – رحمهم الله تعالى – [5] .

القول الرابع: ما قدم لنفسه من مال وما أخر لورثته . وهو مروي عن زيد بن أسلم [6] [7]وأورده [7]وأورده الثعلبي ، والواحدي ، والبغوي ، وابن عطية ، وابن الجوزي ، والرازي ، والبيضاوي والخازن والخازن ، وابن عادل ، والشربيني – رحمهم الله تعالى– [8].

---

(١) البحر المحيط (٣٧٧/٨).

(٢) أخرجه الطبري بسنده عنه " جامع البيان" (١٨٤/٢٩)، ولفظه يقول : (بما قدم من المعصية وأخر من الطاعة فينبأ بذلك).

(٣) جامع البيان (١٨٤/٢٩)، والكشف والبيان (٨٥/١٠)، والوسيط (٣٩٢/٤)، والنكت والعيون (١٥٤/٦)، ومعالم التنزيل (٤٢٢/٤)، والمحرر الوجيز (٤٠٣/٥)، و زاد المسير (٤٢٠/٨)، والجامع لأحكام القرآن (٩٨/١٩)، واللباب في علوم الكتاب (١٩/ ٥٥٥)، والسراج المنير (٨/ ١٨٧)، فتح القدير (٣٣٧/٥)، وفتح البيان (٤٣٩/١٤).

(٤) أخرجه الطبري بسنده عنه "جامع البيان " (١٨٤/٢٩) ، ولفظه قال : (يأول عمله وآخره) .

(٥) جامع البيان (١٨٤/٢٩)، والوسيط (٣٩٢/٤)، تفسير القرآن (١٠٤/٦)، ومعالم التنزيل (٤٢٢/٤)، وزاد المسير (٤٢٠/٨)، والتفسير الكبير(١٩٥/٣٠)، والجامع لأحكام القرآن (٩٨/١٩)، وأنوار التنزيل (٤٢١/٥)، ولباب التأويل في معاني التنزيل (٣٢٦/٦)، واللباب في علوم الكتاب (٥٥٥/١٩)، والسراج المنير (٨/ ١٨٧)، وفتح القدير (٣٣٧/٥) وفتح البيان (١٤/ ٤٣٩).

(٦) وقفت عليه منسوبا في معالم التنزيل (٤٢٢/٤) ، والمحرر الوجيز (٤٠٤/٥) ، و الجامع لأحكام القرآن (٩٩/١٩).

(٧) زيد بن أسلم القرشي العدوي أبو أسامة ، ويقال أبو عبد الله المدني الفقيه .مولى عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – . روى عن عياض بن عبد الله ، وعطاء بن يسار ، عبد الرحمن بن أبي سعيد. وعنه ابنه أسامة بن زيد بن أسلم ، وإسماعيل بن عياش ، وأيوب السختياني. تُوفي سنة (١٣٦ هـــ).

يُنظر : تهذيب الكمال (١٤/١٠)، و رجال مسلم (٢١٤/١).

(٨) الوسيط (٣٩٢/٤)، ومعالم التنزيل (٤٢٢/٤)، و زاد المسير (٤٢٠/٨)، والتفسير الكبير (١٩٥/٣٠)، وأنوار التنزيل (٤٢١/٥)، ولباب التأويل (٦/ ٣٢٦)، واللباب في علوم الكتاب (١٩/ ٥٥٥)، والسراج المنير (٨/ ١٨٧).

الترجيح

الراجح – والله تعالى أعلم بالصواب – ينبأ الإنسان يوم القيامة بجميع أعماله ما قدم منها في أول عمره وما أخر في آخره ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن معه ؛ لأن(الأصل في كلام الله تعالى أن يحمل على العموم ، ولا يقال بالتخصيص إلا بدليل يجب التسليم به) [1] . **ويؤيده عدة أمور وهي :**

١. التعبير القرآني دال على العموم ، فـــ "ما" موصولة وهي ومن صيغ العموم، وأيضاً كلمة "قدم " للدلالة على ما قدمه من أعمال في حياته، وما لم يعمله بكلمة " أخر " ، وفي ذلك بيان أن كل أعمال العبد في حياته الدنيا مكتوبة في صحائف أعماله ، وهو نحو قول الله تعالى﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾[2].

١. أنَّ هذه الأقوال لا تعارض بينها ، فهي من أمثلة العموم ، والقول الأول يجمعها دون تدافع . والله تعالى أعلم.

(١) ينظر: قواعد التفسير (٢ / ٥٢٧).

(٢) سورة الكهف:٤٩.

قول الله – ﷻ – : ﴿بَلِ ٱلۡإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ بَصِيرَةٞ﴾[1].

❁ (٦١)مسألة : في معنى " بصيرة "

ترجيح ابن جزي – رحمه الله – :

رجَّح أنَّ معنى " بصيرة " جامعا لمعنيين ، أن بصير بمعنى مبصر أي : أنَّ الإنسان شاهد على نفسه وأن للإنسان من نفسه رقباء إذ تشهد عليه جوارحه يوم القيامة.

مجمل ما ذكره في الآية

قال: « في معناه قولان:

أحدهما: أنه شاهد على نفسه بأعماله إذ تشهد عليه جوارحه يوم القيامة .

والآخر: أنه حجة بينة ؛لأن خلقته تدل على خالقه فوصف بالبصارة مجازاً ؛ لأن من نظر فيه أبصر الحق، والأول أليق بما قبله وما بعده ، كأنه قال: ﴿يُنَبَّؤُاْ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذِۭ﴾[2]بأعماله بل هو يشهد بأعماله وإن لم ينبأ بها ، وكذلك يلتئم مع قوله : ﴿وَلَوۡ أَلۡقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾[3] ويكون هو جواب لو حسبما نذكره »[4].

العرض والمناقشة:

في المسألة ثلاثة أقوال وهي :

القول الأول: بل للإنسان على نفسه من نفسه رقباء يرقبونه بعمله، ويشهدون عليه به ، وهو ما رجحه ابن جزي ، وهو قول ابن عباس[5]– ﷺ– .وقال به الفراء ، والطبري ، و السمرقندي ، وابن كثير[6]،و اقتصر عليه ابن أبي زمنين ، وجلال الدين المحلّي [7]، وقدمه الثعلبي ، والبغوي [8]– رحمهم

(١) سورة القيامة:١٤.

(٢) سورة القيامة:١٣.

(٣) سورة القيامة:١٥.

(٤) التسهيل (١٦٥/٤).

(٥) أخرجه الطبري بسنده عنه " جامع البيان " (١٨٥/٢٩)، ولفظه يقول : (سمعه وبصره ويداه ورجلاه وجوارحه) ، وذكره السيوطي في " الدر المنثور "(٣٤٧/٨) ، و عزاه لابن جري وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٦) معاني القرآن (٢١١/٣) ، و جامع البيان (١٨٤/٢٩)، وبحر العلوم(٥٠٠/٣) ،و تفسير القرآن العظيم (٤٥٠/٤).

(٧) تفسير القرآن العزيز (٦٤/٥) ، وتفسير الجلالين (٧٧٩/١).

(٨) الكشف والبيان (٨٦/١٠) ،و معالم التنزيل (٤٢٣/٤).

الله–

قال الفراء : «على الإنسان من نفسه رقباء يشهدون عليه بع مله: اليدان، والرجلان، والعينان والذكر قال الشاعر:

كأنَّ على ذى الظن عين ـــًا بصيرةً بمقعَدِه أو منظرٍ هو ناظ ـــــــ رُه

يُحاذِرُ حتى يحسِبُ الناسَ كلَّهم من الخوفِ لا تخفى عليهم سرائرُه [1]» [2]

القول الثاني: بل الإنسان شاهد على نفسه وحده ، فيكون " بصير " بمعنى مبصر شديد المراقبة بنفسه، وهو قول قتادة [3]، وابن زيد [4]،و قال به الأخفش ، و السمعاني [5]، وقدّمه الرازي والشوكاني [6]، واختاره أبو حيَّان [7].

قال الأخفش : « ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ﴾ فجعله هو البصيرة كما تقول للرجل: "أَنْتَ حُجَّةٌ على نَفْسِكَ"» [8].

القول الثالث: أنه حجة بينة ، قال به الزمخشري ، والبيضاوي ، وأبي السعود ، وقدمه الأ لوسي – رحمهم الله تعالى – [9].

قال الزمخشري : «﴿ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴾ حجة بينة وصفت بالبصارة على المجاز كما وصفت الآيات بالإبصار في قوله: ﴿ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾[10]، أو عين بصيرة والمعنى: أنه

(١) القائل : مُضرَّس بن ربعي . يُنظر : معاهدة التنصيص معاهد (١٣٢/١).

(٢) معاني القرآن للفرّاء (٣ / ٢١١).

(٣) أخرجه الطبري بسنده عنه " جامع البيان" (١٨٥/٢٩) ، ولفظه قال : (شاهد عليها بعملها)، وذكره السيوطي في" الدر المنثور " (٣٤٧/٨) ،و نسبه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر.

(٤) أخرجه الطبري بسنده عنه " جامع البيان" (١٨٥/٢٩) ، ولفظه قال : (هو شاهد على نفسه وقرأ :﴿ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾.

(٥) تفسير القرآن (١٠٥/٦).

(٦)التفسير الكبير (١٩٥/٣٠)، و فتح القدير (٣٣٧/٥).

(٧)تفسير البحر المحيط (٣٧٧/٨).

(٨) معاني القرآن للأخفش (٣٠١).

(٩) الكشاف (٦٦٢/٤) ، وأنوار التنزيل (٤٢١/٥) ، والبحر المحيط (٣٧٧/٨) ، و إرشاد العقل السليم (٦٦/٩) ، وروح المعاني (١٤٠/٢٩).

(١٠) سورة النمل:١٣.

ينبأ بأعماله، وإن لم ينبأ ففيه ما يجزيء عن الإنباء ؛ لأنه شاهد عليها بما عملت ؛ لأنّ جوارحه تنطق بذلك ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[1]» [2].

الترجيح

والراجح – والله تعالى أعلم بالصواب – أن جوارح الإنسان شاهد عليه وهو ما رجحه ابن جُزي لدلالة السياق من إنبائه بما قدم وأخر قبل مجازاته يجده مكتوبا محصيٌّ عليه ، ثم بين سبحانه زيادة في إثبات الحجة عليه أن جعل له من نفسه شاهد يشهد عليه ولو ألقى جميع أعذاره ، و(إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عن ذلك) [3] . ويؤيده عدة أمور وهي :

١. النظائر القرآنية : نحو قول الله تعالى: ﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[4].

٢. أن القول الثاني داخل في معنى القول الأول.

(١) سورة النور:٢٤.

(٢) الكشاف (٦٦٢/٤).

(٣) قواعد التفسير (١٢٥/١) .

(٤) سورة فُصِّلَت:٢١.

قول الله – ﷻ – :﴿ وَلَوَ ٱلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾[1].

❁ (٦٢)مسألة : في معنى "المعاذير" .

ترجيح ابن جُزَيّ – رحمه الله – :

رجَّح أنَّ المعاذير هي الأعذار التي يعتذر بها .

مجمل ما ذكره في الآية

قال: «﴿ وَلَوَ ٱلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾فيه قولان:

أحدهما:أن المعاذير لأعذار، أي الإنسان يشهد على نفسه بأعماله ولو اعتذر عن قبائحها.

والآخر: أن "المعاذير" الستور، أي:الإنسان يشهد على نفسه يوم القيامة ولو سدل الستور على نفسه في الدنيا حين يفعل القبائح » [2].

العرض والمناقشة:

ذكر المفسرون في معنى المعاذير قولان وهما :

القول الأول : ما رجَّحه ابن جُزي موافقاً للمروي عن ابن عباس [3] – ﷺ – ، وقال به سعيد ابن جبير [4] . و استظهره الطبري ، والقرطبي [5]، وقدَّمه السمرقندي ، والثعلبي ،ومكي بن أبي طالب والزمخشري ،وابن الجوزي ونسبه للأكثرين ، وأفرده بالذكر البيضاوي [6]، و وافقهم أبو حيان و هو الصحيح عند ابن كثير ، و اقتصر عليه جلال الدين المحلِّي ، و رجحه الشوكاني ، وقال به عطية سالم –رحمهم الله تعالى– [7].

---

(١) سورة القيامة:١٥.

(٢) التسهيل (١٦٤/٤).

(٣) أخرجه الطبري بسنده عنه "جامع البيان" (١٨٥/٢٩)، ولفظه (ولو ألقى معاذيره يعني الاعتذار ألم تسمع أنه قال لا ينفع الظالمين معذرتهم وقال الله: ﴿ فَأَلْقَوُاْ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ﴾ وقولهم :﴿ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾) .

(٤) أخرجه الطبري بسنده عنه" جامع البيان" (١٨٦/٢٩)، ولفظه قال : (شاهد على نفسه ولو اعتذر).

(٥) جامع البيان(١٨٦/٢٩)، والجامع لأحكام القرآن (٩٨/١٩).

(٦) بحر العلوم (٥٠٠/٣) ، و الكشف والبيان (٨٦/١٠) ، و الهداية إلى بلوغ النهاية (١٢ / ٧٨٧٢) ، و الكشاف (٦٦٢/٤) ، و وزاد المسير (٤٢٠/٨)، وأنوار التنزيل (٤٢١/٥).

(٧) البحر المحيط (٣٧٨/٨)، وتفسير القرآن العظيم (٤٥٠/٤) ، وتفسير الجلالين (٧٧٩/١) ،والجواهر الحسان (٣٦٦/٤) ، وفتح القدير (٣٣٨/٥)، و أضواء البيان(٣٧٣/٨).

قال الإمام الطبري: « وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب قول من قال معناه ولو اعتذر ؛ لأن ذلك أشبه المعاني بظاهر التنزيل ، وذلك أن الله جل ثناؤه أخبر عن الإنسان أن عليه شاهداً من نفسه بقوله: ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ﴾[1] . فكان الذي هو أولى أن يتبع ذلك ولو جادل عنها بالباطل واعتذر بغير الحق فشهادة نفسه عليه به أحق وأولى من اعتذاره بالباطل »[2].

القول الثاني: أنَّ المعاذير جمع معذار وهو الستور. فالمعنى ولو أرخى ستوره ، وهو قول الضَّحاك[3] و السُدِّي [4] . واختاره القصّاب بقوله : « ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾، أي : ولو أسبل ستوره عند خلوته خلوته بالمعاصي ، و أهل اليمن يسمون الستور المعاذير ، واحدها معذار» [5].

وممن ذكره الطبري ، والسمعاني ، والزمخشري وابن الجوزي ، والرازي، والنسفي ، وأبو حيان وابن كثير ، وأبو السعود ، والشوكاني والألوسي –رحمهم الله تعالى –[6].

قال الألوسي : «والمعنى أن احتجابه في الدنيا واستتاره لا يغني عنه شيئاً لأن عليه من نفسه بصيرة وفيه تلويح إلى معنى قوله تعالى ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ﴾[7]الآية» [8].

الترجيح

الظاهر – والله أعلم بمراده – أنَّ المعاذير في الآ ية الأعذار ، والمعنى : ولو اعتذر عن قبائحه ،وهو ما رجحه ابن جزيٍّ؛ لأنه الأولى بظاهر القرآن . **ويؤيده عدة أمور وهي :**

---

(١) سورة القيامة:١٤.

(٢) جامع البيان (١٨٦/٢٩).

(٣) ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣٤٧/٨)، ونسبه لابن المنذر عن ابن عباس ولفظه (﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾ ولو ألقى معاذيره ستوره بلغة أهل اليمن).

(٤) أخرجه الطبري بسنده عنه "جامع البيان" (١٨٦/٢٩) ، ولفظه (﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾ ولو ألقى معاذيره ولو أرخى الستور وأغلق الأبواب).

(٥) نُكت القرآن (٤ / ٤٥٢).

(٦) جامع البيان (١٨٦/٢٩)، وتفسير القرآن (١٠٥/٦)، والكشاف (٦٦٢/٤)، وزاد المسير (٤٢١/٨)، والتفسير الكبير (١٩٦/٣٠)، ومدارك التنزيل (٣١٤/٤)، والبحر المحيط (٣٧٨/٨)، وتفسير القرآن العظيم (٤٥٠/٤)، وإرشاد العقل السليم (٦٦/٩)، وفتح القدير (٣٣٨/٥)، وروح المعاني (١٤١/٢٩).

(٧) سورة فُصِّلَت:٢٢.

(٨) روح المعاني (١٤١/٢٩).

١. السياق: فإن الإنسان شاهد على نفسه ولو اعتذر بأعذار باطلة . و العذر : تحري الإنسان ما يمحو به ذنوبه [١].

قال القرطبي :«قلت والأظهر أنه الإدلاء بالحجة والاعتذار من الذنب» [٢].

٢. النظائر القرآنية : بين الله تعالى بعض هذه المعاذير ومنها قوله تعالى : ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ فِي النَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ﴾ [٣]. ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [٤]

٣. جاء في الصحيح : (فيقول : يا رَبِّ آمَنْتُ بِكَ وَبِكِتَابِكَ وَبِرُسُلِكَ وَصَلَّيْتُ وَصُمْتُ وَتَصَدَّقْتُ ويثني بِخَيْرٍ ما اسْتَطَاعَ .فيقول : ها هنا إِذًا .قال : ثُمَّ يُقَالُ له :الْآنَ نَبْعَثُ شَاهِدَنَا عَلَيْكَ وَيَتَفَكَّرُ في نَفْسِهِ من ذَا الذي يَشْهَدُ عَلَيَّ فَيُخْتَمُ على فيه وَيُقَالُ لِفَخِذِهِ وَلَحْمِهِ وَعِظَامِهِ أنطقي فَتَنْطِقُ فَخِذُهُ وَلَحْمُهُ وَعِظَامُهُ بِعَمَلِهِ وَذَلِكَ لِيُعْذِرَ من نَفْسِهِ وَذَلِكَ الْمُنَافِقُ وَذَلِكَ الذي يَسْخَطُ الله عليه)[٥] .

فقوله – صلى الله عليه وسلم – : ((ليعذر من نفسه)) أي : لم يبق له عذر يتمسك به بعد شهادة جوارحه عليه .و (إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجِّح له على ما خالفه) [٦].

٤. أن القول الثاني ذكره المفسرون في معرض الأقوال بخلاف الأول ، ويؤيده القاعدة التفسيرية :(

---

(١) المفردات في غريب القرآن (٣٢٧/١).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٠١/١٩).

(٣) سورة الأعراف:٣٨ .

(٤) سورة الأنعام:٢٣.

(٥) أخرجه مسلم بسنده عن أبي هريرة " صحيح مسلم " ، كتاب الزهد والرقائق (٢٢٧٩/٤) ح (٢٩٦٨) ، ولفظه (قالوا : يا رَسُولَ اللَّهِ هل نَرَى رَبَّنَا يوم الْقِيَامَةِ ؟ قال : هل تُضَارُّونَ في رُؤْيَةِ الشَّمْسِ في الظَّهِيرَةِ لَيْسَتْ في سَحَابَةٍ ؟ قالوا : لَا قال: فَهَلْ تُضَارُّونَ في رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ ليس في سَحَابَةٍ؟ قالوا: لَا .قال : فَوَالَّذِي نَفْسِي بيده لَا تُضَارُّونَ في رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ إلا كما تُضَارُّونَ في رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا. قال : فَيَلْقَى الْعَبْدَ فيقول : أَيْ فُلْ : أَلَمْ أُكْرِمْكَ وَأُسَوِّدْكَ وَأُزَوِّجْكَ وَأُسَخِّرْ لك الْخَيْلَ وَالْإِبِلَ وَأَذَرْكَ تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ . فيقول : بَلَى . قال : فيقول : أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيَّ . فيقول : لَا . فيقول : فَإِنِّي أَنْسَاكَ كما نَسِيتَنِي ، ثُمَّ يَلْقَى الثَّانِيَ فيقول :أَيْ فُلْ أَلَمْ أُكْرِمْكَ وَأُسَوِّدْكَ وَأُزَوِّجْكَ وَأُسَخِّرْ لك الْخَيْلَ وَالْإِبِلَ وَأَذَرْكَ تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ .فيقول : بَلَى أَيْ رَبِّ. فيقول :أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيَّ. فيقول :لَا .فيقول: فَإِنِّي أَنْسَاكَ كما نَسِيتَنِي ثُمَّ يَلْقَى الثَّالِثَ فيقول له مِثْلَ ذلك . فيقول : يا رَبِّ آمَنْتُ بِكَ وَبِكِتَابِكَ وَبِرُسُلِكَ وَصَلَّيْتُ وَصُمْتُ وَتَصَدَّقْتُ ويثني بِخَيْرٍ ما اسْتَطَاعَ . فيقول : ها هنا إِذًا. قال :ثُمَّ يُقَالُ له : الْآنَ نَبْعَثُ شَاهِدَنَا عَلَيْكَ وَيَتَفَكَّرُ في نَفْسِهِ من ذَا الذي يَشْهَدُ عَلَيَّ فَيُخْتَمُ على فيه وَيُقَالُ : لِفَخِذِهِ وَلَحْمِهِ وَعِظَامِهِ أنطقي فَتَنْطِقُ فَخِذُهُ وَلَحْمُهُ وَعِظَامُهُ بِعَمَلِهِ وَذَلِكَ لِيُعْذِرَ من نَفْسِهِ وَذَلِكَ الْمُنَافِقُ وَذَلِكَ الذي يَسْخط الله عليه).

(٦) قواعد الترجيح (١ / ٢٠٦).

تُحمل الآية على المعنى الذي استفاض ا لنقل فيه عن أهل العلم وإن كان غيره محتملاً) [1]. والله تعالى أعلم.

(١) قواعد التفسير (٢/ ٨٠٤).

قول الله – ﷻ – :﴿ لاَ تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾[1].

❁ (٦٣)مسألة : سبب النهي في قوله تعالى:﴿ لاَ تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ﴾

ترجيح ابن جُزيّ – رحمه الله – :

رجَّح أنَّ النبي –ﷺ–كان إذا نزل عليه القرآن حرك به لسانه مخافة أن ينساه لحينه فنهاه الله تعالى عن ذلك .

مجمل ما ذكره في الآية :

قال : « وسبب الآية أن رسول الله – ﷺ –كان إذا نزل عليه جبريل بالقرآن يحرك به شفتيه مخافة أن ينساه لحينه، فأمره الله أن ينصت ويستمع ، وقيل : كان يخاف أن ينسى القرآن فكان يدرسه حتى غلب عليه ذلك وشق عليه فنزلت الآية، والأول هو الصحيح ؛لأنه ورد في البخاري وغيره [2]»[3].

العرض والمناقشة:

في المسألة قولان :

القول الأول [4]: ما رجَّحه ابن جُزيّ موافقًا فيه المروي عن ابن عباس [5]– رضي الله عنه – و قال به سعيد ابن جبير[6]، والضحاك [7]، وابن زيد [1].و استظهره الطبري ، واقتصر عليه أبو الليث ومكي بن أبي

---

(١) سورة القيامة:١٦.

(٢) لفظ الحديث من رواية ابن عباس قال : كان رسول اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – إذا نَزَلَ جِبْرِيلُ بِالْوَحْيِ وكان مِمَّا يُحَرِّكُ بِهِ لِسَانَهُ وَشَفَتَيْهِ فَيَشْتَدُّ عليه وكان يُعْرَفُ منه . فَأَنْزَلَ الله الْآيَةَ التي في ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ قال: عَلَيْنَا أَنْ نَجْمَعَهُ في صَدْرِكَ ﴿وَقُرْءَانَهُۥ﴾ ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾فإذا أَنْزَلْنَاهُ فَاسْتَمِعْ ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ عَلَيْنَا أَنْ نُبَيِّنَهُ بِلِسَانِكَ. قال: فَكَانَ إذا أَتَاهُ جِبْرِيلُ أَطْرَقَ فإذا ذَهَبَ قَرَأَهُ كما وَعَدَهُ الله).

أخرجه البخاري في " صحيحه " كتاب التفسير ، باب قوله تعالى : " فإذا قرأناه فاتبع قرآنه " (١٨٧٧/٤) ح (٤٦٤٥) ، و أخرجه مسلم في " صحيحه" ، كتاب الصلاة ، باب الاستماع للقراءة (٣٣٠/١) ح (٤٤٨). بنحوه .

(٣) التسهيل (١٦٥/٤).

(٤) من المفسرين من جعل السبب لشدة حب النبي صلى الله عليه وسلم للقرآن وضمه إلى أن ذلك من شدة حرصه ، وقد جعلته قولا واحدا إذ لا منافاة بينهما.

(٥) أخرجه الطبري بسنده عنه "جامع البيان " (١٨٧/٢٩)، ولفظه (أن النبي كان إذا نزل عليه القرآن تعجل يريد حفظه فقال الله تعالى ذكره :﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ وقال بن عباس: هكذا وحرك شفتيه) .

(٦) أخرجه الطبري بسنده عنه " جامع البيان" (١٨٧/٢٩)، ولفظه (أن النبي –ﷺ– كان إذا نزل عليه القرآن تعجل به يريد حفظه) .

(٧) أخرجه الطبري بسنده عنه "جامع البيان" (١٨٨/٢٩)، ولفظه قال : (كان نبي إذا نزل عليه الوحي من القرآن حرك به لسانه مخافة أن

طالب ، والسمعاني ، والبغوي والزمخشري، وابن الجوزي ، والقرطبي ،و وافقهم الخازن ، وقال به ابن كثير ، وأفرده بالذكر الشوكاني ، والسعدي ، وابن عاشور وعطية سالم – رحمهم الله تعالى – [٢].

القول الثاني: سبب النهي لأن النبي –ﷺ– كان يكثر تلاوة القرآن مخافة نسيانه ، فقيل له: لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا أن نجمعه لك ونقرأه لك فلا تنسى [٣]، وهو مروي عن مجاهد[٤]، والحسن البصري[٥]، وقتادة [٦].

وأورده الطبري ،و الماوردي ، وابن عطية ، والقرطبي ،والخازن وابن عاشور — رحمهم الله تعالى – [٧].

الترجيح

الراجح — والله تعالى أعلم بالصواب — سبب نهي الله عز وجل لرسوله –ﷺ– عن تحريك لسانه بالقرآن لخشيته من تفلته منه ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ،وأكثر المفسرين [٨] ، لصحة حديث ابن عباس – رضي الله عنهما – ، و(إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له) ، **ويؤيده عدة أمور وهي:**

١. أنَّ النبي –ﷺ – من شدة حرصه على تبليغ ما أنزل عليه ، كان يحرك شفتيه بالقرآن خشية نسيانه

أن ينساه) .

(١) أخرجه الطبري بسنده عنه "جامع البيان" (١٨٨/٢٩)، ولفظه قال : (لا تكلم بالذي أوحينا إليك حتى يقضي إليك وحيه فإذا قضينا إليك وحيه فتكلم به).

(٢) جامع البيان (١٨٨/٢٩)، وبحر العلوم (٥٠٠/٣)، والهداية إلى بلوغ النهاية (١٢ / ٧٨٧٣) ،و تفسير القرآن (١٠٥/٦)، و معالم التنزيل (٤٢٣/٤)، الكشاف (٦٦٢/٤)، و زاد المسير (٤٢١/٨)، والجامع لأحكام القرآن (١٠٦/١٩)، و لباب لتأويل (٦ /٣٢٦)، وتفسير القرآن العظيم (٤٥٠/٤)، وفتح القدير (٣٣٨/٥)، وتيسير الكريم الرحمن (٨٩٩/١)، والتحرير والتن وير (٣٥٠/١٢)، و أضواء البيان (٣٧٤/٨).

(٣) جامع البيان (١٨٨/٢٩).

(٤) أخرجه الطبري بسنده عنه "جامع البيان" (١٨٨/٢٩)، ولفظه قال :(كان يستذكر القرآن مخافة النسيان فقال له كفيناكه يا محمد).

(٥) أخرجه الطبري بسنده عنه "جامع البيان" (١٨٨/٢٩)، ولفظه قال : (كان رسول الله يحرك به لسانه ليستذكره فقال الله :﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾إنا سنحفظه عليك).

(٦)أخرجه الطبري بسنده عنه "جامع البيان " (١٨٨/٢٩)،ولفظه (كان نبي الله يحرك به لسانه مخافة النسيان فأنزل الله ما تسمع).

(٧) جامع البيان (١٨٨/٢٩)، والنكت والعيون (١٥٥/٦)، والمحرر الوجيز (٤٠٤/٥)، والجامع لأحكام القرآن (١٠٦/١٩)، ولباب التأويل (٦ / ٣٢٦)، و البحر المحيط (٣٧٨/٨)، والتحرير والتنوير (٣٥٠/١٢).

(٨) المحرر الوجيز (٤٠٤/٥).

ثم بين الله تعالى لنبيه -ﷺ -كيفية تلقي القرآن بنهيه عن العجلة ، وأمره بعد ذلك باتباع جبريل - عليه السلام- في القراءة بعد انتهائه بقوله : ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾[1] و فسر المعنى بنظيره في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[2]

٢. أنَّ القول الثاني قائم على المدارسة فبعد أن جمع في صدر النبي كان يحرك به لسانه لا ستذكاره وهذا القول يأباه السياق ؛ لأن النبي-ﷺ - نُهي عن تحريك لسانه بالقرآن قبل جمعه .(وإدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عن ذلك) [3].

قال الإمام الطبري – رحمه الله تعالى - : « وأشبه القولين بما دل عليه ظاهر التنزيل القول الذي ذكر عن سعيد بن جبير عن بن عباس -رضي الله عنه- وذلك أن قوله "إن علينا جمعه وقرآنه " ينبئ أنه إنما نهى عن تحريك اللسان به متعجلاً فيه قبل جمعه، ومعلوم أن دراسته للتذكر إنما كانت تكون من النبي -ﷺ - من بعد جمع الله له ما يدرس من ذلك » [4]. والله تعالى أعلم.

(١) سورة القيامة:١٨ .

(٢) سورة طه:١١٤ .

(٣) قواعد الترجيح (١ / ١٢٥).

(٤) جامع البيان (١٨٨/٢٩).

قول الله – ﷻ – :﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾[1].

❁ (٦٤)مسالة : المراد "ببيان القرآن "

ترجيح ابن جُزيّ – رحمه الله – :

رجَّح ابن جزي أنَّ المراد بالبيان تيسير حفظه ببيان ألفاظه .

مجمل ما ذكره في الآية

قال: «أي:علينا أن نبينه لك ونجعلك تحفظه ، وقيل : علينا أن نبين معانيه وأحكامه»[2].

العرض والمناقشة:

اختُلف في المراد ببيان القرآن على قولين وهما :

القول الأول : ما رجَّحه ابن جُزيّ ، وهو قول ابن عباس– ﷺ– في أحد قوليه [3]، و قال به الواحدي ، والسمعاني ، والبغوي ، والثعالبي ، وابن عاشور–رحمهم الله تعالى – [4].

قال السمعاني : « وقوله: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾ أي: علينا أن نجمعه في صدرك ؛ لتبينه للناس وتقرأه عليهم، وهو مذكور بمعنى تيسير الحفظ عليه وتسهيله بمعونة الله تعالى ، وقد كان يلقى من الحفظ شدة قبل ذلك، فلما أنزل الله تعالى هذه الآية كان إذا قرأ عليه جبريل أطرق فإذا ذهب قرأ كما أنزل » [5].

وقال ابن عاشور : « و "ثم" في ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ للتراخي في الرتبة ، أي التفاوتِ بين رتبة الجملة المعطوف عليها وهي قولُه ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْءَانَهُ ﴾ [6] ،وبين رتبة الجملة المعطوفة وهي : ﴿إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ ومعنى الجملتين : أن علينا جمع الوحي ، وأن تقرأه وفوق ذلك أن تبينه للناس بلسانك ، أي نتكفل لك بأن يكون جمعه وقرآنه بلسانك ، أي عن ظهر قلبك لا بكتابة تقرؤها بل أن يكون محفوظاً

---

(١) سورة القيامة:١٨.

(٢) التسهيل (١٦٥/٤) .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ،في كتاب التفسير ، باب قوله:﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْءَانَهُ﴾(١٨٧٧/٤، ح٤٦٤٥)، ولفظه قال : (أَنْ نُبَيِّنَهُ بِلِسَانِكَ قال فَكَانَ إذا أَتَاهُ جِبْرِيلُ أَطْرَقَ فإذا ذَهَبَ قَرَأَهُ كما وَعَدَهُ الله).

(٤) الوسيط (٣٩٣/٤) ، وتفسير القرآن (١٠٦/٦)، ومعالم التنزيل (٤٢٣/٤)، الجواهر الحسان (٣٦٧/٤)، والتحرير والتنوير (٣٥٠/١٢).

(٥) تفسير القرآن (١٠٦/٦).

(٦) سورة القيامة:١٧.

في الصدور بيّناً لكل سامع لا يتوقف على مراجعة ولا على إحضار مصحف من قُرب أو بُعد . فالبيان هنا بيان ألفاظه وليس بيان معانيه لأن بيان معانيه ملازم لورود ألفاظه » [1].

القول الثاني : بيان معانيه وأحكامه، وهو قول ابن عباس [2] – رضي الله عنه – ، وقتادة [3] ، وقال به الطبري ومكي بن أبي طالب [4]، واقتصر عليه أبو الليث ، والثعلبي ، والزمخشري ، وابن العربي والبيضاوي ، والنسفي ، وقال به ابن كثير ، وجلال الدين المحلّي ، والشربيني ، وأبي السعود والصاوي ، والمراغي ، والسعدي- رحمهم الله تعالى – [5].

قال الطبري «يقول تعالى ذكره ثم إن علينا بيان ما فيه من حلاله وحرامه وأحكامه لك مفصلّة »[6].

الترجيح

الراجح – والله تعالى أعلم بالصواب – أنَّ البيان في الآية يراد به بيان المعاني ، وهو ما رجَّحه الإمام الطبري ومن وافقه ؛ لأن البيان يراد به الكشف والوضوح . يقال:بان الشيء وأبان إذا اتضح وانكشف [7]

قال الراغب الأصفهاني- رحمه الله تعالى-: « و"البيان" الكشف عن الشيء وهو أعم من النطق مختص بالإنسان ويسمى ما بين به "بياناً" »، ثم قال : « وسمي الكلام بيانا لكشفه عن المعنى المقصود إظهاره نحو: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ﴾ [8].وسمي ما يشرح به المجمل والمبهم من الكلام بيانا نحو قوله : ﴿إِنَّ عَلَيْنَا

(١) التحرير والتنوير (٣٥٠/١٢) .

(٢) أخرجه الطبري بسنده عنه "جامع البيان" (١٩٠/٢٩)، ولفظه (يقول : حلاله وحرامه فذلك بيانه)، وذكره السيوطي في "الدر المنثور "(٣٤٨/٨) وعزاه لابن جرير وابن مردويه.

(٣) أخرجه الطبري بسنده عنه (المرجع السابق) (١٩٠/٢٩)، ولفظه (بيان حلاله واجتناب حرامه ومعصيته وطاعته)، وذكره السيوطي في " الدر المنثور "(٣٤٨/٨) ، ونسبه لعبد بن حميد وابن المنذر.

(٤) جامع البيان (١٩٠/٢٩)، و الهداية إلى بلوغ النهاية (١٢ / ٧٨٧٦).

(٥) بحر العلوم (٥٠٠/٣)، والكشف والبيان (٨٧/١٠)، والكشاف (٦٦٢/٤) ، أحكام القرآن لابن العربي (٣٤٨/٤)، وأنوار التنزيل (٤٢٢/٥)، ومدارك التنزيل (٣١٥/٤)، وتفسير القرآن العظيم (٤٥٠/٤)، وتفسير الجلالين (٧٧٩/١)، والسراج المنير (١٨٩/٨)، وإرشاد العقل السليم (٦٧/٩)، وحاشية الصاوي (٢٠٥/٦)، وتفسير المراغي (٢٦٧)، و تفسير الكريم الرحمن (٨٩٩/١).

(٦) جامع البيان (١٩٠/٢٩).

(٧) مقاييس اللغة (٣٢٨/١).

(٨) سورة آل عمران:١٣٨ .

﴿جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ويقال: بينته وأبنته إذا جعلت له بيانا تكشفه نحو لتبين للناس ما نزل إليهم »[1].

ويؤيده عدة أمور وهي:

١. أنَّ وعد الله لنبيه- ﷺ - بحفظ ألفاظه تحقق بجمعه في قوله تعالى : ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾[2] وأدى النبي- ﷺ -كلام الله عز وجل كما سمعه قال تعالى ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾﴾[3]وكما بين -ﷺ- للأمة ألفاظ الوحي فقد بين معانيه .

٢. لا سبيل لبيان اللفظ إلا بفهم معناه على ما أر اد الله تعالى ، وعلى هذا بين النبي- ﷺ - للأمة القرآن لفظا ومعنى فيما استشكل عليهم فهمه قال تعالى : ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[4]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله تعالى – : «يَجِبُ أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ النَّبِيَّ -ﷺ- بَيَّنَ لِأَصْحَابِهِ مَعَانِيَ الْقُرْآنِ كَمَا بَيَّنَ لَهُمْ أَلْفَاظَهُ فَقَوْلُهُ تَعَالَى ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[5] يَتَنَاوَلُ هَذَا وَهَذَا»[6]

والبيان المقصود في الآية بيان على التراخي لدلالة حرف العطف " ثم " فكل فا يتعلق من المعاني بذات الله عز وجل وأصول الدين فقد بينه النبي- ﷺ - ، وفي هذا يظهر كمال الحفظ للقرآن وصيانته من التغير والتبديل.

قال مكي بن أبي طالب – رحمه الله – : «أي علينا بيان ما فيه من حلال وحرام وأحكام ، فأعلم الله – جلَّ ذكره – أنَّه المتولي لحفظ كتابه علينا ، و لم يكل ذلك إلينا ، فَسَلِمَ من التغيير . ولو وكله إلينا لم نأمن أن يغيره ويبدله زنادقة هذه الأمة ، فالحمد لله على ذلك ، وقد وكل الله حفظ التوراة والإنجيل إلى اليهود والنصارى فغيروا وبدلوا » [7].

---

(١) المفردات في غريب القرآن (٦٩/١).

(٢) سورة القيامة : ١٧.

(٣) سورة الإسراء:١٠٦ .

(٤) سورة النحل:٦٤ .

(٥) سورة النحل:٤٤ .

(٦)كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير (٣٣١/١٣).

(٧)الهداية إلى بلوغ النهاية (١٢ / ٧٨٧٦).

وأما ما يتعلق بفهم معانيه الأخرى فهذا يهدي الله تعالى إليه من يشاء من عباده كما قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[1]. والله تعالى أعلم.

(١) سورة فُصِّلَت:٥٣ .

قول الله – ﷻ – :﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾[1].

❁ (٦٥)مسألة : في معنى " ناظرة "

ترجيح ابن جُزي – رحمه الله – :

رجَّح أنَّ معنى " ناظرة " ترى الله تعالى عيانا.

مجمل ما ذكره في الآية

قال: « ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾هذا من النظر بالعين ،وهو نصٌّ في نظر المؤمنين إلى الله تعالى في الآخرة ، وهو مذهب أهل السنة ، وأنكره المعتزلة ،وتأولوا ناظرة بأن معناها منتظرة ،وهذا باطل ؛ لأن نظر بمعنى انتظر يتعدى بغير حرف جر .تقول :نظرتك .أي :انتظرتك ،وأما المتعدي بإلى ،فهو من نظر العين ،ومنه قوله : ومنهم من ينظر إليك ، وقال بعضهم : إلى هنا ليست بحرف جر ،وإنما هي واحد الآلاء بمعنى النعم ،وهذا تكلف في غاية البعد، وتأوله الزمخشري بأن معناه : كقول الناس فلان ناظر إلى فلان إذا كان يرتجيه ،ويتعلق به ،وهذا بعيد، وقد جاء عن النبي – ﷺ– في النظر إلى الله ،أحاديث صحيحة مستفيضة صريحة المعنى لا تحتمل التأويل ،فهي تفسير للآية »[2].

العرض والمناقشة :

اختُلف في معنى " ناظرة " على قولين وهما:

القول الأول : قول الجمهور من أهل السنة ، وهو ما رجحه ابن جُزي موافقا للمروي عن ابن عباس [3] ، والحسن [4]– رضي الله عنهما– .

وما رجَّحه الطبري ، وقال به القصّاب ، والثعلبي ،ومكي بن أبي طالب ، والسمعاني ، واقتصر عليه البغوي ، وابن الجوزي ، واستظهره القرطبي ،و قدّمه النسفي [5]، و وافقهم الخازن ، وحكى ابن كثير عليه الإجماع ، و أفرده بالذكر جلال الدين المحلِّي ، والثعالبي ، وذهب إليه ابن عادل والبقاعي

(١) سورة القيامة:٢٣.

(٢)التسهيل (١٦٥/٤).

(٣) ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣٥٠/٨) ، ونسبه لابن مردويه عن ابن عباس ، ولفظه (تنظر إلى وجه ربها).

(٤) أخرجه الطبري بسنده عنه "جامع البيان" (١٩٢/٢٩) ، ولفظه قال : (تنظر إلى ربها نظرا) .

(٥) جامع البيان (١٩٣/٢٩)، و نكت القرآن (٤ / ٤٥٤) ، والكشف والبيان (٨٨/١٠)، والهداية إلى بلوغ النهاية (١٢ / ٧٨٧٨) وتفسير القرآن (١٠٧/٦)، ومعالم التنزيل (٤٢٤/٤)، وزاد المسير (٤٢٢/٨)، والجامع لأحكام القرآن (١٠٧/١٩)، ومدارك التنزيل (٣١٥/٤).

والشربيني ، وأبو السعود ، والشوكاني ، والألوسي ، والقنوجي ، والقاسمي والسعدي ، والمراغي ، وابن عاشور – رحمهم الله تعالى – [1].

قال الإمام الطبري: « وأولى القولين في ذلك عندنا بالصواب القول الذي ذكرناه عن الحسن وعكرمة من أن معنى ذلك تنظر إلى خالقها وبذلك جاء الأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم» [2].

القول الثاني : صرف اللفظ عن ظاهره ، وهو على عدة معان وهي :

- أنَّ ناظرة بمعنى منتظرة أي : تنتظر الثواب من الله عز وجل ، وهو مروي عن أبي صالح [3] ومجاهد [4]،وذكره الطبري، والماوردي، وابن عطية، والرازي–رحمهم الله تعالى–[5].

- أنَّ " إلى " ليست حرف جر و إنما هي واحدة الآلاء . أي : نعمة منتظرة . ذكره القرطبي والألوسي . وردّه القرطبي بقوله : « باطل؛ لأن واحد الآلاء يكتب بالألف لا بالياء، ثم الآلاء نعمة الدفع وهم في الجنة لا ينتظرون دفع نقمه عنهم ، والمنتظر للشيء متنغص العيش فلا يوصف أهل الجنة بذلك » [6].
- أنَّ النظر كناية عن التوقع والرجاء ، ق اله الزمخشري [7]، فالمعنى عنده أنهم لا يتوقعون النعمة والكرامة إلا من ربهم كما كانوا في الدنيا لا يخشون ولا يرجون إلا إياه سبحانه وتعالى تنظر إلى ربها خاصة لا تنظر إلى غيره وهذا معنى تقديم المفعول » [8].

---

(١) لباب التأويل (٦ / ٣٢٨) ، وتفسير القرآن العظيم (٤٥١/٤) ، وتفسير الجلالين (٧٨٠/١)، والجواهر الحسان (٣٦٧/٤)، واللباب (٥٦٥/١٠)،ونظم الدرر (٢٥٢/٨)، والسراج المنير (١٩٠/٨)، وإرشاد العقل السليم (٦٧/٩)، وفتح القدير (٣٣٨/٥)، وروح المعاني (١٤٤/٢٩)، وفتح البيان (٤٤٢/١٤)، ومحاسن التأويل(٤٠٢٩/٩)، و تيسير الكريم الرحمن (٨٩٩/١) ، وتفسير المراغي (١٠/ ٢٦٧)، والتحرير والتنوير (٣٥٣/١٢).

(٢) جامع البيان(١٩٣/٢٩).

(٣) أخرجه الطبري بسنده عنه " جامع البيان " (١٩٣/٢٩)، ولفظه قال : (تنتظر الثواب).

(٤) أخرجه الطبري من طريق منصور بن المعتمر عن مجاهد به ، بثلاثة أسانيد (١٩٣/٢٩).

وأخرج في رواية أخرى من طريق منصور بزيادة قال : (تنتظر الثواب من ربها لا يراه من خلقه شيء تفسير)، وفي رواية أخرى أنه سُئل فقيل له :(إن ناسا يقولون إنه يرى قال يرى ولا يراه شيء).

وأخرج من طريق منصور عنه قال :(تنتظر من ربها ما أمر لها).

وأورده ابن حجر في الفتح ، وعزاه إلى عبد بن حميد وصححه (٤٢٥/١٣).

(٥) جامع البيان (١٩٢/٢٩)، والنكت والعيون (١٥٦/٦)، والمحرر الوجيز (٤٠٥/٥)، التفسير الكبير (٢٠٠/٣٠).

(٦) يُنظر : الجامع لأحكام القرآن (١١٠/١٩)، و روح المعاني (١٤٥/٢٩).

(٧) الكشاف (٦٦٣/٤).

(٨) روح المعاني (١٤٥/٢٩).

قال الزمخشري : «﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ تنظر إلى ربها خاصة لا تنظر إلى غيره وهذا معنى تقديم المفعول ألا ترى إلى قوله ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾ [1] كيف دلّ فيها التقديم على معنى الاختصاص ، ومعلوم أنهم ينظرون إلى أشياء لا يحيط بها الحصر ولا تدخل تحت العدد في محشر يجتمع فيه الخلائق كلهم ، فإنّ المؤمنين نظارة ذلك اليوم؛ لأنهم الآمنون الذين لا خوف عليه ولا هم يحزنون ؛ فاختصاصه ينظرهم إليه لو كان منظوراً إليه محال فوجب حمله على معنى يصح معه الاختصاص والذي يصح معه أن يكون من قوله الناس أنا إلى فلان ناظر ما يصنع بي تريد معنى التوقع والرجاء »[2] .

الترجيح

والراجح – والله تعالى أعلم بالصواب- أن معنى " ناظرة " أي : تنظر إلى ربها بلا كيفية ولا جهة ولا ثبوت مسافة"﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[3]، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ،وجمهور ،وجمهور المفسرين ، **ويؤيده ما يلي:**

١. أن رؤية المؤمنين لربهم عز وجل دلّت عليه النصوص من الكتاب والسنة

فمن القرآن قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[4] وقال جل ثناؤه:﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾[5] قال أنس-رضي الله عنه-في تفسيرها : « يتجلى لهم لهم الرب عز وجل » [6]، وقوله تعالى في نفي الرؤية عن المجرمين : ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [7] فالمؤمنون على خلاف ذلك .

ومن السنة : استفاضت الأحاديث المشهورة في ثبوت الرؤية يوم القيا مة ، ومن ذلك ما رواه أبو هُرَيْرَةَ أَنَّ الناس قالوا يا رَسُولَ اللَّهِ هل نَرَى رَبَّنَا يوم الْقِيَامَةِ فقال رسول اللَّهِ -ﷺ-:«هل تُضَارُّونَ في الْقَمَرِ

(١) سورة القيامة:١٢ .
(٢) الكشاف (٦٦٣/٤).
(٣) سورة الشورى:١١ .
(٤) سورة يونس:٢٦ .
(٥) سورة ق:٣٥ .
(٦) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٦٠٥/٧)، ونسبه للبزار وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه .
(٧) سورة المطفِّفين:.١٥

لَيْلَةَ الْبَدْرِ ؟ قالوا: لَا يا رَسُولَ اللَّهِ .قال :فَهَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ لَيس دُونَهَا سَحَابٌ ؟ قالوا : لَا يا رَسُولَ اللَّهِ. قال: فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ» (١) .

وقوله -ﷺ-: ((جَنَّتَانِ من فِضَّةٍ آنِيَتُهُمَا وما فِيهِمَا وَجَنَّتَانِ من ذَهَبٍ آنِيَتُهُمَا وما فِيهِمَا وما بين الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إلى رَبِّهِمْ إلا رِدَاءُ الْكِبْرِ على وَجْهِهِ في جَنَّةِ عَدْنٍ)) (٢).

و (إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له) (٣).

٢. قول مجاهد - رضي الله عنه - في تفسير ناظرة أي : منتظرة . تفسير فيه نظر ، وهو مردود بدلالة الكتاب والسنة وإجماع الأمة .

قال ابن عبد البر — رحمه الله تعالى - : « وقول مجاهد هذا مردود بالسنة الثابتة عن النبي -ﷺ- وأقاويل الصحابة ،وجمهور السلف، وهو قول عند أهل السنة مهجور والذي عليه جماعتهم ما ثبت في ذلك عن نبيهم -ﷺ- وليس من العلماء أحد إلا ،وهو يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله -ﷺ- »(٤) »(٤)

وذكر ابن كثير هذا القول ، ثم عقب عليه بقوله : «فقد أبعد هذا الناظر النجعة وأبطل فيما ذهب إليه وأين هو من قوله تعالى كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون قال الشافعي رحمه الله تعالى ما حجب الفجار إلا وقد علم أن الأبرار يرونه عز وجل » (٥). و(كل تفسير خالف القرآن أو السنة أو الإجماع الأمة فهو رد) (٦).

٣. ما تعلق به المعتزلة في معنى " ناظرة " أي " منتظرة " يرده استعمال اللغة ،فإن أريد بالنظر الانتظار يقال: نظرته ، وإن كان المراد منه التفكر يقال نظرت فيه ، وأما إذا عُدي بإلى فمعناه المعاينة .

قال ابن أبي العزّ الحنفي — رحمه الله تعالى - : «وإضافة النظر إلى الوجه الذي هو محله في هذه الآية ،وتعديته بأداة إلى الصرحية في نظر العين ،وإخلاء الكلام من قرينة تدل على خلافه، حقيقة موضوعة صريحة في أن الله أراد بذلك نظر العين التي في الوجه إلى الرب - ﷻ - فإن النظر له عدة استعمالات بحسب صلاته وتعديه بنفسه فإن عدي بنفسه فمعناه التوقف والانتظار ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ

(١) صحيح البخاري (٦/٢٧٠٤).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه " ، كتاب التوحيد ، باب قول اللَّهِ تَعَالَى : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ (٦/٢٧١٠) ح (٧٠٠٦).

(٣) قواعد الترجيح (٢٠٦).

(٤) التمهيد لابن عبد البر التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٧/١٥٧).

(٥)تفسير القرآن العظيم (٤/٤٥١).

(٦) قواعد الترجيح (١ / ٢١٤).

لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ ﴾[1] وإن عدي بـ " في " فمعناه التفكر والاعتبار كقوله : ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[2] وإن عدي بـ "إلى" فمعناه المعاينة بالأبصار كقوله تعالى: ﴿ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ﴾[3] فكيف إذا أضيف إلى الوجه الذي هو محل البصر »[4]. والله تعالى أعلم.

(١) سورة الحديد:١٣ .

(٢) سورة الأعراف:١٨٥ .

(٣) سورة الأنعام:٩٩ .

(٤)شرح العقيدة الطحاوية (١/٢٠٥).

قول الله – ﷻ – : ﴿وَقِيلَ مَن رَّاقٍ﴾[1]

❁ (٦٦)مسألة : في معنى " من راق "

ترجيح ابن جُزيّ – رحمه الله – :

رجَّح أنَّ معنى " من راق " من الر قية ، أي : هل من راقي يرقي المريض؟

مجمل ما ذكره في الآية

قال: « أي : قال أهل المريض من يرقيه عسى أن يشفيه ، وقيل: معناه أن الملائكة تقول من يرقى بروحه أي يصعد بها إلى السماء، فالأول من الرقية وهو أشهر وأظهر والثاني من الرقى وهو العلو » [2].

العرض والمناقشة:

اختُلف في معنى " من راق " على قولين :

القول الأول:ما رجَّحه ابن جُزيّ موافقا للمروي عن أبي قلابة [3][4] ،و عكرمة [5] والضحاك[6] وقتادة[7] . و قال به الطبري ، واقتصر عليه ابن أبي زمنين، والواحدي [8]، وقدمه السمعاني ، والبغوي والبغوي والزمخشري ، وابن عطية ، والقرطبي ، والبيضاوي [9]ووافقهم ابن القيم ، و أفرده بالذكر جلال الدين المحلِّي ، والقاسمي، والسعدي، وابن عاشور، و رجحه عطية سالم– رحمهم الله – [10].

---

(١) سورة القيامة: ٢٦.

(٢) التسهيل (١٦٥/٤) .

(٣) أخرجه الطبري بسنده عنه "جامع البيان" (١٩٤/٢٩)، ولفظه قال : (هل من طبيب شاف) ، وذكره السيوطي في " الدر المنثور " (٣٦١/٨) ، وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

(٤)عبد الله بن زيد بن عمر الجرمي ، أبو قلابة .أحد الأئمة الأعلام كثير الحديث. روى عن أنس بن مالك ، ومالك بن الحويرث . و روى عنه قتادة ، ويحيى بن أبي كثير، وأيوب. توفي سنة (١٠٤ هـ).
يُنظر : الثقات (٢/٥)، و طبقات الحفاظ (٤٣/١).

(٥) أخرجه الطبري بسنده عنه " جامع البيان " (١٩٤/٢٩)، ولفظه قال : (هل من راق يرقي).

(٦) أخرجه الطبري بسنده عنه (المرجع السابق) (١٩٤/٢٩)، ولفظه قال : (هو الطبيب)، وذكره السيوطي في " الدر المنثور " (٣٦١/٨) ، ونسبه لسعيد بن منصور وابن جرير وابن المنذر .

(٧) أخرجه الطبري بسنده عنه (المرجع السابق) (١٩٥/٢٩)، ولفظه (أي التمسوا له الأطباء فلم يغنوا عنه من قضاء الله شيئا) وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣٦١/٨) ، وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير.

(٨) جامع البيان (١٩٤/٢٩)، وتفسير القرآن العزيز (٦٥/٥)، والوسيط (٣٩٥/٤).

(٩)تفسير القرآن (١٠٩/٦)، ومعالم التنزيل (٤٢٤/٤)، والكشاف(٦٦٤/٤)،و المحرر الوجيز (٤٠٦/٥) ، والجامع لأحكام القرآن (١١١/١٩)، وأنوار التنزيل (٤٢٣/٥).

(١٠) التبيان في أقسام القرآن(١/ ٩٦) ،وتفسير الجلالين (٧٨٠/١)، ومحاسن التأويل (٤٠٣٠/٩)، وتيسير الكريم الرحمن (٩٠٠/١)،

قال الإمام الطبري : « ﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾ يقول تعالى ذكره : وقال أهله : من ذا يرقيه ليشفيه مما قد نزل به وطلبوا له الأطباء والمداوين فلم يغنوا عنه من أمر الله الذي قد نزل به شيئا» (١).

القول الثاني: أنَّ الملائكة تقول من يرقى بروحه أي : يصعد بها إلى السماء ، فهو من الرقي بمعنى الصعود ، وهو قول ابن عباس(٢) -رضي الله عنه- ، وقال به ابن أبي الجوزاء (٣)(٤).

وأورده أبو الليث ، والثعلبي ، والسمعاني ، والبغوي ، والزمخشري ، وابن الجوزي ، والرازي والقرطبي ، والبيضاوي ، والنسفي ، وابن كثير ، والثعالبي ، وأبي السعود ، والشوكاني ،والألوسي – رحمهم الله تعالى – (٥).

قال أبو حيَّان رحمه الله تعالى – : « وقيل إنما يقولون ذلك لكراهتهم الصعود بروح الكافر لخبثها ونتنها ويدل عليه قوله بعد ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى﴾(٦)» (٧).

الترجيح

أولى الأقوال بالصواب – و العلم عند الله تعالى – أنَّ معنى " من راق " هل من راق يرقيه ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيٍّ ، ومن معه ؛ لأن السياق في وصف حال الكافر عند احتضاره ويأسه من نفسه ويأس

والتحرير والتنوير (١٢/ ٣٥٨)، وأضواء البيان (٣٧٦/٨).

(١) جامع البيان (١٩٤/٢٩).

(٢) أخرجه الطبري بسنده عنه "جامع البيان " (١٩٥/٢٩)، ولفظه قال : (إذا بلغت نفسه يرقى بها قالت الملائكة من يصعد بها ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب).

(٣) أخرجه الطبري بسنده عنه (المرجع السابق) (١٩٥/٢٩)، ولفظه قال : (قالت الملائكة بعضهم لبعض : من يرقى ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب).

(٤) أوس بن عبد الله الرَبعي ،أبو الجوزاء ، بصري. روى عن صفوان بن عسال المرادي وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وأبي هريرة ، وعائشة أم المؤمنين ،وعنه أبان بن أبي عياش، وبديل بن ميسرة ، وأبو الأشهب جعفر بن حيان العطاردي . كثير الثقة ،من الثالثة . مات سنة (٨٣ هـ) .

يُنظر : تهذيب الكمال (٣٩٢/٣)، و تقريب التهذيب (١/ ١١٦).

(٥) بحر العلوم (٥٠١/٣)، والكشف والبيان (٨٩/١٠)، وتفسير القرآن (١٠٩/٦)، ومعالم التنزيل (٤٢٤/٤) ، والكشاف (٦٦٤/٤)، وزاد المسير (٤٢٤/٨)، والتفسير الكبير (٢٠٤/٣٠)، والجامع لأحكام القرآن (١١١/١٩)، وأنوار التنزيل (٤٢٣/٥)، ومدارك التنزيل (٣٠١/٤)، وتفسير القرآن العظيم (٤٥٢/٤)، والجواهر الحسان (٣٦٨/٤)، وإرشاد العقل السليم (٦٨/٩)، وفتح القدير (٣٤١/٥)، وروح المعاني (١٤٧/٢٩).

(٦) سورة القيامة:٣١ .

(٧) البحر المحيط (٣٨١/٨).

الحاضرين حوله من بلوغ أسباب الحياة إليه فهبوا يتلمسون عن سبب يرد له بقية من حياة فقالوا : من راق يرقيه ؟ ، فحمل المعنى على الرقية أنسب من حمله على الرُقي لمناسبة السياق .

قال الشيخ عطية سالم – رحمه الله تعالى – : « وقوله تعالى: ﴿وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ﴾ اختلف في معنى ﴿ رَاقٍ﴾ هذه فقيل:من الرقية،أي:قال من حوله من يرتقيه ، هل من طبيب يرقيه؟ أي: حالة اشتداد الأمر عليه رجاء لشفاه أو استبعادً ا، بأنه لا ينفعه ، وقيل: من الرقى أن تقول الملائكة من الذي سيرقى بروحه أملائكة العذاب أم ملائكة الرحمة؟.

ولكن في الآية قرينة على أن الأول أرجح ؛ لأن قول الملائكة يكون في حق الشخص المتردَّ د في أمره ،وهذا ه نا ليس موضع تردد ؛لأن نهاية السياق ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴾[1] إلى ما بعده »[2].

ويتأيد بالقاعدة الترجيحية (إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عن ذلك)[3])[3] **وملم يظهر هذا المعنى وضوحًا وجلاءً عدة أمور وهي :**

الأول : أنَّ طلب الرقية أمر جرت ا لعادة به عند العرب ، لمن شارف على الهلاك ويدل على ذلك ما رواه أبو سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قال : نَزَلْنَا مَنْزِلًا فَأَتَتْنَا امْرَأَةٌ .فقالت :إِنَّ سَيِّدَ الْحَيِّ سَلِيمٌ لُدِغَ فَهَلْ فِيكُمْ من رَاقٍ؟ فَقَامَ مَعَهَا رَجُلٌ مِنَّا ما كنا نَظُنُّهُ يُحْ سِنُ رُقْيَةً ، فَرَقَاهُ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ فَبَرَأَ ، فَأَعْطَوْهُ غَنَمًا وَسَقَوْنَا لَبَنًا فَقُلْنَا : أَكُنْتَ تُحْسِنُ رُقْيَةً؟ فقال : ما رَقَيْتُهُ إلا بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ قال : فقلت :لَا تُحَرِّكُوهَا حتى نَأْتِيَ النبي –ﷺ– فَأَتَيْنَا النبي –ﷺ– فَذَكَرْنَا ذلك له . فقال:((ما كان يُدْرِيهِ أنها رُقْيَةٌ أقسموا وَاضْرِبُوا لي بِسَهْمٍ مَعَكُمْ))[4]، وهذا يدل على أن الرقية كانت معروفة لديهم إذ كانوا كفارا .

قال ابن القيم – رحمه الله تعالى – : « أن هذا خرج على عادة العرب وغيرهم في طلب الرقية لمن وصل إلى مثل تلك الحال فحكى الله سبحانه ما جرت عادتهم بقوله وحذف فاعل القول لانه ليس الغرض متعلقا بالقائل بل بالقول و لم تجر عادة المخاطبين بأن يقولوا من يرقى بروحه فكان حمل الكلام على ما ألف وجرت العادة بقوله أولى» [5].

ثانيًا : على قول من قال أن هذا من قول الملائكة لبعضهم : من راق " يرقَى به استكراها لحمل الروح

(١) سورة القيامة: ٣١-٣٢ .

(٢) أضواء البيان (٣٧٥/٨) ، (/٣٧٦).

(٣) قواعد الترجيح (١ / ١٢٥).

(٤)أخرجه مسلم في " صحيحه " كتاب السلام ، بَاب جَوَازِ أَخْذِ الْأُجْرَةِ على الرُّقْيَةِ بِالْقُرْآنِ وَالْأَذْكَارِ (١٧٢٨/٤) ح (٢٢٠١).

(٥)التبيان في أقسام القرآن (٩٦/١).

الخبيثة ، فهذا القول مرجوح لعدة أسباب :

١. أنَّ الروح يرتقي بها الملك بعد مفارقتها الجسد وليس حال الاحتضار ، والسياق في احتضار الميت

٢. من قال بأن هذا قول الملائكة استكراها لحمل الروح الخبيثة مخالف لما عليه النصوص الصريحة في وصف الملائكة الأبرار بفعلهم ما يؤمرون به كما قال تعالى : ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾[١]

قال الشيخ عطية سالم – رحمه الله تعالى – بقوله : « وفي هذا نظر ؛ لأن الله تعالى جعل ملائكة للمشركين وهم ملائكة العذاب وملائكة للمؤمنين وهم ملائكة الرحمة ، ولا يستنكره فريق منهما أن يصعد بما تخصص له ، بل قد لا يسمح للآخر بما يخصه ،كما في حديث الذي قتل مائة نفس وأدركته الوفاة في منتصف الطريق فحضرته ملائكة الرحمة وملائكة العذاب يختصمون أيهم يصعد بروحه كل يريد أن يتولى قبض روحه أولئك يقولون إنه قتل مائة نفس و لم يعمل خيراً قط وأولئك يقولون إنه خرج تائباً إلى الله تعالى[٢] » [٣].و الله تعالى أعلم .

(١) سورة النحل:٥٠.

(٢) لفظ الحديث عن أبي سَعِيدٍ – رضي الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال : ((كان في بَنِي إِسْرَائِيلَ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ إِنْسَانًا، ثُمَّ خَرَجَ يَسْأَلُ فَأَتَى رَاهِبًا فَسَأَلَهُ فقال له : هل من تَوْبَةٍ؟ قال : لَا ، فَقَتَلَهُ فَجَعَلَ يَسْأَلُ فقال: له رَجُلٌ ائْتِ قَرْيَةَ كَذَا وَكَذَا ، فَأَدْرَكَهُ الْمَوْتُ فَنَاءَ بِصَدْرِهِ نَحْوَهَا فَاخْتَصَمَتْ فيه مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ فَأَوْحَى الله إلى هذه أَنْ تَقَرَّبِي وَأَوْحَى الله إلى هذه أَنْ تَبَاعَدِي وقال قِيسُوا ما بَيْنَهُمَا فَوُجِدَ إلى هذه أَقْرَبَ بِشِبْرٍ فَغُفِرَ له). أخرجه البخاري في " صحيحه " (١٢٨٠/٣) ح (٣٢٨٣).

و أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري – ﷺ – ، كتاب التوبة ، باب قبول توبةِ القاتِلِ وإن كثُر قتلُهُ (٢١١٨/٤) ح (٢٧٦٦) ولفظه (أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – قال: كان فِيمَنْ كان قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تسعه وَتِسْعِينَ نَفْسًا فَسَأَلَ عن أَعْلَمِ أَهْلِ الأرض فَدُلَّ على رَاهِبٍ فَأَتَاهُ فقال : إنه قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا فَهَلْ له من تَوْبَةٍ ؟ فقال: لَا . فَقَتَلَهُ فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً ، ثُمَّ سَأَلَ عن أَعْلَمِ أَهْلِ الأرض فَدُلَّ على رَجُلٍ عَالِمٍ فقال : إنه قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ فَهَلْ له من تَوْبَةٍ ؟ فقال : نعم وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ انْطَلِقْ إلى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا فإن بها أُنَاسًا يَعْبُدُونَ اللَّهَ فَاعْبُدْ اللَّهَ مَعَهُمْ ولا تَرْجِعْ إلى أَرْضِكَ فَإِنَّهَا أَرْضُ سَوْءٍ ، فأنطلق حتى إذا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ فَاخْتَصَمَتْ فيه مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ. فقالت مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ : جاء تَائِبًا مُقْبِلًا بِقَلْبِهِ إلى اللَّهِ . وَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ : إنه لم يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ في صُورَةِ آدَمِيٍّ فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ ، فقال: قِيسُوا ما بين الْأَرْضَيْنِ فَإِلَى أَيَّتِهِمَا كان أَدْنَى فَهُوَ له فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَدْنَى إلى الأرض التي أَرَادَ فَقَبَضَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ).

(٣)أضواء البيان (٣٧٦/٨).

قول الله – ﷻ – :﴿ وَالْتَفَّتِ الْسَّاقُ بِالسَّاقِ ﴾[1].

❁ (٦٧)مسألة : التفاف " الساق بالأخرى " على الحقيقة أم المجاز؟

ترجيح ابن جُزيّ – رحمه الله – :

رجَّح أنَّ المعنى على حقيقته، وهو التفاف ساق الميت على الآخر عند السياق.

مجمل ما ذكره في الآية:

قال: « هذا عبارة عن شدة كرب الموت وسكراته ، أي: التفت ساقه على الأخرى عند السياق . وقيل: هو مجاز،كقوله :كشفت الحرب عن ساقها إذا اشتدت . وقيل: معناه ماتت ساقه فلا تحمله ، وقيل[2]: التفت أي :لفها الكافر إذا كفر »[3].

العرض والمناقشة:

في المسألة قولان وهما :

القول الأول:ما رجحه ابن جُزي موافقاً فيه المروي عن أبي مالك[4] [5]،وقتادة [6]، والحسن [7] . . وذكره الثعلبي ، والماوردي ، والواحدي ، والزمخشري ، وابن عطي ة والرازي والقرطبي والبيضاوي وأبي حيان ، وابن كثير ، والثعال بي ، والشوكاني،والألوسي ، والقنوجي، وابن عاشور– رحمهم الله تعالى– [8].

---

(١) سورة القيامة:٢٨.

(٢) لم أقف على هذا القول . ولعل مراد ابن جُزيٍّ أن ذلك كناية في تغطية الكفر لكل عمل صالح قد تقوم به ساقيه ؛ وهذا المعنى يأباه السياق فإنه في وصف حال الاحتضار .هذا فيما ظهر لي – والله تعالى أعلم – .

(٣) التسهيل (١٦٥/٤).

(٤) أخرجه الطبري بسنده عنه " جامع البيان " (١٩٧/٢٩) ، ولفظه قال : (التفت ساقاك عند الموت) ، وذكره السيوطي في " الدر المنثور " (٣٦٢/٨) ، وعزاه لعبد بن حميد .

(٥) غزوان أبو مالك الغفاري. روى عن عمار بن ياسر وابن عباس وابن ابزى . روى عنه سلمة بن كهيل والسدي وحصين بن عبد الرحمن. قال يحي بن معين : كوفي ثقة. تُوفي سنة (٩٠ هـــ).
يُنظر : التاريخ الكبير (١٠٨/٧) ، والجرح والتعديل (٥٥/٧) ، و تهذيب التهذيب (٢٢٠/٨).

(٦) أخرجه الطبري بسنده عنه " جامع البيان " (١٩٨/٢٩) ، ولفظه قال : (أما رأيته إذا ضرب برجله رجله الأخرى)، وذكره السيوطي في "الدر المنثور " (٣٦٢/٨) ، وعزاه لابن المنذر.

(٧) أخرجه الطبري بسنده عنه (المرجع السابق) (١٩٧/٢٩)، ولفظه قال : (لفهما في الكفن) ، وذكره السيوطي في" الدر المنثور "(٣٦٢/٨) ، وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر.

(٨) الكشف والبيان (٩٠/١٠)، والنكت والعيون (١٥٨/٦)، والوسيط (٣٩٥/٤)، والكشاف (٦٦٤/٤)، المحرر الوجيز (٤٠٦/٥)،

القول الثاني : أنّ معنى"الساق" كناية عن الشدّة ، أي : اتصلت شدة فراق الدنيا بشدّة الإقبال على أحوال الآخرة وأهوالها ، وهو قول ابن عباس [١]، وقال به مجاهد [٢]،والضحاك [٣]،وقتادة [٤]– رضي الله عنه – .

وذهب إليه الفراء ، و الطبري ، و اقتصر عليه ابن أبي زمنين ، و قدمه الثعلبي ، والسمعاني ، و الرازي والقرطبي ، وابن كثير [٥]، قال به البقاعي ، والشربيني ، والشوكاني ، والقنوجي والسعدي–رحمهم الله تعالى – [٦].

قال الفرّاء : « أتاه أولُ شدة أمر الآخرة، وأشد آخر أمر الدنيا، فذلك قوله : ﴿وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ﴾ »[٧].

الترجيح

الظاهر – والله تعالى أعلم بالصواب – التفت ساق الدنيا بساق الآخرة ، وهو ما رجّحه الفرّاء و جمهور المفسرين[٨] ؛ لأن (القرآن عربي فيُسلك به في الاستنباط والاستدلال مسلك العرب في تقرير

والتفسير الكبير (٢٠٥/٣٠)، والجامع لأحكام القرآن (١١٢/١٩)، وأنوار التنزيل (٤٢٣/٥)، والبحر المحيط (٣٨١/٨)، وتفسير القرآن العظيم (٤٥٢/٤)، و الجواهر الحسان (٣٦٨/٤)، وإرشاد العقل السليم (٦٨/٩)، وفتح القدير (٣٤١/٥)، وروح المعاني (١٤٧/٢٩)، والتحرير والتنوير(٣٥٩/١٢).

(١) أخرجه الطبري بسنده عنه (المرجع السابق) (١٩٥/٢٩)، ولفظه قال : (الدنيا بالآخرة شدة) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣٦٢/٨) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه الطبري بسنده عنه (المرجع السابق) (١٩٦/٢٩)، ولفظه (التف أمر الدنيا بأمر الآخرة عند الموت) ، وذكره السيوطي في " الدر المنثور "(٣٦٢/٨) ، وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير.

(٣) أخرجه الطبري بسنده عنه (المرجع السابق) (١٩٦/٢٩)، ولفظه قال : (أهل الدنيا يجهزون الجسد وأهل الآخرة يجهزون الروح) ، وذكره السيوطي في " الدر المنثور "(٣٦٢/٨) ، وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير.

(٤) أخرجه الطبري بسنده عنه (المرجع السابق)(١٩٦/٢٩)، ولفظه : (ساق الدنيا بالآخرة).

(٥) معاني القرآن للفراء (٣ / ٢١٢) ، وجامع البيان (١٩٨/٢٩)، وتفسير القرآن العزيز (٦٥/٥)، الكشف والبيان (٩٠/١٠)، وتفسير القرآن (١٠٩/٦) ، والتفسير الكبير (٢٠٥/٣٠) ، و الجامع لأحكام القرآن (١١٢/١٩)، وتفسير القرآن العظيم (٤٥٢/٤).

(٦) نظم الدرر(٨ / ٢٥٤) ، والسراج المنير (١٩٣/٨)، وفتح القدير (٣٤١/٥)، وتيسر الكريم الرحمن (٩٠٠/١).

(٧)معاني القرآن للفراء (٣ / ٢١٢).

(٨) فتح القدير (٣٤١/٥).

معانيها)[1] ، والعرب إنما تذكر الساق في المحن ، ومنه قولهم : قامت الحرب على ساقها أي : على شدتها ، وجاءت به أشعارهم ، ومنه قولهم :

أخو الحربِ إنْ عضتْ به الحربُ عضَّها وإنْ شمرتْ عن ساقِ ها الحربُ

قال الإمام الطبري : « وأولى الأقوال في ذلك بالصحة عندي قول من قال معنى ذلك : والتفت ساق الدنيا بساق الآخرة وذلك شدة كرب الموت بشدة هول المطلع والذي يدل على أن ذلك تأويله قوله : ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ﴾[2] والعرب تقول لكل أمر اشتدّ قد شمّر عن ساقه وكشف عن ساقه ... »[3]. والله تعالى أعلم .

(١) يُنظر : قواعد التفسير (١ / ٢٣٢).

(٢) سورة القيامة : ٣٠ .

(٣) جامع البيان (١٩٩/٢٩) .

قول الله – ﷻ – :﴿ أَيَحْسِبُ ٱلِانسَٰنُ أَنْ يُتْرَكَ سُدىً ﴾[1].

❁ (٦٨)مسألة : في المخاطب بالآية.

ترجيح ابن جُزيّ – رحمه الله – :

رجَّح أن المخاطب بالآية جنس الإنسان الكافر .

مجمل ما ذكره في الآية

قال: «﴿ أَيَحْسِبُ ٱلِانسَٰنُ أَنْ يُتْرَكَ سُدىً ﴾هذا توبيخ ،ومعناه :أيظن أن يترك من غير بعث ولا حساب ،ولا جزاء ، فهو كقوله :﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لاَ تُرْجَعُونَ﴾[2]، والإنسان هنا جنس ، وقيل: نزلت في أبي جهل [3] ولا يبعد أن يكون سببها خاصاً ومعناها عام »[4] .

العرض والمناقشة:

في المسألة قولان وهما :

القول الأول : ما رجَّحه ابن جُزي موافقًا للطبري [5]، واقتصر عليه ابن أبي زمنين ،والنسفي [6] وقدّمه الزمخشري ، والرازي [7] ، و وافقهم ابن كثير ،وأبو السعود ، وعطية سالم [8]، وقال به ابن عاشور[9]–رحمهم الله تعالى –

---

(١) سورة القيامة:٣٥.

(٢) سورة المؤمنون:١١٦.

(٣) لم أقف على سبب نزول يخصص الآية بأبي جهل إلا ما أخرجه الطبري بسنده عن قتادة أنه قال : ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾وعيد على وعيد كما تسمعون زعم أن هذا أنزل في عدو الله أبي جهل . ذكر لنا أن نبي الله –ﷺ– أخذ بمجامع ثيابه فقال : ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾. فقال عدو الله أبو جهل : أيوعدني محمد والله ما تستطيع لي أنت ولا ربك شيئا والله لأنا أعز من مشى بين جبليها) ، وأخرجه ابن أبي حاتم بسنده عنه في " تفسير القرآن العظيم " (٣٣٨٩/١٠) ح (١٩٠٧٠) ، وذكره السيوطي في " الدر المنثور" (٣٦٣/٨) ، وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر.

(٤) التسهيل (١٦٦/٤).

(٥)جامع البيان (٢٠٠/٢٩).

(٦)تفسير القرآن العزيز (٦٧/٥)، ومدارك التنزيل (٣١٦/٤).

(٧) الكشاف (٦٦٤/٤)، و التفسير الكبير (٢٠٦/٣٠).

(٨) تفسير القرآن العظيم (٤٥٣/٤)،و إرشاد العقل السليم (٦٩/٩) ، وأضواء البيان (٣٧٦/٨).

(٩)التحرير والتنوير (٣٦٥/١٢)

قال الإمام الطبري : «وقوله ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ يقول تعالى ذكره : أيظن هذا الإنسان الكافر بالله أن يترك هملا أن لا يؤمر ولا ينهى ولا يتعبد بعبادة» [1].

القول الثاني : أنَّ المخاطب بالآية أبا جهل . قال به الواحدي ، وابن الجوزي [2] ، وممن ذكره أبو حيّان ، وابن عادل ، والبقاعي ، والشربيني -رحمهم الله تعالى - [3].

الترجيح

الراجح – والله تعالى أعلم بالصواب – القول الأول الذي رجَّحه ابن جُزيّ بأن " الإنسان " هنا عام في جنس الإنسان الكافر ، لأن سياق الآيات في السورة مرتبط بتصوير معتقد الإنسان الكافر في مبدئها عند قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ﴾ [4]، وقوله تعالى ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾ [5]، **ومما يؤيده** : حمل الآية على العموم أولى ؛ ليدخل فيه كل كافر مكذب بالبعث سواء كان أبو جهل أو غيره قال ابن عاشور – رحمه الله تعالى- : « قوله: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ [6] تكرير وتعداد للإنكار على الكافرين تكذيبهم بالعبث، ألا ترى أنه وقع بعد وصف يوم القيامة وما فيه من الحساب على ما قدّم الإنسان وأخّر . ومعنى هذا مثل قوله تعالى ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [7] »[8] . والله تعالى أعلم.

۞ ۞ ۞ ۞

(١)جامع البيان (٢٩/٢٠٠).

٢) الوسيط في تفسير القرآن المجيد (٤/٣٩٦)، و زاد المسير(٨/٤٢٥).

(٣) البحر المحيط (٨/٣٨١)، واللباب في علوم الكتاب (١٩/١٧٦)، ونظم الدرر (٨/٢٥٦)، والسراج المنير (٨/١٩٥).

(٤) سورة القيامة:٣.

(٥) سورة القيامة:٣٤.

(٦) سورة القيامة:٣٦.

(٧) سورة المؤمنون:١١٥.

(٨)التحرير والتنوير (١٢/٣٦٥).

سابعاً : سورة الإنسان

قول الله – ﷻ – : ﴿هَلَ آتىٰ عَلَى ٱلِانسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾[1]. في الآية مسألتان وهما :

❁ (٦٩)المسألة الأولى : في معنى " هل " .

ترجيح ابن جُزي – رحمه الله – :

رجَّح أنَّ " هل " للاستفهام التقريري .

مجمل ما ذكره في الآية

قال : «هل هنا بمعنى التقرير لا لمجرد الاستفهام ، وقيل: هل بمعنى [قد[2]] » [3].

العرض والمناقشة :

في المسألة ثلاثة أقوال وهي:

القول الأول : ما ذهب إليه ابن جُزيٍّ موافقًا لمكي بن أبي طالب ، و الزمخشري ، وبيان الحق النيسابوري ، والبيضاوي ، و وافقهم أبو السعود ، و تبعهم الخفاجي ، والقاسمي ، وابن عاشور – رحمهم الله تعالى – [4].

قال مكي : « هل في هذا الموضع خبر لا جحدٌ . وفي الكلام معنى التقرير ، كأنه قال : قد أتى على الإنسان زمن طويل لم يكن شيئًا مذكورًا) [5].

قال الزمخشري : « "هل" بمعنى " قد " في الاستفهام خاصةٌ ، والأصل "أهل" بدليل قوله :

أَهَلْ رَأَوْنَا بِسَفْعِ[6] الْقَاعِ[7] ذِي الأكمِ[8] [9]

---

(١) سورة الإنسان:١ .

(٢) في المطبوع (قد) والتصويب من "ز" (ب / ٢٢٩) ، و " د" (ب / ٢٣٤).

(٣) التسهيل (١٦٦/٤) .

(٤) الهداية إلى بلوغ النهاية (١٢ / ٧٩٠١) ، والكشاف (٦٦٦/٤) ، و وباهر البرهان (٣ / ١٥٩٧) ، وأنوار التنزيل (٤٢٥/٥) ، وإرشاد العقل السليم (٧٠/٩) ،وحاشية الشهاب (٩ / ٣٤٩). ومحاسن التأويل (١٠ / ٤٠٥٥) والتحرير والتنوير (١٢ / ٣٧١).

(٥) الهداية إلى بلوغ النهاية (١٢ / ٧٩٠١).

(٦) سفح الجبل : أسفله حيث يسفح فيه الماء . يُنظر : لسان العرب (٤٨٥/٢).

(٧) القاع : الأرض صلبة القفاف حرة الطين .يُنظر : لسان العرب (٣٠٤/٨).

(٨) الأكم :جمع أكمة وهي التل أي الجبل الصغير . لسان العرب (٢٠/١٢).

(٩) القائل : زيد الخيل .

فالمعنى :أقد أتى على التقرير والتقريب جميعاً .أي : أتى على الإنسان قبل زمان قريب ﴿حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن﴾فيه ﴿شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ أي :كان شيئاً منسياً غير مذكور » [1].

وقال بيان الحق النيسابوري : « يمكن تقرير "هل " على وضعه في الاستفهام هاهنا ، كأنه سؤال عن الإنسان هل أتى عليه هذا ؟ فلا بدَّ في جوابه من " نعم " ملفوظًا أو مقدّرًا، ثم يكون المعنى: إنَّ الأمر كما أنه كذلك، فينبغي للإنسان أن يحتقر نفسه، ولا يرتكب ما قبح له . ويبين هذا ما عدَّد عليه من النعم بعده» [2] .

القول الثاني : أنَّ " هل " بمعنى " قد " على وجه التحقيق . قاله الفرَّاء ، وقال به الطبري والسمرقندي ، وابن أبي زم نين ، والثعلبي ، والبغوي، وابن كثير ، وجلال الدين المحلِّي [3] وقدّمه السمعاني ،والقرطبي، والشوكاني [4]،وحكى الرازي ، وعطية سالم اتفاق المفسرين عليه [5]-رحمهم الله تعالى-

قال الفراء : « معناه: قد أتى على الإنسان حين من الدهر . و"هل" قد تكون جحدا، وتكون خبرا . فهذا من الخبر؛ لأنك قد تقول: فهل وعظتك؟ فهل أعطيتك؟ تقرره بأنك قد أعطيته ووعظته و الجحدُ أن تقول: وهل يقدر واحد على مثل هذا؟» [6].

القول الثالث : أنَّ " ه ل " للاستفهام المحض . قال به أبو حيَّان ، وممن أورده القرطبي والسمين الحلبي ، و الألوسي-رحمهم الله تعالى- [7].

قال أبو حيّان : « " هل "حرف استفهام ، فإن دخلت على الجملة الا سمية لم يمكن تأويله بقد ؛لأن قد

يُنظر : المقتضب (٤٤/١)، و روح المعاني (١٥٠/٢٩) ، والتحرير والتنوير(١ / ٢٨٢).

(١) الكشاف (٦٦٦/٤) .

(٢) باهر البرهان (٣ / ١٥٩٧) .

(٣) معاني القرآن للفراء (٣ / ٢١٣).جامع البيان(٢٠٢/٢٩)، وبحر العلوم (٥٠٣/٣)، والقرآن العزيز (٦٩/٥)، والكشف والبيان (٩٣/١٠)، و ، ومعالم التنزيل (٤٢٦/٤) ، وتفسير القرآن العظيم (٤٥٤/٤)، و تفسير الجلالين (٧٨١/١).

(٤) تفسير القرآن (١١٢/٦)،و الجامع لأحكام القرآن (١١٩/١٩) ، وفتح القدير (٣٤٤/٥)

(٥) التفسير الكبير (٢٠٨/٣٠) ،و أضواء البيان (٢٠٢/٢٩) .

(٦) معاني القرآن للفراء (٣ / ٢١٣).

(٧) الجامع لأحكام القرآن (١١٩/١٩) ، والدر المصون (٦ / ٤٣٦) ، و روح المعاني (١٥٠/٢٩) .

من خواص الفعل ، فإن دخلت على الفعل ، فالأكثر أن تأتي للاستفهام المحض» [1].

الترجيح

الراجح – والله تعالى أعلم بالصواب – أنَّ " هل " للاستفهام الذي معناه التقرير ، بمعنى " أقد أتى على الإنسان " فلاستفهام قائم والمراد منه التقرير وليس استفهاما محضا. وهو ما رجَّحه ابن جُزيٍّ ومن معه لأن (جميع الأسئلة المتعلقة بتوحيد الربوبية استفهامات تقرير)[2]، فالله تعالى يقول : ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ﴾ ليقر المخاطب : نعم قد مضى زمن طويل لا إنسان فيه .

قال ابن عاشور – رحمه الله – : «﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا﴾ استفهام تقريري والاستفهام من أقسام الخطاب ،وهو هنا موجه إلى غير معين ومستعمل في تحقيق الأمر المقرر به على طريق الكناية ؛لأن الاستفهام طلب الفهم، والتقرير يقتضي حصول العلم بما تقرر به إلى إيماء إلى استحقاق الله أن يعترف الإنسان له بالوحدانية في الربوبية إبطالا لإشراك المشركين . وتقديم هذا الاستفهام لما فيه من تشويق إلى معرفة ما يأتي بعده من الكلام » [3].**ومما يُظهر هذا المعنى عدة أمور وهي :**

١. أنَّ هذا القول تظهر فيه نكتةُ بلاغية وه ي إشراك المخاطب في الأمر ليقرر ويجيب بنفسه بخلاف ما لو ذُكر بصور الخبر لكان إخبار من قبل المتكلم نفسه [4].
٢. القول الثالث : ظاهر بطلانه ؛ لأن الاستفهام المحضُّ من الله تعالى محال المنزه عن كل نقص فلابد من حمله على الاستفهام التقرير . والله تعالى أعلم.

(١) البحر المحيط (٨/٣٨٥).
(٢) قواعد التفسير (٢ / ٥٤٤).
(٣) التحرير والتنوير (١٢ /).
(٤) معاني النحو (٤ / ٢١١).

❁ (٧٠)المسألة الثانية : المراد بالإنسان في الآية

ترجيح ابن جُزيّ - رحمه الله - :

رجَّح أنَّ المراد بـــ " الإنسان " بنو آدم -عليه السلام-

ومجمل ما ذكره في الآية

قال: « والإنسان هنا جنس ، والحين الذي أتى عليه حين كان معدوماً قبل أن يخلق .

وقيل: الإنسان هنا آدم ، والحين الذي أتى عليه حين كان طيناً قبل أن ينفخ فيه الروح . وهذا ضعيفٌ لوجهين:

أحدهما:قوله:﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلِانسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ اَمْشَاجٍ﴾وهو هنا جنس بالاتفاق إذ لا يصح هنا في آدم- عليه السلام-.

والآخر: أنَّ مقصد الآية تحقير الإنسان» [(١)].

العرض والمناقشة:

في المسألة قولان ، وهما :

القول الأول : ما رجَّحه ابن جُزيّ موافقًا لقول ابن عباس [(٢)] - رضي الله عنه - ، وما ذهب إليه الزمخشري ، وابن عطية ، والرازي، و وافقهم الثعالبي ، وحسنه ابن عادل ، و قال به الألوسي والقاسمي ، وابن عاشور -رحمهم الله تعالى- [(٣)].

قال الزمخشري:«والمراد بالإنسان جنس بني آدم بدليل قوله : ﴿إِنَّاخَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ﴾ » [(٤)].

وقال الثعالبي:« والإنسان اسمُ جنسٍ أي:إذا تأمل كل إنسان نفسه علم بأنه قد مر حين من الدهر عظيم لم يكن فيه شيء مذكوراً ، وهذا هو القوي إن الإنسان اسم جنس ، وأنَّ الآية جُعلت عبرة لكل

---

(١) التسهيل (٤ / ٣١٠) .

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٣٦٧/٨) ، وعزاه لابن المنذر بلفظ (كل إنسان).

(٣) الكشاف (٦٦٦/٤) ، والمحرر الوجيز (٤٠٨/٥) ، والتفسير الكبير (٢٠٨/٣٠) ، و الجواهر الحسان (٣٧٠/٤) واللباب في علوم الكتاب (٢٠ / ٥) ، و روح المعاني (١٥١/٢٩) ، و ملحص التأويل (١٠ / ٤٠٥٥)، والتحرير والتنوير (١ / ٣٧٢)

(٤) الكشاف (٦٦٦/٤) .

أحد من الناس ليعلم أنَّ الخالق له قادر على إعادته» [1].

القول الثاني : أنَّ المراد " بالإنسان " آدم –عليه السلام– ، وهو مروي عن قتادة [2] . وقال به الطبري وأبو الليث ، وابن أبي زمنين ، والثعلبي ، والسمعاني ، والبغوي ، والقرطبي ، والنسفي والقمي النيسابوري ، وجلال الدين المحلّي – رحمهم الله تعالى – [3].

قال الإمام الطبري – رحمه الله تعالى –: « والإنسان الذي قال جلَّ ثناؤه في هذا الموضع : ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾[4] هو آدم –عليه السلام–» [5] .

وحجة هذا القول : إنَّ الله تعالى ذكرَ خلق آدم في هذه الآية ثم عقب بذكر ولده في قوله : ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ﴾[6]

الترجيح

الراجح – والله تعالى أعلم بالصواب – أنَّ المراد " بالإنسان " في هذا الموضع بنو آدم–عليه السلام – وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ و من معه ؛ لأنَّ مقصد الآية تحقير الإنسان في بيان أصله حين كان معدوما ؛ ليتفكر في خلقه ، ويُسلم لخالقه القادر على إعادته كما قال تعالى ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا﴾[7] .

قال الإمام أبو جعفر بن الزبير– رحمه الله تعالى – : « قوله تعالى :﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ

---

(١) الجواهر الحسان (٣٧٠/٤) .

(٢) أخرجه الطبري بسنده عنه "جامع البيان" (٢٠٢/٢٩) ، ولفظه قال : (إنما خلق الإنسان ها هنا حديثا ما يعلم من خليقة الله خليقة كانت بعد الإنسان)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٨/ص٣٦٦) ، ونسبه لعبد بن حميد وابن أبي حاتم.

(٣) جامع البيان (٢٠٢/٢٩) ، و بحر العلوم (٥٠٣/٣)، و تفسير القرآن العزيز (٦٩/٥) ، و الكشف والبيان (٩٣/١٠) ،و تفسير القرآن (١١٢/٦) ، و معالم التنزيل (٤٢٦/٤) ، و الجامع لأحكام القرآن (١١٩/١٩) ، و مدارك التنزيل (٣١٦/٤) ، وتفسير الجلالين (٧٨١/١) .

(٤) سورة الإنسان:١.

(٥) جامع البيان (٢٠٢/٢٩) .

(٦) سورة الإنسان : ٢.

(٧) سورة مريم:٦٧.

﴿لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ تعريف الإنسان بحاله وابتداءُ أمره ؛ ليعلم أن لا طريق له للكبر واعتقاد السيادة لنفسه،وأن لا يغلطه ما اكتنفه من الألطاف الربانية والاعتناء الإلهي و التكرمة فيعتقد أنه يستوجب ذلك ويستحقه» [1] . **ويؤيده عدة أمور وهي :**

١. أنَّ نظمَ الآيةِ يتسقُّ بأن اللفظ في الموضعين للجنس.

قال الفخر الرازي – رحمه الله – : «المراد بالإنسان بنو آدم بدليل قوله : ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ﴾فالإنسان في الموضعين واحد وعلى هذا التقدير يكون نظم الآية أحسن » [2].

٢. أن الله– ﷻ – خلق الخلق وامتحنهم في هذه الدار لتمحيص أعمالهم كما في قول الله تعالى : ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [3] ، فكان الابتلاء واقعًا على بني آدم وأما ابتلاء آدم عليه السلام فقد تاب إلى الله تعالى فتاب عليه.

قال الشيخ عطية سالم – رحمه الله تعالى – : «ولعل في السياق قرينة تدل على ما قاله ، وهي أن قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱجْتَبَـٰهُ﴾ قطعاً لبني آدم لأن آدم –عليه السلام– انتهى أمره بالسمع والطاعة ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَـٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾[4]. و لم يبق مجال لابتلائه إنما ذلك لبنيه » [5]. و الله تعالى أعلم. أعلم.

(١) نظم الدرر (٨ / ٢٥٩) .

(٢) التفسير الكبير (٣٠/٢٠٨).

(٣) سورة المُلك:٢.

(٤) سورة البقرة:٣٧.

(٥) أضواء البيان (٨/٣٧٨) .

قول الله – ﷻ – : ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلِانسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَـٰهُ سَمِيعاً بَصِيراً﴾[1].في الآية ثلاث مسائل وهي:

❁ (٧١) مسألة :في معنى " الأمشاج "

ترجيح ابن جزيّ – رحمه الله – :

رجَّح أنَّ الأمشاج هي: اختلاط الدم ،والبلغم ،والصفراء والسوداء[2] .

ومجمل ما ذكره في الآية :

قال : « واختلف في معنى الأخلاط هنا فقيل: اختلاط الدم ،والبلغم والصفراء ،والسوداء . وقيل : اختلاط ماء الرجل ،والمرأة ، و رُوى أنَّ عظام الإنسان وعصبه من ماء الرجل ،وأن لحمه وشحمه من ماء المرأة [3] .

وقيل معناه : ألوان وأطوار ،أي : يكون نطفة ثم ،علقة ،ثم مضغة» [4].

العرض والمناقشة :

---

(١) سورة الإنسان:٢ .

(٢) قال ابن منظور : « لأمشاج أخلاط الكيموسات الأربع وهي: المرار الأحمر ،والمرار الأسود ،والدم ، والمني ». لسان العرب (٣٦٨/٢) .

(٣) لفظ الحديث من رواية عبد اللَّهِ بن مسعود – ﷺ – قال : مَرَّ يهودي بِرَسُولِ اللَّهِ – ﷺ – وهو يحدث أَصْحَابَهُ ، فقالت قُرَيْشٌ : يا يهودي إن هذا يَزْعُمُ أنه نبي ، فقال : لأَسْأَلَنَّهُ عن شيء لاَ يَعْلَمُهُ إلا نبي. قال: فَجَاءَ حتى جَلَسَ ،ثُمَّ قال :يا محمد مِمَّ يُخْلَقُ الإِنْسَانُ؟ ((قال: يا يهودي من كُ لٍّ يُخْلَقُ من نُطْفَةِ الرَّجُلِ وَمِنْ نُطْفَةِ الْمَرْأَةِ ،فَأَمَّا نُطْفَةُ الرَّجُلِ ،فَنُطْفَةٌ غَلِيظَةٌ منها الْعَظْمُ ، وَالْعَصَبُ وأما نُطْفَةُ الْمَرْأَةِ ، فَنُطْفَةٌ رَقِيقَةٌ منها اللَّحْمُ وَالدَّمُ)). فَقَامَ اليهودي فقال : هَكَذَا كان يقول من قَبْلَكَ).

أخرجه أحمد ابن حنبل في مسنده (١/ ٤٦٥) ح (٤٤٣٨).

وأخرجه النسائي في سننه الكبرى . باب صفة ماء الرجل وصفة ماء المرأة (٥/ ٣٣٩) ح (٩٠٧٥).

والطبراني في معجمه الكبير (١٠/ ١٧٢) ح (١٠٣٦٠) بنحوه .

و أخرجه البزار في مسنده (٣٥١/٤) ح (١٥٥٠) عنه بلفظ : (جاء نفر من اليهود إلى النبي – ﷺ – فقالوا يا محمد إن كنت نبيا كما تذكر فأخبرنا من أين الشبه يشبه الرجل مرة أعمامه ومرة أخواله فقال : ((إن ماء الرجل أبيض غليظ وماء المرأة أصفر رقيق فأيهما علا غلب الشبه)).

قال الهيثمي : رواه أحمد والطبراني والبزار بإسنادين وفي أحد إسناديه عامر بن مدرك وثقه ابن حبان وضعفه غيره وبقية رجاله ثقات وفي إسناد الجماعة عطاء بن السائب وقد اختلط. مجمع الزوائد (٢٤١/٨).

(٤) التسهيل (١٦٦/٤) .

في المسألة أربعة أقوال وهي :

القول الأول: ما ذهب إليه ابن جُزيّ . وأورده ابن عطية ، وأبو حيَّان ، و الألوسي –رحمهم الله تعالى– [(١)].

القول الثاني: أنَّ الأمشاج هي : اختلاط ماء الرجل بماء المرأة ،وهو قولُ ابن عباسٍ [(٢)] – ﷺ – و قال به عكرمةَ [(٣)] ، والحسن [(٤)]. واختاره الإمام الطبري ، واقتصر عليه السمرقندي ، والواحدي وابن العربي ، وابن الجوزي وبيان الحق النيسابوري ، وابن كثير ، والمحلِّي ، وتبعه الصاوي ، وقدَّمه الشوكاني – رحمهم الله تعالى – [(٥)].

قال الإمام الطبري – رحمه الله تعالى – : « وأشبه هذه الأقوال بالصواب قول من قال معنى ذلك : ﴿مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ نطفة الرجل ،ونطفة المرأة؛ لأن الله وصف النطفة بأنها أمشاج وهي إذا انتقلت فصارت علقة ،فقد استحالت عن معنى النطفة ،فكيف تكون نطفة أمشاجا وهي علقة؟ وأمَّا الذين قالوا : إنَّ نطفة الرجل بيضاء ،وحمراء ،فإن المعروف من نطفة الرجل أنها سحراء على لون واحد ،وهي بيضاءُ تضربُ إلى الحُمْرَة، وإذا كانت لوناً واحدًا لم تكن ألواناً مختلفة . وأحسب أنَّ الذين قالوا : هي العروق التي في النطفة قصدوا هذا المعنى» [(٦)] .

القول الثالث : أنَّ الأمشاج هي: اختلاط العروق في النطفة ،وهو قول عبد الله بن مسعود [(٧)]– ﷺ– ، وأورده الطبري ، والثعلبي ، والسمعاني ، والزمخشري، وأبو حيَّان –رحمهم الله تعالى–[(٨)].

---

(١) المحرر الوجيز (٤٠٩/٥) ، و البحر المحيط (٣٨٦/٨) ، روح المعاني (١٥٢/٢٩) .

(٢) أخرجه الطبري بسنده عنه "جامع البيان " (٢٠٤/٢٩) ، ولفظه قال : (ماء المرأة وماء الرجل يمشجان) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣٦٧/٨) ، وعزاه لعبد بن حميد وابن أبي حاتم بنحوه .

(٣) أخرجه الطبري بسنده عنه (المرجع السابق) (٢٠٣/٢٩) ، ولفظه قال : (ماء الرجل وماء المرأة يختلطان) .

(٤) أخرجه الطبري بسنده عنه (المرجع السابق) (٢٠٤/٢٩) ، ولفظه قال:(مشج ماء المرأة مع ماء الرجل) .

(٥) جامع البيان (٢٠٥/٢٩) ، وبحر العلوم (٥٠٣/٣) ، والوسيط(٤ / ٣٩٨) ، و أحكام القرآن لابن العربي (٣٥٢/٤) و زاد المسير (٤٢٨/٨)، و باهر البرهان (٣ / ١٥٩٧) ، والقرآن العظيم (٤٥٤/٤) ، و تفسير الجلالين (٧٨١/١) وحاشية الصاوي (٢٠٩/٦) ، و فتح القدير (٣٤٥/٥).

(٦) جامع البيان (٢٠٥/٢٩) .

(٧) أخرجه الطبري بسنده عنه (المرجع السابق) (٢٠٥/٢٩) ، ولفظه قال : (أمشاجها عروقها) . وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣٦٧/٨) ، وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر .

(٨) جامع البيان (٢٠٥/٢٩) ، و الكشف والبيان (٩٤/١٠) ، وتفسير القرآن (١١٢/٦) ، والكشاف (٦٦٧/٤) ، والبحر المحيط

القول الرابع : أنَّ الأمشاج هي : اختلاط ألوان النطفة . وهو مروي عن ابن عباس [(١)]- ﷺ - وقال به مجاهد [(٢)]، وذكره الطبري ، و الثعلبي ، وأبو حيَّان ، والشربيني ، والمراغي – رحمهم الله تعالى- [(٣)].

القول الخامس : اختلاف لون الأطوار ،أي : نطفة ألوان ينتقل إليها يكون نطفة ثم يصير علقة ثم مضغة ثم عظماً ثم كُسي لحما[(٤)]. وهو مروي عن ابن عباس [(٥)] - ﷺ - ، وقال به عكرمة [(٦)]،و قتادة [(٧)]. وأورده الطبري ، والثعلبي ، والقرطبي، والألوسي ، والمراغي –رحمهم الله تعالى - [(٨)].

الترجيح

الظَّاهر – والله تعالى أعلم بالصواب – أنَّ الأمشاج هي: اختلاط ماء الرجل بماء المرأة ، وهو ما رجَّحه الإمام الطبري –رحمه الله تعالى - لأن؛ الله تعالى وصف النطفة بكونها أمشاج وإذا انتقلت إلى حالة أخرى ،فهي علقة، ولا ينطبق عليها مسمى النطفة ، **ويؤيد هذا القول عدة أمور وهي :**

١. أنَّ الله – ﷻ - وصف النطفة بكونها " أمشاج " بالجمع ، ومفردها " مشج " ويطلق في لغة العرب على كل لونين اختلطا . وقيل :هو ما اختلط من حمرة وبياض . وقيل هو كل شيئين

(٣٨٦/٨) .

(١) أخرجه الطبري بسنده عنه (المرجع السابق) (٢٠٤/٢٩) ، ولفظه (مختلفة الألوان) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣٦٨/٨) ، وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٢) أخرجه الطبري بسنده عنه (المرجع السابق) (٢٠٥/٢٩) ، ولفظه قال : (ألوان النطفة) .

(٣) جامع البيان (٢٠٥/٢٩) ، و الكشف والبيان (٩٤/١٠) ، و البحر المحيط (٣٨٦/٨) ، والسراج المنير(٨ / ١٩٩) وتفسير المراغي (١٠ / ٢٧٤) .

(٤) جامع البيان (٢٠٤/٢٩) .

(٥) أخرجه الطبري بسنده عنه (المرجع السابق) (٢٠٤/٢٩) ، ولفظه : (الأمشاج خلق من ألوان خلق من تراب ،ثم من ماء الفرج ،والرحم ،وهي: النطفة ،ثم علقة ،ثم مضغة ،ثم عظما ،ثم أنشأه خلقا آخر، فهو ذلك).

(٦)أخرجه الطبري بسنده عنه (المرجع السابق) (٢٠٤/٢٩) ، ولفظه قال : (نطفة ،ثم علقة ،ثم مضغة ،ثم عظما) .

(٧)أخرجه الطبري بسنده عنه (المرجع السابق) (٢٠٤/٢٩) ، ولفظه (أطوار الخلق طورا نطفة ،وطورا علقة ،وطورا مضغة وطورا عظاما ،ثم كسى الله العظام لحما ،ثم أنشأه خلقا آخر أنبت له الشعر) .

(٨) جامع البيان (٢٠٤/٢٩)، والكشف والبيان (٩٤/١٠)، و الجامع لأحكام القرآن (١٢١/١٩)، و روح المعاني (١٥٢/٢٩) وتفسير المراغي (١٠ / ٢٧٤) .

مختلطين والجمع أمشاج [1].

فالله – ﷻ– أتى بالكلمة على الجمع دون الإفراد للتنبيه على أسرار هذا الوصف ، فمن المعلوم أنَّ الموصوف يتبع الصفة ،وجاء الوصف بالجمع على خلاف الصفة المفردة؛ لبيان أنَّ لكل خلية تحمل أخلاطاً من الصفات الوراثية ،فالجمع على اعتبار ما تتكون منه هذه النطفة.

قال الدكتور زغلول النجار [2]: « طور النطفة الأمشاج : وهي في اللغة المختلطة ، والنطفة مفرد وأمشاج جمع مشيج ، واستخدم الجمع للتعبير عن خلط أكثر من شيئين ؛لأن الذي يختلط فيها ليس مجرد خليتي التكاثر الذكرية ،والأنثوية ، ولكن ما بداخل كل واحدة منهما من مكونات ،وأهمها الشفرة الوراثية ... » [3] .

٢. إنَّ وصف النطفة بكونها أمشاج مختلطة من مني الرجل والمرأة ليوجه القلوب إلى وحدانية الله تع الى فما من شيء مخلوق إلا وهو قائم على الزوجية في الكون والإنسان والحيوان والنبات والجماد

ليتفرد الله تعالى وحده بالوحدانية قال الله تعالى : ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰ ٤٥ مِن نُّطۡفَةٍ إِذَا تُمۡنَىٰ﴾ [4].

قال مجاهد – ﷺ– : « قوله : ﴿إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ﴾ما خلق الله الولد إلا من نطفة الرجل والمرأة جميعا ؛لأن الله يقول : ﴿خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ﴾» [5].

وقال الإمام الطبري – رحمه الله – : «يقول تعالى ذكره: يا أيها الناس إنا أنشأنا خلقكم من ماء ذكر من الرجال وماء أنثى من النساء » [6].

٣. أنَّ هذا القول عام تنتظم تحته كل المعاني المذكورة، وما ورد من عبارات عن السلف فهي تفسير بالمثال فلا تعارض بينها. والله تعالى أعلم.

(١) لسان العرب (٣٦٧/٢).

(٢) زغلول راغب محمد النجار . رئيس لجنة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة النبوية بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية في القاهرة . خلق الإنسان في القرآن الكريم (٥).

(٣) المرجع السابق (١٢٠) .

(٤) سورة النجم ٤٥: – ٤٦.

(٥) أخرجه الطبري بسنده عنه "جامع البيان " (١٣٨/٢٦). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥٧٨/٧) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير .

(٦)جامع البيان (١٣٨/٢٦).

❁ (٧٢)المسألة الثانية : في معنى نبتليه .

ترجيح ابن جُزيّ – رحمه الله – :

رجَّح أنَّ الابتلاء هنا بمعنى الاختبار . والمراد: مريدين ابتلاءه واختباره بالتكليف فيما بعد على أنَّ الحال مقدرة[١] ، فتكون جملة ﴿ نَّبْتَلِيه ﴾ في محل نصب حال من الفاعل.

ومجمل ما ذكره في الآية :

قال : «﴿ نَّبْتَلِيه ﴾أي: نختبره، وهذه الجملة في موضع الحال، أي: خلقناه مبتلين له.

وقيل :معناه نصرفه في بطن أمه نطفة ثم علقة» [٢].

العرض و المناقشة:

في المسألة قولان وهما :

القول الأول: ما ذهب إليه ابن جُزيّ موافقًا للطبري ، وابن أبي زمنين ، والسمعاني ،والبغوي وقدَّمه ابن عطية ، واقتصر عليه النسفي، و وافقهم ابن كثير ، والثعالبي ، وابن عاشور– رحمهم الله تعالى–[٣].

قال النسفي : « ﴿ نَّبْتَلِيهِ ﴾حال أي:خلقناه مبتلين،أي: مريدين ابتلاءه بالأمر ،والنهي له. ﴿فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾إذا سمع وبصر» [٤].

وقال ابن عاشور : «جملة ﴿ نَّبْتَلِيهِ ﴾ في موضع الحال من الإنسان ،وهي حال مقدرة ، أي : مريدين ابتلاءه في المستقبل ، أي :بعد بلوغه طور العقل والتكليف» [٥].

---

(١) وهي الحال التي يكون حصولها مقدرا وصاحب هذه الحال لم يكن على تلك الحال زمن الأخبار عنها . دستور العلماء (٤٩/٤).

(٢) التسهيل (١٦٦/٤ ، ١٦٧) .

(٣) جامع البيان (٢٠٥/٢٩)، والقرآن العزيز (٧٠/٥)، وتفسير القرآن (١١٣/٦)، ومعالم التنزيل (٤٢٧/٤)، والمحرر الوجيز (٤٠٩/٥) ،ومدارك التنزيل (٣٠٢/٤)،والقرآن العظيم (٤٥٤/٤) ، و تفسير الجلالين (٧٨١/١) ، و الجواهر الحسان (٣٧٠/٤) ، والتحرير والتنوير (٣٧٤/١٢) .

(٤) مدارك التنزيل (٣٠٢/٤) .

(٥) التحرير والتنوير (٣٧٤/١٢) .

القول الثاني : معنى الابتلاء هنا بمعنى التصريف أي :﴿ نَّبۡتَلِيهِ ﴾ بتصريفه في بطن أمه نطفة ثم علقة. وهو قول ابن عباس [1] – رضي الله عنه –

وقال بجوازه الزمخشري ، والسمين الحلبي ، والشوكاني [2].و ذكره القرطبي ، والبيضاوي ، وأبي حيان والشربيني ، وأبو السعود ، و الألوسي –رحمهم الله تعالى– [3] .

والمعنى على هذا القول : خلقنا الإنسان مُبتلى عند تصريفه في بطن أمه ، على أن الحال مقارنة [4] وتكون جملة ﴿ نَّبۡتَلِيهِ ﴾ في محل نصب حال من المفعول.

قال الزمخشري : «ويجوز أن يراد : ناقلين له من حال إلى حال ، فسمي ذلك ابتلاء على طريق الاستعارة» [5].

وقال الألوسي : « وقوله تعالى : « ﴿ نَّبۡتَلِيهِ ﴾ حال من فاعل خلقنا والمراد مريدين ابتلاءه واختباره بالتكليف فيما بعد على أن الحال مقدرة أو ناقلين له من حال إلى حال ومن طور إلى طور على طريقة الاستعارة ؛ لأن المنقول يظهر في كل طور ظهورًا آخر كظهور نتيجة الابتلاء والامتحان بعده ، وروى نحوه عن ابن عباس» [6].

الترجيح

الراجح – والله تعالى أعلم بالصواب – أنَّ معنى ﴿ نَّبۡتَلِيهِ ﴾ أي :نختبره ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن معه ؛ لدلالة ظاهر القرآن على أنَّ معنى " الابتلاء " الاختبار .

ونظيره قول الله تعالى : ﴿ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ﴾[7]

[7]**و قوله تعالى** : ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ﴾[1]. و(لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل)[2]

---

(١) لم أقف عليه مسندا ووقفت عليه منسوبا في الكشاف (٦٦٧/٤) ، و البحر المحيط (٣٨٦/٨)، و إرشاد العقل السليم (٧٠/٩) .

(٢) الكشاف (٦٦٧/٤) ، والدر المصون (٦ / ٤٣٨) ، وفتح القدير (٣٤٥/٥)

(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٢٢/١٩)، وأنوار التنزيل (٤٢٥/٥)، والبحر المحيط(٣٨٦/٨)، والسراج المنير (٢٠٠/٨) وإرشاد العقل السليم (٧٠/٩)، وفتح القدير(٣٤٥/٥)، روح المعاني (١٥٢/٢٩).

(٤) الحال المقارنة : هي التي يُقارن زمنها زمن عاملها . معاني النحو (٢ / ٢٤١).

(٥) الكشاف (٦٦٧/٤) .

(٦) روح المعاني (١٥٢/٢٩).

(٧) سورة الأنبياء:٣٥.

بدليل)[٢] **ويؤيده عدة أمور وهي:**

١. دلالة اللغة : فإن المشهور في لغة العرب أنَّ الابتلاء معناه الاختبار ، و (في تفسير القرآن بمقتضى اللغة يُراعى الأغلب و الأشهر و الأفصح دون الشاذ أو القليل) [٣].

قال ابن منظور : « بلا بلوت الرجل بلوا و بلاء و ابتليته اختبرته و بلاه يبلوه بلوا إذا جرّ به واختبره » [٤].

٢. أنَّ القول الثاني منسوب لابن عباس – ﷺ – . وذكره أهل التفسير في معرض الأقوال بخلاف القول الأول قال به جمع من العلماء ، ويشهد لصحته النظائر القرآنية ، ودلالة اللغة فله من القرائن ما يجعل القول به أولى . والله تعالى أعلم.

(١) سورة الصافات:١٠٦.

(٢) قواعد الترجيح (١ / ١٣٧) .

(٣) قواعد التفسير (١ / ٢١٣).

(٤) لسان العرب (١٤/٨٣).

قول الله – ﷻ – : ﴿عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً﴾[1].

❁ (٧٣)مسألة :في معنى الباء في قوله تعالى :﴿ يَشْرَبُ بِهَا﴾.

ترجيح ابن جُزَيّ – رحمه الله – :

رجَّح أنَّ معنى الباء للإلصاق . بمعنى المزج ،والخلط .

ومجمل ما ذكره في الآية :

قال : « ﴿ يَشْرَبُ بِهَا﴾ قال ابن عطية: الباء زائدة، والمعنى: يشربها، وهذا ضعيف ؛ لأن الباء إنما تزاد في مواضع ليس هذا منها ،وإنما هي :كقولك شربت الماء بالعسل ؛لأن العين المذكورة تمزج بها الكأس من الخمر» [2].

العرض والمناقشة:

اختُلف في معنى " الباء " على ثلاثة أقوال:

القول الأول : ما ذهب إليه ابن جُزيّ موافقاً للزمخشري ، و اقتصر عليه الرازي ،والنيسابوري و وافقهم أبو حيَّان ، والبقاعي ، وصدّره ابن عاشور–رحمهم الله تعالى- [3].

قال الزمخشري : «فإن قلت لم وصل فعل الشرب بحرف الابتداء أوّلاً وبحرف الإلصاق آخراً ؟ قلت : لأنّ الكأس مبدأ شربهم وأوّل غايته وأما العين فبها يمزجون شرابهم فكان ا لمعنى يشرب عباد الله بها الخمر كما تقول : شربت الماء بالعسل» [4] .

القول الثاني : أن " الباء " بمعنى " من " لابتداء الغاية. قال به السمعاني ، واقتصر عليه جلال الدين

---

(١) سورة الإنسان:٦.

(٢) التسهيل (١٦٧/٤) .

(٣) الكشاف (٤/ ٦٦٨) التفسير الكبير (٢١٣/٣٠) ، وغرائب القرآن (٦ / ٤١١) ، البحر المحيط (٣٨٧/٨) ونظم الدرر (٨ / ٢٦٦) ، والتحرير والتنوير (١٢ / ٣٨١).

(٤)الكشاف (٦٦٨/٤).

المحلّي ، و الشربيني ، وتبعهم الصاوي –رحمهم الله تعالى– [1].

القول الثالث : أنَّ الباء زائدة ، والمعنى يشربها. اختاره ابن عطية بقوله : « وقوله : ﴿ يَشْرَبُ بِهَا ﴾ بمنزلة يشربها ،فالباء زائدة، وقال الهذلي[2] : شربن بماء البحر[3] . أي شربن ماء البحر ...» [4].

القول الرابع : القول بتضمين [5] " يشربون " معنى يرتون ، أي : يروى بها عباد الله . قال به الطبري ، وابن القيم ، وابن كثير–رحمهم الله تعالى– [6].

قال الطبري : «وقوله :﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾ يقول تعالى ذكره :كان مزاج الكأس التي يشرب بها هؤلاء الأبرار كالكافور في طيب رائحته من عين يشرب بها عباد الله الذين يدخلهم الجنة . والعين على هذا التأويل نصب على الحال من الهاء التي في مزاجها ويعني بقوله يشرب بها عباد الله يروى بها وينتقع » [7].

وقال ابن كثير : « ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ أي: هذا الذي مزج لهؤلاء الأبرار من الكافور هو عين يشرب بها المقربون من عباد الله، صرفًا بلا مزج بها ؛ولهذا ضمن "يشرب " معنى " يروى" حتى عدّاه بالباء ونصب عيناً على التمييز. قال بعضهم: هذا الشراب في طيبه كالكافور» [8].

الترجيح

(١) تفسير القرآن (١١٥/٦) ، وتفسير الجلالين (٧٨١/١) ، و السراج المنير (٨ / ٢٠٤) ، وحاشية الصاوي على الجلالين (٦ / ٢١٠) .

(٢) خويلد بن خالد بن محرث، أبو ذؤيب، من بني هذيل بن مدركة، من مضر .شاعر فحل، مخضرم، أدرك الجاهلية ،و الإسلام. وسكن المدينة. واشترك في الغزو والفتوح.توفي نحو(٢٧ هـ).
يُنظر : طبقات فحول الشعراء (١٢٣/١) ، والأعلام (٢ / ٣٢٥).

(٣) خزانة الأدب (٩٠/٧).

(٤) المحرر الوجيز (٤١٠/٥) .

(٥) التضمين هو : أن يحمل اللفظ معنى غير الذي يستحقه بغير آلة ظاهرة ، ويكون في الحرف ،والفعل ،والاسم ، وفائدة التضمين هي: أن تؤدي كلمة مؤدى كلمتين .
يُنظر : الكليات (٢٦٦/١) ، و قواعد التفسير (٢ / ٣٨٦) .

(٦) جامع البيان (٢٠٧/٢٩) ، وبدائع الفوائد (٢٥٩/٢) ، و تفسير القرآن العظيم (٤٥٥/٤) .

(٧) جامع البيان (٢٠٧/٢٩).

(٨) تفسير القرآن العظيم (٤٥٥/٤) .

الراجح – والله تعالى أعلم بالصواب – القول بالتضمّين ﴿ يَشْرَبُ بِهَا ﴾ يروي بها : وهو ما رجَّحه الإمام الطبري–رحمه الله تعالى– ؛لأن الفعل يشرب إنما يتعدى بـــ " من " فعندما عُدي بالباء لتضمين معنى " يشرب به " يرتوي به " ، وعلى هذا الوجه يكون المعنى أبلغ ؛ ليفيد أنهم يشربون منها ،ويستمتعون بها ،ويرتوون بها . (فالغرض من التضمين إفراغ اللفظين إفراغًا كأن أحدهما سُبك في الآخر .فالمعنى لا يأتيك مُصرحًا بذكره ، مكشوفًا عن وجهه بل مدلولا عليه بغيره)[1] ؛ ولأن (لكل حرف من حروف المعاني وجه هو أولى به من غيره ، فلا يجوز تحويل ذلك عنه إلى غيره إلا بحجة)[2].

قال ابن القيِّم – رحمه الله تعالى – : « وهذا نحو قوله تعالى: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ ﴾يضمنون يشرب معنى يروي ،فيعدونه بالباء التي تطلبها ،فيكون في ذلك دليل على الفعلين:

أحدهما: بالتصريح به . والثاني : بالتضمُّن والإشارة إليه بالحرف الذي يقتضيه مع غاية الا ختصار وهذا من بديع اللغة ومحاسنها وكمالها. ومنه قوله في السحاب :

شربْ ن بماءِ البحرِ حتَّ روَيْ نَ ثمَّ ترفَ عن وصعدن

وهذا أحسن من أن يقال : يشرب منها ،فإنه لا دلالة فيه على الري ، وأن يقال :يروى بها؛ لأنه لا يدل على الشرب بصريحه بل ؛باللزوم ،فإذا قال: ﴿ يَشْرَبُ بِهَا ﴾ دلَّ على الشرب بصريحه ،وعلى الري بخلاف الباء فتأمله »[3]. والله تعالى أعلم.

(١) التضمين النحوي في القرآن الكريم (١ / ١٠٦) .

(٢) قواعد التفسير (١ / ٣٨٦) .

(٣) بدائع الفوائد (٢/٢٥٩) .

قول الله – ﷻ – : ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً﴾[1]

الآية فيها ثلاثة مسائل وهي :

❁ (٧٤)المسألة الأولى : هل الآية خاصة أم عامة ؟

ترجيح ابن جُزيّ – رحمه الله – :

رجَّح أنَّ الآية و ما بعدها خاصة بعلي بن أبي طالب وفاطمة –رضي الله عنهما–.

ومجمل ما ذكره في الآية :

قال : « ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ﴾ نزلت هذه الآية وما بعدها في علي بن أبي طالب وفاطمة والحسن والحسين –رضي الله عنهم– ، فإنهم كانوا صائمين فلمَّا وضعوا فطورَهم ؛ ليأكلوه جاء مسكين فرفعوه له وباتوا طاوين وأصبحوا صائمين، فلما وضعوا فطورهم جاء يتيم فدفعوه له وباتوا طاوين وأصبحوا صائمين فلما وضعوا فطرهم جاء أسير فدفعوه له وباتوا طاوين[2]، والآية على هذا مدنية ؛ لأن عليً ا – رضي الله عنه – إنما تزوج فاطمة –رضي الله عنها– بالمدينة. وقيل: إنما هي مكية وليست في علي» [3].

العرض والمناقشة:

القول الأول : ما رجحه ابن جُزيّ موافقًا المروي عن ابن عباس– رضي الله عنهما –[4]، وما قال به الواحدي والزمخشري ، والبيضاوي ، و وافقهم الصاوي –رحمهم الله تعالى– [5].

حكى الزمخشري عن ابن عباس – رضي الله عنهما– أنه قال: «أنّ الحسن والحسين –رضي الله عنهما– مرضا فعادهما رسول الله – ﷺ –في ناس معه، فقالوا: يا أبا الحسن لو نذرت على ولدك، فنذر عليٌّ وفاطمةُ وفضةُ –جارية لهما– إن برءا مما بهما أن يصوموا ثلاثةَ أيامٍ، فشفُيا وما معهم شيء، فاستقرض علي – رضي الله عنه – من شمعون الخيبري اليهودي ثلاثَ أصوعٍ من شعيرٍ، فطحنت فاطمة صاعًا واختبزت خمسةَ

(١) سورة الإنسان:٨.

(٢) تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري (١٣٣/٤) ، ح (١٤٤٣) . قال الترمذي : «هذا حديث مزوق »، نوادر الأصول في أحاديث الرسول (٢٤٦/١). وقال ابن حجر: «وهذا لا نشك في وضعه ». الكشاف (٤/ ٥٠٥).

(٣) التسهيل (١٦٧/٤) .

(٤) ذكره السيوطي في" الدر المنثور "(٣٧١/٨) ، وعزاه لابن مردويه بلفظ (قال : نزلت هذه الآية في علي بن أبي طالب وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه و سلم).

(٥)الوسيط (٤٠١/٤)، والكشاف (٦٧٠/٤)، و أنوار التنزيل (٤٢٨/٥)، وحاشية الصاوي (٢١٠/٦) .

أقراصٍ على عددهم فوضعوها بين أيديهم؛ ليفطروا فوقف عليهم سائلٌ فقال: السلام عليكم أهل بيت محمد مسكين من مساكين المسلمين أطعموني أطعمكم الله من موائد الجنة، فآثروه وباتوا لم يذوقوا إلا الماءَ ، وأصبحوا صيامًا فلما أمسوا ووضعوا الطعام بين أيديهم وقف عليهم يتيم، فآثروه ووقف عل يهم أسير في الثالثة ففعلوا مثل ذلك، فلما أصبحوا أخذ علي- ﷺ -بيد الحسن والحسين-رضي الله عنهما- وأقبلوا إلى رسول الله - ﷺ - فلما أبصرهم وهم يرتعشون كالفراخ من شدّة الجوع، قال: ما أشدّ ما يسوؤني ما أرى بكم، وقام فانطلق معهم، فرأى فاطمةَ-رضي الله عنها- في محرابها قد التصق ظهرها ببطنها، وغارت عيناها فساءه ذلك فنزل جبريل، وقال : خذها يا محمد ، هنأك اللَّهُ في أهل بيتك فأقرَأه السورة » [(١)].

وردَّ هذا الحديث جماعة من المفسرين منهم السمعاني ، والقرطبي ، والشربيني ، والخفاجي —رحمهم الله تعالى- [(٢)].

قال القرطبي : « وقد ذكر النقاش والثعلبي والقشيري وغير واحد من المفسرين في قصة علي وفاطمة — رضي الله عنهما- ، وجاريتهما حديثًا لا يصح ولا يثبت » [(٣)].

القول الثاني : خاصة بغيرهما ، واختُلف فيه على أقوال :

- أنها خاصة فيمن تكفلّ بأسرى بدر وهم سبعة من المهاجرين .

حكى ابن عساكر عن مجاهد -ﷺ- قال: لما صدر النبي -ﷺ- بالأسارى عن بدر اتفق سبعة من المهاجرين على أسارى مشركي بدر، منهم أبو بكر وعمر وعلي والزبير وعبد الرحمن وسعد وأبو عبيدة بن الجراح -ﷺ- ، قال: فقالت الأنصار قبلناهم في الله وفي رسوله -ﷺ- ونفوقهم بالنفقة فأخبرته الأنصار رسول الله -ﷺ- فأنزل الله فيهم تسعَ عشرةَ آية ،﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾[(٤)]إلى قوله:﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا﴾[(٥)][(٦)] .

قال الألوسي: «لم أره لفرد غيرَ ابن عساكر ولا وثوق لي بصحته،وهو يقتضي مدينة هذه الآيات

(١) الكشاف (٦٧٠/٤).

(٢) تفسير القرآن (١١٦/٦)، و الجامع لأحكام القرآن (١٣٠/١٩) ، والسراج المنير (٢٠٧/٨)، وحاشية الشهاب (٩/ ٣٥٥).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٣٠/١٩) .

(٤) سورة الإنسان:٥ .

(٥)سورة الإنسان:١٨ .

(٦) أخرجه ابن عساكر في " تاريخ دمشق " (٢٨٦/٣٥) وسنده ضعيف ؛ لإرساله .

وقد علمت الخلاف في ذلك» [1].

- أنها خاصة في مُطعم ابن ورقاء الأنصاري -رضي الله عنه-

ذكره القرطبي بقوله: «إن هذه الآية نزلت في مطعم بن ورقاء الأنصاري -رضي الله عنه- نذر نذرا فوفى به » [2].

- خاصة في أبي الدرداء -رضي الله عنه- ، ذكره السمعاني-رحمه الله تعالى- [3].
- أنها خاصة في أبي الدحداح الأنصاري -رضي الله عنه- صام يوما، فلما أراد أن يفطر جاء مسكين ويتيم وأسير فأطعمهم ثلاثة أرغفة ، وبقي له ولأهله رغيف واحد فنزلت فيهم هذه الآية .حكاه ابن الجوزي عن مقاتل-رحمهما الله تعالى- [4].
- وذكر أبو الليث، والثعلبي، والبغوي –رحمهم الله تعالى- أنها خاصة برجل من الأنصار [5].

القول الثالث : أنَّ الآية عامَّة في جميع الأبرار ، رجَّحه الطبري ، والسمعاني ، والرازي والقرطبي – رحمهم الله تعالى- [6].

قال السمعاني:« واختلف القول فيمن نزلت هذه الآية،فأصح الأقاويل أن الآية على العموم» [7].

وقال القرطبي : «وقال أهل التفسير: نزلت في علي وفاطمة -رضي الله عنهما- وجارية لهما اسمها فضة، قلت:والصحيح أنها نزلت في جميع الأبرار ومن فعل فعلاً حسناً فهي عامَّة» [8].

الترجيح

الراجح – والله تعالى أعلم بالصواب – أنَّ الآية عامَّة في جميع الأبرار ، وهو ما رجَّحه الإمام الطبري ومن وافقه ؛ لأنَّ الآيات من مبتدأ السورة جاءت بذكر صفات الأبرار ، وحملها على التخصيص

(١) روح المعاني (١٥٥/٢٩) .
(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٣٠/١٩) .
(٣) تفسير القرآن (١١٦/٦) .
(٤) زاد المسير (٤٣٢/٨) .
(٥) بحر العلوم (٥٠٤/٣) ، و الكشف والبيان (٩٨/١٠) ، و معالم التنزيل (٤٢٨/٤) .
(٦) جامع البيان (٢٠٩/٢٩)،تفسير القرآن (١١٦/٦)، التفسير الكبير (٢١٥/٣٠)، و الجامع لأحكام القرآن (١٣٠/١٩) .
(٧) تفسير القرآن (١١٦/٦) .
(٨) الجامع لأحكام القرآن (١٣٠/١٩) .

خلاف الظَّاهر .

قال الرازي – رحمه الله تعالى– : «﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ﴾[1]وهذه صيغة جمع فتتناول جميع الشاكرين، والأبرار، ومثل هذا لا يمكن تخصيصه بالشخص الواحد؛ لأن نظم السورة من أولها إلى هذا الموضع يقتضي أن يكون هذا بياناً لحال كل من كان من الأبرار، والمطيعين، فلو جعلناه مختصاً بشخص واحد لفسد نظم السورة» [2]. و (لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل) . **ومما يؤيد هذا القول عدة أمور وهي :**

١. أنَّ الآيات على عمومها تشمل جميع الأبرار إلى قيام الساعة ، و (يجب حمل نصوص الوحي على العموم) .

٢. القول بالتخصيص في شخص بعينه لم يثبت فيه حديث صحيح ، وإنما وردت فيها أقوال لم تثبت صحتها فلا يحتج بها . والله تعالى أعلم.

(١) سورة الإنسان:٥.

(٢) التفسير الكبير (٣٠/٢١٥) .

❁ (٧٥)المسألة الثانية : في عود الضمير في قول الله تعالى : ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾

ترجيح ابن جُزَيّ – رحمه الله – :

رجَّح أنَّ الضمير يعود على الطعام .

مجمل ما ذكره في الآية :

قال : «﴿عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ الضمير للطعام أي: يطعمونه مع حبه ،والحاجة إليه فهو كقوله : ﴿ لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾[١] ، وقوله تعالى : ﴿وَيُوثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾[٢]، ففي قوله:﴿عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ تتميم ،وهو من أدوات البيان . وقيل : الضمير لله وقيل: للإطعام المفهوم من يطعمون . والأول أرجح ،وأظهر» [٣].

العرض والمناقشة:

اختُلف في عود الضمير على ثلاثة أقوال وهي :

القول الأول : ما استظهره ابن جزي موافقًا المروي عن مجاهد[٤]،ومقاتل [٥] – رضي الله عنهما – واختاره الإمام الطبري [٦]، واقتصر عليه أبو الليث ، وابن أبي زمنين ، والثعلبي ، والسمعاني والبغوي ورجحه ابن عطية ، و وافقهم أبو حيَّان ، وابن كثير ، وجلال الدين المحلِّي والبقاعي ، وتبعهم الصاوي وصدّره الشوكاني ، والألوسي ، و ذهب إليه القنوجي ، وقال به السعدي ، وقدّمه ابن عاشور ، و رجحه عطية سالم – رحمهم الله تعالى–[٧].

---

(١) سورة آل عمران:.٩١.

(٢) سورة الحشر:٩ .

(٣) التسهيل(١٦٧/٤) .

(٤) أخرجه الطبري بسنده عنه " جامع البيان" (٢٠٩/٢٩) ، ولفظه قال : (وهم يشتهونه) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣٧٠/٨) ، وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر والبيهقي في شعب الإيمان.

(٥) أخرجه الطبري بسنده عنه (المرجع السابق) (٢٠٩/٢٩) ، ولفظه قال :(على حبهم للطعام).

(٦) جامع البيان (٢٠٩/٢٩).

(٧) بحر العلوم (٥٠٤/٣) ، وتفسير القرآن (٥/ ٧١)) ، و الكشف والبيان (١٠١/١٠) ، وتفسير القرآن (١١٦/٦) ، ومعالم التنزيل (٤٢٨/٤) ، والمحرر الوجيز (٤١٠/٥) ، والبحر المحيط (٣٨٨/٨) ،وتفسير القرآن العظيم (٤٥٥/٤) ، وتفسير الج لالين (٧٨٢/١) ، ونظم الدرر (٨ / ٢٦٧) ، وحاشية الصاوي على الجلالين (٢١٠/٦)، وفتح القدير (٣٤٧/٥) ، وروح المعاني (١٥٥/٢٩) ، وفتح البيان (٤٦٣) ، وتيسير الكريم الرحمن (٩٠١/١)، والتحرير والتنوير (٣٨٤/١٢) ، وأضواء البيان (٣٩٤/٨).

قال الإمام الطبري: « وقوله: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ يقول تعالى ذكره كان هؤلاء الأبرار يطعمون الطعام على حبهم إياه ،وشهوتهم له» (١).

وقال ابن عطية : « وقوله تعالى: «﴿عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ يحتمل أن يعود الضمير على الطعام أي: وهو محبوب للفاقة ،والحاجة،وهذا قول ابن عباس ،ومجاهد ،ويحتمل أن يعود على الله تعالى أي: لوجهه ،وابتغاء مرضاته، قاله أبو سليمان الداراني(٢) .والأول أمدح لهم؛ لأن فيه الإيثار على النفس» (٣).

القول الثاني: أنَّ الضمير يعود على الله- ﷻ -. والمعنى : ويطعمون الطعام إطعامًا كائنًا على حبه - ﷻ - . قاله الفضيل بن عياض (٤) (٥). واختاره أبو السعود بقوله :﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ أي:كائنين على حب الطعام والحاجة إليه كما في قوله تعالى :﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ﴾ أو على حُبِ الإطعام بأن يكون ذلك بطيب النفس أو كائنين على حب الله تعالى أو إطعامًا كائنً ا على حبه تعالى. وهو الأنسب لما سيأتي من قوله تعالى: ﴿لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾»(٦).

وممن أورده البغوي، والزمخشري، وابن عطية، وابن الجوزي ، والرازي ، والقرطبي ، والبيض اوي والنسفي ، والقمي النيسابوري ، والخازن ، وأبو حيَّان ، وابن كثير ، والثعالبي ، والشوكاني – رحمهم الله تعالى – (٧).

القول الثالث: أنَّ الضمير يعود على الإطعام . أي : على حب إطعام الطعام .أورده الثعلبي وابن

---

(١) جامع البيان (٢٠٩/٢٩) .

(٢) عبد الرحمن بن أحمد بن عطية العنسي المذحجي، أبو سليمان . زاهد مشهور . توفي سنة (٢١٥ هـ).
يُنظر : تذكرة الحفاظ (١٨٣/١) ، ولسان الميزان (٢٨٠/٧) ، و الأعلام (٣ / ٢٩٣) .

(٣) المحرر الوجيز (٤١٠/٥) .

(٤) الكشاف (٦٦٩/٤) ، و الجامع لأحكام القرآن (١٢٨/١٩) .

(٥) الفضيل بن عياض بن مسعود التميمي اليربوعي أبو علي الزاهد أحد صلحاء الدنيا وعبادها شيخ الحرم المكي، كان ثقة في الحديث، أخذ عنه خلق منهم الإمام الشافعي . توفي سنة (١٨٧ هـ) .
يُنظر تهذيب الكمال (٢٨١/٢٣)، والأعلام (١٥٣/٥) .

(٦) تفسير إرشاد العقل السليم (٧٢/٩) .

(٧) معالم التنزيل (٤٢٨/٤) ، و الكشاف (٦٦٩/٤) ، والمحرر الوجيز (٤١٠/٥) ، و زاد المسير (٤٣٣/٨) ، و التفسير الكبير (٢١٦/٣٠) ، و الجامع لأحكام القرآن (١٢٨/١٩) ، و أنوار التنزيل (٤٢٧/٥) ، و مدارك التنزيل (٣١٧/٤) ، وغرائب القرآن (٦ / ٤١٣) ، ولباب التأويل (٦ / ٣٣٤) ، و البحر المحيط (٣٨٨/٨) ، و تفسير القرآن العظيم (٤٥٥/٤) ، والجواهر الحسان (٣٧١/٤) ، و فتح القدير (٣٤٧/٥) .

عطية ، والبيضاوي ، وابن عادل ، وأبو السعود ، والشوكاني – رحمهم الله تعالى – [1].

الترجيح

أولى الأقوال بالصواب – والله تعالى أعلم– أنَّ الضمير يعود على " الطعام " وهو ما رجحه ابن جُزيّ ومن معه ؛ لأنَّ الله – ﷻ – ذكر حالهم على وجه التّمدح والثناء عليهم فهم على حبهم للطعام وحاجتهم إليه ونُدرته عندهم إلا أنهم قدّموا محاب الله تعالى على أنفسهم .

قال برهان الدين البقاعي – رحمه الله تعالى – : « ﴿عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ أي : حُبه إياه حبًّاهو في غاية المكنة منهم والاستعلاء على قلوبهم ؛لقلته وشهوتهم له وحاجتهم إليه كما قال تعالى :﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ﴾ ؛ ليفهم أنهم للفضل أشد بذلاً ، ولهذا قال –ﷺ– : ((لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم))[2] ، أي : الصحابة –رضي الله عنهم– "ولا نصيفه" لقلة الموجود إذ ذاك وكثرته بعد» [3]. و (الأصل إعادة الضمير إلى أقرب مذكور ما لم يرد دليل بخلافه)[4]. **ويؤيد هذا القول عدة عدة أمور :**

١. فاق حُبُّ الله تعالى في قلوب المؤمنين كلّ حُبٍّ ، فلمَّا كانت حاجتهُم للطعام شديدة وأنفسهم عليه حريصة بذلوه خالصًا لوجه الله تعالى ، فذكر محبتهم لله تعالى ذُكر في قوله تعالى :﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ [5] مما يجعل الضمير في ﴿عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ عائد على الطعام ؛ لأن(التأسيس أولى من التأكيد) [6].

قال الشيخ عطية سالم – رحمه الله تعالى – : « وفي الآية التي بعدها في هذه السورة قرينة تشهد لرجوعه للطعام على ما تقدم وهي قوله تعالى بعدها : ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾؛

---

(١) الكشف والبيان (٩٦/١٠) ، و المحرر الوجيز (٤١٠/٥) ، و أنوار التنزيل (٤٢٧/٥) ، و إرشاد العقل السليم (٧٢/٩) ، و فتح القدير (٣٤٧/٥) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب فضائل الصحابة ، باب قول النبي– ﷺ – : ((لو كنتُ متخذاً خليلاً)) (١٣٤٣/٣) ح (٣٤٧٠)، و مسلم في صحيحه ، كتاب فضائل الصحابة– رضي الله عنهم –، باب تحريمِ سبِّ صحابةِ رسول الله– ﷺ –(١٩٦٧/٤) ح (٢٥٤٠) .

(٣) نظم الدرر (٨ / ٢٦٧) .

(٤) قواعد الترجيح (٢ / ٦١٢) .

(٥) الإنسان : ٩

(٦) قواعد الترجيح (٢ / ٤٧٣).

لأنها في معنى حب الله مما يجعل الأولى للطعام وهذه لله والتأسيس أولى من التأكيد فيكون ال سياق ويطعمون الطعام على حاجتهم إياه ولوجه الله تعالى» [1].

٢. أنَّ﴿عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ تتميم [2]للمعنى مبالغة في صف حالهم. أي : أنَّ إطعامهم للطعام مع شدة حاجتهم إليه ؛ لإظهار معنى البذل مع شدة الحاجة .

قال السيوطي-رحمه الله تعالى- : «التتميم وهو أن يؤتى في كلام لا يوهم غير المراد بفضلة، تفيد نكتة كالمبالغة في قوله: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ أي: مع حب الطعام، أي: اشتهائه فإن الإطعام حينئذ أبلغ وأكثر أجرا ، فلو قال : "ويطعمون الطعام مسكينًا ويتيمًا وأسيرًا " لفات معنى الإيثار على النفس في قوله:﴿عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ »[3] . والله تعالى أعلم.

(١) أضواء البيان (٣٩٤/٨) .

(٢) التتميم : وهو أن توفي المعنى حظه من الجودة ، وتعطيه نصيبه من الصحة ،ثم لا تغادر معنى يكون فيه تمامه إلا تورده ،أو لفظا يكون فيه توكيده إلا تذكره .

يُنظر : الصناعتين الكتابة والشعر (٣٨٩/١) و التعاريف (١٥٩/١) ، وخزانة الأدب وغاية الأرب (٢٧١/١) .

(٣) الإتقان في علوم القرآن (٢٠٠/٢) .

❁ (٧٦)المسألة الثالثة :في المراد بالأسير في الآية.

ترجيح ابن جُزيّ - رحمه الله - :

رجَّح أنَّ المراد بالأسير " الكافر "

مجمل ما ذكره في الآية :

قال : «وأما الأسير ففيه خمسة أقوال:

أحدها: أن الأسير الكافر بين المسلمين ففي إطعامه أجر ؛لأنه في كل ذي كبد رطبة أجر [(١)] وقيل : نسخ ذلك بالسيف.

والآخر: أنه الأسير المسلم إذا خرج من دار الحرب لطلب الفدية.

والثالث: أنه المملوك.

الرابع: أنه المسجون.

الخامس : أنه المرأة لقوله- ﷺ -:((استوصوا بالنساء خيرا لأنهن عوان عندكم))[(٢)] وهذا بعيد والأول أرجح ؛ لأنه روي أن النبي -ﷺ- كان يؤتى بالأسير المشرك ،فيدفعه إلى بعض المسلمين ويقول :(له أحسن إليه)[(٣)] »[(٤)] .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب المساقة والشراب ، باب فضل سَقيَ الماء (٨٣٣/٢) ح (٢٢٣٤) ،وأخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب السلام ، باب فضلِ ساقي البهائم المحترمةِ وإطعامِها (١٧٦١/٤) ح (٢٢٤٤).

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه في كتاب المناسك ، باب الخطبة يوم النحر (٥٩٤/١) ح (١٨٥١) ، وأخرجه الترمذي في سننه ، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله - ﷺ - ، باب ومن سورة التوبة (٢٧٣/٥ ، رقم ٣٠٨٧) . والنسائي في الكبرى ، الوصية بالنساء ، كيف الضرب (٣٧٢/٥) ح (٩١٦٩) .
قال الترمذي : حسن صحيح ، و قال الألباني : ورجاله ثقات رجال الشيخين غير سليمان بن عمرو فقال ابن القطان : (مجهول الحال) . وأما ابن حبان فذكره في (الثقات) (٧٠/١) لكن للحديث شاهد من حديث عم أبي حرة الرقاشي . أخرجه أحمد (٥ / ٧٢ - ٧٣) من طريق حماد بن سلمة عن على بن زيد عن أبي حرة الرقاشي عن عمه به نحوه وعلي ابن زيد هو ابن جدعان وفيه ضعف لكن لا بأس به في الشواهد فالحديث بمجموع الطريقين حسن إن شاء الله تعالى . إرواء الغليل (٧ / ٩٦ - ٩٧) .

(٣) وقفت عليه منسوباً بغير إسناد إلى الحسن في الكشاف (٦٦٩/٤) ، و أنوار التنزيل (٤٢٧/٥) ، و تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري (١٣٣/٤)، وإرشاد العقل السليم (٧٢/٩)، و روح المعاني (١٥٥/٢٩).

(٤) التسهيل (١٦٨/٤).

العرض والمناقشة:

في المسألة ستة أقوال ، وهي :

القول الأول : ما رجحه ابن جُزيّ موافقًا لقول عكرمة [١]، والحسن [٢] ، وقتادة [٣] -رضي الله عنهم- .

وما ذهب إليه الجصاص ، وابن أبي زمنين ، و وافقهم أبو حيان-رحمهم الله تعالى- [٤] .

وأورده الطبري ،و أبو الليث ، والثعلبي ، و الماوردي ،والسمعاني ،والبغوي والزمخشري ،وابن عطية وابن الجوزي ،والقرطبي ،و البيضاوي ،والقمي النيسابوري ،والخازن وابن كثير ،وابن عادل والثعالبي والألوسي - رحمهم الله تعالى -[٥].

قال الجصاص: « الأظهر الأسير المشرك لأن ؛المسلم المسجون لا يسمى أسيراً على الإطلاق» [٦].

وقال أبو حيَّان : «والأسير معروف وهو من الكفار قاله قتادة»[٧] .

القول الثاني : إنَّ الأسير المسلم ، وهو قول سعيد بن جبير [٨] ومجاهد[٩]- رضي الله عنهما- .

وذكره السمرقندي ، والثعلبي ، والماوردي ،والقرطبي ،والقمي النيسابوري ،و الخازن و أبو حيَّان ،و الألوسي-رحمهم الله تعالى-[١٠].

---

(١) أخرجه الطبري بسنده عنه "جامع البيان" (٢١٠/٢٩) ، ولفظه قال: (كان الأسرى في ذلك الزمان المشرك) .

(٢) أخرجه الطبري بسنده عنه (المرجع السابق)(٢١٠/٢٩) ، ولفظه قال : (ما كان أسراهم إلا المشركين) .

(٣) أخرجه الطبري بسنده عنه (المرجع السابق) (٢٠٩/٢٩) ، ولفظه قال : (لقد أمر الله بالأسراء أن يحسن إليهم وإن أسراهم يومئذ لأهل الشرك) .

(٤) أحكام القرآن للجصاص (٣٧٠/٥) ، وتفسير القرآن العزيز (٧١/٥) ، و البحر المحيط (٣٨٨/٨) .

(٥) جامع البيان (٢١٠/٢٩) ، و بحر العلوم (٥٠٤/٣) ، والكشف والبيان (٩٦/١٠) ، والنكت والعيون (٦ / ١٦٦) وتفسير القرآن (١١٦/٦) ، ومعالم التنزيل (٤٢٨/٤) ، والكشاف (٦٦٩/٤) ، والمحرر الوجيز (٤١٠/٥) ، و زاد المسير (٤٣٢/٨) ، والجامع لأحكام القرآن (١٢٩/١٩) ، و أنوار التنزيل (٤٢٧/٥) ، وغرائب القرآن (٦/ ٤١٣)، و لباب التأويل (٦ / ٣٣٤) ، وتفسير القرآن العظيم (٤/ ٤٥٥، ٤٥٦) ، واللباب في علوم الكتاب (٢٣/٢٠)، والجواهر الحسان (٣٧١/٤) ، وروح المعاني (١٥٥/٢٩) .

(٦) أحكام القرآن للجصاص (٣٧٠/٥) .

(٧)البحر المحيط (٣٨٨/٨) .

(٨) أخرجه الطبري بسنده عنه " جامع البيان " (٢١٠/٢٩) ، ولفظه (وأسيرا من أهل القبلة وغيرهم) .

(٩) أخرجه الطبري بسنده عنه (المرجع السابق) (٢١٠/٢٩) ، ولفظه قال :(الأسير المسجون)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣٧٠/٨) ، وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر ولبيهقي في شعب الإيمان.

(١٠) تفسير بحر العلوم (٥٠٤/٣) ، والكشف والبيان (٩٦/١٠) ، والنكت والعيون (٦ / ١٦٦) ، والجامع لأحكام القرآن (١٢٩/١٩) ، وغرائب القرآن (٦ / ٤١٣) ، و لباب التأويل (٦ / ٣٣٤) ، و تفسير البحر المحيط (٣٨٨/٨) و وروح المعاني (١٥٥/٢٩) .

القول الثالث : إنَّ المملوك ، نسبه الماوردي لعكرمة [1]- ﷺ-، وأورده الثعلبي ،و والزمخشري وابن عطية ،وابن الجوزي ،و الرازي ،والقرطبي ،و البيضاوي ،والقمي النيسابوري و أبو حيان ،و ابن كثير ،وابن عادل ، وأبي السعود ، والألوسي- رحمهم الله تعالى- [2].

القول الرابع : إنَّ المراد بالأسير المرأة. أورده البغوي ،و الزمخشري ،وابن عطية والرازي والقرطبي والبيضاوي ،والقمي النيسابوري ،وأبو حيَّان ،وابن كثير، و الآلوسي- رحمهم الله تعالى جميعاً- [3].
واستُدل عليه بقول النبي- ﷺ -: ((وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا فَإِنَّمَا هُنَّ عَوَانٌ عِنْدَكُمْ ليس تَمْلِكُونَ مِنْهُنَّ شيئا غير ذلك)) [4] ، قال أبو عيسى: هذا حديثٌ حَسَنٌ صحِيحٌ، ومعْنَى قوْلِهِ عوانٌ: عنْدَكُمْ يعنِي أَسرى في أَيْدِيكُمْ .

القول الخامس: إنَّ المراد بالأسير " الغريم "، أورده الزمخشري ، والرازي ، والبيضاوي والنيسابوري وأبي حيان ، والألوسي – رحمهم الله تعالى – [5].
واستُدل عليه بقول النبي ﷺ : ((غريمك أسيرك فأحسن إلى أسيرك))[6].

القول السادس : إنَّ الأسير الحربي من أهل دار الحرب يؤخذ قهرًا بالغلبة ،أو من أهل القبلة يؤخذ فيحبس بحق . اختاره الإمام الطبري ، وقال به الرازي ،والقرطبي،وأظهره الثعالبي ،و اختاره عطية

---

(١) النكت والعيون (٦ / ١٦٦)

(٢) الكشف والبيان (٩٦/١٠) ،والكشاف (٦٦٩/٤) ، والمحرر الوجيز (٤١٠/٥) ، و زاد المسير (٤٣٣/٨)، و التفسير الكبير(٢١٦/٣٠)، والجامع لأحكام القرآن (١٢٩/١٩) ، وأنوار التنزيل (٤٢٧/٥)، وغرائب القرآن (٤١٣/٦) والبحر المحيط (٣٨٨/٨)، وتفسير القرآن العظيم (٤٥٦/٤) ، واللباب في علوم الكتاب (٢٣/٢٠)، وإرشاد العقل السليم (٧٢/٩)، وروح المعاني (١٥٥/٢٩).

(٣) تفسير معالم التنزيل (٤٢٨/٤)، الكشاف (٦٦٩/٤)، والمحرر الوجيز (٤١٠/٥)، والتفسير الكبير (٢١٦/٣٠)، والجامع لأحكام القرآن (١٢٩/١٩)، وأنوار التنزيل (٤٢٧/٥)، وغرائب القرآن (٤١٣/٦)، والبحر المحيط (٣٨٨/٨) ، و تفسير القرآن العظيم (٤٥٦/٤) ، وروح المعاني (١٥٥/٢٩) .

(٤) سبق تخريجه : ص ٣١٩ .

(٥) الكشاف (٦٦٩/٤)، التفسير الكبير (٢١٦/٣٠)، و أنوار التنزيل (٤٢٧/٥)، وغرائب القرآن (٦ / ٤١٣)، والبحر المحيط (٣٨٨/٨) ، و روح المعاني (١٥٥/٢٩) .

(٦) وقفت عليه منسوبًا في الكشاف (٦٦٩/٤) ، والتفسير الكبير (٢١٦/٣٠) ، و روح المعاني (١٥٦/٢٩) .
قَالَ الْوَلِيّ الْعِرَاقِيّ: لم أَقف عَلَيْهِ . الفتح السماوي بتخريج أحاديث القاضي البيضاوي (٣ / ١٠٧٠) .

سالم– رحمهم الله تعالى– [1].

قال الإمام الطبري : « والصواب من القول في ذلك أن يقال إنَّ الله وصف هؤلاء الأبرار بأنهم كانوا في الدنيا يطعمون الأسير، والأسير الذي قد وصفت صفته واسم الأسير قد يشتمل على الفريقين ، وقد عم الخبر عنهم أنهم يطعمونهم؛ فالخبر على عمومه حتى يخصه ما يجب التسليم له»[2].

الترجيح

القول الراجح – والله تعالى أعلم بالصَّواب – أنَّ الأسير يطلق على الأخيذ قهرًا سواء كان مسلمًا أم حربيًا ، وهو ما رجَّحه الإمام الطبري–رحمه الله تعالى– ومن وافقه ؛ لأن (النكرة في سياق الامتنان تعم)[3] ، و الحمل على العموم أولى . **ويؤيده عدة أمور وهي :**

١. سمي الأسير بذلك ؛لأنه شُدَّ بالقيد ثم أُطلِق على الأخيذ قهراً ،وإن لم يُشد .

قال أبو البقاء الحسيني [4]:«الأسير المأخوذ قهراً أصله الشد ،فإن من أُخذ قهراً شُدَّ غالباً فسمي المأخوذ أسيرًا وإن لم يشد» [5] .

٢. صحة إطلاق مسمى الأسير على المسلم والكافر جاء مقررا في الشريعة وهذا بيانه :

- جاء بيان أحكام المحارب إذا وقع في أيدي المسلمين ومن ذلك قول الله – ﷻ – : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[6] والآية ظاهرة الدلالة في أسرى الكفار .
- ومن السنة ما رواه أبو هُرَيْرَةَ – ﷺ – عن النبي – ﷺ – قال :((عَجِبَ الله من قَوْمٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ في السَّلَاسِلِ)) [7].

---

(١) جامع البيان (٢١٠/٢٩)، التفسير الكبير (٢١٦/٣٠) ، الجامع لأحكام القرآن (١٢٩/١٩) ،و الجواهر الحسان (٣٧١/٤) ، أضواء البيان (٣٩٤/٨) .

(٢) تفسير جامع البيان (٢١٠/٢٩) .

(٣) قواعد التفسير (٢ / ٥٤٨).

(٤) أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء،كان من قضاة الاحناف . عاش وولي القضاء في (كفه) بتركيا، وبالقدس، وبغداد. وعاد إلى استانبول فتوفي بها سنة (١٠٩٤ م) . الأعلام (٢ / ٣٨).

(٥) الكليات (١١٤/١)، وأنيس الفقهاء (١٨٨/١)، والمفردات في غريب القرآن (١٧/١) .

(٦) سورة الأنفال:٧٠.

(٧)أخرجه البخاري في " صحيحه " ، كِتَاب الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ ، بَاب الْأُسَارَى في السَّلَاسِلِ (١٠٩٦/٣) ح (٢٨٤٨)

قال ابن حجر – رحمه الله – : « يحتمل أن يكون المراد المسلمين المأسورين عند أهل الكفر يموتون على ذلك أو يقتلون» [1]

- ما جاء في حكم الباغي وهو : الْخَارِجُ عن الْإِمَامِ الْحَقِّ [2] ، إذا ظفر به الإمام فهو أسير عنده ، إلا أنه لا يعامل كالأسير الحربي ، وقد وردت عبارات الفقهاء على هذا الوصف في بيان حكم أسرى البغاة .

قال أبو إسحاق الحنبلي[3] : «ولا تسبى لهم ذرية ومن أسر من رجالهم حبس حتى تنقضي الحرب ،ثم يرسل ،وإن أُسر لم يكفروا ببغيهم . وقتلهم وعصمة الأموال تابعة لدينهم ولا تسبى لهم ذرية لا نعلم فيه خلافا لأحد ؛لأنهم لم يحصل منهم سببٌ أصلا بخلاف أهل البغي فإنه وجد منهم البغي والقتال» [4].

- إنَّ تفسير السلف بأنه لم يكن لهم أسير يومئذ إلا أهل الشرك لا يفهم منه تخصيص المشركين دون غيرهم، بل هو وصف لحال الأسرى وقت نزول القرآن، وقد أمر النبي- ﷺ – بفك العاني بقوله : ((فُكُّوا الْعَانِيَ))[5].

وهذا دليل على صحة إطلاق الوصف على المسلم المأخوذ قهراً والخبر على عمومه حتى يرد ما يخصصه

قال الإمام الطبري – رحمه الله تعالى – : « وأما قول من قال: لم يكن لهم أسير يومئذ إلا أهل الشرك ، فإن ذلك وإن كان كذلك ،فلم يخصص بالخبر الموفون بالنذر يومئذ ،وإنما هو خبر من الله عن كل من كانت هذه صفته يومئذ ،وبعده إلى يوم القيامة، وكذلك الأسير معني به أسير المشركين والمسلمين يومئذ ،وبعد ذلك إلى قيام الساعة» [6] .

٢. إنَّ إطلاقَ " الأسير "على المملوك ،والمرأة ، والغريم تجوّزًا وليس على حقيقته . فهو من باب التفسير بالمثال ، وليس معناه قصر اللفظ عليه ، ومسمى " المسكين " في الآية يشملهم . والله تعالى أعلم.

(١) فتح الباري (١٤٥/٦) ،و عمدة القاري (٢٥٨/١٤).

(٢) البحر الرائق البحر الرائق (١٥١/٥).

(٣) إبراهيم بن محمد بن مُفلِح الراميني الأصل، الدمشقي، أبو إسحاق، برهان الدين ، ولد سنة (٧٤٩هـ) شيخ الحنابلة في عصره. من كتبه (طبقات أصحاب الإمام أحمد ،و كتاب الملائكة) . توفي سنة (٨٠٣ هـ).
يُنظر : المقصد الأرشد (٢٣٧/١)، و الأعلام (١ / ٦٤).

(٤) المبدع في شرح المقنع (١٦٣/٩) . ويُنظر : شرح منتهى الإرادات المسمى دقائق أولي النهى لشرح المنتهى، (٣٩١/٣) ومطالب أولي النهى (٢٧٠/٦).

(٥) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه ، كتاب الجهاد والسير ، بَاب فَكَاكِ الْأَسِيرِ (١١٠٩/٣) ح (٢٨٨١) .

(٦) جامع البيان (٢١٠/٢٩) .

قول الله – ﷻ – : ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً﴾[1].

❁ (٧٧)مسألة : في معنى﴿قَمْطَرِيرا﴾.

ترجيح ابن جُزيّ – رحمه الله – :

رجَّح أن معنى " القمطرير " الطويل.

ومجمل ما ذكره في الآية :

قال: «﴿ قَمْطَرِيرا﴾قال ابن عباس[2] –رضي الله عنه– معناه: طويل . وقيل : شديد» [3].

العرض والمناقشة:

في المسألة قولان ، وهما :

القول الأول : ما رجحه ابن جُزي موافقًا لقول ابن عباس – رضي الله عنه – ، ولما ذهب إليه ابن كثير – رحمه الله تعالى – بقوله : « وأوضح العبارات وأجلاها وأحلاها وأعلاها وأولاها قول ابن عباس – رضي الله عنه– » [4].

وممن أورده ابن الجوزي، والنيسابوري، والخازن، والبقاعي، والألوسي– رحمهم الله تعالى – [5].

القول الثاني: معنى" قمطرير" الشديد . وهو قول مجاهد [6]، وقتادة [7] . وقال به السمرقندي والزمخشري [8] ، واقتصر عليه ابن أبي زمنين ، والثعلبي ، والواحدي والسمعاني ، والبغوي ، والبيضاوي

---

(١) سورة الإنسان:١٠.

(٢) تفسير ابن أبي حاتم (٣٣٩١/١٠)، وذكره السيوطي في الدر المنثور(٣٧٢/٨) ، وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) التسهيل (١٦٨/٤) .

(٤) تفسير القرآن العظيم (٤٥٦/٤).

(٥) زاد المسير (٤٣٤/٨) ، وغرائب القرآن (٦ / ٤١٣) ، ولباب التأويل(٦/ ٣٨٣) ، ونظم الدرر (٢٦٩/٨) ، و روح المعاني (١٥٦/٢٩) .

(٦) ذكره عزاه السيوطي في الدر المنثور (٣٧٢/٨) ، وعزاه لعبد بن حميد بلفظ قال : (تقبض الوجوه بالسوء وفي لفظ انقباض ما بين عينيه ووجهه) .

(٧) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٣٧٢/٨) ، وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد بلفظ قال : (يوما تقبض فيه الحياة من شدته) .

(٨) بحر العلوم (٥٠٤/٣) ،و الكشاف (٦٦٩/٤).

والبيضاوي والنسفي ، و جلال الدين المحلّي ، وأبي السعود ، والقاسمي [1]، وقدّمه الشوكاني ، وابن عاشور [2]– رحمهم الله تعالى –.

قال الزمخشري : «والقمطرير الشديد العبوس الذي يجمع ما بين عينيه . قال الزجاج : يقال : اقمطرت الناقة إذا رفعت ذنبها ،وجمعت قطريها ،وزمت بأنفها فاشتقه من القطر ، وجعل الميم مزيدة . قال أسد بن ناعصة [3]:

وَاصْطَلَيْتُ الْحُرُوبَ فِي كُلِّ يَوْم بَاسِلَ الشَّرِّ قَمْطَرِيرَ الصَّبَاحِ »[4] .

الترجيح

الراجح – والله تعالى أعلم بالصوّاب – أنَّ كلا المعنيين يحتملهما اللفظ ويفسر بهما ؛لأن المعنيين لا تضاد بينهما ،فهما ألفاظ متقاربة لمعنى واحد ،و (إذا احتمل اللفظ معاني عدة ، و لم يمتنع إرادة الجميع حمل عليها) [5].**و مما يؤيده :**

النظائر القرآنية : فقد وصف الله – عزَّ وجلَّ – يوم القيامة بشدته في مواضع عديدة منها :

﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْآزِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾[6]، [6]، وقال تعالى : ﴿ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۝٩ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴾[7]، وكذلك وصفه بالطّول في قوله : ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ ۚ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾[8].

---

(١) تفسير القرآن العزيز (٧١/٥) ، والكشف والبيان (٩٧/١٠) ، و الوسيط (٤ / ٤٠٢) ، و تفسير القرآن (١١٧/٦) و معالم التنزيل (٤٢٩/٤) ، و أنوار التنزيل (٤٢٧/٥) ،و مدارك التنزيل (٣٠٣/٤) ، و تفسير الجلالين (٧٨٢/١) و إرشاد العقل السليم (٧٢/٩) ، و محاسن التأويل(١٠/ ٤٠٥٧).

(٢) فتح القدير (٣٤٨/٥) ، و التحرير والتنوير (١٢ / ٣٨٧).

(٣) أسد بن ناعصة بن عمرو التنوخي . شاعر جاهلي. كان أهل بيته على النصرانية. الأعلام (١ / ٢٩٨).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (١٣٦/١٩) ، والبحر المحيط (٣٨٤/٨) .

(٥) قواعد التفسير (٨٠٧/٢) .

(٦) سورة غافر:١٨.

(٧) سورة المدَّثر :٩ –١٠.

(٨) سورة الحج:٤٧.

قال الإمام الطبري – رحمه الله تعالى – : «يقول تعالى ذكره : مخبراً عن هؤلاء القوم الذين وصف صفتهم أنهم يقولون لمن أطعموه من أهل الفاقة ،والحاجة ما نطعمكم طعامًا نطلب منكم عوضاً على إطعامنا لكم جزاءً ،ولا شكورًا ولكنَّا نطعمكم رجاء منَّا أن يؤمنا ربنا من عقوبته في يوم شديد هوله عظيم أمره، تعبس فيه الوجوه من شدة مكارهه ، ويطول بلاء أهله ،ويشتد، والقمطرير:هو الشديد ، يقال: هو يوم قمطرير، أو يوم قماطر، ويوم عصيب ،وعصبصب، وقد اقمطر اليوم يقمطر اقمطراراً ا وذلك أشدُّ الأيامِ ،وأطولُهُ في البلاء ،والشدة» [1] . والله تعالى أعلم.

(١) جامع البيان (٢٩/٢١١).

قول الله – ﷻ – :﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلأَرَآئِكِ لاَ يَرَوْنَ فِيهَا شَمْساً وَلاَ زَمْهَرِيراً﴾[1].

❁ (٧٨)مسألة :في معنى ﴿ زَمْهَرِيرا﴾.

ترجيح ابن جُزيّ – رحمه الله – :

رجَّح ابن جُزيٍّ أنَّ الزمهرير هو : البرد الشديد .

مجمل ما ذكره في الآية :

قال : «﴿ لاَ يَرَوْنَ فِيهَا شَمْساً وَلاَ زَمْهَرِيراً﴾عبارةٌ عن اعتدال ه وائها أي: ليس فيها حر ولا برد، والزمهرير هو البرد الشديد .وقيل: هو القمر بلغة طيء ، والمعنى: على هذا أنَّ للجوّ ضياء ،فلا يحتاج فيها إلى شمسٍ ولا قمرٍ» [2].

العرض والمناقشة:

للمفسرين في معنى الزمهرير قولان وهما:

القول الأول :ما رجحه ابن جزي موافقًا لقول مجاهد [3] ، وقتادة [4] ، والسُدِّي [5] وعكرمة [6].

وقال به الطبري [7]، وقدمه الثعلبي ، والزمخشري ، والقرطبي ، والنسفي [8] واقتصر عليه السمرقندي وابن أبي زمنين ، والسمعاني ، والبغوي [9]، ووافقهم جلال الدين المحلي ، والشوكاني ، وابن عاشور

---

(١) سورة الإنسان:١٣.

(٢) التسهيل (١٦٨/٤) .

(٣) أخرجه الطبري بسنده عنه "جامع البيان" (٢١٤/٢٩) ، ولفظه قال : (الزمهرير البرد المفظِع)، و ذكره السيوطي في الدر المنثور (٣٧٣/٨) ، وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر بنحوه .

(٤) أخرجه الطبري بسنده عنه (المرجع السابق)(٢١٤/٢٩) ، ولفظه (قال الله:﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ يعلم أن شدة الحر تؤذي وشدة القر تؤذي فوقاهم الله أذاهما) .

(٥) أخرجه الطبري بسنده عنه (المرجع السابق) (٢١٤/٢٩) ، ولفظه قال : (في الزمهرير إنه لون من العذاب قال الله : ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾.

(٦) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٣٧٣/٨) ، ونسبه لعبد بن حميد وابن المنذر بلفظ قال : (الزمهرير هو البرد الشديد) .

(٧)جامع البيان (٢١٣/٢٩).

(٨) الكشف والبيان (٩٧/١٠)، والكشاف (٦٧١/٤) ، والجامع لأحكام القرآن (١٣٧/١٩)، ومدارك التنزيل (٣٠٣/٤).

(٩) تفسير بحر العلوم ،(٥٠٥/٣) ، و تفسير القرآن العزيز (٧١/٥) وتفسير القرآن (١١٧/٦) ، و تفسير معالم التنزيل (٤٢٩/٤) .

مصدرين به أقوالهم [1] ، وقال به القاسمي ،و السعدي[2]-رحمهم الله تعالى -

قال الإمام الطبري : «وقوله:﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ يقول تعالى ذكره : ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا﴾ فيؤذيهم حرها ﴿وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ وهو البرد الشديد فيؤذيهم بردها» [3].

واستُدل عليه بقول النبي- ﷺ -: ((إذا اشْتَدَّ الْحَرُّ ،فَأَبْرِدُوا بِالصَّلَاةِ ،فإن شِدَّةَ الْحَرِّ من فَيْحِ جَهَنَّمَ وَاشْتَكَتْ النَّارُ إلى رَبِّهَا فقالت:يا رَبِّ أَكَلَ بَعْضِي بَعْضًا ،فَأَذِنَ لها بِنَفَسَيْنِ نَفَسٍ في الشِّتَاءِ وَنَفَسٍ في الصَّيْفِ ،فَهُوَ أَشَدُّ ما تَجِدُونَ من الْحَرِّ ،وَأَشَدُّ ما تَجِدُونَ من الزَّمْهَرِيرِ)) [4].

القول الثاني : أنَّ " الزمهرير" هو القمرُ بلغة طيىء . والمعنى :﴿ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا﴾ كشمس الدنيا ولا قمرًا كقمر الدنيا . أي : أنهم في ضياء مستديم .

أورده الثعلبي ، والزمخشري ، وابن الجوزي ، والرازي ، والقرطبي ، وا لبيضاوي ، والنسفي وأبو حيانَّ وجلال الدين المحلِّي ، و ابن عادل ، وأبو السعود ، والشوكاني ، والأ لوسي ، وابن عاشور-رحمهم الله تعالى- [5].

الترجيح

الراجح – والله تعالى أعلم بالصوَّاب – أنَّ " الزمهرير " هو البرد الشديد ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن معه ؛ لأنه الظاهر من اللفظ .

قال ابن جُزي في وجوه الترجيح : « أن يكون ذلك المعنى المتبادر إلى الذهن فإن ذلك دليل على ظهوره

---

(١) تفسير الجلالين (٧٨٢/١)، و فتح القدير (٣٤٩/٥) ، والتحرير والتنوير (١٢ /٣٨٩) .

(٢) محاسن التأويل (١٠ / ٤٠٥٧)، و تيسير الكريم الرحمن (٩٠١/١) .

(٣) تفسير جامع البيان (٢١٣/٢٩).

(٤) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه ، كِتَاب مَوَاقِيتِ الصَّلَاةِ وَقَوْلِهِ ﷻ :﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴾ باب : الإبراد بالظهر في شدة الحر ، (١٩٩/١)، ح (٥١٢) .

(٥) الكشف والبيان (١٠/ ٩٨)، والكشاف (٦٧١/٤) ، و زاد المسير (٤٣٥/٨) ، و التفسير الكبير (٣٠/ ٢١٨) ، و الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ١٣٨) ، و أنوار التنزيل (٤٢٨/٥) ، و مدارك التنزيل (٣١٨/٤) ، و البحر المحيط (٣٨٨/٨) ، و تفسير الجلالين (٧٨٢/١) ، واللباب (٢٠ / ٢٩) ، و إرشاد العقل السليم (٧٣/٩) ، و فتح القدير (٣٤٩/٥) ، و روح المعاني (١٥٨/٢٩) ، والتحرير والتنوير (١٢ / ٣٨٩) .

ورجحانه»[1].**ومما يؤيده عدة أمور وهي :**

١. إطلاق النبي – ﷺ– الزمهرير على البرد الشديد كما في رواية الإمام مسلم قال – ﷺ– : ((فما وَجَدْتُمْ من بَرْدٍ ،أو زَمْهَرِيرٍ ،فَمِنْ نَفَسِ جَهَنَّمَ ،وما وَجَدْتُمْ من حَرٍّ ،أو حَرُورٍ ،فَمِنْ نَفَسِ جَهَنَّمَ)) [2] . (وإذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له) [3].

٢. إنَّ نفي " القمر " جاء بنفي " الشمس " في قوله تعالى :﴿ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا ﴾أي : ولا قمرا ، وهو ما يسمى بالاحتباك [4].

قال برهان الدين البقاعي – رحمه الله تعالى – : « فالآية من الاحتباك : دلَّ بنفي الشمس أولاً على نفي القمر ؛ لأن ظهوره بها ولأن نوره اكتساب من نور الشمس ، ودلَّ بنفي الزمهرير الذي هو سبب البرد ثانياً على نفي الحر الذي سببه الشمس ، فأفاد هذا أنَّ الجرةّ غنية عن النيرين لأنها نيرة بذاتها ،وأهلها غير محتاجين إلى معرفة زمان ؛لأنه لا تكليف فيها بوجه ، وأنها ظليلة ،ومعتدلة دائماً ؛لأن سبب الحرَّ الآن قرب الشمس من مسامتالرؤوس ، وسبب البرد بعدها عن ذلك» [5].

٣. هذا القول عليه جُلُّ عبارات المفسرين من السلف ، و تفسيرهم حجة على من بعدهم . والله تعالى أعلم.

(١) التسهيل (١/٩).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ، كتاب الصلاة ، باب الاستحباب الإبراد بالظهر في شدة الحر لمن يمضي إلى جماعة وينالله الحر في طريقه ، (٤٣٢/١) ، ح (٦١٧) .

(٣) يُنظر : قواعد الترجيح (١ / ٢٠٦) .

(٤) الاحتباك هو : من الحبك الذي معناه الشد والإحكام وتحسين أثر الصنعة في الثوب و الاحتباك من ألطف أنواع البديع وأبدعها وقد يسمى حذف المقابل وهو أن يحذف من الأول ما أثبت نظيره في الثاني ومن الثاني ما أثبت نظيره في الأول ينظر : التعريفات (٢٥/١) ، و خزانة الأدب (٢٤٢/٣) ، والإتقان في علوم القرآن (١٦٤/٢) ، وكتاب الكليات (٥٧/١) .

(٥) نظم الدرر (٢٧٠/٨) .

قول الله -ﷻ- : ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَاْ ۝ قَوَارِيرَاْ مِّن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ [1].

❁ (٧٩)مسألة : كيف يتفق كون القوارير من زجاج ومن فضة؟

ترجيح ابن جزي - رحمه الله - :

رجَّح أنَّ أصل القوارير من فضةٍ وتشبه الزجاج في صفائها.

ومجمل ما ذكره في الآية

قال : «القوارير هي الزجاج فإن قيل :كيف يتفق أنها زجاج مع قوله : ﴿مِّن فِضَّةٍ﴾؟ فالجواب :أنَّ المراد أنها في أصلها من فضةٍ، وهي تشبه الزجاج في صفائها وشفافيتها. وقيل: هي من زجاج وجعلها من فضةٍ على وجه التشبيه لشرف الفضةٍ وبياضها»[2].

العرض والمناقشة:

في المسألة قولان ،وهما :

القول الأول: ما رجَّحه ابن جُزيّ موافقا لقول مجاهد [3]، والحسن [4]، وقتادة [5]. واختاره الطبري [6]، وقال به ابن أبي زمنين ، والثعلبي ، والواحدي ، والبغوي ، والزمخشري والبيضاوي [7] وقدَّمه ابن عطية ، والقرطبي [8]، و وافقهم أبو حيان مقتصرا عليه ، و تبعه جلال الدين المحلي والشوكاني ، وابن عاشور ، ونصَّ عليه الشيخ عطية سالم [9].- رحمهم الله تعالى -

---

(١) سورة الإنسان:١٥ -١٦ .

(٢) التسهيل (١٦٨/٤).

(٣) أخرجه الطبري بسنده عنه " جامع البيان " (٢١٧/٢٩) ، ولفظه (قال : على صفاء القوارير وبياض الفضة) .

(٤) أخرجه الطبري بسنده عنه (المرجع السابق) (٢١٦/٢٩)، ولفظه (قال: صفاء القوارير في بياض الفضة) .

(٥) أخرجه الطبري بسنده عنه (المرجع السابق) ، ولفظه (قال : هي من فضة وصفاؤها صفاء القوارير في بياض الفضة) .

(٦)جامع البيان (٢١٦/٢٩) .

(٧) تفسير القرآن العزيز (٧٢/٥) ، و الكشف والبيان (١٠٣/١٠) ، والوسيط (٤ / ٤٠٣)، ومعالم التنزيل (٤٢٩/٤) ، و الكشاف (٦٧٢/٤)، وأنوار التنزيل (٤٢٩/٥).

(٨)المحرر الوجيز (٤١٢/٥) ، و الجامع لأحكام القرآن (١٤٠/١٩) ،

(٩) البحر المحيط (٣٨٩/٨) ، وتفسير الجلالين (٧٨٢/١)، وفتح القدير (٣٥٠/٥) ، و التحرير والتنوير (١٢ / ٣٩٢) ، و أضواء البيان (٣٩٥/٨) .

قال الإمام ابن جرير : « يقول تعالى ذكره : قوارير في صفاء الصفاء من فضة الفضة من البياض» [١].

وقال الشيخ عطية سالم : « والقوارير:جمع قارورة. والعرب تطْلقُ القارورةَ على إناء الزجاج خاصة ولكن الآية صريحة في أنها قوارير من فضةٍ مما يدل على صحة إطلاق القارورة على غير آنية الزجاج كالفضةٍ مثلاً» [٢].

القول الثاني : أنَّ " القوارير " من زجاج وجعلها من فضة على وجه التشبيه ؛ لشرف الفضة وبياضها . قاله الفراء ،وابن قتيبة ، و بيان الحق ، وابن ناقيا [٣] [٤]. وأورده ابن الجوزي ،وبرهان الدين الدين البقاعي-رحمهم الله تعالى- [٥].

قال ابن قتيبة : «...فأعلمنا أنّ هناك أكوابًا لها بياض الفِضَّة ، وصفاءُ القوارير، وهذا على التشبيه أراد قواريرا كأنها من فضة ، كما تقول : أتانا بشراب من نور .أي : كأنه نور» [٦].

و قال أبو القاسم ابن ناقيا : « يعني أنها كالقوارير في صفائها وشفيفها ورفيفيها ؛ وهي من فضّة فهذا على التشبيه و إن لم يذكر حرفه » [٧].

الترجيح

القول الراجح – والله تعالى أعلم بالصواب – أنَّ أصل "القوارير" من فضة ، وتشبه الزجاج في صفائه ورقته ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ؛لأنه (لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل) [٨].

فالآية صريحةُ الدلالة في كونها من فضة و" من " هنا لبيان الجنس ، أي : هي من جنس الفضةٍ لا أنها تشبه الفضةٍ .

---

(١) جامع البيان (٢١٦/٢٩) .

(٢) أضواء البيان (٣٩٦/٨) .

(٣) معاني القرآن للفراء (٣ / ٢١٧) ، و تأويل مشكل القرآن (٨٠) ، وباهر البرهان (٣ / ١٦٠٢) ، والجمان في تشبيهات القرآن (٤٠٥).

(٤) عبد الله بن محمد بن الحسين بن داود بن ناقيا ، المعروف بالبُندار ، أبو القاسم، ولد سنة (٤١٠ هـــ) كان شاعرا وكاتباً ، وأديباً ، ولغويّاً ، ومؤلفاً مصنفاً في شتى العلوم . توفي سنة ٤٨٥ هـــ .

يُنظر : الأعلام (٤ / ١٢٢) ، والجمان في تشبيهات القرآن (١٦).

(٥) زاد المسير (٤٣٦/٨)، و نظم الدرر (٨ / ٢٧١) .

(٦) تأويل مشكل القرآن (٨٠).

(٧)الجمان في تشبيهات القرآن (٤٠٥).

(٨) قواعد الترجيح (١ / ١٣٧).

قال ابن القيم – رحمه الله تعالى – : « فالقوارير هي :الزجاج فأخبر- ﷻ – عن مادة تلك الآنية أنها من الفضةّ وأنها بصفاء الزجاج ،وشفافيته ،وهذا من أحسن الأشياء وأعجبها ،وقطع – سبحانه- توهم كون تلك القوارير من زجاج فقال :﴿قَوَارِيرَاْ مِن فِضَّةٍ﴾» [1].

و الأصل في نصوص القرآن والسنة أن تُحمل على ظواهرها وتُفسر على حسب ما يقتضيه ظاهر اللفظ وهو يوافق القاعدة الترجيحية : (لا يجوز أن يُعدل بألفاظ الوحي عن ظاهرها إلا بدليل واضح يجب الرجوع إليه) [2]

قال ابن كثير – رحمه الله – : « قال ابن عباس ومجاهد والحسن البصري وغير واحد بياض الفضة في صفاء الزجاج والقوارير لا تكون إلا من زجاج ، فهذه الأكواب هي من فضة وهي مع هذا شفافة يرى ما في باطنها من ظاهرها وهذا مما لا نظير له في الدنيا » [3].والله تعالى أعلم.

(١) حادي الأرواح حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح (١/١٣٣).
(٢) يُنظر : قواعد الترجيح (١ / ١٣٧) .
(٣)تفسير القرآن العظيم (٤/٤٥٧).

قول الله –ﷻ – : ﴿ فَوَارِيرَآ مِّن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرَآ ﴾ [1].

❁ (٨٠)مسألة : معنى قدَّروها في قول الله تعالى :﴿ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرَآ ﴾.

ترجيح ابن جُزيّ – رحمه الله – :

رجَّح أنَّ معنى ﴿ قَدَّرُوهَا﴾ أي : قدَّروها على قدر ريِّهم لا يزيد ولا ينقص.

مجمل ما ذكره في الآية :

قال : «﴿ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرَآ ﴾ هذه صفة للقوارير . والمعنى: قدَّروها على قدر الأكف أو على قدِّ ر ما يحتاجون من الشراب. قال مجاهد: هي لا تغيض ولا تفيض.

وقيل: قدَّروها على حسب ما يشتهون » [2].

العرض والمناقشة :

في المسألة قولان وهما :

القول الأول : ما رجَّحه ابن جُزيَ موافقًا فيه المروي لقول ابن عباس [3] – ﷺ – ، وقال به مجاهد [4] والحسن [5]، و قتادة [6]. و قدّمه الطبري ، والقرطبي [7]، واقتصر عليه البغوي [8] و وافقهم وافقهم ابن كثير ، و جلال الدين المحلّي ، والمراغي ، و ابتدأ به ابن عاشور [9]– رحمهم الله –.

قال الإمام الطبري : «وقوله: ﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ يقول : قدروا تلك الآنية التي يطاف عليهم بها تقديرا على قدر ريهم لا تزيد ولا تنقص عن ذلك» [10].

---

(١)

(٢) التسهيل (١٦٨/٤، ١٦٩) .

(٣) أخرجه الطبري بسنده عنه "جامع البيان" (٢١٧/٢٩) ، ولفظه قال : (قدرت للكف)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣٧٤/٨) ، وعزاه لابن جرير وابن المنذر والبيهقي في البعث من طريق العوفي عن ابن عباس .

(٤) أخرجه الطبري بسنده عنه (المرجع السابق) (٢١٧/٢٩)، ولفظه قال : (لا تنقص ولا تفيض) .

(٥) أخرجه الطبري بسنده عنه (المرجع السابق) (٢١٧/٢٩) ، ولفظه قال : (قدرت لري القوم) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣٧٤/٨) ، وعزاه لعبد بن حميد .

(٦) أخرجه الطبري بسنده عنه (المرجع السابق) (٢١٧/٢٩) ، ولفظه (قدروها تقديرا لريهم) .

(٧)جامع البيان (٢١٧/٢٩) ،و الجامع لأحكام القرآن (١٤١/١٩).

(٨) معالم التنزيل (٤٢٩/٤).

(٩) تفسير القرآن العظيم (٤٥٧/٤) ، و تفسير الجلالين (٧٨٢/١) ، وتفسير المراغي (٢٨١)، والتحرير والتنوير (١٢/ ٣٩٤) .

(١٠)جامع البيان (٢١٧/٢٩).

وقال ابن كثير : «وقوله تعالى: ﴿فَقَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ أي:على قدر ريهم لا تزيد عنه ،ولا تنقص بل هي معدة لذلك، مقدرة بحسب ريِّ صاحبها .... وقاله ابن جرير، وغيرُ واحدٍ، وهذا أبلغ في الاعتناء والشرف والكرامة، وقال العوفي عن ابن عباس: ﴿فَقَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾: قدرت للكف،وهكذا قال الربيع بن أنس، وقال الضحاك: على قدّر كف الخادم. وهذا لا ينافي القول الأول ،فإنها مقدرة في القدر والري» [1].

القول الثاني : أنهم قدَّروها في أنفسهم ، وأرادوا أن تكون على مقادير وأشكال معينة موافقة لشهواتهم ،فجاءت حسبما قدَّروها. قدّمه الزمخشري ، والبيضاوي ، والنسفي ، وقال به البقاعي وجوزه ابن عاشور [2]- رحمهم الله-.

الترجيح

الراجِّح – والله تعالى أعلم بالصوَّاب – أنَّ معنى " قدَّروها " أي : قُدِّرت لهم على قدر حاجتهم لا تزيد ولا تنقص وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ وجمهرة المفسرين ؛ لأن ذلك أبلغُ في وصف نعيمهم . والمعنى الثاني داخل في معناه ،(فالأصل في صفات المدح أن يُنتقل فيها من الأدنى إلى الأعلى) [3].

قال ابن القيِّم – رحمه الله تعالى – : «التقدير جعل الشيء بقدر مخصوص ،فقدرت الصناع هذه الآنية على قدرريهم لا يزيد عليه ،ولا ينقص منه ،وهذا أبلغ من لذة الشارب ،فلو نقص عن ربه لنقص التذاذه ولو زاد حتى يشمئز منه حصل له ملالة وسامه من الباقي هذا قول جماعة من المفسرين » [4].

ومما يؤيده :

أنَّه قول الجمهور من السلف ، وتفسيرهم حجة على من بعدهم [5]، وقال به أكثر المفسرين .

قال ابن القيم : « وقول الجمهور أحسنُ وأبلغُ وهو مستلزمٌ لهذا القول » [6] .والله تعالى أعلم.

(١) تفسير القرآن العظيم (٤/٤٥٧) .

(٢)الكشاف (٤/٦٧٢)، وأنوار التنزيل (٥/٤٢٩) ، ومدارك التنزيل (٤/٣٠٤)، ونظم الدرر (٨ / ٢٧١) ، والتحرير والتنوير (١٢/ ٣٩٤) .

(٣) يُنظر : قواعد التفسير (١ / ٤٤٦) .

(٤) حادي الأرواح (١/١٣٣) .

(٥) يُنظر : قواعد الترجيح (١ / ٢٧١) .

(٦) حادي الأرواح (١/١٣٤) .

قول الله – ﷻ – : ﴿عَيْناً فِيهَا تُسَمّىٰ سَلْسَبِيلًا﴾ [1].

❁ (٨١)مسألة : معنى﴿سَلْسَبِيلًا ﴾.

ترجيح ابن جُزيّ – رحمه الله – :

رجَّح أنَّ هذه العين سلسةٌ مُنقادةُ الجريةِ .

مجمل ما ذكره في الآية:

قال : « ﴿ سَلْسَبِيلًا﴾ معناه : سلْسَلٌ منقاد الجرية . وقيل : سهل الانحدارِ في الحلق. يقال: شرابٌ سلسل وسلسال وسلسبيل بمعنى واحد ، وزيدت الباء في التركيب ؛ للمبالغة في سلاسته فصارت الكلمة خماسية . وقيل: "سل" فعل أمر "سبيلاً" مفعول به . وهذا في غاية الضعف» [2].

العرض والمناقشة:

في المسألة ثلاثة أقوال وهي :

القول الأول : ما ذهب إليه ابن جُزيّ موافقا قول مجاهد [3] ، و قتادة [4]– رضي الله عنهما– وقدّمه السمرقندي ، والبغوي، وقال به ابن الجوزي [5]، ووافقهم القاسمي[6]– رحمهم الله–.

قال البغوي : « ﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا﴾قال قتادة : سلسة منقادة لهم يصرفونها حيث شاؤوا . قال مجاهد: حديدة الجرية .قال أبو العالية ومقاتل بن حيان : سميت سلسبيلا؛ لأنها تسيل عليهم في الطرق وفي منازلهم تنبع من أصل العرش من جنة عدن إلى أهل الجنان» [7].

---

(١) سورة الإنسان:١٨.

(٢) التسهيل (١٦٩/٤) .

(٣) أخرجه الطبري بسنده عنه " جامع البيان " (٢١٨/٢٩) ، ولفظه قال : (حديدة الجرية)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣٧٥/٨) ، وعزاه لعبد الرزاق وسعيد بن منصور وهناد وعبد بن حميد وابن المنذر والبيهقي . وقد نقله ابن حجر في تغليق التعليق على صحيح البخاري (٥٠٠/٣) به سندا ومتنا.

(٤) أخرجه الطبري بسنده عنه " جامع البيان" (٢١٨/٢٩) ، ولفظه (سلسة مستقيدا ماؤها) .

(٥) بحر العلوم (٥٠٦/٣)، و معالم التنزيل (٤٣٠/٤) ،و تذكرة الأريب (٢٦٣/٢) .

(٦) محاسن التأويل (١٠/ ٤٠٥٨) .

(٧) معالم التنزيل(٤٣٠/٤).

القول الثاني : أنَّ هذه العين سميت ﴿سَلْسَبِيلًا﴾ ؛لسهولة انحدار مائها في الحلق . قال به الزمخشري وقدمه السمعاني ، والبيضاوي ، و الألوسي ، والمراغي[1]، واقتصر عليه ابن أبي زمنين ، وجلال الدين المحلِّي ، والبقاعي [2]- رحمهم الله- .

قال الزمخشري : « ﴿سَلْسَبِيلًا﴾لسلاسة انحدارها في الحلق وسهولة مساغها . يعني : أنها في طعم الزنجبيل وليس فيها لذع ، ولكن نقيض اللذع وهو السلاسة . يقال : شراب سلسل وسلسال وسلسبيل ، وقد زيدت الباء في التركيب حتى صارت الكلمة خماسية . ودلت على غاية السلاسة ...» [3].

القول الثالث: أنَّ معنى ﴿سَلْسَبِيلًا﴾أي : سلني سبيلا إليها ، وردَّ هذا القولَ الرازي ،والسّمعاني والزمخشري ،وابن الجوزي ، وأبو حيان ، والألوسي-رحمهم الله تعالى جميعاً- [4].

قال أبو حيان : « وقال بعض المعربين :﴿سَلْسَبِيلًا﴾أمر للنبي- ﷺ - ولأمته بسؤال السبيل إليها وقد نسبوا هذا القول إلى علي- رضي الله عنه - ويجب طرحه من كتب التفسير » [5].

الترجيح

الراجِّح – والله تعالى أعلم بالصوّاب – أن " السلسبيل " صفة للعين سميت بذلك؛ لسلاستها في الحلق وفي حال الجري ، وهو ما رجَّحه الإمام الطبري ، وقال به القرطبي ، ومال إليه ابن كثير ، ودارت عليه ألفاظ ابن عاشور [6]؛لأنَّ (عامَّة ألفاظ القرآن تدل على معنيين فأكثر) [7] ووصف السلاسة ينصرف للماء في حال جريانه أو في حال شربه .

---

(١) الكشاف (٦٧٢/٤)، و تفسير القرآن (١١٩/٦) ، وأنوار التنزيل (٤٢٩/٥)، و روح المعاني (١٦٠/٢٩) ،وتفسير المراغي (٢٨١/١٠).

(٢) تفسير القرآن العزيز (٧٣/٥) ، وتفسير الجلالين (٧٨٢/١) ، ونظم الدرر (٢٧٢/٨).

(٣) الكشاف (٦٧٢/٤).

(٤) التفسير الكبير (٢٢١/٣٠) ، و تفسير القرآن (١١٩/٦) ، والكشاف (٦٧٢/٤) ، وزاد المسير (٤٣٨/٨) ، والبحر المحيط (٣٩٠/٨) ، و روح المعاني (١٦١/٢٩) .

(٥) البحر المحيط (٣٩٠/٨) .

(٦) جامع البيان (٢٢٠/٢٩) ، و الجامع لأحكام القرآن (١٤٢/١٩) ،و تفسير القرآن العظيم (٤٥٧/٤) ،و التحرير والتنوير (١٢/ ٣٩٦).

(٧) قواعد التفسير (٢ / ٧٩٤).

قال الإمام الطبري – رحمه الله – : «والصوّاب من القول في ذلك عندي أنّ قوله :﴿تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا﴾ صفة للعين وصفت بالسلاسة في الحلق وفي حال الجري وانقيادها لأهل الجنة يصرفونها حيث شاؤوا كما قال مجاهد وقتادة » [1] . والله تعالى أعلم.

(١)جامع البيان (٢٢٠/٢٩).

قول الله – ﷻ – : ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَمُلْكاً كَبِيراً﴾ [1].

❁ (٨٢)مسألة : في المراد بالملك الكبير .

ترجيح ابن جُزيّ – رحمه الله – :

رجَّح أنَّ المراد "بالملك الكبير" أي : الكثير الوسع .

مجمل ما ذكره في الآية :

قال: «﴿ وَمُلْكاً كَبِيراً﴾ يعني:كثرة ما أعطاهم الله حتى إن أدنى أهل الجنة منزلة له مثل الدنيا وعشرة أمثاله معه حسبما ورد في الحديث [2] . وقيل : أراد أنَّ الملائكة سُلِّم عليهم وتستأذن عليهم ،فهم بذلك كالملوك» [3].

العرض والمناقشة :

في المسألة خمسةُ أقوال وهي :

القول الأول : ما رجَّحه ابن جُزيّ . و ذكره الثعلبي ، و السمعاني ، والزمخشري ، والرازي والقرطبي– رحمهم الله تعالى– [4].

القول الثاني : أنّ المراد " بالملك الكبير " استئذانُ الملائكة عليهم . وهو قول مجاهد [5]، و سفيان [6]

---

(١) سورة الإنسان:٢٠.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه . كتاب الإيمان ، بَاب أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً فيها (١/١٧٦) ح (١٨٩) ولفظه (سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ ما أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً ؟ قال : هو رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَ ما أُدْخِلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ ،فَيُقَالُ له ادْخُلْ الْجَنَّةَ ،فيقول : أَيْ رَبِّ كَيْفَ وقد نَزَلَ الناس مَنَازِلَهُمْ ،وَأَخَذُوا أَخَذَاتِهِمْ ؟ فَيُقَالُ له : أَتَرْضَى أَنْ يَكُونَ لك مِثْلُ مُلْكِ مَلِكٍ من مُلُوكِ الدُّنْيَا ؟ فيقول: رَضِيتُ رَبِّ، فيقول: لك ذلك وَمِثْلُهُ ،وَمِثْلُهُ ،وَمِثْلُهُ ،فقال في الْخَامِسَةِ : رَضِيتُ رَبِّ ، فيقول : هذا لك ،وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ ،وَلَكَ ما اشْتَهَتْ نَفْسُكَ وَلَذَّتْ عَيْنُكَ ،فيقول: رَضِيتُ رَبِّ .قال رَبِّ : فَأَعْلَاهُمْ مَنْزِلَةً ؟ قال :أُولَئِكَ الَّذِينَ أَرَدْتُ غَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِي ،وَخَتَمْتُ عليها ،فلم تر عين ،و لم تَسْمَعْ أُذُنٌ ،و لم يَخْطُرْ على قَلْبِ بَشَرٍ. قال :ومصداقه في كِتَابِ اللَّهِ عز وجل ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ الْآيَةَ

(٣) التسهيل (٤/١٦٩) .

(٤) جامع البيان (٢٩/٢٢١)، والكشف والبيان (١٠/١٠٤)، وتفسير القرآن (٦/١٢٠)، والجامع لأحكام القرآن (١٩/١٤٤).

(٥) أخرجه الطبري بسنده عنه "جامع البيان" (٢٩/٢٢١)، ولفظه قال : (تسليم الملائكة) .

(٦) أخرجه الطبري بسنده عنه (المرجع السابق) (٢٩/٢٢١)، ولفظه قال : (استئذان الملائكة عليهم) .

. وقال به ابن أبي زمنين ، والواحدي [1] وقدّمه الثعلبي والبغوي [2].- رحمهم الله-.

قال ابن أبي زمنين : « ﴿رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ الملكُ من عند ربه إلى الرجل من أهل الجنة بالتحفة والهدية الله فلا يدخل حتى يستأذن فيقول : البوّاب سأذكره للبوّاب الذي يليني فيذكره للذي يليه حتى يبلغ البواب الذي يلي ولي الله .فيقول له: ملكٌ بالباب يستأذن .فيقول: ائذنوا له فيؤذن له فيدخل .فيقول: إن ربك يقرئك السلام ويخبره أنه عنه راضٍ ومعه التحفة فتوضع بين يديه»[3].

القول الثالث :أنَّ " الملك الكبير " عبارة عن التيجان على رؤوسهم . أورده السمرقندي والقرطبي وأبو حيان ، والألوسي- رحمهم الله تعالى- [4].

القول الرابع : بأنَّه ملك لا زوال فيه . ذكره الثعلبي ، والزمخشري ، والرازي والقرطبي - رحمهم الله تعالى- [5].

القول الخامس : أنَّه ملك المشيئة والتكوين فإذا أرادوا شيئا قالوا له كن . ذكره القرطبي وأبو حيان والشربيني ، و الألوسي- رحمهم الله تعالى- [6].

الترجيح

الأولى – والله تعالى أعلم بالصواب – حمل اللفظ على جميع المعاني الواردة ،ولا وجه للتخصيص؛ لأن المعاني الواردة أمثلة للعموم ، وإنعام الله عز وجل لعباده أكبر من أن تصفه عبارة ، وقد أخبر رسول اللَّهِ -ﷺ- عن رب العزّة والجلال أنَّه قال : ((أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ ما لَا عَيْنٌ رَأَتْ ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ ولا خَطَرَ على قَلْبِ بَشَرٍ [7])) . و «إذا احتمل اللفظ معاني عدة و لم يمتنع إرادة الجميع حمل عليها »

(١) تفسير القرآن العزيز (٥/٧٤)، والوسيط (٤/٤٠٤).

(٢) الكشف والبيان (١٠/١٠٤)، و معالم التنزيل (٤/٤٣٠).

(٣)تفسير القرآن العزيز (٥/٧٤).

(٤) بحر العلوم (٣/٥٠٦)، والجامع لأحكام القرآن (١٩/١٤٤)، والبحر المحيط (٨/٣٩١)، وروح المعاني (٢٩/١٦١).

(٥) الكشف والبيان (١٠/١٠٤)، والكشاف (٤/٦٧٣)، والتفسير الكبير (٣٠/٢٢١)، والجامع لأحكام القرآن (١٩/١٤٤).

(٦) الجامع لأحكام القرآن (١٩/١٤٥)، والبحر المحيط (٨/٣٩١) ، والسراج المنير (٨ / ٢١٤) ، و روح المعاني (٢٩/ ١٦١) .

(٧) سبق تخريجه : ص ٣٣٨ .

(١). **ومما يؤيده :**

أخبر الله تعالى عن عظم نعيم أهل الجنة بما لا يحدّ ولا يقّدر ، ولا يعرف كنهه ، وهذا الإخبار جاء بمؤكدات وهي :

" الجملة الفعلية " تدل على التجدد (٢)، و" إذا " وهي تفيد تحقق الأمر و وقوعه . ودلالة " رأيت" على مطلق الرؤية أينما وقع بصرك ، و التنوين والتنكير في﴿ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴾للدلالة على التعظيم .

قال ابن عاشور : «وفعل ﴿رَأَيْتَ ﴾الأول منزل منزلة اللازم يدل على حصول الرؤية فقط لا تعلقها بمرئي، أي إذا وجهت نظرك. و﴿رَأَيْتَ ﴾الثاني جواب "إذا" ، أي إذا فتحت عينك ترى نعيما. والتقييد بـ "إذا" أفاد معنى الشرطية فدل على أن رؤية النعيم لا تتخلف عن بصر المبصر هنالك فأفاد معنى : لا ترى إلا نعيما، أي بخلاف ما يرى في جهات الدنيا.

وفي قوله:﴿ وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴾تشبيه بليغ، أي مثل أحوال الملك الكبير المتنعم ربه. وفائدة هذا التشبيه تقريب المشبه لمدارك العقول» (٣). والله تعالى أعلم.

(١) قواعد التفسير (٢/ ٨٠٧).

(٢) قواعد التفسير (١ / ٢٥٥).

(٣) التحرير والتنوير (١٢ / ٣٩٨).

قول الله – ﷻ – : ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلاَ تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِماً أَوْ كَفُوراً﴾ [1]. في الآية مسألتان وهما :

❁(٨٣) المسألة الأولى : في معنى " أو " .

ترجيح ابن جُزي – رحمه الله – :

رجَّح أنَّ معنى " أو " للتنوّيع ، أي : لا تطع النوعين فاعلًا للإثم ولا كفورًا.

مجمل ما ذكره في الآية :

قال: « "أو" هنا للتنويع . فالمعنى: "لا تطع" النوعين فاعلاً للإثم ولا "كفورًا . وقيل: هي بمعنى الواو أي: جامعاً للوصفين؛ لأن هذه هي حالة الكفار» [2] .

العرض والمناقشة:

للمفسرين في معنى " أو " قولان وهما :

القول الأول : ما رجَّحه ابن جُزيّ موافقًا للطبري ، والزمخشري ، والقرطبي ،والبيضاوي والنسفي [3]، ووافقهم جلال الدين المحلِّي ، والشربيني ، والصّ اوي ، والشوكا ني ، والألوسي والمراغي ، وابن عاشور–رحمهم الله تعالى– [4].

قال الطبري : « ﴿ وَلَاتُطِعْ مِنْهُمْءَاثِمًا أَوْكَفُورًا ﴾يقول: ولا تطع في معصيةِ الله من مشركي قومِك آثما يريد بركوبه معاصيه، أو كفورا: يعنى جحودا لنعمه عندَه، وآلائه قِبَلَه، فهو يكفر به ويعبد غيره» [5].

وقال القرطبي :« ثم قيل "أو" في قوله تعالى: ﴿ءَاثِمًا أَوْكَفُورًا ﴾أوكد من الواو؛ لأن الواو إذا قلت –لا تطع زيدًا وعمرًا– فأطاع أحدهما كان غير عاص؛ لأنه أمره ألاَّ يطيع الاثنين، فإذا قال:﴿ وَلَاتُطِعْ مِنْهُمْ

(١) سورة الإنسان:٢٤ .

(٢) التسهيل (١٦٩/٤).

(٣) جامع البيان (٢٢٤/٢٩)، و الكشاف (٦٧٥/٤)، و الجامع لأحكام القرآن (١٤٩/١٩) ، و أنوار التنزيل (٤٣٠/٥) و مدارك التنزيل (٣٠٥/٤) .

(٤) البحر المحيط (٣٩٢/٨)، والجلالين (٧٨٣/١)، والسراج المنير(٨/ ٢١٦) ، و إرشاد العقل السليم (٧٥/٩) ، وحاشية الصاوي (٢١٥/٦)، وفتح القدير (٣٥٣/٥) ، و روح المعاني (١٦٥/٢٩) ، وتفسير المراغي (١٠/ ٢٨٥)، والتحرير والتنوير (٤٠٥/١٢).

(٥) جامع البيان (٢٢٤/٢٩).

﴿ءَاثِمًا أَوْكَفُورًا﴾ فـ " أو" قد دلّت على أن كل واحد منهما أهل أن يعُصى » [1] .

القول الثاني : أنَّ " أو " بمعنى الواو ، أي : جامعًا للوصفين . اختاره الفراء ، وقال به السمرقندي والثعلبي ، والبغوي[2] ، وذكره في معرض الأقوال الطبري ، و النسفي ، وأبو حيان ، وابن عادل – رحمهم الله تعالى – [3].

قال الفراء–رحمه الله– : « "أو" ها هنا بمنزلة "لا" . و "أو" في الجحد والاستفهام والجزاء تكون في معنى "لا" فهذا من ذلك. وقال الشاعر[4]:

لا وَجْدُ ثَكْلَى كما وَجدْتُ وَلا ... وَجْدُ عَجُولٍ أَضَلَّهَ ـــــ ا رُبَ ـــعُ

أَوْ وَجْـــــ دُ شيخٍ أصَلَّ ناقَتهُ ... يَوْمَ توافَى الحجيجُ فاندفعُ ـــــ وا

أراد: ولا وجد شيخ. وقد يكون في العربية: لا يطيعن منهم من أثم أو كفر . فيكون المعنى في "أو" قريباً من معنى "الواو". كقولك للرجل: لأعطينك سَألت، أو سكتَّ معناه: لأعطينك على كل حال »[5]

الترجيح

الراجح – والله تعالى أعلم بالصواب – أنَّ " أو " في الآية للتنويع ، أي : لا تطع أحد النوعين على سبيل الجمع أو الإفراد ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ، وقال به أكثر المحقِّقين [6] ؛ لأن "أو " في الإثبات تفيد أحد الأمرين وفي النفي تفيد كلا الأمرين فإذا قلنا أطع زيدًا أو عمرًا . وأطاع أحدهما كان ممتثلا . وفي النهي : لا تطع زيدًا أو عمرًا كان غيرَ مطيعٍ لهما . فقد جاء النهي عن طاعة أحدهما بالمنطوق المعبَّر عنه بـــ "أو " والنهي عن طاعتهما بالمفهوم.

قالَ الزجَّاجُ : « "أَو" هنا أَوْكَد منَ الواوِ ؛لأنَّ الواوَ إذا قُلْتَ : لا تُطِع زيْدًا وعَمْرًا فأَطَاعَ أَحَدَهما كانَ غَيْر عاصٍ ؛ لأنَّه أَمَرَه أَنْ لا يُطِيعَ الاثْنَيْن ،فإذا قالَ: ﴿ وَلَاتُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْكَفُورًا ﴾ فـ " أو "

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٤٩/١٩).

(٢) تفسير بحر العلوم (٥٠٧/٣) ، معالم التنزيل (٤٣١/٤) .

(٣) معاني القرآن (٢٢٠/٣)، ومدارك التنزيل(٣٢٠/٤)، والبحر المحيط (٣٩٢/٨)، واللباب (٥١/٢٠).

(٤) القائل : مالك بن عمرو . معاني القرآن للفراء (٣ / ٢١٩).

(٥) معاني القرآن (٣ / ٢٢٠) .

(٦) التفسير الكبير (٢٢٨/٣٠).

دلّت على أَنَّ كلَّ واحدٍ منهما أَهْلٌ أَنْ يُعْصَى» [1]. **ومما يؤيده عدة أمور وهي :**

١. أنَّ " أو " للتنويع ، واستفيد التعميم من النهي بقوله : ﴿وَلَا تُطِعْ﴾ والنكرة في سياق النهي تعمُّ فكان المعنى النهي عن طاعة أحد النوعين بالمطوق ، ودلّ المفهوم عن طاعتهما جميعًا.

قال الطيبي [2]: «الأولى أنها على بابها، وإنما جاء التعميم فيها من النهي الذي فيه معنى النفي والنكرة في سياق النفي تعم؛ لأن المعنى قبل النهي تطيع آثمًا أو كفورًا ،أي: واحدًا منهما، فإذا جاء النهي ورد على ما كان ثابتًا فالمعنى لا تطع واحدًا منهما فالتعميم فيهما من جهة النهي وهي على بابها » [3] .

٢. حسُن العطف بـــ " أو " لإفادة التقسيم ؛ لأن الآثم من ارتكب الإثم ظاهرًا وباطنًا ،كما قال تعالى: ﴿وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا۟ يَقْتَرِفُونَ﴾[4]،

والكفر أخبث أنواع الإثم فخُصَّ بذكره تنبيهًا عليه فكلُّ كفورٍ آثمٌ ،وليس كلُّ آثمٍ كفورً ا .والله تعالى أعلم.

(١) تاج العروس (١٢٠/٣٧).

(٢) الحسين بن محمد بن عبد الله، شرف الدين الطيبي ، من علماء الحديث والتفسير والبيان .توفي سنة (٧٤٣ هـــ).
يُنظر : الدرر الكامنة(١٨٥/٢)، والبدر الطالع (٢٢٩/١)، و الأعلام (٢/ ٢٥٦).

(٣) الإتقان في علوم القرآن (٤٥٨/١) .

(٤)سورة الأنعام:١٢٠.

❁ (٨٤)المسألة الثانية : في المراد بـــ "الآثم " و " الكفور" في الآية.

ترجيح ابن جُزيّ – رحمه الله – :

رجَّح أنَّ وصف " الآثم و الكفور " على عمومه .

مجمل ما ذكره في الآية :

قال: «ورُوِى أنَّ الآية نزلت في أبي جهل [١] . وقيل: أنَّ الآثم عتبة بن ربيعة ، والكفور الوليد بن المغيرة والأحسن أنها على العموم ؛لأن لفظها عام وإن كان سبب نزولها خاصاً » [٢].

العرض والمناقشة:

في المسألة ثلاثة أقوال وهي :

القول الأول : ما ذهب إليه ابن جُزيّ موافقًا للرازي ، و استظهره النسفي ، و رجَّحه الألوسي – رحمهم الله تعالى – [٣].

قال النسفي : « والظاهر أن المراد كل آثم وكافر أي : لا تطع أحدهما وإذا نهى عن طاعة أحدهما لا بعينه فقد نهى عن طاعتهما معا ومتفرقا» [٤].

القول الثاني : أنَّ " الآثم ، والكفور " أبو جهل " قاله قتادة– ﷺ– [٥]. وذكره السمعاني ، والبغوي و الرازي ، والقرطبي – رحمهم الله تعالى – [٦].

القول الثالث : أنَّ " الآثم " عتبة بن الربيعة و " الكفور " الوليد بن المغيرة . أورده الثعلبي ،والواحدي والسمعاني ، والبغوي ، والقرطبي ، وأبو حيان ، وأبو السعود ، والشوكاني ،والألوسي –رحمهم الله تعالى – [٧].

---

(١)أخرجه الطبري بسنده عن قتادة قال : حدثنا بن عبد الأعلى. قال: ثنا بن ثور عن معمر عن قتادة أنه بلغه : أن أبا جهل قال : لئن رأيت محمدا يصلي لأطأن عنقه فأنزل الله ولا تطع منهم آثما أو كفورا). جامع البيان" (٢٢٤/٢٩) ، وسنده ضعيف لإرساله.

(٢) التسهيل (١٦٩/٤) .

(٣) التفسير الكبير (٢٢٨/٣٠) ، وتفسير مدارك التنزيل (٣٢٠/٤) ، وروح المعاني (١٦٦/٢٩) .

(٤) مدارك التنزيل (٣٢٠/٤) .

(٥) سبق تخريجه .

(٦) تفسير القرآن (١٢٢/٦)، ومعالم التنزيل (٤٣١/٤)، والتفسير الكبير (٢٢٧/٣٠)، و الجامع لأحكام القرآن (١٤٩/١٩).

(٧) بحر العلوم (٥٠٧/٣)، و الكشف والبيان (١٠٦/١٠)، و الوسيط (٤ / ٤٠٦)، و تفسير القرآن (١٢٢/٦)، و معالم التنزيل

قال البغوي : «وقال مقاتل: أراد "بالآثم" عتبة بن ربيعة و"بالكفور" الوليد بن المغيرة قالا للنبي -ﷺ- : إن كنت صنعت ما صنعت؛ لأجل النساء والمال فارجع عن هذا الأمر. قال عتبة: فأنا أزوّجك ابنتي وأسوقها إليك بغير مهر. وقال الوليد: أنا أعطيك من المال حتى ترضى؛ فارجع عن هذا الأمر. فأنزل الله هذه الآية» [1] .

الترجيح

الراجح – والله تعالى أعلم بالصواب – أنَّ " الآثم ،والكفور " على عمومه ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن معه ؛ لأن وصف " الآثم ،والكفور " نكرة في سياق النهي . و (العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب)[2].

قال الرازي- رحمه الله تعالى - : «أن الآثم ، والكفور مطلقان غير مختصين بشخص معين وهذا هو الأقرب إلى الظاهر» [3]. والله تعالى أعلم.

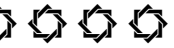

(٤٣١/٤)، و الجامع لأحكام القرآن (١٤٩/١٩)، و البحر المحيط (٣٩٢/٨)، و إرشاد العقل السليم (٧٥/٩)، وفتح القدير (٣٥٣/٥)، وروح المعاني (١٦٦/٢٩) .

(١) معالم التنزيل (٤٣١/٤).

(٢) قواعد التفسير (٢ / ٥٩٣).

(٣) التفسير الكبير(٢٢٨/٣٠).

(٨٥) مسألة : في المراد بالذكر في قول الله – ﷻ – : ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾[1].

ترجيح ابن جُزيّ – رحمه الله – :

رجَّح أنَّ الله تعالى أمر نبيه بذكره في كل وقت.

ومجمل ما ذكره في الآية :

قال: «﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ هذا أمر بذكر الله في كلِّ وقت. وقيل: إشارة إلى الصلوات الخمس فالبكرة صلاة الصبح، والأصيل الظهر والعصر ، ومن الليل المغرب والعشاء »[2].

العرض والمناقشة:

في المسألة قولان ،وهما :

القول الأول: ما رجَّحه ابن جُزيّ ، و وافقه الثعالبي ، وقدَّمه الشوكاني ، والقنوجي ، واقتصر عليه المراغي ،والسعدي ، وابن عاشور–رحمهم الله تعالى – [3].

قال الثعالبي: «ثم أمره تعالى بذكر ربه دَأبا بكرة ،وأصيلاً »[4] .

وقال ابن عاشور : « والمراد بالبكرة ،والأصيل: استغراق أوقات النهار، أي لا يصدك إعراضهم عن معاودة الدعوة وتكريرها طرفي النهار، ويدخل في ذكر الله الصلوات مثل قوله:﴿وَأَقِمِ الصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ الَّيْلِ ۚ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ ﴿١١٤﴾ وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾[5] ،وكذلك النوافل التي هي من خصائص النبي – ﷺ – بين مفروض منها وغير مفروض، فالأمر في قوله:﴿وَاذْكُرِ﴾ مستعمل في مطلق الطلب من وجوب ونفل »[6].

---

(١) سورة الإنسان:٢٥.

(٢) التسهيل (١٦٩/٤) .

(٣) الجواهر الحسان (٣٧٤/٤) ، وفتح القدير (٣٥٣/٥) ، وفتح البيان (١٤ / ٤٧٨) ، و تفسير المراغي (١٠/ ٢٨٦) ، و تفسير الكريم الرحمن (٩٠٢/١) ، والتحرير والتنوير (١٢ / ٤٠٦) .

(٤) الجواهر الحسان (٣٧٤/٤).

(٥) سورة هود :١١٤–:١١٥ .

(٦) التحرير والتنوير (١٢ / ٤٠٦) .

القول الثاني : أنَّ الذكر صلاة الفجر و" الأصيل " صلاة الظهر والعصر . وهو مروي عن ابن زيد [1] –رضي الله عنه– . وقال به الطبري [2]، وقدّمه القرطبي[3]، واقتصر على ذكره أبو الليث وابن أبي زمنين والماوردي ،والواحدي ، والزمخشري، والنسفي، و أبو حيان ،وجلال الدين المحلّي ،والشربيني [4]– رحمهم الله –.

قال الطبري : «يقول تعالى ذكره :واذكر يا محمد اسم ربك فادعه به بكرة في صلاة الصبح وعشيا في صلاة الظهر والعصر »[5] .

الترجيح

الرّاجح – والله أعلم بالصواب – أنَّ الذكر على إطلاقه في كلِّ الأوقات ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه ؛ لأن الذكر عام ويدخل فيه كل أنواعه من صلاة وتسبيح ودعا ء ، و (الأولى حمل نصوص الوحي على العموم)[6].

قال الشيخ السعدي – رحمه الله تعالى – : « ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا﴾ أي: أول النهار وآخره؛ فدخل في ذلك الصلوات المكتوبات وما يتبعها من النوافل والتسبيح والتهليل والتكبير في هذه الأوقات »[7]. **ويؤيده عدة أمور وهي :**

١. أنّ الله تعالى ذكر هذين الوقتين في مواضعّ عدّة منها قول الله تعالى :﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ﴾[8]، وقال تعالى : ﴿لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا﴾ [9]، و وجه تخصيصهما بالذكر أمران :

---

(١) أخرجه الطبري بسنده عنه : جامع البيان (٢٢٥/٢٩) ، ولفظه (قال بكرة صلاة الصبح وأصيلا صلاة الظهر الأصيل) .

(٢) المرجع السابق (٢٢٥/٢٩)

(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٥٠/١٩)

(٤) بحر العلوم (٥٠٧/٣)، والقرآن العزيز (٧٥/٥)، والنكت والعيون (٦ / ١٧٢) والوسيط (٤٠٦/٤) ، و الكشاف (٦٧٥/٤) ، و مدارك التنزيل (٣٠٥/٤) ، والبحر المحيط (٣٩٢/٨)، و تفسير الجلالين (٧٨٣/١) ، والسراج المنير (٢١٧/٨) .

(٥) جامع البيان (٢٢٥/٢٩) .

(٦) يُنظر : قواعد الترجيح (٢ / ٥٢٧).

(٧) تيسير الكريم الرحمن(٩٠٣/١) .

(٨) سورة الأعراف:٢٠٥ .

(٩) سورة الفتح:٩ .

الأول : بيان فضلهما؛ لكونهما مشهودين بملائكة الليل والنهار

الثاني : الإشارة إلى المداومة على ذكر الله في جميع الأوقات.

٢. أنَّ الأمر بالذكر جاء في سياق الأمر بالصبر على أذى الكفار وفي ذلك بيان لزاد الروحي الذي يعين الداعية على تحمل جهالتهم وأذاهم . والله تعالى أعلم.

قول الله – ﷻ – : ﴿نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا﴾ [1] . في الآية مسألتان وهما :

❁ (٨٦)المسألة الأولى :في معنى الأسر .

ترجيح ابن جزيّ – رحمه الله – :

رجَّح أنَّ معنى "الأسر " الخلقة.

مجمل ما ذكره في الآية :

قال : «الأسر الخلقة . وقيل : المفاصل والأوصال . وقيل: القوة» [2] .

العرض والمناقشة:

في المسألة ثلاثة أقوال، وهي:

القول الأول : ما رجَّحه ابن جُزيّ موافقًا لقول ابن عباس [3] ، ومجاهد [4] ، وقتادة [5] – ﷺ – . – . و قال به الفرّاء ، ورجّحه الطبري [6]، و اقتصر عليه النسفي ، و ابن كثير ، والثعالبي والقاسمي [7] [7] وصدَّر به ابن عطية ، والسمين الحلبي أقوالهم –رحمهم الله تعالى– [8].

قال الفراء : «والأسر: الخَلْق. تقول: لقد أُسِر هذا الرجل أحسنُ الأسر، كقولك : خُلِقَ أحْسَن الخَلْق » [9].

وقال الإمام الطبري – رحمه الله– : «يقول تعالى ذكره: نحن خلقنا هؤلاء المشركين بالله المخالفين أمره

---

(١)سورة الإنسان:٢٨ .

(٢) التسهيل (١٧٠/٤) .

(٣) أخرجه الطبري بسنده عنه "جامع البيان" (٢٢٦/٢٩) ، ولفظه (يقول شددنا خلقهم) .

(٤)أخرجه الطبري بسنده عنه (المرجع السابق)(٢٢٦/٢٩)، ولفظه (قال خلقهم)، وعنه قيل : الأسر هو الشرج أي إذا خرج الغائط والبول تقبض الموضع . إن صح هذا القول عنه فهو من التفسير بالمثال ولا يفهم منه قصر الأسر عليه . تفسير بحر العلوم (٥٠٧/٣)، تفصير الكشف والبيان (١٠٧/١٠) ، تفسير معالم التنزيل (٤٣١/٤)، تفسير الجامع لأحكام القرآن (١٥١/١٩) ، و روح المعاني (١٦٧/٢٩).

(٥) أخرجه الطبري بسنده عنه " جامع البيان " (٢٢٦/٢٩) ، ولفظه (وشددنا أسرهم خلقهم) .

(٦) معاني القرآن (٣ / ٢٢٠)، وجامع البيان (٢٢٦/٢٩)

(٧) مدارك التنزيل (٣٠٦/٤) وتفسير القرآن العظيم (٤٥٩/٤) ، و الجواهر الحسان (٣٧٥/٤) ، و محاسن التأويل (١٠ / ٤٠٦٠).

(٨) المحرر الوجيز (٤١٥/٥) ،وعمدة الحفاظ (١ / ٩٨).

(٩) معاني القرآن للفراء (٣ / ٢٢٠) .

وفيه﴿وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ﴾وشددنا خلقهم من قولهم : قد أسر هذا الرجل فأحسن أسره بمعنى قد خلق فأحسن خلقه ... وأولى الأقوال في ذلك بالصواب القول الذي اخترناه وذلك أن الأسر هو ما ذكر عند العرب،ومنه قول الأخطل [1]:

مِنْ كلّ مُجْتَنَبٍ شديدٍ أسْرُهُ سلس القيادِ تخالهُ مختالا

ومنه قول العامة: "خذه بأسره" أي هو لك كله » [2] .

القول الثاني : شددنا مفاصلهم وأوصالهم بعضها إلى بعض بالعروق ،والعصب . وهو قول أبو هريرة – ﷺ– [3].وقال به الرازي ، و اقتص ر عليه البيضاوي ، والقمي النيسابوري ، وبدر الدين البقاعي ، و أبو السعود ، و عطية سالم[4] ، واستظهره الألوسي [5]– رحمهم الله –.

قال النيسابوري :« ﴿نَّحْنُ خَلَقْنَـٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ﴾أي:ربطهم ،وتوثيقهم ،ومنه أسر الرجل إذا أوثق بالقد ،وبه سُمي القد أسراً .والمعنى: ركبناهم تركيباً محكماً وأتقنا مفاصلهم بالأعصاب ،والربط ،والأوتار حسب ما يحتاجون إليه في التصرف ؛لوجوه الحوائج » [6].

قال البقاعي :«﴿وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ﴾أي: قوينا وأتقنا ربط مفاصلهم الظاهرة والباطنة بالأعصاب على وجه الإحكام بعد كونهم نطفة أمشاجاً في غاية الضعف ، وأصل الأسر ، القد يشد به الأقتاب ،أو الربط ،والتوثيق ، ولا شك أن من قدر على إنشاء شخص من نطفة قادر على أن يعيدَ ه كما كان » [7].

(١) غياث بن غوث بن الصلت بن طار قة ابن عمرو، من بني تغلب، أبو مالك . وُلد سنة (١٩ هـ) شاعر مصقول الألفاظ، حسن الديباجة، في شعره إبداع. اشتهر في عهد بني أمية بالشام، وأكثر من مدح ملوكهم. تُوفي سنة (٩٠ هـ).
يُنظر : طبقات فحول الشعراء (٢/٢٩٨) ، و الأنساب (٣/٣٥٥) ، والأعلام (٥ / ١٢٣).

(٢) جامع البيان (٢٢٦/٢٩ ، ٢٢٧) .

(٣) أخرجه الطبري بسنده عنه : جامع البيان (٢٢٦/٢٩) ، ولفظه (وشددنا أسرهم قال هي المفاصل) .

(٤) التفسير الكبير (٢٢٩/٣٠) ، و أنوار التنزيل (٤٣١/٥) ، وغرائب القرآن (٦ / ٤١٩) ، ونظم الدرر(٨ / ٢٧٨) و إرشاد العقل السليم (٧٦/٩) ، و أضواء البيان (٣٩٨/٨) .

(٥) روح المعاني ١٦٦/٢٩).

(٦) غرائب القرآن (٦ / ٤١٩).

(٧) ونظم الدرر(٨ / ٢٧٨) .

القول الثالث : أنَّ الأسر القوة . وهو مروي عن ابن زيد [١] ، وممن أورده الطبري وأبو الليث والسمعاني ، والشوكاني –رحمهم الله تعالى- [٢].

قال الشوكاني :«وقال ابن زيد : الأسر القوة، واشتقاقه من الإسار ، وهو القد الذي تشد به الأقتاب ومنه قول ابن أحمر [٣]يصف فرساً :

يمشي بأوطفةٍ شدادٍ أسرُ ها شمِّ السباطِئِ لا تفي بالجَ دْجَدِ »[٤]

الترجيح

الظاهر – والله تعالى أعلم بالصواب – أن معنى " الأسر " الخلق وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن معه ؛ لأنّهَ قولٌ عامٌ يجمع كل ما قيل في المعنى ، و (الحمل على العموم أولى)[٥].

وما ورد عن السلف من أقوال في معنى الأسر فهي اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد ،وهي تفسيرٌ باللازم ، فإحكام الخِلقة يقتضي قوةَ الربط بالمفاصل والعروق.

قال الشيخ السعدي – رحمه الله تعالى - : «﴿وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ﴾، أي: أحكمنا خِلقتهَم بالأعصاب والعروق والأوتار والقوى الظاهرة والباطنة، حتى تمَّ الجسم واستكمل وتمكن من كلَّ ما يريده فالذي أوجدهم على هذه الحالة قادر على أن يعيدهم بعد موتهم لجزائهم» [٦]. **ومما يؤيده** :

دلالة اللغة : فإنَّ الأسر في لغة العرب معناه : الخلق فـــ "أسرا "من باب ضرب: فهو : "أسير و أسره الله أسرًا " و"خلقه خلقاً حسناً ، والأَسْرُ شِدَّة الخَلْقِ ورَجُلٌ مَأْسُورٌ شَدِيدُ عَقْد المَفَاصِلِ والأَوْصَالِ [٧] . ومنه قولهم : قد جاء القوم بأَسْرِهِم .

(١) أخرجه الطبري بسنده عنه : جامع البيان (٢٢٦/٢٩) ، ولفظه (قال: الأسر القوة).

(٢) جامع البيان (٢٢٦/٢٩) ، و بحر العلوم (٥٠٧/٣) ، و تفسير القرآن (١٢٣/٦).

(٣) هنئ بن أحمر، من بني الحارث، من كنانة . شاعر جاهلي . الأعلام (٨ / ١٠٠).

(٤) فتح القدير (٣٥٤/٥).

(٥) يُنظر : قواعد الترجيح (٢ / ٥٢٧).

(٦) تيسير الكريم الرحمن (٩٠٣/١) .

(٧) ينظر : لسان العرب (١٩/٤) ، و المحكم والمحيط الأعظم (٥٤٣/٨) ، الزاهر في معاني كلمات الناس (٤٨٩/١) .

قال أبو بكر [1]: معناه قد جاءوا بجمعهم وخلقهم والأسر في كلام العرب الخلق .قال عمران بن حطان [2]:

براكَ ترابًا ثم صَيَّرْكَ نُطْفَةً فسوّاك حتى صِرتَ مُلْتَئِمَ الأَسْرِ [3].

والله تعالى أعلم.

(١) محمد بن القاسم الأنباري ، أبو بكر . الإمام المشهور العلم المنشور كان أحفظ زمانه ، له التصانيف المفيدة في النحو واللغة منها كتاب الزاهر في اللغة وكتاب هاءات القرآن وكتاب الأمالي وكتاب غ ريب الحديث وكتاب خلق الإنسان وكتاب خلق الفرس وغير ذلك. توفي سنة (٣٢٨ هـــ).
تاريخ بغداد (١٨٣/٣) ،و البلغة (٢١٢/١)، والمعجم المفهرس (٣٨٥/١).

(٢) عمران بن حطان بن ظبيان السدوسي الشيباني الوائلي، أبو سماك ، رأس القعدة، من الصفرية، وخطيبهم وشاعرهم سمع عائشة وابن عمر وابن عباس رضي الله عنهم روى عنه محمد بن سيرين ويحيى بن أبي كثير وصالح بن سرج . توفي سنة (٨٤ هـــ)
يُنظر : التاريخ الكبير (٤١٣/٦)، وتاريخ مدينة دمشق (٤٨٥/٤٣) ،و الإصابة في تمييز الصحابة (٣٠٥/٥) ، والأعلام (

(٣) الزاهر في معاني كلمات الناس (٤٨٩/١).

❁(٨٧) المسألة الثانية : في المراد بالتبديل في الآية.

ترجيح ابن جُزي - رحمه الله - :

رجَّح أنّ المراد من تبديلهم إهلاكهم والإتيان بأشباههم بدلاً.

ومجمل ما ذكره في الآية

قال:« أي: أهلكناهم وأبدلنا منهم غيرهم . وقيل : مسخناهم فبدلنا صورهم وهذا تهديد» [١].

العرض والمناقشة:

اختُلف في المراد " بالتبديل " على ثلاثة أقوال وهي:

القول الأول : ما رجَّحه ابن جُزيّ موافقًا لقول ابن زيد [٢]- ﷺ -. و قال به الطبري ، و اقتصر عليه ابن أبي زمنين ، والمهدوي ، و الواحدي ، والسمعاني ، والبغوي ، وابن الجوزي والنسفي [٣]، ووافقهم فيه أبي حيان، والمحلِّي [٤]، وقدمه الشوكاني ، والقنوجي ، والقاسمي [٥]، و استظهره المراغي – رحمهم الله تعالى- [٦].

قال الإمام الطبري :« وقوله: ﴿وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴾ يقول: وإذا نحن شئنا أهلكنا هؤلاء وجئنا بآخرين سواهم من جنسهم أمثالهم من الخلق مخالفين لهم في العمل» [٧].

وقال أبو حيَّان : « وَإِذَا شِئْنَا أي تبديل أمثالهم بإهلاكهم بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ ممن يطيع» [٨].

القول الثاني : المراد " بالتبديل " مسخهم وتبديل صورهم . أورده القرطبي، والشوكاني والقنوجي – رحمهم الله تعالى- [٩]. وهذا القول يشترك مع القول المتقدم في كون التبديل واقع لهم في الحياة الدنيا .

القول الثالث : أنشأناهم للبعث نشأة أخرى وأعدناهم بأعيانهم . قال به الزمخشري ومال إليه

---

(١) التسهيل (١٧٠/٤).

(٢) أخرجه الطبري بسنده عنه " جامع البيان " (٢٢٧/٢٩) ، ولفظه (قال بني آدم الذين خالفوا طاعة الله قال وأمثالهم من بني آدم).

(٣) جامع البيان (٢٢٧/٢٩)، و تفسير القرآن العزيز (٧٦/٥) ، والتحصيل في مختصر التفصيل (أ / ٢٠٠) ،والوسيط (٦ / ٤٠٦) ، وتفسير القرآن (٦/ ١٢٣) ، و معالم التنزيل (٤٣١/٤) ، و زاد المسير (٤٤١/٨) ، ومدارك التنزيل (٣٢١/٤) .

(٤) البحر المحيط (٣٩٣/٨) ،وتفسير الجلالين (٧٨٣/١)

(٥)فتح القدير(٣٥٤/٥) ، وفتح البيان (٤٨٠/١٤)، ومحاسن التأويل (٤٠٦٠/١٠)

(٦) تفسير المراغي (١٠/ ٢٨٦) .

(٧)تفسير جامع البيان (٢٢٧/٢٩) .

(٨)البحر المحيط (٣٩٣/٨).

(٩) الجامع لأحكام القرآن (١٥٢/١٩) ، وفتح القدير (٣٥٤/٥)، وفتح البيان (٤٨٠/١٤).

النيسابوري ، و ذهب إليه ابن القيم [1]، وجوزه البيضاوي ، وأبو السعود ، والألوسي وابن عاشور واقتصر عليه السعدي – رحمهم الله تعالى – [2].

قال الزمخشري : « ﴿ بَدَّلْنَآ أَمْثَلَهُمْ ﴾في شدّة الأسر يعني النشأة الأخرى» [3].

قال الألوسي: « ﴿وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَلَهُمْ تَبْدِيلًا﴾أي: أهلكناهم وبدلنا أمثالهم في شدة الخلق تبديلاً ا بديعاً لا ريب فيه، يعني البعث والنشأة الأخرى، فالتبديل في الصفات؛ لأن المعاد هو المبتدأ ولكون الأمر محققاً كائناً جيء "بإذا " وذكر المشيئة لإبهام وقته» [4] .

وقال الشيخ السعدي – رحمه الله تعالى – : « ثم استدل عليهم وعلى بعثهم بدليل عقلي وهو دليل الابتداء فقال:﴿ نَّحْنُ خَلَقْنَهُمْ ﴾ أي: أوجدناهم من العدم﴿ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ﴾أي: أحكمنا خِلقتهم بالأعصاب والعروق والأوتار والقوى الظاهرة والباطنة، حتى تمَّ الجسم واستكمل وتمكن من كل ما يريده، فالذي أوجدهم على هذه الحالة قادر على أن يعيدهم بعد موتهم لجزائهم ، والذي نقلهم في هذه الدار إلى هذه الأطوار لا يليق به أن يتركهم سدى، لا يؤمرون، ولا ينهون، ولا يثابون، ولا يعاقبون ، ولهذا قال:﴿وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَلَهُمْ تَبْدِيلًا﴾أي: أنشأناهم للبعث نشأة أخرى، وأعدنا هم بأعيانهم وهم بأنفسهم أمثالهم» [5]

الترجيح

الرّاجح – والله تعالى أعلم بالصواب – أن " التبديل " يكون بالنشأة الأخرى يوم المعاد ، وهو ما قال به الزمخشري ومن معه ؛ للدلالة سباق الآية في قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ هَؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴾[6]فأخبر الله تعالى عن الكفار في حبهم للدنيا وإنكارهم ليوم المعاد ، و هذا الإنكار الإنكار ناشئ من تصورهم باستحالة إعادة أجسادهم مرة أخرى ، فجاء الرد من الله تعالى بما يبطل

(١)الكشاف (٦٧٦/٤) ، وغرائب القرآن (٤١٩/٦)، و التبيان في أقسام القرآن (١٢٣/١).

(٢) أنوار التنزيل (٤٣١/٥)،إرشاد العقل السليم (٧٦/٩)، وروح المعاني (١٦٧/٢٩)، و التحرير والتنوير (١٢ / ٤١٠) وتيسير الكريم الرحمن (٩٠٣/١) .

(٣)الكشاف (٦٧٦/٤).

(٤) روح المعاني (١٦٧/٢٩) .

(٥) تيسير الكريم الرحمن (٩٠٣/١).

(٦) سورة الإنسان:٢٧ .

قولهم ﴿نَّحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ۖ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا﴾[1].

فمن قدر على خلقهم من العدم وأحسن خَلقهم قادر على تبديل أمثالهم وأعيانهم خلقا آخر . و (إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج عن ذلك) [2].

ومما يؤيده عدة أمور وهي :

١. التعبير بـــ "إذا " الدّالة على تحقق الوقوع إشارة إلى أن هذا التبديل يكون في النشأة الأخرى .

٢. دلالة اللغة : "فالمثل يدل على مناظره الشيء للشيء [3]. يقال هذا مِثلُهُ و مِثلُهُ كما يقال شِبهُه وشِبهُه ، و المِثْلُ الشبَّه يقال مثل و مثل وشبه وشبه بمعنى واحد [4].

قال ابن القيم – رحمه الله تعالى – : «... أن المراد بتبديل أمثالهم الخلق الجديد والنشأة الآخرة التي وُعدوا بها. وقد وُفق الزمخشري لفهم هذا من سورة الإنسان . فقال: وبدلنا أمثالهم في شدة الأسر ، يعني: النشأة الأخرى ،ثم قال: وقيل: وبدّلنا غيرهم ممن يطيع وحقّه أن يأتي بـــ "أن" لا بـــ "إذا " كقوله:﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ﴾[5].قلت : وإتيانه بـ "إذا " التي لا تكون إلا للمُ حقّ الوقوع يدل على تحقق وقوع هذا التبديل ، وأنّ واقع لا محالة وذلك هو النشأة الأخرى التي استدل على إمكانها بقوله :﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾[6] ، واستدل بالمثل على المثل وعلى ما أنكروه بما عاينوه وشاهدوه وكونهم أمثالهم هو إنشاؤهم خلقا جديدا بعينه فهم هم بأعيانهم وهم أمثالهم فهم أنفسهم يعادون» [7].

٣. قرن الله تعالى بين النشئتين في كتابه العزيز مذكّرا للفطِر والعقول بإحداهما على الأخرى ومن ذلك قوله تعالى : ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ ۚ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾[8]"فالخلق الجديد هو المتضمن للخلق الأول ، فمن قدر على الخلق من عدم قادر على إعادته من باب أولى . وقال تعالى ذكره في سورة الإنسان ﴿نَّحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ﴾فهذه النشأة الأولى ﴿وَإِذَا

(١) سورة الإنسان:٢٨ .
(٢) قواعد الترجيح (١ / ١٢٥).
(٣) مقاييس اللغة (٢٩٦/٥).
(٤) لسان العرب (٦١٠/١١).
(٥) سورة محمد :٣٨ .
(٦) سورة الواقعة : ٦٢.
(٧)التبيان في أقسام القرآن (١٢٣/١).
(٨) سورة ق:١٥ .

﴿شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا﴾النشأة الثانية" [1].

٤. أظهر النصُّ كمال قدرة الله -ﷻ- على تبديل ذواتهم في النشأة الأخرى من خلال جملة من المؤكِّدات وهي : الافتتاح بالجملة الاسمية بتقديم المبتدأ على الخبر " نحن خلقناهم " ؛ لاختصاص الله تعالى وحده بالخلق دون سواه ، ثم جاء التعبير بـــ " إذا " وإن كانت تستعمل للمتيقّن وقوعه ، ولكن لكمال قدرته وتحقق ما يقتضيه من كفرهم المقتضي اسئصالهم عبر بـ "إذا " ؛لتحقق الوقوع . ويتقوى هذا لمعنى بذكر التبديل بصيغة المبالغة "بدّلنا "؛ لأن (زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى[2]) ، والتعقيب بالمصدر " تبديلاً (يفيد التعظيم)[3] .

قال ابن عاشور : « وافتتاح الجملة بالمبتدأ المخبر عنه بالخبر الفِعلي دون أن تفتتح بـ " خلقناهم " أو نحن خالقون ؛ لإفادة تقوّي الخبر وتحقيقه بالنظر إلى المعنِيِّينَ بهذا الكلام وإن لم يكن خطاباً لهم ولكنهم هم المقصود منه .

وتقويةُ الحكم بناءٌ على تنزيل أولئك المخلوقين منزلة من يشك في أن الله خلقهم حيث لم يجْرُؤوا على موجِب العلم فأنكروا أن الله يعيد الخلق بعد البِلَى ، فكأنهم يسندون الخلق الأول لغيره . وتقوِّي الحكم يترتب عليه أنه إذا شاء بدَّل أمثالهم بإعادة أجسادهم فلذلك لم يُحتج إ لى تأكيد جملة :﴿ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا﴾استغناء بتولد معناها عن معنى التي قبلها وإن كان هو أولى بالتقوية على مقتضى الظاهر . وهذا التقوّي هنا مشعر بأن كلاماً يعقبه هو مصب التقوِّي» [4] .والله تعالى أعلم.

وبعد : فهذا آخر ما توصلت إليه من ترجيحات ابن جُزيّ في الجزء المقرر لي أسأل الله تعالى أن أكون قد وفقت لاستظهار مسائل هذا البحث ، وأحسنت عرضها ومناقشتها . وصلى الله على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين ،،،

(١) يُنظر : المرجع السابق (١/١٢٤).
(٢) قواعد التفسير (١ / ٣٥٦).
(٣) المرجع السابق (١ /٢٤٦).
(٤) التحرير والتنوير (١٢ / ٤٠٩).

الخاتمة

أحمد الله تعالى حمدًا كثيرًا على نعمائه ، وجميل عطائه ، والصلاة والسلام على رسوله الأمين المبعوث بالرحمة المهداة ، والشريعة السمحاء صلى الله عليه وعلى آله الأطهار وصحبه الأخيار ما تعاقب الليل والنهار، وسلَّم تسليما كثيرا إلى يوم الدين .

أما بعد :

مضت أنفس لحظات عمري ، وقضيت أياما ماتعة بصحبة عالم جليل ، سطّر في كتابه أنفس الدرر ، وها أنا أقف في ختام هذ ا البحث المتواضع على أهم النتائج التي توصلت لها وهي :

١. إنّ كتاب التسهيل لعلوم التنزيل من الكتب الجامعة بين التفسير بالمأثور ؛ لاحتوائه على جملة وافرة من الأحاديث والآثار ، والتفسير بالرأي.
٢. إن تفسير ابن جُزيّ قائم على إيجاز العبارة وعمق الإشارة . حيث جمع ابن جُزيّ صفوة قول المتقدمين وخلاصة فكرهم مع تضمينه للفوائد والدرر النفسية التي تغني عن كثير من المطولات إذ عدّ ذلك من مقاصده.
٣. يُعدُّ ابن جُزيّ من العلماء المنظّرين لقواعد الترجيح بين الأقوال ، حيث قرر ذلك في مقدمة كتابه وسار عليها في تفسيره.
٤. إن ابن جُزيّ من العلماء الأجلاء اللذين لهم قدم راسخة في فنون العلم المختلفة ظهر ذلك من خلال ترجيحاته .
٥. أكثر ابن جُزيّ في نقل الآثار عن الصحابة والتابعين إلا أنه في الغالب لا يعزو الأقوال إلى أصحابها .
٦. أكثر ابن جُزيّ من النقل عن ابن عطيّة والزمخشري .
٧. عدَّ ابن جُزيّ اختلاف المعنى بين الأقوال محل ترجيحه وعليه دارت ألفاظه ولقد التزم ابن جُزيّ بما صرّح به في مقدمته في معظم أقواله إلا في بعض الأقوال – أرى والعلم عند الله – أنها قول واحد .
٨. إن دراسة الترجيحات القائمة على المقارنة والمناقشة للأقوال تعطي الباحث ملكة في

سبر الأقوال وتحقيق صحيحها من سقيمها بموضوعية وعدم التعصب للأشخاص ، بل أخذ القول المقترن بالدليل .

توصيات البحث:

إن الشباب المسلم يواجه اليوم حربًا إعلامية و فكرية و إلحادية ، تهز كيانه وتعصف بوجدانه . تهدف إلى نزع هويته الإسلامية حتى لا يعرف من الإسلام إلا اسمه ورسمه ولمواجهة هذه الحملة الإلحادية لا يكون إلا بما صلح به الجيل الأول ، بكتاب الله – ﷻ – وسنة رسوله – ﷺ – وذلك بتدبر كتاب لله تعالى والعمل بما فيه ؛ لذ أتقدم بجملة من الوصايا وهي :

- **أولا**:جمع ترجيحات ابن جزي بصورة مختصرة ، وإضافتها لترجيحات المفسرين أمثال الإمام الطبري و القرطبي ، وأبي حيان ، وابن عاشور ، والألوسي وجمعها في كتاب واحد ؛ لتقديم القول الراجح بشكل مبسط مختصر .
- **ثانيًا** : إضافة قواعد الترجيح كمادة مقررة تعطى للطلاب في المرحلة الجامعية وبصورة مختصرة سهلة العرض للطلاب المرحلة الثانوية ؛ لما لهذه ا لدراسة من أثر في بناء الشخصية المتزنة التي لا تتعصب للأشخاص بل تتبع الدليل .
- **ثالثًا** : إبراز دور العلماء الراسخين في العلم ، و أثرهم في إرشاد الناس إلى الحق والهدى ، ومن هؤلاء الأفذاذ ابن جُزيّ – رحمه الله– حيث أمضى عمره بين ثنايا الكتب تعلما وتعليما ونظَّر لنفسه منهجا قائما على التدقيق في تحري الصحيح من الأقوال.

هذا آخر ما توصلت إليه من نتائج و توصيات أسأل الله تعالى أن يتقبل مني ويجعل هذا العمل مناجاة لي يوم الدين . وصلِّي اللهم وسلِّم تسليمًا كثيرًا على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، والحمد الله رب العالمين ،،،

تمت

بحمد الله

الفهارس العلمية

١. فهرس الآيات القرآنية الكريمة
٢. فهرس الأحاديث الشريفة
٣. فهرس الآثار
٤. فهرس الأعلام
٥. فهرس الأخطاء المطبعية
٦. فهرس الغريب والمصطلحات المشروحة
٧. فهرس الفرق
٨. فهرس الأشعار
٩. فهرس المصادر والمراجع
١٠. فهرس الموضوعات

فهرس الآيات

الآية	رقمها	الصفحة
الفاتحة		
﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝١ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾	١- ٢	٢١٩
﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾	٦	١٤٤
﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾	٧	٢١٩
سورة البقرة		
﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ﴾	٢٢	١٠٢
﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾	٣٧	٣٠٠
﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾	٤٥	١٨٧
﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا﴾ ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾	١١٤ ١١٧	١٤٩ أ
﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾	١٢٧	١٢٠
﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾	١٤٣	١٦٢
﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾	١٩٦	١٧٣
﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ﴾	٢١٠	١٥- ١٦
﴿وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾	٢٨٢	٩٥
﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾.	٢٨٤	١٠٣
آل عمران		
﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾.	٩١ / ٩٢	٣١٥
﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ﴾	١٠١	أ
﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾	١٣٨	٢٧٧
﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَائِفَةً مِّنكُمْ﴾	١٥٤	١٦٢
النساء		
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾	١	أ
﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ﴾	١٤	١١٦
﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا﴾	٥٦	٢٣٧

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾	٦٥	٢٤٨
المائدة		
﴿ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ ﴾	٦	٩٣
الأنعام		
﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾	١	أ
﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾	٢٣	٢٧١
﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ﴾	٣٨	١٠٨
﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ ﴾	٩٩	٢٨٤
﴿ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ﴾	١٤١	١٧٩
﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ﴾	١٥٣	١٤٤
﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾	١٥٨	٢٦٢
الأعراف		
﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ﴾	٣٢	١٠٩
﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ﴾	٣٤ / ٣٢	١٠٧
﴿ قَالَ ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ ﴾	٣٨	٢٧١
﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ ﴾	٩٦	١٤٥
﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ ﴾	١٣٤	٢٢٩
﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾	١٧٢	١٠٨
﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾	١٨٥	٢٨٤
﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً ﴾	٢٠٥	٣٤٧
الأنفال		
﴿ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾	٣٤	١٤٩
﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾	٥٠	٢٥٩
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾	٦٤	١٦٩

الآية	رقمها	الصفحة
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ﴾	٧٠	٣٢٢
يونس		
﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ﴾	٢٦	٢٨٢
﴿وَمِنۡهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيۡكَۚ﴾	٤٣	١٣
هود		
﴿يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾	٤٢	١٦٩
﴿إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ﴾	٥٦	١٤٤
﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ﴾	١١٤	٣٤٦
﴿وَكُلّٗا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾	١٢٠	٣٤٣
يوسف		
﴿إِذۡ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ﴾	٤	١٦٩
إبراهيم		
﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ﴾	٤	٥٦
﴿مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسۡقَىٰ مِن مَّآءٖ صَدِيدٖ﴾	١٦	٢٠٢
الحجر		
﴿وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ﴾	٦	١٦٩
النحل		
﴿قَدۡ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾	٢٦	١٦
﴿فَٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَلَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ﴾	٢٩	١٠٧
﴿بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ﴾	٤٤	٢٧٨
﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾	٥٠	٢٥٩
﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ﴾	٩٧	١٤٤
﴿وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۖ﴾	٦٤	٢٧٨
الإسراء		
﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً﴾	٧٩	قَالَ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ
﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ﴾	٨٨	١٢٦
﴿وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا﴾	١٦٠	٢٧٨
الكهف		

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾	٢٩	٨٠ - ٢٤٠
﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ ﴾	٤٩	265
مريم		
﴿أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴾	٦٧	299
﴿ قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ﴾	٧٥	158
طه		
﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾	٨	193
﴿ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴾	٩٢	247
﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ﴾	١١٤	275
الأنبياء		
﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ ﴾	٣٣	103
﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ ﴾	٣٥	306
﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ۚ سَأُو۟رِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾	٣٧	93
الحج		
﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ ﴾	٢	205
﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ ﴾	٣٠	228
﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ ۚ ﴾	٤٧	325
المؤمنون		
﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً ﴾	١٤	101
﴿ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴾	١١٥	293
﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴾	١١٦	292
النور		
﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾	٢٤	268
﴿ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ ﴾	٣٦	١٥١
الشعراء		
﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴾	١٩٣	٦٩ -٧١
القصص		
﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ ﴾	٨٨	١٤

الآية	رقمها	الصفحة
لقمان		
﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ ﴾	١٤	ز
السجدة		
﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾	٢	أ
﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ﴾	٥	٧٥
الأحزاب		
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا ﴾	٢٨	١٧٠
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴾	٧٠ - ٧١	أ
سبأ		
﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾	٢٩	٢٥٨
يس		
﴿ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ﴾	٤٠	٢٦٢
﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ﴾	٧٨	٢٥٥
الصافات		
﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴾	٦-٧	١٤٠
﴿ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴾	٦٢	٢٠٢
﴿ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴾	٦٨	٢٠٢
﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴾	١٦٠	٣٠٦
ص		
﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾	٢٩	٢٤٣
غافر		
﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ ﴾	٧	١٢٣
﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْءَازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ﴾	١٨	٣٢٥
﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ﴾	٤٦	١١٦

الآية	رقمها	الصفحة
فصلت		
﴿وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا﴾	٢١	٢٦٨
﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾	٢٢	٢٧٠
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾	٣٠	١٤٤
﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾	٣٧	١٠٣
﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾	٤٢	أ
﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾	٥٣	٢٧٩
الشورى		
﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾	١١	١٥٦ -٢٨٢
﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾	٥٢	ب
الدخان		
﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾	٥٨	٥٦
الجاثية		
﴿وَقَالُواْ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾	٢٤	٢٥٢
محمد		
﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾	١٩	١٢٣
﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضْوَٰنَهُۥ﴾	٢٨	٣٥٥
﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾	٣١	١٦٠
الفتح		
﴿لِّتُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾	٩	٣٤٧
ق		
﴿أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾	١٥	٣٥٦
﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾	٣٥	٢٨٢
النجم		
﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ﴾	٤٥	٣٠٤
﴿مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ﴾	٤٦	٣٠٤

الآية	رقمها	الصفحة
القمر		
﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾	٤٩	١٠٧
الرحمن		
﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾	٢٥ / ٢٧	١٤
﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾	٣٧	٧٩
الواقعة		
﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾	٦٢	٣٥٥
﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾	٧٥	٢٤٨
﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾	٧٦	٢٤٨
الحديد		
﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾	١٣	٢٨٤
﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ﴾	٢٩	٢٤٧
الحشر		
﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾	٩	٣١٥
التحريم		
﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ﴾	١	١٧٠
الملك		
﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾	٢	٣٠٠
﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾	٣	١١٣
﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ﴾	٥	١٤١
المعارج		
﴿مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ﴾	٣	٦٤
﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾	٤	٦٩-٧٣-٧٦
﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ﴾	٨	٧٩
﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾	٩	٨٢
﴿وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾	١٠	٨٥
﴿يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ﴾	١١	٨٦
﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ﴾	١٦	٨٨

الآية	رقمها	الصفحة
﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾	١٩	٩١
﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ﴾	٢٢	٩١
﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ﴾	٣٣	٩٤
نوح		
﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ﴾	١	٩٨
﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ﴾	٣	٩٨
﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾	٤	١٠١ – ١٠٥
﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾	١٤	١١٠
﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا﴾	١٩	١٠٢
﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا﴾	٢٥ / ٢٦	١٠٥
﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا﴾	٢٨/ ٣٠	١٠٨
الجن		
﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾	١	١٢٥
﴿يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾	٢	١٣٠
﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾	٣	١٢٨
﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا﴾	٤	١٣٢
﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾	٦	١٣٤
﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٰٔنَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾	٩	١٣٧
﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾	١٦	١٤٢
﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾	١٧	١٤٦
﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾	١٨	١٤٨
﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾	٢٣	١٥٣
﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا﴾	٢٤	١٥٦
﴿لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًا﴾	٢٨	١٥٩
المزمل		
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾	١	١٦٤

الآية	رقمها	الصفحة
﴿قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾	٢ / ١	١٧١- ١٧٦
﴿قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا﴾	٢-٣ / ١-٢	١٨٠
﴿إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا﴾	٥ / ٤	١٨٥
﴿إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحٗا طَوِيلٗا﴾	٧	١٨٨
﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلًا﴾	٨ / ٧	١٩١ - ١٩٤
﴿رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا﴾	٩	١٩٦
﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا﴾	١٠ / ٩	١٩٧
﴿وَطَعَامٗا ذَا غُصَّةٖ وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾	١٣ / ١٢	٢٠٠
﴿فَكَيۡفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرۡتُمۡ يَوۡمٗا يَجۡعَلُ ٱلۡوِلۡدَٰنَ شِيبًا﴾	١٧ / ١٦	٢٠٢
﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرُۢ بِهِۦۚ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَفۡعُولًا﴾	١٨	٢٠٦
﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾	١٩	
﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ﴾	٢٠/ ١٨	١٧١
المدثر		
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾	١	٢١٧
﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ﴾	٤	٢٢٢
﴿وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ﴾	٥	٢٢٦
﴿وَجَعَلۡتُ لَهُۥ مَالٗا مَّمۡدُودٗا﴾	١٢	٢٣٠
﴿سَأُرۡهِقُهُۥ صَعُودًا﴾	١٧	٢٣٣
﴿لَوَّاحَةٞ لِّلۡبَشَرِ﴾	٢٩	٢٣٥
﴿عَلَيۡهَا تِسۡعَةَ عَشَرَ﴾	٣٠	٢٣٨
﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَتَقَدَّمَ أَوۡ يَتَأَخَّرَ﴾	٣٧	٢٤٠
﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾	٥٥ / ٥٤	٢٤٢
القيامة		
﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾	١	٢٤٥
﴿وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾	٢	٢٤٦

الآية	رقمها	الصفحة
﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ﴾	٣	٢٥٤
﴿بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ﴾	٤	٢٥٣
﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ﴾	٧	٢٥٧
﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾	٩	٢٦٠
﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ﴾	١٢	٢٣٠
﴿يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾	١٣	٢٦٣ - ٢٦٦
﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾	١٥	٢٦٩
﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾	١٦	٢٧٣
﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾	١٨	٢٧٥
﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾	١٨/ ١٩	٢٧٦
﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾	٢٢/ ٢٣	٢٨٠
﴿وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ﴾	٢٦/ ٢٧	٢٨٥
﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ﴾	٢٨/ ٢٩	٢٨٩
﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ﴾	٣٤-٣٥	٢٩٣
﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾	٣٦ / ٣٥	٢٩٢
الإنسان		
﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ﴾	١	٢٩٥- ٢٩٨ -٣٠١ -٣٠٥
﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾	٥	٣١٢
﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾	٦	٣٠٨
﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾	٨	٣١١ – ٣١٥ -٣١٩
﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾	٩	٣١٦
﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾	١٠	٣٢٤
﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾	١٣	٣٢٧

﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۠ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾	١٥ -١٦	٣ -٣٣٢-٣٣٣

الآية	رقمها	الصفحة
﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا﴾	١٨	٣٣٥
﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾	٢٠	٣٣٨
﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾	٢٤	٣٤١ -٣٤٤
﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾	٢٥	٣٤٦
﴿نَّحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ ۖ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا﴾	٢٨	٣٣٩ - ٣٥٣
النبأ		
﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ﴾	٣٨	٧١
عبس		
﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾	٣٤ -٣٧	٨٦
﴿قُتِلَ الْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ﴾	١٧-٢٣	٢٥٥
المطففين		
﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾	١٥	٢٨٢
الغاشية		
﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾	١٧ -٢٠	٢٥٥
العلق		
﴿كَلَّآ إِنَّ الْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ اسْتَغْنَىٰٓ﴾	٦-٧	٩٣ -٢٢٠
الفجر		
﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾	٢٢	١٦
﴿يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى﴾	٢٤	١٥
القدر		
﴿تَنَزَّلُ الْمَلَٰٓئِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾	٤	٧١
القارعة		
﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ﴾	٥	٨٣
العصر		
﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾	١-٣	٩١

فهرس الأحاديث النبوية

طرف الحديث	الراوي	الصفحة
((أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلَةِ الْجَرَسِ...)).	عائشة رضي الله عنها	١٨٥
((إذا مات الإنسان انقطع عمله ...)).	أبو هريرة ﷺ	٢٨
((إذا اشْتَدَّ الْحَرُّ فَأَبْرِدُوا بِالصَّلَاةِ...)).	أبو هريرة ﷺ	٣٢٨
((إن الشمس والقمر ثوران عقيران...))	–	٢٦١
((أنا سَيِّدُ الْقَوْمِ يوم الْقِيَامَةِ...))	أبو هريرة ﷺ	٨٦
((إِنَّكِ سَأَلْتِ اللَّهَ لِآجَالٍ مَضْرُوبَةٍ ...))	عبد الله بن مسعود ﷺ	١٠٧
((استوصوا بالنساء خيرا لأنهن عوان عندكم...)	–	٣١٩
((بيْنَا أنا أَمْشِي إِذْ سمعت صَوْتًا من السَّمَاءِ ...))	جابر بن عبد الله ﷺ	١٦٤
((جعلت لي الأرض مسجدا و طهورا ...).	جابر بن عبد الله ﷺ	١٥١
((خَمْسُ صَلَوَاتٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ...))	طلحة بن عبيد الله ﷺ	١٧٥
(خَيْرُ الناس قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ	عبد الله بن مسعود ﷺ	٥٤
((سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ ما أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً ؟...))	المغيرة بن شعبة ﷺ	٣٣٨
((سَمُّوا بِاسْمِي ولا تَكْتَنُوا بِكُنْيَتِي)).	أَنَسِ بن مالك ﷺ	٩
((على مثل الشمس فاشهدوا ...))	–	٩٤
((غريمك أسيرك فأحسن إلى أسيرك...))	–	٣٢١
((فُكُّوا الْعَانِيَ...))	أبو موسى ﷺ	٣٢٣
((فما وَجَدْتُمْ من بَرْدٍ ،أو زَمْهَرِيرٍ...))	أبو هريرة ﷺ	٢٣٩
((في كل كبد رطبة أجر ...))	أبو هريرة ﷺ	٣١٩
((قُمْتُ على بَابِ الْجَنَّةِ...))	أسامة بن زيد ﷺ	١٢٩
((كان فِيمَنْ كان قَبْلَكُمْ...))	أبو سعيد الخدري ﷺ	٢٨٨
((كَعَكَرِ الزَّيْتِ...))	أبو سعيد الخدري ﷺ	٨٠

طرف الحديث	الراوي	الصفحة
((لَا إِلَهَ إلا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ له...))	المغيرة بن شعبة ﷺ	١٢٩
((لا تسبوا أصحابي ...))	أبو سعيد الخدري ﷺ	٣١٧
((ما كُنْتُمْ تَقُولُونَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِذَا رُمِيَ بِمِثْلِ هذا ...))	ابن عباس ﷺ	١٣٧
((ما من صَاحِبِ ذَهَبٍ ولا فِضَّةٍ ...))	أبي هريرة ﷺ	٤٩
((ما من عَبْدٍ مُسْلِمٍ يَدْعُو لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ...))	أبو الدرداء ﷺ	١٢٣
((ما أنا بِقَارِئٍ قال فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي ...))	عائشة رضي الله عنها	١٦٤
((ما كان يدريه أنها رقية ...)).	أبو سعيد الخدري ﷺ	٢٨٧
((هل تُضَارُّونَ فِي الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ...))	أبو هريرة ﷺ	٢٧١
((ويل وادٍ في جهنم ...)).	–	٢٣٣
((والذي نفسي بيده انه لَيُخَفَّفُ على الْمُؤْمِنِ...))	أبو سعيد الخدري ﷺ	٧٧
((يا يهودي من كُلٍّ يُخْلَقُ...))	عبد الله بن مسعود ﷺ	٣٠١
(يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ ...))	أبو هريرة ﷺ	٦٨
((يقول الله تَعَالَى يا آدَمُ...))	أبو سعيد الخدري رضي الله عنه	٢٠٥

فهرس الآثار

طرف الأثر	القائل	الصفحة
أخلص إليه إخلاصا	الضحاك	١٩٤
أخلص إليه المسألة والدعاء	مجاهد	١٩٤
أخلص له إخلاصا	ابن عباس رضي الله عنهما	١٩٤
إذا بلغت نفسه يرقى بها	ابن عباس رضي الله عنهما	١٩٤
أربعة حفظة من الملائكة مع جبرائيل	ابن عباس رضي الله عنهما	١٦٠
استئذان الملائكة عليهم	سفيان	٣٣٨
الأسر: القوة	ابن زيد	٣٥١
الأسير المسجون	مجاهد	٣٢٠
أطوار الخلق طورا نطفة وطورا علقة.	قتادة	٣٠٣
أقسم بهما جميعا	قتادة	٢٥٠
ألف دينار	سعيد بن جبير	٢٣٠
ألوان النطفة	مجاهد	٣٠٣
الأمشاج خلق من ألوان خلق من تراب	ابن عباس رضي الله عنهما	٣٠٣
أمشاجها عروقها	ابن مسعود ﷺ	٣٠٢
أن أبا جهل	قتادة	٣٤٤
إن الإنسان يعني الكافر	الضحاك	١٩٢
أن النبي كان إذا أنزل	عائشة رضي الله عنها	١٨٥
أن النبي كان إذا نزل عليه القرآن تعجل	ابن عباس رضي الله عنهما	٢٧٣
أن رسول الله – ﷺ – أملي عليه	زيد بن ثابت ﷺ	١٨٥
أَنْ نُبَيِّنَهُ بِلِسَانِكَ قال:فكَانَ إذا أَتَاهُ جِبْرِيلُ أَطْرَقَ.	ابن عباس رضي الله عنهما	٢٧٦
أنا قادر على أن أجعل كفه مجمرة مثل خف البعير	ابن عباس رضي الله عنهما	٢٥٤
أنه بلغه :أن أبا جهل قال: لئن رأيت محمداً يصلي	قتادة	٣٤٤
إنما خلق الإنسان هاهنا حديثا	قتادة	٢٩٩
اهجر المعصية	الضحاك	٢٢٨
أهل الدنيا يجهزون الجسد	الضحاك	٢٨٩

طرف الأثر	القائل	الصفحة
الأوثان	مجاهد	٢٢٦
أول سورة نزلت على رسول الله – ﷺ –	عبيد بن عمير	٢١٧
أول ما نزل من القرآن اقرأ باسم ربك	مجاهد	٢١٧
أي : المتزمل	قتادة	١٦٥
أي :التمسوا له الأطباء	قتادة	٢٨٥
أي :الفاجرة	قتادة	٢٥٠
أي: تعالى جلاله	قتادة	١٢٨
براءة نسخت	قتادة	١٩٧
البرد الشديد	عكرمة	٣٢٧
البرد المفضع	مجاهد	٣٢٧
بكرة صلاة الصبح وأصيلا صلاة الظهر الأصيل	ابن زيد	٣٤٧
بما قدم من المعصية وأخر من الطاعة فينبأ بذلك	ابن عباس رضي الله عنهما	٢٦٤
بني آدم الذين خالفوا طاعة الله قال وأمثالهم من	ابن زيد	٣٥٣
بيان حلاله	قتادة	٢٧٧
تبري اللحم والجلد عن العظم	الضحاك	١٨٨
تحرق بشرة الإنسان	ابن عباس رضي الله عنهما	٢٣٥
تسليم الملائكة	مجاهد	٣٣٨
تشقق السماء حين يتزل الرحمن جل وعز	ابن عباس رضي الله عنهما	٢٠٧
تشيب الصغار من كرب ذلك اليوم	ابن زيد	٢٠٥
تعرج الملائكة	الضحاك	٧٥
التف أمر الدنيا بأمر الآخرة عند الموت	مجاهد	٢٨٩
التفت ساقاك	أبو مالك	٢٨٩
تقبض الوجوه بالسوء	مجاهد	٣٢٤
تلوم على الخير والشر	عكرمة	٢٤٩
تلوم على الخير والشر	سعيد بن جبير	٢٤٩
تنتظر منه الثواب	مجاهد	٢٨١
تندم على ما فات وتلوم عليه	مجاهد	٢٤٩
تنزع أم الرأس	ابن عباس رضي الله عنهما	١٨٨

طرف الأثر	القائل	الصفحة
تنظر إلى ربها نظرا	الحسن	٢٨٠
تنتظر الثواب	مجاهد	٢٨١
تندم على ما فات		٢٤٩
تنزع أم الرأس	ابن عباس رضي الله عنهما	١٨٨
تنظر إلى ربها	الحسن	٢٨٠
تنظر إلى وجه	ابن عباس رضي الله عنهما	٢٨٠
جبل في جهنم	ابن عباس رضي الله عنهما	١٤٦
جعلها يدا	الحسن	٢٥٤
جعلها يدا وجعلها أصابع يقبضهن	الحسن	٢٥٤
جلال ربنا	عكرمة	١٢٨
جلال ربنا	مجاهد	١٢٨
الجلد	مجاهد	٢٣٥
حديدتي الجرية	مجاهد	٢٣٥
حراقة للجلد	قتادة	٢٣٥
حلاله وحرامه فذلك بيانه	ابن عباس رضي الله عنهما	٢٧٧
خلقهم	مجاهد	٣٤٩
الدنيا بالآخرة شدة	ابن عباس رضي الله عنهما	٢٩٠
ذاكم يوم القيامة	قتادة	٧٣
ذي الدرجات	ابن عباس رضي الله عنهما	١٦٤
الرجز العذاب وكل شيء في القرآن ..	ابن زيد	٢٢٨
الرجز آلهتهم التي كانوا يعبدون	ابن زيد	٢٢٦
زملت هذا الأمر فقم به	ابن عباس رضي الله عنهما	١٦٨
البرد المفظع	مجاهد	٣٢٧
البرد الشديد	عكرمة	٣٢٧
ساق الدنيا بالآخرة	قتادة	٢٨٩
السخط وهو الأصنام	ابن عباس رضي الله عنهما	٢٢٦
سلسة مستقيدا ماؤها	قتادة	٣٣٥
سمعه وبصره ويداه ورجلاه وجوارحه	ابن عباس رضي الله عنهما	٢٦٦
شاهد على نفسه ولو اعتذر	سعيد بن جبير	٢٦٩
شاهد عليها بعملها	قتادة	٢٦٧

طرف الأثر	القائل	الصفحة
شجرة الزقوم	مجاهد	٢٠١
شددنا خلقهم	ابن عباس رضي الله عنهما	٣٤٩
شوك يأخذ بالحلق فلا يدخل ولا يخرج	ابن عباس رضي الله عنهما	٢٠١
الشوى الأطراف	مجاهد	١٨٨
صعودا من عذاب الله لا راحة فيه	قتادة	٢٣٣
صفاء القوارير في بياض الفضة	الحسن	٣٣٠
طريقة الإسلام	مجاهد	١٤٢
طلوع الشمس والقمر من مغربهما	ابن مسعودﷺ	٢٦٠
طورا النطفة ثم طورا أمشاجا	ابن زيد	٥٥
العلقة ثم المضغة	مجاهد	٥٥
العلو والفواضل	ابن عباس رضي الله عنهما	١٦٦
على أن نجعله	عكرمة	٢٥٤
على حبهم للطعام	مقاتل	٣١٥
على صفاء القوارير	مجاهد	٣٣٠
على أن نجعله مثل خف البعير أو الحمار	عكرمة	٢٥٤
العمل به	الحسن	١٨٦
عملك فأصلحه	ابن زيد	٢٢٣
عند الموت	مجاهد	٢٥٨
فإن الجن يفرقون من الإنس	عكرمة	١٣٤
غنى ربنا	عكرمة	١٢٩
فراغا طويلا يعني النوم	ابن عباس رضي الله عنهما	١٦٩
فرض قيام الليل في أول هذه السورة فقام	قتادة	٢١٤
فلما سمع أبو جهل	ابن عباس رضي الله عنهما	٢٣٨
في الزمهرير إنه لون من العذاب	السدي	٣٢٧
قادر والله على أن يجعل بنانه كحافر الدابة	قتادة	٢٥٤
قال : إبليس	مجاهد	١٢٣

طرف الأثر	القائل	الصفحة
قال : الإثم	إبراهيم النخعي	٢٢٨
قالت الملائكة بعضهم لبعض :من يرقى؟	أبو الجوزاء	٢٨٦
قدرت لري القوم	الحسن	٣٣٣
قدرت للكف	ابن عباس رضي الله عنهما	٣٣٣
قدروها تقديرا لريهم	قتادة	٣٣٣
القيح والدم الأسود كعكر الزيت	مجاهد	٧٩
كالصوف	مجاهد	٧٩
كالعهن قال كالصوف	قتادة	٨٢
كان إذا نزل عليه الوحي عجل يتكلم به	الشعبي	٢٧٤
كان إذا نزل عليه الوحي عجل	الضحاك	٢٧٣
كان الأسرى في ذلك الزمان المشرك	عكرمة	٣٢٠
كان الرجل بين يدي الرسول ﷺ	أنس ﷺ	١٢٩
كان الجن يفرقون من الإنس	عكرمة	١٢٤
كان المشركون لا يتطهرون	ابن زيد	٢٢٢
كان النبي ﷺ إذا نزل عليه الوحي من القرآن	ابن جبير	٢٧٣
كان رسول الله ﷺ يحرك به لسانه ليستذكره	الحسن	٢٧٤
كان ماله ألف دينار	مجاهد .	٢٣٠
كان يستذكر القرآن مخافة النسيان	مجاهد	٢٧٤
كانت اليهود والنصارى	قتادة	١٥٢
كخف البعير	مجاهد	٢٥٤
كل شيء في كتاب الله من الرجز يعني به العذاب	ابن عباس رضي الله عنهما	٢٢٨
كنا في المسجد و مقرئنا	أبو رجاء العطاردي	٢١٧
كنت أجعل لرسول الله ﷺ حصيرا	عائشة رضي الله عنها	١٧٧
لا تكلم بالذي أوحينا إليك	ابن زيد	٢٧٤
لا تنقص ولا تفيض	مجاهد	٣٣٣
لحوائجك فافرغ لدينك الليل	ابن زيد	١٦٩
لفهما في الكفن	الحسن	٢٨٩
لقد أمر الله بالأسراء أن يحسن إليهم	قتادة	٣٢٠

طرف الأثر	القائل	الصفحة
للهام تحرق كل شيء منه ويبقى فؤاده نضيجا	الحسن	١٨٩
لم تكن السماء تحرس	ابن عباس رضي الله عنهما	١٣٩
لما نزل أول المزمل كانوا يقومون	ابن عباس رضي الله عنهما	١٧١
لما نزلت على النبي ﷺ يا أيها المزمل	الحسن	٢١٥
لن تطيقوه	الحسن	٢١٢
لو آمنوا كلهم لأوسعنا عليهم من الدنيا	قتادة	١٤٢
ليعلم رسول الله	قتادة	١٦٠
ما خلق الله الولد	مجاهد	٣٠٤
ما قد خط	مجاهد	١٠٥
ليعلم من كذب الرسل	مجاهد	١٦١
ما كان أسراهم إلا المشركين	الحسن	٣٢٠
ماء الرجل وماء المرأة يختلطان	عكرمة	٣٠٢
ماء المرأة وماء الرجل يمشجان	ابن عباس رضي الله عنهما	٣٠٢
مالا كثيرا	سعيد بن جبير	١٤٢
متاعا طويلا	مجاهد	١٦٩
مثقلة به	مجاهد	٢٠٧
مثقلة محزونة يوم القيامة	الحسن	٢٠٧
مختلفة الألوان	ابن عباس رضي الله عنهما	٣٠٣
المذمومة	ابن عباس رضي الله عنهما	٢٥٠
المساجد كلها	عكرمة	١٤٨
مشقة من العذاب	مجاهد	٢٣٣
مكث النبي ﷺ على هذا الحال عشر سنين	سعيد بن جبير	١٧٧
من راق قال: هل من راق يرقي	عكرمة	٢٨٥
منتهى أمره من أسفل الأرضين .	مجاهد	٧٤
نزاعة للحم الساقين	أبو صالح	١٨٨
نزلت هذه الآية في علي	ابن عباس رضي الله عنهما	٣١١
نزلت وهو في قطيفة	إبراهيم النخعي	١٦٦
نطفة ثم علقة ثم خلقا طورا بعد طور	قتادة	٥٥
نطفة ثم علقة ثم مضغة	ابن عباس رضي الله عنهما	٥٥
نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاما طورا بعد طور	مطر	٥٥

طرف الأثر	القائل	الصفحة
نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظما	عكرمة	٣٠٣
النفس اللؤوم	ابن عباس رضي الله عنهما	٢٤٩
هذا مثل ضربه الله	الضحاك	١٤٢
هل من طبيب شاف	أبو قلابة	٢٨٥
الهلوع هو الجزوع الحريص وهذا في أهل الشرك	ابن عباس رضي الله عنهما	١٩٢
هم ينظرون إلى الله لا تحيط أبصارهم	عطية العوفي	٢٨٠
هو الطبيب	الضحاك	٢٨٥
هو والله ثقيل مبارك القرآن كما ثقل في الدنيا	ابن زيد	١٨٦
هي المفاصل	أبو هريرةﷺ	٣٥١
هي من فضة وصفاؤها صفاء القوارير	قتادة	٣٣٠
وأسيرا من أهل القبلة وغيرهم	ابن جبير	٣٢٠
وعيد على وعيد	قتادة	٢٩٢
وهم يشتهونه	مجاهد	٣١٥
يبرق البصر	ابن عباس رضي الله عنهما	٢٥٨
يجمعان يوم	عطاء	٢٦١
يدبر الأمر	قتادة	٧٥
يشغل كل	قتادة	٨٥
يعلم أن شدة الحر	قتادة	٣٢٧
يعني بالاستقامة	ابن عباس رضي الله عنهما	١٤٢
يعني بذلك نزول الأمر	مجاهد	٧٥
يعني يوم القيامة	الضحاك	٧٣
يوم القيامة	عكرمة	٧٣
يوم القيامة جعله الله على الكافرين	ابن عباس رضي الله عنهما	٧٣
يوما تقبض فيه الحياة	قتادة	٣٢٤

فهرس الأعلام

العلـــم	شهرته	الصفحة
إبراهيم بن السري بن سهل.	الزجاج	٤٠
إبراهيم بن عمرو البقاعي.	البقاعي	٨٣
إبراهيم بن فرحون.	ابن فرحون	١٦
إبراهيم بن محمد بن مُفلِح.	–	٣٢٣
أبي بن كعب .	–	٣٤
أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي.	–	٢٥
أحمد بن عبد الحليم	ابن تيمية	٤٥
أحمد بن عمار بن أبي العباس المهدوي.	المهدوي	٣٩
أحمد بن فارس	ابن فارس	٤٥
أحمد بن محمد ابن إبراهيم النيسابوري.	–	٣٧
أحمد بن محمد الإسكندراني.	ابن المنير	١٤١
أحمد بن محمد الخلوتي.	الصاوي	١٠٦
أحمد بن محمد الكتاني.	ابن حجر	١٧٨
أحمد بن محمد النيسابوري .	–	٣٧
أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي.	–	٤١
أحمد بن محمد بن جُزيّ .	أبو بكر	٢٦
أحمد بن محمد بن عمر.	الخفاجي	١٠١
أحمد بن مصطفى المراغي.	المراغي	٧٩
أحمد بن يوسف الحنبلي.	السمين	٨٣
إسماعيل بن عبد الرحمن السدي.	السدي	٣٥
إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي .	أبو الفداء	٥٤
امرؤ القيس بن حجر بن الحارث بن عمرو	–	١٦٧

العلم	شهرته	الصفحة
أوس بن عبد الله الرَبعي.	أبو الجوزاء	٢٨٦
أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي.	أبو البقاء	٣١٦
بشر بن أبي خازم عمرو بن عوف الأسدي.	–	١٣٨
جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام.	–	٢١٨
جمال الدين (أو محمد جمال الدين) بن محمد.	القاسمي	٦٥
جهور بن محمد.	أبو الحزم	٤
الحسن بن أبي الحسن بن يسار البصري.	–	٣٤
الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي .	–	٤١
الحسن بن قاسم المرادي	–	١٠٢
الحسين بن محمد القمي النيسابوري.	–	١٠٦
الحسين بن مسعود بن الفرّاء البغوي.	الفرّاء	٥٤
حفص بن سليمان بن المغيرة.	–	٢٢٧
خلف بن قاسم .	ابن الدباغ	٧
خويلد بن خالد بن محرث.	أبو ذؤيب	٣٠٩
ذكوان المدني.	أبو صالح	٣٥
رفيع بن مهران الرياحي .	أبو العالية	٣٥
رملة بنت أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية	أم حبيبة	١٠٧
زغلول راغب النجار .	–	٣٠٤
زُهَيْ بن أبي سُلْمَى.	ابن أبي سلمى	٨٤
زيد بن أسلم القرشي .	–	٢٦٤
زيد بن ثابت.	–	٣٤
سعيد بن جبير بن هشام .	ابن جبير	٣٤
سفيان بن مسروق.	الثوري	٢٣٠
الشماخ بن ضرار بن حرملة.	–	٢٢٤
الضحاك بن مزاحم الهلالي.	الضحاك	٣٥

العلم	شهرته	الصفحة
عاصم بن أبي النجود الجحدري .	ابن أبي النجود	٢٢٧
عامر بن شراحيل .	–	٢٧٤
عبد الحق بن غالب بن عطية.	–	٣٩
عبد الرحمن بن أحمد بن عطية العنسي.	–	٣١٦
عبد الرحمن بن بن ناصر آل سِعدي.	السعدي	٨٠
عبد الرحمن بن حسن الميداني.	الميداني	١٥٥
عبد الرحمن بن علي البكري القرشي الحنبلي.	أبو الفرج الجوزي	٧٠
عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي.	الثعالبي	٦٧
عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم.	–	٥٨
عبد القادر البغدادي.	–	١٥
عبد الكريم محمد المروزي.	–	١٠
عبد الله بن أبي إسحاق الزيادي الحضرمي.	–	٢٨٥
عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي.	النسفي	٦٥
عبد الله بن حبيب السلمي.	–	١٧٨
عبد الله بن عمر بن محمد.	البيضاوي	٦٤
عبد الله بن عمرو بن العاص.	–	٣٤
عبد الله بن محمد بن الحسين.	البندار	٣٣١
عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري.	ابن قتيبة	٤٠
عبد الله بن هلال المخزومي.	–	٢١٨
عثمان بن سعيد بن عثمان	أبو عمرو الداني	٧
عثمان بن سعيد.	ورش	١٨
عطية محمد سالم	–	٨٥
عكرمة بن عبد الله البربري المدني.	عكرمة	٣٤
علقمة بن قيس أبو شبل.	علقمة	٣٤

العلم	شهرته	الصفحة
علي بن أحمد بن سعيد الظاهري.	–	١٩٨
علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي.	الواحدي	٦٤
علي بن حبيب الماوردي.	الماوردي	٦٤
علي بن محمد الخزرجي.	الحصّار	١٧٨
علي بن محمد الطبري.	الطبري	١٥
علي بن محمد بن إبراهيم الخازن.	الخازن	٦٩
علي بن محمد بن عبد الله النباهي.	–	٢٧
علي بن يحي.	السمرقندي	٦٤
عمر بن علي الأنصاري.	ابن الملقن	١٧٣
عمر بن علي.	ابن عادل	٧٠
عمران بن حطان السدوسي.	–	٣٥٢
عمران بن ملحان.	أبو رجاء العطاردي	٢١٧
عمرو بن عبد الله بن الحصين.	–	١٨
عنترة بن شداد.	–	٢٢٣
عوف بن عطية الخراع.	–	١٣٨
غياث بن غوث بن الصلت.	–	٣٥٠
الفضيل بن عياض .	ابن عياض	٣١٦
القاسم بن فيره الشاطبي .	الشاطبي	س
قبيصة بن جابر بن وهب الأسدي.	قبيصة	٧٠
قتادة بن دعامة السدوسي.	قتادة	٣٤
الليث بن سعيد بن عبد الرحمن .	–	١٨
مالك بن أنس بن مالك الأصبحي.	–	١٢
مجاهد بن جبر بن السّائب.	مجاهد	٣٤

العلم	شهرته	الصفحة
محمد بن أحمد الشربيني.	الشربيني	٧٠
محمد بن أحمد القرطبي.	القرطبي	٦٧
محمد بن أحمد اللخمي.	اللخمي	٢٥
محمد بن أحمد بن محمد بن جزي.	ابن جزي	٩
محمد بن أحمد بن محمد.	جلال الدين المحلي	٦٥
محمد بن الحسن.	النقاش	٣٧
محمد بن الحسين الأزدي.	الأزدي	٣٩
محمد بن السائب.	ابن السائب	١٩٢
محمد بن الطاهر بن عاشور.	ابن عاشور	٦٥
محمد بن القاسم الأنباري.	الأنباري	٣٥٢
محمد بن أيوب الدمشقي.	ابن القيم	٩٣
محمد بن بحر الأصفهاني.	الأصفهاني	٢٤٦
محمد بن بهدار الزركشي.	الزركشي	٥٧
محمد بن جرير الطبري.	ابن جرير	٣٧
محمد بن عبد الحي الكتاني.	الكتاني	٢٤
محمد بن عبد الله بن سعيد.	لسان الدين	٢٧
محمد بن عبد الوهاب النجدي.	ابن عبد الوهاب	١٥٩
محمد بن علي البلنسي.	البلنسي	١١٨
محمد بن علي الكرجي .	القصاب	١٠٥
محمد بن علي بن محمد الشوكاني.	الشوكاني	٦٥
محمد بن عمر التميمي الرازي.	الرازي	٣٩
محمد بن عمر بن محمد الفهري.	–	٢٥

العلم	شهرته	الصفحة
محمد بن محمد العمادي.	أبو السعود	٧٧
محمد بن محمد بن جزي.	–	٢٦
محمد بن محمد بن محمد.	ابن الجزري	٢٣
محمد بن مكرم ابن منظور.	ابن منظور	٥٨
محمد بن يوسف بن علي.	أبو حيان	٦٦
محمد بن يوسف بن هود.	ابن هود	٥
محمد بن يوسف.	ابن الأحمر	٥
محمد صديق خان القنوجي .	القنوجي	٦٧
محمود الزمخشري.	الزمخشري	١٣
محمود النيسابوري.	الغزنوي	٨٩
محمود بن عبد الله الحسيني.	الألوسي	٦٥
مسعود بن مالك.	أبو رزين	٢٢٣
مسلم بن جندب الهذلي .	–	١٧
مسلم بن يسار	–	٥٨
مطر بن طهمان.	–	٥٥
المفضل بن محمد بن علي.	–	٢٢٧
مقاتل بن سليمان .	مقاتل	١٩٢
مكي بن أبي طالب.	مكي	٣٩
منذر بن سعيد القرطبي.	–	١٥
منصور بن محمد السمعاني.	السمعاني	٧٠
ميمون بن قيس.	الأعشى	٨٩
نافع المدني .	–	١٧
هنئ بن أحمر .	–	٣٥١

العلم	شهرته	الصفحة
يحي بن شرف النووي.	النووي	١٧٣
يزيد بن أبي كبشة .	–	١٨
يزيد بن رومان الأسدي .	–	١٨
يوسف ابن إسماعيل بن فرج .	–	٢٦
يوسف بن تاشفين ..	ابن تاشفين	٤٢
يوسف بن عبد الله النمري	ابن عبد البر	٦٠

فهرس الغريب والمصطلحات المشروحة

الكلمة	الصفحة
الاحتباك	٣٢٩
الاشتقاق	٧٥
أن التفسيرية	٩٨
أن المصدرية	٩٨
أهل التعديل	١١٢
البداء	١٠٨
التتميم	٣١٨
التصريف	٧٥
الحقيقة	٦٠
دردري الزيت	٧٩
الرهق	١٣٥
السياق	٥٨
صعد	٢٣٤
العجب	١٢٦
الفرقدان	٢٧
الترجيح	٤٥
المجاز	٦٠
مسجد	١٥١
نفق	٨
النوع	١١١

فهرس الفرق

الفرقة	الصفحة
الأشاعرة	١٣
الخوارج	١٣
السلف	٥٣
المعتزلة	١٣

فهرس الأشعار

أول البيت	القائل	الصحيفة
أخو الحرب إن عضت به الحرب عضها	–	٢٩١
أخي أَيُّهَا الْمُجْتَازُ نَظْمِي بِبَابِهِ	الشاطبي	س
أرومُ امتداحَ المصطفَى فيردُّ ني	ابن جزي	٢٩
أهل رأونا بسفع القاع ذي الأكم	زيد الخيل	٢٩٥
براك ترابا ثمّ صيّرك نُطفةً فسوّاك	عمران بن حطان	٣٥٢
بظُرِيءُ الظلامَ بالعشاءِ كأنها	امرئ القيس	١٩٥
رضعت لبان ابن زمرك	ابن زمرك	٢٢
رموها بأثواب خفاف فلا ترى	الشماخ	٢٢٤
سقتني على لوح من الماء	–	٢٣٧
سليم الشظا عبلُ الشوى شنج النّسا له	الأصمعي	٩٠
شربن بماء البحر حتى وصعدن	الهذلي	٣٠٩
فشَكَكَت بالرمحِ الطويلِ ثيابَهُ	عنترة	٢٢٣
فنْفسَكَ فَانْعَ ولا تْنعَني	–	٢٥٨
قال لو بغير الماء حلقي شرق	–	٢٠٢
قالت قتيلة ماله قد	الأعشى	٨٩
كأن أبانا في أفانين ودقة	امرؤ القيس	١٦٧
كأنَّ على ذى الظن عيناً بصيرةً	مضرس	٢٦٧
كأن فتاة العهن في كل مترل	زهير	٨٤
لا وأبيك ابنة العامري	امرؤ القيس	٢٤٨
لا وَجْدُ ثكلى كما وَجِدْتُ	مالك بن عمرو	٣٤٢

أول البيت	القائل	الصفحة
لك الحمد يارب لك الشكر ثم	علي بن أحمد الأندلسي	ز
لكلٍّ بني الدنيا مـــرادٌ ومقصدُ	ابن جزي	٢٩
من كل مجتنبٍ شديدٍ أسره	الأخطل	٣٥٠
وَاصْطَلَيْتُ الْحُرُوبَ فِي كُلِّ يَوْم	أسد بن ناصعة	٣٢٥
وَالْعِيرُ يُرْهِقُهَا الْغُبَارُ وَجَحْشُهَا	بشر بن أبي خازم	١٣٨
وإن مرادي صحةٌ وفراغٌ		١١
وَانْقَضَّ كَالدُّرِّيِّ يَتْبَعُه	أوس بن حجر	١٣٨
وتعجب هند أن رأتني شاحبا		٢٣٦
ويومٍ كاظل الرمحِ قصر طوله	يزيد بن الطثرية	٧٧
يا ربُّ إنَّ ذنوبي اليوم قد كَثُرت	ابن جزي	٣٠
يَرُدُّ عَلَيْنَا الْعِبرَ مِنْ دُونِ إلْفِه	عوف بن الخرع	١٣٨
يزيدك وجهه حسنا	أبو نواس	ب
يمشي بأوطفة شداد أسرها	ابن الأحمر	٣٥١

فهرس المصادر والمراجع

أولا : المخطوطات

- التحصيل في مختصر التفصيل الجامع لعلوم التنزيل ، تأليف أبو العباس أحمد ابن عمار المهدوي المقري ، دار الكتب المصرية .
- التسهيل لعلوم التنزيل ، تأليف / محمد بن أحمد بن محمد الكلبي ، رقم التسلسل : ٦٠٧٧٦ رقم الحفظ : ج/٤٤/٠٤/٠٢، رقم الحفظ والتسلسل : ١٢٦٩٠، الميكروفيلم ١٢٦٩٠ – مطبوع : ذخائر التراث ٧٢/١ .الأزهرية ٢١٦/١.
- التسهيل لعلوم التنزيل ، تأليف : محمد الكلبي ، رقم التسلسل : ٦٣٦٥٨، رقم الحفظ : ج/٤٥/٠٢/١٢، رقم الحفظ والتسلسل : ١٢٨٠٢، الميكروفيلم : ١٢٨٠٢ – طبع : ذخائر التراث ٧٢/١ مكان الحفظ : مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

ثانياً : الرسائل العلمية

- أثر السياق مع تطبيقات على كتاب البيان في غريب إعراب القرآن للأنباري ، رسالة دكتوراة ، إعداد الطالب : نوح بن يحي بن صالح الشهري ، جامعة أم القرى ، كلية اللغة العربية ، إشراف الدكتور : عبد الله بن ناصر القرني ، ١٤٢٦ هـ – ١٤٢٧ م.
- تحرير القول في السور و الآيات المكية والمدنية – من أول سورة الكهف إلى آخر سورة الناس إعداد الطالب : محمد بن عبد العزيز بن عبد الله الفالح ، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة،كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية ، إشراف الدكتور : سليمان بن صالح الخزي ، ١٤٢٠ هـ
- تخريج الأحاديث والآثار في كتاب التسهيل لعلوم التنزيل لابن جُزي الكلبي القسم الأول : من المقدمة إلى آخر سورة النور ، إعداد الطالب : سامي بن مساعد بن مسيعيد الرفاعي الجهني . جامعة أم القرى ،كلية الدعوة وأصول الدين ، قسم الكتاب والسنة ، إشراف الدكتور : محمد بن سعيد بن محمد بن حسن البخاري ، ١٤١٨ هـ
- ترجيحات ابن جُزي الكلبي في التفسير من خلال كتابه التسهيل لعلوم التنزيل – عرضاً ومناقشةً – من أول سورة الأنعام إلى آخر سورة يوسف ، رسالة دكتوارة ، إعداد الطالب : إبراهيم محمد بن عبد الخالق الغامدي ، جامعة أم القرى ، كلية الدعوة وأصول الدين ، قسم

الكتاب والسنة ، إشراف الدكتور : أمين محمد عطية باشا .١٤٢٨ هـ - ١٤٢٩ هـ .

- ترجيحات أبي حيَّان الأندلس في التفسير من أول سورة السجدة إلى آخر سورة الزمر جمعاً ودراسةً وموازنةً من خلال تفسيره البحر المحيط ، رسالة دكتوراة ، إعداد الطالبة : سلمى داود إبراهيم بن داود . جامعة أم القرى ،كلية الدعوة وأصول الدين ، قسم الكتاب والسنة إشراف الدكتور : عبد الرحمن بن جميل قصاص ، ١٤٢٨ هـ .
- ترجيحات أبي حيَّان الأندلسي في التفسير من أول الفاتحة إلى آخر سورة البقرة – جمعاً ودراسةً و موازنةً من خلال تفسيره البحر المحيط ،رسالة دكتوارة ، إعداد لطالب : يحي بن محمد بن زمزمي، جامعة أم القرى ،كلية الدعوة وأصول الدين ،قسم الكتاب والسنة ، إشراف الدكتور يحي بن محمد زمزمي – ١٤٢٦ هـ - ١٤٢٧ هـ .
- ترجيحات الإمام القرطبي في التفسير من أول سورة الطلاق إلى آخر سورة الناس – جمعاً و دراسةً وموازنةً ، رسالة ماجستير ، إعداد الطالب : محمد بن أحمد بن محمد بن معيض جامعة أم القرى ،كلية الدعوة وأصول الدين ، قسم الكتاب والسنة ، إشراف الدكتور : عبد الله بن علي الغامدي ، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م .
- ترجيحات واختيارات ابن جُزي الكلبي في تفسيره – عرضاً ومناقشةً من أول سورة العنكبوت وحتى آخر سورة غافر ، رسالة دكتوراة ، إعداد الطالب : عبد الحي بن دخيل الله بن مسلم المحمدي ، جامعة أم القرى ،كلية الدعوة وأصول الدين ، قسم الكتاب و السنة إشراف الدكتور : عبد الله بن علي الغامدي ، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م .
- التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي الكلبي – دراسة نحوية – طاهر عبد الحي محمد شبانة . جامعة القاهرة ،كلية دار العلوم ،قسم النحو والصرف والعروض ، إشراف الدكتور : أحمد محمد عبد الدايم ، ١٤١٥ هـ ١٩٩٥ م .
- قواعد الترجيح عند ابن جُزي في تفسيره – دراسة تطبيقية – رسالة علمية مقدمة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التفسير والحديث ، إعداد الطالب : عبد الله حمد الجمعان ، جامعة الملك سعود ، كلية التربية ، قسم الثقافة الإسلامية ، إشراف الدكتور : عبد الرحمن إبراهيم المطرود . ١٤٢١ هـ .

ثالثا : المصادر والمراجع المطبوعة

- القرآن الكريم .
- الإبانة عن أصول الديانة، تأليف: علي بن إسماعيل بن أبي بشر الأشعري أبو الحسن، دار النشر : دار الأنصار – القاهرة – ١٣٩٧ ، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. فوقية حسين محمود.
- أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، تأليف : صديق بن حسن القنوجي، دار النشر : دار الكتب العلمية – بيروت – ١٩٧٨ م، تحقيق: عبد الجبار زكار.
- ابن جزي ومنهجه في التفسير، تأليف : علي محمد الزبيري ، دار النشر : دار القلم – بيروت ،١٤٠٧ هـ– ١٩٨٧ م ، الطبعة : الأولى.
- اتفاق المباني وافتراق المعاني، تأليف : سليمان بن بنين الدقيق ي النحوي، دار النشر : دار عمار الأردن – ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م، الطبعة: الأولى، تحقيق: يحيى عبد الرؤوف جبر.
- الإتقان في علوم القرآن، تأليف : جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، دار النشر : دار الفكر – لبنان – ١٤١٦هـ– ١٩٩٦م، الطبعة: الأولى، تحقيق: سعيد المندوب
- الإحاطة في أخبار غرناطة ، تأليف : ذي الوزارتين لسان الدين بن الخطيب ، دار النشر : مكتبة الخانجي – القاهرة –١٤٢١هـ – ٢٠٠١م ، تحقيق: محمد عبد الله عنان.
- أحكام القرآن، تأليف: أبو بكر محمد بن عبد الله ابن العربي، دار النشر : دار الفكر للطباعة والنشر – لبنان، تحقيق: محمد عبد القادر عطا.
- أحكام القرآن، تأليف : أحمد بن علي الرازي الجصاص أبو بكر، دار النشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت – ١٤٠٥هـ، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي.
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، تأليف : أبي السعود محمد بن محمد العمادي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول، تأليف : محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار النشر : دار الفكر – بيروت – ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمد سعيد البدري أبو مصعب
- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل ، تأليف : محمد ناصر الدين الألباني ، دار النشر : المكتب الإسلامي – بيروت– ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م ، الطبعة : الثانية.
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تأليف : يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، دار النشر : دار الجيل – بيروت – هـ١٤١٢، الطبعة: الأولى، تحقيق: علي محمد البجاوي.
- أسد الغابة في معرفة الصحابة، تأليف : عز الدين بن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجزري، دار

النشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت / لبنان – ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦ م، الطبعة: الأولى تحقيق: عادل أحمد الرفاعي.

- الإصابة في تمييز الصحابة، تأليف : أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار النشر: دار الجيل – بيروت – ١٤١٢ هـ– ١٩٩٢ م، الطبعة: الأولى، تحقيق: علي محمد البجاوي
- أصول السرخسي، تأليف: محمد بن أحمد بن أبي سهل السرخسي أبو بكر، دار النشر : دار المعرفة – بيروت (١/١٧٠) ، وقواعد الفقه، تأليف : محمد عميم الإحسان المجددي البركتي، دار النشر : الصدف ببلشرز – كراتشي – ١٤٠٧هـ – ١٩٨٦م، الطبعة: الأولى.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، تأليف : محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي . دار النشر: دار الفكر للطباعة والنشر . – بيروت. – ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م. ، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات.
- الأعلام ، تأليف: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي ، دار النشر : دار العلم للملايين – ٢٠٠٧ م، الطبعة : السابعة عشر.
- إعلام الموقعين عن رب العالمين، تأليف : أبوعبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، دار النشر : دار الجيل – بيروت – ١٩٧٣م، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد.
- إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، تأليف: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، دار النشر : دار المعرفة – بيروت – ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥م، الطبعة: الثانية، تحقيق: محمد حامد الفقي.
- الأغاني، تأليف: أبو الفرج الأصبهاني، دار النشر: دار الفكر للطباعة والنشر – لبنان، تحقيق: علي مهنا وسمير جابر.
- الأغاني، تأليف: أبو الفرج الأصبهاني، دار النشر: دار الفكر للطباعة والنشر – لبنان، تحقيق: علي مهنا وسمير جابر.
- اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، تأليف : أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، دار النشر: مطبعة السنة المحمدية – القاهرة – ١٣٦٩ هـ، الطبعة: الثانية، تحقيق: محمد حامد الفقي.
- إملاء ما منّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات، تأليف: أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري، دار النشر: المكتبة العلمية– لاهور – باكستان، تحقيق: إبراهيم عطوه عوض.
- الأنساب، تأليف: أبي سعيد عبد الكريم بن محمد ابن منصور التميمي السمعاني، دار النشر : دار الفكر – بيروت – ١٩٩٨م، الطبعة: الأولى، تحقيق: عبد الله عمر البارودي.

♦ أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء، تأليف : قاسم بن عبد الله بن أمير علي القونوي، دار النشر: دار الوفاء - جدة – ١٤٠٦ هـ ، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. أحمد بن عبد الرزاق الكبيسي.

♦ أوصاف الناس في التواريخ والصلات ، تأليف : لسان الدين بن الخطيب ، دار النشر : مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة ، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٢ م

♦ باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن ، تأليف : محمود بن أبي الحسن النيسابوري ، دار النشر : جامعة أم القرى ، ١٤١٧ هـ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : سعاد بنت صالح بابقي

♦ البحر الرائق شرح كنز الدقائق، تأليف : زين الدين ابن نجيم الحنفي، دار النشر : دار المعرفة - بيروت، الطبعة: الثانية.

♦ البحر الزخار، تأليف : أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار، دار النشر : مؤسسة علوم القرآن ، مكتبة العلوم والحكم - بيروت ، المدينة – ١٤٠٩هـ، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. محفوظ الرحمن زين الله

♦ البحر المحيط في أصول الفقه، تأليف : بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، دار النشر : دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، الطبعة : الأولى، تحقيق : ضبط نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه: د. محمد محمد تامر .

♦ البدء والتاريخ، تأليف: وهو المطهر بن طاهر المقدسي، دار النشر: مكتبة الثقافة الدينية – بورسعيد

♦ البداية والنهاية، تأليف : إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو ال فداء، دار النشر : مكتبة المعارف بيروت.

♦ بدائع الفوائد، تأليف: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، دار النشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - مكة المكرمة - ١٤١٦ - ١٩٩٦، الطبعة: الأولى، تحقيق: هشام عبد العزيز عطا - عادل عبد الحميد العدوي .

♦ البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، تأليف : العلامة محمد بن علي الشوكاني، دار النشر : دار المعرفة – بيروت.

♦ البدر المنير في تخريج الأحاديث و الآثار الواقعة في الشرح الكبير، تأليف : سراج الدين أبي حفص عمر بن علي بن أحمد الأنصاري الشافعي المعروف بابن الملقن، دار النشر : دار الهجرة للنشر والتوزيع - الرياض-السعودية - ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م، الطبعة: الأولى، تحقيق: مصطفى أبو الغيط و عبد الله بن سليمان وياسر بن كمال.

♦ البرهان في علوم القرآن، تأليف : محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبو عبد الله، دار النشر : دار

المعرفة – بيروت – ١٣٩١، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.

- بغية الطلب في تاريخ حلب، تأليف : كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جرا دة، دار النشر : دار الفكر، تحقيق: سهيل زكار.
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تأليف : جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، دار النشر : المكتبة العصرية – لبنان / صيدا، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.
- البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، تأليف : محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، دار النشر: جمعية إحياء التراث الإسلامي – الكويت – ١٤٠٧، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمد المصري.
- تاج العروس من جواهر القاموس، تأليف: محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، دار النشر: دار الهداية.
- التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة ، تأليف : عبد الرحمن علي الحجي، دار النشر : دار القلم –دمشق –١٤٢٩ هـ ، الطبعة : الثانية .
- التاريخ الصغير (الأوسط)، تأليف: محمد بن إبراهيم بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، دار النشر: دار الوعي ، مكتبة دار التراث – حلب ، القاهرة – ١٣٩٧هـ – ١٩٧٧، الطبعة: الأولى تحقيق: محمود إبراهيم زايد.
- تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس، تأليف : الحافظ أبي الوليد عبد الله بن محمد بن يونس الأزدي، دار النشر: مطبعة المدني – القاهرة – ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، الطبعة: الثانية، تحقيق: عزت العطار الحسيني .
- التاريخ الكبير، تأليف : محمد بن إسماعيل بن إبراهيم أبو عبدالله البخاري الجعفي، دار النشر : دار الفكر، تحقيق: السيد هاشم الندوي
- تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، تأليف : السيد عبد العزيز سالم ، دار النشر : مؤسسة شباب الجامعة – الإسكندرية – ٢٠٠٢ م .
- تاريخ بغداد، تأليف : أحمد بن علي أبو بكر الخطيب ال بغدادي، دار النشر : دار الكتب العلمية – بيروت.
- تاريخ قضاة الأندلس (المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا)، تأليف : أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن النباهي المالقي الأندلسي ، دار النشر : دار الآفاق الجديدة – بيروت / لبنان – ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣ م، الطبعة : الخامسة ، تحقيق : لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة.
- تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل، تأليف : أبي القاسم علي بن الحسن إبن هبة الله بن عبد الله الشافعي، دار النشر : دار الفكر – بيروت – ١٩٩٥، تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري.

♦ تأويل مشكل القرآن ، تأليف : ابن قتيبة ، دار النشر : المكتبة العلمية – بيروت / لبنان ، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م ، الطبعة : الثالثة.
♦ التبيان في إعراب القرآن، تأليف : أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري، دار النشر : عيسى البابي الحلبي وشركاه، تحقيق: علي محمد البجاوي.
♦ التبيان في أقسام القرآن، تأليف : أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، دار النشر: دار الفكر.
♦ التحرير والتنوير ، تأليف : محمد الطاهر بن عاشور ، دار النشر : دار سحنون – تونس .
♦ التحفة اللطيفة في تاريخ الم دينة الشريفة، تأليف : الأمام شمس الدين السخاوي، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، الطبعة: الأولى.
♦ تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري، تأليف : جمال الدين عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي، دار النشر : دار ابن خزيمة - الرياض - ١٤١٤هـ، الطبعة: الأولى تحقيق: عبد الله بن عبد الرحمن السعد.
♦ تذكرة الأريب في تفسير الغريب، تأليف : أبي الفرج ابن الجوزي ، دار النشر : مكتبة المعارف الرياض ، الطبعة : ، تحقيق : علي حسين البواب .
♦ تذكرة الحفاظ، تأليف : أبو عبد الله شمس الدين محمد الذهبي ، دار النشر : دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة: الأولى
♦ الترغيب والترهيب ، تأليف : عبد العظيم بن عبد القوي المنذري ، دار النشر : مكتبة المعارف الرياض – ١٤٢٤ هـ ، الطبعة : الأولى ، حكم على أحاديثه وآثاره وعلق عليه : محمد ناصر الدين الألباني.
♦ التسهيل لعلوم التنزيل، تأليف: محمد بن أحمد بن محمد الغرناطي الكلبي، دار النشر : دار الكتاب العربي - لبنان - ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م، الطبعة: الرابعة.
♦ التضمين النحوي في القرآن الكريم ،تأليف : محمد نديم فاضل ، دار النشر : دار الزمان – المملكة العربية السعودية / المدينة المنورة ، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م ، الطبعة : الأولى .
♦ التعديل والتجريح ، لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح، تأليف : سليمان بن خلف بن سعد أبو الوليد الباجي، دار النشر : دار اللواء للنشر والتوزيع - الرياض - ١٤٠٦ - ١٩٨٦، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. أبو لبابة حسين
♦ التعريفات، تأليف: علي بن محمد بن علي الجرجاني، دار النشر : دار الكتاب العربي - بيروت ١٤٠٥، الطبعة: الأولى، تحقيق: إبراهيم الأبياري.

♦ تفسير البحر المحيط، تأليف : محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، دار النشر : دار الكتب العلمية – لبنان/ بيروت – ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م، الطبعة: الأولى، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود – الشيخ علي محمد معوض، شارك في التحقيق ١) د.زكريا عبد المجيد النوقي ٢) د.أحمد النجولي الجمل.

♦ تفسير البغوي، تأليف: البغوي، دار النشر: دار المعرفة – بيروت، تحقيق: خالد عبد الرحمن العك.

♦ تفسير البيضاوي، تأليف: البيضاوي، دار الرشر: دار الفكر – بيروت.

♦ تفسير الجلالين، تأليف: محمد بن أحمد و عبد الرحمن بن أبي بكر المحلي و السيوطي، دار النشر: دار الحديث – القاهرة، الطبعة: الأولى.

♦ تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم، تأليف : نصر بن محمد بن أحمد أبو الليث السمرقندي، دار النشر: دار الفكر – بيروت، تحقيق: د.محمود مطرجي.

♦ تفسير القرآن العزيز، تأليف : أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زمنين، دار النشر : الفاروق الحديثة – مصر/ القاهرة – ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م، الطبعة: الأولى، تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة و محمد بن مصطفى الكتر.

♦ تفسير القرآن العظيم، تأليف: إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء، دار النشر : دار الفكر – بيروت – ١٤٠١هـ.

♦ تفسير القرآن، تأليف: أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني، دار النشر : دار الوطن – الرياض – السعودية – ١٤١٨هـ– ١٩٩٧م، الطبعة: الأولى، تحقيق: ياسر بن إبراهيم و غنيم بن عباس بن غنيم .

♦ تفسير القرآن، تأليف : عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الراز ي، دار النشر : المكتبة العصرية صيدا، تحقيق: أسعد محمد الطيب.

♦ تفسير القرآن، تأليف : عبد الرزاق بن همام الصنعاني، د ار النشر : مكتبة الرشد – الرياض ١٤١٠، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. مصطفى مسلم محمد.

♦ التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، تأليف : فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م، الطبعة: الأولى.

♦ التفسير اللغوي للقرآن ، تأليف : مساعد بن سليمان الطيَّار ، دار ابن الجوزي – المملكة العربية السعودية / الرياض ، ١٤٢٢ هـ ، الطبعة : الأولى

♦ تفسير المراغي ، تأليف : أحمد مصطفى المراغي ، دار النشر : دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان ، ١٤١٨هـ – ١٩٩٨ م ، الطبعة : الأولى.

♦ تفسير النسفي المسمى مدارك التنزيل ، تأليف : أبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي دار النشر : دار الفكر.
♦ تقريب التهذيب، تأليف : أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار النشر : دار الرشيد – سوريا – ١٤٠٦ هـ– ١٩٨٦، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمد عوامة
♦ تقريب الوصول إلى علم الأصول، تأليف : محمد بن أحمد بن جزي الكلبي الغرناطي المالكي ، دار النشر : المحقق – المدينة المنورة ، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢م ، الطبعة الثانية ، تحقيق : محمد المختار بن الشيخ محمد الأمين الشنقيطي.
♦ تكملة الإكمال، تأليف: محمد بن عبد الغني البغدادي أبو بكر، دار النشر : جامعة أم القرى – مكة المكرمة – ١٤١٠هـ ، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. عبد القيوم عبد ريب النبي.
♦ تلبيس إبليس، تأليف : عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج ، دار النشر : دار الكتاب العربي بيروت – ١٤٠٥ – ١٩٨٥، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. السيد الجميلي .
♦ تلخيص الحبير في أحاديث الرافعي الكبير، تأليف : أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني المدينة المنورة – ١٣٨٤ – ١٩٦٤، تحقيق: السيد عبد الله هاشم اليماني المدني
♦ التلخيص في أصول الفقه، تأليف : أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني، دار النشر : دار البشائر الإسلامية – بيروت – ١٤١٧هـ– ١٩٩٦م، تحقيق : عبد الله
♦ التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تأليف : أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري دار النشر: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب – ١٣٨٧، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ،محمد عبد الكبير البكري.
♦ تهذيب الأسماء واللغات، تأ ليف: محي الدين بن شرف النووي، دار النشر: دار الفكر – بيروت ١٩٩٦، الطبعة: الأولى، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات.
♦ تهذيب التهذيب، تأليف : أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار النشر : دار الفكر – بيروت – ١٤٠٤ – ١٩٨٤، الطبعة: الأولى
♦ تهذيب الكمال، تأ ليف: يوسف بن الزكي عبد الرحمن أبو الحجاج المزي، دار النشر : مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤٠٠ – ١٩٨٠، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. بشار عواد معروف.
♦ تهذيب اللغة ، تأليف : أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري ، دار ا لنشر: دار إحياء التراث العربي بيروت – ٢٠٠١م، الطبعة:الأولى ، تحقيق: محمد عوض مرعب.
♦ توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم، تأليف : أحمد بن إبراهيم بن عيسى، دار النشر : المكتب الإسلامي – بيروت – ١٤٠٦هـ، الطبعة : الثالثة، تحقيق : زهير

الشاويش.

- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تأليف : عبدالرحمن بن ناصر السعدي، دار النشر : مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤٢١هـ– ٢٠٠٠م، تحقيق: ابن عثيمين.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تأليف : عبد الرحمن بن ناصر السعدي، دار النشر : مكتبة المعارف – الرياض ، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م ، الطبعة : الأولى.
- التيسير في القراءات السبع، تأليف: الإمام أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمرو الداني، دار النشر: دار الكتاب العربي – بيروت – ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، الطبعة: الثانية.
- الثقات، تأليف : محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، دار النشر : دار الفكر هـ١٣٩٥ – ١٩٧٥، الطبعة: الأولى، تحقيق: السيد شرف الدين أحمد
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تأليف: محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر، دار النشر: دار الفكر – بيروت ، ١٤٠٥.
- الجامع الصحيح المختصر، تأليف : محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، دار النشر : دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت – ١٤٠٧ – ١٩٨٧، الطبعة: الثالثة، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا.
- الجامع الصحيح سنن الترمذي، تأليف: محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت – –، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون
- الجامع لأحكام القرآن، تأليف: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار النشر : دار الشعب – القاهرة.
- الجمان في تشبيهات القرآن ، تأليف : أبو القاسم عبد الله بن ناقيا البغدادي ، دار النشر : دار الفكر المعاصر – بيروت / لبنان ، ١٤٢٣ هـ– ٢٠٠٢ م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : محمد رضوان الداية.
- جمهرة أشعار العرب، تأليف : أبو زيد القرشي، دار النشر : دار الأرقم – بيروت، تحقيق: عمر فاروق الطباع.
- جمهرة الأمثال، تأليف : الشيخ الأديب أبو هلال العسكري، دار النشر : دار الفكر – بيروت – ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨
- الجنى الداني في حروف المعاني ، تأليف : الحسن بن قاسم المرادي ، دار النشر : دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان ، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢ م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : فخر الدين قباوة ، محمد نديم فاضل.
- جهود الإمام ابن القيم في تقرير توحيد الأسماء والصفات ، تأليف : وليد بن محمد بن عبد الله العلي

، دار النشر – دار البشائر الإسلامية ، بيروت / لبنان ،١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م، الطبعة : الأولى

- الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تأليف : عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، دار النشر : مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت.
- الجواهر المضية في طبقات الحنفية، تأليف : عبد القادر بن أبي الوفا ء محمد بن أبي الوفاء القرشي أبو محمد، دار النشر: مير محمد كتب خانه – كراتشي.
- حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، تأليف : محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، دار النشر : دار الكتب العلمية – بيروت.
- حاشية الشهاب المسماه عناية القاضي وكفاية الراضي ، تأليف : شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي ، دار النشر : دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م الطبعة : الأولى .
- حاشية الصاوي على تفسير الجلالين ، تأليف : أحمد بن محمد الصّاوي المصري ، دار النشر : دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان.
- الحجة في القراءات السبع، تأليف: الحسين بن أحمد بن خالويه أبو عبد الله، دار النشر : دار الشروق - بيروت - ١٤٠١، الطبعة: الرابعة، تحقيق: د. عبد العال سالم مكرم .
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، تأليف : أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، دار النشر : دار الكتاب العربي - بيروت - ١٤٠٥، الطبعة: الرابعة.
- الحماسة البصرية، تأليف: صدر الدين علي بن الحسن البصري، دار النشر : عالم الكتب - بيروت - ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م، تحقيق: مختار الدين أحمد.
- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تأليف : عبد القادر بن عمر البغدادي، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت - ١٩٩٨م، الطبعة : الأولى، تحقيق : محمد نبيل طريفي /اميل بديع اليعقوب.
- خلق الإنسان في القرآن الكريم ، تأليف : زغلول راغب محمد النجار ، دار النشر : دار المعرفة بيروت / لبنان ، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٨ م ، الطبعة : الأولى.
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ، تأليف : شهاب الدين أبي العباس بن يوسف ابن إبراهيم دار النشر : دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان ، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م ، الطبعة : الأولى تحقيق : علي محمد عوض ، عادل أحمد عبد الموجود ، جاد مخلوف جاد ، زكريا عبد المجيد النوتي .
- الدر المنثور، تأليف: عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، دار النشر: دار الفكر - بيروت - ١٩٩٣.

♦ الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تأليف: الحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد العسقلاني، دار النشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية – صيدر اباد/ الهند – ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م الطبعة: الثانية، تحقيق: مراقبة / محمد عبد المعيد ضان.

♦ دستور العلماء أو جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، تأليف : القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري، دار النشر: دار الكتب العلمية – لبنان / بيروت – ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م، الطبعة: الأولى، تحقيق: عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص.

♦ الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تأليف : إبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون اليعمري المالكي، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت

♦ ديوان ابن زمرك ، تأليف : محمد بن يوسف الصريحي الأندلسي الغرناطي ، دار النشر : المكتبة العصرية – صيدا / بيروت ، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٨ م ، الطبعة : الأولى.

♦ ذيل طبقات الحفاظ (للذهبي)، تأليف: الحافظ أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن ابن أبي بكر السيوطي، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

♦ رجال صحيح مسلم، تأليف: أحمد بن علي بن منجويه الأصبهاني أبو بكر، دار النشر : دار المعرفة – بيروت – ١٤٠٧، الطبعة: الأولى، تحقيق: عبد الله الليثي .

♦ الرسالة التبوكية زاد المهاجر إلى ربه، تأليف : محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، دار النشر: مكتبة المدني – جدة، تحقيق: د. محمد جميل غازي.

♦ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تأليف : العلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

♦ الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة، تأليف : أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، دار ال نشر: دار الكتب العلمية – بيروت – ١٣٩٥ هـ– ١٩٧٥.

♦ زاد المسير في علم التفسير، تأليف : عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، دار النشر : المكتب الإسلامي – بيروت – ١٤٠٤هـ، الطبعة: الثالثة.

♦ الزاهر في معاني كلمات الناس، تأليف : أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري، دار النشر : مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤١٢ هـ –١٩٩٢، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن.

♦ السبعة في القراءات، تأليف: أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد البغدادي، دار النشر: دار المعارف – مصر – ١٤٠٠هـ، الطبعة: الثانية، تحقيق: شوقي ضيف.

♦ السراج المنير تأليف : الخطيب الشربيني ، دار النشر :دار إحياء التراث العربي – لبنان / بيروت

١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م الطبعة : الأولى ، علق عليه : أحمد عزو عناية الدمشقي.

- السلسلة الصحيحة، تأليف : محمد ناصر الدين الألباني ، دار النشر : مكتبة المعارف – الرياض .
- سنن ابن ماجه، تأليف : محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني، دار النشر: دار الفكر - بيروت تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.
- سنن أبي داود ، تأليف : أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني ، دار النشر : مكتبة المعارف الرياض – ١٤٢٧ هـ ، الطبعة : الثانية ، حكم على أحاديثه وآثاره وعلق عليه : محمد ناصر الدين الألباني.
- سنن أبي داود، تأليف : سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، دار النشر : دار الفكر -، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد.
- السنن الصغرى، تأليف : أحمد بن الحسين بن علي البيهقي أبو بكر، دار النشر : مكتبة الدار المدينة المنورة - ١٤١٠ - ١٩٨٩، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي.
- السنن الكبرى، تأليف : أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، دار النشر: دار الكتب العلمية بيروت - ١٤١١ - ١٩٩١، الطبعة : الأولى، تحقيق : د.عبد الغفار سليمان البنداري ، سيد كسروي حسن.
- سير أعلام النبلا ء، تأليف: محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبو عبد الله، دار النشر : مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٣، الطبعة: التاسعة، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ، محمد نعيم العرقسوسي.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تأليف : عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي، دار النشر: دار بن كثير - دمشق - ١٤٠٦هـ، الطبعة: ط١، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، محمود الأرناؤوط.
- شرح أسماء الله تعالى الحسنى وصفاته الواردة في الكتاب والسنة ، تأليف : حصّة بنت عبد العزيز الصغير ، دار النشر : دار القاسم ، المملكة العربية السعودية / الرياض ، ١٤٢٠هـ ، الطبعة : الأولى.
- شرح العقيدة الطحاوية، تأليف : ابن أبي العز الحنفي، دار النشر : المكتب الإسلامي - بيروت - ١٣٩١، الطبعة: الرابعة.
- شرح مشكل الآثار، تأليف : أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي، دار النشر : مؤسسة الرسالة - لبنان/ بيروت - ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م، الطبعة: الأولى، تحقيق: شعيب الأرنؤوط.
- شرح منتهى الإرادات المسمى دقائق أولي النهى لشرح المنتهى، تأليف: منصور بن يونس بن إدريس

البهوتي، دار النشر: عالم الكتب - بيروت — ١٩٩٦م، الطبعة: الثانية.

- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تأليف : محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التم يمي البستي، دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٤ - ١٩٩٣، الطبعة: الثانية، تحقيق: شعيب الأرنؤوط.
- صحيح الجامع الصغير و زيادته (الفتح الكبير) ، تأليف : محمد ناصر الدين الألباني ، دار النشر : المكتب الإسلامي — بروت — ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.
- صحيح مسلم بشرح النوو ي، تأليف: أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، دار النشر : دار إحياء التراث العربي - بيروت — ١٣٩٢ هـ، الطبعة: الطبعة الثانية.
- صحيح مسلم، تأليف: مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، دار النشر : دار إحياء التراث العربي - بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.
- صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته ، تأليف : محمد ناصر الدين الألباني ، دار النشر : المكتب الإسلامي.
- صفة الصفوة، تأليف: عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج، دار النشر: دار المعرفة - بيروت ١٣٩٩ - ١٩٧٩، الطبعة: الثانية، تحقيق: محمود فاخوري - د.محمد رواس قلعه جي.
- الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، تأليف: أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، دار النشر: دار العاصمة - الرياض — ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م ، الطبعة: الثالثة، تحقيق: د. علي بن محمد الدخيل الله.
- الضعفاء الكبير، تأليف: أبو جعفر محمد بن عمر بن موسى العقيلي، دار النشر : دار المكتبة العلمية - بيروت - ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، الطبعة: الأولى، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي.
- الضعفاء والمتروكين، تأليف : أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، دار النشر : دار الوعي حلب - ١٣٩٦هـ-، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمود إبراهيم زايد .
- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، تأليف : شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، دار النشر : منشورات دار مكتبة الحياة — بيروت.
- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، تأليف : شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، دار النشر : منشورات دار مكتبة الحياة — بيروت.
- طبقات الحفاظ، تأليف : عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي أبو الفضل، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٠٣، الطبعة: الأولى.
- طبقات الشافعية الكبرى، تأليف : تاج الدين بن علي بن عبد الكافي السبكي، دار النشر : هجر للطباعة والنشر والتوزيع - ١٤١٣هـ، الطبعة: الثانية، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي د .عبد

الفتاح محمد الحلو.

- طبقات الشافعية، تأليف : أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن قاضي شهبة، دار النشر : عالم الكتب - بيروت — ١٤٠٧هـ، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. الحافظ عبد العليم خان.
- طبقات الفقهاء، تأليف: إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي أبو إسحاق، دار النشر : دار القلم - بيروت، تحقيق: خليل الميس.
- الطبقات الكبرى، تأليف : محمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله البصري الزهري، دار النشر : دار صادر — بيروت.
- طبقات المفسرين، تأليف: أحمد بن محمد الأدنه وي، دار النشر : مكتبة العلوم والحكم - السعودية - ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م، الطبعة: الأولى، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي
- طبقات فحول الشعراء، تأليف : محمد بن سلام الجمحي، دار النشر : دار المدني - جدة، تحقيق: محمود محمد شاكر.
- طرح التثريب في شرح التقريب ، تأليف: زين الدين أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسيني العراقي دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ٢٠٠٠م ، الطبعة: الأولى ، تحقيق: عبد القادر محمد علي.
- عبد الرحمن حبنّكة الميداني العالم المفكر المفسر ، تأليف : عائدة راغب الجرّاح ، دار النشر : دار القلم — دمشق — ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م، الطبعة الأولى .
- العبر في خبر من غبر، تأليف : شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، دار النشر : مطبعة حكومة الكويت - الكويت - ١٩٨٤، الطبعة: الثانية ، تحقيق: د. صلاح الدين المنجد
- العبر في خبر من غبر، تأليف : شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، دار النشر : مطبعة حكومة الكويت - الكويت - ١٩٨٤، الطبعة: ط٢، تحقيق: د. صلاح الدين المنجد.
- العظمة، تأليف: عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأصبهاني أبو محمد، دار النشر : دار العاصمة - الرياض - ١٤٠٨، الطبعة: الأولى، تحقيق: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري.
- علماء ومفكرون عرفتهم ، تأليف :معجد المجذوب ، دار النشر : دار الشواف.
- عقود المرجان في قواعد المنهج الأمثل في تفسير القرآن من خلال أضواء البيان ، تأليف : أحمد سلامة أبو الفتح ، دار النشر : دار الكيان- الرياض ، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م ، الطبعة : الأولى.
- عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ ، تأليف : أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي ، دار النشر : عالم الكتب — بيروت.
- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، تأليف : بدر الدين محمود بن أحمد العيني، دار النشر : دار إحياء التراث العربي — بيروت.

♦ العمدة في غريب القرآن ، تأليف : محمد مكي بن أبي طالب القيسي ، دار النشر : مؤسسة الرسالة – بيروت ، ١٤٠٤ هـ – ١٩٨٤ م ، الطبعة : الثانية ، تحقيق : يوسف عبد الرحمن المرعشلي
♦ غاية السول في خصائص الرسول صلى الله عليه وسلم ، تأليف: أبو حفص عمر بن علي الأنصاري الشهير بابن الملقن ، دار النشر : دار البشائر الإسلامية – بيروت – ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م، تحقيق: عبد الله بحر الدين عبد الله.
♦ غاية النهاية في طبقات القراء ، تأليف : محمد بن محمد الجزري ، دار النشر : مكتبة المتنبي القاهرة.
♦ غرائب القرآن ورغائب الفرقان تأليف : نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري ، دار النشر : دار الكتب العلمية ـ لبنان / بروت ، الطبعة : ، تحقيق.
♦ فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، تأليف : الحافظ أحمد بن حجر العسقلاني ، دار النشر : دار طيبة ، – الرياض ، ١٤٢٦ – ٢٠٠٥ م ، الطبعة : الأولى ، تعليق : عبد الرحمن ناصر البراك.
♦ فتح الباري شرح صحيح البخاري، تأليف : أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي دار النشر: دار المعرفة – بيروت، تحقيق: محب الدين الخطيب.
♦ فتح البيان في مقاصد القرآن تأليف : صديق بن حسن بن علي الحسين القنوجي البخاري ، دار النشر :المكتبة العربية – لبنان / بيروت ، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥م ، الطبعة : الثانية.
♦ الفتح السماوي، تأليف: المناوي، دار النشر: دار العاصمة – الرياض، تحقيق: أحمد مجتبى.
♦ فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، تأليف : محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار النشر: دار الفكر – بيروت.
♦ فصول في أصول التفسير ، تأليف : مساعد بن سليمان الطيَّار ، دار النشر : دار ابن الجوزي المملكة العربية السعودية / الرياض ، ١٤٢٠ هـ ، الطبعة : الثالثة.
♦ فهرس الفهارس و الأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمساسلات ، تأليف: عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، دار النشر : دار العربي الاسلامي – بيروت/ لبنان – ١٤٠٢هـ١٩٨٢م، الطبعة: الثانية، تحقيق: د. إحسان عباس.
♦ قواعد الترجيح عند المفسرين ، تأليف : حسين بن علي بن حسين الحربي ، دار النشر : دار القاسم – الرياض ، ١٤٢٧ هـ – ١٩٩٦ م ، الطبعة الأولى.
♦ قواعد التفسير، تأليف :خالد بن عثمان السبت ، دار النشر :دار ابن عفَّان – القاهرة ، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م ، الطبعة : الأولى.
♦ القواعد الحسان المتعلقة بتفسير القرآن ، تأليف : العلامة عبد الرحمن بن ناصر السِّعدي ، دار ابن

الجوزي – المملكة العربية السعودية / الرياض ، ١٤٢١ هـ ، الطبعة : الثانية.

- قواعد الفقه، تأليف: محمد عميم الإحسان المجددي البركتي، دار النشر: الصدف ببلشرز - كراتشي - ١٤٠٧ - ١٩٨٦، الطبعة: الأولى.
- القوانين الفقهية ، تأليف : ابن جُزيّ ، دار النشر : المكتبة الثقافية – بيروت
- الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، تأليف: حمد بن أحمد أبو عبدالله الذهبي الدمشقي، دار النشر: دار القبلة للثقافة الإسلامية ، مؤسسة علو - جدة - ١٤١٣ - ١٩٩٢، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمد عوامة.
- الكامل في التاريخ، تأليف : أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٥هـ، الطبعة: ط٢، تحقيق: عبد الله القاضي.
- الكامل في ضعفاء الرجال، تأليف : عبد الله بن عدي بن عبد الله بن محمد أبو أحمد الجرجاني، دار النشر: دار الفكر - بيروت - ١٤٠٩ - ١٩٨٨، الطبعة: الثالثة، تحقيق: يحيى مختار غزاوي.
- كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تأليف : أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، دار النشر: مكتبة ابن تيمية، الطبعة: الثانية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي
- الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة ، تأليف : لسان الدين بن الخطيب دار النشر : دار الثقافة -بيروت / لبنان ، ١٩٦٣ م، الطبعة : الأولى ، تحقيق : إحسان عباس.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تأليف : أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، تحقيق: عبد الرزاق المهدي.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، تأليف : محمود بن عمر الزمخشري ، دار النشر : دار الكتاب العربي – بيروت / لبنان ، ١٤٧٢ هـ - ٢٠٠٦ م ، الطبعة : الأولى .
- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعِللها وحججها ، تأليف : مكب بن أبي طالب ، دار النشر : مؤسسة الرسالة – بيروت ، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م ، الطبعة : الخامسة ،تحقيق : محي الدين رمضان.
- الكشف والبيان (تفسير الثعلبي)، تأليف: أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان - ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م، الطبعة: الأولى تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور ، مراجعة وتدقيق الأستاذ نظير الساعدي.
- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ، تأليف : أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني

الكفومي، دار النشر : مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م. ، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري.

- لباب التأويل في معاني التنزيل تأليف : علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي ، دار النشر : دار الكتب العلمية – لبنان / بيروت.
- اللباب في علوم الكتاب تأليف : أبو حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي ، دار النشر :دار الكتب العلمية – لبنان / بيروت ، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م الطبعة : الأولى ، تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود + علي محمد معوض .
- لسان العرب، تأليف: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار النشر: دار صادر - بيروت الطبعة: الأولى.
- لسان الميزان، تأليف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار النشر : مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت - ١٤٠٦ - ١٩٨٦، الطبعة: الثالثة، تحقيق: دائرة المعرف النظامية – الهند.
- اللّمحة البدريّة في الدولة النصريّة ، تأليف : ذو الوزارتين لسان الدين بن الخطيب ، دار النشر : دار الأفاق الجديدة –بيروت ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠م ، الطبعة : الثالثة ، تحقيق : لجنة التراث العربي.
- لمسات بيانية في نصوص من التنزيل ، تأليف : فاضل صالح السامرائي ، دار النشر : دار عمان عمان / الأردن – ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧م ، الطبعة الرابعة.
- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية ، تأليف : شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي ، دار النشر : مؤسسة الخافقين دمشق ، الطبعة : الثانية - ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.
- المبدع في شرح المقنع، تأليف : إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن مفلح الحنبلي أبو إسحاق، دار النشر: المكتب الإسلامي - بيروت – ١٤٠٠هـ.
- متن الشاطبية المُسمى (حرز الأماني و وجه التهاني في القراءات السبع) ، تأليف : القاسم بن فِيرُّه بن خلف بن أحمد الشاطبي ، دار النشر : مكتبة دار الهدى – المدينة المنورة – ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م ، الطبعة : الثالثة .
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تأليف: أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم المعروف بابن الأثير، دار النشر : المكتبة العصرية للطباعة والنشر - بيروت - ١٩٩٥م تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد.
- مجاز القرآن ، تأليف :أبو عبيدة معمر بن المثنى، دار النشر : دار الكتب العلمية – لبنان / بيروت

١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦م الطبعة : الأولى.

- المجاز في اللغة والقرآن بين الإجازة والمنع ، تأليف : عبد العظيم إبراهيم المطعني ، دار النشر مكتبة وهبة – ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م ، الطبعة : الثالثة.
- المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين، تأليف : الإمام محمد بن حيان بن أحمد بن أبي ح اتم التميمي البستي، دار النشر : دار الوعي - حلب - ١٣٩٦هـ، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمود إبراهيم زايد.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تأليف : علي بن أبي بكر الهيثمي، دار النشر : دار الريان للتراث /دار الكتاب العربي - القاهرة ، بيروت – ١٤٠٧.
- محاسن التأويل ، تأليف : محمد جمال الدين القاسمي ، دار النشر : دار الفكر – بيروت / لبنان ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥ م ، الطبعة : الأولى.
- محاضرات الأدباء ومحاورات الشعرء والبلغاء، تأليف : أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الأصفهاني، دار النشر: دار القلم - بيروت - ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م، تحقيق: عمر الطبلع.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تأليف : أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، دار النشر : دار الكتب العلمية - لبنان - ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م، الطبعة: الأولى، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد .
- المحرر في أسباب النزول من خلال الكتب التسعة دراسة الأسباب رواية ودراية ، تأليف : خالد بن سليمان المزيني ، دار النشر : دار ابن الجوزي – الرياض / المملكة العربية السعودية – ١٤٢٧ هـ الطبعة : الأولى .
- المحصول في أصول الفقه، تأليف : القاضي أبي بكر بن العربي المعافري المالكي ، دار النشر : دار البيارق - عمان - ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩، الطبعة: الأولى، تحقيق: حسين علي اليدري - سعيد فودة.
- المحكم والمحيط الأعظم، تأليف: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ٢٠٠٠م، الطبعة: الأولى، تحقيق: عبد الحميد هنداوي.
- المحو والإثبات في المقادير ، تأليف : عيسى بن عبد الله السعدي ، دار النشر : دار ابن الجوزي الدمام / المملكة العربية السعودية _ ١٤٢٧ هـ ، الطبعة : الأولى .
- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تأليف : محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، دار النشر : دار الكتاب العربي - بيروت - ١٣٩٣ - ١٩٧٣، الطبعة: الثانية، تحقيق: محمد حامد الفقي.

♦ المدهش، تأليف: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله بن عبد الله بن هادي بن أحمد بن محمد بن جعفر الجوزي، دار النشر : دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م، الطبعة: الثانية، تحقيق: الدكتور مروان قباني.
♦ المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تأليف :جلال الدين السيوطي ، دار النشر : دار الكتب العلمية بيروت – ١٤١٨هـ ١٩٩٨م ، الطبعة: الأولى، تحقيق: فؤاد علي منصور.
♦ المستدرك على الصحيحين، تأليف: محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١١هـ – ١٩٩٠م، الطبعة: الأولى، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا.
♦ مسند أبي داود الطيالسي، تأليف : سليمان بن داود أبو داود الفارسي البصري الطيالسي، دار النشر: دار المعرفة – بيروت.
♦ مسند أبي يعلى، تأليف : أحمد بن علي بن المثنى أ بو يعلى الموصلي التميمي، دار النشر : دار المأمون للتراث – دمشق – ١٤٠٤ – ١٩٨٤، الطبعة: الأولى، تحقيق: حسين سليم أسد
♦ مسند إسحاق بن راهويه، تأليف : إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن راهويه الحنظلي، دار النشر : مكتبة الإيمان – المدينة المنورة – ١٤١٢ هـ – ١٩٩١م ، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي.
♦ مسند الإمام أحمد بن حنبل، تأليف : أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني، دار النشر: مؤسسة قرطبة مصر
♦ مشاهير علماء الأمصار، تأليف : محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، دار النشر : دار الكتب العلمية – بيروت – – ١٩٥٩، تحقيق: م. فلايشهمر.
♦ المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ، تأليف : أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، دار النشر: المكتبة العلمية – بيروت.
♦ مصنف ابن أبي شيبة ، تأليف: أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، دار النشر : مكتبة الرشد – الرياض – ١٤٠٩، الطبعة: الأولى، تحقيق: كمال يوسف الحوت.
♦ مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، تأليف : مصطفى السيوطي الرحيباني، دار النشر : المكتب الإسلامي – دمشق – ١٩٦١م.
♦ معارج التفكر ودقائق التدبر ، تأليف : عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ، دار النشر : دار القلم دمشق ، ١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦ م ، الطبعة : الأولى.
♦ المعارف، تأليف: ابن قتيبة أبو محمد عبد الله بن مسلم ، دار النشر: دار المعارف – القاهرة تحقيق:

دكتور ثروت عكاشة.

- معالم تاريخ المغرب والأندلس ، تأليف : حسين مؤنس ، دار النشر : دار الرشد.
- معاني القرآن للأخفش ، تأليف : سعيد بن مسعدة المجاشعي البلخي البصري ، دار النشر " دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان -١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢م ، الطبعة : الأولى.
- معاني القرآن للفراء ، تأليف : أبي زكريا يحي بن زياد الفراء ، دار النشر : دار الكتب والوثائق القومية – القاهرة ، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م ، الطبعة الثالثة.
- معاني القرآن وإعرابه ، تأليف : أبي إسحاق إبراهيم بن السري ، دار النشر : دار الحديث القاهرة ، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م . تحقيق : عبد الجليل شلبي .
- معاني القرآن وإعرابه للزجاج ، تأليف : أبي إسحاق إبراهيم بن الّسريِّ ، دار النشر : دار الحديث – القاهرة ، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م .
- معاني النحو ، تاليف : فاضل صالح السامرائي ، دار النش ر : دار الفكر – عمان ، ١٤٢٣ هـ ٢٠٠٢م ، الطبعة الثانية.
- معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، تأليف : الشيخ عبد الرحيم بن أحمد العباسي، دار النشر : عالم الكتب - بيروت - ١٣٦٧هـ ١٩٤٧م، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد.
- المعتمد في أصول الفقه، تأليف : محمد بن علي بن الطيب البصري أبو الحسين، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٠٣، الطبعة: الأولى، تحقيق: خليل الميس.
- معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تأليف : أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١١ هـ - ١٩٩١م، الطبعة: الأولى.
- المعجم الأوسط، تأليف: أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، دا ر النشر: دار الحرمين - القاهرة ١٤١٥، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد ،عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني
- معجم البلدان، تأليف: ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله، دار النشر: دار الفكر – بيروت.
- المعجم الكبير، تأليف: سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، دار النشر : مكتبة الزهراء - الموصل - ١٤٠٤ - ١٩٨٣، الطبعة: الثانية، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي.
- المعجم المفهرس أو تجريد أسانيد الكتب المشهورة والأجزاء المنثورة، تأليف : أحمد بن علي العسقلاني أبو الفضل، دار النشر : مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٨هـ-١٩٩٨م، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمد شكور الميادين.
- المعجم الوسيط ، تأليف : إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار، دار النشر: دار الدعوة، تحقيق: مجمع اللغة العربية.

♦ المعجم في مشتبه أسامي المحدثين، تأليف : عبيد الله بن عبد الله بن أحمد الهروي أبو الفضل، دار النشر: مكتبة الرشد – الرياض – ١٤١١، الطبعة: الأولى، تحقيق: نظر محمد الفاريابي.
♦ معجم مقاييس اللغة، تأليف: أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، دار النشر : دار الجيل – بيروت – لبنان – ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م، الطبعة: الثانية، تحقيق: عبد السلام محمد هارون
♦ معرفة الثقات من رجال أهل العلم والحديث ومن الضعفاء وذكر مذاهبهم وأخبارهم، تأليف : أبي الحسن أحمد بن عبد الله بن صالح العجلي الكوفي نزيل طرابلس الغرب، دار النشر : مكتبة الدار – المدينة المنورة – السعودية – ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م ، الطبعة: الأولى، تحقيق: عبد العليم عبد العظيم البستوي
♦ معرفة القراء الكبار على الطبقات و الأعصار، تأليف: محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبو عبد الله، دار النشر : مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤٠٤هـ، الطبعة: الأولى، تحقيق: بشار عواد معروف ، شعيب الأرناؤوط ، صالح مهدي عباس.
♦ مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تأليف : جمال الدين ابن هشام الأنصاري، دار النشر : دار الفكر – دمشق – ١٩٨٥، الطبعة: السادسة، تحقيق: د . مازن المبارك / محمد علي حمد الله.
♦ مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، تأليف : محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت
♦ المفردات في غريب القرآن، تأليف : أبو القاسم الحسين بن محمد ، دار النشر : دار المعرفة – لبنان، تحقيق: محمد سيد كيلاني.
♦ مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تأليف : علي بن إسماعيل الأشعري أبو الحسن، دار النشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة، تحقيق: هلموت ريتر.
♦ المقتضب، تأليف: أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، دار ا لنشر: عالم الكتب. – بيروت، تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة.
♦ مقدمة ابن خلدون، تأليف : عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي، دار النشر : دار القلم – بيروت – ١٩٨٤م، الطبعة: الخامسة.
♦ مقدمة في أصول التفسير ، تأليف : شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية ، دار النشر : دار ابن حزم – بيروت / لبنان ، ١٤١٨ هـ ، الطبعة : الثانية .
♦ المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد ، تأليف : الإمام برهان الدين إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد بن مفلح، دار النشر : مكتبة الرشد – الرياض – السعودية – ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م، الطبعة: الأولى، تحقيق: د عبد الرحمن بن سليمان العثيمين.

♦ الملل والنحل، تأليف: محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، دار النشر : دار المعرفة – بيروت / لبنان ، ١٤١٠ هـ – الطبعة : الأولى .
♦ منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز ، تأليف : محمد الأمين بن محمد المختار الشنفيطي ، دار النشر : متكتبة ابن تيمية.
♦ موقف ابن تيمية من الأشاعرة ، تأليف : عبد الرّحمن بن صالح بن صالح المحمود، دار النشر : مكتبة الرشد – الرياض – ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م، الطبعة : الأولى .
♦ ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تأليف : شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت – ١٩٩٥، الطبعة: الأولى، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود.
♦ الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، تأليف: علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري أبو محمد، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤٠٦، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. عبد الغفار سليمان البنداري.
♦ الناسخ والمنسوخ، تأليف: أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي النحاس أبو جعفر، دار النشر : مكتبة الفلاح – الكويت – ١٤٠٨، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. محمد عبد السلام محمد.
♦ النشر في القراءات العشر ، تأليف :محمد بن محمد الدمشقي ، دار النشر : دار الكتاب العربي
♦ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، تأليف : برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي دار النشر : دار الكتب العلمية بيروت / لبنان .
♦ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تأليف : أحمد بن محمد المقري التلمساني، د ار النشر: دار صادر – بيروت – ١٣٨٨هـ، تحقيق: د. إحسان عباس.
♦ نكت القرآن الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام ، تأليف : محمد بن علي الكرجي القصاب ، دار النشر : دار ابن القيم – الدمام / المملكة العربية السعودية – ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : شايع بن عبده بن شايع الأسمري.
♦ النكت والعيون تأليف : أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري ، دار النشر : مؤسسة الكتب الثقافية – لبنان / بيروت ، ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧ م ، الطبعة : الثانية ، راجعه وعلق عليه : السيد عبد المقصود بن عبد الرحيم.
♦ نوادر الأصول في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، تأليف : محمد بن علي بن الحسن أبو عبد الله الحكيم الترمذي، دار النشر: دار الجيل – بيروت – ١٩٩٢م، تحقيق: عبد الرحمن عميرة.
♦ نيل الابتهاج بتطريز الديباج ، تأليف : أحمد بابا التنبكتي ، دار النشر : مكتبة الثقافة الدينية ، –

القاهرة ، ١٤٣٢ هـ - ٢٠٠٤ م ، تحقيق : علي عمر

- الهداية إلى بلوغ النهاية ، تأليف : مكي بن أبي طالب القي سي ، دار النشر : جامعة الشارقة ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م ، الطبعة الأولى.
- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تأليف : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار النشر: المكتبة التوفيقية - مصر، تحقيق: عبد الحميد هنداوي
- الوافي بالوفيات، تأليف : صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، دار النشر : دار إحياء التراث - بيروت - ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى
- الوسيط في تفسير القرآن المجيد تأليف : أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري ، دار النشر :دار الكتب العلمية – لبنان / بيروت ، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م الطبعة :الأولى ، تحقيق وتعليق : عادل أحمد عبد الموجود و علي محمد معوض و أحمد محمد صيرة و أحمد عبد الغني الجمل و عبد الرحمن عويس.
- وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان، تأليف : أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، دار النشر: دار الثقافة - لبنان، تحقيق: إحسان عباس.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	أ
أهداف الموضوع ، وأهميته ، وأسباب اختياره ، ومجال الدراسة	ت
مجال الدراسة ، وحدود الدراسة ، والدراسات السابقة	ث
خطة البحث	ج
منهج البحث	خ
شكر وعرفان	ز
القسم الأول : التعريف بابن جُزيّ ، وكتابه " التسهيل " ومنهجه في الترجيح	١
الباب الأول : ترجمة موجزة لابن جُزيّ .	٢
الفصل الأول : حياة ابن جُزيّ الشخصية	٣
المبحث الأول : عصر ابن جُزيّ.	٤
المبحث الثاني : اسمه ، ونسبه ، وكنيته ، وشهرته	٩
المبحث الثالث : مولده ، ونشأته .	١١
المبحث الرابع : عقيدته ، ومذهبه ، وقراءته.	١٣
المبحث الخامس : وفاته.	٢٠
الفصل الثاني : حياة ابن جُزيّ العلمية	٢١
المبحث الأول :مكانته العلمية.	٢٢
المبحث الثاني : أشهر شيوخه وتلاميذه .	٢٥
المبحث الثالث : مؤلفاته ، وآثاره .	٢٨
الباب الثاني : التعريف بكتاب التسهيل ومنهج ابن جُزيّ في الترجيح	٣١
الفصل الأول :التعريف بكتاب التسهيل لابن جزي	٣٢
المبحث الأول: القيمة العلمية لكتاب التسهيل	٣٣

الموضوع	الصفحة
المبحث الثاني : مصادر ابن جزي في كتابه .	٣٧
المبحث الثالث : منهج ابن جُزيّ في كتابه .	٤٣
الفصل الثاني : منهج ابن جزي في الترجيح في تفسيره ،	٤٤
التمهيد : تعريف الترجيح وموجباته عند ابن جُزيّ .	٤٥
المبحث الأول : صيغ الترجيح عند ابن جُزي.	٤٨
المبحث الثاني : وجوه الترجيح عند ابن جزي.	٥١
القسم الثاني : ترجيحات ابن جزي من سورة المعارج إلى سورة الإنسان عرضاً ومناقشةً .	٦٢
أولًا :سورة المعارج	٦٣
مسألة : في معنى "المعارج ".	٦٤
قول الله تعالى :﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ المسألة الأولى: في المراد بالروح	٦٩ ٦٩
المسألة الثانية : في المراد باليوم في الآية.	٧٣
المسألة الثالثة : هل مقدار اليوم على الحقيقة أم المجاز في قول الله تعالى : ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ .	٧٦
مسألة : في المراد بالمهل	٧٩
مسألة :في المراد بالعهن .	٨٢
مسألة : في العلّة في انتفاء المساءلة بين الإحِمّاء .	٨٥
مسألة : في المراد بالشَّوى .	٨٨
مسألة : في المراد بالإنسان في الآية	٩١
مسألة : في معنى القيام بالشهادة	٩٤
ثانياً سورة نوح.	٩٧

الموضوع	الصفحة
مسألة : نوع " أن " في الموضعين من قول الله تعالى :﴿أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ﴾ ،وقوله تعالى : ﴿أَنِ اعْبُدُوا﴾.	٩٨
المسألة الأولى معنى "من " في قول الله تعالى:﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾	١٠١
المسألة الثانية :هل للإنسان أجل واحد أم أجلان في قول الله – ﷻ – :﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾	١٠٥
مسألة : معنى الأطوار في الآية .	١١٠
مسألة : هل تشبيه الأرض بالبساط ينفي كرويتها.	١١٢
مسألة : مسألة : المراد بالدخول في قوله تعالى : ﴿فَادْخُلُوا نَارًا﴾	١١٥
المسألة الأولى: المراد بالبيت في قول الله تعالى :﴿وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ﴾	١١٨
المسألة الثانية : هل دعاءُ نوح – عليه السلام – خاصٌّ أم عامٌّ في الآية ؟	١٢١
ثالثًا : سورة الجن.	١٢٤
مسألة : في إعراب ﴿عَجَبًا﴾.	١٢٥
المسألة الأولى : في معنى:﴿جَدُّ رَبِّنَا﴾.	١٢٨
مسألة : في المراد بالسّفيه في الآية	١٣٢
مسألة : في عود الضمير في قوله تعالى :﴿فَزَادُوهُمْ﴾	١٣٤
مسألة : الرمي بالشهب أكان قبل البعثة أم بعدها ؟	١٣٧
مسألة : في المراد بالطريقة في الآية .	١٤٢
مسألة : في معنى : ﴿صَعَدًا﴾	١٦٤
مسألة : في المراد بالمساجد .	١٤٨
مسألة : المخاطب في قول الله تعالى :﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾	١٥٣

الموضوع	الصفحة
مسألة : في متعلق " حتى ".	١٥٦
مسألة : في فاعل "يعلم ".	١٥٩
رابعاً : سورة المزمل	١٦٢
مسألة : سبب ندار النبي بالمزمل.	١٦٤
قول الله عز وجل : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾	١٧١
المسألة الأولى : على من فُرض قيام الليل في قوله تعالى :﴿قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾	١٧١
المسألة الثانية : مدة بقاء قيام الليل فرضا في قول الله تعالى :﴿قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾	١٧٦
مسألة : ما المقصود من استثناء ﴿قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾	١٨٠
مسألة : سبب وصف القرآن بالثقيل في الآية.	١٨٥
مسألة :في معنى السبح	١٨٨
قوله تعالى : ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ المسألة الأولى : المراد بالذكر في قوله تعالى : ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ﴾	١٩١
المسألة الثانية : معنى التبتل في قول الله تعالى :﴿ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾	١٩٤
مسألة : المنسوخ في قوله تعالى : ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾	١٩٧
مسألة في معنى غصة.	٢٠٠
قوله تعالى : ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا﴾ المسألة الأولى : في عامل النصب لـــ" يوما"	٢٠٣
المسألة الثانية : وصف الوليد يوم القيامة بالشيب أحقيقة أم مجاز ؟	٢٠٥
المسألة الثالثة: في عود الضمير في قول الله تعالى :﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ ۚ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا﴾	٢٠٧

الموضوع	الصفحة
المسألة الرابعة في عود الضمير في قوله الله تعالى :﴿كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا﴾	٢٠٩
قول الله – ﷻ– : ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ﴾ المسألة الأولى : في عود الضمير في قول الله تعالى :﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾	٢١١
المسألة الثانية : في العلة من تكرار الأمر بالقراءة في الآية .	٢١٤
خامساً : سورة المدثر.	٢١٦
مسألة : في أول ما نزل من القرآن	٢١٧
مسألة : في جمل الآية على الحقيقة أم المجاز ؟	٢٢٢
مسألة : معنى الرجز في الآية	٢٢٦
مسألة في مقدار المال الممدود	٢٣٠
مسألة : معنى " صعودا ".	٢٣٣
مسألة :في معنى لواحة .	٢٣٥
مسألة :في المراد بالتسعة عشر المذكورين في الآية	٢٣٨
مسألة : في إعراب ﴿لِمَن شَآءَ﴾	٢٤٠
مسألة : في فاعل" شاء ".	٢٤٢
سادساً : سورة القيامة	٢٤٤
مسألة : في معنى " لا "	٢٤٥
مسألة : في المراد بالنَّفس اللوَّامة.	٢٤٩
مسألة : في المراد بتسوية البنان.	٢٥٣
مسألة : في زمن بروق البصر .	٢٥٧
مسألة : في المقصود بالجمع بين الشمس والقمر.	٢٦٠
مسألة :في معنى الآية .	٢٦٣
مسألة في معنى بصيرة .	٢٦٦
مسألة في معنى " المعاذير "	٢٦٩

الموضوع	الصفحة
مسألة سبب النهي في قوله تعالى:﴿ لاَ تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ﴾	٢٧٣
مسالة : المراد "ببيان القرآن "	٢٧٦
مسألة : في معنى " ناظرة "	٢٨٠
مسألة : في معنى " من راق "	٢٨٥
مسألة : التفاف " الساق بالأخرى " على الحقيقة أم المجاز؟	٢٨٩
مسألة في المخاطب في الآية.	٢٩٢
سابعاً : سورة الإنسان	٢٩٤
قول الله – ﷻ – : ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ .	٢٩٤
المسألة الأولى : في معنى " هل " .	٢٩٥
المسألة الثانية : المراد بالإنسان في الآية	٢٩٨
قول الله تعالى : ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾	٣٠١
المسألة الأولى :في معنى " الأمشاج "	٣٠١
المسألة الثانية : في معنى نبتليه .	٣٠٥
مسألة :في معنى الباء في قوله تعالى :﴿يَشْرَبُ بِهَا﴾	٣٠٨
قول الله تعالى : ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾	٣١١
المسألة الأولى : في سبب نزول الآية.	٣١١
المسألة الثانية : في عود الضمير في قول الله تعالى:﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ﴾	٣١٥
المسألة الثالثة :في المراد بالأسير في الآية.	٣١٩
مسألة : في معنى ﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾	٣٢٤
مسألة :في معنى ﴿زَمْهَرِيرًا﴾	٣٢٧
مسألة : كيف يتفق كون القوارير من زجاج ومن فضة؟	٣٣٠

الموضوع	الصفحة
مسألة : معنى قدَّروها في قول الله تعالى: ﴿قَوَارِيرَاْ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾	٣٣٣
مسألة : معنى ﴿سَلْسَبِيلًا﴾	٣٣٥
مسألة : في المراد بالملك الكبير .	٣٣٨
قول الله – ﷻ – : ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ . المسألة الأولى : في معنى " أو " .	٣٤١
المسألة الثانية : في المراد بـــ "الآثم " و " الكفور" في الآية.	٣٤٤
مسألة : في المراد بالذكر في قول الله –ﷻ – : ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾	٣٤٦
قول الله – ﷻ – : ﴿نَّحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ۖ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا﴾. المسألة الأولى :في معنى الأسر	٣٤٩
المسألة الثانية : في المراد بالتبديل في الآية.	٣٥٣
الخاتمة	٣٥٨
الفهارس العلمية	٣٦٠
فهرس الآيات القرآنية الكريمة.	٣٦١
فهرس الأحاديث الشريفة.	٣٧٢
فهرس الآثار.	٣٧٤
فهرس الأعلام المترجم لهم.	٣٨١
فهرس الأخطاء المطبعية	٣٨٨
فهرس الغريب والمصطلحات المشروحة.	٢٨٩
فهرس الفرق	٣٩٠
فهرس الأشعار.	٣٩١
فهرس المصادر والمراجع.	٣٩٣
فهرس الموضوعات.	٤١٧

المملكة العربيـــة السعوديـــة
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم الكتاب والسنة
شعبة التفسير وعلوم القرآن

ترجيحات الإمام ابن جزي الكلبي في التفسير من خلال كتابه (التسهيل لعلوم التنزيل)

عرضاً و مناقشة

من أول سورة المرسلات إلى آخر سورة الأعلى

رسالة علمية لنيل درجة الماجستير في التفسير و علوم القرآن

إعداد الطالبة:
إيمان بنت زكي بن عبداللطيف عطية
الرقم الجامعي:(٤٢٧٨٠٢٠٤)

إشراف فضيلة الأستاذ الدكتور:
عبد الرحيم بن يحيى الحمود الغامدي

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص الرسالة:

الحمد لله رب العالمين ،والصلاة والسلام على رسوله الأمين محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد ؛ فإن رسالة :**ترجيحات ابن جزي في التفسير من خلال كتابه :(التسهيل لعلوم التنزيل)من أول سورة المرسلات إلى آخر سورة الأعلى ،عرضاً ومناقشة**

رسالة علمية مقدمة لنيل درجة الماجستير في الكتاب والسنة ،شعبة التفسير و علوم القرآن ،من الباحثة : **إيمان بنت زكي بن عبد اللطيف عطية** .

وهي جزء من عدة رسائل طرحت لاستخراج ترجيحات الإمام ابن جزي –رحمه الله– من خلال كتابه (التسهيل لعلوم التنزيل) ومقارنتها بأقوال المفسرين ،ثم عرضها على الأدلة النقلية والعقلية ومن ثم استخراج القول الراجح استناداً لقواعد العلماء في هذا الفن.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يكون على : مقدمة وقسمين وخاتمة و فهارس عامة.

ذكرت في المقدمة :أهداف الموضوع،أهميته ،وأسباب اختياره ،و خطة البحث ،و منهجه .

والقسم الأول :عرفت بابن جزي –رحمه الله – بإيجاز وكتابه وصيغ ترجيحه .

والقسم الثاني :عني بترجيحات ابن جزي–رحمه الله– في التفسير من أول سورة المرسلات إلى آخر سورة الأعلى ،و دراسة هذه الترجيحات دراسة تفصيلية مقارنة بأقوال العلماء من المفسرين وغيرهم.

و قد اتضح لي من خلال البحث سعة علم ابن جزي الكلبي –رحمه الله– ودقة عباراته و قوة ترجيحاته .

ثم أنهيت البحث بخاتمة فيها أهم النتائج، وفهارس عامة كاشفة عن مضمون البحث.

ولله الحمد أولاً و آخراً ،،،

In the name of Allah
The most Beneficent, The most Merciful

Praise is to Allah, lord of the worlds and prayers, peace and blessings be upon his trusty prophet Mohammed, all of his family and companions. To proceed:

This Thesis "Preponderances of Ibn Juzai in the interpretation through his book (Al Tasheel le Oloum Al Tanzeel) from the Beginning of Sorat "AlMursalat" to the end of Sorat "Ala'ala" presentation and discussion" is a scientific thesis presented in order to obtain a Master Degree in the Holy Qura'an and Sunnah, the Interpretation and Holy Qura'an sciences section, that Introduced by the researcher: Iman Zaki Abdulatif Atteyah.

This Thesis is one part from a series of thesis that is presented to take out the preponderances of Al Imam Ibn Juzai, may Allah have Mercy on his soul, through his book "Al Tasheel le Oloum Al Tanzeel" to compare it with the Interpreters' sayings, followed by applying them on the base of mental and material evidences. Then, a preponderance saying on the basis of the scholars' rules in this field has been derived.

The natural of this research is required to be as: Introduction, two sections, conclusion and general indexes.

I have mentioned in the Introduction: The subject's goals, its importance, the reasons of choosing it and the research plan and its method.

The first section: I briefly identify Ibn Juzai, may Allah have Mercy on his soul, his book and his preponderance's formula.

The Second Section contains: what it meant by Ibn Juzai Preponderances in the interpretation from the beginning of sorat "Almursalat" until the end of sorat "Ala'ala". Nevertheless, a detailed study has been made on these preponderances in comparison with the scholars saying from interpreters and others.

It has been cleared out to me through the research, the capacity of Ibn Juzai Alkalbi's knowledge, his precision in choosing the phrases and the strength of his preponderances.

Lastly, I finalized the research with a conclusion that contains the important outputs and general indexes that reveals the content of the research.

All praise be to Allah first and foremost..

المقدمة

إنَّ الحمد لله نحمده و نستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل لـه، ومن يضلل فلا هادي لـه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه ومن سار على سنته إلى يوم الدين.

أمـــا بعـــد:

فإن أفضل ما يشتغل به الباحثون، ويتسابق فيه المتسابقون؛ مدارسة كتاب الله عز وجل ، وإذا كان كل علم يشرف بموضوعه؛ فإن التفسير هو أفضل علم، إذ هو العلم الخاص بكتاب الله الذي يعتبر هو مصدر الهدى والشفاء للناس عامة وللمؤمنين خاصة قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾[1]، وهو الكتاب الجامع لأصول الدين وفروعه، نصاً أو استنباطاً، عقيدة وشريعة ونظام حياة.. أودع الله فيه من كنوز المعرفة وأصول العدل ومناهج الخير ما يسعد الإنسانية، ويفتح أمامها آفاقاً رحبة في عمارة الكون ، والتعارف والتعامل في ظل دستور قرآني خالد .

فنجد أن القرآن الكريم قد حظي بما لم يحظ به –أو بقريب منه– غيره من الكتب قديماً وحديثاً، بل واستقبالاً: حفظاً للفظه، ومدارسة لنصه، ولا عجب في ذلك؛ فهو كلام الله الحق، وحديثه الصدق، الذي تكفل بحفظه، بقولـه : ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾[2] ، تلقاه الرسول صلى الله عليه وسلم وحياً من ربه فبلغه، وبيّنه، كما قال سبحانه: ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴾[3] وقال جل وعلا: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[4]

---

[1] /سورة يونس آية ٥٧

[2] / سورة الحجر آية ٩

[3] /سورة العنكبوت جزء من الآية ١٨

[4] /سورة النحل جزء من الآية ٤٤

وقد أخذ الصحابة رضوان الله عليهم القرآن الكريم ومعانيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد كانوا أعلم الناس بكتاب الله عز وجل ، وعن الصحابة أخذ التابعون التفسير، وعن التابعين أخذ أتباعهم، وهكذا استمر الاهتمام بتعلم القرآن الكريم وتفسيره، حتى أضحت المكتبة التفسيرية من أوسع المكتبات، وأكثرها إنتاجاً وأعمقها فكراً.

فالعلوم مهما تعددت أنواعها ،فلا مراء أن علم التفسير أجلها و أسناها لتعلقه بكلام الله تعالى أشرف الكلام و أبينه .

وقد يسرَ اللهُ عزّ وجل لي إذ التحقت بقسم الكتاب والسنة في المرحلة الجامعية ،ثم أنعمَّ علي بالتحاق بقسم التفسير وعلوم القرآن في مرحلة الماجستير ، و قد رغبت بعد ذلك في موضوع يجمع بين البحث في كتب التفسير ويقارن بينها ويخلص إلى الراجح منها ،فوقع اختياري بعد أن استخرت الله تعالى واستشرت بعض أساتذتي الفضلاء على هذا الموضوع الذي هو بعنوان:

ترجيحات ابن جزي في التفسير من خلال كتابه :(التسهيل لعلوم التنزيل)من أول سورة المرسلات إلى نهاية سورة الأعلى عرضاً و مناقشة.[5]

فالله أسأل أن يتمم عليَّ نعمه ويتقبل هذا العمل ويوفقني ويسدد خطاي .

---

[5] /قسمت ترجيحات ابن جزي على عدة طلاب وطالبات وهم:

- محمد علي عيدان الغامدي ،من أول سورة الفاتحة إلى نهاية سورة البقرة ،عام ١٤٢٩هـ
- عبدالعزيز إبراهيم محمد اليحيى ، من أول سورة آل عمران إلى نهاية سورة المائدة ، عام ١٤٢٥هـ
- إبراهيم محمد عبد الخالق الغامدي من أول سورة الأنعام إلى نهاية سورة يوسف ،عام ١٤٢٨هـ
- هناء عبد الله سليمان أبو داود من أول سورة الرعد إلى نهاية سورة القصص، عام ١٤٣٠هـ
- عبد الحي دخيل الله المحمادي من أول سورة العنكبوت إلى نهاية سورة غافر ، ١٤٢٨هـ
- وجنات محمد حسين جنبي من أول سورة الحشر إلى نهاية سورة الحاقة ،مسجله ولم تناقش
- إنجا دخيل الله الجدعاني من أول سورة المعارج إلى نهاية سورة الإنسان ، ١٤٣١هـ

الفصل الأول:

أ/أهداف الموضوع:

١ -جمع ترجيحات ابن جزي –رحمه الله– في تفسيره في الجزء المخصص بالدراسة.

٢ -عرض ترجيحات ابن جزي –رحمه الله –على أقوال المفسرين .

٣ -توضيح منهجه في الترجيح.

٤ –الخروج بالقول الراجح في المسائل الترجيحية بعد عرضه على القواعد الترجيحية المعمول بها.

ب/أهمية الموضوع:

١–القيمة العلمية التفسيرية لكتاب (التسهيل لعلوم التنزيل) و بخاصة ما يتعلق بتمييز أقوال المفسرين والترجيح بينها ،و فيه مقدمة تفسيرية نفيسة جمعت العديد من علوم القرآن والتفسير.

٢– التفسير من العلوم التي كثر الخلاف فيها ، فهو بحاجة ملحة إلى التحقيق و الدراسة ،لمعرفة الراجح من المرجوح.

٣– مكانة ابن جزي–رحمه الله– العلمية فقد برع في علم التفسير و العربية والفقه والقراءات .

٤– وضوح فكرة الترجيح عند ابن جزي –رحمه الله– حيث وضع لنفسه منهجاً –ذكره في المقدمة–قائماً على أسس علمية في الترجيح بين الأقوال و دراستها ،وقد عدّ –رحمه الله– الترجيح مقصداً من مقاصد تأليف كتابه.

ج /أسباب اختيار الموضوع:

١- رغبت في أن يكون لي شرف الانتماء لعلم التفسير ،عسى أن أنال به شفاعة يوم الدين.

٢- رغبت أن يتكون لدي ملكة علمية ،من خلال سبر أقوال المفسرين وفهمها و مناقشتها بأدلتها ،ومن ثم الترجيح بينها بالدليل والتعليل وفق القواعد العلمية في هذا الباب.

٣- أهمية دراسة الترجيحات ،إذ تجمع بين النقل والعقل .

الفصل الثاني:

أ/مجال الدراسة :

من خلال العنوان يتضح أن البحث حدد بستة حدود، وهي :

-**الأول :ترجيحات** : فلا يدخل في هذا البحث إلا ما صرح ابن جزي – رحمه الله – بترجيحه ،سواء بلفظ صريح ،أو بأسلوب اشترطه على نفسه يفهم منه الترجيح.

-**الثاني: ابن جزي** : فلا يدخل في البحث ترجيحات غيره ،ما لم يكن لابن جزي ترجيح.

-**الثالث:في التفسير**: فلا يدخل ما اختلف فيه أهل العلم مما ليس له أثر في معنى الآية ،وإن كان لابن جزي–رحمه الله– ترجيح فيها ؛كالقراءات أو الإعراب مما لا تأثير فيه على المعنى .

-**الرابع : من أول سورة المرسلات إلى نهاية سورة الأعلى** : فلا يدخل فيه غيره من سور القرآن.

-**الخامس: من خلال كتابه (التسهيل لعلوم التنزيل)**:فلا يدخل فيه ما رجحه ابن جزي–رحمه الله–في تفسير القرآن في كتبه الأخرى غير هذا الكتاب.

-**السادس: عرضاً ومناقشة**:يتمثل في عرض ترجيحات ابن جزي ودراستها ومناقشتها مناقشة علمية ،مع بيان القول الراجح مدعماً بالأدلة النقلية والعقلية

ب/الدراسات السابقة:

- ابن جزي ومنهجه في التفسير ،الباحث:علي بن محمد الزبيري ،رسالة ماجستير في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة ،وقد طبعت في مجلدين.
- ابن جزي الكلبي و جهوده في التفسير من خلال كتابه (التسهيل لعلوم

التنزيل)،الباحث:عبد الحميد محمد ندا ،رسالة ماجستير في جامعة الأزهر ،١٩٨٠م

- التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي الكلبي تحقيق و دراسة نحوية ،الباحث: طاهر عبد الحي محمد شبانة،رسالة دكتوراة في جامعة القاهرة ،١٩٩٥م
- التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي الكلبي ،الباحث:إسماعيل فهمي عبد الإله ،رسالة ماجستير
- التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي الكلبي تحقيق و دراسة و تخريج الأحاديث و الآثار من القسم الأول من أول الكتاب إلى آخر سورة النور ، الباحث : سامي بن مساعد الجهني ، رسالة ماجستير في جامعة أم القرى
- ابن جزي الكلبي و منهجه في التفسير من خلال كتابه (التسهيل لعلوم التنزيل ، الباحث: عبد الرحمن سعد علي بركة ،منشورات كلية الآداب والتربية بجامعة سبها ليبيا ،الطبعة الأولى ١٩٩٤م
- ابن جزي الكلبي و منهجه في التفسير ،الباحث :فراس يحيى عبد الجليل الهيتي ،رسالة ماجستير في جامعة صدام للعلوم الإسلامية ،١٩٩٥م
- ابن جزي و منهجه ، الباحث: إقبال عمر محبوب ،جامعة القرآن الكريم و العلوم الإسلامية ،٢٠٠١م
- قواعد الترجيح عند ابن جزي —دراسة تطبيقية– ، الباحث : عبد الله حميد عبد الله جمعة ، رسالة ماجستير في جامعة الملك سعود قسم الثقافة الإسلامية ،نوقشت عام ١٤٢١هـ

الفصل الثالث:

أ/خطة البحث :

اقتضت طبيعة البحث أن يشتمل على : مقدمة وقسمين وخاتمة وفهارس عامة.

- **أولاً: المقدمة** : و تشتمل على :

١ – أهداف الموضوع

٢ – أهميته

٣ – أسباب اختياره

٤ – مجال الدراسة

٥ – الدراسات السابقة

٦ – خطة البحث ومنهجه .

- **ثانياً: القسم الأول** : التعريف بابن جزي–بإيجاز– ،وفيه ثلاثة أبواب :

الباب الأول : التعريف بابن جزي الكلبي

الباب الثاني : التعريف بعصر ابن جزي –رحمه الله– ، وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول : حالة عصره السياسية

الفصل الثاني :حالة عصره الاجتماعية

الفصل الثالث: حالة عصره العلمية

الباب الثالث : التعريف بكتاب التسهيل لعلوم التنزيل ،و فيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول : قيمته العلمية، ونسخه و ومخطوطاته

الفصل الثاني :منهج ابن جزي في كتابه من خلال الجزء المخصص للدراسة

الفصل الثالث:صيغ الترجيح و أساليبه عند ابن جزي –رحمه الله–

القسم الثاني: عرض لترجيحات ابن جزي –رحمه الله– في تفسيره ومناقشتها من أول سورة المرسلات إلى آخر سورة الأعلى .

- **ثالثاً: الخاتمة** : وتشتمل على أهم النتائج
- **رابعاً الفهارس العلمية** :وتشتمل على فهرس للآيات و الأحاديث و الموضوعات و الأشعار و الأعلام والمراجع.

ب/منهجي خلال البحث:

- أوردت ترجمة موجزة لابن جزي الكلبي –رحمه الله– ، فقد استوفاها الباحث علي محمد الزبيري في رسالته (ابن جزي ومنهجه في التفسير)
- قمت بقراءة مقدمة الكتاب مراراً وتكراراً ؛للوقوف على منهج ابن جزي –رحمه الله– في حكاية الخلاف والترجيح بين الأقوال ، ومعرفة صيغ و أساليب الترجيح عنده .
- تتبعت ترجيحات ابن جزي –رحمه الله –وفق الصيغ والأساليب التي نص عليها في مقدمة كتابه .
- رقمت المسائل ليسهل الرجوع إليها.
- صدرت المسائل بعنوان مختصر يبين موضوعها و فقهها.
- ذكرت الآية التي فيها موضع الخلاف –و له فيها ترجيح– برواية ورش عن نافع ؛لأنها القراءة التي اعتمدها المؤلف عند تأليفه لكتابه.
- رتبت المسائل حسب ترتيب المصحف .
- الآيات الشريفة في ثنايا البحث –في غير نص ابن جزي– ذكرتها برواية حفص عن عاصم ؛لأنها القراءة المعتمدة في كتابة البحوث في هذه الجامعة الغراء.
- بعد ذكري لعنوان المسألة أذكر نص ابن جزي –رحمه الله– في الآية، وذلك لأمرين :أ–إبراز الصيغ التي استخدمها ابن جزي في الترجيح

  ب–إتاحة الفرصة للقارئ للإطلاع على كلام ابن جزي بنصه دون الحاجة للرجوع إلى الكتاب

- ثم أعنون بـ(ترجيح ابن جزي) حيث أذكر القول الراجح عند ابن جزي –رحمه الله–،والصيغة أو الأسلوب الذي استخدمه لترجيحه.
- ثم أتبع ذلك بعنوان (الدراسة) والذي غالباً ما يكون مفتتحا بعبارة :اختلف المفسرون في الآية ....
- أبدأ غالباً بالقول الذي رجحه ابن جزي –رحمه الله–
- أذكر من رجحه من السلف –رضوان الله عليهم–
- ثم من رجحه من المفسرين –رحمهم الله– ،مع ذكر بعض أقوالهم في المسألة.
- أذكر الأقوال الأخرى في المسألة ،وذلك من المصادر التي اعتمدتها[٦] ،و أعرضت

---

[٦] /كتب التفسير التي عرضت عليها ترجيح ابن جزي–رحمه الله– مرتبة حسب الوفيات ،هي:

- جامع البيان للطبري
- معاني القرآن وإعرابه للزجاج
- تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله صلى لله عليه وسلم والصحابة والتابعين لابن أبي حاتم
- تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين
- النكت والعيون للماوردي
- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للواحدي
- معالم التنزيل للبغوي
- الكشاف للزمخشري
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية
- زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي
- مفاتح الغيب للرازي
- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي
- تفسير النسفي
- دقائق التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن تيمية
- البحر المحيط لأبي حيان
- بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن القيم الجوزية
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي
- تفسير القران العظيم لابن كثير
- الجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي
- اللباب في علوم الكتاب لابن عادل
- السراج المنير للخطيب الشربيني
- إرشاد العقل السليم لأبي السعود
- فتح القدير للشوكاني
- روح المعاني للآلوسي
- محاسن التأويل للقاسمي
- تفسير المراغي
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لابن السعدي
- في ظلال القرآن لسيد قطب
- التحرير والتنوير لابن عاشور
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي
- تفسير جزء عم لابن عثيمين
- التسهيل لتأويل التنزيل جزء عم في سؤال وجواب لمصطفى العدوي

عن الأقوال الضعيفة أو الشاذة.

- كنت أقرأ قول المفسر عدة مرات ،و أفرق بين من رجح القول أو قدمه فقط ، أو ذكره دون غيره.
- درست الأقوال و الآراء والأدلة دراسة مقارنة و موازنة،فإن أمكن الجمع بينها فإليه ذهبت ،وإلا فإلى الترجيح بينها عدلت.
- ثم أعنون بـ(الترجيح) وفيه أخلص إلى القول الراجح – لدي– وأذكر وجه رجحانه ،وما يؤيده من القواعد الترجيحية التفسيرية ،و الأدلة النقلية .
- بينت ترجيحي متجردة –إن شاء الله تعالى– من التعصب لرأي أو شخص ،وحاولت –قدر المستطاع تتبع الدليل الصحيح.
- قابلت كتاب التسهيل المطبوع منه على نسختين مخطوطتين.
- عزوت الآيات القرآنية الواردة إلى سورها ،بذكر اسم السورة ورقم الآية في الحاشية .
- خرجت الأحاديث الواردة في الرسالة تخريجاً مختصراً ،فما كان في الصحيحين أو احدهما اكتفيت بذلك ،و إن كان في غيرهما فأخرجه من مظانه ، ثم أذكر كلام المحدثين عليه .
- اقتصرت في الآثار الواردة في الرسالة على ذكر مصادرها ولم احكم عليها ؛لما في ذلك من إطالة للبحث .
- تحريت الدقة في النصوص و وثقتها توثيقاً علميا من مصادرها .
- لم أذكر اسم المؤلف مع المرجع في الهامش إلا إذا كان الكتاب يتشابه مع غيره،حيث المعول عليه ذكر المرجع وكافة معلوماته في فهرس المراجع.
- ترجمت للأعلام الوارد ذكرهم في البحث ترجمة مختصرة ،بالرجوع إلى مرجعين

- معارج التفكر و دقائق التدبر لحبنكة الميداني
- تفسير جزء عم لمساعد الطيار

على الأقل .

- في قسم الدراسة حصرت صيغ و أساليب الترجيح عند ابن جزي من خلال الجزء المطروح للدراسة ،و ذكرت مثالاً واحداً على ذلك في الهامش.
- شرحت الغريب ، وضبطت ما قد يشكل على القارئ ،و عرفت ببعض الأماكن.
- اعتنيت –قدر الطاقة بعلامات الترقيم و قواعد الإملاء.
- طبعت الرسالة كاملة ونسقتها بجهد شخصي .
- ختمت الرسالة بخاتمة موجزة فيها أهم وأبرز النتائج أو أهم التوصيات.
- ذيلت الرسالة بكشافات وفهارس علمية تخدم القارئ ،فهرس الآيات القرآنية وهو مرتب على حسب ترتيب سور القرآن وآياته،وفهرس للأحاديث ،وفهرس للأشعار ،وفهرس للأعلام،وفهرس المصادر والمراجع، وفهرس لموضوعات البحث .

وبعد ؛ فقد قلبت هذا البحث مراراً و تكراراً ، وترددت في تقديمه أكثر من مره ، فما هو إلا بضاعة مزجاة ،فلا أدعي أني قد وفيت أو قاربت ،فما كان من صواب فقد منّ الله به عليّ ،فله الحمد سبحانه على توفيقه وامتنانه ، وما كان غير ذلك فمن نفسي والشيطان ، وإني لأرجو الله تعالى و أرغب إليه أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم ، وأن ينفعني به و قارئه والمطلع عليه و من شاء من عباده ، و أن يكتب له القبول إن ربي لسميع الدعاء.

شكر و عرفان:

وفي الختام هذا شكر وعرفان لمن كان سببا في الإنعام و الأفضال في خروج هذه الرسالة في أنضر وجه وأحسن حال.
فالشكر أولاً و أخيراً للمتفضل بالإنعام والإكرام على الدوام ، سبحانك لا تحصى مننك ، و لا يحد كرمك ، فلك الحمد يا ربي حمداً يليق بجلالك وعظمتك ، ولك الشكر شكراً يزيد من نعمائك .

ثم الشكر والإمتنان إلى الوالدين الحبيبين ، والدي الشيخ / زكي عبداللطيف عطية ، وأمي الغالية الأستاذة /إلهام كمال ، من غمراني بحبهما وأغدقا علي من حنانهما، ولا يكفان عن الدعاء لي ؛ وما بلغني ربي المنعم هذا المقام إلا ببركة دعائهما لي ، أسال الله العظيم أن يُعلي مقامهما في الدنيا والآخرة ، وأن يُقرّ عيناهما بي و بإخوتي ، وأن يكرمهما ربي الكريم بالصحة والعافية ،ويجزيهما خير ما يجزي والد عن ولده ، ويعينني على برهما ما حييت، ويجمعنا جميعاً في مستقر رحمته.

والشكر موصول لجامعة أم القرى ممثلة في كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة، شعبة التفسير وعلوم القرآن على ما تقوم به من جهود مباركة لخدمة العلم وطلابه، وإتاحة الفرصة لأمثالي من طلاب وطالبات العلم لننهل من علوم الكتاب العزيز داخل أروقتها النافعة، وظلالها الوارفة، فجزى الله القائمين عليها خير الجزاء، ولا حرمهم أجر العلم وتعليمه.

ولا أنسى بالشكر والتقدير فضيلة شيخي الأستاذ الدكتور: عبد الرحيم الغامدي المشرف على هذه الرسالة، والذي بذل جهده ووقته في توجيهي وإرشادي طيلة اشتغالي

بالرسالة مع ما كان يتحلى به من الخلق الفاضل، والكلام الطيب، فجزاه الله عني خير الجزاء،وجعل ذلك في موازيين أعماله.

ولكما د/جمال مصطفى و د/طه عابدين ، يامن تفضلتما عليّ بقراءة رسالتي و إبداء النصح والتوجيه الذين أنا في أمس الحاجة إليهما لتتكامل رسالتي وتظهر في أحسن حال،كل شكر ودعاء مع طلب الصفح والرفق بي فما أنا إلا على أولى خطوات العلم.

وتقف كلماتي عاجزة عن شكر زوجي المحقق/محمد بالطو ، فكم قدم من دعم مادي ومعنوي ، وبذل ما يستطيع من عون و مساعدة ، فله مني كل شكر وتقدير وعرفان لصبره وتحمله وبذله،وأسأله أن يسامحني عن أي تقصير في حقه كان رغماً عني،و أسأل المولى القدير أن يرزقه السعادة في الدارين.

وإلى ثمرات فؤادي (عبداللطيف) و (وجد) و(عبدالإله) فقد حملتم معي أعباء رسالتي ،وكم أشغلتموني عنها ،و أشغلتني عنكم ، أسأل الله لكم الهداية وان يجعلكم من أهل القرآن و خاصته .

وإلى أختي أماني وإخواني محمد وحاتم و عبداللطيف وعبدالله، جزيل شكري و امتناني فقد حملتم همي بشكل أو بآخر .

وإلى والدي زوجي د/عبد اللطيف بالطو و الأستاذة /سميرة قطب ،فكم رأيت في أعينكم حرصكم علي ،وكم سمعت منكما دعوات أزاحت همي.

وإلى كل الأهل والأحباب والأخوات في الله وكل من كان له عليَ فضل ،باعارة كتاب أو إعطاء معلومة ، أو من خصني بدعوة في ظهر الغيب ،أو غمرني بجميل سؤال و حسن

إهتمام ، أو أعانني برأي أو نصح أو إرشاد ،وإلى كل الحضور الذين جاوؤا مشكورين لمشاركتي هذه المناسبة أقول لهم : جزاكم الله خيراً على قدومكم ومشاركتكم .

اللهم ما كان في هذا البحث من صواب فإني أبتهل إليك بأسمائك الحسنى وبصفاتك العُلى ،وأدعوك باسمك الأعظم الذي إذا سُئلت به أعطيت وإذا دُعيت به أجبت ،أن تجعله خالصاً لوجهك الكريم ، وما كان فيه من زلل وخطأ أن تغفره لي ،و أن تُهيئ لي البصيرة به ومعرفته والرجوع عنه ،وأن تريني الحق حقاً وترزقني اتباعه ،وأن تريني الباطل باطلاً وترزقني اجتنابه ، ولا تجعله متلبساً عليّ فأضِل ، أنت حسبي ونعم الوكيل ،ولا حول ولا قوة إلا بك .

الهي في زمن الفتن هذا نسألك أن تحقن دماء المسلمين في كل مكان وترحم موتاهم وتهدي ضالهم إنك على كل شيء قدير.

و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلي اللهم وبارك وأنعم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه آجمعين وعنا معهم بعفوك وكرمك يا أكرم الأكرمين.

التعريف بابن جزي –رحمه الله – وفيه

ثلاثة أبواب:

الباب الأول: التعريف بابن جزي الكلبي

الباب الثاني: التعريف بعصر ابن جزي

الباب الثالث: التعريف بكتاب التسهيل

الباب الأول: التعريف بابن جزي –رحمه الله–[1]

اسمه :

محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمن بن يوسف بن جزي الكلبي .

كنيته :

أبي القاسم [2]، واشتهر بابن جُزَي –بضم الجيم وفتح الزاي–

نسبه :

الكلبي نسبة إلى قبيلة (كلب) العربية المشهورة وهذه القبيلة تنسب إلى : كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن الحافي بن قضاعه [3]،ومن هذه القبيلة الصحابي الجليل دحية الكلبي[4] الذي كان يأتي على صورته جبريل عليه السلام.

---

[1] /للإستزادة في سيرة ابن جزي ينظر: الإحاطة في أخبار غرناطة[٢٠/٣-٢٤] ، الدررالكامنة في أعيان المائة الثامنة [٣٥٦/٣] ، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب [٢٨٤-٢٨٥] ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب [٥١٤/٥-٥٢٧]، معجم المؤلفين [٧٨/٣] [١٠٣/٣-١٠٤] ، طبقات المفسرين للداودي [٨١/٢] ، الأعلام [٣٢٥/٥] ، ابن جزي ومنهجه في التفسير للزبيري [١٣٩-٢٣٩]

[2] / بيَّن ابن جزي –رحمه الله-أن وجه المنع من التكني بكنية النبي صلى الله عليه وسلم ،وأن هذا المنع منصرف إلى حياة النبي صلى الله عليه وسلم،وأن أبا بكر الصديق وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما قد كنى كل واحد منهما ولده أبا القاسم بعد ذلك،القوانين الفقهية [٢٨٣/١]

[3] /ينظر: الأنساب للسمعاني [٨٥/٥-٨٦]باب الكاف واللام ،وايضاً: جمهرة أنساب العرب لإبن حزم [٤٢٥]

[4] /**دحية الكلبي** : دحية بن خليفة بن فروة بن فضالة بن امرئ القيس الكلبي كان أجمل الناس وجها روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم يشهد بدرا وشهد المشاهد ،وكان رسول نبي الله صلى الله عليه وسلم إلى قيصر وكان جبريل يأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم على صورته،مات في خلافة معاوية بن أبي سفيان.... ينظر :تهذيب التهذيب [١٧٩/٣] تهذيب الكمال [٤٧٤/٨]

أما جُزَيّ– بضم الجيم وفتح الزاي–[٥] نسبة إلى (جز) وهو جده جز بن بكر ،و بكر ممن دخل الشام مع ابو عبيدة الجراح رضي الله عنه ،و حدث عن أبيه، وجزي نسبة أيضا إلى قرية من قرى أصبهان يقال لها (جز)[٦]

و هو من أهل غرناطة[٧] ،وذوي الأصالة والنباهة فيها ، وأصل سلفه من (ولبة)[٨] من حصن البراجلة ،نزل بها أولهم عند الفتح قريبهم أبو الخطار حسام بن ضرار الكلبي ،وعند خلع دولة المرابطين كان لجدهم يحيى رياسة بجيان[٩] وانفراد بالتدبير .[١٠]

ولادته:

ولد يوم الخميس التاسع من ربيع الثاني عام ثلاثة وتسعين وستمائة [١١] ، وقيل ولد في التاسع عشر من ربيع الأول في العام نفسه[١٢]،وكانت ولادته في مدينة غرناطة.

---

[٥] /على الأشهر ؛فمعظم كتب التراجم على هذا الضبط

[٦] /ينظر :اللباب في تهذيب الأنساب للجزري[٢٧٨/١] باب الجيم والزاي

[٧] / **غرناطة** :-بفتح أوله وسكون ثانيه ثم و نون بعد الألف طاء مهملة –قيل : الصحيح أغرناطة بالألف في أوله أسقطها العامة ،وقيل : بغير ألف ،ومعنى غرناطة :رمانة بلسان عجم الأندلس ؛سمي البلد لحسنه بذلك ،وبينها وبين البيرة أربعة فراسخ،وبينها وبين قرطبة ٣٣ فرسخا . ينظر معجم البلدان للحموي[١٩٥/٤] تعرف غرناطة الان (بالإسبانية: Granada) وهي عاصمة مقاطعة غرناطة في منطقة الأندلس ذات الحكم الذاتي جنوب إسبانيا. تقع بمحاذاة جبال سييرا نيفادا، عند نقطة إلتقاء نهري هَدَّرُه وسَنْجَل، وعلى ارتفاع ٧٣٨ متراً فوق سطح البحر،من أهم معالمها قصر الحمراء.ينظر :الموسوعة الحرة ويكيبيديا

[٨] **/ولبة:** وَلْبَة أو أُونُبَة أو غَالِبَة (من اللاتينية: أُونُوبَا، من الفينيقية: أُونُوسْ بَعْل أي قلعة بعل، وهي حاليًا بالإسبانية: Huelva) هي مدينة تقع في جنوب غرب إسبانيا، وعاصمة مقاطعة ولبة في منطقة الأندلس ذاتية الحكم. تقع على ساحل خليج قادس في المحيط الأطلسي، عند التقاء نهري وديال ولبلة... كانت المدينة تعرف بـ"أونوبا" في فترة الحكم الروماني وبـ"أوْنَبة" في فترة الحكم العربي.ينظر الموسوعة الحرة(وكيبيديا)قال ياقوت الحموي:"أونبة –بالفتح ثم السكون وفتح النون وباء موحدة وهاء موحده- قرية في غربي الأندلس على خليج البحر المحيط ،بها توفي بن حزم الظاهري صاحب التصانيف"[٢٨٣/١]

[٩] **/جيان** :-بالفتح ثم التشديد وآخره نون-هي مدينة لها كورة واسعه بالأندلس تتصل بكورة البيرة مائلة عن البيرة إلى ناحية الجوف في شرقي قرطبة ،بينهما سبعة عشر فرسخا،وهي مدينة وعاصمة مقاطعة تقع في جنوب أسبانيا وفي الشمال الغربي لإقليم الأندلس ذاتي الحكم ،وتحمل شعار العاصمة العالمية لزيت الزيتون وذلك لإنتشار هذه الصناعة بها ،تعرف حاليا بـ(jaen) بالأسبانية .ينظر:معجم البلدان للحموي [١٩٥/٢] والموسوعة الحرة وكيبيديا

[١٠] /ينظر: نفح الطيب [٥١٤/٥] الإحاطة [٢٠/٣]

[١١] / نفح الطيب [٥١٦/٥]

[١٢] /معجم المؤلفين [٧٨/٣]

نشأته:

نشأ ابن جزي –رحمه الله –في غرناطة في بيت علم عريق الأصالة والحسب والنسب والشرف والعلم ،حيث كان والده يعتبر من علماء الأندلس في ذلك الوقت .

فكانت لهذه البيئة العلمية الأصيلة أثر في عكوفه على طلب العلم منذ صباه ،حيث بدأ تعلم القرآن الكريم في ما كان يسمى بالكتاتيب ،والتي كانت منتشرة في بلاد الأندلس ،وكان الأندلسيون يبدؤون بقراءة ورش[١٣] عن نافع[١٤] ويفردونها في القراءة ،حتى إذا انتهوا من القرآن كله انتقلوا إلى بقية القراءات السبع.

وتشير المصادر إلى أنه كان يملك مكتبة ضخمة متنوعة ،تحوي المعارف المختلفة كالقراءات والتفسير والحديث والفقه والأصول وأصول الدين إضافة إلى أنه كان شاعراً أديباً.

تولى الخطابة في ريعان شبابه بالجامع الأعظم بغرناطة ،فوفق في استمالة القلوب وتوجيه الناس بالأسلوب الحسن ،والبراعة والمنطق.

كان مشتغلاً بالعلم تحصيلاً و تأليفاً ،وأصبح من مفتيّ الأندلس ،والعلماء البارزين فيها.[١٥]

صفاته العلمية:

قال ابن الخطيب في وصفه:"كان رحمه الله على طريقة مثلى من العكوف على العلم ،و الإشتغال بالنظر ،والتقييد والتدوين ،فقيهاً حافظاً ،قائماً على التدريس ، مشاركاً في فنون

[١٣] /**ورش** المقرئ عثمان بن سعيد بن عبد بن غزوان بن داود بن سابق المصري القبطي المعروف بورش المقرئ القرشي ،مولى لآل الزبير بن العوام ،واصله من القيروان ،وقيل: من أفريقية ،كنيته :أبو سعيد ،وقيل: أبو عمرو، مات سنة سبع وتسعين ومائة ،وولد بمصر سنة عشر ومائة ،قرأ على نافع سنة خمس وخمسين ومائة،وكان ورش حجة في القراءة ثبتا طيب الصوت .. ينظر الوافي بالوفيات[٢١/٢٠]

[١٤] /**نافع** بن عبدالرحمن ابن أبي نعيم الليثي مولاهم ،أبو رويم المقرئ المدني ،قرأ على طائفة من تابعي أهل المدينة ،يقال أنه قرأ على سبعين من التابعين ،وكان أسود اللون حالكاً وأصله من أصبهان ،وقال عنه الإمام مالك :نافع إمام الناس في القراءة ،وقرأ عليه كثير من الأقدمين ،واشتهرت قراءته بروايتي تلميذيه: قالون و ورش ،توفي سنة ١٦٩هـ . ينظر: معرفة القراء الكبار[١٠٧/١-١١١]

[١٥] /ينظر في كل ما سبق: الإحاطة[٢٠/٣]الديباج المذهب[٢٨٤]ابن جزي ومنهجه في التفسير[١٤١/١-١٤٢] ترجيحات ابن جزي من الرعد-القصص[٣٥-٣٦]

العربية والفقه والأصول والقراءات والحديث والأدب ،حفظةً للتفسير مستوعباً للأقوال ،جمّاعة للكتب ،ملوكي الخزانة[١٦] ،حسن المجلس ،ممتع المحاضرة ،قريب الغور، صحيح الباطن ، تقدم خطيباً بالمسجد الأعظم من بلده على حداثة سنه ،فاتُّفِق على فضله ،و جرى على سَنَنِ أصالته"[١٧].

شيوخه:

كانت الفترة التي عاشها ابن جزي –رحمه الله– مليئة بالعلماء الأجلاء ،مما كان سبباً بعد الله في قوته العلميه والأدبية ،وقد عدد من ترجم له الكثير من شيوخه[١٨] ،و من أشهر هؤلاء العلماء وأكثرهم تأثيراً عليه:

١ – أبو جعفر ،أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي العاصمي الجياني الغرناطي ، المعروف **بأبي جعفر بن الزبير** (ت ٧٠٨هـ) خاتمة المحدثين ورأس العلماء المقرئين،له كتب كثيرة منها: ملاك التأويل في المتشابه اللفظ من التنزيل ،والبرهان في ترتيب سور القرآن..وغيرها [١٩]،قال عنه ابن جزي –رحمه الله– في مقدمة تفسيره "...ثم ختم علم القرآن بالأندلس وسائر المغرب بشيخنا الأستاذ أبو جعفر ابن الزبير ،فلقد قطع عمره في خدمة القرآن ،وآتاه الله بسطة في علمه وقوة في فهمه ،وله فيه تحقيق ونظر دقيق"[٢٠] ، و قد أخذ عنه ابن جزي –رحمه الله– العربية والفقه والحديث والقرآن.

[١٦] / أي أن خزانته من حسنها وبهائها ونفاستها أشبه بخزائن الملوك، ويقابل الملوكيّ: السوقيّ، الذي هو من عامة الناس
[١٧] / الإحاطة في أخبار غرناطة [٢٠/٣]
[١٨] /ينظر:الإحاطة [٢١/٣]نفح الطيب [٥١٤/٥-٥١٥]الدرر الكامنة [٣٥٦/٣]الديباج المذهب[٢٨٤]
[١٩] /للإستزادة في ترجمته ينظر :الديباج المذهب [٥١-٥٢] الدرر الكامنة [٨٤/١-٨٦]
[٢٠] /التسهيل لعوم التنزيل [٢٩/١]

٢ – أبو عبد الله ،محمد بن أحمد بن داود بن موسى اللخمي الأندلسي ،المعروف **بابن الكماد** (ت ٧١٢هـ) من جلة الفقهاء فائقاً في الزهد والقناعة ودماثة الخلق ولين الجانب ،إليه الرحلة في القراءات ،محدث حافظ ضابط ثبت ،من تصانيفه :المتع في تهذيب المقنع ،وهو اختصار للمقنع .[٢١]

قال ابن جزي –رحمه الله في تفسيره:"قرأت القرآن على الأستاذ الصالح أبي عبدالله ابن الكماد فلما بلغت آخر سورة الحشر..."[٢٢]

٣–أبو عبد الله ،محمد بن عمر بن محمد بن رشيد الفهري السبتي الغرناطي ،المعروف **بابن الرشيد** (ت ٧٢١هـ) كان فريد دهره عدالة وجلالة وحفظاً وأدباً، وسمتاً وهدياً ،عالي الإسناد صحيح النقل تام العناية بصناعة الحديث ذاكراً فيها للرجال ،جماعة للكتب ،فقيهاً أصيل النظر ،ذاكراً للتفسير ،عارفاً بالقراءات ،حسن الخلق كثير التواضع ،من مصنفاته :ترجمان التراجم على أبواب البخاري،ملءُ العَيبة فيما جُمع بطول الغيبة في الوجهتين الكريمتين إلى مكة وطيبة ،وغيرهما[٢٣].

قال ابن جزي–رحمه الله– في تفسيره:"حكى شيخنا الخطيب أبو عبدالله بن رشيد عن شيخه إمام البلغاء..."[٢٤]

٤–أبو القاسم ،قاسم بن عبدالله بن محمد الشاط الأنصاري ، المعروف **بابن الشاط** (ت ٧٢٣هـ)نزيل سبته[٢٥] ،وأصله من بلنسيه[٢٦] ،نسيج وحده في إدراك النظر ،سديد الرأي

---

[٢١] /ينظر ترجمته في : الديباج [٢٨٦-٢٨٧] الإحاطة [٣/٦٠-٦٣]

[٢٢] /التسهيل [٤/٢١٠]

[٢٣] / ينظر ترجمته في :الإحاطة[٣/١٣٥-١٤٣] الدرر الكامنة [٤/١١١-١١٣] الديباج المذهب[٢٩٥]

[٢٤] /التسهيل :[١/٤١٢]

[٢٥] **/سبته:** (بفتح أوله)وهي بلد مشهورة من قواعد بلاد المغرب ،و مرساها أجود مرسى على البحر ،وهي على برّ البربر ،وهي مدينة حصينة ،وقد نُسب لها جماعه من أهل العلم ،ولها الاسم نفسه حالياً Ceuta،و تتمتع بالحكم الذاتي داخل اسبانيا،وهناك نزاع بين المملكة المغربية و الدولة الاسبانية عليها .....ينظر: معجم البلدان للحموي[٣/١٨٢-١٨٣]و موقع ويكيبيديا

[٢٦] **/بلنسية:** (سين مهمله مكسورة، وياء خفيفة)مدينة مشهورة بالأندلس ،وهي شرقي تدمير وشرقي قرطبة، وهي برية بحرية ذات أشجار و أنهار،وهي حالياً تسمى فلنسيا Valenciaفي شرق أسبانيا على البحر المتوسط ،ومن أكبر مدن البلاد.....ينظر: معجم البلدان للحموي[١/٤٩٠-٤٩١]و موقع ويكيبيديا

والفهم عالي الهمة نزيه النفس،عاكف على العلم ،متحل بالوقار والسكينة ،له تآليف كثيرة منها :أنوار البروق في تعقب مسائل القواعد والفروق ،وغنية الرابض في علم الفرائض،و تحرير الجواب في توفير الثواب . [٢٧]

٥- أبو علي ،الحسين بن عبدالعزيز بن محمد بن أبي الأحوص القرشي ،المعروف **بأبي الأحوص،أو ابن الناظر** (ت ٦٩٩هـ) نشأ بغرناطة ،حافظاً للحديث والتفسير ،ذاكراً للغة والأدب والتواريخ ،شديد العناية بالعلم،من مقرئي القرآن ، ولي القضاء ،له مؤلفات منها:المسلسلات ،و الأربعون حديثاً،والترشيد في صناعة التجويد .[٢٨]

٦- أبو جعفر، أحمد بن محمد بن علي الأموي ،يعرف **بـابن برطال** (ت٧٥٠هـ) من بيت خير وأصالة ،كان من أهل الخير ،وعلى طريقة مثلى من الصمت والسمت،كثير العفة مشهور الوقار والعفاف،تقدم قاضيا بغرناطة ،وتولى إمامة لمسجد الأعظم فيها ،والخطابة بجامع قلعتها الحمراء،توفي بالطاعون.[٢٩]

٧- أبو عبد الله ،محمد بن أحمد بن يوسف الهاشمي الطنجالي المالقي ،يعرف **بـالطنجالي** (ت٧٢٤هـ) لوشي الأصل ،مالقي النشأة ،كان سهل اللقاء ،رفيقاً بالخلق ،سالكاً سنن الصالح من السلف سمتاً وهدياً ،ولي الخطابة ببلده مالقه[٣٠]،و روي أنه استسقى ذات يوم فلم يبرحوا حتى سقوا . [٣١]

---

[٢٧] /ينظر في ترجمته: الإحاطة[٤/٢٥٩-٢٦٢] ، الديباج المذهب [٢٣١]

[٢٨] /ينظر : الإحاطة [٤٦٣/١]

[٢٩] /ينظر:الإحاطة[١٧١/١]

[٣٠] /**مالقة:** (بفتح اللام والقاف)كلمة أعجمية ،مدينة بالأندلس عامرة من أعمال ريّه،سورها على شاطئ البحر بين الجزيرة الخضراء و المرية،ولها نفس الاسم حالياً Malaga وتطل على البحر المتوسط ،وهي أهم ميناء إسباني بعد برشلونه.....ينظر : معجم البلدان للحموي[٤٣/٥]و موقع ويكبيديا

[٣١] /ينظر ترجمته في: الدرر الكامنة [٣٧٢/٣] الإحاطة [٢٤٥/٣-٢٤٦]

– وروى ابن جزي –رحمه الله– عن غيرهم كثيرا ،منهم :**أبو الحسن بن مسقور** ،و **أبو الوليد الحضرمي** ، و **سهل بن مالك** وطبقته ، و الشيخ الراوية **أبو زكريا البرشاني** ،و الشيخ الوزير **ابن أبي عامر بن ربيع** –رحمهم الله جميعاً– [٣٢]

تلاميذه:

تخرج من تحت يديه الكثير من العلماء الأجلاء ، الذين استفادوا من علمه الغزير ،وأصبح منهم القضاة والوزراء والكتاب والدعاة والمجاهدون ،و من هؤلاء التلاميذ أبناؤه الثلاثة ،الذين قال عنهم لسان الدين بن الخطيب :"وعقبه ظاهر بين القضاء والكتابة"[٣٣].

١ – ولده القاضي أبو بكر بن أحمد بن محمد بن جزي الكلبي :

الشاعر ، الفقية، القاضي ، الكاتب ، الخطيب ، كان –رحمه الله– من أهل الفضل والنزاهة ،وحسن السمت و الهمة عُرف بالمقار واستقامة الطريق ،قرأ على والده ولازمه ،وتفقه على يديه ،ولما حفظ القرآن الكريم ألف له ابن جزي كتاباً في الحديث ليحفظه ،كما و قرأ على بعض معاصري أبيه ،واستجلب له أبوه كثيراًمن علماء البلاد الآخرى ،تقلد منصب الكتابة ،و ولي القضاء بعدة مدن وكان خطيباً بالجامع الأعظم بغرناطة ، له مؤلفات كثيرة منها: شرح على ألفية بن مالك ،تقييد على كتاب والده القوانين الفقهية، ولد سنة ٧١٥هـ وتوفي سنة ٧٨٥هـ .[٣٤]

[٣٢] /ينظر:الإحاطة [٢١/٣]
[٣٣] /الإحاطة [٢١/٣]
[٣٤] /ينظر ترجمته: الإحاطة [١/ ١٥٧] ،و نفح الطيب [٥١٧/٥]

٢ – أبو عبدالله، محمد بن محمد بن جزي :

الأديب الشاعر ، الفقيه ،الكاتب ،العالم بالتاريخ والحساب واللغة ،والنحو و البيان ،نشأ في غرناطه في كنف والده ،وكان يعيره العناية التامة من حيث التربية والتعليم ،فقد ألف كتابه (تقريب الوصول)من أجله ،ألف كتاب :تاريخ غرناطة ،وهو من دوّن رحلة ابن بطوطة الرحالة الشهير ،وله تقيدات في الحديث وأشعار رقيقة، توفي مبطوناً عام:٧٥٧هـ –رحمه الله–[٣٥]

٣ – أبو محمد ،عبد الله بن محمد بن جزي:

أصغر أبناء ابن جزي ،وهو أديب حافظ ،قائم على فن العربية ،طرف في الإدراك ،جيد النظم ، باطنه نبل وظاهرة غفلة ،قعد للإقراء بغرناطة ،وتقدم للقضاء وهو من أعيان البلدة ،أخذ عن والده حديث الرحمة بشرطه ، وسمع عليه على صغر سنه [٣٦]،وسمع منه أبعاضاً من كتب عدة في فنون مختلفة ،وأجاز له رواية بعض الكتب عنه ،ولقنه في صغره جملة من الأحاديث النبوية والمسائل الفقهية والمقطوعات الشعرية ،و تتلمذ على كثير من علماء عصره ، من مؤلفاته : كتاب الخيل المسمى (مطلع اليُمْن)[٣٧]،والإقبال في انتقاء كتاب الاحتفال [٣٨]، لم يُذكر تاريخ وفاته بيد أنه توفي بعد ابن الخطيب مؤلف كتاب الإحاطة ،أي أنه توفي بعد ٧٧٩هـ ،ويبدو أنه عمَّر طويلاً.[٣٩]

٤ – لسان الدين ابن الخطيب ، أبو عبد الله ، محمد بن عبدالله بن سعيد السلماني :

[٣٥] /تنظر ترجمته: الإحاطة[٣٩٢/٣] ونفح الطيب [٥٢٦/٥]، و الدرر الكامنه [١٦٥/٤] ،و رسالة علمية بعنوان :ابن جزي الأندلسي شعره ونثره للطالبة:مريم الشهراني

[٣٦] /قيل أن والده توفي وهو في السابعة عشر ينظر :ابن جزي ومنهجه في التفسير للزبيري [١٦٥]

[٣٧] /طبع الكتاب بتحقيق :محمد الحربي في دار الغرب الإسلامي

[٣٨] /ينظر :قواعد الترجيح عند ابن جزي لـعبد الله الجمعان [٣٣]

[٣٩] /تنظر ترجمته :الإحاطة [٣٩٢/٣]، و نفح الطيب [٥٣٩/٥]

كان لوشي الأصل ،غرناطي،وهو وزير و مؤرخ وأديب نبيل ،وكان يلقب بذي الوزارتين :القلم والسيف .

جاء في مشيخته :"..و قرأت على الخطيب الحسيب الصدر أبي القاسم ابن جزي رحمه الله تعالى.."[٤٠]

ذكره المقرئ في نفح الطيب ،و صنف الكتاب من أجله ،حيث ذكر فيه جميع ما يتعلق بابن الخطيب من مولده ونشأته وشيوخه وآثاره [٤١]،من مؤلفاته : الإحاطة في أخبار غرناطة ،و حمل الجمهور على سنن المشهور ،وغيرها مما يربو على الستين كتاباً في فنون متنوعه ،توفي رحمه الله سنة :٧٧٦هـ.

٥ – ابن الخشاب ،محمد بن محمد بن يوسف الأنصاري :

يكنى أبا القاسم ،وهو شيخ إمام مقرئ ،عده ابن الجزري في طبقات القراء،قال عنه ابن حجر :"كان عاقداً للشروط ،و ولي قضاء بعض المواضع ومات في شوال سنة ٧٤٨هـ"[٤٢]

٦ – ابن الشديد، محمد بن قاسم بن أحمد الأنصاري :

يكنى أبا عبدالله ،جياني الأصل ،من أهل الطلب ،والذكاء والظرف،اضطلع بحمل كتاب الله،وتولى الحسبه بمالقه ،توفي سنة ٧٧٦هـ [٤٣]

٧ – الحضرمي ،عبدالمهيمن بن محمد بن عبدالمهيمن :

يكنى بأبي محمد وشهرته الحضرمي ، تعد روايته عن ابن جزي من رواية الأكابر عن الأصاغر ،حيث كان أكبر من ابن جزي ،وله فهرسه لمشايخه الذين بلغ عددهم ألف شيخ

[٤٠] /نفح الطيب [٦٠٤/٥]
[٤١] /نفح الطيب [٧٥/٥]
[٤٢] /الدرر الكامنة [٢٤٣/٤]
[٤٣] /ينظر :الإحاطة [١٩٦/٣] ،و ابن جزي ومنهجه للزبيري [٢١١]

عدّ منهم ابن جزي –رحمه الله–،ولقد كان كاتباً عند السلطان ،متقدما في علم الحديث و ضبط رجاله ،عالماً بالعربية والنحو، توفي بتونس أيام الوباء سنة ٧٦٩هـ .[٤٤]

٨ – أبو الحسن النباهي، علي بن عبد الله بن محمد بن الحسن الجذامي النباهي المالقي:

كان –رحمه الله–عف النشأة ،طاهر الثوب مؤثراً للوقار والحشمة وهو ناظم ناثر ،ولي القضاء ،وخطابة جامع السلطان،له تآليف منها:المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا ،وله نزهة البصائر والأبصار،توفي سنة ٧٩٢هـ[٤٥]

و تلاميذ ابن جزي –رحمه الله – غير هؤلاء كثيرون .

مؤلفاته :

برع ابن جزي في علوم شتى ،واشتغل بالنظر والتقييد والتدوين طيله عمره ،فكان نتاج ذلك مؤلفات كثيره ،لم تحظ بالإهتمام والتحقيق العلمي ،ومن تلك المؤلفات[٤٦] :

في التفسير وعلوم القرآن:

١–التسهيل في علوم التنزيل ،وهو تفسير مطبوع ،وهو موضوع البحث.

٢–المختصر البارع في قراءة نافع (مخطوط)[٤٧].

٣ – أصول القراء الستة غير نافع .

في الحديث النبوي الشريف:

[٤٤] /ينظر : الإحاطة[١١/٤] ،و نفح الطيب [٢٤٠/٥]
[٤٥] /ينظر :الإحاطه[٨٨/٤]،و ابن جزي ومنهجه في التفسير للزبيري [٢٠٧]
[٤٦] / تنظر مؤلفاته في : الإحاطة[٢٢/٣] ،و نفح الطيب [٥١٥/٥]،و الدرر الكامنة[٣٥٦/٣]
[٤٧] /ينظر الفهرس الشامل للتراث الإسلامي ،مخطوطات لقراءات ،برقم :[١٨٤/١]

١ -الأنوار السنية في الألفاظ السنية (مطبوع[٤٨]). :

هو كتاب مختصر في الأحاديث النبوية ،ألفه لابنه محمد ؛رغبة منه في أن يفوز بحظ من حفظ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ،واشتمل الكتاب على موضوعات مختلفة في الإيمان و أحاديث الأحكام والرقائق وغيرها،و هو مرتب على الكتب العلمية في الأبواب الشرعية،وحذف فيه الأسانيد ،واقتصر على الصحيح المعروف، وعليه شروحات مخطوطه.[٤٩]

٢ -وسيلة المسلم في تهذيب صحيح مسلم (مفقود)

٣ -الدعوات والأذكار المخرجة في صحيح الأخبار.

وفي الفقه و أصوله:

١ -القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية ،والتنبيه على مذهب الشافعية والحنفية والحنبلية .

ويسمى أيضاً:(قوانين الأحكام الشرعية ومسائل الفروع الفقهية) وهو كتاب كبير أشبه ما يكون في الفقه المقارن في عصرنا الحديث ،قد قدم لهذا الكتاب بمقدمة في العقيدة تقديماً للأهم ؛فالأصول أهم من الفروع [٥٠]،و قد خدم هذا الكتاب علمياً ،وطبع عدة طبعات .[٥١]

٢ -تقريب الوصول إلى علم الأصول .(مطبوع)

[٤٨] /ذكر ذلك الزركلي في الإعلام [٣٢٥/٥] وقد طبع سنة ١٣٤٧هـ بمطبعة السعادة بالقاهرة

[٤٩] / شرحه أبو عبدالله محمد بن عبدالملك القيسي (ت٨٣٤هـ)بشرح سماه:مناهج العلماء الأخيار في تفسير أحاديث كتاب الأنوار. كما شرحه علي القلصادي الغرناطي (ت٨٩١هـ)بشرح سماه: لب الأزهار شرح أحاديث الأنوار.

[٥٠] /ينظر :كتاب القوانين الفقهية [٥/١]

[٥١] /طبع بتونس ١٣٤٤هـ نشره عبدالرحمن اللزام و محمد الأمين الكبتي. وطبعه عالم الفكر بالقاهرة بتحقيق:عبدالرحمن حسن محمود١٤٠٦هـ . وطبعته دار الرشاد الحديثة بالدار البيضاء بالمغرب بتحقيق:عبدالكريم الفضلي ١٤٢٧هـ.
وقد قدمت رسالة دكتوراة تتناول هذا الكتاب ..قدمت إلى كلية الشريعة والقانون بجامعة الأزهر بعنوان (ابن جزي وأثره في الفقة الإسلامي)

وهو كتاب مختصر في علم أصول الفقه ،صنفه لابنه محمد ؛رغبة منه في أن يضرب في هذا العلم بسهم ،وينشط لفهمه ودرسه ، وقد قسمه إلى خمسة فنون ،وجعل في كل فن عشرة أبواب ،فاحتوى الكتاب على خمسين باباً،و قدّم له بمقدمة مفيدة في علم الأصول [٥٢].

وفاته:[٥٣]

توفي –رحمه الله– في معركة طريف[٥٤] ، وهو يشحذ همم الناس ويحرضهم على القتال ،وذلك في ضحى يوم الاثنين السابع من جمادى الأولى عام ٧٤١هـ،الموافق الثلاثين من أكتوبر سنة ١٣٤٠م ...تقبل الله منه ،وكتبه في الشهداء .

[٥٢] / ينظر: ابن جزي ومنهجه في التفسير للزبيري[٢٣١] و مقدمة تقريب الوصول بتحقيق :جلال الجهاني [٨]

[٥٣] / ينظر: الدرر الكامنة [٣٥٦/٣] ، الإحاطة [٢١/٣] ابن جزي ومنهجه في التفسير[١٦٩/١]

[٥٤] / **طريف:**اسم جزيرة جنوب بلاد الأندلس في المثلث الذي في رأسه جبل طارق ،وهي تقابل مدينة سبته المغربية ،كانت تسمى (جزيرة بالوما) في الجانب الأسباني ،وعرفت فيما بعد باسم طريف على اسم (طريف بن مالك)أول قائد مسلم عبر البحر إلى أسبانيا أرسله موسى بن نصير قبل طارق بن زياد . ينظر: ترجيحات ابن جزي الرعد –القصص للد/هناء أبو داود[٥٤]هامش(١)

معركة طريف: تسمى بالاسبانية موقعة سالادو،لوقوعها على ضفاف النهر الصغير المسمى بذلك ، وهي موقعة شهيرة هزم فيها المسلمون بقيادة السلطان أبي الحسن المريني عاهل المغرب والسلطان أبي الحجاج بن يوسف أشنع هزيمة ،وسقطت على اثرها طريف والجزيرة الخضراء في أيدي النصارى ،وكانت محنة عظيمة لم يشهد مثلها المسلمون ،وقد غنم الأسبان في تلك الموقعة علمين ما زالا يحفظان حتى اليوم بمتحف كنيسة طليلة العظمى . ينظر: العبر لابن خلدون [١٩٦٤-١٩٦٥] ، نفح الطيب [٥/١٤-١٥]الإحاطة [٢١/١]

الباب الثاني:

التعريف بعصر المؤلف

الفصل الأول: الحالة السياسية:

كان مولد ابن جزي –رحمه الله –سنة ٦٩٣هـ والذي يوافق عهد ثاني ملوك بني الأحمر بغرناطة ، وهو محمد بن محمد بن يوسف بن الأحمر ،الملقب بالفقيه[٥٥]،وقد عاش ثماني وأربعين سنة حتى استشهاده في عهد سابع ملوك بني الأحمر بغرناطة أبي الحجاج يوسف بن إسماعيل الأحمر ،وقد عاصر بذلك ستة من ملوك غرناطة ،اتسمت فترتهم بأنها كانت أيام جهاد وفتوح .

و لكن شهدت الفترة من عام ٧٠٩هـ إلى عام ٧١٣هـ عداء بين مملكتي غرناطة بالأندلس و بني مرين بالمغرب الأقصى،لم تنته إلا بتولي العرش الغرناطي السلطان أبي الوليد إسماعيل بن فرج بن الأحمر ، الذي أحيا عهد الجهاد ، و استنجد ببني مرين على النصارى ،و استطاع هذا الملك ان يقصم ظهر الجيوش النصرانية بقيادة خمسة و عشرين ملكاً ،و بجيوش ضمت الأسبان و الفرنسيين و الإنجليز ،فهزموهم شر هزيمة سنة ٧١٩هـ،فكان السلطان أبو الوليد إسماعيل[٥٦] من أعظم ملوك غرناطة .

و أما آخر ملوك غرناطة الذين أدركهم ابن جزي –رحمه الله– فهو أبو الحجاج يوسف بن إسماعيل الذي دخلت غرناطة في عهده عصراً ذهبياً ، حيث أنشئت المدارس والمصانع

[٥٥] / للإستزادة عن الفقيه ينظر :كتاب العبر لإبن خلدون [١٠٠٩]
[٥٦] /ينظر : العبر [١٠١٠] ،والإحاطة لابن الخطيب [٣٧٧/١]

وبنيت الحصون ،و وقعت في عهده معركة طريف سنة ٧٤١هـ ،التي توفي فيها ابن جزي –رحمه الله –.

الفصل الثاني: الحياة الاجتماعية :

منذ أن نشأت مملكة غرناطة سنة ٦٣٥هـ على يد ابن الأحمر في أقصى جنوب جزيرة الأندلس ،وهي تنعم بحالة من الرخاء الاقتصادي ؛بسبب انتشار تجارتها و قوة صناعتها و جودة زراعتها،حتى عمت المجتمع الغرناطي حالة من الترف لم يخفف من حدته سوى صيحات الجهاد وأنات الاستشهاد التى كانت تعلو بين الفينة والأخرى نتيجة للعدوان النصراني المتواصل على ما بقي من أراض في حوزة المسلمين.

ويلاحظ أن الوضع الجغرافي لهذه المملكة الصغيرة بين دول نصرانية كبيرة قد جعلها في حالة توجس و استعداد لأي خطر يتهددها من جيرانها المحيطين بها .

ولقد كان المجتمع الغرناطي مكونا من:

١ – العرب :الذين دخلوا الأندلس على إثر الفتح الإسلامي ،وهم من قبائل شتى فمنهم القرشي ،والأموي ،والأوسي ،و الخزرجى ،و الكلبي ،وغيرهم كثير .

٢ – البربر:كانوا جزءاً مهماً من الجيش الذي قاده طارق بن زياد ،وقد نزح عدد كبير منهم إلى غرناطة للاستقرار فيها .

٣ – المولدون :وهم أهل البلاد الأصليون ،وبعضهم كان ينتسب إلى العرب بالولاء فيقال مثلاً الأموي بالولاء.

٤ – الذميون المعاهدون وأكثرهم من النصارى الأسبان .

٥ – الرقيق الذي نتج عن الحروب التي شهدتها المنطقة.[٥٧]

[٥٧] /ينظر :ابن جزي ومنهجه في التفسير [٩٧/١-٩٨] ترجيحات ابن جزي من المعارج –الإنسان [٢٣]

وكان عدد سكان غرناطة في ازدياد كبير بسبب سيل المهاجرين إليها من مسلمي بلنسية ومرسية[٥٨] وجيان [٥٩]وإشبيلية[٦٠] وقرطبة و غيرها من قواعد الأندلس المحتلة .

وكانت التأثيرات المغربية وحتى النصرانية واضحة في المجتمع الغرناطي ،كما أن بعض أهل غرناطة كانوا يتشبهون بالمشارقة في ذلك العهد ، ومنهم من كان يتشبه بالروم مع شدة الإنكار عليه.

وقد كان مسلمو غرناطة على صلة وثيقة بأحكام الشرع فقد كانوا يحرصون على تطبيقها ،ويحدوهم حماس بالغ في نصرة الإسلام وظهوره على أعدائه.

الفصل الثالث: الحالة العلمية:

لقد كانت الأندلس منذ افتتاحها وإلى خروج المسلمين منها اضطراراً بعد ثمانية قرون مركزاً للعلم والحضارة باعتراف العدو قبل الصديق ،و لقد كان العالِم عند أهل غرناطة معظماً من الخاصة والعامة ،يشار إليه ويحال إليه وينبه على قدره و ذكره بين الناس ويُكرّم في الجوار أو ابتياع الحاجات ، ولقد كان طلبة العلم يتلقون العلوم في المساجد في حلقات أو في منازل المشايخ نظير دفع أجر مقابل ذلك [٦١].

---

[٥٨] /**مرسية:** (بضم أوله والسكون وكسر السين المهمله وياء مفتوحه خفيفة وهاء)مدينة بالأندلس من أعمال تدمير ،وهي ذات أشجار وحدائق محدقه بها ،لها الاسم نفسه حالياًMurcia وهي على ضفاف نهر شقورة ،وتطل على البحر المتوسط،في جنوب شرق اسبانيا.....ينظر: معجم البلدان للحموي[١٠٧/٥] و موقع ويكبيديا

[٥٩] /**جيان** : (بالفتح ثم التشديد أخره نون)مدينه لها كوره واسعة بالأندلس تتصل بكوره البيره في شرقي قرطبة ،وهي كوره كبيره ويُنسب لها جماعه وافره ،ومازالت تحمل الاسم نفسه في جنوب اسبانيا Jaen..... ينظر:معجم البلدان للحموي[١٩٥/٢-١٩٦] و موقع ويكبيديا

[٦٠] /**اشبيلية:** (بالكسر ثم السكون وكسر الباء الموحده وياء ساكنه ولام وياء خفيفه)مدينه كبيرة عظيمة وليس في الأندلس أعظم منها وبها قاعدة ملك الأندلس وسريره،وهي قريبة من البحر ويطل عليها جبل الشرف وهو كثير الشجر والزيتون وسائر الفواكه ،وبها زراعة القطن ،ويُنسب لها خلق كثير من أهل العلم، وتسمى الآن اسيفيا Sevilla وتقع في جنوب اسبانيا..... ينظر: معجم البلدان للحموي[١٩٥/١]و موقع ويكبيديا

[٦١] /ينظر:نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب للتلمساني [١/ ٢٢٠]

و قد جعل أهل غرناطة القرآن الكريم أساساً في التعلم ،و أخذوا يدرسون بجانبه الشعر ،و قوانين العربية وتجويد الخط ،وصار حسن الخط من المميزات التي يجب أن تتوافر في طلاب العلم والعلماء.

وقد تبارى الغرناطيون في عهد بني نصر في امتلاك المكتبات الخاصة [٦٢]،و كانت الرحلة إلى المشرق هي غاية الأمل لكل طالب علم في غرناطة ، مما جعل التفوق بين الغرناطيين على المغاربة بسبب رحلة علمائهم إلى المشرق [٦٣] .

وإلى جانب الرحلة في طلب العلم ازدهرت مسألة تبادل الكتب والمؤلفات بين المشارقة والمغاربة وعلماء غرناطة .

[٦٢] /ينظر: الإحاطة لابن الخطيب [٢/ ٢٩٧]
[٦٣] /ينظر:العبر لابن خلدون [٢٩٤]

الباب الثالث :التعريف بكتاب التسهيل :

أولاً: القيمة العلمية للكتاب :

احتل تفسير ابن جزي –رحمه الله –(التسهيل لعلوم التنزيل) مكانة مرموقة عند أهل المغرب العربي عامة ،واحتل شهرة واسعة لديهم لعظيم ما تضمنه من الفوائد والمعاني ،غير أنه لم ينل هذه المنزلة عند أهل المشرق ؛ربما لما تعرضت له الأندلس ،أو لوجود كتب آخرى معتبره عند أهل المشرق .

غير أن ذلك لا ينتقص من قيمة الكتاب ، فهو من أجل الكتب الأندلسية التي تناولت تفسير القرآن الكريم كاملاً .

ويعد ابن جزي–رحمه الله–أحد رجالات الأدب والفقه والحديث والقراءات والأصول والتفسير في القرن الثامن الهجري ،فقد توسع في العلوم و جمع بينها و ألف فيها مؤلفات كثيرة –كما سبق في الفصل السابق –

تلك العلوم كلها استفاد منها وألف هذا لكتاب في أخر حياته ،مرجحاً بالدليل الصحيح سواء من القرآن أو السنة أو القياس أو الإجماع ،أو اللغة أو الفقه أو غير ذلك .

فخرج كتاب التسهيل كتاباً تفسيرياً مختصرا ،حاوياً لأقوال السلف ، مرجحاً فيما بينها ،مغنياً عن كثير من الكتب الطوال ،حيث قال رحمه الله :"لقد احتوى الكتاب على ما تضمنته الدواوين الطويلة من العلم"[٦٤]

[٦٤] /التسهيل [٦/١]

قال الشيخ محمد الشنقيطي –حفظه الله–: "حيث كنت ملازماً لمطالعة تفسير ابن جزي في سفري و مقامي لكثرة فوائده و سهولة حمله فهو يغني عن مكتبة بما اشتمل عليه في التفسير واللغة وعلوم القرآن ومباحث أصول الفقه"[٦٥]

ومما يزيد في قيمة الكتاب أنه ابتدأه بمقدمة عظيمة ،تحتوي على نهجه في الكتاب و مقصوده من تأليفه ،كما احتوت على أسباب النزول و أسماء السور ،و المكي والمدني ، والناسخ والمنسوخ ،وطبقات المفسرين، أفرد باباً للبلاغة وأدوات البيان ،وغير ذلك من العلوم التي ذكرها في المقدمة .

ثانياً: نسخ الكتاب وطبعاته:

طبع الكتاب طبعات كثيرة ،منها:

- أولها طبعة المكتبة التجارية الكبرى بمصر ،١٣٥٥هـ ،في مجلدين
- طبعة دار الكتاب العربي ببيروت ،١٣٩٣هـ
- طبعة دار الكتاب العربي أيضاً ،١٤٠٣هـ ،بتحقيق: لجنة إحياء التراث في دار الكتاب العربي.
- طبعة دار الكتب الحديثة بالقاهرة ،تحقيق : محمد عبد المنعم اليونسي وإبراهيم عطوة عوض .
- طبعة دار الكتب العلمية ببيروت ،تصحيح وتخريج الآيات: محمد سالم هاشم ،١٤١٥هـ،في جزءان.

[٦٥] /قواعد الترجيح عند ابن جزي في تفسيره للجمعان[٤]

- طبعة دار الأرقم ببيروت ،١٤١٦هـ، تحقيق :د/عبدالله الخالدي.
- طبعة المكتبة العصرية ،١٤٢٦هـ،تحقيق:رضا فرج الهمامي،٤ أجزاء في مجلد واحد.[٦٦]

كل تلك الطبعات وغيرها مليئة بالأخطاء ،وغير محققه تحقيقاً علمياً دقيقاً ،وقد صدرت مؤخرا طبعة بتحقيق الدكتور/محمد مولاي الشنقيطي في ٣ مجلدات ولم أقف عليها .

ثالثاً: مخطوطات الكتاب :

للكتاب نسخ مخطوطه عديدة منها[٦٧]:

*نسخة محفوظة في مركز الملك فيصل للبحوث و الدراسات الإسلامية ، رقم التسلسل :٦٠٧٧٦، رقم الحفظ:ج/٤٤/٠٤/٠٢ ، رقم الحفظ والتسلسل للميكروفيلم:١٢٦٩٠، ذخائر التراث ٧٢/١ ، الأزهرية ٢١٦/١.

* نسخة محفوظة في مركز الملك فيصل للبحوث و الدراسات الإسلامية ، رقم التسلسل:٦٣٦٥٨،رقم الحفظ:ج/٤٥/٠٢/١٢ ، رقم الحفظ والتسلسل للميكروفيلم:١٢٨٠٢،طبع:ذخائر التراث ٧٢/١.[٦٨]

*نسخة المكتبة الوطنية للمملكة المغربية (الخزانة الحسنية)،رقم المخطوطة:٢٣٩٠، عدد الأوراق :٢١٤ ورقة،كتبت بتاريخ:١٠٢٤هـ،الناسخ لم يعرف ؛لوجود انطماس ومحو.

[٦٦] /وهي الطبعة التي اعتمدتها في هذا البحث.
[٦٧] / ذكرتها الباحثة هناء أبو داود جميعها في رسالتها ترجيحات ابن جزي من الرعد-القصص [٦٦-٦٧]
[٦٨] /وهي النسختان اللتان اعتمدتهما لمقابلة النسخة المطبوعة وتصحيح الأخطاء

* نسخة الخزانة العامة بالمغرب ،الرقم :د/٦٢٧،عدد الأوراق: ٢٨١ورقة،الناسخ :يحيى عزوزي،ويبدو أن هذه النسخة قديمة جداً .

*نسخة الخزانة العامة بالمغرب ،الرقم :د/٦٨٠،من بداية الكتاب إلى سورة التوبة ،عدد الصفحات :١٠٠صفحة.

* نسخة الخزانة الملكية ،رقمها :١١١٩٧، وهي في الأصل من مكتبة مكناس ،وعدد لوحاتها :١٩٥ لوحة ،وهي بخط مغربي جميل وواضح .

الفصل الثاني:

منهج ابن جزي في كتاب التسهيل من خلال الجزء المخصص للدراسة:

١ – رتب تفسيره على ترتيب سور القرآن ،حيث بدأ بالفاتحة وانتهى بالناس.

٢ – لم يتناول جميع الآيات بالتفسير ،وأحيانا يفسر جزء من الآية فقط .[٦٩]

٣ – يعد تفسير التسهيل تفسيراً بالمأثور .

٤ – السمة البارزة فيه أنه تفسير مختصر جامع ،وهو ما اشترطه على نفسه –رحمه اللّه– في مقدمته ،و سار عليه.

٥ – يذكر غالباً جميع الأقوال في الآية ،ويرجح فيما بينها ترجيحاً علمياً مبنياً على القواعد العلمية أو ما تقتضيه اللغة.

٦ – غالباً لا يعزو الأقوال إلى قائليها.

٧ – يحيل إلى مواضع متقدمة من كتابه ،ولا يعيد تفسير الكلمة مرة أخرى.[٧٠]

٨ – بنى تفسيره على قراءة الإمام نافع .

٩ – يهتم بذكر القراءات في الآية، مع عدم عزوها إلى أصحابها أحياناً[٧١].

١٠ – إذا صح تفسير الآية عن النبي صلى اللّه عليه الصلاة والسلام فإنه يقف عنده ولا يتعداه إلى غيره.[٧٢]

١١ – عند ذكره للحديث النبوي فإنه يذكره بدون إسناد[٧٣]،ولا يذكر إلا موضع الشاهد فقط،وأحيانا يذكر الحديث بالمعنى.

---

[٦٩] /ينظر :التسهيل [٣٢١/٤]

[٧٠] /ينظر التسهيل [٣٣١/٤]عند تفسيره {طوى} آية ١٦ من سورة النازعات أحال إلى سورة طه.

[٧١] /ينظر:التسهيل [٣٢٠/٤] عند تفسيره قوله تعالى :{كأنه جملات صفر}آية ٣٣ من سورة المرسلات

[٧٢] /ينظر: التسهيل [٣٦٨/٤] عند تفسيره قوله تعالى:{وذكر اسم ربه فصلى}آية ١٥ من سورة الأعلى

[٧٣] /ينظر التسهيل [٤/ ٣٦٨] عند تفسيره قوله تعالى:{النار الكبرى} آية ١٢ من سورة الأعلى

١٢ – يهتم كثيراً بالتفسير المنقول عن ابن عباس رضي الله عنهما.[٧٤]

١٣ – يهتم بتفسير التابعين عموماً،وإن كان لا يعزو الأقوال إلى قائليها ؛وقد علل ذلك في مقدمته بقلة صحة إسنادها إليهم .

١٤ – يهتم –رحمه الله– كثيراً باللغة والإعراب [٧٥]و الاشتقاق[٧٦].

١٥ – أكثر من النقل عن ابن عطية[٧٧] و الزمخشري.

١٦ – تمسكه –رحمه الله– بمنهج السلف الصالح في أمور العقيدة .[٧٨]

١٧ – سار على مذهب الإمام مالك بن أنس الفقهي مع عدم تعصبه للمذهب .

١٨ – وبالجملة يعتبر تفسير التسهيل لعلوم التنزيل تفسيراً حوى كثيراً من العلم مع صغر حجمه نسبياً.

[٧٤] /ينظر :التسهيل [٤/ ٣٦٦] عند تفسيره قوله تعالى :{ سبح اسم ربك الأعلى}مطلع سورة الأعلى
ابن عباس: هو عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي أبو العباس بن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، أمه أم الفضل ،ولد وبنو هاشم بالشعب قبل الهجرة بثلاث سنوات، وفي الصحيح عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم ضمه إليه وقال :[اللهم علمه الحكمة]،ودعا له :[اللهم فقه في الدين وعلمه التأويل]،وكان يقال له حبر الأمة و ترجمان القرآن، مات بالطائف سنة ثمان وستين..الإصابة في تمييز الصحابة [٤/١٤١-١٥١]

[٧٥] /ينظر :[٤/٣١٨]عند تفسيره قوله تعالى {عرفا} من مطلع سورة المرسلات ، والأمثلة كثيرة جداً

[٧٦] / ينظر :[٤/٣١٩] عند تفسيره قوله تعالى :{فقدرنا}آية ٢٣ من سورة المرسلات

[٧٧] / ينظر :[٤/٣١٨]عند تفسيره قوله تعالى:{عذرا أو نذرا} آية ٦ من سورة المرسلات

[٧٨] / هذا بالنسبة للجزء الخاص بالدراسة ،وقد أُخذ عليه أنه يتأول في بعض الصفات كصفة الظاهر والباطن مثلاً

الفصل الثالث:

صيغ الترجيح وأساليبه عند ابن جزي :

نص ابن جزي –رحمه الله – على أساليب الترجيح وصيغه التي استخدمها في تفسيره في مقدمة كتابه ،حيث قال :"الفائدة الرابعة –من فوائد تفسيره–:تحقيق أقوال المفسرين ،السقيم منها والصحيح ،وتميز الراجح من المرجوح .....وإني جعلت لهذه الأقسام عبارات مختلفة تعرف بها كل مرتبة وكل قول ،فأدناها ما أصرح بأنه خطأ أو باطل ،ثم ما أقول فيه إنه ضعيف أو بعيد ،ثم ما أقول إن غيره أرجح أو أقوى أو أظهر أو أشهر ، ثم ما أقدم غيره عليه إشعاراً بترجيح المتقدم أو بالقول فيه :قيل كذا ،قصداً للخروج من عهدته ،وأما إذا صرحت باسم قائل القول ؛فإني أفعل ذلك لأحد أمرين :إما للخروج من عهدته ،أو لنصرته إذا كان قائله ممن يقتدى به .....،وأما إذا ذكرت شيئاً دون حكاية قوله عن أحد ؛فذلك إشارة إلى أني أتقلده و أرتضيه سواء من تلقاء نفسي أو مما أختاره من كلام غيري "[٧٩]

فقد قسمها –رحمه الله– إلى مراتب وأقسام :

١ – الترجيح باستخدام صيغ أفعل التفضيل ،كأرجح أو أظهر أو أشهر .

<u>أمثله :</u>

- أرجح ،الغالب في استخدامه للترجيح بعبارة (أرجح) إذا كان القول الراجح صحيحاً وكان القول المرجوح ضعيفاً.[٨٠] والأمثلة على ذلك كثيره في تفسيره ،منها :عند تفسير قوله تعالى : {كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ }[٨١]قال ابن جزي–رحمه الله –:" فيه وجهان أحدهما أن هذا الكلام المتقدم تذكرة أو موعظة للنبي صلى الله عليه وسلم،والآخر أن القرآن

[٧٩] / مقدمة التسهيل [٦/١-٧]
[٨٠] /قواعد الترجيح عند ابن جزي في تفسيره للجمعان [١٠٧]
[٨١] /سورة عبس آية ١١

تذكرة لجميع الناس فلا ينبغي أن يؤثر فيه أحد على أحد وهذا أرجح لأنه يناسبه {فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ} وما بعده"[٨٢]

وعند تفسيره لقوله تعالى : {بِأَيْدِى سَفَرَةٍ }[٨٣]قال –رحمه الله–: " هي الملائكة ،والسفرة :جمع سافر ،وهو الكاتب؛ لأنهم يكتبون القرآن .وقيل :لأنهم سفراء بين الله وبين عبيدة .وقيل: يعني القراء من الناس.والأول أرجح وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة)أي أنه يعمل مثل عملهم في كتابة القرآن وتلاوته أوله من الأجر على القرآن مثل أجورهم"

- أظهر ،الغالب في استخدامه لعبارة (أظهر) إذا كان القول الراجح هو الظاهر من اللفظ [٨٤]،فعند تفسيره لقوله تعالى : {ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ }[٨٥] قال رحمه الله :" {عِندَ {عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ } يتعلق بذى قوة وقيل بمكين وهذا أظهر"[٨٦]
- أشهر ، الغالب استخدامه لعبارة (أشهر)إذا كان القول الراجح مشهوراً عند المفسرين ويكثر القائلون به [٨٧]،مثاله عند تفسيره لقوله تعالى : : {وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ }[٨٨]قال رحمه الله:" هذا إخبار عن حال الكفار في الدنيا وذكر الركوع عبارة عن الصلاة وقيل معنى اركعوا اخشعوا وتواضعوا وقيل هو إخبار عن حال المنافقين يوم القيامة لأنهم إذا قيل لهم اركعوا لا يقدرون على الركوع كقوله ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون والأول أشهر وأظهر"[٨٩]

---

[٨٢] /التسهيل[٣٣٥/٤]
[٨٣] / سورة عبس آية ١٥
[٨٤] /ينظر: قواعد الترجيح عند ابن جزي في تفسيره للجمعان [١١١]
[٨٥] /سورة التكوير جزء من الآية٢٠
[٨٦] /التسهيل [٣٤٢/٤]
[٨٧] / ينظر: قواعد الترجيح عند ابن جزي في تفسيره للجمعان [١١٣]
[٨٨] /سورة المرسلات آية ٤٨
[٨٩] /التسهيل [٣٢١/٤]

- أحسن ،مثاله :عند تفسيره لقوله تعالى: {يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ }[٩٠] قال رحمه الله: " المرء هنا عموم في المؤمن والكافر وقيل هو المؤمن وقيل هو الكافر والعموم أحسن لأن كل أحد يرى ما عمل لقوله تعالى: { فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ }"[٩١] ،وعند تفسيره لقوله تعالى : { عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ }[٩٢]قال رحمه الله: " أي عبس في وجه الأعمى وأعرض عنه قال ابن عطية في مخاطبته بلفظ الغائب مبالغة في العتب لأن في ذلك بعض الإعراض وقال الزمخشري في الإخبار بالغيبة زيادة في الإنكار وقال غيرهما هو إكرام للنبي وتنزيه له عن المخاطبة بالعتاب وهذا أحسن"[٩٣]
- أليق ،مثاله: عند تفسيره لقوله تعالى : {كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ }[٩٤] قال ابن جزي –رحمه الله–: " في الجمالات قولان أحدهما أنها جمع جمال شبه بها الشرر وصفر على ظاهره لأن لون النار يضرب إلى الصفرة وقيل صفر هنا بمعنى سود يقال جمل أصفر أي أسود وهذا أليق بوصف جهنم"[٩٥] ، وعند تفسيره لقوله تعالى : { وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ }[٩٦] قال رحمه الله: " الكشط هو التقشير كما يكشط جلد الشاة حين تسلخ وكشط السماء هو طيها كطي السجل قاله ابن عطية وقيل معناه كشفت وهذا أليق بالكشط"[٩٧]

وقد يجمع ابن جزي –رحمه الله –بين صيغتي ترجيح في موضع واحد ،مثل :

[٩٠] /سورة النبأ جزء من الآية ٤٠
[٩١] /التسهيل [٣٢٧/٤]
[٩٢] /سورة عبس آية ١
[٩٣] /التسهيل [٣٣٥/٤]
[٩٤] /سورة المرسلات آية ٣٣
[٩٥] /التسهيل [٣٢٠/٤]
[٩٦] /سورة التكوير آية ١١
[٩٧] /التسهيل [٣٤١/٤]

- أظهر وأرجح ،مثاله :عند تفسيره لقوله تعالى: {إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ}[٩٨] قال رحمه الله: " أي يبدئ الخلق بالنشأة الأولى ويعيدهم بالنشأة الآخرة للبعث ،وقيل: يبدئ البطش ويعيده أي يبطش بهم في الدنيا والآخرة، والأول أظهر و أرجح لقوله تعالى : {إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ}[٩٩]"[١٠٠]
- أفصح وأبرع ،مثاله : عند تفسيره لقوله تعالى : {عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ}[١٠١] قال ابن جزي –رحمه الله–: " هو ما جاءت به الشريعة من التوحيد والبعث والجزاء وغير ذلك .ويتعلق عن النبأ :بفعل محذوف يفسره الظاهر تقديره يتساءلون عن النبأ ،ووقعت هذه الجملة جوابا عن الاستفهام وبيانا للمسؤول عنه كأنه لما قال عم يتساءلون أجاب فقال يتساءلون عن النبأ العظيم ،وقيل: يتعلق عن النبأ بيتساءلون الظاهر والمعنى على هذا لأى شئ يتساءلون عن النبأ العظيم ،والأول أفصح وأبرع ،وينبغي على ذلك أن يوقف على قوله تعالى : {عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ}"[١٠٢]

٢ – ذكر قولين أو أكثر وتقديمه أحدها ترجيح للمتقدم ، وهذا النوع كثير جداً في تفسير ابن جزي –رحمه الله –،ولم أعتمده بالدراسة في هذا البحث.

مثاله: عند تفسيره مطلع سورة النازعات قال رحمه الله: " اختلف في معنى النازعات والناشطات والسابقات والسابحات والمدبرات :فقيل: إنها الملائكة ،وقيل النجوم ،فعلى القول بأنها الملائكة سماهم نازعات ؛لأنهم ينزعون نفوس بني آدم من أجسادها ،وناشطات ؛لأنهم ينشطونها أي يخرجونها فهو من قولك: نشطت الدلو من البئر إذا أخرجتها، وسابحات؛ لأنهم يسبحون في سيرهم أي يسرعون فيسبقون

[٩٨] /سورة البروج آية ١٣
[٩٩] /سورة يونس آية ٤
[١٠٠] /التسهيل [٣٦٠/٤]
[١٠١] /سورة النبأ آية ٢
[١٠٢] /التسهيل [٣٢٣/٤]

فيدبرون أمور العباد والرياح والمطر وغير ذلك حسبما يأمرهم الله .وعلى القول بأنها النجوم ،سماها نازعات ؛لأنها تنزع من المشرق إلى المغرب ،وناشطات؛ لأنها تنشط من برج إلى برج و،سابحات ؛لأنها تسبح في الفلك ومنه قوله تعالى: {كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ }[١٠٣]فتسبق في جريها فتدبر أمرا من علم الحساب ،وقال ابن عطية :لا أعلم خلافا أن المدبرات أمرا الملائكة، وحكى الزمخشري فيها ما ذكرنا ،وقد قيل في النازعات والناشطات أنها :النفوس تنزع من معنى النزع بالموت فتنشط من الأجساد ،وقيل: في السابحات والسابقات أنها الخيل وأنها السفن"[١٠٤] فهنا ذكر ابن جزي الأقوال كلها متصدرة بـ(قيل) و الظاهر أنه يرجح أن المراد بها الملائكة ،ودليل ذلك أنه ساق قول ابن عطية و الزمخشري مؤيداً لترجيحه.

٣ – ذكر القول الراجح بصيغة الجزم وتقديمه ،وذكر القول المرجوح بصيغة التضعيف أو التمريض،وقد أكثر ابن جزي –رحمه الله –أيضاً من الترجيح بهذه الصيغة في ثنايا تفسيره ،مثال ذلك:عند تفسيره لقوله تعالى:

{وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا }[١٠٥] قال رحمه الله :"أي من زوجين ذكرا وأنثى ،وقيل: معناه أنواعا في ألوانكم وصوركم وألسنتكم"[١٠٦].

وعند تفسيره لقوله تعالى : {عَطَاءً حِسَابًا }[١٠٧] قال ابن جزي –رحمه الله– :"أي كافيا من أحسب الشئ إذا كفاه ،وقيل :معناه على حسب أعمالهم"[١٠٨]

[١٠٣] /سورة الأنبياء آية٣٣
[١٠٤] /التسهيل:[٤/٣٢٨-٣٢٩]
[١٠٥] /سورة النبأ آية ٨
[١٠٦] /التسهيل [٤/٣٢٣]
[١٠٧] /سورة النبأ جزء من الآية ٣٦
[١٠٨] /التسهيل [٤/٣٢٦]

٤ – التصريح باسم قائل القول يعتبر ترجيحاً له إذا كان قائله ممن يقتدى به . و قد ذكر –رحمه الله– في مقدمته طبقات المفسرين وترتيبهم عنده ،فالطبقة الأولى هم: المفسرون من الصحابة –رضوان الله عليهم –،و قد رتبهم حسب علمهم ومكانتهم في التفسير ،فذكر أولاً ابن عباس ثم علي بن أبي طالب ثم.....–رضوان الله عليهم–[١٠٩]،والطبقة الثانية هي طبقة التابعين ورتبهم مراتب أيضاً[١١٠]

مثاله : عند تفسيره لقوله تعالى : { إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ }[١١١] قال ابن جزي – رحمه الله –: "قال ابن عباس :ذهب ضوءها وأظلمت ،و قيل: رمى بها ،وقيل :اضمحلت ،وأصله من تكوير العمامة؛ لأنها إذا لفت زال انبساطها وصغر جرمها"[١١٢]

٥ – ذكر القول الراجح فقط دون حكايته عن أحد والسكوت عما عداه من الأقوال يعتبر ترجيحاً لهذا القول.مثاله :عند تفسيره قوله تعالى: { وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ }[١١٣] قال رحمه الله :"أي زال ما عليها من الجبال حتى صارت مستوية "[١١٤] وقد حكى المفسرون فيها أقوال غير هذا القول ،و لكن ابن جزي –رحمه الله –لم يذكر إلا هذا القول ترجيحاً منه له.

[١٠٩] /ينظر مقدمة التسهيل [٢٢/١]
[١١٠] /ينظر المرجع السابق [٢٣/١-٢٤]
[١١١] /مطلع سورة التكوير
[١١٢] /التسهيل [٣٣٩/٤]
[١١٣] /سورة الانشقاق آية ٣
[١١٤] /التسهيل [٣٥٣/٤]

ترجيحات ابن جزي–رحمه اللّه–في تفسيره عرضاً و مناقشة من أول سورة المرسلات إلى آخر سورة الأعلى

المسألة الأولى:

في معنى المرسلات والعاصفات والناشرات و الفارقات في قوله تعالى: { وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفاً ۝١ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفاً ۝٢ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْراً ۝٣ فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقاً ۝٤ }[1]

قال ابن جزي –رحمه الله–: "اختلف في معنى المرسلات والعاصفات والناشرات والفارقات على قولين، أحدهما: أنها الملائكة .والآخر: أنها الرياح. فعلى القول بأنها الملائكة سماهم المرسلات ؛لأن الله تعالى يرسلهم بالوحى وغيره .وسماهم العاصفات ؛لأنهم يعصفون كما تعصف الرياح في سرعة مضيهم إلى امتثال أوامر الله تعالى. وسماهم ناشرات ؛لأنهم ينشرون أجنحتهم في الجو وينشرون الشرائع في الأرض أو ينشرون صحائف الأعمال. وسماهم الفارقات ؛لأنهم يفرقون بين الحق والباطل .وعلى القول بأنها الرياح سماها المرسلات ؛لقوله تعالى: { ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ }[2]وسماها العاصفات من قوله تعالى : {رِيحٌ عَاصِفٌ }[3]أي شديدة .وسماها الناشرات ؛ لأنها تنشر السحاب في الجو ،ومنه قوله تعالى: {يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً }[4] وسماها الفارقات ؛لأنها تفرق بين السحاب ،ومنه قوله تعالى: {وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفاً }[5]وأما الملقيات ذكرا فهم الملائكة ؛لأنهم يلقون الذكر للأنبياء عليهم السلام"[6]

ترجيح ابن جزي:

رجح ابن جزي–رحمة الله–: أن المرسلات والعاصفات هي الرياح ،حيث قال: " والأظهر في المرسلات والعاصفات أنها الرياح"

و علل ترجيحه: " لأن وصف الريح بالعصف حقيقة "

و رجح أن الناشرات والفارقات هي الملائكة ،حيث قال: "والأظهر في الناشرات والفارقات أنها الملائكة"

---

[1] /سورة المرسلات ١-٥ . كتبت الآيات برواية ورش عن نافع ،لأنها الرواية التي اعتمدها المؤلف عند تأليف كتابه.
[2] /سورة الروم جزء من الآية ٤٨
[3] /سورة يونس جزء من الآية ٢٢
[4] /سورة الروم جزء من الآية ٤٨
[5] /سورة الروم جزء من الآية ٤٨ قال تعالى: { ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفاً فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ۝٤٨ }
[6] /التسهيل في علوم التنزيل[٤/٣١٧-٣١٨]

و علل ترجيحه :" لأن الوصف بالفارقات أليق بهم من الرياح ولأن الملقيات المذكورة بعدها هي الملائكة ولم يقل أحد أنها الرياح ولذلك عطف المتجانسين بالفاء فقال والمرسلات فالعاصفات ثم عطف ما ليس من جنسها بالواو فقال والناشرات ثم عطف عليه المتجانسين بالفاء ."[1]

الدراسة:

أولاً: معنى المرسلات:

اختلف السلف والخلف في معنى المرسلات على أقوال:

١ -فسر جماعة من السلف المرسلات بأنها الرياح وهم: ابن مسعود[2] -رضي الله عنه- ، وابن عباس[3]-رضي الله عنهما- إحدى الروايات عنه،علي بن أبي طالب[4]- رضي الله عنه-، مجاهد[5] في إحدى الروايات عنه،قتادة[6]، السدي [7].[8]

---

[1] /التسهيل في علوم التنزيل[٣١٨/٤]

[2] /**عبد الله بن مسعود** بن غافل بن حبيب الهذلي أبو عبد الرحمن من السابقين الأولين ومن كبار العلماء من الصحابة ، أسلم قديما ،حتى قيل أنه سادس من أسلم ، وهاجر الهجرتين وشهد بدرا والمشاهد بعدها ولازم النبي صلى الله عليه وسلم وكان صاحب نعليه ، وشهد له النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة،وحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم بالكثير وعن عمر، وهو أول من جهر بالقرآن في مكة ، مناقبة جمة ،وأمره عمر على الكوفة ،ومات سنة اثنتين وثلاثين بالمدينة ... ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة [٢٣٣/٤] أسد الغابة [٣٩٤/٤-٤٠٠]

[3] / **عبد الله بن العباس** بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي ،أبو العباس ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أمه أم الفضل لبابة بنت الحارث الهلالية ،ولد وبنو هاشم بالشعب قبل الهجرة بثلاث وقيل بخمس والأول أثبت،واتي به الى النبي صلى الله عليه وسلم وحنكه بريقه، ومات الرسول صلى الله عليه وسلم وله ثلاث عشرة سنة ،و دعا له صلى الله عليه وسلم :(اللهم فقه في الدين وعلمه التأويل)،وكان يسمى حبر هذه الأمة ،وهو ترجمان القرآن، فقد بصره آخر عمره ،مات بالطائف سنة ٦٨ هـ على قول لجمهور.....ينظر: الإصابة [١٤١/٤-١٥١] الإستيعاب [٩٣٣/٣-٩٣٩]أسد الغابة [٢٥٩/٣-٢٩٩]

[4] / **عَلِيّ بنُ أَبي طالب** بن عَبْد المُطَّلِب بنِ هاشم بن عبد مناف بن قصيّ بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى القرشي الهاشمي ابن عم رسول الله،وصهره فهو زوج السيدة فاطمة سيدة نساء العالمين،وهو أول من أسلم وهاجر إلى المدينة وشهد المشاهد كلها إلا تبوك فقد استخلفه صلى الله عليه وسلم على أهله،وكان اللواء بيده في أكثر المشاهد،قال له صلى الله عليه وسلم :(أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنك لست بنبي)أخرجه البخاري، وهو رابع الخلفاء الراشدين،وكان قتله على يد عبد الرحمن بن ملجم ليلة السابع عشر من رمضان عام أربعين هجرية.... ينظر:أسد الغابة [١٠٠/٤-١٣٤]الإصابة [٥٦٤/٤-٥٦٧]

[5] / **مجاهد بن جبر** أبو الحجاج المخزومي مولاهم المكي ،تابعي ،ثقة إمام في التفسير وفي العلم، وكان فقيها عابدا ورعا متقنا ، قال مجاهد: قرأت القرآن على ابن عباس ثلاث عرضات أقف عند كل آية أسأله فيم نزلت وكيف كانت ،مات بمكة وهو ساجد سنة إحدى أو اثنتين أو ثلاث أو أربع ومائة، وله ثلاث وثمانون ..ينظر: تقريب التهذيب [٥٢٠/١] تهذيب التهذيب [٤٠/١٠] الثقات [٤١٩/٥]

[6] / **قتادة** بن دعامة السدوسي يكنى أبا الخطاب بصرى تابعي ثقة وكان ضرير البصر وكان يتهم بقدر وكان لا يدعو إليه ولا يتكلم فيه، من علماء الناس بالقرآن والفقه وكان من حفاظ أهل زمانه.. وقال أحمد بن حنبل كان قتادة أحفظ أهل البصرة لا يسمع شيئا إلا حفظه، مات بواسط في الطاعون سنة ثماني عشرة ومائة.....ينظر: معرفة الثقات [٢١٥/٢] الثقات [٣٢٢/٥] تذكرة الحفاظ [١٢٣/١]

[7] /**السدي** هو :إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة السدي بضم المهملة وتشديد الدال ، أبو محمد الكوفي ،صدوق يهم ورمي بالتشيع ، مولى زينب بنت قيس بن مخرمة وقيل مولى بني هاشم أصله حجازي سكن الكوفة وكان يقعد في سدة باب الجامع بالكوفة فسمي السدي وهو السدي الكبير مات سنة سبع وعشرين ومئة..ينظر: تقريب التهذيب [١٠٨/١] تهذيب الكمال [١٣٢/٣]

[8] /ينظر:تفسير ابن كثير[٤١٥/٤]بدائع التفسير[١٠٦/٥] أضواء البيان[٦٨٦/٨]

وقد اختار هذا القول كثير من المفسرين و منهم: الزجاج[1] ،ابن أبي حاتم[2]،الواحدي[3]،البغوي[4]،ابن كثير[5]، الشنقيطي[6]،عبدالرحمن حبنكة الميداني[7].

٢–و فسر جماعة من السلف المرسلات بأنها الملائكة: أبو صالح[8] في احدى روايتيه عن أبو هريرة–رضي الله عنه–،ابن عباس –رضي الله عنه– في رواية مقاتل[9] عنه،و مسروق[10]،و مجاهد في احدى روايتيه،و السدي، و الربيع بن أنس[11]–رحمهم الله–[1]

---

[1] /معاني القران الكريم وإعرابه[٢٦٥/٥]
و**الزجاج** هو: إبراهيم بن السرى بن سهل أبو إسحاق النحوي الزجاج ،صاحب كتاب معاني القرآن وله كتاب الأمالي وكتاب ما فسر من جامع المنطق وكتاب الاشتقاق وكتاب العروض وكتاب القوافي وكتاب الفرق وكتاب خلق الإنسان ،كان من أهل الفضل والدين حسن الاعتقاد جميل المذهب توفي يوم الجمعة تاسع عشر جمادي الآخرة سنة عشر وقيل سنة إحدى عشرة وقيل سنة ست عشرة وثلثمائة ببغداد رحمه الله تعالى وقد أناف على ثمانين سنة...ينظر: تاريخ بغداد [٨٩/٦] وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان [٥٠/١]

[2] /تفسير القرآن الكريم مسندا عن رسول الله والصحابة والتابعين[٣٣٩٢/١٠]
و**ابن أبي حاتم** هو: عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس الرازي الحافظ الثبت بن الحافظ الثبت وكان ممن جمع علو الرواية ومعرفة الفن وله الكتب النافعة ككتاب الجرح والتعديل والتفسير الكبير وكتاب العلل، وتوفي في شهر المحرم سنة سبع وعشرين وثلاثمائة...ينظر: لسان الميزان [٤٣٢/٣] طبقات المفسرين للداودي [٦٥/١-٦٦]معجم المؤلفين[١٠٩/٢]

[3] /الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[١١٦١]
الواحدي هو: علي بن أحمد بن محمد بن علي أبو الحسن الواحدي النيسابوري ، كان واحد عصره في التفسير لازم أبا إسحاق الثعلبي،وصنف التفاسير الثلاثة البسيط والوسيط والوجيز وأسباب النزول والمغازي وشرح الأسماء الحسنى ،وتصدر للإفادة والتدريس مدة وله شعر حسن ،وقد كانت وفاته في شهر جمادي الآخرة سنة ثمان وستين وأربعمائة..ينظر: طبقات المفسرين للداودي [١٢٧/١-١٢٨] معجم المؤلفين[٤٠٠/٢]

[4] /معالم التنزيل[١٣٧٣]
البغوي هو: الحسين بن مسعود بن محمد المعروف بابن الفراء البغوي ،فقيه محدث مفسر ،من مؤلفاته:مصابيح السنة ،التهذيب في فروع الفقه الشافعي ،الجمع بين الصحيحين ،توفي في خرسان سنة ٥١٦هـ ينظر :معجم المؤلفين [٦٤٤/١]

[5] /تفسير القرآن العظيم[٤١٥/٤]
و **ابن كثير** هو: إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير بن درع القرشي الأموي البصروي الشيخ عماد الدين المعروف بابن كثير صاحب التفسير والتاريخ
فقيه متفنن ومحدث متقن ومفسر نقال وله تصانيف مفيدة ،يدري الفقه ويفهم العربية والأصول ويحفظ جملة صالحة من المتون والتفسير والرجال وأحوالهم،ولد سنة إحدى وسبعمائة،وتوفي بدمشق في يوم الخميس سادس عشر شعبان سنة أربع وسبعين وسبعمائة..ينظر :معجم المحدثين[٧٤/١-٧٥]ذيل التقييد[٤٧١/١-٤٧٢]

[6] /أضواء البيان[٦٨٦/٨]
و **الشنقيطي** هو:محمد الأمين بن محمد المختار بن عبدالقادر الجنكي الشنقيطي ،مفسر و مدرس من علماء شنقيط ،ولد وتعلم بها و استقر مدرساً في المدينة المنورة ثم الرياض ،وأخيراً في الجامعة الإسلامية بالمدينة وتوفي بمكة سنة ١٣٩٣هـ ...ينظر: معجم المؤلفين [١٤٦/٣-١٤٧]الأعلام للزركلي[٤٥/٦]

[7] /معارج التفكر ودقائق التدبر[٥٥٤/٢]
عبدالرحمن حبنكة الميداني ولد في دمشق سنة ١٣٤٥هـ،ونشأ في بيت علم ودعوة ،ودرس في الأزهر ،ثم انتقل إلى السعودية وعمل في جامعة الإمام محمد بن سعود ثم جامعة أم القرى قرابة ثلاثين سنة ،له مؤلفات عدة :أجنحة المكر الثلاثة و قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله ...وغيرها، توفي سنة ١٤٢٥هـ

[8] / **أبو صالح** هو : اسمه باذام ويقال باذان مولى أم هانئ روى عن أم هانئ وابن عباس وأبى هريرة،و كان مجاهد ينهى عنه ،قال عنه يحيى بن معين:ليس به بأس،إلا إذا روى عن الكلبي ،قال ابن حجر :ضعيف يرسل،و ضعفه البخاري.....ينظر:تقريب التهذيب [١٢٠/١] ، الجرح والتعديل [٢/ ٤٣١] المغني في الضعفاء[١٠٠/١]

[9] /**مقاتل** :مقاتل بن سليمان البلخي ،أبو الحسن ،كبير المفسرين،إلا أنه متروك الحديث ، وقد اختلف العلماء في أمره فمنهم من وثقه في الرواية ومنهم من نسبه الى الكذب توفي سنة ١٥٠هـ .ينظر: وفيات الأعيان [٢٥٥/٥-٢٥٧]تهذيب الكمال[٤٣٤/٢٨-٤٥١]

[10] / **مسروق** هو : مسروق بن الأجدع بن مالك الهمداني الوادعي الكوفي العابد، أبو عائشة الفقيه، روى عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ومعاذ وعائشة وغيرهم كثير ، تابعي علم ثقة،ما ت سنة ثلاث وستون ....ينظر: الإصابة [٢٩١/٦-٢٩٢] تهذيب التهذيب [١٠٠/١٠] تهذيب الكمال [٤٥١/٢٧-٤٥٦]

[11] /**الربيع بن أنس:**هو الربيع بن أنس البكري ويقال الحنفي البصري ثم الخراساني ، قال العجلي : بصري صدوق ،قال ابن سعد : مات في خلافة أبي جعفر المنصور ،قلت وقال ابن معين كان يتشيع فيفرط ،وذكره ابن حبان في الثقات وذكر الذهبي أنه توفي سنة ١٣٩..... تهذيب التهذيب [٢٠٧/٣]، معرفة الثقات[٣٥٠/١]، طبقات ابن سعد [٣٦٩/٧]

و رجح أنها الملائكة من المفسرين: الزمخشري[٢]، وابن السعدي[٣].

٣-وفسرها الحسن بن أبي الحسن[٤] بأنها السحاب، وهناك رواية عطاء[٥] عن ابن عباس-رضي الله عنهما- أن المرسلات هي الرسل[٦]

٤-ورجح ابن جرير الطبري[٧] وابن القيم[٨] أن المرسلات عامة في كل مرسل، قال ابن جرير بعد أن سرد الأقوال في معنى المرسلات: "والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: إن الله تعالى ذكره أقسم بالمرسلات عرفا ،وقد ترسل عرفا بالملائكة ،وترسل وصف، فكل من كان صفته كذلك ،فداخل في قسمه ذلك ملكا أو ريحا أو رسولا من بني آدم مرسلاً" [٩]

وقال ابن القيم: " الله سبحانه يرسل الملائكة ويرسل الأنبياء ويرسل الرياح ويرسل السحاب فيسوقه حيث يشاء ،ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء ،فإرساله واقع على ذلك كله...."[١٠]

ثانياً معنى عرفاً:

---

[١] / ينظر:تفسير ابن كثير[٤١٥/٤]بدائع التفسير[١٠٦/٥] أضواء البيان[٦٨٦/٨]

[٢] /الكشاف[٦٧٨/٤]

الزمخشري هو: محمود بن عمر بن محمد بن عمر العلامة أبو القاسم الزمخشري الخوارزمي النحوي اللغوي المتكلم المعتزلي المفسر،ولد في رجب سنة ٤٦٧هـ،من مؤلفاته:الكشاف في التفسير والفائق في غريب الحديث وأساس البلاغة والمفصل في النحو وغيرها،كان معتزلياً داعيا الى الإعتزال ،مات سنة ٥٣٨هـ..... ينظر: طبقات المفسرين [١٢٠/١-١٢١] لسان الميزان[٤/٦]ميزان الإعتدال في نقد الرجال[٣٨٣/٦]

[٣] /تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان[٩٠٣]

ابن السعدي هو : عبدالرحمن بن ناصر بن عبدالله السعدي التميمي ،مفسر ،من علماء الحنابلة ،من اهل نجد ،مولده و وفاته في عنيزة ،و هو أول من أنشأ مكتبة فيها ،له نحو ٣٠ كتاب،منه : تيسير المنان في تفسير القرآن،و القواعد الحسان في تفسير القرآن ،و القواعد والأصول الجامعة في أصول الفقه،وغيرها توفي سنة ١٣٧٦هـ ..ينظر :الأعلام [٣٤٠/٣]

[٤] /**الحسن بن أبي الحسن** هو: الحسن بن أبي الحسن البصري واسم أبيه يسار الأنصاري مولاهم ،ثقة فقيه فاضل مشهور، وكان يرسل كثيرا ويدلس ،قال البزار: كان يروي عن جماعة لم يسمع منهم فيتجوز ويقول حدثنا وخطبنا يعني قومه الذين حدثوا وخطبوا بالبصرة ،ولد زمن عمر وسمع عثمان و روى عن ابن عباس وجندب و عمران بن حصين،مات سنة عشر ومائة وقد قارب التسعين.....ينظر: تقريب التهذيب [١٦٠/١]الكاشف[٣٢٢/١]معرفة الثقات[٢٩٢/١]

[٥] /عطاء هو: عطاء بن أبي رباح واسم أبي رباح أسلم القرشي مولاهم المكي، ثقة فقيه فاضل لكنه كثير الإرسال ،كان مفتي أهل مكة في زمانه، روى عن ابن عباس وعائشة وأبي هريرة وغيرهم كثير، وقيل إنه تغير بأخره ولم يكثر ذلك منه،مات سنة١١٥هـ.....ينظر: تقريب التهذيب [٣٩١/١]تهذيب الكمال[٦٩/٢٠-٨٥]الثقات[١٩٨/٥-١٩٩]

[٦] /بدائع التفسير[١٠٦/٥]

[٧] /**ابن جرير الطبري** هو: أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري، وقيل يزيد بن كثير بن غالب، ولد بطبرستان سنة ٢٢٤هـ، و هو صاحب التفسير الكبير والتاريخ الشهير، كان إماما في فنون كثيرة منها التفسير والحديث والفقه والتاريخ وغير ذلك وله مصنفات مليحة في فنون عديدة تدل على سعة علمه وغزارة فضله وكان من الأئمة المجتهدين لم يقلد أحدا،توفي ببغداد سنة ٣١٠هـ.....ينظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان [٤/ ١٩١]

[٨] /**ابن القيم** هو :محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي ،شمس الدين ابن القيم الجوزية الحنبلي ،ولد سنة ٦٩١هـ ، تلميذ ابن تيمية و كان لا يخرج عن أقواله وينتصر له ،امتحن وسجن عدة مرات ،له مؤلفات كثيرة منها: إعلام الموقعين عن رب العالمين ،و حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ،و مدارج السالكين،و تحفة المودود بأحكام المولود ،توفي في شهر رجب سنة ٧٥١هـ...ينظر : الدرر الكامنة [٤٠٠/٣-٤٠٣] الأعلام [٥٦/٦]

[٩] /جامع البيان في تأويل القران[٣٧٨/١٢]

[١٠] /بدائع التفسير[١٠٦/٥]

ترجيح ابن جزي:

رجح ابن جزي –رحمة الله– أن معنى عرفا فضلاً وإنعاماً،وموقعه من الإعراب أنه منصوب على أنه مفعول لأجله ،حيث قال:" (عرفا)معناه فضلا وإنعاما وانتصابه على أنه مفعول من أجله وقيل معناه متتابعة وهو مصدر في موضع الحال"

الدراسة:

اختلف في معنى (عرفاً) على عدة أقوال:

١–عرفا من الله و إفضالاً على عباده ببعثه الرسل عليهم السلام،ومنه قول الشاعر:

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه

لا يذهب العرف بين الله والناس[١]

وإعرابه:مفعول لأجله منصوب

٢–متتابعاً ، كعرف الفرس،وتقول العرب:الناس إلى فلان عرفاً واحد إذا توجهوا إليه فأكثروا،وإعرابه:حال منصوب

وقد روي هذا القول ومجاهد وقتادة[٢]–رضي الله عنهما–

واختار هذا القول الواحدي[٣]،و البغوي[٤]،والشنقيطي[٥]،وحبنكة الميداني[٦]–رحمهم الله جميعاً–

٣–أن عرفا بمعنى المعروف من أمر الله ونهيه ،ويكون منصوب على نزع الخافض،أي المرسلات بالعرف،وهو ضعيف[٧]

وقد روي هذا القول عن أبي هريرة[٨] ومقاتل ومسروق عن ابن مسعود[٩] وأبو صالح[١٠]–رضي الله عنهم–

---

[١] /البيت للحطيئة وهو في ديوانه٢٨٤

[٢] /معالم التنزيل[١٣٧٣]

[٣] /الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[١١٦١/٢]

[٤] /معالم التنزيل[١٣٧٣]

[٥] /أضواء البيان[٦٨٥/٨]

[٦] /معارج التفكر ودقائق التدبر[٥٥٧/٢]وقد جمع بينه وبين القول الأول ،أي أن المعنى:الرياح المرسلات بتتابع إرسال إنعام ورحمة.

[٧] / انظر الدر المصون في علوم الكتاب المكنون[٦٢٩/١٠-٦٣٠]

[٨] / **أبو هريرة** هو : عبد الرحمن بن صخر الدوسي ، كان اسمه في الجاهلية عبد شمس وسماه الرسول صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن ،و هذا أصح ما قيل في اسمه فقد اختلف فيه اختلافاً كثيراً، اسلم عام خيبر ،وهو من أكثر الصحابة حديثاً،حيث له ٥٣٧٤حديثاً ، قال البخاري :روى عنه نحو الثمانمائة من أهل العلم وكان أحفظ من روى الحديث في عصره،.وأخرج البخاري عن أبي هريرة قال: قلت: يا رسول الله إني لأسمع منك حديثا كثيرا أنساه فقال ابسط رداءك فبسطته ثم قال ضمه إلى صدرك فضممته فما أنسيت حديثا بعد، توفي سنة ٥٨هـ وقيل ٥٩هـ.....ينظر: الإصابة [٤٢٥/٧- ٤٤٤] ، و الاستيعاب[١٧٦٨/٤] خلاصة تذهيب تهذيب الكمال[٤٦٢/١]

[٩] / معالم التنزيل[١٣٧٣]

[١٠] /الطبري[٣٧٨/١٢]

ثالثاً : العاصفات والناشرات:

اختلف في العاصفات والناشرات على عدة أقوال:

١-الملائكة روي عن بعض السلف وهم: مقاتل والسدي و أبو صالح عن أبي هريرة [١]-رضي الله عنهم- ورجح هذا القول من المفسرين: البغوي[٢]-رحمه الله-

٢-الرياح روي عن كثير من السلف: علي بن أبي طالب-رضي الله عنه- وابن مسعود-رضي الله عنه- وابن عباس -رضي الله عنهما-و الحسن،و مجاهد،و قتاده،و أبوصالح في رواية عنه،و السدي[٣]-رحمهم الله جميعاً-

ورجح هذا القول من المفسرين: ابن جرير الطبري[٤] ،ابن كثير[٥]،القاسمي[٦]،حبنكة الميداني[٧]-رحمهم الله جميعا-

٣-الأمطار التي تحي الأرض،روي عن أبي صالح

٤-البقاع التي تحي الأرض، ولم ينسب هذا القول لأحد فيما بين يدي من المراجع

٥- الرمم في بعث يوم القيامة، ولم ينسب هذا القول لأحد فيما بين يدي من المراجع[٨]

رابعاً الفارقات:

اختلف المفسرون في معنى الفارقات على عدة أقوال:

١ - الملائكة روي عن كثير من السلف : ابن مسعود-رضي الله عنه-، ابن عباس-رضي الله عنهما- مسروق،مجاهد،الضحاك[١]،قتادة، الربيع بن أنس ،السدي،الثوري[٢]،أبي صالح[٣]

---

[١] /انظر المحرر الوجيز[١٩٣٤]-معالم التنزيل [١٣٧٣]
[٢] /معالم التنزيل[١٣٧٣]
[٣] /انظر:جامع البيان[٣٧٩/١٢]،المحرر الوجيز[١٩٣٤]،،محاسن التأويل[٢٩٩/٩/٩]
[٤] /جامع البيان في تأويل آي القرآن [٣٧٩/١٢]
[٥] /تفسير القران العظيم[٤١٥/٤]
[٦] /محاسن التأويل[٢٩٩/٩]
و**القاسمي** هو: جمال الدين أو محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق،ولد سنة ١٢٨٣هـ،إمام الشام في عصره،علما بالدين ،وكان سلفي العقيدة لا يقول بالتقليد ،له مؤلفات كثيرة منها:قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث،و الفتوى في الإسلام ،و محاسن التأويل،توفي في دمشق سنة ١٣٣٢هـ...ينظر:الأعلام [١٣٥/٢]
[٧] /معارج التفكر ودقائق التدبر[٢م٥٦٦]
[٨] /الأقوال الثلاثة الأخيره ينظر :المحرر الوجيز[١٩٣٤]

وقد رجح هذا القول من المفسرين: الزجاج[٤]، ابن السعدي [٥]، الشنقيطي[٦]، وقد حكى ابن كثير الإجماع[٧]

٢-آي القرآن، وروي هذا القول عن قتادة[٨]

ورجح هذا القول من المفسرين الواحدي[٩]-رحمه الله-

٣- الرياح التي تفرق السحاب وتبدده، وهي احدى الروايتين عن مجاهد[١٠]

وقد رجح الطبري أن معنى الفارقات كل ما كان فارقاً[١١]

خامساً الملقيات ذكراً:

اختلف المفسرون المتأخرون في معناها:

١ - قيل الملائكة وهو قول الجمهور من السلف -رضوان الله عليهم-وحكى الاتفاق ابن عطية[١٢]، وابن القيم[١٣]

وعليه جمهور المفسرين أيضا، حيث رجحه: الطبري [١٤]، و الزجاج[١٥]، و الواحدي[١٦]، و البغوي[١٧]، و ابن القيم[١٨]، و ابن كثير[١٩]، و القاسمي[٢٠]، و ابن السعدي[٢١] -رحمهم الله جميعا-

---

[١] /**الضحاك** هو :الضحاك بن مزاحم الهلالي أبو القاسم أو أبو محمد الخرساني صدوق كثير الارسال،لقي جماعة من التابعين و لم يشافه أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ،مات سنة ١٠٢ هـ أو ١٠٥ هـ...ينظر:تقريب التهذيب [٢٨٠/١]، الثقات [٤٨٠/٦-٤٨١]

[٢] /**الثوري** هو :سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري ،أبو عب\الله الكوفي ،ثقة حافظ فقيه عابد إمام حجة أمير المؤمنين في الحديث ، توفي بالبصرة سنة ١٦١هـ ،و له ٦٤ سنة .....ينظر: تقريب التهذيب [٢٤٤/١] ، تهذيب التهذيب [٩٩/٤-١٠١]، تهذيب الكمال [١٥٤/١١-١٦٨]

[٣] /ينظر:الطبري[٣٧٧/١٢]ابن كثير[٤١٥/٤]،المحرر الوجيز[١٩٣٤]

[٤] /معاني القران وإعرابه[٢٦٥/٥]

[٥] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان[٩٠٣]

[٦] /أضواء ابيان[٦٨٥/٨]

[٧] /تفسير القرآن العظيم[٤١٥/٤]

[٨] /انظر تفسير الطبري[٣٧٩/١٢]

[٩] /الوجيز في تفسير القرآن العزيز[١١٦/٢]

[١٠] /انظر معالم التنزيل[١٣٧٣]، معارج التفكر ودقائق التدبر[٥٦٦/٢]

[١١] /تفسير الطبري[٣٧٧/١٢]

[١٢] /المحرر الوجيز[١٩٤٣]

ابن عطية هو: عبد الحق بن غالب بن عبد الملك بن غالب بن تمام بن عطية ،الإمام الكبير قدوة المفسرين ،أبو محمد الغرناطي القاضي،كان فقيها عارفا بالأحكام والحديث والتفسير بارع الأدب بصيرا بلسان العرب،تفسيره المحرر الوجيز تفسير جليل القدر والشأن ،ولي قضاء المرية ،توفي سنة ٥٤٦هـ .....ينظر:طبقات المفسرين للسيوطي [١/ ٦٠- ٦١] ، و طبقات المفسرين للداودي [١٧٥/١-١٧٦]

[١٣] /بدائع التفسير[١٠٧/٥]

[١٤] /تفسير الطبري[٣٧٧/١٢]

[١٥] / معاني القران وإعرابه[٢٦٥/٥]

[١٦] الوجيز في تفسير القرآن العزيز[١١٦/٢]/

[١٧] / معالم التنزيل[١٣٧٣]

[١٨] /بدائع التفسير[١٠٧/٥]

[١٩] /تفسير القرآن العظيم[٤١٥/٤]

[٢٠] / محاسن التأويل[٢٩٩/٩]

[٢١] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان[٩٠٣]

٢ – حكى ابن عطية أن هناك آخرين فسروا الملقيات بالرسل عليهم السلام[١]،ولم أجده معزواً لأحد فيما بين يدي من المراجع

الترجيح:

اختلف المفسرون في مطلع سورة المرسلات اختلافا متبايناً:فمنهم من جعل المرسلات والعاصفات والناشرات والفارقات والملقيات هي الرياح، ومنهم من جعلها جميعا هي الملائكة ،ومنهم من فسرها بغير ذلك،ومنهم من جعلها عامة في كل مرسل وكل عاصف، ومنهم من فرق بينها فجعل المرسلات والعاصفات هي الرياح والناشرات والفارقات والملقيات هي الملائكة

وأولى الأقوال عندي بالصواب قول ابن جزي الكلبي–رحمه الله– وهو القول بالتفريق،وقد وافقه ابن القيم[٢]،فحجته في الترجيح قوية ؛حيث عطفت العاصفات على المرسلات بحرف الفاء وهو للتعقيب،وعطفت الفارقات والملقيات على الناشرات بالفاء أيضا،أما الناشرات فقد عطف على العاصفات بحرف الواو فصار كأنه قسم مبتدأ بشيء مختلف وهو الملائكة،وأيضا في عطف الناشرات والفارقات على الملقيات بالفاء يدل على أن معناها واحد ،وقد اجمع السلف على أن معناها الملائكة ولم يُغْرب من الخلف إلا ابن عطية في قول غير معزو .فهو القول الراجح إذاً –والله أعلم–

أما عرفاً:فالراجح فيها إذاً– والله أعلم– أن معناها من التتابع والكثرة ؛ لأن المعنى الراجح في المرسلات هو الرياح ،فيكون المعنى إجمالاً:الرياح المتتابعة ،وقد قال بهذا القول أكثر السلف والخلف .

[١] /المحرر الوجيز[١٩٣٤]
[٢] /بدائع التفسير [١٠٧/٥]

المسألة الثانية:

في معنى قوله تعالى: {فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ۝٨ }

قال ابن جزي–رحمه الله–: " زال ضوؤها وقيل محيت"

ترجيح ابن جزي:

رجح ابن جزي –رحمه الله– أن معنى (طمست) أي: زال ضوء النجوم،وذلك لأنه قدمه على القول الثاني وذكر الثاني بصيغة التمريض.

الدراسة:

اختلف المفسرون في معنى طمست على قولين:

– القول الأول : أن معنى طمس النجوم :زوال ضوئها ،و هو ما رجحه ابن جزي – رحمه الله–

و رجحه من المفسرين :الضحاك [١]،و قال الطبري: " يقول–عز و جل– فإذا النجوم ذهب ضياؤها فلم يكن لها نور ولا ضوء" [٢] ،و رجحه ابن أبي زمنين[٣]،وابن عطية[٤]،وابن كثير[٥]، و سيد قطب[٦]،و الشنقيطي[٧].–رحمهم الله جميعاً–

– القول الثاني: أن معنى (طمست) محيت تماماً،و رجحه من المفسرين :الزجاج[٨]،و الواحدي[١]،و البغوي[٢]،و ابن السعدي[٣]،و حبنكة الميداني[٤]–رحمهم الله جميعاً–

---

[١] /ينظر الدر المنثور[٣٨٣/٨]
[٢] /تفسير الطبري[٣٨٢/١٢]
[٣] /تفسير ابن أبي زمنين[٧٨/٥]
ابن أبي زمنين هو : محمد بن عبد الله بن عيسى المري ،أبو عبد الله ،المعروف بابن أبي زمنين، فقيه مالكي ،من الوعاظ الأدباء،له كتب كثيرة ،منها: منتخب الأحكام ،و تفسير القرآن ،و حياة القلوب ،توفي سنة :٣٩٩هـ .....ينظر: الديباج المذهب [٢٦٥] ،و الأعلام [٢٢٧/٦]
[٤] /المحرر الوجيز[١٩٣٤]
[٥] /تفسير القران العظيم[٤١٥/٤]
[٦] /في ظلال القران[[٣٧٩٢/٦]
سيد قطب هو : سيد قطب بن إبراهيم ،مفكر إسلامي مصري ، ولد سنة ١٣٢٤هـ في قرية موشا بأسيوط بمصر ،من جماعة الأخوان المسلمين ،ترأس قسم نشر الدعوة وتولى تحرير جريدتهم ،و سجن معهم ،فعكف على تأليف الكتب في سجنه ،إلى أن قُتل سنة ١٣٨٧هـ ، له كتب كثيرة منها : في ظلال القرآن ،والتصوير الفني في القرآن ،و غيرهما ...ينظر : الأعلام [١٤٧/٣-١٤٨]
[٧] /أضواء البيان[٦٨٧/٨]
[٨] /معاني القران وإعرابه[٢٦٦/٥]

الترجيح:

الراجح –والله أعلم –أن معنى طمست :هو ما رجحه ابن جزي –رحمه الله–أي زال ضوء النجوم. وذلك لما يلي:

١–أن ذلك هو معناها في اللغة قال ابن منظور:"طمس الطموس :الدروس والانمحاء، و طمس الطريق ،و طسم يطمس و يطمس طموسا :درس وامحى أثره ..... و طمس الكواكب :ذهاب ضوئها، قال ذو الرمة:

فلا تحسبي بك البيد الطوامس تلألأ بالغور النجوم الطوامس وهي التي تخفى وتغيب"[٥]

وقال الخليل بن أحمد:" وطمس النجم ذهب ضوؤه والقمر مثله"[٦]

٢– أن المعنى الآخر هو نتيجة للمعنى الأول ؛ فإذا ذهب ضوء النجوم فذلك يؤدي الى محوها وعدم رؤيتها.

---

[١] /الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[١١٦١/٢]
[٢] /معالم التنزيل[١٣٧٣]
[٣] /تيسير الكريم المنان[٩٠٤]
[٤] /معارج التفكر ودقائق التدبر[٥٦٢/٢-٥٦٣]
[٥] /لسان العرب [١٢٦/٦]بتصرف
ابن منظور هو :محمد بن مكرم بن علي بن أحمد الأنصاري الرويفعي الإفريقي ثم المصري ،القاضي جمال الدين أبو الفضل ، ولد سنة ٦٣٠ هـ ،كان مولعا باختصار الكتب فمما اختصره : كتاب الأغاني وكتاب الحيوان وتاريخ ابن عساكر وغيرها كثير ،وكتابه لسان العرب من أشهر كتبه جمع فيه أمهات الكتب ،توفي سنة ٧١١هـ.....ينظر : الوافي بالوفيات [٣٧/٥-٣٨] الأعلام [١٠٨/٧]
[٦] / العين [٢٢٢/٧]
الخليل بن أحمد هو :الخليل بن أحمد الأزدي الفراهيدي ،أبو عبد الرحمن البصري اللغوي ،صاحب العروض والنحو صدوق عالم عابد،و هو شيخ النحاة وعنه اخذ سيبويه ،و هو الذي اخترع علم العروض،وكتابه العين في اللغة ولم يكمله إنما أكمله النضر بن شميل ،توفي سنة ١٧٠هـ .....ينظر:تقريب التهذيب[١٩٥/١]، البداية والنهاية [١٦١/١٠-١٦٢] ، الثقات [٢٢٩/٨-٢٣٠]

المسألة الثالثة:

في المخاطبين في قوله تعالى: {ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلّٖ ذِي ثَلَٰثِ شُعَبٖ ٣٠}

قال ابن جزي: "أي يتفرع من الدخان ثلاث شعب فتظلهم بينما يكون المؤمنون في ظلال العرش.وقيل إن هذه الآية في عبده الصليب ؛لأنهم على ثلاث شعب ،فيقال لهم: انطلقوا إليه."[1]

ترجيح ابن جزي:

رجح ابن جزي –رحمه الله– أن المخاطبين بالآية المكذبون عموماً،حيث قدم هذا القول ،و ذكر الآخر بصيغة التمريض.

الدراسة:

اختلف المفسرون في المخاطبين بقوله تعالى: {انطلقوا} على قولين:

– القول الأول: أنهم المكذبون عموماً، و هو ما رجحه ابن جزي –رحمه الله–

وقد روي هذا القول عن: مجاهد،وعطاء ،وقتادة،و الكلبي[2]–رحمهم الله –[3]

ورجح هذا القول عموم المفسرين :حيث قال الطبري: " يقول تعالى ذكره لهؤلاء المكذبين بهذه النعم والحجج التي احتج بها عليهم يوم القيامة :انطلقوا إلى ما كنتم تكذبون به في الدنيا، تكذبون من عذاب الله لأهل الكفر به "[4]،و رجحه ابن أبي زمنين[5]،و ابن كثير[6]،و أبو السعود[7]،و القاسمي[8]،و حكى الآلوسي الإجماع عليه[9]–رحمهم الله جميعاً–

---

[1] /االتسهيل في علوم التنزيل[٣٢٠/٤]

[2] / **الكلبي** هو : محمد بن السائب بن بشر الكلبي ، أبو النضر الكوفي االمفسر، متهم بالكذب ،و كان سبئيا من أصحاب عبدالله بن سبأ ،مات سنة ١٤٠هـ.....ينظر: تقريب التهذيب [٤٧٩/١] المجروحين [٢٥٣/٢-٢٥٦]

[3] /ينظر :جامع البيان[٣٨٧/١٢]وتفسير الصنعاني[٣٤٠/٣]

[4] /جامع البيان[٣٨٧/١٢]

[5] /تفسير ابن أبي زمنين[٨٠/٥]

[6] /تفسير القرآن العظيم[٧١٦/٤]

[7] /إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم[٣٥/٦]

أبو السعود هو :محمد بن محمد بن مصطفى العمادي ،المولى أبو السعود ،مفسر شاعر من علماء الترك المستعربين،ولد ٨٩٨هـ ،و كان حاضر الذهن سريع البديهة ،من كتبه : إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ،و تحفة الطالب ، قصة هاروت وماروت ، توفي سنة ٩٨٢هـ ...ينظر : الأعلام [٥٩/٧] شذرات الذهب[٣٩٨/٨-٤٠٠]

[8] /محاسن التأويل[٣٠٣/٤]

[9] /روح المعاني[١٧٥/٢٩]

– القول الثاني : أنهم عبدة الصليب ، وقد روي عن ابن عباس –رضي الله عنهما–[1]

ولم يرجحه أحد من المفسرين –فيما بين يدي من المراجع–

الترجيح:

الراجح –والله تعالى أجل وأعلم– القول الأول ،وهو أن المخاطبين هم الكفار والمكذبون عموماً؛لما يلي:

١–أن الآية توافق كثيراً من الآيات التي تصف النار وظلها وعذابها –أجارنا الله منها– ومن ذلك قوله تعالى في سورة الواقعة: { وَظِلّٖ مِّن يَحۡمُومٖ }[2]وقوله تعالى في سورة الكهف: {نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَآۚ }[3]و فسر السرداق بالدخان ،والآيات تتحدث عن الكفار عموما ،والأولى أن النسق القرآني منتظم المعنى[4] .

٢– أن عبدة الصليب يدخلون تحت مسمى الكافرين الواسع ،فلا ضرورة لتخصيص عموم اللفظ.

٣–أن هذا القول وافق فيه ابن جزي–رحمه الله– عموم المفسرين ،و حكى الآلوسي –كما أسلفت – الإجماع عليه[5].

الآلوسي هو: محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي شهاب الدين ،أبو الفضل أو أبو الثناء ،كان فقيها مفسراً أديباً،ولد في بغداد سنة ١٢١٧هـ ،من كتبه :روح المعاني ، غرائب الإغتراب ، دقائق التفسير ،،توفي سنة ١٢٧٠هـ ..ينظر :الأعلام [١٧٦/٧]

[1] /ينظر:الجوار الحسان في تفسير القرآن[٥٣٩/٥]روح المعاني[١٧٥/٢٩]والبحر المحيط[٣٩٨/٨]

[2] /سورة الواقعة الآية ٤٨

[3] / سورة الكهف جزء من الآية ٢٩

[4] /ينظر :قواعد الترجيح عند المفسرين للحربي[١٧٢/١]

[5] /المصدر السابق

المسألة الرابعة:

في معنى كلمة القصر في قوله تعالى :{ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ }

قال ابن جزئ: " القصر واحد قصور وهي الديار العظام شبه الشرر به في عظمته وارتفاعه في الهواء،وقيل :هو الغليظ من الشجر واحده قصره كجمرة وجمر."[1]

ترجيح ابن جزي:

رجح ابن جزي –رحمه الله –أن القصر في الآية على حقيقته ،فهو الدار العظيمة ،حيث قدم هذا القول وذكر القول الثاني بصيغة التمريض.

الدراسة:

اختلف السلف والخلف في معنى القصر:

١ –أن معنى القصر هو: القصر على حقيقته أي القصر العظيم

واختار هذا القول من السلف:معاوية[2] وابن عباس في احدى الروايات عنه وعلي ومجاهد في احدى روايتيه – رضي الله عنهم جميعا–

واختار هذا القول من المفسرين:ابن جرير الطبري[3]،والسمين الحلبي[4]،و القاسمي[5]،و حبنكة الميداني[6]،وسيد قطب[7]–رحمهم الله جميعا–

---

[1] /التسهيل في علوم التنزيل[٣٢٠]

[2] /**معاوية** هو : معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي أمير المؤمنين ولد قبل البعثة بخمس سنين،و أمه هند بنت عتبه،أسلم عام الفتح ،و صحب النبي صلى الله عليه وسلم و كتب له وشهد معه حنين،و ولاه عمر على الشام بعد اخيه يزيد وأقره عثمان ،و لم يبايع عليا ،فكان بينهما وقعة الجمل المشهورة ،توفي في رجب سنة ٦٠هـ على الصحيح.....ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة [١٥١/٦-١٥٤] أسد الغابة [٢٢٠/٥-٢٢٤]

[3] /جامع البيان[٣٨٧/١٢-٣٨٩]

[4] /الدر المصون[٦٣٩/١٠]

السمين الحلبي هو: : هو احمد بن يوسف بن عبد الدايم الحلبي ،شهاب الدين المقرئ النحوي ، إمام مفسر أصولي عالم بالعربية والقراءات ،نزيل القاهرة،ولازم أبا حيان ،وفاق أقرانه، له تفسير القرآن الكريم وإعرابه و شرح الشاطبية ،توفي سنة ٧٥٦هـ ..ينظر:طبقات المفسرين للداودي [٢٨٧/١] ، الدرر الكامنة [٤٠٢/١-٤٠٣]،الأعلام [٢٧٤/١]

[5] /محاسن التأويل[٣٠٣/٩]

[6] / معارج التفكر ودقائق التدبر[٥٩٠/٢]

[7] /في ظلال القرآن[٣٧٩٤/٦]

٢-وقد ورد أن معنى القصر: الغليظ من الخشب. قال ابن عباس رضي الله عنهما: "هي الخشب العظام المقطعة،وكنا نعمد الى الخشب فنقطعها ثلاثة أذرع وفوق ذلك ودونه فندخرها للشتاء،فكنا نسميها القصر"[١]

وقال بهذا القول من السلف: مجاهد في احدى روايتيه،و قتادة، والضحاك ،والحسن،ومالك[٢] عن زيد بن أسلم[٣]

ومعظم المفسرين على تقديم القول الأول وذكر الثاني بصيغة التمريض.

الترجيح:

الراجح – والله أعلم– ما رجحه ابن جزي أن معنى القصر هو:البيت العظيم .وذلك لما يلي:

١-أنه المناسب لسياق الآيات ؛فقد قال سبحانه: {إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ } فمن عادة العرب أنها تشبه الإبل بالقصور المبنية .

قال الطبري–رحمه الله–: "وأولى التأويلات به–أي معنى القصر– أنه القصر من القصور ؛وذلك لدلالة قوله: {كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ }على صحته ،والعرب تشبه الإبل بالقصور المبنية ، كما قال الأخطل[٤] في صفة الناقة:

كأنه بـــــرجُ رومـــــيٍّ يشـــــييدهُ لُـزَّ بجـــصّ وآجـــرٍّ وأحـــــجار"[٥]

والقرآن عربي والأولى أن يسلك به في الاستنباط والاستدلال على مسلك العرب في تقرير معانيها [٦]

٢-أن بالقول بهذا المعنى هو إبقاء للفظ على حقيقته ،تبعاً لقاعدة :يجب حمل نصوص الوحي على الحقيقة[٧].

وهو المعنى المتبادر للذهن أيضاً.

---

[١] /معالم التنزيل[١٣٧٤]

[٢] /**مالك** هو: مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو الأصبحي ،أبو عبد الله المدني الفقيه ،إمام دار الهجرة ،رأس المتقنين وكبير المتثبتين ، صاحب المذهب وهو أعلم الناس بالناسخ والمنسوخ وكان موصوفا بكمال الإدراك والفهم معروفا بالعلم والديانة والإصابة وتجنب الابتداع مكين المعرفة والدراية فقيه عصره وعالم دهره ومفسر مصره،له كتاب الموطأ في الحديث ،توفي سنة ١٩٩هـ.....ينظر: تقريب التهذيب [٥١٦/١] ، و طبقات المفسرين للداودي [٢٣/١-٢٤]

[٣] / **زيد بن أسلم** هو : زيد بن أسلم القرشي العدوي ، أبو أسامة ويقال أبو عبد الله المدني و هو مولى لعمر بن الخطاب ،الفقيه،ثقة ،عالم ، وقيل انه كان يرسل،،كانت له حلقة في مسجد رسول الله صلى الله عليه و سلم، من أهل الفقه والعلم وكان عالما بتفسير القرآن، و له كتاب فيه تفسير القرآن،توفي سنة ١٣٦هـ.....ينظر: تهذيب الكمال [١٠/ ١٢-١٧]تقريب التهذيب [٢٢٢/١]

[٤] / **الأخطل** : هو غياث بن غوث بن الصلت بن الطارفة ويكنى أبا مالك، والأخطل لقب غلب عليه ، وكان نصرانيا من أهل الجزيرة ، ومقامه في الشعر أكبر من أن يحتاج إلى وصف ، وهو وجرير والفرزدق طبقة واحدة.....ينظر: اكتفاء القنوع [٤٢/١] ، وطبقات فحول الشعراء[٢٩٨/٢]

[٥] /جامع البيان [٣٨٩/١٢]

[٦] /ينظر :كتاب قواعد التفسير لخالد السبت[٢٣٢]/وقواعد الترجيح عند المفسرين للحربي[٣٦٩/٢]

[٧] /ينظر:قواعد الترجيح عن المفسرين للحربي[٣٨٧/٢]

المسألة الخامسة:

في معنى (الجمالات) ،و (الصفر) في قوله تعالى: { كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ }

قال ابن جزئ: " في الجمالات قولان ،أحدهما: أنها جمع جمال شبه بها الشرر وصفر على ظاهره ؛لأن لون النار يضرب إلى الصفرة .وقيل: صفر هنا بمعنى سود، يقال :جمل أصفر أي أسود ،وهذا أليق بوصف جهنم .الثاني :أن الجمالات قطع النحاس الكبار فكأنه مشتق من الجملة ،وقرئ جمالات بضم الجيم وهي قلوس السفن وهي حبالها العظام"[1]

ترجيح ابن جزي:

رجح ابن جزي –رحمه الله– أن الصفر بمعنى أسود ،يقال جمل أصفر أي أسود،وبناء على ذلك فالجمالات على بابها ،أي أنها جمع جمل ،وعلل ترجيحه بقوله: "وهذا أليق بوصف جهنم " وقد قرئت(جُمالات)–بضم الجيم– وهي قلوس السفن أي حبالها العظيمة،وهي قراءة رويس[2]

الدراسة:

أولاً: معنى (صفر):

اختلف المفسرون في معنى الصفر على قولين:

– القول الأول : أن معنى(صفر)اللون الأسود ، و هو ما رجحه ابن جزي –رحمه الله–

و رجحه من المفسرين : الطبري[3] ،و الزجاج[4] ،و الواحدي[5]،و ابن السعدي[6]، –رحمهم الله جميعاً–

– القول الثاني :أنه على حقيقته اللون الأصفر، رجح هذا القول من المفسرين :الثعالبي[7]،

---

[1] / التسهيل في علوم التنزيل[٣٢٠]

[2] /ينظر: تحبير التيسير في القراءات العشر[٦٠٢/١]واتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر[٥٦٨/١]
رويس هو: أبو عبدالله اللؤلؤي محمد بن المتوكل رويس المقرئ قرأ عليه يعقوب وتصدر للإقراء،توفي بالبصرة سنة٢٣٨هـ.....ينظر: معرفة القراء الكبار [٢١٦/١]/ ونزهة الألباب في الألقاب [٣٣١/١]

[3] /جامع البيان[٣٨٩/١٢]

[4] /معاني القرآن وإعرابه[٢٦٨/٥]

[5] /الوجيز [١١٦٣/٢]

[6] /تيسير الكريم الرحمن[٩٠٥]

[7] /الجواهر الحسان في تفسير القرآن[٥٣٩/٥]
الثعالبي : هو عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي ،أبو زيد الجزائري المالكي ،مفسر فقيه عامل زاهد ورع ، له الجواهر الحسان في تفسير القرآن ،والذهب الابريز في غريب القرآن وغيرهما ، توفي سنة :٨٧٥هـ ..ينظر : و نفح الطيب [٤٢٥/٥]، الأعلام [٣٣١/٣]

و القاسمي[١]، و حبنكة الميداني[٢].–رحمهم الله جميعاً–

ثانياً: معنى (جمالة):

اختلف المفسرين في معنى {جِمالة}–على القراءة بكسر الجيم– على قولين:

– القول الأول: هو جمع جمل أو جمال بمعنى الإبل،و رجح هذا القول أكثر المفسرين ،ومنهم : الطبري[٣]،و الزجاج[٤]،و الضحاك[٥]، و ابن أبي زمنين[٦]،و الواحدي[٧]، و الزمخشري[٨]،و حبنكة الميداني[٩]–رحمهم الله جميعاً–

– القول الثاني: أن معنى الجمالة قطع النحاس ، وتفرد ابن أبي حاتم–رحمه الله– (في ما بين يدي من المراجع)في ترجيحه[١٠]،وقد رواه عن ابن عباس–رضي الله عنهما–

وممن روى عنه من السلف أن معنى {جمالة صفر} الإبل السود:الحسن ،و مجاهد في إحدى روايتيه ،وقتادة–رحمهم الله–[١١]

وروي عن ابن عباس –رضي الله عنهما– وسعيد بن جبير[١٢] ومجاهد في الرواية الأخرى أن معنى {جمالة صفر}هي:قلوس سفن البحر أي الحبال .[١٣]

الترجيح:

الراجح –والله أعلم– أن الراجح في معنى الآية هو ما ذهب إليه ابن جزي – رحمة الله– : أن معناها الإبل السود ،هذا على القراءة المتواترة {كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفۡرٞ }–بكسر الجيم – ، أما على قراءة رويس – بضم الجيم– فيكون معناها حبال السفن،ومن الطبعي انه لا ترجيح بين القراءتين،فكلاهما ثابتة متواترة .

---

[١] /محاسن التأويل[٣٠٣/٩]
[٢] /معارج التفكر ودقائق التفكر[٥٩٥/٢-٥٩٦]
[٣] /جامع البيان[٣٩١/١٢]
[٤] /معاني القرآن وإعرابه[٢٦٨/٥]
[٥] /تفسير الضحاك[٩٢٦/٢]
[٦] /تفسير القرآن العزيز[٨٠/٥]
[٧] /الوجيز[١١٦٢/٢]
[٨] /الكشاف[٦٨١/٤]
[٩] /معارج التفكر ودقائق التفكر[٥٩٥/٢-٥٩٦]
[١٠] /تفسير ابن أبي حاتم[٣٣٩٢/١٠]
[١١] /ينظر:جامع البيان[٣٨٩/١٢-٣٩٠]
[١٢] / **سعيد بن جبير** هو : سعيد بن جبير الأسدي مولاهم، الكوفي، ثقة ثبت فقيه ، كان أحد علماء التابعين ،و أخذ العلم عن ابن عباس وابن عمر ، قتل بين يدي الحجاج سنة خمس وتسعين ولم يكمل الخمسين.....ينظر: تقريب التهذيب [٢٣٤/١] ، وطبقات المفسرين للداودي [١٠/١]
[١٣] /ينظر :المرجع السابق [٣٩٠/١٢]

قال الطبري: "والصواب من القول في ذلك: أن لقارئ ذلك إختيار أي القراءتين شاء من كسر الجيم وقراءتها بالتاء وكسر الجيم،وقراءتها بالهاء التي تصير في الوصل تاء ؛لأنهما القراءتان المعروفتان في قراء الأمصار"[1]

[1] /المرجع السابق[٣٩١/١٢]

المسألة السادسة:

في معنى قوله تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرۡكَعُواْ لَا يَرۡكَعُونَ ﴿٤٨﴾ }

قال ابن جزي –رحمه الله–: "هذا إخبار عن حال الكفار في الدنيا وذكر الركوع عبارة عن الصلاة ،وقيل معنى اركعوا اخشعوا وتواضعوا ،وقيل هو إخبار عن حال المنافقين يوم القيامة لأنهم إذا قيل لهم اركعوا لا يقدرون على الركوع كقوله: { وَيُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ }[1] والأول أشهر وأظهر"[2]

ترجيح ابن جزي:

رجح ابن جزي –رحمه الله– أن الآية الكريمة إخبار عن حال الكفار في الدنيا ،حيث يأمرهم عز و جل بالصلاة ولا يصلون ،حيث قدم هذا القول ،وذكر القولين الآخرين بصيغة التمريض.

الدراسة:

اختلف المفسرون في الآية على ثلاثة أقوال اثنين منها في الدنيا والثالثة في الآخرة:

١ – ما رجحه ابن جزي –رحمه الله– أن الآية إخبار عن حال الكفار في الدنيا ، وعبر عن الصلاة بالركوع،فالمعنى: أنه عندما يؤمرون بالصلاة في الدنيا لا يصلون.

وقد روي هذا القول عن مجاهد –رحمه الله–،ورجحه كثير من المفسرين: الزجاج[3]، و ابن أبي زمنين[4]،و الواحدي[5]، و ابن عطية[6]،و ابن الجوزي[7]، و ابن كثير[1]،و جعله الثعالبي قول الجمهور[2]، و الشوكاني[3]،ابن السعدي[4]–رحمهم الله–.

---

[1] /سورة القلم -آية ٤٢
[2] /التسهيل في علوم التنزيل[٣٢٠]
[3] /معاني القرآن وإعرابه[٢٦٩/٥]
[4] /تفسير ابن أبي زمنين[٨١/٥]
[5] /الوجيز[١١٦٤/٥]
[6] /المحرر الوجيز[١٩٣٧]
[7] /زاد المسير[٤٥٢/٨]

٢ -قيل إن الأمر كناية عن الخشوع والتواضع .و رجحه من المفسرين: الزمخشري[٥]،و النسفي[٦] و أبو السعود[٧]،و القاسمي[٨]، -رحمهم الله-

٣ -قيل إن الآية إخبار عن حال المنافقين يوم القيامة،حيث يؤمرون بالركوع ولا يستطيعون أن يركعوا.وقد روي هذا القول عن ابن عباس [٩]-رضي الله عنهما-،ولم أجد -فيما بين يدي من المراجع- من رجحه من المفسرين،بل يذكرونه غالبا بصيغة التمريض في معرض ذكر الأقوال.

الترجيح:

الراجح والله أعلم – ما رجحه ابن جزي -رحمه الله- أن الآية خطاب للكفار في الدنيا ؛حيث هذا المعنى مناسب للسياق القرآني فالآيات من قوله تعالى:{ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾.....كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ }وصف للأحداث التي تجري يوم القيامة ، ثم انتقل -عز و جل- لخطاب المكذبين المعاندين في الدنيا بقوله : { كُلُواْ وَتَمَتَّعُواْ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُواْ لَا يَرْكَعُونَ }فالخطاب بالتمتع والأكل لا يكون بحال في الآخرة -ولم يقل أحد بذلك- إنما هو في الدنيا ،

ابن الجوزي :هو عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي الحنبلي ، من نسل أبي بكر الصديق رضي الله عنه ،أبو الفرج الواعظ ،له مصنفات كثيرة في التفسير والفقه و الوعظ والزهد والتاريخ وغير ذلك ،بلغت ٣٠٠ مصنفاً منها :كتاب الموضوعات، والمنتظم في التاريخ ،توفي سنة ٥٩٧هـ ...ينظر : البداية والنهاية [٢٨/١٣-٣٠] طبقات المفسرين للسيوطي [٦١/١] وفيات الأعيان [١٤٠/٣-١٤٢]

[١] /تفسير القرآن العظيم[٤١٧/٤]

[٢] /الجواهر الحسان[٥٤٠/٥]

[٣] /فتح القدير[٣٦١/٥]

الشوكاني هو: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني ،فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن،ولد سنة ١١٧٣هـ تولى قضاء صنعاء ،له ١١٤ مؤلفاً منها :نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار ،و البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع،و إتحاف الأكابر وغيرها ، توفي سنة ١٢٥٠هـ ...ينظر : الأعلام [٢٩٨/٦]

[٤] /تيسير الكريم المنان[٩٠٥]

[٥] /الكشاف[٦٨٣/٤]

[٦] /تفسير النسفي[٣٠٩/٤]

النسفي هو : عبد الله بن احمد بن محمود النسفي ، أبو البركات ، مفسر فقيه حنفي المذهب ،له مصنفات عديدة في الفقه والأصول ،توفي سنة ٧١٠هـ ....ينظر : الدرر الكامنة [١٧/٣] ،و طبقات المفسرين للداودي [٢٦٣/١]

[٧] /إرشاد العقل السليم [٣٥١/٦]

[٨] /محاسن التأويل[٣٠٥/٩]

[٩] /ينظر: جامع البيان[٣٩١/١٢]

فكذلك الإخبار عن حالهم بعدم الركوع يكون أيضاً إخباراً عن حالهم في الدنيا ،ومراعاة سياق الآيات أولى من القول بخلافه[1].

وعبر عن الصلاة بالركوع ؛لأنه ركن من أركان الصلاة ،ولا تكون الصلاة إلا به.

[1] /ينظر:قواعد الترجيح عند المفسرين للحربي[١٢٥/٢]

المسألة السابعة:

في معنى قوله تعالى: {وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ﴿٨﴾}

قال ابن جزي: " أي من زوجين ذكرا وأنثى وقيل معناه أنواعا في ألوانكم وصوركم وألسنتكم"[1]

ترجيح ابن جزي:

رجح ابن جزي–رحمة الله– أن معنى زوجين في الآية :الذكر والأنثى ،حيث قدم هذا القول على القول الثاني، وذكر الثاني بصيغة التمريض

الدراسة :

في الآية قولان :

القول الأول :ما رجحه ابن جزي –رحمه الله –أن الزوجين في الآية هما الذكر والأنثى وقد وافق ابن جزي –رحمه الله– في هذا الترجيح كثير من المفسرين منهم:الزجاج[2] ،و ابن أبي زمنين[3]،و الواحدي[4]،و البغوي[5] ،وابن كثير[6]،وابن عادل [7]،و الشربيني[8] ،و الآلوسي[9]،و القاسمي[10]،و ابن السعدي[11]،و سيد قطب[12]،و ابن عاشور[13] –رحمهم الله جميعا–

---

[1] /التسهيل [٣٢٣/٤]
[2] /معاني القرآن وإعرابه[٢٧٢/٥]
[3] / تفسير القرآن العزيز[٨٢/٥]
[4] /الوجيز [١١٦٥/٢]
[5] /معالم التنزيل[١٣٧٥]
[6] /تفسير القرآن العظيم[٤١٨/٤]
[7] /اللباب في علوم الكتاب[١٨٤/٦]
ابن عادل : هو سراج الدين عمر بن علي بن عادل الدمشقي ،أبو حفص الحنبلي ،الإمام الفقيه المفسر ،صاحب التفسير ،توفي بعد سنة ٨٨٠هـ ...ينظر :الأعلام [٥٨/٥] ، و هدية العارفين [٧٩٤/٥]
[8] /تفسير السراج المنير[٣٤١/٤]
الشربيني هو : محمد بن أحمد الشربيني، شمس الدين، فقيه شافعي ، مفسر، من أهل القاهرة. له تصانيف، منها " السراج المنير في تفسير القرآن، و الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع، و شرح شواهد القطر و مناسك الحج ،توفي سنة ٩٧٧هـ...ينظر :الأعلام [٦/٦]
[9] /روح المعاني[٧/٣٠]
[10] /محاسن التأويل[٣٠٧/٩]
[11] /تيسير الكريم الرحمن [٩٠٦]
[12] /في ظلال القرآن[٣٨٠٤/٦]
[13] /التحرير والتنوير[١٧/٣٠]
ابن عاشور :هو محمد الطاهر بن محمد بن عاشور الشريف الأندلسي، ولد سنة ١٢٩٦هـ ،و هو رئيس المفتين المالكيين بتونس ،شيخ جامع الزيتونة ، لهكتب مطبوعه من أشهرها :مقاصد الشريعة الإسلامية،و موجز البلاغة ،و أصول الإنشاء والبلاغة ،توفي سنة ١٣٩٣هـ.....ينظر: الأعلام [١٧٤/٦]

والقول الثاني: أن معنى أزواجا : أي أصنافا – :الطبري[1]،و ابن عطية [2]،و ابن الجوزي[3]، و و أبو حيان[4]، و الثعالبي[5]، و أبو السعود[6]،و ابن عثيمين[7]–رحمهم الله جميعاً–

الترجيح:

عند البحث في القرآن الكريم نجده عز وجل أورد كلمة (الأزواج) بالمعنيين ؛فقد قال تعالى: { وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا }[8]وهنا الأزواج بمعنى الذكر والأنثى

وقال عز وجل أيضا: {ٱحْشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزْوَٰجَهُمْ }[9]والمعنى :أي احشروا الظالمين ومن على شاكلتهم في الظلال

والآية التي معنا يجوز فيها المعنيان ؛" فالله عز وجل يمتن على عبادة بأنه خلقهم ذكورا وإناثا من جنس واحد ليسكن كل منهما إلى الآخر وتكون بينهما المودة والرحمة وتنشأ عنهما الذرية"[10]

ويجوز أيضاً أن يمتن الله على عباده بأنه خلقهم أصنافا وأشكالاً وألواناً

ولا تنافي بين القولين ،فأقول –والله أعلم– بالجمع بين القولين ؛لأنه إذا ورد قولان في الآية ولا تنافي بينهما وجب الجمع بينهما إذ لا دليل مخصص لأحدهما [11].

---

[1] /جامع البيان[٣٩٧/١٢]
[2] /المحرر الوجيز[١٩٣٨]
[3] /زاد المسير[٥/٩]
[4] /البحر المحيط[٤٠٣/٨]
[5] / الجواهر الحسان [٥٤٢/٥]
[6] /إرشاد العقل السليم[٣٥٥/٦]
[7] /تفسير جزء عم لابن عثيمين [٢١]
ابن عثيمين هو :أبو عبدالله ،محمد بن صالح بن محمد بن سليمان الوهيبي التميمي ،جده الرابع عثمان أطلق عليه عثيمين فاشتهر به ،ولد عام ١٣٤٧هـ بعنيزة ،كان عضوا في هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية،له مؤلفات كثيرة بلغت ١١٥ مؤلف ،منها : القول المفيد على كتاب التوحيد ،الشرح الممتع على زاد المستقنع ،و شرح رياض الصالحين ،توفي بجدة سنة ١٤٢١هـ
[8] /سورة الروم جزء من الاية ٢١
[9] /سورة الصافات آية ٢٢
[10] /تيسير الكريم الرحمن[٩٠٦]بتصرف
[11] /ينظر البرهان في علوم القرآن[١٦٦/٢-١٦٧] وأيضا: اختلاف المفسرين أسبابه وضوابطه[١٤]

المسألة الثامنة:

في معنى قوله تعالى: {وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتاً ﴿٩﴾}

قال ابن جزي–رحمه الله –: "أي راحة لكم ،وقيل معناه: قطعا للأعمال والتصرف .والسبت: القطع ،وقيل :معناه موتا؛ لأن النوم هو الموت الأصغر، ومنه قوله تعالى: { اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا}[1]"[2]

ترجيح ابن جزي:

رجح ابن جزي –رحمه الله –أن معنى الآية :أن الله عز وجل يمتن على عباده بجعل النوم راحة لهم ،حيث قدم هذا القول على بقية الأقوال التي ذكرت بصيغة التمريض .

الدراسة:

اختلف المفسرون في معنى سباتا على عدة أقوال:

١–ما رجحه ابن جزي –رحمه الله–أن السبات معناه:راحة لكم،وقد وافقه في ترجيحه جمع من المفسرين منهم:الطبري حيث قال :"جعلنا نومكم لكم راحه ودعه ..... والسبات هو السكون"[3]،و الزجاج[4] ،و الواحدي[5] ،و البغوي[6] ،و ابن عطية [7] ،و ابن الجوزي[8] ،و أبو حيان[9] ،والثعالبي[10]،و ابن عادل[11] ،و القاسمي[12]،و حكى الشنقيطي الإجماع حيث

---

[1] /سورة الزمر جزء من الآية٤٢
[2] /التسهيل[٣٢٣/٤]
[3] /جامع البيان [٣٩٧/١٢]
[4] /معاني القرآن[٢٧٢/٥]
[5] /الوجيز[١١٦٦/٢]
[6] /معالم التنزيل[١٣٧٥]
[7] / المحرر الوجيز[١٩٣٩]
[8] /زاد المسير[٥/٩]
[9] /البحر المحيط[٤٠٣/٨]
أبو حيان هو : محمد بن يوسف بن علي بن يوسف الغرناطي الأندلسي ،أبو حيان ، من كبار العلماء بالعربية والتفسير والحديث ، صاحب البحر المحيط ،توفي سنة ٧٤٥هـ ...ينظر :طبقات الشافعية الكبرى [٢٧٦/٩] ،و بغية الوعاة [٢٨٠/١] شذرات الذهب [١٤٥/٦-١٤٧]
[10] /الجواهر الحسان[٥٤٢/٥]
[11] /اللباب في تفسير الكتاب[١٨٤/١٦]
[12] /محاسن التأويل[٣٠٨/٩]

قال: "أكثر المفسرين أن المراد بالسبات الراحة من تعب النهار..."[1]، وقال به الشربيني[2]،وابن الشربيني[2]،وابن السعدي[3]،والشيخ حبنكة الميداني[4]-رحمهم الله جميعاً-

٢-وقيل ان معنى السبات: قطعا للأعمال والتصرف، وقال به : ابن كثير[5]، و ابن عاشور[6]،و عاشور[6]،و سيد قطب[7]، ابن عثيمين[8]-رحمهم الله جميعاً-

٣-وقيل ان معنى سباتاً : موتا ؛ لأن النوم هو الموت الأصغر،وقال بهذا القول: الزمخشري[9] ،و أبو السعود[10]،و قال الآلوسي: "اختار المحققون كون السبات هنا بمعنى الموت ؛لأنه النسب بالمقام"[11]

٤- وقيل ان معناه نعاساً ،حكاه ابن أبي زمنين[12]

٥ - وقيل ان معناه :النوم الممتد الطويل السكون،حكاه القاسمي [13]

الترجيح :

الراجح -والله أعلم- هو ما رجحه ابن جزي-رحمة الله- وذلك لما يلي:

١-أن السبات في أصل اللغة بمعنى الراحة قال الرازي: "السبات النوم وأصله الراحة ومنه قوله تعالى : { وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا }[14]"[15]

وقال ابن فارس[16]: "(سبت) السين والباء والتاء أصل واحد يدل على راحة وسكون"[17]

---

[1] /أضواء البيان [٦٠/٦]
[2] / السراج المنير[٣٢٨/٤]
[3] /تيسير الكريم الرحمن[٩٠٦]
[4] /معارج التفكر ودقائق التدبر[١٦/١٥]
[5] /تفسير القرآن العظيم[٤١٨/٤]
[6] / التحرير والتنوير[٢٢/٣٠]
[7] /في ظلال القرآن[٣٨٠٥/٦]
[8] /تفسير جزء عم لابن عثيمين[٢١]
[9] /الكشاف[٦٨٥/٤]
[10] /ارشاد العقل السليم[٣٥٥/٦]
[11] /روح المعاني[٧/٣٠]
[12] /تفسير القرآن العزيز [٨٢/٥]
[13] /محاسن التأويل[٣٠٨/٩]
[14] /سورة النبأ آية ٩
[15] / مختار الصحاح [١١٩/١]
[16] /**ابن فارس**: هو أحمد بن فارس بن زكريا القزويني ، أبو الحسن الرازي ،إمام من أئمة اللغة والنحو و الأدب ،وكان فقيهاً شافعياً مفسراً،صاحب مصنفات كثيرة جليلة منها جامع التأويل في تفسير القرآن ،وكتاب المجمل و كتاب مقاييس اللغة وغيرها ،توفي سنة ٣٩٥هـ...ينظر: معجم الأدباء[٥٣٣/١-٥٤٥]طبقات المفسرين للداودي[٩٢-٩٣]
[17] /مقاييس اللغة [١٢٤/٣]

٢-إن هذا القول عليه أكثر المفسرين ،وقد حكى الشنقيطي الإجماع عليه حيث قال: "أكثر المفسرين أن المراد بالسبات الراحة من تعب النهار..."[١]

٣- أن الآية الكريمة في سياق امتنان الله عز وجل على عبادة ،فالأنسب أن يكون معنى السبات هو الراحة ،إذ لا وجه للامتنان بكون النوم موتا أو نعاساً أو طويلاً .

[١] /أضواء البيان [٦٠/٦]

المسألة التاسعة :

في معنى الوهاج في قوله تعالى: { وَجَعَلْنَا سِرَاجاً وَهَّاجاً ﴿١٣﴾}

قال ابن جزي–رحمه الله–: "يعني الشمس .والوهاج :الوقاد الشديد الإضاءة ،وقيل: الحار الذي يضطرم من شدة لهبه"[١]

ترجيح ابن جزي:

رجح ابن جزي–رحمه الله– أن معنى الوهاج :هو الوقاد الشديد الإضاءة ،حيث قدم هذا القول على القول الآخر ،وذكر ه بصيغة التمريض.

الدراسة:

اختلف المفسرون في معنى الوهاج على قولين:

– القول الأول :ما رجحه ابن جزي –رحمه الله –أن الوهاج هو :الوقاد الشديد الإضاءة،

وقد رجحه من الفسرين: الطبري[٢] ،و الزجاج[٣]،وابن أبي حاتم[٤]،و البغوي[٥]،و ابن الجوزي[٦]،و السمين الحلبي[٧]،و ابن كثير[٨]،وابن عادل[٩]،و القاسمي[١٠]–رحمهم الله جميعاً–

.

وقد روي هذا القول عن :ابن عباس و مجاهد و قتادة و سفيان–رضي الله عنهم جميعاً–

[١] /التسهيل[٣٢٤/٤]
[٢] /جامع البيان[٣٩٨/١٢]
[٣] /معاني القران وإعرابه [٢٧٢/٥]
[٤] /تفسير ابن أبي حاتم[٣٣٩٤/١٠]
[٥] /معالم التنزيل[٣٧٦]
[٦] /زاد المسير[٦/٩]
[٧] /الدر المصون[٦٥٠/١٠]
[٨] /تفسير القران العظيم[٤١٨/٤]
[٩] /اللباب في علوم الكتاب[١٨٤/١٦]
[١٠] محاسن التأويل[٣٠٩/٩]

القول الثاني : أن معنى الوهاج هو الحار الملتهب و رجحه من المفسرين: الواحدي[١]،و الزمخشري[٢]،و ابن عطية[٣]،والثعالبي[٤]،و أبو حيان[٥]،و أبو السعود[٦]،وابن السعدي[٧]،و ابن عثيمين[٨]،وحبنكة الميداني[٩]–رحمهم الله جميعاً–

الترجيح:

الراجح –والله أعلم– أن معنى الوهاج هو الحار المضطرم الإتقاد ؛و ذلك لما يلي:

١ – أنه الأصل اللغوي لمعنى الوهج ،قال ابن منظور:" وهج يوم وهج و وهجان شديد الحر..... ونجم وهاج وقاد وفي التنزيل : { وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا } قيل يعني الشمس"[١٠]

٢ – أن المعنى الأول هو معنى مجازي لكلمة الوهاج،وقال الزمخشري في أساس البلاغة:" ومن المجاز توهج الجوهر تلألأ"[١١]

والقول بالحقيقة في القرآن أولي من القول بالمجاز[١٢]

٣ – أن القول بالمعنى الثاني يناسب سياق الآية ؛ فقد أشار عز وجل بكون الشمس مضيئة في قوله{سراجا}ثم امتن بحرارتها بقوله {وهاجا} ،وإذا قنا بالقول الأول يلزم من ذلك تكرار المعنى بغير فائدة.

---

[١] /الوجيز [١١٦٦/٢]
[٢] /الكشاف[٦٨٦/٤]
[٣]/المحرر الوجيز [١٩٣٩]
[٤] /الجواهر الحسان[٥٤٢/٥]
[٥] /البحر المحيط[٤٠٣/٨]
[٦] /إرشاد العقل السليم[٣٥٦/٦]
[٧] تيسير الكريم الرحمن[٩٠٦]
[٨] /تفسير جزء عم [٢٢]
[٩] / معارج التفكر ودقائق التدبر[١٨/١٥]
[١٠] / لسان العرب [٤٠١/٢]
[١١] / أساس البلاغة [٦٩١/١]
[١٢] / ينظر قواعد الترجيح عند المفسرين للحربي[٣٨٧/٢]

المسألة العاشرة:

في معنى المعصرات في قوله تعالى: {وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجاً ﴿١٤﴾ }

قال ابن جزي –رحمه الله– :" ....و المعصرات هي السحاب وهو مأخوذ من العصر ؛لأن السحاب ينعصر فينزل منه الماء أو من العصرة بمعنى الإغاثة ومنه: { وَفِيهِ يَعْصِرُونَ}[1] ،وقيل هي السموات، وقيل الرياح .و الثجاج: السريع الاندفاع"[2]

ترجيح ابن جزي:

رجح ابن جزي –رحمه الله– أن المعصرات هي السحاب ؛حيث قدمه على بقية الأقوال وذكره بصيغة الجزم،وذكر القولين الآخرين بصيغة التمريض

الدراسة:

اختلف المفسرون في معنى المعصرات على عدة أقوال:

١–السحاب، وهو ما رجحه ابن جزي –رحمه الله –

وقد قال بهذا القول من السلف: الوالبي[3] عن ابن عباس ،وسفيان الثوري،والربيع بن أنس،والضحاك ،وأبو العالية[4] ،وعكرمة – رضي الله عنهم جميعاً– .[5]

و رجحه من المفسرين:الطبري[6]،والزجاج [7] ،و الواحدي[8] ،و الزمخشري[9]،

---

[1] /سورة يوسف[٤٩]

[2] /التسهيل[٣٢٤/٤]

[3] /**الوالبي** هو:أبو خالد الوالبي الكوفي اسمه هرمز ويقال هرم روى عن ابن عباس وأبي هريرة وغيرهم كثير ،قال أبو حاتم :صالح الحديث وعده ابن حبان في الثقات ،توفي سنة ١٠٠هـ.....ينظر: تهذيب التهذيب [٩٠/١٢] الثقات [٥١٤/٥]

[4] /**أبو العالية** هو : رفيع بن مهران بالتصغير أبو العالية الرياحي ،مشهور في التابعين له إدراك ،يقال إنه دخل على أبي بكر وصلى خلف عمر، ذكره الذهبي في طبقاته كان إماما في القرآن والتفسير والعلم والعمل ،وأخذ القراءة عرضا عن أبي وزيد بن ثابت وابن عباس،ثقة كثير الإرسال ،مات سنة تسعين....ينظر: الإصابة [٥١٤/٢] طبقات المفسرين للداودي [٩/١]،و تقريب التهذيب[٢١٠/١]

[5] / ينظر : جامع البيان[٣٩٨/١٢-٣٩٩]و معالم التنزيل[١٣٧٦]و المحرر الوجيز[١٩٣٩]وزاد المسير[٦/٩]

[6] /جامع البيان [٣٩٨/١٢-٣٩٩]

[7] /معاني القرآن و إعرابه[٢٧٢/٥]

[8] /الوجيز[١١٦٦/٢]

[9] /الكشاف[٦٨٦/٤]

و ابن عطية[1] ، و القرطبي[2]،و الثعالبي[3] ،و ابن كثير[4] ،و ابن عادل[5] ،و أبو السعود[6]، و القاسمي[7]،و ابن السعدي[8]،و ابن عثيمين[9]،و حبنكة الميداني[10]–رحمهم الله جميعاً–

٢–قيل أنها الرياح

روي هذا القول عن:ابن عباس من رواية العوفي[11] ،وعكرمة ومجاهد و قتادة و زيد بن أسلم و الكلبي . –رضي الله عنهم جميعاً–[12]

و رجحه ابن أبي زمنين[13]–رحمه الله–

٣–وقيل أنها السماء

روي هذا القول عن :الحسن ابن جبير والحسن ابن أبي الحسن و قتادة وزيد بن أسلم ومقاتل و أبي بن كعب[14]–رضي الله عنهم جميعاً–[15]

وقال ابن كثير–رحمه الله– بعد أن ذكر هذا القول :"وهذا قول غريب"[16]

---

[1] /المحرر الوجيز[١٩٣٩]

[2] /الجامع لأحكام القرآن[١٧٣/١٩]

القرطبي هو : محمد بن احمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي ،أبو عبدالله القرطبي،من كبار المفسرين ،صالح متعبد ، من كتبه :الجامع لأحكام القرآن والتذكرة بأحوال الموتى وأحوال الآخرة و التذكار في أفضل الأذكار،رحل إلى الشرق واستقر بمنية الخصيب بمصر وتوفي بها سنة ٦٧١هـ...ينظر:طبقات المفسرين للسيوطي[٩٢]نفح الطيب[٦٨٥/٢]طبقات المفسرين للداودي[٢٤٦/١-٢٤٧]

[3] /الجواهر الحسان[٥٤٢/٥]

[4] /تفسير القرآن العظيم[٤١٨/٤]

[5] /اللباب في تفسير الكتاب[١٨٤/١٦-١٨٥]

[6] /ارشاد العقل السليم[٣٥٦/٦]

[7] /محاسن التأويل[٣٠٩/٩]

[8] /تيسير الكريم الرحمن[٩٠٦]

[9] /تفسير جزء عم لابن عثيمين[٢٢]

[10] /معارج التفكر ودقائق التدبر[١٩/١٥]

[11] /**العوفي** هو : عطية بن سعد بن جنادة العوفي أبو الحسن الجدلي ،أخذ القرآن ومعانيه وروى عن ابن عباس وأبي هريرة ،وكانت وفاته سنة ١١١هـ...ينظر: طبقات المفسرين للداودي[١٣/١] لسان الميزان [٥١٥/٧]

[12] /ينظر : جامع البيان[٣٩٨/١٢-٣٩٩]و معالم التنزيل[١٣٧٦]و المحرر الوجيز[١٩٣٩]وزاد المسير[٦/٩]

[13] /تفسير القرآن العزيز[٨٣/٥]

[14] /**أبي بن كعب** هو: أبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار الأنصاري ،أبو المنذر وأبو الطفيل ،سيد القراء ،كان من أصحاب العقبة الثانية وشهد بدرا والمشاهد كلها قال له النبي صلى الله عليه وسلم :" ليهنك العلم أبا المنذر" وقال له:" إن الله أمرني أن أقرأ عليك "،وكان عمر يسميه: سيد المسلمين،اختلف في وفاته و الأصح أنه توفي في خلافة عمر....ينظر: الإصابة [٢٧/١]

[15] /ينظر:جامع البيان[٣٩٨/١٢-٣٩٩]ومعالم التنزيل[١٣٧٦]المحرر الوجيز[١٩٣٩]وزاد المسير[٦/٩]

[16] /تفسير القرآن العظيم[٤١٨/٤]

الترجيح:

الراجح –والله أعلم– ما رجحه ابن جزي–رحمه الله– أن معنى المعصرات السحاب حيث هو قول معظم المفسرين ،و حكى الاجماع العديد من المفسرين منهم:ابن عطية حيث

قال:"المعصرات هي السحاب القاطرة ،وهو مأخوذ من العصر ؛لأن السحاب ينعصر فيخرج منه الماء ،وهذا قول الجمهور"[1]

والقرطبي–رحمه الله– حيث قال:"وأصح الأقوال أن المعصرات السحاب ؛كذا المعروف أن الغيث منها"[2]

وقال الثعالبي –رحمه الله–:"المعصرات السحائب القاطرة.....وهذا قول الجمهور"[3]

والقول أيضا بهذا القول يجعل الحرف (من)على بابه بخلاف القول ان معنى المعصرات الرياح ،فتكون (من)–على هذا القول– بمعنى (الباء)،والحمل على ظاهر الآية أولى من القول بالتأويل في القرآن.[4]

[1] /المحرر الوجيز[١٩٣٩]
[2] /الجامع لأحكام القرآن[١٧٣/١٩]
[3] /الجواهر الحسان[٥٤٢/٥]
[4] /ينظر قواعد الترجيح عند المفسرين للحربي[٤٢١/٢]

المسألة الحادية عشر:

في معنى (مرصادا) في قوله تعالى: {إِن جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَاداً ﴿٢١﴾ }

قال ابن جزي –رحمه الله–: "(مرصادا) أي موضع المرصد. والرصد هو :الارتقاب والانتظار ،أي تنتظر الكفار ليدخلوها ،وقيل معناه :طريقا للمؤمنين يمرون عليه إلى الجنة؛ لأن الصراط منصوب على جهنم"[1]

ترجيح ابن جزي:

رجح ابن جزي –رحمه الله– أن (مرصادا) معناها: موضع الرصد ،والرصد هو: الارتقاب والانتظار ،فيكون المعنى: أن جهنم تنتظر الكفار ليدخلوها.

حيث قدم هذا القول على القول الآخر ،وذكر الآخر بصيغة التمريض.

الدراسة:

اختلف في تفسير الرصد على قولين:

القول الأول :مارجحه ابن جزي–رحمه الله–أن الرصد هو الارتقاب والانتظار.

و بنحو هذا القول كانت أراء السلف في تفسير الآية: الحسن ،و قتادة ،و سفيان–رضي الله عنه–[2]

ورجح جمهور المفسرين –فيما بين يدي من المراجع– هذا القول وهم: الطبري[3] ،و الزجاج[4]، و ابن أبي زمنين[5] ، و الواحدي[6]، و الزمخشري[7] ،و ابن عطية[8]،و ابن الجوزي[9]،و الثعالبي[10]

[1] /التسهيل [٣٢٥/٤]
[2] /ينظر:جامع البيان [٤٠٢/١٢-٤٠٣]
[3] /المرجع السابق
[4] /معاني القرآن واعرابه[٢٧٣/٥]
[5] /تفسير القران العزيز[٨٣/٥-٨٤]
[6] /الوجيز[١١٦٦/٢]
[7] /الكشاف[٦٨٨/٤]
[8] /المحرر الوجيز[١٩٤٠]
[9] /زاد المسير[٧/٩]

الثعالبي[1] ،و ابن كثير[2]،و الشربيني[3]،و أبو السعود[4]،و الشوكاني[5]،و الآلوسي[6]،و القاسمي[7]،و القاسمي[7]،و ابن السعدي[8]،و ابن عاشور[9]،و حبنكة الميداني[10]–رحمهم الله جميعا–

– القول الثاني في معنى الآية: أن النار طريق للمؤمنين يمرون عليها حتى يدخلوا الجنة،وقد رجح هذا القول: البغوي [11]

الترجيح:

الراجح –والله تعالى أجل وأعلم – القول الأول لأنه ترجيح أغلب المفسرين ،وهو المناسب لسياق الآيات ،فالآيات تتوعد المجرمين بالنار وتهددهم ،و لا مانع من الجمع بين المعنيين فالصراط الثابت شرعا منصوب على جهنم يمر عليه الكافر فتتلقفه النار بكلاليبها–أجارنا الله منها– ويمر عليها المؤمن فيجتازها إلى الجنة –جعلها الله مآلنا–

[1] /الجواهر الحسان[٥/٥٤٣]
[2] /تفسير القران العظيم[٤/٤١٩]
[3] /تفسير السراج المنير[٤/٥٣٠]
[4] /ارشاد العقل السليم[٦/٣٥٩]
[5] /فتح القدير[٥/٣٦٦]
[6] روح المعاني[٣٠/١٤]
[7] محاسن التأويل[٩/٣١٠]
[8] /تيسير الكريم الرحمن[٩٠٧]
[9] /التحرير والتنوير[٣٠/٣٤]
[10] /دقائق التفكر ومعارج التدبر[١٥/٢٣]
[11] /معالم التنزيل[١٣٧٦]

المسألة الثانية عشر:

في معنى (البرد)في قوله تعالى :{لا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْداً وَلاَ شَرَاباً ﴿٢٤﴾ }

قال ابن جزي –رحمه الله–: "أي لا يذوقون برودة تخفف عنهم حر النار ،وقيل: لا يذوقون ماء باردا ،وقيل: البرد هنا النوم .والأول أظهر"[١]

ترجيح ابن جزي:

رجح ابن جزي–رحمه الله– أن معنى (برداً): الهواء البارد الذي يخفف عنهم حر النار وذلك بقوله "الأول أظهر"

الدراسة:

اختلف المفسرون في معنى البرد في الآية،على ثلاثة أقوال :

القول الأول :أن البرد هو الهواء البارد،وهو ما رجحه ابن جزي –رحمه الله–

وقد وافق ابن جزي في ترجيحه : الطبري[٢]، الزمخشري[٣]، و قال ابن عطية :"قال جمهور الناس: البرد في هذه الآية مس الهواء البارد"[٤]،و أبو حيان[٥]،و قال الثعالبي:"قال الجمهور:البرد في الآية مس الهواء البارد"[٦]،و أبو السعود[٧]،و الآلوسي[٨]،و ابن السعدي[٩]،و ابن ابن عثيمين[١٠]– رحمهم الله جميعاً–

وقد نُقل هذا القول عن مقاتل[١١].

---

[١] /التسهيل [٣٢٥/٤]
[٢] /جامع البيان [٤٠٥/١٢-٤٠٦]
[٣] /الكشاف[٦٨٩/٤]
[٤] /المحرر الوجيز[١٩٤١]
[٥] /البحر المحيط[٤٠٥/٤]
[٦] /الجواهر الحسان [٥٤٣/٥]
[٧] /ارشاد العقل السليم[٣٦٠/٦]
[٨] /روح المعاني[١٥/٣٠]
[٩] /تيسير الكريم الرحمن[٩٠٧]
[١٠] /تفسير جزء عم لابن عثيمين[٢٥]
[١١] /ينظر: جامع البيان[٤٠٦/١٢]محاسن التأويل [١٣٧٧]

– القول الثاني: أن معنى (برداً): الماء البارد، رجحه من المفسرين: الواحدي[1]، و البغوي[2]، البغوي[2]، و ابن عادل[3] –رحمهم الله جميعاً–

وقد روي هذا القول عن جمع من السلف –رضوان الله عليهم–: ابن عباس ،و مجاهد ،و السدي[4].

– القول الثالث: أن معنى البرد النوم، رجح هذا القول من اللغويين: أبو عبيدة[5] ،و الكسائي[6] ،وأبو معاذ النحوي[7] [8]

ولم يرجحه أحد من المفسرين–فيما بين يدي من المراجع– وإنما ذكروه في معرض ذكر الأقوال.

الترجيح:

الراجح –والله أعلم– هو ما رجحه ابن جزي–رحمه الله–؛حيث هو الاستعمال اللغوي الحقيقي لكلمة البرد،وفي تفسير كلام الله تعالى يجب حمله على المعروف من كلام العرب [9]

وقال الطبري في رده القول الثالث–النوم–: "والنوم ان كان يرد غليل العطش فقيل له من أجل ذلك البرد ،فليس هو باسمه المعروف ،وتأويل كتاب الله على الأغلب من معروف كلام العرب دون غيره"[10]

---

[1] /الوجيز[١١٦٧/٢]
[2] /محاسن التأويل[١٣٧٧]
[3] /اللباب في علوم الكتاب[١٩١/١٦-١٩٢]
[4] /ينظر: زاد المسير[٨/٩]
[5] / **أبو عبيدة** هو : معمر بن المثنى التيمي أبو عبيدة النحوي البصري ،العلامة ،كان يميل إلى مذهب الخوارج ،له كتب كثيرة تقارب المائتين كتاب منها :كتاب مجاز القرآن وكتاب غريب القرآن ، و كتاب معاني القرآن وغيرها ،توفي سنة ٢١١هـ بالبصرة ....ينظر : طبقات المفسرين للداودي [٣٠/١-٣١] ، ومعجم الأدباء [٥٠٩/٥-٥١٤]
[6] / **الكسائي** هو: علي بن حمزة بن عبد الله بن قيس بن فيروز الأسدي مولاهم الكوفي الكسائي ، أحد أئمة القراءة والتجويد في بغدا ، أخذ عن الخليل بن أحمد وغيره ، واختار لنفسه قراءة حملت عنه وعرفت به ،و ثقه ابن حبان ،و له من الكتب :معاني القرآن و كتاب في النحو وغيرهما ، توفي سنة ٨٩ هـ على الأرجح .....ينظر : تهذيب التهذيب [٢٧٥/٧]الثقات [٤٥٧/٨-٤٥٨]معرفة القراء الكبار[١٢٠/١-١٢٨]
[7] /**أبو معاذ النحوي** هو : الفضل بن خالد المروزي ،مولى باهلة ،قال الأزهري :له كتاب في القرآن حسن ،عده ابن حبان في الثقات ،توفي سنة ٢١١هـ...ينظر:معجم الأدباء [٥٦٥/٤] ، والثقات [٥/٩]
[8] /ينظر : المحرر الوجيز[١٩٤١]
[9] /ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين[٣٦٩/٢]
[10] /جامع البيان[٤٠٦/١٢]

والقول الثاني –الماء البارد –يرده سياق الآية نفسها ؛حيث عطف على البرد الشراب ،والأولى التغاير بين المتعاطفين في كتاب الله [1] وكلام العرب عموما .

فيرجح –والله أعلم – أن معنى البرد في الآية : الهواء البارد الذي يخفف عنهم حر النار – أجارنا الله منها –

[1] /ينظر :قواعد الترجيح عند المفسرين للحربي [٤١٨/٢]

المسألة الثالثة عشر:

في معنى قوله تعالى: {وَكَأْساً دِهَاقاً ﴿٣٤﴾}

قال ابن جزي –رحمه الله–: " أي ملأى وقيل صافية والأول أشهر"[١]

ترجيح ابن جزي:

رجح ابن جزي–رحمه الله –أن معنى (دهاقا): الكأس المليء المترع، حيث قال إشارة إلى هذا القول: والأول أشهر.

الدراسة:

اختلف المفسرون في معنى الدهاق على ثلاثة أقوال:

القول الأول: ما رجح ابن جزي–رحمه الله –أن معنى (دهاقا): الكأس المليء المترع[٢]،وقد وافقه في ترجيحه جمهور المفسرين وهم: الطبري[٣]،و الزجاج[٤]،و ابن أبي حاتم[٥]،و ابن أبي زمنيين[٦]،و الواحدي[٧]،و البغوي[٨]،و الزمخشري[٩]،ووقال ابن عطية: "الدهاق: المترعه فيما قال الجمهور"[١٠]، و قال الفخر الرازي[١١]: "في الدهاق أقوال الأول وهو قول أكثر أهل اللغة كأبي

[١] /التسهيل[٣٢٦/٤]
[٢] /"المترع:أي مملوء ،و كوز ترع أي ممتليء"ينظر:لسان العرب [٣٢/٨]
[٣] /جامع البيان[٤١١/١٢-٤١٣]
[٤] /معاني القران واعرابه[٢٧٥/٥]
[٥] /تفسير ابن أبي حاتم[٣٣٩٦/١٠]
[٦] /تفسير القرآن العزيز[٨٥/٥]
[٧] /الوجيز [١١٦٧/٢]
[٨] /معالم التنزيل[١٣٧٧]
[٩] /الكشاف[٦٩٠/٤]
[١٠] /المحرر الوجيز[١٩٤١]
[١١] / **الفخر الرازي** هو : الإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين التميمي البكري الرازي ،كان إمام وقته في العلوم العقلية ،وأحد الأئمة في العلوم الشرعية ،صاحب التفسير الكبير والمؤلفات العديدة ،توفي سنة ٦٠٦هـ.....ينظر:البداية والنهاية [٥٥/١٣]، و طبقات الشافعية[٩٤/٨]

عبيدة والزجاج و الكسائي والمبرد[1] (دهاقا): أي ممتلئة"[2] ،و النسفي[3]، و قال أبو حيان: "قال حيان: "قال الجمهور مترعة"[4]،و السمين الحلبي[5]، وقال الثعالبي: "المترعة فيما قال الجمهور"[6]،و ابن عادل[7]،و الشربيني[8]،و أبو السعود[9]،و الشوكاني[10]،و الآلوسي[11]،و القاسمي[12]،و ابن السعدي[13]،و سيد قطب[14]،وابن عثيمين[15]، –رحمهم الله جميعاً–

ونقل هذا المعنى عن السلف –رضوان الله عليهم–: عن ابن عباس،وعلي ،و ابي هريرة،و الحسن ،و مجاهد،و قتادة ،و ابن زيد[16]–رحمهم الله جميعاً–

– القول الثاني في معنى الدهاق فهو: الصافية وقد روي هذا القول عن عكرمة[17]،وقد ذكره المفسرين من غير ان يرجحه احد منهم –فيما بين يدي من المراجع–

– القول ثالث في معنى الدهاق وهو: المتتابع ،وقد روي عن ابن عباس في رواية آخرى،و أبي هريرة،و مجاهد أيضاً،وسعيد بن جبير–رضي الله عنهم –[18]

---

[1] /**المبرد** هو : محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الأزدي البصري، أبو العباس المبرد، كان فصيحا بليغا وثقة وعارفا ،أخذ العربية عن الكسائي ،وله مؤلفات في الأدب و صنف في التفسير معاني القرآن ،و إعراب القرآن ،توفي سنة ٢٨٦هـ..... ينظر: طبقات المفسرين للداودي [٤١/١-٤٢]، و هدية العارفين أسماء المؤلفين و آثار المصنفين [٢٠/٦-٢١]

[2] /مفاتح الغيب[١٩/٣١]

[3] /تفسير النسفي[٣١٢/٤]

[4] /البحر المحيط[٤٠٧/٨]

[5] /الدر المصون[٦٦٢/١٠]

[6] /الجواهر الحسان[٥٤٤/٥]

[7] /اللباب في علوم الكتاب[١٩٦/١٦]

[8] /تفسير السراج المنير[٣٤٤/٤]

[9] /ارشاد العقل السليم[٣٦١/٦]

[10] /فتح القدير[٣٦٩/٥]

[11] /روح المعاني[١٨/٣٠]

[12] /محاسن التأويل[٣١٢/٩]

[13] /تيسير الكريم الرحمن[٩٠٧]

[14] /في ظلال القرآن[٣٨٠٨/٦]

[15] /تفسير جزء عم لابن عثيمين[٢٩]

[16] /ينظر : جامع البيان[٤١١/١٢-٤١٣]و زاد المسير[١٠/٩-١١]

ابن زيد هو : عبدالرحمن بن زيد بن أسلم العدوي مولاهم المدني ،ضعيف ،وكان يقلب الأخبار وهو لا يعلم حتى كثر ذلك في روايته ،توفي سنة ١٨٢هـ.....ينظر: تهذيب التهذيب [١٦١/٦] ، و المجروحين [٥٧/٢-٥٩]

[17] /ينظر جامع البيان[٤١٣/١٢]

عكرمة هو : عكرمة مولى ابن عباس كنيته أبو عبد الله يروى عن بن عباس وأبي سعيد الخدري وعائشة وأبي هريرة.، مكي تابعي ثقة وهو بريء مما يرميه الناس به من الحرورية،.أصله من البربر من أهل المغرب،توفي سنة ١٠٥هـ.....ينظر : الثقات [٢٢٩/٥] ،و معرفة الثقات [١٤٥/٢]،و طبقات الحفاظ [٤٤/١]

[18] /ينظر:جامع البيان[٤١٣/١٢]و زاد المسير[١١/٩] و مفاتح الغيب[١٩/٣١]

الترجيح:

الراجح –والله أعلم– هو ما رجحه ابن جزي الكلبي–رحمه الله– فهو ما عليه جمهور المفسرين ، وفيما سبق نقل الإجماع عن عدد من المفسرين.

ولأن المعنى الأول هو المعنى المشهور من لغة العرب ،قال ابن منظور: "كأس دهاق مترعة ممتلئة ،وفي التنزيل: {وكأسا دهاقا} قيل ملأى .....وقيل معنى قوله: {دهاقا} متتابعة على شاربيها ...والأول أعرف"[1]

وعند تفسير كتاب الله عز وجل يجب حمله على المعروف المشهور من كلام العرب دون الشاذ أو الضعيف[2]

[1] /لسان العرب [١٠٦/١٠]مادة دهق
[2] /قواعد الترجيح عند المفسرين للحربي[٣٦٩/٢]

المسألة الرابعة عشر:

في معنى قوله تعالى: {جَزَآء مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَاباً ﴿٣٦﴾}

قال ابن جزي –رحمة الله–: "أي كافيا من أحسب الشئ إذا كفاه ، وقيل: معناه على حسب أعمالهم"[1]

ترجيح ابن جزي:

رجح ابن جزي –رحمة الله–أن معنى حساباً: كافياً ،من أحسب الشيء إذا كفاه،حيث قدم هذا المعنى وذكر المعنى الآخر بصيغة التضعيف.

الدراسة:

اختلف المفسرون في معنى الآية على قولين :

القول الأول :ما رجحه ابن جزي :أن معنى حاسباً :كافياً

وقد وافقه أكثر المفسرين وهم:الزجاج[2]،الواحدي[3]،البغوي[4]،الزمخشري[5]،ونقل ابن عطية الإجماع حيث قال: "اختلف المتأولون في قوله {حساباً}فقال جمهور المفسرين واللغويين :معناه محسباً،أي كافياً من قولهم :أحسبني هذا الأمر أي كفاني،ومنه :حسبي الله"[6]،ابن الجوزي[7]،السمين الحلبي[8]،ابن كثير[9]،وحكى الثعالبي الإجماع حيث قال: "أي كافياً،قاله الجمهور"[10]،ابن عادل[11]،الخطيب الشربيني[1]،أبو السعود[2]،الآلوسي[3]، الشنقيطي[4]،ابن عثيمين[5]–رحمهم الله جميعاً–

---

[1] /التسهيل [٣٢٦/٤]
[2] /معاني القرآن وإعرابه[٢٧٥/٥]
[3] / الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[١١٦٧/٢]
[4] / معالم التنزيل[١٣٧٧]
[5] / الكشاف[٦٩٠/٤]
[6] / المحرر الوجيز[١٩٤٢]
[7] /زاد المسير[١١/٩]
[8] /الدر المصون[١٩٧/١٦]
[9] /تفسير القرآن العظيم[٤٢١/١٤]
[10] /الجواهر الحسان في تفسير القرآن[٥٤٤/٥]
[11] /اللباب في علوم الكتاب[١٩٧/١٦]

– القول الثاني : أن معنى حسابا :على حسب أعمالهم، رجحه من المفسرين:

الطبري[٦]،و ابن أبي زمنين[٧]،و ابن السعدي[٨] ،و حبنكة الميداني[٩] –رحمهم الله جميعاً.

وروي هذا القول عن مجاهد[١٠] –رحمه الله تعالى–

الترجيح:

الراجح –والله أعلم– القول الذي رجحه ابن جزي–رحمه الله – أن معنى حساباً: كافياً من أحسب الشيء إذا كفاه،وذلك للقرائن التالية:

١–أنه المعنى الذي يؤيده تصريف الكلمة و أصل اشتقاقها ؛حيث قال الرازي:"وشيء حساب أي كاف ومنه قوله تعالى : {عطاء حسابا}"[١١] و المعنى الذي يؤيده تصريف الكلمة وأصل اشتقاقها أولى بتفسير الآية من غيره[١٢].

٢–و هذا القول أيضاً عليه أغلب المفسرين وقد نص على ذلك ابن عطية كما سبق .

٣–القول الآخر ينافي الآيات القرآنية والأحاديث الصحيحة التي تدل على مضاعفة ثواب الأعمال أضعافاً كثيرة قال تعالى: { مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ }[١٣]

وقال تعالى أيضاً: { مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ }[١٤] والقرآن الكريم لا تعارض بين آياته و أخباره فهو من لدن حكيم خبير.

---

[١] /السراج المنير[٣٤٤/٤]
[٢] /إرشاد العقل السليم[٣٦١/١٦]
[٣] /روح المعاني[١٩/٣٠]
[٤] /أضواء البيان[١٥/٩]
[٥] /تفسير جزء عم [٣٠]
[٦] / جامع البيان[٤١٣/١٢-٤١٤]
[٧] / تفسير القرآن العزيز[٥/ ٨٥]
[٨] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان[٩٠٧]
[٩] / معارج التفكر و دقائق التدبر[١٥ / ٢٨]
[١٠] /ينظر:جامع البيان [٤١٣/١٢]
[١١] / مختار الصحاح [٥٧/١]مادة ح س ب
[١٢] / ينظر:قواعد الترجيح عند المفسرين للحربي [٥١١/٢]
[١٣] /البقرة الآية ٢٦١
[١٤] /الأنعام الآية ١٦٠

المسألة الخامسة عشر:

في المقصود بالمرء في قوله تعالى: {يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ }

قال ابن جزي –رحمه الله–: "المرء هنا عموم في المؤمن والكافر ،وقيل هو المؤمن، وقيل هو الكافر، ؛ والعموم أحسن لأن كل أحد يرى ما عمل لقوله تعالى: {فَمَن يَّعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ }"[1][2] }"[1][2]

ترجيح ابن جزي:

رجح ابن جزي –رحمه الله– أن المقصود بالمرء في الآية هو عموم البشر من مؤمن وكافر ؛وعبر عن ترجيحه بقوله: "والعموم أحسن"

وعلل ذلك بقوله: " لأن كل أحد يرى ما عمل لقوله تعالى: { فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ }"

الدراسة:

اختلف المفسرون في المقصود بالمرء في الآية ،على ثلاثة أقوال:

القول الأول : أن المقصود بالمرء في الآية هو عموم البشر من مؤمن وكافر، و هو ما رجحه ابن جزي –رحمه الله– وقد وافقه في ترجيحه : الواحدي[3]،و البغوي[4]،و ابن عطية [5]،و فخر الدين الرازي[6]،و البيضاوي[7]،و أبو حيان[8]،و الشربيني[9]،و الآلوسي[10]،و ابن عثيمين[11]–رحمهم رحمهم الله–

---

[1] / الزلزلة جزء من آية ٧
[2] / التسهيل [٣٢٧/٤]
[3] / الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[٢/ ١١٦٨]
[4] / معالم التنزيل[١٣٧٨]
[5] / المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[١٩٤٢]
[6] / مفاتح الغيب [٣١ /٢٤]
[7] / أنوار التنزيل وأسرار التأويل[٤٤٤/٥]
البيضاوي هو : عبد الله بن عمر بن محمد بن علي ،قاضي القضاة ،ناصر الدين، أبو الخير البيضاوي عالم أذربيجان وشيخ تلك الناحية، ولي قضاة شيراز، و كان إماما مبرزا نظارا خيرا صالحا متعبدا،له مؤلفات جليلة منها: المصباح في أصول الدين وتلخيص الكشاف في التفسير المسمى بأنوار التنزيل وأسرار التأويل وله شرح المصابيح في الحديث،توفي في تبريز سنة ٦٨٥هـ و قيل :٦٩١هـ .....ينظر: طبقات الشافعية [١٧٢/٢] طبقات المفسرين للداودي [٢٥٤/١]
[8] / البحر المحيط [٨/ ٤٠٧]
[9] / السراج المنير[٤/ ٢٣٤]
[10] / روح المعاني[٣٠ / ٢٢]
[11] / تفسير جزء عم [٣٢]

-القول الثاني: أن المقصود بالمرء في الآية المؤمن ،رجح هذا القول من المفسرين: الطبري[1] ،و ابن عادل[2]-رحمهم الله-

وقد روي هذا القول عن ابن عباس -رضي الله عنهما-[3]الحسن البصري[4] وقتادة[5]

-القول الثالث: أن المرء في الآية الكافر، روي عن عطاء[6] ،واختار هذا القول الزمخشري[7]-رحمه الله-

الترجيح:

الراجح -والله تعالى أعلم- ما رجحه ابن جزي- رحمه الله- أن المرء عام في المؤمن والكافر؛فكلاهما ينظر إلى ما قدم في الدنيا ويكون بين يديه حيث قال تعالى: { وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ }[8]

وقال الشيخ ابن عثيمين-رحمة الله-:"المرء :أي كل امرئ ينظر إلى ما قدمت يداه و يكون بين يديه ويعطى كتابه ويقال: { ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ }"[9]

[1] / جامع البيان[٤١٨/١٢]
[2] / اللباب في علوم الكتاب[٢٠/١٦]
[3] /ينظر:المحرر الوجيز[١٩٤٢]
[4] / ينظر : جامع البيان[١٢/ ٤١٨]
[5] /ينظر الكشاف[٦٩١/٤]
[6] / ينظر :المصدر السابق
[7] / المصدر السابق
[8] /الإسراء الآية ١٣-١٤
[9] /تفسير جزء عم [٣٢]

المسألة السادسة عشر:

في معنى قوله تعالى: {وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًا ﴿٤٠﴾}

قال ابن جزي–رحمه الله–: "تمنى أن يكون يوم القيامة ترابا فلا يحاسب ولا يجازى ،وقيل: تمنى أن يكون في الدنيا ترابا أي لم يخلق، وروى أن البهائم تحشر ليقتص لبعضهم من بعض ثم ترد ترابا فيتمنى الكافر أن يكون ترابا مثلها ،وهذا يقوى الأول ،وقيل :الكافر هنا إبليس يتمنى أن يكون خلق من تراب مثل آدم وذريته لما رأى ثوابهم وقد كان احتقر التراب في قوله : {خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ }[1]"[2]

ترجيح ابن جزي:

رجح ابن جزي –رحمه الله– أن معنى الآية :أن الكافر يتمنى يوم القيامة أن يصير تراباً مثل البهائم التي يحشرها الله عز وجل ليقتص لبعضهم البعض ثم ترد ترابا،حيث قدم هذا القول على بقية الأقوال ودلل عليه بحديث نبوي و قال بعده"وهذا يقوي الأول" ،وذكر بقية الأقوال بصيغة التمريض.

الدراسة:

في الآية قولان:

القول الأول: ما رجحه ابن جزي –رحمه الله–أن الكافر يتمنى يوم القيامة أن يصير تراباً مثل البهائم،

وقد رجح هذا القول من المفسرين: الطبري[3]،و الزجاج[4]،و الواحدي[1]،و حبنكة الميداني[2]–رحمهم رحمهم الله–

[1] /الأعراف جزء من الآية١٢
[2] / التسهيل [٣٢٧/٤]
[3] / جامع البيان[١٢/ ٤١٨]
[4] / معاني القرآن وإعرابه[٥/ ٢٧٥-٢٧٦]

القول الثاني: أن الكافر يتمنى أن يكون تراباً في الدنيا أي لم يخلق،و رجحه من المفسرين: البيضاوي[٣]،و النسفي[٤]،و ابن كثير[٥]،و القاسمي[٦]–رحمهم الله جميعاً–

الترجيح:

الراجح –والله أعلم–القول الأول الذي رجحه ابن جزي –رحمه الله– حيث استدل عليه بحديث نبوي[٧] ،وقد صح الأثر عن أبي هريرة –رضي الله عنه–(عن أبي هريرة–رضي الله عنه– في قوله عز وجل { أمم أمثالكم } قال: يحشر الخلق كلهم يوم القيامة البهائم والدواب والطير وكل شيء فيبلغ من عدل الله أن يأخذ للجماء من القرناء ثم يقول كوني ترابا فذلك يقول الكافر { يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا }) وحيث ان تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم[٨]إذا صح عنهم ؛فيكون الراجح–والله أعلم – هذا القول.

وقد أنكر الثعالبي–رحمه الله– بعث البهائم يوم القيامة ثم جعلها ترابا حيث قال:"واعلم رحمك الله أني لم أقف على حديث صحيح في عودها تراباً،وقد نقل الشيخ أبو العباس القسطلاني عن الشيخ أبي الحكم بن أبي الرجال إنكار هذا القول ،وقال:ما نفث روح الحياة في شيء ففني بعد وجوده،وقد نقل الفخر هنا عن قوم بقاءها وأن هذه الحيوانات إذا انتهت مدة إعراضها جعل الله كل ما كان منها حسن الصورة ثواباً لأهل الجنة ،و ما كان قبيح

---

[١] / الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[٢/ ١١٦٨]
[٢] / معارج التفكر و دقائق التدبر[١٥ / ٣٣]
[٣] / أنوار التنزيل وأسرار التأويل[٤٤٤/٥]
[٤] / تفسير النسفي[٣١٣/٤]
[٥] / تفسير القران العظيم[٤/ ٤٢١]
[٦] / محاسن التأويل[٩/ ٣١٤]
[٧] / أصله في صحيح مسلم بلفظ :(لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء)و أخرجه الحاكم في المستدرك بلفظ:(عن أبي هريرة-رضي الله عنه- في قوله عز وجل { أمم أمثالكم } قال: يحشر الخلق كلهم يوم القيامة البهائم والدواب والطير وكل شيء فيبلغ من عدل الله أن يأخذ للجماء من القرناء ثم يقول كوني ترابا فذلك يقول { الكافر يا ليتني كنت ترابا })ثم قال :صحيح على شرطه ولم يخرجاه[٣٤٥/٢]وأخرجه ابن حبان في صحيحه بلفظ مسلم[٣٦٣/١٦]وأخرجه البيهقي [٩٣/٦]وقال الترمذي عنه:"حديث أبو هريرة حديث حسن صحيح"[٦١٤/٤]وقال الشيخ شعيب الأناؤوط:إسناده صحيح على شرط مسلم ،وصححه الألباني
[٨] / ينظر:قواعد الترجيح عند المفسرين للحربي[٢٧١/١]

الصورة عقاباً لأهل النار ،انتهى، والمعول عليه في هذا :النقل فإن صح فيه شيء عن النبي صلى الله عليه وسلم ،وجب اعتقاده وصير إليه ،وإلا فلا مدخل للعقل هنا،والله أعلم."[1]

وهذا يخالف الحديث السابق المروي عن أبي هريرة ،وتفسير الصحابي له حكم المرفوع في الأمور الغيبية إن كان لا يروي الإسرائيليات .

وقد سئل الإمام ابن تيمية [2]–رحمة الله– عن بعث البهائم يوم القيامة فأجاب:" وأما البهائم فجميعها يحشرها الله سبحانه كما دل عليه الكتاب والسنة قال تعالى: { وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ }[3] وقال تعالى: { وَإِذَا ٱلۡوُحُوشُ حُشِرَتۡ }[4]وقال تعالى: { وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٖۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمۡعِهِمۡ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٞ }[5] وحرف(إذا)إنما يكون لما يأتى لا محالة والأحاديث فى ذلك مشهورة فإن الله عز وجل يوم القيامة يحشر البهائم ويقتص لبعضها من بعض ثم يقول لها كونى ترابا فتصير ترابا فيقول الكافر حينئذ: { يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا }ومن قال أنها لا تحيا فهو مخطئ في ذلك أقبح خطأ بل هو ضال أو كافر والله أعلم"[6]

[1] / تفسير الثعالبي [٥٤٦/٥]
[2] / **ابن تيمية** هو : أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني ، شيخ الإسلام ، أبو العباس ،إمام مجدد ، و عالم نحرير برع في شتى الفنون والعلوم ، كان ذكياً،قوي الحفظ ، سريع الإدراك ، توفي سنة ٧٢٨هـ ...ينظر:تذكرة الحفاظ [١٩٢/٤] ،طبقات الحفاظ[٥١٦] ،شذرات الذهب [١٤٢/٨]
[3] /سورة الأنعام آية٣٨
[4] /سورة التكوير آية ٥
[5] /سورة الشورى آية ٢٩
[6] / توحيد الألوهية [٢٤٨/٤]

المسألة السابعة عشر:

في جواب القسم لمطلع سورة النازعات،قال تعالى :{ وَالنَّـٰزِعَـٰتِ غَرْقاً ۝١ وَالنَّـٰشِطَـٰتِ نَشْطاً ۝٢ وَالسَّـٰبِحَـٰتِ سَبْحاً ۝٣ فَالسَّـٰبِقَـٰتِ سَبْقاً ۝٤ فَالْمُدَبِّرَٰتِ أَمْراً ۝٥ }

قال ابن جزي –رحمه الله–:"جواب القسم محذوف وهو بعث الموتى بدلالة ما بعده عليه من ذكر القيامة وقيل الجواب { يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ۝٧ } على تقدير حذف لام التأكيد. وقيل هو: {إِن فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ۝٢٦} وهذا بعيد لبعده عن القسم ولأنه إشارة إلى قصة فرعون لا لمعنى القسم"[1]

ترجيح ابن جزي:

رجح ابن جزي–رحمة الله – أن جواب القسم في مطلع سورة النازعات محذوف تقديره :(بعث الموتى) بدلالة ما بعده عليه من ذكر القيامة،حيث قدمه على بقية الأقوال وذكره بصيغة الجزم ،بينما ذكر بقية الأقوال بصيغة التمريض.

الدراسة:

في جواب القسم لمطلع سورة النازعات ،ثلاثة أقوال:

القول الأول:أن جواب القسم محذوف تقديره:(بعث الموتى)،وهو ما رجحه ابن جزي–رحمه الله–،

وقد وافق ابن جزي في ترجيحه من سبقه من المفسرين: الطبري[2]،و الزجاج[3]،و ابن أبي زمنين[4]،و الواحدي[1]،و البغوي[2]،و الزمخشري[3]،و البيضاوي[4]،و النسفي[5]–رحمهم الله جميعاً–

[1] /التسهيل[٤/٣٢٩]
[2] / جامع البيان[١٢/ ٤٢٦]
[3] / معاني القرآن وإعرابه[٥/ ٢٧٨]
[4] / تفسير القرآن العزيز[٥/ ٨٨]

و وافقه بعده: أبو حيان[٦]،و السمين الحلبي[٧]،و الخطيب الشربيني[٨]،و أبو السعود[٩]،و الشوكاني[١٠]،و القاسمي[١١]–رحمهم الله جميعاً–

القول الثاني :جواب القسم قوله تعالى : {يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ ﴿٧﴾ }على تقدير حذف اللام

القول الثالث: جواب القسم قوله تعالى: {إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٢٦﴾ }

الترجيح:

الراجح –والله أعلم – ما رجحه ابن جزي –رحمة الله– أن جواب القسم محذوف يدل عليه السياق تقديره : (لتبعثن)فهو الذي عليه جمهور المفسرين .

قال ابن القيم رحمه الله:"وجواب القسم محذوف يدل عليه السياق وهو البعث المستلزم لصدق الرسول وثبوت القرآن أو أنه من القسم الذي أريد به التنبيه على الدلالة والعبرة بالمقسم به دون أن يراد به مقسما عليه بعينه وهذا القسم يتضمن الجواب المقسم عليه وإن لم يذكر لفظا ولعل هذا مراد من قال إنه محذوف للعلم به لكن هذا الوجه ألطف مسلكا فإن المقسم به إذا كان دالا على المقسم عليه مستلزما استغنى عن ذكره بذكره وهذا غير كونه محذوفا لدلالة ما بعده عليه فتأمله ولعل هذا قول من قال إنه إنما أقسم برب هذه الأشياء وحذف المضاف فإن معناه صحيح لكن على غير الوجه الذي قدروه فإن إقسامه سبحانه بهذه الأشياء لظهور دلالتها على ربوبيته ووحدانيته وعلمه وقدرته وحكمته فالاقسام بها في الحقيقة إقسام بربوبيته وصفات كماله فتأمله"[١٢]

[١] / الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[٢/ ١١٦٩]
[٢] / معالم التنزيل[١٣٧٩]
[٣] / الكشاف[٤/ ٣٧٣]
[٤] / أنوار التنزيل وأسرار التأويل[٤٤٦]
[٥] / تفسير النسفي[٣١٣]
[٦] / البحر المحيط [٩/ ٤١٢]
[٧] / الدر المصون في علوم الكتاب المكنون [١٠/ ٦٦٨-٦٦٩]
[٨] / السراج المنير[٤/ ٥٣٧]
[٩] / إرشاد العقل السليم[٦/ ٣٦٦]
[١٠] / فتح القدير[٥/ ٣٧٣]
[١١] / محاسن التأويل[٣١٦/٩]
[١٢] /ينظر التبيان في أقسام القرآن[٨٧/١]

المسألة الثامنة عشر:

في معنى قوله تعالى: {يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ۝٧}

قال ابن جزي–رحمه الله–:" قيل الراجفة النفخة الأولى في الصور والرادفة النفخة الثانية ،لأنها تتبعها ولذلك سماها رادفة من قولك: ردفت الشئ إذا تبعته ،وفي الحديث :"أن بينهما أربعين عاما " ،وقيل: الراجفة الموت والرادفة القيامة ، وقيل: الراجفة الأرض من قوله تعالى: {يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ }[1] والرادفة السماء ،لأنها تنشق يومئذ"[2]

ترجيح ابن جزي:

رجح ابن جزي–رحمه الله– أن الرجفة هي النفخة الأولى ،والرادفة هي النفخة الثانية، حيث ذكر هذا القول بصيغة الجزم دون القولين الآخرين وقدمه عليهما

الدراسة:

اختلف في معنى الراجفة والرادفة على عدة أقوال:

١– أن الراجفة هي النفخة الأولى ، و الرادفة هي النفخة الثانية

هو ما رجحه ابن جزي –رحمه الله–

وقد ورد هذا القول عن السلف –رضوان الله عليهم–:ابن عباس ،الحسن ،و قتادة ،و أحد القولين عن مجاهد،و روي عن الضحاك أيضاً[3]

وعليه جمهور المفسرين حيث رجحه : الطبري حيث قال:" يقول تعالى ذكره: يوم ترجف الأرض والجبال للنفخة الأولى تتبعها الرادفة تتبعها أخرى بعدها وهي النفخة الثانية التي ردفت الأولى لبعث يوم القيامة "[4]،و رجحه الزجاج[5]،و ابن أبي زمنين[6]، و البغوي[1]،و ابن الجوزي[2]،و النسفي[3]،و السمين الحلبي[4]،و ابن كثير[5]،و الخطيب

[1] /جزء من آية [١٣]سورة المزمل
[2] /التسهيل[٣٢٩/٤]
[3] / ينظر:جامع البيان[٤٢٤/١٢] و تفسير القران العظيم[٣٢٢/٤]
[4] / جامع البيان[١٢/ ٤٢٤]
[5] / معاني القرآن وإعرابه[٥/ ٢٧٨]
[6] / تفسير القرآن العزيز[٥/ ٨٨]

الخطيب الشربيني[٦]،و أبو السعود[٧]،و قال الشوكاني بعد أن حكى هذا القول:"كذا قال جمهور المفسرين" [٨]،و رجحه الآلوسي[٩]،و الشنقيطي[١٠]، ابن عثيمين[١١]، و حبنكة الميداني[١٢]–رحمهم الله جميعا–

وقد ثبت عن الرسول صلى الله عليه وسلم أن بين النفختين أربعين،فقد أخرج البخاري في صحيحة عن أبي هريرة رضي الله عنه:(ما بين النفختين أربعون . قال : أربعون يوما ؟ قال : أبيت ، قال : أربعون شهرا ؟ قال : أبيت ، قال : أربعون سنة ؟ قال : أبيت . قال : ثم ينزل الله من السماء ماء ، فينبتون كما ينبت البقل ، ليس من الإنسان شيء إلا يبلى ، إلا عظما واحدا وهو عجب الذنب ، ومنه يركب الخلق يوم القيامة)[١٣]

٢–قيل أن الراجفة الموت والرادفة القيامة.

٣– قيل الراجفة الأرض من قوله تعالى: {تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ }[١٤] ، والرادفة السماء من قوله تعالى: {إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ }[١٥]وقد روي هذا القول عن مجاهد [١٦]،وجمع البيضاوي –رحمه الله–بين هذا القول والقول الأول حيث قال : "الراجفة :الأجرام الساكنة التي تشتد حركتها حينئذ .....وهي النفخة الأولى"[١٧]

٤–قيل الراجفة القيامة ، والرادفة البعث.روي هذا القول عن عطاء[١٨]،وعزاه الماوردي[١٩] إلى ابن عباس–رضي الله عنهما–

٥– قيل أن الراجفة الزلزلة التي ترجف الأرض والجبال، والرادفة إذا دكتا –أي الأرض والجبال–دكة واحدة .عزاه الماوردي إلى مجاهد

٦–قيل أن الراجفة أشراط الساعة والرادفة قيامها،حكاه الماوردي [٢٠]

---

[١] / معالم التنزيل[١٣٧٩]
[٢] / زاد المسير في علم التفسير[١٨/٩]
[٣] / تفسير النسفي[٣١٣/٤]
[٤] / الدر المصون في علوم الكتاب المكنون [١٠/ ٦٦٨]
[٥] / تفسير القران العظيم[٤/ ٤٢٢]
[٦] / السراج المنير[٤/ ٣٤٧]
[٧] / إرشاد العقل السليم[٦/ ٣٦٦]
[٨] / فتح القدير[٥ / ٣٧٤]
[٩] / روح المعاني[٣٠ / ٢٦]
[١٠] / أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن [٢٥/٩]
[١١] / تفسير جزء عم لابن عثيمين [٣٦]
[١٢] / معارج التفكر و دقائق التدبر[١٥/ ٤٩]
[١٣] / صحيح البخاري [١٨٨١/٤]كتاب التفسير /باب {يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا}رقم الحديث:[٤٦٥١]
[١٤] /سورة المزمل جزء من الآية ١٣
[١٥] /مطلع سورة الإنشقاق
[١٦] /ينظر :جامع البيان[٤٢٥/١٢]
[١٧] / أنوار التنزيل وأسرار التأويل[٤٤٦/٥]
[١٨] / ينظر :معالم التنزيل [١٣٧٩]
[١٩] /ينظر : النكت والعيون[١٩٤/٦]
الماوردي هو: علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي ،أبو الحسن الماوردي ،من العلماء الباحثين ،و من أصحاب التصانيف الكثيرة النافعة التي منها : النكت والعيون و أدب الدنيا والدين وغيرهما ،وكان يميل إلى الإعتزال ،توفي ببغداد سنة ٤٥٠هـ ...ينظر :وفيات الأعيان[٣٢٦/١]طبقات الشافعية الكبرى[٢٦٧/٥]
[٢٠] /ينظر القولين ٥-٦ في :المرجع السابق

٧- قيل الراجفة اضطراب الأرض وتحركها حركة شديدة ، والرادفة البعث يأتي بعد الزلزلة، اختار هذا القول الواحدي[١]

٨-قيل الراجفة الأرض والرادفة الساعة ،روي عن ابن زيد[٢]-رحمه الله-

الترجيح:

الراجح -والله أعلم- ما رجحه ابن جزي -رحمة الله- :أن الراجفة هي النفخة الأولى في الصور و التي تميت جميع الخلائق ،والرادفة هي النفخة الثانية التي تحي الموتى

وأقوال المفسرين لا تتعارض مع هذا القول فمن قال إن الراجفة هي رجفة الأرض ، فإنما يكون ذلك بسبب النفخة الأولى ،وكذا من قال إنها الموت؛فبالنفخة الأولى يكون الموت ،ومن قال أن الرادفة هي الساعة ،فقوله أيضاً غير مخالف لترجيح ابن جزي -رحمة الله- ؛فلا تقوم الساعة إلا بالنفخة الثانية .[٣]

والقول بهذا القول يتفق مع كثير من آيات القرآن الكريم منها قوله تعالى: {وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ ٦٨} [٤] والقول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على غيره[٥]،وهو ما عليه جمهور المفسرين أيضاً.والله تعالى أجل وأعلم.

[١] / الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[١١٦٩/٢-١١٧٠]
[٢] /ينظر :جامع البيان[٤٢٥/١٢]
[٣] /ينظر: تفسير جزء عم لمساعد الطيار[٢٥]
[٤] /سورة الزمر [آية ٦٨]
[٥] /ينظر:قواعد الترجيح عند المفسرين للحربي [٣١٢/١]

المسالة التاسعة عشر:

في معنى التزكية في قوله تعالى: {فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ }

قال ابن جزي –رحمة الله–: "أن تتطهر من الكفر والذنوب والعيوب والرذائل ،وقال بعضهم: تزكى تسلم،وقيل :لا إله إلا الله ،والأول أعم"[1]

ترجيح ابن جزي :

رجح ابن جزي –رحمه الله– أن معنى تزكى أي: يتطهر من الكفر والذنوب والعيوب والرذائل ؛و ذلك بقوله :"و الأول أعم"

الدراسة:

اختلف في معنى (تزكى)على ثلاثة أقوال:

١–أن معنى تزكى في الآية :تتطهر من الكفر والذنوب والعيوب والرذائل .

وهو ما رجحه ابن جزي –رحمه الله–

ورجحه من المفسرين: الطبري حيث قال:" يقول – عز من قائل–: فقل له هل لك إلى أن تتطهر من دنس الكفر وتؤمن بربك"[2]،و رجحه ابن عطية [3]،و فخر الدين الرازي[4]،و أبو حيان[5]،و الثعالبي[6]،و الخطيب الشربيني[7]، و أبو أبو السعود[8]،و سيد قطب[9]، و حبنكة الميداني[10] –رحمهم الله جميعاً–

٢–القول الثاني: أن معنى تزكى في الآية :تسلم.

ورجحه من المفسرين: ابن أبي زمنين[11]،و الواحدي[12]،و الزمخشري[1]،و ابن الجوزي[2]،و النسفي[3]،و ابن كثير[4]،و ابن عادل[5]،و الشوكاني[6]،و ابن عثيمين[7]–رحمهم الله جميعاً–

---

[1] /التسهيل [٣٣١/٤]
[2] / جامع البيان[١٢/ ٤٣٢]
[3] / المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[١٩٤٥]
[4] / مفاتح الغيب [٣١ / ٣٧١]
[5] / البحر المحيط [٤١٣/٩]
[6] / الجواهر الحسان في تفسير القرآن[٥/ ٥٤٩]
[7] / السراج المنير[٤/ ٥٤٠]
[8] / إرشاد العقل السليم[٣٦٨/٦]
[9] / في ظلال القرآن[٦/ ٣٨١٤]
[10] / معارج التفكر و دقائق التدبر[١٥ /٥٣]
[11] / تفسير القرآن العزيز[٥/ ٩٠]
[12] / الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[٢/ ١١٧٠]

٣-القول الثالث :أن معنى تزكى : قول لا إله إلا الله .

وروي عن ابن عباس -رضي الله عنهما-[٨].

الترجيح:

الراجح -والله أعلم- ما رجحه ابن جزي -رحمه الله - أن موسى عليه السلام خاطب فرعون قائلاً:هل لك أن تتطهر من الكفر والذنوب والنقائص والعيوب ،حيث هذا القول يعم بقية الأقوال ،والأولى حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص[٩].

[١] / الكشاف[٤/٦٩٥]
[٢] / زاد المسير في علم التفسير[٩/ ٢٠]
[٣] / تفسير النسفي[٣١٤]
[٤] / تفسير القران العظيم[٤/ ٤٢٣]
[٥] / اللباب في علوم الكتاب[١٦/ ٢١١]
[٦] / فتح القدير[٥/ ٣٧٦]
[٧] / تفسير جزء عم [٣٨]
[٨] /ينظر:جامع البيان[٤٣٢/١٢]ومعالم التنزيل[١٣٨٠]
[٩] / ينظر:قواعد الترجيح عند المفسرين للحربي [٥٢٧/٢]

المسألة العشرون:

في معنى قوله تعالى :{فَأَرَىٰهُ ٱلْآيَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ }

قال ابن جزي–رحمه الله– :"(الآية الكبرى) قلب العصا حية وإخراج اليد بيضاء ،وجعلهما واحدة ؛لأن الثانية تتبع الأولى، ويحتمل أن يريد الأولى وحدها."[1]

ترجيح ابن جزي:

رجح ابن جزي–رحمه الله–أن الآية الكبرى هي قلب العصا حية وإخراج اليد البيضاء ،حيث قدمه على القول الآخر ،وذكر القول الثاني بصيغة التمريض.

الدراسة:

اختلف السلف والخلف في الآية الكبرى التي أراها موسى عليه السلام لفرعون على عدة أقوال:

١–العصا واليد ،وعبر عنها الله عز وجل بأنها آية واحدة ؛لأن آية اليد تتبع آية العصا .

وقد قال تعالى: { فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾ }[2]

وقد رجح هذا القول ابن جزي–رحمه الله–

وقد قال بهذا القول من السلف :الحسن البصري ومجاهد وقتادة وابن زيد[3]–رحمهم الله–

واختاره من المفسرين : الطبري[4]،و البغوي[5]،و ابن عطية [6]،وقال عنه ابن الجوزي:"قاله جمهور المفسرين"[7]،و اختاره الثعالبي[8]،و ابن عثيمين[9]–رحمهم الله جميعاً–.

٢–أن الآية الكبرى هي :اليد البيضاء تبرق كالشمس .

---

[1] / التسهيل [٣٣١/٤]
[2] / سورة الشعراء[آية ٣٢-٣٣]
[3] / ينظر: جامع البيان[٤٣٢/١٢-٤٣٤]
[4] / المرجع السابق
[5] / معالم التنزيل[١٣٨٠]
[6] / المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[١٩٤٥]
[7] / زاد المسير في علم التفسير[٢١/٩]
[8] / الجواهر الحسان في تفسير القرآن[٥/ ٥٤٩]
[9] / تفسير جزء عم [٣٩]

واختار هذا القول من المفسرين: الزجاج[١]،و ابن أبي زمنين[٢]،و الواحدي[٣]–رحمهم الله–.

٣– أن الآية الكبرى هي :العصا

واختار هذا القول : الخطيب الشربيني[٤]،و حبنكة الميداني[٥]–رحمهما الله–.

وقال ابن عادل معللاً اختيار العصا على اليد:" لأنَّه ليس في اليد إلا انقلاب لونها ، وهذا كان حاصلاً في العصا؛ لأنَّها لمَّا انقلبت حيّة ، فلا بد وأن يتغيَّر اللون الأول ، فإذاً كل ما في اليد ، فهو حاصل في العصا ، وأمور أخر ، وهي الحياة في الجرم الجمادي ، وتزايد الأجر إليه ، وحصول القدرةِ الكبيرة والقُوَّة الشديدة ، وابتلاعها أشياء كثيرة ، وزوال الحياة ، والقدرة عليها ، وبقاء تلك الأجزاء التي عظمت ، وزوال ذلك اللون والشكل اللذين صارت العصا بهما حيَّة ، وكلٌّ واحدٍ من هذه الوجوه كان معجزاً مستقلاً في نفسه ، فعلمنا أن الآية الكبرى هي العصا "[٦].

٤–جميع المعجزات التي أعطاها المولى عز وجل لموسى عليه السلام ،فالمقصود هو جنس الآية الكبرى ،لا أنها آية واحدة .

واختار هذا القول : ابن كثير[٧]–رحمه الله–، و ابن السعدي حيث قال:"أي جنس الآية الكبرى فلا ينافي تعددها"[٨]

٥–أن الآية الكبرى هي:فلق البحر،حكاه ابن عادل[٩].

الترجيح:

الراجح –والله أعلم– ما رجحه ابن جزي –رحمه الله–أن المراد بالآية الكبرى هي العصا التي تنقلب ثعباناً وَ اليد التي تبرق كالشمس ؛وذلك لما يلي:

١– أن هذا القول اختاره السلف –رضوان الله عليهم–،وتفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم[١٠].

٢–أن عليه أغلب المفسرين.

---

[١] / معاني القرآن وإعرابه[٥/ ٢٨٠]
[٢] / تفسير القرآن العزيز[٥/ ٩٠]
[٣] / الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[٢/ ١١٧٠]
[٤] / السراج المنير[٤/ ٥٤١]
[٥] / معارج التفكر و دقائق التدبر[١٥ / ٥٤]
[٦] /اللباب في علوم الكتاب[٢١٢/١٦]
[٧] / تفسير القران العظيم[٤/ ٤٢٣-٤٢٤]
[٨] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان[٩٠٩]
[٩] / اللباب في علوم الكتاب[١٦/ ٢١٢]
[١٠] /ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين للحربي [٢٧١/١]

٣-بالتتبع الموضوعي لقصة موسى -عليه السلام -وفرعون نجد أن الله عز وجل قد بين الآية الكبرى التي أراها موسى -عليه السلام- لفرعون في سورة الأعراف ،حيث قال تعالى: { قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّـٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾ }[1]يتضح من خلال الآيات السابقة أن الآية البينة التي أراها موسى -عليه السلام -لفرعون هي العصا ثم اليد،والتفسير الذي يؤيده آيات قرآنية مقدم على غيره [2].

[1] /سورة الأعراف الآية ١٠٦-١٠٨
[2] /ينظر المرجع السابق[٣١٢/١]

المسألة الحادية والعشرون:

في معنى قوله تعالى: { ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ }

قال ابن جزي –رحمه الله–: "الإدبار كناية عن الإعراض عن الإيمان، ويسعى عبارة عن جده في الكفر وفي إبطال أمر موسى عليه السلام، وقيل: هو حقيقة أي قام من مجلسه يفر من مجالسة موسى أو يهرب من العصا لما صارت ثعبانا"[1]

ترجيح ابن جزي:

رجح ابن جزي–رحمة الله –أن السعي في الآية كناية عن جد فرعون في إبطال أمر موسى عليه السلام،حيث قدم هذا القول على القول الآخر ،وذكر القول الثاني بصيغة التمريض .

الدراسة:

في الآية قولان :

القول الأول :أن السعي في الآية كناية عن سعي فرعون في إبطال أمر موسى عليه السلام

وهو ما رجحه ابن جزي –رحمه الله –

وقد رجح هذا القول مجاهد–رحمه الله–

ورجحه من المفسرين: الطبري[2]،و الواحدي[3]،و البغوي[4]،و ابن عطية[5]،و ابن الجوزي[6]،و أبو حيان[7]،و ابن كثير[8]،و الثعالبي[9]،و الشوكاني[10]،و ابن السعدي[1]–رحمهم الله جميعا–

[1] /التسهيل [٤/ ٣٣٢]
[2] / جامع البيان[١٢/ ٤٣٣]
[3] / الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[٢/ ١١٧١]
[4] / معالم التنزيل[١٣٨١]
[5] / المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[١٩٤٥]
[6] / زاد المسير في علم التفسير[٩/ ٢١]
[7] / البحر المحيط [٩/ ٤١٤]
[8] / تفسير القران العظيم[٤/ ٤٢٤]
[9] / الجواهر الحسان في تفسير القرآن[٥/ ٥٤٩]
[10] / فتح القدير[٥ / ٣٧٦]

القول الثاني: ما رجحه ابن عثيمين[2] –رحمه الله –أن السعي في الآية على حقيقته أي أن فرعون قام من مجلسه فراراً من العصا، و وافقه حبنكة الميداني[3].

الترجيح:

الراجح –والله أعلم– القول الثاني ،أن السعي من فرعون على حقيقته ،حيث فر من العصا عندما أصبحت ثعباناً،وهذا القول وإن كان يخالف ما عليه أغلب المفسرين ،إلا أنه القول الراجح–في نظري– عملاً بالقاعدة الترجيحية: القول بالحقيقة في القرآن مقدم على القول بالمجاز[4]،و لا يوجد قرينة مانعة لحمل الآية على الحقيقة ،بل السياق يؤيد حمل معنى السعي على حقيقته ؛حيث قال تعالى: {فَأَرَىٰهُ ٱلْآيَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ }فبعد أن ألقى موسى عليه السلام العصا انقلبت ثعباناً ،فكذب فرعون بموسى ،وفر خوفاً من الثعبان،وعند تفسير القرآن الأولى إدخال الآية في معاني ما قبلها وما بعدها أولى من الخروج بها عنهما [5]

[1] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان[٩٠٩]
[2] / تفسير جزء عم [٤٠]
[3] / معارج التفكر و دقائق التدبر[١٥ / ٥٤]
[4] /ينظر :قواعد الترجيح للحربي[٣٨٧/٢]
[5] / ينظر:المرجع السابق[١٢٥/١]

المسألة الثانية والعشرون:

في معنى قوله تعالى: {فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ }

قال ابن جزي–رحمه الله –:"أي نادى قومه وقال لهم ما قال، ويحتمل أنه ناداهم بنفسه أو أمر من يناديهم، والأول أظهر، وروى أنه قام فيهم خطيبا فقال ما قال"[1]

الدراسة:

رجح ابن جزي–رحمه الله–أن فرعون نادى قومه بنفسه وقال لهم أنا ربكم الأعلى ،حيث قال:"الأول أظهر" وقد قال بهذا القول جمهور المفسرين: الطبري[2]،و الواحدي[3]،و البغوي[4]،و ابن عطية [5]،و ابن الجوزي[6]،و النسفي[7]،و ابن كثير[8]،و الثعالبي[9]،و الآلوسي[10]،و ابن السعدي[11]،و ابن عثيمين[12]–رحمهم الله جميعاً–.

الترجيح:

الراجح–والله أعلم– ما رجحه ابن جزي–رحمه الله– حيث أجمع عليه المفسرون –رحمهم الله– ولم أجد للمفسرين –فيما بين يدي من المراجع–قولاً آخر.

[1] /التسهيل [٣٣١/٤]
[2] / جامع البيان[١٢/ ٤٣٣]
[3] / الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[٢/ ١١٧١]
[4] / معالم التنزيل[١٣٨٩]
[5] / المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[١٩٤٥]
[6] / زاد المسير في علم التفسير[٩/ ٢١]
[7] / تفسير النسفي[٣١٥/٤]
[8] / تفسير القران العظيم[٤/ ٤٢٤]
[9] / الجواهر الحسان في تفسير القرآن[٥٤٩/٥]
[10] / روح المعاني[٣٠ / ٣٠]
[11] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان[٩٠٩]
[12] / تفسير جزء عم [٤١]

المسألة الثالثة والعشرون:

في معنى قوله تعالى :{فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلۡأٓخِرَةِ وَٱلۡأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ }

قال ابن جزي–رحمه الله–:"الآخرة هي دار الآخرة ،والأولى الدنيا ،فالمعنى: نكال الآخرة بالنار ونكال الأولى بالغرق ،وقيل :الآخرة قوله:{ أَنَا رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٢٤﴾ } والأولى قوله:{ مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي}[1] ،وقيل: بالعكس فالمعنى أخذه الله وعاقبه على كلمة الآخرة وكلمة الأولى"[2].

ترجيح ابن جزي:

رجح ابن جزي–رحمه الله –أن معنى الآية:أخذ الله عز وجل فرعون نكال الآخرة بالنار ونكال الأولى بالغرق ،فالآخرة هي الدار الآخرة ،والأولى هي الدنيا.

حيث قدم هذا القول على بقية الأقوال وذكره بصيغة الجزم ،فيما قدم بقية الأقوال بصيغة التمريض.

الدراسة:

وقد اختلف المفسرون في تحديد الأولى والآخرة في الآية:

١– ما رجحه ابن جزي–رحمه الله–:الآخرة هي الدار الآخرة ،والأولى الدنيا.

روي هذا القول عن الحسن وقتادة –رحمهما الله–[3]

واختار هذا القول من المفسرين: ابن أبي زمنين[4]،و الواحدي[5]،و قال ابن كثير:"و هذا هو الصحيح في معنى الآية أن المراد بقوله:{ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلۡأٓخِرَةِ وَٱلۡأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ }أي الدنيا والآخرة"[6]،و الثعالبي[7]،و أبو السعود[8]،و ابن السعدي[9]،و ابن عثيمين[1]–رحمهم الله جميعاً–

---

[1] /القصص جزء من الآية ٣٨
[2] /التسهيل [٣٣١]
[3] /ينظر : جامع البيان [٤٣٣/١٢-٤٣٥]
[4] / تفسير القرآن العزيز[٩٠/٥]
[5] / الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[٢/ ١١٧١]
[6] / تفسير القران العظيم[٤/ ٤٢٤]
[7] / الجواهر الحسان في تفسير القرآن[٥/ ٥٤٩]
[8] / إرشاد العقل السليم[٦/ ٣٧٠]
[9] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان[٩٠٩]

٢-الآخرة هي قول فرعون : { فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٢٤﴾ } والأولى قوله : {مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي }[٢] وقيل العكس.

روي هذا القول عن:ابن عباس ،ومجاهد ،و الشعبي ، و عكرمة،و عامر ،و الضحاك ،وابن زيد،و مقاتل-رحمهم الله جميعا و رضي عنهم-[٣]

واختار هذا القول من المفسرين: الطبري[٤]،و الزجاج[٥]،و البغوي[٦]،و الزمخشري[٧]،و الخطيب الشربيني[٨]-رحمهم الله جميعاً-

٣-الأولى : تكذيبه لموسى حين أراه الآية الكبرى،و الآخرة قوله : { فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٢٤﴾ }

روي عن أبي رزين-رحمه الله-[٩]،واختاره القاسمي[١٠]-رحمه الله-.

٤-أول عمله وآخره . روي عن :مجاهد والكلبي -رحمهما الله-[١١]

الترجيح:

الراجح -والله أعلم-القول الثاني ،أي أن الله عز و جل أخذ فرعون وعاقبة على كلمتيه التي قالهما،لأن المعنى اللغوي لكلمة النكال هو :العقوبة،حيث ورد في المعجم الوسيط:" النكال: العقاب أو النازلة وفي التنزيل العزيز : { فَجَعَلۡنَٰهَا نَكَٰلٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهَا وَمَا خَلۡفَهَا }[١٢]"[١٣]،وقال الطبري عند تفسيره الآية السابقة:" والنكال مصدر من قول القائل نكل فلان بفلان تنكيلا ونكالا وأصل النكال العقوبة"[١٤]

---

[١] / تفسير جزء عم [٤١]
[٢] /سورة القصص جزء من الآية ٣٨
[٣] / ينظر : جامع البيان[٤٣٣/١٢]تفسير القرآن العزيز[٩٠/٥]و النكت والعيون للماوردي[١٩٨/٦]و زاد المسير[٢١/٩-٢٢]
[٤] / جامع البيان[١٢/ ٤٣٣-٤٣٥]
[٥] / معاني القرآن وإعرابه[٥/ ٢٨٠]
[٦] / معالم التنزيل[١٣٨١]
[٧] / الكشاف[٤/ ٦٩٦]
[٨] / السراج المنير[٣٤٩/٤]
[٩] /ينظر : جامع البيان[٤٣٤/١٢]
أبو رزين هو : مسعود بن مالك الأسدي ،أسد خزيمة مولى أبي وائل الأسدي الكوفي ،ثقة ، حيث ذكره ابن حبان في الثقات .....ينظر: تهذيب الكمال [٤٧٨/٢٧-٤٧٩] الثقات[٤٤١/٥]
[١٠] / محاسن التأويل[٩/ ٣٢١]
[١١] / ينظر : جامع البيان [٤٣٥/١٢]
[١٢] /سورة البقرة/جزء من الآية ٦٦
[١٣] /المعجم الوسيط[٩٥٣/٢]مادة ن ك ل
[١٤] /جامع البيان[٣٣٤/١]

وإن كان كذلك فلا يستقيم المعنى بالقول الأول ،ويرد على هذا القول أيضاً أن السياق قدم الآخرة مع أن تعذيب فرعون مقدم فيه نكال الأولى وهي الدنيا.

أما المعنى الثالث والرابع فلا يتنافى مع المعنى الراجح ،ويمكن الجمع بينهما.

وقد اختلف في معنى الآية لأنها وصف لموصوف محذوف،فكل قدره بحسبه،والله تعالى أجل وأعلم .

المسألة الرابعة والعشرون:

في معنى السمك في قوله تعالى: {رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ }

قال ابن جزي–رحمه الله–: " السمك غِلْظ السماء وهو الارتفاع الذي بين سطح السماء الأسفل الذي يلينا وسطحها الأعلى الذي يلي ما فوقها ومعنى رفعه أنه جعله مسيرة خمسمائة عام وقيل السمك السقف"[1]

ترجيح ابن جزي:

رجح ابن جزي–رحمه الله–أن السمك هو غلظ السماء ،وهو الارتفاع الذي بين سطح السماء الأسفل وسطحها الأعلى؛ حيث قدم هذا القول على الآخر ،و ذكر الثاني بصيغة التمريض.

الدراسة:

في معنى السمك قولان:

القول الأول: أن السمك هو غلظ السماء ،وهو الارتفاع الذي بين سطح السماء الأسفل وسطحها الأعلى.

وهو ما رجحه ابن جزي –رحمه الله–

و اختار هذا القول من السلف: ابن عباس،وقتادة ، و مجاهد–رضي الله عنهم–[2]

واختار هذا القول من المفسرين: الطبري[3]،و الزمخشري[4]،و ابن عطية [5]،و ابن الجوزي[6]،و أبو حيان[7]،و السمين الحلبي[8]،و ابن كثير[9]،و الثعالبي[10]،و ابن عادل[11]،و الخطيب الشربيني[12]،و أبو السعود[13]،و الشوكاني[14]–رحمهم الله جميعاً–

---

[1] / التسهيل[٤/ ٣٣٢]
[2] /ينظر: جامع البيان [٤٣٦/١٢]
[3] / المرجع السابق
[4] / الكشاف[٦٩٧/٤]
[5] / المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[١٩٤٦]
[6] / زاد المسير في علم التفسير[٩/ ٢٢]
[7] / البحر المحيط [٩/ ٤١٤]
[8] / الدر المصون في علوم الكتاب المكنون [١٠/ ٦٧٨]
[9] / تفسير القران العظيم[٤/ ٤٢٤]
[10] / الجواهر الحسان في تفسير القرآن[٥/ ٥٤٩]
[11] / اللباب في علوم الكتاب[١٦/ ٢١٤]
[12] / السراج المنير[٤/ ٣٥٠]
[13] / إرشاد العقل السليم[٦/ ٣٧٠]
[14] / فتح القدير[٥ / ٣٧٨]

القول الثاني: أن السمك: السقف، واختار هذا القول من المفسرين: الواحدي[1]،و البغوي[2]،و فخر الدين الرازي[3]– رحمهم الله تعالى–

أما ارتفاع سقف السماء مسيرة خمسمائة عام فقد روي عن العَبَّاسِ بن عبد الْمُطَّلِبِ أنه قال:" كنا جُلُوساً مع رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِالْبَطْحَاءِ فَمَرَّتْ سَحَابَةٌ فقال رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم:(أَتَدْرُونَ ما هذا ؟قال :قُلْنَا السَّحَابُ. قال: وَالْمُزْنُ ؟قُلْنَا :وَالْمُزْنُ .قال: وَالْعَنَانُ؟ قال: فَسَكَتْنَا .فقال: هل تَدْرُونَ كَمْ بين السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ؟قال: قُلْنَا الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قال :بَيْنَهُمَا مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ وَمِنْ كل سَمَاءٍ إلى سَمَاءٍ مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ وكيف كل سَمَاءٍ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ.....الخ" [4]

الترجيح:

بالنظر في معنى السمك في كتب اللغة ،نجد أنها تأتي بالمعنيين (السقف ،و الارتفاع)وإن كان المعنى الأول هو الأصل والثاني محدث،قال أبو بكر الرازي:" س م ك سمك الله السماء رفعها وبابه نصر وسمك الشيء ارتفع وبابه دخل و سمك البيت بالفتح سقفه"[5].

و قد ورد في المعجم الوسيط:" السمك :السقف و القامة من كل شيء وفي (الرياضة)البعد الثالث بعد الطول و العرض و يعبر عنه بالارتفاع ،و السمك :سمك الشيء غلظه و ثخانته (محدثة)"[6]

وأيضاً الحديث النبوي السابق يثب أن بعد سقف السماء عن الأرض خمسمائة عام حيث قال صلى الله عليه وسلم: (بينهما مسيرة خمسمائة سنة)،وارتفاعها أيضاً خمسمائة عام حيث قال صلى الله عليه وسلم:(وكيف كل سماء خمسمائة سنة)

لذلك أقول –والله أعلم– أن الآية تحتمل المعنيين ولا تنافي بينهما .

---

[1] / الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[١١٧١/٢]
[2] / معالم التنزيل[١٣٨١]
[3] / مفاتح الغيب [٣١/ ٤٣]
[4] / أخرجه الإمام أحمد في مسنده"برقم ٨٨١٤" [٢٠٦/١]وقال الترمذي :حديث غريب من هذا الوجه"كتاب القراءات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم/باب ومن سورة الحديد"[٤٠٣/٥]وأخرجه الحاكم في المستدرك وقال:"هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وسكت عنه الذهبي[٤١٠/٢] وأخرجه البزار في مسنده[١٣٥/٤]واللفظ لأحمد،وقال الألباني:حديث ضعيف "ضعيف سنن الترمذي[٣٨٢]وقال أحمد شاكر:"إسناده ضعيف جداً"
[5] /مختار الصحاح[١٣٢/١]
[6] /المعجم الوسيط[٤٥٠/١]

المسألة الخامسة والعشرون:

في معنى تسوية السماء في قوله تعالى: {رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ }

قال ابن جزي–رحمه الله–: " أي أتقن خلقتها وقيل جعلها مستوية ليس فيها مرتفع ولا منخفض"[1]

ترجيح ابن جزي:

رجح ابن جزي–رحمه الله–أن معنى التسوية في الآية: الإتقان، أي أن الله عز وجل أتقن خلق السماء في أحسن صورة ،حيث قدم هذا القول على القول الثاني ،وذكر الثاني بصيغة التمريض.

الدراسة:

فسر أغلب المفسرين الآية :أنها بلا شقوق ولا فطور، وهو في معنى الإتقان، وهم: الواحدي[2]، و البغوي[3]، و الزمخشري[4]، و ابن الجوزي[5]، و النسفي[6]، و ابن كثير[7]، و ابن عادل[8]، و الشوكاني[9]، و الآلوسي[10]، و القاسمي[11]، وابن السعدي[12]، و ابن عثيمين[13]– عثيمين[13]–رحمهم الله جميعاً–

و رجح القول الثاني الطبري–رحمه الله –حيث قال: "فسوى السماء ،فلا شيء أرفع من شيء ولا شيء أخفض من شيء ،ولكن جميعها مستوي الارتفاع والامتداد"[14]

[1] /التسهيل[٣٣٢/٤]
[2] / الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[١١٧١/٢]
[3] / معالم التنزيل[١٣٨١]
[4] / الكشاف[٤/ ٦٩٧]
[5] / زاد المسير في علم التفسير[٢٢/٩]
[6] / تفسير النسفي[٣١٥]
[7] / تفسير القران العظيم[٤٢٤/٤]
[8] / اللباب في علوم الكتاب[١٦/ ٢١٤]
[9] / فتح القدير[٥/ ٣٧٨]
[10] / روح المعاني[٣٠ /٣١]
[11] / محاسن التأويل[٣٢٢/٩]
[12] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان[٩٠٩]
[13] / تفسير جزء عم [٤٢]
[14] / جامع البيان[١٢/ ٤٣٦]

الترجيح:

الراجح – والله أعلم–ما رجحه ابن جزي–رحمه الله– حيث هو المعنى المتضمن لجميع أقوال المفسرين،فكون السماء متقنة الصنع،يشمل ذلك أنها بلا شقوق ولا فطور ،و أنها متممة بما يتم به كمالها من كواكب وغير ذلك.

المسألة السادسة والعشرون:

في معنى قوله تعالى: {فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ }

قال ابن جزي–رحمه الله–: "هي القيامة وقيل النفخة الثانية"

ترجيح ابن جزي:

رجح ابن جزي –رحمه الله–أن الطامة هي اسم من أسماء يوم القيامة،حيث قدم هذا القول ،وذكر القول الثاني بصيغة التمريض.

الدراسة:

اختلف في معنى الطامة على ثلاثة أقوال:

١– أن الطامة اسم ليوم القيامة روي هذا القول عن:ابن عباس[١] –رضي الله عنهما– في إحدى القولين عنه،والضحاك[٢]–رحمه الله–

وهو ما رجحه ابن جزي –رحمه الله–واختار هذا القول من المفسرين: الواحدي[٣]،و ابن عطية [٤]،و ابن كثير[٥]،و الثعالبي[٦]،و الآلوسي[٧]،و القاسمي[٨]،وابن السعدي[٩]،و ابن عثيمين[١٠]–رحمهم الله جميعاً–

٢–– أن الطامة هي النفخة الثانية ،و قد روي أيضاً عن ابن عباس –رضي الله عنهما– ،و عن الحسن –رحمه الله–[١١]

واختار هذا القول من المفسرين: الزجاج[١]،و ابن أبي زمنين[٢]،و البغوي[٣]،و السمين الحلبي[٤]،و ابن عادل[٥]،و الخطيب الشربيني[٦]–رحمهم الله جميعاً–

---

[١] /ينظر:جامع البيان[١٢/٤٤٠]
[٢] /ينظر المحرر الوجيز[١٩٤٦]
[٣] / الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[٢/ ١١٧١]
[٤] / المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[١٩٤٦]
[٥] / تفسير القران العظيم[٤/ ٢٥]
[٦] / الجواهر الحسان في تفسير القرآن[٥/ ٥٥٠]
[٧] / روح المعاني[٣٠ /٣٥]
[٨] / محاسن التأويل[٣٢٣/٩]
[٩] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان[٩١٠]
[١٠] / تفسير جزء عم [٤٣]
[١١] /ينظر :المحرر الوجيز[١٩٤٦]

٣-أنها الساعة التي يساق فيها أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار،روي هذا القول عن القاسم بن وليد الهمداني[٧]،وهو في معنى قول مجاهد-رحمه الله -[٨]

الترجيح:

الراجح -والله أعلم-ما رجحه ابن جزي -رحمه الله - حيث أصبحت الطامة عَلَماً على يوم القيامة،قال الآلوسي -رحمه الله-:"وأنت تعلم أن الطامة الكبرى صارت كالعلم للقيامة "[٩]

ولا ينافي هذا أن تكون النفخة الثانية ،أو الساعة التي يساق فيها أهل النار إلى النار و أهل الجنة إلى الجنة فكل ذلك جزء من يوم القيامة الطويل -وقانا الله فتنه وعذابه-

[١] / معاني القرآن وإعرابه[٥/ ٢٨١]
[٢] / تفسير القرآن العزيز[٥/ ٩٢]
[٣] / معالم التنزيل[١٣٨١]
[٤] / الدر المصون في علوم الكتاب المكنون [١٠/ ٦٨١]
[٥] / اللباب في علوم الكتاب[١٦/ ٢١٧]
[٦] / السراج المنير[٤/ ٣٥٠]
[٧] /ينظر :النكت والعيون [٢٠٠/٦]
القاسم بن الوليد الهمداني :أبو عبد الرحمن الكوفي القاضي ،صدوق يغرب،قال بن معين ثقة وقال العجلي: ثقة وهو في عداد الشيوخ، وذكره بن حبان في الثقات وقال يخطئ ويخالف،مات سنة ١٤١هـ.....ينظر: تقريب التهذيب [٤٥٢/١] تهذيب التهذيب [٨/ ٣٠٥]الثقات [٣٣٨/٧]
[٨] /ينظر روح المعاني[٣٥/٣٠]
[٩] /ينظر:المرجع السابق

المسألة السابعة والعشرون:

في سبب مخاطبة الله عز و جل للنبي صلى الله عليه وسلم بلفظ الغائب في قوله تعالى: {عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١}

قال ابن جزي–رحمه الله–:"أي عبس في وجه الأعمى وأعرض عنه. قال ابن عطية: في مخاطبته بلفظ الغائب مبالغة في العتب؛ لأن في ذلك بعض الإعراض. وقال الزمخشري: في الإخبار بالغيبة زيادة في الإنكار .وقال غيرهما: هو إكرام للنبي وتنزيه له عن المخاطبة بالعتاب. وهذا أحسن"[1]

ترجيح ابن جزي:

رجح ابن جزي –رحمه الله–أن الله عز وجل خاطب نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بلفظ الغائب إكراما وتنزيهاً له –صلى الله عليه وسلم–عن مخاطبته بالعتاب؛ وذلك بقوله:"وهذا أحسن"إشارة إلى هذا القول.

الدراسة:

اختلف المفسرون في سبب خطاب الله عز وجل لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم بلفظ الغائب في مطلع سورة عبس،على ثلاثة أقوال:

١– ما رجحه ابن جزي–رحمه الله–أن الله عز وجل خاطب النبي صلى الله عليه وسلم بلفظ الغائب إكراماً وتنزيهاً له عن المخاطبة بالعتاب.

[1] / التسهيل [٣٣٥/٤]

وفي قول ابن جزي (قال غيرهما)يقصد به السهيلي [٢]-رحمه الله-حيث قال السهيلي :"و انظر كيف نزلت الآية بلفظ الإخبار عن الغائب فقال: { عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ } ولم يقل: عبست وتوليت،وهذا يشبه حال العاتب المُعْرِض.."[٣]

ورجح هذا القول: القرطبي[٤]،و أبو حيان[٥]،و الثعالبي[٦]،و ابن عادل[٧]،و الآلوسي[٨]،و القاسمي[٩]-رحمهم الله جميعاً-

٢-قال ابن عطية-رحمه الله-:"في مخاطبته صلى الله عليه وسلم بلفظ ذكر الغائب مبالغة في العتب"[١٠].

٣-قال الزمخشري-رحمه الله-:"أن في ذلك دليلاً على زيادة الإنكار"[١١]،و وافقه فخر الدين الرازي[١٢]،و أبو السعود[١٣]-رحمهما الله-

الترجيح:

الراجح -والله أعلم- ما رجحه ابن جزي -رحمه الله-أن الله عز و جل خاطب نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بلفظ الغائب تنزيهاً وتعظيماً له صلى الله عله وسلم عن المخاطبة بالعتاب .

حيث هذا القول هو الأليق والأجدر بمقام النبوة ، وما كان كذلك قدم على غيره من الأقوال[١٤].

---

[٢] /**السهيلي** هو : عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أبي الحسن أصبغ بن حسين بن سعدون الخثعمي السهيلي الأندلسي ،الإمام المشهور صاحب كتاب الروض الأنف في شرح سيرة سيد الخلق صلى الله عليه وسلم ،وله كتاب التعريف والإعلام فيما أبهم في القرآن من الأسماء الأعلام ،وغيرهما ،توفي سنة ٨٥٨هـ.....ينظر:الديباج المذهب [١/١٥٠-١٥١]، و طبقات المفسرين للداودي [١/٤٤٢]

[٣] /مخطوط كتاب التعريف والأعلام فيما أبهم في القرآن من معرفة الأسماء والأعلام للسهيلي [اللوح٦١/أ/ب]

[٤] / الجامع لأحكام القرآن[١٩/ ٢١٣]

[٥] / البحر المحيط [٩/ ٤١٩]

[٦] / الجواهر الحسان في تفسير القرآن[٥/ ٥٥٢]

[٧] / اللباب في علوم الكتاب[١٦/ ٢٢٢]

[٨] / روح المعاني[٣٠ / ٣٩]

[٩] / محاسن التأويل[٩/ ٣٢٥]

[١٠] /المحرر الوجيز [١٩٤٨]

[١١] / الكشاف[٤/ ٧٠٢]

[١٢] / مفاتح الغيب [٣١ / ٥١-٥٢]

[١٣] / إرشاد العقل السليم[٦/ ٣٧٧]

[١٤] / ينظر:قواعد الترجيح عند المفسرين للحربي[١/٣٢٨]

المسألة الثامنة والعشرون:

في عودة الضمير المتصل في قوله تعالى: { إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾}

قال ابن جزي –رحمه الله–:" فيه وجهان: أحدهما أن هذا الكلام المتقدم تذكرة أو موعظة للنبي صلى الله عليه وسلم،والآخر أن القرآن تذكرة لجميع الناس فلا ينبغي أن يؤثر فيه أحد على أحد، وهذا أرجح؛ لأنه يناسبه{ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾ }و ما بعده"[١٥]

ترجيح ابن جزي:

رجح ابن –جزي –رحمه الله–أن الضمير في قوله تعالى: {إنها} يعود على جميع القرآن ،فهو بمجموعه تذكرة لجميع الناس فلا ينبغي أن يؤثر فيه أحد على أحد .

حيث قال بعد أن ذكر هذا القول:"وهذا أرجح" ،وعلل ترجيحه بمناسبة السياق حيث قال:" لأنه يناسبه{ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ }و ما بعده".

الدراسة:

اختلف المفسرون في عودة الضمير المتصل (الهاء) في الآية على قولين:

القول الأول : أن الضمير في قوله تعالى: {إنها} يعود على جميع القرآن،وهو ما رجحه ابن جزي –رحمه الله–

وروي هذا القول عن مجاهد–رحمه الله–[١٦]

ورجح هذا القول: الطبري[١٧]،و ابن أبي زمنين[١٨]،و الواحدي[١٩]،و القرطبي[٢٠]،و النسفي[٢١]،و أبو حيان[٢٢]،و السمين الحلبي[٢٣]،و الخطيب الشربيني[٢٤]،و أبو السعود[٢٥]،و الشوكاني[٢٦]،و الآلوسي[٢٧]،و ابن عثيمين[٢٨]–رحمهم الله جميعاً–

[١٥] /التسهيل [٣٣٥/٤]
[١٦] /ينظر: معالم التنزيل[١٣٨٢]
[١٧] / جامع البيان[٤٤٥/١٢]
[١٨] / تفسير القرآن العزيز[٥/ ٩٥]
[١٩] / الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[١١٧٢/٢]
[٢٠] / الجامع لأحكام القرآن[١٩ / ٢١٥]

القول الثاني: أن العتاب المتقدم هو موعظة للنبي صلى الله عليه وسلم.

روي هذا القول عن :الكلبي ،و الفراء[٢٩]

ورجحه : الزجاج[٣٠]،و البغوي[٣١]،و الزمخشري[٣٢]،و القاسمي[٣٣]،و ابن السعدي[٣٤]–رحمهم الله جميعاً–

الترجيح:

الراجح –والله أعلم– ما رجحه ابن جزي –رحمه الله– أن الضمير في قوله{إنها}عائد على القرآن الكريم،فالقرآن الكريم تذكرة لجميع الناس فلا يؤثر به أحد على أحد؛حيث علل ترجيحه –رحمه الله–أنه يناسبه ما بعده من الآيات،وإدخال الآيات القرآنية في معاني ما قبله و ما بعده أولى من الخروج به عنهما [٣٥]

و مما يؤيد هذا القول : أن الآية التالية لهذه الآية{فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ }والضمير في { ذَكَرَهُۥ}عائد على القرآن في القول الراجح للعلماء،و توحيد مرجع الضمائر في السياق الواحد أولى من تفريقها[٣٦].

وأيضاً قال عز وجل بعد ذلك :{ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ﴿١٤﴾ }والمقصود أن القرآن محفوظ في اللوح المحفوظ كما سيأتي في المسألة التالية.

---

[٢١] / تفسير النسفي[٣١٧/٤]
[٢٢] / البحر المحيط[٤١٩/٨]
[٢٣] / الدر المصون في علوم الكتاب المكنون [١٠/ ٦٨٩]
[٢٤] / السراج المنير[٤/ ٢٥٣]
[٢٥] / إرشاد العقل السليم[٦/ ٣٧٨]
[٢٦] / فتح القدير[٥ / ٣٨٣]
[٢٧] / روح المعاني[٣٠ / ٤١]
[٢٨] / تفسير جزء عم [٥٢]
[٢٩] /ينظر: النكت والعيون[٢٠٣/٦]
الفراء هو : يحيى بن زياد بن عبد الله ابن منظور بن مروان الديلمي الأسدي ، مولاهم الكوفي، نزيل بغداد الفراء النحوي المشهور، صدوق ،له : معاني القرآن،و كتاب الوقف والإبتداء،و غيرهما مات سنة ٢٠٧هـ.....ينظر: تقريب التهذيب [٥٩٠/١]، ومعجم الأدباء[٦٢٠/٥-٦٢١]
[٣٠] / معاني القرآن وإعرابه[٥/ ٢٨٤]
[٣١] / معالم التنزيل[١٣٨٢]
[٣٢] / الكشاف[٤/ ٧٠٤]
[٣٣] / محاسن التأويل[٣٢٧/٩-٣٢٨]
[٣٤] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان[٩١١]
[٣٥] /ينظر:قواعد الترجيح عند المفسرين للحربي[١٢٥/١]
[٣٦] /ينظر:المرجع السابق[٦١٣/٢]

المسألة التاسعة والعشرون:

في معنى الصحف في قوله تعالى: {فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ }

قال ابن جزي –رحمه الله–:"(في صحف) صفة لتذكرة ؛أي ثابتة في صحف، وهي الصحف المنسوخة من اللوح المحفوظ، وقيل هي مصاحف المسلمين"[٣٧]

ترجيح ابن جزي:

رجح ابن جزي –رحمه الله–أن الصحف هي الصحف المنسوخة من اللوح المحفوظ،حيث قدم هذا القول ،وذكر القول الثاني بصيغة التمريض.

الدراسة:

اختلف المفسرون في معنى الصحف في الآية على ثلاثة أقوال:

القول الأول : أنها الصحف المنسوخة من اللوح المحفوظ، وهو ما رجحه ابن جزي –رحمه الله–

وقد روي هذا القول عن مجاهد–رحمه الله–[٣٨]

و رجح هذا القول أكثر المفسرين وهم: الطبري[٣٩]،و الزجاج[٤٠]،و ابن أبي زمنين[٤١]،و الواحدي[٤٢]،و البغوي[٤٣]،و الزمخشري[٤٤]، وابن عطية[٤٥]،و النسفي[٤٦]،و الثعالبي[٤٧]،و ابن عادل[٤٨]،و الخطيب الشربيني[٤٩]،و أبو السعود[٥٠]،و الشوكاني[٥١]،و الآلوسي[٥٢]–رحمهم الله جميعاً–

---

[٣٧] /التسهيل[٤/ ٣٣٦]
[٣٨] /ينظر: زاد المسير في علم التفسير[٩/ ٢٩]
[٣٩] / جامع البيان[١٢/ ٤٤٥]
[٤٠] / معاني القرآن وإعرابه[٥/ ٢٨٤]
[٤١] / تفسير القرآن العزيز[٥/ ٩٥]
[٤٢] / الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[١١٧٤/٢]
[٤٣] / معالم التنزيل[١٢٨٢]
[٤٤] / الكشاف[٧٠٣/٤]
[٤٥] / المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[١٩٤٨-١٩٤٩]
[٤٦] / تفسير النسفي[٣١٧/٤]
[٤٧] / الجواهر الحسان في تفسير القرآن[٥/ ٥٥٢]
[٤٨] / اللباب في علوم الكتاب[١٦/ ٢٢٦]
[٤٩] / السراج المنير[٤/ ٥٤٨]
[٥٠] / إرشاد العقل السليم[٦/ ٣٧٨]
[٥١] / فتح القدير[٥ /٣٨٣]

-القول الثاني: أنها مصاحف المسلمين، ورجح هذا القول من المفسرين: ابن كثير[٥٣]، و القاسمي[٥٤]. -رحمهما الله-

- القول الثالث: أنها صحف الأنبياء كقوله تعالى: { إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ }[٥٥] حكاه البغوي.[٥٦]

الترجيح:

الراجح -والله أعلم ما رجحه ابن جزي -رحمه الله – فهو ما عليه أغلب المفسرين، ويرجحه السياق السابق، حيث قال عز وجل: { كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾ فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ } أي فمن شاء ذكر القرآن الذي هو محفوظ مرفوع مستنسخ من اللوح المحفوظ.

ويرجحه أيضاً السياق اللاحق ،حيث قال عز من قائل: { فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾ }

وعلى القول الراجح -كما سيأتي في المسألة التالية-أن السفرة هم الملائكة ،و وإدخال الآيات القرآنية في معاني ما قبلها وما بعدها أولى من الخروج به عنهما[٥٧]

[٥٢] / روح المعاني[٣٠ / ٤٢]
[٥٣] / تفسير القرآن العظيم[٤٢٦/٤]
[٥٤] / محاسن التأويل[٩/ ٣٢٨]
[٥٥] / سورة الأعلى آية ١٨
[٥٦] / معالم التنزيل[١٢٨٢]
[٥٧] /ينظر:قواعد الترجيح عند المفسرين للحربي[١٢٥/١]

المسألة الثلاثون:

في المقصود بالسفرة في قوله تعالى: {بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ }

قال ابن جزي –رحمه الله–:"هي الملائكة والسفرة جمع سافر وهو الكاتب لأنهم يكتبون القرآن وقيل لأنهم سفراء بين الله وبين عبيدة وقيل يعني القراء من الناس والأول أرجح وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة)أي أنه يعمل مثل عملهم في كتابة القرآن وتلاوته ،أو له من الأجر على القرآن مثل أجورهم"[٥٨]

ترجيح ابن جزي:

رجح ابن جزي –رحمه الله–أن السفرة هم الملائكة الكرام،حيث قال بعد أن ذكر القول الثاني :"والأول أرجح"ودلل عليه بالحديث النبوي الصحيح .

الدراسة:

اختلف المفسرون في تعين السفرة على عدة أقوال:

القول الأول :أن السفرة هم الملائكة الكرام البررة، وهو ما رجحه ابن جزي–رحمه الله– وقد روي هذا القول عن:ابن عباس،ومجاهد ،و الضحاك ،و ابن زيد–رضوان الله عليهم–[٥٩] ورجحه جمهور المفسرين وهم: الطبري[٦٠]، و الزجاج[٦١]،و ابن أبي زمنين[٦٢]،و الواحدي[٦٣]،و البغوي[٦٤]،و ابن عطية [٦٥]،و نص ابن الجوزي[٦٦]على أنه قول الجمهور، ورجحه فخرالدين الرازي[٦٧]،

[٥٨] /التسهيل[٤/ ٣٣٦]
[٥٩] /ينظر:تفسير القرآن العظيم[٤/]
[٦٠] / جامع البيان[١٢/ ٤٤٥-٤٤٦]
[٦١] / معاني القرآن وإعرابه[٥/ ٢٨٤]
[٦٢] / تفسير القرآن العزيز[٥/ ٩٥]
[٦٣] / الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[١١٧٤/٢]
[٦٤] / معالم التنزيل[١٣٨٢]
[٦٥] / المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[١٩٤٨]
[٦٦] / زاد المسير في علم التفسير[٢٩/٩]
[٦٧] / مفاتح الغيب [٣١ / ٥٤]

النسفي[٦٨]،و أبو حيان[٦٩]،و ابن كثير[٧٠]،و الثعالبي[٧١]،و ابن عادل[٧٢]،و الخطيب الشربيني[٧٣]،و أبو السعود[٧٤]،و الآلوسي[٧٥]،و ابن السعدي[٧٦]،و ابن عثيمين[٧٧]–رحمهم الله جميعاً–

– القول الثاني: أنهم القراء من الناس ،و روي هذا القول عن قتادة –رحمه الله–[٧٨]

– القول الثالث: أنهم الصحابة رضوان الله عليهم ؛لأن بعضهم يسفر إلى بعض في الخير والتعليم والتعلم ،روي هذا القول عن وهب بن منبه–رحمه الله–[٧٩]

–القول الرابع: أنهم الأنبياء –صلوات الله عليهم– نقله أبو السعود[٨٠]،و هو قول بيّن الضعف.

الترجيح:

الراجح –والله اعلم– ما رجحه ابن جزي –رحمه الله– أن السفرة هم الملائكة ،و ذلك للقرائن التالية:

١–بدلالة الحديث الصحيح :عن عائشة –رضي الله عنها–عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (مَثَلُ الذِي يَقْرَأُ القُرْآنَ ،وهو حافِظٌ لَهُ،مَعَ السَّفَرَةِ الكِرَامِ ،وَ مَثَلُ الذِي يقرأُهُ وَهوَ يَتَعَاهَدُهُ وَهوَ عَلَيه شَدِيدٌ ،فَلَهُ أَجْرَانِ)[٨١]

و حيث إن هذا الحديث ثابت في الصحيحين ؛فالقول الذي يرجحه السنة النبوية مقدم على غيره.

---

[٦٨] / تفسير النسفي[٣١٧/٤]
[٦٩] / البحر المحيط [٨/ ٤٢٠]
[٧٠] / تفسير القران العظيم[٤/ ٤٢٦]
[٧١] / الجواهر الحسان في تفسير القرآن[٥/ ٥٥٢]
[٧٢] / اللباب في علوم الكتاب[١٦/ ٢٢٦-٢٢٧]
[٧٣] / السراج المنير[٤/ ٥٤٨]
[٧٤] / إرشاد العقل السليم[٦/ ٣٧٨]
[٧٥] / روح المعاني[٣٠ / ٤٢]
[٧٦] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان[٩١١]
[٧٧] / تفسير جزء عم [٥٣]
[٧٨] /ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[١٩٤٨]
[٧٩] /ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[١٩٤٨]
وهب بن منبه هو : وهب بن منبه بن كامل بن سيج بن سيحان م،ن أبناء فارس، كنيته أبو عبد الله ، يروى عن جابر بن عبد الله وابن عباس ،وكان عابدا فاضلا ،مات سنة ١١٤هـ ينظر: .....تقريب التهذيب [٥٨٥/١]معرفة الثقات [٣٤٥/٢] الثقات [٤٨٧/٥-٤٨٨]
[٨٠] / إرشاد العقل السليم[٦/ ٣٧٨]
[٨١] /أخرجه البخاري في صحيحه[كتاب التفسير-سورة عبس][١٠٣٦]ص١٠٣٦

٢-أنه رجحه جمهور المفسرين ونص على ذلك ابن الجوزي -رحمه الله-[٨٢]،و هو القول الذي اختاره البخاري[٨٣] -رحمه الله-

٣-السياق القرآني للآيات يؤيد هذا المعنى،فالكتب المستنسخة من اللوح المحفوظ بأيدي الملائكة ،لا بأيدي القراء أو الصحابه،وإدخال الكلام في معاني ما قبله ومابعده أولى من الخروج به عنهما[٨٤].

٤-قال أبو السعود -رحمه الله-في الرد على بقية الأقوال:" وحملهم على الأنبياء عليهم السلام بعيد فإن وظيفتهم التلقي من الوحي لا الكتب منه وإرشاد الأمة بالأمر والنهي وتعليم الشرائع والأحكام لا مجرد السفارة إليهم وكذا حملهم على القراء لقراءتهم الأسفار أو على أصحابه عليه الصلاة والسلام وقد قالوا هذه اللفظة مختصة بالملائكة لا تكاد تطلق على غيرهم وإن جاز الإطلاق بحسب اللغة"[٨٥]،وقال ابن العربي:" لقد كان أصحاب محمد كراماً بررة ولكن ليسوا بمرادين بهذه الآية ولا قاربوا المرادين بها بل هي لفظةٌ مخصوصة بالملائكة عند الإطلاق ولا يشاركهم فيها سواهم ولا يدخل معهم في متناولها غيرهم"[٨٦]

---

[٨٢] / زاد المسير في علم التفسير[٩/ ٢٩]

[٨٣] /ينظر:صحيح البخاري[١٠٣٦]ص ١٠٣٦

[٨٤] /ينظر:قواعد الترجيح عند المفسرين للحربي[١٢٥/١]

[٨٥] / إرشاد العقل السليم[٦/ ٣٧٨]

[٨٦] /أحكام القرآن لابن العربي[٣٦٣/٤]

ابن العربي هو : محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد الإمام أبو بكر ابن العربي المعافري الأندلسي، ولد سنة ٤٦٨هـ ،صنف أحكام القرآن وشرح الموطأ وعارضة الأحوذي بشرح الترمذي وغير ذلك،توفي سنة ٥٤٣هـ .....ينظر : طبقات المفسرين للداودي [١٨٠/١-١٨١] ، وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان [٢٩٦/٤-٢٩٧]

المسألة الحادية والثلاثين:

في سبب تسمية الملائكة بالسفرة في قوله تعالى: {بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ }

قال ابن جزي–رحمه الله–:" هي الملائكة ،والسفرة :جمع سافر وهو الكاتب ؛لأنهم يكتبون القرآن ،وقيل لأنهم سفراء بين الله وبين عبيدة"[٨٧]

ترجيح ابن جزي:

رجح ابن جزي–رحمه الله– أن سبب تسمية الملائكة بالسفرة ؛لأنهم يكتبون القرآن،حيث قدم هذا القول على القول الآخر ،وذكر الثاني بصيغة التمريض.

الدراسة:

اختلف المفسرون في معنى السفرة في الآية وسبب تسمية الملائكة بذلك،على قولين:

القول الأول :أن الملائكة يطلق عليهم سفرة ؛لأنهم كتبة يكتبون القرآن ،وهو ما رجحه ابن جزي –رحمه الله–

و روي هذا القول عن:ابن عباس،و مجاهد ،و مقاتل،وقتادة في أحد القولين عنه–رحمهم الله جميعاً–[٨٨]

ورجح هذا القول من المفسرين: الزجاج[٨٩]،و ابن أبي زمنين[٩٠]،و الواحدي[٩١]،و البغوي[٩٢]،و الزمخشري[٩٣]،و النسفي[٩٤]،و الخطيب الشربيني[٩٥]،و أبو السعود[٩٦]،و الآلوسي[٩٧]–رحمهم الله جميعاً–

---

[٨٧] /التسهيل[٤/ ٣٣٦]
[٨٨] /ينظر:جامع البيان [٤٤٦/١٢]،و مفاتح الغيب[٥٤/٣١]
[٨٩] / معاني القرآن وإعرابه[٥/ ٢٨٤]
[٩٠] / تفسير القرآن العزيز[٥/ ٩٥]
[٩١] / الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[٢/ ١١٧٤]
[٩٢] / معالم التنزيل[١٣٨٢-١٣٨٢]
[٩٣] / الكشاف[٧٠٣/٤]
[٩٤] / تفسير النسفي[٣١٧]
[٩٥] / السراج المنير[٤/ ٥٤٨]
[٩٦] / إرشاد العقل السليم[٦/ ٣٧٨]
[٩٧] / روح المعاني[٣٠ / ٤٢]

– القول الثاني: أن السفرة واحدها سفير ،وسفير القوم هو الذي يسعى بينهم بالصلح، رجح هذا القول من المفسرين: ابن كثير[٩٨]،و القاسمي[٩٩]،و ابن السعدي[١٠٠]–رحمهم الله –

– وجمع الطبري بين الأقوال فقال: " وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال :هم الملائكة الذين يسفرون بين الله ورسله بالوحي، وسفير القوم: الذي يسعى بينهم بالصلح، يقال: سفرت بين القوم إذا أصلحت بينهم، ومنه قول الشاعر:

وما أدَعُ السِّفارةَ بين قوْمي وما أَمْشي بغِشٍّ إنْ مَشَيْتُ[١٠١]

وإذا وجه التأويل إلى ما قلنا احتمل الوجه الذي قاله القائلون هم الكتبة، والذي قاله القائلون هم القراء ؛لأن الملائكة هي التي تقرأ الكتب وتسفر بين الله وبين رسله"[١٠٢]و وافق الطبري في جمعه بين القولين: فخرالدين الرازي[١٠٣]،و الشيخ ابن عثيمين[١٠٤]–رحمهما الله–

الترجيح:

الراجح –والله أعلم – ما رجحه الإمام الطبري–رحمه الله– ومن وافقه،بالقول بالجمع بين القولين ؛إذ لا تعارض بين المعنيين،فالملائكة يكتبون أعمال العباد ويكتبون غير ذلك فيوصفون بالكتبة،و أيضاً هم سفراء بين الله عز وجل وبين أنبياؤه ورسله ،و يصعدون بالأعمال والأرواح إلى الله عز وجل ؛ فيوصفون بالسفراء ،ولا تعارض بين الوصفين،وكلاهما يحتمله اللفظ لغوياً.

عملاً بالقاعدة الترجيحية: يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص[١٠٥]،ولا نص مخصص هنا.

[٩٨] / تفسير القران العظيم[٤/ ٤٢٦]
[٩٩] / محاسن التأويل[٩/ ٣٢٨]
[١٠٠] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان[٩١١]
[١٠١] /ينظر البيت :في البحر[٤١٧/٨]
[١٠٢] /جامع البيان[٤٤٦/١٢]
[١٠٣] / مفاتح الغيب [٣١ /٥٤]
[١٠٤] / تفسير جزء عم [٥٣]
[١٠٥] /ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين للحربي [٥٢٧/٢]

المسألة الثانية والثلاثون:

في معنى (قتل)في قوله تعالى: {قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ ﴿١٧﴾}

قال ابن جزي–رحمه الله–:"(قتل الإنسان)دعاء عليه ،على ما جرت به عادة العرب من الدعاء بهذا اللفظ ،ومعناه تقبيح حاله وأنه ممن يستحق أن يقال له ذلك، وقيل: معناه لعن ،وهذا بعيد "[١٠٦]

ترجيح ابن جزي:

رجح ابن جزي–رحمه الله –أن (قتل) في الآية :دعاء على الإنسان ،وهو على ما جرت به عادة العرب من الدعاء بهذا اللفظ .

حيث قدّم هذا القول ،وذكر الآخر بصيغة التمريض ،ثم رده بقوله:"وهذا بعيد"

الدراسة:

اختلف المفسرون في معنى القتل في الآية على قولين:

القول الأول : أنها دعاء عليه ،ومعناه ذم حاله و أنه ممن يستحق أن يقال له ذلك،وهو ما رجحه ابن جزي –رحمه الله–

و رجح هذا القول من المفسرين: الزمخشري[١٠٧]،و ابن عطية [١٠٨]،و فخرالدين الرازي[١٠٩]،و البيضاوي[١١٠]،و أبو حيان[١١١]،و الثعالبي[١١٢]،و أبو السعود[١١٣]،و الآلوسي[١١٤]،و القاسمي[١١٥]،و الشنقيطي[١١٦]،و ابن عثيمين[١١٧]–رحمهم الله جميعا–

[١٠٦] /التسهيل[٤/ ٣٣٦]
[١٠٧] / الكشاف[٤/ ٧٠٣]
[١٠٨] / المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[١٩٤٩]
[١٠٩] / مفاتح الغيب [٣١/ ٥٥]
[١١٠] / أنوار التنزيل وأسرار التأويل[٤٥٣/٥]
[١١١] / البحر المحيط [٨/ ٤٢٠]
[١١٢] / الجواهر الحسان في تفسير القرآن[٥/ ٥٥٣]
[١١٣] / إرشاد العقل السليم[٣٧٨/٦]

-القول الثاني :أن معنى(قتل) لعن ، رجح هذا القول من المفسرين: الطبري[١١٨]، ابن أبي زمنين[١١٩]،و الواحدي[١٢٠]،و البغوي[١٢١]،و ابن الجوزي[١٢٢]،و القرطبي[١٢٣]،و النسفي[١٢٤]،و ابن كثير[١٢٥]،و ابن عادل[١٢٦]،و الخطيب الشربيني[١٢٧]،و الشوكاني[١٢٨]-رحمهم الله جميعا-

الترجيح:

الراجح -والله أعلم-ما رجحه ابن جزي-رحمه الله-أن معنى قتل :دعاء على الكافر على حسب ما جرت عليه عادة العرب ؛لأن الدعاء بالقتل يشمل اللعن ، قال مساعد الطيار-حفظه الله-:" عبر المفسرون عن معنى "قتل" : لعن ، وهو تفسير بالمعنى ؛ لأن من دعاء عليه الله بالقتل ، فقد طرده من رحمته ، وهو معنى اللعن "[١٢٩]

أيضاً تخصيص (قتل) باللعن دون غيره لا دليل عليه،فالأولى أنها دعاء عليه عام على ما جرت عليه عادة العرب .[١٣٠]

[١١٤] / روح المعاني[٣٠ / ٤٣]
[١١٥] / محاسن التأويل[٣٢٨/٩]
[١١٦] / أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن [٩/ ٥٣]
[١١٧] / تفسير جزء عم [٥٤]
[١١٨] / جامع البيان[٤٤٦/١٢]
[١١٩] / تفسير القرآن العزيز[٩٥/٥]
[١٢٠] / الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[١١٧٤/٢]
[١٢١] / معالم التنزيل[١٣٨٣]
[١٢٢] / زاد المسير في علم التفسير[٩/ ٣٠]
[١٢٣] / الجامع لأحكام القرآن[١٩ / ٢١٧]
[١٢٤] / تفسير النسفي[٣١٧/٤]
[١٢٥] / تفسير القران العظيم[٤/ ٤٢٧]
[١٢٦] / اللباب في علوم الكتاب[٢٢٨/١٦]
[١٢٧] / السراج المنير[٥٤٩/٤]
[١٢٨] / فتح القدير[٥ /٣٨٤]
[١٢٩] /تفسير جزء عم لمساعد الطيار[٥٤]
[١٣٠] /ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين للحربي [٥٢٧/٢]

المسألة الثالثة والثلاثون:

في معنى (قدره)في قوله تعالى: {مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ }

قال ابن جزي –رحمه الله–: "(فقدره) أي هيأه لما يصلح له ومنه :{وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيراً}[١٣١] وقيل: معناه جعله على مقدار معلوم في إعطائه وأجله ورزقه وغير ذلك"[١٣٢]

ترجيح ابن جزي:

رجح ابن جزي–رحمه الله–أن معنى (قدره)في الآية:أن الله عز و جل هيأ الإنسان لما يصلح له،حيث قدّم هذا القول ،ودلل عليه بدليل من القرآن الكريم ،وذكر الآخر بصيغة التمريض.

الدراسة:

اختلف المفسرون في معنى الآية على عدة أقوال:

القول الأول:أن معنى (قدره)في الآية:أن الله عز و جل هيأ الإنسان لما يصلح له ،و مثيله قوله تعالى: { وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا } ،وهو ما رجحه ابن جزي–رحمه الله–

و رجح هذا القول من المفسرين: الزمخشري[١٣٣]،و البيضاوي[١٣٤]،و أبو حيان[١٣٥]،و الخطيب الشربيني[١٣٦]،و أبو السعود[١٣٧]،و الشوكاني[١٣٨]،و الآلوسي[١٣٩]،و القاسمي[١٤٠]–رحمهم الله جميعا–

[١٣١] /سورة الفرقان جزء من الآية ٢
[١٣٢] /التسهيل[٣٣٦/٤]
[١٣٣] / الكشاف[٧٠٣/٤]
[١٣٤] / أنوار التنزيل وأسرار التأويل[٤٥٣/٥]
[١٣٥] / البحر المحيط [٨/ ٤٢٠]
[١٣٦] / السراج المنير[٤/ ٥٥١]
[١٣٧] / إرشاد العقل السليم[٣٧٩/٦]
[١٣٨] / فتح القدير[٥ /٣٨٤]
[١٣٩] / روح المعاني[٣٠ /٤٤]
[١٤٠] / محاسن التأويل[٣٢٩/٩]

– القول الثاني :أن معناه جعله على مقدار معلوم في إعطائه و أجله ورزقه وغير ذلك، و رجح هذا القول من المفسرين: ابن عطية [١٤١]،و القرطبي[١٤٢]،و النسفي[١٤٣]،و ابن كثير[١٤٤]،و الثعالبي[١٤٥]– رحمهم الله جميعا–

ورجحه من السلف :الضحاك عن ابن عباس –رضي الله عنهما–[١٤٦]

–القول الثالث: أن معنى الآية:أي قدره على الإستواء كما قال عز وجل :{أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا }[١٤٧]،وهو ما رجحه الزجاج[١٤٨]–رحمه الله–

–القول الرابع: أن المعنى:قدر أطواره نطفه ثم علقة ثم خلقه في أحسن تقويم ،وهو و ماختاره ابن عادل[١٤٩] و وافقه ابن عثيمين[١٥٠]–رحمهما الله–

الترجيح:

الراجح –والله أعلم–ما رجحه ابن جزي–رحمه الله– ،فالله عز وجل خلق الانسان وقدره وهيأه لما يصلح له في الخلقة والرزق والأجل وغير ذلك،ويوافقه قوله تعالى: {وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا }وهو قول يجمع بقية الأقوال .

قال مصطفى العدوي–حفظه الله–:"المعنى –والله أعلم–:أن الله عز و جل خلق هذا الإنسان من نطفة ثم قدره،وفي قدره أقوال:أحدها:قدره نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم كُسيت العظام لحما ثم أنشئ خلقاً آخر،وقيل:قدره قدر يديه و رجليه و عينيه وسائر آرابه،وقيل:قدر أجله و رزقه وعمله وشقي أو سعيد.وكل هذا محتمل"[١٥١]

[١٤١] / المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[١٩٤٩]
[١٤٢] / الجامع لأحكام القرآن[١٩ / ٢١٨]
[١٤٣] / تفسير النسفي[٣١٧/٤]
[١٤٤] / تفسير القران العظيم[٤٢٧/٤]
[١٤٥] / الجواهر الحسان في تفسير القرآن[٥/ ٥٥٣]
[١٤٦] /ينظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي[٢١٨/١٩]
[١٤٧] /سورة الكهف جزء من الآية ٣٧
[١٤٨] / معاني القرآن وإعرابه[٢٧٥/٥]
[١٤٩] / اللباب في علوم الكتاب[٢٢٨/١٦]
[١٥٠] / تفسير جزء عم [٥٥-٥٦]
[١٥١] /التسهيل لتأويل التنزيل-تفسير جزء عم[٩٥/١]

المسألة الرابعة والثلاثون:

في معنى قوله تعالى: {ثُم ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾}

قال ابن جزي –رحمه الله–: " نصب السبيل بفعل مضمر فسره يسره . وفي معناه ثلاثة أقوال، أحدها :يسر سبيل خروجه من بطن أمه ،والآخر :أنه سبيل الخير والشر لقوله تعالى: {إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً ﴿٣﴾}[١٥٢]، الثالث: سبيل النظر السديد المؤدي إلى الإيمان، والأول أرجح ؛لعطفه على قوله تعالى: {مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ} وهو قول ابن عباس"[١٥٣]

ترجيح ابن جزي:

رجح ابن جزي–رحمه الله–أن معنى الآية: أن الله عز وجل يمتن على عباده بأنه يسر سبيل خروجهم من بطون أمهاتهم،حيث قال ابن جزي: "الأول أرجح"إشارة الى هذا القول ،وعلل ترجيحه بقوله: " لعطفه على قوله تعالى: { مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ } "أي أن هذا المعنى هو المناسب للسياق ،ثم عزز تعليله بأن هذا القول هو قول ابن عباس–رضي الله عنهما–الذي هو مقدم عند ابن جزي على غيره من السلف [١٥٤]

الدراسة:

اختلف المفسرون في تعيين السبيل على عدة أقوال:

القول الأول: أنه سبيل الخروج من بطن الأم ، وهو ما رجحه ابن جزي –رحمه الله–

[١٥٢] /سورة الإنسان الآية ٣
[١٥٣] /التسهيل [٤/ ٣٣٦]
[١٥٤] /ينظر:مقدمة التسهيل[١/ ٢٠]

وروي هذا القول عن: ابن عباس–كما سبق–،وأبي صالح ،و قتادة[١٥٥]،و عكرمة ،و الضحاك[١٥٦]،و السدي ،و مقاتل[١٥٧]–رحمهم الله جميعاً–

واختار هذا القول من المفسرين: الطبري[١٥٨] حيث قال: " وأولى التأويلين في ذلك عندي بالصواب قول من قال: الطريق وهو الخروج من بطن أمه ،وإنما قلنا ذلك أولى التأويلين بالصواب؛ لأنه أشبههما بظاهر الآية ،وذلك أن الخبر من الله قبلها وبعدها عن صفته خلقه وتدبيره جسمه وتصريفه إياه في الأحوال فالأولى أن يكون أوسط ذلك نظير ما قبله وبعده "،و رجحه أيضا ابن أبي زمنين[١٥٩]،و الواحدي[١٦٠]–رحمهم الله جميعاً–

القول الثاني:

أن السبيل في الآية هو سبيل الخير والشر،وهو مثل قوله تعالى: { إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا}

روي هذا القول عن: مجاهد ،و الحسن البصري،و ابن زيد[١٦١]–رحمهم الله–

واختار هذا القول من المفسرين: الزجاج[١٦٢]،و السمين الحلبي[١٦٣]،و ابن كثير[١٦٤]،و الشوكاني[١٦٥]، الشنقيطي[١٦٦]–رحمهم الله جميعاً–

القول الثالث:

أن السبيل في الآية هو: سبيل النظر السديد المؤدي إلى الإيمان ،وتيسيره له هو هبة العقل للإنسان.

وقد روي هذا القول عن الحسن –رحمه الله– نسبه له ابن عطية–رحمه الله–[١٦٧]

---

[١٥٥] /ينظر جامع البيان[١٢/٤٤٧-٤٤٨]
[١٥٦] /ينظر:النكت والعيون[٦/٢٠٦]
[١٥٧] /ينظر:معالم التنزيل[١٣٨٣]
[١٥٨] / جامع البيان[١٢/٤٤٨]
[١٥٩] / تفسير القرآن العزيز[٥/٩٥]
[١٦٠] / الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[٢/ ١١٧٥]
[١٦١] /ينظر:جامع البيان[١٢/٤٤٧-٤٤٨]
[١٦٢] / معاني القرآن وإعرابه[٥/٢٨٥]
[١٦٣] / الدر المصون في علوم الكتاب المكنون [١٠/٦٩٠]
[١٦٤] / تفسير القران العظيم[٤/ ٤٢٧]
[١٦٥] / فتح القدير[٥ /٣٨٤]
[١٦٦] / أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن [٩/٥٤-٥٥]
[١٦٧] /ينظر :المحرر الوجيز[١٩٤٩]

وفي المسألة قول رابع:

أن الله عز و جل ييسر على كل أحد ما خلقه له وقدره عليه ، ودليله قوله صلى الله عليه وسلم:[اعملوا فكل ميسر لما خلق له[١٦٨]]

حكاه البغوي[١٦٩]–رحمه الله–،وقال به أبو بكر بن طاهر–رحمه الله–[١٧٠]،ورجحه ابن السعدي[١٧١]،و الشيخ ابن عثيمين[١٧٢]–رحمهما الله–

الترجيح:

الراجح –والله أعلم– أن السبيل في الآية هو سبيل الخير والشر ،وهو مثل قوله تعالى: { إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا }

حيث يدخل فيه القول الثالث والرابع ،فعندما خلق الله لنا نعمة العقل ،فهو بذلك سهل لنا طريق الخير والشر،ولا ينافي القول بهذا القول أن الله عز وجل يسر لنا ما خُلقنا له.

وقال الدكتور مساعد الطيار:" ويكون هذا الاختلاف من قبيل اختلاف التنوع الذي يرجع إلى أكثر من معنى ، وسببه التواطؤ في لفظ السبيل ، والله أعلم"[١٧٣]

أما بالنسبة للقول الأول فقد رد عليه الشيخ عطية سالم –متمم كتاب الشنقيطي –حيث قال:" ولعل ما رجحه ابن كثير هو الأرجح لأن تيسير الولادة أمر عام في كل حيوان وهو مشاهد ملموس فلا مزية للإنسان فيه على غيره كما أن ما قبله دال عليه أو على مدلوله وهو القدرة في قوله تعالى : { مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ}وقد يكون تيسير الولادة داخلاً تحت قوله :(فقدره)

---

[١٦٨] /جزء من حديث: كان النبي صلى الله عليه وسلم في جنازة ، فأخذ شيئا فجعل ينكت به الأرض ، فقال : (ما منكم من أحد ، إلا وقد كتب مقعده من النار ومقعده من الجنة) . قالوا : يا رسول الله ، أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل ؟ قال : (اعملوا فكل ميسر لما خلق له ، أما من كان من أهل السعادة فييسر لعمل أهل السعادة ، وأما من كان من أهل الشقاء فييسر لعمل أهل الشقاوة . ثم قرأ : { فأما من أعطى واتقى . وصدق بالحسنى }) . الآية .أخرجه البخاري[١٨٩٠/٤] كتاب التفسير . باب قوله فاما من أعطى واتقى} رقم الحديث [٤٦٦١] ،وأخرجه مسلم بنحوه[٢٠٣٩/٤] كتاب القدر .باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه .رقم الحديث [٢٦٤٧]

[١٦٩] / معالم التنزيل[١٣٨٣]

[١٧٠] /ينظر: الجامع لأحكام القرآن[١٩/ ٢١٨-٢١٩]

[١٧١] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان[٩١١]

[١٧٢] / تفسير جزء عم [٥٦]

[١٧٣] /تفسير جزء عم لمساعد الطيار[٥٥]

أي قدر تخلقه وزمن وجوده وزمن خروجه وتقديرات جسمه وقدر حياته وقدر مماته كما هو معلوم

أما تيسير سبيل الدين فهو الخاص بالإنسان وهو المطلوب التوجه إليه وهو الذي يتعلق بغيره ما بين تخلقه من نطفة وتقديره وبين إماتته وإقباره أي فترة حياته في الدنيا أي خلقه من نطفة وقدر مجيئه إلى الدنيا ويسر له الدين في التكاليف ثم أماته ليرى ماذا عمل { ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُ } ولذا جاء في النهاية بقوله : { كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ } وليس هنا ما يدل على الأمر إلاَّ السبيل يسره والله تعالى أعلم "[١٧٤]

[١٧٤] / أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن [٩/٥٤-٥٥]

المسألة الخامسة والثلاثون:

في معنى قوله تعالى: {فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ }

قال ابن جزي رحمه الله: " أمر بالاعتبار في الطعام كيف خلقه الله بقدرته ويسره برحمته فيجب على العبد طاعته وشكره ويقبح معصيته والكفر به ،وقيل: فلينظر إلى طعامه إذا صار رجيعا فينظر حقارة الدنيا وخساسة نفسه، والأول أشهر وأظهر في معنى الآية ،على أن القول الثاني صحيح"[١٧٥]

ترجيح ابن جزي:

رجح ابن جزي –رحمه الله– أن الله عز و جل يأمر في الآية بالنظر والاعتبار في الطعام الذي خلقه عز وجل ويسره بقدرته ورحمته ،حيث قال: "و الأول أشهر وأظهر في معنى الآية"إشارة إلى هذا القول.

الدراسة:

في الآية قولان:

القول الأول: أن الله عز و جل يأمر بالنظر والاعتبار في الطعام الذي خلقه عز وجل ويسره بقدرته ورحمته، وهو ما رجحه ابن جزي–رحمه الله–

روي هذا القول عن مجاهد في إحدى الروايتين عنه –رحمه الله–[١٧٦]

وهذا القول عليه جمهور المفسرين ،حيث رجحه: الطبري[١٧٧]،و الزجاج[١٧٨]،و ابن أبي زمنين[١٧٩]،و الواحدي[١٨٠]،و البغوي[١٨١]،و الزمخشري[١٨٢]،و حكى ابن عطية أنه قول

[١٧٥] /التسهيل[٣٣٧/٤]
[١٧٦] /ينظر: جامع البيان[١٢/ ٤٤٩]
[١٧٧] / جامع البيان[١٢/ ٤٤٩]
[١٧٨] / معاني القرآن وإعرابه[٥/ ٢٨٦]

الجمهور[١٨٣] ،و رجحه ابن الجوزي[١٨٤] ،و فخرالدين الرازي[١٨٥] ،و النسفي[١٨٦] ،و حكى أبو حيان أنه قول الجمهور[١٨٧] ،و رجحه ابن القيم[١٨٨] ،و ابن كثير[١٨٩] ،و أبو السعود[١٩٠] ،و الشوكاني[١٩١] ،و الآلوسي[١٩٢] ،و القاسمي[١٩٣] ،و ابن السعدي[١٩٤] ،و الشنقيطي[١٩٥] ،و ابن عثيمين[١٩٦] –رحمهم الله جميعاً–

– القول الثاني : عن أن الله عز وجل يأمر الإنسان بالنظر إلى طعامه إذا صار رجيعا فينظر حقارة الدنيا وخساسة نفسه ،روي هذا القول عن: ابن عباس و أبي بن كعب ومجاهد في احدى الروايتين عنه والحسن –رحمهم الله– [١٩٧]

ولم يرجحه أحد من المفسرين ،وإنما ذكروه كقول مرجوح ،وأخرج ابن أبي حاتم عن الحسن– رضي الله عنه– في هذه الآية قال: " ملك يثني رقبة ابن ادم إذا جلس على الخلاء لينظر ما يخرج منه"[١٩٨]

الترجيح:

الراجح –والله أعلم ما رجحه ابن جزي–رحمه الله– فهو ما عليه جمهور المفسرين ، وهو القول الذي يناسب سياق الآيات ،حيث قال تعالى: { فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا

[١٧٩] / تفسير القرآن العزيز[٩٦/٥]
[١٨٠] / الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[٢/ ١١٧٥]
[١٨١] / معالم التنزيل[١٣٨٣]
[١٨٢] / الكشاف[٤/ ٧٠٤]
[١٨٣] / المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[١٩٤٩]
[١٨٤] / زاد المسير في علم التفسير[٩/ ٣٣]
[١٨٥] / مفاتح الغيب [٣١ /٥٦-٥٧]
[١٨٦] / تفسير النسفي[٣١٨/٤]
[١٨٧] / البحر المحيط[٨/٤٢٠-٤٢١]
[١٨٨] / بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن القيم الجوزية [٥/ ١٢٧]
[١٨٩] / تفسير القران العظيم[٤/ ٤٢٨]
[١٩٠] / إرشاد العقل السليم[٦/٣٨٠]
[١٩١] / فتح القدير[٥ / ٣٨٤]
[١٩٢] / روح المعاني[٣٠ /٤٥]
[١٩٣] / محاسن التأويل[٩/٣٣١]
[١٩٤] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان[٩١١]
[١٩٥] / أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن [٩/ ٥٦]
[١٩٦] / تفسير جزء عم [٥٧]
[١٩٧] /ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[١٩٤٩]
[١٩٨] / تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين[١٠/ ٣٤٠١]

صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾
وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾ }

حيث عدد سبحانه بعض المطعومات من عنب وزيتون ونخيل ،و إدخال معنى الآية فيما قبلها وبعدها أولى من الخروج به عنهما[١٩٩]

[١٩٩] /ينظر قواعد الترجيح عند المفسرين[١٢٥/١]

المسألة السادسة والثلاثون:

في معنى الأب في قوله تعالى: { وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ }

قال ابن جزي –رحمه الله–: " الأب: المرعي عند ابن عباس والجمهور، وقيل: التبن .وقد توقف في تفسيره أبو بكر وعمر رضي الله عنهما"[٢٠٠]

ترجيح ابن جزي:

رجح ابن جزي–رحمه الله–أن الأب هو المرعى،حيث قدم هذا القول على القول الآخر ،وذكر أنه قول الجمهور،وذكر القول الثاني بصيغة التمريض .

الدراسة:

اختلف السلف والخلف في معنى الأب على عدة أقوال:

–القول الأول أن الأب:هو المرعى ، وهو ما رجحه ابن جزي –رحمه الله–

روي هذا القول عن :ابن عباس–في أحد الأقوال عنه–،و مجاهد،و أبي رزين ،و الحسن ،وقتادة ،والضحاك–في أحد القولين عنه– ،و ابن زيد[٢٠١] –رحمهم الله–

و رجح هذا القول: الزجاج[٢٠٢]،و ابن أبي زمنين[٢٠٣]،و الواحدي[٢٠٤]،و البغوي[٢٠٥]،و ابن عطية [٢٠٦]،و فخرالدين الرازي[٢٠٧]،و النسفي[٢٠٨]،و أبو السعود[٢٠٩]،و الشوكاني[٢١٠]،و القاسمي[٢١١]،و ابن السعدي[٢١٢]،و ابن عثيمين[٢١٣]–رحمهم الله جميعاً–

---

[٢٠٠] /التسهيل[٣٣٧/٤]
[٢٠١] /ينظر جامع البيان[٤٥١/١٢-٤٥٣]
[٢٠٢] / معاني القرآن وإعرابه[٢٨٦/٥]
[٢٠٣] / تفسير القرآن العزيز[٩٦/٥]
[٢٠٤] / الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[١١٧٥/٢]
[٢٠٥] / معالم التنزيل[١٣٨٣]
[٢٠٦] / المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[١٩٥٠]
[٢٠٧] / مفاتح الغيب [٣١ /٥٨]
[٢٠٨] / تفسير النسفي[٣١٨/٤]
[٢٠٩] / إرشاد العقل السليم[٦/ ٣٨٠]
[٢١٠] / فتح القدير[٥ / ٣٨٥]

– وروي عن ابن عباس –رضي الله عنهما–عدة أقوال في معنى الأب:

١– أن الأب: الثمار الرطبة[٢١٤].

٢–أنه الحشيش للبهائم

٣–أنه ما أنبتت الأرض مما لا يأكل الناس.[٢١٥]

–وروي عن عكرمة –رحمه الله–أنه قال: "الفاكهة ما يأكله الناس ،والأب ما يأكله الدواب"و مثله قال قتادة[٢١٦]

–وروي عن الضحاك–رحمه الله–أن الأب هو: التبن،وقال ابن عطية بعد أن ذكر هذا القول : "وفي اللفظ غرابة"[٢١٧]

–و روي عن الضحاك أيضاً:كل شيء أنبتته الأرض سوى الفاكهة فهو أب ،وروي هذا القول عن عطاء أيضاً[٢١٨]

–و لم يثبت توقف أبي بكر الصديق[٢١٩] –رضي الله عنه –في تفسير الآية حيث قال ابن كثير –رحمه الله –: " قال أبو عبيد القاسم بن سلام[٢٢٠] حدثنا محمد بن يزيد حدثنا العوام بن حوشب عن إبراهيم التيمي قال: (سئل أبو بكر الصديق رضي الله عنه عن قوله تعالى: { وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا } فقال :أي سماء تظلني وأي أرض تقلني إن قلت في كتاب الله ما لا أعلم

---

[٢١١] / محاسن التأويل[٣٣٢/٩]

[٢١٢] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان[٩١١]

[٢١٣] / تفسير جزء عم [٥٧]

[٢١٤] /ينظر:جامع البيان[٤٥٣/١٢]

[٢١٥] /ينظر في القول الثاني والثالث : تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله صلى لله عليه وسلم والصحابة والتابعين[١٠/ ٣٠١]

[٢١٦] /ينظر: معالم التنزيل[١٣٨٣]

[٢١٧] / المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[١٩٥٠]

[٢١٨] /ينظر: تفسير القران العظيم[٤/ ٤٢٨]

[٢١٩] /**أبو بكر الصديق** –رضي الله عنه –هو : عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن عمرو ابن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر القرشى التيمى، أول من أسلم من الرجال ،وصحب الرسول صلى الله عليه وسلم في الهجرة والغار، قال فيه صلى الله عليه وسلم :(ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن أخوة الإسلام)،بويع بالخلافة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ،و توفي بعده بسنتين وثلاثة أشهر ، *وهو أشهر من أن يعرف*.....ينظر : الاستيعاب [٩٦٣/٣-٩٨٧]،و أسد الغابة[٣١٥/٣-٣٤١]

[٢٢٠] /**القاسم بن سلام** هو : القاسم بن سلام بالتشديد البغدادي ،أبو عبيد ، الإمام المشهور ثقة فاضل مصنف، أحد أئمة الدنيا صاحب حديث وفقه ودين وورع ومعرفة بالأدب وأيام الناس ممن جمع وصنف واختار وذب عن الحديث ونصره وقمع من خالفه وحاد عنه، توفي سنة ٢٢٤هـ.....ينظر: تقريب التهذيب [٤٥٠/١] الثقات [١٦/٩-١٧]

)–قال ابن كثير: –وهذا منقطع بين إبراهيم التيمي والصديق رضي الله عنه"[٢٢١]وقال عنه الحافظ ابن حجر –رحمه الله– :"وهذا منقطع"[٢٢٢]

–وروى ابن جرير بسنده عن عمر بن الخطاب[٢٢٣] –رضي الله عنه–(أنه قرأ: { عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ }فلما أتى على هذه الآية: { وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا } قال :قد عرفنا الفاكهة ،فما الأب!؟ فقال: لعمرك يا ابن الخطاب إن هذا لهو التكلف)

قال ابن كثير–رحمه الله– عنه:" فهو إسناد صحيح وقد رواه غير واحد عن أنس به"[٢٢٤]

وقال الحافظ ابن حجر–رحمه الله–:" فهو صحيح عنه أخرجه عبد بن حميد من طرق صحيحة عن أنس عن عمر"[٢٢٥]

ويحمل توقفه في تفسير الأب :" على أنه أراد أن يعرف شكله وجنسه وعينه، وإلا فهو وكل من قرأ هذه الآية يعلم أنه من نبات الأرض لقوله: { فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا ٢٧ وَعِنَبٗا وَقَضۡبٗا ٢٨ وَزَيۡتُونٗا وَنَخۡلٗا ٢٩ وَحَدَآئِقَ غُلۡبٗا ٣٠ وَفَٰكِهَةٗ وَأَبّٗا ٣١ }وقوله تعالى: { مَّتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ } أي عيشة لكم ولأنعامكم في هذه الدار إلى يوم القيامة "[٢٢٦]،وقال الزمخشري –رحمه الله–:"لقد كان القوم أكبر همتهم عاكفة على العمل وكان التشاغل بشيء من العلم لا يعمل به تكلفاً عندهم، فأراد أنّ الآية مسوقة في الامتنان علي الإنسان بمطعمه واستدعاء شكره ،وقد علم من فحوى الآية أنّ الأب بعض ما أنبته الله للإنسان متاعاً له أو لإنعامه ،فعليك بما هو أهم من النهوض بالشكر لله على ما تبين لك ولم يشكل مما عدّد من نعمه ولا تتشاغل عنه بطلب معنى الأب ومعرفة النبات الخاص الذي هو اسم له" [٢٢٧]

---

[٢٢١] /تفسير القرآن العظيم[٤٢٨/٤]
[٢٢٢] / فتح الباري[٦ /٢٩٦]
[٢٢٣] /**عمر بن الخطاب** - رضى الله عنه -هو : عمر بن الخطاب أمير المؤمنين ابن نفيل بن عبد العزى بن رباح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدى بن كعب القرشى العدوى ،أبو حفص،كان من أشراف قريش ، و كان إسلامه عزا ظهر به الإسلام بدعوة النبي صلى الله عليه وسلم ،نزل القرآن بموافقته في عدة مواقف ، واستخلف على المسلمين بعد وفاة أبي بكر ،قتله أبو لؤلؤة المجوسي بطعنه في صلاة الصبح ،و كانت خلافته عشر سنين وستة أشهر *وهو أشهر من أن يعرف*.....ينظر: الإستيعاب [٣/١١٤٤-١١٥٩] ، و أسد الغابة [٤/١٥٦-١٩٢]
[٢٢٤] / تفسير القرآن العظيم[٤٢٨/٤]
[٢٢٥] / فتح الباري[٦ /٢٩٦]
[٢٢٦] /ينظر:تفسير القرآن العظيم[٤٢٨/٤]
[٢٢٧] /الكشاف[٤ /٧٠٤]

الترجيح:

الراجح –والله أعلم –ما رجحه ابن جزي –رحمه الله–،أن الأب هو المرعى ،وذلك للمرجحات الآتية:

١–أنه المعنى الذي تدور عله أقوال السلف –رضوان الله عليهم–فالمرعى هو الكلأ، وهو أيضاً ما أنبتت الأرض ،وهو الحشيش البهائم،و لا فائدة من معرفته بعينه

٢–أنه القول الذي عليه أغلب المفسرين

٣–القول الثاني أن الأب هو التبن،انفرد به الضحاك –رحمه الله– ورده ابن عطية –رحمه الله– بقوله: " "وفي اللفظ غرابة"[٢٢٨].

٤–أنه المعنى المعروف عند العرب ،قال الزجاج:"الأب جميع الكلأ الذي تعتلفه الماشية "[٢٢٩] ،وقال ابن منظور:"الأب الكلأ ،و عبر بعضهم عنه بأنه المرعى"[٢٣٠]

[٢٢٨] / المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[١٩٥٠]
[٢٢٩] / معاني القرآن وإعرابه[٢٨٦/٥]
[٢٣٠] /لسان العرب[٢٠٤/١]مادة أبب

المسألة السابعة والثلاثون:

في أصل اشتقاق كلمة الصاخة في قوله تعالى: {فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾}

قال ابن جزي –رحمه الله–: "(الصاخة) القيامة، وهي مشتقة من قولك: صخ الأذن إذا أصمها بشدة صياحه، فكأنه إشارة إلى النفخة في الصور أو إلى شدة الأمر حتى يصخ من يسمعه لصعوبته ،وقيل: هي من قولك: أصاخ للحديث إذا استمعه ،والأول هو الموافق للاشتقاق"[٢٣١]

ترجيح ابن جزي:

رجح ابن جزي –رحمه الله–أن لفظة الصاخة مشتقة من قولنا: صخ الأذن إذا أصمها بشدة صياحه،حيث قال بعد أن ذكر القول الثاني :"و الأول هو الموافق للاشتقاق"

الدراسة:

اختلف المفسرون في اشتقاق (الصاخة) على قولين:

– القول الأول: أنها مشتقة من قولنا :صخ الأذن إذا أصمها بشدة صياحه، وهو القول الذي رجحه ابن جزي –رحمه الله–

و رجح هذا القول من المفسرين: الزجاج[٢٣٢]،و البغوي[٢٣٣]،و ابن عطية [٢٣٤]،و ابن الجوزي[٢٣٥]،و النسفي[٢٣٦]،و السمين الحلبي[٢٣٧]،و ابن كثير[٢٣٨]،و الشوكاني[٢٣٩]،و ابن عثيمين[٢٤٠]–رحمهم الله جميعاً–

---

[٢٣١] /التسهيل[٣٣٧/٤]
[٢٣٢] / معاني القرآن وإعرابه[٥/ ٢٨٧]
[٢٣٣] / معالم التنزيل[١٣٨٤]
[٢٣٤] / المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[١٩٥٠]
[٢٣٥] / زاد المسير في علم التفسير[٩/ ٣٤-٣٥]
[٢٣٦] / تفسير النسفي[٣١٨/٤]
[٢٣٧] / الدر المصون في علوم الكتاب المكنون [١٠/ ٦٩٥]
[٢٣٨] / تفسير القران العظيم[٤٢٨/٤-٤٢٩]
[٢٣٩] / فتح القدير[٥ / ٣٨٥]
[٢٤٠] / تفسير جزء عم [٥٨]

– القول الثاني: أن الصاخة مشتقة من قولنا: أصاخ للحديث إذا استمعه ، ورجح هذا القول من المفسرين : الزمخشري[٢٤١]، و أبو السعود[٢٤٢]، و الآلوسي[٢٤٣] –رحمهم الله–

الترجيح:

الراجح –والله أعلم– ما رجحه ابن جزي –رحمه الله –أن كلمة الصاخة مشتقة من قولنا: صخ الأذن إذا أصمها بشدة الصياح ؛ لأنه الموافق للمعروف من اشتقاق الكلمة ،وبه قال علماء اللغة ،حيث قال ابن منظور: "الصاخة هي: الصيحة التي تكون فيها القيامة تصخ الأسماع أي تصمها فلا تسمع إلا ما تدعى به للإحياء"[٢٤٤]

و قال ابو القاسم الخوارزمي[٢٤٥]: "صخه يصخه ضرب أذنه فأصمها وصاح بهم صيحة تصخ الآذان"[٢٤٦]

أما القول الثاني أن الصاخه مشتقة من قولنا أصاخ الى كذا أي استمع إليه ،فهو وإن كان يحتمله معنى النفخة ،إلا أن القول الثاني أقرب وأوفق للإشتقاق ،قال الإمام القرطبي –رحمه الله–: " الصاخة: الصيحة التي تكون عنها القيامة وهي النفخة الثانية ،تصخ الأسماع أي: تصمها فلا تسمع إلا ما يدعى به للأحياء، وذكر ناس من المفسرين قالوا: تصيخ لها الأسماع من قولك أصاخ إلى كذا أي استمع إليه ..... قال بعض العلماء: وهذا يؤخذ على جهة التسليم للقدماء، فأما اللغة فمقتضاها القول الأول. قال الخليل: الصاخة صيحة تصخ الآذان صخا أي تصمها بشدة وقعتها وأصل الكلمة في اللغة الصك الشديد[٢٤٧] "[٢٤٨]

---

[٢٤١] / الكشاف[٤/ ٧٠٦]
[٢٤٢] / إرشاد العقل السليم[٦/ ٣٨١]
[٢٤٣] / روح المعاني[٣٠ / ٤٨]
[٢٤٤] /لسان العرب [٣٣/٣]مادة صخخ ،نقله عن أبو اسحاق
[٢٤٥] / **أبو القاسم الخوارزمي** هو : محمود بن عزيز العارضي ،أبو القاسم الخوارزمي الملقب شمس المشرق كان من أفضل الناس في عصره في علم اللغة والأدب لكنه تخطى إلى علم الفلسفة فصار مفتونا بها ممقوتا بين المسلمين ،ذبح نفسه بيده –معاذ الله– سنة ٥٢١هـ ....ينظر: معجم الأدباء [٤٨٩/٥]
[٢٤٦] / أساس البلاغة[٣٤٩/١]
[٢٤٧] /العين[١٣٥/٤]مادة صخ
[٢٤٨] / الجامع لأحكام القرآن[١٩ / ٢٢٤]

المسألة الثامنة والثلاثون :

في سبب فرار المرء من أهله يوم القيامة،في قوله تعالى: {يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ }

قال ابن جزي–رحمه الله–: "وإنما يفر منهم لاشتغاله بنفسه ،وقيل: إن فراره منهم لئلا يطالبوه بالتبعات، والأول أرجح وأظهر لقوله : { لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ } "[٢٤٩]

ترجيح ابن جزي:

رجح ابن جزي –رحمه الله– أن فرار المرء من أهله يوم القيامة إنما يكون لاشتغاله بنفسه ولشدة هول الموقف ،حيث قال بعد أن ذكر القول الثاني :"والأول أرجح و أظهر"وعلل ترجيحه بقوله تعالى: { لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ }

الدراسة:

اختلف المفسرون في سبب فرار المرء من أهله يوم القيامة على قولين:

– القول الأول: أن المرء يفر من أهله يوم القيامة لاشتغاله بنفسه ،و لشدة أهوال ذلك اليوم، وهو ما رجحه ابن جزي –رحمه الله–

ورجح هذا القول أكثر المفسرين وهم: الواحدي[٢٥٠]،و البغوي[٢٥١]،و الزمخشري[٢٥٢]،وقال ابن عطية :"وقال جمهور الناس: إنما ذلك لشدة الهول..."[٢٥٣]،و رجحه ابن الجوزي[٢٥٤]،و

[٢٤٩] /التسهيل[٣٣٨/٤]

[٢٥٠] / الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[٢/ ١١٧٥]

القرطبي[٢٥٥]، و أبو حيان[٢٥٦]، و ابن كثير[٢٥٧]، و الثعالبي[٢٥٨]، و ابن عادل[٢٥٩]، و الخطيب الشربيني[٢٦٠]، و أبو السعود[٢٦١]، و الشوكاني[٢٦٢]، و الآلوسي[٢٦٣]، و القاسمي[٢٦٤]، و ابن السعدي[٢٦٥] –رحمهم الله جميعاً–

– القول الثاني : انه يفر منهم حتى لا يطالبوه بالتبعات ،و رجح هذا القول الطبري حيث قال: " يفر عن أخيه وأمه وأبيه وصاحبته يعني زوجته التي كانت زوجته في الدنيا وبنيه حذرا من مطالبتهم إياه بما بينه وبينهم من التبعات والمظالم " [٢٦٦] ،و وافقه : فخرالدين الرازي[٢٦٧]، و المراغي[٢٦٨]، و ابن عاشور[٢٦٩]، و ابن عثيمين[٢٧٠] –رحمهم الله جميعاً–

واختار هذا القول من السلف: قتادة[٢٧١] –رحمه الله–

الترجيح:

الراجح – والله أعلم ما رجحه ابن جزي –رحمه الله – أن المرء –المؤمن والكافر–يفر يوم القيامة من أهله لاشتغاله بأمر نفسه ولشدة الكرب والهول في ذلك اليوم ؛ لأن هذا القول هو المناسب لسياق الآيات الكريمة حيث قال عز من قائل: {يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ

[٢٥١] / معالم التنزيل[١٣٨٤]
[٢٥٢] / الكشاف[٤/ ٧٠٦]
[٢٥٣] / المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[١٩٥٠]
[٢٥٤] / زاد المسير في علم التفسير[٩/ ٣٥]
[٢٥٥] / الجامع لأحكام القرآن[١٩ /٢٢٤]
[٢٥٦] / البحر المحيط [٨/٤٢١]
[٢٥٧] / تفسير القران العظيم[٤/ ٤٢٩]
[٢٥٨] / الجواهر الحسان في تفسير القرآن[٥/٥٥٤]
[٢٥٩] / اللباب في علوم الكتاب[١٦/ ٢٣٥]
[٢٦٠] / السراج المنير[٤/ ٣٥٦]
[٢٦١] / إرشاد العقل السليم[٦/ ٣٨١]
[٢٦٢] / فتح القدير[٥ / ٣٨٥]
[٢٦٣] / روح المعاني[٣٠ /٤٨]
[٢٦٤] / محاسن التأويل[٣٣٢/٩]
[٢٦٥] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان[٩١١]
[٢٦٦] / جامع البيان[١٢/ ٤٥٣]
[٢٦٧] / مفاتح الغيب [٣١ / ٥٩]
[٢٦٨] /تفسير المراغي [١٠/ ٥٠]
[٢٦٩] / التحرير والتنوير[٣٠/ ١٣٦]
[٢٧٠] / تفسير جزء عم [٥٨]
[٢٧١] /ينظر: روح المعاني[٣٠ / ٤٨]

﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ } فقد علل عز وجل سبب الفرار بقوله : {لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ } وليس لنا الخروج عن السياق القرآني إلا بدليل[٢٧٢]، ولا دليل هنا .

قال الإمام أبو السعود في الرد على القول الثاني: " .. وأما تعليل ذلك بعلمه بأنهم لا يغنون عنه شيئا أو بالحذر من مطالبتهم بالتبعات فيأباه قوله تعالى: {لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ } فإنه استئناف وارد لبيان سبب الفرار أي لكل واحد من المذكورين شغل شاغل وخطب هائل يكفيه في الاهتمام به، وأما الفرار حذار من مطالبتهم أو بغضا لهم كما يروى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: (أنه يفر قابيل من أخيه هابيل ويفر النبي صلى الله عليه وسلم من أمه ويفر إبراهيم عليه السلام من أبيه ونوح عليه السلام من ابنه ولوط عليه السلام من امرأته) فليس من قبيل هذا الفرار"

[٢٧٢] /ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين للحربي[١٢٥/١]

المسالة التاسعة والثلاثون:

في التفريق بين الغبرة والقترة في قوله تعالى: {وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾}

قال ابن جزي –رحمه الله–: "{عَلَيْهَا غَبَرَةٌ }أي :غبار والقترة أيضاً غبار . قال ابن عطية :الغبرة من العبوس والكرب كما يقتر وجه المهموم والمريض ،و القترة هي غبار الأرض. وقال الزمخشري :الغبرة غبار يعلوها والقترة سواد فيعظم قبحها باجتماع الغبار والسواد"[٢٧٣]

ترجيح ابن جزي:

رجح ابن جزي –رحمه الله–أن الغبرة والقترة بمعنى واحد وهو الغبار ،حيث قدم هذا القول على القولين الآخرين .

الدراسة:

اختلف المفسرون في التفريق بين الغبرة والقترة على ثلاثة أقوال:

– القول الأول : أنهما بمعنى واحد ، وهو ما رجحه ابن جزي –رحمه الله –

روي هذا القول عن زيد بن أسلم حيث قال في قوله تعالى: { وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ }قال :هذه وجوه أهل النار، قال: والقترة من الغبرة، قال: وهما واحد .قال: فأما في الدنيا فإن القترة ما ارتفع فلحق بالسماء ورفعته الريح تسميه العرب القترة ،وما كان أسفل في الأرض فهو الغبرة "[٢٧٤]،وعن السدي[٢٧٥]–رحمهما الله–

[٢٧٣] /التسهيل[٣٣٨/٤]
[٢٧٤] /ينظر: جامع البيان[١٢/ ٤٥٤-٤٥٥]
[٢٧٥] /ينظر: النكت والعيون[٢٠٩/٦-٢١٠]

– القول الثاني: أن الغبرة من العبوس والكرب، والقترة هي غبار الأرض ،اختار هذا القول من المفسرين: البغوي[٢٧٦]،و ابن عطية [٢٧٧]،و أبو حيان[٢٧٨]،و ابن كثير[٢٧٩]،و الثعالبي[٢٨٠]–رحمهم الله جميعاً–

– القول الثالث: أن الغبرة :هي الغبار يعلو وجوه الكفار ،والقترة: السواد ،روي هذا القول عن ابن عباس _رضي الله عنهما–[٢٨١] و روي أيضاً عن عطاء –رحمه الله–[٢٨٢]

واختار هذا القول من المفسرين: الزجاج[٢٨٣]،و ابن أبي زمنين[٢٨٤]،و الواحدي[٢٨٥]،و الزمخشري[٢٨٦]،و ابن الجوزي[٢٨٧]،و فخرالدين الرازي[٢٨٨]،و القرطبي[٢٨٩]،و البيضاوي[٢٩٠]،و النسفي[٢٩١]،و السمين الحلبي[٢٩٢]،و الخطيب الشربيني[٢٩٣]،و أبو السعود[٢٩٤]،و الشوكاني[٢٩٥]،و الآلوسي[٢٩٦]،و القاسمي[٢٩٧]،و المراغي[٢٩٨]،و ابن السعدي[٢٩٩]،و ابن عثيمين[٣٠٠]–رحمهم الله جميعاً–

الترجيح:

[٢٧٦] / معالم التنزيل[١٣٨٤]
[٢٧٧] / المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[١٩٥٠]
[٢٧٨] / البحر المحيط [٤٢١/٩]
[٢٧٩] / تفسير القران العظيم[٤٢٩/٤]
[٢٨٠] / الجواهر الحسان في تفسير القرآن[٥٥٤/٥]
[٢٨١] /ينظر: تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين[١٠/ ٣٤٠١]
[٢٨٢] /ينظر: النكت والعيون[٢٠٩/٦-٢١٠]
[٢٨٣] / معاني القرآن وإعرابه[٥/ ٢٨٧]
[٢٨٤] / تفسير القرآن العزيز[٩٧/٥]
[٢٨٥] / الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[٢/ ١١٧٦]
[٢٨٦] / الكشاف[٤/ ٧٠٦]
[٢٨٧] / زاد المسير في علم التفسير[٩/ ٣٦]
[٢٨٨] / مفاتح الغيب [٣١ /٦٠]
[٢٨٩] / الجامع لأحكام القرآن[١٩ / ٢٢٦]
[٢٩٠] / أنوار التنزيل وأسرار التأويل[٤٥٥/٥]
[٢٩١] / تفسير النسفي[٣١٨/٤]
[٢٩٢] / الدر المصون في علوم الكتاب المكنون [١٠/ ٦٩٦-٦٩٧]
[٢٩٣] / السراج المنير[٣٥٦/٤]
[٢٩٤] / إرشاد العقل السليم[٦/ ٣٨٢]
[٢٩٥] / فتح القدير[٥ / ٣٨٢]
[٢٩٦] / روح المعاني[٣٠ /٤٩]
[٢٩٧] / محاسن التأويل[٣٣٢/٩]
[٢٩٨] /تفسير المراغي [١٠/ ٥٠]
[٢٩٩] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان[٩١١]
[٣٠٠] / تفسير جزء عم [٥٨]

الراجح –والله أعلم–هو القول بالتغاير بين معنى لفظتي{ غَبَرَةٌ } و { قَتَرَةٌ } ،لأن الأصل التغاير بين المتعاطفين.

وحيث {قَتَرَةٌ }تأتي على معنى الغبار والسواد ؛فعندئذ الأولى أن نحملها على معنى السواد. وهذا القول عليه أكثر المفسرين– كما سبق– ،وهو مروي عن ابن عباس–رضي الله عنهما –

فبذلك تكون {غَبَرَةٌ }على بابها بمعنى الغبار،و{قَتَرَةٌ }بمعنى السواد الذي يعلو وجوه الكفار ،فيجتمع الغبار مع السواد في وجوه أهل النار – والعياذ بالله–

المسألة الأربعون:

في معنى قوله تعالى: {إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ }

قال ابن جزي–رحمه الله –:" قال ابن عباس: ذهب ضوءها وأظلمت ،وقيل :رمى بها، وقيل: اضمحلت. وأصله من تكوير العمامة ؛لأنها إذا لفت زال انبساطها وصغر جرمها"[1]

ترجيح ابن جزي:

رجح ابن جزي–رحمه الله–أن معنى كورت: ذهب ضوءها وأظلمت حيث قدم هذا القول على بقية الأقوال، وصدر بقية الأقوال بصيغة التمريض.

الدراسة:

اختلف في معنى التكوير على عدة أقوال:

–القول الأول: أن التكوير هو ذهاب ضوء الشمس ،وهو ما رجحه ابن جزي –رحمه الله–

وهو قول ابن عباس –رضي الله عنهما– ، روي هذا القول أيضاً عن :أبيّ بن كعب وقتادة[2]،والحسن[3] ،و مقاتل[4]–رحمهم الله جميعا–

ورجح هذا القول من المفسرين: الزجاج[5]،و ابن أبي حاتم[6]،و ابن أبي زمنين[7]،و الواحدي[8]،و النسفي[9]–رحمهم الله–

---

[1] /التسهيل[٣٣٩/٤]
[2] /ينظر: جامع البيان[١٢/ ٤٥٦-٤٥٧]
[3] /ينظر: تفسير القرآن العزيز[٩٨/٥]
[4] /ينظر: زاد المسير في علم التفسير[٩/ ٣٧-٣٨]
[5] / معاني القرآن وإعرابه[٢٨٩١/٥]
[6] / تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين[١٠/ ٣٤٠٢]
[7] / تفسير القرآن العزيز[٩٨/٥]
[8] / الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[٢/ ١١٧٧]
[9] / تفسير النسفي[٣١٩/٤]

– القول الثاني :كورت بمعنى رمي بها،روي هذا القول عن: أبي صالح،و ربيع بن خثيم[1] –رحمهما الله–[2]

– القول الرابع :ما روي عن سعيد بن جبير أن معنى كورت: غورت بالفارسية[3]،و روي روي هذا القول أيضاً عن ابن عباس –رضي الله عنهما–[4]

– ورجح الإمام الطبري الجمع بين الأقوال حيث قال:" والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال :(كورت) كما قال الله جل ثناؤه ،والتكوير في كلام العرب جمع بعض الشيء إلى بعض وذلك كتكوير العمامة وهو لفها على الرأس وكتكوير الكارة وهي جمع الثياب بعضها إلى بعض ولفها، وكذلك قوله تعالى :{ إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ } إنما معناه جمع بعضها إلى بعض ثم لفت فرمي بها وإذا فعل ذلك بها ذهب ضوءها

فعلى التأويل الذي تأولناه وبيناه لكلا القولين اللذين ذكرت عن أهل التأويل وجه صحيح ؛وذلك أنها إذا كورت ورمي بها ذهب ضوءها"[5]

و وافق الطبري: البغوي[6]،و ابن عطية [7]،و فخرالدين الرازي[8]،و القرطبي[9]،و البيضاوي[10]،و البيضاوي[10]،و ابن كثير[11]،و الثعالبي[12]،و الخطيب الشربيني[13]،و ابن عثيمين[14]–رحمهم الله جميعا–

---

[1] /**الربيع بن خثيم** هو : الربيع بن خثيم بن عائذ بن عبد الله الثوري ،أبو يزيد الكوفي ،تابعي ثقة عابد مخضرم ، قال له بن مسعود: لو رآك رسول الله صلى الله عليه وسلم لأحبك.....ينظر : تقريب التهذيب [٢٠٦/١] ، و معرفة الثقات [٣٥١/١-٣٥٣]

[2] / ينظر: جامع البيان[١٢/ ٤٥٦-٤٥٧]

[3] /ينظر المرجع السابق

[4] /ينظر: زاد المسير في علم التفسير[٩/ ٣٧-٣٨]

[5] / جامع البيان[١٢/ ٤٥٧]

[6] / معالم التنزيل[١٣٨٤]

[7] / المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[١٩٥١]

[8] / مفاتح الغيب [٣١ / ٦١]

[9] / الجامع لأحكام القرآن[١٩ / ٢٢٧]

[10] / أنوار التنزيل وأسرار التأويل[٤٥٦/٥]

[11] / تفسير القران العظيم[٤/ ٤٣٠]

[12] / الجواهر الحسان في تفسير القرآن[٥/ ٥٥٥]

[13] / السراج المنير[٣٥٧/٤]

[14] / تفسير جزء عم [٥٩]

الترجيح:

الراجح –والله أعلم–القول بالجمع بين الأقوال.

حيث إن الشمس مخلوق عظيم، كالجبال، والسماء، والأرض، يعتريها يوم القيامة من الحوادث أحوال عديدة،فيبتدئ بها الحال بأن تجمع هذه الشمس بعضها على بعض، وتلف، وبعد لفها يذهب ضوؤها، وينقبض، وينحسر، ثم بعد ذلك، يذهب بها، فتزال عن موضعها، ثم يرمى بها، فيكون مستقرها حيث أراد الله عز وجل. وبهذا تجتمع جميع المعاني للفظ التكوير، دون تعارض.

وهذا المعنى تدور حوله عبارات المفسرين –رحمهم الله–،وهو من قبيل الاشتراك اللغوي من لفظة التكوير .

و ذلك عملاً بالقاعدة الترجيحية :إذا احتمل اللفظ معاني عدة ولم يمتنع إرادة الجميع حُمل عليها جميعها[1].

و سبحان الله عز وجل ،الذي أتى بلفظة (التكوير)لتدل على جميع الأحوال التى تكون عليها الشمس يوم القيامة،فهي تلف على بعضها البعض ،فيتغير جرمها،ويذهب ضوئها،ثم ترمى حيث أراد الله عز وجل.

[1] /قواعد التفسير جمعاً ودراسة لخالد السبت[٨٠٧/٢]

المسألة الحادية والأربعون:

في معنى قوله تعالى: {وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢ }

قال ابن جزي–رحمه الله–: "أي تساقطت من مواضعها ،وقيل :تغيرت، والأول أرجح؛ لأنه موافق لقوله تعالى: { وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ۝٢ }[1] وروى أن الشمس والنجوم تطرح في جهنم ليراها من عبدها كما قال: { إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ}[2]"[3]

ترجيح ابن جزي:

رجح ابن جزي –رحمه الله– أن معنى (انكدار النجوم)أي تساقطها من موضعها ،وذلك بقوله: "والأول أرجح"إشارة إلى هذا القول،وعلل ترجيحه–رحمه الله–: بكونه موافق لقوله تعالى: { وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ }

الدراسة:

اختُلف في معنى انكدار النجوم على قولين:

القول الأول: أنها تتساقط من مواضعها، وهو ما رجحه ابن جزي –رحمه الله–

روي هذا القول عن أكثر السلف رضوان الله عليهم ،منهم: الربيع بن خثيم ،و مجاهد ،و أبي صالح، و قتادة ،و ابن زيد[4] ،و الكلبي ،و عطاء[5]،وهو أحد القولين عن ابن عباس[6]،و روي أيضا عن الحسن البصري ،و الضحاك[7]–رحمهم الله جميعاً–

---

[1] /سورة الإنفطار[٢]
[2] /سورة الأنبياء [٩٨]
[3] /التسهيل[٣٣٩/٤]
[4] /ينظر في كل ما سبق: جامع البيان[٤٥٧/١٢-٤٥٨]
[5] /ينظر : معالم التنزيل[١٣٥٨]
[6] /ينظر: البحر المحيط [٩/ ٤٢٣]
[7] /ينظر في كل ما سبق: تفسير القران العظيم[٤٣١/٤]

واختار هذا القول أكثر المفسرين ،وإن اختلفت عباراتهم.

حيث رجحه بلفظه: الطبري فقال: " {وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ } يقول: وإذا النجوم تناثرت من السماء فتساقطت وأصل الانكدار الانصباب"[١]، و الواحدي[٢]، و البغوي[٣]، و النسفي[٤]، و ابن السعدي[٥]–رحمهم الله جميعاً–

ورجحه بنحوه: الزجاج حيث قال: "تهافتت وتناثرت"[٦]،و رجحه ابن أبي زمنين[٧]، و قال الزمخشري: "انقضت"[٨]،و قال ابن عطية : "انكدار النجوم هو: انقضاضها وهبوطها من مواضعها"[٩]،و رجحه أيضاً ابن الجوزي[١٠]،و فخرالدين الرازي[١١]،و القرطبي[١٢]، و السمين الحلبي[١٣]،و ابن كثير[١٤]،و الثعالبي[١٥]،و ابن عادل[١٦]،و الخطيب الشربيني[١٧]،و أبو السعود[١٨]،و الشوكاني[١٩]،و الآلوسي[٢٠]،و القاسمي[٢١]،و المراغي[٢٢]، و ابن عاشور[٢٣]،و ابن عثيمين[٢٤]–*رحمهم الله جميعاً*– .

– القول الثاني: ما روي عن ابن عباس –رضي الله عنهما–في رواية أخرى: أن معنى انكدرت تغيرت.

---

[١] / جامع البيان[٤٥٧/١٢-٤٥٨]
[٢] / الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[١١٧٧/٢]
[٣] / معالم التنزيل[١٣٨٥]
[٤] / تفسير النسفي[٣١٩/٤]
[٥] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان[٩١٢]
[٦] / معاني القرآن وإعرابه[٥/ ٢٨٩]
[٧] / تفسير القرآن العزيز[٩٨/٥]
[٨] / الكشاف[٧٠٧/٤]
[٩] / المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[١٩٥١]
[١٠] / زاد المسير في علم التفسير[٩/ ٣٨]
[١١] / مفاتح الغيب [٣١ / ٦٢]
[١٢] / الجامع لأحكام القرآن[١٩ / ٢٢٧]
[١٣] / الدر المصون في علوم الكتاب المكنون [٧٠٠/١٠]
[١٤] / تفسير القران العظيم[٤٣١/٤]
[١٥] / الجواهر الحسان في تفسير القرآن[٥٥٥/٥]
[١٦] / اللباب في علوم الكتاب[١٦/ ٢٣٨]
[١٧] / السراج المنير[٤/ ٣٥٧]
[١٨] / إرشاد العقل السليم[٦/ ٣٨٣]
[١٩] / فتح القدير[٥ / ٣٨٨]
[٢٠] / روح المعاني[٣٠ / ٥٠]
[٢١] / محاسن التأويل[٣٣٣/٩]
[٢٢] /تفسير المراغي [١٠/ ٥٤]
[٢٣] / التحرير والتنوير[٣٠/ ١٤٢]
[٢٤] / تفسير جزء عم [٥٩]

-أما قول ابن جزي-رحمه الله- :"و روي أن الشمس والنجوم تطرح في جهنم ليراها من عبدها "

فهذا الحديث أصله في صحيح البخاري بلفظ:[الشمس والقمر مكوران يوم القيامة][1]

قال ابن حجر-رحمه الله-في فتح الباري:"زاد في رواية البزار ومن ذكر معه [في النار][2]، و أخرج أبو يعلى[3] معناه من حديث أنس وفيه [ليراهما من عبدهما كما قال تعالى: { إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ }[4]]،واخرجه الطيالسي[5] من هذا الوجه مختصرا،وأخرج ابن وهب عن عطاء بن يسار في قوله تعالى: { وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ }[6]قال:[يجمعان يوم القيامة ثم يقذفان في النار]،ولابن أبي حاتم عن ابن عباس نحوه[7] موقوفاً أيضاً"[8]

الترجيح:

قال ابن فارس:"ك د ر أصل يدل على خلاف الصفو والآخر يدل على حركة"[9] فالإنكدار يحمل معنى التغير ومعنى التساقط ،قال ابن السعدي-رحمه الله-"{ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ }أي تغيرت وتساقطت من أفلاكها"[10] وقال الشيخ عطية سالم متمم كتاب أضواء البيان:"قيل {ٱنكَدَرَتْ } :انصبت،وقيل:تغيرت من الكدره ،وكلها متلازمة ولا تعارض.ويشهد للأول

[1] /صحيح البخاري[١١٧١/٣] كتاب بدأ الخلق / باب صفة الشمس والقمر/رقم الحديث[٣٠٢٨]
[2] /مسند البزار
[3] /مسند أبي يعلى[١٤٨/٧]
[4] /سورة الأنبياء آية ٩٨
[5] / مسند الطيالسي عن أنس رفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم :(إن الشمس والقمر ثوران عقيران في النار) [٢٨١/١] رقم الحديث[٢١٠٣]
[6] /سورة القيامة آية ٩
[7] / تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله صلى لله عليه وسلم والصحابة والتابعين[١٠/ ٣٤٠٢]
[8] /فتح الباري[٢٩٩/٦]
[9] /معجم مقاييس اللغة [١٦٤/٥]
[10] /تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان[٩١٢]

قوله تعالى: { وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ }[1]ويشهد للثاني : { فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ }[2] لأنها إذا تناثرت وذهبت من اماكنها وتغير نظامها ،ففقد ذهب نورها وطمست"[3]

وإذا تساقطت النجوم وتناثرت هذا يعني أنها تغير نظامها ،فالقول الثاني من لوازم القول الأول ولا تضاد بين القولين [4]

فأقول –والله أعلم– بالجمع بين القولين.

[1] /سورة الإنفطار آية ٢
[2] /سورة المرسلات آية ٩
[3] / أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن [٩/ ٦٢]
[4] /ينظر:تفسير جزء عم لمساعد الطيار[٦٤]

المسألة الثانية والأربعون:

في معنى قوله تعالى: {وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦ }

قال ابن جزي –رحمه الله–: " فيه ثلاثة أقوال،أحدها: ملئت وفجر بعضها إلى بعض حتى تعود بحرا واحدا،والآخر: ملئت نيرانا لتعذيب أهل النار، والثالث: فرغت من مائها ويبست .وأصله من سجرت التنور إذا ملأتها ،فالقول الأول والثاني أليق بالأصل ، والأول والثالث موافق لقوله(فجرت)"[1]

ترجيح ابن جزي:

رجح ابن جزي–رحمه الله– القول الأول ؛حيث اجتمع فيه علتا الترجيح،كونه أليق بأصل اشتقاق الكلمة ،و هو أيضاً موافق لقوله تعالى: { وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ }[2]

الدراسة:

اختلف السلف و الخلف في معنى الآية ،على عدة أقوال:

– القول الأول: أن البحار تمتلئ ويفجر بعضها بعضا حتى تصبح بحرا واحدا، وهو ما رجحه ابن جزي –رحمه الله–

وقد رجح هذ القول من السلف –رضوان الله عليهم–:ربيع بن خثيم ،و الكلبي ،و الضحاك،[3]والحسن[4]،ومجاهد ،و مقاتل[5]،وابن السائب[6]–رحمهم الله جميعاً–

---

[1] /التسهيل[٤/٣٤٠]
[2] /سورة الإنفطار:٣
[3] /ينظر: جامع البيان[١٢/ ٤٦٠-٤٦١]
[4] /ينظر: تفسير القرآن العزيز[٥/٩٩]
[5] /ينظر: معالم التنزيل[١٣٨٥]
[6] /ينظر: زاد المسير في علم التفسير[٩/ ٣٩]
ابن السائب هو : عبد الله بن السائب بن صيفي بن عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم المخزومي، له ولأبيه صحبه،كان قارئ أهل مكة ،مات في مكة وصلى عليه ابن عباس .....ينظر : الإصابة [٤/١٠٢] ، وتهذيب التهذيب [٥/٢٠١]

ورجحه من المفسرين: الطبري حيث قال:" وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك ملئت حتى فاضت فانفجرت وسالت كما وصفها الله به في الموضع الآخر فقال: { وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ فُجِّرَتۡ }[1] والعرب تقول للنهر أو للركي[2] المملوء ماء مسجور .....الخ "[3]، و رجحه ابن أبي زمنين[4]،و الزمخشري[5]،و القرطبي[6]،و النسفي[7]،و ابن عادل[8]،و القاسمي[9]،و القاسمي[9]،و ابن عاشور[10]–رحمهم الله جميعاً–

– روي المعنى الثاني–أن سجرت بمعنى: ملئت ناراً – عن بعض السلف وهم: أبي بن كعب،و علي بن أبي طالب،و سعيد بن المسيب[11]،وابن عباس،و ابن زيد ،و شمر بن عطية[12] ،و سفيان[13]،والحسن بن مسلم[14]–رحمهم الله جميعاً–

ورجحه من المفسرين: الواحدي[15]،و الشوكاني[16]،و الآلوسي[17]،و ابن السعدي[18]،و ابن عثيمين[19]–رحمهم الله جميعاً–

– و روي القول الثالث–أن سجرت بمعنى يبست– عن بعض السلف: قتادة،والحسين عن أبيه،والحسن–رضوان الله عليهم–[1]

---

[1] /سورة الإنفطار:٣
[2] / الركية : البئر التي لم تطو ،جمعها :ركايا و ركي المعجم الوسيط [١/ ٣٧١]
[3] / جامع البيان[١٢/ ٤٦٠-٤٦١]
[4] / تفسير القرآن العزيز[٩٩/٥]
[5] / الكشاف[٤/ ٧٠٨]
[6] / الجامع لأحكام القرآن[١٩ / ٢٣٠]
[7] / تفسير النسفي[٣١٩/٤]
[8] / اللباب في علوم الكتاب[٣٤٠/١٦]
[9] / محاسن التأويل[٣٣٤/٩]
[10] / التحرير والتنوير[٣٠/ ١٤٣]
[11] / **سعيد بن المسيب** هو : سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم القرشي المخزومي، ولد لسنتين خلت من خلافة عمر،وكان من سادات التابعين فقها ودينا وورعا وعلما وعبادة وفضلا ، وكان سعيد سيد التابعين وأفقه أهل الحجاز، مات سنة ٩٤هـ أو ٩٣هـ .....ينظر: تهذيب التهذيب [٧٤/٤-٧٧] الثقات [٢٧٤/٤]
[12] /**شمر بن عطية** هو : شمر بن عطية الأسدي الكاهلي الكوفي.، قال النسائي ثقة ،وذكره بن حبان في كتاب الثقات ،روى له أبو داود في المراسيل والترمذي والنسائي في اليوم والليلة.....ينظر : تهذيب الكمال [٥٦٠/١٢]الثقات [٤٥٠/٦]
[13] /ينظر في كل ماسبق: جامع البيان[١٢/ ٤٦٠-٤٦١]
[14] /ينظر : تفسير القران العظيم[٤/ ٤٣١]
الحسن بن مسلم هو : الحسن بن مسلم بن يناق المكي ،روى عن مجاهد وطاووس و عطاء وسعيد بن الجبير ،وثقه ابن معين والنسائي و ابن حبان ،و مات قبل طاووس .....ينظر: تهذيب التهذيب [٢٧٨/٢] ،و الثقات [١٦٧/٦]
[15] / الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[٢/ ١١٧٧]
[16] / فتح القدير[٥ / ٣٨٨-٣٨٩]
[17] / روح المعاني[٣٠ /٥٢]
[18] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان[٩١٢]
[19] / تفسير جزء عم [٦٠]

و لم يرجحه أحد من المفسرين–فيما بين يدي من المراجع– وإنما ذكروه في معرض ذكر الأقوال.

– وروي قول رابع هو: حمرة مائها حتى تصير كالدم ،مأخوذ من قولهم عين سجراء أي حمراء، حكاه الماوردي[٢].

– وذكر ابن عطية قول خامس حيث قال: " ويحتمل أن يكون المعنى ملكت وقيد اضطرابها حتى لا تخرج على الارض بسبب الهول فتكون اللفظة ماخوذة من ساجور الكلب"[٣]

الترجيح:

الراجح –والله أعلم– الجمع بين الأقوال ،فالبحار تمر بمراحل كثيرة يوم القيامة .

قال الدكتور أحمد قاضي[٤] : " وكما قلنا في أمر الجبال، وفي أمر الشمس، نقول أيضاً في أمر البحار : إن هذه البحار يعتريها أحوال يوم القيامة، فلعل أول ما يعتريها أنها تفجر، كما في السورة التالية: ﴿ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ فُجِّرَتۡ ﴾[٥] أي فاضت، وامتلأت، فاختلط الماء العذب، بالماء الحلو، وفاضت عن حدها، ووعائها الذي كان يحفظها، فإن الله سبحانه وتعالى قال: {وَجَعَلَ بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٗا وَحِجۡرٗا مَّحۡجُورٗا }[٦] فهذا البرزخ يكسر يوم القيامة، ويقع امتلاء وفيضان. ثم يقع بعد ذلك التسجير، بمعنى الإيقاد، والإشعال، كما قال في السورة الأخرى: { وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ }[٧] يعني: الموقد المضطرم ناراً، فيجري إيقاد، وينشأ عن هذا الإيقاد أن يتبخر هذا الماء، فتيبس البحار. فتكون هذه المعاني محمولةً على أحوال مختلفة، فلا يكون هذا من باب

---

[١] /ينظر: جامع البيان[١٢/ ٤٦٠-٤٦١]
[٢] / النكت والعيون[٦/٢١٣]
[٣] / المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[١٩٥١]
[٤] /الدكتور أحمد بن عبدالرحمن بن عثمان القاضي ،دكتوراة في العقيدة والمذاهب المعاصرة، وعضو في هيئة التدريس في جامعة القصيم قسم العقيدة
[٥] /سورة الإنفطار آية ٣
[٦] /سورة الفرقان آية ٥٣
[٧] /سورة الطور آية ٦

التعارض والتناقض ,وإنما من باب التنوع. فهذه الألفاظ ألفاظ مشتركة تستعملها العرب على معانٍ متعددة .ومن بلاغة القرآن أن المعنى يحمل هذه الألفاظ على وجه لا تعارض فيه ."[1]

[1] / التفسير العقدي لسورة التكوير ،نقلا عن موقع العقيدة والحياة www.al-aqidah.com

المسألة الثالثة والأربعون:

في معنى قوله تعالى: {وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧}

قال ابن جزي –رحمه الله– :" فيه ثلاثة أقوال ،أحدها: أن التزويج بمعنى التنويع؛ لأن الأزواج هي الأنواع فالمعنى جعل الكافر مع الكافر والمؤمن مع المؤمن، والثاني: زوجت نفوس المؤمنين بزوجاتهم من الحور العين، والثالث: زوجت الأرواح والأجساد أي ردت إليها عند البعث. والأول هو الأرجح؛ لأنه روى عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن عمر بن الخطاب وابن عباس"[1]

ترجيح ابن جزي:

رجح ابن جزي–رحمه الله–أن التزويج بمعنى التنويع ،فالله عز وجل يجعل الكافر مع الكافر يوم القيامة والمؤمن مع المؤمن،وذلك بقوله:"والأول هو الأرجح"إشارة إلى هذا القول،وعلل ترجيحه : بأن هذا القول مروي عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن عمر بن الخطاب وابن عباس –رضوان الله عليهم–

الدراسة:

اختلف السلف والخلف في معنى الآية،على عدة أقوال:

– القول الأول: أن الأزواج بمعنى الأنواع،أي أن الله عز وجل يجعل الكافر مع الكافر والمؤمن مع المؤمن يوم القيامة،وهو القول الذي رجحه ابن جزي–رحمه الله–

[1] /التسهيل [٤/ ٣٤٠]

وقد أخرج البخاري –رحمه الله– في صحيحه عن عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– :
({النُّفُوسُ زُوِّجَتْ }قال: يُزَوَّجُ نَظِيرَهُ من أَهْلِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ثُمَّ قَرَأَ : {احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ })[1]

قال ابن حجر في فتح الباري: " وقد رواه الوليد بن أبي ثور عن سماك بن حرب فرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقصر به فلم يذكر فيه عمر جعله من مسند النعمان، أخرجه ابن مردويه ،وأخرجه أيضا من وجه آخر عن الثوري كذلك والأول هو المحفوظ"[2]

و روي هذا القول أيضاً عن: ابن عباس ،و الحسن،و مجاهد،و قتادة،و الربيع بن خثيم[3]،و عكرمة[4]–رحمهم الله جميعاً و رضي عنهم–

واختار هذا القول من المفسرين: الطبري[5]،و الزجاج[6]،و ابن أبي زمنين[7]،و الواحدي[8]،و الزمخشري[9]،و ابن عطية [10]،و قال عنه ابن القيم: "قاله الأكثرون"[11]،و رجحه القرطبي[12]،و قال عنه ابن كثير: "وهو الصحيح"[13]،و رجحه الثعالبي[14]،و الشوكاني[15]،و الآلوسي[16]،و ابن السعدي[17]،و ابن عثيمين[18]–رحمهم الله جميعاً–

– القول الثاني :أن نفوس المؤمنين تزوج بزوجاتهم من الحور العين،روي عن عطاء ومقاتل–رحمهما الله–[19]

[1] /صحيح البخاري[١٨٨٣/٤]كتاب التفسير /باب تفسير سورة إذا الشمس كورت / رقم الحديث:[٤١٨]
[2] /فتح الباري[٦٩٤/٨]
[3] /ينظر في كل ما سبق: جامع البيان[٤٦٢/١٢-٤٦٣]
[4] /ينظر: معالم التنزيل[١٣٨٥]
[5] / جامع البيان[٤٦٣/١٢]
[6] / معاني القرآن وإعرابه[٢٩٠/٥]
[7] / تفسير القرآن العزيز[٩٩/٥]
[8] / الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[٢/ ١١٧٧]
[9] / الكشاف[٧٠٨/٤]
[10] / المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[١٩٥١]
[11] / بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن القيم الجوزية [٥/ ١٤٤]
[12] / الجامع لأحكام القرآن[١٩ / ٢٣١]
[13] / تفسير القران العظيم[٤٣٢/٤]
[14] / الجواهر الحسان في تفسير القرآن[٥/ ٥٥٦]
[15] / فتح القدير[٥ /٣٨٩]
[16] / روح المعاني[٣٠ / ٥٢]
[17] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان[٩١٢]
[18] / تفسير جزء عم [٦٠-٦١]
[19] / ينظر: معالم التنزيل[١٣٨٥]

ولم يرجحه أحد من المفسرين –فيما بين يدي من المراجع– ،وإنما ذكروه في معرض ذكر الأقوال.

– القول الثالث: زوجت الأرواح بالأجساد عند البعث، روي عن عكرمة و الشعبي[1]،و الضحاك[2]–رحمهم الله–

ورجحه من المفسرين: الخطيب الشربيني[3]،و المراغي[4]–رحمهما الله–

–و روى الماوردي قولين آخرين في معنى الآية حيث قال:" الرابع : أنه قرن كل غاو بمن أغواه من شيطان أو إنسان ، حكاه ابن عيسى .ويحتمل خامساً : زوجت بأن أضيف إلى كل نفس جزاء عملها ، فصار لاختصاصها به كالتزويج "[5]

الترجيح:

الراجح –والله أعلم– ما رجحه ابن جزي –رحمه الله– أن معنى التزويج في الآية التنويع ،حيث يقرن المؤمن بالمؤمن والكافر بالكافر يوم القيامة؛وذلك للمرجحات التالية:

١– بالتتبع الموضوعي لكلمة الأزواج في القرآن الكريم نجد أن هذا المعنى موافق للنسق القرآني ،حيث جاء هذا المعنى في غير موضع من القرآن الكريم،قال تعالى: {ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ

[1] /ينظر: جامع البيان[١٢/ ٤٦٢-٤٦٣]
[2] /ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[١٩٥١]
[3] / السراج المنير[٤/ ٣٥٨]
[4] /تفسير المراغي [١٠/ ٥٥]
المراغي هو :أحمد بن مصطفى المراغي ،مفسر مصري من العلماء ،له كتب منها : الحسبة في الإسلام ،و الوجيز في أصول الفقه ،و تفسير المراغي ،توفي بالقاهرة سنة ١٣٧١هـ.....ينظر: الأعلام [٢٥٨/١]
[5] / النكت والعيون[٢١٣/٦]

}[1]،وقال عز من قائل: { وَكُنتُمۡ أَزۡوَٰجٗا ثَلَٰثَةٗ }[2]،وقال تعالى: { وَءَاخَرُ مِن شَكۡلِهِۦٓ أَزۡوَٰجٞ }[3]،وجاء في معنى الآية قوله تعالى: {وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ }[4] .

وحمل معاني كلام الله عز وجل على الغالب من أسلوب القرآن ومعهود استعماله أولى من الخروج به عنهما [5]

٢-أن هذا القول مروي عن النبي صلى الله عليه وسلم،وإذا ثبت الحديث وكان نصاً في تفسير الآية فلا يصار إلى غيره.[6]

٣- أن هذا القول عليه أكثر السلف -رضوان الله عليهم- .

٤-أن هذا القول عليه أكثر المفسرين .

[1] /سورة الصافات آية [٢٢]
[2] /سورة الواقعة آية [٧]
[3] / سورة ص آية[٨٥]
[4] /سورة الزمر آية ٧١
[5] /قواعد الترجيح عند المفسرين للحربي[١٧٢/١]
[6] /المرجع السابق[١٩١/١]

المسألة الرابعة والأربعون:

في معنى الصحف في قوله تعالى: { وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾ }

قال ابن جزي –رحمه الله–: " هي صحف الأعمال تنشر ليقرأ كل أحد كتابه وقيل هي الصحف التي تتطاير بالأيمان والشمائل بالجزاء "[1]

ترجيح ابن جزي:

رجح ابن جزي–رحمه الله– أن الصحف هي صحف الأعمال تنشر ليقرأ كل أحد كتابه ،حيث قدم هذا القول على القول الآخر ،وذكر القول الثاني بصيغة التمريض

الدراسة:

في معنى الصحف قولان:

القول الأول: أنها صحف الأعمال التي تنشر يوم القيامة ،فيقرأ كل مكلف كتابه،وهو ما رجحه ابن جزي –رحمه الله–،و

روي هذا القول عن قتادة –رحمه الله –حيث قال:"صحيفتك يابن آدم يملى ما فيها ،ثم تطوى ثم تنشر عليك يوم القيامة ،فينظر الرجل ما يلي في صحيفته"[2]

ورجح هذا القول من المفسرين : الطبري[3]،و ابن أبي زمنين[4]،و الماوردي[5]،و الواحدي[6]،و القرطبي[7]،و أبو حيان[8]،و الخطيب الشربيني[9]،و أبو السعود[1]،و الشوكاني[2]،و الآلوسي[3] ،و ،و القاسمي[4]،و ابن عاشور[5]،و ابن عثيمين[6]–رحمهم الله جميعاً–

---

[1] /التسهيل[٤/٣٤١]
[2] /ينظر: جامع البيان[١٢/ ٤٦٥]و تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين[١٠/ ٣٤٠٣]
[3] / جامع البيان[١٢/ ٤٦٥]
[4] / تفسير القرآن العزيز[٥/١٠٠]
[5] / النكت والعيون[٦/٢١٥]
[6] / الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[٢/ ١١٧٨]
[7] / الجامع لأحكام القرآن[١٩ / ٢٣٤]
[8] / البحر المحيط [٨/٤٢٥]
[9] / السراج المنير[٤/ ٣٥٩]

– القول الثاني: أن الصحف في الآية هي: الصحف التي تتطاير بالأيمان والشمائل بالجزاء ،رجح هذا القول: الزجاج[٧]،و البغوي[٨] ،و الزمخشري[٩]،و ابن الجوزي[١٠]،و فخرالدين الرازي[١١]،و البيضاوي[١٢]،و ابن السعدي[١٣]–رحمهم الله جميعاً–.

الترجيح:

الراجح– والله أعلم– أن كلا القولين بمعنى واحد وإنما هو اختلاف بالتعبير وطريقة عرض المضمون

فالصحف التي يكتب فيها الأعمال هي التي تنشر وتعرض على الإنسان يوم القيامة ،فيأخذها بيمينه أو بشماله.

[١] / إرشاد العقل السليم[٦/٣٨٤-٣٨٥]
[٢] / فتح القدير[٥ /٣٨٩]
[٣] / روح المعاني[٣٠ / ٥٥]
[٤] / محاسن التأويل[٩/٣٤٠]
[٥] / التحرير والتنوير[٣٠/ ١٤٩]
[٦] / تفسير جزء عم [٦٢]
[٧] / معاني القرآن وإعرابه[٥/٢٩١]
[٨] / معالم التنزيل[١٣٨٦]
[٩] / الكشاف[٤/ ٧٠٩]
[١٠] / زاد المسير في علم التفسير[٩/ ٤٠]
[١١] / مفاتح الغيب [٣١ /٧١]
[١٢] / أنوار التنزيل وأسرار التأويل[٥/٤٥٧]
[١٣] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان[٩١٢]

المسألة الخامسة و الأربعون:

في معنى قوله تعالى :{وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾}

قال ابن جزي –رحمه الله–:" الكشط هو: التقشير كما يكشط جلد الشاة حين تسلخ ،وكشط السماء هو: طيها كطي السجل قاله ابن عطية ،وقيل: معناه كشفت ،وهذا أليق بالكشط "

ترجيح ابن جزي:

رجح ابن جزي –رحمه الله– أن معنى كشط السماء :أنها تكشف يوم القيامة ،حيث قال عن هذا القول:"هذا أليق بالكشط"أي أنه علل ترجيحه بموافقته لأصل الإشتقاق.

الدراسة:

اختلف في معنى كشط السماء على عدة أقوال:

–القول الأول:أي كشفت ، وهو ما رجحه ابن جزي –رحمه الله–

وقد فسرها السلف بتفسيرات مرادفة لهذا المعنى ،حيث روي عن مجاهد إن المعنى :جذبت[1] ،و روي عن الضحاك أن المعنى :ذهبت، و روي عن السدي أن المعنى :كسفت[2]، وروي عن مقاتل أن المعنى:تكشف عمن فيها[3].

–و رجح هذا القول من المفسرين : الزجاج[4]،و الواحدي[5]،و الزمخشري[6]،و فخرالدين الرازي[7]،و القرطبي[8]،و البيضاوي[9]،و النسفي[10]،و السمين الحلبي[11]،و ابن كثير[12]،و ابن

[1] /ينظر: جامع البيان[١٢/ ٤٦٥]
[2] /ينظر فيما سبق : النكت والعيون [٦/ ٢١٥]
[3] /ينظر: معالم التنزيل[١٣٨٦]
[4] / معاني القرآن وإعرابه[٢٩١/٥]
[5] / الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[١١٧٨/٢]
[6] / الكشاف[٤/ ٧٠٩]
[7] / مفاتح الغيب [٣١ /٧١]
[8] / الجامع لأحكام القرآن[١٩ / ٢٣٥]
[9] / أنوار التنزيل وأسرار التأويل[٤٥٧/٥]
[10] / تفسير النسفي[٢٥٦/٤]
[11] / الدر المصون في علوم الكتاب المكنون [٧٠٥/١٠]
[12] / تفسير القران العظيم[٤٣٣/٤]

عادل[1]،و الخطيب الشربيني[2]،و أبو السعود[3]،و الآلوسي[4]،و القاسمي[5]،و ابن السعدي[6]،و ابن ابن عاشور[7]–رحمهم الله جميعاً–

– القول الثاني: أن كشط السماء هو :طيها كطي السجل ،وهو مثل قوله تعالى: { يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ }[8]وقوله تعالى: {وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ }[9]

ورجح هذا القول: ابن أبي زمنين[10]،و ابن عطية [11]،و أبو حيان[12]–رحمهم الله جميعاً–

– القول الثالث :الجمع بين القولين ،وبه قال أهل اللغة،حيث قال الفراء: "نزعت فطويت" وقال ابن قتيبه: "كشطت كما يكشط الغطاء عن الشئ فطويت"[13] .

رجح هذا القول : الطبري[14]، و ابن عثيمين[15]–رحمهما الله –.

الترجيح:

الراجح –والله أعلم– هو القول بالجمع بين القولين ،قال ابن منظور: "كشط الغطاء عن الشئ ،والجلد عن الجزور، والجلد عن ظهر الفرس يكشطه كشطاً، قلعه ونزعه وكشفه عنه"[16] وقال ابن فارس: "الكاف والشين والطاء كلمة تدل على تنحية الشئ وكشفه"[17]

[1] / اللباب في علوم الكتاب[١٦/ ٢٤٤]
[2] / السراج المنير[٣٥٩/٤]
[3] / إرشاد العقل السليم[٣٨٥/٦]
[4] / روح المعاني[٣٠ /٥٦]
[5] / محاسن التأويل[٣٤٠/٩]
[6] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان[٩١٢]
[7] / التحرير والتنوير[١٤٩/٣٠]
[8] /سورة الأنبياء جزء من الآية ١٠٤
[9] /سورة الزمر جزء من الآية: ٦٧
[10] / تفسير القرآن العزيز[١٠٠/٥]
[11] / المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[١٩٥٢]
[12] / البحر المحيط [٤٢٥/٨]
[13] /ينظر: زاد المسير في علم التفسير[٤٠/٩-٤١]
[14] / جامع البيان[٤٦٥/١٢]
[15] / تفسير جزء عم [٦٢]
[16] :لسان العرب:[٣٨٧/٧]
[17] /معجم مقاييس اللغة[١٨٤/٥]

فالسماء يوم القيامة تنزع وتقلع ثم تطوى ،قال الطبري –رحمه الله–: "وإذا السماء نُزعت و جُذبت ثم طويت"[1]

وهو القول الموافق للإشتقاق اللغوي ولعبارات السلف والمفسرين –رحمهم الله جميعاً–

[1] / جامع البيان[٤٦٥/١٢]

المسألة السادسة والأربعون :

في المقصود بالخنس في قوله تعالى: {فَلَآ أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ ۝١٥ }

قال ابن جزي –رحمه الله –:"يعني الدراري السبعة، وهي: الشمس والقمر وزحل وعطارد واالمريخ والمشتري والزهرة؛ وذلك أن هذه الكواكب تخنس في جريها أي: تتقهقر فيكون النجم في البرج ثم يكر راجعا، وهي جواري في الفلك ،وهي تنكنس في أبراجها أي :تستتر. وهو مشتق من قولك :كنس الوحش إذا دخل كناسه،وهو: موضعه. وقيل: يعني الدراري الخمسة ؛لأنها تستتر بضوء الشمس ،وقيل: يعني النجوم كلها؛ لأنها تخنس في جريها وتنكس بالنهار، أي: تستتر وتختفي بضوء الشمس ،وقيل: يعني بقر الوحش ،فالخنس على هذا من خنس الأنف والكنس من سكناها في كناسها"

ترجيح ابن جزي:

رجح ابن جزي–رحمه الله– أن الخنس هي الدراري السبعة ،وهي:الشمس والقمر وزحل وعطارد والمريخ والمشتري والزهرة ،حيث قدم هذا القول على بقية الأقوال،وذكر بقية الأقوال بصيغة التمريض.

الدراسة:

اختلف السلف والخلف في معنى الخنس على عدة أقوال:

– القول الأول: أن الخنس هي الدراري السبعة ،وهي:الشمس والقمر وزحل وعطارد والمريخ والمشتري والزهرة،وهو ما رجحه ابن جزي –رحمه الله–

و قد نقل بعض المفسرين الإجماع على هذا القول،حيث قال ابن عطية: "قال جمهور المفسرين إن ذلك الدراري السبعة"[١]،وقال أبو حيان: "قال الجمهور: الدراري السبعة"[٢]،وقال الثعالبي: "وهي في قول الجمهور :الدراري السبعة"[٣] ، و رجح هذا القول ابن السعدي[٤]– رحمهم الله جميعاً–

– القول الثاني: أن الخنس هي الدراري الخمسة ، وهي الدراري السبعة دون النيرين الشمس والقمر،رجح هذا القول من المفسرين: الواحدي[٥]،و فخرالدين الرازي[٦]،و القرطبي[٧]،و البيضاوي[٨]،و الخطيب الشربيني[٩]،و أبو السعود[١٠]،و الشوكاني[١١]–رحمهم الله جميعاً–

– القول الثالث: أن الخنس هي النجوم كلها ،روي هذا القول عن علي بن أبي طالب [١٢]،وابن عباس [١٣]–رضي الله عنهم جميعاً– وعن الحسن و مجاهد وقتادة وابن زيد[١٤] –رحمهم الله جميعاً–

رجح هذا القول من المفسرين: الزجاج[١٥]،و ابن أبي زمنين[١٦]،وحكى ابن الجوزي أنه قول الأكثرون[١٧]

،و رجحه ابن القيم[١٨]،والقاسمي[١٩]،و الشنقيطي[٢٠]،و ابن عثيمين[٢١]–رحمهم الله جميعاً–

---

[١] / المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[١٩٥٣]
[٢] / البحر المحيط [٤٢٥/٩]
[٣] / الجواهر الحسان في تفسير القرآن[٥٥٧/٥]
[٤] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان[٩١٢-٩١٣]
[٥] / الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[١١٧٨/٢]
[٦] / مفاتح الغيب [٣١ /٧٢]
[٧] / الجامع لأحكام القرآن[١٩ / ٢٣٦-٢٣٨]
[٨] / أنوار التنزيل وأسرار التأويل[٤٥٨/٥]
[٩] / السراج المنير[٤/ ٣٥٩]
[١٠] / إرشاد العقل السليم[٣٨٧/٦]
[١١] / فتح القدير[٥ / ٣٩٠]
[١٢] /ينظر: جامع البيان[٤٦٩/١٢]
[١٣] /ينظر: تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين[٣٤٠٤/١٠-٣٤٠٥]
[١٤] /ينظر فيما سبق: جامع البيان[١٢/]
[١٥] / معاني القرآن وإعرابه[٥/ ٢٩١-٢٩٢]
[١٦] / تفسير القرآن العزيز[١٠٠/٥]
[١٧] / زاد المسير في علم التفسير[٩/ ٤١-٤٢]
[١٨] / بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن القيم الجوزية [١٣١/٥]
[١٩] / محاسن التأويل[٣٤٠/٩]
[٢٠] / أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن [٩/ ٧١]
[٢١] / تفسير جزء عم [٦٤]

-القول الرابع: أن الخنس هي بقر الوحش ، والخنس هنا هو خنس الأنف ،والكنس من سكناها في كناسها،روي هذا القول عن: عبد الله بن مسعود-رضي الله عنه- وعن أبي ميسره[1] ،و أبي الشعثاء جابر بن زيد[2] ،و عبد الله بن وهب[3] ،و مجاهد ،والأعمش بن ابراهيم[4]،و ابراهيم النخعي[5]-رحمهم الله جميعاً-

ولم يرجحه أحد من المفسرين -فيما بين يدي من المراجع- بل ذكروه في معرض ذكر الأقوال.

-القول الخامس: أن الخنس هي الظباء ،وهو في معنى القول السابق

وروي هذا القول عن ابن عباس -في أحد القولين عنه- و سعيد بن جبير ومجاهد والضحاك[6]-رحمهم الله جميعاً-

-القول السادس: أن الخنس صفة تعم كل موصوف بها ،وهو ما تفرد به الطبري-رحمه الله- بقوله: "وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أقسم بأشياء تخنس أحياناً أي تغيب ،وتجري أحياناً وتكنس آخرى.....فالصواب أن يعم بذلك كل ما كانت صفته الخنوس أحياناً والجري أخرى والكنوس بانات على ما وصف جل ثناؤه من صفات"[7]

---

[1] / **أبو ميسرة** هو : عمرو بن شرحبيل الهمداني الكوفي ، كان من أفاضل أصحاب عبد الله بن مسعود ،ذكره البخاري وغيره في التابعين ،و وثقه ابن معين ،و عده ابن حبان في الثقات ،مات بالطاعون سنة ٦٣هـ ..... ينظر: الإصابة [١٣٦/٥] ، و الثقات [٥ / ١٦٨]

[2] / **أبو الشعثاء** هو :جابر بن زيد الأزدي اليحمدي الجوفي البصري ، عرف بكنيته أبو الشعثاء ،قال العجلي : تابعي ثقة ، وعده ابن حبان في الثقات، كان فقيها ، وكانت الإباضية تنتحله وهو يتبرأ منها ،توفي سنة ٩٣هـ.....ينظر : تهذيب التهذيب [٣٤/٢] معرفة الثقات [١/ ٢٦٣] الثقات [٤ / ١٠١-١٠٢]

[3] / **عبد الله بن وهب** هو : عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي مولاهم، أبو محمد المصري، الفقيه ثقة حافظ عابد ، قال ابن حبان : كان ممن جمع وصنف وهو الذي حفظ على أهل الحجاز ومصر حديثهم ،مات سنة ٩٧هـ وله اثنتان وسبعون سنة.....ينظر: تقريب التهذيب [١/ ٣٢٨] الثقات [٨/ ٣٤٦]

[4] /ينظر فيما سبق: جامع البيان[١٢/ ٤٦٩]

[5] /ينظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[١٩٥٣]

إبراهيم النخعي هو : إبراهيم النخعي بن يزيد بن قيس بن الأسود أبو عمران ،فقيه أهل الكوفة ومفتيها،ثقة إلا أنه يرسل كثيراً ،مات سنة ٩٦هـ.....ينظر : تقريب التهذيب [٩٥/١]، وطبقات الحفاظ [١/ ٣٦-٣٧]

[6] / ينظر: جامع البيان[٤٦٩/١٢]

[7] / المرجع السابق

الترجيح:

الراجح –والله أعلم– أن المراد بالخنَس النجوم كلها وذلك لما يلي:

١ – أن هذا القول قال به من السلف علي بن أبي طالب وابن عباس –رضي الله عنهما– ، وحكى ابن الجوزي أنه قول الأكثرون.

٢ – أن الخنس هو: الإنقباض والاختفاء ،وهذا ظاهر في النجوم.

٣ – قال ابن القيم رحمه الله: "أن هذه الأحوال–أي طلوعها وغروبها وجريانها – في الكواكب السيارة أعظم آية و عبرة .

٤ – اشتراك أهل الأرض في معرفته بالمشاهدة والعيان.

٥ – أنه ليس بالبين إقسام الرب تعالى بالبقر والغزلان ،و ليس هذا عرف القرآن و لا عادته ،وإنما يقسم سبحانه من كل جنس بأعلاه.

٦ – أن اقتران القسم بالليل والصبح يدل على انها النجوم ،وإلا فليس باللائق اقتران البقر والغزلان والليل والصبح في قسم واحد.

٧ – أنها لو أراد ذلك–أي البقر والظباء– سبحانه لبينه وذكر ما يدل عليه ،كما لما أراد بالجواري السفن قال: {وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ }[١] ،وهنا ليس في اللفظ ولا في السياق ما يدل على أنها البقر والظباء ،وفيه –أي السياق–ما يدل على انها النجوم من الوجوه التي ذكرتها وغيرها

٨ – أن الارتباط الذي بين النجوم التي هي هداية للسالكين ورجوم للشياطين ،وبين المقسم عليه وهو القرآن ،الذي هو هدى للعالمين ،و زينة للقلوب ،وداحض لشبهات الشياطين ،أعظم من الارتباط الذي بين البقر والظباء والقرآن"[٢]

هذا بالنسبة لرد القول بأنها البقر والظباء،أما القول أن الخنس هي الكواكب السبعة او الخمسة ،فأرى –والله أعلم – أنها تدخل تحت القول بأنها النجوم كلها ،ولا دليل لتخصيصها هنا ،سوى أنها كانت مشاهدة ومعلومة في ذلك العصر دون غيرها .

[١] /سورة الشورى آية:٣٢

[٢] /النقاط من ٢إلى ٧ ينظر: بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن القيم الجوزية [١٣١/٥] بتصرف

أما القول بأنها عامة في كل ما صفته كذلك ،فهو وإن كان صحيحا ،إلا أن في السياق ما يحدد المعنى بالنجوم ،كما سبق ،والقول الذي تؤيده قرائن في السياق مرجح على ما خالفه[1]

[1] /قواعد الترجيح عند المفسرين للحربي[٢٩٩/١]

المسألة السابعة و الأربعون :

في متى يعسعس الليل في قوله تعالى: { وَالَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ }

قال ابن جزي –رحمه الله–: " يقال عسعس الليل إذا كان غير مستحكم الظلام. فقيل: ذلك في أوله، وقيل: في آخره وهذا أرجح ؛لأن آخر الليل أفضل، ولأنه أعقبه بقوله: {وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ } "[1]

ترجيح ابن جزي:

رجح ابن جزي –رحمه الله – أن عسَ الليل يكون في آخره ،فيكون المعنى :والليل إذا أدبر،وذلك بقوله :"وقيل في آخره وهذا أرجح"

وعلل ترجيحه: بأن آخر الليل أفضل ،و لأنه عز وجل أعقبه بقوله : { وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ } ".

الدراسة:

اختلف المفسرون في عسّ الليل متى يكون ؟،على قولين:

– القول الأول: يكون عس الليل في أخر الليل،وهو ما رجحه ابن جزي –رحمه الله– وقد روي هذا القول عن السلف –رضوان الله عليهم–: علي بن أبي طالب،وابن عباس ،ومجاهد ،و قتادة،و الضحاك ، وابن زيد.[2]

ورجح هذا القول من المفسرين: الطبري[3]،و ابن أبي حاتم[4]،و الزمخشري،و نقل القرطبي[5] الإجماع،و رجحه كذلك ابن القيم[6]،و القاسمي[7]،و ابن السعدي[1]–رحمهم الله جميعاً–

[1] /التسهيل [٣٤٢/٤]
[2] /ينظر: جامع البيان[١٢/ ٤٦٩-٤٧١]
[3] / جامع البيان[٤٧١/١٢]
[4] / تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين[١٠/ ٣٤٠٥]
[5] / الجامع لأحكام القرآن[١٩/ ٢٣٨]
[6] / بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن القيم الجوزية [٥/ ١٣٤]
[7] / محاسن التأويل[٣٤٠/٩]

– القول الثاني :أن معنى عسعس أي:أقبل ، روي هذا القول عن:الحسن،و عطية ، واحدى الروايتين عن مجاهد[٢] ،وابن جبير ،واحدى الروايتين عن قتادة [٣]–رحمهم الله جميعاً–

واختاره من المفسرين: الواحدي[٤] ،و أبو حيان[٥] ،و ابن كثير[٦] ،و ابن عثيمين[٧]–رحمهم الله جميعاً–

–وهناك قول ثالث في المسألة:أن عسعس بمعنى أظلم ،وهو من الأضداد بمعنى أنه يحتمل إقبال الليل وإدباره ،أي الجمع بين القول الأول و الثاني .

وقد روي هذا القول عن :ابن مسعود–رضي الله عنه – ،و مجاهد[٨]

واختار هذا القول من المفسرين: الزجاج حيث قال:"يقال عسعس الليل إذا أقبل وعسعس إذا أدبر ،والمعنيان يرجعان إلى شئ واحد وهو ابتداء الظلام في أوله وإدباره في آخره"[٩]

ورجحه أيضاً: البيضاوي[١٠] ،و أبو السعود[١١] ،و الآلوسي[١٢] ،و ابن عاشور[١٣]–رحمهم الله جميعاً–

الترجيح:

الراجح –والله أعلم –القول بالجمع بين القولين ،فـ(عسعس) تحتمل الإقبال والإدبار لليل ،فبالبحث اللغوي لمعناها تبين أنها من الأضداد أي تحتمل المعنيين ،وقد قال السلف بالقولين ،والسياق يؤيد القولين كذلك فقد استخدمه القائلون بالقولين للانتصار لرأيهم .

---

[١] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان[٩١٣]
[٢] /ينظر: جامع البيان[١٢/ ٤٦٩-٤٧١]
[٣] /ينظر: النكت والعيون [٦/ ٢١٧]
[٤] / الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[٢/ ١١٧٨]
[٥] / البحر المحيط [٨/ ٤٢٥]
[٦] / تفسير القران العظيم[٤/ ٤٣٤]
[٧] / تفسير جزء عم [٦٥]
[٨] / ينظر: النكت والعيون [٦/ ٢١٧]
[٩] / معاني القرآن وإعرابه[٥/ ٢٩٢]
[١٠] / أنوار التنزيل وأسرار التأويل[٥/٤٥٨]
[١١] / إرشاد العقل السليم[٦/ ٣٨٧]
[١٢] / روح المعاني[٣٠ /٥٨]
[١٣] / التحرير والتنوير[٣٠/ ١٥٤]

قال الآلوسي: "قيل :كونه بمعنى أقبل ظلامه أوفق بقوله تعالى: { وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ } فإنه أول النهار فيناسب أول الليل ،وقيل كونه بمعنى أدبر انسب بهذا لما بين إدبار الليل وتنفس الصبح من الملاصقة فيكون بينهما مناسبة الجوار"[1]

و ذلك عملاً بالقاعدة الترجيحية: إذا احتمل اللفظ معاني عدة ولم يمتنع إرادة الجميع حُمل عليها.[2]

[1] / روح المعاني[٣٠ /٥٨]
[2] /قواعد التفسير جمعاً ودراسة لخالد السبت[٨٠٧/٢]

المسألة الثامنة والأربعون:

في المراد بالرسول في قوله تعالى: { إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ }

قال ابن جزي –رحمه الله–: " الضمير للقرآن. والرسول الكريم: جبريل، وقيل: محمد صلى الله عليه وسلم. قال السهيلي: (لايجوز أن يقال إنه محمد عليه الصلاة و السلام؛ لأن الآية نزلت في الرد على الذين قالوا إن محمدا قال القرآن فكيف يخبر الله أنه قوله وإنما أراد جبريل وأضاف القرآن إليه لأنه جاء به وهو في الحقيقة قول الله تعالى) وهذا الذي قال السهيلي لا يلزم فإنه قد يضاف إلى محمد صلى الله عليه وسلم ؛لأنه تلقاه عن جبريل عليه السلام وجاء به إلى الناس ومع ذلك فالأظهر أنه جبريل لأنه وصفه بقوله: {ذِے قُوَّةٍ }وقد وصف جبريل بهذا في قوله تعالى: { شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ }"[1][2]

ترجيح ابن جزي:

رجح ابن جزي –رحمه الله –أن الرسول الكريم في الآية هو جبريل عليه السلام ، حيث قال: "فالأظهر انه جبريل" ،و علل ترجيحه بقوله: " لأنه وصفه بقوله: {ذِىقُوَّةٍ }وقد وصف جبريل بهذا في قوله تعالى: {عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُومِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ }"

الدراسة:

اختلف السلف والخلف في المراد بالرسول الكريم في الآية ،على قولين:

– القول الأول: أنه جبريل عليه السلام ،وهو ما رجحه ابن جزي –رحمه الله–

[1] /النجم :جزء من آية[٥-٦]
[2] /التسهيل [٣٤٢/٤]

و روي هذا القول عن أكثر السلف و هم:قتادة[1] ،وعن الحسن والضحاك[2] ،وابن عباس والشعبي[3] وميمون بن مهران والربيع بن أنس[4].

وقد رجح هذا القول اكثر المفسرين،حيث رجحه: الطبري[5]، ابن أبي زمنين[6]، الواحدي[7]، البغوي[8]، الزمخشري[9] ،وقال ابن عطية :"انه قول جمهور الناس"[10] ،و رجحه ابن الجوزي[11] ،و فخرالدين الرازي[12] ،و القرطبي[13] ،و البيضاوي[14] ،و النسفي[15] ،و ابن تيمية[16] ،وجعله أبو حيان[17]قول الجمهور،و رجحه أيضاً ابن القيم[18] ،و ابن كثير[19] ،ونقل الثعالبي[20]انه قول الجمهور، و رجحه ابن عادل[21] ،و الخطيب الشربيني[22] ،و أبو السعود[23] ،و الشوكاني[24] ،و نسبه الآلوسي[25] للجمهور،و رجحه أيضاً القاسمي[26] ،و ابن السعدي[27] ،و ابن عاشور[28] ،و الشنقيطي[29] ،و ابن عثيمين[30] –رحمهم الله جميعاً–

---

[1] /ينظر: جامع البيان[١٢/ ٤٧١]
[2] /ينظر:النكت والعيون[٢١٨/٦]
[3] /**الشعبي** هو : عامر بن شراحيل بن عبد الشعبي من شعب همدان من أهل الكوفة كنيته أبو عمرو....ينظر : الثقات[١٨٥/٥]

[4] /ينظر: تفسير القران العظيم[٤٣٤/٤]
[5] / جامع البيان[١٢/ ٤٧١]
[6] / تفسير القرآن العزيز[١٠١/٥]
[7] / الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[٢/ ١١٧٨]
[8] / معالم التنزيل[١٣٨٦]
[9] / الكشاف[٤/ ٧١١]
[10] / المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[١٩٥٣]
[11] / زاد المسير في علم التفسير[٩/ ٤٣]
[12] / مفاتح الغيب [٣١ / ٧٣-٧٤]
[13] / الجامع لأحكام القرآن[١٩ / ٢٤٠]
[14] / أنوار التنزيل وأسرار التأويل[٤٥٨/٥]
[15] / تفسير النسفي[٢٦٠/٤]
[16] / دقائق التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن تيمية[٥-٦/ ٣٣]
[17] / البحر المحيط [٩/ ٤٢٥]
[18] / بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن القيم الجوزية [٥/ ١٣٤]
[19] / تفسير القران العظيم[٤٣٤/٤]
[20] / الجواهر الحسان في تفسير القرآن[٥٥٨/٥]
[21] / اللباب في علوم الكتاب[١٦/ ٢٤٦]
[22] / السراج المنير[٣٥٩/٤]
[23] / إرشاد العقل السليم[٦/ ٣٨٧]
[24] / فتح القدير[٥ /٣٩١]
[25] / روح المعاني[٣٠ /٥٩]
[26] / محاسن التأويل[٣٤١/٩]
[27] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان[٩١٣]
[28] / التحرير والتنوير[٣٠/ ١٥٥]
[29] / أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن [٩/ ٧٤]
[30] / تفسير جزء عم [٦٥]

– القول الثاني: أن الرسول هو محمد صلى الله عليه و سلم.، رواه ابن عيسى[1]،و لم يرجحه أحد من المفسرين –فيما بين يدي من المراجع.

الترجيح:

الراجح –والله اعلم– ما رجحه ابن جزي –رحمه الله – أن المقصود بالرسول الكريم في الآية جبريل عليه السلام وذلك لما يلي:

١–أن هذا القول هو قول جمهور المفسرين .

٢– وصف الله عز وجل جبريل عليه السلام بهذا الوصف في سورة النجم حيث قال: {شديد القوى} والقول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك[2]

٣– بالنظر إلى سياق الآيات { إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ } يتبين أن الله عز و جل وصف جبريل عليه السلام بعدة صفات ثم بدأ بوصف محمد صلى الله عليه وسلم بقوله : { وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ } فيكون ما قبلها من الصفات لموصوف غير محمد صلى الله عليه وسلم ،وأيضاً أعاد الضمير عليه في قوله: { وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ } أي محمد صلى الله عليه وسلم رآى جبريل عليه السلام.

وذلك عملاً بالقاعد الترجيحية: إدخال الآية في معاني ما قبلها وما بعدا أولى من الخروج بها عنهما إلا بدليل يجب التسليم إليه [3].

---

[1] /ينظر : النكت والعيون [٦/ ٢١٨]

ابن عيسى هو : علي بن عيسى بن علي بن عبد الله الرماني النحوي المتكلم أبو الحسن أحد الأئمة المشاهير جمع بين علم الكلام وبين العربية وله تفسير القرآن صنفه على مذهب المعتزلة ،وكان مع اعتزاله شيعياً ، توفي سنة :٣٨٤هـ .....ينظر: طبقات المفسرين للداودي [١/ ٨٧-٨٨] معجم الأدباء [١٩١/٤]

[2] / قواعد الترجيح عند المفسرين[٣١٢/١]

[3] / المرجع السابق [١٢٥/١]

المسالة التاسعة والأربعون:

في مكان رؤية رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام في قوله تعالى: {وَلَقَدْ رَءَاهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ }

قال ابن جزي –رحمه الله–: "ضمير الفاعل لمحمد صلى الله عليه وسلم . وضمير المفعول لجبريل عليه السلام . وهذه الرؤية له بغار حراء على كرسي بين السماء والأرض، وقيل: الرؤية التي رآه عند سدرة المنتهى في الإسراء . ووصف هذا الأفق بالمبين لأنه: روى أنه كان في المشرق من حيث تطلع الشمس، وأيضا فكل أفق فهو مبين."

ترجيح ابن جزي:

رجح ابن جزي –رحمه الله– أن رؤية محمد صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام المذكورة في الآية هي التي كانت بغار حراء حيث رآه على كرسي بين السماء والأرض،حيث قدم هذا القول على القول الآخر،وذكر الثاني بصيغة التمريض .

الدراسة:

اهتم المفسرون والسلف من قبلهم في تفسير الأفق المبين وتحديد مكانه؛إذ من المسلَم لديهم أن الرؤية المقصودة في الآية هي التي كانت عند غار حراء.

قال ابن كثير–رحمه الله –: "{ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ } يعني: ولقد رأى محمد جبريل الذي يأتيه بالرسالة عن الله عز وجل على الصورة التي خلقه الله عليها له ستمائة جناح، { بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ } أي البين وهي الرؤية الأولى التي كانت بالبطحاء، وهي المذكورة في قوله: {

عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ }[1] كما تقدم تفسير ذلك، وتقريره والدليل عليه أن المراد بذلك جبريل عليه السلام، والظاهر والله أعلم أن هذه السورة نزلت قبل ليلة الإسراء ؛ لأنه لم يذكر إلا هذه الرؤية وهي الأولى، وأما الثانية وهي المذكورة في قوله تعالى: { وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ } فتلك إنما ذكرت في سورة النجم وقد نزلت بعد سورة الإسراء." [2]

و تفرد الزجاج[3] –فيما بين يدي من المراجع– حيث جعلها الرؤية التي عند سدرة المنتهى.

و وافق ابن جزي–رحمه الله –في ترجيحه: ابن عثيمين[4]–رحمه الله– حيث قال :أنها الرؤية التي في غار حراء.

أما ابن عطية [5]و أبو حيان[6]–رحمهما الله – فقالا: أن هذه الرؤية بعد أمر غار حراء.

الترجيح:

الراجح– والله أعلم –ما رجحه ابن جزي –رحمه الله– أن الرسول صلى الله عليه وسلم رأى جبريل عليه السلام بصورته الحقيقة في بداية الرسالة عند غار حراء ،وهي الرؤية المقصودة في هذه الآية ،حيث هذه السورة نزلت قبل حادثة الإسراء التي تمت فيها الرؤية الثانية التي عند سدرة المنتهى.

فهو القول الذي عليه أكثر المفسرين ،ولم يخالف إلا الزجاج–رحمه الله–.

[1] /سورة النجم آية ٥-١٠
[2] / تفسير القران العظيم[٤/ ٤٣٥]
[3] / معاني القرآن وإعرابه[٥/٢٩٣]
[4] / تفسير جزء عم [٦٨]
[5] / المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[١٩٥٣]
[6] / البحر المحيط [٨/ ٤٢٦]

المسألة الخمسون:

في معنى قوله تعالى: {وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۝٣}

قال ابن جزي –رحمه الله–: " أي فرغت وقيل فجر بعضها إلى بعض فاختلط"

ترجيح ابن جزي:

رجح ابن جزي –رحمه الله– أن معنى فجرت أي: فرغت، حيث قدم هذا القول على القول الآخر ،وذكر الثاني بصيغة التمريض.

الدراسة:

اختلف المفسرون في معنى الآية على قولين:

القول الأول: أن معنى فجرت أي :فرغت ، و هو ما رجحه ابن جزي – رحمه الله–

روي هذا القول بمعناه عن الحسن البصري –رحمه الله– حيث قال: "فُجر بعضها في بعض، فذهب ماؤها"[1]

وقدمه الماوردي[2] على بقية الأقوال، ولم يرجحه أحد من المفسرين–فيما بين يدي من المراجع– سوى ابن جزي –رحمه الله–

[1] /ينظر:جامع البيان[٤٧٧/١٢]

– القول الثاني: أن معنى فجرت أي: فجر بعضها في بعض فاختلطت، روي هذا القول عن ابن عباس ،و قال قتادة: " فجر عذبها في مالحها و مالحها في عذبها "[٣]، و قال الربيع: "فجرت : فاضت"[٤]

ورجحه من المفسرين: الطبري حيث قال: " فجر الله بعضها في بعض فملأ جميعها "[٥]، و رجحه الزجاج[٦]، و ابن أبي زمنين[٧]، و قال الواحدي: " فتح بعضها في بعض فصارت بحرا واحدا "[٨]، البغوي[٩]، الزمخشري[١٠]، وابن عطية [١١]، و ابن الجوزي[١٢]، و القرطبي[١٣]، و البيضاوي[١٤]، و النسفي[١٥]، و أبو حيان[١٦]، و ابن كثير[١٧]، والثعالبي[١٨]، و قدمه ابن عادل[١٩]، و الخطيب الشربيني[٢٠]، و أبو السعود[٢١]، و الشوكاني[٢٢]، و الآلوسي[٢٣]، و القاسمي[٢٤]، و ابن السعدي[٢٥]، و ابن عاشور[٢٦]، و ابن عثيمين[٢٧] –رحمهم الله جميعاً–

---

[٢] / النكت والعيون [٦/]
[٣] /ينظر: جامع البيان[٤٧٧/١٢]
[٤] /ينظر: معالم التنزيل[١٣٨٧]
[٥] / جامع البيان[٤٧٧/١٢]
[٦] / معاني القرآن وإعرابه[٢٩٥/٥]
[٧] / تفسير القرآن العزيز[١٠٣/٥]
[٨] / الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[٢/ ١١٨٠]
[٩] / معالم التنزيل[١٣٨٧]
[١٠] / الكشاف[٤/ ٧١٥]
[١١] / المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[١٩٥٤]
[١٢] / زاد المسير في علم التفسير[٤٦/٩]
[١٣] / الجامع لأحكام القرآن[١٩ / ٢٤٤]
[١٤] / أنوار التنزيل وأسرار التأويل[٤٦٠/٥]
[١٥] / تفسير النسفي[٢٦١/٤]
[١٦] / البحر المحيط [٩/ ٤٢٧]
[١٧] / تفسير القران العظيم[٤٣٦/٤]
[١٨] / الجواهر الحسان في تفسير القرآن[٥٥٩/٥]
[١٩] / اللباب في علوم الكتاب[١٦/ ٢٥١]
[٢٠] / السراج المنير[٣٦١/٤]
[٢١] / إرشاد العقل السليم[٦/ ٣٨٩]
[٢٢] / فتح القدير[٥ /٣٩٥]
[٢٣] / روح المعاني[٣٠ /٦٣]
[٢٤] / محاسن التأويل[٣٤٥/٩]
[٢٥] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان[٩١٤]
[٢٦] / التحرير والتنوير[٣٠/ ١٧١]
[٢٧] / تفسير جزء عم [٧٥]

الترجيح:

الراجح – والله أعلم – القول الثاني،حيث يفجر الله عز وجل البحار فتفح على بعض،ويختلط العذب بالمالح ،ويزول البرزخ الذي بينهما .

فهو الذي قال به ابن عباس–رضي الله عنهما–،و هو الذي ذهب إليه أكثر المفسرين .

ولا يمنع الجمع بين الأقوال ،حيث تتفجر البحار وتختلط ثم تتفرق ويذهب ماؤها حيث أراد الله عز وجل ،وتيبس وتجف ،قال الإمام الفخر الرازي:"..وأعلم انه على الوجوه الثلاثة ،فالمراد أنه تتغير البحار عن صورتها الأصلية وصفتها ،وهو كما ذكر انه تغير الأرض عن صفتها في قوله تعالى: { يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ }[٢٨]وتتغير الجبال عن صفتها..."[٢٩]

[٢٨] /سورة إبراهيم جزء من الآية ٤٨

[٢٩] / مفاتح الغيب [٣٠/ ٧٩]

المسألة الحادية والخمسون:

في معنى قوله تعالى: {عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ۝ }

قال ابن جزي –رحمه الله–: " معناه :علمت كل نفس جميع أعمالها ،وقيل :ما قدمت في حياتها وما أخرت مما تركته بعد موتها من سنة سنتها أو وصية أوصت بها"[٣٠]

ترجيح ابن جزي:

رجح ابن جزي–رحمه الله–أن معنى الآية :أنه في يوم القيامة تعلم كل نفس جميع أعمالها،حيث قدم هذا القول على القول الآخر ،وذكر الثاني بصيغة التمريض.

الدراسة:

اختلف المفسرون في معنى (ما قدمت وأخرت)على قولين:

– القول الأول: أن المعنى جميع الأعمال ،وهو ما رجحه ابن جزي –رحمه الله–

ورجح هذا القول من المفسرين: ابن عطية [٣١]،و أبو حيان[٣٢]،و الثعالبي[٣٣]،و ابن عادل[٣٤]،و الخطيب الشربيني[٣٥]،و القاسمي[٣٦]،و ابن عاشور[٣٧]–رحمهم الله جميعاً–

[٣٠] /التسهيل[٤/٣٤٥]
[٣١] / المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[١٩٥٤]
[٣٢] / البحر المحيط [٩/ ٤٢٧]
[٣٣] / الجواهر الحسان في تفسير القرآن[٥/ ٥٥٩]

و روي عن ابن عباس–رضي الله عنهما–نحو هذا القول حيث قال: "تعلم ما قدمت من طاعة الله ،وما أخرت مما أمرت به من حق لله عليها لم تعمل به"وقال بهذا القول أيضاً: قتادة و عكرمة وابن زيد–رحمهم الله –

رجح هذا القول من المفسرين: الزجاج[٣٨]،و الواحدي[٣٩]،و البيضاوي[٤٠]–رحمهم الله–

–القول الثاني في المسألة ،أن معنى الآية : (مَّا قَدَّمَتْ)أي ما قدمت في حياتها (وَأَخَّرَتْ) أي ما تركته بعد موتها من سنة سنتها أو وصية أوصت بها.

روي هذا القول عن ابن مسعود[٤١]–رضي الله عنه– ،وهو قول ثانٍ لابن عباس[٤٢] –رضي الله عنهما–

رجح هذا القول وانتصر له الطبري–رحمه الله– حيث قال: "علمت كل نفس ما قدمت لذلك اليوم من عمل صالح ينفعه ،و أخرت وراءه من شيء سنه فعمل به.....الى أن قال: وإنما اخترنا القول الذي ذكرناه ؛لأن كل ما عمل العبد من خير أو شر فهو مما قدمه ،و أن ما ضيع من حق الله عليه وفرط فيه فلم يعمله ،فهو مما قدم من شر،وليس ذلك مما أخر من العمل،لأن العمل هو ما عمله ،فأما ما لم يعمله فإنما هو سيئة قدمها ،فلذلك قلنا ما أخر هو: ما سنه من سنة حسنة و سيئة مما عمل به العامل كان له مثل أجر العامل بها أو وزره"[٤٣]

---

[٣٤] / اللباب في علوم الكتاب[١٦/ ٢٥١]
[٣٥] / السراج المنير[٤/ ٣٦١]
[٣٦] / محاسن التأويل[٣٤٦/٩]
[٣٧] / التحرير والتنوير[٣٠/ ١٧٣]
[٣٨] / معاني القرآن وإعرابه[٥/ ٢٩٥]
[٣٩] / الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[٢/ ١١٨٠]
[٤٠] / أنوار التنزيل وأسرار التأويل[٤٦٠/٥]
[٤١] /ينظر: تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين[١٠/ ٣٤٠٨]
[٤٢] /ينظر: البحر المحيط [٩/ ٣٧٧]
[٤٣] /جامع البيان[٤٧٨/١٢]

وتابع الطبري في ترجيحه: ابن أبي زمنين[٤٤]،و أبو السعود[٤٥]،و الشوكاني[٤٦]،و الآلوسي[٤٧]– رحمهم الله جميعاً–

الترجيح:

الراجح –والله أعلم – مارجحه ابن جزي –رحمه الله– أن معنى الآية عام في كل ما عمله الإنسان في دنياه سواء عمله أم قصر في عمله ،فيعلمه يقيناً يوم القيامة ويكون ماثلا أمامه ،فالآية عامة في كل ما قدمه الإنسان وآخره في حياته ، وذلك لأنه يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص[٤٨]،ولا نص مخصص هنا.

قال مساعد الطيار–حفظه الله–:"ولو حمل المعنى على العموم لكان وجهاً أوفق ويكون المؤخر بعض المتروك مما لم يعمل به وتكون السنة التي يُعمل بها بعده داخله فيما قدم ،وهذا يعني أن هذه التفاسير السلفية أمثله لعمل مقدم وآخر مؤخر ...وليس بين هذه الأقوال على هذا السبيل تعارض ،بل هي راجعة إلى معنى واحد وهو العموم ،والله اعلم"[٤٩]

[٤٤] / تفسير القرآن العزيز[١٠٣/٥]
[٤٥] / إرشاد العقل السليم[٦/ ٣٩٠]
[٤٦] / فتح القدير[٥ / ٣٩٥]
[٤٧] / روح المعاني[٣٠ /٦٣٠]
[٤٨] /قواعد التفسير لخالد السبت[٥٩٩/٢]
[٤٩] /تفسير جزء عم لمساعد الطيار [٧٨-٧٩]

المسألة الثانية والخمسون

في جواب الاستفهام في قوله تعالى: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ۝٦ }

قال ابن جزي–رحمه الله–: "هذا توبيخ وعتاب .معناه :أي شئ غرك بربك حتى كفرت به أو عصيته أو غفلت عنه ،فدخل في العتاب الكفار وعصاة المؤمنين ومن يغفل عن الله في بعض الأحيان من الصالحين ،وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ: {مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ }فقال: (غره جهله). وقال عمر: (غره جهله وحمقه ،وقرأ: { إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا }[٥٠]) ،وقيل: غره الشيطان المسلط عليه ،وقيل: غره ستر الله عليه، وقيل: غره طمعه في عفو الله عنه .ولا تعارض بين هذه الأقوال لأن كل واحد منها مما يغر الإنسان إلا أن بعضها يغر قوما وبعضها يغر قوما آخرين"[٥١]

ترجيح ابن جزي:

رجح ابن جزي–رحمه الله– الجمع بين الأقوال التي قيلت في الآية، حيث قال: " .ولا تعارض بين هذه الأقوال لأن كل واحد منها مما يغر الإنسان إلا أن بعضها يغر قوما وبعضها يغر قوما آخرين"

[٥٠] /سورة الأحزاب جزء من الآية ٧٢
[٥١] /التسهيل[٤/٣٤٥]

الدراسة:

-روي عن السلف رضوان الله عليهم عدة أقوال في تفسير الآية :

١- ما روي عن الرسول صلى الله عليه وسلم أن الذي غر الإنسان حين عصى الله عز و جل هو جهله، والحديث

رواه الثعلبي: أخبرنا أبو عبد الله بن فنجويه واسمه الحسين بن محمد ثنا أبو علي بن حنش المقري ثنا أبو القاسم بن الفضل المقري ثنا علي بن الحسين المقدمي وعلي بن هاشم قالا: ثنا كثير بن هشام ثنا جعفر بن برقان ثنا صالح ابن مسمار قال: بلغني أن النبي صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية : { يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ } قال: (غره جهله) وعن الثعلبي رواه الواحدي في تفسيره الوسيط بسنده ومتنه[٥٢]

والصحيح أن هذا القول مروي عن عمر –رضي الله عنه–[٥٣] وروي أيضاً عن ابن عباس والربيع بن خثيم والحسن[٥٤] –رضوان الله عليهم –،واختار هذا القول من المفسرين: ابن أبي زمنين[٥٥]،و قدمه ابن عطية [٥٦]، و فخرالدين الرازي[٥٧]، و النسفي[٥٨]، و أبو حيان[٥٩]،وقدمه الخطيب الشربيني على بقية الأقوال[٦٠]،

[٥٢] / تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري للزيلعي [١٦٧/٤]
[٥٣] /ينظر: تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين[١٠/ ٣٤٠٨]
[٥٤] /ينظر : تفسير القران العظيم[٤/ ٤٣٦]
[٥٥] / تفسير القرآن العزيز[١٠٣/٥]
[٥٦] / المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[١٩٥٤]
[٥٧] / مفاتح الغيب [٣٠/ ٨١]
[٥٨] / تفسير النسفي[٢٦١/٤]
[٥٩] / البحر المحيط [٨/ ٤٢٨]
[٦٠] / السراج المنير[٣٦٢/٤]

٢- روي عن قتادة قوله: "{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ } شيء ما غر ابن آدم هذا العدو الشيطان"[٦١] اختار هذا القول الطبري[٦٢]،و قدمه الماوردي[٦٣] ،و البغوي[٦٤] ،و ابن عادل[٦٥]، و الشوكاني[٦٦]على بقية الأقوال،

٣- روي عن السدي :-غره-رفق الله به ،وعن الفضيل بن عياض :غرني ستورك المرخاة [٦٧] ،واختاره من المفسرين: ابن الجوزي[٦٨]،وقدمه الآلوسي على بقية الأقوال[٦٩]،ورجحه ابن عثيمين[٧٠] -رحمهم الله جميعاً-

الترجيح:

الراجح -والله أعلم - ما رجحه ابن جزي -رحمه الله- أنه لا تعارض بين الأقوال السابقة ويمكن الجمع بينها ،حيث يختلف السبب باختلاف الأشخاص،فبعض الناس يغرهم حلم الله عز و جل عليهم،وبعضهم الهوى ،وبعضهم الشيطان ..إلى غير ذلك من الأسباب التي فسر بها السلف- رضوان الله عليه - هذه الآية

وإذ لم يثبت الحديث الوارد عن الرسول صلى الله عليه وسلم في تفسير الآية فلا يعتبر نصاً فيها ،والله تعالى أعلم.

---

[٦١] /ينظر : جامع البيان[١٢/ ٤٧٩]
[٦٢] / جامع البيان[١٢/ ٤٧٩]
[٦٣] / النكت والعيون [٦/ ٢١١]
[٦٤] / معالم التنزيل[١٣٨٨]
[٦٥] / اللباب في علوم الكتاب[١٦/ ٢٥٣]
[٦٦] / فتح القدير[٥ / ٣٩٥]
[٦٧] /ينظر: معالم التنزيل[١٣٨٨]
[٦٨] / زاد المسير في علم التفسير[٤٧/٩]
[٦٩] / روح المعاني[٣٠ /٦٣]
[٧٠] / تفسير جزء عم [ ]

المسألة الثالثة والخمسون:

في متعلق شبة الجملة في قوله تعالى: {فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨}

قال ابن جزي –رحمه الله–: "المجرور يتعلق بـ(رَكَّبَكَ) .و(مَّا) زائدة. والمعنى: ركبك في أي صورة شاء من الحسن والقبح والطول والقصر والذكورة والأنوثة وغير ذلك من اختلاف الصور، ويحتمل أن يتعلق المجرور بمحذوف تقديره: ركبك حاصلا في أي صورة، وقيل: يتعلق بـ(فَعَدَلَكَ) على أن يكون بمعنى صرفك إلى أي صورة شاء ،وهذا بعيد ولا يمكن إلا مع قراءة عدلك بالتخفيف"[٧١]

ترجيح ابن جزي:

رجح ابن جزي –رحمه الله–أن متعلق شبه الجملة الجار والمجرور (فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ) هو :(رَكَّبَكَ)، و (ما)زائده،والمعنى:ركبك في أي صورة شاء من الحسن والقبح والطول والقصر والذكورة والأنوثة وغير ذلك من اختلاف الصور.

حيث قدم هذا القول على القولين الأخريين ،وذكره بصيغة الجزم دونهما،و رد القول الثالث بقوله :"وهذا بعيد"

[٧١] /التسهيل[٤/٣٤٥]

الدراسة:

اختلف في متعلق شبه الجملة (فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ) على ثلاثة أقوال:

– القول الأول: أن متعلق شبه الجملة الجار والمجرور (فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ) هو :(رَكَّبَكَ)، و (ما)زائده،والمعنى: ركبك في أي صورة شاء من الحسن والقبح والطول والقصر والذكورة والأنوثة وغير ذلك من اختلاف الصور.

وهو ما رجحه ابن جزي –رحمه الله–

رجح هذا القول من المفسرين : الزجاج[٧٢]و الزمخشري[٧٣] حيث قدماه على القوليين الآخريين،و رجحه ابن عطية [٧٤]، و النسفي[٧٥]،وقال أبو حيان:" والظاهر أن قوله (فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ) متعلق بـ(رَكَّبَكَ) أي وضعك في صورة اقتضتها مشيئته من حسن و طول و ذكورة و شبه ببعض الأقارب أو مقابل ذلك ،و (ما) زائده ،....وكون (فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ) متعلقاً بـ(رَكَّبَكَ) هو قول الجمهور"[٧٦]،وقدمه السمين الحلبي[٧٧] على بقية الأقوال،و جعله الثعالبي قول الجمهور[٧٨]،وقدمه ابن عادل على القوليين الآخريين[٧٩]، و كذلك الخطيب الشربيني[٨٠]،و رجحه أبو السعود[٨١]،وقدمه الشوكاني[٨٢]و الآلوسي[٨٣]على بقية الأقوال،و رجحه القاسمي[٨٤]– رحمهم الله جميعاً–

[٧٢] / معاني القرآن وإعرابه[٥/ ٢٩٧]
[٧٣] / الكشاف[٤/ ٧١٦-٧١٧]
[٧٤] / المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[١٩٥٥]
[٧٥] / تفسير النسفي[٤/٢١٦]
[٧٦] / البحر المحيط [٨/ ٤٢٨]
[٧٧] / الدر المصون في علوم الكتاب المكنون [١٠/ ٧١٠]
[٧٨] / الجواهر الحسان في تفسير القرآن[٥/ ٥٦٠]
[٧٩] / اللباب في علوم الكتاب[١٦/ ٢٥٤]
[٨٠] / السراج المنير[٤/ ٣٦٢]
[٨١] / إرشاد العقل السليم[٦/٣٩٠]

– القول الثاني: أنه متعلق بمحذوف تقديره: ركبك حاصلا في أي صورة.

– القول الثالث: أنه يتعلق بـ(فَعَدَلَكَ) بمعنى :صرفك إلى أي صورة شاء.

الترجيح:

الراجح –والله أعلم– ما رجحه ابن جزي –رحمه الله – أن شبه الجملة المكونه من الجار والمجرور(فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ)متعلق بقوله (رَكَّبَكَ) و(ما) زائدة.

لأن هذا القول عليه أكثر المفسرين ، والقول به لا يحتاج إلى تقدير محذوف كما في القول الثاني؛عملاً بالقاعدة الترجيحه :القول بالإستقلال مقدم على القول بالإضمار [٨٥].

أما القول الثالث :فالقائلون به ضمنوا(أَيِّ)معنى التعجب والتعظيم ،وجعلوا الجار والمجرور متعلق بما يسبقه وهو قوله (فَعَدَلَكَ) وهذا لا يصح،إذ كيف يعمل فيها ما يسبقها؟؟

قال السمين الحلبي:"الثالث أن يتعلق بـ(فَعَدَلَكَ)،نقله الشيخ –يقصد أبا حيان في البحر المحيط–عن بعض المتأوليين ،ولم يعترض عليه ،وهو مُعْتَرَضٌ:بأن في (أَيِّ) معنى الاستفهام ،فلها صدر الكلام فكيف يعمل فيها ماتقدمها ؟.....وهذا لا يحسن ان يكون مجوزاً لتقدم العامل على اسم الاستفهام ،وإن دخله معنى التعجب .ألا ترى أن كيف وأنَّى وإن دخلهما معنى التعجب لا يتقدم عاملُهما عليهما. وقد اختلف النحويون في اسم الاستفهام إذا قُصد به

[٨٢] / فتح القدير[٥ / ٣٩٥]
[٨٣] / روح المعاني[٣٠ / ٦٤]
[٨٤] / محاسن التأويل[٩/ ٣٤٦]
[٨٥] /قواعد الترجيح عند المفسرين [٤٢١/٢]

الاستثبات: هل يجوز تقديم عاملة أم لا؟ والصحيح أنه لا يجوز،وكذلك لا يجوز أن يتقدم عامل كم الخبرية عليها لشبهها في اللفظ بالاستفهامية ،فهذا أولى" [٨٦]

[٨٦] / الدر المصون في علوم الكتاب المكنون [٧١١/١٠]

المسألة الرابعة والخمسون:

في معنى قوله تعالى: {وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١}

قال ابن جزي –رحمه الله–: "التطفيف في اللغة هو: البخس والنقص .وفسره بذلك الزمخشري واختاره ابن عطية ،وقيل هو: تجاوز الحد في زيادة أو نقصان .واختاره ابن الفرس، وهو الأظهر ؛لأن المراد به هنا بخس حقوق الناس في المكيال والميزان بأن يزيد الإنسان على حقه أو ينقص من حق غيره"[1]

ترجيح ابن جزي:

رجح ابن جزي –رحمه الله –أن معنى التطفيف هو : تجاوز الحد في الزيادة او النقصان ، حيث قال بعد أن ذكر هذا القول: "وهو الأظهر" وعلل ترجيحه بقوله: " لأن المراد به هنا بخس حقوق الناس في المكيال والميزان بأن يزيد الإنسان على حقه أو ينقص من حق غيره"[2]

الدراسة:

في معنى التطفيف قولان:

[1] /التسهيل:[٣٤٧/٤]
[2] /التسهيل: [٣٤٧/٤]

– القول الأول : تجاوز الحد في زيادة أو نقصان،وهو القول الذي رجحه ابن جزي – رحمه الله–،و ذكر أن هذا القول اختاره ابن الفرس[٣] وذلك في كتابه : أحكام القرآن حيث قال: "أراد الله تعالى بالتطفيف في الكيل و الوزن . والتطفيف النقصان . وقيل تجاوز الحد في وفاء أو نقصان ،وهو أحسن ."[٤]

و رجح هذا القول من المفسرين: ابن كثير[٥]–رحمه الله–

– القول الثاني : أن التطفيف في اللغة بمعنى : البخس والنقص، وأصله من الطفيف و هو النزر الحقير،فالمطفف إنما يبخس الناس في الكيل والوزن الشيء القليل الحقير.

رجح هذا القول من المفسرين: الإمام الطبري حيث قال: " للذين يطففون يعني للذين ينقصون الناس ويبخسونهم حقوقهم في مكاييلهم إذا كالوهم أو موازينهم إذا وزنوا لهم عن الواجب لهم من الوفاء وأصل ذلك من الشيء الطفيف وهو القليل النزر والمطفف المقلل حق صاحب الحق عما له من الوفاء والتمام في كيل أو وزن"[٦]، و رجحه الزجاج[٧]،و ابن أبي حاتم[٨]،و ابن أبي زمنين[٩]،و الماوردي[١٠]،و الواحدي[١١]،و البغوي[١٢]، و الزمخشري[١٣]، و ابن عطية [١٤]،و ابن الجوزي[١٥]،و فخرالدين الرازي[١٦]،و القرطبي[١٧]،و البيضاوي[١٨]،و النسفي[١٩]،و

---

[٣] / ابن الفرس:هو عبدالمنعم بن محمد بن عبدالرحيم بن محمد الخزرجي الغرناطي ، يُعرفُ بابن الفَرَسِ ، ويكنى بأبي محمد . ولد بغرناطة سنة ٥٢٥هـ ، وتوفي سنة ٥٩٧هـ بِمَدينة أليبرة الأندلسية . قال فيه الذهبي :(الشيخ الإمام ، شيخ المالكية بغرناطة في زمانه ... برع في الفقه والأصول ، وشارك في الفضائل). [سير أعلام النبلاء ٣٦٤/٢١].

[٤] /أحكام القرآن لابن فرس [٦١٣/٣]

[٥] / تفسير القران العظيم[٤/ ٤٣٨]

[٦] / جامع البيان[٤٨٦/١٢]

[٧] / معاني القرآن وإعرابه[٥/ ٢٩٧]

[٨] / تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين[١٠/]

[٩] / تفسير القرآن العزيز[١٠٥/٥]

[١٠] / النكت والعيون [٢٢٦/٦]

[١١] / الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[٢/ ١١٨٢]

[١٢] / معالم التنزيل[١٣٨٨]

[١٣] / الكشاف[٧١٩/٤]

[١٤] / المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[١٩٥٦]

[١٥] / زاد المسير في علم التفسير[٥٢/٩]

[١٦] / مفاتح الغيب [٣١ /٨٨]

[١٧] / الجامع لأحكام القرآن[١٩ /٢٥٠]

[١٨] / أنوار التنزيل وأسرار التأويل[٤٦٣/٥]

[١٩] / تفسير النسفي[٢٦٢/٤]

أبو حيان[٢٠]،و السمين الحلبي[٢١]،و الثعالبي[٢٢]،و ابن عادل[٢٣]،و الخطيب الشربيني[٢٤]،و أبو السعود[٢٥]،و الشوكاني[٢٦]،و الآلوسي[٢٧]،و القاسمي[٢٨]،و المراغي[٢٩]،و ابن السعدي[٣٠]–رحمهم الله جميعاً–

الترجيح:

الراجح – والله أعلم – أن التطفيف هو البخس والنقص ؛ وذلك للمرجحات التالية:

١ –أنه القول الذي عليه أكثر المفسرين .

٢ –وهو ما عليه أهل اللغة،قال ابن منظور:" التطفيف :البخس في الكيل والوزن، ونقص المكيال: وهو ألا تملأه إلى أصباره .....ومنه التطفيف في الكيل، فأما قوله تعالى :{ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ } فقيل :التطفيف نقص يخون به صاحبه في كيل أو وزن ،... قال أبو إسحاق: المطففون الذين ينقصون المكيال والميزان ،قال: وإنما قيل للفاعل مطفف ؛لأنه لا يكاد يسرق في المكيال والميزان إلا الشيء الخفيف الطفيف وإنما أخذ من طف الشيء وهو جانبه ،وقد فسره عز وجل بقوله: {وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ } أي ينقصون"[٣١]

---

[٢٠] / البحر المحيط [٨/ ٤٣٠]
[٢١] / الدر المصون في علوم الكتاب المكنون [١٠/ ٧١٥]
[٢٢] / الجواهر الحسان في تفسير القرآن[٥٦٢/٥]
[٢٣] / اللباب في علوم الكتاب[١٦/ ٢٥٩]
[٢٤] / السراج المنير[٤/ ٣٦٥]
[٢٥] / إرشاد العقل السليم[٦/ ٣٩٣]
[٢٦] / فتح القدير[٥ / ٣٩٨]
[٢٧] / روح المعاني[٣٠ /]
[٢٨] / محاسن التأويل[٩/ ٣٥١]
[٢٩] /تفسير المراغي [١٠/]
[٣٠] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان[ ]
[٣١] / لسان العرب [٢٢٢/٩]

المسألة الخامسة والخمسون:

في كون السورة مكية أو مدنية !؟

قال ابن جزي –رحمه الله–: " وسبب نزول السورة: أنه كان بالمدينة رجل يقال له أبو جهينة له مكيالان يأخذ بالأوفى ويعطي بالأنقص؛ فالسورة على هذا مدنية. وقيل :مكية لذكر أساطير الأولين، وقيل: نزل بعضها بمكة ونزل أمر التطفيف بالمدينة؛ إذ كانوا أشد الناس فسادا في هذا المعنى فأصلحهم الله بهذه السورة"[٣٢]

ترجيح ابن جزي:

رجح ابن جزي –رحمه الله–أن سورة المطففين مدنية ؛حيث جزم أن سبب نزول السورة في رجل بالمدينة يقال له أبو جهينة ،وذكر بقية الأقوال بصيغة التمريض.

الدراسة:

اختلف المفسرين في كون السورة مكية أم مدنية:

– القول الأول: أن سورة المطففين مدنية ، وهو ما رجحه ابن جزي –رحمه الله–

[٣٢] /التسهيل [٤/٣٤٧-٣٤٨]

و روي هذا القول عن :ابن عباس [٣٣]–رضي الله عنهما–،و الحسن و عكرمة ومقاتل وقتاده– رحمهم الله –[٣٤]

واختار هذا القول من المفسرين: الطبري[٣٥]، و الماوردي[٣٦]، و البغوي[٣٧]، و الزمخشري[٣٨]، و فخرالدين الرازي[٣٩]،و القرطبي[٤٠]،و البيضاوي[٤١]، و ابن كثير[٤٢]، و ابن عادل[٤٣]، و أبو السعود[٤٤]–رحمهم الله جميعاً–

و قد أخرج الطبري بسنده عن ابن عباس ،قال :(لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة كانوا من أخبث الناس كيلاً، فأنزل الله : { وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ } فأحسنوا الكيل)[٤٥]

– القول الثاني أن سورة المطففين مكية ،روي عن:ابن مسعود –رضي الله عنه– والضحاك ويحيى بن سلام[٤٦]

و اختار هذا القول من المفسرين: ابن أبي زمنين[٤٧]،و قدمه ابن عطية [٤٨]، و أبو حيان[٤٩]،و الثعالبي[٥٠]، و الشوكاني[٥١]،و رجحه القاسمي[٥٢] و انتصر له، و رجحه ابن السعدي[٥٣]–رحمهم الله جميعاً–

---

[٣٣] /ينظر: جامع البيان[١٢/ ٤٨٣]
[٣٤] /ينظر: زاد المسير في علم التفسير[٩/ ٥١]
[٣٥] / جامع البيان[٤٨٣/١٢]
[٣٦] / النكت والعيون [٦/ ٢٢٥]
[٣٧] / معالم التنزيل[١٣٨٩]
[٣٨] / الكشاف[٧١٩/٤]
[٣٩] / مفاتح الغيب [٨٩/٣١]
[٤٠] / الجامع لأحكام القرآن[١٩ / ٢٥٠]
[٤١] / أنوار التنزيل وأسرار التأويل[٤٦٢/٥]
[٤٢] / تفسير القران العظيم[٤/ ٤٣٨]
[٤٣] / اللباب في علوم الكتاب[١٦/ ٢٥٩]
[٤٤] / إرشاد العقل السليم[٣٩٣/٦-٣٩٤]
[٤٥] / أخرجه ابن ماجه في التجارات باب التوقي في الكيل والوزن برقم (٢٢٢٣)[٣٨٢]، والنسائي في السنن الكبرى كتاب التفسير [٥٠٨/٦]، والطبراني في الكبير [٣٧١/١١] برقم (١٢٠٤١)،وقال الحاكم :"هذا صحيح و لم يخرجاه " و صححه و وافقه الذهبي . برقم(٢٢٩٥)[٤١/٢]،والبيهقي في الشعب [٣٢٧/٤] برقم (٥٢٨٦)،و الواحدي في أسباب النزول [٤٧٤] و أخرجه ابن جرير الطبري [٥٨/٣٠]
تخريجه: "في إسناده ابن حميد ضعيف ،وقد توبع، والحسين بن واقد ثقة له أوهام ،وقد صححه الحاكم و وافقه الذهبي ،وصحح إسناده السيوطي في الدر المنثور ،و حسن اسناده البوصيري في زوائد ابن ماجه".....أسباب النزول الواردة في كتاب جامع البيان للطبري ، حسن بن محمد البلوط [٢٦٤/٣]
[٤٦] / ينظر: زاد المسير في علم التفسير[٩/ ٥١]

– القول الثالث: أن بعضها نزل بمكة وبعضها بالمدينة.

الترجيح:

قال القاسمي: "وهي مكية على الأظهر ؛فإن سياقها يؤيد أنها كأخواتها اللائي نزلن بمكة ،لا سيما خاتمتها فإنها صفات المستهزئين الذين كانوا بمكة ،وحملها على منافقين المدينة بعيد ؛إذ لم يبلغ بهم الحال ذلك ،وأما ما رواه النسائي وابن ماجة كما في ابن كثير عن ابن عباس : (لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة كانوا من أخبث الناس كيلاً فأنزل الله : { وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ }فأحسنوا الكيل) فقد ذكرنا مراراً أن معنى الإنزال في إطلاق السلف لا يكون مقصوراً على أن كذا سبب النزول ،بل إن كذا مما نزل فيه ذلك ،كأن أهل المدينة تلي عليهم ما سبق إنزاله في مكة،وقيل لهم: أنزل الله حظر ما أنتم عليه والوعيد فيه فأقلعوا. وهذا ظاهر لمن له أنس بعلم الآثار وملكة فيه . ومنه يعلم أن قول بعضهم: نزلت بمكة إلا قصة التطفيف ،وقول آخر :إن كل نوع من المكي والمدني منه آيات مستثناة ،منشؤه الحيرة في المطابقة بين ظاهر ما يتبادر من المأثور في سبب النزول ، و بين ما يدل عليه السياق من خلافه ،وبالوقوف على عرف السلف يزول الإشكال ويتضح الحال"[٥٤]

[٤٧] / تفسير القرآن العزيز[١٠٥/٥]
[٤٨] / المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[١٩٥٥-١٩٥٦]
[٤٩] / البحر المحيط [٨/ ٤٣١]
[٥٠] / الجواهر الحسان في تفسير القرآن[٥/ ٥٦٢]
[٥١] / فتح القدير[٥ / ٣٩٧]
[٥٢] / محاسن التأويل[٩/ ٣٩٣-٣٩٤]
[٥٣] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان[٩١٥]
[٥٤] / محاسن التأويل[٣٥٠/٩]

المسألة السادسة والخمسون:

في المقصود بالفجار في قوله تعالى: {كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ۝٧}

قال ابن جزي –رحمه الله– : " كتاب الفجار هو ما يكتب من أعمالهم. والفجار هنا: يحتمل أن يريد به الكفار، أو المطففين وإن كانوا مسلمين ،والأول أظهر؛ لقوله بعد هذا{وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١٠} "[٥٥]

ترجيح ابن جزي:

رجح ابن جزي –رحمه الله– أن المراد بالفجار في الآية الكريمة :الكفار ،بقوله:"والأول أظهر " إشارة إلى هذا القول ،وعلل ترجيح :أنه عز وجل أردف الآية بقوله عز من قائل: { وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ }

الدراسة:

اختلف في معنى الفجار على قولين:

القول الأول : أنهم الكفار ، وهو ما رجحه ابن جزي –رحمه الله–

[٥٥] /التسهيل[٣٤٩/٤]

ورجح هذا القول من المفسرين: ابن أبي زمنين[٥٦]، و الزمخشري[٥٧]، و ابن عطية حيث قال: " الفجار الكفار وكتابهم يراد فيه الذي فيه تحصيل امرهم وأفعالهم " [٥٨]، و قال النسفي: " ثم اتبعه وعيد الفجار على العموم فقال: {إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡفُجَّارِ } "[٥٩]،و رجحه أبو حيان[٦٠]،و الثعالبي[٦١]،و الخطيب الشربيني[٦٢]، و ابن السعدي[٦٣]–رحمهم الله جميعاً–

القول الثاني : أنهم المطففين من المسلمين.

ولم يرجح هذا القول أي من المفسرين–فيما بين يدي من المراجع ،وإنما قال الألوسي: "..وعلى ما قال غير واحد :ما يعمهم و الفسقه فيدخل فيهم المطففون"[٦٤]

الترجيح:

الراجح –والله أعلم – أن المراد بالفجار في الآية هم الكفار ،حيث أعقبه قوله تعالى: { وَيۡلٌ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ } والقول الذي تؤيده قرائن في السياق مرجح على ما خالفه[٦٥]،و أيضاً أتبع عز وجل آيات الفجار بذكر حال الأبرار،والأبرار يقابلها الكفار ، و إدخال الآية في معاني ما قبلها وما بعدا أولى من الخروج بها عنهما إلا بدليل يجب التسليم إليه [٦٦].

[٥٦] / تفسير القرآن العزيز[١٠٧/٥]
[٥٧] / الكشاف[٧٢٢/٤]
[٥٨] / المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[١٩٥٧]
[٥٩] / تفسير النسفي[٢٦٢/٤]
[٦٠] / البحر المحيط [٨/ ٤٣٢]
[٦١] / الجواهر الحسان في تفسير القرآن[٥/ ٥٦٣]
[٦٢] / السراج المنير[٣٦٦/٤]
[٦٣] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان[٩١٥]
[٦٤] / روح المعاني[٣٠ /٧١]
[٦٥] /قواعد الترجيح عند المفسرين للحربي[٢٩٩/١]
[٦٦] / المرجع السابق [١٢٥/١]

المسألة السابعة والخمسون:

في المقصود بقوله تعالى: { إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ }

قال ابن جزي–رحمه الله–: "روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (ينظرون إلى أعدائهم في النار). وقيل: ينظرون إلى الجنة وما أعطاهم الله فيها"[٦٧]

ترجيح ابن جزي:

رجح ابن جزي –رحمه الله– أن الأبرار في الجنة ينظرون إلى أعدائهم في النار،حيث ذكر أن هذا القول مروي عن الرسول صلى الله عليه وسلم ،وذكر القول الثاني بصيغة التمريض.

الدراسة:

اختلف المفسرون في معنى الآية على عدة أقوال :

القول الأول : أن الأبرار في الجنة ينظرون إلى أعدائهم في النار، و هو ما رجحه ابن جزي – رحمه الله–

و روي هذا القول عن مقاتل –رحمه الله–[٦٨]

ورجح هذا القول ابن عطية [٦٩]–رحمه الله–

[٦٧] /التسهيل [٣٥٠/٤]
[٦٨] /ينظر: معالم التنزيل[١٣٩١]

الحديث : ذكره المهدوي [٧٠]..قاله القرطبي[٧١]

– القول الثاني: أنهم ينظرون إلى نعيم الله عز و جل في الجنة ، روي عن:ابن عباس وعكرمة ومجاهد[٧٢]–رحمهم الله–

و رجح هذا القول من المفسرين: الطبري[٧٣] ، و الواحدي[٧٤]،و البغوي[٧٥] ، و القرطبي[٧٦]،و البيضاوي[٧٧] ، و ابن كثير[٧٨]،و الثعالبي[٧٩] ، و الشوكاني[٨٠] ، و القاسمي[٨١] ، و ابن السعدي[٨٢]– رحمهم الله جميعاً–

– وذكر المفسرون قول ثالث:أن المؤمنين في الجنة ينظرون إلى الله عز وجل بدليل قوله تعالى : { تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ } قاله ابن الخطيب[٨٣]،و قال الفخر الرازي –رحمه الله– مرجحاً هذا القول:"والنظر المقرون بالنضرة هو رؤية الله تعالى على ما قال: { وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ } [٨٤] ومما يؤكد هذا التأويل أنه يجب الابتداء بذكر أعظم اللذات وما هو إلا رؤية الله تعالى"[٨٥] ورجحه أيضاً: ابن القيم[٨٦]–رحمه الله–

---

[٦٩] / المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[١٩٦٠]
[٧٠] / أحمد بن عمار أبو العباس العالم الفاضل المهدوي ،صاحب التفسير كان مقدما في القراءات والعربية ألف كتبا مفيدة ،وقد كانت وفاته في حدود سنة ثلاث وأربعمائة طبقات المفسرين للداودي [٩٧/١] لربما ذكره في كتابه (التحصيل لفوائد كتاب التفضيل الجامع لعلوم التنزيل) ولم أقف عليه
[٧١] / الجامع لأحكام القرآن[١٩ /٢٦٤]
[٧٢] /ينظر: الجامع لأحكام القرآن[١٩/ ٢٦٤]
[٧٣] / جامع البيان[٤٩٦/١٢]
[٧٤] / الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[١١٨٤/٢]
[٧٥] / معالم التنزيل[١٣٩١]
[٧٦] / الجامع لأحكام القرآن[١٩ /٢٦٤]
[٧٧] / أنوار التنزيل وأسرار التأويل[٤٦٦/٥]
[٧٨] / تفسير القران العظيم[٤/ ٤٩١]
[٧٩] / الجواهر الحسان في تفسير القرآن[٥٦٥/٥]
[٨٠] / فتح القدير[٥ /٤٠٢]
[٨١] / محاسن التأويل[٣٥٧/٩]
[٨٢] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان[٩١٦]
[٨٣] /ينظر: اللباب في علوم الكتاب[٢٦٩/١٦]
[٨٤] /سورة القيامة آية ٢٢-٢٣
[٨٥] / مفاتح الغيب [٣١ / ٩٩]
[٨٦] / بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن القيم الجوزية [١٥٨/٥]

– القول الثالث: أنهم ينظرون إلى ما تنتهي إليه أبصارهم ،رجح هذا القول : النسفي[٨٧]، و الخطيب الشربيني[٨٨]،و أبو السعود[٨٩]، و الآلوسي[٩٠]–رحمهم الله–

الترجيح:

الراجح– والله أعلم– أنهم ينظرون إلى نعيم الله عز وجل في الجنة ومن أفضل هذا النعيم وأجله رؤية الله عز وجل كما في حديث ابن عمر–رضي الله عنهما–: (إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر إلى جِنَانه ، وأزواجه ،و نعيمه، وخدمه ، وسرره مسيرة ألف سنة ، وأكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه غدوة وعشية ، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: { وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ })[٩١]

واخترت هذا القول لما يلي:

١–عدم ثبوت الحديث الوارد في القول الأول عن النبي صلى الله عليه وسلم.

٢–ذكر عز و جل في آخر السورة نظر المؤمنين للكفار و ضحكهم منهم حيث قال عز من قائل: { فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ } والقول بالتأسيس في القرآن مقدم على القول بالتأكيد[٩٢].

---

[٨٧] / تفسير النسفي[٢٦٣/٤]
[٨٨] / السراج المنير[٣٦٧/٤]
[٨٩] / إرشاد العقل السليم[٦/ ٣٩٧]
[٩٠] / روح المعاني[٣٠ /٧٥]
[٩١] /رواه الترمذي،و له شواهد ،قال الألباني :ضعيف ينظر:ضعيف سنن الترمذي [٢٨٠]
[٩٢] /ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين للحربي[٢/ ٤٧٣]

٣-ما قاله الفخر الرازي أعلاه ،أن النظر المقرون بالنضرة في القرآن هو النظر إلى الله عز وجل ، وحمل معاني كلام الله عز وجل على الغالب من أسلوب القرآن ومعهود استعماله أولى من الخروج به عنهما [٩٣]،والنظر إلى الله عز وجل داخل في عموم النعيم المقيم في الجنة.

المسألة الثامنة والخمسون:

في عودة الضمير في قوله تعالى: {وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾}

قال ابن جزي –رحمه الله– :" أي إذا رأى الكفار المؤمنين نسبوهم إلى الضلال وقيل إذا رأى المؤمنون الكفار نسبوهم إلى الضلال والأول أظهر وأشهر"[٩٤]

ترجيح ابن جزي:

رجح ابن جزي –رحمه الله– أن ضمير الفصل (هم) في قوله : {رَأَوْهُم}عائد على المؤمنين ،والفاعل المستتر عائد على الكفار،وذلك بقوله:"والأول أظهر وأشهر"

الدراسة:

اختلف المفسرون في عودة ضمير الفصل هم ،على قولين:

[٩٣] /قواعد الترجيح عند المفسرين للحربي[١٧٢/١]
[٩٤] /التسهيل[٣٥١/٤]

القول الأول : أن ضمير الفصل (هم) في قوله :{رَأَوْهُم }عائد على المؤمنين ،والفاعل المستتر عائد على الكفار، والمعنى : إذا رأى الكفار المؤمنين نسبوهم إلى الضلال ، وهو ما رجحه ابن جزي –رحمه الله–

و رجح هذا القول من المفسرين: الطبري[٩٥]، و الواحدي[٩٦]،و البغوي[٩٧]، و الزمخشري[٩٨]، و ابن كثير[٩٩]، أبو السعود[١٠٠]،و الشوكاني[١٠١]،و القاسمي[١٠٢]،و ابن السعدي[١٠٣]–رحمهم الله جميعاً–

–القول الثاني : أن الضمير (هم) عائد على الكفار ،والفاعل المستتر عائد على المؤمنين،والمعنى : إذا رأى المؤمنون الكفار نسبوهم إلى الضلال.

ولم يرجح أحد من المفسرين القول الثاني –فيما بين يدي من المراجع– ،وإنما ذكره ابن عطية [١٠٤] في معرض ذكر الأقوال،وذكره الشوكاني[١٠٥] قولاً مرجوحاً.

الترجيح:

الراجح –والله أعلم– ما رجحه ابن جزي –رحمه الله–حيث هو المتوافق مع سياق الآيات الكريمة ،قال تعالى: { إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ ٢٩ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمۡ

[٩٥] / جامع البيان[١٢/ ٥٠٢]
[٩٦] / الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[٢/ ١١٨٥]
[٩٧] / معالم التنزيل[١٣٩٢]
[٩٨] / الكشاف[٤/ ٧٢٤]
[٩٩] / تفسير القران العظيم[٤/ ٤٤٢]
[١٠٠] / إرشاد العقل السليم[٣٩٨/٦]
[١٠١] / فتح القدير[٥ / ٤٠٣]
[١٠٢] / محاسن التأويل[٩/ ٣٥٩]
[١٠٣] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان[٩١٦]
[١٠٤] / المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[١٩٦٠]
[١٠٥] / فتح القدير[٥ / ٤٠٣]

يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوۡهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرۡسِلُواْ عَلَيۡهِمۡ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ }ففي هذا المقطع يتحدث المولى عز وجل عن الكفار ، والفاعل في قوله {مَرُّواْ } وقوله :{ٱنقَلَبُوٓاْ } و{أُرۡسِلُواْ } جميعها عائد على الكفار ؛ و ذلك عملاً بالقاعدة الترجيحية :توحيد مرجع الضمائر في السياق الواحد أولى من تفريقها.[١٠٦]

[١٠٦] /قواعد الترجيح عند المفسرين للحربي [٦١٣/٢]

المسألة التاسعة والخمسون:

في جواب (إذا) في قوله تعالى: {إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ۝١ }

قال ابن جزي –رحمه الله–: "جواب إذا محذوف ليكون أبلغ في التهويل إذ يقدر السامع أقصى ما يتصوره وحذف للعلم به اكتفاء بما في سورة التكوير والانفطار من الجواب ،وقيل: الجواب ما دل عليه {فَمُلَٰقِيهِ} أي إذا السماء انشقت لقى الإنسان ربه ،وقيل: الجواب{وَأَذِنَت }على زيادة الواو، وهذا ضعيف "[1]

ترجيح ابن جزي:

رجح ابن جزي – رحمه الله– أن جواب الشرط محذوف ،حيث قدم هذا القول ،وذكر الأقوال الآخرى بصيغة التمريض ،وضعف القول الأخير.

وعلل ترجيحه :أن كونه محذوفاً يجعله أبلغ في التهويل ،إذ يقدر السامع أقصى ما يتصوره من أهوال يوم القيامة –أجارنا الله عز و جل من أهوالها–

الدراسة:

اختلف العلماء في جواب إذا الشرطية على ثلاثة أقوال:

[1] /التسهيل:[٣٥٢/٤]

القول الأول : جوابها محذوف ؛ لأن ذلك يجعله أبلغ في التهويل ،وهو القول الذي رجحه ابن جزي –رحمه الله–

و رجح هذا القول من المفسرين: الطبري[٢]، و الزمخشري[٣]، و قدمه ابن الجوزي[٤]، و رجحه البيضاوي[٥]، و أبو حيان[٦]، و السمين الحلبي[٧]، وقدمه الخطيب الشربيني[٨]،و رجحه أيضاً القاسمي[٩]–رحمهم الله جميعاً–

– أما القول الثاني :أن جواب إذا الشرطية يدل عليه قوله تعالى: { فَمُلَٰقِيهِ }[١٠]،والمعنى :إذا كان يوم القيامة لقي الإنسان عمله.فقد رجحه من المفسرين: الزجاج[١١]، و ابن أبي زمنين[١٢]،و قدمه ابن عاشور[١٣]–رحمه الله– على بقية الأقوال.

– القول الثالث : جواب الشرط {وَأَذِنَت }على زيادة الواو ، و رده القرطبي بقوله:" قال بعض المفسرين جواب {إذا السماء انشقت} { أذنت }وزعم أن الواو مقحمة وهذا غلط ؛لأن العرب لا تقحم الواو إلا مع حتى إذا كقوله تعالى : {حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها} الزمر، ومع لما كقوله تعالى : {فلما أسلما وتله للجبين} والواو لا تقحم مع غير هذين"[١٤]

[٢] / جامع البيان[١٢/ ٥٠٦]
[٣] / الكشاف[٤/ ٧٢٦]
[٤] / زاد المسير في علم التفسير[٦٣/٩]
[٥] / أنوار التنزيل وأسرار التأويل[٥/ ٤٦٨]
[٦] / البحر المحيط [٨/ ٤٣٨]
[٧] / الدر المصون في علوم الكتاب المكنون [١٠/ ٧٢٩]
[٨] / السراج المنير[٣٦٩/٤]
[٩] / محاسن التأويل[٣٦٣/٩]
[١٠] /جزء من الآية ٦ من سورة الإنشقاق
[١١] / معاني القرآن وإعرابه[٣٠٣/٥]
[١٢] / تفسير القرآن العزيز[١١٢/٥]
[١٣] / التحرير والتنوير[٣٠/ ٢٢٠]
[١٤] / الجامع لأحكام القرآن[١٩ /٢٧٠]

الترجيح:

الراجح والله أعلم –ما رجحه ابن جزي –رحمه الله – أن جواب إذا محذوف ؛حتى يكون أبلغ في التأثير على السامع ،قال مصطفى درويش: "وجواب إذا محذوف ،وإنما حذف تنبيها على أنه شيء لا يحيط به الوصف ،أو ليذهب المقدر كل مذهب "[١٥]

[١٥] /إعراب القرآن وبيانه لمصطفى درويش [٣/٢٦٠-٢٦١]

المسألة الستون:

في معنى قوله تعالى: {وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ۝٤}

قال ابن جزي–رحمه الله–: " أي ألقت ما في جوفها من الموتى للحشر، و قيل: ألقت ما فيها من الكنوز، وهذا ضعيف؛ لأن ذلك يكون وقت خروج الدجال قبل القيامة ،والمقصود ذكر يوم القيامة"[١٦]

ترجيح ابن جزي:

رجح ابن جزي –رحمه الله– أن الأرض يوم القيامة تلقي ما فيها من الموتى ،حيث قدم هذا القول، وضعّف القول الآخر بقوله :و هذا ضعيف،إشارة الى القول الثاني ،وعلل تضعيفه – رحمه الله–: أن إلقاء الأرض للكنوز التي في باطنها يكون عند خروج الدجال ،و الآية تتحدث عن يوم القيامة.

الدراسة:

اختلف المفسرون في الذي تلقيه الأرض يوم القيامة:

القول الأول : تلقي الأرض ما فيها من الموتى، و هو ما رجحه ابن جزي –رحمه الله–

و روي هذا القول عن :مجاهد ، و قتادة[١٧] ،وسعيد ابن جبير[١٨]–رحمهم الله –

[١٦] /التسهيل[٣٥٣/٤]

و رجحه من المفسرين: الطبري[١٩]، و ابن أبي زمنين[٢٠]،و قدمه الماوردي[٢١]،و جعله ابن عطية قول الجمهور[٢٢]،وقدمه القرطبي[٢٣]على بقية الأقوال ،وجعله أبو حيان قول الجمهور حيث قال: "قال ابن جبير والجمهور :ألقت مافي بطنها من الأموات"[٢٤]،و رجحه ابن كثير[٢٥] ،و ابن عثيمين[٢٦]–رحمهم الله جميعاً–

– القول الثاني :أن الأرض تلقي الموتى والكنوز من باطنها، و رجح هذا القول جماعة من المفسرين: الزجاج[٢٧]، و الواحدي[٢٨]،و البغوي[٢٩]، و الزمخشري[٣٠]، و ابن الجوزي[٣١]،و فخرالدين الرازي[٣٢]، و النسفي[٣٣]، و ابن عادل[٣٤]،و الخطيب الشربيني[٣٥]،و أبو السعود[٣٦]،و الشوكاني[٣٧]،و الآلوسي[٣٨]،و القاسمي[٣٩]،و ابن السعدي[٤٠]–رحمهم الله جميعاً–

---

[١٧] /ينظر : جامع البيان[٥٠٥/١٢-٥٠٦]
[١٨] /ينظر: النكت والعيون [٢٣٥/٦]
[١٩] / جامع البيان[٥٠٥/١٢]
[٢٠] / تفسير القرآن العزيز[١١١/٥]
[٢١] / النكت والعيون [٢٣٥/٦]
[٢٢] / المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[١٩٦٠]
[٢٣] / الجامع لأحكام القرآن[١٩ /٢٧٠]
[٢٤] / البحر المحيط [٨/ ٤٣٨]
[٢٥] / تفسير القران العظيم[٤/ ٤٤٣]
[٢٦] / تفسير جزء عم [٩٦]
[٢٧] / معاني القرآن وإعرابه[٣٠٣/٥]
[٢٨] / الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[١١٨٦/٢]
[٢٩] / معالم التنزيل[١٣٩٢]
[٣٠] / الكشاف[٧٢٧/٤]
[٣١] / زاد المسير في علم التفسير[٩/]
[٣٢] / مفاتح الغيب [٣١ /١٠٥]
[٣٣] / تفسير النسفي[٢٦٤/٤]
[٣٤] / اللباب في علوم الكتاب[٢٧٥/١٦]
[٣٥] / السراج المنير[٤/ ٣٦٩]
[٣٦] / إرشاد العقل السليم[٤٠١/٦]
[٣٧] / فتح القدير[٥ / ٤٠٧]
[٣٨] / روح المعاني[٣٠ / ٧٩]
[٣٩] / محاسن التأويل[٣٦٣/٩]
[٤٠] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان[٩١٧]

وهناك آيات كثيرة تدل خروج الموتى من باطن الأرض يوم القيامة مثل قوله تعالى: { وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ }[41] وقوله عز من قائل: { أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ }[42]

وقوله تعالى في سورة الزلزلة: { وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا }[43] وهو عام مثل الآية التي معنا ،وقد قال صلى الله عليه وسلم: (تقيء الأرض أفلاذ كبدها ، أمثال الأسطوان[44] من الذهب والفضة ، فيجيء القاتل فيقول : في هذا قتلت ، ويجيء القاطع فيقول : في هذا قطعت رحمي ، ويجيء السارق فيقول : في هذا قطعت يدي، ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيئا)[45] وهو حديث صحيح صريح في إخراج الأرض للكنوز يوم القيامة.

الترجيح:

الراجح – والله أعلم –أن الآية الشريفة عامة ،فالأرض يوم القيامة تخرج جميع مافيها من الموتى والكنوز ،

فقوله تعالى: { وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ } نص عام ،ولا دليل مخصص له،و يُحمل تفسير السلف والمفسرين الذين قالوا إن الملقى هم الموتى ،على أنه تفسير بالمثال ،لا ينافي القول بالجميع.

---

[41] /سورة الإنفطار آية ٤

[42] /سورة العاديات آية ٩

[43] /سورة الزلزلة آية ٢

[44] /الأسطوان : السارية المعروفة ....لسان العرب [٢٠٨/١٣]مادة س ط ن
بضم الهمزة والطاء وهو جمع أسطوانة وهي السارية والعمود وشبهه بالأسطوان لعظمه وكثرته ... شرح النووي على صحيح مسلم [٩٨/٧]

[45] /صحيح مسلم [١٠١٣]

أما القول بأن إلقاء الكنوز يكون عند خروج الدجال فقد رد على ذلك الآلوسي حيث قال: "واقتصر بعضهم كابن جبير وجماعة على الموتى ،بناء على أن إلقاء الكنوز إذا خرج الدجال،و كأن من ذهب إلى الأول لا يسلم من إلقاء الكنوز يومئذ،ولو سلم يقول يجوز أن لا يكون عاماً لجميع الكنوز وإنما يكون كذلك يوم القيامة"[٤٦]

وأيضاً الحديث الشريف السابق يرد هذا القول .

فالخلاصة: الآية عامة ،حيث تخرج الأرض جميع ما فيها من موتى و كنوز وغير ذلك مما استودعه الله عز وجل فيها.

[٤٦] / روح المعاني[٣٠ /]

المسألة الواحدة والستون:

في المراد بمن أوتي كتابه من وراء ظهره قوله تعالى: { وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾}

قال ابن جزي –رحمه الله–: " يعني الكافر وروى أن هاتين الآيتين نزلتا في أبي سلمة ابن عبد الأسد وكان من فضلاء المؤمنين وفي أخيه أسود وكان من عتاة الكافرين ولفظها أعم من ذلك"[٤٧]

ترجيح ابن جزي:

رجح ابن جزي –رحمه الله– أن الآية عامة ،فالكافر عموما هو من يؤتى كتابه وراء ظهره ،حيث قدم هذا القول ،ورد القول الثاني بالتخصيص بقوله :" ولفظهما أعم من ذلك "

الدراسة:

اختلف المفسرون في الذي نزلت فيه الآية:

– القول الأول : أنها في الكافر عموماً ، و هو ما رجحه ابن جزي–رحمه الله–

[٤٧] /التسهيل[٣٥٣/٤]

– القول الثاني: هو القول بالتخصيص ،أي أن قوله تعالى: { وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ } نزل في الأسود بن عبد الأسد ،وقوله تعالى: { فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ} نزل في أخيه أبي سلمة بن عبد الأسد،حيث أبو سلمة من فضلاء المؤمنين ومن أوائل من هاجر إلى المدينة ،وأخوه الأسود من عتاة الكافرين.

نسب القرطبي هذا القول إلى: عبد الله بن عباس –رضي الله عنهما –و قتادة –رحمه الله – [٤٨]

وذكر هذا القول من المفسرين: الزمخشري[٤٩]، و ابن عطية [٥٠]، و القرطبي[٥١]، و ابن عادل[٥٢]– رحمهم الله –

ولم يرجحه أحد من المفسرين –فيما بين يدي من المراجع–،بل لم يذكره ؛لضعفه ، إلا قلة من المفسرين السابق ذكرهم.

الترجيح:

الراجح –والله أعلم – ما رجحه ابن جزي –رحمه الله–

حيث إن الآيتين لفظهما عام ،مثل أكثر آيات المقابلة بين الكفار والمسلمين ،ولا مخصص معتبر هنا .

[٤٨] /ينظر: الجامع لأحكام القرآن[٢٧١/١٩]
[٤٩] / الكشاف[٧٢٨/٤]
[٥٠] / المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[١٩٦١]
[٥١] / الجامع لأحكام القرآن[١٩ / ٢٧١]
[٥٢] / اللباب في علوم الكتاب[١٦/ ٢٧٧]

المسألة الثانية والستون:

في معنى الشفق في قوله تعالى: {فَلَآ أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ ﴿١٦﴾}

قال ابن جزي –رحمه الله–: " هي الحمرة التي تبقى بعد غروب الشمس، وقال أبو حنيفة: هو البياض، وقيل: هو النهار كله، وهذا ضعيف .والأول هو المعروف عند الفقهاء وعند أهل اللغة"[٥٣]

ترجيح ابن جزي:

رجح ابن جزي –رحمه الله– أن الشفق هو: الحمرة التي تبقى بعد غروب الشمس.

حيث قال مشيراً إلى هذا القول: " والأول هو المعروف عند الفقهاء وعند أهل اللغة"

الدراسة:

اختلف المفسرون في معنى الشفق ،على ثلاثة أقوال :

– القول الأول : أن الشفق هو الحمرة التي تبقى بعد غروب الشمس،وهو ما رجحه ابن جزي –رحمه الله –

[٥٣] /التسهيل[٤/٣٥٤]

و روي هذا القول عن أكثر السلف والفقهاء ،منهم :ابن عباس[٥٤] ، وعمر،وابن مسعود ،وعبادة ،وأبي قتادة،و جابر بن عبد الله،وأبي هريرة ،وأنس ،و ابن المسيب،وابن جبير،و طاووس،ومكحول ، و مالك،و الأوزاعي ، و أبي يوسف،و الشافعي،و أبي عبيدة ،و أحمد ،.....[٥٥]

رجح هذا القول أكثر المفسرين ،حيث رجحه: الطبري[٥٦]،و الزجاج[٥٧]،و ابن أبي زمنين[٥٨]،و قدمه الماوردي[٥٩] على بقية الأقوال،و رجحه الواحدي[٦٠]، و قال البغوي:"قال ابن عباس و أكثر المفسرين:هو الحمرة التي تبقى في الأفق بعد غروب الشمس"[٦١]، و الزمخشري[٦٢]، و ابن عطية [٦٣]،و ابن الجوزي[٦٤]، و البيضاوي[٦٥]، و جعله أبو حيان قول الجمهور[٦٦]،و ابن القيم[٦٧]، و ابن كثير[٦٨]،و الثعالبي[٦٩]،و ابن عادل[٧٠]،و الخطيب الشربيني[٧١]،و أبو السعود[٧٢]،و الشوكاني[٧٣]،و الآلوسي[٧٤]، و القاسمي[٧٥]، و ابن عثيمين[٧٦] –رحمهم الله جميعاً–

[٥٤] /ينظر: النكت والعيون [٦/ ٢٣٧]
[٥٥] /ينظر: زاد المسير في علم التفسير[٩/ ٦٥-٦٦]
[٥٦] / جامع البيان[١٢/ ٥١٠-٥١١]
[٥٧] / معاني القرآن وإعرابه[٥/ ٣٠٥]
[٥٨] / تفسير القرآن العزيز[١١٣/٥]
[٥٩] / النكت والعيون [٦/ ٢٣٧]
[٦٠] / الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[٢/ ١١٨٧]
[٦١] / معالم التنزيل[١٣٩٣]
[٦٢] / الكشاف[٧٢٨/٤]
[٦٣] / المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[١٩٦٢]
[٦٤] / زاد المسير في علم التفسير[٦٥/٩-٦٦]
[٦٥] / أنوار التنزيل وأسرار التأويل[٤٦٩/٥]
[٦٦] / البحر المحيط [٨/ ٤٣٦]
[٦٧] / بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن القيم الجوزية [٥/ ١٦١]
[٦٨] / تفسير القران العظيم[٤/ ٤٤٤]
[٦٩] / الجواهر الحسان في تفسير القرآن[٥/ ٥٦٩]
[٧٠] / اللباب في علوم الكتاب[٢٧٩/١٦]
[٧١] / السراج المنير[٣٧٠/٤]
[٧٢] / إرشاد العقل السليم[٤٠٢/٦]
[٧٣] / فتح القدير[٥ / ٤٠٧]
[٧٤] / روح المعاني[٣٠ /٨١]
[٧٥] / محاسن التأويل[٣٦٤/٩]
[٧٦] / تفسير جزء عم [١٠١]

– القول الثاني :أن الشفق هو:البياض ،روي هذا القول عن أبو هريرة–في أحد القولين عنه– ،وعمر بن عبد العزيز–رحمها الله–[٧٧]

و روي هذا القول عن الإمام أبي حنيفة، و روى أسد بن عمرو أنه رجع عنه[٧٨].

قال الإمام الشوكاني في رد هذا القول :"لا وجه لهذا القول ولا مستمسك له لا من لغة العرب و لا من الشرع"[٧٩]

– القول الثالث:الشفق هو النهار كله ،روي هذا القول عن مجاهد —رحمه الله –[٨٠]،و روي عن عكرمة :"أنه ما بقي من النهار"[٨١] وكلاهما بنفس المعنى.

و قد رد الشوكاني هذا القول قائلا:" وإنما قالا– يقصد مجاهد وعكرمة– هذا القول لقوله بعده : {وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ} فكأنه تعالى أقسم بالضياء والظلام ولا وجه لهذا،على أنه قد رُوي عن عكرمه أنه قال:الشفق الذي يكون بين المغرب والعشاء"[٨٢]

الترجيح:

الراجح —والله اعلم– أن الشفق :هو الحمرة التي تشاهد في الأفق بعد الغروب .

وهو ما رجحه ابن جزي — رحمه الله– ،وقد رجحت هذا القول بناءاً على المرجحات التالية:

[٧٧] /ينظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[١٩٦٢]
[٧٨] /ينظر: الكشاف[٤/٧٢٨]
[٧٩] / فتح القدير[٥ / ٤٠٧]
[٨٠] /ينظر: جامع البيان[١٢/٥١٠]
[٨١] /ينظر: النكت والعيون [٦/ ٢٣٧]
[٨٢] / فتح القدير[٥ / ٤٠٧]

١–ما رواة الإمام مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمرو عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال : (وقت المغرب ما لم يغب الشفق)[٨٣] قال الفخر الرازي :"أنه –أي الشارع–جعل الشفق وقتاً للعشاء الأخير فوجب أن يكون المعتبر هو الحمرة لا البياض ؛لأن البياض يمتد وقته ويطول لبثه، و الحمرة لما كانت بقية ضوء الشمس ثم بعدت الشمس عن الأفق ذهبت الحمرة"[٨٤]

٢–ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:(الشفق : الحمرة)[٨٥]

٣– أكثر الصحابة والتابعين على هذا القول.

٤–أكثر الفقهاء على هذا القول ، و ما روي عن الإمام أبي حنيفة –رحمه الله – فقد روى أسد بن عمرو رجوعه عنه.

٥–شواهد كلام العرب تشهد لهذا القول،قال ابن منظور:"سمعت بعض العرب يقول وعليه ثوب مصبوغ :كأنه الشفق ،و كان أحمر"[٨٦]

٦–اشتقاق كلمة الشفق أيضا يدل على هذا المعنى ،قال الفخر الرازي:"أن اشتقاق الشفق لما كان من الرقة ،ولا شك أن الضوء يأخذ في الرقة والضعف من عند غيبة الشمس فتكون الحمرة شفقاً"[٨٧]

٧–أكثر المفسرين على هذا القول ، وقد نقل الإجماع البغوي و أبو حيان و الخطيب الشربيني و الشوكاني و الشنقيطي –رحمهم الله جميعاً –

---

[٨٣] /رقم الحديث [٦١٢]

[٨٤] / مفاتح الغيب[١١٠/٣١]

[٨٥] /أخرجه الدارقطني في سننه ص[١٠٠]،وصحح البيهقي وقفه وقال في المعرفه:روي هذا الحديث عن ابن عمر وعلي و ابن عباس و عبادة بن الصامت وشداد بن أوس و أبي هريرة ،ولا يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم فيه شيء ، و ذكره السيوطي في الدرر موقوفاً على ابن عمر وعزاه إلى عبد الرزاق وابن أبي شيبة وابن المنذر وعبد بن حميد وابن مردوية .

[٨٦] /لسان العرب [/]

[٨٧] /مفاتح الغيب[١١٠/٣١]

المسألة الثالثة والستون:

في معنى البروج في قوله تعالى: { وَالسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ۝١}

قال ابن جزي –رحمه الله–: " البروج هي :المنازل المعروفة، وهي اثنا عشر تقطعها الشمس في السنة. وقيل: هي النجوم العظام ؛لأنها تتبرج أي تظهر "[1]

ترجيح ابن جزي:

رجح ابن جزي –رحمه الله– أن البروج هي:المنازل المعروفة في السماء ،حيث قدم هذا القول على القول الآخر ،وذكر الآخر بصيغة التمريض .

الدراسة:

اختلف المفسرون في معنى البروج على قولين:

– القول الأول :أنها المنازل المعروفة الإثنا عشر التي يقطعها الشمس والقمر، فيسير القمر في كل برج منها يومين وثلث يوم فذلك ثمانية وعشرون يوما ثم يستتر ليلتين وتسير الشمس في كل برج منها شهرا وهي الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت ، وهو القول الذي رجحه ابن جزي –رحمه الله–

[1] /التسهيل [٤/٣٥٦-٣٥٧]

روي هذا القول عن ابن عباس –رضي الله عنهما–[٢]،و أبي عبيدة [٣]–رحمه الله–

ورجحه الطبري حيث قال: "و أولى الأقوال في ذلك بالصواب ،أن يقال :معنى ذلك :السماء ذات منازل الشمس والقمر ،و ذلك أن البروج جمع برج ،وهي منازل تتخذ عالية من الأرض مرتفعة ،ومن ذلك قول الله : {وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ }[٤] "[٥]

و رجحه الواحدي[٦]،و الزمخشري[٧]،و قدمه ابن الجوزي[٨]، و فخرالدين الرازي[٩]،و رجحه البيضاوي[١٠]،و النسفي[١١]،و جعله أبو حيان قول الجمهور [١٢]، و قال الثعالبي إنه قول الجمهور [١٣]،وقدمه الخطيب الشربيني[١٤]على بقية الأقوال ،و رجحه أبو السعود[١٥]،و ابن السعدي[١٦]–رحمهم الله جميعا–

– القول الثاني: أن البروج هي النجوم العظام أو الكواكب

روي هذا القول عن السلف: مجاهد،أبي نجيح،قتادة[١٧] ،والحسن،والضحاك[١٨]،ومقاتل ،وأبي صالح[١٩]،وابن عباس في أحد الأقوال عنه[٢٠]

---

[٢] / ينظر: جامع البيان[١٢/ ٥١٩]
[٣] /ينظر: زاد المسير في علم التفسير[٩/]
[٤] /سورة النساء : ٧٨
[٥] / جامع البيان[١٢/٥١٩]
[٦] / الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[٢/ ١١٨٩٧٣٠]
[٧] / الكشاف[٤/ ٧٣٠]
[٨] / زاد المسير في علم التفسير[٩/]
[٩] / مفاتح الغيب [٣١ / ١١٤]
[١٠] / أنوار التنزيل وأسرار التأويل[٤٧٢]
[١١] / تفسير النسفي[٤/٢٦٥]
[١٢] / البحر المحيط [٩/ ٤٤٨]
[١٣] / الجواهر الحسان في تفسير القرآن[٥/ ٥٧١]
[١٤] / السراج المنير[٤/ ٣٧٢]
[١٥] / إرشاد العقل السليم[٦/ ٤٠٤]
[١٦] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان[٩١٨]
[١٧] /ينظر: جامع البيان[١٢/ ٥١٩]
[١٨] /ينظر: النكت والعيون [٦/٢٤٠]
[١٩] /ينظر: زاد المسير في علم التفسير[٩/]
[٢٠] /ينظر: تفسير القران العظيم[٤/ ٤٤٦]

ورجحه من المفسرين: ابن أبي زمنين[٢١]،وقدمه الماوردي [٢٢]، والقرطبي على بقية الأقوال[٢٣]،و رجحه ابن كثير[٢٤]،وقدمه ابن عادل [٢٥]،و الشوكاني[٢٦] على بقية الأقوال،و رجحه القاسمي[٢٧]، و ابن عثيمين[٢٨] –رحمهم الله جميعاً–

الترجيح:

الراجح – والله أعلم – أن البروج هي النجوم العظيمة أو الكواكب ،و ذلك للمرجحات التالية:

١ – أن النجوم ظاهرة بارزة للعيان يعرفها الجاهل والعالم،بخلاف منازل السماء،والأولى أن يقسم الله عز و جل بالشيء الظاهر المعلوم ،قال ابن القيم – رحمه الله–: "فإن المقسم به لا بد أن يكون آية ظاهرة تدل على الربوبية وأما الأمور الغائبة التي يؤمن بها فإنما يقسم عليه "[٢٩]

٢ – أصل مادة البروج من الظهور ،قال ابن منظور: " البرج تباعد ما بين الحاجبين وكل ظاهر مرتفع فقد برج وإنما قيل للبروج بروج لظهورها وبيانها وارتفاعها"[٣٠]، وقال غيره: " الباء والراء والجيم أصلان أحدهما البروز والظهور والآخر الوزر والملجأ"[٣١] والنجوم هي الظاهرة المشاهدة أكثر من بروج السماء.

---

[٢١] / تفسير القرآن العزيز[١١٤/٥]
[٢٢] / النكت والعيون [٦/ ٢٤٠]
[٢٣] / الجامع لأحكام القرآن[١٩ / ٢٨٣]
[٢٤] / تفسير القران العظيم[٤/ ٤٤٦]
[٢٥] / اللباب في علوم الكتاب[١٦/ ٢٨٥]
[٢٦] / فتح القدير[٥ / ٤١١]
[٢٧] / محاسن التأويل[٣٦٦/٩]
[٢٨] / تفسير جزء عم [١٠٨]
[٢٩] / التبيان في أقسام القرآن [٩٠/١]
[٣٠] / لسان العرب [٢/ ٢١١]
[٣١] / معجم مقاييس اللغه [١/ ٢٣٨]

٣ - أن النجوم هو قول أكثر السلف –رضوان الله عليهم– ،و تفسير السلف مقدم على غيره .[٣٢]

هذا والله تعالى أجل و أعلم.

[٣٢] /قواعد الترجيح عند المفسرين [٢٧١/١]

المسألة الرابعة والستون:

في المراد بأصحاب الأخدود في قوله تعالى: {قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤}

قال ابن جزي رحمه الله: " الفصل الثاني: في تفسير لفظها .فأما قتل فاختلف هل هو دعاء أو خبر،و اختلف هل هو بمعنى القتل حقيقة أو بمعنى اللعن ،وأما الأخدود فهو الشق في الأرض كالخندق وشبهه،وأما أصحاب الأخدود فيحتمل أن يريد بهم: الكفار الذين كانوا يحرقون المؤمنين في الأخدود، أو يريد المؤمنين الذين حرقوا فيه فيكون القتل حقيقة خبر ،و الأول أظهر"[٣٣]

ترجيح ابن جزي:

رجح ابن جزي –رحمه الله–أن أصحاب الأخدود:هم الكفار الذين كانوا يحرقون المؤمنين في الأخدود،حيث قال مرجحاً هذا القول:" و الأول أظهر"[٣٤]،والقائلون بهذا القول جعلوا (قتل) بمعنى الدعاء عليهم ،أو بمعنى اللعن.

الدراسة:

اختلف المفسرون في ماهية أصحاب الأخدود،على قولين:

[٣٣] /التسهيل[٤/٣٥٨-٣٥٩]
[٣٤] /المرجع السابق

– القول الأول : أن أصحاب الأخدود: هم الكفار الذين كانوا يحرقون المؤمنين في الأخدود، و هو القول الذي رجحه ابن جزي –رحمه الله–

و رجح هذا القول من المفسرين: الطبري، حيث قال: " وقوله: { قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ } يقول :لعن أصحاب الأخدود "[٣٥]، و رجحه ابن أبي زمنين[٣٦]، و الواحدي[٣٧]،و البغوي[٣٨]، و الزمخشري[٣٩]، و قال القرطبي: " أي لعن قال بن عباس: كل شيء في القرآن قتل فهو لعن"[٤٠]،و رجحه البيضاوي[٤١]،و النسفي[٤٢]، و السمين الحلبي[٤٣]،و ابن كثير[٤٤]، و ابن عادل[٤٥]،و أبو السعود[٤٦]،و الشوكاني[٤٧]،و الآلوسي[٤٨]،و القاسمي[٤٩]، و ابن السعدي[٥٠]،و ابن عثيمين[٥١] –رحمهم الله جميعاً–

– القول الثاني :أن (قتل) على حقيقتها ،والمراد بأصحاب الأخدود المقتولون من المؤمنين في الأخدود.

قدم هذا القول الماوردي[٥٢]،و رجحه فخرالدين الرازي[٥٣]،و أبو حيان[٥٤]–رحمهم الله–

---

[٣٥] / جامع البيان[١٢/ ٥٢٦]
[٣٦] / تفسير القرآن العزيز[٥/١١٤-١١٥]
[٣٧] / الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[٢/ ١١٨٩]
[٣٨] / معالم التنزيل[١٣٩٥]
[٣٩] / الكشاف[٤/٧٢٩]
[٤٠] / الجامع لأحكام القرآن[١٩ / ٢٨٦]
[٤١] / أنوار التنزيل وأسرار التأويل[٤٧٢/٥]
[٤٢] / تفسير النسفي[٤/٢٦٥]
[٤٣] / الدر المصون في علوم الكتاب المكنون [١٠/ ٧٤٣]
[٤٤] / تفسير القران العظيم[٤/٤٤٧]
[٤٥] / اللباب في علوم الكتاب[١٦/٢٨٦-٢٨٨]
[٤٦] / إرشاد العقل السليم[٦/٤٠٥]
[٤٧] / فتح القدير[٥ / ٤١٢]
[٤٨] / روح المعاني[٣٠ / ٩٨-٩٩]
[٤٩] / محاسن التأويل[٩/٣٦٧]
[٥٠] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان[٩١٨]
[٥١] / تفسير جزء عم [١٠٩]
[٥٢] / النكت والعيون [٦/٢٤٢]
[٥٣] / مفاتح الغيب [٣١ / ١١٩]
[٥٤] / البحر المحيط [٩/ ٤٤٣-٤٤٤]

الترجيح:

الراجح– والله أعلم – أن أصحاب الأخدود هم الكفار الذين كانوا يحرقون المؤمنين في الأخدود، و(قُتل) بمعنى :اللعن والدعاء عليهم ، حيث روي عن ابن عباس :"أن كل قتل في القرآن بمعنى لعن"، ومما يرجح هذا القول أيضا : أن أكثر المفسرين عليه.

المسألة الخامسة والستون:

في عودة ضمير الفصل (هم)في قوله تعالى: {إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾}

قال ابن جزي —رحمه الله –: " الضمير للكفار الذين كانوا يحرقون المؤمنين في الأخدود وهم أصحاب الأخدود على الأظهر، والعامل في (إذ) قوله: (قُتِل)،فروى :أن النار أحرقت من المؤمنين عشرين ألفا، وقيل :سبعين ألفا. فقتل على هذا بمعنى لعن أي لعنوا حين قعدوا على النار لتحريق المؤمنين، وروى: أن الله بعث على المؤمنين ريحا فقبضت أرواحهم وخرجت النار فأحرقت الكفار الذين كانوا عليها ؛فقتل على هذا بمعنى القتل الحقيقي أي قتلهم النار. وقيل :الضمير في(إذ هم) للمؤمنين والأول أشهر وأظهر لقوله: {وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾}"[٥٥]

ترجيح ابن جزي:

رجح ابن جزي–رحمه الله– ضمير الفصل (هم) عائد على الكفار الذين كانوا يحرقون المؤمنين في الخدود،حيث قال مرجحاً هذا القول: " والأول أشهر وأظهر "[٥٦] وعلل ترجيحه :أنه سبحانه وتعالى أردف هذه الآية بقوله تعالى :{وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾}"

[٥٥] /التسهيل[٣٥٩/٤]
[٥٦] /المرجع السابق

الدراسة:

اختلف المفسرون في عودة ضمير الفصل (هم) على قولين:

– القول الأول: أنه عائد على الكفار الذين كانوا يحرقون المؤمنين في الخدود، و هو القول الذي رجحه ابن جزي –رحمه الله–

روي هذا القول عن مجاهد –رحمه الله–حيث قال: "كانوا قعودا عل الكراسي عند الأخدود"[٥٧]

و رجح هذا القول من المفسرين: الطبري[٥٨]، و الواحدي[٥٩]،و البغوي[٦٠]، و الزمخشري[٦١]، و ابن الجوزي[٦٢]، و القرطبي[٦٣]،و البيضاوي[٦٤]،و النسفي[٦٥]،و أبو حيان[٦٦]، و ابن القيم[٦٧]، و الخطيب الشربيني[٦٨]،و أبو السعود[٦٩]،و الشوكاني[٧٠]،و الآلوسي[٧١]،و القاسمي[٧٢]، و ابن السعدي[٧٣]،و ابن عثيمين[٧٤] –رحمهم الله جميعاً–

– والقول الثاني: أن الضمير عائد على المؤمنين ،وقد روي هذا القول عن قتادة ،وقد ذكر ذلك الطبري وقال في الرد على هذا القول: "وهذا التأويل الذي تأوله قتادة على مذهب

---

[٥٧] /ينظر: معالم التنزيل[١٣٩٧]
[٥٨] / جامع البيان[٥٢٦/١٢-٥٢٧]
[٥٩] / الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[١١٨٩/٢]
[٦٠] / معالم التنزيل[١٣٩٧]
[٦١] / الكشاف[٤/ ٧٣٢]
[٦٢] / زاد المسير في علم التفسير[٩/ ٧٧]
[٦٣] / الجامع لأحكام القرآن[١٩ / ٢٩٤]
[٦٤] / أنوار التنزيل وأسرار التأويل[٤٧٣/٥]
[٦٥] / تفسير النسفي[٢٦٦/٤]
[٦٦] / البحر المحيط [٤٤٤/٨]
[٦٧] / بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن القيم الجوزية [٥/ ١٧١]
[٦٨] / السراج المنير[٤/ ٣٧٤]
[٦٩] / إرشاد العقل السليم[٤٠٧/٦]
[٧٠] / فتح القدير[٥ / ٤١٢]
[٧١] / روح المعاني[٣٠ /٩٠]
[٧٢] / محاسن التأويل[٣٦٧/٩]
[٧٣] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان[٩١٨]
[٧٤] / تفسير جزء عم [١٠٩]

من قال :قتل أصحاب الأخدود من أهل الإيمان [٧٥] ،و قد دللنا على أن الصواب من تأويل ذلك غير هذا القول "[٧٦]

ولم يرجحه أحد من المفسرين –فيما بين يدي من المراجع–

الترجيح:

الراجح –والله أعلم– ما رجحه ابن جزي –رحمه الله– حيث كان الكفار قاعدين حول الأخدود ،كما في قول مجاهد السابق أنهم جلوس حولها على الكراسي يشاهدون ما يحدث للمؤمنين .

حيث الأصل في الضمير أن يعود على أقرب مذكور[٧٧]،وأقرب عاقل للضمير أصحاب الأخدود،قال تعالى: {قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ }

و سياق الآيات يشهد لهذا القول،حيث أردف سبحانه هذه الآية بقوله: { وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ } ومن المتفق عليه أن ضمير الفصل (هم)في هذه الآية عائد على الكفار، فعلى هذا نقول أن الآية التي معنا أيضا ضميرها عائد على الكفار،إذ القاعدة التفسيرية تنص على أن توحيد مرجع الضمائر في السياق الواحد أولى من تفريقها.[٧٨]

[٧٥] /ينظر المسألة السابقة.
[٧٦] / جامع البيان[١٢/ ٥٢٧]
[٧٧] /ينظر:قواعد الترجيح عند المفسرين[٦٢١/٢]
[٧٨] /المرجع السابق[٦١٣/٢]

المسألة السادسة والستون:

في عودة الاسم الموصول (الذين) في قوله تعالى: {إِنَّ ٱلذِينَ فَتَنُواْ ٱلْمُومِنِينَ وَالْمُومِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُواْ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾}

قال ابن جزي –رحمه الله–: "إن كانت هذه الآية في أصحاب الأخدود فالفتنة هنا بمعنى الإحراق ،وإن كانت في كفار قريش فالفتنة بمعنى المحنة والتعذيب، وهذا أظهر لقوله: (ثُمَّ لَمْ يَتُوبُواْ) ،لأن أصحاب الأخدود لم يتوبوا بل ماتوا على كفرهم، وأما قريش فمنهم من أسلم وتاب"[٧٩]

ترجيح ابن جزي:

رجح ابن جزي –رحمه الله–أن الاسم الموصول (الذين)عائد على كفار قريش ،لقوله بعد أن ذكر هذا القول: "وهذا أظهر"

وعلل ترجيحه بتمام الآية حيث قال عز من قائل : {ثُم لَمْ يَتُوبُواْ}وأصحاب الأخدود لم يتوبوا بل ماتوا على كفرهم ،وأما قريش فمنهم من أسلم وتاب.

[٧٩] /التسهيل:[٣٥٩/٤]

الدراسة:

اختلف في عودة الاسم الموصول (الذين) على قولين:

– القول الأول: أنه عائد على كفار قريش ،و هو القول الذي رجحه ابن جزي –رحمه الله –

وفي معنى هذا القول من قال :أن المراد بالآية عام في كل من عذب وابتلى المؤمنين في إيمانهم

رجح هذا القول من المفسرين: فخرالدين الرازي حيث قال:"يحتمل أن يكون المراد منه أصحاب الأخدود فقط ويحتمل أن يكون المراد كل من فعل ذلك وهذا أولى؛لأن اللفظ عام والحكم عام فالتخصيص ترك الظاهر من غير دليل"[٨٠]،وقدمه البيضاوي[٨١]،و رجحه أبو حيان[٨٢]، و الآلوسي[٨٣]، و القاسمي[٨٤]،و الشنقيطي [٨٥]– رحمهم الله جميعا–

– القول الثاني: أن المراد بالآية أصحاب الأخدود الكفار الذين ابتلوا المؤمنين بتعذيبهم و إحراقهم بالنار.

روي هذا القول عن:ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك.[٨٦]

رجح هذا القول من المفسرين: الطبري[٨٧]،و الزجاج[٨٨]، و ابن أبي زمنين[٨٩]،و الماوردي[٩٠]،و الواحدي[٩١]،و البغوي[٩٢]، و ابن الجوزي[٩٣]، و القرطبي[٩٤]، و ابن القيم[٩٥]، و ابن كثير[٩٦]، الثعالبي[٩٧]،و ابن عادل[٩٨]،و الخطيب الشربيني[٩٩]،و الشوكاني[١٠٠]–رحمهم الله جميعاً–

[٨٠] / مفاتح الغيب [٣١ /١٢٢]
[٨١] / أنوار التنزيل وأسرار التأويل[٤٧٤/٥]
[٨٢] / البحر المحيط [٨/ ٤٤٤-٤٤٥]
[٨٣] / روح المعاني[٣٠ /٩٠]
[٨٤] / محاسن التأويل[٣٦٩/٩]
[٨٥] /أضواء البيان[/١٤٧-١٤٨]
[٨٦] /ينظر :جامع البيان[٥٢٧/١٢]
[٨٧] / جامع البيان[٥٢٧/١٢]
[٨٨] / معاني القرآن وإعرابه[٣٠٨/٥]
[٨٩] / تفسير القرآن العزيز[١١٥/٥]

الترجيح:

الراجح – والله أعلم– أن الآية وإن كانت في أصحاب الأخدود لتمام السياق،إلا أنها عامة في كل من عذب المؤمنين و فتنهم في إيمانهم؛ إذ اللفظ والحكم عامان شاملان لكل من اتصف بهذه الصفة.

[٩٠] / النكت والعيون [٦/]
[٩١] / الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[٢/ ١١٩٠]
[٩٢] / معالم التنزيل[١٣٩٨]
[٩٣] / زاد المسير في علم التفسير[٩/ ٧٧]
[٩٤] / الجامع لأحكام القرآن[١٩ / ٢٩٥]
[٩٥] / بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن القيم الجوزية [١٧٧/٥]
[٩٦] / تفسير القران العظيم[٤٥٠/٤]
[٩٧] / الجواهر الحسان في تفسير القرآن[٥/ ٥٧٢]
[٩٨] / اللباب في علوم الكتاب[١٦/ ٢٩١]
[٩٩] / السراج المنير[٣٧٥/٤]
[١٠٠] / فتح القدير[٥ / ٤١٣]

المسألة السابعة و الستون:

في معنى قوله تعالى: {إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾}

قال ابن جزي –رحمه الله–: " أي يبدئ الخلق بالنشأة الأولى ويعيدهم بالنشأة الآخرة للبعث، وقيل: يبدئ البطش ويعيده أي يبطش بهم في الدنيا والآخرة ،والأول أظهر و أرجح؛ لقوله تعالى: {إِنَّهُۥ يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ }[101]"[102]

ترجيح ابن جزي:

رجح ابن جزي –رحمه الله– أن المقصود بالآية :أن الله عز و جل يبدئ الخلق بالنشأة الأولى و يعيدهم بالنشأة الآخرة للبعث.

حيث قال مرجحاً هذا القول:" والأول أظهر و أرجح" ،و علل ترجيحه –رحمه الله– مفسرا القرآن بالقرآن :"لقوله تعالى: {إِنَّهُۥ يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ }"

الدراسة:

اختلف المفسرون في معنى الآية على عدة أقوال :

[101] /سورة يونس جزء من آية[٤]
[102] /التسهيل[٤/٣٦٠]

– القول الأول: أن الله عز و جل يبدئ الخلق بالنشأة الأولى و يعيدهم بالنشأة الآخرة للبعث.

و هو ما رجحه ابن جزي –رحمه الله–

روي هذا القول عن: الضحاك و ابن زيد –رحمهما الله–[١٠٣]

رجح هذا القول من المفسرين: الزجاج[١٠٤]، و ابن أبي زمنين[١٠٥]،و قدمه الماوردي[١٠٦]على بقية الأقوال،و رجحه الواحدي[١٠٧]،و البغوي[١٠٨]،و قدمه ابن عطية [١٠٩]،وجعله ابن الجوزي[١١٠]قول الجمهور،و رجحه فخرالدين الرازي[١١١]،و قال القرطبي: "أنه قول أكثر العلماء"[١١٢]،و قدمه البيضاوي[١١٣]،و رجحه النسفي[١١٤]،و قدمه أبو حيان[١١٥]،و رجحه ابن القيم[١١٦]،و ابن كثير[١١٧]، وقال ابن عادل: "يعني الخلق عند أكثر العلماء"[١١٨]، و الخطيب الشربيني[١١٩]،وقدمه أبو السعود[١٢٠]،وصيره الشوكاني قول الجمهور[١٢١]، وقدمه الآلوسي[١٢٢]،و رجحه القاسمي[١٢٣]، و ابن السعدي[١٢٤]،و الشنقيطي[١٢٥]–رحمهم الله جميعاً–

---

[١٠٣] /ينظر : جامع البيان[٥٢٨/١٢-٥٢٩]
[١٠٤] / معاني القرآن وإعرابه[٣٠٨/٥]
[١٠٥] / تفسير القرآن العزيز[١١٦/٥]
[١٠٦] / النكت والعيون [٢٤٣/٦]
[١٠٧] / الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[٢/ ١١٩٠]
[١٠٨] / معالم التنزيل[١٣٩٨]
[١٠٩] / المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[١٩٦٥]
[١١٠] / زاد المسير في علم التفسير[٧٨/٩]
[١١١] / مفاتح الغيب [٣١ / ١٢٣]
[١١٢] / الجامع لأحكام القرآن[١٩ / ٢٩٦]
[١١٣] / أنوار التنزيل وأسرار التأويل[٤٧٤/٥]
[١١٤] / تفسير النسفي[٤/ ٤٦٧]
[١١٥] / البحر المحيط [٤٤٥/٨]
[١١٦] / بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن القيم الجوزية [٥/ ١٧٦]
[١١٧] / تفسير القران العظيم[٤/ ٤٥٠]
[١١٨] / اللباب في علوم الكتاب[١٦/ ٢٩١]
[١١٩] / السراج المنير[٣٧٥/٤]
[١٢٠] / إرشاد العقل السليم[٦/ ٤٠٧]
[١٢١] / فتح القدير[٥ / ٤١٣]
[١٢٢] / روح المعاني[٣٠ /٩١]
[١٢٣] / محاسن التأويل[٣٧٠/٩]
[١٢٤] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان[٩١٩]
[١٢٥] / أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن [٩/ ١٤٨-١٤٩]

– القول الثاني : أن الله عز و جل يبدأ العذاب على الكفرة في الدنيا ويعيده عليهم في الآخرة.

روي هذا القول عن ابن عباس –رضي الله عنهما–[١٢٦]

و رجحه الطبري –رحمه الله – حيث قال: "أولى التأويلين في ذلك عندي بالصواب و أشبههما بظاهر ما دل عليه التنزيل :القول الذي ذكرناه عن ابن عباس ،و هو أنه يبدئ العذاب لأهل الكفر به ويعيد،كما قال جل ثناؤه : {فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ }[١٢٧]في الدنيا،فأبدأ ذلك لهم في الدنيا ،وهو يعيده لهم في الآخرة. وإنما قلت :هذا أولى التاويلين بالصواب ؛لأن الله اتبع ذلك قوله: {إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ } فكان البيان عن معنى شدة بطشه الذي قد ذكره قبله ،أشبه به بالبيان عما لم يجر له ذكر . ومما يؤيد ما قلنا من ذلك وضوحاً و صحة قوله : {وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ } فبين ذلك عن أن الذي قبله من ذكر خبره عن عذابه و شدة عقابه"[١٢٨]

رجح هذا القول أيضاً: الزمخشري[١٢٩]– رحمه الله–

– القول الثالث: وجعل الشيخ ابن عثيمين[١٣٠]رحمه الله– الآيه عامة ،فهو عز وجل يبدأ كل شيء ويعيد إليه كل شيء.

[١٢٦] /ينظر جامع البيان [٥٢٨/١٢-٥٢٩]
[١٢٧] /البروج:١٠
[١٢٨] /جامع البيان[٥٢٩/١٢]
[١٢٩] / الكشاف[٧٣٣/٤]
[١٣٠] / تفسير جزء عم [١٢٠]

الترجيح:

الراجح – والله أعلم– ما رجحه ابن جزي –رحمه الله –

أن معنى الآية: أن الله يبدئ خلق الخلق ابتداء في الدنيا ، ثم يعيد خلقهم عند البعث ليوم القيامة.

وذلك للمرجحات التالية:

١– يكثر في القرآن الكريم امتنان الله عز وجل على خلقه بابتداء الخلق وإعادته ،كما في قوله تعالى: {إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ }[١٣١]، وقوله تعالى: {قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ }[١٣٢] وقوله عز من قائل : {كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ }[١٣٣]، وتقدير ما ظهر في القرآن أولى في بابه من كل تقدير[١٣٤]

٢– أنه مناسب لسياق الآيات الكريمات ؛ حيث بعد أن ذكر المولى عز و جل: { إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ }و أوضح قدرته عز وجل على مؤاخذة الظالمين ، أوضح أنه يمهلهم إلى يوم القيامة ولا يهملهم،قال الفخر الرازي: "فلهذا قال : {إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ } أي أنه يخلق خلقه ثم يفنيهم ثم يعيدهم أحياء ليجازيهم في القيامة ،فذلك الإمهال لهذا السبب لا لأجل الإهمال"[١٣٥].

---

[١٣١] / سورة يونس جزء من آية[٤]
[١٣٢] / سورة يونس جزء من الآية ٣٤
[١٣٣] / سورة الأنبياء جزء من الآية ١٠٤
[١٣٤] /قواعد الترجيح عند المفسرين[٤٣٩/٢]أي ما حذف في آية وأضمر في أخرى ،فنقول بالمظهر ويقدم على غيره من التاويلات
[١٣٥] /مفاتح الغيب [١٢٣/٣١]

٣- أن هذا القول عليه أكثر المفسرين ، وقد نقل الإجماع عليه :ابن الجوزي ، والقرطبي ،و ابن عادل ، والشوكاني –رحمهم الله–

٤- تعليل الإمام الطبري –رحمه الله– فيه دليل آخر على ترجيح القول الذي معنا، حيث إستدل –رحمه الله –بقوله تعالى : {فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ }[١٣٦] على أن معنى الآية التي معنا : {إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ } أنه يبطش بهم في الدنيا ويعذبهم في الآخرة ، وجعل كلاهما بنفس المعنى .

وفي ذلك ضعف ظاهر ؛إذ الأولى حمل معاني آيات القرآن على التأسيس لا التأكيد[١٣٧].

٥- سياق الآيات أيضا يؤكد أن الآية في ذكر صفات الله عز وجل و أفعاله ،حيث عدد بعد ذلك عدة صفات ، أنه غفور و ودود ، وله العرش المجيد ، وأنه عز و جل له مطلق الإرادة والمشيئة ،قال تعالى: { إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ }

وهذه الآيات تؤكد أنه عز وجل ينتقل بعد قصة أصحاب الخدود إلى مقطع آخر يعدد فيه صفاته عز وجل ، حيث بعد ذلك أيضاً انتقل إلى مقطع آخر ذكر فيه تكذيب الأمم السابقة – فرعون وثمود – لأخذ العظة والعبرة، وتسلية للنبي صلى الله عليه وسلم .

[١٣٦] /سورة البروج:آية١٠
[١٣٧] / ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين[٤٧٣/٢]

المسألة الثامنة و الستون:

في المقصود بالسماء في قوله تعالى : {وَالسَّمَآءِ وَالطَّارِقِ ۝١}

قال ابن جزي – رحمه الله – : "هذه السماء التي أقسم الله بها هي المعروفة وقيل أراد المطر لأن العرب قد تسميه سماء وهذا بعيد"[١]

ترجيح ابن جزي:

رجح ابن جزي –رحمه الله – أن الله تعالى أقسم بالسماء المعروفة المشاهدة ، حيث قدم هذا القول، و رد القول الآخر بقوله :"وهذا بعيد"

الدراسة:

اختلف المفسرون في المقصود بالسماء في الآية على قولين:

–القول الأول: أنها السماء المعروفة المشاهدة ، و هو ما رجحه ابن جزي –رحمه الله–

روي هذا القول عن ابن عباس–رضي الله عنهما–[٢]

واختار هذا القول من المفسرين: الطبري حيث قال:" أقسم ربنا بالسماء"[٣]،و قال ابن عطية:" أقسم الله تعالى بـالسماء المعروفة في قول جمهور المتاولين" [٤] ،و رجحه النسفي[٥]،وقال أبو

[١] /التسهيل [٤/ ٣٦٢]
[٢] /ينظر: جامع البيان[٥٣٢/١٢]
[٣] / جامع البيان[٥٣٢/١٢]
[٤] / المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[١٩٦٦]
[٥] / تفسير النسفي[٢٦٧/٤]

حيان :"هي المعروفه ،قاله الجمهور"[٦]،و اختاره ابن القيم[٧]، و ابن كثير[٨]،و نقل الثعالبي[٩]أنها قول جمهور المفسرين ، و أيضا الآلوسي[١٠]،واختاره ابن عثيمين[١١] –رحمهم الله جميعا–

–القول الثاني : أن الله عز و جل أقسم بالمطر ؛ لأن العرب تسمى المطر سماء.

الترجيح:

الراجح –والله أعلم– أن الله تعالى أقسم بالسماء المشاهدة المعروفة لدى عامة الناس وخاصتهم ؛ إذ عليه أكثر المفسرين ،ونقل غير واحد أنه قول الجمهور ، وأيضاً الأصل في كلام الله عز وجل أن يحمل على المعروف من كلام العرب [١٢]،ويحمل على الحقيقة لا المجاز[١٣]

[٦] / البحر المحيط [٨/ ٤٤٨]
[٧] / بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن القيم الجوزية [٥/ ١٨١]
[٨] / تفسير القران العظيم[٤/ ٤٥١]
[٩] / الجواهر الحسان في تفسير القرآن[٥/٧٥٤]
[١٠] / روح المعاني[٣٠ / ٩٤]
[١١] / تفسير جزء عم [١٢٨]
[١٢] /ينظر :قواعد الترجيح عند المفسرين للحربي [٣٦٣/٢]
[١٣] /المرجع السابق[٣٨٧/٢]

المسألة التاسعة والستون :

في الفاعل في قوله تعالى: {يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧}

قال ابن جزي –رحمه الله–: " الضمير في يخرج للماء وقال ابن عطية يحتمل أن يكون للإنسان وهذا بعيد جدا"[١٤]

ترجيح ابن جزي:

رجح ابن جزي –رحمه الله– أن الفاعل المستتر للفعل (يَخْرُجُ) عائد على ماء الولد ؛ إذ قدم هذا القول ، و رد القول الآخر بقوله :"وهذا بعيد جداً"

الدراسة :

لم يتكلم المفسرون –فيما بين يدي من المراجع– عن فاعل يخرج ،إذ أنه معلوم بداهة أن المقصود هو ماء الولد ،لا الإنسان نفسه،و حاصل تفسيرهم يدل على أن المقصود هو الماء لا غير .

[١٤] /التسهيل [٤/ ٣٦٣]

قال الواحدي : " { يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ }وهو ماء الرجل { وَٱلتَّرَآئِبِ }عظام الصدر وهو ماء المرأة"[١٥]

و قال الشوكاني: " ثم وصف هذا الماء فقال : { يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ } "[١٦]

و انفرد ابن عطيه –رحمه الله –بذكر عودة الفاعل على الإنسان حيث قال: "و الضمير في (يَخْرُجُ)يحتمل أن يكون للإنسان ،ويحتمل أن يكون للماء"[١٧]

الترجيح:

الراجح – والله أعلم– أن فاعل الفعل يخرج هو الماء، وهو ما رجحه ابن جزي –رحمه الله– إذ أنه معلوم بداهة أن المقصود هو ماء الولد ،لا الإنسان نفسه؛ فليس من المعقول أن يخرج الإنسان من ترائب المرأة ، وصلب الرجل،وإنما ماء الولد هو الذي يخرج منهما.

[١٥] / الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[٢/ ١١٩٢]
[١٦] / فتح القدير[٥ / ٤١٩]
[١٧] / المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[١٩٦٧]

المسألة السبعون:

في معنى الترائب في قوله تعالى: {يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧}

قال ابن جزي –رحمه الله –: "والترائب عظام الصدر ،واحدها تريبة، و قيل هي: الأطراف كاليدين والرجلين ،وقيل هي: عصارة القلب ومنها يكون الولد، وقيل هي: الأضلاع التي أسفل الصلب. والأول هو الصحيح المعروف في اللغة ؛ولذلك قال ابن عباس: (هي موضع القلادة ما بين ثديي المرأة)"[18][19]

ترجيح ابن جزي:

رجح ابن جزي –رحمه الله –أن الترائب هي عظام الصدر ؛ حيث قال مرجحاً هذا القول :" والأول هو الصحيح المعروف في اللغة؛ ولذلك قال ابن عباس:(هي موضع القلادة ما بين ثديي المرأة) "[20]

الدراسة:

اختلف المفسرون في معنى الترائب ،على عدة أقوال :

[18] /أخرجه ابن أبي حاتم [٣٤١٥/١٠]
[19] /التسهيل [٤/ ٣٦٣]
[20] /التسهيل [٤/ ٣٦٣]

– القول الأول : أن الترائب هي عظام الصدر ، و هو القول الذي رجحه ابن جزي – رحمه الله–

روي هذا القول عن :ابن عباس ،و عكرمة ،و سعيد بن جبير ،و أبي عياض ، ابن زيد– رحمهم الله –

و رجح هذا القول من المفسرين : الطبري [٢١]،و الزجاج حيث قال :"وقال اهل اللغة أجمعون :الترائب موضع القلادة من الصدر"[٢٢]،و رجحه ابن أبي زمنين[٢٣]،و قدمه الماوردي[٢٤] على بقية الأقوال ، و رجحه الواحدي[٢٥]،و البغوي[٢٦]، و الزمخشري[٢٧]، و ابن عطية [٢٨]،وقدمه ابن الجوزي[٢٩] على بقية الأقوال ، و رجحه فخرالدين الرازي قائلا :"هذا قول جميع أهل اللغة"[٣٠]،و رجحه القرطبي قائلاً: " المشهور من كلام العرب :عظام الصدر والنحر"[٣١]،و رجحه البيضاوي[٣٢]،و النسفي[٣٣]،و أبو حيان[٣٤]، ابن القيم[٣٥]، و السمين الحلبي[٣٦]،و ابن كثير[٣٧]، و ابن عادل[٣٨]،و الخطيب الشربيني[٣٩]، أبو السعود[٤٠]،و الشوكاني[٤١]،و الآلوسي[٤٢]،و القاسمي[٤٣]، و ابن السعدي[٤٤] ، و ابن عثيمين[٤٥] – رحمهم الله جميعاً –

[٢١] / جامع البيان[١٢/ ٥٣٤-٥٣٦]
[٢٢] / معاني القرآن وإعرابه[٥/ ٣١٢]
[٢٣] / تفسير القرآن العزيز[١١٨/٥]
[٢٤] / النكت والعيون [٦/ ٢٤٦-٢٤٧]
[٢٥] / الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[٢/ ١١٩٢]
[٢٦] / معالم التنزيل[١٣٩٩]
[٢٧] / الكشاف[٤/ ٧٣٦]
[٢٨] / المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[١٩٦٧]
[٢٩] / زاد المسير في علم التفسير[٨٢/٩]
[٣٠] / مفاتح الغيب [٣١ / ١٣٠]
[٣١] / الجامع لأحكام القرآن[٢٠ / ٥]
[٣٢] / أنوار التنزيل وأسرار التأويل[٤٧٦/٥]
[٣٣] / تفسير النسفي[٢٦٨/٤]
[٣٤] / البحر المحيط [٩/ ٤٤٥-٤٤٧]
[٣٥] / بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن القيم الجوزية [١٨٣/٥]
[٣٦] / الدر المصون في علوم الكتاب المكنون [١٠/ ٧٥٣]
[٣٧] / تفسير القران العظيم[٤/ ٤٥٢]
[٣٨] / اللباب في علوم الكتاب[١٦/ ٢٩٦]
[٣٩] / السراج المنير[٤/ ٣٧٨]
[٤٠] / إرشاد العقل السليم[٦/ ٤٠١-٤١١]
[٤١] / فتح القدير[٥ / ٤١٩]

– والقول الثاني :أن الترائب هي الأطراف – أي اليدان والرجلان والعينان – مروي عن ابن عباس وعن الضحاك –رحمهما الله–[٤٦]

– القول الثالث: أن الترائب هي عصارة القلب فمروي عن معمر بن أبي حبيبة المديني– رحمه الله–[٤٧]

الترجيح :

الراجح – والله اعلم– هو ما رجحه ابن جزي –رحمه الله– أن الترائب هي : عظام الصدر التي عبر عنها المفسرون بموضع القلادة من المرأة .

قال الطبري مبيناً العلة في ترجيحه هذا القول :" حيث هذا القول هو المعروف في كلام العرب ،وبه جاءت أشعارهم ،قال المثقب العبدي:

ومن ذهبٍ يُسبنُ على تَريب كلونِ العاجِ ليسَ بذي غُضونِ

وقال آخر: والزعفرانُ على ترائـــبها شرقاً به اللَبَاتُ والنحرُ"[٤٨]

فكلام الله عز وجل يحمل على المعروف من كلام العرب ،كما هو معروف في علم أصول التفسير.[٤٩]

---

[٤٢] / روح المعاني[٣٠ /٩٧]
[٤٣] / محاسن التأويل[٣٧٥/٩]
[٤٤] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان[٩٢٠]
[٤٥] / تفسير جزء عم [١٣٠]
[٤٦] /ينظر: جامع البيان[٥٣٤/١٢-٥٣٦]
[٤٧] /ينظر : المرجع السابق
[٤٨] /المرجع السابق [٥٣٦/١٢]
[٤٩] /ينظر:قواعد الترجيح عند المفسرين للحربي [٣٦٩/٢]

وقد رد ابن عطية القولين الآخرين بقوله : "و في هذه الأقوال تحكم على اللغة"[٥٠]

[٥٠] / المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[١٩٦٧]

المسألة الواحدة والسبعون :

في مكان خروج ماء الولد من قوله تعالى: {يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧}

قال ابن جزي –رحمه الله – :" ويعني: صلب الرجل وترائبه وصلب المرأة وترائبها، وقيل: أراد صلب الرجل وترائب المرأة "[٥١]

ترجيح ابن جزي:

رجح ابن جزي –رحمه الله– أن ماء الولد يخرج من صلب الرجل وترائبه ومن صلب المرأة وترائبها ،حيث قدم هذا القول ،وذكر القول الثاني بصيغة التمريض .

الدراسة:

اختلف المفسرون في معنى الآية:

– القول الأول: أن ماء الولد يخرج من صلب الرجل وترائبه ومن صلب المرأة وترائبها، وهو ما رجحه ابن جزي –رحمه الله–

روي هذا القول عن :الحسن و قتادة –رحمهما الله–[٥٢]

[٥١] /التسهيل [٣٦٣/٤]

قدمه الماوردي[٥٣]،و ابن عطية [٥٤]، و أبو حيان[٥٥]على القول الثاني، و رجحه ابن السعدي[٥٦]– رحمهم الله جميعاً–

– القول الثاني :أن ماء الرجل يخرج من صلبه وماء المراة يخرج من ترائبها ، روي عن :ابن عباس[٥٧] وعكرمه وسفيان[٥٨] –رحمهم الله–

و رجح هذا القول من المفسرين: ابن أبي زمنين[٥٩]، و الواحدي[٦٠]،و البغوي[٦١]، و الزمخشري[٦٢]، و ابن الجوزي[٦٣]،و فخرالدين الرازي[٦٤]، و القرطبي[٦٥]،و البيضاوي[٦٦]،و النسفي[٦٧]،و ابن القيم[٦٨]، و السمين الحلبي[٦٩]،و ابن كثير[٧٠]، و ابن عادل[٧١]،و الخطيب الشربيني[٧٢]، و أبو السعود[٧٣]،و الشوكاني[٧٤]،و الآلوسي[٧٥]،و القاسمي[٧٦]–رحمهم الله جميعاً–

الترجيح:

[٥٢] /ينظر: النكت والعيون [٦/ ٢٤٦-٢٤٧]
[٥٣] / النكت والعيون [٦/ ٢٤٦]
[٥٤] / المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[١٩٦٧]
[٥٥] / البحر المحيط [٩/ ٤٤٧]
[٥٦] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان[٩٢٠]
[٥٧] /ينظر: تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين[١٠/ ٣٤١٥]
[٥٨] /ينظر: جامع البيان[٥٣٥/١٢]
[٥٩] / تفسير القرآن العزيز[١١٨/٥]
[٦٠] / الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[١١٩٢/٢]
[٦١] / معالم التنزيل[١٣٩٩]
[٦٢] / الكشاف[٧٣٦/٤]
[٦٣] / زاد المسير في علم التفسير[٩/ ٨٢]
[٦٤] / مفاتح الغيب [٣١/ ١٣٠]
[٦٥] / الجامع لأحكام القرآن[٥ /٢٠]
[٦٦] / أنوار التنزيل وأسرار التأويل[٤٧٦/٥]
[٦٧] / تفسير النسفي[٢٧٦/٤]
[٦٨] / بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن القيم الجوزية [١٨٣/٥]
[٦٩] / الدر المصون في علوم الكتاب المكنون [٧٥٣/١٠]
[٧٠] / تفسير القران العظيم[٤/ ٤٥٢]
[٧١] / اللباب في علوم الكتاب[١٦/ ٢٩٦]
[٧٢] / السراج المنير[٤/ ٣٧٨]
[٧٣] / إرشاد العقل السليم[٦/ ٤١٠-٤١١]
[٧٤] / فتح القدير[٥ / ٤١٩]
[٧٥] / روح المعاني[٣٠ /٩٧]
[٧٦] / محاسن التأويل[٣٧٥/٩]

الراجح –والله أعلم– أن ماء الرجل يخرج من صلبه و ماء المرأة يخرج من ترائبها ، فهو القول الذي عليه أكثر المفسرين .

و قال الإمام الفخر الرازي: "في هذه الآية قولان :

١– أن الولد مخلوق من الماء الذي يخرج من صلب الرجل وترائب المرأة.

٢–وقال آخرون :أنه مخلوق من الماء الذي يخرج من صلب الرجل وترائبه .

واحتج صاحب القول الثاني على مذهبه بوجهين:

١–أن ماء الرجل خارج من الصلب فقط ،وماء المرأة خارج من الترائب فقط ،وعلى هذا التقدير لا يحصل هناك ماء خارج من بين الصلب والترائب وذلك على خلاف الآية.

٢– أنه تعالى بين أن الإنسان مخلوق من ماء دافق والذي يوصف بذلك هو ماء الرجل نثم عطف عليه بان وصفه بانه يخرج ،يعني هذا الدافق من بين الصلب والترائب ،وذلك يدل على أن الولد مخلوق من ماء الرجل فقط .

أجاب القائلون بالقول الأول عن الحجة الأولى :أنه يجوز أن يقال للشيئين المتباينين أنه يخرج من بين هذين خير كثير ،و لأن الرجل والمرأة عند اجتماعهما يصيران كالشئ الواحد ،فحسن هذا اللفظ هناك .

وأجابوا عن الحجة الثانية: بان هذا من باب إطلاق اسم البعض على الكل ،فلما كان أحد قسمي المني دافقاً أطلق هذا الاسم على المجموع .

ثم قالوا :والذي يدل على أن الولد مخلوق من مجموع الماءين أن مني الرجل وحده صغير فلا يكفي ،و لأنه روي أنه عليه الصلاة والسلام قال :(إذا غلب ماء الرجل يكون الولد ذكراً

ويعود شبه إليه وإلى أقاربه ،و إذا غلب ماء المرأة فإليها وإلى أقاربها يعود الشبه)[٧٧] وذلك يقتضي صحة القول الأول"[٧٨]

[٧٧] /أصله في صحيح البخاري بلفظ:[وأما الولد : فإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد ، وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزعت الولد] رقم الحديث(٣٩٣٨)كتاب مناقب الأنصار ص[٧٩٧]

[٧٨] /مفاتح الغيب [١٣٠/٣١]

المسألة الثانية والسبعون:

في عودة الضمير في قوله :(رجعه) في قوله تعالى: {إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٞ ۝٨}

قال ابن جزي –رحمه الله–: "الضمير في(إِنَّهُۥ) لله تعالى ،وفي (رَجۡعِهِ) للإنسان ،والمعنى: أن الله قادر على رجع الإنسان حيا بعد موته، والمراد إثبات البعث، وقيل: إن المعنى رده ماء كما كان أول مرة ،وقيل: رده من الكبر إلى الشباب، وقيل: الضمير في رجعه للماء الدافق ،والمعنى رده في الإحليل أو في الصلب .وهذا كله ضعيف بعيد ،والقول الأول هو الصحيح المشهور"[٧٩]

ترجيح ابن جزي:

رجح ابن جزي –رحمه الله– أن الضمير في قوله تعالى:(رَجۡعِهِ)عائد على الإنسان ،فيصبح المعنى :أن الله عز وجل قادر على رجع الإنسان حياً بعد موته .

حيث قال مرجحاً هذا القول:" والقول الأول هو الصحيح المشهور"

الدراسة:

[٧٩] /التسهيل [٤/ ٣٦٣]

اختلف المفسرون في عودة الضمير المتصل (ـه) في قوله تعالى: {رَجْعِهِ} ،على عدة أقوال:

– القول الأول :أنه عائد على الإنسان ،فيصبح المعنى :أن الله عز وجل قادر على رجع الإنسان حياً بعد موته ، وهو ما رجحه ابن جزي –رحمه الله–

روي هذا القول عن قتادة [٨٠]،و الحسن وعكرمة[٨١] ،وابن عباس والضحاك[٨٢]–رحمهم الله –

رجحه من المفسرين : الطبري حيث قال:" وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك إن الله على رد الإنسان المخلوق من ماء دافق من بعد مماته حيا كهيئته قبل مماته لقادر؛ وإنما قلت هذا أولى الأقوال في ذلك بالصواب لقوله: { يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ } فكان في إتباعه قوله: { إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ } نبأ من أنباء القيامة دلالة على أن السابق قبلها أيضا منه، ومنه {يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ } يقول تعالى ذكره إنه على إحيائه بعد مماته لقادر يوم تبلى السرائر فاليوم من صفة الرجع؛ لأن المعنى إنه على رجعه يوم تبلى السرائر لقادر "[٨٣]،

و رجحه الواحدي[٨٤]،و البغوي[٨٥]، و الزمخشري[٨٦]، و ابن عطية [٨٧]،و قدمه ابن الجوزي[٨٨] على على بقية الأقوال، و رجحه فخرالدين الرازي[٨٩]، و النسفي[٩٠]،و أبو حيان[٩١]،و ابن القيم[٩٢]، و

[٨٠] /ينظر : جامع البيان [٥٣٦/١٢]
[٨١] /ينظر: النكت والعيون [٦/ ٢٤٧]
[٨٢] /ينظر: اللباب في علوم الكتاب[١٦/ ٢٩٧]
[٨٣] / جامع البيان[٥٣٦/١٢]
[٨٤] / الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[٢/ ١١٩٢]
[٨٥] / معالم التنزيل[١٣٩٩]
[٨٦] / الكشاف[٧٣٦/٤]
[٨٧] / المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[١٩٦٧]
[٨٨] / زاد المسير في علم التفسير[٩/ ٨٣]
[٨٩] / مفاتح الغيب [٣٠ /١٣١-١٣٢]
[٩٠] / تفسير النسفي[٢٦٨/٤]
[٩١] / البحر المحيط [٩/ ٤٥٠]

قدمه السمين الحلبي[٩٣]،و رجحه الثعالبي[٩٤]،و قدمه ابن عادل[٩٥]،و الخطيب الشربيني[٩٦]، و رجحه أبو السعود[٩٧]،و الشوكاني[٩٨]،و الآلوسي[٩٩]،و القاسمي[١٠٠]، و ابن السعدي[١٠١]،و الشنقيطي[١٠٢]،و ابن عثيمين[١٠٣] –رحمهم الله جميعاً–

– القول الثاني: أن الضمير عائد على الإنسان ولكن المعنى :رده ماء كما كان أول مره ، و روي عن الضحاك أيضا ،و روي عنه أيضاً رده من الكبر إلى الشباب.[١٠٤]

– القول الثالث :و روي عن مجاهد أن الضمير عائد على الماء ،والمعنى :أن الله عز وجل قادر على أن يرد الماء في الإحليل[١٠٥].

و قد قدم هذا القول على بقية الأقوال : الماوردي[١٠٦]، و القرطبي[١٠٧]–رحمهما الله–

الترجيح:

[٩٢] / بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن القيم الجوزية [٥/ ١٨٣]
[٩٣] / الدر المصون في علوم الكتاب المكنون [٧٥٤/١٠]
[٩٤] / الجواهر الحسان في تفسير القرآن[٥/ ٥٧٥]
[٩٥] / اللباب في علوم الكتاب[١٦/ ٢٩٧]
[٩٦] / السراج المنير[٤/ ٣٧٨]
[٩٧] / إرشاد العقل السليم[٦/ ٤١١]
[٩٨] / فتح القدير[٥ /٤٢٠]
[٩٩] / روح المعاني[٣٠ / ٩٨]
[١٠٠] / محاسن التأويل[٩/ ٣٧٥]
[١٠١] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان[٩٢٠]
[١٠٢] / أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن [٩/ ١٥٩]
[١٠٣] / تفسير جزء عم [١٣٠]
[١٠٤] /ينظر : ينظر : جامع البيان [٥٣٦/١٢-٥٣٧]
[١٠٥] /ينظر: النكت والعيون[٢٤٧/٦]
[١٠٦] / النكت والعيون [٦/ ٢٤٧]
[١٠٧] / الجامع لأحكام القرآن[٢٠/ ٧]

الراجح – والله أعلم – أن الضمير المتصل في (رَجْعِهِ) عائد على الإنسان ، والمعنى : أن الله عز وجل قادر على أن يعيد الإنسان بعد موته كما خلقه أول مره .

وذلك للمرجحات التالية :

١–لقوله عز وجل بعد هذه الآية : {يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ } ويكون ذلك يوم القيامة ،فكذلك الرجع يكون يوم القيامة[١٠٨].

٢–علل ابن القيم –رحمه الله –بقوله :"أنه هو المعهود من طريقة القرآن من الاستدلال بالمبدأ على المعاد .

٣–أن ذلك أدل على المطلوب من القدرة على رد الماء في الإحليل .

٤–أنه لم يأت لهذا المعنى –رد الماء في الإحليل أو الصلب–في القرآن نظير في موضع واحد ،ولا أنكره أحد حتى يقيم الدليل عليه.

٥–أن الضمير في (رجعه)هو الضمير في قوله (فما له من قوة ولا ناصر)وهذا للإنسان قطعاً لا للماء.

٦–أنه لا ذكر للإحليل ،حتى يتعين كون المرجع إليه .....الخ ..."[١٠٩]

٧– قال الشيخ عطية سالم مرجحاً :"أن رد الماء لم يتعلق به حكم و لا أمر آخر سوى إثبات القدرة بخلاف رجع الإنسان بعد الموت ،فهو قضية الإيمان بالبعث ويتعلق به كل أحكام يوم القيامة.

٨– أن الأول –الضمير عائد على الماء–يحتاج معه إلى تقدير عامل ليوم تبلى السرائر نحو اذكر مثلاً،بخلاف الثاني – الضمير عائد على الإنسان– فإن العامل فيه :هو لقادر ،أي لقادر على رجعه يوم تبلى السرائر....الخ..."[١١٠]

---

[١٠٨] /ينظر :جامع البيان[١٢/ ٥٣٧]

[١٠٩] / ينظر للإستزادة من المرجحات: بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن القيم الجوزية [٥/ ١٨٤]

[١١٠] /ينظر : أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن [٩/ ١٥٩-١٦٠]

المسألة الثالثة والسبعون:

في معنى الرجع في قوله تعالى: {وَالسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ﴿١١﴾}

قال ابن جزي –رحمه الله– :"المراد بالرجع عند الجمهور :المطر. وسماه رجعا بالمصدر ،لأنه يرجع كل عام أو لأنه: يرجع إلى الأرض، وقيل الرجع: السحاب الذي فيه المطر، وقيل هو :مصدر رجوع الشمس والكواكب من منزلة إلى منزلة"[١١١]

ترجيح ابن جزي:

رجح ابن جزي –رحمه الله– أن المراد بالرجع :المطر

حيث قدم هذا القول ، ووصفه بأنه قول الجمهور ، وذكر بقية الأقوال بصيغة التمريض .

الدراسة :

اختلف المفسرون في معنى الرجع ،على ثلاثة أقوال:

– القول الأول: أن المراد بالرجع المطر، و هو ما رجحه ابن جزي –رحمه الله–

و روي هذا القول عن: ابن عباس ،و الحسن ، و عكرمه ، و قتادة ،و الضحاك [١١٢]

[١١١] / التسهيل [٤/ ٣٦٤]
[١١٢] /ينظر : جامع البيان[١٢/ ٥٣٨-٥٣٩]

و رجح هذا القول: الزجاج[113]،و أخرجه ابن أبي حاتم[114]،و رجحه ابن أبي زمنين[115]،و قدمه الماوردي[116] على بقية الأقوال، و الواحدي[117]،و البغوي[118]، و الزمخشري[119]، و ابن عطية [120]،و ابن الجوزي[121]،و فخرالدين الرازي[122]،و صيره القرطبي قول عامة المفسرين[123]،و رجحه النسفي[124]،و قال أبو حيان :"والمشهور عند أهل اللغة و قول الجمهور أن الرجع هو المطر"[125]،و رجحه أبو السعود[126]،و الشوكاني[127]،و قدمه الآلوسي[128]،و اختاره القاسمي،و ابن السعدي[129]،و ابن عثيمين[130] –رحمهم الله جميعاً–

– القول الثاني: أن الرجع هو :السحاب الذي فيه المطر ،و قد روي عن :ابن عباس وعكرمة في أحد القولين عنهما وروي أيضاً عن مجاهد –رحمهم الله –

ورجحه الطبري[131]–رحمه الله– وهو بمعنى القول الأول .

– وانفرد ابن زيد –رحمه الله – بالقول الثالث ،أن الرجع هو : مصدر رجوع الشمس والكواكب إلى السماء بدورانها فيها [132] .

---

[113] / معاني القرآن وإعرابه[٣١٢/٥]
[114] / تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين[١٠/ ٣٤١٥]
[115] / تفسير القرآن العزيز[١١٨/٥]
[116] / النكت والعيون [٦/ ٢٤٨]
[117] / الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[٢/ ١١٩٣]
[118] / معالم التنزيل[١٤٠٠]
[119] / الكشاف[٧٣٧/٤]
[120] / المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[١٩٦٨]
[121] / زاد المسير في علم التفسير[٩/ ٨٤]
[122] / مفاتح الغيب [٣١ /١٣٣]
[123] / الجامع لأحكام القرآن[٢٠ / ١٠]
[124] / تفسير النسفي[٢٦٨/٤]
[125] / البحر المحيط[٩/ ٤٥٠-٤٥١]
[126] / إرشاد العقل السليم[٦/ ٤٤١]
[127] / فتح القدير[٥ / ٤٢٠]
[128] / روح المعاني[٣٠ /٩٩-١٠٠]
[129] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان[٩٢٠]
[130] / تفسير جزء عم [١٣٢]
[131] / جامع البيان[٥٣٨/١٢-٥٣٩]
[132] /ينظر : المرجع السابق

ورجحه من المفسرين: البيضاوي[١٣٣]، و السمين الحلبي[١٣٤]،و قدمه ابن عادل[١٣٥]على بقية الأقوال ،و رجحه الخطيب الشربيني[١٣٦]–رحمهم الله جميعا–

الترجيح :

الراجح –والله أعلم – ما رجحه ابن جزي –رحمه الله– أن الرجع هو المطر؛حيث عليه أكثر السلف والمفسرين،وهو بمعنى القول الثاني السحاب الذي فيه المطر ،إذ كلاهما يؤدي إلى نفس المعنى .

وهو المعنى اللغوي أيضاً ،قال أبو بكر الرازي :"الرجع المطر قال تعالى: { وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ } "[١٣٧]

وإن كان المطر جزء من منافع السماء إلا أنه الغالب الظاهر من منافعها ،قال الإمام ابن القيم– رحمه الله –:"أقسم بالسماء ورجعها بالمطر ....والتحقيق أن هذا على وجه التمثيل ، ورجع السماء هو إعطاء الخير الذي يكون من جهتها حالاً بعد حال ،على مرور الأزمات ترجعه رجعاً،أي تعطيه مره بعد مره والخير كل من قبل السماء يجيء ،ولما كان أظهر الخير المشهود بالعيان المطر فسر الرجع به"[١٣٨]

[١٣٣] / أنوار التنزيل وأسرار التأويل[٤٧٧/٥]
[١٣٤] / الدر المصون في علوم الكتاب المكنون [٧٥٥/١٠]
[١٣٥] / اللباب في علوم الكتاب[١٦/ ٢٩٩]
[١٣٦] / السراج المنير[٤/ ٣٧٨]
[١٣٧] /مختار الصحاح [٩٩/١]
[١٣٨] / بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن القيم الجوزية [٥/ ١٨٦]

المسألة الرابعة والسبعون:

في معنى الصدع في قوله تعالى: {وَالأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ﴿١٢﴾}

قال ابن جزي – رحمه الله – :" يعني: ما تصدع عنه الأرض من النبات ،وقيل: يعني ما في الأرض من الشقاق والخنادق وشبهها "[١٣٩]

ترجيح ابن جزي:

رجح ابن جزي –رحمه الله– أن الله عز وجل أقسم بالأرض وما يخرج منها من النبات ،حيث قدم هذا القول ،وذكر القول الآخر بصيغة التمريض.

الدراسة:

اختلف المفسرون في معنى الصدع ،على قولين:

– القول الأول :أن الصدع هو ما تصدع عنه الأرض من النبات، و هو ما رجحه ابن جزي –رحمه الله–

روي هذا القول عن :ابن عباس و عكرمه وقتادة وابن زيد والضحاك[١٤٠]،والسدي وسعيد بن جبير وغيرهم[١٤١] –رحمهم الله–

[١٣٩] /التسهيل [٤/ ٣٦٤]
[١٤٠] /ينظر فيما سبق: جامع البيان[١٢/٥٣٩-٥٤٠]
[١٤١] /ينظر: تفسير القران العظيم[٤/ ٤٥٢]

رجح هذا القول أكثر المفسرين : الطبري[١٤٢]،و الزجاج[١٤٣]،و أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن عباس[١٤٤]،و رجحه ابن أبي زمنين[١٤٥]،وقدمه الماوردي[١٤٦]،و رجحه الواحدي[١٤٧]،و البغوي[١٤٨]، و الزمخشري[١٤٩]، و ابن عطية [١٥٠]، و قال ابن الجوزي :"أي ذات الشق وقيل لها هذا ؛لأنها تتصدع وتتشقق بالنبات ،هذا قول المفسرين وأهل اللغة في الحرفين" [١٥١]،وقدمه فخرالدين الرازي[١٥٢]،و رجحه القرطبي[١٥٣]،و البيضاوي[١٥٤]،و النسفي[١٥٥]،و قال أبو حيان: "المشهور عند أهل اللغة وقول الجمهور أن الرجع: هو المطر، والصدع :هو ماتتصدع عنه الأرض من النبات"[١٥٦]،ورجحه ابن القيم[١٥٧]، و ابن كثير[١٥٨]،و الثعالبي[١٥٩]،و الخطيب الشربيني[١٦٠]،و أبو السعود[١٦١]،و الشوكاني[١٦٢]،و الآلوسي[١٦٣]،و القاسمي[١٦٤]، و ابن السعدي[١٦٥]،و ابن عاشور[١٦٦]،و ابن عثيمين[١٦٧] –رحمهم الله جميعاً–

[١٤٢] / جامع البيان[٥٣٩/١٢]
[١٤٣] / معاني القرآن وإعرابه[٣١٣/٥]
[١٤٤] / تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين[١٠/ ٣٤١٥]
[١٤٥] / تفسير القرآن العزيز[١١٨/٥]
[١٤٦] / النكت والعيون [٦/ ٢٤٩]
[١٤٧] / الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[٢/ ١١٩٣]
[١٤٨] / معالم التنزيل[١٤٠٠]
[١٤٩] / الكشاف[٤/ ٧٣٧]
[١٥٠] / المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[١٩٦٨]
[١٥١] / زاد المسير في علم التفسير[٨٤/٩]
[١٥٢] / مفاتح الغيب [٣١ /١٣٣]
[١٥٣] / الجامع لأحكام القرآن[٢٠ / ١١]
[١٥٤] / أنوار التنزيل وأسرار التأويل[٤٧٧/٥]
[١٥٥] / تفسير النسفي[٢٦٨/٤]
[١٥٦] / البحر المحيط [٨/ ٤٥١]
[١٥٧] / بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن القيم الجوزية [٥/ ١٨٦]
[١٥٨] / تفسير القران العظيم[٤٥٢/٤]
[١٥٩] / الجواهر الحسان في تفسير القرآن[٥/ ٥٧٦]
[١٦٠] / السراج المنير[٤/ ٣٧٨]
[١٦١] / إرشاد العقل السليم[٦/ ٤١١]
[١٦٢] / فتح القدير[٥ / ٤٢٠]
[١٦٣] / روح المعاني[٣٠ / ١٠٠]
[١٦٤] / محاسن التأويل[٣٧٦/٩]
[١٦٥] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان[٩٢٠]
[١٦٦] / التحرير والتنوير[٣٠/ ٢٦٦]
[١٦٧] / تفسير جزء عم [١٣٢]

-القول الثاني :أن الله عز وجل أقسم بالأرض وما فيها من شقوق وخنادق ، روي عن : مجاهد –رحمه الله–[١٦٨] ولم يرجحه احد من المفسرين –فيما بين يدي من المراجع- المراجع-

الترجيح :

الراجح – والله اعلم – ما رجحه ابن جزي –رحمه الله- و هو القول الذي عليه أكثر السلف و المفسرين ،وقد نقل الإجماع عليه أكثر من واحد.

وأيضاً مما يرجح هذا القول :أن الله تعالى يقسم بما هو بيّن واضح ،بحيث يراه الجاهل والعالم ،ولا وجه للإقسام بالخنادق والشقوق ،والأولى أن يقسم بالأرض التي تتصدع ويخرج منها النبات الذي ينتفع به المخلوقات جميعا .

ومما يرجح هذا القول أيضاً :أن له مثيله في القرآن ،قوله تعالى : { ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ }[١٦٩]

[١٦٨] /ينظر:جامع البيان [٥٤٠/١٢]

[١٦٩] /عبس ٢٦-٢٨ بهذا فسره ابن زيد –رحمه الله- ينظر:تفسير جزء عم لمساعد الطيار[١١٧]

المسألة السادسة والسبعون:

في المراد بقوله (اسم)في قوله تعالى: {سَبِّحِ إِسْمَ رَبِّكَ ٱلأَعْلَى ۝١}

قال ابن جزي –رحمه الله– :" التسبيح في اللغة: التنزيه، وذكر الاسم هنا يحتمل وجهين :

أحدهما :أن يكون المراد المسمى ،ويكون الاسم صلة كالزائد، ومعنى الكلام سبح ربك أي :نزهه عما لا يليق به ،وقد يتخرج ذلك على قول من قال: إن الاسم هو المسمى .

والآخر: أن يكون الاسم مقصودا بالذكر. ويحتمل المعنى على هذا أربعة أوجه:

الأول :تنزيه أسماء الله تعالى عن المعاني الباطلة كالتشبيه والتعطيل.

الثاني :تنزيه أسماء الله عن أن يسمى بها صنم أو وثن.

الثالث :تنزيه أسماء الله عن أن تدرك في حال الغفلة دون خشوع .

الرابع: أن المراد قول سبحان الله ولما كان التسبيح باللسان لابد فيه من ذكر الاسم أوقع التسبيح على الاسم. وهذا القول هو الصحيح ،ويؤيده ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا قرأ هذه الآية قال:(سبحان ربي الأعلى)وأنها لما نزلت قال:(اجعلوها في سجودكم) فدل ذلك على أن المراد هو التسبيح باللسان مع موافقة القلب، ولا بد في التسبيح باللسان من ذكر اسم الله تعالى فلذلك قال:{سَبِّحِ إِسْمَ رَبِّكَ ٱلأَعْلَى } مع أن التسبيح في الحقيقة إنما هو لله تعالى لا لاسمه ،وإنما ذكر الاسم ؛لأنه هو الذي يوصل به إلى التسبيح باللسان وعلى هذا يكون موافقا في المعنى لقوله تعالى: { فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ

}[1] لأن معناه نزه الله بذكر اسمه، ويؤيد هذا ما روى عن ابن عباس أن معنى سبح: صل باسم ربك أي صل واذكر في الصلاة اسم ربك"[2]

ترجيح ابن جزي:

رجح ابن جزي –رحمه الله– أن الاسم مقصود بالذكر في الآية الكريمة ،والمراد به: قول سبحان الله .حيث قال بعد أن ذكر هذا القول :"وهذا هو القول الصحيح" ودلل على اختياره بما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا قرأ هذه الآية قال: { سَبِّحِ إِسْمَ رَبِّكَ ٱلاَعْلَى}وأنها لما نزلت قال: (اجعلوها في سجودكم)[3]

الدراسة :

في الآية قولان:

–القول الأول: ما رجحه ابن جزي –رحمه الله– أن المقصود منها قول :سبحان الله.

[1] /سورة الواقعة آية ٧٤

[2] /التسهيل [٣٦٥/٤-٣٦٦]

[3] / أخرجه أبو داود (٨٦٩)وابن ماجه (٨٨٧)في سننهما في الصلاة ،و أحمد (١٥٥/٤) و الطيالسي(١٠٠٠)من حديث عقبة بن عامر ،و صححه الحاكم في المستدرك (٤٧٧/٢)،و قال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه [٤٩٨/١]،و وافقه الذهبي ،وفيه موسى بن أيوب مقبول فالإسناد لين..ينظر:تخريج الأحاديث والآثار[١٩٣/٤]

روي هذا القول عن ابن عباس وعلي بن أبي طالب وابن عباس[٤]،وابن عمر وابن مسعود[٥] –رضوان الله عليهم– أنهم كانوا إذا سمعوها أو قرؤوها قالوا: سبحان ربي الأعلى.

و رجحه من المفسرين: الزجاج[٦]، و البغوي[٧]،و جعله ابن الجوزي قول الجمهور[٨]،و رجحه القرطبي[٩]، و ابن كثير[١٠]،و الثعالبي[١١]، و ابن عادل[١٢]–رحمهم الله جميعاً–

– القول الثاني: أن المعنى :نزه اسمه ربك وذاته من أن تدعو به الآلهة والأوثان وعن كل ما لا يليق بذاته عز و جل ، و رجحه جمع من المفسرين وهم : الطبري[١٣]، و الواحدي[١٤]، و البيضاوي[١٥]، و النسفي[١٦]، و أبو حيان[١٧]، و الخطيب الشربيني[١٨]، و أبو السعود[١٩]،و الشوكاني[٢٠]، الآلوسي[٢١]،و القاسمي[٢٢]، و ابن السعدي[٢٣]–رحمهم الله جميعا –

الترجيح:

[٤] /ينظر : جامع البيان[٥٤٢/١٢-٥٤٣]
[٥] /ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[١٩٦٨]
[٦] / معاني القرآن وإعرابه[٥/ ٣١٥]
[٧] / معالم التنزيل[١٤٠٠]
[٨] / زاد المسير في علم التفسير[٩/ ٨٧]
[٩] / الجامع لأحكام القرآن[٢٠ / ٤١٣]
[١٠] / تفسير القران العظيم[٤/ ٤٥٣-٤٥٤]
[١١] / الجواهر الحسان في تفسير القرآن[٥/ ٥٧٧]
[١٢] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان[٩٠٢]
[١٣] / جامع البيان[١٢/ ٥٤٣]
[١٤] / الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[٢/ ١١٩٤]
[١٥] / أنوار التنزيل وأسرار التأويل[٤٧٩/٥]
[١٦] / تفسير النسفي[٢٦٨/٤]
[١٧] / البحر المحيط [٤٥٣/٩]
[١٨] / السراج المنير[٤/ ٣٨٠]
[١٩] / إرشاد العقل السليم[٤١٣/٦]
[٢٠] / فتح القدير[٥ / ٤٢٣]
[٢١] / روح المعاني[٣٠ / ١٠٢-١٠٤]
[٢٢] / محاسن التأويل[٣٧٨/٩]
[٢٣] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان[ ]

الراجح –و الله أعلم–ما رجحه ابن جزي أن الاسم مقصود بالذكر ؛لأنه إذا دار الكلام بين الزيادة والتأصيل في القرآن ،فالقول بالتأصيل أولى[٢٤]، قال ابن القيم–رحمه الله– : "... فصار معنى الآيتين : سبح ربك بقلبك ولسانك ، واذكر ربك بقلبك ولسانك، فأقحم الاسم تنبيهاً على هذا المعنى ، حتى لا يخلو الذكر والتسبيح من اللفظ باللسان ؛ لأن ذكر القلب متعلقة المسمى المدلول عليه بالاسم دون ما سواه ، والذكر باللسان متعلقة اللفظ مع مدلوله؛ لأن اللفظ لا يراد لنفسه ، فلا يتوهم أحد أن اللفظ هو المسبح دون ما يدل عليه من المعنى . وعبر لي شيخنا أبو العباس ابن تيمية عن هذا المعنى بعبارة لطيفة وجيزة ، فقال : المعنى : سبح ناطقاً باسم ربك متكلماً به ، وكذا سبح ربك ذاكراً اسمه "[٢٥] .

والمعنى الراجح أن يقول المكلف (سبحان ربي الأعلى) و ذلك لثبوت الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم من طريق ابن عباس –رضي الله عنهما–قال : (كان إذا قرأ: { سَبِّحِ إِسْمَ رَبِّكَ ٱلأَعْلَى } قال :سبحان ربي الأعلى)[٢٦]

قال الطبري–رحمه الله–: "وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب قول من قال :معناه نزه اسم ربك أن تدعو به الآلهة والأوثان؛ لما ذكرت من الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ،وعن الصحابة أنهم كانوا إذا قرؤوا ذلك قالوا :سبحان ربي الأعلى ،فبين بذلك أن معناه كان عندهم معلوما عظم اسم ربك ونزهه"[٢٧]

[٢٤] /ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين [٢/ ٤٩٥]
[٢٥] /بدائع الفوائد [/]
[٢٦] /رواه أبو داود في سننه في الصلاة من حديث سعيد بن جبير عن ابن عباس [٢٣٣/١] و رواه الحاكم في المستدرك وقال :هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه [٣٩٥/١]
[٢٧] / جامع البيان[١٢/ ٥٤٣]

المسألة السابعة والسبعون:

في الموصوف في قوله تعالى: {سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١}

قال ابن جزي –رحمه الله–: " والأعلى يحتمل أن يكون: صفة للرب، أو للاسم ،والأول أظهر"[٢٨]

ترجيح ابن جزي:

رجح رحمه الله أن الأعلى صفة لـ(ربك) ،و ذلك بقوله: " والأول أظهر"إشارة إلى هذا القول.

الدراسة:

اختلف في موصوف (الأعلى)،على قولين :

– القول الأول: أنها صفة لـ(ربك) ، و هو ما رجحه ابن جزي –رحمه الله–

و تابعه من المفسرين: أبو السعود حيث قال :"والأعلى إما صفة للرب و هو الأظهر أو للاسم"[٢٩]،و قال الشوكاني: " والأعلى صفة للرب وقيل للاسم والأول أولى "[٣٠] و رجحه الآلوسي[٣١]–رحمهم الله –

[٢٨] /التسهيل [٣٦٦]
[٢٩] / إرشاد العقل السليم[٦/ ٤١٣]

– القول الثاني : أن (الأعلى) صفة لـ(اسم) ، ذكر هذا القول من المفسرين: الزمخشري حيث قال :"و يجوز أن يكون الأعلى صفة للرب والاسم"[٣٢] و ذكره أيضاً ابن عطية[٣٣]

الترجيح:

اختلف المفسرون في هذه الآية اختلافاً كثيراً، فمنهم من جعل الاسم هو عين المسمى ، ومنهم من جعله غير ذلك ،و هو اختلاف ركيك لا يصح في حق ذات الله عز وجل [٣٤].

وأيضاً اختلفت الفرق في ماهية العلو ،والصحيح الذي عليه أهل السنة والجماعة أن وصف الأعلى جاء على صيغة اسم التفضيل المطلق الذي لا مقابل له ، للدلالة على كماله في هذا الوصف ، وأنه لا أحد أعلى منه ، وعلوه يشمل علو الذات على خلقه . فهو مستو على العرش الذي هو أعلى المخلوقات وأوسعها ، وعلو القهر ، فهو القاهر فوق عباده ، وعلو القدر بما له من الأسماء الحسنى والصفات العلى.

فالراجح –والله أعلم – أن الأعلى صفة لله عز وجل و لأسمائه وصفاته .

[٣٠] /فتح القدير [/٤٢٣]
[٣١] / روح المعاني[٣٠ /١٠٤]
[٣٢] / الكشاف[٤/٧٣٩]
[٣٣] /المحرر الوجيز [١٩٦٨]

[٣٤] /ينظر: مفاتح الغيب [٣١ / ١٤٨]

المسألة الثامنة والسبعون:

معنى قوله تعالى: {وَالذِى فَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣}

قال ابن جزي –رحمه الله–: "قدَّر بالتشديد يحتمل أن يكون من القدر والقضاء، أو من التقدير والموازنة بين الأشياء.

وقرئ بالتخفيف فيحتمل أن يكون من القدرة أو التقدير وحذف المفعول ؛ليفيد العموم فإن كان من التقدير فالمعنى قدر لكل حيوان ما يصلحه فهداه إليه وعرفه وجه الانتفاع به، وقيل: هدى ذكور الحيوان إلى وطء الإناث لبقاء النسل ،وقيل: هدى المولود عند وضعه إلى مص الثدي، وقيل: هدى الناس للخير والشر والبهائم للمراتع .

وهذه الأقوال أمثلة والأول أعم وأرجح فإن هداية الإنسان وسائر الحيوانات إلى مصالحها باب واسع فيه عجائب وغرائب، وقال الفراء: المعنى هدى وأضل واكتفى بالواحدة؛ لدلالتها على الأخرى[٣٥]، وهذا بعيد"[٣٦]

ترجيح ابن جزي:

رجح ابن جزي–رحمه الله –أن معنى الآية :أن الله عز وجل قدّر لكل المخلوقات ما ينفعها في أمر دينها ودنياها ،فالخبر على عمومه .

رجح هذا القول بقوله :"الأول أعم وأرجح "

[٣٥] /معاني القرآن [٢٠٣/٥]
[٣٦] / التسهيل [٣٦٦]

وعلل ترجيحه بقوله :" فإن هداية الإنسان وسائر الحيوانات إلى مصالحها باب واسع فيه عجائب وغرائب"

الدراسة:

في الآية عدة أقوال :

١- أن الله عز وجل قدّر لكل المخلوقات ما ينفعها في أمر دينها ودنياها ،فالخبر على عمومه ،وكل الأقوال التي تلي هذا القول هي أمثلة عليه،وهو ما رجحه ابن جزي –رحمه الله–

و رجح هذا القول من المفسرين: الطبري[٣٧]، الزمخشري[٣٨]، و ابن عطية [٣٩]، و البيضاوي[٤٠]،و النسفي[٤١]،و أبو حيان[٤٢]، و الثعالبي[٤٣]، و أبو السعود[٤٤]،و الشوكاني[٤٥]،و الآلوسي[٤٦]، و القاسمي[٤٧]،و ابن السعدي[٤٨]، و الشنقيطي[٤٩]،و ابن عثيمين[٥٠] –رحمهم الله جميعاً–

٢- أن معنى الآية: هدى الإنسان لسبيل الخير والشر والبهائم للمراتع.

روي هذا القول عن مجاهد[٥١] ،و الحسن[٥٢]–رحمها الله–

---

[٣٧] / جامع البيان[١٢/ ٥٤٣]
[٣٨] / الكشاف[٤/ ٧٣٩]
[٣٩] / المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[١٩٦٩]
[٤٠] / أنوار التنزيل وأسرار التأويل[٤٨٠/٥]
[٤١] / تفسير النسفي[٢٦٨/٤]
[٤٢] / البحر المحيط [٩/ ٤٥٣]
[٤٣] / الجواهر الحسان في تفسير القرآن[٥/ ٥٧٧]
[٤٤] / إرشاد العقل السليم[٦/ ٤٢٣-٤١٤]
[٤٥] / فتح القدير[٥ / ٤٢٣]
[٤٦] / روح المعاني[٣٠ /]
[٤٧] / محاسن التأويل[٣٧٩/٩]
[٤٨] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان[٩٢٠]
[٤٩] / أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن [٩/ ١٧٦-١٧٧]
[٥٠] / تفسير جزء عم [١٤١]

واختار هذا القول من المفسرين: الزجاج[٥٣]،وقدمه الماوردي[٥٤] ،و البغوي[٥٥] ،و ابن الجوزي[٥٦] على بقية الأقوال،و رجحه فخرالدين الرازي[٥٧]،و قدمه القرطبي على بقية الأقوال[٥٨]،و رجحه ابن كثير[٥٩]، و الخطيب الشربيني[٦٠]–رحمهم الله جميعا–

وعلة أصحاب هذا القول أوضحها الفخر الرازي بقوله:"واعلم أن هذه الأقوال على كثرتها لا تخرج عن قسمين ،فمنهم من حمل قوله (فَهَدَىٰ)على ما يتعلق بالدين كقوله : {وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ }[٦١]ومنهم من حمله على ما يرجع الى مصالح الدنيا ،والأول أقوى ؛لأن قوله (خَلَقَ فَسَوَّىٰ)يرجع إلى أحوال الدنيا ويدخل فيه إكمال العقل والقوى ثم اتبعه بقوله (فَهَدَىٰ)أي كلفه و دله على الدين"[٦٢]

الترجيح:

الراجح – والله أعلم – ما رجحه ابن جزي –رحمه الله– أن الخبر في الآية على عمومه فالله عز وجل خلق المخلوقات وهداها لجميع ما يصلح حالها في أمور دينها ودنياها؛ وذلك لأن الآية عامة ولا مخصص هنا ،قال الإمام الطبري –رحمه الله–:" والصواب من القول في ذلك عندنا :أن الله عم بقوله: { فهدى }الخبر عن هدايته خلقه ولم يخصص

---

[٥١] /ينظر:جامع البيان [٥٤٣/١٢]
[٥٢] /ينظر: تفسير القرآن العزيز[١٢٠/٥]
[٥٣] / معاني القرآن وإعرابه[٣١٥/٥]
[٥٤] / النكت والعيون [٦/ ٢٥٢]
[٥٥] / معالم التنزيل[١٤٠٠]
[٥٦] / زاد المسير في علم التفسير[٩/ ٨٨-٨٩]
[٥٧] / مفاتح الغيب [٣١ / ١٤٠-١٤١]
[٥٨] / الجامع لأحكام القرآن[١٩ / ١٥]
[٥٩] / تفسير القران العظيم[٤/ ٤٥٤]
[٦٠] / السراج المنير[٤/ ٣٨٠]
[٦١] /سورة البلد آية١٠
[٦٢] / مفاتح الغيب [٣١ / ١٤١]

من ذلك معنى دون معنى، وقد هداهم لسبيل الخير والشر وهدى الذكور لمأتى الإناث فالخبر على عمومه حتى يأتي خبر تقوم به الحجة دال على خصوصه"[٦٣]

[٦٣] / جامع البيان [٥٤٣/١٢]

المسألة التاسعة والسبعون:

في إعراب قوله تعالى: ﴿أَحْوَىٰ﴾من قوله تعالى: {وَالَّذِيٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ۝٤ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ۝٥}

قال ابن جزي –رحمه الله–:" المرعى هو: النبات الذي ترعاه البهائم ،والغثاء هو: النبات اليابس المتحطم ،وأحوى معناه: أسود ،وهو صفة لغثاء، والمعنى :أن الله أخرج المرعى أخضر فجعله بعد خضرته غثاء أسود؛ لأن الغثاء إذا قدم تعفن واسود، وقيل: إن أحوى حال من المرعى، ومعناه :الأخضر الذي يضرب إلى السواد ،وتقديره :الذي أخرج المرعى أحوى فجعله غثاء ،وفي هذا القول تكلف"[٦٤]

ترجيح ابن جزي:

رجح ابن جزي –رحمه الله –أن ﴿أَحْوَىٰ﴾صفة لـ﴿غُثَآءً﴾ والمعنى: أن الله أخرج المرعى أخضر فجعله بعد خضرته غثاء أسود،حيث قدم هذا القول على القول بأنها حال من (ا ﴿ٱلْمَرْعَىٰ﴾)،وذكره هذا الأخير بصيغة التمريض،ورده بقوله:" وفي هذا القول تكلف"

[٦٤] /التسهيل :[٤/ ٣٦٦]

الدراسة:

في الآية إعرابان يترتب عليهما اختلاف المعنى :

١ – أن (أَحْوَىٰ)صفة لـ(غُثَآءً) والمعنى: أن الله أخرج المرعى أخضر فجعله بعد خضرته غثاء أسود

روي هذا القول عن :ابن عباس –رضي الله عنهما –وعن مجاهد و قتادة –رحمهما الله–[٦٥]

و رجح هذا القول من المفسرين: الطبري[٦٦]، و قدمه الماوردي[٦٧]،و رجحه الواحدي[٦٨]، و البغوي[٦٩]، و الزمخشري[٧٠]،و قدمه فخرالدين الرازي[٧١]،و رجحه البيضاوي[٧٢]،و النسفي[٧٣]،و أبو حيان[٧٤]، و السمين الحلبي[٧٥]،و ابن كثير[٧٦]، و ابن عادل[٧٧]،و قدمه الخطيب الشربيني[٧٨]، و أبو السعود[٧٩]،و رجحه الشوكاني[٨٠]، و الآلوسي[٨١]،و القاسمي[٨٢]،و ابن عاشور[٨٣]–رحمهم الله جميعاً–

[٦٥] /ينظر فيما سبق: جامع البيان[١٢/ ٥٤٤]
[٦٦] / جامع البيان[١٢/ ٥٤٤]
[٦٧] / النكت والعيون [٦/ ٢٥٢]
[٦٨] / الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[٢/ ١١٩٤]
[٦٩] / معالم التنزيل[١٤٠٠]
[٧٠] / الكشاف[٤/٧٤٠]
[٧١] / مفاتح الغيب [٣١ / ١٤١]
[٧٢] / أنوار التنزيل وأسرار التأويل[٤٨٠/٥]
[٧٣] / تفسير النسفي[٢٦٨/٤]
[٧٤] / البحر المحيط [٨/ ٤٥٣]
[٧٥] / الدر المصون في علوم الكتاب المكنون [١٠/ ٧٩٠]
[٧٦] / تفسير القران العظيم[٤/ ٤٥٤]
[٧٧] / اللباب في علوم الكتاب[١٦/ ٣٠٤]
[٧٨] / السراج المنير[٤/ ٣٨٠]
[٧٩] / إرشاد العقل السليم[٦/ ٤١٤]
[٨٠] / فتح القدير[٥ / ٤٢٣]
[٨١] / روح المعاني[٣٠ /١٠٤]
[٨٢] / محاسن التأويل[٣٧٩/٩]
[٨٣] / التحرير والتنوير[٣٠/ ٢٧٨]

٢ – أن (أَحْوَىٰ)حال من (ٱلْمَرْعَىٰ) والمعنى : الأخضر الذي يضرب إلى السواد ،وتقديره :الذي أخرج المرعى أحوى فجعله غثاء.

رجح هذا القول : الزجاج[٨٤]،و قدمه ابن عطية [٨٥]، و القرطبي[٨٦]، و الثعالبي[٨٧]–رحمهم الله–

الترجيح:

الراجح –والله أعلم – ما رجحه ابن جزي –رحمه الله– أن (أَحْوَىٰ) صفه لغثاء ،والمعنى :أن الله عز وجل جعل النبات هشيما يابساً متغيراً إلى السواد من شدة اليبس.

حيث القول بالترتيب مقدم على القول بالتقديم و التاخير[٨٨] – الذي يستلزمه القول الثاني–

وقال الإمام ابن جرير الطبري:"وكان بعض أهل العلم بكلام العرب يرى أن ذلك من المؤخر الذي معناه التقديم ،و أن معنى الكلام :والذي أخرج المرعى أحوى ،أي :أخضر إلى السواد فجعله ثاء بعد ذلك .....وهذا القول وإن كان غير مدفوع أن يكون ما اشتدت خضرته من النبات قد تسميه العرب أسود ،غير صواب عندي بخلاف تأويل أهل التأويل في أن الحرف إنما يحتال لمعناه المخرج بالتقديم والتأخير إذا لم يكن له وجه مفهوم إلا بتقديمه عن

[٨٤] / معاني القرآن وإعرابه[٥/ ٣١٥]
[٨٥] / المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[١٩٦٩]
[٨٦] / الجامع لأحكام القرآن[٢٠ / ١٧]
[٨٧] / الجواهر الحسان في تفسير القرآن[٥/ ٥٧٧]
[٨٨] /قواعد الترجيح عند المفسرين [٤٥١/٢]

موضعه،أو تأخيره،فأما وله في موضعه وجه صحيح فلا وجه لطلب الاحتيال لمعناه بالتقديم والتأخير"[٨٩]

[٨٩] / جامع البيان[١٢/ ٥٤٤]

المسألة الثمانون :

معنى قوله تعالى (لا تنسى)من قوله تعالى :{سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦}

قال ابن جزي –رحمه الله–:" هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وعده الله أن يقرئه القرآن فلا ينساه، وفي ذلك معجزة له عليه الصلاة والسلام؛ لأنه كان أميا لا يكتب وكان مع ذلك لا ينسى ما أقرأه جبريل عليه السلام من القرآن، وقيل: معنى الآية كقوله:{ لا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ }[٩٠]الآية :فإنه عليه الصلاة والسلام كان يحرك به لسانه إذا أقرأه جبريل خوفا أن ينساه فضمن الله له أن لا ينساه، وقيل: فلا تنسى نهى عن النسيان وقد علم الله أن ترك النسيان ليس في قدرة البشر فالمراد الأمر بتعاهده حتى لا ينساه، وهذا بعيد لإثبات الألف في تنسى"[٩١]

ترجيح ابن جزي :

رجح ابن جزي –رحمه الله– أن الآية :إخبار من الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم ،أنه عز وجل تعهد بحفظ القرآن في صدره فلا ينساه أبداً.

حيث قدم هذا القول ،ورد الآخر بقوله :"وهذا بعيد"؛وعلل رده للقول الثاني بقوله:"لإثبات الألف في تنسى" لأنه على القول الثاني تكون (لا)ناهية وبذلك تكون جازمة للفعل المضارع(تنسى) فيستلزم حذف الألف منه ،وهي مثبته غير محذوفة.

[٩٠] /سورة القيامة جزء من الآية[١٦]
[٩١] /التسهيل [٤/ ٣٦٦-٣٦٧]

الدراسة:

في الآية قولان:

-القول الأول: أن الآية إخبار من الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم ،أنه عز وجل تعهد بحفظ القرآن في صدره فلا ينساه أبداً،وهو ما رجحه ابن جزي –رحمه الله–

روي هذا القول عن مجاهد وقتادة [٩٢]،ومالك بن انس[٩٣]–رحمهم الله–

و رجحه من المفسرين: الطبري حيث قال:" والقول الذي هو أولى بالصواب عندي قول من قال معنى ذلك: فلا تنسى إلا أن نشاء نحن أن ننسيكه بنسخه ورفعه ؛وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب لأن ذلك أظهر معانيه "[٩٤]،و رجحه الزجاج[٩٥]، و ابن أبي زمنين[٩٦]، و الواحدي[٩٧]،و البغوي[٩٨]، و قدمه الزمخشري[٩٩]، و ابن عطية [١٠٠]،و رجحه ابن الجوزي[١٠١]،و قال فخرالدين الرازي:"والقول المشهور أن هذا خبر ،والمعنى :سنقرئك إلى ان تصير بحيث لا تنسى و تأمن النسيان"[١٠٢]، و رجحه أيضاً القرطبي[١٠٣]، و البيضاوي[١٠٤]،و النسفي[١٠٥]،و أبو حيان[١٠٦]، و قال

[٩٢] /ينظر : جامع البيان[١٢/ ٥٤٥]
[٩٣] /ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[١٩٦٩]
[٩٤] / جامع البيان[١٢/ ٥٤٥]
[٩٥] / معاني القرآن وإعرابه[٥/ ٣١٥-٣١٦]
[٩٦] / تفسير القرآن العزيز[١٢١/٥]
[٩٧] / الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[٢/ ١١٩٤]
[٩٨] / معالم التنزيل[١٤٠٠]
[٩٩] / الكشاف[٤/ ٧٤٠]
[١٠٠] / المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[١٩٦٩]
[١٠١] / زاد المسير في علم التفسير[٩/ ٨٩]
[١٠٢] / مفاتح الغيب [٣١ / ١٤٢]
[١٠٣] / الجامع لأحكام القرآن[٢٠ / ١٨-١٩]
[١٠٤] / أنوار التنزيل وأسرار التأويل[٤٨٠/٥]
[١٠٥] / تفسير النسفي[٢٦٩/٤]
[١٠٦] / البحر المحيط[٤٥٣/٨]

ابن كثير: "هذا إخبار من الله تعالى و وعد منه له بأنه سيُقرئه قراءة لا ينساها "[١٠٧]،و رجحه الثعالبي[١٠٨]،و ابن عادل[١٠٩]،و الخطيب الشربيني[١١٠]،و أبو السعود[١١١]،و الشوكاني[١١٢]،و الآلوسي[١١٣]، و القاسمي[١١٤]،و ابن السعدي[١١٥]،و ابن عاشور[١١٦]،و ابن عثيمين[١١٧] –رحمهم الله جميعاً–

– القول الثاني :أن (لا)ناهية فالآية نهي من الله عز و جل لرسوله صلى الله عليه وسلم عن نسيان القرآن ، وذلك بالمداومة على حفظه واستذكاره.

ويرد هذا القول من وجهين:

١–أن كون (لا)ناهية يستلزم أن تجزم الفعل المضارع(تنسى)والألف مثبتة في رسم المصحف .

٢–أن منع النسيان ليس بيد البشر ،فكيف ينهاه الله عز وجل عما ليس في مقدوره [١١٨].

و أُجيب عنهما :

١–أن إثبات الألف في (تنسى) لتعديل رؤوس الآي ،فهي مزيدة للفاصلة.

٢–أن النهي هنا نهي عن إغفال التعهد للقرآن ،و عن تعاطي أسباب النسيان.[١١٩]

ولم يرجح هذا القول احد من المفسرين –فيما بين يدي من المراجع–و لم يُنسب لأحد.

---

[١٠٧] / تفسير القران العظيم[٤/ ٤٥٤]
[١٠٨] / الجواهر الحسان في تفسير القرآن[٥/ ٥٧٨]
[١٠٩] / اللباب في علوم الكتاب[١٦/ ٣٠٥]
[١١٠] / السراج المنير[٤/ ٣٨١]
[١١١] / إرشاد العقل السليم[٦/ ٤١٤]
[١١٢] / فتح القدير[٥ / ٤٢٤]
[١١٣] / روح المعاني[٣٠ /١٠٥]
[١١٤] / محاسن التأويل[٣٨٠/٩]
[١١٥] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان[٩٢١]
[١١٦] / التحرير والتنوير[٣٠/ ٢٨٠]
[١١٧] / تفسير جزء عم [١٤٢]
[١١٨] /معنى قول مكي بن أبي طالب
[١١٩] /ينظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[ ]

الترجيح:

الراجح –والله أعلم – ما رجحه ابن جزي –رحمه الله–، و ذلك للمرجحات التالية:

١ – أن في القول الأول بشارة للرسول صلى الله عليه وسلم وتعظيم لحاله ، وما كان كذلك مقدم على غيره من الأقوال.[١٢٠]

٢ – القول الثاني –أن الآية نهي عن النسيان –تخالف قوله تعالى {لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ }[١٢١] ،والقرآن الكريم من لدن حكيم خبير لا يخالف بعضه بعضا.

٣ – أيضاً القول الثاني ينافي رسم جميع المصاحف ؛حيث الألف المقصورة في (تنسى) مثبته في جميع المصاحف ،والواجب حذفها إن قلنا بكون (لا) ناهية جازمة ،وأيضاً ما أُجيب عنه بأن الألف مزيدة للفاصلة ،قول ضعيف ؛فهو بخلاف الأصل .[١٢٢]

٤ – أنه القول الذي عليه أكثر المفسرين .

[١٢٠] /ينظر : قواعد الترجيح
[١٢١] /سورة القيامة آية ١٦-١٧
[١٢٢] / ينظر : مفاتح الغيب [٣١ / ١٤٢]

المسألة الواحدة والثمانون :

في معنى قوله تعالى :{إِلاَّ مَا شَآءَ ٱللَّهُ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴿٧﴾}

قال ابن جزي –رحمه الله –:" فيه وجهان ،أحدهما: أن معناه لا تنسى إلا ما شاء الله أن تنساه كقوله تعالى: {أَوْ نُنسِهَا }[١٢٣]، والآخر :أنه لا ينسى شيئا ولكن قال إلا ما شاء الله تعظيما لله بإسناد الأمر إليه كقوله تعالى: {خَـٰلِدِينَ فِيهَآ إِلاَّ مَا شَآءَ ٱللَّهُ}[١٢٤] على بعض الأقوال ،وعبر الزمخشري عن هذا بأنه :من استعمال التقليل في معنى النفي[١٢٥].

والأول أظهر فإن النسيان جائز على النبي صلى الله عليه وسلم فيما أراد الله أن يرفعه من القرآن أو فيما قضى الله أن ينساه ثم يذكره ومن هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم حين سمع قراءة عباد بن بشر[١٢٦] رحمه الله :(لقد أذكرني كذا وكذا آية كنت قد نسيتها) "[١٢٧]

ترجيح ابن جزي:

رجح ابن جزي –رحمه الله –أن معنى الآية :أن الرسول صلى الله عليه وسلم لا ينسى إلا ما شاء الله أن ينساه ،مما شاء الله أن ينسخه حكماً وتلاوةً ،أو أراد الله عز و جل أن ينسيه إياه ثم يتذكره بعد ذلك .

---

[١٢٣] / سورة البقرة جزء من الآية [١٠٦]
[١٢٤] /سورة الأنعام جزء من الآية[١٢٨]
[١٢٥] / الكشاف[٤/ ٧٤٠]
[١٢٦] /**عباد بن بشر**: عباد بن بشر بن وقش ويقال عباد بن بشر بن زغبة بن زعوراء بن عبد الأشهل بن جشم بن الحارث بن الخزرج الأنصاري أبو بشر وأبو الربيع الأشهلي ،كان من سادات الصحابة ،شهد بدرا وأحدا والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، استشهد يوم اليمامة و له ٤٥ سنه.....ينظر:تهذيب الكمال [١٤/١٠٤-١٠٧]
[١٢٧] /التسهيل [٤/ ٣٦٧]

وذلك بقوله إشارة إلى هذا القول :"والأول أظهر"

ودلل على ترجيحه بقوله صلى الله عليه وسلم حين سمع قراءة عباد بن بشير رحمه الله :(لقد أذكرني كذا وكذا آية كنت قد نسيتها)

الدراسة:

في الآية قولان :

– القول الأول :أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينسى إلا ما شاء الله عز و جل أن ينساه ،وهو ما نسخ حكماً و تلاوة،وهو ما رجحه ابن جزي –رحمه الله–

روي هذا القول عن :مجاهد،و قتادة حيث قال:"كان صلى الله عليه وسلم لا ينسى شيئاً إلا ما شاء الله" [١٢٨]،والحسن[١٢٩]–رحمهم الله جميعاً–

و رجحه من المفسرين: الطبري حيث قال:" والقول الذي هو أولى بالصواب عندي قول من قال :معنى ذلك فلا تنسى إلا أن نشاء نحن أن ننسيكه بنسخه ورفعه، وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب ؛لأن ذلك أظهر معانيه "[١٣٠]،و رجحه الزجاج[١٣١]، و ابن أبي زمنين[١٣٢]،و الماوردي[١٣٣]،و الواحدي[١٣٤]،و البغوي[١٣٥]، و الزمخشري[١٣٦]، و قدمه ابن عطية [١٣٧]،و ابن

[١٢٨] /ينظر:جامع البيان[٥٤٥/١٢]
[١٢٩] / ينظر: النكت والعيون [٦/ ٢٥٣]
[١٣٠] / جامع البيان[١٢/ ٥٤٥]
[١٣١] / معاني القرآن وإعرابه[٥/ ٣١٦]
[١٣٢] / تفسير القرآن العزيز[١٢١/٥]
[١٣٣] / النكت والعيون [٦/ ٢٥٣]
[١٣٤] / الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[٢/ ١١٩٥]
[١٣٥] / معالم التنزيل[١٤٠٠-١٤٠١]
[١٣٦] / الكشاف[٤/ ٧٤٠]
[١٣٧] / المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[١٩٦٩]

الجوزي[١٣٨] ، و البيضاوي[١٣٩] ،و النسفي[١٤٠] ، و أبو حيان[١٤١] ، و السمين الحلبي[١٤٢] ،و ابن كثير[١٤٣] ،و الثعالبي[١٤٤] ،و ابن عادل[١٤٥] ، أبو السعود[١٤٦] ، و القاسمي[١٤٧] ، و ابن السعدي[١٤٨] ،و ابن ابن عاشور[١٤٩] ، و ابن عثيمين[١٥٠] –رحمهم الله جميعاً–

ودليلهم :أنه صلى الله عليه وسلم نسي ما شاء الله له أن ينساه ،وقد ثبت ذلك في الحديث الصحيح عن عائشة –رضي الله عنها وعن أبيها–قالت: سمع النبي صلى الله عليه وسلم رَجُلًا يَقْرَأُ فِي الْمَسْجِدِ فقال : (يَرْحَمُهُ اللّه لقد أَذْكَرَنِي كَذَا وَكَذَا آيَةً من سُورَةِ كَذَا) [١٥١]

و أخرج البخاري من طريق أخر عن عَائِشَةَ رضي الله عنها قالت :سمع النبي صلى الله عليه وسلم رَجُلًا يَقْرَأُ فِي الْمَسْجِدِ فقال : (رَحِمَهُ اللّه لقد أَذْكَرَنِي كَذَا وَكَذَا آيَةً أَسْقَطْتُهُنَّ من سُورَةِ كَذَا وَكَذَا) وزاد عَبَّادُ بن عبد اللَّهِ عن عَائِشَةَ تَهَجَّدَ النبي صلى الله عليه وسلم في بَيْتِي فَسَمِعَ صَوْتَ عَبَّادٍ يُصَلِّي في الْمَسْجِدِ فقال: (يا عَائِشَةُ أَصَوْتُ عَبَّادٍ هذا ؟)قلت: نعم. قال: (اللهم ارْحَمْ عَبَّادًا)[١٥٢]

و قد عيّن ابن حجر الرجل الذي سمعه الرسول صلى الله عليه وسلم فأخرج بسنده عن عائشة قالت : تهجد النبي صلى الله عليه وسلم في بيته وتهجد عباد بن بشر في المسجد ،فسمع

[١٣٨] / زاد المسير في علم التفسير[٩/ ٨٩-٩٠]
[١٣٩] / أنوار التنزيل وأسرار التأويل[٤٨٠/٥]
[١٤٠] / تفسير النسفي[٢٦٩/٤]
[١٤١] / البحر المحيط [٨/ ٤٥٣]
[١٤٢] / الدر المصون في علوم الكتاب المكنون [١٠/ ٧٦١-٧٦٢]
[١٤٣] / تفسير القران العظيم[٤/ ٤٥٤]
[١٤٤] / الجواهر الحسان في تفسير القرآن[٥/ ٥٧٨]
[١٤٥] / اللباب في علوم الكتاب[١٦/ ٣٠٥]
[١٤٦] / إرشاد العقل السليم[٦/ ٤١٤]
[١٤٧] / محاسن التأويل[٣٨١/٩]
[١٤٨] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان[٩٢١]
[١٤٩] / التحرير والتنوير[٣٠/ ٢٨٠-٢٨١]
[١٥٠] / تفسير جزء عم [١٤٢-١٤٣]
[١٥١] / رواة البخاري كتاب فضائل القرآن /بَاب نِسْيَانِ الْقُرْآنِ وَهَلْ يقول نَسِيتُ آيَةَ كَذَا وَكَذَا وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى :{ سَنُقْرِئُكَ فلا تَنْسَى إلا ما شَاءَ الله }/ رقم الحديث:[٤٧٥١]...[١٩٢٢/٤]
[١٥٢] / رواه البخاري كتاب الشهادات/ باب شهادة الأعمى / رقم الحديث [٢٥١٢] .....[٩٤٠/٢]

رسول الله صلى الله عليه وسلم صوته فقال: (يا عائشة هذا عباد بن بشر؟) فقلت: نعم .فقال : (اللهم ارحم عبادا)[١٥٣]

-القول الثاني : أن الرسول صلى الله عليه وسلم لا ينسى شيئا من القرآن ،والمعنى:أنك لا تنسى إلا ما شاء الله ولا يشاء .

وهو ما عبر عنه الفراء بقوله:" لم يشأ أن ينسى شيئا، وهو كقوله: {خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّماوَاتُ والأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّك} ولا يشاء. وأنت قائل في الكلام: لأعطينك كل ما سألت إلاَّ ما شئتُ، وإلاَّ أَن أشاءَ أن أمنعَك، والنية ألا تمنعه، وعلى هذا مجارى الأيمان يستثنى فيها. ونية الحالف التمام."[١٥٤]

فالإستثناء على هذا القول غير حاصل إنما ذكر لأغراض أخرى ذكر منها :التبرك ،قدرة الله عز وجل على إنساء الرسول صلى الله عليه وسلم مثل قوله تعالى : { وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ }[١٥٥]،أو المقصود المبالغة في الحفظ،أو نفي الاستثناء أصلاً .[١٥٦]

ولم يرجح أحد هذا القول ترجيحاً صريحاً ً إنما قدمه: فخرالدين الرازي[١٥٧]، و القرطبي[١٥٨]، و الخطيب الشربيني[١٥٩]، و الشوكاني[١٦٠]قدموه على يقية الأقوال –رحمهم الله جميعاً–

[١٥٣] / تغليق التعليق على صحيح البخاري.. باب تلقين المأموم لإمامه إذا وقف في صلاته [٣٨٨/٣]
[١٥٤] / معاني القرآن [٥/ ٢٠٣]
[١٥٥] /سورة الإسراء جزء من الآية ٨٦
[١٥٦] /ينظر: مفاتح الغيب [٣١/ ١٤٣]
[١٥٧] / مفاتح الغيب [٣١/ ١٤٣]
[١٥٨] / الجامع لأحكام القرآن[٢٠ / ١٨-١٩]
[١٥٩] / السراج المنير[٤/ ٣٨١]
[١٦٠] / فتح القدير[٥ / ٤٢٤]

الترجيح:

الراجح –والله تعالى اجل و أعلم – ما رجحه ابن جزي –رحمه الله – أن الآية إخبار من الله عز و جل وتعهد بأن يحفظ القرآن الكريم في قلب رسوله صلى الله عليه و سلم ،و لا ينسيه إلا ما شاء له أن ينساه ،سواء نسياناً مؤقتاً كما في حديث عباد بن بشر ، أو نسياناً دائماً بأن ينسخ ويرفع حكماً و تلاوة .

و رجحت هذا القول ؛لأنه قول أكثر المفسرين ، و هو القول الظاهر في معنى الآية ،ولا يحتاج إلى تأويل ،ولا إلى الخروج بالاستثناء إلى معان أخرى .

المسألة الثانية والثمانون:

معنى اليسرى في قوله تعالى: {وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٨﴾}

قال ابن جزي –رحمه الله–:" عطف على سنقرؤك، ومعناه :نوفقك للأمور المرضية التي توجب له السعادة ،وقيل :معناه للشريعة اليسرى من قوله عليه الصلاة والسلام (دين الله يسر)[١٦١] أي سهل لا حرج فيه"[١٦٢]

ترجيح ابن جزي:

رجح ابن جزي –رحمه الله– أن معنى اليسرى في الآية :الأمور المرضية التي توجب السعادة .

حيث قدم هذا القول ،وذكر الآخر بصيغة التمريض.

الدراسة:

اختلف العلماء في هذه الآية على أربعة أقوال:

القول الأول : ما رجحه ابن جزي –رحمه الله–: أن الله تعالى يبشر نبيه بأنه يوفقه لعمل الخير ،وكل أمر مرضي يحقق له السعادة

روي هذا القول عن :ابن عباس–رضي الله عنهما –

[١٦١] / أورده ابن حجر في فتح الباري[٩٤/١]
[١٦٢] /التسهيل [٣٦٧/٤]

و اختاره من المفسرين : الطبري حيث قال :"و نسهلك يا محمد لعمل الخير وهو اليسرى "[١٦٣]،و قدمه الماوردي[١٦٤]،و رجحه ابن عطية [١٦٥]،و ابن الجوزي[١٦٦]،و فخرالدين الرازي[١٦٧]،و القرطبي[١٦٨]، و الثعالبي[١٦٩]،و ابن عادل[١٧٠]–رحمهم الله جميعا–

القول الثاني: أن معنى الآية :الشريعة اليسرى من قوله صلى الله عليه وسلم [دين الله يسر]

روي هذا القول عن :الضحاك –رحمه الله –[١٧١]

واختاره من المفسرين : الواحدي[١٧٢]، و قدمه الخطيب الشربيني[١٧٣] على بقية الأقوال،و رجحه القاسمي[١٧٤]–رحمهم الله تعالى –

و قوله صلى الله عليه وسلم :[دين الله يسر] من معلقات البخاري ، حيث عنون بهذا الحديث ولم يسنده ؛لأنه ليس على شرطه ، و قد وصله في كتابه الأدب المفرد[١٧٥] ، قال ابن حجر في فتح الباري:" وهذا الحديث المعلق لم يسنده المؤلف في هذا الكتاب ؛لأنه ليس على شرطه .نعم وصله في كتاب الأدب المفرد وكذا وصله أحمد بن حنبل وغيره من طريق محمد بن إسحاق عن داود بن الحصين عن عكرمة عن بن عباس وإسناده حسن استعمله المؤلف في الترجمة لكونه متقاصرا عن شرطه وقواه بما دل على معناه لتناسب السهولة واليسر..... وقد اشرنا إلى بعض شواهده ومنها حديث عروة الفقيمي –بضم الفاء وفتح القاف– عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :[إن دين الله يسر]ومنها

[١٦٣] / جامع البيان[١٢/ ٥٤٥]
[١٦٤] / النكت والعيون [٦/ ٢٥٤]
[١٦٥] / المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[١٩٦٩]
[١٦٦] / زاد المسير في علم التفسير[٩/ ٩٠]
[١٦٧] / مفاتح الغيب [٣١ / ١٤٣-١٤٤]
[١٦٨] / الجامع لأحكام القرآن[٢٠ / ١٩]
[١٦٩] / الجواهر الحسان في تفسير القرآن[٥/ ٥٧٨]
[١٧٠] / اللباب في علوم الكتاب[١٦/ ٣٠٧]
[١٧١] /ينظر: النكت والعيون [٦/ ٢٥٤]
[١٧٢] / الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[٢/ ١١٩٥]
[١٧٣] / السراج المنير[٤/ ٣٨١]
[١٧٤] / محاسن التأويل[٣٨٢/٩]
[١٧٥] /الأدب المفرد [٩٥/١]

حديث بريدة قال :قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :[عليكم هديا قاصدا فإنه من يشاد هذا الدين يغلبه]رواهما أحمد وإسناد كل منهما حسن"[١٧٦]

ويشهد له أيضاً ما أخرجه الإمام أحمد في مسنده ،قوله صلى الله عليه وسلم:[إن خير دينكم أيسره إن خير دينكم أيسره][١٧٧]

القول الثالث: نوفقك لعمل الجنة ،روي هذا القول عن ابن مسعود رضي الله عنه[١٧٨].

واختاره من المفسرين: ابن أبي زمنين[١٧٩]–رحمه الله–

القول الرابع :نهون عليك الوحي حتى تحفظه وتعلمه ،قاله : البغوي[١٨٠]، و رجحه الزمخشري[١٨١]، و البيضاوي[١٨٢]، و النسفي[١٨٣]،و أبو حيان[١٨٤]–رحمهم الله جميعا–

الترجيح:

الراجح –والله أعلم –القول بالجمع بين الأقوال ،فاللفظ عام يحتمل الجميع،

قال الشوكاني–رحمه الله–:"والأولى حمل الآية على العموم ،أي :نوفقك للطريقة اليسرى في الدين والدنيا في كل أمر من أمورهما التي تتوجه اليك"[١٨٥]،وبه قال أيضاً ابن السعدي[١٨٦]،و ابن عاشور[١٨٧]،و ابن عثيمين[١٨٨] –رحمهم الله جميعاً–

[١٧٦] / فتح الباري [٩٤/١]
[١٧٧] /مسند أحمد بن حنبل [٤٧٩/٣]
[١٧٨] /ينظر: النكت والعيون [٦/ ٢٥٤]
[١٧٩] / تفسير القرآن العزيز[١٢١/٥]
[١٨٠] / معالم التنزيل[١٤٠١]
[١٨١] / الكشاف[٧٤١/٤]
[١٨٢] / أنوار التنزيل وأسرار التأويل[٤٨٠/٥]
[١٨٣] / تفسير النسفي[٢٦٩/٤]
[١٨٤] / البحر المحيط [٨/ ٤٥٤]
[١٨٥] / فتح القدير[٥ / ٤٢٤]
[١٨٦] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان[٩٢١]
[١٨٧] / التحرير والتنوير[٣٠/ ٢٨٢]
[١٨٨] / تفسير جزء عم [١٤٣]

المسألة الثالثة والثمانون:

في معنى الشرط في قوله تعالى: {فَذَكِّرۡ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكۡرَىٰ ۝٩}

قال ابن جزي –رحمه الله–:" المراد بهذا الشرط: توبيخ الكفار الذين لا تنفعهم الذكرى، واستبعاد تأثير الذكرى في قلوبهم كقولك: قد أوصيتك لو سمعت، وقيل المعنى :ذكر إن نفعت الذكرى وإن لم تنفع؛ واقتصر على أحد القسمين لدلالة الآخر عليه ،وهذا بعيد، وليس عليه الرونق الذي على الأول"[١٨٩]

ترجيح ابن جزي:

رجح ابن جزي –رحمه الله – أن المراد بالشرط في الآية :توبيخ الكفار ،و استبعاد تأثير الذكرى في قلوبهم .

حيث رد القول الثاني بقوله :" وهذا بعيد، وليس عليه الرونق الذي على الأول"

الدراسة:

في معنى الشرط في الآية قولان:

–القول الأول : أن المراد بالشرط هو:توبيخ الكفار واستبعاد تأثير الذكرى في قلوبهم ،وهو ما رجحه ابن جزي –رحمه الله–

[١٨٩] / التسهيل [٤/ ٣٦٧]

رجح هذا القول من المفسرين: النسفي[١٩٠]،و أبو حيان[١٩١]، و السمين الحلبي[١٩٢]، و الثعالبي[١٩٣]،و ابن عادل[١٩٤]،و الخطيب الشربيني[١٩٥]–رحمهم الله جميعاً–

–القول الثاني: أن معنى الشرط :ذكر ان نفعت الذكرى وإن لم تنفع ،واقتصر على أحد القسمين لدلالة الآخر عليه.

رجح هذا القول من المفسرين: الواحدي[١٩٦]،و البغوي[١٩٧]، و قدمه ابن عطية [١٩٨]،و هو معنى قول فخرالدين الرازي[١٩٩]،و رجحه الشوكاني[٢٠٠]، و ابن السعدي[٢٠١]–رحمهم الله جميعاً–

الترجيح:

الراجح – والله أعلم – ما رجحه ابن جزي –رحمه الله – أن المراد بالشرط:توبيخ الكفار واستبعاد تأثير الذكرى في قلوبهم

قال ابن عاشور–رحمه الله–:"فالشرط في قوله {إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكۡرَىٰ }جملة معترضة وليس متعلقاً بالجملة ولا تقييداً لمضمونها ؛إذ ليس المعنى :فذكر إذا كان للذكرى نفع حتى يفهم منه بطريق مفهوم المخالفة أن تُذكِّر إذا لم تنفع الذكرى ،إذ لا وجه لتقييد التذكير بما إذا كانت الذكرى نافعة إذ لا سبيل إلى تعرف مواقع نفع الذكرى ،ولذلك كان قوله تعالى: {

[١٩٠] / تفسير النسفي[٢٦٩/٤]
[١٩١] / البحر المحيط [٨/ ٤٥٤]
[١٩٢] / الدر المصون في علوم الكتاب المكنون [١٠/ ٧٦٣]
[١٩٣] / الجواهر الحسان في تفسير القرآن[٥٧٨/٥]
[١٩٤] / اللباب في علوم الكتاب[١٦/ ٣٠٨]
[١٩٥] / السراج المنير[٤/ ٣٨١]
[١٩٦] / الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[٢/ ١١٩٥]
[١٩٧] / معالم التنزيل[١٤٠١]
[١٩٨] / المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[١٩٦٩]
[١٩٩] / مفاتح الغيب [٣١ / ١٤٤-١٤٥]
[٢٠٠] / فتح القدير[٥ / ٤٢٤]
[٢٠١] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان[٩٢١]

فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ }[٢٠٢] مؤولا بأن المعنى فذكر بالقرآن فيتذكر من يخاف وعيد ،بل المراد فذكّر الناس كافة إن كانت الذكرى تنفع جميعهم ،فالشرط مستعمل في التشكيك لأن أصل الشرط بـ(إن) أن يكون غير مقطوع بوقوعه ،فالدعوة عامة وما يعلمه الله من أحوال الناس في قبول الهدى وعدمه أمر استأثر الله بعلمه ،فأبو جهل مدعو للإيمان والله يعلم أنه لا يؤمن لكن الله لم يخص بالدعوة من يرجى منهم الإيمان دون غيرهم ،و الواقع يكشف المقدور „[٢٠٣]

[٢٠٢] /سورة ق جزء من الآية ٤٥
[٢٠٣] / التحرير والتنوير[٣٠/ ٢٨٤]

المسألة الرابعة والثمانون:

في تعين الأشقى في قوله تعالى: {وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلأَشْقَى ﴿١١﴾}

قال ابن جزي –رحمه الله– :" يعني الكافر ،وقيل: نزلت في الوليد بن المغيرة[٢٠٤] وعتبة بن ربيعة[٢٠٥]" [٢٠٦]

ترجيح ابن جزي:

رجح ابن جزي –رحمه الله –أن الأشقى هو الكافر عموماً ،حيث قدم هذا القول وذكر القول الاخر بصيغة التمريض .

الدراسة:

في معنى الأشقى في الآية قولان:

– القول الأول: أن الأشقى هو الكافر عموماً،وهو ما رجحه ابن جزي–رحمه الله –

[٢٠٤] /**الوليد بن المغيرة:** هو الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وكان الوليد يكنى أبا عبد شمس وهو العدل لأنه كان عدل قريش كلها لأن قريشا كانت تكسو البيت جميعها وكان الوليد يكسوها وحده، مات بعد الهجرة بعد ثلاثة أشهر وهو ابن خمس وتسعين سنة ودفن بالحجون.....ينظر: الكامل في التاريخ [٥٩٢/١-٥٩٣]

[٢٠٥] / **عتبة بن ربيعة**: هو من سادات قريش، عرف برجاحة عقله ونصح قريش ان يسلموا بمحمد صلى الله عليه وسلم النبي أو يخلوا بينه وبين القبائل بعد أن اجتمع بالرسول وسمع منه ونعته الرسول بقوله أبا الوليد اكبارا له، وقد اسلم ابنه أبو حذيفة بن عتبة،و أسلمت ابنته هند مع زوجها أبو سفيان يوم فتح مكة

[٢٠٦] /التسهيل [٤/ ٣٦٧]

وهذا القول عليه جمهور المفسرين : الطبري[٢٠٧] ، و ابن أبي زمنين[٢٠٨]،و الماوردي[٢٠٩]،و الواحدي[٢١٠]،و البغوي[٢١١] ، و الزمخشري[٢١٢] ، و ابن عطية [٢١٣] ، فخرالدين الرازي[٢١٤]،و القرطبي[٢١٥]،و البيضاوي[٢١٦]،و النسفي[٢١٧]،و أبو حيان[٢١٨] ، الثعالبي[٢١٩]،و ابن عادل[٢٢٠]،و الخطيب الشربيني[٢٢١]،و أبو السعود[٢٢٢]،و الشوكاني[٢٢٣]،و الآلوسي[٢٢٤] ، و ابن عاشور[٢٢٥]،و الشنقيطي[٢٢٦]،و ابن عثيمين[٢٢٧] –رحمهم الله جميعاً–

– القول الثاني: أن المقصود بالأشقى هو الكافر المتوغل في الكفر وفي عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم كالوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعه .

وهذا القول لم يرجحه أحد من المفسرين –فيما بين يدي من المراجع –وإنما ذكروه عرضا ضمن عرض الأقوال .

[٢٠٧] / جامع البيان[١٢/ ٥٤٦]
[٢٠٨] / تفسير القرآن العزيز[١٢١/٥]
[٢٠٩] / النكت والعيون [٦/ ٢٥٤]
[٢١٠] / الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[٢/ ١١٩٥]
[٢١١] / معالم التنزيل[١٤٠١]
[٢١٢] / الكشاف[٤/ ٧٤١]
[٢١٣] / المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[١٩٧٠]
[٢١٤] / مفاتح الغيب [٣١ / ١٤٦-١٤٧]
[٢١٥] / الجامع لأحكام القرآن[٢٠ / ٢٠]
[٢١٦] / أنوار التنزيل وأسرار التأويل[٤٨١/٥]
[٢١٧] / تفسير النسفي[٢٦٩/٤]
[٢١٨] / البحر المحيط [٨/ ٤٥٤]
[٢١٩] / الجواهر الحسان في تفسير القرآن[٥/ ٥٧٨]
[٢٢٠] / اللباب في علوم الكتاب[١٦/ ٣٠٩]
[٢٢١] / السراج المنير[٣٨٢/٤]
[٢٢٢] / إرشاد العقل السليم[٦/ ٤١٦]
[٢٢٣] / فتح القدير[٥ /٤٢٥]
[٢٢٤] / روح المعاني[٣٠ / ١٠٨]
[٢٢٥] / التحرير والتنوير[٣٠/ ٢٨٥]
[٢٢٦] / أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن [٩/ ١٧٩]
[٢٢٧] / تفسير جزء عم [١٤٥]

الراجح :

الراجح –والله أعلم– ما رجحه ابن جزي –رحمه الله– أن المقصود بالأشقى في الآية هو الكافر و المشرك عموماً ؛حيث رجح هذا القول أكثر المفسرين ،ويدخل في هذا المعنى دخولاً أوليا الوليد وعتبه ؛إذ هما من أظهرا عداوتهما وصدهما عن دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ،والعبرة بعموم اللفظ دائما لا بخصوص السبب،إن سلمنا بالقول الثاني.

المسألة الخامسة والثمانون :

في سبب وصف النار بالكبرى في قوله تعالى: {ٱلَّذِي يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ }

قال ابن جزي –رحمه الله–:" هي نار جهنم وسماها كبرى بالنظر إلى نار الدنيا ،وقيل :سماها كبرى بالنظر إلى غيرها من نار جهنم؛ فإنها تتفاضل وبعضها أكبر من بعض ،وكلا القولين صحيح ،إلا أن الأول أظهر؛ ويؤيده قول رسول الله صلى الله عليه وسلم:(ناركم هذه التي توقدون جزءا من سبعين جزءا من نار جهنم)"[٢٢٨]

ترجيح ابن جزي:

رجح ابن جزي –رحمه الله –أن نار جهنم وصفها عز وجل بالكبرى بالنظر إلى نار الدنيا .

حيث قال: الأول أظهر ،إشارة إلى هذا القول .

ودلل عليه بقوله صلى الله عليه وسلم : (ناركم هذه التي توقدون جزءا من سبعين جزءا من نار جهنم)"

[٢٢٨] /التسهيل [٤/ ٣٦٧-٣٦٨]

وهو جزء من حديث : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : (نَارُكُمْ جُزْءٌ من سَبْعِينَ جُزْءًا من نَارِ جَهَنَّمَ. قِيلَ: يا رَسُولَ اللَّهِ إن كانت لَكَافِيَةً .قال: فُضِّلَتْ عَلَيْهِنَّ بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا كُلُّهُنَّ مِثْلُ حَرِّهَا) أخرجه الشيخان. [٢٢٩]

الدراسة:

اختلف المفسرون في سبب تسمية نار جهنم بالكبرى على قولين:

-القول الأول: أن الله عز و جل سماها بالكبرى بالنظر إلى نار الدنيا، وهو ما رجحه ابن جزي –رحمه الله–

روي هذا القول عن الحسن[٢٣٠] يحيى بن سلام [٢٣١]–رحمه الله–

رجحه من المفسرين: ابن أبي زمنين[٢٣٢]،و قدمه الماوردي[٢٣٣]،و رجحه الواحدي[٢٣٤]،و البغوي[٢٣٥]،و قدمه ابن عطية [٢٣٦]،و رجحه ابن الجوزي[٢٣٧]،و قدمه فخرالدين الرازي[٢٣٨]، و البيضاوي[٢٣٩]،ورجحه النسفي[٢٤٠]،و أبو حيان[٢٤١]،و قدمه الخطيب الشربيني[٢٤٢]، الشوكاني[٢٤٣]،و رجحه و القاسمي[٢٤٤]،و ابن عاشور[٢٤٥]، و ابن عثيمين[٢٤٦] –رحمهم الله جميعاً–

---

[٢٢٩] / صحيح البخاري [١١٩١/٣] باب صفة النار وأنها مخلوقة .. كتاب بدء الخلق رقم الحديث [٣٠٩٣]، و أخرجه مسلم [٢١٨٤/٤] باب في شدة حر نار جهنم وبعد قعرها وما تأخذ من المعذبين رقم الحديث[٢٨٤٣]

[٢٣٠] /ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[١٩٧٠]

[٢٣١] /ينظر: النكت والعيون [٢٥٤/٦]

[٢٣٢] / تفسير القرآن العزيز[١٢١/٥]

[٢٣٣] / النكت والعيون [٢٥٤/٦]

[٢٣٤] / الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[٢/ ١١٩٥]

[٢٣٥] / معالم التنزيل[١٤٠١]

[٢٣٦] / المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[١٩٧٠]

[٢٣٧] / زاد المسير في علم التفسير[٩/ ٩١]

[٢٣٨] / مفاتح الغيب [٣١/ ١٤٧]

[٢٣٩] / أنوار التنزيل وأسرار التأويل[٤٨١/٥]

[٢٤٠] / تفسير النسفي[٢٦٩/٤]

[٢٤١] / البحر المحيط [٨/ ٤٥٤]

[٢٤٢] / السراج المنير[٣٨٢/٤]

[٢٤٣] / فتح القدير[٥ / ٤٢٥]

[٢٤٤] / محاسن التأويل[٣٨٢/٩]

[٢٤٥] / التحرير والتنوير[٣٠/ ٢٨٦]

-القول الثاني: أن الله عز وجل سماها بالكبرى ؛بالنظر إلى غيرها من نار جهنم ،فالنار –أعاذنا الله منها- دركات و طبقات يتفاضل بعضها عن بعض .

رجح هذا القول من المفسرين: الفراء[٢٤٧]، و الزمخشري[٢٤٨]، و القرطبي[٢٤٩]، و ابن عادل[٢٥٠]، و أبو السعود[٢٥١]، و الآلوسي[٢٥٢]-رحمهم الله جميعاً-

الترجيح:

الراجح –والله اعلم- ما رجحه ابن جزي –رحمه الله- أن الله عز و جل وصف النار بالنار الكبرى مقارنة بنار الدنيا ،لثبوت الأحاديث الصحيحة في كبر النار وشدة حرها –أجارنا الله منها-

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِذْ سَمِعَ وَجْبَةً ،فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ- صلى الله عليه وسلم- :أَتَدْرُونَ مَا هَذِهِ ؟ قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . قَالَ: (هَذِهِ حَجَرٌ رُمِيَ بِهِ فِي النَّارِ مُنْذُ سَبْعِينَ خَرِيفًا فَالآنَ انْتَهَى إِلَى قَعْرِ النَّارِ)[٢٥٣]

[٢٤٦] / تفسير جزء عم [١٤٥]
[٢٤٧] /معاني القرآن [٥/ ٢٠٣]
[٢٤٨] / الكشاف[٤/ ٧٤١]
[٢٤٩] / الجامع لأحكام القرآن[٢٠ / ٢١]
[٢٥٠] / اللباب في علوم الكتاب[١٦/ ٣٠٩]
[٢٥١] / إرشاد العقل السليم[٦/ ٤١٦]
[٢٥٢] / روح المعاني[٣٠ / ١٠٨]
[٢٥٣] / صحيح ابن حبان [٥١٠/١٦]

المسألة السادسة والثمانون:

في معنى (تزكى)في قوله تعالى: {قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ١٤ وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ١٥}

قال ابن جزي –رحمه الله–:" يحتمل أن يكون بمعنى :الطهارة من الشرك والمعاصي ،أو بمعنى الطهارة للصلاة ،أو بمعنى أداء الزكاة ،وعلى هذا قال جماعة إنها يوم الفطر ،والمعنى: أدى زكاة الفطر في طريق المصلى إلى أن يخرج الإمام وصلى صلاة العيد، وقد روى هذا عن النبي صلى الله عليه وسلم ،وقيل: المراد أدى زكاة ماله وصلى الصلوات الخمس "[٢٥٤]

ترجيح ابن جزي:

رجح ابن جزي –رحمه الله–أن معنى (تزكى)في الآية :أنها إخراج زكاة الفطر .

حيث دلل على هذا القول بأنه قول روي عن النبي صلى الله عليه وسلم.

الدراسة:

في معنى (تزكى) عدة أقوال:

[٢٥٤] /التسهيل [٤/ ٣٦٨]

١–قال الفراء: معناها عمل بالخير وتصدق ،بمعنى أنه أدى زكاة ماله[٢٥٥]،وقد روي هذا القول عن أبي الأحوص،وعن قتادة –رحمهما الله–[٢٥٦].

٢–التطهر من الشرك ومن معاصي الله،روي هذا القول عن :ابن عباس و عكرمه[٢٥٧]،وعطاء[٢٥٨] –رحمهم الله–[٢٥٩]

واختار هذا القول من المفسرين : الطبري[٢٦٠]،وقدمه الماوردي[٢٦١]، و البغوي[٢٦٢]، و الزمخشري[٢٦٣]،ورجحه ابن الجوزي[٢٦٤]، و فخرالدين الرازي[٢٦٥]،و القرطبي[٢٦٦]، و ابن كثير[٢٦٧]، و ابن عادل[٢٦٨]،و الخطيب الشربيني[٢٦٩]،و أبو السعود[٢٧٠]،و الشوكاني[٢٧١]،و الآلوسي[٢٧٢]،و القاسمي[٢٧٣]،و ابن السعدي[٢٧٤]،و ابن عاشور[٢٧٥]،و ابن عثيمين[٢٧٦] –رحمهم الله جميعاً–

٣–أن معنى (تزكى)من الزاكي وهو :النامي الكثير ،والمعنى:أي عمل عملاً صالحاً زكياً نامياً.

---

[٢٥٥] / معاني القرآن [٥/ ٢٠٣]
[٢٥٦] /ينظر: جامع البيان[١٢/ ٥٤٦]
[٢٥٧] /ينظر: جامع البيان[١٢/ ٥٤٦]
[٢٥٨] /ينظر: معالم التنزيل[١٤٠١]
[٢٥٩] /ينظر: جامع البيان[١٢/ ٥٤٦]
[٢٦٠] / جامع البيان[١٢/ ٥٤٦]
[٢٦١] / النكت والعيون [٦/ ٢٥٥]
[٢٦٢] / معالم التنزيل[١٤٠١]
[٢٦٣] / الكشاف[٤/ ٧٤٢]
[٢٦٤] / زاد المسير في علم التفسير[٩/ ٩١]
[٢٦٥] / مفاتح الغيب [٣٠ / ١٤٧-١٤٨]
[٢٦٦] / الجامع لأحكام القرآن[٢٠ / ٢٢]
[٢٦٧] / تفسير القران العظيم[٤/ ٤٥٥]
[٢٦٨] / اللباب في علوم الكتاب[١٦/ ٣٠٩]
[٢٦٩] / السراج المنير[٤/ ٣٨٢]
[٢٧٠] / إرشاد العقل السليم[٦/ ٤١٦]
[٢٧١] / فتح القدير[٥ / ٤٢٥]
[٢٧٢] / روح المعاني[٣٠ / ١٠٩]
[٢٧٣] / محاسن التأويل[٣٨٣/٩]
[٢٧٤] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان[٩٢١]
[٢٧٥] / التحرير والتنوير[٣٠/ ٢٨٧]
[٢٧٦] / تفسير جزء عم [١٤٦]

روي هذا القول عن الحسن و عكرمه[٢٧٧]،والربيع[٢٧٨]–رحمهم الله–،واختار هذا القول : الفراء[٢٧٩]، و الزجاج[٢٨٠]، و الواحدي[٢٨١]، و ابن عطية [٢٨٢] ،و الثعالبي[٢٨٣]–رحمهم الله جميعاً–

٤– أن الآية مخصوصة في إخراج زكاة الفطر يوم العيد ،روي هذا القول عن أبي سعيد الخدري –رضي الله عنه –حيث قال في تفسير الآية: "أعطى صدقة الفطر"[٢٨٤]،وقد روي هذا القول عن ابن عمر وسعيد بن المسيب –رحمهما الله تعالى–[٢٨٥]، و هو ما رجحه ابن جزي – رحمه الله–

وهذا القول يعتمد على تفسير الصلاة في الآية التالية.

وقد اختلف في تفسير قوله تعالى: { وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ } على قولين:

–القول الأول: ما رجحه ابن جزي –رحمه الله– أن المقصود بالصلاة هنا :صلاة العيد ،وقد رفعه ابن جزي للرسول صلى الله عليه وسلم ،ولم أجده ،والصحيح أنه من قول أبي سعيد الخدري موقوفاً عليه في تفسير الآية[٢٨٦] ،وقد روي أيضاً عن ابن مسعود و ابن عمر[٢٨٧] –رضي الله عنهم جميعاً– وهو قول أبي العالية وابن سيرين[٢٨٨]–رحمهما الله– ونسبه ابن عادل: لابن عباس والضحاك[٢٨٩] –رحمهما الله–

[٢٧٧] /ينظر: جامع البيان[١٢/ ٥٤٧]
[٢٧٨] /ينظر: النكت والعيون [٦/ ٢٥٥]
[٢٧٩] /معاني القرآن [٥/ ٢٠٣]
[٢٨٠] / معاني القرآن وإعرابه[٥/ ٣١٦]
[٢٨١] / الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[٢/ ١١٩٥]
[٢٨٢] / المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[١٩٧٠]
[٢٨٣] / الجواهر الحسان في تفسير القرآن[٥/ ٥٧٩]
[٢٨٤] /ينظر: معالم التنزيل[١٤٠١]
[٢٨٥] / ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[١٩٧٠]
[٢٨٦] /ينظر: النكت والعيون [٦/ ٢٥٥]
[٢٨٧] /ينظر: معالم التنزيل[١٤٠١]
[٢٨٨] /ينظر : المرجع السابق
[٢٨٩] /ينظر: اللباب في علوم الكتاب[١٦/ ٣١٠]

ورجحه : الفراء[٢٩٠]،و البغوي[٢٩١]، و ابن عطية [٢٩٢]،وقدمه ابن عادل[٢٩٣] على بقية الأقوال– رحمهم الله جميعاً–

–القول الثاني: أن المقصود بالآية الشريفة :الصلوات الخمس عموماً وهي مثل قوله تعالى : {وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ }[٢٩٤]

روي هذا القول عن ابن عباس –رضي الله عنهما–[٢٩٥] ومقاتل [٢٩٦]–رحمه الله–

و رجحه أكثر المفسرين،حيث رجحه: الطبري[٢٩٧]،و قدمه الزجاج[٢٩٨]،و رجحه الواحدي[٢٩٩]،و الزمخشري[٣٠٠]،و ابن الجوزي[٣٠١]،و فخرالدين الرازي[٣٠٢]،و القرطبي[٣٠٣]، و النسفي[٣٠٤]، و أبو حيان[٣٠٥]، و ابن كثير[٣٠٦]،و الثعالبي[٣٠٧]، الخطيب الشربيني[٣٠٨]،و أبو السعود[٣٠٩]،و الشوكاني[٣١٠]،و الآلوسي[٣١١]، و ابن السعدي[٣١٢]،و ابن عاشور[٣١٣]، و ابن عثيمين[٣١٤] –رحمهم الله جميعاً–

---

[٢٩٠] /معاني القرآن [٥/ ٢٠٣]
[٢٩١] / معالم التنزيل[١٤٠١]
[٢٩٢] / المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[١٩٧٠]
[٢٩٣] / اللباب في علوم الكتاب[١٦/ ٣١٠]
[٢٩٤] /البقرة :١٧٧
[٢٩٥] /ينظر: جامع البيان[١٢/ ٥٤٨]
[٢٩٦] /ينظر: زاد المسير في علم التفسير[٩/ ٩١]
[٢٩٧] / جامع البيان[١٢/ ٥٤٨]
[٢٩٨] / معاني القرآن وإعرابه[٥/ ٣١٦]
[٢٩٩] / الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[٢/ ١١٩٥]
[٣٠٠] / الكشاف[٤/ ٧٤٢]
[٣٠١] / زاد المسير في علم التفسير[٩/ ٩١]
[٣٠٢] / مفاتح الغيب [٣١/ ١٤٨]
[٣٠٣] / الجامع لأحكام القرآن[٢٠ / ٢٢]
[٣٠٤] / تفسير النسفي[٢٦٩/٤]
[٣٠٥] / البحر المحيط [٨/ ٤٥٤]
[٣٠٦] / تفسير القران العظيم[٤/ ٤٥٥]
[٣٠٧] / الجواهر الحسان في تفسير القرآن[٥/ ٥٨٠]
[٣٠٨] / السراج المنير[٤/ ٣٨٢]
[٣٠٩] / إرشاد العقل السليم[٦/ ٤١٦]
[٣١٠] / فتح القدير[٥ / ٤٢٥]
[٣١١] / روح المعاني[٣٠ / ١٠٩]
[٣١٢] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان[٩٢١]
[٣١٣] / التحرير والتنوير[٣٠/ ٢٨٨]
[٣١٤] / تفسير جزء عم [١٤٩]

الترجيح :

الراجح – و الله أعلم– أن الخطاب عام في كل الأعمال الصالحة من ذكر و صلاة فهي تطهر المسلم وتنقية من الآثام ، وما ذكر من تفسيرات فإنها أمثلة لأعمال تزكى المسلم، ويظهر من روايات من فسر التزكي بزكاة المال ، أو زكاة الفطر ، أنه استشهد بهذه الآيات ، لا أنه أراد أنها هي المعنية دون غيرها ؛ لأن السورة مكية ، وزكاة الفطر إنما كانت في المدينة ،قال ابن الجوزي – رحمه الله –: "القول قول ابن عباس في الآيتين ؛فإن هذه السورة مكية بلا خلاف،ولم يكن بمكة زكاة ولا عيد"[٣١٥] ،و قال الطبري– رحمه الله– : "والصواب من القول في ذلك أن يقال: وذكر الله فوحده ، ودعا إليه ، ورغب ؛ لأن كل ذلك في ذكر الله ، ولم يخصص الله تعالى من ذكره نوعاً من دون نوع "[٣١٦]

[٣١٥] / زاد المسير في علم التفسير[٩/ ٩١]
[٣١٦] / جامع البيان[١٢/ ٥٤٨]

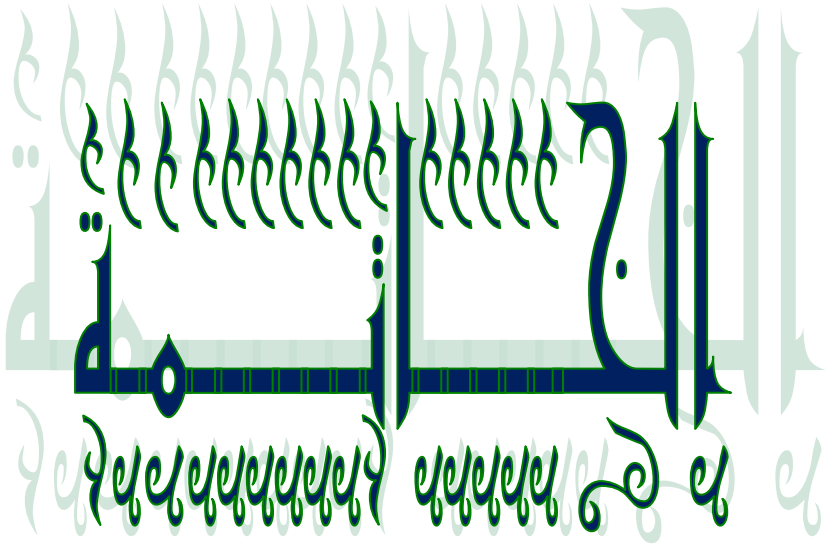

و فيها أهم النتائج والتوصيات

الحمد لله أولاً وأخراً ، فهو المنعم المتفضل عليّ بإتمام هذا البحث ،فكم ظللت أترقب أن يأتي هذا اليوم الذي أنجز فيه هذا البحث المتواضع ،أسأل الله عز و جل القبول و أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم ،وعلماً نافعاً لي في حياتي وبعد مماتي.

وفي خاتمة هذا البحث أذكر **بعض النتائج** التي برزت لي خلال البحث، وهي :

١ – أن ابن جزي –رحمه الله– يعتبر علماً من أعلام التفسير ،وذلك من خلال علمه الواسع وعباراته الرصينة.

٢ – لم يكتب لتفسير ابن جزي –رحمه الله– الظهور إلا في هذا القرن تقريباً،فلم أذكر عنوان رسالتي لأحد من عامة الناس إلا جهله ؛وذلك لقلة العناية بهذا الكتاب المفيدة ،وأكثر كتب المغرب كذلك.

٣ – إن كتاب التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي –رحمه الله– على صغر حجمه يعتبر كنزا عظيما جمع كثيرا من الفوائد العلمية ،فهو نتاج ترجيح ودراسة لمن سبقه من المفسرين.

٤ – مقدمة الكتاب مقدمة نفيسة في التفسير وعلومه وعلوم القرآن .

٥ – دراسة الترجيحات دراسة ممتعة جدا –على صعوبتها– فهي تقوي ملكة الباحث التفسيرية النقلية والعقلية ، وتحرر النفس من التعصب لشخص أو لمذهب.

٦ – أكثر ابن جزي من النقل عن ابن عطيه و الزمخشري –رحمهم الله جميعاً–

٧ – حالف الصواب ابن جزي –رحمه الله – في أكثر ترجيحاته ، ولم يجانبه إلا في النزر اليسير منها.

التوصيات :

في نهاية المطاف أود أن أذكر بعض المقترحات و التوصيات التي ظهرت لي من خلال البحث :

١-إعادة طباعة كتاب (التسهيل لعلوم التنزيل) طباعة علمية محققة ،فالكتاب على أهميته لم يحقق سوى تحقيق تجاري غير علمي .[١]

٢-إن الخلاف في التفسير يحتاج إلى جمع مسائله و دراستها دراسة مقارنة على طريقة الفقه المقارن وفق منهجية علمية تعتمد قواعد الترجيح و أصوله و أدلته ؛للوصول إلى صحيح التفسير و مقبولة ورد خطأه و سقيمة،وأعتقد أن الرسائل العلمية المتخصصة في دراسة موضوعات ترجيحات المفسرين تفيد في هذا الجانب كثيراً،غير أنها بعد جمعها وترتيبها بحاجة إلى تنقيح وتهذيب ،عسى الله أن يهيأ لذلك الأمر من يقوم به خير قيام ؛إنه أكرم مسئول وخير مأمول.[٢]

٣- إضافة قواعد الترجيح كمادة مقررة تعطى للطلاب في المرحلة الجامعية في قسم الكتاب والسنة.

هذا والله تعالى أجل و أعلم ، اللهم علمنا ما ينفعنا ،و انفعنا بما علمتنا ،إنك أنت العليم القدير ، وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على رسوله الأمين .

---

[١] /بعد أن كتبت هذه التوصية بلغني صدور نسخة محققة عن دار الضياء للنشر والتوزيع ،بتحقيق الأستاذ الدكتور محمد بن سيدي محمد مولاي في ثلاث مجلدات .

[٢] /طرأت الفكرة في ذهني ،ثم وجدتها في :رسالة إبراهيم الغامدي ،ترجيحات ابن جزي في التفسير من أول سورة الأنعام إلى آخر سورة يوسف[١٠٦٩]

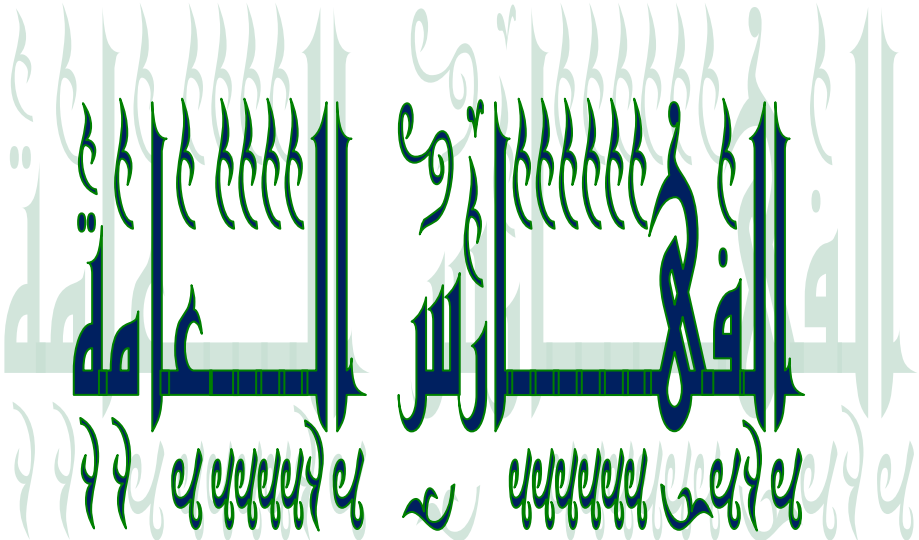

* فهرس الآيات
* فهرس الأحاديث الشريفة
* فهرس الشواهد الشعرية
* فهرس الأعلام
* فهرس الشواهد الشعرية
* فهرس الموضوعات
* المصادر والمراجع

الآيـــــة	رقمها	السورة	الصفحة
﴿ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا ﴾	٦٦	البقرة	١٠١
﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾	١٠٦	البقرة	٢٧٤
﴿ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ ﴾	١٧٧	البقرة	٢٩٤
﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾	٢٦١	البقرة	٨١
﴿ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾	٧٨	النساء	٢١٧
﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾	٣٨	الأنعام	٨٦
﴿ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ﴾	١٢٨	الأنعام	٢٧٤
﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾	١٦٠	الأنعام	٨١
﴿ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾	١٢	الأعراف	٨٤
﴿ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴾	١٠٦–١٠٨	الأعراف	٩٦

﴿إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾	٤	يونس	٤٠
﴿جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾	٢٢	يونس	٤٢
﴿قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾	٣٤	يونس	٢٣٢
﴿ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾	٤٩	يوسف	٦٩
﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ﴾	٤٨	إبراهيم	١٧٨
﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾	٨٦	الإسراء	٢٧٧
﴿نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ﴾	٢٩	الكهف	٥٣
﴿أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا﴾	٣٧	الكهف	١٢٣
﴿كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾	٣٣	الأنبياء	٤١
﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾	٩٨	الأنبياء	١٤٦
﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾	١٠ ٤	الأنبياء	١٦١
﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾	٢	الفرقان	١٢٢
﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾	٥٣	الفرقان	١٥٢
﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ﴾	٣٢ – ٣٣	الشعراء	٩٤

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ﴾	٣٨	القصص	١٠١
﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا ﴾	٢١	الروم	٦٣
﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾	٤٨	الروم	٤٢
﴿ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾	٧٢	الأحزاب	١٨٢
﴿ ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ ﴾	٢٢	الصافات	٦٣
﴿ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَاجٌ ﴾	٨٥	ص	١٥٧
﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ ﴾	٤٢	الزمر	٦٤
﴿ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ﴾	٦٧	الزمر	١٦١
﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾	٦٨	الزمر	٩١
﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ ﴾	٧١	الزمر	١٥٧
﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴾	٢٩	الشورى	٨٦
﴿ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴾	٤٥	ق	٢٨٤

﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ ﴾	٥– ١٠	النجم	١٧٥
﴿ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ﴾	٧	الواقعة	١٥٧
﴿ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴾	٤٨	الواقعة	٥٣
﴿ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ﴾	٧٤	الواقعة	٢٥٧
﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾	٤٢	القلم	٥٩
﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴾	١٤	المزمل	٨٩
﴿ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴾	٩	القيامة	١٤٨
﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴾	١٦– ١٧	القيامة	٢٧٣
﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾	٢٢– ٢٣	القيامة	
﴿ وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ﴾	١	المرسلات	٤٢
﴿ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ﴾	٢	المرسلات	٤٢
﴿ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ﴾	٣	المرسلات	٤٢
﴿ فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ﴾	٤	المرسلات	٤٢
﴿ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ﴾	٦	المرسلات	٣٦
﴿ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ﴾	٨	المرسلات	٥٠
﴿ ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ ﴾	٣٠	المرسلات	٥٢

﴿ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ﴾	٣٢	المرسلات	٥٤
﴿ كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ ﴾	٣٣	المرسلات	٣٩
﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ﴾	٤٨	المرسلات	٣٨
﴿ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴾	١	النبأ	٤٠
﴿ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ﴾	٢	النبأ	٤٠
﴿ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴾	٨	النبأ	٤١
﴿ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴾	٩	النبأ	٦٤
﴿ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴾	١١	النبأ	٦٤
﴿ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴾	١٣	النبأ	٦٧
﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴾	١٤	النبأ	٦٩
﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴾	٢١	النبأ	٧٢
﴿ لَّابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴾	٢٣	النبأ	٧٤
﴿ فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴾	٣٠	النبأ	٧٦
﴿ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴾	٣٤	النبأ	٧٧
﴿ جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا ﴾	٣٦	النبأ	٤١
﴿ إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا ﴾	٤٠	النبأ	٣٩
﴿ وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ۝١ وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا ۝٢ وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا ۝٣ فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا ۝٤ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ۝٥ ﴾	١–٥	النازعات	٨٧
﴿ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ ﴾	١٨	النازعات	٩٢

﴿ فَأَرَىٰهُ ٱلْآيَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴾	٢٠	النازعات	٩٤
﴿ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴾	٢٢	النازعات	٩٧
﴿ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴾	٢٣	النازعات	٩٨
﴿ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْآخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰ ﴾	٢٥	النازعات	١٠٠
﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴾	٢٦	النازعات	٨٧
﴿ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾	١٦	النازعات	٣٥
﴿ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴾	٢٧	النازعات	١٠٣
﴿ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴾	٢٨	النازعات	١٠٥
﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴾	٣٤	النازعات	١٠٧
﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴾	١	عبس	٣٩
﴿ كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴾	١١	عبس	٣٧
﴿ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴾	١٢	عبس	١١١
﴿ فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴾	١٣	عبس	١١٣
﴿ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ﴾	١٤	عبس	١١٤
﴿ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴾	١٥	عبس	٣٨
﴿ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴾	١٦	عبس	١١٩
﴿ قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴾	١٧	عبس	١٢٠
﴿ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴾	١٩	عبس	١٢٢
﴿ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴾	٢٠	عبس	١٢٤
﴿ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴾	٢٢	عبس	١٢٧
﴿ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾	٢٥	عبس	١٢٨

﴿وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾	٢٨ – ٣٢		
﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ﴾	٣٣	عبس	١٣٥
﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾﴾	٣٤ – ٣٦	عبس	١٣٧
﴿لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾	٣٧	عبس	١٣٩
﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾	٤٠ – ٤١	عبس	١٤٠
﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾	١	التكوير	٤٢
﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ﴾	٢	التكوير	١٤٦
﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾	٥	التكوير	٨٦
﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾	٦	التكوير	١٥٠
﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾	٧	التكوير	١٥٤
﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾	١٠	التكوير	١٥٨
﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ﴾	١١	التكوير	١٦٠
﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ﴾	١٥	التكوير	١٦٣
﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾	١٧	التكوير	١٦٨
﴿وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾	١٨	التكوير	١٦٨
﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾	١٩	التكوير	١٧١
﴿ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ﴾	٢٠	التكوير	٣٨
﴿مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾	٢١ – ٢٢	التكوير	١٧٣

﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴾	٢٣	التكوير	١٧٤
﴿ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ﴾	٢	الانفطار	١٧٦
﴿ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴾	٤	الانفطار	١٧٦
﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴾	٥	الانفطار	١٧٩
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴾	٦	الانفطار	١٨٢
﴿ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾	٨	الانفطار	١٨٥
﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴾	١	المطففين	١٨٩
﴿ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾	٣	المطففين	١٩١
﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ﴾	٧	المطففين	١٩٥
﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾	١٠	المطففين	١٩٦
﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴾	٢٢-٢٣	المطففين	١٩٧
﴿ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴾	٢٤	المطففين	١٩٨
﴿ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴾	٣٢	المطففين	٢٠٠
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرْسِلُواْ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾	٢٩ – ٣٣	المطففين	٢٠١

﴿ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴾	٣٤	المطففين	٢٠١
﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴾	١	الانشقاق	٢٠٣
﴿ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ﴾	٣	الانشقاق	٤٢
﴿ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴾	٤	الانشقاق	٢٠٦
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴾	٦	الانشقاق	٢٠٨
﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴾	١٠	الانشقاق	٢١٠
﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴾	١٦	الانشقاق	٢١٢
﴿ وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴾	١٧	الانشقاق	٢١٤
﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ﴾	١	البروج	٢١٦
﴿ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴾	٤	البروج	٢٢٠
﴿ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴾	٦	البروج	٢٢٣
﴿ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴾	٧	البروج	٢٢٣
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴾	١٠	البروج	٢٢٦
﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴾	١٢	البروج	٢٢٧
﴿ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴾	١٣	البروج	٤٠
﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ﴾	١	الطارق	٢٣٤
﴿ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴾	٧	الطارق	٢٣٦
﴿ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ﴾	٨	الطارق	٢٤٦
﴿ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ﴾	٩	الطارق	٢٤٧

﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ﴾	١١	الطارق	٢٥٠
﴿ وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ ﴾	١٢	الطارق	٢٥٣
﴿ سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ﴾	١	الأعلى	٢٥٦
﴿ وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴾	٣	الأعلى	٢٦٢
﴿ وَٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلۡمَرۡعَىٰ ۝٤ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحۡوَىٰ ﴾	٤ – ٥	الأعلى	٢٦٦
﴿ سَنُقۡرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴾	٦	الأعلى	٢٧٠
﴿ فَذَكِّرۡ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكۡرَىٰ ﴾	٩	الأعلى	٢٨٢
﴿ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلۡأَشۡقَى ﴾	١١	الأعلى	٢٨٢
﴿ ٱلَّذِي يَصۡلَى ٱلنَّارَ ٱلۡكُبۡرَىٰ ﴾	١٢	الأعلى	٣٥
﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴾	١٤	الأعلى	٣٥
﴿ وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴾	١٥	الأعلى	٣٥
﴿ إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ﴾	١٨	الأعلى	١١٤
﴿ وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ ﴾	١٠	البلد	٢٦٤
﴿ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ ﴾	٦	الزلزلة	٨٢

الحديث النبوي الشريف	الصفحة
[ما بين النفختين أربعون..]	٩٠
[كنا جُلُوساً مع رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِالْبَطْحَاءِ فَمَرَّتْ سَحَابَةٌ فقال رسول اللَّهِ :(أَتَدْرُونَ ما هذا..]	١٠٤
[الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة]	١١٥
[مَثَلُ الذِي يَقْرَأُ القُرْآنَ ،وهو حافِظٌ لَهُ،مَعَ السفَرَةِ...]	١١٦
[اعملوا فكل ميسر لما خلق له]	١٢٦
[الشمس والقمر مكوران يوم القيامة]	١٤٨
[{النُّفُوسُ زُوِّجَتْ }قال: يُزَوَّجُ نَظِيرَهُ من أَهْلِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ...]	١٥٥
أن النبي صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية :{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ } قال:(غره جهله)	١٨٣
[لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة كانوا من أخبث الناس كيلاً، فأنزل الله :{ وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ } فأحسنوا الكيل]	١٩٣
[ينظرون إلى أعدائهم في النار]	١٩٧
[إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر في ملكة مسيرة ألفى سنة..]	١٩٩
[تقيء الأرض أفلاذ كبدها ، أمثال الأسطوان من الذهب و...]	٢٠٨
[وقت المغرب ما لم يغب الشفق]	٢١٥
عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا قرأ هذه الآية قال:{ سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى}وأنها لما نزلت قال:(اجعلوها في سجودكم)	٢٥٧

الحديث النبوي الشريف	الصفحة
[لقد أذكرني كذا وكذا آية كنت قد نسيتها]	٢٧٤
[دين الله يسر]	٢٧٩
[ناركم هذه التي توقدون جزءا من سبعين جزءا من نار جهنم]	٢٨٨
بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِذْ سَمِعَ وَجْبَةً ،فَقَالَ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم :أَتَدْرُونَ مَا هَذِهِ ؟....	٢٩٠

اسم العلم	رقم الصفحة
إبراهيم النخعي	١٦٥
ابن أبي حاتم	٤٤
ابن أبي زمنين	٥٠
ابن الجوزي	٦٠
ابن السائب	١٥٠
ابن السعدي	٤٥
ابن العربي	١١٧
ابن القيم	٤٥
ابن تيميه	٨٦
ابن جرير الطبري	٤٥
ابن زيد	٧٨
ابن عادل	٦٢
ابن عاشور	٦٢
ابن عثيمين	٦٣
ابن عطية	٤٨
ابن فارس	٦٥
ابن كثير	٤٤
ابن مسعود	٤٣
ابن منظور	٥١
أبو السعود	٥٢
أبو الشعثاء	١٦٥
أبو العالية	٦٩
أبو القاسم الخوارزمي	١٣٦

أبو بكر الصديق	١٣٢
أبو حيان	٦٤
أبو رزين	١٠١
أبو صالح: باذان	٤٤
أبو عبيدة	٧٥
أبو معاذ النحوي	٧٥
أبو ميسرة	١٦٥
أبو هريرة	٤٦
أبي بن كعب	٧٠
الأخطل	٥٥
الآلوسي	٥٣
البغوي	٤٤
البيضاوي	٨٢
الثعالبي	٥٧
الحسن بن أبي الحسن	٤٥
الحسن بن مسلم	١٥١
الخليل بن أحمد	٥١
دحية الكلبي	١٤
الربيع بن أنس	٤٤
الربيع بن خثيم	١٤٤
رويس	٥٦
الزجاج	٤٤
الزمخشري	٤٥
زيد بن أسلم	٥٥

السدي	٤٣
سعيد بن المسيب	١٥١
سعيد بن جبير	٥٧
سفيان الثوري	٤٨
السمين الحلبي	٥٤
السهيلي	١١٠
سيد قطب	٥٠
الشربيني	٦٢
شمر بن عطية	١٥١
الشنقيطي	٤٤
الشوكاني	٦٠
الضحاك	٤٨
عباد بن بشر	٢٧٤
عبدالرحمن حبنكة الميداني	٤٤
عبد الله بن العباس	٣٦
عتبه بن ربيعة	٢٨٥
عطاء	٤٥
عكرمة	٧٨
علي بن أبي طالب	٤٣
عمر بن الخطاب	١٣٣
العوفي	٧٠
الفخر الرازي	٧٧
الفراء	١١٢
القاسم بن سلام	١٣٢

القاسم بن وليد الهمداني	١٠٨
القاسمي	٤٧
قتادة	٤٣
القرطبي	٧٠
الكسائي	٧٥
الكلبي محمد بن السائب	٥٢
مالك	٥٥
الماوردي	٩٠
المبرد	٧٨
مجاهد بن جبر	٤٣
المراغي	١٥٦
مسروق	٤٤
معاوية	٥٤
مقاتل	٤٤
النسفي	٦٠
الواحدي	٤٤
الوالبي	٦٩
ورش	١٦
الوليد بن المغيرة	٢٨٥
نافع	١٦
وهب بن منبه	١١٦

البيـــت	القائل	الصفحة
من يفعل الخير لا يعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس	الحطيئة	٤٦
فلا تحسبي بك البيد الطوامس تلألأ بالغور النجوم الطوامس وهي التي تخفى وتغيب	ذو الرمة	٥١
كأنه بـرجُ رومـــيٍّ يشـييدهُ لُـزَّ بجـــصّ وآجـــرٍّ وأحـــجار	الأخطل	٥٥
وما أدَعُ السِّفارةَ بين قوْمي وما أَمْشي بغِشٍ إنْ مَشَيْتُ	ابن ليلى موسى بن أرقم	١١٩
ومن ذهبٍ يُسبنُ على تَريب كلونِ العاجِ ليسَ بذي غُضونِ	المثقب العبدي	٢٤٠
والزعفرانُ على ترائـــبها شرقاً به الَبَاتُ والنحرُ	أبو عبيدة	٢٤٠

- **القرآن الكريم**
- **ابن جزي و منهجه في التفسير من خلال كتابه التسهيل لعلوم التنزيل** ،المؤلف: عبدالرحمن سعد علي بركة،منشورات كلية الآداب والتربية بجامعة سبها١٩٩٤م.
- **ابن جزي ومنهجه في التفسير** ،علي محمد الزبيري ،ط١-١٤٠٧هـ، جزءان ،دار القلم —دمشق
- **إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر** ،المؤلف :شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الغني الدمياطي (ت١١١٧هـ)، تحقيق:أنس مهرة ،ط١-١٤١٩هـ،دار الكتب العلمية —لبنان.
- **الإتقان في علوم القرآن** ،المؤلف : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ،تحقيق : مصطفى قصاص ،جزءان،ط٢ -١٤١٢هـ،دار إحياء العلوم —بيروت-
- **الإحاطة في أخبار غرناطة** ، المؤلف :لسان الدين بن الخطيب ،تحقيق: محمد عبدالله عنان،٤ مجلدات، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة ،الطبعة الأولى ١٣٩٥هـ.
- **أحكام القرآن** ،المؤلف :أبي محمد عبد المنعم بن عبد الرحيم المعروف بابن الفرس الأندلسي،تحقيق: صلاح الدين بو عفيف و آخرون ،٣ أجزاء ،ط١ — ١٤٢٧هـ، دار ابن حزم.
- **أحكام القرآن** ،المؤلف:أبو بكر محمد بن عبد الله ابن العربي (٥٤٣هـ)،تحقيق:محمد عبد القادر عطا،٤ مجلدات، دار الفكر —لبنان-
- **اختلاف المفسرين أسبابه و آثاره**، المؤلف :أ.د/سعود بن عبد الله الفنيسان،ط١- ١٤١٨هـ، دار اشبيليا.
- **اختيارات ابن تيمية في التفسير**(سورة الفاتحة والبقرة وآل عمران والنساء)

ومنهجه في الترجيح ، د/محمد بن زيلعي هندي ، مجلدان ،مكتبة المزيني.(أصل هذا الكتاب رسالة علمية)

- **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**،المؤلف : القاضي أبي السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي (ت٩٨٢هـ)،تحقيق:عبد اللطيف عبد الرحمن،٦ أجزاء ،دار الكتب العلمية –بيروت–
- **أساس البلاغة**،المؤلف : أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري (٥٣٨هـ)، دار الفكر .
- **أسباب نزول القرآن** ،المؤلف : أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي (٤٦٨هـ)،تحقيق : كمال بسيوني زغلول ،دار الكتب العلمية –بيروت
- **الإستيعاب** ، المؤلف : يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر (٤٦٣هـ) ، تحقيق: علي محمد البجاوي ،ط١–١٤١٢هـ، ٤مجلدات ،دار الجيل – بيروت–
- **أسد الغابة في معرفة الصحابة**،المؤلف : عز الدين بن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجزري (٦٣٠هـ) تحقيق: عادل أحمد الرفاعي ،٨ مجلدات ،ط١–١٤١٧هـ،دار إحياء التراث العربي –بيروت–
- **الإصابة في تميز الصحابة** ، المؤلف :أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي (٨٥٢هـ) تحقيق : علي محمد البجاوي ،٨ مجلدات، ط١– ١٤١٢هـ، دار الجيل –بيروت–
- **أصول التفسير و قواعده** ، المؤلف :خالد عبد الرحمن العك،ط٢ –١٤٠٦هـ ، دار النفائس –بيروت–
- **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن** ،المؤلف :محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي ،عالم الكتب –بيروت–.
- **إعراب القرآن الكريم وبيانه**، المؤلف : محي الدين الدرويش، ٩ أجزاء، ط٧

-١٤٢٠هـ ، دار اليمامة و دار ابن كثير -دمشق بيروت-

- **الأعلام** ، المؤلف : خير الدين الزركلي ،دار العلم للملايين بيروت ،٨ أجزاء ،ط ١٥ ، ٢٠٠٢ م.
- **اكتفاء القنوع بما هو مطبوع** ، المؤلف : أدورد فنديك ، دار صادر -بيروت-
- **الأنساب** ،أبي سعد عبد الكريم بن محمد ابن منصور التميمي السمعاني (ت ٥٦٢هـ)، تحقيق : عبدالله عمر البارودي،٥ أجزاء،دار الجنان ،ط١، ١٤٠٨هـ
- **أنوار التنزيل و أسرار التأويل**،المؤلف : عبد الله بن عمر بن محمد بن علي أبو الخير البيضاوي(ت ٦١٩هـ) ، ٥ مجلدات ،دار الفكر -بيروت-
- **البحر المحيط** ، المؤلف : محمد بن يوسف أبي حيان الأندلسي (ت٧٤٥هـ) ،تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود وآخرون ،٩ مجلدات ،ط١-١٤٢٢هـ، دار الكتب العلمية -بيروت-
- **البداية والنهاية** ، المؤلف : إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (ت ٧٧٤هـ)، ١٤ مجلد، مكتبة المعارف -بيروت-
- **بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن القيم الجوزية** ، جمع وتحقيق :يسري السيد محمد،٥ مجلدات،ط١-١٤١٤هـ، دار ابن الجوزي.
- **البرهان في علوم القرآن**، المؤلف : أبو عبد الله محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة - بيروت - ١٣٩١هـ
- **تاريخ بغداد**، المؤلف : أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ)، ١٤ مجلد، دار الكتب العلمية -بيروت-
- **التبيان في أقسام القرآن**،المؤلف: أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي المعروف بابن القيم الجوزية، دار النشر:

دار الفكر

- **تحبير التيسير في القراءات العشر**،المؤلف : ابن الجزري شمس الدين محمد بن محمد بن علي بن يوسف (ت ٨٣٨هـ) ،تحقيق:د/أحمد محمد مفلح القضاة ، ط١-١٤٢١هـ، دار الفرقان -عمان -
- **تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري** ، المؤلف: جمال الدين عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي، تحقيق: عبد الله بن عبد الرحمن السعد، دار النشر: دار ابن خزيمة - الرياض - ١٤١٤هـ
- **تذكرة الحفاظ** ، المؤلف: أبو عبد الله شمس الدين محمد الذهبي،ط١، دار الكتب العلمية - بيروت.
- **التسهيل لتأويل التنزيل** -تفسير جزء عم في سؤال و جواب - ،المؤلف : أبي عبد الله مصطفى بن العدوي، جزءان ، ط٢ -١٤٢٤هـ ، مكتبة مكة -طنطا-
- **التسهيل لعلوم التنزيل** ،المؤلف :الإمام العلامة محمد بن أحمد بن جزي الكلبي الغرناطي الأندلسي ،٤ أجزاء في مجلد واحد ،المكتبة العصرية -صيدا -بيروت -١٤٢٦هـ
- **تفسير التحرير والتنوير**،المؤلف:الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ،٣٠ جزء ، الدار التونسية للنشر ١٩٨٤م.
- **تفسير السراج المنير** ، المؤلف : محمد بن أحمد الشربيني، ٤ اجزاء ، دار الكتب العلمية -بيروت-
- **تفسير الصنعاني** ،المؤلف: عبد الرزاق بن همام الصنعاني،، تحقيق: د. مصطفى مسلم محمد،ط١-١٤١٠هـ، دار النشر: مكتبة الرشد - الرياض -
- **تفسير الضحاك** ، جمع وتحقيق :د/محمد شكري أحمد الزاويتي ، مجلدان ،ط ١ -١٤١٩هـ، دار السلام
- **تفسير القرآن العزيز** ، المؤلف :أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي

زمنين(ت ٣٩٩هـ) ، تحقيق :حسين بن عكاشة و محمد مصطفى الكنز، ط ١- ١٤٢٣هـ ، مكتبة الفاروق الحديثة

- **تفسير القرآن العظيم** ،المؤلف :أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤هـ) ،تحقيق:خالد محمد محرم، ٤ مجلدات ،ط٢-١٤٢٠هـ،المكتبة العصرية صيدا -بيروت
- **تفسير القرآن العظيم مسندا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة و التابعين**،المؤلف:الإمام الحافظ عبد الرحمن بن محمد بن ادريس الرازي ابن أبي حاتم (ت٣٢٧هـ) ،المحقق: أسعد محمد الطيب ،١٠ أجزاء ،ط٣ - ١٤٢٤هـ،مكتبة نزار مصطفى الباز-مكة المكرمة-
- **تفسير اللباب في علوم الكتاب**، المؤلف :سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي (ت ٧٧٥هـ)
- **تفسير المراغي**،المؤلف:أحمد مصطفى المراغي ،٢٨ جزء ،ط٢-١٩٨٥م،دار احياء التراث العربي-بيروت
- **تفسير النسفي** (مدارك التنزيل و حقائق التأويل)،المؤلف :أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي (ت ٧٠١هـ)، تحقيق:سيد زكريا،٤ أجزاء، مكتبة نزار مصطفى الباز
- **تفسير جزء عم** ،المؤلف : د/مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، ط ٨ - ١٤٣٠هـ، دار ابن الجوزي .
- **تفسير جزء عم** ،المؤلف :فضيلة الشيخ محمد صالح العثيمين، تحقيق :د/عماد علي عبد السميع ،مكتبة الإيمان المنصورة.
- **تهذيب التهذيب** ،المؤلف: : أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي،ط١-١٤٠٤هـ ، دار الفكر - بيروت
- **تهذيب الكمال**،المؤلف:يوسف بن الزكي عبدالرحمن أبو الحجاج المزي،

تحقيق: د. بشار عواد معروف، ط١-١٤٠٠هـ ، مؤسسة الرسالة – بيروت

- **توحيد الألوهية**، المؤلف: أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي ،ط٢ ، مكتبة ابن تيمية .
- **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان** ،المؤلف:الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي (ت ١٣٧٦هـ)،تحقيق :عبد الرحمن بن معلا اللويحق،أولي النهى للإنتاج الإعلامي
- **الثقات**،المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، ط١- ١٣٩٥هـ، دار الفكر – تحقيق: السيد شرف الدين أحمد
- **جامع البيان في تأويل القرآن** ،،المؤلف:أبي جعفر مجمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)،١٢ مجلد ، دار الكتب العلمية –بيروت–،ط١ ١٤١٢هـ.
- **الجامع لأحكام القرآن** ،المؤلف:أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار النشر: دار الشعب – القاهرة
- **الجرح والتعديل**،المؤلف: عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس أبو محمد الرازي التميمي، ط١، دار إحياء التراث العربي – بيروت –
- **جمهرة انساب العرب** ، المؤلف : أبي محمد علي بن سعيد بن حزم الأندلسي ،تحقيق: أ/ليفى بروفنال ،دار المعارف بمصر
- **خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، المؤلف: الحافظ الفقيه صفي الدين أحمد بن عبد الله الخزرجي الأنصاري اليمني، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة ،طه- ١٤١٦هـ،دار النشر: مكتب المطبوعات الإسلامية/دار البشائر – حلب / بيروت –
- **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**، المؤلف:أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي (ت٧٥٦هـ)،تحقيق:أحمد محمد الخراط،١٠ أجزاء ،دار القلم –دمشق

- **الدر المنثور في التفسير بالمأثور** ، المؤلف : جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق :د/عبد الله بن عبد المحسن التركي ،١٥ مجلد ،ط١-١٤٢٤هـ ، مركز هجر للبحوث
- **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة** ،المؤلف :شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد الشهير بابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، دار الجيل بيروت ،٤ مجلدات،تحقيق: د/سالم الكرنكوى الالماني / ١٤١٤هـ.
- **دقائق التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن تيمية**، تحقيق:د/محمد السيد الجليند،ط٣-١٤٠٦هـ،٥ أجزاء ، مؤسسة علوم القرآن —دمشق بيروت
- **الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب** ،المؤلف : إبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون اليعمري المالكي، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت
- **ذيل التقييد في رواة السنن والمسانيد**، المؤلف: محمد بن أحمد الفاسي المكي أبو الطيب، تحقيق: كمال يوسف الحوت، ط١-١٤١٠هـ، دار الكتب العلمية – بيروت –
- **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، تأليف: العلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، دار إحياء التراث العربي – بيروت
- **زاد المسير في علم التفسير** ، المؤلف : أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي الجوزي (ت ٥٩٧هـ) ،٩ أجزاء ، ط٣ — ١٤٠٤هـ ، المكتب الإسلامي.
- **سنن ابن ماجة**، المؤلف :أبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني الشهير بابن ماجه (ت٢٧٣هـ)،تعليق: محمد ناصر الدين الألباني،تحقيق:أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان،ط١ ،مكتبة المعارف للنشر والتوزيع-الرياض-
- **سنن أبي داود**،المؤلف:أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني (٢٧٥هـ) ، تعليق: محمد ناصر الدين الألباني،تحقيق:أبو عبيدة مشهور بن حسن آل

سلمان،ط١ ،مكتبة المعارف للنشر والتوزيع–الرياض

- **سنن البيهقي الصغرى** ،أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت ٤٥٨هـ)،تحقيق: د/محمد ضياء الرحمن الأعظمي، ط١ –١٤١٠هـ ،مكتبة الدار –المدينة المنورة–
- **سنن الدارقطني** ، المؤلف: علي بن عمر أبو الحسن الدارقطني البغدادي، تحقيق: السيد عبد الله هاشم يماني المدني ، دار المعرفة – بيروت – ١٣٨٦ هـ
- **السنن الكبرى**، المؤلف: أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن **النسائي**، تحقيق: د.عبد الغفار سليمان البنداري ، سيد كسروي حسن،ط١–١٤١١هـ، دار الكتب العلمية – بيروت –
- **سنن النسائي** (المجتبى أو السنن الصغرى)،المؤلف :أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي(ت٣٠٣هـ)،تعليق: محمد ناصر الدين الألباني،تحقيق:أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان،ط١ ،مكتبة المعارف للنشر والتوزيع–الرياض–
- **سير أعلام النبلاء** ، المؤلف: محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبو عبد الله، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ، محمد نعيم العرقسوسي، ط٩– ١٤١٣هـ،مؤسسة الرسالة –بيروت
- **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، المؤلف: عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، محمود الأرنؤوط،ط١– ١٤٠٦هـ، دار بن كثير – دمشق –
- **شرح مقدمة التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي** ، شرحها:د/مساعد بن سليمان الطيار ،اعتنى بإخراجها : بدر بن ناصر الجبر ،ط١– ١٤٣١هـ،دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع.

- **صحيح ابن حبان**،المؤلف : محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ، ط٢-١٤١٤هـ، مؤسسة الرسالة - بيروت -
- **صحيح البخاري**(الجامع الصحيح)،المؤلف :أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (٢٥٦هـ) ،تحقيق:أحمد زهوة و أحمد عناية،ط١-١٤٢٥هـ، دار الكتاب العربي -بيروت
- **صحيح سنن الترمذي** ،المؤلف: محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (٢٧٩هـ)،جمع : الإمام محمد ناصر الدين الألباني ،ط٢-١٤٢٢هـ،مكتبة المعارف للنشر والتوزيع
- **صحيح مسلم** ،المؤلف :أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري،تحقيق:أحمد زهوة و أحمد عناية ،ط١-١٤٢٥هـ،دار الكتاب العربي-بيروت.
- **صحيح مسلم بشرح النووي**، المؤلف: أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، ط٢-١٣٩٢هـ، دار إحياء التراث العربي - بيروت -
- **طبقات ابن سعد**، الطبقات الكبرى، تأليف: محمد بن سعد بن منيع أبو عبدالله البصري الزهري، دار النشر: دار صادر - بيروت
- **طبقات الحفاظ**،المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي أبو الفضل، ط١-١٤٠٣هـ، دار الكتب العلمية - بيروت
- **طبقات الشافعية**،المؤلف: أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن قاضي شهبة ، تحقيق: د. الحافظ عبد العليم خان،ط١ ١٤٠٧هـ، دار النشر: عالم الكتب - بيروت -
- **طبقات المفسرين** ،المؤلف:محمد بن علي الداودي ،بيروت ،دار الكتب العلمية ،ط ١ ،١٤٠٣هـ
- **طبقات فحول الشعراء**، المؤلف: محمد بن سلام الجمحي، تحقيق: محمود

محمد شاكر ، دار المدني – جدة

- **العبر** و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر **(تاريخ ابن خلدون)**، المؤلف :أبو زيد ولي الدين عبد الرحمن بن محمد الاشبيلي التونسي القاهري المالكي الشهير بابن خلدون (ت ٨٠٨هـ)،تحقيق :أبو صهيب الكرمي ،بيت الأفكار الدولية
- **العين** ، المؤلف: الخليل بن أحمد الفراهيدي ، تحقيق: د مهدي المخزومي / د إبراهيم السامرائي ، دار النشر: دار ومكتبة الهلال
- **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، تحقيق: محب الدين الخطيب ،دار النشر: دار المعرفة – بيروت
- **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير** ،المؤلف :محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت١٢٥٠هـ)،٥ مجلدات ،دار المعرفة للطباعة والنشر–بيروت
- **في ظلال القرآن المؤلف** : سيد قطب ،٦ أجزاء ،ط ٢٤–١٤١٥هـ،دار الشروق.
- **قواعد الترجيح عند المفسرين** ،المؤلف : حسين بن علي بن حسين الحربي، جزءان ،دار القاسم
- **قواعد التفسير جمعا و دراسة** ، المؤلف : خالد بن عثمان السبت،ط١ – ١٤٢١هـ، دار ابن عفان.
- **القوانين الفقهية**،المؤلف: محمد بن أحمد بن جزي الكلبي الغرناطي،دار الملايين –بيروت–
- **الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل** ، المؤلف :أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت ٤٦٧هـ) ،تحقيق : عبد الرزاق المهدي ،٤ أجزاء ،ط٢ –١٤٢١هـ،دار إحياء التراث العربي–بيروت–

- **اللباب في تهذيب الأنساب**، المؤلف: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني الجزري، دار صادر – بيروت – ١٤٠٠هـ
- **لسان العرب**،المؤلف: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، ط١، دار صادر — بيروت.
- **لسان الميزان**،المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، تحقيق: دائرة المعرف النظامية – الهند ،ط٣–١٤٠٦ هـ، دار النشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت –
- **المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين**، المؤلف: الإمام محمد بن حيان بن أحمد بن أبي حاتم التميمي البستي، تحقيق: محمود إبراهيم زايد،ط١– ١٣٩٦هـ، دار الوعي – حلب
- **محاسن التأويل** ، المؤلف:محمد جمال الدين القاسمي (ت١٣٣٢هـ)،تحقيق:أحمد بن علي و حمدي صبح، ٩ أجزاء ، دار الحديث القاهرة
- **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز** ،المؤلف :أبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي (ت ٥٤١هـ) ،مجلد واحد، ط١ –١٤٢٣هـ، دار ابن حزم — بيروت – .
- **مختار الصحاح**،المؤلف: محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان – بيروت – ١٤١٥ هـ
- **مختصر استدراك الحافظ الذهبي على مستدرك أبي عبد الله الحاكم** ، المؤلف :سراج الدين عمر بن علي بن أحمد المعروف بابن الملقن (٨٠٤هـ)، تحقيق : عبد الله اللحيدان و سعد آل حميد ، ٨ أجزاء ،ط١ –١٤١١هـ، دار العاصمة —الرياض–
- **المستدرك على الصحيحين** ، المؤلف : أبي عبد الله الحاكم النيسابوري ،طبعة

متضمنة انتقادات الذهبي ،تحقيق : مقبل بن هادي الوادعي ،ط١ –١٤١٧هـ ، دار الحرمين

- **مسند أبي يعلى**،المؤلف: أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي، تحقيق: حسين سليم أسد، ط١–١٤٠٤هـ، دار المأمون للتراث – دمشق –
- **مسند الإمام أحمد**،المؤلف :أ حمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني، مؤسسة قرطبة – مصر
- **مسند البزار** (البحر الزخار)،المؤلف:أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار، تحقيق: د. محفوظ الرحمن زين الله،ط١–١٤٠٩هـ، مؤسسة علوم القرآن ، مكتبة العلوم والحكم – بيروت ، المدينة –
- **مسند الطيالسي** ،المؤلف: سليمان بن داود أبو داود الفارسي البصري الطيالسي، دار المعرفة – بيروت
- **معارج التفكر و دقائق التدبر**،المؤلف:عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ،دار القلم —دمشق–،ط١ ١٤٢٧هـ.
- **معالم التنزيل** ، المؤلف :أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت٥١٦هـ) ،ط١–١٤٢٣هـ ، دار ابن حزم بيروت
- **معاني القرآن و إعرابه** ،المؤلف : أبي إسحاق إبراهيم بن السري المعروف بالزجاج (ت٣١١هـ)،تحقيق:د/عبد الجليل عبده شلبي،٥ أجزاء ،ط١ – ١٤٠٨هـ،عالم الكتب .
- **معجم الأدباء** (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)، المؤلف: أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، ط١–١٤١١هـ، دار الكتب العلمية – بيروت –
- **معجم البلدان** ،المؤلف: ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله، دار النشر: دار الفكر – بيروت
- **معجم المحدثين**،المؤلف: محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبو عبد

الله، تحقيق: د. محمد الحبيب الهيلة، ط١-١٤٠٨هـ، مكتبة الصديق - الطائف -

- **معجم المؤلفين** ،المؤلف :عمر رضا كحالة ،٤مجلدات ،مؤسسة الرسالة.
- **المعجم الوسيط**،المؤلف: إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار النشر: دار الدعوة
- **معجم مقاييس اللغة**،المؤلف: أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون
- **معرفة الثقات** من رجال أهل العلم والحديث ومن الضعفاء وذكر مذاهبهم وأخبارهم، المؤلف: أبي الحسن أحمد بن عبد الله بن صالح العجلي الكوفي ،تحقيق: عبد العليم عبد العظيم البستوي،ط١-١٤٠٥هـ،مكتبة الدار - المدينة المنورة -
- **معرفة القراء الكبار على الطبقات و الأعصار**، تأليف: محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبو عبد الله، تحقيق: بشار عواد معروف ، شعيب الأرناؤوط ، صالح مهدي عباس،ط١-١٤٠٤هـ،مؤسسة الرسالة - بيروت -
- **المغني في الضعفاء**،المؤلف:الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: الدكتور نور الدين عتر
- **مفاتح الغيب(التفسير الكبير)**،المؤلف: فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، الطبعة: الأولى
- **مفتاح كنوز السنة** ،المؤلف :د/ا.ى.فنسنك ، ترجمة :محمد فؤاد عبد الباقي ،إدارة ترجمان السنة-لاهور
- **مقدمة تقريب الوصول** ،تحقيق جلال الجهني
- **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**،المؤلف: شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي،

تحقيق: الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود ،ط١-١٩٩٥م،دار الكتب العلمية – بيروت –

- **نزهة الألباب في الألقاب** ،المؤلف: احمد بن علي بن محمد المشهور بابن حجر العسقلاني، تحقيق: عبد العزيز محمد بن صالح السديري ،ط١-١٤٠٩هـ،مكتبة الرشد – الرياض
- **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**،المؤلف :الشيخ أحمد بن محمد المقري التلمساني ،تحقيق:د/إحسان عباس ،٨ مجلدات ،دار صادر ١٤٠٨هـ
- **النكت والعيون(تفسير الماوردي)**،المؤلف:أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري (٤٥٠هـ)،تحقيق:السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم ،٦ مجلدات،دار الكتب العلمية –لبنان و مؤسسة الكتب الثقافية –لبنان.
- **هدية العارفين أسماء المؤلفين و آثار المصنفين**،المؤلف :مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرومي الحنفي (١٠٦٧م)،٦مجلدات،دار الكتب العلمية – بيروت–١٤١٣هـ
- **الوافي بالوفيات**،المؤلف :صلاح الدين خليل بن آبيك الصفدي ،تحقيق:أحمد الأرناؤوط و تركي مصطفى ،٢٩مجلد،دار إحياء التراث –بيروت–١٤٢٠هـ.
- **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز** ،المؤلف: أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي (ت ٤٦٨هـ) ،تحقيق :صفوان عدنان داوودي ،مجلدان ، ط١-١٤١٥هـ، دار القلم –دمشق– و الدار الشامية –بيروت–
- **وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان**،المؤلف:أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (٦٨١هـ)، تحقيق:إحسان عباس، ٨ مجلدات ،دار الثقافة –لبنان

الرسائل الجامعية :

- أسباب النزول الواردة في كتاب جامع البيان للإمام ابن جرير الطبري جمعا و تخريجا و دراسة،رسالة دكتوراة، حسن بن محمد بن علي شباله البلوط
- ترجيحات ابن جزي الكلبي في التفسير من خلال كتابه (التسهيل لعلوم التنزيل)عرضا ومناقشة من أول سورة الأنعام إلى آخر سورة يوسف،رسالة دكتوراة من جامعة أم القرى ،إبراهيم بن محمد بن عبد الخالق الغامدي
- ترجيحات ابن جزي الكلبي في التفسير من خلال كتابه (التسهيل لعلوم التنزيل)عرضا ومناقشة من أول الرعد إلى نهاية سورة القصص،رسالة دكتوراة من جامعة أم القرى ،هناء عبد الله سليمان أبو داود.
- ترجيحات ابن جزي الكلبي في التفسير من خلال كتابه (التسهيل لعلوم التنزيل)عرضا ومناقشة من أول سورة العنكبوت إلى سورة غافر،رسالة دكتوراة من جامعة أم القرى ، عبدالحي بن دخيل الله بن مسلم المحمدي.
- ترجيحات ابن جزي الكلبي في التفسير من خلال كتابه (التسهيل لعلوم التنزيل)عرضا ومناقشة من أول سورة المعارج إلى آخر سورة الإنسان ،رسالة ماجستير من جامعة أم القرى ، إنجا دخيل بن حمود الجدعاني.
- ترجيحات ابن جزي الكلبي في التفسير من خلال كتابه (التسهيل لعلوم التنزيل)عرضا ومناقشة من أول سورة الغاشية حتى آخر سورة الناس ، رسالة ماجستير من جامعة أم القرى ، طارق بن أحمد بن علي الفارس.
- تخريج الأحاديث و الآثار في كتاب التسهيل لعلوم التنزيل من المقدمة إلى نهاية سورة النور ،رسالة ماجستير من جامعة أم القرى،سامي بن مساعد الجهني .
- قواعد الترجيح عند ابن جزي في تفسيره دراسة تطبيقية ،رسالة ماجستير في جامعة الملك سعود ،عبد الله حمد الجمعان.

- علاقة الإعراب بالمعنى عند ابن جزي ،رسالة ماجستير بجامعة الملك سعود،سعود بن أحمد بن عبدالرحمن المنيع .
- ابن جزي الأندلسي شعره ونثره –دراسة تحليلية نقدية–،رسالة ماجستير بجامعة الملك سعود،مريم بنت سعيد بن محمد آل جابر الشهراني.
- أبو هريرة رضي الله عنه و مروياته في تفسيري الطبري و ابن أبي حاتم،رسالة ماجستير بجامعة أم القرى،محمد ياسين توكى ماجي.
- صحيفة علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما في التفسير جمع و تخريج ودراسة،رسالة ماجستير بجامعة أم القرى،أحمد بن عايش اللطيف العاني.
- القسم في القرآن الكريم ،رسالة ماجستير بجامعة أم القرى،خالد سيف الله سيفي.
- ترجيحات القرطبي في التفسير من أول الكتاب إلى آية (١٨٨)من سورة البقرة جمعاً ودراسةً و موازنةً،رسالة ماجستير بجامعة أم القرى ، عبد الله عيدان أحمد الزهراني.
- ترجيحات القرطبي في التفسير من أول سورة الكهف إلى آخر الآية (١٥) من سورة مريم جمعاً ودراسةً و موازنةً،رسالة ماجستير بجامعة أم القرى ،مرام بنت صالح باتوبارا .
- ترجيحات أبي حيان من أول سورة السجدة إلى آخر سورة الزمر ،رسالة دكتوراة بجامعة أم القرى ،سلمى داود إبراهيم بن داود

البرامج الإلكترونية:

- الجامع الكبير لكتب التراث الإسلامي والعربي ،الإصدار الثاني ،مركز التراث للبرمجيات .
- مصحف المدينة النبوية للنشر الحاسوبي ،موقع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ،الإصدار الأول.
- موقع ملتقى أهل التفسير www. tafsir.net
- موقع ملتقى أهل الحديث www.ahlalhdeeth.com
- موقع الدرر السنية www.dorar.net
- الموسوعة الحرة ويكبيديا www.wikipedia.org

المخطوطات:

- التسهيل لعلوم التنزيل ، لمحمد بن أحمد بن جزي الكلبي:

١-نسخة محفوظة في مركز الملك فيصل للبحوث و الدراسات الإسلامية ، رقم التسلسل :٦٠٧٧٦، رقم الحفظ:ج/٤٤/٠٤/٠٢ ، رقم الحفظ والتسلسل للميكروفيلم: ١٢٦٩٠، ذخائر التراث ٧٢/١ ، الأزهرية ٢١٦/١.

٢-نسخة محفوظة في مركز الملك فيصل للبحوث و الدراسات الإسلامية ، رقم التسلسل: ٦٣٦٥٨،رقم الحفظ:ج/٤٥/٠٢/١٢، رقم الحفظ والتسلسل للميكروفيلم: ١٢٨٠٢،طبع: ذخائر التراث ٧٢/١.

- مخطوطة كتاب التعريف والإعلام فيما أبهم في القرآن من معرفة الأسماء الأعلام ،للسهيلي عبد الرحمن بن أبي الحسن الخثعمي السهيلي،رقم النسخة (٣٣٠٨٦١)، ٦٥ ورقة،موقع مخطوطات الأزهر الشريف http://www.alazharonline.org

الـــمـــــوضـــــوع	رقم الصفحة
ملخص الرسالة	١
ترجمة ملخص الرسالة	٢
المقدمة: تمهيد	٣
الفصل الأول :أ/أهداف الموضوع	٥
ب/أهمية الموضوع	٥
جـ/أسباب اختيار الموضوع	٦
الفصل الثاني: أ/ مجال الدراسة	٧
ب/ الدراسات السابقة	٧
الفصل الثالث:أ/خطة البحث	٩
ب/منهج البحث	١٠
القسم الأول :التعريف بابن جزي-رحمه الله – وكتاب التسهيل **الباب الأول**:التعريف بابن جزي –رحمه الله-	
اسمه	١٤
كنيته	١٤
نسبه	١٤
ولادته	١٥

نشأته	١٦
صفاته	١٦
شيوخه	١٧
تلاميذه	٢٠
مؤلفاته	٢٣
وفاته	٢٥
الباب الثاني: التعريف بعصر المؤلف :	
الفصل الأول: الحالة السياسية	٢٦
الفصل الثاني: الحالة الاجتماعية	٢٨
الفصل الثالث: الحالة العلمية	٢٩
الباب الثالث: الفصل الأول:التعريف بكتاب التسهيل:	
أولاً: القيمة العلمية للكتاب	٣١
ثانياً:نسخ الكتاب وطبعاته	٣٢
ثالثاً: مخطوطات الكتاب	٣٣
الفصل الثاني: منهج ابن جزي في كتاب التسهيل لعلوم التنزيل	٣٥
الفصل الثالث: صيغ الترجيح و أساليبه عند ابن	٣٧

جزي: تمهيد	
١ – الترجيح باستخدام صيغ أفعل التفضيل	٣٧
٢ – ذكر قولين أو أكثر وتقديم الراجح	٤٠
٣ – ذكر القول الراجح بصيغة الجزم	٤١
٤ – التصريح باسم قائل القول ،إذا كان قائله ممن يقتدى به	٤٢
٥ – ذكر القول الراجح فقط والسكوت عما عداه من الأقوال	٤٢
الجزء الثاني :قسم الدراسة:	
سورة المرسلات: ١- في معنى المرسلات والعاصفات والناشرات و الفارقات في قوله تعالى: { وَالْمُرْسَلَٰتِ عُرْفاً ۝١ فَالْعَٰصِفَٰتِ عَصْفاً ۝٢ وَالنَّٰشِرَٰتِ نَشْراً ۝٣ فَالْفَٰرِقَٰتِ فَرْقاً ۝٤ }	٤٢
٢-في معنى قوله تعالى: {فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ۝٨ }	٥٠
٣-في المخاطبين في قوله تعالى: {ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ ۝٣٠ }	٥٢

٤-في معنى كلمة القصر في قوله تعالى :{ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ }	٥٤
٥-في معنى (الجمالات) ،و (الصفر) في قوله تعالى:{ كَأَنَّهُۥ جِمَـٰلَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ }	٥٦
٦-في معنى قوله تعالى:{وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُواْ لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ }	٥٩
سورة النبأ:	٦٢
٧- في معنى قوله تعالى:{وَخَلَقْنَـٰكُمْ أَزْوَٰجاً ﴿٨﴾}	
٨- في معنى قوله تعالى:{وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتاً ﴿٩﴾}	٦٤
٩- في معنى الوهاج في قوله تعالى:{ وَجَعَلْنَا سِرَاجاً وَهَّاجاً ﴿١٣﴾}	٦٧
١٠-في معنى المعصرات في قوله تعالى:{وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجاً ﴿١٤﴾ }	٦٩
١١- في معنى (مرصادا) في قوله تعالى:{إِن جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَاداً ﴿٢١﴾ }	٧٢
١٢- في معنى(البرد)في قوله تعالى :{لا يَذُوقُونَ فِيهَا	٧٤

بَرْداً وَلاَ شَرَاباً ﴿٢٤﴾ }	
١٣- في معنى قوله تعالى: {وَكَأْساً دِهَاقاً ﴿٣٤﴾ }	٧٧
١٤- في معنى قوله تعالى:{جَزَآء مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَاباً ﴿٣٦﴾ }	٨٠
١٥- في المقصود بالمرء في قوله تعالى: {يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ }	٨٢
١٦- في معنى قوله تعالى: {وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَـٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَاباً ﴿٤٠﴾}	٨٤
سورة النازعات: ١٧- في جواب القسم لمطلع سورة النازعات،قال تعالى :{ وَالنَّـٰزِعَـٰتِ غَرْقاً ﴿١﴾ وَالنَّـٰشِطَـٰتِ نَشْطاً ﴿٢﴾ وَالسَّـٰبِحَـٰتِ سَبْحاً ﴿٣﴾ فَالسَّـٰبِقَـٰتِ سَبْقاً ﴿٤﴾ فَالْمُدَبِّرَٰتِ أَمْراً ﴿٥﴾ }	٨٧
١٨- في معنى قوله تعالى: {يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴿٧﴾}	٨٩
١٩- في معنى التزكية في قوله تعالى: {فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَّكَّىٰ ﴿١٨﴾ }	٩٢
٢٠- في معنى قوله تعالى :{فَأَرِيَهُ ٱلآيَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ }	٩٤

٢١- في معنى قوله تعالى: { ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ }	٩٧
٢٢- في معنى قوله تعالى: {فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ }	٩٩
٢٣- في معنى قوله تعالى: {فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلآخِرَةِ وَالأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ }	١٠٠
٢٤- في معنى السمك في قوله تعالى: {ءَأَنتُمۡ أَشَدُّ خَلۡقاً أَمِ ٱلسَّمَآءُۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ }	١٠٣
٢٥- في معنى تسوية السماء في قوله تعالى: {رَفَعَ سَمۡكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ }	١٠٥
٢٦- في معنى قوله تعالى: {فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلۡكُبۡرَىٰ ﴿٣٤﴾ }	١٠٧
سورة عبس:	١٠٩
٢٧- في سبب مخاطبة الله عز و جل للنبي صلى الله عليه وسلم بلفظ الغائب في قوله تعالى: {عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾}	١٠٩
٢٨- في عودة الضمير المتصل في قوله تعالى: { إِنَّهَا تَذۡكِرَةٌ ﴿١١﴾}	١١١
٢٩- في معنى الصحف في قوله تعالى: {فِي صُحُفٖ مُّكَرَّمَةٖ	١١٣

﴿١٣﴾ }	
٣٠- في سبب تسمية الملائكة بالسفرة في قوله تعالى: {بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ }	١١٥
٣١- في معنى السفرة في قوله تعالى: {بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ }	١١٨
٣٢- في معنى (قتل)في قوله تعالى: {قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾}	١٢٠
٣٣- في معنى (قدره)في قوله تعالى: {مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ }	١٢٢
٣٤- في معنى قوله تعالى: {ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ }	١٢٤
٣٥- في معنى قوله تعالى: {فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ }	١٢٨
٣٦- في معنى الأب في قوله تعالى: { وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ }	١٣١
٣٧- في أصل اشتقاق كلمة الصاخة في قوله تعالى: {فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾}	١٣٥
٣٨- في سبب فرار المرء من أهله يوم القيامة،في قوله تعالى: { يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ }	١٣٧

٣٩- في التفريق بين الغبرة والقترة في قوله تعالى: {وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ }	١٤٠
سورة التكوير:	١٤٣
٤٠- في معنى قوله تعالى: {إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ }	
٤١- في معنى قوله تعالى: {وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴿٢﴾ }	١٤٦
٤٢- في معنى قوله تعالى: {وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾ }	١٥٠
٤٣- في معنى قوله تعالى: {وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾ }	١٥٤
٤٤- في معنى الصحف في قوله تعالى: { وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾ }	١٥٨
٤٥- في معنى قوله تعالى: {وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾ }	١٦٠
٤٦- في المقصود بالخنس في قوله تعالى: {فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ }	١٦٣
٤٧- في متى يعسعس الليل في قوله تعالى: { وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ }	١٦٨
٤٨- في المراد بالرسول في قوله تعالى: { إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ	١٧١

كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ }	
٤٩- في مكان رؤية رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام في قوله تعالى: {وَلَقَدْ رَءَاهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ }	١٧٤
سورة الإنفطار: ٥٠- في معنى قوله تعالى: {وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾}	١٧٦
٥١- في معنى قوله تعالى: {عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾ }	١٧٩
٥٢- في جواب الإستفهام في قوله تعالى: {يَٰٓأَيُّهَا الْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ }	١٨٢
٥٣- في متعلق شبة الجملة في قوله تعالى: {فِيٓ أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ }	١٨٥
سورة المطففين: ٥٤- في معنى قوله تعالى: {وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾}	١٨٩
٥٥- في كون السورة مكية أو مدنية !؟	١٩٢
٥٦- في المقصود بالفجار في قوله تعالى: {كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴿٧﴾}	١٩٥
٥٧- في المقصود بقوله تعالى: { إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى	١٩٧

﴿ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾﴾	
٥٨- في عودة الضمير في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوۡهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾﴾	٢٠٠
سورة الإنشقاق:	٢٠٣
٥٩- في جواب (إذا) في قوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ﴿١﴾﴾	
٦٠- في معنى قوله تعالى: ﴿وَأَلۡقَتۡ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتۡ ﴿٤﴾﴾	٢٠٦
٦١- في معنى قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ ﴿١٠﴾﴾	٢١٠
٦٢- في معنى الشفق في قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾﴾	٢١٢
سورة البروج:	٢١٦
٦٣- في معنى البروج في قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ ﴿١﴾﴾	
٦٤- في المراد بأصحاب الأخدود في قوله تعالى: ﴿قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ﴿٤﴾﴾	٢٢٠

٦٥- في عودة ضمير الفصل (هم)في قوله تعالى: {إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦}	٢٢٣
٦٦- في عودة الاسم الموصول (الذين) في قوله تعالى: {إِنَّ ٱلذِينَ فَتَنُواْ ٱلْمُومِنِينَ وَالْمُومِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُواْ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ۝١٠}	٢٢٦
٦٧- في معنى قوله تعالى: {إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ۝١٣}	٢٢٩
سورة الطارق:	٢٣٤
٦٨-في المقصود بالسماء في قوله تعالى : {وَالسَّمَآءِ وَالطَّارِقِ ۝١}	
٦٩- في الفاعل في قوله تعالى: {يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَالتَّرَآئِبِ ۝٧}	٢٣٧
٧٠- في معنى الترائب في قوله تعالى: {يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَالتَّرَآئِبِ ۝٧}	٢٣٨
٧١- في مكان خروج ماء الولد من قوله تعالى: {يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَالتَّرَآئِبِ ۝٧}	٢٤٢
٧٢- في عودة الضمير في (رجعه) في قوله تعالى: {إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ۝٨}	٢٤٦

٧٣- في معنى الرجع في قوله تعالى: {وَالسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ﴿١١﴾}	٢٥٠
٧٤- في معنى الصدع في قوله تعالى: {وَالأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ ﴿١٢﴾}	٢٥٣
سورة الأعلى: ٧٥- في المراد بقوله (اسم)في قوله تعالى: {سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلأَعْلَى ﴿١﴾}	٢٥٦
٧٦- في الموصوف في قوله تعالى: {سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلأَعْلَى ﴿١﴾}	٢٦٠
٧٧- في معنى قوله تعالى: {وَالذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾}	٢٦٢
٧٨- في إعراب قوله تعالى: (أَحْوَىٰ)من قوله تعالى: {وَالذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ﴿٥﴾}	٢٢٦
٧٩- معنى قوله تعالى (لا تنسى)من قوله تعالى : {سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴿٦﴾}	٢٧٠
٨٠- في معنى قوله تعالى :{إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴿٧﴾}	٢٧٤

٨١- معنى اليسرى في قوله تعالى: {وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٨﴾}	٢٧٩
٨٢- في معنى الشرط في قوله تعالى: {فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾}	٢٨٢
٨٣- في تعين الأشقى في قوله تعالى: {وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ﴿١١﴾}	٢٨٥
٨٤- في سبب وصف النار بالكبرى في قوله تعالى: {الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾}	٢٨٨
٨٥- في معنى (تزكى) في قوله تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾}	٢٩١
الخاتمة :١- النتائج	٢٩٦
٢- التوصيات	٢٩٧
فهرس الآيات	٢٩٨
فهرس الأحاديث	٣٠٨
فهرس الأعلام	٣١٠
فهرس الأشعار	٣١٤
المصادر والمراجع	٣١٥
فهرس الموضوعات	٣٣٢

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم الكتاب والسنة
شعبة التفسير وعلوم القرآن

ترجيحات ابن جزي الكلبي في التفسير من خلال كتابه التسهيل لعلوم التنزيل

من أول سورة الغاشية حتى آخر سورة الناس

- - -

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن

إعداد الطالب:

طارق بن أحمد بن علي الفارس

الرقم الجامعي (٤٢٦٨٨٠٩٨)

إشراف فضيلة الشيخ:

د. عبدالرحمن بن جميل قصاص

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

طباعة القطاني

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... الصورة النهائية) ٠٠٤
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tafasi

ملخص الرسالة

ترجيحات ابن جزي الكلبي في التفسير من خلال كتابه التسهيل لعلوم التنزيل

تعرضت الرسالة لترجيحات ابن جزي الكلبي في التفسير من خلال كتابه « التسهيل لعلوم التنزيل »، وناقشتها، وقارنتها بآراء جملة من المفسرين المتقدمين والمتأخرين، وما استدلوا به من أدلة لأقوالهم، ومن ثمّ بيان القول الراجح في المسألة، استناداً إلى وجوه وقواعد الترجيح المقررة في هذا الفن.

وتألفت الرسالة من تمهيد وبابين:

التمهيد: في التعريف بابن جزي الكلبي وكتابه « التسهيل لعلوم التنزيل » بإيجاز.

الباب الأول: منهج ابن جزي في الترجيح.

وفيه فصلان:

الفصل الأول: صيغ الترجيح وأساليبه عند ابن جزي.

الفصل الثاني:وجوه الترجيح عند ابن جزي.

الباب الثاني: عرض لترجيحات ابن جزي في تفسيره ودراستها من أول سورة الغاشية إلى نهاية سورة الناس.

وخلصت الرسالة إلى ما يلي:

١-أجاد ابن جزي التأصيل لموضوع: الترجيح بين أقوال المفسرين، وبرع في عرض مسائله، من خلال تفسيره من سورة الغاشية إلى سورة الناس، حيث حرر صيغه، وأساليبه، والوجوه التي يرجح بها.

٢-أن جلّ ترجيحاته جاءت موافقة لترجيحات أكثر من سبقه من المفسرين، ووافقه فيها الكثير من المفسرين الذين أتوا بعده.

٣-كان الصواب حليف ابن جزي في أكثر ترجيحاته، ولم يجانبه إلا في النزر اليسير منها.

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... الصورة النهائية) ٠٤
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tafasi

Abstract

Preponderances of Ibn Juzai' Al-Kalbi in commentary on the light of his book titled (Al-Tasheel li'olom Al-Tanzeel) "Facilitating the comprehension of Qur'anic scienice "

This study discussed preponderances of Ibn Juzai' Al-Kalbi in commentary on the light of his book titled (Al-Tasheel li'olom Al-Tanzeel) and compared them with a number of opinions of early and late commentators. The study tackled the evidences for views held by those commentators. After that, I elucidated the outweighing opinion on the generally accepted aspect and rules of preponderance of this art.

In fact, the study comprised a problem and two chapters. The preamble provides a brief introduction of Ibn Juzai' Al-Kalbi in commentary on the light of his book titled (Al-Tasheel li'olom Al-Tanzeel).

Chapter one: This chapter, which covers the method of Ibn Juzai' in preponderance, comprises two sections.

Section one: It is titled formulas and styles of preponderance as adopted by Ibn Juzai'

Section two: It is named the aspects of preponderance as viewed by Ibn Juzai'.

Chapter two: This includes detailing as well as perusal of Ibn Juzai's preponderances in commentary, from the beginning of Surah Al-ghashiah to the end of surah Al-naas,

The following are three results:

١- Ibn Juzai' did well in investigating the origin an source of outweighing the opinions of commentators and excelled in presenting its problems via his explanation of for both from surah Al-ghashiah to Surah Al-naas. In he liberated its formulas, styles and aspects with which outweighing are achieved.

٢- The overwhelming researcher's preponderance agreed with the greater part of those of most of the commentators who came after hen.

٣- Ibn Juzai' was always correct in most of his preponderance; and that he made only few mistakes.

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... السورة النهائية) ٠٠٤
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tafasi

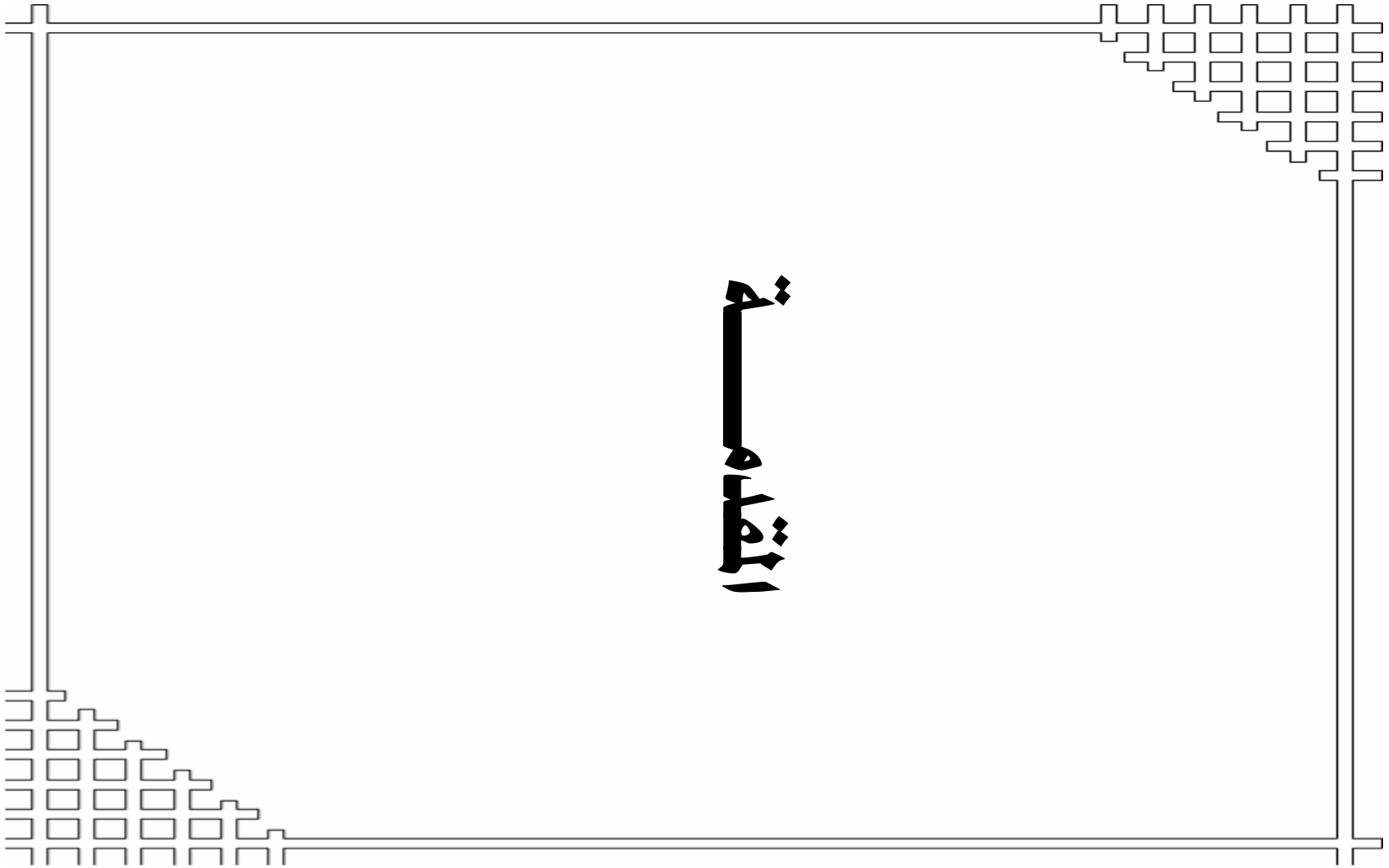
تم بحمد الله

المقدمـــة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعـــد : -

فإن من نعم الله تعالى على عباده أن يسلك بهم سبيل العلم والتعلم، والفقه والتفقه.

وإن أشرف العلوم وأفضلها: أوثقها صلة بكتاب الله ﷻ.

ومن هذه العلوم: علم التفسير، الذي انبرى لدراسته رجال بذلوا في تحصيله الغالي والنفيس، وضحوا بالأوقات والأموال، والأهل والأولاد، في سبيل خدمة هذا الكتاب العظيم؛ إسهاماً منهم في تحقيق الموعود الإلهي الكريم في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحجر:٩]

ومن أولئكم النفر: محمد بن أحمد بن جُزَيّ الكلبي، الذي خط بيراعه - في كتابه الموسوم بـ « التسهيل لعلوم التنزيل » - فوائد جلية، ودبَّج بقلمه درراً ثمينة، وحقّق مسائل خلاف عويصة، محسناً في ذلك كله الصنعة التفسيرية، متقناً للطريقة التي سار عليها في تأليفه. يقول رحمه الله: « وصنفت هذا الكتاب في تفسير القرآن

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المصورة النهائية) ٠٤
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tafasi

العظيم وسائر ما يتعلق به من العلوم، وسلكت مسلكاً نافعاً، إذ جعلته وجيزاً جامعاً، قصدت به أربعة مقاصد، تتضمن أربع فوائد ... ».[1]

ومن أهم هذه الفوائد التي قصدها: تحقيق أقوال المفسرين، وتمييز الراجح من المرجوح.

وأحسب أن هذا الفن - أعني فن التعارض والترجيح - بحر خِضَمّ، يضطر إلى معرفته جميع العلماء، وإنما يكمل به من كان إماماً جامعاً لفنون العلوم المختلفة، غائصاً على المعاني الدقيقة، ولا ريب أن محمد بن جزي الكلبي كان كذلك.

ولمّا كان من متطلبات الدراسة في مرحلة الماجستير إعداد أطروحة علمية في مجال التخصص، آثرت - بعد الاستخارة والاستشارة - أن يكون عنوان البحث :

ترجيحات ابن جُزَيّ الكلبي في التفسير

من خلال كتابه التسهيل لعلوم التنزيل

عرضاً ومناقشة

من أول الغاشية إلى نهاية سورة الناس

۞ أسباب اختيار الموضوع:

١-مكانة ابن جُزَيّ وشهرته العلمية.

٢-إتقانه للعلوم المختلفة، فقد أثنى عليه غير واحد من العلماء، يقول لسان الدين ابن الخطيب عنه : « ... مشاركاً في فنون من العربية والفقه والأصول والقراءات والحديث والأدب، حفظة للتفسير، مستوعباً للأقوال ... ».[2]

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ٦).

(٢) الإحاطة (٣/ ٢٠).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... الصورة النهائية) ٠٤ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tafasi

٣-القيمة العلمية لكتاب « التسهيل لعلوم التنزيل »، ويظهر ذلك للعيان من خلال:

أ-المقدمتين اللتين كتبهما ابن جزي قبل شروعه في تفسير القرآن.

ب-منهجه في تصنيف كتابه.

٤-تأخر زمن ابن جزي عن سابقيه من أئمة التفسير، الأمر الذي مكنه من الاطلاع على أكثر أقوال المفسرين وسبرها.

٥-عناية ابن جزي بتحقيق أقوال المفسرين والترجيح بينها، حيث عدَّ هذا الأمر مقصداً من مقاصد تأليف كتابه.

٦-تأصيل ابن جزي لموضوع الترجيح بين أقوال المفسرين بجلاء ودقة في تفسيره.[١]

٧-تنمية الملكة العلمية للباحث، وذلك من خلال سبر أقوال أهل العلم ومناقشتها، والوقوف على كثير من المصادر والمراجع في الفنون المختلفة، كالتفسير، والحديث، والأصول، واللغة، إلى غير ذلك من العلوم.

۞ مجال الدراسة وحدودها:

أ-مجال الدراسة:

عرض ترجيحات ابن جزي في التفسير، ومناقشتها، ومقارنتها بأقوال ثلة من المفسرين المتقدمين والمتأخرين، مع بيان القول الراجح في المسألة وفق القواعد المعتمدة في الترجيح.

---

(١) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ٦).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... الصورة النهائية) ٤٠٠
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tafasi

ب-حدود الدراسة:

ترجيحات ابن جزي في التفسير، الواردة في كتابه « التسهيل لعلوم التنزيل »، من أول سورة الغاشية إلى نهاية سورة الناس.

۞ الدراسات السابقة:

بعد البحث والسؤال، والرجوع إلى قواعد البيانات المختلفة، وقفت على رسالة علمية بعنوان: قواعد الترجيح عند ابن جزي في تفسيره[1]، تحدث فيها كاتبها عن منهج ابن جزي في الترجيح بين أقوال المفسرين، والقواعد التي أعملها في ذلك.

وقد أفدت من هذه الرسالة عند دراستي لمنهج ابن جزي في الترجيح، كما أفدت - في جمع المادة العلمية، وطريقة العرض والمناقشة - من بعض الرسائل التي عنيت بدراسة ترجيحات المفسرين.[2] ومما استفدت منه الرسائل العلمية الجامعية المقدمة في جامعة أم القرى والتي قامت- مشكورة- ممثلة بقسم الكتاب والسنة بكلية الدعوة وأصول الدين بفتح المجال أمام طلاب العلم للبحث والدراسة لترجيحات الإمام ابن جزي في تفسيره لجميع سور القرآن الكريم ابتداءا من سورة الفاتحة إلى نهاية سورة الناس ، وقد تم توزيعها على مجموعة من الطلاب ومماوقفت عليه كان على النحو التالي :

- الفاتحة والبقرة . دكتوراة- للطالب محمد علي الغامدي - إشراف الدكتور

---

(١) بحث تكميلي مقدم لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الماجستير في التفسير والحديث، في كلية التربية، جامعة الملك سعود، إعداد الطالب: عبدالله بن حمد الجمعان.

(٢) من هذه الرسائل: ترجيحات الحافظ ابن كثير ~ لمعاني الآيات في تفسيره، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في كلية القرآن الكريم، الجامعة الإسلامية، إعداد: آدم عثمان علي، وترجيحات الإمام ابن جرير في التفسير، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، إعداد: حسين بن علي الحربي.

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٤:
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tatawi

محمد ولد سيدي ولد حبيب - سنة ١٤٢٩هـ .

- آل عمران إلى المائدة . دكتوراة - للطالب عبدالعزيز اليحيى – إشراف الدكتور وصي الله عباس - سنة ١٤٢٥هـ .
- الأنعام إلى يوسف . دكتوراة - للطالب إبراهيم الغامدي – إشراف الدكتور أمين باشا - سنة ١٤٣٠هـ .
- الرعد إلى القصص . دكتوراة - للطالبة هناء أبوداود – إشراف الدكتور عبدالعزيز عزت الوايلي - سنة ١٤٣٠هـ
- العنكبوت إلى غافر . دكتوراة - للطالب عبدالحي المحمدي – إشراف الدكتور عبدالله الغامدي - سنة١٤٢٩هـ .
- الحشر إلى الحاقة . ماجستير - للطالبة وجنات محمد حسين – إشراف الدكتور عبدالله الغامدي – مسجلة ولم تناقش .
- المعارج إلى الإنسان . ماجستير - للطالبة وجنات دخيل الجدعاني – إشراف الدكتور عبدالله الغامدي - مسجلة ولم تناقش .
- المرسلات إلى الأعلى . ماجستير - للطالبه إيمان زكي عطيه – إشراف الدكتور عبدالرحيم الغامدي - مسجلة ولم تناقش .

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٠٤
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tatlani

۞ خطة البحث:

يتألف البحث من مقدمة، وتمهيد، وبابين، وخاتمة، وفهارس عامة.

أولاً: المقدمة.

وبينت فيها أسباب اختيار الموضوع، ومجال الدراسة وحدودها، والدراسات السابقة، وخطة البحث، ومنهج الكتابة فيه.

ثانياً: الأبواب والفصول والمباحث:

اقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى تمهيد، وبابين رئيسين:

التمهيد: في التعريف بابن جزي الكلبي وكتابه التسهيل لعلوم التنزيل بإيجاز.

وفيه أربعة فصول:

الفصل الأول: عصر ابن جزي. وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الحياة السياسية.

المبحث الثاني: الحياة الاجتماعية.

المبحث الثالث: الحياة العلمية.

الفصل الثاني: حياة ابن جزي الشخصية بإيجاز. وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: اسمه ونسبه ونسبته.

المبحث الثاني: مولده ونشأته.

المبحث الثالث: معتقده ومذهبه.

الفصل الثالث: حياة ابن جزي العلمية. وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: نشأته ومكانته العلمية.

المبحث الثاني: شيوخه وتلاميذه.

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... الصورة النهائية) ٠٤:٠٠ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tafasi

المبحث الثالث: مصنفاته وآثاره العلمية.

المبحث الرابع: وفاته.

الفصل الرابع: التعريف بكتاب «التسهيل لعلوم التنزيل» ومنهج ابن جزي فيه.

وفيه ثلاثة مباحث.

المبحث الأول: القيمة العلمية لكتاب « التسهيل لعلوم التنزيل ».

المبحث الثاني: نسخ الكتاب وطبعاته.

المبحث الثالث: منهج المصنف في كتابه.

الباب الأول: منهج ابن جزي في الترجيح في التفسير.

وفيه تمهيد وثلاثة مباحث:

التمهيد.

المبحث الأول: في معنى الترجيح وموجباته.

المبحث الثاني: صيغ الترجيح وأساليبه في تفسيره. وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: التنصيص على خطأ القول أو بطلانه.

المطلب الثاني: التنصيص على ضعف القول أو استبعاده.

المطلب الثالث: تفضيل القول على غيره بصيغة أفعل التفضيل.

المطلب الرابع: تقديم القول الراجح على المرجوح في الذكر.

المطلب الخامس: التنصيص على تصويب القول أو تصحيحه.

المبحث الثالث: وجوه الترجيح عند ابن جزي. وفيه اثنا عشر مطلباً:

المطلب الأول : الترجيح بالنظائر القرآنية.

المطلب الثاني: الترجيح بالسنة النبوية.

المطلب الثالث: الترجيح بأقوال الصحابة رضوان الله عليهم.

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٠:٤
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tatlani

المطلب الرابع: الترجيح بقول جمهور المفسرين.
المطلب الخامس: الترجيح بدلالة كلام العرب.
المطلب السادس: الترجيح بدلالة السياق.
المطلب السابع: الترجيح بدلالة الظاهر.
المطلب الثامن: الترجيح بتقديم الحقيقة على المجاز.
المطلب التاسع: الترجيح بتقديم العموم على الخصوص.
المطلب العاشر: الترجيح بتقديم الإطلاق على التقييد.
المطلب الحادي عشر: الترجيح بتقديم الإظهار على الإضمار.
المطلب الثاني عشر: الترجيح بحمل الكلام على ترتيبه.

الباب الثاني: عرض لترجيحات ابن جزي في تفسيره ومناقشتها من أول سورة الغاشية إلى نهاية سورة الناس.

ثالثاً: الخاتمة:

وذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث.

رابعاً: الفهارس العامة:

ذيلت البحث بفهارس علمية تحتوي على ما يلي:

١-فهرس الآيات القرآنية.	٢-فهرس القراءات القرآنية.
٣-فهرس الأحاديث.	٤-فهرس الآثار.
٥- فهرس تراجم الأعلام.	٦- فهرس الأماكن والبلدان.
٧- فهرس الفرق والديانات.	٨-فهرس الأشعار.
٩- فهرس المصادر والمراجع.	١٠-فهرس الموضوعات.

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... الصورة النهائية) ٤٠٠
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tatawi

۞ منهج البحث:

سرت في كتابة هذا البحث وفق المنهج الجمعي المقارن . وذلك من خلال العرض التالي :

١-تتبعت مواضع الخلاف في التفسير التي رجح فيها ابن جزي وفق الصيغ والأساليب التي نصّ عليها في مقدمة كتابه.

٢-صنفت تلك المواضيع إلى مسائل، ورتبتها وفق ترتيب وعرض ابن جزي لها في كتابه.

٣-صدّرت كل مسألة بكتابة الآية التي هي محل الدراسة، برواية حفص عن عاصم، ملتزماً الرسم العثماني في كل آية أكتبها في البحث، وإذا كان تحت الآية أكثر من مسألة لا أكرر الآية.

٤-وضعت عنواناً مختصراً للمسألة يبين موضوعها وفقهها.

٥-التزمت كتابة نص ابن جزي بعد ذكر عنوان المسألة؛ وذلك لأمرين:

أ-إبراز الصيغ التي استخدمها ابن جزي في الترجيح.

ب-إتاحة الفرصة للقارئ للاطلاع على كلام ابن جزي بنصه.

٦-عرضت كل مسألة على حدة، وناقشت أقوال المفسرين فيها، ورجحت بينها، وذلك تحت عنوان : العرض والمناقشة، وفق ما يلي:

أ-صدرت العرض والمناقشة بذكر رأي ابن جزي وترجيحه في المسألة، مع بيان ما استدل به من أدلة على ترجيحه إن وجدت.

ب-نسبت القول الذي رجحه ابن جزي إلى جملة ممن قال به من السلف، وثلة ممن ذهب إليه من المفسرين، مع عرض ما استدل به من أدلة للترجيح، غير ما ذكره

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... الصورة النهائية) ٠٤:٠٠ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tatlani

ابن جزي.

ج-ذكرت الأقوال الأخرى التي ذكرها ابن جزي - في الغالب - ونسبتها إلى قائليها من السلف، وجملة ممن نحا إليها من المفسرين، مع عرض ما استدل به من أدلة لها إن وجدت.

د-درست الأقوال والآراء والأدلة، دراسة مقارنة وموازنة، وسعيت للجمع بينها ما أمكن إذا كان الجمع سائغاً، وإلا عدلت إلى الترجيح.

هـ- ذكرت ما تعقبت به الأقوال المرجوحة وأدلتها - إن وجدت - وإلا تركتها مرسلة؛ لأن القول الراجح إذا ظهر صوابه بالأدلة القطعية صار الجواب عن غيره من باب النافلة.

و-خلصت - بناءً على ما تقدم - إلى بيان القول الراجح في المسألة، ووجه رجحانه، وفق قواعد الترجيح المعتمدة عند المفسرين.

ز-التزمت الترتيب الزمني للوفيات عند نسبة الأقوال إلى قائليها من السلف والمفسرين.

٧-حاولت خدمة نص البحث كاملاً ما أمكن، وتوثيق ما يلزم توثيقه من مصادره الأصلية، وذلك كما يلي:

أ-عزوت الآيات القرآنية إلى سورها، ذاكراً اسم السورة ورقم الآية عقب الآية مباشرة بين معقوفتين هكذا [ ].

ب-عزوت القراءات القرآنية إلى من قرأ بها.

ج-خرَّجت الأحاديث والآثار تخريجاً علمياً، وفق ما يلي:

-خرّجت الأحاديث والآثار من كتب التخريج المسندة، وفي حال لم أقف على تخريجها مسندة - وهو قليل - اكتفيت بذكر من أوردها معلقة.

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... الصورة النهائية) ٤٠٠
١٤٣٠/٨/٩
Ali Tatlani

-ما كان منها في الصحيحين أو أحدهما عزوته إلى من أخرجه من أصحاب الصحاح والسنن والمسانيد والمعاجم ونحوها، ولم أستوعب.

-نقلت أقوال الأئمة وأهل العلم في الحكم على الأحاديث أو الآثار -إن وُجدت- وإلا حكمت عليها وفق القواعد المتبعة في دراسة الأسانيد والحكم على الأحاديث.

د-نسبت الأبيات الشعرية إلى قائليها، وعزوتها إلى مصادرها المعتمدة.

هـ-عرفت بالأماكن والبلدان، والفرق والأديان، مستعيناً - في ذلك كله - بالمصادر والمراجع المعتبرة.

و-ترجمت للأعلام الوارد ذكرهم في الرسالة - عدا المشهورين منهم كالأنبياء والرسل عليهم السلام - بترجمة موجزة مختصرة، وألحقت تراجمهم بآخر البحث، ضمن فهرس صنعته بعنوان: فهرس تراجم الأعلام، وضممته لفهارس البحث.

ز-وثقت النصوص المنقولة من مصادرها الأصيلة، وما اقتبسته منها ميزته عن غيره بوضعه بين قوسين صغيرين مرتفعين، هكذا : « »، وإن حذفت شيئاً من النص المنقول أو المقتبس، وضعت مكانه نقاطاً هكذا ...

٨-اختزلت أسماء المراجع والمصادر عند الإحالة إليها، من غير التزام مني بذكر أسماء مؤلفيها، معتمداً على طبعة واحدة لكل مصدر ومرجع، إلا ما دعت الضرورة لتعداد طبعاته منها، منبهاً على اختلاف الطبعة في موضعه، والمعوّل عليه في معرفة معلومات المرجع والمصدر كاملة: الفهرس المختص بها.

٩-التزمت في ترتيب الفهارس العلمية حروف المعجم، عدا:

أ- فهرس الآيات القرآنية فعلى حسب ترتيب سور القرآن الكريم.

ب-فهرس الشواهد الشعرية فعلى القافية.

ج-فهرس الموضوعات فعلى حسب ترتيبها في البحث.

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... الصورة النهائية) ٠٠:٠٤ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tafasi

١٠-اعتنيت بعلامات الترقيم والقواعد الإملائية والنحوية.

وبعـــد، فلا يسعني -بعد الانتهاء من تسطير هذا البحث- إلا شكر المولى ﷻ، والثناء عليه، على تيسيره وإنعامه وامتنانه.

ثم الشكر لوالدي الكريمين، على حسن رعايتهما، وعنايتهما، وتعهدهما لي منذ الصغر، أجزل الله لهما المثوبة، وأسبغ عليهما لباس الصحة والعافية. اللهم فارحمهما كما ربياني صغيرا ، وعافهما واعف عنهما ، وأنزل على قبر أمي شآبيب الرحمات واجزها عني خير ماجزيت أما عن ولدها ، وأطل في عمر والدي مع صالح عمل وحسن خاتمة ، ياأرحم الراحمين .

كما أشكر صاحب الفضيلة - المشرف على الرسالة - الأستاذ الدكتور: عبدالرحمن بن جميل قصاص، الذي لم يألُ جهداً - حفظه الله - في سبيل النصح والإرشاد والتنقيح، والتصويب، والتعديل، والتصحيح، وقد كان لملاحظاته، القيّمة، وتوجيهاته النيّرة، كبير الأثر في إخراج البحث على هذه الصورة، فالله المسئول أن يجزيه خير الجزاء.

كما أتقدم بالشكر الجزيل لأصحاب الفضيلة أعضاء لجنة المناقشة الأستاذ الدكتور سليمان البيرة، والأستاذ الدكتور وصي الله عباس ، الأستاذين بقسم الكتاب والسنة بكلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى بمكة المكرمة على تجشمهما الصعاب في قراءة هذا البحث، ومناقشته، وتصويبه، سائلاً المولى ﷻ أن يجزيهما خير الجزاء، وأن يبارك في علمهما وعملهما.

كما أشكر زوجتي أم زياد التي صبرت وصابرت ، وعانت وأعانت ، وتحملت معي قسطا كبيرا من تعب البحث ومشقته ، فجزاها الله عني خير الجزاء ، ووفقها الله لما يحبه ويرضاه .

ولا يفوتني أن أشكر هذه الجامعة الغراء، جامعة أم القرى، التي نهلت من معينها مذ كنت طالباً بها في المرحلة المنهجية، وأخصّ بالشكر: صاحبي الفضيلة :

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... الصورة النهائية) ٤٠٠
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tafasi

عميدي كلية الدعوة وأصول الدين - السابق واللاحق - ووكلاء الكلية الموقرين، ومشايخها الفضلاء، وسائر مسئوليها.

ولا أنسى - أيضاً - أن أعرّج بالشكر والثناء لكل الإخوة الكرماء، والزملاء الفضلاء، الذين أفادوا، ووجّهوا، ونقدوا، فجزاهم الله جميعاً خير الجزاء.

ختامـــاً، هذا ما يسر الله وأعان عليه، فما كان فيه من صواب فمنه ﷻ، وما كان فيه من خطأ فمن نفسي، ومن الشيطان، وأستغفر الله وأتوب إليه.

** وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم **

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٠:٠٤ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tafani

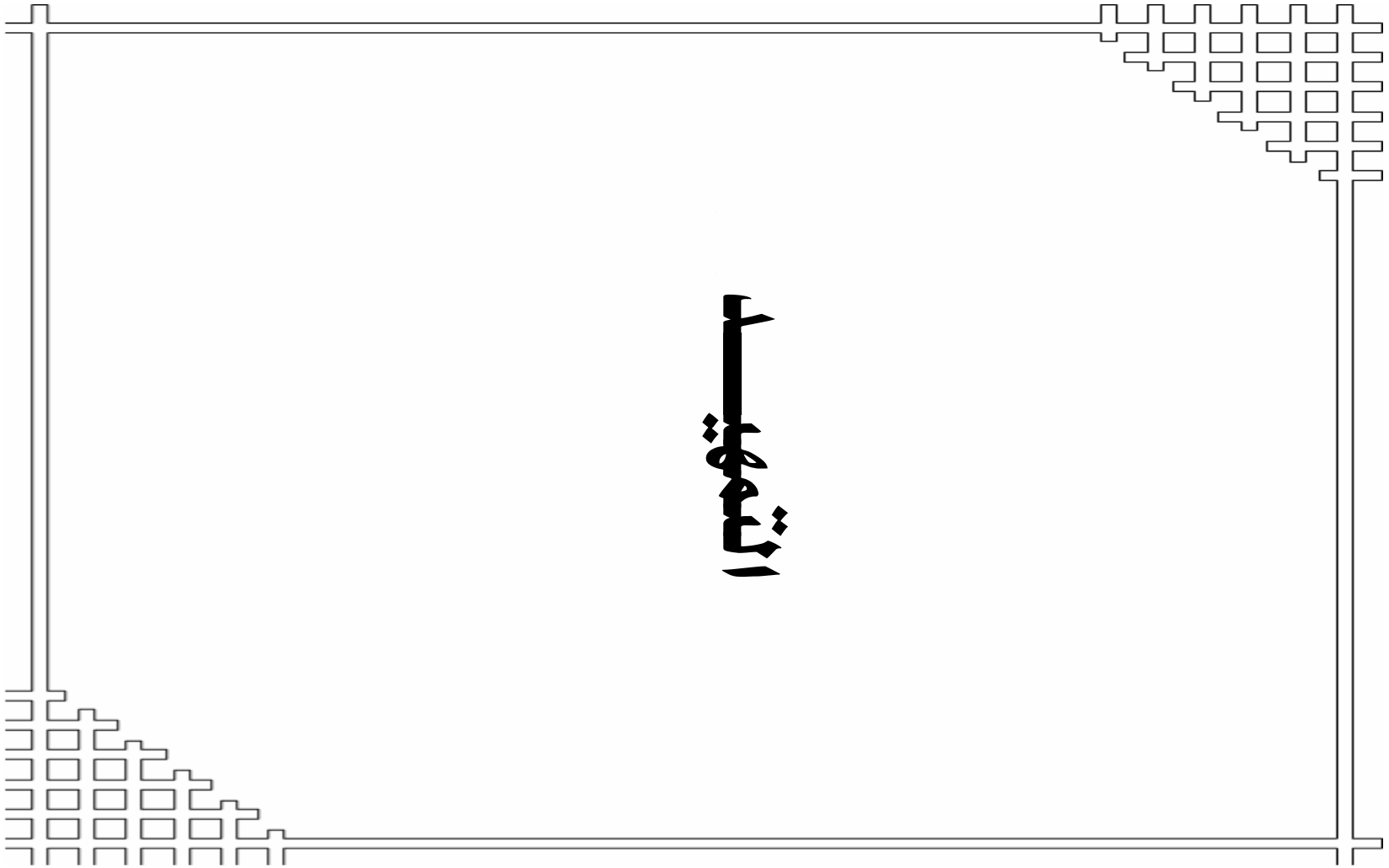
تعهد

التمهيـــد

التعريف بابن جزي بإيجاز

وفيه ثلاثة فصول: -

- الفصل الأول: عصر ابن جزي بإيجاز.
- الفصل الثاني: حياة ابن جزي الشخصية بإيجاز.
- الفصل الثالث: حياة ابن جزي العلمية بإيجاز.

* * * * * *

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المصورة النهائية) ٠٠٤
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tatlani

الفصل الأول

عصر ابن جزي بإيجاز

وفيه ثلاثـة مباحــث: -

- المبحث الأول: الحياة السياسية.
- المبحث الثاني: الحياةالاجتماعية.
- المبحث الثالث: الحياةالعلمية.

* * * * * *

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... الصورة النهائية) ٠٠:٤ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tafani

المبحث الأول: الحياة السياسية

كان مولد ابن جزي سنة ٦٩٣ هـ يوافق عهد ثاني ملوك بنى الأحمر بغرناطة وهو محمد بن محمد بن يوسف بن الأحمر، الملقب بالفقيه[١] لاشتغاله بالفقه زمن صباه، وقد عاش مفسرنا ~ ثماني وأربعين سنة حتى استشهاده في عهد سابع ملوك بنى الأحمر بغرناطة، أبو الحجاج يوسف بن إسماعيل الأحمر، وقد عاصر بذلك ستة من ملوك غرناطة، اتسمت فترتهم بأنها كانت أيام جهاد وفتوح واستشهاد، لاسيما في عهد محمد الثاني وابنه محمد الثالث من بني نصر [٢].

ولكن شهدت الفترة من عام ٧٠٩ هـ إلى عام ٧١٣ هـ عداء بين مملكتى غرناطة بالأندلس، وبنى مرين بالمغرب الأقصى، لم تنتهِ إلا بتولي العرش الغرناطى السلطان أبي الوليد إسماعيل بن فرج بن الأحمر، الذي أحيا عهد الجهاد، واستنجد ببنى مرين على النصارى أعداء الدين، واستطاع هذا الملك أن يقصم ظهر الجيوش النصرانية بقيادة خمسة وعشرين ملكا وأميرا كبيرا، وبجيوش ضمت الأسبان والفرنسيين والإنجليز، فهزموا شر هزيمة سنة ٧١٩هـ، فكان السلطان أبو الوليد إسماعيل من أعظم ملوك غرناطة [٣].

وأما آخر الملوك الغرناطيين الذين أدركهم ابن جزي ~ فهو أبو الحجاج يوسف بن إسماعيل (٧٣٢هـ - ٧٥٥هـ) الذي دخلت غرناطة في عهده عصرا ذهبيا،

---

(١) انظر أخبار هذا السلطان في كتاب " العبر وديوان المبتدأ والخبر وتاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر " لعبد الرحمن بن خلدون (ت ٨٠٨هـ)، تحقيق خليل شحاذة وسهيل زكار - دار الفكر - بيروت - لبنان - ط٣ - ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، (٧/ ١٩١).

(٢) انظر حول سيرة هذين الملكين وأحداث أيامهما " الإحاطة في أخبار غرناطة " لذي الوزارتين لسان الدين بن الخطيب - تحقيق محمد عبدالله عنان - مكتبة الخانجي للطبع والنشر - القاهرة - مصر - ط١، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م، (١/ ٥٤٤-٥٦٦).

(٣) انظر حول أخباره كتاب " العبر " لابن خلدون (٤/ ١٧٣)، والإحاطة لابن الخطيب (١/ ٣٧٧).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المصورة النهائية) ٠٠٤
١٤٣٠/٨/٩
Ali Tatawi

حيث أنشئت المدارس والمصانع، وبنيت الحصون، وجدد البعض الآخر[1]، ووقعت في عهده المعركة المعروفة بـ(وقعة طريف) سنة ٧٤١هـ، وفيها فقد ابن جزي شهيدا في سبيل الله تبارك وتعالى.

(١) مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر، أحمد محمد الطوخي، تقديم أحمد مختار العبادي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، ١٩٩٧م، ص ٣٨.

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٠٤
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tafasi

المبحث الثاني: الحياة الاجتماعية:

منذ أن نشأت مملكة غرناطة سنة ٦٣٥ هـ على يد ابن الأحمر في أقصى جنوب جزيرة الأندلس، وهي تنعم بحالة من الرخاء الاقتصادي، بسبب فشو تجارتها وقوة صناعتها وجودة زراعتها، حتى عمت المجتمع الغرناطي حالة من الترف لم يخفف من حدته سوى صيحات الجهاد وأنات الاستشهاد التي كانت تعلو بين الفينة والأخرى نتيجة للعدوان النصراني المتواصل على ما بقي من أراض في حوزة المسلمين.

ويلاحظ أن الوضع الجغرافي لهذه المملكة الصغيرة بين دول نصرانية كبيرة كقشتالة وأراجون في الشمال والبرتغال في الغرب قد جعلها في حالة توجس واستعداد لأي خطر يتهددها من جيرانها المحيطين بها [١].

ولقد كان المجتمع الغرناطي مكونا من العرب والبربر المدجنين - وهم المسلمون الذين سكنوا لفترة طويلة في مملكتي قشتالة وأراغون - وهناك بعض الأفارقة السود الذين رافقوا الجيش الإسلامي مع حركات الفتح والعبور المتواصلة من العدوة المغربية إلى العدوة الأندلسية [٢].

وكان عدد سكان غرناطة في ازدياد كبير بسبب سيل المهاجرين إليها من مسلمي بلنسية ومرسية وجيان وإشبيلية وقرطبة وغيرها من قواعد الأندلس المحتلة [٣].

وكانت التأثيرات المغربية وحتى النصرانية واضحة في المجتمع الغرناطي، كما أن بعض أهل غرناطة كانوا يتشبهون بالمشارقة في ذلك العهد، ومنهم من كان يتشبه

---

(١) صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس، أحمد مختار العبادي، طبع نشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، ط١، ٢٠٠٠م، ص ١٤١.

(٢) مظاهر الحضارة في الأندلس، أحمد محمد الطوخي، ص(٧٠) بتصرف.

(٣) المرجع السابق.

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... الصورة النهائية) ٠٠٤
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tatawi

بالروم، لكن مع شدة الإنكار عليه [1].

ولقد كان مسلمو غرناطة على صلة وثيقة بأحكام الشرع، يحرصون على تطبيقها، يحدوهم حماس بالغ في نصرة الإسلام وظهوره على أعدائه، إذ بعثت الحروب المتوالية في مع نصارى الأندلس في نفوسهم الحمية جيلا بعد جيل، وأدركوا أن بقاءهم في تلك البلاد رهن ببقاء الإسلام والتزام أحكامه [2].

(١) انظر الإحاطة لابن الخطيب (٢/ ١٤٠).

(٢) مظاهر الحضارة في الأندلس، أحمد محمد الطوخي، ص(٩٩).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٠٤
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tatlani

المبحث الثالث: الحياة العلمية

لقد كانت الأندلس منذ افتتاحها وإلى خروج المسلمين منها اضطرارا بعد ثمانية قرون مركزا للعلم والحضارة باعتراف العدو قبل الصديق، ولقد كان العالم عند أهل غرناطة معظما من الخاصة والعامة، يشار إليه، ويحال عليه، وينبه على قدره وذكره بين الناس ويكرم في جوار أو ابتياع حاجة [(١)]، ولقد كان طلبة العلم يتلقون العلوم في المساجد في حلقات أو في منازل المشايخ نظير دفع أجر مقابل ذلك [(٢)].

وقد جعل أهل غرناطة القرآن الكريم أساسا في التعلم، وأخذوا يدرسون بجانبه الشعر والترسل، وقوانين العربية وتجويد الخط، وصار حسن الخط من المميزات التي يجب أن تتوافر في طلاب العلم والعلماء [(٣)].

ولقد تبارى الغرناطيون في عهد بني نصر في امتلاك المكتبات الخاصة [(٤)]، وكانت الرحلة إلى المشرق هي غاية الأمل لكل طالب علم في غرناطة، مما جعل التفوق بين الغرناطيين على المغاربة بسبب رحلة علمائهم إلى تلقيه من أربابه في المشرق [(٥)].

وإلى جانب الرحلة في طلب العلم ازدهرت مسألة تبادل الكتب والمؤلفات بين المشارقة والمغاربة وعلماء غرناطة، بل وحتى تبادل الأسئلة الشرعية وأجوبتها، كما

---

(١) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب، لشهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني (ت١٠٤١هـ)، تحقيق إحسان عباس، بيروت، لبنان، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م، (١/ ٢٠٥).

(٢) نفس المصدر والصفحة.

(٣) مظاهر الحضارة في الأندلس، أحمد محمد الطوخي، ص ٣١٩.

(٤) انظر الإحاطة لابن الخطيب (٢/ ٢٧٩).

(٥) انظر كتاب " العبر " لابن خلدون (١/ ٥٤١)، ومظاهر الحضارة في الأندلس، لأحمد محمد الطوخي، ص ٣٢٣.

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... الصورة النهائية) ٠٠:٠٤ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tatlani

يتضح ذلك على سبيل المثال في مراسل الشيخ محمد المواق الغرناطي (المتوفى سنة ٨٩٧هـ) للشيخ محمد الرصاع التلمساني ثم التونسي (المتوفى سنة ٨٩٤هـ) يسأله عن جملة من الأمور الفقهية [١].

(١) انظر كتاب " الأجوبة التونسية على الأسئلة الغرناطية " لمحمد المواق ومحمد الرصاع، تحقيق محمد حسن، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، (د.ط)، ٢٠٠٧م، ص ٥٨، وما بعدها.

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٠:٠٤ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tatlani

الفصل الثاني

حياة ابن جزي الشخصية بإيجاز

وفيه ثلاثـة مباحـث: -

- المبحث الأول: اسمه ونسبه ونسبته.
- المبحث الثاني: مولده ونشأته.
- المبحث الثالث: معتقده ومذهبه.

* * * * * *

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٠:٤ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tatlani

المبحث الأول: اسمه ونسبه ونسبته

أ- اسمه:

هو محمد بن أحمد بن محمد بن جزي الكلبي المالكي، أبو القاسم الغرناطي [١]، كان يعرف بـ "محمد بن جزي" [٢] وأما بيت ابن جزي فقد كان بيتا كبيرا مشهورا بالمغرب والأندلس [٣].

ب- نسبته:

وقد كان ابن جزي يعرف بـ " محمد الكلبي " نسبة إلى قبيلته العربية اليمانية " بني كلاب " حيث استوطن الكلبيون غرناطة وأثروا في المجتمع الغرناطي منذ أن بدأت غرناطة تزاحم باقي المدن الأندلسية [٤].

ويرجع أصل نسب ابن جزي إلى (وَلْـمَة)[٥] إحدى الحصون الواقعة في منطقة البشرات الجبلية، حيث نزل بها أولهم عند الفتح، وكانت لجدهم دجيان

---

(١) " طبقات المفسرين " لشمس الدين محمد بن علي الداوودي (ت ٩٤٥هـ)، تحقيق: لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د. ط)، (د. ت)، (٢/ ٨٥).

(٢) قال مرتضى الزبيدي في تاج العروس، طبعة دار الفكر، بيروت، ١٤١٤هـ، (١٩/ ٢٨٥): جِزي بالكسر كسمي وعلي، أسماء، فمن الأول: خزيمة بن جِزي، (صحابي)، ومن الثاني: ابن جُزي البلنسي الذي اختصر رحلة ابن بطوطة.

(٣) نفح الطيب للمقري (١٠/ ١٤٢).

(٤) " ابن جزي ومنهجه في التفسير " (دراسة مسهبة عن الإمام المفسر الأندلسي الشهيد ابن جزي، وتوضيح مفصل لمنهجه في تفسيره " التسهيل لعلوم التنزيل ")، علي محمد الزبيري، دار القلم، دمشق، سوريا، ط١، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، (١/ ١٤٨).

(٥) انظر تعريفها في " معجم البلدان "، لياقوت بن عبدالله الحموي (ت ٦٢٦هـ)، تحقيق: زيد عبدالعزيز الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د. ط)، (د. ت)، (٥/ ٤٤١).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... الصورة النهائية) ٠٤ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tatawi

رئاسة وانفراد وتدبير[1].

ج- كنيته:

كان يكنى بـ(أبي القاسم) ويشاركه فيه جده محمد بن عبدالله بن يحيى.

د- شهرته:

اشتهر بـ(ابن جزي) بالتصغير، وهي تسمية معروفه عند العرب.

(١) الإحاطة لابن الخطيب (٣/ ٢٠).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... الصورة النهائية) ٠٠٤
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tatlawi

المبحث الثاني: مولده ونشأته وفضله

ولد ابن جزي في ربيع الثاني من سنة ٦٩٣ هـ / ١٢٩٤م بغرناطة، حاضرة مملكة الأندلس [١]، وكانت هذه الفترة تعد من أزهى عصور مملكة غرناطة، حيث أحيا فيها الجهاد، ونصبت سوق الاستشهاد في عهد السلطان أبي الوليد إسماعيل، ثم ابنه أبي عبد الله محمد، ثم أخيه أبي الحجاج يوسف.

نشأ ابن جزي وتربى في حجر والده، ورضع من معينه أول رضعات العلم والسماع [٢] فقد كان بيته بيت حسب نبيل، وفقه وعلم مشهود في الأندلس الأمر الذي كان له أثره الواضح في تكوين شخصيته العلمية.

يقول ابن حجر العسقلاني في ترجمة والده: كان من أهل الأصالة والذكاء، وإليه النظر في أمر الغنائم ببلده، وكان محمودا وله طلب وسماع [٣]. فاجتهد ابن جزي في الأخذ من علماء بلده " غرناطة " التي كانت في تلك الفترة عامرة بالعلم والعلماء في شتى أنواع الفنون والمعارف، حتى برع في جميع العلوم، وألف في ذلك المؤلفات القيمة المختلفة، فأصبح من علماء الأندلس البارزين الذين يقصدهم الطلاب من كل مكان[٤].

(١) " نفح الطيب " للمقري، ومعجم المؤلفين لرضا كحالة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت)، (٨/ ٢٨٥)، وانظر حول حياته واستشهاده: الإحاطة لابن الخطيب (٣/ ٢٣).

(٢) " ابن جزي ومنهجه في التفسير " (دراسة مسهبة عن الإمام المفسر الأندلسي الشهيد ابن جزي، وتوضيح مفصل لمنهجه في تفسيره "التسهيل لعلوم التنزيل")، علي محمد الزبيري، (١/ ١٨٥).

(٣) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني (١/ ٣٢٦).

(٤) الإحاطة لابن الخطيب (٣/ ٢٣).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... الصورة النهائية) ٠٤٠٠
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tatlani

المبحث الثالث: معتقده ومذهبه

أ - معتقده:

إن سلامة المعتقد هي من أولى المهمات التي يسعى إليها كل مسلم، وهومطالب بها، كيف لا والله تعالى قد قضى وحكم أنه لايقبل عملا إلا به. فالتمسك بعقيدة التوحيد والدفاع عنها هي سبيل النجاة لكل إنسان .

وكان هذا النهج واضحا في منهج ابن جزي، فقد نهج منهج السلف الصالح في تقرير الأمور العقدية، والرد على من خالف عقيدة التوحيد من أهل الكتاب أو من الفرق المخالفة كالمرجئة والخوارج والمعتزلة وأهل الكلام والفلسفة.

-ومن أمثلة رده على اليهود والنصارى ومشركي العرب عند تفسيرقوله تعالى في سورة الصمد: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣﴾[الإخلاص:٣] قال ابن جزي: هذا رد على كل من جعل لله ولدا، فمنهم النصارى في قولهم: (عيسى ابن الله) واليهود في قولهم: ﴿عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾ والعرب في قولهم: (الملائكة بنات الله)... [1].

-ومن أمثلة رده على الفرق المخالفة عند تفسيرقوله تعالى في سورة الليل: ﴿لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ۝١٥﴾ [الليل:١٥] قال ابن جزي: استدل المرجئة بهذه الآية على أن النار لايدخلها إلا الكفار لقوله: ﴿الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى ۝١٦﴾ [الليل:١٦] وتأولها الناس بثلاثة أوجه:

أحدها: أن المعنى لايصلاها صلي خلود.

والآخر: أنه أراد نارا مخصوصة.

الثالث: أنه أراد بالأشقى كافرا معينا وهو أبوجهل وأمية بن خلف، وقابل به الأتقى وهوأبوبكرالصديق، فخرج الكلام مخرج المدح والذم على الخصوص لا مخرج

(١) التسهيل(٤/ ٤٣٦).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... العورة النهائية) ٠٤ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tatlani

الإخبار على العموم [١].

وعند تفسير قوله تعالى في سورة الزلزلة: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧﴾ [الزلزلة:٧] قال ابن جزي:...وهذه الآية هي في المؤمنين لأن الكافر لايجازى في الآخرة على حسناته إذ لم تقبل منه، واستدل أهل السنة بهذه الآية أنه لايخلد مؤمن في النار لأنه إذا خلد لم ير ثوابا على إيمانه وعلى ماعمل من الحسنات [٢]

وفي مقدمة كتابه (التسهيل) تكلم عن الزمخشري وذم مذهبه (مذهب المعتزلة) حيث قال: ومما بأيدينا من تأليف أهل المشرق تفسير أبي القاسم الزمخشري، ممدد النظر، بارع في الإعراب، متقن في علم البيان، إلا أنه ملأ كتابه من مذهب المعتزلة وشرهم، وحمل آيات القرآن على طريقتهم، فتكدر صفوه، وتمرر حلوه [٣].

ولأخذ فكرة واضحة عن عقيدة ابن جزي واتجاهه العقائدي نجد ذلك واضحا من خلال كتابه (التسهيل لعلوم التنزيل) وكتابه (قوانين الأحكام الشرعية)[٤].

ولقد نهج ابن جزي منهج السلف الصالح في تقرير الأمور العقدية، ويتضح ذلك في موقفه من المسائل الآتية:

١- الرؤية [٥].

٢- خلق الأفعال [٦].

٣- ثبوت الشفاعة [١].

---

(١) التسهيل(٤/ ٣٨٧).

(٢) التسهيل(٤/ ٤٠٨).

(٣) التسهيل(١/ ٢٩).

(٤) انظر: قوانين الأحكام الشرعية لابن جزي من ص١٧ إلى ص٣١.

(٥) انظر تفسير قوله تعالى في سورة القيامة: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢﴾، التسهيل(٤/ ٣٠٧).

(٦) انظر تفسير قوله تعالى في سورة الصافات: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ۝٩٦﴾، التسهيل(٣/ ٣٢٠).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٤٠
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tafasi

٤- خلق الجنة والنار[٢].

وأما مذهبه في الأسماء والصفات فهو بالجملة ينحو منحى أهل السنة والجماعة من إمرار الصفات كما وردت من غير تكييف، ولاتشبيه، ولاتأويل،ولا تعطيل، حيث قال في كتابه قوانين الأحكام الشرعية ما يدل على ذلك:

تنبيه: ورد في القرآن والحديث ألفاظ يوهم ظاهرها التشبيه كقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه:٥] و ﴿يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾ [المائدة:٦٤] وكحديث نزول الله كل ليلة إلى السماء وغير ذلك وهي كثيرة تفرق الناس فيها ثلاث فرق:

الفرقة الأولى: السلف الصالح من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين، آمنوا بها ولم يبحثوا عن معانيها، ولاتأولوها، بل أنكروا على من تكلم فيها ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَا﴾[آل عمران:٧] فهذه طريقة التسليم التي تعود إلى السلامة، وبها أخذ مالك والشافعي وأكثر المحدثين... [٣].

ومن أمثلة ذلك عند تفسير قوله تعالى في سورة الفجر: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ۝٢٢﴾ [الفجر:٢٢] قال ابن جزي: وهذه الآية وأمثالها من المشكلات التي يجب الإيمان بها من غيرتكييف ولا تمثيل [٤].

ومع ذلك كانت هناك بعض المآخذ على ابن جزي من تأويله لبعض الصفات والتي نسأل الله أن يتجاوزعنه مقابل ماقدم للأمة من علم وجهاد. ومن ذلك:عند قوله تعالى: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾ قال ابن جزي: عبارة عن إنعامه وجوده وإنما ثنيت

---

(١) انظرتفسيرقوله تعالى في سورة البقرة: ﴿أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞ﴾، التسهيل(١/ ٢١٤).

(٢) انظرتفسيرقوله تعالى﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾، التسهيل(١/ ١١١).

(٣) انظرقوانين الأحكام الشرعية(١٢).

(٤) التسهيل(٤/ ٣٧٦).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... الصورة النهائية) ٠٤ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tatlani

اليـدان هنـا وأفـردت في قـول اليهـود: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ ليكـون ردا علـيهم ومبالغـة في وصفه تعالى بالجود كقول العرب فلان يعطي بكلتا يديه، إذا كان عظيم السخاء [1].

وغير ذلك من الأمثلة التي سلك فيها ابن جزي مسلك التأويل وهي قليلة[2] لا تمثل رأيه ومنهجه الحقيقي الذي ذكره وسلكه في ثنايا مؤلفاته.

ب- مذهبه الفقهي:

يعتبر ابن جـزي مـن أعيـان الفقـه المـالكي، ومـن منظـري هـذا المـذهب، ويعتـبر مرجعا من مراجعه، حيث اعتنى بتقرير مذهب الإمام مالك والاستدلال لـه، ويـذكر الخلاف الموجود فيه، وكتابه (قوانين الإحكام الشرعية) خير شاهد عـلى ذلـك، حيـث إن مادته هي الفقه المقارن، وهو كتاب مشهور عند علماء المالكية، حيث قال في مقدمـة الكتاب: فهذا كتاب في الأحكام الشرعية، ووسائل الفروع الفقهيـة عـلى مـذهب إمـام المدينة أبي عبدالله مالك بن أنس الأصبحي[3]، إذ هو الذي اختاره أهل بلدنا بالأندلس وسائر بالمغرب [4].

وقال في موضع آخر: وإذا قلنا المذهب فنعني مذهب مالك [5].

---

(١) التسهيل(١/ ٣٩٣).

(٢) انظر مثلا عندتفسيره لآيـة ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾، التسهيل(٤/ ٩٧)، وآيـة ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، التسهيل (١/ ٨٣)، وآية ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾، التسهيل(٤/ ١٦١).

(٣) هو مالك بن أنس الأصبحي أبو عبيد الله، شيخ الإسلام، إمام دار الهجرة، صاحب المذهب المشهور (٩٣ - ١٧٩هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء: (٣/ ٣١٤٥)، وطبقات المفسرين للداودي: (٤٩٦)، وطبقات المفسرين للأدنه وي: (٢٣).

(٤) قوانين الأحكام الشرعية(٢).

(٥) المرجع السابق(٣).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٤٠
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tatlani

ومن أمثلة ذلك:

عنـد قولـه تعـالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ﴾ [البقرة:٢٣٥] إلى قوله: ﴿وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ﴾ قال ابن جزي:

وقال مالك: فيمن يخطب في العدة ثم يتزوج بعدها، فراقها أحب إلي ثم يكون خاطبا من الخطاب [١].

وعند مقارنة الأقوال بين المذاهب الفقهية الأخرى نجد أن ابن جزي يتطرق إلى مذهب الشافعي وأبي حنيفة وأحمد وغيرهم، ومن ذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ﴿١٩﴾﴾ [العلق:١٩] قال ابن جزي: وهذا موضع سجدة عند الشافعي وليست عند مالك من عزائم السجود[٢].

ومع هذا فلم يكن ابن جزي متعصبا لمذهب الإمام مالك، إذ قال بعد ذكره المذاهب الفقهية والأئمة المجتهدين: فإن كل واحد منهم مجتهد في دين الله، ومذاهبهم طرق موصلة إلى الله [٣].

ومما يدل على ذلك فعند تفسير قوله تعالى في سورة البينة: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة:٥] قال ابن جزي: استدل المالكية بهذا على وجوب النية في الوضوء وهو بعيد... [٤].

(١) التسهيل(١/ ٢٠٦).

(٢) المرجع السابق(٤/ ٤٠٠).

(٣) قوانين الأحكام الشرعية (٣).

(٤) التسهيل(٤/ ٤٠٥).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٠:٤
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tatlani

الفصل الثالث

حياة ابن جزي العلمية بإيجاز

وفيه أربعـة مباحــث: -

- المبحث الأول: نشأته ومكانته العلمية.
- المبحث الثاني: شيوخه وتلاميذه ورحلاته.
- المبحث الثالث: آثاره ومصنفاته ووفاته.
- المبحث الرابع: وفاته.

* * * * * *

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٤٠٠
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tatawi

المبحث الأول: نشأته ومكانته العلمية

نشأ ابن جزي نشأةً علمية، كان لها أثرها في مستقبل حياته العلمية والعملية. فلما اشتد عوده تفرغ ~ لتعليم كتاب الله وتجويده، والقراءات لطلبة العلم، كما كان الطلبة يسمعون منه الحديث خاصة أمهات الكتب المشهورة كالصحيحين والسنن والموطأ.(١)

وكان المفسر الجليل أبو القاسم ابن جزي عالماً فذاً، مشاركاً في فنون العربية والأصول والقراءات والحديث والأدب، مستوعباً لأقوال المفسرين، كما كان قائماً على التدريس والخطابة بالمسجد الأعظم بغرناطة على حداثة سنه.(٢)

ولقد كان ~ على طريقة مثلى في العكوف على العلم والاقتصاد والاشتغال بالنظر والتقييد والتدوين.(٣)

ولقد جمع ~ من الوظائف بين التدريس والتأليف والإمامة والخطابة بالمسجد الأعظم والإفتاء، وأما القضاء فقد اعتذر عن توليه تورعاً واحتياطاً، وكان في كل ذلك ذا شعر جيد، نظم في الزهد، والمديح النبوي، والفخر وغيرها.(٤)

ومن نماج شعره في مدح النبي ﷺ قوله:

أروم امتداح المصطفى ويردنـــي .:. قصوري عن إدراك لكل المنـــاقب

ومن لي بحصر البحر والبحر زاخر .:. ومن لي بإحصاء الحصى والكواكب(٥)

---

(١) ابن جزي ومنهجه في التفسير(١/ ١٩٦).

(٢) طبقات المفسرين(٢/ ٨٥)بتصرف.

(٣) الإحاطة(٣/ ٢١أ٢٠)بتصرف.

(٤) الإحاطة(٣/ ٢٣).

(٥) الإحاطة(٣/ ٢٣).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٤:٠٠ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tafasi

ولقد تميز أسلوب ابن جزي البياني بمسحة الأدب والوضوح، إذ كان المؤلف نابغة في اللغة والبلاغة والأدب، وتجلت في تفسيره قوة تعبير وجمال التصوير وروعة العرض للمعاني، مما يجعل القارئ لا يمل وإن طال وامتد به الوقت.(١)

(١) من مقدمة المحقق لكتاب "التسهيل" لابن جزي، محمد اليونيسي وإبراهيم عوض، نشر أم القرى للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، (د.ط)، (د.ت)، ص (ب).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٠٤
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tafasi

المبحث الثاني: شيوخه وتلاميذه

أ - شيوخه:

أخذ أبو القاسم بن جزي ~ العلم عن مشايخ كانوا رجالا مؤثرين في الحياة الأندلسية والمغربية، وكانوا علماء عاملين حتى الذين وسموا بالولاية والتصوف[1].

ولقد أخذ العربية والفقه والحديث والقراءات على الشيخ الأستاذ أبي جعفر بن الزبير (المتوفى سنة ٧٠٨هـ)[2]، ولازم الخطيب أبا عبد الله بن برطال والأستاذ أبا القاسم قاسم بن عبد الله النشاط (المتوفى سنة ٧٢٣هـ)[3]، ولازم كذلك الخطيب أبا عبد الله بن رشيد (المتوفى سنة ٧٢١هـ) [4].

وروى الحديث عن أبي الحسن بن مستقور وعن الشيخ الوزير أبي أحمد بن المؤذن، وقرأ القرآن على المقرئ أبي عبد الله بن الكماد (المتوفى سنة ٧١٢هـ) [5].

ب - تلاميذه:

لقد كانت جلالة المكانة العلمية لابن جزي وغزارة علمه سببا في اتساع عدد تلاميذه حيث تخرج عليه الكثير من العلماء والأدباء والقضاة والكتاب / ومن هؤلاء نذكر:

١-الأديب المؤرخ الكاتب أبو عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بلسان الدين

---

(١) ابن جزي ومنهجه في التفسير، علي الزبيري، (١/ ١٧١)، وانظر حول بعض هؤلاء الشيوخ: الإحاطة لابن الخطيب (٣/ ٢١)، وطبقات المفسرين للداوودي (٢/ ٨٥).

(٢) انظر في ترجمته: الإحاطة لابن الخطيب (١/ ١٨٨).

(٣) انظر في ترجمته: الإحاطة لابن الخطيب (٤/ ٢٥٩).

(٤) الإحاطة لابن الخطيب (٣/ ١٣٥).

(٥) الإحاطة لابن الخطيب (٣/ ٦٠).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... الصورة النهائية) ٤٠٠
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tatawi

بـن الخطيـب الغرنـاطي (المتـوفى سـنة ٧٧٦هـ) صـاحب كتـاب "الإحاطـة في أخبـار غرناطة"[١].

٢-القاضي الفقيه عبد الحق بن محمد بن عطية (المتوفى سنة ٧٧٠هـ)[٢].

٣-المقرئ أبو القاسم محمد بن محمد بن الخشاب (المتوفى سنة ٧٧٤هـ)[٣].

٤-القاضي الفقيه أبو الحسن علي بن عبدالله النباهي (المتوفى سنة ٧٩٢هـ)[٤].

٥-الفقيـه المقـرئ أبـو محمـد عبـد المهـيمن بـن محمـد الحـضرمي (المتـوفى سنة٧٤٩هـ)[٥].

٦-أبو عبد الله محمد بن القاسم الأنصاري، المعروف بـ " الشُّديِّد " (المتوفى سنة٧٧٦هـ)[٦].

(١) انظر: نفح الطيب(٥/ ٧٥)، والدررالكامنة(٥/ ٢١٣)، والأعلام(٦/ ٢٣٥).

(٢) انظر: الإحاطة(٣/ ٥٥٥) ،والكتيبة الثامنة (٢٦٩).

(٣) انظر: غاية النهاية في طبقات القراء(٢/ ٢٥٧)،والدررالكامنة(٥/ ٥١٤)،والأعلام(٧/ ٤٠).

(٤) انظر: أعلام المغرب والأندلس في القرن الثامن(١٧٠) ،ونيل الآبتهاج(٣٢٩).

(٥) انظر: نفح الطيب(٧/ ٣٨٤)،والإحاطة(٤/ ١١).

(٦) انظر: الأحاطة(٣/ ١٩٦)،وابن جزي ومنهجه في التفسيرللزبيري(١/ ٢١١).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... الصورة النهائية) ٤٠٠
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tafasi

المبحث الثالث: مؤلفاته وآثاره

ألف ابن جزي ~ الكثير في فنون شتى، منها ما هو مخطوط قد طبع، ومنها ما هو مفقود، ومن بين هذه الكتب نذكر:

١ - التسهيل لعلوم التنزيل:

وهو كتاب في التفسير، أشار إليه ابن الخطيب في «الإحاطة في أخبار غرناطة»[١]، والكتاني في «فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات»[٢]، وذكره إسماعيل باشا في « إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون »[٣]، والزركلي في « الأعلام »[٤]، وغيرهم[٥]، وسيأتي الحديث عنه مفصلاً في المبحث القادم[٦].

---

(١) انظر : الإحاطة في أخبار غرناطة (٣/ ٢٢) .

(٢) انظر : فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات للكتاني (١/ ٣٠٦) .

(٣) انظر : إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون (١/ ٢٨٨) .

(٤) انظر : الأعلام (٥/ ٣٢٥) .

(٥) الكتاب طبع مراراً ، فطبعته المكتبة التجارية الكبرى في مصر سنة (١٣٥٥) هـ ، ثم طبعته دار الكتاب العربي في بيروت بلبنان عام (١٣٩٣) هـ ، ثم دار الكتب الحديثة بتحقيق : محمد اليونسي ، وإبراهيم عوض ، ثم طبعته دار الكتب العلمية في بيروت بلبنان عام (١٤١٥) هـ ، بضبط وتصحيح : محمد سالم هاشم ، ثم طبعته دار الأرقم بن أبي الأرقم في بيروت بلبنان عام (١٤١٦) هـ باعتناء : د.عبدالله الخالدي ، ثم طبعته مؤخراً المكتبة العصرية في بيروت بلبنان عام (١٤٢٣) هـ ، بتحقيق : رضا فرج الهمامي ، وكلها طبعات سقيمة ، مليئة بالسقط والأخطاء والتصحيف .

(٦) انظر : ص (٣٧) من هذا البحث .

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... الصورة النهائية) ٠٤ ١٤٣٠/٨/٩ Ali Tafasi

٢ - المختصر البارع في قراءة نافع:

وهو كتاب في قراءة نافع كما هو واضح من العنوان ، ذكره ابن الخطيب في «الإحاطة في أخبار غرناطة»[١]، وابن فرحون في« الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب »[٢]، وغيرهما[٣].

٣ - أصول القراء الستة غير نافع:

وهو كتاب في القراءات ، ذكره ابن الخطيب في « الإحاطة في أخبار غرناطة »[٤]، وابن فرحون في «الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب»[٥]، والمقري في «نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب»[٦]، وغيرهم.

٤ - الأنوار السَّنِيِّة في الكلمات السُّنِيِّة:

وهو كتاب مختصر في الأحاديث النبوية ، ألفه لابنه محمد المكنى بأبي بكر ، رغبة منه في أن يفوز بحظ من حفظ حديث رسول الله ﷺ .

اشتمل الكتاب على موضوعات مختلفة في الإيمان، والإسلام، وأحاديث الأحكام، والحلال والحرام، والرقائق والآداب، مرتبه على الكتب العلمية في الأبواب الشرعية، وحذف فيه أسانيده، مقتصراً على الصحيح المعروف. والكتاب ذكره ابن

---

(١) انظر : الإحاطة في أخبار غرناطة (٣/ ٢٢) .

(٢) انظر : الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب (٢٩٥) .

(٣) الكتاب مخطوط ، وتوجد منه نسخة خطية في المكتبة الوطنية بتونس ، تحت رقم (١/ ١٨٤) ، انظر : الفهرس الشامل للتراث الإسلامي المخطوط (مخطوطات القراءات) (١٨٢) .

(٤) انظر : الإحاطة في أخبار غرناطة (٣/ ٢٢) .

(٥) انظر : الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب (٢٩٥) .

(٦) انظر : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب (٥/ ٥١٥) .

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... الصورة النهائية) ٠٤ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tatlani

الخطيب في « الإحاطة في أخبار غرناطة »[1]، والداودي في «طبقات المفسرين »[2]، والمقري في « أزهار الرياض »[3]، والكتاني في «فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات »[4] والزركلي في « الأعلام »[5]، وغيرهم.

وقد قام بشرحه الحافظ أبو عبدالله محمد بن عبدالملك القيسي في كتاب سماه «مناهج الأخبار في تفسير أحاديث كتاب الأنوار»، وأبو الحسن علي بن محمد بن علي القلصادي[6].

٥ - تقريب الوصول إلى علم الأصول:

وهو كتاب مختصر في علم أصول الفقه ، صنفه لابنه محمد ؛ رغبة منه في أن يضرب في هذا العلم بسهم ، وينشط لفهمه ودرسه[7].

أكثر فيه من النقل عن فخر الدين بن الخطيب ، وشهاب الدين القَرَافي ، وقسمه إلى خمسة فنون ، وجعل في كل فن عشرة أبواب ، فاحتوى الكتاب على خمسين باباً .

ذكره ابن الخطيب في « الإحاطة في أخبار غرناطة »[8]، وابن فرحون في« الديباج

(١) انظر : الإحاطة في أخبار غرناطة (٣/ ٢٢) .

(٢) انظر : طبقات المفسرين (٢/ ٨٦) .

(٣) انظر : أزهار الرياض (٣/ ١٨٥) .

(٤) باسم : الأنوار السنية في الألفاظ السنية من الأحاديث النبوية ، انظر : فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات للكتاني (١/ ٣٠٦) .

(٥) انظر : الأعلام (٥/ ٣٢٥) .

(٦) انظر : فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات للكتاني (١/ ٣٠٦) ، والكتاب مطبوع في القاهرة ، بمطبعة السعادة ، سنة (١٣٤٧هـ) .

(٧) انظر : تقريب الوصول إلى علم الأصول (٨٨) .

(٨) انظر : الإحاطة في أخبار غرناطة (٣/ ٢٢) .

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٠٤
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tatawi

المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب »[1]، والمقري في « نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب »[2]، وغيرهم[3].

٦ - قوانين الأحكام الشرعية ومسائل الفروع الفقهية:

وهو كتاب سهل العبارة ، لطيف الإشارة ، غزير المادة ، مختصر الألفاظ ، كثير الفائدة ، لخص فيه مذهب المالكية مع التنبيه على بقية المذاهب الأخرى ، وضمّن مقدمته شيئاً من عقيدته ، معللاً ذلك بتقديم الأهم على المهم(٤) .

ذكره ابن الخطيب في « الإحاطة في أخبار غرناطة »[5]، وابن فرحون في « الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب »[6]، والمقري في « نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب »[7]، وغيرهم[8].

٧- وسيلة المسلم في تهذيب صحيح مسلم.

٨- الدعوات والأذكار المخرجة من صحيح الأخبار.

---

(١) انظر : الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب (٢٩٥) .

(٢) انظر : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب (٥/ ٥١٥) .

(٣) الكتاب مطبوع بتحقيق د/ محمد علي فركوس ، طبعته دار الأقصى للنشر والتوزيع ، عام (١٤١٠) هـ ، وطبعة أخرى بتحقيق : د/ محمد المختار الشنقيطي عام (١٤٢٣) هـ .

(٤) انظر : قوانين الأحكام الشرعية ومسائل الفروع الفقهية (٢٠) وما بعدها .

(٥) انظر : الإحاطة في أخبار غرناطة (٣/ ٢٢) .

(٦) انظر : الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب (٢٩٥) .

(٧) انظر : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب (٥/ ٥١٥) .

(٨) الكتاب مطبوع في تونس سنة (١٣٤٤ هـ) ، نشرة عبد الرحمن اللزام ، ومحمد الأمين الكتبي ، وطبعته عالم الفكر بالقاهرة ، بتحقيق الشيخ/ عبدالرحمن حسن محمود ، سنة (١٤٠٥-١٤٠٦) هـ ، وهناك طبعة ثالثة لدار الرشاد الحديثة في الدار البيضاء بالمغرب ، بتحقيق : عبدالكريم الفضيلي ، سنة (١٤٢٧) هـ .

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٠٤
١٤٣٠/٨/٩
Ali Tatlani

٩- التنبيه على مذهب الشافعية والحنفية.

١٠- النور المبين في قواعد عقائد الدين.

١١- الفوائد العامة في لحن العامة.

١٢- فهرسة كبيرة اشتملت على كثير من تراجم أهل المشرق والمغرب[١].

وفي تنوع هذه المصنفات ، وكثرتها ، دلالة واضحة على غزارة علم ابن جُزَيّ الكلبيّ ، وتمكُّنِهِ من أدواته ، رحمه الله رحمة واسعة .

(١) انظر : الإحاطة في أخبار غرناطة (٣/ ٢٢) .

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... الصورة النهائية) ٠٠:٤
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tafasi

المبحث الرابع: وفاته

بعد ثمان وأربعين سنة من العطاء العلمي الكبير، الذي بث في صدور الرجال وبطون الكتب، انقطع ذلك المعين النابض في ضحى يوم الإثنين السابع من جمادى الأولى سنة ٧٤١ هـ / ١٣٤٠م، حيث قتل أبو القاسم ابن جزي شهيدا - نحسبه كذلك ولا نزكي على الله أحدا - في معركة " طريف "[١]، وهو يشحذ الناس ويحرضهم على القتال[٢]، حيث فقد جثمانه ~ مع ما وقع من اضطراب عظيم في صفوف جيش المسلمين ومتطوعتهم.

وكان ابن جزي يستشعر دنو أجله، ويطمع عند خروجه إلى القتال في نيل الشهادة، وقد أنشد ~ في ذلك اليوم:

قصدي المؤمل في جهري وإسراري .:. ومطلبي من إلهي الواحد الباري
شهادة في سبيل الله خالصة .:. تمحو ذنوبي وتنجيني من النار
إن المعاصي رجز لا يطهرها .:. إلا الصوارم في أيمان كفار[٣]

ولقد خلف ابن جزي وراءه في هذه الدنيا ثلاثة من الأولاد النجباء ممن تولى القضاء والكتابة، وهم:

١-القاضي أبو بكر أحمد بن محمد بن جزي (المتوفى سنة ٧٨٥هـ)[١].

---

(١) هي المعركة العظيمة التي دارت بين الجيوش الإسلامية بقيادة السلطان المغربي أبي الحسن المريني والسلطان الغرناطي أبي الحجاج يوسف من جهة، والجيوش النصرانية الإسبانية بقيادة ملك قشتالة ألفونسو الحادي عشر من جهة ثانية، وكانت هزيمة مزلزلة، رزئ بها المسلمون في الأندلس سنة ٧٤١هـ/ ١٣٤٠م، انظر تفاصيلها في كتاب "العبر" لابن خلدون (٧/ ٣٤٦)، وهامش كتاب "الإحاطة في أخبار غرناطة" لابن الخطيب (٢/ ١٨٠).

(٢) انظر: الإحاطة لابن الخطيب (٣/ ٢٣).

(٣) ذكر هذه الأبيات التنبكتي في "نيل الابتهاج" (٣٩٨-٣٩٩).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... الصورة النهائية) ٠٠:٠٤ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tatlani

٢-الكاتب أبو عبدالله محمد بن محمد بن جزي (المتوفى سنة ٧٥٧) [٢].

٣-القاضي أبو محمد عبدالله بن محمد بن جزي [٣].

---

(١) انظر ترجمته في " الدرر الكامنة " لابن حجر (١/ ٢٥٣)، والإحاطة لابن الخطيب (١/ ١٥٧)، ومعجم المؤلفين لرضا كحالة (٢/ ٧٢).

(٢) الذي دون رحلة ابن بطوطة الفاسي، انظر ترجمته في " الدرر الكامنة " لابن حجر (٤/ ١٦٥)، والإحاطة لابن الخطيب (٢/ ٢٥٦)، والأعلام للزركلي (٧/ ٣٧).

(٣) انظر ترجمته في " الإحاطة لابن الخطيب " (٣/ ٣٩٢)، ونفح الطيب للمقري (٨/ ٥٤).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... الصورة النهائية) ٠٠٤
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tatawi

الباب الأول

الباب الأول

التعريف بكتاب التسهيل ومنهج ابن جزي

وفيه فصـــلان: -

- الفصل الأول: التعريف بكتاب التسهيل لعلوم التنزيل.
- الفصل الثاني: منهج ابن جزي في الترجيح.

* * * * * *

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... الصورة النهائية) ٠٠:٤ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tatlani

الفصل الأول

التعريف بكتاب التسهيل لعلوم التنزيل

وفيه ثلاثـــة مباحـــث: -

- المبحث الأول: القيمة العلمية للكتاب.
- المبحث الثاني: نسخ الكتاب وطباعته.
- المبحث الثالث:منهج المصنف في كتابه.

* * * * * *

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٠:٤ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tafasi

المبحث الأول: القيمة العلمية للكتاب.

تظهر المكانة العلمية لأي كتاب من خلال مكانة ومنزلة مؤلفه، فا بن جزي من علماء التفسيرفي القرن الثامن الهجري، فهو لم يكن في كتابه: (التسهيل لعلوم التنزيل) مجرد ناقل للآراء، أو ملخص لمن سبقه من المفسرين، بل نجده بجانب ذلك مفسرًا، له أ راؤه الخاصة واجتهاداته الواضحة، معتداً بها وواثقاً منها، ويظهر هذا جلياً من خلال ترجيحاته في تفسيره.

وإذا كان الأمركذلك فلا ريب أن لكتابة (التسهيل في علوم التنزيل) قيمة علمية كبيرة.

وتظهر هذه القيمة العلمية من خلال الدافع والمقصد الذي جعل ابن جزي يؤلف هذا الكتاب. وقد ذكر ذلك في مقدمة كتابه (التسهيل) فقال:

(..... وصنفت هذا الكتاب في تفسير القرآن العظيم، وسائر ما يتعلق به من العلوم وسلكت مسلكاً نافعاًإذ جعلته وجيزاً جامعاً قصدت به أربع مقاصد تتضمن أربع فوائد

ـ الفائدة الأولى:

جمع كثير من العلم في كتاب صغير الحجم، تسهيلاً على الطالبين، وتقريباً على الراغبين.

فقد احتوى هذا الكتاب على ما تضمنته الدواوين الطويلة من العلم، ولكن بعد تلخيصها، وتنقيح فصولها، وحذف حشوها وفصولها، ولقد أودعته من كل فن من فنون علم القرآن اللباب، دون القشر المرغوب عنه من غير إفراط ولا تفريط، ثم إني عزمت على إيجاز العبارة وإفراط الاختصار، وترك التطويل والتكرار

ـ الفائدة الثانية:

ذكر نكت عجيبة، وفوائد غريبة، قلما توجد في كتاب، لأنها من بنات صدري،

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المصورة النهائية) ٤٠٠
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tafasi

وينابيع فكري، أو مما أخذته عن شيوخي ﷺ، أو مما التقطته من مستظرفات النوادر الواقعة في غرائب الدفاتر.

الفائدة الثالثة:

إيضاح المشكلات، إما بحل العقد المقفلات، وإما بحسن العبارة ورفع الاحتمالات، وبيان المجملات.

الفائدة الرابعة:

تحقيق أقوال المفسرين، السقيم منها والصحيح، وتمييز الراجح من المرجوح، وذلك أن أقوال الناس على مراتب فمنها:

الصحيح الذي يعول عليه، ومنها الباطل الذي لا يلتفت إليه، ومنها ما يحتمل الصحة والفساد.

ثم إن هذا الإحتمال قد يكون متساوياً أو متفاوتاً، والتفاوت قد يكون قليلاً أو كثيراً[1].

وإن الناظر في مقدمته لتفسيره (التسهيل) يرى أنه ابتدأه بمقدمتين علميتين تفرد بهما عن بقية كتب التفسير وخاصة المقدمة الثانية.

المقدمة الأولى:

في أصول التفسير وقواعده وما يتعلق به من علوم القرآن الكريم في اثني عشر باباً[2].

المقدمة الثانية:

وهي مقدمة لغوية خاصة بالألفاظ التي يكثر دورانها في القرآن الكريم، وهي

---

(١) التسهيل (١/ ٦).

(٢) انظر التسهيل (١/ ٨- ٤٤).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... العورة النهائية) ٠٤:٠٠ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tatlani

بمنزلة معجم مصغر لألفاظ القرآن الكريم [1].

وهاتان المقدمتان العلميتان أبرزت القيمة العلمية للكتاب.

ومما يضاف إليه أيضاً:

١- الاهتمام بالتفسير بالمأثور، حيث احتوى تفسيره على كم كبير من الآيات المفسرة بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وعلى معظم تفاسير السلف في عبارة وجيزة وأسلوب مبسط.

٢- تتبع أقول المفسرين، واستقصاؤها قدر الإمكان، ومحاولة تلخيصها بعد ذلك، ومن الأمثلة على ذلك:

أ - عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١﴾ [القدر:١] ذكر ابن جزي ستة عشر قولاً في تعيين ليلة القدر [2].

ب - في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾ [الفلق:٣] أورد ابن جزي ثمانية أقول في المراد بـ (الغاسق إذا وقب) [3]

٣- تسخير العلوم الأخرى لخدمة أغراض التفسير، كعلم القراءات وعلم الحديث، وعلم الفقه، وعلم الأصول، وعلم النحو والتصريف، وعلم غريب اللغة، وعلم البلاغة وغيرها.

مما يثري محصول القارئ أو الباحث لهذا الكتاب من العلوم الأخرى التي تعين على تفسير القرآن الكريم.

٤- إبراز الجانب الوعظي في تفسيره من خلال التركيز على النفس البشرية،

---

(١) انظر التسهيل (١/ ٤٥- ٨).

(٢) التسهيل (٤/ ٤٠١).

(٣) التسهيل (٤/ ٤٣٩).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٤..
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tatlani

وضرورة تخلصها من الآفات، وتحققها بجميل الصناعات.

ومن الأمثلة على ذلك:

أ- عند قوله تعالى من سورة النساء: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١]

يقول ابن جزي: إذا تحقق العبد بهذه الآية وأمثالها استفاد مقام المراقبة وهو مقام شريف أصله علم وحال ثم يثمر حالين.. (١)

ب - وعند قوله تعالى من سورة النور: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور:٣١].

يقول ابن جزي: التوبة واجبة على كل مؤمن مكلف بدليل الكتاب والسنة وإجماع الأمة، وفرائضها ثلاثة:

١ - الندم على الذنب من حيث عصي به ذا الجلال لا من حيث أضر ببدن أو مال.

٢- الإقلاع عن الذنب في أوقات الإمكان من غير تأخير أو تأجيل.

٣- والعزم على ألا يعود إليها أبداً. ومهما قضى عليه بالعود أحدث عزماً مجدداً.

وآدابها ثلاثة:

١- الاعتراف بالذنب مقروناً بالإنكار.

٢- والإكثار من التضرع والاستغفار.

٣- والإكثار من الحسنات لمحو ما تقدم من السيئات.

ثم ذكر مراتبها، والبواعث عليها. (٢)

---

(١) التسهيل (١/ ٢٩١).

(٢) التسهيل (٣/ ١٢٢).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٤:٠٠ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tafasi

- الاهتمام بذكر النكات واللطائف التفسيرية، ومن ذلك عند قوله تعالى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [المؤمنون:١١٧].

قال ابن جزي: افتتح السورة بفلاح المؤمنين، وختمها بعدم فلاح الكافرين، ليبين البون بين الفريقين، والله أعلم [١].

- إيضاح المشكلات ودفع إيهام الاضطراب أو دعوى التعارض بين هذه الآيات، ومن ذلك عند قوله تعالى في سورة الغاشية: ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾﴾ [الغاشية:٦] . وقال في الحاقة ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾﴾ [الحاقة:٣٦] ؟ فالجواب: أن الضريع لقوم والغسلين لقوم، أو يكون أحدهما في حال والآخر في حال. [٢]

- ومن جوانب القيمة العلمية لهذا التفسير ما ذكره الزبيري من أن تفسير ابن جزي هو التفسير الأندلسي الوحيد الذي وصل إلينا من تفاسير الحقبة المتأخرة في تاريخ الأندلس. [٣]

(١) التسهيل (٣/ ١٠٧).

(٢) التسهيل (٣/ ٣٧٠).

(٣) ابن جزي ومنهجه في التفسير (٢/ ٨٨٠).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... العورة النهائية) ٠٠:٤ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tatlani

المبحث الثاني: نسخ الكتاب وطبعاته

تم بحمد الله تعالى طباعة هذا التفسير الجليل عدة مرات، وهي:

- **الأولى**: طبعة المكتبة التجارية الكبرى.

طبع هذا التفسير بالمنطقة التجارية الكبرى بمصر سنة: ١٣٥٥

- **الثانية**: طبعة دار الفكر العربي.

خرجت هذه الطبعة في مجلد ضخم بأجزائه الأربعة، وصورت هذه الطبعة عن الطبعة الأولى، وكتب عليه الطبعة الثانية.

وطبعت بمطبعة دار الفكر العربي ببيروت سنة: ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م.

- **الثالثة**: طبعة دار الكتب الحديثة.

طبع في أربع مجلدات، بمطبعة دار الكتب الحديثة في القاهرة.

وقام بتحقيقه:

محمد عبد المنعم اليونسي، وإبراهيم عطوة عوض.

ولم تكتب عليه تاريخ الطبعة، ولكن يظهر أنه في سنة: ١٩٧٣م ويفهم هذا من رقم الإيداع بآخر الجزء الرابع.

- **الرابعة**: طبعة دار الكتاب العربي.

طُبع مجلد واحد كبير، بمطبعة دار الكتاب العربي في بيروت سنة: ١٤٠٣هـ.

وقد أشرف عليه:

لجنة تحقيق التراث في دار الكتاب العربي.

- **الخامسة**: طبعة شركة دار الأرقم ابن أبي الأرقم.

طبع في مجلدين، بمطبعة شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم في بيروت سنة: ١٤١٦هـ.

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٤٠
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tatlani

وقد اعتنى بتنقيحه وضبط كلماته وتخريج آياته وأحاديثه: الدكتور عبد الله الخالدي.

- **السادسة**:طبعة المكتبة العصرية - خرجت هذه الطبعة في مجلد ضخم بأجزائه الأربعة.

وطبعت بمطبعة المكتبة العصرية في بيروت سنة: ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣مـ، تحقيق: رضا فرج الهمامي.

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... الصورة النهائية) ٠٠:٤
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tatawi

المبحث الثالث:
طريقة المصنف في كتابه ومنهجه

إن الذي ينظر في تفسير ابن جزي يلاحظ مدى الطريقة والمنهج الذي سلكه ابن جزي في تفسيره. ويمكن أن تجمل طريقة ابن جزي في النقاط التالية:

١-رتب تفسيره حسب ترتيب سور المصحف الشريف ابتداءً بسورة الفاتحة وانتهاءً بسورة الناس.

٢-فبما أنه قد رسم لنفسه طريقة في تفسيره وهي التلخيص والاختصار، وترك التطويل والتكرار فإنه يفسر أهم الجمل في الآية، تاركاً الواضح منها دون تفسير، ومن أمثلة ذلك: عند قوله تعالى في سورة الغاشية: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ۝٢﴾ [الغاشية:٢].

قال ابن جزي: (خاشعة) أي ذليلة [(١)].فاقتصر من الآية على كلمة (خاشعة) فقط لوضوح معنى الكلمات الأخرى في الآية.

٣-وللاختصار وعدم التطويل ووضوح المعنى قد يترك ابن جزي في تفسيره آية أو أكثر، مثلاً عند قوله تعالى في سورة الغاشية:

﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝١٧ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۝١٨ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۝١٩ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ۝٢٠﴾ [الغاشية١٧-٢٠] فهو لم يفسر إلا الآية الأولى فقط من ذكر الحظ على النظر في خلقة الإبل وما فيها من العجائب [(٢)].

٤-ويستخدم ابن جزي أحياناً الإحالة إلى موضع آخر إذا تكرر تفسير الآية، ومن ذلك عند قوله تعالى في سورة الفجر: ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ۝١٠﴾ [الفجر:١٠].

---

(١) التسهيل (٤/ ٣٦٩).

(٢) التسهيل (٤/ ٣٧١).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... الصورة النهائية) ٤٠٠
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tatlani

قال ابن جزي: ذكر في سورة داوود [1].

وأحياناً يذكر أنه فسر الآية دون إحالة إلى الموضع الآخر مثل قوله تعالى: ﴿وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾﴾ [الغاشية:١٤]. قال ابن جزي: قد ذكرنا (أكواب) [2].

٥-الناظر إلى تفسير ابن جزي يلحظ عدم اتخاذ ابن جزي ترتيباً موحداً في تفسيره للآيات، بأن يبدأ بتفسير المفردات مثلاً، ثم الجمل، ثم المناسبات، ثم أسباب النزول، ثم المسائل الفقهية، ثم الشواهد الشعرية... الخ، وإنما تجده يقدم هذا تارة، وذاك تارة أخرى.

مثلاً في سورة الفجر: عند قوله تعالى: ﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴿٣﴾﴾ [الفجر:٣]

قال ابن جزي: روى عن النبي ﷺ:

(أن الشفع يوم النحر، والوتر يوم عرفة) [3] وروي عنه عليه الصلاة والسلام:

(أنها الصلوات شفع ووتر [4]).

وقيل: الشفع التنفل بالصلاة مثنى مثنى، والوتر الركعة الواحدة المعروفة..... ثم سرد الأقوال إلى أن قال:

وقرئ الوتر بفتح الواو وكسرها وهما لغتان [5].

---

(١) التسهيل (٤/ ٧٣٤) - وسورة داود هي سورة سبأ.

(٢) التسهيل (٤/ ٣٧١).

(٣) أخرجه النسائي برقم (٣٤٦٥).قال الحاكم: هذاحديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجه، وقال ابن كثير:وعندي أن المتن في رفعه نكارة ، وقال الألباني في الضعيفة:منكر(٣١٧٨) .

(٤) أخرجه الترمذي برقم (٢٣٤٢)،وقال: هذا حديث غريب ، وقال الحاكم:حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه،وقال ابن حجرفي الفتح(٨/ ٧٠٢):رجاله ثقات إلاأن فيهم راويامبهما،وقدأخرجه الحاكم من هذا الوجه فاغترتصحيحه،وقال ابن كثيرفي تفسيره:وهدامنقطع وموقوف(٤/ ٥٠٧).

(٥) التسهيل (٤/ ٣٧٣).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... العورة النهائية) ٠٤ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tatlani

فهنا بدأ ابن جزي بذكر الحديث النبوي، ثم المراد بالآية، ثم بالقراءات.

وفي قوله تعالى في نفس السورة: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾﴾ [الفجر:٢٧]

قال ابن جزي: أي: الموقنة يقيناً قد اطمأنت به بحيث لا يتطرق إليها شك في الإيمان.

وقيل: المطمئنة التي تخاف حينئذٍ ويؤيد هذا قراءة أبي بن كعب: (يا أيتها النفس الآمنة المطمئنة ارجعي إلى ربك راضيةً مرضية) هذا الخطاب والنداء يكون عند الموت، وقيل: عند البعث، وقيل: عند انصراف الناس إلى الجنة أو النار، والأول أرجح لما روي أن أبا بكر سأل عن ذلك رسول الله ﷺ فقال له: (يا أبا بكرٍ إن الملك سيقولها لك عند موتك) [1].

فهنا نراه بدأ بذكر معنى الآية، ثم قراءة ، ثم الأقوال في الآية، ثم الحديث النبوي.

٦- استخدامه طريقة السؤال والجواب بشكل بارز في تفسيره وخاصة إذا كان رفعاً لإشكال، أو إيضاحاً لغموض، ومن ذلك عند تفسيره قوله تعالى في سورة الفجر: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾﴾ [الفجر:١٥-١٦]

يقول ابن جزي: ذكر الله في هذه الآية ابتلاءه للإنسان بالخير ثم ذكر بعده ابتلاءه بالشر كما قال في: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء:٣٥] وأنكر عليه قوله حين الخير: ﴿رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ﴾.

وقوله حين الشر: ﴿رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ﴾.

ويتعلق بالآية سؤالان:

السؤال الأول: لم أنكر الله على الإنسان قوله ربي أكرمني وربي أهانني؟

(١) التسهيل (٤/ ٣٧٧). سيأتي تخريج الحديث ص (١٣٥) .

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... الصورة النهائية) ٤٠٠
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tafasi

والجواب من وجهين:

أحدهما: أن الإنسان يقول: ربي أكرمني على وجه الفخر بذلك والكبر لا على وجه الشكر، ويقول ربي أهانني على وجه التشكي من الله وقلة الصبر والتسليم لقضاء الله، فأنكر عليه ما يقتضيه كلامه من ذلك فإن الواجب عليه أن يشكر على الخير ويصبر على الشر.

والآخر: أن الإنسان اعتبر الدنيا فجعل بسط الرزق فيها كرامة، وتضييقه إهانة، وليس الأمر كذلك فإن الله قد يبسط الرزق لأعدائه ويضيق على أوليائه، فأنكر الله عليه اعتبار الدنيا والغفلة عن الآخرة، وهذا الإنكار من هذا الوجه على المؤمن، وأما الكافر فإنما اعتبر الدنيا لأنه لا يصدق بالآخرة ويرى أن الدنيا هي الفانية فأنكر عليه ما يقتضيه كلامه من ذلك....الخ كلامه [1]

٧- لتحقيق ما رسم لنفسه في مقدمه كتابه من خطة يسير عليها في تفسيره من الاختصار وعدم التطويل فكان يبتعد عن ذكر كثير من القصص، ويكتفي غالباً بالإشارة إليها [2].

وهكذا في الشواهد الشعرية، واختلاف النحويين [3].

وفي القراءات: اقتصر على القراءات السبع [4]، ولم يذكر الشاذة إلا إذا كان لها أثرفي تفسير الآية، وفي الأحكام الفقهية لم يستطرد في تفصيلات فروع الفقه[5].

---

(١) التسهيل (٤/ ٣٧٤).

(٢) انظر التسهيل في سورة الفجر عند قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦﴾ (٤/ ٣٧٣).

(٣) انظر التسهيل في سورة البلد عند قوله تعالى: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ۝١١﴾ (٤/ ٣٨٠).

(٤) انظر التسهيل في سورة الشمس عند قوله تعالى: ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ۝١٥﴾ (٤/ ٣٨٤).

(٥) انظر التسهيل في سورة البينة عند قوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ (٤/ ٤٠٥).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٠:٠٤ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tafasi

منهج ابن جزي في تفسيره:

الناظر في منهجه ابن جزي في تصنيف كتابه (التسهيل لعلوم التنزيل) يلاحظ الجمع فيه بين التفسير بالمأثور ويأتي بعده التفسير بالرأي المحمود، وإن كان يغلب عليه جانب التفسير بالمأثور ويأتي بعده التفسير بالرأي المحمود، وهذا ما جعل لهذا الكتاب تلك الميزة والمنزلة المتقدمة.

ويمكن إبراز معالم منهجه من خلال ما يلي:

أولاً: تفسير القرآن بالقرآن:

إن أول الطرق لطرق التفسير بالمأثور هو تفسير القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان فقد فسر في مكان آخر، وما اختصر في مكان فقد بسط في مكان آخر، وما عمم في مكان فقد خصص في مكان آخر، وما أطلق في مكان فقد قيد في مكان آخر، وهكذا.....

ولذلك جعل ابن جزي الأصل الأول لتفسير آيات القرآن في كتابه أن يفسر بنظائرها من الآيات الأخرى، فمن ذلك:

ـ عند تفسيره لقوله تعالى في سورة البلد: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠﴾ [البلد:١٠] قال ابن جزي:

أي طريقي الخير والشر فهو كقوله: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣﴾ [الإنسان:٣] (١).

وعند تفسير قوله تعالى في سورة الضحى: ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠﴾ [الضحى:١٠]

قال ابن جزي: النهر: هو الزجر، والنهي عنه أمر بالقول الحسن، والدعاء

(١) التسهيل (٤/ ٣٧٤).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... الصورة النهائية) ٠٤ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tatlani

للسائل كما قال تعالى: ﴿فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾ [الإسراء:٢٨] (١).

وتتضح دقة ابن جزي في هذا اللون من التفسير وهي عدم ترجيحه لبعض الآيات التي يكون ظاهرها تفسيراً لآية أخرى، مما يدل على أنه يسير في ذلك وفق منهجية واضحة، ويتضح ذلك عند تفسيره لقوله تعالى في سورة الغاشية: ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝٦﴾ [الغاشية:٦].

قال ابن جزي: في الضريع أربعة أقوال:

أحدها: أنه شوك يقال له الشبرق وهو سم قاتل، وهذا أرجح الأقوال لأن أرباب اللغة ذكروه، ولأن النبي ﷺ قال: (الضريع شوك في النار) (٢).

الثاني: أنه الزقوم لقوله:

﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ۝٤٣ طَعَامُ الْأَثِيمِ ۝٤٤﴾ (٣).

فنلاحظ هنا أن ابن جزي لم يرجح القول الذي يفسر الآية بآية أخرى لأنها لم تنطبق على القواعد التي سار عليها لتفسير القرآن بالقرآن.

ثانياً: تفسير القرآن بالسنة النبوية.

تفسير القرآن بالسنة النبوية هو أهم مصادر التفسير بالمأثور بعد التفسير بالقرآن الكريم.

ومن هنا كان ابن جزي يعول على التفسير الوارد عن رسول الله ﷺ ويقدمه على غيره من أقول الناس. ومن أمثلة ذلك:

ـ عند تفسير قوله تعالى في سورة التكاثر: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ۝١﴾ [التكاثر:١]

(١) التسهيل (٤/ ٣٩٠).

(٢) سيأتي تخريجه ص (١٠٦).

(٣) التسهيل (٤/ ٤١٤).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... الصورة النهائية) ٠٠:٠٤ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tatlani

قال ابن جزي:

هذا خبر يراد به الوعظ والتوبيخ، ومعنا (ألهاكم) شغلكم، و (التكاثر) المباهاة بكثرة المال والأولاد، وأن يقول هؤلاء نحن أكثر، ويقول هؤلاء نحن أكثر، ولما قرأها النبي ﷺ قال: (يقول ابن آدم: مالي، مالي، وليس لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت) (١).

- وعند تفسير قوله تعالى في سورة الكوثر: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١﴾ [الكوثر:١] قال ابن جزي:

هذا خطاب للنبي ﷺ، والكوثر بثاء مبالغة من الكثرة، وفي تفسيره سبعة أقوال: ثم ساق الأقوال... إلى أن قال:ولكن الصحيح أن المراد بالكوثر الحوض لما ورد في الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: (أتدرون ما الكوثر؟ هو نهر أعطانيه الله، وهو الحوض آنيته عدد نجوم السماء)(٢).

ويلاحظ على ابن جزي أنه يذكر أحاديث عن رسول الله ﷺ ليست تفسيراً للآية ولكن لها صلة أو مناسبة، ومن ذلك: قوله تعالى في سورة التين: ﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَحۡكَمِ ٱلۡحَٰكِمِينَ ۝٨﴾ [التين:٨].

قال ابن جزي: تقرير ووعيد للكفار بأن يحكم عليهم بما يستحقونه، وكان رسول الله إذا قرأها قال:

(بلى وأنا على ذلك من الشاهدين) (٣).

---

(١) التسهيل (٤/ ٤٢٦). الحديث رواه مسلم- كتاب الزهد- باب الدنياسجن المؤمن وجنةالكافر برقم(٢٩٥٨).

(٢) التسهيل ((٤٢٦)، الحديث رواه مسلم- كتاب الفضائل- باب إثبات حوض نبينا ﷺوصفاته برقم(٤٠٠).

(٣) التسهيل (٤/ ٣٦٩).الحديث رواه أبو داود مرفوعا عن أبي هريرة رضي الله عنهكتاب الصلاة- باب أعضاء السجود برقم(٨٨٧).والحديث ضعفه الألباني في ضعيف أبي داود برقم(١٨٨).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... الصورة النهائية) ٠٤
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tafasi

وعند قوله تعالى في سورة القدر: ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣﴾ [القدر:٣].

قال ابن جزي: معناه: أن من قامها كتب الله له أجر العبادة في ألف شهر، قال بعضهم:يعني في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر، وفي الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: (من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه) (١).

وكما فعل ابن جزي في عدم أخذه في تفسير القرآن بالقرآن إذا لم يكن صريحاً في تفسير الآية وإن كان ظاهرها يوحي بذلك فكذلك فعل هنا في تفسير القرآن بالسنة، ومن ذلك: عند تفسير قوله تعالى في سورة الضحى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝٥﴾ [الضحى:٥] قال ابن جزي: روي أن النبي ﷺ لما نزلت: (إذا لا أرضى أن يبقى واحدٌ من أمتي في النار) قال بعضهم: هذه أرجى آية في القرآن، وقال ابن عباس : رضاه أن الله وعده بألف قصر في الجنة بما يحتاج إليه من النعم والخدم(٢).

وقيل: رضاه في الدنيا بفتح مكة وغيره، والصحيح أنه وعد يعم كل ما أعطاه الله في الآخرة وكل ما أعطاه الله في الدنيا من النصر والفتوح وكثرة المسلمين وغير ذلك.(٣)

ثالثاً: تفسير القرآن بأقوال الصحابة:

وقبل الدخول في ذكر منهج ابن جزي في تفسيره للقرآن بأقوال الصحابة رضوان الله عليهم يستحسن أن نعرف أولا حكم تفسير الصحابي للقرآن .

---

(١) التسهيل (٤/ ٤٠٢).الحديث رواه البخاري-كتاب فضل ليلةالقدر-باب ليلةالقدر- برقم(٣٥)، ومسلم-كتاب صلاةالمسافرين-باب الترغيب في قيام رمضان- برقم(٧٦٠)عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه ابن جرير وابن أبي حاتم من طريقه (جامع البيان: ٢٤/ ٤٨٧)، وقال ابن كثير: وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس، ومثل هذا ما يقال إلا عن توقيف (تفسير القرآن العظيم: ٤/ ٥٢٤).

(٣) التسهيل (٤/ ٣٨٩).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٤٠
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tatlani

حكم تفسير الصحابي :

تفسير الصحابي ينقسم إلى قسمين :

أولا : إذا كان مما ليس للرأي فيه مجال كالأمور الغيبية ، وأسباب النزول ونحوها ، فهذا له حكم المرفوع ويجب الأخذ به .

ثانيا : إذا كان للرأي فيه مجال مما يرجع إلى اجتهاد الصحابي ، فهذا له حكم الموقوف على الصحابي إذا لم يسنده إلى رسول الله ﷺ .

واختلف العلماء في هذا النوع هل يجب الأخذ به أم لا ؟

ذهب فريق من العلماء إلى أن الموقوف على الصحابي من التفسير لايجب الأخذ به لأنه لما لم يرفعه علم انه اجتهد فيه ، والمجتهد يخطئ ويصيب ، والصحابة ﷺ في اجتهادهم كسائر المجتهدين .

وذهب فريق آخر من العلماء إلى أنه يجب الأخذ به والرجوع إليه لما شاهدوه من القرائن والأحوال التي اختصوا بها وليست لغيرهم ، ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح لاسيما علماؤهم وكبراؤهم كالأئمة الأربعة، وعبدالله بن مسعود وابن عباس وغيرهم -رضي الله عنهم جميعاً-.[1]

قال الزركشي: (ينظر في تفسير الصحابي فإن فسره من حيث اللغة فهم اهل اللسان فلا شك في اعتماده ، وإن فسره بما شاهدوه من الأسباب والقرائن فلا شك فيه) [2]. وهذا رأي فريق من العلماء كالحاكم النيسابوري وابن الصلاح والنووي وابن تيمية وابن كثير وغيرهم[3].

ويتحصل من هذا أن التفسير المروي عن الصحابي إن كان متعلقا بأسباب النزول أو بما لايمكن أن يكون من قبيل الرأي والاجتهاد كان ملزما وكذلك إن كان

---

(١) التفسير والمفسرون (١/ ٥٩).

(٢) البرهان (٢/ ١٧٢).

(٣) انظر: تدريب الراوي (٦٤)، ومعرفة علوم الحديث (٢٠)، ومقدمة أصول التفسير(٩٥).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... الصورة النهائية) ٠٤٠٠
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tatawi

تفسيرا يعتمد على اللغة التي هم ادرى الناس بها فهو ملزم أيضا . أما الشيئ الذي ليس داخلا فيما ذكر فهو بشكل عام غير ملزم ، وينظر إلى كل رأي على حدة .

وبناء على هذا اعتمد ابن جزي في بيان آيات الله على أقوال الصحابة رضوان الله عليهم بعد القرآن والسنة فجعله أصلاً من أصول تفسيره.

ومن الأمثلة على ذلك: عند قوله تعالى في سورة الشمس: ﴿بِطَغْوَىٰهَآ﴾ [الشمس:١١].

قال ابن جزي: هو مصدر بمعنى الطغيان، قلبت الياء واواً على لغة من يقول: طغيت، والباء الخافضة كذلك: كتبت بالقلم، أو سببية والمعنى: بسبب طغيانها، وقال ابن عباس معناه: كذبت ثمود بعذابها ويؤيده قوله: ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ۝٥﴾ [الحاقة:٥][(١)].

وعند تفسير قوله تعالى في سورة النصر: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ [النصر:١]

قال ابن جزي: سأل عمر ابن الخطاب جماعة من الصحابة ﷺ عن معنى هذه السورة فقالوا: إن الله أمر رسول الله ﷺ بالتسبيح والاستغفار عند النصر والفتح، وذلك على ظاهر لفظها فقال لابن عباس بمحضرهم: يا عبد الله ما تقول أنت؟ قال: (هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه الله بقربه وإذا رأى النصر والفتح، فقال عمر: ما أعلم منها إلا ما علمت) [(٢)].

وقد قال بهذا المعنى ابن مسعود وغيره، ويؤيده قول عائشة : إن رسول الله ﷺ لما فتح مكة وأسلم العرب جعل يكثر أن يقول: سبحانك اللهم وبحمدك اللهم إني أستغفرك، يتأول القرآن أي: في هذه السورة... [(٣)]

---

(١) التسهيل (٤/ ٣٨٣).

(٢) أخرجه البخاري- كتاب التفسير- باب تفسيرسورة النصر- رقم(٤٩٧).

(٣) التسهيل (٤/ ٤٣٠). والحديث أخرجه مسلم- كتاب الصلاة- باب مايقال في الركوع والسجود- برقم (٤٨٤).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... العورة النهائية) ٠٠:٤ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tatlani

رابعاً: تفسير القرآن بأقوال التابعين:

حكم تفسير التابعي:

اختلف العلماء في حكم الرجوع إلى تفسير التابعي للآية إذا لم يرد تفسير لها عن رسول الله ﷺ ولا عن أحد من أصحابه ﷺ. فقالت طائفة : لايجب الأخذ بتفسير التابعي ، لأنهم ليس لهم سماع عن رسول الله ﷺ ، ولم يشاهدوا القرائن والأحوال التي نزل عليها القرآن فيجوز عليهم الخطأ في فهم المراد ، ولأن عدالة التابعين غير منصوص عليها كما نص على عدالة الصحابي .

وقالت طائفة : أنه يؤخذ به إذا لم نجد تفسيرها في السنة ولا أقوال الصحابة ﷺ لأنهم تلقوا التفسير عن الصحابة وحضروا مجالسهم ونهلوا من علمهم وسمعوا منهم مالم يسمعه غيرهم ، فقد عرض مجاهد المصحف على ابن عباس ﷺ ثلاث مرات يسأله عن كل آية. وقتادة يقول : ما في القرآن آية إلا وقد سمعت فيها شيئا[1]. وقال الشعبي: والله ما من آية إلا وقد سألت عنها [2].

قال ابن تيمية: (قال شعبة بن الحجاج وغيره : أقوال التابعين ليست حجة ، فكيف تكون حجة في التفسير ؟ يعني أنها لاتكون حجة على غيرهم ممن خالفهم وهذا صحيح ، أما إذا أجمعوا على الشيئ فلا يرتاب في كونه حجة ، فإن اختلفوا فلا يكون قول بعضهم حجة على بعض ولا على من بعدهم ، ويرجع في ذلك إلى لغة العرب ، أوالسنة ، أوعموم لغة العرب ، أوأقوال الصحابة في ذلك) . [3]

ويتلخص من ذلك أن التابعين إذا أجمعوا على تفسير واحد وجب الأخذ به ولايرتاب في كونه حجة . وإن اختلفوا فلا يكون قول بعضهم حجة على بعض ولا

(١) طبقات المفسرين للداودي (٢/ ٤٣).

(٢) مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية (١١٣).

(٣) مقدمة في أصول التفسير (٢٨).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... الصورة النهائية) ٤٠٠
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tafasi

على من بعدهم ويرجع في ذلك إلى لغة القرآن ، أو السنة ، أو عموم لغة العرب ، أوأقوال الصحابة ﷺ في ذلك . وإذا ورد التفسير عن تابعي ولم يعرف له مخالف من التابعين فهذا مما يؤخذ به لما لهم من فضل ومزية على من بعدهم في العلم .

وقد أدرك ابن جزي أهمية ذلك فكان يذكر أقوالهم في تفسير آيات الله تعالى.

ويلاحظ أن ابن جزي عند ذكره لأقوال التابعين يذكرها دون نسبتها إلى أصحابها والاكتفاء بعبارة: وقيل، واتضح ذلك بعد التتبع لهذه الأقوال في كتب التفسير الأخرى. (١)

ومما صرح به عند تفسير قوله تعالى في سورة الكوثر: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١﴾ [الكوثر:١] قال ابن جزي: في تفسيره سبعة أقوال:..الثاني: أنه الخير الكثير الذي أعطاه الله في الدنيا والآخرة، قاله ابن عباس وتبعه سعيد بن جبير. (٢)

(١) انظر: ابن جزي ومنهجه في التفسير (١/ ٤٥٢، ٤٥٣).

(٢) التسهيل (٤/ ٤٢٦).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٠:٤ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tatlani

الفصل الثاني

منهج ابن جزي في الترجيح

وفيه تمهيـــد وثلاثـة مباحـــث: -

- المبحث الأول: تعريف الترجيح وموجباته عند ابن جزي.
- المبحث الثاني: مصطلحات الترجيح وأساليبه في تفسيره.
- المبحث الثالث: وجوه الترجيح عند ابن جزي.

* * * * * *

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... الصورة النهائية) ٠٠:٠٤ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tatlani

تمهيـــــد

إن الناظر في تفسير ابن جزي يرى بوضوح تمييز ابن جزي في الترجيح بين أقوال المفسرين للآية، وذلك لتملكه أدوات الترجيح التي تساعده على تحقيق القول الراجح وفق الضوابط والقواعد العلمية في ذلك.

وقد ذكر ابن جزي في مقدمة كتابه (التسهيل لعلوم التنزيل) عن الترجيح بين أقوال المفسرين، والوجوه التي يرجح بها بين أقوالهم، حيث قال:

(**الفائدة الرابعة**: تحقيق أقوال المفسرين، السقيم منها والصحيح وتمييز الراجح من المرجوح، وذلك أن أقوال الناس على مراتب، فمنها الصحيح الذي يعول عليه، ومنها الباطل الذي لا يلتفت إليه، ومنها ما يحتمل الصحة والفساد، ثم إن هذا الاحتمال قد يكون متساوياً أو متفاوتاً، والتفاوت قد يكون قليلاً أو كثيراً. وإني جعلت لهذه الأقسام عبارات مختلفة، تعرف بها كل مرتبة، وكل قول، فأدناها ما أصرح بأنه خطأ أو باطل، ثم ما أقول فيه إنه ضعيف أو بعيد، ثم ما أقول أن غيره أرجح أو أقوى أو أشهر، ثم ما أقدم غيره عليه إشعاراً بترجيح المتقدم)[1].

والمتتبع لتفسيره يجد مدى التزام ابن جزي بما رسمه لنفسه من خطة علمية إلا في مواضع يسيرة لا تدل إلا على أن الكمال لله وحده تعالى، كما قال تعالى: (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً)النساء(٨٢) .

(١) التسهيل (١/ ٦).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٠٤
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tatawi

المبحث الأول:
تعريف الترجيح وموجباته

معنى الترجيح:

الترجيح لغةً: قال ابن فارس : الراء والجيم والحاء أصل واحد، يدل على رزانة وزيادة، يقال: رجح الشيء وهو راجح إذا رزن [1].

ويقال: رجح الميزان: أي مال، ورجح في مجلسه، ثقل فلم يخف. [2]

فالمعنى العام الذي تدور حوله كلمة (رجح) جعل الشيء راجحاً أي فاضلاً زائداً.

وفي الاصطلاح: عرف بتعاريف كثيرة، وأغلبها متقاربة المعنى، ومنها: تعريف الفخر الرازي: الترجيح: تقوية أحد الطريقين على الآخر ليعلم الأقوى فيعمل به ويطرح الآخر. [3]

وبناءً عليه فإن المراد بالترجيح في التفسير:

تقوية أحد الأقوال في تفسير الآية لدليل، أو قاعدة تقويه ، أو لتضعيف غيره من الأقوال. [4]

موجبات الترجيح:

بين ابن جزي في مقدمته كتابه أن التفسير منه ما هو متفق عليه، ومنه ما هو مختلف فيه، وأن التفسير المختلف فيه أنواع، وذكر أن الترجيح إنما يكون في نوع واحد

(١) معجم مقاييس اللغة (٢/ ٣٨٩).

(٢) لسان العرب (٢/ ٤٤٥).

(٣) المحصول في علم الأصول (٥/ ٣٩٧).

(٤) قواعد الترجيح عند المفسرين (١/ ٣٥).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٤٠٠
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tatlawi

من هذه الأنواع. حيث قال: واعلم أن التفسير منه متفق عليه، ومنه مختلف فيه، ثم إن المختلف فيه على ثلاثة أنواع:

الأول: اختلاف في العبارة مع اتفاق في المعنى، فهذا عده كثير من المؤلفين خلافاً، وليس في الحقيقة بخلاف لاتفاق معناه، وجعلناه نحن قولاً واحداً، وعبرنا عنه بإحدى العبارات المتقدمة أو بما يقرب منها، أو بما يجمع معانيها.

الثاني: اختلاف في التمثيل لكثرة الأمثلة الداخلة تحت معنى واحد، وليس مثال منها على خصوصه هو المراد، وإنما المعنى الذي تندرج تلك الأمثلة تحت عمومه، فهذا عده أيضاً كثير من المؤلفين خلافاً، بل عبرنا عنه بعبارة عامة تدخل تلك تحتها، وربما ذكرنا بعض تلك الأقوال على وجه التمثيل مع التنبيه على العموم المقصود.

الثالث: اختلاف المعنى، فهذا الذي عددناه خلافاً، ورجحنا فيه بين أقوال الناس حسبما ذكرنا في خطبة الكتاب. (١)

(١) التسهيل (١/ ١٥).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... الصورة النهائية) ٠٠:٤ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tafasi

المبحث الثاني:
صيغ الترجيح وأساليبه في تفسيره

جعل ابن جزي لتمييز الراجح من المرجوح أقوال المفسرين من مصطلحات قصد منها معرفة مراتب الترجيح من حيث قوة القول وضعفه، حيث قال:(وإني جعلت لهذه الأقسام عبارات مختلفة تعرف بها كل مرتبة وكل قول: فأدناها ما أصرح بأنه خطأ أو باطل. ثم ما أقول إنه ضعيف أو بعيد.

ثم ما أقول أن غيره راجح، أو أقوى، أو أظهر، أو أشهر.

ثم ما أقدم غيره عليه إشعاراً بترجيح المتقدم أو بالقول فيه: قيل كذا قصداً للخروج من عهدته..... وإذا كان القول قي غاية السقوط والبطلان لم أذكره تنزيهاً للكتاب.....وربما ذكرته تحذيراً منه، وهذا الذي من الترجيح والتصحيح مبني على القواعد العلمية أو ما تقتضيه اللغة العربية.)[1]

وسأذكر بعض الأمثلة من خلال تفسيره على العبارات التي وضعها:

أولاً: التنصيص على خطأ القول أو بطلانه.

واستعمل ابن جزي في الترجيح بهذه الصيغة بعض العبارات، مثل:

أ - **عبارة (خطأ)**، ومن الأمثلة على ذلك:

١ - عند تفسير قوله تعالى ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن نُّؤۡمِنَ بِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَلَا بِٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ ﴾ [سبأ:٣١] قال ابن جزي: ﴿وَلَا بِٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ﴾ يعني الكتب المتقدمة كالتوراة والإنجيل، وإنما قال الكفار هذه المقالة حين وقع عليهم الاحتجاج بما في التوراة من ذكر محمد .

وقيل: الذي بين يديه: يوم القيامة، وهذا خطأ وعكس، لأن الذي بين يدي

(١) التسهيل (١/ ٧).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... الصورة النهائية) ٠٤٠٠ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tafasi

الشيء هو ما تقدم عليه. (١)

٢- عند تفسير قوله تعالى: ﴿رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ [نوح:٢٨] قال ابن جزي: هذا دعاء بالمغفرة لكل مؤمن ومؤمنة على العموم، وفيه دليل على جواز ذلك خلافاً لمن قال من المتأخرين أنه لا يجوز الدعاء بالمغفرة لجميع المؤمنين على العموم، وهذا خطأ وتضييق لرحمة الله الواسعة. (٢)

ب - **عبارة (باطل)**، ومن الأمثلة على ذلك:

١- عند تفسير قوله تعالى: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ۝١﴾ [القمر:١] قال ابن جزي:

هذا إخبار بما جرى في زمان رسول الله ﷺ، وذلك أن قريشاً سألته آية، فأراهم انشقاق القمر، فقال عليه الصلاة والسلام : (اشهدوا) (٣)، وقال ابن مسعود: انشق القمر فرأيته فرقتين، فرقة وراء الجبل وأخرى دونه.

وقيل: معنى (وانشق القمر): أنه ينشق يوم القيامة، وهذا قول باطل ترده الأحاديث الصحيحة الواردة بانشقاق القمر، وقد اتفقت الأمة على وقوع ذلك، وعلى تفسير الآية بذلك إلا من لا يعتبر قوله (٤)

٢- عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ۝١﴾ [القدر:١] قال ابن جزي: اختلف الناس في ليلة القدر على ستة عشر قولاً:... ثم ساق الأقوال إلى أن قال: الثالث عشر: أنها مخفية في العالم كله. الرابع عشر: أنها ليلة النصف من شعبان، وهذان القولان باطلان لأن الله تعالى قال: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ۝١﴾ [القدر:١].

---

(١) التسهيل (٣/ ٢٧٨).

(٢) التسهيل (٤/ ٢٨١).

(٣) رواه مسلم- كتاب صفات المنافقين وأحكامهم- باب انشقاق القمر- برقم (٢٨٠٠).

(٤) التسهيل (٤/ ١٥٢).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٤٠٠
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tatawi

وقال: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ [البقرة:١٨٥] فذلك يدل على أن ليلة القدر في رمضان. (١)

ثانياً: التنصيص على ضعف القول أو استبعاده.

قد نص ابن جزي في مقدمة كتابه على استعمالها في الترجيح بين أقوال المفسرين بقوله: ثم ما أقول فيه بأنه ضعيف أو بعيد. (٢) واستعمل في الترجيح بهذه الصيغة بعض العبارات، مثل:

أ - **عبارة (ضعيف)**، ومن الأمثلة على ذلك:

١ - عند تفسير قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَـٰشِيَةِ ۝١﴾ [الغاشية:١] قال ابن جزي: (هل أتاك) توقيف يُراد به التنبيه والتفخيم للأمر، وقيل: (هل) بمعنى (قد) وهذا ضعيف (٣).

٢- عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢﴾ [الزلزلة:٢] قال ابن جزي: يعني: الموتى الذين في جوفها وذلك عند النفخة الثانية في الصور، وقيل:هي الكنوز، وهذا ضعيف لأن إخراجها للكنوز وقت الدجال. (٤)

ب - **عبارة: (بعيد)**، ومن الأمثلة على ذلك:

١ - عند تفسير قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝١٧﴾ [الغاشية:١٧] قال ابن جزي: حض على النظر في خلقتها لما فيها من العجائب في قوتها وانقيادها مع ذلك لكل ضعيف وصبرها على العطش، وكثرة المنافع التي فيها من الركوب والحمل عليها وأكل لحومها وشرب ألبانها وأبوالها وغير ذلك.

---

(١) التسهيل (٤/ ٤٠١).

(٢) التسهيل (١/ ٧).

(٣) التسهيل (٤/ ٣٦٩).

(٤) التسهيل (٤/ ٤٠٧).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... السورة النهائية) ٠٠:٠٤
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tafasi

وقيل: أراد بالإبل السحاب، وهذا بعيد وإنما حمل قائله عليه مناسبتها للسماء والأرض والجبال. (١)

٢- عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴿١٥﴾﴾ [الشمس:١٥] قال ابن جزي: ضمير الفاعل لله تعالى، والضمير في عقباها للدمدمة والتسوية وهو الهلاك أي: لا يخاف عاقبة إهلاكهم ولا درك عليه في ذلك كما يخاف الملوك من عاقبة أعمالهم وفي ذلك احتقار لهم. وقيل: إن ضمير الفاعل لصالح عليه السلام وهذا بعيد. (٢)

ثالثاً: تفضيل القول على غيره بصيغة أفعل التفضيل.

قد نص ابن جزي في مقدمة كتابه على استعمال هذه الصيغة في الترجيح بين أقوال المفسرين بقوله: ثم ما أقول إن غيره أرجح أو أقوى أو أظهر أو أشهر. (٣)

واستعمل في الترجيح بهذه العبارات في عدة مواضع من تفسيره، ومنها:

أ- **عبارة (أرجح)** ومن أمثلة ذلك:

١- عند تفسير قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾﴾ [الغاشية:٦] قال ابن جزي: في الضريع أربعة أقوال:

أحدها: انه شوك يُقال له: الشبرق وهو سم قاتل، وهذا **أرجح** الأقوال لأن أرباب اللغة ذكروه، ولأن النبي ﷺ قال: (الضريع شوك في النار). (٤)

٢- عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾﴾ [العاديات:٧] قال ابن جزي: الضمير للإنسان أي هو: شاهد على نفسه بكنوده.

---

(١) التسهيل (٤/ ٣٧١).

(٢) التسهيل (٤/ ٢٨٤).

(٣) التسهيل (١/ ٧).

(٤) التسهيل (٤/ ٣٧٠)، انظر تخريج الحديث ص (١٠٦).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... الصورة النهائية) ٠٠:٤ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tafasi

وقيل: هو الله تعالى على معنى التهديد، والأول **أرجح** لأن الضمير الذي بعده للإنسان باتفاق فيجري الكلام على نسق واحد.(١)

ب - **عبارة: (أظهر)**، ومن الأمثلة على ذلك:

١ - عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾﴾ [الليل:١٩] قال ابن جزي: أي لا يفعل الخير جزاء على نعمة أنعم بها عليه أحد فيما تقدم، بل يفعله ابتداءً خالصاً لوجه الله.

وقيل: المعنى لا يقصد جزاء من أحد في المستقبل على ما يفعل، والأول **أظهر** ويؤيده ما روي أن سبب الآية أبا بكر الصديق لما اعتق بلالاً قالت قريش: كان لبلال عنده يد متقدمة فنفى الله قولهم.(٢)

٢ - عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾﴾ [العاديات:٨] قال ابن جزي: الخير هنا المال كقوله. (إن ترك خيراً) والمعنى: أن الإنسان شديد الحب للمال فهو ذم لحبه والحرص عليه.

وقيل: الشديد البخيل، والمعنى: على هذا أنه بخيل من أجل حب المال والأول **أظهر**.(٣)

ج - **عبارة (أقوى)** ومن الأمثلة على ذلك:

١ - عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾﴾ [هود:١٤] قال ابن جزي: فيها وجهان:

---

(١) التسهيل (٤/ ٤١٠).

(٢) التسهيل (٤/ ٣٨٧).

(٣) التسهيل (٤/ ٤١٠)،أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره(١٠/ ٣٤٤٠)،وابن جرير في تفسيره عن عامر بن عبدالله بن الزبير بنفس المعنى(٣٠/ ٢٢١)،وأبو الشيخ وابن عساكر عن ابن مسعود،انظر فتح القدير(٢٠/ ٨٢).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... العورة النهائية) ٠٤
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tatlani

أحدهما: أن تكون مخاطبة من الله للنبي ﷺ وللمؤمنين، أي: إن لم يستجب الكفار إلى ما دعوتموهم إليه من معارضة القرآن فاعلموا أنه من عند الله، وهذا على معنى: دوموا على علمكم بذلك، أو زيدوا يقيناً به.

والثاني: أن يكون خطاباً من النبي ﷺ للكفار، إن لم يستجب من تدعون من دون الله إلى شيء من المعارضة ولا قدر جميعكم عليه فاعلموا أنه من عند الله، وهذا **أقوى** من الأول، لقوله: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ (١)

٢- عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصَّافات:٩٦] قال ابن جزي:

ذهب قوم إلى أن (ما) مصدرية، والمعنى: الله خلقكم وخلق أصنامكم التي تعملونها. وهذا أليق بسياق الكلام، **وأقوى** في قصد الاحتجاج على الذين عبدوا الأصنام.... (٢)

د - **عبارة (أشهر)**، ومن الأمثلة على ذلك:

١- عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١﴾ [القدر:١] قال ابن جزي: اختلف الناس في ليلة القدر على ستة عشر قولاً، ..... ثم ساق الأقوال إلى أن قال: **والأشهر** أنها ليلة سبع وعشرين (٣).

٢- عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥﴾ [الماعون:٤-٥] قال ابن جزي: قيل: إن هذا نزل في عبد الله بن أبي بن سلول المنافق، والسورة على هذا نصفها مكي ونصفها مدني قاله أبو زيد السهيلي (٤)، وذلك أن ذكر

(١) التسهيل (٢/ ١٩١).

(٢) التسهيل (٣/ ٣٢٠).

(٣) التسهيل (٤/ ٤٠٢)، انظر تخريج الحديث ص(٢٢٤).

(٤) هو عبدالرحمن بن عبدالله بن أحمد بن أصبغ بن حبيش بن سعدون السهلي الخثعمي الأندلسي المالكي أبو زيد، كان عالما بالعربية واللغة والقراءات، جامعا بين الرواية والدراية، نحويا، أديبا، عالما بالتفسير وصناعة الحديث، واسع المعرفة، غزير العلم، نبيها ذكيا، كف بصره وهو ابن سبع عشرة سنة، =⇦

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٤:٠٠ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tafasi

أبي جهل وغيره من الكفار أكثر ما جاء في السورة المكية، وذكر السهو عن الصلاة والرياء فيها إنما هو من صفة الذين كانوا بالمدينة لا سيما على قول من قال إنها في عبد الله بن أبي.

وقيل: إنها مكية كلها، وهي **الأشهر** ونزل آخرها على هذا في رجل أسلم بمكة ولم يكن صحيح الإيمان. (١)

هـ - **عبارة:** (**أصح**) ومن الأمثلة على ذلك:

١- عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ۝٤﴾ [الشمس:٤] قال ابن جزي: أي يغطيها، وضمير المفعول وضمير الفاعل لـ (الليل) على **الأصح**. (٢)

٢- عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ ۝٤﴾ [الفلق:٤] قال ابن جزي:... إن في الاستعاذة من النفاثات ثلاثة أوجه:

أحدها: أن يستعاذ من مثل عملهم وهو السحر ومن أثمهن في ذلك.

والثاني: أن يستعاذ من خداعهن للناس وفتنتهن.

والثالث: أن يستعاذ مما يصيب من الشر عند نفثهن، والنفاثات بنا مبالغة والموصوف محذوف تقديره:النساء النفاثات والجماعة النفاثات أو النفوس النفاثات، والأول **أصح** (٣)

=

(ت٥٨١هـ).

ينظر: أنباء الرواة: (٣/ ١٦٢)، البداية والنهاية: (١٢/ ٣١٩)، الديباج المذهب: (٤/ ١٣٤٨)، طبقات المفسرين للداودي: (٢٥٧).

(١) التسهيل (٤/ ٤٢٤).

(٢) التسهيل (٤/ ٣٨٢).

(٣) التسهيل (٤/ ٤٤٠).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... العورة المغلظة) ٠٤:٠٠ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tatlani

و - **عبارة (أحسن)**، ومن الأمثلة على ذلك:

١- عند تفسير قوله تعالى ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ۝٧﴾ [مريم:٧] قال ابن جزي: يعني من سمي باسمه.

وقيل: مثيلاً ونظيراً. والأول **أحسن** هنا. (١)

٢- عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ۝١٢﴾ [طه:١٢]

قال ابن جزي: قيل: إنما أمر بخلع نعليه لأنهما كانتا من جلد حمار ميت فأمر بخلع النجاسة. واختار ابن عطية أن يكون أمر بخلعهما ليتأدب ويعظم البقعة المباركة، ويتواضع في مقام مناجاة الله، وهذا **أحسن**. (٢)

ز - **عبارة: (أولى)** ومن الأمثلة على ذلك:

١- عند تفسير قوله تعالى: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ﴾ [الأحزاب:٥٥].

قال ابن جزي: لما أوجب الله الحجاب أباح لهن الظهور لذوي محارمهن من القرابة وهم: الآباء، والأبناء، والأخوة، وأولادهم، وأولاد الأخوات. (ولا نسائهن).

قيل: يريد بالنساء القرابة والمصرفات لهن، وقيل يريد نساء جميع المؤمنات، ويقوي الأول تخصيص النساء بالإضافة لهم، ويقوي الثاني أنهن كن لا يحتجبن من النساء على الإطلاق. (وما ملكت أيمانهن) واختلف فيمن أبيح لهن الظهور له من ملك اليمين، فقيل: الإماء دون العبيد، وقيل: الإماء والعبيد، وهو **أولى** بلفظ الآية.. (٣)

---

(١) التسهيل (٣/ ٧).

(٢) التسهيل (٣/ ٢٤).

(٣) التسهيل (٣/ ٢٦٣).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٤..
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tafasi

ح - **عبارة (أقرب) و (أليق) و (أفصح وابرع) و (أعم) و (أوسع) (أبلغ)** ومن الأمثلة على ذلك:

١- عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢﴾ [الضحى:٢] قال ابن جزي: فيه أربعة أقوال:

إذا أقبل، وإذا أدبر، وإذا أظلم، وإذا سكن أي: استقر واستوى، أو سكن فيه الناس والأصوات، ومنه ليلة ساجية إذا كانت ساكنة الريح، وطرف ساج أي: ساكن غير مضطرب النظر، وهذا **أقرب** في الاشتقاق. (١)

٢- عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ سُجِّرَتۡ ۝٦﴾ [التكوير:٦] قال ابن جزي: فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: ملئت وفجر بعضها إلى بعض حتى تعود بحراً واحداً، والأخر: ملئت نيراناً لتعذيب أهل النار، والثالث: فرغت من مائها ويبست، وأصله من سجرت التنور إذا ملأتها، فالقول الأول والثاني **أليق** بالأصل. (٢)

٣- عند تفسير قوله تعالى: ﴿عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٢﴾ [النبأ:٢] قال ابن جزي:

هو ما جاءت به الشريعة من التوحيد والبعث والجزاء وغير ذلك، ويتعلق (عن النبأ) بفعل محذوف يفسر الظاهر تقديره: يتساءلون عن النبأ. ووقعت هذه الجملة جواباً عن الاستفهام، وبياناً للمسؤول عنه، كأنه لما قال: عم يتساءلون، أجاب فقال:

يتساءلون عن النبأ العظيم.وقيل يتعلق (عن النبأ) يتساءلون الظاهر، والمعنى على هذا: لأي شيء يتساءلون عن النبأ العظيم؟ والأول **أفصح وأبرع** وينبغي أن يوقف على قوله: (عم يتساءلون) (٣).

---

(١) التسهيل (٤/ ٣٨٨).

(٢) التسهيل (٤/ ٣٤٠).

(٣) التسهيل (٤/ ٣٢٣).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٤:٠٠ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tatlani

٤- عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣﴾ [الأعلى:٣] قال ابن جزي:

.... فإن كان من التقدير فالمعنى: قدر لكل حيوان ما يصلحه فهداه إليه وعرفه وجه الانتفاع به، وقيل:هدى الناس للخير والشر والبهائم للمراتع، وهذه الأقوال أمثلة والأول **أعم** وأرجح... (١).

٥- عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ﴾ [الأحزاب:٥٠] قال ابن جزي:

في هذا قولان:

أحدهما: أن المراد أزواجه اللاتي في عصمته حينئذ كعائشة وغيرها، وكان أعطاهن مهورهن.

والآخر: أن المراد جميع النساء، فأباح الله له أن يتزوج كل امرأة يعطي غيرها، وهذا **أوسع** من الأول (٢).

٦ـ عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم:٢١] قال ابن جزي:

(من أنفسكم) أي صنفكم وجنسكم، وقيل: أراد خلقة حواء من ضلع آدم، وخاطب الناس بذلك لأنهم ذرية آدم.

(مودة ورحمة) قيل: بسبب المصاهرة، والعموم أحسن و**أبلغ** (٣).

---

(١) التسهيل (٤/ ٣٦٦).

(٢) التسهيل (٤/ ٢٥٩).

(٣) التسهيل (٤/ ٢٢٢).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٠٤
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tatlani

رابعاً: التنصيص على تصويب القول أو تصحيحه.

الترجيح بهذه الطريقة من أشهر طرق الترجيح عند المفسرين، وذلك لدلالتها الصريحة والواضحة على الترجيح.

ولعله لهذا السبب لم ينص ابن جزي في مقدمة كتابه على استعمال هذه الصيغة في الترجيح بين أقوال المفسرين مع استعماله لها في تفسيره للآيات.

ومن العبارات المستعملة في الترجيح بهذه الصيغة:

أ - **عبارة (الصحيح)**، ومن الأمثلة على ذلك:

عند تفسير قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴿٤﴾﴾ [البلد:٤] قال ابن جزي:

أي: يكابد المشقات من هموم الدنيا والآخرة، قال بعضهم: لا يكابد أحد من المخلوقات ما يكابد ابن آدم، وأصل الكبد من قولك كبد الرجل فهو أكبد إذا وجعت كبده، وقيل: معنا (في كبد) واقفا منتصب القامة، وهذا ضعيف، والإنسان على هذين القولين جنس،

وقيل: الإنسان: آدم عليه السلام، ومعنى (في كبد) على هذا في السماء، وهذا ضعيف والأول هو **الصحيح** [(١)].

ب - **عبارة (الصواب)** ومن الأمثلة على ذلك:

عند تفسير قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾﴾ [التكاثر:٨] قال ابن جزي:

هذا إخبار بالسؤال في الآخرة عن نعيم الدنيا، فقيل: النعيم الأمن والصحة، وقيل: الطعام والشراب، وهذه أمثلة، **والصواب** العموم في كل ما يتلذذ به [(٢)].

---

(١) التسهيل (٤/ ٣٧٩).

(٢) التسهيل (٤/ ٤١٦).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٤٠٠
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tafasi

ج- **عبارة (المختار)** ومن الأمثلة على ذلك:

عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧﴾ [الشمس:٧] قال ابن جزي:

تسوية النفس: إكمال عقلها وفهمها، فإن قيل:لما نكر النفس؟ فالجواب من وجهين:

أحدهما: أنه أراد الجنس كقوله: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ۝١٤﴾ [التكوير:١٤]

والآخر: أنه أراد نفس آدم. ولأول هو **المختار** (١).

د - **عبارة (المعروف)** ومن الأمثلة على ذلك: عند تفسير قوله تعالى:

﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ۝١﴾ [الشمس:١] قال ابن جزي:

الضحى: ارتفاع الضوء وكماله، والضحاء بالفتح والمد بعد ذلك إلى الزوال،

وقيل: الضحى النهار كله، ولأول هو **المعروف** في اللغة (٢).

خامساً: تقديم القول الراجح على المرجوح في الذكر.

قد نص ابن جزي في مقدمة كتابه على استعمال هذه الصيغة في الترجيح بين أقوال المفسرين بقوله: ثم ما أقدم غيره عليه إشعاراً بترجيح المتقدم (٣).

وتنوعت أساليبه في استعمال هذه الصيغة على النحو التالي:

أ - ذكر جميع الأقوال بصيغة الجزم، ومن الأمثلة على ذلك:

عند تفسير قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢﴾ [التكاثر:٢] قال ابن جزي: فيه ثلاثة أقوال:

---

(١) التسهيل (٤/ ٣٨٣).

(٢) التسهيل (٤/ ٣٨٢).

(٣) التسهيل (١/ ٧).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... السورة النهائية) ٠٤٠
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tatlani

أحدها: أن معناه حتى متم فأراد بزيارة المقابر الدفن فيها.

الثاني: أن معناه حتى ذكرتم الموتى الذين في المقابر، فعبر بزيارتها عن التفاخر بمن فيها لأن بعض العرب تفاخرت بآبائها الموتى، فالمعنى: ألهاكم التكاثر حتى بلغتم فيه إلى ذكر الموتى.

الثالث: أن معناه زيارة المقابر حقيقة لتعظيم أهلها والتفاخر بهم، فيقال هذا قبر فلان ليشهر ذكره ويعظم قدره [1].

ب - ذكر جميع الأقوال بصيغة التمريض، ومن الأمثلة على ذلك:

عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝٥﴾ [الشمس:٥] قال ابن جزي:

قيل: إن (ما) في قوله: (وما بناها) و (ما طحاها) و(ما سوها) موصولة بمعنى (من) والمراد: الله تعالى، وقيل: إنها مصدرية، كأنه قال: السماءوبنيانها [2]

ج - ذكر القول الراجح بصيغة الجزم، والأقوال الأخرى بصيغة التمريض.

مثال ذلك: عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦﴾ قال ابن جزي:

أي بالخصلة الحسنى وهي الإسلام، ولذلك عبر عنها بعضهم بأنها: لا إله إلا الله، أو بالتوبة الحسنى وهي الجنة. وقيل: يعني الأجر والثواب على الإطلاق.

وقيل: يعني الخلف على المنفق [3].

(١) التسهيل (٤/ ٤١٥).

(٢) التسهيل (٤/ ٣٨٢).

(٣) التسهيل (٤/ ٣٨٦).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... العورة النهائية) ٠٠:٤ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tatlani

المبحث الثالث:
وجوه الترجيح عند ابن جزي

ذكر ابن جزي في مقدمة كتابه عن وجوه الترجيح فقال:

وأما وجوه الترجيح فهي اثني عشر: الأول [1].....

أولاً: تفسير بعض القرآن ببعض، فإذا دل موضوع من القرآن على المراد بموضوع آخر حملناه عليه ورجحنا القول بذلك على غيره من الأقوال [2].

ومن الأمثلة على ذلك:

١- عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١﴾ [الليل:١] قال ابن جزي:

أي يغطي، وحذف المفعول وهو الشمس لقوله: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١﴾ أو النهار لقوله: (يغشي الليل النهار) أو كل شيء يستره الليل [3].

٢- وابن جزي له طريقة متميزة في تفسير القرآن بالقرآن، وهو أنه يتناول قضية واحدة من خلال مجموعة من الآيات المتفرقة، وقد استخدم هذه الطريقة في عدة مواضع من تفسيره، ومنها:

عند تفسير قوله تعالى ﴿لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ۝٣﴾ [الإخلاص:٣] قال ابن جزي:

وقد أقام الله البراهين في القرآن على نفي الولد، وأوضحها أربعة أقوال:

الأول: أن الولد لا بد أن يكون من جنس والده، والله تعالى ليس له جنس فلا يمكن أن يكون له ولد وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾ [المائدة:٧٥] فوصفها

(١) التسهيل (١/ ٢١، ٢٠).

(٢) التسهيل (١/ ٢٠).

(٣) التسهيل (٤/ ٣٨٥).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... الصورة النهائية) ٠٤.. ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tatlani

بصفة الحدوث لينفي عنهما صفة القدم فتبطل مقالة الكفار.

والثاني: أن الوالد إنما يتخذ ولداً للحاجة إليه، والله لا يفتقر إلى شيء فلا يتخذ ولداً وإلى هذا أشار بقوله:

﴿ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ ﴾ [يونس:٦٨].

الثالث: أن جميع الخلق عباد الله، والعبودية لا تنافي البنوة، وإلى هذا أشار بقوله تعالى: ﴿ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ ﴾ [مريم:٩٣].

الرابع: أنه لا يكون له ولد إلا لمن يكن له زوجة، والله تعالى لم يتخذ زوجة فلا يكون له ولد، وإلى هذا الإشارة بقوله: ﴿ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ ﴾ [الأنعام:١٠١] (١).

ثانياً: حديث النبي ﷺ، فإذا ورد عنه عليه السلام تفسير شيء من القرآن عولنا عليه، لاسيما إن ورد في الحديث الصحيح (٢).

ومن الأمثلة على ذلك:

١- عند تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾ ﴾ [القدر:١] قال ابن جزي:

اختلف الناس في ليلة القدر على ستة عشر قولاً، وهي:... وبعد أن ساق الأقوال،

قال: وأرجح الأقوال أنها ليلة إحدى وعشرين من رمضان، أو ليلة ثلاث وعشرين، أو ليلة سبع وعشرين، فقد جاءت في هذه الليالي أحاديث صحيحة خرجها مسلم (٣) وغيره (٤).

---

(١) التسهيل (٤/ ٤٣٦، ٤٣٧).

(٢) التسهيل (١/ ٢٠).

(٣) سيأتي تخريجه ص (٢٢٤).

(٤) التسهيل (٤/ ٤٠٢، ٤٠١).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٤
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tatlani

٢- عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١﴾ [الكوثر:١] قال ابن جزي:

هذا خطاب للنبي ﷺ، والكوثر بناء مبالغة من الكثرة، وفي تفسيره سبعة أقوال:....وبعد أن ساق الأقوال قال:... ولكن الصحيح أن المراد بالكوثر الحوض لما ورد في الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: (أتدرون ما الكوثر؟ هو نهر أعطانيه الله، وهو الحوض آنيته عدد نجوم السماء) (١).

ثالثاً: أن يكون القول قول الجمهور وأكثر المفسرين، فإن كثرة القائلين بالقول يقتضي ترجيحه (٢).

ومن الأمثلة على ذلك:

١- عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ ٢﴾ [الشرح:٢] قال ابن جزي: فيه ثلاثة أقوال:

الأول: قول الجمهور: أن الوزر الذنوب، ووضعها هو غفرانها، فهو كقوله:

﴿لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح:٢] وهذا يدل على قول من جوز صغائر الذنوب على الأنبياء، أو على أن ذنوبه كانت قبل النبوة... ثم ساق بقية الأقوال (٣).

٢- عند تفسير قوله تعالى: ﴿أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يَنۡهَىٰ ٩﴾ [العلق:٩] ﴿عَبۡدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ١٠﴾ [العلق:١٠] قال ابن جزي:

اتفق المفسرون أن العبد الذي صلى هو سيدنا محمد ﷺ، وأن الذي نهاه أبو جهل

---

(١) التسهيل (٤/ ٤٢٦)، انظر تخريج الحديث ص (٢٨٩).

(٢) التسهيل (١/ ٢٠).

(٣) التسهيل (٤/ ٣٩٢).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... الصورة النهائية) ٠٠:٤ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tafasi

لعنه الله.... [1].

رابعاً: يكون القول قول من يقتدي به من الصحابة كالخلفاء الأربعة، وعبدالله بن عباس.

لقول الرسول ﷺ: (اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل) [2].

ومن الأمثلة على ذلك:

١- عند تفسير قوله تعالى: ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣﴾ [الغاشية:٣] قال ابن جزي:

هو من النصب بمعنى التعب، وفي المراد بهم ثلاثة أقوال: وقال:

الثاني: أنها في الرهبان الذين يجتهدون في العبادة ولا تقبل منهم لأنهم على غير الإسلام وبهذا تأولها عمر ابن الخطاب رضي الله عنه وبكى رحمة لراهب نصراني رآه مجتهداً، فعاملة ناصبة على هذا في الدنيا، وناصبة إشارة إلى اجتهادهم في العمل [3]

٢- عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر:١] قال ابن جزي:

يعني بالفتح: أي فتح مكة والطائف وغيرهما من البلاد التي فتحها رسول الله ﷺ، وقال ابن عباس: إن النصر صلح الحديبية، والفتح فتح مكة [4].

خامساً: أن يدل على صحة القول كلام العرب من اللغة والإعراب او التصريف أو الاشتقاق [5].

---

(١) التسهيل (٤/ ٣٩٨)الحديث أخرجه أحمدفي المسندبرقم(٢٣٩٧)(١/ ٢٦٦)،والطبراني في المعجم الكبيربرقم(١٠٦١٤)(١٠/ ٢٣٦)،وقوى إسناده شعيب الأرناؤوط .

(٢) التسهيل (١/ ٢٠).

(٣) التسهيل (٤/ ٢٩٦).

(٤) التسهيل (٤/ ٤٣١).

(٥) التسهيل (١/ ٢٠).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٤ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tatawi

ومن الأمثلة على ذلك:

١- عند تفسير قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ﴾ [الغاشية:٦] قال ابن جزي:

في الضريع أربع أقوال:

أحدهما: أنه شوك يقال له: الشبرق، وهو سم قاتل وهذا أرجح الأقوال لأن أرباب اللغة ذكروه [١].

٢- عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢﴾ [الضحى:٢] قال ابن جزي: فيه أربعة أقوال:

إذا أقبل، وإذا أدبر، وإذا أظلم، وإذا سكن أي: استقر واستوى، أو سكن فيه الناس والأصوات، ومنه ليلة ساجية إذا كانت ساكنة الريح، وطرف ساج أي: ساكن غير مضطرب النظر، وهذا أقرب في الاشتقاق وهو اختيار ابن عطية. [٢]

سادساً: أن يشهد بصحة القول سياق الكلام ويدل عليه ما قبله أو ما بعده [٣].

ومن الأمثلة على ذلك:

١- عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۝١﴾ [القدر:١] قال ابن جزي:

الضمير في أنزلناه للقرآن، دل على ذلك سياق الكلام، وفي ذلك تعظيم للقرآن من ثلاثة أوجه... [٤].

٢- عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝٧﴾ [العاديات:٧] قال ابن جزي:

الضمير للإنسان أي: هو شاهد على نفسه بكنوده.

---

(١) التسهيل (٤/ ٣٧٠).

(٢) التسهيل (٤/ ٣٨٨).

(٣) التسهيل (١/ ٢٠).

(٤) التسهيل (٤/ ٤٠٢).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٤
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tafasi

وقيل: هو لله تعالى على معنى التهديد، والأول أرجح لأن الضمير الذي بعده للإنسان باتفاق، ويجري الكلام على نسق واحد [١].

سابعاً: أن يكون ذلك المعنى المتبادر إلى الذهن فإن ذلك دليل على ظهوره ورجحانه [٢].

ومن الأمثلة على ذلك:

١- تفسير قوله تعالى: ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ [العلق:٥] قال ابن جزي:

يحتمل أن يريد بهذا التعليم الكتاب، لأن الإنسان هنا سيدنا محمد ﷺ، والأظهر أنه جنس الإنسان على العموم [٣]

٢- عند تفسير قوله تعالى ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۝٨﴾ [العاديات:٨] قال ابن جزي:

الخير هنا المال كقوله (إن ترك خيراً) والمعنى: أن الإنسان شديد الحب للمال فهو ذم لحبه والحرص عليه، وقيل: الشديد البخيل، والمعنى على هذا: أنه بخيل من أجل حب المال، والأول أظهر [٤].

ثامناً: تقديم الحقيقة على المجاز فإن الحقيقة أولى أن يحمل عليها اللفظ عند الأصوليين [٥].

ومن الأمثلة على ذلك:

---

(١) التسهيل (٤/ ٤١٠).

(٢) التسهيل (١/ ٢٠).

(٣) التسهيل (٤/ ٣٧٩).

(٤) التسهيل (٤/ ٤١٠).

(٥) التسهيل (١/ ٢١).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... الصورة النهائية) ٠٤:٠٠ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tatawi

١- عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾﴾ [ق:٣٠] قال ابن جزي:

واختلف هل تتكلم جهنم حقيقة أو مجازاً بلسان الحال، والأظهر أنه حقيقة وذلك على الله يسير [١].

٢- عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾﴾ [القارعة:٦] قال ابن جزي:

هو جمع ميزان أو جمع موزون، وميزان الأعمال يوم القيامة له لسان وكفتان عند الجمهور وقال قوم: هو عبارة عن العدل [٢].

تاسعاً: تقديم العمومي على الخصوصي، فإن العمومي أولى لأنه الأصل إلا أن يدل دليل على التخصيص [٣].

ومن الأمثلة على ذلك:

١- عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ﴾ [الفجر:١٥]... قال ابن جزي:الابتلاء هو الاختبار، واختبار الله تعالى لعبده لتقوم الحجة على العبد بما يبدو منه، وقد كان الله عالماً بذلك قبل كونه. والإنسان هنا جنس، وقيل: نزلت في عتبة بن ربيعة ، وهي مع ذلك على العموم فيمن كان على هذه الصفة[٤].

٢- عند تفسير قوله تعالى ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾ [الضحى:١١] قال ابن جزي:

---

(١) التسهيل (٤/ ١٢٢).

(٢) التسهيل (٤/ ٤١٣).

(٣) التسهيل (١/ ٢١).

(٤) التسهيل (٤/ ٣٧٤).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرونة النهائية) ٠٠:٤ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tatlani

قيل معناه بث القرآن وبلغ الرسالة، والصحيح انه عموم في جميع النعم.... [1]

٣- عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ [الكوثر:١] قال ابن جزي:

هذا خطاب للنبي ﷺ، والكوثر بثاء مبالغة من الكثرة، وفي تفسيره سبعة أقوال:

الأول: حوض النبي ﷺ.

الثاني: أنه الخير الكثير الذي أعطاه الله له في الدنيا والآخرة، قاله ابن عباس وتبعه سعيد بن جبير ، فإن قيل: إن النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله فالمعنى أنه على العموم.....ثم ساق بقية الأقوال وقال بعد ذلك:

...ولكن الصحيح أن المراد بالكوثر الحوض لما ورد في الحديث الصحيح.. [2]

فابن جزي قدم الخاص على العام لورود الدليل على التخصيص.

عاشراً: تقديم الإطلاق على التقييد، إلا أن يدل دليل على التقييد.

ومن الأمثلة على ذلك:

١- عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٨﴾ [الليل:٨] قال ابن جزي:

أي بخل بماله، أو بطاعة الله على الإطلاق، فيحتمل الوجهين لأنه في مقابلة (أعطى) [3].

٢- عند تفسير قوله تعالى: ﴿عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥﴾ [العلق:٥] قال ابن جزي:

يحتمل أن يريد بهذا التعليم الكتابة لأن الإنسان لم يكن يعلمها أول مرة، اويريد التعليم لكل شيء على الإطلاق. [4]

---

(١) التسهيل (٤/ ٣٩٠).

(٢) التسهيل (٤/ ٤٢٦) انظر تخريج الحديث ص (٢٩٨).

(٣) التسهيل (٤/ ٣٨٦).

(٤) التسهيل (٤/ ٣٩٨).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٤:٠٠ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tatlani

الحادي عشر: تقديم الاظهار على الإضمار، إلا أن يدل دليل على الإضمار (١).

ومن الأمثلة على ذلك:عند تفسير قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩﴾ [الشمس:٩] قال ابن جزي:

هذا جواب القسم عند الجمهور، وقال الزمخشري: الجواب محذوف تقديره: ليدمدمن الله على أهل مكة لتكذيبهم النبي ﷺ كما دمدم على قوم ثمود لتكذيبهم صالحاً عليه السلام قال: وأما ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ فكلام تابع لقوله: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨﴾ [الشمس:٨] على سبيل الاستطراد، وهذا بعيد (٢)

٢- عند تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً ۖ قُلِ اللَّهُ ۖ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۚ﴾ [الأنعام:١٩] قال ابن جزي: يحتمل وجهين : أحدهما: أن يكون "الله" مبتدأ و"شهيد" خبره ، والأخر: أن يكون تمام الجواب عند قوله "قل الله" بمعنى أن الله أكبر شهادة ، ثم يبتدئ على تقدير : هو شهيد بيني وبينكم ، والأول أوضح لعدم الإضمار(٣).

الثاني عشر: حمل الكلام على ترتيبه إلا أن يدل دليل على التقديم والتأخير. (٤)

ومن الأمثلة على ذلك:

١- عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَىٰ

---

(١) التسهيل (١/ ٢١). المذكور في جميع طبعات كتاب"التسهيل": (تقديم الاستقلال على الإضمار) ولعل المراد بأن الاستقلال من معاني الإظهار ، فمادة "قلَّ" تدل على ندرة الشيئ ، وتدل أيضا على الانفراد ، حيث يقال استقل فلان: أي انفرد بتدبيرأمره ،واستقل بالشيئ إذا انفرد به[لسان العرب"مادة قلل"١١/ ٥٦٦]،وهذاالمعنى-انفردبتدبيرأمره- فأنه يأتي في مقابل الإضمار الذي يأتي بمعنى الغيبةوالتستر[معجم مقاييس اللغة"مادةأضمر"٣/ ٣٧١"]، والتي يُستغنى عنها بما سبق من الإظهار،وأنه لاينفرد بتدبيرأمره وإنما يُعرف المراد به بما سبق من الكلام المظهرالمستقل بنفسه.

(٢) التسهيل (٤/ ٣٨٣).

(٣) التسهيل (١/ ٢٥٦).

(٤) التسهيل (١/ ٢١).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... الصورة النهائية) ٠٤ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tafasi

يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ﴾ [الرُّوم:٥٦] قال ابن جزي:

(كتاب الله) يعني اللوح المحفوظ أو علم الله، والمجرور على هذا يتعلق بقوله تعالى: (لبثتم)

وقيل: يعني القرآن، فعلى هذا يتعلق هذا المجرور بقوله: (أوتوا العلم)، وفي الكلام تقديم وتأخير وتقديره على هذا: قال الذين أوتوا العلم في كتاب الله، أي: العلماء بكتاب الله. (١)

٢- عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾ [الكهف:٧٩] قال ابن جزي:

قدم عيب السفينة على خوف الغصب ، مع أن المعنى أن خوف غصبها كان سببا في عيبها ، لكنه لما كان المجال مجال تفسير وتبرير للفعل قدمه للعناية به . (٢) فابن جزي رجح أن في الكلام تقديما وتأخيرا لأجل استقامة المعنى ، وترجيحه هذا القول ظاهر في الاقتصار على ذكره تفسيرا للآية .

(١) التسهيل (٣/ ٢٢٨).

(٢) التسهيل (١/ ٤٧٢).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... العورة المغلظة) ٠٠:٤ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tatawi

الباب الثاني

عرض لترجيحات ابن جزي
في تفسيره ومناقشتها

من أول سورة (الغاشية)
إلى نهاية سورة (الناس)

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرورة النهائية) ٠٠:٤ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tatlani

سورة الغاشية

مسألة: المراد بـ (هل) في قوله تعالى: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡغَٰشِيَةِ ۝١﴾ [الغاشية:١]

۞ ترجيح ابن جزي:

("هل أتاك" توقيف يراد به التنبيه والتفخيم للأمر.

وقيل: (هل) بمعنى (قد) وهذا ضعيف)[١]

۞ المناقشة والترجيح:

رجح ابن جزي أن المراد بـ (هل) توقيف يراد به التنبيه والتفخيم للأمر، وافق ابن جزي في اختياره هذا المروي عن ابن عباس رضي الله عنه[٢] وهوقول ابن جرير والواحدي وأبي حيان وابن كثير وأبي السعود والشوكاني والألوسي وابن عاشور وابن عثيمين[٣] وحجتهم في ذلك أن (هل) هنا توقيف على معناها الظاهر وهو الاستفهام المتضمن معنى التعجب مما في خبره، والتشويق إلى استماعه، والإشعار بأنه من الأحاديث البديعة التي حقها أن تتناقلها الرواة ويتنافس عليها الدعاة.

وقيل: (هل) بمعنى (قد).

---

(١) التسهيل (٤/ ٣٦٩).

(٢) انظر : أضواء البيان (٩/ ١٨٨).

(٣) انظر على التوالي:جامع البيان(٣٠/ ١٥٩)،الوجيز(٢/ ١١٩٦)،البحرالمحيط (٨/ ٤٥٧)،تفسير القرآن العظيم(٤/ ٥٠٣)،إرشادالعقل السليم(٩/ ٨٨)،فتح القدير(٥/ ٤٢٨)،روح المعاني(٣٠/ ١١٢)،تفسيرالقرآن الكريم(١٧٥).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٤ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tafasi

وحكى هذا القول قطرب والبغوي والقرطبي والنسفي والبقاعي[1] وهذا القول مرجوح لأنه عدول عن ظاهر اللفظ بلا دليل.

۞ القول الراجح:

والذي يظهر أن ما ذهب إليه ابن جزي وجمهور المفسرين هو الراجح بالاختيار، إذ الأصل في نصوص القرآن حملها على ظواهرها، وأن تفسر على حسب ما يقتضيه ظاهر اللفظ، ولا يجوز أن يُعْدَلَ بألفاظ الوحي عن ظاهرها إلا بدليل واضح يجب الرجوع إليه[2] والعدول عن القول بأن المراد بـ (هل) الاستفهام إلى القول بأنها بمعنى (قد) لا دليل عليه.

(١) انظر على التوالي: معالم التنزيل (٤/ ٨٨)، والجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ٢٥)، وتفسير النسفي (٤/ ٣٣٣)، ونظم الدرر (٢٢/ ٢).

(٢) قواعد الترجيح (١/ ١٣٧).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٠:٠٤ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tafasi

مسألة: المراد بالغاشية في قوله تعالى: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡغَٰشِيَةِ ۝١﴾ [الغاشية:١]

۞ ترجيح ابن جزي:

قال ابن جزي: (هي القيامة لأنها تغشى جميع الخلق، وقيل هي النار من قوله تعالى ﴿وَتَغۡشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾ [إبراهيم:٥٠] وهذا ضعيف لأنه ذكر بعد ذلك قسمين: أهل الشقاوة وأهل السعادة) (١).

۞ المناقشة والترجيح:

وافق ابن جزي في اختياره هذا الواحدي ، والزمخشري، والبغوي، والرازي، وابن عطية، وابن كثير، والقرطبي، والشوكاني(٢).

واستدلوا بما يلي:

١- دلالة السياق، فإن الله تعالى ذكر بعد ذلك أهل الجنة ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاعِمَةٞ ۝٨﴾ [الغاشية:٨] والمراد باليوم هنا يوم القيامة.

٢- وذكر الله تعالى بأن من تلك صفاتهم تصلى نارا حامية مما يدل على أن النار من أهوال يوم القيامة يشمل جميع الخلائق وهو الأنسب بالموقف، ثم يذهب كل فريق إلى مصيره: المؤمنون إلى الجنة، والكافرون إلى النار.

٣- المعنى اللغوي لكلمة الغاشية، فأصلها في اللغة الداهية تغشى الناس(٣) وهذا يدل أنها بأهوالها وكرباتها تغشى جميع الخلق وليست خاصة بالكفار دون غيرهم.

---

(١) التسهيل (٤/ ٣٦٩).

(٢) انظر على التوالي: الوجيز (٢/ ١١٩٦)، الكشاف (٤/ ٧٤٤)، معالم التنزيل (٤/ ٤٧٨)، أنوار التنزيل (٥/ ٤٨٣)، التفسير الكبير (٣١/ ١٣٧)، المحرر الوجيز (٥/ ٤٧٢)، تفسير القرآن العظيم (٤/ ٤٥٦)، الجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ٢٥)، فتح القدير (٥/ ٤٢٨).

(٣) انظر: البحر المحيط (٨/ ٤٥٧).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٠:٤
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tatlani

وقيل: الغاشية هي النار تغشى وجوه الكفار، وحكى هذا القول سعيد بن جبير ومقاتل ومحمد بن كعب واستدلوا لذلك بقوله تعالى: ﴿وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾ [إبراهيم:٥٠] وقوله تعالى ﴿وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ [الأعراف:٤١] أي تغشى سكانها [١]

وهذا القول يبعده السياق، ويبعده المعنى اللغوي لكلمة (الغاشية).

۞ القول الراجح:

وإذا تقرر هذا فإن ما ذهب إليه ابن جزي وجمهور المفسرين هو القول الراجح لدلالة السياق عليه، وذلك لتعقبها بالآيات الدالة على تقسيم الناس إلى فريقين:

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۝٢﴾ [الغاشية:٢]، و﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ۝٨﴾ [الغاشية:٨])، وللمعنى اللغوي لكلمة " الغاشية "، لأن ما أحاط بالشيء من جميع جهاته فهو غاشٍ له، والقيامة كذلك من وجوه:

أنها ترد على الخلق بغتة، وأنها تغشى الناس جميعا الأولين والآخرين، وأنها تغشى الناس بالأهوال والشدائد.

ولأنه قول أكثر المفسرين، قال القرطبي: (المراد بالغاشية أي القيامة تغشى الخلائق بأهوالها وأفزاعها، قاله أكثر المفسرين) [٢].

وقال الشوكاني : (وقد ذهب إلى أن المراد بالغاشية القيامة هنا أكثر المفسرين) [٣]

ويؤيد هذا الاختيار قاعدة:

(إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عن ذلك) [٤].

---

(١) انظر: التفسير الكبير (١٣٧/ ٣١).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ٢٥).

(٣) فتح القدير (٥/ ٤٢٨).

(٤) قواعد الترجيح (١/ ١٢٥).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... الصورة النهائية) ٠٠:٤ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tafasi

مسألة: المراد بالضريع في قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝٦﴾ [الغاشية:٦]

۞ ترجيح ابن جزي:

قال ابن جزي: (في " الضريع " أربعة أقوال:

أحدها: أنه شوك يقال له الشبرق وهو سم قاتل، وهذا أرجح الأقوال لأن أرباب اللغة ذكروه، ولأن النبي ﷺ قال: (الضريع شوك أهل النار) [(١)]..

الثاني: أنه الزقوم، لقوله تعالى ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ۝٤٣﴾ [الدُخان:٤٣] ﴿طَعَامُ الْأَثِيمِ ۝٤٤﴾ [الدُخان:٤٤]

الثالث: أنه نبات أخضر منتن ينبت في البحر، وهذا ضعيف.

الرابع: أنه واد في جهنم، وهذا ضعيف لأن ما يجري في الوادي ليس بطعام، إنما هو شراب) [(٢)].

۞ المناقشة والترجيح:

وافق ابن جزي في اختياره المروي عن ابن عباس رضي الله عنهما وعكرمة ومجاهد وقتادة وقول ابن جرير والواحدي والزمخشري والرازي والقرطبي والبيضاوي والنسفي ووافقهم البقاعي والبيضاوي [(٣)].

---

(١) الحديث لم أجده بها اللفظ ، وورد بلفظ آخرعن ابن عباس:("ليس لهم طعام إلامن ضريع"قال:قال رسول الله: شيئ يكون في النار شبه الشوك،أمرمن الصبر،وأنتن من الجيفة..)قال السيوطي في الدرالمنثور: أخرجه ابن مردويه بسند واه عن ابن عباس (٨/ ٤٩٢).

(٢) التسهيل (٤- ٣٧٠).

(٣) انظر على التوالي: جامع البيان (٣٠/ ١٦١)، الوجيز (٢/ ١١٩٦)، الكشاف (٤/ ٧٤٥)، التفسير الكبير (٣١/ ١٣٩)، الجامع لأحكام القرآن ((٢٠/ ٣٠)، البيضاوي (٥/ ٤٨٣)، النسفي (٤/ ٣٣٤) نظم الدرر (٨/ ٤٠٦)، فتح القدير (٥/ ٤٢٩).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... السورة النهائية) ٠٤:٠٠ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tafasi

واستدلوا لهذا القول بما يلي:

١-أنه قول جمهور أهل اللغة، وهو المتوافق مع لغة العرب، والقرآن العظيم نزل بلسان عربي مبين.

٢-أنه لا تعارض بين الحصر في هذه الآية ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝٦﴾ [الغاشية:٦] وبين الحصر في قوله تعالى ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ۝٣٦﴾ [الحاقة:٣٦]، وذلك لأن المعذبين طبقات فمنهم أكلة الضريع، ومنهم أكلة الغسلين.

٣-أنه غير محال في قدرة الله تعالى أن ينبت الضريع في النار، فالقرآن صرح بأن النار فيها شجرة الزقوم، وأنها فتنة للظالمين في قوله تعالى: ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ۝٦٢ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ ۝٦٣ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ۝٦٤ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ۝٦٥ فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ۝٦٦﴾ [الصَّافات:٦٢-٦٦] " فأثبت شجرة تخرج في أصل الجحيم، وأثبت لازمها وهو طلعها في تلك الصورة البشعة، وأثبت لازم اللازم وهو أكلهم منها حتى ملء البطون.

فسلب خاصية الإحراق في النار عن النبات ليس ببعيد على قدرة الله في خلق النار، وجعل لها الخاصي، وقد وجد نظير ذلك في الدنيا عندما قال تعالى: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ۝٦٩﴾ [الأنبياء:٦٩].

۞ القول الراجح:

فإذا تقرر هذا فإن ما ذهب إليه ابن جزي وجمهور المفسرين هو القول الراجح، لثبوته عن رسول الله ﷺ، فقد أخرج ابن مردويه عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝٦﴾ [الغاشية:٦] قال: قال رسول الله ﷺ: " شيء يكون في النار شبه الشوك، أمر من الصبر، وأنتن من الجيفة... "(١).

(١) أخرجه ابن مردويه بسند واه عن ابن عباس ،انظرالدر المنثور (٨/ ٤٩٢).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... الصورة النهائية) ٠٤ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tatawi

فهذا الحديث وإن كان في إسناده نظر إلا أن الحديث الضعيف إذا عضده وجوه أخرى من وجوه الترجيح فلا إشكال في ذلك، وهو من تعاضد وجوه الترجيح، وقد فعل ذلك أئمة التفسير، فالطبري كان كثيرا ما يقول بعد أن يرجح أحد الأقوال: "وقد روي عن رسول الله ﷺ بتصحيح ما قلنا في ذلك بما في إسناده نظر" (١).

ثم يسوق الحديث مؤيدا به ما اختار، وكذلك العلامة ابن القيم عند ذكره لجملة من وجوه الترجيح في ترجيح أحد الأقوال فقال: " الوجه االثاني: أن هذا مروي عن النبي ﷺ ولو كان من الغرائب فإنه يصلح للترجيح " (٢)

وكذلك القول بأن الضريع نوع من الشوك هو اختيار جمهور المفسرين وجمهور أهل اللغة، قال الشوكاني: وجمهور أهل اللغة والتفسير قالوا بأنه نوع من الشوك يقال له الشبرق في لسان قريش إذا كان رطبا، فإذا يبس فهو الضريع. (٣)

ومما يؤيده من القواعد الترجيحية:

قاعدة: (إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه) (٤)

وقاعدة: (يجب حمل كلام الله تعالى على المعروف من كلام العرب دون الشاذ والضعيف والمنكر) (٥).

(١) انظر جامع البيان (٦/ ٢١٦)، و (٨/ ١٩٤)، و (٢٢/ ١٣٧).

(٢) تحفة المودود (٢٠)، وانظر أضواء البيان (٢/ ٨٩)، و (٤/ ٢٤٨، ٢٤٩).

(٣) فتح القدير (٥/ ٤٢٩).

(٤) قواعد الترجيح (١/ ٢٠٦).

(٥) قواعد الترجيح (٢/ ٣٦٩).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٤
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tatawi

مسألة: المراد بالإبل في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾﴾ [الغاشية:١٧]

۞ ترجيح ابن جزي:

قال ابن جزي: (حض على النظر في خلقها لما فيها من العجائب في قوتها وانقيادها مع ذلك لكل ضعيف، وصبرها على العطش، وكثرة المنافع التي فيها من الركوب عليها وأكل لحومها وشرب ألبانها، وأبوالها وغير ذلك.

وقيل: أراد بالإبل السحاب، وهذا بعيد، وإنما حمل قائله عليه مناسبتها للسماء والأرض والجبال.

والصحيح أن المراد بالإبل الحيوان المعروف، وإنما ذكره لما فيه من العجائب ولاعتناء العرب به إذ كانت معايشهم في الغالب منه وهو أكثر المواشي في بلادهم). (١)

۞ المناقشة والترجيح:

وافق ابن جزي في اختياره هذا قتادة(٢) ومقاتل(٣) وشريح القاضي(٤) وابن جرير والخطابي والواحدي والبغوي والزمخشري وابن عطية وابن الجوزي والرازي والقرطبي والبيضاوي والنسفي ووافقهم ابن كثير والشوكاني والألوسي وابن عاشور والسعدي(٥).

---

(١) التسهيل (٤/ ٣٧١).

(٢) جامع البيان (٣٠/ ١٦٥).

(٣) الجواهر الحسان للثعالبي (١٠/ ١٨٩).

(٤) تفسير ابن كثير (٤/ ٥٠٤).

(٥) انظر على التوالي: جامع البيان(٣٠/ ١٦٥)، تفسير القرآن للسمعاني (٦/ ٢١٥)، معالم التنزيل (٤/ ٤٨٠)، الكشاف (٤/ ٧٤٧)، المحرر الوجيز (٥/ ٤٧٤) زاد المسير (٩/ ٩٩)، التفسير الكبير (٣١/ ١٤٤)، الجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ٣٥) أنوار التنزيل (٥/ ٤٨٤)، النسفي (٤/ ٣٣٥)، تفسير القرآن ⇦=

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٤٠٠
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tatawi

واستدلوا بما يأتي:

١- أن السياق يوجه الأنظار إلى تلك المنظورات لما فيها من عظيم الدلائل على القدرة وعلى البعث.

٢- أن الإبل هو الحيوان الوحيد الذي يشتمل على جميع الخصال فهي حمولة وركوبة وأكولة وحلوبة، وتقطع المسافات البعيدة، وفيها قوة احتمال المداومة على السير، والصبر على العطش، والاجتزاء من العلوفات، وهذه الخواص لا توجد في سائر الحيوانات.

٣- أن الإبل من أقرب المعلومات للعرب وألصقها بحياتهم في مطعمهم من لحمها وشربهم من ألبانها وملبسهم من أوبارها وجلودها وفي حلهم وترحالهم بالحمل عليها.

٤- أن ذكر الإبل مع ذكر السماء والجبال والأرض يدل على انتظامها في نظر العرب في أوديتهم وبواديهم فانتظمها الذكر على حسب ما انتظمها نظرهم.

٥- أن الإبل من أعز مال العرب وأنفسها.

وقيل إن المراد بالإبل هنا هو السحاب، وحكى هذا القول أبو العباس المبرد[1] وعلل قوله هذا بوجه الشبه بين السحاب والإبل إذ تأتي إرسالا كالإبل وتزجى كما تزجى الإبل، ولتحقيق المناسبة بين المتعاطفات في الآية إذ ذكر السحاب مع السماء والجبال والأرض أنسب من ذكر الإبل.

وهذا القول بعيد. قال الثعالبي : (وقيل في الإبل هنا السحاب ولم أجد لذلك

= العظيم (٤/ ٥٠٤)، فتح القدير (٥/ ٤٣٠)، روح المعاني (٣٠/ ١١٦)، التحرير والتنوير (٣٠/ ٣٠٥)، تفسير السعدي (١/ ٩٢٢) .

(١) الجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ٣٥).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٠:٠٤ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tafasi

أصلا في كتب الأئمة). [1]

وقال الشوكاني: (وقال المبرد الإبل هنا هي القطع العظيمة من السحاب وهو خلاف ما ذكره أهل التفسير واللغة). [2]

وقال الزمخشري : (ولم يدَّعِ من زعم أن الإبل السحاب إلا طلب المناسبة ولعله لم يرد أن الإبل من أسماء السحاب كالغمام والمزن والرباب والغيم وغير ذلك، وإنما رأى السحاب مشبها بالإبل كثيرا في أشعارهم فجوز أن يراد بها السحاب على طريقة التشبيه). [3]

۞ القول الراجح:

وعليه فإن أرجح الأقوال في المراد بالإبل هو ما ذهب إليه ابن جزي وجمهور المفسرين لما اشتمل عليه هذا الحيوان من خصال تدل على قدرة الله تبارك وتعالى وعظمته ولأنها من أقرب الحيوانات عهدا للعرب الذين نزل القرآن بلغتهم، ومما يؤيده من القواعد الترجيحية:

(تحمل نصوص الكتاب على معهود الأميين في الخطاب) [4].

---

(١) الجواهر الحسان (١٠/ ١٩٠).

(٢) فتح القدير (٥/ ٤٣٠).

(٣) الكشاف (٤/ ٧٤٧).

(٤) قواعد التفسير(١/ ٢١٧).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... العورة النهائية) ٠٠:٤
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tafasi

مسألة: القول بالنسخ في قوله تعالى: ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾﴾ [الغاشية:٢٢]

۞ ترجيح ابن جزي:

قال ابن جزي: ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾﴾ أي قاهر متسلط، وهذا من المنسوخ بالسيف.

" قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾﴾ [الغاشية:٢٣] استثناء منقطع، معناه: لكن من تولى وكفر " فيعذبه الله ".

وقيل هذا استثناء من مفعول " فذكر " والمعنى: ذكر كل أحد إلا من تولى حتى يئست منه فهو على هذا متصل.

وقيل هو استثناء من قوله تعالى: ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾﴾ أي لا تسلط إلا على من تولى وكفر، وهو على هذا متصل ولا نسخ فيه إذ لا موادعة فيه، وهذا بعيد لأن السورة مكية والموادعة بمكة ثابتة)[1].

۞ المناقشة والترجيح:

وافق ابن جزي في اختياره هذا المروي عن ابن عباس[2] وقول الواحدي والسمعاني والبغوي وابن عطية وابن الجوزي والقرطبي ووافقهم الشوكاني[3].

وحجتهم في ذلك:

أن الآيات من المنسوخ بآية السيف وهي قوله تعالى: ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ

(١) التسهيل (٤/ ٣٧١).

(٢) الدر المنثور (٨/ ٤٩٥).

(٣) انظر على التوالي: الوجيز (٢/ ١١٩٧)، تفسير القرآن (٦/ ٢١٥)، معالم التنزيل (٤/ ٤٨٠)، المحرر الوجيز (٥/ ٤٧٥) زاد المسير (٩/ ١٠٠)، الجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ٣٨)، فتح القدير (٥/ ٤٣١).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... السورة النهائية) ٤٠٠
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tafasi

فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ [التوبة:٥]

وقالوا هذه الآية آية موادعة والموادعة بمكة ثابتة والسورة مكية وتسلطه ﷺ على من تولى وكفر بالجهاد إنما فرض بالمدينة.

وذهب ابن جرير والزمخشري والرازي والبيضاوي والنسفي وأبو حيان وابن كثير وأبو السعود والألوسي وابن عاشور والسعدي وابن عثيمين[1] إلى أن الآية لا نسخ فيها، واستدلوا لذلك:

بما رواه جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: " أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله، ثم قرأ ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾﴾ [الغاشية:٢١-٢٢] "[2]، وقالوا بأن المراد من تسلطه عليه الصلاة والسلام على من تولى وكفر باعتبار جهاده وقتاله الذي وعد به ولا ينافيه حصر الولاية بالله تعالى لأنه وقع بأمره تعالى فكأنه قيل: لست عليهم بمصيطر إلا على من تولى وكفر فإنك ستسلط عليه بما يؤذن لك من جهاده وقتله وسبيه وأسره.

۞ القول الراجح:

عند التأمل في هذه الأقوال يظهر أن القول بعدم النسخ هو الراجح لورود

---

(١) انظر على التوالي: جامع البيان (٣٠/ ١٦٧)، الكشاف (٤/ ٧٤٧)، التفسير الكبير (٣١/ ١٤٥)، تفسير البضاوي (٥/ ٤٨٥)، تفسير النسفي (٤/ ٣٣٥)، البحر المحيط (٨/ ٤٥٩)، تفسير القرآن العظيم (٤/ ٥٠٥)، إرشاد العقل السليم (٩/ ١٥٢)، روح المعاني (٣٠/ ١١٧)، التحرير والتنوير (٣٠/ ٣٠٨٠)، تفسير السعدي (١/ ٩٢٣)، تفسير القرآن الكريم (١٨٦).

(٢) رواه البخاري- كتاب الإيمان- باب الحياءمن الإيمان برقم (٢٥)، ومسلم- كتاب الإيمان- باب الأمربقتال الناس حتى يشهدواأن لاإله إلاالله محمدرسول الله (٢١)، ، والحديث مخرج في الصحيحين انظر فتح الباري (١/ ٩٥)، وصحيح مسلم (١/ ٥٢).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... السورة النهائية) ٠٤:٠٠ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tafasi

الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ في ذلك، والترجيح بهذا الوجه هو مضمون القاعدة:

(إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه) [1].

وأما الزعم بأنها منسوخة بآية السيف فليس بصحيح، فالموادعة كانت في حالة مناسبة لها من الضعف، والقتل في حالة مناسبة لها من القوة، فليس حكم المسايفة ناسخا لحكم الموادعة بل الجميع محكم.

ويؤيد هذا القاعدة الترجيحية:

(كل ما وجب امتثاله في وقت ما لعلة تقتضي ذلك الحكم ثم ينتقل بانتقالها إلى حكم آخر فليس بنسخ) [2].

وكذلك قاعدة: (النسخ لا يثبت مع الاحتمال) [3].

(١) قواعد الترجيح (١/ ٢٠٦).

(٢) قواعد التفسير (٢/ ٧٤٠).

(٣) المرجع السابق.

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٠٤
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tatlani

سورة الفجر

مسألة: المراد بـ(الفجر) في قوله تبارك وتعالى: ﴿وَٱلۡفَجۡرِ ۝١﴾ [الفجر:١]

۞ ترجيحُ ابنِ جُزَيٍ:

قال ابنُ جزي: (أقسمَ اللهُ تعالى بالفجرِ وهو الطالعُ كلَّ يومٍ، كما أقسمَ بالصُّبْحِ.

وقيلَ: أراد صلاةَ الفجر.

وقيلَ: أرادَ النهارَ كله.

وقيلَ: فجر يوم الجمعة.

وقيلَ: فجر يوم النحر.

وقيلَ: فجر ذي الحجة.

ولا دليلَ على هذه التخصيصات.

وقيلَ: أرادَ انفجارَ العيون من الحجارة، وهذا بعيدٌ، والأول أظهر وأشهر)[1].

۞ المناقشةُ والترجيحُ:

وافق ابن جزي في اختياره هذا المروي عن علي وابن الزبير[2]، وابن عباس رضي الله عنه[3]، وعكرمة [4]، وقول ابن جرير والواحدي والزمخشري والرازي والبيضاوي والنسفي ، ووافقهم ابن كثير والشوكاني والألوسي وابن عاشور والسعدي وابن عثيمين[5]. وحجتهم أن الأصل هو العموم، وليس هناك نص يُعَوَّلُ عليه يفيد

(١) التسهيل (٤/ ٣٧٢).

(٢) انظر أضواء البيان (٩/ ٢٠٩).

(٣) انظر: أضواء البيان (٩/ ٢٠٩).

(٤) جامع البيان (٣٠/ ١٦٨).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٠:٤
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tatawi

التخصيصَ، ثم لأنه وقتٌ عظيمٌ يحصلُ به من انقضاء الليل، وظهور الضوء، وانتشار الناس وسائر الحيوانات والطير والوحوش في طلب الأرزاق، وذلك فيه شبه لنشور الموتى من قبورهم، وفيه عبرة لمن تأمل، وأيضا لما يترتب على هذا الوقت من أحكام شرعية، وأركان أساسية مثل دخول وقت صلاة الفجر، وإمساك الصائم، وغيرها.

وقيل: المراد به صلاة الفجر، وهذا مروي عن ابن عباس [1]، لأنها في مفتتح النهار، وهي صلاة تجتمع لها ملائكة الليل وملائكة النهار، كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا ﴿٧٨﴾ ﴾ [الإسراء:٧٨].

وقيل: هو فجر يوم النحر، وهذا مروي عن مجاهد، ومحمد بن كعب القرظي [2]؛ لأن أمر المناسك من خصائص إبراهيم عليه السلام، وهو يوم عظيم يأتي الإنسان فيه بالقربان.

وقيل: هو فجر ذي الحجة، وهذا مروي عن الضحاك [3]؛ لأنه أول الشهر الذي تقع فيه عبادة الحج.

وقيل: هو فجر المحرم، وهذا مروي عن ابن عباس [4] ؛ لأنه أول يوم من كل سنة، ولعظمة شهر المحرم.

---

(١) انظر على التوالي: جامع البيان (٣٠/ ١٦٨)، الوجيز (٢/ ١٩٩)، الكشاف (٤/ ٧٤٩)، التفسير الكبير (٣١/ ١٤٨)، تفسير البيضاوي (٥/ ٤٨٦)، تفسير النسفي (٤/ ٣٣٦)، تفسير القرآن العظيم (٤/ ٥٠٦)، فتح القدير (٥/ ٤٣٢)، روح المعاني (٣٠/ ١١٩)، التحرير والتنوير (٣٠/ ٣١٢)، تفسير السعدي (١/ ٩٢٣)، تفسير القرآن الكريم (١٩١).

(٢) الدر المنثور (٨/ ٤٩٨).

(٣) نفس المصدر السابق.

(٤) زاد المسير (٩/ ١٠٣).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... العورة المغلظة) ٤٠٠
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tatlani

إلى غير ذلك من الأقوال التي لم يدل على تخصيصها دليل[1].

۞ القول الراجح:

والذي يظهر بعد عرض الأقوال السابقة أن ما ذهب إليه ابن جزي وجمهور المفسرين هو الراجح، وذلك لعدة أمور:

١- أنه المروي عن السلف من أمثال علي بن أبي طالب، وابن الزبير، وابن عباس ﷺ، ويؤيده من القواعد الترجيحية قاعدة: (تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم)[2].

٢- أن الأصل في نصوص الوحي العموم، والتخصيص لابد له من دليل يخصص به العموم، وهنا لا دليل على التخصيص، ويؤيد هذا من القواعد الترجيحية قاعدة: (يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص)[3].

٣- سياق الآيات يدل على أن المراد بـ (الفجر) هو الفجر الطالع كل يوم، وهو ما يقرب القول الأول - انفجار النهار من ظلمة الليل - إذ هو في سياق الأيام والليالي: الفجر، ليال عشر، الليل إذا يسر، وكلها آيات زمينة أنسب لها انفجار النهار .

(١) نفس المصدر السابق.

(٢) قواعد الترجيح (١/ ٢٧١).

(٣) قواعد الترجيح (١/ ٥٢٧).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... الصورة النهائية) ٠٠:٤
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tafasi

مسألة: المراد بـ (ليال عشر) في قوله تبارك وتعالى: ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢﴾ [الفجر:٢]

۞ ترجيح ابن جزي:

قال ابن جزي: (هي عشر ذي الحجة عند الجمهور.

وقيل: العشر الأول من المحرم، وفيها عاشوراء.

وقيل: العشر الأواخر من رمضان.

وقيل العشر الأول منه) (١).

رجح ابن جزي أن المراد بـ ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢﴾ هي عشر ذي الحجة، وعلل لهذا بأنه قول الجمهور، وهو من أوجه الترجيح عند ابن جزي، قال في مقدمته:

(وأما وجوه الترجيح فهي اثنا عشر - وذكر منها -:

الثالث: أن يكون القول قول الجمهور وأكثر المفسرين، فإن كثرة القائلين بالقول يقتضي ترجيحه) (٢).

۞ المناقشة والترجيح:

وافق ابن جزي في اختياره هذا المروي عن ابن عباس، وعبد الله بن الزبير ، ومسروق ، وعكرمة، ومجاهد والضحاك(٣)، وقول ابن جرير، والواحدي، والزمخشري، والقرطبي، ووافقهم ابن كثير، والشوكاني، والألوسي، وابن عاشور(٤).

---

(١) التسهيل (٤/ ٣٧٢).

(٢) التسهيل (١/ ٢٠).

(٣) انظر: جامع البيان (٣٠/ ١٦٩).

(٤) انظر على التوالي: جامع البيان (٣٠/ ١٦٩)، الوجيز (٢/ ١١٩٩)، الكشاف (٤/ ٧٤٩)، الجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ٣٩)، تفسير القرآن العظيم (٤/ ٥٠٦)، فتح القدير (٥/ ٤٣٢)، روح المعاني (٣٠/ ١٢٠)، التحرير والتنوير (٣٠/ ٣١٣).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٠:٠٤ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tafasi

واستدلوا بما يلي:

١-ما رواه جابر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (والفجرُ وليال عشر، قال: عشر الأضحى) [١].

٢-ما رواه ابن عباس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (ما من أيام العمل الصالح أحب إلى الله فيهن من هذه الأيام - يعني عشر ذي الحجة - قالوا: ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجلا خرج بنفسه وماله، ثم لم يرجع من ذلك بشيء) [٢].

٣-اشتمال أيام العشر من ذي الحجة على عبادات عظيمة متتابعة، ليس في غيرها من أيام السنة، فهي وقت مناسك الحج، وفيها يكون الإحرام، ودخول مكة، وأعمال الطواف، ، و ثامن هذه الليالي ليلة التروية، وتاسعتها ليلة عرفة، وعاشرتها ليلة النحر، وفيها يوم عرفة، ويستحب فيها الصيام والذكر والتسبيح والتهليل.

وقيل: المراد بـ ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢﴾ العشر الأواخر من رمضان؛ لشرفها، ولاشتمالها على ليلة القدر، ولما ثبت (أن رسول الله ﷺ كان إذا دخل العشر أحيا الليل، وأيقظ أهله، وجد وشد المئزر) [٣].

وهذا القول مروي عن الضحاك[٤]، وهو قول أبي حيان[٥]، وابن عثيمين[١].

---

(١) جامع البيان (٣٠/ ١٦٩)، أخرج هذا الحديث ابن جرير بسنده، ورواه الإمام أحمد من حديث جابر ﷺ (٣/ ٣٢٧)، ورواه النسائي في الكبرى (٦/ ٥١٤)، وقال عنه ابن كثيرفي تفسيره: وهذا إسناد رجاله لا بأس بهم، وعندي أن المتن في رفعه نكارة، والله أعلم(٤/ ٥٠٦).

(٢) أخرجه البخاري- كتاب العيدين- باب فضل العمل في أيام التشريق برقم (٩٦٩).

(٣) رواه البخاري- كتاب صلاةالتراويح- باب العمل في العشرالأواخرمن رمضان- برقم (١٩٢٠)، ومسلم- كتاب الاعتكاف- باب الاجتهادفي العشرالأواخرمن رمضان- برقم (١١٧٤).

(٤) انظر: المحرر الوجيز (٥/ ٤٧٦).

(٥) البحر المحيط (٨/ ٤٦٣).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... الصورة النهائية) ٠٤ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tatlani

وقيل: إنها عشر المحرم من أوله إلى آخره؛ لشرف تلك الأيام، وفيها عاشوراء، ولما ورد في فضل صومه من أخبار.

وذهب بعض المفسرين إلى أن المراد بـ ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢﴾ يحتمل العشر من ذي الحجة، والعشر الأواخر من رمضان، والعشر الأول من شهر المحرم [٢].

۞ القول الراجح:

إن ما ذهب إليه ابن جزي وجمهور المفسرين هو الراجح والأولى بالاختيار؛ وذلك لثبوته عن رسول الله ﷺ، وهو قول ابن عباس، وابن الزبير ، وجمهور السلف والخلف.

قال ابن جرير: (والصواب من القول في ذلك عندنا أنها عشر الأضحى؛ لإجماع الحجة من أهل التأويل عليه، وأن عبد الله بن زياد القطواني حدثني، قال: حدثني زيد بن حباب، قال: أخبرني عياش بن عقبة، قال: حدثني جبير بن نعيم عن أبي الزبير عن جابر أن رسول الله ﷺ قال: والفجر وليال عشر، قال: عشر الأضحى) [٣].

وقال ابن كثير: (المراد بها عشر ذي الحجة، كما قاله ابن عباس وابن الزبير، ومجاهد، وغير واحد من السلف والخلف) [٤].

وقال الشوكاني: (هي عشر ذي الحجة في قول جمهور المفسرين)[٥]. ويؤيد هذا جملة من القواعد:

---

(١) تفسير القرآن الكريم (١٩٣).

(٢) انظر على التوالي: تفسير البيضاوي (٥/ ٤٨٦)، تفسير النسفي (٤/ ٣٣٦)، إرشاد العقل السليم (٩/ ٨٩)، تفسير السعدي (١/ ٩٢٣).

(٣) سبق تخريجه ص (١٢١).

(٤) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٨٩).

(٥) فتح القدير (٥/ ٤٣٢).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٤ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tatlani

١- قاعدة: (إذا ثبت الحديث وكان نصا في تفسير الآية فلا يصار إلى غيره) [١].

٢- وقاعدة: (تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم)[٢].

(١) قواعد الترجيح (١/ ١٩١).

(٢) قواعد الترجيح (١/ ٢٧١).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٠٤
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tafasi

مسألة: المراد بقوله تبارك وتعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ ۝٤﴾ [الفجر:٤]

۞ ترجيح ابن جزي:

قال ابن جزي: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ ۝٤﴾ أي يذهب، فهو كقوله تبارك وتعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذۡ أَدۡبَرَ ۝٣٣﴾ [المدّثر:٣٣].

وقيل: أراد يسرى فيه، فهو على هذا كقولهم: (ليلة نائم) والمراد على هذا ليلة جمع لأنه التي يسرى فيها، والأول أشهر وأظهر)[1].

فابن جزي رجح أن المراد بـ (الليل) هو عموم الليالي، وليس مخصوصا بليلة معينة كليلة مزدلفة، كما رجح أن المراد بـ (يسرِ) أي يذهب، واستدل لقوله بدليل من القرآن الكريم وهو قوله تبارك وتعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذۡ أَدۡبَرَ ۝٣٣﴾.

۞ المناقشة والترجيح:

وافق ابن جزي في اختياره هذا المروي عن عبد الله بن الزبير وابن عباس ، ومجاهد وأبي العالية[2] وقتادة ومحمد بن زيد[3]، وقول البغوي والزمخشري وابن الجوزي، ووافقهم ابن كثير والشوكاني والألوسي وابن عاشور والسعدي وابن عثيمين[4].

---

(١) التسهيل (٤/ ٣٧٣).

(٢) هو رفيع بن مهران الرياحي أبو عالية، مقرئ حافظ مفسر، من أعلم الناس بالقرآن في زمانه، أخذ القراءة عرضا عن أبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وابن عباس و (ت٩٣هـ). ينظر: تقريب التهذيب: (٣٢٨)، وطبقات المفسرين للداودي: (١٢٥)، وطبقات المفسرين للأدنه وي: (٩).

(٣) انظر: جامع البيان (٣٠/ ١٧٣).

(٤) انظر على التوالي: معالم التنزيل (٤/ ٤٨٢)، الكشاف (٤/ ٧٤٩)، زاد المسير (٩/ ١٠٨)، تفسير القرآن العظيم (٤/ ٥٠٨)، فتح القدير (٥/ ٤٣٤)، روح المعاني (٣٠/ ١٢١)، التحرير والتنوير (٣٠/ ٣١٤)، تفسير السعدي (١/ ٩٢٣)، تفسير القرآن الكريم (١٩٤).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... السورة النهائية) ٠٤:٠٠ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tafasi

واستدلوا بما يلي:

١- بقوله تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذۡ أَدۡبَرَ﴾، وبقوله تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ﴾ [التكوير:١٧].

٢- أن نعمة الله تعالى بتعاقب الليل والنهار، واختلاف مقاديرهما على الخلق نعمةٌ عظيمة، فصح أن يقسم به؛ لأنها تدل على تدبير مدبرٍ حكيمٍ عالمٍ بجميع المخلوقات.

٣- أن الليل يوافق نزول الرب جل وعلا نزولاً يليق بجلاله، فيقول: من يسألني فأعطيه؟ من يدعوني فأستجيب له؟ من يستغفرني فأغفر له؟ كما جاء في الأثر(١).

٤- أن الليل وقت سكون واستراحة واطمئنان للعباد؛ رحمةً من الله تعالى بهم، وقد أخذوا حظهم من النوم والراحة، فاستطاعوا التهجد ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡئٗا وَأَقۡوَمُ قِيلٗا ۝٦﴾ [المزمل:٦].

قيل: معنى (يسر) أي يسرى فيها، وعلى هذا فالمراد بها ليلة جمع (مزدلفة).

وحجتهم: أنها ليلة يقع السرى في أولها عند الدفع من عرفات إلى المزدلفة، وفي آخرها كما روي أنه عليه الصلاة والسلام كان يقدم ضعفة أهله في هذه الليلة، ولاختصاصها باجتماع الناس فيها لطاعة الله تعالى، وكما تقول العرب: (ليل نائم) لوقوع النوم فيه، و(ليل ساهر) لوقوع السهر فيه.

واختار هذا القول عكرمة(٢)، والكلبي ، ومحمد بن كعب .

وذهب القرطبي إلى أن المراد بـ(يسر) أي يسرى فيها، وأراد بـ (الليل) عموم الليالي، لا ليلة مخصوصة(٣).

---

(١) حديث رواه البخاري- كتاب الدعوات- باب الدعاءنصف الليل- برقم (٦٣٢١)، ومسلم- كتاب صلاة المسافرين- باب الترغيب في الدعاء- برقم (٧٥٨)، (١٦٨).

(٢) انظر: جامع البيان (٣٠/ ١٧٣).

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ٤٢).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... الصورة النهائية) ٠٤:٠٠ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tafasi

وذهب الواحدي إلى أن المراد بـ(يسر) أي إذا ذهب ومضى، والمراد بـ(الليل) ليلة المزدلفة[1].

واختار الماوردي أن المراد بـ(الليل) هي ليلة القدر[2].

۞ القول الراجح:

وبالتأمل في هذه الأقوال يظهر أن ما ذهب إليه ابن جزي وجمهور المفسرين هو الراجح، لتأييده بالآيات القرآنية الأخرى؛ ولأنه اختيار السلف، وجمهور المفسرين، ولأنه متى ما أمكن حمل الآية على معنى كلي عام شامل ولا معارض له من الأدلة فهو أولى بتفسير الآية حملا لها على عموم ألفاظها.

ويؤيد هذا جملة من القواعد الترجيحية:

١- قاعدة: (القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك) [3].

٢- قاعدة: (تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم)[4].

٣- قاعدة: (يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص)[5].

(١) انظر : زاد المسير (٩/ ١٠٨).

(٢) الوجيز (٢/ ١١٩٩).

(٣) قواعد الترجيح (١/ ٣١٢).

(٤) المصدر السابق (١/ ٢٧١).

(٥) المصدر السابق.

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... الصورة النهائية) ٠٠:٤ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tatlani

مسألة: المراد بـ (إرم) في قوله تبارك وتعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۝٧﴾ [الفجر:٦-٧]

۞ ترجيح ابن جزي:

قال ابن جزي: ("إرم" هي قبيلة عاد، سميت باسم أحد أجدادها، كما يقال: هاشم (لبني هاشم)، وإعرابه بدل من عاد، أو عطف بيان، وفائدته أن المراد عاد الأولى؛ فإن عادا الثانية لا يسمون بهذا الاسم.

وقيل: (إرم) اسم مدينتهم، فهو على حذف مضاف تقديره: (بعادٍ عادِ إرم)، ويدل على هذا قراءة ابن الزبير: (بعادِ إرم) على الإضافة، من غير تنوين (عادِ)، وامتنع (إرم) من الصرف على القولين للتعريف والتأنيث....) ثم قال:

﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ۝٨﴾ [الفجر:٨] صفة للقبيلة؛ لأنهم كانوا أعظم الناس أجساما، يقال: كان طول الرجل منهم أربع مئة ذراع، أو صفة للمدينة، وهذا أظهر لقوله تعالى: (في البلاد) ولأنها كانت أحسن مدائن الدنيا) [(١)].

۞ المناقشة والترجيح:

وافق ابن جزي في اختياره هذا سعيد بن المسيب ، وعكرمة، ومحمد بن كعب القرظي [(٢)]، وابن العربي ، والرازي، ووافقهم أبو حيان، والألوسي [(٣)] وحجتهم في ذلك ما يلي:

١- الآية المفسرة لها بعدها (ذات العماد)، فهي صفة للمدينة على أنها ذات أساطين، وأبنية مرفوعة على العمد، وكانوا يعالجون الأعمدة فينصبونها ويبنون فوقها

---

(١) التسهيل (٤/ ٣٧٣).

(٢) انظر: جامع البيان (٣٠/ ١٧٥-١٧٧)، الدر المنثور (٨/ ٥٠٥-٥٠٦).

(٣) انظر على التوالي: أحكام القرآن الكريم (٤/ ٣٩٢)، التفسير الكبير (١٨/ ١٠)، البحر المحيط (٨/ ٤٦٤)، روح المعاني (٣٠/ ١٢٤).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٤
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tafasi

القصور، كما قال الله تبارك وتعالى في وصفهم: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [الشعراء:١٢٨] أي علامةً وبناءً رفيعاً.

٢- أن الضمير في قوله تعالى: ﴿ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴿٨﴾﴾ عائد على المدينة، أي لم يخلق مثل مدينة عاد في جميع بلاد الدنيا، ويدل على هذا قراءة ابن الزبير (التي لم يخلق مثلها في البلاد) أي لم يخلق الله مثلها.

٣- أنه على تقدير حذف المضاف، وأقيم المضاف إليه مقامه (... بعاد أهل إرم...) كما في قوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا﴾ [يوسف:٨٢]، ويدل على هذا قراءة ابن الزبير (بعادِ إرمَ) على الإضافة.

٤- الاستدلال ببعض المرويات، مثل رواية وهب بن منبه، وعبد الله بن قلابة، وكعب الأحبار [١].

وقيل: إن المراد بـ (إرمَ) قبيلة، وذهب إلى هذا لقول جمهور من المفسرين منهم: مجاهد، وقتادة، ومقاتل ، ومحمد بن إسحاق ، والكلبي [٢].

وكذلك ابن جرير، والواحدي، والسمعاني، والقرطبي، والبيضاوي، والنسفي، وابن كثير، والشوكاني، وابن عاشور، والسعدي[٣]، وحجتهم في ذلك:

١-أن الضمير في قوله تعالى (مثلها) عائد إلى القبيلة، ولو كان الضمير عائدا إلى (البلاد) لقال: (التي لم يعمل مثلها في البلاد).

---

(١) انظر: زاد المسير (٩/ ١١٢)، التفسير الكبير (٣١/ ١٥٣).

(٢) انظر: جامع البيان (٣٠/ ١٧٥)، الدر المنثور (٨/ ٥٠٥).

(٣) انظر على التوالي (جامع البيان (٣٠/ ١٧٦)، الوجيز (٢/ ١٢٠٠)، تفسير القرآن (٦/ ٢١٩)، الجامع لأحكام القرآن (٤/ ٤٨٢)، تفسير البيضاوي (٥/ ٤٨٧)، تفسير النسفي (٤/ ٣٣٦)، تفسير القرآن العظيم (٤/ ٥٠٨)، فتح الباري (٨/ ٥٧١)، فتح القدير (٥/ ٤٣٥)، التحرير والتنوير (٣٠/ ٣١٩)، تفسير السعدي (١/ ٩٢٣).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... الصورة النهائية) ٠٤:٠٠ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tafasi

٢-وورود القراءة بترك إضافة (عاد) إلى (إرم)، مما يدل على أنها قبيلة، ولو كان المراد بها (بلدة) لجاءت القراءة بإضافة (عاد) إلى (إرم) كما يقال: (حاتم طيء)، و (أعشى همدان).

٣-استدلوا بقراءة أبي بن كعب ﷺ: (التي لم يخلق مثلهم في البلاد) أي مثل قبيلة عاد في طولهم وقوتهم وشدتهم، كما حكى القرآن عنهم: ﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [فصّلت:١٥].

٤-(ذات العماد) المراد بها أعمدة بنيانهم، أو أعمدة بيوتهم التي يرحلون بها؛ لأنهم كانوا أهل عمود ينتجعون البلاد.

۞ القول الراجح:

الذي يظهر أن الراجح في المراد بـ (إرم) هو (قبيلة)؛ لأنه اختيار جمهور المفسرين من المتقدمين والمتأخرين، قال القرطبي: (... وعليه الأكثر...) [(١)].

ولأن القول الآخر قد اختلف القائلون به في تحديد البلدة، فمنهم من قال دمشق أو الإسكندرية، أو مدينة صنعها شداد بن عاد [(٢)]، وكان الاعتماد في تحديدها على أخبار وقصص لم تثبت، قال عطية سالم: (وقيل إرم كانت مدينة رفيعة البنيان، وذكروا في أخبارها قصصا تفوق الخيال، وأنها في الربع الخالي، ولكن حيث لم تثبت أخبارها بسند يعول عليه ولم يصدقه الواقع فقال قوم قد خسف بها ولم تعد موجودة)[(٣)].

وكذلك فإن القرآن قد صرح بأن منازل عاد كانت بالأحقاف كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿ ۞ وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ ۘ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟

(١) الجامع لأحكام القرآن الكريم (٢٠/ ٤٦).

(٢) زاد المسير (٩/ ١١٠).

(٣) أضواء البيان (٨/ ٥٢٥).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٤٠٠
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tatlani

﴿إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ٢١﴾ [الأحقاف:٢١] والأحقاف ما بين عمان إلى حضرموت[1].

وهذا كله مما يضعف القول الثاني ويرجح قول جمهور المفسرين.

(١) التفسير الكبير (٣١/ ١٥٢).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... العورة النهائية) ٠٠:٤
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tafasi

مسألة: المراد بـ (الإنسان) في قوله تبارك وتعالى:

﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾﴾ [الفجر:١٥]

۞ ترجيح ابن جزي:

قال ابن جزي: (والإنسان هنا جنس.

وقيل: نزلت في عتبة بن ربيعة، وهي مع ذلك على العموم فيمن كان على هذه الصفة)[1].

رجح ابن جزي أن المراد بـ (الإنسان) هنا اسم جنس عام، يشمل الكافر وكذلك من اتصف بهذه الصفة من المؤمنين.

۞ المناقشة والترجيح:

وافق ابن جزي في اختياره هذا الحسن، وقتادة، ومجاهد[2]، وابن جرير، والزمخشري، وابن عطية، والقرطبي، والنسفي، ووافقهم ابن كثير، والشوكاني، والألوسي، والسعدي ، وابن عثيمين[3].

وحجتهم أن إكرام الله تعالى وإنعامه على عبده أو التضييق عليه في الرزق وإهانته هو من باب الابتلاء والامتحان لهذا الإنسان ليعلم الله تعالى الشاكر من الكافر.

---

(١) التسهيل (٤/ ٣٧٤).

(٢) انظر: جامع البيان (٣٠/ ١٨١)، تفسير القرآن لابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٢٨).

(٣) انظر على التوالي: جامع البيان (٣٠/ ١٨١)، الكشاف (٤/ ٥٧٢)، المحرر الوجيز (٥/ ٤٧٩)، الجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ٥١)، تفسير البيضاوي (٥/ ٤٨٨)، تفسير النسفي (٤/ ٣٣٧)، تفسير القرآن العظيم (٤/ ٥١٠)، فتح القدير (٥/ ٤٣٨)، روح المعاني (٣٠/ ١٢٥)، تفسير السعدي (١/ ٩٢٣)، تفسير القرآن (٢٠٠).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٤٠٠
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tatlani

وقيل: المراد بـ (الإنسان) هنا الكافر على وجه الخصوص، لأن هذه صفة الكافر إذا وسع الله عليه فلا يحمد، وإذا ضيق عليه رزقه فيقول أولاني هوانا، وحكى هذا القول الواحدي [١]، وابن عاشور [٢].

وقيل: المراد بـ (الإنسان) هنا هو عتبة بن ربيعة وأبو حذيفة بن المغيرة، وقيل: المراد بـ (الإنسان) أبي بن خلف، وقيل: أمية بن خلف[٣]، وهذه الأقوال بعيدة؛ إذ تحتاج إلى دليل في تخصيصها ولا دليل في ذلك.

۞ القول الراجح:

والذي يظهر أن الراجح هو ما ذهب إليه ابن جزي وجمهور المفسرين؛ لأن هذه الصفات هي عين صفات الكافر، وكذلك تحقق وقوعها من بعض المؤمنين - نتيجة ضعف إيمانه - أمر وارد، قال ابن عطية: (... ومن حيث كان هذا المقطع غالبا على كثيرين من الكفار جاء التوبيخ في هذه الأية لاسم الجنس إذ يقع بعض المؤمنين في شيء من هذا المنزع) [٤].

وقال القرطبي: (قلت: الآيتان صفة كل كافر، وكثير من المسلمين يظن أن ما أعطاه الله لكرامته وفضيلته عند الله....) [٥].

وكذلك فإن القول الأحسن في مثل هذا الخلاف أن يحمل اللفظ على عمومه؛ فالإنسان لفظ عام فيجب أن يبقى كذلك محمولا على كل ما يدخل تحت معناه، حتى يرد ما يخصصه، ولم يرد مخصص، ويؤيد هذا القول قاعدة:

---

(١) الوجيز (٢/ ١٢٠٠).

(٢) التحرير والتنوير (٣٠/ ٣٢٤).

(٣) انظر: زاد المسير (٩/ ١١٩).

(٤) المحرر الوجيز (٥/ ٤٧٩).

(٥) الجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ٥١).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٤٠٠
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tatlani

(يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص) [1].

(١) قواعد الترجيح (٢/ ٣٦٩).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٠٤
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tatlani

مسألة: المراد بـ (الإنسان) في قوله تبارك وتعالى:

﴿ وَجِاْيٓءَ يَوْمَئِذِۭ بِجَهَنَّمَۚ يَوْمَئِذِۭ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الفجر:٢٣]

۞ ترجيح ابن جزي:

قال ابن جزي: (... والمعنى أن الإنسان يتذكر يوم القيامة أعماله في الدنيا، ويندم على تفريطه وعصيانه، والإنسان هنا جنس.

وقيل: يعني عتبة بن ربيعة، وقيل: أمية بن خلف[1]) [2].

فرجح ابن جزي أن المراد بـ (الإنسان) هنا جنس عام، وليس مخصوصا بأحد بعينه.

۞ المناقشة والترجيح:

وافق ابن جزي في اختياره ابن جرير، والواحدي، والبغوي، وابن عطية، والرازي، والقرطبي ، والبيضاوي، والنسفي، ووافقهم ابن كثير والشوكاني، والألوسي، وابن عاشور، والسعدي، وابن عثيمين[3].

وحجتهم:

أن الأصل في هذا أن يحمل اللفظ على العموم، ما لم يرد ما يخصصه.

---

(١) هو أمية بن خلف بن وهب من بني لؤي، أحد جبابرة قريش في الجاهلية، أدرك الإسلام ولم يسلم، وهو الذي كان يعذب بلال بن رباح في بداية الإسلام، أسره عبدالرحمن بن عوف في يوم بدر فراه بلال فصاح بالناس يحرضهم على قتله فقتلوه. ينظر: سيرة ابن هشام: (٢/ ٥٢)، وتاريخ الطبري: (٢/ ١٥٢).

(٢) التسهيل (٤/ ٣٧٦).

(٣) انظر على التوالي: جامع البيان (٣٠/ ١٨٨)، الوجيز (٢/ ١٢٠١)، معالم التنزيل (٤/ ٤٨٦)، المحرر الوجيز (٥/ ٤٨١)، التفسير الكبير (٣١/ ١٥٨)، الجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ٥٦)، تفسير البيضاوي (٥/ ٤٩٠)، تفسير النسفي (٤/ ٣٣٨)، تفسير القرآن العظيم (٤/ ٥١١)، فتح القدير (٥/ ٤٤٠)، روح المعاني (٣٠١٢٨)، التحرير والتنوير (٣٠/ ٣٣٨)، تفسير السعدي (١/ ٩٢٤)، تفسير القرآن (٢٠٣).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... الصورة النهائية) ٤٠٠
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tafani

وقيل: إن المراد بـ (الإنسان) هنا هو أمية بن خلف، وقيل: عتبة بن ربيعة.

وهذه الأقوال بعيدة إذ تحتاج إلى دليل في تعيينها، وحيث لا دليل يؤيد ذلك، فالقول هذا لا يصح الاستدلال به.

۞ القول الراجح:

والذي يظهر بأن ما ذهب إليه ابن جزي وجمهور المفسرين هو الصواب ؛ لأن الأصل في مثل هذا الخلاف أن يحمل اللفظ على عمومه، ولا يخصص إلا بدليل من القرآن أو سنة الرسول ﷺ.

وحيث إنه لا مخصص له فيجب أن يبقى محمولا على أصله وهو العموم، ويؤيد هذا القول قاعدة:

(يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص) [1].

(١) قواعد الترجيح (٢/ ٣٦٩).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... الصورة النهائية) ٠٠:٠٤ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tafasi

مسألة: متى يكون الخطاب في قوله تبارك وتعالى:

﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾﴾ [الفجر:٢٧-٢٨]

۞ ترجيح ابن جزي:

قال ابن جزي: ﴿ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ هذا الخطاب والنداء يكون عند الموت.

وقيل: عند البعث.

وقيل: عند انصراف الناس إلى الجنة أو النار.

والأول أرجح لما روي أن أبا بكر سأل عن ذلك رسول الله ﷺ فقال له: (يا أبا بكر إن الملك سيقولها لك عند موتك) (١).

رجح ابن جزي أن الخطاب يكون عند الموت، واستدل لترجيحه بحديث رسول الله ﷺ عندما قال لأبي بكر الصديق رضي الله عنه: (إن الملك سيقولها لك عند موتك).

۞ المناقشة والترجيح:

وافق ابن جزي في اختياره هذا الحسن البصري (٢)، وأبا صالح (٣)(٤)، والواحدي، وابن عطية، والشوكاني، وابن عثيمين (٥).

---

(١) التسهيل (٤/ ٣٧٧). والحديث أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/ ٣٤٣٠)، وابن جرير في تفسيره (٣٠/ ١٩١)،والثعلبي في تفسيره (١٠/ ٢٠٤)، وقال ابن كثير في تفسيره : هذا مرسل حسن (٤/ ٥١٢).

(٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٣٠)، فتح الباري (٨/ ٥٧٣).

(٣) انظر: جامع البيان (٣٠/ ١٩٢)،

(٤) هو باذام، ويقال: باذان مولى أم هانئ، صاحب التفسير، روى عن ابن عباس وأبي هريرة، وكان مجاهدا، ينهى عن تفسيره، (ت١٢١هـ). ينظر: الكنى للبخاري: (١/ ٨٧)، والجرح والتعديل: (١/ ٤٣١)، وتقريب التهذيب: (١٦٣).

(٥) انظر على التوالي: الوجيز (٢/ ١٢٠٢)، المحرر الوجيز (٥/ ٤٨١)، فتح القدير (٥/ ٤٤١)، تفسير القرآن ⇦=

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... الصورة النهائية) ٠٤.. ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Fattani

واستدلوا على هذا بما يلي:

١-عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: (إذا حضر المؤمن أتته ملائكة الرحمة بحريرة بيضاء فيقولون: اخرجي راضية مرضيا عنك إلى روح الله وريحان، ورب غير غضبان، فتخرج كأطيب ريح المسك...) [(١)].

٢-ما رواه ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس { في قوله تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾﴾ قال: (نزلت وأبو بكر جالس، فقال: يا رسول الله! ما أحسن هذا! فقال ﷺ: أما إنه سيقال لك هذا) [(٢)].

وقال آخرون: يقال ذلك عند الموت وعند القيام من القبر، واختاره ابن كثير[(٣)]، والسعدي[(٤)]، واستدلوا بنفس الأدلة السابقة، وأضافوا إليها قول الله تبارك وتعالى: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾﴾ [الأنعام:٦٢] وقوله تبارك وتعالى: ﴿وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ [غافر:٤٣].

وقيل: يقال ذلك عند رد الأرواح في الأجساد يوم البعث، ويكون المراد بالرب في الآية السابقة صاحب النفس، والمعنى: ارجعي إلى جسد صاحبك.

واختاره ابن عباس ﷺ، والضحاك، وعكرمة، وابن جرير[(٥)]، وحجتهم في ذلك الآيات التي بعدها: ﴿فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾﴾ [الفجر:٢٩] ﴿وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾﴾ [الفجر:٣٠]، وما

=

الكريم (٢٠٩).

(١) انظر: سنن النسائي حديث رقم (١٨٣٥)، ومسند الإمام أحمد برقم (١٨٦٣٧)، مصنف عبدالرزاق برقم (٦٧٣٦)، من حديث البراء بن عازب ﷺ،وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم(١٣٠٩)

(٢) سبق تخريجه ص (١٣٦).

(٣) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٥١١).

(٤) تفسير السعدي (١/ ٩٢٤).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٤٠٠
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tatlani

روي عن بعض السلف أنه كان يقرؤها على التوحيد: (فادخلي في عبدي) مثل ابن عباس والكلبي[1].

وقد رد ابن جرير هذه القراءة، فقال: (والصواب من القراءة في ذلك: فادخلي في عبادي، بمعنى فادخلي في عبادي الصالحين؛ لإجماع الحجة من القراء عليه)[2].

وقد تعقب ابن كثير هذا القول، فقال: (وهو غريب! والظاهر الأول، أي أنه يقال ذلك للروح عند الاحتضار، وعند قيامه من قبره كذلك؛ لقوله تبارك وتعالى: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّ﴾ وقوله تبارك وتعالى: ﴿وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي حكمه والوقوف بين يديه)[3].

۞ القول الراجح:

والتحقيق أن ما ذهب إليه ابن جزي وجمهور المفسرين هو الأولى بالاختيار، لورود الحديث الصحيح في معناه، وهو حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (إذا حضر المؤمن أتته ملائكة الرحمة بحريرة بيضاء فيقولون: اخرجي راضية مرضيا عنك إلى روح الله وريحان، ورب غير غضبان، فتخرج كأطيب ريح المسك...)[4]؛ ولأنه قول الأكثرين قال ابن الجوزي:

(واختلفوا في أي حين يقال لها ذلك على قولين: أحدهما عند خروجها (أي النفس) من الدنيا، قاله الأكثرون)[5].

---

(١) جامع البيان (٣٠/ ١٩٢).

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق

(٣) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٥١١).

(٤) سبق تخريجه ص (١٣٧).

(٥) زاد المسير (٩/ ١٢٣).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... العورة المغلظة) ٠٠:٠٤ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tafasi

والقاعدة الترجيحية ناطقة بأنه: (إذا ثبت الحديث، وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه) [1].

(١) قواعد الترجيح (١/ ٢٠٦).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٠٤
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tafasi

مسألة: فيمن نزل قوله تبارك وتعالى: ﴿فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ٢٩ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ٣٠﴾ [الفجر:٢٩-٣٠]

۞ ترجيح ابن جزي:

قال ابن جزي: (ونزلت هذه الآية في حمزة، وقيل: في خبيب بن عدي الذي صلبه الكفار بمكة، ولفظها يعم كل نفس مطمئنة) [(١)].

ذكر ابن جزي أن الآية نزلت في حمزة بن عبد المطلب ﷺ، أو في خبيب بن عدي ﷺ، ولكنه رجح العموم، أي أن المعنى يعم كل نفس مطمئنة.

۞ المناقشة والترجيح:

وافق ابن جزي في ترجيحه هذا المروي عن ابن عباس ﷺ، والضحاك، وعكرمة، والكلبي، وقتادة، وابن جرير [(٢)]، والواحدي، والبغوي، والزمخشري، وابن عطية، والرازي، والقرطبي، والبيضاوي، ووافقهم أبو حيان، وأبو السعود، والشوكاني، والألوسي، وابن عاشور، والسعدي، وابن عثيمين [(٣)].

وحجتهم: أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وأن الأصل حمل الكلام على العموم ما لم يرد دليل بالتخصيص.

وقيل: نزلت في حمزة بن عبد المطلب ﷺ لما استشهد يوم أحد.

---

(١) التسهيل (٤/ ٣٧٧).

(٢) جامع البيان (٣٠/ ١٩١-١٩٢).

(٣) انظر على التوالي: الوجيز (٢/ ١٢٠٢)، معالم التنزيل (٤/ ٤٨٧)، الكشاف (٤/ ٧٥٦)، المحرر الوجيز (٥/ ٤٨٢)، التفسير الكبير (٣١/ ١٦٢)، الجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ٥٩)، تفسير البيضاوي (٥/ ٤٩١)، البحر المحيط (٨/ ٤٦٧)، إرشاد العقل السليم (٩/ ١٥٩)، فتح القدير (٥/ ٤٤١)، روح المعاني (٣٠/ ١٣٢)، التحرير والتنوير (٣٠/ ٣٤١)، تفسير السعدي (١/ ٩٢٤)، تفسير القرآن الكريم (٢١٢).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٤
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tafasi

وقيل: نزلت في عثمان بن عفان ﷺ حين أوقف بئر رومة.

وقيل: نزلت في أبي بكر الصديق ﷺ [1].

۞ القول الراجح:

والذي يظهر أن الراجح هو ما ذهب إليه ابن جزي، وجمهور المفسرين من المتقدمين والمتأخرين، والتفصيل أنه إذا أراد القائلون بالتخصيص في مراد الآية أن ذلك من قبيل التفسير، وأنه داخل في معنى الآية، فلا تعارض إذا، وأما ما أريد بأن الآية نزلت في أشخاص بعينهم فهذا لا مصدر له إلا النقل والسماع. قال ابن تيمية: (وقولهم: نزلت هذه الآية في كذا يراد به تارة أنه سبب النزول، ويراد به تارة أن ذلك داخل في الآية، وإن لم يكن السبب، كما تقول: عني بهذه الآية كذا ا.هـ) [2].

فالقول بالعموم هو الأصح؛ لأن الأصل حمل الألفاظ على العموم، وحيث لا مدخل للرأي في القول بسبب النزول ألبتة، وكذلك أيضا هو اختيار جمهور المفسرين، ويؤيد هذا جملة من القواعد الترجيحية:

- قاعدة: (القول في الأسباب موقوف على النقل والسماع) [3].

- قاعدة: (يجب حمل نصوص الوحي على العموم، ما لم يرد نص بالتخصيص)[4].

(١) انظر: زاد المسير (٩/ ١٢٤).

(٢) مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٣٩).

(٣) قواعد التفسير (١/ ٥٤).

(٤) قواعد الترجيح (٢/ ٣٦٩).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... العورة النهائية) ٠٠٤
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tatlani

سورة البلد

مسألة: ما المراد بـ(حل) في قوله تبارك وتعالى: ﴿وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٢﴾ [البلد:٢]

۞ ترجيح ابن جزي:

قال ابن جزي:

﴿وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٢﴾ هذه جملة اعتراضية بين القسم وما بعده، وفي معناها ثلاثة أقوال:

أحدها: أن المعنى (أنت حال بهذا البلد)، أي: ساكن، لأن السورة نزلت والنبي ﷺ بمكة.

والأخر: أن معنى (حل) تستحل حرمتك، ويؤذيك الكفار، مع أن مكة لا يحل فيها قتل صيد ولا بشر ولا قطع شجر، وعلى هذا قيل: (لا أقسم) يعني: لا أقسم بهذا البلد وأنت تلحقك فيه إذاية.

الثالث: أن معنى (حل): حلال، يجوز لك في هذا البلد ما شئت من قتلك الكفار وغير ذلك مما لا يجوز لغيرك، وهذا هو المعنى الأظهر لقوله ﷺ: (إن هذا البلد حرام، حرمه الله يوم خلق السموات والأرض، لم يحل لأحد قبلي، ولا يحل لأحد بعدي، وإنما أحل لي ساعة من نهار)[1]. يعني فتح مكة، وفي ذلك اليوم أمر ﷺ بقتل ابن خطل وهو متعلق بأستار الكعبة.

فإن قيل: إن السورة مكية، وفتح مكة كان عام ثمانية من الهجرة!

فالجواب: أن هذا وعد بفتح مكة، كما تقول لمن تعده بالكرامة: (أنت مكرم) يعني: فيما يستقبل.

---

(١) انظر تخريج الحديث ص (١٤٣).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... السورة النهائية) ٤٠٠ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tatlani

وقيل: إن السورة على هذا مدنية نزلت يوم فتح مكة، وهذا ضعيف)[1].

۞ المناقشة والترجيح:

وافق ابن جزي في اختياره هذا المروي عن ابن عباس ﷺ، ومجاهد، وقتادة، وابن زيد، وعطاء ، والضحاك، وقول ابن جرير [2] ، والواحدي، والبغوي، والزمخشري، والنسفي، ووافقهم ابن كثير، وابن عثيمين [3].

وحجتهم:

قول النبي ﷺ: (إن مكة حرمها الله، ولم يحرمها الناس، فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الأخر أن يسفك بها دما، ولا يعضد بها شجرة، فإن أحدا ترخص لقتال رسول الله ﷺ فيها، فقولوا: إن الله قد أذن لرسوله، ولم يأذن لكم، وإنما أذن لي فيها ساعة من نهار، ثم عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس، وليبلغ الشاهد الغائب)[4].

والجمع بين أن السورة مكية، والحديث كان في المدينة! فقالوا: إن اللفظ للحال، والمعنى مستقبلا، كقوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الزُمر:٣٠] وكقولك لمن تعده الإكرام: (أنت مكرم محبو)، وهذا من الله أحسن؛ لأن المستقبل عنده كالحاضر بسبب أنه لا يمنعه عند وعده مانع، فيكون هذا وعدا من الله تبارك وتعالى لنبيه ﷺ بأنه سيمكنه من المشركين.

وقيل: إن المراد بـ(حل) أي تستحل حرمتك ويؤذيك الكفار، مع أن مكة لا يحل

---

(١) التسهيل (٤/ ٣٧٨، ٣٧٩).

(٢) جامع البيان (٣٠/ ١٩٤، ١٩٥).

(٣) انظر على التوالي: الوجيز (٢/ ١٢٠٣)، معالم التنزيل (٤/ ٩٠)، الكشاف (٤/ ٧٥٧)، تفسير النسفي (٤/ ٣٣٩)، تفسير القرآن العظيم (٤/ ٥١٢)، تفسير القرآن الكريم (٢١٥).

(٤) رواه البخاري- كتاب جزاءالصيد- باب لايعضدشجرالحرم- برقم (١٠٤)، ومسلم- كتاب الحج- باب تحريم مكة- برقم (١٨٣٢).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٤٠
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tatlani

فيها صيد ولا بشر، ولا قطع شجر. وحجتهم: أن هذا فيه تثبيت لرسوله ﷺ وبعث على احتمال ما كان يكابد من أهل مكة، وتعجب لهم من حالهم في عدوانهم له.

اختار هذا القول شرحبيل بن سعد(١).

وقيل: إن المراد بـ(حل) أي حالٌّ بها ومقيم.

وحجتهم: أن السورة مكية، نزلت والنبي ﷺ بمكة، تشريف لمكة حال كون الرسول ﷺ مقيما فيها وساكنا.

وقالوا: إن جملة (وأنت حل) جملة حالية تفيد تعظيم المقسم به، وليست جملة اعتراضية.

واختار هذا القول أبو حيان، والسعدي(٢).

وهذا تأويل جميل! لو ساعد عليه ثبوت استعمال (حل) بمعنى حالٌّ: أي مقيم في مكان، فإن هذا لم يرد في كتب اللغة (٣).

۞ القول الراجح:

الذي يظهر أن القول الراجح هو ما ذهب إليه ابن جزي، وجمهور المفسرين من السلف ومن بعدهم، لورود الحديث الصحيح في معنى هذا القول، وهو القول الذي عليه السلف وجمهور المفسرين، ويؤيد هذا جملة من القواعد الترجيحية:

١- قاعدة: (إذا ثبت الحديث، وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح على ما خالفه) (٤).

---

(١) انظر: معالم التنزيل (٤/ ٩٠)، الكشاف (٤/ ٧٥٧)، التفسير الكبير ((٣١/ ١٦٣).

(٢) انظر على التوالي: البحر المحيط (٨/ ٤٧٠)، تفسير السعدي (٩٢٥٨).

(٣) انظر التحرير والتنوير(٣٠/ ٣٤٨).

(٤) قواعد الترجيح (١/ ٢٠٦).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... العورة المغلظة) ٠٠٤
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tafasi

٢- قاعدة: (تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم)[١].

٣- قاعدة: (نزول القرآن تارة يكون مع تقرير الحكم، وتارة يكون قبله، والعكس)[٢].

والآية المذكورة هي مما نزل قبل تقرير الحكم بمدة طويلة، إذ السورة مكية، والحل الذي وقع للنبي ﷺ عام الفتح [٣].

(١) قواعد الترجيح (١/ ١٧٢).

(٢) قواعد التفسير (١/ ٥٨).

(٣) انظر أمثلة لذلك في: البرهان (١/ ٣٢)، والإتقان (١/ ١٠٤، ١٠٥).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرونة النهائية) ٠٠:٠٤ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tafasi

مسألة: المراد بـ(الكبد) في قوله تبارك وتعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ ۝٤﴾ [البلد:٤]

۞ ترجيحُ ابنِ جُزَيٍ:

قال ابن جزي: (أي يكابد المشقات من هموم الدنيا والآخرة.

قال بعضهم: لا يكابد أحد من المخلوقات ما يكابد ابن آدم، وأصل (الكبد) من قولك: (كبد الرجل، فهو أكبد، إذا وجعت كبده)

وقيل: معنى (في كبد) واقفا منتصب القامة، وهذا ضعيف!

والإنسان على هذين القولين جنس.

وقيل: الإنسان آدم عليه السلام، ومعنى (في كبد) على هذا: في السماء، وهذا ضعيف!

والأول هو الصحيح) [1].

فرجح ابن جزي أن المراد بالآية هو ما يكابده الإنسان بشكل عام من هموم الدنيا والآخرة.

۞ المناقشة والترجيح:

وافق ابن جزي في اختياره هذا المروي عن ابن عباس ، والحسن، وقتادة، وعكرمة، ومجاهد، وقول ابن جرير[2]، وابن عطية، والرازي، والبيضاوي، والنسفي، ووافقهم أبو حيان، وأبو السعود، والشوكاني، والألوسي[3]. وحجتهم في ذلك :

أن المراد بـ (كبد) الشدة والتعب وهو المعروف في كلام العرب، ومنه قول لبيد

---

(١) التسهيل (٤/ ٣٧٩).

(٢) جامع البيان (٣٠/ ١٩٨).

(٣) انظر على التوالي: المحرر الوجيز (٥/ ٤٨٣)، التفسير الكبير (٣١/ ١٦٦)، تفسير البيضاوي (٥/ ٤٩٢)، تفسير النسفي (٤/ ٣٤٠)، البحر المحيط (٨/ ٤٧٠)، إرشاد العقل السليم (٩/ ٩٠)، فتح القدير (٥/ ٤٤٣)، روح المعاني (٣٠/ ١٣٥).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٠:٠٤ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tafasi

بن ربيعة :

عين هـــلا بكيـــت أربـــد .:. إذا قمنا وقام الخصوم في كبد

أي في شدة الأمر وصعوبة الخطب[١].

ومنه قول ذي الأصبع:

لي ابن عم لو أن الناس في كبد .:. لظل محتجزا بالنبل يرمينـــي[٢].

- وقيل: إن المراد بـ (كبد) أي: خلقناه منتصبا معتدل القامة، وهذا القول مروي عن ابن عباس ، وعكرمة، وأبي صالح، والضحاك [٣].

-وقد ضعَّف هذا القولَ جمهورُ المفسرين كابن عطية، والرازي، وابن جزي، وأبي حيان، والألوسي، وابن عاشور[٤] [٥].

-وذهب بعضهم إلى الجمع بين التفسيرين، وأن الآية تحتمل المعنيين.

واختار هذا القولَ السعديُّ، وابنُ عثيمين [٦] .

وحجتهم: إذا وجدت آية في القرآن تحتمل معنيين، وليس بينهما مناقضة، فتحمل على المعنيين؛ لأن القرآن أشمل وأوسع.

-وذهب ابن عاشور إلى أن المراد بالإنسان هنا الإنسان الكافر، فقال: (...فالذي

---

(١) انظر : جامع البيان (٣٠/ ١٩٨) ، وروح المعاني (٣٠/ ١٣٥).

(٢) انظر : المحرر الوجيز (٥/ ٤٨٣).

(٣) انظر جامع البيان (٣٠/ ١٨٩).

(٤) انظر على التوالي: المحرر الوجيز (٥/ ٤٨٣)، التفسير الكبير (٣١/ ١٦٦)، التسهيل (٤/ ٣٧٩)، البحر المحيط (٨/ ٤٧٠)، روح المعاني (٣٠/ ١٣٥)، التحرير والتنوير (٣٠/ ٣٥٠).

(٥) هو محمد الطاهر ابن عاشور، رئيس المفتين المالكيين بتونس، شيخ جامع الزيتونة، (١٢٩٦-١٣٩٣هـ). ينظر الأعلام (٦/ ١٧٤).

(٦) تفسير السعدي (١/ ٩٢٥)، تفسير القرآن الكريم (٢١٧).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٤٠
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tafasi

يلتئم مع السياق، ويناسب القسم أن الكبد التعب الذي يلازم أصحاب الشرك في اعتقادهم تعددَ الآلهة، واضطراب رأيهم في الجمع بين إدعاء الشرك لله تعالى وبين توجههم إلى الله بطلب الرزق وبطلب النجاة إذا أصابهم ضر، ومن إحالتهم البعث بعد الموت مع اعترافهم بالخلق الأول، فقوله ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ ۝٤﴾ توطئة لقوله: ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ۝٥﴾ [البلد:٥]، والمقصود إثبات إعادة خلق الإنسان بعد الموت للبعث والجزاء الذي أنكروه، وابتدأهم القرآن بإثباته في سور كثيرة من السور الأولى)[١].

وهذا قول له وجهة من القوة، ويدل عليه كذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ [طه:١٢٤].

وقيل: إن الآية نزلت في أبي الأشدين رجل من قريش شديد القوة اسمه أسيد بن كلدة الجمحي[٢].

وقيل: في الوليد بن المغيرة ، وقيل: في أبي جهل[٣].

وهذه الأقوال لا دليل عليها؛ قال ابن عاشور:

(وليس لهذه الأقوال شاهد من النقل الصحيح، ولا يلائمها القسم ولا السياق)[٤].

۞ القول الراجح:

يظهر أن سبب الاختلاف في لفظة (كبد) هو الاشتراك اللغوي بين هذه المعاني، فذكر كل واحد منهم أحد هذه المعاني التي يراها مناسبة لتفسيرها في الآية، باستثناء ما

---

(١) التحرير والتنوير (٣٠/ ٣٥٠).

(٢) انظر : المحرر الوجيز (٥/ ٤٨٣)، والتحرير والتنوير(٣٠/ ٣٥٠).

(٣) انظر على التوالي: المحرر الوجيز (٥/ ٤٨٣)، التحرير والتنوير (٣٠/ ٣٥٠).

(٤) التحرير والتنوير (٣٠/ ٣٥٠).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... الصورة النهائية) ٠٠:٠٤ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tafasi

ذكره ابن زيد بأن المراد بـ(كبد) هو السماء، إذ لم يرد في كتب اللغة، وإنما الوارد إضافة الكبد إلى السماء فيقال: كبد السماء، أي أوسطها، ولم تفسر بالسماء [1].

وعليه فإن الراجح هو ما رجحه ابن جزي والسلف وجمهور المفسرين؛ لأنه المشهور من لغة العرب، وهو المناسب لمعنى الآية.

قال ابن جرير: (وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك أنه خلق يكابد الأمور ويعالجها، فقوله (في كبد) معناه: في شدة، وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب؛ لأنه المعروف في كلام العرب من معاني الكبد) [2].

وللجمع بين ما أشار إليه السلف من ناحية وبين تفسير ابن عاشور من ناحية ثانية يمكن أن يكون الكبد للإنسان على نوعين:

١- كبد عام يشترك فيه كل الناس، وهو مكابدة أمور الدنيا.

٢- كبد خاص بالكافر، وذلك بسبب كفره وإعراضه عن الله، وكثرة ما يعبده من الآلهة.

ويؤيد هذا القاعدة الترجيحية:

(يجب حمل كلام الله تعالى على المعروف من كلام العرب دون الشاذ والضعيف والمنكر) [3].

(١) انظر تفسير جزء عم لمساعد الطيار (١٤٩).

(٢) جامع البيان (٣٠/ ١٩٨).

(٣) قواعد الترجيح (٢/ ٣٦٩).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... العورة المغلظة) ٠٠:٠٤ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tafasi

مسألة: المراد بـ (العقبة) في قوله تبارك وتعالى: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾﴾ [البلد:١١]

۞ ترجيح ابن جزي:

قال ابن جزي: (الاقتحام: الدخول بشدة ومشقة، والعقبة: عبارة عن الأعمال الصالحة المذكورة بعد، وجعلها عقبة استعارة عن عقبة الجبل؛ لأنها تصعب ويشق صعودها على النفوس.

وقيل: هو جبل في جهنم له عقبة لا يجاوزها إلا من عمل هذه الأعمال...، وقوله تعالى ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾﴾ [البلد:١٢] تعظيم للعقبة، ثم فسرها بفك الرقبة وهو إعتاقها بالإطعام)[1].

فابن جزي ذهب إلى أن المراد بـ (العقبة) هو فك الرقبة كما فسرها الله تعالى، وتفسير القرآن بالقرآن من أعلى مراتب التفسير عند ابن جزي [2].

ويدل على تضعيفه للقول الأخر ذكره لها بصيغة التضعيف المشفوعة بعدم رجحان هذا القول.

۞ المناقشة والترجيح:

وافق ابن جزي في اختياره هذا ابن جرير، والواحدي، والزمخشري، وابن عطية، والرازي، والقرطبي، والبيضاوي، والنسفي، ووافقهم الشوكاني، والألوسي ، وابن عاشور، والسعدي، وابن عثيمين [3].

---

(١) التسهيل (٤/ ٣٨٠).

(٢) انظر التسهيل (١/ ٢٠).

(٣) انظر على التوالي: جامع البيان (٣٠/ ٢٠٣)، الوجيز (٢/ ١٢٠٤)، الكشاف (٤/ ٧٤٤)، المحرر الوجيز (٥/ ٤٨٥)، التفسير الكبير (٣١/ ١٦٧)، الجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ٩٩) أنوار التنزيل (٢/ ٥٩٨)، تفسير النسفي (٤/ ٣٤٠)، فتح القدير (٥/ ٤٤٤)، روح المعاني (٣٠/ ١٣٧)، التحرير والتنوير (٣٠/ ٣٥٧)، تفسير السعدي (١/ ٩٢٥) ، تفسير القرآن الكريم (٢١٩).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٤:٠٠ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tafasi

وحجتهم:

أن أولى ما يفسر به القرآن هو القرآن، وهو أشرف وأصح أنواع التفسير.

وأن الأمور المذكورة في الآيات ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾﴾ [البلد:١٣] والتي جاءت مفسرة للعقبة هو مثل ضربه الله تعالى لمجاهدة النفس والهوى والشيطان على أعمال البر التي ترفع منزلته عند الله تبارك وتعالى، وبينه وبينها عقبات سامية، ومجاوزتها صعبة، والطريق إليها شديد.

وقيل: إن المراد بـ (العقبة) جبل في جهنم، أو عقبة في جهنم، لا يتجاوزها إلا من عمل الأعمال المذكورة بالآيات بعدها.

وهذا القول هو المروي عن ابن عمر { ، والحسن، وقتادة، وكعب[1] .

واستدلوا بعدة أحاديث منها:

أن عقبة بن عامر الجهني قال: قال رسول الله ﷺ: (من أعتق رقبة مؤمنة فهي فداؤه من النار) [2].

وعن أبي نجيح[3] قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (أيما مسلم أعتق رجلا مسلما فإن الله جاعل وفاء كل عظم من عظامه عظما من عظام محرره من النار، وأيما امرأة مسلمة أعتقت امرأة مسلمة فإن الله جاعل وفاء كل عظم من عظامها عظما من عظام محررها من النار)، وغير ذلك من الأحاديث التي ساقها ابن جرير في تفسيره

---

(١) انظر: جامع البيان (٣٠/ ٢٠٢).

(٢) رواه أحمد في مسنده (٤/ ١٤٧)،قال الهيثمي:فيه علي بن زيد وفيه ضعف وهو حسن الحديث (٨/ ١٤٠)، وقال الألباني في صحيح الترغيب : صحيح لغيره (٢٤٩٦).

(٣) هو عبدالله بن أبي نجيح يسار المكي أبو يسار الثقفي، المفسر، صاحب مجاهد، أخرج حديثه الأئمة الستة، (ت١٣١هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء: (٦/ ١٢٥)، تهذيب التهذيب: (٦/ ٤٩)، وطبقات المفسرين للداودي: (١/ ٥٨)، وطبقات المفسرين للأدنه وي: (١٦).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... السورة النهائية) ٠٤:٠٠ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tatlani

بإسناده [١]، وكذلك ابن كثير في تفسيره بأسانيد جيدة [٢].

۞ القول الراجح:

هو القول الذي ذهب إليه ابن جزي وجمهور المفسرين؛ لأنه تفسير القرآن بالقرآن، وهو مقدم على أي مرجح آخر، والتنصيص على أن المراد بالعقبة جبل في جهنم هو من الأمور الغيبية التي لا يمكن الوصول إلى معرفتها إلا عن طريق الوحي، ولا دليل من كتاب أو سنة نصَّ على هذا.

ولأنه قول الأكثرين من المفسرين.

وإذا تقرر هذا فإن القواعد التي تتصف بهذا الوصف هي القواعد التي ترجح التفسير الأثري، أي تفسير القرآن بالقرآن وتفسيره بالسنة فهي مقدمة عند التنازع على كل قاعدة ترجح تفسيرا اجتهاديا لأن الله تعالى أعلم بما نزل... [٣].

ويؤيد هذا جملةٌ من القواعد الترجيحية:

١-قاعدة: (القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك) [٤].

٢-قاعدة: (لا يصح حمل الآية على تفسيرات وتفصيلات لأمور غيبية لا دليل عليها من القرآن أو السنة) [٥].

---

(١) انظر: جامع البيان (٣٠/ ٢٠٢).

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم (٤/ ٥١٣، ٥١٤)والحديث أخرجه أحمد(٤/ ١١٣)،وأبوداود(٣٩٦٥) ،والبيهقي في الكبرى(١٨٢٩٠)،وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب(١٨٩٧)، وصحيح الجامع(٢٧٢٦).

(٣) انظر قواعد الترجيح (١/ ٥٨)، وأضواء البيان (١/ ٧-٣٢).

(٤) قواعد الترجيح (١/ ٣١٢).

(٥) المصدر السابق (١/ ٢٢٥).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٤:٠٠ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tafasi

سورة الشمس

مسألة: المراد بـ (ضحاها) في قوله تبارك وتعالى: ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ۝١﴾ [الشمس:١]

۞ ترجيح ابن جزي:

قال ابن جزي:(الضحى ارتفاع الضوء وكماله، والضَّحاء بالفتح والمد بعد ذلك إلى الزوال.

وقيل: الضحى النهار كله.

والأول هو المعروف في اللغة)[1].

فرجح ابن جزي القول الأول، وهو القسم بالشمس وبضوئها الذي يكون في أول النهار بناء على أن هذا هو المعروف في لغة العرب.

۞ المناقشة والترجيح:

وافق ابن جزي في اختياره هذا مجاهد، والكلبي، والزجاج[2]، والواحدي، والزمخشري، وابن عطية، والرازي، والقرطبي، والبيضاوي، والنسفي، ووافقهم أبو حيان، وأبو السعود ، والألوسي، والسعدي، وابن عثيمين [3].

---

(١) التسهيل (٤/ ٣٨٢).

(٢) انظر: جامع البيان (٣٠/ ٢٠٨)، وزاد المسير(٩/ ١٣٧)، والتفسير الكبير (٣١/ ١٧١). والزجاج هو إبراهيم بن السري الزجاج أبو إسحاق، عالم بالنحو واللغة والتفسير، (٢٤١- ٣١١). ينظر: سير أعلام النبلاء: (١/ ٦٩٥)، وطبقات المفسرين للداودي: (١٣)، وطبقات المفسرين للأدنه وي: (٥٢).

(٣) انظرعلى التوالي: الوجيز(٢/ ١٢٠٦)، والكشاف(٤/ ٧٦٢)، المحررالوجيز(٥/ ٤٨٧)، التفسيرالكبير (٣١/ ١٧١)، الجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ٧٣)، أنوارالتنزيل(٥/ ٤٩٥)، تفسيرالنسفي (٤/ ٣٤١)، البحرالمحيط (٨/ ٤٧٣)، إرشادالعقل السليم(٩/ ٩١)، روح المعاني (٣٠/ ١٤٠)، تفسير السعدي (١/ ٩٢٦)، تفسيسرالقرآن الكريم (٢٢٤).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... السورة النهائية) ٤٠٠
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tafasi

وحجتهم في ذلك:

أنه الأصل في اللغة؛ إذ يقال للضحوة ارتفاع النهار، والضحى فوق ذلك، والضحاء بالفتح والمد إذا امتد النهار وكاد ينتصف.

ولأنه في ارتفاع الضوء وكماله يتعلق بها كثير من مصالح العباد، فإن الناس كانوا كالأموات في الليل، فلما ظهر أثر الصبح في المشرق صار ذلك كالصدر الذي تنفخ فيه الحياة، فصارت الأموات أحياء، ولا تزال تلك الحياة في الازدياد والقوة والتكامل، ويكون غاية كمالها وقت الضحوة، فهذه الحالة تشبه أحوال القيامة، ووقت الضحى يشبه استقرار أهل الجنة فيها [1].

وذهب قتادة والفراء وابن قتيبة وابن جرير [2] وابن كثير [3] إلى أن المراد بـ(ضحاها) هو النهار كله.

وحجتهم في ذلك: أن جميع النهار هو من نور الشمس الظاهرة.

فهذا القول أعم من تفسير اللفظ في عرف اللغة؛ لأن المعروف في اللغة أن الضحى هو أول النهار، وليس النهار كله، ويؤيد هذا أيضا القسم بالنهار سيجيء بعدها بآية واحدة في قوله تبارك وتعالى: ﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣﴾ [الشمس:٣].

وذهب السدي ومقاتل [4] إلى أن المراد بها هو (حرها).

وحجتهم: أن نور الشمس لا يكون إلا مع حرها، والعكس، واستدلوا بقوله تعالى في سورة طه: ﴿وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ۝١١٩﴾ [طه:١١٩] أي لا يؤذيك الحر.

وهذا القول من التفسير باللازم، ويضعفه المعنى اللغوي للمراد بالضحى.

---

(١) التفسير الكبير (٣١/ ١٧٢).

(٢) انظر: جامع البيان (٣٠/ ٢٠٨)، وزاد المسير (٩/ ١٣٧)، والتفسير الكبير (٣١/ ١٧٢).

(٣) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٥١٦).

(٤) التفسير الكبير (٣١/ ١٧٢).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٤٠
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tatlani

۞ القول الراجح:

الذي يظهر أن ما ذهب إليه ابن جزي وجمهور المفسرين هو الأولى، وإن كانت الأقوال الأخرى تدخل تحت المعنى بسبب الاشتراك اللغوي، فمن قال: بالنهار كله فلأن جميع النهار من نور الشمس، ومن قال: بأنها حر الشمس؛ فلأن حرها ونورها متلازمان.

ولكن الذي يؤيد القول الأول ويقويه ما يلي:

أنه المعروف في لغة العرب، وهو أول النهار.

قال الرازي: (...وتقدير ذلك بحسب اللغة أن نقول. قال الليث: الضحو ارتفاع النهار، والضحى فويق ذلك، والضحاء ممدودا أي امتد النهار وقرب أن ينتصف) [(١)].

ويؤيده كذلك ما جاء في الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال في صلاة الضحى: (صلاة الأوابين حين ترمض الفصال) [(٢)].

ووقت صلاة الضحى يكون بعد ارتفاع الشمس قيد رمح إلى قبيل الزوال.

ومما يؤيد ذلك أيضا جملة من القواعد الترجيحية:

قاعدة: (يجب حمل كلام الله تعالى على المعروف من كلام العرب دون الشاذ والضعيف والمنكر) [(٣)].

قاعدة: (إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح على ما خالفه)[(٤)].

(١) التفسير الكبير (٣١/ ١٧٢).

(٢) رواه مسلم- كتاب صلاةالمسافرين وقصرها- باب صلاةالأوابين حين ترمض الفصال- رقم (٧٤٨) .

(٣) قواعد الترجيح (١/ ٣٦٩).

(٤) قواعد الترجيح (١/ ٢٠٦).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... الصورة النهائية) ٠٠٤
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tafasi

مسألة: المراد بـ(تلاها) في قوله تبارك وتعالى: ﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢﴾ [الشمس:٢]

۞ ترجيح ابن جزي:

قال ابن جزي:

(أي تبعها، وفي اتباعه لها ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه يتبعها في كثرة الضوء؛ لأنه أضوأ الكواكب بعد الشمس ولاسيما ليلة البدر!

والأخر: أنه يتبعها في طلوعه؛ لأنه يطلع بعد غروبها، وذلك في النصف الأول من الشهر، والضمير الفاعل يعود على النهار لأن الشمس تنجلي بالنهار، فكأنه هو الذي جلاها.

وقيل: ضمير الفاعل لله تعالى.

وقيل: الضمير المفعول للظلمة أو الأرض أو الدنيا.

وهذا كله بعيد لأنه لم يتقدم ما يعود الضمير عليه)[1].

رجح ابن جزي أن المراد بـ (تلاها) أي أن القمر يتبع الشمس في كثرة الضوء.

۞ المناقشة والترجيح:

وافق ابن جزي في اختياره هذا عطاء[2] والواحدي والبغوي والنسفي [3]؛ لأن القمر أكثر الكواكب ضوءا بعد الشمس، وقد جعله الله تبارك وتعالى عوضا عن الشمس في عدة ليال في النور والإضاءة.

---

(١) التسهيل (٤/ ٣٨٢).

(٢) انظر التفسير الكبير (٣١/ ١٧٢).

(٣) انظر الوجير (٢/ ١٢٠٦)، ومعالم التنزيل (٤/ ٤٩١)، تفسير النسفي (٤/ ٣٤١).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... السورة النهائية) ٠٤..
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tatawi

وقيل: المراد بالتلوِّ أي يتبعها في الطلوع، وذلك في النصف الأول من الشهر إذا غربت الشمس.

وهذا القول مروي عن ابن عباس ، ومجاهد وقتادة وابن زيد واختاره ابن جرير[1].

وهو قول ابن عطية والقرطبي والشوكاني .[2]

وذهب الزمخشري والبيضاوي والألوسي وابن عاشور والسعدي وابن عثيمين إلى أن المعنى يشمل كلا القولين ولا تعارض بينهما[3].

قال ابن عاشور: (والتلو: التبع، وأريد به خلف ضوئه في الليل ضوء الشمس، أي إذا ظهر بعد مغيبها، فكأنه يتبعها في مكانها، وهذا تلو مجازي، والقمر يتبع الشمس في أحوال كثيرة منها استهلاله... وهذا أيضا يغني في أكثر ليالي الشهر، جعله الله تبارك وتعالى عوضا عن الشمس في عدة ليال في الإنارة.[4]

قال السعدي: (أي يتبعها في المنازل والنور).[5]

۞ القول الراجح:

وبالتأمل في الأقوال يظهر - والله تعالى أعلم - أن ما ذهب إليه الزمخشري ومن وافقه هو الأولى من أن المعنى يشمل كلا القولين؛ لصحتهما وعدم التعارض بينهما،

---

(١) جامع البيان (٣٠/ ٢٠٨).

(٢) انظر: المحرر الوجيز (٥/ ٤٨٧)، الجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ٧٣)، فتح القدير (٥/ ٤٤٨) .

(٣) انظر: الكشاف (٤/ ٧٦٢)، أنوار التنزيل (٥/ ٤٩٥)، روح المعاني (٣٠/ ١٤١)، التحرير والتنوير (٣٠/ ٣٦٧)، تفسير السعدي (١/ ٩٢٦)، تفسير القرآن الكريم (٢٢٤).

(٤) التحرير والتنوير (٣٠/ ٣٦٧).

(٥) تفسير السعدي (١/ ٩٢٦).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٤٠٠
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tatlani

فإعمال القولين أولى من إعمال أحدهما وإهمال الأخر [1]، خاصة وأنه لا يتعارض مع أقوال السلف التي رواها ابن جرير وإنما تحتمله.

قال ابن عثيمين: (﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢﴾ قيل: تلاها في السير، وقيل: إذا تلاها في الإضاءة، وما دامت الآية تحتمل هذا وهذا فإن القاعدة في علم التفسير أن الآية إذا احتملت معنيين لا تعارض بينهما وجب الأخذ بهما جميعا؛ لأن الأخذ بالمعنيين أوسع للمعنى)[2].

(١) انظر قواعد الترجيح (٤٢-٤٥).

(٢) تفسير القرآن الكريم (٢٢٤-٢٢٥).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرونة النهائية) ٠٠:٠٤ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tafasi

مسألة: المراد بـ (ما) في قوله تبارك وتعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝٥﴾ [الشمس:٥]

۞ ترجيح ابن جزي:

(قيل: إن (ما) في قوله تعالى: (وما بناها) و (وما طحاها) و (وما سواها) موصولة بمعنى (من)، والمراد الله تعالى.

وقيل: إنها مصدرية، كأنه قال: (والسماء وبنيانها). وضعف الزمخشري ذلك بقوله: (فألهمها) فإن المراد الله تعالى باتفاق، وهذا القول يؤدي إلى فساد النظم.

وضعف بعضهم كونها موصولة بتقديم ذكر المخلوق على الخالق، فإن قيل: لم عدل عن (من) إلى قوله (ما) في قول من جعلها موصولة؟ فالجواب: أنه فعل ذلك لإرادة الوصفية كأنه قال: والقادر على بنائها)[1].

والذي يظهر أن ابن جزي رجح أن (ما) موصولة وذلك بتقديم هذا القول على الآخر، وبالتساؤل عن سبب العدول عن (من) إلى (ما) ثم الإجابة على هذا التساؤل.

۞ المناقشة والترجيح:

وافق ابن جزي في اختياره هذا مجاهد وابن جرير[2] وابن أبي زمنين والزمخشري والرازي والبيضاوي والنسفي وأبوالسعود والألوسي[3].

وحجتهم في ذلك: أن العدول عن (من) إلى (ما) لإرادة الوصفية، أي: والسماء والقادر العظيم والحكيم الباهر الذي بناها.

---

(١) التسهيل (٤/ ٣٨٢، ٣٨٣).

(٢) انظر: جامع البيان(٣٠-٢٠٩).

(٣) انظرعلى التوالي: تفسيرالقرآن العزيز (٥/ ١٣٧)، الكشاف (٤/ ٧٦٣)، التفسيرالكبير(٣١/ ١٧٤)، أنوار التنزيل(٥/ ٤٩٦)، تفسيرالنسفي(٤/ ٤٣٢)، إرشادالعقل السليم(٩/ ٩١)، روح المعاني (٣٠/ ١٤٢).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... السورة النهائية) ٠٠٤
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tafasi

واستشهدوا له بنظائر من القرآن، ومن ذلك:

قوله تعالى: ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ۝٣﴾ [البلد:٣] أي ومن ولد.

وقوله تعالى: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ﴾ [النساء:٣] أي من طاب لكم. (١)

واستشهدوا له كذلك بكلام العرب، مثل:

سبحان ما سبحت له، أي سبحان من سبحت له. (٢)

ولأن القول بأنها مصدرية يؤدي إلى فساد النظم. (٣)

- والقول الآخر أن (ما) مصدرية هو قول قتادة والمبرد وعطاء والفراء والزجاج(٤) والواحدي والقرطبي وابن عثيمين(٥).

وحجتهم: أن القسم بالسماء وببنائها لعظمتها وعظمة ارتفاعها وسعتها وقوتها، والإحكام في بنائها، واستدلوا له بقوله تعالى:

﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ۝٤٧﴾ [الذاريات:٤٧].

وقالوا كذلك: إن القول بأنها موصولة يؤدي إلى تقديم القسم بالمخلوق على الخالق وهذا لايصح. (٦)

- وذهب آخرون إلى احتمال الأمرين، إذ الدلالة على تعظيم السماء وبنائها تدل على تعظيم خالقها وبانيها وهو الله ﷻ.

---

(١) انظرجامع البيان(٣٠/ ٢٠٩).

(٢) انظرالجامع لإحكام القرآن(٢٠/ ٤٧).

(٣) انظر الكشاف(٤/ ٧٦٣).

(٤) انظر: جامع البيان(٣٠/ ٢٠٩)، والجامع لإحكام القرآن(٢٠/ ٧٤)، ومعالم التنزيل(٤/ ٤٩٢).

(٥) انظر: الوجيز(٢/ ١٢٠٦)، الجامع لإحكام القرآن(٢٠/ ٧٤)، تفسيرالقرآن الكريم(٢٢٥).

(٦) انظر: التفسيرالكبير(٣١/ ١٧٣).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... السورة النهائية) ٠٠:٤
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tafasi

اختارهـذاالقول ابـن عطيـة وأبوحيـان وابـن كثـير والـشوكاني وابـن عاشـور والسعدي. (١)

قال ابن كثير: (يحتمل أن تكون (ما) ههنا مـصدرية بمعنـى: والـسماء وبنائهـا، وهو قول قتادة، ويحتمل أن تكون بمعنى(من) يعني: والسماء وبانيها وهو قول مجاهـد وكلاهما متلازم). (٢)

۞ القول الراجح:

وبالتأمل في هـذه الأقـوال يظهـر أن القـول بـأن المعنـى يـشمل كـلا الأمـرين هـو الأولى بالاختيار لصحتها وتلازمها وعدم التعـارض بينهما، فـإعمال القـولين اولى مـن إعمال أحدهما وإهمال الأخرى. (٣)

(١) انظرعلى التوالي: المحررالوجيز(٥/ ٤٨٨)، البحرالمحيط(٨/ ٤٧٣)، تفسيرالقرآن العظيم(٤/ ٥١٦)، فتح القدير(٥/ ٤٤٩)، التحريروالتنوير(٣٠/ ٣٦٩)، تفسيرالسعدي(١/ ٩٢٦).

(٢) تفسيرالقرآن العظيم(٤/ ٥١٦).

(٣) قواعد الترجيح(١/ ٤٢-٤٥).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٠:٠٤
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tafasi

مسألة: المراد بـ(النفس) في قوله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝٧﴾ [الشمس:٧].

۞ ترجيح ابن جزي:

قال ابن جزي: (تسوية النفس إكمال عقلها وفهمها.

فإن قيل: لم نكر النفس؟ فالجواب من وجهين:

أحدهما: أنه أراد الجنس، كقوله: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ۝١٤﴾ [التكوير:١٤].

والآخر: أنه أراد نفس آدم.

والأول هو المختار). (١)

۞ المناقشة والترجيح:

وافق ابن جزي في اختياره هذا عطاء(٢) وابن جرير والواحدي والبغوي وابن عطية والرازي وأباحيان، ووافقهم ابن كثير وأبوالسعود والألوسي وابن عاشور والسعدي وابن عثيمين.(٣)

وحجتهم: أن الأصل في الألفاظ العموم.

وكذلك سياق الآيات فإن مابعده يدل عليه قوله تعالى: (فألهمها).

وأن التنكير في كلمة (نفس) يفيد التكثير فيعم كل نفس، كقوله تعالى: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ۝٥﴾ [الانفطار:٥] وقوله تعالى: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ۝١٤﴾ [التكوير:١٤].

---

(١) التسهيل(٤/ ٣٨).

(٢) انظر: زاد المسير(٩/ ١٣٩).

(٣) انظر على التوالي: جامع البيان(٣٠/ ٢١٠)، الوجيز(٢/ ١٢٠٦)، معالم التنزيل(٤/ ٤٩٢)، المحرر الوجيز(٥/ ٤٨٨)، التفسير الكبير(٣١/ ١٧٥)، البحر المحيط(٨/ ٤٧٣)، تفسير القرآن العظيم (٤/ ٥١٧)، إرشاد العقل السليم(٩/ ١٦٤)، روح المعاني(٣٠/ ١٤٢)، التحرير والتنوير (٣٠/ ٣٦٩)، تفسير السعدي(١/ ٩٢٦)، تفسير القرآن الكريم(٢٢٦).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... الصورة النهائية) ٠٠:٤ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tafasi

- وقيل: المراد بـ(النفس) نفسا خاصة من بين النفوس، وهي نفس آدم عليه السلام كأنه قال: وواحدة من النفوس. وهذا قول الحسن [1]

- وذهب الزمخشري إلى الجمع بين القولين بسبب التنكير في لفظة (النفس) فأحدها:

أنه يفيد نفسا خاصة، والآخر: أنه للتكثير فيراد به كل نفس. [2]

۞ القول الراجح:

الذي يظهر أن ماذهب إليه ابن جزي وجمهور المفسرين هو القول الراجح أنه على العموم. والعدول عن العموم إلى التخصيص لابد له من دليل صريح.

ويرجحه كذلك سياق الآيات، وقرائنها من الآيات الأخرى.

ويؤيد هذا جملة من القواعد الترجيحية:

قاعدة: (لايجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل) [3]

قاعدة: (إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عن ذلك)[4].

قاعدة: (القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك) [5].

---

(١) انظر: زاد المسير(٩/ ١٣٩).

(٢) الكشاف(٤/ ٧٦٣).

(٣) قواعد الترجيح(١/ ١٣٧).

(٤) المصدر السابق(١/ ١٢٥).

(٥) المصدر السابق(١/ ٣١٢).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٤٠٠
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tafasi

مسألة: جواب القسم في قوله تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩﴾ [الشمس:٩]

۞ ترجيح ابن جزي:

قال ابن جزي: (﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩﴾ هذا جواب القسم عند الجمهور

وقال الزمخشري: الجواب محذوف تقديره: ليدمدمن الله على أهل مكة لتكذيبهم النبي ﷺ كما دمدم على قوم ثمود لتكذيبهم صالحًا عليه السلام، قال: وأما(قد أفلح) فكلام تابع لقوله: (فألهما فجورها وتقواها) على سبيل الاستطراد وهذا بعيد).[1]

رجح ابن جزي أن قوله تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩﴾ هو جواب القسم لأنه قول الجمهور، وهو من مراتب الترجيح عنده[2] وتضعيفه لكلام الزمخشري بقوله: (وهذا بعيد).

۞ المناقشة والترجيح:

وافق ابن جزي في اختياره هذا قتادة[3] والزجاج[4] وابن جرير[5] والبغوي وابن عطية والرازي ووافقهم أبو حيان وأبو السعود والشوكاني والألوسي وابن عاشور[6].

---

(١) التسهيل (٤/ ٣٨٣).

(٢) انظر : مقدمة التسهيل (١/ ٢٠)

(٣) انظر : جامع البيان (٣٠/ ٢١١).

(٤) انظر التفسير الكبير (٣١/ ١٧٥)، وفتح القدير (٥/ ٤٤٩).

(٥) جامع البيان (٣٠/ ٢١١).

(٦) انظر على التوالي معالم التنزيل (٤/ ٤٩٣)، المحرر الوجيز (٥/ ٤٨٨)، التفسير الكبير (٣١/ ١٧٥)، البحر المحيط (٨/ ٤٧٥)، إرشاد العقل السليم (٩/ ١٦٤)، فتح القدير (٥/ ٤٤٩)، روح المعاني (٣٠/ ١٤٣)، التحرير والتنوير (٣٠/ ٣٧٠).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... العورة المغلظة) ٠٠:٠٤ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tafasi

وقالوا: إن المعنى: (لقد أفلح) فحذفت اللام لأن الكلام طال فصار طوله عوضًا منها.

وقيل إن جواب القسم محذوف تقديره: ليدمدمن الله على أهل مكة لتكذيبهم رسوله ﷺ كما دمدم على قوم ثمود لأنهم كذبوا نبيهم صالحًا عليه السلام

وأما قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩﴾ فكلام تابع لقوله: (فألهما فجورها وتقواها) على سبيل الاستطراد، وليس من جواب القسم في شيء، وهذا القول من اختيار الزمخشري[1].

۞ القول الراجح:

الذي يظهر أن القول الراجح هو ما ذهب إليه ابن جزي وجمهور المفسرين لكثرة القائلين به، ولقلة من ذهب إلى القول الآخر، ولأنه متى ما أمكن حمل الكلام على الاستقلال أولى من الإضمار ويؤيد اختيار هذا القول القاعدة الترجيحية:

القول بالاستقلال مقدم على القول بالإضمار [2].

وقاعدة: (وقاعدة ما ظهر في القرآن اولى في بابه من كل تقدير) [3].

(١) الكشاف (٤/ ٧٦٧

(٢) القواعد الترجيحية (٢/ ٤٢١).

(٣) المصدر السابق.

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٠:٠٤
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tafasi

مسألة: على من يعود ضمير الفاعل في قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩﴾ [الشمس:٩]

۞ ترجيح ابن جزي:

قال ابن جزي:

(والفاعل بزكاها ضمير يعود على (من) والمعنى: قد أفلح من زكى نفسه: أي طهرها من الذنوب والعيوب.

وقيل: الفاعل ضمير يعود على الله تعالى.

والأول أظهر) [(١)].

۞ المناقشة والترجيح:

وافق ابن جزي في اختياره هذا قتادة ومجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة[(٢)] والزمخشري وأبو السعود والآلوسي والشوكاني وابن عاشور وابن عثيمين[(٣)] واستدلوا بنظائرها في القرآن مثل قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ﴾ [الأعلى:١٤-١٥] وقوله: ﴿وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ﴾ [فاطر:١٨] وقوله: ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ ۝١٨﴾ [النازعات:١٨] وقوله: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ ۝٣﴾ [عبس:٣].

وقالوا: إن طريقة القرآن تعليق الفلاح على فعل العبد واختياره كما في الآيات السابقة.

وقالوا:إن لفظة التأنيث في قوله (زكاها - دساها) انسب أن تعود على النفس لأنها مؤنثة.

---

(١) التسهيل (٤/ ٣٨٣).

(٢) انظر جامع البيان (٣٠/ ٢١٠).

(٣) انظر على التوالي: الكشاف (٤/)، إرشاد العقل السليم (٩/ ١٦٤)، روح المعاني (٣٠/ ١٤٣)، فتح القدير (٥/ ٤٤٩)، التحرير والتنوير (٣٠/ ٣٧٣)، تفسير القرآن الكريم (٢٢٧).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... الصورة النهائية) ٠٤ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tafani

- وذهب ابن عباس وابن زيد وابن جرير[1] والواحدي والبغوي وابن عطية أبو حيان [2] إلى أن ضمير الفاعل يعود على الله تعالى.

واستدلوا بنظائر ذلك من القرآن كقوله تعالى: ﴿بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النساء:٤٩] وقوله: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ [النور:٢١].

واستدلوا أيضًا بأن رسول الله ﷺ كان إذا قرأ ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩﴾ وقف وقال: (اللهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها) [3].

وقالوا: أن القاعدة عند أهل اللغة عود الضمير إلى أقرب مذكور، فقوله تعالى: (فألهمها) أقرب إلى قوله (ما) منه إلى قوله (ونفس).

وذهب ابن كثير[4] إلى الجمع بين القولين لما بينهما من التلازم.

قال الشيخ عطية سالم: (والذي يظهر والله تعالى أعلم: أن الجمع بين تلك النصوص - أي نصوص الفريقين - كالجمع في التي قبلها، وأن ما يتزكى به العبد من إيمان وعمل في طاعة وترك لمعصية فإنه بفضل من الله، كما في قوله تعالى المصرح بذلك ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾. وكل النصوص التي فيها عود الضمير أو إسناد التزكية إلى العبد فإنها بفضل من الله ورحمته) [5].

---

(١) جامع البيان (٣٠/ ٢١١).

(٢) انظر على التوالي: الوجيز (٢/ ١٢٠٧)، معلم التنزيل (٤/ ٤٩٣)، المحرر الوجيز (٥/ ٤٨٨)، البحر المحيط (٨/ ٤٧٥).

(٣) رواه مسلم - كتاب الذكروالدعاءوالتوبةوالاستغفار- باب التعودمن شرماعمل وشرمالم يعمل- رقم (٢٧٢٢).

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم (٤/ ٥١٨) .

(٥) أضواء البيان (٨/ ٥٤٢).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٤
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tatlani

۞ القول الراجح:

وبالتأمل في أقوال الفريقين يتبين أن سبب الاختلاف مفسر الضمير، فهو يحتمل أن يعود على العبد، وعلى الرب ﷻ. وهذا الخلاف هو من اختلاف التنوع الذي يرجع إلى أكثر من قول. فالراجح - والله أعلم - أن القول بالتلازم بين القولين هو الأولى، وذلك أن من زكى نفسه زكاه الله، ومن زكاه الله فقد زكت نفسه.

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... الصورة النهائية) ٠٠:٤ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tafani

مسألة: من المراد بـ(أشقاها) في قوله تعالى: ﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا ﴿١٢﴾﴾ [الشمس:١٢].

۞ ترجيح ابن جزي:

قال ابن جزي:

(ومعنى انبعث خرج لعقر الناقة بسرعة ونشاط، وأشقاها هو الذي عقر الناقة وهو أحيمر ثمود واسمه قدار بن سالف ويحتمل أن يكون أشقاها واقفًا على جماعة لأن أفعل التي للتفضيل إذا أضفته يستوي فيه الواحد والجمع والأول أظهر وأشهر)[1]

۞ المناقشة والترجيح:

وافق ابن جزي في اختياره هذا ابن جرير والسمرقندي والسمعاني والبغوي والقرطبي والنسفي وابن كثير وابن حجر والشوكاني والآلوسي وابن عاشور والسعدي[2].

واستدلوا بما رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي من حديث أبي زمعة أنه سمع النبي ﷺ يخطب وذكر الناقة والذي عقر، فقال رسول الله ﷺ: (إذا انبعث أشقاها).انبعث لها رجل عزيز عارم منيع في رهطه مثل أبي زمعة.... [3].

وقالوا: وهو المراد به في قوله تعالى: ﴿فَنَادَوۡاْ صَاحِبَهُمۡ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾﴾ [القمر:٢٩].

---

(١) التسهيل (٤/ ٣٨٤).

(٢) انظر على التوالي: جامع البيان (٣٠/ ٢١٤). بحر العلوم (٣/ ٥٦٣)، تفسير القرآن (٦/ ٢٢٤)، معالم التنزيل (٤/ ٤٩٣)، الجامع لأحكام القرآن(٧/ ٢٤١)، تفسير النسفي (٤/ ٣٤٢)، تفسير القرآن العظيم (٤/ ٥١٨)، فتح الباري (٦/ ٣٧٩)، فتح القدير (٥/ ٤٤٩)، روح المعاني (٣٠/ ١٤٥)، التحرير والتنوير (٣٠/ ٣٧٣)، تفسير السعدي (١/ ٩٢٦).

(٣) رواه البخاري- كتاب التفسير- باب تفسيرسورةالشمس- رقم (٢٦٥٨)، ومسلم- كتاب الجنة وصفةنعيمهاوأهلها- باب الناريدخلهاالجبارون والجنةيدخلهاالضعفاء-رقم (٢٨٤٦).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... السورة النهائية) ٤٠٠
١٤٣٠/٨/٩
Ali Tafasi

ـ وذهب آخرون إلى أن المراد بالأشقى قدار بن سالف أو يراد به جماعة، وهم من قومه الذين مالأوه وأعانوه على قتل الناقة

وذهب إلى هذا الاحتمال بين القولين الزمخشري وابن عطية والرازي والبيضاوي والبقاعي وأبو السعود(١).

وحجتهم في احتمالية المراد به جماعة مع أن اللفظة في أشقاها مفردة: أن أفعل التفضيل إذا أضفته يستوي فيه الواحد والجمع واستدلوا ببعض الآيات الأخرى التي أسندت عقر الناقة إلى ثمود كلهم، مثل قوله تعالى: ﴿فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ [الأعراف:٧٧] قوله تعالى: ﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ﴾ [هود:٦٥] وقوله ﴿فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا۟ نَٰدِمِينَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الشعراء:١٥٧] (٢).

- وذهب آخرون إلى أن المراد بـ (الأشقى) بأنه رجل في قوم ثمود دون تحديد اسم معين، واكتفوا بأوصافه بأنه: رجل عزيز عارم ذو منعة، أحيمر ثمود، وهو أشقى الأولين كما وردت بذلك الأحاديث عن رسول الله ﷺ (٣).

وذهب إلى هذا القول ابن أبي زمنين والواحدي وابن الجوزي وابن عثيمين(٤).

۞ القول الراجح:

الذي يظهر من خلال الأقوال المذكورة أن تعيين المراد بـ (أشقاها) برجل معين هو قدار بن سالف لم تدل عليه الأحاديث الصحيحة الواردة عن رسول الله ﷺ، وإنما ذكرت الأحاديث صفته، ومع ذلك اتفق كثير من المفسرين على اسمه فيحتمل أن

---

(١) انظر على التوالي الكشاف (٤/ ٧٦٤)، المحرر الوجيز (٥/ ٤٨٨)، التفسير الكبير (٣١/ ١٧٧) أنوار التنزيل (٥/ ٤٩٧)، البحر المحيط (٨/ ٤٧٥) نظم الدرر (٨/ ٤٤٢)، إرشاد العقل السليم (٩/ ١٦٤).

(٢) وقد جمع الشنقيطي بين هذه الآيات العامة والآية التي بلفظ المفرد (فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر)، وأزال الإشكال الوارد، ينظر أضواء البيان (٧/ ٤٨١).

(٣) سيق تخريجه ص(١٧٤) .

(٤) انظر على التوالي الوجيز (٢/ ١٢٠٧) زاد المسير (٩/ ١٤٢)، تفسير القرآن الكريم (٢٢٨)

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... العورة النهائية) ٠٤:٠٠ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Fattani

يكون الأمر متلقى من قبل العرب لمعرفتها بتاريخ عاد.

فيترجح هذا القول لأنه قول الأكثر، وإن كانت النفس تميل إلى ترجيح القول الذي اكتفى بما ورد فيه من أوصاف دون تعيين الاسم لدلالة السنة على ذلك. مع أن ذكر الاسم لا يتعارض مع الحديث ولكنه زيادة عليه مما يدل على أن تلقي جمهور المفسرين كان له طريقًا معينًا.

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... الصورة النهائية) ٠٠:٤ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tatlani

مسألة: علام يعود ضمير الفاعل في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴿١٥﴾﴾ [الشمس:١٥]

۞ ترجيح ابن جزي:

قال ابن جزي: (ضمير الفاعل لله تعالى، والضمير في عقباها للدمدمة والتسوية وهو الهلاك أي: لا يخاف عاقبة إهلاكهم ولا درك عليه في ذلك كما يخاف الملوك من عاقبة أعمالهم وفي ذلك احتقار لهم

وقيل: إن ضمير الفاعل لصالح عليه السلام، وهذا بعيد، وقرئ(فلا يخاف) بالفاء وبالواو، وقيل: في القراءة بالواو أن الفاعل أشقاها والجملةفي موضع حال أي: انبعث ولم يخف عقبى فعلته، وهذا بعيد) [(١)].

۞ المناقشة والترجيح:

وافق ابن جزي في ترجيحه هذا المروي عن ابن عباس { ومجاهد وبكر بن عبدالله المزني والحسن وقتادة[(٢)] والبخاري[(٣)] والقرطبي والنسفي ووافهم أبو حيان وابن كثير وابن حجر وأبو السعود والشوكاني والآلوسي وابن عاشور وابن عثيمين[(٤)].

وحجتهم أن الضمير يعود على أقرب مذكور، وأقرب مذكور هو الله تعالى وذلك في قوله ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا﴾ [الشمس:١٤].

---

(١) التسهيل (٤/ ٣٨٤).

(٢) انظر جامع البيان (٣٠/ ٢١٥).

(٣) انظر فتح الباري (٨/ ٥٧٧).

(٤) انظر على التوالي: الجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ٧٩)، تفسير النسفي (٤/ ٣٤٣)، البحر المحيط (٨/ ٤٧٧)، تفسير القرآن العظيم (٤/ ٥١٨)، فتح الباري (٨/ ٥٧٧)، إرشاد العقل السليم (٩/ ١٦٥)، فتح القدير (٥/ ٤٥٠)، روح المعاني (٣٠/ ١٤٦)، التحرير والتنوير (٣٠/ ٣٧٦)، تفسير القرآن الكريم (٢٢٩).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٠:٠٤ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tafasi

وقالوا: إن سياق الآيات يدل على أن ضمير الفاعل عائد على الله تعالى. قال ابن كثير: والقول الأول أولى - أي لا يخاف الله من أحد تبعة - لدلالة السياق عليه[1].

وأما القول بأن المراد به (أشقاها) فاستبعدوه وذلك لطول الفصل بين الحال وصاحبها[2].

وذهب الضحاك والسدي[3] إلى أن ضمير الفاعل عائد عليقوله (أشقاها)وهو الذي انبعث لعقر الناقة، والمعنى أي انبعث لعقر الناقة وهو لا يخاف عقبى فعله لكثرة طغيانه.

وقالوا: إن هذه الآية وإن كانت متأخرة لكنها في حكم المتقدم فكأنه قال: (إذا انبعث أشقاها ولا يخاف عقباها)

ـ وقيل: إن ضمير الفاعل عائد على نبي الله صالح عليه السلام، والمعنى: لايخاف صالح عليه السلام عقبى هذا العذاب الذي ينزل بهم وذلك كالوعد لنصرته. حكى هذا القول الزجاج[4].

۞ القول الراجح:

الذي يظهر بعد عرض الأقوال أن الاختلاف يرجع إلى معنيين صحيحين محتملين، وسببه في المراد بالضمير، وإن كان القول الذي ذهب إليه بن جزي وجمهور المفسرين من لسلف ومن بعدهم هو الأولى لأنه قول الأكثر، ولدلالة السياق عليه ويؤيد هذا قراءة عامة قراء الحجاز والشام بالفاء (فلا يخاف عقباها) [5] والفاء تدل

(١) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٥١٨).

(٢) انظر البحر المحيط (٨/ ٤٧٧).

(٣) انظر جامع البيان (٣٠/ ٢١٥).

(٤) انظر زاد المسير(٩/ ١٤٤).

(٥) انظر جامع البيان (٣٠/ ٢١٥).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... السورة النهائية) ٠٤٠٠
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tatlani

على تفريع ما بعدها عما قبلها، وما قبلها حكاية عن فعل الله تعالى.

ويؤيد هذا جملة من القواعد الترجيحية:

قاعدة: (تفسير السلف وفهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم) [1].

وقاعدة: (إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى بالخروج به عن ذلك)[2].

وقاعد: (الأصل إعادة الضمير إلى أقرب مذكور ما لم يرد دليل بخلافه) [3].

(١) قواعد الترجيح (١/ ٢٧١).

(٢) المصدر السابق (١/ ١٢٥).

(٣) المصدر السابق (١/ ٦٢١)

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... الصورة النهائية) ٠٠٤
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tatlani

سورة الليل

مسألة: ما المراد بـ(ما) في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ۝٣﴾ [الليل:٣] ؟

۞ ترجيح ابن جزي:

(قال ابن جزي: (ما) بمعنى (من) والمراد بها الله تعالى، وعدل عن(من) بقصد الوصف كأنه قال: والقادر الذي خلق الذكر والأنثى. وقيل: هي مصدرية. وروى ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قرأ: والذكر والأنثى)[١].

۞ المناقشة والترجيح:

وافق ابن جزي في اختياره هذا أبا عبيدة[٢] والواحدي والبغوي والزمخشري والبيضاوي والنسفي وأبو السعود والشوكاني[٣].

وحجتهم في ذلك: أن العدول عن (من) إلى (ما) لإرادة الوصفية، أي:والقادر الذي خلق الذكر والأنثى. وأن الله تعالى يقسم بما شاء، على تقدير ذكر الرب، كأنه قال: ورب الذي خلق الذكر والأنثى[٤].

واستشهدوا له بنظائر من القرآن، ومن ذلك:

قوله تعالى: ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ۝٣﴾ [البلد:٣] أي من ولد. وقوله تعالى: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ

(١) التسهيل (٤/ ٣٨٥)،والحديث أخرجه البخاري- كتاب التفسير- باب "وماخلق الذكر والأنثى"- برقم (٤٩٤٤).

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ٨١).

(٣) انظر على التوالي: الوجيز (٢/ ١٢٠٨)، معالم التنزيل (٤/ ٤٩٤)، الكشاف(٤/ ٧٦٦)، تفسير البيضاوي (٥/ ٤٩٨)، تفسيرالنسفي (٤/ ٣٤٣)، إرشاد العقل السليم (٩/ ١٦٦)، فتح القدير (٥/ ٤٥٢).

(٤) انظر جامع البيان (٣٠/ ٢٠٩)، والكشاف (٤/ ٧٦٦).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٠٤
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tatlani

لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ [النساء:٣] أي من طاب لكم [١].

واستشهدوا له كذلك بكلام العرب، مثل: سبحان ما سبحت له: أي من سبحت له [٢].

- وذهب الحسن والزجاج والكلبي [٣] إلى أن (ما) مصدرية.

وحجتهم: أن القسم بخلق الذكر والأنثى لما فيه من عظيم قدرته في هذا التقسيم سواءً في البشر أو الحيوانات أو النباتات أو الحشرات وغيرها.

- وذهب آخرون إلى احتمال الأمرين. إذ الدلالة على تعظيم خلق الذكر والأنثى تدل على تعظيم خالقها وهو الله ﷻ وهو قول ابن جرير وابن عطية وابن كثير والسيوطي [٤].

قال ابن جرير: (وقوله: ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ۝٣﴾ [الليل:٣] يحتمل الوجهين الذين وصفت في قوله: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝٥ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ۝٦﴾ [الشمس:٥-٦] وهو أن يجعل (ما) بمعنى (من) فيكون ذلك قسمًا من الله جل ثناؤه بخالق الذكر والأنثى، وهو ذلك الخالق، وأن يجعل (ما) مع ما بعدها بمعنى المصدر، ويكون قسمًا بخلق الذكر والأنثى) [٥].

---

(١) انظر جامع البيان (٣٠/ ٢٠٩).

(٢) انظر الكشاف (٤/ ٧٦٣).

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ٨٠)، والمحرر الوجيز (٥/ ٤٩٠)، فتح القدير (٥/ ٥٤٣).

(٤) انظر: جامع البيان (٣٠/ ٢١٧)، المحرر الوجيز (٥/ ٤٩٠)، تفسير القرآن العظيم (٤/ ٥١٩)، الجلالين (١/ ٨١٠).

(٥) جامع البيان (٣٠/ ٢١٧).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرونة النهائية) ٠٤:٠٠ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tafasi

۞ القول الراجح:

القول باحتمالية الأمرين هو الأولى بالاختيار لصحتها وتلازمها وعدم التعارض بينهما. فإعمال القولين أولى من إعمال أحدهما وإهمال الآخر [1].

(١) قواعد الترجيح(١/ ٤٢-٤٥).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... الصورة النهائية) ٠٠٤
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tafasi

مسألة: ما المراد بـ(الحسنى) في قوله تعالى: ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦﴾ [الليل:٦]؟

۞ ترجيح ابن جزي:

قال ابن جزي: (أي: بالخصلة الحسنة وهي الإسلام ولذلك عبر عنها بعضهم بأنها: لا إله إلا الله، أو بالمثوبة الحسنى وهي الجنة.

وقيل: يعني الأجر والثواب على الإطلاق.

وقيل: يعني الخلف على المنفق) (١)

۞ المناقشة والترجيح:

- وافق ابن جزي في اختياره هذا المروي عن ابن عباس { والضحاك والآلوسي (٢).

وحجتهم في ذلك: أن من أعطى واتقى وصدق بالتوحيد حصلت له الحسنى، وذلك أنه لا ينفع مع الكفر إعطاء مال ولا اتقاء محارم، كما قال تعالى في سورة البلد: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ ۝١٣ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ۝١٤﴾ [البلد:١٣-١٤] إلى قوله ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِالْمَرْحَمَةِ ۝١٧﴾ [البلد:١٧] (٣).

قال الآلوسي: (تدخل كلمة التوحيد في المعنى دخولاً أوليًا) (٤).

-وقيل المراد بالحسنى: الجنة.

قاله مجاهد والقرطبي (٥).

---

(١) التسهيل (٤/ ٣٨٦).

(٢) انظر: جامع البيان (٣٠/ ٢٢٠)، وروح المعاني (٣٠/ ١٤٨).

(٣) انظر: التفسير الكبير (٣١/ ١٨١).

(٤) روح المعاني (٣٠/ ١٤٨).

(٥) انظر: جامع البيان (٣٠/ ٢٢٠)، الجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ٨٣).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٤:٠٠ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tafasi

وحجتهم في ذلك: يشهد لهذا المعنى القرآن في قوله تعالى ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:٢٦].

وقالوا: إن هذا المعنى يشمل كل المعاني لأنها أحسن خلف لكل ما ينفق العبد، وخير وأحسن مجازاة على أي عمل مهما كان، ولا يتوصل إليها إلا بـ(لا إله إلا الله).[١]

قال القرطبي: (وكله متقارب المعنى إذ كله يرجع إلى الثواب الذي هو الجنة).[٢]

- وقيل معناه الخلف على المنفق من الله تعالى.

قاله ابن عباس ومجاهد وعكرمة وابن جرير[٣] والسمعاني والشوكاني.[٤]

وحجتهم في ذلك: أن من أعطى من ماله في طاعة الله مصدقًا بما وعده الله من الخلف الحسن.

واستدلوا بحديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقًا خلفًا، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكًا تلفًا)[٥].

ويدل عليه السياق: إذ ذكر الله تعالى قبله: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥﴾ [الليل:٥] أي أنفق طالبًا بنفقته الخلف منها[٦].

---

(١) انظر: أضواء البيان(٩/ ٢٥٩).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ٨٣).

(٣) انظر: جامع البيان (٢١٩، ٢٢٠).

(٤) انظر: تفسير السمعاني (٦/ ٢٣٧)، وفتح القدير (٥/ ٤٥٢).

(٥) رواه البخاري- كتاب الزكاة- باب أجر المرأة إذا تصدقت-رقم (١٣٧٤)، ومسلم- كتاب الزكاة- باب في المنفق والممسك- رقم (١٠١٠).

(٦) انظر: جامع البيان (٣٠/ ٢٢٠).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٤:٠٠ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tatlani

واستشهدوا له من القرآن بقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾ [سبأ:٣٩]

قال ابن جرير: (وأشبه الأقوال بما دل عليه ظاهر التنزيل وأولاها بالصواب عندي قول من قال: عني به التصديق بالخلف من الله على نفقته، وإنما قلت ذلك أولى القوال بالصواب في ذلك لأن الله ذكر قبله منفقًا طالبًا بنفقته الخلف منها، فكان أولى المعاني به أن يكون الذي عقيبه الخبر عن تصديقه بوعد الله إياه بالخلف، إذا كانت نفقته على الوجه الذي يرضاه...) (١)

- وقيل المراد به: موعود الله. قاله قتادة ومقاتل. (٢)

- وقيل: هي العبادات من صلاة وزكاة وصوم. قاله زيد بن أسلم. (٣)

۞ القول الراجح:

القول بالتلازم بين الأقوال ظاهر، فمن صدق بـ (لا إله إلا الله) فهو مصدق بالجنة، ومصدق بالخلف من الله، وكذا العكس، ولن يدخل أحد الجنة بعد رحمة الله تعالى إلا بالتصديق بـ (لا إله إلا الله) والتصديق بمواعيده تعالى. غير أن السياق فيما يظهر مرتبط بالإنفاق، إذ جاء قبلها ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥﴾ [الليل:٥] وجاء بعدها ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨﴾ [الليل:٨] وقوله ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ۝١١﴾ [الليل:١١] إلى أن قال ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ۝١٧ ٱلَّذِي يُؤْتِي مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ۝١٨﴾ [الليل:١٧-١٨] ويدل عليه أن هذه الآيات نزلت في إنفاق أبي بكر الصديق رضي الله عنه. (٤)

---

(١) المصدر السابق.

(٢) انظر: جامع البيان (٣٠/ ٢٢٠)، وزاد المسير (٩/ ١٤٩).

(٣) انظر: زاد المسير (٩/ ١٤٩).

(٤) قال ابن كثير: وقد ذكر غير واحد من المفسرين أن هذه الآيات نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه، حتى إن بعضهم حكى الإجماع من المفسرين على ذلك. انظر: تفسير القرآن العظيم (٤/ ٥٢٢).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٤:٠٠ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tafasi

ويؤيد هذا من القواعد الترجيحية:

قاعدة: (إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عن ذلك)[1].

(١) القواعد الترجيحية (١/ ١٢٥).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرونة النهائية) ٠٠٤
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tatlani

مسألة: فيمن نزلت آية المدح في قوله تعالى:

﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦﴾ [الليل:٥-٦]؟

۞ ترجيح ابن جزي:

- قال ابن جزي: (ونزلت آية المدح في أبي بكر الصديق ﷺ؛ لأنه انفق ماله في مرضاة الله، وكان يشتري من أسلم من العبيد فيعتقهم.

وقيل نزلت في أبي الدحداح، وهذا ضعيف لأنها مكية وإنما أسلم أبو الدحداح بالمدينة). (١)

۞ المناقشة والترجيح:

وافق ابن جزي في اختياره هذا المروي عن ابن مسعود ﷺ وعامر بن عبد الله بن الزبير (٢) وهو قول قتادة وابن جرير والواحدي والسمعاني والبغوي والزمخشري والرازي والقرطبي والبيضاوي والسيوطي وأبي السعود. (٣)

واستدلوا بما ورد عن ابن مسعود ﷺ قال: إن أبا بكر الصديق ﷺ اشترى بلالاً ﷺ من أمية بن خلف وأبي بن خلف ببردة وعشر أواق فأعتقه لله، فأنزل الله: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾ [الليل:١] إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾ [الليل:٤] سعي أبي بكر وأمية وأبي. (٤)

---

(١) التسهيل (٤/ ٣٨٦).

(٢) انظر: جامع البيان (٣٠/ ٢٢٨)، وزاد المسير (٩/ ١٤٨).

(٣) انظر: جامع البيان (٣٠/ ٢٢٨)، الوجيز (٢/ ١٢٠٨)، تفسير السمعاني (٦/ ٢٣٧)، معالم التنزيل (٤/ ٤٩٦)، الكشاف (٤/ ٧٦٧)، التفسير الكبير (٣١/ ١٨٦)، الجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ٨٢)، تفسير البيضاوي (٥/ ٤٩٩)، الجلالين (١/ ٨١١)، إرشاد العقل السليم (٩/ ١٦٨).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/ ٣٤٤٠)، وأخرجه أبو الشيخ وابن عساكر عن ابن مسعود. انظر: فتح القدير (٥/ ٥٥٤). وأخرج ابن جرير عن عامر بن عبدالله بن الزبير بنفس المعنى. جامع البيان (٣٠/ ٢٢١).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المورة النهائية) ٤٠٠
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tatlani

- وقيل إنها نزلت في أبي الدحداح ﷺ. قاله: السدي وعطاء[1].

واستدلوا بما ورد من أنه كان لرجل من الأنصار نخلة وكان له جار يسقط من بلحها في جراه، وكان صبيانه يتناولون منه، فشكا ذلك إلى النبي ﷺ، فقال له النبي ﷺ: بعنيها بنخلة في الجنة، فأبى، فخرج فلقيه أبو الدحداح فقال له: هل لك أن تبيعها؟ فقال: هي لك. فأتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله: أتشتريها مني بنخلة في الجنة. قال: نعم. قال: هي لك. فدعا النبي ﷺ الأنصاري فقال خذها، فأنزل الله تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١﴾ [الليل:١] إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ ۝٤﴾ [الليل:٤] [2].

- وذهب ابن كثير والشوكاني والآلوسي [3] إلى أن لفظ الآية لفظ العموم فهي عامة في كل من أعطى واتقى وصدق بالحسنى، وأولى الأمة بعمومها أبو بكر ﷺ.

۞ القول الراجح:

- الذي يظهر والله أعلم أن الأرجح أن يقال أنها نزلت في أبي بكر الصديق ﷺ، لورود هذا عن السلف وأكثر المفسرين.

ويدل عليه: أن السورة مكية في أصح الأقوال وإعتاق أبي بكر ﷺ لبلال ﷺ وغيره من الضعفاء كان في مكة.

قال السمعاني: (والأصح أن الآية نزلت في أبي بكر الصديق ﷺ لأن السورة مكية على قول الجميع، فلا يستقيم أن تكون الآية منزلة في أحد من الأنصار). [4]

---

(١) انظر: المحرر الوجيز (٥/ ٤٩١)، وزاد المسير (٩/ ١٤٨).

(٢) رواه ابن أبي حاتم عن ابن عباس { في تفسيره (١٠/ ٣٤٣٩). وقد نص السيوطي بقوله: أخرج ابن أبي حاتم بسند ضعيف عن ابن عباس. انظر: الدر المنثور (٨/ ٥٣٢).وقال الحافظ ابن كثير: وهو حديث غريب جدًا. (تفسير ابن كثير: ٤/ ٥٢١).

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم (٤/ ٥٢٢)، وفتح القدير (٥/ ٥٥٤)، وروح المعاني (٣٠/ ١٤٩) .

(٤) تفسير القرآن (٦/ ٢٣٨).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٤:٠٠ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tafasi

وقال ابن كثير: (وقد ذكر غير واحد من المفسرين أن هذه الآيات نزلت في أبي بكر الصديق ﷺ، حتى إن بعضهم حكى الإجماع من المفسرين على ذلك...). [1]

والأولى منه أن يقال:أن هذا من باب التخصيص فهو من باب التنصيص على أفراد العلم لتحقق دخوله فيه عند من خصص.

المراد من الآية أنها تعم كل من اتصف بالصفات المذكورة، وفي مقدمتهم وسابقهم في جميع هذه الأوصاف وسائر الأوصاف الحميدة أبو بكر الصديق ﷺ.

ويؤيد هذا من القواعد الترجيحية:

قاعدة: (العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب). [2]

وقاعدة: (تفسير السلف، فهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم). [3]

(١) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٥٢٢).

(٢) قواعد الترجيح (٢/ ٥٤٥).

(٣) المصدر السابق (١/ ٢٧١).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... الصورة النهائية) ٠٠٤
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tafasi

مسألة: فيمن نزلت آية الذم في قوله تعالى:

﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٩﴾ [الليل:٨-٩]؟

۞ ترجيح ابن جزي:

قال ابن جزي: (وقيل: إن آية الذم نزلت في أبي سفيان ابن حرب وهذا ضعيف لقوله: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ۝١٠﴾ [الليل:١٠] وقد أسلم ابو سفيان بعد ذلك). (١)

۞ المناقشة والترجيح:

وافق ابن جزي في اختياره هذا المروي عن ابن مسعود ﷺ، وهو قول السمعاني والبغوي والبيضاوي والنسفي وأبي السعود (٢)

واستدلوا لما ورد عن ابن مسعود ﷺ في سبب نزول السورة. (٣)

وقالوا: إن الذين أعتقهم أبو بكر الصديق ﷺ كان يؤذيهم أمية ابن خلف وأبو جهل، ولذلك قال الله بعد ذلك: ﴿إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ ۝٤﴾ [الليل:٤] أي سعي أبي بكر ﷺ وسعي أمية وأبي جهل.

وأما أبو سفيان فقد أسلم وقوي إسلامه في آخر عمره، فلا يناسب أن يكون هو المعني بقوله: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ۝١٠﴾ (٤).

- وذهب الواحدي والزمخشري (٥) إلى أنها نزلت في أبي سفيان ابن حرب.

---

(١) التسهيل (٤/ ٣٨٦).

(٢) انظر: جامع البيان (٣٠/ ٢٢٨)، تفسير القرآن (٦/ ٢٣٧)، معالم التنزيل (٤/ ٤٩٦)، تفسير البيضاوي (٥/ ٤٩٩)، تفسير النسفي (٤/ ٣٤٤)، إرشاد العقل السليم (٩/ ١٦٨).

(٣) سبق تخريجه ص (١٨٦).

(٤) التسهيل (٤/ ٣٨٦)، روح المعاني (٣٠/ ١٤٩).

(٥) انظر: الوجيز (٢/ ١٢٠٨)، والكشاف (٤/ ٧٦٧).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٤
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tafasi

وذهب السدي وعطاء[1] إلى أنها نزلت في الرجل الأنصاري جار أبي الدحداح ﷺ.

- وذهب ابن جرير وابن كثير والشوكاني والآلوسي[2] إلى أن الآية عامة، تعم كل من بخل بالنفقة في سبيل الله ومنع ما وهب الله له من فضله.

۞ القول الراجح:

- الراجح والله أعلم القول بالعموم لكل من اتصف بالأوصاف المذمومة المذكورة في الآية، وإن كان له سبب فيدخل فيه دخولاً أوليًا

قال القفال: (نزلت هذه السور ة في أبي بكر وإنفاقه على المسلمين، وفي أمية ابن خلف وبخله وكفره بالله، إلا أنها وإن كانت كذلك لكن معانيها كافة للناس، ألا ترى أن الله تعالى قال: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ۝٤﴾.[3]

(١) انظر: المحرر الوجيز (٥/ ٤٩١)، وزاد المسير (٩/ ١٤٨).

(٢) انظر: جامع البيان (٣٠/ ٢٢٨)، تفسير القرآن العظيم (٤/ ٥٢٢)، فتح القدير (٥/ ٥٥٤)، روح المعاني (٣٠/ ١٤٩).

(٣) انظر التفسير الكبير (٣١/ ١٧٩).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... العورة النهائية) ٠٠:٠٤ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tafani

سورة الضحى

مسألة: المراد بـ(سجى) في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢﴾ [الضحى:٢]

۞ ترجيح ابن جزي:

قال ابن جزي:

فيه أربعة أقوال:

- إذا أقبل.
- وإذا أدبر.
- وإذا أظلم.
- وإذا سكن أي: استقر واستوي، أو سكن فيه الناس والأصوات، ومنه ليلة ساجية إذا كانت ساكنة للريح: وطرف ساج أي: ساكن غير مضطرب النظر، وهذا أقرب في الاشتقاق وهو اختيار ابن عطية[١]

رجح ابن جزي القول بأن المراد بـ (سجى)إذا سكن، وعلل ترجيحه هذا الاشتقاق اللغوي لكلمة (سجى) وهو من وجوه الترجيح عنده [٢]

۞ المناقشة والترجيح:

وافق ابن جزي في اختياره هذا مجاهد وقتادة وابن زيد[٣] والمبرد والزجاج[٤] وابن جرير والواحدي وابن عطية والقرطبي والبيضاوي والنسفي وابن كثير

---

(١) التسهيل (٤/ ٣٨٨).

(٢) التسهيل (١/ ٢٠).

(٣) انظر جامع البيان (٣٠/ ٢٢٩).

(٤) انظر التفسير الكبير (٣١/ ١٨٩).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... الصورة النهائية) ٠٠:٤ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tafasi

والشوكاني والألوسي [١].

وحجتهم ان هذا هو أشهر في اللغة، ومنه قول أعشى بن ثعلبة[٢]:

فما ذنبنا إن جاش بحر ابن عمكم .:. وبحرك ساج ما يواري الدعامصا

وقول الراجز:

يا حبذا القمـــراء والليل الســـاج .:. وطرق مثل ملاء النســـــــــاج[٣]

- وقيل المراد به: إذا أقبل وهو قول ابن عبلس والحسن [٤].
- وقيل: إذا ذهب وهو مروي عن ابن عباس [٥].
- وقيل إذا أظلم وهو قول ابن عاشور والسعدي وابن عيينة [٦].

---

(١) انظر على التوالي جامع البيان (٣٠/ ٢٢٩) - الوجيز (٢/ ١٢٠)، المحرر الوجيز(٥/ ٤٩٣)، الجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ٩٢) أنوار التنزيل (٥/ ٥٠١)، تفسير القرآن العظيم (٤/ ٥٢٣)، فتح القدير (٥/ ٤٥٧)، روح المعاني (٣٠/ ١٥٤) .

(٢) هو ميمون بن قيس بن جندل، من بني قيس بن ثعلبة الوائلي أبو بصير، المعروف بأعشى قيس، من شعراء الطبقة الأولى في الجاهلية، وأحد أصحاب المعلقات، كان كثير الوفود على الملوك العرب والفرس، غزير الشعر، عاش عمرا طويلا، وأدرك الإسلام ولم يسلم، ولقب بالأعشى لضغف بصره، وعمي في أواخر عمره، ووفاته في قرية اليمامة سنة (٧هـ).

ينظر: الأعلام: (٧/ ٣٤١)، معجم المؤلفين: (٣/ ٩٤٩).

(٣) انظر : جامع البيان (٣٠/ ٢٣٠) ، والجامع لأحكام القرآن(٢٠/ ٩١).

(٤) جامع البيان (٣٠/ ٢٢٩).

(٥) المصدر السابق وروى ابن عباس (إذا أقبل)، من طريق العوفي، وورد (إذا ذهب)، من طريق علي ابن طلحة.

(٦) التحرير والتنوير (٣٠/ ٣٩٥)، تفسير السعدي (١/ ٩٢٨)، تفسير القرآن الكريم (٢٣٨).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... الصورة النهائية) ٠٤
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Fattani

۞ القول الراجح:

من خلال الأقوال السابقة يتضح أن الخلاف الواقع بين المفسرين هو الاشتراك اللغوي في هذه اللفظة والأولى ما ذهب ابن جزي وجمهور المفسرين لأنه الأشهر في لغة العرب.

قال ابن جرير: (وأولى الأقوال بالصواب عندي في ذلك قول من قال: معناه: والليل إذا سكن بأهله، وثبت بظلامه، كما يقال: بحر ساج: إذا كان ساكناً، ومنه قول أعشى بني ثعلبة:

فما ذنبنا إن جاش بحر ابن عمكم .:. وبحرك ساج ما يواري الدعامصا

وقال القرطبي بعد أن ساق الأقوال.... والقول الأول أشهر في اللغة (أي القول بأن معناه: سكن) [1]

وقال الشوكاني: (والأول أولى وعليه جمهور المفسرين وأهل اللغة...) [2]

ويدل عليه اشتقاق لفظة (سجى) يقال: سجى الشيء يسجو سجواً إذا سكن[3] ويؤيد هذا جملة من القواعد الترجيحية:

قاعدة: (يجب حمل كلام الله تعالى على المعروف من كلام العرب دون الشاذ والضعيف والمنكر) [4]

وقاعدة: (القول الذي يؤيده تصريف الكلمة وأصل اشتقاقها أولى بتفسير الآية)[5].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ٩٢).

(٢) فتح القدير (٥/ ٤٥٧).

(٣) المحرر الوجيز (٥/ ٤٩٣)، وإرشاد العقل السليم (٩/ ١٦٩)، وفتح القدير (٥/ ٤٥٧).

(٤) قواعد الترجيح (٢/ ٣٦٩).

(٥) قواعد الترجيح (٢/ ٥١١).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... العورة المغلظة) ٠٠٤
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tatlani

مسألة: المراد بـ (الآخرة) و(الأولى) في قوله تعالى:

﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٤﴾﴾ [الضحى:٤].

۞ ترجيح ابن جزي:

قال ابن جزي:

(أي الدار الآخرة خير لك من الدنيا.

قال ابن عطية: ويحتمل أن يريد بالآخرة حاله قبل نزول هذه السور، ويريد بالأولى حاله قبل نزولها.

وهذا بعيد والأول أظهر وأشهر). (١)

۞ المناقشة والترجيح:

وافق ابن جزي في اختباره هذا ابن جرير وابن والوا حدي والزمخشري والقرطبي والنسفي ووافقهم ابن كثير والشوكاني والألوسي وابن عثيمين (٢)

وحجتهم: أن الدار الآخرة هي الدار الباقية الصافية عن الشوائب على الإطلاق، أي الأولى وهي الدنيا فهي فانية مشوبة بالمضار والأكدار، منغصة بالعوارض البشرية.

واستدلوا بأن الله تعالى خير رسوله ﷺ في آخر عمره بين الخلد في الدنيا وبين الصيرورة إلى الله أختار ما عند الله فقد قال ابن مسعود رضي الله عنه: اضطجع رسول الله ﷺ على حصيره فأثر في جنبه، فلما استيقظ جعلت أمسح جنبه وقلت يا رسول الله: ألا

---

(١) التسهيل (٤/ ٣٨٩).

(٢) انظر على التوالي: جامع البيان (٣٠/ ٢٣٢)، تفسير القرآن العزيز (٥/ ١٤١)، الوجيز (٢/ ١٢١٠)، الكشاف (٤/ ٧٧١)، الجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ٩٥)، تفسير النسفي (٤/ ٣٤٥)، تفسيرالقرآن العظيم(٤/ ٥٢٣)فتح القدير(٥/ ٤٥٧)، روح المعاني(٣٠/ ١٥٨)، تفسيرالقرآن الكريم(٢٣٩).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٠:٤
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tafasi

آذنتنا حتى نبسط لك على الحصير شيئاً، فقال رسول الله ﷺ: ما لي وللدنيا، إنما مثلي ومثل لدنيا كراكب ظل تحت شجرة ثم راح وتركها) [1].

وقالوا: غلب في اصطلاح القرآن إطلاق لفظة (الآخرة) على الحياة الآخرة، كما غلب لفظ (الأولى) على حياة الناس.

ـ وذهب آخرون إلى الجمع ما بين القول السابق والقول بأن أحواله عليه الصلاة والسلام في الدنيا تنتقل من حالة إلى أحسن منها، أي: كل حالة متأخرة من أحواله عليه الصلاة والسلام لها الفضل على الحالة السابقة.

واختار هذا الجمع بين القولين ابن عطية والبيضاوي وأبو حيان والبقاعي[2] وابن عاشور والسعدي [3].

وحجتهم: إضافة لما ذكر من أدلة أصحاب القول السابقة، قالوا: إن اللام في لفظة (وللآخرة) للعهد، أو عوض عن المضاف إليه، كأنه قال: أي لنهاية أمرك من بدايته لا تزال تتزايد وتتصاعد رفعة.

۞ القول الراجح:

وبالتأمل بين القولين يظهر أن بينهما تلازم، فالرأي الحاصل لرسول الله ﷺ في الدنيا والفضل على الحالة السابقة والصعود في درجات المعالي، وتمكين الله له دينه،

---

(١) رواه الترمذي- كتاب الزهد- باب ماجاءفي الزهدفي الدنيا- رقم (٢٣٧٧)، وقال عنه حسن صحيح، والحديث صححه الألباني في السلسلةالصحيحة برقم(٤٣٨).

(٢) هو إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط البقاعي أبو الحسن، برهان الدين، مؤرخ، أديب، من أوعية العلم المفرطين في الذكاء، (٨٠٩- ٨٨٥هـ). ينظر: طبقات المفسرين للأدنه وي: (٣٤٧)، وشذرات الذهب: (٩/ ٥٠٩)، والأعلام: (١/ ٥٦).

(٣) انظر على التوالي: المحررالوجيز (٥/ ٤٥٧) أنوار التنزيل (٥/ ٥٠٢)، البحر المحيط (٨/ ٤٨١) نظم الدر (٨/ ٤٥٦)، التحرير والتنوير ((٣٠/ ٣٩٧)، تفسير السعدي (١/ ٩٢٨) .

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرونة النهائية) ٠٤ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tafasi

ونصره على أعدائه وتسديد أحواله، كلها من الأحوال التي زادته رفعة عند الله في الدار الآخرة.

وعليه فإن الدنيا على ما فيها من رفعة لرسول الله ﷺ إلا أن الدار الآخرة خير له من هذه الدنيا وبما أن المعنى يشمل كلا القولين، وعدم التعارض بينهما فإعمال القولين أولى من إهمال الأخرى. (١)

قال ابن عاشور: (فيجوز أن يكون المراد هنا من كلا اللفظين كلا معنييه، فيفيد أن الحياة الآخرة خير له من هذه العاجلة تبشيراً له بالخيرات الأبدية، ويفيد أن حالاته تجري على الانتقال من حالة إلى أحسن منها، فيكون تأنيث الوصفين جارياً على حالتي التغليب وحالتي التوصيف، ويكون التأنيث في هذا المعنى الثاني لمراعاة معنى الحالة . ويومئ ذلك إلى أن عودة نزول الوحي عليه هذه المرة خير من العودة التي سبقت، أي تكفل الله بأن لا ينقطع عنه نزول الوحي من بعد . فاللام في (الآخرة) و (الأولى) لام الجنس، أي كل آجل أمره هو خير من عاجله في هذه الدنيا وفي الآخرة) (٢)

(١) انظر قواعد الترجيح (٤٢-٤٥).

(٢) التحرير والتنوير (٣٠/ ٣٩٧).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٠:٠٤ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tafasi

مسألة: ما المراد بـ(الإعطاء) في قوله تعالى:

﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝٥ ﴾ [الضحى:٥]

۞ ترجيح ابن جزي:

(قال ابن جزي:روي أن النبي ﷺ قال لما نزلت: (لا أرضى أن يبقى واحد من أمتي في النار) [١]. قال بعضهم: هذه أرجى آية في القرآن الكريم.

وقال ابن عباس رضي الله عنه: رضاه أن الله وعده بألف قصر في الجنة بما يحتاج إليه من النعم والخدم.

ومثل: رضاه في الدنيا بفتح مكة وغيره.

والصحيح انه وعد يعم كل ما أعطاه الله في الآخرة وكل ما أعطاه الله في الدنيا من النصر والفتوح وكثرة المسلمين وغيره). [٢]

۞ المناقشة والترجيح:

وافق ابن جزي في اختياره هذا الرازي والبيضاوي وأبا حيان وأبو السعود والشوكاني وابن عاشور[٣].

وحجتهم أن الأصل حمل الألفاظ على العموم .

---

(١) الحديث رواه البيهقي في الشعب برقم(١٤٤٥)، من طريق سعيد بن جبير عنه بلفظ آخر، وهو: (رضاه أن يدخل أمته كلهم الجنة)، وقوله عليه الصلاة والسلام: (يشفعني الله في أمتي حتى يقول الله سبحانه لي: أرضيت يامحمد؟ فأقول: ياربي رضيت) أخرجه البزار في المسند برقم(٦٣٨)، وأبونعيم في الحلية (٣/ ١٧٩)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور لابن المنذر.

(٢) التسهيل (٤/ ٣٨٩).

(٣) انظر على التوالي: التفسير الكبير (٣١/ ١٩٢) أنوار التنزيل (٥/ ٥٠٢)، البحر المحيط (٨/ ٤٨١)، إرشاد العقل السليم (٩/ ١٧٠)، فتح القدير (٥/ ٤٥٨)، التحرير والتنوير (٣٠/ ٣٩٨).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٤:٠٠ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tafasi

وحذف المفعول الثاني (يعطيك) ليعم كل ما يرجوه رسول الله ﷺ في الدنيا والآخرة لنفسه لأمته.

والمجيء بفاء التعقيب في قوله (فترضى) لإفادة كون العطاء عاجل النفع في الأولى قبل الآخرة.

والقول الآخر: أن المراد بالإعطاء المذكور في الآية هو الإعطاء في الآخرة.

وهذا القول روي عن ابن عباس وعلي { وقتادة والحسن [1] وهذا قول ابن جرير والواحدي والبغوي والقرطبي والنسفي ووافقهم ابن كثير والسعدي وابن عثيمين [2].

وحجتهم: ربط الآية بما قبلها، وهي أن خير الآخرة له أفضل من الدنيا.

ولفظة (فترضى) أفادت غاية ما يتمناه رسول الله ﷺ ويرتضيه، وهذا مما لا تتسع له الدنيا.

واستدلوا ما ورد عن ابن عباس { أنه قال: عرض على رسول الله ﷺ ما هو مفتوح على أمته من بعده فسر بذلك فأنزل الله ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ۝٥﴾ فأعطاه الله في في الجنة ألف قصر في كل قصر ما ينبغي من الأزواج والخدم [3].

---

(١) انظر جامع البيان (٣٠/ ٢٣٢)، ومعالم التنزيل (٤/ ٤٩٩)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٩٦).

(٢) انظر على التوالي: جامع البيان (٣٠/ ٢٣٢)، الوجيز (٢/ ١٢١٠)، معالم التنزيل (٤/ ٤٩٩)، الجامع لأحكام القرآن (٥/ ٩٦)، تفسير النسفي (٤/ ٣٤٥)، تفسير القرآن العظيم (٤/ ٥٢٤)، تفسير السعدي (١/ ٩٢٨) ، تفسير القرآن الكريم (٢٤٠).

(٣) أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم، قال ابن كثير وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس، ومثل هذا لا يقال إلا عن توقيف. تفسير القرآن العظيم (٤/ ٥٢٤).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... السورة النهائية) ٠٠:٤ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tatlani

۞ القول الراجح:

من خلال ما ذكر من الأقوال يتبين أن الوارد عن السلف في التفسير تخصيصه بإعطاء الآخرة، وهو الأولى لأن فهم السلف مقدم على غيرهم.

ومع ذلك فلو حمل على عموم الإعطاء فهو محتمل، ويكون تفسير السلف مثالاً لنوع من أشرف أنواع الإعطاء الإلهي للنبي ﷺ

قال الشوكاني:(والظاهر أنه سبحانه يعطيه ما يرضى به من خيري الدنيا والآخرة ومن أهم ذلك عنده وأقدمه لديه قبول شفاعته لأمته)[1].

وقال أبو حيان: (والأولى أن هذا موعد شامل لما أعطاه في الدنيا من الظفر، ولما ادخر له من الثواب). [2]

ومتى ما أمكن حمل الآية على معنى كلي عام شامل ولا معارض له من الأدلة فهو أولى بتفسير الآية حملاً لها على عموم ألفاظها.

ويؤيد هذا القاعدة الترجيحية:

(يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص) [3]

---

(١) فتح القدير (٥/ ٤٥٨).

(٢) البحر المحيط (٨/ ٤٨١).

(٣) قواعد الترجيح (٢/ ٥٢٧).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... العورة النهائية) ٠٠:٠٤ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tatlani

مسألة: ما المراد بـ(الضلال) في قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧﴾ [الضحى:٧].

۞ ترجيح ابن جزي:

(قال ابن جزي ك فيه ستة أقوال:

احدها: وجدك ضالاً عن معرفة الشريعة فهداك إليها، فالضلال عبارة عن التوفيق في أمر الدين حتى جاءه الحق من عند الله فهو كقوله: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِي مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ [الشورى:٥٢] وهذا هو الأظهر وهو الذي اختاره ابن عطية وغيره، ومعناه: انه لم يكن يعرف تفاصيل الشريعة وفروعها حتى بعثه الله ولكنه ما كفر بالله ولا أشرك به لأنه كان معصوماً من ذلك قبل النبوة وبعدها.

والثاني: وجد في القوم ضلال فكأنك واحد منهم وإن لم تكن تعبد ما يعبدون، وهو قريب من الأول.

والثالث: وجدك ضالاً عن الهجرة فهداك إليها، وهذا ضعيف لأن السورة نزلت قبل الهجرة.

والرابع: وجدك حامل الذكر لا تعرف فهدى الناس إليك وهداهم بك، وهذا بعيد عن المعنى المقصود.

الخامس: أنه من الضلال عن الطريق، وذلك أنه ﷺ ضل في بعض شعب مكة وهو صغير فرده الله إلى جده،

وقيل بل ضل من مرضعته حليمة فرده الله إليها، وقيل بل ضل في طريق الشام حين خرج إليها مع أبي طالب.

السادس: أنه بمعنى الضلال من المحبة أي وجدك محباً لله فهداك إليه، ومنه قول إخوة يوسف لأبيهم: ﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ۝٩٥﴾ [يوسف:٩٥] أي: محبتك

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٤:٠٠ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tatlani

ليوسف، وبهذا كان يقول شيخنا الأستاذ أبو جعفر الزبير)[1][2].

۞ المناقشة والترجيح:

وافق ابن جزي في اختياره هذا الحسن والضحاك[3] والوا حدي والبغوي والزمخشري وابن عطية والرازي والقرطبي والبيضاوي والنسفي وأبو حيان و ابن كثير وأبا السعود والشوكاني والألوسي وابن عاشور والسعدي وابن عثيمين[4].

واستدلوا بذلك بقوله تعالى: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الشورى:٥٢].

وقوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾ [النساء:١١٣].

واستبعدوا أن يكون المراد بـ (الضلال) هنا الذي يقابل الهدى لأن الأنبياء معصومون عن ذلك قبل النبوة كما قال الله تعالى ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ [النجم:٢].

---

(١) التسهيل (٤/ ٣٨٩، ٣٩٠).

(٢) هو أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي ، المفسر، المحدث ، الفقيه ، الأصولي ، اللغوي ، الأديب ، المؤرخ ، درس بالجامع الكبير في غرناطة ، وخطب بها ، وتولى القضاء. من مصنفاته: (صلةالصلة) و(البرهان في تناسب سورالقرآن). ت سنة(٧٠٨هـ) . ينظر:الإحاطة(١/ ١٨٨) وشدرات الدهب(٦/ ١٦)والدررالكامنة(١/ ٩٦)والأعلام(١/ ٨٦).

(٣) انظر زاد المسير (٩/ ١٥٩).

(٤) انظر على التوالي: الوجيز (٢/ ١٢١١)، معالم التنزيل (٤/ ٤٩٩)، الكشاف (٤/ ٧٧٢)، المحرر الوجيز (٥/ ٤٩٤)، التفسير الكبير (٣١/ ١٩٥)، الجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ٩٦-٩٩) أنوار التنزيل (٥/ ٥٠٢)، تفسير النسفي (٤/ ٣٤٥)، البحر المحيط (٨/ ٤٨١)، تفسير القرآن العظيم (٤/ ٥٢٤)، إرشاد العقل السليم (٩/ ١٧١)، فتح القدير (٥/ ٤٩٨)، روح المعاني (٣٠/ ١٦٢)، التحرير والتنوير (٣٠/ ٣٩٩)، تفسير السعدي (١/ ٩٢٨)، تفسير القرآن الكريم (٢٤١).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... العمرة النهائية) ٠٤:٠٠ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tatawi

قال الرازي: (فأما الجمهور من العلماء فقد اتفقوا على أنه عليه الصلاة والسلام ما كفر بالله لحظة واحدة)[1].

وقال ابن عاشور: (وليس المراد بالضلال هنا اتباع الباطل، فإن الأنبياء معصومون من الإشراك قبل النبوة باتفاق علمائنا. ولم يختلف أصحابنا أن نبينا ﷺ لم يصدر منه ما ينافي أصول الدين قبل رسالته ولم يزل علماؤنا يجعلون ما تواتر من حال استقامته ونزاهته عن الرزائل قبل نبوته دليلاً من جملة الأدلة على رسالته) [2] .

وقيل المراد به: أنه ضل وهو صغير في شعاب مكة فرده الله إلى جده عبد المطلب، وروى هذا القول أبو الضحى[3] عن ابن عباس.

وقيل: أنه لما خرج مع ميسرة غلام خديجة أخذ إبليس بزمام ناقته فعدل به عن الطريق فجاء جبريل فنفخ إبليس نفخةً وقع منها إلى الحبشة ورده إلى القافلة فمن الله عليه بذلك، وهذا قول سعيد ابن المسيب[4].

وقيل: أن المعنى وجدك في قوم ضلال فهداك للتوحيد والنبوة، قاله ابن السائب.

وقيل: وجدك نسياً فهداك إلى الذكر قاله ثعلب[5][6].

---

(١) التفسير الكبير (٣١/ ١٩٦).

(٢) التحرير والتنوير (٣٠/ ٣٩٩).

(٣) هو مسلم بن صبيح الهمداني أبو الضحى الكوفي العطار، مولى لآل سعيد بن العاص القرشي، توفي في خلافة عمر بن عبدالعزيز سنة: (١٠هـ). ينظر: تهذيب التهذيب: (١٠/ ١١٩)، والكاشف: (٢/ ٥٩)، والتاريخ الكبير: (٧/ ٦٤).

(٤) انظر : زاد المسير (٩/ ١٥٩) ، وتفسير القرآن العظيم (٤/ ٥٢٤).

(٥) انظر إلى هذه الأقوال في زاد الميسر (٩/ ١٥٩).

(٦) هو أحمد بن يحيى بن يزيد بن سيار النحوي الشيباني المعروف بثعلب، وكان إمام الكوفيين في النحو واللغة، وكان ثقة حجة صالحا مشهورا بالحفظ، (ت٢٩١هـ) في بغداد ودفن بالشام. ينظر: تاريخ بغداد: ⇦=

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... العورة النهائية) ٠٠:٠٤ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tatlani

وقيل: وجدك خاملاً لا تذكر ولا تعرف فهدى الناس إليك حتى عرفوك، قاله عبدالعزيز بن يحيى ومحمد بن علي الترمذي[1].

۞ القول الراجح:

الذي يظهر أن ما اختاره ابن جزي وجمهور المفسرين هو الأولى والأظهر لقوة أدلته وتأييده بالقواعد الترجيحية.

قاعدة: (القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك) [2].

=

(٥/ ٢٠٤)، ووفيات الأعيان: (١/ ١٠٢)، وسير أعلام النبلاء: (٥٨٤)، طبقات المفسرين للأدنه وي: (٤٠٢).

(١) هو محمد بن علي بن الحسن بن بشر الحكيم الترمذي، متصوف معروف، درس في شبابه التفسير، والحديث، والفقه، ثم مال إلى التصوف، وكان ذا رحلة ومعرفة وله مصنفات كثيرة من أشهرها: (ختم الأولياء). ينظر: حلية الأولياء: (١٠/ ٢٣٣- ٢٣٥)، سير أعلام النبلاء: (١٣/ ٤٣٩)، لسان الميزان: (٥/ ٣٠٨).

(٢) قواعد الترجيح (١/ ٣١٣).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... الصورة النهائية) ٠٠:٠٤ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tafasi

مسألة: مالمراد بـ(النعمة) في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾ [الضحى:١١]

۞ ترجيح ابن جزي:

قال ابن جزي:

(قيل: معناه بث القرآن وبلغ الرسالة.

والصحيح انه عموم في جميع النعم، قال رسول الله ﷺ: (التحدث بالنعم شكر) (١).

ولذلك كان بعض السلف يقول لقد أعطاني الله كذا، ولقد صليت البارحة كذا، وهو إنما يجوز إذا كان على وجه الشكر أو ليقتدي به،

فأما على وجه الفخر والرياء فلا يجوز) (٢).

۞ المناقشة والترجيح:

وافق ابن جزي في اختياره هذا مقاتل(٣) وابن جرير والزمخشري والقرطبي والنسفي وأبو السعود والشوكاني والألوسي وابن عاشور والسعدي (٤).

وحجتهم:

أن التنكير والإضافة في قوله تعالى (بنعمة) تفيد عموم النعم، كما في قوله

---

(١) الحديث أخرجه أحمد(٤/ ٢٧٨)،والبيهقي في الشعب(٤٤١٩)،والبغوي في تفسيره عن النعمان بن بشيررضي الله عنه(٤/ ٥٠٠)،وحسنه الألباني في الصحيحه(٦٦٧)،وصحيح الجامع(٣٠١٤).

(٢) التسهيل (٤/ ٣٩٠).

(٣) انظر زاد المسير (٩/ ١٦٠).

(٤) انظر على التوالي: جامع البيان (٣٠/ ٢٣٣)، الكشاف (٤/ ٧٧٤)، الجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ١٠٢)، تفسير النسفي (٤/ ٣٤٥)، إرشاد العقل السليم (٩/ ١٧١)، فتح القدير (٥/ ٤٥٩)، روح المعاني (٣٠/ ١٦٤)، التحرير والتنوير (٣٠/ ٤٠٤)، تفسير السعدي (١/ ٩٢٩).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٠:٤ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tafasi

تعالى:(وما بكم من نعمة فمن الله) أي كل نعمة

ـ وقيل المراد بـ(النعمة) هنا نعمة القرآن والنبوة حكى هذا القول مجاهد[1]. والكلبي[2] والواحدي [3].

وحجتهم:

أن القرآن والنبوة هي من أعظم ما أنعم الله على نبيه ﷺ، وأنه الأنسب مع قوله تعالى: (فحدث) أي: اقرأ القرآن وأقرأه غيرك، وبلغ ما أنزل إليك من أمر النبوة.

وقيل: المراد بها النعم الثلاث المذكورة في الآيات قبلها وهي نعمة الإيواء والهداية والإغناء.

ويدل عليه سياق الآيات ن فبعد أن ذكر الامتنان عليه بذكر الإيواء والهداية والإغناء، أمره بثلاثة:

﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾ [الضحى:٩-١١]

فيكون التحديث هنا: ذكر نعمة الإيواء والهداية والإغناء إظهاراً للنعمة وشكراً للمنعم لا افتخاراً بها على الخلق.

واختار هذا القول ابن كثير وأبو حيان وابن عثيمين [4].

---

(١) انظر جامع البيان (٣٠/ ٢٣٣).

(٢) انظر روح المعاني (٣٠/ ١٦٤).

(٣) انظر على التوالي: الوجيز (٢/ ١٢١١) .

(٤) انظر على التوالي تفسير القرآن العظيم (٤/ ٥٢٥)، البحر المحيط (٨/ ٤٨٢)، تفسير القرآن الكريم (٢٤٤).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٠٤
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tatawi

۞ القول الراجح:

من خلال الأقوال السابقة يتبين أن التلازم بين الأقوال، فتفسيرها بالقرآن والنبوة هو مثال لأعظم أنواع النعم، وتفسيرها بالثلاث المذكورة في السورة هي مما تتم به النعم، فتكون هذه النعم هي من جملة النعم الكثيرة التي لا تعد ولا تحصى، وعليه فإن ما ذهب إليه ابن جزي وجمهور المفسرين هو الأولى لصحة الأقوال وعدم التعارض بينهما فإعمال القولين أولى من إعمال أحدهما، وإهمال الأخرى [1].

(١) انظر قواعد الترجيح (٤٢-٤٥).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... السورة النهائية) ٠٠:٤ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tafasi

سورة الشرح

مسألة: ما المراد بانشراح صدره ﷺ في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١﴾ [الشرح:١]

۞ ترجيح ابن جزي:

(قال ابن جزي: هذا لصدره توقيف، معناه: إثبات شرح صدره ﷺ وتعديد ما ذكر بعده من النعم، وشرح صدره ﷺ هو اتساعه لتحصيل العلم وتنويره بالحكمة والمعرفة.

وقيل: هو شق جبريل لصدره في صغره، أو في وقت الإسراء حين أخرج قلبه وغسله)[١].

رجح ابن جزي القول الأول، ويدل على هذا ما ذكره في مقدمته: (ثم ما أقدم غيره عليه إشعاراً بترجيح المتقدم) [٢].

۞ المناقشة والترجيح:

وافق ابن جزي في اختياره هذا ابن عباس[٣] والحسن[٤] وقول ابن جرير والواحدي والبغوي وابن الجوزي والرازي والنسفي ووافقهم أبو حيان وأبو السعود والسعدي وابن عثيمين [٥].

---

(١) التسهيل (٤/ ٣٩٢).

(٢) التسهيل (١/ ٧).

(٣) انظر فتح الباري (٨/ ٥٨٢).

(٤) انظر الدار المنثور (٨/ ٥٤٨).

(٥) انظر على التوالي: جامع البيان (٥/ ١٠٥)، الوجيز (٢/ ١٢١٢)، معالم التنزيل (٤/ ٥٠١) زاد المسير (٩/ ١٦٢)، التفسير الكبير (٣٢/ ٣)، تفسير النسفي (٤/ ٣٤٦)، البحر المحيط (٨/ ٤٨٣)، إرشاد العقل السليم (٩/ ١٧٢)، تفسير السعدي (١/ ٩٢٩)، تفسير القرآن الكريم (٢٤٦).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٤٠
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tafasi

وحجتهم:

أن الشرح يأتي في القرآن الانشراح والارتياح كما في قوله تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [الزمر:٢٢] وهذه حالة نتيجة استقرار الإيمان والمعونة والنور والحكمة،

فقوله: ﴿فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ بيان لشرح الصدر للإسلام.

وكما في قوله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ [الأنعام:١٢٥] وإن كان هناك تفاوت في أصحاب هذا القول في المراد بالشرح فبعضهم حصرها على أشياء معينة كالحلم والصبر وعلى مشاق الدعوة والجهاد، إلا أنهم متفقون على أن المراد بالانشراح هنا انشراحاً معنوياً.

قال ابن عثيمين في المراد بالآية: (أي: نوسعه، وهذا الشرح شرح معنوي ليس شرحاً حسياً.....) ثم قال:

(إذاً شرح الصدر يعني توسعته وتهيئته لأحكام الله الشرعية والقدرية، لا يضيق بأحكام الله ذرعاً إطلاقاً، ونبينا محمد ﷺ له الحظ الأوفر من ذلك)[1].

وقال الشيخ عطية سالم بعد أن ساق الخلاف في المراد بالشرح المعنوي: (والذي يظهر والله أعلم أن شرح الصدر المحتمة به عليه الصلاة والسلام أوسع وأعم من ذلك)[2].

وذهب آخرون إلى الجمع بين القولين، كالقرطبي وابن كثير والشوكاني[3].

---

(١) تفسير القرآن الكريم (٢٤٦).

(٢) أضواء البيان (٨/ ٥٧٢).

(٣) انظر على التوالي: الجامع لأحكام القرآن (٥/ ١٠٤)، تفسير القرآن العظيم (٤/ ٥٢٥)، فتح القدير ⇦=

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٤٠ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tatlani

واستدلوا بالأحاديث الواردة في شق صدره ﷺ[1] والحكمة في ذلك ملأ صدره ﷺ بالإيمان والحكمة التصديق، وأن توجد عنده ﷺ على وجه لا يوجد عند سواه.

قال ابن كثير بعد أن ساق القولين:

(ولكن لا منافاة فإن من جملة شرح صدره الذي فعل بصدره ليلة الإسراء وما نشأ عنه من الشرح المعنوي)[2]

وقال الشيخ عطية سالم : (واختلف في معنى شرح الصدر، إلا أنه لا منافاة فيما قالوا، وكلها يكمل بعضها بعضاً)[3]

۞ القول الراجح:

الذي يظهر أن ما ذهب إليه القرطبي ومن معه هو الراجح والأولى، فالشرح المعنوي إرشاده إلى الشرح الحسي، وهو شق صدر الرسول ﷺ وإزاحة ما في قلبه من النكتة السوداء، وملأ قلبه إيماناً وحكمة، وقد كان مهداً لذلك الشرح الذي ذكره الله في الآية، فالقولان متلا زمان ولا تعارض بينهما.

فإعمال القولين أولى من إعمال أحدهما وإهمال الأخرى [4].

= (٥/ ٤٦١).

(١) روى أحاديث شق الصدر: البخاري برقم (٣٢٠٧)، ومسلم (١٦٤)، والترمذي (٣٣٤٦)، من حديث مالك بن صعصقة ﷺ، وأخرجه عبدالله بن الإمام أحمد من حديث أبي هريرة ﷺ، انظر زوائد الزهد (٥/ ١٣٩).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٥٢٥).

(٣) أضواء البيان (٨/ ٥٧٢).

(٤) قواعد الترجيح (٤٢/ ٤٥).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... الصورة النهائية) ٠٤
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tatlani

مسألة المراد بـ (الوزر) في قوله تعالى: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢﴾ [الشرح:٢]

۞ ترجيح ابن جزي:

(قال ابن جزي: فيه ثلاثة أقوال:

الأول: قول الجمهور أن الوزر الذنوب، ووضعها هو غفرانها، فهو كقوله: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح:٢] وهذا على قول من جوز صغائر الذنوب على الأنبياء أو على أن ذنوبه كانت قبل النبوة

الثاني: أن الوزر هو أثقال النبوة وتكاليفها، ووضعها على هذا هو إعانته عليها وتمهيد عذره بعدما بلغ الرسالة.

الثالث: أن الوزر هو تحيره قبل النبوة والهدي للشريعة [١].

رجح ابن جزي القول الأول ونسبه إلى جمهور العلماء وقول الجمهور هو من مراتب الترجيح عند ابن جزي كما ذكر ذلك في مقدمته) [٢].

۞ المناقشة والترجيح:

وافق ابن جزي في اختياره هذا مجاهد[٣] والضحاك والحسن وقتادة وابن زيد[٤] والفراء وابن قتيبة [٥] وابن جرير والواحدي والبغوي وابن الجوزي والرازي والقرطبي ووافقهم ابن كثير والشوكاني والسعدي وابن عثيمين[٦].

---

(١) التسهيل (٤/ ٣٩٢، ٣٩٣).

(٢) التسهيل (١/ ٢٠).

(٣) رواه البخاري عن مجاهد، انظر فتح الباري (٨/ ٥٨٢).

(٤) انظر جامع البيان (٣٠/ ٢٣٤، ٢٣٥)، والجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ١٠٥).

(٥) انظر زاد المسير (٩/ ١٦٢).

(٦) انظر على التوالي جامع البيان (٣٠/ ٢٣٤)، الوجيز (٢/ ١٢١٢)، معالم التنزيل (٤/ ٥٠١) زاد المسير =⇦

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٤:٠٠ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Fattani

واستدلوا بقوله تعالى: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح:٢].

وبقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام:١٦٤]، وقوله تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [النحل:٢٥] وهو ما عبر عنه بالثقل في موضع آخر مثل ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ [العنكبوت:١٣].

وذهب ابن عطية والنسفي والبقاعي وأبو السعود وابن عاشور[1] إلى أن المراد بالوزر الحرج الذي كان يجده من أثقال النبوة وتكاليفها

۞ القول الراجح:

الذي يظهر والله أعلم أن ما ذهب إليه ابن جزي وجمهور المفسرين هو الراجح لهذا النفي الصريح في الآية التي تدل على وقوع النبي ﷺ في شيء من الذنوب التي قد غفرها الله له، ولكن لم يبين الله تعالى هذه الذنوب، فالوقوف على ما أجمله الله تعالى هو الأولى.

وللجمع بين ما يقع منه عليه الصلاة والسلام من ذنوب وبين قوله تعالى:

﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب:٢١] إذ من كان قدوة فلا يعقل أن تقع منه ذنوب فيقال: إن ما تقع منه من ذنوب فهي من الصغائر وهي قليلة جداً إلا أنها انقضت ظهره عليه الصلاة والسلام لشدة اغتمامه بوقوعه منه وتحسره مع ندمه عليه، ولا يمكن أن تقع منه كبائر الذنوب التي تطعن في رسالته فهذا شيء مستحيل ومستبعد.

= (٩/ ١٦٢)، التفسير الكبير (٢٣/ ٦)، الجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ١٠٥)، تفسير القرآن العظيم (٤/ ٥٢٥)، فتح القدير (٥/ ٤٦١)، تفسير السعدي (١/ ٩٢٩)، تفسير القرآن الكريم (٢٤٨).

(١) انظر على التوالي: المحرر الوجيز (٥/ ٤٩٦)، تفسير النسفي (٤/ ٣٤٦) نظم الدرر (٢٢/ ١١٨)، إرشاد العقل السليم (٩/ ١٧٢)، التحرير والتنوير (٣٠/ ٤١٠).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٠:٤ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tafasi

سورة التين

مسألة: ما المراد بـ (التين والزيتون) في قوله تعالى: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١﴾ [التين:١]؟

۞ ترجيح ابن جزي:

(قال ابن جزي: فيها قولان:

القول الأول:

أنه التين الذي يؤكل، والزيتون الذي يعصر، أقسم الله بهما لفضيلتهما على سائر الثمار، روى أن رسول الله ﷺ أكل مع أصحابه تيناً فقال:

(لو قلت إن فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذه، لأن فاكهة الجنة بلا عجم فكلوه فإنه يقطع البواسير وينفع من النقرس) (١).

وقال ﷺ: (نعم السواك الزيتون فإنه من الشجرة المباركة هي سواكي وسواك الأنبياء من قبلي) (٢).

القول الثاني:

أنهما موضعان، ثم اختلف فيهما، فقيل: هما جبلان بالشام.

أحدهما: بدمشق ينبت فيه التين.

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الطب و والثعلبي من حديث أبي ذر، والكشاف: (٤/ ٧٧٨)، والمحرر الوجيز: (٥/ ٤٩٩)، وقال الحافظ ابن حجر في تخريجه لأحاديث الكشاف ص (١٨٦): وفي إسناده من لا يعرف. انظر: الكافي الشافي في تخريجه أحاديث الكشاف (٤/ ٧٦٣)، وبحاشيته (الكافي الشافي)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي: (٤/ ٢٦٨) بإشراف الدكتور عبدالله التركي. وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة والموضوعة(١٦٥).

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط من حديث معاذ بن جبل (١/ ٢١٠)، وحكم عليه الألباني في الضعيفة بالوضع(٥٣٦٠)

.

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... السورة النهائية) ٠٠:٤ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tatlani

والآخر: بإيلياء تنبت فيه الزيتون، فكأنه قال: ومنابت التين والزيتون.

وقيل: التين مسجد دمشق، والزيتون مسجد المقدس.

وقيل: التين مسجد نوح، والزيتون مسجد إبراهيم.

والأظهر أنهما الموضعان من الشام، وهما اللذان كان فيهما مولد عيسى ومسكنه، وذلك أن الله ذكر بعد هذا الطور الذي كلم عليه موسى عليه السلام، والبلد الذي بعث منه محمد ﷺ فتكون الآية نظير ما في التوراة: أن الله جاء من طور سيناء، وطلع من ساعد وهو موضع عيسى، وظهر من جبي باران وهي مكة.

وأقسم الله بهذه المواضع التي ذكر في التوراة لشرفها بالأنبياء المذكورين) [1]

۞ المناقشة والترجيح:

وافق ابن جزي في اختياره هذا المروي عن ابن عباس { [2] وكعب وقتادة وابن زيد [3] والواحدي والزمخشري والألوسي وابن عاشور وابن عثيمين [4]

وحجتهم:

أن الكلام فيه محذوف مقدر وهو: ومنابت التين والزيتون

وقالوا: وهو الذي يدل عليه ظاهر التنزيل، لأن الله سبحانه عطف على هاتين أسماء أماكن، وهذا يشير إلى أن المراد بالقسم هاتان الشجرتان وأماكن نباتهما، فهو أنسب لسياق الكلام.

---

(١) التسهيل (٤/ ٣٩٥).

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٣٠/ ٢٤٠).

(٣) انظر جامع البيان (٣٠/ ٢٣٩).

(٤) انظر على التوالي: الوجيز (٢/ ١٢١٤)، الكشاف (٤/ ٧٧٩)، روح المعاني (٣٠/ ١٧٤)، التحرير والتنوير (٣٠/ ٤٢٠)، تفسير القرآن الكريم (٢٥٦).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٠:٠٤ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tafasi

فاقسم الله تعالى بمنابتها وهما أرض الشام وفيها مبعث عيسى عليه السلام، والطور مبعث موسى عليه السلام، والبلد الأمين مبعث محمد ﷺ.

وإن اختلف أصحاب هذا القول في تحديد مواضع نباتها إلا أنهم اتفقوا على أنها في أرض الشام.

وذهب آخرون إلى أن المراد بهما هنا: التين الذي يؤكل، والزيتون الذي يعصر، وهذا القول هو المروي عن ابن عباس [١] ومجاهد وعكرمة والحسن وإبراهيم النخعي والكلبي [٢] وقول القرطبي والبيضاوي والنسفي ووافقهم أبو السعود والشوكاني والسعدي [٣].

وحجتهم: قول رسول الله ﷺ في التين:

(لو قلت إن فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذه، لأنه فاكهة الجنة بلا عجم فكلوه فإنه يقطع البواسير وينفع من النقرس) [٤].

وقوله ﷺ: (نعم السواك الزيتون، فإنه من الشجرة المباركة هي سواكي وسواك الأنبياء من قبلي) [٥].

وخصه الله تعالى من الثمار لما لهما من الفوائد، فالتين فاكهة طيبة لا فصل له، وغذاء لطيف، سريع الهضم، ودواء كثير النفع فإنه يلين الطبع، ويحلل البلغم، ويطهر

---

(١) أخرجه الحاكم من وجه آخر عن أبي نجيح عن مجاهد، وأخرجه ابن أبي حاتم من طريق عكرمة، انظر فتح الباري (٨/ ٥٨٣).

(٢) انظر جامع البيان (٣٠/ ٢٣٨).

(٣) انظر على التوالي: الجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ١١١) أنوار التنزيل (٥/ ٥٠٧٩)، تفسير النسفي (٤/ ٣٤٧)، إرشاد العقل السليم (٩/ ١٧٤)، فتح القدير (٥/ ٤٦٤)، تفسير السعدي (١/ ٩٢٩) .

(٤) سبق تخريجه ص (٢١٥).

(٥) سبق تخريجه ص (٢١٥).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... السورة النهائية) ٠٠:٠٤ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tatlani

الكليتين... وغيرها، والزيتون فاكهة وإدام ودواء، وله دهن لطيف، كثير المنافع مع أنه قد ينبت حيث لا دهنية فيه كالجبال، ويدخل في كثير من الأدوية [1].

قال القرطبي بعد أن ساق الأقوال:

(أصح هذه الأقوال الأول - أنه التين الذي يؤكل والزيتون الذي يعصر - لأنه الحقيقة ولا يعدل عن الحقيقة إلى المجاز إلا بدليل)[2].

وقال الشوكاني بعد أن ساق أقوال القائلين بالمراد بهما أنهما منابت التين والزيتون: (وليت شعري ما الحامل لهؤلاء الأئمة على العدول عن المضي الحقيقي في اللغة العربية، والعدول إلى هذه التفسيرات البعيدة عن المعنى المبنية على خيالات لا ترجع إلى عقل ولا نقل) [3].

۞ القول الراجح:

الذي يظهر والله أعلم أنه يحتمل أن يراد به المعنيان: فيكون هو التين الذي يؤكل، والزيتون الذي يعصر، لأنه هو المعروف عند العرب، ولما فيهما من الفوائد الكثيرة، ولا يعارضه كذلك أن يراد به أيضاً مواضع نباتهما، وذلك لتحقيق التناسب بين المتعاطفات في أن المراد بها أماكن مخصوصة وهي أرض الشام.

فالأول: (التين والزيتون) هي بيت المقدس التي بعث الله فيها عيسى ابن مريم عليه السلام.

والثاني: (طور سنيين) وهو طور سيناء الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام.

والثالث: (البلد الأمين) وهي مكة الذي من دخله كان آمناً وهو الذي أرسل

---

(١) انظر : تفسير البضاوي (٥/ ٥٠٧) ، وإرشاد العقل السليم (٩/ ١٧٤).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ١١١).

(٣) فتح القدير (٥/ ٤٦٤).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... السورة النهائية) ٠٤:٠٠ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tatlani

الله محمد ﷺ.

وهي ثلاثة مواضع بعث الله في كل واحد منها نبياً مرسلاً من أولي العزم أصحاب الشرائع الكبار، فأقسم الله بالأشرف، ثم الأشرف منه، ثم بالأشرف منهما.

وقال ابن جرير: (والصواب من القولين في ذلك عندنا قول من قال: التين هو التين الذي يؤكل، والزيتون هو الزيتون الذي يعصر منه الزيت، لأن ذلك هو المعروف عند العرب، ولا يعرف جبل يسمى تيناً، ولا جبل يقال له زيتون إلا أن يقول قائل أقسم ربنا جل ثناؤه بالتين والزيتون، فيكون ذلك مذهباً، وأن لم يكن على صحة ذلك أنه كذلك دلالة في ظاهر التنزيل، ولا من قول من لا يجوز خلافه، لأن دمشق بها منابت التين، وبيت المقدس منابت الزيتون) [1]

ويؤيد هذا من القواعد الترجيحية:

قاعدة: (يجب حمل كلام الله تعالى على المعروف من كلام العرب) [2].

وقاعدة: (إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عن ذلك)[3].

(١) جامع البيان (٣٠/ ٢٤٠).

(٢) قواعد الترجيح (٢/ ٣٦٩).

(٣) قواعد الترجيح (١/ ١٢٥).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٠٤
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tatlani

سورة العلق

مسألة: الوعيد المذكور في قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾﴾ [العلق:١٥] لأبي جهل في الدنيا أم في الآخرة؟

۞ ترجيح ابن جزي:

(قال ابن جزي: أوعد أبا جهل إن لم ينته عن كفره وطغيانه أن يؤخذ بناصيته فيلقى في النار، والناصية مقدم الرأس، وهو كقوله: ﴿فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ﴾ [الرحمن:٤١].

والسفع هنا الجذب و القبض على الشيء.

وقيل: هو الإحراق، من قولك سفعته النار، أكد لنسفعاً باللام والنون الخفيفة وكتبت في المصحف بالألف مراعاةً للوقوف.

ويظهر لي أن هذا الوعيد نفذ عليه يوم بدر حين قتل وأخذ بناصيته فجر إلى القليب)[1].

فابن جزي رجح أن السفع المذكور في الآية حصل في الدنيا وذلك في غزوة بدر.

۞ المناقشة والترجيح:

ذهب إلى القول بأن هذا السفع المراد منه إلى النار في الآخرة.

الواحدي و السمعاني والبغوي والزمخشري وابن عطية والجوزي والقرطبي والبيضاوي والنسفي ووافقهم ابن كثير وأبو السعود والشوكاني والألوسي والسعدي[2].

---

(١) التسهيل (٤/ ٣٩٩).

(٢) انظر على التوالي: الوجيز (٢/ ١٢١٧)، تفسير القرآن (٦/ ٢٥٨)، معالم التنزيل (٤/ ٥٠٨)، الكشاف (٤/ ٧٨٤)، المحرر الوجيز (٥/ ٥٠٣) زاد المسير (٩/ ١٧٩)، الجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ١٢٥) أنوار التنزيل (٥/ ٥١١)، تفسير النسفي (٤/ ٣٤٩)، تفسير القرآن العظيم (٤/ ٥٢٩) نظم الدرر ⇦=

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... السورة النهائية) ٠٤:٠٠ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tafasi

واستدلوا لذلك بقوله تعالى: ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾﴾

قال القرطبي: (... أي والله لئن لم ينته عما هو عليه ولم ينزجر ﴿لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ﴾ السفع هو الجذب الشديد، والمعنى: لنأخذن بناصيته ولنجرنه إلى النار، وهذا كقوله ﴿فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ﴾.)[1]

والرأي الذي ذهب إليه ابن جزي بأن المراد بأن هذا الوعيد كان يوم بدر لم أقف -بحدود علمي- على من قال به من علماء التفسير إلا من رأى احتمالية الجمع بين القولين كابن عثيمين إذ قال:

(وهل المراد الأخذ بالناصية في الدنيا أو في الآخرة يجر بناصيته إلى النار؟ يحتمل هذا وهذا، ويحتمل أنه يؤخذ بالناصية وقد أخذ بناصيته في يوم بدر حين قتل مع من قتل من المشركين، ويحتمل أن يكون يؤخذ بناصيته يوم القيامة فيقذف في النار...) إلى أن قال:

(وإذا كانت الآية صالحة لمعنيين لا يناقض أحدهما الآخر فإن الواجب حملها على المعنيين جميعاً كما هو المعروف)[2].

۞ القول الراجح:

الذي يظهر والله أعلم أن الراجح هو ما ذهب إليه جمهور المفسرين لكثرة القائلين به، ولوجود ما يدل على أن هذه الصفة من العذاب في النار مذكورة في القرآن الكريم كقوله تعالى: ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾﴾ [الرحمن:٤١].

=

(٢٢/ ١٧١)، إرشاد العقل السليم (٩/ ١٨٠)، فتح القدير (٥/ ٤٦٩)، روح المعاني (٣٠/ ١٨٦)، تفسير السعدي (١/ ٩٣١).

(١) الجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ١٢٥).

(٢) تفسير القرآن (٢٦٩).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... الصورة النهائية) ٠٠:٤ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tatawi

والقاعدة الترجيحية ناطقة بذلك:

(القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك) [1].

(١) قواعد الترجيح (١/ ٣١٢).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... العورة النهائية) ٠٠٤
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tatlani

سورة القدر

مسألة: تحديد ليلة القدر في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١﴾ [القدر:١].

۞ ترجيح ابن جزي:

قال ابن جزي: (اختلف الناس في ليلة القدر على ستة عشر قولاً، .....) وبعد أن ساق الأقوال قال:

(وأرجح الأقوال أنها ليلة إحدى وعشرين أو ليلة ثلاث وعشرين أو ليلة سبع وعشرين، فقد جاءت في هذه الليالي الثلاث أحاديث صحيحة خرجها مسلم وغيره، والأشهر أنها ليلة سبع وعشرين)[١]

رجح ابن جزي أنها في العشر الأواخر من رمضان بناءً على أحاديث صحيحة عن رسول الله ﷺ، وهي من مراتب الترجيح عنده [٢]، وقال: والأشهر أنها ليلة سبع وعشرين.

وافق ابن جزي في اختياره هذا السمعاني والزمخشري والبيضاوي والبقاعي وأبو السعود [٣]

وأدلتهم: الجمع بين الأحاديث الصحيحة الواردة في ذلك وبين ما ورد عن أبي كعب وابن عباس { في أنها ليلة سبع وعشرين، ومن ذلك:

عن عائشة > أن رسول الله ﷺ قال: (تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان) [٤].

---

(١) التسهيل (٤/ ٤٠٢).

(٢) التسهيل (١/ ٥).

(٣) انظر على التوالي: تفسير القرآن (٦/ ٢٦١)، الكشاف (٤/ ٧٨٦) أنوار التنزيل (٥/ ٥١٣) نظم الدرر (٢٢/ ١٨٠)، إرشاد العقل السليم (٩/ ١٨٢).

(٤) رواه البخاري- كتاب صلاةالتراويح- بابتحري ليلةالقدر-رقم (١٩١٣)، ومسلم-كتاب الصيام- باب ⇦=

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... العورة النهائية) ٠٤ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tatawi

وعنها: (أن رسول الله ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان)[1] يلتمس فيها ليلة القدر.

واستدلوا على أن أرجاها هي ليلة سبع وعشرين ما ورد عن أبي ابن أبي كعب رضي الله عنه أنه كان يقول: والله الذي لا إله إلا هو إنها لفي رمضان يحلف ما يستثني، والله إني لأعلم أي ليلة القدر هي التي أمرنا رسول الله ﷺ بقيامها هي ليلة سبع وعشرين...)[2].

- وذهب جمهور المفسرين إلى أنها في ليالي الأوتار، وأنها تتنقل بدون تحديد ليلة بعينها، وذهب إلى هذا القول ابن زمنين والبغوي وابن العربي وابن عطية والقرطبي وأبو حيان ووافقهم ابن كثير وابن حجر والألوسي وابن عاشور والسعدي [3].

وأدلتهم:

نفس أدلة الفريق الأول في عموم اجتهاده ﷺ في العشر الأواخر من رمضان، وللأحاديث الواردة عن رسول الله ﷺ أنه رآها في ليلة إحدى وعشرين[4]، وليلة ثلاث وعشرين[5].

= فضل ليلةالقدر-رقم (١١٦٩).

(١) رواه البخاري- كتاب الاعتكاف- باب الاعتكاف في العشرالأواخر-رقم (١٩٢١)، ومسلم- كتاب الاعتكاف- باب اعتكاف العشرالأواخرمن رمضان- رقم (١١٧٢).

(٢) رواه مسلم-كتاب الصيام- باب فضل ليلةالقدر- رقم (٧٦٢).

(٣) انظر على التوالي: تفسير القرآن العزيز (٥/ ١٤٩)، معالم التنزيل (٤/ ٥١٠) أحكام القرآن (٤/ ٤٣٣)، المحرر الوجيز (٥/ ٥٠٥)، الجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ١٣٥)، البحر المحيط (٨/ ٤٩٢)، تفسير القرآن العظيم (٤/ ٥٣٤)، فتح الباري (٤/ ٢٦٦)، روح المعاني (٣٠/ ١٩١)، التحرير والتنوير (٣٠/ ٤٦٣)، تفسير السعدي (١/ ١٣٩).

(٤) رواه البخاري- كتاب صلاةالتراويح- باب تحري ليلةالقدر- رقم (٢٠١٨)، ومسلم- كتاب الصيام- باب فضل ليلةالقدروالحث عليها- رقم (١١٦٧)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٥) رواه مسلم-كتاب الصيام-باب فضل ليلةالقدر- رقم (١١٦٨)، من حديث عند الله ابن أنيس.

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... الصورة النهائية) ٠٤
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tafasi

ـ وقيل: إنها محددة بليلة سبع وعشرين من رمضان.

وهذا القول روي عن أبي ابن كعب وابن عباس { وهو قول طائفة من السلف وهو الجادة من مذهب الإمام أحمد ابن حنبل ورواية عن أبي حذيفة[1]، وقول النسفي[2].

أدلتهـــم:

ما ورد عن أبي بن كعب ﷺ أنه كان يحلف ولا يستثني من أنها ليلة سبع وعشرين[3].

ورد عن ابن عباس { كذلك[4].

وأخرج ابن أبي شيبة عن زر بن حبيش ﷺ أنه سئل عن ليلة القدر، فقال: كان عمر وحذيفة وناس من أصحاب رسول الله لا يشكون أنها ليلة سبع وعشرين[5].

وكان ابن عباس { يقول: إن من عدد كلمات السورة وافق كلمة (هي) سابع كلمة بعد العشرين، وأن جملة (ليلة القدر) تسعة أحرف وقد أعيدت في السورة ثلاث مرات فذاك سبع وعشرين[6].

ونقل ابن كثير في تفسيره هذا القول عن معاوية وابن عمر { [7].

---

(١) انظر تفسير ابن كثير (٤/ ٥٣٥).

(٢) تفسير النسفي (٤/ ٣٥٠).

(٣) سبق تخريجه ص(٢٢٥).

(٤) انظر فتح الباري (٤/ ٢٦٢)، والدرر المنثور (٨/ ٥٧٦).

(٥) الدرر المنثور (٨/ ٥٧٦).

(٦) انظر فتح الباري (٤/ ٢٦٥).

(٧) انظر تفسير ابن كثير (٤/ ٥٣٥).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٤ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tatawi

۞ القول الراجح:

الذي يظهر والله أعلم أن الراجح من الأقوال أنها في أوتار العشر الأواخر من رمضان وأنها تنتقل دون تحديد ليلة معينة، ويدل عليه أن رسول الله ﷺ رآها في ليلة إحدى وعشرين[١]، ورآها الصحابة رضوان الله عليهم ذات سنة من السنين في السبع الأواخر[٢].

وهذا مع قوله عليه الصلاة والسلام (التمسوها في العشر الأواخر من رمضان)[٣]، وفعله من أنه اعتكف العشر الأواخر تحرياً لليلة القدر[٤] يقوي من القول بعدم تعيينها في ليلة محددة.

قال ابن كثير: (... فسره كثيرون بليالي الأوتار وهو أظهر وأشهر)[٥].

وقال ابن حجر: (وأرجحها كلها أنها في وتر من العشر الآخر، وأنها تنتقل)[٦].

ويؤيد هذا من القواعد الترجيحية:

قاعدة: (إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه)[٧]

---

(١) سبق تخريجه ص (٢٢٦).

(٢) سبق تخريجه ص (٢٢٦).

(٣) سبق تخريجه ص (٢٢٦)، وفي رواية (في الوتر من العشر الأواخر).

(٤) سبق تخريجه ص (٢٢٦).

(٥) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٥٣٤).

(٦) فتح الباري (٤/ ٢٦٦).

(٧) قواعد الترجيح (١/ ٢٦٦).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... الصورة النهائية) ٤٠٠
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tatlani

مسألة: ما سبب تسميتها بليلة القدر في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١﴾ [القدر:١]؟

۞ ترجيح ابن جزي:

(قال ابن جزي: وسميت ليلة القدر من تقدير الأمور فيها، أو من القدر بمحض الشرف، ويترجح الأول بقوله: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤﴾ [الدخان:٤] [(١)].

۞ المناقشة والترجيح:

وافق ابن جزي في اختياره هذا المروي عن ابن عباس { وسعيد بن جبير ومجاهد والحسن [(٢)].

وقول ابن جرير وابن زمنين والواحدي والبغوي والزمخشري والقرطبي والألوسي [(٣)].

واستدلوا بنظيره من القرآن وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤﴾ [الدخان:٣-٤] أي يفصل ويبين ما يكون في السنة من وقائع الأمور.

وكلمة (القدر) مصدر قدرت أقدر قدراً، والمراد به ما يمضيه الله من الأمور.

قال الواحدي: (القدر في اللغة التقدير). [(٤)]

---

(١) التسهيل (٤/ ٤٠٢).

(٢) انظر جامع البيان (٣٠/ ٢٥٩، ٢٦٠).

(٣) انظر على التوالي: جامع البيان (٣٠/ ٢٥٨)، تفسير القرآن العزيز (٥/ ١٥٠)، الوجيز (٢/ ١٢١٩)، معالم التنزيل (٤/ ٥٠٩)، الكشاف (٤/ ٧٨٦)، الجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ١٣٠)، روح المعاني (٣٠/ ١٩١).

(٤) انظر معالم التنزيل (٤/ ٥٠٩)، والجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ١٣٠).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... العورة النهائية) ٠٤ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tatawi

وقيل أن المراد بـ(القدر) الشرف والرفعة، واختار هذا القول الزهري والبقاعي والسيوطي وابن عاشور [1]

وحجتهم:

دلالة السياق في السورة وهو قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ۝٢ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ۝٣﴾ [القدر:٢-٣] وقول: خير من ألف شهر فيه صراحة على علو قدرها ورفعتها، والتساؤل بأسلوب التعظيم ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ۝٢﴾ [القدر:٢].

وأيضاً كونها اختص بإنزال القرآن فيها، والملائكة والروح، وبكونها سلاماً ما يدل على قدرها ورفعتها.

ومنه: قولهم (قدري فلاناً) أي عظمته، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ﴾ [الأنعام:٩١] أي ما عظموه حق تعظيمه.

ومنه: أنها سميت بذلك لأن من أتى بفعل الطاعات فيها صار ذا قدر وشرف عند الله تعالى.

ـ وذهب السعدي وابن عثيمين [2] إلى الجمع بين القولين.

قال الشنقيطي: (وعليه: فلا مانع من أن تكون سميت بليلة القدر لكونها محلاً لتقدير الأمور كلها، وأنها بهذا وبغيره علا قدرها وعظم شأنها)[3].

وقال ابن عثيمين: (والصحيح انه شامل للمعنيين، فليلة القدر لا شك أنها ذات قدر عظيم، وشرف كبير، وأنه يقدر فيها ما يكون في تلك السنة من الإحياء والإماتة والأرزاق وغير ذلك)[4].

---

(١) انظر على التوالي: نظم الدرر (٢٢/ ١٧٨)، الجلالين (١/ ٨١٥)، التحرير والتنوير (٣٠/ ٤٥٧).

(٢) انظر على التوالي: تفسير السعدي (١/ ٩٣١) ، تفسير القرآن الكريم (٢٧٤).

(٣) أضواء البيان (٩/ ٣٨٦).

(٤) تفسير القرآن الكريم (٢٧٤).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٤٠
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tatlani

۞ القول الراجح:

الذي يظهر والله أعلم أن القولين ليس بينهما تعارض، فيمكن أن يقال: أنها لعظمتها وعلو قدرها وشرفها كانت محلاً لتقدير الأمور فيها، واختيارها من بين ليالي السنة.

وبما أن المعنى يشمل كلا القولين، وعدم التعارض بينهما فإعمال القولين أولى من إهمال الأخرى [1].

(١) قواعد الترجيح (٤٢- ٤٥).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرونة النهائية) ٠٠:٠٤ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tafasi

مسألة: من المراد بـ (الروح) في قوله تعالى: ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا ﴾ [القدر:٤]؟

۞ ترجيح ابن جزي:

(قال ابن جزي: الروح هنا جبريل عليه السلام، وقيل : صنف من الملائكة لا تراهم الملائكة إلا تلك الليلة) [(١)] .

۞ المناقشة والترجيح:

وافق ابن جزي في اختياره هذا ابن جرير والو احدي والبغوي والرازي والقرطبي ووافقهم ابن كثير والسيوطي والشوكاني والألوسي وابن عاشور وابن عثيمين [(٢)].

وحجتهم: ما دل عليه القرآن في مواضع أخري مثل: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ ﴾ [الشعراء:١٩٣-١٩٤] وقوله: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾ [التحريم:١٢] وقوله: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ [النبأ:٣٨] وهو من عطف الخاص على العام، وخص بالذكر لشرفه.

وقيل: المراد بـ(الروح) صنف من الملائكة لا يرون إلا تلك الليلة وهم أشرف الملائكة وأقربهم إلى الله، وهذا قول مقاتل ابن حيان [(٣)] .

وقيل: إنهم صنف من الملائكة جعلوا حفظة على سائرهم وأن الملائكة لا

---

(١) التسهيل (٤/ ٤٠٢).

(٢) أنظر على التوالي: جامع البيان (٣٠/ ٢٦٠)، الوجيز (٢/ ١٢١٩)، معالم التنزيل (٤/ ٥١٢)، التفسير الكبير (٣٢/ ٣٣)، الجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ١٣٣)، تفسير القرآن العظيم (٤/ ٥٣٢)، الجلالين (١/ ٨١٥)، فتح القدير (٥/ ٤٧٢)، روح المعاني (٣٠/ ١٩٥)، التحرير والتنوير (٣٠/ ٤٦٣)، تفسير القرآن الكريم (٢٧٥).

(٣) انظر زاد المسير (٩/ ١٩٣)، والدر المنثور (٨/ ٤٠٠).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... السورة النهائية) ٠٤ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tafasi

يرونهم، وهذا قول القشيري[1].

وغيرها من الأقوال التي لا دليل يدل على صحتها[2].

۞ القول الراجح:

الذي يظهر بأن ما ذهب إليه جمهور المفسرين هو الراجح لدلالة القرآن عليه، ولأنه قول أكثر المفسرين، ويؤيد هذا القاعدة الترجيحية:

(القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك)[3].

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ١٣٣).

(٢) انظر مثلاً: الجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ١٣٣)، والتفسير الكبير (٣٢/ ٣٣).

(٣) القواعد الترجيحية (١/ ٣١٢).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المصورة النهائية) ٠٠٤
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tafasi

سورة البينة

مسألة: ما المراد بالانفكاك في قوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ۝١﴾ [البينة:١]؟

۞ ترجيح ابن جزي:

(قال ابن جزي: ذكر الله الكفار ثم قسمهم إلى صنفين: أهل الكتاب والمشركين، وذكر أن جميعهم لم يكونوا منفكين حتى تأتيهم البينة وتقوم عليهم الحجة ببعث رسول الله ﷺ، ومعنى منفكين: منفصلين، ثم أختلف في هذا الانفصال على أربعة أقوال: أحدها: أن المعنى لم يكونوا منفصلين عن كفرهم حتى تأتيهم البينة لتقوم عليهم الحجة.

الثاني: لم يكونوا منفصلين عن معرفة نبوة سيدنا محمد ﷺ حتى بعثه الله.

الثالث: اختاره ابن عطية، وهو لم يكونوا منفصلين عن نظر الله وقدرته حتى يبعث الله إليهم رسولا يقيم عليهم الحجة.

الرابع: وهو الأظهر عندي، أن المعنى لم يكونوا لينفصلوا من الدنيا حتى بعث الله سيدنا محمد ﷺ فقامت عليهم الحجة لأنهم لو انفصلت الدنيا دون بعثه لقالوا: ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا، فلما بعثه الله لم يبق لهم عذر ولا حجة، فمنفكين على هذا كقولك: لا تبرح أو لا تزول حتى يكون كذا وكذا). (١)

۞ المناقشة والترجيح:

ذهب جمهور من المفسرين إلى أن المراد من الآية: أن الكافرين من أهل الكتاب والمشركين لم يكونوا منفصلين عن كفرهم حتى تأتيهم البينة لتقوم الحجة عليهم.

---

(١) التسهيل (٤/ ٤٠٤).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... الصورة النهائية) ٠٠:٠٤ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tafasi

واختار هذا القول مجاهد وقتادة[1] والواحدي والبغوي والزمخشري والرازي والبيضاوي والسيوطي وأبو السعود وابن عاشور والسعدي.[2]

وحجتهم: أن معنى (منفكين) منفصلين وتاركين. وهذا من باب الحكاية لزعمهم على وجه التوبيخ، ونظير هذا في الكلام أن يقول الفقير الفاسق لمن يعظه: لست أمتنع مما أنا فيه من الأفعال القبيحة حتى يرزقني الله الغني، فلما رزقه الله الغني ازداد فسقا، فيقول واعظه: لم تكن منفكا عن الفسق حتى توسر، وما غمست رأسك في الفسق إلا بعد اليسار، يقول له توبيخا وإلزاما.[3]

واستدلوا لهذا بقوله تعالى في أهل الكتاب ﴿وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ﴾ [البقرة:٨٩].

وفي حق المشركين: أنهم ما كانوا يسيقون القول في محمد ﷺ حتى بعث فيهم، فإنهم كانوا يسمونه الأمين فلما بعث عادوه.

وقيل: لم يكونوا منفصلين من أمر الله وقدرته ونظره حتى يبعث الله إليهم رسولا يقيم عليهم الحجة. قاله ابن عطية وابن تيمية .[4]

وحجتهم: أن معنى (منفكين) أي متروكين. والمعنى: لم يكونوا متروكين على ما هم عليه من الكفر والشرك حتى تأتيهم البينة، ونظير هذا في القرآن قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾﴾ [القيامة:٣٦] وقوله تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟

---

(١) انظر: جامع البيان (٣٠/ ٢٦٢)، وتفسير القرآن العظيم (٤/ ٥٣٨).

(٢) انظر: الوجيز (٢/ ١٢٢١)، معالم التنزيل (٤/ ٥١٣)، الكشاف (٤/ ٧٨٨)، التفسير الكبير (٣٢/ ٣٧)، تفسير البيضاوي (٥/ ٥١٥)، الجلالين (١/ ٨١٦)، إرشاد القول السليم (٩/ ١٩٦)، التحرير والتنوير (٣٠/ ٤٦٨)، تفسير البغوي (١/ ٩٣١).

(٣) انظر: التفسير الكبير(٣٢/ ٣٧)، وروح المعاني (٣٠/ ٢٠٤).

(٤) انظر: المحرر الوجيز (٥/ ٥٠٧)، ودقائق التفسير (٦/ ٤٩٥)، وأضواء البيان .

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... الصورة النهائية) ٠٠:٠٤ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tafasi

ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ [العنكبوت:٢]. (١)

قال ابن تيمية: (أي لم يكونوا متروكين باختيار أنفسهم يفعلون ما يهوونه لا حجر عليهم، كما أن المنفك لا حجة عليه، وهو لم يقل مفكوكين، بل قال: منفكين، وهذا أحسن.....) إلى أن قال: (والمقصود أنهم لم يكونوا متروكين لا يؤمرون ولا ينهون ولا يرسل إليهم رسل). (٢)

وقيل: لم يكونوا منفصلين من معرفة نبوة سيدنا محمد ﷺ حتى بعثه الله.

وهو قول الفراء (٣) وابن جرير والألوسي (٤).

وحجتهم: أنهم لم يكونوا منفصلين ومفترقين عن معرفة صحة نبوة محمد ﷺ وذكره والوعد باتباعه حتى آتاهم.

وقيل: أي لم يكونوا معذبين ولا هالكين إلا بعد قيام الحجة عليهم بإرسال الرسل وإنزال الكتب.

وعزي هذا القول إلى بعض اللغويين (٥).

والحجة فيه: أن معنى (منفكين) أي هالكين، وقولهم: انفك صلا المرأة عند الولادة أي ينفصل ولا يلتئم.

وقيل: أي لم يكونوا ليبرحوا ويفارقوا الدنيا حتى تقوم عليهم الحجة.

والحجة فيه: أن معنى (منفكين) بارحين.

---

(١) انظر: دقائق التفسير (٦/ ٤٩٥).

(٢) المصدر السابق.

(٣) انظر: المحرر الوجيز (٥/ ٥٠٧).

(٤) انظر: جامع البيان (٣٠/ ٢٦٢)، وروح المعاني (٣٠/ ٢٠٤).

(٥) انظر: تفسير الثعلبي (١٠/ ٢٦٠)، والجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ١٤١)، ودقائق التفسير (٦/ ٢٧٧).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... الصورة النهائية) ٠٤:٠٠ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tatlani

وهذا القول الذي اختاره ابن جزي. (١)

۞ القول الراجح:

يظهر والله أعلم أن القول الراجح هوما ذهب إليه جمهور المفسرين من أن المراد بقوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ۝١﴾ [البينة:١] حكاية عن حالهم، وحكمها فيمن آمن من أهل الكتاب والمشركين، وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ۝٤﴾ [البينة:٤] حكاية عن واقعهم، وحكمها فيمن لم يؤمن من أهل الكتاب والمشركين بعد قيام الحجة. وعدم ذكر المشركين في الآية الثانية اكتفاء بذكرهم في الآية الأولى لأنهم تبع لأهل الكتاب الذين لهم سبق في هذه المسألة.

فيكون المعنى: أنهم لن ينفكوا عن كفرهم واختلافهم في أن يبعث الله نبيا يعلمهم أمور دينهم ويقيم الحجة عليهم، فلما بعث افترقوا.

ويؤيد هذا المعنى اللغوي لكلمة (منفكين) أي منفصلين متفرقين، تقول: انفك الشيء عن الشيء إذا انفصل عنه، أو انفكاك الشيئين أحدهما عن الآخر. (٢)

وهو يفيد انفصال بعضهم عن بعض، أو انفصالهم عما كان عندهم من العلم والخبر.

وكلمة (حتى) تقتضي أن يكون الحال بعد ذلك بخلاف ما كان قبل ذلك، والأمر هكذا كان، لأن ذلك المجموع ما بقوا على الكفر بل تفرقوا، فمنهم من صار مؤمنا، ومنهم من صار كافرا.

ويدل على هذا التفرق والاختلاف وإنكارهم للحق لما جاءهم آيات من القرآن الكريم، منها: قوله تعالى في حق اليهود: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا

(١) التسهيل (٤/ ٤٠٤).

(٢) انظر: الكشاف (٤/ ٧٨٨)، والتحرير والتنوير (٣٠/ ٤٦٧).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٠:٠٤ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tafasi

مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾ [البقرة:٨٩] وفي حق النصارى: (.... ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين).سورةالصف(٦)

وفي حق الفريقين: (ود كثير من أهل الكتاب لو يردوكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق).سورةالبقرة(١٠٩)

وفي حق المشركين: (فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا أوتي مثل ما أوتي موسى.....).سورة القصص(٤٨)

ومما يقوي هذا القول انه اختيار جمهور المفسرين، قال ابن تيمية عن هذا القول: (وهو الأشهر عند المفسرين)[١].

وقال الألوسي: (وهو القول المختار)[٢].

وهذا القول لا يتعارض مع ما ذهب إليه ابن عطية وابن تيمية بل يتضمنه من أنهم كذلك لم يكونوا منفصلين من أمر الله وإمهاله إياهم حتى بعث إليهم رسولا يقيم عليهم الحجة، إذ لا طريق لهم إلى معرفة الحق إلا برسول يأتي من الله ويؤيد هذا من القواعد الترجيحية:

قاعدة: (القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك) [٣].

(١) دقائق التفسير (٦/ ٢٩٠).

(٢) روح المعاني (٣٢/ ٣٨).

(٣) قواعد الترجيح (١/ ٣١٢).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٠٤
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tafasi

مسألة: ما المراد بالإخلاص في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥﴾ [البينة:٥] ؟

۞ ترجيح ابن جزي:

قال ابن جزي: (استدل المالكية بهذا على وجوب النية في الوضوء، وهو بعيد، لأن الإخلاص هنا يراد به التوحيد وترك الشرك أو ترك الرياء، وهذا الإخلاص في التوحيد هو الشرك الجلي، وهذا الإخلاص في الأعمال هو الشرك الخفي وهو الرياء قال رسول الله ﷺ: (الرياء الشرك الأصغر)[1]، وقال ﷺ فيما يرويه عن ربه أنه تعالى يقول: (أنا أغنى الأغنياء عن الشرك فمن عمل عملا أشرك فيه غيري تركته وشركه)[2].

۞ المناقشة والترجيح:

وافق ابن جزي في اختياره هذا المروي عن ابن عباس { [3] وهو قول ابن جرير والواجدي والبغوي وابن الجوزي والبيضاوي والنسفي وابن كثير وأبي السعود والألوسي وابن عاشور. [4]

وحجتهم في ذلك: أن معنى (الإخلاص) التصفية والإنقاد، أي غير مشاركين

---

(١) الحديث رواه الحاكم من حديث يعلي بن شداد بن أوس عن أبيه. وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. انظر المستدرك: (٤/ ٣٦٥)،وصححه الألباني في الصحيحة(٩٥١)،وصحيح الترغيب(٣٢).

(٢) التسهيل (٤/ ٤٠٥). والحديث رواه مسلم- كتاب الزهدوالرقائق- باب من أشرك في عمله غيرالله- رقم (٢٩٨٥) بلفظ: (أنا أغنى الشركاء عن الشرك فمن عمل عملا أشرك فيه غيري تركته وشركه)

(٣) انظر: جامع البيان (٣٠/ ٢٦٣).

(٤) انظر: جامع البيان (٣٠/ ١٦٣)، الوجيز (٢/ ١٢٢٢)، معالم التنزيل (٤/ ٥١٤) زاد المسير (٩/ ١٩٨)، تفسير البيضاوي (٥/ ٥١٦)، تفسير النسقي (٤/ ٣٥١)، تفسير القرآن العظيم (٤/ ٥٣٨)، إرشاد العقل السليم (٩/ ١٨٥)، روح المعاني (٣٠/ ٢٠٤)، التحرير والتنوير (٣٠/ ٤٨١).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٤:٠٠ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Fattani

في عبادته معه غيره. والدين: الطاعة.

وحنفاء: جمع حنيف وهو لقب للذي يؤمن بالله وحده دون شريك. (١)

واستدلوا له بقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي ١٤﴾ [الزمر:١٤].

وقوله تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٦١﴾ [الأنعام:١٦١].

وقالوا: إن الآيات جاءت في سياق مخاطبة أهل الكتاب والمشركين مناسب أن يكون مراد الإخلاص هنا هو التوحيد وترك الشرك.

وقيل: إن الآية فيها دلالة على وجوب النية في الوضوء.

وهذا القول محكي عن المالكية (٢) والشافعية (٣)

وحجتهم: أن الإخلاص عبارة عن النية الخالصة، والنية الخالصة لما كانت معتبرة كانت النية معتبرة، فقد دلت الآية على أن كل مأمور به فلابد وأن يكون منويا، والوضوء مأمور به في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ ....﴾ [المائدة:٦] ودلت هذه الآية على أن كل مأمور به يجب أن يكون منويا، فيلزم من مجموع الآيتين وجوب كون الوضوء منويا. (٤)

- وذهب القرطبي والشوكاني (٥) إلى أن الآية دالة على وجوب النية في العبادة عموما.

---

(١) انظر: التحرير والتنوير (٣٠/ ٤٨١).

(٢) انظر التسهيل (٤/ ٤٠٥).

(٣) انظر التفسير الكبير (٣٢/ ٤٢).

(٤) المصدر السابق.

(٥) انظر الجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ١٤٤)، وفتح القدير (٥/ ٤٧٦).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٤٠٠
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Fattani

۞ القول الراجح:

الذي يظهر والله أعلم أن المراد بالإخلاص هنا هو توحيد الله وحده وترك الشرك مرادا أوليا بدلالة سياق من الآيات التي تتحدث عن أهل الشرك من أهل الكتاب وعبدة الأوثان الذين كانت عقائدهم قائمة على الشرك بالله ومنافاة التوحيد.

ولا يعارضه أن يدخل تحته الإخلاص لله وحده في العبادات، كما جاءت الآية ﴿وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ﴾ [البينة:٥].

والقول بوجوب النية في الوضوء فهو كمثال من أمثلة العبادات.

وإذا كان المعنى يشمل الأقوال ولا تعارض بينهم للصحة والتلازم فإعمال الأقوال أولى من إعمال أحدها وإهمال الأخرى.

ويؤيد هذا من القواعد الترجيحية:

قاعدة: (إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عن ذلك)[1].

(١) قواعد الترجيح (١/ ١٢٥).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرونة النهائية) ٠٠:٤ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tatawi

سورة الزلزلة

مسألة: المراد بـ (الأثقال) في قوله تعالى: ﴿وَأَخۡرَجَتِ ٱلۡأَرۡضُ أَثۡقَالَهَا ۝٢﴾ [الزلزلة:٢]

۞ ترجيح ابن جزي:

قال ابن جزي: (يعني: الموتى الذين في جوفها وذلك عند النفخة الثانية في الصور.

وقيل: هي الكنوز، وهذا ضعيف لأن إخراجها للكنوز وقت الدجال) (١)

۞ المناقشة والترجيح:

وافق ابن جزي في اختياره هذا المروي عن ابن عباس ﷺ ومجاهد وهو قول ابن جرير (٢) ووافقهم ابن كثير وابن عثيمين (٣)

واستدلوا له بقول الله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ ۝٦٨﴾ [الزمر:٦٨]، وقوله تعالى: ﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٦﴾ [المطففين:٦].

وقالوا: إن الله قد سمى الإنس والجن بالثقلين كما في قوله تعالى: ﴿سَنَفۡرُغُ لَكُمۡ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ۝٣١﴾ [الرحمن:٣١]، وسموا بذلك لأنهما ثقلان على ظهرها، فهما ثقل عليها، وفي بطنها فهم ثقل فيها (٤).

---

(١) التسهيل (٤/ ٤٠٧).علل ابن جزي تضعيفه للقول الثاني بما ورد من حديث حذيفة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال في أمرالدجال: (..ويمربالخربة فيقول لها: اخرجي كنوزك، فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل..)، أخرجه مسلم-كتاب الفتن والملاحم-باب ذكرالدجال وصفته- رقم(٢٩٣٧).

(٢) جامع البيان (٣٠/ ٢٦٦).

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم (٤/ ٥٤٠) و تفسير القرآن الكريم (٢٨٨).

(٤) قاله أبوعبيد والأخفش، انظر: التفسيرالكبير (٣٢/ ٥٥)، والجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ١٤٧).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المقدمة النهائية) ٤٠٠
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tafasi

وبقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا ﴿٢٦﴾﴾ [المرسلات:٢٥-٢٦].

- وذهب آخرون إلى الجمع بين القولين، وهو قول قتادة[١] والواحدي والبغوي والزمخشري والنسفي والشوكاني وابن عاشور والسعدي[٢].

وحجتهم في ذلك: قول الرسول ﷺ: (تقيء الأرض أفلاذ أكبادها أمثال الأسطوان من الذهب والفضة، فيجيء القاتل فيقول في هذا قتلت، ويجيء القاطع فيقول في هذا قطعت رحمي، ويجيء السارق فيقول في هذا قطعت يدي، ثم يدعونه فلايأخذون منه شيئا) [٣].

وقالوا: ان معنى الأثقال في اللغة جمع ثقل، وهو متاع البيت، وتحمل أثقالكم جعل مافي جوفها من الدفائن أثقالا لها. [٤]

وأن ورود كلمة (أثقال) بصيغة الجمع دلالة على العموم بدلا عن كلمة (ثقلها) التي قد تخص نوعا من الأنواع [٥].

۞ القول الراجح:

الذي يظهر والله أعلم ان القول بأن المراد بالأثقال : هم الموتى الذين في جوفها ويخرجون منها عند النفخة الثانية في الصور أرجح ، إذ سياق الآيات في السورة يتحدث عن القيامة وأهوالها ، فقوله : (يومئذ يصدرالناس أشتاتا ليروا أعمالهم) فهذا لايكون إلا في عرصات القيامة وهو يوم الحساب ، وكذلك الظرفية في قوله : (يومئذ

---

(١) جامع البيان (٣٠/ ١١٤).

(٢) انظرعلى التوالي: الوجيز(٢/ ١٢٢٣)، معالم التنزيل(٤/ ٥١٥)، الكشاف (٤/ ٧٩٠)، تفسير النسفي (٤/ ٣٥٢)، فتح القدير (٥/ ٤٧٩)، التحرير والتنوير (٣٠/ ٤٩١)، تفسير السعدي (١/ ٩٣٢).

(٣) رواه مسلم- كتاب الزكاة- باب الترغيب في الصدقةقبل أن لايوجدمن يقبلها- رقم (١٠١٣).

(٤) انظر الكشاف(٤/ ٧٩٠)، وروح المعاني (٣٠/ ٢٠٩).

(٥) أضواء البيان(٩/ ٤٣١).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٤
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tafasi

يصدر...) مما يدل على أنها محددة بذلك اليوم .

وأما القول بأن المراد بها إخراج الكنوز ، فهذا لايكون إلا في الدنيا وقت خروج الدجال ، وهو مما لايتوافق مع سياق الآيات .

ويؤيد هذا الاختيار قاعدة : (إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عن ذلك) [1] .

(١) قواعد الترجيح(١/ ١٢٥).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المصورة النهائية) ٠٠٤
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tatlani

مسألة: المراد بـ(صدر الناس) في قوله تعالى:

﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَـٰلَهُمْ ۝٦﴾ [الزلزلة:٦].

۞ ترجيح ابن جزي:

قال ابن جزي: (معنى (أشتاتا) مختلفين في أحوالهم، وواحد الأشتات شتّ، وصدر الناس هو انصرافهم من موضع وردهم، فقيل: الورد هو الدفن في القبور، والصدر هو القيام للبعث.

وقيل: الورد القيام للحشر، والصدر الانصراف إلى الجنة والنار، وهذا أظهر وفيه يعظم التفاوت بين أحوال الناس فيظهر كونهم أشتاتا)[1].

۞ المناقشة والترجيح:

وافق ابن جزي في اختياره هذا ابن جرير، والبغوي، وابن الجوزي ووافقهم ابن كثير وابن عاشور والسعدي وابن عثيمين [2].

وحجتهم: أن لفظة (يصدرون) هي بمعنى الخروج من محل اجتماعهم والانصراف منه، وكونهم أشتاتا مختلفين أنسب أن يكون ذلك الافتراق بعد انصرافهم من المحشر الذي وردوه إلى مأواهم من الجنة أو النار [3].

وأن المراد بقوله تعالى: ﴿لِّيُرَوْا۟ أَعْمَـٰلَهُمْ﴾ أي يروا جزاء أعمالهم وهو الجنة أو النار[4].

---

(١) التسهيل (٤/ ٤٠٨).

(٢) انظر على التوالي: جامع البيان (٣٠/ ٢٦٧)، معالم التنزيل (٤/ ٥١٥)، زاد المسير(٩/ ٢٠٤)، تفسير القرآن العظيم (٤/ ٥٤٠)، التحرير والتنوير (٣٠/ ٤٩٣)، تفسير السعدي(١/ ٩٣٢)، تفسير القرآن الكريم (٢٩٠).

(٣) انظر: التحرير والتنوير (٣٠/ ٤٩٣)، والتسهيل (٤/ ٤٠٨).

(٤) انظر: التفسير الكبير (٣٢/ ٥٧).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... الصورة النهائية) ٤٠٠
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tafasi

واستدلوا بقوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾﴾ [مريم:٨٥-٨٧].

- وذهب ابن عطية والبيضاوي وأبوالسعود والألوسي[١] إلى أن المراد بالآية هو أن يصدر الناس من مخارجهم من القبور إلى موقف الحساب.

وحجتهم في ذلك: أن كونهم حال صدورهم أشتاتا متفرقين أنسب أن يكون ذلك التفرق بعد انصرافهم من قبورهم التي وردوها ثم إلى عرصة القيامة للمحاسبة[٢].

وأن قوله تعالى: ﴿لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ متعلق بقوله: ﴿يَصْدُرُ﴾ وفيه دلالة على أنهم يرون ما قدموا من أعمال الخير والشر المحفوظ في صحائف أعمالهم، فآخذ كتابه بيمينه، وآخذ كتابه بشماله، وهذا لايكون إلا في موقف الحساب[٣].

- وذهب الزمخشري والشوكاني إلى الجمع بين القولين [٤].

---

(١) انظرعلى التوالي: المحررالزجيز (٥/ ٥١١)، تفسيرالبيضاوي(٥/ ١٥٩)، إرشادالعقل السليم(٩/ ١٨٩)، روح المعاني(٣٠/ ٢١١).

(٢) انظر التفسير الكبير (٣٢/ ٥٧).

(٣) انظر روح المعاني (٣٠/ ٢١١).

(٤) انظر الكشاف (٤/ ٧٩١)، وفتح القدير (٥/ ٤٧٩).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٤ ١٤٣٠/٨/٩ Ali Tatlani

۞ القول الراجح:

احتمالية الأخذ بالقولين وارد، لكن القول الذي ذهب إليه ابن عطية ومن معه أرجح من حيث السياق، فالناس لايرون أعمالهم التي عملوها في الدنيا إلا من خلال صحائف إعمالهم، وهذه لاتكون إلا في عرصات القيامة وهو يوم الحساب وهو مفهوم قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَـٰلَهُمْ ۝٦﴾ [الزلزلة:٦] فناسب أن يكون وردهم إلى القبور وصدورهم إلى موقف الحساب ليحصل الاختلاف بين الناس في أخذهم صحائفهم إما بأيمانهم أو شمائلهم.

وأما القول بأن المراد بـ﴿لِّيُرَوْا۟ أَعْمَـٰلَهُمْ﴾ أي جزاء أعمالهم إما إلى الجنة أو النار فيقال:إن الأصل أخذ الكلام بالاستقلال لا الإضمار إلا أن يدل دليل، ولا دليل هنا.

ويؤيد هذا الاختيار قاعدة:

(إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عن ذلك) [1]

وقاعدة: (القول بالاستقلال مقدم على القول بالإضمار) [2].

(١) قواعد الترجيح (١/ ١٢٥).

(٢) قواعد الترجيح (٢/ ٤٢١).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... الصورة النهائية) ٠٠:٠٤ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tafasi

سورة العاديات

مسألة: المراد بالكنود في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦﴾ [العاديات:٦].

۞ ترجيح ابن جزي:

قال ابن جزي: (هذا جواب القسم، والكنود الكفور للنعمة، فالتقدير إن الإنسان لنعمة ربه لكفور، والإنسان جنس.

وقيل: الكنود: العاصي.

وقال بعض الصوفية: الكنود هو الذي يعبد الله على عوض)[1].

۞ المناقشة والترجيح:

وافق ابن جزي في اختياره المروي عن ابن عباس رضي الله عنه ومجاهد وقتادة وابن زيد[2] وهو قول ابن جرير والواحدي والبغوي والزمخشري وابن عطية والقرطبي ووافقهم ابن كثير والشوكاني والألوسي وابن عاشور[3].

وحجتهم في ذلك:

أن (الكنود) في لغة العرب هو الكفور، ومنه سمي (كندة) لأنه كند أباه ففارقه[4]. ومنه قول الشاعر:

كنود لنعماء الرجال ومن يكن .:. كنودا لنعماء الرجال يبعد

---

(١) التسهيل (٤/ ٤١٠).

(٢) انظر جامع البيان(٣٠/ ٢٧٨).

(٣) انظر على التوالي: جامع البيان (٣٠/ ٢٧٨)، الوجيز (٢/ ١٢٢٥)، معالم التنزيل (٤/ ٣٥٣)، الكشاف (٤/ ٧٩٥)، المحرر الوجيز (٥/ ٥١٤)، الجامع لأحكام القرآن (٢/ ١٦٢)، تفسير القرآن العظيم (٤/ ٥٤٣)، فتح القدير (٥/ ٤٨٣)، روح المعاني (٣٠/ ٢١٨)، التحرير والتنوير(٣٠/ ٥٣).

(٤) الكشاف (٤/ ٧٩٥).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٤٠٠
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tafani

أي كفور لنعماء الرجال [١].

- وزاد الحسن على هذا الوصف فقال: (هو الكفور الذي يعد المصائب)[٢].

- وللمفسرين في المراد بـ(الكنود) عبارات متنوعة بحسب لغات العرب:

فقيل: الكنود بلسان كندة: العاصي.

وقيل: بلسان بني مالك: البخيل.

وقيل: بلسان ربيعة ومضر: الكفور [٣].

۞ القول الراجح:

القول بالتلازم بين الأقوال ظاهر، فهذه الأقوال كلها ترجع إلى معنى الكفران والجحود، والكفران يجمع تحته صنوفا من هذه الأوصاف الذميمة، ومن جمع الصفات المذكورة أصبح شديد الكفران لله تعالى.

فالقول بأن (الكنود) هو الكفور للنعمة الجاحد بها أولى بالمقام. ويقويه أيضا أنه اختيار السلف وجمهور المفسرين.

قال القرطبي: (وهذه الأقوال كلها ترجع إلى معنى الكفران والجحود)[٤].

وقال الألوسي: (وكل مما ذكر لا يخلو عن كفران، والكفران المبلغ فيه يجمع صنوفا منه)[٥].

---

(١) فتح القدير (٥/ ٤٨٣).

(٢) جامع البيان (٣٠/ ٢٧٨).

(٣) ذكر هذه الأقوال الكلبي، انظر التفسير الكبير (٣٢/ ٦٤).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ١٦٢).

(٥) روح المعاني (٣٠/ ٢١٨).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٤:٠٠ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tafasi

ومتى ما أمكن حمل الآية على معنى كلي عام شامل ولا معارض له من الأدلة فهو أولى بتفسير الآية حملا لها على عموم الألفاظ.

ومما يؤيده من القواعد الترجيحية:

قاعدة: (تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم) [1]

(١) قواعد الترجيح (١/ ٢٧١).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٠:٠٤ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tafasi

مسألة: علام يعود ضمير(إنه) في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝٧﴾ [العاديات:٧].

۞ ترجيح ابن جزي:

قال ابن جزي: (الضمير للإنسان أي: هو شاهد على نفسه بكنوده.

وقيل: هو لله تعالى على معنى التهديد، والأول أرجح لأن الضمير الذي بعده للإنسان باتفاق فيجري الكلام على نسق واحد). (١)

۞ المناقشة والترجيح:

وافق ابن جزي في اختياره هذا مجاهد(٢) والحسن ومحمد بن كعب القرظي(٣) والزمخشري ووافقهم السيوطي وأبوالسعود والشوكاني والألوسي (٤).

وحجتهم في ذلك: أن الآية التي قبل قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۝٨﴾ [العاديات:٨] والآية التي بعدها الضمير فيها عائد على الإنسان، فيجب أن يكون الضمير في الآية عائدا على الإنسان ليكون النظم أحسن.

والمعنى:أن الإنسان يشهد على نفسه بكفر نعمة الله تعالى بلسان حاله لظهور أثره عليه، ويكون بلسان المقال في الآخرة.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ﴾ [التوبة:١٧].

- وقيل: إن الضمير عائد على الله تعالى، والمعنى: أن العبد لربه لكفور، والله

---

(١) التسهيل (٤/ ٤١٠).

(٢) روى هذا القول عن مجاهد: البخاري في صحيحه، انظر: فتح الباري(٨/ ٥٩٩).

(٣) انظر: تفسير ابن كثير(٤/ ٥٤٣).

(٤) انظر على التوالي: الكشاف(٤/ ٧٩٥)، الجلالين(١/ ٨١٨)، إرشادالعقل السليم(٩/ ١٩١)فتح القدير(٥/ ٤٨٣)، روح المعاني(٣٠/ ٢١٨)، أضواءالبيان.

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... السورة النهائية) ٠٤
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tafasi

شهيد على ذلك، واختار هذا القول قتادة وسفيان وابن جرير[1] والواحدي والبغوي[2].

وحجتهم في ذلك: أن الأصل في اللغة إعادة الضمير إلى أقرب مذكور، والأقرب هنا هو لفظ الرب تعالى: ﴿لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ﴾ [العاديات:٦]، ويكون ذلك على وجه الوعيد والتهديد والزجر للعاصي من حيث إن الله تعالى يحصي عليه أعماله وأقواله وجميع أحواله.

- وذهب ابن عطية والنسفي والسعدي وابن عثيمين [3] إلى احتمالية الأمرين، وذلك على تقدير أن الله شهيد على ما في قلب الإنسان وشهيد على عمله، والإنسان أيضا شهيد على نفسه.

۞ القول الراجح:

الذي يظهر والله أعلم أن ماذهب إليه ابن جزي ومن معه من المفسرين هو الراجح، وذلك حتى تتفق وتتسق الضمائر، فقبل هذا الضمير وبعده ضمائر كلها عائدة على الإنسان اتفاقا، فكذلك هذا الضمير المتنازع فيه يعود إليه، وبه تتحد الضمائر، وهذا أليق باتساق الضمائر.

ويعود سبب الخلاف في تفسير الآية هو: مفسر الضمير، وتنازع القواعد. فقاعدة (توحيد الضمائر وتناسقه) مقدم على قاعدة (إعادة الضمير إلى أقرب مذكور)[4].

---

(١) جامع البيان (٣٠/ ٢٧٩).

(٢) انظر: الوجيز (٢/ ١٢٢٥).

(٣) انظر على التوالي: المحرر الوجيز (٥/ ٥١٤)، تفسير النسفي(٤/ ٣٥٣)، تفسير السعدي(١/ ٩٣٣)، تفسير القرآن الكريم(٢٩٧).

(٤) انظر: قواعد الترجيح (٢/ ٦١٣-٦٢٠).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... الصورة النهائية) ٠٤:٠٠ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tafasi

قال الألوسي مرجحا هذا القول: (..واتساق الضمائر وعدم تفكيكها يرجح الأول، فإن الضمير السابق أعني ضمير ﴿لِرَبِّهِۦ﴾ للإنسان ضرورة، وكذا الضمير اللاحق أعني الضمير في قوله تعالى ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾﴾ [العاديات:٨][(١)].

وقال الشنقيطي: (والنظم الكريم يدل على عوده إلى الإنسان وإن كان هو الأول في اللفظ بدليل قوله تعالى ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾﴾ فإنه للإنسان بلا نزاع، وتفريق الضمائر بجعل الأول للرب والثاني للإنسان لايليق بالنظم الكريم) [(٢)].

ويؤيد هذا القاعدة التفسيرية:

(توحيد مرجع الضمائر في السياق الواحد أولى من تفريقها) [(٣)].

(١) روح المعاني (٣٠/ ٢١٨).

(٢) أضواء البيان (١/ ٧٤).

(٣) قواعد الترجيح (٢/ ٦١٣).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... الصورة النهائية) ٠٠:٠٤ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tafasi

مسألة: المراد بـ(الخير) في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾﴾ [العاديات:٨].

۞ ترجيح ابن جزي:

قال ابن جزي: (الخير هنا المال كقوله: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ ﴾ [البقرة:١٨٠]، والمعنى: أن الإنسان شديد الحب للمال فهو ذم لحبه والحرص عليه.

وقيل: الشديد البخيل، والمعنى: على هذا أنه بخيل من أجل حب المال والأول أظهر)[١].

۞ المناقشة والترجيح:

وافق ابن جزي في اختياره هذا ابن زيد[٢] وابن جرير والقرطبي وأبوالسعود والشوكاني والألوسي وابن عثيمين [٣]

وحجتهم في ذلك:

أن عرف القرآن للفظة ﴿ٱلْخَيْرِ ﴾ غالبا ما يراد به المال، كقوله تعالى: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾﴾ [المعارج:٢١] أي المال[٤].

قال ابن زيد:(سمى الله المال خيرا وعسى أن يكون شرا، ولكن الناس يجدونه خيرا فسماه خيرًا)[٥].

---

(١) التسهيل (٤/ ٤١٠).

(٢) جامع البيان (٣٠/ ٢٨٠).

(٣) انظر على التوالي: جامع البيان (٣٠/ ٢٨٠)، الجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ١٦٢)، إرشادالعقل السليم (٩/ ١٩١)، فتح القدير (٥/ ٤٨٣)، روح المعاني (٣٠/ ٢١٩)، تفسير القرآن الكريم(٢٩٧).

(٤) انظر : المحرر الوجيز (٥/ ٥١٥).

(٥) جامع البيان (٣٠/ ٢٧٩).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٤:٠٠ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tatawi

وقال عكرمة: (الخير) حيث وقع في القرآن فهو المال[1].

وقالوا: إن المراد بالشديد في لغة العرب:هو القوي المطيق، يقال:هوشديد لهذا الأمر وقوي له إذا كان مطيقا له ضابطا [2].

وأن اللام في قوله ﴿لِحُبِّ﴾ متعلقة بقوله ﴿لَشَدِيدٌ﴾ وهي تفيد التعدية. وأن أصل نظم الآية أن يقال: وإنه لشديد لحب الخير، فلما قدم الحب قال ﴿لَشَدِيدٌ﴾ وحذف من آخره ذكر الحب لأنه قد جرى ذكره، ولمراعاة الفاصلة، ومنه قوله تعالى: ﴿فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ [إبراهيم:١٨] والعصوف للريح لا لليوم كأنه قال: في يوم عاصف الريح[3].

وقيل: إن المراد بالآية أنه بخيل من أجل حب المال. وهذا قول البخاري[4] والواحدي والبغوي وابن عطية والبيضاوي والسيوطي وابن عاشور[5] وحجتهم في ذلك:

أن المراد بالشديد في لغة العرب: هو البخيل الممسك، واستشهدوا لهذا ببيت طرفة بن العبد اليشكري:

أرى الموت يعتام الكرام ويصطفي .:. عقيلة مال الفاحش المتشدد

أي شديد البخل[6].

---

(١) المحرر الوجيز(٥/ ٥١٥).

(٢) الكشاف(٤/ ٧٩٥).

(٣) الجامع لأحكام القرآن(٢٠/ ١٦٢).

(٤) انظر فتح الباري(٨/ ٥٩٩).

(٥) انظر على التوالي: الوجيز (٢/ ١٢٢٦)، معالم التنزيل (٤/ ٥١٨)، المحررالوجيز (٥/ ٥١٥)، تفسير البضاوي (٥/ ٥٢١)، تفسير الجلالين (١/ ٨١٨) التحرير والتنوير (٣٠/ ٥٠٥).

(٦) انظر جامع البيان (٣٠/ ٢٧٩).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرونة النهائية) ٠٤:٠٠ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tatlani

وقالوا:إن اللام في قوله ﴿لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ﴾ للتعليل، أي من أجل حب المال لبخيل[1].

وذهب النسفي وابن كثير والسعدي [2] إلى الجمع بين القولين.

قال ابن كثير:(﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۝٨﴾ [العاديات:٨] أي وإنه لحب الخير وهوالمال لشديد، وفيه مذهبان:

أحدهما: أن المعنى أنه لشديد المحبة للمال.

والثاني: وإنه لحريص بخيل من محبته المال، وكلاهما صحيح) [3].

۞ القول الراجح:

وبالتأمل في الأقوال يظهر أن القول بأن المعنى يشمل كلا القولين هو الراجح. وتضمن القولين لبعض ظاهر، إذ من أحب المال حبا جما سيحمله حبه هذا على البخل من ترك الحقوق الواجبة عليه، فيقدم شهوة نفسه على رضا ربه لما يجده من الثقل في الإنفاق.

فإعمال القولين أولى من إعمال أحدهما وإهمال الأخر[4].

---

(١) فتح الباري (٨/ ٥٩٩).

(٢) انظرعلى التوالي: تفسيرالنسفي (٤/ ٣٠٣)، تفسيرالقرآن العظيم (٤/ ٥٤٣)، تفسير السعدي (١/ ٩٣٣).

(٣) تفسيرالقرآن العظيم (٥٤٣).

(٤) القواعدالترجيحية (١/ ٤٥).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... الصورة النهائية) ٠٤:٠٠ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tatawi

سورة القارعة

مسألة: ما المراد بالفراش في قوله تعالى:

﴿ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ ﴾ [القارعة:٤].

۞ ترجيح ابن جزي:

قال ابن جزي: (... والفراش هو الطير الصغير الذي يشبه البعوض ويدور حول المصباح، والمبثوث هو المنتشر المتفرق، شبه الله الخلق يوم القيامة به في كثرتهم وانتشارهم وذلتهم، ويحتمل أنه شبههم به لتساقطهم في جهنم كما يتساقط الفراش في المصباح.

قال بعض العلماء: الناس في أول قيامهم من القبور كالفراش المبثوث؛ لأنهم يجيئون ويذهبون على غير نظام، ثم يدعوهم الداعي؛ فيتوجهون إلى ناحية المحشر فيكونون حينئذ كالجراد المنتشر؛ لأن الجراد يقصد إلى جهة واحدة.

وقيل: الفراش هنا الجراد الصغير، وهو ضعيف)[1].

رجح ابن جزي أن المراد بالفراش هنا هو الطير الصغير الذي يشبه البعوض ويدور حول المصباح، وضعَّف القول بأن المراد به هو الجراد الصغير.

۞ المناقشة والترجيح:

ذهب قتادة[2]، وأبو عبيدة[3]، والفراء[4]، والبغوي، والزمخشري، وابن عطية، والرازي، والقرطبي، والبيضاوي، والنسفي، وأبو السعود [5] إلى أن المراد بـ (الفراش)

---

(١) التسهيل (٤/ ٤١٢).

(٢) انظر جامع البيان (٣٠/ ٢٨١).

(٣) انظر الجامع لأحكام القرآن (٥/ ١٦٥).

(٤) انظر فتح القدير (٥/ ٤٨٦).

(٥) انظر معالم التنزيل (٤/ ٥١٩)، الكشاف (٤/ ٧٩٦)، المحرر الوجيز (٥/ ٥١٦)، التفسير الكبير =⇦

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... الصورة النهائية) ٠٤:٠٠ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tatlani

هو الطير الصغير الذي يتساقط في النار والسراج.

وهذا القول قريب من رأي ابن جزي، إلا أن الفارق يتمثل في أن ابن جزي لم يدخل الجراد تحت هذا المعنى، بينما أدخل أصحاب هذا القول الجراد تحت هذا المعنى.

قال الفراء: (الفراش هو الطائر من بعوض وغيره ومنه الجراد) [1].

وحجتهم أن الناس يوم القيامة يكونون على أحوال: فأول حالهم كالفراش لا وجه له، يتحير في كل وجه، ثم يكونون كالجراد؛ لأن لها وجها تقصده [2].

وذهب الواحدي، وابن كثير، والسيوطي، والشوكاني، وابن عاشور، والسعدي[3]، إلى أن المراد بـ(الفراش) هو الجراد.

وحجتهم في ذلك:

أن المراد بـ (المبثوث) هو المتفرق والمنتشر، وهو الذي يدل عليه قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ [القمر:٧].

وقالوا: إن قوله تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾﴾ [الكهف:٩٩] ووصْفُ حالهم بأنهم يموجون في بعضٍ مشابهٌ لوصفِ الجراد من حيث البث والانتشار، والمتحير الذي يسير في كل وجه [4].

قال ابن جرير: (هو الذي يتساقط في النار والسراج، وليس ببعوض ولا

= (٣٢/ ٦٩)، الجامع لأحكام القرآن (٥/ ١٦٥)، تفسير البيضاوي (٥/ ٥٢٢)، تفسير النسفي (٤/ ٣٥٤)، إرشاد العقل السليم (٩/ ١٩٣).

(١) انظر فتح القدير (٥/ ٤٨٦).

(٢) انظر التفسير الكبير (٣٢/ ٦٩)، والجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ١٦٥).

(٣) انظر: الوجيز (٢/ ١٢٢٧)، تفسير القرآن العظيم (٤/ ٥٤٤)، الجلالين(١/ ٨١٩)، فتح القدير (٥/ ٤٨١)، التحرير والتنوير (٣٠/ ٥١٣)، تفسير السعدي (١/ ٩٣٣).

(٤) انظر التفسير الكبير (٣٢/ ٦٩).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٤
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tatlani

ذباب)[1].

قال ابن عاشور: (وقد يطلق الفراش على ما يطير من الحشرات ويتساقط على النار ليلا، وهو إطلاق آخر لا يناسب تفسير لفظ الآية هنا)[2].

۞ القول الراجح:

الذي يظهر - واللهُ أعلم - بأن المراد من الآية هو تشبيه الناس في يوم القيامة بتلك الحشرات الطائرة المتفرقة، على وجه الأرض من حيث انتشارهم وتفرقهم، وذهابهم ومجيئهم، وتحيرهم واضطرابهم يموج بعضهم فوق بعض.

والتفريق بوصفهم بالفراش تارة، وبالجراد تارة أخرى أن هذا يكون في حال، وذاك يكون في حال أخرى، وذلك في أول الأمر حين يخرجون فزعين لا يهتدون أين يتوجهون؟ لأن الفراش لا جهة لها تقصدها، ووصفهم بحال الجراد يكون عند توجههم للمحشر، بعد أن علموا الوجهة؛ لأن للجراد وجها تقصده [3].

والعبرة بالاتعاظ والخوف من تلك الأيام التي يكون الناس فيها في حال كهذه.

قال ابن زيد: (هذا شبه شبهه الله)[4].

وقال قتادة: (هو الطير الذي يتساقط في النار والسراج)[5].

ومتى ما أمكن حمل الآية على معنى كلي شامل يجمع تفسيرات جزئية ولا معارض لها فهو أولى بتفسير الآية حملا لها على عموم ألفاظها.

---

(١) جامع البيان (٣٠/ ٢٨١).

(٢) التحرير والتنوير (٣٠/ ٥١٢).

(٣) انظر: لسان العرب (٦/ ٣٣٠)، والنهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٣٨٧).

(٤) جامع البيان (٣٠/ ٢٨١).

(٥) الجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ١٦٥).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... العورة النهائية) ٠٤٠
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tatlani

مسألة: ما المراد بميزان الأعمال يوم القيامة في قوله تعالى:

﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ ﴾ [القارعة:٦-٧].

۞ ترجيح ابن جزي:

قال ابن جزي: (هو جمع ميزان أو جمع موزون، وميزان الأعمال يوم القامة له لسان وكفتان عند الجمهور.

وقال قوم: هو عبارة عن العدل)[١].

رجح ابن جزي القول بأن المراد بالميزان هو ما يوزن به الأعمال يوم القيامة، وترجيحه يتضح بأمرين:

- الأول: أنه حمله على الحقيقة.

- الثاني: أنه قول الجمهور.

وهذان الأمران من أوجه الترجيح عنده [٢].

۞ المناقشة والترجيح:

وافق ابن جزي في اختياره هذا المروي عن ابن عباس[٣]، والسدي ، وابن جرير[٤]، والزجاج[٥]، والواحدي، والسمعاني، والبغوي، وابن عطية، والقرطبي، والبيضاوي، وابن كثير، والسيوطي، وأبي السعود، والشوكاني، والألوسي[٦].

---

(١) التسهيل (٤/ ٤١٣).

(٢) المصدر السابق (١/ ٢١)، (١/ ٢٠).

(٣) انظر التفسير الكبير (٣٢/ ٧٠).

(٤) جامع البيان (٨/ ١٢٣).

(٥) انظر الجامع لأحكام القرآن (٧/ ١٦٥).

(٦) انظر: الوجيز (١/ ٣٨٧)، تفسير السمعاني (٢/ ١٦٥)، معالم التنزيل (٢/ ١٤٩)، المحرر الوجيز ⇦=

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... الصورة النهائية) ٠٤:٠٠ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tafasi

وحجتهم: أن الأعمال وإن كانت أعراضا إلا أن الله تعالى يقلبها يوم القيامة أجساما.

واستدلوا بقول رسول الله ﷺ من أن البقرة وآل عمران يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان، أو فرقان من طير صواف(١).

ومن ذلك في الصحيح قصة القرآن، وأنه يأتي صاحبه في صورة شاب شاحب اللون، فيقول: من أنت؟ فيقول: أنا القرآن الذي أسهرت ليلك وأظمأت نهارك(٢).

وفي مناقب ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (أتعجبون من دقة ساقيه؟ والذي نفسي بيده لهما في الميزان أثقل من أحد) (٣).

وكما جاء في حديث البطاقة في الرجل الذي يؤتى به ويوضع له في كفة تسعة وتسعون سجلاً، كل سجل مثل مد البصر، ثم يؤتى بتلك البطاقة فيها (لا إله إلا الله)، فيقول: يارب! وما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقول الله تعالى: إنك لا تظلم. فتوضع تلك البطاقة في كفة الميزان، قال رسول الله ﷺ: فطاشت السجلات، وثقلت البطاقة(٤).

= (٢/ ٣٧٥)، الجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ١٦٦)، أنوار التنزيل (٣/ ٦)، تفسير القرآن العظيم (٢/ ٢٠٣)، الجلالين (١/ ١٩٣)، إرشاد العقل السليم (٩/ ١٩٣)، فتح القدير (٢/ ١٩٠)، روح المعاني (٣٠/ ٢٢١).

(١) رواه مسلم- كتاب صلاةالمسافر- باب فضل قراءةالقرآن وسورةالبقرة-رقم (٨٠٤).

(٢) رواه ابن ماجة- كتاب الأدب- باب ثواب القرآن- رقم (٣٧٨١)،قال الحاكم: هذاحديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه،وضعفه الألباني في ضعيف الجامع(٦٤١٧)،وضعيف ابن ماجة(٣٧٨١).

(٣) رواه أحمد (١/ ٤٢٠)،والطبراني في الكبير(٩/ ٧٨)،وصححه الألباني في الصحيحة(٢٧٥٠)، وصحيح الأدب المفرد(٢٣٧).

(٤) رواه الترمذي- كتاب الإيمان- باب ماجاءفي من يموت وهويشهدأن لاإله إلاالله-رقم (٢٦٣٩).قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب .

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٤
١٤٣٠/٨/٩
Ali Tatawi

وقيل: إن المراد بالميزان في الآخرة هو العدل والقضاء، واختار هذا القول مجاهد[1]، والضحاك والأعمش[2]، والرازي وابن عاشور[3]، وجماعة من المتكلمين[4].

وحجتهم: أن الميزان لا يتوصل به إلى معرفة مقادير الأجسام؟ فكيف يمكن أن يعرف به مقادير الأعمال التي هي أعراض منقضية؟

وقالوا: إنه قد شاع عند العرب الكناية عن الفضل والشرف وأصالة الرأي بالوزن ونحوه، وبضد ذلك يقولون: فلان لا يقام له وزن، ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف:١٠٥].

وقالوا: إن المكلف يوم القيامة إما أن يكون مقرا بأن الله تبارك وتعالى عادل حكيم، أولا يكون مقرا بذلك، فإن كان مقرا بذلك فحينئذ كفاه حكم الله تعالى بمقادير الثواب والعقاب في علمه بأنه عدل وصواب، وإن لم يكن مقرا بذلك لم يعرف رجحان كفة الحسنات على كفة السيئات، أو بالعكس حصول الرجحان لاحتمال أنه تعالى أظهر ذلك الرجحان لا على سبيل العدل والإنصاف، فثبت أن هذا الوزن لا فائدة فيه البتة[5].

۞ القول الراجح:

إن القول الراجح هو ما ذهب إليه ابن جزي وجمهور المفسرين من السلف والخلف؛ وذلك لثبوت الأدلة الصحيحة الصريحة عن رسول الله ﷺ التي تبين وجود ميزان حقيقي توزن فيه الحسنات والسيئات، أو صحائف الأعمال، أو الأشخاص،

---

(١) انظر: جامع البيان (٣٠/ ٢٨٢).

(٢) انظر: إرشاد العقل السليم (٩/ ١٩٣)، وروح المعاني (٣٠/ ٢٢١).

(٣) انظر: التفسير الكبير (١٤/ ٢٢)، والتحرير والتنوير (٣٠/ ٥١٣).

(٤) التحرير والتنوير (٣٠/ ٥١٣).

(٥) التفسير الكبير (١٤/ ٢٣).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٤:٠٠ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tafasi

ومن ذلك:

قوله ﷺ: (يؤتى يوم القيامة بالرجل العظيم السمين فلا يزن عند الله جناح بعوضة، وقال: اقرؤوا ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف:١٠٥] (١).

وأما القول بأن المراد بالوزن هو العدل والقضاء سائغ في اللغة، والدليل عليه، فوجب المصير إليه، فهذا يمكن الأخذ به من جهة العقل، أما من جهة النقل فهو لا يصمد أمام الأدلة الصحيحة.

قال الزجاج: (هذا سائغ من جهة اللسان، والأولى أن نتبع ما جاء في الأسانيد الصحاح.)(٢)

قال القشيري: (وقد أحسن الزجاج فيما قال؛ إذ لو حمل الصراط على الدين الحق، والجنة والنار على ما يرد على الأرواح دون الأجساد، والشياطين والجن على الأخلاق المذمومة، والملائكة على القوى المحمودة، ... ثم قال: وقد أجمعت الأمة في الصدر الأول على الأخذ بهذه الظواهر من غير تأويل، وإذا أجمعوا على منع التأويل وجب الأخذ بالظاهر، وصارت هذه الظواهر نصوصاً).(٣)

وقال ابن جرير: (والصواب من القول في ذلك عندي القول الذي ذكرناه عن عمرو بن دينار من أن ذلك هو الميزان المعروف الذي يوزن به، وأن الله جل ثناؤه يزن أعمال خلقه الحسنات منها والسيئات، كما قال جل ثناؤه: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [المؤمنون:١٠٢] موازينه: عمله الصالح، يقول: فأولئك الذين ظفروا بالنجاح وأدركوا الفوز بالطيبات والخلود والبقاء في الجنات، لتظاهر الأخبار

(١) رواه البخاري- كتاب التفسير- باب(أولئك الذين كفروابآيات ربهم..)-رقم (٤٧٢٩)، قال ابن حجر في قوله: وقال: اقرؤوا: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾، القائل يحتمل أن يكون الصحابي، أو هو مرفوع من بقية الحديث.

(٢) انظر: فتح الباري (٨/ ٢٨٠).

(٣) انظر الجامع لأحكام القرآن (٧/ ١٦٥).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... الصورة النهائية) ٠٠٤
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tatlani

عن رسول الله ﷺ بقوله:

(ما وضع في الميزان شيء أثقل من حسن الخلق) .[1]

ونحو ذلك من الأخبار التي تحقق أن ذلك ميزان توزن به الأعمال على ما وصفت.)[2]

وقال الشوكاني: (واختلف أهل العلم في كيفية الوزن الكائن في هذا اليوم، فقيل: المراد به وزن صحائف أعمال العباد بالميزان وزنا حقيقيا، وهذا هو الصحيح، وهو الذي قامت عليه الأدلة) [3].

وقال السمعاني: (وأكثر المفسرين على أنه يراد به الوزن بالميزان الحقيقي، وهو حق) [4].

ويؤيد هذا من القواعد الترجيحية:

قاعدة: (كل تفسير خالف القرآن أو السنة أو إجماع الأمة فهو رد) [5]

والأصل المتفق عليه حمل الكلام على حقيقته.

قال ابن عطية: (إن النظر في الميزان والوزن والثقل والخفة المقترنات بالحساب لا يفسد شيء منه ولا تحتمل صحته، وإذا كان الأمر كذلك فلم يخرج من حقيقة اللفظ إلى مجازه دون علة) [6].

---

(١) أخرجه أحمد(٦/ ٤٤٢)،وأبو داود(٤٧٩٩)،والترمذي(٢٠٠٣)،وصححه الألباني في الصحيحة(٨٧٦)،وصحيح الأدب المفرد(٢٧٠).

(٢) جامع البيان (٨/ ١٢٣).

(٣) فتح القدير (٢/ ١٩٠).

(٤) تفسير السمعاني (٢/ ١٦٥).

(٥) قواعد الترجيح (١/ ٢١٤).

(٦) المحرر الوجيز (٢/ ٣٧٥).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... الصورة النهائية) ٠٤ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tafasi

ويؤيد هذا من القواعد الترجيحية:

قاعدة: (يجب حمل نصوص الوحي على الحقيقة) [1].

(١) قواعد الترجيح (٢/ ٣٨٧).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٠٤
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tatlani

مسألة: المراد بـ(أمه هاوية) في قوله تبارك وتعالى: ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩﴾ [القارعة:٩]

۞ ترجيح ابن جزي:

قال ابن جزي: (فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أن الهاوية جهنم، سميت بذلك لأن الناس يهوون فيها، أي: يسقطون، وأمه معناه مأواه، كقولك: المدينة أم فلان، أي: سكنه على التشبيه بالأم الوالدة؛ لأنها مأوى الولد ومرجعه.

الثاني: أن الأم هي الوالدة، و (هاوية) ساقطة، وذلك عبارة عن هلاكه كقولك: أمه ثكلى إذا هلك.

الثالث: أن المعنى أم رأسه هاوية في جهنم، أي: ساقطة فيها؛ لأنه يطرح فيها منكوسا، وروي أن رسول الله ﷺ قال لرجل: (لا أم لك. فقال يا رسول الله! تدعوني إلى الهدى، وتقول: لا أم لك! فقال رسول الله ﷺ: إنما أردت لا نار لك). قال الله تعالى: ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾ وهذا يؤيد القول الأول). [1]

فابن جزي رجح بأن المراد بالآية: أن النار مأواه ومسكنه، ويسقط فيها منكوسا على أم رأسه، جمعا بين القول الأول والثالث.

۞ المناقشة والترجيح:

ذهب ابن عباس { والواحدي والبغوي والقرطبي والبيضاوي والنسفي والسيوطي وأبو السعود والشوكاني والألوسي [2] أن المراد بالآية هو:

---

(١) التسهيل (٤/ ٤١٣) ، الحديث لم أجد له تخريج .

(٢) انظر: الوجيز (٢/ ٢٢٢٨)، معالم التنزيل (٤/ ٥١٩)، الجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ١٦٧)، أنوار التنزيل (٥/ ٥٢٢)، تفسير النسفي (٤/ ٣٥٤)، الجلالين (١/ ٨١٩)، إرشاد العقل السليم (٩/ ١٩٤)، فتح القدير (٥/ ٤٨٧)، روح المعاني (٣٠/ ٢٢٢).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٤٠
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tafasi

أن جهنم هي مأواه ومسكنه. وحجتهم في ذلك:

قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ﴾ [النور:٥٧] أي: جعل النار أمه؛ لأنها صارت مأواه كما تودي المرأة ابنها، فجعلها إذ لم يكن له مأوى غيرها بمنزلة أم له [١].

وقوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [الفرقان:٦٥] أي:تكون بمنزلة الأم الملازمة له. [٢]

واستشهدوا له بقول العرب، ومنه قول أمية بن أبي الصلت:

فالأرض معقلنا وكانت أمنا .:. وفيها مقابرنا وفيها نولد[٣]

- وذهب ابن زيد وأبو صالح[٤]، وابن كثير[٥] إلى أن المراد بالآية: فأم رأسه هاوية في مقر جهنم؛ لأنه يطرح فيها منكوسا.

من قولهم سقط على أم رأسه، أي: هلك.

- وذهب قتادة وابن جرير والسعدي وابن عاشور [٦] إلى الجمع بين القولين: من أن مأواه ومسكنه الهاوية وهي نار جهنم التي يهوي فيها على رأسه منكوسا.

- وذهب الزمخشري إلى أن المراد بالآية هو من قولهم إذا دعوا على الرجل بالهلكة: هوت أمه؛ لأنه إذا هوى وسقط وهلك فقد هوت أمه ثكلا وحزنا، ومنه:

هوت أمه ما يبعث الصبح غاديا .:. وماذا يرد الليل حين ينوب

---

(١) انظر: جامع البيان (٣٠/ ١٨٢)، معالم التنزيل (٤/ ٥١٩).

(٢) تفسير السعدي (١/ ٩٣٣).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ٢٦٧).

(٤) انظر: جامع البيان (٣٠/ ٢٨٣).

(٥) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٥٤٤).

(٦) انظر: جامع البيان (٣٠/ ٢٨٣)، تفسير السعدي (١/ ٩٣٣)، التحرير والتنوير (٣٠/ ٥١٥).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... العورة المغلظة) ٠٤ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tatawi

فكأنه قيل: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨﴾ [القارعة:٨] فقد هلك. (١)

۞ القول الراجح:

الذي يظهر - والله أعلم - أن ما ذهب إليه ابن جزي ومن معه من الجمع بين القولين هو الأرجح، ولا يتعارض مع الأقوال الأخرى، فهما متلازمان.

فيسقط بأم رأسه في قعر جهنم حتى تكون هي مستقره ومأواه التي يأوي إليها كما يأوي الولد إلى أمه في مستقره ومفزعه.

وإذا كان المعنى يشمل كلا القولين لصحتهما وتلازمهما وعدم التعارض بينهما، فإعمال القولين أولى من إعمال أحدهما وإهمال الآخر. (٢)

(١) الكشاف (٤/ ٧٩٧).

(٢) قواعد الترجيح (١/ ٤٥).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المصورة النهائية) ٠٠:٠٤ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tafasi

سورة التكاثر

مسألة: ماذا يفيد التكرير في قوله تبارك وتعالى:

﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤﴾ [التكاثر٣-٤]؟

۞ ترجيح ابن جزي:

قال ابن جزي: (زجر وتهديد، ثم كرره للتأكيد، وعطفه بـ (ثم) إشارة إلى أن الثاني أعظم من الأول.

وقيل: تهديد للكفار، والثاني تهديد للمؤمنين). [١]

۞ المناقشة والترجيح:

وافق ابن جزي في اختياره هذا مجاهدا[٢]، والحسن البصري[٣]، ومقاتل[٤]، والفراء[٥]، وابن جرير والواحدي والزمخشري، وابن عطية والبيضاوي وأبو السعود والشوكاني والألوسي وابن عاشور وابن عثيمين.[٦]

وحجتهم:

أن العرب إذا أرادت التغليظ في التخويف والتهديد كرروا الكلمة مرتين. [٧]

---

(١) التسهيل (٤/ ٤١٤).

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ١٧٢).

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم(٤/ ٥٤٦).

(٤) انظر: معالم التنزيل (٥/ ٥٢٠).

(٥) انظر: فتح القدير (٥/ ٤٨٨).

(٦) انظر: جامع البيان (٣٠/ ٢٨٤)، الوجيز (٢/ ٢٢٢٦)، الكشاف (٤/ ٧٩٨)، المحرر الوجيز (٥/ ٥٢٨)، أنوار التنزيل (٥/ ٥٢٤)، إرشاد العقل السليم (٦/ ٢٦٥)، فتح القدير (٥/ ٤٨٨)، روح المعاني (٣٠/ ٢٢٤)، التحرير والتنوير (٣٠/ ٥٢١)، تفسير القرآن الكريم (٣٠٩).

(٧) جامع البيان (٣٠/ ٢٨٤).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٤:٠٠ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tatawi

وأن الزجر والوعيد الثاني مماثل للزجر الأول، لكن عطفه بحرف (ثم) اقتضى كونه أقوى وأبلغ وأشد من الأول؛ لأنه أفاد تحقيق الأول وتهويله كما تقول للمنصوح: أقول لك ثم أقول لك لا تفعل. (١)

وذهب النسفي والسيوطي (٢) إلى أن المراد بالزجر والإنذار الأول عند الموت، والثاني في القبر.

وحجتهم:

أن الله تعالى يقول للعبد على وجه الردع والزجر:

سوف تعلم سوء عاقبة ما كنت عليه عند موتك، ثم يزداد علمك بذلك في قبرك، وعند بعثك. (٣)

وذهب الضحاك (٤) إلى أن الخطاب الأول للكافر على وجه الوعيد، والخطاب الثاني للمؤمنين على وجه الوعد(٥).

۞ القول الراجح:

الذي يظهر - والله أعلم - أن ما ذهب إليه ابن جزي وجمهور المفسرين هو الأرجح؛ لأنه هو الأنسب في استعمال العرب لهذا الأسلوب الذي يفيد تأكيد التهديد بتكراره.

وحذف معمول (تعلمون) بقصد التهويل؛ ليقدر السامع أعظم ما يقع في باله

---

(١) الكشاف (٤/ ٧٨٩)، التحرير والتنوير (٣٠/ ٥٢١).

(٢) تفسير النسفي (٤/ ٣٥٤)، والجلالين (١/ ٨٢٠).

(٣) انظر: التفسير الكبير (٣٢/ ٧٤).

(٤) جامع البيان (٣٠/ ٢٨٤).

(٥) انظر: التفسير الكبير (٣٢/ ٧٤).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٤ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tafasi

من سوء العاقبة بسبب انشغاله بالدنيا عن الآخرة، وهذا العموم أولى من جعل كل جملة مرادا بها تهديد بشيء خاص.

فالقول بأن المراد به عند النزع وعند البعث، أو القول بأنه للكافر وللمؤمن تخصيص يحتاج إلى دليل، ولا دليل هنا.

فالأولى حمله على عموم الزجر والتهديد دون تخصيص نوع معين، فهو أنسب للسياق، وأنسب في الردع والزجر؛ لتذهب النفس كل مذهب، ويؤيد هذا من القواعد الترجيحية:

قاعدة: (يجب حمل نصوص الوحي على العموم) [1].

وقاعدة: (يجب حمل كلام الله تعالى على المعروف من كلام العرب دون الشاذ والضعيف والمنكر) [2].

(١) قواعد الترجيح(٢/ ٥٢٧).

(٢) المصدر السابق (٢/ ٣٦٩).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٠:٠٤ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tafasi

مسألة: لمن وجه الخطاب في قوله تعالى: ﴿لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦﴾ [التكاثر:٦]؟

۞ ترجيح ابن جزي:

قال ابن جزي: (... والخطاب لجميع الناس، فهو كقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ۝٧١﴾ [مريم:٧١].

وقيل: للكفار خاصة، فالرؤية على هذا يراد بها الدخول فيها). (١)

رجح ابن جزي بأن الخطاب هنا عام لجميع الناس، ويدل على هذا تقديمه لهذا القول، وذكر الآخر بصيغة التضعيف (قيل).

۞ المناقشة والترجيح:

وافق ابن جزي في اختياره هذا البغوي والزمخشري وابن عطية والبيضاوي والسعدي وابن عثيمين(٢).

وحجتهم في هذا:

أن الرؤية هنا يراد بها الرؤية بالعين، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ۝٧١﴾.

وتكون للكافرين دارا، وللمؤمنين ممرا (٣).

وقيل: إن الخطاب في أهل الشرك والكفر.

ورد هذا القول عن ابن عباس { (٤)، وابن جرير، والقرطبي، والشوكاني،

---

(١) التسهيل (٤/ ٤١٥).

(٢) انظر: معالم التنزيل (٤/ ٥٢٢)، الكشاف (٤/ ٧٩٩)، المحرر الوجيز (٥/ ٥١٩)، أنوار التنزيل (٥/ ٥٢٤)، تفسير السعدي (١/ ٩٣٤)، تفسير القرآن الكريم (٣٠٩).

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ١٧٤).

(٤) انظر: جامع البيان (٣٠/ ٢٨٥).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٤:٠٠ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tafasi

وابن عاشور[1].

وحجتهم في ذلك:

أن هذا الخطاب يخص المشركين؛ لأنهم لا يؤمنون بالجزاء، وليس للمسلمين؛ لأن المسلمين يعلمون ذلك علم اليقين.

وقالوا: إن المقصود برؤية الجحيم هنا هو كناية عن الوقوع فيها؛ فإن الوقوع في الشيء يستلزم رؤيته.[2]

۞ القول الراجح:

الذي يظهر - والله أعلم أن القول بالعموم هو الأولى؛ لأن الأصل في ألفاظ القرآن الكريم حملها على حقيقتها، والرؤية في الآية يراد بها الرؤية بالعين، ويؤيد هذا قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾﴾ [مريم:٧١]، مما يدل على تحقيق الرؤية العامة، ثم تكون الرؤية الخاصة لأهل الشرك، كما في قوله تعالى: ﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾ [الكهف:٥٣] أي: أيقنوا، بدليل قوله تعالى بعد ذلك: ﴿وَلَمْ يَجِدُواْ عَنْهَا مَصْرِفًا﴾ [الكهف:٥٣].

ومما يدل عليه أيضا أن الإخبار برؤية الجحيم في الآية يراد به الوعيد الشديد، والتخويف لكل من اتصف بوصف من ألهاه التكاثر في الدنيا عن الآخرة، فيدخل المشركون في ذلك دخولا أوليا، وكذلك من اتصف بهذا من المؤمنين.

وفيه أيضا تحذير من الله لعباده، وهذا من رحمة الله تعالى وعدله.

---

(١) انظر: جامع البيان (٣٠/ ٢٨٥)، الجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ١٧٤)، فتح القدير (٥/ ٤٨٩)، التحرير والتنوير (٣٠/ ٥٢٢).

(٢) انظر: التحرير والتنوير (٣٠/ ٥٢٢).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... الصورة النهائية) ٠٠:٠٤ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tafasi

ويؤيد هذا من الواعد الترجيحية:

قاعدة: (يجب حمل نصوص الوحي على العموم) [1].

(١) قواعد الترجيح: (٢/ ٥٢٧).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٠٤
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tafasi

مسألة: ما المراد بـ(النعيم) في قوله تبارك وتعالى:

﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ ﴾ [التكاثر:٨]؟

۞ ترجيح ابن جزي:

قال ابن جزي:

(هذا إخبار بالسؤال في الآخرة عن نعيم الدنيا.

فقيل: (النعيم) الأمن والصحة.

وقيل: الطعام والشراب، وهذه أمثلة، والصواب العموم في كل ما يتلذذ به، قال رسول الله ﷺ: (بيت يكفيك، وخرقة تواريك، وكسرة تشد قلبك، وما سوى ذلك فهو نعيم) [(١)].

۞ المناقشة والترجيح:

وافق ابن جزي في اختياره هذا مجاهدا، والحسن، وقتادة، وابن جرير [(٢)]، والقرطبي والرازي وابن كثير، والسيوطي، والشوكاني، والألوسي، والسعدي، وابن عثيمين [(٣)]

وحجتهم في ذلك:

---

(١) التسهيل (٤/ ٤١٦)،الحديث قال عنه البيهقي في الشعب:حديث مرسل عن الحسن البصري وهو مرسل جيد(١٠٣٦٨)وله شاهدمن حديث عثمان رضي الله عنه مرفوعا:(ثلاث لي على ابن آدم فيهم حساب،طعام يقيم صلبه،وبيت يسكنه،وثوب يواري عورته فمافوقذلك فكله حساب)(١٠٣٦٧)،(٧/ ٢٩٦).

(٢) جامع البيان (٣٠/ ٢٨٩).

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن(٢٠/ ١٧٨)، التفسيرالكبير(٣٢/ ٧٨)، تفسيرالقران العظيم (٤/ ٥٤٦)، الجلالين (١/ ٨٢٠)، فتح القدير(٥/ ٤٨٩)، روح المعاني (٣٠/ ٢٢٦)، تفسير السعدي (١/ ٩٣٤)، تفسيرالقران الكريم (٣٠٩).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٠:٤
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tatlani

أن الأصل حمله على عموم النعم، ولا وجه للتخصيص بفرد من الأفراد.

والألف واللام في كلمة (النعيم) تفيد الاستغراق؛ لتعم جميع النعم. (١)

والسؤال الذي يسأل الله فيه المؤمن عن النعم التي أنعم بها عليه تكون على وجه التذكير بنعم الله عليه؛ وليعرف تقصيره تجاه خالقه، ولا يستلزم مجرد السؤال تعذيب المسئول عن النعمة. (٢)

واستدلوا بأن النبي ﷺ أكل يوما مع أبي بكر وعمر { رطبا، وشربوا عليه ماء فقال لهما: (هذا والذي نفسي بيده من النعيم الذي تسألون عنه يوم القيامة) (٣).

وقيل: المراد بالنعيم الأمن والصحة. وهذا القول روي عن ابن مسعود رضي الله عنه وسفيان، والشعبي (٤)، وهو قول الواحدي والنسفي (٥).

وقيل: هو الإدراك بحواس السمع والبصر. قاله ابن عباس { (٦).

واستدلوا بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾[الإسراء:٣٦].

وقيل: الطعام والشراب. قاله سعيد بن جبير (٧).

وغيرها من الأقوال (٨).

---

(١) انظر: أضواءالبيان(٩/ ٤٨٦)، وتفسيرالقران الكريم(٣٠٩).

(٢) انظر: فتح القدير (٥/ ٤٨٩).

(٣) رواه مسلم- كتاب الأشربه- باب جوازاستتباعه غيره إلى دارمن يثق برضاه..- رقم (٢٠٣٨)، من حديث يزيد بن كيسان.

(٤) جامع البيان(٣٠/ ٢٨٥).

(٥) انظر: الوجيز (٢/ ١٢٣٠)، وتفسير النسفي (٤/ ٣٥٥).

(٦) انظر: جامع البيان (٣٠/ ٢٨٥).

(٧) المصدر السابق.

(٨) ذكر القرطبي فيها عشرة أقوال، انظرالجامع لأحكام القران (٢٠/ ١٧٦).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٤:٠٠ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tafasi

۞ القول الراجح:

الذي يظهر أن ما ذهب إليه ابن جزي وجمهور المفسرين هو الراجح، إذ الأخذ بالعموم هو الأولى، ومن خصص فإنما هو من باب تفسيره للنعيم بمثال من أمثلته، أو أنه أراد ذكر أصول النعم.

قال ابن جرير: (والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله أخبر أنه سائل هؤلاء القوم عن النعيم، ولم يخصص في خبره أنه سائل عن نوع معين من النعيم دون نوع آخر، بل عم في الخبر عن ذلك عن الجميع، فهو سائلهم كما قال عن جميع النعم لا عن بعض دون بعض.) (١)

ويؤيد هذا من القواعد الترجيحية:

قاعدة: (يجب حمل نصوص الوحي على العموم) (٢)

(١) جامع البيان (٣٠/ ٢٨٩).

(٢) قواعد الترجيح (٢/ ٥٢٧).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٠:٠٤ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tafasi

سورة الهمزة

مسألة: فيمن نزل قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١﴾ [الهمزة:١]؟

۞ ترجيح ابن جزي:

قال ابن جزي: (ونزلت السورة في الأخنس بن شريق؛ لأنه كان كثير الوقيعة في الناس "

وقيل: في أمية بن خلف.

وقيل: في الوليد بن المغيرة.

ولفظها مع ذلك على العموم في كل من اتصف بهذه الصفات). [١]

۞ المناقشة والترجيح:

وافق ابن جزي في اختياره هذا المروي عن ابن عباس { ومجاهد وقتادة وأبي العالية[٢]، وهو قول ابن جرير والزمخشري وابن عطية والقرطبي والنسفي وأبي السعود والسيوطي وابن عاشور والسعدي . [٣]

وحجتهم:

الأصل حمل الآيات على العموم، وأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

---

(١) التسهيل (٤/ ٤١٨).

(٢) انظر: الدر المنثور (٨/ ٦٢٤).

(٣) انظر: جامع البيان (٣٠/ ٢٩٣)، الكشاف (٤/ ٨٠٢)، المحرر الوجيز (٥/ ٥٢١)، الجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ١٨٣)، تفسير النسفي (٤/ ٣٥٦)، إرشاد العقل السليم (٩/ ١٩٨)، الجلالين (١/ ٨٢١)، التحرير والتنوير (٣٠/ ٥٣٥)، تفسير السعدي (١/ ٩٣٤).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... السورة النهائية) ٠٠:٠٤ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tafasi

قال مجاهد: (هي عامة في حق كل من كانت هذه صفته). [1]

وقال الشوكاني: (الآية تعم كل من كان متصفا بذلك، ولا ينافيه نزولها في سبب خاص؛ فإن الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب). [2]

واستدلوا بما رواه أبو هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ لما عرج به قال: (...ثم مررت على نساء ورجال معلقين بثديهن فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: الهمازون والهمازات)[3].

وذهب آخرون إلى أن الآية مخصوصة برجل من أهل الشرك بعينه.

فذهب محمد بن إسحاق والواحدي أنها نزلت في أمية بن خلف.

قال مجاهد: (ما زلنا نسمع أن سورة الهمزة نزلت في أمية بن خلف).[4]

وذهب الكلبي والسدي والسمرقندي والبيضاوي إلى أنها نزلت في الأخنس بن شريق.[5]

وذهب مقاتل إلى أنها نزلت في الوليد بن المغيرة.

واختار ابن عاشور أنها نزلت عامة في المشركين، حيث قال:

(جاءت آية السورة عامة، فعم حكمها المسمَّين ومن كان على شاكلتهم من

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم (٤/ ٥٤٩).

(٢) فتح القدير (٥/ ٤٩٣).

(٣) أخرجه ابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان عن راشد بن سعد المقدامي. انظر الدر المنثور (٨/ ٦٢٤)،قال الذهبي في تاريخ الإسلام: هذاحديث غريب عجيب(١/ ٢٧٥)،وقال الألباني في ضعيف الترغيب: ضعيف جدا(١٦٨٨).

(٤) انظر معالم التنزيل(٤/ ٥٢٤).

(٥) المصدر السابق (٤/ ٥٢٤).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... العورة المغلظة) ٠٤ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tatlani

المشركين ولم تذكر أسماؤهم) [1].

۞ القول الراجح:

الذي يظهر أن ما ذهب إليه ابن جزي وجمهور المفسرين هو الراجح، فالأصل حمل الآية على العموم إلا أن يدل دليل صحيح صريح بالتخصيص ولا دليل هنا.

فعلى هذا فإن الآية تعم كل من اتصف بهذا الوصف نظرا لعموم اللفظ، ومن خصص رجلا بعينه فإن أراد ذكره على سبيل المثال لهامزٍ لامزٍ فهذا مقبول، وأما أنه سبب النزول مباشرة فهذا لا سبيل له إلا الوحي.

قال ابن جرير: (والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله عمَّ بالقول كل همزة لمزة، وكل من كان بالصفة التي وصف هذا الموصوف بها سبيله سبيله كائنا من كان من الناس). [2]

وقال القرطبي: (وقيل إنها مرسلة على العموم من غير تخصيص، وهو قول الأكثرين). [3]

ويؤيد هذا من القواعد الترجيحية:

قاعدة: (القول في أسباب النزول موقوف على النقل والسماع) [4].

وقاعدة: (يجب حمل نصوص الوحي على العموم) [5].

---

(١) التحرير والتنوير (٣٠/ ٥٣٥).

(٢) جامع البيان (٣٠/ ٢٩٣).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ١٨٣).

(٤) قواعد التفسير (١/ ٥٤).

(٥) قواعد الترجيح (٢/ ٥٢٧).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٤:٠٠ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tafasi

مسألة: ما المراد بـ (عدده) في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ۝٢﴾ [الهمزة:٢]؟

۞ ترجيح ابن جزي:

قال ابن جزي: (أي: أحصاه وحافظ على عدده ألا ينقص فمنعه من الخيرات.

وقيل معناه: استعده وادخره عدة لحوادث الدهر). (١)

۞ المناقشة والترجيح:

وافق ابن جزي في اختياره هذا محمد بن كعب القرظي(٢)، والسدي(٣)، وابن جرير، والبغوي، وابن عطية، وابن كثير، والسيوطي، والألوسي، وابن عاشور، والسعدي، وابن عثيمين (٤).

وحجتهم في ذلك:

استدلوا بنظيره من الآيات في القرآن الكريم، كقوله تعالى: ﴿كَلَّآ ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ۝١٥ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ۝١٦ تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ۝١٧ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ۝١٨﴾ [المعارج:١٥-١٨].

أي: حفظه ولم ينفقه في سبيل الله(٥)

وقالوا: إن معنى (عدده) بتشديد الدال صيغة مبالغة تدل على كثرة المعدود

---

(١) التسهيل (٤/ ٤١٨).

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم (٤/ ٥٤٩).

(٣) انظر: زاد المسير (٩/ ٢٢٩).

(٤) انظر: جامع البيان (٣٠/ ٢٩٣)، معالم التنزيل (٤/ ٥٢٤)، المحرر الوجيز (٥/ ٥٢١)، تفسير القرآن العظيم (٤/ ٥٤٩)، الجلالين (١/ ٨٢١)، روح المعاني (٣٠/ ٢٣٠)، التحرير والتنوير (٣٠/ ٥٣٨)، تفسير السعدي (١/ ٩٣٤)، تفسير القرآن الكريم (٣١٩).

(٥) جامع البيان (٣٠/ ٢٩٣).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... العورة المغلظة) ٠٤
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tafasi

وعلى العد مرة بعد مرة، كما يقال: فلان يعدد فضائل فلان. [١]

وقيل: إن المراد بذلك استعده وادخره لحوادث الدهر، وهو قول عكرمة[٢]، ومقاتل[٣]، والواحدي والزمخشري والقرطبي والنسفي وأبي السعود والشوكاني[٤].

وحجتهم:

أن معنى (العدة) في لغة العرب هي الذخيرة.

يقال: أعددت الشيء لكذا وعددته إذا أمسكته له وجعلته عدة وذخيرة لحوادث الدهر[٥].

وقيل: المراد به أنه جمع عشيرته وأقاربه الذين ينصرونه، من قولك: فلان ذو عدد إذا كان له عدد وافر من الأنصار، وهنا القراءة بالتخفيف في (عدَده).

وقالوا: إن الرجل متى كان كذلك كان أدخل في التفاخر [٦].

قال الزجاج: (ومن قرأ (عدده) بالتخفيف فمعناه: جمع مالا وعددا، أي: وقوما اتخذهم أنصارا)[٧].

وقد رد ابن جرير هذه القراءة فقال: (وقد ذكر بعض المتقدمين بإسناد غير ثابت أن قراءة ﴿جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ﴾ بتخفيف الدال بمعنى جمع مالا وجمع عشيرته

---

(١) انظر ك التفسير الكبير (٣٢/ ٨٧)، تفسير القرآن العظيم (٤/ ٥٤٩)، روح المعاني (٣٠/ ٢٣٠).

(٢) انظر: زاد المسير (٩/ ٢٢٩).

(٣) انظر المحرر الوجيز (٥/ ٥٢١).

(٤) انظر: الوجيز (٢/ ١٢٣٢)، الكشاف (٤/ ٨٠٢)، الجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ١٨٣)، تفسير النسفي (٤/ ٣٥٦)، إرشاد العقل السليم (٩/ ١٩٨)، فتح القدير (٥/ ٤٩٣).

(٥) التفسير الكبير (٣٢/ ٨٨).

(٦) انظر: الكشاف (٤/ ٨٠٢)، وزاد المسير (٩/ ٢٢٩).

(٧) انظر: زاد المسير (٩/ ٢٢٩).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... العمرة النهائية) ٠٤ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tatawi

وعدده، وهذه قراءة لا أستجيز القراءة بها، بخلافها قراءة الأمصار وخروجها عما عليه الحجة مجمعة في ذلك)[1].

۞ القول الراجح:

احتمالية الجمع بين القولين وارد؛ لأن الكلام خرج مخرج الذم لمن جمع المال وعدده فألهاه هذا عن ذكر الله تبارك وتعالى، إذ أن من أحصى ماله وحافظ على عدده لا ينقص لا يتعارض مع عده وادخاره لحوادث الدهر، فالدافع لذلك في كلا الحالين حبه وشغفه، وتكلفه في جمعه حبا ألهاه عن فعل الخير والإنفاق في سبيل الله تعالى، فالتلازم بين القولين ظاهر.

وإذا كان المعنى يشمل كلا القولين لصحتهما وتلازمهما وعدم التعارض بينهما فإعمال القولين أولى من إعمال أحدهما وإهمال الآخر [2].

(١) جامع البيان (٣٠/ ٢٩٤).

(٢) قواعد الترجيح (١/ ٤٥).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المصورة النهائية) ٠٠:٤ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tafasi

مسألة: ما المراد بـ(أخلده) في قوله تبارك وتعالى: ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ۝٣﴾ [الهمزة:٣]؟

۞ ترجيح ابن جزي:

قال ابن جزي: (أي: يظن بفرط جهله واغتراره أن ماله يخلده في الدنيا.

وقيل: يظن أن ماله يوصله إلى دار الخلد)[١].

۞ المناقشة والترجيح:

وافق ابن جزي في اختياره هذا عكرمة والسدي[٢]، وابن جرير، والواحدي، والبغوي، والبيضاوي، وابن كثير، والشوكاني، والسيوطي، والألوسي، وابن عاشور، والسعدي[٣].

وحجتهم: أن معنى ﴿أَخْلَدَهُۥ﴾ في لغة العرب: أي تركه خالداً ماكثاً مكثاً طويلاً جداً[٤].

وقالوا: إن سياق الآيات يدور حول ذم صفات يتصف بها الإنسان الجاهل المغتر بدنياه، فهو أقرب من القول بأن المراد هو التعريض بالعمل الصالح، إذ التركيز في إثبات هذه الخاصية للمال، وهذا القول لا يساعده السياق.

وذهب الزمخشري والنسفي إلى أن المراد بالآية: يظن أن ماله يوصله إلى دار الخلد، وهو تعريض بالعمل الصالح، وأنه هو الذي يخلد صاحبه في الحياة الأبدية لا المال[٥].

---

(١) التسهيل (٤/ ٤١٨).

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن الكريم (٢٠/ ١٨٤).

(٣) انظر: جامع البيان (٣٠/ ٢٩٤)، الوجيز (٢/ ١٢٣٢)، معالم التنزيل (٤/ ٥٢٤)، تفسير البيضاوي (٥/ ٥٢٨)، تفسير القرآن العظيم (٤/ ٥٤٩)، فتح القدير (٥/ ٤٩٣)، الجلالين (١/ ٨٢١)، روح المعاني (٣٠/ ٢٣٠)، التحرير والتنوير (٣٠/ ٥٣٩)، تفسير السعدي (١/ ٩٣٤).

(٤) انظر: روح المعاني (٣٠/ ٢٣٠).

(٥) انظر: الكشاف (٤/ ٨٠٤)، تفسير النسفي (٤/ ٣٥٦).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... الصورة النهائية) ٠٤
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tafasi

وكأن المراد: أن ثم مخلدا ينبغي للعاقل أن يكب عليه، وهو السعي للآخرة.

۞ القول الراجح:

القول الذي ذهب إليه ابن جزي وجمهور المفسرين هو الأرجح؛ فهو أقرب للسياق، إذ يظن هذا الجاهل الذي يجمع المال ويحصيه ويبخل بإنفاقه بأنه مخلده في الدنيا فمزيل عنه الموت؛ لأن الخلود في الدنيا أقصى ما يتمناه، إذ لا يؤمن بحياة أخرى خالدة.

وهذا الوصف أقرب لمعنى كلمة ﴿أَخْلَدَهُۥٓ﴾ التي تعني المكث الطويل جدا الذي لا يتناهى؛ ولأن هذا القول هو قول الأكثرية من جمهور المفسرين، إذ لم يقل أحد بالقول الآخر استقلالا.

ويؤيد هذا من القواعد الترجيحية:

قاعدة: (القول الذي تؤيده قرائن السياق مرجح على ما خالفه) [1].

قاعدة: (يجب حمل كلام الله تعالى على المعروف من كلام العرب دون الشاذ والضعيف والمنكر) [2].

(١) قواعد الترجيح (١/ ٢٩٩).

(٢) المصدر السابق (٢/ ٣٦٩).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٠:٤ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tafasi

مسألة: ما المراد بالاطلاع في قوله تعالى: ﴿ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ۝٧﴾ [الهمزة:٧]؟

۞ ترجيح ابن جزي:

قال ابن جزي: (أي تبلغ القلوب بإطراقها

قال ابن عطية: يحتمل أن يكون المعنى أنها تطلع على ما في القلوب من العقائد والنيات بإطلاع الله إياها)[١].

۞ المناقشة والترجيح:

وافق ابن جزي في اختياره هذا محمد بن كعب[٢]، والفراء والكلبي [٣]، وابن جرير، والواحدي، والبغوي، وابن الجوزي، والقرطبي، والبيضاوي، والنسفي، وابن كثير، والسيوطي، والشوكاني، والألوسي، وابن عاشور، والسعدي [٤].

وحجتهم في ذلك: أن معنى (الاطلاع) هو البلوغ، أي أن النار تنفذ في أجوافهم حتى تبلغ صدورهم، وتطلع على أفئدتهم، والعرب تقول: إن الألم إذا صار إلى الفؤاد مات صاحبه، أي أنه في حال من يموت وهم لا يموتون، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ۝١٣﴾ [الأعلى:١٣] فهم أحياء في معنى الأموات[٥] .

---

(١) التسهيل (٤/ ٤١٩).

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم (٤/ ٥٤٩).

(٣) انظر: زاد المسير (٩/ ٢٢٩)، معالم التنزيل (٤/ ٥٢٤).

(٤) انظر: جامع البيان (٣٠/ ٢٩٤)، الوجيز (٢/ ١٢٣٢)، معالم التنزيل (٤/ ٥٢٤)، زاد المسير (٩/ ٢٢٩)، الجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ١٨٥)، تفسير البيضاوي (٥/ ٥٢٩)، تفسير النسفي (٤/ ٣٥٦)، تفسير القرآن العظيم (٤/ ٥٤٩)، الجلالين (١/ ٨٢١)، فتح القدير (٥/ ٤٩٤)، روح المعاني (٣٠/ ٢١٣)، التحرير والتنوير (٣٠/ ٥٤١)، تفسير السعدي (١/ ٩٣٤).

(٥) انظر: جامع البيان (٣٠/ ٢٩٤)، زاد المسير (٩/ ٢٢٩).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... العمرة النهائية) ٠٤:٠٠ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tafasi

وذهب الزمخشري وابن عطية إلى القول بأن معناها: أنها تطلع على ما في القلوب من العقائد والنيات[1].

وحجتهم:

أن القلوب هي موطن الكفر والعقائد الفاسدة والنيات الخبيثة.

وأن معنى الاطلاع هو علوها، كما يقال: طلع الجبل واطلع عليه إذا علاه[2].

فيكون المراد: أن النار تعلو القلوب وتشتمل عليها؛ لأنها هي موطن الكفر.

وذهب بعضهم إلى أن المراد بالاطلاع هو الاطلاع العلمي، فكأنها متطلعة على القلوب بإطلاع الله تعالى إياها، وتعلم مقدار ما يستحقه كل واحد منهم من العذاب بما استبقاه الله تعالى من الأمارة الدالة عليه[3].

وحجتهم:

أن الله تعالى وصف جهنم بأنها ﴿تَدْعُواْ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾﴾ [المعارج:١٧]، وقال: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [الفرقان:١٢] فلا يبعد أن توصف بالعلم[4].

۞ القول الراجح:

يظهر - والله تعالى أعلم - أن ما ذهب إليه ابن جزي وجمهور المفسرين هو الراجح، وذلك أن النار تنفذ من الأجساد إلى القلوب فتحرقها، وألمها أشد من ألم غيرها للطفها.

---

(١) الكشاف (٤/ ٨٠٢)، المحرر الوجيز (٥/ ٥٢٢).

(٢) التفسير الكبير (٣٢/ ٨٩).

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٥/ ١٨٥)، المحرر الوجيز (٥/ ٥٢٢)، روح المعاني (٣٠/ ٢٣١).

(٤) المصدر السابق.

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرونة النهائية) ٠٤٠
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tatlani

والقول بأن المراد بالآية أنها تطلع على ما في القلوب من العقائد والنيات فهذا القول هو من باب ذكر السبب في تخصيص ذكر هذا العضو، لأنه موطن الكفر والعقائد الفاسدة، وإلا فإن النار تغشى جميع أبدانهم ؛ وهذا كله لا يحصل إلا بإطلاع الله إياها.

فتكون الأقوال متلازمة للقول الذي ذهب إليه جمهور المفسرين.

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٠٤
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tatlani

سورة الكوثر

مسألة: ما المراد بـ (الكوثر) في قوله تبارك وتعالى:

﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١﴾ [الكوثر:١]؟

۞ ترجيح ابن جزي:

قال ابن جزي: ("الكوثر" في تفسيره سبعة أقوال:

الأول: حوض النبي ﷺ.

الثاني: أنه الخير الكثير الذي أعطاه الله في الدنيا والآخرة، قاله ابن عباس، وتبعه سعيد بن جبير، فإن قيل: إن النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله فالمعنى أنه على العموم.

الثالث: أن الكوثر هو القرآن.

الرابع: أنه كثرة الأصحاب والأتباع.

الخامس: أنه التوحيد.

السادس: أنه الشفاعة.

السابع: أنه نور وضعه الله في قلبه ﷺ.

ولا شك أن الله أعطاه هذه الأشياء كلها، ولكن الصحيح أن المراد بالكوثر الحوض؛ لما ورد في الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: (أتدرون ما الكوثر؟ هو نهر أعطانيه الله، وهو الحوض آنيته عدد نجوم السماء) [1].

---

(١) التسهيل (٤/ ٤٢٦).

الحديث رواه البخاري- كتاب التفسير- رقم (٤٦٨١)، ورواه مسلم-كتاب الصلاة- رقم (٤٠٠).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المورة النهائية) ٠٤:٠٠ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tafasi

۞ المناقشة والترجيح:

وافق ابن جزي في اختياره هذا المروي عن أنس، وابن عمر[(١)]، وعائشة، وابن عباس[(٢)] ﷺ، ومجاهد، وأبي العالية، وابن جرير، والرازي، والقرطبي، وأبي حيان، وابن كثير، والشوكاني، والألوسي[(٣)].

وحجتهم في ذلك: ما ورد عن رسول الله ﷺ من الأخبار الصحيحة في المراد من الكوثر، ومن ذلك:

عن أنس ﷺ قال: لما عرج بالنبي ﷺ إلى السماء قال: (أتيت على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ مجوف، فقلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر)[(٤)].

وعن أنس ﷺ قال: بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه متبسماً، فقلت: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: أنزلت عليَّ آنفا سورة فقرأ: (بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١﴾ [الكوثر:١] ثم قال: أتدرون ما الكوثر؟ فقلنا: الله ورسوله أعلم. قال: إنه نهر وعدنيه ربي ﷻ، عليه خير كثير، هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة، آنيته عدد النجوم، فيختلج العبد منهم، فأقول: رب إنه من أمتي، فيقول: ما تدري ما أحدثوا بعدك)[(٥)].

قال القرطبي: (أصح الأقوال أنه نهر في الجنة، وحوض النبي ﷺ في الموقف؛

---

(١) انظر: جامع البيان (٣٠/ ٣٢٠).

(٢) روى هذا عنهما البخاري- كتاب التفسير- باب سورةالكوثر- برقم (٤٩٦٥)، و (٤٩٦٦) .

(٣) انظر: جامع البيان (٣٠/ ٣٢٠-٣٢٢)، التفسير الكبير (٣٢/ ١١٦)، الجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ٢١٩)، البحر المحيط (٨/ ٥١٩)، تفسير القرآن العظيم (٤/ ٤٥٩)، فتح القدير (٥/ ٥٠٣)، روح المعاني (٣٠/ ٢٤٥).

(٤) سبق تخريجه ص(٢٩٠).

(٥) رواه مسلم- كتاب الصلاة- باب حجة من قال البسملةآيةمن كل سورة- برقم (٤٠٠).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٤٠
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tafasi

لأنه ثبت عن النبي ﷺ نص في الكوثر)[1].

وقال الألوسي: (وفيه إشارة إلى أن ما صح في الأحاديث من تفسيره ﷺ إياه بالنهر من باب التمثيل والتخصيص لنكتة، وإلا فبعد أن صح الحديث في ذلك بل كاد أن يكون متواترا كيف يعدل عنه إلى تفسير آخر؟) [2]

وذهب آخرون إلى أن المراد بالكوثر: هو الخير الكثير الذي أعطى الله لنبيه ﷺ.

وروي هذا القول عن ابن عباس ﷺ ومجاهد، وعكرمة، وسعيد بن جبير[3]، والزمخشري، وابن عطية، وأبي السعود [4].

وحجتهم:

أن ﴿ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ فوعل من الكثرة، وهو المفرط الكثرة، أي: الخير المفرط الكثير لكل خير في الدنيا والآخرة. [5]

وقالوا: إن النهر والحوض الذي فسر به ﴿ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ هو جملة الخير الذي وعد به رسول الله ﷺ.

وقد ورد في رواياتهم ما يشعر بمعرفتهم لكون ﴿ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ النهرَ، ولكنهم حملوا على العموم، فعن أبي بشر قال: قلت لسعيد: إن ناسا يزعمون أنه نهر في الجنة، فقال سعيد: النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله إياه.[6]

وقد ذكر عن المفسرين أقوالٌ أخرى في الكوثر، منها:

---

(١) الجامع لأحكام القرآن الكريم(٢٠/ ٢١٩).

(٢) روح المعاني (٣٠/ ٢٤٥).

(٣) انظر: جامع البيان (٣٠/ ٣٢١، ٣٢٢).

(٤) انظر: الكشاف (٤/ ٨٠١)، المحرر الوجيز (٥/ ٥٢٩)، إرشاد العقل السليم (٦/ ٤٧٢).

(٥) انظر: الكشاف (٤/ ٨٠١)، المحرر الوجيز (٥/ ٥٢٩).

(٦) انظر: فتح الباري (٨/ ٦٠٤).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٤٠٠
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tafasi

أنها النبوة، قاله عكرمة.

وقيل: كثرة الأتباع.

وقيل: القرآن، قاله الحسن.

وقيل: التوحيد.

وغيرها من الأقوال التي أراد بها قائلوها على ذكر مثال من الأمثلة الدالة على الخير الكثير. (١)

۞ القول الراجح:

الرأي الراجح صحته ما ذهب إليه ابن جزي ومن وافقه من المفسرين؛ لأنه الذي يدل عليه ما تواتر من أحاديث صحيحة صريحة تفيد القطع عند كثير من أئمة الحديث، فالتفسير النبوي مقدم على كل قول.

قال ابن جرير: (وأولى الأقوال بالصواب عندي قول من قال: هو اسم النهر الذي أعطيه رسول الله ﷺ في الجنة، وصفه الله ﷻ بالكثرة لعظم قدره، وإنما قلنا ذلك أولى الأقوال في ذلك لتتابع الأخبار عن رسول الله ﷺ بأن ذلك كذلك.) (٢)

وقال ابن حجر: (لكن ثبت تخصيصه بالنهر من لفظ النبي ﷺ فلا معدل عنه.)(٣)

فالقول الأولى والمقدم هو تفسيره بما ورد فيه من أحاديث رسول الله ﷺ وإن كان القول بالعموم لا يعارضه إلا أنه لا يكون قولا مقدما.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) جامع البيان (٣٠/ ٣٢٣).

(٣) فتح الباري (٨/ ٦٠٤).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... الصورة النهائية) ٠٠٤
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tatawi

ويؤيد هذا من القواعد الترجيحية:

قاعدة: (إذا ثبت الحديث وكان نصا في تفسير الآية فلا يصار إلى غيره). [1]

وقاعدة: (تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم). [2]

(١) قواعد الترجيح (١/ ١٩١).

(٢) المصدر السابق (١/ ٢٧١).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... الصورة النهائية) ٠٠٤
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tarisi

مسألة: فيمن نزل فيه قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ۝٣﴾ [الكوثر:٣]؟

۞ ترجيح ابن جزي:

قال ابن جزي: (... ونزلت هذه الآية في العاص بن وائل.

وقيل: في أبي جهل على وجه الرد عليه؛ إذ قال: إن محمدا أبتر أي: لا ولد له؛ فإذا مات استرحنا منه، وانقطع أمره بموته...) (١).

۞ المناقشة والترجيح:

وافق ابن جزي في اختياره هذا المروي عن ابن عباس ﷺ، وسعيد بن جبير، والحسن، وقتادة(٢)، والواحدي، والقرطبي، والسيوطي. (٣)

وذهب عكرمة والرازي إلى أنها نزلت في جماعة من قريش.(٤)

وقيل: إنها نزلت في عقبة بن أبي معيط، قاله شمر بن عطية(٥)(٦).

وذهب ابن جرير، والزمخشري، وابن عطية، والبيضاوي، والنسفي، وابن كثير، وأبو السعود، والألوسي، والسعدي، إلى أن الآية عامة في كل من أبغض

---

(١) التسهيل (٤/ ٤٢٧)،ذكرالسيوطي في الدرالمنثور:أخرجه ابن أبي حاتم عن عطاء(٨/ ٦٥٣)، وقال الألوسي في تفسيره:وأخرج عبدبن حميدوغيره عن ابن عباس أنه قال في الآية:هوأبوجهل، أي لأنها نزلت فيه(٣٠/ ٢٤٨) .

(٢) انظر: جامع البيان (٣٠/ ٣٢٩).

(٣) انظر: الوجيز (٢/ ١٢٣٦)، الجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ٢٢٢)، الجلالين (١/ ٨٢٤).

(٤) انظر: جامع البيان (٣٠/ ٣٣٠)، والتفسير الكبير(٢٣/ ١٢٣).

(٥) انظر: جامع البيان (٣٠/ ٣٢٩).

(٦) هو شمر بن عطية بن عبدالرحمن الأسدي الكاهلي الكوفي، ثقة صدوق، ولكنه عثماني غال وهذا نادر في الكوفيين، توفي في ولاية خالد بن الوليد. ينظر: التاريخ الكبير: (٤/ ٢٥٦)، ومشاهير الأمصار: (١/ ١٦٥)، وميزان الاعتدال: (٣/ ٣٨٥).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... الصورة النهائية) ٠٤:٠٠ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tafasi

رسول الله ﷺ.[1]

قال ابن كثير: (﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿٣﴾﴾ يعني عدوك، وهذا يعم جميع من اتصف بذلك ممن ذُكر وغيرهم).[2]

۞ القول الراجح:

أولى الأقوال هو إبقاء اللفظ على عمومه، فيدخل فيه كل من أبغض النبي ﷺ إلى يوم القيامة، وأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، ويكون السبب المذكور مثالا لذلك العموم في اللفظ، وهذا هو الصواب، وهو حمل هذه النزولات المذكورة على التمثيل.

قال ابن جرير: (وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب أن يقال: إن الله -تعالى ذكره- أخبر أن مبغض رسول الله ﷺ هو الأقل الأذل المنقطع عقبه، فذلك صفة كل من أبغضه من الناس، وإن كانت الآية نزلت في شخص بعينه).[3]

ويؤيد هذا من القواعد الترجيحية:

قاعدة: (يجب حمل نصوص الوحي على العموم).[4]

وقاعدة: (القول في أسباب النزول موقوف على النقل والسماع).[5]

---

(١) انظر: جامع البيان (٣٠/ ٣٣٠)، الكشاف (٤/ ٨١٣)، المحرر الوجيز (٥/ ٥٣٠)، تفسير البيضاوي (٥/ ٥٣٧)، تفسير النسفي (٤/ ٣٦٠)، تفسير القرآن العظيم (٤/ ٥٦٠)، إرشاد العقل السليم (٩/ ٢٠٥)، روح المعاني (٣٠/ ٢٤٨)، تفسير السعدي (١/ ٩٣٦).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٥٦٠).

(٣) جامع البيان (٣٠/ ٣٣٠).

(٤) قواعد الترجيح (٢/ ٥٢٧).

(٥) قواعد التفسير (١/ ٥٤).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٤:٠٠ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tafasi

سورة الكافرون

مسألة: لم عدل عن (من) إلى (ما) في قوله تعالى:

﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ٣﴾ [الكافرون:٣]؟

۞ ترجيح ابن جزي:

قال ابن جزي: (.. فإن قيل: لم قال: ﴿مَآ أَعۡبُدُ﴾ بـ(ما) دون (من) التي هي موضوعة لمن يعقل؟ فالجواب من ثلاثة أوجه:

أحدها: أن ذلك لمناسبة قوله: ﴿لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ٢﴾ [الكافرون:٢] فإن هذا واقع على الأصنام التي لا تعقل، ثم جعل ﴿مَآ أَعۡبُدُ﴾ على طريقته لتناسب اللفظ.

الثاني: أنه أراد الصفة كأن قال: لا أعبد الباطل ولا تعبدون الحق، قاله الزمخشري[1].

الثالث: أن (ما) مصدرية، والتقدير: لا أعبد عبادتكم ولا تعبدون عبادتي، وهذا ضعيف)[2].

وافق ابن جزي في اختياره هذا البغوي والقرطبي وأبا حيان والشوكاني [3].

وحجتهم في ذلك: أنه لما قال تعالى أولا: ﴿لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ٢﴾ حمل الثاني عليه ليتسق الكلام ويتقابل، ويجري على نمط واحد ولا يتفان.

وقالوا: إن (ما) تستخدم فيمن يعلم في لغة العرب بوجود قرينة تدل عليه .

كقوله تعالى: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء:٣] أي من طاب لكم، والقرينة

---

(١) الكشاف (٤/ ٨١٤).

(٢) التسهيل (٤/ ٤٢٩).

(٣) انظر: معالم التنزيل (٤/ ٥٣٥)، الجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ٢٢٨)، البحر المحيط (٨/ ٥٢٣)، فتح القدير (٥/ ٥٠٧).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... الصورة النهائية) ٠٤:٠٠ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tafasi

تجيز ذلك لأنهن في معرض الاستمتاع بهن[1].

وكقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝٥﴾[الشمس:٥] أي ومن بناها وهو الله تعالى، وقول يعقوب لأبنائه: ﴿إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى﴾ [البقرة:١٣٣].

والقرينة في هذه الآية ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣﴾ [الكافرون:٣] أن اللبس مأمون.[2]

وقول العرب: سبحان ما سبح الرعد بحمده. أي سبحان من سبح الرعد بحمده.[3]

وقولهم: سبحان ما سخركن لنا.[4]

قال أبو حيان: أطلق (ما) على الأصنام وقابل الكلام بـ (ما).

في قوله: ﴿مَآ أَعْبُدُ﴾ وإن كانت يراد بها الله تعالى لأن المقابلة يسوغ فيها ما لا يسوغ مع الانفراد.[5]

وقيل: إنها مصدرية. قاله ابن تيمية .[6]

والمعنى: لا أعبد عبادتكم، ولا تعبدون عبادتي.

وحجتهم: أن قوله تعالى في أخر السورة ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ۝٦﴾[الكافرون:٦] يتضمن هذا القول إذا أحالهم على عبادتهم ولم يحلهم على معبودهم.[7]

---

(١) أضواء البيان (٩/ ١٣٤).

(٢) التحرير والتنوير (٣٠/ ٥٨١).

(٣) انظر : الجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ٧٤).

(٤) انظر : الكشاف (٤/ ٧٦٣).

(٥) البحر المحيط (٨/ ٥٢٣).

(٦) انظر: دقائق التفسير (٦/ ٣٢٣) .

(٧) أضواء البيان (٩/ ٥٨٤).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... العورة المغلظة) ٠٤:٠٠ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tatawi

وقيل: أن المراد بـ (ما) الوصف. قاله الزمخشري والبيضاوي والألوسي[1].

والمعنى: لا أعبد الباطل، ولا أنتم تعبدون الحق.

وقيل: إنها بمعنى (الذي) اسم موصول. قاله الرازي وابن عثيمين.[2]

وحجتهم: أن الاسم الموصول إذا عاد إلى لفظ الجلالة (الله) فإنه يأتي بلفظ (ما).[3]

۞ القول الراجح:

الذي يظهر والله أعلم أن ما ذهب إليه ابن جزي ومن معه من المفسرين هو الراجح، لوجود آيات أخرى في القرآن الكريم تدل على نفس المعنى، ولأن هذا الأسلوب مستخدم في لغة العرب.

ويؤيد هذا من القواعد الترجيحية:

قاعدة: (القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك).[4]

قاعدة: (حمل معاني كلام الله على الغالب من أسلوب القرآن ومعهود استعماله أولى من الخروج به عن ذلك).

ولا يتنافى هذا المعنى من كون أن (ما) هنا تفيد أيضا الوصفية أو المصدرية.[5]

---

(١) انظر: الكشاف (٤/ ٨١٤)، تفسير البيضاوي (٥/ ٥٣٩)، روح المعاني (٣٠/ ٢٥٢).

(٢) التفسير الكبير (٣٢/ ١٣٦)، وتفسير القرآن الكريم (٣٤٠).

(٣) انظر: تفسير القرآن الكريم (٣٤٠).

(٤) قواعد الترجيح (١/ ٣٢١).

(٥) المصدر السابق (١/ ١٧٢).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... الصورة النهائية) ٤٠٠
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tafasi

سورة النصر

مسألة: ما المراد بالفتح في قوله تعالى:

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾﴾ [النصر:١]؟

۞ ترجيح ابن جزي:

قال ابن جزي: (يعني بالفتح: فتح مكة والطائف وغيرهما من البلاد التي فتحها رسول الله ﷺ، وقال ابن عباس رضي الله عنه: إن النصر صلح الحديبية، والفتح فتح مكة.

وقيل: النصر إسلام أهل اليمن. والإخبار بذلك كله قبل وقوعه إخبار بغيب فهو من أعلام النبوة). (١)

۞ المناقشة والترجيح:

وافق ابن جزي في اختياره هذا المروي عن ابن عباس رضي الله عنه (٢) وسعيد ابن جبير والزمخشري وابن عطية والبيضاوي والنسفي وأبي السعود والشوكاني . (٣)

وحجتهم في ذلك أن المراد بالفتح هو فتحه ﷺ لسائر البلدان وفي مقدمتها فتح مكة لأن فتحها كان فتح الفتوح. (٤)

وحصول الفتوحات بعد موته ﷺ كفتح اليمن والشام والعراق فيه دلالة على

---

(١) التسهيل (٤/ ٤٣١).

(٢) رواه البخاري عن ابن عباس من طريق سعيد بن جبير- كتاب التفسير- باب قوله"ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا"- برقم (٤٩٦٩).

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ٢٣٠)، الكشاف (٤/ ٨١٥)، المحرر الوجيز (٥/ ٥٣٢)، تفسير البيضاوي (٥/ ٥١٤)، تفسير النسفي (٤/ ٣٦١)، إرشاد العقل السليم (٩/ ٢٠٨)، فتح القدير (٥/ ٥٠٩) .

(٤) إرشاد العقل السليم (٩/ ٢٠٨).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٤ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tatlani

أنها تدخل تحت المراد بالفتح هنا.

واستشهدوا له بما جاء في الحديث من أن رسول الله ﷺ (يفتح اليمن فيأتي قوم يبسون فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، وتفتح الشام. فيأتي قوم يبسون فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، ويفتح العراق فيأتي قوم يبسون فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون).[1]

وقيل: إن الفتح هنا هو فتح مكة. وهذا القول مروي أيضا عن ابن عباس رضي الله عنهما[2] ومجاهد والحسن[3] وابن جرير والوا حدي والبغوي وابن الجوزي والرازي والقرطبي وابن كثير والسيوطي والألوسي وابن عاشور والسعدي[4].

واستدلوا له بما ورد في الأحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ منها ما روته عائشة < أنها قالت: كان رسول الله ﷺ يكثر من قول: سبحان الله وبحمده واستغفره وأتوب إليه، قالت: فقلت يا رسول الله: أراك تكثر قول: سبحان الله وبحمده واستغفره وأتوب إليه، فقال: خبرني ربي أني سأرى علامة في أمتي، فإذا رأيتها أكثرت من قول: سبحان الله وبحمده واستغفره وأتوب إليه، فقد رأيتها ﴿إِذَا

---

(١) الحديث أخرجه البخاري(١٨٧٥)- كتاب فضائل المدينة- باب من رغب عن المدينة،ومسلم(١٣٨٨)كتاب الحج- باب الترغيب في المدينة عند فتح الأمصار.

(٢) رواه البخاري عن ابن عباس عن طريق سعيد بن جبير-كتاب المغازي- باب منزل النبيﷺ يوم الفتح- برقم (٤٢٩٤).

(٣) انظر: جامع البيان (٣٠/ ٢٣٢)، والجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ٢٣٠).

(٤) انظر: جامع البيان (٣٠/ ٢٣٢)، الوجيز (٢/ ١٢٣٨)، معالم التنزيل (٤/ ٥٣٦). زاد المسير (٩/ ٢٥٦)، التفسير الكبير (٣٢/ ١٤٣)، الجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ٢٣٠)، تفسير القرآن العظيم (٤/ ٥٦٤)، الجلالين (١/ ٨٢٥)، روح المعاني (٣٠/ ٢٥٥)، التحرير والتنوير (٣٠/ ٥٨٧)، تفسير السعدي (١/ ٩٣٦).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المورة النهائية) ٠٤ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Fattani

جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ﴿١﴾ فتح مكة ﴿وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ﴾ [النصر:٢][(١)].

وعن عمرو بن سلمة[(٢)] قال: لما كان الفتح بادر قوم بإسلامهم إلى رسول الله ﷺ، وكانت الأحياء تتلوم بإسلامها فتح مكة، يقولون: دعوه وقومه فإن ظهر عليهم فهو نبي.....)[(٣)].

وقالوا: إن قوله تعالى ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ﴿١﴾﴾ [النصر:١] يقتضي الاستقبال، فيكون هذا من جملة المعجزات لأنه إخبار عن الغيب وهو وعد لرسول الله ﷺ بالفتح، ونظير هذا في القرآن قوله تعالى:

﴿لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمۡ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَۖ فَعَلِمَ مَا لَمۡ تَعۡلَمُواْ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتۡحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح:٢٧][(٤)].

ويدل عليه أيضا: أن الألف واللام في قوله (والفتح) للعهد الذهني، أي: الفتح المعروف في أذهانكم وهوفتح مكة[(٥)].

وقالوا: إن الله ذكر الفتح مقرونا بالنصر، وقد كان يجد النصر دون الفتح كبدر، ويجد الفتح دون النصر كإجلاء بني النضير فإنه فتح البلد لكن لم يأخذ القوم، أما يوم فتح مكة اجتمع له الأمران: النصر والفتح، وصار الخلق له كالأرقاء حتى أعتقهم[(٦)].

---

(١) سبق تخريجه ص (٦٩).

(٢) هو عمرو بن سلمة بن قيس الجرمي أبويزيد، أمّ قومه زمن النبي ﷺ، وله صحبة، نزل البصرة، (ت٨٥هـ).

ينظر: التاريخ الكبير(٦/ ٣١٣)، والثقات(٣/ ٢٧٨)، والكاشف(٢/ ٧٧)، وتقريب التهذيب(١/ ٤٢٢).

(٣) رواه البخاري- كتاب المغازي- باب مقام النبي ﷺ بمكة زمن الفتح- برقم (٤٣٠٢).

(٤) انظر: التفسير الكبير (٣٢/ ١٤٣)، والتحرير والتنوير (٣٠/ ٥٨٧).

(٥) التفسير الكبير (٣٢/ ١٤٣)، والتحرير والتنوير (٣٠/ ٥٨٧)، وتفسير القرآن الكريم (٣٤٣).

(٦) التفسير الكبير(٣٢/ ١٤٣).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٤٠٠
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tafasi

قال ابن كثير: (والمراد بالفتح ههنا فتح مكة قولا واحدا) [1].

۞ القول الراجح:

القول الراجح والمقدم هو أن المراد بالفتح هنا هو فتح مكة لورود الأحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ في ذلك.

ومجيء لفظ الفتح مقرونا بالنصر المضاف إلى الله تعالى له دلالة تمام وكمال، فهو مشعر بالنصر كل النصر، وبتمام النصر كله لرسول الله ﷺ وهذا التمام حصل في فتح مكة، إذ تم فيها القضاء على دولة الشرك في الجزيرة و ودخل الناس في دين الله أفواجا وجماعات لا أفراد.

وأما ما حصل من فتوحات أخبر بها عليه الصلاة والسلام وقعت في حياته أو بعد مماته يمكن ان يشملها ولا تعارض بينها.

ويؤيد هذا من القواعد الترجيحية:

قاعدة: (إذا ثبت الحديث وكان نصا في تفسير الأية فلا يصار إلى غيره) [2].

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٥٦٤).

(٢) قواعد الترجيح (١/ ١٩١).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٠٤
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tatlani

سورة الإخلاص

مسألة: ما معنى كون سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن؟

۞ ترجيح ابن جزي:

قال ابن جزي: (واختلف في معنى قوله ﷺ: (﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص:١] تعدل ثلث القرآن) [(١)].

فقيل: إن ذلك في الثواب، أي لمن قرأها من الأجر مثل أجر من قرأ ثلث القرآن

وقيل: إن ذلك فيما تضمنته من المعاني والعلوم، وذلك أن علوم القرآن ثلاثة: توحيد وأحكام وقصص، وقد اشتملت هذه السورة على التوحيد فهي ثلث القرآن بهذا الاعتبار، وهذا أظهر المعاني وعليه حمل ابن عطية الحديث، ويؤيده أن في بعض روايات الحديث إن الله جزأ القرآن ثلاثة أجزاء فجعل قل هو الله أحد جزءا من أجزاء القرآن). [(٢)]

۞ المناقشة والترجيح:

وافق ابن جزي في اختياره هذا الزمخشري وابن عطية والرازي والبيضاوي والنسفي والقرطبي وابن حجر. [(٣)]

وحجتهم في ذلك أنها ثلث باعتبار معاني القرآن لأنه أحكام وأخبار وتوحيد، وقد اشتملت هذه السورة على القسم الثالث وهو التوحيد فكانت ثلثًا بهذا الاعتبار. واستدلوا له: بما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (أيعجز أحدكم أن

---

(١) رواه مسلم- كتاب صلاةالمسافين وقصرها- باب فضل قراءةقل هوالله احد- رقم (٨١٢).

(٢) التسهيل (٤/ ٤٣٤). الحديث رواه مسلم -المصدرالسابق.

(٣) انظر الكشاف (٤/ ٨٢٤)، المحرر الوجيز (٥/ ٥٣٧)، التفسير الكبير (٣٢/ ١٦٢)، تفسير البيضاوي (٥/ ٥٤٩)، وتفسير النسفي (٤/ ٣٦٤)، الجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ٢٤٧)، فتح الباري (٨/ ٦٧٨).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٠:٤ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tafani

يقرأ ثلث القرآن في ليلة؟ فشق ذلك عليهم وقالوا: أينا يطيق ذلك يا رسول الله؟ فقال: الله الصمد ثلث القرآن) [1].

وبما أخرجه أبو عبيدة من حديث أبي الدرداء[2] قال: جزأ النبي ﷺ القرآن ثلاثة أجزاء: فجعل ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ جزءًا من أجزاء القرآن [3].

وقالوا: إن السورة اشتملت على اسمين من أسماء الله تعالى يتضمنان جميع أصناف الكمال لم يوجدا في غيرها من السور وهما: الأحد والصمد؛ لأنهما يدلان على أحدية الذات المقدسة الموصوفة بجميع أوصاف الكمال، فا لأحد يشعر بوجوده الخاص الذي لا يشاركه فيه غيره، والصمد يشعر بجميع أوصاف الكمال لأنه الذي انتهى إليه سؤدده فكان مرجع الطلب منه وإليه، فلما اشتملت هذه السورة على معرفة الذات المقدسة كانت بالنسبة إلى تمام المعرفة بصفات الذات وصفات الفعل ثلثا [4].

وقالوا:إن المقصود الأشرف من جميع الشرائع والعبادات معرفة ذات الله ومعرفة صفاته، ومعرفة أفعاله، وهذه السورة مشتملة على معرفة الذات، فكانت معادلة لثلث القرآن [5].

وقيل: إنها تعدل ثلث القرآن في الأجر والثواب [6].

---

(١) رواه البخاري- كتاب فضائل القرآن- باب فضل قراءةقل هوالله احد- رقم (٥٠١٥).

(٢) هو عويمر بن زيد بن قيس الأنصاري أبوالدرداء، وقيل اسمه عامر وعويمر كنيته، صحابي جليل، أول مشاهده بدر، وكان عابدا، ت سنة: (٣٢هـ).

(٣) رواه مسلم- كتاب صلاة المسافرين وقصرها- باب فضل قراءةقل هوالله أحد- رقم (٨١١)و انظر: فتح الباري (٨/ ٦٧٧)

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ٢٤٧).

(٥) انظر: التفسير الكبير (٣٢/ ١٦٢).

(٦) انظر: فتح الباري (٨/ ٦٧٨). والتحرير والتنوير (٣٠/ ٦٢١).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٤
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tafasi

۞ القول الراجح:

الذي يظهر- والله أعلم - أن الراجح هو ما ذهب إليه ابن جزي ومن وافقهم من المفسرين؛ لأنه هو الذي دلت عليه الأحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ.

قال ابن حجر بعد أن رجح القول بأنها تعدل ثلث القرآن لما تضمنته من التوحيد ، ومنهم من حمل المثلية على تحصيل الثواب.

فقال: (معنى كونها ثلث القرآن قراءتها يحصل للقارئ مثل ثواب من قرأ ثلث القرآن، وقيل: مثله بغير تضعيف، وهي دعوة بغير دليل) [1]

ويؤيد هذا من القواعد الترجيحية: قاعدة: (إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه). [2]

(١) فتح الباري (٨/ ٦٧٥).

(٢) القواعد الترجيحية (١/ ٢٠٦).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... الصورة النهائية) ٠٠:٠٤ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tarfawi

مسألة: ما معنى وصف الله تعالى بالواحد في قوله تعالى:

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص:١]؟

۞ ترجيح ابن جزي:

قال ابن جزي:(... واعلم أن وصف الله تعالى بالواحد له ثلاثة معانٍ كلها صحيحة في حق الله تعالى:

الأول: الله واحد لا ثاني معه، فهو نفي للعدد.

والثاني: أنه واحد لا نظير ولا شريك له، كما تقول: فلان واحد عصره أي: لا نظير له.والثالث: أنه واحد لا ينقسم ولا يتبعض.

والأظهر أن المراد في السورة نفي الشريك لقصد الرد على المشركين، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ۝١٦٣﴾ [البقرة:١٦٣]....)[1]

۞ المناقشة والترجيح:

وافق ابن جزي في اختياره هذا الخطابي[2] والقرطبي وابن كثير وابن تيمية[3] وابن عاشور والسعدي[4].

وحجتهم في ذلك: نظائرها في القرآن من الآيات الدالة على أنه تعالى واحد لا شريك له، ومن ذلك:

---

(١) التسهيل (٤/ ٤٣٥).

(٢) انظر: زاد المسير (٩/ ٢٦٧).

(٣) هو أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام ابن تيمية الحراني شيخ الإسلام أبوالعباس، العلامة الفقيه المجتهد الناقد، المفسر البارع الأصولي، الإمام المجدد، (ت٧٢٨هـ).

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٥/ ٢٤٤)، دقائق التفسير (٦/ ٣٩٩)، تفسير القرآن العظيم (٤/ ٥٧١)، التحرير والتنوير (٣٠/ ٦١٥)، تفسير السعدي (١/ ٩٣٧).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... العورة المغلظة) ٠٤:٠٠ ١٤٣٠/٨/٩ Ali Fattani

قوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ [البقرة:١٦٣].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة:٣١].

وقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الأنبياء:٢٢] وغيرها من الآيات.

وقالوا: يدل عليه ما فسرته الآيات بعدها: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص:٤].

وكقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشُورى:١١].

- وذهب الزمخشري والنسفي[1] إلى أن المراد بالواحد: أنه واحد لا ثاني معه، فهو نفي للعدد.

- وذهب ابن عطية والبيضاوي وأبو حبان[2] إلى شمولية المعنى، أي: أنه واحد من جميع جهات الوحدانية في عبادته وفي ذاته وصفاته لا يتجزأ.

۞ القول الراجح:

الراجح هو ما ذهب إليه ابن جزي ومن معه من المفسرين بأن المراد بالواحد هنا: نفي الشريك والنظير له تعالى، وإن كانت كل المعاني صحيحة في حق الله تعالى إذ هو فرد من جميع جهات الوحدانية، ومآل الأوصاف تعود إلى معنى نفي الشريك له تعالى في إلاهيته. ويرجح أن المراد بالواحد هنا بأنه لا نظير له ولا شريك أمور منها: السياق، إذ جاءت الآيات بعدها تفسر هذا المعنى وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص:٤].

---

(١) انظر: الكشاف (٤/ ٨٢٢)، تفسير النسفي (٤/ ٣٦٣).

(٢) انظر: المحرر للوجيز (٥/ ٥٣٦)، تفسير البيضاوي (٥/ ٥٤٧)، البحر المحيط (٨/ ٥٢٩).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... السورة النهائية) ٤٠٠
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tafasi

وسبب نزول السورة يدل على ترجيحه لقصد الرد على المشركين [1] وهو المعنى الذي يدركه المخاطبون بهذه الآية السائلون عن نسبة الله تعالى.

ويؤيد هذا من القواعد الترجيحية:

قاعدة: (إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عن ذلك)[2].

وقاعدة: (تحمل نصوص الكتاب على معهود الأميين في الخطاب) [3].

(١) ورد سبب نزولها من طريق أبي العالية عن أبي بن كعب ﷺ مرفوعًا،أخرجه أحمد(٥/ ١٣٣)، ورواه الترمذي- كتاب تفسيرالقرآن-باب من سورةالإخلاص- رقم (٣٣٦٤)،قال الحاكم:هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وانظر: فتح الباري (٨/ ٦١١)، وتفسير القرآن العظيم (٤/ ٥٦٦). ورجح البخاري في التاريخ الكبير(١/ ٢٤٥)،والعقيلي في الضعفاء(٤/ ١٤٠) إرساله . وله شاهد من حديث جابررضي الله عنه ،أخرجه الطبري في تفسيره(٣٠/ ٣٤٣)،والطبراني في الأوسط(٥٦٨٧)،وابن عدي في الكامل(١/ ٣١٩)،وأبونعيم في الحلية(١٠/ ١١٣)عن مجالد عن الشعبي عنه .

(٢) قواعد الترجيح (١/ ١٢٥).

(٣) قواعد التفسير (١/ ٢١٧).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... السورة النهائية) ٠٠:٠٤ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tafasi

مسألة: ما المراد بالصمد في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾ [الإخلاص:٢]؟

۞ ترجيح ابن جزي:

قال ابن جزي: (في معنى الصمد ثلاثة أقوال:

أحدهما: أن الصمد الذي يصمد إليه في الأمور أي: يلجأ إليه.

والآخر: أنه لا يأكل ولا يشرب، فهو كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ يُطۡعِمُ وَلَا يُطۡعَمُ﴾ [الأنعام:١٤].

والثالث: أنه الذي لا جوف له. والأول هو المراد هنا على الأظهر، ورجحه ابن عطية بأن الله موجد الموجودات وبه قوامها فهي مفتقرة إليه أي تصمد إليه إذ لا تقوم بأنفسها) [١]

۞ المناقشة والترجيح:

وافق ابن جزي في اختياره هذا ابن جرير[٢] والخطابي[٣] والزمخشري وابن عطية والبيضاوي والنسفي والقرطبي والسيوطي والشوكاني والألوسي وابن عاشور والسعدي[٤].

وحجتهم في ذلك: أن ﴿ٱلصَّمَدُ﴾ هو السيد المقصود في الحوائج، تقول العرب: صمدت فلانًا أصمده صمدًا بسكون الميم إذا قصدته، وهذا الاشتقاق يشهد

---

(١) التسهيل (٤/ ٤٣٦).

(٢) جامع البيان (٣٠/ ٣٤٧).

(٣) انظر: زاد المسير (٩/ ٢٦٨)، و دقائق التفسير (٦/ ٣٥٨).

(٤) انظر: الكشاف (٤/ ٨٢٣)، المحرر الوجيز ٥/ ٥٣٦)، تفسير البيضاوي (٥/ ٥٤٨)، تفسير النسفي (٤/ ٣٦٣)، الجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ٢٤٦)، الجلالين (١/ ٨٢٦)، فتح القدير (٥/ ٥١٦)، روح المعاني (٣٠/ ٢٧٤)، التحرير والتنوير (٣٠/ ٦١٧)، تفسير السعدي (١/ ٩٣٧).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... العورة المغلظة) ٠٤:٠٠ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tafasi

لهذا المعنى [1].

قال ابن الانباري[2]: (لا خلاف بين أهل اللغة أن الصمد: السيد الذي ليس فوقه أحد يصمد إليه الناس في أمورهم وحوائجهم

واستدلوا لهذا بقول العرب:

ألا بكر الناعي بخير بني أسـد .:. بعمرو بن مسعود السيد الصمد

وبقوله : علوته بحسامي ثم قلت له .:. خذها حذيف فأنت السيد الصمد[3]

قال الخطابي: (أصح الوجوه أنه السيد الذي يصمد إليه في الحوائج لأن الاشتقاق يشهد له، فإن أصل الصمد القصد). [4]

- وقيل: ﴿ٱلصَّمَدُ﴾ الذي لا جوف له، ورد هذا عن بريدة الأسلمي[5] وابن مسعود وابن عباس ﷺ ومجاهد وسعيد بن جبير والحسن وعكرمة والضحاك والسدي وقتادة[6].

وحجتهم في ذلك: أن معنى ﴿ٱلصَّمَدُ﴾ لغة في الصمت وهو الذي لا جوف

---

(١) انظر: معالم التنزيل (٤/ ٥٤٥)، ودقائق التفسير (٦/ ٣٥٧).

(٢) هو الإمام الحافظ اللغوي أبوبكر محمد بن القاسم بن بشار ابن الأنباري، المقرئ، النحوي، ذوالفنون، (ت٣٢٨هـ). ينظر: تاريخ بغداد(٣/ ١٨١-١٨٦)، الوفيات(٤/ ٣٤١) سيرأعلام النبلاء(١٥/ ٢٧٤-٢٧٩).

(٣) انظر: دقائق التفسير (٦/ ٣٥٧).

(٤) انظر: زاد المسير (٩/ ٢٦٨).

(٥) هو بريدة بن الحصيب الأسلمي أبوسهل، صحابي، أسلم قبل بدر، نزل بالبصرة، (ت٦٢هـ) في خلافة يزيد بن معاوية. ينظر: الكاشف (١/ ٢٦٥)، التاريخ الكبير(٢/ ١٤١) تقريب التهذيب(١/ ١٢١).

(٦) انظر: جامع البيان (٣٠/ ٣٤٥)، دقائق التفسير (٦/ ٣٥٦).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٠:٠٤ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Fattani

له، ومنه يقال لسداد القارورة: الصماد [1]

وقال بعض أهل اللغة: الصمد هو الأملس من الحجر الذي لا يقبل الغبار ولا يدخله شيء ولا يخرج منه شيء[2].

ومنه ما جاء في حديث آدم عليه السلام: أن إبليس قال عنه إنه أجوف ليس بصمد [3].

قال ابن قتيبة: (كأن الدال في هذا التفسير ﴿ٱلصَّمَدُ﴾ مبدلة من تاء، والصمت من هذا) [4].

واستدلوا له بما جاء في سبب نزول هذه الآية أن أبي بن كعب قال: إن المشركين قالوا لرسول الله ﷺ: انسب لنا ربك. فأنزل الله: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص:١].

قال الصمد الذي لم يلد ولم يولد، لأنه ليس شيء يولد إلا سيموت، ليس شيء يموت إلا سيورث، والله لا يموت ولا يورث) [5].

- وقيل في معناها أقوال عديدة تندرج تحت هذين المعنيين. [6]

---

(١) انظر: المحرر الوجيز(٥/ ٥٣٦)، و دقائق التفسير (٦/ ٣٦٢).

(٢) التفسير الكبير (٣٢/ ١٦٧).

(٣) جاءت في حديث طويل أخرجه ابن جرير عن ابن مسعود وابن عباس، أخرجه الطبري في تفسيره (١/ ٢٠٣)،والبيهقي في الأسماءوالصفات(٧٤٧)،قال ابن كثيرفي تفسيره:. فهذاالإسناد إلى هؤلاءالصحابةمشهورفي تفسيرالسدي،ويقع فيه إسرائيليات كثيرة، فلعل بعضهامدرج ليس من كلام الصحابة..والله أعلم ، والحاكم يروي في مستدركه بهذاالإسنادبعينه أشياءويقول على شرط البخاري(١/ ٧٧)،وانظركلام الشيخ أحمدشاكرعلى هذاالأسناد في تعليقه على تفسيرالطبري(١/ ١٥٦)،ويشهد لهذاالموضع ماأخرجه مسلم في صحيحه(٢٦١١):(لماصورالله تعالى آدم في الجنة تركه ماشاء أن يتركه،فجعل إبليس يطيف به ينظرماهو،فلمارآه أجوف علم أنه خلق لايتمالك.

(٤) دقائق التفسير (٦/ ٣٥٦).

(٥) سبق تخريجه ص(٣١١).

(٦) راجع هذه الأقوال في: زاد المسير (٩/ ٢٦٨)دقائق التفسير (٦/ ٣٥٧). تفسير ابن كثير (٤/ ٥٧١).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... الصورة النهائية) ٠٠:٠٤ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tafasi

۞ القول الراجح:

الاختلاف المذكور في معنى ﴿ٱلصَّمَدُ﴾ من اختلاف التنوع الذي يكون في العبارة لا المعنى، لأن هذه الأقوال ترجع إلى معنى واحد، وهو غنى الله عما يحتاج خلقه لكمال سؤدده.

قال الحافظ أبو القاسم الطبراني في كتاب(السنة) بعد إيراده كثيرًا من هذه الأقوال في تفسير ﴿ٱلصَّمَدُ﴾: (وكل هذه صحيحة وهي صفات ربنا ﷻ، هو الذي يصمد إليه في الحوائج، وهو الذي قد انتهى سؤدده، وهو الذي لا جوف له، ولا يأكل ولا يشرب، وهو الباقي بعد خلقه، وقال البيهقي نحو ذلك)[1]

وقال ابن تيمية:(﴿ٱلصَّمَدُ﴾ فيه للسلف أقوال متعددة قد يظن أنها مختلفة وليست كذلك، بل كلها صواب) [2]

وقال أيضًا:(والاشتقاق يشهد للقولين جميعًا: قول من قال أن ﴿ٱلصَّمَدُ﴾ الذي لا جوف له، وقول من قال: أنه السيد، وهو على الأول أدل، فإن الأول أصل للثاني، ولفظ ﴿ٱلصَّمَدُ﴾ يقال على ما لا جوف له في اللغة)[3].

وقال ابن عاشور: (كل المعاني مندرجة تحت هذا المعنى الجامع - أي الذي يصمد إليه عند الحوائج -) [4].

فالمعاني متلازمة، وإعمال الأقوال أولى من إعمال أحدهم وإهمال ما عداه [5].

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٥٧١).

(٢) دقائق التفسير (٦/ ٣٥٦).

(٣) المصدر السابق.

(٤) التحرير والتنوير (٣٠/ ٦١٩).

(٥) قواعد الترجيح (١/ ٤٥).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٤٠٠
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tatawi

وقد ورد من طرق أخرى عن ابن مسعود وابن عباس [1] ﷺ وشقيق أبي وائل [2] أن المراد ﴿ٱلصَّمَدُ﴾ هو السيد الذي يصمد إليه عند الحوائج وانتهى إليه سؤدده [3].

(١) انظر: دقائق التفسير (٦/ ٣٥٦).

(٢) هو أبووائل شقيق بن سلمة الأسدي الكوفي، مخضرم من التابعين، أدرك النبي ﷺ وما رآه، تعلم القرآن في شهرين، وكان من أعلم أهل الكوفة بحديث ابن مسعود ﷺ، وعنه أخذ التفسير، (ت٨٢هـ).
ينظر: طبقات ابن سعد (٦/ ٩٦-١٠٢)، سيرأعلام النبلاء (٤/ ١٦١-١٦٦)، حلية الأولياء (٤/ ١٠١-١١٢).

(٣) ذكره البخاري في صحيحه تعليقًا، وقال ابن حجر: وصله الفريابي من طريق الأعمش عنه. وجاء أيضًا من طريق عاصم عن أبي وائل بذكر ابن مسعود فيه انظر: فتح الباري (٨/ ٦١٢).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٠:٤ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tafasi

مسألة: ما المراد بالكفؤ في قوله تعالى: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾ [الإخلاص:٤] ؟

۞ ترجيح ابن جزي:

قال ابن جزي: (الكفؤ هو النظير والمماثل. قال الزمخشري: يجوز أن يكون من الكفاءة في النكاح فيكون نفيًا للصاحبة، وهذا بعيد والأول هو الصحيح، ومعناه: أن الله ليس له نظير ولا شبيه ولا مثيل) [١].

۞ المناقشة والترجيح:

وافق ابن جزي في اختياره هذا المروي عن ابن عباس { وأبي العالية وجريج وابن جرير [٢] والواحدي والبغوي وابن عطية والبيضاوي والنسفي والسيوطي والشوكاني والآلوسي وابن عاشور [٣]

وحجتهم في ذلك: أن الكفؤ والكفء والكفاء في كلام العرب واحد وهو المثل والشبه، ومنه قول نابغة بني ذبيان :

لا تقذفيني بركن لا كفاء له .:. ولو تأثفك الأعداء بالرفد

يعني لا كفاء له أي لا مثل له [٤].

قال أبو عبيدة: (يقال كفو وكفء كله بمعنى واحد وهو المثل [٥] ومنه المكافأة

---

(١) التسهيل (٤/ ٤٣٧).

(٢) جامع البيان (٣٠/ ٣٤٧، ٣٤٨).

(٣) انظر: الوجيز (٢/ ١٢٤١)، معالم التنزيل (٤/ ٥٤٥)، المحرر الوجيز (٥/ ٥٣٧)، تفسير البيضاوي (٥/ ٥٤٩)، تفسير النسفي (٤/ ٣٦٤)، الجلالين (١/ ٨٢٦)، فتح القدير (٥/ ٥١٧)، روح المعاني (٣٠/ ٢٧٧)، التحرير والتنوير (٣٠/ ٦٢٠).

(٤) انظر: جامع البيان (٣٠/ ٣٤٨)، والمحرر الوجيز (٥٣٧).

(٥) انظر: التفسير الكبير (٣٢/ ١٦٩).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... العورة المغلظة) ٠٤ ١٤٣٠/٨/٩ Ali Tafasi

في الجزاء لأنه يعطيه ما يساوي ما أعطاه) [1]

ويدل عليه أيضًا ما جاء في الآية من تقديم وتأخير، فتقديم خبر كان (كفوًا) على اسمها (أحد) مع أن حقه التأخير لأنه جاء في سياق نفي المكافأة عن ذات الله، للاهتمام بذكر (الكفؤ) عقب الفعل المنفي ليكون أسبق إلى السمع.

وتقديم المجرور (له) على متعلقه وهو (كفوًا) للاهتمام باستحقاق الله نفي كفاءة أحد له[2].

- وقيل أن المراد بالكفؤ أن يكون من الكفاءة في النكاح فيكون نفيًا للصاحبة قاله مجاهد.[3]

والمعنى: أنه ﷻ لم يكن أحد كفوًا له فيصاهره، ردًا على من حكى الله عنه قوله: ﴿وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا﴾ [الصَّافات:١٥٨]. فتفسير هذه الآية كالتأكيد لقوله تعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ [4].

- وذهب الرازي إلى أن المراد هو نفي المساواة لله تعالى في شيء من صفات الجلال والعظمة، (وقال هذا القول هو التحقيق)[5].

۞ القول الراجح:

ما ذهب إليه ابن جزي ومن معه من المفسرين هو الراجح لدلالته في كلام العرب، ولدلالة السياق في السورة إذ جاء في نفي المكافأة عن ذات الله وصفاته تعالى.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) انظر: التفسير الكبير (٣٢/ ١٦٩)، روح المعاني (٣٠/ ٢٧٧)، التحرير والتنوير (٣٠/ ٦٢٠).

(٣) جامع البيان (٣٠/ ٢٤٨).

(٤) انظر: التفسير الكبير (٣٢/ ١٦٩).

(٥) المصدر السابق.

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المورة النهائية) ٠٤ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tafasi

ونفي الصاحبة عنه تعالى لعدم الكفاءة هو على سبيل المثال، ومن جملة نفي المكافأة عن ذات الله تعالى.

قال البيضاوي: (أي لم يكن أحد يكافئه أو يماثله من صاحبة أو غيرها)[1].

ومتى ما أمكن حمل الآية على معنى كلي عام شامل يجمع تفسيرات جزئية ولا تعارض بينها فهو أولى بتفسير الآية حملاً لها على عموم ألفاظها والقاعدة ناطقة بأنه يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص.[2]

(١) تفسير البيضاوي (٥/ ٥٤٩).

(٢) قواعد الترجيح (٢/ ٥٢٧).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرونة النهائية) ٠٠٤
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tafasi

سورة الفلق

مسألة: ما المراد بـ(الغاسق) وبـ(الوقب) في قوله تعالى:

﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ ﴾ [الفلق:٣]؟

۞ ترجيح ابن جزي:

قال ابن جزي: (فيه ثمانية أقوال:

الأول: أنه الليل إذا أظلم، ومنه قوله تعالى ﴿إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ﴾ [الإسراء:٧٨]

وهذا قول الأكثرين، وذلك لأن ظلمة الليل ينتشر عندها أهل الشر من الإنس والجن، ولذلك قيل في المثل: الليل أخفى للويل.

الثاني: أنه القمر. خرج النسائي[1] أن رسول الله ﷺ رأى القمر فقال: (يا عائشة استعيذي بالله من شر هذا فإنه الغاسق إذا وقب). ووقوبه هذا هو كسوفه لأن وقب في كلام العرب يكون بمعنى الظلمة والسواد وبمعنى الدخول، فالمعنى: إذا دخل في الكسوف أو أظلم به

الثالث:أنه الشمس إذا غربت، والوقوب على هذا المعنى الظلمة أو الدخول.

الرابع: أن الغاسق النهار إذا دخل في الليل، وهذا قريب من الذي قبله.

الخامس: أن الغاسق سقوط الثريا وكان الأسقام والطاعون تهيج عنده، وروي أن رسول الله ﷺ قال: (النجم هو الغاسق)[2] فيحتمل أن يريد الثريا... ثم ساق

---

(١) هو أحمدبن شعيب بن علي بن سنان بن بحر بن دينار أبوعبدالرحمن النسائي، الحافظ الحجة، صاحب السنة، (ت٣٠٣هـ). ينظر: الكاشف(١/ ١٩٥) تقريب التهذيب(١/ ٨٠) طبقات الشافعية(١/ ٨٨). والحديث سيأتي تخريجه ص (٣٢٢).

(٢) والحديث سيأتي تخريجه ص (٣٢٣).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٤٠٠
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tatlawi

بقية الأقوال)[1].

رجح ابن جزي القول الأول لأنه قول الأكثرين وهو من أوجه الترجيح عنده[2].

۞ المناقشة والترجيح:

وافق ابن جزي في اختياره هذا المروي عن ابن عباس { ومجاهد ومحمد ابن كعب القرظي[3] ومجاهد والفراء[4] والواحدي والبيضاوي وابن كثير والشوكاني وابن عاشور والسعدي [5].

وحجتهم في ذلك: أن معنى (الغاسق) وصف الليل إذا اشتدت ظلمته يقال: غسق الليل يغسق إذا أظلم ومنه قوله تعالى: ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ ﴾ [الإسراء:٧٨].

ومعنى(وقب) أي دخل وتغلغل في الشيء، ومنه الوقبة: اسم الفقرة في الصخرة يجتمع فيها الماء. وعليه قول الشاعر:

إن هذا الليل قد غسقا .:. واشتكيت الهم والأرقا

وقول الآخر:

يا طيف هند قد أبقت لي أرقا .:. إذ جئتنا طارقًا والليل قد غسقا[6]

---

(١) التسهيل (٤/ ٤٤٠).

(٢) التسهيل (١/ ٢٠).

(٣) انظر: جامع البيان (٣٠/ ٣٥١).

(٤) ذكره البخاري في صحيحه- كتاب التفسير- باب سورة الفلق. انظر فتح الباري (٨/ ٦١٣).

(٥) انظر: الوجيز (٢/ ١٢٤٢)، تفسير البيضاوي (٥/ ٥٥١)، تفسير القرآن العظيم (٤/ ٥٧٤)، فتح القدير (٥/ ٥٢٠)، التحرير والتنوير (٣٠/ ٦٢٨)، تفسير السعدي (١/ ٩٣٧) .

(٦) انظر: جامع البيان (٣٠/ ٣٥٢)، الكشاف (٤/ ٨٢٦) أضواء البيان (٩/ ١٦٢).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... العورة المغلظة) ٠٤:٠٠ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tafasi

وقالوا: إن الأمر بالتعوذ من شر الليل لأن في الليل تخرج السباع من آجامها والهوام من مكانها، فالشر فيه أكثر، والتحرز من الشرور فيه أصعب. (١)

- وقيل: إن الغاسق إذا وقب القمر.

قال ابن قتيبة: (الغاسق: القمر سمي به لأنه يكسف فيغسق أي يذهب ضوءه فيسود، ووقوبه دخوله في ذلك الاسوداد). (٢)

وجاء في حديث عائشة < قالت: إن النبي ﷺ نظر إلى القمر فقال: (يا عائشة استعيذي بالله من شر هذا قال: الغاسق إذا وقب). (٣)

- وقيل: المراد به الكوكب وهو الثريا.

ورد هذا القول عن أبي هريرة ﷺ ومحمد بن زيد(٤).

قال محمد بن زيد: (كانت العرب تقول: الغاسق: سقوط الثريا، وكانت الأسقام والطواعين تكثر عند وقوعها وترتفع عن طلوعها). (٥)

وروي في ذلك حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾

---

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن (٢/ ٢٥٧)، وفتح القدير (٥/ ٥٢٠).

(٢) انظر: التفسير الكبير (٣٢/ ١٧٨).

(٣) أخرجه الترمذي-كتاب فضائل القرآن-باب ومن سورةالمعوذتين- رقم (٣٣٦٦)، وقال: حديث حسن صحيح. ورواه الحاكم من طريق أبي سلمة وإسناده جيد،وقال ابن حجر:إسناده حسن، انظر فتح الباري(٨/ ٦١٣).

(٤) انظر: جامع البيان (٣٠/ ٣٥٢). هو محمدبن زيد الواسطي أبوعبدالله، العالم المفسر المحقق، أحد المتكلمين على مذهب المعتزلة، صنف كتاب إعجازالقرآن وكتاب الإمامة، حنفي الفقه، (ت٧٠٦هـ).
ينظر: لسان الميزان (٥/ ١٧٢)، طبقات المفسرين للداودي(٢/ ١٤٨)، طبقات المفسرين للأدنه وي (٣٦٢).

(٥) المصدر السابق.

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... الصورة النهائية) ٠٤ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tatawi

[الفلق:٣]، قال: النجم: الغاسق) [١].

وقيل: المراد به الشمس إذا غابت وإنما سميت غاسقًا لأنها في الفلق تسبح، فسمي حركتها وجريانها بالغسق، ووقوبها غيبتها ودخولها تحت الأرض. [٢]

۞ القول الراجح:

التلازم بين الأقوال ظاهر، فإن تفسير جمهور السلف بأنه (الليل) لا ينافي ما ورد بأن المراد به (القمر).

وإنما كان القمر غاسقًا لأن سلطانه يكون في الليل، فالليل إذا دخل بظلامه غاسق، وكذلك القمر إذا أضاء بنوره فإنه غاسق، ولا يكون ذلك إلا بالليل، وهكذا يقال في من قال إنه الثريا.

قال ابن جرير: (وأولى الأقوال عندي بالصواب أن يقال أن الله أمر نبيه أن يستعيذ من شر غاسق وهو الذي يظلم، فيقال غسق الليل غسوقًا إذا أظلم، إذا وقب يعني إذا دخل في ظلامه، والليل إذا دخل في ظلامه غاسق، والنجم إذا أفل غاسق، والقمر غاسق إذا وقب، ولم يخصص بعض ذلك بل عم الأمر بذلك، فكل غاسق فإنه كان يؤمر بالاستعاذة من شره)[٣].

وقال ابن القيم: (هذا التفسير حق -يعني: تفسيره في الحديث بالقمر- ولا يناقض التفسير الأول - يعني: تفسيره بالليل - بل يوافقه ويشهد لصحته، فإن الله تعالى قال: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ [الإسراء:١٢]، فالقمر آية الليل وسلطانه فيه، فهو أيضًا غاسق إذا وقب، والنبي ﷺ أخبر عن ا لقمر

---

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره(٤/ ٥٧٤)،وأبوالشيخ في العظمه(٦٩٣)من حديث أبي هريرة رضي الله عنه . قال ابن كثير: وهذا الحديث لا يصح رفعه إلى النبي ﷺ (٤/ ٥٧٤).

(٢) التفسير الكبير (٣٢/ ١٧٨).

(٣) جامع البيان (٣٠/ ٣٥١).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... الصورة النهائية) ٠٠:٤ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tatlawi

بأنه غاسق إذا وقب، وهذا خبر صدق، وهو أصدق الخبر، ولم ينف عن الليل اسم الغاسق إذا وقب، وتخصيص النبيﷺ لا ينفي شمول الاسم لغيره) [1].

ومتى ما أمكن حمل الآية على معنى كلي عام شامل يجمع تفسيرات جزئية جاءت في تفسيرها من قبيل التفسير بالمثال ولا معارض له وتشهد الأدلة لصحته فهو أولى بتفسير الآية حملاً لها على عموم ألفاظها والقاعدة ناطقة: بأنه يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص [2].

(١) التفسير القيم (٥٥٨).

(٢) قواعد الترجيح (٢/ ٥٢٧).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... الصورة النهائية) ٠٠:٤ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tafasi

مسألة: ما المراد بالنفاثات في قوله تعالى:

﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ ﴾ [الفلق:٤]؟

۞ ترجيح ابن جزي:

قال ابن جزي: ("والنفاثات" بناء مبالغة، والموصوف محذوف تقديره: النساء النفاثات والجماعة النفاثات أو النفوس النفاثات، والأول أصح، لأنه روي: أنه إشارة إلى بنات لبيد بن الأعصم اليهودي، وكن ساحرات سحرن هن

وأبوهن رسول الله ﷺ وعقدت له إحدى عشر عقدة فأنزل الله المعوذتين إحدى عشرة آية بعدد العقد وشفي رسول الله ﷺ) [(١)].

۞ المناقشة والترجيح:

توافق ابن جزي في اختياره هذا مع أبي عبيدة[(٢)] والزمخشري وابن عطية والقرطبي وابن عاشور[(٣)].

وحجتهم في ذلك: أن اللاتي سحرن رسول الله ﷺ كن نساء وهن بنات لبيد بن الأعصم اليهودي[(٤)].

وقالوا إن هذه الصناعة إنما تعرف بالنساء لأنهن يعقدن وينفثن، وذلك لأن الأصل الأعظم فيه ربط القلب بذلك الأمر، وإحكام الهمة والوهم فيه، وذلك إنما

---

(١) التسهيل (٤/ ٤٤١). الحديث رواه البخاري-كتاب الطب-باب السحر- رقم (٥٤٣٣)، ومسلم- كتاب السلام –باب السحر- رقم (٢١٨٩)،والنسائي- كتاب الطب- باب السحر برقم (٧٦١٥) .

(٢) انظر: التفسير الكبير (٣٢/ ١٧٩)، والتفسير القيم (٥٦٣).

(٣) انظر: الكشاف (٤/ ٨٢٦)، والمحرر الوجيز (٥/ ٥٣٨)، والجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ٢٠٧)، والتحرير والتنوير (٣٠/ ٦٣٠).

(٤) سبق تخريجه نفس الصفحة ،هامش رقم(١) .

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... السورة النهائية) ٠٤:٠٠ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tatawi

يتأتى من النساء لقلة علمهن وشدة شهوتهن.

- وذهب جمهور المفسرين من السلف والخلف أن المراد من (النفاثات) الأنفس السواحر، ورد هذا عن ابن عباس { ومجاهد وعكرمة والحسن البصري وقتادة وطاووس[١] وابن جرير[٢] وهو قول الواحدي والبغوي وابن القيم والسيوطي والآلوسي والسعد[٣].

وحجتهم: أن الأصل حمل الآية على العموم، ليشمل كل نفس شريرة خبيثة من الرجال والنساء.

وقالوا:مطابقته لسبب النزول، فإن الذي سحره ﷺ رجل يقال له لبيد بن الأعصم اليهودي [٤] أعانه بعض النساء، ولكون ذلك مثل ذلك من عمل النساء وكيدهن غلب لفظ المؤنث (النفاثات) على المذكر هنا. [٥]

- وقيل: المراد بها: الجماعة النفاثات. والحجة: أنه كلما كان اجتماع السحرة على العمل الواحد أكثر كان التأثير أشد[٦].

---

(١) هو طاووس بن كيسان اليماني الحميري أبوعبدالرحمن، مولاهم الفارسي، يقال أن اسمه ذكوان وطاووس لقب، ثقة فاضل، (ت١٠٦هـ). ينظر: حلية الأولياء(٤/ ٣)، صفةالصفوة، (٢/ ٢٨٤) تقريب التهذيب (١/ ٢٨١).

(٢) انظر: جامع البيان (٣٠/ ٣٥٣).

(٣) انظر: الوجيز (٢/ ١٢٤٢)، معالم التنزيل (٤/ ٥٤٧)، والتفسير القيم (٥٦٣)، الجلالين (١/ ٨٢٧)، روح المعاني (٣٠/ ٢٨٢)، تفسير السعدي (١/ ٩٣٧).

(٤) انظر: التفسير القيم (٥٦٣)، وروح المعاني (٣٠/ ٢٨٢).

(٥) المصدر السابق.

(٦) انظر: التفسير الكبير (٣٢/ ١٧٩).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... الصورة النهائية) ٠٤ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tafasi

۞ القول الراجح:

لعل الأظهر في مراد الآية هو ما ذهب إليه جمهور المفسرين من السلف والخلف، وهو الاستعاذة من السحر عمومًا، من الأحوال والصفات والأعمال، والنوايا والمقاصد الشريرة التي تكون من النفس الساحرة الشريرة ذكورًا وإناثًا.

وقد وردت الأحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ بأن الذي سحر رسول الله ﷺ هو لبيد بن الأعصم اليهودي[1].

قال ابن القيم: (.. فإن الذي سحر النبي ﷺ هو لبيد بن الأعصم، لا بناته، كما جاء في الصحيح)[2].

فهذه السورة وإن كان لها سبب نزول، فإن لفظها مع ذلك على العموم في كل من اتصف بهذه الصفات، ويدخل فيه المعنى دخولاً أوليًا.

ويؤيد هذا من القواعد الترجيحية:

قاعدة: (تفسير السلف، فهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم) [3].

وقاعدة: (العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب) [4].

---

(١) سبق تخريجه ص (٣٢٥).

(٢) التفسير القيم (٥٦٣).

(٣) القواعد الترجيحية (١/ ٢٧١).

(٤) المصدر السابق (٢/ ٥٤٥).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرونة النهائية) ٠٠:٤ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tafasi

سورة الناس

مسألة: ممن تكون الوسوسة المذكورة في قوله تعالى:

﴿ٱلَّذِي يُوَسۡوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥﴾ [الناس:٥] **من الجن أو الأنس؟**

۞ ترجيح ابن جزي:

قال ابن جزي: (هذا بيان لمعنى الوسواس، وأنه يكون من الجن ومن الناس، ثم إن الموسوس من الإنس يحتمل أن يريد من يوسوس بخدعه وأقواله الخبيثة فإنه شيطان كما قال تعالى: ﴿شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ﴾ [الأنعام:١١٢] أو يريد به نفس الإنسان إذ تأمره بالسوء فإنها أمارة بالسوء، والأول أظهر وأشهر)[١].

۞ المناقشة والترجيح:

توافق ابن جزي في اختياره هذا مع قتادة والحسن[٢] والزجاج[٣] والبغوي والزمخشري والبيضاوي والنسفي وابن القيم وابن كثير والسيوطي وأبي السعود والشوكاني والآلوسي وابن عاشور والسعدي[٤].

ومرادهم من الآية: أنها بيان للذي يوسوس، وهم ضربان: إنس وجن، وأنهم يوسوسون في صدور الناس.

---

(١) التسهيل (٤/ ٤٤٥).

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ٢٦٣).

(٣) انظر: زاد المسير (٩/ ٢٧٩).

(٤) انظر: معالم التنزيل (٤/ ٥٤٨)، الكشاف (٤/ ٨٢٩)، تفسير البيضاوي (٥/ ٥٢٣)، تفسير النسفي (٤/ ٣٦٦)، التفسير القيم (٦١٩)، تفسير القرآن العظيم (٤/ ٥٧٦)، الجلالين (١/ ٨٢٧)، إرشاد العقل السليم (٩/ ٢١٧)، فتح القدير (٥/ ٥٢٣)، روح المعاني (٣٠/ ٢٨٧)، التحرير والتنوير (٣٠/ ٦٣٥)، تفسير السعدي (١/ ٩٣٨).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... الصورة النهائية) ٠٤:٠٠ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tafasi

واستدلوا لذلك بقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام:١١٢].(١)

وبما ورد عن أبي ذر ﷺ قال: أتيت رسول الله ﷺ وهو في المسجد فجلست، فقال: يا أبا ذر، هل صليت؟ قلت: لا، قال: قم فصل، فقمت فصليت ثم جلست، فقال: يا أبا ذر تعوذ بالله من شر شياطين الإنس والجن، قال: فقلت يا رسول الله:و للإنس شياطين قال: نعم)(٢).

وقالوا: فكما أن شيطان الجن قد يوسوس تارة ويخنس أخرى فشيطان الإنس يكون كذلك، وذلك لأنه يرى نفسه كالناصح المشفق، فإن زجره السامع يخنس ويترك الوسوسة، وإن قبل السامع كلامه بالغ فيه فشياطين الجن أصل وشياطين الإنس تبع وولي للصنف الأول، ووجه الحاجة إلى هذا البيان خفاء ما ينجر من وسوسة نوع الإنسان، لأن الأمم اعتادوا أن يحذرهم المصلحون من وسوسة الشيطان، وربما لا يخطر بالبال أنه من الوسواس ما هو شر من وسوسة الشيطان، وربما لا يخطر بالبال أنه من الوسواس ما هو شر من وسواس الشيطان، وهو وسوسة أصل نوعهم من شياطين الإنس(٣).

- وذهب الفراء(٤) وابن جرير والواحدي(٥) إلى أن المراد: هو بيان للموسوس في صدروهم من الجن والإنس، وأن الوسوسة تقع من شياطين الجن عليهم.

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ٢٦٣)، والتفسير الكبير (٣٢/ ١٨٢).

(٢) الحديث رواه أحمد (٥/ ١٧٨)، والنسائي (٨/ ٢٧٥)، من حديث أبي عمر الدمشقي به، وقد أخرج هذا الحديث مطولاً جدًا أبو حاتم بن حبان في صحيحه (٣٦١) بطريق آخر ولفظ آخر مطول جدًا، وانظر تفسير القرآن العظيم (٤/ ٥٧٦).

(٣) انظر: التفسير الكبير (٣٢/ ١٧٩)، و التحرير والتنوير (٣٠/ ٦٣٥).

(٤) انظر: زاد المسير (٩/ ٢٧٩).

(٥) انظر: جامع البيان (٣٠/ ٣٥٦)، والوجيز (١٢٤٣).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... الصورة النهائية) ٠٤:٠٠ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tatawi

وحجتهم في ذلك: جواز إطلاق لفظ (الناس) على الجن، وقد ورد هذا الإطلاق عن ابن مسعود ﷺ قال: (كان ناس من الإنس يعبدون ناسًا من الجن)[1].

وقد حكى ابن جرير عن بعض العرب أنه قال وهو يحدث: إذا جاء قوم من الجن فوقفوا، فقيل: من أنتم؟ قالوا: ناس من الجن [2]

وقالوا: إن الله تعالى سماهم في القرآن تارة رجالاً كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن:٦] وتارة سماهم نفرًا كما في قوله تعالى ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١﴾ [الجن:١][3] وعلى هذا يكون لفظ (والناس) عطفًا على لفظ (الجنة) ويكون سبب هذا التكرير هو اختلاف اللفظين[4].

(١) رواه البخاري- كتاب التفسير- باب(قل ادعواالذين زعمتم من دونه فلايملكون كشف الضرعنكم ولاتحويلا)- رقم (٤٤٣٧).

(٢) جامع البيان (٣٠/ ٣٥٦).

(٣) المصدر السابق.

(٤) الجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ٢٦٥).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٤٠
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tafasi

۞ القول الراجح:

الذي يظهر والله أعلم أن الراجح هو ما ذهب إليه ابن جزي وجمهور المفسرين، للدلالة على هذا المعنى من القرآن ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [الأنعام:١١٢] ويدل عليه أيضًا: أن غالب استعمالات القرآن للفظة (الإنس والجن) تأتي على وجه المقابلة بين اللفظين، كقوله تعالى ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ﴾ [الأنعام:١٣٠] وقوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات:٥٦] ﴿شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ﴾ [الأنعام:١١٢] وهو كثير في القرآن، وهذا يقتضي أنهما متقابلان لا معنى واحدًا.

ويدل على هذا التقابل أيضًا المعنى اللغوي للفظتين، فإن الجن سموا (جنًا) لاجتنانهم وهو الاستتار، فهم مستترون عن أعين الناس، والناس سموا (ناسًا) من النوس وهو الحركة المتتابعة، فسموا بذلك لحركتهم الظاهرة و الباطنة.

والقول بأن تكون آية ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ [الناس:٦] بيانية لقوله تعالى: ﴿الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ [الناس:٥] لا يصح، إذ كيف يبين ﴿النَّاسِ﴾ بالناس.

ولا يصح كذلك أنه قسم الناس قسمين: جنة، وناس، فإن الشيء لا يكون قسيم نفسه.

قال ابن القيم: (أفيجوز أن يقال: في صدور الناس الذين هم من الناس وغيرهم؟ هذا ما لا يجوز، ولا هو في الاستعمال فصيح)[1]

(١) التفسير القيم (٦١٦).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... الصورة النهائية) ٠٠:٤ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tatlani

ويؤيد هذا من القواعد الترجيحية:

قاعدة: (القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك)[1].

وقاعدة: (إذا ثبت الحديث وكان في معنى الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه)[2].

وقاعدة: (حمل معاني كلام الله على الغالب من أسلوب القرآن ومعهود استعماله أولى)[3].

(١) قواعد الترجيح (١/ ٣١٢).

(٢) المصدر السابق (١/ ٢٠٦).

(٣) المصدر السابق (١/ ١٧٢).

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... الصورة النهائية) ٠٠٤
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tatlani

الخاتمـــــة

الخاتمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، محمد بن عبدالله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فإني احمد الله تعالى الذي وفق وأعان على إتمام هذا البحث وإنجازه ، وما كان ليتم لولا توفيقه وتسديده ومعونته ، فله الحمد في الأولى والآخرة .

وقد خلصت من هذا البحث باهم النتائج ، وهي كالتالي:

أولاً: أفنى ابن جُزيّ الكلبي حياته في سبيل طلب العلم وتعليمه، متصديًا لمختلف الوظائف الدينية -كالوعظ والإفتاء، والخطابة والإمامة، والتصنيف والتأليف- وختمها بالجهاد في سبيل الله، رغبة منه في نيل الشهادة، رحمه الله رحمة واسعة.

ثانياً: حَرص ابن جُزيّ على تنشئة أبنائه تنشئة علمية متينة منذ الصغر، وأولى هذا الأمر عناية واهتماماً، وفي تأليفه لكتاب في الحديث، وآخر في أصول الفقه لبعض أبنائه، دلالة واضحة على ذلك.

ثالثاً: اشتمل كتاب "التسهيل لعلوم التنزيل" على كَمٍّ كبيرٍ من أقوال المفسرين، واختلافاتهم في مختلف الفنون؛ كالتفسير، والحديث، والفقه، واللغة، ونحوها.

رابعاً: أجاد ابن جُزيّ عرض أقوال المفسرين والاختلاف بينهم، وسار في إبراز ذلك على طريقة مثلى، وفق منهجية مميزة، على الرغم من كون كتابه وجيزًا مختصرًا.

خامساً: يُعدّ ابن جُزيّ من العلماء القلائل الذين أصَّلوا -ببراعة- لموضوع الترجيح بين أقوال المفسرين، وتمييز الصحيح منها من السقيم، ويتضح ذلك من خلال تحريره لصيغ وأساليب الترجيح، والوجوه التي يُرجح بها عند الاختلاف بين المفسرين.

سادساً: لم يتطرق ابن جُزيّ -في الغالب- لذكر أدلة الترجيح عند ذكر أقوال المفسرين، وإن فعل فإنه لا يستوعب.

سابعاً: اعتمد ابن جُزيّ في الترجيح بين أقوال المفسرين على وجوه الترجيح

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... الصورة النهائية) ٤٠٠
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tafasi

المختلفة التي قررها في مقدمة كتابه، عند كلامه عن الخلاف بين المفسرين، والوجوه التي يُرجح بها بينهم.

ثامناً: جلّ ترجيحات ابن جُزيّ جاءت موافقة لترجيحات أكثر من سبقه من المفسرين، ووافقه فيها الكثير من المفسرين الذين أتوا بعده.

تاسعاً: حالف الصواب ابن جُزيّ في أكثر ترجيحاته، ولم يجانبه إلا في النزر اليسير منها.

وفي نهاية المطاف أود أن أذكر بعض المقترحات والتوصيات التي ظهرت لي من خلال دراستي لترجيحات ابن جزي في كتابه "التسهيل" :

١- إعادة طباعة كتاب "التسهيل لعلوم التنزيل" وأن يحقق تحقيقا علميا نافعا ، ويعمل على نشره بين عامة الناس ، وطلاب العلم على وجه الخصوص . فالطبعات الموجودة حاليا مليئة بالأخطاء ، وبعضها يحيل المعنى ، وبعض المواضع يلاحظ أن النص غير مكتمل . فالكتاب على مايحتويه من قيمة علمية ، وإيجاز العبارة ، وصغر حجمه ، مما جعله سهل القراءة والفهم ، فهو بحاجة إلى إقامة مشروع يتبنى من إحدى الجهات العلمية لتصحيح عباراته ، وتخريج أحاديثه ، والتعليق والتوضيح في بعض المواضع . وبالجملة فالكتاب معين على تدبر القرآن .

٢- إبراز شخصية الإمام ابن جزي -رحمه الله- بشكل أوسع ، والاستفادة من سيرته وتراثه ، فقد تنوعت مؤلفاته في عدة فنون ، وخاض ميدان الدعوة من خلال الخطابة والإمامة والتدريس والإفتاء ، ومشاركته في ساحات القتال إذ قد مات شهيدا في سبيل الله في إحدى المعارك .

٣- وأقترح على الجهات التي تعني بجوانب تربية الأبناء الاستفادة من جانب التربية والتنشئة الصالحة التي عمل بها الإمام ابن جزي مع ابنائه ، فقد كانت له طريقة مثلى في التعامل مع ابناءه من خلال زرع الثقة في نفوسهم ، وشحذ

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... الصورة النهائية) ٠٤ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tafasi

الهمة ، والوصول إلى القمة . ويتضح هذا من خلال إهداءهم مؤلفات قام بتأليفها ، فعند تأليفه لكتاب "الأنوار السنية في الألفاظ السنية" قال في خطبة الكتاب :

(...أما بعد: فإن علم الكتاب والسنة هو الهدى والنور والشفاء لما في الصدور والوسيلة إلى الله يوم النشور ، ولما يسر الله على ابني أحمد المكنى أبابكر أبلغ الله فيه الأمل ، وجعله من أهل العلم والعمل ، حفظ القرآن الكريم أحببت أن يفوز بحظ من حفظ حديث المصطفى عليه أفضل الصلاة والتسليم ، فجمعت له في هذا الكتاب جملة صالحة من كلام رسول الله ﷺ ...) .

وقال في خطبة كتابه "الوصول إلى علم الأصول" : (...ولذا أحببت أن يضرب ابني محمد أسعده الله في هذا العلم بسهم ، فصنفت ها الكتاب برسمه ووسمته بوسمه لينشط لدرسه وفهمه...). وكان ثمرة هذه التربية أن خلف ثلاثة من الأبناء النجباء ممن تولى القضاء والكتابة بفضل الله تعالى .

وبعد، فهذه أهم النتائج والتوصيات التي ظهرت لي من خلال هذا البحث، أسأل الله أن ينفع بها كاتبها وقارئها، إنه وليّ ذلك والقادر عليه.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٠:٠٤ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tatlani

الفهـــارس

الفهارس

- ١- فهرس الآيات القرآنية.
- ٢- فهرس القراءات القرآنية .
- ٣- فهرس الأحاديث .
- ٤- فهرس الآثار.
- ٥- فهرس تراجم الأعلام.
- ٦- فهرس الأماكن والبلدان.
- ٧- فهرس الفرق والديانات.
- ٨- فهرس الأشعار.
- ٩- فهرس المصادر والمراجع.
- ١٠- فهرس الموضوعات.

فهرس الآيات القرآنية

الآيـــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ﴾	[البقرة:٨٩]	٢	٢٢١، ٢٢٣
﴿إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى﴾	[البقرة:١٣٣]	٢	٢٨٣
﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾	[البقرة:١٦٣]	٢	٢٩٢، ٢٩٣
﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ﴾	[البقرة:١٨٠]	٢	٢٤٠
﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾	[البقرة:١٨٥]	٢	٧٧
﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ﴾	[البقرة:٢٣٥]	٢	٣٦
﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾	[آل عمران:٧]	٣	٣٤
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾	[آل عمران:١٠٢]	٣	٦
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾	[النساء:١]	٤	٦، ٥٥
﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾	[النساء:٣]	٤	١٥٥، ١٧٠، ٢٨٢
﴿بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾	[النساء:٤٩]	٤	١٦٢
﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾	[النساء:١١٣]	٤	١٩٢
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ....﴾	[المائدة:٦]	٥	٢٢٦

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... السورة النهائية) ٠٠:٤
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tatlani

الآيـــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾	[المائدة:٦٤]	٥	٣٤
﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾	[المائدة:٧٥]	٥	٨٨
﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾	[الأنعام:١٤]	٦	٢٩٥
﴿ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾﴾	[الأنعام:٦٢]	٦	١٣٢
﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾	[الأنعام:٩١]	٦	٢١٦
﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ﴾	[الأنعام:١٠١]	٦	٨٩
﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾﴾	[الأنعام:١١٢]	٦	٣١١، ٣١٢، ٣١٤، ٣١٤
﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾	[الأنعام:١٢٥]	٦	١٩٩
﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾	[الأنعام:١٣٠]	٦	٣١٤
﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾﴾	[الأنعام:١٦١]	٦	٢٢٦
﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾	[الأنعام:١٦٤]	٦	٢٠٢
﴿وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾	[الأعراف:٤١]	٧	١٠٢
﴿فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾	[الأعراف:٧٧]	٧	١٦٥
﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾﴾	[التوبة:٥]	٩	١٠٩

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... الصورة النهائية) ٠٤
١٤٣٠/٨/٩
Ali Tafasi

الآيـــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ ﴾	[التوبة:١٧]	٩	٢٣٧
﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾	[التوبة:٣١]	٩	٢٩٣
﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾	[يونس:٢٦]	١٠	١٧٤
﴿ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ﴾	[يونس:٦٨]	١٠	٨٩
﴿ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾ ﴾	[هود:١٤]	١١	٧٩
﴿ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ﴾	[هود:٦٥]	١١	١٦٥
﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا ﴾	[يوسف:٨٢]	١٢	١٢٣
﴿ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ ﴾	[يوسف:٩٥]	١٢	١٩١
﴿ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ ﴾	[إبراهيم:١٨]	١٤	٢٤١
﴿ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴾	[إبراهيم:٥٠]	١٤	١٠١، ١٠٢
﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾	[الحجر:٩]	١٥	٦
﴿ لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾	[النحل:٢٥]	١٦	٢٠٢
﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً ﴾	[الإسراء:١٢]	١٧	٣٠٦
﴿ فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴾	[الإسراء:٢٨]	١٧	٦٤
﴿ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾	[الإسراء:٣٦]	١٧	٢٦٢
﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ ﴾	[الإسراء:٧٨]	١٧	١١٣، ٣٠٣، ٣٠٤
﴿ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴾	[الكهف:١٠٥]	١٨	٢٤٨

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... العورة النهائية) ٠٠:٠٤ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tatlani

الآيـــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُواْ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴾	[الكهف:٥٣]	١٨	٢٥٩
﴿ ۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ۖ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ ﴾	[الكهف:٩٩]	١٨	٢٤٤
﴿ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴾	[الكهف:١٠٥]	١٨	٢٤٩
﴿ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾ ﴾	[مريم:٧]	١٩	٨٢
﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ﴾	[مريم:٧١]	١٩	٢٥٨، ٢٥٩
﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾ ﴾	[مريم:٨٥-٨٧]	١٩	٢٣٢
﴿ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ ﴾	[مريم:٩٣]	١٩	٨٩
﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾	[طه:٥]	٢٠	٣٤
﴿ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ ﴾	[طه:١٢]	٢٠	٨٢
﴿ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ ﴾	[طه:١١٩]	٢٠	١٤٩
﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾	[طه:١٢٤]	٢٠	١٤٣
﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾	[الأنبياء:٢٢]	٢١	٢٩٣
﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾	[الأنبياء:٣٥]	٢١	٦١
﴿ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ ﴾	[الأنبياء:٦٩]	٢١	١٠٤
﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾	[المؤمنون:١٠٢]	٢٣	٢٤٩
﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾	[المؤمنون:١١٧]	٢٣	٥٦

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... السورة النهائية) ٠٠:٤
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tafani

الآيـــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾	[النور:٢١]	٢٤	١٦٢
﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾	[النور:٣١]	٢٤	٥٥
﴿وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ﴾	[النور:٥٧]	٢٤	٢٥٣
﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾﴾	[الفرقان:١٢]	٢٥	٢٧٣
﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾	[الفرقان:٦٥]	٢٥	٢٥٣
﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾	[الشعراء: ١٩٣-١٩٤]	٢٦	٢١٨
﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾﴾	[الشعراء:١٢٨]	٢٦	١٢٣
﴿فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُواْ نَٰدِمِينَ ﴿١٥٧﴾﴾	[الشعراء:١٥٧]	٢٦	١٦٥
﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾﴾	[العنكبوت:٢]	٢٩	٢٢١
﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾	[العنكبوت:١٣]	٢٩	٢٠٢
﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾	[الروم:٢١]	٣٠	٨٤
﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ﴾	[الرُّوم:٥٦]	٣٠	٩٦
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾	[الأحزاب: ٧٠-٧١]	٣٣	٦
﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾	[الأحزاب:٢١]	٣٣	٢٠٢
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ﴾	[الأحزاب:٥٠]	٣٣	٨٤
﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ﴾	[الأحزاب:٥٥]	٣٣	٨٢

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرونة النهائية) ٠٠:٤
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tatlani

الآيـــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن نُّؤۡمِنَ بِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَلَا بِٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ ﴾	[سبأ:٣١]	٣٤	٧٥
﴿ وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥ ﴾	[سبأ:٣٩]	٣٤	١٧٥
﴿ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفۡسِهِۦ ﴾	[فاطر:١٨]	٣٥	١٦١
﴿ أَذَٰلِكَ خَيۡرٞ نُّزُلًا أَمۡ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلۡنَٰهَا فِتۡنَةٗ لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٞ تَخۡرُجُ فِيٓ أَصۡلِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلۡعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمۡ لَأٓكِلُونَ مِنۡهَا فَمَالِـُٔونَ مِنۡهَا ٱلۡبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾	[الصَّافات: ٦٢-٦٦]	٣٧	١٠٤
﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾	[الصَّافات:٩٦]	٣٧	٨٠
﴿ وَجَعَلُواْ بَيۡنَهُۥ وَبَيۡنَ ٱلۡجِنَّةِ نَسَبٗا ﴾	[الصَّافات:١٥٨]	٣٧	٣٠١
﴿ قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي ﴿١٤﴾ ﴾	[الزمر:١٤]	٣٩	٢٢٦
﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾	[الزمر:٢٢]	٣٩	١٩٩
﴿ إِنَّكَ مَيِّتٞ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾	[الزُّمر:٣٠]	٣٩	١٣٨
﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾	[الزمر:٦٨]	٣٩	٢٢٨
﴿ وَقَالَ رَجُلٞ مُّؤۡمِنٞ مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَكۡتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقۡتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ ﴾	[غافر:٢٨]	٤٠	٩٧
﴿ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴾	[غافر:٤٣]	٤٠	١٣٢
﴿ فَأَمَّا عَادٞ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَقَالُواْ مَنۡ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةًۖ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَهُمۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ﴿١٥﴾ ﴾	[فصّلت:١٥]	٤١	١٢٤
﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾	[الشُّورى:١١]	٤٢	٢٩٣
﴿ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَا ﴾	[الشورى:٥٢]	٤٢	١٩١، ١٩٢

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٠:٤ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tatlani

الآيـــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾﴾	[الدخان:٣-٤]	٤٤	٢١٥
﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾﴾	[الدخان:٤]	٤٤	٢١٥
﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾﴾	[الدُخان:٤٣]	٤٤	١٠٣
﴿طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾﴾	[الدُخان:٤٤]	٤٤	١٠٣
﴿۞ وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾﴾	[الأحقاف:٢١]	٤٦	١٢٤
﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾	[الفتح:٢]	٤٨	٩٠، ٢٠١، ٢٠٢
﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾	[الفتح:٢٧]	٤٨	٢٨٧
﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾﴾	[ق:٣٠]	٥٠	٩٤
﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْىْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾﴾	[الذاريات:٤٧]	٥١	١٥٥
﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾	[الذاريات:٥٦]	٥١	٣١٤
﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾﴾	[النجم:٢]	٥٣	١٩٢
﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾﴾	[القمر:١]	٥٤	٧٦
﴿يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾	[القمر:٧]	٥٤	٢٤٤
﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾﴾	[الرحمن:٣١]	٥٥	٢٢٨
﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾﴾	[الرحمن:٤١]	٥٥	٢٠٨، ٢٠٩
﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾	[التحريم:١٢]	٦٦	٢١٨
﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾﴾	[الحاقّة:٥]	٦٩	٦٨

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... السورة النهائية) ٠٤
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tatlani

الآيـــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾﴾	[الحاقّة:٣٦]	٦٩	٥٦، ١٠٤
﴿وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾﴾	[المعارج:٢١]	٧٠	٢٤٠
﴿كَلَّا إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ ﴿١٨﴾﴾	[المعارج: ١٥-١٨]	٧٠	٢٦٧
﴿تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾﴾	[المعارج:١٧]	٧٠	٢٧٣
﴿رَّبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾	[نوح:٢٨]	٧١	٧٦
﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾﴾	[الجنّ:١]	٧٢	٣١٣
﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾	[الجنّ:٦]	٧٢	٣١٣
﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾﴾	[المزمل:٦]	٧٣	١٢٠
﴿وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾﴾	[المدّثر:٣٣]	٧٤	١١٩
﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾﴾	[القيامة:٣٦]	٧٥	٢٢١
﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾﴾	[الإنسان:٣]	٧٦	٦٣
﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا ﴿٢٦﴾﴾	[المرسلات: ٢٥-٢٦]	٧٧	٢٢٩
﴿عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾﴾	[النبأ:٢]	٧٨	٨٣
﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ﴾	[النبأ:٣٨]	٧٨	٢١٨
﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾﴾	[النازعات:١٨]	٧٩	١٦١
﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ ﴿٣﴾﴾	[عبس:٣]	٨٠	١٦١
﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾﴾	[التكوير:٦]	٨١	٨٣
﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾﴾	[التكوير:١٤]	٨١	٨٦، ١٥٧، ١٥٧
﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾﴾	[التكوير:١٧]	٨١	١٢٠

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٠:٤
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tatlani

الآيـــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾﴾	[الانفطار:٥]	٨٢	١٥٧
﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾﴾	[المطففين:٦]	٨٣	٢٢٨
﴿وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾﴾	[الأعلى:٣]	٨٧	٨٤
﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾﴾	[الأعلى:١٣]	٨٧	٢٧٢
﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾	[الأعلى: ١٤-١٥]	٨٧	١٦١
﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ﴿١﴾﴾	[الغاشية:١]	٨٨	٧٧، ٩٩، ١٠١
﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ﴿٢﴾﴾	[الغاشية:٢]	٨٨	٥٩، ١٠٢
﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾﴾	[الغاشية:٣]	٨٨	٩١
﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾﴾	[الغاشية:٦]	٨٨	٥٦، ٦٤، ٧٨، ٩٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٤
﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾﴾	[الغاشية:٨]	٨٨	١٠١، ١٠٢
﴿وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾﴾	[الغاشية:١٤]	٨٨	٦٠
﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾﴾	[الغاشية:١٧]	٨٨	٥٩، ٧٧، ١٠٦
﴿وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾	[الغاشية: ١٨-٢٠]	٨٨	٥٩
﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾﴾	[الغاشية: ٢١-٢٢]	٨٨	١١٠
﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾﴾	[الغاشية:٢٢]	٨٨	١٠٩
﴿إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾﴾	[الغاشية:٢٣]	٨٨	١٠٩
﴿وَٱلْفَجْرِ ﴿١﴾﴾	[الفجر:١]	٨٩	١١٢
﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾﴾	[الفجر:٢]	٨٩	١١٥
﴿وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ﴿٣﴾﴾	[الفجر:٣]	٨٩	٦٠

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... السورة النهائية) ٠٤
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tatlani

الآيـــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ ٤﴾	[الفجر:٤]	٨٩	١١٩
﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلۡعِمَادِ ٧﴾	[الفجر:٦-٧]	٨٩	١٢٢
﴿ٱلَّتِي لَمۡ يُخۡلَقۡ مِثۡلُهَا فِي ٱلۡبِلَٰدِ ٨﴾	[الفجر:٨]	٨٩	١٢٢
﴿وَفِرۡعَوۡنَ ذِي ٱلۡأَوۡتَادِ ١٠﴾	[الفجر:١٠]	٨٩	٥٩
﴿فَأَمَّا ٱلۡإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكۡرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكۡرَمَنِ ١٥﴾	[الفجر:١٥]	٨٩	٦١، ٩٤، ١٢٦
﴿وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ ١٦﴾	[الفجر:١٦]	٨٩	٦١
﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ٢٢﴾	[الفجر:٢٢]	٨٩	٣٤
﴿وَجِاْيٓءَ يَوۡمَئِذِۭ بِجَهَنَّمَۚ يَوۡمَئِذٖ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكۡرَىٰ ٢٣﴾	[الفجر:٢٣]	٨٩	١٢٩
﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ٢٧﴾	[الفجر:٢٧]	٨٩	٦١، ١٣١
﴿ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ٢٨﴾	[الفجر:٢٨]	٨٩	١٣١
﴿فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ٢٩﴾	[الفجر:٢٩]	٨٩	١٣٢، ١٣٥
﴿وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ٣٠﴾	[الفجر:٣٠]	٨٩	١٣٢، ١٣٥
﴿وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٢﴾	[البلد:٢]	٩٠	١٣٧
﴿وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ ٣﴾	[البلد:٣]	٩٠	١٥٥، ١٧٠
﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ٤﴾	[البلد:٤]	٩٠	٨٥، ١٤١
﴿أَيَحۡسَبُ أَن لَّن يَقۡدِرَ عَلَيۡهِ أَحَدٞ ٥﴾	[البلد:٥]	٩٠	١٤٣
﴿وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ ١٠﴾	[البلد:١٠]	٩٠	٦٣
﴿فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ ١١﴾	[البلد:١١]	٩٠	١٤٥
﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ١٢﴾	[البلد:١٢]	٩٠	١٤٥
﴿فَكُّ رَقَبَةٍ ١٣﴾	[البلد:١٣]	٩٠	١٤٦، ١٧٣

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... السورة النهائية) ٠٠:٤
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tatlani

الآيـــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿أَوْ إِطْعَٰمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾﴾	[البلد:١٤]	٩٠	١٧٣
﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾﴾	[البلد:١٧]	٩٠	١٧٣
﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ﴿١﴾﴾	[الشمس:١]	٩١	٨٦، ١٤٨
﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ﴿٢﴾﴾	[الشمس:٢]	٩١	١٥١
﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ﴿٣﴾﴾	[الشمس:٣]	٩١	١٤٩
﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ﴿٤﴾﴾	[الشمس:٤]	٩١	٨١
﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ﴿٥﴾﴾	[الشمس:٥]	٩١	٨٧، ١٥٤، ١٧١، ٢٨٣
﴿وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ﴿٦﴾﴾	[الشمس:٦]	٩١	١٧١
﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾﴾	[الشمس:٧]	٩١	٨٦، ١٥٧
﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾﴾	[الشمس:٨]	٩١	٩٦
﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾﴾	[الشمس:٩]	٩١	٩٦، ١٥٩، ١٦١
﴿بِطَغْوَىٰهَآ﴾	[الشمس:١١]	٩١	٦٨
﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴿١٢﴾﴾	[الشمس:١٢]	٩١	١٦٤
﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا﴾	[الشمس:١٤]	٩١	١٦٧
﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَىٰهَا ﴿١٥﴾﴾	[الشمس:١٥]	٩١	٧٨، ١٦٧
﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾﴾	[الليل:١]	٩٢	٨٨، ١٧٧، ١٧٨
﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣﴾﴾	[الليل:٣]	٩٢	١٧٠، ١٧١
﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾﴾	[الليل:٤]	٩٢	١٧٧، ١٨٠
﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾﴾	[الليل:٥]	٩٢	١٧٤، ١٧٥، ١٧٧
﴿وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾﴾	[الليل:٦]	٩٢	١٧٣
﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾﴾	[الليل:٨]	٩٢	٩٥، ١٧٥، ١٨٠

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... السورة النهائية) ٠٠:٤ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tafasi

الآيـــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩﴾	[الليل:٩]	٩٢	١٨٠
﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾	[الليل:١٠]	٩٢	١٨٠
﴿وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ۝١١﴾	[الليل:١١]	٩٢	١٧٥
﴿لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ۝١٥﴾	[الليل:١٥]	٩٢	٣٢
﴿ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝١٦﴾	[الليل:١٦]	٩٢	٣٢
﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ۝١٧ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ۝١٨﴾	[الليل:١٧-١٨]	٩٢	١٧٥
﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ۝١٩﴾	[الليل:١٩]	٩٢	٧٩
﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢﴾	[الضحى:٢]	٩٣	٨٣، ٩٢، ١٨٢
﴿وَلَلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ۝٤﴾	[الضحى:٤]	٩٣	١٨٥
﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝٥﴾	[الضحى:٥]	٩٣	٦٦، ١٨٨
﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧﴾	[الضحى:٧]	٩٣	١٩١
﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩﴾	[الضحى:٩]	٩٣	١٩٦
﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠﴾	[الضحى:١٠]	٩٣	٦٣، ١٩٦
﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝١١﴾	[الضحى:١١]	٩٣	٩٤، ١٩٥، ١٩٦
﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١﴾	[الشرح:١]	٩٤	١٩٨
﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢﴾	[الشرح:٢]	٩٤	٩٠، ٢٠١
﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١﴾	[التين:١]	٩٥	٢٠٣
﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝٨﴾	[التين:٨]	٩٥	٦٥
﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾	[العلق:٥]	٩٦	٩٣، ٩٥
﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩﴾	[العلق:٩]	٩٦	٩٠
﴿عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝١٠﴾	[العلق:١٠]	٩٦	٩٠

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... السورة النهائية) ٠٠:٤
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tafasi

الآيـــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾﴾	[العلق:١٥]	٩٦	٢٠٨
﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ﴿١٩﴾﴾	[العلق:١٩]	٩٦	٣٦
﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾﴾	[القدر:١]	٩٧	٥٤، ٧٦، ٨٠، ٨٩، ٩٢، ٢١١، ٢١٥
﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾﴾	[القدر:٢]	٩٧	٢١٦
﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾﴾	[القدر:٣]	٩٧	٦٦، ٢١٦
﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا﴾	[القدر:٤]	٩٧	٢١٨
﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿١﴾﴾	[البينة:١]	٩٨	٢٢٠، ٢٢٣
﴿فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾﴾	[البيّنة:٣]	٩٨	٩٦
﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾﴾	[البينة:٤]	٩٨	٢٢٣
﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾	[البينة:٥]	٩٨	٣٦، ٢٢٥، ٢٢٧
﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾﴾	[الزّلزلة:٢]	٩٩	٧٧، ٢٢٨
﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾﴾	[الزلزلة:٦]	٩٩	٢٣١، ٢٣٣
﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾﴾	[الزلزلة:٧]	٩٩	٣٣
﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾﴾	[العاديات:٦]	١٠٠	٢٣٤، ٢٣٨
﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾﴾	[العاديات:٧]	١٠٠	٧٨، ٩٢، ٢٣٧
﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾﴾	[العاديات:٨]	١٠٠	٧٩، ٩٣، ٢٣٧، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤٢
﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾﴾	[القارعة:٤]	١٠١	٢٤٣
﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾﴾	[القارعة:٦]	١٠١	٩٤، ٢٤٦

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... السورة النهائية) ٠٠:٤ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tafasi

الآيـــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ ﴾	[القارعة:٧]	١٠١	٢٤٦
﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُۥ ﴿٨﴾ ﴾	[القارعة:٨]	١٠١	٢٥٤
﴿ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ ﴾	[القارعة:٩]	١٠١	٢٥٢
﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾ ﴾	[التَّكاثر:١]	١٠٢	٦٤
﴿ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ ﴾	[التكاثر:٢]	١٠٢	٨٦
﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ﴾	[التَّكاثر٣-٤]	١٠٢	٢٥٥
﴿ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ﴾	[التَّكاثر:٦]	١٠٢	٢٥٨
﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ ﴾	[التكاثر:٨]	١٠٢	٨٥، ٢٦١
﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ ﴾	[الهمزة:١]	١٠٤	٢٦٤
﴿ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ﴿٢﴾ ﴾	[الهمزة:٢]	١٠٤	٢٦٧
﴿ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ﴿٣﴾ ﴾	[الهمزة:٣]	١٠٤	٢٧٠
﴿ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ﴿٧﴾ ﴾	[الهمزة:٧]	١٠٤	٢٧٢
﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ﴾	[الماعون:٤-٥]	١٠٧	٨٠
﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾ ﴾	[الكوثر:١]	١٠٨	٦٥، ٧٠، ٩٠، ٩٥، ٢٧٥، ٢٧٦
﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴿٣﴾ ﴾	[الكوثر:٣]	١٠٨	٢٨٠
﴿ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ ﴾	[الكافرون:٢]	١٠٩	٢٨٢
﴿ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ ﴾	[الكافرون:٣]	١٠٩	٢٨٢، ٢٨٣
﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴿٦﴾ ﴾	[الكافرون:٦]	١٠٩	٢٨٣
﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾ ﴾	[النَّصر:١]	١١٠	٦٨، ٩١، ٢٨٥، ٢٨٧
﴿ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ ﴾	[النصر:٢]	١١٠	٢٨٧
﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ﴾	[الإخلاص:١]	١١٢	٢٨٩، ٢٩٢، ٢٩٧

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المورة النهائية) ٠٠:٤ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tatlani

الآيـــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ ﴾	[الإخلاص:٢]	١١٢	٢٩٥
﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ ﴾	[الإخلاص:٣]	١١٢	٣٢، ٨٨
﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾	[الإخلاص:٤]	١١٢	٢٩٣، ٢٩٣، ٣٠٠
﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ ﴾	[الفلق:٣]	١١٣	٥٤، ٣٠٣، ٣٠٥
﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ ﴾	[الفلق:٤]	١١٣	٨١، ٣٠٨
﴿ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ ﴾	[الناس:٥]	١١٤	٣١١، ٣١٤
﴿ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴾	[الناس:٦]	١١٤	٣١١، ٣١٤

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرونة النهائية) ٠٠:٠٤ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tafasi

فهرس القراءات القرآنية

م	القـــــــــراءة	الصفحة
١	قرئ الوتر بفتح الواو وكسرها وهما لغتان	٦٠
٢	قراءة أبي بن كعب: (يا أيتها النفس الآمنة المطمئنة ارجعي إلى ربك راضيةً مرضية)	٦١
٣	قراءة ابن الزبير: (بعادِ إرم) على الإضافة، من غير تنوين (عادِ)	١٢٢
٤	قراءة ابن الزبير (التي لم يخلق مثلها في البلاد) أي لم يخلق الله مثلها	١٢٣
٥	قراءة أبي بن كعب ﷺ: (التي لم يخلق مثلهم في البلاد)	١٢٤
٦	قراءة عامة قراء الحجاز والشام بالفاء (فلا يخاف عقباها)	١٦٨

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرونة النهائية) ٠٠:٠٤
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tafasi

فهرس الأحاديث

م	الحديـــــــــث	الصفحة
١	أتدرون ما الكوثر؟ هو نهر أعطانيه الله، وهو الحوض آنيته عدد نجوم السماء	٦٥، ٩٠، ٢٧٥
٢	أتعجبون من دقة ساقيه؟ والذي نفسي بيده لهما في الميزان أثقل من أحد	٢٤٧
٣	الأحاديث الواردة في شق صدره ﷺ	٢٠٠
٤	إذا حضر المؤمن أتته ملائكة الرحمة بحريرة بيضاء	١٣٢
٥	إذا لا أرضى أن يبق واحدٌ من أمتي في النار	٦٦
٦	اضطجع رسول الله ﷺ على حصيره فأثر في جنبه	١٨٥
٧	أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله	١١٠
٨	أن أبي بن كعب قال: إن المشركين قالوا لرسول الله ﷺ: انسب لنا ربك. فأنزل الله (قل هو الله أحد)	٢٩٧
٩	أن الذي سحر رسول الله ﷺ هو لبيد بن الأعصم اليهودي	٣١٠
١٠	أن الشفع يوم النحر، والوتر يوم عرفة	٦٠
١١	أن الليل يوافق نزول الرب جل وعلا نزولاً يليق بجلاله، فيقول: من يسألني فأعطيه؟ من يدعوني فأستجيب له؟ من يستغفرني فأغفر له؟	١٢٠
١٢	أن النبي ﷺ قرأ: والذكر والأنثى	١٧٠
١٣	أن رسول الله ﷺ رآها في ليلة إحدى وعشرين	٢١٤
١٤	أن رسول الله ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان	٢١٢
١٥	أن رسول الله ﷺ يفتح اليمن فيأتي قوم يبسون فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون	٢٨٦

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... الصورة النهائية) ٠٠:٤ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tafani

م	الحديـــــــــث	الصفحة
١٦	أن رسول الله ﷺ كان إذا دخل العشر أحيا الليل، وأيقظ أهله، وجد وشد المئزر	١١٦
١٧	أن قريشاً سألته آية، فأراهم انشقاق القمر، فقال عليه الصلاة والسلام : (اشهدوا)	٧٦
١٨	إن مكة حرمها الله، ولم يحرمها الناس، فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الأخر أن يسفك بها دما	١٣٨
١٩	إن هذا البلد حرام، حرمه الله يوم خلق السموات والأرض، لم يحل لأحد قبلي، ولا يحل لأحد بعدي، وإنما أحل لي ساعة من نهار	١٣٧
٢٠	انبعث لها رجل عزيز عارم منيع في رهطه مثل أبي زمعة	١٦٤
٢١	أنزلت عليَّ آنفا سورة، فقرأ: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (إنا أعطيانك الكوثر) ثم قال: أتدرون ما الكوثر؟	٢٧٦
٢٢	أنه عليه الصلاة والسلام كان يقدم ضعفة أهله في هذه الليلة	١٢٠
٢٣	أنه تعالى يقول: (أنا أغنى الأغنياء عن الشرك فمن عمل عملا أشرك فيه غيري تركته وشركه)	٢٢٥
٢٤	أنه رآها في ليلة إحدى وعشرين	٢١٢
٢٥	أنها الصلوات شفع ووتر	٦٠
٢٦	أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة؟ فشق ذلك عليهم وقالوا: أينا يطيق ذلك يا رسول الله؟ فقال: الله الصمد ثلث القرآن	٢٨٩
٢٧	أيما مسلم أعتق رجلا مسلما فإن الله جاعل وفاء كل عظم من عظامه عظما من عظام محرره من النار	١٤٦
٢٨	بعنيها بنخلة في الجنة، فأبى، فخرج فلقيه أبو الدحداح فقال له: هل لك أن تبيعها؟ فقال: هي لك	١٧٨
٢٩	بلى وأنا على ذلك من الشاهدين	٦٥
٣٠	بيت يكفيك، وخرقة تواريك، وكسرة تشد قلبك، وما سوى ذلك فهو نعيم	٢٦١

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٤:٠٠ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tafasi

م	الحديـــــــــث	الصفحة
٣١	التحدث بالنعم شكر	١٩٥
٣٢	تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان	٢١١
٣٣	تقيء الأرض أفلاذ أكبادها أمثال الأسطوان من الذهب والفضة	٢٢٩
٣٤	التمسوها في العشر الأواخر من رمضان	٢١٤
٣٥	ثم مررت على نساء ورجال معلقين بثديهن فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: الهمازون والهمازات	٢٦٥
٣٦	جزأ النبي ﷺ القرآن ثلاثة أجزاء	٢٩٠
٣٧	حديث البطاقة في الرجل الذي يؤتى به ويوضع له في كفة تسعة وتسعون سجلاً، كل سجل مثل مد البصر، ثم يؤتى بتلك البطاقة فيها (لا إله إلا الله)	٢٤٧
٣٨	الرياء الشرك الأصغر	٢٢٥
٣٩	شيء يكون في النار شبه الشوك، أمر من الصبر، وأنتن من الجيفة	١٠٤
٤٠	صلاة الأوابين حين ترمض الفصال	١٥٠
٤١	الضريع شوك في النار	٦٤، ٧٨
٤٢	قصة القرآن، وأنه يأتي صاحبه في صورة شاب شاحب اللون، فيقول: من أنت؟ فيقول: أنا القرآن الذي أسهرت ليلك وأظمأت نهارك	٢٤٧
٤٣	قول رسول الله ﷺ من أن البقرة وآل عمران يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان، أو فرقان من طير صواف	٢٤٧
٤٤	كان رسول الله ﷺ يكثر من قول: سبحان الله وبحمده واستغفره وأتوب إليه	٢٨٦
٤٥	لا أرضى أن يبقى واحد من أمتي في النار	١٨٨
٤٦	لا أم لك. فقال يا رسول الله! تدعوني إلى الهدى، وتقول: لا أم لك! فقال رسول الله ﷺ: إنما أردت لا نار لك	٢٥٢
٤٧	اللهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها	١٦٢

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المورة النهائية) ٠٠:٤ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tatawi

م	الحديـــــــــث	الصفحة
٤٨	اللهم فقه في الدين وعلم التأويل	٩١
٤٩	لو قلت إن فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذه، لأن فاكهة الجنة بلا عجم فكلوه فإنه يقطع البواسير وينفع من النقرس	٢٠٣
٥٠	ما لي وللدنيا، إنما مثلي ومثل لدنيا كراكب ظل تحت شجرة ثم راح وتركها	١٨٦
٥١	ما من أيام العمل الصالح أحب إلى الله فيهن من هذه الأيام -يعني عشر ذي الحجة-	١١٦
٥٢	ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقًا خلفًا، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكًا تلفًا	١٧٤
٥٣	ما وضع في الميزان شيء أثقل من حسن الخلق	٢٥٠
٥٤	من أعتق رقبة مؤمنة فهي فداؤه من النار	١٤٦
٥٥	من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه	٦٦
٥٦	النجم هو الغاسق	٣٠٣
٥٧	النجم: الغاسق	٣٠٦
٥٨	نزلت وأبو بكر جالس، فقال: يا رسول الله! ما أحسن هذا! فقال ﷺ: أما إنه سيقال لك هذا	١٣٢
٥٩	نعم السواك الزيتون فإنه من الشجرة المباركة هي سواكي وسواك الأنبياء من قبلي	٢٠٣
٦٠	هذا والذي نفسي بيده من النعيم الذي تسألون عنه يوم القيامة	٢٦٢
٦١	والفجرُ وليال عشر، قال: عشر الأضحى	١١٦، ١١٧
٦٢	يؤتى يوم القيامة بالرجل العظيم السمين فلا يزن عند الله جناح بعوضة	٢٤٩
٦٣	يا أبا بكرٍ إن الملك سيقولها لك عند موتك	٦١، ١٣١

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٤:٠٠ ١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tatawi

م	الحديـــــــــث	الصفحة
٦٤	يا أبا ذر، هل صليت؟ قلت: لا، قال: قم فصل، فقمت فصليت ثم جلست، فقال: يا أبا ذر تعوذ بالله من شر شياطين الإنس والجن، قال: فقلت يا رسول الله:و للإنس شياطين قال: نعم	٣١٢
٦٥	يا عائشة استعيذي بالله من شر هذا فإنه الغاسق إذا وقب	٣٠٣، ٣٠٥
٦٦	يقول ابن آدم: مالي، مالي، وليس لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت	٦٥

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرونة النهائية) ٠٠:٤
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tatlani

فهرس الآثار

م	الأثـــــــر	الصفحة
١	رضاه أن الله وعده بألف قصر في الجنة بما يحتاج إليه من النعم والخدم (ابن عباس)	٦٦
٢	معناه: كذبت ثمود بعذابها (ابن عباس)	٦٨
٣	هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه الله بقربه وإذا رأى النصر والفتح (ابن عباس)	٦٨
٤	أنه الخير الكثير الذي أعطاه الله في الدنيا والآخرة (ابن عباس)	٧٠
٥	انشق القمر فرأيته فرقتين، فرقة وراء الجبل وأخرى دونه (ابن مسعود)	٧٦
٦	إن النصر صلح الحديبية، والفتح فتح مكة (ابن عباس)	٩١
٧	أن المراد بـ (هل) توقيف يراد به التنبيه والتفخيم للأمر (ابن عباس)	٩٩
٨	الغاشية هي النار تغشى وجوه الكفار (سعيد بن جبير، ومقاتل، ومحمد بن كعب)	١٠٢
٩	وافق ابن جزي في اختياره المروي عن ابن عباس رضي الله عنهما وعكرمة ومجاهد وقتادة	١٠٣
١٠	وافق ابن جزي في اختياره هذا قتادة ومقاتل وشريح القاضي	١٠٦
١١	وافق ابن جزي في اختياره هذا المروي عن ابن عباس	١٠٩
١٢	وافق ابن جزي في اختياره هذا المروي عن علي وابن الزبير وابن عباس وعكرمة	١١٢
١٣	المراد به صلاة الفجر (ابن عباس)	١١٣
١٤	هو فجر يوم النحر (مجاهد، ومحمد بن كعب القرظي)	١١٣
١٥	هو فجر المحرم (ابن عباس)	١١٣

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... الصورة النهائية) ٠٠:٤ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tafani

م	الأثـــــــــر	الصفحة
١٦	وافق ابن جزي في اختياره هذا المروي عن ابن عباس، وعبد الله بن الزبير، ومسروق، وعكرمة، ومجاهد، والضحاك	١١٥
١٧	هذا القول مروي عن الضحاك	١١٦
١٨	هو قول ابن عباس، وابن الزبير	١١٧
١٩	وافق ابن جزي في اختياره هذا المروي عن عبد الله بن الزبير وابن عباس ومجاهد وأبو العالية وقتادة ومحمد بن زيد	١١٩
٢٠	اختار هذا القول عكرمة والكلبي ومحمد بن كعب	١٢٠
٢١	وافق ابن جزي في اختياره هذا سعيد بن المسيب وعكرمة ومحمد بن كعب القرظي	١٢٢
٢٢	وافق ابن جزي في اختياره هذا الحسن، وقتادة، ومجاهد	١٢٦
٢٣	وافق ابن جزي في اختياره هذا الحسن البصري، وأبو صالح، والواحدي	١٣١
٢٤	اختاره ابن عباس ﷺ، والضحاك، وعكرمة	١٣٢
٢٥	وافق ابن جزي في ترجيحه هذا المروي عن ابن عباس ﷺ، والضحاك، وعكرمة، والكلبي، وقتادة	١٣٥
٢٦	وافق ابن جزي في اختياره هذا المروي عن ابن عباس ﷺ، ومجاهد، وقتادة، وابن زيد، وعطاء، والضحاك	١٣٨
٢٧	وافق ابن جزي في اختياره هذا المروي عن ابن عباس، والحسن، وقتادة، وعكرمة، ومجاهد	١٤١
٢٨	إن المراد بـ (كبد) أي: خلقناه منتصبا معتدل القامة (**ابن عباس، وعكرمة، وأبو صالح، والضحاك**)	١٤٢
٢٩	هذا القول هو المروي عن ابن عمر، والحسن، وقتادة، وكعب	١٤٦
٣٠	وافق ابن جزي في اختياره هذا مجاهد، والكلبي	١٤٨
٣١	أن المراد بها هو (حرها) (**السدي، ومقاتل**)	١٤٩
٣٢	وافق ابن جزي في اختياره هذا عطاء والواحدي والبغوي والنسفي	١٥١

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... الصورة النهائية) ٠٠:٤ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tafasi

م	الأثـــــــــر	الصفحة
٣٣	هذا القول مروي عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن زيد	١٥٢
٣٤	وافق ابن جزي في اختياره هذا مجاهد	١٥٤
٣٥	أن (ما) مصدرية (قتادة)	١٥٥
٣٦	وافق ابن جزي في اختياره هذا عطاء	١٥٧
٣٧	وافق ابن جزي في اختياره هذا قتادة	١٥٩
٣٨	وافق ابن جزي في اختياره هذا قتادة ومجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة	١٦١
٣٩	أن ضمير الفاعل يعود على الله تعالى (ابن عباس، وابن زيد)	١٦٢
٤٠	وافق ابن جزي في ترجيحه هذا المروي عن ابن عباس، ومجاهد، وبكر بن عبدالله المزني، والحسن، وقتادة	١٦٧
٤١	وافق ابن جزي في اختياره هذا المروي عن ابن عباس والضحاك	١٧٣
٤٢	معناه الخلف على المنفق من الله تعالى (ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة)	١٧٤
٤٣	المراد به: موعود الله (قتادة، ومقاتل)	١٧٥
٤٤	وافق ابن جزي في اختياره هذا المروي عن ابن مسعود ﷺ وعامر بن عبد الله بن الزبير	١٧٧
٤٥	إن أبا بكر الصديق ﷺ اشترى بلالاً ﷺ من أمية بن خلف وأبي بن خلف ببردة وعشر أواق فأعتقه لله (ابن مسعود)	١٧٧
٤٦	إنها نزلت في أبي الدحداح ﷺ (السدي، وعطاء)	١٧٨
٤٧	وافق ابن جزي في اختياره هذا المروي عن ابن مسعود ﷺ	١٨٠
٤٨	أنها نزلت في الرجل الأنصاري جار أبي الدحداح ﷺ (السدي، وعطاء)	١٨١
٤٩	وافق ابن جزي في اختياره هذا مجاهد وقتادة وابن زيد	١٨٢
٥٠	المراد به: إذا أقبل (ابن عباس، والحسن)	١٨٣
٥١	قيل: إذا ذهب (ابن عباس)	١٨٣

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... السورة النهائية) ٠٠:٤ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tatlani

م	الأثـــــــــر	الصفحة
٥٢	رضاه أن الله وعده بألف قصر في الجنة بما يحتاج إليه من النعم والخدم (ابن عباس)	١٨٨
٥٣	أن المراد بالإعطاء المذكور في الآية هو الإعطاء في الآخرة (ابن عباس، وعلي، وقتادة، والحسن)	١٨٩
٥٤	وافق ابن جزي في اختياره هذا الحسن والضحاك	١٩٢
٥٥	المراد به: أنه ضل وهو صغير في شعاب مكة فرده الله إلى جده عبد المطلب (ابن عباس)	١٩٣
٥٦	أنه لما خرج مع ميسرة غلام خديجة أخذ إبليس بزمام ناقته فعدل به عن الطريق فجاء جبريل فنفخ إبليس نفخةً وقع منها إلى الحبشة ورده إلى القافلة فمن الله عليه بذلك (سعيد بن المسيب)	١٩٣
٥٧	أن المعنى وجدك في قوم ضلال فهداك للتوحيد والنبوة (ابن المسيب)	١٩٣
٥٨	وافق ابن جزي في اختياره هذا مقاتل	١٩٥
٥٩	المراد بـ(النعمة) هنا نعمة القرآن والنبوة (مجاهد، والكلبي)	١٩٦
٦٠	وافق ابن جزي في اختياره هذا ابن عباس والحسن	١٩٨
٦١	وافق ابن جزي في اختياره هذا مجاهد والضحاك والحسن وقتادة وابن زيد	٢٠١
٦٢	وافق ابن جزي في اختياره هذا المروي عن ابن عباس وكعب وقتادة وابن زيد	٢٠٤
٦٣	أنها ليلة سبع وعشرين (أبي كعب، وابن عباس)	٢١١
٦٤	أن أرجاها هي ليلة سبع وعشرين (أبي ابن أبي كعب)	٢١٢
٦٥	أنه كان يحلف ولا يستثني من أنها ليلة سبع وعشرين (أبي بن كعب، وابن عباس)	٢١٣
٦٦	كان عمر وحذيفة وناس من أصحاب رسول الله لا يشكون أنها ليلة سبع وعشرين (زر بن حبيش)	٢١٣

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... العمورة النهائية) ٠٠:٤ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tatlani

م	الأثـــــــــر	الصفحة
٦٧	إن من عدد كلمات السورة وافق كلمة (هي) سابع كلمة بعد العشرين (ابن عباس)	٢١٣
٦٨	وافق ابن جزي في اختياره هذا المروي عن ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد والحسن	٢١٥
٦٩	المراد بـ(الروح) صنف من الملائكة لا يرون إلا تلك الليلة وهم أشرف الملائكة وأقربهم إلى الله (مقاتل ابن حيان)	٢١٨
٧٠	اختار هذا القول مجاهد وقتادة	٢٢١
٧١	وافق ابن جزي في اختياره هذا المروي عن ابن عباس	٢٢٥
٧٢	وافق ابن جزي في اختياره هذا المروي عن ابن عباس ومجاهد	٢٢٨
٧٣	وافق ابن جزي في اختياره المروي عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن زيد	٢٣٤
٧٤	هو الكفور الذي يعد المصائب (الحسن)	٢٣٥
٧٥	وافق ابن جزي في اختياره هذا مجاهد والحسن ومحمد بن كعب القرظي	٢٣٧
٧٦	إن الضمير عائد على الله تعالى، والمعنى: إن العبد لربه لكفور، والله شهيد على ذلك (قتادة، وسفيان)	٢٣٧
٧٧	وافق ابن جزي في اختياره هذا ابن زيد	٢٤٠
٧٨	سمى الله المال خيرا وعسى أن يكون شرا، ولكن الناس يجدونه خيرا فسماه خيرًا (ابن زيد)	٢٤٠
٧٩	(الخير) حيث وقع في القرآن فهو المال (عكرمة)	٢٤١
٨٠	هذا شبه شبهه الله (ابن زيد)	٢٤٥
٨١	هو الطير الذي يتساقط في النار والسراج (قتادة)	٢٤٥
٨٢	وافق ابن جزي في اختياره هذا المروي عن ابن عباس والسدي	٢٤٦
٨٣	إن المراد بالميزان في الآخرة هو العدل والقضاء (مجاهد، والضحاك، والأعمش)	٢٤٨

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... السورة النهائية) ٠٤٠
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tafasi

م	الأثـــــــــر	الصفحة
٨٤	وافق ابن جزي في اختياره هذا مجاهدا، والحسن البصري، ومقاتل	٢٥٥
٨٥	أن الخطاب الأول للكافر على وجه الوعيد، والخطاب الثاني للمؤمنين على وجه الوعد (الضحاك)	٢٥٦
٨٦	إن الخطاب في أهل الشرك والكفر (ابن عباس، وابن جرير)	٢٥٨
٨٧	وافق ابن جزي في اختياره هذا مجاهدا، والحسن، وقتادة	٢٦١
٨٨	المراد بالنعيم الأمن والصحة (ابن مسعود)	٢٦٢
٨٩	هو الإدراك بحواس السمع والبصر (ابن عباس)	٢٦٢
٩٠	الطعام والشراب (سعيد بن جبير)	٢٦٢
٩١	وافق ابن جزي في اختياره هذا المروي عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وأبي العالية	٢٦٤
٩٢	هي عامة في حق كل من كانت هذه صفته (مجاهد)	٢٦٥
٩٣	ما زلنا نسمع أن سورة الهمزة نزلت في أمية بن خلف (مجاهد)	٢٦٥
٩٤	أنها نزلت في الوليد بن المغيرة (مقاتل)	٢٦٥
٩٥	وافق ابن جزي في اختياره هذا محمد بن كعب القرظي والسدي	٢٦٧
٩٦	وافق ابن جزي في اختياره هذا عكرمة والسدي	٢٧٠
٩٧	وافق ابن جزي في اختياره هذا محمد بن كعب	٢٧٢
٩٨	وافق ابن جزي في اختياره هذا المروي عن أنس، وابن عمر، وعائشة، وابن عباس، ومجاهد، وأبي العالية	٢٧٦
٩٩	أن المراد بالكوثر: هو الخير الكثير الذي أعطى الله لنبيه ﷺ (ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، وسعيد بن جبير)	٢٧٧
١٠٠	قلت لسعيد: إن ناسا يزعمون أنه نهر في الجنة، فقال سعيد: النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله إياه (أبو بشر)	٢٧٧
١٠١	أن الكوثر النبوة (عكرمة)	٢٧٨

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... السورة النهائية) ٠٠:٠٤ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tafasi

م	الأثـــــــــر	الصفحة
١٠٢	الكوثر القرآن (**الحسن**)	٢٧٨
١٠٣	وافق ابن جزي في اختياره هذا المروي عن ابن عباس ﷺ، وسعيد بن جبير، والحسن، وقتادة	٢٨٠
١٠٤	أنها نزلت في جماعة من قريش (**عكرمة، والرازي**)	٢٨٠
١٠٥	إنها نزلت في عقبة بن أبي معيط (**شمر بن عطية**)	٢٨٠
١٠٦	إن النصر صلح الحديبية، والفتح فتح مكة (**ابن عباس**)	٢٨٥
١٠٧	إن الفتح هنا هو فتح مكة (**ابن عباس، ومجاهد، والحسن**)	٢٨٦
١٠٨	لما كان الفتح بادر قوم بإسلامهم إلى رسول الله ﷺ (**عمرو بن سلمة**)	٢٨٧
١٠٩	قيل: (الصمد) الذي لا جوف له (**بريدة الأسلمي وابن مسعود وابن عباس ﷺ ومجاهد**)	٢٩٦
١١٠	أن المراد بـ(الصمد) هو السيد الذي يصمد إليه عند الحوائج وانتهى إليه سؤدده (**ابن مسعود، وابن عباس، وشقيق أبي وائل**)	٢٩٩
١١١	وافق ابن جزي في اختياره هذا المروي عن ابن عباس وأبي العالية	٣٠٠
١١٢	أن المراد بالكفؤ أن يكون من الكفاءة في النكاح فيكون نفيًا للصاحبة (**مجاهد**)	٣٠١
١١٣	وافق ابن جزي في اختياره هذا المروي عن ابن عباس ومجاهد ومحمد بن كعب القرظي ومجاهد	٣٠٤
١١٤	المراد به الكوكب وهو الثريا (**أبو هريرة ومحمد بن زيد**)	٣٠٥
١١٥	كانت العرب تقول: الغاسق: سقوط الثريا، وكانت الأسقام والطواعين تكثر عند وقوعها وترتفع عن طلوعها (**محمد بن زيد**)	٣٠٥
١١٦	أن المراد من (النفاثات) الأنفس السواحر (**ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، والحسن البصري، وقتادة، وطاووس**)	٣٠٩
١١٧	جواز إطلاق لفظ (الناس) على الجن (**ابن مسعود**)	٣١٣
١١٨	كان ناس من الإنس يعبدون ناسًا من الجن (**ابن مسعود**)	٣١٣

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... السورة النهائية) ٠٤:٠٠ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tafasi

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... الصورة النهائية) ٠٠٤
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tatlani

فهرس تراجم الأعلام

م	اسم العلـــــــــم	الصفحة
١	إبراهيم بن السري الزجاج	١٤٨
٢	إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط البقاعي	١٨٦
٣	أحمد بن شعيب بن علي النسائي	٣٠٣
٤	أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام الحراني (ابن تيمية)	٢٩٢
٥	أحمد بن علي بن محمد العسقلاني (ابن حجر)	٣١
٦	أحمد بن فارس بن زكريا الرازي	٧٣
٧	أحمد بن محمد الأصبهاني (ابن مردويه)	١٠٤
٨	أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال الشيباني	٢١٣
٩	أحمد بن يحيى بن يزيد بن سيار الشيباني (ثعلب)	١٩٣
١٠	إسماعيل بن عبدالرحمن السدي	٢٤٦
١١	إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ابن كثير)	١٣٢
١٢	أمية بن خلف بن وهب	١٢٩
١٣	أنس بن مالك بن النضر الخزرجي الأنصاري	٢٧٦
١٤	باذام، ويقال: باذان مولى أم هانئ (أبو صالح)	١٣١
١٥	بريدة بن الحصيب الأسلمي	٢٩٦
١٦	بكر بن عبدالله بن عمرو المزني	١٦٧
١٧	بلال بن رباح الحبشي	٧٩
١٨	جابر بن عبدالله بن عمرو الخزرجي الأنصاري	١١٠
١٩	جعفر محمد بن جرير الطبري (ابن جرير)	٩٩
٢٠	جندب بن جنادة الغفاري (أبو ذر)	٣١٢

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المقدمة النهائية) ٠٠:٠٤ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tafani

م	اسم العلـــــــــــم	الصفحة
٢١	الحسن بن أبي الحسن يسار البصري	١٣١
٢٢	الحسين بن مسعود بن الفراء البغوي	١٠٩
٢٣	حليمة بنت أبي ذؤيب عبدالله بن الحارث السعدية	١٩١
٢٤	حمزة بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف	١٣٥
٢٥	خبيب بن عدي بن عامر بن مجدلة الأنصاري	١٣٥
٢٦	رفيع بن مهران الرياحي (أبو العالية)	١١٩
٢٧	زر بن حبيش الأسدي	٢١٣
٢٨	زياد بن معاوية الذبياني (نابغة بني ذبيان)	٣٠٠
٢٩	سعيد بن المسيب بن حزن المخزومي	١٢٢
٣٠	سعيد بن جبير الأسدي الكوفي	٩٥
٣١	سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري	٢٣٨
٣٢	سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الطبراني	٢٩٨
٣٣	سليمان بن مهران الأسدي (الأعمش)	٢٤٨
٣٤	شرحبيل بن سعد مولى بني خطمة	١٣٩
٣٥	شريح بن الحارث بن قيس الكندي	١٠٦
٣٦	شقيق بن سلمة الأسدي الكوفي (أبووائل)	٢٩٩
٣٧	شمر بن عطية بن عبدالرحمن الأسدي الكاهلي	٢٨٠
٣٨	الضحاك بن مزاحم الهلالي	١١٦
٣٩	طاووس بن كيسان اليماني الحميري	٣٠٩
٤٠	عائشة بنت أبي بكر الصديق	٦٨
٤١	عامر بن شرحبيل الشعبي	٢٦٢
٤٢	عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد الخضيري السيوطي	٢١٦

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٠:٤ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tafani

م	اسم العلـــــــــم	الصفحة
٤٣	عبدالرحمن بن أبي حاتم محمد التميمي (ابن أبي حاتم)	١٣٢
٤٤	عبدالرحمن بن زيد بن أسلم العمري المدني (ابن زيد)	١٥٢
٤٥	عبدالرحمن بن صخر الدوسي (أبو هريرة)	٢٦٥
٤٦	عبدالرحمن بن عبدالله بن أحمد الخثعمي (أبو زيد السهيلي)	٨٠
٤٧	عبدالرحمن بن علي القرشي (ابن الجوزي)	١٠٩
٤٨	عبدالرحمن بن محمد مخلوف الثعالبي	١٠٧
٤٩	عبدالرحمن بن ناصر آل سعدي (السعدي)	١٣٢
٥٠	عبدالرحيم بن أبي القاسم عبدالكريم القشيري	٢١٩
٥١	عبدالله بن أبي نجيح يسار المكي الثقفي (أبونجيح)	١٤٦
٥٢	عبدالله بن أحمد بن محمود النسفي	١١٢
٥٣	عبدالله بن الزبير بن العوام القرشي (ابن الزبير)	١١٢
٥٤	عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب الهاشمي	٦٦
٥٥	عبدالله بن عمر بن الخطاب القرشي (ابن عمر)	٢٧٦
٥٦	عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي (البيضاوي)	١١٠
٥٧	عبدالله بن محمد بن أبي شيبة إبراهيم الواسطي (ابن أبي شيبة)	٢١٣
٥٨	عبدالله بن مسعود بن غافل الهذلي	٦٨
٥٩	عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ابن قتيبة)	١٤٩
٦٠	عتبة بن ربيعة بن عبد شمس القرشي	٩٤
٦١	عطاء بن أبي رباح أسلم القرشي	١٣٨
٦٢	عقبة بن عامر بن عبس الجهني	١٤٦
٦٣	عكرمة بن عبدالله البربري المدني	١٠٣
٦٤	علي بن أحمد الواحدي	١٠١

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٠٤
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tafasi

م	اسم العلـــــــــم	الصفحة
٦٥	عويمر بن زيد بن قيس الأنصاري (أبوالدرداء)	٢٩٠
٦٦	قتادة بن يزيد بن دعامة السدوسي	١٥٥
٦٧	كعب بن مانع الحميري (كعب الأحبار)	١٤٦
٦٨	لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر العامري	١٤١
٦٩	مالك بن أنس الأصبحي	٣٥
٧٠	مجاهد بن جبر بن السائب المخزومي	١٠٣
٧١	محمد الطاهر ابن عاشور (ابن عاشور)	١٤٢
٧٢	محمد بن أبي بكر بن أيوب الدمشقي (ابن القيم)	١٠٥
٧٣	محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري القرطبي	١٢٩
٧٤	محمد بن إسحاق	١٢٣
٧٥	محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري	١٦٧
٧٦	محمد بن السائب بن بشر الكلبي	١٢٠
٧٧	محمد بن القاسم بن بشار الأنباري (ابن الانباري)	٢٩٦
٧٨	محمد بن المستنير أبو علي البعدي (قطرب)	١٠٠
٧٩	محمد بن زيد الواسطي	٣٠٥
٨٠	محمد بن صالح بن سليمان التميمي (ابن عثيمين)	١٢٦
٨١	محمد بن عبدالله الحسيني الألوسي	١٤٥
٨٢	محمد بن عبدالله بن عيسى المري (ابن أبي زمنين)	١٥٤
٨٣	محمد بن عبدالله بن محمد المغافري الإشبيلي (ابن العربي)	١٢٢
٨٤	محمد بن علي بن الحسن الترمذي	١٩٤
٨٥	محمد بن علي بن محمد الشوكاني	١٠٢
٨٦	محمد بن عمر الحسن التميمي (الرازي)	١١٠

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المصورة النهائية) ٠٠٤
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tafasi

م	اسم العلـــــــــــم	الصفحة
٨٧	محمد بن كعب القرظي	١٢٠
٨٨	محمد بن محمد الزمخشري	١٠٨
٨٩	محمد بن محمد بن مصطفى العمادي (أبو السعود)	١٤٨
٩٠	محمد بن مسلم بن عبدالله بن شهاب الزهري	٢١٦
٩١	محمد بن يزيد الثمالي الأزدي (المبرد)	١٥٥
٩٢	محمد بن يوسف بن علي الغرناطي الأندلسي (أبوحيان)	١١٦
٩٣	مسروق بن الأجدع بن مالك الوادعي	١١٥
٩٤	مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري	٨٩
٩٥	مسلم بن صبيح الهمداني الكوفي (أبو الضحى)	١٩٣
٩٦	معمر بن المثنى البصري (أبو عبيدة)	٢٤٣
٩٧	مقاتل بن حيان النبطي البلخي	١٠٦
٩٨	مقاتل بن سليمان الأزدي الخرساني	١٢٣
٩٩	منصور بن محمد بن عبدالجبار السمعاني	١٠٩
١٠٠	ميمون بن قيس بن جندل (أعشى بن ثعلبة)	١٨٣
١٠١	نصر بن محمد بن أحمد السمرقندي	١٦٤
١٠٢	الوليد بن المغيرة بن عبدالله بن عمرو بن مخزوم	١٤٣
١٠٣	يحيى بن زياد بن عبدالله الديلمي (الفراء)	١٤٩

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٠:٠٤
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tafasi

فهرس الأماكن والبلدان

م	اسم المكان أو البلد	الصفحة
١	الأحقاف	١٢٤
٢	أراجون	٢٤
٣	الإسكندرية	١٢٤
٤	إشبيلية	٢٤
٥	الأندلس	٢٢
٦	إيلياء	٢٠٤
٧	بلنسية	٢٤
٨	جبي باران	٢٠٤
٩	جيان	٢٤
١٠	دمشق	١٢٤، ٢٠٣
١١	الشام	٢٨٥
١٢	طريف	٢٣
١٣	طور سيناء	٢٠٤
١٤	العراق	٢٨٥
١٥	عرفات	١٢٠
١٦	غرناطة	٢٢
١٧	قرطبة	٢٤
١٨	قشتالة	٢٤
١٩	مرسية	٢٤
٢٠	المزدلفة	١٢٠

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٠٤
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tafani

م	اسم المكان أو البلد	الصفحة
٢١	وَلْـمَة	٢٩
٢٢	اليمن	٢٨٥

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... السورة النهائية) ٠٠:٤
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tafleni

فهرس الفرق والديانات

م	الكلمـــــــــــة	الصفحة
١	أهل الكلام	٣٢
٢	التصوف	٤٠
٣	الخوارج	٣٢
٤	الفلسفة	٣٢
٥	المرجئة	٣٢
٦	المعتزلة	٣٢
٧	النصارى	٣٢
٨	الولاية	٤٠
٩	اليهود	٣٢

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٠٤
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tatlani

فهرس الأشعار

م	الأبيـــــــــات	الصفحة
١	أروم امتداح المصطفى ويردني .:. قصوري عن إدراك لكل المناقب	٣٨
٢	ومن لي بحصر البحر والبحر زاخر .:. ومن لي بإحصاء الحصى والكواكب	٣٨
٣	قصدي المؤمل في جهدي وإسراري .:. ومطلبي من إلهي الواحد الباري	٤٧
٤	شهـادة في سبـيل الله خالصة .:. تمحو ذنوبي وتنجيني من النار	٤٧
٥	إن المعاصي رجز لا يطهـرها .:. إلا الصوارم في أيمان كفـار	٤٧
٦	عين هـلا بكيـت أربـد .:. إذا قمنا وقام الخصوم في كبد	١٤٢
٧	لي ابن عم لو أن الناس في كبد .:. لظل محتجزا بالنبل يرميني	١٤٢
٨	فما ذنبنا إن جاش بحر ابن عمكم .:. وبحرك ساج ما يواري الدعامصا	١٨٣
٩	يا حبذا القمـراء والليل السـاج .:. وطرق مثل ملاء النسـج	١٨٣
١٠	فما ذنبنا إن جاش بحر ابن عمكم .:. وبحرك ساج ما يواري الدعامصا	١٨٤
١١	كنود لنعماء الرجال ومن يكن .:. كنودا لنعمـاء الرجـال يبعـد	٢٣٤
١٢	أرى الموت يعتام الكرام ويصطفي .:. عقيلة مال الفاحش المتشدد	٢٤١
١٣	فالأرض معقلنا وكانت أمنا .:. وفيها مقابرنا وفيها نولـد	٢٥٣
١٤	هوت أمه ما يبعث الصبح غاديا .:. وماذا يرد الليـل حيـن ينـوب	٢٥٣
١٥	ألا بكر الناعي بخير بني أسـد .:. بعمرو بن مسعود السيد الصمد	٢٩٦
١٦	وبقوله: علوته بحسامي ثم قلت له .:. خذها حذيف فأنت السيد الصمد	٢٩٦
١٧	إن هذا الليل قد غسقا .:. واشتكيت الهم والأرقا	٣٠٤
١٨	يا طيف هند قد أبقت لي أرقا .:. إذ جئتنا طارقًا والليل قد غسقا	٣٠٤

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... الصورة النهائية) ٠٤:٠٠
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tafasi

فهرس المصادر والمراجع

*** أولاً: القرآن الكريم** (جل منزله وعلا).

*** ثانياً: المصادر والمراجع الأخرى:**

م	المصـــــــدر أو المرجـــــع
١	**ابن جزي ومنهجه في التفسير**. لعلي محمد الزبيدي، نشر دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٧هـ.
٢	**الإتقان في علوم القرآن**. لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، نشر المكتبة العصرية، بيروت، سنة ١٤٠٧هـ ونشر دار الكتاب العربي، تحقيق: فؤاد أحمد زمرلي، الطبعة الأولى،سنة ١٤٢٦هـ.
٣	**الأجوبة التونسية على الأسئلة الغرناطية**. لمحمد المواق ومحمد الرصاع، تحقيق: محمد حسن، نشر: دار المدار الإسلامية، بيروت، سنة ٢٠٠٧م.
٤	**الإحاطة في أخبار غرناطة**. للسان الدين الخطيب، تحقيق: محمد عبد الله عنان، نشر: مكتبة الخانجي للطبع والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة ١٣٩٥ هـ.
٥	**أحكام القرآن**. أبو بكر محمد بن عبد الله ابن العربي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، نشر دار الفكر، لبنان.
٦	**إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**. لأبي السعود محمد بن محمد العمادي، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، ووضع حواشيه: عبد اللطيف عبد الرحمن، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤١٩هـ.
٧	**الاستيعاب في معرفة الأصحاب**. ليوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري القرطبي، تحقيق: علي البجاوي، القاهرة.

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... الصورة النهائية) ٤٠٠ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tarfawi

م	المصـــــــدر أو المرجـــــع
٨	**أسد الغابة في معرفة الصحابة**. لأبي الحسن علي بن محمد بن الأثير الجزري، تحقيق: محمد إبراهيم البنا، ومحمد أحمد عاشور، نشر دار الشعب، القاهرة.
٩	**الإصابة في تمييز الصحابة**. للحافظ أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود ورفاقه، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٥هـ.
١٠	**أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**. لمحمد الأمين بن محمد بن المختار الشنقيطي، نشر دار الفكر، بيروت، سنة ١٤١٥هـ، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات ونشر مكتبة ابن تيمية، القاهرة، سنة ١٤١٥هـ.
١١	**الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء العرب والمستعربين والمستشرقين) لخير الدين الزركلي، نشر دار العلم للملايين، الطبعة الثالثة عشرة، سنة ١٩٩٨م.**
١٢	**إنباه الرواة على أنباه النحاة**. لأبي الحسن علي بن يوسف القفطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر دار الفكر العربي، القاهرة، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٦هـ.
١٣	**أنوار التنزيل وأسرار التأويل**. للقاضي ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، نشر دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى، سنة ١٤١٢هـ، ونشر دار الفكر، بيروت.
١٤	**بحر العلوم**. لأبي الليث السمرقندي، تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمروي، نشر دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٦هـ.
١٥	**البحر المحيط في التفسير**. لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، عناية الشيخ عرفان العشا حسونة، نشر دار الفكر، بيروت، سنة ١٤٢٥هـ.
١٦	**بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن قيم الجوزية**. جمعه ووثق نصوصه: يسري السيد محمد، نشر دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى، سنة ١٤٢٧هـ.

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... الصورة النهائية) ٠٤:٠٠ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tafasi

م	المصـــــــدر أو المرجـــــع
١٧	**البداية والنهاية في التاريخ**. لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، تحقيق: عبد الرحمن اللاذقي ومحمد بيضون، نشر دار المعرفة، بيروت، الطبعة الرابعة، سنة ١٤١٩هـ.
١٨	**البدر الطالع بمحاسن القرن السابع**. لمحمد بن علي الشوكاني، تحقيق: حسين بن عبدالله العمري، نشر دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى سنة ١٤١٩هـ.
١٩	**البرهان في علوم القرآن**. لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، سنة ١٣٩١هـ. ونشر دار الحضارة للنشر والتوزيع، تحقيق: زكي محمد أبو سريع، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٧هـ.
٢٠	**تاج العروس من جواهر القاموس**. لمحمد مرتضى الزبيدي، نشر: دار الفكر، بيروت، دراسة وتحقيق: علي شيري، وطبعة دار مكتبة الحياة، بيروت.
٢١	**تاريخ الأمم والملوك**. لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: محمد بن جرير الطبري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر دار المعارف، القاهرةو الطبعة الثانية، سنة ١٣٨٧هـ.
٢٢	**تاريخ الصحابة الذين رُوي عنهم الأخبار**. لمحمد بن حبان البستي، تحقيق: بدر الضناوي، نشر عباس الباز، مكة.
٢٣	**تاريخ بغداد**. للخطيب البغدادي، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٧هـ.
٢٤	**التحرير والتنوير**. لمحمد الطاهر ابن عاشور، نشر دار سحنون، تونس.
٢٥	**تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي**. لأبي العلي محمد عبد الرحمن المباركفوري، نشر المكتبة السلفية، المدينة المنورة، الطبعة الثانية، سنة ١٣٨٤هـ.
٢٦	**تحفة المودود بأحكام المولود**. لمحمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزيةو نشر دار الكتب العلمية، بيروت.

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٤:٠٠ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tafani

م	المصـــــــدر أو المرجـــــع
٢٧	**تذكرة الحفاظ**. لشمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، وضع حواشيه زكريا عميرات، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٩هـ.
٢٨	**ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**. لعياض بن موسى اليحصبي، تحقيق: محمد بن تأوين الطبخي، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، الطبعة الثانية، سنة ١٤٠٣هـ.
٢٩	**ترجيحات الإمام ابن جرير في التفسير**. لحسين بن علي الحربي، رسالة دكتوراه في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.
٣٠	**ترجيحات الحافظ ابن كثير لمعاني الآيات في تفسيره**. لآدم عثمان علي، رسالة ماجستير في الجامعة الإسلامية، المدينة.
٣١	**تفسير الجلالين**. لجلال الدين السيوطي وجلال الدين المحلي، مطبوع مع الفتوحات الإلهية، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٦هـ.
٣٢	**تفسير القرآن العزيز**. لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زمنين، تحقيق: حسين بن عكاشة ومحمد مصطفى الكنز، نشر دار الفاروق الحديثة، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة ١٤٢٣هـ.
٣٣	**تفسير القرآن العظيم مسنداً عن الرسول ﷺ والصحابة والتابعين**. للحافظ عبدالرحمن ابن أبي حاتم الرازي، تحقيق: أسعد محمد الطيب، نشر مكتبة نزار مصطفى الباز، الطبعة الثالثة، سنة ١٤٢٢هـ.
٣٤	**تفسير القرآن العظيم**. لإسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، نشر دار الفكر، بيروت، سنة ١٤٠٦ هـ، وتحقيق: مصطفى السيد محمد ورفاقه، نشر دار عالم الكتب، الرياض، الطبعة الأولى، سنة ١٤٢٥هـ.

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... الصورة النهائية) ٠٤:٠٠ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tatlani

م	المصـــــــدر أو المرجـــــع
٣٥	**تفسير القرآن الكريم**. لمحمد بن صالح العثيمين، جزء عم، نشر دار الثريا، الطبعة الأولى، سنة ١٤٢٥هـ.
٣٦	**تفسير القرآن**. لأبي المظفر السمعاني، تحقيق: ياسر إبراهيم عباس وغنيم عباس غنيم، نشر دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٨هـ.
٣٧	**التفسير القيم**. لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، جمعه محمد إدريس الندوي، حققه: حامد الفقي، نشر دار العلوم الحديثة، بيروت.
٣٨	**التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)**. لفخر الدين محمد بن عمر الرازي، نشر دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤٢٥هـ.
٣٩	**تفسير جزء عم**. لمساعد بن سليمان الطيار، نشر دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الثالثة، سنة ١٤٢٣هـ.
٤٠	**تفسير جزء عم**. مقتطف من نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. قدم له وراجعه أحمد عز الدين عبد الله خلف الله، نشر دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤٢٢هـ.
٤١	**تفسير سورة الإخلاص**. لشيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، راجع نصوصه وخرّج أحاديثه وعلّق عليه عبد العلي عبد الحميد حامد، نشر الدار السلفية، الهند، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٦هـ.
٤٢	**التفسير والمفسرون**. لمحمد حسين الذهبي، نشر دار الكتب الحديثة، مصر، الطبعة الثانية، سنة ١٣٩٦هـ.
٤٣	**تقريب التهذيب**. لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد عوامة، نشر دار الرشيد، سوريا، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٦هـ .
٤٤	**تهذيب التهذيب**. لأحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٥هـ.

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٤:٠٠ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tafani

م	المصـــــــدر أو المرجـــــع
٤٥	**تهذيب الكمال في أسماء الرجال**. للحافظ جلال الدين أبي الحجاج يوسف المزي، تحقيق: بشار عواد معروف، نشر مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٨هـ.
٤٦	**تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**. لعبد الرحمن بن ناصر السعدي، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة، سنة ١٤١٧هـ.
٤٧	**الثقات**. لمحمد بن حبان البستي، تحقيق: السيد شرف الدين أحمد، نشر دار الفكر، الطبعة الأولى، سنة ١٣٩٥هـ.
٤٨	**جامع البيان عن تأويل آي القرآن**. لمحمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري، نشر دار الفكر، بيروت، سنة ١٤٠٥هـ.
٤٩	**الجامع لأحكام القرآن**. لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤٢٧هـ، وطبعة دار الكتاب العربي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، سنة ١٤٢٦هـ.
٥٠	**الجامع لحياة العلامة محمد بن صالح العثيمين العلمية والعملية**. وما قيل فيه من المراثي. بقلم وليد بن أحمد الحسين، سلسلة إصدرات مجلة الحكمة (١٠)، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٤هـ.
٥١	**الجرح والتعديل**. لعبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس أبو محمد الرازي التميمي، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٢٧١هـ.
٥٢	**الجواهر الحسان في تفسير القرآن**. لأبي زيد الثعالبي، تحقيق: أبو محمد البخاري الإدريسي الحسني، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤١٦هـ.
٥٣	**حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، نشر مطبعة السعادة، مصر، الطبعة الأولى، سنة ١٣٥١هـ.
٥٤	**الدر المنثور في التفسير المأثور**. لجلال الدين السيوطي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤٢١هـ.

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٤:٠٠ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tafasi

م	المصـــــــدر أو المرجـــــع
٥٥	**الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**. لشهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور عبد المعطي قلعجي، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٨ هـ.
٥٦	**دقائق التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن تيمية**. جمع وتحقيق: محمد السيد الجليند، نشر مؤسسة علوم القرآن، بيروت، الطبعة الثالثة، سنة ١٤٠٦هـ.
٥٧	**الديباج المذهب في معرفة علماء أعيان المذهب**. لابن فرحون إبراهيم بن علي بن محمد، تحقيق: علي عمر، نشر مكتبة الثقافة الدينية.
٥٨	**روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**. لأبي الفضل شهاب الدين محمد الألوسي، تحقيق: السيد محمد السيد وسيد إبراهيم عمران، نشر دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة ١٤٢٦هـ.
٥٩	**زاد المسير في علم التفسير**. لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي، تحقيق: أحمد شمس الدين، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية سنة ١٤٢٢هـ.
٦٠	**سنن ابن ماجه**. لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤٢٣هـ.
٦١	**سنن أبي داود**. لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق: محمد عبدالعزيز الخالدي، نشر دالكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤٢٢هـ.
٦٢	**سنن الترمذي (الجامع الصحيح)**. لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، تحقيق: أحمد شاكر ومحمد عبد الباقي وكمال الحوت، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٨هـ.
٦٣	**السنن الكبرى**. لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: عبد الغفار سليمان البنداري وسيد كسروي حسن، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤١٤هـ.

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٤:٠٠ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tatawi

م	المصـــــــدر أو المرجـــــع
٦٤	**السنن الكبرى**. لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني أبو بكر البيهقي، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي وآخرون، نشر دائرة المعارف العثمانية، الهند، سنة ١٣٥٥هـ.
٦٥	**سنن النسائي**. لأحمد بن شعيب النسائي، مطبوع بشرح الحافظ السيوطي، اعتنى وفهرسه: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب، ونشر المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤٢٦هـ.
٦٦	**سير أعلام النبلاء**. لشمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، عناية حسان بن عبدالمنان، نشر بيت الأفكار، لبنان، الطبعة الثامنة، سنة ٢٠٠٤م.
٦٧	**السيرة النبوية**. لابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وغيره، نشر مطبعة البابي الحلبي، مصر، سنة ١٩٥٥م.
٦٨	**شذرات الذهب في أخبار من ذهب**. لعبد الحي بن العماد الحنبلي، تحقيق: عبدالقادر الأرناؤوط ومحمد الأرناؤوط، نشر دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٦هـ.
٦٩	**صحيح ابن حبان (الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان للأمير علاء الدين ابن بلبان) للحافظ أبي حاتم محمد بن حبان التميمي البستي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، سنة ١٤١٤هـ.**
٧٠	**صحيح مسلم**. الإمام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤٢١هـ.
٧١	**صفة الصفوة**. لأبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي، نشر دار المعرفة، بيروت.
٧٢	**صور من حياة العرب والجهاد في الأندلس**. لأحمد مختار العبادي، الإسكندرية، الطبعة الأولى، سنة ٢٠٠٠م، طبع نشأة المعارف.

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٤:٠٠
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tatawi

م	المصـــــــدر أو المرجـــــع
٧٣	**الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**. لمحمد بن عبد الرحمن السخاوي، دار مكتبة الحياة، بيروت.
٧٤	**طبقات الحفاظ**. لجلال الدين السيوطي، تحقيق: علي محمد عمر، نشر مكتبة وهبة، مصر، الطبعة الثانية، سنة ١٤١٥هـ.
٧٥	**طبقات الشافعية الكبرى**. لتاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي، تحقيق: عبدالفتاح محمد الحلو، ومحمود الطناجي، نشر دار إحياء التراث العربية، بيروت.
٧٦	**طبقات الفقهاء**. لإبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي، تحقيق: إحسان عباس، نشر دار الرائد العربي، بيروت، سنة ١٤٠١هـ.
٧٧	**الطبقات الكبرى**. لأبي عبد الله محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري، دار صادر، بيروت.
٧٨	**طبقات المفسرين**. لأحمد بن محمد الأدنه وي، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، نشر مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٧هـ.
٧٩	**طبقات المفسرين**. للحافظ شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداودي، راجعها لجنة من العلماء بإشراف الناشر، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٣ هـ.
٨٠	**طبقات النحويين واللغويين**. لأبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر دار المعارف، مصر، سنة ١٣٩٢هـ.
٨١	**العبر وديوان المبتدأ والخبر وتاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**. لعبد الرحمن بن خلدون، تحقيق: خليل شحاذه وسهيل زكار، نشر: دار الفكر، بيروت، الطبعة الثالثة – سنة ١٤١٧ هـ.
٨٢	**عظمة القرآن الكريم**. لمحمود بن أحمد الدوسري، رسالة ماجستير مقدمة في الدراسات الإسلامية في الجامعة الوطنية اليمنية.

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... العورة النهائية) ٠٤
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tafasi

م	المصـــــــدر أو المرجـــــع
٨٣	**العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين**. لمحمد بن أحمد الفاسي، نشر مطبعة السنة المحمدية، القاهرة.
٨٤	**غاية النهاية في طبقات القراء**. لشمس الدين أبي الخير محمد ابن الجزري، اعتنى بنشره بروجستر اسر، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١١هـ.
٨٥	**فتح الباري بشرح صحيح البخاري**. لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: عبد العزيز بن باز، ترتيب وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، نشر دار الريان للتراث، القاهرة، الطبعة الثالثة، سنة ١٤٠٦هـ.
٨٦	**فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**. لمحمد بن علي الشوكاني، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، نشر دار الوفاء، بيروت، الطبعة الثالثة سنة ١٤٢٦هـ وطبعة دار المعرفة، بيروت.
٨٧	**الفوائد البهية في تراجم الحنفية**. لمحمد بن عبد الحي اللكنوي، نشر مكتبة المعارف، القاهرة، سنة ١٣٢٤هـ.
٨٨	**قواعد الترجيح عند ابن جزي في تفسيره**. لعبد الله بن حمد الجمعان، رسالة ماجستير في جامعة الملك سعود، الرياض.
٨٩	**قواعد الترجيح عند المفسرين**. لحسين علي الحربي، نشر دار القلم، الرياض، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٧هـ.
٩٠	**قواعد التفسير جمعاً ودراسة**. لخالد بن عثمان السبت، نشر دار ابن عفان، مصر، الطبعة الأولى، سنة ١٤٢١هـ.
٩١	**قوانين الأحكام الشرعية ومسائل الفروع الفقهية**. لمحمد بن أحمد بن جزي الكلبي، نشر عالم الفكر، القاهرة، سنة ١٣٩٥هـ، ونشر دار الملايين، بيروت، سنة ١٩٧٩م.

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... الصورة النهائية) ٠٠:٤ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tafani

م	المصـــــــدر أو المرجـــــع
٩٢	**الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة**. لأبي عبدالله محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: محمد عوامة، نشر دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، الطبعة الأولى سنة ١٤١٣هـ.
٩٣	**الكافي الشافي بتخريج أحاديث الكشاف**. للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، هامش تفسير الكشاف، نشر الحلبي.
٩٤	**الكامل في التاريخ**. لأبي الحسين ابن الأثير، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٧هـ.
٩٥	**كتاب السنة**. لعبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: محمد سعيد القحطاني، نشر دار عالم الكتب، الرياض.
٩٦	**الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**. لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٩٧	**كنى التاريخ الكبير**. لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: السيد هاشم الندوي، نشر دار الفكر.
٩٨	**الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة**. لنجم الدين الغزي، تحقيق: جبرائيل سمور، نشر دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الثانية، سنة ١٩٧٩م.
٩٩	**لسان العرب**. لأبي الفضل جمال الدين ابن منظور الأفريقي، نشر دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، سنة ١٤١٤هـ.
١٠٠	**لسان الميزان**. لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: مكتب التحقيق بإشراف محمد عبد الرحمن المرعشلي، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٦هـ.

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٤:٠٠ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tafani

م	المصـــــــدر أو المرجـــــع
١٠١	**المؤرخون اليمنيون في العصر الحديث**. لحسين بن عبد الله العمري، نشر دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٩هـ.
١٠٢	**مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية**. جمع عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، نشر مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة، سنة ١٤٢٦هـ.
١٠٣	**المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**. لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٣هـ.
١٠٤	**المحصول في علم أصول الفقه**. لفخر الدين محمد بن عمر الرازي، دراسة وتحقيق: طه جابر فياض العلواني، نشر مؤسسة الرسالة، سنة ١٤١٢هـ.
١٠٥	**مدارك التنزيل وحقائق التأويل**. لأبي البركات عبد الله بن أحمد النسفي، نشر دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤٢١هـ.
١٠٦	**المسند**. للإمام أحمد بن حنبل، نشر بيت الأفكار الدولية، الطبعة الأولى، سنة ١٤٢٥هـ.
١٠٧	**مشاهير علماء الأمصار**. لمحمد حبان البستي، تحقيق: فلايشهمر، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، سنة ١٩٥٩م.
١٠٨	**مشاهير علماء نجد وغيرهم**. لعبدالرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ، نشر دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، الطبعة الأولى، سنة ١٣٩٢هـ.
١٠٩	**مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر**. لأحمد محمد الطوخي، تقديم أحمد مختار العبادي، نشر: مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، الطبعة الثامنة والثلاثون، سنة ١٩٩٧م.
١١٠	**معالم التنزيل**. لأبي محمد الحسين بن سعود البغوي. نشر دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤٢٠هـ.

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٤:٠٠ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tatawi

م	المصـــــــدر أو المرجـــــع
١١١	**المعجم الأوسط**. لسليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، تحقيق: محمود الطحان، نشر دار المعارف، الرياض، سنة ١٩٨٥م.
١١٢	**معجم البلدان**. لياقوت بن عبد الله الحموي، نشر دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٩٩٦م.
١١٣	**معجم المؤلفين**. لعمر رضا كحالة، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت.
١١٤	**معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر**. لعادل نويهض، نشر مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٣هـ.
١١٥	**معجم مقاييس اللغة**. لأحمد بن فارس، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤١٩هـ وتحقيق: عبدالسلام هارون، نشر دار الجيل.
١١٦	**معرفة الصحابة**. لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، نشر: دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٩هـ.
١١٧	**معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار**. لشمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: بشار عواد وشعيب الأرناؤوط وصالح عباس، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، سنة ١٤٠٨هـ.
١١٨	**المعرفة والتاريخ**. لأبي يوسف يعقوب بن سفيان الفسوي، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة ١٤١٩هـ.
١١٩	**موطأ الإمام مالك**. للإمام مالك بن أنس الأصبحي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، نشر دار إحياء التراث العربي، مصر.
١٢٠	**ميزان الاعتدال في نقد الرجال**. لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: محمد علي البجاوي، نشر مكتبة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، الطبعة الأولى سنة ١٣٨٣هـ.

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... الصورة النهائية) ٤٠٠
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tafani

م	المصـــــــدر أو المرجـــــع
١٢١	**نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**. لبرهان الدين البقاعي، نشر دار الأندلس بالتعاون مع دائرة المعارف الإسلامية، الطبعة الأولى، سنة ١٣٩٦هـ، ونشر مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الأولى ١٣٩٦هـ.
١٢٢	**نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**. لشهاب الدين أحمد بن محمد المغربي التلمساني، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، سنة ١٣٨٨هـ.
١٢٣	**النهاية في غريب الحديث والأثر**. لأبي السعادات المبارك بن محمد الجزري الشهير بابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمد الطناجي، نشر دار الباز، مكة.
١٢٤	**الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**. لعلي بن أحمد الواحدي، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، نشر دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٥هـ.
١٢٥	**وفيات الأعيان وأبناء الزمان**. لأبي العباس أحمد بن محمد ابن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، نشر: دار الثقافة، بيروت، سنة ١٩٦٨م.

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... السورة النهائية) ٠٠:٤
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tafasi

فهرس الموضوعات

الموضـــــــــــوع	الصفحة
ملخص الرسالة	٣
Abstract	٤
المقدمـــة	٥
أسباب اختيار الموضوع	٧
مجال الدراسة وحدودها	٨
الدراسات السابقة	٩
خطة البحث	١١
منهج البحث	١٤
التمهيـد: التعريف بابن جزي بإيجاز	١٩
الفصل الأول: عصر ابن جزي بإيجاز	٢١
المبحث الأول: الحياة السياسية	٢٢
المبحث الثاني: الحياة الاجتماعية:	٢٤
المبحث الثالث: الحياة العلمية	٢٦
الفصل الثاني: حياة ابن جزي الشخصية بإيجاز	٢٨
المبحث الأول: اسمه ونسبه ونسبته	٢٩
المبحث الثاني: مولده ونشأته وفضله	٣١
المبحث الثالث: معتقده ومذهبه	٣٢
الفصل الثالث: حياة ابن جزي العلمية بإيجاز	٣٧
المبحث الأول: نشأته ومكانته العلمية	٣٨
المبحث الثاني: شيوخه وتلاميذه	٤٠

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٤:٠٠ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tatlani

الموضـــــــــــــوع	الصفحة
المبحث الثالث: مؤلفاته وآثاره	٤٢
المبحث الرابع: وفاته	٤٧
الباب الأول: التعريف بكتاب التسهيل ومنهج ابن جزي	٤٩
الفصل الأول: التعريف بكتاب التسهيل لعلوم التنزيل	٥١
المبحث الأول: القيمة العلمية للكتاب.	٥٢
المبحث الثاني: نسخ الكتاب وطباعته	٥٧
المبحث الثالث: طريقة المصنف في كتابه ومنهجه	٥٩
منهج ابن جزي في تفسيره	٦٣
الفصل الثاني: منهج ابن جزي في الترجيح	٧١
تمهيـــــد	٧٢
المبحث الأول: تعريف الترجيح وموجباته	٧٣
المبحث الثاني: مصطلحات الترجيح وأساليبه في تفسيره	٧٥
المبحث الثالث: وجوه الترجيح عند ابن جزي	٨٨
الباب الثاني: عرض لترجيحات ابن جزي في تفسيره ومناقشتها من أول سورة (الغاشية) إلى نهاية سورة (الناس)	٩٨
سورة الغاشية	٩٩
مسألة: المراد بـ (هل) في قوله تعالى: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡغَٰشِيَةِ ۝١﴾ [الغاشية:١]	٩٩
مسألة: المراد بالغاشية في قوله تعالى: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡغَٰشِيَةِ ۝١﴾ [الغاشية:١]	١٠١
مسألة: المراد بالضريع في قوله تعالى: ﴿لَّيۡسَ لَهُمۡ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٖ ۝٦﴾ [الغاشية:٦]	١٠٣
مسألة: المراد بالإبل في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ۝١٧﴾ [الغاشية:١٧]	١٠٦
مسألة: القول بالنسخ في قوله تعالى: ﴿لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ ۝٢٢﴾ [الغاشية:٢٢]	١٠٩

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... الصورة النهائية) ٤٠٠
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Mr. Tarfawi

الموضـــــــــــــوع	الصفحة
سورة الفجر	١١٢
مسألة: المراد بـ(الفجر) في قوله تبارك وتعالى: ﴿وَٱلْفَجْرِ ۝١﴾ [الفجر:١]	١١٢
مسألة: المراد بـ (ليال عشر) في قوله تبارك وتعالى: ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢﴾ [الفجر:٢]	١١٥
مسألة: المراد بقوله تبارك وتعالى: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ۝٤﴾ [الفجر:٤]	١١٩
مسألة: المراد بـ (إرم) في قوله تبارك وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧﴾ [الفجر:٦-٧]	١٢٢
مسألة: المراد بـ (الإنسان) في قوله تبارك وتعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ۝١٥﴾ [الفجر:١٥]	١٢٦
مسألة: المراد بـ (الإنسان) في قوله تبارك وتعالى: ﴿وَجِا۟ىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ۝٢٣﴾ [الفجر:٢٣]	١٢٩
مسألة: متى يكون الخطاب في قوله تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۝٢٨﴾ [الفجر:٢٧-٢٨]	١٣١
مسألة: فيمن نزل قوله تبارك وتعالى: ﴿فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ۝٢٩ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ۝٣٠﴾ [الفجر:٢٩-٣٠]	١٣٥
سورة البلد	١٣٧
مسألة: ما المراد بـ(حل) في قوله تبارك وتعالى: ﴿وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝٢﴾ [البلد:٢]	١٣٧
مسألة: المراد بـ(الكبد) في قوله تبارك وتعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ۝٤﴾ [البلد:٤]	١٤١
مسألة: المراد بـ (العقبة) في قوله تبارك وتعالى: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ۝١١﴾ [البلد:١١]	١٤٥
سورة الشمس	١٤٨
مسألة: المراد بـ (ضحاها) في قوله تبارك وتعالى: ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ۝١﴾ [الشمس:١]	١٤٨
مسألة: المراد بـ(تلاها) في قوله تبارك وتعالى: ﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢﴾ [الشمس:٢]	١٥١
مسألة: المراد بـ (ما) في قوله تبارك وتعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝٥﴾ [الشمس:٥]	١٥٤
مسألة: المراد بـ(النفس) في قوله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧﴾ [الشمس:٧].	١٥٧

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... الصورة النهائية) ٠٤:٠٠ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tafasi

الموضـــــــــــــوع	الصفحة
مسألة: جواب القسم في قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩﴾ [الشمس:٩]	١٥٩
مسألة: على من يعود ضمير الفاعل في قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩﴾ [الشمس:٩]	١٦١
مسألة: من المراد بـ(أشقاها) في قوله تعالى: ﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ۝١٢﴾ [الشمس:١٢].	١٦٤
مسألة: علام يعود ضمير الفاعل في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ۝١٥﴾ [الشمس:١٥]	١٦٧
سورة الليل	١٧٠
مسألة: ما المراد بـ(ما) في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ۝٣﴾ [الليل:٣] ؟	١٧٠
مسألة: ما المراد بـ(الحسنى) في قوله تعالى: ﴿وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦﴾ [الليل:٦]؟	١٧٣
مسألة: فيمن نزلت آية المدح في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦﴾ [الليل:٥-٦]؟	١٧٧
مسألة: فيمن نزلت آية الذم في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩﴾ [الليل:٨-٩]؟	١٨٠
سورة الضحى	١٨٢
مسألة: المراد بـ(سجى) في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢﴾ [الضحى:٢]	١٨٢
مسألة: المراد بـ (الآخرة) و(الأولى) في قوله تعالى: ﴿وَلَلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ۝٤﴾ [الضحى:٤].	١٨٥
مسألة: ما المراد بـ(الإعطاء) في قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝٥﴾ [الضحى:٥]	١٨٨
مسألة: ما المراد بـ(الضلال) في قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾ [الضحى:٧].	١٩١
مسألة: مالمراد بـ(النعمة) في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝١١﴾ [الضحى:١١]	١٩٥
سورة الشرح	١٩٨
مسألة: ما المراد بانشراح صدره ﷺ في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١﴾ [الشرح:١]	١٩٨
مسألة المراد بـ (الوزر) في قوله تعالى: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢﴾ [الشرح:٢]	٢٠١

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... السورة النهائية) ٤٠٠
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tatlani

الموضـــــــــــــوع	الصفحة
سورة التين	٢٠٣
مسألة: ما المراد بـ (التين والزيتون) في قوله تعالى: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١﴾ [التين:١]؟	٢٠٣
سورة العلق	٢٠٨
مسألة: الوعيد المذكور في قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ۝١٥﴾ [العلق:١٥] **لأبي جهل في الدنيا أم في الآخرة؟**	٢٠٨
سورة القدر	٢١١
مسألة: تحديد ليلة القدر في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [القدر:١].	٢١١
مسألة:ما سبب تسميتها بليلة القدر في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١﴾ [القدر:١]؟	٢١٥
مسألة: من المراد بـ (الروح) في قوله تعالى: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا﴾ [القدر:٤]؟	٢١٨
سورة البينة	٢٢٠
مسألة: ما المراد بالانفكاك في قوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ۝١﴾ [البينة:١]؟	٢٢٠
مسألة: ما المراد بالإخلاص في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ۝٥﴾ [البينة:٥] ؟	٢٢٥
سورة الزلزلة	٢٢٨
مسألة: المراد بـ (الأثقال) في قوله تعالى: ﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢﴾ [الزلزلة:٢]	٢٢٨
مسألة: المراد بـ(صدر الناس) في قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٦﴾ [الزلزلة:٦].	٢٣١
سورة العاديات	٢٣٤
مسألة: المراد بالكنود في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦﴾ [العاديات:٦].	٢٣٤
مسألة: علام يعود ضمير (إنه) في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝٧﴾ [العاديات:٧].	٢٣٧
مسألة: المراد بـ(الخير) في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۝٨﴾ [العاديات:٨].	٢٤٠

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... السورة النهائية) ٠٤:٠٠ ١٤٣٠/٨/٩ Ali Tafasi

الموضـــــــــــــوع	الصفحة
سورة القارعة	٢٤٣
مسألة: ما المراد بالفراش في قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ ﴾ [القارعة:٤].	٢٤٣
مسألة: ما المراد بميزان الأعمال يوم القيامة في قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ ﴾ [القارعة:٦-٧].	٢٤٦
مسألة: المراد بـ(أمه هاوية) في قوله تبارك وتعالى: ﴿ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ ﴾ [القارعة:٩]	٢٥٢
سورة التكاثر	٢٥٥
مسألة: ماذا يفيد التكرير في قوله تبارك وتعالى: ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ﴾ [التكاثر٣-٤]؟	٢٥٥
مسألة: لمن وجه الخطاب في قوله تعالى: ﴿ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ﴾ [التكاثر:٦]؟	٢٥٨
مسألة: ما المراد بـ(النعيم) في قوله تبارك وتعالى: ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ ﴾ [التكاثر:٨]؟	٢٦١
سورة الهمزة	٢٦٤
مسألة: فيمن نزل قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ ﴾ [الهمزة:١]؟	٢٦٤
مسألة: ما المراد بـ (عدده) في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ﴿٢﴾ ﴾ [الهمزة:٢]؟	٢٦٧
مسألة: ما المراد بـ(أخلده) في قوله تبارك وتعالى: ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ﴿٣﴾ ﴾ [الهمزة:٣]؟	٢٧٠
مسألة: ما المراد بالاطلاع في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ﴿٧﴾ ﴾ [الهمزة:٧]؟	٢٧٢
سورة الكوثر	٢٧٥
مسألة: ما المراد بـ (الكوثر) في قوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾ ﴾ [الكوثر:١]؟	٢٧٥
مسألة: فيمن نزل فيه قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴿٣﴾ ﴾ [الكوثر:٣]؟	٢٨٠

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... السورة النهائية) ٠٤:٠٠ ١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tatawi

الموضـــــــــــــوع	الصفحة
سورة الكافرون	٢٨٢
مسألة: لم عدل عن (من) إلى (ما) في قوله تعالى: ﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ٣﴾ [الكافرون:٣]؟	٢٨٢
سورة النصر	٢٨٥
مسألة: ما المراد بالفتح في قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ١﴾ [النصر:١]؟	٢٨٥
سورة الإخلاص	٢٨٩
مسألة: ما معنى كون سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن؟	٢٨٩
مسألة: ما معنى وصف الله تعالى بالواحد في قوله تعالى: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١﴾ [الإخلاص:١]؟	٢٩٢
مسألة: ما المراد بالصمد في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ٢﴾ [الإخلاص:٢]؟	٢٩٥
مسألة: ما المراد بالكفؤ في قوله تعالى: ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ٤﴾ [الإخلاص:٤] ؟	٣٠٠
سورة الفلق	٣٠٣
مسألة: ما المراد بـ(الغاسق) وبـ(الوقب) في قوله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ٣﴾ [الفلق:٣]؟	٣٠٣
مسألة: ما المراد بالنفاثات في قوله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ ٤﴾ [الفلق:٤]؟	٣٠٨
سورة الناس	٣١١
مسألة: ممن تكون الوسوسة المذكورة في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِي يُوَسۡوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ ٥﴾ [الناس:٥] **من الجن أو الأنس؟**	٣١١
الخاتمـــة	٣١٦

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... الصورة النهائية) ٠٤:٠٠ ١٤٣٠/٠٨/٠٩ Ali Tafasi

الموضـــــــــــــوع	الصفحة
الفهـــارس	٣٢٠
فهرس الآيات القرآنية	٣٢٢
فهرس القراءات القرآنية	٣٣٧
فهرس الأحاديث	٣٣٨
فهرس الآثار	٣٤٣
فهرس تراجم الأعلام	٣٥١
فهرس الأماكن والبلدان	٣٥٦
فهرس الفرق والديانات	٣٥٨
فهرس الأشعار	٣٥٩
فهرس المصادر والمراجع	٣٦٠
فهرس الموضوعات	٣٧٤

ماجستير طارق الفارس (كامل الرسالة ... المرحلة النهائية) ٠٠٤
١٤٣٠/٠٨/٠٩
Ali Tatlani